16 em Année No. 757 — Lundi — 5 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٥٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ صفر سنة ١٣٦٧ — ٥ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فهرس العدد

صفحة

المسلمون فى معترك الخطوب



كان الحلفاء يوم عقدوا ألوية الحرب قد عقدوا غيب ضمائرهم على الغــدر بأنفسهم وبالناس ، فلم يكادوا ينفضون أيديهم من تراب هتلر وحليفيه حتى أخذ بعضهم بتلابيب بعض ، يتصارعون على أسلاب الحرب ويتكالبون على جثث الضحايا ؛ فهذا يريد أن يغرز أنيابه هنا ، وذاك يحاول أن ينشب أظفاره هناك ؛ واللحوم طعوم ، والذبائح أجناس ؛ فوقف كل وحش بإزاء منافسه يهدده بما يملك من أسباب الحياة وبما يعلم من أسرار الموت ، حتى خشع المهيض ، واستكان الضعيف ، واستخذى الجبان ، وأقرت الأمم بالضيم ، واعترفت الدول بالرق ، وانتهى النزاع على ملكوت الأرض إلى قوتين متعارضتين : قوة الرأسمالية فى أمريكا ، وقوة الشيوعية فى روسيا ، كلتاهما تريد أن تبسط سلطانها على

المستضعفين فى الأرض دون الأخرى ، والدولة التى كانت تنافسهما فى استرقاق الشعوب نتفت ريشها الحرب فتأخرت عن صفها وهبطت عن مستواها ، فتركت لهما تصريف الأمر وغفت فى ظلال السكينة ترجو لأجنحتها أن ترتاش ولجروحها أن تندمل ؛ فلم يبق فى العالم اليوم من يقف أمام هاتين القوتين العارمتين موقف الأبى الذى يتكرم عن الذل ويتجافى عن المهانة إلا قوة واحدة تستمد بأسها من رَوْح الله ، وتقتبس هديها من نور الحق ، هى قوة الإسلام . وبحسبك أن تسمع مذياعك فى أى ليلة ، أو تقرأ صحيفتك فى أى يوم ، لتعلم أن هذه القوى الثلاث هى التى تتصارع وتتقارع فى الغرب والشرق وما بينهما ، وسائر الأمم محتبون بهامش الميدان يشهدون هذا الصراع شهود المتفرج أو المهرج أو المراهن : فالروسيون يريدون أن يتدفقوا فى سهول الشرق لينسخوا بمبادئهم دياناته وفلسفاته ، والأمريكيون يقيمون من دونهم السدود ليظلوا مستأثرين وحدهم بخيراته ، والمسلمون فى تركية وإيران وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا ، وفى أقطار العروبة من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى ، يجأرون بالشكوى ، ويصرخون من الظلم ، ويغضبون للكرامة ، ويثورون للحق ، وينادون بالجهاد ؛ ولكن أصواتهم الإنسانية اللينة تذهب فى عواء الذئاب ونباح الكلاب كما تذهب النسمة الرخية فى الأدغال الشواجن !

كأنما الحرب لم تخلف من المشكلات غير مشكلة الشرق الأوسط! وكأنما المحروبون لم يتركوا من التراث غير تراث الإسلام! وكأنما الأسرى فى نظام هيئة الأمم المتحدة هم المسلمون ! فمن لم يكن له وطن من شذاذ الأمم جعلوا له موطناً من أرض العرب ! ومن ضاقت عليه مذاهب العيش فى بلده وسعوها عليه من أرزاق العرب ! ومن نقت ضفادع بطنه من المستعمرين لازدراد بقمة حرام سكّنوا جوفه المسعور بقطعة من أملاك العرب ! ومن نازع المسلمين أو العرب على شىء من ديارهم الموروثة فضوا النزاع على حساب المسلمين أو العرب ! فالروس تتحلب أشداقهم على ابتلاع تركية وإيران . والهندوس يجدون العطف الأوربى على عدوانهم الوحشى على أهل باكستان . وهولندة تحاول أن تمزق بحديد الأمم المتحدة إندونيسيا ، وهذه الدولة لا تزال تشمر بمسامير النعل الهتلرى الثقيلة تغوص فى ظهورها الوطيئة البضة .

وانجلترة العجوز تريد أن تخلى لحاميتها أمريكا طريق الشرق فتقرر الجلاء عن فلسطين لتقتطع السودان من مصر ، وهو إنسان عينها ومهجة قلبها ، لتجعله نقطة ارتكازها فى أفريقيا ، وحقيقة مجازها إلى الشرق . وفرنسا المنحلة ما زالت تفرض الباقى من سلطانها على الشمال الأفريقى كله فتقيم بينه وبين أبويه الإسلامِ والعروبة حاجزاً من الظلام والحصر والرقابة والتجسس ، وترغمه على الاندماج بها والفناء فيها ، فيستظل بغير عَلَمه ، ويتكلم بغير لغته ، ويؤمن بغير دينه . ولولا ممالأة الدول ومواطأة اللصوص ومناوأة الخطوب لما ثبتت هذه القدم الناعمة فى رمال الريف وصخور أطلس ! وأمريكا التاجرة الطموح تصمم على أن تحول بين الشيوعية وثروة الشرق فتجعل من الإنجليز واليهود سداً كسد ذى القرنين يأخذ السودان من مصر ، وفلسطين من العرب ، وبقية امتداده من الإسلام . ولولا هذه النية الخبيثة لما ساعدت انجلترةَ على مصر فى مجلس الأمن ، وعاونت اليهودَ على العرب فى جمعية الأمم المتحدة .

ها هى ذى تقسم فلسطين وبها إحدى القبلتين وثانى الحرمين قسمة ضيزى بين العرب الأصلاء واليهود الدخلاء ، وتحمل الصهيونيين على طائراتها وبواخرها من أركان الأرض إلى فلسطين لينصبوا فيها الصليب للحق كما نصبوه من قبل لعيسى ، ويبذروا فى القدس الشقاق للناس كما بذروه فى يثرب لمحمد !

ليت شعرى ما جريرة العرب والمسلمين على الأمم الأوربيين والأمريكيين ؟ هل جريرتهم عليهم أنهم فتحوا العالم وطهروه ، وأعلنوا دين الله ونشروه ؟ قد يكون مع الفتح ترة المنصرية ، ومع نشر الدين تعصب الكنيسة ، ولكن ترة المقهور وتعصب الكاهن لم يكونا وحدهما السبب فى ذلك الاستخفاف الدولى بالإسلام والعروبة ؛ إنما السبب الأقوى فيما أعتقد أن المسلمين اعتمدوا على الحق دون القوة ، وعولوا على القول لا على الفعل ، واعتقدوا فى الشخص لا فى المبدأ ، ونسوا أن دينهم قرآن وسيف ، وتاريخهم فتح وحضارة ، وشرعهم دين ودنيا ، وحربهم جهاد وشهادة ، وزعامتهم خلافة وقيادة .

فهل آن لأبناء الأمة الوسطى وورّاث الدعوة الكبرى أن يذكروا ما نسوا ، ويجددوا ما طمسوا ، ويعلموا أن الحق هو القوة ، وأن القوة هى الوحدة ، وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد ، قام عليها تاريخهم القديم ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد ؟ !

أحمد حسن الزيات

فى عالم الروح

للأستاذ عباس محمود العقاد



تلقيت من الأستاذ صاحب التوقيع رسالة جاء فيها : « أن العالم الطبيعى ادوين ريد تحدث مستخفاً برؤيا رآها فى منامه وهى صليب كتب عليه اسمه ويليه أنه توفى فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ ولم يحن ذلك اليوم حتى فارق الحياة وكتب على صليب قبره اسمه بذلك التاريخ

ثم نقل من كتاب الأرواح للشيخ طنطاوى جوهرى كلاماً فحواه أن الدكتور جيبية رأى فى منامه مكتبة عامرة لجاره لم يرها ولم يسمع بها من قبل ، وتصفح عناوين الكثير من كتبها ، ثم ذهب إلى الدار ليرى مبلغ صحة رؤياه ، فاذا تلك المكتبة بعينها والكتب بعناوينها حتى أثاثها كما شاهده فى النوم بلا اختلاف .

ثم نقل عن الجزء الخامس من مجلد الهلال الخامس والخمسين حلماً فصله الكاتب الخطيب المبين الأستاذ محمد توفيق دياب بك وذكر أنه رآه بتفصيله فى اليقظة بعد ذلك بيومين .

وأضاف الكاتب إلى ما تقدم خلاصة حلم رآه فقال : « ولى رؤيا عجيبة وهى أننى تحدثت مع صديق فى أمور اجتماعية وإذا به يستشهد بمقطوعة من أرصن الشعر وأسلسه وأبلغه . حفظت بعضها مع العلم بأننى بطىء النظم لا أكثر من تعاطيه ، وكنت متوجهاً بكليتى للاستماع مع الإعجاب الشديد . ويقال أن ليس للانسان إلا عقله الباطن عند النوم ، وكان عقلى الباطن كما علمت متوجهاً للاصغاء وتتبع ما يلقى عليه لا غير ، ويقال إن الإنسان لا يفكر بشيئين فى آن واحد ... تصور أنك تسمع لخطيب وأنت متتبع لأقواله بكل إعجاب : هل يجوز الادعاء بأن ما تسمعه من بنات أفكارك ؟ إذن من هو الناظم ؟ وهل هو أنا ؟ وقد برهنا على استحالة ذلك ؟ . . وكيف يتم صدق الرؤيا لحوادث المستقبل البعيدة عن المصادفات ، والتى لم تكن أصداء لماض قريب أو بعيد ولكنه تنبؤ بمستقبل مجهول ؟ . .

عبد الجبار محمود الوائلى

(بغداد) خان الشابندر الجديد

* * *

شىء واحد يمكن أن يقال على سبيل التحقيق فى الجواب عن هذه الأسئلة : وهو أن الجزم بنفى هذه الروايات على اعتبار أنها مستحيلة الوقوع إنما يكون نفياً باطلا لا يعتمد على سند من العلم ولا من البراهين المنطقية .

فوقوع الأنباء على هذه الصورة ليس بالمستحيل .

ومن قال باستحالته وجب أن يثبت لنا أنه على علم تام بأسباب الاتصال بين كل نفس ونفس وكل مادة ومادة أو كل نفس ومادة فى هذا العالم الذى نعيش فيه .

وليس فى وسع أحد أن يزعم أنه على علم تام بأسباب الاتصال بين مادة ومادة فى عالم المكان ، ودع عنك صلات النفوس والعقول التى لا تقع تحت الحصر ولا يحيط بها العيان .

ففى هذا الفضاء الشاسع أشعة من النور لا تراها العين وهى مع ذلك تنفذ فى المعادن الصلاب وتؤثر فى الأحياء وغير الأحياء؛ وبعض هذه الأشعة يعرف بالآلات وبعضها لا يعرف بغير التقدير والترجيح ، وكلها لا تغنينا شيئاً فى بيان سبب التأثير الذى يقع من جرم على جرم آخر فى أجواز الفضاء الرحيب . فما هى قوة الجذب ؟ وما هى قوة الدفع ؟ وما هى قوة الإشعاع ؟ ولماذا يكون الإشعاع حركة سارية تنطلق من الذرة المشطورة فتعصف بالقوى ؟ وما الذى يتحرك حين يحدث هذا الإشعاع ؟ هل الحركة هى القوة أو الحركة نتيجة القوة ؟ وكيف تحدث هذه أو تلك أو تنتقل بالمقدار الذى يرصده الراصدون ؟

كل هذه أسئلة لا يقطع المجيب عنها بجواب مفروغ منه متفق عليه ، وهي مع ذلك أسئلة من النور أي عن المثل الأعلى للوضوح والظهور فيما تقع عليه العين ويتمثل به اللسان .

فالذي يزعم لنا أن أسباب الاتصال بين نفس ونفس ، أو بين عقل وعقل ، محصورة محدودة يمتنع كل ما عداها ، فهو مدع بما ليس في علمه ولا في علم أحد من البشر ، ويلزمه دليل ما يدعيه ولا دليل هناك .

لكن هل يجوز لنا أن نبني على هذا أن تلك الأنباء قطعاً من إيحاء عقل لعقل أو رسالة روح إلى روح ؟

إن أسئلة كثيرة تلزمنا قبل أن نخلص إلى هذا القول على وجه التحقيق ، ولنضرب المثل بما رواه صاحب الخطاب عن إدوين ريد .

فهل رأى إدوين ريد نبوءات أخرى غير النبوءة بيوم وفاته ؟ وهل رأى غيره نبوءات مثل نبوءته بيوم الوفاة ؟

إن كانت رؤيا إدوين ريد هي النبوءة الوحيدة التي صدقت فهناك محل للسؤال : لِمَ لَمْ تتهيأ روحه لمعرفة الغيب إلا في هذه الحالة ؟

وإن كانت هي واحدة من نبوءات كثيرات كذبت كلها ما عدا هذه النبوءة فاحتمال المصادفة هنا يخطر على البال إلى جانب الاحتمال الآخر : وهو تلقي الرسالة من عالم الروح . ويوم « ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ » كأي يوم آخر في أيام السنين ، لا موجب لاستثنائه ولا موجب للقطع بأن الإنباء به من توفيق المصادفات

وقد يجوز أن ألف إنسان غير إدوين ريد لاحت لهم في الرؤيا تواريخ تنبيء عن يوم وفاتهم . فلماذا لم تسجل هذه التواريخ كما سجل تاريخ « ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ » ؟

إن كانت صدقت كلها ولم تسجل كلها فهذا غريب مستبعد ؛ وإن كانت لم تسجل لأنها لم تصدق فإن احتمال المصادفة يزداد ، لأنه حالة واحدة بين مئات من الحالات .

وإنما تخرج هذه الأنباء من عالم الغرائب والمصادفات إلى عالم الحقائق المتواترة إذا أمكن تطبيقها كما تطبق تجارب العلوم ؛ وليس هذا التطبيق بالميسور في مسائل العقل والروح ، لأنك تستطيع أن تحكم بأن كل مادة ككل مادة ، وأن التجربة فيها تتكرر على منوال واحد أو مع اختلاف جد يسير . ولكنك لا تستطيع أن تحكم بأن كل عقل ككل عقل في الخصائص والآثار . فيجوز أن روحاً تتلقى وروحاً أخرى لا تتلقى ، ويجوز أن حالة التلقي لا تطرد في جميع التجارب على نمط واحد .

وههنا موضع الإعضال في تعميم الحكم على مسائل العقول والأرواح .

فغاية ما ينتهي إليه اليقين في هذه المعضلة أن الاتصال بين العقول أو بين الأرواح غير مستحيل ، ولكنه كذلك غير محتوم من الأمثلة التي تذكر في هذا السياق ، وبخاصة إذا نحن أحضرنا أن الرواية عن المنام تتسع لكثير من التحريف والانحراف ، لأن المنام بطبيعته غير مثبت للمراجعة والتأكد من الصور الغامضة التي تتلاحق فيه ، وقد يتممها الخيال بعد وقوع الحوادث التي تشبهه في عالم اليقظة ، وإن تقاربت المسافة بين رؤية اليقظة ورؤيا المنام .

فيجوز أن الرؤى التي أشار إليها الكاتب رسائل من روح إلى روح ، أو من العقل المحيط إلى عقول الآحاد . ولكن الجزم لا تكفي فيه هذه الرؤى ولا تلك الروايات .

***

أما نظم القصيدة في المنام وتخيل الإصغاء إليها من صديق فهو ظاهرة مختلفة تكفي التجارب النفسانية لتفسيرها ولا استحالة فيها على الإطلاق .

لأن نظم الشعر في النوم يحدث لغير قليل من الشعراء ، وقد روى عن كولردج الشاعر الإنجليزي أنه نظم قصيدة مطولة من أجود شعره وهو نائم ، ولست أستبعد ذلك . لأنني تتفق لي أبيات من الشعر أنظمها في المنام وأنا مشغول الذهن بالنظم أو غير مشغول ، وإن لم يتفق لي في هذه الحالة نظم المطولات .

أما استحالة النظم والإصغاء في وقت واحد فليس بواقع . لأن الإصغاء تخيل لا حقيقة له في الخارج ، وكل ما فيه أنه هو الصورة الرمزية التي اتخذها الوعي الباطن لظهور تلك الأبيات فيه

ومن طبيعة الأحلام أنها رمزية تتخيل المعاني والمؤثرات في صورة المحسوسات . فيبدو للمكروب في حلمه أن عدواً مطارداً يشدد عليه الخناق ، أو أن وحشاً مفترساً يبطش به في مكان لامهرب منه وهكذا يتخيل الوعي الباطن أنه يصغي إلى متكلم وهو الذي ينظم ما يصغي إليه في الخيال .

وبعد فلا استحالة — حتى أثناء اليقظة — فى تسجيل العقل الباطن شيئاً والتفاته مع الحس إلى شىء آخر .

فقد جربنا جيعاً أن نستغرق فى التفكير ويمر بنا إنسان نعرفه فلا نلتفت إليه . ثم نذكر أنه قد مر بنا بعد انتهاء حالة الاستغراق ، وقد نذكر أنه قد حيانا بكلمات نحفظها ونحسب أننا لم نسمعها حين فاه بها ، ونحن قد سمعناها وسجلناها على غير انتباه

ولا حاجة بنا فى هذه الظاهرة إلى فرض المصادفات ، لأن الواقع فى أمثال هذه الظاهرة متكرر متواتر يمكن القياس عليه . أما الإنباء بالمجهول فشاطىء الأمان فيه أنه لا إثبات بغير دليل يقبل التكرار والتواتر ، ولا إنكار بغير دليل كذلك الدليل . وقد نرجح الإثبات بغير دليل على الإنكار بغيره . لأن المنكر المتعسف يغلق الباب على ما سيعلم فى المستقبل ، ولا يزيد المثبت المتعسف على الخطأ فى الواقع كما رآه أو تخيل أنه رآه ...

عباس محمود العقاد

النساء فى القرآن الكريم

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت



كثر كلام الناس قديماً وحديثاً حول منزلة النساء فى الإسلام ، فنهم من زعم جهلا أو تجاهلا أن الإسلام اهتضم حقوقهن ، وانتقص مكانتهن ، وأخذ يغرى المرأة بالثورة على الإسلام بحسب ما صور لهم من تعاليم نسبها إليه وأقنعها بأنها السبيل الذى رسمه لها ، والواقع أن الإسلام منح النساء كل خير وصانهن عن كل شر ، ولم يأب عليهن سوى ما دفعتهن إليه هذه المدنية الكاذبة من « حرية » جعلت الغربية من النساء إذا ما خلت إلى ضميرها الإنسانى تبكى دما على الكرامة المفقودة ، والعرض المبتذل ، والسعادة الضائعة . وسيعلم النساء متى ثُبْن إلى رشدهن أن لا منقذ لهن ، ولا حافظ لكرامتهن وحقوقهن سوى هذه التعاليم الإلهية التى يحاول المغرضون والمخادعون لهن أن يصوروها فى أعينهن بصورة الأغلال التى تطوق الأعناق وتحول بينهن وبين ما لهن من حق فى الحياة .

وأرجو أن أقدم للنساء عامة وللمسلمات منهن خاصة تحت هذا العنوان ، وعلى صفحات الرسالة الغراء ، خطوط هذه الجولات الواسعة التى رسمها القرآن الكريم فى سبيل الإرشاد إلى حقوقهن ، وبيان أحكامهن ومنزلتهن فى حياة الأسر التى تعتبر بحق اللبنات الأولى فى بناء الأمم ، والتى تخلع على الأمة مالها من كيان قوى أو ضعيف .

والقرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، والحكم الأعلى الذى يحكم على غيره ولا يحكم الغير عليه .

***

قرأت القرآن وتتبعت أبرز مواقفه فى جانب النساء ، فوجدته خير ما يصور للناس عناية الإسلام بالنساء ، وحظوظهن فى تشريعه ، وليس بعد كلام الله كلام ، ولا بعد تشريعه تشريع .

عرض القرآن للنساء فى أكثر من عشر سور ، وكلها من المدنى الذى كان شأنه وقت التنزيل فرض الحقوق ، وبيان الواجبات ، وتنظيم الشئون ، والإرشاد إلى ما ينبغى فى شئون الأسر ، وشئون الأمم .

عرض لهن فى سورة البقرة فى ربعين عظيمين هما « يسألونك عن الخمر والميسر » ، « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » .

بين فيهما حكم تزوج المسلمة للمشرك الذى لا يؤمن بكتاب ولا رسول ، وأبطل بعض المعاملات الضارة التى كان يعتادها أهل الجاهلية مع النساء ، وبين الطلاق الذى يملك الرجل فيه رجعة الزوجة والذى لا يملك به الرجعة ، كما بين أن لها الحق فى افتداء نفسها من سوء العشرة بما تملك من مال ، وبين مساواتها

للرجل فيما لها وعليها من الحقوق الزوجية ، كما أمر بإمساكها بمعروف أو تسريحها بإحسان ، وحذر القوم من عضل النساء ومنعهن أن يتزوجن بمن يردن طمعاً فى مالهن وضراراً لهن ، ثم بين أن المرأة شريكة الرجل فى شأن الولد وإرضاعه ، وأنه لا يصح للرجل أن يبت فى هذا الشأن برأى دون « تراض منهما وتشاور » وبين فى هذا السياق الخطبة وأدبها كما بين حق المطلقات فى المتعة ، وهى ما يبذله الرجل للمرأة بعد طلاقها مما تتعزى به ويخفف عنها وقع الفراق ، « وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ».

وبين عدة المتوفى عنها زوجها ، وحث الأزواج على الإيصاء لهن بعد الوفاة بأكثر مما تستحق إحداهن بالعدة .

وعرض لهن فى سورة المائدة ، وبين حل تزوج المحصنات الكتابيات منهن ، وسوى فى ذلك بينهن وبين المحصنات المؤمنات .

وعرض لهن فى سورة النور ، وبين ما يردعهن عن ارتكاب ما يزرى بالكرامة ويخل بالشرف والمكانة ، كما بين حكم من تعدى عليهن بالقذف زوجاً كان أو غير زوج ، وشرع الأدب الواجب حين الدخول عليهن فى بيوتهن ، وذلك حفظاً لهن من أن تقع عليهن الأنظار ، وهن فى حالة التبذل والقيام بالمصالح المنزلية . كما خص هؤلاء الذين نضبت وجوههم من ماء الحياء بشديد من التحذير مما اعتادوا فى إكراه الفتيات على البغاء تكسباً بعرضهن « لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

وعرض لهن فى سورة الأحزاب وعالج كثيراً من المشاكل المنزلية وما يجب عليهن من آداب ، وقد اتخذت السورة زوجات الرسول مثالا حياً فيما ينبغى أن تتخذه الزوجة أساساً لحياتها المنزلية الفاضلة .

وعرض لهن فى سورة المجادلة فاستمع إلى رأى المرأة واحترمه ، وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام الخالد ، وبذلك كانت آيات الظهار التى بدئت بها السورة المذكورة أثراً من آثار الفكر النسائى ، وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على ممر الدهر صورة احترام الإسلام للمرأة وأن الإسلام ليس كما يظن أعداؤها يراها مخلوقاً يقاد بفكر الرجل ورأيه ، وإنما لها رأيها وللرأى قيمته ووزنه يقول أوس بن الصامت لزوجه خولة بنت ثعلبة « أنت على كظهر أمى » وكان المعروف فى الجاهلية أن الرجل إذا قالها لزوجته حرُمت عليه . ثم دعاها فأبت وقالت : والذى نفس خولة بيده لا تصل إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله . ثم أتت رسول الله فقالت : يا رسول الله . إن أوساً تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى ، فلما خلا سنى ونثرت بطنى جعلنى كأمه وتركنى إلى غير أحد ، فإن كنت تجد لى رخصة يا رسول الله فحدثنى بها . فقال عليه السلام : ما أمرت فى شأنك بشىء حتى الآن ، وما أراك إلا قد حرمت عليه ، فأخذت تجادل رسول الله مراراً وتقول: إنه ما ذكر طلاقاً فكيف أحرم عليه ؟ إن لى منه صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلى جاعوا . وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول : اللهم إنى أشكو إليك . وما برحت هكذا حتى نزلت الآيات « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ». نزلت الآيات تشنع على المظاهرين من نسائهم ، وتضع طريقاً للخلاص من الظهار ، وتبين أنه ليس طلاقاً ولا موجباً للفرقة ، كما كانت ترى خولة بنت ثعلبة .

وهذا أسمى ما تصبو إليه النساء فى احترام رأيهن متى صادف الحق والمصلحة . وليعتبر بهذا المرجفون المتمدون .

وعرض لهن فى سورة الممتحنة وبين حكم النساء يهاجرن مؤمنات من بلاد الأعداء إلى بلاد الإسلام ، وحكم حلهن لأزواجهن السابقين ، وحكم زواجهن بالمؤمنين ، وبينت حق النساء فى المبايعة على السمع والطاعة ، والقيام بحدود الشريعة وأحكامها ، وأنهن فى المبايعة كالرجال ، وقد روى المفسرون قصة هذه المبايعة التى شغلت مركز الرياسة فيها عن النساء « هند بنت عتبة » ، زوج أبى سفيان ، وهى قصة طريفة تملوها ظاهرة عظيمة من حرية الرأى فى النقاش والحوار . حرية لا يظفر بها الرجال عند أعظم ملوك الأرض ديمقراطية .

وعرض لهن فى سورة التحريم فى شأن جرى بين زوجات الرسول ، ويقع بين كل الزوجات فى كل زمان ومكان ، وفيها تقررت مسئولية المرأة عن نفسها مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، وأنه لا يؤثر عليها ، وهى صالحة ، فساد الرجل وطغيانه ، ولا ينفعها ، وهى طالحة ، صلاح الرجل وتقواه « وضرب الله مثلا

للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » . « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ».

وعرض القرآن الكريم بعد هذا للنساء فى سورتين : سورة النساء وسورة الطلاق ؛ وكثيراً ما يطلق على الأولى اسم « سورة النساء الكبرى » ويطلق على الثانية « سورة النساء الصغرى ».

وكم تنبض قلوب النساء فرحاً بتكريم الله لهن وعنايته بهن حينما يسمعن أو يعلمن أن فى القرآن سورتين سميتا باسمهن، وعالجتا كثيراً من شئونهن فى أطوار حياتهن كلها من عهد الطفولة إلى عهد الزوجية والأمومة ، وأن إحدى السورتين وهى الكبرى تبدأ بخطاب الناس جميعاً ، وأن الأخرى وهى الصغرى تبدأ بخطاب الرسول ، وفى هذا وذاك حث شديد للحاكم والمحكوم ، أو الرئيس والمرءوس على مراعاة ما يفرض بعد الخطاب فى أمر النساء من أحكام وارشادات . ولا ريب أن منزلة النساء من العاطفة ومركزهن الاجتماعى فى الأمة جديران أن تستأثر فى أمرهن عاطفة الرحمة التى يحملها وصف النبوة «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ووشيجة الرحم التى تجمع بين الناس ذكوراً وإناثاً « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

وهذا وضع يجدر بالذين يرمون الإسلام بأنه يحط من قدر النساء أن يلتفتوا إليه وأن يكفوا عن زعمهم أن الإسلام لم يمنح المرأة من العناية والاهتمام ما منحته لها الدنية .

هذا وقد عرضت سورة « الطلاق » لبيان الوقت الذى يجب على الرجل مراعاته إذا أراد أن يطلق زوجه إتقاء للاضرار بها ، كما عرضت لبيان أنواع عدة المطلقة وما يجب فيها من النفقة والسكنى .

أما سورة النساء الكبرى فقد عرضت لمبادىء هى أساس سعادة المرأة وهناءتها ، وبالتالى أساس السعادة الزوجية والحياة المنزلية ونستطيع أن نجملها فيما يلى :

١ — أعلنت سورة النساء أن المرأة أحد المنصرين اللذين تكاثر منهما الإنسان ، وجعلت ذلك نعمة توجب على الناس تقوى الله ومراقبته « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

٢ — وقررت مساواة النساء بالرجال فيما هو من خصائص الإنسانية فشرعت الكسب للنساء كالرجال ، وأرشدت كلا منهما إلى تحرى الفضل والخير من الأموال بالعمل دون التمنى والتشهى ، وأنه ليس للرجل أن يسلب المرأة من العمل الذى خلقت له ، كما أنه ليس للنساء أن يطمعن فيما وراء مؤهلاتهن الطبيعية وفى ذلك يقول الله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

٣ — وقررت أن للنساء ثواب أعمالهن الصالحة كالرجال وفى ذلك يقول الله تعالى « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا » .

٤ — ورفعت شأن المرأة عن أن تكون متاعاً يورث كما تورث الأموال ، وفرضت لها حرية فى ذاتها وأموالها «يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » .

٥ — وشرعت نظاماً للزواج فيه تكريم للمرأة والأسرة ، فحظرت التزوج بأصناف حفظاً لروابط لا ينبغى أن تعرض بالزواج إلى الفساد : حظرت زواج الابن من زوجة الأب ، وزواج الأب من حليلة الابن ، وزواج الأمهات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت والمرضعات والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء والربائب . وحظرت الجمع بين الأختين ، وزواج المتزوجات والمعتدات . وذلك كله فى قوله تعالى «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» إلى قوله « والمحصنات من النساء » .

٦ — وأشارت إلى تخير الزوجات من وسط الحرائر المؤمنات وأنه لا يجوز العدول إلى غيرهن إلا عند العجز عنهن وخوف العنت ، وذلك شأن له قيمته فى إنجاب الولد ، واختيار البيئة الصالحة لتربيته ، وضمان التوافق والسعادة فى الحياة الزوجية ، وذلك فى قوله تعالى « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » .

ومن هنا أخذ الفقهاء أن الشريفة مقدمة فى الزواج على غير الشريفة ، وأن حسنة السمعة مقدمة على سيئة السمعة . وفى هذا إيحاء قوى إلى النساء بأن يعملن جهدهن على تحسين سمعتهن وتحليتهن بالأخلاق الفاضلة التى ترغب فيهن الأزواج ، ولعل ما اتخذته الفتاة لنفسها من حرية واسعة فى هذه الأيام كان له نصيب كبير فيما نرى من أزمة الزواج ، فعلى الفتاة أن تتدبر فى أمرها ، وعليها وحدها أن تحل تلك الأزمة إن أرادت لنفسها الخير والسعادة .

٧ — وأفرغت السورة على عقد الزواج صبغة كريمة أخرجته عن أن يكون عقد تمليك كعقد البيع والإجارة ، أو نوعاً من الاسترقاق والأسر كما كانت المرأة قبل الإسلام عند العرب وغيرهم وسمته « ميثاقاً غليظاً » ولهذا التعبير قيمته فى الإيحاء بمعانى الحفظ والرحمة والمودة ، فالزواج فى نظر القرآن عهد شريف وميثاق غليظ ترتبط به القلوب وتختلط به المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين فى صاحبه فيتحد شعورهما ، وتلتقى رغباتهما ، وآمالهما ، هو علاقة دونها علاقة الصداقة والقرابة ، وعلاقة الأبوة والبنوة « هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن » .

٨ — وأوجبت على الرجل أن يبذل للزوجة ما لا سماه الله « صدُقة » ووصفه بأنه نحلة — والنحلة ما يمنح عن طيب نفس بدون مقابلة عوض — ولا ريب أن الصلة بين الزوجين أعلى وأشرف من أن يجعل عوضها دراهم معدودة ، فليس المهر ثمناً ولا فى مقابلة شىء فى المرأة كما يظن كثير من الناس ، وإنما هو آية من آيات المحبة والتقدير وأنه لذلك كان واجباً على الرجل ، وإن اتفق الزوجان على أن لا مهر للزوجة « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » . وقد كان المهر بذلك حقاً للزوجة لا يحل أن يأخذ الزوج منه شيئاً إلا بطيب نفسها . بذلك تقرر لها حق الملكية الصحيحة الخالصة من رقابة الزوج وهيمنته . وهذه درجة منحها الإسلام للمرأة منذ أربعة عشر قرناً فى حين أن النساء فى أوربا وفى القرن العشرين لا يتمتعن بهذا الحق الذى تتمتع به المرأة فى ظل الإسلام .

٩ — وبينت السورة الدرجة التى جعلها الله للرجال على النساء بعد تساويهما فى الحقوق والواجبات ، وأنها لا تعدو أن تكون درجة الإشراف والرعاية بحكم القدرة الطبيعية التى يمتاز بها الرجل عن المرأة ، وبحكم المال الذى ينفقه قياماً بما تحتاج إليه حتى تقوم بما عليها من حقوق الزوجية . وليست تلك الدرجة بدرجة الاستعباد والتسخير كما يصورها المخادعون المغرضون ، وذلك فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

١٠ — قد أرشدت السورة بعد هذا إلى أن النساء أمام هذه الرياسة منهن صالحات ، ومنهن غير صالحات ، وأن من شأن الصالحات القنوت وهو السكون ، والطاعة لله فيما أمر به ، ومنه القيام بحقوق الزوجية والرياسة المنزلية ، والاحتفاظ بالأسرار التى لا ينبغى أن يطلع عليها أحد غير الزوجين ، وأن هذا الصنف من الزوجات ليس للرجال عليهن شىء من سلطان التأديب .

أما غير الصالحات ، وهن اللاتى يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ويحاولن الترفع والنشوز عن مركز الرياسة ، بل على ما تقتضيه فطرهن ، فيعرضن بذلك الحياة الزوجية للتدهور والانحلال — فقد وضعت السورة لردعهن وإصلاحهن وردهن إلى مكانتهن الطبيعية والمنزلية طريقين واضحين : وكلت أحدهما إلى الرجل بحكم الإشراف والرياسة ، وهو أن يعالجها بأنواع من العلاج لكل صنف من النساء ما يليق به ، ويكفى فى ردعه ، وهى الوعظ والهجر والضرب ، فالتى يكفيها الوعظ بالقول لا يستعمل معها الهجر والضرب ، والتى يصلحها الهجر لا يتهاون فى جانبها بالوقوف عند حد القول والوعظ ولا يسرف فيصل به الأمر إلى حد الضرب . وهناك صنف من النساء فى بعض البيئات لا تؤثر فيه الموعظة ولا يكترث بالهجران ولا يصلحه إلا نوع من التأديب المادى . وقد جعل الله الضرب آخر الوسائل التأديبية إشارة إلى أنه لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة ، وقد أساء المتحضرون من أبناء المسلمين أنفسهم فهم هذا النوع من التأديب وجعلوه نوعاً من الطغيان الذى لا يتفق وكرامة الزوجة ، وهم فى الواقع يتملقون عواطف المرأة ، ويتظاهرون بالحرص على مصلحتها وكرامتها ، ونحن نسائل المرأة العاقلة : أى الأمرين أحفظ لحياة الزوجة ؟ أأن تُنال بشىء من العقوبة

(البقية على صفحة ١٢)

من آثار الإسلام فى الهند

تاج محل

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوضة فى المملكة السعودية



ملنا عن الجادّة الكبرى فى أكرا صوب المشرق فرأينا حُجُـرات وقبابا متفرقة . ثم دخلنا ساحة واسعة فى جانبيها من الشرق والجنــوب رواقان كبيران كأنهما أعدا لإيواء الزائرين والحرّاس . وإلى الشمال مدخل المزار وهو كالداخل الأخرى ، عَقد رفيع تتصل به حجرات فى طبقتين . وهو أصغر من مدخل مزار جلال الدين أكبر الذى وصفناه قبلا ؛ ولكن فيه من الضخامة والعلاء والجمال ما يؤهله أن يكون مطلعاً للقصيدة الرائعة التى وراءه .

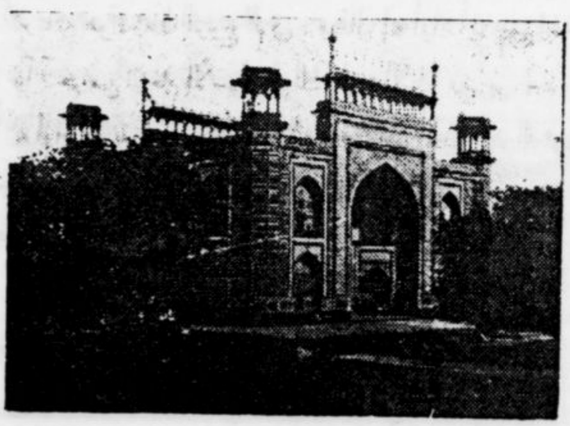
وعلى طاق المدخل الداخلى كتبت سور من القرآن : الضحى ، وألم نشرح ، والتين . وقد خطت الآيات بخط يختلف كِبَراً وصِغراً على نسبة بُعده عن الناظر فيرى القارىء ما بعُد منه وما قرُب بمقدار واحد .

فإذا التفت القارىء إلى الحديقة وأحواضها ونافوراتها وهذا الهيكل الجليل الماثل فى وسطها ، ازدحمت على بصره وعقله وقلبه مناظر وأفكار وعواطف تقفه معجباً مرتاعاً .

حديقة فسيحة ناضرة يزدحم فيها الشجر، وتتشابك الأغصان والتـاج فى الوسط ، وفى أقصى الحديقة إلى اليمين والشمال بناءان تطفو قبابهما من بعيد على هذه اللجة الخضراء . وسنذكرهما بعد . ويشق الحديقة من مدخلها إلى التاج حوض مستطيل اصطفت فيها نافورات يخر ماؤها فى الحوض فتسمع وسوسة تخالها موسيقى هذا الجمال أو قصيدة نصف هذا المزار يهمس بها شاعرها .

ويمتد على جانبى الحوض خندقان فيهما نبت وزهر تُناسب نضرتهما واهتزازهما صفاء الماء وترقرقه ، ووراء هذين على الجانبين تَمْشَيَان عريضان .

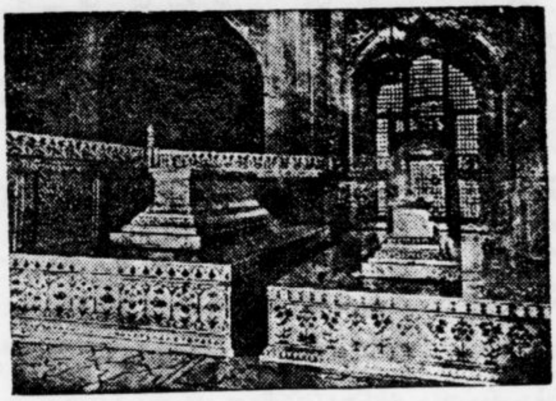
فإذا سار السائر على أحدهما وقفه فى نصف الطريق حوض عال من المرمر يصعد إليه بخَمْسَ درجات فى جوانبه الأربعة . وله حافة واسعة يقف عليها الزائر أو يجلس على أحد المقاعد الرخامية الأربعة فى جوانبها فيتأمل فى هذه المرآة الرائعة صورة التاج . فيحار طرفه بين المنظرين ، وينقسم إعجابه بين الصورتين . فإذا راقه هذا المنظر جلالا وجمالا وملأه روعة وإعجاباً ، هبط إلى التاج ، إلى حرم الجمال الماثل أمامه فينتهى المسير إلى دكّة فسيحة من الحجر الوردى تحيط بالبناء تعلو عن الحديقة خمس درجات يتقسمها أحواض الماء ومجار. وفوقها الدكة العليا الرخامية التى هى قاعدة هذا التمثال المسمى بالتاج ، فيخلع نعليه إكباراً لهذا الجمال وإجلالا فيصعد إحدى وعشرين درجة إلى الساحة العليا فوق الدكة الرخامية الرائعة . وعلى زوايا هذه الدكة أربع منارات عالية ضخمة كلها من الرخام الأبيض وهى منفصلة عن البناء فى منظر متناسب متناظر ، ثم يتقدم إلى الحرم الرائع فى جملته ، المحير فى تفصيله ؛ إذا نظرت إليه كله راعتك القبة البيضاء وحولها قباب صغيرة فى أركان البناء بينها منارات صغيرة فى جوانبه الأربعة ومنظر الباب والشبابيك الرخامية ، أبدعت فيها الهندسة وتم فيها التناسب والتناسق .



مدخل الحديقة التى فيها تاج محل

وإذا تأملت تفصيله ، رأيت من دقائق الصنعة فى النحت والتشكيل والتحلية والترصيع والكتابة والتصوير إبداع الصنعة وإعجاز الفن .

وتصعد أربع درجات أخرى ، وتقف أمام البـاب فتقرأ على الطاق العالى أول سورة يس كأنها تعويذة لهذا الجمال من العين ،



قبر ممتاز محل (إلى اليمين) وقبر شاهجهان

ولـكن جمال الخط فى حاجة إلى التعويذ كذلك . وترى حول الباب سورة «إذا الشمس كورت» . وعلى الطاق من الداخل أول سورة تبارك . وتحتها : « كتبه الفقير الحقير أمانت خان الشيرازى سنة هزار وچهل وهشت هجرى مطابق دوازدهم سنة جلوس مبارك وترجمة التاريخ :

« سنة ثمان وأربعين وألف هجرية المطابقة السنة الثانية عشرة من الجلوس المبارك » (يعنى جلوس شاه جهان) .

وتدخل وفى النفس ما فيها ، فتخطو خطوات إلى درج يهبط إلى حجرة واسعة فيها قبران . فى وسط الحجرة ضريح (ممتاز محل). ومن أجلها بنى زوجها شاه جهان هذا البناء كله ، وإلى جانبه قبر أكبر منه هو قبر هذا الزوج الوفى . ويقال إنه أراد أن يبنى لنفسه مزاراً آخر من الرخام الأسود على الشاطىء الآخر من نهر جمنه كأنه أراد أن يقوم مزاره أمام هذا التاج فى ثياب الحداد أبد الدهر. ولـكن ابنه وخليفته أورنك زيب (زينة العرش) وكان مقتصداً زاهداً آثر أن يدفن أباه بجانب زوجه .

وترجع إلى الدرج صاعداً لتدخل حجرة فوق الحجرة التى فيها القبران ، وفى الحجرة مقصورة من الرخام المخرم نفيسة المادة جميلة الصورة . كان لهـا باب من حجر اليشب نهب فيما نهب فى ثورة الجـاث .

وفى وسط المقصورة مثالان للقبرين ، وعلى هذين المثالين وجدر الحجرة من الأحجار الثمينة المنزلة فى الرخام على صور أزهار وأشجار، ومن الـكتابة الجميلة ، ما يود الزائر أن يقف أمامه لا يبرحه ، وأن يعود إليه عاجلا إذا برحه . وأما الخبراء بالصنعة فلا ينقضى عجبهم وإعجابهم بهذا الإعجاز .

وعلى قبر ممتاز محل هذه العبارة :

«مرقد منور أرجمند بيگم مخاطب ممتاز محل توفيت سنة ١٠٤٠»

(المرقد المنور للأميرة الفاضلة الملقبة ممتاز محل الخ) .

وعلى قبر شاه جهان :

« مرقد منور وروضة مطهر بادشاه رضوان استكاه . خلد آرامگاه أعليحضرت عليين مكانى ، فردوس آشيانى صاحب قران ثانى شاه جهان بادشاه غازى طاب ثراه وجعل الجنة مثواه . درشب بيست وششم شهر رجب سنة هزار وشست وهفت هجرى) وترجمتها :



منظر التاج على نهر جمنه وصورته فى الماء ويظهر المسجد إلى اليمين وجانب من البناء المناظر للمسجد إلى الشمال

(المرقد المنور والروضة المطهرة للسلطان ساكن الرضوان ، نزيل الخلد مَن مكانه عليون ، ومأواه الفردوس ، صاحب القران الثانى ، السلطان شاه جهان الغازى طاب ثراه وجعل الجنة مثواه . فى ليلة السادس والعشرين من شهر رجب سنة ١٠٦٧) .

وإذا ترك الزائر هـذا المقام الجليل وهبط على درجات الدكة الهائلة فتوجه نحو الشمال رأى نهر جمنـه وراءه المسنّـاة(١) العظيمة التى بنيت على النهر لتدعم هذه الروضة وما فيها من أبنية ، ورأى درجاً داخل السور يهبط إلى الماء . وكم أعجب التاج بجماله فى هذا النهر وأولع المصورون بتصوير البناء وعكسه فى الماء .

(١) الأساس يبنى على جانب النهر .

وعلى النهر، فى منتهى الروضة إلى الغرب مسجد جميل أمامه ساحة فسيحة مرتفعة لهـا درج . وهو أسلوب آخر من إحكام الهندسة وإتقان الصنع والتصرف فى هـذا الحجر الوردى الذى بنى به . ولا أشق على القارىء بوصفه .

ويقابل هـذا المسجد على النهر فى الجهة الشرقية بنـاء آخر يشبه المسجد فى جملته وتتصل به أبراج ومنظرات مشرفة على النهر. وقد بنى مناظرة للمسجد ولهذا يسمونه « الجواب » . وهندسة الأبنية التيمورية كلها قائمة على التناظر والتشاكل فلم يجيزوا أن يبنى المسجد فى زاوية من الحديقة دون أن يناظره بناء فى الزاوية الأخرى .

زرت التاج ثلاث مرات فى يوم وليلة . وأود الآن أن أعود إليه فأقيم عنده أياماً . وقد وصفت بعض ما بقى فى الذاكرة منه ووراء هذا ما لا يستطيعه الوصف ، ولا يحيط به البيان . ولعل الصور التى مع هذا المقال تعين القارىء على تصوُّره

* * *

فى مقال (أكرا) من دائرة المعارف البريطانية :

« عظمة أكرا مستمدة من أجل أبنية العالم : البناء الشعرى تاج محل... صُوِّرَ التاج ومُثّل أكثر من أى بناء آخر فى العالم . وصُوَره لا عدّ لها . وغاية ما يوصف به أنه حلم من الرخام .

وهو فى التلوين والرسم وصـناعة التحلية والتزيين يفوق كلّ عمارات العالم . ومظهره المتناسب إذا رئى مرة لاينسى أبداً ولا تُنسَى رشاقة قبابه التى تعلو فى الهواء كفقاقيع من المرمر فى زرقة السماء .

يقول فرجسون فى كتابه تاريخ العمارة :

« هـذا البناء مثال من الترصيع بالأحجار الـكريمة الذى صار من أكبر خصائص الفن المغولى بعد موت أكبر .

كل زوايا التاج وكل الأركان والأجزاء المهمة مجملة بالأحجار الـكريمة .

إنه أجمل وأنفس أسلوب من التزيين عرف فى فن العمارة .

وهذه الزينة مُفَـاضَـةٌ على القبرين وعلى المقصورة المحيطة بهما ولـكن يُقتصَد فيها فى المسجد الذى يمثل أحد جناحى التاج وعلى النافورات والأبنية المحيطة .

والمقدرة التى لاءمت بين هـذه الزينات فى الأجزاء المختلفة عظيمة كالزينة نفسها وتدل على مستوى عال فى الذوق والمهارة لصناع ذلك العصر .

ويقول اللورد روبرت فى كتابه « إحدى وعشرون سنة فى الهند » :

لا اللفظ ولا الريشة يستطيعان أن يوحيا لأوسع القراء خيالا أصغر الفكر عن الجمال والصفاء فى هذه الفكرة المجيدة .

وإنى أقول لمن لم يروه : « اذهبوا إلى الهند فالتاج وحده أهل لهذه الرحلة » .

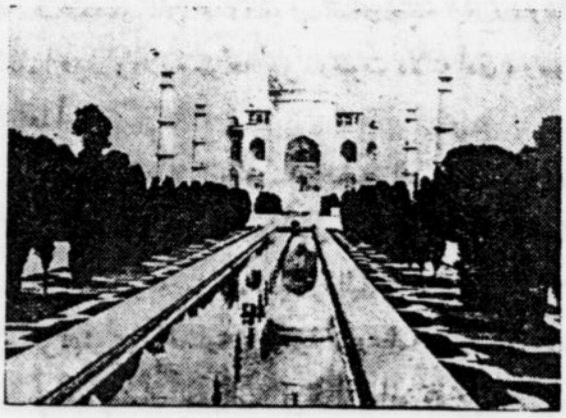
* * *

وأما أنا فقد سطرت الـكلمات التالية بعد أن زرت تاج محل وعدت إلى دهلى :

وقفة على تاج محل

كم تمنيت أن أقف هذا الموقف ، وكم تخيلت أنى أسرّح الطرف فى هذا المشهد ؛ وكم قرأت حديث التاج ، وسمعت قصة التاج ، ورأيت صورة التاج . فالآن فلتَرَ العين جهرة ما شاقها إليه القراءة والسماع :

أشجار خضراء ناضرة ، تحيط ببَـنِـيَّـة بيضاء ناصـعة ، وتشق هذه الخضرة إلى هذا البياض طرق وأحواض ، وفى مطمح البصر إلى اليمين والشمال قباب عالية وردية مطلة على نهر جمنه .



منظر التاج من جهة المدخل

أما هذا البناء الأبيض المشرف وسط هذه الخضرة ، الذاهب فى الهواء بقبته الـكبيرة حولها قباب صغيرة ، وقد لاحت نوافذه

وشبابيكه وعقوده تتنازع العيون والقلوب وقامت حوله هذه المآذن الأربع العالية الجيلة — هذا البناء العجيب لا أدرى ما هو ! !

أقصيدة من الجمال معانيها ، ومن الرخام ألفاظها ، ومن دقائق الصنعة قوافيها وتفعيلاتها ؟ ما أجمل الشعر وما أبلغ الشاعر ! ألحان مجسَّمة ، وأنغام ممثلة ، وأغانٍ مصورة ؟ ؟

ما أجمل الألحان وما أعذب الأنغام ، وما أحسن الغناء ! !

أأماني أبدع فيها الخيـــال ، وآمال انفسح فيها المجـــال ، ثم استحالت حقائق ، وانقلبت هياكل ؟! ما أبعد الأماني وأعظم الآمال ! وما أشد ما تحقق المحال ! !

أم تلك أحلام ، أم بدائع أوهام ؛ لبست أفانين الرخام .

وما هـذه الخطوط الجيلة ، والنقوش المحكمة الدقيقة التى تحاول أن تشغل العين عن هذا البناء الضخم ؟ أهى تعاويذ ورُقًى أم هى محسنات البديع فى هذا الشعر البليغ !

وهذه الطرق التى يستبق فيها الماء والنبت إلى هذا البناء . وهذه المرايا التى تفرح بما تحوى من صور . وهذه المرآة العاجية العظيمة التى رفعت إلى هذا الوجه الجميل ليرى فيها جماله وسحره وفتنته .

ما تلك كلها فى فنون الشعر ؟ ما هى فى ضروب الموسيقى ؟ بل ما هى فى غرائب الأحلام ، وعجائب الآمال والأمانى ؟

***

إنما هـذا كله ، هـذا الذى تراه بناء ، أو لحناً أو غنـاء ، أو أحـلاماً أو أمانى أو أوهاماً — ظاهر باطنه أروع ، ولفظٌ معناه أجمل ، وعلانية سرّها أجل ، وصوت دلالته أدق ، وصورة معناها أرق .

وإنما باطنه هذان القبران . قبر السيدة التى شيد لها كل هذا الفن ، وقبر الزوج المحب الوفى الذى ترجم عن حبه ووفائه بهذه الأشعار ، مصوغة من الأشجار والمياه والأحجار . ومثّل الفكر البشرى والحضارة الإنسانية ، وعظمة الدول الإسلامية فى بنـاء كعنوان الكتاب ، تقرأ وراءه تاريخاً وتاريخاً ، وقصصاً وعبراً ، على هذا البناء الذى بقى على الدهر تمثالا للجمال والحب والوفاء .

عبد الوهاب عزام

النساء في القرآن الكريم

(بقية المنشور على صفحة ٨)

عند نشوزها فيردها إلى صوابها ؟ أم تترك لتسترسل فى نشوزها فتهدم بيتها وسعادتها وتشرد أطفالها ؟ .

أما الطريق الثانى فهو التحكيم وجاءت آيته بعد آية الطريق الأول للاشارة إلى أنه إنما يكون فى حالة عجز الرجل عن العلاج وعند تطور الحالة من النشوز إلى الشقاق ، وفى حالة ما إذا كان النشوز واقعاً من الزوج نفسه ، وقد خاطب الله بهذا العلاج الأخير جماعة المسلمين تركيزاً لما يجب أن يكون بينهم من التكافل على حفظ الأسر والبيوت . وعلى الحكام أن يقوموا بمثل هذا الواجب نيابة عن جماعة المسلمين .

وطلبت الآية أن يكون الحكمان فى هذا الشأن من أهل الزوجين ؛ وذلك نظراً إلى أن الشأن فى الأهل أن يكونوا أدرى الناس بأحوال الزوجين وأحرصهم على سعادتهما ، وأقدرهم على التأثير فى نفوسهما ، وأحفظهم لما قد يجدون بينهما من أسرار .

وإنك لتجد كل هذا فى قوله تعالى من هذه السورة « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً ، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا » .

وبعد : فهذه صفحات النسـاء فى القرآن الكريم أقدمها للقراء إجمالا وتفصيلا ، وهى صفحات كما نرى ويرى كل ناظر فيها ، بيضاء نقية تبسط ظل السعادة والهناءة على الحياة الزوجية ، وتكون أسرة قوية فاضلة ، وتبنى مجتمعاً صالحاً يخوض غمار الحياة بقواه الذاتية وشعوره النفسى الدقيق . ولقد كان بودى أن أبسط القول فى شرح تلك الصفحات الإلهية ولكن الإنسان فى هذه الحياة مسخر لسلطان الظروف ، وحسب من يريد الحق هذا الإرشاد ، وكتاب الله قائم بين أيدينا ميسر للذكر والنظر فليرجع إليه من شاء والله ولى التوفيق والهداية .

محمود شلتوت

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد فريد وجدى



منذ أن أعلن العلم الحرب على الدين فى القرن السادس عشر ، لم يَنِ عن مناوأته حيث ثقفه ، اعتقاداً منه أن الدين لا يقوم على أصل ثابت له علاقة بإيصال الإنسان إلى كماله ولكنه قائم على الأهواء التى يبعثها حب الذات فى النفوس ، وعلى الأوهام التى لا يمكن أن يقام على وجودها دليل ، والتى يكفى فى دفع سحرها عن العقول نشر العلم الصحيح بين الناس ، والعلم قد بنى على أساس دستوره المعروف ، وهو أن لا يقام لمقول وزن إلا إذا أيده دليل من الحس ، وأنى للعقائد الدينية أن تجد دليلا محسوساً لتقيم عليه وجودها ؟

وقد وفق رجال العلم إلى جانب هذا لكشف الكثير من مساتير الوجود ، ودرسوا نواميسها ، وأقاموا عليها مخترعات ووسائل ذات أثر بالغ فى كل فرع من فروع المحاولات الإنسانية ؛ فكما ترى أثر العلم فى المدن بادية فى مصنوعاتها ومنتجاتها المحيرة للعقل ، وفى علاجاتها وذرائعها المخففة للآلام ، المزيلة للأمراض ، ترى فى القرى فى آلات الحرث والرى والبذر والتسميد والحصاد والنقل الخ الخ ، فهذه المظاهر كلها أثرت فى العقلية الإنسانية ، وخاصة عقلية المتعلمين تأثيراً عظيما جعل للعلم فيها منزلة القوامة عليها ؛ فإذا بدا لهم مجهول ، أو أعوزهم ترجيح ، رجعوا فيه إلى العلم ، ووقفوا منه عند حكمه ، وقد علمت رأى العلم فى الدين ، فماذا تنتظر أن يكون عليه الناشئون بين حضنيه ، المعولون فى بناء أحكامهم عليه ؟

هذا الأمر قد لحظناه فى أنفسنا ونحن فى دور الدراسة ، وكابدنا للتوفيق بين عقيدتنا والعلم مشاقَّ مضنية ، وعملنا لنشر ثمرات ماحصلناه كتباً ، ولا نزال جادين فى هذا الطريق ثقة منا بأن مستقبل الإسلام بموافقته للعلم ، وأن الذين لا يتطلبون هذه الموافقة ولا يتكلفون لإيجادها مثل ما تكلفناه ، تساورهم الشبهات والشكوك من كل مكان ، وينتهى بهم الأمر إلى الإلحاد .

إن أشد ما يصادفه طالب الإيمان من طريق العلم هى ما فى الأديان من شئون ما فوق الطبيعة ، فالعلم الرسمى لا يزال قائماً على ما كان عليه من نفيها نفياً باتاً ، وحسبان كل ما يتعلق بها من بقايا الخرافات الساذجة ، فالتوفيق بين العلم والإيمان من المحالات البعيدة الوقوع ، لذلك يشيع الإلحاد فى طلبة العلوم الكونية وفى أساتذتهم ؛ ومن كان منهم يعطف على الإيمان بها ، يكون مقوداً إليه بعاطفة لا بدليل ، ولا يعتبر هذا إيماناً فى نظرنا .

فهل من مخرج من هذا المأزق ؟

نعم ، وقد وجد منذ مائة سنة وهو ما كشفه العلماء العالميون من خصائص الروح الإنسانية وعلاقتها بعالم ما فوق الطبيعة بعد دراسات عميقة وجهود مضنية صرفوها فى تتبعها فى جميع حالاتها ودونت فى مئات من المؤلفات القيمة .

إن هذه الدراسات العلمية المحضة التى عاداها ولا يزال يعاديها ممثلو الأديان فى جميع الملل ، قد محصت تمحيصاً لم تنله العلوم الطبيعية ذاتها ، وذلك لغرابتها وشدة ما كانوا يكذبون بها . فقد أثبتت هذه الدراسات والتجارب العملية وجود عالم فوق الطبيعة متحكم فى عالمنا الأرضى ، ومصرف له على مقتضى النظام الخاص به . عالم تعلل بعوامله جميع ما عجز الفلاسفة والعلماء عن تعليله فى العالم الأرضى ، وتخيلوا له عللا وهمية أو سكتوا عنه حيرة وعجزا .

كانت الحاجة ماسة جداً فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى هذا الفتح المظيم فى العلم ، فقد كانت المعلومات التى لم تقبل التعليل قد بلغت حداً مؤيسا ، واكتشف النقدة العلميون جهات ضعف فى العلم نفسه لا يمكن الإغضاء عنها .

وقد بين هذا الأمر الأستاذ الكبير (جوستاف لوبون) بأوفى بيان فى كتابه القيم (تحول المادة) الذى ظهر فى سنة ١٩١٠ فقال :

« اذا اتفق أن فيلسوفا من المنصرفين إلى دراسة الموضوعات ذات الحدود المبهمة ، قرأ منذ عـدة سنين كتابا فى العلم الطبيعى كان يدهش من وضوح التحديدات فيه ، وصحة البراهين ، وضبط التجارب ، فكان لايسعه الا الانحناء أمام هذه النتائج الفخمة .

« دامت هذه العقيدة فى المقررات الـكبرى حافظة لقوتها فى العلم العصرى إلى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على التفكير العلمى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه أبد الأبيد . فان الصرح العلمى الذى كان لايرى صدوعه الا عدد محصور من العقول العالية ، تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت التناقضات والمحالات التى فيـه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث يـكاد لاتبلغها الظنون . .

« وقد صدرت مؤلفات على مثـال الـكتاب الثمين المسمى (العلم والافتراض) لهنرى بوانكاريه ، تؤتينا بالبرهان على ما نقول فى كل صفحة من صفحاتها ، فلقد أرانا هـذا الرياضى المشهور أننا نعيش وسط الافتراضات والاتفاقات حتى فى مجال العلوم الرياضية .

« وقد كتب الأستاذ (لوسيان بوانكاريه) من جهته يقول: انه لاتوجد لدينا نظريات كبرى الآن يمـكن قبولها قبولا تاماً ، ويجمع عليها المجربون إجماعاً عاماً ، ولـكن يسود اليوم العـلوم الطبيعية ضرب من الفوضى . . ولم يظهر أن ناموساً من النواميس الطبيعية يعتبر ضرورياً ضرورة مطلقة . والآراء التى كانت تظهر لمن سبقنا انها تأسست تأسساً ثابتاً صارت اليوم لدينا موضوعات تحت المناقشة .

وختم الأستاذ (جوستاف لوبون) الآراء التى أوردها لـكبار العلماء بقوله :

«من حسن الحظ لاشىء أكثر ملاءمة للرقى العلمى من هذه الفوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لا نراها ، والحجاب الذى يحجبه عنا منسوج غالباً من الآراء الضالة أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلم الرسمى . . . الخ »

نقول وفى أثناء هـذه اليقظة من الغرور العلمى ظهر علم ما فوق الطبيعة ، ودرست ظواهره ، ومحصت تمحيصاً دقيقاً ، وتولاها رجال من ذوى الـكفايات الممتازة أوصلوها إلى غايات بعيدة ، وأقعدوها على أصول وطيدة ، بحيث صارت أهلا لأن تخصص لهـا دراسات فى بعض الجامعات الـكبرى كجامعات أكسفورد وكمبريدج ويورك ، وجامعات أمريكية أخرى .

هذه البحوث الروحية التى أمضت قرناً كاملا تحت فحص أعتى العقول البشرية ، وأشدهم شكيمة فى العقيدة المادية ، قد أثبتت وجود عالم روحانى ، وشاهدت حوادث من قبيل تحكم الروح فى المـــادة تحليلا وتركيباً ، وخرقاً للنواميس الطبيعية خرقاً لا هوادة فيه ، فانفسحت أمام أنظارهم منادح النظر العالى ، وأدركوا بالحس فساد النظرية الآلية التى كانوا يعللون بها وجود الـكون المـادى ونظامه واتساقه ، والحياة نفسها وما إليها ، وأصبحت النواميس الطبيعية فى نظرهم ليست بالقوى الأزلية الأبدية التى صاحبت الكائنات فى وجودها ، ولـكنها مظاهر لقوى مدبرة أرفع منها .

هذه المستكشفات الحديثة تفتح أمام العقل الإنسانى حقائق كانت فلسفة العلم المادى قد جعلتها من المحالات العقلية ، مثل وجود قدرة عالية تدبر الـكون والـكونيات ، ووجود روح فى جسم الإنسان مستقلة عنه تخلد بعد انحلاله ، ومثل بعثة أرواح عالية للأمم فى فترات من الدهر تسوم الناس بالرسل ليهدوهم إلى الخيور ، ويزعوهم عن الشرور ، ويمهدون لهم سبيل الارتقاء .

هذه البحوث لم تجتز عتبات الجامعات وتأخذ مكانها فى مصاف العلوم ، إلا لأنهـا قد جاوزت دور الفحص العلمى ، وأصبحت حقائق لا يمكن التمارى فيها .

فالسد الوحيد الذى أراه يقاوم تيار الإلحاد المندفع الذى يكتسح أمامه الأمم والشعوب ، ويلقى بها إلى مكان سحيق من الفوضى والفساد الخلقى والتناحر ، هو أن يتضلع علماء الدين من هذا العلم الجديد ، ويستخدموه لحل شبهات المشتبهين ، وكبح جماح المستهترين . وما المانع لهم من ذلك وهو يزيد فى دعوتهم تأثيراً ، ويأتى على حججهم نوراً ، ويقدع من معاطس المتفلسفة الذين يتخيلون أنهم وحدهم الذين خلصوا من أوهام العقائد ، وكل من عداهم يرسف فى أغلالها ويتعثر فى أذيالها ، ويحمل عقله تصديق خيالات لا وجود لها .

هذا الموقف وحده يحفز المدافعين عن العقائد أن يحذقوه لـكم أفواه المتحذلقين من الماديين . فاظنك والضرورة أصبحت تقتضيه ثم تقتضيه لأن انتشار التعليم فى الأمة الإسلامية تتسرب

معه كثير من الشبهات القوية على وجود الروح والملأ الأعلى ، وهذه الأمور كلها أحاطها الماديون بشبهات لا يقوى على محقها إلا هذا النور الجديد ، الذى أشرق من صوب المباحث النفسية . فإذا أهملوا الاستفادة منه اضطروا للاقتصار فى دفاعهم عن الدين على استعمال الأسلحة القديمة وقد أصبحت لا تغنى حيالها شيئاً فيكونون قد رضوا لأنفسهم فى هذا الصراع المنيف بين الإسلام والإلحاد بهزيمة ساحقة .

٣٠٠٢ محمد فريد وجدى

مرحباً بالتقسيم! مرحى للصهيونية

للأستاذ أحمد رمزى بك



جاء وعد بلفور ونحن فى غفلة من الزمن ، وجاء وعد التقسيم والعــالم العــربى يتحرك ويتذمر ، مرّ الأول ولم يشعر به أحـد منا ، وجاء الثانى فإذا نحن فى يوم مظلم للصهيونية ، وساعة قائمة عليها ، فبراءة من العهود والمواثيق والمعاهدات ، وأذانٌ إلى الأمم العربية أن تقاتل فى سبيل الأرض المقدسـة ، فرحباً بالتقسيم ومرحى للصهيونية !

إن يوم التقسيم يوم أسود عليها ، إنه يوم الفصل ، إذ فيه يبدأ الكفاح الحقيقى للعرب فى سبيل كيانهم ووحدتهم وتحقيق آمالهم فى نظام هذا العالم الجديد .

ولا يغرنّـكم أيها العرب ما ترون من فتور فإنى واثق من أن تسعة أعشار الإنسانية معنا وفى صفنا ، وإن الداء الذى نشـكو منه ونئن ، يشكو ويئن منه ملايين من الخلق مثلنا وهم ليسوا بعرب ولا بمسلمين ولكنهم إما ذاقوا من اليهودية العالمية ما جعلهم أعداء ألداء لها ، وإما أنهم فى وضع سياسى واقتصادى واجتماعى لا يختلف عن الوضع الذى نشكو منه فى كثير أو قليل فهم جميعاً لهذا السبب ولغيره من الأسباب حلفاء لنا . ولقد جاء التقسيم فكان خير دعاية لنا ، وجاء كفاح العرب ووقفتهم إزاءه لكى يشعر كل طرف من أطراف الإنسانية الواعية الراشدة أن هناك ظلماً يحيق بالعرب وأن هناك كفاحاً وقتالاً فى سبيل الحق فرحباً بالتقسيم مرة أخرى !

وهناك أكثر من ذلك ، لقد أمضى أسلافنا وقتاً طويلاً وهم فى حالة ركود وإغماء عقلى لا يشعرون بما كان يحاك حولهم ، بل كانوا ينظرون إلى العالم الخارجى نظرة الرجل المطمئن إلى غده الواثق من جاره وصـديقه ، القانع بالتسليم والرضى ، أما الآن فوداعاً أيتها النظرة المطمئنة الوادعة ، ووداعاً هـذا التسليم والرضى ، لقد جاء التقسيم فأعلمنا أن هناك قوات تهيم فى الأرض ، أكثر تلاعباً بالألفاظ منا ، وأكثر مكراً وبطشاً وخديعة منا ، وأصبح حتماً علينا تطليق النظريات الأولى والفلسـفات الشرقية والجمود والخضوع ، والهدوء والرضا . أصبح حتماً علينا مواجهة العالم بنظرة جادة وقوة متوثبة ، وعقل جديد ، وهذا من فضل التقسيم علينا إذ أعلمنا أن أى تراخ أو نـكوص أو تراجع ، هو جناية منا فى حق أنفسنا ، لأن الأجيال القادمة ستحاسبنا على أى خطأ حساباً عسـيراً ، فالويل لنا إذا لم نقف أمام التقسيم ونحاربه .

لقد عاش الشرق فى سنوات الفوضى والجمود والتخاذل ، فإذا بطارق غريب عليه استخف العرب بأمره فى بادىء ذى بدء ، وإذا هو أشد وطأة من حملة نابليون وجنوده ، وأخطر من بريطانيا وجبروتها ، وأعمق من إيطاليا وجحافلها السوداء ، وأقوى من فرنسا وقوادها . لقد تشجع هذا الطارق فإذا به يدق الأبواب بشدة لم تعهدها آذان أهل المشرق منذ الاسكندر وقيصر ، ظناً منه أنه يرعب الشعوب التى وقفت تحارب أوربا ، وقضت على ملك الإغريق وبيزنطة ورومية ، وساقت الأسرى من الحروب الصليبية لتزين بهم قصور الهند وآسيا ، فإذا بالنائم يستيقظ وإذا بنا نبعث بعثاً من جديد ، وإذا بالطارق يدفعنا دفعاً ليحرك الجموع ويرتب الصفوف ويخلع علينا حلة جديدة من الكفاح ، فرحباً به ! إن النفوس التى وقفت تقارع الاستعمار الأوربى بأساليبه المختلفة تتقدم اليوم لتقارع الصهيونية بأساليب وأسلحة لم يكن يحلم بها

واضمو قرار التقسيم فأهلاً به .

لقد كنا نقنع بأن الأعمال التى تمت فى هذا الركن من العالم فى غضون هذه السنوات كافية ، وكنا نقارن أنفسنا بما كان عليه أسلافنا .

فنقول ها قد أصبحنا أكثر انطلاقاً منهم فى أشياء ، وها قد حقّقنا لبلادنا ما يشبه بعض ما تتمتع به المجموعات الراقية من مظاهر السيادة والقوة والسلطان ، فأصبح لنا دستور وجيش ونظام مالى . أما اليوم فلم نعد نقنع بالأقوال ولا بهذه المظاهر : إننا نصارح الدنيا والتاريخ ونقول :

إذا كانت حملة نابوليون بداية سيطرة أوربا علينا بنفوذها المادى ، فإن مجىء الصهيونية بداية الوثبة الكبرى ، بداية التطور المادى والعقلى معاً استعداداً لكسب معركة الشرق فى أرض فلسطين والتحرر النهائى من سيطرة أووربا علينا .

إننا ذقنا طعم الانتصارات الحربية ولمع فيها اسم صلاح الدين وبيبرس ، وقدمنا الضحايا بالملايين فى مدى قرنين من الزمن ، وبرهنت المعارك أن الدماء التى تجرى فى عروق أبطالنا وشهدائنا أقوى وأشد من دماء فرسان أوربا ، ونحن على استعداد لخوض معارك جديدة ، وتقديم الضحايا بالسخاء الذى عرفته الحروب الماضية ، ولكننا نرحب مرة أخرى بالصهيونية ، ونقول لها مرحى ! لماذا ؟ لأن حكم الغرب وجبروته وسنوات الاستعمار لم تدفعنا إلى الأمام إلا فى الطريق المادى . أما الحرب القائمة الآن مع الصهيونية والمنظمات اليهودية العالمية فستدفعنا إلى ما هو أبعد وأقوى إلى تحطيم الجمود العقلى الذى فرض نفسه علينا . نعم لأجل فلسطين ولكي نكسب حربها ومعاركها سيسترد الشرق استقلاله الفكرى وحريته العقلية ، وسيخرج من ربقة الاستعمار الذهنى وهو بعقل أوروبى أكثر مضاء وتعمقاً مما يتوهم الأعداء ، نعم سينشىء ويبنى وينظّم ويقود لينتصر انتصاراً يهز العالمين : أوربا وأمريكا .

فقل للذين يشكون فى هذا أن يخرجوا أقلامهم وأوراقهم ويقيدوا ما أقول : لم تعد تبهرنا السياسة التى تصب لنا الأشياء فى القالب الذى يرضى الاستعمار وأهله وأذنابه وتقول لنا هذا من عند أنفسكم .

لم تعد تجدى معنا أساليب تحريك الأطماع والغرائز وتقديم أشباه الرجال ودعاة التفكك . لقد شببنا عن هذا الطوق !

ونهمس مرة أخرى فى آذانهم فنقول :

إذا كان الاستعمار الأوربى لم يجعل منا بعد مائة وخمسين عاماً رجال عقل وفكر وإرادة ، فقد تكفلت الصهيونية بهذا إذ نقلتنا نقلا من عالم أشباه الإنسان إلى عالم الإنسان ، وكان ذلك بمحض إرادتنا للتغلب عليها وإقصائها عن أوطاننا .

فإذا ترك الاستعمار بلاد الشرق فوضى وأهلها يحطمون بأيديهم ما بنوه واتهمنا بأنا نسير على غير هدى ونعمل تحت وحى تيارات الساعة ، ومصلحة الأحزاب وإيحاء صحافة هدامة ، فليطمئن دعاة الاستعمار وأذناب الصهيونية علينا : من هذا أو أكثر بعد اليوم .

ألا فليؤمنوا أن دروس الحقائق الكبرى التى ألقتها علينا الصهيونية فى فلسطين تعدل ألف درس مما ألقاه علينا الاستعمار الأوروبى . فإذا كنا لم نحطم الأصفاد والأغلال التى وضعتها أوربا يوماً فى أيدينا وأعناقنا فإن قضية فلسطين أصبحت جديرة بأن نكسبها ، وفى سبيل كسبها حطّمنا الأغلال والأصفاد ووثبنا الوثبة التى لا يمكن أن ترد .

أتدرى ماذا علمتنا فلسطين ؟

علمنا الصهيونيون أن العلم قوة ثورية هائلة على الأرض ولهذا ملكتنا عقيدة الاقتدار والانتصار بالعلم .

نعم سيكون العلم فى حياتنا سلاحاً قاطعاً فيصلا لحل مشاكلنا معهم .

لقد تعلمنا أن الظروف المحيطة بنا لا تُخلق حسب أهوائنا حتى تحل متاعبنا طوع إرادتنا ووفق أهوائنا . وعلمتنا فلسطين كيف ندرس كل حالة ونتعرفها ، وتعرّف الشىء تكييفه بناء على طريقة منظمة وتبعاً لمنهج منطق تحليلى . فالفضل لكم يا أهل صهيون ولأطماعكم إن أصبح الشرق قوة يحسب لها حساب . لقد أخذنا عنكم أن المنهج هو القوة الوحيدة النهائية الفاصلة التى لا تحد والتى لا يمكن أن يثبت أمامها شىء فى الوجود أو تعترضها معضلة من غير أن تجد لها حلا ، لقد أخذتم عن الغرب روحه وعقله وأتيتم إلينا تطبقون هذا على أراضينا .

أما نحن فقد وقفنا نفكر علمياً ومنطقياً لندفع بالفكر العربى حتى يتعرف نفسه فى كل شىء ، وليبسط نفوذه ومضاءه وقوته

حتى نعيدكم إلى الأقطار التى جئتم منها :

إنكم دفعتم العرب إلى الثورة مرّات قبل اليوم وكنتم تنظرون إليهم نظرة المتفرج ، أما اليوم : فستكون الثورة الكبرى فى هدوء ونظام تسير على برامج وتضبط فى المعامل وتقرن بالأرقام

ستكون ثورتنا وليدة المصائب التى حلّت بنا ، وخاضعة للعقل الذى قيّد كلّ ما فرطنا فيه فوضع الخطط لسنوات قادمة ولأجيال مقبلة

ولذلك سنجعل لكل يوم عملا كما يناسبه ، ولكل شهر كفاحاً يتفق مع مراميه ، ولكل سنة حرباً تتطلبها تلك السنة .

لقد جربتم حظكم معنا فى وقت لم نكن نفهم فيه أو ندرك شئون عالم يتطور . أما اليوم فاسمعوا واكتبوا ما أقول :

إننا سنتبع التفكير بالمنهج ، والمنهج بالحركة ، وسنعرف كيف نسيطر على الظروف ، لا بل كيف نستبق الزمن ونلين الطبيعة ونتعرف قوانينها وعلاقاتها بالأشياء ، لأننا سنلاقيكم اليوم وغداً وبعد غد ، وسترون أننا فى كل مرحلة سيكون التلاقى على صعيد أنسب لنا وأقرب إلى جعل النصر تحت متناول يدنا . وتلك سنة جديدة لنا لم تعهدوها فى الماضى عنا .

لقد طالما سمعنا كم تردّدون : وماذا تصنع بلاد العرب التى تهدمها عوامل التفكك والانقسام ويؤخرها التشيع الذى يقتل جهودها ويقصى النافعين من أبنائها ، ألم تروا كيف تحكمت فيهم الأغراض والمساوىء : فأصبحت بلادهم ضعيفة مستأمنة خاضعة طائعة

ونحن الذين عانينا ما تقولون نؤكد لكم أن قتالكم فرض علينا ، وأن هذا القتال سيجعل من كل قطر عربى مجتمعاً منسجماً للوثوب ، فلن تنتابه بعد اليوم عوامل الهدم التى عهدتموها ثقوا أننا أخذنا أسلحتكم كما أخذتم عن الغرب أسلحته ، فالويل لكم منا بعد اليوم . إننا نسلّم بأن فيكم رجالا كانوا قادة وبناة من الطراز الأول ، وأن هذا الوطن الذى تحاولون إنشاءه على نهر من الدماء هو من صنع تفكيرهم .

ولكن حلمهم لن يتحقق ، ولن تقسم البلاد العربية إلى شطرين الشطر الإفريقى والشطر الآسيوى ، هذا لن يكون أبداً . لأن منا رجالا قد أخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق لكى يحولوا دون ذلك ، وهم من مدرسة جديدة لن تجدوا لها قبيلا فى منظماتكم . أتدرون كيف هم : إنى آتيكم بنبأ عنهم : هم قوم فيهم التضحية إلى أقصى حدود التضحية ، ولكن بغير نفسية الاستجداء والضعف ؛ حماستهم ثبات وهدوء ، ووقفتهم فى القتال رائعة ، سيقدمون البذل كفرض عليهم ، كما فرض المسلمون الأول الجهاد والتضحية والبذل على أنفسهم ولذلك لم يعرف عنهم أنهم ولوا الأدبار ؛ كذلك رجالنا .

نفوسهم عالية : يُعلّمون ويتعلمون ، يُدرّبون ويُدرَّبون ، يحاضرون الغير وينصتون للغير ، ويُلقون الدرس ويتلقونه عن الغير . فيهم قوة الملاحظة وهدوء الأعصاب ، تلمس اليقظة مع الوعى فيهم ، وقوة الارادة مع التواضع ، ولذلك يسيرون إلى الموت بالتهليل والتكبير والفرح والغبطة : إنهم الطليعة الأولى .

أعرفتم أيام الإسلام فى فجره ؟ أعرفتم أنه بدأ غريباً وقامت قيامة الدنيا عليه ، فتغلب على الدنيا وقيامتها ، كذلك طلائعنا اليوم سنعيد أمجاد الطلائع الماضية : سيكون فيها المتحمسون والرواد والمحاربون والشهداء ، نعم نسير لننتصر ، ونموت لنحيا قلوبهم عامرة تشبه قلوب الطلائع الأولى ، ستأتى زرافات إليكم من الأرض والهواء والبر والبحر طلباً للشهادة فى الأرض المقدسة التى وعدنا بها . أليست أرضنا وبلادنا ومنزل الوحى عندنا ؟ فأين أنتم منا ؟

أحمد رمزى

دين الله واحد

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى



إن جميع الرسالات الإلهية التى أرسل الله بها الرسل لهداية الناس إنما يقصد بها أمران :

أحدهما : تقرير الواقع فى شأن الألوهية وما يصدر عنها من إرسال الرسل ، وتنزيل الكتب ، والبعث والجزاء ...

والآخر : هو التدرج بالناس فى مدارج الكمال ، ومدهم بالأحكام التشريعية التى تصلح بها أحوالهم ، وتستقر بها سعادتهم

ومن الطبيعى أن تتفق الرسالات كلها فى الأمر الأول لأنه رجوع بالبشر إلى شىء متقرر ثابت لا يختلف باختلاف العصور والأحوال ، وأن ينحصر الخلاف فى دائرة المناهج والشرع التفصيلية التى تتغير بتغير الزمان ، ويتدرج الإنسان فى مراتبها بحسب أطواره وبيئاته ودرجة رقيه فى العقل والتفكير . ولذلك كان « الدين » واحداً على لسان كل رسول بعث ، وكانت « الشرائع » مختلفة فى تفاصيل الأحكام والتعبدات « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

وقضية اتحاد الدين على اختلاف الرسل قضية يقررها القرآن الكريم فى كثير من المواضع ، ويكررها على أساليب مختلفة ، لتستقر فى النفوس ، وتؤمن بها القلوب ، ويعلم الناس أنهم جميعاً على كلمة سواء ، وأنه لا مبرر للتفرق والتنازع والعصبيات .

يقول الله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وهذه الآية تفيد أن أصول الدين ثلاثة :

١ — الإيمان بالله على وجهه الصحيح الذى بين فى آيات أخرى ، بأن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله ، ولا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالى ولا يعادى إلا فيه ، ولا يعمل إلا لوجهه ...

٢ — الإيمان باليوم الآخر ، بأن يعتقد أن الله سيبعث الناس من الأجداث ليحاسبهم على ما قدموا من خير أو شر فيكافىء المحسن على إحسانه ، ويجزى المسىء بإساءته .

٣ — العمل الصالح الذى من شأنه أن يسعد المجتمع البشرى ويزيل الشرور والفساد ، وينشر الطمأنينة والأمن ، ويمكن كل إنسان من أداء واجبه وأخذ حقه على وجه سليم لا يفضى إلى نزاع ، ولا يؤدى إلى ظلم .

هذه هى أصول الدين التى يتفرع منها كل ما سواها ، وقد تضافر رسل الله أجمعون على تبليغها ، وبذل كل واحد منهم فى سبيل تقريرها والتمكين لها ما ملكه الله من جهد وآتاه من عمر ، وتلقوها عهداً من الله يبشر فيه سابقهم بلاحقهم . ويؤيد لاحقهم سابقهم ، وفى ذلك يقول الله عز وجل « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

والقرآن الكريم يسوق لنا قصص الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم فنجد الرسالة التى جاءوا بها تكاد تتفق حتى فى الألفاظ التى تحدث بها كل رسول :

فى سورة « هود » يقص الله علينا أن نوحا قال لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون » .

وأن صالحا قال لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

وأن شعيبا قال لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » .

ويقص القرآن الكريم علينا مثل ذلك أيضاً فى سورة الشعراء : يذكر نوحا وقومه فيقول : « كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله

وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

ويذكر هودا وقومه فيقول : « كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

ويذكر بهذا النص نفسه صالحا وقومه ، ولوطاً وقومه ، وشعيباً وقومه ، فيبين لنا أنه لا اختلاف حتى فى التعبير ، ولذلك يقول الله عز وجل : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة » .

وكما نجد هذه الوحدة فيما دعا إليه الرسل قد تناسقت حتى ظهرت فى الألفاظ والعبارات التى عُبر بها عنها ، نجد أقوام هؤلاء الرسل جميعاً يكادون يتفقون فى الرد على هؤلاء الرسل ومعارضتهم فى دعواهم ، وفى مقدمتهم السادة والكبراء :

فالملأ من قوم نوح يقولون : « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادئ الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » .

ويصل الأمر بهم فى التحدى إلى أن يقولوا : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين »

وعادٌ يقولون لنبيهم « يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » .

وقوم صالح يقولون له متهكمين : « يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب » .

وقوم شعيب يقولون ساخرين : « يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ؟ إنك لأنت الحليم الرشيد » .

ويصل بهم الأمر إلى أن يقولوا له : يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » .

وهكذا تشابهت قلوبهم ، وتوافقوا على رفض الدعوة بأسلوب واحد ومعنى واحد ، ولذلك يقول الله عز وجل : « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون » ويقول : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ، أتواصوا به بل هم قوم طاغون » .

ومالنا نذهب هذا المذهب والقرآن الكريم يعلن فى كثير من الآيات وحدة الدين على نحو قاطع إذ يقول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

ويقول : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » .

بل يذهب إلى أبعد من ذلك فى التحديد والتوحيد فيعلن أن دين الله منذ كان هو « الإسلام » ، ولن يقبل الله سواه ، وأن الذين اختلفوا فيه من أهل الكتاب إنما كان اختلافهم بغياً وتجاوزا وكفرا « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

والإســـلام فى الأصل معناه الانقياد والخضوع ، وقد استعمل بهذا المعنى فى القرآن الكريم ، فكل من « أسلم وجهه لله وهو محسن » أى استسلم لأمر الله ورضى به وعمل صالحاً ، فهو فى نظر القرآن مسلم ، ولذلك جعله الله مقابلا للشرك فى مثل قوله : « قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء فى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين » وجعله مقابلا للكفر فى مثل قوله « أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » كما وازن بين المسلمين والمجرمين فى قوله : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » ووصف الدين القويم بقوله « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » والقول القويم بقوله « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين » وتحدث عن عباده المؤمنين الذين سيدخلهم الجنة يوم القيامة من سائر الأمم بقوله « يا عباد لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون » .

وقد جاء فى القرآن الكريم وصف كثير من الأنبياء ومن أرسلوا إليهم « بالإسلام » : فنوح يقول : «وأمرت أن أكون من المسلمين » وإبراهيم وإسماعيل يدعوان ربهما قائلين « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » ، ويقول الله لإبراهيم : أسلم فيقول : « أسلمت لرب العالمين » ويصفه الله بأنه « كان حنيفاً مسلما » ، ويوسف يدعو ربه فيقول « أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » ، وسليمان يكتب إلى أهل سبأ « أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين » ويقول لقومه « أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين » وملكة سبأ تقول : « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » وموسى يقول لقومه «يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين» وفرعون حين يدركه الغرق يقول « آمنت بالذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » وقد وصف الله قرية لوط بقوله « فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » وقص علينا فيما حكاه عن الجن أنهم يقولون : « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً » .

بهذا كله يتبين أن « الإسلام » على لسان هؤلاء جميعاً ، وفى هذه الاستعمالات كلها ، هو الانقياد لله والخضوع له فى العقيدة والعبادة والعمل خضوعاً لا يعرف الشرك ولا الواسطة ، ولهذا يعتبر الله جميع الأنبياء وجميع الذين أوتوا الكتاب مسلمين بهذا المعنى فيقول عن الأنبياء « يحكم بها النبيون الذين أسلموا» ويقول عن أهل الكتاب « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» ويقول عن الذين كفروا بعيسى وزعموا أن ما جاء به من البينات سحر « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام » ...

ولهذا أيضاً يقول القرآن الكريم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم : « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين » .

ويأمر المسلمين أن يقولوا « آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

ويأمر بتوجيه الدعوة إلى أهل الكتاب على هذا النحو فيقول « قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

هذا هو دين الله الذى جاءت به كل الرسل ، ونزلت به كل الكتب ، وقد كان دين محمد صلى الله وسلم هو خاتمة هذه الرسالات كلها ، وهو الذى أثبتها ، ولولاه ما عرف أمر رسول عن طريق تطمئن إليه القلوب ، وهو الذى نقاها مما أضيف إليها ، ولولاه ما عرف صحيح من زائف ، وهو الذى أتى بالشرعة الصالحة المناسبة لما وصل إليه الإنسان من رقى فى العقل والتفكير والمعرفة ، ولولاه لظلت البشرية تتخبط فى ظلمات الأهواء والشهوات والعصبيات ، ولهذا كله تمحض معنى الخضوع لله والانقياد لأمره على ما رسم لعباده فى دين محمد صلى الله عليه وسلم فصار لفظ « الإسلام » علماً عليه ، وأنبأنا الله أنه هو الذى ارتضاه بقوله فى أواخر ما نزل على الرسول « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فلم يعد لأحد من البشر بعد ذلك أن يرفضه زاعماً أنه مؤمن بسواه ، فإنه هو الدين وليس له « سوى » ، ومن آمن به فقد آمن برسالات الله كلها ، ومن رفضه فقد رفض رسالات الله كلها ، تلك هى الحقيقة ولن يستريح أهل الأرض حتى يؤمنوا بها ، ويبنوا حياتهم وعلاقاتهم على أساسها « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

محمد محمد المدنى
المدرس فى كلية الشريعة

ضاق هذا العدد عن طائفة من المقـــالات القيمة فاضطررنا إلي إرجائها للعـــدد المقبل

ويحكم هبوا!

للأستاذ محمود محمد شاكر



أيها العرب !

أيها المسلمون !

إنكم لا تغلبون اليوم عن قلة ، ولئن كتب الله عليكم أن تغلبوا فإنما تغلبون بإثم ما اقترفت نفوسكم، وما اجترحت أيديكم ، وما فرطت عقولكم،وما نسيت قلوبكم ، وما أضعتم من حق تؤدونه لأنفسكم وأسلافكم وذريتكم، ووالله ما أراكم تغلبون عن جهالة ، فقد وهبكم الله عقولا راجحة ، ونفوساً حرة ، وعزائم قد أذلت لكم أعناق الأمم منذ كان لكم فى الأرض شأن يذكر .

وإن الله مبتليكم بمحنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، بل هى محنة لعامتكم وخاصتكم فى نواحى الأرض ؛ فإن أحكمتم الرأى وصدقتم العزم ، وعرفتم عدوكم من صديقكم — ولا أرى لكم فى هذه الدنيا صديقاً — فقد آن لكم أن تنهجوا للبشرية منهجاً مستقيما وصراطاً سوياً . فلا تقولوا إنما نحن ضعفاء ، فالضعيف من ظن فى نفسه الضعف وإن كان أقوى الأقوياء ، ولا تقولوا إنما نحن جهلاء ، فالجاهل من استهزأ بالعلم وتهاون فى طلبه وإن كان أعلم العلماء ، ولا تقولوا إنما نحن فقراء ، فالفقير من جهل أن الله قد آتاه العزم والجلد والعقل ، وإن كان أغنى الأغنياء . فاصدقوا أنفسكم وثقوا بالله الذى امتحنكم بهذه المحنة ، فإنه ناصركم على عدوكم ، ومخرج لكم من خبء أنفسكم خيراً كثيراً قد غاب عنكم وعن الناس دهراً طويلا . وإياكم والخوف ، فإنه الآفة الملتهمة ، وما استشعر الخوف عزيز إلا ذل ، ولا قوى إلا خار ، ولا أبى إلا تضرع لكل خسف يراد به .

انظروا ! فهذه فلسطين قد اجتمعت الأمم على أن تمكن فيها لأنذال يهود مكاناً يتبوأه طغاة المال وطواغيت الفجور وأبالسة الشر ، وقد أخذوا يمدونهم بالمال والسلاح ليقهروكم وتكون لهم الكبرياء فى هذه الأرض .

وانظروا ! فهذه دولة الباكستان قد اجتمعت فيها كلمة المسلمين على أن يكونوا أمة عدتها مئة مليون ، فإذا عباد البد (بوذا) قد دمروا عليهم من كل مكان يذبحونهم ويقتلونهم ويفتكون بالنساء والأطفال ، ويهتكون أعراض الحرائر ، ويدخلون على المصلين فى مساجدهم فيضعون السيوف فى رقابهم والخناجر فى ظهورهم ، ويقتلون الآلاف من الآمنين ، والدنيا كلها تسمع وتبصر ، فلا تجد فيهم منكراً ولا مستبشعاً ولا معترضاً على ضراوة عباد البد .

وانظروا ! فهذه أندونيسيا تجمع هيئة الأمم المتحدة على تركها فريسة للطغاة البغاة من شر ذمة الخلق الذين يسمون بالهولنديين . ويزعمون لكم أن مجلس الأمن قد أمر بوقف القتال ، فإذا هولندة تضرب صفحاً عن حكم هذا المجلس ، وتوغل فى تقتيل هؤلاء المساكين بالنذالة المعهودة فى المستعمرين الذين لا يفرقون شيئاً بين هؤلاء البشر وحيوان الغاب ، بل لعلهم بحيوان الغاب أرحم ، وعليه أحرص ، إبقاء على جلده أو فروه مما يرتفقون به فى صناعة أو تجارة .

وانظروا ! هذه بلاد المغرب من حدود مصر إلى أطراف المغرب الأقصى قد ضربت عليها فرنسا بالأسداد ، وحمت عنها كل بارقة من خير ، وسامت أهلها عذاب التقتيل والاضطهاد ، وسلبتهم كل قوة تتيح لهؤلاء الأبطال الصناديد أن يعيشوا فى بلادهم عيشة الكفاف ، وشردت كل من دعا قومه إلى المطالبة بالحق المغصوب ، وأرادت أن تجعل هذه البلاد الشريفة ذيلا ملحقاً بالجمهورية الفرنسية .

وانظروا ! فهذه مصر والسودان قد فغر لها الوحش البريطانى يريد أن يقضم السودان قضمة واحدة ليجعله قطعة من أوغندة وجنوب إفريقية ، ويدع مصر ترعة إن شاء منع عنها الماء حتى يقتل أهلها جوعاً وظمأ ، وقد قضى فى ديارنا أكثر من خمس

وستين سنة حتى هدم كيانها . وسلط عليها لصوص الأجانب واليهود ، حتى ما تكاد تجد مصر حيلة في سن القوانين التي تحمي بلادها من استبداد اللص الطارىء بصاحب البلد المقيم .

انظروا لكل بلد تنطق فيه العربية ، أو يذكر فيها اسم الله مقروناً باسم محمد صلى الله عليه وسلم ، تروا حرباً تشن على أهل العربية والإسلام بلا هوادة ، وبأوقح الأساليب وأخفاها :

أيها العرب ! أيها المسلمون !

إنها الحرب . إنها المذابح ! إنها الحالقة التي أجمعت أمم أوربة وأمريكا أن تستأصل بها قوتكم وتجعلكم عبيداً أذلاء في أرض الله . إنها الفتن المظلمة التي أطبقت عليكم من كل مكان ، فجعلت فيكم رجالا ونساء وخلقاً كثيراً صاروا عدواً لأنفسهم وبلادهم وإخوانهم ، جهلا وعناداً وتقليداً وسوء رأى .

إنه لم يبتل قوم في تاريخ هذه الدنيا بمثل ما ابتليتم به ، فقد مضت القرون وأنتم في غفلة عن عدو قد استفحل أمره واستوت قوته واستمر مريره ، فدخل عليكم بلادكم فاستعبدكم فيها وحاربكم بعلمه وجهلكم ، وقوته وضعفكم ، واجتماع كلمته وتخاذلكم ، فلما أفقتم من الغفوات الطويلة لم تجدوا في أيديكم مالاً ولا سلاحاً ولا علماً ، فليس لكم منذ اليوم إلا الشيء الذي هو أقوى من المال والسلاح والعلم : الإيمان بحقكم ، والصبر على لأواء هذه الحرب الضروس . فآمنوا واصبروا ، فإن قوة الإيمان وحدها تدمر حصون البغي ، وتدفعكم إلى طلب المال والسلاح والعلم ، وتطهر قلوبكم من كل ضعف ، ولا تأسوا على قتيل في هذه الحرب ، فإن كل دم يراق من دمائكم إنما هو غيث تفاثون به يغسل عنكم أدرانكم ، ويسقي ثرى جف ، فينبت لكم أبطال الوغى وصناديد القتال في كل ميدان من ميادين هذه الحرب .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

اطلبوا المال من وجوهه ، ودبروا أمركم في حياتكم ، فإن المال قوة غاشمة تصارع أقوى قوى الطبيعة التي لا يقف دونها شيء . واطلبوا السلاح من حيث استطعتم ، فإن السلاح ناصر من لا ناصر له إلا قوته ، فأنشئوا المصانع والمعامل وأخفوا أمركم حتى لا يطلع عليه العدو الذي يعيش بين ظهرانيكم من الأجانب واليهود . واطلبوا العلم حيث استطعتم ، فالعلم حياة ابن آدم ، لا حياة له بدونه ، وهو عون المال والسلاح والحافظ عليهما والقائم بأمرهما . وكل طالب علم فهو مجاهد في سبيل الله وفي سبيل أهله وبلاده ، فلا تفتروا عن طلبه . وليعلم كل طالب علم أو مال أو سلاح أنه إنما يفعل ذلك لأمرين : أولهما تحقيق معنى الكرامة الإنسانية ، والآخر تحقيق الحرية لبلاده وأمته .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

لست أكتب لكم لتقرأوا ، ولكني أنذر قومي في ساعة لا ينبغي للمرء فيها إلا أن يصدق أهله . أنذركم بعداوة الأمم لكم ولمجدكم وتاريخكم ، فربيوا لهم أضغانكم وغذوها وحوطوها ، ونشئوا صغاركم على بغض هذه الأمم التي حشدت لكم عصبية الجاهلية ، وعصبية الصليبية ، وعصبية الاستعمار ، وعصبية الألوان . أرضعوا كل مولود لبان الأضغان والأحقاد على هؤلاء الطغاة ، وأمروهم أن يعيشوا في هذه الأرض لشيء واحد هو أن يقاتلوا أهل البغي والعصبية حتى تستأصلوا هذه الشأفة الخبيثة من أرض الله التي أورثهم إياها قائمين بالقسط والعدل والرحمة وإيتاء كل ذي حق حقه . وإنه لا ينجيكم من هذه البلية إلا أن تتمرسوا بصدق العداوة ، فهي التي توقظ فيكم كل عزيمة غافلة ، وتهديكم إلى مواطن الضعف في نفوسكم ، وإلى مكامن الغدر في نفوس أعدائكم ، ومن جهل مواطن الضعف في نفسه كان خليقاً أن يصاب منها ، ومن عمى عن مكامن الغدر في نفس عدوه كان قميناً أن يرتكس في مهاويها . لقد فضح الصبح أعداءكم وأضاء لكم عن خبايا قلوبهم ، فلا يكن أمركم عليكم غمة ، فأنتم بين اثنتين : إما المكاشفة بالعداوة السافرة في غير مداورة أو سياسة ، وإما أن ترضوا لأنفسكم أن تصيروا طعمة لهذه الأمم الباغية على الشر ذمة اللئيمة من إسرائيل . وما أظنكم ترتضون الثانية ، فليس لكم إلا الأولى .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

لقد انقضت دهور وأنتم تساقون إلى قدر لا يعلم غيبه إلا الله ، فاستبد بكم قوم أولى ضرار وبأس شديد ، فأفسدوا قلوب جمهرة من أبنائكم وذراريكم ، فنشأت تحت ظلال هؤلاء الطغاة ناشئة من أنفسكم تعاظم أمرها ، وصار لها فيكم مكانة تتبوأها ، وكل ذي مكانة أو سلطان أو ثروة فهو ملىء بأن يخدع الجماهير ، وهم أسرع إلى طاعته ومتابعته فيما يخدعهم به ، فاحرصوا على ألا تتبعوا الرجال على أصحابها بل اتبعوا الهدى وإن جاءكم على يد

المحتاج الراغب ، وتبينوا الدليل عليكم من الناصح لكم .

ولا تقولوا هؤلاء سادتنا وكبراؤنا ، فما أضل البشر إلا سادتهم وكبراؤهم . ولا ترددوا إن رأيتم معوجاً أن تقوموه مهما بلغ من الشأن ، فإن تقويمكم إياه أبقى له وأجدى عليه . ولا تخروا على آراء السادة والكبراء صما وعميانا ، بل اسمعوا نبضات القلوب ، فرب لسان ينطق بالخير وهو ينبض بما فيه فسادكم وفساد أمر بلادكم . وأبصروا وتبصروا ، فإن لا يعطى القيادة إلا السائمة التى تقودها عصا الراعى لا العقل والإدراك . احملوا سادتكم وكبراءكم على وضح الصراط ، فكل ضال منهم سوف يضل خلقاً منكم كثيراً ويورده موارد الهلاك .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

إنها ساعة فى تاريخكم ليس بعدها إلا النصر أو الهزيمة ، وكل امرئ منكم يحمل تبعة لا يسقطها عنه عذر ، ولا يعذره أداء حقها شىء . وأنتم أربعمئة مليون نسمة لا عصابة قليلة فى الأرض ، فإن كنتم صفاً واحداً وبنياناً مرصوصاً ، فاعلموا أنه لن يغلبكم شىء ، ولن تهد هذا البنيان قوة مهما بلغت على ظهر هذه الأرض ، فتماسكوا وتقاربوا وتعاونوا ، ولا تدعوا ثغرة يدخل منها عليكم عدوكم لينقض هذا البنيان الذى بناه آباؤكم وأسلافكم فى آلاف السنين ، وأنتم الأعلون إن شاء الله ، وليهود الذلة والمسكنة مضروبة عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أيها العرب ! أيها المسلمون !

لا تهابوا أهل العصبية الصليبية فى أمريكا وأوربة ، ولا تثقوا بأحد منهم ، ولا تهادنوهم فى حقكم ، ولا تناصروهم كما ناصرتموهم من قبل فغدروا بكم وتألبوا عليكم وامتهنوكم وقابلوا حقكم بالازدراء والتحقير فى هيئة الأمم المتحدة ، وأنكروا كل يد أسديتموها إليهم ، ومزقوا أوطانكم ، وسلطوا عليكم فواجر أممهم ، وأرادوا أن يدمروا أوطانكم ، وأن ينشئوا لجرائم اليهود وكراً خبيثاً فى الأرض المقدسة فى سرارة بلادكم . فإن فعلتم فيومئذ يعلم هؤلاء الأخباث والأشرار أن العرب وأهل الإسلام وأهل دين المسيح فى الشرق ، كلهم على قلب رجل واحد يريدون أن يقيموا فى هذه الأرض شريعة الإنسان العادل لا شريعة الوحش الضارى فى ظلمات الأدغال والغابات .

يا ساسة العرب !

إياكم وخداع الناس ، ولا تخادعوا ربكم الرقيب عليكم ، فيوشك أن يحل عليكم غضب من ربكم ثم غضب الناس عليكم ، ولا تبيعوا تاريخكم وتاريخ آبائكم وذريتكم بعرض زائل ومجد مزيف ، واعلموا أن قومكم قد ثاروا من مضاجعهم ليطلبوا حقهم بحد السيف ، فلا تكونوا مخذلين ولا واعظين ولا متهاونين . واعلموا أنها الحرب ! شذاذ الأمم وصعاليك اليهود بين ظهرانيكم ، والبغاة الطغاة عن أيمانكم وعن شمائلكم يلتمسون الفرصة ليمحقوا العرب والمسلمين ويطحنوهم طحناً .

فهبوا جميعاً إلى الجهاد فمن نجا فقد فاز بالنصر ورضوان الله عليه ، ومن قتل فقد فاز بالشهادة وجنة الخلد والذكر الذى لا يفنى . « كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

محمود محمد شاكر

يا شرق!

للأستاذ محمود الخفيف

« مهداة إلى أديب العربية الكبير الصديق الكريم الأستاذ النشاشيبي »



ما شاء فليسخر بي الساخر   بالغرب ، ماعشت ، أنا الكافر
يزيدني الحق جحوداً به   ما زوّر الحقّ به فاجرُ
إلا نجوماً فيه رجّافةً   يكاد يخفى لمحُها الحائر

ما غده ؟ هيهات يرجى غد   من أمسه مات الذى يُحمد
والحاضرُ الكاشرُ يا هوله   يا سوء ما يطغى وما يجحد
للشر فى الأرض على رحبها   فى كل ركن آمن مرصد

دنيا من المأكول والآكل   لا شيء من حق ولا باطل
الغابة اللفاء دينهمُ   فالعيش للفاتك والخاتل
يا ويحهم هذا الذى بشروا الـ   ـعصر به من بشر كامل !

الدينُ حيران الخطى هائب   مروَّعٌ فى بُرْدِه شاحبُ
والعلم شيطان سعى سعيه   مشمرٌ عن هوله دائب
والرحمة السمحة مذعورة   من كل صوْب حولها ناعب

يا عجباً وهو ألد الخصام   يردد الإنسان لحن السلام
يهتف بالأمن وفى روحه   . أنشودة الذرة تُلقى الهيام
والأرض أشلاء تُرى هاهنا   وتلك أطلالٌ وهذا حطام !

مهزلة يلهو بها الأقوياء   يخجل منها اليوم حتى الرياء
حبالة القانص كم أوقعت   فى الشرك الأغفال والأذكياء
كم بشر الأرض بآماله   مُبشرٌ حتى جرت بالدماء

يا شرق كم غرتك بيض الوعود   ألفتها حتى ألفت القيود
تخطر فى القيد على ذلة   تلوك فى الأغلال مجد الجدود
إهنأ بماضيك وفاخر به   ولُكهُ يا مسكين حتى يعود !

يا ظامئاً يطلبُ ماء السراب   إشرب على الغلة مُرّ العذاب
يا حالماً أغراه طيب الكرى   أبشر مع الصبح بسوء المآب
يا لاهياً ويك أما تتقى   النابُ والمخلبُ طبعُ الذئاب

قومُك بالموت أعزوا الحياه   وأفزعوا بالبأس بغى الطغاه
فى السيف والمصحف برهانهم   تعنو له فى العالمين الجباه
لا السيف ظلاّمٌ عتىٌ ولا   يُروِّعُ المصحف عات عصاه

فاوت بين الناس خوضُ الردى   يا شرق هل أصرخ أين الفدا ؟
ردوا فقد جدّ بكمْ دهركم   أو فارتضوا الخسف لكم موردا
ما من قلوب ألفت قيدها   إلا غدت تعبُدُ من قيّدا

دين العلا إن كنت لا تعلم   دينك يا ابن الشرق يا مُسلمُ
دينك بين الناس سوى فما   بالك للطغيان تستسلم ؟
دينك إن عدْت لأحكامه   حكمت لا دنتَ لمن يحكم

عقيدةٌ دينك لا تُغلب   لا تعرفُ البطش ولا ترهبُ
شريعةٌ خالدةٌ فُصلت   دستورها الخالدُ لا يُسلبُ
روحٌ من الله سماويةٌ   شرقيةُ المطلع ، لا تغربُ

يا شرق حتام تلوم القدر   ولا تنى ترنو إلى من غبر ؟
أنت الملوم اللائمُ المشتكى   كم صرخت حولك شتى العبرْ
رضيت ، لو أنكرت ما تشتكى   منه ، تهاوى عمره واحتضر

إلام يا شرق حياة الجسد   فى ذلها طال عليك الأمدْ
يا موطنَ الروح أما هزةٌ   تُشعلُ من أرواحنا ما خمدْ ؟
ويحك يا عانى أما غضبَةٌ   لشدّ ما تذعنُ إذ تُضطهد !

يا أمةً تهضمُ أوطانها   ولا يني يجرَحُ فتيانها

أترتضون الذلّ ؟ ما خطبكم   ذلت نفوس مات إيمانهـــا
تالله ما البعث سوى رجفةٍ   يُمحصُ الأنفسَ بركانهـا

واأسفا كل حمى مستباح   هيض الحمى منذ فقدنا السلاح
يا فتيـــة الشرق ألا خالدٌ   وقد تداعى قومنا ، أو صلاح ؟
حِطّينُ هذا وقتها فاحشدوا   أبطالـكم ، هذا أوان الطماح

أما يهـــز الشرق بغىٌ عتا   بعد خفاء ســـيفَـهُ أصلتا ؟
الطمع الغاصبُ بهـــداً له   كلّ فـــؤاد لؤمه أعنتا
متى أرى الشرق لظى حوله   ويلاه ! كم تلهبُ صدرى متى !

أيةُ نارٍ أوقد الطامعُ   وأى بغى ذلك الدافـــعُ
ما أوضعَ الإنسانَ أن لم يعد   فى نفسه عن غِيلةٍ وازع
بيعت فلسطين فيا موطناً   فى علَن غاصبـــهُ البائع !

بيعت وما أعجب بيع الشعوب   فما وعى التاريخ أدهى الخطوب
سوق بها السواس كم زاولوا   نخاسةً هانت إليها الحروب
كم أعتم الغربُ وفى أفقـه   كم بهر الأبصار برقٌ كذوب!

قائمةٌ من عهدها الأســـبق   حربُ الصليبيين فى المشرق
لم يفتر الغربُ ولم يألفـــا   من حربه أو كيـــده المرهق
لا تـــلم الغرب على بغيه   اللوم للمستسلم المـــوثق

اللـــوم للجاثم فى كنّه   فى ميعة القوة من سنّه
يضنُّ بالمـــال على وفرة   ويرتضى الأغـلال فى ضنّه
إن شحّ بالمال أما حفنةٌ   للغاصب الواغل من ضننه ؟

باع فلسطين حمـــاة الأمم   أهــــل المواثيق رعاة الذمم
الكاشفون الضرعن أرضنا   حين تغشى الناس فيها الظلم
الكارهون البغى من أنقذوا   بالنار حرياتهم والقـــلم !

بالذهب الباغى اشترتها يهود   وعصبةُ الأمن عليها شهود
الأمنُ ؟ ما الأمنُ سوى غاية   تُنمى إلى أحلامِ هذا الوجود
قل لرُعاة الأمن سُحقاً لكم   النارُ لا تلقوا إليها الوقود !

عز يهوذا حول قبر المسيح   غداً له فى الشرق ملكٌ فسيح
آه من المـال به الباطل اللـــجلجُ إذ يهوى مبينٌ فصيح
بالمال كم جادوا وكم آكل   للسحت فيهم أشعبىّ شحيح

فى الأرض ملموتون ما طوفوا   كم بخسوا الكيل وكم طففوا

فى كلّ رُكن للربا آكلٌ   باغٍ وفى كل حمى مصرف
تالله لن يفلح كيـــدٌ لهم   ما أشعلوا الفتنة أو أرجفوا

قل لبنى الشرق من واجد   يبكى ومن مستصرخ جاهد
قـــل لرعاة الشرق من علية   تشاوروا فى مجلس حاشد
خوضوا المنايا الحمر أوفاقعدوا   ما من طريق غـيرها قاصد

صـبوا على النار هناك الدما   لا تبتغوا غـــير الردى مغنما
جـد العدو اليوم فى بغيـه   فأطفئوا النـار التى أضرما
من دمكم إن صال أعداؤكم   وصمموا فالحر من صمما

يا ابن الـكماة الغر جـدَّ الزمن   واستصرخ اليوم بنيه الوطن
يا ابن الأولى النجدة كانت لهم   ديناً وكانوا عصبة فى المحن
أفق على الصيحة طال الكرى   شرٌ من الأجداث هذا الوسن

فى الأفق الشرقى لون الدم   منورٌ بعـــد الدجى المعتم
أفق على الإصباح وانشد له   لحناً إلى مجـد الردى ينتمى
وانهض إلى الموت وخض لجه   مبتسما فى وجهـــه الأقتم

عبدالله بن عباس

للدكتور جواد علي

لم يكن في طبع عبد الله بن عباس ميل إلى السياسة . فلم يشترك في إدارة شؤون الدولة الإسلامية الحديثة ، ولم يترأس حزباً من الأحزاب السياسية ، ولم يتول منصباً من المناصب الكبرى خلا مرة واحدة تولى فيها منصب إمارة البصرة في عهد خلافة ابن عمه علي بن أبي طالب في سنة ٣٦ للهجرة — ولعله فعل ذلك إرضاءاً لابن عمه — غير أنه لم يبق في منصبه هذا غير عام ثم اعتزل السياسة وقفل راجعاً إلى الحجاز حيث اعتكف في « الطائف » لسبب لا زال موضع بحث في كتب التاريخ .

وقد عاش في الحجاز قرابة ثلاثين عاماً على غلة أملاكه الكثيرة حتى توفي بالطائف عام ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ للهجرة(١) وقد زار في خلال هذه المدة بلاد الشام فوفد على معاوية وتحدث إليه(٢) ولكنه صرف أكثر هذه المدة في الحجاز في دراسة الموضوعات العلمية ولاسيما ما يختص بتفسير القرآن وأخبار الأوائل وأيام العرب(٣) . وقد بعثت هذه الدراسة نشاطاً عظيماً في عاصمة « الثقفيين » حولت إليه الأنظار . فجاءت إلى « الطائف » جماعات تلتمس العلم من « الحلقة » التي كونها ابن عم الرسول ومن المدرسة التي أنشأتها في الطائف فغدت بعد مدة قصيرة أكبر مدرسة « للتفسير »(٤) .

ولم يشترك ابن عباس في العهد الأموي في الأحداث السياسية التي وقعت فيما بين الأمويين وخصومهم . ووقف من كل ما حدث موقف رجل محايد ناصح . فكان ينصح من تحدثه بالخروج على الأمويين بالتروي وعدم الاندفاع . ولما وقع الخلاف بين عبد الله ابن الزبير وعبد الملك بن مروان وجد الحكمة في العزلة والابتعاد

(١) Ency of islam. Vol 1. P 20 .

(٢) المسعودي . مروج الذهب ج ٢ ص ٥٢ (طبعة المطبعة البهية) .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١١٩ — ١٢٤ ، ابن الإصابة ج ٢ ص ٨٠٢ — ٨١٣ ، النووي (طبعة وستنفلد) ص ٣٥١ — ٣٥٤ Nöldeke Gesch qoran Bd 2 s 154.

(٤) Nöldeke qoran Bd 2 s 163 .

عن الناس واتباع سياسة الصمت والسكوت فكان إذا سئل في موضوع سياسي يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم ، فإنك إن لم تفعل تندم(١) . وقد أوقعته هذه السياسة عند البعض في مواطن الشبهات فقالوا إنه كان على اتصال خفي بمعاوية الذي أغدق عليه الأموال وبالأمويين ؛ وأنه تفاهم معهم وأيد جانبهم بهذه السياسة(٢) . وقد صادفت هذه التهمة هوى في نفوس بعض المستشرقين فاتخذوها مغمزة للكيد للمسلمين .

والحقيقة أن هذه السياسة التي اتبعها عبد الله بن عباس تمثل وجهة نظر فريق أدرك أن من العبث مقاومة الأمويين وأن من الخطأ الانحراف في تيارات السياسة وفي الفتن التي ظهرت بعد وفاة الرسول ؛ فاتبعوا سياسة « العزلة » ورأوا فيها خير وسيلة من وسائل النجاة . وقد قويت هذه النظرية بعد المعارك الإسلامية التي وقعت فيما بين المسلمين فأصبحت مبدأ من المبادىء القوية ذوا قواعد وأحاديث وأتباع ورجال يدعون إليه ويبشرون .

ومن الذين فضلوا العزلة واجتنبوا الأحزاب سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ، وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها كما نهى آخرين عن الخوض في السياسية والانهماك بها ، إلا أنه لم يؤيد جانب الأمويين ولم يبد رأياً في سياسة(٣) فترك الأمور تجري في مجاريها إلا ما كان يخص مبدأ من مبادىء الأخلاق أو الدين .

وقد كان من مصلحة الأمويين بالطبع إعراض الناس عن السياسة والانصراف عن التفكير في الملك ولا سيما إذا كان ذلك من الأسر الرفيعة والبيوتات ومن أهل الحرمين ؛ ولذلك حاول الأمويون مراراً بذل الأموال في المدينة ومكة وتعويد الناس على عيشة البذخ والراحة والتلذذ بملاذ الحياة الناعمة وفي ذلك ضمان في صرف السادات عن التفكير في الحكم . ولو أن هذه السياسة لم تنجح ولم يتمكن الأمويين مع ذلك من تحويل أهل المدينة عن التفكير في مصير الحق والناس .

ولقد كان من مصلحة الأمويين أيضاً أن يذاع فيما بين الناس بأن كل ما حدث إنما حدث بحكم الله وقضائه ، لأن في ذلك تثبيتاً لمركزهم وتأييداً لحجتهم؛ فإذا كان الله قد قضى ذلك فلا مرد لحكمه

(١) ابن كثير الشامي ج ٨ ص ٣٠٤ .

(٢) Nöldeke qoran Bd 2 s 164 .

(٣) العزلة للامام أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨ . ١٩٣٧ ص ١٨ وما بعد .

ولا قوة تمكن الناس من زحزحتهم عن الحكم . وإذا كان الله قد قضى أن يكونوا ملوكا فله حكمه وعلى الناس الصبر والانتظار.

على كل حال فقد أوجد عبدالله بن عباس فى مدينة الطائف جواً علمياً وكون مدرسة حقيقية بفضل هذه النزعة الفلسفية التى كان يميل إليها منذ صغره فكان « يجلس يوماً لايذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً لا يذكر فيه إلا التأويل ، ويوماً لا يذكر فيه إلا المغازى ، ويوماً الشعر ويوماً أيام العرب(١) » . وقد التفت حوله جماعة من طلاب العلم كانت تتلذذ بالاستماع إليه . فكان يجيبهم ويسألهم ومن هذه المناقشة العلمية يتولد منهج البحث .

ولم يجد عبد الله بن عباس شأن سائر علماء الصحابة غضاضة من الأخذ عن أهل الكتاب أو عمن أسلم منهم . مثل « كعب الأحبار » و « عبد الله بن سلام » وإن كان قد حذر منهم ونهى من لا علم له عن الأخذ عنهم لما اشتهر عنهم من الوضع والدس « لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ.(٢) » « الا ينها كم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم(٣) » . ويظهر مما ورد فى الكتب أن ابن عباس كان قد سأل « كعب الأحبار » عن مسائل كثيرة منها ما يخص المسائل الإسرائيلية ، ومنها ما يخص القضايا الإنجيلية ، ومنها ما يخص مسائل تفسير القرآن الكريم(٤) . وحتى فى القراءات(٥) ، كالذى ورد من أن ابن عباس اختلف مع عمرو ابن العاص فى قراءة (لدَنِى — أو لدَنّى) فذهبا إلى كعب الأحبار لتسوية ذلك الخلاف(٦) .

وإذا دققنا هذه الأخبار والروايات التى ذكرها الرواة عن ملاقاة ابن عباس لكعب الأحبار تدقيقاً علمياً فإننا سنخرج من هذا البحث ونحن غير مطمئنين من وقوع هذه الملاقاة . ولا تستطيع أقوى رواية تأكيد رؤية عبد الله لكعب الأحبار(٧) . وعلى الرغم من تأكيد الرواة من أن عبد الله وأمثاله من كبار المسلمين كانوا يلجئون إلى كعب وأمثاله فى مسائل كثيرة إلا أنى لا أستطيع أن أسلم بأكثر ما رووه وما ذكروه عن عبد الله بن عباس وصلاته بمن أسلم من أهل الكتاب .

وقد زعم جماعة من المستشرقين استناداً على بعض الأخبار أن عبدالله ابن عباس كان يجالس يهود الحجاز ويتحدث إليهم ، وأنهم كانوا يزورونه فى بيته ، وأن ما رواه عن الخليقة والتكوين والأنبياء هو من وحى هذه المجالسات . وقد فاتهم أن الخليفة عمر ابن الخطاب كان قد أمر فى خلافته بإجلاء جميع أهل الكتاب لأنه لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب ؛ فكيف يمكن مجالسة اليهود لعبدالله بن عباس فى بيته بالطائف أو اجتماعه معهم فى الحجاز والظاهر أن هذه الأخبار إنما دخلت على ابن عباس ، وأن الذين أسلموا من أهل الكتاب ، والذين اجتمعوا به قد استغلوا فرصة اجتماعهم به فأدخلوا ما أرادوا إدخاله باسم عبدالله بن عباس ، وقد وجدت أرضاً صالحة فى العهد العباسى لأسباب سياسية اقتضتها مصلحة الدعاية فى ذلك العهد ظناً من ساسة ذلك العهد أن فى رواج هذه الأخبار زيادة فى منزلة جدهم الذى كان يجادل أهل الكتاب وينتصر عليهم ويفسر لهم أخبار كتبهم وأمور دينهم ، ويروى لهم ما فى التوراة والإنجيل . وقد اقتضت مصلحة السياسة فى ذلك العهد وضع أحاديث كثيرة حتى على لسان الرسول فى الثناء على هذه الدولة وعلى أرض بغداد وفى التبشير بملامح بعض الخلفاء .

وقد تمكن من أسلم من أهل الكتاب من تكوين دعاية طويلة عريضة فصوّروا فى الكتب الإسلامية على أحسن صورة . صوروا على أنهم أعلم أهل زمانهم ، وأنهم أفقه أبناء دينهم فى التوراة ، وأنهم « الأحبار » حقاً ، وأنهم كانوا يعرفون أصل التوراة وما احتواه من أسرار . ولهذا السبب قالوا عن أحدهم وهو « كعب » أنه « كعب الأحبار » وأنه « ملجأ العلماء » (١) ، وأنه درّس عامر ابن عبد الله بن عبدالقيس الأنبارى الزاهد المعروف التوراة فى نصها الأول (٢) وأنهم كانوا على جانب كبير من الزهد والتقوى ، وأنهم فوق التهمة والكذب (٣) . ولكن جمهرة من المحققين ارتابت من هذا القول وشكت فى أكثره . والواقع أن أكثر ما روى عن هؤلاء من أخبار وأقوال يشير إلى أنهم لم يكونوا على نحو ما قيل

---

(١) ابن كثير ج ٨ ص ٣٠٥ ، الشعرانى طبقات ج ١ ص ٢ . Nöldeke qorans Bd 2 P 164

(٢) البخارى ، شهادات ٢٩ ، الاعتصام ٢٦ ، المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ترجمة على حسن عبد القادر ص ٦٦ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الطبرى ج ١ ص ١٧٧ (٥) المذاهب الإسلامية ص ٦٧ .

(٦) صحيح الترمذى ج ٢ ص ١٩٣ .

(٧) Nöldeke qoran Bd 2 s 165 .

---

(١) الزرقانى ج ٤ ص ١١٠ طبعة القاهرة سنة ١٢٧٠ . المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن ص ٦٦ .

(٢) ابن سعد طبقات القسم الأول ص ٧٩ س ٥ (طبعة سخاو) . المذاهب الإسلامية ص ٦٦ .

(٣) المذاهب الإسلامية ص ٦٦ ، أحياء ج ٣ ص ٣٤٥ .

مصرع البغي

للأستاذ محمد سعيد العريان



قال الشيخ لفتاه وهما يسلكان طريقهما في بعض أرباض الكوفة: مِلْ بنا يا بُنيَّ عن هذا الطريق؛ فليس يطيب لي يومي إذا وقعت عيناي على أنقاض تلك القلعة المهدمة؛ كأنما يجثم وراء كل حجر من أحجارها المتناثرة شيطانٌ يتربَّص بكل عابر سبيل ...

قال الفتى منكراً: وَيْ! كأنك تزعم يا أبتِ أن في بعض الجماد ما ينفع وما يضرّ! ..

قال الشيخ وقد أخذ طريقاً آخر إلى الوجه الذي يقصده، وقد أسند كفاً إلى كتف الفتى وكفاً إلى عصاه: إنما هو يا بنيَّ ما قلت، وإنه لا نافع ولا ضار إلا الله؛ وأعوذ به من كفر بعد إيمان؛ ولكن ذكريات تتراءى لي من هذه الخربة كلما نالتها عيناي فتتجسد لي في النوم واليقظة صوراً حمراء دامية؛ لقد عُمِّر أبوك طويلاً يا فتى ورأى ما لم تره؛ ولعلك أن تُعمَّر مثل عمري فتتحدث إلى بنيك بما رأيتَ وما سمعتَ من أنباء هذه القلعة المشئومة! ..

استشرفت نفس الفتى إلى جديد يقصه عليه أبوه من أنباء الماضي، وإن أباه لراوية أخبار ومحدِّث تهفو النفوس إلى حديثه ويرهف السمع؛ ولكن الشيخ مما أوهى الزمان منه لم تكن به قوة على حديث طويل وهو يمشي؛ فلما بلغ داره وتخفف من ثيابه جلس إلى وسادته ليستأنف حديثه إلى ولده عن تلك القلعة. قال:

لقد رأيتها يا بنيَّ منذ بضع وخمسين سنة، وكنت يومئذ فتى في مثل سنك، والمسلمون حديثو عهد بهذا المصر، وأميرهم فيه سعد بن أبي وقاص، فلما مصَّر البلد وشرع طرائقه ونظم ديوانه أمر أن تنشأ هذه القلعة واتخذها داراً للحكم؛ وقد كان سعد مستجاب الدعاء يا بني؛ وكأني به حين حفر أساسها قد دعا الله أن يجعلها عصمة للمسلمين من عدوهم؛ ولو أنه اطلع على الغيب لكانت دعوته إلى الله أن يجعلها عصمة للمسلمين من شر أنفسهم؛ إذن لارتدت عنها شهوات المبطلين وعصمتْ أهل هذا المصر من أن يسفك بعضهم دماء بعض كما عصمتْهم من عدوهم؛ فما طرق الكوفة عدوٌّ من أهل الشرك منذ مصَّرها سعد وأنشأ بها هذا الحصن أو يسفك بها كافرٌ دماً؛ ولكن اتخذوها مطمعة يسفك بها بعضهم دماء بعض ... قال الشيخ:

في هذه القلعة يا بنيَّ، شهدت رأس الحسين بعد أن قتله أهل البغي دون الفرات شهيداً مظلوماً وحالوا بينه وبين الماء، لا يشرب من ظمأ، ولا يجوزه إلى مأمن، ولم يكفهم ما فعلوا به وبأهله وولده، ففصلوا رأسه عن جسده وحملوه إلى عبيد الله بن زياد الدعي، فكأنما أراه الساعة والرأس الشريف بين يديه المخضبتين بالدم لا يكاد يكتم فرحته بموته؛ كأنْ قد ضمن به الخلود في الحياة حين ضمن به الخلود في إمارته!

ثم حمل الرأس إلى دمشق ليطيب يزيد بن معاوية نفساً بالنظر إليه ويطمئن بالا باستقرار الأمر له.

هل رأى قط واحد من أهل الكوفة أو من أهل هذه

عنهم من العلم، وأنهم لم يكونوا أصحاب علم بالتوراة، وأن ما أوردوه بثوب إسلامي لم يكن سوى أشباح ضعيفة لما ورد في بعض الأماكن من أسفار التوراة. وأنه كان في الواقع نوعاً من القصص الشعبي الإسرائيلي الذي كان شائعاً بين يهود اليمن والحجاز wolkslore ولهم بيهوديتهم هذه يختلفون كثيراً عن يهود فلسطين مثلاً أو العراق. وأنهم حاولوا إدخال «اليهوديات» في الإسلام وهو ما عرف فيما بعد باسم «الإسرائيليات» أو «القصص الاسرائيلية» (١)، والتي حذر منها المفسرون. وأن بعضهم تآمر على الخلفاء؛ بينما كان يتظاهر بخلاف ذلك.

جواد علي

(١) Fleischer-Festschrift Morgenlandi-sche forschungen Leipzig 1875 s 298 Lidzbarski De Propheticis legendis Arabicis Leipzig 1893 s 39.

القلعة رأس الحسين فى الطست بين يدى عبيد الله ثم غابت هذه الصورة عن خياله ؟ ... قال الشيخ :

ومضت يا بنىّ منذ ذلك اليوم سنوات ، ومضى يزيد إلى ربه بما حمل من أوزار الناس وأوزار نفسه ، وتعاقب على عرش بنى أمية فى الشام أمير بعد أمير ، وظن عبيد الله ابن مرجانة أن العيش قد طاب له ، وأحسبه قد نسى يوماً له بقلعة الكوفة وبين يديه رأس الحسين الشهيد ، ولكن الأقدار لا تغفل عن أهل البغى ؛ ولم ينس المؤمنون من شيعة بنى هاشم جنايةَ بنى أمية وبنى سُمية على عترة النبى المصطفى من خير خلقه ؛ فمضت الدعوة إلى الثأر لهم تنتقل من فم إلى فم وتتقاذفها الفلوات والأمصار حتى نهض لها المختار بن أبى عبيد يهتف فى شيعة الحق : يالثارات الحسين !

واجتمعت له الجموع وتكتبت الكتائب ودانت لدعوته البلدان ؛ وخرج ابن زياد ليلقاه ، أو ليلقى حينه ؛ فالتقى بجيش المختار فى أرض الموصل على شاطئ نهر خازر ؛ ونالته ضربة سيف بار فقدَّته نصفين ، فيداه فى المشرق ورأسه فى المغرب ، وكما حمل رأس الحسين من حيث قُتل على الفرات إلى قلعة الكوفة — حُمل رأس عبيد الله من حيث هلك على شاطئ نهر خازر إلى قلعة الكوفة كذلك ...

وفى هذه القلعة يا بنى ، شهدت للمرة الثانية رأساً فى طست بين يدى أمير القلعة ؛ وكأنى يومئذ بالمختار بن أبى عبيد إلى رأس ابن مرجانة بين يديه وهو فى مجلسه ذاك من تلك القلعة وعلى شفتيه مثل تلك الابتسامة ! ...

ولعل كثيرين غيرى قد رأوا ما رأيت يومئذ وفى ذلك اليوم الآخر ، فانطبعت فى أنفسهم صورة الرأسين ومنظر الأميرين ؛ فنهم من نسى صورة بصورة ومنظراً بمنظر ؛ ولكننى لم أنس ! قال الشيخ :

ومضت يا بنىّ سنوات أخر ، وتقلبت الأحوال بالناس ما تقلبت ، وجدَّت أمور بعد أمور ؛ ولكن رجلا من أصحاب الأمر لم ينس أن له ثأراً عند المختار بن أبى عبيد ؛ ذلك مصعب ابن الزبير يا بنىّ ، أمير تلك الجهات من قِبل أخيه عبد الله المتأمِّر بمكة ؛ فقد كان يرى المختار دعياً فى شيعة علىّ ، يتلصق بهم ليطلب لنفسه ملكا وإمارة ؛ وقد سبقت له بيعة لعبد الله ابن الزبير فى مكة على أمل يأمله ، فلما خاب أمله ذاك زعم أنه شيعة على والثأر لولده ، ليصل بذلك إلى مناوأة الأمويين والزبيريين جميعاً ؛ فنهد مصعب لحربه بالجيش اللجب ، تشايعه قبائل وبطون وجماعة من أهل الرأى وطائفة من أولى البأس فى الحرب ؛ والتقى الجيشان فى معارك ، ودارت الدائرة على المختار فلجأ إلى دار الإمارة بالكوفة معتصما فى طائفة قليلة من أصحابه لا قوة لهم على المقاومة ؛ وحصرهم جيش الزبيريين حتى لم يجدوا بداً من البروز لحربهم أو النجاة بأنفسهم ؛ ونالت المختار ضربة كانت فيها نفسه ، فاحتز رأسه وحمل إلى الأمير مصعب بن الزبير فى قلعة الكوفة .

وكما شهدتُ من قبلُ رأس الحسين ورأس ابن مرجانة بين يدى أمير القلعة ، شهدت رأس المختار ...

وكأنما هجس بنفسى وقتئذ هاجسٌ وأنا أنظر إلى مصعب بن الزبير وبين يديه رأس المختار وتمثلتْ لى صورة غير التى تراها عيناى فى تلك الساعة ؛ فكأن الذى فى الطست ليس هو رأس المختار بن عبيد ، ولا رأس ابن مرجانة ، ولا رأس الحسين ؛ ولكنه رأس مصعب نفسه ؛ وكأن الأمير الجالس على الكرسى رجلٌ آخر غيره ، ولكنه رجل لا أعرفه ، لأن عينى لم تقع عليه قطّ .

هذا منظر تكرر على عينىّ ثلاث مرات ، فى صورة واحدة ، ومكان واحد ، ولأسباب تكاد تتشابه ؛ فكأنما رأيت منظراً رابعاً لم يره أحدٌ بعد ، وكأن هاتفاً من وراء الغيب يهتف بصوت أكاد أحكى نبره : لكلّ باغٍ يوم ! ...

واستقرت هذه الصور الأربع فى واعيتى لا أكاد أغفل عنها طرفة عين ؛ أما ثلاثٌ منها فرأيتها رأى العين ووعيتُها وعى اليقظة ؛ وأما الرابعة فكانت وهما تجسد حتى قارب أن يكون حقيقة مما يُدرك بالحس ! قال الشيخ :

لست أدرى يا بُنىّ أكانت هذه الصور الأربع فى واعيتى أنا وحدى أم كان غيرى يعيها ؛ ولكن الذى أرويه يقيناً هو أن رجلا واحداً من الذين شاركوا فى هذه الحوادث الدامية لم تخطر على باله قطُّ الصورةُ الرابعة ؛ ذلك هو مصعب بن الزبير نفسه !

وتوالت الأعوام يابنى وهذه الصور تتراءى لى فى يقظتى وفى منامى ، حتى حرَّمتُ على نفسى أن أجوز ذلك الطريق حتى لا تقع عينى على تلك القلعة المشئومة فتجدُّ لى ذكريات وتبعث تلك الصورُ البغيضة إلى نفسى ...

وكان عبد الملك بن مروان على عرش بنى أمية فى الشام ، وقد تفانى أعداؤه ومناوئوه طائفة بعد طائفة وأهلك بعضهم بعضاً فلم يبق ثمة من يخشى خطره غير ابن الزبير ؛ فهيأ جيشاً سيره نحو العراق لحرب مصعب ؛ وانضم إليه فلول من أصحاب المختار ابن عبيد ، لا يحملهم على الحرب معه إلا الرغبة فى الثأر من قاتل صاحبهم ...

والتقى جيش الزبيرين وجيش بنى أمية فى مسكن ، على نهر الدجيل ، عند دير الجاثليق ؛ ونشبت المعركة ، فشد على مصعب رجل من أصحاب المختار وهو يقول : يالثارات المختار ! وطعنه فأبلغه أجله ...

واحتزّ رأس مصعب وحمل إلى عبد الملك بن مروان فى قلمة الكوفة ...

وشهدت الصورة الرابعة عِياناً ، وكنت أراها رأى المتوهم منذ بضع سنين . ورأيتُ عبد الملك بن مروان جالساً على كرسيه وبين يديه الرأس فى الطست ...

وكان بين مصعب وعبد الملك مودة حين كانا فى المدينة قبل أن ينزغ بينهما الشيطان . . . وأحسبنى رأيت دمعة فى عين عبد الملك وهو يقول محزوناً وينظر إلى رأس مصعب : « متى تغذو قريش مثلك ! ؟ »

وغامت على عينىّ غاشمة ، فقلت ولا أكاد أعى ما تلفظه شفتاى: « إنى رأيت بهـذه القلمة رأس الحسين أمام عبيد الله بن زياد ، ورأس ابن زياد أمام المختار ، ورأس المختار أمام مصعب ، ورأس مصعب أمام أمير المؤمنين ! .. »

وبلغت كلماتى أذنَ الأمير ، فكأنما تطيرّ مما سمع ، فأمر بنقض بنيان القلمة ؛ فهى من يومئذ أنقاض يابنىّ ! .

قال الفتى :

فما يفزعك منها يا أبتِ وقد صارت إلى ما ترى ؟ .

– قال الشيخ .

— لست أدرى يا بنىّ ؛ ولـكنى أتوقع كلما وقعت عيناى على أنقاضها أن أحداثاً ستحدث فى هذا المكان ، وتزدحم علىّ ذكريات الماضى وصوره الحمراء الدامية ...

ثم صمت الشيخ وأطرق ، وسرحت خواطر الفتى إلى واد بعيد .

* * *

وتعاقبت السنون ، ومات الشيخ ، وأيفع الفتى ثم اكتهل وبرقت فى فوديه شعراتٌ بيض ؛ ونسى كل ما كان من حديث أبيه ؛ ونسى أهل الـكوفة ما مرّ بهم من أحداث وما وقع فى القلمة من حوادث ؛ ولـكن أنقاض القلمة ظلت مركومة حيث كانت ...

(ومر الفتى ذات يوم بالمـكان فتذكر ، ووقع فى وهمـه أن شيئاً ما سيحدث ...

(ومضت أيام ، وحدث شىء ...

من وراء أنقاض القلمة المهدمة بالـكوفة بدأت طلائع الزحف العباسى إلى دمشق ، لتحطيم عرش بنى مروان ! !

وتنفس الفتى نفساً عميقاً حين بلغه النبأ ، وقال فى ثقة واطمئنان : آمنتُ بأن لـكل باغ مصرعاً . . !

محمد سعيد العريان

منْ خطايا التائهينْ

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



من هؤلاء ؟ دوَّخوا الترابا
وأشبعوا وجهَ الثرى عذابا
في كلٍّ يومٍ يطرُقون بابا
ويفجأون الزمن المنابا
فيمسخون الخُلد والشَّبابا
ويُشكلون سِحرَه الوثابا
سيَّان إن هُمْ نادموا الأترابا
أو عاشرُوا الوُحوش والذِّئابا
سيَّان يلقون المنى قبابا
أو يرضعون حظها يبابا . . .
صار الوجودُ حولهم سرابا
وسحرُه أضحى لهم عذابا
ونارُهُ صُبَّت لهم شرابا
فأينما حلُّوا رأوا خرابا
وصادفوا الهُموم والأوصابا
والقِمَّةَ الهوجاء والضَّبابا
ونِقمةً لا تعرفُ المتابا
ولا تذوقُ الندم الصَّخابا . . .
وأينما طافُوا رأوا حِجابا
وظُلمةً لا ترفعُ النِّقابا
سدَّت عليهم سدلها المُرتابا
وضيَّعت في قلبها المآبا . .
سُبحان من فرَّقهم شعابا
وهشهم في مُلكِه ذُبابا
وقدَّر التيهُ لهم عقابا

ويلي عليهم عبدُوا الترابا
وألَّهُوا من الحصى أربابا
وقدَّسوا من زيفه كتابا
وبعثروا صلاتهم أسرابا
في كلِّ أرضٍ تنشد المحرابا
وترصُدُ الدينار أين غابا
ولو طوت لمعته الشهابا
ودفنت في برقها السَّحابا
العرضُ من أجسادهم تحابى
وقبَّل الأبواب والأعتابا
وشقَّ عن مزارِه الأثوابا
ومسَّه تيهُ الهوى فذابا

مدَّت فلسطينُ لهم رحابا
وأفسحت لضيْفهم جنابا
فأترعوا السمَّ لها والصَّابا
وحيَّرُوا في أمرها الألبابا
أمضت إليهم سيْفها النلاَّبا
فساقهم في نارها أحطابا
فليجعلوا التيه لهم ركابا
ويتركون الله والأعرابا

نملتان في الفلفل

للدكتور زكي نجيب محمود



جلس الشيخ في دكانه محزوناً ؛ اعتمد رأسه على راحتيه وجعل يفكر : ماذا أنا صانع يا رباه في جحافل النمل التي تهجم على سكري في ظلمة الليل ؟ إنها لتأكلني أكلا إذ هي تأكل قوت عيالي ، وإني لعائل أسرة أكاد أنوء بحملها الثقيل ؛ لو كانت النمال مما يرعى مبادىء الأخلاق ، لناشدتها الضمائر ألا تسطو على ملك غيرها ، فحرام عليها أن تستريح بياض النهار في أعشاشها ، حتى إذا ما سترها الليل بعتمته ، ملأت بطونها مما كدّ غيرها في جمعه وكدح ، حتى تندّى منه بالعرق الجبين . لكن — وا أسفاه — ليس للنمل أخلاق يُراعيها .

وتحير الشيخ في أمر هذا النمل ، كيف يعرف موضع السكر وأنه لخبيء في علبة محكمة الغطاء ؛ وإن الشيخ ليغير مكان العلبة كل مساء ، فيضعها على الرف مرة ، وتحت النضد مرة ، ويكسوها باللفائف تارة ، ويعلقها في الهواء طوراً … لكن النمل يعرف ! !

ولمت فكرة في رأس الشيخ كاد يثب لها في مقعده : أما والله إني لأحمق مأفون ، أضع إصبعي في الفخ حتى إذا ما ضغط الفخ على إصبعي ، صرخت من ألم ! ألم أكتب على الصناديق بيدي هذه بطاقات ، تعلن عما في بطونها فلمن كتبتَ — يا أحمق — هذه البطاقات ، إن لم تكن للنمل يقرؤها في الليل ، وإنه لذو بصر حديد ، فيعرف موضع السكر من الدكان في حندس الليل ! لأنزعن من فوري هذه البطاقات عن أماكنها ، وكفاني من بلاهتي ما لقيت كفاني … ونهض الرجل في حماسة لينزع …

لكن لا ! لقد لمعت عيناه بفكرة أخرى ، فكرة افترت لها شفتاه بابتسامة عريضة ، ثم انفجرت بقهقهة عالية … أأنا الرجل الذي يغلبه النمل على أمره ، وإن عُد النمل بالألوف لا بآحاد وأفراد ؟ أأنا الرجل الذي يغلبه النمل على أمره ثم لا ينتقم ؟ فيم إذن كان مقامي في حلقات العلم أعواماً إن قصرت بي عن ختام العلم فقد دنت منه ؟! ويحك ِ الليلة مني يا نمال ! .

ونزع الرجل في زهو الظافر بطاقة السكر ووضعها على علبة الفلفل وكتب الفلفل على علبة السكر .

— سيأتي النمل الليلة أسراباً كعهده ، وسيقرأ العنوان فيظنه دالاً على مضمون الكتاب ، وسيدخل علبة الفلفل وفي وهمه أنه سيجد حلاوة كل يوم ، وما كل ما يتمنى المرء (يا نمل) يدركه ، تأتي الرياح (يا نمل) بما لا تشتهي السفن …

وأوشكت الخطة أن يصيبها الفشل ، إذ جاء النمل ولم يقرأ ، بل شم وانصرف ، إلا نملتين حفظتا القراءة في مدرسة من مدارس الإلزام ، فقرأتا وضحكتا من جهل الأخوات ، وتسللتا إلى السكر الموهوم ، فإذا داخل العلبة ديجور لم تعهداه فيما سلف من الليالي . وبينما هما تسعيان وراء الرزق ، صدمت نملة منهما نملة في بعض الطريق :

— ما لك الليلة ماذا دهاك ؟

— عتمة لم أعهدها ها هنا يا أختاه .

— لست أرى في الأمر اختلافاً عن المألوف .

— بل ألفتُ أن يتسرب من سماء هذا المكان شعاع ضئيل من الضوء يعكس شيئاً من بياض ، وإذا الأمر كله الليلة في عيني سواد في سواد ؛ ثم ألفت أن أسير على منبسط فسيح ، فإذا بي الليلة أدور مع موطىء القدم حيث يدور ، ثم … لست أدري يا أختاه ماذا دهاني ، لعله مرض في جوفي تغيرت معه طبيعة دنياي ثم ألِفت على اللسان حلاوة فإذا بالشيء يلسع الليلة لساني لسعاً أليماً ، حتى ليكاد اللسان من حدة اللسع يحترق .

— لك الله يا مسكينة ، ألا إن الأرض هي الأرض والسماء هي السماء ، والمأكل كعهدنا طيب به حلو المذاق ، غيري من جوفك تتغير الدنيا في عينيك .

— أواثقة أنت أننا فى علبة السكر .

— قرأت العنوان بعينى ، وأذوق الطعم الآن بلسانى ، وليس إلى الشك عندى من سبيل . وفيم الريبة والسؤال ؟ دونك المكتوب فاقرئيه ، وليست الرحلة إليه بشاقة ولا عسيرة

— سأفعل ، لا ارتياباً فى صدق ما تقولين ، ولكن ليطمئن قلبى .

وخرجت النملة إلى ظاهر العلبة ثم عادت والتقت بأختها بعد تعثر فى الطريق وبحث فى الثنايا هنا وهناك .

— صدقت ، إنه السكر لا شك فيه .

— لا « يا أختاه » بل كل الشك فيه .

— وى ! ماذا تقولين ؟ ماذا تظنين ؟

— كأنه « يا أختاه » حبُّ فلفل ، إنى لأحس الآن ما تُحسين ؛ فسوادٌ شديد حالك يسد علىَّ مسالك الطريق ، وانبعاج فى الأرض لا يكاد يمكننى من السير ، ثم طعم لاذع يذيب اللسان ويمزق الأحشاء .

— لكنه السكر ، والبدال لا يخطىء الترقيم .

— نعم ، لابد أن يكون سكراً ، لأن البدال لا يخطىء الترقيم ؛ فصبراً جميلا ، حتى نملأ جوفينا مما رزقنا الله وإنه لحلو مستساغ ، وإن كره البصر واللسان والأحشاء جميعاً !

وأصبح الصباح وعاد النمل إلى عشه ، لا لتستريح النملتان هذه المرة من عناء الليل ، بل لتتلويا من عذاب أليم كلما مغصت فى جوفيهما الأمعاء ، والتقت المسكينتان فى منبطح من العش :

— ليتنا ما أكلنا السكر .

— السكر ؟ !

— وماذا عساه فى ظنك أن يكون ؟

— اسمعي يا أختاه ، لقد ذهبت مع ظلمة الليل غفلتى ، وعادت إلىَّ مع ضوء النهار حكمتى ، إن هؤلاء الناس لأصحاب خدعة فما فتئوا الدهر يخدعون ويُخدعون ، وإنى لأعلم من أمرهم ما لا تعلمين ، بل لعلى أعلم منه ما ليس يعلمون .

— ماذا تريدين ؟

— سأوضح لك الليلة ما أريد .

وجاء المساء وخرجت النملتان ، نملة تهدى وأخرى تهتدى

تعالىْ معى فادخلى خزانة الكتب ، امسكى هذا الكتاب ما عنوانه ؟

— فى الفلسفة الإسلامية .

— ومن كاتبه ؟

— شيخ جليل فى طليعة الشيوخ .

— دونك فاقرئيه ، ماذا ترين فيه ؟

— لست والله أطالع فيه إلا فقهاً وما إلى الفقه .

— نعم ، وسماه فلسفة ليدخل المريدون خلال العنوان إلى فلسفة ، فإذا بهم فى فقه يتقلبون ، كما دخلنا ليلة أمس على بطاقة من سكر ، فإذا الفلفل يملأ منا الأمعاء والبطون ... وهذا الكتاب الآخر ، ما عنوانه ؟

— خواطر أديب .

— ومن كاتبه ؟

— علَمٌ من أعلام القلم .

— دونك فاقرئيه ، ماذا ترين فيه ؟

— لست والله أرى فيه إلا خليطاً من معرفة لا هى إلى العلم فى دقته ولا إلى الأدب فى جماله وصورته .

— نعم ، وجعله الكاتب أدباً ليتسرب إليه الراغبون فى أدب ، فإذا هم فى مرج آخر يمرحون ... اخرجى من بطون الكتب وهيا بنا إلى الحياة العريضة فى المنازل والشوارع ، انظرى هناك ، ماذا تبصرين ؟

— كومة من قمامة ... لا بل هو آدمى يتحرك .

— هذه القمامة البشرية يسمونها مدنية شرقية .

— كلا ، لا تمزحى ، بل ...

— وانظرى هناك ، ماذا تبصرين ؟

— شرطى يضرب إنساناً فى عرض الطريق .

— وهذا الطغيان السارى يسمونه مدنية شرقية .

— كلا لا تمزحى ، بل ...

— وانظرى هناك ، ماذا تبصرين ؟

— كأنى به مريض محموم أحاط به ذووه .

— وهذه الجهالة يسمونها مدنية شرقية .

— كلا لا تمزحى ، بل ...

— وادخلى هذه الدار فانظرى ، ثم ادخلى جماجم الرءوس وانظرى ، وسترين شيئاً عجباً يسمونه مدنية شرقية .

— كلا ، لا تمزحى ، بل المدنية الشرقية شىء غير هذا كله سمعتهم هكذا يقولون .

— وأنا سمعت آخرين يقولون إن المدنية لا تكون شرقية ولا غربية ، إنما هى علم يعلمه الإنسان أنَّى كان ، وفن يخلقه الإنسان أنى كان ، فحيثما وجدت الجهالة والمرض ، وجدت ماذا ؟

— لكنهم يقولون ...

— ويحك من نملة حمقاء ، أفتنصتين بعدُ لما يقولون ؟ إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، ألا يكفيك ليلة واحدة تقضينها فى علبة الفلفل ؟

زكي نجيب محمود

وامعتصماه!

للأستاذ عمر الدسوقي



عربيـــة كريمة ، تنمى إلى أمة لم تألف الـذل مرة ، ولكن رحب البيد أحكم عزها فما شئت من قلب أبى ، ومنطق سليم ، وعقل أنضجته التجارب ، ونفس ترى الدنيا لديها رخيصة ، إذا كان فى الدنيا هوان يشينها : إلى كل شهم أريحى تزينه ، خلال كروض الزهر طاب عبيرها :

إذا سيم ضيما كان للضيم منكراً　　وكان لدى الهيجاء يخشى ويرهب
وإن صوت الداعى إلى الخير مرة　　أجاب لما يدعو له حين يُكرب

أبى على هذه العربية جَدُّها النَّكِد إلا أن ترسف فى ذل الأسر غِبَّ حرب من تلك الحروب الطويلة التى ظل أوارها مشتعلا حقباً مديدة بين العرب ، الذين حمّلهم الله رسالة الإسلام ، لينقذوا بها البشرية الكليمة ، وبين الروم الذين أدال الله منهم ووضع أنوفهم فى الرغام ، وإن لم ينسوا عزهم الغابر ، فظلوا يغيرون على أطراف الدولة العربية الشاسعة كلما هبت عليهم نسمة من قوة ، أو غرتهم من المسلمين غفلة عارضة .

وفى ذات يوم لطمها سيدها الرومى على وجهها الحر الكريم فوخزها ألم الذل وخزة صاحت على إثرها تستنجد الخليفة العربى العظيم : وامعتصماه ! وامعتصماه ! فضحك العلج ملء شدقيه ونظر إليها نظرة الشامت الجبان ، وقال : وماذا عساه يفعل المعتصم ؟ أيجىء على أبلق وينصرك ؟ ! إنك ذليلة كسيرة ، وقد كتبت عليك الشِّقوة ، وهيهات أن يستجيب لندائك الوقح هذا الذى تنادين ! ثم أشبعها ضرباً ولطماً ، وهى تنادى وامعتصماه ! وامعتصماه !

جاء رجل إلى المعتصم ، وبلغه نبأ هذه العربية الكريمة ، فانتفضت نفس الخليفة الجليل انتفاضة الألم ، وسأل الرجل : وأين هذه المرأة ؟ فأجاب : إنها فى عمورية يا أمير المؤمنين ، فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فأشار الرجل إلى جهتها ، فنادى المعتصم بأعلى صوته : لبيك يا ابنة الكرام ! لبيك ! ثم لبيك ! هذا المعتصم بالله أجابك !

وتجهز المعتصم من فوره إليها فى اثنى عشر ألف فرس أبلق تطوى سنابكها الأرض طياً لتغيث الملهوف وتستجيب للنداء الأبى

وكانت عمورية مدينة عاتية ، قد أحكم تحصينها ، وبها من جنود العدو تسعون ألفاً أو يزيدون ، فحاصرهم المعتصم ، وطال حصاره لها ، وأخبره المنجمون أنها لن تفتح إلا فى الصيف حين ينضج التين والعنب ، وكان قدومه إليها فى زمهرير الشتاء ، والأرض مسجاة فى كفن أبيض من الثلج ، وقد صوّح ما عليها من شجر ، وقل الماء والثمر ، وأجهد الجيش ، كما أجهد العدو العنيد . بيد أن المعتصم أبى أن يستمع لصوت المنجمين المثبطين الذين أنذروه شراً مستطيرا إن هو استجاب لرغبة فؤاده واقتحم أسوارها :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمـــة
إذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب

وشد على المدينة شدة بطل مغوار فدك أسوارها ، وأشعل النار فيها ، فذلت له وما ذلت قبل لأحد :

من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد　　شابت نواصى الليالى وهى لم تشب
بِكرٌ فما افترعتها كف حادثة　　ولا ترقت إليها همة النُّوَبِ

ودعا المعتصم بالرجل الذى بلغه حديث الجارية العربية المستغيثة فدله على الموضع الذى رآها فيه تذل وتهان ، وبحث عنها حتى وجدها ، وقال لها : هل أجابك المعتصم ؟! وصار سيدها الرومى

لها عبداً ذليلا وأفعم قلبها عزة وأنفة . ورحم الله أبا تمام حين مدح المعتصم إثر هذا الفتح المبين بقوله مستهزئاً بآراء المنجمين :

السيف أصـــدق أنباء من الـكتب
في حده الحـــد بين الجد واللعب
بيض الصـــفائح لا سود الصحائف في
متونهن جـــلاء الشـــك والريب
أبقت بني الأصـــفر المراض كاسمهم
صـــفر الوجوه وجَلَّت أوجه العرب
تسعون ألفاً كآســـاد الشرى نضجت
جلودهم قبـــل نضج التـين والعنب

واليوم ، وعلى مرأى منا ومسمع تنادى بلدة عربية كريمة ، وهي فلسطين الجريحة : وامعتصماه ! وامعتصماه ! . وقد أبى لها الجد العاثر إلا أن ترزأ بشرذمة من صعاليك الأمم ، وأفاق الأرض الذين لفظتهم ديارهم ، ومجتهم مواطنوهم . يريدون أن يسلبوها عروبتها ويهدروا كرامتها ، وقد مالأهم من لا أخلاق لهم من تلك الدول التي باعت ضمائرها للشيطان ، وخنعت لصوت الذهب الرنان ، وصفعت الإنسانية المهيضة على وجهها دون حياء ، أو شعور بعظم الجريمة ، وتنكرت لـكل تعاليم الحضارة الحقة ، فلا شرف ، ولا ذمة ، ولا مروءة ، ولا عدالة . بل اتخذت شرعة الغاب ، وقانون الـكهوف لها إماماً ، فتباً لهم وخزياً ... !

أحقاً إننا أمة هازلة لا تدرك الخطر الداهم ، ولا تقدر الخطب الجاثم ، ولم تخبر العدو الظالم ؟ هل ستمثل مأساة الأندلس على مسرح التاريخ ثانية ، فيلقى بعرب فلسطين في البحر ، كما ألقى عرب غرناطة من قبل . ويومئذ نجهش بالعويل والبكاء ، وننتحب كما تنتحب النساء : نقلب الأكف أسفاً وندماً ، ونعض الشفاه حسرة وألماً ، فيقال لنا كما قيل لأولئك : مُلك لم تحافظوا عليه محافظة الرجال فابكوا عليه اليوم بكاء النساء . ألا تعساً لأمة هازلة وسحقاً ! .

إن الأمر جد ، فنصرة فلسطين لا تدعو إليها لحمة القرابة والنسب ، ولا صلات التاريخ والأدب ، ولا حرمة الجوار ونخوة العرب فحسب ، ولـكن تحتنا إليها فضلا عن كل ذلك — وما ذلك بالقليل — زعامة مدعاة ، ومصلحة مرجاة . فمصر اليوم تنعص بالرجال والأموال ، وتتبوأ في قلوب أبناء العروبة لمكانتها العلمية ، ونضجها الفكري أسمى منزلة . ثم إن دولة يهودية في فلسطين مؤيدة بأموال اليهود في العالم ، وبخبرتهم العلمية وثقافتهم الواسـعة لهي الوباء الذي يقضي على كل ماتفكر فيه مصر من مشروعات وإصلاحات ، وما ترجوه من تجارة عريضة دولية ، وصناعة ضخمة تغنيها عن سواها ، وأساطيل مدنية تجوب البحار وتجلب الخيرات ، وموانى تحتل مركز الصدارة على سيف البحر ، وغنى يكفل لبنيها الذين أرهقوا طوال حقب التاريخ نوعاً مقبولا من معيشة الأناسي ذوي الحضارة . كل هذا مهدد بكارثة على يد الصهيونية ودولتهم المنتظرة لا قدر الله !

ثم إن هؤلاء الأفاقين — وهم قلة وسط البلاد العربية — سيطلبون العون حتما من حلفائهم الذين ناصروهم وستظل فلسطين على أيديهم مباءة للمستعمرين الغاصبين ، يهددون الحريات ، ويمتصون دماء الأبرياء ، ويوقعون بين الأخوة من العرب العداوة والبغضاء

فدفاع مصر عن فلسطين دفاع عن أخ شقيق ، ودفاع عن مصلحة مشتركة ، ودفاع عن كسرة الخبز ، وموارد الحياة ، وأسباب العزة والحياة ، ودفاع عن الحرية والسلطان ، وعن كريم يهان ، وعزيز يذل ، ومال يسلب ، وعرض ينتهب ، وتراث يغتصب

لتجد مصر بالمال غنيها وفقيرها ، صغيرها وكبيرها ، شبابها وكهولها ، رجالها ونساؤها ، فالمعركة فاصلة ، وقد عجم الغرب الغشوم عيداننا فإما وجدها صلبة قوية فارتد خاسئاً وهو حسير ، وإما وجدها لينة رخوة تحرص على المال ولا تحرص على الحرمة ، ولا الـكرامة ، ولا المستقبل ، فتمادى في شرته وأفصح عن جبروته وسطوته ، وفي ذلك ذل الأبد لا قدر الله ! .

لتجد مصر برجالها وشبابها ، وفي ميدان فلسطين فرصة ذهبية لتدريب ذلك الشباب الذي قلمت أظفاره سني البغي والعسف والجهل ، فتخنث ونسي مجتده الـكريم وتاريخه العظيم ، وتطرّى وأمعن في الهزء والحياة العابثة . إن هذا الشباب لو أحكمت مِرَّته ميادين القتال ، وحياة الخشونة ، ومصارعة الأعداء ، لعاد بعد هذا الجهاد إلى مصر وحسب له أعداؤها ألف حساب .

إن فلسطين اليوم تنادي : ! وامعتصماه ! وامعتصماه !

فليـكن كل مصري ، بل كل عربي — أين كان محله — معتصمها الذي تناديه ، وفارسها الذي ترتجيه .

يتلقى النـدى بوجه حيي وصـدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تـكون المعالي طرق الجـد غير طُرق المزاح

عمر الدسوقي

الجزار الشاعر

للأستاذ العباس خضر



نشأ بين الساطور والوضم ، يصيب المحز ويطبق المفصل فى اللحم وفى الشعر وكان ذلك فى مدينة الفسطاط ، وفى القرن السابع الهجرى ، فى فترة من الزمان انتقل فيها حكم الديار المصرية من الأيوبيين إلى المماليك ، وعاش شاعرنا الجزار (أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم) مخضرماً بين الدولتين ، آناً يطوف بالمدائح على الملوك والأمراء وحيناً ينطوى على نفسه لما يلقاه من إخفاق فيما يؤمل من هذا الطواف ، ولما يبلوه من أخلاق الناس ، ملتجئاً إلى حرفته راضياً عنها ، فهو أبداً بين كلاب : كلاب آدميين يقصدهم بمدحه لينال رفدهم ، وكلاب حقيقية من آل قطمير (1) تحوم حوله متطلعة إلى ما يلقى إليها من العظام ، وهو يؤثر حاله مع الثانية كما ترى فى قوله :

لا تعبنى بصنعة القصاب   فهى أذكى من عنبر الآداب
كان فضلى على الكلاب فمذ صر   ت أديباً رجوتُ فضل الكلاب

كان أبوه وقومه قصابين بالفسطاط ، ونشأ بينهم محترفاً حرفتهم ، وقد دفعه شغفه بالأدب إلى التعلق به ، وأول ما عرف منه فى ذلك ، وهو صغير ، أنه نظم أبياتاً قلائل ، فأخذه أبوه وتوجه به إلى شاعر مشهور فى ذلك العصر ، هو ابن أبى الإصبع وقال له : يا سيدى ، هذا الولد قد نظم شعراً واشتهى أن يعرضه عليك . فقال : قل . فلما أنشده قال له : أحسنت ، والله إنك عوام مليح . فراح الوالد مسروراً بابنه الذى يوشك أن يغشى بشعره مجالس الملوك والكبراء . وأراد أن يعبر عن شكره لابن أبى الإصبع ، فصنع طعاماً وحمله إليه . ولكن ابن أبى الإصبع كان قد طابت له « التورية » التى كانت جُلَّ همِّ أدباء ذلك الزمان ، فقال له : لأى شىء فعلت ؟ فقال : لثنائك على ولدى . فقال : أنا ما أثنيت عليه . فقال : ألم تقل إنك عوام مليح ؟ فقال : ما أردت بذلك إلا أنه خرج من بحر إلى بحر !

ولكن الصبى الجزار دأب على قرض الشعر ، يضرب فى بحوره ويغوص على غرائب المعانى ، ويكسوها أصداف الألفاظ ، حتى استبان طريقه وتوضحت له الجادة .

كان يتطلع إلى حياة أخرى يتمتع فيها بلذات العيش غير حياة الجزارة التى يشقى فيها على غير طائل ، كما يقول :

أعمل فى اللحم للعشاء ولا   أنال منه العشا فما ذنبى
خلا فؤادى وفى فمى وسخ   كأننى فى جزارتى كلبى !

وكما يقول :

أصبحتُ لحاماً وفى البيت لا   أعرفُ ما رائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى   عن التذاذ الطعم بالشحم
جهلته فقراً فكنت الذى   أضلهُ اللهُ على علم !

لم يكن أمامه إلا أن يرتاد سوق المدائح ، فانتجع القصور ، وأنشد ساكنيها ، ولم يغفل — مع مدحهم — وصف حاله وما يعانيه من الحرمان ، قال فى آخر قصيدة مدح بها الملك الناصر ، وأنشده إياها فى يوم النحر :

كيف يبقى الجزار فى يوم عيد النـ   ـحر دهر الإفلاس والعيد عيده
يتمنى لحم الأضاحى وعند النا   س منه طريهُ وقديده
ولقد آن من لقائك أن تبـ   ـيض أيامه ويخضر عوده

واتصل أيضاً بالملك الكامل والملك العادل ومدحهما كما مدح غيرهما من الحكام والأعيان . وأكثر من التنقل بين أقاليم القطر من الاسكندرية إلى أقصى الصعيد ، يقصد الممدوحين ، ويصف النيل وأسفاره فيه وما يلاقى بها من العناء ، ويقدم ذلك فى مطالع القصائد بين أيدى المدائح ، قال من قصيدة فى مدح ناظر الاسكندرية يصف رحلته فى النيل :

لا تسلنى عما لقيت من البيـ   ـن فحال الغريب حال ذميم
كنت فى كبكة تطير بقلم   وهى طوراً على المنايا تحوم
أنظر الموج حولها فأخال الـ   ـجيم تاء لخيفتى وهى جيم
لم أجد لى فيها صديقاً حميماً   غير أنى بالماء فيها حميم

(1) قطمير : اسم كلب أهل الكهف .

شنقوا قلمها مراراً على الريـ ـــح ولا شــكّ أنه مظلوم
وإذا ما دنت إلى البر أمسى عندنا منه مقـــعدٌ ومقيم
يسجدُ الجرف كلما ركع المو ج فـدأبى هنالك التســليم
وقبيحٌ عليّ أن أشتكى براً وبحراً وأنت برٌّ رحيم

ويقول فيه صاحب كتاب (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) إنه كان «بديع النظم، عذب التراكيب، غواصاً على المعانى، فصيح الألفاظ، حلو النادرة، وكان صاحب مجون ولطافة».

وقد رأيت حقاً أنه يمتاز بالغوص على المعانى، من شعراء عصره المتهالكين على التصنيع فى الألفاظ، ومكانه بينهم يشبه مكان ابن الرومى بين شعراء عصره، مع ملاحظة الفارق الكبير بين الشاعرين وبين العصريين.

ولكنا نريد أن نتصفح أبا الحسين الجزار من وجه آخر وهو طبيعة شاعريته، ومدى صدقه الفنى فيما قاله من الشعر. وأرانى مضطراً هنا فى هذا المقام المحدود الذى يجمل فيه القصد إلى الأهم، إلى أن أضرب صفحاً عن القصائد الطويلة الكثيرة التى أنشأها فى المدح بدافع الرغبة الملحة فى رفع مستوى عيشه وهى لا تختلف كثيراً عن أمثالها مما تحشـد فيها صفات المدح حشداً للممدوحين؛ وهذه القصائد وإن كانت كذلك إلا أننا لا نعدم فيها أبياتاً هنا وهناك تظهر فيها ظلال الشـاعر وأثر شخصيته، وهى التى يصف فيها حاله وسوء عيشه.

وإذا أردنا أن ننتقل إلى الميدان الذى كان يركض فيه مجلياً فاننا نضم تلك الأبيات إلى شعر كثير آخر قاله فى التعبير عن مشاعره وتصوير ما يحيط به، ولست أدرى أكان من حسن الحظ أم من سوئه أن السوق التى راجت فيها مدائحه لم تدم، إذ انتهى العصر الأيوبى فى أواسط عمره، ولم يعد باقى من حكام المماليك ما كان يظفر به من صلات الملوك الأيوبيين التى لم يبق تبذيره على شىء منها ولما عانى من كساد مدحه وجفاف أيدى الممدوحين ما عانى جعل يندب حظه الذى ضاع بين الشـعراء والجزارة فيقول:

واللحم يقبح أن أعو د لبيـعه والشـــعر بائر
يا ليتنى لا كنت جزّا راً ولا أصبحت شاعر

ولكنه حزم أمره ورجع إلى الجزارة، وجلس بدكانه للكلاب، كما كان يجلس الممدوحون له ولأمثاله من الشعراء وهو يقول فى خطاب من يدعى (شرف الدين) وقد لامه على العودة إلى الجزارة:

لا تلمنى يا سـيدى شرف الد ين إذا ما رأيتنى قصابا
كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ـت حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها أضحت الكلاب ترجيـ ـنى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وراح يفاخر بحرفته، ويمزج المفاخرة بالظرف والفكاهة فيقول:

ألا قل للـــذى يسـأ ل عن قومى وعن أهلى
لقـد تسألُ عن قوم كرام الفرع والأصـل
ترجيهـم بنـو كلب وتخشـاهم بنو عجـل

ويقول:

إنى لمن معشر سفك الدماء لهم دأب وسل عنهم إن رمت تصديقى
تضىء بالدم إشراقاً عراصهم فكل أيامهـم أيامُ تشريق

واستخدم الشاعر الجزار صناعته فى معانيه وتورياته، فرق وظرُف، ومن ذلك غير ما تقدم ما قاله فى الذم:

لا تلمنى إذا سـطوت عليـه فهـو تيس يهينـهُ جزاره

وما قاله فى التطاول على المتنبى:

تماظم قدرى على ابن الحسين فذهنى كالعـارض الصـَّيِّب
وكم مرة قد تحكمتُ فيـه لأن الحروف أبو الطيب

وقد نهج هذا النهج فى استخدام الحرفة فى الشعر شاعران آخران كانا معاصرين للجزار وصديقين له، هما السراج الوراق والنصير الحمامى، وقد برع الثلاثة فى التورية بحرفهم، وبلغ «فن التورية» على أيديهم غاية الإجادة التى انحسر عنها فى الأزمان التالية، قال الحموى فى (خزانة الأدب): «ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته، إلى أن ظهر بعـده السراج فجلا غياهبها بنور مشكاته، وتعاصر هو وأبو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيراً وساعدتهم صنائعهم وألقابهم فى نظم التورية حتى إنه قيل للسراج الوراق لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك».

ولئن جازت الاستهانة بالتورية باعتبارها إيغالا فى التصنيع لقد كان لها شأن آخر فى شعر هؤلاء، فقد أكسبتها حرفهم طلاوة وروتها بماء الظرف، قال الوراق:

يا خجلتى وصحائفى سود غدت وصحائف الأبرار فى إشراق
وموبخ لى فى القيامة قال لى أكذا تكون صحائف الوراق

وكتب الحمامى الى الجزار:

ومذ لزمتُ الحمام صرت به خلا يدارى من لا يداريه

أعرف حر الأشيا وباردها   وآخذ الماء من مجاريه

فأجابه الجزار بقوله :

حُسن التأني مما يعين على   رزق الفتى والحظوظ تختلف

والعبد مذ صار فى جزارته   يعرف من أين تؤكل الكتف

وقد كان الجزار مطبوعاً على المرح ، وشعره يزخر بالملح والفكاهات وخاصة فى (قافية الجزارة) كما يعبر (أولاد البلد) فى مصر ، وهو فى ذلك وفى طريقة دعابته بالسخرية من سوء أحواله فى ملبسه ومطعمه ومسكنه وبعض أفراد أسرته وفى مجونه واستعمال التورية فى كل ذلك يمثل الروح المصرية التى لا نزال نلقاها فى القاهرة لدى (أولاد البلد) وأصحاب الحرف ، قال يصف نصفية له :

لى نصـفية تعد من العمـ   ـر سنيناً غسلتها ألف غسلة

ظلمتها الأيام حكما فأضحت   فى العذاب الأليم من غير زلة

كل يوم يحوطها العصر والدق   مراراً وما تقر بعـــملة

وفى البيت الأخير إشارة إلى ما كان فى عصره من ضرب الناس وتعذيبهم « فى جباية الضرائب » ليقروا بما عندهم من « العملة » فهو يقول إن نصفيته تعصر وتدق على الحجر عند غسلها وهى مع ذلك لا تقر بأن لديها نقوداً ... !

وقال يصف داره :

ودار خراب بها قد نزلت   ولـكن نزلت الى السابعة

طريق من الطرق مسلوكة   محجتها للورى شاسعة

فلا فرق ما بين أنى أكون   بها أو أكون على القارعة

تساورها هفوات النسيم   فتصغى بلا أذن سامعة

وأخشى بها أن أقيم الصلاة   فتسجد حيطانها الراكعة

إذا ما قرأت إذا زلزلت   خشيت بأن تقرأ الواقعة

وفى الأبيات التالية صورة للفكاهة المصرية الأصيلة :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر   وجاد عليهـــا سكر دائم الدر

وتباً لأوقات المخلل إنهـــا   تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

ولى زوجة إن تشتهى قاهرية   أقول لها ما القاهرية فى مصر

وقد بلغ غاية الظرف فى قوله يهجو زوج أبيه :

تزوج الشيخ أبى شـيخة   ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها فى الدجى   ما جسرت تبصرها الجن

كأنهـــا فى فرشهـــا رمة   وشعرها من حولها قطن

وقائل قال فما سنها   فقلت ما فى فمهـا سن

ومن نوادره ذات الموضوع أنه كان مع جماعة من أصحابه ، فرغبوا إليه أن يشترى لهم لحماً من أحد الجزارين رجاء أن يكرمه بحق الزمالة ، فذهب وعاد إليهم بلحم ردىء ، فلما سألوه فى ذلك قال لهم : إن الجزار حلف على أن أقطع اللحم بيدى كما أريد مبالغة فى إكرامى ، فلما أمسكت بالسكين ووقفت بإزاء اللحم « أدركنى لؤم الجزار ! »

وقد كان التصنيع طابع الشعر وهم الشعراء فى ذلك العصر ، ولم يكن للجزار فكاك منه ، ولـكنه كان مستظرفاً فى صناعته لم يسف فيها ولم يبرد كما أسف وبرد غيره وخصوصاً من أتى بعده فى العصور التالية . وكان مع ذلك ينطلق محلقاً مستجيباً لشاعريته عند ما كان يصور حياته الخاصة ويتحدث عن حرفته وملابساتها ويلذع من يعرض به من أجلها ، ويداعب إخوانه ، ويرسل فكاهاته ؛ فقد كان يبلغ فى هذه الموضوعات ما يريد ، وما يقتضيه فن الشعر ، من تصوير ما يحيط به والتعبير عن ذات نفسه المطبوعة على المرح المحبة للهو ، ولعله كان يبدد بفكاهته ما يتكاثف فى سمائه من سحب الهموم والأكدار فى بعض الأحيان .

العباس خضر

مبادئ ومبادئ

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



بانت تباشيرُ الصباح المنجلى ألق الستار على الظلام وأسدِل
يا مطلع الشمس المضيئة بالهدى يكفى رقادُك بعد ليلٍ أليل
كنتَ الدليل على صباح مشرق للحائرين ، ونور فجرٍ مقبل
حررتَ عُبدان النفوس فأنزلوا من قمة الأيام أكرم منزل
ومشوْا على هام الليالى هامة تطأ السماء كبدرها المتهلل
ومضوْا بأرواح كرام لا تنى عند اللقاء وأنفس لا تأتلى
إيمانهم بالله غيرُ مزعزع وضميرهم فى الله غير مزلزل
الحق فى يدهم وضىء الملتقى والسيف فى يدهم حديد المنصل
قحموا على الرومان أحصن دارة وعلى ملوك الفرس أمنع معقل
قد أرخصوا فى الله كل عزيزة ثم استقلوا فيه كل مدالل
حملوا القلوب على السيوف وأمعنوا فى حملهنّ على الرّماح الذبّل
كانوا على الأعداء أشأل قلة لكنها عزّت فلم تتقلّل
هم حرروا الإنسان من أصفاده واستنقذوه من المحل المهمل
أعلوا مكانته وكان محله فى ذلك الدَّرْك الدنىء الأسفل
حكموا فكان العدل شرعة حكمهم
ما الحكم ؟ ما السلطان إن لم تعدل ؟ ؟ .

سارت مبادئهم وسارت خلفها أفعالهم فى موكب متمثل
ليست مبادئهم حديث منمّق زيف اللسان ولا كلام مجمِّل
لم يخدعوا بالقول كل محيَّر أو يخلبوا باللفظ كل مؤمِّل
قل للسياسيين دينُ محمد فيه مبادىء حرة لم تنكل
تلك الوعود المسرفاتُ بعهدكم لا تمنع الإشكال إن لم تشكل …
غنيتمو بالسلم وهى خديعة فالحرب بالأبواب قيد الأنمل
ووضعتمو (الميثاق) فوق محيطكم
ورميتموه بمائه المتحول . . .
غسلَتْه أمواج المحيط وكفنت أوراقه فى مهدهن الأول
واحسرتاه لوعده المطول … أو واضيعتاه لنصِّه المتبلل ! !

المسلمون اليوم صح مُرادهم قل للمريد على مرادك أقبل
هذا صراع ليس فيه موضعٌ لمؤمِّل أو منزل لمملل …
يكفى البكاء على تراث ضائع يكفى الفخار بذاهب متنقل
والمجد لا يشرى بقول كاذب إن كنت تبغى المجد يوماً فافعل !
ماذا ادخرتم من جهود فى غد ماذا صنعتم منه للمستقبل ؟
النصر لم ينزل على متخاذل والرزق لم يبعث إلى متوكل
فانزع لواءك من يد المستقتل وانزع طعامك من يد المتطفل
واطلب محلك بالسيوف فإنه بالسيف تنجاب الغمار وتنجلى
إنا سئمنا من كلام باطل إنا شبعنا من لسان مِقْول . .

الشرق علته القديمة أنه وسنان بين تصوف وتأمل …
غرقان فى الأوهام نعسان المنى متقيد الأيدى عثور الأرجل
الجهل آفته ، ورب جهالة شر من الداء العياء المعضل
لا تستعيروا السيف من يد غيركم بل فاصنعوه بكف أروع صيقل
والسيف تصنعه بكفك يتقى ويصيب فى الأعداء أسوأ مقتل

الاستيراد والتصدير فى النظم الإسلامية

للأستاذ لبيب السعيد



الاستيراد والتصدير من أهم ما يشغل بلدان العالم فى السنوات الحاضرة وأزماتهما « لا ريب » من أشد الأزمات التى تواجهها الحكومات والشعوب ، فما يطامن من شدتها إلا الكثير من حكمة السياسة وسلامة الوطنية

وهؤلاء الأسلاف من رجال الأمة الإسلامية مدوا بأبصارهم فى هذه الناحية أيضاً إلى آفاق بعيدة ، فبلغوا فى نور شريعتهم المادية وفى ظل هممهم العالية مجداً تجارياً لو أدخلنا فى الاعتبار ملابسات زمانه لحق لنا أن نضمه غير متهيبين بجانب ما بلغته أرقى الدول الحديثة من نجاح تجارى عظيم .

عنى هؤلاء الأسلاف بالاستيراد والتصدير عناية أوفوا بها فى زمانهم على الغاية . ولعل من أجلى آيات هذه العناية أن يتناولها التأليف الإسلامى تناولا فيه تفصيل نافع ومعرفة مشرّفة .

فالجاحظ يفرد فى كتابه « التبصر بالتجارة » باباً لـ « ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك »(1)

وأبو الفضل جعفر بن على الدمشقى الذى عاش فى القرنين الخامس والسادس الهجريين يضع كتاباً اسمه « الإشارة إلى محاسن التجارة » يوضح فيه ما يجب على أنواع التجار مراعاته ، فيذكر أنّ على المستورد الذى يبيع بالجملة — واسمه فى مصطلح

(1) ص ٢٥ — ٣٤ .

ذلك العهد : الخزان — تقديم المعرفة بأحوال البضائع فى بلادها وانقطاع الطريق أو أمنها ، وعليه تقسيم شراء الصفقات الكبيرة فى أربع دفعات توقياً من الخسارة ، وعليه تأمل أحوال السلطان الذى هو فى كنفه ... الخ ، أما المصدّر — واسمه وقتئذ المجهز — فعليه أن يعين وكلاء له فى البلاد التى يصدر إليها ليبيعوا بضاعته ويشتروا الأعواض عنها ، وذلك مقابل حصة فى الربح . ويناقش أبو الفضل مسائل الاقتصاد النظرية كتحديد أسعار السوق ومتوسط السعر مما يدل على معرفة بالاقتصاد عريضة . (1)

وابن خلدون يعقد لموضوعات التجارة عدة فصول فى مقدمته يضمنها توجيهات حصيفة ، ومن هذه الفصول فصل فى نقل السلع دعا فيه المستوردين إلى تحرى جهدهم فى استيراد المواد الوسط التى يحتاج إليها الغنى والفقير ، وأوضح كيف أن السلع التى ترد من البلد البعيد المسافة أو شديد خطر الطرقات أعظم ربحاً (2)

وظاهر أن لفتات الدمشقى وابن خلدون هى إلى اليوم بعض سنّة المستوردين والمصدرين ، بل إن روح ابن خلدون إذ يرغّب فى استيراد ما ينفع الطبقات جميعها هى نفس الروح التى ينزع عنها الحذاق من موجهى سياسة الاستيراد فى أيامنا هذه .

ومن مظاهر عناية المسلمين الصادقة بالتجارة الخارجية أنهم سهلوا طرقها ، فهيأوا الآبار حيث تسير القوافل ، وفى الثغور أقاموا المنائر . والأساطيل بنوها لحماية السواحل من إغارات لصوص البحار ، فلا غرو إذا كانت تجارة المسلمين حقبة طويلة سيدة التجارات ، ولا غرو إذا أضحى للاسكندرية وبغداد من الشأن ما جعلها وقتئذ تحددان أسعار البضائع فى الدنيا (3)

وكان أهل البصرة ممن اشتهروا قديماً بالأسفار التجارية . ومن الأمثال التى عرفت : « أبعد الناس نجعة فى الكسب بصرى وخوزى (نسبة إلى خوزستان) ، ومن دخل فرغانة (فى أقصى الشرق) والسوس (فى أقصى الغرب) فلابد أن يرى بها بصرياً أو خوزياً أوحيرياً (4)

(1) راجع دائرة المعارف العمومية ص ٥٨٨ وما بعدها.
(2) راجع المقدمة ص ٤٤٣ .
(3) راجع « تاريخ الاسلام السياسى » لحسن ابراهيم حسن ج ٢ ص ٢٣١ .
(4) ابن الفقيه ص ١٩١

وكان فى « سيراف » مستوردون ومصدرون واسعو الثراء يجوز مال أحدهم ستين مليوناً من الدراهم اكتسبها من تجارة البحر من العود والكافور والعنبر والجواهر والخيزران والعاج والأبنوس والفلفل وغيرها ·(١)

ومن نماذج النشاط الكبير فى التصدير أن تنيس « من بلاد مصر » كانت تصدر من الثياب الدبيقية إلى العراق وحدها ما تتراوح قيمته سنوياً بين عشرين ألفاً وثلاثين ألفاً من الدنانير (٢)

وكانت مدينة كابل مشهرة بنسج القطن الذى كانت تصدره إلى الصين (٣)

ومن التجار من كانوا ينقلون من بلاد الروس الشمالية إلى بلاد المسلمين جلود الخز وجلود الثعالب والسيوف والشمع والعسل (٤)

وكانت البذور تستورد من مختلف البلاد ، فقد استورد عبد الله بن طاهر حاكم مصر فى عهد المأمون بذور البطيخ (العبد اللاوى) من خراسان (٥)

وكان عضد الدولة ينقل إلى بلاده ما لا يوجد بها من الأصناف ، ومما نقله إلى كرمان حب النيل (٦)

وفى عهده استوردت إلى بغداد الغروس من فارس (٧)

وقد حمل الأترج من الهند بعد سنة ٣٠٠ هـ ، فزرع بعمان ، ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر (٨)

وكان التمر فى العراق وشمال أفريقية ينتج بكميات كبيرة ، فكان يجفف ثم يصدر إلى البلاد الأخرى (٩)

ومن الحقائق المعروفة أن العرب أدخلوا إلى أوربة أنواعاً شتى من الحاصلات كالحنطة والقنب والتوت والأرز والزعفران والليمون والبرتقال والبن والقطن والأزهار ... الخ

(١) الاصطخرى ص ١٥٤ .
(٢) خطط المقريزى جـ ١ ص ٢٢٦ .
(٣) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم متز جـ ٢ ص ٢٨١
(٤) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ١٥٤ ·
(٥) تجارب الأمم لمسكويه جـ ٢ ص ١٩٣ ·
(٦) نفس المصدر ص ٥٠٨ .
(٧) آدم متز ج ١ ص ٤٤ .
(٨) مروج الذهب للمسعودى جـ ١ ص ٢٣٤ ·
(٩) مسكويه ج ٢ ص ١٩٣ ·

واختصت مدينة جور باستخراج ماء الورد وتصديره إلى الصين والهند واليمن ومصر والمغرب والأندلس (١)

وكان الانتاج الحيوانى أيضاً موضع استيراد وتصدير ، فمصر كانت تستورد من برقة الكثير من الماشية للذبح كما تفعل الآن ، والعراق كانت تستورد الخيل من بلاد العرب ، وخاصة اقليم الحسا (٢) ، كما كانت تستورد الجاموس من الهند فى القرن الرابع الهجرى (٣)

وكانت مصر سنوياً تبيع إلى بلاد الروم من الشب ما تتراوح قيمته بين ثمانية وأربعين ألفاً واثنين وسبعين ألفاً من الدنانير (٤)

وقد أثبتت النظم الإسلامية فى سياسة التصدير حذقاً اقتصادياً لا نحسبه مسبوقاً ، ففى كرمان كثر التمر كثرة كانت أكبر من أن يواجهها التصدير العادى ، فعمد السلطان إلى تشجيع التصدير بمنح المصدرين جوائز كانت تبلغ فى العام نحو مائة ألف دينار (٥)

والفقه الإسلامى فى رشده ويقظته يوجب مراقبة المواضع التى تنفذ إلى بلاد الأعداء ، فالفقهاء على أنه « ينبغى أن يكون للامام مسالح على المواضع التى تنفذ إلى بلاد أهل الشرك ، فيفتشون من يمر بهم من التجار ، فمن كان معه سلاح أُخذ منه ورُدّ ، ومن كان معه رقيق رد ، ومن كان معه كتب قرئت كتبه ، فإن كان فيها خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أُخذ الذى أصيب معه الكتاب ، وبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه » (٦)

وقد حكى « المقدسى » أن المراكب فى فرض مصر كانت تفتش عند إقلاعها (٧) .

والصادرات خاضعة فى النظم الإسلامية للضرائب . وفى جنوب جزيرة العرب كان لا يؤخذ بمدينة (عثر) إلا عما يخرج (٨)

وكافح النظام الإسلامى تهريب الواردات من التفتيش . وقد

(١) المسالك والممالك لابن حوقل ص ١٢٣ ·
(٢) آدم متز جـ ٢ ص ٢٨١ — ٢٩٤ ·
(٣) المصدر نفسه .
(٤) خطط المقريزى جـ ١ ص ١٠٩ .
(٥) المقدسي ص ٤٦٩ ·
(٦) الخراج لأبى يوسف ص ١١٧ ·
(٧) المقدسي ص ٢١٣ .
(٨) المقدسي ص ١٠٤ .

روى ابن جبير الأندلسى ما شاهده من دقة متناهية فى تفتيش بعض القادمين إلى الإسكندرية ، حيث « أدخلت الأيدى إلى أوساطهم ، بحثاً عما عسى أن يكون فيها ، ثم استحلفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا » (١) .

وقد عرفت النظم الإسلامية نظام تراخيص التصدير ، ولكن فى نطاق ضيّق بالطبع ، ففى (ما وراء النهر) لم يكن يكتفى بتقاضى ضريبة الصادر عن الرقيق الذين كانوا يعبرون نهر جيحون ، بل كان لابدّ لهم – باستثناء الجوارى التركيات – من جواز من السلطان (٢) .

والشريعة الإسلامية يعنيها أن تتوفر فى بلاد المسلمين حاجياتها من الحاصلات الخارجية ، فمع أن العشور وهى – فى مصطلح عصرنا – الضرائب الجمركية تبلغ العشر عادة ، بل تجاوزه أحياناً بالنسبة لبعض الأصناف ، فإن للامام « عند الشافعية » أن ينقصها إلى نصف العشر ، بل له أن يرفعها كلها إذا رأى المصلحة فى شىء من ذلك . وقد كانت التعريفة الجمركية تتفاوت من بلد عن بلد ، فهى فى جُدّة مثلا غيرها فى الإسكندرية ، غيرها فى البصرة ، غيرها فى الموانى الإسلامية الأخرى ، كما كانت هذه التعريفة تتفاوت بحسب البلد الواردة منه البضاعة ، فبضائع الهند مثلا غير بضائع السند ، وهكذا (٣) .

والشريعة لا تغفل عما يتبع كثرة العشور من نقص فى واردات المسلمين يمسهم بالضر ، ولذلك ترى أن لا يزيد أخذ العشور من كل قادم بالتجارة على مرة واحدة فى كل سنة ولو تكرر قدومه ، إلا أن يقع التراضى على غير هذا .

على أن الشريعة تأبى تشجيع استيراد مالا ينفع الناس ، فهى بصدد الخمر مثلا تتمسك بالعشر .

ومما يجدر ذكره أن نظام العلامات التجارية بالنسبة للصادرات وجد بصورة ما عند المسلمين ، فالمقدسى يروى أن أسفاط الثياب الشطوية التى كانت تصنع بمصر كانت توضع عليها فى الموانى علامات المصدّرين . (٤)

(١) رحلة ابن جبير الأندلسى ط ليدن ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) المقدسى ص ٣٤٨ .
(٣) راجع الخراج ليحى بن آدم ص ٥١ .
(٤) المقدسى ص ٢١٣ .

ويتردد الآن كثيراً أن أغلب المستوردين والمصدرين هم من اليهود ، ومن يخط فى أغوار الماضى ير أن اليهود كانوا فى القديم أيضاً مبرّزين فى ذلك الميدان ، فقد كانوا لا ينفكون ينتقلون بالتجارات شرقاً ومغرباً ، فكانوا يجلبون من الغرب الجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور (١) ، وكانوا فى عودتهم من الهند والصين يحملون سلع الشرق كالمسك والعود والكافور والدارصينى (٢) .

وقد كان لهم بمدينة أصبهان حى يسمى باليهودية ، وكانوا هم أغلب تجار مدينة تستر بخوزستان ، وكانوا يشرفون على تجارة اللؤلؤ الذى يستخرج من خليج فارس (٣) .

وكان المسلمون يتعاملون بالدينار ، وهو يساوى أربعة عشر درهماً ، ولكن قيمته كانت تختلف من حين إلى حين ، ومن بلد إلى بلد ، فهو تارة يعادل عشرة دراهم وتارة ثلاثة عشر درهماً وتارة أخرى خمسة عشر درهماً .

ومن وسائل التعامل وقتئذ الصكوك (الشيكات) والمقايضة.

ولقد واجه المسلمون فى عهد عبد الملك بن مروان مشكلة نقدية تستحق الذكر ، فقد رأى عبد الملك أن تكتب على رؤوس الطوامير (الصحف) عبارات إسلامية ساءت الروم ، وسدى ما حاولوا ثنيه عنها ، فهددوا بأن يأتى المسلمين فى الدنانير من ذكر نبيهم ما يكرهون ، وصدفوا عن شراء الورق من العرب ، ومن ثمّ انقطعت العلاقات التجارية بين الدولتين . وكانت الدنانير البيزنطية والدراهم الفارسية مستعملة لدى العرب ، فسحبها عبد الملك ، وسكّ بدلها عملة جديدة تحمل بعض آى القرآن ، فلما أديت هذه العملة إلى الروم غضبوا ، وفسد ما بينهم وبين العرب ، مما أدى إلى وقوع الحرب (٤) .

وبعد ، فقد انعقد للمسلمين لواء الزعامة التجارية فى العالم حيناً من الدهر غير قصير ، كان فيه الغرب حيلة على الشرق . لم يسترح المسلمون وقتئذ إلى الهيّن من المقاصد ، ولم يثقل عليهم الكدح الدائب ، ولكن مضوا فى سبيلهم إلى السيادة والمجد فى

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ١٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٤ .
(٣) تجارب الأمم لمسكويه ج ١ ص ٢٥٦ .
(٤) أنظر النظم الاسلامية ص ٢١٩ ، ٢٢١ .

الطريقة العلمية فى تحرى الأحاديث النبوية

للأستاذ قدرى حافظ طوقان



حين رأى العرب أن من الناس من يستبيح لنفسه وضــع الأحاديث ونسبتها كذباً إلى رسول الله ، ولما كان الحديث من أغزر المنابع للتشريع الإســلامى فى العبادات والمسائل الدينية والجنائية ، لهذا ودفعاً لكل فوضى فى وضع الأحاديث فقد وضع جماعة من العلماء الصادقين طرقاً لتنقية الحديث مما ألم به وتمييز صحيحه من موضوعه . وقد سلكوا فى ذلك طرقاً دقيقة علمية يصعب معها التلاعب أو الاختلاق كما وضعوا قواعد للتوصل إلى الحقيقة

عزم وجلد ، وعلى بصيرة واستواء . . . يحكى ابن خلدون أن ما كان يقال فى عهده عن أهل الشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين فى باب الغنى غرائب تسير الركبان بحديثها ، وربما تتلقى بالإنكار فى غالب الأمر ! ويبى التاريخ أن أحد تجار البصرة فى القرن السادس الهجرى ، واسمه حسن بن العباس كانت له مراكب تسافر إلى أقصى الهند والصين . وقد بلغ مقدار ما يؤخذ من ضرائبها مائة ألف دينار ! .

ألا إن لنا فى ميدان الاقتصاد كما لنا فى ميادين الحضارة الأخرى ماضياً يستحق أن نأسى عليه ، فهل يكون لنا المستقبل الذى نتشوف إليه ؟ .

لبيب السعيد

رئيس قسم المنسوجات بالمراقبة العامة للاستيراد

فى الحديث « تتفق فى جوهرها واتجاهها والأنظمة التى كشفها علماء أوربا فيما بعد فى بناء علم الميثودولوجية ... » .

قال علماء الحديث بالأمانة فى نقــل الحديث وفرضوا وجوب تحرى النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلى . ولقد وضع القاضى عياض رسالة فى عــلم المصطلح هى أنفس ما صنف فى مجوعها « وقد سما بها القاضى إلى أعلى درجات العلم والتدقيق ... » ويعترف الدكتور أسد رستم بفضلها فيقول « ... وعلى الرغم من مرور سبعة قرون عليها فإنه ليس بإمكان رجال التاريخ فى أوروبا وأمريكا أن يكتبوا أحسن منها فى بعض نواحيها . وأن ما جاء فيها من مظاهر الدقة فى التفكير والاستنتاج تحت عنوان تحرى الرواية والمجىء باللفظ يضاهى أدق ما ورد فى الموضوع نفسه فى أهم كتب الإفرنج فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا وانكلترا ... » .

وطالب علماء الحديث بتعيين رواة الحديث والتدقيق فى معرفة قيمة المحدث ووضعوا قواعد لتجريحه وتعديله . فلقد جاء فى بعض مصنفاتهم ما يلى : قال الإمام مالك بن أنس ، وكان ذلك قبل اثنى عشر قرناً : « ... لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من سفيه ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على أحاديث الرسول ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به ... » .

وهناك أقوال لغير هؤلاء تبين القواعد التى على أساسها يؤخذ الحديث وتوضح الصفات التى يجب أن يتحلى بهـا الراوى لقبول روايته . وقسم العلماء الحديث بحسب قوته والأخذ به إلى أقسام وأطلقوا على كل قسم إسماً فقسموه إلى متواتر وآحاد . فالمتــواتر ما رواه جماعة يؤمن من تواطئهم على الــكذب عن جماعة كذلك إلى رسول الله . والآحاد هى الأحاديث غير المتواترة وقد قسموها أيضاً بحسب قوتها . وهكذا سار العرب والمسلمون فى الحديث . ومنهم من كان يتركه إذا عارض القياس . ومنهم من كان يتركه إذا خالف المعقول .

وكان للحديث أثر كبير فى أسلوب العرب وتفكيرهم ، فهو من أكبر العوامل فى نشر الثقافة فى العالم الإسلامى . أقبل عليه الناس يتدارسونه ودارت عليه حركة الأمصار العلمية ولا سيما فى صدر الاسلام ، وعن طريقه انتشرت فى العالم الإسلامى أنواع من

الثقافة عدة … « فالتاريخ الإسلامى بدأ بشكل حديث كالذى ترى فى كتب الحديث من مغاز وفضائل أشخاص وفضائل أمم . ثم تطور التاريخ إلى أن صار كتباً قائمة بنفسها . ودليلنا على ذلك أن كتب التاريخ الأولى كسيرة ابن هشام وما يروى ابن جرير عن ابن إسحاق ، والبلاذرى فى فتوح البلدان يكاد يكون نمطها وأسلوبها نمط حديث وأسلوب حديث . وقصص الأنبياء وما إليهم جاءت فى القرآن وتوسع فيها الحديث ثم توسع القصاص . فكان القصص … » .

وفوق ذلك فقد ثبت أن المسلك الذى اتبعه العرب فى تنقية الحديث وتمييز صحيحه من موضوعه قد أثر إلى حد فى أساليب العلماء. إذ أبان لهم أهمية اتباع الطرق التى تؤدى إلى الحق كما أوضح لهم منهاجاً دقيقاً للسير بموجبه للوصول إلى الحقيقة وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال . وكذلك كان للأساليب التى اتبعها علماء الحديث فضل كبير على التاريخ « وأصبحت القواعد التى ساروا عليها فى تحرى الحقيقة هى المعول عليها لدى المؤرخين المعاصرين » ومحل تقديرهم وإعجابهم .

ولقد كان لعلماء الحديث فضل على التاريخ وأثر على الأسلوب الذى يسير عليه المؤرخون المعاصرون ، وكذلك كان لعلماء التفسير فضل وأثر لا سيما وأن الأسس التى اتبعوها فى أصول التفسير علمية وصحيحة ، يتجلى ذلك فى رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية فى أصول التفسير وفى تفسير الزمخشرى . ولولا الخوف من الإطالة لأتينا على بعض نصوص تؤيد ما ذهبنا إليه .

ووضع العرب مصنفات فى علوم الدين سار بعضهم فيها على منهج علمى . وكان الشافعى أول من وضع مصنفاً فى أصول الفقه على أسس علمية . قال مصطفى عبد الرازق : « إذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية إلى ناحية علمية فهو أيضاً أول من وضع مصنفاً فى العلوم الدينية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه … » واعترف الرازى بفضل الشافعى فقال … « اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم رأى أصول الفقه — الشافعى . وهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح مراتبها فى القوة والضعف … » ويقول جولد زيهر : « وأظهر مزايا الشافعى أنه وضع نظام الاستنباط الشرعى فى أصول الفقه ، وحدد مجال كل أصل من هذه الأصول .

وقد ابتدع فى رسالته نظاماً للقياس العقلى الذى ينبغى الرجوع إليه فى التشريع من غير إخلال بما للكتاب والسنة من الشأن المقدم . رتب الاستنباط من هذه الأصول ووضع القواعد لاستعمالها بعد أن كان جزافاً … »

ويتجلى أسلوب الشافعى العلمي فى رسالته فهو يسلك فى سرد المباحث وترتيب الأبواب نسقاً مقرراً فى ذهن مؤلفها « وقد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه ، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمى المنظم ، فى فن يجمع الشافعى لأول مرة عناصره الأولى » …

وتتجه الرسالة اتجاهاً منطقياً إلى وضع الحدود والتعاريف أولا ثم الأخذ بالتقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم . «وقد يعرض الشافعى لسرد التعاريف المختلفة ليقارن بينها وينتهى به التمحيص إلى تخير ما يرتضيه منها … »

وكذلك تمتاز الرسالة بالأسلوب الذى اتبعه فى « الحوار الجدلى المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف فى الاستدلال والنقض ومراعاة النظام المنطقى حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولا بالذات واتصاله بأمور شرعية خالصة » .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

مطبعة الرسالة

العدد ٧٥٨ — الاثنين ١٢ يناير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 758

Lundi — 12 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٦٧ — ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لا تَغْلُوا

للأستاذ محمود محمد شاكر

شدَّ ما فزعتُ حين قرأتُ في صدر الأهرام (الاثنين ٥ يناير ١٩٤٨) نبأ تلك المحاولة الجديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب (أي مراكش). وقد آثر الموحي بهذا المقال أن يسمى هذا الأمر « محاولة جديدة » ولكني أعلم أنها ليست سوى « حيلة » أخشى أن تغرر بكثير من قراء العربية، لقلة اطلاعهم على أنباء هذا الشعب الأبي السجين الذي ضربت عليه فرنسا نطاقاً من الكتمان والصمت، لم يضرب على شعب قط في هذه الدنيا، ولا في بلاد السوفيت. وأنا أحب أن أكشف الغطاء عن هذه « الحيلة » التي يُرادُ بها تضليل الناس عن حقائق كالشمس ظاهرة لكل من متعه الله بنعمة البصر. وأحب أن أصفي هذا الكلام لقرّاء « الرسالة » لأنهم همُ الفئة الحية التي تقرأ لتعلم وتعمل بما تعلم.

فهذا الشيء الذي سماهُ بعضهم « محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب »، ليس شيئاً سوى محاولة من فرد واحد يعاونه قليلٌ من الناس على إحداث خرق في إجماع أمة كاملة، وصدع بنيان مرصوص لم أعلم فيه إلا خيراً وتماسكا وبقاء على كلمة الحق التي لا تزول، وهي « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » إن كان ثمة حاجة إلى مفاوضة أو معاهدة.

وبلاد المغرب ثلاثة: تونس، والجزائر، ومراكش، وفي كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة حزبٌ له الكثرة الساحقة، بل لا يكادُ يوجد فيه أقلية حتى نقول إن لهذا الحزب كثرة ساحقة، بل الحزبُ هو الأمة، وهو التعبير الصادق عنها.

وهذه الأحزابُ لا يمكن أن تسمى أحزاباً بالمعنى المعروف في مصر والذي كان وليد الاحتلال البريطاني الذي فرّق الكلمة وباغض بين القلوب.

ففي تونس الحزبُ الدستوري، ورئيسه الحبيب بورقيبة. وفي الجزائر حزبُ الشعب، ورئيسه أحمد مصالي الحاج، ومندوبه في مصر والسودان هو الشاذلي المكي. وفي مراكش حزبُ الاستقلال ورئيسه محمد علال الفاسي. وفي المنطقة الخليفية عن مراكش حزبُ الإصلاح ورئيسه عبد الخالق الطريس. وهذه الأحزابُ هي المعبرة عن بلاد المغرب كلها، ورؤساؤها جميعاً مقيمون الآن في مصر، وجميعهم على رأي واحد قد أذاعوه في كل وقت وفي كل بلد، وهو « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » وهم جميعاً لا يزالون إلى هذه الساعة على هذا الرأي لم يتحوَّل عنه أحدٌ منهم، ولن يتحوَّل بإذن الله. وإجماعُ هؤلاء الرجال هو إجماع أمم المغرب كلها، شعوباً وأفراداً. وهؤلاء الرجال هم الذين شرَّدتهم فرنسا أو إسبانيا وسَجنتهم ونفتهمْ واضطهدتهم، وباعدَت بينهم وبين أهليهم وحلائلهم وأبنائهم، وأرادت أن تقصم أعوادهم فلم تجد إلا بأساً ومضاء ومصابرة وجهاداً في سبيل

الحق الأول لكل شعب وهو الحرية والاستقلال . وهؤلاء الرجال هم الذين بقوا إلى اليوم لا ينخدعون بما انخدعت به أمم من قبلهم من مفاوضات ومعاهدات ومحادثات ، وسياسات خربة خراب ذمم اليهود . ومن هؤلاء الرجال وحدهم يؤخذ حديث مابين فرنسا والمغرب ، وعلى هؤلاء الرجال وحدهم يعتمد ، وإلى هؤلاء الرجال وحدهم تلق شعوب تونس والجزائر ومراكش بالقيادة ، بعد أن جرّبتهم وعرَفتهم واطمأن قلبها إليهم وإلى ما يأتون وما يذرون . وهم قوم لا يفتات عليهم ، ولا يقضى على شعوبهم وهم غُيب . وهم رجال يعملون ولا يدّعون ولا يتظاهرون ، ولا يخادعون الناس بشيء لم يكن ، أو بسلطان لهم لم ترضه بلادهم وشعوبهم ، وهم قائمون على الدعوة إلى تحرير بلادهم ، ولهم مكاتب فى مصر والشام ، وفى فرنسا وإنجلترا وأمريكا ، لم تزل تتكلم بالكلمة الواحدة التى لاحِوَلَ عنها وهى : « لامفاوضة إلا بعد الاستقلال » .

فما هو إذن « حزبُ الشورى والاستقلال » الذى اتخذ لنفسه رئاسته محمد بن الحسن الوزانى هداه الله ، واحتمل ثقل النيابة عنه محمد العلمى العربى سدّد الله خطاه . إنه حزب كما تسمى الأحزاب ، ولكنى أعلم ويعلم كل من وقف على حقيقة النبأ فى بلاد المغرب ، أنه حزب لا يتبعه من شعب مراكش أحد إلا من شذ عن إجماع أمة قد جاهدت منذ سنة ١٩١٢ وظلت تقاتل فرنسا وإسبانيا إلى سنة ١٩٣٣ ، لم تضع السلاح إلا بعد أن فنيت صفوة المجاهدين ، وقلّ الزاد وعزّ السلاح وحوصروا حصاراً شديداً أكثر من إحدى وعشرين سنة كاملة .

وما أظن أحداً نسى جهاد البطل الذى أذلّ هامات الإسبان والفرنسيس حتى خدعوه وأمّنوه ثم غدروا به ، وهو الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابى .

إن هذا الحزب الذى قدّم إلى المقيم الفرنسى الباغى الجنرال جوان « مذكرة ضافية لتعمل حكومة باريس على تحقيق ما ورد فيها بما يحفظ حسن العلاقات مع فرنسا » لا يعبر ألبتة عن عزيمة شعب مراكش ، بل يعبر عن رأى رئيس الحزب ونائبه وحدهما ؛ فنحنُ نعلم علم اليقين أن حزب الاستقلال ، وحزب الإصلاح فى مراكش ، هما صاحبا الرأى الأول والأخير فى هذا الأمر الذى يتعلق بإجماع الشعب المراكشى ، وأن الأمة المراكشية كلها من وراء كلمتها : « لامفاوضة إلا بعد الاستقلال » ، ونحن نعلم أن جلالة محمد الخامس ملك مراكش يعلم أن الشعب مجمع على أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال ، وأنه هو نفسه الذى يتولى قيادة الدعوة إلى أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال .

وقد استطاع نائب حزب الشورى هذا ، أعنى الأستاذ العلمى ، أن يوجه نظر الصحافة المصرية إلى هذه البدعة التى مضت عليها شهور منذ قام محمد بن الحسن الوزانى داعياً إلى الاتفاق مع فرنسا ، أو على الأصح مظهراً رغبته فى الاتفاق مع فرنسا ، بعد ابتعاده عن حزبه الذى نشأ فيه ، وهو حزبُ الاستقلال الذى يرأسه محمد علال الفاسى . وقد نجح الأستاذ العلمى مرتين ، ولكنّ هذه الأخيرة هى أشدهما خطراً . ولو علمت الصحافة المصرية أن شأن حزب الشورى الذى ذكرناه ، لا يكاد يكون شيئاً فى بلاد مراكش ، لطوت هذه الصحيفة مرة واحدة ، ولرجعت فى حديثها عن شأن مراكش إلى رؤساء حزب الاستقلال وحزب الإصلاح وسائر الأحزاب المغربية فى تونس والجزائر ، ولو فعلت لعلمت أن هذه « المحاولة الجديدة » ليست سوى محاولة رجل فرد زعيم حزب ، نعم ، ولكن بغير شعب .

وكان حقاً على هذه الصحف المصرية أن ترجع إلى مكتب المغرب العربى لتقف منه على حقيقة ما تقول ، وكان حقاً عليها أن تعتبر هذا الحزب بأشباهه عندنا من الأحزاب التى لا شعب لها إلا رئيسها ، وكان حقاً على هذه الصحف أن تعرف أن سائر رؤساء أحزاب المغرب مقيمون فى مصر منفيون عن بلادهم ، فكان لزاماً أن ترجع إليهم قبل أن تنشر أشياءَ تمزق إجماع أصحاب الحق على أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال . وكان حقاً عليها أيضاً ، إذ نسيت أن تفعل هذا ، أن تفكر فى شأن رئيس حزب الشورى المفاوض الجديد ، فهو مقيم تحت ظل السلطان الفرنسى هناك فى مرّاكش ، وهؤلاء سائر رؤساء الأحزاب المغربية مشردون منفيون مهاجرون إلى مصر ، لكى يخدموا بلادهم ويجاهدوا فى سبيلها وهم بنجوة من سلطان فرنسا . فأى هذين أولى بأن يكون هو المطالب بحق بلاده ؟ وأيهما أولى بأن يؤذن له ويُستمع ؟ وأيهما أصدق تعبيراً عن رغبة الشعب الذى ظل إحدى وعشرين سنة يقاتل فى كل بقعة

من بقاع المغرب وحيداً مجهولا حتى تفانى شيوخه وهلك كهوله وذبح فتيانه ، وورّثوا أبناءهم أحقاداً لا تموت على فرنسا وعلى الطغاة من أشباهها .

وهؤلاء الزعماء الذين ذكرناهم آنفاً هم بقية السيف ، وهم المشردون المعذبون ، وهم العاملون الصادقون الذين آثروا الجهاد على أموالهم وأنفسهم وأهليهم وذراريهم ، وخرجوا يطوفون فى الدنيا ليؤلبوا العالم كله على بغى فرنسا وطغيانها وعدوانها وظلمها ، وقد تركوا وراءهم شعوباً تدين لهم بالطاعة ، ولا ترضى أن تدين لأحد سواهم ، لأنهم إنما يعبرون عن مر عزائمها ونياتها ، أى عن الجهاد فى سبيل بلادهم بلاهوادة ، وإلى أن ينالوا حقهم كاملا لم تتخوّنه مكايد الاستعمار وخُدعه . وقد اتعظ هؤلاء الأبطال الصناديد بما لقى بعض إخوانهم من أمم الشرق ، حين زلقت أقدامهم فزلوا فى المهاوى المظلمة المتشعبة التى تسل القوى من نفس سالكها ، ألا وهى هوّة المفاوضات والمعاهدات والمحادثات ، التى ابتدعتها شياطين الاستعمار الذين يعرفون باسم ساسة بريطانيا ، ففرقوا بين الأخوين ، وباعدوا بين العشيرتين ، ومدوا المطامع لخائنة الأعين ، فهب فريق من هنا يقاتل فريقاً من أهله هناك ، ووقفت بريطانيا بينهما تنظر وتضحك وتسخر ، وتحرك هذه الدمى إلى أن تنقطع الحبال فتهوى فى الهوة السحيقة الملعونة ، هوّة المفاوضات والمعاهدات والمحادثات . لقد عرفوا ذلك فأبوا أن يكونوا طعاماً لمستعمر جبار يريد أن يتلعّب بهم ، فاختاروا ما هو أهدى لأممهم وأبقى على وحدتها ، وأشد لقوتها ، وأنأى بها عن العداوات بين بعض الشعب وبعض . لقد عرفوا أن قيادة الثّوارّ ، تقضى عليهم أن ينظروا إلى خير هؤلاء الثوار قبل أن ينظروا إلى خير أنفسهم ، وعرفوا أن الذى هم مقدمون عليه هو الجهاد الذى لا ينتهى حتى ينتهى هذا الاستعمار البغيض ، وأن الأمم المجاهدة فى سبيل حقها ينبغى أن تظل مجاهدة حتى تنال حقها ، وأنه ينبغى أن ينشأ الجيل من شباب الأمة بعد الجيل ، وهو يرى أمامه مجاهدين لا يفترون ولا يضعون السلاح ، فذلك أحرى أن يملأ قلب الجيل حميّة وأنفة ورغبة فى بلوغ الكمال فى العلم والمال والسلاح ، حتى يجاهدوا كما جاهد آباؤهم وإخوانهم من قبل . وعرفوا أن المهادنة فى مثل هذا إنما هى مهادنة تورث الشعب ضعفاً ، وتمكن للدساسين والخبثاء أن يتخافتوا بينهم فى الدعوة إلى ما يفت القوى ويضعضع العزائم ، فلا يلبث أن ينفض عن المجاهدين من تخاذل وآثر الراحة على لأواء الجهاد . وعرفوا أيضاً أن الشعب الثائر غير الشعب الذى يتبحبح فى مسارح السلم ، فأولهما ينبغى أن يظل ثائراً لا يعرف اللين أو التسليم أو الأخذ بيد والإعطاء بالأخرى . وفيم يلين أو يسلم أو يأخذ بيد ويعطى بأخرى ؟ أفى الحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ؟ أنبئونى أى شىء من هذه الثلاثة يتجزّأ حتى يقبل اللين أو التسليم أو الأخذ بيد والإعطاء بأخرى ، وهو جوهر المفاوضات والمعاهدات والمحادثات .

لقد عرف هؤلاء النفر الذين رضى الله عنهم ورضيت عنهم أممهم ، أن الذى بينهم وبين فرنسا هو الحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ، فعلى فرنسا أن تسلم وأن تلين وأن تعطى بيد ولا تأخذ شيئاً ، لأنها لن تأخذ إذا أخذت إلا ذلك الذى أعطت. وهذا بداهة العقل ، وبداهة النفس الطيبة ، وبداهة الفطرة الإنسانية التى لا تنخدع بزيف الكلام ومزوّقه . إما الحرية والاستقلال ، وإما الصراع فى سبيل الحرية والاستقلال ، ولا مفاوضة على شىء ينبغى أن يتم جميعاً أو لا يتم البتة على نقصان وتخوُّن وتعزيق ، ولا معاهدة لحرّ على ترك شىء من حريته لناصبه وسالبه والمهيمن عليه بالطغيان والجبروت ، فهو إن شاء منع وإن شاء أعطى .

كلا ، إنه الحق فلا معاهدة ولا مفاوضة ولا محادثة إلا بعد الاستقلال وجلاء آخر جندى فرنسى وإسبانى عن أرض المغرب كله : تونس والجزائر ومراكش . وإن فى البلاء الذى ابتليت به مصر والسودان والعراق وشرق الأردن وسواها من البلاد ، لعظة لكل امرىء أضاء فى قلبه الإيمان بالحرية والكرامة الإنسانية .

وما الذى يريده حزب الشورى الجديد فى مراكش ؟ أيريد أن تلقى بلاد المغرب على يده ما لقينا من بلبلة وضياع وهلاك وضعف ؟ أيريد أن يرى الشعب المراكشى أحزاباً يأكل بعضها بعضا ، ويتشاحن ضعيفها وقويها على مناصب الحكم ؟ أيريد أن يرى كل أسرة فى بلاد المغرب قد مزقتها الأهواء وعصفت بها عواصف الشهوات الخفية إلى متاع قليل من متاع هذه الدنيا من

ذكريات وخواطر :

على عتبة الأربعــين

للأستاذ على الطنطاوى

نزعت رجلى من الركاب ، وطردت من ذهنى همّ السفر ، ونفضت ما علق بذاكرتى من غبار الحاضر ، ثم نفذت إلى ما احتوت من كنوز الماضى ، من معجزات البطولة والنبل ، من تاريخنا الواقع ، الذى لا يصل إليه خيال غيرنا ، ولا يتعلق به وهمهم ، وحاولت أن أكتب للعدد الممتاز من الرسالة فما سرت فى الفصل غير بعيد ، حتى تباطأ قلمى ، ثم تعثر ، ثم وقف ... وأحسست فى نفسى بهذا الضيق الذى ما انفك يلازمنى منذ أكثر من عشر سنين ، فيطفىء وقدة حماستى ، ويعقل نشاطى ، ويغلق أبواب الإلهام دونى ، فلا أكتب ما أكتب إلا لملء الفراغ ، وتزجية الوقت ، كالذى يمشى المشية يجر نفسه جراً ، لا يسوقه مقصد ، ولا تجذبه غاية ...

ونظرت فإذا أنا بعد شهرين ، أتم الأربعين ، أربعين سنة قمرية ، درت فيها مع الفلك ، وسايرت الشمس ، واستقبلت السنين ، ثم ودعتها كما استقبلتها ، واستولدت الآمال ، ثم دفنتها كما استولدتها ، ورأيت أفراحاً ورأيت أتراحاً ، وصادقت وعاديت ، وأحسنت وأسأت ، فما الذى خرجت به من ذلك كله ؟

لقد قطعت فى هذه السنين الأربعين أكثر الطريق ، ولكن لم أعرف بعد إلى أين المسير! ومشيت أكثر من أربعة عشر ألف يوم تباعاً ، ولكن لم أدر إلى أين أمشى !

إننى أصحو كل يوم ، فأكلم أهلى ، وآكل طعامى ، وأذهب إلى عملى ، ثم أعود إلى دارى ، فأكتب مقالتى ، أو أنظر فى كتابى ، أو أزور أصحابى ، أو ألهو بما يلهو به مثلى ، ثم أنام لأصحو من الغد ، فأعيد الفصل ذاته ... والأيام تكر ، والسنون تطوى ، والعمر ينصرم ، وأنا (أمثل الرواية) الأبدية : صحو ومنام ، وشراب وطعام ، وصمت وكلام ، ووداد وخصام . أما أن أعرف نفسى ، وأخلو بها ساعة كل يوم ، وأسأل من هى ، ومن أين جاءت ، وفيم وجدت ، وإلى أين تمضى ، فهذا ما لم أفعله إلى اليوم . بل إنى لأفر منها فراراً ، وأخاف أن أخلو بها ،

مال أو سلطان؟ أيريد أن يرى الشعب يتلهف تلهف البائس المسكين على فتات ما تجود به عليه فرنسا فى معاهدة يقال له اليوم إنها « معاهدة الشرف والاستقلال » ثم يقال له بعد غد إن هذه المعاهدة نفسها « حماية بالثلث » ؟ أيريد أن يرى بعد قليل شباب بلاده وهم يتطاحنون على أسماء رجال لو انكشف الغطاء عنهم لكانوا سوأة فى كيان الشعب لو عقل لسترها كما كان يئد أهل الجاهلية بناتهم خشية الخزى والعار؟ أم يريد أن يرى هؤلاء الشباب وهم لا يثقون بأحد من رجالهم بعد كشف الغطاء عن فضائحهم ، فيكونون حرباً على بلادهم يطمنون أنفسهم بكل طعنة نجلاء بقولهم : « إننا شعب لا يصلح للاستقلال » ؟ أيريد هذا الذى لقيته أمم من قبلهم فاوضت وحادثت وعاهدت ، فخرجت من ذلك كله منهوكة مجرحة معذبة تمتهن أشرف شرفها بأخس قول وأرذله ؟ . .

حاشا لله أن يريد حزب الشورى لبلاده مثل هذا . وأنا أعرف الوزانى منذ أكثر من عشرين سنة ، فأنا أسأله بالعهد الوثيق أن يفىء إلى ما فيه مرضاة الله ، وما فيه خير بلاده وخير أمته ، وأن يدع فرنسا بشرّ النظرين ، لا يقربها إلا مقاتلا مجاهداً رافعاً باسم بلاده وحريتها واستقلالها وكرامتها . وما خُلق الإنسان إلا للجهاد فى هذه الحياة حرًّا كريماً ، فإذا سلب الحرية وذيد عن الكرامة ، فعليه أن يجاهد فى سبيلهما جهاداً متطاولا هو وأبناؤه وذراريه لا تداخلهم سآمة ولا ضجر ولا ملل. مستعيناً بالله الذى ينصر المستضعفين فى الأرض وينصر الذين لم يملوا الجهاد فيلجأوا إلى المهادنة أو المفاوضة .

أيها الإخوان الصناديد ! جاهدوا وصابروا ورابطوا ولا تملوا حتى يأتيكم نصر الله ، ولا تعجلوا على ربكم فإن الله لا يمل حتى تملوا ، فإذا مللتم فيومئذ يحيق بكم ما حاق بكل من هادن فى حقوق بلاده .

محمود محمد شاكر

فأتشاغل عنها بحديث تافه ، أو كتاب سخيف ، أو لهو باطل ، وإذا أنا أُلزمت صحبتها ، وعدمت الشواغل عنها ، ضقت بنفسي ، وضجرت وأحسست كأني سأجنّ !

وأنا أصرف العمر في قطع العمر ، وأجعل أكبر همي إضاعة يومي ، كأني أُعطيت الحياة لأعمل على تبديدها ، فإذا لم أجد ما أمزق به الوقت ، واضطررت إلى مواجهة الزمان ، في ساعة كساعات الانتظار ، ضقت بعمري ، وضجرت ، وأحسست كأني سأجنّ !

إني أركض أبداً وراء المستقبل ، ففي المستقبل أبلغ آمالي ، وفيه أصلح نفسي ، وفيه أنيب إلى ربي ، وفيه أكتب تلك المعاني التي طالما جاشت بها نفسي ، ولم يجر بها قلمي ، وفيه أؤلف الكتب الكبار التي طالما أزمعت تأليفها ، وفيه أصنع كل شيء . ولكن المستقبل لن يأتي أبداً ، وحين يأتي يصير (حاضراً) وأذهب أفتش عن (مستقبل) آخر ، فأنا كالفرس الذي يعدو ويشتد ، ويكد نفسه ليدرك حزمة الحشيش ، والحزمة معلقة في عنقه ، يبصرها أبداً أمامه ، ولا يصل إليها ، فلايزال يسعى حتى يدركه الكلال ، فيقع ، أو تعترضه حفرة فيسقط فيها ... ولكن الحفرة التي أسقط فيها أنا لا قيام منها ، ولا مناص من ورودها ، ولا يستطيع أن يجتنبها كبير ولا صغير ، ولا غني ولا فقير ، ولا أمير ولا أجير ...

وإذا أنا وصلت إلى الأمل الضخم ، هان عليّ ، وذهب بهاؤه ، وامّحت روعته ، كأن الآمال سراب لا يلمع إلا من بعيد .

لقد كان أكبر أملي يوم كنت في الابتدائية أن أكون معلماً ، وكنت أتوهم حياة المعلم فأجدها جنة أُنزلت الأرض ، فيها ما تشتهي الأنفس ... أليس المعلم يأمر فيطاع أمره ، وينهى فيجتنب نهيه ، ويوفى التبجيل ، وينال الإكبار ؟ فلما صرت معلماً ، لم أجد من تلك الجنة إلا الذي تجده من الغوطة في الشتاء ، أرضاً موحلة ما فيها إلا الشوك ، وأشجاراً يابسة ، ما فيها إلا الحطب ، ورأيت مدرس الثانوية أعلى قدراً ، وأقل عملا ، وأكبر مرتباً ، وأوسع جاهاً ، فأملت أن أكونه ، وأملت أن أكون كاتباً ، وأن أكون قاضياً ، وأن أكون خطيباً ، وأن أسيح في البلاد ... فلم أجد في الأمل إلا الألم لانتظاره ، ثم الملل من بقائه ، فتيقنت الآن أني لو صرت رئيس الجمهورية ، أو صاحب (الأهرام) ، أو كان لي مال (عبود) ، لذهبت الأيام بلذة ذلك كله ، وهونه الاعتياد ، فلم أستفد منه ، إلا الحسد الحساد عليه ، والحسرة ، إن فقد ، لفقده ...

وأن متع الدنيا أوهام ، من لم ينلها تشوق إليها وحسد عليها ، ومن نالها ملّها وتمنى غيرها : المتزوج يتمنى العزوبة ، والعزب يشتهي الزواج ، والمقيم يرجو السفر ، والمسافر يطلب المعاد ، والريفي يحن إلى المدينة ، والمدني يتشهى الريف ، ونحن كلنا أطفال ... نشتري للطفل اللعبة النفيسة فيفرح بها ، ويهش لها ، ثم يلقيها ويطلب غيرها ، ولو كان دونها . ثم إن الآمال لا تنتهي ... فمن أعطى المليون ابتغى المليونين ، ومن رفع في الوظيفة درجة طلب درجتين ، فلا نزال في شقاءين ، شقاء بالحاضر الذي لا يقنع به ، وبالآتي الذي لا يصل إليه . . .

أفلهذا وجدت وسعيت أربعين سنة ؟ أسعيت لأدرك السراب ؟

وتتالت عليّ الفكر ، وعاودني الضيق الذي طالما كاد يدفعني (لولا خوف الله) إلى طلب الموت من سنين ، وما أشكو المرض فصحتي جيدة ، ولا أشكو الفقر فما أجد من المال يكفيني ، وإنما أشكو فراغاً في النفس لا أعرف مأتاه ، وقوى فيّ لا أجد لها مصرفاً ، وحنيناً إلى شيء غامض لا أدري ما هو على التحقيق ...

* * *

وتركت القلم والورق ، وقمت أدور في الغرفة فوجدت على نضد إبريقاً من البلور الصافي ، طويل العنق ، واسع البطن ، فيه نحلة قد دخلت ولم تستطع الخروج ، فهي تتحفز وتتجمع ، وتثب مقدمة بقوة وبأس ، فيضرب الزجاج رأسها ويردها ، فتعاود الكرة ، وهي لا تبصر الجدار ، وإنما تبصر ما وراءه فتحسب أنه ليس بينها وبين الفضاء حجاب ، فجعلت أنظر إليها وهي تعمل دائبة ، كلما ضربت مرة عادت تحاول أخرى ، لا تقف ولا تستريح ، حتى عددت عليها أكثر من أربعين مرة ، تجد الصدمة كل مرة فلا تعتبر ولا تدرك الحقيقة ، ولا ترفع رأسها لتبصر الطريق ، وتعلم أن سبيل الفضاء ، وباب الحرية ، هو من (فوق) لا عن يمين ولا عن شمال . . .

فتعلمت من هذه النحلة ما كان خافياً عني : تعلمت أننا مثل هذه النحلة نحسب أن الانطلاق إنما يكون على الأرض فنقدم ، فتضرب العوائق وجوهنا وتردنا ، فنقعد يائسين ، أو

نعاود الكرة مستميتين ، نحسب الانطلاق فى الشهرة أو فى المال ، أو فى متع الجمال ، وهيهات . . وهاهم أولاء السياسيون والممثلون والمفننون ، تطبق الأرض بأحابيثهم ، ويشتغل الناس بأخبارهم ، ويرون صورهم ، ويسمعون أصواتهم ، فما الذى يحصل من ذلك فى أيديهم ، وماذا ينفعك أن يكون الناس كلهم يمدحونك إذا كنت منفرداً فى غرفتك مبتئساً ، تعس النفس ، محزون القلب ؟

وها هم أولاء الشباب الأغنياء ، يؤمون كل ملهى ، ويستمتعون كل يوم بجمال جديد ، فهل ذهب ظمأ قلوبهم إلى ارتياد منابع الجمال ؟ هل شبعت شهواتهم ؟ أم أن ذلك كالماء الملح كلما شربته جدّد لك ظمأ ؟

وها هم أولاء المحبون المدنفون ، يعانقون من يحبون ، والنفس لا تزال بعد مشوقة ليس يرويها عناق ولا اقتراب ، ولا يشبعها شىء من متع الجسد .

وها هم أولاء (الملايرة[1]) المؤلّفون ، هل أشبعت ملايينهم نفوسهم ، ورزقتهم القناعة والاطمئنان ؟

فما هذا طريق السعادة ، إن الطريق على الأرض مسدود ، والفضاء من حولك له حدود ، وماطريق الفضاء ، وسبيل الانطلاق إلا من (فوق) ، هناك عالم النفس تنشط النفس كلما برقت لها منه بارقة ، أو لاح علم : كلما سمعت نغمة سحرية فيها رنّة من ذلك العالم ، أو قرأت قصة عبقرية فيها إشارة إلى ذلك المجهول ، أو وعت موعظة علوية فيها قطرة من ذلك الينبوع .

الآن عرفت ، فيا ضيعة هذه السنين الأربعين !

***

لا تقولوا ، إنك تكتب فى الدين وفى الفضيلة ، وإنك تدعو إلى الخير ، لأنى عزمت على أن أقول الليلة الحق ، ولو كان على نفسى . الحق يا سادة ، أن الدعاة اليوم إلى الله ، لا أستثنى واحداً ممن أعرف منهم ، كلهم ممثلون ، يلبسون فى الجملة أو على المنبر ثياب المسرح ، فيبدون بالجبة والعمامة ، فإذا انقضى (الفصل) خلعوها ، وعادوا إلى بيوتهم ، فعكف عابد الدينار منهم على معبوده ، ماله إلا جمع المال همّ ، وعابد الشهوة عليها ، وعابد الجاه ، وعابد المنصب . تعددت الأصنام والشرك واحد !

إنهم ممثلون وأنا أول الممثلين .

ولو كنت صادقاً لما ألفت فى سيرة أبى بكر وعمر ، ثم عدلت عن سنتهما ، وسرت غير سيرتهما ، ولو كنت صادقاً إذ أدعو إلى الإسلام ، لكنت فى سرى وجهرى وفى لسانى ويدى ، واقفاً عند أمر الإسلام ونهيه ، ولو كنت صادقاً لما انغمست فى حمأة هذه الحياة التى سال علينا سيلها من الغرب ، ولو كنت ، وكان عشرة مثلى ، صادقين ، لما بقى فى الأرض فساد . ولقد طهر الأرض من أوضارها منبر واحد من الخشب ، ثلاث درجات ليس لها درابزين ، ولا عليها قبة ، ولا لها باب ، فلم لا تطهر الأرض مائة ألف منبر مزخرفة منقوشة محلاة لها أبواب جميلة وقباب ؟

ألأن الناس فسدت طباعهم ؟ ألأن الزمان قد دنا آخره ؟

لا . بل لأن القائمين عليها وعاظ من خشب ، يحملون سيوفاً من خشب !

***

أما إن الحق ، الذى لا بد الليلة من الصدع به ... إنه ... لا هذه المواعظ ، ولا هذه المقالات ، هى التى توصل إلى الله ، ولكن يوصل إليه ، أن يعود كل إلى نفسه ، فيسأل ، من أين جاءت ، وفيم خلقت ، وإلى أين المصير ؟

وأن يعلم كل أن الطريق من (فوق) ، فيرفع رأسه ليرى الطريق . ومن منا يرفع اليوم رأسه ، ونحن كالنحلة لا تمشى إلا على الأرض ؟ بل إن منا من هو كالفراشة ، تسعى إلى النار ، يحسبها هى باب الانطلاق !

إن المسيحيين يصلون لربهم قبل الطعام على المائدة ، وقبل الدرس فى المدرسة ، ويوم الأحد فى الكنيسة ، فتعلم أنهم مسيحيون ، فما يصنع كثير من المسلمين ، وأى علامة تدل على أنهم مسلمون ، من ساعة يصبحون إلى ساعة يمسون !

لا صلاة ، ولا ذكر ، ولا تمييز لحلال من حرام ، إن عملوا فضيلة فباسم الأخلاق والفضيلة والصحة ، لا باسم الإسلام .

فما الفرق بينهم وبين غيرهم ؟

يقولون إن الدين المعاملة والصدق والقصد والاعتدال ، وأن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك .

---

(١) جمع مليونير

صحيح ، ولكن هذا من الدين ، وليس هو الدين !

وهذا شأن كل شريف ، يستوى فيه الشرفاء جميعاً ، فما معنى تفريقهم إلى مؤمنين وملحدين وعباد وثن ؟

وهذا كله للحياة الدنيا ، فما الدين نعمله للحياة الأخرى ؟

لا ، بل الدين ، أن تتصل بالعالم العلوى ، وأن تراقب الله ، وأن تعلم أنه مطلع عليك أبداً ، وأنه يرعاك بعينه فترعاه بقلبك وتطيعه بجوارحك .

هذه غاية الخلق ، وهذا سرّ الوجود ، ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، لا عبادة عادة ، وصلاة رياضة ، وصوم استشفاء ، وحج سياحة ؛ بل العبادة التي يحسّ بها القلب حلاوة الإيمان ، ويذوق فيهـا لذة العبودية ، ويستشعر فيها القيام بين يدى الله . ولتنام مع ذلك فى ميدان الحياة ، ولتقحم لجـّها ، ولتأخذ أوفر قسط من طيباتها ، ومن علومها ومن فنونها ، ولتكن قوياً ، ولتكن غنياً .

هذى حقيقة الدين ، وهذى غاية الحياة ، فهل يصل إلى الغاية من مشى أربعين سنة مائلا عنها ، ضالا طريقها ؟

ألا يا ضيعة هذه السنين الأربعين !

(دمشق ص . ب ١٩) **على الطنطاوى**

الكندى ورجال الدين

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

بين الفلسفة والدين ، وبين الفلاسفة ورجال الدين ، خصومة قديمة تذهب إلى أبعد العصور ، ولا تزال سارية حتى اليوم . فقد كانت التهمة التي وجهت إلى سقراط أنه أنكر آلهة اليونان ، ومن أجل ذلك حكموا عليه بالإعدام . وتاريخ الحضارة الإسلامية يسجل صراعاً مستمراً حاداً بين الفلاسفة ورجال الدين ، اشتهر بعضه ، وخفى عنا بعضه الآخر . وأظنك لا تجهل كيف نهض الغزالى يهاجم الفلاسفة هجوماً عنيفاً فى كتابه تهافت الفلاسفة ، وانبرى له ابن رشد يفند أقواله فى « تهافت التهافت » كما ألف فى التوفيق بين الفلسفة والدين ، ويدعو إلى رفع الخلاف عنهما كتاب « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » .

ولا نحب أن نستعرض كل ما وقع فى تاريخ الفكر ، فالخصومة أشهر من الاستعراض ، ولا نحتاج إلى استرسال . غير أنا نحب أن ننشر صفحة طواها التاريخ أجيالا ، وسعى الباحثون عنها فلم يجدوا إلا ظلا وخيالا ، تلك هى صفحة الكندى ، فيلسوف العرب ، الذى ضاعت كتبه ، وطويت فى بطون المخطوطات ، حتى كشف حديثاً عن جملة من رسائله : تفصح عن فلسفته ، وتلقى الضوء على مذهبه .

وسوف نحدثك فى هذه الكلمة عن جانب واحد من جوانب فكره : هو موقفه من الدين ورجاله ، فنذكر طرفاً من احتجاجه وجداله .

فقد شاع عن الكندى أنه ينتسب إلى يونان ، وأنه كفر بعد اصطناع آرائهم فى الفلسفة ، كما روى المسعودى فى مروج الذهب فقال : «وقد كان يعقوب الكندى يذهب فى نسب يونان إلى ما ذكرنا : أنه أخ لقحطان ، ويحتج لذلك بأخبار يذكرها فى بدء الأشياء ... وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشى فى قصيدة له طويلة ، ووكد خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفاً فى صدد هذا الباب ، فقال :

أبا يوسف إنى نظرت فلم أجـــد
على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عنـد قوم إذا امرؤ
بلاهم جميعاً لم يجـــد عندهم عندا
أتقرن إلحـــاداً بدين محمد لقد جئت فينا يا أخا كندة إدا
وتخلط يونان بقحطان ضلة لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

ونحن نرى أن الكندى برىء من التهمتين جميعاً : تهمة الانتساب إلى اليونان ، وتهمة الإلحاد . وإنما شاع ما شاع عنه بدافع إغراء الحساد والمنافسين . ذكر ابن النديم فى الفهرست عند الكلام على أبى معشر المنجم « أنه كان أولا من أصحاب الحديث . وكان يضاغن الكندى ، ويغرى به العامة ، ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة » .

وأنصفه المنفور له مصطفى عبد الرازق فى بحث له عن الكندى فقال : « هكذا يبلغ العبث بالتاريخ حداً يشوه من خلق الكندى ومن عقله ، وقد كان الرجل فى خلقه وفى عقله

من أعظم ما عرف البشر » .

وأكبر الظن أن المعاصرين للكندى أضافوا إليه القول بالانتساب إلى يونان ، لما رأوه من انصرافه إلى البحث فى الفلسفة اليونانية ، ونقل آراء الفلاسفة وكتبهم إلى العربية ، مع تحبيذ هذه الآراء والدفاع عنها . ذكر القفطى فى أخبار الحكماء أن الكندى هو المشتهر فى الملة الإسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية » . وقال ابن أبى أصيبعة صاحب طبقات الأطباء « حُذَّاق الترجمة فى الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى ، وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبرى » .

كان الكندى إذن من حذاق المترجين عن اليونانية ، وله فى الدفاع عن الفلسفة اليونانية حجة لطيفة خلاصتها أن الفرد الواحد لا يستطيع بلوغ الحق وحده ، فلا بد من التعاون فى الفكر والأخذ عن المتقدمين إلى أن قال : (١) « وغير ممكن أن يجتمع فى زمن المرء الواحد وإن اتسعت مدته ، واشتد بحثه ، ولطف نظره ، وآثر الدأب ، ما اجتمع بمثل ذلك من شدة البحث ، وإلطاف النظر وإيثار الدأب فى أضعاف ذلك من الزمان الأضعاف الكثيرة . فأما أرسطوطاليس ، مبرز اليونانيين فى الفلسفة فقال : ينبغى لنا أن نشكر آباء الذين أتوا بشىء من الحق ، إذ كانوا سبب كونهم ، فضلا عن أنهم سبب لهم . وإذ هم سبب لنا إلى نيل الحق ، فما أحسن ما قال فى ذلك » .

ثم أضاف بعد ذلك : وينبغى لنا ألا نستحى من استحسان الحق ، واقتناء الحق من أين أتى ، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة ... »

ولسنا ندرى هل كان الكندى هو الذى بدأ الهجوم على رجال الدين ، أم كان يدفع عن نفسه هجماتهم . ذلك أن الفلسفة لم تكن قد أوغلت فى الحضارة الإسلامية ، ولم يكن العهد بينه وبين عصر المأمون بعيداً ، والمأمون كما نعرف هو الذى شجع حركة النقل وأنشأ فى بغداد دار الحكمة ، وبعث فى طلب كتب الطب والفلسفة وأجرى الأرزاق على المترجين ، وكان أغلبهم من السريان . والراجح أن الكندى هو أول فيلسوف عربى ، وأول ناقل عربى ، ولهذا قالوا عنه « فيلسوف العرب » .

وكانت ألسنة رجال الدين حادة عنيفة ترمى المشتغلين بالفلسفة بالكفر ، على الرغم من دفاع الخلفاء عنهم فى صدر حركة النقل .

وهذا هو السبب الذى دعا الكندى إلى الحذر فى نقل جميع آراء أرسطو ، وفى ذلك يقول : « توقيا سوء تأويل كثيرمن المتسمين بالنظر فى دهرنا من أهل الغربة عن الحق ، وإن تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ؛ لضيق فطنتهم عن أساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة فى الرأى والاجتهاد فى الأنفاع العامة الشاملة ، ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية ، والحاجب بسدف سجونه أبصار فكرهم عن نور الحق ووضعهم ذوى الفضائل الإنسانية — التى قصروا عن نيلها ، وكانوا منها فى الأطراف الشاسعة — لموضع الأعداء ، ذباً عن كراسيهم المزورة التى نصبوها من غير استحقاق ، بل للترؤس والتجارة بالدين ، وهم عدماء الدين ؛ لأن من تجر بشىء باعه ، ومن باع شيئاً لم يكن له ، فمن تجر بالدين لم يكن له دين .

ويحق أن يتعرى من الدين مَن عاند قنية علم الأشياء بحقائقها وسماها كفراً ؛ لأن فى علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية ، وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة .

وجملة كل علم نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه ، واقتناء هذه جميعاً هو الذى أتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه ؛ فإن الرسل الصادقة ، صلوات الله عليها ، إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده ، وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل فى ذواتها وإيثارها »

فأنت ترى أن الخصومة كانت عنيفة بين الطرفين ؛ فرجال الدين يرمون الكندى بالكفر والإلحاد ، ويذهبون إلى أنه يجعل يونان أخا قحطان ، والكندى يرمى رجال الدين بأنهم يتجرون بالدين وهم عدماء الدين ، ويطلب منهم الحجة إن كان عندهم برهان أو دليل .

يقول عنهم إنهم يتسمون بالنظر وهم أهل غربة عن الحق ، وأنهم يتتوجون بتيجان الحق بغير استحقاق ، يحجب الحسد أبصارهم عن نور الحق ، ويتربعون على كراسى الدين طلباً للرئاسة وذباً عنها

ثم يبين الكندى الصلة بين الحكمة والشريعة ، بل يذهب إلى أن الدين من الفلسفة ، فهى قنية علم الأشياء بحقائقها وفى ذلك علم الربوبية والوحدانية والفضيلة . فالفلسفة توافق الدين ؛ لأن الرسل الصادقة أتت بالإقرار بربوبية الله وحده .

ثم يحتج الكندى لرجال الدين بحجة عقلية تضيق عليهم

(١) كتاب الكندى إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى .

الخناق ، فيقول : إن اقتناء الفلسفة « يجب أو لا يجب ، فإن قالوا يجب وجب عليهم طلبها ؛ وإن قالوا إنها لا تجب ، وجب عليهم أن يحصروا علة ذلك ، وأن يعطوا على ذلك برهاناً ، وإعطاء العلة والبرهان من قنية علم الأشياء بحقائقها . فواجب إذن طلب هذه القنية بألسنتهم والتمسك بها اضطرار عليهم » .

غير أن النصر فى هذه المعركة كان لرجال الدين إذ شوهوا آثار فيلسوف العرب ، وصرفوا عن قراءتها أغلب الناس . ويبدو كذلك أنهم أوغروا عليه صدر زعيم من أئمة الأدب فى ذلك العصر هو الجاحظ ، الذى تناوله بالنقد والتجريح والسخرية اللاذعة فى أكثر من كتاب ، فى الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء

ومن التهم التى رمى بها الكندى فساد الذوق الأدبى ، وضعف الأسلوب ، والبعد عن البلاغة ، وهى تهمة لصقت به ، لا نستطيع أن نحقق فيها إلا إذا تناولنا أسلوبه بناء على ما ظهر له من نصوص .

أحمد فؤاد الأهوانى

موقف اليهود فى مصر

للأستـــاذ نقولا الحداد

يدَّعى اليهود المقيمون فى مصر أنهم مصريون وطنيون فمن الظلم أن يُطلب منهم أن يحاربوا إخوانهم الصهيونيين .

وإذ كانوا مصريين وطنيين بكل معنى الكلمة كما يزعمون فعليهم ما على المصريين كما أن لهم ما للمصريين . فهم يرتزقون فى مصر ويثرون بل يستغلون جميع مرافق البلاد أكثر من غيرهم ، فإذاً يجب أن يكون عليهم ما على المصريين .

إن المصريين كسائر العرب فى جميع البلاد العربية يعتبرون فلسطين قطعة من البلاد العربية بل هى مركز العروبة . ولذلك قرر العرب فى مصر وغير مصر أن يدافعوا عن فلسطين بالمهج والأموال ، وقرروا أن تبقى فلسطين عربية إلى الأبد ، وأنهم يضحون كل غال ونفيس وبقائها لأجل استقلالها عربية لا قطرة دم أجنبية فيها .

ولهذا السبب جعل المصريون كاخوانهم العرب فى جميع البلاد العربية يتبرعون بالمال ويتطوعون بالرجال ويقتنون العتاد لتحرير فلسطين من الصهيونيين . فإذا كان يهود مصر مصريين وطنيين كما يزعمون ، فيجب أن يتبرعوا ويتطوعوا كإخوانهم المصريين . وإن كانوا صهيونيين فهم إذاً أعداء العرب فى قلب بلاد عربية ، وبالتالى فهم أعداء مصر نفسها . وحكمهم فى هذه الآونة الحاضرة حكم الأجانب الأعداء فى مدة الحرب الأخيرة فيجب أن يعتقل الطابور الخامس منهم وكل من يشتبه بأنه معاون للصهيونين وأن تصادر أموالهم كما فعلت مصر بأعداء الحلفاء . وأما أن يبقوا فى البلاد يستغلونها ويترعرعون فيها ثم يبعثون بالأموال وبالمؤونة والعتاد إلى تل أبيب وكر الصهيونية فإن هذا العمل خيانة لمصر ولجميع العرب .

وإما أن يقولوا أو يقول من يدافع عنهم انه لظلم أن نطلب منهم أن يحاربوا إخوانهم فى الدين ، أى الصهيونيين ، فهذا أمرٌ لا يحتمله الطبع البشرى .

ولكن ليعلم اليهود فى كل العالم وليعلم أنصار اليهود أن هذه الحرب المبتدئة الآن فى فلسطين ليست حرباً دينية وليست حرباً بين يهود ومسلمين ونصارى ؛ إنما هى حرب قومية بين صهونيين وعرب ؛ فإذا كان يهود مصر المقيمون فى مصر من زمان طويل صهيونيين فليخرجوا من البلاد لأنهم يعدون أعداء ؛ وإن كانوا مصريين فعليهم أن يشاركوا المصريين فى الدفاع عن فلسطين .

وأما أن يقولوا لا يصح أن نحارب إخواننا فى الدين فهو عذر غير مقبول . لما كان إيزنهور يقود الجيوش الأميركية فى الحرب المنصرمة لمقاتلة الألمان لم يقل إنى من أصل ألمانى وديانتى كديانة الألمان فلا يصح أن أحارب الألمان ، بل قال إن أميركا تحارب ألمانيا وأنا أميركى فيجب أن أسحق ألمانيا . وهكذا فعل .

وحين كان جورج وشنطون يقود الجنود الأميركان ضد الجنود الإنكليز لكى يحرر أميركا من نير بريطانيا ، لم يقل إن هؤلاء الجنود البريطانيين إنكليز مثلنا ودمنا من دمهم ولغتنا لغتهم وديننا دينهم فلا يجوز أن نحاربهم ، بل كان يقول : بريطانيا محتلة أميركا ، وأميركا تريد أن تستقل ، فيجب أن نحاربها حتى نطردها من البلاد . وهكذا كان .

فيا أيها الإخوان اليهود ! إن كنتم إخواننا فى الجنسية والوطنية فاشتركوا معنا فى قتل الصهيونية . وإن كنتم صهيونيين فاخرجوا من البلاد لأنكم أعداء البلاد فاختاروا أحد هذين الموقفين

نقولا الحداد

من رسائل الشيخ شامل

« على هامش الثقافة العربية فى الاتحاد السوفيتى »

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

فى شهر يونيو من سنة ١٩٤٣ أذاع الأستاذ أغناطيوس كراتشكوفسكى محاضرة عن الثقافة العربية فى الاتحاد السوفيتى جاء فيها ما يأتى : « ولا يزال بعض سكان داغستان يتكلمون بلغة عربية قديمة إلى جانب لغتهم الأصلية ، ويستخدمونها فى التخاطب والكتابة ، وحتى فى نظم الشعر وفق الأوزان العربية القديمة الخ » .

ونشرت خلاصة تلك المحاضرة فى بعض الصحف المصرية يومئذ ، فقام أحد كبار الكتاب المعنيين بالشئون القوقازية ، وكتب مقالا فى إحدى الصحف اليومية الكبيرة حاول فيه التشكيك فيما قاله المحاضر عن ذيوع اللغة العربية فى بعض جهات الداغستان ، وكتبت فى ذلك الحين مقالا طويلا شرحت فيه مكان اللغة العربية فى القوقاز وبينت أنها عماد الثقافة العامة فى الداغستان من أمد بعيد . وقد تفضلت الرسالة الغراء فنشرت ذلك المقال فى العدد الأول من سنتها الثانية عشرة (يناير سنة ١٩٤٤) .

هذه كلة وجيزة أردت بها التمهيد قبل نشر بعض الرسائل التى عثرت عليها مما كتبه الشيخ شامل نفسه فى شئون مختلفة بلغة عربية سليمة ، فيها سلاسة العبارة ، ووضوح الفكرة .

وهى أربع رسائل عثرت عليها اتفاقاً عند أحد شيوخ الداغستانيين فى حمص — سورية — فى الصيف الماضى [(١)] .

وهذه الرسائل تفيدنا أن شاملا كان يدعو نفسه — كما كان يدعوه أصحابه وأتباعه فى القوقاز — أمير المؤمنين .

كما نعرف منها أن اسمه المعروف به هناك هو « شمويل » وإن اشتهر فى خارج بلاد القوقاز باسم الشيخ شامل .

وهذه هى الرسائل :

(١) هو الحاج محمد الأقوشى الداغستانى فى يوم الجمعة ١١/٧/١٩٤٧ م

— ١ —

من أمير المؤمنين شمويل إلى والده الأعز جمال الدين وإلى أخويه الكريمين الحاج على العسكرى والقاضى حجيو وإلى أهل بيته ، فإلى كافة جماعة القريتين .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد . فلقد وقع بيننا وبين الكفار وقائع وحروب بحيث لم يقع مثلها إلى الآن فى ديار « ججان » [(١)] ، بل فى ديار داغستان . يومى الأحد والإثنين ، بالمدافع الكبار والصغار والسيوف الصوارم ، ونصرنا الله تعالى وأيدنا تأييد النبى المختار محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخذل أولئكم اللاعين أينما توجهوا ، ورجعوا من أمام باب شميب إلى قلعة « أىْ سُنْقُرْ » مقهورين منهزمين بحيث لا يرجعون إلى ديارنا بعد ، فحمدنا الله تعالى وشكرناه على أياديه العظام ، وإعانته لنا . وهذا بشرى لكم أيها الكرام ، ولعل هذا التأييد بسبب بركات دعواتكم ، وخشوعكم وتضرعكم . ونحن نرجع إلى الأوطان بلا طول فصل ، إن شاء الله تعالى . والباقى يخبركم الحامل بالتفصيل التام . هذا . والسلام .

— ٢ —

من الكاتب الفقير شمويل إلى إخوانه الكرام قاضى وعلماء وجميع جماعة « بِنْ » [(٢)] :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وصانكم الله تعالى من كل آفة . ما ظهر منها وما بطن آمين . أما بعد .

فاعلموا — يا إخوانى — إنى تركت أخذ مكافلكم للرهن ثقة بكم أن لا تخونوا دين الله تعالى ورجاء أن يكون ذلكم الترك سبباً لزوال الكدورة من بينكم ، وزيادة الألفة والمحبة فيكم ، فلا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، ولا يقصد بعضكم ضر بعض ، ولا تكونوا جواسيس « أنصال » [(٣)] لإيصال المضرة إلى بعضكم ، وكونوا عباد الله إخواناً .

(١) مقاطعة فى شمالى الداغستان كانت ميدان معارك كثيرة بين شامل وبين الروس

(٢) اسم قرية

(٣) اسم أحد الخارجين على الشيخ شامل المتعاونين مع الروس .

هذه نصيحة من الفقير ، فمن لم يقبلها ولم يعبأ بها ، وسعى بمخالفتها . فإن أصابه منا تعزيز بليغ — ولا شك أنه يصل إن شاء الله تعالى بعونه وقوته إما بالقتل أو ما هو أيسر منه — فلا يلومن إلا نفسه ، والباقي يخبركم الحامل بأوضح بيان ، بالمشافهة واللسان . والسلام .

— ٣ —

من أمير المؤمنين شموبل إلى خادم الكفار — ومحارب القهار ، وخليل الشيطان الغرار « أغلار »(١) .

سلام على من اتبع الهدى ، ونهى النفس عن موادّات العدى . أما بعد .

فإن هذا النصراني قد اختار دين الإسلام ، من خدمة عبدة الأوثان والأصنام ، وإن اخترتم المكس . هذا .

— ٤ —

من أمير المؤمنين شموبل إلى أخيه النائب أبي بكر . سلام كثير . فالذي يقوله هؤلاء الحاملون من أخذ مزارع البنات المتزوجة إلى الأخرى مما لا يقبله العقل والنقل ، فاحذر منه ، فالسلام .

يوم السبت ٣ من جمادى الأولى سنة ١٢٧١ هـ

***

هذا هو نص الرسائل التي عثرت عليها وهي — كما رأى القارىء — رسائل عربية الأهاب واضحة الأسلوب مع مراعاة أنها كتبت قبل نحو مائة سنة ، وأن كاتبها رجل لم يغادر بلاده إلى بلاد عربية فضلا عن أنه كان مدى ثلاثين سنة متواصلة في حرب مستمرة مع عدو قوي جبار .

والرسائل الثلاث الأولى كتبت في إبان الثورة وفي شئون متصلة بها أشد اتصال . والرسالة الرابعة كتبت رداً على استفتاء في شأن من شئون الحياة . وتمتاز عن بقية الرسائل بأنها مذيلة بتاريخ وهو يوم السبت الثالث من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف من الهجرة . أي قبل استسلام شامل بنحو خمسة أعوام ، فقد اضطر إلى التسليم في صفر سنة ست وسبعين ومائتين وألف .

والشيخ شامل كان لا يعرف اللغة الروسية مع أنه عاش في بلاد كان نفوذ الروس فيها عاماً شاملا في كثير من الأوقات ، بل كان لا يعرف إلى جانب لغته الأصلية إلا اللغه العربية التي كان يحسنها إحساناً . فقد ذكر الفيكونت فيليب دي طرازي في تاريخ الصحافة . (ج ٢ ص ١٧٣) عند كلامه عن سليم دي نوفل واستدعائه سنة ١٨٦١ م لتدريس اللغة العربية في جامعة بترسبورغ — ما يأتي . « واتفق أن شاملا المشهور الذي حارب روسيا مدة ٣٢ سنة خضع وسلم لها في ذلك الزمن ، وكان لا يحسن اللغة الروسية ، بل العربية ، فكان سليم ترجماناً بينه وبين القيصر اسكندر الثاني » .

وعلى ذكر القيصر اسكندر الثاني أقول : ذكر الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني الذي كان أسيراً لدى الروسيين مع الشيخ شامل — هذه الحادثة :

كان الشيخ شامل مدعواً إلى إحدى الحفلات المقامة في قصر الامبراطور اسكندر الثاني ، وبينما كان جالساً بجانب القيصر اسكندر الثاني على المائدة التفت إليه القيصر ، وأظهر له عظيم الاحترام والتقدير وقال له :

« إنني فخور جداً أن أرى في مثل هذا اليوم السعيد رجلا عظيما مثلكم في ضيافتي » .

فلم يترك شامل هذه التحية تمر بسلام ، فالتفت إلى القيصر وأجاب بهدوء :

« لو أن شخصكم الكريم كان في أسري وضيافتي لكان سروري أعظم ، وافتخاري بذلك أجل ! » .

رحم الله شاملا وبرد ثراه ، فقد عاش كريماً يناضل في سبيل دينه ووطنه أكثر من ثلاثين عاماً ، حتى إذا اضطر إلى القاء السلاح والاستسلام إلى عدوه لم تفارقه روح الرجل المسلم المناضل الحر ، ولو كان جليسه امبراطور روسيا القيصر اسكندر الثاني .

برهان الدين الداغستاني

(١) إغلار خان من أعوان الروس الخارجين على شامل . والرسالة قاسية فيها بعض غموض

الفتوة الاســـلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

عرفوا الفتوة فى اللغة بأنها : السكرم والسخاء ، والشجاعة والمروءة ، فإذا عرفنا أن هذه الفضائل الخلقية كانت جماع الشرف والحمد فى البيئة العربية أدركنا أن « الفتوة » كانت دلالة النبل والسمو فى تلك البيئة . ولقد قالوا « لا فتى إلا علىّ » ، يعنون أنه كرم الله وجهه كان غاية فى إدراك هذه الفضائل والشمائل ، على أننا نجد معنى « الفتوة » فيما بعد الصدر الأول للإسلام قد اتسع فى دلالته فأصبح يضم إلى ما سلف من الفضائل الخلقية فضيلة الإيثار والتضحية وإنكار الذات ، وبهذا انتقلت « الفتوة » من طور إلى طور ، فالفتى فى الطور الأول كان فرداً غايته أن يفعل ما يكسبه الحمد فى قومه ، وأن يحافظ على شرفه الذى هو شرف قبيلته ، أما فى الطور الثانى فإنه أصبح فرداً يعيش لغيره ويؤثره على نفسه ، أو كما نقول فى اصطلاح العصر : فرداً يعيش للجماعة ، وقد حدد الشاعر العربى هذا المعنى إذ يقول :

فإن فتى الفتيان من راح واغتدى ... لضر عدو أو لنفع صـديق

ويظهر أن « الفتوة » قد ابتدأت تتميز فى البيئة الإسلامية كظاهرة من ظواهر المجاهدة ، وكرحلة من مراحل التصوف ، على عهد الحسن البصرى ، ومما يؤثر عن الحسن قوله : « كان الفتى إذا نسك لم نعرفه بمنطقه وإنما نعرفه بعمله » ، وبهذا المعنى تكلم فى « الفتوة » جعفر الصادق ، ثم الفضيل ، ثم الإمام أحمد ، ثم سهل ، فالجنيد ، وأضرابهم من الصوفية . قال على بن أبى بكر الأهوازى « إن أصل الفتوة ألا ترى لنفسك فضلا واحداً » ، وقال القشيرى : « أصل الفتوة أن يكون العبد أبداً فى أمر غيره » ، وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » إن الفتوة هى كسر إبراهيم للصنم ، وصنم كل إنسان نفسه ، فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة .. وهكذا نجد « الفتوة قد اتخذت فى البيئة الصوفية مظهراً يلائم تلك البيئة فى اتجاهاتها وفى أهدافها ..

والسكلام على ما كان من نظام « الفتوة » فى محيط الصوفية يحتاج إلى حيّز كبير ، وقد يقتضى ذلك كتاباً برمته ، فحسبنا تلك الإشارة العابرة ، لأننا نقصد فى هذا المقال إلى السكلام عن « الفتوة » إذ تمثلت فى المجتمع الإسلامى نظاماً له أهدافه السياسية والاجتماعية والخلقية ، وقد كان ذلك على عهد الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، فهو الذى فرغ لهذا الأمر وتولى تدبيره بنفسه ، فأهدر ما كان من أوضاع الفتوة السابقة ووضع لها نظاماً عاماً ينتظم الأكابر والأصاغر والخاصة والعامة ، وجعل نفسه القبلة فى هذا والمرجع ، وأرسل إلى الملوك والأمراء على أن يأخذوا بهذا النظام ، قال « أبو الفداء » فى حوادث سنة سبع وستمائة : « وفى تلك السنة وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة [1] ، ويلبسوا له سراويلها ، وأن ينتسبوا إليه فى رمى البندق ويجعلوه قدوتهم ... » ، ويقول أبو المحاسن ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة : « وفى أيام الناصر لدين الله ظهرت الفتوة ببغداد ورمى البندق ولعب الحمام المناسيب ، وافتن الناس فى ذلك ، ودخل فيه الأجلاء ثم الملوك ، فألبسوا الملك العادل ثم أولاده سراويل الفتوة ، ولبسها أيضاً الملك شهاب الدين صاحب غزنة والهند من الخليفة الناصر لدين الله ، ولبسها جماعة أخر من الملوك .. »

ولعل ابن الساعى هو المؤرخ الوحيد الذى فصل ما كان من عمل الناصر فى ذلك ، ولقد حفظ لنا هذا المؤرخ العظيم صورة من العهد الذى أذاعه هذا الخليفة على رؤساء الأحزاب بتعاليم الفتوة وما حددّ لها من التقاليد والأوضاع حتى لا يتعدوها فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بينهم وبين الناس [2] ، وقد كان من خبر ذلك العهد أن الفاخر العلوى كان رفيقاً للوزير ناصر ابن مهدى ، وكان له رفقاء ، فاختصم أحد رفقائه مع رفيق لعز الدين نجاح الشرابى ، ووقعت بذلك فتنة عظيمة بين الفريقين ، حتى تجالدوا بالسيوف ، فانتهى هذا إلى الخليفة الناصر فأنكره ، وتقدم إلى الوزير بجمع رؤوس الأحزاب ، وأن يكتب فى ذلك كتاب يؤمرون فيه بالمعروف والألفة ، وينهون عن التضاغن

(١) هو كما نقول فى هذه الأيام يشربون نخب فلان .

(٢) لم يصلنا من تاريخ ابن الساعى إلا قطعة مخطوطة جمعها المغفور له أحمد تيمور باشا وهى تبدأ من حوادث سنة ٥٩٥ هـ وتنتهى بحوادث سنة ٦٠٦ هـ وعليها اعتمدنا فى نقل تلك النصوص .

والتباغض ، ويقرأ بمحضر منهم ، ويشهد عليهم بما يتضمنه ، فمن خالفه أخذت سراويله ، وأبطلت فتوته ، وعوقب بما يستحق، ويعتبر هذا العهد وثيقة نادرة تكشف لنا عن الحدود التي رسمها الخليفة الناصر لنظام « الفتوة » الذي أقامه ، وتبين لنا ما وضع لهذا النظام من هدف وغاية ، فني ديباجة هذا العهد يشير إلى شيء من تاريخ الفتوة ومرجعها وأصلها فيقول : « من المعلوم الذي لا يتمارى في صحته ، ولا يرتاب في وضوح براهينه وأدلته ، أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو أصل الفتوة ومنبعها ، ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها ، وعنه تروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، وإليه دون غيره ينسب الفتيان ، وعلى منوال مؤاخاته الشريفة النبوية نسج الرفقاء والإخوان ، وأنه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ، ويستوفيها من أصناف الجناة على تباين جناياتها ، ومللها ومذاهبها ، غير مقصر عما أمر به الشرع المطهر وقدره ، ولا مراقب فيما رتبه من الحدود وقرره ، امتثالا لأمر الله تعالى في إقامة حدوده ، وحفظاً لمناظم الشرع وتقويم عموده ، فإنه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ، ومشهد من أخبار الصحابة ومجمع ، فلم يسمع أن أحداً من الأمة لامه ، ولا طعن عليه طاعن في حد أقامه ، وحقيق بمن أورثه الله مقامه ، وناط به شرائع الدين وأحكامه ، وانتمى إليه عليه السلام في فتوته ، واقتفى شريف شيمته ، وكريم سجيته ، أن يقتدي به عليه السلام في أفعاله ، ويحتذي فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله ، غير ملوم فيما يأتيه من ذلك ، ولا معارض فتوة وشرعاً فيما يورده ويصدره»

ثم يشير العهد إلى المراسم المفروضة « على كل من تشرف بالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة الطاهرة الزكية الأمامية الناصرة لدين الله تعالى » ، وكل هـذه المراسم دعوة إلى الألفة والمحبة ، وإلى أن يكون الرفاق في عون بعضهم بعضا ، فمن كان له رفيق قتل نفساً زكية بغير إثم بادر بالخروج من رفقته ، لأنه بهذا الإثم خرج عن دائرة الفتوة ، ومن حمى قاتلا وأخفاه وساعده على أمره تنزل عنه كبيره وتبرأ منه ، ومن حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ، ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى ، وإذا قتل الفتى فتىً من حزبه سقطت فتوته ، ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملا بقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » ، فإذا قتل غيرُ فتى رفيقاً من الرفاق أو عوناً من الأعوان ، أو منتسباً إلى ديوان في بلد الخليفة المفترض الطاعة على كافة الأنام ، فقد عيب هذا القاتل بالقتل وواجب القصاص منه على كل فتى راجح . .

وفي الختام يشير العهد إلى ما يجب على الرفقة من العمل بموجبه والجرى على مقتضى المأمور به والوقوف عنـد المحدود فيـه ، قال ابن الساعى « وقد سلم إلى كل واحد من رؤساء الأحزاب منشور بهذا المثال فيـه شهادة ثلاثين من العدول ، ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور ما صورته : قابل العبد بما تضمنه هـذا المرسوم المطاع ، وقابله بما يجب عليه من الانقياد والامتثال والاتباع ، وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً ، وهذا المعروف من سيرة الفتيان نقلا وسمعاً ، وقد ألزمت نفسي إجراء الأمر على ما تضمنه هـذا المرسوم الأشرف ، فمتى جرى ما ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخـذة مستحقة على ما يراه صاحب الحرب ثبت الله دولته وأعلى كلمته .... » .

لم تكشف لنا النصوص الواردة عن حقيقة القصد الذي كان يهدف إليه الناصر من إنشاء هـذا النظام للفتوة ، أو على الأصح من إنشاء هذه الجمعية التي كانت في نظامها أشبه ما تكون بالجمعيات السياسية والحربية ، ولهذا يرجح الباحثون أن الناصر كان يقصد بذلك إلى إحياء الروح الحربية في النفوس ، وإقامة قوة يمكن أن يقف بها في وجه أولئك الأعاجم الذين أخذوا يتخطفون الامبراطورية العربية من كل جانب ، ويعملون على إزالة معالم الخلافة الإسلامية . غير أنا نرى جميع المؤرخين القدماء الذين كتبوا في سيرة الناصر وأعماله قد عابوه بالانصراف إلى هذا الأمر ، حتى يقول أبو الفداء إنه «كان قبيح السيرة منصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسيب ولبس سراويلات الفتوة » ، وإنهم ليذكرون عنه في ذلك حكايات تصوره مثـلا أعلى في اللهو وسقوط الهمـة والانصراف عن مهمات الأمور . والمؤرخون القـدماء لا شك معذورون في هذا التقدير ، لأنهم تعودوا أن يروا الخليفة مثالا للارستقراطية المتعالية ، فهو شخص لا عمل له إلا أن يجلس

فى صدر الديوان يأمر وينهى ، ويمنع ويمنح ، فكان من الغريب فى تقديرهم أن ينصرف الناصر إلى هذا التدبير ، وأن يبذل له كل هذه العناية ، وأن يعنى بتعميم ذلك النظام الحربى الرياضى بين الطبقات ! !

على أى حال نستطيع أن نقول إن الناصر قد وضع نظاماً للفتوة الإسلامية كان فى الإمكان أن يجدد شباب الدولة العربية وأن ينهض بها من عوامل الانحلال التى تسربت إلى جسمها ، ولكن يظهر أن أحداث الزمن فى تلك الأيام كانت أعنف وأغلب . على أن هذا النظام قد امتـــدت أصوله فى البيئات الإسلامية ، وعمت آثاره آماداً من السنين ، فأننا نجد الرحالة ابن بطوطة بعد عهد الناصر بقرنين ، أى فى القرن الثامن الهجرى يتحدث عن جمعيات الفتوة وانتشارها فى بلاد الأناضول ، ويثنى عليها ثناء مستطاباً ، وكانوا يسمون بالأخية الفتيان (١) ، قال ابن بطوطة « وهم بجميع البلاد التركمانية والرومية ، فى كل بلد ومدينة وقرية ، ولا يوجد فى الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على أيدى الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر ، والأخى عندهم رجل يجتمع أهل صناعة وغيرهم من الشبان الأعزاب والمتجردين ويقدمونه على أنفسهم ، وتلك هى الفتوة أيضاً ، ويبنى زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج وما يحتاج إليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهـار فى طلب معايشهم ويأتون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم ، فيشترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك مما ينفق فى الزاوية ، فان ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافة لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف ، وإن لم يرد وارد اجتمعوا على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغدو ، وأتوا بعد العصر الى مقدمهم بما اجتمع لهم ، ويسمون بالفتيان ، ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الأخى ، ولم أر فى الدنيا أجمل أفعالا منهم ، ويشبههم فى أفعالهم أهل شيراز وأصفهان ، إلا أن هؤلاء أحب فى الوارد والصادر ، وأعظمهم إكراماً له وشفقة عليه .. »

(١) واحد الأخية أخى على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم ألى نفسه .

ومن ثمَّ نرى أن الفتوة الإسلامية قد تطورت إلى نظام اجتماعى إنسانى أشبه ما يكون بنظام الماسونية من جهة ، وبنظام التعاون الاجتماعى من جهة أخرى ، كما نرى أن الفتوة الإسلامية قد تغلغلت فى البلاد الأسلامية وانتشرت بين الطبقات ، ولو كان هنالك القائد المنظم الذى يعمل لاستغلال تلك الجماعات على وضع محدد الهدف والغاية لأجدت كثيراً من الخير على العالم الإسلامى ، ولكنها انتهت فى آخر الأمر إلى مايشبه نظام الزوايا الذى وضعه الصوفية ، ويظهر أنها تلاشت فى هذ النظام على مر السنين .

على أننا نرى فى العصور المتأخرة نظاماً شاع بين الطبقات ، وهو الذى عرف فى البلاد العربية « بمشيخة فتوة » وهو نظام كان يقوم على قوة الساعد والعضل ومزاولة بعض الأعمال الرياضية والفروسية .

وبعد ، فهذه صفحة من تاريخ الفتوة الإسلامية ، عرضناها على القراء مجملة ،لأن المقام لايحتمل الشرح والتفصيل ، ولعلنا نعود فى فرصة أخرى إلى تجلية بعض النواحى فى هذا الموضوع الذى عنى به المستشرقون أكثر مما عنى به أبناء العروبة .

محمد فهمى عبد اللطيف

اللغة العربية تصــــارع [1]

للأســـــتاذ وديع فلسطين

في مفتتح هذا القرن كان النشء يلحقون في معاهد مصرية خاضعة لوزارة المعارف المصرية (أو نظارة المعارف كما كانت تسمى) فلا يدرسون العلوم والرياضيات إلا بلغة أجنبية تلبية لرغبة المستعمرين ووكيلهم الداهية دنلوب .

بيد أن سعد زغلول باشا لم يكد يتقلد مهام وزارة المعارف في العام السادس من القرن العشرين حتى هبَّ هبَّته المدوّية ، وأعلن ثورته وعصيانه على أساليب التربية ولا سيما تدريس العلوم باللغة الإنجليزية . وعلى حين غرّة طالع سعد بني وطنه بقراره الانقلابي ، وعمم لغة الضاد بين جدران المعاهد ، فأصبحت أداة التعبير والتلقين .

وليست هذه المهمة مُيسرة كما قد يخال البعض ، بل كانت تنطوي في تضاعيفها على تبعات شتى ، لعلَّ أبرزها تبعة توفير عدد صالح من الأساتذة يعهد إليهم في شقّ الطريق واستحداث طائفة من الكتب باللغة العربية تخلف زميلاتها الإنجليزية ، وإعادة النظر في برامج التعليم على ضوء التجديد المستحدث .

فكانت هذه أول معركة ربحتها اللغــة العربية في ساحة صراعها ، وعقد لواء الظفر فيها لزعيم سياسي مخلد الذكرى ، أبت عليه مصريته وأبت عليه قوة شكيمته أن يلين للبناة ويدعهم يسممون الفكر ويسيئون التربية والإعداد .

* * *

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، أي في عام ١٨٧٥ تقرر في اللائحة الرسمية للمحاكم المختلطة استخدام اللغة العربية في المحاكم المختلطة بوصفها لغــة رسمية مع قرينتين أخريين هما الفرنسية والإيطالية . ولـكن عادة المحاكم جرت على اختيار اللغة الفرنسية لغــة موحدة في مخاطباتها وإصدار أحكامها ، وغضّت الطرف عن سائر اللغات الأخرى .

ودرجت سفينة المحاكم المختلطة على السير في هذا المنوال حتى هلَّ شهر فبراير من عام ١٩٣٤ وفيه عُين الأستاذ الدكتور عبد السلام ذهني بك مستشاراً في محكمة الاستئناف المختلطة . وعزَّ على القانوني المصري أن يرى لغة بلاده تهدر ويضرب عنها صفحاً ، فعمد عند كتابة أول حكم له إلى كتابته بالضاد وتقديمه بعــد ذلك إلى رئيس الدائرة البلجيكي ليمضيه . فبهت القــاضي واستعاذ بالله ، وقال إن مجد المحاكم المختلطة يؤذن بالأفول ونجمها في طريق الخبو . وكان لهذه الحادثة صــدى مدوّ أفضى إلى أن يتعاضد الأجنبيون من رجال المحكمة معاً ويحولوا دون مضي الفقيه المصري فيما اختطه لنفسه من سبيل .

بيد أنه لم يحل عام ١٩٣٧ حتى شهد إمضاء اتفاق مونترو الذي قرر إلغاء الامتيازات وجعل العربية اللغة الرسمية القضائية المكفولة المقام ، ونطق الأحكام في الجلسات مشافهة بلغة يعرب وبلغة الفرنسيس .

فـكانت هذه ثاني معركة صارعت فيها اللغة العربية على يد فقيه مقدام فـكان التوفيق حليفها .

* * *

وقبل خمسة أعوام ، أي في شهر أغسطس من عام ١٩٤ كان على رأس وزارة الشئون الاجتماعية شاب كفء ذو جرأة فهاله ما رأى وما سمع عن امتهان لغة البلاد في الشركات ودور الصــناعة الأجنبية في أديم مصر ، وصمم على رد الاعتبار للغة العرب وصون حقوقها ومقامها .

فاستصدر معاليه — وكان الأستاذ عبد الحميد عبد الحق — مشروع قانون لتعميم اللغة العربية في دور الشركات الأجنبية وجعلها اللغة الأصيلة وما عداها دخيلٌ لا يعوَّل عليه . فـكانت هذه الخطوة مثار تعليق متباين من الدوائر الأعجمية ، ولـكنها أجمعت جميعها على استنكارها .

غير أن الوزير الشاب مضى متجلداً صوب هدفه حتى أقرَّ مجلسا البرلمــان القانون وأصبح واجب الاحترام مكفول النفاذ وتحدَّث صاحب المشروع عنه قائلا « إنني أرى أن لا فضل لي في هذا القانون لا من حيث الفكرة ولا من حيث صدوره ... أما فيما يتعلق بالفكرة ، فهي فكرة كل مصري . وأما فيما يختص بصدوره فالفضل في ذلك إلى التمسك بحقوق البلاد »

(١) لأرد الفضــل لصاحبه أقرر أن صاحب فـكرة هذا المقال هو الأستاذ الصديق سيد قطب . (وديع)

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٥٧ — إنما سرقت مال ربي

فى (رفع الإصر عن قضاة مصر) لابن حجر العسقلاني : حكي على بن سعيد فى تاريخه أن رجلا سرق قنديلا من الجامع العتيق ، فرفع للقاضي ، فرفعه للحاكم ، فقال له : ويلك ! سرقت فضة الجامع ؟

فقال : إنما سرقت مال ربي ، وأنا فقير ، ولى بنات جياع ، والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا فى الجامع .

فدمعت عيناه ، ورققه القاضي عليه ، فأمره باحضار بناته ، فحضرن فأمر القاضي أن يجهزن بثلاثة آلاف دينار ، ويزوجن ، وأعاد القنديل إلى الجامع .

٩٥٨ — . . . فأمهلته إلى شوال

فى (تتمة اليتيمة) لأبى منصور الثعالبي :

أنشدنى الشيخ أبو بكر لأبى نصر كاتب ابن قحطان صاحب اليمن فى محمد بن حوشب (١) ، ولم أسمع فى معناه أظرف منه :

قيـل لى : ما أفدت ممن إليـه صرت تحدو قلائص الآمال ؟
قلت : جئناه فى شهور شراف وهـو فيها بنسكه ذو اشتغال
والفتى لا يجود إلا على السكر (٢) فأمهلته إلى شـــوال

٩٥٩ — الطبيعة إذا وجدت طريقاً استغنت به عن طريق ثانٍ

شرح النهج لابن أبى الحديد : اعلم أن الناس اختلفوا فى ابتداء خلق البشر كيف كان ، فذهب أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشر هو آدم الأب الأول ، وذهب طوائف من الناس إلى غير ذلك ، أما الفلاسفة فزعموا أنه لا أول لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع ، وأما الهند فن كان منهم على رأى الفلاسفة فقوله ما ذكرناه ، ومن لم يكن منهم على رأى الفلاسفة ويقول بحدوث الأجسام لا يثبت آدم ، ويقول إن الله (تعالى) خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محركة لها بذاتها ، فلما تحركت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء كانت تلك الأجسام على طبيعة واحدة ، فاختلفت طبائعها بالحركة الفلكية ، فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن وألطف ، والبعيد أبرد وأكثف . ثم اختلطت العناصر ، وتكونت منها المركبات . ومما تكون منها

(١) وردت « حوشب » فى الطبعة بالسين وهى بالشين .

وبسن هذا القانون أضحت لغة العرب سيدة اللغات فى مصر وأمكنها أن تصرع أترابها فى الميادين الرسمية .

* * *

بيد أن العربيـة ما فتئت تتعثر فى المجتمعات وفى الأندية ودور المرح وبيوت ذوى الأحساب والأنساب . ولا يزال عليها أن تواصل كفاحها بغير هوادة لتثبت أقدامها وتعزز مرتبتها .

فإذا جلست فى فندق من فنادق الحاضرة المصرية ، تناهت إلى أذنيك « بقايا » كلمات عربية مختلطة بلهجات أجنبية ، أو سمعت لغة فرنسية تتريث بين أوان وآخر لتزج بين ثناياها بكلمة عربية أو تعبير من تعبيرات السائغة .

وإذا زرت بعض البيوتات ، رأيت الفتيات العذارى يؤثرن لغة أجنبية على لغة المهد ، ويتراسلن بها فى أحاديثهن فى زهو وخيلاء .

وإذا قصدت بعض الشركات الأجنبية ذات النفوذ القوى أو التى يسندها نفوذ قوى ، رأيت اللغة العربية منزوية فى ركن من الأركان لتفسح للغتين أو لثلاث من اللغات الأعجمية مجال المحادثة والمكاتبة والمحاسبة .

إن اللغة العربية تصارع صراعاً عنيفاً ، تتعرض حيناً للبوار فى بعض الدور ، ولـكنها سرعان ما تنهض من كبوتها ، وتحاول الأيام أن تنال من جاهها فتفلح آناً ولـكنها لا تفتأ حتى تسترد عزها

صراع مستمر كصراع الليل والنهار ، ولـكننا إذا استشففنا من تجارب الماضى مآل اللغة العربية فى المستقبل ، بتنا مطمئنين إلى ظفرها فى النهاية ، وهى نهاية قريبة بإذن الله ...

وديع فلسطين

نوع البشر كما يتكون الدود فى الفاكهة واللحم ، والبق[1] فى البطائح والمواضع المفنة ، ثم تكون بعض البشر من بعض بالتوالد، وصار ذلك قانوناً مستمراً ، ونسى التخليق[2] الأول الذى كان بالتولد . ومن الممكن أن يكون بعض البشر فى بعض الأراضى القاصية مخلوقاً بالتولد ، وإنما انقطع بالتوالد لأن الطبيعة إذا وجدت طريقاً استغنت به عن طريق ثان .

٩٦٠ — أبو العتاهية . . .

الأغانى : محمد بن أبى العتاهية : قال : لما قال أبى فى عتبة :

كأن عُتَّابة من حسنها دمية قس فتنت قسها
يا رب ، لو أنسيتنيها بما فى جنة الفردوس لم أنسها

شنع عليه منصور بن عمار بالزندقة وقال : يتهاون بالجنة ، ويبتذل ذكرها فى شعره بمثل هذا التهاون . وشنع عليه أيضاً بقوله :

إن المليك رآكِ أحسن خلقه ورأى جمالك
فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مثالك

وقال أيضاً : أيصوَّر الحور على مثال امرأة آدمية ! والله لا يحتاج إلى مثال ، وأوقع له هذا على ألسنة العامة ، فلقى منهم بلاء .

٩٦١ — ... وإلا فالطفل مسلم

فى (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكى : أبو عبيد بن حربونة كان يرى أن الطفل إذ أسلمت أمه دون أبيه لا يتبعها فى الإسلام ، وإنما يتبع الأب ، وهو رأى شيخه أبى ثور ، فأسلمت امرأة ذمية ، ولها ولد طفل ، ولم يسلم الأب ، ومات ، فدس على أبى عبيد من يسأله ، فتفطن إلى أنه إن فعل ذلك (أى إن حكم ببقاء كفر الطفل تبعاً لأبيه) قامت عليه الغوغاء . ونصحه أبو بكر (الإمام الجليل ابن الحداد المصرى) وقال له : لا تعمل بهذا ، وإياك والخروج فيه عن مذهب الشافعى ، فإنك إن فعلت ذلك نالك الأذى من الخاصة والعامة . وعلم أنه إن لم يفعل خرج عن معتقده . فلما جلس أبو عبيد فى الجامع اجتمع الخلق بهذا السبب المبيَّت عليه بليل ، وقام رجل على سبيل الاحتساب ، وقال : أيد الله القاضى ! هذه المرأة أسلمت ولها هذا الطفل ، فيكون مسلماً أو على دين أبيه ؟ فقال : أين أبوه ؟ — وقد كان علم أنه مات — فقالوا : مات ، فقال: شاهدين يشهدان أنه مات نصرانياً وإلا فالطفل مسلم. فكثر الدعاء له والضجيج من العامة ، وستر علمه بفهمه ...

٩٦٢ — من أحاديث الزهر

فى (الفصول والغايات) لأبى العلاء :

قالت البهارة لصاحبتها : ودعينى ، فالبارحة طلت ولم أنتعش ، ما أقربَ منى قدمَ واطىء أو كفَّ جان !

* * *

قالت الوردة لأختها : ما أشوقنى إلى الماء !

قالت : ورقك يهف ، والنسيم راكد ، ستروين ولو من أدمع كئيب . . .

٩٦٣ — إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فى (الموافقات) للشاطبى: حكى أبو عمرو الدانى فى طبقات القراء له عن أبى الحسن بن المنتاب قال : كنت يوماً عند القاضى أبى إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، فقيل له : لم جاز التبديل على أهل التوراة ، ولم يجز على أهل القرآن ؟ فقال القاضى : قال الله (عز وجل) فى أهل التوراة «بما استحفظوا من كتاب الله» فوكل الحفظ إليهم ، فجاز التبديل عليهم . وقال فى القرآن : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فلم يجز التبديل عليهم . قال على (أبو الحسن ابن المنتاب) فمضيت إلى أبى عبد الله المحاملى فذكرت له الحكاية ، فقال : ما سمعت كلاماً أحسن من هذا[1] .

---

(١) يعنى بالبق البعوض .

(٢) التخليق لفظة مولدة وردت فى تفسير الرازى ج ٢ ص ٣٤٧ ، وج ٣ ص ١٣ و ١٨٤ : وأعلام الموقعين ج ٤ ص ٢٣١ ، وتفسير الألوسى ج ١ ص ١٩٢ .

(١) قال الشاطبى فى الموافقات : أما القرآن الكريم فقد قيض الله له حفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلا عن القراء الأكابر ... وبعث الله من عباده قراء أخذوا كتابه تلقياً من الصحابة ، وعلموه لمن يأتى بعدهم حرصاً على موافقة الجماعة فى تأليفه فى المصاحف حتى يتوافق الجميع على شىء واحد ، ولا يقع فى القرآن اختلاف من أحد من الناس .

من أناشيد الحرية :

إلى أبنـــاء الجنوب ...

للأســـتاذ محيي الدين صابر

مشى على القيد آباء وأبنـاء   فى السجن ينفضهم برد وظلماء
والجوع يأكلهم والعرى يلبسهم   يضج فى روحهم جهد وإعياء
والذل يدفن فى جباهم أمماً   راحوا إلى المجد غلابين أوجاءوا
ترتد أنفاسهم فى القيد ضارعة   تكاد تنكر أن القـوم أحياء
مهدَّمون مساكين الخطى مِزَق   كأنهم فى يد الجلاد أشـلاء !
خمـسون عاماً مشت فينا دقائقها   كالجيل فيه مصيبات وأرزاء !
تغلى الدماء على أحقادهن بها   وتستجيش من الثارات أحشاء
فاليوم حين يهد السجن مقتتل   ويحطم القيد ثوار ... أشداء
واليوم حين يفيض الفجر من دمنا   وحين تمتد آفاق وأجـــواء
وحين نحشد فى التاريخ مقدرة   لهـا إلى الخلد إسراء وإفضاء
وحين ينتقم الوادى لوحـدته   وحين يثأر فى الساحات فدّاء
من يخطب المجد لا يبخل بتضحية   وإن تكن دمه فالمجد حسناء !

يا نيل شـعبك ، أبطال وآلهة   لهم على الدهر شارات وسيماء
كم راية لك مثل الشمس ظافرة   سمى بها ظافر ، للنار مشاء ؟!
وكم هيا كلٍ مثل الليل خاشعة   أطال فيهن سجّـاد ودعّـاء !
حبا عليك الزمان الطفل تنشئه   حتى نمت منه أحيان وآناء !
أما الحياة فكانت فـكرة ومـنًى   وأنت مجد وأحداث وأنباء !
أسميتها ! وفجرت الشوق فى دمها   وقمت تحنو عليها وهى عذراء
يانيل ! ياساحر الوادى وسامره   كأنما أنت فى الشطآن صهباء
على النخيل ابتهالات وأخيلة   وفى الخمـائل أنغام وأصداء !
وأنت حلم على الضفات مبتهج   وخاطر ملهم الابداع ..وشـاء
وشبتهن : لحقل مترف خضل   وجنة طلة الأفناء ... لفاء
استبق ماءك تهتز الظلال به   فاليوم ساعة لا ظل ولا ماء !
فأنت تنبت للزاضين ما بذروا   يغله لهم خصب ... وإنمـاء
والدم ينبت للفادين معجزة   وخير ما استنبتوا ، مجد وعلياء
ونحن نوشك أن نجنى فقدرويت   حرية ضخمة الأعلام حمراء
تسع وعشرون مليوناً لو احتشدوا   لأعجزوا الموت والأقدار لو شاءوا
لنا إلى مهبط الوادى ومطلعه   من صحوة الشوق حنات وإصغاء
وللـكفاح وراء البحر منسرب   تهزنا منه أقباس ... وأضواء
وإن تغرب منافى الدماء دم   فللقلوب مع الفادين ... إسراء
بنى الجنوب ! وللايمان غضبته   وللطواغيت ... إزباد . وإرغاء
وللحوادث شدات ومعسرة   فينا ... وللظلم تنكيل وإلواء
ماذا فعلتم وقد ألقى القناع لكم   وقد بدت منه أشياء وأشياء ؟
خمسون عاماً وفى السودان صفحته   دم ودمع وأحزان وبأســـاء
ففى الجنوب عراة فى كيانهم   ذل وجوع وآفات وأدواء
لا أظلم القوم قد أهدوا لهم صُلبا   يمشى بهن على الأهوال أنضاء
وفى الشمال ... جنايات تنظمها   يد تنكل بالأحرار ، نكراء
فقيد الفكر : لا صوت ولا قلم   حتى الصحافة فهى اليوم شلاء
ومد للدس والإرهاب ظاهما   كأنما عهده : ليل ... وصحراء
فالسيف منصلت والسوط منجرد   والسجن متسع والحكم أهواء

أين الضرائب يجبيها مضاعفة   ولا رقيب له عد وإحصاء !
ما فاته فى القرى نبت ولا شجر   وفى البداوة لا إبل ولا شاء
والشعب يصرخ ياجهدى وياعرقى   وأذنه عن صراخ الشعب صماء
يا شعب ! مالك أجر الذل يأخذه   والذل، يا شعب ، تسليم وإعطاء
فى المصارف أوراق وأرصـدة   وفى القصور .. لذاذات ونعماء
ولست تملك إلا أن تقول له   «صدقت» إن قال تعميرٌ وإنشاء
سـيقرأ الدهر للأجيال قصته   وأنها قصة سوداء : . شنعاء .

بنى الجنوب . فهذا حين محنتكم   وليس تغفر بعـد اليوم أخطاء
يلوى بحقكم السجان معتدياً   كأنه منحٌ منه . . وآلاءُ
يقلب القيد ، كالحاوى على يده   قالوا له : لعبة شمطاء خرقاء !
فى كل يوم يسميه ويصقله   وليس للقيد ألوان وأسمـاء
فهو « الرفاهة » أحيـــاناً وآونة
هو « المصير » وإن ينصف « فإفتاء » !
وبين ذلك « مشروع » « وسودنةٌ »
« ومجلســان » وتلميح وإغراءُ !
فتلك رقصةُ مذبوح يحاولها   دعوه يسكن له حس وأعضاء
وليبن ما شاء من أوهام باطله   فلم يعد للنوايا السـود إخفاء
سيهدم الشعب أعلاه وأسفله   والشعب والشعب هدام وبناء

بنى الجنوب؛ وقد أبلت طلائعنا   ولم ترعنا .. أعاصير .. وأنواء

ما حاكم جاءنا والسيف فى يده   وفى جوانحه حقد وبغضاء

بأى منطق جبار يهددنا   كأننا (لماليه) .. أرقاء ؟ !

قولوا له : لن ترى ما بيننا رجلا   له على صفعة الجلاد إغضاء

فليس يجمل فى التاريخ منزلة   إن قال : لى فيكم صحب وأعداء !

قولوا له: قال هذا الشعب قولته   وأنها قولة كالفجر .. بلقاء

هى الجلاء عن الوادى بلا أجل   ووحدة فى ظلال التاج شماء

بنى الجنوب. لقد أزرى العدو بنا   وما تزال له فى الظلم .. غلواء

أنحن فى كل حرب مرة نمد   للعاجزين يدا والحرب هوجاء !

فى « طبرق » دمنا يشكو وفى « كرن »
وفى الصحارى حشاشات وأحناء !

حتى إذا النصر واتى . قام يجحدنا   فيه حليف لنا بالأمس بكاء !

هل كان غاية هذا الجهد ما صنعوا   من مجلس هو ثارات وشحناء !

للناب خلف القناع الزيف صرصرة
وللمخالب ... توجيه وإيحاء !

هى المطامع إن جاروا وإن عدلوا   وليس من آفة الأطماع أبراء

وليس فى شرعهم للعدل ناحية   وللظلامة . والتطفيف إيحاء

كبيرهم فيه حنان ومغتصب   أما الصغير . فمغصوب .ووفاء !

قد ثار بينهم (محمود)[1] فى يده   وثيقة من كفاح الشعب غراء

كأنما كل لفظ قام ... يرسله   كتيبة حرة الأبطال شهباء !

نادى بحرية الوادى فأنصفها   منه جرىء على العادين ، أباء

ينازل الخصم إيمانا ومقدرة   والخصم داهية فى الأرض دهياء

وراح يزأر (إسماعيل[2]) مقتتلا   كأنه طعنة فى الظلم نجلاء

وحوله من صميم الشعب كوكبة   حمس ، على نوب الأيام أكفاء

إن مال بالرأى ذو ضلع ومختلق   فما استلان لهم عزم وإمضاء

والشعب فى شرف الأحرار يذكرهم
إن عد من حسنوا فيه ، ومن ساءوا !

بنى الجنوب ، إذا الحرية اختلفت   شاراتها فهى تضليل وأغواء !

عدوكم واحد ، والقيد مشترك   إذن ، ففيم اتجاهات وآراء ؟

هو الدخيل ، فإن تحطم سلاسله   فقد تناصر فى الوادى الأشقاء

الأمر ، ما بينهم شورى ومرحمة   كما يشاءون ، تخيير وإرضاء

حرية الشعب إيمان وتضحية   وقدرة والتزامات ... وأعباء

بنى الجنـــوب ، وفى الفاروق معتصم
كأنه قــدر ... بالخير ... مضـــاء

نذود عن عرش وادى النيل فى شرف
فعرشـــه قمة فى الشـــعب عصماء

فاروق كرمه بالعدل فانفسحت   منـه ظلال رحيبات وأنداء

فى عدوتى ملكه شعب يقدسه   حباً ويهديه رأى منه وضاء

(باريس)   **محيى الدين صابر**

عضو بعثة فاروق الأول للسودانيين بفرنسا

(١) النقراشى باشا رئيس وفد مصر الذى قدم القضية

(٢) إسماعيل الأزهرى رئيس وفد السودان .

الأدب والفن في أسبوع

استقبال عضوين بالمجمع اللغوي:

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين الماضي لاستقبال العضوين الجديدين: معالي الأستاذ على عبدالرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني؛ ففي الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم وفد على دار المجمع — عدا أعضائه — جمهور غفير من رجال العلم والأدب وبعض السيدات والآنسات. وبعد أن افتتح معالي رئيس المجمع جلسة الاستقبال بالترحيب بالعضوين، وقف الشيخ عبد الوهاب خلاف عضو المجمع ليقدم الأستاذ على عبد الرازق فقال إنه تثقف في الأزهر وتتلمذ على الشيخ محمد عبده الذي كان يبث في تلاميذه إلى الدروس العلمية، روح الحرية في التفكير والإصلاح، وإنه كان يتردد على الجامعة المصرية لتلقي المحاضرات عن كبار الأساتذة الأجانب والمصريين، وكان إلى جانب ذلك يجتمع بالأعلام في «ندوة آل عبد الرازق» فاجتمع له من كل ذلك مزيج من الثقافة الإسلامية والثقافة الحديثة. ثم تحدث عن جهوده في الدراسات الإسلامية والأبحاث الأدبية واللغوية. وقد أفاض الأستاذ خلاف في الحديث عن الإصلاح الديني الذي دعا إليه الشيخ محمد عبده والذي صاحب إنشاء مدرسة القضاء الشرعي ومعهد الاسكندرية، كما أفاض في بعض المسائل الفقهية التي اهتم بها الأستاذ على عبد الرازق.

ثم نهض الأستاذ على عبد الرازق فقال إن أول ما يخطر على البال في هذا المقام هو ذكرى سلفه الذي حلّ في كرسيه وهو المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا، ورثاه رثاء موجزاً، ثم توجه بالثناء إلى المجمع الذي حباه بعضويته، وقال إنه يشعر بالانشراح لرجوعه بذلك إلى مرحلة سعيدة من حياته عقب تخرجه في الأزهر حين أقبل على البحث في اللغة العربية وآدابها إذ تصدى لتدريس علم البيان وآداب العربية في الجامع الأزهر، وقد جذبته الظروف بعد ذلك إلى أنواع أخرى من الدراسات. وقال إنه كانت تشغله في تلك المرحلة مشكلات في النحو وفي البلاغة، إذ شعر بأن في القواعد التي وضعها علماء النحو شيئاً من التكلف جعلها معقدة ومتعسرة، وأنه لا يبعد على من يواصل البحث أن يهتدي إلى استنباط قواعد جديدة للنحو العربي. أما البلاغة فقال إنه وجد علماءها لا يختلفون في أن الغرض الأول من علوم البلاغة إنما هو اكتشاف الوسائل التي بها يستطيع المتكلم أن يختار الطريقة التي تجعل كلامه فصيحاً بليغاً أي مطابقاً للغرض وحالاً في موضعه اللائق به، وذلك هو معنى قولهم في تعريف البلاغة: إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال. ولكنا لاحظنا أن أولئك العلماء قد انصرفوا منذ العصور الأولى إلى البحث عن هذه الوسائل، وتتابعت العصور فإذا مباحثهم قد انتهت إلى أن سر البلاغة قد وقف عند أبواب علم المعاني والبيان والبديع على ما انتهى إليه الجرجاني وما استحدث بعده من بعض أنواع البديع ومن بعض مباحث أخرى، وكأنهم قد ظنوا أن الكلمة الأخيرة قد قيلت في هذا الفن. وقال إنه لايشك في أن بلاغة الكلام لا تنحصر أسرارها في تلك الأبواب، وساق شواهد دلل بها على أنهم كانوا كثيراً ما يقفون مبهوتين أمام بلاغتها وروعتها، فيحاولون أن يردوها إلى باب من أبواب البلاغة المعروفة عندهم فلا يستقيم لهم ذلك إلا على ضرب من التعسف والالتواء.

ثم تلاه الأستاذ عباس محمود العقاد، فألقى كلمته في استقبال الأستاذ المازني، قال إني لا أسميها كلمة تقديم فإن المازني مقدم متقدم بأدبه إلى كل مكان تصل إليه لغة الضاد، ولكني أستطيع أن أقول شيئاً جديداً فيما يتصل بي وشيئاً طريفاً فيما يتصل بالمجمع، لأن صلة المازني بالمجمع صلة سابقة من جهة أعماله وجهوده وإن طرأت عليها الطرافة من جهة انتظامه بين أعضائه. ثم تحدث الأستاذ العقاد عن صداقته للأستاذ المازني منذ نيف وثلاثين سنة، ومشاركتهما في الأدب والصحافة والتدريس، ثم عرض للجانب الذي يتصل بالمجمع من أعمال عضوه الجديد، وهو جانب التمكن من اللغة في الترجمة والتعبير، فقال: ولست أغلو — ولا أحجم عن التحدي — إذا قلت إنني لا أعرف فيما عرفت من ترجمات للنظم والنثر، أديباً واحداً يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة، ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً، ويجيد

منها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة ، ومثل لذلك ببعض ماترجمه المازنى من رباعيات الخيام .

وعرض العقاد لبعض المباحث التى كتب فيها المازنى كالحقيقة والمجاز ، والتجديد والتقليد . إلى أن قال : وقد طاب للمازنى منذ سنوات أن يدأب على الاستخفاف بعمله وبجدواه ، فأنكر على نفسه الشاعرية وأنكر غناء ما يكتب وينظم ، وقد غالطته أحياناً فقلت له إن هذه البدعة منه ضرب من المكر الحسن ، كأنه أراد أن ينزل عن مكانه ليجلسه عليه الناس ، ولكنه قال فى حصاد الهشيم : « واعلم أنك إذا أنزلت نفسك دون المنزلة التى تستحقها لم يرفعك الناس إليها ، بل أغلب الظن أنهم يدفعونك عما هو دونها أيضاً » فالأرجح أننى غالطته ، وأن حقيقة الأمر أن المازنى يستخف بعمله وبغير عمله أحياناً لأنه يستصغر حياة الإنسان فى جانب آماد الخلود ومصائر الأقدار ولأنه يقيس ما عمل بما أراد أن يعمل فإذا هو دون ما أراد وإن كان فوق ما أراده عاملون آخرون . وقد هون الخطب على نفسه بسليقة فيه ، وهى أنه استطاع أن يقسم « أنانيته » قسمين متلازمين ، يسخط أحدهما فيتناوله الآخر بالعبث والتعزية ، ويشمخ الشامخ منهما فيغض منه المطمئن الوادع .

ثم وقف الأستاذ المازنى فقال إننى أشعر بما يشعر به الواقف على عتبة قصر لا عهد له بمثله فهو يطرقه متهيباً محاذراً ويدخله متردداً متلفتاً داعياً ربه فى سره أن يستره ولا يفضحه وأن يعينه على أن يبدو لأهل القصر كأنه منهم وإليهم ، فى حاجة إلى وقت حتى آلف مجمعكم الموقر .

وقال : أصارحكم بأنى أشعر أنى مظلوم ، لو كنتم قلتم اخترناك على عيوبك ولنافيك أمل لقلت قوم أحسنوا الظن وإن أسرفوا فى الأمل فاستوجبوا منى أن أتحامل على نفسى حتى لا أخيب ظنهم ، أما أن أقوم مقام الشيخ أحمد إبراهيم بك ، عليه ألف رحمة ، فهذا هو المحال ، ثم أثنى على سلفه الشيخ أحمد إبراهيم وعلى جهوده العلمية والأدبية إلى أن قال : ليس يسعنى إلا أن أهز رأسى آسفاً لأنى وضعت فى موضع سيظل خالياً وأنا فيه ..

ومما قاله الأستاذ المازنى : إن مرحلة التطور الطبيعى السريع للغتنا قد انتهت من زمان طويل بعد أن صارت لها حروف تكتب بها وقواعد مضبوطة وقوالب مقررة وآداب وعلوم ، بل بعد أن نزل بها القرآن الكريم ودون وحفظ ؛ ومتى استقرت قواعد لغة من اللغات ودونت وصارت لها آداب ، وكتبت بها العلوم ، فإن من العسير تغيير شىء من قواعدها وأوضاعها ، وقد تختلف طريقة الكتابة والهجاء والنطق وتتسع الألفاظ للتعبير أو تضيق، غير أن طريقة تأليف الكلام على معانى النحو لا تتغير ، وكل ما يمكن أن يحدث هو أن يتسع نطاق اللغة أى أن يكثر محصولها اللفظى ، ويتوسع الناس فى المجاز والاستعارة والاشتقاق تبعاً لدرجة الحضارة فى الأمة ، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى المجامع اللغوية لتتبع حركة الاتســاع ومسايرتها وتزويدها بحاجاتها ومطالبها .

أيها الحارس ؟

أراد الأستاذ المازنى أن يصطنع أسلوب التواضع إذ قال إنه يشعر بما يشعر به الواقف على عتبة قصر . . . الخ ، ولكنى — بغض النظر عن هذا التواضع — أطمئنه وأبشره بما سيلقاه فى القصر من الدعة والراحة .. ولعله يعلم أن المجمع استقبل فى العام الماضى عشرة أعضاء جدد صار بهم أعضاؤه « العاملون » عشرين مخلداً . . . وقالوا يومذاك إن المجمع فى حاجة إلى أولئك العشرة ليستعين بهم على إنجاز أعماله ومواجهة مسئولياته ، ولكن هؤلاء العشرة « تمجمعوا » وأخذوا أماكنهم على تلك الكراسى الفخمة إلى جوار زملائهم القدماء . ثم ماذا فعل الأربعون فى العام الأخير وعفا الله عما سلف ؟ ولكن عفو الله أوسع من أن يضيق بالعام الأخير وقد وسع ما قبله !

وعلى ذكر « الأربعين » أسوق الحقيقة التالية :

لاحظ الناس أن نشاط المجمع قل بعد وفاة الشيخ أحمد السكندرى والشيخ حسين والى ، والمطلع على محاضر جلسات المجمع فى حياة هذين العضوين يرى أن أكثر المقترحات من عملهما ، وبقية الأعضاء موافقون .. والمتتبع المحصى لما أنجزه من أعمال منذ نشأته إلى الآن يرى أن أغلبها من عمل ذينك الرجلين ، وهما اثنان !

ولا نقص من أقدار الأعضاء الحاليين ، فهم أعلام مصر فى هذا العصر ، ولكن هل المجمع مقبرة لجهودهم فى داخله ..!

كثيراً ما نسمع من بعض الساخطين : لم هذا المجمع ؟ فيقال : إنه حارس على اللغة . ولكن الساخط يعود فيقول : إن هذا « الحارس » ينام ملء جفنيه ! ولا يبرر وجوده إلا مجرد القول بأنه يحرس اللغة العربية ، فليت شعرى ، أيهما يحرس الآخر .. اللغة أم المجمع ؟ !

عضوان آخران :

وقد عقد المجمع جلسة خاصة فى مكتب الرئيس قبيل جلسة الاستقبال السابقة ، للنظر فى ترشيح أعضاء ينتخب من بينهم عضوان عن العراق وفلسطين . وقد اعتمد ترشيح أربعة ، هم الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى والأستاذ خليل سكاكينى (من فلسطين) والشيخ محمد رضا الشبيبى والأستاذ محمد بهجت الأثرى (من العراق) وقد تقرر أن يجرى انتخاب عضوين منهم واحد عن العراق وواحد عن فلسطين — فى جلسة تعقد يوم الأحد ١١ يناير الحالى .

ترخيص الأهرام :

نشرت الأهرام ، وهى فى مستهل عامها الرابع والسبعين ، نص الصيغة التى كتبت للترخيص بإصدارها سنة ١٨٧٥ ، وهو : « رخصت الخارجية لحضرة سليم تقلا باشا بإنشاء مطبعة تسما (بالألف) الأهرام ، كائنة بجهة المنشية باسكندرية ، يطبع فيها جريدة تسمى الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض مايتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر وما يماثل ذلك . وقد أمرت الخارجية محافظ الإسكندرية بعدم المعارضة للمذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها »

ولا شك أن مقارنة هذا النص الذى كتب منذ نحو ثلاث وسبعين سنة ، بما يكتب الآن ، تقفنا على مدى التقدم الكبير فى أسلوب الكتابة . وقد اتفق أن قرأت هذا عقب ما كتبته عن محاضرة الدكتور طه حسين بك التى قال فيها إننا لم نتقدم فى حياتنا الأدبية عما يقابل ركوب الحمر فى حياتنا المادية ، وما أظن أحداً يشك فى أن المدى بين ما يكتبه الآن الدكتور طه مثلا وبين تلك الكتابة أبعد بكثير مما بين ركوب السيارات والطيارات وبين ركوب الحمر .

ولست أدرى لم خص كاتب ذلك الترخيص « مقامات الحريرى » .. كأنى به أراد أن يذكر « الأدب » فى جملة ما ستطبعه « الأهرام » والكاتب النحرير يسمع أن مقامات الحريرى من كتب الأدب ، فعبر به عنه . ولكن هل نشرت الأهرام كتاب مقامات الحريرى ... ؟ لعلها لم تنشر عنه شيئاً فيما مضى من عمرها المبارك .

الزهراء :

كنت قد قرأت فى العدد (٧٥٥) من الرسالة ما كتبه الأستاذ حبيب الزحلاوى فى مسرحية « الناصر » وقد استرعى انتباهى منه قوله فى صدد نقده للمسرحية من حيث ضعف الجانب العربى فيها وغلبة الشخصيات الأسبانية على الشخصيات العربية « ولم يسلم من الضعف من الشخصيات العربية سوى الزهراء زوج الناصر »

ولم تكن الزهراء زوج الناصر ، لا فى أصل التاريخ ولا فى المسرحية ، بل كانت جاريته ، وهى بحكم هذا ليست من الشخصيات العربية .

وإذن يستطيع الأستاذ الزحلاوى أن يقول : لم يسلم من الضعف أحد من الشخصيات العربية فى المسرحية ...

« العباس »



الفلسفة القرآنية

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

حين قرأت كتاب « الله » للأستاذ العقاد ، وقفت طويلا عند بحثه براهين وجود الله وبخاصة عند الأدلة القرآنية ؛ وذلك أنى رأيت العقاد فى أصالته وضلاعته وسعة أفقه قد أجاد أيما إجادة إذ تناول هذا الجانب القرآنى ، وتمنيت يومئذ لو تناول العقاد القرآن كله بالدرس على طريقته هذه ، وها هى ذى أمنيتى صارت حقيقة بهذا الكتاب الذى أقدمه للقارىء فى غبطة عظيمة .

هو « كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التى وردت موضوعاتها فى آيات الكتاب الكريم » كما يطالعك بذلك عنوانه ، وقد أراد الأستاذ المؤلف أن يبرهن فيه « على صلاح العقيدة الإسلامية أو الفلسفة القرآنية لحياة الجماعات البشرية ، وأن الجماعات التى تدين بها تستمد منها حاجتها من الدين الذى لا غنى عنه ، ثم لا تفوتها منها حاجتها إلى العلم والحضارة ، ولا استعدادها لمجارات الزمن حيثما اتجه بها مجراه » .

وفى رأى الأستاذ العقاد « أن القرآن الكريم يشتمل على مباحث فلسفية فى جملة المسائل التى عالجها الفلاسفة من قديم الزمن وأن هذه الفلسفة القرآنية تغنى الجماعة الإسلامية فى باب الاعتقاد ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم . وهى لذلك تحقق ضرورة الاعتقاد ، وتمنع الضرر الذى يبتلى به من تصدهم عقائدهم عن حرية الفكر وحرية الضمير ... وليس للعلماء ولا للفلاسفة أن يطلبوا من الدين غير هذا »

بهذا الرأى وبهذه الروح كتب المؤلف كتابه ، وقد أحكم تبويبه لأن موضوعه كله كان قائماً فى ذهنه جملة قبل أن يسرد تفصيله ، لذلك لم يدع شيئاً « من جملة المسائل التى عالجها الفلاسفة من قديم الزمن » فبعد أن مهد للبحث بفصلين ممتعين بين فى أولهما نظرة القرآن إلى العلم وأورد الآيات التى تدل على أنه « يحث على التفكير ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل فى تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع . كما يكفل قطعى كتاب من كتب الأديان » وبين فى الثانى « أن الحوادث كبيرها وصغيرها لا يمكن أن تحدث إلا بأمر الخلق المباشر من إرادة الله » أقول بعد ذلك تناول المجتمع عما فيه من الأسرة وشئونها والمرأة ومركزها والطبقات والحكم والأخلاق ، ثم تناول العلاقات الدولية ، ثم تجاوز الأرض وما عليها إلى البحث فى الإله الخالق وتعرض لمسألة الروح والقدر والعبادات ثم اختتم هذا البحث الجليل القدر بفصل فى التصوف وآخر فى الحياة الآخرة .

وبعد ، فهذا كتاب يجب أن تقرأه لتعرف مبلغه من الأهمية ومكانته بين ما ألف فى الفلسفة الإسلامية ، فما يغنى كلام مهما طال فى التعريف به ، ولا نقد مهما استفاض عن فصل واحد منه . وقصارانا أن نتقدم بالتحية للأستاذ الجليل الذى أسدى إلى الفكر الشرقى بكتابه « الله » وإلى الدين الإسلامى بكتابه هذا « الفلسفة القرآنية » صنيعين لا يقدم مثليهما إلا الأفذاذ ؛ وللمكتبة العربية أن تعتز بأمثال هذين البحثين اللذين ينفيان عنا تهمة التقصير .

وحسب المسلم أن يخرج من هذا الكتاب الذى أحدثه عنه ، وفى نفسه أنه « فى هذا العصر الذى تتصارع فيه معانى الحياة بين الإيمان والتعطيل وبين الروح والمادة ، وبين الأمل والقنوط ، تلوذ الجماعات الإسلامية بعقيدتها المثلى ولا تخطىء الملاذ ، لأنها عقيدة تعطيها كل ما يعطيه الدين من خير ، ولا تحرمها شيئاً من خيرات العلم والحضارة » وهذا ما بينه الأستاذ الجليل أحسن بيان فى هذا الكتاب .

الخفيف

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى

شاءت صحيفة يومية أن تعرف كتاب « أنات غريب » فقالت إن مؤلفه الأستاذ حبيب الزحلاوى أودعه حنينه إلى وطنه وأشواقه إلى مغانيه ودياره ، وهذا طبعاً ما يوحيه عنوان الكتاب .

وقد تساءلت بعد أن طالعت الأقاصيص التى يتألف منها ، ما معنى هذه التسمية ، لأن العادة قد جرت أن تطلق على مجموعات الأقاصيص عنوان أولها ، أو أبرزها ، أو عدد القصص التى تتألف

منها المجموعة . ولكني شئت أن ألتمس أسباب إطلاق عنوان « أنات غريب » على مجموعة قصص تجرى حوادث أكثرها بمصر ، والقليل منها ماينتقل بالقارىء إلى غير مصر من بلاد الله ، وخاصة سورية ولبنان ، فهل يجب أن نرى فى العنوان تلميحاً مجازياً إلى أن المؤلف غريب بروحه عن هذا المجتمع الذى يعيش فيه ، فهى أنات نفس معذبة كابدت آلاماً تتردد فيها « وجيمة مهذبة » .

ولعل للقارىء أن يتبرم بهذا الإلحاح فى البحث عن تفسير لعنوان شاء مؤلف أن يتوج به كتابه ، وأن يجد فى هذا البحث إرهاقاً له وللمؤلف ...

ولكننى فى بعض الأحيان أتملق بأمور صغيرة أسمى للكشف عما يقصد بها ، فى حين تفوتنى أمور كثيرة ، أهم منها خطراً ، فلا أحاول فهم أغراضها .

وبعد ، فإن قراء العربية يعرفون الأستاذ حبيب الزحلاوى قاصياً له طريقته فى تأليف الأقاصيص، وأسلوبه فى سرد الحوادث ، ومذهبه فى وصف الشخصيات وتحليلها ، وأغراضه الاجتماعية التى يرمى إليها فى أكثر القصص التى يكتبها . وأذكر أنى قلت كل الخير الذى أعتقده فى أدب الأستاذ الزحلاوى القصصى عندما نشر المجموعة الأولى من أقاصيصه بعنوان « شعاب قلب » .

ويجد القراء فى هذه المجموعة القصصية الجديدة « أنات غريب »[1] .

تلك الطريقة نفسها فى سرد وشرح البواعث التى دفعت بأبطال الأقصوصة إلى إتيانها ، والتوسل بهذا الشرح لتحليل نفسية بطل القصة ، كل هذا فى حبكة قوية ، وربطة محكمة ، واسترسال قد يتعدى فى بعض الأحيان حد الأقصوصة .

ولا تخلو أقاصيص الأستاذ الزحلاوى من وصف لحياة المجتمع أو نقد لبعض عاداته ؛ وتستطيع أن تقرأ أية واحدة من هذه الأقاصيص التى تتألف منها هذه المجموعة ، فإنك واجد فيها غرضاً اجتماعياً بارزاً ، فهذه أقصوصة « لقيط » يصوّر فيها سرياً متزوجا خفية عن أهله بفتاة يونانية أنجبت له غلاماً ، ولكنها عندما كانت بالمستشفى تضع ابنها ، عرفت أنه تزوج بفتاة مصرية ، وانقطع من زوجته الأولى ، فاضطرت إلى العودة إلى أهلها ، بعد أن أودعت ابنها أحد ملاجىء أبناء السبيل .

وكذلك نجد مثل هذه الأغراض فى أقاصيص « بكارة » و « غاية المرأة » و « الغريق » و « يتيم » وفى أكثر هذه الأغراض نجده.

والأستاذ الزحلاوى فى أكثر هذه الأغراض التى يتوخاها ، ينحى ناحية إنسانية فى عاطفة سليمة وإحساس مستقيم .

ويجب أن نخص بالإشارة أقصوصة « ذكريات » التى وصف فيها بعض أبطال الثورة السورية الأولى ، وقد اجتمعوا بالقاهرة ، وأخذوا يستعيدون ذكريات بطولتهم الماضية ، وما تعرضوا له من أخطار .

ولا يقف أدب الأستاذ حبيب الزحلاوى عند التأليف القصصى ، فإنه نقادة أدبى ، ولعل النقد الأدبى كان أول ما عالجه من فنون الأدب ، إذ تقدم كتابه « أدباء معاصرون » غيره من الكتب . وقد ظهر ميله إلى النقد فى أقصوصة « الدميم » لأنه عرض فيها للحبكة ، والعرض ، والفكرة ، والوحدة ؛ وذكر أنه « ليست قيمة القصة فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها ، وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفى صدق الرواية عن الحياة . . . »

وقد اضطر لبيان ذلك ، إلى حشر أقصوصتين فى أقصوصة واحدة ، وهما لارابط بينهما غير فكرة العرض بمهارة وبغيرة مهارة ... وهى حبكة واهية ضعيفة تخرج بالأقصوصة عن جوها الضيق المحدود ، ناهيك عن أنها وسيلة مفتعلة لبيان فضل الأقصوصة الثانية عن الأولى .

تناول الأستاذ حبيب الزحلاوى النقد الأدبى فى شىء من الجرأة وكثير من العنف ، مما جعل له خصومات أدبية قديمة وحديثة كانت إحداها مع أديب له مقامه المرموق فى عالم البحث والأدب والشعر ، والتجديد الذى يحاوله هذا الأديب الفاضل لا يروق الأستاذ الزحلاوى ، وهو حر فى رأيه . وكنت أعتقد أن هذه الخصومة تقف عند حد النقد الأدبى ولا تتعداه إلى التعريض فى إحدى القصص بذلك الأديب . والحق أنى كنت

(١) يقع فى ١٨٥ صفحة من القطع المتوسط وطلب من « دار التوزيع والنشر » بالقاهرة بشارع إبراهيم باشا رقم ٥٣ والثمن ١٨ قرشاً

أجل صديق الأستاذ الزحلاوى عن أن يستعمل مثل هذه الوسيلة لينال من أديب نابه لا يرضى هو عن أدبه . . .

ولعلنى بعدت بهذا الاستطراد عن جو الأقاصيص التى ضمها كتاب « أنات غريب » وهو جو خليق بأن يتدبره القارىء

وإذا كان من الخطأ الشائع أن القصص تطالع لتزجية الوقت فإن أقاصيص « أنات غريب » قديرة على أن تساهم فى تبديد هذا الخطأ ، لأنها تجمع بين المتعة والفائدة ، وتثير مسائل اجتماعية جديرة بأن يتناولها الناس بالتفكير والتدبير . وقيمة الكتاب من الناحيتين الأدبية والاجتماعية ، حرية بأن تلفت إليها أنظار القراء ، وتغنيه بالثناء والاطراء ...

(الأسكندرية) صدبى شيبوب

على الأثيــر

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

« كان يقال : كلام ذاهب فى الهواء ليقال أنه كلام لا يبلغ الآذان وأنه من باب أولى لا يسلك سبيله إلى الهواء فى زماننا هذا أكثر وأيسر من كل كلام يتلقاه الناس على صفحة القرطاس » ...

عباس محمود العقاد

على الأثير :

أحاديث مختلفة نضدها العقاد فى كتاب واحد وهى تختلف فى الألوان ولكنها تتحد فى عمق الفكرة وصدق المنطق وفى أنها كلمات ألقيت عبر الأثير لتنساب إلى الآذان وتبلغ الناس رسالة فكرية وتحل مشكلاتهم فى أيسر سبيل .

تقلب صفحات الكتاب فتلمس علاجاً لمشاكل الثقافة والاجتماع والتاريخ والوجود والنفس ، وتلمح بعض المناسبات التى يتحدث فيها المسلمون بعضهم إلى بعض حديثاً تدعو إليه صلات الرحم وهذا الود الكريم الذى يؤلف بين القلوب ويوحد بين النفوس ويجعل الحياة إخاء ومودة ورحمة .

أرأيت إلى حديثه عن قادة ثلاثة من قادات الشرق وأعنى بهم الحكيم جمال الدين الأفغانى والشيخ الإمام محمد عبده والزعيم الخالد سعد زغلول ؟ ولو قدر لك الاستماع إلى هذا الحديث أو قراءته خلال صفحات الكتاب لوجدت أن النقاد تسأل عن مكانة الأستاذ الإمام بين زميليه العظيمين اللذين يذكران معه كلما ذكر . والرأى عند العقاد أن القيمة الحقيقية لكل منهم تختلف فى التحديد فقد كان محمد عبده مصلحاً دينياً وجمال الدين داعياً عظيماً ، وسعد زغلول زعيما خالداً ، فهم إذن يتفقون فى بعض خصال وبعض مشارب ، ويختلفون فى أساس الاستعداد .

وأنت ملاق فى كتابه نوعاً جديداً من فلسفة الوجود ، صيغت فى مقال سائغ مشرق الديباجة رصين الأسلوب وهذا فى مقال له دعاه (طفولة الإنسانية) ، يقول فيه : « ما دام الإنسان يريد الخير فهو ينشده ويبذل فيه ثمنه وإن غلا ؛ وهو إذن رجل الروح والأخلاق . وما دام الإنسان يراد على الخير فهو لا ينشده إلا إذا عرف الجزاء عليه وهو إذن طفل الروح والأخلاق وإن جاوز السبعين والثمانين) ...

ولا شك أن هذه فكرة بنى عليها الوجود . وحل سائغ لهذا البناء .

ولننتقل الآن إلى النفس ، وهل هناك أقدر من العقاد على الكتابة عن النفس .

إنه يقول عن الأزمات النفسية التى تعصف بنفوس الأفراد ، وتطيح بهناء المجموع ، وتزلزل كيان الدول : « الأزمات النفسية سببها الحيرة وصعوبة الاتجاه فى طريق دون طريق وعلاجها هو اليقين والإيمان » ...

وهو جد حريص ، يحتاط لما قد يقال ، بل يسرف فى الإحاطة فيزعم نفسه ناقداً ويتخيل ما قد يلقى من أسئلة وما قد يثار من نقد .. فهو يقول إن هذا الحل ليس من اليسر بمكان بل إن فيه صعوبة شديدة ، فلن تستطيع أمة أن تعتنق الإيمان وتثير فى نفسها الطمأنينة وتمضى إلى حيث الأمن والدعة .. بل إن هذا يحتاج إلى أجيال متعاقبة توحى إلى نفسها الثقة والاستقرار .. ولكنى أقترح على أستاذنا الجليل أن يقدم كتاباً تدبجه يراعته يبحث فى هذه المشكلة ، وإن كتابا كهذا ، لا يحتاج إليه الشرق وحده ، بل العالم بأسره .

ولننتقل الآن إلى غصن رطيب آخر مما تحفل به الدوحة ذات الأرج العطر والعبير الفواح ..

إنه لحديث عن الاجتماع ، أو الإصلاح الاجتماعي بالتحديد ؟ والإصلاح الاجتماعي في هـذا البلد كلمات ذات جرس موسيقي ولـكنها كلمات فقط ، لا تذهب عن هذا في كثير أو قليل .

وما دمنا بصدد الـكلمات ، فلنلمس رأى العقاد فيما يقول ، فنجد خلاصة حديثه ينتهي بنا إلى نتيجتين لا تضيع في تحصيلهما الدقائق المعدودات ، أولى النتيجتين أن الناس يستسهلون الإصلاح بالمنع والتحريم ولا يفكرون كثيراً في الإصلاح بالعمل والإنشاء ، أما النتيجة الثانيـة فهي أدعى إلى التسلية والراحة لأنها تخفف عنا شيئاً من أعباء الحياة ، وينتهي من هـذا أن مذاهب الإصلاح كورقة اليانصيب الخيرى ، إن أصابت فهي ثروة وإن أخطأت فهي إحسان ..

وكلامه هذا يعيد إلينا صورة من حياتنا النيابية ، ومن تلك المشـاريع الضخام التي تروح في سبات عميق بين الملفات والقرارات . ومن تلك الخطب المسماة خطاب العرش التي تقـول وتقول وتقول .. حتى إذا قذف السهم بالوزارة وأطاح بالـكرسي المقدس ورحنا نلتمس مخلفات العهد فلا نجد إلا الأقوال والأقوال والأقوال ...

وهـذا غصن آخر ، فيه فـكرة وفيه منطق وفيه نفاثات من هذا العقل الـكبير .

تراه يحدثك عن معنى الثقافة ، فيدير اللفظ رأسك ويتخذ له مئات من المدلولات وعشرات من الإشعاعات والظلال والأضواء

وهل كانت للثقافة معان توضحها .. وهل كانت للثقافة ثقافة أخرى تشرحها .

إن العقاد يبتسم .. وأظنه يعرف أن النقاد سيقولون هذا القول ويأخذون عليه هذا المأخذ .. وإنه لقائل في معنى الثقافة إنهـا تنقسم إلى ثلاثة عناوين . مطالب الحس ومطالب الحركة ومطالب التفـكير .

وينتهي من حديثه ، بخلاصة توضحها ، كما تعودنا أن نجد في هذه الأحاديث : فنجده يقول :

« وصفوة القول أن الثقافة هي استحياء عناصر الحياة جميعها ولـكننا نستحييها بالمجهود الذي يلائمها فلا نزيد في بذله عن القصد النافع والقدر الصالح ولا تنسى الفوارق بين الملـكات في تقدير هذا المجهود .. »

هذه صورة سريعة من هذا السفر الحافل ، قد تعطيك فـكرة عن الـكتاب ، ولـكنها لا تعطيك كل ما تريد أن تعرفه فما في مقال كهذا يمكنني أن أعطيك ما تشاء من فـكر وصور وآراء

صبحي شفيق



الأحمدون الثلاثة : المتنبي ، المعرى ، شوقي :

— قال : يقول الدكتور زكى مبارك : شـوقى أعظم من المتنبي .

— قال: الدكتور زكى مبارك « يعطى ويمنع لا بخلاولا كرما »

قال : شوقى يقول :

ولى درر الأخلاق فى المدح والهوى وللمتنبي درة وحصـاة

وجاء فى الشرح : يريد أن للمتنبي الجيد والردىء من الشعر أما هو فله الجيد دائماً .

— قال : هل قال ذلك فى شـبابه ، « إن الشباب جنون برؤه الـكبر » .

— قال لذى الرئاستين [(١)] العلامة الدكتور محمد حسين هيكل باشا وقت المهرجان فى أثناء الحديث عن الشعر والشعراء : شوقى بعد المتنبي .

قال : شوقى بعد أبى العلاء .

— قال : إذا نزعت (غير مجد)[(٢)] من (سقط الزند)[(٣)] فشوقى بعد المتنبي .

قال : لا أحذفها ، كيف أحذفها ؟ لم أحذفها ؟

— قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! شـــوقى إذن بعد أبى العلاء .

إن الأحامد فى القريض ثلاثة :

أحمد الأول (أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي) .

أحمد الثانى (أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سـليمان المعرى) .

أحمد الثالث (أبو على أحمد شوقى المصرى) .

ذلـكم « قول الحق الذى فيه يمترون » واذ كر فى الـكتاب مع الأحمدين حبيباً ، والوليد ، وعلى بن العباس[(١)] ، ومحمد بن هانى[(٢)] ، وتمثل بقول أحمد الاول :

كُتبت فى صحائف المجد بِسمٌ ثم قيس وبعد قيس السلام[(٣)]

(س)

---

(١) هي الرآسة ، وقالوا الرئاســة والرياسة فـكسروا وهمزوا وخففوا ، فى اللسان : إن الرياسة تنزل من السماء فيعصب بها رأس من لا يطلبها .

(٢) قال لى الفيلسوف التركى المشهور الدكتور رضا توفيق : (لم يقل عربى ولا عجمى فى الشرق والغرب فى القديم والحديث فى معنى هــذه القصيدة مثلها) وأغلب الظن أن الدكتور استند فى هذا الحـكم إلى استقصاء باحثين فى المرائى من العربانيين وإن كان فضل الدكتور لا ينكر ، وهو يعرف أكثر من ثمانى لغات إلى علمه .

(٣) هذا ديوان شعره و (اللزوميات) شعر أو غير شعر أو هى فوق الشـعر ، وديوانه فى الألغاز شعر وغير شعر . قال صاحب (أوج التحرى) : « كتاب الألغاز كبير الحجم ، رتبه على جميع حروف الهجاء ، مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه » .

الألفاظ الاصطلاحية فى النجوم الزاهرة :

تفضل الصديق الـكريم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فأبدى دهشته لورود كلمة « كريمة » بمعنى الأخت فى سياق عبارة لصاحب النجوم الزاهرة معتقداً أن الـكريمة هى البنت كما هو متعارف اليوم ...

والحقيقة أن الـكريمة بمعنى الابنة والمخدوم الولد الذكر من اصطلاح الترك وأخذه العامة عنهم فقالوا : كريمة فلان أى ابنته ، وقالوا للولد الذكر مخدوم الخ ...

والـكريمة فى اللغة كل شىء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك كما فى اللسان مادة كرم ج ١٥ ص ٤١٦ . والـكريمة الأهل وقيل شقيقة الرجل كما فى المستدرك على شرح القاموس ص ٤٤ من الجزء التاسع ...

ولما كان صاحب النجوم الزاهرة تركى الأصل فقد جمع بين العامى والفصيح معاً فسمى أخواته جميعاً كريمات شقيقات وغير شقيقات فى كتابه المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ... ذكر أخته عائشة فى ترجمة زوجها الاتابك اقبغا التمرازى الذى مات

---

(١) ابن الرومى .

(٢) الأندلسى ، متنبي الغرب .

(٣) رفع بسم لأنه أجرى الـكلمة مع الباء بمنزلة كلمة واحـدة فرفعها . ومن كسر السين فى قيس حذف التنوين لاجتماع السا كنين ، ومن نصب ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها . ومن قول المتنبي :

ولا تبال بشـعر بعد شـاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

وينشد فى هذا المقام : (ولا تبال بشعر بعد شعرهم) الخ ..



فينوس برانـــيزا

للكاتب الفرنسى جي دى موباسان

بقلم الأستاذ مناور عويس

لم يكن أحد فى (برانيزا) كلها يجهل ذلك التلمودى . ولم يكن مرد تلك الشهرة الواسعة إلى حكمته وخوفه الله فحسب ، بل كان لجمال امرأته نصيب كبير فى تلك الشهرة إذ كانوا يلقبونها « فينوس برانيزا » وقد نالت هذا اللقب عن جدارة واستحقاق ، فهى فضلا عن جمالها الباهر زوجة بحاثة فى التلمود .

وزوجات الفلاسـفة اليهود غالباً ما يكن دميمات أو ذوات عاهات جسدية ، وكتاب التلمود يشرح تلك الظاهرة ويفسرها بما يأتى : « إن عقود الزواج تعقد فى السماء ، وحين ولادة مولود جديد يعلن صوت سماوى اسم زوجة ذلك المولود — أى زوجة المستقبل ؛ وكما أن الأب الطيب يدع أدوات منزله الثمينة ولا يستعمل إلا الأدوات القديمة مع أولاده ، فهكذا ينعم الله على الرجال التلموديين بنساء لم يأبه لهن الرجال الآخرون !

ولعل الله أراد أن يبدل من هذه القاعدة ويخفف من وطأتها ، ليثبتها ، فاختار لصاحبنا التلمودى « فينوسا » فيها من الجمال ما يزيد فى فخر العروش ويرفع من قيمة تمثال قائم على قاعدته فى متحف ... كانت طويلة القامة ، ممشوقة القد ، جذابة الملامح ، يقوم على كتفيها رأس بديع رائع ، وتتدلى على ظهرها ضفيرتان سمروان غزيرتان ، وتحت أهدابها الطويلة تشع عينان ناعستان نجلاوان .. ويداها .. كأنهما قطعتان من العاج ! ..

وكأنما خلقت لتكون ذات سلطان لها رعاياها وعبيدها يسجدون عند قدميها ، أو لتشغل ريشـــة فنان أو لتحرك قلم شاعر ! .

لـكنها عاشت عيشة زهرة جميلة نادرة فى بيت خانق حار . زد على ذلك أنها كانت تجلس معظم نهارها ملتحفة فروها الثمين تراقب الشارع من نافذتها .

عنها بقوله : وقد سألت كريمتى زوجته الخ انظر المنهل الصافى ج ١ ص ٢٣٤ . وذكر أخته فاطمة فى ترجمة أبيه تغرى بردى فقال : وكان الناصر فرج قد عقد عقده على ابنته أختى فاطمة الخ . انظر المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٣ . وذكر فاطمة فى ترجمة اينال النوروزى أمير سلاح فقال : وتزوج بكريمتى بعد موت زوجها الملك الناصر الخ انظر المنهل ج ١ ص ٢٩٥ . وذكر أخته هاجر وهى شقيقته الوحيدة من أمه وأبيه فى ج ١ ص ٣٩٥ فقال عنها فى ترجمة أبيه أيضاً : ولدت سنة ٨٠٧ هـ وتزوجت قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى ومات عنها إلى أن قال : توفيت سنة ٨٤٦ هـ وهى التى عـبر عنها بكريمتى فى الموضع الذى أثار استغراب الأستاذ عبد الغنى فى النجوم الزاهرة .

وبعد فهذا التعبير عـبّر به كثير من المؤرخين كصاحب صبح الأعشى فى ج ٦ ص ١٧١ فى كتاب لأخت الملك الناصر حسن ، كما عبر به السخاوى وابن العماد فى المواضع التى أشار إليها الأستاذ فى كلمته ، وكذلك قطب الدين فى تاريخ البلد الحرام وغيرهم وغيرهم من اللغويين والـكتاب ...

ولعل الصديق الـكريم يكون قد عرف موضع الصواب فى استعمال هذا اللفظ الاصطلاحى والسلام .

أحمد لطفى السيد
مصحح النجوم الزاهرة

إلى طلاب التوجيهية :

سننشر ابتداء من العدد المقبل فصولا شارحة لما قرر فى مسابقة الفلسفة على طلاب السنة التوجيهية للأستاذ كمال دسوقى المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية ، فنلفت أنظارهم إليه .

لم يكن لها أبناء . . . وكان زوجها الفيلسوف يجلس مصلياً أو مطالعاً من الصباح المبكر حتى منتصف الليل ولم تكن معبودته سوى « الجمال المقنع » كما يسميها كتاب التلمود .

ولم تكن تعبأ بشؤون المنزل فهى غنية . . وكان النظام سائداً مستتباً كنظام الساعة التى تديرها مرة كل أسبوع .

لم يزرها أحد ولم تخرج لزيارة أحد .. وكانت تجلس تفكر وكأنها تحلم . وكثيراً ما كانت تتثاءب ! . .

وهبت على المدينة ذات يوم عاصفة هوجاء وقصف الرعد وكأنه يلهب المدينة بسياط غضبه . أوى اليهود إلى منازلهم وفتحوا النوافذ ليستقبلوا مسيحهم الموعود !

وكانت فينوس اليهودية جالسة على كرسيها الربح لابسة فروها ترتجف ، وفجأة صوبت عينيها المتوهجتين نحو زوجها الجالس أمام كتابه وهو يتأرجح !

سألته قائلة : أخبرنى متى يأتى المسيح ابن داود ؟

فأجابها : سيأتى عندما يصبح اليهود كلهم صالحين أو طالحين ، هذا ما يقوله التلمود .

— وهل تصدق أن اليهود يمكنهم أن يكونوا صالحين ؟

— وكيف يمكننى أن أصدق هذا ؟

— إذن سيأتى المسيح عندما يصبح اليهود كلهم طالحين .

وهز الفيلسوف كتفيه وتابع القراءة فى كتاب التلمود ، ذلك الكتاب الذى لم يخرج من قراءته رجل صحيح العقل خلا رجلا واحداً !

وظلت المرأة الجميلة تنظر إلى قطرات المطر المنهمر بعينين حالمتين وهى تعبث بثوبها الأسود بأسنانها البيضاء .

وفى أحد الأيام غادر الفيلسوف اليهودى بيته إلى مدينة مجاورة ، إذ كان عليه أن يفصل فى مسألة دينية . . ونظراً لعلمه الواسع فقد حلت المشكلة بأسرع مما كان يتوقع . . . وعاد مع صديق له أقل منه علماً ! عاد فى نفس اليوم بدلا من أن يعود فى اليوم التالى كما كان مقرراً .

ترك العربة عند بيت صديقه وتوجه إلى بيته سيراً على الأقدام. لم يفاجأ حين شاهد نوافذ منزله مضاءة أو عندما رأى خادماً لضابط يدخن غليونه ببساطة أمام منزله . تقدم إلى الخادم وسأله بأدب ، وبشىء من الفضول : ماذا تصنع هنا ؟ أقوم بالحراسة لئلا يأتى زوج اليهودية الحسناء على غير انتظار .

— حقاً ! . حسناً ! . انتبه وراقب جيداً .

قال هذا وتظاهر بالذهاب ، لكنه ولج البيت من مدخل خافى . دخل الغرفة الأولى ورأى مائدة معدة لشخصين ، ولاحظ أن صاحبيها تركاها قبل لحظات . وكانت زوجته تجلس كعادتها متدثرة بفروها وكانت وجنتاها محمرتين مريبتين ، ولم تكن عيناها متعبتين ناعستين بل كانتا تحملقان بزوجها وفيهما ترتسم علائم السخرية والرضا ، وفجأة عثرت قدم الفيلسوف بشىء على الأرض أحدث صوتاً غريباً فانتفض وكان الذى عثر به مهمازا .

— من كان معك ؟

وهزت اليهودية كتفيها ولم تجب

— أأخبرك ؟ كان عندك قائد فرقة الخيالة

— ولمَ لا يكون منى ؟

— أخرجت يا امرأة عن صوابك ؟

— ما زلت مالكة لكل صوابى ، وارتسمت ابتسامة على شفتيها الساخرتين وقالت : ولكن أليس علىّ أن أقوم بدورى كيما يأتى المسيح فيخلصنا نحن اليهود المساكين ؟ !

يافا — مناور عويس

العدد ٧٥٩ — الاثنين ١٩ يناير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 759

Lundi — 19 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

عقـــــدة منحلة !

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى رأى الأستاذ نقولا الحداد أن فيثاغوراس لم يكن إلا مخرفاً سخيفاً حين قال إن الكون عدد ونغم !

وقد كان فيثاغوراس يقول ذلك يوم كانت المادة عند الأقدمين جسما محسوساً أو كتلة كثيفة ، ولم يكن معروفاً من تقسيم العناصر وقوانين الحركة شىء مما يعرفه العلماء الآن .

ثم عُرفت العناصر ، وعرف أنها كلها تركيبات من الكهارب ، وأنها تختلف بينها باختلاف أعداد الكهارب حول نواة كل عنصر ، وأن الكهارب نفسها إذا ردت إلى الإشعاع فهى عدد من الذبذبات ، كلما ميزتها بغير العدد جسما أو قوة أو طاقة عدت إلى العدد ، والتناسب بينه ، من جديد . . . لأن آخر الأمر فى القوة أنها حركة ، وآخر الأمر فى الحركة أنها عدد من الذبذبات .

لا جرم نرى أناساً من أكبر أقطاب العلوم الطبيعية فى هذا العصر — إن لم يكونوا أكبرهم جميعاً — أمثال مليكان Mellikan وادنجتون Eddington وجينز Jeans يقولون إن الطبيعة حساب ورياضة ، ويتحدث جينز خاصة عن « الله الرياضى » ... لأن قوانين الطبيعة مسائل ومعادلات .

فاذا كان الأستاذ نقولا الحداد لا يسخو على المسكين فيثاغوراس بأكثر من صفة التخريف والسخافة فليس معنى ذلك أن فيثاغوراس المسكين مخرف سخيف فيما قال عن العدد والنغم ، وإنما معناه أن الأستاذ نقولا الحداد لم يرزق بداهة فلسفية كبداهته ، ولم يرزق نظرة علمية إلى ماوراء الظواهر كالنظرة التى يؤثرها أمثال جينز وادنجتون ومليكان .

ولو أن الأستاذ نقولا الحداد رزق تلك البداهة لانحنى إجلالا لتلك العبقرية التى نفذت من وراء الكثافة المادية ، ومن وراء العصور المتطاولة ، إلى حقيقة مجردة يسمعها الأستاذ ولا يفقهها وهو يعيش فى عصر « العدد » الذى يصحب الوجود من أمواج الكهرباء والمغناطيس ، إلى أجزاء العناصر ونسب الكهارب وجلة ما فى الوجود بين الأرض والسماء .

والفرق بين تحية الإجلال الواجبة ، وبين تهمة السخافة الجائرة ، هو الفرق بين التقدير الصحيح والتقدير الخاطىء فى أمثال هذه الأمور .

* * *

على أن هذا التقدير الخاطىء قد تجلى فى حالة ألمع من هذه الحالة حين تصدى الأستاذ لموضوع كتابنا عن « الله » وتناول مشكلة العقل فقال عنها فى فصل من عدد المقتطف الأخير :

« إذا صرفنا النظر عن ذاتية العقل وحسبنا العقل عملا من أعمال خلايا الدماغ — الصنوبرية أوغير الصنوبرية — أو هو أهم

وظيفة لهذه الخلايا بل هو وظيفتها الرئيسية فى الأقنوم الإنسانى، انحلت العقدة حالا » .

وهذه هى العقدة التى حلها الأستاذ حالا ... وبمثل هذه السرعة يستطيع ولاشك أن يحل كل عقدة من العقد بغير كثير أو قليل من العناء .

فأما أن يكون فى هذا الوجود شىء عجيب أو ليس فيه شىء عجيب على الإطلاق ، لأن وجوده فيه ينفى عنه العجب ويغنيه عن التعليل .

فإن لم يكن فيه شىء عجيب فقد انتهينا وانحلت العقدة حالا ، بل لم توجد العقدة حتى تحتاج إلى حلول .

وإن كان فيه شىء عجيب فأى شىء هو هذا الذى يمكن أن يوصف بالعجب أعجب من ظهور الحياة فى المادة ، فضلا عن ظهور العقل وهو أعجب من الحياة ! .

كيف كسبت الخلية الحية خصائص الحياة ؟ كيف انقسمت لتحفظ نوعها ! كيف تطور هذا الانقسام إلى ذكورة بسيطة وأنوثة بسيطة ؟ كيف تجمعت هذه الخلايا فى أجساد تختلف فيما بينها اختلاف الأنواع والأجناس ؟ كيف نمت هذه الأجسام وارتقت فارتفعت طباقاً فوق طباق ؟ كيف أصبحت كل خلية توافق كل خلية غيرها فى البنية على العمل المشترك بين جميع الأعضاء ؟ كيف بلغت مبلغ الإنسان وظهر فيها عقل الإنسان ؟ كيف اتفق هذا التطور فى اتجاه واحد إلى هذا الاستعداد لظهور الحياة واستمرار أجيال الأحياء ثم ظهور التفكير فى أرقى الأحياء ؟ .

أهو تدبير أم مصادفة عمياء ؟ .

إن كان تدبيراً فهذا هو العقل الذى ينكره الأستاذ ! وإن كان مصادفة عمياء فأين هو العقل الذى يستريح عند ما يقال له : لا تعجب ولا تستفسر فإن العقدة منحلة لا تحتاج إلى إيضاح ، وهل بعد المصادفة العمياء من حل تتطلع إليه العقول ؟ .

وهذا العقل نفسه كيف يقال إنه عنصر محدود فى الكون بعقل الإنسان دون سواه ؟ .

ما هو الكون ولا سيما الكون فى نظر الماديين ؟ .

إنه ليس بإقليم من الأقاليم أو قطر من الأقطار فيقال إن العقل من حاصلات هذا الإقليم دون ذلك الإقليم ، أو مزروعات هذا القطر دون ذلك القطر ! .

كلا . بل هو كل ما كان وما يكون من غير بداية وإلى غير نهاية ... فكيف يستريح العقل حين يقال له إن عنصر العقل فى الكون كله إن هو إلا فلتة من فلتات المصادفة وجد على سبيل الاتفاق بعد وجود الإنسان ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل المجرد الذى عرف الحقائق الرياضية تامة ولا يزال « العقل التجريبى » يتخبط فى علوم الحس والمشاهدة ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل الذى يعظم كما تعظم العبقرية بالاختلال فى البنية لا بالاستواء المعهود فى التكوين ؟ .

كيف نحل مشكلة العقل الذى ينتقل بغير الوسائل المادية والصور المحسوسة من واعية إلى واعية ومن دماغ إلى دماغ ؟ .

إنك لا تستطيع أن تقول إن « المكنات » الكهربائية هى التى أوجدت الكهرباء فى العالم . فكيف تقول إن الدماغ البشرى هو الذى أوجد الفكر فى الكون كله بعد أن لم يكن له وجود ؟ .

وليس لك أن تزعم أنك قد عرفت الكهرباء بعد أن عرفت المكنات ، لأنك لا تعرف عن الكهرباء أكثر من فروض وتخمينات .

تزعم حيناً أنها أمواج فلماذا تتموج ولا تستقيم ؟ .

تقول إنها فى بحر من الأثير فما هو الأثير إلا أنه فرض مزعوم ؟ .

تقيس سرعة النور فلماذا تحده بهذه السرعة وبماذا تعلل أنه لا ينقص أو يزيد ؟ .

تتكلم عن اتجاه النور فإلى أين ينتهى بعد هذا الاتجاه ؟ أيقف فما الذى يقفه ؟ أيسرى إلى غير نهاية فأين هى مقاومة الأثير المزعوم ؟ .

نعود إذن إلى الأثير لتطلق عليه أوصافاً لا دليل لها ولا يزال تصديق كل وصف للآنه أهون من تصديقها .

هو جسم وليست له صفة واحدة من صفات الأجسام .

فإن لم يكن كذلك فهو عدم تفسر به جميع الموجودات !! .

وهكذا ترى أن المشكلة لم تنحل فى شأن السكنة التى تقتبس منها الضوء وتستمع منها إلى أصوات الإذاعة ، وتسميها بما شئت من الأسماء ، وتعللها بما شئت من أمواج أو غير أمواج ، وكهرباء أو غير كهرباء .

فكيف تنحل مشكلة العقل بكلمة واحدة : هى أنه موجود ولا وجود له فى غير الدماغ ؟ .

ولا فى الدماغ إذن يا أستاذ سامحك الله !! .

إن السلوكيين Behaviourists أصحاب القول بالعقل الدماغى لا يحسبون مسألة التفكير بهذه البساطة التى تنحل حالا على هذا المنوال ، لأنهم يسلمون أنها « مشكلة » ثم يحاولون أن يفسروها فيخيل إليهم أنهم قد فسروها بقولهم إن التفكير مستمد من الكلام .

وفيثاغوراس سخيف عندك يا أستاذ .

فأعطنا الحق الذى سمحت به لنفسك ، لنقول على حق أن هؤلاء السلوكيين سخفاء .

فالمعقول أن الإنسان تكلم لأنه فكر ، وليس بمعقول أنه يفكر لأنه يتكلم ؛ إذ كان الحيوان خليقاً أن يتكلم ثم يفكر كما فعل الإنسان .

أما إن قيل إن الإنسان قد تكلم بعد أن أصبح جهاز النطق فيه صالحاً للنطق وجهاز التفكير فيه صالحاً للتفكير — فهذا هو العجب وليس هذا هو الحل الذى يبطل التعجب .

المصادفة العمياء تتمم جهاز النطق ، والمصادفة العمياء تتمم جهاز التفكير ، ويمضى هذا فى الظلام ويمضى ذلك فى الظلام ، ليتلاقيا معاً فى الظلام ! ! .

وقد انحلت المشكلة حالا بغير إبطاء .

يا أستاذ

إن المشكلة معك هى أنك لا تضع السؤال ، ولا عقدة حينئذ ولا إشكال .

فإن شئت فضع السؤال أولا ثم فكر فى الجواب ، وأنت تعرف « حالا » أن الذين لم يسرعوا إلى الجواب مثل إسراعك يعرفون على الأقل ما هو السؤال ، وإن لم يعرفوا على التحقيق كل ما يستدعيه من جواب .

عباس محمود العقاد

فى السياسة المغربية

للأستـــــاذ محمد العربى العلمى

كتب الأستاذ محمود شاكر فى العدد (٧٥٨) مقالا بعنوان « لا تملوا » تناول فيه قضية الاستعمار الفرنسى فى المغرب من بعض جوانبها ، فلم يتعمق البحث ، ولم يستقص الوقائع ، ولم يتتبع المقدمات إلى نتائجها ، فأدى به ذلك إلى بعض ما لا تحمد عاقبته وأثره فى الوطنيين من أهل المغرب ، على حين اتهم زعماءهم وأهل الرأى فيهم بالسفه والغفلة والتخاذل والتهاون فى حقوق البلاد ، أو ما يشبه ذلك من أنواع التهم ليخلص من ذلك إلى الإشادة برجل أو رجال من أهل المغرب آثروا البقاء فى مصر مختارين فسماهم بذلك مجاهدين وأبطالا وقادة ، حينما رمى غيرهم من زعماء المغرب بما رمى من أنواع التهم لأنهم آثروا أن يبقوا فى مجال المعركة بين مواطنيهم يشدون عزائمهم ويقودونهم للكفاح

وقد كنت ممن تعرض لهم الأستاذ شاكر فى مقاله تحق لى بهذه الصفة أن أصحح بعض الوقائع التى ألقيت إليه فحكاها فى مقاله بلا تحقيق ولا روية .

ولست أتهم الأستاذ شاكرا فى عروبته ووطنيته وحذقه ، ولكنه قد رضى أن يدخل فى قضية ليس فى يده من أسبابها إلا حديث ألقى إليه فاعتقده كل الحق وأغفل ما وراءه من أسباب العلم إذ كان محدثه صديقاً غير متهم عنده بالهوى .

وللأستاذ شاكر موقف مثل هذا فى قضية المغرب نفسها منذ سنين وقد راجع فيه اليوم نفسه ؛ فقد كتب فى مجلة المقتطف منذ بضع عشرة سنة مقالاضافيا يمجد فيه الشيخ عبدالحى ويصفه بما لم يوصف به الصديقون والشهداء والصالحون ، والشيخ يومئذ وإلى اليوم شوكة دامية فى جنوب الوطنيين . وقد عرف ذلك الأستاذ شاكر اليوم عن الزاهد العابد المحدث الراوية الذى وصفه بما وصف منذ بضع عشرة سنة بلاتحقيق ولاروية ؛ ثم انكشف له باطنه وقد كان حسبه هذا مثالا يحمله على ضرورة التروى قبل أن يكتب مقاله الأخير يصف به من يصف من المجاهدين بالغفلة والضعف ليضفى صفات البطولة والجد على القاعدين المترفين

ويتحدث الأستاذ شاكر فى مقاله عن حزب الشورى

والاستقلال بالمغرب فيزعم أنه حزب بلا شعب لأنه رئيس ونائبه بلا أعضاء ولا أنصار ، إذ الأعضاء والأنصار والشعب المغربي كله لا يستمعون إلا لرأى الزعماء القاعدين فى القاهرة ؛ وهو يزعم إلى ذلك أن الزعيم محمد بن حسن الوزانى الذى يقود قضية المغرب اليوم كان فى سالف أيامه تبعاً من أتباع هؤلاء القاعدين ثم انشعب وأنشأ حزبه . ويزعم أن حزب الاستقلال الذى يرأسه علال الفاسى فى القاهرة هو الذى يمثل الرأى الحق حين ينادى من القاهرة بأن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال ، وأنه صاحب رأى المغاربة لا يبرم أمر دونه . ويزعم أن زعماء تونس والجزائر وممثليهم فى القاهرة يرون رأى علال الفاسى فى القعود وعدم المفاوضة .

يزعم هذا وغيره ، وقد قلت إن ما ألقى إليه من ذلك غير الحق ، وأن الحديث عن هذه المزاعم من شأنه أن يفتح للقول أبواباً لعلها أن تفسد بين زعماء المغاربة وتضر قضية المغرب أكثر مما يفسد حديث المفاوضات وما يتوقع من منافسات الانتخاب وغير ذلك مما استوحاه الكاتب من الجو المصرى الذى يعيش فيه غير متفطن إلى أنه يتحدث عن بلاد لم يرها وليس له من أسباب العلم بها وبأهلها إلا القليل أو ما دون القليل .

أما زعمه أن حزب الشورى والاستقلال لا شعب له ولا أنصار فلست أستطيع أن أرد عليه رأيه فى ذلك ما دام بعيداً عن البلاد ؛ وهى على كل حال قضية حزبية ليس من حسن الرأى أن يشتغل بها قراء الرسالة ، إذ كان البرهان العملى فيها فى المغرب نفسه لا على صفحات جرائد القاهرة . وثمة برهان عملى آخر على مكانة حزب الشورى فى المغرب هو ما بذل من تضحيات ، وما لقى رئيسه وأعضاؤه من نفى وتشريد ، وما زهق من أرواح مجاهدين تحت سياط الفرنسيين فى صحراء المغرب ، ولم يرجع آخر أعضائه من المنافى والسجون منذ سنة ١٩٣٧ إلا فى سنة ١٩٤٦ . ولو علم الكاتب أن المعاهد العلمية الوطنية التى أنشأها هذا الحزب (مضافة إلى أنواع الجهاد الوطنى) تضم فى مختلف بلاد المغرب أكثر من ٣٥ ألف تلميذ وتلميذة لعرف ما فى اتهامه لهذا الحزب من التجنى والجحود .

أما أن حزب علال الفاسى يرى أن لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال فقول جديد لم نسمع به . وقد حاول علال نفسه أن يفاوض الفرنسيين فى العام الماضى ، ومضى فى هذه المحاولة خطوات واتصل ما بينه وبين المقيم الفرنسى السابق قبل أن يأخذ حزب الشورى فى مباحثاته الجارية . ولسنا بهذا ننكر على علال أو غيره محاولته وإنما نريد أن نؤكد للكاتب أن فكرة لا مفاوضة هذه إنما نشأت منذ قريب لأسباب لا أجد داعياً لاشتغال قراء الرسالة بها .

وحزب الشورى وإن كان يمثل الأكثرية فى المغرب لا يريد أن يقطع السبيل على أحد من المجاهدين أو يبرم رأيا لا تقتضيه البلاد ملكا وشعباً . وإذا كان هناك من ينبغى أن ترجع إليه الصحف المصرية فى قضية مراكش فهو الأمير عبد الكريم الرجل الذى لا يدفع أحد فى الشرق ولا فى المغرب زعامته وإخلاصه ووطنيته التى ترتفع فوق الأهواء الحزبية المضللة . ولعلى لا أكون فضوليا إن زعمت أن الذين ذكرهم الأستاذ شاكر من زعماء تونس والجزائر ليسوا معه على الرأى الذى نسب إليهم . وأرى من حقى بعد ذلك على الرسالة وقرائها وعلى الأستاذ شاكر نفسه وهو عندى أرفع منزلة مما وضع نفسه أن أبين له ولهم أن إقحام المثقفين من قراء الرسالة فى قضية حزبية كهذه القضية التى نحن بصددها ليس من مصلحة المغرب ولا من مصلحة العرب ، وليس فيه شىء من الحكمة وأصالة الرأى وبخاصة فى هذا الوقت الذى اجتمعت فيه أحزاب المغرب جميعاً على رأى مشترك وهدف موحد فى لجنة التحرير التى أنشئت بالقاهرة منذ أيام بحسن رأى سمو الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم ورياسته ، فقد كان الأمل أن يحرص أبناء العروبة جميعاً على تدعيم هذا الائتلاف الوطنى المغربى الذى تمثله هذه الهيئة الناشئة لا أن يحاول كاتب ذو مكانة مثل الأستاذ شاكر أن يحمل فيه ثلمة ويلقى حوله بذرة من بذور الشقاق !

أما حديث المفاوضة قبل الجلاء أو بعد الجلاء فإننا نأمل أن لا يتأثر إخواننا فى مصر بالجو الذى يعيشون فيه حين يعرضون للحديث عنه وعن قضايا بلاد لا يعرفون على وجه التدقيق ولا التقريب عن جوها السياسى شيئاً . وحسبى هذا التلميح دون التصريح خدمة لقضية المغرب العربى . وأحب أن أؤكد للأستاذ شاكر أن ما يجرى الآن إنما هو مخابرات ، وأنه لن يُدخل فى أية مفاوضة إلا بعد إعلان استقلال البلاد .

محمد العربى العلمى

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (١ ، ٢)

١ - فيـــدون

للأستـــاذ كمال دسوقي

للمحاورة من المحاورات الأفلاطونيـة تاريخان : تاريخ حدوث وتاريخ تدوين ، وقد تكون الواحدة منها من أولى المحاورات وقوعاً وآخرها تدويناً — وقد تكون العكس — حسبما تصادف الرواية من ظروف الجدل على يد سقراط ، والكتابة على يد أفلاطون .

وفيدون آخر المحاورات السقراطية وقوعاً على التحقيق لأنها تنتهي بآخر مشهد من حياة سقراط ؛ بتجرعه السم وموته ، ولهذا يؤرخ لها بسنة تسع وتسعين وثلثمائة التي مات فيها سقراط على أرجح الآراء . ومع هذا فهي ليست من أوائل المحاورات تدويناً عند أفلاطون — لما يبدو فيها من العمق والمثالية التي هي أدنى إلى الأفلاطونية — مع أن المؤرخين يسلكونها في المرحلة الأولى من تأليف أفلاطون : أو طيفرون ، واحتجاج سقراط ، وأقريطون ، وفيدون — التي يسمونها المرحلة السقراطية لقرب عهدها به ؛ ولذلك فالمنتظر أن يكون فيدون قد روى هذه المحاورة — ودونها أفلاطون بالتالي ، بعد زمن طويل من وفاة سقراط .

والمحاورة قسمان غير متعادلين ، يفصل بينهما انصراف سقراط إلى ذكر شيء من تجربة — حين بلغ الشك مبلغه في نفس محدثيه ، وكان من قبل قد استطاع أن يزيل كل شك في نفسيهما ، أما هنا — فهو يتوقف عن الجدل مضطراً لكي يتحدث عن نفسه واشتغاله بالعلوم والمذاهب .

والقسم الأول هو إذن أكبر القسمين — ويتناول ، بعد شيء من المقدمات تتعلق بظروف المحاورة وشهودها وما انتابهم من شعور ، ثم زوجة سقراط — وفك أغلاله . الخ — تقول — يتناول الموت والانتحار وموقف الفيلسوف من كليهما ، والحديث عن الموت بوصفه « انفصال الروح عن الجسد » يستتبع الحديث عن الروح والبدن ، والتفرقة بين المحسوس والمثالي المطلق ، حيث ينتهي سقراط إلى أن سبيل المعرفة الأوحد أن تعود الروح إلى مفارقة البدن ، وإلى أن واجب الفيلسوف أن يعدّ نفسه للموت . ويثير هذا خوفاً على مصير الأرواح في نفس سيبيس Cebes — فيطمئنه سقراط على خلود الروح بأدلة ثلاثة يتبعها رابع — تثير مناقشتها مشكلات التذكر والتضاد وأزلية الروح وأبديتها ... وتناسقها وتناسخها .. الخ ...

ولنفصل القول بإيجاز في كل مشكلة من هذه .

١ — الموت والانتحار :

١ — الحكيم لا يهاب الموت ولا يحفله — بل ينشده ويرحب به — فهل معنى هذا أن ينتحر ؟ وهل له بدلا من أن ينتظر وقوع الموت ويستجديه من الآلهة أن يضع لحياته حداً ؟ لا — إن عليه أن يضع نفسه حيث وضعته الآلهة ، وألا يخلص روحه من سجن البدن إلا متى أرادت ، فالآلهة أدرى بخيره منه — وهو حين يخرج على إرادتهم بفعل هـذه الجريمة — كالثور أو الحمار يعصي صاحبه — فقد ارتكب أكثر من نكر واحد :

(ا) فهو أولا قد ظن في نفسه القدرة على الموت والحياة . وهو خلو منها .

(ب) وافترض في نفسه حكمة أكثر من الآلهة — ومعرفة بخيره منهم ... وعناية بنفسه أكثر من عنايتهم ، حيث يكون الخير في الواقع ما أرادوه هم — ولو كان سجناً أو موتاً وهو الذي يفر من خيره في غير حكمة .

(ج) ثم هو يهب نفسه حرية واختياراً أن يفعل ما يشاء أكثر مما له في الحقيقة .

والنتيجة أن واجب الفيلسوف أن يرغب الموت ولا يرتكبه ، ولكن له أن يحاول فصل روحه عن بدنه وتعطيل حواسه عن فكره حتى يتهيأ له سبيل المعرفة الصحيح ، ووسيلة التطهير والخلاص . وعليه حتى حين الخلاص النهائي أن يمهد نفسه له ، وأن يميتها مرة ومرات ، فيعادي البدن ويتجنب كل ما يمت إليه بسبب ، حتى تحصل روحه الحكمة من العالم الآخر قبل أن تصل إليه ، وحتى تألف الموت فلا تفزع له أو تفرق منه ، وبهذا المران على تطهير الروح يصل إلى الاعتدال الذي لا تطرق معه في صفة من الصفات ، كما يصبح سعيه للحكمة وخلاص النفس وتطهيرها مقصوداً لذاته ، لا لمقايضة ومبادلة أو ترجح للذة أو خير أبعد — بمعنى أن يتطبعوا بالحكمة لا ينوونها لنفع أو غرض

٢ — خلود الروح :

وهنا يسوق سيبيس على لسان العامة تشكيكاً فى مصير الروح بعد انفصالها عن الجسد ، وقولهم إنها تصبح هباء أو دخاناً تذروه الرياح — فيقدم له سقراط الأدلة على بقاء الروح فى العالم الأزلى — وسنسوقها بترتيب ورودها .

٢ — فأولاً يقدم سقراط دليلاً يبدو أنه يريد به نظرية تناسخ الأرواح Transmigration أى انتقالها من بدن إلى آخر بعد موته — وإلى هذا يرمز بقوله « المذهب القديم الذى كنت أتحدث عنه » أى الفيثاغورية ؛ وعلى هذا فلا بد أن تظل الروح باقية كيما يخرج الحى من الميت . ولا تقوم صحة هذا الدليل إلا إذا سلمنا بهذه النظرية الفيثاغورية ، بمعنى أنه إذا قام الدليل على أن الحى لا يولد إلا من الميت ، فقد صحت النظرية ، وثبت بالتالى خلود الروح وتناسخها ، وإذا لم يقم على ذلك دليل سقطت هذه الحجة

ب — ولكى يقدم سقراط دليلا آخر يبحث مسألة التضاد فيما بين الأشياء : الكبر والصغر . والعدل والظلم ، واليقظة والنوم ... الخ والفعل الذى به يتم الانتقال من الضد إلى الضد ذهاباً وجيئة ، وينتهى إلى أن الموت الذى نراه ، لا بد أن يكون ضده الحياة التى لا نراها موجودة — فأرواحنا لابد إذن موجودة فى العالم الأدنى — والحى لا بد أن يكون خروجه من الميت كذلك ، وإلا لا نعدم توالد الأشياء ، وأصبح مصيرها مصير « أنديميون » النائم أبداً — فهذا الدور أو التعاقب بين الأضداد هو الذى يؤكد لنا خلود الروح ... وهذا الدليل كما نرى وجودى فكرى أكثر منه حقيقياً ، فالتضاد بين الأشياء مقولة من مقولات الفكر ، ومن عمل العقل والمنطق — نحن ندرك النوم باليقظة — ونميز الصحة بالمرض ، ولكن ليس محتوما أن يتولد المرض من الصحة ولا النوم من اليقظة . حقاً إن الكون والفساد من نواميس الطبيعة — التى هى كما يقول — لا يفترض أنها تسير على ساق واحدة فحسب — وما لم نسلم بنظرية التناسخ السابقة — فإن هذه الحجة لا تدل وحدها على خلود الروح .

(حـ) والحجة الثالثة هى نظرية التذكر ، ويقصد بها أن أرواحنا قد أقامت قبل حلولها فى البدن فى عالم آخر نتذكر الآن ما عرفته فيه من قبل ، ودليلها — كما فى محاورة مينون — الإجابة الصحيحة التى يدل بها شخص ما عن سؤال صحيح يوجه إليه — ويكون التذكر بالتلازم — كالمحبوب والقيثارة — وسيمياس وسيبيس — أو بالتشابه أو التضاد — كما فى الحجة السابقة ، أو بالتساوى الذى يوجد مثاله — كمثل المثل — فى عالم التجريد والذى نقيس عليه تساوى العصى أو الحجارة أو قطع الخشب — التى ليست فى حقيقتها متساوية — بل تنزع إلى التساوى الحق دون أن تبلغه — وهذه المثل نحن لم ندركها بالحواس ، بل الحواس هى التى تذكرنا بها فى عالم المثل . وقد ولدنا ومعنا هذه المعرفة — أى أننا قد حصلناها قبل أن نولد — وها نحن الآن نتذكرها بطريق الحواس ؛ وإلا فلو أننا قد حصلناها ساعة الميلاد أو بعده — فكيف سلبت منا بعد أن أعطيت لنا حتى ننساها ثم نعود فنتذكرها — وإذن فأرواحنا قد كانت موجودة قبل أن نولد ، وكذلك المثل المطلقة للخير والعدل والحق والتساوى ... الخ التى تذكرنا بها حواسنا الآن . وهذه الحجة تثبت أزلية الروح — ولا تثبت أبديتها — كما شك سيمياس ، وعليه يرد سقراط بأنه من مجموع هذه الأدلة يقوم الدليل على خلود الروح .

(د) على أن أهم دليل يقدمه سقراط على خلود الروح — هو الحجة القائلة — بأنه إذا كان الجسم يفنى لأنه مركب يتحلل بالفساد — فالروح باقية لأنها بسيطة لا تتحلل ولا يجوز عليها التغير — لأنها ثابتة خفية يدركها العقل ولا تقف عليها أى الحواس ، وبذلك فهى أبدية خالدة شأن كل ما هو إلهى — حقاً أن المادة الجسمية تغشى بكثافتها على صفاء الروح وتدنسها بمخالطتها ، ولكن الفلسفة كما قلنا هى وسيلة تطهير البدن من هذا الجسم وإماتته مرات قبل أن يموت نهائياً — فإذا صح هذا التدرب على إماتة الجسد — رحلت الروح آخر الأمر نقية طاهرة ، ورفلت فى نعيم إلهى مقيم . أما إذا كانت الروح تجر وراءها دنس المادة وكدر الشهوة ، لم تزل تحوم حائرة حول المقابر — جزاء إثم أصحابها الفجار فى الحياة . وربما تقمصت هذه الأرواح الفاجرة الشريرة أجسام حمير أو ذئاب أو حدأ يزاولون فيها ميولهم وطبائعهم ، ولذا كانت الفلسفة سبيلا لتحرر الفيلسوف ، واعتداله ، وتخلص روحه وخلودها سعيدة مع الآلهة . ولذلك أيضاً لم يكن سقراط أكثر اعتدالا أو هناءة أو تغريداً فى أى وقت من حياته منه ساعة إعدامه — وهو يشبه نفسه بطيور التم swans التى يزيد تغريدها قبيل موتها .

(يتبع)

كمال دسوقى
المدرس بالمنصورة الثانوية

حول رســـائل
الصاحب بن عباد واعتزاله

للأســـتاذ محمد خليفه التونسى

قدم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى إلى قراء « الرسالة » فى عددها ٧٥٥ رسائل الصاحب بن عباد التى حققها وقدم لهـا الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، والدكتور شوقى ضيف المدرس بها ، وكان مما عرض الدكتور الأهوانى — ومن قبله المحققان — نزعة الصاحب إلى الاعتزال ، فقرر أنه وقف طويلا عنـد قول المحققين للرسائل : « ونحن نجد فى الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه » وأشار إلى أن البحث فى الاعتزال والـكلام وما يتصل بهما مما تهفو إليه نفسه ، وليس هذا بغريب منه وهو معنى بالفلسفة ، كما أشار إلى أنه كان يحب أن يجد فى الرسائل ما يشـبع رغبته ويرى من نصوص الصاحب نفسه ما يؤيد قول ياقوت : إن الصاحب كان « مثل أبيه يذهب مذهب الاعتزال » وذكر أن ما اعتمد عليه المحققان فى نسـبة الاعتزال إليه ثلاثة نصوص فى الرسائل نقلها الدكتور، وأشار إلى مواضعها من الرسائل ، أحدها فى الرسالة التاسـعة من الباب العاشر وهو باب التعازى ، ذكر فيها تعديل الله ولطفه فى صنعه وصلاح فعله ، وثانيها فى الرسالة الثانية من الباب السابع عشر وهو باب الآداب والمواعظ ، ذكر فيها الصاحب بلداً كان مستغلقاً « على أهل عدل الله وتوحيده ، والتصديق بوعده ووعيده » وثالث النصوص فى الرسالة الثالثة من الباب العاشر أيضاً ، وهى رسالة إلى أهل الصيمرة وصفهم فيها بشهرتهم « بالذب عن توحيد الله وعدله ، وصدقه فى وعيده ووعده » وكان بلدكم من بين البلاد كغرة[1] أدهم ، وشهاب فى ليل مظلم ، وما فى النعم أجل موقعاً وأهنأ مشرعاً ، من النعـمة فى القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبعث عليه ، ومهانة من شـبه الله بخلقه فتتابع[1] فى جهده ، أو جوره فى فعله ، فشك فى حسن نظره وطوله »

(١) كتبت هذه الـكلمة « كفرة » بالفاء وربما كان التصحيف من الرسالة .

وقد علق الدكتور الأهوانى على النص الثانى بقوله « وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، أعظم من شهرتهم بالتعديل[2] والصلاح » كما علق على النص الثالث بقوله « وهذا نص آخر أكثر فى الاعتزال بياناً ، فيه العدل والتوحيد والصدق فى الوعد والوعيد ، ونفى التشبيه ، وامتناع التجوير » وقد وجد الدكتور فى هذه النصوص بعد أن وضحها على هـذا النحو ما يكفى فى نسبة الاعتزال إلى الصاحب ، فعقب عليها بقوله « وهنا نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره عنه ياقوت من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال » واستدرك على محققى الرسائل ترددهما فقال « ولـكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال . »

ولى أربع ملاحظات على ما سردته هنا من كلام الدكتور الأهوانى وما يتضمنه من كلام الدكتورين المحققين والعهدة عليه

(١) هكذا نقل الدكتور الأهوانى الجملة عن الرسائل ، وأرى أن فى الـكلمة الأولى تصحيفاً وفى الأخيرة تحريفاً ، وأن صوابها « فتتايع فى حقه » مراعاة للسجع الذى كان من سنن كتاب هذا العصر وآفاتهم ، وكان الصاحب مبتلى بهذه الآفة أكثر من غيره ، ونقـل أبو حيان التوحيدى عن ابن المسيبى فى ذلك كلاماً طريفاً جداً يضـيق عنه المقام (راجع معجم الأدباء ٦ / ٢٠٧ / ٨ ٢) ومعـنى التتايع فى الشىء التهافت فيه والإسراع إليه ، قال صاحب لسان العرب « يقال تتايعوا فى الشر إذا تهافتوا وسارعوا إليه ، وفى حديثـه صلى الله عليه وسـلم : « ما يحملكم على أن تتايعوا فى الـكذب كما يتتايع الفراش فى النار » . والتتايع الوقوع فى الشر من غير فـكرة ولا روية ، والمتايعة عليه ولا يكون فى الخير ، ويقال فى التتايع إنه اللجاجة ... وقيل التتايع فى الشر كالتتابع فى الخير .. فالتتايع هنا بكل معنى من معانيه مناسب ومعنى الجملة « فتهافت فى حق الله وأسرع إلى الوقوع فيه من غير فـكرة ولا روية لأنه شبه الله بخلقه لجهله كبعض خلقه ، وهو من أجل ذلك استحق المهانة وكانت مهانة الإنسان إياه من النعم الجليلة الموقع ، الهنيئة المشرع » وهناك قراءة للنص دون هذه « ومهانة من شبه الله بخلقه فتتايع فى جهله ، أو جوره فى فعله فشك فى حسن نظره وطوله » والهاء فى جهله لمن شبه الله بخلقه ، والمعنى واضح ، والقراءة الأولى أفضل فيما أرى والمقام يضيق عن ذكر أسباب التفضيل :

(٢) يلاحظ أن معنى تعديل الله وصـفه بالعدل فلا معنى للقول « وشهرة المعتزلة بأنهم أهل العدل أعظم من شهرتهم بالتعديل » فهما شىء واحد .

هو فيما نقلت عنهما وعن الرسائل إذ لم يتح لي حتى الآن الاطلاع عليها كما نشرها المحققان الفاضلان .

أولها : ما أشار إليه المحققان ، ونقله الدكتور الأهوانى من نصوص الصاحب الثلاثة — المشار إليها قبل — ولا سيما ثالثها يحمل الباحث على الاطمئنان إلى أن الصاحب كان يقول بالتوحيد والعدل ، والوعد والوعيد ، وهذه — دون شك — أصول ثلاثة من أصول مذهب المعتزلة الكلامى ، ولا داعى للتشكك فى نسبتها إلى الصاحب مع ورودها فى نصوصه ، إذ ليس الباحث مطالباً ببينات أقوى ولا أكثر من هذه البينات ، وإن كان مما يرحب به وجود بينات نصية كذلك تكون أكثر تفصيلا ليضمها إلى ما لديه ، كما أنه ليس على الباحث أن ينبش عن قلب الرجل ليرى ما فى سريرته ، ولا مبرر بعد ذلك للشك أو التردد حتى يثبت أن للصاحب نصوصاً تعارض هذه النصوص ، وهذا ما لم يثبت حتى الآن . والدكتور الأهوانى لم يحد عن مسلك العالم حين اطمأن إلى نسبة هذه الأصول الثلاثة إلى الصاحب ، ولم يتابع المحققين فى شكهما وترددهما ، وأنا أشاركه هذا الاطمئنان ، ولكنى لا أذهب معه إلى أكثر من نسبة هذه الأصول إليه ، ولا أتعدى معه إلى القول باعتزال الصاحب على الإطلاق بهذه النصوص وحدها حسبما ذكر الدكتور اتباعاً لرأى ياقوت فيه ، وسأوضح هذا فى الملاحظة الرابعة .

ثانيتها : ومن أجل هذا الاطمئنان حقّ للدكتور أن يستدرك على المحققين ترددهما الذى لامبرر له ، وعدم جوابهما على سؤالهما « أكان هذا (أى الاعتزال) من عمله هو ، أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة — فيما يظهر — يذهب إلى الاعتزال »

والشك — كما يظهر من السؤال — لامبرر له بعد النصوص السابقة — إلى ما ذكر ياقوت ونقل هنا — ولو لم يكن لدينا غيرها ، فضلا عما سنذكر فى الملاحظة الثالثة ، كما أن السؤال لا موضع له على هذا النحو ، فماذا يطعن فى اعتزال الصاحب إن كان من عمله هو أو من عمل الدولة ؟ لنفرض أبعد الفروض وهو أن الاعتزال كان من عمل الدولة لأنه كما ذكر المحققان — « قد كان عضد الدولة يذهب فيما يظهر — إلى الاعتزال » فهل يوهن ذلك من اعتزال الصاحب ويحملنا على الشك فيه ؟ ليكن أن « عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال » أولا يكن ، فأى قيمة لاعتزال عضد الدولة فى هذا الموضع لنزج به فيه ؟ أيطعن فى إسلام ثابت لوزير أن يكون الملك الذى استوزره مسلماً ، وأن تكون دولته إسلامية ؟ ثم ما قيمة اعتزال عضد الدولة إن كان منتهى الثقة فى القول به أنه — كما ذكر المحققان — فيما يظهر لهما ، لا فيما ثبت لهما ثبوتاً قاطعاً أو راجحاً ؟ ثم ما قيمته إذا لم يكن هناك دليل عليه ؟ بل ما قيمته إذا لم يثبت أن عضد الدولة كان يؤثر المعتزلة دون غيرهم بامتياز يدل على ميله إليهم فضلا عن ذهابه مذهبهم ؟

لقد قرأت مما كتب فى تاريخ عضد الدولة — وما هو بالقليل — فلم أجد فيه ما يدل على أن عضد الدولة كان يؤثر مذهب الاعتزال أو المعتزلة بعطف خاص ؟ فمن أين هذا الذى ظهر للمحققين الفاضلين حين أشارا إلى اعتزاله ؟ وكيف ظهر لهما ؟

لا أزعم أنى قرأت من تاريخ عضد الدولة أكثر مما قرأ المحققان ، فلعل عندهما علم ما لا أعلم منه ، وهما — دون شك — أكثر اطلاعاً وفهماً منى ، ولست أبغى من معرفة ما ظهر لهما من اعتزال الصاحب غير مصدره وكيفية ظهوره !

ومع هذا قد وقفت فى دراستى لتاريخ الاعتزال على أن هذا المذهب كان ذائعاً قوياً فى أيام عضد الدولة وفى دولته خاصة ، إذ ظهر فيها كثير من شيوخ الاعتزال ، وتولى بعضهم الأعمال لها ، ومنهم من كان على صلة بعضد الدولة نفسه ، وكانت الدولة تعرفهم وتعرف ميولهم واعتناقهم الاعتزال ، ومع ذلك لم تجد ما يدل من قريب ولا بعيد أن الدولة كانت تؤثرهم بعناية خاصة إلا فى أيام الصاحب نفسه ، وهذا الإيثار كان من عمل الصاحب وحده لا من عمل الدولة ، ومن المعروف أن عضد الدولة — هذا الذى يرى المحققان فيما ظهر لهما أنه يذهب إلى الاعتزال — جاءته رسالة من ملك الروم فأجاب عنها فى سنة ٣٧١ هـ ولم يختر لحمل جوابه عنها إلا أبا بكر محمد بن الطيب الأشعرى المعروف بابن الباقلانى أو الباقلانى ، وابن الباقلانى كان — دون شك — متكلما على مذهب الأشعرى شيخ أهل السنة ، وكان من أشد خصوم المعتزلة ، ألف الكتب للرد عليهم والحط من أقدارهم . ويروى أنه أبى أن يخضع لرسوم البلاط البويهى حين لقى عضد الدولة فلم يكفر له[1] فى مدينته . أفلم يكن

(١) كان من رسم الرعية فى مقابلة الملك أن تقبل الأرض بين يديه وهو المقصود هنا . (تاريخ بغداد ٥/٣٧٩) .

فى دولة عضد الدولة من رجال المعتزلة الذين تعرفهم الدولة وتعرف فضلهم من يحمل هـذا الجواب كما حمـله ابن الباقلانى السُّنِّى خصم المعتزلة ؟

لو أن الدولة البويهية عطفت على المعتزلة وآثرتهم بعناية خاصة لكان هذا موافقاً لأصلها العام لأنها شيعية زيدية ، والزيدية فى كل زمان ومكان — منذ عهد زعيمهم زيد بن على تلميذ واصل بن عطاء شيخ المعتزلة — يدينون بالاعتزال أصـوله كلها أو بعضها ، أو يعطفون عليه ، وكانت الفتن كثيرة فى عهد الدولة البويهية بين أهل السنة والشيعة ، وكانت الدولة دائماً تنصر الشيعة على أهل السنة ، بل كان بعض هذه الفتن يثير أهل السنة تمرداً على تشيع الدولة ، ومع ذلك لم نقرأ خبراً عن فتنة بين المعتزلة وأهل السنة نصرت الدولة فيها المعتزلة على أهل السنة كما نصرت الشيعة عليهم

لقد ظهر الصاحب فى عهد ركن الدولة وعضد الدولة ، ووزر لمؤيد الدولة ثم أخيه فخر الدولة ، فأما ركن الدولة فلا نعلم من أمر نظره إلى الاعتزال إلا خبراً واحداً مؤداه أنه أرسـل مرة إلى الصاحب عيناً من عيونه يشاكسه فى مجلسـه ويتحدى سلطانه ومذهبه الاعتزالى ويجـادله فى بعض تعليماته : وهو القول بخلق القرآن[1] . وأما عضد الدولة فقـد قدمنا مبلغ علمنا فى نظره إلى الاعتزال ، وأما مؤيد الدولة فلا أعرف من أخباره ما يدل على ولاء ولا عداء للاعتزال ، وأما فخر الدولة فلا نعرف فى نظره إلى الاعتزال غير خبر واحد ذكره الصاحب فى صدد علاقته واحتشامه فقال[2] : ما استؤذن لى على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة فيأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبـذل بين يدى ومازحنى قط إلا مرة واحدة فإنه قال لى فى شجون الحديث : « بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيل[3] نيل الرجال »

فأظهرت الـكراهة لانبساطه ؛ وقلت : « بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل » ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسـه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى الهزل والمزح[1] »

وليس فى هذا الخبر ما يدل على أن فخر الدولة يشارك وزيره اعتزاله ، ولا أنه يرى للاعتزال امتيازاً على غـيره ، وإلا لم يسـتدرك على الصاحب مَـيْزَهُ الاعتزال بعنايته من سائر المذاهب الإسلامية الـكلامية .

هـذا إلى أن فخر الدولة — كما يجب أن يعلم — كان يعرف خطر وزيره فى دولته ، وحاجته إليه فى تدبيرها بل فضله عليه إذ جمله هو وأعوانه على أملاك أخيه مؤيد الدولة فى أصفهان بعـد موته سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٤ م) وأضاف إليهـا غيرها من حصون المتمردين عليها ، وكانت كلمته فوق كلة ملـكه فى دولته ، ولم يكن ينزل عن جلاله و كبريائه وحشمته معه .

ومن هذا العرض الموجز تنكشف علاقة ملوك الدولة البويهية الذين عاصرهم الصاحب جميعاً بالاعتزال والمعتزلة ، وليس فيه من قريب ولا بعيد أية دلالة على تحيز من الدولة أيام الصاحب إلى الاعتزال فضلا عن اعتناقه .

ومن ها هنا يتضح لنا أن لا موضع للسؤال الذى سأله المحققان الفاضلان كما نقله عنهما الدكتور الأهوانى فى استدراكه عليهما فقال « ... فقال ولـكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان من عمله هو (الصاحب) أم من عمل الدولة ؛ فقد كان عضد الدولة يذهب — فيما يظهر — إلى الاعتزال

بل إن هذا السؤال الذى ترك المحققان الجواب عنه دون مبرر — يتضح من وضعه على هذا النحو أنه محاولة للافلات من القضاء بحكم مع هذه المقدمات الواضحة ، وهـذه المحاولة لم تحل الإشكال الأصيل بل خلقت إشكالا آخر لم يكن داع لخلقه ، وأقحمته فى غير موضعه ، ثم تركته دون حل كما تركت سابقه ، وأثارت شكا لا موضع له ولا حاجة إليه ، وكان حل الإشكالين ميسوراً .

(له بقية) **محمد خليفة التونسى**

---

(١) معجم الأدباء ٦/٢٠٩ — ٢١٣ نقلا عن كتاب أخلاق الوزيرين لأبى حيان التوحيدى الذى يحكى الخبر كما عاينه فى حضرة الصاحب ، ويبدو لى أن فى النص (ص ٢١٣) اضطراباً إذ أسند الجاسوس القول بخلق القرآن إلى خصم الصاحب ، مع أن القول بخلقه من مستلزمات التوحيد عند المعتزلة ، وما دام الصاحب يتدين بهذا المبدأ على طريقتهم فلا مناص من أنه كان يقول بخلق القرآن .

(٢) عن يتيمة الدهر للثعالبى ٣/١٧٩ — ١٨٠ ، وقد نقـله عنها ياقوت مع تغيير طفيف (معجم الأدباء ٦/٢٨٤) وهو فى اليتيمة أخصر وأقوم .

(٣) الـكلمتان فى المصـدرين السابقين فاحشتان ، وقد اقتديت فى كتابتهما هكذا بما فعله المرحوم أحمد زكى باشا فى نشرته كتاب « التاج فى أخلاق الملوك » للجاحظ (ص ٧٩ منه) واقتدى هو فيـه بطابع كتاب « طراز المجالس » للشهاب الخفاجى ص ٧٩ .

(١) الـكلمة فى نص اليتيمة « المزح » ولا موضع لهـا ، ووردت مصحفة فى معجم الأدباء ، ويجوز أن تكون « المدح » فصحفت .

طرائف من العصر المملوكي :

الحـــركة العلمية

للأســـتاذ محمود رزق سليم

جميل بنا أن نعنى بدراسة تاريخ مصر ، ونتعرف إلى نواحيه المختلفة ، لنشهد ما قدمه بنوها فى أجيالهم المتعاقبة من جهود فى مضمار العلم والأدب ، ولنعرف مكاننا من المدنية ، وموقفنا من الحضارة الفكرية . فإن مصر فى عصورها المتعددة كانت تشترك باستمرار وبرغبة ذاتية فى بناء المدنية والحضارة ، وتسعى دائبة لرفع لوائهما ونشر سلطانهما .

والعصر الذى نحن بصدده ، عصر فريد من عصور مصر ، وبخاصة فى اتجاهاته العلمية . وهو لذلك جدير بالبحث والتمحيص أكثر مما بحث ومحص . بل لا أغلو إذا قلت إن الغموض لا يزال يكتنفه من نواح عدة . بل لا تزال الفكرة المركزة فى أذهان كثير من الأدباء عنه ، مشوهة ظالمة . ولذلك يتأبى بعضهم على البحث فيه وتمحيص نواحيه . مع أن أبناءه حملوا من أمانة العلم والأدب مايئود . ألقته القادير على كواهلهم إلقاء ، فحملوا الأمانة وأدوا الرساله ، صابرين فى الحمل ، محسنين فى الأداء .

نهضت بغداد من قبل ، برسالة العلم والأدب زهاء خمسة قرون وكانت — فى الجملة — شمساً للبلاد الإسلامية شرقيها وغربيها تستضىء بهديهـــا ، وتسير على قبس منها . فلما دهمها التتار عام ٦٥٦هـ ، وأزالوا خلافتها ، ونكلوا بأبنائها وعبثوا بمؤلفاتها ، ضاعت بذلك ثمار كثيرة من ثمار هذه القرون الخمسة ، ووقفت بها رحى العلوم والآداب إلا لماماً لماما . هنا لم تجد القاهرة بداً من الظهور فى الميدان ، أكثر مما كانت ظاهرة ، وتقدمت لحمل أمانة العلم والأدب برغبة وشجاعة . ولولا تقدمها لخبا الزناد وكبا الجواد ، وانقطعت سلسلة العلوم والآداب الإسلامية ، وتوارت عن الأنظار أمداً طويلا .

وقد هيأ الله للقاهرة من الأسباب ما عاونها على بلوغ غايتها . فقد كانت حينئذاك عاصمة لأقوى مملكة إسلامية ، ورزقت ملوكا أحسوا أن عليهم واجب حماية الدين والحرص على بلاد المسلمين . فداقموا عنها أعداءها ، ووطئوا للعلماء أكتافهم ، ورحبوا بالقادمين منهم إلى مصر . وأغرى العلماء ما فى مصر من خير وكرم وحسن وفادة وطيب لقاء . فوفدوا إليها تباعاً من كل فج ، واتخذها بعضهم دار مقام ، حتى أصبحت منتدى العرب ومحج المسلمين ، وقبلة علمائهم وطلاب العلم فيهم ، من كل بلد ومحلة .

وقد دعمت هذه الحياة بتجديد الخلافة الإسلامية منذ عصر الظاهر بيبرس . فأصبحت الخلافة — على علاتها — ذات قوة أدبية لها تأثيرها الروحى فى نشاط الحركة العلمية الإسلامية ، وعاونت مصر على أن تكون بيئة دينية صالحة جليلة القدر ، ينبت فيها ويفىء إليها علماء الدين على اختلاف مذاهبهم .

ولم يدخر السلاطين وسعاً — كما نوهنا — فى تبجيل العلماء وتعظيمهم أمام الخاصة والعامة ، حتى اطمأنت نفوسهم ، ولم يلههم عن الإنتاج العلمى شىء من جوع أو خوف . وحرصت أجيالهم الناشئة على متابعة جهودهم العلمية لتظل لهم هذه المنزلة السامية لدى السلاطين والشعب .

ونذكر منهم على سبيل المثال : عز الدين بن عبد السلام وكان يدعى بسلطان العلماء ، وكان الظاهر بيبرس يهابه ويقدر رأيه . وتقى الدين بن دقيق العيد ، كان السلطان لاجين يقبل يده . وعلاء الدين السيرامى فرش له السلطان برقوق السجادة بيده .

وإلى جانب هذا سرت فى السلاطين والأمراء ومن إليهم ، روح عجيبة قوية لإبقاء أثرهم وتخليد ذكرهم . واتخذوا إنشاء المساجد الجامعة فى مقدمة وسائل هذا الإبقاء والتخليد ، قربى إلى الله وزلفى ، وليتعبد فيها الناس وليتفقهوا فى دينهم . وقرروا فيها الدروس ، وعينوا لكل درس شيخاً ، ورصدوا لذلك الأوقاف الطائلة ، ليفيضوا لهذه المدارس بقاء طويلا ، وأجروا على الطلبة المنقطعين فيها لطلب العلم نفقات وأطعمة وأكسية ، وألحقوا بكل مدرسة دار كتب قيمة ، حشدوا إليها الآلاف من المؤلفات الثمينة .

ولم تكن هذه الجهود مقصورة على مدينة القاهرة وحدها . بل اشتهرت إلى جانبها مدن أخرى كثيرة كالاسكندرية وأسيوط وقوص ودمياط ومنفلوط وبوتيج واخميم وأسوان وبلبيس ، هذه فضلا عن المدن الشامية والحلبية والحجازية .

وبلغ عدد مدارس القاهرة نحو خمسين ، فوق ما أنشأه الأيوبيون والفاطميون من قبل . ولا يزال كثير منها ماثلا للعيان فى القاهرة حتى اليوم .

وفى مقدمة هذه المعاهد التعليمية مستشفى قلاوون . بناه عام ٦٨٢ هـ . وكان عبارة عن مدرسة للطب كبيرة . به قسم للحميات ، وقسم للرمد ، وقسم للجراحة ، وقسم للأمراض النسوية ، وغير ذلك . وجهز بمن يهيمن عليه من الأطباء والموظفين والممرضين والصيدلانيين . كما زود بأدوات العلاج والصيدليات . وأعدت به أسرة للمرضى ، وقسم للعلاج الخارجى وكل ذلك بالمجان . وهيئت به قاعة محاضرات تلقى بها دروس الطب ، كما زود بخزانة كتب جليلة القدر .

هذه العوامل جميعها من شأنها أن توقظ الهمة وتشحذ العزيمة ، وتهيىء السبيل إلى الاشتغال الجدى بالعلم . وقد انتهز العلماء هذه الفرصة النادرة ، وتلك الموارد الشهية التى أتيحت لهم ، فنهلوا منهـا وعلوا . وكان لهم بما أصاب العرب والمسلمين فى تراثهم الفكرى ، ببغداد وغيرها خير حافز على النهوض بتدوين العلوم تدويناً جديدا ، وبالإضافة إليه كلما وجدوا مزيداً ، حتى يعوضوا اللغة والدين شيئاً مما فقداه فى محنهما ، وحتى يبرئوا الذمة أمام الله والتاريخ ، ويبرهنوا أنهم حملوا العبء بقلب ثابت ونفس راضية

وقد كان لهذه الحركة العلمية مظاهر متعددة ، أهمها مظهران هما : الحركة التعليمية ، والحركة التأليفية .

أما الحركة التعليمية فقد انتعشت انتعاشاً محموداً . وكان بالبلاد نوعان من التعليم هما : التعليم العسكرى ، والتعليم الشعبى .

أما العسكرى فقد كان مقصوراً على طائفة المماليك ، محظوراً على أفراد الشعب . وهذه إحدى نقائصه فى نظر المؤرخ الوطنى . وكانت طباق القلعة المقر الرسمى لجنود الدولة منذ عصر قلاوون يجلبون إليها من الأسواق صغاراً ، ويقسمون فرقا حسب أجناسهم ويقيم فى كل طبقة جنس ، يشرف عليه عدد من الزماميين «الأغوات» ويقوم هؤلاء الصغار بتمرينات رياضية سهلة مناسبة ويعلمون الكتابة والقراءة ، ويلقون آيات من الذكر الحكيم ، ويعودون الصلاة وبعض الفروض الدينية . ويحفظون شيئاً من الأدعية ، وتحبب إليهم الأخلاق الفاضلة والدفاع عن الدين والجهاد فى سبيل الله . ثم إذا بلغوا الحلم يعلمون تمرينات رياضية أشد قسوة ، ويمرنون على السباحة واستعمال السيف والرمح ، وقذف الأطواق وركوب الخيل والمبارزة ورمى النشاب ولعب الكرة . وفى هذه المرحلة تنضج مواهب المملوك وتبرز خصائصـه وتبدو مهارته وشجاعته . فإذا عرف فضله وشهد بلاؤه ، صار فى عداد المحاربين ثم قد يدفع به حظه إلى العتق ثم الترقى فى سلك الإمارة . وقد تسوق إليه المقادير فى أعقاب ذلك سلطنة البلاد .

وقد عنى السلاطين عناية بالغة بتنشئة مماليكهم تنشئة عسكرية صالحة ، كما عنوا بطعامهم وشرابهم وصحتهم ، فتخرجوا — كما قال المقريزى — « سادة يدبرون الممالك ، وقادة يجاهـدون فى سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون فى إظهار الجميل » . وبتوالى الأيام تراخى السلاطين فى بذل هذه العناية فاضطرب نظامهم شيئاً فشيئا ، وكان لذلك أثره السىء فى أخلاقهم ، فانقسموا ، شيعا ، وتدخلوا فى سياسة الدولة فأفسدوها ، وشغلوها بأطماعهم غير المشروعة وقعدوا عن الجهاد الصادق ، حتى صاروا كما قال المقريزى «أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدراً ، وأشحهم نفساً ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضاً عن الدين ، ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد ، وألص من فأرة ، وأفسد من ذئب » .

أما التعليم الشعبى فقد كان مقره المساجد وما شابهها مما أنشأه السلاطين والأمراء ومن لف لفهم — كما ذكرنا — ومهما قيل فى سبب إنشائها ، فهى بلا شك كانت الدعامة الأولى من دعائم هذا التعليم . وقد كانت بمثابة جامعات علمية عظيمة الشأن ، بها من الجامعات الحديثة خصائصها ومميزاتها ، وإن افترقت عنها فى الشكل والعرض . بل لعل التعليم بها كان ميسراً أكثر مما هو ميسر اليوم . وكان الطالب بها حراً يندمج فى عداد من يشاء من الطلاب ويقعد أمام من يشاء من الأساتذة . ويضع جدول حصصه بنفسه ، ويطوف على كل مسجد إذا شاء ليقتطف منه أشهى ثمراته . ولا يتحمل فى سبيل ذلك شيئاً من نفقات التعليم ، بل بالعكس كان يجد البر والمعونة من كثير من أهل الفضل . فإذا أتم إحدى مراحل تعليمه بقراءة كتاب فى مادة ، أو بحفظ طائفة من الأحاديث أو نحو ذلك ، منحه شيخه إجازة يشهد له فيها بتمام هذه المرحلة.

وكان السلاطين يعنون عناية دقيقة باختيار الشيوخ المدرسين فى مدارسهم ، ينتخبونهم من بين الأفذاذ المشهود لهم بالعلم والفضل والذين لا ينون يحملون العلم ونشره غايتهم الكبرى . وكان بعض هؤلاء الشيوخ يستمر فى مدرسته طويلا ، ويلازمها ، حتى لنستطيع القول — جملة — إن كل مدرسة كان بها منهم هيئة تدريس خاصة بها . لكل مادة من المواد المقررة بها أستاذ . ونذكر على سبيل المثال شيوخ الجامع المؤيدى وهم : شهاب الدين بن حجر العسقلانى لفقه الشافعية . ويحيى بن محمد بن أحمد البجائى المغربى

لفقه المالكية . وعز الدين عبد العزيز بن على بن الفخر البغدادى لفقه الحنابلة . وبدر الدين محمود العينتابى للحديث . وشمس الدين محمد بن يحيى للقراءات . وشمس الدين محمد بن الديرى لفقه الحنفية وشيخ للصوفية . وهكذا .

أما مواد التعليم فقد كان طبيعياً أن تكون العلوم الدينية فى مقدمتها ، بدافع من رد الفعل الذى أحدثته حوادث اغتيال العلماء ومؤلفاتهم فى بغداد وسواها من عواصم المسلمين . وبدافع ما أشرنا إليه من أن البيئة المصرية تحولت إلى حد ما بيئة دينية ألقيت عليها تبعات الذود عن الدين وعلومه وأهله . ويليها علوم اللغة للحاجة الماسة إليها فى درس العلوم الدينية وضبط شئون الدولة . ويليها غيرها من المواد لأنها تكمل المتعلم وتؤهله لتركيز علمه . وكانت مواد التعليم هى الفقه بمذاهبه الأربعة ، وأصول الفقه ، والحديث والتفسير والقراءات والوعظ والكلام والتصوف ثم دروس النحو والصرف والأدب ، ثم الطب والفلك والهندسة والتاريخ والتقويم والرياضة .

وقبل أن يدرس الطالب هذه الدراسة ، يمر بأحد المكاتب المنشأة بجوار المساجد ، ليحفظ به القرآن الكريم ويتعلم مبادىء القراءة والكتابة .

ولم يكن لدور التعليم مناهج خاصة فى موادها المقررة . وأغلب الظن أن منهج المادة كان رهناً برغبة أستاذها . فهو وحده يختار الكتاب الذى يقرؤه فيها لطلابه . ومهما يكن من شىء فقد سمدت كتب خاصة باتخاذها مناهج لموادها المقررة . نعرف ذلك إذا اطلعنا على تراجم الأعلام من علماء العصر ؛ لذلك نستطيع القول إن من بين الكتب التى اتجهت العناية إليها لدراستها ما يلى : التنبيه . المنهاج الأصلى للنووى . الشاطبيتان فى القراءات . العمدة للحافظ النسفى فى الأصول . والكافية لابن الحاجب فى العربية . ومختصر القدورى فى الفقة . وجمع الجوامع . والأربعون حديثاً النووية وتلخيص المفتاح فى البلاغة ، والكنز فى فقه الأحناف . والمنار فى الأصول . وألفية ابن مالك فى النحو . والملحة . والمختار والمنظومة كلاهما للنسفى فى الفقه . ونظم قواعد الإعراب لابن الهائم . وإيساغوجى فى المنطق . وكتب الحديث الستة .

وقد امتلأت المساجد بطلاب العلم على اختلاف مذاهبهم ، واختلاف بلادهم ، ممن وفدوا على مصر يستظلون بظلها ويستمدون رفدها وينهلون من مواردها . حتى ضاق بهم بعضها على رحبه ، وكان منهم «المنتسبون» وهم الداعون الذين قيدت أسماؤهم لينالوا شيئاً من الأوقاف بصفة مستمرة . أما غيرهم فأخلاط شتى من محبى العلم من الشعب

وأهم ما يوجه إلى هذا الضرب التعليمى من النقد — إذا نظرنا إليه نظرة حديثة — أنه لم يكن سياسة للدولة مرسومة ، بل كان نتيجة جهود فردية ، وأنه لم يؤد إلى الشعب باعتباره حقاً من حقوقه ، بل باعتباره منحة له وتفضلا عليه . وأن الأساتذة عنوا بنشر العلم فحسب ، ولم يتخذوه وسيلة إلى إيقاظ الشعب وتنبيهه إلى حقوقه وواجباته .

غير أنه — بلا شك — نظام قد أنجب . وأغلب نجبائه من رجال الدين . وبلغ بعضهم مرتبة الأئمة المجتهدين . وقاموا بحركة تأليفية مباركة ، هى حلقة فريدة من حلقات العلوم والآداب كان لا بد لحياة العلم والأدب من وجودها .

أما هذه الحركة التأليفية فكانت المظهر الخالد للحركة العلمية . وشجعها السلاطين ودعوا العلماء أحياناً إلى التأليف برسم الخزانات الشريفة . فمنهم المؤرخ أبو بكر بن أيبك ، ألف كتابه «كنز الدرر» للناصر بن قلاوون . والطبيب محمد القوصوى ألف للغورى كتاب «كمال الفرحة» فى الطب . وعماد الدين موسى بن محمد اليوسفى المصرى ألف كتابه «كشف الكروب فى معرفة الحروب» للسلطان جقمق .

على أن التأليف لم يكن وقفاً على تشجيع السلاطين أو سواهم ، بل كان غاية من غايات العلماء . لذلك نشطوا فى ميدانه نشاطاً هو مثار الدهشة والعجب ، لبلوغه حداً من الإعجاز . وتعددت مؤلفات بعضهم حتى عدت بالمئات ، وفى فنون شتى . واتسمت أحياناً حتى صارت موسوعات جامعة امتدت فيها آفاق العلم . وعنوا بعلوم الدين أولا ، ثم التاريخ وفنون العربية ، ثم غيرها . وحظى تاريخ الأعلام والخطط بنصيب كبير من العناية . وهكذا ترى أن مؤلفاتهم لا غنية عنها للفقيه والمؤرخ واللغوى والأديب والمحدث والنحوى والبلاغى وغيرهم . وبعضها يعد فريداً فى بابه منقطع النظير .

وأهم ما يوجهه الناقد إليها أن بعضها رسائل صغيرة ، وأن منها ما يشوبه الجمع والنقل ويندر فيه الابتكار . وأن منها المتون وشروحها ومختصرات شروحها . غير أن هذه النقدات يسهل الرد عليها وتعليلها فسياق العصر كان يدعو إليها إسراعاً إلى تدوين المحفوظ وعجلة إلى تسجيله حذراً من أن تعبث به يد الزمان

ثم هيهات أن تقلل هذه النقدات من خطر تلك المؤلفات . وإلا . فأين فيما ألفه السابقون كتاب كالإتقان للسيوطي ، أو شرح البخارى ومقدمته لابن حجر ، أو الفتاوى لابن تيمية ، أو المدارج لابن القيم أو المغنى لابن هشام ، أو المجموع للنووى ، أو تكملة للتقى السبكى ، أو الخطط للمقريزى . بل أين مثل ما كتبه مؤرخ مصر في تاريخها وتاريخ أعلامها من أمثال الإدفوى وابن خلـكان والتاج السبكى وصاحب الدرر ، وأبى المحاسن والصفدى ، وابن إياس والسخاوى . بل أين الموسمات التى تشابه موسمات القلقشندى والنويرى وابن منظور وابن فضل الله ؟

وبعد فهذا غيض من فيض ، وقل من كثر ، ولمحة خاطفة من شمس ضاحية ، وقبس عاجل من سراج وهاج .

(حلوان) محمود رزق سليم

سؤال ينتظر الجواب

لمهندس كبير

تأتينا مياه النيل سنة بعد أخرى بطريقة منتظمة متكررة ، إلا أن مقدار ما يصلنا منها يختلف فى الأوقات المختلفة من السنة نفسها كما يختلف من سنة لأخرى . ولسنا هنا بصدد البحث فى أسباب هذه الاختلافات الموسمية أو السنوية أو معرفة النتائج التى ترتب عليها لأن هذا معناه دراسة نظم الرى بالقطر المصرى .

ولـكننا بصدد أن نلفت النظر إلى ناحية واحدة من هذا الموضوع وهى المماطلة فى تنفيذ المشروع الذى يدفع خطر الفيضانات العالية.

إن الخسارة التى نتكبدها من جراء هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست بالقدر اليسير الذى يمكن إهماله أو غض النظر عنـه لأنها ليست قاصرة على ما يصيب هؤلاء الذين يطغى عليهم الفيضان فيكتسح زراعاتهم ويحرمهم أرزاقهم ويعدمهم أقواتهم ، بل إن الحـكومة تخسر ما تحصله من أموال هـذه الجهات المنكوبة كما تتحمل مصروفات أخرى كبيرة فيما تتخذه من إجراءات لدرء خطر هذه الفيضانات وهذا بجانب مايستحوذ على الأمة من قلق واضطراب

إن مشروع اتقاء الفيضانات العالية تدرسه الجهات المختصة ؛ وقد حصل الدارسون على معلومات وأبحاث كثيرة بدىء بدرسها ، ولـكننا نتساءل ألم تكن هذه المدة كافية للوصول إلى نتيجة يصح أن تكون أساساً لقرار ينفذ ؟

إن هذه الفيضانات العالية الخطرة ليست خاصة بنيلنا وحده ، لأن هناك كثيراً من الأنهر فى البلدان الراقية تفيض على الأودية التى تجرى فيها وقد كانت فيما مضى سبباً فى نـكبات ساحقة وكوارث ماحقة ، ولـكنها عولجت على النحو الذى منع حدوثها أو حد من شدتها . وليس من الميسور أن نذكر هذه الطرق الفنية المختلفة التى تكيفت تبعاً لظروف كل حالة منها على حدة ، ولـكننا نعلم أن وجهة النظر الفنية فى مصر تتجه إلى تصريف مياه الفيضان فى موقع منخفض قريب من مجرى النهر يتسع لاستيعاب هـذه المقادير الـكبيرة من مياه الفيضان ؛ على أن تحفر قناة لتصل النهر بهذا المنخفض، فـكيف لايقرر إلى الآن أين يكون هذا المنخفض وصيانة القناة وغير ذلك وما هى النفقات التى يطلبها تنفيذ المشروع ؟

إننا لا نجد سبباً يبرر هذا التأخير غير ما سمعناه من أن ملفات هذا الموضوع تظهر وقت وقوع الـكارثة حتى إذا ما مرت اختفت هذه الملفات لتظهر مرة أخرى عنـد حدوث الكارثة التالية . إن فى الولايات المتحدة حالة فى وادى التيس تشبه حالتنا ، قد كانت الأمطار الغزيرة والسيول المدمرة تكتسح الوادى من وقت لآخر فتهلك الزرع وتجرف معها تربة الأرض نفسها فتتركها جرداء لا تصلح للزراعة إلا بعد مشقة ، وتبع ذلك حتماً أن عاش سكان هذا الوادى فى ذعر مستمر يحاربون الطبيعة ولا معين ، ويتلقون النـكبات ولا منقذ ، إلى أن قام أولو الأمر فنفذوا المشروع المناسب لمواجهة هـذه الحالة فحفروا القنوات لحصر جريان الماء حيث يريدون، وأقاموا الخزانات والسدود ،وأنشأوا الجسور فخلقوا من الذعر طمأنينة ، ومن البؤس والفقر سعادة وثراء ، وأصبحت هذه الجهات جنات خضراء يعيش أهلها الآن فى نعيم مستديم . وزيادة على ذلك فقد أمكن توليد القوة المحركة من مساقط المياه فيها فزادها رفاهية وخيراً عميما . أما نحن فسوف يأتينا الفيضان الخطر التالى ونحن كما تجدنا الآن ! فهل هذا يجوز ؟

إذا كان هناك من الأسباب ما يبرر هذا الإبطاء أو التأجيل فلينبئنا به أولو الأمر إذا كانت الصعوبة مالية أو فنية حتى لا تصبح عرضة للوم أو التنديد .

إننا نريد أن نثبت للشعب أن الرجال الذين يشرفون على شئونه ساهرون على مصلحته يعملون على إصلاح هذه الشئون . وهذه واحدة من عدة مسائل أخرى أرى ضرورة الـكتابة عنها إذا ما أردنا الخير لهذه البلاد .

« مهندس »

٢ — فن المسرح (*)

(تحية للأستاذ الفاضل زكى طليمات)

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

المسرح وقيمته التصويرية:

ماذا يصور المسرح ؟ إنه يصور ماأودعه المؤلف فى مسرحيته من أفكار وتجارب . ولما كان لهذا الفن — كما لكل فن — أسلوب خاص فى التصوير كان من اللازم أن تكون تلك الأفكار والتجارب مما يمكن تصويره بهذا الأسلوب دون سواه . والمفروض أن طريقة التأليف المسرحى تجرى — فينا — على النسق الآتى : يلتقط خيال المؤلف بعض احتمالات الحياة ويكوّن منها مجموعة مستقلة من الحوادث المتصلة تستحيل فى ذهنه إلى حوادث مرتبة ترتيباً معيناً (Plot) وهذه يعبر عنها بواسطة شخصيات (Characters) وهؤلاء يعبر عنهم شعورهم وتفكيرهم عن طريق ما يلفظون به من قول (diction) .

فإذا جاز لنا أن نقارن بين الفنون عامة من حيث أساليب التصوير فماذا يكون شأن المسرح ؟ .

المشاهد أن من الفنون ما يجنح للخيال المبهم ومنها ما يهبط إلى الواقع السطحى، بينما المسرح — فيما يبدو — يشكل التجارب والأفكار المجردة فى قوالب ملموسة دون أن يقلل من روعة ما كانت عليه « خيالا » أو يزرى بما صارت إليه « واقعاً » . يقول (آبر كرمبى) وهو يشرح رأى أرسطو بهذا الصدد ما مؤداه : « إن الفن المسرحى إنما وجد لكى يعطى صورة ومادة لضرب خاص من التنبه الخيالى . ووجود الفن يستلزم وجود التنبه الخيالى ... ومن الممكن أن نصور الحياة كما هى تماماً ولكن الأمر الذى يحرك الشعور هو أن نتصور الحياة كما يمكن أن تكون وهنا يصبح الخيال قوة قادرة على الإيحاء ... وربما كان عمل الخيال لا يعدو مجرد تقطير الأحداث الواقعية باستبعاد جميع نواحيها السخيفة ... » .

(*) راجع العدد : ٧٥

فهل لنا أن نتخذ من هذه الواقعية الفنية مبرراً قوياً لتفضيل الفن المسرحى على غيره ؟ المصطلح عليه أنه من الصعب — إن لم يكن من العبث — أن نفاضل بين الفنون بإخضاعها كلها لمقاييس جمالية واحدة بل ينبغى أن نراعى « الخامة » التى يستعملها كل فن على حدة . ومع هذا فقد نستطيع المقارنة بينها بالمقارنة بين هذه الخامات المختلفة وحينئذ يتبين لنا بجلاء أن خامة المسرح أغناها عنصراً وأقواها قدرة على التصوير الحىّ . فالمسرح بعناصره الثلاثة — أى التأليف والإخراج والتمثيل وأدواتها ووسائلها الخاصة المتآلفة — يمتاز على الفنون التى تصور « الجسم » — كالنحت — بالحياة والحركة ... ويمتاز على الفنون التى تصور « الشكل » — كالتصوير اليدوى والآلى — بأبعاده الثلاثة ... ويمتاز على الفنون التى تصور « الحركة » — كالرقص والبانتوميم والميم (١) — بالإفصاح الذى لا يغنى عنه الإيماء ... ويمتاز على الفنون التى تصور « الفعل » — كالشعر والقصة — بالتجسيد والتحديد ... أكثر من هذا فالمسرح يمتاز على الفنون جميعاً فى تصوير « اللحظات الفنية » التى هى مناط الاهتمام من كل فن . بيان ذلك أننا إذا أردنا — فرضاً — تصوير حقيقة كبرى كالموت — وليكن موت أحد الفنانين مثلا — بشتى الطرق الفنية فإن الفنون المكانية — أى التى تشغل من الوجود مكاناً ما كالنحت — ستتمثل اللحظة الفنية فى غمضة عينية ... والفنون الزمانية — أى التى تشغل من الدهر زماناً ما كالموسيقى — ستتمثل اللحظة الفنية فى صوته وهو يتهدج ويخفت قبيل موته .. أو نحو ذلك ... بينما المسرح سيتمثل اللحظة الفنية فى كل ما بينه وبين الحياة من صلة : فمشهد يظهر شعور تلاميذه وعارفيه بالألم . . . ومشهد يظهر احتفال الناس بآثاره . . . ومشهد يظهر ما ألم به من ظلم فى حياته . ومشهد يظهر ما صار إليه من مجد . وهكذا .

بمثل هذه المزايا التى لا تتوفر لفن آخر استأثر التصوير المسرحى دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون بتصوير الطبيعة البشرية والدوافع الإنسانية على مدى العصور . فمن تصوير للنزعات العنيفة قديماً إلى تصوير للمثاليات فى عهود الرومانتيكية إلى

(١) البانتوميم والميم من فنون الرومان فى العصور القديمة يقومان على التمثيل الراقص بغير كلام إطلاقاً

تصوير للواقعية المجردة من الرياء أو العرف الاجتماعى ثم الكشف عن مكنونات العقل الباطن فى العصر الحديث .

وبمثل هذه المزايا كان للتصوير المسرحى دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون فضل احتضان الآراء والنظريات الفلسفية والنقدية على مدى العصور . وليس أدل على ذلك من أن المسرح أمكنه حتى فى العصور الاستبدادية أن يردد — وحده — ما يشاء من الآراء بفضل قدرته البارعة على تصوير ما يشاء من الأجواء . ولنضرب مثالا واحداً لذلك بعهد الديكتاتورية الرومانية القديمة فقد استطاع بعض المسرحيين وقتذاك أن يصوروا كثيراً من الأجواء الحرة الطليقة — نقلا عن اليونان — بينما تشكلت سائر الفنون الأخرى قسراً بما يوائم سياسة تلك الديكتاتورية البغيضة .

كذلك انفرد التصوير المسرحى دون غيره أو أكثر من غيره من الفنون بالتوغل فى أعماق النفس البشرية وإظهار دفائنها التى لا نكاد نصدق بها أحياناً . من ذلك مثلا « عاطفة الكراهية » التى يقال إنها تتولد فى الخفاء بين الأب وابنه تمشياً مع قانون البقاء . فهذه العاطفة لم يكتشف مجرد احتمال وجودها إلا منذ بدأ فرويد وأتباعه فى القرن الماضى يهتدون إليها .. ومع هذا فالمسرح يصورها منذ مئات السنين ! ! فبالرغم مما يبدو فى المسرحيات — نقلا عن مظاهر الحياة — من توقير الأبناء لآبائهم وعطف الآباء على أبنائهم (أو ما يسمونه عقدة إلكترا وعقدة أوديب نسبة إلى تعلق الفتاة إلكترا بأبيها القائد أجاممنون وتعلق الملك أوديب بابنتيه أنتيجونا وإسمينا فى الأساطير والروايات الإغريقية) إلا أننا نجد بالاستقراء أن للآباء أوفى نصيب من السخرية والتحقير فى الروايات الهزلية كما نجد أن معظم الروايات — هزلية وغير هزلية — تدور حول شاب يحب فتاة ويقوم أبوها أو أبوه بدور (العاذل) أو ما شا كل ذلك . وربما لا نجد تفسيراً لهذا كله إلا عاطفة الكراهية التى أسلفنا الإشارة إليها .

ولكن ... قد يقال إن التصوير المسرحى مهما بلغت قيمته فى العصور السالفة ذات الطابع المادىء فقد أصبح فى العصر الحديث ذى الأساليب الميكانيكية أقل قيمة من بعض الفنون الأخرى — والسينما على الأخص — لأسباب كثيرة منها : أنه يصور الحوادث تصويراً بطيئاً » ويحصرها فى زمان معين ومكان معين ، ويجزىء الفكرة الواحدة إلى فصول متقطعة . . ويصطنع التقديم والتأخير فى ترتيب حوادثها والتضخيم فى تعبيره عنها لفظاً وحركة. وهذا فى مجموعه لا يطابق الواقع ولا المعقول بل لعله يتنافى معهما ! بينما السينما تعرض للناس ألواناً مجهولة لهم وتروح عن نفوسهم وتؤثر فيهم بواقعيتها ومنطقها المعقول .. الخ .

والحق أن الأمر — من الناحية الفنية على الأقل — ليس كذلك(١) .

فبطء التصوير ميزة للمسرح لأنه يهىء للمشاهد فرصة الانفعال فى كل مشهد بينما السينما لتتابع اللقطات — التى لا تعدو أن تكون مشاهد — تتابعاً فظيع السرعة لا تتيح حتى مهلة التأثر .

وأيضاً حصر القصة فى زمان معين ومكان معين ميزة للمسرح . إذ يضطر المؤلف إلى قصرها على أعظم حوادثها دلالة وإثارة ومغزى وبذلك تكون مركزة وخالصة من الشوائب فتزداد روعتها .

وكذلك تجزئة الفكرة الواحدة إلى فصول متقطعة ميزة للمسرح . فمن المعلوم أن المسرحية تتطور دائماً فى مصطرع فكرى وعاطفى وفنى هو « الحبكة » لذلك فإن تجزئتها إلى فصول تتيح للجمهور شيئاً من الراحة واستعادة النشاط وتتيح للمؤلف — وهذا هو المهم فنياً — الانتقال من تيار إلى آخر واستئناف التصوير كلما وصل تطور الحوادث وتعقدها إلى ما يسميه الفنيون « الطريق المسدود » بعكس السينما التى تتخطى هذه الطرق المسدودة بالانتقالات المفاجئة فى قفزات آلية لا جمال فيها .

وأما ترتيب الحوادث ترتيباً يغاير الواقع بتقديم بعضها وتأخير البعض الآخر فميزة من ميزات المسرح الهامة لأنه لا يغاير الواقع على هذا النحو إلا تنظيما لحوادثه التى قد تقع كيفما اتفق وانتشالا لها من الفوضى والتماساً لتعليل حدوثها منطقياً وتهيئة لما يتوخى فى العمل الفنى من انسجام وتناسق .

وكذا التضخيم فى الإلقاء والأداء التمثيلى من ميزات المسرح التى يعتد بها لأن فى تضخيم الألفاظ والحركات — فى الحدود الفنية — إجلالا لما تدل عليه من مدلولات وإظهاراً لملامح الشخصيات ومواطن الانفعالات . تماماً كما ينحت النحات تمثاله

(١) عرض الأستاذ حسن محمود لهذا الموضوع فى مجلة الكاتب المصرى عدد ديسمبر الماضى من ناحية أخرى .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٦٤ — إن الله جميل يحب الجمال

فى « تيسير الوصول » وقد جمع « الأصول الستة » :

لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال إن الله جميل يحب الجمال . الكبرُ بطرُ الحق[1] وغمصُ الناس[2] .

* * *

إن رجلا جميلا أتى النبى فقال : إنى أحب الجمال ، وقد أعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقنى أحد بشراك نعل ، أفمن الكبر ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن الكبر من بطر الحق ، وغمص الناس .

(١) هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً . وقيل هو أن يتكبر عند الحق فلا يقبله .

(٢) غمص الناس أى احتقرهم فلم يرهم شيئاً .

* * *

عن أبى قتادة قال : قلت يارسول الله ، إن لى جمة أفأرجِّلها[1] ؟ قال : نعم ، وأكرمها . فكان أبو قتادة ربما دهنها باليوم مرتين من أجل قوله . نعم وأكرمها .

* * *

أتى رجل النبى ثائر[2] الراس واللحية فأشار إليه كأنه يأمره بإصلاح شعره . ففعل ثم رجع . فقال : أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ...

* * *

عن أبى الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبى وعلىّ ثوب دون . فقال : ألك مال ؟ قلت : نعم . قال : من أى المال ؟ قلت : من كل

(١) « الترجيل » تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه .

(٢) « ثائر الرأس » منتشر شعر الرأس قائمه .

من مادة نخمة وكما يصبغ الرسام لوحاته بأصباغ نخمة وهكذا . بل إن هذا لا يعدو أن يكون مقارباً لما نفعله فى حياتنا المادية حين نقص نبأ نظنه هاماً فنتكىء على بعض الألفاظ ونتحرك حركات خاصة بقصد التفهيم والتأثير . المسرح على هذا النحو يعمل ما وسعه على التفهيم والتأثير لذلك يضفى بأساليبه جلالا على الحوادث يجعلها ذات وزن .

وقل مثل ذلك عما يأخذونه على الفن المسرحى من إيهام أو تخييل أو مبالغة لأن العبرة بمدى إحساسنا بالصورة النهائية التى يصورها لا سيما ونحن نعلم أن ما يجرى فوق المسرح إن هو إلا « تمثيل » بحت وليس واقعاً . فقد نشاهد فى نصف ساعة مشهداً يصور قروناً بأكلها . . وقد نسمع تهامس ممثلين وبجانبهما مباشرة ثالث لهما (يمثل) أنه لا يسمعهما .. إلى غير ذلك دون أن نصدم بمخالفة الواقع أو دون أن نحس من هذه المخالفة بنفور أو شذوذ طالما أننا نعلم أن للمسرح « اصطلاحات » لا تحول دون التأثر النهائى المطلوب .

ولهذا يجوز أن نشاهد فى بعض الروايات سمات يكاد يستحيل وجودها بين البشر (كما فى : روميو وجوليت) أو حلول للمشكلات غير معهودة الحدوث فى دنيانا (كما فى : كريتون The Admirable Brichton) ولكننا ننتهى من المشاهدة متأثرين أعظم التأثر سواء بتصوير (شيكسبير) فى الرواية الأولى لقوة الحب الطاهر أو بتصوير (بارى J. M. Barrie) فى الرواية الثانية لمغزاها الرائع : « الظروف تغير الأحوال Circumstances Alte Cases »

* * *

وأياما كان الأمر فإن الدفاع عن فن ما لا يستلزم الزراية على فن آخر . ويكفينا من الفنون جميعاً أن تنهض بما تمارسه فى حدود قدرتها على هذه الممارسة . غير أن هذا لا يبرر الأخذ بظواهر الأمور فنفتتن بالسينما دون اعتبارات فنية ونجارى العامة وأوساط الناس فى نظرتهم المتواضعة إلى المسرح العظيم ...

« للبحث بقية »

عبد الفتاح البارودى

المال قد أعطانى الله . قال : فإذا أتاك الله تعالى مالا فلير أثر نعمته عليك و كرامته .

٩٦٥ — لما تكلم فوقنا القدر

ابن هانىء الأندلسى :

مما دهانا أن حاضرنا أجفاننا والغائب الفكر
وإذا تدبرنا جوارحنا فأكلهن العين والنظر
لو كان للألباب ممتحن ماعدّ منها السمع والبصر
أيُّ الحيـاة ألذ عيشتها من بعد علمى أننا بشر ؟
خرست لعمر الله ألسننا لمـا تكلم فوقنا القـدر

٩٦٦ — يا أبا صالح احفظها

فى « تاريخ الولاة » للكندى : لما ولى « مصر » أبو صالح يحيى بن داؤد من قبـل المهدى ، وكان من أشد الناس سلطانا ، وأعظمهم هيبة — منع من غلَق الأبواب بالليل ، ومنع أهل الحوانيت من غلقها حتى حطوا عليها شرائج[1] القصب تمنع الكلاب منها . ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها . وقال : من ضاع له شيء فعلى أداؤه فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول : يا أبا صالح ، احفظها . فكانت الأمور على هذه مدة ولايته .

فى « تاريخ الولاة » للكندى : ولى مصر عيسى بن منصور سنة (٢١٦) : فانتقضت أسفل الأرض كلها عربها وقبطها ، وأخرجوا العمال ، وخالفوا الطاعة ، وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم . وقدم المأمون مصر سنة (٢١٧) فسخط على عيسى بن منصور ، وأمر بحل لوائه وبلباس البياض ، وقال : لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك وفعل عمالك : حملتم الناس مالا يطيقون وكتمتمونى الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد !

٩٦٧ — إنه لانصاله حقا فى أموالنا لا فى أعراضه الناس وأموالهم

فى « مواسم الأدب » :

قال : الربيع للمنصور : إن لفلان حقاً فإن رأيت أن تقضيه ، وتوليه ناحية فقال يا ربيع : إن لاتصاله حقاً فى أموالنا لا فى أعراض « الناس » وأموالهم . إنا لا نولى للحرمة والرعاية بل للاستحقاق والكفاية . ولا نؤثر ذا النسب والقرابة على ذى الدّراية . فمن كان منكم كما وصفنا شاركناه فى أعمالنا . ومن كان عطلا لم يكن لنا عذر عند الناس فى توليتنا إياه ، وكان العذر فى تركنا له وفى خاص أموالنا ما يسعه .

٩٦٨ — أدبنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاطاليس

قال أرسطو للاسكندر : ليكن ملكك فى البلاد بالتودد إلى أهلها لا كقهر الراعى غنمه بالعصا ، فإنك فى طاعة المودة أحمد بدءاً وعاقبة من طاعة القهر والاستطالة .

فحدث بهذا القول المأمون فقال : لقد حث على التودد فأحسن ، وقد أدبنا الله قبل معرفتنا بحكمة أرسطاطاليس : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

٩٦٩ — قصيدة صيرة . . .

فى « نفح الطيب » :

لما استوزر باديس صاحب غرناطة اليهودى الشهير بابن نقولة ، وأعضل داؤه المسلمين قال زاهد البيرة وغرناطة أبو إسحاق الألبيرى قصيدته النونية المشهورة التى منها فى إغراء صنهاجة باليهود :

ألا قـــل لصنهاجة أجمعين بدور الزمان وأسد العرين
مقـالة ذى مقـــة مشفق صحيح النصيحة دنيا ودين
لقـــد زل ســـيدكم زلة أقر بها أعين الشامتين
تخـــير كاتبــــه كافراً ولو شاء كان من المؤمنين
فعـــز اليهودُ به وانتموا وسادوا وتاهوا على المسلمين

فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وفيهم الوزير المذكور . وعادة أهل الأندلس أن الوزير هو الكاتب .

(١) الشريجة : باب من قصب يعمل للدكاكين .

من وراء المنظار

الزواج سنة ١٩٤٨

لعل هذه البدعة التى أنا محدثك عنها قد سلف بها الزمن ، ولكنى لم أهتد إليها إلا أمس وأنا جالس فى ركن من أركان مقهى هادىء جميل أحسب أن أصحابه أعدوه لمن ينشد الهدوء ، وإن كان يقصده أكثر من يقصدونه طلباً لهذا الهدوء ولشىء آخر أظنه عندهم أحلى من الهدوء وأمتع . .

جلست وحدى منكدر الخاطر بما ينعكس على ذهنى من هذه الوحدة … ودرت ببصرى وفى عينى شىء من آثارهم ، أدرأ السأم عن قلبى ، وأنفض الخواطر الكابية عن ذهنى ، فانقلب إلىّ البصر محزوناً ؛ فما يخلو ركن من رفقة ، وقلما رأيت شاباً إلا ومعه صاحبته أو زوجه ، ولم يكن هناك من يجلس مثلى وحيداً إلا اثنان أو ثلاثة لعلهم كانوا ينتظرون من يؤنس هذه الوحدة …

البهو هادىء على كظته ، خال مما يحدث الضجيج والصخب من أدوات اللعب ، والمقاعد منسقة تنسيقاً جميلا ، والندل يجيئون ويذهبون بما يشرب أو يؤكل فى خفة وفى هيئة تغرى بطلب المزيد ، والضحى دافىء ضاح ، والوجوه كلها مستبشرة مطمئنة ، وأنغام الموسيقى يصغى لها من يصغى ويصفق لها من يصفق ويلهو عنها بالحديث العذب من يلهو ، وأنا وحدى على حالى من السأم والضيق وانكدار الخاطر .

وجاء رفقة من الشباب فتحلقوا حول منضدة غير بعيد منى ، وأخذوا يتحدثون ويضحكون ، وما فيهم فيما أرى منْ هو دون الثلاثين ولا من يزيد على الأربعين ؛ وكان بينهم فتى يبدو لأول وهلة أنه روح الحلقة ، فى وجهه وإشاراته وحركاته ما ينطق بخفة روحه ، وفى ضحك رفاقه من كل كلمة يقولها ما يدل على أنه فارسهم المعلم ..

وتشقق الحديث بينهم فى غير نظام حتى مال الكلام إلى الزواج فسأل واحد منهم : لم كانوا جميعاً أعزاب ؟ وإلام يظلون على هذه الحال ؟ ورد أحدهم قائلا فى لهجة المتحمس : « ينحصر ذلك فى أمر واحد هو عندى علة العلل ، فإن بعض أسرنا وبخاصة ما يسمونها الأسر الراقية وا أسفاه قد أخذت ببعض التقاليد الأوربية التى تنبو عن روحنا الشرقية ، فاندفع بناتنا إلى ما يعد فى الغرب من مألوف الأمور ، وما يعد فى الشرق مهما خادعنا أنفسنا من التدهور الخلق والفوضى والأباحية ، ولما انطلقت الأوانس من بعض القيود أغراهن ذلك بما سمينه حرية فانزلق أكثرهن حتى وقفن على حافة الهاوية وسقط بعضهن فعلا ، وأعرض الشباب أو أقدموا ثم ما لبثوا أن طلقوا … »

وضاق فارس الحلقة بهذا الجد فقال لصاحبه : « دعنا من هذه الفلسفة : المسألة أن الزواج الآن زواج منفعة أيها العبيط ؛ فأكثر الشباب يطلب الزوجة ومعها الدرجة ، والدرجات أيها العبيط لا يملكها إلا الحزب الحاكم ، وعلى ذلك فهذا يطلب عروساً وفدية إذا كان الوفد فى الحكم ، وآخر يطلبها سعدية إذا كان السعديون هم الحاكمين ، ويحرص غير هذين وهو أمهر منهما أن يأتى بها وفدية الوالد سعدية العم دستورية الخال كتلية الأخ ، وأمهر من هؤلاء من يأتى بها إنجليزية فتغنى عن الجميع على قاعدة ألمانيا فوق الجميع ، ومن هذا صعب اختيار الزوجة يا عبيط »

وضحك الرفاق وقال أحدهم « مثال ذلك أن فلاناً يطلب يد ابنة فلان باشا ولكنه يشترط على أبيها الدرجة الثالثة » … وضحك الفارس وقال : « قل لأبيها أنا أقبل بالرابعة » .

وعاد الفيلسوف يقول : « أف لمن يطلب المال والدرجات ! الجمال هو كل شىء » وقاطعه الفارس قائلا « والخلق يا حضرة الفيلسوف » وقال الفيلسوف « والخلق بالضرورة » فقال الفارس يقلد لهجته متهكما ، يظهر أنك تصنع العروسة على يدك : جمال وخلق ! وأين ذلك وقد وصفت العصر بما وصفت ؟ » .

والتفت الرفاق والتفتُ إلى فتاة كالزهرة فتحها الربيع : فهى نضرة وفتنة وعطر وسحر وشعر … وقد وضعت كتابها على المنضدة وأخرجت إبرتها وغزلها وأعملت أناملها ، دون أن تنظر إلى أحد … وسكن الشبان لحظة كأن على رءوسهم الطير ثم تخافتوا بينهم ، وقال الفارس فيما يقرب الهمس : « أتزوج هذه ولو ذهبت درجتى ومالى … بلا قيد ولا شرط » وقال الفيلسوف « أنا معك ! أرأيت كيف يعلو الجمال على المال ؟ ولكن … يا خسارة ! تأتى هكذا وحدها إلى المقهى … من يدرى ؟ » وآمن الرفاق بالجمال وقالوا نقبلها ولو كان أبوها طريد الأحزاب كلها » إلا واحداً منهم لم يتكلم قبل أبداً ، كان صهيونى الملامح والنظرة فهز رأسه مفكراً وقال « كلا لست معكم ! والله لن أقبلها إلا ومعها الدرجة »

الخفيف

من التراب :

ماضى شهيــــد !

للأســـتاذ محيي الدين صابر

هــكذا دارت حواليه ولفته الحياة
فارتمى فى السفح ، فى عينيه وحى وصلاه
وعلى المنهــل قد أنكره حتى الرعاه
هو حلم ظلٌ يسّاقط ليــلاً فى ضحاه
ضلٌ فى أعماقه معناه وارتاب هُــداه
وســوست أشواقُه من أفق ليس يراه
صاعدات لضمير فى دم الغيب مــداه
دمعت جبهتُه آه وكم تبكى الجبــاه
قال ، والذُّلُّ على عطفيه يا مجد إله
هــكذا دارت حواليه ولفته الحياة

وتلوَّى فى طريق سارب بين الشِّعاب
ذاهـلاً يدفنُ فى عينيه كوناً من عذاب
مهجةً مجروحة الأقدار تاهت فى ضباب
نشرت من شعره الريح وجاشت فى الثياب
قدماهُ فوق ناب الصخر موتٌ فى شباب
وهوَ سهوانُ كما يطردُ معنًى فى كتاب
يتملى صوراً تمنْبرُ ما ضيــه رطاب
قال فى قهقهة المجنون يا ذلَّ التراب
ورأى فى وهمه الواثب فى السفح ، سراب
فتلوَّى فى طريق سارب بين الشِّعاب

وتهاوى تحت سرح شامخ الجذع عتيد
ظلُّهُ الرَّاعش رحمانٌ على البيد طريد
شد من لحيته يرقُبُ طيفاً من بعيد
من بعيد بين جنبيه رمادٌ وحصيد
واســتوى يعزف للقمة لحناً من جديد
جحظت عيناهُ هذا الناىُ صمتٌ وجليد
ذهب الوحىُ جميعاً من يديه والنشيد
مصه الجدبُ امتصاصاً فهو بيد فوق بيد
قال فى حشرجة المذبوح يا قبر شهيــد
وتهاوى تحت سرح شامخ الجذع عتيد

ومشت قافلةٌ تصعد من خلف السنين
فى هواديهــا غناء وعلى الخلف أنين
هى من أين ؟ إلى أين ؟ أظنٌّ أم يقين
هى لا تعرفُ إلا أنهــا فى السائرين
عبرت مصرع إنسان على الذِّكرى ، دفين
كبرياءٌ ردَّها الفكرُ حطاماً من حنين
فهو رأسٌ يثبُ الموتُ عليــه وجبين
قال حاديها : غريبٌ قد دعانا منذ حين
فدعوهُ إن فى الماضى حياة الخالدين
ومشت قافلةٌ تغرقُ فى جوف السنين

(باريس) محيي الدين صابر

الأدب والفن في أسبوع

الأديب والسياسة :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها الدكتور طه حسين بك فى مساء يوم الإثنين بقاعة الليسيه فرنسيه ، وقد بدأ بالتساؤل عن معنى الأدب والسياسة ، فانتهى إلى أن الكلام لا يكون أدباً إلا إذا زيد فيه على تأدية المعانى العادية الإمتاع الفنى الذى يتحقق من المعنى واللفظ وطريقة الأداء حين يريد الأديب أن يؤثر فى النفوس ويثير فيها العواطف المختلفة ، كما انتهى إلى أن السياسة أعم مما يفهم منها حين يراد بها العلاقة بين الحكومة والشعب ، أو بين البرلمان والحكومة وحين يراد بها النزاع بين الأحزاب على الحكم ونظمه ، لأن السياسة تشمل شئون الشعب من حيث علاقات أفراده وجماعاته وطبقاته بعضها ببعض كما تشمل علاقة الشعب بالشعوب الأخرى فى شتى نواحى الحياة ، أى أنها تشمل الحياة الاجتماعية كلها . وقال الدكتور : إن هذا هو المعنى الذى أفهمه للسياسة حين أتحدث إليكم فى العلاقة بين الأديب والسياسة .

وعلى هذا الوضع نستطيع أن نتبين هل يمكن للأديب أن يعيش فى عزلة عن المجتمع ؟ إن ذلك لا يمكن لأن الأدب ظاهرة اجتماعية والأديب أداة اجتماعية لا يستطيع أن يعيش بنفسه ولنفسه ، وساق حياة المعرى مثلا على العزلة الظاهرية التى تدل على عدم إمكان الانقطاع عن حيـاة الناس ؛ لأنه لزم داره حقاً ، ولـكنه أنشأ أدبه فى شئون الناس ؛ ينتقد حياتهم ويسفه آراءهم ؛ فاعتزال الأديب غير ممكن ، وما مسألة البرج العاجى غير خداع وأوهام . وقال إنه عرف بعض الأدباء الذين يزعمون أنهم يعتصمون بالبرج العاجى من المصريين وغير المصريين فلم ير أحداً أشد منهم تهالـكا على نشر آدابهم وحرصاً على رضا الناس عنهم وخوفاً من سخطهم على إنتاجهم .

فلندع إذن هذه المسألة الوهمية لننظر فيما يضطلع به الأديب ؛ فهو إما أن يكون مترفاً فى أدبه يخلص من مشاغل الحياة إلى إمتاع العقل والقلب بفن رفيع ، وهـذا فى الحقيقة لا يتجنب مسائل الحياة ، وإنمـا يعالجها على نحو لا يدركه إلا الخاصة ، أو يكون الترف بالتلهية والتسلية كالذى يقصر الوقت بين الاستلقاء على الفراش والاستغراق فى النوم . أو يعمد الأديب إلى جد الحياة فيشارك فى التوجيه والتثقيف ويصور الآلام والآمال .

والأديب على كل حال من هـذه الأحوال فرد فى المجتمع يعمل كما يعمل أفراده ويتحمل نصيباً من التبعات قل أو كثر ، حتى أديب التسلية فإنه يعين على التخفف من هذه التبعات فى بعض أوقات الفراغ .

وبعد أن استعرض الدكتور بعض العصور الماضية مبيناً أثر السياسة فى الأدب وانشغاله بها ، خلص إلى الوقت الحاضر فقال إن أدباءنا جميعاً — وأنا منهم — غارقون فى السياسة إلى الأذقان ؛ فهم جميعاً يتحدثون فى كتبهم وفى الفصـول التى تنشرها لهم الصحف والمجلات ، عن شئون الحياة ومشاكل العصر ، ولو لم يفعلوا ذلك لـكانوا طفيليين فى الحيـاة . وغاية ما فى الأمر أننا نستطيع أن نحدد ماينفع وما لا ينفع ومن الثانى الاشتغال بخصومات الأشخاص وأغراضهم ومطامعهم ، وفى غـير ذلك لا يجمل بالأديب أن يتجنب السياسة . ويحدث أن يلقانى بعض الناس أو يلقوا غيرى من الأدباء فيقولوا : لو تركت السياسة وخلصت للأدب ! وهؤلاء لا يفهمون السياسة ولا الأدب .

تعقيب :

رأيت أن الدكتور طه وسع معنى السياسة حتى جعلها تشمل كل شئون الحياة ، وليس هذا هو مدلولها الذى جرى الناس عليه وقد انساق فى هذا التوسيع — كما يخيل إلى — ليدخل السياسة فى اختصاص الأديب . ولـكن هل هـذا الفرض فى حاجة إلى التوصل إليه بذلك الزج ؟ إن الأديب يتناول كل شىء فى الحياة بطريقته الفنية ، فيـكتب الأدب السياسى والأدب الاجتماعى وغيرهما ، وليس معنى هذا أن كل شئون الحياة اسمها سياسة ، وإلا فهـل تعد القصة التى يكتبها الأديب مثلا ويدير فـكرتها وحوادثها على زوجين لم يسعدا لاختلافهما فى العمر اختلافاً كبيراً هل يعد مثل هذا سياسة ؟

أما هل يكتب الأديب فى السياسة أو لا يكتب فيها ، فهذه مسألة أخرى ، وإن كان مما لا شك فيه أنه حين يكتب فى

السياسة فيمتع ويُشعر بجمال الفن ، لايبعد عن الأدب ، ولكن أدبه سياسي يختلف عن ألوان أخرى من الآداب .

مؤتمر المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين بافتتاح مؤتمره السنوى أى الجلسات التى تنعقد بحضور الأعضاء الأجانب شرقيين وغربيين ، وقد جرى المجمع على أن يحتفل فى أولى هذه الجلسات بافتتاح هذا المؤتمر .

افتتح الحفل معالى رئيس المجمع أحمد لطفى السيد باشا ، ثم ألقى معالى وزير المعارف عبد الرزاق السنهورى باشا كلمة لا أحسبنى مغاليا إن قلت إنها ثورة لغوية .. فقد أشار إلى ما ذكره فى خطاب العام الماضى من أن هناك علامتين لسلامة اللغة ، هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضى . ثم قال إن لغتنا العربية فى الوقت الحاضر قد تطورت تطوراً كبيراً ، لأنها اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضى إلى حد كبير ، فهى إذن لغة سليمة ، وليست اللغة السليمة هى التى نقرأها فى كتب القرون الماضية ، فهذه صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية ؛ والذين يقولون إن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد وركبها البدع يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والعبارات التى جرت بها الألسن فى القرون الأولى ودونتها الكتب والمعاجم فى العصور السالفة . ولكننا نذهب إلى غير رأيهم ، فلا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما تملك الأحياء .

ووصلت الثورة إلى مداها عند ما قال معاليه : هأنذا أستعمل لفظ « التطور » وهو لفظ عربى لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس ، ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية فى عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئنى فى استعماله ؟ وقد أكون استعملت فى كلمتى هذه أو فى غيرها ألفاظاً قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة فى المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك فإنها ألفاظ عربية سليمة متى انعقد عليها إجماعنا فى العصر الحاضر .

ونوه معاليه بأهمية الإجماع فى اللغة وتطورها وحياتها ، ثم نبه على أنه لا يقصد به الفوضى التى تأتى من استعمال ألفاظ بعيدة عن أصول اللغة وقواعدها .

وألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً فى « موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث » . فأوضح معالم الموضوع وبينه بياناً حسناً على اضطراره إلى الإيجاز فيه . قال إن الأدب العربى تأثر بمخالطة الأمم الأجنبية قديماً كما تأثر بها حديثاً ، غير أن تأثره بها فى القديم كان على أكثره — من ناحية الحضارة بملابسة الأمم فى أصول المعيشة وعادات المجتمع ، وأن تأثره بها حديثاً كان — على أكثره — من ناحية الثقافة بالاطلاع على آداب الأمم فى لغاتها والتوفر على دراستها .

قال الأستاذ فى بيان التأثر القديم : كان اعتزاز العرب بلغتهم صارفاً لهم عن تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ، لكنهم خالطوا الأمم فى حضارتها وإن لم يتكلموا بألسنتها فأثر ذلك فى أدبهم وظهر أثره فى أوزان القصيدة ومعانيه ، وفى الإسلام زاد الاتصال فدخل فى أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التى تجمعت فى بلاد الدولة الإسلامية كوصف المهرجانات والمواسم .

ثم قال فى بيان التأثر الحديث : إن موقف الأدب العربى من الأمم الأجنبية فى العصر الحديث هو — على الأغلب — موقفه من الأمم الأوروبية ، وصبغة الثقافة فيه أظهر من الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية . واتفق أن كان هذا الاتصال فى عهد النهضة العلمية أو عهد التحقيق والتمحيص ، فقرأ أدباء العرب كتب القوم وهى تضيف مزايا التعبير العلمى إلى مزايا التعبير الأدبى فى أقلام البلغاء ، فكان من أثر ذلك دقة الأداء وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ما كتب أو نظم فى تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعى الحس والعاطفة

وألقى الشيخ عبد القادر المغربى كلمة عن « مجامعنا اللغوية وأوضاعها » تحدث فيها عن المحاولات الأولى فى إنشاء هذه المجامع ، فالمجمع الأول أنشىء سنة ١٨٩٢ برياسة السيد توفيق البكرى ، والمجمع الثانى أنشىء سنة ١٩١٧ برياسة الشيخ سليم البشرى وكان الأستاذ لطفى السيد (باشا) مقرراً له ، وقد أنتج هذان المجمعان نتاجاً لم يكد يولد حتى مات ؛ لأسباب منها ما يرجع إلى طبيعة الألفاظ التى وضعت ، ومنها ما يرجع إلى التغافل عن

الطرق المؤدية إلى استعمال تلك الألفاظ واستمالة أنظار الجمهور إليها . وعد الأستاذ المغربي من تلك المحاولات ما كان منه ومن المغفور له أحمد تيمور باشا إذا اتفقا على العمل على استعمال ألفاظ فصيحة بدلا من العامية والدخيلة ، وانتقى تيمور باشا عشرين كلمة من الفصيح ونشرها في المؤيد سنة ١٩٠٨ ونصح الجمهور باستعمالها ، ثم كتب الشيخ المغربي تطبيقاً عليها مقالا في المؤيد بعنوان « تمرين على الكلمات العشرين » .

ثم تحدث الأستاذ عن المجمع العربي بدمشق ومجمع فؤاد الأول بمصر وأثرهما في اللغة وما يرجى منهما .

وألقى الأستاذ محمد كرد على بحثا في « عجائب اللهجات » بين فيه أثر اختلاط العرب بغيرهم وخاصة بعد الإســلام في تعدد اللهجات ، واستمر في بحثه حتى وصل إلى العصر الحاضر فساق أمثلة كثيرة لاختلاف اللهجات في الأمم العربية .

ووقف الأستاذ جب المستشرق الإنجليزي فاعتذر من عدم حضوره مؤتمر المجمع في السنتين الماضيتين لانشغاله مع زملائه أساتذة الثقافة الشرقية في الجامعات الإنجليزية بتنظيم الدراسات الشرقية وقال إنهم ألفوا جمعية خاصة بهم في السنة الماضية .

أعمال المجمع :

وقد ألقى الدكتور منصور فهمي باشا كاتب سر المجمع كلمة في « أعمال المجمع خلال الدورة الماضية » وأرهفت الآذان لتلقى أنباء هذه الأعمال فإذا هي تتلخص في إلقاء بحوث في الجلسات من بعض الأعضاء ، وفي النظر في بعض المصطلحات العلمية وتقرير تعريفها ، والنظر في منهاج العمل بالمعجم الوسيط والمعجم الكبير ، وفي مواصلة اللجان أعمالها ، فلجنة الأدب أنجزت مسابقة الإنتاج الأدبي في العام الماضي وتعمل في مسابقة العام الحالي ، ولجنة الأصول أمامها مقترحات في تيسير الكتابة العربية لا تزال تبحثها .

وكل تلك الأعمال عدا المسابقة الأدبية لم تظهر لأعين الناس بعد ، ولم يزل المجمع يتحدث عنها منذ سنين كما يتحدث عنها الآن حتى المجلة التي قالوا منذ أكثر من عام إنها على وشك الظهور لا تزال طي الخفاء . . وقد فاتني أن أذكر من أعمال المجمع أنه قرر نشر المجلة مرتين في السنة

أشعر الشعراء :

كانت مجلة الهلال قد نشرت في أكتوبر الماضي استفتاء لقرائها عن الشعراء الخمسة الأول بين العرب الأحياء ، وعمن هو أجدرهم بلقب الإمارة الآن . وكنت قد عقبت على ذلك ببيان عدم الحاجة إلى هذه الإمارة ، وتفنيد طريقة استفتاء قراء أكثرهم ليس أهلا لمثل هذه الأحكام الأدبية .

وقد أحسنت الهلال إذ أعلنت في هذا الشهر نتيجة الاستفتاء خالية من « أمير الشعراء » قاصرة على « الشعراء الخمسة الأول » واصطنعت اللباقة في « دغم » مسـألة الإمارة ، إذ ذكرت أن المشتركين في الاستفتاء « قالوا إن آثار كبار شعرائنا تكاد تكون في مستوى واحد من القوة والإبداع ، ويكاد لا يوجد وجه لتقديم بعضهم على البعض الآخر » وهكذا خلصت إلى ما عرف عن دار الهلال من الاتزان وإرضاء الجميع . ثم أعلنت « أن الشعراء الخمسة الأول بين شعراء الأقطار العربية هم بالترتيب الذين حازوا أكثر الأصوات : خليل مطران بك . على الجارم بك . السيد بشارة الخورى . الأستاذ على محمود طه . الأستاذ أحمد رامى »

وقد جاءت هذه النتيجة -- كما ترى — وفقاً لما ينتظر من قراء يتوخون أكثر الأسماء شهرة في المحيط العام دون التفات أو دراية بما تستحق من تقديم أو تأخير ... وأنت تعلم — كما أعلم — أن ثمة شعراء يرجحون بعض هؤلاء في الموازين الأدبية . وقد نشرت المجلة تعقيباً على هـذا الاستفتاء للدكتور عبد الوهاب عزام بك قال فيه إن الناقد لا يستطيع أن يوازن بين جماعة من الشعراء « إلا أن يقرأ ديوان كل واحـد منها قراءة ناقد متثبت ، ويكون قد عنى بها وقرأها واستقر على رأى فيها على مر الزمان ... وليت شعرى من فعل هذا من النقاد ؟ » أقول : إذا كان هذا مستبعداً على النقاد فما بالك بالقراء ... ؟ .

ملك الشعراء :

ومما قاله الدكتور عزام بك في ذلك التعقيب : « وإذا نظرنا في تاريخ الآداب الشرقية ، وجدنا ألقاب الإمارة والملك معروفة بين شعراء إيران مثل ملك الشعراء معزى . وقد تلقب بلقب ملك آخرون من شعراء الفرس من بعده . وفي عصرنا هذا يعرف الشاعر الكبير بهار بلقب ملك الشعراء ، وهو أستاذ في جامعة



أدب الملـــيم المزيف

للأستاذ حبيب الزحلاوى

إلى صديقى الكريم الأستاذ صديق شيبوب :

يعسر على الكاتب فى النقد الأدبى ما يسهل على الكاتب المنشىء فى كتم خليقته وستر سريرة نفسه ، لأن النقد بيان وتفصيل، ولئلا محيد للناقد عن التجرد الذاتى لينطلق حراً ، يقول الحق ويصور الحقيقة .

الناقد المتجرد نمام واش ، يشى بنفسه على نفسه ، ويعترف بما فى قرارتها من أسرار ، وينشر ما تنطوى عليه ضلوعه من سجايا وخلائق ومن كوامن دفينة أيضاً ، لأن طبيعة التجرد توجب ذلك ، ولأن التجرد والانطلاق صفتان بعيدتان كل البعد عن خلال المواربة والختل والمداورة والنفاق التى تعسر كل العسر على الكاتب فى النقد الأدبى.

قرأت ما كتب النقاد فى كتابى « أنات غريب » وأصخت بسمعى إلى ما ساقه البعض إلىّ من لوم وتجريح من ناحية ، وثناء وإطراء ومغالاة فى التقدير من البعض الآخر من ناحية ثانية ، فلم أقف طويلا عند واحد من أولئك المسرفين فى اللوم أو الإطراء ، ولكنى أشعر الآن بما يدفعنى إلى الوقوف طويلا — وجهاً لوجه — من صديقى الكريم الأستاذ صديق شيبوب ، الكاتب الهادىء النفس ، المتنكر لذاته ، القانع بالقليل القليل من الشهرة وذيوع الصيت ، الدؤوب على المطالعة والدرس والتنقيب والتعقيب ، المثابر على نشر فصل فى « الحياة الأدبية » مرة واحدة فى كل أسبوع ، فى صحيفة يعبد أربابها المال ، ويروجون للمضاربة فى أسواق المال ، وقد لا يقرأها أديب واحد غير يوم الجمعة ، لأنه ليس فى الأدباء ممن أعرف غير يهودى واحد وجزويتى واحد يضاربان ليكسبا المال فى سهولة الكسول ومغامرة المقامر المضارب . فى هذه الصحيفة المالية يختبىء صديق الكريم وراء حرفين متواضعين من حروف الهجاء « صاد شين » فبينما نراه فى فصل من فصوله الأسبوعية يدرس كتاباً فى تاريخ قدماء المصريين أو الرومان واليونان ، نجده فى بوادى الجاهلية وصحارى الإسلام يقارن ويوازن ، وينسق ويعادل هؤلاء بأولئك . وبينما نسمعه يروى أسطورة أو خرافة ، نراه ينشر قصة تصويرية لواقعة حال ، أو بحثاً تحليلياً لأديب جرى عليه النسيان ، أو يلخص كتاباً فى الأدب الفرنسى أو رواية عصرية ، وهو بين هذا وذاك يكتب فصولا بارعة فى دراسة الكتب التى تهدى إليه ، فيقرظها تقريظ المشجع أو المحبذ ، تقريظ الأديب الغيور الذى يدفع بالمؤلف إلى الاستزادة والإجادة ، ولكنى ما قرأت فى فصول صديق الأستاذ صديق سوى بعض فصول فى النقد كان يخص بها الأصدقاء والمعارف من المؤلفين . ولعلى أنصف صديق شيبوب إذا قلت إن فصوله

طهران ، وأما فى تاريخ الأدب العربى فلم تعهد هذه الألقاب ... وبعد فإن لم يكن بد من بيعة أحد الشعراء المعاصرين بالإمارة أو الملك فأيسر وسيلة لذلك أن يجتمع الشعراء وحدهم ويختاروا لأنفسهم ملكا أو أميراً عليهم . فإن فعلوا فليس بعد رأيهم مقال لقائل » . وأنا لا أرى أن هذه وسيلة يسيرة فضلا عن أن تكون أيسر وسيلة ، فمن يضمن لنا أن كلا من شعرائنا سينتخب غيره وأن سيكون لهذا الانتخاب نتيجة سوى أن يكون عدد الفائزين مساوياً لعدد الشعراء ... وخاصة إذا كان المطلوب صاحب جلالة فى الشعر لا أميراً فحسب .

ولم كل هذا وعندنا « ملك الشعراء » الدكتور زكى مبارك وقد كفى سائر الشعراء مشاق الاجتماع والنزاع والاختيار ، فأعلن نفسه ملكا عليهم ، ولعله كان قد انتظر أن يشعروا بأحقيته لهذا المنصب الخطير ، فلما رآهم مشغولين كل بنفسه ، وجد من حق نفسه هو أيضاً أن يتقدم إلى مكانه .

والدكتور زكى مبارك أو ملك الشعراء ، يفوق الشعراء جميعاً بالحرية التامة فى التعبير عما يريد ، فشعره صورة صادقة لنفسه ، ليس فيها مداجاة ولا تزوير . وهو رجل سليم الطوية لا يخشى — إذا ملك — أن يجور ، وفيم يجور ؟ !

« العباس »

فى النقد الأدبى هى المتفوقة فى قيمتها والمتقدمة فى شأنها على بقية فصول يكتبها « فى الحياة الأدبية » .

على هذا الأساس إذن أقف من صديقى الناقد البارع أساجله مساجلة الراغب فى بلوغ الحق، القاصد وجه الحقيقة : قال الأستاذ شيبوب فى العدد السابق من الرسالة :

« ... ولا يقف أدب الأستاذ حبيب الزحلاوى عند التأليف القصصى ، فإنه نقادة أدبى ، ولعل النقد الأدبى كان أول ما عالجه من فنون الأدب ، إذ تقدم كتابه « أدباء معاصرون » غيره من الكتب . وقد ظهر ميله إلى النقد فى أقصوصة « الدميم » لأنه عرض فيها للحبكة ، والعرض والفكرة ، والوحدة ؛ وذكر أنه « ليست قيمة القصة فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها ، وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفى صدق الرواية عن الحياة ... » .

« وقد اضطر لبيان ذلك ، إلى حشر أقصوصتين فى أقصوصة واحدة ، وهما لا رابط بينهما غير فكرة العرض بمهارة وبغير مهارة » .

يعلم صديقى ولا شك أن مجال القصة واسع سعة الفضاء الذى يضم الكون ، وأن القاص إذا قصر فى تجواله بأجوائه ، إنما يكون تقصيره نتيجة لضعف فى خوافيه وقوادمه ، وفقر إلى الخيال المنسرح والذهن المبتدع . وأن المجالات الضيقة التى رسمها نقاد القصة ليست فى الضيق إلى الحد الذى يصد المبتكر عن شرح درس فى بناء القصة وتعليم من لا يعلمون أنها تسع كل ضرب من ضروب العلوم والفنون ، وكل رسم وصورة للحياة بكامل ظواهرها وبواطنها فكيف تضيق القصة إذن بالنقد الأدبى ؟ .

أقول القاص المبتكر تمييزاً له عن أولئك « الملافيت » الذين يملأون الصحف « السوقية » بقصص فاجرة يضل القارىء فى مبتداها ومنتهاها ، ويتيه قاصّ الأثر البارع فى تتبع معالم وأغراض كاتبها ، هذا إذا كانت لهم أغراض ومقاصد . ثم أى حرج على القاص وقد جعل بطل قصته معلماً حكيما يعلم تلامذته الأصول والقواعد ، ويهديهم سواء السبيل ؟ أيعاب عليه إبراز مثلٍ ناطق يشهد على العشرات من القصصيين الذين يرتجلون القصة ارتجالا ولا غاية لهم سوى إثارة الغرائز وإلهاب الشهوات ! كيف ، بل لم تؤاخذنى ياصديقى على بيان « يميز بين قصة معروضة بمهارة ، وقصة لا مهارة فى عرضها ؟ ! » .

على هذا الأساس كتبت قصتى « الدميم » وبهذا الرباط ربطت بين القصتين ، قصة مرتجلة لا ضوابط لها ولا قواعد ، مرماها إثارة الشهوات الجنسية ، وقصة تتفاعل فيها عوامل الحياة الزاخرة بالصدق ، وهى معلومة الحدود والمعالم ، واضحة الطريقة والمذهب والغرض والأسلوب ، أيجوز لك يا صديقى ، بعد هذا أن تقول إن القصة مفتعلة لبيان فضل الأقصوصة الثانية على الأقصوصة الأولى ؟ ؟ .

لا أحسب أن هـذا التجنى من صديقى الكريم جاء عفواً ، بل اعتقد أنه كان وسيلة لغاية ، لأن المقال الذى تفضل بكتابته عنى ، إنما كتب بروح من النقد ، والناقد كما علمنا نمام واش يشى على نفسه بنفسه : قال الأستاذ شيبوب :

« تناول الأستاذ حبيب الزحلاوى النقد الأدبى فى شىء من الجرأة ، وكثير من العنف ، مما جعل له خصومات أدبية قديمة وحديثة كانت إحداها مع أديب له مقامه المرموق فى عالم البحث والأدب والشعر ، والتجديد الذى يحاوله هذا الأديب الفاضل لا يروق الأستاذ الزحلاوى ، وهو حر فى رأيه . وكنت أعتقد أن هذه الخصومة تقف عند حـد النقد الأدبى ولا تتعداه إلى التعريض فى إحـدى القصص بذلك الأديب . والحق أنى كنت أجل صديقى الأستاذ الزحلاوى عن أن يستعمل مثل هذه الوسيلة لينال من أديب نابه لا يرضى هو عن أدبه » .

هنا مربط الفرس كما يقولون ، هنا يتجرد الناقد الذاتى المنطلق حراً فى القول والتصوير ، هنا تظهر وشاية النفس بالنفس ، هنا تبدو الكوامن وتطفو مخبآت السرائر ، وهنا أقف من صديقى الناقد وجهاً لوجـه أسأله ، من هو ذلك الأديب صاحب المقام المرموق فى البحث والأدب والشعر والتجديد ؟ ما قيمة أدبه

وشعره وتجديده ، وكيف صحّ لصديقى الأستاذ شيبوب السكوت عن الإشادة بهذه الفضائل المطمورة تحت الأطلال والملقاة فى الدمن ؟ هل استحى صديقى الناقد من ذكر اسم ذلك الأديب الشاعر المرموق؟ أيرضى صديقى الناقد أن أشفق على صاحبه فلا أذكر اسمه بل أرمز إليه بالإشارة ؟ أليس ذلك الأديب المرموق هو الذى مات مختنقاً عند وصيد باب مجلة « المقتطف » ولم يرثه زجّال مأجور ؟ أليس هو الذى أضنانى شعره فرصدت مبلغاً من المال أغرى به أصحاب العقول السليمة على شرح شعره المضنى فلم يظفر بمالى أحد ؟

قد يعوزك الدليل يا صديقى تدحض به ما رميتُ به أديبك المرموق ، أما أنا فلا أعدم الحجة أستمدها من شاعرك المجدد لأزيد الطين بلة .

نشر الشاعر المجدد قطعة عنوانها « نهار وليل » قال فيها :

« بودى لو أنهض والنهار باسم ، فألمح إلى عجائب فأستملى ، ولكنى أخو العجز ، لا أزال ظلا للنعاس المتثائب .

« ذات مساء إلى وليجة نفسى تحـدرت — بدوة من بدوات — هل أردت تصفح البستان لا ثمر فيـه ولا زهر ؟ تحدرت وما استطعت الصعود ، لوجهى صرعنى هول ما دريت ما يكون .

« الحب وحده كان يقوى أن يسعفنى فأصعد ، لكنه جاء من بَعد ، من عل ، من مغيَّب البُعد ، أقبل عاجلا مترعاً بالضوء فيضىء غير مستحق ، شـدّ ما فتننى فذوّبته فى خاطرى ، وفى الخاطر ظللنا روحاً لصق روح ، كلانا جاثم مخفق .

« هل كان فى وسعى أن أدرك قبل أن أغفو وأذهب فى النفوة — يا له من سبات لطيف فى ضميره خصب ونشاط — هـل كان فى وسعى أن أحلمُ باليقظة الناعمة ، بالأعجوبة يعانقها النور ؟ .

« فى البدء داخل الليل نهارى وأسرف ، فغلظت العتمة ، ولكنى أصررت على التبصر ، أحرُّ ، والآن الآن أذكر كيف لفت العتمة خاطرى ، يا لله ! يا ظلمـة تجرى الحذارق فى وليجة نفسى ، يا ظلمة أصبحت منبت مصير غير مصيرى الوهاج » .

ها هى ذى قطعة كتبها الأديب المرموق الذى تطوع للدفاع عنه صديقى الأستاذ صديق شيبوب أقدمها له راجياً منه أن يتفضل علينا بترجمتها إلى اللغة العربية التى يفهمها أمثالى من عباد الله المتواضعين .

ليسمح لى صديقى الأستاذ شيبوب أن أذهب معه فى التسامح كل مذهب فى الافتراض الجدلى فأسأله هل إذا استطاع تذليل الصعاب ، وحل الطلاسم ، وفك الرموز ، هل فى مقدوره أن يرسم لنا صورة واضحة لمعانى هـذا الكلام الذى قاله صديقه الشاعر المرموق ؟ هب أن المعانى كانت سامية حقاً ، ولكن ما هى قيمة المعانى إذا صيغت صياغة متشابكة متضاربة متنافرة ؟ لنفرض جدلا أن لكلمات هذه القطعة الفنية بمفردها وبمجموعها معان طيبة ودلالات إنسانية ولكن ما هو أثرها الفعال فى النفس ، هل هزتها وأسرت الرعشة فيها ، وهل علق معنى واحد فى ذهن قارئها ؟ لنفرض جـدلا أنه قدم المتأخر من الكلمات وأخر المتقدم ووضعها فى وضعها الصحيح وأقحمها على الذهن إقحاماً وحشرها فيه حشراً فما هو قيمة هذا الأدب وما هو قدر هذا الكاتب ؟ ولمَ هذا العناء المضنى ؟

أردت يا صديقى خصومة بين الأدباء لا عداوة ، ورفعت لواء هذه الخصومة عالياً فى كتابى « أدباء معاصرون » وما برح علمى يخفق فوق ساريته ليراه كل كاتب أو شاعر طمل يفاتك بالكذب والشر على الأدب والفن فيسمى الهرف تجديداً واللوثة حصافة ، وأعيذك يا صديقى أن تكون طبيباً فى مصحة الأمراض العقلية .

تستوى عندى خصومة وعداوة من يعتدى على كرامة الأدب أو يحاول إلحاق الدنس الأدبى بنهضتنا التى لم يعرف تاريخ الأدب العربى لها ضريباً فى كل عصوره .

وليعلم صديقى الكريم الأستاذ صديق شيبوب أن أدب صديقه الشاعر المرموق لا يساوى فى سوق الناقدين المتجردين غير المتحيزين مليما زيّفه مراب خسيس .

حبيب الزحلاوى



١ — أنطون الجميل باشا :

رزئت الصحافة العربية هذا الأسبوع فى ركن من أركانها ، وخسر الأدب علماً من أعلامه ، وهو المغفور له الأستاذ أنطون الجميل باشا ، فكانت الفجيعة بفقده قاسية أليمة على أبنا العروبة عامة ، وعلى رجال الصحافة والأدب خاصة .

ولقد زاد فى هول الفجيعة به رحمه الله أن قضى بموت الفجاءة وهو فى ميدان العمل يناضل ويجاهد فى أداء واجبه ، حتى لقد خرجت « الأهرام » إلى أيدى قرائها وفيها آثار قلمه وتوجيهه، ولكنها لم تدرك نعيه ، لأنه كان قد أتم عمله فيها ، وانصرف إلى داره متمتعاً بالعافية التامة ، وفى الصباح الباكر ليوم الثلاثاء الماضى وافته المنية ولم يشعر بأثر من مقدماتها إلا بضيق خفيف فى التنفس ، ثم كان السكون الأبدى ، وهكذا نفض الرجل يده من الحياة فى رفق وسهولة وهدوء ، وقد كانت هذه هى أظهر خلاله فى الحياة ودستوره فى العمل وفى صلاته بالناس .

لقد أمضى أنطون باشا فى الحياة نيفاً وستين عاماً ، أو قل على التحديد ثلاثة وستين عاماً ، ولكنه لم يأخذ من هذا العمر الطويل لنفسه وشخصيته شيئاً يذكر إلى جانب ما بذل فى سبيل المصلحة العامة ، وأنفق للخير والإنسانية ، وضحى لخدمة الشرق العربى والوطن العربى جميعه ، وإنه ليخرج من الدنيا وليس من ورائه زوج تندبه أو ولد يبكيه ، ولكنه لاشك قد ترك من ورائه مئات من الإخوان والتلاميذ الذين أضفى عليهم من روحه وطبعهم بطابعه ، وألوف بل ملايين من أبناء العروبة عاش ينشد لهم المجد والسعادة على مدى الأيام ، فهو فى نفوسهم ذكرى باقية وأثر خالد على كر السنين والأعوام .

وفد أنطون باشا وهو شاب فى ريعان العمر من لبنان على مصر ، ولقد خرج من وطنه الأول تبرماً بالجبروت السياسى الذى كان مسلطاً على الأحرار فى تلك البلاد ، وجاء إلى مصر وطنه الثانى لعله يتنسم نسيم الحرية ، ويجد مجالا فسيحاً لطموحه، وكان أديباً موهوباً ، فحمل القلم ونزل إلى الميدان ، فأصدر مجلة « الزهور » لتكون حلقة اتصال بين أدباء العروبة فى جميع الأقطار والأمصار ، وماهى إلا جولة حتى برز إلى الطليعة ، وظهر فى الرعيل الأول وظل يصدر مجلته أربع سنوات ، ثم كان أن قامت الحرب العالمية الأولى ، وكان من قيودها ما حمله على وقف إصدار المجلة والدخول فى خدمة الحكومة ، ولقد صعد فى هذا المجال درجات ، وتبوأ مكانة مرموقة ، ولكن هذا لم يغلبه على طبعه ، إذ آثر اعتزال الخدمة والعودة إلى ميدان الأدب والصحافة ، وكان أن تولى رئاسة تحرير « الأهرام » ، وأسهم بجهده وبقلمه فى تشييد ذلك الصرح العظيم ، وكان إلى جانب ذلك أن أختير عضواً فى الشيوخ ، ثم عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، كما هو معروف فى الفترة الأخيرة من حياته .

لقد كان أنطون باشا صحفياً عف القلم ، نزيه التعبير ، يرعى آداب اللياقة دائماً فيما يكتب ، ويعرف كيف يسيطر على أعصابه فى الموقف الحرج ، وكان هذا سر عظمته الصحفية ، قال لى فى مرة : حكم أخلاقك دائماً فيما تكتبه عن الناس ، واسأل نفسك وأنت تكتب عن غيرك ، هل يحتمل أن يقال عنك هذا الذى تقوله عن غيرك وحذار من طغيان القلم وأنت فى خلوتك بل تمثل أن أمامك من تكتب عنه وأنك تقرأ عليه ما تكتب .

وكان رحمة الله أديباً يمنح الأدب قلبه وعاطفته ، وكان فى بيانه يؤثر الأسلوب الأنيق ، والتعبير المشرق ، والديباجة الموسيقية ، وكان راوية ، يحفظ كثيراً من الشعر القديم ، كما كان يحفظ جميع شعر الشعراء المحدثين ، أمثال شوقى وحافظ ومطران واسماعيل صبرى وولى الدين يكن ، وكان لا يطرب لشىء مثل ما يطرب لسماع الشعر الجيد ، وكان لا يسر بشىء مثل ما يسر بشاب أديب يظهر فى أدبه مخايل النجابة والنبوغ ، فيتعهده كأنه ولده . قابلته رحمه الله قبل وفاته بيوم واحد ، وهو منصرف من احتفال المجمع اللغوى ، فسألته لماذا لم يتكلم فى الحفل ؟ فقال وكأنه كان ينعى نفسه : وماذا تريد أن أقول ، وقد أنهكتنا الأيام ومتاعب الحياة ؟ لقد قلنا كثيراً فقولوا أنتم ، فوالله إنه ليس أطيب إلى نفوسنا من أن نرا كم تقولون ...

وبعد ، فليس اليوم مجال القول فى شخصية ذلك الرجل

العظيم، ولكنها كلمة يجرى بها القلم من خلال الدمع، فالى فرصة أخرى حتى نؤدى واجب الوفاء نحو فقيد الوفاء، نضر الله قبره، وأكرم مثواه ...

٢ – ادوار لامبير:

نعت الأنباء البرقية فى هذا الأسبوع العالم الفرنسى الأستاذ ادوار لامبير، وإن فى مصر لكثيراً من رجال القانون وأعلام السياسة لا يزالون يحملون بين جوانحهم أطيب الذكرى لذلك الرجل الذى كان أستاذاً لهم والذى وقف فى وجه الطاغية « دنلوب » منتصراً للعلم والكرامة حتى لقد ضحى بمنصبه فى هذا السبيل، وضيع على دولته فرنسا مركزاً علمياً كانت تستأثر به فى مصر.

ذلك أن مدرسة الحقوق فى مصر كان يتولى نظارتها عالم من أبناء فرنسا، وكانت فرنسا تعتز بهذا المركز وتعتبره مظهر شرف لها إلى جانب ما كان قائماً من تسلط الإنجليز على التعليم فى مصر، وحدث أن أسندت نظارة هذه المدرسة إلى رجل فرنسى يدعى « تستو »، وكان هذا الرجل ينزع إلى حب السيطرة والتغلب، وكان المسيطر على شئون التعليم فى مصر يومذاك الطاغية « دنلوب »، ونزعته الاستعمارية معروفة مشهورة، فتلاق الرجلان فى اتجاه واحد، وكان كل منهما أداة طغيان وبهتان. ومما يذكر أن « تستو » هذا هو الذى فصل الزعيم مصطفى كامل من مدرسة الحقوق فاضطر إلى السفر لإتمام دراسته فى فرنسا، وحدث فى عام ١٨٩٦ أن اجتمع فريق من طلاب المعاهد العالية والثانوية فى مطعم بالأزبكية واحتفلوا بعيد جلوس الخديوى عباس الثانى. وصادف أن دخل « تستو » ليتناول العشاء فنقل أسماءهم إلى دنلوب ففصلهم جميعاً من مدارسهم.

ثم تولى « أدوار لامبير » نظارة مدرسة الحقوق وكان رجلا يعرف للعلم كرامته ويرتفع به عن تلك الأساليب الغاشمة، فكان من الطبيعى أن تتسع الشقة بينه وبين « دنلوب »، وكان من الطبيعى أن يتصدى « دنلوب » لهذا الرجل لا يجاريه فى إذلال المصريين ومسخ روحهم وتشويه ثقافتهم، ولكن « لامبير » لم يخنع ولم يطأطىء رأسه وظل دائماً عند عقيدته واتجاهه، فلما أعياه الأمر استقال وضحى بمنصبه وضيع نظارة مدرسة الحقوق المصرية على فرنسا، إذ تولاها من بعده رجل إنجليزى يدعى « هيل »، وكان رجلا لا يدرى من الحقوق شيئاً، ولكن السياسة الإنجليزية شاءت ذلك فى تلك الأيام.

إنها ذكريات تحتل جانباً من تاريخنا الوطنى، وهو جانب يجب أن يكتب ويروى، ولعل نعى الأستاذ لامبير قد أثار ألواناً من هذه الذكريات فى نفوس أبناء الجيل السابق ممن كانوا من تلاميذه ومريديه ..

محمد فهمى عبد اللطيف



إنه ضـــوء القمر

للكاتب الفرنسى جى دى موباسان

بقلم الأستاذ جمال الدين الحجازى

كانت مدام جولى روبير تنتظر أختها مدام هنرييت ليتورالتى عادت من سويسرا منذ خمسة أسابيع ، بعد أن سمحت لزوجها بالبقاء وحده فى كالفادوس لإنجاز بعض الأعمال التى تتطلب وجوده ، وأتت لتقضى بعض أيام مع أختها فى باريس للترويح عن أنفسها . وفى الصالون الهادىء ، جلست مدام روبير تقرأ وهى شاردة الذهن ، ترفع عينيها بين وقت وآخر كلما سمعت صوتاً . وأخيراً سمعت دقاً على الباب ، فظهرت أختها حالاً وكانت تلبس معطف السفر . وفجأة وقبل التحية تعانقتا بشدة . ثم بدأ الحديث عن الصحة والعائلة وأشياء أخرى تجيدها النساء ...

كان الوقت مساء ، فأضاءت مدام روبير المصباح ، ولما رأت وجه أختها رغبت فى عناقها مرة ثانية ، فاقتربت منها ، ولشد ما كانت دهشتها عندما رأت ضفيرتى أختها الطويلتين قد ابيضتا ، بينما كان القسم الآخر من شعرها أسود لامعاً وظهر شعرها الأبيض كالفضة تحوطه هالة من السواد .

كانت مدام هنرييت شابة لم تتجاوز الرابعة والعشرين من عمرها ، فما هو السر فى ابيضاض شعرها ! إنها لم تره هكذا إلا بعد عودة أختها من سويسرا .

نظرت مدام روبير إلى أختها بدهشة والدمع يترقرق فى مآقيها لأنها اعتقدت بأن حادثاً مخيفاً ألم بأختها فسألتها بابتسامة حزينة :

— ما ذا حصل لك يا هنرييت ؟

— لا شىء يا شقيقتى ... أكنت تنظرين إلى شعرى الأبيض ؟

ولكن مدام روبير قبضت على ذراعيها بشدة وكررت عليها السؤال :

أخبرينى ماذا حصل لك ... أخبرينى بالحقيقة وإياك والكذب:

ومكثتا برهة تنظر إحداهما إلى الأخرى وقد امتقع وجه هنرييت وكانت دمعتان تبللان وجنتيها فسألتها أختها بلطف :

ألا تودين إخبارى بما ألم بك ؟

وفى صوت خافت قالت بعد أن أخفت جبهتها بين ذراعى شقيقتها :

لى ... لى حبيب ! !

وهناك على الكنبة جلست الأختان فى أحد أركان الغرفة تتحادثان وقد وضعت الأخت الصغرى ذراعها على عنق أختها الكبرى بدلال وأخذت تنصت إلى حديثها :

إنك تعرفين زوجى وتعرفين كم أحبه ! فهو رقيق الشعور ، طيب ، باسم الثغر ، لطيف ومستقيم إلا أن به عيباً واحداً وهو أنه لا يستطيع أن يطرى محاسن المرأة ! ولست أدرى لما ذا ؟ آه كم كنت أغنى أن يضمنى بين ذراعيه بشدة ، ويقبلنى قبلات حارة تمتزج بها أنفاسنا ! وكم تمنيت أن يكون ضعيفاً بين يدى فيحتاج إلى رقتى وعطفى ودموعى ! قد يظهر أن ما قلته لك تافه ولكننا نحن النساء جبلنا على هذا فما العمل ! ومع ذلك لم أفكر لحظة فى خيانته حتى على شاطىء بحيرة لوكيرن !

هناك على شاطىء البحيرة ، كان القمر يرسل أشعته الفضية على الكون فيملأه بهجة وحبوراً ؛ وشعرت حينئذ بشىء لست أعرف كيف أفسره ! ففى الشهر الذى قضيناه نتنزه فى سويسرا ونمتع أنفسنا بجمال تلك البلاد ، أثار زوجى إحساساتى بهدوئه وصمته وتركنى وحدى سابحة أهيم فى الحسن والجمال ! ألا يثير الجمال النفوس ويبعث فيها الحب ! ألا تثير ممرات الجبال الضيقة والأودية العميقة والغابات الواسعة والجداول الرقراقة والقرى الصغيرة الجميلة كل حب للجمال !

أجل لقد سحرتنى هذه المناظر بجمالها فقلت لزوجى وقد ارتميت بين أحضانه : ما أجمل هذه المناظر يا حبيبى ... انظر

إلى القمر المنير والبحيرة الجميلة ... ألا تدعو هذه المناظر الساحرة المحبين للقبل ! ! قبلني الآن وفى هذا المكان قبلة حارة وامزج أنفاسك بقلبي المذاب ! ولكنه أجابني بابتسامة لطيفة باهتة : « لا يوجد سبب يدعو إلى القبل » فتأثرت جداً من كلماته .

غاظني زوجي بمسلكه هـذا ، فقد منع تلك الخيالات الشعرية والسبحات الفكرية من أن تخرج إلى دنيا الجمال وأبقاها مكنونة فى نفسى عديمة الجدوى .

وفى إحدى الأمسيات ذهب روبير إلى فراشه بعد العشاء ، وكان قد أصابه صداع ؛ فذهبت فى نزهة على البحيرة . وهل لى غير البحيرة وشاطئها الجميل ؟

كانت الليلة مقمرة كتلك الليالى التى نقرأ عنها فى أساطير الخيال ؛ وكان القمر يزهو بكماله فى كبد السماء ، ويحيى الأرض بأنواره الفضية ، فيكسبها جمالا وبهاء . وظهرت الجبال العالية بثلوجها البيضاء كملوك تلبس تيجاناً فضية ، ولمعت مياه البحيرة لمعاناً أخاذاً فى ضوء القمر الجميل، وكان النسيم عليلا يهيج الذكريات ، ويبعث الشوق فى القلوب .

جلست على العشب ، ونظرت إلى البحيرة وقد استولى علىّ سحرها ، فمر بى طيف عابر ، وأحسست أن الحب قد تملكني وأصبحت فى حاجة إليه . فتذكرت حياتى الأولى وما بها من سآمة ويأس فحزنت وتساءلت : ترى هل يبسم لى الزمان فأجد نفسى على شاطىء البحيرة فى ضوء القمر الساطع بين أحضان حبيب يلهبنى بقبلاته فأنتعش بتلك القبلات الحارة التى ينعم بها العشاق ! ! وعندها شعرت بحبات لؤلؤية تتساقط على وجنتى لم أدر سببها وسمعت من يقول : « لم هذا البكاء يا سيدتى ؟ خفف عنك ما تجدين ... فعلام الحزن وعلام البكاء » وكنت مضطربة فقلت إنى مريضة فسار إلى جانبي وكان طيب القلب وبدأ يحدثنى عما رأيناه فى رحلتنا من المناظر الجميلة وترجم كل ما أحسست به إلى كلمات جذابة ، وشعرت بأنه فهم إحساساتى وشعورى كل الفهم ، وفجأة أسمعنى بعض الأبيات الشعرية لألفرد دى موسيه فشعرت كأننى فى عالم غير عالمنا ، وخيل إلى أن الجبال والبحيرة وضوء القمر تغنى وتسبح مبدع هذه المناظر الجميلة الساحرة

وفى الصباح بينما أنا غارقة فى هـذه النشوة تركني هذا الحبيب واختفى بعد أن قدّم إلى بطاقته ا وهنا تأوهت مدام ليتور وكادت تصيح . . .

فقالت مدام روبير وقد سرها ما سمعت :

« لتعلمى يا شقيقتى العزيزة أننا لا نحب الرجل دائماً ولا يستطيع أن يثير أشواقنا ؛ فلا غرو أن حبيبك الحقيق وأنيسك الذى سحرك بحلو ألفاظه ورقة شمائله وأثارك وبعث فيك الحب والغرام فى تلك الليلة وأنار لك السبيل هو ضوء القمر . . أجل أنه ضوء القمر ! »

جمال الدين الحجازى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٠ – الاثنين ٢٦ يناير ١٩٤٨ – السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٨

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 760

Lundi — 26 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٢٦ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

بلاغة الرســـــول

كلفتني الإذاعة في احتفالها بذكرى مولد الرسول الكريم أن أكتب كلمة في بلاغته تذاع في عشر دقائق، وهذا تكليف بالمحال، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فإن عشر دقائق لا تتسع للحديث الموجز عن بلاغة كاتب وسط، فكيف تتسع للحديث عن بلاغة رسول اصطفاه الله لرسالته، واصطنعه لوحيه، وعلمه من علمه؟

إن بلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه؛ فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره. هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟ وهل يعلم من أسرار الروض غير المطر والنضارة؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟ إن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية. وإذا كان كلام الله كتابَ البيان المعجز، فإن كلام الرسول سُنة هذا البيان. وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة محمد وحده. تجمعت فيه صلى الله عليه وسلم خصائص البلاغة بالفطرة، وتهيأت له أسباب الفصاحة بالضرورة، فقد ولد في بني هاشم، ونشأ في قريش، واسترضع في بني سعد، وتزوج من بني أسد، وهاجر إلى بني عمرو وهم الأوس والخزرج، وهذه القبائل التي تقلب فيها الرسول هي بالإجماع أخلص القبائل لساناً وأفصحها بياناً وأعذبها لهجة. والوسيلة الطبيعية لاكتساب اللغة والمنطق إنما هي المخالطة والمحاكاة. ثم تولى الله عز وجل تأديبه وتهذيبه، فكمله برجاحة العقل وسجاحة الخلق وصفاء الحس وقوة الطبع وثقوب الذهن وتمكن اللسان ومحض السليقة، ليكون لساناً لكلمته ومظهراً لنوره. ثم أخذ يتصرف في التجارة على عادة قومه، فضرب في الآفاق وتنقل في الأسواق، فرأى المناظر الجديدة، وسمع المناطق المختلفة، وحصّل المعارف العامة. والأسفار والأخطار والهجرة بعد توفيق الله تفتق الذهن وترفد العقل وتزيد المعرفة. ثم كان يخلى ذرعه من صوارف الدنيا الليالي الطوال فيعتكف في غار حراء يتعبد ويتأمل ويتجه بروحه الصافي اللطيف إلى الملأ الأعلى. ثم كان من طبعه أن يديم التفكير ويطيل السكوت، فإذا تكلم اختصر من اللفظ، واقتصر على الحاجة، وألقى الكلام بيناً فصلاً يحفظه من جلس إليه، ولوعده العادّ لأحصاه، كما قالت السيدة عائشة. كل أولئك قد مكن للرسول من ناصية البلاغة، فأسلست له الألفاظ، وأسمحت له المعاني، فلم يندّ في لسانه لفظ، ولم يضطرب في أسلوبه عبارة، ولم يعزب عن علمه لغة، ولم ينب عن خاطره فكرة؛ حتى كان كلامه كما قال الجاحظ « هو الكلامَ الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة وتنزه عن التكلف. استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، وتنزه عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وُشد بالتأييد ويُسر بالتوفيق، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل

معنى ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح من معناه ، ولا أبين من فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم » لذلك قال وقوله الحق : « أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر . وقد قال له صاحبه أبو بكر : لقد طفت فى بلاد العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ قال : أدبنى ربى فأحسن تأديبى » . ومن أولى بذلك كله ممن يخاطبه الله تعالى بقوله : وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ؟

إن أخص ما يميز الأسلوب النبوى الأصالة والإيجاز . فالأصالة وهى خصوصية اللفظ وطرافة العبارة تتجلى فيما كان ينهجه الرسول من المذاهب البيانية ، ويرتجله من الأوضاع التركيبية ، ويضعه من الألفاظ الاصطلاحية ، كقوله عليه الصلاة والسلام : مات حتف أنفه ، والآن حمى الوطيس ، وهدنة على دخَن ؛ وقوله لحادى النساء : رويدك ! رفقاً بالقوارير . وقوله فى يوم بدر : هذا يوم له مابعده . ولتمكن الأصالة فيه كان يقتضب ويتجوز ويشتق ويبتدع ، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان ، وسراً من أسرار اللسان ، يزيد فى ميراث اللغة ، ويرفع من قدر الأدب .

والإيجاز وهو تأدية المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول ، لأن الإيجاز قوة فى التعبير ، وامتلاء فى اللفظ ، وشدة فى التماسك ؛ وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن ، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون فى الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم فى خطبه وأحاديثه حتى عُدَّت من خصائصه .

على أن الرسول عليه السلام كان يطيل إذا اقتضت الحال ذلك . فقد روى أبو سعيد الخُدرى أنه خطب بعد العصر فقال : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة ! ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء . ألا لا يمنعن رجلا مخافةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه ... قال أبو سعيد ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف ، فقال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى » .

والمأثور من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم خطب وكتب وأحاديث ، وكلها تتسم بالإلهام والإبداع والعبقرية ، وتمتاز بالجزالة والجلالة والسبك . وهو فى بعضها يستعمل الغريب ويلتزم السجع تبعاً لما جرى على ألسنة الوافدين عليه من مختلف القبائل . من ذلك حديثه مع طهفة بن أبى زهير النهدى ، ومع لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره .

وللرسول قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار . وتلك ميزة الرسل من قبل ، لأن المرسلين فى مقام المعلمين ، وأنجح مايكون التعليم إذا كان على طريقة التمثيل والمحاورة ، كقوله عليه السلام : « إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . المؤمن هين ليّن كالجمل الأنف إن قيد انقاد ، وإن أنيخ على صخرة استناخ . أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً . إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . إياكم وخضراء الدمن : المرأة الحسناء فى المنبت السوء . المرأة كالضلع إن رُمت قوامها كسرتها . الناس كلهم سواسية كأسنان المشط . جنة الرجل داره . ومن روائع تشبيهاته عليه السلام قوله : إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع . فنقر رجل منهم موضعه بفأس ؛ فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكانى أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

والسفينة التى ضربها الرسول مثلا هى اليوم دنيا الإسلام والعروبة ، تقسمها الإخوان والبنون فى عهود الضعف والانحلال فصار لكل منهم وطن ودولة ، ولكن هذه الأوطان المتعددة تجمعها دنيا واحدة ، كما تجمع السفينة مواضع الركاب ؛ فكل وطن وإن استقل بنفسه مرتبط فى قوام حياته بغيره ؛ فهو حرى ألا يوبق بحريته الوطن الجمع ؛ والوطن الجمع حرى ألا يُغرق فى عبابه الوطن المفرد . وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من ألمعية الذهن وإشراق الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فضرب هذا المثل لجامعة الدول العربية لعلها تتذكر فتتدبر . وهذه هى بلاغة الإلهام والفيض ، تكشف الحجب بنور الله ، وتخترق الغيوب بنفاذ البصيرة ، وترسل الكلمة من فيض الخاطر وعفو البديهة فتكون حكمة الحاضر ونبوءة المستقبل !

صلى الله عليك يا رسول التوحيد والوحدة ، ونبى الحرية والديمقراطية ، وإمام السياسة والتشريع ، وأمير الفصاحة والبلاغة ، وداعية السلام والوئام والمحبة !

احمد حسن الزيات

كلمـــة أخرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

قرأت كلمة الأستاذ محمد العربى العلمى فى عدد الرسالة (٧٥٩) يردّ على ما كتبته فى قضية الاستقلال الذى تطالب به بلاد المغرب ، ومن حق الأستاذ أن يردَّ ، ومن حقه أن يعلمنى ما أجهل ، ومن حقه أن يرشدنى إلى وجه الصواب فيما زعمت أو رأيت ، كلّ هذا من حقه ، ولكن ليس من حقه أن يخرج الكلام عن جادّته ، أو أن يستنبط منه أشياء ليست فيه كقوله إنى عرضت للوطنيين من أهل المغرب « فاتهمت زعماءهم وأهل الرأى فيهم بالسفه والغفلة والتخاذل والتهاون فى حقوق البلاد أو ما يشبه ذلك من أنواع التهم » . فهذا شىء مردُّه إلى ما كتبتُ لا إلى ما يقول به الأستاذ العلمى . والسفه والغفلة وما يشبه ذلك من أنواع التهم ! ! كلمات كبيرة لا يحلّ للأستاذ أن يدّعى أنى أردتها بغير برهان من نص كلامى الذى كتبته .

ثم كرر الأستاذ العلمى أن الذى جاء فى كلمتى إنما هى أشياء ألقيت إلى فحكيتها بلا تحقيق ولا روية ، أو ألقيت إلى فاعتقدتها كل الحقّ وأغفلت ما وراءها . وأظن أيضاً أن هذا شىء غير لائق به أن يقوله ، فضلا عن أن يكتبه . ولم أكن أظن أن الأستاذ العلمى يجترىء على أن يصفنى بأنى أذُن تصرفه عن الحق صداقة صديق أو عداوة عدو ، ولكنه فعل ، فلا أقل من أن أجزيه بالصفح عنه إكراماً لصديقى الأستاذ محمد بن الحسن الوزّانى ، فهو رسوله وسفيره والنائب عنه .

ثم رأيت الأستاذ أكرمه الله يزعم أنى بما كتبت إنما كنت أحاول أن أحدث فى الائتلاف الوطنى المغربى « ثلمة » وأن ألقى حوله « بذرة من بذور الشقاق » . وهذا شىء كثير ، ولكنى أعود فأصفح عن الأستاذ ، لا لشىء إلا لأنى أترك الحكم فى هذا الأمر لمن يقرأ فيفهم ، وما أظن أحداً ممن يطلع على ما كتبت يستطيع أن يقول إنى « حاولت » هذا الذى زعمه الأستاذ .

ثم رأيت الأستاذ يقول : « ولعلى لا أكون فضولياً إن زعمت أن الذين ذكرهم الأستاذ شاكر من زعماء تونس والجزائر ليسوا معه على الرأى الذى نسب إليهم » ، وأنا لم أنسب إليهم شيئاً قالوه إلا قولهم « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » ، وليس يهمنى أن يكون الأستاذ العلمى فضولياً أو غير فضولى ، ولكن الذى يهمنى ويهمّ قراء الرسالة وسائر العرب والمسلمين هو أن الذى حكيت عن زعماء تونس والجزائر صحيح قد اتفقوا عليه وقيدوه بالكتابة كما جاء فى بيان سمو الأمير الجليل محمد بن عبد الكريم الخطابى الذى نشره فى صحيفة الأهرام . وقد جاء فيه أن الأمير أعزّه الله خابر جميع « رؤساء الأحزاب المغربية ومندوبيها » فاتفق رأيهم على تكوين « لجنة تحرير المغرب العربى » من كافة الأحزاب الاستقلالية فى كل من تونس والجزائر ومراكش على أساس مبادىء الميثاق التالى : ثم جاء فى نص هذا الميثاق « د — لا غاية يسعى لها قبل الاستقلال — هـ — لا مفاوضة مع المستعمر فى الجزئيات ضمن النظام الحاضر — و — لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال » وقد وقع هذا الميثاق جميع من ذكرتهم فى كلمتى ومن لم أذكرهم من رجال الأحزاب المغربية فى تونس والجزائر ومراكش ، ومن بينهم الأستاذ محمد العربى العلمى ، والأستاذ الناصر الكتانى نيابة عن حزب الشورى والاستقلال .

والعجيب الذى لا يقضى منه عجب هو أمر الأستاذ العلمى ، فقد كتبت كلمتى للرسالة بعد أن قرأت فى الأهرام (الاثنين ٥ يناير ١٩٤٨) تحت عنوان « محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب » ، وقد جاء فى هذا النبأ ما نصه . « ويقول الحزب فى مذكرته إنه يعتزم تحقيق المطالب الوطنية وهى استقلال البلاد — فى نطاق وحدته الجغرافية والسياســية ، وفى دائرة ملكية دستورية — من طريق المفاوضات ، والاتجاه بالمغرب فى مرحلة انتقال تسمح له بأن ينظم شئونه تنظيماً حراً وبأسرع الطرق إلى تحقيق سيادته التامة واستقلاله المضمونين بمعاهدة تحالف وصداقة تبرم فى ظل الحرية والمساواة بين المتحالفين . ويمكن تهيئة الجو السياسى الملائم لتحقيق ما تقدم ، بأن يعلن رسمياً باسم فرنسا حق الشعب المغربى فى تدبير شئونه فى وقت قريب ، وبأن تعتبر مصالح المغاربة ذات أسبقية فى بلادهم ، مع الصيانة التامة لسيادة البلاد واستقلالها الوطنى » .

هذا ما جاء فى المذكرة التى قدمها حزب الشورى والاستقلال

إلى الجنرال جوان المقيم الفرنسى ، وهو صريح فى النص على تحقيق « استقلال البلاد من طريق المفاوضات » ، وهذا هو الذى دفعنى إلى كتابة ما كتبت عن حزب الشورى والاستقلال، وهو الذى دفعنى إلى أن أتوسل إلى الصديق محمد بن الحسن الوزانى « أن يفىء إلى ما فيه مرضاة الله ، وما فيه خير بلاده وخير أمته، وأن يدع فرنسا بشرّ النظرين ، لا يقربها إلا مقاتلا مجاهداً رافعاً باسم بلاده وحريتها وكرامتها واستقلالها » ، كما جاء فى آخر كلامى .

وقد تحدث الأستاذ العلمى إلى مندوب الأهرام بما يطابق هذا المبدأ ، بيد أنى رأيته فى اليوم الثانى يوقع على ميثاق لجنة التحرير الذى ينص نصاً صريحاً على أنه لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال . فهذا تناقض بين لا ينقضى منه العجب ، كما لا ينقضى عجب القارىء حين يقرأ كلمته فى الرد علىّ فيراه يقول إنى أزعم « أن زعماء تونس والجزائر فى القاهرة يرون رأى علال الفاسى فى القعود وعدم المفاوضة » ، ثم قوله إنه يؤكد لى « أن فكرة لا مفاوضة هذه إنما نشأت منذ قريب لا أجد داعياً لاشتغال قراء الرسالة بها » ، ومعنى ذلك أنه يرى أن عدم المفاوضة قعود عن الجهاد ، وأن كلمة « لا مفاوضة » كلمة مستحدثة لا عهد لحزب الاستقلال ولا لحزب الشورى والاستقلال بها ، ثم يختم مقاله بأن يؤكد لى بأنه « لن يدخل فى أية مفاوضات إلا بعد إعلان الاستقلال » ! ! فهذا تناقض مُرٌّ شديد المرارة .

وأنا لا أكتب هذا لأرد على الأستاذ العلمى، فإن هذا التناقض العجيب المر الشديد المرارة ، جعلنى أرى أن لا فائدة من الرد ، ولكنى آثرت أن أعرض على القراء شيئاً كنت أخشى أن يفوتهم الاطلاع عليه ، وهم فى حاجة إلى الاطلاع على مثله .

وأما ما جاء فى كلامه من ذكر فلان وفلان من رجال المغرب، فلست أنبرى ، ولا يحق لى أن أنبرى ، للدفاع عنـه ، لأنى كما قال الأستاذ : « غير متفطن إلى أنى أتحدث عن بلاد لم أرها ، وليس لى من أسباب العلم بهـا وبأهلها إلا القليل أو ما دون القليل ! » .

بقى شىء واحد يشق على مثلى أن يرضى عنه ، وهو إقحام الأستاذ لأسد الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابى فى معرض هذا التناقض المر الشديد المرارة . فهذا البطل الذى نشأنا منذ الصغر ونحن نمجد اسمه ، ونسمو بأبصارنا إليه ، ونحوطه بقلوبنا وإيماننا ، ونجعله المثل الأعلى للعربى الأبى الذى لا يقبل ضيماً ولا يقيم على هوان ، هو نفسه الذى علمنا بفعله لا بلسانه أنه « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » . فقد هبّ أسد الريف وانطلق يجاهد بالسيف ، وأبى أن يسلم للفرنسيس والإسبان شيئاً إلا سيفه بعد أن تقطعت أسباب الجهاد بالسيف ، وأعرض عن كل مهادنة بينه وبين الفرنسيس والإسبان ، واحتمل بلاء النفى والتعذيب صابراً راضياً مستعيناً بالله على أعدائه . أفلم يكن مما يرضى الفرنسيس والإسبان أن يهادنهم هذا الأسد ويفاوضهم ويأخذ منهم شيئاً ويسكت عن أشياء ؟ بلى ، لقد كان يرضيهم ولا شك ، ولكنه لم يفعل ، فمعنى ذلك كما فهمناه وكما فهمه الناس هو أن أسد الريف يرى رأياً واحداً هو أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، ولذلك احتمل ما احتمل ، وصبر صبر المؤمنين الذين لا يفتنهم عن الحق عذاب ولا نفى ولا تشريد. وإذا لم يكن الأستاذ العلمى قد فهم هذا من بطولة أسد الريف ، فليحدثنا إذن ماذا فهم ؟ وفيم كان صبر أسد الريف وبطل العرب على البلاء الغليظ عمراً طويلا تحيا فيه رجال وتموت رجال ؟ وفيم كان جهاده وقتاله واحتماله رؤية أبنائه وهم يسقطون فى ميدان الوغى بين يديه ؟ أفعل كل ذلك ليفاوض ، فيأخذ شيئاً ويغضى عن أشياء ؟ حاشا لله .

أما الأستاذ محمد بن الحسن الوزانى ، فأنا لم أرده بإساءة كما أراد الأستاذ العلمى أن يقول ، بل كان كل كلامى منصباً على المبدأ الذى جاء فى المذكرة المرفوعة إلى المقيم الفرنسى الجنرال جوان ، وهو مبدأ المفاوضة فى الاستقلال ، وهو مبدأ فاسد لن يسكت قلمى عن هدمه وتقويضه ، ولو قال به أعز الناس على وأكرمهم فى قلبى ، وهو عندى مذهب أقلية ، ولو قالت به أمة بأسرها . وسأبقى ما حييت أدعو الأمم التى ابتليت بالاستعمار إلى مبدأ واحد هو أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، فهو عندى مذهب أكثرية ، ولو لم يقل به إلا فرد واحد طريد شريد لا يجد فى الأرض مكاناً يؤويه ، أو عشيرة تنصره ، أو أذناً تسمعه . وكل حزب يدعو إلى المفاوضة ، فهو عندى حزب بغير شعب ولو تبعته الجماهير المضللة ، وكل زعيم يدعو إليها فهو زعيم

فى مستشفى الكلب

للأستــــاذ نقولا الحداد

قصدت بعـد أن عضنى الكلب إلى مستشفى الكلب المجاور للقصر العينى . وكان أول ما أنعش نفسى أن رأيت على باب المكتب الداخلى لوحة كُتب عليها ما مفاده : — أنشأ هذا المستشفى الدكتور محمد باشا شاهين لمعهد وزارة دولة صدقى باشا ، وقد افتتحه رسمياً المغفور له الملك فؤاد الأول فى ابريل سنة ١٩٣٢ . فقلت فى نفسى : كم كانت لشاهين باشا غفر الله له من مآثر جسام فى مصلحة الصحة قبل أن صارت وزارة ! وكان أول وزير لها ، ثم توفاه الله إلى جواره بعد بضعة أسابيع مأسوفاً عليه . (أقول هذا لأنى كنت على صلة صداقة خالصة به كل حياته . وكنت أذيع مآثره فى الجرائد والمجلات كما يعلم كثيرون من أصدقائه وأصدقائى

قدمت نفسى إلى مدير المستشفى ؛ وكم كانت دهشتى عظيمة حين علمت أن هذا المدير هو الدكتور إبراهيم بك شاهين نجل المغفور له مؤسس هذا المستشفى . وعجبت أن ملامحه الرضية وسماحة محياه ووداعته استظهرت فى مخيلتى صورة أبيه محمد باشا — سبحان من خلق وسوَّى .

وكان الدكتور إبراهيم يتوقع قدومى لأنى رأيت أن نبأ عقر الكلب لى قد سبقنى إلى المستشفى وسُجل فى سجل « الحجاج » إليه . ورأيت فيه اسمى وعنوانى وحادث الكلب نفسه الذى عقرنى . فعجبت من هذه العناية والتدقيق فى تناول المعلومات عن حوادث الكلب من مستشفى الكلاب فى العباسية تلفونياً كل يوم . فقلت له : « هب أنى لم آت إليكم للعلاج » قال « نطلبك أولا وثانياً فإن لم تأت كان ذنبك على جنبك »

قلت : وهب إنى لم آت لظنى أن الكلب سليم ثم ظهرت علىَّ الأعراض ، أفلا يخشى أن أعدى أحداً ؟ قال : نعم يحتمل أن يتلوث شخص آخر بلعابك فيصاب . فقلت : وهل يجدى العلاج حينئذ ؟ قال كلا . لا يجدى علاج بعـد ظهور الأعراض . وما جنت إلا على نفسها براقش . ولكن ما من أحد اشتبه بعقر الكلب إياه إلا أسرع إلى المستشفى إذا لم يكن غبياً . وستنزعج قليلا من الحقن بالمصل كل يوم مدة ١٥ يوماً . قلت أليس العذاب فى سبيل الحياة خيراً من العذاب فى سبيل الهلاك ، العذاب الذى لا يطاق والذى لا ينجى منه إلا الموت .

بغير شعب ، وإن استطاع أن يجمع الألوف تصرخ من ورائه مؤيدة وناصرة . وقد كتبت هذا مرات فى قضـــية مصر والسودان ، وفى قضية العراق ، وفى قضية الهند . فكل ما جاء فى كلامى عن حزب الشورى والاستقلال ، فهو مبنى على هذا الأصل ، وأظن أن الأستاذ الوزانى يعرف هذا مما قرأه من كلامى منذ قديم ، وأظن أنه فهم من كلامى عنه غير الذى فهم الأستاذ العلمى ، وأظن أنه لم يغضب حين قرأ ما كتبت مثل الغضب الذى احتمل الأستاذ العلمى حتى كتب ما كتب ، مما كان ينبغي أن ينزه عنه قلمه البليغ الجرىء .

وأنا أختم هذه الكلمة بأن أدعو صديقى محمد بن الحسن الوزانى إلى صراط الحق ، إلى أن « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » ، وأتوسل إليه مرة أخرى أن ينسى نفسه ، وأن يملأ قلبه إيماناً بالحق الأعظم ، وهو حق شعبه وبلاده فى الاستقلال والحرية والكرامة ، ذلك الحق الذى لا يتجزأ ولا يقبل مفاوضة ولا مهادنة ، وأدعوه إلى الجهاد الشديد فى سبيل هذا الحق الذى لا تستطيع فرنسا ولا إسبانيا ولا بريطانيا ولا الدنيا كلها مجتمعة أن تمحو منه شيئاً أو تغير منه قليلا أو كثيراً .

أيها الزعماء كونوا يداً واحدة ، ولتكن دعوتكم واحدة ، واصبروا فى جهادكم ، ولا تفاوضوا عدوكم فى حق شعوبكم ، ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا فتذهب ريحكم ، واعلموا أن المفاوضة ليست سوى ملل من طول الجهاد ومشقته ، وأن الملل من كواذب الأخلاق ، وأن الزعيم لا يكون زعيما إلا بأخلاقه ، وقوام أخلاقه الصدق فى كل شىء — فى العداوة والصداقة ، وفى الحب والبغض ، وفى الرضى والغضب . سدد الله خطاكم ، ومهد لكم سبيل الهدى ، وطهر قلوبكم من كل كذب لا خير فيه .

محمود محمد شاكر

وجعلت أتردد كل يوم فى الميعاد المعين ١٥ يوماً إلى أن أمنت الداء وحصلت على مناعة سنة كاملة . وعلمت أن ذلك الكلب التعس نفق فى اليوم الثانى فى المستشفى .

قلت يوماً لمدير المكتب ، إن هذا المستشفى نعمة عظيمة للناس لا تقدَّر بمقدار . قال : ليت الناس كلهم يعرفون هذا . نأتى بكثير منهم بالوعد أو بالوعيد لكى نعالجهم مجاناً لوجه الله فلا يلبثون أن يهربوا . والذين يُجاء بهم من الأرياف ينزلون فى المستشفى فيعالجون من جراحهم ويحقنون بالمصل ويأكلون ويشربون وينامون مجاناً ومع ذلك لا يرضون !

قال لى أحد أطباء المستشفى وهو الدكتور عزمى توفيق إن فى المستشفى نحو ١٧٠ سريراً فى طابقين من البناء ، وإذا زاد عدد المصابين على عدد الأسرَّة دبرناهم بالتى هى أحسن . فنضع الطفل منهم مع شخص آخر فى سرير كبير مثلا ، وقد يكون عندنا فى وقت واحد نحو ٢٢٠ مصاباً أو أكثر . ومن كان له أقارب فى القاهرة ينزل عندهم ويتردد على المستشفى فيبقى محله لغيره .

قد يدهش القارىء إذا علم أن هذا المستشفى يعالج أكثر من عشرة آلاف مصاب فى السنة يعطيهم فيها نحو ١٥٠ ألف حقنة من اللقاح الذى يحضر فى المستشفى عدا معالجة الجراح . لا تكون الإصابات من عضة كلب فقط ، بل تكون من الحيوانات الأخرى كالحمار أو الجمل أو الحصان أو الدجاج . لأن هذه تسعر كالكلاب ويعدى بعضها بعضاً وتعدى الإنسان ، فإذا عقر الحيوان الكبير إنساناً فقد يكسر ساقه أو يسحق ذراعه أو كتفه . وهذه الجروح تستغرق وقتاً طويلا وعلاجاً متواصلا فضلا عن الحقن بالمصل .

والمصل يحضر فى معمل المستشفى فيُستعمل طازجاً فى اليوم الثالث من تحضيره النهائى . ويحضر اللقاح من مخ الأرنب أو دماغه . ويمكن أن يحضر من مخ أى حيوان مصاب . ولكن الأرنب أرخص الحيوانات ثمناً وأسهلها مراساً . ويستعمل لهذا الغرض كل يوم نحو ٥٠ أرنباً تقريباً يقدمها متعهدون للمستشفى .

وأما كيفية تحضير المصل فدراسة فكهة ، وهى أن تجرح جلدة قمة رأس الأرنب جرحاً بقدر سنتيمترين وتقلب إلى الجانبين ليظهر من الجمجمة قدر القرش الصغير . ثم تثقب الجمجمة ثقباً صغيراً ، ثم يحقن النخاع بنقطة من سائل فيه ميكروب الكلب ، ثم يضمد الجرح ويعاد الأرنب إلى مأواه . وفى اليوم الرابع أو الخامس تظهر عليه أعراض الداء . يبدأ بشلل فى قوادمه ، ثم تتزايد الأعراض بضعة أيام إلى أن يدنو الموت فيذبح الأرنب ويؤخذ نخاع رأسه لتحضير المصل منه .

وبينما كانت هذه العملية تعمل أمامى قلت : مسكين هذا الأرنب ! ما ذنبه حتى تثقب جمجمته لكى تزرع فى دماغه جرثومة الكلب ثم يقاسى آلام الداء وأخيراً يُقتل .

فقال الدكتور عزمى توفيق الذى كان يربى سلسلة عمليات المصل : حقاً إنه لظلم . ولكن إذا علمت أن هذا الأرنب يفدى ثلاثة أو أربعة من المصابين بهذا الداء المقام لا يعود يصعب عليك أن يؤلم أرنب لكى يوقى أربعة أشخاص من آلام لا تطاق . ويظن أن الأرنب أقل إحساساً من الإنسان بالآلام .

يوضع خمسون جراماً من نخاع الأرانب فى هاون وتدهس دهساً شديداً حتى تصبح كالعجينة الرخوة . ثم تمرث بواسطة شاشة سميكة فى محلول من الملح النقى ٧ بالألف ، وعشرة بالألف من الفنيول . تمرث مرثاً دقيقاً حتى تخرج من الشاشة مستحلباً دقيقاً جداً ليس فيه كتل البتة ، ثم يصب فى زجاجة خاصة بسعة لتر وتكمل الزجاجة من المحلول الملحى نفسه . بعد ذلك تودع الزجاجات فى ثلاجة مدة ٢٤ ساعة . وفى أثناء ذلك تفحص « عيِّنة » منها فحصاً بكتيريولوجياً لئلا يكون قد تطرق إليها مكروب آخر أجنبي . ومتى ثبت أن ليس فيها مكروب ولا جراثيم حية يصبح المصل صالحاً للاستعمال .

قال الدكتور عزمى : ولكن فى جميع عملياتنا لم نجد المصل ولا مرة ملوثاً بأى مكروب . على أن عملية الفحص البكتيريولوجى لابد منها للاطمئنان على سلامة من نعالجهم .

فى هذا المصل مادة مولدة من نمو المكروب فى مخ الأرنب تسمى أنتيجن Antigen . هذه المادة تولد فى جسم الشخص المحقون مادة أخرى تسمى « ضد الجسيمات » Antibodies . ولها وظيفتان : الأولى أنها تتلف المادة السامة التى تولدت من مكروب الكلب بأنها تتحد معها فتتكتلان أو ترسبان ، وفى كلتا الحالتين تبطل قوتهما السامة والثانية أنها تحرض كريات الدم البيض على

اللئام المكروب ، أو بالأحرى أنها تهيىء المكروب أو تطبخه ليكون غذاء لهذه الكريات التي تعتبر جنود الجسم المدافعة عنه في مدة الملاج التي تتراوح بين عشرة وعشرين يوماً حسبما يتراءى للطبيب من ظروف الإصابة ، يهلك الميكروب وينعدم سمه وينجو المصاب من العذاب والموت ، وقاك الله .

مكروب الكلب لا يرى تحت المكروسكوب ولا تمنعه مصفاة باستور Bastour Filter ويقدر حجمه بنحو ١/... من المليمتر فتأمل : ذرة لا ترى بمجهر (ميكروسكوب) ولا تفرز بمصفاة تفعل هذا الفعل الفظيع بهذا الإنسان الجبار ! تالله ما أضعف هذا الإنسان تجاه أحقر المخلوقات . فحتى متى هذه النفخة يا إنسان ! إن جرثومة صغيرة جداً كجرثومة الكلب أو الكولرا أو الملاريا تبيد من البشر إذا لم تتق أكثر مما تبيد القنبلة الذرية .

ليس في القطر المصري غير هذا المستشفى للكلب . وإنما توجد وحدة صغيرة في الاسكندرية بإدارة الهلال الأحمر . وقد تقرر أن تتخذها وزارة الصحة وتجعلها مستشفى تاماً تحت إدارة مستشفى القاهرة . وسينشأ أيضاً مستشفى آخر في أسيوط أو في الأقصر ، وآخر في بور سعيد أو السويس ويكونان بإدارة مستشفى القاهرة — فألف شكر للحكومة الجليلة !

وكنت أود أن أعيذ القارىء من تصديع خاطره بوصف أعراض هذا الداء الخبيث لولا أن البحث يبقى ناقصاً . فأوجز الوصف ما أمكن لكي يعرف الجمهور خطر هذا الداء المقام ويتخذ الحذر الشديد من التعرض له وتعريض الآخرين . وعند أقل شبهة في كلب أو حيوان يجب أن يعرض الحيوان على الطبيب البيطرى ، والطبيب يضعه تحت المراقبة حتى إذا اشتدت الشبهة أعدمه .

ومن نكد الدنيا أن هذا المكروب اللئيم لا يتبوأ عرشه إلا في دماغ فريسته ، فيجعل جميع الجهاز العصبي تحت سلطانه . وهذا هو سر ما ينجم عنه من الآلام ؛ لأن الجهاز العصبي مصدر اللذة والألم . وتكون العدوى بعقر المخلوق المعدى إنساناً أو حيواناً أو تلويث أي غشاء مخاطي فيه كالفم أو أي جرح أو خدش أو سحج بلعاب الحيوان المسعر (المسعور) . وفي بحر أسبوع إلى أسبوعين تظهر الأعراض وأحياناً نادرة تتأخر شهراً أو أشهراً في الإنسان تبتدىء الأعراض بهبوط عقلي وخوف شديد وهلع وترديد الكلام اللغو . ثم الهياج العصبي والاضطراب الجسدي . ثم تفقد الشهية للطعام ويستمر الأرق والصداع والشعور بحالا يطاق من الاضطراب الفظيع .

ثم يتعذر الإزدراد بسبب شلل الحلقوم والبلعوم إلى أن يستحيل البلع ، فيكره المصاب السوائل ويخاف منها وينزعج من رؤية الماء ومن سماع خريره من صنبور . ويصبح حساساً جداً لكل باعث خارجي أو حركة أو صوت أو منظر .

ثم يتشنج ويتلوى ويمتد الشلل إلى أطرافه وأحياناً يشخر وينخر فيحسبه المشاهدون نابحاً أو عاوياً . وأحياناً يعض أي شيء ، ولكن لا يلبث أن يرتخى فكه الأسفل ويتدلى ، ويمتلىء فمه لعاباً كثيفاً لزجاً لا يستطيع أن ينفثه أو يبتلعه ، وبالطبع يشتد عطشه ، ولكنه لا يستطيع الشرب ولا المضغ ؛ وتطرأ عليه حمى عالية . ومتى بلغت هذه الأعراض أشدها تضعضع العقل وذهب الوجدان وأشرف المصاب على الموت الساعة بعد الساعة .

ولو كان فقد الوجدان يبتدىء مع الأعراض لكان المصاب قليل الشعور بالألم ثم عديمه . ولكن وا أسفاه يبقى واعياً شاعراً متعذباً إلى أن يقترب ملاك الموت . وقد تدوم هذه الأعراض يومين أو ثلاثة أو أكثر قبل أن يرحمه الله ويريحه من هذا الجحيم بسل روحه من جسده — اللهم رفقاً بعبادك — ترى لو أعطى المصاب جرعات من المورفين في العضل أما تخفف عنه هذه الآلام ؟

أما وقد عرف القراء عذاب هذا الداء وعجز أي دواء عن تخفيف آلامه أو عن شفائه ، أفلا يجدر بهم أن يأخذوا حذرهم من كلابهم المحبوبة ومن اختلاطها بكلاب أخرى ؛ أو ما يجب عليهم أن يقضوا عليها في الحال بلا شفقة ولا أسف إذا ظهرت بعض الأعراض للطبيب البيطرى سواء كانت الأعراض مشككة أو مؤكدة لئلا يقع البلاء في الأهل ؟ أو ما عليهم إذا لامسهم لعاب الكلب المصاب أن يسرعوا إلى هذا المستشفى الكريم لاتقاء المرض ؟

نقولا الحداد

في مراكش :

ذكرى الجهاد الوطني

للأستاذ عبد الكريم غلاب

تستقبل مراكش ذكرى جهادها الوطني وهي أشد ما تكون حماسة وأقوى ما تكون إيماناً بعدالة قضيتها ، وأحقيتها في أن تنال حريتها واستقلالها ، كاملا ناجزاً ، غير مشروط بقيود ، ولا مغلل بأغلال .

وتستعرض الأمة المراكشية في هـذه الذكرى السنوات الأربع التي مرت منذ أن قدمت « وثيقة الاستقلال » في ١١ يناير من سنة ١٩٤٤ فتجدها حافلة بالكفاح المجيد من أجل حرية الوطن واستقلاله .

وتتلفت حول نفسها لترى ما قطعته من أشواط في سبيل هذا الكفاح فتجد نفسها وقد تقدمت قضيتها إلى الأمام ، حتى أصبحت من القضايا العربية الهـامة في المحيط العربي ، والمحيط الدولي . كما أصبح مركزها في داخل البلاد أقوى من أن تقف فرنسا أمامه مكتوفة اليدين، تنظر إلى نفوذها يتحطم، ثم يتقلص ثم يصبح مهدداً بالزوال بين غمضة عين وانتباهتها .

أليس في ذلك كله ما يجعل مراكش تستقبل هذه الذكرى وقد تضاعف إيمانها بأن الحق سيتغلب وإن اعوزته القوة المادية ؛ وسينتصر وإن تغلبت عليه قوة الشر وطغيان الرجعية الاستعمارية، وتحجر عقلية المسيطرين على هذه البلاد .

لقد كانت الأمة المراكشية تكافح في صمت ، وتناضل في شجاعة ، وسيف المعتدين مصلت فوق رؤوس الأحرار ، وسياط الرجعيين تلهب ظهورهم، وأبواب السجون مفتحة في وجوههم ، والمنافي السحيقة معدة لاستقبالهم ، والعالم كله في غفلة عما يجري في هذه البلاد النائية من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد ، وأبواق المعتدين تبشر العالم بما قدموه للانسانية وللحضارة البشرية وللديانة الإسلامية من خير وبركة ؛ في هذا البلد الذي أسعده الحظ فوقع تحت سيطرتهم ، وشملوه برعايتهم وحمايتهم .

ولكن مراكش الحية المكافحة تحدت كل هـذه القوى — والحرب مشتعلة الأوار — وأعلنت عن مطالبتها بالاستقلال التام ، واتحدت كلمة أبنائها حول هذه الغاية . فكانت الدهشة التي غمرت الفرنسيين ، وكان الانتقام الذي دفعتهم إليه جراحهم الدامية التي سببتها الهزيمة المنكرة . وكانت مدافعهم وعتادهم الحربي وجيوشهم — البيض منهم والسود — في خدمة الطغيان المنتقم ، وكانت المجازر البشرية الكبرى التي شهدتها فاس وسلا والرباط وغيرها من المدن والقرى المراكشية .

ولكن ذلك كله لم يكن غير وقود ألهب عزيمة المراكشيين وقوى إيمانهم . وكانت محنة امتحن بها صبر هذه الأمة المجاهدة المكافحة فاجتازت الامتحان وخرجت منه وهي أصلب عوداً وأقوى شكيمة وأشد مراساً .

ولم تكن المحنة التي ابتليت بها الأمة المراكشية محنة الشعب وحده ، ولكن جلالة ملكها الشاب كان أول من خفق قلبه لما يبيته الفرنسيون لشعبه ؛ فأعلن تأييده لوثيقة الاستقلال ، ووقف مع أمتـه يكافح لتحقيق الحرية والاستقلال ، ويتزعم الحركة بنفسه ، فيدفع عنها الأذى ، ويلتف الشعب من حوله فيعلن رئيسه الأعلى إرادة أمته في شجاعة وعزم وإيمان ، على رغم ما تعرض له جلالته من تهديد ، وما حف حول العرش العلوي من أخطار . ولكنه الإيمان — الذي امتلأ به قلبه الكبير — بحق بلاده في الحياة الحرة الكريمة دفع به إلى الميدان ، حيث واصل جلالته الكفاح إلى أن زار مدينة « طنجة » لا ليؤكد وحدة مراكش فحسب ، ولا ليتصل بشعبه في شمال البلاد فقط ؛ ولكن ليعلن للعالم كله أيضاً أن مراكش تريد أن تستقل ، وأنها بلاد عربية مسلمة سترتبط مصيرها بالبلاد العربية في الشرق ، وستعمل جاهدة على أن تنال حريتها وتحافظ على استقلالها . وبذلك تزعم المليك المحبوب الفكرة الاستقلالية . ويكفي أن يتزعم المليك الحركة لنضمن لها وسائل النجاح ولتسير على هدى وبصيرة إلى الغاية المقصودة .

وهكذا كانت الأمـة المراكشية بزعامة ملكها تطلب شيئاً واحداً ، وتسمى لغاية واحدة ، هي الاستقلال التام الناجز . واليوم ومراكش تحيي ذكرى جهادها ، وتستعيد مراحل

هذا الجهاد أثناء السنين الماضية ، لتبتهج بمـا آلت إليه القضية المراكشية بعد هـذا الكفاح الصادق الذى يقوم به أبناؤها المخلصون داخل البلاد وخارجها ، تحت راية الوطنى الأول جلالة الملك محمد الخامس . فقد كان من فضل هـذا الجهاد أن آمن الشعب المراكشى بأن حياته لن تستقيم ما دام الأجنبى يسيطر على موارد هذه الحياة ، ويخنق فيها الحيوية المتدفقة ، ويميت فيها الشعور الحى . وكان من ذلك أن جند الشعب نفسه لمكافحة هذا الطغيان الأجنبى الذى يتشبث بأذيال مراكش تشبث الحريص ولمناهضة وسائله التى يتخذها حتى فشلت كلها ؛ برغم تغيير المشرفين عليها ، وبرغم الخطط التى اتبعها هؤلاء المشرفون وما أحاطوا به مشروعاتهم من ضمانات النجاح . ولأول مرة فى مراكش شعر الفرنسيون بأنهم فى حاجة إلى أساليب جديدة لمواجهة الشعور الوطنى ولمقاومة الفكرة الاستقلالية التى تمكنت من قلوب الشعب ، فأصبحت خطراً على كيانهم ووجودهم فى مراكش . ومن ثم بدأ المقيم العام يفكر فى تغيير معاهدة الحماية لا لتتخلص منها البلاد ، ولـكن ليستطيع أن يحكم وهو فى حل من أية معاهدة تقيده ، ومن أية سلطة تمطيها هذه المعاهدة للملك ، وذلك هو الذى أوحى إليه بفكرة « فترة الانتقال » الذى وضع مشروعه الجديد على أساسها . وهكذا يحلم المقيم أن يحكم مراكش وقد تخلص من القيود التى تتمثل فى سلطة الملك العليا . ولـكن الشعور القومى فى البلاد قد تنبه إلى هذه الألاعيب وأعلن (حزب الاستقلال) على لسان الشعب أن « لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال » وبذلك سقط المشروع الجديد الذى أراد المقيم الفرنسى أن يحكم البلاد على أساسه . وكانت الضربة القاضية التى ذهبت بالمشروع وأصحابه مذكرة جلالة الملك إلى رئيس الجمهورية الفرنسية التى أذيع خبرها أخيراً ، وارتجت لها الدوائر الفرنسية ؛ فقد شعر جلالة الملك بأن المقيم يريد أن يلعب لعبة يقضى بها على ما بقى لمراكش من كيان ، فأرسـل جلالته مذكرته هذه يحتج على تصرفات المقيم ويؤكد مطالبته باستقلال بلاده . وهكذا تنهار السياسة الفرنسية فى مراكش أمام عزم المليك ، ويقظة الشعب ، وحرص الأمة على استقلالها التام الناجز .

وكان من فضل هذا الجهاد الوطنى أيضاً أن أصبحت قضية مراكش قضية البلاد العربية كلها ، وأصبح لها دوى فى الشرق العربى وفى أوربا وأمريكا . فقد كان الاستعمار من قبل يقوم باعتداءاته الصارخة دون أن يسمع لهذه البلاد صوت ، ودون أن يتردد صدى أنينها فى خارج البلاد ، وذلك بفضل النطاق الحديدى الذى ضربته فرنسـا على بلاد المغرب العربى حتى تمكنت من كبت كل صوت يرتفع ، والقضاء على كل حركة تحررية . ولـكن الحركة الاستقلالية فى المغرب العربى أخذت عدتها هذه المرة فأصبح لهـا مكاتب عدة فى الشرق العربى وفى أوربا وأمريكا . وقامت هذه المـكاتب بفضح أعمال الاستعمار الفرنسى ، فأصبح صوتها مدوياً فى البلاد العربية ، وربطت قضية مراكش بالقضايا التى تكافح الجامعة من أجلها ، وأصبح صوتها أيضاً فى أوربا وأمريكا مسموعاً . وبذلك استحال على الإدارة الفرنسية أن تقضى على الحركة الاستقلالية ، أو أن تخلق فى البلاد اتجاهاً يرمى إلى الإصلاح بدل الاستقلال ، دون أن تثير عليها الأمة العربية جماء ودون أن يتردد صدى ذلك فى العالم كله .

وكان هذا سبباً فى انهيار المشروعات الاستعمارية التى طالمـا بيتتها الإدارة الفرنسية لبلاد المغرب العربى .

وهكذا أخذت الحركة الاستقلالية فى مراكش تضرب نطاقاً من حديد على الاستعمار الفرنسى فتحطم صروحه واحداً بعد الآخر ، وتعد البلاد المراكشية لتحمل أعباء الاستقلال والتحرر من طغيان الرجعية الاستعمارية .

وتحل ذكرى الجهاد الوطنى اليوم والمراكشيون منهمكون فى كفاحهم ، يقودهم ويبارك حركتهم مليكهم الذى تزعم الحركة الاستقلالية فدفع بها إلى الأمام ورسم خطتها ، فأصبحت تهدف إلى غاية واحدة

عبد الكريم غلاب

فاس عاصمة الأدارسة

للأُستاذ مصطفى بعيو الطرابلسي

بقيام الخلافة العباسية تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ العلويين تختلف تمام الاختلاف عما ألفناه فى عهد بنى أمية ؛ فهم فى هذه المرة يلجأون إلى وسيلة جديدة لمناهضة أعدائهم وتحقيق أغراضهم

هذه الطريقة الجديدة هى الانتشار فى الأقطار الإسلامية بعيداً عن العاصمة وعيون الخلافة ومحاولة إنشاء خلافة علوية .

وربما كان العلويون فى ذلك قد اهتدوا بهدى العباسيين عندما بعثوا بدعاتهم الى البلاد الشرقية ولا سيما خراسان حيث نمت دعوتهم وترعرعت . وإذا كانت الخلافة العباسية قد وجدت من الظروف والملابسات ماساعدها على القيام فى المشرق فإن العلويين قد وجدوا فى بلاد المغرب ظروفاً أخرى مشابهة ساعدتهم على تحقيق أغراضهم؛ فهى بعيدة عن مركز الخلافة بعداً كافياً يساعدهم على العمل والحركة بالإضافة إلى ما كان يسود تلك الجهات من تذمر بين اهلها الذين رأوا الغبن ينزل بهم رغم ما أبدوه من مساعدة فعالة للعرب فى فتوحاتهم فى أسبانيا ، ولكنهم لم يقاسموهم الأغنام بل ولم يخفف الولاة ما كانوا يفرضونه عليهم من ضرائب . وبجانب هذا كله كانت النزعة الاستقلالية عند البربر فى شمال أفريقية ما زالت متحفزة تتحين الفرص لإظهار نفسها . وقد عانى العرب الكثير من جراء ذلك فى سبيل إخضاع هذا الإقليم . لذلك كان أهله على استعداد للترحيب بأى داع للخروج على الخلافة العباسية فى بغداد ، وهذا ما نستطيع أن نملل به انتشار مذهب الخوارج هناك وبالتالى المذهب الشيعى .

أما متى وكيف وصل الأدارسة إلى المغرب الأقصى وكيف استطاعوا إنشاء دولتهم هناك فهذا ما يمكن تلخيصه فى السطور التالية .

على أثر فشل الحركة التى قام بها الحسين بن على بن الحسن المثلث فى عهد الخليفة الهادى تفرق أتباعه ومن بينهم عمه إدريس ابن عبد الله الكامل الذى فر إلى مصر صحبة مولاه وأمينه راشد ابن مرشد الزبيدى ومنها إلى شمال أفريقية بمساعدة الواضح صاحب بريد مصر الذى كان يبطن العقيدة الشيعية . وهناك أخذ يتنقل بين مدن المغرب الأقصى حتى انتهى به المطاف فى مدينة وليلى حيث أكرمه أميرها إسحاق بن محمد زعيم قبيلة أوربة البربرية وأكثرها عدداً [1] .

ولما علم إسحاق بحقيقة أمره وتأكد من صحة نسبه تنازل له عن إمارته وطلب من قبياته وبقية القبائل الأخرى مبايعته فأجيب إلى طلبه .

وهنا يحق لنا أن نتساءل هل فعل إسحاق ذلك لاعتقاده أحقية إدريس فى الإمارة دونه فأقدم على هذه التضحية فى سبيل مبدئه ، أم فعل ذلك لأغراض سياسية ؟ ربما كان السبب الثانى أقوى للأخذ به ؛ ذلك أن مظهر التضحية فى سبيل العقيدة يتنافى مع ما كان عليه هذا الأمير من اعتناق لمذهب الخوارج فى أول الأمر ثم تحوله إلى المذهب الشيعى . والواقع أن هذا الأمير أراد بسلوكه هذا أن يكسب لقومه أكثر مما خسر؛ فهو يأمل أن تقام هناك دولة فى شمال أفريقية يكون له فيها ولأتباعه من البربر نفوذ كبير بعد أن يئسوا من إنصاف العرب لهم. فكأنهم كانوا يرمون إلى إنشاء دولة يكونون فيها العماد الرئيسى كما كان للفرس النفوذ الأكبر فى العصر الأول للدولة العباسية . ويمكننا أيضاً تمليل هذا النجاح الذى صادفه إدريس فى أول أمره بأنه كان قد اصطحب معه مولاه راشد بن مرشد الزبيدى وهو على ما قيل [2] بربرى الأصل أسر أبوه فى إحدى غزوات موسى بن نصير ، فلما رجع مع ادريس إلى موطنه الأصلى كان خير مساعد له على بسط نفوذه هناك . هذا إلى ما كان عليه إدريس من ذكاء خارق وحسن سياسة ؛ يتجلى لنا ذلك عندما أراد أن يشغل أتباعه حتى يضمن ولاءهم له ، فخرج غازياً ناشراً الدين الإسلامى فى البقاع المجاورة التى لم ينتشر فيها بعد .

هكذا وضع إدريس النواة الأولى لدولة الأدارسة فى مدينة وليلى ، واستطاع أن يكتسب صداقة الحكم بن هشام أمير

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج ١ ص ٦٨ : السلاوى

(٢) الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية ص ٤٣ : السيد محمد السنوسي الأدريسي

الأندلس الذى أرسل إليه وفداً يهنئه بالإمارة الجديدة ويطلب إليه التحالف على من يناوئهما ؛ فقابل الوفد بالحفاوة والإجلال . ولا شك أن الأغراض السياسية هى التى وحدت بينهما وقاربت بين نظريهما .

خاف الرشيد استفحال خطر إدريس بالمغرب الأقصى فسعى للتخلص منه ؛ ولكن كيف السبيل إلى ذلك وهو على بعد لا يساعده على إرسال الجيوش للقضاء عليه ؟ استشار فى ذلك يحيى بن خالد البرمكى فأشار عليه بإرسال من يستطيع قتله فلاقيت هذه الفكرة قبولا فى نفس الرشيد فعول على تنفيذها . وإذا كانت الروايات قد اختلفت فى طريقة دس السم لإدريس ، وهل أرسل إليه الرشيد مباشرة شخصاً لتنفيذ ذلك أو كلف إبراهيم بن الأغلب لإرسال من يقوم بهذه المهمة فإنها قد أجمعت كلها على وفاة إدريس مسموماً

وعلى أى حال لم ينقرض حكم الأدارسة بموت ادريس الأول على رغم أنه لم يترك من يخلفه ، وربما كان ذلك راجعاً لإخلاص البربر وحسن تدبير راشد السابق الذكر الذى استطاع أن يقنعهم بضرورة الانتظار حتى تضع كنزة جارية ادريس البربرية طفلها فإن كان ذكراً بايعوه ، وإن كان أنثى أجمعوا رأيهم على من ينتخبونه . وتحقق الأمر ووضعت كنزة طفلا هو ادريس الثانى الذى قضى عصر الوصاية كله فى فتن لما كان يظهره إبراهيم بن الأغلب من تحرش بأتباعه . ولما كبر ذاع اسمه وأتته الوفود من سائر البلاد . وكان ممن وفد عليه خمسمائة فارس من أفريقية والأندلس من القيسية والأزد والخزرج ومدلج وبنى يحصب . فأكرم الإمام وفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفعهم وجعلهم بطانته دون البربر . وربما كان هذا راجعاً إلى أنه كان يرى نفسه وحيداً بين البربر . ولكن الأمر ما لبث أن تطور إلى تفضيلهم علانية على البربر الذين انقلب عليهم فاستوزر رجلا من العرب هو عمير بن مصعب الأزدى بدل إسحاق بن محمد الذى أنزل به غضبه فقتله رغم ما أداه لوالده من جلائل الأعمال بحجة موالاته لإبراهيم ابن الأغلب . وربما كان إدريس فى عمله هذا غير محق ؛ فهو قد اعتمد على البربر وتأييدهم ولولاهم ما وصل أبوه ولا هو من بعده إلى هذا المركز . ثم هو أيضاً يمت بصلة القربى إلى القبائل البربرية من جهة أمه ، فتمرده عليه مظهر إن دل على شىء فهو يدل على حب التحرر من القيود والشعور بالخوف من البربر ؛ وليس هذا بغريب فى تاريخ قيام البيوت الإسلامية ؛ فالخلافة العباسية فى أول قيامها اعتمدت على العنصر الفارسى حتى إذا ما وثقت من نجاحها انقلبت عليه . وكذلك الحال فى الخلافة الفاطمية ؛ فالعوامل السياسية والأهواء الشخصية تتحكم كثيراً فى مجرى الحوادث التاريخية .

ولما رأى ادريس الثانى أن الأمر قد استقام له ، وأن مدينة وليلى لم تعد صالحة لأن تكون عاصمة لدولته عزم على الانتقال منها إلى مدينة يقوم بتخطيطها فيسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل بيته . وربما كان ادريس فى بنائه لهذه المدينة الجديدة وأعنى بها مدينة فاس مدفوعاً بعامل آخر هو ما اعتدنا ملاحظته عند قيام أى خلافة أو دولة إسلامية جديدة حتى يكون التجديد عاماً شاملا . واختيار العواصم الجديدة ليس من الأمور السهلة ؛ فهو يحتاج إلى دراسة وخبرة بالأمكنة المختارة حتى تؤدى العاصمة الغرض من إنشائها

وقع بصره على جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه فأمر ببناء العاصمة فى سفحه . وبدأ العمل بسورها ، ولكن ما لبث أن انحدر سيل من أعلى الجبل فهدم ما كان قد بناه من السور وحمل معه ما كان حوله من خيام العرب ، فاضطر أن يرحل عن هذا المكان فانتقل إلى وادى سبوا فأعجبه المكان ولكنه خاف كثرة مياهه حتى لا تتكرر الحوادث . وأخيراً ترك أمر اختيار مكان عاصمته الجديدة لوزيره عمير بن مصعب الذى وفق كل التوفيق .

ذلك أن عميرا قد استمر يختبر البقاع حتى انتهى به المطاف إلى العيون التى ينبع منها نهر فاس ، فلفت نظره كثرة عددها وقد سالت مياهها فسار مع مسيل الوادى حتى وصل إلى موضع مدينة فاس فأعجبه المكان إذ هو فى وسط منبسط يفصل تلال الساحل عن جبال الأطلس الكبرى ، وعلى الطريق الرئيسى الذى يعبر هضاب الأطلس ، وحيث تلتقى أهم طرق مراكش البرية ، وحيث يبدأ المخرج النهرى لهذه الناحية وأعنى به نهر سبوا الذى يصب فى المحيط الأطلسى والذى يعتبر أكبر أنهار مراكش . نظر عمير إلى ما بين الجبلين فإذا غيضة ملتفة الأشجار بها خيام من شعر لقبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبنى يزغة فرجع إلى مولاه وأخبره بنتيجة بحثه فتفاءل إدريس باسم مالك هذه الجهة عندما عرف أنها ملك لقوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فاشتراها منهم

(البقية فى العدد القادم)

مصطفى بعيو الطرابلسى

ليسانسيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

معـــاني الفلسفة

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

تفضل صديق الأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فكتب عن كتاب « معانى الفلسفة » كلمة ، فلا يسعنى إلا أن أشكره على ذلك ، فقراءة الكتاب دليل على العناية ، ونقده أدل فى الرعاية .

وصديقنا يمتاز بخصلة حميدة هى التواضع ، فما كاد يقرأ الرأى الذى دعوت إليه من أن كل إنسان ما دام يفكر فهو صاحب فلسفة ، حتى نظر إلى نفسه فأدرك آخر الأمر أنه « ككل إنسان عادى ليس فيلسوفاً مشتغلا بالفلسفة . وأدرك أن نظرة كل إنسان إلى الحياة لا تسمى فلسفة ، ولا يسمى صاحبها فيلسوفاً » .

ولا شك عندى أن التواضع هو الذى صرف الأستاذ عبد الغنى عن الانتساب إلى الفلسفة ، والدخول فى زمرة الفلاسفة ، لأنه يقنع بصحبة الأدب والانتساب إلى الشعراء ؛ كأنه يريد أن يقول إن الشعر والفلسفة يتعارضان فلا يلتقيان ولا يجتمعان ، ولهذا ضرب المثل بشاعرين وقال « وإلا لكان زهير بن أبى سلمى الشاعر الحكيم فيلسوفاً بسبب هذه الحفنة من النظرات التى وضعها فى معلقته ، أو كان أبو العلاء المعرى فيلسوفاً بما له من وجهة نظر خاصة فى الحياة » .

الشعر لا يتنافى مع الفلسفة ، فقد عبر الفلاسفة الأقدمون عن آرائهم نظماً ، وفى اليونان كثير من الفلاسفة سجلوا فلسفتهم فى قصائد ، مثل اكسانوفان الذى دعا إلى الوحدانية ، وبارمنيدس صاحب الفلسفة المثالية . وإذا كان الأمر كذلك فلم يجد كثير من النقاد بأساً أن يسموا أبا العلاء المعرى فيلسوفاً ، حتى لقد اشتهر بفيلسوف المعرة ، وجرت هذه العبارة على الألسن وشاعت بين الأدباء .

وعندى أن النزعة الجديدة التى نجدها عند فلاسفة اليوم من الاتجاه نحو تعريف الفلسفة بمعناها الواسع ، فتشمل جميع الناس والخلاف بينهم فى الدرجة ، ومن الانصراف عن المعنى التقليدى الذى ساد فى العصور القديمة والوسطى ، هذه النزعة ترجع إلى قرنين من الزمان . ذلك أن ديكارت ، أبا الفلسفة الحديثة ، دعا فى القرن السابع عشر إلى أفكار جديدة ، كانت أساساً للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والعقلية التى نحياها الآن . فهو يستهل أعظم كتبه أثراً ، مقال عن المنهج ، بقوله : « العقل السليم أكثر الأشياء توزعاً بين الناس بالتساوى » . وإنما يقع الخلاف بينهم فى المنهج الذى يسلكونه فى التفكير . ولقد أدت هذه الدعوة إلى المساواة القائمة على أساس من المساواة فى العقل ، إلى الثورة الفرنسية التى نشبت تطلب الحرية ، والإخاء ، والمساواة . ونجحت الثورة ، وأصبحت المساواة فى الحقوق السياسية وأمام القانون حقيقة ثابتة اعتنقتها جميع الدول ، وقامت عليها الدساتير .

أليس غريباً بعد ذلك أن نبيح الحقوق السياسية لجميع الناس ، ثم نقصر حق التفكير على بعض الناس دون بعضهم الآخر ، لأن التفكير هو النظر ومعرفة حقائق الأشياء ، فيترتب على ذلك سلوك كل إنسان فى الحياة بمقتضى تلك المعرفة ، ولا يهمنا أن يكون ما يعرفه زيد صحيحاً أو فاسداً ، وإنما يهمنا أنه يعتقد بما يعرف ، وأنه يزعم أنه يعرف .

وهل يوجد من هو معصوم من الخطأ ، أو يبلغ مرتبة الكمال فى التفكير ؟ .

ولقد كان هذا التعريف مقبولا عندما كانت الفلسفة تشمل كل فرع من فروع المعرفة ، أو بمعنى أصح عندما كانت العلوم فروعاً من شجرة الفلسفة . فلما بدأت العلوم تستقل وتنفصل واحداً عن الآخر ، لم يبق للفلسفة موضوع فى زعم بعض المفكرين ، وأن موضوعها عند البعض الآخر هو البحث فى العقل ، ذلك الذى يبحث فى العلوم نفسها وفى المسائل الإنسانية التى تتعلق بالسلوك وقيمته من خير وشر .

فإذا كان الأمر كذلك فقد ارتدت الفلسفة إلى ما كانت تبحث فيه أيام سقراط ، إذ انصرف عن البحث فى الطبيعة إلى

البحث فى الإنسان .

ولذا قيل إن سقراط هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض . فإذا عرفنا ذلك لم نعجب إذا رأينا سقراط يعلم حكمته فى الأزقة والملاعب والأروقة وفى كل مكان ، ويلقيها على كل إنسان . ذلك أنه كان يعد المعرفة صادرة عن باطن النفس ، ولهذا يكفى أن ينعطف المرء على نفسه ويتأمل فيها ليصل إلى الحقيقة ؛ وهذا هو السبب الذى من أجله اتخذ الشعار المكتوب على معبد دلفى « اعرف شعار نفسك » شعاراً له .

فالفلسفة السقراطية لم تقصر هذا الفن على فئة دون فئة ، بل ذهبت إلى أنها حق مشاع لكل إنسان ، يهتدى إليها بالتفكير والنظر .

ولقد كانت الفلسفة فى عهد سقراط حية ، تدور على الألسنة وتصبغ حياة الناس فى أعمالهم .

وهذا هو الذى نريده ونرمى إليه : أن تكون الفلسفة حية تخرج من « الأبراج العاجية » حيث تنحصر فى اصطلاحات يعلم الله إذا كان أصحابها يفهمونها أو لا يفهمونها ، لتنزل إلى ميدان الحياة ، فإن كانت جديرة بالوقوف على أقدامها بحيث تقبلها « العقول السليمة » التى حكى عنها ديكارت ، كانت جديرة بالحياة

والرأى الذى أدعو إليه الآن من إشاعة الفلسفة فى كل إنسان ، هو أجدر الآراء ملاءمة للعصر الذى نعيش فيه ، عصر الديمقراطية والحرية .

ومهما يكن من شىء فالمسألة مسألة خلاف بين القديم والجديد : رأى القدماء أن الفلسفة جماع الأفكار المنظمة عن الكون والإنسان ، ورأى كثير من المحدثين أنها الأفكار عن الكون والإنسان ، أما تنظيمها باصطلاحات خاصة وبشكل خاص فليس هذا ضروريا .

ذكر الأستاذ آدم نوكس ، أستاذ الأدب بجامعة أكسفورد فى مقدمة كتابه عن أفلاطون وكيف ينبغى أن نقرأ محاوراته ، يقول ما فحواه : إن الذين كانوا يقرءون أفلاطون كانوا يهدفون طول الوقت إلى استنباط قصده وفكره ، ويحملون النصوص فوق ما تطيق . وليست هذه الطريقة هى أجدر الطرق فى معالجة كبار المؤلفين . ولن تكون هذه الطريقة هى الطريقة المثلى لفهم شكسبير مثلا ، ولو أنه كان فيلسوفاً كبيراً على طريقته . ولكنه لم يكن الفيلسوف صاحب المذهب أو الفيلسوف قبل كل شىء »

« Though he was a great philos opher in his way too. But he was not systematieally or primarily a philosopher. »

فالأستاذ آدم نوكس يعد شكسبير فيلسوفاً ، وفيلسوفاً على طريقته الخاصة ، وهى أن لكل إنسان نظرة فى الحياة . ولا يعده فيلسوفاً على المعنى الضيق المصطلح عليه .

وهو كذلك يعد أفلاطون فيلسوفاً حسب النزعة القديمة ، ويريد أن يجعل منه أديباً فناناً قبل أن يكون فيلسوفاً ، لأن محاوراته تعد من روائع الأدب والفن الرفيع .

وإنى أعتقد أن الأستاذ عبد الغنى لو عاد إلى نفسه وتأمل فيها على الطريقة السقراطية لتبين له أنه على هذا المعنى ، فيلسوف ... ولكن إلى حد ما

أحمد فؤاد الأهوانى

الوكر المهجور..!

للأستاذ عبد العزيز الكردانى

هذا العش الوادع الجميل لمن يا أخت تهجرين ؟! هذا الوكر الدافىء من يؤرث مسراته ومن يخمد جذوات أحزانه .. ؟ !

من يستقبل رواده ومن يشيع ضيفانه ومن يقف ببابه يهش لقدم راعيه[1] ؟ !

من يرفع بأنامله الدقيقة ستائر منافذه الشفيفة ، ويطل من خلالها بعينين زائغتين لهيفتين ، تترقبان أوبة حاميه — والقلب واجف ، والدمع مهراق .. ؟ !

من يهون عليه رحلاته الجاهدة فى خضم الحياة ؟ من يبارك فتوته وينضد عقود أمانيه ؟..

من يكفكف عبرته ، من يضم رأسه المثقل العانى إلى صدره الرحيب الحانى ؟ من يزيل عن جبهته أو ضار الكلالة والسآمة والكمد ...

من ؟ من غيرك يا أخت ؟ !

***

هذا العش الوادع الجميل ، لمن يا أخت تهجرين ؟! من غيرك يدب فى أرجائه دبيب الروح فى الهيكل المبعوث؟ من غيرك يحيل « الكائنات » بين جدرانه الصماء كائنات حية ، تضفى على جاداته الحياة ، وتفيض على أحيائه الحيوية ، وتنسكب فى النفس بلسما للجراحات ، وتكون للمشاعر المضطربة والأهواء الحائرة مثابة ، وتكون للقلوب عن كل خطب داهم موجع سلوى وتعزية ؟

من ؟! من غيرك يا أخت ؟!

***

هذا الوكر الدافىء الجميل ـ يا أخت ـ هو « الطيف » الذى ينازل تهاويل الصبا المراهق .. هو « الفجر » الذى يعانق آمال الشباب الوضىء اليافع ، هو « الفكرة » الملحة المحاصرة لذهن الرجولة الواعية العاقلة ، هو « العزاء » للكهولة الجاهدة الصابرة ، هو « الرحمة » الهابطة على حطام الشيخوخة العاجزة الفانية ، هو « الحلم » الذهبى السرمدى لكل عذراء استهدت فطرتها الكاملة !

هذا الوكر الدافئ الجميل — يا أخت — هو موضع السويداء من قلب الإنسانية ، هو جوهرها وحقيقتها الخفية ، هو الملاذ لها فى كل أحوالها ، هو الغطاء الساتر لضعفها ، هو النشيد المستحث لخطاها ، هو المحط الذى ترتد إليه بعد كل سعى دؤوب ، وإثر كل إخفاق أو فلاح ... !

فمن غيرك — يا أخت — يخلع على هذا الوكر معناه ؟ من غيرك يعطيه مغزاه ويهبه قداسته ؟ !

من ؟ من غيرك يا أخت ؟

***

هذه الأصوات الناعبة بالحرية المزعومة ، هى الشبح الذى يطارد هناءتك ، هى المعول الذى دك أنوثتك ، وأوهن بناء عزتك هى « الديدبان » الراصد لميزاتك وخصائصك ، يحصيها واحدة واحدة ، ليفنيها واحدة إثر واحدة ... !

هذه الأصوات الناعبة بالحرية الموهومة — يا أخت — هى ذلك « الساحر الخبيث » ، الذى ارتخص معدنك النفيس ... !

عبد العزيز الكردانى

(١) المقصود مطلق معنى « راعى البيت » والقيم على شئونه من جنس الذكور . . كالزوج أو الأب أو الأخ .

مسابقة لطلاب السنة التوجيهية (١، ٢)

فيـــدون

للأستاذ كمال دسوقي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

— وهنا — وبعد هذه الأدلة على خلود الروح التى قدمها سقراط — ما يزال بسيمياس وسيبيز بقية من شك تبدو فى تهامسها — حتى إذا استوضحهما سقراط جلية رأيهما فى تدليله على خلود الروح تقدم سيمياس ، فشكك فى إمكان البحث عن حقيقة الروح ما دمنا فى هذه الحياة ، ورأى مع هذا أن البحث عن كنه الروح ومصيرها أمر لابد منه . — ثم قدم للتشكيك فى أدلة سقراط نظريتهم الفيثاغورية القائلة بأن الروح هى انسجام عناصر البدن واتساقه Harmony — والتى لو أخذنا بها لجاز أن تفنى الروح قبل فناء الجسد — على نحو ما يفنى النغم المنسجم الإلهى لمجرد تمزق أوتار القيثارة أو تحطمها مع بقاء مادتها .

وهنا يشاء سقراط أن يعارض فيثاغورية بفيثاغورى ، فيحث سيبيز على مناهضة زميله ، ويقول هذا إنه يؤمن بأزلية الروح فى عالمها الأول — ولكنه لا يعتقد بخلود الروح فى عالمها الآخر . وهو إذ ينكر عليها الخلود لا ينكر قوتها وسموها وبقاءها على ضعف البدن وخضوعه وفنائه ، وليس ينهض لديه دليلاً على هذا الامتياز للروح ما يقول به العامة من ضرورة بقاء النساج بعد موته زمناً أطول لأن آخر معطف قام بنسجه لم يزل باقيا . بل كل ما يدل عليه هذا التشبيه أن كل روح تفنى عدة أجساد كما أفنى النساج عدة أثواب — ومن يدرى — فلعلها لكثرة ما تعانى من إرهاق التولد والوفاة وتكررهما تفنى ذات مرة إلى الأبد . دون أن نحس بها أو يكون لنا بمصيرها علم — إذ لا قدرة لنا على تتبعها فى كل جسد جديد تحل فيه . وعلى هذا — فما لم نستوثق من خلود الروح إلى الأبد — لم نزل نرهب الموت .

ويأخذ هذا القول من نفس السامعين ، ومن نفس الذين يقص عليهم فيدون بعد — كل مأخذ — فيرتابون ويشكون فى كل ما قيل ، ويعاودهم الجزع والإشفاق على مصير الروح ، ولكن سقراط يستجمع فطنته ولباقته ليستأنف الجدل أقوى مما كان . وليطمئن المجتمع على أن أرواحهم بعد الموت لن تذروها الرياح ، فيداعب خصلات شعر فيدون ، ثم يحذر من المغالاة فى كره المنطق ، وعدم الثقة بالناس نتيجة الجهل بالعالم ، وقلة الخبرة فى اختيارهم — وكون أكثرهم شريرين وأقلهم أخياراً — والمآل كذلك فى البراهين والأدلة ، التى يظهر لنا كبار المجادلين أكثرها باطلاً وأقلها حقاً فيكرهون إلينا الأدلة فلا نثق بها أو نوقن بمعرفتها — ويحاول سقراط أن يبين لمحدثيه حقيقة موقفه من الجدل، وبعدُه عن أن يخدعهما أو يخدع نفسه ، ثم يطالب إليهما أن يقوّماه إذا أخطأ ، وأن يعملا معه لنصرة الحقيقة .

ويعود سقراط إلى تلخيص شكوك صاحبته فى قضية أو قضيتين ، ثم ينتزع منها إقرارا أكيداً على ما فى قوله بالتذكر وأزلية الروح من طرافة وصدق لا يشكان فيه ، ثم يناقض هذا التسليم منها برأيها فى الروح كاتساق للبدن ، قائلا إنه إذا كانت الروح تشبه انسجام النغم ، وكان البدن هو أوتار القيثارة ومادتها فلا يعقل أن يكون للروح توافق قبل وجود البدن الذى هو القيثارة فى مذهبهما . بل لابد — لو صحت نظريتهما — ألا يتم توافق الأصوات والنغم إلا بعد الأوتار وتنافرها — كما أنه يفنى قبلها جميعاً . وينتهى بهما سقراط إلى ضرورة إسقاط أحد الرأيين ، فيطرح سيمياس مبدأه لأنه ظنى ، ويسلم بنظرية التذكر لأنها عنده يقينية — ويستطرد به سقراط فيبين له أن الانسجام نتيجة تناسق الأجزاء ، ولهذا كان يتدرج بين التناسق التام والتناسق الأقل — تبعاً لتفاوت تناسق الأجزاء فى ذاتها كعناصر مكونة لهذا المركب ، وأن الروح إذن تصبح تنافراً فيما لو اتصفت بالرذيلة ، لأن الروح مثال مطلق فى تناسقه أو تنافره — وليست نسبية كالنغم — والروح هى دائماً التى تقود الجسد ، وتفرض عليه رغباتها — فلا هى إذن فى انسجام معه — ولا هى نتيجة له كالأنغام للقيثارة .

ويردد سيبيس مخاوفه الأولى من فناء الروح لحلولها فى عدة أجساد ، فيرى سقراط أن هذا يمت بصلة إلى موضوع الكون والفساد . ويقترح أن يدلى إليهم فيه بتجربته . ومؤداها أنه فتن منذ حداثته بالعلم الطبيعى ظناً منه أنه العلم الذى يبحث علل الأشياء — من أين توجد — إلى أين تصير ، وفيم كان وجودها وفسادها ، وما العنصر الذى تفكر به . . الخ ولكنه لم يجد لدى هذا العلم ما يقوله فى هذه الأمور ، وطبيعى ألا يجدها — فما يريده هو ليس من مباحث علم الطبيعة — ولكنه إلى الميتافيزيقا أدنى — والنتيجة أن بحثه عن علل هذه الأمور فى علم الطبيعة قد شككه فى أبسط معارفه — ثم إنه وجد بغيته فى عبارة قيل له إنها توجد فى كتاب لأنكساغوراس « وهى أن العقل هو العلة المدبرة لكل شىء — فراح يسعى وراءه ويعلق عليه آمالا كباراً — حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ... لقد كان سقراط يبحث حينئذ عمن يقول له ، إن الكون فى أحسن صورة له — وأن ليس فى الإمكان أبدع مما كان — ولكنه — يا للأسى ! . وجد أنكساغوراس بعد أن ألقى بعبارته الجميلة — هذه جزافاً — يبعد فى تفسيرها عما كان يريده سقراط أن يفعل — فأين إذن قوله بالعقل — وفيم إذن رجوعه إلى ما قال الأولون من خلط ؟ لقد كان ينبغى عليه أن يعلل بقاء سقراط قابعاً هكذا فى سجنه — بأن العقل هو الذى يشير عليه بهذا ما دام الأثينيون قد أرادوا ذلك ولو ظلماً — لا أن يأتى بتعليلات أخرى ولو كانت هى العلل الحقيقية فى علم الطبيعة ، هو يريد من علم الطبيعة أن يبحث عن العلل الخفية والأسباب البعيدة — لا القريبة ... التى يسميها هو حالة — وبالجملة يريده أن يعلل كل شىء يرده إلى قوة عليا مدبرة تتصف بالعقل والخير والكمال ، وهو ما لم يجد سقراط من يستطيع أن يعلمه إياه .

وعاد سقراط من دراسة هذه المذاهب خاوى الوفاض ، وكل همه أن يبقى على عين بصيرته ، ونقاء روحه — أو « عيانه » — الذى يستطيع به أن ينفذ إلى باطن الأشياء يتأملها ويتعرف حقيقتها ، ويغض يده من الأشياء ليبحث عن صورها الكاملة فى عالم المثل — وقولة : (هذا سبيلى التى سلكتها : فرضت بادىء الأمر مبدأ ... ثم أخذت أثبت صحة كل ما اتفق معه ... الخ ص ٢٦٤ من الترجمة العربية) حجة يجب أن يقف عندها طويلا طلاب المسابقة — لأنها تثبت لسقراط السبق فى القول بنظرية المثل كما عرضت لأول مرة فى محاورة پرمنيدس ، باعتراف أفلاطون — وهو كاتب الحوار — ولكن مناقشة زينون وپرمنيدس الإيليين لهذه النظرية الجديدة التى يعرضها سقراط وهو فى العشرين من عمره (سنة ٤٥٠ ق . م — كما تدل عليه ظروف المحاورة) — قد حملت هذه المناقشة سقراط على التراجع والحذر ، والعمل على أن يجمع لنظريته الأدلة التى تقويها — حتى لا يهاجمها أحد آخر غير هذين ، دون أن يتحدث عنها إلا فى ظروف خاصة ، وفى هذه الحجة وحدها ما يكفى للرد على المؤرخين الذين لا يريدون أن يعترفوا لسقراط بنصيب فى نظرية المثل .

إن الأشياء الجميلة توحى إلينا بالجمال المطلق ، والخيِّرة بالخير المطلق ، والعادلة بالعدل المطلق ؛ فهذا مثل كلية مطلقة تذكرنا بها الأشياء الجزئية النسبية التى تدركها حواسنا ، وهذه الأشياء جميلة وخيِّرة وعادلة بقدر مشاركتها فى مثال الجمال والخير والعدالة ، وكذلك مثل الكبر والصغر والتساوى ، وبهذا نكون قد أثبتنا نظرية المثل ومشاركة الأشياء المحسوسة فيها مشاركة نسبية تتفاوت بين الكبر والصغر أو تجمع بينهما بالنسبة إلى شىء وآخر . أما المساواة التامة فلا يمكن أن تصلها الأشياء لأنها لا توجد إلا فى مثال التساوى المطلق الذى تنزع إليه هى أبداً .

والكبر والصغر إن أمكن اجتماعهما فى شخص بعينه بالنسبة إلى شخص وآخر ، فإن مثالى الكبر والصغر لا يمكن إلا أن يكونا متضادين ، لأن المثل كلية مطلقة بينما الأشياء المشاركة فيها جزئية نسبية . وبهذا يصح أن يتولد الصغير من الكبير ، أو الحى من الميت ، دون أن يعنى ذلك تولد الكبر من الصغر والحياة من الموت — هى أن الأشياء التى تشارك فى مثلها إلى حد كبير فتعارض مع أضدادها تعارض مثلها ذاتها — لأن جزئياتها تصبح هى الأخرى مشاركة فى المثال — كالنار والثلج — كل ذرة أو جوهر فيها مشارك فى مثال الحرارة والبرودة . وكالزوجى والفردى من الأعداد — كل وحدة مما يدخل فى

تركيبها من العدد إما واحد واحد ، أو زوج زوج — فالثلاثة ثلاث وحدات ، والأربع وحدتين زوجيتين..الخ وهذه الأضداد تتعارض وتتطارد ، حتى يتراجع أحدها ويثبت الآخر . وتراجعه لا يدل على فنائه بل هو مجرد تراجع أمام خصم — أو التسليم له —

وقس على هذا الموت والحياة ، فهما متنافران متطاردان أبداً لا يتضمن أحدهما الآخر ، وإن أمكن نشوء الحىّ من الميت كما كان قرر سقراط — وإذا تأملنا الحياة وجدنا أن لها مبدأ ملازماً وشرطاً ضرورياً لا توجد إلا به هو الروح — وهو لمشاركته الكاملة فى مثال الحياة لا يقبل الموت بدوره . فالروح كمثاله الذى يشارك فيه — مثال الحياة — غير قابل للفناء ، أى أنه أبدى خالد — ولكنه يتوارى ويختفى — ولا يزول . إذا غلبه خصمهُ : الموت . فالروح الشاركة فى مثال الحياة يتصارع عليها مبدأ الخلود والفناء . وحين يتغلب هذا الأخير تتراجع الروح وتختفى ولا تزول — لأنها بطبيعتها خالدة باقية يستحيل عليها أن تقبل ضدها : الفناء — أما البدن فهو الذى يفنى لأنه مشارك من قبل فى مثل الموت والفناء .

الروح إذن خالدة أبدية . وهى أحق بالرعاية من البدن الفانى لأن كل خطر يتهدد مصيرها يهددها إلى الأبد — وإذا جاز لنا أن نفرح بخلاص أرواحنا من أجسادها فيجب أن نكون قد هيأنا لها أسباب السعادة بمزاولة الحكمة والفضيلة . فهما زادها إلى الآخرة .

والطريق إلى الآخرة عسير ملتو ، لا تهتدى له إلا الروح الفاضلة الحكيمة ، حيث تخلد فى نهاية فى النعيم السرمدى . أما الأرواح الفاسدة الشريرة فتضل طريقها وتمضى متعثرة حتى تستقر فى الشقاء الأبدى .

والحياة الآخرة يتقدم سقراط فى وصف منازلها ومواضع الأرواح الخيرة والشريرة منها والمراحل التى تمر بها كل من هذه وتلك فى نعيمها وسعادتها ، أو فى عذابها وهوانها وتألمها ، وهو يطلق لخياله العنان فى هذا الوصف على ما وقف عليه من كتب الأساطير اليونانية وأقوال الشعراء . ولا يريد أن يقطع بصدق هذا الوصف كما ينبغى أن يفعل الحكيم .

ثم إن سقراط يكرر لأصحابه النصح أن يعنوا بأمرهم ومصير أنفسهم ، وألا يدّعوا ما لا يعلمون فيضروا أنفسهم ، ويُنبه رفاقه إلى أنهم إنما يوارون منه الثرى الجثة وحدها . أما الروح فهى صائرة إلى النعيم ، وفى هذا عزاء الأقريطون . ثم يعد خادم السم أن يبادله جميلا بجميل ، ومعروفاً بمعروف ، فلا يؤذيه ولا يسوءه كما يفعل غيره عند موتهم . وحين يعود يستوضحه سقراط طريقة تعاطى السم ، ثم يصلى ، ويتجرع الكأس .

ويتباكى الرفاق فيهدىء سقراط روعهم ويخفف لوعتهم — ويرميهم بالجبن والأنوثة ، ويوصى بدين كان له على إسكلابيوس ثم يسلم الروح ...

كمال دسوقى
المدرس بالمنصورة الثانوية

شاعرة ترثى أباها

حنانك قلبى كفاك انهيارْ ... فما مِن شِراك المنايا فرارْ
أما كُنت تعلمُ أن المنايا ... كُؤوسٌ على كل حى تُدار
أديرتْ على الخلق من آدم ... كُؤوسُ المنايا فلم تنج دار
أبى كان بيتك كهفاً رحيباً ... وأنساً بكل صديق وجار
فما ردَّ بابُك ذا حاجةٍ ... وكُنت المجير إذا الدهر جار
كريم الخلال جوادٌ بما ... لديْك وقد شحَّ أهلُ اليسار
أبى كُنت لى فى حياتك نوراً ... هدانى كما يُهتدى بالمنار
فهلاَّ عن الموْت حدَّثتنى ... وعمَّا نُلاقى بتلك الدِّيار ؟
كأنى سمعتُ الملائك إذْ ... تلقوك بدرا عليهم أنار
وقالوا اتخذْ منْ جنان الخلو ... د مقرًّا رحيباً فنعم القرار
أيا حُرقة الشوق لو كان قلبى ... حديداً لأودى به الانصهار
أبى كنت للعين والقلب نوراً ... فما لك أبدلت نوراً بنار
سرَتْ فى ضلوعى وحاقت بقلبى ... فأسعفته بالدُّموع الغزار
فلا النَّار ولت ولا العين كفت ... ومالى بهذا الفراق اصطبار
فعجِّل إلهى بصبر جميل ... فما لى سواك به يُستجارْ

ناهد طه عبد البر



من أدلة المروءة

الناس يغذون فى السير إذ يغدون إلى أعمالهم ولا تزال الشمس حمراء الخيوط فاترة الأشعة ، وما من أحد إلا وفى مشيته النشاط والجد ، وما من شارع إلا وقد دبت فيه الحياة أو تمثلت فيه أنماط من صور السعى إلى الرزق ، وكل امرئ فى شغل بسعيه عن غيره.

ومررت بباب أحد الفنادق الكبرى ، فإذا بغانية كأن وجهها زهرة نضرتها أنسام الفجر وأنداؤه ، وكأن عينيها نجمتان تخلفتا عن المغيب ، وكان يضع خدم الفندق متاعها فى سيارة من سيارات الأجرة ، بينما كانت تحمل على ذراعها معطفها وفراءها وعدداً ليس بالقليل من ثيابها . . . وسقط ثوب على الأرض فأسرع ثلاثة أو أربعة من شبابنا يتنافسون فى السبق إليه ، وظفر أحدهم بالتقاطه فأزال عنه الغبار بمنديله وقدمه إلى الغانية مزهواً مسحوراً بابتسامتها ؛ وهذه مروءة منه لا ريب ، ونحن قوم أولو مروءة ، فلا تحسبن أن مرد ما فعل ذلك الشاب إلى ما جذبه من جمال . ولو أنها كانت عجوزاً فهل تشك فى أنه كان يسعى إليها ؟ إنك إذن لمن الجاحدين ...

ومضيت أغبط الفتى على مروءته ، أو قل أحسده على ما ظفر به جزاء على فعلته ، وأذكر ليلة الأمس إذ نزل من النادى أحد الكبراء من أصحاب الديوان ، فدفعت المروءة بعض الأساتذة الأماثل إلى الحفاوة به : فهذا يفتح له باب السيارة ، وذلك يحنى له رأسه ، بل لقد رأيت فيهم من عظمت مروءته فحمل له معطفه على ذراعه من أعلى النادى فتناوله إياه فى سيارته . ولكن أحداً من هؤلاء لم يظفر بشىء كتلك الابتسامة الحلوة التى ظفر بها من الغانية هذا الشاب الذى لا يزال منى على خطوات .

وبينما تنثال على ذهنى صور تلك المروءات التى هى إحدى صفاتنا العامة ، آمنت بذلك أو لم تؤمن ، إذ التفت على صوت « موتسيكل » انقلب راكبه الشاب الأنيق وتفجرت منه النيران وقد اشتبك سروال الراكب المسكين بأحد أجزائه فما يستطيع النهوض ، وعلقت النار بثيابه ، وكلما هم وقع من الرعب ومن نشوب ثوبه بالحديد وهو يفرك النار عن ثوبه بيديه فى لهفة ولا يدرى ماذا هو فاعل ، وإنه ليدور بعينيه مستنجداً فى صورة من الرعب لا توصف ، وذلك الشاب ذو المروءة الذى ناول الغادة معطفها ينظر مع الناظرين إلى هذا الذى يحترق من بنى وطنه . ولا تسلنى أنا ماذا فعلت وماذا بلغ من مروءتى ؛ فلأن تتهمنى بالتقصير أهون عندى من أن تعيب على الفخر .

واشتعلت النار فى ثياب ذلك المسكين ، وأيقن الناس أنه هالك لا محالة ، وكلهم ينظرون وكأنهم لا يرون شيئاً ، حتى أقبل كهل مقبع ليس من بنى جلدتنا وليس له مثل مروءتنا فخلع معطفه وكان والله جديداً ثميناً وألقاه على الشاب المحترق وضرب عليه بكفيه فأطفأ النار ، ثم خلص الشاب وأعانه حتى بلغ به الطوار وأجلسه ثم نادى زميلا له ممن يتقبعون وإن كان حاسر الرأس ليستدعى الأسعاف ، ولبث يقلب البصر فى بدن الشاب ويهدىء روعه ويسأله عما أصابه من حروق ويهون عليه الأمر حتى جاءت عربة الأسعاف فحملته وهو يسأل ذلك الذى أنقذه عن اسمه وعنوانه ويلح عليه فلا يزيد على أن يبتسم له قائلا : « الحمد لله ! مرسى ياحبيبى » .

وتناول الرجل معطفه ومضى مطرقاً هادئاً لا ينظر إلى ما أصاب المعطف من احتراق فى أكثر من موضع ، وكأنه لم يفعل شيئاً ، ونحن ينظر بعضنا فى وجوه بعض نظرات حمدت الله أن كان فيها شىء من الخزى لم يغرق كل الغرق فيما كانت تقطر من بلادة .

ولم أمض غير بعيد حتى أبصرت عربة انزلق أحد جواديها فى منعطف نخر وجذب الجواد الثانى حتى كاد يخنقه ، ووثب الحوذى ينهض الجواد وحده فما يستطيع ؛ فيستغيث الناس قائلا «ياهوه ! يا مسلمين !» حتى جاءه بعد لأى رجلان فأعاناه متكرهين

وقلت فى نفسى إن الدابة فى القرية تقع فى الترعة ، وإن النار تعلق بالدور فيقبل الشباب والكهول من كل صوب للنجدة لا ينتظرون دعاء ولا يحفلون أذى . أيكون مرد ذلك إلى أن أهل القرية يعرف بعضهم بعضا ؟ أم أن مرده إلى أنهم أهل نجدة لم تفسد المدنية فطرتهم ؟ لست أدرى . ولكن ذلك المقبع ليس من أهل القرية ، ولا هو من أهل هذه المدينة !

الخفيف

أناهيد (*)

للأستاذ شفيق معلوف

(وجعل العرب الزهرة امرأة بغياً مسخت نجماً وكان اسمها أناهيد) « الجاحظ »

— ١ —

وبعدما عرا خرافةَ الذهول
جمجم وانبرى من كهفه يقول
فى غابر الأزمان مضى يحث السرى
ركب من العربان
حتى إذا جرى يوغل فى السهول
إذا به يرى من حوله الخيول
تضرب بالحافر صدر الثرى
معقوفة الذيول منصوبة الآذان
تقطع الأرسان
وترجع القهقرى
وأرغت النياق ذعراً وجرجرت
وشالت الأعناق ثم تقهقرت
وانطلقت فى القفر أى انطلاق
وشب فى الصحراء
عاصف نار ونور
يمد فى الديجور
عنقه للسماء
ثم علا شيئاً فشيئاً يدور
فى قبة العوالم الشاسعه
حتى غدا شمساً فبدراً ينور
فكوكباً فنجمة ساطعه

— ٢ —

ولم العربان أشتاتهم واسترجعت هدودها البيد
وانطلقوا إلى كثيب به شعاع ذاك النجم مشدود
فأبصروا فوق الثرى غادة لم تتشح بحسنها غيد
لها محيا هو زين الصبا من كبد الصباح مقدود
ساكنة الحس فلا صدرها رف ولا أهدابها السودُ
ونهدها ذاو كما لو ذوت على دواليها العناقيد
سمراء أغواها الردى فالتوى على يد الموت لها جيد
يشخص فى نجم العلا جفنها كأنه بالنجم معقود
صاحوا أناهيد وراح الصدى
يزقو أناهيد أناهيدُ
كان فى الأرض لها مأتم وفى مقاصير العلا عيد

— ٣ —

كانت أناهيد بغياً متى غفا بفرعيها الفتى يسكر
تقطر الخمر بكاساتها لفتية الحى وتستقطر
ولم يكن إلا جحيم الهوى وسادها الملتهب الأحمر
مر على خيمتها فارس تبارك الطيب الذى ينشر
كأن عينى مهرة أبدتا لها عن الفارس ما يضمر
فاختلجت للحب أعماقها واهتز منها الغصن المثمر
وودت السمراء لو لم يكن شُق عليها للهوى مئزر
ولا روت ثغر فتى قبلما أطل ذاك الفارس الأسمر
ثلاث ليلات تقضت كما لوهُن ظل الرمح أو أقصر
لا الفارس الأسمر يفضى إلى قلب أناهيد بما يشعر
ولا أناهيد التى جربت كل رُقى السحر به تظفر
حتى إذا مالت بأجفانها يد الكرى لطول ما تسهر
أيقظها ركض جواد جرى من بابها مجمحاً يدبر
فزاحت الستر ومذ أبصرت
فارسها يلفه المئزر
وقد لوى عنانه هارباً كأنه الحلم الذى يعبر
راحت أناهيد على إثره بحافر الجواد تستأثر
تضرب فى البيداء حتى إذا أنهكها السير فلا تقدر
لاح لها من جانب المنحنى مارج نار ضوؤه يبهر
وسيد كأن محبوبها أطل من مقلته ينظر
صاح بها ويك كفى وارجعى ما أنا إلا هُبَل الأكبر
هذا عقاب المهر فليعتبر إن ذاق طعم الحب من يفجر

(*) قصيدة من « أحاديث خرافة » أحد أناشيد كتاب « عبقر » فى طبعته الثانية التى تصدر قريباً بإضافات جديدة .

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية فى أوربا :

دعت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى سماع سلسلة المحاضرات العامة التى يلقيها بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية الأستاذ ساطع الحصرى الأستاذ الزائر بمعهد التربية العالى للمعلمين ، والمستشار الثقافى لجامعة الدول العربية ؛ وموضوع هذه السلسلة « الفكرة القومية منذ أوائل القرن التاسع عشر » وهى ست محاضرات ، ألقى يوم السبت أولاها ، وموضوعها « نشوء الفكرة القومية فى أوربا والانقلابات السياسية التى نجمت عنها » وقد تحدث الأستاذ فى هذه المحاضرة عن الانقلابات السياسية فى خريطة أوربا منذ العقد الثانى من القرن التاسع عشر إلى العقد الثانى من القرن العشرين ، فقال إن أهم هذه الانقلابات زوال الدولة العثمانية والامبراطورية النمسوية وحلول الدول الصغيرة محلها ، وحدث عكس ذلك فى إيطاليا إذ اتحدت الدول الثمان وكونت إيطاليا الحديثة ، كما اتحدت ٣٩ دولة على الأراضى الألمانية وكونت الدولة الألمانية ، وانفصلت بلجيكا عن هولاندة ، كما انفصلت النرويج عن السويد ، وتكون على سواحل البلطيق أربع دول جديدة ، وهكذا تبدلت أوربا ما عدا انجلترا وفرنسا وروسيا وأسبانيا . وكان العامل الأصلى فى كل هذا التبدل فكرة القومية الناشئة من شعور الأمم بالروابط المختلفة ، فتجمع المؤتلف ، وتفرق المختلف ؛ وكانت النتيجة أن قامت الدولة على الفكرة القومية التى شعر بها الشعب ، بخلاف الدول القديمة التى كانت تتكون بحسب قوة الملوك ومقدار بسط سلطانهم وما ينشأ عن معاهداتهم ومصاهراتهم ، ولم يكن للشعوب حساب فى ذلك لأن الملوك كانوا يتصرفون تصرف المالك المستمد من التفويض الإلهى . ودلل الأستاذ على أن الدول الجديدة لم تقم نتيجة للحروب بل كان منشؤها الفكرة القومية — دلل على ذلك باستعراض الحوادث التاريخية ومقارنة نشأة الدول بقيام الحروب .

وختم الأستاذ ساطع الحصرى محاضرته القيمة بالإشارة إلى ما يقوله المفكرون فى أوربا من أن حركة القوميات انتهت بانتهاء القرن التاسع عشر ، ولكن الذين يرددون هذا القول عندنا فى الشرق يخطئون ، لأن عصر القوميات إذا كان قد انتهى فى الغرب لبلوغ حركات القومية مراميها فإنه يبدأ فى الشرق لأن ظروفه تقتضى ذلك .

الفنان بين الصعود والهبوط :

أراد الأستاذ توفيق الحكيم أن يبرر مسلكه الأخير فى الكتابة الذى نعيته عليه فى عدد مضى من الرسالة ، فأدار الكلام فى مقال بأخبار اليوم حول قضية من قضايا الأدب والفن أثارها بهذا السؤال : « هل يجب على الفنان أن يهبط إلى الجمهور أو أن يصعد إليه الجمهور ؟ » وقد سار بطبيعة الحال فى معالجة هذه القضية إلى جانب الهابط إلى الجمهور ، محاولا أن يؤيد مذهبه بالتماس المثال « عند المبدع الأعظم لهذا الكون » لأنه تعالى لم ينتظر من الناس أن يصعدوا إليه ، بل رأى أن يدنوهم برسالته ، لا أن يتركهم يصعدون إليها من أرضهم ، فأرسل إليهم الرسل . وبنى على ذلك أن الفنان هو الذى يجب أن يهبط إلى الجمهور .

لا يا سيدى ، إن الله أنزل رسالته إلى الناس ، لأنه إله لا يراه الناس ولا يخالطونه ولا يعايشونه ، ولكن الرسل الذين يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق تلقوا رسالات الله ولم يهبطوا بها إلى الجمهور بل رفعوا الجمهور إليها ، وما علمنا أن أحداً منهم أسفّ وابتذل ، وهذا نبينا محمد قد أدى رسالته ببلاغة عالية فتح بها آفاقاً فى الأدب الرفيع لم يلحقه فيها لاحق . مرة أخرى : لا يا سيدى ، إن المثال الذى أتيت به إنما هو

حلت أناهيد له شعرها   وانطرحت تبكى وتستغفر
وتسأل الإله فى ذلة   لو غدها من أمسها يطهر
فيخلد الحب على جفنها   وينطوى فى قلبها المنكر
قال عنها هبل قائلا   والرفق من جبينه يقطر
حبك يا هذى كما شئته   قلب السماوات به أجدر
واندلعت نار تلوى بها
ملء البوادى عاصف صرصر
وغل فى صدر العلا حاملا   روح أناهيد اللظى المسعّر
وشع فى السماء قبل الضحى   على البرايا كوكب نير
تلك أناهيد لها من عل   عين على أهل الهوى تسهر

شفيق معلوف
من العصبة الأندلسية

سلم درجاته للصعود وليس به دركات للهبوط ..

على أن الهبوط الذى نعيبه ليس هو الدنو من أفهام الناس ومداركهم لتأدية رسالة ، وإنما هو أن يستهلك الكاتب طاقته ويستنفد جهده ، ثم يدور ولا يُرى له طحن ... فيتستر بالتسلية والتلهية ، ويدعى أنه يسير للدنو من الناس ، وإنما هو فى محله يسير !

الفنون فى الجامعة الشعبية :

عند ما لبيت دعوة الجامعة الشعبية لحضور احتفالها باستقبال هيئة اللجنة الثقافية للجامعة العربية يوم الخميس كان أكبر همى أن أسمع النشيد المقترح للجامعة العربية الذى طلب إلى قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية تلحينه ، فدعت هذه الجامعة هيئة اللجنة الثقافية إلى سماعه من فريق الأغانى والأناشيد بها .

ولكن كان هذا النشيد أقل شأنا من سائر ما سمعنا وما رأينا فى الجامعة الشعبية ، رأينا بقسم الرسم والحفر جماعات من أفراد الشعب ، هناك ذكور وهناك إناث ، قد أقبلوا على العمل فى هذين الفنين بدافع ميولهم وطبائعهم الفنية ، يشبعون وينمون فيه مواهبهم فى المساء بعد أن فرغوا من مشاغل حياتهم فى أثناء النهار ، ثم دلفنا إلى قاعة المسرح ، فما أخذنا بها أماكننا حتى ابتدأت « حفلة العروبة » كما سمتها بحق إدارة الجامعة الشعبية ، فسمعنا موسيقى وأناشيد مختلفة : سورية وعراقية ومصرية ، وشاهدنا تمثيلا غنائيا ، قام بكل ذلك طلبة مختلطون من أفراد الشعب ظهروا على طبيعتهم فى ثيابهم العادية ، أسمعونا أصواتا جيلة وألحانا عذبة ، فكانوا لسانا معبرا عن طبيعة هذا الشعب الفنان .

ولقد تأملت هؤلاء كما وقفت أتأمل من زرناهم فى قسم الرسم والحفر ، ثم تخيلتهم فى غير هذا المكان لولم تتح لهم هذه الفرص ، فذهب خيالى بهم إلى المقاهى وغيرها من أماكن الضياع ، ثم رجع بهم إلى حيث هم الآن ينتظمون فى دراسات توافق أمزجتهم ويتعهدهم المدربون والمعلمون . فقرت عينى بهم وطابت نفسى بما يسر لهؤلاء المواطنين ورجوت أن ييسر للكثيرين من أمثالهم .

وقد انشعب بى التفكير ، لما أطربنا فريق الأغانى والأناشيد بفنون من الموسيقى والتمثيل والغناء ، فرأيت أن أقترح على الجامعة الشعبية أن تعمل على تنظيم حفلات تمثيلية غنائية يحضرها أقرباء الطلبة ومعارفهم وغيرهم من الجمهور مقابل أجور قليلة ، فتحقق بهذا فائدتين : إمتاع الناس بالفن ، واجتناء أرباح تستعين بها على تحسين حال فرقها وتقدمها فى مضمار الفن . وإنى لأرجو أن يتاح لهذه الفرق أن تأخذ « ركنا » فى الإذاعة ، فلا يقل هذا الركن فائدة — إن لم يزد — عن غيره من « أركان » الإذاعة .

نشيد فلسطين :

سمعنا فى « حفلة العروبة » النشيد المقترح للجامعة العربية ، فإذا هو — من حيث التأليف ومن حيث التلحين — شىء كغيره ، من الأشياء التى نسمعها والتى يسمونها أناشيد وطنية وحماسية ، وليس فيها من الوطنية غير ألفاظ كالمرم ، وليس فيها من الحماسة إلا أصوات ترتفع حتى تصك الأسماع . وقد أحسنت الإدارة الثقافية بتجربته قبل إقراره ، وما إخالها إلا قد اقتنعت بأن نشيدا كهذا لا يليق بالجامعة العربية .

ثم سمعنا نشيدا ختمت به الحفلة فكان أحسن ختام ، هو « نشيد الجهاد العربى لفلسطين » وقد وفق قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية فى تلحينه ، وأداه فريق الأناشيد أداء حسنا ، أما التأليف فلا أحدثك عنه حتى ترى شيئا منه ، أوله :

قد بدأنا الكفاح وشحذنا الرماح
وامتشقنا السلاح وملأنا البطاح
بجيوش العرب
نحن العــرب نحن العــرب

ومنه :

سترى تل أبيب حتفها عن قريب
يوم تصلى اللهيب والدمار الرهيب
فى جحيم العرب
نحن العــرب نحن العــرب

ومنه :

ونصون الصليب والهلال الحبيب
وسلام الشعوب من مثيرى الحروب
وخصوم العرب
نحن العــرب نحن العــرب

فلا ترى فيه التهاويل و (الكليشيهات) المعهودة ، وإنما يستمد قوته من طبيعيته ومن تعبيره عن الحال الواقعة . وقد قدمه مؤلفه الأستاذ حسن أحمد باكثير إلى الجامعة العربية ، فاستحسنته ودفعته إلى الجامعة الشعبية لتلحينه .

الرسالة الثقافية للجامعة العربية :

ألقى الأستاذ سعيد فهيم وكيل الإدارة الثقافية بالجامعة العربية يوم الأربعاء بنادى جبهة مصر محاضرة عنوانها : هل أدت الجامعة العربية رسالتها الثقافية » بدأها بإجمال الجواب عن هذا السؤال فقال إن الجامعة العربية نصبت سلم الثقافة المكون من مائة درجة وارتقت منه خمس درجات ، وهى سائرة فى طريقها لارتقاء الدرجات الباقية .

ثم عرض لتفصيل ذلك فقال : من أهم ماقامت به الإدارة الثقافية تكوين قسم إحياء المخطوطات العربية ، وقد جلبت أحدث الأجهزة الفنية من أمريكا لتصوير المخطوطات النادرة والقيمة على أفلام صغيرة . وقد أرسلت فى صيف سنة ١٩٤٦ بعثة إلى سورية ولبنان فصورت ما رأته جديرا بالتصوير من الكتب . والتصوير يجرى الآن فى مصر ، وسترسل البعثات إلى البلاد العربية المختلفة لتصوير ما فى مكتباتها من المخطوطات . ومما قامت به الإدارة لتشجيع التأليف والترجمة ، أن اختارت موضوعين للمسابقة فى تأليف كتاب فى كل منهما خلال هذه السنة ، أحدهما فى تاريخ الأندلس من فتح العرب لها إلى خروجهم منها ، والآخر فى تاريخ البلاد العربية من سقوط بغداد إلى عصر النهضة الحديثة ، وخصصت جائزة لكل منهما قدرها ٥٠٠ جنيه ، وخصصت أيضاً ٢٠٠٠ جنيه لتأليف كتاب مفصل فى جغرافية العالم العربى تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثقافى الأول . أما فى الترجمة فهى تعمل فى اختيار الكتب التى تحسن ترجمتها ، وستختار اللجنة الثقافية عشرة كتب لتترجم على نفقة الأمانة العامة فى هذا العام وسيوزع نحو مائتى كتاب على دول الجامعة تساهم كل منها بطبع قسم من هذه الكتب . وقال الأستاذ إن الإدارة الثقافية تعتزم استخدام الإذاعة والسينما والصحافة فى نشر الثقافة العربية ، فتذيع من محطات العواصم العربية أحاديث ثقافية وحفلات موسيقية وقصصا تمثيلية وأناشيد ترمى إلى تقوية الروح القومية العربية ؛ وستشجع الأفلام السينمائية التى تحقق هذه الغاية ، وتساعد على أخذ أفلام فى البلاد العربية لتعريف بعضها ببعض ، وتساهم فى وضع أفلام ثقافية ، وفى ترجمة نطاق الأفلام الثقافية الغربية إلى العربية ؛ وقد قررت استكتاب بعض كبار الكتاب فى مختلف البلاد العربية مقالات فى الشئون الثقافية ، لتنشر فى أهم الصحف العربية ؛ وستوفد خمسة عشر أستاذا إلى مختلف العواصم العربية للمحاضرة فى أهم الموضوعات التى تشغل بال العالم العربى .

وبعد أن تحدث الأستاذ المحاضر عن المؤتمر الثقافى الذى عقد بلبنان فى الصيف الماضى ، قال إنه يؤمل أن يعقد المؤتمر الثقافى الثانى بالاسكندرية فى أواخر الصيف القادم .

وقد عقب الأستاذ سعد اللبان على هذه المحاضرة ، فقال بأن الجامعة العربية يجب أن تخرج ، فى تأدية رسالتها الثقافية ، عن النطاق الحكومى ، فلا تقتصر على الرجال الرسميين ، بل يجب أن تتجه أيضاً إلى غيرهم من رجال العلم والأدب ، كما يجب ألا تقصر اهتمامها الثقافى على دول الجامعة الرسمية ، بل يجب أن توجه أكبر عنايتها إلى شمال أفريقية الذى يكاد يقطعه الاستعمار عن مصادر الثقافة العربية المشرقية . ونبه الأستاذ سعد على أن البحث عن المخطوطات العربية فى المكتبات الغربية أهم من البحث عنها فى المكتبات العربية ، وقال إنه يرجو أن يكون الغرض من تصوير هذه المخطوطات طبعها ونشرها لا مجرد تسجيلها على أفلام

العربية تصارع :

لا أشك فى أن الحكومة جادة فى فرض استعمال اللغة العربية فى مكاتباتها وفى إلزام أصحاب المحال التجارية والصناعية بكتابة أسمائها بها . وقد أذاعت أخيراً وزارة الشئون الاجتماعية على هؤلاء تلفت نظرهم إلى مايقضى به القانون على من يكتب اسم محله بلغة أجنبية دون أن يضع إلى جانبه اسمه باللغة العربية على ألا تكون الأجنبية أكثر بروزا من العربية ، والقانون يقضى على من يخالف ذلك بالحبس مدة لا تزيد على سنة وغرامة لا تزيد على خمسين جنيها أو بإحدى هاتين العقوبتين

لا أشك فى أن الحكومة جادة فى تنفيذ كل ذلك ، ولكنى لا أدرى لماذا تستمر ، فى أختام بريدها ، على كتابة التاريخ بلغة أجنبية دون كتابته بالعربية !

إننى أدل وزارة الشؤون الاجتماعية على مصلحة البريد لتلفت نظرها إلى ذلك القانون وإلى ضرورة تطبيقه ... كما لا أرى بأسا فى أن أكون مرشداً لها فى غير ذلك ، فأدلها أيضا على شركة المعادى ، لتلفت نظرها إلى وجوب تغيير كتابة أسماء شوارع هذه الضاحية الجميلة ، بحيث تكتب بالعربية إلى جانب الأعجمية التى هى مكتوبة بها ، لأن المعادى جزء من القاهرة عاصمة العروبة

أكتب ذلك على ذكر المقال النير الذى كتبه فى الرسالة الأستاذ وديع فلسطين بعنوان « اللغة العربية تصارع » وإنى مطمئن معه إلى ظفرها فى النهاية .

« العباس »



جنة العبيط أو أدب المقالة

تأليف الدكتور زكى نجيب محمود

تمنيت لو لم يكن هذا الكتاب لصديق ، إذن لاستطعت أن أوفيه ما هو كفاءه له من ثناء فى غير حرج ، ولكن فيم الحرج ، وأنا أنظر إليه بعين النقد وبعين الحب معاً فأتحدث حديث الخبير الواثق ؟

لم يعد زكى نجيب فى حاجة إلى أن يقدم إلى القراء فقد صارت له فى نفوسهم مكانة حميدة بمؤلفاته المجيدة فى الفلسفة والأدب ، وإنما أقدم كتابه هذا إلى القارىء مغتبطاً أشد الاغتباط ، فإن له لشأناً عما قريب فى أدبنا واتجاهه وفى جانب المقالة منه بوجه خاص …

رأى الدكتور زكى أن المقالة الأدبية فى مصر تسير على غير نهج معلوم ، فهى تصلح أن تكون خطبة أو موعظة أو جدلا أو بحثاً علمياً أو تاريخياً أو ما شئت غيرها ، ولكنها ليست بسبب من المقالة التى اصطلح عليها نقدة الأدب الانجليزى فى قليل أو كثير ، وهو لم يكتب كتابه هذا ليصحح به هذا الوضع ، ولكنه كتب مقالاته على غرار ما فهم بعد درس ، وأشهد لقد بلغ فيها جميعاً من التجويد ما لا ينزل به قط عن مستوى فحول المقالة فى الأدب الانجليزى ، ولقد جاء بعضها فى نسق لا أتردد أن أقول إنى قلما وقعت على نظائره ، خذ لذلك مثلا البرتقالة الرخيصة ، والكبش الجريح ، وحكمة البوم ، وجنة العبيط ، وشعر مصبوغ ، وبيضة الفيل

واجتمعت له طائفة من هذه المقالات فأشرت عليه والحفت أن يطبعها وهو يتردد ويتعلل ، ولكنى ما زلت به حتى أجابنى إلى ما أردت … اختار المؤلف اسم أحد مقالاته عنواناً لكتابه فكان جد موفق وهذا الاسم هو جنة العبيط « أما العبيط فهو أنا ، وأما جنتى فهى أحلام نسجتها على مر الأعوام عريشة ظليلة ، تهب فيها النسائم عليلة بليلة ، فإذا ما خطوت عنها خطوة إلى يمين أو شمال أو أمام أو وراء ، ولفحتنى الشمس بوقدتها الكاوية عدت إلى جنتى أنعم فيها بعزلتى ، كأنما أنا الصقر الهرم ، تغفو عيناه ، فيتوهم أن بغاث الطير تخشاه ، ويفتح عينيه فإذا بغاث الطير تفرى جناحيه ، ويعود فيغفو ، لينعم فى غفوته بحلاوة غفلته ».

ولكم نعمتُ أنا فى هذه الجنة وتفيأت ظلالها حتى ما أطيق أن أخرج منها ، ولكم عدت إليها ، أجل كم عدت إلى هاتيك المقالات أكثر من مرة فازددت إلا استمتاعاً بها وبأدب صاحبها ولكم أعجبت بهدوء نقمته وصدق نظرته وعمق فكرته وحلو فكاهته ورقيق سمره ، كل أولئك دون أن أحس أنه قصد إلى شىء من هذا ، وهذا هو فن الكتاب ، وهذا هو أدب المقالة كما بينه المؤلف فى مقدمة كتابه ، ثم هذا هو سر الجمال فى هذا الكتاب البديع . ولقد خاطب المؤلف الفاضل قارئه فى صدر كتابه بقوله « نشدتك الله لا تحكم على قيمة هذا الكتاب بقيمة كاتبه ، إن كاتبه ليرجو أن يكبر فى عينيك بهذا الكتاب … نشدتك الله لا تحكم على هذا الكتاب بمعيار قادة الأدب فى بلادنا ؛ إنما نشرت هذا الكتاب لأناهض به أولئك القادة فكأنما بهذا الكتاب أقول : منْ هنا الطريق يا سادة لا من هناك » .

زكى يا صديق … هات ، هات من أحلام جنتك فإنا إلى مثل هذا الأدب عطاش .

الخفيف

إخوان الصفا[1]

تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

الأستاذ بكلية دار العلوم

إخوان الصفا جماعة بارزة بين مفكرى الإسلام ، يمتز الباحثون بآرائهم ، وإن اختلفوا فى حقيقة أمرهم ، وقد كتبت عنهم رسائل صغار ، ومقالات قصار ، ولكن الأستاذ عمر الدسوقى قصر كتابه هذا عليهم ، وتفرد ببحوث مفصلة عن عوامل ظهورهم ، وروافد ثقافتهم وحقيقتهم ، وناقش المرحوم أحمد زكى باشا مناقشة عنيفة فى نسبته هذه الرسائل إلى مسلمة بن قاسم الأندلسى وفى نفيه أن المجريطى ألف رسائل مثلها ، ثم كان له السبق فى تجلية آرائهم ، وجمع شتاتها ، والموازنة بينها وبين آراء من سبقهم أو جاء بعدهم من فلاسفة الشرق والغرب ، منتفعاً بدراسته العربية فى كلية

(١) من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

دار العلوم وبثقافته الغربية في جامعة لندن ، ثم تميز ببحث قيم مبتكر عن آرائهم في التربية .

عقد المؤلف الفصل الأول لدراسة الحياة السياسية في القرن الرابع ؛ لأنهم ثمرة عوامل عدة منها الحالة السياسية « والكائن المستقل عما قبله وما بعده والذى لا يتأثر بشىء مما حوله ولا يتأثر بشىء مما سبقه أو أحاط به — لا عهـــد للعالم به حتى اليوم ، فالمصادفة محال » .

ثم عقد الفصل الثانى للحياة العقلية ، فتكلم عن السريان وأثرهم ، وعن نشأة الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ، وأثر الفلسفة اليونانية فى العقل العربى ، وخلص من ذلك إلى أنهم تأثروا بالكندى فى فلسفته الطبيعية ، وبالمترجين وآرائهم ، وبالفارابى فى إحصائه للعلوم ، حتى وضعوا رسائلهم التى تشبه دوائر المعارف بالنسبة إلى زمانهم .

ثم تتوالى الفصول بعد ذلك عن إخوان الصفا ، وزمانهم ، ومكانهم ، ونظام جماعتهم ، ومذهبهم ، وفلسفتهم ، ورأيهم فى النفس الإنسانية وفى التربية ، معروضة عرضاً علمياً واضحاً مستخلصاً من رسائلهم .

ويجمل بنا أن نعرض بعض آرائهم التى استخلصها المؤلف من رسائلهم ، فهم مثلا يدينون بخلود النفس بعد أن تفارق الجسد ، ويوازن المؤلف بين رأيهم ورأى أفلاطون فى (الجمهورية) وفى (جورجياس) ، ثم بين الرأيين فى خلود كل نفس وبين رأى أرسطو فى خلود النوع الإنسانى . وهم يذهبون إلى أن البعث إنما يكون بأحوال تطرأ على النفس بعد انسلاخها من الجسد ، ويقولون بخلود العالم ، ويتساءل المؤلف : كيف يتفق هـذا الرأى المخالف للدين الإسلامى مع آيات القرآن الكريم ؟ ويورد تفسيرهم لآيات البعث تفسيراً قائماً على التأويل ، ويحكم بأن هذا تعسف وتكلف . ثم هم يذهبون إلى أن المعلم دعامة فى صرح الأمة ، وعلى الآباء أن يتخيروا لبنيهم المعلم الصالح المستنير المتحلى بفضائل عدُّوها والمبرأ من رذائل أحصوها ، والمعلم كالأب له على تلميذه حقوق الأب .

وتكلموا عن التلميذ والمنهج الدراسى الملائم له وطريقة تحصيله للعلم ، واهتموا باستخدام الحواس فى التحصيـل اهتماماً زائداً فى مواضع شتى ، وسبقوا برأيهم (بستالوتزى) فى عنايته بالملاحظة والإدراك الحسى ، وسبقوا (هربارت) فى نظرية الاستطلاع ، وبقولهم إن قوى النفس الإنسانية متحدة مرتبط بعضها ببعض .

ثم هم يذهبون فى التربية الخلقية إلى أن الخير يجب أن يعمل حباً فى الخير ، لا رغبة فى ثواب ولا رهبة من عقاب ، لأن هذا الخير المحض هو السعادة ، ويقرر المؤلف أنهم سبقوا بهذا الرأى الفيلسوف الألمانى (كانت) الذى بنى فلسفته الأخلاقية على أن الخير يجب أن يعمل لذاته . ثم يعرض المؤلف رأيهم فى الفضيلة وتأثرهم بأرسطو فى أنها وسط بين رذيلتين .

وبعد ، فهذه لمحات أو قطفات سراع من هذا البحث الممتع القيم ، وكانت آراء إخوان الصفاء زهرات مبعثرات ، فجمعها المؤلف فى طاقة منسقة كانت هذا الكتاب ، ومن ذا الذى لا تهفو نفسه إلى أن يستمتع من هذه الطاقة بنظرات وسبحات؟

أحمد محمد الحوفى

زقاق المـــدق

(قصة للأستاذ نجيب محفوظ)

هو اللوحة الحية الرائعة التى رفعت عنها ريشة الفنان البارع الأستاذ نجيب محفوظ . وقد يعجب القارىء من ناقد يفتتح مقال نقده بهذا المديح الجارف ؛ ولكن مهما يكن الناقد مسرفاً فى تزمته ، فانه إزاء نجيب لا يملك غير المديح المتدفق يجرى على قلمه لا يقف فى سبيله أى عارض من عوارض التوقر التى تركب النقاد. بل إنه يجد خلف هذا الاندفاع ما يشجعه على المضى فى السبيل التى يسلك حتى يريح ضميره الأدبى مما يحسه نحو هذا النابغة الفنان ... وقد أصبح الهدم فى أيامنا هذه بضاعة سهلة ، يسومها كل محاول للكتابة ... يظنون أن الشتيمة جرأة ... يا هؤلاء ! إنكم إذ تشتمون تظهرون بمظهر الجرأة حين لا جرأة لديكم ، لأن من تشتمون لا يملك أن يلحق بكم أذى . ولكنكم إن مدحتم استهدفتم لقول القوم : إنهم يتملقون . وما أجرأ من يعرض نفسه لهذه المقالة ... وهأنذا أمدح ... لا عن رغبة فى إظهار جرأتى ، فلن يظن بى أحد تملقاً ... لكن رغبة فى أن يكون الحق — حتى ولو كان مديحاً — هو الحكم الوحيد الذى تخضع له ضمائرنا ... إننى أعلن فى يقين راسخ أن نجيباً أصبح فى القمة الشاهقة التى يمتليها كبار كتاب القصة المصرية .

واضح من العنوان أن القصة قد أخذت مساربها فى أحياء وطنية خالصة ... ولكن الغريب فى أمر هذه القصة أن الأستاذ نجيب لم يطارد شابا بذاته من شبان المدق ليجعله بطل قصته ، ولم يجر خلف فتاة معينة من فتيات الزقاق ليقيم منها الشخصية الأولى فى القصة . لم تكن شخصية البطل آدمية ، بل كانت الزقاق أجمعه بما يحويه من مشايخ وكهول وفتيان ، وما يحويه أيضاً من عجوزمتصابية ، وكهلة تريدالزواج ،وفتاة تستعرض فتيان الزقاق .. كان بطل القصة هو الزقاق .. كان لكل شخص قصته وصورته .. ولكل معهد من معاهد الزقاق رفاقه يكونون رسمه ويروون روايته .. ثم كان لكل قصة نهايتها ..

إن زقاق المدق هى القصة الأولى من نوعها فى اللغة العربية . إذ جرى كتاب القصة على أخذ شخص أو شخصين ينسجون حوله أو حولهما قصتهم نسيجاً لحمته أشخاص آخرون . أما أن يكون كل شىء فى القصة بطلا ، فهذا نوع جديد فى القصة العربية . ونجيب بارع كل البراعة حين يظل ممسكا بقياد القصة بين يديه لا يدع مجالا لما تفلت منه ، حتى يصل بكل شخصية خلقها إلى النهاية التى أرادها .

وعجيب أن يستقيم له هذا الأمر مع هذا الحشد الهائل من شخصيات روايته ... وقد انتفع الأستاذ نجيب بكل الظروف التى أحاطت بمهد القصة . فكان للحرب دور كبير فى الرواية . فهى التى مهدت السبيل لابن المقهى أن يكون غنياً يستطيع أن يذهب إلى السينما ، وأن يمشى بين رفاقه مزهواً يعيرهم ببقائهم على حالهم لا يبذلون فى سبيل «التريش» مجهوداً . وما زال بمجرفته حتى حدا بالحلاق أن يشد الرحال إلى الإسماعيلية فيعمل «بالأرنس» يجمع أموالا تليق بفتاة أحلامه وفتاة المدق التى خطبها قبل السفر . . والحرب هى التى هيأت للفتاة أن تكون « ارتست » ونرى نجيباً وقد أنشأ مدرسة قائمة بذاتها لتعليم أرتستات الحرب كيف يأخذن المال من « جونى » ونرى معلم المدرسة وقد رسمه نجيب رسماً عجيباً ... مزيجاً من الشدة واللين ، ومن اللطف والفظاظة . ولئن كانت المدرسة حقيقة سمع بها نجيب ، فتسجيلها فى قصته لفتة جميلة . وإن كانت بنت خياله فهو رائع إذ بنشئها .

وكما أفاد نجيب من الحرب ، أفاد من نهايتها أيضاً .. فأخرج العامل المتعجرف من عمله ، وأطلقه سكيراً ، هائماً على وجهه ، ثم قاتلا لأخته من الرضاعة التى أصبحت فى نظره جريحة العفة .

وأعادت نهاية الحرب الحلاق النازح للغنى إلى الزقاق حيث يجد فتاته وقد أصبحت ذات ثراء واسع سكبه عليها لينها ، فهو يساعد أخاها فى قتلها .

وقد كان للظروف الطبيعية التى يمر بها كل قوم دور فى الرواية . فنرى شاعر الربابة يضم قيثارته ويخرج من قهوته الأخيرة بعد أن ابتاعت « راديو » وأصبحت فى غنى عن قصصه التى حفظها جميع رواد القهوة .

ويمتاز نجيب برسم شخصياته كما يخلقهم الله . فنرى فى الشرير خيراً وشراً . ولكنه يغلّب فيه ناحية الشر على الخير ، ونرى فى الخير شراً وخيراً ، ولكن خيره غالب على شره .

ولنأخذ مثلا للشخصيات الخيرة فى الرواية الشيخ رضوان الحسينى فنرى الخير فيه غالباً . فهو الذى يلجأ إليه سكان الزقاق فى الملمات . وهو المثل الذى تشير إليه الأمهات إذا شئن أن ينصحن أبناءهن .. ولكنه مع هذا شرير مع أهل بيته ، يفرغ فيهم مايكظمه من غضب فى مخاطبته لأهل الزقاق . أما الشخصيات الشريرة فهى كثيرة ؛ ولكن لنأخذ مثلنا المقهى ، فهو رجل ذو أمزجة مختلفة كلها شاذ يدعو إلى الاستنكار الشنيع . ولكنه مع هذا لا يطيق أن يبذل وعداً بالصلاح حين يطلب إليه الشيخ أن يبذله . فهو رجل لا يمد دون تنفيذ .

لن أحاول الكلام عن جميع الشخصيات التى رسمها الأستاذ نجيب ، فهى — كما قلت — كثيرة ، وكلها بطل ؛ ولكن ثمة شخصية رسمها نجيب حاد فى لحة منها عن طريق كنا ننتظر أن تسلكه ، هى شخصية صاحب الوكالة . وهو بك كبير فى السن ، كان يأمل أن يتزوج من فتاة الزقاق . وكم كان الأستاذ نجيب موفقاً فى عرضه لهذا الحب العجيب بين الفسق والضحى . ولكن قبل أن يتم الزواج سقط الرجل مريضاً ، ولج به المرض ، ثم شاء له الله الشفاء وكنا ننتظر أن يقوم من مرضه مؤمناً بالله ، شاكراً له ، ولكن الأستاذ نجيب أقامه ساخطاً على الدنيا ، برما بها ، كافراً بنعمة من شفاه ... ومن الناس من يصاب بهذا ... وكل ما ألاحظه أننا كنا ننتظر غير ذلك ... ولا ضير عليه إذا أخلف ظننا .

وبعد . فلا يسعنى إلا أن أقدم للحياة المصرية المصرية كل تهنئتى أن وفقت إلى قصاص كنجيب ، يرسمها فيترك منها للأجيال القادمة صورة واضحة المعالم جلية المعارف .

ثروت أباظه



وا أسفاه ! مات النشاشيبى :



قضى الأمر وقضى إمام العربية الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ! توفاه الله إليه فى منتصف ليلة الخميس الماضى بالمستشفى بعد أن نقلناه إليه من الفندق بأربع ساعات ؛ ثم انتشر نعيه فى الصباح الباكر فلم يبق أحد ممن يعرفون الفضل أو يقدرون الأدب أو يقوّمون الخلق إلا أرسل عينيه أو قلب كفيه حزناً على استشهاد هذا البطل المخلص فى الميدان الذى ارتضاه لجهاده فى سبيل دينه ولغته وعروبته .

كان نعيه يقابل فى كل مكان ومن كل إنسان بالحسرة والدهشة : بالحسرة ، لأن من قرأ النشاشيبى يعتقد أن مكانه لن يملأ وأن خلفه لن يكون . وبالدهشة ، لأن من رأى النشاشيبى لا يتصور أن هذه الشعلة الذهنية تخمد ، ولا أن هذه الحركة العصبية تسكن . أخلد النشاشيبى مضطراً إلى سكينة الموت بعد خمسة وستين عاماً قضاها فى جهاد متصل : جاهد فى شبابه للحياة من غير هدنة ؛ ثم جاهد فى شيخوخته للخلود من غير راحة ؛ ثم ألقى السلاح ومضى كما يمضى الربيع تاركا وراءه الخصب والعشب والثمر .

كانت جنازته فى يوم الجمعة تكريماً للأدب والعلم سار فيها مندوب جلالة الملك ، وصاحب السماحة مفتى فلسطين ، ومندوب صاحب الدولة رئيس الوزراء ، وممثلو الدول العربية والإسلامية ، وصفوة من رجالات مصر ، حتى مثواه الأخير. تغمده الله برحمة من عنده ، وألهم أسرة الرسالة وأمة العروبة الصبر على فقده !

المهرجان الأدبى والفنى :

عينت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف يوم ٢٠ فبراير القادم لإقامة المهرجان الأدبى والفنى . وجعلت يوم ٢١ يناير الحالى آخر موعد لقبول الإنتاج الأدبى وآخر الشهر بالنسبة للانتاج الفنى (التصوير والنحت والأشغال والزخرفة)

وتوالى الآن لجان التحكيم النظر فى الشعر والقصص والمسرحيات والأغانى والأناشيد ، وسيختار موضوع للخطابة يتبارى فيه الخطباء .

وقد اختيرت مسرحية « اسماعيل الفاتح » للأستاذ إبراهيم رمزى بك موضوعاً للمباراة بين الفرق التمثيلية المدرسية ، والفصل الثالث من رواية « مصرع كليوبترا » للمرحوم شوقى بك موضوعاً للمباراة بين الفرق التمثيلية الجامعية . أما فرق الهواة فلها أن تتقدم بالمسرحية التى تراها كما يجوز لها أن تحصل بعد ٢١ يناير على إحدى المسرحيات الفائزة فى مباراة الأدب لتدخل بها مباراة التمثيل

وسيمنح الفائزون الجوائز الآتية :

أنواط ذهبية تذكارية للفائزين من الأدباء والفنانين من غير الطلبة ، وأنواط فضية تذكارية للفائزين من الأدباء والفنانين الطلبة ، وشهادات تقدير وتفوق مصحوبة بنوط للفرق المدرسية والجامعية الفائزة فى الموسيقى والتمثيل والأناشيد ، وجوائز مالية مختلفة يختص بها الأدباء والفنانون الذين ترى اللجان ضرورة تشجيعهم واستنهاض هممهم وملكاتهم .

معرض الكتب والفنون :

وتقرر أن يقام معرض الكتب الصادرة فى سنة ١٩٤٧ ومعرض لفنون التصوير والنحت والأشغال والزخرفة . من ٢٠ فبراير إلى آخر الشهر ، وذلك بدار إدارة خدمة الشباب (رقم ٧ شارع سليمان باشا) التابعة للادارة العامة للثقافة .



قوة الحب

للقصصى الانجليزى الشهير فرنك مولنار

بقلم الأديب سيد أحمد قناوى

« حيث لا يوجد الذهب ، يوجد ما هو أقوى منه
ذلك هو الحب القوى الجارف الذى لا يقاوم »

أخذ الهواء يعبث بالدخان الذى يتصاعد من إحدى مداخن قصر الكونت « سكارلت » ولكن أحداً فى هذه الأرض الفسيحة لا يستطيع أن يصدق أن طهاة « الكونت » يعدون له طعام الإفطار فى هذه الساعة المبكرة ، ولو تسنى لأحد من سكان هذه القرى التى بعثرت حولها قصور النبلاء أن يدرك حقيقة ما يحدث فى قصر الكونت — لعرف أن هذا الدخان يتصاعد من معمل الكيماوى « كونارد سوبابولو » الذى يقيم فى قصر الكونت منذ ثمانية عشر شهراً ليحول له الرصاص وغيره من المعادن الخسيسة ذهباً ...

والواقع أن الكيميائى الكهل لم ينجح فى تجربة واحدة من تجاربه العديدة على رغم ما أنفق من الجهد فى هذا السبيل .

وكان يبعث بكل ما يصل إلى يده من أموال « الكونت » إلى زوجة قد أنكرها وطفل قيل له إنه ابنه ...

وعند ما أحس بأن « الكونت » قد أخذ يضيق بإقامته ونفقاته ، أراه قطعة صغيرة من الذهب لم تتحول من الرصاص ولا من غيره ، ولكن « الكونت » الشرير برغم درايته بكل وسائل الخداع لم يدرك أن قطعة الذهب وضعت خفية مع الرصاص الذى ترك يغلى على النار أمام عينيه طوال الليل .

إلا أن هذه القطعة الذهبية ، قد فتحت ثغرة فى حياة

البانتوميم والميم :

ذكر الأستاذ الفاضل عبد الفتاح البارودى فى الحلقة الثانية من سلسلة مقالاته القيمة عن فن المسرح (عدد ٧٥٩) أن البانتوميم Pantomime والميم Mime فنّانِ من فنون الرومان فى العصور القديمة . فليسمح لى الأستاذ أن أقول إن اليونان عرفوا هذين النوعين بل إن أشهر ممثليهما هو بيلادِس Pylades الممثل اليونانى المعروف وإذن يكون هذان الفنان يونانيين وليسا رومانيين . **رمزى خليل**

الغوغاء :

المفهوم أن لفظ الغوغاء مذكر وأن همزته ليست للتأنيث وأنها مقلوبة عن الواو ، ولكن جاء فى الرسالة الغراء عدد ٧٥٨ فى الفقرة ٩٦١ من نقل الأديب فى السطر السادس منها — قامت عليه الغوغاء — وفى هذا ما يشعر بتأنيث اللفظ فما قول الأدباء .

أبو ماضى

المتبارون على جائزة جونكور :

تنشر الصحف الفرنسية تكهنات مختلفة عمن يمنح جائزة « جونكور » . ويؤخذ من مجموع ما نشر حتى الآن أن هناك ثلاثة فى طليعة المرشحين لهذه الجائزة وهم :

١ — جاك بيريه الذى قضى شبابه فى حياة مضطربة . إذ سافر إلى « لاجويان » على سفينة لنقل الموز واشتغل عاملا فى مناجم الذهب ثم اشترك فى الحرب الأخيرة وأسر سنة ١٩٤٠ واعتقل فى معسكر بالقرب من برلين حتى سنة ١٩٤٢ وهناك وضع كتابه الذى عرضه أخيراً باسم « الجاويش » الذى أحرز درجة الشرف .

٢ — مارى ليهادوان وقد تقدمت بمؤلف عنوانه « النجم المر »

٣ — ريمون دوماى رئيس تحرير جريدة « الآداب » الذى بدأ حياته خادماً فى عزبة . وقد كان لحياته الخلوية تأثير فى كتاباته فأخرج « الحشيش الذى ينبت فى المرعى » وقد تقدم أخيراً بمؤلف آخر بعنوان « عنب من الذرة » .

جائزة فمينا :

منحت جائزة « فمينا » أخيراً لمدام جابرييل روى وهى كاتبة فرنسية من أصل كندى . عن رواية أخرجتها باسم « سعادة طارئة » وقد وصفت فيها حياة أسرة تقيم فى حى العمال بمدينة « مونتريال » وتتألف من أم مجدة وأب تعس . وبنت (وهى بطلة الرواية) خادمة فى بار .

السكيميائى الكهل فإن « الكونت » قد اعتقد أن الرجل ليس جاهلا ولكنه لص يسرق الذهب الذى يستخرجه من الرصاص .

وقد أقسم له الكونت أنه إذا لم يقدم إليه فى الصباح قطعة كبيرة من الذهب الخالص فسيقوده بيده إلى أعلى برج فى القصر ثم يقذف به إلى أرض الحديقة .

وكان « كونارد » يعرف أنه سيلقى حتفه فى غده ، فإن « الكونت » لا يحنث فى يمينه . فقد أقسم من عام أن يقطع أذنى أحد خدمه وبر بقسمه ، فأخذ الرجل ينتفض من الخوف ، ومع هذا استيقظ مبكراً ووضع بعض الآنية على نار الموقد وهو يعلم أن لا شىء فيها غير بعض المعادن الخسيسة .

ودقت ساعة القصر الكبير السابعة ، وعرف « كونارد » أنه من الموت على خمس ساعات ، ولكنه كان متفائلا ، وقبل أن يخفت رنين دقات الساعة فتح باب غرفته ، وهاله أن يرى الكونت العجوز بعظام وجهه البارزة يسد الباب بقامته الفارغة وسمع صوته الأجش يقول :

— أين الذهب الذى تستخرجه من الرصاص أيها اللص ؟

وجثا « كونارد » بين يديه وهو يقول :

— لا شىء فى البوتقة يا سيدى الكونت !

واصفر وجه العجوز ووثب إليه بسرعة ، وأمسك بتلابيبه ليقتاده إلى البرج ، ولكن الكيميائى قال هامساً :

— تمهل يا سيدى فانى لم أجد الذهب وإنما وجدت ما هو أغلى منه ثمناً .

فضحك « الكونت » ضحكة ساخرة وقال :

— وأى شىء هذا المعدن الجديد ؟

— إنه ليس بالمعدن يا سيدى «الكونت» وإنما هو مركب كيميائى يحتوى على قوى الحب الذى لا يقاوم ...

عندئذ تراخت قبضة « الكونت » عن عنق الرجل وقال :

— وهل أبتلع هذه الأكذوبة أيضاً كما ابتلعت قصة الذهب ثمانية عشر شهراً أيها المحتال ؟

وقال الكيميائى لنفسه : إن التردد نصف المصدق .

فتنفس الصعداء وراح يتابع أكذوبته :

— ليست هذه أكذوبة بل هى حقيقة أعرف بها كيف أجعلك تقهر قلوب النساء .

واتسمت حدقتا « الكونت » الهرم ، فقد كان فيما مضى زير نساء شهير فلما تقدمت به السن ويبست سواعده وبرزت عظام وجهه دعته النساء الهيكل وأشحن بوجوههن عنه ، وبدت على وجهه علائم السرور فتابع الكيميائى الكهل حديثه

— لقد خلطت مسحوق الفضة بالرماد ، ثم أضفت إلى المسحوق مواد خاصة أحتفظ بسرها . فهب « الكونت » يسأله وهو يلهث :

— ثم ماذا ؟

— لاشىء إلا أننى سأصنع لك من هذه المواد قطعة صغيرة من المعدن تثبت فى مقبض سيفك ، فاذا أردت أن تهاجم سيدة بغرامك وضعت يدك اليسرى على مقبض السيف فوق القطعة الفضية الداكنة وثق أنها لن تستطيع مقاومة نظراتك وستنصت من توها لغزلك .

فقال الكونت :

— وهل تثق بهذا ؟

— كل الثقة ، وأرجو أن تترك لى سيفك الليلة ، وفى الصباح سيكون كل شىء وفق ما تريد ، وسأترك لك تقدير المنحة التى تمنحنى إياها .

***

واستفاضت الأنباء بقصة القطعة الفضية التى وضعت عند قبضة سيف «الكونت اسكارلت» لتمكنه من غزو قلوب النساء وقبل أن تمر ثلاثة أيام كان الكيميائى الكهل قد تلقى ثمانى عشرة رسالة من النبلاء الذين يقيمون فى المناطق المجاورة بدعوته إلى الإقامة فى قصورهم ويمدونه المنح والهدايا لو باح لهم بسر قواه الجديد .

ولكن « سكارلت » كان أبسط يداً كما كان أضن بأن يترك « كونارلد » يبارح قصره .

وفى اليوم الرابع بدأ « الكونت سكارلت » أولى غزواته وقد تقلد السيف الذى يحمل القوى العجيبة ... فتخير لغزوته قصر سيدة صغيرة موسرة تعيش على مقربة منه وقد فشل أكثر من مرة فى التقرب إليها ... وكانت هذه النبيلة الحسناء تعيش عيشة البذخ تحيط بها اثنتان وثلاثون سيدة من وصيفات الشرف فبعث « الكونت » فى الصباح الباكر إلى جارته الحسناء

ينبؤها بقدومه عند الظهر ... وأثارت رسالته ضجة عالية ، كانت « الثلاث والثلاثون » سيدة ينتظرنه وكل واحدة منهن تزعم لنفسها أنها أقوى من هذه القطعة الفضية التي وضعت عند مقبض السيف ، ولكن سيدة القصر صرفتهن عندما دخل عليها « الكونت » وتقدمت إلى لقائه فى البهو الكبير وقدمت إليه مقعداً وهى لا تعلم أن أربعاً وستين عينا كانت ترقب كل حركاتها من وراء السجف .

وانكأت الحسناء على مقعدها ، وكانت حتى تلك اللحظة تسخر من منظر « الكونت » الهرم وتضحك من عظام وجهه البارزة ولكنه عندما وضع سيفه بين ركبتيه على عادة الفرسان أخذت تحدق فى السيف ، فراعها مرآه ، وخلبتها هذه الماسات الكبيرة التى تغطى قبضته ، ثم ألقت نظرة عابرة على القطعة الفضية القاتمة اللون التى زادها الضوء القليل سواداً .

ولم يفطن الكونت والحسناء الشابة أن اثنتين وثلاثين سيدة يراقبنهما ، وقد قررن فى أنفسهن أن « الكونت » يبدو مهيب الطلعة .

قال الكونت بثقة :

— إنه يوم جميل .

فقالت السيدة وهى لا تزال تنظر إلى القطعة الفضية ساخرة :

— أجل جميل .

ووضع « الكونت » يده اليسرى على القطعة الفضية وهو يقول :

— وهو دافىء أيضاً .

وأحست السيدة برعدة عابرة وتحركت السجف ودار همس خافت « لقد قبض بيده على القطعة الفضية »

ولم ترفع الحسناء عينيها عن يده ، ولم تلق بالها لحديثه التافه ولكنها كانت تستشعر الخوف فلم تفطن إليه وهو يقترب منها حتى جلس بجوارها فى المقعد الكبير وأخذ يقول :

— مم تخافين ؟ منى ... إننى أكن لك احتراماً منذ أمد بعيد . وكان من الممكن أن تسمع السيدة الهمس وراء السجف فقد كانت اثنتان وثلاثون امرأة يتهامسن بعد أن قررن أن الرجل قد انتصر وأنهن يجب أن ينصرفن

وأحست السيدة رهبة خفية عندما سمعت صوته يقول إنه يحبها منذ أمد بعيد فهمست :

— إن كنت تحبنى فارفع يدك عن تلك القطعة الفضية التى تحلى مقبض سيفك .

فقهقه « الكونت » وهو يقول :

— محال !

وازداد تمسكا بقبضة سيفه .

وفى اللحظة التالية كان يطوق خصرها بيده اليمنى ويقبلها ، وحاولت الحسناء أن تقف فلم تستطع وسقط رأسها الجميل كزهرة يانعة فألصق شفتيه بشفتيها وراح يقول هامساً :

— إننى أحبك وسأقصر حياتى كلها عليك .

— وأنا كذلك سأظل لك ...

***

ومضت عشرة أعوام كانت مليئة بنجاح غرامى متصل « للكونت سكارلت » لم يقطعه إلا الموت .

وانتقل الكيميائى الشيخ وقد أشرف على التسعين إلى منزل « البارون دوبرون » وكان الكيميائى قد هده المرض العضال ، ولكن البارون لم يطق صبراً ، فقرر فى نفسه خطة وذهب إلى الكيميائى المريض يسأله عن سر القوى ؛ فقال المريض بصوت خافت متهافت :

أقسم لك يا سيدى « البارون » أن المسألة خرافة ؛ فليس هناك قوى سحرية ولا شبه ذلك ، فالقطعة الفضية لا فرق بينها وبين حدوة الفرس .

إن سر المسألة : ثقة الرجل بنفسه ، وهذه الثقة هى قوة الحب . ولا تخلص لامرأة حسناء من قبضة رجل يثق بنفسه ، وإذا وثق الرجل بشىء وثقت المرأة به . إنك ستكذبنى وستذهب إلى السيدة التى تريدها وأنت فاقد الثقة بقوتك الحقيقية ، وهى القوة الكامنة فى عينيك ولسانك وشخصيتك فتفقد كل شىء ، ولذا ... ولم يكد يتم الكيميائى الشيخ حديثه حتى ضربه « البارون » بجمع يده على رأسه يريد أن يسخر منه .

ولكن الرجل قد مات والحقيقة على شفتيه لأن الناس دائماً لا يصدقون الحقيقة !

(السودان) سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦١ — الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 761

Lundi — 2 — 2 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٧٦١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

محمد إسعاف النشاشيبي



أهكذا، وفي أسرع من رجع النفس يسكت اللسان الذليق، ويسكن العصب الثائر، ويخمد الذهن المتوقد، ويقف الفؤاد الذكي، ويصبح النشاشيبي نعياً في الصحف، وخبراً في البلاد، وحديثاً في المجالس، لا يقول فنسمع، ولا يكتب فنقرأ ؟ !

أهكذا، وفي مثل ارتداد الطرف يترك النشاشيبي قلمه سائلا بالمداد، وكتبه مهيأة للطبع، ومجلسه مشتاقاً للسماع، ومجلته منتظرة (للنقل)، ويذهب إلى حيث لا يرجع ولا يكتب ولا يتحدث ؟ !

سبحانك يا رب! شعاع أرسلته ثم رددته، وروح بثثته ثم أعدته، وظل بسطته ثم قبضته، ولواء رفعته ثم خفضته، وبنو آدم العاجزون الضعاف لا يملكون أمام أمرك البادي وسرك المكنون إلا أن يشكروا على العطاء والأخذ، ويحمدوا على المحبوب والمكروه !

كنت ثالث ثلاثة استبقاهم الوفاء بجانب إسعاف في ساعاته الأخيرة؛ وكان الطبيب واقفاً يصف الدواء وينظم العلاج ويرشد الممرضة؛ وكان المريض جالساً في سريره حاضر الذهن حافل الخاطر يغالب انبهار النفَس من الربو، ويجاذب العوّاد مارقّ من الحديث: فهو يضع لسانه حيث شاء من نوادر اللغة، وطرائف الأدب، فينتقل من الكلام في (ليس غير) إلى الكلام في ترجمة (جوته) لقصيدة خلف الأحمر، حتى إذا سمع الطبيب يصف له البنسلين قطع الحديث وقال بلهجته المعروفة: أنا أكره البنسلين لأنه أنقذ تشرشل! فقلنا له: ونحن نحبه لأنه سينقذ أبا عبيدة! وكانت مظاهر العزم في حديث (أبي عبيدة) توسع في أنظارنا فسحة الأمل، وتصرف عن أذهاننا فكرة الخوف، فلم يدر في خلدنا أن المنية كانت مرنّقة فوق سريره تنتظر أنفاسه المعدودة أن تنقضي، وألفاظه المسرودة أن تنفد، فلم يكد السامر ينفض والساهر ينام حتى ختمت على فيه المنون فسكت سكوت الأبد !

ولد محمد إسعاف بن عثمان النشاشيبي بالقدس حوالي سنة ١٨٨٢ في أحد البيوتات التي تجاذبت السيادة على فلسطين؛ وكان أبوه من ذوي الثراء والدين والخلق فنشأ على الطباع العربية الأصيلة من جراءة القلب وصراحة الرأي وحرية الضمير. ثم أراد أن يجمع له أطراف المجد بالعلم والمال فبعث به إلى المدرسة البطرركية ببيروت فشدا شيئاً من مبادئ الآداب والعلوم، ثم انقلب إلى أبيه، وكان يومئذ وحيده، فنظمه بالعمل في سلكه،

ونزل له بالبيوع عن أكثر ملكه . وأخذ إسعاف يتقلب فى ظلال أبيه على مهاد النعيم والخفض حتى تزوج أبوه زوجة أخرى ، ورزقه الله ولداً آخر ، فأراد إسعافاً على أن يرد إليه ما أعطاه ليكون شركة بينه وبين أخيه ؛ فأبى إسعاف أن ينزل عن شيء دخل فى رزقه وأصبح من حقه . . . وانشقت العصا بين الأب وابنه ، فخرج إسعاف من كنف الأبوة مغاضباً يضطرب فى المعاش ويسعى على نفسه . ومنذ ذلك اليوم عرف إسعاف الهم وذاق الألم وكابد البؤس . كان يعمل ليلهو فأصبح يعمل ليعيش ؛ وكان يقرأ ليلذ فأصبح يقرأ ليعلّم ؛ وكان يحيا لينعم فأصبح يحيا ليموت . وولى أبوه غفر الله له وساطة الناس أذناً صماء فلم يعنه على تكاليف العيش بتمكينه من ريع أرضه ، فذهب يستقطر الرزق من تعليم العربية فى بعض المدارس . وكان يعول بعض الضعيفات من أهله ، فتحمل فى سبيل ذلك رهقاً شديداً بقى أثره بارزاً فى نفسه طيلة حياته ، تعاوده ذكراه فى سكينته فيضطرب وفى لذته فيتألم. ثم حسم الله الخلاف بينه وبين أبيه بالموت ، فوضع إسعاف يده على نصيبه من الثراء العريض . وعاد إليه الحظ باسماً يتملقه ويعتذر إليه ، فتلقاه الكادح المحروم كما يتلقى الثرى المكروب ماء المزن وفى القدس شيد قصره المنيف ليكون مثابة للأدباء ومجمعاً للأدب ، ثم اقتنى مكتبة من أنفس الكتب وأندرها ، وأقبل عليها وهو لا يزال فى ربيع العمر فقتلها علماً وفهماً وتدقيقاً وتعليقاً واختياراً واستظهاراً فلم يترك كتاباً مما أخرجته المطابع أو نسخته الأقلام فى القديم والحديث إلا قرأه وعلق عليه واستفاد منه . ثم وقف بعد ذلك نفسه ووقته وجهده على دراسة الإسلام الصحيح فى مصادره الأولى ، وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها من منابعها الصافية ؛ وأعانه على ذلك قريحة سمحة وبصيرة نيرة وحافظة قوية وذوق سليم ، فكان آية من آيات الله فى سعة الاطلاع وكثرة الحفظ وتقصى الأطراف وتمحيص الحقائق . ثم جلس على مكتبه كما كان يجلس ابن دريد ، عن يمينه زجاجة فيها مداد القلم ، وعن يساره أخرى فيها مداد الفكر ؛ وأخذ يعسِل كما تعسل النحل إذا امتلأ جوفها بالرحيق . وفاضت بهذا العسل المصفى أنهر الصحف والمجلات فى الشام ومصر ، فاشتاره القراء متنوع الطعوم مختلف الألوان متعدد الأسماء. ولئن سألوا لمن هذا الشراب أعياهم أن يجدوا الجواب فى إمضاءاته الرمزية من نحو (ن) و(أزهرى المنصورة) و(***) و(السهمى) ؛

لأن النشاشيبى لم يكتب للشهرة والمجد ، إنما كان يكتب للعصبية والعقيدة . أخلص لله فأخلص لقرآنه ، وأولع بمحمد فأولع بلسانه . فإذا جلس إلى الناس فى القدس أو فى دمشق أو فى القاهرة كان مجلسه ندوة علم وأدب وفكاهة ، لا تُذكر مسألة إلا كان له عنها جواب ، ولا تثار مشكلة إلا أشرق له فيها رأى ، ولا تُروى حادثة إلا ورد له عليها مثل ، ولا يحضر ندوته أديب مطلع إلا جلس فيها جلسة المستفيد . ثم كان فى غير مكتبه ومجلسه يشارك فى معارف فلسطين بعمله ، وفى المجمع العلمى العربى بعلمه ، وفى الثقافة العامة بكتبه ، وفى المحافل الأدبية بخطبه ، وفى المساعى الخيرية بماله . ثم أقلع منذ أربعة عشر عاماً عن شهوات الجسد فلم يبق له من لذاذات العيش إلا الكتاب العربى والسكارة التركية. ولكن إسرافه على شبابه أعقبه علة فى شعاب الرئة جرّت إليه الربو ؛ واصطلحت هاتان العلتان على القلب طيلة عشر سنين حتى أضعفتاه ، ومن هنا جاءت منيته .

كان النشاشيبى جاد الله بالرحمة ثراه رجل وحده فى الأسلوب والخط والحديث والتحصيل . أسلوبه عصبى نارى تكاد تحس الوهج من ألفاظه ، وتبصر الشعاع من مراميه . وخطه نمط عجيب بين الكوفى والتعليق لم يأخذه عن أحد ولم يأخذه منه أحد . وحديثه نبرات قوية تبرز الألفاظ ، وحركات سريعة تمثل المعانى ، وانفعالات شتى تتعاقب على قسمات وجهه وأصابع يده . وتحصيله عجب من العجيب ؛ لا تستطيع أن تذكر له كتاباً من كتب العربية لم يقرأه ، ولا بيتاً من شعر الفحول لم يحفظه ، ولا خبراً من تاريخ العرب والإسلام لم يروه ، ولا شيئاً من قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الأمثال لم يعلمه ؛ فهو من طراز أبى عبيدة والمبرد ، ولذلك كان أكثر ما يكتب تحقيقاً واختياراً وأمالى . ثم كان إلى كل أولئك متواضع النفس ، فكه الأخلاق ، لطيف الروح ، نفّاح اليد ، عفيف اللسان ، مأمون المغيَّب ، لا يتمزز بحسبه ، ولا يطاول بماله ، ولا يباهى بعلمه ، ولا يفخر بشيء مما يتمدح به الناس إلا بالانتساب إلى العرب والانتماء إلى محمد ! إن النشاشيبى كان خاتم طبقة من الأدباء اللغويين المحققين لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته أن يجود بمثله . فمن حق المحافظين على التراث الكريم ، والمعتزين بالماضى العظيم ، أن يطيلوا البكاء على فقده ، وأن يرثوا لحال العروبة والعربية من بعده !

احمد حسن الزيات

عود إلى مسألة العقل

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت تعليقين على مقالى السابق فى الرسالة حول مناقشة الأستاذ نقولا الحداد فى مسألة العقل والدماغ .

أول هـذين التعليقين ينبهنى إلى مسائل أخرى فى مقال الأستاذ الحداد لم أتناولها بالرد ، وهى كثيرة لا تنحصر فى أصل العقل وعلاقته بالدماغ .

والتعليق الثانى يشير إلى قولى فى ذلك المقال : « المعقول أن الإنسان تكلم لأنه فكر ، وليس بمعقول أنه يفكر لأنه يتكلم » ويسألنى مزيداً من الإيضاح لرأى السلوكيين فى هذا الموضوع .

***

أما أننى تناولت مسألة العقل دون غـيرها من المسائل التى تضمنها مقال الأستاذ الحداد فى عدد « المقتطف » الأخير فذلك صحيح ، وسببه أننى أردت التمثيل بطريقة الأسـتاذ الحداد فى التفـكير ولم أرد أن أتعقبه فى كل فـكرة وكل دليل .

فالأستاذ الحداد رجل فاضـل مطلع على الآراء العلمية محب للبحث على الطريقة التى يسميها بالطريقة التجريبية ، ولـكننى أحسبه — من كلامه — لم يشغل نفسه كثيراً بالمباحث الفلسفية ، ولم يعود عقله أن يعطيها حقها من التقدير الواجب والتأمل الطويل .

ولا يعاب الأستاذ على ذلك لأن الناس جميـعاً لم يخلقوا لمباحث الفلسفة ودراساتها، بل حسب العارف من المعرفة ماتهيأ له وجنح إليه بطبعه واستعداده ، وإنمـا يؤخذ عليه أن يقدح فى معرفة لم يملك أسباب الحـكم عليها ، وأن يتصـدى لرأى من الآراء بغير عدته التى تعينه على نقده وتمحيصه .

ولا نريد فى هـذا المقال أن نتعقب كل ما كتبه الأستاذ الحداد فى مقاله بالمقتطف ، فربمـا أغنانا عن ذلك زيادة مثل آخر على انفراج الشـقة بين طريقته الفـكرية وبين الموضوعات التى يتصدى لها بغير عدتها .

فالأستاذ يستغرب مثلا قولنا « إن الموجود غـير المعدوم » ويتساءل : «أى معنى تفيده عبارة غير المعدوم زيادة على الموجود ؟ أليست عبارة غير المعدوم مرادفة لـكلمة الموجود لا مفسرة لها ؟ بل أليست كلمة موجود أوضح من عبارة غير المعدوم ؟ ... »

فلو أن الأستاذ الحداد كلف نفسه أن يراجع تعريفاً واحداً من التعريفات المصطلح عليها لاستغنى عن هـذه الأسئلة وأعادها إلى نفسه ليعلم أنها لا تبطل شيئاً مما أراد إبطاله .

فتعريف الجزيرة مثلا هو أنها قطعة من الأرض يحيط بها المـاء من جميع الجهات . فماذا نفهم من قطعة الأرض التى يحيط بها المـاء إلا أنها الجزيرة ؟ .

وتعريف الخط المستقيم مثلا هو أنه أقرب موصل بين نقطتين . فماذا نفهم من أقرب موصل بين نقطتين إلا أنه الخط المستقيم ؟ هل تطالبنى بإبهامك ما هى النقطة قبل أن تسلم بالموصل بين النقطتين ؟ هـل تطالبنى بتعريف الجهات حول الدائرة أو حول المثلث أو حول المربع أو حول المستطيل إذا كانت الجزيرة على شـكل من هذه الأشكال ؟ .

كل مايطلب من التعريف أنه ينفى الالتباس ويحصر الصفة . فإذا قلت لى ما هى مزية وصفك الموجود بغير المعدوم ؟ فهذه المزية هى أننا نخرج من هنا « غـير المحسوس » و « غير المفهوم » و «غير المدرك» وغير المعلوم ؛ فلا ننفى وجود شىء لأننا لانحسه أو لا نفهمه أو لا ندركه أو لا نعلمه . ويصبح الموجود بذلك أعم وأ كبر من أن يلتبس بالمحسوسات والمدركات والمفهومات والمعلومات .

ولو أن الأستاذ أحسن تطبيق هذا التعريف لمـا استطاع أن يقول إن المـكان « هو العدم المطلق » كما قال فى ذلك المقال .

فعلى طريقتنا نحن نقول إن المـكان موجود لأنه غير معدوم . ونقيم الدليل على أنه غـير معدوم بأنه يقاس ويحتوى الموجود . والعدم لا يقاس ولا يحتوى الموجودات . فلا يسمك أن تقول إن متراً مكعباً من العـدم أ كبر من قدم مكعبة من العدم . ولا يسمك أن تقول إن العدم المطلق يحتوى جميع الموجودات .

ولقـد رأينا عقلا من أ كبر العقول البشرية — كعقل إينشتين - يكاد يفسر الموجودات كلها بهذا الفضاء الذى يحسبه الأستاذ الحداد عدماً مطلقاً لا يوصف بمجرد الوجود .

فقد قال اينشتين إن كل وصف للأثير يمكن أن ينطبق تمام الانطباق على الفضاء . ومن ثم وضع تلك الصيغة المشهورة عن المادة الفضائية Spase Substance وعنى بها أن الفضاء جوهر وقد يكون مصدر جميع الموجودات . فأين مصدر جميع الموجودات من العدم المطلق فى رأى الأستاذ الحداد ؟

إذا كان رجحان الفكرة إنما يظهر لنا بمقدار ما تفسره من الأشياء التى لا تقبل التفسير بغيرها فالقول بأن الفضاء مصدر جميع الموجودات يفسر لنا أموراً كثيرة لا نستطيع أن نفسرها الآن ومنها أن الأفلاك وما فيها من المادة نشأت من السدم الملتهبة ... فمن أين جاءت السدم الملتهبة بالحرارة ؟ هل جاءت بها منها أو من خارجها ؟ فإذا كانت قد جاءت بها منها فقد فسرنا الماء بالماء . وإذا كان الفضاء هو مصدر كل حرارة فليس هو بالعدم المطلق كما يقول الأستاذ الحداد .

وهكذا يجهل الأستاذ الحداد معنى « غير المعدوم » فينتهى به الأمر إلى وصف أثبت الموجودات — أو مصدر الموجودات على هذا التقدير — بأنه العدم المطلق الذى لايتصور له وجود ..!

إن إظهار الخطأ فى مقياس التفكير عند الأستاذ الحداد يغنينا عن متابعة كل اعتراض يعترض به على وجه التفصيل . فذلك عناء يطول كما يطول كل نقاش بين طرفين يجرى على غير قياس .

ولعل هذا التمثيل قد أغنانا عن التفصيل والتطويل .

***

أما قولنا إن الإنسان يتكلم لأنه يفكر — فرجعه عندنا إلى الحقيقة المشاهدة فى التفكير والكلام .

فالحقيقة المشاهدة أنُ الإنسان قد يجد الفكرة ولا يجد لها كلاما . ولو كان الكلام هو مصدر التفكير لما وجد الفكر إلا حيث يوجد الكلام .

والحقيقة المشاهدة أننا نجد عقولا رياضية وعقولا فنية وعقولا علمية وعقولا فلسفية ، وليس اختلافها فى التفكير متوقفاً على اختلافها فى الكلام .

والحقيقة المشاهدة أن الكلام قد يضيق بأفكارنا فنلجأ إلى التعبير عنها بالرموز أو بتشبيهات المجاز أو بالأنغام والألحان ، ولو كان هو الأصل فى تفكيرنا لما جاشت أنفسنا بفكرة واحدة لم نخلق لها قبل ذلك كلمة أو كلمات .

والحقيقة المشاهدة أن كثيراً من المعانى العقلية ليست مما يتمثل للحس ويتسمى بالأسماء . ومنها الأقيسة والمقارنات .

ومذهب السلوكيين ينقض نفسه بنفسه فى تعليل التفكير بالقدرة على الكلام . فإنهم يزعمون أن الإنسان لم ينفرد بالسلوك أو بتفاعل الغرائز الجسدية التى تجرى مجرى التصرف والتفكير . ولكنهم لا يذكرون لنا لغة للحيوان تصدر منها أفكاره أو تصرفاته ، ولا مناص لهم من ذلك إن صح عندهم أن كل تفكير فمصدره لا محالة من الكلام .

وقد ناقش العالم النفسانى الكبير وودورث woodworth هذا المذهب فساق من الأدلة على بطلانه أن الإنسان قد يقرأ قصيدة طويلة وهو يفكر — أثناء قراءتها — فى شىء آخر . وليس ذلك بممكن لو كانت مسألة التفكير مسألة « عضلية » تتحرك فيها العضلات حين تحركها الكلمات .

وفى كتب هذا العلامة وكتب وليام مكدوجال Mc Dougall على الخصوص إشباع واف للبحث فى مذهب السلوكيين عن التفكير يرجع إليه من أراد التوسع فى هذا الموضوع .

ونوشك أن نقول إن تعليل التفكير بالكلام قد يكون تعليلا كافياً لأفكار السلوكيين ومن جرى مجراهم ؛ ولكنه غير كاف لتعليل كل ضرب من ضروب الأفكار ... !

عباس محمود العقاد

مصاب العرب والعربية

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

روّعت الأمة العربية ليلة الخميس حادى عشر ربيع الأول بنعى علم من أعلام لغة العرب ، وأديب نابغ من أدبائها ، وكاتب مبدع من كتابها . فجعت أمة العرب فى ابن بارّ منحها قلبه ولسانه وقلمه عشرات السنين ؛ فما حلّ بها خطب ، أو حز بها أمر إلا تصدى له ينصر أمته ، ويرمى عدوها بنيران من الكلم ، يرمى بها عن قلبه ولسانه وقلمه . وما اتهم العرب متهم ، أو ازدرى تاريخهم مزدر ، أو تجنى على نعمهم متجن ، إلا انبرى يشيد بالعرب وتاريخ العرب ولغة العرب دفاع ذى الحفاظ الحر العارف الثبت .

وما كتب كاتب لجار عن القصد فى كلمة من العربية أو قاعدة من قواعدها أو أخطأ فى رواية من الشعر أو النثر إلا سارع يرده إلى الصواب ، ويقيمه على المنهاج . وهو فى كل هذا لا يدعى ولا يزهى ولا يجور ولا يفخر بل كثيراً ما كان يخفى نفسه بأسماء يستعيرها وإن دل عليه أسلوبه ، ونادت عليه طريقته .

وما ضمّ ندبه جماعة من الأدباء — وما كان أشد حرصه على لقاء الأدباء — إلا أفاض فى حديثه ودل على تمكنه فى الأدب وسعة روايته ، وقل أن ينصرف جليسه إلا بجديد يستفيده فى اللغة أو الأدب .

ما أحسب القارىء إلا قد أيقن أنى عنيت مدره العربية ، الذائد عنها ، والمجاهد لها محمد إسعاف النشاشيبى رحمه الله رحمة واسعة .

فمن شاء فليقرأ كلمته عن اللغة العربية التى نشرها قبل عشرين عاماً ، ومن شاء فليقرأ كلمته عن شاعرنا شوقى وكلمته عن المعرّى ، وخطبته عن صلاح الدين فى ذكرى موقعة حطين . ومن شاء فليقرأ رثاءه لإبراهيم هنانو ولعبد المحسن السعدون ، ومن شاء فليقرأ غير هذه من آثاره ليعرف أى قلب كبير فجع به العرب ، وأى قلم فياض صوال حرمته العرب . وأى مدد فقدته الأمة العربية وهى فى حومة الوغى .

وما عهد القراء بعيد بهذه النقل التى والى نشرها فى مجلة الرسالة منذ سنين فعرف بطرف من تاريخنا ، ونوادر من أدبنا ، وغرائب من سيرنا . فلما ثارت الثائرة فى فلسطين رأينا نقله فى آيات الجهاد وأخبار المجاهدين لا ندرى أجمعها بديهة أم كان لهذا اليوم أعدها . ولقد مات رحمه الله وهو ينشر هذه الكلمات تثبيتاً للمجاهدين وتوهيناً للباغين .

وكان ، طيب الله ثراه ، نسيج وحده ، فى كتابته وخطابته لا يتقيل أحداً ولا يشبهه أحد . إنما كان صورة نفسه ، وترجمان فطرته ، ووحى نبوغه وعبقريته .

وحسب الإنسان أن يكون صورة متميزة ، ومجزة مستقلة وأكثر الناس كما قال أبو الطيب :

في الناس أمثلة تدور حياتها كمماتها ومماتها كحياتها

***

وكان محمد إسعاف ، طاب مثواه ، خلقاً من الأدب والمودة والوفاء يحرص على أصدقائه ويبالغ فى إكرامهم والاحتفاء بهم ، وكان إلى ذلك أبياً متجبراً ثائراً إن سيم خسف ، أو عرض أحد لكرامته ، أو توهم أن أحداً يحاول الازدراء به . هنالك يتجلى العربى الأبى فيما ورث من أخلاق العرب ، وما أشربته نفسه من تاريخ العرب وأدبهم .

وكان ، رحمه الله ، يحرص فى بلده على أن يلقى كل أديب يمر به ، ويرى فرضاً عليه أن يحتفى به ويؤنسه ويدعوه إلى داره . وكم كانت داره ندوة الأدباء ومجمع العلماء . وقد قال فيها بعض أصدقائه : « ولهذا شدتها على الجبل وفى ملتقى السبل ، علماً على علم ، وراية المروءة والكرم » .

لقد عظمت فجيعة إسعاف على كل من عرفه حق المعرفة ، وتبين الفراغ الذى خلفه هذا العربى العبقرى . وإن مصيبة العرب كلهم فيه لكبيرة ، وإن خسارة اللغة والأدب بفقده لفادحة : ولكن الرجل ترك فؤاده ولسانه وقلمه فى هذه الآثار الخافقة النابضة التى يقرأ فيها كل عربى وكل متأدب بأدب العرب ، علم إسعاف ، وأدب إسعاف ، وحماسة إسعاف ، وجهاده لقومه .

وبعد فحسب الرجل أن جعل مثله الأعلى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل إعظامه وإجلاله ديدنه وهجيراه . ولقد رأيت فى

١ - الفتنة الـكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

بادرت إلى قراءة كتاب « الفتنة الـكبرى » الذى صنفه الدكتورطه حسين ، لأنه أول كتاب له عن رجل من رجال الصدر الأول من الإسلام ، وهو « عثمان بن عفان » أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أعرف للدكتور مكانه من العلم والتحقيق ، وحسن تأتيه فى تخريج الـكلام ؛ فمن أجل ذلك أيقنت أنه سيملأ هذا الـكتاب علماً يضارع قدر هذا الرجل ، ويوازن خطر الفتنة التى اضطرم سعيرها فى آخر خلافته ، وانتهى باغتيال خليفة رسول الله اغتيالا لم يعرف تاريخ الإسلام أبشع منه ولا أفظع . وقلت لنفسى قبل أن أتجاوز الـكلمة الأولى من الـكتاب : إن طه خير من يصور للناس هذه الأحداث المختلطة المضطربة ، وخير من يهديهم فى شعابها إلى مفصل الرأى ومقطع البيان . وقديماً ما ضل الناس فى بيداء هذه الفتنة المظلمة ، وقديماً ما أخطأ الـكتاب فهم هذا الحادث الجلل ، وقديماً ما حار الناس فى أمر المسلمين الذين ذبحوا خليفتهم كما تذبح الشاة المظلومة ، وقديماً وحديثاً ما خاض الناس فما خاضوا إلا معضلة لا يهتدى فيها سار إلى علم يفضى إلى جادة واضحة أو إلى غاية معروفة .

رميت بنفسى وعقلى فى هذا الـكتاب ، وأنا على مثل هذه الثقة التى وصفت ، وبمثل هذا الأمل الذى أملت ، فما كدت أفرغ حتى رأيت الـكتاب كله يختلج بين يدى . ولست أحب أن يعرف القارئ لم اختلج الـكتاب . فهذا حديث طويل لو بدأت أقصه لما عرفت أين انتهى ، فأنا طاويه عنه ؛ لأنى أوثر أن أدع قلبه حيث هو من الاستقرار والأمن والرضى ، وأنا أفعل هذا وإن شاء هو أن أنشر هذا الذى طويت ، وأفمله وإن كره لنفسه هذا الاستقرار والأمن والرضى . وحسب القارىء أن ينظر معى إلى موضعين فى هذا الـكتاب ، لم ينقض عجبى منهما ولن ينقضى عجبه حين يقف على خبرهما .

وأسبق القلم فأزعم أنى أسلم جدلا ، كما يقولون ، بأن كل الذى أتى به الدكتور طه صحيح فى جلته وتفصيله ، وأن الصورة التى أراد أن يصور بها تاريخ عثمان رضى الله عنه وتاريخ أصحابه ومعاصريه صحيحة أيضاً فى جلتها وتفصيلها ، وأزعم فوق ذلك أنى لا أخالفه فى شىء منها خلافاً ما ، وأنى لو كتبت تاريخ عثمان ، وتاريخ الفتنة ، لم أقل إلا بمـا قال إذ ذكر هذه الفتنة الخبيثة فقال ص ١٠٩ « فالفتنة إذن إنما كانت عربية نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » . وأنت خليق أن تنظر فى هذا التكرار لهذه الصفة « فتنة عربية » و « عامة عربية » لتعلم ماذا يريد بهذا التـكرار ، وما الذى يريد أن ينفيه من شركة أحد غير العرب فى دم عثمان ، وأنت خليق وحرى وجدير بأن تفعل هذا وأن تتأمل فتطيل التأمل ؛ لأنك سـوف تلقى بعد قليل شيئاً جديداً كل الجدة ، وحسناً كل الحسن ؛ فما تكاد تمضى صفحات حتى ترى باباً فى ص ١٣١ يبدأ هكذا :

« وهناك قصة أكبر الرواة (المتأخرون) من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لمـا كان من الاختلاف على عثمان ، ولمـا أورث هذا الاختلاف من فرقة بين المسلمين لم تمح آثارها بعد ، وهى قصة عبد الله بن سبأ الذى يعرف بابن السوداء . قال الرواة : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، حبشى الأم ، فأسلم فى أيام عثمان ، ثم جعل يتنقل

مكتبه من داره لوحاً كتب فيه « محمد » وقد علقه على الجدار أمامه يرمقه وهو جالس إلى مكتبه . ولقد قال لى : حسبى هذا الإسم أستوحى منه كل خير ، وأستمد منه كل سؤدد .

وقد حدثنى أنه كان فى أزمة من أزمات حياته يناجى رسول الله قائلا : « يا محمد ، خادمك وخادم دينك ولغتك تتركه لنفسه وتسلمه للأحداث » .

يا صديقى إسعاف . من لى بقلمك لأرثيك ؟ إنمـا هذه كلمات كتبتها على عجل فى هول الفاجعة التى تذهب باللب ، ويطيش لها البيان . وإن ذكراك لفى قلوبنا وعلى ألسنتنا وستبقى على أقلامنا ماذكر الأدب العربى واللغة العربية ، وماذكر تاريخ العرب فى العصور الثائرة التى نعانيها .

رحمك الله ورزقنا الصـــبر فى المصيبة ، وعوض العرب فيك خيراً .

عبد الوهاب عزام

فى الأمصار يكيد للخليفة ويغرى به ويحرض عليه ، ويذيع فى الناس آراء محدثة أفسدت عليهم رأيهم فى الدين والسياسة جميعاً » ثم يقول : « وإلى ابن السوداء يضيف كثير من الناس كل ما ظهر من الفساد والاختلاف فى البلاد الإسلامية أيام عثمان ، ويذهب بعضهم إلى أنه أحكم كيده إحكاماً ، فنظم فى الأمصار جماعات خفية تستتر بالكيد ، وتتداعى فيما بينها إلى الفتنة ، حتى إذا تهيأت لها الأمور ، وثبت على الخليفة فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الإمام » .

فأنت ترى من هذا لماذا أصر الدكتور منذ قليل على أن يصف الفتنة بأنها « عربية » ، وبأن العامة الذين كانوا شرار هذه الفتنة كانوا « عامة عربية » أى أنه ليس لهذا اليهودى الخبيث عبد الله بن سبأ يد فيها ، وأن ليس لليهود عمل فى تأريث نارها . وهذا تخريج بين جداً ، لا يخالفنا فيه أحد ولا الدكتور طه نفسه فيما نعلم . ثم يمضى الدكتور فى حديثه ليقول بعقب ذلك : « ويخيل إلى أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً . وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً فى (المصادر المهمة) التى قصت أمر الخلاف على عثمان ، فلم يذكره ابن سعد حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتقاض الناس عليه . ولم يذكره البلاذرى فى أنساب الأشراف ، وهو فيما أرى (أهم المصادر) لهذه القصة وأكثرها تفصيلا . وذكره الطبرى عن سيف بن عمر ، وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر » . وأرانى مضطرا أن أنقل لك أيضاً ما قاله الدكتور بعد ذلك فى ترجيح رأيه وبيان حجته قال :

« ولست أدرى أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن؟ ولكنى أقطع بأن خطره ، إن كان له خطر ، ليس ذا شأن . وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ... ولو قد أخذ عبد الله ابن عامر أو معاوية هذا الطارئ الذى كان يهودياً فلم يسلم إلا كائداً للمسلمين ، لكتب أحدهما أو كلاهما فيه إلى عثمان ، ولبطش به أحدهما أو كلاهما . ولو قد أخذه عبد الله بن سعد ابن أبى سرح لما أعفاه من العقوبة التى كاد ينزلها بالمحمدين (محمد ابن أبى بكر ، ومحمد بن أبى حذيفة) . لولا خوفه من عثمان . . . ولم يكن أيسر من أن يتتبع الولاة هذا الطارئ ، ومن أن يأخذوه ويعاقبوه » ثم يقول فى ص ١٣٤ : « فلنقف من هذا كله موقف التحفظ والتحرج والاحتياط . ولنكبر المسلمين فى صدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء ، وكان أبوه يهودياً وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً ، ثم أتيح له من النجح ما كان يبتغى ، فحرض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه » ثم يقول : « هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل ولا تثبت للنقد ، ولا ينبغى أن تقام عليها أمور التاريخ » . هكذا يقطع الدكتور الرأى جملة واحدة ! !

هذا هو الموضع الأول ، أما الموضع الثانى فهو أشد الأشياء علاقة بهذا ، ولكن الدكتور قطعه عنه قطعاً كريماً فترك صفحة ١٣٤ ومضى على وجهه فى هذا البحث الجليل إلى أن بلغ ص ٢٠٩ لكى يقول : « وهنا تأتى قصة الكتاب الذى يقول الرواة إن المصريين قد أخذوه أثناء عودتهم إلى مصر ، فكروا راجعين . فهذه القصة فيما أرى ملفقة من أصلها » ، ثم اختصر قصة الكتاب اختصاراً وقال : « كل هذا أشبه بأن يكون ملهاة سخيفة منه بأن يكون شيئاً قد وقع . والأمر أيسر من هذا تلقى أهل الأمصار وعداً من إمامهم فاطمئنوا إليه ، ثم تبينوا أن الخليفة لم يصدق وعده ! فأقبلوا ثائرين يريدون أن يفرغوا من هذا الأمر وأن لا يعودوا إليه حتى يفرغوا » . ثم تبين للدكتور أن إلغاء هذا الكتاب الذى أرسل إلى والى مصر يأمره بقتل رؤوس الوفد الذى جاء من مصر ، ليس يحل الإشكال فى عودة الوفد بعد أن فصل عن المدينة راجعاً إلى مصر ، وتبين له أيضاً أن الفرض الذى ذهب إليه من أهل الأمصار تبينوا أن الخليفة لم يصدق وعده ، أى أنه كذب عليهم باللفظ الصريح ، شىء غير مستساغ ، فإنه سأل نفسه كيف تبينوا أنه كذب عليهم فلم يعرف كيف يجيب ، فأتى الفرض كما هو وزاد عليه أنهم أقبلوا ثائرين ، « فلما بلغوا المدينة وجدوا أصحاب رسول الله قد تهيأوا لقتالهم ، فكرهوا هذا القتال وانصرفوا كائدين ، حتى إذا عرفوا أن هؤلاء الشيوخ قد ألقوا سلاحهم وأمنوا فى دورهم ، كروا راجعين فاحتلوا المدينة بغير قتال » ولكن رأى الدكتور طه وهو خير من يرى الآراء ، أن هذا الفرض مدخول كله إذا لم يعزز بفرض

آخر ، ففكر وقدر ، ثم نظر ثم قال : « وأكاد أقطع بأن قد كان لهم من أهـل المدينة أنفسهم أعوان دعوهم وشجعوهم ، ثم أعلموهم بما عزم عليه أصحاب النبي ، ثم أعلموهم بعودة المدينة إلى الهدوء والدعة ، ثم انضموا إليهم حين حاصروا عثمان » . وهذه كلها كما ترى فروض وتخيل ، وإقرار أيضاً بما أنكره فى أمر عبد الله بن سبأ من تنظيم (الجماعات الخفية) التى تتستر بالكيد ، فهو ينكر هذا المبدأ هناك ويقره هنا ! ! ثم يمضى الدكتور فى فروض ، فرضاً من بعد فرض ، حتى يريك كيف تعقدت الأمور فجأة إلى أن كان مقتل عثمان ، ولكنه يختصر ذلك اختصاراً غريباً عجيباً لم أعرف له مثيلا فى كل ما كتب الدكتور وفرض وادعى ثم جزم الرأى وقطع به ، مما يعرفه أكثر قراء العربية الذين قرأوا للدكتور منذ أول نشأته فى الكتابة .

ولست أحب أن أقف بك عند شىء إلا عند هذين الموضعين فأنا أكره الإطالة فى تغلية كلام الدكتور ، خشية أن لا أنتهى ، فإن تحت كل حرف مما كتب علماً كثيراً لابد من تغليته وغربلته ورده إلى وجوه الحق التى زال عنها إلى سواها ، وأنت ترى أننا اضطررنا اضطراراً إلى الإطالة بالنقل ، لئلا يفوت عليك شىء من لب حديث الدكتور وعلمه . وقد بدأ الدكتور حديثه فى إسقاط قصة اليهودى ابن السوداء عبد الله بن سبأ فذكر أن « الرواة المتأخرين » أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها ، وأنها لم ترد فى (المصادر المهمة) ، وأن (ابن سعد) لم يذكرها وأن البلاذرى لم يذكرها فى أنساب الأشراف (وهو فيما يرى الدكتور أهم المصادر) ، وأن الذى ذكرها هو الطبرى « وأخذه عنه المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر » كما يقول الدكتور .

١ — وبدء الدكتور بقوله : « الرواة المتأخرون » فيه إبهام شديد ، متعمد فيما يظهر ! ! فإن الطبرى ليس من الرواة المتأخرين ، فهو قد ولد سنة ٢٢٥ ومات سنة ٣١٠ ، فهو معاصر (البلاذرى) وفى طبقة تلاميذ (ابن سعد) صاحب الطبقات .

٢ — أن سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى هذا الخبر هو من كبار المؤرخين القدماء ، فهو شيخ شيوخ الطبرى والبلاذرى ، وهو فى مرتبة شيوخ (ابن سعد) ، فقد مات فى زمن الرشيد ، أى فيما قبل سنة ١٩٠ من الهجرة . فلا يقال عنه ولا عن الطبرى أنهما من « الرواة المتأخرين » كما أراد الدكتور طه أن يوهم قارئه .

٣ — أن ذكر الدكتور (المصادر المهمة) فيه إبهام شديد وإجحاف جارف ، فإذا لم يكن كتاب الطبرى من (المصادر المهمة) فليت شعرى ما هى المصادر المهمة التى بين أيدينا ؟ .

٤ — أن الدكتور طه يعلم أن كتاب ابن سعد الذى بين أيدينا كتاب ناقص ، وأنه ملفق من نسخ مختلفة بعضها تام وبعضها ناقص وبعضها مختصر . والدليل على ذلك مما نحن بسبيله أنه ترجم لعمر فى ٨٤ صفحة ، ولأبى بكر فى ٣٣ صفحة فلما جاء إلى عثمان ، والأحداث فى خلافته هى ما يعلم الدكتور طه ويعلم الناس ، لم يكتب سوى ٢٢ صفحة ، فلما ذكر على بن أبى طالب والأمر فى زمنه أفدح لم يكتب عنه سوى ١٦ صفحة . هذا على أن فى الكلام على طريق ابن سعد فى تراجم الرجال شىء آخر غير كتابة التاريخ ، فإنه لم يذكر فى هذا الفصل إلا قليلا جداً مما ينبغى أن يكتب لو أنه ألف كتابه فى التاريخ العام لا فى الترجمة للرجال . وهذا شىء يعلمه الدكتور طه حق العلم ولاريب .

٥ — أنه كان من حجة الدكتور فى نفى خبر عبد الله بن سبأ اليهودى اللعين أن البلاذرى لم يذكره ، وهو فيما يرى (أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا) : ثم عاد فنفى أيضاً خبر الكتاب الذى فيه الأمر بقتل وفد مصر ، مع أن البلاذرى ذكره وأطال وأتى فيه بما لم يأت فى كتاب غيره . ولا ندرى كيف يستقيم أن يجعل عدم ذكره خبراً ما حجة فى نفيه ، ثم ينفى أيضاً خبراً آخر قد ذكره ولج فيه ؟

وهذه الخمسة أشياء كنت أستحى أن أحدث الدكتور بها أو أناقشه فيها ؛ لأنها من الوضوح والجلاء بحيث لا تخفى على رجل مثله خراج ولاج بصير بالعلم أحسن البصر . ولكن بقى شىء واحد أحب أيضاً أن يتاح لى يوماً ما أن أعرفه ، وهو : هل كان فى نص البلاذرى قديماً ذكر عبد الله بن سبأ اليهودى ثم سقط أو أسقط من الكتاب ؟ وهذا لا يتاح لى إلا إذا وقفت على نسخة قديمة وثيقة من كتاب أنساب الأشراف ، فإن هذه النسخة التى بين أيدينا إنما طبعت فى أورشليم ، وطبعها رجل من طغاة الصهيونية ، وقدم لها بمقدمة لم تكتب لا بالعربية ولا بالإنجليزية بل باللغة العبرية ! وليأذن لنا الدكتور أن نشك أكبر الشك فى ذمة هذا اليهودى الصهيونى الذى طبع الكتاب

فى مطابع الصهيونية فى أورشليم . فقد رأينا من قبل رجلا آخر حاطه الدكتور طه يوماً ما برعايته وعنايته واستقدمه إلى الجامعة المصرية ، وكان يسمى نفسه « أبا ذؤيب » إسرائيل ولفنسون ، (وهو الآن فى فلسطين يجاهد فى سبيل الصهيونية) ، فألف كتاباً فى تاريخ اليهود فى بلاد العرب ، وطبع فى مصر ، وقدم له الدكتور طه مقدمة أثنى فيها عليه ثناء بالغاً ، ومع ذلك فقد وجدنا فى الذى نقله من الأخبار والأحاديث تحريفاً وبتراً واقتطاعاً من نصوص محفوظة معروفة . أفلا يجوز لنا على الأقل أن نشك فى أن اليهودى الآخر طابع كتاب البلاذرى ، يفعل مثل هذا ؟ إننا على الأقل نشك ونتوقف . هذا إلى أن طريقة التأليف القديمة وبخاصة ما كان على غرار تأليف البلاذرى ، قد يترك المؤلف فيها شيئاً فى مكان ، ثم يذكره فى مكان آخر ، وكان أولى أن يذكر فى المكان الأول ، وهذا شىء يعرفه الدكتور كما نعرفه وأحسن مما نعرفه ، أفلا يجوز أن يكون البلاذرى قد ذكره مثلا فى ترجمة (عمار بن ياسر) أو (محمد بن أبى بكر) أو (محمد بن أبى حذيفة) أو رجل ممن اشترك فى هذه الفتنة ؟ وهو يعلم أن الذى وجد من كتاب البلاذرى قسم ضئيل جداً طبع منه جزء فى ألمانيا سنة ١٨٨٣ ، ثم تولى اليهودى الصهيونى طبع جزء آخر هو الذى فيه ترجمة عثمان فى سنة ١٩٣٦ ، ثم طبع جزء آخر فى سنة ١٩٣٨؛ قال الناشر فى مقدمته المكتوبة بالعربية إن هناك حوادث جرت فى عهد يزيد بن معاوية ، هى وقعة كربلاء وموت الحسين « ولم تذكر فى ترجمة يزيد ، بل ذكرهما فى تراجم بنى أبى طالب ، وذلك حسب ما اقتضاه نظام الكتاب وفقاً لتسلسل الأنساب » كما قال بنص كلامه . أفلا يجوز إذن أن يكون البلاذرى قد أدمج أمر عبد الله بن سبأ فى مكان آخر كما فعل فيما لاحظه وذكره هذا اليهودى ؟ كل هذا جائز ، ولكن الدكتور حين يريد أن ينفى شيئاً لا يبالى أن يجتاز كل هـذا ويغضى عنه ، ليقول فيه بالرأى الذى يشتهيه ويؤثره غير متلجلج ولا متوقف .

ثم كيف نسى الدكتور أن من لم يرو خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر ، وبخاصة إذا كان الرجلان من طبقة واحدة كالبلاذرى والطبرى ؟ بل لعل الطبرى أقوى الرجلين وأعلمهما وأكثرهما دراية بالتاريخ وتحصيلا له ، وهو الذى روى عنه أنه قال لأصحابه : « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره قال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه . فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة . ثم قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال : إنا لله !! ماتت الهمم ! » .

ومن قرأ كتاب الطبرى فى تاريخه أو تفسيره علم أن هذا حق ، وأن الرجل كان فارغاً للعلم لا يلفته عنه شىء قط ، ولا يدع شاردة ولا واردة إلا تقصاها وحققها ورأى فيها الرأى الذى لا يكاد ينقض . والفرق بينه وبين البلاذرى لا يخطئه بصير بهذا العلم فليس من الحجة فى شىء أن يقال (فى عصرنا هذا) : إن البلاذرى لم يذكر هذا ، فيكون ذلك كافياً فى الرد على ما ذكره الطبرى . وهذا شىء بين لا يحتاج إلى جدال كثير .

وإذن فالدكتور قد اشتط وركب مركباً لا يليق بمثله حين نفى خبر عبد الله بن سبأ ، وخبر الكتاب الذى فيه الأمر بقتل المصريين بعد الذى قد رأيت من تهافت أسلوبه فى البحث العلمى؛ وإذن فالدكتور قد خالف سنة العلم والعلماء فى نفى الأخبار وتكذيبها بلا حجة من طريقة أهل التمحيص ، بل تحكم تحكما بلا دليل يسوقه عن فضيلة البلاذرى وتقديمه على الطبرى ، وبلا مراجعة للصورة التى طبعت عليها الكتب ، وبلا دراسة لنفس الكتب التى ينقل عنها كما هو القول فى ابن سعد والبلاذرى معاً . وإذن فيحق لنا أن ننقل هنا كلمة للدكتور طه نفسه قالها عندما ذكر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر الخلاف الذى كان بينهم ، وذكر أو زعم أنهم تراموا بالكبائر وقاتل بعضهم بعضاً ، وزعم أنه لا ينبغى لنا أن يكون رأينا فيهم أحسن من رأيهم هم فى أنفسهم ، فقال فى ص ١٧٢ من كتابه :

« ينبغى أن نذهب مذهب الذين يكذبون أكثر الأخبار التى نقلت إلينا ما كان بينهم من (فتنة) واختلاف . فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامى كله منذ بعث النبى ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازى وسيرة النبى والخلفاء . فما ينبغى أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا ، وأن نكذبهم حين يروون ما لا يعجبنا . وما ينبغى أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر ، لا لشىء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا » .

رأي مفتي حضرموت

فيما دار بين عزام باشا والسيد محمد بهجت الأثري

كان السيد محمد بهجت الأثرى قد ناقش رأياً ورد فى كتاب عزام باشا (الرسالة الخالدة) حول مسألة العدول عن النص إيثاراً للمصلحة ، ونشرت هذه المناقشة فى العدد ٧١٢ من الرسالة . وقد اطلع على هذه المناقشة السيد محمد بامطرف من المكلا بحضرموت ، وعرضها على العلامة السيد عبد الرحمن ابن عبيد الله مفتى الديار الحضرمية ، فأرسل رأيه فى الموضوع: وهذا هو :

الجواب والله الموفق للصواب أن الحق فيما ظهر لى كان فى جانب الأستاذ عبد الرحمن عزام ولكنى رأيته سلك من الإنصاف ما لا يلزمه حتى أنه إذ لم يزل مع الصواب فى قرن فهو فى مياسره الدالة على طيب النية وصدق الإخلاص شبيه بذى الرمة إذ ورد الكوفة فاعترضه ابن شبرمة فى قوله :

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

وقال أنه يدل على زوال رسيس الهوى لأن نفى كاد للاثبات فلم ينفصل وقد قال عنبسه حدثت أبى بذلك فقال أخطأ ابن شبرمة وكان لذى الرمة الانفصال إنما هو كقوله تعالى لم يكد يراها والمعنى أنه لم يرها وهذه شبيهة بتلك ، وليس الأستاذ بأول من قال بالعدول عن النص إيثاراً للمصلحة العامة بل له فى ذلك السلف الطيب من السادة المالكية والحنفية والشافعية وحسبه من الحنابلة قول أحد أئمتهم وهو العلامة ابن تيمية فى منهاج السنة أن الله بعث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها اه .

وقال الشوكانى فى المسألة مذاهب المنع مطلقاً وعليه الجمهور والجواز مطلقاً أى وإن خالف المنقول وهو المحكى عن مالك والثالث إن كانت المصلحة ملائمة لأصل كلى أو جزئى من أصول الشرع جاز العمل بها وإلا فلا قال ابن برهان وهو الحق المختار والرابع إن كانت المصلحة طردية قطعية كلية كانت معتبرة وإلا فلا ، واختاره الغزالى والبيضاوى اه .

ولن يعوز الأستاذ عزام المبرر ولا سيما من الثانى والثالث ، وإشهاد الخليفة الثانى بمراعاتها أظهر من ابن جلا ، بل هو قطب تلك القاعدة فلا معنى لاستنكارها ، وذلك الخليفة الجليل نقطة بيكارها وسنذكر عنه من مثلها ما يشاء الله أن نذكر . منها ما استدل به الأستاذ عزام من قضية الخراج ، فقد عدل ابن الخطاب عن الآية المحكمة فيه وهى قوله جل ذكره : واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير وقد قال الأكثرون ومنهم الشافعية إنما فتح السواد عنوة فكان غنيمة لافيئاً . أما ما نقله الأستاذ الأثرى عن أبى يوسف عن ابن الخطاب من احتجاجه على منازعيه بآيات الحشر فإنه على الأستاذ لا له أما أولا فلأن آيات الحشر صريحة فى الفيء الذى لا إيجاف فيه بخيل ولا ركاب لا فى الغنيمة وبينهما بعد المشرقين . وأما ثانياً فإن الشافعية يتأولون لابن الخطاب تأويلين أحدهما ما ذكره شراح المنهاج بأنه قسمه بين الغانمين ومنهم أولوا القربى ثم استمال قلوبهم فبذلوه له فوقفه على المسلمين ولكن ما نقله الأستاذ الأثرى من احتجاج ابن الخطاب بآيات الحشر يقطع خط الرجعة على هذا التأويل لأنه لو كان لم يكن للاحتجاج بتلك الآيات معنى .

وهذا حق ، ولكن الدكتور يحتج به فى معرض الطعن فى الصحابة ومعرض القول فى نسبة الأخطاء اللاحقة إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يعود فيسقط هذا الرأى ، ولا يبالى به ، ويخالفه أشد المخالفة فى معرض رد الرواة الذين رووا لنا خبر الفتنة الخبيثة التى تولى كبرها عبد الله بن سبأ اليهودى . ولماذا يفعل ذلك لا ندرى ، بل الحق أننا ندرى ولكننا نأبى أن نتعجل القارئ بحكم لم نأت فيه بالبينة التى تدفع كل أقوال الدكتور فى قضية هذا اللعين ابن السوداء ، فللقارىء علينا حق لا يحل لنا أن نخونه فيه ، وحقه هو أن يرى حجج الدكتور كلها أولا ، ثم حججنا متابعة ثانياً ، ثم نعطيه الحكم ليأخذه أو يدعه على هدى وبصيرة .

وموعدنا المقال الآتى بإذن الله .

محمود محمد شاكر

وثانيهما ما ذكره الماوردى فى الحاوى وأبو الطيب الطبرى فى شرح المزنى أن عمر عوض الغانمين من أرض السواد ووقفه على المسلمين وهو مثل سابقه ، ومن أين لابن الخطاب ما يعوضهم به حينئذ عن تلك الأرض الطويلة العريضة وهو الذى لا يدع فى بيت المال صفراء ، ولا بيضاء إلا تبرأ منها إلى من يستحق . وقال قدامة ابن جعفر فى كتاب الخراج اختلف الفقهاء فى أرض السواد فقال بعض تخمس ثم تقسم الأربعة الأخماس على الفاتحين كما فعل صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر لآية الانفال المحكمة فى ذلك وقال بعضهم أنها إلى رأى الإمام إن شاء جعلها غنيمة وإن شاء جعلها فيئاً كما فعل عمر بأرض السواد وأرض مصر انتهى مختصراً .

وهذا أيضاً لا يتناسب مع ما نقله العلامة الأثرى من احتجاج ابن الخطاب بآيات الحشر وقال ابن جرير أن عمر هم أن يقسم أرض السواد بين الغانمين كما تقسم الغنايم ثم قال كيف بالأجام ومنابع المياه والغياض والهضب المرتفع والغائط المنخفض وكيف يصنع هؤلاء بالماء وقسمته أخاف أن يضرب بعضهم وجوه بعض ثم جمع الغانمين فقال لهم ذلك فرضوا أن تقر الأرض حبيساً لهم يلونها من تراضوا عليها ثم يقتسمون غلتها فى كل عام فقال عمر اللهم إنى قد اجتهدت وقد قضيت ما على ، اللهم إنى أشهدك عليهم فاشهد اه .

وهو صريح فى أنه إنما جمع الغانمين ليتلو عليهم ما رآه وما أداه إليه اجتهاده . وهو من أقوى الأدلة لما ذهب إليه الأستاذ عزام فى أن ابن الخطاب إذا وقف به الأمر بين المصلحة والدليل كان من اجتهاده إيثارها عليه لاحتماله التخصيص والتأويل بخلافها وأما قول ابن جرير أنهم رضوا فبعيد جداً مع كثرتهم وغيبة كثير من أولى القربى المشروط رضاهم مع شح الأنفس بالأموال بل قد أشار الأستاذ الأثرى إلى حصول نزاع بين ابن الخطاب وبعض الصحابة فى ذلك مما يدفع ادعاء الرضى ، وقال ابن القيم ونازع فى ذلك بلال وأصحابه فطلبوا منه أن يقسم بينهم الأرض التى فتحوها فقال عمر : هذا غير المال ولكن أحبسه فيئاً يجرى عليكم وعلى المسلمين فقال بلال وأصحابه : اقسمها بيننا . فقال عمر : اللهم اكفنى بلالا وذويه فما حال الحول وفيهم عين تطرف ثم وافق سائر الصحابة على ذلك وكذلك جرى فى فتوح مصر والعراق وأرض فارس وسائر البلاد التى فتحت عنوة لم يقسم منها الخلفاء الراشدون قرية واحدة ولا يصح أن يقال أنه استطاب نفوسهم ووقفها برضاهم فإنهم قد نازعوه فى ذلك وهو يأبى عليهم ثم قال أعنى ابن القيم وليس هـذا الذى فعله عمر رضى الله عنه بمخالف للقرآن فإن الأرض ليست من الغنايم التى أمر الله بتخميسها وقسمتها .

وقوله أن الأرض ليست من الغنايم مبنى على قول ابن الخطاب أن الأرض ليست من المال ولكنه مخالف للحقيقة اللغوية وإن أخذ به السادة الحنابلة كما فى المقنع وغيره من كتبهم أن المسلمين إذا غنموا أرضاً فتحوها بالسيف خير الإمام بين قسمتها ووقفها على المسلمين وذهب مالك إلى أن الأرض المغنومة لا تقسم بل تكون وقفاً يصرف خراجها فى مصالح المسلمين وقالت الحنفية بتخيير الإمام بين أن يقسمها بين الغانمين وأن يقرها لأربابها على خراج أو ينتزعها منهم ويقرها مع آخرين وذهبت الشافعية إلى أن الغانمين يملكونها بانقضاء الحرب وهم أسعد القوم فى هذه القضية بالدليل وعليه فدعاء ابن الخطاب على بلال وأصحابه كان بدون مبرر وقد أخرج البخارى عن عمر أنه قال : أما والذى نفسى بيده لولا أن أترك آخر الناس ليس لهم من شىء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر قال الشوكانى فيه تصريح بما وقع منه صل الله عليه وآله وسلم إلا أنه عارض ذلك عنده حسن النظر لآخر المسلمين فيما يتعلق بالأرض خاصة فوقفها عليهم .

(البقية فى العدد القادم)

محمد عبد القادر بامطرف

رجل استأثر به الموت

للأســتاذ شكرى فيصل

لم أعرف المرحوم العلامة النشاشيبى من قُرب ، فقد كان أكثر ما أعرفه عنه ما أقرأه له ؛ ولم ألقه أو أجتمع إليه لقاء طويلا وإنما هى صورة مما يتحدث به الناس عنه ؛ ولم أستمع إليه إلا مرة واحدة فى دمشق لعلها كانت فى مهرجان المتنبى فى عيده الألفى ...

واستمعت إلى النبأ الفاجع بوفاته وأنا فى هدأة من الليل ، وحيداً فى هذا المنعزل الذى أحتمى فيه من أذى النـاس وعن قصد أو غير قصد ... فاغرورقت عيناى بالدموع ، وندت منى آهة عميقة ، وأقفلت المذياع ، وجلست كما لو كنت أفكر .

ولم يكن بى من حاجة إلى تفكير ، فليس أشق على النفس من أن تلجأ إلى التفكير البارد فى حرارة المصاب ولوعة الفجيعة ، وإنما كان ذلك انسياحاً فى عالم من الخواطر تنساب على غير نسق وتمضى فى غير نظام .

وتمثلت الأستاذ ، وقد لمحته مرة فى فندق الكونتنتال فى العام الماضى ، كتلة من الحيوية على اعتلال الجسم ، وغلبة السقم وتهدم البنيان ؛ وغيرة على العربية على قلة الغير ، وانعدام النصير ، وغلبة التطرف .

وتخيلت صوته فى مهرجان المتنبى ، لـكأنى أسمعه الآن ... دفقة من القلب ، يتفجر من نبعة الإخلاص كما يتفجر الماء من العين الثرة الغزيرة ، ويسرى فيه الوفاء للعربية ، ويطغى ويفيض حتى ليملأ كل ماحوله ومن حوله ، فإذا الذين يستمعون إليه يمضون معه وينساقون فى هذه الموجة التى يخلقها صوت متهدج ، ولـكنه قوى عنيف ، وتسايرها يد مرتجفة ولـكنها بيضـاء نقية ، ويطفو عليها الحق فلا يلبث أن يأخذك الحق بالرضا عنه والقناعة به .

وعرضت فى ذا كرتى هـذه المقالات ، وهذه التعليقات ، وهذه النقل ... فـكنت كالذى يعرض الثقافة العربية على اختلاف قطوفها ، وتباين ألوانها ، وتعدد ثمرها ... وانتبهت فجأة : أى ثروة عميقة خسرت الثقافة العربية حين استأثر الخلود بروح النشاشيبى ...

إن أصدقاء العلامة المرحوم أقدر على الوفاء بحقه ، والذين خالطوه فى عواصم العرب فى القاهرة والقدس والشام وكانوا يستمتعون بكرم خلقه وكريم فضله أقرب إلى الإحاطة بصفاته ، والـكشف عن نواحى التقدير فى هذا الجسم الذى ناء بالمرض . وإنما هى كلمة وفاء لرجل كانت تترك كتاباته وفصوله فى نفسى إيماناً بحبه للعربية ، ووفائه لهـا ، إيماناً لا أجده إلا عند القليل القليل ...

إن الموت ليتخطف هؤلاء الأعلام ... ولـكن النشاشيبى لم يمت ... فقد صارع الموت الذى كان يندس فى كل أعضائه صراعاً عنيفاً ، وانتصر عليه فى هذه الثروة الأدبية التى خلفها ، وهذه الآثار التى تركها ، وهذه الروح العالية التى كان يفيضها على العربية والعرب ، وعلى الإسلام والمسلمين .

أيها الغريب الذى طارده الموت حتى ظفر به بعيداً عن أهله ووطنه ... رحمة الله عليك ... فقد أردت للعربية أن تعيش رفيعة مكرمة ... فبذلت لها جهدك ، وكرست لها عمرك ، وانفقت فيها حياتك ... أجزل الله لك الثواب ، وجعلك فى الخـالدين فى جنات النعيم ...

(القاهرة) **شكرى فيصل**

ترجمة وتحليل :

جزيرة الحب والجمال

بقلم الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

.. عند مدخل خليج « نابولي » بإيطاليا جزيرة جميلة تسمى « إيسكيا ischia [1] » أوحت إلى الشاعر الفرنسي المشهور « الفونس دي لامرتين Alphonse De Lamartine » قصيدة من عيون الشعر ، فيها وصف رائع ، وخيال خصيب ، وتصوير دقيق ! .

اختار الشاعر لوصف الجزيرة أنسب الأوقات وأدناها إلى سمة الخيال ، فعرض علينا صورة من إيذان الشمس بالمغيب وطلوع القمر بعدها في رفق وأناة ، فكان مبتكراً في تصويره ، رائعاً في خياله .

أصغ إليه وهو يرسل الشعر أنغاماً حلوة في مستهل قصيدته :

١ — «آن للشمس أن تحمل النهار إلى عوالم أخرى
فأخذ القمر يطلع في الأفق الخالي بلا ضوضاء
وراح — وهو يخترق الظلمات الحالكة —
يلقي برقعاً وضاء على جبين الليل ! »

فجمل القمر ينتظر رحيل الشمس بنهارها إلى عوالم أخرى لا تحد ، ليطلع بليله في أفق خال ما فيه من الناس أحد . وجمله وقوراً يتمالى في هدوء وسكون ليبدل دجى الليل نوراً ، فإذا جبينه وضاح بعد أن ألقى عليه برقعه الشفاف . ثم يبدع في إبراز نور القمر ، فيدعوك إلى إطالة النظر ، ورجع البصر :

٢ — «انظر من أعالي الجبال إلى أنواره المتموجة
كيف تُغرق السهول كأنها نهرٌ من اللَّهب ،
وكيف تنام في الأودية وتتزحلق على الهضاب
أو تتدفق — من بعيد — من صدر يتلألأ بالمياه ! »

فلو تابعت أنوار القمر كما تابعها « لامرتين » لخيل إليك كما خيل إليه أنها تسطع من وراء رءوس الجبال ، فرأيتها تشع رويداً رويداً على السهول ، فإذا هي تنساب من فوقها كالأمواج : فتنقلب السهول في عينيك نهراً غزيراً ، ولكنه نهر من ألسنة اللهيب لا من منهمر الماء ؛ ورأيتها تهبط إلى الأودية وئيدة مسترخية ، وإذا هي تستلقي عليها كالذي أخذته سنة من النوم : فتستحيل الأودية في عينيك فرشاً وثيرة ، غير أنها فرش بطائنها من النجم والشجر لا من سندس واستبرق ؛ ثم رأيتها تثب من نومها موفورة النشاط ، وتتسلق الهضاب بخفة ورشاقة ، ثم إذا هي تزحف عليها في دلال كالذي استهواه الجليد فتزحلق عليه : فتصبح الهضاب في عينيك قطعاً متجاورات من الجليد ، إلا أنه جليد من متناثر الحصى لا من متساقط الثلوج ؛ وبعد ذلك تراها تعدو كالسهم إلى مكان سحيق ، وتطوف في مجهل بعيد ، فتتبين من شعاعها أنها تحوم حول عيون وينابيع ، فتغوص فيها ثم تتفجر من صدرها وتتدفق : فتصير الينابيع في عينيك حساناً باديات النحور ، بيد أن نحورها تتلألأ بلُجَيْن الماء لا بالدر والياقوت ! .

***

ويتأمل الشاعر المشهد تأملة الفيلسوف الذي يريد أن يتعمق كل مبهم ، ويستبطن كل سر ، ويجلو كل غامض ، ولو كان بعيد المتناول ، وعر الملتمس ، غائباً عن الأبصار — فيرى بعين بصيرته ما لم يره بعين وجهه : يرى ظلا ممدوداً ، ووميضاً غامضاً ، فأما الظل فما مده إلا تنحيه عن منطقة النور وانزواؤه في بقاع الظلام الشاحب ، وأما الوميض فما ألبسه ثوب الغموض إلا ارتماشه وتردده حين يدنو من الظل الممدود محاولا أن يبدل ظلامه الشاحب نوراً وهاجاً ، وأن يضفي على ليله الفاحم البهيم شعاعاً من نهار لازوردي بديع ؛ ويزيد هذا الوميض غموضاً وريبة ، وإبهاماً واستغلاقاً ، أنه يعود حائلا خفيفاً ، باهتاً ضعيفاً ، حينما بعد عن العين في فضاء لا يتناهى ، واتساع لا يحد ؛ ومع ذلك فالآفاق تؤثر أن تسبح معه هنالك لتغرق في نوره .

٣ — « والوميض الغامض .. في الظل الممدود
يضفي على الظلام الشاحب شعاعاً من نهار لازوردي ،
ومن بعيد . . . في فضاء لا يتناهى
يسبح بالآفاق غريقة في نوره الباهت ! »

(١) تهدمت هذه الجزيرة بزلزال شديد سنة ١٨٨٣

ولكن لامرتين يريد أن يصف الجزيرة وجمالها ، لاالشمس وغيابها ، ولاالقمر وطلوعه ؛ وإنما عرض للشمس فى بيت وللقمر فى أبيات ، ليستلهم من ذهاب النهار بضجته ، وإقبال الليل بروعته ، معانى الخلود فى قصيدته .

من أجل ذلك عاد إلى الجزيرة بقلبه ووجدانه ، وقلب البصر بين البحر وبين شطئانه ، فوجد البحر عاشقاً وألفى الشطئان معشوقة ؛ وما كان البحر ليعشقها لولا أنها ساكنة وادعة وهو عاصف هائج — ولا يغلب العاصفة كالسكون ، ولايهدىء الهياج مثل الوداعة — فليسرع إلى تقبيل أقدامها كلما اشتدت به ريح ولا يحسبن فى ذلك ذلة أو صغاراً ، وليضم بين ذراعيه جزرُها وخلجانها كلما أرغى وأزبد ، ولا يخافن فى هذا لومة ولا عذلا ، ولتدب الحياة فى هاتيك الشواطئْ ، فماشقها « البحر » ينفخ فيها من روحه ، وينعشها بأنفاسه الرطبة الخارجة من أعماق أعماقه ...

٤ — « والبحر عاشق هذه الشطئان الوادعة
يهدئْ ، وهو يقبل أقدامها ، من عواصفه الهائجة
ثم يضم بين ذراعيه هذه الخلجان والجزر . . .
فتنتعش الشواطئْ بنفسه الرطيب . . . »

ولا يفوت الشاعر أن يسجل منظراً عجباً سريع التغير ، شديد الانقلاب كثير الالتواء : منظر الموج إذ يتقدم متلاحقاً متدافعاً ، ثم يتراجع متقهقراً مهزوما . ففى تقدمه شوق كشوق المستهام إلى حبيبته ساعة يهذى فيرى طيفها ماثلا أمام عينيه فيسعى إليه وفى تراجعه لوعة كلوعة المتحسر ساعة يعود إلى الحقيقة ، فيعلم أن الطيف خيال ، وأن الخيال سريع الزوال .

٥ — « ومن بعيد ... يسرُّ العين أن تتابع منظراً عجباً
فترى الموج يتقدم تارة ويتراجع أخرى
كالدنف الولهان يضم إليه فى هذيانه . . .
عذراءه التى تمثل أمامه ثم تفلت من بين يديه !

وكما رأى بعين بصيرته مالم يره بعين وجهه ، يسمع « لامرتين » بأذن قلبه ما لا يسمعه بأذن رأسه : يسمع لحن الموج والشاطئْ إذ يتنفسان بتأوه وأنين . أما الموج فيتنفس فى تقدمه وتراجعه ويبث فى الفضاء شكواه ! وأما الشاطئْ فيتنفس كلما ارتطم الموج بصخوره ويبث مع الفضاء شكواه ! فكلاهما يتنفسان تنفس الصبى الحالم النائم الذى لم يبل الحياة بعد ويبث مع ذلك شكواه ! . .

حقاً أنهما أصوات غامضة لا نعرف مبدأها ولا منتهاها ، ولا نصل إلى سرها ولا نجواها ؛ ولكنها — على غموضها — تطرب أسماعنا ، وتشنف آذاننا ، وتسعد نفوسنا . . فهل هى أصداء لألحان السماء ؟ أم هى أنفاس الحب ترددها أرض الشاطىء وموج البحار ؟

٦ — « اثنان كمثل الصبى النائم إذ يتنفس
بصوت غامض يبث فى الفضاء شكواه .
ليت شعرى أصدى للسماء ما يطرب منه أسماعنا؟
أم نفس الحب ترددها الأرض والبحار ؟

ثم يعود إلى الموج فلا يراه ثابتاً على حال ، يعلو طوراً كالجبال ويهبط طوراً زبداً يتلاشى ، فلا يبقى من لجبه شىء ، كهذا الانسان يولد طفلا فيتم تكوينه ويبلغ أشده فى الشباب ، ثم يضعف مع تصرم الأيام كلما رد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، ثم يلقيه العجز على فراش الموت فيحتضر بعد أن يبلو الحياة حلوها ومرها ، ويجرب منها سعدها ونحسها ، حتى إذا عجزعنها زهد فى أمتع ما فيها ، وإذا ذاق من لذائذها شيئاً ضاق به ذرعاً وطلب سواه فما يزال يتحسر على المفقود ، ويسأم من الموجود ، حتى يطوى أجله فى كتاب .

فكأن تنفس الموج أنين الكئيب الذى يحزن على ما فاته من مفقود ، لا على ما فقده من موجود ، فهو ملول مما عرف ، راغب فيما لم يعرف ، وهو من ملله ورغبته يتنفس فى ضيق ، ويتأوه فى حنين !

بل كأن كل ما فى هذه الطبيعة — لا الموج وحده — يتحسر مثلنا معشر الناس حتى فى ساعات الهناء والنعيم !

٧ — « إنه يعلو ويهبط . . . ويولد ثم يحتضر
كأنه ضاق ذرعاً بأنواع اللذائذ
وى ! كأن الطبيعة تتنفس فى هذه الليالى
متحسرة مثلنا حتى فى ساعات الهناء ! »

***

ويرى الشاعر عند هذا أن الإنسان خلق مجولا ، يسرف فى أنواع طلبه ، ويزيد فى ضروب رغبته ، ولا يقنع بالحاضر من لذته ، فيشيح بوجهه عن قليل بين يديه ، حباً لكثير لا يصل إليه ، فتضيق عليه الأرض بما رحبت ، ويعيش كاسفاً باله قليل الرجاء ؛ فهو لم يمت فيستريح ، ولكنه ميت بين الأحياء ، فينادى لامرتين هذا الميت — وهو فى اعتقادى لا ينادى غير نفسه — ليثوب إلى رشده ، ويفتح لتيارات الحياة روحه : إذ الحياة لا تضيق إلا بضيق الأنفس ولا تظلم إلا بظلامها ، كما لا تتسع إلا بسعتها ولا تشرق إلا بإشراقها .. فليفتح الإنسان للحياة ما استغلق من أبواب قلبه حتى يشعر بأنه حى ، أما إذا جعل دونها سداً فلا يلومن إلا نفسه إذا بقى ميت الروح . وليتلق الإنسان لذاذات الليل الحاضرة ، ومتعه العاجلة ، بجماع حواسه ، حتى يشترك سمعه وبصره وذوقه وشمه وكل عضو فيه فى الشعور بالحياة الحقيقية . وليغتنم الليل إذا سجا ؛ فإن له لباساً يغشى ، وحجاباً يستر ، وظلا يناجى ، وكوكباً يهدى . وليسكر بخمرة الغرام ، فإنها أشهى المدام : أما إذا لم يفعل فهو فى نظر هذا الشاعر ميت الروح ، حقيق بأن يسمع هذا النداء :

٨— « أيها الميت ! افتح روحك لتيارات الحياة
وتلق بجميع الحساسات لذاذات الليل
فظله يناجيك ليسكرك بالغرام
وكوكبه فى السماء يطلع ليهديك ! »

وإن فى هذا لإغراءاً ما كان لمثلى أن يتقبله بقبول حسن ، ولا كان لى أن أسكت عليه لولا أنى أمام قصيدة نصيبى منها ترجمتها وتحليلها ، ولولا ما يشفع للشاعر من أنه فى « جزيرة الحب والجمال » وأن له فى تلك الجزيرة محبوبة تواعدت معه على اللقاء عند هضبة قريبة ، واتفقا على أن توقد ناراً لتكون مناراً يضىء بين الحب فيجد هدى فى الاستدلال إلى الطريق . فالشاعر هنا يخاطب نفسه ويصور أحاسيسها قبل أن يخاطب أحداً أو يصور أحاسيس أحد . وإن ما فى هذه القصيدة من قوة الروح لعائد إلى أنها نابعة من إعجاب قلب « لامرتين » فى شىء من خصوصيات حياته .

فالنتيجة التى يريد أن يبلغها بنظمه هى إحاطة نفسه بشىء من معانى الجمال التى لا تتناهى فى الزمان والمكان ، وفيما تسمعه الأذن وفيما تبصره العين وفيما تمسه اليد وفيما يحسه القلب ، قبل أن يصل إلى موعد اللقاء الذى تبدو فيه الحبيبة من بعيد منحنية انحناءة الزنبقة العطشى إلى الماء ، لأنها عطشى إلى لقاء المحبوب ، تتسمع كل نأمة فى الليل وكل حركة وتحسبها خطاه التى تذرع الأرض فى سبيله إليها ، لتكتحل عينه بمرآها ، ويفرح قلبها برضاه

٩— « أرى على الهضبة ناراً ترتجف من بعيد ؟
إنها بيد الحب منار يضىء
هناك تنحنى الجيبة انحناءة الزنبقة
وقد أعارت أذناً صاغية تتربص خطى المحبوب ! »

هذه « ايسكيا » جزيرة الحب والجمال ، وصفها لامرتين فأحسن وصفها ، وسكب روحه كلها فى أبياتها ، لذلك اخترتها من بين قصائده لأترجمها وأحللها ما استطعت دليلا على إرهاف حسه ، وصدق شعوره ، وعمق خياله ، ولأسجل إعجاب النثر بشاعر عظيم .

صبحى ابراهيم الصالح

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٣،٤،٥)

٣ - الحرية

للأستاذ كمال دسوقي

١ - جون استيوارت مل :

تضافرت ظروف « مل » الشخصية على أن تخلق منه رجلا متعدد نواحي الكتابة ، فالتربية الشاقة التي أخذه بها أبوه كما رأيت ، وتدرجه حتى الرياسة في العمل بشركة الهند India House منذ السابعة عشرة حتى الخمسين ، ثم رفضه الاستمرار في أي عمل بعد أن انحلت شركة الهند الشرقية . فيما عدا عضوية البرلمان عن وستمنستر (١٨٦٥ — ١٨٦٨) ؛ قد أتاح له حتى وفاته سنة (١٨٧٣) من الفراغ ما تمكن معه من نشر مذهب واسع . يتضمن — عدا كثير من المقالات في مجلة وستمنستر ، ونشر مذهب بنتام وأبية طائفة من الكتب — تكون مذهباً عاماً — وإن يكن لكل منها فكرته الخاصة .

وتمدد شخصية استيوارت مل العلمية من خطر طلاب المسابقة ، فإنه لن يتحتم عليهم أن يلموا بعل المنطق الكبير في مؤلفه الضخم System of Logic (١٨٤٣) ولا بعل الاقتصادي بحكم دراسته الأولى في كتابه : الاقتصاد السياسي (١٨٤٨) ، ولا بعل الفيلسوف الإنجليزي النزعة في كتابه « النفعية utilitaranism » ، الذي جمع مقالاته (١٨٦١) ، ولا بعل السياسي في كتابه : تأملات في الحكم النيابي (١٨٦١) ، ولا بعل الاجتماعي في كتاباته عن المرأة والدين والنفعة — إلى آخره — أعنى أن الكتاب الذي سيدرسه طلاب المسابقة يمكن تفهمه وحده في حدود معلومات عامة عن مل — كما يمكن — ابتغاء الاتفاق والتعمق — فصل هذا الكتاب عن بقية آثار مل » .

ومع هذا فلن يستطيع طالب المسابقة إلا أن يربط بين « الحرية » وكتاب « النفعية » على الأقل لأن هذا يبدأ حيث ينتهي ذاك ، ومع أن الحرية قد تم نشره أولا (١٨٥٩) بعد أن كانت فكرته منذ ١٨٥٤ موضع الدرس والتمحيص والنقد من المؤلف وزوجته ، فإن كتاب « النفعية » ترجع فكرته إلى مقالات كان قد نشرها من قبل تنقيحاً لمذهب أبيه وصاحبه بنتام — ولكنه لم ينشر إلا (١٨٦١) — وفوق هذا فإن مذهب النفعية لمل — كما يمثله هذا الكتاب — أوسع نطاقاً من الحرية ، لأنه يشمل الحياة الفردية والاجتماعية والخلقية والنفسية ، كما يدخل في السياسة والاقتصاد . ولذا تجد أن الناشرين الإنجليز يقدمون بين يدي مؤلفات « مل » بكتابه « النفعية » وإن كان كتابه عن الحرية أوفرها حظاً من الدقة والعناية في دراسته ، وبالتالي أهم معبر عن آراء الفيلسوف الخاصة وأكثر كتبه ذيوعاً .

لقد كان « مل » الصغير ، وهو يسمى بذلك تمييزاً له عن مل الكبير — أبيه جيمس من اتساع العقل ونفوذ الفكر بما لم يكن كثير من المؤلفين ، فحقق الأمل الذي عقده عليه أبوه في اصطناع مذهب النفعية التي ورثه وصاحبه بنتام إياه ، وإن يكن قد خرج به عما قصدا إليه بعض الشيء ؛ فإن المذهب بعد تعديل فيلسوفنا له قد قبله العامة أكثر من ذي قبل ، مع أنه لم يخل من الغموض والتناقض .

وخلاصة هذا المذهب في كلمة واحدة هي ما يتسع لها المقام هنا — ما تقول به نظرية المنفعة أو مبدأ السعادة من أن الأفعال تكون صواباً بمقدار ما ترمى إلى تحقيق السعادة ، وخاطئة بقدر ما تؤدي إلى نقيض السعادة — ويعنى بالسعادة happiness هنا تحقق اللذة pleasure ، وتجنب الألم pain ، كما يعنى بالشقاء ، تحقق الألم ، وامتناع اللذة . ويقوم هذا المبدأ على فكرة اللذة النفسية psychological hydonism التي تفترض رغبة الإنسان بفطرته في أن يحقق لنفسه أكبر لذة ممكنة ، وأن يجتنبها كل ألم ، على ألا يتعارض في رغبته مع رغبات غيره ، وعلى أساس التضحية بالسعادة الفردية في سبيل سعادة المجموع ، والسعادة العاجلة انتظاراً لسعادة أكبر منها آجلة . أي تقديم الكيف qual ty في نشدان هذه السعادة على الكم quant ty وأخذها بأوسع معانيها بالنسبة لكائن متطور .

ولكي تفهم هذه النظرية — وغيرها من نظريات مل — ينبغي أن تقرنها بالنظرية التي يعارضها بها المؤلف قديماً وحديثاً — فإن مؤلفنا كان حريصاً أشد الحرص على أن يميز نظرياته عما يسبقها ، وأن يبين وجوه الشبه والخلاف بينها وبين غيرها — كما كانت طريقته في الكتابة أن يشرع بعد تعريف موضوع

كتابه — وربما قبله — فى نقد النظريات التاريخية السابقة ، وتفنيد الآراء الحديثة الشائعة ، ثم يعرض لنظريات بنتام وأبيه ، فينقد من هذه ويعدل ما استحق النقد والتعديل .

فهو فى مذهبه النفعى الذى يؤكده ويحوم حوله فى كل كتاباته ، ويخصص له هذا الكتاب ، انجليزى حق ، يتشبث بالواقع والتجربة المستمدة من التاريخ فى تطوره ، والأمور فى حقيقتها ، ويحمل على المبادئ المثالية العقلية ، والافتراضات الميتافيزيقية القبلية (السابقة على التجربة äpriori) ونظريته هذه فى النفعية تعارض — أشد ما تعارض — نظرية « كانت » الأخلاقية ، التى تجعل من الضمير والواجب والحدس الأخلاقى أساساً للفعل . فبينما هذه النظرية مثالية تزن السلوك الخلقى بالدافع عليه الذى هو أوامر قطعية يفرضها الضمير والواجب ؛ إذا بهذه الأخرى واقعية مادية تزن السلوك بمقدار ما تحقق لنا غايته من سعادة ولذة ومنفعة .

٢ — كتاب الحرية :

ولن يعنينا أن نتتبع نفعية « مل » أكثر من هذا ، ولكننا نعود إلى حيث قلنا إنه حيث ينتهى قوله فى هذه يبدأ مقاله عن « الحرية » فقد انتهت به مناقشاته لهذه النظرية إلى توكيد مبدأ على جانب كبير من الأهمية فى فلسفته السياسية ، لأنه لما جعل من المنفعة مقياساً عاماً لتقييم الأفعال ، والحكم عليها بالخطأ والصواب بما تحمل فى غايتها من تحقيق اللذة وتجنيب الألم ، تبين له أن ثمت منافع جماعية هى أكبر أهمية من المنفعة الفردية بكثير ، وأنها أولى بأن تكون مقدمة وقاطعة ، وأن هذه المنافع العامة — مع أن القانون والسلطة يقومان على حمايتها — لابد لها أن تستند إلى تأييد شعور الفرد وعاطفته وتفضيله بمحض إرادته أى إلى حريته .

ولم تنحل المشكلة بذلك حلا حاسماً ، بل إن النزاع لا يزال قائماً منذ أقدم العصور فيما بين الحرية الفردية ، والسلطة الاجتماعية نتيجة لتعارض المنفعة الشخصية والمنافع العامة المشتركة بين المجموع . واتخذ هذا الصراع بين المنافع مظاهر شتى يعرض لها بالتفصيل .

فالكتاب ككثير من الكتب قبله لأفلاطون وأرسطو وهوبز وغيرهم التى تبحث فى فلسفة السياسة والحرية التى يقصدها المؤلف هنا ليست حرية الإرادة التى ضدها الجبرية فى الميتافيزيقا والأخلاق Determinisme بل الحرية الفردية التى ضدها السلطات الحاكمة فى السياسة والاجتماع Authorites ومدى ما لهذه الأخيرة من سلطان على الأولى ؛ فما نشأ عنه على طول التاريخ — كما قلنا — صراع ، نجد أهم مظاهره عند اليونان والرومان وفى إنجلترا ، بين طبقات الأهلين والحكومة أو بين الأهلين أنفسهم .

ذلك أن مشكلة الناس — حين يعيشون فى جماعة — أنه يلزمهم الخضوع لقانون وضعى ، أو لسلطان المجتمع ، حتى يحترم بعضهم حق بعض ، وهذه المشكلة الأساسية فى الحياة ، وإن لم يحسن الناس حلاً فيما يرى « مل » ؛ وذلك لتعدد الأهواء الشخصية ، وتعارض المنافع الخاصة والمنفعة العامة ، ثم لسعى السادة وراء مصالحهم الشخصية ، ومحاولة المسودين تملق هؤلاء السادة بفعل ما يحبون ، وما يظن أنهم يحبون ، وببغض ما يكرهون أو يبدو أنهم يكرهون ، ما تزال مشكلة كل عصر وإن كانت تبدو فى صور جديدة متغيرة .

وقد تتساءل : ولم تتعارض رغبات الفرد ورغبات المجتمع ، وما دخل السلطات الحاكمة فى هذا التعارض ؟ فاعلم إذن أن الناس يختلفون فى رغباتهم كما وكيفا ، وأن الناس وإن اتحدت رغباتهم أفراداً ، فإنه يتكون من مجموعهم « مجتمع » له هو الآخر رغبته الخاصة التى تختلف عن رغبة كل فرد على حدة — مع أنه فى حقيقة الأمر ليس إلا مجموع هؤلاء الأفراد — فثمت تعارض أبداً بين رغبات الفرد وبين « مجتمع » الأفراد ، وتمتد هذه العداوة إلى الحكام أنفسهم بوصفهم ممثلى هذا المجتمع والمعبرين عن رغباته ، بمعنى أن عداوة الفرد للمجتمع الذى ينازعه لذته ومنافعه تتجسم شخص الحكام أنفسهم القائمين على حمايته وتنعقد المشكلة أكثر حين تتدخل فى الأمر رغبات الحاكم نفسه كفرد — بأن تكون له لذاته ومنافعه وأهواؤه الفردية — إلى جانب ما يقوم عليه باسم المجتمع .

وباسم هذه الحرية الفردية فى التفكير والنقاش واستقلال الشخصية وصلاح المعيشة يتحدث « مل » فى الفصول الثلاثة الوسطى من كتابه ، فيمهد لها بمقدمة ، ويلحق بها تطبيقات مما سنفصل القول فيه فى المقالتين التاليتين

كمال دسوقى

فاس عاصمة الأدارسة

للأستاذ مصطفى بعيو الطرابلسى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

بدأ إدريس فى إنشاء هذه المدينة ببناء السور أولا وتشجيعاً للعمال لإنجاز مشروعه اشترك بنفسه معهم . ويمكننا أن نستدل من وصف كتاب « زهرة الآس فى بناء مدينة فاس » (١) لأبى الحسن الجزنائى لكيفية بناء السور أن المدينة كانت على شكل دائرى وأن أبوابها قد تعددت حتى زادت عن السبعة . نزل إدريس وحاشيته فى المكان الذى عرف فيما بعد بعدوة الأندلس بعد أن خصص مكاناً لإقامة المرضى شرق المدينة حتى تساعد الرياح الغربية على إبعاد رائحتهم ، وحتى يكون تصرفهم من الماء بعد خروجه من المدينة فلا يصل ضررهم إلى سكانها . وكما هى العادة المتبعة فى بناء المدن الإسلامية الجديدة شرع إدريس فى بناء مسجد الشرفا فى عدوة الأندلسيين .

واتبع إدريس خطة حكيمة لتعمير عاصمته الجديدة ذلك أنه نادى فى الناس بأن كل من بنى موضعاً او اغترسه قبل بناء السور فهو له هبة لله فتبارى الناس فى ذلك فأكثروا من العمارة ونوعوا فى الغرس حتى أصبحت المحاصيل وفيرة مختلفة رخيصة أسعارها مما ساعد على ازدياد عمرانها ما كان يقع فى ذلك الوقت من حوادث فى الأندلس إبان إمارة الحكم بن هشام مما ترتب عليه هجرة بعض الأندلسيين إلى فاس على أثر ثورة أهل الربض وما أنزله بهم من عقاب صارم .

خصص إدريس لهؤلاء المهاجرين حياً خاصاً عرف فيما بعد بعدوة الأندلسيين وهو إلى الشرق من المدينة وأصبح ينزل فيه كل من ترك الأندلس واتخذ المغرب وجهته فكأنه فرع الشجرة قد نبتت فى الأندلس ؛ كما نزل الوافدين عليه من القيروان بحى خاص بهم يعرف فيما بعد بعدوة القرويين فكأن مدينة فاس عبارة عن حيين اختص كل منهما بفريق خاص .

وكما هو الملاحظ فى نشأة المدن الجديدة فإن فاس سرعان ما ازدهرت وأصبحت محط رجال كثير من العلماء والفقهاء حتى ينالوا حظ التقرب من رجال هذه الدولة الجديدة فاشتهر اسمها فى الآفاق وأصبحت مقصد مسلمى مراكش منذ نشأتها وعلى كل حال إليها يرجع الفضل فى تخليد ذكرى دولة الأدارسة ولولاها ما انتبه إليهم المؤرخون .

ومن محاسن هذه المدينة موقعها الفريد ؛ فهى بعيدة عن الصحراء المجدبة وعن البحار وأخطارها ولكنها تتصل بهما بطريق غير مباشر . تتصل بالصحراء بطريق برى وبالبحر بنهر سبوا . ثم إن هذا النهر أيضاً يشقها نصفين وتتشعب جداوله بين دورها وأنحائها ثم يخرج منها وقد حمل أقذارها وبعد أن يدير رحيها . ولهذا النهر كذلك ميزة خاصة فى مياهه التى تساعد على شفاء كثير من الأمراض وأخيراً يجب ألا ننسى أنه إلى القرب منها توجد كثير من مقاطع الأحجار وكميات وافرة من الكلس تساعد على نشاط حركة البناء .

وبعد أن أتم إدريس بناء مدينته أخذ يخرج لغزو ما جاوره من بلاد على فترات متقطعة منتظمة ولكن المنية لم تمهله إذ مات فى ريعان شبابه قيل مسموماً وقيل إنه شرق بحبة عنب فمات .

واختلفت الروايات فى مكان دفنه فبعضها يقول فى مسجد الشرفا بفاس وبعضها يقول إنه دفن بجوار أبيه فى وليلى . وبموته أخذت دولة الأدارسة فى الاضمحلال ذلك أن أولاده قد تقاسموا البلاد مما ترتب عليه وقوع الشحناء والتنافس بينهم ومن ثم إلى انقسام الدولة وتفككها . ومما زاد الطين بلة تلك الأخطار التى كانت تحدق بالدولة من الخارج .

فالفاطميون ومن قبلهم الأغالبة فى أفريقية والمغرب الأوسط والأمويون فى الأندلس وكل يعمل على محوها . وهكذا ترتب على هذا الاضمحلال السياسى اضمحلال حالة مدينة فاس فأفل نجمها بعد أن سطع فترة من الزمن وأصبح لا يقصدها إلا من أراد التبرك بزيارة بعض قبور الأدارسة لذلك لا نعجب إذا رأينا من الأمثلة المشهورة « فاس بلد بلا ناس » (١)

أما لماذا اختار إدريس الثانى هذه التسمية « فاس » لمدينته

---

(١) تولى نشر هذا الكتاب الأستاذ alfred Bel مدير مدرسة تلمسان بالجزائر باللغة العربية والفرنسية غير أن الطبعة الفرنسية قد قدم لها بترجمة لمؤلف هذا الكتاب وتحليل شخصيته وهو بمكتبة جامعة فؤاد الأول (٣٨٣٠ ت) .

(١) معجم البلدان ط دار السعادة ص ٣٣٠ : لياقوت

فقد تعددت فى ذلك الروايات وإن اختلف بعضها فى التفاصيل فإن أغلبها قد أجمعت على وجود مدينة قديمة قبلها قد طمرت معالمها وانمحت آثارها حتى جاء إدريس الثانى فجددها فى شكل مدينة فاس . فقيل (١) إن هذا الاسم قد اختاره لها إدريس عقب ذهابه لرؤية المكان الذى تم اختياره إذ صادفه رجل اسمه «فارس» وربما لغموض فى كلام هـذا الرجل فهم إدريس اسمه على أنه «فاس» فسمى المدينة باسمه . ولـكن هـذه الروايات ضعيفة ، ولا يمكن الأخذ بها . ويرى صاحب الدرر السنية (٢) ويشاركه فى هذه الرواية الجزنائى (٣) أن أحسن ما يمكن أن نعلل به هذه التسمية أن الإمام إدريس عندما خرج لمعاينة المكان الذى اختير لمشروعه مر به شيخ كبير من رهبان النصارى قد زاد عمره على المائة والخمسين سنة كان مترهبناً فى صومعة قريبة من تلك الجهة ، فوقف على مولانا إدريس وسلم عليه ثم قال أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين . قال أريد أن أختط مدينة هنا يعبد الله تعالى بها ، ويتلى بها كتابه ، وتقام بها حدوده . قال أيها الأمير إن لك عندى بشرى . قال : وما هى أيها الراهب ؟ قال : إنه أخبرني راهب كان قبلى فى هذا الدير له منذ توفى مائة سنة أنه وجد فى كتاب علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى «ساف» خربت منذ ألف سنة وأنه يجددها ويحيى آثارها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسمى إدريس ، ويكون له شأن عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الإسلام قائماً بها إلى يوم القيامة . فقال مولانا إدريس : الحمد لله أنا إدريس وأنا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بانيها إن شاء الله تعالى . فلما بناها قيل له : كيف تسميها ؟ قال : باسم المدينة التى كانت قبلها «ساف» ولـكن أقلب اسمها الأول ونسميها بقلبة وسماها «فاس» . وهذه الرواية بتفاصيلها ضعيفة للأخذ بها لتعارض بعضها مع الحقائق العامة المتفق عليها ولـكن فى الغالب أنه كانت هناك مدينة قد اندثرت معالمها وهذا ما دفع الجزنائى إلى القول «ويدل على ذلك ما رواه البرنسى أن رجلا من اليهود احتفر أساس دار من قنطرة عزيلة من المدينة المذكورة ... فوجد فى الأساس قطعة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالخط المندى هـذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة العبادة » (١)

ويذكر لنا الجزنائى رواية أخرى ينقلها عن صاحب الاستبصار وهى أن الأمام إدريس عندما شرع فى بناء مدينته كان يعمل فيها بيده كما سبق ذكره فصنع اله فاس من ذهب وفضة فكان الإمام إدريس يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة فكثر ذلك على ألسنتهم طوال مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس ، خذوا الفاس ، احفروا بالفاس . فسميت مدينة فاس . وربما كانت هذه الرواية أقرب إلى الصحة على الرغم من أن الجزنائى لا يأخذ بها ولا يؤيدها بل يعارضها لأنه يرى فيها ما يتنافى مع تمسك الإمام ادريس بعقيدته الإسلامية التى تتنافى مع استعمال الذهب بهذا الشكل وعلى أى حال فإن استعمال الذهب أو الفضة بهذا الشكل ما زالو معمولا به حتى يومنا هذا عندما يقوم بعض الملوك أو من يمثلهم فى الاحتفال بوضع الحجر الأساسى لأية منشأة جديدة ؛ لذلك نراه ينتقل إلى ذكر رواية أخرى مؤداها أنه لما بدأ العمال بحفر أساسها من ناحية الجنوب وجدوا فاساً كبيراً طوله أربعة أشبار وسمته شبر واحد وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل فسميت المدينة به .

بقيت كلمة صغيرة عن جامع القرويين ذلك أنه لما كثر على مدينة فاس الواردون أيام يحيى بن محمد بن إدريس كان ممن قدم عليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهرى القروى ونزل كما هو المتبع بعدوة القرويين مع أهل بلده . وعند وفاته ترك ابنتين قد تحصل لهما ميراث كثير رغبتا أن تصرفاه فى وجوه البر فلما علمتا أن الناس فى حاجة لبناء جامع كبير فى كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين بالناس شرعت إحداهما فى بنـاء جامع عدوة القرويين أما الأخرى فقد تكفلت ببناء جامع الأندلس . وفى سنة ٣٠٧ هـ ازيلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره وحل محله فى ذلك جامع القرويين لاتساعه وكبره والذى أصبح ملتقى العلماء والطلاب لسماع بعض الدروس الدينية فيه وما زالت حلقاته عامرة إلى يومنا هذا .

مصطفى بعيو الطرابلسى

(١) معجم البلدان ط دار السعادة ص ٣٣٠ : لياقوت .
(٢) ص ٧٣ .
(٣) ص ١٨ .

(١) ص ١٨ .



من وراء المنظار

انتقام !

صخاب ثائر لا يقر له قرار ، ينبعث صوته الغليظ الضخم من قاع حنجرته فإذا به مثل خوار الثور إذا اهتاج ؛ وإنه ليحدث من الضجيج وحده مالا يحدثه نفر من الرجال مجتمعين ؛ وما انبعثت جلبة من الشارع فى أى ساعة من النهار أو الليل إلا ردها أهل الحى إليه ؛ ولا شهدوا زحمة أمام دكانه إلا أيقنوا أنها « خناقة » هو بطلها ، ولا وقعت مشاجرة فملا إلا سألوا من المضروب هذه المرة فما يقع فى وهمهم قط إلا أنه هو الضارب، وما أحسبهم لو رعدت السماء وأبرقت إلا ظنوا بادىء الرأى أنه بدأ إحدى معاركه . . . ذلك هو بائع عصير القصب الذى ابتلانا به الله فجعل دكانه تجاه بيتنا يفصل بيننا وبينه الشارع .. والذى استغنى به من يخوفون الأطفال عن « البعبع » والغول والدب وأبى رجل مسلوخة وأضرابها ، ولا عجب فإنه والله لحرى أن يخوف به الرجال . .

فظ غليظ فى حدود الأربعين ، بين الطول والقصر ، متكرش كأن بطنه قربة سقاء تحت ثوبه تترجرج ، ضخم الزندين ، متشحم العاتقين ، غليظ العنق ؛ منتفخ الأوداج ، مترهل اللغاديد ، صغير الرأس حتى لتبدو عمامته الصوفية البيضاء نصف وجهه ، مفتول الشاربين صغير الحدقتين ، ضيق الجبهة ، واسع الفم طويل الأنياب : بحسبك أن تنظر إليه لتوقن أن فى بنى آدم من ينتسبون إلى الآدمية ظلماً . .

وقف هذا المثل أمام دكانه يصفع بيده الغليظة «صبيه» وهو فتى فى نحو الخامسة والعشرين قصير غير بدين ولا نحيف ، وعجبت إذ رأيته مطرقاً مسبل العينين وملابس العمل تحت إبطه ، لا يتحرك إلا بقدر ما يتحاشى الصفعات واللكمات ولكنها تنزل جميعاً على وجهه وقفاه وعاتقيه ؛ وآلمنى هذا المدوان وما فيه من فظاظة كما أحزنتنى هذه الذلة التى كثيراً ما يكرب نفسى أمثالها ، ولعمرك ما أتألم لشىء ولا أثور لمنظر بقدر ما أتألم وأثور لمرأى إنسان فى موقف الذلة حتى ولو كان من الآثمين ؛ ولطالما سألت نفسى متى أجدهى شعبنا هذا من الأنفة والحفاظ ما ينسيه ذل القرون وأقول متى يستكبر عامة الناس فى هذه الأمة فيتطامن لهم من عليته وغاصبيه المستكبرون ؟

وحسبت أول الأمر أن هذا العامل قد اقترف سرقة أو خيانة، حتى سمعته يقول وهو مسبل العينين فى تخشع « يا عم على . . لم تضربنى ؟ أنت الذى أخرجتنى » وكان أحرى به أن يقول : يا أيها الغول أو « يا عم الدب » ، وقال الغول فى صوته الفظيع وكأنما يريد أن ينشب أظافره فى عنق هـذا المسكين « لأنك لا تريد أن تبقى حتى آتى بغيرك » .

وامتلأت حنقاً وألماً لهـذا البغى يقع من الغول صاحب رأس المال على الفريسة المسكينة ذلك العامل الضعيف، ولو كنت فى ملابسى التى أخرج بها إلى الشارع لاقتحمت على الدب كهفه ولو أدى الأمر إلى وقوعى بين أنيابه .

ونظرت فإذا فتى فى مثل عمر المضروب وفى مثل قامته وجرمه ، يقف أمام الدب ويسأله فى عنف والشر ملء وجهه ، وقد تجمع السابلة والألم فى وجوههم جميعاً « لم تضرب هذا الرجل ؟ . . » ونظر إليه الدب نظرة استهزاء ظن أنها حسبه ليخاف ؛ وعاد يضرب العامل مبالغة منه فى عدم المبالاة فما كاد يرفع كفه حتى نزلت على صدغه هو ، أى والله على صدغ الدب السميك ، كف ذلك الفتى ! ودهش الناس جميعاً وتحمس بعضهم فصفقوا وهرول الغول إلى دكانه فأحضر سكيناً ، ولكن الفتى باغته بكرسى ألقاه على رأسه ، ثم اختطف سكينه وأخذ بتلابيبه بيده ورفع السكين بالأخرى قائلا « هيه .. أفتح كرشك يا .. » وأخذ الناس السكين من الفتى ، وخاف البعض عليه من الدب ، ولكن ما راعنا جميعاً إلا الدب يرتمى على الأرض كأنه جذع شجرة ضخم والناس يصفقون للفتى ضاحكين معجبين . .

ونهض الفحل ثقيلا مستخزياً واستنوق الجمل، وحال الناس بين الفتى وبينه وإن الفتى ليتوثب ويتهدد ، ولست أدرى لم طرأت على ذهنى وقتئذ صورة ديكتاتور إيطاليا وكيف لبث يخوف العالم زمناً حتى اكتشف أمره .

وحسبت أن بين الفتى وبين ذلك العامل المسكين صلة من قرابة أو نسب ، ولكن لم يكن بينهما كما علمت شىء من ذلك ، حتى ولا مجرد المعرفة ، ونزلت إلى الشارع فى ثياب البيت لأقابل البطل إذ يمر ببابنا ، بعد أن دخل ذلك الجمجاع دكانه لا يلفظ كلمة ، ومددت يدى للبطل وقلت « أترضى أن تتخذنى صديقاً » فضحك وقد فطن إلى أنى رأيت كل شىء وقال فى تأدب « يا فندم أنا محسوبك » وعزمت عليه فشكرنى ومضى وأنا معجب بنخوته أسأل الله أن يكثر من أمثاله .

الخفيف

الشاعر

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

[مهداة إلى الطائر الصامت الصديق
الشاعر الأستاذ المهدى مصطفى]

الى مثله تصبو عذارى الخواطر   وفى يومه تصحو سكارى المزاهر

وفى كل همس حول معناه ضجة   وفى كل معنى منه أقنوم ساحر

ألمّ على الأيام يبقى جديبها   ويبنى جديداً فوق أطلال دائر

هو الشعر ماغنى ربيع ، وما بكى

خريف ، وما اخضلت عيون الأزاهر

تراتيل أنسام ، وتسبيح جدول   وأنة موجوع ، ومصباح حائر

تشهته أم الفجر معنى لضوئه   وعاقره فى الليل صمت الدياجر

وودت بنات الزهر لو أن عرفها   من النغم القدسى سبحة خاطر

وإن جمالا لم تسجله ريشة   من الفن نهب للسوافى الثوائر

وإن حياة لا تحس جمالها   لتكفيف مصفود، وصفقة خاسر

هو الشعر ما كانت حياة ، وماجرى

على صفحة المقدور إلهام قادر

تغنت به الآباد من قبل عزفه   كلاماً فجاب الدهر أول عابر

وأرهص للأوتار حتى إذا شدا

تجاوب « فرح » الكون فى برح ساهر

ودقت نواقيس الحياة ،وأطلقت   رهابينها فى الأرض سحر المزامر

ونادى منادى السموات: أوقدوا   كواكبها فاليوم ميلاد شاعر

فضج بأعراس السماوات عيدها .

وقر على شط الحياة شريدها

تجردت الأنغام فهى عوالم   يترجم أسرار الوجود وجودها

وأقبل رب الشعر فى آى موكب   تحف به حور السماء ، وغيدها

وطاف به جبريل قبل نزوله   إلى العالم المحدود والأرض بيدها

فلما دنا من جوهر الشعر زلزلت

به الساحة الكبرى ، وماج أبيدها

وقيل له : ياشاعر الكون هذه   هى الجذوة الأولى، وأنت وقيدها

وغوث بالنار القديمة كاهن   ومس بها الدنيا فضاء عمودها

ودب بها معنى جديد ، وأمرعت

بطائحها الجدباء واخضر عودها

وأطلع ساق الشعر فى البيد كرمة   منغمة يحدو الزمان نشيدها

ونادى نبى قومه : تلك واحة   على الأفق عذراء الجنان ولودها

فما آمنت بالشعر إلا لحونه

وران على الأرض العجوز جمودها

وقدر للدنيا الشقاء فألحدت   وجدف غاويها ، وضل رشيدها

وأشرعت الأطماع فيها ضغائناً   يجادل فى معنى السلام حديدها

وما كدر الأيام إلا ظماؤها   وهل شاب ماء المزن إلا ورودها

فلا طاب نفساً بالحياة شقيها   ولا قر عيناً بالحياة سعيدها

أتنشد فى دنيا الحيارى من اهتدى ؟!

أفى الحانة الحمراء ترتاد معبدا ؟!

هرقت إذن - يا سادن الشعر - لحنه

وأهدرت للغافين نايا مسهدا

هى الأرض طبع فى بنيها . ومن تكن

جبلته الأولى ترابا تمردا

وكم ضارب فيها بعكاز تائه   يعد من الموتى، وإن راح أوغدا!

وكانت حياة الناس لولا زحامهم   عليها طريقاً للسلام معبدا

فلا تك نجماً جاوز الليل وحده   ببيداء فانثالت أشعته سدى

لمن شارق فى الأفق إن كنت لا ترى

وفيم هتاف الورق إن كنت جلمدا

هنالك والدنيا رواية ظالم   وقصة مظلوم ، وتلفيق منتدى

وفى ليلة ظلماء ينسل برقها   كما جردت كف الكمى المهندا

وفوق رباة يكمن الدهر عندها

وتبصر فيها — قبل مولده — غدا

دعا ربه الشادى ، وأوفى بشمره   إلى العالم الثانى ، ومدّ له يدا

وكف عن الأوتار فهى نواشز   كأعصاب محموم ألح به الصدى

وقال بنو الموتى : « لقد مات شاعر »

وكيف يذوق الموت من كان مخلدا

بقدر شعور المرء يمتد عمره   وفى حمأة الأوهام يردى بنو الردى

وما مات شاد بالجمال ، وإنما   إلى عالم الألحان عاد كما بدا

ومن فهم الأيام لحناً مجدداً   ترامت له الأيام لحناً مجددا

طاهر محمد أبو فاشا

الأدب والفن في أسبوع

الفنون في المولد النبوي :

كان الأسبوع الماضي أسبوع المولد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، فقد تمطرت النوادي بهذه الذكرى الحبيبة ، وتحلت الصحف والمجلات بما نشرته فيها من الكلمات الطيبات ، وأذاعت لها دار الإذاعة برنامجاً حافلا انتثر أسبوعاً ، وقد افتتحه صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية واختتمه الأستاذ أحمد حسن الزيات بحديث بليغ عن « بلاغة الرسول » .

ولا أحب إلى من أن أبدأ في هذا الأسبوع بالكتابة في هذه المناسبة الكريمة ، مسجلا المظهر الرائع الذي بدا فيه الاحتفال بالمولد هذا العام ، من حيث اتجاه الفنون الجميلة إلى الاشتراك فيه ، فإلى جانب الأدب من كتابة وخطابة وشعر ، نسمع المطربين يصدحون بالأغاني المؤلفة في مدح الرسول وذكرى مولده ، ونسمع كذلك التمثيليات الإذاعية والبرامج الخاصة . ومما يلفت النظر أن الجمعيات الدينية كالشبان المسلمين والإخوان المسلمين ، أدخلت التمثيل في برامج احتفالاتها ، فمثلت على بعض المسارح تمثيليات في تاريخ الصدر الأول من الإسلام . وهكذا تعاونت فنون الأدب والغناء والتمثيل على الحفاوة بمولد الرسول في هذا العام ، ولا أقول إنها أكسبته جمالا وروعة ، بل هي التي اتخذت منه موضوعاً لإبراز جمالها الفني ... وأي موضوع أدعى إلى الإبداع الفني من ذكرى الحبيب محمد بن عبد الله الذي انتقل حبه إلى قلوبنا ، على تعاقب الأجيال ، بتيار رسالته المشمة الهادية ، وأي شيء أليق بالفن من الحب ... ؟

السفينة العربية :

وقد استرعى انتباهي حسن التفات الأستاذ الزيات في حديثه إلى قوله عليه السلام « إن قوماً ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ؛ فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » وذلك من حيث تطبيقه على دنيا الإسلام والعروبة اليوم ، إلى أن قال الأستاذ : « وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من ألمعية الذهن وإشراق الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فضرب هذا المثل لجامعة الدول العربية لعلها تتذكر فتتدبر » .

أقول : حيا الله شعب العراق ، فقد حال دون خرق السفينة العربية بهبته في وجه المعاهدة التي تهدد سلامة السفينة إذا اختلفت إحدى الشقيقات مع الانجليز ... وحيا الله دولتي سوريا ولبنان ، فقد أبتا أن تصنعا في مكانهما شيئاً برفضهما التعاهد مع الانجليز حتى ينتهي الخلاف بينهم وبين مصر ، وعلى جامعة الدول العربية قائدة السفينة أن تتذكر فتتدبر .

لقد قوض العرب الأولون أركان الدولة الشرقية (الفارسية) والدولة الغربية (الرومانية) وكانت عدتهم في ذلك الوحدة والإيمان والتضحية ؛ ونحن الآن لا عاصم لنا من الكتلة الشرقية والكتلة الغربية إلا هذه الصفات . ويخيل إلى أننا أخذنا بالوحدة واقتربنا من الإيمان ، ولكننا لا نزال بعيدين عن التضحية ، لأننا غارقون في الأثرة ، متعلقون بالرياسة وحب السلامة .

ويوم تتم لنا تلك الصفات ، نجد « الكتلة العربية » مكانها على قدم المساواة إن لم يكن في موضع التغلب ، وليس هذا اليوم ببعيد .

نشوء القومية في ألمانيا :

كان « نشوء القومية في ألمانيا وتصادم النظريتين الألمانية والفرنسية في تعريفها وتحديدها » موضوع المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات التي يلقيها الأستاذ ساطع الحصري في الجمعية الجغرافية الملكية والتي حدد لها يوم السبت من كل أسبوع .

قال الأستاذ : كانت ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر إمارات ودويلات متفككة سياسياً وإن كانت ذات وحدة لغوية ثقافية ؛ ولم يكن أهلوها يشعرون بالقومية ، وكان علماؤها وأدباؤها يتجهون في تفكيرهم وإنتاجهم نحو الإنسانية والعالمية ، فلما قامت الثورة

فى فرنسا أبدوا ارتياحهم إليها مؤملين أن تقضى على النعرات الوطنية وتهدف إلى تحقيق الخير للبشر ، ولـكن لم يلبث أملهم أن خاب عندما غزاهم نابليون ، وفرض عليهم حكما استبداديا لحقت بهم الـكوارث من جرائه ؛ فشعروا بالحاجة إلى الوحدة والتكتل وبدأ المفـكرون يوجهون الشعب نحو القومية ، وشرع الأدباء والشعراء فى إنتاج الأدب الوطنى الحماسى الذى جعل لهذه الفترة مظهراً بارزاً فى تاريخ الآداب .

وكان على رأس أولئك المفـكرين « فخته » الذى دعا إلى محاربة التفرق والضعف وإلى تعميم التعليم وتربية الشعب تربية تنتفى فيها الأنانية ، وبث فى أبنائه أن عليهم رسالة كبيرة يؤدونها للبشر عامة ، برفع شأن وطنهم أولا ، ثم نشر الرسالة فى خارجه وبهذا مزج بين الوطنية والعالمية . وكان يوجه كلامه إلى الناطقين باللغة الألمانية ، فكانت نتيجة ذلك أن شعر سكان جميع البلاد التى تتكلم الألمانية برابطة اللغة .

وأدت هذه الحركة إلى تكوين جامعة الدول الألمانية التى كانت تنظم العلاقة بين هذه الدول وإن كان يحكم كل منها حاكم مستقل وتحققت وحدة اقتصادية ، وتقدمت الصناعات ، وقوى الجيش . ووجدت ألمانيا الفرصة سانحة فى الانضمام إلى الحلفاء ضد نابليون فاشتركت فى حربه معها ، ولـكن الحلفاء بعد أن تغلبوا على نابليون عاكسوا الحركة القومية فى ألمانيا زمناً طويلا ، حتى قيض لها بسمارك ، فعمل على تحقيقها بمختلف الوسائل .

وبعد أن أفاض الأستاذ فى بيان ذلك انتقل إلى النقطة الثانية من المحاضرة ، فقال إنه فى خلال تلك الحوادث نشأت نظريتان فى تعريف القومية : النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حى روحه اللغة الواحدة ، والنظرية الفرنسية التى تقول بأن القومية ليست كذلك وإنما هى شىء يقوم على مشيئة الشعب ، وواضح أن كلا من النظريتين كان يدفع أصحابها إلى القول بها مصالح بلاده فالفرنسيون لا يقولون باللغة أساسا للقومية ، لأنهم كانوا يريدون أن يضموا جزءاً كبيراً من ألمانيا إليهم بحيث تكون حدودهم عند نهر الرين ، والألمانيون يقفون فى سبيلهم داعين إلى وحدة بلادهم وهى ذات لغة واحدة .

واستعرض الأستاذ آراء كل من الطرفين ، ثم قال إنه كان متأثراً بالنظرية الفرنسية ، ولـكنه بالبحث والتأمل تبين له بطلانها لأن المشيئة ليست أمراً ثابتا محدودا ، وأورد حوادث دلت على تغيرها ، ولأن هذه المشيئة إنما تكون نتيجة للعوامل الأساسية كاللغة والتاريخ ؛ وختم الأستاذ المحاضرة بقوله إن صحة نظرية القومية القائمة على اللغة وفساد نظرية المشيئة ، سيتبين بشكل أوضح فى المحاضرة القادمة عند ما نتكلم على الفـكرة القومية فى النمسا والبلقان وتأثير اللغة والتاريخ فيها .

الشعر الآن :

رددت الصحف أخيراً قولا للأديب الفرنسى أندريه جيد :

« إذا وجد فى أى بلد شـعراء مجيدون ، وإذا أحب أهل هذا البلد قراءة الشعر ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام صالح قويم . أما إذا خلا البلد من الشعراء والنوابغ ، وإذا عزف الناس عن قراءة الشعر وترتيله ، فاعلم أن النظام السياسى هناك نظام فاسد معوج . وفى البلد الأول قلما تقوم الثورات والقلاقل ، وفى البلد الثانى قلما يهدأ الناس ويرضون عن حياتهم » .

ويبدو لى أن الربط بين وجود الشعراء وإقبال الناس على الشعر وبين استقرار الأحوال واطمئنان الناس فى حياتهم -- يبدو لى أن هذا الربط يقوم على اعتبار الشعر ترفاً فنياً وعلى ما يسود حياة الناس من هدوء بال وهناءة عيش فيقبلون على الشعر يلتمسون فيه المتعة الفنية ، أو قلق وشظف فينصرفون عن هذا الـكمال الفنى إلى مسائلهم ومشاكلهم .

ونحن ولا شك من الفريق الثانى ، والناس عندنا عازفون عن قراءة الشعر من غير شك أيضاً ، ولـكن هل عندنا شعراء مجيدون ؟ يتوقف الجواب عن هذا السـؤال على تعليل عزوف الناس عن قراءة الشعر ، فهل تصرفهم عنه شواغلهم ، أولا تعجبهم البضاعة الموجودة ؟

أما الشواغل والقلاقل فهى متوافرة ، وأما الإنتاج الشعرى فليس من السهل إطلاق الحكم عليه .

أحسب أن شيئاً من التبعة فى كساد الشعر يرجع إلى أولئك النقاد الذين هبوا فى فترة ماضية ، يعيبون على الشعراء العائشين فى حياة الناس القائلين فى مسراتهم وأحزانهم ، ويدعون إلى التجارب الذاتية والتحليق الفنى . ولهؤلاء النقاد وجهة فنية

سليمة إذا نظرنا إلى ما هالهم من التهالك على الرثاء المصنوع والتهاني المتملقة وغير ذلك مما ليس بسبيل التعبير الصادق ، ولكن كانت نتيجة تلك الحركة أن انكشف شعراء المناسبات عن الميدان ، وإن كان لا يزال فيه من يوالون تزييف التعبير وقد أصبحت تفاهة صنيعهم معروفة . أما التحليق فلم يُلف أجنحة فى أكثر أمره ... ومن حلق قصد إلى ترف المشاعر ، مزوراً عن مضطرب هذه الأمة المنكوبة فى حريتها وفى عيشتها . ونظر الناس إلى هؤلاء وإلى هؤلاء شذراً ، لأنهم وجدوهم إما بعيدين عن الإجادة أو غير مسددين إلى أهداف المجتمع ، فكانوا عنهم معرضين.

وليس الأمر مقصوراً على جمهرة القراء ، فالإعراض عن قراءة الشعر يشمل الخاصة من المثقفين ، ولا أخفى أننى قلما أقع على شعر يقرأ ، وأكلف نفسى أحياناً أن أقرأ شعراً ، صابراً إلى نهايته ، ثم أقول فى نفسى : أترى هذا الكلام ينشر إذا جرد من الوزن والقافية وكتب نثراً . . ؟ والجواب مفهوم طبعاً ، وإذن فنحن نتخذ النظم «جوازاً» للنشر ليس إلا ...

كتب كاتب فى إحدى صحفنا الكبيرة « تقريظاً » لديوان أخرجه أخيراً شاب يتعلق بالشعر ، فتمثل الكاتب بما كتبه فيكتور هوجو عن لامرتين عقب نشر أول مجموعة شعرية له ، وهو قوله : « لقد ولد لنا الليلة شاعر عظيم جديد » فاستبشرت خيراً بمن ولد لنا وهو صاحب الديوان الذى يقرظه الكاتب ، ولكنه عفى على ما أملت بإيراده طائفة من روائع شعره ، فقد نظرت فى هذه « الروائع » متخيلا تجردها من الوزن والقافية فوجدتها كالذى وصفت . . وكذلك شأن أكثر من يولدون فى هذه الأيام !

وأعود إلى ما أسلفت من أنه ليس من السهل إطلاق الحكم على الجميع ، فثمة قلة من الشعراء يرتفع شعرهم عن مستوى الكثرة التى كادت تحملنى على القول بأن الشعر لقى حتفه . أما الظاهرة الشاملة الملحوظة وهى انصراف الناس عن قراءة الشعر ، فإن خالفتنى فى تعليلها فلن تختلف فى تقريرها .

وموقف الشعراء — فى نظرى — لا يخلو من ثلاثة : أن يظلوا يقولون لأنفسهم ، أو يقولوا فيما يعنى الناس وما يعجبهم ، أو يسكتوا حتى يفرغ الناس لهم .

معرض الفن الحديث :

فى يوم الخميس افتتح المعرض الأول للفن الحديث ، لخريجى قسم الرسم من معهد التربية العالى للمعلمين .

والفن الحديث فى الرسم ليس شيئاً مغايراً للفنون السابقة ، وإنما يعد تطوراً لها ، إذ يرى أصحابه أن الأسلوب (الفوتغرافى) فى الرسم صناعة آلية لا تغذى الفكر أو العواطف الإنسانية ، فهو أسلوب جامد لا يساير الحياة المتحركة ، ثم هو لا يتصل بالثقافات الأخرى من علمية واجتماعية وفلسفية . أما الفنان الحديث فقد أخذ بنصيب من هذه الثقافات التى تفاعلت فى نفسه مع الطبيعة الفنية ، فهو حينما ينتج لا يصور الحياة كما هى ، وإنما يضيف إليها شيئاً من فكره وشحنة من حسه فيتسلل إلى الحقائق والمتناقضات سعياً وراء الأفضل ، أو هو بتعبير آخر لا يقبل الواقع الماثل بل يدرك الواقع المتطور ويعبر عنه ، وهو يتحرر من كثير من القيود والأصول المعروفة .

وقد شاهدت المعروضات ، وفهمت بعضها (ولا فخر) واستعصت على فهم البعض الآخر بأصحابه الأساتذة العارضين ، ومع ذلك لم أفهم كل شىء .. ولم أتحرج من مصارحتهم بذلك ، فكانوا يجيبون بأن الفنان قد يعبر عن شعور غامض فى نفسه أو عن تجربة له لم تتفق لمن لا يدرك مرماه .

وإذا كنا لم نقبل — فى الشعر — القول المأثور : المعنى فى بطن الشاعر ، فهل نقبل — فى الرسم — أن يقال : الفكرة فى بطن الفنان !

يجب أن توضح معالم هذا الفن حتى يتصل الشعور بين المنتج والمتفرج . وأى قيمة لعمل فنى تنقطع فيه الصلة بين الشاهد والفنان . . ؟

استعمار الأوبرا :

بدأ الموسم الشتوى للتمثيل فى الأوبرا ، بتمثيل الفرقة المصرية على هذا المسرح نحو شهر ، ثم جلت عنه للفرق الأجنبية التى تتعاقب عليه . عملت فيه أولا فرقة (البـاليه) الفرنسية ، وتعمل به الآن الفرقة الإيطالية ، وستعقبها فرقة (الكوميدى فرانسيز) وهكذا تشغل هذه الفرق الثلاث مسرحنا الرسمى أكثر



حول رسائل الصاحب بن عباد :

هذه كلمة أكتبها مضطراً تعليقاً على مقال نشره بالرسالة الغراء في عددها ٧٥٩ الأستاذ محمد خليفة التونسي ، فقد كتب يصحح نصاً ورد في الرسائل كما كتب يصحح فكرة اتصلت باعتزال الصاحب .

ولو أنه كان يصحح نصاً حقاً وارداً في الرسائل أو يصحح فكرة جاءت حقاً في مقدمتها ما كتبت هذه الكلمة إذ من حق كل قارىء على ناشر لكتاب قديم أن يراجعه في صحة بعض الألفاظ التي نشرها كما أن من حقه أن يراجعه في صحة بعض أفكاره التي يقدم بها هذا الكتاب .

وهنا يظهر التناقض ، فالأستاذ الفاضل يصحح نصاً في الرسائل وليس في الرسائل ، أوقل بعبارة أصح إنه يصحح لفظة جاءت في إحدى عبارات الرسائل وليست في الرسائل ، وكذلك هو يصحح فكرة نسبها الدكتور الأهواني إلى مقدمة الرسائل أو بعبارة أصح إلى المدخل الذي وضع بين يديها ، وليست في المدخل .

أما اللفظة التي صححها الأستاذ التونسي فقد سيقت فيما رواه الدكتور الأهواني من قول الصاحب : « وما في النعم أجل موقعاً ، وأهنأ مشرعاً ، من النعمة في القول بالحق والدعاء إليه ، والتدين به والبحث عليه ، ومهانة من شبه الله بخلقه ، فتتابع في جهله ، أو جوره في فعله ، فشك في حسن نظره وطوله » . فقد تصادف أن كلمة جهله أصابها خطأ مطبعي فكتبت في مقال الدكتور الأهواني هكذا : « جهده » وحينئذ رأينا الأستاذ التونسي يفترض لها فرضين ، فهي في رأيه إما أن تكون حقه أوجهله ، ورجح أن يكون أصلها « حقه » كما رجح أن تكون كلمة « فتتابع » ليست كذلك وإنما هي « فتتابع » . وأظنه يرى الآن

الموسم ، في الوقت الذي تتعطل فيه الفرق المصرية لأنها لا تجد مسرحاً تعمل فيه ؟

وتلك الفرق الأجنبية بذلت لها حكومتنا المصرية ، إلى جانب مسرح الأوبرا ، إعانات كبيرة ، وأنفق مدير الأوبرا في سفره إلى أوربا في الصيف لاختيارها والاتفاق مع متعهديها مبلغاً آخر من المال ، ويجمع هؤلاء المتعهدون من (شباك التذاكر) أموالا طائلة قد يذهب بعضها من بعض المتعهدين اليهود إلى الصهيونيين في فلسطين .

ولم كل هذا الإغداق ، وذاك الاحتلال ؟ يقولون : لأن دار الأوبرا تقدم بتلك الفرق للجمهور المثقف نماذج من رائع التمثيل الغربي ...

ألم تر في الأيام الماضية القريبة تلك الصور التي نشرتها الصحف والمجلات لفتيات (الباليه) اللائي يرقصن بأجسام شبه عارية ؟ وفي الفرقة نحو عشرين فتاة من الفرنسيات ، أعمارهن بين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين ... أهذا هو الفن الرائع الذي تقدمه الدولة الإسلامية للمثقفين فيها ، وليكون مدرسة يفيد منها الفن في مصر ؟ !

ثم ما هو الجمهور الذي يستفيد من هذا التمثيل ؟ إنه يتكون من صنفين : الأول الأجانب ، والثاني الأغنياء الذين يتخذون من مشاهدة هذه الحفلات مجالا للأرستقراطية المزهوة ... ومعرضا لثمين الفراء ونادر الجواهر .

على أنه إذا فرضنا أن لهذا التمثيل الغربي فائدة تثقيفية فنية ، فإن هذه الفائدة لن تكون إلا كمالية ، ونحن أحوج إلى العناية التي تبذل لها في تدعيم الضروري من فن التمثيل المسرحي الذي يكاد يختنق في بلادنا ، لأن حياة المسرح المصري أساس لتقدمه فكيف نعمل على تقدمه وهو يحتضر !

لقد كانت فرقة واحدة تكفي — إن كان لا بد من النماذج الغربية — للعمل شهراً واحداً ، ثم تمكن الفرق المصرية من أن تأخذ نصيبها من مسرح الدولة ومن تشجيع الدولة .

وبعد فإلى متى تظل دار الأوبرا مستعمرة للفرق الأجنبية ؟ ومتى نضع حداً للاستكثار من الخير للأجانب والمترفين ؟

« العباس »

أنه ليس هناك داع لكلمة حقه ولا لكلمة تتابع ولو رجع إلى الرسائل نفسها فى تحقيق هذه العبارة لكان فى غنى عن كل ما أورده فى هذا الباب .

والمسألة الثانية التى حاول أن يصححها هى ما جاء على لسان الدكتور الأهوانى فى مقاله عن اعتزال الصاحب إذ قال : « نستطيع أن نطمئن إلى ما ذكره ياقوت عن الصاحب من أنه كان يذهب مذهب الاعتزال ولكن الدكتور عزام بك والدكتور ضيف لا يطمئنان إلى أن الاعتزال « أكان هذا من عمله هو أم من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب – فيما يظهر – إلى الاعتزال » وآخر كلام الدكتور الأهوانى يوهم حقاً أننا نظن أن اعتزال الصاحب يرجع إلى اعتزال سيده .

ومن هنا ذهب الأستاذ الفاضل التونسى يتحدث تحت تأثير هذا الوهم عن اعتزال الصاحب ولماذا نربطه باعتزال سيده ، ثم استطرد يتحدث عن صلة البويهيين بالاعتزال ، وهو يشكر على ما بذل فى ذلك من جهد لكنا كنا نؤثر أن يعود إلى مقدمتنا للرسائل ، إذن لعرف أنه كان فى غنى أيضاً عن كل ما ساقه فى هذا الباب .

وقد تكون المهدة فى ذلك على الدكتور الأهوانى الذى كتب المقال الأول ، ولكن ذلك لا يعفى الأستاذ التونسى من حقنا عليه وهو أن يحاسبنا على ما نكتبه لا على ما يكتبه غيرنا وإن بدا أنه ينقل عنا .

والمسألة – يا سيدى – لم تكن مسألة اعتزال الصاحب إنما كانت مسألة دعوة الصاحب إلى الاعتزال ، فقد رأيناه فى الرسائل يدعو الناس إلى الاعتزال ولم نره يدعو إلى التشيع ، ومعروف أن البويهيين كانوا متشيعين وكذلك كان الصاحب متشيعاً ، والمعقول أن نجده يدعو إلى التشيع لا إلى الاعتزال . وقد جعلنا ذلك نبحث عن صلة البويهيين بالاعتزال وخاصة عضد الدولة التى توجت الرسائل غالباً باسمه ، ووجدنا آدم ميتز يقول إن عضد الدولة كان يعمل على مذهب المعتزلة (راجع الحضارة الإسلامية لآدم ميتز طبع لجنة التأليف ص ١٠٢) ولم نكتف بما يروى آدم ميتز بل رجعنا إلى الأصل الذى أشار إليه ، وهو كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى ص ٤٣٩ ووجدنا النص هناك مضطرباً ، لذلك قيدنا فكرة اعتزال عضد الدولة وقلنا فيما يظهر ، وأيضاً فإننا حاولنا أن نربط بين دعوة الصاحب إلى الاعتزال وبين عضد الدولة فربما كان هو الذى دفعه إلى ذلك ونحن نورد ما جاء بمدخل الرسائل فى هذه المسألة ، جاء :

« وليس فى الرسائل ما يدل أى دلالة على أن دولة بنى بويه كانت تدعو إلى التشيع . . ونحن نجد فى الرسائل نزعة واضحة إلى القول بالاعتزال والدعوة إليه ، فقد جاء فى الرسالة التاسعة من الباب العاشر « مولاى يتدين بتعديل ربه ، ويعرف مواقع اللطف من صنعه ولا يشك فى اقتران الصلاح بفعله » وتتكرر فكرة التعديل هذه فى الرسائل كثيراً ، والغريب أن الصاحب لا يدعو إلى التشيع فى رسائله ويدعو إلى الاعتزال ! وهناك رسالتان طريفتان فى الباب السابع عشر وهما نصان صريحان فى أنه كان يبعث دعاة له إلى البلدان المختلفة يدعون الناس إلى الدخول فى مذهب المعتزلة ، ولسنا ندرى أكان هذا من عمله هو أم كان من عمل الدولة ، فقد كان عضد الدولة يذهب – فيما يظهر – إلى الاعتزال ، ويعرف التاريخ صلة دائمة بين التشيع والاعتزال منذ كانا . ويظهر أن التشيع اقترن فى هذا العصر اقتراناً تاماً بالاعتزال إذ كان أهل السنة يكرهون التشيع والاعتزال جميعاً »

وأظن قد اتضح الآن أننا لم نرجع اعتزال الصاحب إلى سيده عضد الدولة وأننا كنا بصدد مسألة أخرى هى مسألة دعوة الصاحب إلى الاعتزال دعوة رسمية وهل كانت من عمله أو بتفويض من سادته وأكبر الظن أن السؤال لا يزال مفتوحاً للاجابة عليه وإن كنا نميل – كما يبدو من كلامنا – إلى أنه كان بتفويض من سادته .

أما الصلة التى عرض لها الأستاذ الفاضل بين البويهيين والاعتزال فلعله يوافقنى على أنه كان متسرعاً فى تفصيل الحديث عنها وأنها فى حاجة إلى بحث عميق واسع ، وهو بحث يعتبر جزءاً من بحث أكبر وهو بحث الصلة بين المعتزلة والشيعة وخاصة فى القرن الرابع قرن الصاحب بن عباد .

وبعد فإني أنتهز هذه الفرصة لتحية أخي الأستاذ التونسي مقدراً ما دعاه إلى كتابة مقاله من محبة البحث واستيفائه ، وإنه ليشكر على أن أتاح لي هذه الفرصة لأصحح بعض ما جاء في مقال صديقي الدكتور الاهواني ، وإن له الآخر مني أجل الشكر والثناء ....

شوقي ضيف

تصحيح نسبة كتاب :

في الجزء الثاني من كتاب « المفصل في تاريخ الأدب العربي » ترجمة للإمام ابن تيمية .

وقد دعاني ما فيها من المبالغة لقراءة الترجمة مرات فكنت أقف في كل مرة عند قول المؤلفين «وبلغت مصنفاته ثلثمائة مجلد» قائلا فيمه ؟ حتى لفت نظري قولهم « أكثرها في التفسير والفقه والأصول » .

لفت نظري ذلك لأن الذي كان معروفاً بالفقة والأصول والتفسير إنما هو ابن تيمية الجد لا الحفيد وهو المترجم .

وما إن تأملت قول المؤلفين « وأشهر هذه الكتب منتقى الأخبار !! وفتاوى ابن تيمية الخ حتى آمنت بأن هناك خلطا نشأ من عدم التفرقة بين الجد الذي هو صاحب « منتقى الأخبار » قطعاً وبين الحفيد وهو المترجم .

وإني لأسأل عن تلك المصنفات التي ذكروها في التفسير والفقه والأصول . أهي للحفيد حقاً كما زعموا أم هي للجد ولكنها نسبت إليه كما نسب كتاب منتقى الأخبار ؟

فهل من محقق يزيل هذا الشك ؟

محمد الأمين

جوائز فاروق الأول للصحافة الشرقية :

[مؤسسة إدجار جلاد بك]

تذكر إدارة جريدتي الزمان والجورنال ديجبت حضرات الصحفيين بقرب حلول موعد الجوائز التي تمنحها (مؤسسة إدجار جلاد بك لجوائز فاروق الأول للصحافة الشرقية) في ١١ فبراير من كل عام بمناسبة عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول للصحفيين في مصر والبلاد الشرقية الذين يتفوقون في مهنتهم ولا تزيد سنهم على الثلاثين سنة . وستمنح هذه الجوائز حسب النظام الآتي :

١٠٠ جنيه للصحفي الذي يكون قد كتب أحسن مقال باللغة العربية في موضوع وطني .

١٠٠ جنيه للصحفي الذي يكون قد قام بأوفى تحقيق صحفي في موضوع عام ونشر باللغة العربية .

١٠٠ جنيه للصحفي الشرقي الذي يكون قد كتب أحسن مقال بلغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) في موضوع شرقي .

ويجب أن تكون هذه المقالات قد نشرت في المدة من ١١ فبراير سنة ١٩٤٧ إلى ١٥ يناير سنة ١٩٤٨ .

ويرسل من المقال المقدم للمباراة ثلاث نسخ إلى إدارة جريدتي الزمان والجورنال ديجبت بالقاهرة وستحكم في هذه المباراة لجنة من كبار الصحفيين وتعلن النتيجة في ١١ فبراير سنة ١٩٤٨ يوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول

المجمع العلمي العراقي الجديد :

أنشيء في العراق هذه الأيام مجمع علمي لخدمة اللغة العربية والنهضة الأدبية على مثال المجمع العلمي العربي في الشام .

وتكون أعضاؤه بمقتضى قانون المجمع من أربعة مؤسسين عينهم وزارة المعارف هم الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور فاضل الجمالي ، وزير الخارجية العراقية السابق ، والدكتور متى عقداوي ، مدير التعليم العالي في وزارة المعارف ، والدكتور هاشم الوتري عميد كلية الطب البغدادية وانتخب الأربعة السيد توفيق وهبي وزير المعارف والأستاذ بهجة الأثري والدكتور جواد علي وانتخب جميعهم الأستاذ منير القاضي عميد كلية الحقوق والدكتو شريف عسيران والأستاذ نصرت الفارسي .

وقد اجتمع العشرة لانتخاب مجلس إدارة المجمع ففاز الشيخ رضا الشبيبي بالرياسة (وهو المنتخب حديثاً عضواً في مجمع فؤاد اللغوي بمصر) وتوفيق وهبي والدكتور الوتري نائبي رئيس والدكتور جواد علي سكرتيراً .



سعدى التميمية *

للأستاذ نجاتي صدقي

لقد شغل هذا الحادث قبيلة بنى تميم الضاربة خيامها على ضفتى الدجلة ردحاً طويلا من الزمن ، ولم يهدأ لها بال إلا بعد أن دفع الثمن ؛ وكان غالياً .

ولهذا الحادث صلة متينة بالحب البدوى . . والحب البدوى أعنف من الحب الحضرى لأنه يقوم على الطبيعة البشرية المجردة فى حين أن الحب الحضرى تشوبه عناصر غريبة من المادة والاجتماع والرياء .. وهكذا صار للحب البدوى ملكه ، وصار للحب الحضرى شيطانه .

وزار مرة ملاك الحب بيت (مركال) [(١)] من بنى تميم ، وصوّب السهم إلى قلب الفتاة سعدى وحيدة أبويها فترنحت وسقطت أسيرة الهوى البرىء .

ولسوء طالع سعدى أن يكون فتاها محسن غريباً عن قبيلة بنى تميم التى لا تبيح لأحد من غير قبيلتها أن يتزاوج من فتياتها ؛ فتشاور الفتى والفتاة فى الأمر ، واتفقا على الفرار ، فرحلا إلى بغداد وسكنا فى كرادة زوية ، وهى ضاحية من ضواحى العاصمة تقع على ضفة الدجلة الشرقية ، تحيط بها حدائق غناء ، وأحراج من النخل الباسقات الشبيهات بسرب من الصبايا الرشيقات

وإذ كانت سعدى تتقلب بين ذراعى حبيبها وتشعر فى جواره أنها أسعد فتاة فى قبيلتها . كان أبوها يقلب (الدلة) مقسماً بأغلظ الأيمان ألا يقدم لأحد قهوة حتى يمحو العار الذى لصق به وبقبيلته .

ولقلب (الدلة) عنـد بنى تميم مغزاه . . فالدلة هى أبريق القهوة ، وإذا ما أراد أحدهم أن يثأر لنفسـه قلب أبريق القهوة رأساً على عقب ، وتركه مقلوباً إلى أن ينال بغيته .

وبعـد ثلاثة أشهر أفاقت سعدى من سكرة الحب ، وأخـذ ضميرها يؤنبها على فعلتها الشنيعة ، وراحت تتصور ما يلاقيه أهلهـا فى القبيلة من عار ومذلة ، بل ما تلاقيه القبيلة كلها من مهانة واحتقار بين القبائل المجاورة ، فارتبكت وجعلت تفكر فى مخرج من هذه الكارثة . وللبدوية فى حالة كهذه أحد طريقين لا ثالث لهما : إما الاستمرار فى الغىّ أو الاستسلام ، وكلا الطريقين محفوف بالمخاطر .

أتعود إلى أبيها وتجثو على قدميه تسأله الرحمة والمغفرة ، أم تواصل حياتها السعيدة إلى جانب شقيق روحها محسن ؟

أتعود إلى أبيها وترفع عن كاهله وعن كاهل بنى تميم كلهم عبئاً معنوياً ثقيلا ، أم تظل مع (ولفها) تبادله هـذه الهنوات اللذيذة فى العاطفة والأعصاب التى يطلق عليها الناس اسم الحب. و (الدلة) أتظل طويلا مقلوبة ؟ .

لاتدرى سعدى كيف انسلت فى صباح أحد الأيام من فراش حبيبها ، وهو يغط فى نومه ، وخرجت تتعثر فى أذيالها ، ووجهتها بغداد .

وفى عاصمة الرافدين لجأت إلى بيت أحد الوجهاء من معارف أبيها بمثـابة (دخيلة) فقبلها الوجيه مع ما فى ذلك من متاعب لا حصر لها .

و (الدخالة) من العادات البدوية القديمة الجليلة ، ولا تزال متبعة فى العراق حتى أيامنا هذه .

قالت سعدى للوجيه البغدادى : أنا (دخيلة) عليك ؟ . . فرحب بها ، ثم عهد إليها أمر العناية بأطفاله إلى أن تتم وساطته مع أهلها .

وقضت سعدى (دخيلة) مدة ستة أشهر ، والوجيه لا يألو جهداً فى الوساطة لدى أبيها .. غير أن هذا كان يأبى دائماً أن يمد الوجيه بشىء ، وكان يطالب بأن تسلم ابنته نفسها دون قيد أو شرط .. أو كما قال للوجيه مرة : « لقد خرجت قضية سعدى من يدى ، فالقبيلة هى التى تقرر مصيرها . وما أنا فى مثل هذا الظرف إلا منفذ لرغبة بنى تميم »

(*) أذيعت من دار الإذاعة الفلسطينية بالقدس .

(١) المركال : هو مالك صغير يستخدم عدداً من الرعاة والمزارعين

وظلت (الدلة) مقلوبة كما كانت منذ تسعة أشهر .

أما سعدى ، فكانت تغنى بأطفال الوجيه ، وتقص عليهم القصص اللطيفة ، التى تتحدث فيها عن الغزلان ، والإبل والسراب ، والعواصف الرملية ، والرياح السموم ، والقفار الوعرة والواحات النضرة . . كما كانت تغنى لهم أغانى تذكر فيها الدجلة والفرات ، والنيام ، وليالى بغداد ، ونسيمها العليل ، ونجومها الساطعة .

واستمرت الوساطة ، ولكن دون جدوى ، وظلت (الدلة) مقلوبة .. وغدت عينا سعدى محمرتين مثل الجمر من قلة النوم ، وكثرة البكاء ، فهى لم تظفر بعطف أبيها وخسرت حبيبها الذى خيل إليه أن ذويها اختطفوها ، وقطع الأمل من رؤيتها أو الاجتماع بها إلى الأبد .

ولما رأى الوجيه أن لا فائدة من الوساطة ، وأن من الخطر إبقاء سعدى فى بيته أكثر مما بقيت ، عقد النية على نقلها إلى بيت منعزل فى حى (الكاظمين) ولأهلها أن يأخذوها من ذلك البيت إذا أرادوا وليس من بيته . . وبذلك يصبح فى حل من مسئولية (الدخالة) الأدبية . .

وغادرت سعدى بيت الوجيه وهى تعانق أطفاله وتغسل وجناتهم بدموعها ، فيسألونها متألمين: إلى أين أنت ذاهبة ياسعدى؟ كيف تتركيننا ؟ ومن الذى سيقص علينا القصص الجميلة ، ويغنينا الأغانى العذبة ؟ .

فتجيبهم بكلمات لم يفقهوا لها معنى . إنى ذاهبة لأرى ما قدر لى ، وما كتب على جبينى .

ومكثت سعدى فى ذلك البيت المنعزل فى الكاظمين ثلاثة أيام تنام على الحصير ، وتتغذى بالخبز والماء .

وكانت فى هذه الأيام الثلاثة لاتنفك تغنى هذه الأغنية الشعبية:

هـلى يا ظـلاّم هـلى
جيبـــوا لى ولنى إلى
خايبين يا ظـلاّم
ترى الفركة جـوت
قلبى جوى

***

لا يا هلى الظـلاّم
لا رحم عــدكم
جيبـوا لى ولنى عاد
موش أنـــا بنـكم ؟
لا يا هلى الظـلاّم
مـــا كو مروة
جيبـــوا لى ولنى عاد
قلبى نجوه
جيت ولقيت الدار
خالى من الأحباب
صبن دموع العين
يم عتبــــة البـــاب

وفى فجر اليوم الرابع طرق سمع سعدى وقع أقدام وصرير مفتاح ... وهمهمة ودمدمة .. فانتصبت مذعورة ، فرأت نفسها وجهاً لوجه قبالة أبيها ، وأشقائها ، وممثلين عن قبيلة بنى تميم .

أدركت سعدى لساعتها ما صمم القوم عليه ، فجثت تبكى ، وتطلب العفو . لكن يداً قوية أخذتها من ناصيتها ، ويداً أخرى أقوى أخذت تسلبها النفس . وكانت فى حشرجتها الأخيرة تقول إننى عذراء . . إننى عذراء ! . .

وفى مساء ذلك اليوم أشيع فى قبيلة بنى تميم أن أبا سعدى عدل (الدلة) ! .

نجاتى صدقى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٢ – الاثنين ٩ فبراير ١٩٤٨ – السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣٠٥١٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 762

Lundi —9 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٩ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لوعة صديق على صديقه « إسعاف »

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى بك

يا زعيم العربية ! ، ويا إمام المحققين !

أما وقد حُمّ قضاء الله فيك ، وانفضّ سامرك ، وانطوى بساطك ، وذوى (نُقلك) ؛ فإننى لا أجد ما يصبّرنى عنك ، ولا ما يعزينى فيك ، إلا أن أستعير من بيانك ما أناجى به روحك العذب ، وإلاّ أن أرثيك ، بمراثيك ! ...

ألم تهتف غداة مات « شوقى » بشعر شوقى :

« إنما الدنيا شجون تلتقى * وحزن يتأسى بحزن »
« ضَحِكُ الدنيا احتشاد للبكا * وأغانيها معدات الأنين ! »

ولقد استطعتَ أن تُبْهِجَنا ليلتَك الأخيرة ؛ لتُبكينا أيامنا الطويلة ! ألم ترسل فيه اللوعة المريرة ثم تندبه بقول حبيب:

« أُصيبتُ فيه وكان عندى * على المصيبات أن يُعينا »
« كنت عزيزاً به كثيراً * وكنت صباً به ضنينا »
« آليتُ(١) أنساهُ ما تجلى * صبح نهار لمدلجينا »

ولقد آلينا لا ننساك ! !

ألم تبعث فيه الأنين الوفىّ ، ثم تتمثل بقول (أبى تمام) :

« تذكرت نضرة ذاك الزمان * لديه ؛ وعمران ذاك الفناء »
« وإذ علمُ مجلسه موردٌ * زلال ! لتلك العقول الظّماء »
« وكنتُ أراه بعين الجلال * وكان يرانى بعين الإخاء ! »

وإننا لنتذكر ، ثم نتذكر ...

ألم تسكب أنت فى « شوقى » عَبْرَتك الحرّى ، وروحك اللتاع ، وشعورك المتأجج ، فى فقرات من البيان الذى هو نسيج وحده ! كما أنت نسيج وحدك ! فأخذت تهتف ببنات العروبة ؛ ليُسْعِدْنك يوم (شوقى) بالنحيب ، وجعلت تقول :

بلبل (الكرمة) ولّى * أين غاب البلبل ؟ * بهجة زالت وجاءت وحشة ! مِدْرهُ العُرب قضى * يا فتاة العرب ! * فالبسى ثوب الحداد اذكريه ، اندُبيه ، أبّنيه * بمراثٍ ، مشجيات ، خالدات !

ولقد حق لنا اليوم أن نهتف فى يومك ، بما كنتَ تهتفُ به فى أمْسك !

يا كريم الإخاء ويا سيد الأوفياء : إنى لأُشهدُ هذا الشعر كله على نفسى كما أشهدته ، وأُشهدُ بيانَك الذى أبدعته واخترعته ، أن لوعتى عليك لمشبوبة ، وإن فجيعتى فى علمك وأدبك لا يذهبها كرُّ الغداة ولا مرُّ العشى ! وأنى أصبت فيك ، وأنك لِمدْره العرب ، وأنك لبهجة زالت ...

ولقد خدعتْنى نفسى ، وأنا أصافحك فى الليلة الموقوتة ، فحسبتُنى عائداً لك ! غداً أو بعد غد ! وإنما خدعتنى قوةُ نفسك ! ويقظة ذهنك ، وأنك تركتَ الطب وراء ظهرك يعالج ! وأقبلتَ علينا بوجهك تحاضر ! فتقول :

« لقد ذكر القدامى أن الشعراء ثلاثة : المتنبى ، وأبو تمام ، والبحترى . ثم ذكروا الكتاب ؛ فعينوا لنا اثنين : الجاحظ ،

(١) أى لا أنساه — على حد (تالله تفأ تذكر يوسف) أى لا تفتأ.

١٧ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

في مدينة لاهور

كانت بوادر الفتن والهرج منتشرة فى أرجاء الهند ، وكانت لفحات الصيف بين الحين والحين تؤذن باقتراب الصيف ، وكان الوقت أضيق من أن يتسع للتجول فى أرجاء الهند وإجابة دعوات لزيارة كلكتا بل ما هو أقرب منها مثل لكهنو وديوبند ، والله آباد ؛ ولكن مدينة واحدة كانت تدعونى دعوة لا أستطيع ردها ؛ كانت مدينة لاهور مدينة الشاعر الخالد محمد إقبال توحى إلىّ كل حين أن أزور دار الشاعر وقبره . وكان إعجابى بالرجل وحبى إياه يقضيان بأن أذهب إلى لاهور مهما يضق الوقت وتكثر الدوائق . ولم أجز لنفسى قط أن آتى إلى الهند وأرجع دون أن أزور قبر إقبال وداره فى لاهور .

عزمت على السفر إلى لاهور ورأيت أن أهدى إلى مزار الشاعر الفيلسوف هدية من الشعر فنظمت أبياتاً وكلفت نقاشاً أن ينقشها على لوح من الرخام .

* * *

ويوم الإثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣١٦ هـ (١٤ نيسان سنة ١٩٤٧) ، ركبت القطار الذى يسمى « بريد الحدود » وكان موعد سفره من دهلى الساعة التاسعة فأخذت مكانى فيه وتأخر سفره نحو ساعة . وكان فى المقصورة سريران أخذت أحدهما واحتل الثانى ضابط من السيك(١) .

ولما أصبحنا نظرت فإذا منظر الأرض أنضر مما عهدت فى

(١) سمعت الناس فى الهند يقولون السيك بالكاف لا السيخ بالخاء وهى تكتب سيكه بهاء فى الأخر . وأحسب قراء العربية وجدوها مكتوبة بالحروف اللاتينية Sihh فلفظوها بالخاء كما يتلفظ فى Lkh عادة .

وأبو حيّان ، فمن هو الثالث ؟ ثم تسكت ونسكت ! ! فلمّا لم تجدْ منا جواباً ! جاهرتَ ، وصحتَ : « إنه (الزيات) ، إنه (الزيات) ، إنه أمير النثر والناثرين ، وإنه لسيد البلغاء » .

فهل حسبنا وأنت تحاضرنا ، أنه لم يبق بيننا وبين أن ينطفئ هذا السراج الوهّاج ، إلا سويعات! ألا لشدّما تحطّمنا الأقدار، ويسخر منا ومن آمالنا الليل والنهار ! لقد وعظتَنى حيا وميتا ! ألم تصحبنى لمواساة « آل عبد الرازق » عشيةَ نجيئهم فى (الشيخ الأكبر) فلما جلستَ إلى « علىّ » اهتاج الهمُّ ، وكان وجومٌ ، فما راعنا إلا صوتُك يقطع الصمتَ ، ويعبّر عن روعة الموت :

« خَرِسَتْ لعمرُ الله ألسنُنا * لما تكلم فوقنا القدَرُ !! »

إن العربية اليوم لولهى ، تتفزع من هول يومك ، وإن مصر لحزينة على العالم الأكبر ، والباحث الأكبر ، الذى صات صوته فى أرجائها : « ألا إن محمداً ، وذكرى محمد ، وقرآن محمد ، ولغة محمد ، وعربية محمد ، وأدب محمد »

« كل ذلك لن يزول ، كل ذلك لن يبيد وفى الدنيا مصر (١)

لقد عرفتْ مصرُ لك هذا الفضل وذلك الجميل ، وإن جحده جاحد . فها هو ذا حوها يتلق أنفاسك الطاهرة ، وها هو ذا تراها يزكو بعظامك ، ويستأثر برفاتك ، حانياً عليها مزهواً بها ! وها هى ذى سحائبها تروّى أجداثك بكرة وعشيا ، فلطالما رويت وأبهجت قلوباً ، ثم نافحتَ وجاهدتَ وناضلت لتسود لغة القرآن .

يا شهيد العلم والتحقيق :

لقد رفعك الله مكانا عليّا ، وجعل لك فى الخالدين ذكراً سريّا : وإنك ميت ، وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ! ونشهد ! ما عرفنا ولا رأينا لك ضريباً ، يرسل قلبه فى كلامه ، ويسكب عقيدته فى حديثه ، ولا أدركنا أميناً يؤدى أمانة العربية كما أدّيتَها ، ولا صادقاً ولا وفياً يتحرق وجداً ببيان القرآن ، ولا شجاعاً مغواراً ، إذا رأى أو سمع — الهجين — أرسل عليه صيحات من بلاغته ، لا بل سهاماً من كنانته ...

إنى لأتمثلُ فيك بقول « الشريف » ، كما كنتَ تتمثلُ بقول « الشريف » :

يا ليتَ أنى ما اقتنيتُكَ صاحباً * كم قُنيةٍ جلبتْ أسىً لفؤادى
أعززْ علىّ بأن يفارقَ ناظرى * لمعانُ ذاك الكوكب الوقّاد

فيا أرواح الشهداء والمجاهدين : لقد جاءكم روح « إسعاف » ، فيا وحشتنا بعده ، ويا أنسكم به ! !

محمد عبد الرحمن الجديلى

(١) من كلمة الفقيد فى مهرجان شوقى بالقاهرة

الطريق بين دهلي وعليكر وأجرا . واجتاز القطار جسورا عدة فوق أنهار . ورأيت محطات القطار أكبر وأعمر والناس أصح وأنظف . فقلت إنه إقليم البنجاب الذي تجري فيه روافد نهر السند الخمسة . وهو معروف بجودة هوائه وقوة أهله وغناهم .

وبعد الساعة التاسعة من الصباح وقف القطار على أمرتسار مدينة السيك المقدسة . ولولا الاضطراب لزرتها . وقد حدثني رفيق الضابط وهو يستعد للنزول في أمرتسار بما فيها من هيج بين المسلمين والسيك .

وكانت وقفة القطار التالية في لاهور ، وبينها وبين أمرتسار مسير نصف ساعة .

مدينة لاهور

هي عاصمة البنجاب . وكان الظن أن تكون عاصمة دولة الباكستان ولكن الحوادث جعلت كراتشي العاصمة اليوم .

وهي على مقربة من الشاطئ الأيسر لنهر راوي أحد فروع السند . وتقع على الدرجة ٣١ من خطوط العرض الشمالي وعلى الدرجة ٧٤ من خطوط الطول الشرقي . فعرضها كعرض القاهرة ولكنها أشد حراً منها ، بل هي من أحر بلاد الهند وإن كان ارتفاعها ١٧٠٦ قدم لتوغلها في البر بعيدة من البحار .

وهي على المهيع من أفغانستان إلى الهند تلتقي بها سكك حديدية . وهي على بعد ١٧٧٠ كيلو من كلكتا و ٤٣٨ من دهلي .

وسكانها أكثر من ربع مليون . وتشمل اليوم المدينة القديمة ومحلات حديثة فيها أبنية فخمة .

وهي مركز ثقافة واسعة بها جامعة البنجاب والكلية الأمريكية ومدارس أخرى كثيرة .

***

لا يعرف شيء من تاريخ لاهور قبل الإسلام . وفي أساطير الهند أن مؤسسها لوه بن راما بطل قصة الرامايانا المعروفة في الآداب الهندية .

وقد صارت ذات شأن في التاريخ الإسلامي منذ فتحت الدولة الغزنوية الأقاليم الشمالية الغربية من الهند . واتخذتها هذه الدولة حاضرة حينما زحزحها الغوريون عن أفغانستان فاقتصر سلطانها على ما فتحته من الهند . وذلك في عهد السلطان مسعود الثالث سنة ٥٥٣ . فهي أول حاضرة لدولة إسلامية في الهند .

وقد تقلبت عليها الخطوب ولقيت من غارات التتار ثم غارات تيمورلنك ما لقيت .

ثم اتسعت واستبحر عمرانها ، وازدانت بالأبنية العظيمة الرائعة والحدائق أيام الدولة الإسلامية الهندية الكبرى دولة التيموريين .

استولى عليها ظهير الدين بابر مقيم الدولة التيمورية وتوالى على تعميرها خلفاؤه حتى صارت إحدى المدن الثلاث العظيمة في عهدهم . والأخريان دهلي وأجرا .

وقد أقام بها جلال الدين أكبر سنين كثيرة من سني ملكه . وجعلها ابنه جهانكير العاصمة الثانية (بعد دهلي) . وبها مات وسنذكر قبره من بعد .

وقد بنى فيها هذا السلطان أبنية كثيرة منها القصر الجميل الذي سمي خوابكاه (المنام) ومنها موتي مسجد في القلعة (أي مسجد اللؤلؤة) وقد ذكرنا من قبل مسجدين بهذا الاسم في قلعتي دهلي وأجرا . وهي مساجد صغيرة في القلاع يصلي فيها السلاطين . وقد بالغوا في تشييدها بالمرمر وتجميلها .

ومن أبنية شاه جهان ، وهي كثيرة ، الرواق الذي يسمى نولاك (تسعة لاكات) لأنه أنفق على بنائه هذا المقدار . واللاك مائة ألف « وكان كله مرصعاً بالجواهر » .

وبنى السلطان أورنك زيب مسجد الجمعة . وهو مسجد فسيح جداً يقال إن السلطان بناه ليسع كل من تجب عليهم الجمعة في لاهور وسيأتي ذكره .

ولما ضعفت الدولة التيمورية وعجزت عن صد المغيرين من إيران وأفغانستان أصاب لاهور شر عظيم من غزوات نادرشاه ١١٤٨ — ١١٦٠ هـ والشاه أحمد الدراني مؤسس الدولة الأفغانية ١١٦٠ — ١١٨٧ هـ .

ولما قامت للسيك دولة في تلك الأرجاء كانت لاهور عاصمتها حيناً ، إلى أن أزال الإنكليز الدولة وألحقوا بنجاب بالهند البريطانية .

وللسيك فيها آثار لا تدل على براعة في الفنون . وقد مسخت غاراتهم وفنونهم كثيراً من الآثار الإسلامية الرائعة .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

هـــذا زماننا

للأستاذ محمود محمد شاكر

أراد جماعة من الذين كتب الله عليهم أن يرتزقوا باصطناع السياسة ، أن يعقدوا معاهدة بينهم وبين بريطانيا يقضون بها فى أمر العراق على ما خيلت لهم أنفسهم وأنفس البريطانيين ، ووقف بيفن يتعجبُ ممن زعم أنه يضع توقيعه الكريم على معاهدة فيها بخسٌ لحقوق العراق ! وليس هذا بعجيب من ساسة بريطانيا ، فقوام السياسة البريطانية هو الخداعُ ، والإصرار على الخداع ، وتسويغ الخداع ، حتى يبلغ الأمرُ مبلغ الصَّفاقة المهذَّبة فى عرف الساسة البريطانيين . ولسنا نلوم بريطانيا ولا ساستها على هـذا المذهب القبيح ، فهم إنما يترفقون إلى غاياتهم بما وسعهم من الدهاء والمكر ، ولـكنا نلوم أولئك المتبجحين ممن راموا أن يكونوا أهل سياسة فى هذا الشرق العربى أو الإسلامى ، إذ يخادعون أنفسهم ويخادعون أهليهم عن فساد بين فى أمر هذه المعاهدات ، وهم بذلك إنما يدمّرون شعوبهم بما فى أنفسهم من العجز واللجاجة وقلة المعرفة بسياسة الشعوب التى انبعثت من رقدتها مطالبة بالحياة الُحرة الكريمة . ومصداق هذا ما وقع فى العراق ، فلم يكد يظهر طرفٌ من سر تلك المعاهدة الخبيثة التى أرادت بريطانيا أن تكبل بها العراق ، حتى هبّ الشعب الأبى هبة واحدة فقوض أركان تلك المعاهدة على رؤوس « بناة الإمبراطورية » ، وعلى رؤوس أذنابهم من الساسـة المرتزقة ، فدل ذلك دلالة بينةً على عجزهم ولجاجتهم وقلة معرفتهم بسياسـة الشعوب الناهضة المريدة للحياة والحرية .

وما الذى كانت تريده بريطانيا من تلك المعاهدة الباغية ؟ كانت تريد أن تجعلها مثالا يحتذى فى معاهدات تعقد بينها وبين مصر والسودان ، ولبنان وسورية وجزيرة العرب واليمن وسائر بلاد هذا الشرق ، فجاءت ثورةُ العراق فزلزلت قواعد هذا الوهم المنتشر الذى سوّلت لبريطانيا نفسُها أنه بناء جديد تقوم على أساسه سياسة الإمبراطورية البريطانية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية.

جاءت هذه الثورة فكانت سُنّةً جديدةً فى توجيه سياسة العرب توجيها غفل عنه المرتزقة من السياسيين القدماء فى هذا الشرق ، وجاءت فكانت برهاناً جديداً على أن الشرق العربى والإسلامى لن ينام مرة أُخرى على خُدَع البريطانيين وخيانة المرتزقة من السـياسيين ، وعلى أن الحياة التى دبّت فى العرب لن تتسكع مرّة أخرى فى أوصال هذا الـكيان القوى العميق المتراحب ، بل سوف تتدفّق فى نواحيه كلها إلى أن يستوى عوده على الهيئة التى تجعله كياناً صحيحاً فى هذا الـكون الذى يغلى من حوله بالثورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ليس هذا فحسب ، بل علينا منذ اليوم أن ننظر ماذا كانت تريد بريطانيا بعقد هذه المعاهدات ؟ كانت تريد أن تجمع دول العرب على معاهدات يكون لها فيها الغنم وعلينا الغرم ، أى أن بريطانيا كانت تريد أن تستعبد العرب جملةً واحدة وتسيرهم فى أغراضها على نظام متفق لا تشذ عن دولة عربية واحدة ، سواء أكانت مستقلة استقلالا صحيحاً أم كانت مستقلة استقلالا مشوباً بالعبودية للامبراطورية البريطانية ، ومعنى ذلك أيضاً أنها تعلم أن العرب سوف ينتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا أمة واحدة ، فهى تريد أن تسبق الزمن وتجمع هذه الـكتلة الواحدة فى قبضة يديها حتى لاينتشر عليها الأمر . وهذا غرض بين جدًّا ، ودوافعه أشد وضوحاً واستبانة . فهل آن لنا أن نتنبه إلى الوضع الصحيح الذى ينبغى أن تكون عليه مطالب العرب فيامهم بسبيله من إحراز حقوقهم كلها جملة واحدة ؟

لقد كتبت منذ سبعة أشهر كلمة فى هذه المجلة بعنوان « شعب واحد ، وقضية واحدة » ، وذلك فى العدد ٧٣٠ بتاريخ ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٧ قلت فيها : « إن قضية العرب قضية واحدة بينة المعالم : هى أننا لا نريد إلا أن تكون بلادنا جميعاً مستقلة حرة ، لا يحتل عراقها جندىٌّ واحدٌ ، ولا تخضع جزيرتها السلطان ملوك البترول ، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطان بريطانىٌّ أو غير بريطانى ، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يعيث فى أرجاء مغربها فرنسى خبيث القول والفعل مجنون الإرادة » ثم قلت فى آخرها : « وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلها ، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجمل

قضيتنا أجزاء يتلعب بها هذا ويلهو بها ذاك . إنها قضية واحدة ، يرفعها شعب واحد ، مطالباً بحق واحد ، هو أننا أحرار في بلادنا » .

وأنا لا أنقل هذا لأعرض على الناس شيئاً مما كنت توقمت ، بل لأقول إن السياسة البريطانية قد علمت علم هذا كله ، فهي تريد أن تسبق الزمن لتضمنا في الإصر الشديد الذي يسمى بالمعاهدات ، ولتستعبدنا في أغراضها ، ولتنتقم منا ومن تاريخنا ، ومن قديمنا وحديثنا . وأقول إن ساسة الشرق وساسة العرب لا يزالون يعيشون في غفلة الخيانات القديمة التي تولى كبرها رجال ظنوا أنهم زعماء هذه الشعوب ، أي أنهم قد ملكوا رقابها فهم يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه ، وذهبوا يفاوضون بريطانيا فيأخذون منها شيئاً وينزلون لها عن أشياء كثيرة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فتبت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، فقد جروا الشرق كله إلى مضلة لا يهتدي فيها سار إلى علم .

ولكن الشعوب العربية كانت أشد منهم قوة ، وأهدى إلى مواطن الحق ، فما كادت تشب الثورة في العراق حتى نادى أهل العراق بالجلاء الناجز « عن جميع البلاد العربية » ، وهذه الكلمة الشاردة هي كلمة الحق التي سوف ينتهي أمرنا إليها ، أبى السياسيون القدماء أم رضوا . فالبلاد العربية من العراق إلى الجزيرة إلى الشام إلى لبنان إلى فلسطين إلى مصر والسودان ، إلى تونس والجزائر ومراكش ، أمة واحدة ، والاستعمار فيها واحد ، ومطالبها واحدة . فينبغي إذن أن تصاغ قضية العرب على هيئة واحدة ، لا في السياسة الخارجية وحسب ، بل في موقفنا جملة واحدة في وجه الطغيان الاستعماري كله ، سواء جاء بهذا الاستعمار بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو روسيا أو هولندة أو أية دولة على ظهر الأرض . وينبغي أن تعدل سياسة الدول العربية جملة واحدة ، فتطالب بمطلب واحد لا تقبل فيه هوادة ولا تخضيعاً ولا مساومة ، هو جلاء الاستعمار عن بلاد العرب كلها . ولقد سبق الشعب العراقي حكومته إلى هذا الرأي ، فنحن نرجو أن يحمل الشعب العراقي حكومته على أن تصرح بهذا المطلب تصريحاً رسمياً في بيان تصدره بطلب الجلاء الناجز عن جميع البلاد العربية ، وتتعهد بأن لا تقبل مفاوضة ولا محادثة ولا مخابرة ولا مهادنة في هذا المطلب أبداً . فإذا فعلت العراق ذلك ، فعلى سائر الحكومات العربية أن تصدر مثل هذا البيان الشامل الذي لا يفرق شيئاً بين الوطن العربي كله ولا بين المستعمرين أيا كانوا .

إني أدعو الجامعة العربية ورجال السياسة الأحرار أن لا يفرقوا في الدعوة إلى الحرية ، أدعوهم أن لا يفرقوا قضية العرب أجزاء كل جزء منها يخضع لسياسة تضعف أو تقوى في يد من يتولاها . فقد فهمت بريطانيا هذا ، فأرادت أن تنشئ مثالا يحتذى في المعاهدات التي تعقد بينها وبين العرب ، وأرادت أن تحمل فرنسا وأسبانيا على الاتفاق على أسلوب جديد يصطلحان عليه في الاتفاق مع بلاد المغرب العربي ، يسير على أساس السياسة التي تريدها بريطانيا في اعتبار العالم العربي جملة واحدة تسخَّر في ركاب الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني . فواجب الجامعة العربية وواجب الحكومات العربية أن تسبق هذه السياسة اللئيمة سبقاً يكفل للشعوب العربية أن تعرف الوجه الذي تسير فيه . فلا مناص إذن من أن تتفق كلمة الدول العربية على أن لا تعقد إحداها معاهدة قط مع إحدى الدول المستعمرة ، وعلى أن لا تقبل تقسيم القضية العربية إلى أجزاء ، وعلى أن تكون دعوتها ودعوة شعوبها صرخة واحدة مجتمعة في وجه الاستعمار على اختلاف ألوانه وأسبابه والقائمين به ، وهي الجلاء الناجز عن بلاد العرب جميعاً ، ثم عن بلاد الإسلام كلها في نواحي الأرض . فإذا توانت حكومات العرب ، وإذا تلجلجت الجامعة العربية ؛ فمغبة ذلك أن تفوت على هذه الشعوب زمناً يطول أو يقصر ، كانت خليقة أن تبلغ فيه ما تريد من نيل الحرية الكاملة ، والاستقلال الناجز التام .

إن ضعف القائمين بالسياسة العربية ، لا ينتهي إلا إلى ضياع الوقت وضياع الحقوق . ونحن لا نطالب المستعمرين بشيء ، لأنهم لا يملكون شيئاً هم قادرون على أدائه . إنهم مغتصبون ، ونحن ثوار على هذا الغصب ، وهم طغاة ونحن لا نقبل هذا الطغيان ، وهم يملكون أسباب القوة المادية ونحن نملك أسباب القوة الروحية ، وهم ظلام ونحن لا نرضى بهذا الظلم ، وهم يتحكمون بالاستعمار والاستعباد ، ونحن نتعالى عن الاستعمار والاستعباد . فهذه القوة التي انطوى عليها حقنا ، يقابلها ضعف ينطوي عليه افتياتهم علينا . ومصير ذلك كله إلى الغلبة والنصر إذا أحسن رجالنا الاستعداد لهذه الموقعة الفاصلة في تاريخ البشر .

لم يبق شيء في تاريخ البشر يحمل طـابع الفساد والبوار والدمار ، إلا هذا الجشع الذى يحمل أمم الغرب على أن يضموا أيديهم على كنوز العالم ؛ ليقاتل بعضهم بعضاً في حرب مبيدة مدمرة . وقد عرف هـذا الغرب أن الشرق كنوز كله ؛ فهو يجاهد أن يستولى عليها بما استطاع من الحيلة ومن اللؤم ، ومن إهدار الكرامة الإنسانية ، ومن قلة المبالاة بإفساد هذا الشرق وإفساد أهله حتى ينـال منه منالاً يكفل له حرية التصرف في كنوزه . فعلينا أن نقف حُراساً على كنوزنا لانبيحها بعد اليوم لأحد . وعلى رجال السياسة منا أن يغيروا مناهجهم السياسية تغييراً تاماً يقوم على أساس واحد ، هو أننا لن نعاون هذا الغرب على الفجور في الأرض ، وأننا نمنع عنه مادة الفساد التي يريدها لتدمير حضارات العالم ، وأننا قد عزمنا أن ننشىء مدينة جديدة وحضارة جديدة لا تقوم على الجشـع ولا على الاستبداد . وأننا أحرار في بلادنا كل الحرية وإن اجتمعت دول العالم كله على إنكار هذه الحرية . ولا يصل العرب والمسلمون إلى هذا إلا بشيء واحد هو أن تجتمع الـكلمة في الأرض العربيـة والأرض الإسلامية على هذا الشيء الواحد ، وهو أن لامفاوضة ولا معاهدة ولا مخابرة ولا مهادنة ، وأن الشرق لن يستقر على قرار حتى يجـلو الجنود المستعمرة عن أراضـيه كلها ، وأن كل عون للاستعمار في هذا الشرق من الأجانب واليهـود الصهيونيين قد كتب عليهم أن يخرجوا من بلادنا إلى حيث شاءوا ، وأننا لن نقبل دون هذا شيئاً يصرفنا عن الغرض الأعظم ، وهو تجديد حضارة العالم على أسس من العدل والحق والمساواة والحرية . هـذا هو المطلب الأعظم الذى ينبغي أن توجه إليه سياستنا كلها ، لا تخدعنا عنه خطرفة السياسيين المتهالـكين الذى يقولون للشرق : أنت عاجز ، فمن لك ببلوغ هذا المطلب البعيد المغرق في الخيال !

كلا ، ليس الشرق عاجزاً بل هو أهل لما حُمِّل ، وإن تراءى للناس على غير الحقيقة المستكنة وراء هذا الطوفان من الفقر والجهل والفساد . فإذا عزم العرب وعزم رجاله وقواده أن يفعلوا ، فلن يحـول بينهم وبين ما يبتغون شيء جل أو تفاقم . بيد أننا اليوم في حاجة إلى الأخذ بهذا المبدأ الواحد ، وإلى إزالة أولئك السياسيين القدماء عن مكان القيادة في بلادنا ، وإلى تقدم الفئة الصالحة إلى هذه التبعة الجليلة لتحملها حملا لايعجزها ولا يصرفها عنه خوف ولا تردد . ولقد سبق العراق ، وسـوف تتبعه سائر البلاد العربية والإسلامية ، ولن نلبث قليلا حتى نرى في هـذا الشرق عجائب القوة العظيمة التي انطوت عليها جوانحه ، فلا بد من أن تفسح الحكومات الطريق للعمل القوى الماضى الذى لا يرتد عن غايته ، ولا بد من أن تدفع الشـعوب عن نفسها طغيان السياسيين المخادعين المنافقين ، ولابد من أن يتولى العرب بأنفسهم حل هـذه القضية الواحدة بالصبر والمقاطعة ، وبالعزم والجلاد ، وبالتضحية الـكبرى في سبيل إنقاذ البشر من فتن كقطع الليل المظلم ، ومن فساد جارف كالسيل المتدفق ، ومن طغيان قذر قد ارتطم فيه هذا العالم القديم الذى قام على أسس فاجرة من الجشع .

أفيقوا أيها الناس ، واستيقظى أيتها الحكومات ، وتقدمى أيتها الجامعة العربية باسم العرب إلى حمـل التبعة العظيمة . والزمن أسرع منكم ، فبادروه بالعمل والصرامة ، وبالصدق والإخلاص ، فإن حياتـكم وحياة أممكم معقودة بشيء واحد ، هو ثباتـكم على المبدأ الأعظم ، وأخذكم بالقوة التي استودعها الله في قومـكم وغفلتم عنها أجيالا طوالا . هبوا فقد أنَى زمنكم ، وأعدَّ كم الله لشيء أنتم بالغوه في الناس وفي أنفسكم .

محمود محمد شاكر

لقــــد مات غاندى !

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

نعم لقد مات غاندى مقتولا ، واغتيل غدراً بيد هندوكية آثمة ، ظنت أن فى موت غاندى استقلال الهند واتحادها ، وفى حياته تعطيلا لهذا الاستقلال وعرقلة لذلك الاتحاد ، فصوبت رصاص مسدسها إلى جسد غاندى الهزيل لتستقل الهند وتتحد .

من العجيب أن يموت ذلك الإنسان الإلهى الذى قضى حياته يمرن الهنود على مقابلة العنف والعدوان والكراهية بالحب والعفو ، ويعودهم اتخاذ السبل السلمية وسائل لنيل جميع أغراضهم السياسية . وعجيب أن يقتل ذلك الزعيم الروحى عنفاً وعدواناً بيد أحد من علمهم اللاعنف والحب والطرق السلمية . وعجيب أن نسمع نحن المصريين عن شعب خاف أن يقضى الصوم على حياة بطله المقدس ، ويخضع لشروطه السلمية لإيقاف الاضطرابات الدينية فى الهند ، ويقبل بعد مدة وجيزة أن يقتله شر قتلة .

إن الأمر يتطلب توضيحاً . ويقوم هذا التوضيح فى أن فى الهند منذ الحرب العالمية الأولى اتجاهين سياسيين : أحدهما اتجاه غاندى وهو ينادى بأنه لا يجب أن نتخذ من السبل لتحقيق أمانينا غير سبيل الحب واللاعنف والمقاومة السلبية السلمية ، أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه منافس غاندى الزعيم الهندى الكبير لقمانيابل قندهار طيلاق ، وهو عالم رياضى واسع الاطلاع ، ضحى بمستقبله العلمى واعتزل الرياضة وخاض ميدان السياسة ليعمل لتحقيق استقلال الهند . وهو كغاندى لم يكن له مطمع شخصى بل كل ما كان يتمناه أن تفوز الهند باستقلالها حتى يعود إلى أبحاثه العلمية . وكان اتجاه طيلاق السياسى اتجاهاً عملياً بحتاً ، ويرى أن السياسة ليست من أعمال الزهاد والأتقياء ورجال الدين ، ويعتقد أنه لا يجوز تطبيق المبادىء الدينية على الطرق السياسية ويميز بين السياسة والدين ، ولا يتورع — بخلاف غاندى — على أن يسلك أى سبيل مهما تعارض مع التعاليم الدينية ما دام يؤدى إلى استقلال وطنه . فعنده حرية الوطن أجل من الدين ؛ بينما غاندى يؤمن بأن مبادىء الدين أسمى من حبه للهند .

فاختلف غاندى وطيلاق فى أسلوب محاربة المستعمرين : فحارب غاندى الانجليز بقوى الروح وسلاح الحب وبالعصيان المدنى السلمى وكان طيلاق يود أن يحاربهم بالعنف والثورة ، ولكن الزمن لم يمط له فرصة لينافس غاندى طويلا فاختطفه الموت سنة ١٩٢٠ ؛ إذ لو بقى طيلاق حياً لما كان لغاندى غير الزعامة الروحية وكان لطيلاق الزعامة السياسية ، وبموته أصبح غاندى الزعيم الروحى والسياسى جميعاً ردحاً من الزمن .

والئن مات طيلاق فإن روحه لم تمت . بل حاولت مبادئه السياسية أن تظهر فى مناسبات كثيرة ، لولا يقظة غاندى الروحية وقوة تأثيره على الشعب ومقاومته لكل هياج همجى ، وتسليحه الهنود بأسلحة سلمية مثل مقاطعة الانجليز سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، ولما لم تفلح هذه المقاطعة فى إخراج الانجليز من الهند كما لم تهدأ من سخط المنادين بضرورة استخدام الثورة فى طرد الانجليز من بلادهم ، اضطر غاندى إلى أن يلجأ إلى العصيان المدنى السلمى ، وظل يشجع قومه على محاربة الانجليز سلمياً ، إلى أن أجبرت الحكومة البريطانية على أن ترد للهند حريتها .

بذلك فازت طرق غاندى السلمية على طرق منافسيه العنيفة وحصلت الهند على حريتها بدون ثورة ولا حرب ، ولكن غاندى إن نجح فى إقناع مواطنيه باتخاذ الطرق السلمية وسيلة لنيل الاستقلال ، فإن قتله يدل على أنه لم ينجح فى إقناع هؤلاء المواطنين باتخاذ الطرق السلمية فى سبيل اتحاد الهند ، ونبذ الحزازات الدينية .

إن الهند بعد أن نالت استقلالها واجهت مشكلة تقسيمها إلى دولتين : إحداهما إسلامية ، والأخرى هندوكية ؛ وسبب ذلك التقسيم يرجع إلى ما بين المسلمين والهندوس من عداء قديم ، نشأ من يوم أن غزا محمود الغزنوى الهند ، وكون إمبراطورية إسلامية فيها وظلت هذه الامبراطورية من بعده إلى أن أتى الانجليز واستعمروا الهند . وفى هذه القرون الطويلة عامل المسلمون من ترك وتتار وفرس الهندوس كما يعامل عبدة الأصنام فقتلوا فيهم وهدموا كثيراً من معابدهم ، وحطموا تماثيلهم وأنزلوا بهم مختلف أنواع القسوة لعبادتهم الأوثان وتأليههم الحيوان ، فولدت

هذه القسوة الحقد والبغضاء ، وظل الهندوس يكرهون المسلمين من عهد الفزنوى إلى الآن .

ولما تحقق استقلال الهند ، وكان الهندوس أغلبية السكان ، خاف المسلمون من انتقام الهندوس ، ووطدوا العزم على أن يكون لهم دولة مستقلة تضم جميع المسلمين وتسمى بالباكستان . ولكن الهندوس يرغبون فى أن تكون الهند دولة واحدة متحدة ولا يرغبون فى أن تكون منقسمة . فما كادوا يعلنون تقسيم الهند إلى باكستان وهندستان حتى أخذت الاضطرابات تنتشر فى بعض القاطعات الهندية ، وأخذ المسلمون يقتلون الهندوس فى الولايات الإسلامية ، وأخذ الهندوس يذبحون المسلمين فى الولايات الهندوسية مما اضطر غاندى إلى أن يستعين بالصوم على منع تلك المذابح البشرية ، فنذر صوماً طويلا يدوم بدوام هذا الصراع الدموى الذى بين المسلمين والهندوس . ولم يمض على صومه خمسة أيام حتى تعرضت حياته للخطر ، فأنذر الأطباء الذين يشرفون على علاجه ، بأنه إن لم يقلع غاندى عن الصوم ، فإنه يقضى على حياته . فلم يكد زعماء الهنود من مسلمين وهندوس وسيخ يسمعون هذا الإنذار حتى وعدوا غاندى بأنهم سيتعاونون فى الحال على إنهاء الاضطرابات الدينية حتى يسود الود والسلام والحب بين جميع سكان الهند على اختلاف أديانهم . ولكن يبدو أن بعض الهنود الذين يميلون إلى العنف وإلى الثورة وإلى الحرب ، لم يرتاحوا إلى صوم غاندى الذى خلص الهند من المجازر البربرية مع بقائها منقسمة إلى باكستان وهندستان وفضلوا أن يستمر النضال بين المسلمين والهندوس إلى أن تقبل الباكستان أن تنضم إلى الهندستان وتصبح الهند متحدة ، وشعروا فى الوقت نفسه أن غاندى بنفوذه الروحى استطاع أن يخمد حرباً أهلية همجية ويحبط حركة ثورية كانوا يعولون عليها كل التعويل ، فسخطوا على نفوذ غاندى الروحى على الشعب ، وكرهوا أن تحسن معاملة الهندوس للمسلمين ، وترد إليهم مساجدهم التى حولت إلى معابد هندوسية من الاضطرابات الأخيرة ، واحتفوا على أن يكون للمسلمين أى سلطة فى الهند ، فأقدموا على قتل بطل روحى ضحى بشبابه وكهولته فى سبيل الهند ، وفى سبيل إصلاح الهند ، وفى سبيل تحرير الهند ، ورأى أن التعاون بين المسلمين والهندوس أمر ضرورى لاتحاد الهند ، وبدون تبادل الحب بين أهل الهند لن تكون هناك هند متحدة ، فمات غاندى شهيد مبادئه الروحية .

بينما كان منافسوه السياسيون يرون أن القضاء على المسلمين وإبادتهم من الهند أسلم من التعاون معهم ، وأفضل من مبادلتهم الحب فأقدموا على قتل غاندى بقلوب حاقدة لا تقدر عواقب فقده ، ولا تدرك عظم الخسارة التى لا تعوض ، فإن الهند بفقدها غاندى قد فقدت زعيما روحيا ، يفهم تمام الفهم الروح الهندية ، ويملك قوة روحية يعرف كيف يسيطر بها على الهنود ويوجههم الوجهة التى تتفق مع تعاليم الدين الهندوسى والمبادىء الإنسانية ، وتجنب الهند ويلات الثورات وأشرارها . أما الآن فمن يضمن للهند بأن هناك من يحل محله . إن أمثال غاندى لا يظهر إلا مرة واحدة كل عدة قرون فكيف عجل قومه بإبعاده عن الدنيا ؟ أحسب أن موت غاندى ترك فراغاً كبيراً فى الهند فى وقت هى فى أشد الحاجة إليه . إن اغتياله سيورث الهند مشاكل خطيرة ويثير زوابع نفسية متعارضة يخاف منها على مستقبل الهند ، ويقلب آراء بعض الهيئات الهندوسية المتطرفة التى ترى أن الحرب أسرع فى توحيد الهند من أى طريق آخر ، فتعود الهند إلى ما كانت عليه من فوضى ، وتكتسح الاضطرابات الدينية جميع أنحاء الهند بعد أن كانت قاصرة على بعض الولايات ، وتنتصر طرق العنف وأساليب القوة على القيم السلمية التى وضعها غاندى كدستور إنسانى شريف للهند .

(الإسكندرية) **عبد العزيز محمد الزكي**

ليسانسيه فلسفة

محمد إسعاف النشاشيبي

مدرســــة أدبية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لو شئت أن ترى الأديب الذى يعد بحق عنواناً على « الأدب » لـكان عليك أن تسعى إلى لقاء إسعاف النشاشيبى فى مجلسه .

ولـكنه مات ، فاختفت بموته صورة فذة فريدة لن يظفر التاريخ بمثلها . وقد تجد نماذج للـكثير من أدبائنا البارزين ، وصوراً تحاكى أساليبهم وطرائقهم وفـكرهم ، ولـكنك لن تعثر مع التنقيب الشديد ، على صورة تشبه إسعاف ، مع كثرة تلاميذه واحتفال مجلسه بالناس ، واطلاع القراء على الإسلام الصحيح من كتبه ، وشوقى وحافظ وغيرهما من خطابه ، ونقل الأديب مما كان يتابع نشره فى الرسالة .

ذلك لأنه أعلى من المحاكاة ، وأسمى من التقليد .

ومع ذلك فهو الأديب الذى كلما تمثلته تمثلت الأدب فى الجاهلية وصدر الإسلام كيف كان ، وكيف ينبغى أن يكون . فقد قيل « إن الأدب أن تجمع من كل شىء بطرف » وكان هذا شأن إسعاف النشاشيبى : يحدثك فى الفقه والشريعة ، وآراء المعتزلة وعلماء الـكلام ، ونظريات الفلاسفة والحـكماء ، وطرائف الـكتاب ونوادر الشـعراء ، مع امتلاك ناصية العربية وهى كما تعلم من أوسع اللغات ، وإلمام بالأدب والعلم والفلسفة فى أوربا الحديثة إلماماً يدل على طول الباع وعظيم المنزلة .

فإن قلت : عندنا كثير من الأدباء يجمعون بين هذه المعارف ، ويأخذون من كل شىء بطرف .

قلتُ : ولـكنك لم تحظ بالاستماع إلى إسـعاف ، فهو فى مجلسه وحديثه غيره فى كتبه ومقالاته . والفرق بين هذا وذاك هو الفرق بين المقروء والمسموع ، بين اللفظة وهى على الورق جثة هامدة ، والعبارة وقد خرجت من فم تمتلئ بالحياة ، وتنفذ إلى القلوب ، وتستقر فى الأسماع .

وهل كان الأدب فى القديم إلا مجالس وأسواقاً ؟ .

وهو يفسد حين يؤخذ من الـكتب ويحفظه المتأدبون كما تفعل الببغاء .

يُروى أن أفلاطون لم يدوّن دروسه فى الأكاديمية ، لأن العلم عنده لا يكون إلا سماعاً أو حواراً .

عرفت إسـعافاً منذ بضع سنين فى مجلسه بالـكونتنتال ، فـكان حلقة تضم صفوة الأدباء والشعراء وهو فيهم درة العقد ، أو كأنه الشمس تحف به الـكواكب .

فإذا جاء ذكر محمد عليه السلام ، قال إسعاف : الله أكبر نبى الإسلام .

كان يتغنى بهذا الدين ، ويترنم باسم الرسول .

وفى ذلك ألف كتابه « الإسـلام الصحيح » . نفدت طبعته ، وكان يفكر فى إعادتها بعد إضافة شواهد وتعليقات جديدة من خمسمائة مرجع . ولا يهولنك هـذا الرقم ، فهو حقاً عظيم الإحاطة واسع الاطلاع .

أراد أن يهدى إلى هذا الـكتاب ، ولـكنه لم يكن يملك منه نسخة واحدة . وسـعيت أن أجد منه نسخة فلم أعثر . وسمع الأستاذ عادل زعيتر بطلبى فقال عندى نسختان فأرسل يطلب من فلسطين واحدة هى الآن فى حوزتى . تقرأ فى استهلال الـكتاب « الإسلام هو الدين الحق [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه] ومحمد خير الخلق . وهذا الـكتاب ، وهذا الأثر ، وهذا تاريخ البشر . فاقرأ كتاب كل دين ، وانظر أثر كل عظيم ، وفتش صحف التاريخ . واحكم إن كنتَ من الحاكمين » .

هذا شعر منثور .

وهذا كلام لا يجرى به القلم أو ينطق به اللسـان ، بل هو صدى القلب ، وقبس من نور اليقين .

ما كنت تسمع فى مجلسه إلا اعتزازاً بالعروبة ودفاعاً عن الإســلام الصحيح . فهو حلقة أو مدرسة سرت روحه فى شباب الجيل .

طيب الله ثراه ، وأدخله فسيح الجنات .

أحمد فؤاد الأهوانى

الله وفلسفة الوجود

للأســـتاذ نقولا الحداد

حتى كتابة هذه السطور لم أطلع على « العقدة المنحلة » التى تفضل بها الأستاذ الكبير العقاد على الرسالة لأنه لم يأت دور الرسالة فى مطالعاتى إلاَّ اليوم.

لم أدر لماذا زج الأستاذ الكبير بالفيلسوف القديم فيثاغوراس فى مناقشته لمقالى الذى نشره المقتطف فى أول هذا الشهر ينايربعنوان « الله وفلسفة الوجود » . راجعت مقالى فلم أجد فيه ذكراً لفيثاغوراس الفيلسوف الذى سبق المسيح ببضعة قرون فما الذى حدا الأستاذ الكبير أن يقول : « إنى أرى أن فيثاغوراس لم يكن إلا مخرفاً سخيفاً حين قال أن الكون عدد ونغمة » .

لم أذكر فيثاغوراس فى مقالى الذى رد عليه الأستاذ ولم أقل هذا القول وإنما الآن أقوله ولعلى قلته فى مناسبة قديمة لا أتذكر

فيثاغوراس لم يكن فيلسوفاً فى عرفنا اليوم وإنما كان عالماً رياضياً فى عصره وله قضية خالدة هى قضية مربعات أضلاع المثلث القائم الزاوية . ولا تذكر هذه القضية إلا مقرونة باسمه . والظاهر أن تعمقه فى الرياضيات ساقه فى تبحره فى الكون إلى الظن أن العدد هو أصل الهيولى ، أى المادة الأصلية . وربما كان هذا القول السخيف ، بل لا شك أنه كان معقولا عند قومه وفى عصره حين لم يكن معروفاً عن المادة إلا ظاهرها . وفلسفة فيثاغوراس هى أن المادة مؤلفة من العدد « سبعة » لأن هذا العدد موجود فى كل ظاهرة من ظاهرات الكون . فالسيارات سبعة فى زمانه . والأنغام فى السلم الموسيقية سبعة وألوان الطيف الشمسى سبعة ، وأيام الأسبوع سبعة ، والسموات السبع الطباق سبعة إلى غير هذا مما كانوا يعرفونه . فالعدد سبعة المقدس هو أصل الهيولى .

وأستاذنا الكبير العقاد يرى رأى صديقه المغفور له الأستاذ فيثاغوراس وبينهما نحو ٢٥ قرناً تقريباً . وهو يريد أن يؤيد هذا الرأى العتيق بالعلم الحديث الذى اكتشف أن المادة مؤلفة من ذرات مختلفة العناصر عددها ٩٢ ذرة ، والذرة مهما اختلف عنصرها مؤلفة من ثلاث ذريرات البروتون والألكترون والنيوترون . ولكن خاب التطبيق بين فلسفة فيثاغوراس وعلم هذا العصر .

فالمادة بحسب صديق الأستاذ مؤلفة من سبعة ، وبحسب رأى العلم الحديث مؤلفة من ثلاثة . وإنما هو « العدد » على كل حال . العدد الذى يتعلق به الأستاذان طرفا تاريخ الفلسفة .

لم أقل فى حياتى أن فيثاغوراس كان مخرفاً . وإنما أقول الآن أن الفلسفة السبعية على ضوء العلم الحاضر سخيفة ، وكل قارىء يقول أنها سخيفة . فإن رام الأستاذ الكبير تقريرها وأن يؤيد نظرية الالكترون بها فرحى .

ولو كانت نظرية فيثاغوراس تؤيد نظرية الالكترون لأمكن الميكانيكيين لعهده أن يخترعوا القنبلة والطاقة الذرية ، ولكان العالم الأرضى اليوم غير ما نراه

ولكن إلى الآن لم أفهم ما الذى زج بفيثاغوراس هنا فى هذه المناقشة ولم يرد له ذكر فى مقالى المنشور فى المقتطف . وكأنى بالأستاذ الكبير يختلق لى تهمة لكى يحاسبنى عليها ويجعلنى خصما . وأيم الله ما قصدت فى تعليقى على « كتاب الله » خصومة . وليس بينى وبين الأستاذ العقاد إلا كل وداد وهو يعلم جيداً أنى أجله وأقدر علمه . ولو لم تسقط جملة طويلة برمتها من مقالى فى المقتطف لتأكد مقدار اعتبارى له . ولا أرى فى ذلك التعليق ما يمس عواطفه الرقيقة .

والواضح أن الأستاذ الكبير يصعب عليه جداً أن يحاسبه محاسب من القراء على بعض ما يكتبه أحياناً مصيباً كان أو مخطئاً العصمة لله يا كبير الكتاب

إن مليكان وادينجتون وجينز وغيرهم من علماء العصر هم أساتذتى العظام وأساتذة كل طالب علم . ومنهم استمددت معلوماتى المتواضعة ، وإذا كان الأستاذ الكبير يدرس هؤلاء العلماء الأعلام جيداً يفهم مقالى تمام الفهم .

فلو درس جينز وادينجتون واينشطين ونيوتن ورصل وأمثالهم لعلم لماذا سرعة النور لا تتغير فى الفراغ المطلق بل تتغير بمرورها فى وسط مادى كالزجاج والهواء والماء ، ولعلم لماذا لا يسير النور فى خط

مستقيم ، ولماذا لا ينتهى خط النور فى مكان معين أو أين ينتهى لأن النور يسير منحنياً بفعل جو جاذبى لأنه خاضع لتأثير الجاذبية فهو يدور حول ذلك المركز الجاذبى ولا ينتهى فى مكان ، ولعلم لماذا الكهرطيسية تتموج ولا تستقيم ، ولعلم أشياء كثيرة . ولكل ظاهرة طبيعية سبب ولا بد من سبب ، وصار العلم الآن يوضح لنا معظم الأسباب ولا زلنا نجهل كثيراً منها .

لا تدبير فى الكون ولا مصادفة ولا فلتة على الإطلاق يا أستاذ لأن للكون سنة رتبها الله منذ الأزل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فالقوانين الطبيعية التى يجرى عليها الكون منذ الأزل وإلى الأبد لا تتغير . وإذا كنا فى بعض الأحيان لا نعرف بعض القوانين أو لا نرى الظاهرة الفلانية تنطبق على قانون فليس المعنى أن حركات الأكوان غير منطبقة على قانون أو هى مصادفات أو تدبيرات أو فلتات .

فما لا نستطيع تعليله فلأننا لا نعرف بالضبط القانون الذى يمشى عليه ، ولابد أن يعلمه علماء المستقبل .

وإذا اطلع الأستاذ على كتاب « كيف يعمل العقل » لجود فلعله يفهم شيئاً على صلة العقل بالمادة ، وهناك مؤلفات أخرى تبين لك أن العقل إنما هو وظيفة من وظائف الدماغ ، ولهذا يرى بعض علماء العقل أن ينقل البحث فى العقل إلى علم الفسيولوجيا هذا موضوع حديث سيوفيه العلم فى المستقبل القريب أو البعيد وقد استدركت فى مقالتى أن البحث فى هذا الموضوع ليس فى طوق

لا يسع المقام أن أرد على كل نقطة من مقال الأستاذ الكبير وإنما أرده إلى نفس مقالى الذى ناقشنى فيه . ففيه كل ما يريد أن يعرفه وفيه الرد على كل ما قاله فى مناقشته اللهم إلا صديقه فيثاغوراس . فيه « السؤال وفيه الجواب » . وهو بعض العلم لمن يريد أن يعلم فلا لزوم للاعادة .

قال الأستاذ العقاد « إن الأستاذ نقولا الحداد لم يرزق بداهة فلسفية كبداهة فيثاغوراس (ولا كبداهة صديقه الأستاذ الأكبر) ولم يرزق نظرة علمية إلى ما وراء الظواهر » سبحان الرازق .

ولكنه رزق من العقل ما رزق الناس وهو يكفيه أن يفهم أن القول بأن المادة مؤلفة من العدد والنغم سخافة ليس بعدها سخافة ولكن الأستاذ الكبير رزق من البداهة الفلسفية أن فلسفة فيثاغوراس هى وحى أزلى أبدى سرمدى ، وبها تفسر نظريات العلم الحديث ، ومهما تقدم العلم وتجرد من السخافات القديمة تبقى هى الوحى العلمى الفلسفى الذى يهتدى بنوره . فهو إذا شاء الكلام بموضوع طريف رجع إلى فلسفة فيثاغوراس المقدسة .

فكيف تبقى الرجعية فى العلم ؟

إن التهكم يا أستاذ ليس برهاناً ولا حجة ، وإن كان فى مقالى فى المقتطف ما يشتم منه رائحة التهكم فاستغفر . لم أقصده . ولكن ليس فيه شىء منه . والسلام عليك ونحن صديقان …

المكان والعدم المطلق :

بعد كتابة ما تقدم اطلعت على مقال الأستاذ العقاد (ولا أقول الأستاذ الكبير لأن كلمة العقاد أكبر من الكبير) فى ٢ فبراير من الرسالة فإذا بالأستاذ يختلق لى تهمة أخرى لكى يحاسبنى عليها . وهى زعمه أنى قلت : « أن المكان هو العدم المطلق » .

لم أقل هذا القول . ولكن الذى قلته بهذا الشأن هو فى صفحة ٣٠ من مقتطف يناير بحروفه .

« لولا حركة المادة لما كان زمان . وكذلك لولا وجود المادة لما كان مكان .

« فوجود المادة خلق المكان . وحدوث حركة المادة خلق الزمان » .

« تصور جميع أجرام السماء وذرات الأرض غير موجودة . فكيف يتراءى لك المكان — الحيز الذى كانت المادة تشغله — ألا يهولك العدم المطلق ؟ وما هو العدم المطلق ؟ هو اللاشىء . فالمكان (بلا مادة) إذن لا شىء . هو العدم . غير موجود . لماذا ؟ لأن المادة تجعل للمكان حدوداً . فإذا زالت المادة زالت الحدود ، فكيف تفهم المكان بلا حدود » .

« نوجز القول : المادة أوجدت المكان . وحركتها أوجدت الزمان . فالمكان والزمان لولا المادة وحركتها هما عدمان » .

هذا نص ما قلته فى مقالى فى المقتطف . فهل يستفاد منه : « أن المكان هو العدم المطلق ؟ »

إذا فنيت المادة التى تشغل المكان فنى المكان بفنائها . فهو بلاها عدم

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحـــرية

للأستاذ كمال دسوقي

٣ — الحرية بوجه عام :

بينا فيما مضى طبيعة الصراع بين الرعايا المحكومين والسلطات الحاكمة ، وقلنا إن الأمر هنا يتعلق بتعارض المنافع الفردية والحرية الشخصية من ناحية ، والحكام بوصفهم ممثلى المجتمع المعبرين عن رغباته ، والقائمين على تحقيق المنافع العامة بالحد من الحرية الفردية من ناحية أخرى . وقلنا كذلك إن الشعوب لم تفتأ تحاول الحد من سلطان الحاكم عليها ، بأن تحمله على أن يقطع على نفسه عهوداً ومواثيق حيناً ، وبأن تشترط موافقة الأمة ممثلة فى هيئاتها حيناً آخر ، لتضمن فى الحالين عدم استبداد الحاكم واضطهاد الرعية.

وكلما زاد فهم المحكومين لطبيعة الحاكم بوصفه ممثل إرادتهم ، قلت مسافة الخلف بينهما ، لتتحد إرادتهما ، ورأى المحكومين بالتالى أن يفوضوا إلى الحكام أمرهم ، ويركزوا فى أشخاصهم سلطتهم — ثم يحاسبوهم أو يعزلوهم إن لم يكونوا لذلك أهلا ، ولكن هذا الحكم الذاتى — حكم الشعب نفسه Self government لا يلبث أن يتكشف عن مجرد إرادة الأغلبية ، ويبدو هذا الاستبداد من الأكثرية — ولو أنه الديمقراطية حقاً — إجحافاً بحرية الأقلية أصحاب المصالح أيضاً التى لا تتفق معها فى الرأى ، ويصبح طغيان الأكثرية هذا خطراً دونه خطر استبداد الحكام وموظفيهم ، لأنه يصدر عن الشعور العام والاتجاه السائد لغالبية المجتمع . فثمت خطران يتهددان حرية الفرد : الاستبداد السياسى من الحكام ، وطغيان أكثرية المجتمع . التوفيق بينهما مستحيل ، كما أن تعيين قواعد السلوك التى يتحتم علينا اتباعها بقوة القانون أو المجتمع حتى لا تتعارض الحريات هى مشكلة المشاكل .لا يتفق فى تحديدها جيلان متعاقبان ، أو شعبان فى جيل واحد .

ولما قال اينشطين Space Substan ce . عنى المكان المشغول بالمادة . ولم يعن الفراغ المطلق . فمتى قلنا « المكان » عنينا مكاناً مملوءاً مادة . وإذا قلنا فراغاً مطلقاً Sace Absoelute Emptys qace عنينا أن لا مكان موجود . ولكن لا فراغ مطلق فى الوجود . المكان موجود حتما لأن المادة موجودة . ولا عدم فى الوجود .

إذن أصبح كل ماقاله الأستاذ الكبير بهذا الشأن « لاأقول فضولا لأن فيه فوائد للقارىء ولى » بل أقول لم يعد تفنيداً لما قلته بل لما لم أقله .

أما تعريفه للموجود والمعدوم والمعلوم والمجهول فقد عرف القراء ما قلته وما قاله فلكل قارىء أن يقبل هذا أو ذاك .

وأما قضية أن الإنسان يتكلم لأنه يفكر أو بالعكس فلم أتعرض لها البتة . فلا أدرى لماذا جعلها الأستاذ موضوعاً للنقاش

كان مطلع مقالى فى المقتطف : « منذ مدة كتب الأستاذ العقاد فى الرسالة أنه « صار عندنا فلسفة » والآن صار يمكننا أن نقول إنه صار عندنا فلسفة وفيلسوف» أى بعد صدور كتاب الله . ولكن لسوء الحظ سقطت العبارة الأخيرة والمصحح لم يفطن لسقوطها . وغرضى من هذه الإشارة إليها الآن أن أؤكد للقارىء اعتبارى المظيم لعلم العقاد واتساع دائرة معارفه وأهليته لخوض المسائل الفلسفية

وما تصديت إلى التعليق على بعض نقط فى « كتاب الله » إلا لأنى كنت أملك شيئاً من « العدة » لهذا التعليق . فلا أدرى كيف استنتج الأستاذ « من كلامى » أنى لم أشتغل فى المباحث الفلسفية ، ولم أعود عقلى أن يعطيها حقها من التقدير الواجب والتأمل الطويل ، وإنى لاأملك العدة التى تعيننى على النقد والتمحيص

نعم لم أكتب فى الفلسفة يا سيدى الأستاذ . ولكن ما أدراك إنى مطلع على بعض كتب الفلسفة البحتة التى اطلعت أنت عليها ككتاب « المرشد إلى الفلسفة » للعلامة جود أستاذ الفلسفة فى جامعته وكتاب « قصة الفلسفة » للعلامة ول دورانت . و« العلم والفلسفة » لكبير العلماء جينز (رحمة الله عليه) القضايا الفلسفية لبرتراند رصل وقد درستها غير مرة

فلا أظننى بعد هذه الدراسات كنت خلواً من « العدة » للتعليق على بعض نقط « كتاب الله » مع ذلك لا أقول أن هذه العدة المتواضعة تعصمنى . والعصمة لله وحده . نقولا الحداد

وآفة هـذا كله أن الناس يسلـكون وفق أهوائهم غير المعقولة ، وقد يعززونها بأهواء غيرهم لتتخذ صورة إجماعية مقبولة ، بالإجماع لا بالمنطق ، وإن كان مصدرها فى واقع الأمر وهما أو عاطفة ، أو خرافة أو هوى ، أو خوفاً وحسداً ، أو كبراً وبغضاء ، أو أنانية ونفاقاً ، أو تملقاً لعواطف السادة وتقرباً إلى الحكام ، إلى غير ذلك من وسائل المنفعة الذاتية المشروعة وغير المشروعة ، ولكنها مع هذا — بحكم العادة — تصبح ذات أثر بليغ فى تحديد السلوك والآداب وتقاليد المجتمع ، وخصوصاً أن الحكام لم يحاولوا مراجعة هذا المبدأ — مبدأ التشريع على أساس العاطفة الجماعية كما رأينا — بل أخذوه قضية مسلمة ، وشرعوا ينظرون فى تفاصيل الأمور التى يرضى عنها أو يعاقب عليها المجتمع على هذا الأساس ، ويضرب «مل» مثلا لخطر استبداد الأكثرية بدافع الهوى ، مسألة العقائد الدينية وتعصب الجماعات فيها .

ويجمل ما يقرره المؤلف فى « تمهيد » كتابه بعد ذلك ، يتلخص فى القضايا التالية .

١ — سلطة القانون فى بلاده أقل نفوذاً من سلطان الرأى العام الذى يجعل من الحكومة خصماً له ، ومهدداً لحريته ، وإن كان القوم بين مؤيد لتدخل الحكومة فى حرية الأفراد ، ومعارض لهذا التدخل — لم يضعوا له قاعدة مقررة .

٢ — منع الفرد من الإضرار بغيره هو المسوغ الأوحد لتدخل السلطات فى حرية مواطن متمدين ، وفيما عدا هذا ، فللانسان مطلق التصرف فى جسمه وعقله ، وما لم يخرج عن دائرة شخصه فلا سلطان للمجتمع عليه . ويستثنى من ذلك من لا يزال قاصراً من الافراد والجماعات ، فإنه يجوز استبداد حكامهم حتى ينضجوا ويصلحوا .

٣ — ومع أن الحرية حق طبيعى يعود على الفرد بالمنفعة الشخصية ، فإن للمجتمع أن يجبر الفرد على الدفاع الوطنى والشهادة أمام القضاء وعمل البر وهى أمور واجبة عليه ، ويحاسبه إذا امتنع عنها أو قصر فيها ، أو أهمل فعلها فترتب على الإهمال نتائج خطيرة عن طريق القانون أو سلطة المجتمع ، إذ الأمر هنا يتعلق بالصالح العام المقدم على المنفعة الشخصية ، وفيما عدا هذا لا يتعرض المجتمع لحرية الفرد .

٤ — وثمت أحوال يكون فيها الفرد مسئولا أمام المجتمع ؛ ولـكن مسئوليته تحيط بها ظروف وملابسات تجعل من الخير تركه وشأنه ، فهنا يجب ترك الفرد لضميره يحكم عليه ويؤاخذه .

٥ — أما الأحوال التى لا يجوز للمجتمع أن يتدخل فيها ما لم تؤثر فى الغير تأثيراً مباشراً فهى حرية الاعتقاد والفكر والميل والشعور ، والتعبير عنها ، وحرية الأذواق والمشارب ، ثم حرية الاجتماع والتعاون .

٦ — يقاس رقى المجتمع بمبلغ تحقيق هـذه الحريات ، وما لم تكن الدولة فى خطر فليس ثمت ما يبرر تدخلها فى أخص شـئون الأفراد الذاتية ، مهما يكن أمر دعاة سيطرة المجتمع أمثال أوجست كونت وغيره .

٤ — حرية الرأى وحرية التصرف :

وبعد تلخيص هـذه المقدمة يقبل على الفصلين الثانى والثالث ، وهما أهم فصول الـكتاب ، وأنضج آراء المؤلف ، وأكثر الـكتابات قيمة لمن يحاول الدفاع عن الحرية الشخصية فى الفكر والعمل ، أولهما يتناول بالحديث حرية الرأى والاعتقاد ، والتعبير عما نفكر بالمناقشة أو الخطابة أو النشر . وثانيهما يعرض لحرية التصرف والفعـل والتنفيذ فى حيز العمل كما هو فى حيز القول ، ما دمنا لا نتعارض فى هذه أو تلك مع الصالح العام .

وما الذى يسوغ لحكومة أياً كانت أن تقيد تفكيرنا أو تحملنا على ما لا نريد من الرأى ، ولو كان ذلك بإرادتنا ؟ إن الحقيقة فى مسائل الرأى ليست من الجلاء بحيث تكون دائماً مع الحكام ، ويكون المحكومون — فرداً أو جماعة — هم المخطئين ، وحتى لو جاز ذلك ، فتدخل السـلطات لمنع الخطأ هو سبيل انتشاره . حقاً إن الناس كثيراً ما يتعصبون من الناحية العملية — وإن أنكروا ذلك جدلا — لآرائهم التى يهديهم لها محض الصدفة أو مجرد الإجمـاع — كأنما هم معصومون من الزلل ، ولـكن هـذا الخطأ فى استعمال العقل لا يدعو إلى تحريم التفـكير أصلا ، وكل ما فى وسعنا أن نهيب بالأفراد والحكومات أن يبذلوا كل جهد للوقوف على الحقيقة والتيقن منها قبل نشرها وإذاعتها — فحرية المعارضة والمناقشة هى وسيلة الصواب واليقين ،

وما دامت أخطاؤنا وهفواتنا لحسن حظ البشرية وصلاح أمرها — قابلة للتقويم والتعديل فينبغي أن نطلق للأفراد أكبر حرية في الفكر والمناقشة حتى يتأدوا إلى الحقيقة التي تصلح من أخطائهم، وتردهم إلى الصواب.

ولإطلاق حرية المناقشة — فوق تحقيق الميزة الجوهرية للعقل الإنساني بتقويمه وتعديله التي قدمنا — ميزة أخرى موضوعية تتعلق بالشيء ذاته موضع المناقشة، فإن ثباته للجدل حوله والمناقشة فيه وسيلة الثقة به والاطمئنان إليه، إذ أنه لو كان ثمت حقيقة نستطيع أن نهتدي إليها، فلن نصل فيها إلى اليقين المطلق، بل لما يشبه اليقين ويظن به الصواب، وحتى هذا القدر لن نصل إليه بالتقييد والتحريم، بل بإفساح مجال الدرس والمباحثة، فنصلح تفكيرنا، ونقوى في الوقت نفسه حجة الشيء ذاته، إذ أن دعامة الثقة بشيء إنما تقوم في قدرته على تحدي خصومه المبارزة، فإن لم يكن له معارض، أو كان له معارض سقطت حجته في الميدان؛ فقد حكم له بقربه من الصواب.

وكما أنه لا يجوز حمل الناس على غير ما يريدون بادعاء العصمة في أنفسنا وفيما نريدهم عليه، حتى ولو كان معنا الإجماع؛ ما دام من الممكن أن يكونوا هم على حق، وما دمنا لم نفسح المجال لنتبين خطأ الأمر من صوابه في مناقشات حرة؛ كذلك ليس لنا أن نحملهم عليه بحجة المنفعة، أو بدعوى الفائدة للمجتمع أو أية ذريعة أخرى، فما دمنا لم نسمع رأي الفريق المعارض، ولو كان نفراً قليلا لا نجزم بأن المنفعة في جانبه أو في جانبنا، فالمشكلة باقية لم تحل، ولم نزل ندعي العصمة في أنفسنا — ونرى معارضينا بالخطأ — في تعرف النفع كما ادعيناها من قبل في الاهتداء إلى الحق.

فنحن حين نقيد حرية الرأي في الأفراد إنما نحملهم على اتباع رأينا، ونسوقهم إليه باسم الإجماع على الحق حيناً، ومنفعة المجتمع حيناً آخر — مما يحمل في طيه ادعاء العصمة من الفساد في آرائنا — والعصمة من الصواب في معارضينا، وليست الحقيقة — كما قلنا — بحيث نتعرفها بهذه السهولة، بل لابد للوصول إلى بعض اليقين من حرية مناقشة واسعة النطاق، حتى في أخص مسائل الحياة كالدين وحسب البشرية ما ترتب على التعصب الديني والطائفي والسكني من اضطهادات ومظالم وشهداء — يتوسع «مل» في الاستشهاد بها — ليس ينهض عذراً لها ما يقال من ضرورة اجتياز الحق لهذه المحن، فإن في إتيان هذه الفظائع قضاء على التجديد والإحسان والعمل على ترقية الجنس البشري. وفضلا عن أن الاضطهاد يزهق الحق ويخفيه ويعوق انتشاره، ويبزل بدعاته العذاب، فإنه يقتل الشجاعة الأدبية ويصادر حرية الفكر، وجرأة الحق، ويعوق نمو السلطات وانتشار ثمرات الإبداع في حينها، ويؤدي إلى تستر المفكرين وذلتهم وسعيهم لتملق عواطف المجتمع بدلا من البحث عن الحقيقة. ومع هذا فالحق لابد يوماً أن يظهر ويبهرنا ضوءه فنضطر متأخرين إلى الإيمان به — بعد إذ أسأنا إلى أصحابه وعذبناهم — وبعد أن لم نسلم من الثورات الفكرية التي يولدها الضغط والتقييد.

وبعد أن فرغ «مل» من إثبات شطر حجته الأول: عدم ادعاء العصمة في حمل الفرد على حق أو منفعة، انتقل إلى الشطر الثاني منها — وهو خطر إخماد رأي الفرد ولو كان خطأ — إذ أن منع المناقشة منعاً باتاً أمر ضار ومستحيل — خصوصاً في المباحث المتعارضة الآراء — ولضرورة دراسة حجة الخصم وتفهيمه علة خطئه ليتثقف عقله، بعد أن نسمعها منه بنزاهة وصدق رغبة، بلا تحيز ولا محاباة، أو تفريق بين عام وخاص. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن تقييد المناقشة يتعدى أثره الخمود العقلي إلى خمود المعاني الأخلاقية في العقائد موضوع المناقشة — بما يجعل منها ألفاظاً منسية جوفاء — وإلى جمود العقائد والأفطار ذاتها بعد أن تصبح تقليداً محافظاً مستقراً، اطمأن عليه حماته ونام عنه خصومه، وهذا التحجر في العقائد — دينية أو غير دينية — يجعل منها رسوماً وطقوساً أولى منها معاني جيلة وعقائد. فلابد من الخلاف والمناقشة حتى نصل إلى الحقائق اليقينية التي تعين على رقي النوع البشري، ولابد من تهيئة الوسائل التي تثير هذا النقاش المستمر حول الحقائق حتى لا تموت باستقرارها، ولابد أخيراً أن نكمل جزء اليقين الذي في آرائنا بيقين آراء معارضينا. وأن نشفع نزعة المحافظة دائماً بنزعة مساوقة إلى التقدم والإصلاح في سياستنا.

كمال دسوقي

رأى مفتى حضرموت

فيما دار بين عزام باشا والسيد محمد بهجت الأثرى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

ولو لم يكن إلا هـذا وحده لـكفى مبرراً لقول عزام ورد كلام الأثرى وهو نص جلى فيما قدمناه فلله الحمد على الهداية ، ولم يذكر ابن القيم احتجاج عمر بآيات الحشر لأنها لا تصلح للغنيمة وإنما جرى ابن الخطاب فى السواد على النص ما اشتهر من قوله متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فانه ظاهر المصادمة للنص وقد حاولوا بجواب عنه فلم يأتوا إلا بالتافه المردود وذكر ابن خلـكان فى ترجمة يحيى بن أكثم أن المأمون يسوقه مساق المتفق عليه يقول ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما أقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر القصة التى يـكفينا منها موضع الشـــاهد وهو هذا وأصله فى صحيح مسلم عن جابر قال كنا نستمتع بالقبضة من الدقيق والتمر الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وصدراً من خلافة عمر حتى نهانا عنهما ، عمر وبعيد جداً أن يقول ابن الخطاب عنها ذلك القول الغليظ ، وهو ذاكر النص بدون أدنى إشارة إليه وإنما جرى منه على انقياد من ترجيح المصلحة ، ولابن الخطاب فى قضية المتعة مزمية إذ قد ظهرت النصوص بعد ذلك متظاهرة على تحريمها موافقة لـما ذهب إليه بإصالة رأيه وبُعد نظره ، ومنها حديث سبرة الجهنى عند مسلم وأبى داود وأحمد ، ومما يتأكد به أن قول عمر فى متعة النساء كافة رأياً ارتآه جمعه إياها ومتعة الحج فى سياقه واحدة ، وقد أخرج مسلم عن ابن أبى مليكة عن عروة ابن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر الناس بالعمرة فى هؤلاء العشرة وليس فيها عمرة فقال أولا تسأل أمك عن ذلك ، قال عروة فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك فقال الرجل من هاهنا هلـكتم ما أرى الله عز وجل إلا سيعذبكم إنى أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتخبرونى بأبى بكر وعمر والحديث أطول من هذا والرجل هو ابن عباس وله شواهد كثيرة وحسبنا منها أن قول عمر فى متعـة الحج كان برأيه المخالف للنص والمصلحة التى رآها فى ذلك هى كرهه لأن يدخل الناس فى الحج ومذاكيرهم تقطر لأن ارفهينه لا تليف باخشيشان النسك وقول ابن عباس لعروة أولا تسأل أمك النسب بمتعة النساء وله قصـة طويلة مذكورة فى السير ، ولـكن لعل الحديث اختصر فانتقل النظر ولا ينكر أحد أن عمر رضى الله عنه كان وقافاً عند كتاب الله ولـكن إذا استنار له الدليل وإلا فإنه يذهب عند ظهور المصلحة إلى التأويل ، ولعل منه قياس الغنيمة على الفىء إن صح احتجاجه بآيات الحشر الذى ذكره غير واحد سوى من سماهم الأستاذ الأثرى .

وحسبك بما جرى منه يوم الحديبية فإنه لم يقبل كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو وجد أعواناً لرده وخرج مغضباً ثم لم تنكسر سورة غضبه إلا عند انقطاع الحيلة وتعقب مراجعات له من أبى بكر طويلة ، وعذره فى ذلك شدة غيرته على الدين ، ومنها إشفاقه عليه وقوة شكيمته وصلابة عوده فى الحق وصحة إخلاصه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجرى على سجيته العربية من خشونة اللفظ مع نسيان التحفظ تحت تلك التأثيرات ولو قالها غيره لطعنوا فيه ، أما هو فعلى حد قوله :

ويقبح من سواك الفعل عندى   فتفعـله فيحسن منك ذاكا

وهل فوق هـذا دليل على أن ابن الخطاب يسير مع ما يراه من المصلحة للاسـلام وإن حادت عن النص الخاص والعام ، ولقد فعل يوم مات ابن أبى من اعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجذبه بثوبه ما هو معلوم وكان له فى ذلك منقبه إذ نزل الذكر الحكيم بموافقته بعد ، وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم يوم اشتد وجعه ائتونى أكتب لـكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فمنع عمر فليس فى ذلك إيثار للمصلحة التى رآها على النص الصريح بلى وألف بلى فرحى للأستاذ عزام مرحى إذ ألهمه الصواب من أوحى إلى عبده ما أوحى ، وأكبر من هذا كله ما جاء فى التمدن الإسلامى ص ٢١٧ ج ١ طبعة ثالثة من ص ١٢٦ ج ٢ من خطط المقريزى من تقرير ابن الخطاب للمكوس فى الإسلام مع مصادمة ذلك للنصوص حتى لقد قال بعض الشافعية أن استحلال المـكس كفر ، ونقل العصامى فى تاريخه عن قطب الدين النهروانى أن الألسنة انطلقت بالوقيعة فى

القضاة الأربعة بالقاهرة الذين أفتوا بحل المكس فى جده وقالوا إنهم اعتمدوا هوى الملك حفظاً لمناصبهم .

وما أخطأ صاحب التمدن إلا فى تعيين الصفحة والجزء من الخطط وإلا فقد جاء فى ص ١٦٦ منها وأصل ذلك فى الإسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم العشر فكتب إلى أبى موسى الأشعرى وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتى درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد من كل عشرين درهماً درهماً ، ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهماً ، ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس .

ومن تلك الأمثال ما رواه طاوس عن ابن عباس قال كان طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم رواه أحمد ومسلم وفى لفظ آخر رواه مسلم فلما كان فى عهد عمر تتابع الناس فى الطلاق فأجازه عليه وفى آخر رواه مسلم أيضاً أن عمر قال أجيزوهن عليهم رواه أبو داود وكنت أستنكر القول بأن الثلاث واحدة لما حصل من تشنيع العلماء على ابن القيم وشيخه فى اختيار ذلك ولأن الحنابلة على اعترافهم بفضل هذين الشيخين لم يوافقوهما على ذلك ، ولأن الأئمة الأربعة على خلافه حتى رأيت العلامة الشوكانى يبالغ فى تأييده ويعد من الأجلاء من يقول به والإمام الرازى يقول فى تفسير آية الطلاق من البقرة أنه الأقيس وبلغنى أن من لا يشك فى دينه من الحضارمة يقره فرجعت عما كنت عليه فيه ، ومعاذ الله أن نقول أن ابن الخطاب أو من دونه من العلماء القائلين بالاستصلاح يقصدون مراغمة النصوص الشرعية إنا إذاً لظالمون ، ولكنهم إذا ظهرت المصلحة المحققة رجحوها متحيزين إلى النصوص العامة فى ذلك كقوله جل ذكره : ما جعل عليكم فى الدين من حرج وقوله : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، وأمثالها مما لا يحصى وفى الصحيح يسرا ولا تعسرا ، ومن أساطين الشريعة ما أخرجه ابن ماجه مرفوعاً لا ضرر ولا ضرار ، ولقد أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل ببدر منزلا لم يره الأنصار موافقاً للقتال فخالفوه فرجع إلى رأيهم وقال للأنصار عام قدومه المدينة مايضركم أن لا تؤبروا نخرج نخل المدينة شيصاً فقال لهم أنتم أعرف بدنياكم واتفق أصحاب السير على أنه عليه السلام عزم على أن يصالح رئيسي غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف على أن ينصرفا بقومهما فى حادثة الأحزاب ولهما ثلث ثمار المدينة ثم شاور السعدين بعد تمام المراوضة فقالا إن يكن الله أمرك فسمعاً وطاعة ، وإن كنت إنما تريد أن تصنع لنا بذلك فلا حاجة لنا به ، فرجع إلى قولهما ووجه الدلالة فيه من جهتين أن النبى أراد التصرف فى أموال الأنصار بدون استرضائهم كلهم للمصلحة وأن السعدين خالفاه للمصلحة أيضاً فرجع إلى رأيهما وأكبر من ذلك ماأخرجه مسلم عن عمران بن حصين أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ رجلا من غفار بجريرة حلفائه من ثقيف وما كان إلا من أجل المصلحة وإلا فالبارى جل شأنه يقول فى غير موضع من التنزيل : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، ويقول عن العبد الصالح (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون) وقالت الصديقة عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد أو ما يقرب منه ، وقال ابن عبد السلام لله أحكام تحدث عند وجود أسبابها ، وقال بعض الأئمة يحدث للناس من الأحكام بقدر ما أحدثوا من الفجور ، وقال بعض متأخرى الشافعية الشرع مبنى على درء المفاسد وجلب المصالح ، بل لو كان حكم شرعى يخالف العادة ترك للمادة سداً للذريعة المؤدية إلى الشقاق والعداوة التى لا ينقطع بابها إذا فتح ولا ينسد .

ولئن كنت ناقشته فى بعض كتبى الفقهية لتقيدى فى الفتوى بمنقول المذهب فلا بأس أن استدل به هنا للاستصلاح لفرق ما بين الجهتين لا سيما وقد رجحه علامة اليمن الحبر البدل شيخ شيخنا [1] السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل فيما ذهب إليه من تقوية كلام العلامة ابن زياد فى نفس الموضوع وقال كثير

(١) أنا أخذت عن الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر وقد مات سنة ١٣١٤ هـ وأنا على تمام الرابعة عشر من عمرى وقد أخذ عن السيد عبد الرحمن بن سليمان المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وعمر الأستاذ الأبر إذ ذاك أربعة عشر عاماً وقد صرح بأخذه عنه فى مواضع من كتابه عقود اللآل

من العلماء كالحنفية بالاستحسان ، وفسر بدليل ينقدح فى نفس المجتهد تقصر عنه عبارته وفسر أيضاً بعدول عن الدليل إلى العادة للمصلحة ومن المقرر بين الأصوليين حتى فى المتون جواز التخصيص بالعقل وليس الاستصلاح عند مصادمة الدليل الامن ذلك القبيل وعلى خاطرى أن بعض الصحابة أحرم بصلاة المغرب فانفلتت راحلته فذهب وراءها حتى ردها وعقلها فعاد إلى مكانه وأتم صلاته فقيل له فقال أأدع ناقتى تضيع وأنا شيخ ضعيف ؟ ولقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا غزوة فرأيت من تيسيره ما يتسع لأكثر من عملى هذا أو مايقرب من هذا أوما هذا نحيله وهو من الثابت وقد ذكرته فى بعض كتبى ولكنى لا أدرى أين مكانه الآن فترى هذا الصحابى رضوان الله عليه تجاوز النصوص الخاصة فى منع الأعمال فى الصلاة إلى الدليل العام من التيسير ولكل ما فعله مبرر من الفقه عندنا إلا عوده إلى مكانه الأول إن ثبت ، وإلا فقد قال فى التحفة من أخذ له مال فى الصلاة لا يجوز له أن يبق فيها ويتبعه ويصليها صلاة شدة الخوف على الأوجه بل يقطعها ويتبعه إن شاء .

ومقابل الأوجه الجواز وهو مما يسوغ العمل به فى حق النفس والشريعة كما سبق مبنية على حفظ المصالح ودرء المفاسد فليس الأستاذ عزام بالأوحد فى هذه الطريقة ولكنها المهيع الواضح والسبيل المظيم وقد أطلت القول فى ذلك لبعض المناسبات التاريخية فى كتابى بضايع التابوت فى نتف من تاريخ حضرموت المنوى تقديمه للطبع بهمة الشاب الفاضل الأديب عبد الله. بالخير ونسيت وما انسانى إلا الشيطان أن أذكر فيه ما يصلح لأن يكون أكبر شاهد للاستصلاح وهو قوله جل ثناؤه فى سورة الأحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) إذ لولم يضمن دينه حماية العدل والنظام إلى يوم البعث والقيام بقبوله للمصالح لما انقطعت النبوة ولبقيت الحاجة شديدة إليها لكنها انتهت فلم يبق للرسالة معنى بعد انقضائها لأن هذا الدين المتين ملائم لكل زمان ومكان وإن اختلفت الأحوال واضطربت الأمور ، وأرجحت الفتن ، وتقلبت الظروف ، وتباينت المؤثرات فلا حاجة مع لطف مرونته واتساع صدره وغزارة مواده وفضيلة قابليته إلى قانون سواه يتجدد لحفظ النظام ونفع الأنام مع مسايرة الأيام ومنه تعرف بديع مناسبة الفاصلة لأن العلم واسع لن يضيق بأية حادثة تعرض له فى مستقبل الزمان وإن انقطع سلاها واطلخم دجاها ولذا كان سهم بن الخطاب هو الصايب وفكره هو الثاقب وحزه يطبق المفاصل وكثيراً مايصف البارى نفسه فى الفواصل بأنه واسع عليم وواسع حكيم أفتضيق تلك السعة التى بالغ فيها التنزيل عن مصلحة كلية إزاء دليل جزئى محتمل لنفوذ التخصيص إليه بالمنفصل من كل ناحية لا والله فإن هذا ما لا يكون ولئن فاتنى هذا الدليل فى البضايع فلم يكن لدى بضائع إذ كم عالجت به من مريض وتعرضت له فى النثر والقريض وكررته بالتصريح والتعريض حتى لقد قلت من القصيدة النبوية التى أنشأتها فى سنة ١٣٦٠ هـ على نهج البردة الشريفة .

وما بغير الذى تقضى شريعته للناس منجى من الأرزاء والنقم
إذ لا يوازيه دين فى عدالته ولم يكن مع إصلاح بمصطدم
أما شريعة عيسى فالنجاة بها مع التمدن شىء غير ملتئم

والله جل شأنه يقول قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، ويقول ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . وهل يمكن مع تقدم الطب بهذه الأيام أن يتأخر الطب الذى بعث به عليه السلام أو أن يعجز عن مكافحة بعض الآلام كلا أنه لينقطع دون هذا الكلام لكن الجمود حجاب وداعى التقليد الأعمى لايجاب وإنما يستحق الفهم كما فى آية سليمان الإعجاب وبعض هذا كان للالزام بما قاله الشيخ عزام ولئن لم نطلع على رسالته بحذافيرها فقد أنبأتنا تلك الجمل بأخابيرها والله أعلم . قاله وأملاه خادم العلم ابن عبيد الله . فى ٥ القعدة سنة ١٣٦٦

دمعة على محمد إسعاف النشاشيبي :

كل أرض ضمتك فهى وساد

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يستوى الموتُ فى المكان النائى ومكان الأجداد والآباء
يا غريب الممات ما نحنُ إلا غرباء فى منزل الغرباء
كلُّ أرض ضمتكَ فهى وسادٌ يستوى عندها مصيرُ الفناء
من دعته منيةٌ لبلاد مات فيها إجابةً للنداء
قدَرٌ حانٌ على المرء لم ينأ قريبٌ عنه ولم ينجُ نائى
من تفته المنونُ فى بأساء لم تفته المنونُ فى النعماء
أخطأتك الأقدارُ والبأس يغلى فى فلسطين والحمى فى دماء
وأصابتك فى مكانٍ أمين رُبَّ أمن يجذُّ حبل الرجاء
لم تمت ميتة الجبان ولكن متَّ فى العلم ميتة الشهداء
كُنت فى ساحة العروبة سيفاً من نفاذ ومُنصلاً من مضاء
لم تُجاهد بالسيف فيها ولكن كُنت فيها مُجاهد الآراء
رُبَّ فكر أمضى من السيف فى الذو د ورأيٍ أحمى من الهيجاء
حاجة الشرق للسيوف المواضى مثلُ حاجاته إلى العلماء ...

لغة الضاد رُوِّعت فيك لما فقدت فيك واحد الأُدباء
كنت صدر الرُّواة فى مجلس القو م وشيخ الثقات فى الأنباء
كنت جيلا من الرواية ولَّى بعد جيل الرُّواة والقرَّاء
وزماناً فى الحفظ غير خلاء ومكاناً فى الفضل غير خواء
حافظاً للتراث فى غير زهو كاختيال الغبىّ أو خُيلاء
كنت تروى كقارئٍ من كتاب عصبىَّ البيان فخم الأداء
تنشر المكرمات من عهد عدنا ن وتحيى مكارم الصحراء
وتعيد الحديث عن كل ماض حافل بالفخار والعلياء
كُنت تتلوهُ فى اعتزاز المباهى وافتخار البنين بالآباء
كانت العرب كلها لك قوماً تنتمى عندها أعزَّ انتماء
لم تُكاثر إلا بهم أو تفاخر لم تكاثر فى مجلس بثراء

شهد اللهُ ما سمتك يوماً مسرفاً فى ظواهر الأشياء
شهد اللهُ ما رأيتك تُعنى بخداع المنى وزُور الثناء
تعس الناسُ فيم يشمخ منهم شامخ بالمظاهر الجوفاء ؟
كيف يُزهى بالمال والجاه من لا يملك المالُ عنه ردَّ القضاء
كيف يُزهى بالمال والجاه من لا يتوقى فى صحة من داء ؟؟

يا دفيناً فى أرض مصر وكانت لك فى القدس أرحب الأرجاء
كيف ضنَّ الحمى عليك بشبر من تراب وحفنة من هباء ؟
مصر ضمت ثراك وهى وعاء لكنوز مذخورة لِلبقاء ..
قدَرٌ ساقك الغداة إلينا لِتلبى بمصر حُكم السماء
كلُّ شبر من العروبة مأوى لِوداد ومَلجأ لإخاء ...

لا أقول انتهت حياتك فينا أنت باق بالذكر فى الأحياء
أنت أعلى من الرثاء .. ولكن هذه أدمعى . وهن رثائى

محمد عبد الغنى حسن

ذكرى الرسول الكريم

للأستاذ مختار الوكيل

سيد الخلق وزين الأنبياء
جئت فى ساحك أستجدى الضياء
فأنلنى غوثك المأمول يا موئل العانى وكهف الضعفاء
واعف عن ضعفى فما شعرى سوى قطرة من فيض رب الفصحاء
الذى أدبه الله ، فلم يعرف الهزل ، ولم يدر الهُراء
والذى علمه البارى ، فما خفيت عنه تهاويل القضاء
والذى نزهه المولى ، فلم يقل الهُجر ، ولم يرو الهجاء

جئتك اليوم مُنيباً ، لا أرى غير باب الطهر باباً للنجاء
لائذاً بالستر أسمى مُوطناً لشفيع صفحه كلُّ الرجاء
كانت الدنيا ظلاماً دامساً والديانات بها محض هباء
فضعيفٌ من قوىّ يشتكى وظلوم ليس يُعنى البؤساء

وأخو شرك على الأرض طغى   ولو اسطاع تمادى فى السماء
وأخو كاس على الخمر ارتمى   يرشف الراح ويحسو ما يشاء
وبغـــاة وعتـاة أممنوا   فى المعاصى وتمادوا فى الدهاء
عُكّفٌ حول الذى قد نحتوا   من شخوص وتماثيل خواء
عنـد ما أقبلت موفور السنى   حصحص الحق ونور العدل جاء
وأقمت الحـكم شورى لم يكن   حكم مُستغل ولا حكم افتراء
وسننت العدل قسطاساً فـما   عرف البغى ضعيف فى القضاء
مُذ دنا ركبك من «أم القرى»   زهق البـاطل والحق أضاء
يا رسول الله يا خـير الورى   نفحة منك بها يدنو الشفاء
عالم اليوم طغى فيـــه الألى   سفَّـهوا الدين وعابوا الأتقياء
زعمـــوا قنبـــلة ذرية
سوف تفنى الـكون ، فالـكون خلاء
ومضـوا فى غيهم إن خرجوا   من شقاء سربلوا ثوب شقاء
ما العـداوات التى نشهدها   غـير إرهاصات حرب ودماء
ما الدعايات التى نسمعها   غير سم منه قد فاض الإناء
كفـروا بالله ، ياويحهمو   واستهانوا بكلام الأنبياء
ومشوا فى موكب من لهب   سقطوا فيـــه ضحايا الخيلاء

قومك اليوم ، رسول الله فى   محنة نـكراء يشـكون العناء
شتت الباغون إجمـــاعهم   وأحالوهم طيـوفاً وذماء
مسلمو اليوم على أرضهم   أصبحوا أحـلاف ذل غرباء
سادة للـكون كانوا ، ففدوا   غرضاً للطامعين السفهاء
يطلبون القوت ، لا تحفزهم   لطلاب المجد أحـلام وضاء
قنعوا بالرسف فى القيد فلم   يسألوا غـير كفاف الأجراء
كانت الدنيا لهم مذ حملوا   سيفهم يبغون للدين العلاء
كانت الدنيـا لهم فانقلبوا   همهم كسرة خـبز وكساء
يدّعون الدين والدين براء   من نفوس خاويات كالهواء
ويريدون جـلاء ناجزاً   أين من مستضعف نيل الجلاء
جوهر الدين نأوا عن هديه   وأراهم زخرفوا منـه الطلاء
ما ينال الحـق بالعجز وما   تهزم القطمان ذئب الصحراء
إنمـا الحق ، له السيف يد   وأرى الغفلة قـبر البلهاء
ونبى الله بالسيف غـــزا   وعـــدو الله بالخسران باء
فأقيموا الدين بالسيف ، ولا   تطلبوا المجـد بمبذول الدعاء
أنقذوا أرض فلسطين ، ولا   ترهبوا الموت ففى الموت البقاء
واطلبوا المجد بسيف لهذم   يدع المادين صرعى فى العراء
وأقيلوا الدين من عثرته   بجهاد يذهل الأرض الفضاء
نادت الدنيا بكم أن أقدموا   فأصيخوا إن عقلتم للنداء
وأقيموا الملك بالدين كما   كان فى عصر نبى الأنبيـاء
واذكروا سيرته واقتبسوا   من سناء يذهب الداء العياء
إن أخذتم قبساً من هديه   حزتم النصر ، وإلا فالعفاء
يا أبا الزهراء يا رمز الإباء   نحن للاسلام والعرب فداء
نفحة منك بها نحمى الحمى   ونقى الأرض مغبات العداء

مختار الوكيل

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية فى البلقان :

ألقى الأستاذ ساطع الحصرى يوم السبت المحاضرة الثانية من سلسلة محاضراته التى يلقيها فى الجمعية الجغرافية الملكية . وكان موضوع هذه المحاضرة «نشوء الفكرة القومية فى النمسا والبلقان — تأثير اللغة والتاريخ والكنيسة فيها» .

وقد عنى الأستاذ فى هذه المحاضرة بإبراز تأثير اللغة فى بعث القوميات تأييداً لما أبداه فى المحاضرة السابقة من ترجيح كفة النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حى روحه اللغة ، ضد النظرية الفرنسية التى ترى أنها إنما تقوم على مشيئة الأمة ؛ ولذلك استعرض دول البلقان مبينا ذلك فى كل واحدة منها ، فاليونان كانت موحدة اللغة والثقافة بفضل الكنيسة التى تركها العثمانيون حرة فى شعائرها ، وقد حفظت الكنيسة اللغة اليونانية وثقافتها فى بلاد اليونان بل نشرتها فيما جاورها من البلاد ، ولهذه الوحدة اللغوية الثقافية التى يضاف إليها التاريخ القومى وجهود الكنيسة كانت بلاد اليونان مهيأة لنشوء الفكرة القومية فيها ومستعدة للثورة فى سبيل استقلالها وقوميتها ، فلم تكن الثورة تنتظر غير الإشارة . وفى بلغاريا كان الأمر على عكس ذلك ، لأن الكنيسة اليونانية كانت هى المتسلطة على البلاد البلغارية بسلطانها الدينى الذى يستتبع فرض اللغة اليونانية فى الصلاة وسائر الشعائر الدينية وفى كل ما يمت إلى الثقافة ، ولم تكن اللغة البلغارية ذات أدب ولا ثقافة ، بل لم يكن لها نحو ولا صرف ، وفى أوائل القرن التاسع عشر بدأت الجهود تتجه إلى ترقية اللغة البلغارية واستعمالها فى الدين والثقافة ، أى الاستغناء بها عن اليونانية . وجاهد البلغاريون فى هذا السبيل رغم ما لاقوه من مقاومات وعقبات ، حتى وصلوا إلى ما أرادوا من إحياء لغتهم ، ثم التفتوا إلى كيانهم السياسى فعملوا على استقلالهم حتى تحقق .

وكذلك فعلت رومانيا فى كفاحها اللغوى مع اليونان والسياسى مع الدولة العثمانية ، وإن كانت الحال فيها تختلف عن بلغاريا من عدة وجوه ، منها التاريخ ، إذ استثمر الرومان مجد أبطالهم القديم .

أما يوغسلافيا فكانت قسمين : قسم يتبع تركيا وقسم يتبع النمسا ، وقد قامت فكرة القومية فى القسمين على توحيد اللغة . ولما ساعدت الظروف القسم الأول على الاستقلال قبل الثانى ظل يتجه نحو الاتحاد مع القسم الآخر حتى تم ذلك . وقامت فى تلك الأثناء دعوات مختلفة إلى اللغة التى يرى كل فريق اتخاذها لغة قومية . ومن ظريف ما حدث أن أحد الشعراء صنع مخطوطات طبقاً للغة التى يدعو إليها وادعى أنها ترجع إلى القرن الثالث عشر ، واحتال حتى أظهر أنها كانت محفوظة فى سراديب إحدى الكنائس ، وجعل ينشد الشعر ويكتب الأقاصيص على أوضاع لغة هذه المخطوطات ، وتنبه له بعض المعارضين ، ولكن بمضى الزمن سار الجميع عليها .

وهكذا كانت اللغة هى أساس القوميات فى دول البلقان ، وكان النزاع الكنسى يدور حولها ، فلم يكن ثمة اختلاف فى العقائد ، ولكن كانت اللغة هى الغاية . وبين الأستاذ ذلك أيضاً بوصف حالة البلاد التى تقع بين دول البلقان وهى بلاد مقدونيا ، فقد كانت مختلفة فى اللغات على حسب موقع كل منها من الأمة التى تجاورها — وصف الأستاذ حالة التنازع بين هذه البلاد فى مراحله المختلفة ، بسبب اختلاف اللغة ، ولم ينته هذا التنازع حتى تقسمت الدول المجاورة تلك البلاد ، وأخذت كل دولة منها ما يماثلها فى اللغة .

ثم قال الأستاذ : أيد الفرنسيون نظريتهم بسويسرا ، إذ قالوا إن الأمة السويسرية شاءت أن تكون أمة فكانت ، على الرغم من تعدد لغاتها ، والواقع أن سويسرا بلاد كثيفة السكان بخلاف مقدونية وهى تتبع فى نظام حكمها أن يقوم كل إقليم بنفسه فى الإدارة ، والقضاء وغيرهما ، والحكومة المركزية إنما تنظم العلاقات الخارجية . وقد ساعد موقع البلاد الجغرافى على المحافظة على كيانها وحيادها ، لأنها محاطة بدول كبيرة مصلحتها فى أن تبقى سويسرا على الحياد ، وهنا شبه الأستاذ اللغة فى القومية بجاذبية الأرض ، فكما أن المصباح المعلق لا يلتصق بالأرض

والدخان يصعد إلى السماء ولا يهبط إلى أسفل ، دون أن ينقض ذلك جاذبية الأرض — كذلك القومية فى سويسرا ، تقتضيها عوامل أخرى غير اللغة ، ولكن هذا لا يدفع أن اللغة هى أساس القومية وروحها .

هذا هو الإنسان :

لا يستطيع متتبع الآداب أن يغفل ذلك المقال الذى كتبه بالأساس الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقتل غاندى ، فهو مقال لا يظفر الناس بكثير من أمثاله ، وخاصة فى هذه الأيام التى أصبحت الأقلام فيها تجرى على الصفحات لمجرد ملئها بأى كلام . قتل غاندى فى هذا الأسبوع ، فكتب كاتبون ونظم شعراء . وقرأت لهؤلاء وهؤلاء ، فلم أقع على مثل ما كتب العقاد .

قال فى تصوير هذا الحادث : « لم يحدث قط أن ترتفع يد بالشر إلى رجل لا يسفه الأحلام ولا يبشر بغير الإسلام ، رجل فى الثامنة والسبعين يكف الشر فى النفوس بوقار سنه وضعف شيخوخته وطيب سكينته واستسلامه رجل يدين بما يدين به قاتله المتعصب لعقيدته . وقصارى ما تنتهى إليه تلك العقيدة — عند ذلك القاتل التعس — أن قتل البقرة حرام ، وأن قتل القديس العظيم مباح » .

وقال : « قيل منذ أيام أن قذيفة ألقيت على غاندى فنجا منها . فوقع فى الأنفس أن نجاته من تلك القذيفة من أحداث الطبيعة لا غرابة فيه ... كأن المادة نفسها تهاب أن تمضى بالأذى إلى هيكل ذلك الروح ... كأن القذيفة ترتد — ولا تستطيع إلا أن ترتد وحدها — عن القداسة التى أخضعتها ، ولم تخضع لها قط فى تجارب الحياة . فلما قيل إنه قتل بيد إنسان ، قد والله سألت : .كيف تحركت عضلة فى جسد بشرى بضربة قاتلة لذلك الشهيد؟ قد والله سألت عن اليد التى لا تعقل ، لأنها كانت خليقة أن تعجز عن الحراك إذا سيمت مثل هذا الحراك الذى يشذ عن كل قانون ... ولم أسأل كيف سولت نفس ولا كيف هجس ضمير ، لأن من الهول الهائل أن يدخل مثل هذا الجرم فى حساب نفس أو ضمير » .

وقد بلغ الغاية فى تحقير القاتل مع الرثاء له بقوله : « ومن يقتل شرف الإنسانية كلها إلا مخلوق يخجل من إنسانيته كل إنسان ، بل كل حى من الأحياء ، وكل ضاربة من ناهشات الأبدان ، وكل ساعية من نافثات السموم . ويسألون : أى جزاء يجزى به وراء الإعدام فى جانب الوصمة الأبدية يحملها المسكين وحده فى تاريخ البشرية بأسرها . فيذكر وحده إذا ذكر الخزى الذى لا خزى مثله فى طوايا التاريخ . هذا هو الإنسان فى بؤرته السفلى . وذاك هو الإنسان فى ذروته العليا » .

ولقد دفع إلى صاحبى بهذا المقال فقرأته ، ودفعته إلى صاحبنا الثالث ليقرأه ، وقد اعتدنا أن نتناول شيوخنا بألسنة حداد فما نفلت أحداً منهم ، ولكن حينما قرأنا مقال « هذا هو الإنسان » نظر بعضنا إلى بعض وسكتنا ، لا لأنا جاحدون ، بل لأننا متفاهمون

فى تأبين هدى شعراوى :

شهدت يوم الجمعة احتفال الاتحاد النسائى بتأبين رئيسته السابقة السيدة هدى شعراوى ، وقد اشترك فى هذا التأبين أربعة من الأدباء ، اثنان من الأعلام : الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل باشا ، ألقى الأول قصيدة ، وتحدث الثانى عن أثر الفقيدة فى نهضة المرأة ؛ والآخران هما الأستاذان محمد الأسمر ومحمود أبو الوفا ، وقد ألقى كل منهما قصيدة . أما قصيدة أبو الوفا فقد كانت أدق فى تصوير شخصية الفقيدة ، وأما الأسمر فقد ساعد تعبيره الخطابى وجرس إلقائه على اجتذاب أسماع الجمهور واجتلاب استحسانه .

المرأة المصرية والعربية :

وأريد أن أتجاوز الرجال سريعاً إلى النساء ، فإن لى معهن شأناً . تكلم فى هذا الاحتفال عشر نساء ، ثلاث من العراق ولبنان وفلسطين ، وست مصريات ، وواحدة أوربية . وأريد أن أقارن بين المصريات وبين العربيات الأخريات ، وأقارن بين العربيات جميعاً وبين الأوربية .

مثلت العراق السيدة منيبة الكيلانى ، ومثلت لبنان وسوريا السيدة ابتهاج قدورة ، وألقت الآنسة تحية محمد كلمة فلسطين ، ثم تعاقب بعدهن الست المصريات ، فكان الفرق واضحاً كل الوضوح بين الفريقين ، فقد امتاز الأوائل لا بفصاحة النطق

وسلامته ونصاعه الأسلوب فحسب ، بل كذلك بالبراعة فى تصوير شخصية هدى شعراوى باعتبارها زعيمة نساء العرب ، وفى التعبير عن شعورهن إزاء فقدها ، وقد شعرنا ونحن نستمع إلى كل منهن أننا أمام إنسان حى يؤدى إلينا ما يريد من فكره وإحساسه بأسلوب قويم ولسان مبين .

وقد تعمدت أن أصف أولئك الثلاث العربيات بتلك الصفات لأقول صراحة إن المصريات تجردن منها ، فالنطق عامى ، واللحن كثير ، والإعراب لا رقيب عليه ، ولا شىء وراء الكلام العادى الجامد ، بكت إحداهن — وهى سيدة كريمة لها نشاط محمود فى الخدمة الاجتماعية — وهى تلقى كلمها ، فعوضت بلاغة بكائها من قصور كلامها .. ونابت إحداهن عن خريجات الجامعة ، فلم تكن خيراً من الباقيات .

ولقد جنى العربيات على المصريات اللائى لا أراهن جديرات بأن يوصفن بأنهن عربيات ، لأن الأوالى لولم يشتركن فى هذا التأبين لسمعنا من نسائنا وغفرنا لهن قائلين : إنهن جنس ناعم واللغة العربية خشنة . . ألسن يتحدثن بالفرنسية الرقيقة .. ؟ ولكن العربيات وصفت ألسنتهن رقة اللغة العربية وسحر بيانها وبدت المصرية بجانبهن فى صورة المتخلفة عن ركب النهضة العربية ولن تكون سائرة فى هذا الركب حتى تجيد لغتها وتعالج بيانها .

ومن العجيب أن المرأة المصرية المتعلمة خطت خطوات واسعة فى نواحى الحياة المختلفة ، ولكنها ما تزال على عجمتها لا تكاد تبين وتنتظر فى ميدان الأدب فلا نرى إلا عدداً لا يبلغ حد المجمع إلا بالتساهل .

فلم لا تتعلم المرأة المصرية اللغة العربية ... ؟ إنها ما دامت لا تقوم لسانها بلغة قومها ستظل شخصيتها ناقصة ، ولن تكمل إلا حين تستحق أن توصف بأنها عربية .

وقد مثلت الاتحاد النسائى الدولى السيدة (مالانير سبليه) وكيلته ، فارتجلت كلمتها ، وتخلصت بالارتجال من قيود القراءة ، وواجهت الجمهور بكل قواها الخطابية . وأنا لم أر بعد امرأة عربية ترتجل بلغة فصيحة ، أما الرجال فمنهم من يقرأ وكثيرون يرتجلون ، وقد كان موقف هذه السيدة الأوروبية قوياً بالقدرة على الخطابة بلغتها مرتجلة ، فبدا الفرق كبيراً بينها وبين من تحبر أو يحبر لها ، ثم يتعثر لسانها فى الإلقاء !

صدى من لبنان :

يذكر القراء ما كتبته فى النهج الذى سلكه أخيراً فى الكتابة الأستاذ توفيق الحكيم ، وقد رجع إلينا الصدى من لبنان فى مجلة الأديب (عدد فبراير) قال :

« رد الأستاذ توفيق الحكيم على الذين ينعون عليه ، بأنه ودع الفن يوم ترك برجه العاجى وانحط إلى مستوى الجمهور ، بقوله : يجب على الفنان نفسه أن ينزل السفح إليهم ... يهدينا إلى ذلك فعل المبدع الأعظم لهذا الكون ... لقد أراد وهو فى عليائه أن يبلغ الناس رسالته فلم ينتظر منهم أن يصعدوا إليه فأرسل إليهم رسولا أو نزل هو نفسه فتجسد فى المسيح كما هو القول عند المسيحيين . وبهذا التشبيه البعيد يعتقد الحكيم بأنه أقنع الناس بسر فعلته » .

« العباس »



فى كتابة التاريخ :

(إلى الأستاذين عبد الرحمن الرافعى بك وعباس محمود العقاد)

من بضعة أسابيع نشرت مقالا بعنوان « اللغة العربية تصارع » أطريت فيه يداً أسداها للضاد الأساتذة سعد زغلول باشا والدكتور عبد السلام ذهنى بك وعبد الحميد عبد الحق ، فقد كان للأول فضل تعميم العربية فى معاهد الدرس بدل الإنجليزية ، وكان للثانى يدٌ طولى فى إقرار مبدأ المرافعة بالعربية فى محاكم الاختلاط ، وانتصر ثالثهم لاستخدام العربية فى شركات التجارة وبيوتات المال .

وحسبت حين نشرت ذلك المقال أنى لم أزد على أنى استقيت من التاريخ بعض وقائعه ونسجت حولها خيوطاً جعلت منه وحدة أدبية تفضل الأستاذ العباس بنعتها « بمقالة نيرة » .

ولكن أديباً — هو الأستاذ عزت المنشاوى — عقب على مقالى فى جريدة منبر الشرق ، مشككا فى فضل سعد زغلول على اللغة العربية ، مستشهداً على ذلك بما أورده الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك فى كتابه « مصطفى كامل » ، وهذا نصه :

« واشتد الفقيد (مصطفى كامل) فى نقد سعد باشا حين طلبت الجمعية العمومية من الحكومة فى مارس سنة ١٩٠٧ جعل التعليم فى المدارس الأميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ باللغة الانجليزية ، فاعترض سعد باشا وألقى خطبة طويلة فى هذا الصدد سوغ فيها جعل التعليم باللغة الانجليزية قائلا : إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعاً لشهوتهـا ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة ... وقال : إذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا ، فاننا نكون أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا فى الجمارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح المديدة المختلفة التابعة للحكومة . »

ومن ثم عدت إلى كتاب « سعد زغلول . سيرة وتحية » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد لأستفتيه فى هذا الأمر وأقف على ما أورده فى هذا الصدد ، فلم يخرج ما قاله العقاد عما أودته فى مقالى ، وهو ما أجمع عليه المؤرخون من أن لسعد زغلول فضل تعميم العربية فى المعاهد ، وإليكم نص ما جاء فى كتاب العقاد :

« ومن أجل الأعمال التى قام بها سعد فى وزارة المعارف وجازف من أجلها بمنصبه وبحسن العلاقة بينه وبين الأقوياء عملان : أحدهما كان مغضباً للانجليز ، والآخر كان مغضباً للخديو وأتباعه من الشيوخ الأزهريين ...

« نقل التعليم من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية ، فأغضب الانجليز أشد الغضب واحتاج إلى تذليل عقبات أخرى غير عقبات المقاومة السياسية ، وهى تحضير الكتب وتحضير المدرسين وتهيئة الجو للتدرج من نظام متغلغل متشعب مضت عليه خمس وعشرون سنة إلى نظام طارىء لا يزال فى دور التمهيد ، محتاجاً إلى المعدات والمنفذين »

* * *

فنحن إذاً أمام روايتين غير متطابقتين ، يقول بالواحدة الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعى بك ، ويقول بالثانية الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد . وهذه واقعة تاريخية لا يجدى المنطق فى إثباتها إن كانت باطلة ، أو تفنيدها إن كانت صائبة . ولذلك أرانى مناشداً الأستاذين الكبيرين أن يفيضا — على صفحات الرسالة إذا تسنى ذلك — فى تبيان ما عندهما من ملابسات لهذه الحادثة التاريخية لنستطيع أن نخلص برأى أيا كان محوره .

وما دمنا بصدد هذه الواقعة التاريخية ، أذكر ملاحظتين قد تكونا ممواناً فى فهم النهج الذى يتبع فى كتابة التاريخ القومى فى مصر .

وأول الملاحظتين أن شيخاً كبيراً فى المقام عاشر التاريخ المصرى فى القرن الأخير « وعاش » معظم وقائعه قال لى — وهو اليوم عضو فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية — إنه يقسم بأن التاريخ المصرى المطبوع حافل بأخطاء لا حصر لها ، وأنه دأب على أن يسمى التاريخ المصرى « تاريخاً لوابياً » لأنه دائم الانحراف

عن الحقيقة بسبب عدم تدوينه فى حينه ، وإرجاء مهمة التأريخ إلى ما بعد انقضاء زمان بعيد على الأحداث المرجو تأريخها .

وقد ألححت على هذا الشيخ فى نشر مذكراته إنصافاً للتاريخ وللواقع ، فتأبى متعللا بأنه بلغ من طول العمر وشدة الهزال مرتبة لا تمكنه من الرد على ما يتعرض له من حملات إذا ما رأت مذكراته ضوء النهار فى حياته .

للشيخ الكبير من المقام ومن العلم ومن الثقافة ما يجعلنى أتردد كثيراً قبل أن أحكم ببطلان رأيه . هذه ملاحظة .

أما الملاحظة الثانية ، فلعلها لم تبرح بعد مخيلة القارئين ، لأن الصحف ما فتئت تتناول موضوعها من جوانب شتى .

فقد عرف القاصى والدانى ما حل بمصر فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، وكنا نحسب من عامين أو ثلاثة أن تاريخ تلك الواقعة قد سجل فملا ، ولم يعد هناك مزيد لمستزيد . بيد أنه اتضح أخيراً من محاكمات المتهمين فى قضية الجرائم السياسية أن فى جعب الساسة كثيراً من البيانات المستورة ، وأن الحادث لا يزال حتى الآن غير واضح وضوحاً تاماً .

أولا يحق للمرء أن يسأل : إذا كان هذا الحادث التاريخى الذى حدث من خمسة أعوام أو ستة لا يزال موضعه فى التاريخ بين شد وجذب ، فكيف يكون الحال إذا بعدت الشقة بين الحادث والمؤرخ ، وامتدت المسافة بين الواقعة والمسجلين لها ؟

وبعد ، فلعل الأستاذين الجليلين العقاد والرافعى بك يتفضلان — مشكورين — باطلاع القراء على ما يعرفان عن فضل سعد على اللغة العربية — أو إساءته إليها ، لأن من حق الجيل الجديد أن يعرف حقيقة أمر تضاربت فيه الآراء .

وديع فلسطين

فى أدب المهجر :

أشكر للأستاذ مناور عويس هذه اللفتة الحيدة للتحدث عن أديب المهجر الكبير ميخائيل نعيمه الذى رفع منارة الأدب العربى فى الدنيا الجديدة هو وإخوانه الأدباء من مهاجرى العرب . والحديث عن ميخائيل نعيمه وإخوانه ممتع لأنه يتصل بالشاعرية التى تمردت على القيود الكلاسيكية القديمة وانطلقت حرة فى الفضاء إلا من المعانى السامية واللمحات الدقيقة ومنذ زمن مضى وأنا أتطلع إلى أدباء الشرق لعلهم يتحدثون عن تلك النهضة المهجرية ويشيدون بمفاخر إخوانهم هناك وينشرون فى الجيل الجديد هنا ما كتبه أولئك وما نظموه ، فهناك نثر ، وهناك شعر ينبضان بالحياة المشرقة الضحوك ، ويفيضان بالإبداع الذى يماشى الحياة فى موكبها النشيط لأنهما يتدفقان من ينبوع الواقع ، وينبعثان من الوعى والوجدان ، ففيها فلسفة ، وفيها حب وغزل ، ودعوة للانسانية المثالية الشاملة .

ما أكثر إنتاج نعيمه ، والريحانى ، وجبران ، وإيليا ، وإلياس فرحات ، ونسيب عريضه ، وأمين مشرق ، وغيرهم ، ولكن هذا الإنتاج على كثرته وقوة الإبداع فيه لم يكن له ذلك الصدى المحسوس فى دنيا الشرق إلا قليلا عند من ترسموا خطى المهجريين وتابعوا سيرتهم ، وإذا كان بعض مؤلفات جبران والريحانى ، وقصائد نعيمه وإيليا قد أخذ نصيبه من الذيوع والانتشار فى ربوعنا فليس ذلك بكاف فى التتبع والدراسات الصحيحة ، فهناك غير هؤلاء من الشعراء والكتاب قد ملأوا الدنيا الجديدة بعصارة عقولهم وقلوبهم ، ونشروا عليها أجنحة صافية من أخيلتهم السمحة ، وليس أدل على ذلك من الصحف الكثيرات التى يصدرها إخواننا المهجريون فى ديار الغربة أمثال مجلة « الشرق » و « العصبة » و « السمير » و «الهدى» وأمثال جريدة « البيان » التى كانت بحق لسان القومية العربية الغرب وقد قرأت من هذه الجريدة أعداداً كثيرة يوم كانت تصل إلى العراق قبيل الحرب ولا أغالى إذا قلت : إنى لم أجد من بين صحفنا العربية هنا ما يشبهها حماسة وعروبة ودفاعاً عن البلاد العربية .

وحتى الأدب الشعبى كان له نصيب كبير من جهود المهجريين فقد كانت جريدة «أبجد هوز» التى يصدرها ناصر شاتيلا أروع مثال لهذا اللون الفكه فقد كان فيها نقد لاذع وفكاهة ممتعة باللسان اللبنانى المحلى ، وأجمل ما فيها تلك المحاكمات التى تعقدها لمحاسبة الأدباء فتخلط الهزل بالجد والنقد بالفكاهة ، ومن الظريف أن تعرف — وإن كان خروجاً عن الموضوع — أن للشعر الشعبى قيمة ليست قليلة عند المهجريين وقد تدخل هــذا الشعر فى الإعلانات عن البضائع والمتاجر واشد ما يضحكك أن تقرأ البيتين الآتيين على لسان بنت تخاطب أمها :

تا أحلى بعين الشبان بلكى حــد إينحطبى
يا أمى بدى فســتان من حرير لويس كنزى

وهــذا اللون من الإعلانات بالشعر العامى يرجع بك إلى التاريخ العربى القديم فى قصة « المحلق » عند ما كسدت سوق بناته فلم يخطبهن أحد فاستضافه الأعشى وأطعمه وسقاه ثم طلب

إليه أن يشيد بذكره فكانت تلك القصيدة المشهورة التى منها فى وصف نار المحلق :

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

ثم كان بعدها زواج بنات المحلق بأصدقة عالية . وفى قصة بائع «الخُمُر» حين لم يجد من يشترى شيئاً من بضاعته فاستنجد بأحد الشعراء وكانت تلك القصيدة التى منها :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ما ذا فعلت بناسك متعبد

وأما مجلتا «الشرق» و«العصبة» فإنهما أسمى مثال للفن الصحفى العالمى من حيث الطباعة والإتقان وأسمى مثال للأدب العربى فى عهده الحاضر من حيث التطور الفكرى والإبداع فى الشعر والنثر .

هذه لمحة استعراضية عن جهود إخواننا المهجريين فى بعث الأدب العربى والدعوة إلى العروبة فى المهاجر الغربية وتركيزها على قاعدة التطور ومماشاة الزمن .

أفلا يجدر بهذا الأدب أن يأخذ نصيبه فى مناهج الأدب الشرقى ومعاهد التعليم فيه ونشره بين الشباب المتطلع إلى الحياة الجديدة ، ثم ألا يجدر بهذا الجيل أن يضيف إلى معلوماته عن امرئ القيس ، والمتنبى ، وشوقى ، والرصافى شيئاً عن جبران وميخائيل وإيليا ؟ .

إن مناهجنا التعليمية ودراساتنا الحديثة تجحف أشد الإجحاف بحقوق المهجريين بل بحقوق الأدب العربى والناشئة الحديثة ، وليس ذنب هذا الأدب إلا أنه عصارة الروح والعقل والمثل الإنسانية العليا ، وإلا كونه خالياً من الزخرف والصناعة والتقاليد . وحتى المطابع والمكتبات عندنا لا نجد فيها أثراً بارزاً لأدب المهجر إلا القليل الذى لا يغنى ولا يسمن . أليس من الغريب أن تبحث عن «الجداول» لإيليا أبى ماضى فلا تجد له أثراً فى مكتبات القاهرة مع أنه قد طبع فى أمريكا والعراق .

ولعلى قد خرجت عن الموضوع وتجاوزت إلى الزيادة فى القول فلأعد مرة ثانية لأشكر الأستاذ مناور عويس على اتجاهه هذا والتنويه بأدب ميخائيل نعيمه ويسرنى أن يكون انتخابه لبعض القطع الشعرية خالياً من الحذف والتحريف ولا سيما إذا كان المحذوف شطراً فى نهاية مقطع كحذفه قول الشاعر : بخشوع جاثيه . بعد قوله : «وتجزى كنبى هبط الوحى عليه» فى قصيدة «من أنت يا نفس» .

وكذكره البيت الآتى: أنت برق أنت رعد أنت ليل أنت فجر

مخالفا لنصه الأصلى : أنت شمس أنت رعد أنت برق أنت فجر

ولعل للاستاذ عذرا فى ذلك لأنه اعتمد على «همس الجفون» وفيه بعض المغايرات لما نشر قديماً فى الصحف والمجاميع وقد يكون ذلك من رأى الشاعر نفسه . ومهما يكن من شىء فإن هذه تبعات لا يؤاخذ عليها الكاتب الفاضل إلى جانب اهتمامه بالأدب المهجرى وخصوصاً أدب مخائيل نعيمه.

إبراهيم الوائلى

اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة

بعثة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

تعلن اللجنة أنها ستوفد إلى انجلترا فى شهر مارس سنة ١٩٤٨ بعثة من ثلاثة مهندسين للتخصص فى الاذاعة اللاسلكية لمدة سنة ونصف منها سنة بشركة ماركونى وستة أشهر بمؤسسات بعثة الاذاعة البريطانية .

ويشترط فيمن يتقدم لهذه البعثة أن يكون حاصلا على بكالوريوس الهندسة قسم الكهرباء من الدفعات الثلاث الأخيرة (١٩٤٥ — ١٩٤٦ — ١٩٤٧) بدرجة جيد جداً على الأقل والا تزيد سنه فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ على ٢٨ سنة

فعلى من يرغب فى ترشيح نفسه لهذه البعثة أن يملأ الاستمارة الخاصة بذلك والتى يمكن الحصول عليها من إدارة التوريدات بوزارة المعارف بالقاهرة أو من جامعة فاروق الأول بالأسكندرية نظير دفع ٦٠ مليما ويجب على الطالب أن يقدم مع الاستمارة بيانا بدرجاته فى جميع سنى دراسته بالكلية مصدقا عليه منها ثم يرسل طلبه بعد استيفائه مسجلا بالبريد باسم حضرة صاحب المعالى رئيس اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة بوزارة المعارف وذلك إذا كان الطالب غير موظف فى الحكومة أما إذا كان موظفاً فيها فيجب أن يقدم طلبه عن طريق المصلحة التى هو تابع لها وفى كلتا الحالتين يجب ألا يتأخر وصول الطلب إلى سكرتارية اللجنة عن ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ ولن يلتفت إلى أى طلب لا يقدمه صاحبه على الاستمارة المذكورة فى الميعاد المذكور .

٨٨٥٠



معالم تاريخ الانسانية

للكاتب الانجليزى هـ . ج ويلز

ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق

المدرس بمدرسة مصر الجديدة الثانوية

ليس بين المثقفين من يجهل كتاب « معالم تاريخ الإنسانية » للكاتب الإنجليزى هـ . ج . ويلز الذى أصدره بعيد الحرب الكبرى الماضية ، وترجع شهرة هذا الكتاب القيم إلى أن ويلز عندما فكر فى المنازعات الدائمة والحروب المستمرة التى تخوضها الجماعات البشرية ، أدرك أنها إنما تعود إلى العصبية الدينية أو العنصرية أو الإقليمية ، وأنه لا سبيل إلى تقارب هذه الجماعات إلا بإيجاد مستوى سام من الثقافة تشترك فيه جميع الأجناس . وإلا بإعادة النظر فى التاريخ وكتابته من جديد كتابة موضوعية تبرأ من شوائب العصبيات وتقوم على أساس العلم الصحيح ، رابطة الأسباب بالمسببات ومسايرة ركب الحضارة فى نشأتها وتطورها حتى استقرت على حالها الذى نراه اليوم فى النزوع إلى التوحد وترسيخ المبادئ الديمقراطية وإقرار حقوق الإنسان وصيانة كرامته . فانطلق ويلز يؤسس كتابه هذا على مبادىء هذه الدعوة الشريفة .

« ومعالم تاريخ الإنسانية » هو حجر الزاوية بين مؤلفات ويلز الكثيرة التى عكف فيها على دراسة مشكلات الجماعة الإنسانية ، والتى ربط فيها بين تاريخ الإنسان وتاريخ الحياة على تعدد صورها وأشكالها .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى جميع اللغات الحية تقريباً وتأخر نقله إلى العربية حتى نهض الأستاذ عبد العزيز توفيق فترجمه فيما تيسر له طيلة أربع سنوات من كل ليل وكل نهار كما يقول فى المقدمة . وها هى لجنة التأليف والترجمة والنشر تصدر المجلد الأول منه ، حاوياً ثلاثة من أجزاء الكتاب الثمانية .

ولعل هذا المجلد الأول هو أعسر الأجزاء وأشقها على المترجمين لأنه يتناول الحقائق الفلكية والجيولوجية ويضم المعارف المتصلة بالحياة على الأرض قبل الإنسان ، ويفحص آثار الإنسان البدائى ، ويظهر كيف نشأت أجناس البشرية وتفرقت لغاتها ، وكيف تفتق الذهن الإنسانى عن عمليات التفكير مذ صارت له لغة . وكيف انتقل التفكير بالإنسان إلى البحث البدائى فى الاديان والفلسفة . وكيف نشأت الزراعة والرعى والملاحة . ويتتبع المدنيات الأولى من آشورية وبابلية ، ومصرية ويونانية ، ويبين خصائص هذه المدنيات ومظاهرها ويتغلغل فى مجتمعاتها . فالكتاب كله تاريخ اجتماعى للانسان . ولهذه الأبواب مصطلحات علمية لم ينقل بعضها إلى لغتنا العربية بعد ، أو لم يتفق المترجمون عليها . وقد بذل مترجم هذا السفر عناء كبيراً فى نقل هذه المصطلحات .

وويلز وإن كان علمى النشأة والتربية والنظرة ، إلا أنه صاحب أسلوب ممتاز ، جعله فى الطليعة من كتاب عصره وأدبائه ، وهو يعالج التاريخ فى هذا الكتاب بطريقة علمية لم يسبق أن تهيأت لغيره من كتاب التاريخ . والذين يطالعونه يقدرون له هذه المزية فضلا عن الأصالة فى التناول والآداء ؛ وهو إلى ذلك يقدم إلى القارىء ضروباً من التشويق والامتاع لا نظير لها فى كتاب آخر من كتب التاريخ العامة والخاصة على السواء . نرحب كل الترحيب بهذا الجزء راجين أن تبادر لجنة التأليف إلى إصدار أجزائه الأخرى ليأخذ مكانه اللائق به فى المكتبة العربية وهى أحوج ما تكون إليه وإلى أمثاله من جليل المؤلفات ، مقدرين للمترجم ما بذل فى تعريب هذا المؤلف الضخم من عناء وجهد . وبعد فهذا كتاب جليل يجب ألاّ تخلو منه مكتبة كل أديب وكل مثقف .

الخفيف

الخزف الاسلامى المبكر

تأليف الأستاذ أرنلين

يعتمد مؤرخو الحضارات على الخزف لقياس مدنيات الأمم ، فهو من أولى الصناعات التى تمتزج بحياة الإنسان وتتصل بأهم أسباب معاشه ، أعنى بها طعامه وشرابه .

والشرق موطن الخزف كما هو موطن الحضارات والثقافات .

ولما كانت الحضارات تستقر أولا على ضفاف الأنهار — والنيل أقدمها وأعرقها — فقد رأينا المصريين القدماء يحرزون قصب السبق فى صناعة الخزف بل لقد توصلوا إلى استخدامه فى تزيين جدران إحدى قاعات الدفن فى هرم زوسر بسقاره فى أواخر الألف الثالث قبل مولد المسيح ، وهو أقدم ما نعرف عن استخدام الخزف فى تغطية الجدران ، بل لعله أقدم ما نعرف عن الخزف المطلى بالمينا جميعاً .

لهذا اهتم العلماء بالخزف فكتب عن الخزف الإسلامى من المصريين على بك بهجت ، ثم الدكتور زكى محمد حسن . ومن المستشرقين فييت و كونل ولام ممن خدموا جامعة فؤاد الأول ، وغيرهم كثير لا داعى لذكرهم ، حتى وصل إلى أيدينا أحدث المؤلفات بقلم الأستاذ آرثرلين أحد رجال متحف فكتوريا والبرت

والمؤلف عالم وقف دراساته على الخزف ؛ فكتب عن الخزف اليونانى والخزف الفرنسى ، ثم ها هو يكتب عن الخزف الإسلامى فيلم به إلماماً شاملا هادئاً ، ويعالج المشاكل القائمة فى تاريخ الفن بقوة ، ويطلعنا على تمكنه ورسوخه ، فلا يدفع به البحث إلى مزالق الهوى كما حدث للأستاذ بتلر فى مجلده الضخم « الخزف الاسلامى » .

وتناول المؤلف الدول الإسلامية فى مواطنها كلا على حدة ، فيما بين حدود الهند ووادى النيل ؛ فيبدأ بترجمة سريعة للنهضة الفنية والأحداث السياسية التى مهدت لها وأحاطت بها ، ثم يعكف على الأساليب الفنية فى صناعة الفخار والخزف ونقشه وتزيينه وتلميعه بالمعادن والمينا فيقتلها بحثاً ، ثم يعرض لنا المراحل المختلفة التى يمر بها كل لون من ألوان هذا الفن الجميل من ناحية الصناعة ، ويكشف عن المواد الأولية ومزجها وحرقها والتصوير عليها حتى تخرج تحفة فنية .

والأستاذ (لين) منصف للفن والفنانين ، فهو يحدثنا عن التأثيرات الفنية الغريبة عن الإسلام كالبيزنطية والساسانية والصينية ، وكيف تمكن المسلمون من استيعابها جميعاً ومزجها مزجاً هيناً لطيفاً وكيف أضافوا إليها من ذوقهم الحساس وروحهم الشاعرة حتى أخرجوا منها عصارة فنية طيبة تفوح بأريج عبقرية الفنان المسلم . وكيف رسم الفنان المسلم خطوطاً واضحة لفنه تخلق له طابعاً فذاً فريداً له مميزاته الخاصة وشخصيته الواضحة ثم يخلص المؤلف من هذا إلى المقارنة بين مختلف المدارس الفنية فى العالم الإسلامى فيبين خواصها ومميزاتها بوضوح وجلاء بعيدين عن التعقيد الذى يعمد إليه عادة الفنانون .

ويؤمن الكاتب بالرأى القائل بأن الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن استعمال الذهب والفضة كان لها أكبر الأثر فى سمو هذه الصناعة وبلوغها ذروة المجد : فإن الخلفاء التمسوا فى أوانى الخزف ما يختلف ما دته عن الذهب والفضة ولا يقل عنها رقة وفخامة وجمالا . ثم ما صحب عصر « النهضة الإسلامية فى دولة بنى العباس من تشجيع للعلوم والفنون ، جذب إلى بغداد وسامرا عباقرة الخزفيين من جميع بقاع العالم الإسلامى وأنشأوا مصانعهم حولها وأغدق عليهم الخلفاء ما شجعهم على التفنن والأتقان » .

أما فى مصر الفاطمية فللمصريين فخر إنشاء مدارس فنية تتمتع بذاتية لامعة تنافس بها سائر المدارس حتى فى إيران نفسها ، وقد أصيب فنان الفاطميين برعشة من رعشات الفن الوافدة أوحت إليه من خزف الصين الذى كان زهرة أسواق الخزف فى العالم .

وأما من ناحية موقف الإسلام من التصوير ، فقد وافق على الكراهية التى أشاعتها الأحاديث الشريفة ولم يأت خبر تحريمها فى القرآن الكريم . على أن الخلفاء لم يتقيدوا كثيراً بهذه الكراهية ، سواء فى ذلك السنيون والشيعة .

ولما بدأ المغول يكيلون للضربات القاسية المتلاحقة للعالم الاسلامى فى مطلع القرن الرابع عشر وقف بنا البحث عند هذا الحد . فقد انتهى المؤلف من الكلام عن الخزف الإسلامى المبكر ويعدنا بأن يتناول ما يلى ذلك فيما يتبع من مؤلفات .

وبالكتاب أكثر من ٢٥٠ صورة ضوئية — أربع منها ملونة كما فى الأصل — مبين عليها مقاسات التحف وتاريخها وأماكن عرضها . وقد أخرجته مؤسسة (فابر أند فابر) إخراجا لا يقل أناقة عما كنا نراه من كتب ما قبل الحرب الأخيرة التى كانت السبب فى حبس التحف فى المخابىء ، وتعطيل الانتاج الفنى طوال هذه السنين .

ولنا أن نزجى التهنئة إلى الأستاذ المؤلف لتوفيقه فى بحثه الذى يهم كل متتبع لسيرة الحضارة الإسلامية وإنتاجها الفنى الفياض وكل مشتغل بالفن أو كاف به .

مصطفى كامل إبراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

حياتنا اليومية وعلاقتها بالقانون

تأليف الأستاذ كامل البهنساوى بك

القاضى بمحكمة مصر المختلطة

ليس أدل على صدق القول المأثور « يعرف الكتاب من عنوانه » من هذا الكتاب وعنوانه « حياتنا اليومية وعلاقتها بالقانون » وقد أذاعه مؤلفه الفاضل بالراديو قبل أن يضم فصوله فى كتاب تتداوله الأيدى ، وهو ينبه فيه إذهان الناس إلى حقوقهم وواجباتهم ، ويرشدهم إلى السبيل الموصل إلى معرفة مالابد من معرفته لأوليات القانون ، فقد شرح المؤلف أهمية القانون وعلاقته بالناس ، وبسط معنى « الحق والواجب وأساسها وعلاقتهما بالقوة »

ثم نظر نظرة إجمالية تاريخية تشمل الأدوار التى نشأت فيها علاقة القانون بعلم الاجتماع والأطوار التى تحول إليها ، وتكلم فى « كيف بدأ الإنسان يعرف حقوقه وكيف تكونت هذه الحقوق ، وإن القواعد القانونية هى فى حقيقتها إما اقتصادية أو أخلاقية ، وقد تقرر لها جزاء مادى يسمى بالاكراه الاجتماعى ، وهذا الجزاء إنما هو رد فعل فى نفس الجماعة ضد المخالف لها ، وأساسه شعور الفرد بالعدالة وإيجابها على أهل بيئته » .

وحدثنا عما أفضى إليه التطور فى الدولة الواحدة من وجود السلطات الثلاث التى تسيرها وهى ، التشريعية والقضائية والتنفيذية ؛ ثم نظر نظرة فى مختلف الشرائع القديمة والحديثة المتولدة من عوامل الثقافة الاجتماعية كالشريعة اليونانية والرومانية والإسلامية ثم الفرنسية ، وعن النظام الحكومى الذى يتولى خدمة القوانين وتعديلها وتنقيحها وتطبيقها وتفسيرها بما تقدم به السلطات التشريعية إصداراً ، والقضائية تفسيراً ، والتنفيذية إجراء وتطبيقاً ثم أوضح ما انتهت إليه الحال فى مصر بعد تقرير الدستور فيها من تقديس سلطة الأمة ، وشرح شرحاً جلياً الجهاز الدستورى والبرلمانى ، وذكر كيف جمعت القوانين فى مصر .

فى الكتاب فصلان : الأول فيما آل إليه القضاء فى مصر من مدنى وتجارى وجنائى بعد أن كان محصوراً فى المحاكم الشرعية إلى أن تولى حكم البلاد محمد على الكبير ، وما كان من إنشاء مجلس الأحكام ، ثم فى قيام المحاكم المختلطة فى عهد الخديو إسماعيل والمحاكم الأهلية وما كانت هذه المحاكم الوطنية فى بدئها وما انتهت إليه اليوم . والثانى بيان لأقسام القوانين من الضابط للرابطة الأولى فيما بينها ويسمى القانون العام ، ومنه يتفرع القانون الأساسى ، أى الدستور والقانون الجنائى ويلحق بهما تحقيق الجنايات ؛ إلى القانون الخاص ، ومنه يتفرع القانون المدنى والتجارى ويلحق بهما قانون المرافعات .

ثم شرح واف فى القانون المدنى ، والبحث فى طبيعة الأموال المنقولة والثابتة والفرق بينهما ، والحقوق التى يمكن أن تقرر عليها وكيفية اكتسابها ، ومتى تكون ملكية الشىء صحيحة وجائزة قانوناً ، ومتى لا تكون .

وقال فى واجبات التجار « يجب على التاجر أن يمسك دفاتر منظمة ، ويمد » دفتر يومية يشتمل على بيان ماله وما عليه ، وعلى بيان أعمال تجارته ، وبيان ما اشتراه أو باعه ، أو قبله أو أحاله من الأوراق التجارية ، وما أنفقه على منزله شهراً فشهراً ، وعدد الروابط القانونية بين الناس ومنها « الشخصية ، والأهلية ، ومحل الإقامة ، والشخصية المعنوية أو الاعتبارية ، والميلاد والوفاة ، وفى المجمل لم يترك المؤلف ناحية من نواحى حياتنا وعلاقتها بالقانون لم يتناولها قلمه بالشرح الوافر والتبسيط الشامل الواضح

إن فى الناس من يتوهم أن لا حاجة به إلى معرفة القانون ، وقد أوضح المؤلف البارع فى كتابه القيم هذا وببيانه السليم بطلان هذا الوهم لأن ضرورات الحياة الاجتماعية ومستلزماتها تضطرنا إلى السير فى طريقها القديم ، وليس سبيل حياتنا الحاضرة سوى مواد مستمدة من قوانين المجتمع ومن صنع الشعب .

يقول المشرع إن القانون إدارة منظمة غايتها مصلحة الجماعة الإنسانية ، ومصلحة الفرد . ويقول الرجل غير المتشرع أن القانون أداة تحايل تمكن القوى من الضعيف والأبرع من البارع ، والغنى من الفقير ، والسيد من الأجير . ويقول رجل الفكر : الويل للأمة التى يتحايل سراتها على القوانين .

ح . ز



قلب موزع

للكاتب أنطون تشيكوف

بقلم الأديب كمال الدين الحجازى

عادت « ناديا زلينينا » وأمها من الملهى بعد أن شهدت إحدى الروايات ، وعندما دخلت غرفتها خلعت ملابس السهرة وأرخت شعرها وبدأت تكتب رسالة إلى حبيبها : « أحبك .. ولكنك لاتحبنى .. أجل لا تحبنى » ولما كتبت ذلك ابتسمت طويلا . كانت ناديا فى السادسة عشرة من عمرها ، وكانت فتاة غريرة لم يطرق الحب قلبها ، إلا أنها كانت تعلم أن « جورنى » الضابط و « جروندف » الطالب كانا يحبانها . ولكنها بعد مشاهدتها الرواية فى الملهى بدأ الشك يتسرب إلى قلبها فى حبهما لها ، وكم تمنت لوكانا يكرهانها حتى تصبح سعيدة . فما أجمل أن يحب المرء شخصاً ويتهالك فى حبه ، بينما الآخر لايبادله ذلك الحب ! إن بطل الرواية « أونيجن » كان محقا عندما كان يهزأ بالحب ! بينما كانت « تاتيانا » تؤمن به . وقالت ناديا فى نفسها : ترى لو أحب كل منهما الآخر حباً شديداً هل يكونان سعيدين ؟ لا بل اعتقد أن السآمة ستنتابهما لا محالة ! ثم واصلت ناديا الكتابة إلى جورنى : « لا .. لا تزعم أنك تحبنى .. إننى لا أصدقك ، حقا إنك شجاع جداً ، ومثقف واسع الثقافة ؟ وأنك تنظر إلى المستقبل متفائلا ، إلا أننى فتاة ساذجة لا أصلح لك ، وأنت تعتقد فى قرارة نفسك أنك لاتستطيع العيش معى . إننى لا أنكر أنك تعلقت بى وأحببتنى واعتقدت أنك وجدت فىّ فتاة أحلامك ... إلا أنك مخطىء فى هذا الاعتقاد ، وكنت تسائل نفسك : لماذا أحببت هذه الفتاة ! وإننى أعتقد أن طيبة نفسك لا تعترف بذلك وما إن أتمت كلماتها هذه حتى بكت بكاء طويلا ! ولما خف بكاؤها واصلت الكتابة « كم تمنيت أن أرتدى لباس الراهبات وأذهب إلى الدير لولا أننى أخشى ان يكون ذلك عبئاً ثقيلا على أمى . . وعندها تستطيع أن تحب فتاة غيرى . . آه كم أتمنى الموت !! » وكانت تتساقط دموعها على الطاولة وتشكل أقواساً متقطعة . ثم كفت عن الكتابة وأسندت رأسها على الكرسى تفكر ! كان جورنى جميل الخلق والخُلق ، وما أبرعه فى الموسيقى ! وكم كنت أطرب لصوته العاطفى الحنون ! كان يخفى عنى حبه للموسيقى ، ولكننى عرفت ولعه بها ، ولولم يكن ضابطاً لكان موسيقاراً عظيما ! ولما كفت ناديا عن الكتابة . تذكرته وهو يناغيها بكلمات الحب والغرام ... وفجأة شعرت أن نفسها تكتب إلى حبيبها « جرونسدف » الطالب « إنه طالب ماهر ، وكان يسهر معنا بالأمس ، وكنا سعيدين حقاً » ثم مدت ذراعيها على المنضدة وأحنت رأسها ، فتذكرت أن جرونسدف يحبها وله الحق أن ينال فى كتابتها ما هو أهل له مثل جورنى . وشعرت أن طيفاً بدأ يداعب خيالها فأحست بسرور لم تعهده قبلا وانثالت عليها الذكريات بشدة ، وقد سرى هذا السرور من صدرها إلى يديها ورجليها ، فكأن نسيما عليلا داعبها وحرك شعرها فارتجفت ذراعاها فضحكت ضحكة هادئة ، فاهتزت المنضدة والمصباح كأنهما يشاركانها الفرح !! وكانت الدموع تتساقط على الرسالة ... ثم بدأت الذكريات تتوالى عليها كرة أخرى عن الطالب وحبه لها ، فتمددت هذه الذكريات فى رأسها وتغلبت عليها وأصبحت موزعة بين جميع الأشياء ، فبينما هى تفكر فى أمها إذ بها تفكر فى الشارع وفى قلمها وفى البيانو ، وكانت سعيدة فى تفكيرها ووجدت أن كل ما يخطر على بالها حسن وجميل ! وكانت تشعر أن السعادة تناديها قائلة : « ليس هذا كل شىء . . بل ستشعرين بسعادة أكثر فى الغد ، سيهل الربيع والصيف وسيذهب الحبيبان معك إلى «جوربكى» بصحبة أمك ، وسيزورك جورنى فى عطلته ، ويسير معك فى الحديقة فينتعش حبكما ، كما سيزورك جرونسدف وستلعبان معاً لعبة الكركت ويقص عليك قصصه الحلوة اللذيذة » ...

وعندما وجدت نفسها تسير فى الحديقة وتخيلت جورنى يسير معها فى ظلمة الليل ، ترعاهما النجوم وتحجبهما الأشجار عن أعين العذال ! فضحكت لهذه التخيلات الجميلة وتمنت لو تحققت فى الحال . ثم عادت إلى فراشها ولم تدر كيف توزع سرورها وفرحها بالقسطاس فقد تغلبت عليها ! فنظرت إلى تمثال المسيح المعلق فى صدر غرفتها وقالت : « يا إلهى ... يا إلهى ، كم أقاسى! » ...

« القدس » كمال الدين الحجازى

العدد ٧٦٣ — الاثنين ١٦ فبراير ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 763

Lundi — 16 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٧٦٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسئلة في سؤالين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال عن الله ، وسؤال عن « الفاروق » خليفة رسول الله .

أما السؤال عن الله فهو من الأديب « عبدالستار شمس الدين » الطالب بالجامعة الأمريكية في بيروت ، وفيه يقول : « إن الدكتور عبد الرحمن بدوى ألقى محاضرة عن الجانب الصوفي من حياة النبي في قاعة (وست) بالجامعة الأمريكية فقال : إن محمداً رأى ربه عند ما بلغ الغاية من عبادته الصوفية ، واستشهد بالآيات التالية من سورة النجم ... « وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى » .

فإذا كان ما قال الله صحيحاً فهل الله جسم ؟ وهل هذه الصفة الجسمية تجعله واجب الوجود ؟ وهل تتعارض هذه مع الآية : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

والمشهور المتفق عليه بين المفسرين — ومنهم أهل السنة والشيعة والفلاسفة — أن المقصود بالرؤية هنا هو الروح الأمين رسول الوحي جبريل : « إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » .

فالإمام الرازي وهو من الفلاسفة يقول : « والمشهور أن هو ضمير جبريل ... والظاهر أن المراد محمد صلى الله عليه وسلم . معناه استوى بمكان — وهو بالمكان العالي رتبة ومنزلة في رفعة القدر — لا حقيقة في الحصول في المكان . فإن قيل : كيف يجوز هذا والله تعالى يقول : ولقد رآه بالأفق المبين إشارة إلى أنه رأى جبريل بالأفق المبين ؟ نقول : وفي ذلك الموضع أيضاً نقول كما قلنا هاهنا أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالأفق المبين ، يقول القائل : رأيت الهلال . فيقال له : أين ؟ فيقول : فوق السطح . أي أن الرائي فوق السطح لا المرئي » .

والشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الإمامية يقول في مجمع البيان : « معناه : ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه إليكم من الأحكام إلا بوحي من الله يوحى إليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله : علمه شديد القوى يعني جبرائيل ، أي القوى في نفسه وخلقته ، عن ابن عباس والربيع وقتادة » .

وهذا أيضاً هو المعنى المشهور بين أهل السنة من الأقدمين والمحدثين .

أما رؤية الله — من حيث هي بحث مستقل عن تفسير هذه الآية — فهي موضوع كثر فيه الخلاف بين المعتزلة والمتكلمين .

فالمعتزلة عامة يمنعون الرؤية لأنها في رأيهم لا تكون إلا للمحسوس .

والمتكلمون لا يمنعونها ، بل يجيزون رؤية كل موجود على اعتبار أن الرؤية نوع من العلم ، وأن العلم يحصل بغير اتصال النور بين الرائي والمرئيات .

ومن الفلاسفة من يوافق المتكلمين فى ذلك على هذا الاعتبار .

قال الفارابي : « الحق الأول لا يخفى عليه ذاته ، وليس ذلك باستدلال . فجائز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته ، فإذا تجلى لغيره مغنياً عن الاستدلال ، وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئياً لذلك الغير . . . وإذا كان فى قدرة الصانع أن يجعل قوة هذا الإدراك فى عضو البصر الذى يكون بعد البعث لم يبعد أن يكون تعالى مرئياً يوم القيامة من غير تشبيه ولا تكييف ولا مسامتة ولا محاذاة تعالى عما يشركون » .

ويتكلم أبو البركات هبة الله فى كتابه المعتبر عن المدركات بغير الآلات ، فيقول : « إنما يتم إدراكها للنفس بذاتها عند تجردها عن آلاتها بالتفاتها عنها إلى ذاتها » .

ثم يقول : « حتى تنتهى إلى ما يرى كل شىء ويصدر عنه وجود الأنوار بأسرها ، خفيها وظاهرها ، وعلتها ومعلولها ، فهو نور الأنوار كما هو مبدأ المبادى ، فهو أبعد من أن يرى بالعين ، وأحق بأن يرى ، لكونه الأظهر فى الوجود ، والأسبق والأحق بالوجود . فالنفس إذا تطلعت بذاتها نحو مبادئها وعادت بنظرها إلى جهة بدايتها انتهت بنظرها إليه واستعانت بمبادئها القريبة عليه » .

وبهذا المعنى يتفق المتكلمون والفلاسفة على أن رؤية الله علم لا يأتى من طريق العين كما نرى هذه المحسوسات . فليست هى ملازمة للتجسيد ولا تدل عليه . وما البصر الحسى نفسه إلا نوع من الترجمة يمثل لنا ما نحسه ولا يعطينا صورته على التحقيق ، فلا امتناع لقيام معنى الوجود الإلهى فى وجدان الإنسان على نحو من إدراك المعانى يخلو من كل تجسيد » .

ولا نعرف أحداً قال برؤية الله حساً غير جماعة المجسمة الذين يفهمون الوجه واليد كما يفهمون أعضاء الأجسام ، وهم فئة لا يؤبه لها فى العلم ولا فى الدين .

* * *

وأما السؤال عن الفاروق خليفة رسول الله ، فهو من الطالب الأديب «عبد المنعم محمد السيد» بالقسم التوجيهى بمدرسة دمياط الثانوية .

وفيه يسأل عن مهابة عمر فيقول : « أوردت فى الكتاب قصة النبى عليه السلام مع زوجته عائشة وسودة حين لطخت كل منهما وجه الأخرى بالحريرة . فضحك النبى ثم أمرهما بأن تغسلا وجهيهما حين مر عمر فناداه النبى ... وهذه القصة اختلفت أنا والأستاذ فى تفسيرها لأننى أرى أنها لا تثبت هيبة النبى لعمر — وإن كان ذلك صحيحاً — لأننى أظن ظناً يرتقى إلى مرتبة الاعتقاد أنه لو رأى رجل غير عمر ودعاه محمد رسول الله إلى منزله لأمر زوجتيه بأن تغسلا وجهيهما ... » .

ونحن مع ترحيبنا بهذه الملاحظة وتقديرنا لذكاء الطالب النجيب فى التفاته إليها ، نحب أن نلفت نظره إلى شىء غاب عنه ، وهو يتكلم عن المهابة وما إليها .

فالمهم فى وصف المهابة وما يماثلها من الأحاسيس النفسية ، كوصف الجمال أو الدهشة أو الخوف ، إنما هو فيما يقوم بالنفس من آثارها قبل كل شىء .

فإذا قال لك أحد : إننى أحببت هذا المنظر لأنه جميل ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تحب جماله ولم تشعر بأنه جميل ، وإن خالفته كل المخالفة فى تصور الجمال .

وإذا قال لك أحد : إننى دهشت لهذا الخبر ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تدهش له ؛ لأنه لا يدهش .

وإذا قال لك أحد : إننى أخاف الظلام أو أخاف الفضاء الواسع ، أو أخاف الحجرات المغلقة ، فليس لك أن تكذب خوفه ، وإن جاز لك أن تكذبه فى أمثال هذه المواضع ولا تخاف

وكذلك حين تقول لنا السيدة عائشة أنها هابت عمر وشعرت بأن النبى يهابه ، لا يحق لنا أن نقول لها : كلا . ليس فى الأمر ما يدعو إلى المهابة .

وينبغى أن نذكر فى هذه القصة — على الخصوص — أن السيدة عائشة امرأة ، وأن المرأة أحس لهذه المعانى وأفطن ؛ لأنها خلقت لتحس الرجل ، ولا سيما جانب المهابة والقوة فيه .

فإذا وقع فى نفسها أنها هابت عمر وشعرت بمهابة النبى له ، فليس للمهابة دليل نفسانى أصدق من هذا الدليل ،

وأشار الطالب النجيب إلى قولنا بعد ذلك : « إن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بها فى نصرة الحق وهزيمة الباطل وتأمين الخير والصدق

وإخافة أهل البغي والبهتان .

ثم سأل : ماذا نقصد بكلمة « أدب » بالضبط ؟ أحسن تقدير هو أم ما ذا ؟

ويبدو لنا أن الذي دعا الطالب النجيب إلى هذا السؤال ما سبق إلى فهمه من أن الأدب لا يكون إلا من صغير لكبير.

والواقع أن الأدب صفة مطلوبة في كل معاملة ، كما تطلب في أدب الراعي نحو الرعية ، وأدب السيد نحو الخادم ، وأدب العظيم نحو الصغير .

وأدب النبي هنا هو أدب المربي الذي يتعهد أتباعه ومريديه فيهيء كلا منهم لما يصلح له ، ويقوى فيه ما يصلح مع القوة ، ويضعف فيه ما ليس به صلاح له ولا لغيره . ومهابة عمر إنما هي مهابة للعدل والحق والإيمان ، فمن الخير أن يبقيها له وينتظر منها النفع للدين ومعتقديه .

وفي الأسئلة بقية ترجع إلى جملة من الكلام على صفات الفاروق ، بعد رواية ما قيل عن إقامته الحد على ولده عبد الرحمن

وهذه هي الجملة : « لو كان المصدر واحداً معروفاً بالحذق في القصص لحسبناها من وضعه وتلفيقه . ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به ، فهي أقرب إلى الواقع » .

والسؤال هو : أتقصد أنها سمعت من مصدر غير موثوق به أم أنها سمعت من أكثر من مصدر واحد موثوق به ؟

وعلى قدر ما كان الطالب موفقاً في سؤاله عن المهابة خانه التوفيق في هذه الأسئلة . فلا يمكن أن يكون المقصود مصدراً واحداً ؛ لأننا استبعدنا ذلك ، ولا يمكن أن يكون عدة مصادر غير موثوق بها ؛ لأننا نقول إنها أقرب إلى الواقع ، ولا التباس بعد هذا في المعنى لأننا ننفي وحدة المصدر ، وننفي وضعه وتلفيقه ونقول قبل ذلك عن القصة « إننا لا نستغربها في جميع تفصيلاتها إلا حين تطرأ عليها المبالغة التي تتسرب إلى كل خبر من أخبار البطولات المشهورة ... »

وبعد ، فهو على كل حال اجتهاد يدل على حب الفهم والاسترشاد

عباس محمود العقاد

من أحاديث الإذاعة : (*)

حكمة القدر

للأستاذ علي الطنطاوي

دخل علينا أمس ، وكنا جماعة في المجلس صديق لنا ، فقال : إن ابنة الأستاذ حبيب زحلاوي قد سقطت من الطبقة السادسة إلى الشارع ! فارتعنا جميعاً ، وأعظمنا الخطب ، وكنا نعرفها طفلة حلوة ملء إهابها الطهر والجمال والنشاط ، فلم نستطع أن نتصورها وهي مزق من اللحم قد اختلط بعضه ببعض ، ووجمنا وكانت سكتة لم يقطعها إلا ضحك صديقنا المخبر ، فعرفنا أنها مزحة ثقيلة من مزحاته ، وأقبلنا عليه نسبه ونشتمه ، فقال : والله ما كذبت عليكم ، ولقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم تصب بشيء ، وهي سليمة ...

فصرخنا جميعاً : سليمة ؟! قال : نعم والله . ألا تصدقون ؟ إنها وقعت على حبال الغسيل الممدودة بين الشرفتين حبال الطبقة الخامسة ، فعاقتها قليلا ، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة ، وما زالت تمر من حبال إلى حبال ، حتى إذا بلغت الشارع ، كانت سقطتها على كومة من الرمال ، صبتها سيارة صباح ذلك اليوم ، فلم تصب بأذى .

ومضى يحلف ويذكر الإيمان أن الذي يرويه هو الصدق والحق ، وأن صبياً لصديق آخر لا أسميه لئلا أسوءه ، وأذكره بمصابه ، وقف على مكتب أبيه يلعب ، فرأى صورة معلقة بالجدار ، فوثب يريد أن يصل إليها ، فوقع على أرض الغرفة ، وكانت من البلاط ، وكانت السقطة على يافوخه ، فمات لساعته ...

وقال معلقاً ومتفلسفاً : ففيم إذن نفكر وندبر ، ما دام لا ينفعنا فكر ولا يفيدنا تدبير ، ولم لا ندع الأمور للقدر ونتركها تجري في أعنتها كما يريد لها مجريها ، ما دمنا لا نملك أنفسنا ولا نعرف مصائرنا ، وما دام هذا الكون كالمعمل الضخم ،

(*) سجل في مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى في القدس .

المشتبك الآلات ، المتعدد الحركات ، وما نحن إلا مسمار صغير فيه ، نسير كما يسيرنا (مهندسه) الأعظم ...

وأسرع واحد منا ، فقال مصدقاً : نعم ، ولكننا خلقنا للشقاء ، وأقمنا هدفاً للمصائب ، ووضعنا فى دنيا ما فيها إلا الآلام من سلم منها اليوم وقع غداً ، ومن لم يمت ولده من سقطته مات من علته ، أو مات وهو صحيح معافى ما من الموت بد ... ولا بد قبل الموت من البلايا والمتاعب ...

وتكلم ثالث ، يرى نفسه من كبار العقلاء ، فأنكر القدر ، وجحد القدر . وزعم أن الحياة ليست إلا عجينة فى يدك ، أنت تديرها وتصورها ، فإن صنعت منها تمثال غادة جميلة كان لك جمالها ، وإن عملت منها هولة قبيحة كان عليك قبحها ... إن مرضت فمن إملالك الغذاء وإهمالك التوقى ، وإن دعست[1] فمن تركك الحذر ، وإن افتقرت فمن قعودك عن السعى . . . وأمثال هذا الكلام .

فقلت له : فلم ولد هذا فى دار علم وتهذيب فتعلم وعرف سبل الوقاية ، وخطر الأمراض ، ونشأ ذاك فى بيت جهل وفساد ، فشب جاهلا فاسداً ، لا يعرف كيف يتقى الداء ، ولماذا دعس هذا من قلة حذره ، وسلم من هو أقل منه حذراً ، وطريقه أشد خطراً ، ولماذا يسعى الرجل حتى تنقطع من السعى أنفاسه ويرجع ولم يصل ولا إلى مثل خفى حنين ، وتأتى الأموال لآخر بلا سعى ولا طلب ؟ ...

ولماذا يتاح لهذا النابغة أن يظهر نبوغه ، حتى يكون اسمه تسبيحاً على كل لسان ، وعنواناً فى كل كتاب ، ويجهل من هو أحد منه ذكاء ، وأكبر موهبة ، وأظهر استعداداً للنبوغ ؟ .

ولماذا ؟ ولماذا ؟ وألف لماذا ؟ لو شئت لسقتها لك فما استطعت الجواب على واحد منها ، فما أنت فى الوجود ، هل تسير أنت الفلك على هواك ، وهل تسوق الكون إلى غايتك . هل أنت إله ؟ إنك ما كونت نفسك ، ولا شققت بيدك سمعك ولا بصرك .

قال : فهل ترى أنت أن الإنسان مسير ؟ .

قلت : ما مسير ؟ وما مخير ؟ وما هذه الفلسفة الفارغة ؟ لقد اشتغل بها البشر ، من يوم بدأوا يفكرون واختلفوا عليها ، وتجادلوا ، ولا يزالون يختلفون ويتجادلون ، لم يصلوا إلى شىء . وإنما تاهوا فى بيداء لا أول لها ولا آخر ، وهاموا على وجوههم فى مهمه متشابه الأرجاء ، بلا أمل ولا رجاء ، فذهب هذا ينكر القدر ، ويزعم أن الحياة ملك الإنسان ، وأحداثها صنع يديه ، وراح ذاك ينكر إنسانيته ، ويجحد نفسه ويراه مسماراً فى آلة الكون ، وحجراً فى جبل ، يدور مع الأرض أنى دارت . وكان هذا متشائماً لا يرى إلا الذى وقع عن الكرسى فمات ، فاعتقد أن الدنيا دار المصائب ، وكان ذلك مغروراً ، لم يبصر إلا التى وقعت من الطبقة السادسة ولم تمت ، فحسب أنه يسلم من كل أذى .

ونحن مع القدر بشر ، لا آلهة ولا حجر ، والدنيا ليست مسرة كلها ولا مصائب ولكنها مسرة وكدر .:.

وأنا كلما فكرت ، وذكرت ما رأيت من الحوادث بعينى ازددت يقيناً بأن أكثر الناس لا يعرفون سر الإيمان بالقدر :

رأيت الترام مرة وقد انكسر مقوده ، فانحط من المنحدر الهائل عند (الجسر) فى دمشق ، وكانت امرأة واقفة بين خطيه بعد المنعطف ، فلما رأته مقبلا كالموت النازل ، سمرت رجلاها من فزعها بالأرض ، وجمدت ولم يجرؤ أحد أن يدنو لإنقاذها فيموت معها ، والوقت أضيق من أن يتسع لشىء ، فأغمضوا عيونهم حتى لا يروا . . . فلما وصلت الحافلة إلى المنحنى تركت الخط وسارت قُدُماً ، فصدمت جداراً من اللبن ضعيفاً ، ومرت منه إلى قوم فى دارهم فقتلتهم .

ورأيت مرة بعينى شباباً يمشون تحت فندق (إيدن بالاس) فى دمشق ، فرفع أحدهم رأسه فجأة فرأى شيئاً ساقطاً فتناوله بيديه ، وإذا هو صبى رضيع وقع من شباك الفندق ، وهبطت أمه كالمجنونة . وهى امرأة من (حماه) فرأته سالماً ..

ورأى غيرى حوادث مثل هذه الحوادث . وفى كتاب (الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى) مئات من القصص عمن نجا وهو فى لج الهلاك ، وفى كتاب الحياة آلاف من الأخبار عمن هلك وهو على بر النجاة .

فما سر هذه العجائب ؟ وكيف عاشت المرأة وقد فرطت وعرضت نفسها للموت بسيرها بين خطى الترام ، ومات قوم اتخذوا كل أسباب الوقاية ، فدخلوا دارهم ، وأغلقوا بابهم ، فشق الترام الحائط ودخل عليهم فدعسهم ، وكيف وقعت البنت فلم تمت ، وتموت كل يوم مئات من البنات من غير وقوع ؟ .

(١) الدعس : من العامى الفصيح .

إن هذا السر، سر الله لا يعرفه أحد، فلا تحاولوا كشف سر القدر، ولكن استفيدوا من حكمة القدر. وهذا ما سقت له حديثي.

ستقولون، وما ذا نعمل؟ هل ندع أولادنا يسقطون من الشبابيك لا نبالي لأنها إن كانت لهم حياة فسيبعث الله لهم حبالا تمسكهم، أو رجالا تتلقاهم، ولنقعد عن السعي لأنه إن كان لنا رزق فسيأتينا بلا سعي!

لا يا سادة، ما هـــذا طريق فهم القدر، ولا هذه حكمة القدر.

صحيح أن الرزق مقدر، فهذا وضع له رزقه على مكتبه، فما عليه إلا أن يقعد على كرسيه، ويمسك قلمه، ويكتب اسمه الكريم كل نصف ساعة مرة على أوراق تعرض عليه، وهو يشرب قهوته، ويدخن دخينته، فيأتيه الرزق؛ وآخر وضع رزقه في رأس الجبل عليه أن يصعد إليه، أو في بلد بعيد عليه أن يمشي إليه، أو في باطن الأرض ينزل إليه، أو في جوف البحر يغوص فيه، أو في جيوب الناس يأخذه منها، ليقبض عليه، فيتحول رزقه إلى السجن.

كل يأكل لقمة، ولكن من الناس من تجيئه اللقمة في صحفة من الفضة، ومن يأكلها مغموسة بالدم، أو مبللة بالعرق، أو ملطخة بالوحل.

لا لاتقل ما سر القدر، فما كشفه حاجة لأحد، ولكن مادام الأمر مجهولا، فاسع أن تأكل أنت لقمتك بطبق الذهب، وجد وابذل الجهد، فإن لم تصل إلى ذلك وصلت إلى الرضى والتسليم بحكم القدر وهذى من حكم القدر.

والأجل محدود، لا يدفعه إذا حضر حذر، ولا يضر إن امتد خطر، وقد يموت الشاب الصحيح، ويعيش الشيخ العليل، ويهلك المتحصن بسبعة أسوار، ويسلم الجندي الذي يقتحم النار، أعرف رجلا من أبطال الثورة السورية، رمى نفسه على الموت خمسين مرة فكان الموت يروغ من تحته ويهرب منه، ثم انتهت الثورة، ونام في فراشه، فاختصم إثنان من السكارى، فأطلق أحدهما رصاص مسدسه، فأصاب خطأ رأس صاحبنا الذي نام فما قام.

وروى ابن الجوزي أن رجلا أغمي عليه فحسبوه مات، ونصبوه على السرير، وجاؤوا بالمغسل ليغسله، فلما أحس برد الماء، تيقظ ونهض، فارتاع المغسل وسقط ميتاً.

فلا تسأل ما السر، ولكن جاهد في سبيل الله، وناضل عن الحق، ولا تخف الموت في جهادك ونضالك لأن الأجل محدود، فقد تعيش مائة سنة ولو خضت غمرات الموت، فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخراك كأنك ميت غداً، فتكون قد ضمنت لنفسك الدنيا والآخرة، وهـذي حكمة من حكم القدر.

فالإيمان بالقدر حياة لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء، وفي كل عسرة باب رجاء، ولولا الرجاء لمات المريض من وهمه قبل أن يميته المرض، ولقتل الجندي في الحرب من خوفه قبل أن يقتله العدو، ولولا الرجاء ما كانت الحياة.

ولو تركت الأمور لاحتمالات العقل، وقوانين السادة، لما استطعت أن تتنفس الهواء أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه جرثومة داء، ولا ركبت سيارة لاحتمال أن تصطدم، ولاصعدت بناء لإمكان أن يتهدم، ولما استولدت ولداً لأنه قد يموت، ولا اتخذت خليلا لأنه قد يخون، ولما اطمأننت على مال لأنه قد يسرق، ولا دار لأنها قد تحرق.

والإيمان بالقدر راحة لأنه لو كان الفشل من عملك وحدك، وكان النجاح من صنع يدك لقطعت نفسك أسفاً إن فشلت، أو سبقت.

والإيمان بالقدر عزاء، لأنك إن قدر عليك المصاب بولد، فاحمد الله ففي الناس من أصيب بولدين، وإن خسرت ألفاً ففيهم من خسر ألفين.

فهل عرفتم الآن ما حكمة القدر؟

هي أن نجد ونعمل ونسعى، ونبذل الجهد، ثم لا نحزن إن فشلنا، ولا نأس إن لم نصل إلى ما نريد وأن نكون مع القدر كمن يجتاز طريقاً فيه السيارات المزدحمات، فإن ذكر حوادثها وأخطارها وحدها لم يستطع أن يتقدم خطوة، وإن اعتقد من غروره أنه يستطيع أن يرد عنه السيارة المقبلة، ويدفع الخطر الآتي، لم يسلم، ولكن إن انتبه وسار بحذر، فهذا هو العاقل، ثم إن نجا حمد الله أن قدر عليه النجاة، وإن أصيب ذكر أنه لم يقصر، وإنما هو حكم القدر ...

(دمشق) **علي الطنطاوي**

١٨ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

فى مدينة لاهور :

كانت الإقامة فى هذه المدينة قصيرة وكان المقصد الأول من السفر إليها زيارة محمد إقبال فلم أر كثيراً من مشاهدها القديمة والحديثة.

رأيت من آثارها يوم الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى مسجد وزير خان . اجتزنا إليه سوقاً ضيقة فيها مكتبات تجارية . والمسجد كبير له صحن واسع وفى المصلى عقود مزينة بنقوش وآيات من القرآن وأحاديث وكلمات للصوفية ، ومأثورات من الشعر الفارسى والنثر .



وفى المشى ذهبت إلى قلعة لاهور فى صحبة أستاذ أمريكى خبير بالآثار . وهى قلعة واسعة كثيرة الأبنية ولكن الخراب غالب عليها ، وكان السيك استولوا عليها حيناً إذ ملكوا فى تلك الأصقاع . ولهم فيها آثار لا تدل على براعة فى العمارة والتصوير .

والذى يستحق الذكر فى هذه القلعة نقوش بالفسيفساء على جدار شاهق على يسار الداخل . وفيها مناظر كثيرة لحيوان ونبات ، وهى من آثار جلال الدين أكبر . ويوم الخميس دعينا إلى حفل فى الجامعة الأمريكية ، وكنا زرناها يوم الأربعاء فتكلمت فيما بين مصر والهند من صلات ، وذكرت الشاعر الكبير محمد إقبال ، وتكلم السيد على أصغر حكمت رئيس الوفد الإيرانى .

وزرت هذا اليوم قبر السلطان جهانكير وهو على بعد أميال من المدينة فى حديقة واسعة كقبور سلاطين المغول التى وصفت قبلا ، وهو طبقة واحدة من البناء مربعة يحيط بها عقود مفضية إلى حجرات . وللبناء مآذن أربع فى أركانه . وليس فى أضرحة آباء جهانكير مآذن كهذه ، وقد بنى مثلها ابنه شاه جهان فى تاج محل ، ولكنه فصلها من البناء وجعلها مسامتة لأركانه كما ذكرت آنفاً .

وظاهر أن ضريح جهانكير كان فى تاريخ الآثار تمهيداً لبناء التاج .

وفى الحديقة من الطرق والأحواض والنافورات ، وفى البناء من جمال الهندسة وإحكامها ، ومن التناظر الذى يسيطر على أبنية التيموريين كلها ما قدمت مثلا منه حينما ذكرت أضرحة همايون وأكبر وشاه جهان (تاج محل) .

ويفضى مدخل البناء إلى القاعة الوسطى وفيها قبر السلطان جهانكير رحمه الله وهو من المرمر الملون مرصع بأحجار أخرى جميلة . وكان فيها من الجواهر أكثر من مائة قطعة نزعها السيك حينما تغلبوا على لاهور . وعلى الصحيفة التى فوق القبر أسماء الله الحسنى . وعلى الجوانب كتابة فيها :

« مرقد منور أعليحضرت غفران بناه نور الدين محمد جهانكير بادشاه . » والسلطان جهانكير هو السلطان الرابع من سلاطين الدولة التيمورية .

فى دار إقبال وعلى قبره :

ذهبت أنا والصديق الأستاذ على أصغر رئيس الوفد الإيرانى إلى دار إقبال وهى دار صغيرة قابلنا فيها ابنه جاويد وقد سمى إقبال باسمه منظومته « جاويد نامه » وجاويد معناه خالد . وجاويد نامه كتاب جاويد أو الكتاب الخالد ففيه تورية .

ورأينا حجرة كان الشاعر الخالد رحمه الله يكتب فيها أشعاره

ومقالاته وفيها فاضت روحه . وهى حجرة تسع على صغرها ذكريات لا يسعها الفكر .



وجلسنا ساعة نتحدث مع جاويد . وقد أهدى إلينا بعض صور والده .

وفى المشى ذهبنا لزيارة قبر إقبال وهو فى الحديقة المحيطة بالجامع الكبير الذى بناه السلطان محيى الدين الملقب أورنك زيب (زينة العرش) وهو جامع فسيح جداً يشبه جامع دهلى الكبير الذى بناه شاه جهان ، ولكن ليس فيه من الحلى والزينة والنقش والتحلية بالرخام الجزع ما فى جامع دهلى . كان شاه جهان كلفاً بتشييد الأبنية وتزيينها وقد بالغ فى التشييد والتزيين . وحسبه تاج محل . وكان ابنه أورنك زيب زاهداً لا يبالى بالزينة والأبهة .

وإلى جانب الجامع على مقربة من مدخله حجرة لم يكمل بناؤها فيها قبر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال .

زرنا القبر فى جلال الموت وروعة الذكرى ثم جلسنا فى حفل أعد لاستقبالنا هناك بجانب الحجرة التى فيها الضريح ، وأهديت إلينا منظومات إقبال الفارسية ، وتكلم الأستاذ على أصغر وغيره وألقيت الكلمة الآتية :

إقبـــال

إقبال يا شاعر الإسلام ! أثرت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت سراجه ، وأوضحت منهاجه ، ودعوت المسلمين إلى المجد الذى يكافىء دعوتهم ، ويلائم سنتهم ، ويناسب تاريخهم .

إقبال يا شاعر الشرق ، أشدت بمآثره ، ونخرت بروحانيته ، وأخذت على الغرب المادية الصماء ، والغرور والكبرياء . ونقدت قادته فدحضت باطلهم ، وأبطلت سحرهم ، ووقفتهم للحساب العدل وأبنت مالهم وما عليهم، ولا سيما فى كتابك « پيام مشرق »

إقبال يا شاعر الحياة ! كشفت عن قواها . وبصّرت بمجراها ومنتهاها ، وعرفت مغزاها ، وأقمت منابرها وصواها .

إقبال يا شاعر النفس ! أثرت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما فى « خودى »[1] من كهرباء ، فيها القوة والنار والضياء . ودعوت إلى أثارة معادنها ، واستخراج دفائنها وقلت .

بركش إين نغمه كه سرماية آب وكل تست
أى زخود رفته تهى شوز نواى ديكران[2]

إقبال يا شاعر (بيخودى)[3] أوضحت كيف يكون الإيثار ، وكيف ينظم الفرد فى الجماعة .

إقبال يا شاعر الحرية ! أشدت بذكرها ، وأكبرت نعمتها ، ودعوت إليها كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية فى شتى مظاهرها ، ومختلف صورها .

إقبال يا شاعر الجهاد والدأب ، والكفاح والنصب ، قلت إن الحياة جهاد مستمر ، وكفاح لا يفتر ، وإن الحياة فى الموج الهائل ، والموت فى سكون الساحل .

إقبال يا شاعر التجديد والتقدم ، قلت إن الحياة حركة متجددة تكره التكرار ، وإقدام دائم يأبى التقهقر ، ودعوت الإنسان أن يمضى قدما فى الحياة مبتكرا مقدما ، له كل حين فكرة . وفى كل ساعة نغمة ، وبينت أن التقدم والابتكار ، هما فرق ما بين العبيد والأحرار .

إقبال يا شاعر الجمال ! صورته فى الأرض والسماء ، واليبس والماء ، وفى الصحارى الجرداء ، والحدائق الغناء ، وفى الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، وصورته فى كل خلق كريم ، وفى كل نزعة سامية .

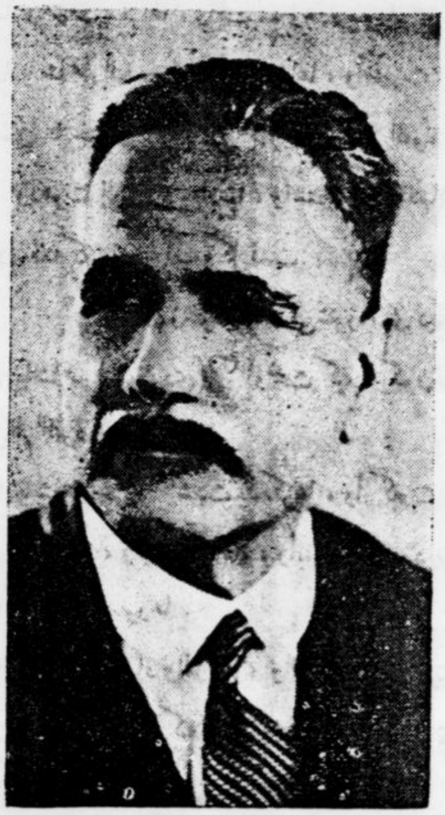
---

(١) خودى : فارسية معناها الذاتية . وقد نظم إقبال منظومة طويلة سماها أسرار خودى .

(٢) معناه : أخرج النغمة التى هى سر فطرتك يا من ضل عن نفسه أخل نفسك من نغمات الآخرين .

(٣) لإقبال منظومة اسمها . بيخودى بمعنى اللاذاتية .

إقبال ياشاعر الجلال ! جلوت عظمته فى الخالق والخليقة وفى الهمم العالية ، والعزائم الماضية ، والآمال الكبيرة . والمقاصد البعيدة .



إقبال ! أيها الشاعر الملهم . بانت لك الأسرار ، ورفعت عن الغيب الأستار فرأيت الباطن كالظاهر . وأدركت المستقبل كالحاضر .

إقبال يا شاعر الإسلام ! ويا شاعر الشرق ، ويا شاعر الحياة ، ويا شاعر الإنسانية ، ويا شاعر الحرية والجهاد ، والتجديد والتقدم والأقدام وياشاعر الجمال والجلال .

لقد حييتك على بعد الديار وشط المزار ، وأشدت بذكرك ، وعرفت بفضلك ، وأهديت إليك منظومة اللمعات جوابا لكتابيك وموزخودى وأسرار بيخودى .

وأنا اليوم أحييك على القرب ، وسيان فى عظمتك القريب والبعيد . إن هذا الضياء لايعترف بالمسافات . ولا تبعد عليه الغايات إن هذا الفكر الذى يطوى الآفاق ، ويخترق السبع الطباق ، لاتختلف عنده الأرجاء ، فالقريب والنائى لديه سواء . كان من أمانى أن أزورك فى حياتك ؛ ثم تمنيت أن أزور ضريحك بعد مماتك . وهأنذا أشرف بأن ألقى أمامك هذه الكلمات ، وأودع ضريحك هذه الزهرات [١] .

عرب يهدى لروضك زهرا ذافخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى من ديار الإسلام فى إيجاز
بلسان القرآن خطت ففيها نفحات التنزيل والإعجاز
فاقبلنها على ضآلة قدرى فهى فى الحق «أرمقان» الحجاز [٢]

لقد ضمنت آثارك لك الخلود فى هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك فى العقبى جزاء المجاهدين المخلصين .

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

عبد الوهاب عزام

---

(١) هذه الأبيات نظمتها فى دهلى ونقشت على لوح من الرخام وحملتها إلى لاهور فوضعت على قبر محمد إقبال .

(٢) سمي إقبال آخر منظوماته « أرمقان حجاز » أى هدية الحجاز ، ولم تنشر هذه المنظومة الا بعد وفاته .

٢ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

وإذن ، فقد أراد الدكتور طه أن يقول إن الفتنة الكبرى التى أفضت إلى قتل عثمان إنما كانت « فتنة عربية نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » فى ص ١٠٩ فمن أجل تحقيق هذه الكلمة الكبيرة ركب كل مركب فى تصوير الحياة الإسلامية الأولى بعد الفتوح بالصورة التى تنتهى به إلى هذا الغرض وحده دون سواه ، وهو الغنى والمال والسلطان ، وتزاحُم الأغنياء على الغنى والمال والسلطان ، وحسد العامة العربية لأصحاب الغنى والمال والسلطان . وأنا — كما قلت آنفاً — لن أحاول أن أنقض هذه الصورة ، ولن أعمل عملا فى الرد عليها إلا بمقدار ما ينبغى فى سياق التحقيق التاريخى لناحية من نواحى هذه الفتنة . ولكن الدكتور كشف عن هدف آخر حين جاء معرض هذه الفتنة ، فنفى خبر عبد الله ابن سبأ اليهودى ، وخبر الكتاب الذى كتب فيه الأمر بقتل رؤوس وفد مصر . وهذا الهدف هو أن ينفى عن اليهود الشركة فى دم عثمان ، والتحريض على قتل الإمام ، فركب مركباً وعراً خالف فيه أسلوب العلماء فى جرح الأخبار ، وكذّب الرواة فى شىء بغير برهان ، وصدقهم فى شىء آخر بغير برهان أيضاً ، وهو نفسه ينعى فى كتابه على « الذين يكذبون الأخبار التى نقلت إلينا ما كان بين الناس من فتنة واختلاف » فقال فى ص ١٧٢ : « فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامى كله منذ بعث النبى ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازى وسيرة النبى والخلفاء . فما ينبغى أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا ، وأن نكذبهم حين يروون مالا يعجبنا . وما ينبغى أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر ، لا لشىء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا » . بيد أن الدكتور طه نفسه ، قائل هذا الكلام ، قد فعل ذلك فكذبهم حين روى الرواة مالا يُعجبه ، وحين رووا ما يؤذيه . وفعل ذلك أيضاً فصدقهم حين رووا ما يروقه ، وحين رووا ما يرضيه . فإن الذين رووا أخبار الغنى والمال والسلطان ، هم الذين رووا أخبار عبدالله بن سبأ اليهودى وأخبار الكتاب الآمر بقتل وفد مصر ، فلم أخذ شيئاً بغير برهان ، ونفى أخاه بغير برهان ؟

والشىء البيّن هو أن الدكتور الجليل أراد كما قال فى ص ١٣٤ أن يكبر المسلمين فى صدر الإسلام « عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً ، وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ، ولكن مكراً وكيداً وخداعاً » . وهذا قصد حسن ونية جميلة ، ولكن الحق أحسن منهما وأجمل . وليس يجمل بنا ولا بالدكتور طه أن يغالط فى الحق لشىء يراه هو أو نراه نحن حسناً جميلا . والتاريخ لا يكتب بالتحكم ، وإنما يكتب بالرواية ، ثم بالاستدلال ، ثم ببذل الجهد فى سد الفجوات ، وسبيل ذلك أن تأخذ من الماضى أسباباً وعللا وحوادث ذات خطر ، فإن استقامت أن تمتد معك إلى الحاضر الذى تؤرخه ، فهى حقيقة بأن تكون شيئاً من التاريخ يوشك أن يكون حقاً كله أو بعضه .

ولست أحب أن أعلم الدكتور طه ، ولكنى سأضع بين يديه حقائق لا يدخلها الريب أبداً ، ثم أسأله أن ينظر فيها ، وأن يحكم هو بينى وبينه . وسأختصر القول اختصاراً ، فإن أكثر مادة هذا الحديث مما لا أظن بالدكتور أن يجهله أو يغفل عنه .

فلنعد إلى حديث قديم كان قبل البعثة بقليل ، وكان شديد الخطر فى تاريخ العرب ، وكان يوشك أن ينتهى إلى حديث جليل فى تاريخ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان يسكن هذه البلدة الكريمة بنو أم واحدة وأب واحد من قبائل الأزد ابن الغوث : أمهما قيلة ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة ، وهؤلاء هم الأوس والخزرج ، وكان يعيش بينهم هذا الجيل من اليهود الذى سكن جزيرة العرب ، أو سكن المدينة ، فكان من خبر ذلك شىء لم يكن مثله مثلا بين بنى هاشم وبنى أمية ، وهو الحرب المتطاولة بين هذين الحيين اللذين ولدتهما أم واحدة وأب واحد ، ويسكنان معاً بلدة واحدة . وظل هذا القتال بين الحيين متجدد النيران إلى أن كان « يوم بُعاث » وهو كما قال ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٣٥ : « آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج فى الحروب

التى كانت بينهم . . . وكانت هذه الوقعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قد تنبأ ودعا إلى الإسلام ، ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة » .

ونشأة هذه العداوة العجيبة بين الأخوين : الأوس والخزرج، واقتتالهما هذا القتال المر العنيف حقباً متطاولة ، ودخول اليهود فى الحلف ، بعضهم مع الأوس وبعضهم مع الخزرج ، لا يصيبهم من أذى القتال بين هذين الحيين الأخوين إلا القليل ، وتداعيهم باسم اليهودية إذا حزب الأمر ، فيكونون يداً واحدة على هذه العرب ، ليس له معنى إلا أن تكون هذه اليهود هى التى أرّثت الحرب والعداوة بينهما لتؤثّل فى هذه الأرض أموالا وآطاماً وحصوناً تكون لها عدة وقوة ، وتظهرها على أهل البلاد المالكين لها ، وتصرف وجه هؤلاء القوم عن الزراعة والتجارة وتثمير الأموال ، وتبقى يهود هى صاحبة الزراعة والتجارة وتثمير الأموال بالربا وما كل السحت . وهذا عمل يهود فى كل جيل ، وفى كل أمة ، وفى كل زمان إلى يوم الناس هذا .

ثم لا يلبث أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً من الخزرج عند العقبة ، وكانت يهود كما قال ابن اسحاق ، قد عَزّوهم ببلادهم ، أى غلبوهم عليها واستأثروا بها ، فلما دعاهم رسول الله إلى الإسلام قالوا له : « إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك » . فيؤلف الله قلوب الأوس والخزرج ، وهما الأخوان ، على الإسلام فيفشو فيهما فُشواً ظاهراً . ولا يلبث رسول الله أن يهاجر إلى المدينة ، فلا يبقى حى من الأوس والخزرج إلا دخله الإسلام وظهر فيه . فيمر شأس بن قيس من يهود بنى قينقاع — وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم — على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج ، فيغيظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فيقول : « قد اجتمع ملأ بنى قيلة (يعنى الأوس والخزرج) بهذه البلاد ! لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار » . فيأمر فتى شاباً من يهود أن يجلس إليهم فيذكر « يوم بعاث » وما كان قبله ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . فيفعل هذا اليهودى ، فإذا الجماعة المؤتلفة على الإسلام تتنازع وتتفاخر ، فيتواثب رجلان من الأوس والخزرج ، فيقول أحدهما لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جَذَعة » ، ويغضب الفريقان جميعاً ويقولون : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (يعنون مكاناً بعينه) » ويتداعون : « السلاحَ السلاحَ » . ويخرجون إلى موعدهم ، فيبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فيخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى إذا جاءهم قال : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ؟ » فيعرف الأنصار، أوسهم وخزرجهم ، أنها نزعة من الشيطان وكيد من « عدوهم » ، فيبكون ويتعانقون ، ثم ينصرفون مع رسول الله سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شأس بن قيس اليهودى . (عن ابن اسحاق وغيره) .

وأنا لست أروى لك هذا إلا لتقف على كيد يهود كيف كان ؟ ولتعرف كيف كان ترفقهم إلى إثارة العداوة بين هذين الحيّين منذ قديم ؟ ولتنظر لم كانوا يحبون أن تظل هذه العداوة حية متوقدة ليأكلوا من ثمراتها مالا وغلبة وسلطاناً على العرب ؟ ولتقارن هذا كله بما لا يزال يجرى إلى أيامنا هذه على يد هذه الشرذمة الخبيثة من بنى إسرائيل !

ثم ينزل الله جلت أسماؤه فى أمر هذه الفتنة يخاطب المسلمين الذين كان رسول الله بين أظهرهم ، لم يمت بعدُ: «يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتابَ يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرُون وأنتم تُتلى عليكم آياتُ الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم » .

وإذن ، فنحن لا نستطيع أن نكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج عن أن يطيعوا فريقاً من اليهود حتى كادوا يردونهم بعد إيمانهم كافرين ، ولا أن ننزههم عن ذلك وهم تُتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ، كما فعل الدكتور طه حين أراد أن ينزه أهل الصدر الأول من الإسلام فى سنة ٥٣

من الهجرة بعد أن قبض الله إليه نبيه بأكثر من عشرين سنة ، وبعد أن نشأت ناشئة من الشباب لا يدّعى أحد أنهم جميعاً كانوا أحرص على إيمانهم من أصحاب محمد وأنصاره الأولين . وهذا خبر واحد رويته ، فإن شئت أن أروى الأخبار كلها لما وسعنى كتاب أشرح فيه أمر هذه الفتن التى أرّثتها اليهود فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يسعنى أن أنص على كل آيات كتاب الله التى نزلت فى أخبار هذه الفتن . وحسبى أن أذكر من نسى أن أخبار المنافقين والآيات التى نزلت فيهم ، كانت كلها فى المدينة لا فى مكة ، وأن ذلك دليل على أن النفاق كان حيث تكون يهود ، وأن « الأعراب » لم يذكروا إلا فى السور المدنية مقروناً بالنفاق والمنافقين ، وأن قول الله تعالى فى سورة براءة (الأعرابُ أشد كُفراً ونفاقاً) نزلت فى بنى أسد وغطفان ، وهم كانوا حلفاء يهود فى الجاهلية وفى زمان الإسلام . وهذا شىء أرجو أن يتذكره الدكتور حتى نعود إليه .

ولم يكن كل هذا المكر والكيد والإيقاع عملا جاء عفو الخاطر من يهود ، ولا كان ما أتاه من إساءة لحقتهم من حلفائهم الأوس والخزرج من المؤمنين غير المنافقين ، بل هو شر انطوت عليه يهود لا يزايلهم ولو أحسن المسلمون إليهم ، وهو حقد وضغينة وكفر وعدوان على أهل هذا الدين ، وهم كما وصفهم الله أشد الناس عداوة للذين آمنوا بمحمد صلوات الله عليه . ودليل ذلك أن رجالا كثيراً من الأوس والخزرج كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية ، فكانوا يصافونهم المودة بهذه الأسباب ، ويستنصحونهم فى أمورهم دون أن يشكوا فيهم أو يتوجسوا منهم خيفة . فأنزل الله فى محكم كتابه ينهاهم عن فعل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذُوا بطانةً من دُونكم لا يألونَكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفى صدُورهم أكبر ، قد بينا لكُمُ الآيات إن كُنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تُحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكُم الأنامل من الغيظ ، قل موتُوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور» . وهؤلاء « الذين قالوا آمنا » هم الذين نزلت فيهم الآية السابقة قبل هذه فى سورة آل عمران : « وقالت طائفةٌ من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفُروا آخره لعلهم يرجعون » .

وهذه الآية وسبب نزولها يدل دلالة صريحة على أن أهل الإسلام الأول ، كانوا لا يزالون يعدون الحلف بينهم وبين يهود حلفاً صادقاً لا غش فيه ، وأن يهود كانت تظهر المودة وتخفى أشد العداوة وأشد الغيظ على هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا يتخافتون بهذه العداوة ، وأنهم كانوا يخدعون هؤلاء المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ، حتى إذا صدّقهم بعض المؤمنين عادوا فأظهروا الكفر ليفتنوهم ويخدعوهم عن دينهم . فإذا صح هذا ، وهو صحيح ، ورسول الله بين أظهرهم ، فهو أحق بالصحة فى سنة ٣٥ من الهجرة ، لا نكبر أهل الصدر الأول من الإسلام عن أن يقعوا فى مثله وفى أشد منه .

ويستطيع الدكتور طه ، ويستطيع كل من أطاق القراءة ، أن يقرأ كتب السير والمغازى منذ هاجر رسول الله من مكة إلى المدينة ، إلى يوم دعاه ربه إلى الرفيق الأعلى ، فسيجد أنه لا تكاد تنتهى وقعة بدر الكبرى بالنصر الأعظم لجند الله حتى يسلم رأس النفاق عبد الله بن أبى ابن سلول وجماعته من المنافقين ، وكانوا أعوان يهود ، ومن يومئذ ينفجر النفاق ويستشرى خطره ، حتى تنزل فيه الآيات الكثيرة ، وحتى يطلع الله رسوله على خبايا نفوسهم وعلى أعيانهم . ومن يومئذ يجاهر بعض اليهود بنقض العهد الذى كتبه رسول الله بينه وبينهم عند مقدمه المدينة ، فيكون مقتل اليهودى أبى عَفَك ، ثم تكون غزوة يهود بنى قينقاع ، ثم استئمانة أبى سفيان بن حرب بيهود بنى النضير ينقلون إليه أخبار نبى الله . ثم يكون ما كان فى يوم أحد من خروج عبد الله ابن أبى ابن سلول المنافق مع رسول الله حتى إذا بلغ رسول الله أُحُداً انخزل ابن أبى فى كتيبة أشياعه وهو يقول : « أيعصينى ويطيع الولدان ؟ » ؛ ثم يهزم المسلمون ، فإذا عادوا إلى المدينة شمت بهم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه المنافقون ، وأظهرت اليهود القول السيء يقولون : ما محمد إلا طالب ملك ! ما أصيب هكذا نبى قط ! أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه : ثم لا تمضى خمسة أشهر حتى يحاول يهود بنى النضير قتل رسول الله غدراً حين جاء منازلهم ، فأتمروا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت

إسعاف النشاشيبي

للأستاذ أحمد لطفي السيد

اختار الله لجواره فى الأسبوع الماضى الكاتب الشهير إسعاف النشاشيبى زعيم الأسرة المعروفة فى فلسطين منذ القرن التاسع الهجرى إلى اليوم .

ارتقى — رحمه الله — إلى أعظم المناصب الحكومية فى عهد الحكومتين العثمانية والحاضرة — بجده واجتهاده ، فكان المفتش الأول للغة العربية فى فلسطين — نظم المدارس وأصلح التعليم فى هذا القطر الشقيق — ونشر علم العربية عالياً تشهد بذلك مؤلفاته ومقالاته الذائعة الصيت فى العالم العربى — وقد كان السيد إسعاف بك شديد الحنين لوطن أسرته الأول مصر — فكان يزورها كلما سنحت الفرصة — وهو فوق ذلك يؤلف فيها الكتب — ويحى علماءها وشعراءها وزعماءها — ويتعرف إلى أحيائها وأمواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا — وحادثة وقوفه بين يدي المغفور له سعد باشا معروفة مشهورة .

ونحن بهذه المناسبة نكشف لقراء الرسالة الغراء عن أصل هذه الأسرة المصرية الكريمة حتى تقر عين الصديق الراحل بكلمة وفاء صغيرة من أحد أبنائه المعترفين بفضله … يتصل أول هذه الأسرة بالشيخ المعتقد أحمد بن رحب النشاشيبى — سمى بذلك لأن أجداده كانوا يحترفون صناعة النشاب — وكان الشيخ أحمد المذكور من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق — كان خازنداره الخاص فى أيام إمارته الأولى فى فجر القرن التاسع الهجرى — وتوفى الشيخ أحمد المذكور على عهد المؤرخ الشهير ابن تغرى بردى صاحب كتاب النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة وقد وصفه بقوله : (الشيخ المعتقد أحمد بن النشاشيبى كان خيراً يحب العلماء الصالحين) وترك ابنه الأمير ناصر الدين محمد وهو غرة هذا البيت وواسطة هذا العقد وطراز هذه الحلية

الذى هو تحته ، فجاءه الوحى بما هموا به . ثم يخرج أبو رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى بعد أشهر إلى « غطفان » ومن حولهم من مشركى العرب ، يغريهم بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم …

ولا تزال تمضى من حدث إلى حدث ، ومن غدر إلى غدر ، ومن نفاق إلى نفاق ، واليهود رأس ذلك كله ، والعاملون عليه ، والموغلون فيه ، إلى أن تنتهى إلى خبر اليهودية التى وضعت السم فى الشاة ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأكل من شاتها ثم نبئ أنها مسمومة فلفظها .

فما معنى هذا كله ؟ معناه أن اليهود لم يفتر لهم لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا ضغن منذ ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه الشحناء لم تكن عن إساءة لحقتهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محضاً ، وخليقة مركبة فى طباع هذا الجنس من البشر ، وأن النفاق كان طرفاً من دسائسهم ومتنفساً لأضغانهم على أهل هذا الدين ، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تباركت أسماؤه : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أنْ سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون »

وهذه الصفة التى وصفهم الله تعالى بها ، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقى على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وسترى فى الكلمة الآتية كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أموراً كثيرة ، وأن يثيروا فتنة كادت تذهب بالإسلام كله لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هذا الدين كله ولو كره الكافرون .

محمود محمد شاكر

ولد في مصر سنة ٨٢١ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم في صغره وجوده على أشهر علماء عصره ثم اتصل كأبيه بخدمة الملك الظاهر جقمق . وفي سنة ٨٧٥ اختاره الملك الأشرف قايتباى لوظيفة ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) فدام في هذه الوظيفة ما يقرب من الثمانية عشرة عاماً ، كانت كلها خيراً وبركة على القدس والخليل وأهلهما . وقد فصل العليمي في كتابه تاريخ القدس والخليل حكم هذا الأمير لتلك البلاد فقال كانت أيامه كلها مواسم ... وناهيك بهذه الشهادة من شاهد عيان .

وحتى يكون القارىء على بينة من سر حنين المرحوم إسعاف بك لوطن أسرته الأول مصر نفصل له قليلا من أخبار الأمير ناصر الدين في القدس وكيف استقرت فيها هذه الأسرة المصرية الكريمة منذ خمسة قرون إلى الآن ... قال العليمي في حوادث ٨٧٣ هـ كثرت الفتن في القدس بين نائب السلطنة (حاكم القدس) دمرداش وناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) برد بك التاجي واشتد الخلاف بينهما وكثر القيل والقال فأدى الحال إلى انفصال الأخير عن نظر الحرمين الشريفين وعين السلطان قايتباى الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي أحد الخازندارية بالخدمة الشريفة (أحد رجال الديوان العالي كما هو متعارف اليوم) للكشف عن أوقاف الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وتحرير أمرهما وإصلاح ما فسد من نظارهما فحضر إلى القدس وأصلح ما فسد من أيام برد بك التاجي وعمر المسجد الأقصى وصرف المعاليم (المرتبات) واستبشر الناس بالخير وعد ذلك من بركة الأمير ناصر الدين ثم توجه إلى مصر في آخر سنة ٨٧٤ هـ وفي سنة ٨٧٥ استقر الأمير المذكور في نظر الحرمين الشريفين ودخل إلى القدس في يوم مشهود وشرع في عمارة الأوقاف بهمة وشهامة وحصل للاراضي المقدسة الجمال بوجوده وكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء ويحسن إليهم بالبشر والقبول . وفي سنة ٨٧٧ هـ شرع في عمارة الصخرة الشريفة وانتهى العمل فيها في سنة ٨٧٨ هـ وفي هذه السنة خلع عليه السلطان قايتباى وعلى القاضي شهاب الدين بن عبيسه ووهبهما ألف دينار وحضر الاثنان إلى القدس وعليهما خلعة السلطان فكان يوماً مشهوداً ...

وفي سنة ٨٩٢ هـ اشتد البلاء بالقدس والخليل وساءت سيرة نائب السلطان خضر بك وكان يناصره قاضي المالكية شرف الدين بن يحيى المغربي فكثرت الشكاوى في حقهما فعزل الأمير ناصر الدين القاضي بناء على أمر جاءه من القاهرة فلما كانت سنة ٨٩٣ هـ توجه خضر بك نائب السلطنة والأمير ناصر الدين ناظر الحرمين الشريفين إلى القاهرة ومثل كلاهما بين يدي السلطان فعزز السلطان خضر بك وأمر بعزله والتمس الأمير ناصر الدين من السلطان أعفاءه . من الخدمة فتوقف السلطان ولكن الأمير ناصر الدين ألح في طلب الاستعفاء فأعفاه السلطان من الخدمة كارها لنزاهته وعفته واستقامته .

قال الشيخ العليمي ودخلت سنة ٨٩٢ والوظيفتان شاغرتان النيابة والنظر قال ثم عين السلطان دقاق في نظر الحرمين فكان بعكس سلفه ظالما فاجراً .

قال السخاوي في كتابه الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع كان الأمير ناصر الدين بن النشاشيبي من أهل الخير والصلاح حفظ القرآن الكريم وهو صغير وجوده على ابن كوزلبنا والزين طاهر وآخرين وبعد أن ذكر خدماته في القدس والخليل قال وصرفه السلطان قايتباى بدقاق . والعليمي يؤكد أن النشاشيبي هو الذي استعفى من تلقاء نفسه وأن السلطان ألح عليه في البقاء في نظر الحرمين فرفض ألخ وصاحب الدار أدرى .

ولم ينس الأمير ناصر الدين تلك البلاد التي صرف فيها زهرة العمر فرجع إلى القدس وتأثل الدور والقصور والحقول والبساتين وانتهت الأسرة كلها بالانتقال من مصر إليها منذ القرن التاسع إلى الآن ...

* * *

وبعد فهذه لمحة صغيرة عن أصل هذه الأمير الشهير والكاتب النحرير والحجة الثبت واللغوي الضليع عظيم القدس والخليل البلد المعلوم وموطن القبر الموهوم الذي من أجله تقاتل الأخوان كأنهما وحشان قرونا وأجيالا حتى اصطبغت الأراضي المقدسة بالدماء فشربتها شرب الهيم ولم يغن فيها دعاء ابراهيم وهي اليوم كما كانت بالأمس وا أسفا والفرق في الاسم فقط فتلك حروب صليبية وهذه حروب صهيونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أحمد لطفي السيد

طرائف من العصر المملوكى :

ابن حجر الأديب

للأستاذ محمود رزق سليم

أعنى بابن حجر هنا ، شهاب الدين أبا الفضل أحمد العسقلانى المصرى . المنسوب إلى عسقلان من بلاد الشام ، والمولود بمصر — الفسطاط — والذى عاش بين سنتى ٧٧٣ ﻫ ، ٨٥٢ ﻫ . فإن هناك ابن حجر آخر ، وهو الهيثمى من علماء العصر العثمانى .

أما ابن حجر العسقلانى فهو أشهر من أن يشار إليه ، وأجل من أن تكتب عنه عجالة ، وأحرى أن تؤلف فيه رسالة مسهبة فياضة تنم عن علمه وتحدث عن فضله . فإن آفاق علمه واسعة ، ونجاج فضله رحيبة . وهو فى الجبهة الأولى بين علماء العصر المملوكى . وفى الصف الأول بين نابغيه ، وممن نبه العصر بنباهته ، وسما بسمو مكانته .

أخذ العلم عن أئمة زمانه كالزين العراقى ، والسراج البلقينى ، وابن الملقن والإبناسى ، والعز بن جماعة ، والمجد الفيروزابادى ، والمارى والبدر البشتكى — وطوف فى آفاق مصر ، وربوع الشام ، وجال فى نواحى حلب ، وحج إلى بلاد الحجاز ، وزار اليمن ، فأفاده التجوال علماً غزيراً وأدباً جماً وخبرة صائبة ومعرفة سديدة .

وفره فى العلم حتى تصدر للافتاء وقعد للتدريس وعكف على التأليف . ووكلت إليه مناصب عدة من مناصب الدولة من بينها قضاء الشافعية ، فنبه فيها شأنه بكفايته ومهابته . فعظم فى عيون أهل جيله وعلى رأسهم السلطان الملك المؤيد شيخ صاحب جامع المؤيد المشهور ، الذى كان ابن حجر فى مقدمة هيئة التدريس فيه .

لم يقتصر بروز ابن حجر على مادة علمية واحدة بل تجاوزها إلى غيرها . فقد أغرم بالحديث النبوى الشريف فتلقاه عن حفاظه . وظل يجمعه ويحفظه حتى غدا أحفظ أهل زمانه . وعنى بالتأليف فيه وفى تاريخ رجاله ، فوضع كتبا عدة منها كتابه المشهور « فتح البارى » الذى شرح فيه صحيح البخارى ، وقدمه بمقدمة جليلة سماها « هدى السارى » . قال بعضهم « لو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخارى إلى الآن دين على هذه الأمة ، لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء » . وقال عنه السخاوى فى الضوء « إن هذا الكتاب لم يسبق نظيره وكان أمراً عجباً » . والحق أنه كان فتحاً مبيناً فى تاريخ شرح الحديث — ولابن حجر عشرات الرسائل فى الحديث ورجاله ومصطلحه .

ودرس ابن حجر فقه الشافعى حتى نبغ فيه وأصبح رأساً بين فقهائه ، واختير لذلك قاضياً لقضاة الشافعية وظل بين تعيين وعزل قرابة إحدى وعشرين سنة ، بعفة وجدارة .

وأقبل على التاريخ وعلى التأليف فيه حتى كون ببعض مؤلفاته حلقة هامة من حلقات تلك السلسلة الفريدة من كتب التاريخ التى صنفها مؤرخو مصر فى تاريخها وتاريخ رجالها . ومنها « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » .

وتخرج به طائفة من الفضلاء ومنهم تلميذه الأثير شمس الدين السخاوى صاحب « الضوء اللامع » ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصارى . وهكذا جمع ابن حجر الفضل من أقطاره ، والمكارم من آفاقها . وإذا ذهبنا نعد مؤلفاته وأعماله وننوه بخطرها وجلال قدرها ضاق المقام وأعيا الكلام .

وما بنا من رغبة هنا إلا أن نعرض لميزة من مميزاته قد يكون انتابها شىء من الخفاء ، فاحتجب خبرها وتعمى ذكرها ، وتلك هى أدبه .

لقد كان ابن حجر أديباً له نفسية الأديب وحساسيته ، وله عاطفته وشعوره ، وله تأثره وإنتاجه ... ولكنه انساق بدافع من روح عصره إلى طلب الحديث ودراسة الفقه وعلوم الدين ، فبرز فى ذلك كله بروزاً تطامن أمامه بروزه فى فنون الأدب .

لقد كان بالعصر تجهم للأدب وانصراف عن الأدباء . ولولا ثقة انبثت فى نفوس الأدباء بأدبهم ، وولوع شاع فيهم بفنهم ، لتجهموا للأدب فى المتجهمين ، ولانصرفوا عنه مع المنصرفين . وقد كان ابن حجر من هؤلاء الأدباء ... ولكن كانت به إلى جوار ذلك نزعة طاغية إلى المجادة ، ورغبة جامحة إلى معالى الأمور ؛ وشعر حينذاك أن الأدب لا يبل أوام أديب ولا يؤدم لقمته ، فضلا عن أن يسدل عليه أردية المجد ضافية ، ويرخى فوقه أثواب الجاه سابغة ، فإذا ركن إلى الأدب وحده اعتاص عليه السبيل

إلى المجد ، وانسد أمامه الطريق إلى الجاه . لذلك عدل ابن حجر عن الأدب إلى غيره، وطلب المجد من باب غير بابه. فحفظ الحديث ودرس الفقه ...

شعر ابن حجر وهو فى حداثة سنه بجيله الفطرى إلى الأدب، فعكف على دراسته ومعالجته ، ونظم الشعر حتى بلغ فى نظمه مبلغاً محموداً . ثم تفتحت فيه زهرات الآمال ، وقوى حب المجد فى نفسه ، ورأى للبارزين من علماء الدين وفقهاء المذاهب فى عصره منازل دونها منازل الأدباء والشعراء ، فأشرأبت عنقه إلى منزلة من منازلهم ، ورجا أن يكون فى آنى أيامه واحداً منهم ، لذلك سلك طريقهم ونهج نهجهم ، وعدل عن الأدب لحفظ الحديث ودرس الفقه ... ورأى أن يستغل فيهما ذكاءه ومواهبه. فكان له ما أراد .

ولكن هل أزال هذا النهج الجديد نزعة الأدب من نفسه ، كلا ! بل ظلت كامنة فيها كمون المطر فى زهرته ، متربصة تربص اللحن فى وتره . فإذا مرت عليها نسمة وانية رفيقة استجابت لها فعطرت الأرجاء بأرجها : أو هزتها يد حانية رقيقة لبتها فأطربت النفوس بنغمها . وهيهات هيهات أن تصدأ نفس الأديب الموهوب .

وبعد ، فأين نجد أدبه ومظاهره ؟ نجد ذلك فى كتابته وخطبه وفى شعره .

وحقاً إذا أنت قرأت فى مؤلفاته رأيت أسلوبه الكتابى علمياً فيه من مصطلحات العلم لفظها وأسلوبها كما أنه يغلب عليه فى كتب التاريخ سرد حديثه وقص تراجمه فى غير تأنق. غير أنك يصادفك كثيراً فى تضاعيف هذه التراجم وغيرها سطور من الأدب الخالص يعود إليه فيها طبع الأديب فيتأنق ، ويتخير اللفظ ويحسن فى الأسلوب وتبدو عليه سيما عصره من مراعاة البديع ، ولكن فى غير إغراق ولا استكراه .

وقد كان ابن حجر خطيباً دينياً يعظ الناس فوق المنابر وغيرها، وولى خطابة جوامع عدة منها الجامع الأزهر وجامع عمرو.

ولعل شعره أوضح مظاهر أدبه . وقد كان يظن أن شعره هذا سيتأثر بالاتجاه العلمى البحت الذى اتجهه ، فيسمج ويتخاذل وينبو بالمصطلحات . ولكن الحق أنه بقى له شىء كثير من رونقه وصفائه ، كما بقى لابن حجر نفسه شىء كثير من طرب الأديب وأنسه وإيناسه ومرحه ودعابته . وقل أن مرت به مناسبة من مناسبات الأدباء لم يدل عندها بدلوه فى الدلاء . فمدح وهنأ وتغزل وشكا ورثى وعاتب وتشوق وحن، ووصف ، ونظم فى المديح النبوى وألغز وحاجى وتفكه وراسل وساجل ودبج القصائد الطوال ، وقطع المقطعات الصغار . وأولع فى رفق وكياسة ولطف وسياسة بما أولع به أدباء عصره ممن شغفوا بتعاليم القاضى الفاضل أو تخرجوا فى مدرسة ابن نباتة ، فورى وضمن واقتبس وطابق وجانس . إلى غير ذلك .

وفضلا عن أن شعر ابن حجر قد انتثر فى بعض مؤلفات ابن حجة الحموى كخزانة الأدب ، وترى منه طرفاً فى حسن المحاضرة للسيوطى، فإن له ديوان شعر مخطوطا ، لما يطبع — كما نعتقد — قال جميل العظم إن ديوان شعر ابن حجر اسمه « الدرر » . وقيل فى فهرس دار الكتب إن صاحب كشف الظنون قال «إن لابن حجر ديوان شعر كبيراً انتخب منه قطعة ورتبها على سبعة أبواب وسماها « السبعة السيارة النيرات » وهى ديوانه الصغير » ثم قيل فى الفهرس « لعل هذا الأخير هو الذى بأيدينا » . ويؤيد كلام الفهرس خطبة هذا الديوان التى كتبها ابن حجر فى مقدمته فهى ناطقة بأن ما فى هذا الديوان جزء من شعره لا شعره كله .

شعر الديوان إذن ، جملة مختارة من الديوان الكبير . وقد جمع فيه ابن حجر بعض شعره البكر إلى بعض من شعره المتأخر. ومن محاسنه ذكر تاريخ بعض القصائد بالسنة واليوم ، وذكر أسماء ممن وجهت إليهم من ملوك أو إخوان ، فنهم الملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، وعبد العزيز صاحب تونس ، والعباس ابن محمد الخليفة العباسى بمصر ، مدحه ابن حجر بقصيدة بارعة لما ولى السلطنة المصرية عام ٨١٥ هـ ، قال فى مطلعها :

الملك أصبح ثابت الآساس ... بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى ... لمحلها من بعد طول تناسى

وقد قسم ابن حجر ديوانه المذكور إلى سبعة أبواب . فافتتحه بالنبويات ثم الملوكيات — أى المدائح — ثم الإخوانيات ثم الغزليات ثم الأغراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع .

أما نبوياته فلم يأت فيها بجديد وهى على نمط مما جاء فى بردة البوصيرى من ذكر ما عرف من سيرة النبى عليه السلام كالمولد والمعجزات والإسراء والمعراج إلى غير ذلك . ومنها قوله عن النبى عليه السلام :

هو رحمة للناس مهداة فيا ... ويح المعاند إنه لا يرحم

نال الأمان المؤمنون به إذا ... شبت وقوداً بالطغاة جهنم
الله أيده فليس من الهوى ... في أمره أو نهيه يتكلم
فليحذر المرء المخالف أمره ... من فتنة أو من عذاب يؤلم

أما مدائحه الأخرى وهي ما سماه «الملوكيات» فأجل أبياتها ما بدا في صدرها من غزل . وكذلك كان دأب ابن حجر في أغلب قصائده حتى النبويات يبدؤها بأبيات غزلية على سنة القدامى . ولكنها رقيقة لطيفة تنم عن عاطفة جميلة وشعور صادق . وبمناسبة الغزل نذكر أن بعض علماء العصر وفقهائه ممن نظموا الشعر ، تغزلوا ووصفوا المؤنث والمذكر ، وصرح بعضهم بأن هذا كان منهم على سبيل تمرين القريحة . وما هو إلا حب التقليد أو حب الظهور دفعاهم إلى شعر الغزل . وما كانت بهم من حاجة إلى الاعتذار أو التنصل ، فكثير من شعرهم بدا متكلفاً ممجوجا مستخذى العاطفة ضيق الحيلة ففضح نفسه بنفسه . ولكننا نشعر أن غزل ابن حجر ينم عن عاطفة جميلة وشعور صادق — كما ذكرنا — ولا نستطيع أن نقدم على هذه الدعوى دليلا غير ما يفيض به غزله دون سائر شعره من رقة ولطف وسلاسة . قال في مطلع مدحة نبوية :

إن كنت تنكر حبا زادني كلفا
حسبي الذي قد جرى من مدمعي وكفى
وإن شككت فسائل عاذلي شجني
هل بت أشكو الهوى والبين والأسفا
أحبابنا ويد الأسقام قد عبثت ... بالجسم هل لي منكم بالوصال شفا
كدرت عيشاً تقضى في بعادكم ... وراق مني نسيب فيكم وصفا

ومنها :

وكنت أكتم حبي في الهوى زمنا
حتى تكلم دمع العين فانكشفا
سألت قلبي عن صبري فأخبرني
بأنه حين سرتم عني انصرفا
وقلت للطرف أين النوم بعدهم ... فقال : نومي وبحر الدمع قد نزفا

وهذه الأبيات أليق بباب الشكوى منها بباب الغزل ، غير أن الشكوى هنا هي من صميم الغزل بل هي لبه وجوهره . وهي أدل على صدق العاطفة من الوصف الصريح . ومع هذا فاسمع قول ابن حجر من غزلية رقيقة :

طيف لمن يهوى ألما ... بطوى ذبول الليل لما
أهلا به لو أن طر ... ف للمنام يذوق طعما
حتام يا ريق الحبيب ... أراك موروداً وأظما
وإلام يا قلب الكئيب ... بأسهم الألحاظ ترمى
هلا صحوت من الغرا ... م فلم أراجع فيه عزما
وصبرت عمن لا يطا ... وع ما تشا نهيا وغرما . الخ

وبعد فلعل القارىء ممن يلحظ في هذا الشعر ما لحظته فيه من رقة ولطف . ويضيق المقام دون الحديث كما ينبغي وكما نشتهى عن شعر ابن حجر . وليس به ما يشوب إلا هنات قليلة شاعت في فرسان عصره كخطأ لغوى أو استعمال عامى .

وإذ آن لنا أن نختم هذه الوجيزة ، نذكر أن ابن حجر كان يتخذ حكما في المباريات الأدبية ، مما يدل على علو كعبه في ذوق الأدب وتمييزه . حكوا أن ابن نباتة المصرى مدح الكمال ابن الزملكانى القاضى بتائية بارعة صدرها بغزل مليح ، ومنه في مطلعها :

قفى وما قضيت منكم لبانات ... متيم عبثت فيه الصبابات

فعارضها كثير من الشعراء ، ومنهم برهان الدين القيراطى ، قال في مطلع قصيدته :

ما لابتداء صباباتي نهايات ... يا غاية ما لعشق فيه غايات

ثم جاء ابن حجة الحموى من بعدهما فعارضهما بقصيدة أخرى قال في مطلعها :

لمجبه ولذيل الهجر ثمرات ... وللقلوب من الأجفان كسرات

ثم احتكم ابن حجة في التائيات الثلاث إلى ابن حجر ، فحكم له ابن حجر وفضله عليهما وسجل ذلك في مكاتبة أدبية طريفة قال في صدرها : « لله الأمر من قبل ومن بعد . الحكم بين النظراء إنما يحسن ممن يماثلهم فيما به يرتفع الحكم . وفي إقدام من لم يرتق إلى تلك الطبقة نوع من الظلم . ولا يرتاب لبيب في أن كلا من الثلاثة رأس هذا الفن في زمانه ، وأنه لا يوازنه أحد من أقرانه .

وثلاثة كثلاثة الراح استوى ... لك لونها ومذاقها وشميمها ». الخ

وبعد فهذه أثارة من أدب ابن حجر نوهنا بها أملا في أن تثير الرغبة في دراسته بتفصيل وروية .

(حلوان) **محمود رزق سليم**
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

للحقيقة والتاريخ :

حول الفتنة الكبرى

للدكتور شـــوقي ضيف

قرأت بعناية مقال الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر بمجلة الرسالة فى عددها ٧٦١ عن كتاب « الفتنة الكبرى أو عثمان » لأستاذنا الدكتور طه حسين . وقد رأيت الأستاذ صاحب المقال يقول فى أوائل كلامه : رميت بنفسى وعقلى فى هذا الكتاب ... فما كدت أفرغ حتى رأيت الكتاب كله يختلج بين يدى » . وذهب الأستاذ يوضح أسباب ذلك فإذا هو يعود بها إلى خبرين أو روايتين نفاهما مؤلف الفتنة الكبرى .

وأقام الأستاذ شاكر الدنيا وأقعدها لأن المؤلف نفى هاتين الروايتين وما كان ينبغى له . وإن كتاباً يخرج عن عثمان وتنفى فيه هاتان الروايتان لخليق بأن يختلج ، على الأقل ، بين يدى الأستاذ شاكر !

أما الرواية الأولى ، فهى أن مؤلف الفتنة الكبرى ينفى ما يروى من عمل لابن سبأ فى فتنة عثمان . وأما الرواية الثانية ، فهى أن المؤلف ينفى ما يروى من كتاب المصريين الثائرين الذى خرجوا به عن عثمان إلى واليه على مصر ، فلما فضوه فى بعض الطريق وجدوه يأمره أن يقتلهم ، فرجعوا إلى عثمان وحاصروه حتى كان مقتله .

وإنكار الرواية الأولى هو الذى أثار ثائرة الأستاذ شاكر ؛ فقد رأى مؤلف الفتنة الكبرى أن هذه الرواية لم تأت فى الكتب التاريخية القديمة كلها ، وأن المؤرخين المتأخرين توسعوا فيها فشك فيما صارت إليه ، بل شك أيضاً فى أصلها ، لأن ابن سبأ أسلم فى عصر عثمان ومثله — وهو ليس من السابقين الأولين ولا من قريش ولا من الأنصار — لا يؤثر تأثيراً عميقاً فى هذه الفتنة الكبرى التى انتهت بقتل الخليفة . وقد كان الإسلام ، لا يزال فى دوره الأول ، وما كان المسلمون الأولون ليثوروا على خليفة وراء يهودى أسلم حديثاً . وإن وصفهم بذلك ليحط من شأنهم ؛ إذ يكونون أطفالا أغراراً يتبعون هذا الناعق الذى يكيد للاسلام . والحق أن المسلمين ثاروا على عثمان لأسباب داخلية يفصلها مؤلف الفتنة الكبرى .

ومن المسلم به أن من حق المؤرخ أن ينفى بعض الروايات وأن يثبت الأخرى ؛ معتمداً فى ذلك على القرائن والأدلة المختلفة وقد رأى صاحب كتاب الفتنة الكبرى قصة ابن سبأ هذه أو ابن السوداء تروى فى بعض الكتب التاريخية الموثقة ولا تروى فى أخرى ، بل رأى أن الكتب التى كانت أكثر اهتماماً من غيرها بفتنة عثمان لا تروى هذه القصة من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى فازداد شكه فى القصة وازداد اتهامه وخاصة أنه رآها تكبر وتتضخم مع مر الزمن فقال : « إن هذه القصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها وأسرفوا فيها حتى جملها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لما كان من الاختلاف على عثمان » .

وعلق على ذلك الأستاذ شاكر بأن الطبرى كان أحد رواة هذه القصة ، وقد ذكر مؤلف الفتنة الكبرى نفسه ذلك . وإذن فكلمة الرواة المتأخرين السابقة فيها إبهام شديد متعمد فيما يظهر . فإن الطبرى ليس من الرواة المتأخرين ، وقد روى القصة عن سيف بن عمر بشهادة المؤلف نفسه . وأظن أنه كان ينبغى للأستاذ شاكر أن يلاحظ أن المؤلف لا ينفى عن بعض الرواة السابقين ذكر القصة ، بل هو يثبت ذلك ويثبت بجانبه أن الرواة المتأخرين بالغوا فى القصة أو على حد تعبيره أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها .

وهذا كلام مستقيم ، فقد أخذت القصة تطول وتتسع فى البيئات الشيعية وعند خصومهم كلما تقدم الزمن حتى أصبحت أشبه ما يكون بالأسطورة . وكان هذا سبباً فى أن يتهم مؤلف الفتنة الكبرى القصة فى بعض الوجوه . وأيضاً فقد لاحظ أن المصادر المهمة التى قصت أمر الخلاف على عثمان لم تذكرها من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى .

وليس معنى ذلك أن المؤلف يقصد بذلك إلى التقليل من شأن الطبرى كمصدر مهم فى التاريخ الإسلامى وإنما معناه أنه يقارن ويقابل فيجد ابن سعد لا يذكر القصة كما يجد البلاذرى ، وهو أهم المصادر — فى رأيه — لهذه القصة وأكثرها تفصيلا ، لا يرويها ، إنما يرويها الطبرى وحده بين المصادر القديمة ، وهو يرويها عن سيف بن عمر .

وهذه المقارنة بين الطبرى وغيره فى هذه القصة جعلت مؤلف

الفتنة الـكبرى يتهمها ، فقد أثار ذلك الشك فى نفسه ، وأظن من حق كل مؤرخ أن يشك ويتهم بعض الروايات القديمة وخاصة إذا لم تتآزر الـكتب التاريخية المختلفة فى روايتها .

وقد ذهب الأستاذ شاكر يبرهن على صحة القصة بأن طبقات ابن سعد طبعت من نسخ ناقصة وربما كانت القصة موجودة فى الأصل وسقطت . واتسع بهذا البرهان فى أنساب الأشراف للبلاذرى فقال إن ناشره يهودى من طغاة الصهيونية وربما حذف الرواية الخاصة بابن سبأ . ولست أدرى ماذا يضير اليهودى الناشر من رواية هذا الخبر !. وقد رجع الأستاذ شاكر يقول ربما ذكر البلاذرى هذا الخبر فى ترجمة مفقودة .

وواضح أن هذين البرهانين أو قل هذا البرهان لا يثبت قصة ابن سبأ ، فإن ما جاء به الأستاذ شاكر إنما هو فرض ولا يقين فى يده .

وقد أخذ بعد ذلك يناقش المؤلف فى الخبر أو فى القصة على أساس أن من لم يرو خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر وخاصة إذا كان الراوى مثل الطبرى علماً وفهماً وهو الذى روى عنه أنه قال لأصحابه « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ، فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال إنا لله ! ماتت الهمم » .

وأحسب الأستاذ شاكراً نقل هذا الخبر عن كتاب معجم الأدباء لياقوت ، ولو أنه استمر بعد هذا النص الذى نقله عن معجم الأدباء يقرأ فى ترجمة الطبرى لرأى ياقوت يقول عنه : « إنه لم يدخل فى كتابه (التفسير) شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الـكلبى ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدى ، لأنهم عنده أظناء » ثم يقول ياقوت عقب ذلك مباشرة : « وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الـكلبى وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدى وغيرهم فيما يفتقر إليه » .

وإذن فالطبرى لم يـكن يحقق فى روايات التاريخ كما كان يحقق فى روايات التفسير ، ومع ذلك يقول الأستاذ شاكر : « من قرأ كتاب الطبرى فى تاريخه ... علم أن هذا حق ، وأن الرجل كان فارغاً للعلم لا يلفته عنه شئ » . وأنا لا أنفى أن الطبرى كان فارغاً للعلم ، ولـكن أنفى أن تاريخه حق خالص لأنه قد يروى عن الـكلبى وابنه هشام والواقدى وغيرهم كما يقول ياقوت :

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تقوله دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة تاريخ ص ٤٩٣ من المجلد الرابع فى الترجمة العربية من أن « مواطن الضعف عند الطبرى فى تاريخه هى ما يتوقع من محدث مثله — مثال ذلك إيثاره لمصنف سيف المنحول على التاريخ . » ثم عرفنا أن سيفاً هذا هو سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى قصة عبد الله بن سبأ ؛ أفلا يكون هذا كله سبباً فى أن يتهم مؤرخ حديث قصة ابن سبأ ؟

وإن من يرجع إلى ابن عساكر يلاحظ أنه يروى كل ما يتصل بفتنة عثمان عن طرق مختلفة أكثرها طرق محدثين إلا قصة ابن سبأ فإنه يرويها مثل الطبرى عن سيف بن عمر .

على أن ابن سبأ كان له ضربان من النشاط ، نشاط مزعوم فى عصر عثمان ، ونشاط حقيقى فى عصر على . ومع ذلك فالنشاط الأخير قد بولغ فيه على ما هو معروف فى قصته من الحرق والنفى الخ .

وهذا ما جعل مؤلف الفتنة الـكبرى يؤخر الحديث المفصل عنه إلى الجزء الثانى من كتابه حتى يلم بهذه الشخصية من جميع أقطارها إلماماً دقيقاً . ألم يقل فى ص ٢٣٢ : « لم نفصل فى هذا الجزء حديث عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، لأنه طويل معقد ، ولأن نشاطه الخطير إنما يظهر فى رأينا أثناء خلافة على فقد أرجأنا حديثه إذن إلى الجزء الثانى من هذا الـكتاب » . وقبل ذلك يقول فى ص ١٣٤ : « وأكبر الظن أن عبد الله ابن سبأ هذا — إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً — إنما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية وليشنعوا على علىّ وشيعته من ناحية أخرى ، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودى أسلم كيداً للمسلمين . وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة » .

ليست قصة ابن سبأ إذن قصة سهلة يسيرة يمـكن أن تقبل لمجرد أن يرويها الطبرى عن سيف بن عمر ، بل هى أعمق من ذلك

وأبعد . وأكبر الظن أن من حق المؤرخ إزاءها أن يقابل بين الروايات بعضها وبعض وألا يكتفي بوجودها في الطبري عن سيف بن عمر .

أما الروايات الثانية أو القصة الثانية التي وقف عندها الأستاذ شاكر فقصة كتاب المصريين وما كان من فضهم له في الطريق واطلاعهم عليه ثم عودتهم إلى المدينة ومحاصرتهم لعثمان ، فإن الأستاذ شاكراً لا يأتي بدليل عليها سوى أنها جاءت عند البلاذري ! كأن الأصل أن يجيء الخبر أو القصة ثم نصدق بها من غير بحث ولا درس ولا امتحان ولا فحص . ومجيء قصة في البلاذري لا يحتم صدقها ومن حق كل مؤرخ أن يختبرها ويمتحنها ويتهمها إن كان هناك ما يدعو إلى تهمة .

وبعد فهذه آراء رأيت أن أعلق بها على مقال الأستاذ محمود محمد شاكر للحقيقة والتاريخ .

شوقي ضيف

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحرية

للأستاذ كمال دسوقي

٥ — حرية التصرف :

وعلى أساس هذه الحرية العقلية في التفكير التي قررها «مل» بوضوح وجلاء حتى الآن ، تترتب الحرية العملية في التصرف ، فللانسان مطلق الحرية في إبراز آرائه من حيز الفكر إلى حيز العمل ، ومن نطاق العزم إلى نطاق التنفيذ ، ما دام أن عواقب هذه الأمور قاصرة على صاحبها ، وما دام تنفيذها ليس من شأنه أن يضر بالغير ، فحرية الفعل والعمل هي الشق المتمم لحرية الفكر والقول . على أن استخفاف الناس بهذه الحرية الشخصية في ناحيتها ، وقلة إيمانهم بها ، وعدم حرصهم عليها ومراعاتهم لها ، وإغفالها كذلك في برامج الفلاسفة والمصلحين ، هو العقبة دون تحقيقها ، ولو قد حرص أولئك وهؤلاء فيما يرى «مل» — على امتلاك هذه الحرية والإبقاء عليها وحسن استخدامها ؛ لما كان للمجتمع في أي أمر من أمورهم أدنى تدخل ، ولو كان ذلك بإرادتهم أنفسهم .

وإنما تأتي ضرورة هذه الحرية الشخصية في الفكر والعمل جميعاً ، من أنها لا بد لازمة لنمو الملكات ، وظهور المواهب ، ولا يتأتى ذلك للأفراد إلا بأن يلموا أولا بتجاريب السلف وخبراتهم ، وأن يستفيدوا بها بادىء الأمر ، حتى يتهيأ لهم تأويلها وتحويرها بما يوافق ظروفهم ومواقفهم ، وحتى لا يصدرون في أفعالهم وآرائهم عن تقليد وجمود وانسياق ، بل باختيار ومفاضلة ومران عقلي وشجاعة أدبية ، تتحقق معها نفوسهم بما هي نفوس إنسانية ، وتنتظر ملكات هذه النفوس من ملاحظة وتأمل ، وحكم وتدبر ، وعزم وإرادة . فلم توهب هذه الملكات لنعطلها ونقضي عليها بحجة التسليم للمشيئة — وفي هذا ما يكفي للرد على أنصار المذهب الكالفاني — ولن يكون إنكار الذات بالنسبة للشخص أكثر شرفاً وفائدة من تقرير الذات بالنسبة للمجتمع ، فإن في ارتقاء شخصية الفرد علواً بنفسه ومجموعه وخصباً لحياتهم خصوصاً وأن آفة مجتمعنا الحديث لم تعد طغيان شخصية الأفراد وبطشها وجماحها بقدر ما في خضوعها للمجتمع واستكانتها لرغباته ، وانقيادها لإرادته في العادات وأخص الخصائص كالذوق والحب والكره ، مما يترتب عليه تضاؤل شخصية الفرد بجانب شخصية المجموع ، حتى لقد وجب على المجتمع أن يتدخل لتربية الذوق وتهذيب الحس وإذكاء الضمير في كل فرد . رعاية لمصالح المجموع ، حتى يوجه عواطف الأفراد وميولهم هذه الوجهة . وفي هذا رد كذلك على الذين يقولون بضرورة حد العواطف والنزعات مع حرية العقل والفكر .

حرية التصرف إذن حق ثابت لجميع أفراد المجتمع خاصهم وعامهم ، لا الحرية المطلقة الكاملة التي لا تعرف حدوداً ، بل بالقدر الذي لا يتعارض مع حرية الغير ، أو يترتب عليه اعتداء القوي على الضعيف ، ولا ضير على الحرية الشخصية من هذا القيد ما دامت تعوض عن تقييد الشطر الأناني منها بإنماء الشطر الاجتماعي والخلقي : أما إن حرية التصرف لازمة للخاصة أو العباقرة — على قلتهم — فذلك لأن المجتمع في حاجة أبداً إلى من يفتح عينيه على أخطائه ، ويسن له عاداته وتشريعه وتقاليده في تطور تاريخه ويبتكر له ما يرقى حياة أهله في الفكر والعمل ، وينفث فيه روح الحياة والتقدم ، ولا يتأتى ذلك إلا بتنشئة الأفراد جميعاً

في جوّ صالح يعين على إظهار مواهبهم ، والاستفادة بهم ، فهذه الأقلية الممتازة هي القادة ، وإلى هـذه الارستقراطية الفكرية يجب أن يوكل زمام الحكم ، فإن حكومة الطبقة المتوسـطة هي كذلك متوسطة ، وكل شذوذ في المجتمع دليل على وعيه وعبقرية أفراده وابتكارهم . فهم سيقودون وطنهم وإن لم يحكموا ، وأما ضرورة الحرية الشخصـية للعاديين من الناس فحجتها أن تنوع الأفراد في المجتمع ، وتنوع ظروف الفرد الواحد منهم ، يستتبع منتهى الحرية في تنويع أساليب الحيـاة والتصرف التي يأخذ بها الفرد في كل ظرف يواجهه ، حتى يتكيف في بيئته ، ويوائم بين نفسه ومجتمعه ، على نحو يجعله غير عاجز عن النهوض بنفسه .

و « مل » يشير في غير موضع من هـذا الفصل إلى الدور الخطير الذي يقوم به المجتمع في محاربة العباقرة وتحبيذ حكومة الطبقة المتوسطة ، وإلى تعصب الرأي العام فيه على أي مظهر من مظاهر التفوق والامتياز ، وإلى تحكم العادة واعتراضها سبيل كل تجديد وإصلاح ، وإلى أن الخلاف وتنوع المذاهب وعدم المماثلة — أي في كلمة فون همبولت — الحرية وتنوع المواقف هي ضمان عدم انزلاق الدول الغربية في مصير الصين ، ويرى ضرورة الإصلاح آنئذ قبل أن يتم وقوع هذا الخطر .

٦ — مدى سلطان المجتمع على الفرد :

ثمت أذن حقوق فردية تهم الفرد بنوع خاص ، وهو أبصر الناس بها لأنه أعلمهم بمأتاها ووسائلها — وثمت — في مقابل ذلك حقوق مشتركة تهم المجتمع بوجه خاص ، وله أن يدافع عنها ضد من يمسها أو يعتدي عليها ، بوسائله الخاصة وحقوق كل من الطرفين تمد واجباً على الآخر . فحق المجتمع على الفرد — مادام يتمتع بالأمن في كنف رعايته — أن يسلك سبيلا يبعـد به عن الإضرار بمصالح الغير وحقوقه ، وأن يتحمل نصيبه من التبعات التي يفرضها عليه مجرد كونه عضواً في المجتمع . وحق الفرد على المجتمع أن ينظم له القواعد التي تبصره بما عليـه من واجبات في معاملته للغير وما له عليه من حقوق ، وأن يدعه في شئونه الخاصة به يتصرف تصرفاً خالياً من كل قيد ، وأن يكيف جريمة الفرد قبل إنزال العقوبة ، فإن كان قد انتهك القواعد التي سنت لحماية المجموع ، فترتب على ذلك إضرار بغيره ؛ تدخل المجتمع للضرب على يده حماية لإخوانه ، وأما إن كان تصرفه ناشئاً عن عيوب ذاتية أو اجتماعية فيـه ، يترتب عليها الإخلال بالتزاماته الاجتماعية نحو أسرته أو دائنيه أو واجباته بوجه عام ، فللمجتمع أن يوقع عليه المسئولية الأدبية أو القانونية حسبما يراه لا بسبب هذه العيوب الذاتية أو الاجتماعية فحسب الفرد بلاء وجودها فيه — ولـكن لما ترتب عليها من إخلال — إذ الأمر هنا يخرج عن نطاق الحرية إلى الآداب والمعاملة ، وأما ما عدا هذا من الأضرار العرضية التي لا ضرر فيها — فعلى المجتمع أن يتحملها عن طيب خاطر ، فإن كفة الخير الذي يصيبه من إطلاق الحرية أرجح من كفة هذا الضرر مهما بلغ ، خصوصاً وأن المجتمع يجب أن يعد نفسه المسئول الأول عن عدم توجيه الأفراد وجهة قويمة — مع ما كان له من سلطة . وأن التعرض للحرية كثيراً ما يؤدي إلى عكس المراد منه ، ما دام الجمهور — أكثرية الأفراد — يحكم في ذلك على الأقلية المخالفـة المستنيرة — بحكم هواه وصالحه — لا بمنطق سليم يرى في الشيء ضرورة ذاتية تسوغ الأخذ به ، ولا ضرر من القدوة السيئة ، فإنها — وإن كانت تعرض نماذج سيئة من السلوك ، فهي تعرض كذلك عاقبة أصحابها الوخيمة . وعلى الأفراد — على أي حال — أن يتعاونوا ويتناصحوا ويتواصوا فيما بينهم في أدب ومجاملة بما يحقق خيرهم .

ولتأييـد ما يقول « مل » من أن قوانين المجتمع ليست في حقيقتها إلا هوى الجمهور . وما يرى معه من خطر مبدأ التعرض لو أخـذنا به ؛ يضرب أمثلة كثيرة من التاريخ الواقع ، منها عبادة الله على غير المذهب الروماني الـكاثوليكي في نظر الإسبان ، وموقف أهل أوربا الجنوبية من زواج القسس ، ومصادرة البيوريتانيين أيام نفوذهم في نيوانجلند لكل أنواع الملاهي والتسلية ، والنزعة الديمقراطية التي ترمي إلى أن تجعـل للجمهور أن يتدخل في تحديد طريقة إنفاق دخل الأفراد ، ومطالبة العمال غير المهرة بألا تزيد أقليتهم الماهرة عن بقيتهم في الأجر ، واختلافهم حول ضرورة التشريع الخاص بالعطلة الأسبوعيـة وتبرير الجمهور فعله هذا بالدين ، وأن من حقه حمل الخارجين على إطاعة الدين ، مما ترتب عليه أبشع صنوف الاضطهاد الديني ، كما حدث في مذهب « مورمن » الذي وإن كان قد دعا إلى شيء رجعي مستنكر عندهم هو تعدد الزوجات ؛ فلم يكن ينبغي أن يقابل بمثل هذه الوحشية فليس لجماعة أن تحمل غيرها على الرقي والحضارة عنوة ؛ بقدر

ما تستطيع التبشير ومحاربة العقائد الفاسدة في عقر دارها بوسائل التنوير والإقناع ، ولكنه المجتمع يشرع دائماً وفق هواه ، ثم يستبد بحجة الرأي العام .

تطبيقات :

وإذ تقررت لدى « مل » حرية الفرد في الفكر والعقل ، في الرأي والتصرف ، وثبت ضرورتهما لصلاح حال المعيشة وشخصية الأفراد ، شرع يطبق هذه المبادىء على كثير من مشكلات عصره وبلاده – مبيناً في كل منها متى يحل للحكومة أن تتدخل في حرية الأفراد – منحازاً – كعادته دائماً – إلى جانب الحرية الشخصية وإطلاقها في أوسع مدى ممكن ، متخذاً لهذا التطبيق مقياساً تتحدد به مسئولية الفرد أمام المجتمع ينحصر في قاعدتين :

١ – لا يسأل الفرد أمام المجتمع عن شيء من تصرفاته ما دامت لا تمس غير شخصه ، وهنا فلا سبيل للمجتمع إلا أن يظهر بغضه وكراهته ، وأن يقدم نصحه وإرشاده ، وأن يقضى على ما لا يرضى عنه بمجرد مقاطعته ونبذه .

٢ – أما إذا أتى الفرد تصرفات تعترض مصالح الغير . فللمجتمع في هذه الحالة أن يوقع الجزاء القانوني أو الأدبي الذي يراه كافياً للزجر ودرء الاعتداء .

ولا يعد إضراراً بمصالح الغير التنافس والمسابقة ، لما يترتب عليهما من إخفاق البعض نتيجة لنجاح البعض الآخر -- طالما أن وسائل هذه المنافسة شريفة – لا يدخل فيها غش أو خيانة أو إكراه ، وما دامت الظروف مهيأة للجميع على قدم المساواة – ومسألة حرية التجارة – وإن تكن بعيدة عن الحرية الشخصية – ينطبق عليها هذا القول فيجب إطلاق منتهى الحرية للتجار في الدعاية والعرض والإعلان وتجويد الأصناف وتحديد الأسعار ، حتى لا يتحكم فيهم إلا حرية المشترين وتفضيل صالحهم فيسير العرض والطلب على قاعدة الحرية للمنتج والمستهلك ، حقاً إن من واجبات الحكومة اتخاذ الاحتياط لمنع الجرائم قبل وقوعها والأهبة لا كتشافها بعد وقوعها ، وعلى هذا فليس لها بإزاء منع استخدام المواد السامة في الجرائم إلا أن تحتاط « بالأدلة السلفية » أي إجراءات التوقيع والشهود وما يساعدها على كشف الجريمة إن وجدت ، وإزاء التصرف الشخصي السيء كالسكر والبطالة إلا المراقبة والمعونة على عدم الإضرار بالغير . أما بإزاء التحريض على إتيان أفعال شخصية يعتبر الجهر بها إخلالا بالآداب كبيع الخمور وفتح بؤر القمار ، في أماكن عامة . ابتغاء المنفعة الشخصية فيجوز تدخل الحكومة لحمل هؤلاء على التحجب والخفاء ، وحصر هذه في أقل نطاق ممكن ، بفرض ضرائب باهظة على المسكرات تقلل من طلابها وتحرمها على غير القادرين ، وتحديد عدد الحانات ومراقبة سلوك أصحابها وموعد عملهم والترخيص لهم ، وإزاء العقود والاتفاقات التي يبرمها الأفراد لمصلحتهم فيما بينهم القيام على الوفاء بها في النواحي المالية خصوصاً ، وفسخها وعدم الاعتراف بها إذا كانت تحمل بيع حرية الفرد – مع مراعاة التزاماته وواجباته قبل هذا الفسخ – كما في عقود الزواج والطلاق – وفيما عدا هذا فليس ما يمنع عن الفرد خيار التقايل والنكول .

وفي مقابل هذه الأمور التي يجوز للحكومة أن تمنعها . هناك أمور يجب عليها أن تمنحها . ومنها تسوية المرأة بالرجل وحمايتها من استبداده وما يزعم لنفسه من سلطان ، وأن تهيء لكل وليد من رعاياها حق التربية وقسطاً من التعليم ؛ متحملة هي نفقات الفقراء ، وإعانة الآباء ؛ تاركة للمختصين بالتعليم أن يقوموا عليه حافزة إياهم على منافسة مدارسها الأميرية والقضاء عليها ، وأن تجعل امتحاناتها بعد المرحلة الأولى اختيارية في حقائق العلم الثانية ، خصوصاً في العلوم العليا كالفلسفة والعقائد (اللاهوت) ، وأن تمنح من يؤدي هذا الامتحان بنجاح شهادة يزاول بها مهنته دون أن يعترضه أحد . وبالجملة تهيئة الفرص التي قد يفوت الآباء إدراكها حين يسترسلون في معارضة الحد من النسل مع عجزهم عن إسعاده .

و « مل » يناقش أخيراً مدى حق الحكومة في تولي شئون الأفراد ، فيرى أنه لا وجه لتدخل الحكومة للعمل لهم – حين يكون لطائفة منهم القدرة على إتقانه أكثر – أو لا يكون ذلك . ولكن من الخير أن يروض الأفراد أنفسهم على القيام به . أو حين يكون في اتساع اختصاص الحكومة ذهاب بالإتقان والتخصص ، وهو هنا يميل إلى اللامركزية ، وإلى توزيع سلطات الحكومة على المختصين والمهرة ، على أن يظلوا خارج الحكم ، فإن حشدهم للخدمة الأميرية يميت ملكاتهم ، ويجعلهم أكثر استبداداً ، والشعب أكثر عجزاً

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية عند الأتراك :

كانت المحاضرات الثلاث السابقة التي ألقاها الأستاذ ساطع الحصري بالجمعية الجغرافية الملكية في نشوء فكرة القومية في أوربا ، وقد انتقل إلى الشرق في المحاضرة الرابعة التي ألقاها يوم السبت ، فتحدث عن « نشوء فكرة القومية عند الأتراك — التيارات اللغوية والتاريخية التي رافقتها وساعدتها » فقال إن الدولة العثمانية كانت في أول أمرها تتجه إلى الفكرة الإسلامية العامة وخاصة بعد أن تم لها فتح مصر وانتقلت إليها الخلافة الإسلامية ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت الأفكار الوطنية قد امتدت إليها من أوربا ولكنها أخذت صبغة إسلامية ، فكان الأدباء والشعراء يتحدثون عن الوطنية والقومية متجهين نحو التاريخ الإسلامي والعواطف الدينية ، وتطورت الأفكار بعد ذلك حتى أخذت فكرة القومية وضعها الأخير .

وبيان ذلك أن هذا التطور قام على نواح ثلاث : اللغة والتاريخ والسياسة ؛ أما من حيث اللغة فقد كان هناك لغتان : لغة الأدب الراقي ، ولغة الأدب الشعبي ، وكانت الأولى خليطاً من التركية والعربية والفارسية في الألفاظ والتراكيب والقواعد وأوزان الشعر، وكانت لغة شعراء القصور الذين هم عماد الحياة الأدبية الراقية ، أما لغة الشعبيين فكانت تركية بحتة ولها أوزان عامية ليس فيها شيء من العربية . وحدث في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن ظهرت دعوات إلى التجديد في اللغة والأدب، ونشأت مذاهب في ذلك ، بعضها — وهو المعتدل — يدعو إلى بقاء الألفاظ العربية والفارسية التي سارت على الألسنة مع التزام القواعد التركية ونبذ القواعد العربية والفارسية كالاضافة والنسب وغيرهما ، ودعا بعض المذاهب إلى التخلص من كل ما هو أجنبي في اللغة والأدب ، ونظم الشعراء المجددون على الأوزان العامية . وقد اشتجرت الأقلام في هذا الميدان ، حتى انتهى الأمر أخيراً إلى تغلب اللغة التركية ، فهجرت الأوزان والقواعد العربية والفارسية ،واصطبغت الأخيلة بالألوان الأوربية والآداب الشعبية ؛ أما الألفاظ فقد بقي كثير منها حتى تغيرت حروف الكتابة ، فتغير نطق الكلمات العربية وهيآتها تبعاً لتغير الحروف .

وأما التاريخ فقد كانت الدولة العثمانية تسير فيه على العناية بالتاريخ الإسلامي وعدم الالتفات إلى التاريخ التركي قبل الإسلام ولكن لما اتجهت الانظار نحو القومية التركية تغير الاتجاه في الدراسة التاريخية ، فأخذ تاريخ الترك قبل الإسلام مكانه مع التاريخ الإسلامي ، وتغير نظر الأتراك إلى بعض الشخصيات التركية التي كانت تذكر في التاريخ باللعن والسخط .

وبذلك سارت اللغة والتاريخ فكرة القومية في تركيا ، فأثرا فيها ، وأثرت فيهما . وقد أدى كل ذلك إلى نشوء الشعور الوطني وحدوث التطور السياسي الذي جاء بعد التجديد في اللغة والتاريخ . وبدأ العمل السياسي في أوائل القرن العشرين خارج تركيا . وذلك أن الدعاة إلى الأفكار السياسية هاجروا إلى بعض البلاد كمصر وسويسرا ، ونشروا فيها أفكارهم بوساطة الصحف وإرسال المنشورات السرية إلى البلاد التركية ، وكانت الآراء السياسية مختلفة ، فجماعة يدعون إلى الوحدة الإسلامية ، وآخرون يدعون إلى العثمانية ، وفريق ثالث يعتنق الفكرة التركية البحتة .

ولما أعلن الدستور في تركيا ظهرت الدعوات في داخل البلاد ، وأخذ كل فريق يؤيد رأيه ، وتعاقبت الحوادث ، ففصلت بين هذه الآراء بحكمها .

وختم الأستاذ المحاضرة بأن كل ذلك يدل على أثر اللغة والتاريخ في الفكرة القومية عند الأتراك ، وأن هذا يؤيد ما ذهب

خضوعاً ، وانسياقاً إلى خدمتهم ؛ فيموت العمل الحر . بل الواجب أن نجعل كل طائفة بحيث تصلح حكومة بذاتها . وأن نعود الأمة الاعتماد على النفس ، ونخلق منها عناصر جديدة أبداً ولا نحتكر للمواهب في طبقة منها ؛ بل نعمل دائماً على تنشيط هممهم وحفز عزائمهم وإنماء كفاياتهم ؛ فإنما قيمة الدولة بأفرادها

وبعد : أرأيت كاتباً ينتصر للحرية ويدافع عنها بمثل هذه البراعة والقدرة ، والتحمس والإقناع ؟ ...

كمال دسوقي

إليه فى المحاضرات السابقة من أن القومية كائن حى روحه اللغة ووعيه التاريخ ، وقال إنه سيبين ذلك أيضاً فى نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية ، بالمحاضرتين الآتيتين .

نشيد الجامعة العربية :

فى أوائل العام الماضى أعلنت الجامعة العربية عن مباراة لوضع نشيد للجامعة العربية . ولما دنا الموعد المحدد لقبول الأناشيد نظرت فيما تجمع لديها ، فلم تجد فيه ما يصلح ، فأفسحت الوقت ومدت الأجل ، ثم ألفت لجنة للفحص . وانتهى الأجل الممدود وفحصت اللجنة الأناشيد المقدمة ، فلم تجد بينها ما يصلح اتخاذه نشيداً للجامعة . ومما يذكر أنه لم يتقدم إليها أحد من الشعراء المعروفين ، ورأت اللجنة أن تجيز أحسن ما قدم ، فاختارت نشيدين عهدت بأحدهما إلى المعهد العالى للتمثيل والموسيقى ، وبالثانى إلى الجامعة الشعبية ، على نحو ما ذكرت قبل الآن . وقام المعهدان بالتلحين والإلقاء ، وحضرت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية التجربة فى كل من المعهدين ؛ واستقر الرأى بعد كل ذلك على عدم صلاحية أى النشيدين ليكون نشيداً للجامعة العربية . ورئى مع ذلك أن يظل الباب مفتوحاً للراغبين فى نظم الأناشيد ليتسنى اختيار أحدها واعتباره نشيداً رسمياً للجامعة العربية .

قلت فى مناسبة سابقة إن طريقة المسابقات للحصول على إنتاج أدبى لغرض ما — طريقة أصبحت غير مجدية ، لأن المعتزين بأنفسهم من ذوى الكفايات يأنفون من دخولها بغض النظر عما يبديه الساخطون من عدم الثقة بالمحكمين ، وأشرت وقت ذاك بأن يطلب ما يراد ممن تعرف مقدرتهم فيه . وكان « البسام » الذى يحلو له أن يما كسنى فى الاسم غير مكتف بمما كستى فى بعض ما أرى — قد كتب إلىّ يقول : « قد يكون الذى يطالب منه أن يضع نشيداً شاعراً عبقرياً ولكنه لا يحسن الأناشيد أولا يميل بطبعه إلى نظمها فكيف يطلب منه ما لا يحسنه أو لا يوافق طبعه ؟ » وليس عندى دفع لهذا الاعتراض وإن كنت أحتفظ برأيى للتجريب على الأقل ، فهل تأخذ به الجامعة العربية فتعهد إلى من تأنس فيهم القدرة بوضع أناشيد كما صنعت مع من يضع لها معجم البلدان العربية ؟ أو تأخذ برأى « البسام » فتسكت حتى يفتح الله على من يضع لها النشيد المطلوب ؟ وإنى أسبق « البسام » فأقول قبل أن يكتب إلىّ : هذا نشيد الجهاد لفلسطين ، تقدم به الأستاذ حسن أحمد با كثير ، من غير مسابقة ، فاستحسن ونجح قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية فى تلحينه وأدائه . فهل يصنع مثل هذا غيره من المجيدين المتحرجين من التسابق ؟

قواعد جديدة للاملاء :

وضعت لجنة الإملاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مشروعاً يتضمن قواعد جديدة للاملاء ، وقد مهد له ببيان الحافز على هذا العمل وهو تسهيل الكتابة على المبتدئين ومتعلمى العربية من غير أهلها والقضاء على اختلاف الكتابة بين الأفراد وبين الأمم العربية الناشىء عن اختلاف العلماء فى قواعد رسم الحروف ، وذكرت أن أساس مشروعها أن تطابق الكتابة النطق .

والقواعد التى تضمنها هذا المشروع هى كما يلى :

١ — كل ما ينطق به يرسم فى الإملاء ، إلا كلمة « الله » .

٢ — كل ما لا ينطق به لا يرسم ، إلا همزة الوصل ، وإلا لام (أل) الشمسية .

٣ — الهمزة فى أول الكلمة ترسم على ألف مطلقاً ، المضمومة والمفتوحة فوقها والمكسورة تحتها .

٤ — الهمزة المتحركة متوسطة ومتطرفة تكتب على حرف مناسب لحركتها ، ويستثنى من ذلك الهمزة إذا كانت متطرفة وقبلها ألف فتكتب مفردة .

٥ — الهمزة الساكنة متوسطة ومتطرفة ترسم على حرف مناسب لحركة ما قبلها .

٦ — الألف اللينة يرى بعض أعضاء اللجنة أن ترسم ألفاً مطلقاً ، ويستثنى بعضهم على وإلى وحتى وبلى ومتى وأنى .

٧ — كل كلمتين اجتمعتا تكتب كل منهما منفصلة عن الأخرى ، إلا إذا كانت الكلمة الأولى (أل) أو كانت كلتا الكلمتين أو إحداهما على حرف واحد ، وإذا حصل بين الكلمتين إدغام كتبتا كلمة واحدة على حسب النطق .

٨ — يرسم التنوين ألفاً فى حالة النصب ، إلا المختوم بالتاء المربوطة .

وقد نظر مؤتمر المجمع فى هذا المشروع ، فرأى أن يستمر مجلس المجمع فى بحثه ومقارنته بالقواعد الإملائية التى أوصى بها المؤتمر الثقافى العربى الأول ، ثم تعرض النتيجة على مؤتمر المجمع فى السنة الآتية .

وقد قارنت بين هذه القواعد وبين قواعد المؤتمر الثقافى فلم أجد بينهما إلا اختلافاً يسيراً جداً . وقد فرغ المؤتمر الثقافى من تقرير قواعده مع كثير غيرها فى بضعة أيام . فما الداعى إلى إرجاء هذا الموضوع ، اليسير فى مادته الكبير فى أثره ، إلى السنة القادمة ؟ أهى طبيعة المجمع تلازمه فى كل أمر وإن هان ؟

سياسة تشجيع التمثيل :

دعت نقابة ممثلى المسرح والسينما لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين بك فى : « سياسة تشجيع التمثيل » يوم الإثنين ، وقد بدأ بذكر الأساس التى تقوم عليها رعاية الحكومة لهذا الفن ، فقال : إنها تبدو فى نواح أربع ، هى الفرقة المصرية للتمثيل ، والفرق الدرسية ، والمسرح الشعبى . وأسهب فى الكلام على الفرقة المصرية ، ومن أهم ما أفاض فيه كيفية اختيار الروايات . فقال : إن هناك لجنة لهذا الاختيار اسمها : لجنة القراءة (والمحاضر عضو فيها) مهمتها بطبيعة الحال اختيار الرواية الصالحة للتمثيل . ولا شك أن الروايات الغربية تتوافر فيها العناصر الفنية ، وهى وإن كان يجب تقديم بعضها ولا سيما العالى منها ، إلا أنه لا بد من رعاية الجانب المحلى فى التأليف بتقديم روايات مصرية . ولكن الواقع أن المسرح لا يجد ما يصلح من هذا النوع إلا قليلا ؛ لأن كبار الأدباء عازفون عن التأليف للمسرح ، إما ترفعاً عنه ، أو لعدم الميل إليه ، أو لقلة ما يتوقع من كسبه بالنسبة إلى ما يكسبونه من تأليف الكتب . وقد جربت طريقة المسابقات فلم تؤد إلى نتيجة طيبة ؛ لأن الكبار يأنفون الدخول فيها ، وما قدم لم يلف صالحاً ؛ حتى إنه فى إحدى المسابقات رأت اللجنة عدم استحقاق أى رواية مما قدم إليها لأى جائزة ، وفى المسابقة الأخيرة أعلنت اللجنة أنها ستمنح الجوائز للأحسن ، ومنحت فعلا الجوائز لخير ما قدم وإن كان لا يصلح للتمثيل . فرأت اللجنة علاجا لهذه الحال أن تطلب زيادة المبلغ المخصص لتشجيع التمثيل ، حتى تستطيع أن تغرى كبار المؤلفين بأجور ترضيهم . ولكن وزارة المالية لم توافق على هذه الزيادة . وهنا ذكر المحاضر رأياً للدكتور هيكل باشا أفضى إليه به ، وكان يحدثه فى هذا الموضوع ، وهو أن تذكر اللجنة فى طلبها أسماء المؤلفين الذين ستطلب منهم تأليف روايات لمواجهة النقص البادى فى التأليف المسرحى ، وتحدد العمل والأجر ، فإذا تم ذلك فستوافق المالية .

ومن أهم ما ذكره المحاضر أيضاً : مسألة « الاعتمادات » المخصصة لتشجيع التمثيل ، قال : إن الجهود الفردية فى المسرح لا تستطيع أن تستمر وحدها من حيث المال . لأن المسرح ليس له جمهور يكفيه من هذه الناحية فلا بد من إعانة الحكومة وهناك عدة نواح تتطلب هذه الإعانة لتشجيع التأليف وتكبير الفرقة المصرية بضم الكفايات البعيدة عنها إليها ، وإعانة فرق أخرى تنافس الفرقة المصرية منافسة يستفيد منها الفن . ولكن المبلغ المخصص لذلك هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، لا يكفى ، وقد فكرنا فى تحويل بعض الإعانة التى تبذلها الحكومة للفرق الأجنبية ومقدارها أربعة عشر ألف جنيه إلى التمثيل المحلى ، وذلك بالاكتفاء ببعض هذه الفرق ، مع ما فى ذلك من إفساح المجال للفرق المصرية على مسرح الأوبرا . .

وقد عقب الأستاذ يوسف وهبى بك ، بأن المحاضر لم يتناول فى محاضرته مسألة إيجاد المسارح اللازمة للعمل ، والواقع أن القاهرة ليس فيها مسرح يصلح للتمثيل غير مسرح الأوبرا الذى تحتله الفرق الأجنبية جزءاً كبيراً من العام . أما مسرح الأزبكية الذى تمثل فيه الفرقة المصرية عندما تضطرها إليه الفرق الأجنبية فهو غير صالح من الوجهة الفنية . وقال يوسف بك إنه يجب أن تحول إعانة الفرق الأجنبية كلها إلى التمثيل المصرى ، فليس من الجائز أن يأكل الضيف كل ما فى البيت والعيال والزوجة جائعون .

وعلى أثر ذلك صعد الأستاذ محمد الشريف فأعلن أن لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس النواب وافقت على إنشاء مسرحين بالقاهرة ، أحدهما صيفى والآخر شتوى .

والملاحظ أن كل هذه الأفكار والاتجاهات الطيبة ليس فيها شىء انتهى الأمر فيه إلى التنفيذ ، فما هى إلا أمان ومقترحات . والملاحظ أيضا أن الدولة لم تقدم بعد على عمل شىء لانقاذ هذا الفن الجميل فى مصر . والغريب أنك ترى مما تقدم أن ما تمان به الفرق الأجنبية أكثر مما يناله التمثيل المحلى ، مع أن الأولى تلاقى رواجاً كبيراً من جانب جمهورها الذى يتألف من الأجانب وبعض الأثرياء ، وهى تقتضيهم أجوراً مرتفعة ، مما لا حاجة معه إلى إعانة الدولة ، وإن لم يكفها جمهورها فلتذهب إلى جهنم .

العباس

في مولد الرسول:

لمن النـــور ؟!

للشاعر أحمد هيكل

لمن النـور يغمر الأرجاء   ويحيل الظلام فيها ضياء ؟
أهو البـدر قـد تفجر نبعاً   من لجين يفـضض الصحراء ؟
أهو الفجر قد تقدم جيشاً   رفع النـور فى يديه لواء ؟
أهو الصبح حائـكا عبقرياً   نسـج الضوء للوجود رداء ؟
لا ، فهذا الضـياء يُسـكب فى الأعين هدياً ورحمة وشـفاء .
وجـدته العيون أعذب رى   كورود ترشّفت أنداء
إنه نورُ وجهِ خـير وليـد   هبط الأرض باسماً لألاء
ما لنخل الصـحراء يرقص كالغيد ويبـدى تخلماً وانثنـاء ؟
ما لهـذى الجبال أضحت قلوباً   فى ضلوع الصحراء تُحيي الرجاء؟
ما لتلك الغدران تضحك والمـاء سـكوب من ثغرها صهباء ؟
ما لهـذى القفار صارت رياضاً   ثم أضحى هجيرها أفيـاء
لا ، فإن الربيع يمـكث حيناً   ثم يمسى هواجراً أو شـتاء ؟
والربيع القدسى خـــلده الله ليمحو عن الوجود الشـقاء ؟
ليس هـذا الربيع غـير وليد   جمـل الأرض جنة فيحاء
يا يتيما كالدر سُـدْت – على اليتم – ملايين أدركوا الآباء
يا وحيـداً له نفوس البرايا   يتمنّين أن يكنّ إماء
يا عليا وما خـططت حروفا   أنت أعجزت فى الورى العلماء ؟
يا فقـيراً وبين جنبيك كنز   ترب نمليك يشـترى الأغنياء
قم تراهم عموا وصموا قلوباً   ودعاء الفقـــير شق السماء
ولقد كنتَ من قليلك تسخو   فإذا جدبهـا يصـير رخاء
كم قسمت الأموال تمسك بعضا   ثم تعطى جميعهـــا الفقراء
فتآخى الجميع وانبســـط العـــدل ظلالا وريفة سجواء
إن حق الأفراد فى أى أرض   أن يعيشـوا فى أرضهم أحياء
يا رسولا دعا القلوب إلى الحب وأنسى الخصـــام والبغضاء
أنت شـــيدت بالتآلف للعُـرْب صروحاً تصـافح الجوزاء
فى ظلال الإسلام أقدس دوح   عطّر الـكون ألفـة وإخاء
ثم دار الزمان وافـترق القوم دروبا وفرقـــوا أهواء
فمشى النسر كالزواحف فى الأرض يجرُّ المظام والأشلاء
وغـدا الجمع كالقطيع شتيتا   راح ناب الذئاب فيهم وجاء
ثم قالوا : مـذلة واحتلال   وأرادوا تحرراً وجـلاء
ومن الحمق أن نـكون شتيتا   ثم نبغى تقـدما وارتقـاء
ليس ينجى سوى تآلف قوى   ليردوا تلك النقّاض بناء
ثم نمضى إلى الأعادى جيوشاً   نعشق الموت لا نهاب الفناء
فمن الخزى أن نعيش على القيد ونحيا فى أرضنا غرباء

أحمد هيكل

دنياي قبر ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

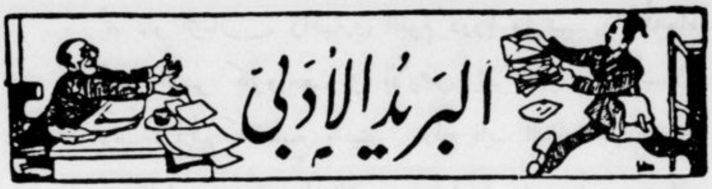
يا حبيبى ما بين كفيك روحى   تتـلوى وللأمانى بـكاء
كيف أسلمتها إلى ليل هجر   تتمـادى به وأنت الضـياء
لم تزل تشتكى الصدى يارحيقاً   تشتهى برده القلوب الظماء
هى ترضى من ناظريك بوعد   لا تدعها يقضى عليها الجفاء

يا حبيبى عطّـر شـبابى ونظّـر   امنياتى فقـد جفاها الدواء
كيف خلفتنى ببيـداء حبى   أتلظى وأنت ظـلٌّ وماء
أنت لى واحة من الحب نشوى   فوق شطآنها يرف الهنـاء
ملء أرباضها صـفاءٌ وسحرٌ   ملء أجوائهـا الهوى والوفاء
عالم للجـمال باركه الحب   ووشـته كفـه السـمحاء

يا حبيبى لولاك دنيـاىَ قبرٌ   ملؤه من هواجس أشلاء
أنا فى ظلك الحبيب أغنى   أغنيات الهوى فتصغى السماء
أنا أهواك يا متمم نقصى   أنت بعضى فالبعد عنك فناء

يا فكاك الأسير من قبضة الأشـــواق رفقاً فأنت أنت الشفاء
أو تنسى ما قلت بالأمس إنى   لست أنسى هواك أنت الرجاء
لا تخن ود شاعر بك صب   وارع عهداً يصونه الشعراء

(بغداد)   عبد القادر رشيد الناصري



معروف الأرناؤوط فى حمى الخالدين :

استردّت السماء إليها فى الأسبوع الخالى إحدى ودائعها العزيزة عند الأرض ، حين وافى الأجل فقيدنا الغالى معروف الأرناؤوط . .

والأرض والسماء تتبادلان ودائعهما فى غير انقطاع ؛ ولكن فرحة الإنسانية باستقبال إحدى هذه الودائع قلما تعادل نكبتها بالخروج عنها وتشييعها إلى مستقرها .

وأبناء الحياة يودعون كل يوم أو كل ساعة راحلا منهم إلى العالم الآخر ، ويأسى منهم من يأسى ، حيناً من الدهر ، ثم ترقأ الدموع ، وتندمل الجراح ، ويمر النسيان بكفه على الأثر ، فيمحى كل شيء إلى الأبد .

ولكن الموت يختر م منهم بين الفينة والأخرى واحداً بعينه ، فإذا صوتُ الناعى يعلو على الأصوات كلها ، وإذا سحابة الحزن تخيم على الرؤوس جميعها ، ثم إذا الجرح أعمق من أن تأسوه الأيام ، والأثر أبلغ من أن يغطى عليه النسيان . .

لقد نعى إلينا الناعى معروفاً فى ساعة مبكرة من يوم الجمعة الثلاثين من شهر يناير ١٩٤٨ ، فعقدت المفاجأة ألسنتنا ، وبلبلت أفكارنا ، وأثارت لواعجنا ، وأطلقت شؤوننا ؛ ولم نكد نثوب إلى أنفسنا حتى عرفنا أية خسارة فادحة خسرتها الأمة العربية بفقده ، وأى رفد عظيم حرمته العربية بحرمانها منه .

وسار الموكب الرهيب بجثمان الفقيد ، بعد ظهر السبت ، ومشى خلفه نائب صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، وفئة من الوزراء وأصحاب المناصب العليا ، وجمهور غفير من خاصة أهل الفضل والعلماء والأدباء الذين تداعوا إلى العاصمة من لبنان والعراق ، وجيش لجب من رجال التربية والثقافة وعامة الناس . سار الموكب الرهيب خاشعاً موقراً ، حتى إذا لم الراحل مأمنه ، انقلب الناس راجعين ، وفى كل عين دمعة ، وعلى كل شفة خلجة ، وبين كل نفس ونفس معنى يصوغ الأحزان ويهيج الخواطر الباكية !

والآن ، لقد تجاوز معروف الأرناؤوط هذا الأفق الأرضى ، وانبتت صلة المادة بينه وبين أبنائه ، وانصرف عن هذا التهافت العاجز ، وابتعد عن هذا الضجيج العابث ، الذى نفرغ جهدنا — نحن — فيه . وعرجت روحه إلى أولمب الخالدين ، وانضم إلى زمرة أرباب الفن ، لينعم بمباهج ذلك العالم الخالد الذى طالما طمح إليه بأفكاره ، وليطمئن إلى محاسن تلك الحياة التى طالما حلق بخياله إليها ، وليغمر قلبه بنور الأبد الذى طالما حلم به وحن إليه . .

وعاد من عرف معروفاً ، فاعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه ، يغالب لوعته وينطوى على أشجانه .

ولئن خلا هو إلى رحمة ربه ، فإن عمل معروف وروح معروف وفن معروف ، هنا فيما ترك بين أيدينا من كتب ومقالات ، وفيما حفظنا له من أحاديث وأقوال !

كان معروف الأرناؤوط طبقة وحده بين الأدباء ، تهيأ له الذوق الفنى ، والخيال الخصيب ، والذهن المشرق ، والقلب الزاخر بالحياة والإحساس ، والنظرة النافذة إلى دقائق المعانى ، والقدرة العجيبة على انتقاء الألفاظ وتنسيقها وصوغ العبارات التى تستأثر بالإعجاب . .

كان ، كما لا يمكن أن يكون كل كاتب ، يريق من روحه وعواطفه وعبقريته على ما يكتب ، فإذا هذا الذى كتبه ينضح عطراً ، ويلتمع ألواناً ، ويترقرق عذوبة وألحاناً ...

كان حسبى ، إذا اصطلحت على نفسى الهموم ، وتناوبت على قلبى الأحزان ، وتضافرت على المخاوف ، فى ساعة من ساعات القلق والشك ، أن أمد يدى إلى (سيد قريش) ، حتى أجد عنده سكينة نفسى ، وحتى أجد حلاوة هذه الفصول قد اتصلت بقلبى ، وحتى أجد فن معروف يرفعنى رويداً رويداً إلى دنيا غريبة فذة من الأمانى المحببة والأحلام الجميلة والأخيلة البديعة ... ولم يزل ذلك حسبى !

إيه معروف ! لقد خلفتنا فى دنيا غلب عليها الشر ، وعدا عليها وعلى أبنائها الشقاء ، والتاثت عليهم سبلُ العيش ، وابتذلت

المقاييس الكريمة والمثل الرفيعة ، وعز عليهم أن يجدوا الطمأنينة لأنفسهم المرهقة .. خلفتهم وهم أحوج ما يكونون إلى نفحات القلب الكبير الذى يحمله الأدباء الكبار أمثالك ، وإلى نفثات القلم الملهم الذى يتحرك فى يد الكتاب أندادك ، يلتمسون عندها العزاء والراحة والسلوة .

رحمك الله ، وأنعم عليك بالجنة والرضوان .

محمد الأرناؤوط

الفتنة الكبرى

اطلعت على الكلمة التى نشرت فى هذا العدد تعليقاً على مقال لى عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته آثرت أن لا أضيع على قراء الرسالة صفحات فى نقد كلام الدكتور شوقى ضيف ، فعجلت بكتابة هذه الكلمة .

وليأذن لى الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقى ضيف ، فى بعض ما جاء فى رده علىَّ .

فأول ذلك أن الدكتور شوقى قد أطال فى كلام أكثره موجود فى كتاب الدكتور طه ، كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا فى غنى عن مثل هذا الشرح .

والثانية أنه أطال أيضاً فى الأسباب الموجبة لنفى قصة عبدالله ابن سبأ ، ونحن لم نقل أننا نثبتها برواية الطبرى وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب مذكورة فى مقالى ولم يتنبه الدكتور شوقى إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتى فيما بعد بطريق آخر غير الذى ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً فى شأن تفسير الطبرى وتاريخه ، وهو أن الطبرى روى فى تاريخه أشياء عن رجال ليسوا عنده بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك فى تفسيره لمكانهم من التهمة فى رأيه . وشرح ذلك أن للطبرى رأياً فى قوم ليسوا بثقات عنده ، فنزه التفسير عنهم لأنه أمر دين تجب منه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لمثل هذه الحيطة فيه مكان . وموازين المحدثين والمفسرين فى رد الرجال وتجريحهم ، لا يمكن أن تطبق على أهل التاريخ وسواهم من أدباء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، وأظن أن الدكتور ضيف لم يعط هذا الأمر حقه من النظر والتدبر . ولست فيما أظن أيضاً ممكناً بشرح أصول هذه الفنون لكل امرىء لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة ، إلا أن يسأل سؤالاً منزهاً عن مواضع اللجاجة فى الانتصار لفلان أو فلان .

والرابعة أنه تسرع فى ذكر أشياء نمفيه من نقدها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضاً . ولكنى على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع الغمز فيها

ومهما يكن من شىء ، فإنى كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتممه بعد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلا لرأى ما يرضيه أو يقنعه . أما العجلة فلا تأتيه بشىء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لنراكبها بعضها على بعض .

وليعذرنى الأستاذ إذا رأى أنى لم أبين له البيان الشافى فى مسألة الرواية فى التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغى أن ينظر إليه الباحث مرة ، ويتجاوز عنه أخرى فى هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتحراه على وجهه ، فليسأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدله على المصادر التى تعينه على بيانها إن شاء الله ...

محمود محمد شاكر

١ — تصانيف ابن تيمية :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد الأمين فى عدد « الرسالة » ٧٦١ فرأيت أن أنقل من كتب الثقات ما يؤيد قول « المفصل فى تاريخ الأدب العربى » : وبلغت مصنفاته ثلاثمائة مجلد .

جاء فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٦ ص ٨٤ فى ترجمة الحافظ تقى الدين بن تيمية : قال الذهبى فى عد مصنفاته المجودة : وما أبعد أن مصنفاته إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة .

وقال ابن كثير نقلا عن البرزالى : وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة فى الأصول والفروع كل منها جملة بيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ،



نهـــاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

لو قدر لكل إنسان أن يحب كما أحببت ، وأن يمنى بالحبيبة كما منيت ؛ لفاض ينبوع العواطف فى هذه الدنيا .

لقد قضيت ربق شبابى على مقعد الدرس ، وصرفت زهرة أيامى وأنا أقلب صفحات الكتب . ولقد كنت أحسب أن هذه الأوراق الجامدة ستنال منى ؛ فتحد نشاط عاطفتى . ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى ؛ إذ كنت كلما انصرفت لحظة عن الدرس طالعتنى العيون الناعسة فعدت وكأن لم أقض لحظة إلى جانب كتاب ، ولم أمض ثانية بعيداً عن تيار العاطفة الجارفة .

وجملة كتبها ولم تبيض إلى الآن .

وقال الحافظ ابن حجر فى « الدرر » . إن مصنفاته ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة . وفى « فوات الوفيات » إنها تبلغ ثلاثمائة مجلد .

وقد كثر القول فى هـذا الرجل بين نقد وجرح وإطراء ومدح ، وأعدل الأقوال هو ما قاله تلميذه ابن كثير : وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ، وممن يخطىء ويصيب ... قال مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

أما « المنتقى » فهو من تأليف جده ، وذلك مشهور .

٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

فى عدد الرسـالة ٧٦١ (وهذه الخمسة أشياء) فهل هذا تطبيع ، والصواب (وهذه الخمسة الأشياء) والأعلى من هذا والأصح (وهذه خمسة الأشياء) أم تذهبون إلى غير هذا ؟

محمد أسامة عليبة

وظلت تبيم العاطفة ؛ فأمضيت حقبة من الزمن سادراً لا أرعوى ، حتى قيض الله لى الصدمة التى أرأتنى من الداء .

كان ذلك فى صبيحة يوم من أيام الربيع فى حماة ؛ فقد استيقظت باكراً ومضيت للحقول أمتع العين بمفاتن الطبيعة ، ولم يطل بى الطواف كثيراً ؛ فقد كان عقرب الساعة يسرع فى جريه فيدنو من الثامنة . وكانت المدرسة تتمثل لى من ورائه ، وكانت دقات الجرس ترن فى أذنى مؤذنة بحلول الدرس الأول ... يا إلهى كيف أترك هذا الهواء الطلق ، وهذه الجنان الرحبة ... لأنحدر إلى الغرفة الضيقة ... إلى الهواء الحبيس ! . وكيف أضحى بهذه الحرية المطلقة لأستريح إلى نظام أقل ما يقال فيه إنه غول الحرية ! ولم أذهب فى تفكيرى بعيداً فلم يبق للثامنة إلا دقائق عشر لا تكاد تكفى للوصول إلى المدرسة .

وعدت أدراجى آسفاً ، وانحدرت إلى المدينة لا ألوى على شىء . وبينا أنا فى الطريق قرع مسمعى نبرات صوت عذب فرفعت رأسى لأتبين مصدرها ، فإذا أنا أمام جبين وضاح يبهر بنوره شمس تلك الصبيحة الفاتنة .

إنها فتاة فى مقتبل العمر ، وقفت فى نافذة بيتها تتلهى برؤية المارة . لقد انحنت قليلا ممسكة شعرها المتهدل بيمناها وراحت تداعب بيسراها قطتها الجميلة . ولقد لبثت هـذه القطة ترنو إليها شاخصة ذاهلة ، كأنها قد سحرت بزرقة تلك العيون ، أو أنها فتنت بمنظر ذلك الجبين ... ولم أشعر إلا وقد طرحت كتبى على الأرض ثم جلست فوقها ورحت أرنو إلى النافذة شاخصاً ذاهلا .. لقد أنسانى هذا الجمال كل ما قد شهدت فى الحقول من جمال ، وأبعدت هـذه العيون شبح المدرسة عن فكرى . وكأن فعلتى هذه لم ترق للآنسة المحترمة ؛ فإنها لم تكد ترانى أحدق فى وجهها حتى اعتدلت بوقفتها وسوت شعرها بيدها ثم أغلقت النافذة وانصرفت .

أما أنا فقد لبثت فى مكانى أفكر بحظى التاعس ، وأقرن نفسى إلى تلك القطة السعيدة ! إنها أسعد من على الأرض ! ألا يكفيها أنها تستمتع بحريتها وتعيش إلى جانب الآنسة الفتانة ! .. ألا يكفيها أنها لا تعسك نفسها ساعات طويلة على مقعد الدرس .. ألا يكفيها أنها لا تشتغل بالها بقوانين الجبر ، ولا ترهق نفسها بحفظ قواعد

الصرف والنحو ! سعيدة أنت أيتها القطة .

وبينا أنا سابح فى سماء الخيال ؛ وقعت عينى على الساعة فإذا بها تشير إلى الثامنة والربع ... يا للمصيبة ! ... أين المدرسة ؟ . بأى وجه أقابل الناظر ؟ ... ومضيت أجر ساقى جراً ، وكنت كلما مررت خطوتين تلفت لأرى النافذة ومن وراء النافذة . حتى إذا ما خفى المنزل عنى عدوت نحو المدرسة ودخلتها متأخراً ؛ فاستقبلنى الناظر بطلعته الكالحة . وبعد السؤال والجواب سجل لى ما يناسبنى من جزاء ثم سمح لى بالدخول إلى الصف .

ودخلت الصف فألفيت زملائى الطلاب ساكتين كأن على رؤوسهم الطير . لقد كان الوجوم يخيم فى سماء الغرفة ، وكان الصمت يستأثر بالأفواه ... أين هذا الكلوح من تلك البشاشة ! وأين هذا التزمت من ذلك المرح ؟ ...

وأخذت مقعدى ورحت أفكر . ولقد كان لى فى صمت الطلاب وهدوئهم ما يحملنى على الانطلاق فى سماء الخيال ... لقد فتحت الكتاب لأتابع الأستاذ فى قراءته ، ولكن العيون الزرقاء كانت تطالعنى من بين الأسطر ... لقد كانت كل كلمة عيناً زرقاء ، وكان كل سطر خصلة شقراء . لقد كنت فى واد والطلاب فى واد . وانتهى الدرس الأول ، وتبعه الثانى ، وانصرم النهار وأنا لا أعلم كيف انصرم ؛ ولكن الذى أذكره هو أنه كان طويلا ، وأنى لم أفد به من العلم لا كثيراً ولا قليلا .

ورجعت البيت فى المساء كاسف البال محطم الأعصاب ، ولم أقدر على المطالعة ، فأغلقت الكتاب واضطجعت فى الفراش ... ولكن أنى للنوم أن يزور الأجفان التى تتطلع من وراء الخيال إلى صورة الحبيب المجهول .

وتوالت الأيام وأنا أزداد بالآنسة شغفاً ، وتتابعت الليالى وأنا أطوف حول بيتها لعلى أظفر منها بنظرة . ولكن هيهات ! فقد كانت لا تكترث بوجودى ، ولا تبالى بمرورى وإنما تعتدل فى وقفتها فتنغلق النافذة ثم تنادى قطتها وتنصرف . وكنت إذا لحظت منها الصدود غضبت وأقسمت أن لا أمر من أمام بيتها ، ولكن ما أسرع ما أحنث بهذا القسم فلا أجدنى إلا سائراً فى طريق بيتها . لقد كانت هذه القصة تتمثل كل يوم ، ولكنها تنتهى وكأنى لم ألحظ صدوداً ولم أحلف يميناً .

وأقبل الصيف وأغلقت المدارس أبوابها فوجدت فى العطلة الصيفية عوناً على تحقيق رغباتى . لقد رحت أقضى الأيام الطوال حول منزل آنستى فأستقصى أخبارها وأتنشق عبير رائحتها ... ولقد تخطت معرفتى بها الحدود التى كان الربيع قد رسمها فلم أعد أقنع برؤيتها فى النافذة ، وإنما أصبحت أراها فى الطريق رائحة غادية برفقة مربيتها العجوز (نانو) .

وإن أنس لا أنس تلك اللحظات التى كنت أقضيها بانتظار خروجها . لقد كانت اللحظة شهراً ، وكانت الساعة دهراً ، ولكنى ما كنت لأشعر بوطأة هذا الطول . فقد كان لى خلفه آمال تعدل كل ما ألقاه من آلام . لقد كنت أنتظر طويلا ثم لا ألبث أن أسمع صوتاً ملائكياً يرن فى أذنى . إنه صوتها وهى تقول : « نانو ... امشى يا نانو » ثم ينفتح الباب وتخرج منه وهى تخطو خطوة وئيدة وإلى جانبها « نانو » فأقف فى الطريق محاولا استدراجها إلى ابتسامة رقيقة . ولكنى كنت أعود كل مرة خائباً . فقد كانت تمر بى دون أن تشعر بوجودى أو تفطن إلى عواطفى . وإنى لا أزال أعجب لتلك العواطف الجامدة كيف لم تعصف بها نظراتى الحادة ، وإنى لا أزال أكبر ذلك القلب الهادئ الذى لم تستطع أن تحركه نبرات قلبى المتأججة ...

وقد أوشك الصيف أن ينقضى قبل أن أنتهى إلى نتيجة مرضية ، فقد ظل قلب الآنسة بعيداً عن قلبى وبقيت آذانها مغلقة عن سماع صوتى ، وقد تراءى لى أنها تكتم عواطفها خوفاً من «نانو» العجوز ، فاعتقدت أن الحب يقضى على أن أستعطف « نانو » وأن أستدر رحمتها .

ولما كان الغد ملت بنظرى نحو « نانو » فابتسمت لى وابتسمت لها وقلت فى نفسى إنها ولا شك قد أدركت معنى ابتسامتى وفهمت مغزى وقوفى ، وتتابعت النظرات والابتسامات ورأيت « نانو » ذات صباح وحدها فدنوت منها وتكلفت من الشجاعة أكثر مما أطيق ، ثم اعترضتها وقلت لها : « الهوى صعب يا نانو ! » فهزت برأسها هزة العجب والكبرياء ثم أجابتنى « والصبر طيب ... طيب يا حبيبى ! . » ثم مضت لسبيلها وظللت وحدى أفكر فى معنى كلمتها ...

(البقية فى العدد القادم)

زهدى الشواف

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٤ — الاثنين ٢٣ فبراير ١٩٤٨ — السنه السادسه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥١٦

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 764

Lundi — 23 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة ...

يوم الاثنين ٧ مايو ١٩٤٥ :

عرفت من بين الرسائل الكثيرة التى ألقيت إلىّ صباح اليوم رسالة الآنسة (س) من غلافها الوردى الأنيق، وخطها الأنثوى المنمنم، فوضعتها ناحية ريثما أفرغ من بريد الرسالة، ثم عدت إليها فشققت كامها عن أربعة أسطر تقول فيها: إنها حضرت القاهرة منذ يومين، وإنهـا ترجو أن ترانى فى الساعة الخامسة من مساء الخميس المقبل بمحَلّى (جروبى) الجديد، وإنها ستضع مجلة (الرسالة) على المائدة التى ستجلس إليها، لتكون دليلا عليها؛ فإننا تعارفنا منذ عام بالكتابة نفساً لنفس، ولكننا لم نتعارف إلى اليوم باللقاء وجهاً لوجه

كيف أفلتت هذه الفتاة الغريرة من ربقة التقاليد الصعيدية المحكمة فتركت عزبتها إلى المدينة، وبيتها إلى الفندق، وحديقتها إلى جروبى؟ هل أقدمت على ما كانت تسوله لها نفسها الطموح من الانعتاق والانطلاق، فخرجت مما كانت تسميه (قبراً) لتدخل فيما كانت تسميه (دنيا)؟ سؤالان ألقيتهما على نفسى ورسائلها عالقة بيدى، وحياتها ماثلة فى ذهنى، فلم تدر نفسى ماذا تجيب. قد أستطيع بمـا نمت عليه رسائلها من أخبارها وأسرارها أن أخمن بعض الأسباب التى أقدمتها إلى القاهرة، ولكن بين التخمين واليقين ثلاثة أيام، فلا نتظر حتى ألقاها

ألقى إلىّ البريد أولى رسائلها من الصعيد الأوسط فى أوائل إبريل من سنة ١٩٤٤ حين سرى الروح الإلهى فى همود الطبيعة فأيقظ الراقد وأنعش الخامد وأعلن المستكن. كانت فى تلك الرسالة مهيبية متحفظة، كالغريب الطارىء يقرع الباب بلطف، ويدخل البيت فى استحياء، حتى إذا وجد من أهل الدار بشاشة القبول وكرم المثوى، علّق العصا وخلع المعطف. وما كان لكاتب نصب نفسه للتوجيه والإرشاد أن يذود عن بابه المفتوح فتاة تلتمس نفَساً من كربها وسنداً لضعفها وسبيلا لهداها

لم تقل فى رسائلها القصيرة أكثر من أنها آنسة فى الخامسة عشرة فقدت فى السن الباكرة أبويها فكفلها أخوها. وأخوها على طباع أهل الصعيد شديد الحِفاظ صارم النخوة لم يسمح لها بالمضى إلى غاية التعليم الثانوى فضمها إليـه فى العزبة. والعزبة حديقة تتوسطها دار يسكنها الأخ وزوجه وابنـاه الصغيران، ثم الدوار وبيوت الفلاحين يفصلها عن حمى المالك طريق واسع وسور مرتفع، ثم حقول مترامية الأطراف يغشاها السكون وتلفها الوحشة. وزوجة أخيها امرأة ضيقة الفكر واسعة العمل حيية الطبع لا تحب الاجتماع ولا تحسن الحديث. فهى لا تملك فى هذه البيئة وهذه الطبيعة إلا أن تزجّى فراغها الثقيل بقراءة قصة أو كتابة رسالة أو رسم صورة أو نسج قطعة. ولكن وجهة آمالها وحديث أحلامها أن تكون يوماً ما أديبة. وقد قرأت لى (آلام فرتر) و (رفائيل) فراقها الأسلوب وسحرها الروح. وهى تطمح أن تبلغ من الفن الكتابى مبلغاً يهيئها أن تمهد

الحرية ! الحرية !

للأستاذ محمود محمد شاكر

أصبحت الجامعة العربية حديث العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، قد ناطوا بها كل آمالهم فى بلوغ غاياتهم وإدراك ما تتمناه قلوبهم وضمائرهم ، وحسب الجامعة أن تكون قبلة أربعمئة مليون عربى ومسلم فى دنيا كلها عدوّ لنا يبغينا الغوائل . ولكن لا حسب ، فليس من الحق أن نترك الجامعة تسير وحدها فى الطريق دون أن ترتفع أصوات طلاب الحق تؤيدها وتسددها وتشير عليها بالرأى بعد الرأى ، فإن رجال الجامعة رجال من أنفسنا ، قد رضيت العرب أن تمهد إليهم بقيادة هذه الشعوب المطالبة بالتحرر من قيود الاستعمار التى ضربت علينا ونحن فى غفلة عن الدنيا الضارية التى أرسلت علينا وحوشها ترتع فى حمانا ، وتستأثر بخير بلادنا ، وتنال منا نيلا شديداً .

وقد آن أوان تغيير ما كان وما سار عليه العمل فى السنوات الماضية . فالجامعة ترى كما يرى كل عربى ومسلم منذ وضعت الحرب العالمية الماضية أوزارها ، أن أوربة الجائعة التى لا تشبع ، قد خرجت من تحت أنقاض الحرب المدمرة وهى أشد ضراوة ووحشية مما كانت قبل الحرب وفى زمان الحرب . وأنها تريد أن تلتهم كل شىء فتشبع ونجوع نحن ، وتعبث ونئن نحن ، وتستغرق فى الترف وناعم العيش وإن أغرقتنا نحن فى الضنك وبؤس الحياة . فهذه روسيا تريد أن توغل حيث أطاقت وحيث تيسر لها أن تتوغل . وهذه بريطانيا الكاهنة العتيقة العاتية تريد أن تتلو زمازم كهانتها على شعوبنا لتنيمنا مرة أخرى على الخسف الذى نمنا عليها أجيالا طوالا . ثم هذه ثالثة الثلاثة أمريكا التى لا ينطفىء أوار ظمئها إلى البترول ، تريد أن تستنفد كل شىء ما استطاعت ، لتتنعم هى به وبكل ما يطيق العلم أن يحدثه من ترف أو قوة ، فتدخل مع بريطانيا فى الحلف الاستعمارى ، لا تبالى أن تناقض تاريخ الأحرار القدماء من رجالها وبناة مجدها .

وترى الجامعة كما يرى كل عربى ومسلم ، أن الشرق العربى والشرق الإسلامى لم يقرّ له قرار منذ سكنت نار الحرب ، فقد انبعثت أندونيسيا تريد الحرية فلم يبال بها أحد ، وانبعثت الهند تريد الحرية فأناموها بأن أدخلوها فى نظام الدومنيون ، وهبت مصر والسودان تجادل عن حقها فى مجلس الأمن فأصمت الأمم الداعية إلى الحرية آذانها ، وعلقوا القضية فى هيكل الوثنية الحديثة التى تعبد إله الشهوات ، وثار العراق يريد أن يحطم قيود الذل فأرادت بريطانيا أن تخدعه عن نفسه فأبى إباء الأحرار ، وماج المغرب العربى فى تونس والجزائر ومراكش ، فضربت عليه فرنسا حكم الجبروت وألقت بينه وبين العالم أسداداً من فولاذ الظلم والطغيان ، وسكت العالم الجديد عن هذا البغى اللئيم الذى ليس له رادع من نفسه ولا من الناس . وفارت مدغشقر فأطفأ المستعمرون تلك الأرواح المستعرة بأسنة الحراب . وأخيراً كشفت روسيا وبريطانيا وأمريكا وسائر الدول الصليبية قناع النفاق والرياء ، فقضت أن تطلق على فلسطين أنذال البشرية من يهود ، ليطردوا العرب من أرض آبائهم وأجدادهم منذ كان للعرب على هذه الأرض تاريخ ، فأجمعت الأمم الإسلامية على أن ترد هذا العدوان وإن اجتمعت الدنيا كلها على تحقيقه ومناصرته .

عن نفسها هذا التعبير ، وأن تكشف عن روحها هذا الكشف ؛ وتطلب منى فى ابتهال وضراعة أن أجيب عما ترسل إلىّ من رسائل ، فأوجهها إلى ما تقرأ ، وأحاسبها على ما تكتب ، وأناقشها فيما تفكر ، وأملأ يومها الفارغ الطويل بتحرير الكتب إلىّ ، وانتظار الأجوبة منى ؛ وذلك فيما تزعم جزء من رسالة الأديب الذى اصطفاه الله ليجمّل بفنه قبح الحياة ، ويخفف بعلمه شقاء الناس .

إن الرد على ما يأتيك من الرسائل واجب ، وهو بالطبع على رسائل السيدات أوجب ؛ ولكن هناك — ولا أكذبك — دائماً أقوى من الواجب ، هو تلك اللذة الطبيعية التى يجدها الرجل فى الحديث إلى المرأة أو عن المرأة . لذلك لم أكد أقضى حاجة النفس من جمال تلك الرسالة، بلباقة الفكر فى الأسلوب ، وإطالة النظر إلى الخط ، حتى كتبت الجواب عنها إلى الفتاة بأسلوب أب يحاول أن يكون لابنته كما تريد ، ويجتهد فى أن يفتح أمامها باب الأمل من جديد .

للقصة بقايا

احمد حسن الزيات

ترى الجامعة العربية كل هذا كما يراه كل مسلم وعربى ، ولكنها لا تزال تسير فى أمر هذه الثورة الجامحة – التى يريد بها العرب والمسلمون أن يطهروا أنفسهم من الاستعباد ، وأن يطهروا أرض الله من البغى والعدوان – سيرة لم يسرها قبل مطالب بحق يعلم أنه حق لا نزاع فيه . فهى تشغل نفسها مثلا بقضية فلسطين وحدها – على خطر شأنها – وتنسى ما يجرى فى مراكش وتونس والجزائر ، وما يحدث فى العراق ، وما هو كائن فى مصر والسودان ، وما لا يزال يحدث فى أندونيسيا وسائر البلدان والأمم المطالبة بالحرية . ولعلها تقول إنها تنظر فى الأهم ثم المهم ، وإنها لا تريد أن تخرج عن الأصل الذى وضعت له والذى يدل عليه اسمها وهو «جامعة الدول العربية» ، لا جامعة العرب ، ولا جامعة الإسلام ، ولا جامعة الشرق . وهذا حق ، ولكن ما الذى يحبسها على هذا وحده؟ وما معنى أن تقصر أمرها على الدول العربية «المستقلة» فى ظاهر الأمر؟ إن هذه الدول العربية «المستقلة» ليست مستقلة فى حقيقة الأمر ، وإلا ففيم ثورة مصر والسودان؟ وفيم ثورة العراق؟ وفيم غليان شرق الأردن؟ فليس من الرأى أن تظل الجامعة العربية مقيدة بأشياء هى حبر على ورق ؛ بل ينبغى أن تضم إليها رجالا من تونس والجزائر ومراكش ، وينبغى أن تضم إليها رجالا من سائر الدول الإسلامية والشرقية ممن لهم مع العرب صلات لا يمكن أن تقطعها هذه القواطع المزيفة ، وينبغى أن تعلن الجامعة العربية أنها قد أخذت على عاتقها أن تدافع عن حرية العرب وحرية المسلمين ، وينبغى أن تكون هى المؤتمر العام الذى ينضم إليه كل ناشد للحرية فى هذه الأرض مهما اختلفت الأجناس والأديان.

بل ينبغى أن تجمع الجامعة العربية فى يدها أمر السياسة العربية والإسلامية جملة واحدة ، وأن تضع المبادىء التى يجب على كل أمة تنضم إليها أن تعمل بها ، وأن تكون هى المعبرة عن النداء العام الذى تنادى به هذه الأمم والشعوب وهو : الحرية ! وينبغى أن تسير فى ذلك كله مرة واحدة ، فلا تفرق قضية الحرية إلى قضايا كل واحدة منها تعالج على أسلوب يخالف أخاه أو يتخاف عنه

إن روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا وسائر الدول المستعمرة ، أو أذيال الدول المستعمرة ، قد اتفقوا جميعاً على العرب والمسلمين وأهل الشرق ، ففيم نتأخر نحن أو نحجم أو نتلجلج ؟ ولم لا نعمل جميعاً جملة واحدة ، ويداً واحدة ، وفى وقت واحد ، وأى عائق يعوق المطالبين بالحرية والناشدين لها عن اجتماع الكلمة على هذا الحق الذى لا يملك أحد أن يمنحه أحداً ، لأنه عطية الله ونعمته ، ليس لأحد أن يسلبه ؟ وكيف يسلبه وهو قوام هذا البنيان الإلهى؟ فإذا خلا هذا البنيان من الحرية ، فقد خلا من الحياة وانهدم ، وكان أنقاضاً تسمى على أرض تلفظها ، وتستظل بسماء تلعنها.

إن جامعة الدول العربية ، إنما تتكلم اليوم باسم الشعوب العربية لا باسم الحكومات وحدها . فلتعلم الجامعة أن الشعوب قد سئمت هذه السياسة العتيقة البالية ، سياسة المداورة والمحاورة ، سياسة الظنون الخداعة ، سياسة المغررين الذين يحسبون أن سينالون حقوقهم بالمفاوضات والمحادثات والمخابرات والمخادعات . فلتحذر إذن أن تقف دون الغاية التى تسمى إليها شعوبها ، ولتخط الخطوة الواسعة التى خطتها الشعوب فى سبيل درك الحرية وانتزاعها من يد الجبابرة الظالمين . إنها اليوم أعظم قوة فى هذا الشرق العربى والإسلامى ، فلزام عليها أن تنطق بإرادة هذه الشعوب مجتمعة ، لا بإرادة حكومات تغرر بها السياسة ، ولا بإرادة أفراد مهما بلغ سلطانهم فهو دون سلطان الشعوب التى يمثلونها ، بل ينبغى أن تكون الجامعة هى الرقيب الذى لا ينام على إرادة هذه الحكومات وعلى إرادة هؤلاء الأفراد ، طبقاً لإرادة الشعوب وحدها .

إنى لا أزال أنذر الناس أننا نعيش اليوم فى زمن غير الزمن الذى ألفوه منذ خمس سنوات وحسب ، فاليقظة التى تدب اليوم فى كيان الشعوب العربية والإسلامية أضخم وأعظم وأقوى مما يخطر ببال أحد ، إنها القوة التى لا يقف دونها سلطان ولا طغيان ولا بأس . نعم ، إن النظر العابر الخاطف لا يكاد يدل على هذه الحقيقة ، ولكن النظرة المتأنية المتعمقة تستطيع أن تحس بهذه الحركة الجياشة التى فار فائرها تحت هذا الظاهر الساكن المطمئن. وإنما يغفل من يغفل عن إدراك هذه القوة ، لأنه ألف شيئاً مضى ، فقاس عليه شيئاً جديداً يراه وهو متأثر بهذا الماضى ، ولأنه مسوق فى عنان هذه السرعة الخاطفة التى يجرى بها عالمنا الحاضر إلى الغايات التى لا يعلم غيبها إلا عالم غيب السموات والأرض . ولكن الجامعة العربية قد فرض عليها أن تنظر النظرة المتأنية العميقة لتدرك هذه الحقيقة التى لا تخفى ، ثم تقيم سياستها على هذا الأصل وحده دون الأصول الأخرى التى ورثتها

عن السياسات العتيقة ، سياسة المفاوضات والمخادعات ، وسياسة الأخذ والإعطاء ، وسياسة تقسيم القضية الواحدة — قضية الحرية إلى أنذر الحكومات ، وأنذر الجامعة العربية بأن هذه اليقظة القوية المنيفة سوف تنكشف عن قريب ، وأنها إذا لم تجد الحكومات ، ولم تجد الجامعة العربية ، قد تهيأوا للسير في خطاها . فهي ستدمرهم جميعاً ، ويخشى يومئذ أن تنقلب هذه اليقظة فتنة هوجاء لا قائد لها تعصف بهم جميعاً عصف الرياح بهشيم النبات . فليتق الله كل عامل منا ، ولينظر إلى غد ، وليعرف حقيقة هذه الشعوب ، وليأخذ نصيبه من التبعة التي ألقاها عليه مكانه من الناس ومن الشعوب

إن قضية الشعوب العربية والشرقية والإسلامية « قضية واحدة » ، فاكتبوا هذه الكلمة في كل مكان ، ورددوها بكل لسان ، واهدروا بها هدير الأمواج في هذه البحار المظلمة ، فإنها كلمة النجاة لكم ولشعوبكم وللناس جميعاً .

إن ساعة الخطر الأعظم قد دنت وتطابقت علينا عقاربها من هنا ومن ثم ، وإن بريطانيا أولا ثم أمريكا وروسيا وأذيالهم من أمم الاستعمار الصليبية ، تدرك هذه الحقيقة كل الإدراك ، فهي تريد أن تمزق شمل هذه القوة قبل أن تجتمع وتبدو جملة واحدة . فبريطانيا تريد أن تشغل كل قبيل منا أو كل دولة بشأن من شئونها التي تثير جماهير رجال السياسة القدماء ، أولئك الرجال الذين نشأوا في أحضانها ، أو في أحضان استعمارها الخبيث . وأمريكا تريد أن تشغل كل أمة منا باللعنة الماحقة التي تقوم عليها قوتها وهي البترول ومنابع البترول ، تشتريه من هذه الأمم الفقيرة بأبخس الأثمان ، فتنقله إلى بلادها فيكون أرخص ثمناً من البترول الذي تستخرجه من نفس أرضها ! وتخدع هؤلاء المساكين بالدولار تعطيه ، وهو ليس عطية ، بل محنة وبلاء واستعباداً للانسان الفقير الذي يظن أن المال هو كل شيء في هذه الدنيا . وأما روسيا فهي تعمل جاهدة على أن تأتي هذه الشعوب من طريق فتنتها عن الهدف الأعظم وهي الحرية ، وتوجهها إلى الفتنة الخبيثة توقدها بين الغني والفقير ، والمالك والمستأجر ، والعامل وصاحب المال ، حتى إذا صرفت الوجوه عن حقيقة الحياة — أي عن الحرية — دخلت فاستقرت وتحكمت واستبدت ، وفعلت بنا ما فعل هؤلاء الديمقراطيون : زعموا أنهم يدافعون عن الحرية ثم سلبونا حريتنا ، وتدعي روسيا أنها تريد المساواة بين الناس ؛ فإذا دخلت بيننا حرمتنا هذه المساواة . إن هذه الدول جميعاً على اختلافها واختلاف مصالحها قد اتفقت على مصلحة واحدة هي أن تقتلنا ، ثم يأتي بعد ذلك تنازعهم واقتتالهم على أسلاب هذا القتيل .

فالجامعة العربية هي التي كتب عليها منذ اليوم أن تقف حيال هذه القوى مجتمعة لتردَّها عن هذا الهدف اللئيم الذي تسعى إليه . فلتجمع في لسانها ضمير هذه الشعوب المستهدفة للخطر الأعظم ، ولتنطق بالكلمة الواحدة التي تعبر عن هذا الضمير ، وهي أن قضية العرب والشرق والإسلام قضية واحدة ، قضية لا تتجزأ لأن الحرية لا تتجزأ . والجامعة العربية تعلم — أو ينبغي أن تعلم — أنها إذا نطقت بهذه الكلمة وجعلتها أصل سياستها التي لا تقبل فيها مهادنة ولا مفاوضة ولا مجادلة ، انبعث من ورائها قوة أربعمئة مليون نسمة تهتف من ورائها هتافاً يهدّ الجبال الراسيات ، ويشتت بأس الأمم الطاغية بسلاحها ومدمراتها وجبروتها وبغيها ويهودها أيضا . إنهم أربعمئة مليون يهتفون بلسان واحد في وقت واحد : الحرية الحرية !

إنها قضية واحدة أيتها الجامعة ! إنها قضية واحدة أيتها الحكومات ! إنها قضية واحدة أيها الملوك والأمراء ! فأجمعوا أمركم وتنادوا جميعا في مشارق الأرض ومغاربها — من حدود الصين إلى بلاد المغرب الأقصى ، ومن أطراف الشام إلى جنوب إفريقية . تنادوا بالكلمة الواحدة التي تزلزل هذه الأرض التي امتلأت جوانبها بغياً وظلماً وفساداً ، تنادوا بحرف واحد ، وبلسان واحد ، وفي وقت واحد : الحرية ! الحرية ! « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

محمود محمد شاكر

القتـــل فى الشرائع

لحضرة صاحب العزة الأستاذ على بك حلمي
مدير البحيرة

قتل النفس بغير حق جريمة من أقسى الجرائم وأشدها إخلالا بالأمن العام . فهى تقضى على حياة الإنسان فتسلبه صفة الوجود دون رحمة ولاشفقة . وكثيراً ما تعتمد على الغدر والخيانة ، فلا يجد المجنى عليه فرصة للدفاع عن نفسه والذود على وجوده .

وقد نشأت هذه الجريمة منذ وجدت الجماعة وحدث بين أفرادها تعارض الرغبات والشهوات . وورد ذكرها فى جميع الشرائع والديانات القديمة ، ونص فيها على عقوبة مقترفيها بجزاء يختلف شدة وضعفاً باختلاف درجة الجماعة من رقى واضمحلال .

القتل قبل الشرائع :

لم يكن لجريمة القتل جزاء محدود ولا تشريع مرسوم . ولقد حدثنا القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة المائدة : (من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) عن أول جريمة وقعت من الإنسان على أخيه ، وعن أول تشريع جنائى لهذه الجريمة . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل »

القتل فى التوراة :

فرقت التوراة بين الأحوال المختلفة لجريمة القتل وبين العمد منها وغير العمد ، ورسمت لكل نوع عقوبة خاصة تتناسب مع درجتها فى الإجرام . ومن نصوصها : « من ضرب إنساناً فمات فليقتل قتلاً ؛ فإن لم يتعمد قتله بل أوقعه الله فى يده فسأجعل له موضعاً يهرب منه . وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالا ؛ فمن قدام مذبحى يأخذه ليقتل . ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بكلم ولم يقتل بل سقط فى الفراش ؛ فإن قام وتمشى خارجاً على عكازه يكون الضارب بريئاً إلا أن يعوضه عطلته ، وينفق على شفائه . وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكياً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برض » .

ومن هذه النصوص يظهر للباحث أن شريعة اليهود تنص على القصاص فى كل الحالات دون ذكر العفو عن أية حالة منها .

القتل فى الانجيل :

جاء فى إنجيل متى : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ؛ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الأيسر ، ومن رأى أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين »

وبمقارنة هذه النصوص مع نصوص التوراة نجد أن الأولى تقرر العفو دون القصاص مما حدا ببعض الناس إلى القول بأن الإنجيل لا يجعل القتل من شرائعه — وقال آخرون إن الذى لم يذكره الإنجيل إنما هو القود ؛ إذ أن الدية كانت واجبة فى جريمة القتل العمد ، وأنكر ذلك الشيخ الإمام محمد عبده فى رواية عن السيد رشيد رضا . ويتفرع عن هذا البحث آراء كثيرة لا يتسع الموضوع لذكرها الآن ؛ غير أننا نلاحظ فارقاً بيناً فى تقرير عقوبة القتل فى كلا التشريعين السابقين — فبينما نرى التوراة تميل فى تشريعها إلى جانب المجنى عليه فتفرض القصاص وتتجاهل العفو نجد الإنجيل يفرض العفو على ولى الدم ويمنع مقابلة الجرم بمثله ؛ ولذلك يقال : إن فى التشريع الأول تفريطاً فى شأن الجانى وفى التشريع الثانى إفراطا فى النظر إليه .

القتل عند البدو :

كان العرب قبل الإسلام أمة فطرية تعيش على البداوة بنظامها وعاداتها الخاصة — وقد شاع فى بيئتها القتل وجرت عاداتها على قتل القاتل — ولكن بالنسبة لما جبلت عليه العرب من الحمية الجاهلية والعصبية وكلفهم بالأخذ بالثأر أسرفوا فى القصاص وتمادوا فيه فأصبحت الجماعة تقتل بالواحد دون نظر إلى قواعد العدل والإنصاف ، ولم يرفع هذا الظلم إلا بنزول القرآن وظهور الإسلام .

القتل عند الرومان :

يتساوى الرومان والعرب فى أن جريمة القتل عرفت عندهم من قديم الزمان واعتبروها عقوبة لنفس الجريمة — غير أنهما يختلفان فى ناحيتين جوهريتين .

فالأولون ينوعون فى تطبيق عقوبة القتل ولا يسرفون فى

التاريخ يعيد نفســـه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

لقد ظهر الإسلام والدولة الرومية تحكم فلسطين وغيرها من بلاد الشام ، وكانت قد قضت على دولة اليهود فيها من قبل الميلاد المسيحى ، وفرقتهم منها فى سائر البلاد ، وكانت دولة الروم تحكم فلسطين وغيرها من البـلاد الشرقية حكماً استعمارياً ، يستبد فيه الأوربيون بالشرقيين كما يستبدون بهم فى عصرنا ، ويقوم على أساس الطمع فى بلادهم كما يقوم الآن بيننا ، فلما ظهر المسلمون مال أهل هذه البلاد إلى حكمهم ، لأنه لم يكن حكم طغيان واستبداد كحـكم الدولة الرومية ، فدخلت فى حكم المسلمين بحق الفتح ، ودخل كثير من أهلها فى الإسلام عن طواعية واختيار وبقى بعض أهلها على دينهم ، فعاشوا بين إخوانهم من المسلمين تجمعهم كلمة الوطن ، ولا يؤثر فيهم ما بينهم من اختلاف فى الدين حتى مضى عليهم فيه أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وإنه ليكفى أقل منها لتثبيت حقهم فيه ، ولإبطـال حق الروم الذين كانوا يحكمون قبلهم ، فما ظنك باليهود الذين لم يكن لهم أثر فيه على عهد فتح المسلمين له ، وهذا هو حكم التاريخ والسياسة فى أمر فلسطين ، وهو حكم صريح فى أنها للعرب من مسلمين ومسيحيين لا لليهود ولا للصهيونيين ، ولا لغيرهم ممن يريد سلبها منهم ، ويستغل حمق اليهود والصهيونيين فى الوصول إلى مأربه ، ليضرب العرب بهم ويضربهم بالعرب ، ويظفر بعد هذا بما له من مأرب وحينئذ يندم اليهود ولات ساعة مندم ، ويأسفون على إساءتهم لمن أحسن إليهم ولات ساعة أسف .

القصاص ؛ كما كان عليه الشأن عند العرب — والناحية الثانية أن نظام الطبقات عند الرومان كان ملحوظاً فى تطبيق هذه العقوبة ؛ فإذا كان الجانى من الأشراف استبدل النفى بعقوبة القتل وإذا كان من الطبقة الوسطى كانت عقوبته قطع الرقبة ؛ وإذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب أو إلقاءه طعاماً لحيوان مفترس ، أو يشنق .

وقد دخل على هذا النظام عدة تغييرات انتهت بتدخل الحـكومة فى إقرار العقوبة وتنفيذها ، كما هو عليه الحال فى القوانين الحديثة

القتل فى الإسلام :

نزل فى عقوبة القتل آيتان أولاهما مكية وهى أول ما نزل فى القتل وهى قوله تعالى : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً) والأخرى مدنية وهى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ؛ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ؛ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولـكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلـكم تتقون) .

كما وردت نصوص أخرى متفرقة فى القرآن نهت عن القتل منها : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ؛ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) . ومنها قوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً . ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق)

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق »

أسباب النزول :

روى فى أسباب نزول القصاص أن بدوياً قتل آخر من الأشراف ؛ فاجتمع أقارب القاتل عند ولى المقتول وسألوه عما يريد ، نخيرهم بين إحدى ثلاث قالوا : ما هى ؟ قال : إما أن تحيوا ولدى ، أو تملأوا دارى من نجوم السماء ، أو تدفعوا الى جملة قومكم ثم لا أرى أنى أخذت عوضاً .

تبين هذه الرواية مقدار ما جبلت عليه نفوس العرب من الإسراف فى طلب القصاص والتعنت فيه كأخذ الجانى بغيره والجملة بالواحد

استمر العرب يقتلون الجماعة بالواحد والرومان يفرقون بين الشريف وغير الشريف ؛ والتوراة تحابى المجنى عليه ؛ والإنجيل يفرط فى شأنه حتى ظهر الإسلام فنزلت آيات القصاص التى تنظم جزاء جريمة القتل وترسم عقوبتها على أسس من العدل والإنصاف سنذكرها فى مقال تال إن شاء الله فارتفع من الشرائع الأخرى مساوئها واستقرت محاسنها .

على حلمى

وأما حكم الدين فهو كحكم التاريخ والسياسة أيضاً ، لأن اليهود قد وعدوا بذلك الوطن فى عهد إبراهيم حقاً ، إذ جاء فى الآية — ٧ — من الأصحاح — ١٢ — من سفر التكوين (وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض) وجاء فى الآية ٢١ — من سورة المائدة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) وهذا خطاب من موسى إلى قومه حين ذهب بهم من مصر إلى هذه الأرض المقدسة .

ولكن الله تعالى لم يكتب هذه الأرض لهم لأنهم يهود ، ولا لأنهم أبناء إبرهيم عليه السلام ، ولا لأنهم قوم موسى عليه السلام ، لأن البشر عنده سواء ، وهما جميعاً خلقه وعبيده ، وعدله يشملهم عامة ، ورحمته تعمهم كافة ، وإنما كتب لهم هذه الأرض ليقوموا فيها بعهده ، ويؤدوا فيها حقه عليهم ، كما قال تعالى فى الآية — ٤٠ — من سورة البقرة (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون)

وكان عهد الله تعالى عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يصدقوا أنبياءه الذين يرسلهم إليهم ، فلم يفوا له بهذا العهد وكذبوا بعض من أرسله إليهم ، وقتلوا بعضهم ، كما قال تعالى فى الآية — ٧٠ — من سورة المائدة (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذّبوا وفريقاً يقتلون) والتوراة وما بعدها من كتب العهد القديم مملوءة بأخبار نقضهم هذا العهد ، وكفرهم بالله تعالى ، وتكذيبهم أنبياءه .

وقد سلط الله عليهم من أخرجهم من هذا الوطن جزاء لهم على نقض هذا العهد ، وكان بختنصر أول من سلطه عليهم ، فأجلاهم من فلسطين إلى بابل ، وقد مكثوا بها إلى أن أعادهم كورش الفارسى إلى فلسطين ، فأقاموا بها ثانياً مدة من الزمان ، وأقاموا دولة لهم فيها دون دولتهم الأولى .

ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله ، فعظم بغيهم ، وتفاقم شرهم ، وانقطع الأمل فى صلاح حالهم ولم يبق معنى لبقائهم فى فلسطين ، بعد أن ظهر المسيح بشريعة لا تختص بهم وحدهم . ثم جاء الإسلام لحمل الرسالة عامة للناس جميعاً ، واستوى فيها الخلق كافة ، فدان للمسيح من دان من الشعوب ، ودان للاسلام من دان منهم ، وبقى اليهود وحدهم يزعمون أن رسالة الله لا تتعداهم ، وأنه لم يصطف من الناس غيرهم

فاتفقت النصرانية والإسلام على نزع هذا الوطن منهم ليتحقق وعد الله بنزعه منهم إذا لم يفوا بعهده ، ويؤمنوا بأنبيائه لأن وعد الله حق ، وخبره لابد من تحققه فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ومن يمكن لهؤلاء اليهود فى فلسطين من مسيحى أوروبا وأمريكا يخالف المسيحية قبل أن يخالف الإسلام ، ويجرى وراء السياسة الباغية التى توقع الناس فى أفظع الحروب ، وتؤدى إلى خراب العالم ، ولا يقرها دين من الأديان .

وللأخلاق حكم فى طمع اليهود فى فلسطين أيضاً ، لأن العرب فتحوا لهم بلادهم فى فلسطين وغيرها ، فوجدوا فيها جواراً كريماً ، ولقوا فيها عدلاً وأمناً ، وقد لفظهم أوربا فى القرون الوسطى كما تلفظهم الآن ، فلم يجدوا مأوى لهم إلا فى بلاد العرب ، فقضوا فيها تلك القرون الطويلة ، لا ينالهم أحد بشر ، ولا تنظر إليهم عين بسوء ، بل يجدون منا أكرم عطف ، وينتفعون بنا أقوى نفع ، حتى صاروا ولهم بيننا أموال لا تحصى ولا تعد ، وأصبحوا وبيدهم زمام التجارة والصناعة ، فلا يحقد أحد هذا عليهم ، ولا يحاول أحد أن ينتزع شيئاً منهم .

أفيكون جزاؤنا على هذا كله أن يطمعوا فى هذه البلاد التى آوتهم ؟ وأن يتخذهم أعداؤنا وأعداؤهم من متعصبى أوربا وأمريكا وسيلة لقضاء مطامعهم ، حتى إذا قضوا أغراضهم من تسخيرهم فى حربنا قلبوا لهم ظهر المجن ، وطردوهم من فلسطين كما يطردونهم الآن من أوربا ، اللهم إنه لا يجوز شىء من هذا فى شريعة الأخلاق ، وإن اليهود قد خرجوا فى هذا الطمع الشنيع على حكم الخلق الكريم ، كما خرجوا على حكم السياسة والتاريخ والدين

ولا شك أن الظلم مرتعه وخيم ، والبغى عاقبته شر ، وقد بغى اليهود على المسلمين الأولين فى المدينة وكانوا قلة يعدون بالعشرات ، وليس لهم من العالم على سعته إلا بقعة صغيرة فى المدينة وما حولها ، فجزاهم الله على بغيهم شر جزاء ، وأعان هذه القلة عليهم فطردتهم من المدينة شر طرد ، ولم ينفعهم ما حاولوه من إثارة العرب على المسلمين ، وما جمعوه من الأحزاب لإخراجهم من المدينة ، لأن الله لا ينصر بغياً على عدل ، ولا يرفع باطلاً على حق

واليوم يبغى اليهود على المسلمين وهم يملؤون الأرض من

إســـعاف النشاشيبي

للأستاذ داود حمدان

ودعا أيها الحفيان ذاك الشخـ ـص إن الوداع أيسر زاد
واغسلاه بالدمع إن كان طهرا وادفناه بين الحشى والفؤاد
واحبواه الأكفان من ورق المصحـ ـف كبرا عن أنفس الأبراد
وانبعوا النعش بالقراءة والتسـ ـبيح لا بالنحيب والتعداد

إى والله هـذا مقامك يا أديب العرب ، وواحد الدهر ، ويا حبيب المصحف ، وعاشق لغة القرآن ، ويا خليل محمد وخلصان دينه .

وإنه لقليل عليك أن تغسل بالدمع الطهور ، وتدفن بين الحشى والفؤاد ، ولـكن ... من أين لنا الدمع وقد جف من هول المصيبة ، وتمزق الحشى وذاب الفؤاد من شدة الحزن وحرارة الأسى ...

أى أديب العرب ! إنك لتجل عن أن يقول مثلى رثاءك[1] ، ولن يقول رثاءك الحق إلا من يقول مثل هذه الأبيات ، أو من يقول مثل قولك فى شوقى وهنانو ، وهيهات ... وما هذه الكلمة إلا وفاء لحق لزم ، وتنفيس لحزن أقام ولا إخاله يريم ، لتعذر العزاء عنك بسواك ، ومن سواك يسد مسدك ويغنى غناءك ؟ وهل تعود الدهر الجود بالأفذاذ ؟ أنت لم يأت نظيرك من ألف سنة ... فإن كانت هذه سنة الدهر ، فيا طول ما ينتظر المنتظرون !

إن العربية ستؤرخ ابتداء فقرها من هذا النمط المجيد بارتفاع روحك الطاهرة إلى الرفيق الأعلى .

أى إسعاف ، لقد كنت والله إسعافاً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى : لقد أسعفت اللغة فقالت بلسان المرحوم أمير البيان : (قد أحسن الله إسعافى بإسعاف) ، وأسعفت الدين (بالإسلام الصحيح) مما يفترى عليه المفترون ويطعن فى مساواته الطاعنون ، وأسعفت الأخلاق الكريمة فتمثلت بك بشراً سوياً لا يعرف الكذب قط ولا يستطيعه ، ولا الغش ، ولا الرياء ، ولا الجبن ، ولا البخل ، ولا القسوة ، ولا الكبر ، بل كأنما خلقت من الصدق والصراحة والجرأة والكرم والرحمة والتواضع ، وكيف لا تكون كذلك وإمامك محمد وطريقتك القرآن ؟ وأسعفت الفقراء والمحتاجين والغارمين ، فكم من فقير أعطيت ، ومحتاج أغنيت ، وغارم لولاك كان من المفلسين ؟

(١) وهذا المعنى هو الذى أخر هذه الكلمة إلى اليوم .

أقصاها شرقاً إلى أقصاها غرباً ، ومن أقصاها جنوباً إلى أقصاها شمالاً ، واليهود هم اليهود فى قلة وذلة ، والعالم ينبذهم نبذ النواة من هنا وهناك ، فهل يمكنهم أن يتغلبوا على المسلمين فى بلادهم ؟ وهل يمكن المسلمين أن يناموا على ضيمهم ؟ وهل يرضى الله عن هذا الظلم والبغى فلا يوقع اليهود فى شر بغيهم وظلمهم ، ولا يمكن للمسلمين منهم ، لينبذوهم إلى حيث لا يجدون مأوى ، لأن العالم كله قد اجتمع على كراهتهم ، ولم يبق لهم إلا المسلمون الذى يحملونهم على عداوتهم .

ووالله أيها اليهود الجاحدون ، إنا لن ننسى لكم أنا آويناكم وأنتم ضعاف ، وقد طردكم أهل أوربا من بلادهم ، ففتحنا لكم بلادنا ، وها أنتم أولاء اليوم تحاربوننا لتمكنوا لهم من رقابنا وتكونوا مخالب قطط لهم علينا ، وقد عفونا عنكم بعد إساءتكم الأولى لمسلمى المدينة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين

ووالله أيها اليهود الجاحدون ، إنا لن ننسى أنا نعيش نحن وإخواننا المسيحيون فى كل بلد عربى عيشة سمحة كريمة ، وهم يوافقون أولئك المتعصبين من أهل أوربا فى الدين ، وكانوا أولى منكم بأن يكونوا مخالب قطط لهم ، ولكنهم أكرم على أنفسهم من أن يكونوا مطايا للطامعين فى بلادهم ، أما أنتم فلم ترعوا للوطن العربى حقاً عليكم ، ولم تذكروا إحساننا إليكم ، فانقلبتم أعداء لنا من غير ذنب جنيناه ، وخنتم بلادنا وعهودنا ، وسترون عاقبة هذا البغى ، فنطردكم من فلسطين كما طردناكم من المدينة وما حولها ، والتاريخ يعيد نفسه ...

عبد المتعال الصعيدى

فمليك رحمة الله ما نطق باللسان الفصيح ناطق ، وخفق بالإسلام الصحيح خافق ، وسلام عليك ما ذكر المكرمات ذاكر وبعد ، فالرثاء حزن يتبدى أو مناقب تعدد ، وكلاهما يحتاج إلى بيان ، ولست ممن يدعيه ، غير أنى أشهد أن حزنى على إسعاف عظيم ، وإنى لا أستوفى مناقبه حصراً وعداً .

كنت لم أره بعد ، وكان ذلك منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، حين كتب كاتب فى بعض الصحف الفلسطينية ينتقده وينتقد شوقى معاً ، فحملنى حبى لهما على أن أدفع عنهما ما قاله بغير حق ، فكتبت الدفاع فى جريدة الجامعة العربية ، وعلى أثر ذلك أهدى إلى كتبه ، ثم زرته وتوثقت روابطنا حتى كان لا يدعو إلى بيته أحداً من ضيوفه ، وكلهم من أهل الفضل والأدب ، إلا دعانى مدة إقامتى فى القدس ، فلم أجد مجلساً أحفل بالفوائد الأدبية والإنسانية من مجلسه ، ولم أجد محدثاً أجذب للسمع والفؤاد منه ، ولم أجد أغير منه على كتاب الله ودين محمد ، فمحمد عليه السلام عنده ممنى الكون ، وكان اسمه الكريم مكتوباً بخط جيل ومعلقاً أمامه لا يحب أن يقع نظره إلا عليه .

ولا يستثيره شىء أكثر من أن يمس الإسلام أو القرآن من قريب أو بعيد ، وشدة غيرته هى التى تأتى بالعجب ، فكتابه « الإسلام الصحيح » إذا رأيته بتحقيقاته وحواشيه ظننت أنه تهيأ له من سنين ، والحقيقة أن موضوعه لم يكن يخطر له ببال ، وما هى إلا مناسبة عرضت حتى هب كالأسد يزمجر بالإسلام الصحيح ، وواتته سعة الاطلاع وسلامة الفهم والذوق فكان الكتاب ، وكذلك كان رده على كتاب المبشرين الذى نشر تباعاً فى الرسالة . ولم يكن يضيع شيئاً من وقته ، فما هو إلا قارئ أو كاتب ، وكانت رحلته فى الصيف إلى الشام رحلة فى طلب المزيد من العلم ، وكان نهماً فى القراءة ، حتى لقد طالع فى مكتبات دمشق أكثر من خمسمائة كتاب فى رحلة واحدة ، ونقل منها نصوصاً تؤيد كتابه الإسلام الصحيح ، وكانت رحلته فى الشتاء إلى مصر ليتزود كذلك من مكتباتها . وهذا كله بالإضافة لما عنده من مكتبة عظيمة نادرة المثال .

وكانت معرفته لما اطلع عليه من آداب الغربيين وهو كثير معرفة اتفاق ، وكان يحسن التحدث عن آداب الغرب ويقارنها بآدابنا ، ويجد لكل جديد منها مثالا من قديمنا يفوقه روعة وبهاء

وكان طيب الله ثراه يحب التجويد فى كلامه ، وإذا بدا له خاطر فى تغيير حرف أو كلمة من مقالة ذهبت للنشر أبرق إلى المجلة بوقف النشر حتى يأتى تصحيحه ، وكان يسارع بالرجوع إلى الحق ويحمد من ينبهه إلى خطئه ، وقراء الرسالة يعرفون ذلك ، ومرة أشرت بكتاب خاص إلى نقلة من نقله ، فكتب إلىّ أن هذه النقلة ستحذف هى وأخوات لها . وكان إذا عملت معه معروفاً يبدو كأنه عاجز عن شكرك بكثرة ما يحاوله بأساليب مختلفة ، ولكن بشعور صادق ، وطالما أخجلنى من ثنائه عند ما نشرت مقالا فى جريدة الدفاع علقت فيه على « الإسلام الصحيح » بما أراه حقاً .

قبل سفره إلى مصر رأيته فى القدس ضعيفاً متهدم الجسم ، فشعرت بالخوف عليه ، ثم سافر إلى مصر ولم أره ، ثم جرى اختيار عضو فلسطين لمجمع اللغة العربية ، وعجبنا بل شدهنا لذلك الاختيار العجيب ، وسكت مدة وأنا فى حيرة ودهشة ، ثم رأيت أن من حق الأستاذ على أن أكتب فى هذا الموضوع ، فكتبت كلة أنصفته فيها ولم أطعن فى العضو المنتخب ، وهيأتها لأرسلها إلى الرسالة ، ولكن يا للأسف فى صباح ذلك اليوم الأغبر قرأت نعيه فى الجرائد ، فطويت الكلمة ، وطويت ضلوعى على الحزن .

داود حمدان (اللد — فلسطين)

هل نملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

تمهيد :

١ – ظننت بعد نشر تعقيبى فى مجلة المجتمع الجديد على رأى معالى عبد العزيز فهمى باشا فى تعدد الزوجات[١]، وامساكه عن الرد فترة طويلة، أن معاليه قد اقتنع بما سقت إليه من حجج دفعا لشبهاته التى أوردها على التشريع القائم فى هذا الموضوع ؛ أما وقد نشر أخيراً بحثه المستفيض[٢] رداً على تعقيبى فإنه لا يسعنى سوى أن أبدى إعجابى بهذا الجهد يبذله معاليه فى شيخوخته المباركة دفاعاً عن رأيه، فيضرب بذلك أروع الأمثلة لشباب الجيل .

بيد أن احترام معاليه وإكبار جهده لا يحولان دون تعقب آرائه بالكشف عن وجه الحق فيما يذاع منها على الناس وبخاصة فى مثل هـذا الموضوع الذى هو – كما قال معاليه بحق – موضوع الله والنبى والأمة والتشريع الإسلامى .

٢ – وأبدأ بالرد على عتب وجهه معالى الباشا ناسباً إلى أننى تلقفت كلمة شردت منه فى حديثه الشفوى وهى كلمة « بتاتا » التى توهم بظاهرها أنه تحريم مطلق لامثنوية فيه « فبينت اعتراضى على هذه الكلمة الشاردة تاركا ما فى تفصيل الحديث . والحقيقة أننى لم أتلقف كلمة بعينها فى الحديث شاردة أو مستقرة حتى يتوجه إلى هذا العتب، ولكن معاليه هو الذى عدل رأيه المنشور فى الحديث تعديلا جوهريا أصبح بعده يرى فى هذه الكلمة شروداً، ويمكن مقارنة ما استقر عليه رأى معاليه فى بحثه الأخير بما كان عليه رأيه أولا فى النقط الآتية :

(١) استقر رأى معاليه فى بحثه الأخير على أن آية (وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ؛ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) «ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات مطلقا ، بل هى مسوقة بالذات وبالقصد الأول إلى التضييق على المخاطبين فى نكاح من تحت حجرهم من اليتيمات » المفضى بهم إلى أكل أموالهن بما ينافى العدل فأراد المولى سبحانه تقريعهم على إتيان هذا المنكر تحت ستار النكاح بما يبينه من أن لهم فى نكاح لأخريات غير اليتيمات متسعا «لا واحدة ولا اثنتين واحدة بعد أخرى ولا ثلاثا واحدة بعد الاثنتين الأوليين بل حتى مثنى وثلاث ورباع ، أى جزافاً بلا حساب ولا عـدد » غير أنه تعالى قيد هذا التعدد غير المحدود العدد باشتراطه العدل الذى هو أساس القول فى هذه الآية فأردفها بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) – بينما كان معاليه يرى فى حديثه أن الآية المتقدمة « هزؤ وسخرية ممن يريد تعديد الزوجات وأن فيها إيكال الأمر لمن يعلم الله أنه لا يستطيع القيام بالأمر . فمخاطبة غير المستطيع بما هو من شأن المستطيع تلك كلها سخرية بالمخاطب : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... ! ثم إنه كيما يرد المخاطب إلى مقتضى العقل الصحيح ، ولكى يعبر عما يجده المخاطب فى نفسه من عدم الاستطاعة أضاف فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ... أى وأنا أعلم كما تعلمون أنكم تخافون عدم العدل لأن غرائزكم الفطرية تحملكم على هذا الخوف » ومؤدى ذلك أنها مسوقة قصداً لبيان حكم تعدد الزوجات ، وإنه التحريم فى الجملة على نهج خاص من الأسلوب ، لا لغرض آخر . فالفرق أوضح من أن يحتاج إلى إيضاح .

(ب) استقر رأى معاليه أيضاً على أن آية « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » مقصود بها بيان أن العدل المطلوب فى الآية المتقدمة – وهو العدل المطلق الكامل – وإن كان غير مستطاع إلا أنه غير مشروط فى الزوجات الموجودات وقت نزولها فرخص سبحانه – تخفيفاً ورعاية لحقوقهن المكتسبة قبل هذا التشريع – بالابقاء عليهن وإن كن متعددات للرجل الواحد بشرط العدل المستطاع بينهن ، وذلك بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) على أن يكون ذلك حكما مؤقتا خاصاً بهن دون من يعقد عليهن بعد ذلك اللائى يسرى عليهن شرط العدل المطلق الذى هو الحكم الدائم . فهذه الآية « مجرد تخصيص أو بيان لحكم (فإن خفتم

---

(١) العدد ٢ من مجلة « المجتمع الجديد » فبراير سنة ١٩٤٨

(٢) عدد مجلة « الثقافة » الصادر فى ٩ / ١٢ / ٤٧ ، وتلخيص بعدد مجلة « الرسالة » الصادر فى ٢٢ / ١٢ / ٤٧ .

ألا تعدلوا فواحدة) من جهة زمان تطبيقه » بينما كان يرى فى حديثه أن أحد شقى هذه الآية وهى قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) إنما هو تعبير عن فكرة الآية الأولى القائمة على السخرية بمريدى التعدد وتحديهم باشتراط العدل « تعبيراً هو من أشد ما يكون بيانا للواقع الذى يعلمه هو فقال . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ... ولن ، كما يقرر النحاة ، هى أشد أدوات النفى للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتا ؛ فالقرآن يسجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة . أى أن العلة المتوهمة للتصريح بالتعديد لن تتحقق أبداً » هذا ولم يتعرض فى حديثه اطلاقاً للشطر الثانى المكمل للآية وهو قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) مع أنه اعتبره فى رأيه الأخير مناطا للحكم المقصود بالآية كلها وهو استثناء الزوجات الموجودات وقت النزول من اشتراط العدل المطلق على ما بينا .

(ح) وبعد ما بسط معاليه ما استقر عليه رأيه أخيراً فى تأويل الآيتين على النحو المتقدم استشعر تضاربا ظاهراً بين التأويل يتمثل فى تقريره أن الآية الأولى ليست مسوقة لتحديد عدد الزوجات الجائز الجمع بينهن مطلقا وإنما هى مسوقة لغرض آخر ، وتقريره فى الوقت نفسه أن الآية الثانية جاءت مخصصة لحكم تحريم التعدد المستفاد من الآية الأولى فى الجملة مما يتعين معه أن تكون هذه مسوقة للحكم المذكور وإلا لما احتيج إلى تخصيصه ، كما استشعر أيضاً ركة تشوب النظم الحكيم بالأخذ والرد فى غير ما حاجة لذلك نتيجة لهذا التأويل ، فتكلف لسد هذه الثغرة تعليلا ينطوى على كثير من البراعة وقد جاء ذلك فى البند ١٥ من بحثه تحت عنوان « لا إشكال فى النصوص ، وفى البند ١٥ فى سياق محاولة رد تمسكى عليه بكلمة « بتاتا » — وحاصل هذا التعليل « أن الآية الأولى لم تأت قط بقصد التصريح بتعديد الزوجات إلى أربع فقط كما هو مزعوم وإنما أتت بظاهرها . غير مانعة من أخذ أى عدد كان من النساء ، ولكنها مع هذا التوسيع التقريبى الجزاف خشيت أن يسىء المخاطبون فهمها فنبهتهم إلى لزوم الاقتصار على واحدة عند خوف عدم العدل . وبما أنه يبدو أن النبى وكثيراً من الناس كانوا على عادة العرب متزوجين بأكثر من واحدة ، تخوفهم من عدم العدل حاصل بالطبع وقلوبهم واجفة واقعة فى الاضطراب حتما ، وهى حال لا تطاق ، فما العمل ؟ هل يسارعون إلى العمل بقوله (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) وحينئذ يفارقون ما زاد على الواحدة ؟ أم إن الله فى لطفه وكرمه والدين الإسلامى فى يسره وسهولته ينظر إلى الزوجات التى تبين ، والأطفال التى تهمل ، والبيوت التى تخرب ، والعرب الواجب تأليف قلوبهم لا تنفيرهم ، فيجعل تشريعه للمستقبل ويتساهل فى الماضى وفى أثر النكاح القائم ويتركه حتى يزول بطبعه بعد قليل من الزمن ، شأن كل تشريع سليم يرضاه العقل ويطيقه الاجتماع ؟ يبدو لى أن هذا هو الواقع ، وأن المسلمين هلعوا وجأروا هم والنبى إلى الله متململين من هذه المحنة الراهنة فلطف بهم فبين مراده بأن أنزل قوله (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) ... الخ » إلى أن قال معاليه : « لأننا جميعا نعرف — كما أشرت إليه من قبل — أن الدين الإسلامى عالج نقائص العرب تدريجيا مع الأناة والتلطف والابتعاد عن كل ما ينفرهم بلا مقتض . ومسألة تعديد الزوجات كانت من العادات المتأصلة فيهم ، فمصادمتهم بتحريمها بالنص القاطع القاسى لا محل لها لكنه اتخذ لهذا أسهل طريق وأحكمه ، طريق التحدى بالعدل ... الخ » وهذا ، كما قدمت ، تعليل بارع من معالى الباشا ، لكنه لا يقوم إلا على محض افتراض ولم يدفع ، مع ذلك ، التعارض بين تأويل الآيتين كما هو ظاهر . أما رأيه الأول فقد كان منسقا على الأساس الذى بنى عليه فبدهى أنه لم يرد فيه شىء من هذا التعليل إذ لم يكن صاحبه بحاجة إليه قبل تعديل رأيه .

(د) فليس بعجيب إذن بعد ما عدل معاليه رأيه هذا التعديل الجوهرى الذى تكلف كثيرا لتبرير تعارضه محاولا بهذا كله دفع ما أوردناه على رأيه الأول بمقتضى قوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) — أقول ليس بعجيب إذن بعد كل هذا أن يأتى على تلخيص ما استبق من رأيه فى عبارات تحمل طابع التردد والحذر الشديد فيقول فى البند ١٤ « القرآن الكريم لم يحرم تعدد الزوجات بنص صريح قاطع خاص بل أنى إذا كنت ذكرت فى حديثى الأول أنه يحرم التعدد فواضح من الحديث أن ذلك استنتاج من الآيتين رقم ٣ و (رقم ١٢٩) واحتياط منى بصفتى مسلما يجب أن يعنى بتقرير ما يغلب على ظنه أنه هو المقصود

للنصوص الوارده بكتاب شريعة « ويقول فى البند ١٧ » قد ترك القرآن الناس على حريتهم وعاداتهم يتزوجون أى عدد من النساء يريدون . وغير صحيح — فى نظرى — أنه حد من هذه الحرية نصا أى تحديد ، بل كل الأمر أنه نبههم إلى القاعدة الأساسية فى تشريعه وهى مراعاة العدل والابتعاد عن مزالق الجور فأوجب على المسلم عند ما يقوم فى نفسه الخوف من عدم العدل أن يقتصر على واحدة . ثم أكد هذا المعنى تأكيداً لا هوادة فيه (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فاصبح الأصل الواجب أن يحتذيه كل مسلم يريد الاحتياط لنفسه هو الاقتصار على زوجة واحدة » ثم يقرر إمكان « المحيص » و « الهوادة » حتى عن هذا الأصل بامكان الاستثناء منه على أساس القواعد العامة فى دفع الحرج وإباحة المحظورات عند الضرورة لأن « هـذا الأصل قد يقضى العدل نفسه بالخروج عليه فى بعض الصور » واستثنى الباشا بالفعل حالتين قال بإباحة التعدد فيهما . فأين هذا كله من رأيه الأول الذى اجملناه فى الفقرة ب ؟ أين هذه العبارات المحتاطة أشد الحيطة فى التعبير عن تحريم مقيد للتعدد مستنتج من ثنايا نصوص مقيدة (بظاهرها كما هو رأى الباشا أخيراً) للاباحة المطلقة غير المحدودة بعدد؟ أقول أين هذا من إنكار معاليه — فى حديثه الأول — على الحكومة وضع تشريع لتقييد تعدد الزوجات بجعل أباحته رهينة برقابة القضاء الشرعى على توفر الأسباب الداعية إليه والمقدرة على الوفاء بشرط العدل بين الزوجات ، وقوله « وخير للحكومة أن تأتى للأمر مباشرة فتعالجه من جذوره ، وذلك بأن تحرم بتاتا تعدد الزوجات » ثم قوله فى موضع آخر من الحديث « لا أوافق البتة على طريقة المشروع تلك الطريقة التى يراد بها عـدم تعدد الزوجات ولـكن بسبل ملتوية مراد بها قطع أسباب الاعتراض ممن يظنون أن لهم على خلاف مفهوم نصوص القرآن الصريحة حق الاعتراض » ؟ هلا وسع معاليه — إن كان حقا قصد ببحثه الأخير تأييد عين رأيه الأول — الاقتصار على طلب تعديل مشروع التشريع طبقا لنتيجة هذا البحث ، والبون بينهما غير بعيد ، بدل أيجاب نقض المشروع من أساسه بما فى ذلك من زلزلة تشريعية بنقض التشريع القائم أيضاً من أساسه ؟ بل أن معاليه ليستهين فى حـديثه ذاك — فى سبيل القضاء على كل عائق يحول دون تنفيذ رأيه فى التحريم البات الحاسم — فيجيب على اعتراض وجه إليه بحق بان إصدار التشريع الذى أشار به معاليه مدعاة للزنا وهو فساد كبير بقوله « للفرنسيين مثل يقولونه C'est un Nécessaire mal أى شر لابد منه » بينما هو فى رأيه الأخير يقول باباحة التعدد — فى إحدى الصورتين اللتين استثناهما معاليه — إبتغاء تكثير النسل عقب حرب تدخل فيها الأمة فتقضى على كثير من رجالها » إذ الضرر من خوف الجور فيها لا يصح أن يقام له وزن بجانب ذلك النفع العظيم الذى يأتى به التعديد « مع أن القاعدة المعمول بها فى جميع الشرائع أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٣ — لقد أطلت فى بيان هذه النقطة الشكلية لـكننى أرى هذا القدر من البيان ضروريا لا تعريضاً بمعالى الباشا — وحاشاى أن أقصد إلى شىء من ذلك — ولـكن قصد إظهار الناس على الحقيقة التى انضحت لى من مقابلة الرأيين — وأرجو أن يغتفر لى معاليه التصريح بها — وهى أن رأى معاليه فى هذا الموضوع الخطير لم يكن نتيجة الدراسة والتمحيص بقدر ما كانت الدراسة والتمحيص نتيجة للاسراع بابداء هذا الرأى أولا والحاجة بعد ذلك إلى دفع ما وجه إليه ؛ وهذه الحقيقة قد تساعد الـكثيرين — فيما أرى — على وزن رأى معاليه فى هذا الموضوع بميزان صحيح

٤ — هذا وبمناسبة عتب الباشا — لا يفوتنى أن أنوه بانه إذا كان ثمة من يتوجه إليه العتب فهى « مجلة المجتمع الجديد » لتقريرها فى تقديم بحث معالى الباشا الأخير عبارة راعت فيها المجاملة أكثر من رعايتها لاى شىء آخر ، وبخاصة ما نادت به من حيادها التام فى الموضوع ، وهى التى عبرت فيها عن رأى معاليه الأول « بان الشريعة الإسلامية تحرم تعدد الزوجات تحريما باتا ، إلا فى أحوال الضرورة القصوى » فالاستثناء الوارد فى هذه العبارة محض تبرع من المجلة إذ الواقع أنه لم يرد فى حديث معاليه ذكر لاستثناء من أى نوع فضلا عن أن الحديث بجملته وتفصيله مبنى ومعنى يقطع بالتحريم البات الذى لا يدع مجالا للاستثناء على ما سبق أن بينت .

(يتبع)

ابراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

الحمامة الطريدة

للأستاذ محمود الخفيف

في وحدة ساهرت فيها الأسى   طافت بى الذكرى فلم أهجع
شكوت لليل الضنى والجوى   والوجد والسهد وهذا الدجى
زادت غواشى الهم أسدافه
ودلت الوهم على مضجعى

فى ليلة غارقة الأنجم   ضل بها الفجر عن المطلع !
لكل ألوان الأسى تنتمى   حلكتها من همى الأقتم
الذئب مقرور بها هاجع
والجن لم تأنس إلى موضع

الليل جهم ، صرصر ريحه   صفيرها يزداد فى مسمعى
أجش وحشىُّ الصدى نوحه   مرتمش من قره دوحه
أطل لا تبصر عينى سوى
أشباحه فى الأفق الأسفع

واعجبا ماذا أرى فى الظلام   والصرصر الهوجاء لم تقلع ؟
يقظان إذ أبصر لا فى منام   ورقاء فى سمعىَ منها بغام
قد أقبلت ملهوفة فى الدجى
على هدى المصباح فى مخدعى

حطت على نافذتى خائفه   مادونها فى الليل من مفزع
نازفة واحـزنا راعفه   بالغوث فى أنانها هاتفه
كم ذا رنت صوبى فى لهفة
رف لها الخافق فى أضلعى

وهنانة تلهث فى زاويه   كجاهد أفلت من مصرع
من جارح أحسبها ناجيه   تخفيه عنى الظلمة الغاشيه
وربما كان على خطوة
لو لم ير المصباح لم يرجع

مددت بالماء يدى فى وعاء   فأجفلت من ذلك المشرع
تلهث لا تطلب غير الثواء   تنكر ما أبدى لها من رثاء
مشبهتى فى الوجد لا تنفرى
ما كنت يا ورقاء بالمدعى

أنت وما أوجع هذا الأنين   حسى ما فى خافق الموجع
طريدة الظلمة ، قلبى الحزين   أبكاه هذا الحزن لو تعلمين
بكاؤك المكتوم كم هزنى
والأصل أن تلهى وأن تسجعى

كم هجت يا ورقاء أشجانيه   أنا الذى كم أسبلت أدمعى
كم ذا بكى عان فأبكانيه   وكم بكت فى الطرس ألحانيه
طالبة المأوى كلى واشربى
آمنة فى جيرتى واهجعي

كم صورة مثلت فى خاطرى   يشقى بها كل فـؤاد بمى
وارحمتا للساهد الساهر   الواجد المنفرد الشاعر
مؤنستى كم صورة للأسى
ألقى بها فى قلبى المترع

فيك خيال للشقى الطريد   لم يأوه فى الأرض من موضع
مروع فى كل آن شريد   تسلمه الدنيا لخوف جديد
جهم المشايا منذر ليله
فى صبحه بالحادث المفزع

وفيك طيف البائس المعدم   منكس الهامة مستضرع
مبتئس النظرة مستسلم   عان ، هنا أو هاهنا يرتمى
بكل باب أن مستصرخا
لم يرو منه الغل أو يشبع

وفيك يا ورقاء ذل الضعيف   لم ينجه الضعف ولم يشفع
أضناه فى دنياه كسب الرغيف   فى زحمة العيش هزيل لهيف
من دمه كم عاش ذو قوة
لم يدر ما الرحمة أو يقنع

وفى جراحاتك مرأى الجريح   خاض الردى فى هوله المفظع
ممزق ظمآن عان طريح   فى ركنه بعد الفضاء الفسيح
يذكر طعم الموت فى موطن
يا هوله للموت من مرتع

أطائر ، أم أنت روح شفيق   جاء يواسينى ويبكى معى ؟
وهم به فى الوجد قلبى خليق   غير الأسى ما إن له من رفيق
مشبهتى فى الوجد كم دمعة
ذرفتها فى الليل أن تدمعى

الخفيف

طرائف من العصر المملوكى :

الشعر والنقد الاجتماعى

للأستـــــاذ محمود رزق سليم

نقد المجتمع من أهم ما يعنى به المصلحون ، إذ يقوم إصلاحهم على دعامة منه ، ينظرون فى شئون مجتمعهم ، ويتتبعون ضروب الفساد فيه ، ثم يحملون عليها حملات شعواء لا تبقى ولا تذر ، ويبينون للناس ماهم مترددون فيه من شقاء . ثم يعملون جاهدين على إنقاذهم من مترداهم ، وتوجيههم إلى سبل السعادة المرجوة . فمثلهم مثل الأطباء يتحسسون الداء ويصفون الدواء . وكلما اتضحت ضروب الفساد ، وناء المجتمع بما فيه من أمراض ، اشتدت الحاجة إلى هؤلاء المصلحين ، ودعت الداعية إلى بروزهم فى الميدان ليعملوا ويكافحوا . فيلجأ الخطيب منهم إلى خطابته والكاتب إلى مقالته والشاعر إلى قصيدته وذو الرأى إلى قريحته وفكرته وقد يكون الشعراء أبعد القادة وأولى الرأى عن النظر فى شئون المجتمع من ناحية تلمس نقائصه ، وتتبع مثالبه ، والعمل على تلافيها والدأب على إصلاحها . إذهم فى أغلب أمرهم صدى للمجتمع نفسه بما فيه من نقائص ومثالب ، لذلك يتلمس مؤرخ الأدب أحياناً نقائص عصر ومثالبه فى شعر شعرائه ، كما يتلمس مزاياه وفضائله سواء بسواء . فكم يكون جميلا إذن ، أن نرى الشعراء يدلون بدلوهم فى الدلاء ، ويشاركون فى باب الإصلاح ، ويتتبعون مثالب مجتمعهم ونقائصه فينحون عليها باللائمة ويثقلون عليها بالنقد المرير اللاذع ، ويشهرون أمر فساده بين الناس حتى تتضح معالمه وتتبين شياته وهناته ...

إنها لظاهرة أدبية طيبة واتجاه فكرى سام ، يسجلة مؤرخ الأدب لشعراء عصر من العصور ، إذا ما وجد من بينهم ثلة صالحة يهولها فساد المجتمع ، ويروعها اتضاعه ترديه ، فتعمل جاهدة فى صدق على نقده وتنفيره مما هو فيه ، على أمل أن يثوب إليه رشده ، ويثوب إليه صوابه . ثم هى بذلك تمد التاريخ بوثائق صادقة يقرأ فيها بوضوح بعض نواحى العصر .

هكذا نسجل — ونحن نؤرخ العصر المملوكى وأدبه — هذه الظاهرة النابهة لشعرائه . فقد أضحى النقد الاجتماعى غرضاً شائعاً هاماً بين أغراضه الشعرية المطروقة .

وإن القارئ ليملؤه العجب ويأخذه الدهش إذا علم أن شعراء هذا العصر هم وحدهم الذين حملوا راية النقد الاجتماعى دون سواهم من القادة وأولى الرأى والبصر . لذلك كان حمدنا لهم مضاعفاً وثناؤنا عليهم مستطاباً .

ولا نتجنى على غيرهم من أصحاب البيان وأهل القلم واللسان ، فقد ترى لكاتب نقدة عابرة ، أو تسمع لخطيب زجرة طائرة . ولكن ذلك كان على وحى وارتياب . ولم يكن خطة موضوعة ولا منهاجاً متبعاً . بل حوادث فردية ووقائع شخصية . وإنك لو طويت الكشح عن عظات لبعض علماء العصر على المنابر أو غيرها ، يوجهونها للشعب أو حكامه ، وإنك لو لويت الجيد عن بعض ما تخلل مقدمة ابن خلدون وبعض كتب التاريخ من نقدات ، ما وجدت بعد ذلك من النقد الاجتماعى شيئاً يدل عليه ويشار إليه . فإذا أردت أن ترى أين النقد حقاً ، فانظر فى شعر شعراء العصر ، فإنك واجد فيه — بلا ريب — ماتشتهى .

أما خطباء العصر فكانوا من علماء الدين جلهم اتخذ الخطابة المنبرية وسيلة إلى الرزق أكثر منها سبيلا إلى النصيحة ، وطريقاً إلى الجاه أقرب منها أداة إلى الإصلاح . وكتاب العصر كانوا فى شغل شاغل بوظائف الدواوين وتدبيج رسائل السلاطين ، وما يدره عليهم ذلك من خير وفير ورزق كثير . وعلماء العصر ممن شغلوا أنفسهم بالتأليف كانوا فى أبراجهم العاجية يعيشون بمنجى عن الشعب ومنأى ، بين ترف ذهنى ونعيم فكرى . وليس لهم هم إلا أن يؤدوا للعلم أمانته ويدونوا ما خلفته العصور وما وعته الصدور . فلم يبق إلا الشعراء فهم من الشعب وإليه ، وهم تراجمته ومرائيه ، وألسنه المشروع ، وحناجره النافثة ، صوتهم من صوته ، ونداؤهم من ضميره ، ونقدهم قبس مما يتردد فى أعماقه ويتراءى فى آفاقه . والشعب — على ضعفه وغفلته — له نقدات مريرة ولفتات خطيرة ، تتنزى برنينها نفسه ، ويعوج بأنـاتها فؤاده . ولكن فكره موءود ، ولسانه معقود ، وغضبته مطروحة ، وحدته مكبوحة . ولا من يترجم عنه أو يتحدث بما فى نفسه إلا شعراؤه . هكذا كان شعراء العصر المملوكى .

والمجتمع المصرى حينذاك كان فياضاً بضروب من الفساد لا حد لها ، غاصاً بمواضع النقد ، قميناً بالحملة عليه والسعى فى إصلاحه . ولكن هيهات .

لقد كان الشعب يعانى من حكامه جوراً وعسفاً ، ومن موظفيه نهباً وسلباً وإهمالا . وكان هؤلاء طبقتين متميزتين عن بقية طبقات الشعب التى منها طبقات التجار والزراع والصناع ، لا تكاد تجمع بينهم جامعة صالحة إلا جامعة الدين والوطن . وكانت مشا كل الأسرة لا تقف عند حد ، وإدعاءات الطوائف لا تعرف هوادة . وكثر أدعياء العلم والأدب ، ومحترفو الزهد والورع . وكادت الرشوة والسعى بها إلى المناصب تصبح قانوناً منظماً . وذاعت السرقات الأدبية فى غير مبالاة . وانتشر الزنا واللواط والتسرى بالغلمان ... وشرب الخمر وتعاطى الحشيش ، إلى غير ذلك من مفاسد شائعة ذائعة .

نظر الشعراء إلى كل ذلك فنقدوه وحملوا عليه ، وخلدوا عنه فى التاريخ صفحة لاتلين ولا تمين . ولسائل أن يقول لم اهتم الشعراء كل هذا الاهتمام بنقد مجتمعهم ،ولم ينصرفوا عنه انصراف سواهم راضين منه بالعافية والسلامة ؟ نعتقد أن فى مقدمة أسباب هذا أن العصر بحكامه وشعبه جهل مكانتهم ونكر منزلتهم وأن الثراء عن طريق القريض كان قد صوح زمانه ، وضوى ينعه وريمانه ، فلا سلطان يسخو ولا أمير يجود . لهذا قاسى الشعراء مع ألم النكران مرارة الحرمان . فأحقد ذلك نفوسهم وأحنقها ، وأثار خواطرهم وأقلقها ، والمحروم واجد النفس مفتوح العين على الثغرات يرى منها مالا يراه سواه ... ثم هم أمنوا الغبة واطمأنوا إلى العاقبة ، وذلك لأن الحكام أعاجم بالفطرة لايفهمون من الشعر إلا أثارة . وهم عن مساقط الشعراء مشغولون بحروبهم فى الخارج أو فتنهم فى الداخل ، ثم هم بين هذه وتلك يخبون فى نعيم وارف وترف فياض ، يحجب عن أسماعهم شكوى المحروم وأنة المكلوم ودعاء المظلوم — كان الشعراء إذن فى حرية رافهة وأمن واسع ، وانطلقوا من كل قيد يخشاه الأديب على نفسه حتى قيود المجاملة والرياء ، وثارت ثائرة بعضهم حتى خلط فى حديثه بين النقد والهجاء

ولو قد وجدا فى الشعب مستجيباً وملبياً لكان لنقدهم أثر حميد وعاقبة نافعة ، وفعل رشيد .

ولا يهولن القارىء — إذا ما عرضنا عليه نماذج النقد — ما يراه فيها أو فى بعضها من نزول فى مستوى أسلوبه ، وبخاصة إذا قاسه بما درس من شعر أندادهم فى عصور كانت فيها الملكات العربية لا تزال على مجادتها أو فى عصور التقت فيها الثقافات ولقحت العقول وكرمت المغريات على القول .

ويطالعنا فى أول ما نسوقه ، نقد شرف الدين البوصيرى (٦٩٥هـ) . كان البوصيرى حسن السيرة صادق السريرة وظف فى مطالع حياته فى دواوين الدولة كاتباً ، فرأى من عبث كتابها وجباتها ماهاله من عبث . وشهد من إهمالهم ماراعه من إهمال . فجأر منهم بالشكاية وأنحى عليهم بالزراية فقال يخاطب أحد أولى الأمر :

فلا تدن منهم واحداً منك ساعة   ولو فاح من برديه مسك وعنبر
وبرد فؤادى بانتقامك منهم   فقد كاد قلبى منهم يتفطر
منعت بهم حظى شهوراً ولم أصل   إلى حظهم حتى مضت لى أشهر
فما فيهم — لا بارك الله فيهم —   أخو قلم إلا يخون ويغدر

وقال فيهم أيضاً :

نقدت طوائف المستخدمينا   فلم أر فيهم رجلا أميناً
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم   مع التجريب من عمرى سنيناً
فكتاب الشمال هم جميعاً   فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا   بهم فكأنهم سرقوا العيوناً

ومنها يذكر من ادعى منهم النسك ، ويذكر اختلاف الطوائف فى مصر وإدعاء كل طائفة بحقها فيها :

تنسك معشر منهم وعدوا   من الزهاد والمتورعينا
وقيل : لهم دعاء مستجاب   وقد ملئوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة فخان كل   أمانته وسموه الأمينا
وما أخشى على أموال مصر   سوى من معشر يتأولونا
يقول المسلمون : لنا حقوق   بها ولنحن أولى الآخذينا
وقال القبط : نحن ملوك مصر   وإن سواهمو هم غاصبونا
وحللت اليهود بحفظ سبت   لهم مال الطوائف أجمعينا

ومن طريف نقد البوصيرى قصيدته الرائية الفكاهية التى وصف فيها حال أسرته فى رمضان وعيد الفطر ، وما استحدثاه بين أفرادها من خلف ونزاع هما نتيجة الحرمان . وهو وصف يشعرك بما للفاقة من أثر سىء فى التفرقة بين أفراد الأسرة . ويشعرك بأن أسرة البوصيرى هى نموذج للأسرة المصرية المتوسطة ، ونموذج لمشاكلها من عهده إلى الآن ومنها يصف أفرادها قال :

صاموا مع الناس ولكنهم   كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم   مابرحت والشربة الجره
لهم من الخبز مسلوقة   فى كل يوم تشبه النشره
أقول مهما اجتمعوا حولها   تنزهوا فى الماء والخضره

ثم يصف العيد وتطلع الأبناء فيه إلى الكعك والنقل، ثم ما يدب من النزاع بينه وبين زوجته، وتدخل أخت الزوجة فى هـذا النزاع لمصلحة أختها، فهى بذلك تضرم نار العداوة بين الزوجين، وتهون شأن الزوج وتجرى عليه زوجته، فتنتهى المأساة بأن تستقبل رأسه بآجرة. وهكذا ترى كيف يفشى الجهل بأصول الحياة وروابط الأسرة عيون أفراد الأسرة المصرية من قديم الزمان فلا يفهم بعضهم أن رابطة الأسر شركة تعاونية بل فرصة استغلالية وهكذا. ومما يشبه قول البوصيرى فى كتاب الدواوين، قول علاء الدين الواسطى يشكو قوما إلى نائب السلطان بالشام قال:

يانائب السلطان لانك غافلا   عن قتل قوم للظواهر زوقوا
ماهم تجار بل لصوص كلهم   فأمر بهم أن يقتلوا أو يشنقوا
وأراك لا تجدى إليك شكاية   إلا لأنك حائط لاينطق... الخ

وقال شهاب الدين الأعرج ينقد الأتراك والقبط ويذكر استئثارهم بالرزق:

وكيف يروم الرزق فى مصر عاقل   ومن دونه الأتراك بالسيف والترس
وقد جمته القبط من كل وجهة   لأنفسهم بالربع والثمن والخمس
فللترك والسلطان ثلث خراجها   وللقبط نصف والخلائق فى السدس

ونقد كمال الدين الإدفوى (٧٤٨) هـ صاحب كتاب «الطالع السعيد» حالة التعليم والمعلمين فى عصره فقال:

إن الدروس بمصرنا فى عصرنا   طبعت على لغط وفرط عياط
ومباحث لا تنتهى لنـــهاية   جدلا ونقل ظاهر الأغلاط
ومدرس يبدى مباحث كلها   نشأت عن التخليط والأخلاط

ومنها قوله:

والفاضل النحرير فيهم دأبه   أقوال رسطاليس أو بقراط
وعلوم دين الله نادت جهرة   هذا زمان فيه طى بساطى

وقال مجد الدين بن الخياط يصف شعارير زمانه — وهم كثر فى كل زمان —:

وفى متشاعرى عصرى أناس   أقل صفات شعرهم الجنون
يظنون القريض قيام وزن   وقافية وماشاءت تكون

وبمناسبة ذكر الشعراء نسوق بيتين من أبيات لشهاب الدين أحمد الأنصارى يهجو منهم من يقترف ذنب المديح فقال:

مالى أرى الشعراء تكسب عارا   بهجائهم وتحملوا الأوزارا
مدحوا الأخساء اللئام فضيعوا الـ   أشعار لما أرخصوا الأشعارا

هذا مع العلم بأن قوما من الشعراء ربئوا بأنفسهم عن المديح بل عن صناعة الشعر وفضلوا عليها حرفة متواضعة احترفوها. انظر إلى أبى الحسين الجزار يقول:

كيف لا أشكر الجزارة ماعشـــت حفاظا وأرفض الآدابا
وبها صارت الـكلاب ترجيـــنى وبالشعر كنت أرجو الـكلابا

وكثير من الشعراء نعى حظ الآداب ورثى لحال الشعراء وشكا انصراف الناس عنهم وعن إنصافهم.

وكانت الصوفية قد وجدت فى هذا العصر مراحا خصيباً ومرعى رطيبا، غير أنه — بلا ريب — اندس بين أهلها من ليس منهم فشابوها وعابوها:

فكان ذلك مثارا للنقد القاسى المقذع. قال الأديب المؤرخ فتح الدين بن سيد الناس:

ماشروط الصوفى فى عصرنا قطـــما سوى ستة بغير زيادة
وهى ...... والسكر والسطــلة والرقص والغنا والقيادة
وإذاما اهتدى وأبدى اتحادا وحيلا من خلوة وإعادة
وأتى المنكرات عقلا وشرعا فهو شيخ الشيوخ ذو السجادة

ونختتم هذا الحديث بذكر أحد أدباء العصر وهو الشاعر جمال الدين السلمونى من شعراء عصر الغورى فقد وقعت بينه وبين قاضى قضاة عصره عبد البر بن الشحنة الحنفى، فتنة أوذى الشاعر بسببها، وليس هنا مجال تفصيلها وكان الشاعر قد هجا القاضى ونقده بقصيدة لاذعة مريرة رددها كل لسان وسارت بذكرها الركبان، وأبياتها إذا أغضينا النظر عن القاضى عبد البر — تصور إلى حدما مفاسد القضاة تصويرا صادقا. قال منها:

فشا الزور فى مصر وفى جنباتها   ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها
أينكر فى الأحكام زور وباطل   وأحكامه فيها بمختلفاتها
إذا جاءه الدينار من وجه رشوة   يرى أنه حل على شبهاتها

ومنها:

ألست ترى الأوقاف كيف تبدلت   وكانت على تقديرها وثباتها
وقد وثبت فيها قضاياه بالأذى   وبالبيع مثل الأسد فى وثباتها

وبعد فهذه فضالة مما وعاه الرأس ونمالة من رحيق الكأس، تنبئان عنهما كما ينبئ الشعاع عن الشمس.

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

معـــــروف الأرناؤوط

صاحب جريدة « فتى العرب » وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

للاســــتاذ برهان الدين الداغستاني

توفى الأستاذ الـكبير السيد معروف الأرناؤوط ، أحد كبار رجال الصحافة والعلم والأدب فى دمشق ، وانتقل إلى دار الخلود بعد أن أبلى كثيراً فى سبيل رفع شأن أمته ورقى بلاده ، وجاهد طويلا بقلمه ولسانه فى جريدته « فتى العرب » التى كان يبذل فى سبيلها من ذات نفسه وماله الشيء الـكثير . كما كان عضواً بارزاً ذا أثر بالغ فى المجمع العلمى العربى بدمشق .

توفى — رحمه الله — والصحافة المصرية فى شبه حمى مما تذيعه وتنشره صباح مساء من تفاصيل دقيقة مما أحاط باغتيال « غاندى » وما إلى اغتياله من أساليب إحراقه وتأريث النار تحت جثته ! ...

نعم كانت الصحافة هنا فى شغل شاغل بنشر هذه التفصيلات الدقيقة لما توفى إلى رحمة الله ذلك الصحفى العربى ، والـكاتب الأديب الأستاذ معروف الأرناؤوط ، فلم يتنبه لموته أحد ، ومر نعيه هادئاً هنا من غير جلبة ولا ضوضاء ، حتى أن الـكثير من أصدقائه وخلصائه فى مصر — وهم بحمد الله كثر — لم يعلم بموته ولم يقرأ خبر نعيه المنشور فى « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سنة ١٩٤٨

كان الأستاذ معروف الأرناؤوط حركة دائبة ، كثير الطواف والتجوال ، فقد زار كل بقعة من البـلاد العربية ، وقابل كل ملوكها وأمرائها وقادة الرأى فيها ، وكتب الـكثير عن هـذه البلاد وأهل هذه البلاد ، وكان يناصر بقلمه كل حركة تقوم فى أى بـلد من بلاد العروبة والإسلام للدعوة إلى الحرية ونيـل الاستقلال .

كان — رحمه الله — خفيف الظل ، عذب الروح ، سريع البديهة حاضر النكتة ، برماً بما تعارفه الناس فى مجتمعاتهم من قيود ورسوم وتكاليف ، كثير المرح ، يشيع فى مجلسه الحركة ورفع الكلفة ، يشعر جليسه لأول مرة أنه صديقه من أمد بعيد ، وأنه يعرفه معرفة وثيقة !

كنت أسمع باسم معروف الأرناؤوط ، وأقرأ له كثيراً ، ولـكن لم أكن رأيته ، فلما كنت فى دمشق صيف سنة ١٩٤٣ ذهبت إلى لقائه فى دار « فتى العرب » فوجدته جالساً فى المقهى الصغير المجاور لدار « فتى العرب » ، فى ذلك المنفسح الواسع الجميل بين دار البلدية ودار الحـكومة ، وما كدت أسـلم وأجلس معه حتى شعرت بأنى مع شخص أعرفه من قديم ! ، وكنت عجلا لقضاء بعض المهام فأنسانى ما ينتظرنى من عمل ، وطالت جلستنا ، وتشعب الحديث وذهب كل مذهب ، فكان رحمه الله فى أحاديثه شديد التحمس للعروبة والأمة العربية ، قوى الايمان بقدرة هذا الشعب على القيام بالدور المقدر له أن يقوم به فى ركب الحضارة .

وبعد أن أخـذ على العهد أن أزوره فى فـترة أخرى ، ودعته وفارقته ، ولـكن لم تسنح لى فرصة زيارته مرة ثانية ، فـكانت تلك الزيارة هى الأولى والأخيرة .

ولـكن تلك الفترة التى قضيتها مع الأستاذ معروف الأرناؤوط فى ذلك المقهى الصغير المتواضع تركت فى نفسى أثراً لا ينمحى عن خلق الفقيد وكرم نفسه ، وحلاوة حديثه وخفة روحه ، فـكنت أذكره كثيراً ، وأتمنى لو تتاح لى فرصة لقائه مرة أخرى ، حتى قرأت فى « أهرام » يوم الأحد أول فبراير سـنة ١٩٤٨ نعيه ، فحزنت عليه ، وبكته نفسى . رحمه الله رحمة واسعة .

الأستاذ معروف الأرناؤوط ثالث أديب كبير ترزأ به البلاد العربية وتفقده الصحافة العربية ، والأدب العربى والقارىء العربى فى أقل من شهر ، ففى مطلع الفجر من يوم الثلاثاء الثالث عشر من يناير سنة ١٩٤٨ فجعت الصحافة العربية بعميدها طيب الذكر أنطون الجميل باشا ، فبكته أحر بكاء ، وقبل أن يجف الدمع عليه أو يلتئم جرح القلوب على فقده ، فجعت بأديب العربية غير مدافع الأستاذ الـكبير محمد إسعاف النشاشيبى ، فقد ذهب إلى لقاء ربه فى مطلع الفجر من يوم الخميس الثانى والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨ ، فحرك بموته كوامن الأسى وجدد الحزن والألم ، فبكته الصحافة العربية أحر بكاء !

وفى الساعات الأخيرة من ليلة الجمعة الموافق ثلاثين يناير سنة ١٩٤٨ لفظ الأستاذ معروف الأرناؤوط أنفاسه الأخيرة ، وسكنت تلك الحركة الدائبة أثر سكتة قلبية ، فقضى ثلاثتهم فى غضون ثمانية عشر يوماً . فى حالات متشابهة أصبح مايكونون أجساماً أو سكتة قلبية أحسن الله عزاء البلاد العربية عن فقدهم ، وعوضها خيراً !

برهان الدين الداغستاني

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٧٢٦)

٦ - فى الوجود وعلله

للأستاذ كمال الدسوقي

ابن سينا والإشارات :

تجدون الترجمة الكاملة لحياة ابن سينا وكتاباته ، وأسفاره وتجاربه وأشعاره ؛ كما دونها ورواها تلميذه أبو عبيد الجوزجانى ؛ فى تاريخ الحكماء لابن أبى أصيبعة (جزء ٢ ص ١ — ١٦) الذى يوجد فى مكتبات مدارسكم وأقاليمكم ، وفى مقدمة كتاب منطق المشرقيين — الذى قالوا إنه القسم المنطقى من كتاب « الشفاء » لابن سينا ، والذى نشر فى مصر غير مرة : تجدون ذلك كله فى هذين المرجعين وفى غيرهما بما لا تحتاجون معه إلى مزيد من الإيضاح .

ومنه يتبين لكم أن ابن سينا (٣٧٣ — ٤٢٧ هـ) لم يبلغ السادسة عشرة حتى كان قد ألم بالكتب الأولية فى الحكمة رياضية وطبيعية ومنطقية ، أما ما بعد الطبيعة ، فقد هداه إلى فهم ما استغلق من تعاليم أرسطو فيها كتاب أبى نصر الفارابى ، كما فقهه إسماعيل الزاهد » من قبل فى مسائل الفقه والخلاف ، وأبو عبد الله الناتلى المتفلسف فى الحساب والهندسة وعلم الهيئة (الفلك) ورياضيات إقليدس ؛ وأنه منذ ذلك الحين قد دأب على المطالعة والدرس حتى أتيح له فى هذه السن أن يلحق بخدمة الأمير نوح بن منصور السامانى فيمن لحق من الأطباء المعالجين ؛ وأنه انفرد من بينهم فى الوقوف على مكتبة الأمير والإحاطة بما فيها ، حتى اتهم بحرقها ليتفرد بعلم ما حوت ؛ وأنه قد حصل حينئذ كل ما صار له من علم ومعرفة ، فلم يزد على علمه فيما بعد ذلك شىء — كما قال هو ؛ وأنه لم يكن بعدئذ يقرأ كتاباً على الولاء ، بل يقصد المواضع الصعبة والمسائل المشكلة ليتبين ما قاله صاحب الكتاب فيها — على نحو ما حدثنا الجوزجانى المذكور .

وأتم الشيخ الرئيس مرحلة الدرس وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وبدأ يكتب ويصنف ، وكانت تصانيفه فى ذلك الحين على الطريقة الأرسطية ، تأخذ معظم مادتها من هذه الفلسفة اليونانية بادئة أولا بالمنطق الآلة التى تعصم الذهن من الخطأ فى التصور والتصديق والاعتقاد الصحيح ، ومثنية بما بعد بالطبيعيات وما يتعلق بها من رياضيات وحساب وهيئة وموسيقى ، ومختتمة فى النهاية بما بعد الطبيعة أو العلم الإلهى كما سماه الأسلاميون ملحقين به الحديث عن النبوة والمعاد والخلاص من الدنيا ، نجد هذه الفلسفة الأرسطية فى معظمها فى أهم كتب ابن سينا الأولى « كالمجموع » « الشفاء » ومختصره « النجاة » وفى رسالته فى النفس التى كتبها إلى الأمير نوح بن منصور والتى تشبه أن تكون تعريباً لكتاب أرسطو « فى التنفس » .

أما الكتاب الذى بين أيديكم فهو من نوع مخالف لنوع هذه الكتب : وهو يمثل الفلسفة المشرقية فى تمام نضجها عند ابن سينا وغيره ، تلك الفلسفة التى لا تأخذ عن أرسطو إلا بمقدار ما تأخذ عن أفلاطون وأفلوطين والمتكلمين والصوفية من الإسلاميين والفرس ، مكونة من هذه فى جملتها مذهبا خاصاً ، وروحاً جديدة ، فيها طرافة وفيها عمق وامتاع هى بعض ما يتميز به كتاب « الإشارات والتنبيهات » لابى على الحسين ابن عبد الله بن سينا .

ولعل الظروف التى أحاطت بتأليف هذا الكتاب قد هيأت له أن يكون على هذه الصورة من العمق والجلال : فهو لم يكتبه استجابة لطلب أصحابه أو أميره كما ترى فى سائر كتبه إنما كتبه وهو سجين بقلعة « فردجان » حين اتهم بأنه يكاتب سراً علاء الدولة أمير أصفهان . ويصف هو محنة السجن هذه التى كتب أثناءها هذا الكتاب بقوله فى آخر صفحة من إشاراته : رقمت معظمها فى حال صعب لايمكن أصعب منها حال ، ورسمت أغلبها فى مدة كدورة بال ، بل فى أزمنة يكون كل منها ظرفاً لغصة وعذاب أليم ... ما مضى وقت ليس عينى فيه مقطراً . ولا بالى مكدراً ... الخ ص ١٤٥ حـ ٢) كما أن سجنه عند الإسماعيلية (الباطنية) هؤلاء قد جعله يذهب مذهبهم فى التستر والإخفاء ، والضن بكتابه ذاك على من لم يؤت الفطنة أو الدربة ، أو كان من الجاهلين المبتذلين ، والملاحدة المكابرين ؛ وفى التوصية بالحرص على تخير من يهدى إليهم هذا الكتاب واختبارهم ، صوناً لهذا العلم من الضياع -- كما نبه على ذلك فى آخر الكتاب (ص ١٤٣ — ١٤٤ حـ ٢) وكرر ذلك التنبيه فى أوله (ص ٢ حـ ١) بشروط واختبارات خاصة ، نرجوا أن تتوافر كلها لطلاب السابقة حتى يتهيأ لهم أن يقفوا على حقيقة هذا الكتاب .

وكما يتضح من أول كلمة للشيخ أبى على فى كتابه : الإشارات إنما تشعر إلى الأصول — والتنبيهات تنبه على الجمل ، هذه تتعلق بالمبادىء العامة ، وتلك بالقضايا الخاصة ، والذى تشير له هذه أو تنبه عليه تلك ؛ مسائل من العلم الطبيعى والإلهى مختلطة ، يتدرك فيها ابن سينا من المحسوس إلى المعقول ، ومن المادة إلى الصورة ، ولذا نجده قد قسم أبواب هذا الكتاب إلى أنماط — على عكس المنطق الذى تنقسم أبوابه عنده إلى أنهاج — لأن النمط ضرب من البسط والتمهيد يقصد لذاته — بينما النهج ممهد لكل سالك إلى غاية معينة بما يحقق الغرض من المنطق كعلم لمناهج العقل — وكم فى النمط الواحد من « إشارة » إلى أصل من الأصول ، « وتنبيه » على جملة من الجمل ، أو « وهم » من الأوهام ، « وتذنيب » أو خاتمة ونتيجة لكل ذلك .

والكتاب الأول من الإشارات فى خمسة أنماط . يهمنا منها الرابع « فى الوجود وعلله » (ص ١٨٩ — ٢١٤) الوجود المطلق الذى لا علة له على الإطلاق ، أى الوجود فى ذاته من حيث هو وجود ؛ والوجود الآخر الذى هو محمول على أشياء مختلفة — هى معلولة له ، والوجود عارض فيها وليس من ماهيتها ، ومباحث هذا النمط — كما لخصها الرازى — ثمانية : (١) الرد على من لا يؤمن بوجود إلا المحسوس ، (٢) العلل بوجه عام (٣) إثبات واجب الوجود (٤) ووحدته (٥) وتجرده عن الكثرة والنوع والجنس والعقل والحس ، (٦) ومن الضد والشبيه ، (٧) هو عاقل ومعقول (٨) تلك خير الطرق لإثباته .

والنشرة المتداولة لهذا الكتاب ، هى تلك المطبوعة فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥ هـ ، المشتملة على شرحى العلامة فخر الدين الرازى (فى الهامش الخارجى) والخاجه نصير الدين الطوسى (هكذا تنطق فى الفارسية بمعنى الأستاذ) — وكلاهما عالم محقق قام على شرح الإشارات مع فارق بينهما غير كبير — لا يعنيكم أمره — وحسبكم أن تتخيروا لأنفسكم أى الشرحين على هذا النص (المذكور فى كليهما بين أقواس) — فإذا تعذر عليكم تفهم الواحد فليكمل بشرح الآخر .

٢ — العلل الأربع :

وابن سينا — قبل أن يشرع فى تفصيل علل الوجود — ينبه على ما قد يتبادر لأذهان العامة من أن كل موجود فهو محسوس ، وأن كل ما لا وضع له فى المكان وفى الجهة وفى سائر أحوال الجسم المحسوس فلا نصيب له من الوجود — وهو رأى المشبهة ومن لفّ لفهم — فإننا حين نتأمل هذه المحسوسات الجزئية نجدها تشترك فى معنى كلى مجرد — كالإنسان الذى أفراده زيد وعمرو من الناس — الواحد منها محسوس ، له وضع ومقدار وأين وكيف ، ومن هذا المحسوس يأتى معنى الإنسان المجرد من الكم والكيف والأين والوضع الذى هو الإنسان الحقيق — والمعنى الكلى للانسان من حيث هو حيوان ناطق .

فإن قيل إن هذا الإنسان بالمعنى الكلى الثانى موجود فى العقل لا فى الخارج ، ونحن نقصد الوجود الخارجى لا الذهنى ؛ قلنا إن معنى الإنسانية لا يوجد فى الذهن إلا مقترناً بالإنسان الواقعى المحسوس المشترك فى التصور العقلى المجرد لكلمة إنسان . وسقط بذلك الاعتراض .

وإن قيل إن للانسان هنا كفرد تصوراً ذهنياً كلياً من حيث هو يتركب من أعضاء كثيرة مختلفة يشتمل عليها مفهوم كلمة « إنسان » بالمعنى الفردى ، قلنا إنه يسهل دفع هذا الاعتراض بتصور نفس الحال فى كل عضو من أعضاء الإنسان أى أن يكون لكل منها وجوده فى الذهن كلياً مجرداً فضلا عن وجوده فى الواقع والحقيقة .

وحجة أخرى تلزم أولئك الذين لا يعترفون بوجود إلا للحسى من الأشياء ، والموهوم من الموجودات ، هى أنه عن المحسوسات يأتى الحس ، وعن الموهوم ينشأ الوهم ، وهى ليست أموراً جسية ، فإن أنكروها وجب أن ينكروا ما يتعلق بها والعقل الذى يحكم عليها ويميز بينها ، دون أن يكون محسوساً ولا موهوماً هو الآخر . وقل مثل ذلك فى طبائع الأمور المدركة بالوهم كالعشق والخجل ، والشجاعة والجبن — التى ليست تدرك بالحس ، وإن تعلقت بالمحسوس والموهوم من الأشياء . والنتيجة التى يخلص منها الشيخ الرئيس بعد إدحاض هذه الأوهام ودفع ما يعترض به عليها — أن كل موجود فإن له ماهية مجردة عن كل مشخصاته الحسية — هى التى يتحقق بها وجوده ، وإن لم تكن محسوسة ولا موهومة .

ذلك أن الشىء إنما يتحقق وجوده بإحدى اثنتين : إما بماهيته وحقيقته كالمثلث من حيث هو سطح وأضلاع تحيط به وتحدده — أى من حيث مادة المثلث والصورة الناشئة له من مجموع هذه المادة أى المثلث بالقوة En Puissance والمثلث بالفعل En Acte وإما بوجود ذاته من حيث موجده أو المؤثر

فى حدوثه ، وما لأجله وجد — أى من حيث فاعله ، ومن حيث غاية وجوده ، وعلل الوجود الأربعة هى إذن قسمان : علتا الماهية ، وعلتا الوجود ، الأوليان منها هما : العلة المادية Cause Matérielle والعلة الصورية Cause Formelle وعلتا الوجود هما العلة الفاعلة أو علة الفاعلية Camse Éfficieure والعلة الغائية Cause Finale — الأوليان جزء من الشىء لأنهما الشىء بالقوة (المادة) والشىء بالفعل (الصورة) . والأخيرتين ليستا جزءاً منه . بل هما فاعله (أو موضوعه بالقوة) ، وغايته (أى تحققه بالفعل) ، ولذا كانت العلتان الأولى والثالثة سالبتين والثانية والرابعة موجبتين .

والفرق بين علل الماهية وعلل الوجود يتبين فى الفرق بين وجود الشىء فى ذاته ووجوده فى الأعيان ؛ الأولى تلزم الشىء لتحقيق ذاته فى الخارج وفى العقل ، ومقومات هذه العلل هى الجنس والنوع والفصل ... مما يدخل فى باب المنطق ، أما الأخرى فيفتقر إليها الشىء فى كونه موجوداً كالفاعل والغاية . وابن سينا يخصص هذا الفصل لدراسة هذه الأخيرة ، بعد إذ فرغ من الأولى فى المنطق . مما سنتابعه فيه فى المقال التالى .

كمال دسوقى

الأدب والفن فى أسبوع

نشوء القومية فى البلاد العربية :

ألقى الأستاذ ساطع الحصرى يوم السبت المحاضرة الخامسة من سلسلة محاضراته بالجمعية الجغرافية الملكية ، فتحدث عن « نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية حتى الحرب العالمية الأولى » .

قال الأستاذ إن البلاد العربية كانت خاضعة للدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية ، وكانت تنظر إليها على أنها حلقة فى سلسلة التاريخ الإسلامى ، وقد سيطرت الدولة على هذه البلاد بتغلبها على الجنود والحكام ، ولم تقاومها الشعوب ، باستثناء اليمن لاعتناقها « الزيدية » التى ترى أن يكون الخليفة من آل البيت ومن نسل زيد .

وكان المسلمون ينضوون تحت لواء الدولة متجهين إليها سياسيا ودينيا ، على خلاف المسيحيين العرب الذين كانت لهم هيئات دينية منفصلة عن الدولة ، وكانوا يجدون الفكرة العربية منفصلة عن الدين ؛ وكان هؤلاء المسيحيون ثلاث طوائف : الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ، وكان يلى المناصب الدينية بالكنائس الأرثوذكسية الشرقية رجال الدين من اليونان ، وكانوا يفرضون اللغة اليونانية فى الصلاة وغيرها من شعائر الدين ؛ وكذلك كان الرومان واللغة اللاتينية فى الكنائس الكاثوليكية الشرقية ، وتحدث الأستاذ عن جهود العرب المسيحيين فى مقاومة اليونانية واللاتينية فى البيئات الدينية حتى استبدلوا بهما اللغة العربية ؛ أما البروتستانت فكانوا من الأمريكيين الذين تعلموا اللغة وعملوا على نشر مذهبهم فى البلاد العربية بلغتها ، وأنشأت الطوائف الثلاث مدارس كانت تهتم باللغة العربية وتعلم بها ، على حين كانت مدارس الحكومة تعلم بالتركية ولا تلق العربية من عنايتها إلا قليلا .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نشأت تيارات فكرية مختلفة ، فالمسيحيون وبعض المستنيرين من المسلمين كانوا يدعون إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية وكان فريق كبير من المسلمين يعمل على جعل الخلافة عربية ، ودعا فريق آخر إلى الإصلاح والاشتراك مع العثمانيين فى إدارة دفة الأمور . ثم أعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ، فشاركت الأمم العربية الأتراك فى السرور بانتهاء حكم الاستبداد ، واتجه شعور الجميع نحو التكتل ونسيان الخلافات ؛ ولكن ذلك لم يدم طويلا لأنه كان من نتيجة الحرية بعد إعلان الدستور أن امتدت الأقلام إلى تناول بعض الشخصيات التى كانت مشتركة فى الحكم الاستبدادى فكان هذا إلى عوامل أخرى بينها الأستاذ سببا فى الانقسام بين العرب والأتراك ، واستمر هذا النزاع إلى أن عقد مؤتمر العرب بباريس وكان من مطالبه جعل التعليم باللغة العربية وإشراك العرب فى مناصب الحكم ، وحدث فى أثناء انعقاد هذا المؤتمر أن اتصل به رسل تركية ، وأمكن الوصول إلى اتفاق تحققت به بعض المطالب العربية وفى جلتها جعل التعليم فى بعض المدارس باللغة العربية . على أن هذا الاتفاق لم يقض على المنازعات نهائيا ، بل ظلت قائمة حتى نشبت الحرب العالمية الأولى .

وكان الأستاذ قد ذكر الساميين فى بدء المحاضرة بما دل عليه تتبع نشوء القوميات فى البلاد الأوربية من أن القومية كائن حي روحه اللغة ووعيه التاريخ ؛ ويبدو أن الخيط الذى يربط هذه المحاضرة بتلك النظرية هو جهود المسيحيين العرب فى مقاومة طغيان اللغات الأجنبية وتمسكهم بالعربية ، ثم اهتمام العرب جميعاً باللغة العربية فى حركاتهم ومطالبهم السياسية. والمتوقع أن الفكرة ستكون أكثر وضوحا أو ستصل إلى نتيجتها فى المحاضرة القادمة وهى « نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى تكون جامعة الدول العربية » .

عبث أدبى فنى :

الملك بين يديك فى إقبـاله	عوذت ملكك بالنبى وآله
حر ، وأنت الحر فى تاريخـه	سمح ، وأنت السمح فى إقباله
يفديك نصرانيــه بصليبه	والمنتمى لمحمـد بهلاله
يجدون دولتك التى سعدوا بها	من رحمة المولى ومن أفضاله
يا جنة الوادى وزهرة روحه	ونعـيم مهجته وراحة باله
فاروق جلها وزان بساطها	عرش يلوذ الشعب تحت ظلاله
وكأن عيدك عيدها لما مشى	فيها البشير ببشره وجماله

هذه هى الأغنية التى غنتهـا أم كلثوم ثلاث مرات فى يوم عيد ميلاد جلالة الفاروق . وقدمها المذيع بقوله : «عيد الدهر ، من شعر أحمد شوقى بك وغناء أم كلثوم» ولا شك أن المستمعين دهشوا ... فما عيد الدهر ؟ وما خطبُ شوقى ؟ وما غناء ذلك فى الميلاد الملكى ؟ .

أنشأ شوقى قصيدة « عيد الدهر » منذ قرابة أربعين عاماً ، مدح بها الخليفة العثمانى محمد رشاد الخامس ، وأشاد فيها بمدينة الآستانة . وقد أخذت من هذه القصيدة الأبيات السابقة التى غنتها أم كلثوم ، وليست كل هذه الأبيات من تلك القصيدة ، ففيها بيت وربع بيت من نظم غير شوقى ، وبيان هذا كما يلى :

أخذ من القصيدة أربعة أبيات بنصها ، ثم قصد إلى بيت فى القصيدة يعبر فيه الشاعر عن ولوعه بالآستانة ، وهو :

فى كل عام أنت زهرة روحه ونعـيم مهجته وراحة باله

فحذف قوله : « فى كل عام أنت » ووضع مكانه : « يا جنة الوادى و» وجىء بعد هذه « العملية » ببيت « من الخارج » ثم ختمت الأغنية ببيت من أصل القصيدة وهو : « وكأن عيدك الخ » .

ولا شك أنك — وقد علمت كيف تم « إخراج » هذه الأغنية — قد تحولت دهشتك إلى العجب من هذا الصنيع والسؤال عن الحكمة فى هذا التحوير والتبديل ! أليس هناك غير شعر شوقى ؟ لقد فاضت قرائح الشعراء ليلة ميلاد الملك ، وما زالت القرائح تفيض مستمدة من معين حبه ، أفما كان يغنى بعض شعرهم عن هذا الموقف المخجل أمام التاريخ !

وبعد فنحن أمام طريقة جديدة أصدق ما توصف به أنها عبث أدبى فنى . وما كان يليق أن يقع ذلك فى هذه المناسبة السامية .

الخطابة فى مهرجان الشباب :

دعت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف يوم الثلاثاء لفيفاً من الصحفيين والأدباء إلى حفل أقامته بإدارة خدمة الشباب لاختبار المتقدمين إلى مباراة الخطابة ، وهى إحدى مباريات المهرجان الأدبى والفنى الذى تنظمه الإدارة لمناسبة عيد الميلاد الملكى .

انعقدت لجنة التحكيم ، وهى مكونة من الأستاذ العقاد والأستاذ توفيق دياب والأستاذ توفيق الحكيم والدكتور إبراهيم ناجى والدكتور محمد صلاح الدين ، وقبل أن تبدأ فى الاختبار وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بوزارة المعارف ، وألقى كلمة تحدث فيها عن قلق الشباب وحيرته وعما يدل عليه هذا القلق من الحيوية والاستعداد ، ووجوب استغلاله فى التوجيه والإرشاد . وقال إننا نريد بهذا المهرجان وغيره أن نكشف مواهب الشباب لنشجعها وننميها ، وأشار إلى ما تعتزمه الإدارة من إنشاء نواد صيفية للشباب تتوافر فيها الوسائل المختلفة لتنمية المواهب الأدبية والفنية وغير ذلك مما يستغل فيه وقت الفراغ استغلالا نافعاً .

وتكلم الأستاذ توفيق دياب فقال إنه يلاحظ أن الحياة الثقافية عندنا تنقصها الروح والتشبع بالفكرة ، وأننا نماثل الأمم الكبيرة فى ضخامة الأبنية وفخامة المظاهر فقط دون أن يكون لدينا شعور قوى برسالة نؤديها ، رسالة حاضرة يؤديها الأستاذ ، ورسالة للمستقبل يستعد لها الطالب .

وقال الدكتور إبراهيم ناجى إنه وصل من دراسته النفسية لشبابنا أنهم مصابون بمرضين نفسيين : الأول تصيد الأمور وعدم فهم حقائق الأشياء ، فكثيرون منهم يتصدون لقرض الشعر وكتابة القصة مثلا ، دون أن يعرفوا ما هو الشعر ، ودون أن

يقفوا على دقائق فن القصة. والمرض الثانى هو عدم وجود الأهداف أو تعددها ، فإما أن لا يكون لهم هـدف ، أو يريد الواحد منهم أن يكون كل شىء .

ثم شرعت اللجنة فى عملها ، فأبلغت المتبارين موضوع الخطابة وهو هذا البيت :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ووزعت الدرجات على النواحى الثلاث التى يقدر فيها الخطيب وهى التفكير والأداء والتأثير . ثم تعاقب الخطباء من الشباب وكان الزمن المعين لكل منهم عشر دقائق . وكانوا خمسة عشر شابا ، بينهم فتاة واحدة ، هى الآنسة عزيزة توفيق (وأخصها بالتسمية لأن الرجل لم ينل بعد المساواة بالمرأة !) ولا أريد أن أتعرض للحكم عليها أو على غيرها من المتبارين ، فالأمر للمحكمين وحدهم ، أو هو — كما يقول زملاؤنا الصحفيون — بين يدى القضاء ... ولكن لا أرى بأساً فى بعض الملاحظات العامة

١ — المفروض أن الخطيب إنما يخطب جمهوراً فى أمر يهمهم أو قضية تشغل بالهم ، فيعالج المسألة معالجة خطابية ، ليؤثر فيهم ويوجههم إلى ما يريد ، وطبعاً لا يكون ذلك حقيقة فى المباراة بل يتمثله فيها الخطيب ، فهل يقع فى الحياة أن جمهوراً يشغل باله موضوع حكمة عامة ويهمه لأن يخطبه أحد فيها ؟ .

٢ — لذلك لاحظت أن أكثر الخطباء اتخذ القضية العربية والقضية المصرية موضوعاً لتطبيق هذه الحكمة وقصر كلامه عليها ، على ما فى ذلك من بعد عما تصدق عليه وهو الأفراد ، أما الأمم فكثير منها يهون ولكن لا يسهل الهوان عليه ، لأنه يتحفز ويتحين الفرصة لنيل حريته .

٣ — انتهز أحد الخطباء الفرصة ووجه الكلام إلى المحكمين باعتبارهم من قادة الفكر ، وقال لهم : دعونا من هذه المسابقة ، ماذا فعلتم لعزة البلاد ودفع الهوان عنها ؟ وهكذا قلب الوضع فأراد أن يمتحن الممتحنين .. ولكنها فورة الشباب ..

هذا وسيختار من هؤلاء المتبارين فى الخطابة أربعة يمنحون جوائز ، ويلقى الفائز الأول خطبة فى المهرجان العام الذى سيقام فى يوم ٢٧ فبراير الحالى .

رقاعة فرنسية :

بعث إلى « المصرى » مراسلها من باريس ، بحديث جرى بينه وبين وزير الشؤون الإسلامية فى الوزارة الفرنسية الجديدة ؛ وقد تناول هـذا الحديث موضوعاً اتجهت إليه أخيراً الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، وهو أن يشمل التعاون الثقافى العربى البلاد المغربية . سأل المراسل الوزير الفرنسى : هل للجامعة العربية أن تحصل على موافقة فرنسا إذا عرضت عليها إرسال مندوبين فرنسيين وجزائريين ومراكشيين إلى القاهرة لتمثيل هذه البلاد فى اللجنة الثقافية للجامعة العربية كما وافق فرانكو على إرسال مندوب عن مراكش الإسبانية فى هذه اللجنة ؟ فقال الوزير الفرنسى فى إجابته : « أحب أن أقول لك إنه إذا ثبت قطعاً أن هذه اللجنة تعمل فى نطاق ثقافى وروحى فقط فليس مستحيلا أن تنفذ وزارة الشئون الإسلامية اقتراحك هذا » .

ومن المحقق أنه لن يثبت قطعاً ولا من غير قطع أن لجنة الثقافة بالجامعة العربية تعمل فى النطاق الثقافى الروحى الذى تريده فرنسا ! كما أنه من المحقق أن الشعوب المغلوبة على أمرها لا يمكن أن تفصل بين الثقافة والسياسة إلا على أيدى الماثلين لغالبيها ، والثقافة التى لا تبعث شعور الحرية وتغذيه إنما هى ثقافة العبيد .

وإذن فلن توافق فرنسا على إرسال مندوبين يمثلون البلاد المنكوبة بها فى تنظيم التعاون الثقافى العربى . وإذا فرض أنه ثبت قطعاً .. الخ ، فماذا تفعل فرنسا ؟ تقول : ليس مستحيلا أن تنفذ الاقتراح !

ومن الغريب مع هذا أن ينوه ذلك الوزير فى حديثه بالعلاقات الثقافية بين فرنسا ومصر ، فيشير بتبادل المحاضرين بين البلدين ... إلى آخر هذا الكلام المعروف المحلول .

ومعنى كل ذلك أن فرنسا تريد أن توطد علاقاتها الثقافية بمصر التى تجمعها بالمغرب فكرة الوطن العربى الأكبر ، وتعمل فى الوقت نفسه على توطيد استعمارها للمغرب بقطع صلته بالثقافة الطليقة فى المشرق ، ولهذا أنشأت « وزارة الشؤون الإسلامية » التى تقابل عند الإنجليز « وزارة المستعمرات البريطانية » مع فرق واحد هو انعدام الحياء فى التسمية الفرنسية !

وبعد فانظر إلى تسمية هذه الوزارة ، وأضف إليها ما انطوت عليه إجابة وزيرها ، وخذ أيضاً تقطيع العلاقة الثقافية بين بلاد متحدة فى الثقافة والدعوة أو الدعاية لتوطيدها مع جزء من هذه البلاد — ثم انظر ماذا نصنع بكلمة « الرقاعة » إن لم نضمها هنا .

العباس

ســــلالة يعرب (*)

للأستاذ محمود غنيم

نسب أدِل به على الأقـــار   أنا من سلالة يعرب ونزار
وأولئك الشم الأباة أخوتى   والمكرمات شعارهم وشعارى
يا دار إسماعيل كيف وسعتهم   أشَرى أسود أم سماء درارى ؟
أم أنت فى وادى الكنانة دوحة   أخرى تشاهد بيعة الأنصار ؟
حى الوفود تحيــة ممزوجــة   بعبير غالية ونفح عُمـــار
واخشع إذا حدثت عن أسلافهم   أوزرت ما تركوا من الآثار
كانوا إذا رفعوا قواعد دولة   وضعوا العلوم مواضع الأحجار
حاطوا ممالكهم بعدل ملوكهم   كحياطة البستان بالأسوار
لم تكف هارون البسيطة كلها   حتى تحدى دولة الأمطار
كانوا وكان على البرية حكمهم   يعفى فصاروا قصة السمار
كانوا إذا نشروا الســـلام على الورى
وسلا وإن خاضوا الحروب ضوارى
من جندل الفلوات قدوا عزمهم   أو سـيلهن الجارف التيار
ومن الحيا المدرار صيغ سخاؤهم   فسخاؤهم صنو الحيا المدرار
وتنفسوا ريح البوادى حرة   إن البوادى معدن الأحرار
المجد فى الصحراء ينبت والعلا   بدل المروج الخضر والأشجار
إن كان للبارى شعوب خصها   برعاية فالعرب شعب البارى
أو قيل : إن العالمين عناصر   فهموهمو حسبا وطيب نجار
خلق البرايا من تراب خالص   والعرب شيب ترابهم بنضار

***

قد وحدت أم العروبة جمعها   توحيـــدها للبارىء القهار
حِلف برىء القصد ما أوحى به   نزق الهوى أو حب الاستعمار
والحلف ما أوحت به الشهوات إن   هو قام قام على شفير هار
قل للعروبة : أنت دين آخر   دين المساجد أنت والأديار
لا تسأل العربى عن وطن فقد   محت الدماء فواصل الأقطار
بالضاد نحن وبالدماء قبيـــلة   وبوحدة الأهداف والأفكار
عدنان جدى والعروبة كلها   لى عترة والشرق أجمع دارى

***

قل للكماة الذائدين عن الحمى   والمرخصين غوالى الأعمار
من كل زى أنف حمى بالردى   يرضى ولا يرضى هوان الجار
قد أرهف التاريخ غرب يراعه   ماذا يخط يراعه للقارى ؟
الكون أنصت والأثير بمرصد   بدل الحمـــام يطير بالأخبار
نادت فلسطين الشهيدة فاستجب
يا سـيف واخطب بلسان النار
لا ترشقوهم بالزهور تحيـة   أهل القبور أحق بالأزهار
بل فارشقوا الأبطال فى ساح الوغى
بذخــيرة أو عسكر جــرار
من كل أروع فوق ظهر جواده   ينقضُ إعصارا على إعصار
حرب أثار الجائرون غبارها   ما كان لولا جورهم بمثار
هم أوقدوها فاجعلوهم فحمها   فى يوم نحس شمسه من قار
يوم كيوم الروم فى « اليرموك » أو
يوم كيوم الفرس فى « ذى قار »
هذا تراث الراشدين وفتحهم   نفديه بالأسمـــاع والأبصار
إن تعبثوا بتراثهم خلفتمو   فى القبر أعظمهم بغير قرار
المسجد الأقصى الذى أسرى إلى   محرابه جـبريل بالمختار
والقبلة الأولى لكل مكبر   فى الأرض قبل البيت ذى الأستار
لا تبتنى الدولات حول موائد   كموائد الندمان حول عقار
لا تبتنى الدولات فوق خرائط   جدب الحقول نواضب الأنهار
الحق فى عصر الحضارة يشترى   بالدرهم المضروب والدينار
أقسمت ما ردَّ الظالم حاكم   عــدل لحد الصارم البتار
قالوا : الحقوق فقلت هن قوائم   يسطرن من بحر الدماء الجارى

***

فاروق إنك للعروبة مـوئل   قوت الفقير بها وبرد العارى
إن أدلج الركب المغـــذ لطية   تنفى الطلى فأنت نجم السارى
فاروق واسمك فى العروبة أرغن   أشجى لها من رنة الأوتار
أنت الذى داويت معضل دائها   وأسوت ما جرحت يد الأقدار
خطت يمينك أس وحدتها وما   خطت يمينك ليس بالمنهار

محمود غنيم

(*) ألقيت بدار الأوبرا الملكية فى حفل تكريم الوفود العربية

رسالة النقد

مبادىء علم النفس العام

للدكتور يوسف مراد

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

كنا قد وجهنا إلى الدكتور يوسف مراد منذ عام سؤالا في مجلة الكتاب، فحواه هل علم النفس علم أو فلسفة أو بين هذا وذاك؛ ولم يحر جواباً، وأبى أن يواجه السؤال، فقلت لعله يريد أن يفصل المسألة، ويمد لها المدة، ويقرأ المراجع ويفيض في الجواب. حتى أصدر كتابه «مبادىء علم النفس العام» وهو يقع في أربعمائة صفحة من القطع الكبير، فحمدنا الله، وبادرنا إلى قراءته كي نستفيد منه هذا العلم الذي يقوم على تدرسه، وشغل كرسي الأستاذية في كلية الآداب.

وقد استباح الدكتور مراد لنفسه أن يحكم على كتب المؤلفين في علم النفس، ونصب الموازين التي يصدر بناء عليها حكمه عليها، فتراه يقول في التصدير «وهناك نقص آخر يكاد لا يخلو منه كتاب مدرسي في علم النفس، وهو عدم الربط بين الوظائف السيكولوجيه والمظاهر السلوكية ربطاً كافياً مطابقاً للوقائع.» ويقول أيضاً «من واجب كل من يشرع في وضع كتاب في علم النفس لمعالجة جميع موضوعات العلم، كما تنص عليها عادة برامج الدراسة الثانوية في مختلف البلاد، أن يتوخى الأساليب العلمية التي تمتاز بالأمانة والدقة، وبضرورة التمييز بين ما هو يقيني وبين ما هو عرضة للاحتمال والشك، وبين الوضع العلمي لبعض المشاكل كمشكلة الغريزة مثلا، ووضعها الفلسفي» وفي التصدير إشارات كثيرة من هذا القبيل.

فهو يضع نفسه موضع المعلم لجميع من ألف في مصر في علم النفس. ونحن لا نرفض أن نتعلم من الدكتور مراد إذا كان حقاً في كتابه من الحقائق الموثوق بها ما نأخذ به.

ولسنا نجد جواباً صريحاً عن السؤال الذي وجهناه من قبل، ولكنه يؤثر أن يعتمد في علم النفس الجانب التجريبي أما الجانب الذي لم تتناوله التجارب، فإنه يقول فيه «إنه صورة لا تشمل كافة مسائل علم النفس العام. فهي صورة ناقصة للحياة النفسية» ولا غرو في ذلك إذ كان المؤلف يقصر حديثه على الحقائق التجريبية الموثوق بها. وهو يشير هنا إلى كتاب وودورث في علم النفس التجريبي.

ونحن لا نقر وجهة نظر الدكتور مراد وزعمه أن علم النفس لا يكون علماً موثوقاً به إلا إذا كان تجريبياً، فهناك مسائل كثيرة لا يمكن أن تنالها التجربة من جهة، وليس من الضروري أن يكون العلم علماً لأنه تجريبي.

هذا الخطأ في فهم منهج علم النفس، جعله يقول في ص ١٠ «ونحن ندرك هذه الأحداث من الداخل، مندمجة في حياتنا النفسية، بطريقة مباشرة وبوساطة حس باطن يسمى الشعور. ولكن إذا ظلت هذه الأحداث سراً مطوياً بدون أن تكون مصحوبة بتعبير لفظي أو حركي بقيت في نظر العلم كأنها غير موجودة. ولا تصبح هذه الأحداث الداخلية صالحة للمعالجة العلمية إلا إذا عبر عنها بوساطة حركات خارجية».

الله أكبر ... كيف تزعم أن الإنسان حين يفكر بينه وبين نفسه، يكون هذا التفكير «غير موجود» وكيف تستبيح لنفسك أن تنطق باسم العلم فتنكر وجود هذه الأحداث الباطنية.

وكان خليقاً بك، إذا أردت أن تكون منطقياً مع نفسك أو مذهبك في إنكار هذه الأحداث الباطنة، ألا تذكرها بعد ذلك في كتابك، ولا تعتمد عليها. ولكنك مضطر إلى الاعتراف بها، لأن علم النفس لابد أن يقوم على التأمل الباطني، وهذا أحد مناهجه، ولذلك قلت في ص ١٤ «أما الحالات الشعورية من حيث هي حالاتي أنا، أختبرها بنفسي وأحياها، فإحساسي بها إحساس مباشر. وتمتاز الشعوريات، كما أحس بها وكما أخبرها بنفسي، بكونها داخلية ومباشرة وتلقائية..»

ونحن لا نجد هذا الاضطراب فى المنهج الذى يسلكه المؤلف فحسب ، بل فى الموضوع كذلك . وهو أخطر فهو يقول فى ص ١٠ «عن موضوع علم النفس . « وبعبارة أخرى ، موضوع علم النفس هو الإنسان من حيث هو كائن حى يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل » .

وواضح أن هذا هو التعريف الذى يرتضيه لعلم النفس . فهو يقول فى ص ١١ « يستنتج أيضاً من تعريفنا لموضوع علم النفس أن لهذا العلم صلة وثيقة بعلمين هما علم الحياة وعلم الاجتماع من جهة أخرى » .

ونحن نحاسب الدكتور مراد بمقتضى كلامه ، فهو يقول فى استهلال الكتاب « يتميز كل علم من غيره بموضوعه ونهجه » .

وقد رأيت أن المنهج الذى وضعه مضطرب ، والموضوع الذى ينص عليه لا يرضى به العلماء ، وقد ناقشه العلماء منذ زمن طويل .

ذكر الأستاذ ألفرد بينيه فى كتابه « النفس والجسم » إن هناك سبعة تعاريف لعلم النفس ، الميتافيزيقى ، والعددى ، والمنهجى ، والتعريف بدرجة اليقين ، وبالمضمون ، وبوجهة النظر ، وبالقوانين العقلية . وآخر هذه التعاريف هو الصحيح .

أما الثانى ، وهو الذى جاء فى كتاب الدكتور مراد ، وهو الموسوم بالعددى « Definition Par Enumeration » أى بتعديد المسائل التى يتناولها موضوع العلم ؟ فيقول فيه الأستاذ بينيه : « إنه يفيد فى التقريب الأولى للأشياء ، وفى تذكير أولئك الذين لا يشكون فى أن علم النفس يدرس أفكارنا . ومهما يكن العدد الحقيقى لهؤلاء الجهال ؟ فإنهم ، فيما أعتقد ، عدد لا يحسب له حساب » .

ويقول فى ص١٢ « ولتحديد العلاقة بين الظاهرة وشروطها يستعان بالطريقة الإحصائية ، ويوصف القانون العلمى بأنه قانون إحصائى » .

ولسنا نفهم لماذا يقصر الدكتور مراد القوانين العلمية على الإحصاء فهناك قوانين ليس من الضرورى أن تقوم على الإحصاء ويكفى أن ينظر العالم إلى بعض الحالات ، دون أن يستقرى أو يحصى جميعها . مثال ذلك تمدد الحديد بالحرارة ، فإننا لا نحصى كل قطعة من الحديد ، وليس فى مقدورنا ذلك . والمنطق الحديث الذى ينحو نحو الإحصاء لا يقول عن القانون إنه « علاقة » كما قال ، بل اقتران ... وذلك ليتفادى القول بالعلية .

ولسنا ندرى لماذا يقول فى ص ١٣ « فاللغة إذن هى حلقة الاتصال بين علم الاجتماع وعلم النفس » أليس ذلك مما يتنافى مع القواعد التى سنها للباحثين فى التصدير حتى يهديهم سواء السبيل فقال : « فهناك خطر جسيم يهدد الباحث فى هذا العلم وهو التجريد ، وما ينجم عنه من التبسيط المسرف المخل الذى يتحول بسهولة إلى إبهام وغموض »

ولسنا نريد أن نتعرض لأسلوب الكتاب ولغته ، فليس الكتاب فى الأدب وليس صاحبه ممن درس العربية أو يحسنها ، غير أننا كنا نحب أن يتجنب مثل هذه اللفظة كالبطانة عند قوله عن المؤثرات فى الإنسان « من حيث هى معان لها بطانتها الوجدانية ، ويمكن تصورها وإدماجها فى منظومة ذهنية واستخدامها لإنشاء ضروب من الاستجابات الذهنية الصامتة أو اللفظية أو الحركية ، تختلف باختلاف الغرض الذى يسعى إلى تحقيقه » .

وليس هذا الأسلوب عربياً بل أعجمياً ، لا يفهم القارىء منه شيئاً ، أما « بطانة » فهى لغة البزازين لا لغة العلماء المتثبتين .

وبعد فقد عرضنا عليك نموذجاً مما جاء فى هذا الكتاب من اضطراب فى التفكير ، وتناقض فى الآراء ، وأخطاء جسيمة فى صميم العلم . ولا تتسع صفحات هذه المجلة لتعقب المؤلف فى سائر الكتاب ، فهو يجرى على هذا النحو من الاضطراب والزلل .

وما دام الدكتور مراد قد نصب الموازين فى صدر كتابه يحاسب بها الذين ألفوا فى علم النفس ، وقد ذكرنا لك طرفاً من هذه الموازين فى سياق المقال ، فنحن نرجو العلماء أن ينصبوا له نفس هذه الموازين ، ليحكموا على مبلغ علم أستاذ علم النفس بالجامعة ، وهو المسئول عن تثقيف الطلاب .

أحمد فؤاد الأهوانى



إلى الأستاذ على الطنطاوى :

أعجبت كل الإعجاب بمقالك « حكمة القدر » فهو فلسفة صائبة فى تفسير معنى القدر الذى تحير فيه الناس منذ القديم إلى اليوم ؛ فهو تحفة أدبية لولا بقعة سوداء فيه طمست الحق والحقيقة جيماً ، وهى حكاية الطفلة « الحلوة » التى وقعت من الطبقة السادسة فنزلت إلى الأرض سليمة .

إن مخترع هذه الأكذوبة العظيمة ، ظن أن استمارة حبال الغسيل المتعاقبة فى طبقة بعد طبقة لكى تتلقف الطفلة وهى هابطة إلى أن وقعت أخيراً على كومة رمل سليمة — تجوز على كل الناس على السواء .

دانى على بناية ذات طبقة سادسة فى شارع عريض يكون فى كل طبقة منها حبال غسيل فوق الشارع على مرأى من السابلة . وإن كانت فيجب أن تثب الطفلة إليها وثباً أو تقذف إليها قذفاً عمداً لكى تتلقاها الحبال لأن الحبال بعيدة عن الجدار . وإلا فإن وقعت وقوعاً تقع بين الحبال والجدار ولا يعيق هبوطها عائق . . حتى لو كانت الحبال شباكا ملا تضبطها ، وإن ضبطتها الشبكة الأولى فلا تسقط إلى الثانية ؛ وإن اخترقت الأولى إلى الثانية تخترق الشباك الست ، وأخيراً تقع على كومة الرمل عجينة مختلطة .

فهذه الحكاية أكذوبة ، وإن لم تكن أكذوبة ؛ تكن أعجوبة . والأعجوبة والقدر لا يجتمعان .

ولا بدع أن تكون أعجوبة إذا كان مخترعها قد أبطل فعل الجاذبية نصف دقيقة لكى تصل الطفلة إلى الأرض من غير زخم كما وقف يشوع بن نون (فى التوراة) الشمس نصف ساعة لكى تنتهى المعركة بانتصار شعب الله المختار .

يا صاحبى فى حوادث الزمن ألوف تريك حكمة القدر . فلماذا بنيت مقالك على أكذوبة الطفلة ، ثم تدع الناس السذج يتناقلونها وهم يستشهدون على صدقها بالأستاذ على الطنطاوى .

نقولا الحداد

أبو سفيان بن الحارث لا أبو سفيان بن حرب :

فى كتاب من الكتب القيمة لكاتب من كتاب الشرق الأفذاذ ذوى اليد الطولى على العلم والأدب وقعت رواية أبيات فى مناسبة من المناسبات ، ولكنها فسرت على غير ما تعارفناه وتناقلناه فى معناها . وعلى غير ما تدل عليه عوامل القصيدة التى قيلت من أجلها الأبيات لحسان بن ثابت يهجو بها أبا سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب . وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص ، وكان ينافح عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة

وهى من قصيدة حسان الهمزية التى يمدح فيها قومه ويذكر نصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد على أبى سفيان ابن الحارث ، أحد أولئك الشعراء الهجائين له كما بين ذلك فى موضعه من كتب السير وشروح الديوان . ومطلع القصيدة :

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

وأما الأبيات فها كها :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... فأنت مجوف نخب هواء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

ولعل فى قول الشاعر هجوت محمداً وقوله أتهجوه ولست له بكفء ما يوجه إلى ذلك التفسير الذى قلنا به ، فإن الذى قد درج من معنى الهجاء هو ما يكون من نوع الشعر .

ولم يكن أبو سفيان بن حرب ممن عرفوا بنصب أنفسهم لذلك ، وإنما الذى عرف له هذا الوصف هو أبو سفيان بن الحارث وإن كان كل منهما إذ ذاك عدواً شديد العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم .

فإن كان لدى سيدى الكاتب الأديب نبأ أصح مما نعلم فليتفضل وليفدنا فكأنا كارع من حياضه قاطف من أزهاره .

وإن يكن ذلك شيئاً سبق به القلم فهو كبوة الجواد .

ويحضرنى فى هذه المناسبة ما وقع للامام الجاحظ فى تفسير كلمة (اللحن) وقد وقعت فى أبيات لمالك بن أسماء بن خارجة الفزارى من شعراء الدولة الأموية منها البيتان .

حـديث ألذه وهو مما ينعت الناعتون بوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

يقول الجاحظ إن هذا الشعر لمالك يقوله فى استملاح اللحن فى الكلام من بعض جواريه وهو من أوهام الجاحظ .

قال على المنجم : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمى كتاب البيان : إن مما يستحسن من النساء اللحن فى الكلام وأنشدت بيتى مالك بن أسماء . قال هو كذلك . قلت أما سمعت بخبر هند بنت أسماء مع الحجاج حين لحنت فى كلامها فعاب ذلك عليها ، فاحتجت ببيتى أخيها فقال إنما أراد أخوك أن المرأة فطنة فهى تلحن بالكلام إلى غير المعنى فى الظاهر لتورى عنه ويفهمه من أرادت بالتعريض كما قال الله سبحانه (ولتعرفنهم فى لحن القول) ولم يرد أخوك الخطأ فى الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد . فوجم الجاحظ وقال : لوسقط إلى هذا الخبر ما قلت ما تقدم . قال فقلت له : أصلحه ؛ قال : الآن وقد سار الكتاب فى الآفاق ؟

وفى المسألة بحث بين الأدباء . والظاهر أن المعنى فى شعر الفزارى من قبيل المعنى فى شعر النظامى :

يقتلننا بحـديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وهو الذى ذهب إليه أبو الطيب فى قوله :

وإذا الفتى ألقى الكلام معرضاً فى مجلس أخذ الكلام اللذعنى

أما إرادة اللحن الحقيقى فبعيدة جداً لأن اللحن لا يستحسن من أحد كما قال الحجاج ولا سيما فى صدر دولة بنى أمية . ولئن استحسن من المرأة فى بعض مناسبات فإن كلمة الشاعر عامة مطلقة . وخير الحديث ما كان لحناً .

فإن حمل ذلك على التخصيص فى الحديث يجعله مصروفاً إلى حديث المرأة فأقرب به من التكلف من غير مبرر من ذوق سليم .

وبعد فلعلى لا أكون قد جاوزت قدرى بمراجعتى علماً من أعلام الأدب ، فإن الحق ينطق ، والحق ضالة كل حكيم وعليم .

محمود النواوى

مدرس البلاغة والأدب بمعهد القاهرة

النساء ملائكة :

إى والله ، هكذا يدعى الأستاذ محمود يوسف الأمين بدار الكتب المصرية فى كتاب له بهذا الإسم أصدره فى هذا الشهر وحشده بصور عارية آثمة ، هى طعنات فى صميم الأخلاق والفضيلة . ولست أدرى ، والله ، كيف يجرؤ رجل له خلق ودين على أن يحمل هـذا الكتاب إلى بيته ؛ فيراه أخ له أو ولد ، فتثور فى نفسه أحط الغرائز ، وأخبث النزعات ؛ أو تراه أخته ، أو بنته ، أو زوجته فتتعرض لامتحان لئيم وضيع لا نستطيع تحديد آثاره أو أخطاره .

الواقع أن كثيراً من كتابنا وأدبائنا قد جاروا المرأة المعاصرة فى حريتها وانطلاقها فسوغوا لها الآثام ، وشجعوها على الإجرام وزينوا لها ما أتت من مقابح ومآثم ، على الشواطئ ، وفى الملاهى والمراقص والمواخير والحفلات الماجنة الداعرة . بل حاول بعضهم فى خبث وإجرام أن يلتمسوا لحرية المرأة وانطلاقها على وجهها شواهد من ماضى الإسلام ؛ فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وأخطأوا فى التأويل عن عمد أو عن غير عمد . وقد آن الأوان لكى يتنبه إلى تلك المشكلة أحرار الرجال وقادة الفكر والإصلاح الاجتماعى فى الشرق الإسلامى ؛ فإن حالة المرأة اليوم هى مشكلة المشكلات فى عصرنا الحاضر ؛ لأن المرأة قلب المجتمع ، والقلب كما يقول محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم : مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ! ...

ولو أننا عرّفنا المرأة رسالتها فى الوجود ، وقصرناها عليها رغباً أو رهباً ، ومنعناها من الميادين التى لا تصلح لها لسعدت النساء ، وسعد الرجال ، وصلح الحال !...

ولكن ماذا نفعل وقد قيض الله للمرأة الشرقية المسكينة من قرناء السوء ، وشياطين الإنس ، وأبالسة البهتان ، من يغرها ويخدعها ويكذب عليها ويتقرب إليها ؛ لا ليسعدها ، بل ليقضى على البقية الباقية من شرفها وعرضها .

حسبكم عبثاً أيها المؤلفون ، وأنقذوا المرأة من هذا المنحدر ، واذكروا أنكم رجال ! ..

أحمد الشرباصى

المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

جاء فى البريد الأدبى من العدد (٧٦٣) تعليق على كلمة فى مقالة « الفتنة الكبرى » يسأل السائل فيها عن صحة الكلام فى قولى : (وهذه الخمسة أشياء) وصواب قراءة هذه الجملة : (وهذه الخمسة — أشياء) وقراءتها هكذا تعرب عن إعرابها .

محمود محمد شاكر



نهاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وبعد هذه المقابلة تغيرت « نانو » علىّ ، فراحت تبخل بابتساماتها الغراء ، وباتت تقتصد بنظراتها العرجاء ... لقد أصبحت « نانو » تتيه علىّ ، وكان تيهها ذا معنى خاص لم أستطع فهمه ! ... أتراها حسبت أنى موله بثغرها الأدرد ؟ .. أم تراها ظنت أنى مدله بوجهها الأجعد ! .. هذا مستحيل ! .. إن للحب دائرة موصدة فى أوجه الشياطين ! ... إن فى الحب نفحة سماوية لا يدركها أولئك الذين التصقوا بالأرض فلم يتجهوا بأعينهم إلى السماء ليبصروا ما أبدع الله فيها من جمال ! .. إن الحب وقف على القلوب الزاخرة بالحياة ، الشاعرة بجمال الوجود ؛ أما « نانو » فإنها بعيدة عن الحياة ... بعيدة عن الحب ... إن الحب ليلفظها لفظ النواة ! .. إذاً ما بالها تتيه علىّ ؟ . هذا سر مستغلق ! . . وما أكثر ما يستغلق على المرء من أسرار ! .

ما « لنانو » ومالى !.. إنها وسيلة غير صالحة للوصول إلى آنستى . ولقد بقيت يومين أفكر ، لم أذق خلالهما طعاماً ولم أرق فى فمى شراباً . وكان من نتيجة تفكيرى أنى عولت على أن أكتب إلى آنستى رسالة أشرح فيها حبى وقمت إلى مكتبى وأمسكت بالقلم وأخذت أشرح ما يخامرنى من أشواق . ثم ختمت الرسالة بالكلمة التالية : « أى آنستى ! ... إنى لأرجو منك أن تمليني رأيك صريحا ... فإما قبول أنعم فيه بعطفك ، وإما رفض يبرئنى من حبك ... وإنى لأنتظر كلمتك الفاصلة آملا أن ألقاها غداً معلقة فى مصراع الشباك ... »

ولم تكد شمس الغد تطلع حتى كنت أمام المنزل أنتظر .

وبعد فترة وجيزة بصرت بالقطة الحبيبة تمد رأسها من الباب ، فلوحت لها بقطعة لحم كنت أحضرتها من السوق ، ولم تكد تراها حتى عدت نحوى فأمسكتها بيدى وربطت الرسالة فى عنقها وتركتها تعود أدراجها .

ولما كان الغد دلفت إلى المنزل وأنا أقدم رجلا وأؤخر رجلا . لقد كان قلبي يخفق هلعاً ، وكانت عيناى تتشوقان وكأنهما تتحريان شيئاً مضاعاً . وكان ذهنى غارقاً فى التفكير أى غلطة هذه الغلطة التى ارتكبتها ؟ وأى حماقة هذه الحماقة التى أتيتها ؟ . وهل ثمت أكثر جنوناً من فتى يسلم سره إلى قطة ! ؟ إن كل ما كنت أخشاه هو أن تكون الرسالة قد وقعت فى يد غيرها فينفضح الأمر ، ويطلع الأهل على السر .

وما كدت أدنو من المنزل حتى لمحت قطعة من الورق معلقة فى النافذة ، ومددت يدى المرتجفة فأخذتها وفتحتها وقرأتها !.. يا للسعادة !... إنها من آنستى ... آنستى الحبيبة ... يا للعجب إنها تدعونى لمقابلتها بعد منتصف الليل فى بيتها !.. هذا لا يكاد يصدق ... يا لله !.. أترانى فى اليقظة أم فى المنام !.. ماذا أصابها فبدلها ؟ .. وماذا عراها فغيرها ؟ .. أيكون الصدود الذى كانت تبديه مجرد وهم باطل ألجأها إليه عيون القوم المفتحة حولها ؟ هذه هى الحقيقة بعينها ... إنها تحبنى وتحبنى ولكنها لم تكن لتجرأ على البوح بهذا الحب !... غفرانك يا آنستى !... لقد اتهمتك بالقسوة ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى ، وإن بعض الظن إثم .

لقد قرأت الورقة ثم طويتها ، ورحت أنتظر الساعة الموعودة بفارغ الصبر ، ودقت الثانية عشرة ، ثم الواحدة بعد منتصف الليل ؛ فانحدرت إلى المنزل والآمال المعسولة تحدونى . ولم أكد أصل الباب حتى وجدته مفتوحاً ، ولم أكد ألجه حتى وجدتنى أمام شبح لم أتبينه لشدة الظلام ... إنه ولا ريب شبح آنستى المحبوبة ...

وتقدمت منها وأنا لا أكاد أصدق نفسى ! وعرتنى رعشة من الفرح كادت تنسينى صوابى ، وانحنت آنستى علىّ وراحت تمطرنى بوابل من القبل ؛ فانتشيت من السرور ومددت يدى محاولا لمس ثغرها ... وكم كانت دهشتى عظيمة حين وجدت أن

يدى قد دخلت فى فوهة لا قرار لها .. يا إلهى !.. أين الأسنان الناصعة ، أسنان آنستى المحبوبة ؟

وفتحت عينى وحدقت فى الثغر الذى كان يقبلنى ، إنه ثغر أورد وأمعنت النظر بالوجه الذى يقابلنى ... يا للغرابة ! ... إنه وجه « نانو » العجوز التى أبغضها . ولا يستطيع أن يتمثل خيبتى هذه إلا أولئك المقامرون الذين أضاعوا فى ثانية واحدة كل ما قد ربحوه فى ساعات . لقد تبلدت عواطفى بعد اشتعالها وخمد الدم فى عروقى . وما هى إلا ساعات معدودات حتى انقلب التبلد العاطفى إلى ثورة غضب كادت تطيح بصوابى فانقضضت على « نانو » ودفعتها بيدى دفعة قوية فسقطت مغشياً عليها .

ولقد خشيت الفضيحة فحاولت أن ألوذ بالفرار ، ولكنى حين هممت بفتح الباب غشيت عيناى فلم أعد أبصر شيئاً . ولقد زاد فى ارتباكى أنى سمعت وقع أقدام متجهة نحوى ... إنه رب البيت . لقد نبهه صوت وقوع « نانو » فجاء يستطلع الخبر . يا للكارثة! إنه يحمل فى يده عصاً غليظة لو أهوى بها على جدار لدكه . ولقد حاولت أن أجد لنفسى مفراً ولكن مهمى قد طاش فلم أعد أدرى ما أصنع . ولم أجد بداً من طلب الأمان .

ولقد عجب رب البيت من أمرى : إن ملامحى لا تنبئ عن سوء الطوية فما الذى أتى بى إلى بيته بعد منتصف الليل ؟.. هذا سر لم يستطع له تفسيراً . وحاولت أن أفضى له بالحقيقة الواقعة ، ولكن هل يصدق أن « نانو » تحب .. إنه سيتهمنى بالجنون وسيرمينى بالكذب .. ولم أجد بداً من اللجوء إلى الحيلة فادعيت أن كلباً عقوراً تبعنى فى الشارع وحاصرنى فلم أستطع الخلاص منه . واتفق أن مررت بالقرب من باب هذا المنزل فوجدته مفتوحا ، فولجته وسرعان ما اصطدمت بشخص ارتاع من دخولى فسقط مغشياً عليه .

وكانت « نانو » قد أفاقت من غشيتها وسمعت كلامى . ويبدو أن هذا التخلص الحسن قد أعجبها ؛ فأنبأت رب البيت بأنها قد نسيت الباب مفتوحاً منذ المساء ، وأنها استفاقت عند منتصف الليل وذكرت ما قد نسيت فخرجت تنغلقه فكان أن صدفتنى .

وقد جازت هذه الحيلة على رب البيت فأحسن بى الظن ، ورثى لحالى ، وطيب خاطرى ثم فتح لى الباب ، وتركنى أنصرف بسلام .

ولقد خرجت من البيت وآليت على نفسى أن لا أعود إليه ثانية . لقد ألقيت شبكتى طامعاً بالسمكة الجميلة ولكنى لم أعثر إلا على سلحفاة بشعة . ولقد خشيت أن ألقيها ثانية فأعثر على ثعبان يقضى على حياتى . لقد خرجت من البيت بعد أن نذرت التوبة عن الحب . نعم لقد تبت ولقد مضى على سنون عدة ركن قلبى خلالها للسكينة ، وارتاح للهدوء لولا بعض نزوات كانت تعتاده فى الفترات فيتحرك بين أضلاعه ، ويحاول الانطلاق من أغلال التوبة ولكنه سرعان ما يذكر العيون الزرقاء ، ويتخيل «نانو» العجوز ؛ فيعود إلى هدوئه ويخلد إلى سكينته وهو يقول : «إنى تبت عن الحب منذ زمن بعيد ... »

(حماه — سوريا) **زهدى الشواف**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٥ — الاثنين أول مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٨ ٥ ٣٠

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 765

Lundi — 1 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — أول مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصة فتـــاة ..

— ٢ —

يوم الثلاثاء ٨ مايو سنة ١٩٤٥ :

شغلت بالى الآنســة (س) بقدومها المفاجىء وموعدها المضروب ، فجهدت أن أتذكر ما أُنسيت من تلك الوساوس التى كان يلقيها على صدرها الشيطان فتنفثها هى فى رسائلها إلىّ شواظاً يضطرم ولا يحرق ، وسماراً يحتدم ولا يُذوى . وهل أستطيع أن أتذكر أضغاث أحلام تذهب عند الصباح ، أوهواجس أوهام تهرب من العقل ؟ لقد كانت فى رسائلها أشبه بالمحمومة تهيج بها الحرارة فتهذى ، أو يأخذها النعاس فتحلم . إذن أعود إلى أوراقى الخاصة لعلى أجد فى ثناياها بعض تلك الرسائل فأعيد قراءتها لأستجلى ما غمض فى ذهنى منها ، ولأستعد لما أتوقع يوم اللقاء من الحديث عنها

وجدت بتوفيق من حسن الحظ طائفة من هذه الكتب الوردية الورق ، المعطرة المداد ، المنمقة الخط ، فرتبتها على حسب تواريخها ثم أخذت أقرأها كتاباً بعد كتاب حتى فرغت منها ، وفى نفسى لهذه الفتاة صورة مكتملة الأعضاء ما كانت لتبرز فى ذهنى على هذا المثال لو بقيتُ على تصورها من كتبها المتفرقة ، كل عضو على انفراد ، وكل قَسَمة على حِدة .

كان أسلوب رسائلها فى طورها الأول أسلوب التلميذة الراغبة فى العلم : تشاور فيما تفعل ، وتسأل عما تجهل ، وتجادل فيما أجيب . ثم صار فى طورها الثانى أسلوب الصديقة الطامعة فى المعونة : تشكو ضيقها لتلتمس الفرج ، وتصف وحشتها لتطلب الأنس ، وتذكر خطأها لتتلمس الصواب ، وترسم غايتها لتتبين الطريق . ثم أصبح فى طوره الثالث أسلوب العاشقة الظامئة إلى الغزَل : تعطف كل حديث إلى الحب ، وتقصر كل نعيم على الحب ، وتحاول أن تعرف رأيى فى الحب ، وتسألنى أن أروى لها أبلغ ما قيل فى الحب ، وتطلب منى أن أكتب رسالة غرام إلى آنسة مجهولة ، لتعرف كيف تهفو روح إلى روح ، وتنجذب نفس إلى نفس ، وينسكب قلب فى قلب ، فأحاول فى ردى عليها أن أعيد السكينة إلى قلبها ، وأن أصل بالموعظة الحسنة بينها وبين ربها ، ولكنى كنت معها أشبه بالسائس يريد أن يكبح الفرس الجموح من غير شكيمة ، أو بالسائق يحاول أن يقف السيارة المنحدرة من غير فرملة . لقد انفجر فى صدرها شريان العواطف الطاغية ، فهو لا ينفك يفور بالهوى الجياش وينفح بالشهوة الدافقة . وهيهات أن يحسمه رَقوء أو ضماد ! أعيانى الانفجار فتركت العرق العاند ينزف ، ووقفت منه موقف الحائر المشدوه أنظر إلى العواطف المسفوحة وهى تتمثل فى ألوان قوس الغمام ، وتتشكل فى صور من الأخيلة والأحلام ، ثم تتحول إلى قطع من الأسجاع والأنغام ، فأعجب أو أطرب أو أغضب ، ولكنى

لا أملك غير ذلك ، ولا أستطيع وا أسفاه أن أصدها عن هذه المهالك !

أخذت كتبها تنثال على بعجيب الأحاديث وغريب الحوادث فأقرأها ولا أجيب عنها . لقد برزت فى رسائل هذا الطور عارية ، فلا حياء على الوجه ، ولا احتشام على الجسد . صرحت بأنها لم تكن صادقة حين كتبت إلىّ فى أول الأمر تطلب المعرفة أو تبغى النصيحة ، إنما لبست هذا البرقع الكاذب لتستطيع أن تدخل على فى وضح النهار من الباب العام ، حتى إذا حصل التعارف وبدأ التآلف حسرت برقع الرياء ووضعت وجه المرأة أمام عين الرجل وقالت له ! ها أنا ذى كما خلقنى الله ووجهنى القدر ! خلت حياتى من كل عمل ومن كل أمل فلا أفكر إلا فى الحب ، ولا أحلم إلا بالحبيب . كنت فى المدرسة الداخلية لا أسمع من أترابى غير أحاديث الهوى ، يؤلفنها من حوادثهن وخيالهن ، أو يسرقنها من أمهاتهن وأخواتهن ، أو يروينها عن جاراتهن وصديقاتهن . فصديقتى فلانة تقول لى إنها عرفت صاحبها من النافذة ، وراسلته مع الخادمة ، وقابلته فى سينما مترو ! وصديقتى علانة تروى لى أن صاحبها صديق أخيها ، عرفته فى غرفة الاستقبال ، وكلمته فى حديقة المنزل ، ثم واعدته فى حديقة الأسماك ! وصديقتى ترتانة تحكى لى أن صاحبها صاحب سيارة — والسيارة لو تعلمين فخ البنات — رآنى أول مرة وأنا عائدة وحدى إلى البيت ، فعز عليه أن أمشى ، وناشدنى الله أن أركب ، فركبت وتعاهدنا على الوداد المحض فى طريق المظلة ! وكانت كل واحدة منهن تصف القبل الطاهرة ، والعناق البرىء ، والحديث الغزل ، والخلوة العفيفة ، والخروج المختلس ، والرجوع الخفى ، والعلل المكذوبة ، والمواعيد المضروبة ، بأسلوب يحرك الساكن ويظهر الباطن ويجرى الهَيوب ، وأنا أصغى إلى هذه الأحاديث بحوامى الحس ، حتى إذا خلوت بنفسى ورقدت على سريرى استذكرت هذه الأحاديث ، واستحضرت تلك الصور ، فأشعر بقلبى يذوب ، وبجسمى ينحل ، وبنفسى تساقط حسرات على مجهول لا أعرفه ومطلوب لا أناله . وفى أكثر أيام الآحاد كانت إحدى قريباتى تجيء إلى المدرسة فتستأذن لى فى الخروج وتذهب بى إلى دور السينما فأرى أحاديث رفيقاتى وأمانىّ نفسى مصورة على الشاشة بالألوان الفاتنة والأوضاع المغوية ، فيماع جَلدى كما يماع الثلج ، ويذوب صبرى كما يذوب الشمع ، وأتمنى لو لم تكن معى قريبتى ، أو كانت قريبتى فى سن رفيقتى ! ثم أستشعر الحزن الممض والهم المبرح كلما تذكرت أنى سأعود وحدى إلى الغرفة الموحشة والفراش القلق .

وأخيراً تركت حياة المدرسة وجو القاهرة ، إلى حياة العزبة وجو الريف . جئت هذه العزبة التى وصفتها لك من قبل وفى ذاكرتى أجناس من أحاديث الهوى ، وفى حقيبتى أكداس من قصص الحب . فاتخذت من قرية الحديقة محراباً لكيوبيد أؤدى فيه صلواتى ، وأتقرب إليه بنزواتى وصبواتى ، والروايات الماجنة تثير عواطفى ، والمجلات الخليعة تلهب مشاعرى ، والرغبات الجامحة تملأ فراغى ، وليس بجانبى أم ترشد ، ولا بين جوانبى عقيدة تهدى ؛ فأنا أعيش فى دنيا القصص أقاسم بطلاتها قطوف اللذة ، وأساقى أبطالها كؤوس الصبابة ، فإذا سئمت القراءة وأجمت الذكرى سليت همى برؤية حمامة تلاطف حمامة ، أو قط يسافد قطة ، أو فلاح يداعب فلاحة ، حتى ضاق وسعى بما أختزن من ذكريات أمسى ورغبات يومى ، فأردت أن أجد لى متنفساً بالكتابة ، ولكن الكتابة لم تردّ علىّ ، لأنها منى وعنى وإلىّ . أريد أن أكون موضوعاً لمقالة أو حديثاً لرسالة أو عروساً لقصة ؛ ولا يمكن أن أكون شيئاً من ذلك إلا إذا عشقنى كاتب . فالكاتب وحده هو الذى يستطيع أن يحب من بعيد ! يستطيع بفنه الخالق وخياله المبدع أن يعايش من يحب روحاً لروح ، فيقابله من غير لُقية ، ويحادثه من غير رؤية ، ويرسل إليه الكتاب فيكون هو اليوم الموعود واللقاء المنتظر والحديث المشتهى والأمل المرجو والوداع المتوقع ! ولقد اخترتك لتكون حبيبى النائى ، تصف منى ما وصفتُ من (حياة) و (ليلى) ، وتترجم عنى ما ترجمت عن (شرلوت) وجوليا . وليس فى منطق الحب أن أقول اخترتُ فتختار ، أو أردت فتريد . إن سلطان الحب طاغ لا يخضع لاختيار ولا يخشع لإرادة . وكيف يتسنى لنا أن نتحابّ ونحن لا نتراءى ؟ لو كنت أملك رؤيتك لأمكن أن يأسرك جمالى ، أو لو كنت أحسن الكتابة لجاز أن يسحرك خيالى . إنما هو الرجاء والحظ ، وهو القضاء والقدر .

هذه خلاصة أمينة لما قرأت من رسائلها فى هذا اليوم أسجله فى مذكراتى ، وما أسجل فيها إلا ما له أثر فى نفسى أو خطر فى حياتى .

احمد حسن الزيات

مراجعات

في فلسفة الوجود، وفي الفاروق

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظن الأستاذ نقولا الحداد أننا تهكمنا حين قلنا له ما فحواه: إنه محتاج إلى أن يراجع مصادره الفلسفية.

وسيرى الأستاذ الآن أننا نجد ولا نتهكم حين نقول له هذا ونقول له أكثر من هذا: إن مراجعته لمصادره العلمية ألزم وأعجل، ولا سيما مصادره عن إينشتين الذي يلوح على الأستاذ الحداد أنه يريد أن يتكلم عنه في مصر كما يتكلم الحواريون عن رسلهم المختارين.

في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ ألقى العلامة إينشتين في جامعة نوتنجهام — بانجلترا — محاضرة علمية كان لها دوى كبير في المعاهد العلمية والفلسفية، لأنه ألمع فيها إلى خاطرة جديدة يحاول أن يفسر بها اتصال القوى بين الأجسام بغير الوسائط المفروضة، وتحدث عن جوهر الفضاء، أو مادة الفضاء، أو المادة الفضائية Space Substance؛ لأن التجارب الكثيرة لم تثبت للأثير المزعوم وصفاً من الأوصاف لا ينطبق على الفضاء. فمن المحتمل على هذا التقدير أن يكون الفضاء جوهراً مادياً لا نحتاج معه إلى فرض الأثير.

ولم يكن إينشتين أول من قال إن الفضاء ليس بخلاء؛ فإن الفلسفة القديمة التي يحاول الأستاذ الحداد أن يترفع عنها، قد سبقت إلى القول بامتناع تصور الخلاء في الوجود، وقال معظم أساطينها بأن الفضاء لا يعني العدم ولا يعني الخلاء.

قلنا هذا للأستاذ الحداد فعاد يكتب في الرسالة قائلاً — بكل ثقة وكل اطمئنان —: إن إينشتين لما قال Space Substance عنى المكان المشغول بالمادة ولم يعن الفراغ المطلق. فمتى قلنا المكان عنينا مكاناً مملوءاً بالمادة.

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغير الأستاذ الحداد — أن جامعة من الجامعات تدعو عالماً من أكبر علماء الأرض إلى المحاضرة فيها ليقول للناس أن المقصود بالمادة الفضائية هي المادة التي توجد في المكان.

والعجب أن يخطر للأستاذ الحداد — أو لغيره — أن المعاهد العلمية تهتز لهذا النبأ وتوفد الرسل إلى إينشتين لتحصل على المزيد من شرح هذا الرأي الجديد.

ولكن الواقع أن المعاهد العلمية قد اهتزت لهذه المحاضرة، أو لهذه النظرية؛ لأنها فهمت منها شيئاً غير الذي فهمه الأستاذ الحداد: فهمت منها أن الفضاء نفسه مادة قد تغني عن فرض وجود الأثير.

وليس أكثر من الكتب والرسائل التي خاضت في هذا الموضوع، ولكننا نكتفي منها برسالة مبسطة أصدرتها دار الطباعة التي يديرها «هالدمان جولياس» في كانساس بالولايات المتحدة؛ لأن السؤال فيها بسيط لا إبهام فيه، والجواب كذلك على قدر السؤال.

سئل الدكتور لويس لونشتين Loewenstein تلميذ إينشتين وشارحه المعروف عما يعنيه أستاذه الكبير. فقال ما نصه بالانجليزية:

Einstein goes Further Than this. he claims That - Space which was in The earby Ages rgar-ded As Yoid ' And For which Mobern Physics Has Invented The Name Ether in Order to Help Explain Some of the Phenomena occurring in Space s now Â Substanes

وترجمة هذه العبارة: «إن إينشتين يذهب إلى أبعد من هذا. ويزعم ... أن الفضاء الذي كان في عصور متقدمة يعتبر خلاء، واخترعوا له في علم الطبيعة الحديث اسم الأثير للاستعانة به على تفسير بعض الظواهر الطبيعية التي تقع في الفضاء، هو الآن مادة، أو جوهر».

ومضى الدكتور لوينشتين يقول إن مادة إينشتين الفضائية قد يتضح أن تكون من المادة، وقد يتضح أن تكون من جوهر لن تدركه حواسنا ويروع من كل دليل مباشر في المعامل.

will Neven Become Known to our Senses

أما الدكتور لونشتين هذا فهو الذى قدم إينشتين إلى الجامعات وقاعات المحاضرات عند زيارته للولايات المتحدة فى سنة ١٩٢١ . وهو على علمه بمباحث الضوء والكهرباء ، حجة فى شؤونها العملية ومستشار فنى معروف لشركات من أكبر الشركات الكهربائية ، وعلمه بهذه المسائل لا يقل عن علم الأستاذ الحداد على أقل تقدير .

فليس قصارى الأمر أن الفضاء لا يوجد إلا إذا وجدت فيه هذه المادة التى نعرفها . بل تقضى هذه الخاطرة بأن الفضاء نفسه هو مصدر تكوين المادة ، وأن جوهره قد يدق عن الحس وعن التجارب فى معامل العلماء .

والأستاذ الحداد يقول بأن الوقت عدم أو وهم من الأوهام .

فله أن يضيع منه ما يشاء . أما نحن فلا نقول بأنه عدم ولا بأنه وهم . ولهذا لن نضيع منه أكثر مما أضعناه فى إقناع الأستاذ الحداد بأنه محتاج إلى التواضع بين يدى الفلسفة التى يعالجها ، على هذا النحو من التفكير .

***

هذه مراجعة .

أما المراجعة — أو المراجعات الأخرى — فهى عن صفات الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهى مما نتلقاه كثيراً فى هذه الأيام من جانب الأساتذة ، ومن جانب التلاميذ والتلميذات

وبودنا أن نجيبها جميعاً لولا أن السؤال عن المفردات اللغوية يغنى فيه الرجوع إلى المعجمات ، ولا تتسع له الصحف والمجلات التى يقرأها من يعرفون تلك المفردات ، أو يملكون الرجوع إلى تلك المعجمات ؛

ولهذا نكتفى بالجواب عن المسائل الفكرية أو النفسية ، وهى المسائل التى يسرنا من التلاميذ والتلميذات على الخصوص أن يقبلوا على بحثها والنظر فى معانيها وتكوين الرأى فى دقائقها بالمراجعة والاستفسار .

سأل أستاذ فاضل عن أسلوب عمر فقال إن بعض العبارات التى نسبت إلى عمر قد تكون من قبيل العبارات التى تضاف إلى العظماء المشهورين ، وليست هى من أقوالهم على التحقيق .

ورأينا فى هذا أن ميزان التشكيك ينبغى أن يحمل بكفتيه ولا يحمل بكفة واحدة .

فإذا كان العظماء جميعاً سواء فى نسبة العبارات إليهم ، فهل اجتمع مثل هذه العبارات فيما نسب إلى الصديق ؟ هل اجتمع مثلها فيما نسب إلى الإمام ؟ وهل اجتمع مثلها فيما نسب إلى معاوية أو إلى عمرو بن العاص ؟

إن كان الأسلوب واحداً فيما نسب إلى جميع هؤلاء فالشك هنا معقول .

أما إن كانت العبارات المنسوبة إلى عمر كلها مما تنفرد به ، فهى صالحة للاستدلال بها على أسلوبه الخاص الذى لا يشركه فيه سواه ، وبخاصة حين تتواتر ذلك التواتر الذى أحصينا شواهده فى الكتاب .

***

وسأل الأستاذ الفاضل عن قصة الحيلة التى استعملها عمر مع أبى سفيان حين مد يده إلى خاتم فى يد أبى سفيان فأخذه منه وبعثه إلى زوجته ، وأمر الرسول أن يقول لها باسم زوجها : انظرى الخرجين اللذين جئت بهما فابعثيهما .

ويقول الأستاذ إنه يخالف الرواية ويرى أن عمر كان أولى أن يبهم العدد لأنه ربما يكون فى العدد الذى ذكره نقص أو زيادة .

ورأينا أنها رواية أمامنا ، وأن الجزم بنفيها هو « الادعاء » الذى يقوم على غير دليل لأن الجزم بالنفى هنا حكم باستحالة جميع الاحتمالات التى تقع فى الخاطر ، وليس شىء منها بمستحيل .

فمن المحتمل أن عمر كان يعرف عادات السروات من العرب فى رحلاتهم ، أو يعرف على التخصيص عادات أبى سفيان .

ومن المحتمل أن عمر استكثر ثلاثة أخرجة على رحلة واحدة ، واستقل خرجاً واحداً يعود به أبو معاوية من عنده وهو أمير على على الشام ؛ فتوسط بين العددين .

ومن المحتمل أن عمر رأى ضرورة التحديد ؛ لأنه لو طلب كل ما جاء به أبو سفيان من أمتعة السفر لاسترابت زوجة

أبى سفيان وفطنت لما يراد . فجازف هذه المجازفة — بعد ذلك التقدير — وصحت مجازفته فخفظت ورويت ، ولو لم تصح لما سمعنا بها أو لسمعنا من شأنها غير ذلك .

ومن المحتمل أن عمر قد علم بنبأ الخرجين وكانت له عيون تترقب العائدين من الرحلات ، كما ذكرنا فى الكتاب .

فلماذا ندعى أن الذى حصل هو غير ما جاء فى الرواية ، وليس لدينا ما نمنع به احتمالا واحداً من جميع هذه الاحتمالات ؟

* * *

أما الأسئلة التى تلقيتها من التلاميذ والتلميذات ، فمنها سؤال من الآنسة « رسمية على خليل » بالمدرسة السنية تطلب فيه مثلا على فطنة الفاروق ، وهى صفة من صفاته التى وردت فى باب الصفات من الكتاب .

والفطنة إنما يستدل عليها بالكلام الذى ينم عن فهم الطبائع والأخلاق ، وفى كلام الفاروق الذى أوردناه ما يدل على فطنته لهذه الأمور .

أو يستدل عليها بالأعمال ، وقد دلت أعمال الفاروق على الفطنة فى كل ما تولاه من تسيير الجيوش وتدبير الفتوح وتنظيم البلدان وتوجيه النصائح إلى الولاة والقادة والقضاة ، وإنشاء الدواوين واستشارة ذوى الرأى من الشيوخ والشبان .

أو يستدل عليها بشهادة العارفين ، وقد شهد له بها أكبر دهاة العرب كالمغيرة وعمرو بن العاص .

وقد سألت الآنسة عن الفرق بين الرؤية والرؤيا والشعور على البعد ، وكلها مما يدل على الاهتمام بعالم الغيب ، أو أن الإنسان لا يقصر همه على الواقع المحسوس ، ومن هنا يكون على استعداد للتدين والإيمان ، ولهذا ذُكرت هذه الخصال ، أو هذه الملكات لبيان استعداد الفاروق بطبيعته لقبول الدين .

والرؤية هى أن يتراءى للانسان منظر أو صورة لا يراها غيره بحواسه المعهودة ؛ لأنها تتمثل فى النفس على نحو من ظهور الأشباح للنائم فى حلمه . وقد يراها المستعد للرؤية وهو فى حالة من حالات الغيبوبة . وقد تكون رمزية يفهم منها الرائى معنى من المعانى على طريقة الفهم من الرموز والكنايات . والفرق بين الرؤية والتلبائى أن التلبائى ينتقل بين شعورين على البعد ، وقد تظهر الرؤية لإنسان واحد ولا تكون لمناظرها صورة خارجية يتلقاها الآخرون بحاسة النظر المعهود .

والاعتداد بالرؤيا هو اهتمام الإنسان بما يراه فى أحلامه ، وليس من دأب كل إنسان أن يهتم بهذه الأحلام أو يتخذ منها دليلا على حادث مخبوء له فى الغيب .

على أننى أرجو الآنسة معذرة إذا أحلتها على نفسها وهى تستوضح هذه العبارة : « كانت الرحمة من صفاته التى وازنت فيه العدل أحسن موازنة » ؛ فإنها تسأل عن معنى هذا مع تفصيل الكلام فيه عدة صفحات ، وعليها هى أن تجهد نفسها لتجيب سؤالها ، وهى قادرة على الإجابة بغير جهد كبير .

واسألها وزميلاتها معذرة إذا أحلتها على علم أساتذتها وعلم المعجمات فى تفسير بعض المفردات ؛ فليست هي مما يخفى على الأساتذة أو يخفى عليها إذا رجعت إلى تفكيرها ، أو رجعت إلى معجم صغير مما يتيسر للطلاب فى معاهد التعليم .

عباس محمود العقاد

من أحاديث الإذاعة*:

تسعة قروش!

للأستاذ علي الطنطاوي

من أسبوعين ابتليت من أولادى ببلية ، هى أنى كلما دخلت الدار ، تعلقوا بى طالبين تمثال العبد الأسود ذى الطربوش الأحمر وأنا لا أدرى ما هذا التمثال ، ولا أعرف من أين آتيهم به ، وهم يلحون لا يشغلهم عنه شىء من غالى اللعب ، ونادر الطرف ، حتى كرّهوا إلىّ البقاء فى البيت ...

وكنت مرة خارجاً إلى عملى مستعجلا ، فوجدت بياعاً يحمل هذه التماثيل ، ينادى « الواحد بقرش » ففرحت به فرح الضال فى البادية يرى معالم الطريق ، واشتريت تمثالين وحملتهما ممتزاً بهما كأنى أحمل كنزاً وعدت بهما حتى إذا دنوت من الدار وجدت ولدين صغيرين قاعدين فى ظل جدار ، فلما أبصرا التمثالين برقت عيناهما ، ودنا رأساهما فى همس ، وارتفعت يداهما فى إشارة خفية متهيبة ، وشخص بصراهما كما يفعل شابان غريران طلعت عليهما من الطريق فتاة فتانة . . وقاما فتبعانى وعيونهما معلقة بالتماثيل ، فلما رأيت ذلك منهما فكرت أن أدفعهما إليهما . ولكنى خشيت أن أرجع فلا أرى البائع ، وتخيلت رغبة أولادى فيها ، فلم تطب نفسى أن أحرمهم هذه المتعة ، ولم أستطع الإعراض عن الولدين الفقيرين فدعوتهما فدفعت إليهما قرشين ، وقلت لهما

— هو ذا البائع ، فالحقاه فاشتريا مثلهما ، الواحد بقرش !

فأخذا القرشين وههدى بمثلهما أن القرش الصاغ ثروة له . لا يناله إلا بشق النفس ، فما حفلا بهما ولا هشا لهما ، ولبثا شاخصين فى التمثالين كأنهما لم يريا القرشين ، ولم يسمعا الكلام أو كأن عقلهما فارقهما فاستقرا على ما فى يدى ، فلم يفهما كلامى وحاولت نسيانهما ، ومررت فتبعانى كأنهما كلبان وكنت أحس بحرّ نظراتهما على ظهرى ، وبثقلها على روحى فاهم أن أمد يدى باللعب إليهما ثم تدركنى محبة الولد فأكف ، حتى وصلت الدار وصورتهما أمام عينى ، تمنع عن عينى رؤية فرحة أولادى باللعب وغوايتهم إليها ...

ولما خرجت وجدت الولدين لا يزالان فى الطريق ، يفتشان عن البائع ، يعدوان هنا وهناك ، كأم أضاعت طفلها ولا تدرى أية سبيل سلك . فدعوتهما — فأفرخت روعهما — وسألتهما عن اسميهما فمشيا معى فما درت مع الطريق دورة حتى لقيت البياع أمامى ، فشريت لهما تمثالين وتركت لهما القرشين ، ووجدت حول البياع أولاداً مثلهما ، فقلت له :

— اعط كل ولد تمثالا

وكانوا تسعة فدفعت إليه تسعة قروش

***

هل تصدقون أو أحلف لكم ، أنى لما نظرت فى وجوه الأولاد وقد بدا فيها بهاء الفرح ، وما عرفتْ هذه الوجوه الفرح قط ، ولاحت عليها سمات الطفولة الراضية الشاكرة ، وما كان يلوح عليها إلا الألم والحقد المرير وأشرق عليها نور إلهى سطع من وراء ما حملت من الأوساخ والأقذار ، ولما رأيت عيون الأمهات الواقفات تدمع ، وألسنة الرجال الواقفين تدعو ، أحسست فى قلبى بفرحة لا تعدلها فرحة الجائع بالمائدة الملوكية المترعة ، ولا الضجير بالقصة العبقرية الممتعة ، ولا المحب المدنف بلقاء الحبيب بعد طول الهجران ...

لا والله فتلك أفراح أرضية ، وهذه فرحة سماوية ، قد تعيش آلاف البشر وتموت ، ولا تحس مثلها . وشعرت كأنى كبرت فى عين نفسى ، وأنى سموت وأنى صرت أقوى وأقدر ، وأنى نلت الأمانى ومتعت بالخلود .

إننا ننفق أكثر الأموال ، نشترى أيسر المتع ، وهذى متعة ما يكاد يجد الإنسان مثلها ، نلتها بتسعة قروش ، وما تسعة قروش بالنسبة لى؟ إنها شىء كالعدم ؛ شىء لا يغنينى وجوده ، ولا يفقرنى فقده ، فهل تحبون أن تشتروا مثل هذه المتعة ؟ هل تحبون أن تعرفوا ما هى لذة الروح ، وما هى راحة القلب ؟ هل تريدون أن تذوقوا نعيم الجنة وأنتم فى الدنيا ؟

لا تحسبوا أنى أصف كلاماً . وأرصف ألفاظاً ، إنى والله أسوق لكم حقائق ، فإن أردتم معرفتها ، ففتشوا حولكم من

(*) حديث سجل فى القاهرة وأذيع من محطة الشرق الأدنى فى القدس فى الثالث والرابع من يناير سنة ١٩٤٨

هذه الطفولة المحرومة وهذه النفوس المعذبة ، ثم أولوها الإحسان وليست قيمة الإحسان بكثرة المـال ، إن المال ينفع الفقير ولـكنه لاينزع من قلبه النقمة على الحياة ، ولا يستل منها بغض الأغنياء ولا يملؤها بالحب . إن الذى يفعل هذا كله هو العطف ، وأن تشعر الفقير بأنه مثلك ، وأن تعيد إليه كرامته وعزة نفسه .

ورب تحية صادقة تلقيها على سائل تـكون أحب إليه من درهم ، ودرهم تعطيه فقيراً وأنت تصافحه يكون آثر عنده من دينار تدفعه إليه متكبراً مترفعا ، يدك تمتد إليه بالمال ، ووجهك يجرعه كأس الإذلال ...

إن كل غنى يستطيع أن يتصدق بالـكثير ؛ ولـكن غنى القلب بالإنسانية والنبل والحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يتصدق ، مع المال ، بالعاطفة المنعشة ... فلا تضنوا على الفقراء بإنسانيتكم ، ولا تبخلوا عليهم بعطاء قلوبكم ، وذ كروهم أنهم لايزالون معدودين من البشر ، وأنهم مثلـكم لأب واحد ولأم ، لآدم وحواء ، وأنهم لم ينحدروا إلى دركة الدواب والبهائم .

ذ كروهم بهذه الحقيقة التى طالما نسيتموها أنتم ، ونسوها هم أنفسهم . ولم لا ينسونها وهم يعيشون كما تعيش البهائم : ينامون مثلها على الأقذار ، فى الأكواخ والحقول ، وفى الأزقة المعتمة ، وفى الخرائب المهجورة ، ويأكلون مثلها من فضلات الناس ، ويشربون مثلها من البرك الآسنة ، والأنهار العكرة ، ولم ينالوا تعليما يرفعهم عنها ولا مدنية تميزهم منها ؛ يسهرون فى عصر الـكهرباء على السرج والقناديل ، ويركبون فى عهد الطيران على العربات التى تجرها الحمير ، ويسكنون فى الأكواخ على التراب فى زمان ناطحات السحاب ؛ ومن تشبه منهم بالناس المتحضرين ، لم يكد يصل إلى مثل حضارة الإنسانية الأولى ، يحلق مثـل (الناس) ولـكنه يقعد على الأرض ، على رصيف الشارع ، وبيده مرآة مكسورة يرى فيها وجهه ، والصابون القذر يغطيه ، وموسى الحلاق المفلولة تجرى فيه ، والدم ينبثق من نواحيه ، ثم تمر على هذا الوجه البشرى ممسحة لا ترضونها أنتم والله لمسح أحذيتكم . ويركبون مثلما يركب الناس ، ولـكن على عربات الـكارو ، المشرة على متر مربع من الخشب ، محمول على دولابين من الحديد يسحبه حيوان هزيل ، والعربة ترج بهم ، فترقص معدهم ، وتزلزل أمعاءهم ، ثم لا تصل بهم إلى نهاية الميل الواحد إلا بعد ساعة . ولهم قهوات ، ولـكن قهواتهم اصطبلات فيها ركائز تسمى مناضد أمامها عيدان تدعى كراسى . ولهم مطاعم ولـكن مطاعمهم يقدم فيها المرض فى طباق قذرة ...

فتداركوهم قبل أن يكفروا بالإنسان ، فينقلبوا حرباً عليه ليس معها أمان . أشعروهم أنه لا يزال فى الدنيا فضل وعدل ونبل . ليجد كل واحد منـكم على من هو دونه لا بالمـال وحده ، بل بالعاطفة والتواضع والإنسانية ... الرئيس على المرؤوس ، والوزير على الوكيل ، والوكيل على المدير ، والضـابط على العريف ، والعريف على الجندى ، فإن كل واحد من هؤلاء هو اليوم عبد لمن هو أعلى منه ، وفرعون على من هو دونه ، يتكبر عليه من هو فوقه ، ويتكبر هو على من تحته ، حتى إن الشرطى ليطغى على البائع المتجول ، والبائع يطغى على امرأته ، والمرأة على ولدها ، والولد على القطة يضربها بالعصا أو الـكلب يرميه بالحجر ، كل يحاول أن يظلم كما ظُلم . والمجرم الأكبر هو الظالم الأول . إنهم كالحيوانات تماماً ، الجرادة تأكل البعوض ، والعصفور يأكل الجرادة ، والحية تقتل العصفور ، والقنفذ يقتل الحية ، والثعلب يسطو على القنفذ ، والذئب يسطو على الثعلب ، والأسد يفترس الذئب ، والإنسان يقتل الأسد ، والبعوضة تقتل الإنسان ، فتنغلق الحلقة على عدوان بعد عدوان ...

كم تلقون كل يوم ممن هم دونـكم فلا تتنازلون بالالتفات إليهم ، ولا تفـكرون فيهم ، ولا تشعرون بوجودهم ، ثم تتألمون إذا أعرض عنـكم من هو فوقـكم ، وتجاهل مكانـكم ، وترون ذلك جرحاً لشعوركم وكسراً لقلوبكم ، فلماذا تطلبون ممن فوقكم ما لا تعطونه من هم دونـكم ؟ أليس لهؤلاء نفوس تحس ، وقلوب تتألم ؟

درت أمس بشحاذة على شط النيل الصغير ، فى الروضة ، وأمامها بنت لها تحبو ، وصلت إلى كومة أوساخ فنبشت فيها حتى وجدت بقيـة لعبة فحملتها فرحة بها وعادت إلى أمها مستبشرة فأخذتها منها ومسحتها وحاولت أن تصلحها وتعيد الحياة إليها وقد فارقتها الحياة منذ أزمان ...

فلويت وجهى ألماً من منظر هذه القذارة ، ثم عدت ألوم

نفسي وأسائلها ، ما ذنب هـذه الأم إذا أحبت بنتها وأرادت إسعادها ؟ وما ذنب هذه البنت إذا طلبت حق الطفولة الطبيعي باللعب ؟

لماذا أشترى لبناتى كل أسبوع لعبة ، ولم يخطر على بالى أبداً أن فى البلد أطفالا لا يجدون لعباً . إننا نحسب أننا إذا أطعمنا أطفال الفقراء الخبز ، فقد أدينا حق الله وحق المروءة والإنسانية علينا . ولـكن الطفل لا يكفيه الخبز ولا يرضيه ، يرى أطفال الناس يمرون به كل ساعة ، وعليهم أبهى الثياب ، ومعهم أغلى اللعب ، إنه بين أمرين إما أن يتبلد حسه ، وتموت نفسه ، فلا يطمع أن يجارى هؤلاء ولا يأمل أن يكون مثلهم أبداً فينشأ ضعيف الهمة ، ذليلا مهيناً ، فيكون من أسباب ضعف هـذه الأمة وهوانها على الأمم ، وإما أن يثور ويغضب ويمتلئ قلبـه الصغير حقداً ، ثم يكبر ويكبر الحقد معه حتى يكون عدواً للمجتمع ونقمة على الناس ، يظلمهم كما ظلموه ، يسرق من يستطيع سرقة ماله . ويزهق روح من يتمكن من إزهاق روحه ، وينشر الفساد فى الأرض ...

فلماذا نجعل من هؤلاء الأطفال أعداء لنا ؟ لماذا لا نحبهم فنعلمهم الحب؟ أليسوا أزهاراً فى روض الحياة ؟ أليست كل زهرة حلوة ولو تلطخت بالوحل ؟ أليس كل صغير جميلا ولو كان قطاً أو كلباً ؟ أفنحب القطة الصغيرة ونمسحها ونضمها على الأحضان ونـكره هؤلاء الأطفال ؟ ومالهم ؟ ألأنهم قذرو الوجوه والثياب ؟ إن القـذارة لا تحب ، ولـكن أهذا ذنب أمهاتهم ، لا يغسلن وجوههم وهن على النيل ؟ لا ، بل هو ذنبى وذنب كل واحد منكم وذنب الـكتاب وأولى الأمر ، إنهم لم يعلموا هؤلاء الأمهات النظافة ، ولم يقل لهن أحد إن النظافة لازمة والوساخة مؤذية . ومن يقول لهن ، وهن شحادات على الطرقات ، لا يكلمن أحداً بغير السـؤال ، ولا يكلمهن أحد أبداً ؟ !

وما يدرينى أن ابنتى أو ابنـة أحدكم ، لا سمح الله ، ستلق مثل هذا المصير ؟ من منا أخذ على الدهر عهداً أن لا يزيل عنه نعمة ؟ هل أمنا المرض والفقر ؟ هل وقفنا حركة الفلك ؟

وهل نسينا أن فى الوجود إلهاً ، وأن بعد الدنيا آخرة ؟ فـكيف سوغنا لأنفسنا مع هذا كله إهمال هـذه (الإنسانية) الصغيرة البرآة الطاهرة ؟ لقد كان فينا مقلدون متحذلقون ألفوا جمعيات للرفق بالحيوان ... ولـكن لم ينشأ فينا إلى اليوم من يؤلف جمعية للرفق بالإنسان ؟ لقد بلغ الخزى من نفوسنا أن كان فينا أناس يطعمون الـكلاب المدللة ، اللحم السمين والشكولاتة الغاليـة ، وحولهم بشر لا يأكلون اللحم مرة فى الشهر ، ولم يتذوقوا الشكولاتة أبداً ...

* * *

إذا شئتم أن تذوقوا أجـل لذائذ الدنيا ، وأحلى أفراح القلوب ، فجودوا بالحب وبالعواطف كما تجودون بالمال ...

دمشق (صندوق البريد ١٩) **على الطنطاوى**

مجمع فـــؤاد الأول

بين الأمس واليــوم

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حسنة من حسنات محيى النهضة العلمية والفنية ، ومجدد شباب اللغة العربية ، المغفور له الملك فؤاد ، له من الله الرحمة والرضوان، وهو أثر من آثار أياديه الكريمة ، ومأثرة من مآثره العظمى التى أسداها إلى اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، ومفتاح أسراره ، ومشرق هدايته ، ومطلع أنواره .

أراد رحمه الله بإنشاء مجمع اللغة العربية المحافظة على سلامة هذه اللغة الكريمة ، وأن يكون المجمع مثابة للعروبة تتجدد فيه عناصرها وتتوثق أواصرها ، وأن يكون أمنا للغة الذكر الحكيم يجمع شتاتها ويحيى مواتها ويحميها من عبث العابثين ، وجور المعتدين ؛ ويدفع عنها طغيان العجمة ويرد عنها وثبات العامية ، حتى لا تستهلكها أشتات اللهجات ، ولا تذهب بفصاحتها وصباحتها الندوب والآفات ، فندب إلى هذا الغرض السامى النبيل ، واختار لهذا المهم الجليل ، كل عالم ندب من علماء اللسان ، وفرسان اللغة والبيان ممن أنجبتهم معاهد العلم : الأزهر ودار العلوم وجامع الزيتونة ، ومن أنبغتهم المدارس الإسلامية ومدارس اللغات الشرقية فى بلاد المشرق والمغرب .

ولقد بذل هؤلاء الأعلام الأفاضل جهدا مذكوراً ، وسعوا إلى تحقيق الغرض الذى ندبوا له سعيا مشكوراً . وجعلوا منذ اللحظة الأولى يمهدون السبيل ، ويقيمون فيه لمن يريد أن يسلكه المنار والدليل ، حتى لا يخبط فى مسيره خبط العشواء ، ولا يهيم فى أودية الأوهام ؛ فوسعوا من القواعد وأقروا أمورا تكفل مراعاتها سلامة اللغة وتحقق لها النماء والزيادة ، وتيسر على أهل العلم التصرف فى مفرداتها حتى تستغنى بما تنسله من لفظ أصيل كريم عما يراد الصاقه بها من كل لفظ دعى زنيم .

وقد أشار رئيس المجمع المغفور له الدكتور محمد توفيق رفعت باشا فى كلمته التى ألقاها فى افتتاح دور الانعقاد الثالث سنة ١٩٣٧ إلى الطريقة المثلى ، وأومأ إلى بعض القرارات التى اتخذها المجمع فى دور انعقاده الثانى للوصول إلى تحقيق الغرض المقصود من إنشاء المجمع ، وأبان فى تلك الكلمة المنشورة فى الجزء الثالث من مجلة المجمع طبع سنة ١٩٣٧ — خطأ الذين يؤثرون الاعجمى الشائع على مالم يتداول فى الاستعمال من فصيح اللفظ العربى ، وفند هذا الرأى القائل إذ يقول : وليس يذهب عنا فى هذا المقام أن ننبه هؤلاء إلى أن لغتنا قد تخلفت دهرا طويلا عن مواتاة العلوم ومسايرة كثير من أسباب الحضارة . فلو أننا آثرنا الاعجمى الدائر فى كل ما يعرض لنا من هذا لأصبح الفصيح بين لغتنا أقل من القلة ولاستهلكته العجمة استهلاكا بحيث لا يصح لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحدث بلسان العرب ، وذلك هو البلاء العظيم ... ومما ينبغى ألا يسقط من الحساب أنه لو ساغ لكل أمة أن تعدل عن اتخاذ الفصيح من لغتها لمثل تلكم الأسباب إلى الشائع على السنة أبنائها من المحرف والدخيل لاختلفت لغات الأمم العربية وما اجتمعت على هذه اللغة الكريمة ، وهذا فى الوقت الذى يدعو فيه المصلحون الصادقون إلى توحيد الثقافة فى العالم العربى بأسره بحيث إذا استقلت كل أمة بأرض وطنها فإن العربية تظل لها جميعها الوطن العام على تطاول الأزمان .

وفى كلمة العلامة المستشرق (الاستاذ جب) عضو المجمع — وصف للعلاج الناجع الذى يتوقف عليه نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى حيث يقول . وإن تجاربنا فى سنى الطفولة (يقصد تجارب المجمع فى السنتين اللتين مرتا عليه منذ أنشىء) — قد برهنت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى يتوقف على استعدادنا لسلوك طريق طويل المدى دارس المعالم — طريق الاكتشاف والتوسع وهو طريق لا يسلك إلا بشىء من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استمدله بكامل العدد .

ويقول : ولن يتحقق صعوبة وظيفة المجمع فى القرن بين تيار الجديد وتراث القديم إلا من جربها ، فويل للغة مصادرها

ومعجماتها دون الشعور الحى للناطقين بها . وويل أيضاً للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق .

فإذا كانت التجارب قد دلت على أن نجاح المجمع فى تأدية وظيفته نحو العالم العربى متوقف (كما يقول الأستاذ جب) على الاستعداد بكامل العدد لسلوك طريق الاكتشاف والتوسع فى اللغة حتى يأمن سالكو هذا الطريق من التردى والضلالة فيه ، وإذا كان من أهم هذه العدد العلم بقواعد اللغة نحوها وتصريف كلماتها ومعرفة أحوال تراكيبها وتذوق أساليبها ومعانى النظم فيها ؛ والإحساس بما بين نظم ونظم من فرق وتفاوت فى الحسن والجمال والصحة والاعتلال — فهل فكر أولئك الكرام البررة الذين عناهم أمر هذه اللغة الكريمة فى إعداد الوسائل التى تكفل حياتها وإن تبق سليمة نامية ، وهل أخذوا لهذا الأمر أهبته ، وأعدوا له عدته ؟

لقد أنبانا الأستاذ الجليل محمد كرد على بك فى كلمته التى ألقاها فى افتتاح إنعقاد المجمع فى ذلك الدور أن مجمع اللغة العربية - يسير فى أوضاعه على النهج الذى سنه الملك الأعظم (المغفور له) الملك فؤاد ، وأنه (أعلى الله فى الجنة منزلته) تفضل فأطلع عليه الأستاذ حين شرفه بالمثول بين يديه من نحو عشر سنين خلت قبل إنشائه مجمع اللغة . والمتتبع لسير النهضة العلمية فى ذلك الوقت يجد أن ذلك التاريخ يوافق الوقت الذى كان فيه جلالة الملك الراحل يفكر فى التوحيد بين المعاهد التى تقوم بتعليم اللغة العربية والشريعة الإسلامية فى مصر ليكون من هذه المعاهد مجموعة مؤتلفة موحدة النظام والغاية مندمجة فى الأزهر ، يتخرج منها الفقهاء المشرعون والعلماء الراسخون فى علوم الشريعة واللغة ليجددوا ما اخلولق من آثارهما ويحيوا ماعفا من رسومهما وليكون من هؤلاء العلماء المختصين باللغة والشريعة مدد يغذى مجمع اللغة العربية ومابنشأ على غراره من مجامع الفقه والتشريع الإسلامى لا الرومانى والفرنسى ، وفى سبيل تحقيق هـذا الغرض الجليل ألغيت مدرسة القضاء الشرعى وبدئ فى إلغاء دار العلوم ، واستبدل بهما نظام الكليات وأقسام التخصص فى الأزهر . فترى أن مجمع فؤاد كان جزءا متمما لذلك المشروع الجليل الذى اختط فؤاد العظيم خطته وأراد منه إحياء اللغة العربية لغة القرآن الفصحى وأن يبعث الاجتهاد فى الفقه الإسلامى من مرقده لتتوثق باللغة روابط الوحدة بين الشعوب العربية ، وتسهل مشارع الشريعة فيتيسر ورودها ، ويصفو وردها لجميع الأمم الإسلامية.

ذلكم هو المشروع الذى ابتكره فؤاد الملك العظيم ، وأبرزته عزيمته القوية الجبارة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ، لاحياء اللغة العربية والشريعة الاسلامية معا ؛ فماذا كان حظ هذه المؤسسات العلمية والعالمية من الحياة ، وماذا كان نصيبها من البقاء ؟

فأما أقسام التخصص فقد غلقت أبوابها ، إذ لم يقصدها للعلم بل لأكل العيش طلابها . وأما كليات الأزهر فقد أمست مسارح شحناء ، ومسابح دماء ، يسمى طلابها بالفساد ليجعلوها مثل دار العلوم مدرسة لتخريج معلمين ، لا لتكوين رجال عالمين !

ومجمع فؤاد اللغوى ـ وقد عرفت مكانه من المشروع العظيم ـ هل تراه اليوم على العهد الذى كان عليه بالأمس مجمع فؤاد للغة العربية ، وهل تحسبه آخذاً بإخذه ، أو متبعاً سننه الذى سنه له منشئه ، أو سائراً على النهج الذى قرر رجال مجمع اللغة العربية بالأمس أنه هو النهج الأقوم الموصل إلى الغاية المنشودة من إنشاء المجمع ؟

إن الذين سمعوا كلمة معالى وزير المعارف التى ألقاها فى مؤتمر المجمع فى دور انعقاده الحاضر فى أولى جلساته فى الشهر المنصرم ، يرون فيها خروجاً على إجماع المجمع بالأمس ، وإهداراً للقواعد السليمة التى أقرها ، وتوجيها للمجمع فى غير الوجهة التى أنشئ من أجلها ، وجوازبه عن سواء السبيل الذى يقول العلماء الخبيرون إنه يجب على من يريد للغة العربية الحياة والبقاء والبركة والنماء أن يسلكه .

فمعالى الوزير يدعو المجمع دعوة صريحة بل إنه ليأمره بألا يقف فى طريقه إلى تحقيق مهمته عند اللغة الرسمية (اللغة العربية الصحيحة) وأن يتجاوزها إلى اللغة الواقعية البعيدة عن صحيح اللغة (وهى اللغة العامية) وأن يتقبل كل كلمة ترد إليه هجينة

أو أعجمية ؛ ولئن كانت كلمة المجمع بالأمس على أن العدول عن اتخاذ الفصيح من اللغة إلى الشائع على الألسنة من المحرف والدخيل يستهلك الفصيح من اللغـة ، ويؤدى إلى اختلاف لغات الأمم العربية وتفرقها عن لغتها الـكريمة — فإن كلمة وزير المعارف اليوم على النقيض من كلمـــة المجمع بالأمس ؛ فماليه يفتح الباب على مصراعيه للمحرف والدخيل ، ويطلب إلى المجمع أن يسجل على لغة العرب كل مايرد عليه من الـكلمات المحرفة ، وأن يحمل عليها كل مايصل إليه على ألسنة العامة من الألفاظ الأعجمية والدخيلة ؛ فقد أصبحت مهمة المجمع إذن مهلة يسيرة وأمسى عمل المجمع فى نظر معالى الوزير هو الإثبات والتسجيل ، وليس له فى الإبتداع أو الخلق والتقدير .

لقـد هانت إذن مهمة المجمع ، وتبخرت فى الهواء تجارب المجربين ، وضرب بعرض الأفق كلام الخبراء العالمين ، وأمنا ما خوفنا الأستاذ جب من ضلالة الطريق ووعورته ، فما بنا بعـد اليوم من حاجة فى سلوكه إلى استعداد له بعدة أو اتخاذ دليل أو اصطحاب رفيق . يقول معـالى الوزير : إن باب الاجتهاد فى اللغة العربية مفتوح فعلا فهو ليس منتظراً أحدا حتى يفتحه .

فليت شعرى من هم هؤلاء المجتهدون الذين يقول معاليه إن باب الاجتهاد قـد فتح فعلا لهم ؟ أهم أولئك العلماء الذين استعدوا بكامل العدد ليأمنوا من الضلالة فى طريق الا كتشاف والتوسع فى اللغة ، وأولئك الـكتاب والناطقون باللغة ، الذين يلتزمون قوانين اللغة وقواعدها ويرجعون إلى معجماتها فيما يكتبون وينطقون كما يشترط الأستاذ جب ؟ أم هم هؤلاء الذين ينطقون ويكتبون طوع أهوائهم ولا يستطيعون تقـديم ألسنتهم ، والذين أنذر الأستاذ اللغة شرهم وتوعدها بالهلاك والويل منهم ؟

يقول معالى الوزير إننا لا نستطيع أن ننكر على أى جيـل حقه فى أن يساهم فى صنع لغته وفى أن يبتدع من الألفاظ ما يفى حاجته ويتمشى مع حضارته .

فالمجتهدون فى اللغة إذاً فى عرف وزير المعارف — هم أولئك الذين يتقبلون كل مايفد عليهم من دخيل اللفظ ، وتلوك ألسنتهم كل ما يسهل عليها من عابر القول من غير معيار ولا قاعدة .

هؤلاء هم المجتهدون فى اللغة العارفون ، وهؤلاء هم صنعة اللغة الحاذقون ، ومبتـكرو ألفاظها ونظمها والمبتدعون ، وما يصدر عن هؤلاء من عابر القول ، وما يتقبلونه مما يفد عليهم من متشرد الألفاظ الأعجمية فهو اللغة الفصحى التى اجتمعت عليها الأمة ، والتى يجب على المجمع القائم أن يرصدها فى سجلاته ويسجلها فى اجتماعاته لحساب اللغة الجديدة الاقليمية ، التى يراد إحلالها محل اللغة العربية ، وتسجيتها ببردها وتسميتها باسمها .

لقد اتضحت إذاً مهمة المجمع وعرف أن مهمته المطلوبة منه فى عهده الجديد هى أن يسجل فى دفاتره ما يرد إليـه من بضاعة مزجاة من الألفاظ الأعجمية ، ويضيفها لحساب اللغـة الجديدة الإقليمية الدهماوية التى يراد بها إبعاد الأمة المصرية وإبعاد العرب عن لغتهم العربية التى هى رباط وحدتهم ، ومنتدى جماعتهم .

ومهمة أخرى على المجمع أن يقوم بها ، وهى كما وصفها معالى الوزير مهمة شاقة عسيرة ، تلك المهمة هى أن ينصب المجمع للمولود الجديد الأنصاب ويتلمس له العلل والأسباب التى تصله بأسباب الوجود ، وتـكفل (لا قدر الله) له الحياة والخلود .

منذ أمد غير بعيد نشرت جريدة الأهرام نبذة لمراسلها الخاص بلندن اقتبسها من الفصل الافتتاحى الذى عقدته جريدة المانشستر جارديان عن إصلاح النحو فى مصر ، تضمنت هذه النبذة أن أدباء مصر يتوفرون على إصلاح النحو العربى . وقالت (بلغة المستعمرين الذين يسمون الأشياء بأسماء أضدادها فيسمون الإفساد إصلاحاً واستعباد الأمم حرية) ! قالت : إن هذا الإصلاح قد يكون بين ضروب الرق العديدة (التى تمت منذ ولى الملك فاروق العرش) — أبعدها أثراً على الإطلاق . وقالت : إن من العوائق المظيمة لنشر العلم ومن ثم لتحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى هو الاختلاف الـكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية مما جعـل ملايين من الناطقين بالضاد لا يستطيعون فهم اللغـة الفصحى فضلا عن قراءتها وكتابتها .

فاللغة العربية فى نظر المانشستر جارديان ، ومن ينفخ فى بوقها من دعاة الاستعمار هى سبب انحطاط العرب وتأخرهم فى العلم وفى التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى . وهذا الذى تذيعه

هذه الجريدة وغيرها من جرائد الاستعمار هو ما يتقوله عداة اللغة العربية ودعاة المنصرية فى مصر على هذه اللغة الكريمة من المثالب والأكاذيب ليكرهوها إلى أهلها فهم يقبحون منها كل ماحسن، حتى ليودون أن يستبدلوا بحروفها الرشيقة الجميلة حروفاً أعموبة لاتينية ليقيموا بذلك حداً منيعاً يحولون به بين الأجيال المقبلة من أبناء الأمم الاسلامية وبين تراث أسلافهم العلمى ، وليقطعوا الصلة بينهم وبين كتاب الله الكريم فلا يهتدوا بنوره ولا يقتدوا بهداه .

فهل ماينادى به معالى وزير المعارف فى دار المجمع ومايدعو إليه من تجاوز اللغة العربية إلى اللغة الاقليمية العامية ، وما يردده دعاة السوء من وجوب أقلمة اللغة وتمصيرها ، وتبسيط قواعدها وتلتين حروفها هو الذى تعنيه جريدة المانشستر من إصلاح النحو فى مصر ؟

وهل هذا هو الغرض من إنشاء مجمع فؤاد للغة العربية ؟

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

محمود أحمد الغمراوى

من علماء الأزهر
شيخ معهدى دسوق والزقازيق سابقاً

الأسس التى وضعها الاسلام لعقوبة القتـــل

لصاحب العزة الأستاذ على بك حلمى

مدير البحيرة

بينا فى مقالنا السابق أن التشريعات القديمة كانت تميل تارة إلى جانب التشديد فى العقوبة وتارة أخرى إلى جانب التراخى فيها — واستشهدنا ببعض أقوال من الإنجيل والتوراة نفهم منها أن الأول يطلب العفو من ولى الدم وفيه تفريط فى حق المجنى عليه ، وإفراط فى أمر الجانى [1] إلى أن نزل القرآن فسلك الإسلام الطريق الوسطى بين جانبى الإفراط والتفريط فى المعاملات والعقائد والعبادات — قال الله تعالى (وكذلك جعلنا كم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس)

كما أصبح للدين الإسلامى أسس موضوعة جنبت عقوبة القتل فى جميع أحوالها جانبى الإسراف والتقصير — وهذه الأسس أربعة .

القصاص : [1]

فرض الإسلام بهذا المبدأ عقوبة القتل جزاء لجريمة القتل وأباح به دم الجانى — وفى ذلك نزلت آيات القصاص ، وقد ذكرنا بعضها فى موضوع سابق . ومعنى هذا أن الإسلام لا يجيز التراخى فى شأن الجانى ولا يسمح بوقوع هذه الجريمة دون أن يقتص من فاعلها بالقتل — فسد بذلك نقصاً ملحوظاً فى شريعة الإنجيل على فهم كثير من الناس .

حق القصاص والعفو لولى الدم :

وكما أن ديننا حد من جانب التفريط كما دعا إليه الإنجيل — كذلك خفف من إفراط التوراة بشأن المجنى عليه ولم يحتم عقوبة القتل لهذه الجريمة فخير ولى الدم بين القصاص والعفو وزين له الأخير قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال بعض الفقهاء (العفو أفضل من الصلح والصلح أفضل من القصاص)

وهنا لم يقل الإسلام بالقصاص دون رحمة ولاشفقة بل شرعه مع خيار العفو وإجازة الصلح وأباح أن يكون العفو ببدل أو بغير بدل كما حبب الإسلام العفو إلى النفوس ، وبذلك اتخذ طريقاً وسطاً فتحاشى قسوة التوراة التى تحتم القصاص وتراخى الإنجيل الذى يحتم العفو .

حق ولى الدم :

أ — فى القصاص — جريمة القتل اعتداء على نفس المجنى عليه وسلب لوجوده وامتهان لجماعته الذين يعتزون بحياته ويتأثرون بنشاطه ؛ فإذا افتقدوا وجوده وكيانه وحرموا من عونه ونشاطه كانت هذه الجريمة من بعض نواحيها واقعة على ولى الدم؛ وطبيعى أن أول المسارعين إلى رفع هذا الذل والامتهان والأخذ بالثأر لقتيلهم هم عصبته الذين رزئوا بوفاته وأصيبوا فى مقتله .

(١) فقه القرآن والسنة للأستاذ محمود شلتوت .

(١) القصاص للأستاذ محمود شلتوت

ولما كان فى جريمة القتل أيضاً إخلال بالأمن العام وإفساد لراحة الجماعة وإزعاج لطمأنينتهم أعطى الشرع الإسلامى حق القصاص لولى الدم كما أعطاه للجماعة فى شخص الحاكم إذا كان الجانى مسرفاً فى الإجرام معروفاً بالشر ووجب بتره من المجتمع

وكما أن لولى الدم حق القصاص فقد جعل له حق العفو أيضاً لأن فى ذلك اطمئناناً للنفوس وتطهيرا لها من الأحقاد والضغائن، فليس أحب إلى الإنسان من العفو عند المقدرة — ولم يجعل الإسلام لولى الأمر حق العفو إذا ما تمسك ولى الدم بالقصاص وذلك تجنباً لوقوع الفتن والاضطراب وخشية الإسراف فى الأخذ بالثار وإفلات زمام الأمر من الحاكم.

أما إذا اختار ولى الدم العفو فخياره نافذ — ما لم يتمسك ولى الأمر بعقوبة الجانى تعزيراً فى حالة ما إذا كان معروفاً بشدة إجرامه وظهر للحاكم أن عقابه ضرورى لحفظ الجماعة واستتباب الأمن — وقد احتضن هذه الفكرة القانون الوضعى الحديث وتوسع فيها إلى أن سلب من المجنى عليه حق القصاص والعفو وقصرهما عليه كما سيأتى.

المساواة فى العقوبة :

— كان نظام الطبقات معروفاً عند الرومان فجاء الإسلام ومحا هذه الفروق وسوى بين النفوس وجعل الدماء متكافئة والجراحات متناسبة فى القصاص. روى عن عائشة رضى الله عنها قالت — كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع ولا تردّه فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد وكلموه فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها فقال له: « يا أسامة ألا أراك تشفع فى حد من حدود الله. ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال: إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » وقطع يد المخزومية.

من هذا ترى أن الإسلام قد سوى بين أفراد الرعية من جهة، وبين الرعية والحاكم من جهة أخرى فى القصاص والحدود (١) وجاء فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد — كلكم لآدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم — ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى)

(١) نهاية المحتاج ج ٧

المسئولية الفردية :

قلنا إن العرب جرت فى الزمان الغابر على الإسراف فى الثار دون توخى مقدار العدل الذى يوجب الوقوف عند حد القصاص الصحيح — وكان فى أغلب الأحيان يأخذون غير القاتل بالقاتل والجماعة بالواحد والرجل بالمرأة والحر بالعبد — بل كانوا فى بعض آخر يأخذون الإنسان بالحيوان إلى أن جاء الإسلام فقرر أن مسئولية الجانى لا يتحملها إلا الجانى — قال تعالى: (ولا تزروا وازرة وزر أخرى) ومنع مسئولية الجماعة عن جناية الواحد كما قرر أن العقوبة من جنس الجناية وبقدرها فلا تضاعف الجراحات ولا الديات(١) قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها. وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)

القتل فى القانون الوضعى الحديث :

قلنا أن الإسلام منح القصاص والعفو لولى الدم كما أجاز لولى الأمر القصاص إذا عفا ولى الدم فى حالة ما إذا كان القاتل يميل إلى الإجرام وتحتم إصلاح شأنه لصلاح حال الجماعة — وقلنا أن القانون الوضعى احتضن هذا المبدأ الأخير ثم توسع فيه إلى حد أن جعل من حق القصاص والعفو حقاً آخر ثابتاً للمجتمع وأعتبر أن جرائم الأفراد جرائم عامة، وأن المجنى عليه فى جريمة القتل هو المجتمع، ومنح لشخص ولى الأمر حق القصاص والعفو دون مراعاة إلى حق ولى الدم فيها، أى بمعنى أنه إذا وصل إلى علم الحاكم وقوع جريمة على فرد من الأفراد سواء بتبليغ المجنى عليه أو أى شخص آخر نهض حق المجتمع ينادى بالقصاص من الجانى أو العفو عنه حسب ما يتراءى لولى الأمر لصيانة الصالح العام

وعلى هذا الأساس تقررت العقوبات لمختلف أنواع جرائم القتل

على حلمى

(١) المنتقى ج ٧

٣ – الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

كان من البيِّن – كما رأيت قبلُ – أن يهود الحجاز قد شبوا فى الجاهلية نار العداوة بين بنى أم واحدة وأب واحد، يسكنون بلدة واحدة، وهم الأوس والخزرج، فتمادت الحرب بين الأخوين أحقاباً من زمن الجاهلية حتى كادوا يتفانون فى يوم «بُعاث» الذى كان قبل هجرة نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بست سنين. وكان الذى كان بين هذين الأخوين أمراً جللاً شديداً على بعض عقلاء الأوس والخزرج، إذ صاروا إلى ما وصفهم به أصحاب بيعة العقبة الأولى من الأنصار إذ قالوا لنبى الله: «إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بيننا»، ويهود يومئذ «قد عَزُّوهم ببلادهم» أى غلبوهم عليها واستأثروا بها، كما قال رجال من الصحابة وكما قال أكثر رواة التاريخ القديم. وكان بعض اليهود يحالف الأوس، وبعضهم يحالف الخزرج، ولكنهم كانوا يداً واحدة إذا جد الجد، فيخرجون من معارك هذين الأخوين لا يصيبهم شرٌّ كثير أو قليل، بل كانوا يقولون لهم: «إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرَم» وشغلت الحرب والعداوة هذين الحيين، فانصرفوا عن الزراعة واستولت عليها يهود، وشغلتهم عن التجارة فاستبدت بها يهود، وشغلتهم عن حماية أرضهم فعاثت فيها يهود. وأخذت يهود تبنى فى المدينة وما جاورها آطاماً وحصوناً كثيرة متفرقة، وتجمع فى هذه الحصون ما استطاعت من السلاح والحلقة وعُدة الحرب، وهى شىء كثير جداً كما ظهر ذلك بعد فتح هذه الحصون والآطام على يد رسول الله وأصحابه من المهاجرين والأنصار. ولم يكن ذلك من فعلهم فى المدينة وما جاورها وحسب، بل كان مثله أيضاً فى جنوب الجزيرة، فى اليمن وتلك البقعة من نجران وصنعاء إلى ناحية البحرين، كانوا يقيمون الحصون والآطام ويجمعون فيها السلاح فيكثرون الجمع، وينشئون لأنفسهم مدناً أو شبه مدن فى هذه النواحى كلها، هى لهم خالصة لا يساكنهم فيها أحد.

نعم، ينشئون المدن والحصون والآطام ويجمعون السلاح، ويحالفون من جاورهم من الأعراب والبدو، ويوقعون بين حلفائهم العداوة والشر، فى المدينة وفى غير المدينة من جزيرة العرب. فماذا كانت تريد يهود بإعداد كل هذه المدة من البناء والسلاح وإيقاد البغضاء، وصرف وجوه الناس عن أسباب الحياة إلى معترك الحرب؟ كانت تريد فى المدينة مثلاً أن تسقط البلاد فى أيديهم خالصة لهم، بعد أن يتفانى الأوس والخزرج فى حروبهم التى يؤرّثونها بينهم، كما رأيت ذلك من فعلهم يوم رأى شأس بن قيس اليهودى ما رأى من صلاح ذات البين بين الأوس والخزرج بالإسلام، فيرسل إليهم فتى من يهود يناشدهم ما تقاولوا من الشعر فى حروبهم، فتكاد الحرب تقع بين الأوس المسلمين والخزرج المسلمين، لولا أن أدركهم رسول الله فردّهم إلى عقولهم وأطفأ كيد اليهودى شأس بن قيس. ومن قارن بين فعل يهود قديماً وفعلهم حديثاً فى فلسطين، ومن إقامتهم الحصون والآطام والمدن فى المدينة وغيرها من الجزيرة، وما فعلوا من إنشاء المدن والحصون والمستعمرات حديثاً فى فلسطين، عرف أن هذه شيمة يهود منذ قديم، وهذا هو أسلوبهم قديماً وحديثاً حذوك النعل بالنعل. وإذن فقد كانت تريد يهود أن تنشىء دولة فى المدينة شمالا وفى اليمن جنوباً كما تريد اليوم أن تنشىء دولة لليهود فى فلسطين، وفى غير فلسطين أيضاً.

هكذا كان أمرهم فى الجاهلية، ثم يرسل الله رسوله ويهاجر إلى المدينة فلا يكاد يفعل حتى يمتلىء تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم بأخبار اليهود وفتنهم وتأريثهم العداوة بين العرب المشركين والعرب المؤمنين، وبسعايتهم فى تأليب الأحزاب على رسول الله، وبغدرهم ونكثهم ودسائسهم، لم يكفوا ساعة عن التماس غرة المؤمنين والمؤمنات، وعن ابتغاء الوقيعة بين المؤمنين أنفسهم. ويمتلىء تاريخ الإسلام منذ ذلك اليوم أيضاً بأخبار المنافقين، وقد أجاد الله لنا صفتهم فى كتابه، وبين لنا أحسن البيان صلتهم باليهود وإيواء اليهود لهم، ويكثر ما نزل من الآيات فى شأن اليهود والمنافقين جميعاً، مقرون ذكرهما معاً. وتكون أول سورة نزلت من القرآن فى المدينة هى السورة التى تذكر فيها (البقرة)، يقول الطبرى فى تفسيره ج ١ ص ٨٤ بإسناده عن ابن عباس: «إن صدر سورة البقرة إلى المئة منها

نزل فى رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج ، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم » . ثم ماذا ؟ ثم تكون آخر سورة نزلت بالمدينة ، أو آخر سورة نزلت من القرآن ، هى سورة « براءة » أو سورة « التوبة » ، تلك السورة التى فضحت اليهود والمنافقين وهتكت عن سرائرهم ، وكشفت عما كانوا يبيتون من القول ومن الكيد ، والتى يقول الله فيها : « يحذر المنافقون تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم ، قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون » ، والتى سماها بعضهم « الفاضحة » و « المخزية » و « المنكلة » و « المشردة » و « المدمدمة » دلالة على ما جلبت على اليهود والمنافقين من الفضيحة والخزى والتنكيل والتشريد والدمدمة . ثم تكون هى السورة التى يذكر فيها « الأعراب » الذين حول المدينة من حلفاء يهود ، ست مرات .

تنزل أول سورة من القرآن ، فإذا هى فى اليهود والمنافقين ، وتنزل آخر سورة من القرآن فإذا هى فى اليهود والمنافقين ومن حول المدينة من الأعراب حلفاء يهود ، وينزل ما بينهما من القرآن فى عشر سنوات متواليات يصف ما كان من أمر هؤلاء ، وينذرهم ، ويكشف عن دسائسهم وكيدهم ، فإذا بك ترى تاريخ الإسلام فى هذه الحقبة — منذ هاجر رسول الله إلى أن توفاه الله — حافلا بالغدر والكيد والتأليب ونكث العهود ونقض المواثيق . ويكون أول ذلك أن تسلم طائفة من أحبار يهود سماهم أصحاب السير والتاريخ ، يسلمون نفاقاً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما فعل كعب الأحبار وعبدالله بن سبأ وغيرهما فى عهد عمر وعثمان) ، فكانوا يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم ، ويحدثنا ابن هشام عنهم فيقول : « فاجتمع يوماً فى المسجد ناس منهم ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضى أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً » ، فهل تجد أوضح ولا أبين من هذا فى صفة المتآمرين حين يجلسون يتخافتون بينهم أمراً يكيدون به ويبيّتونه ؟ ويظل هذا حال المنافقين وحال اليهود معاً إلى أن يدعو الله إليه رسوله : يأوى المنافقون إلى أشياخ من اليهود يتآمرون يوماً بعد يوم عشر سنوات متواليات ، ويكون على رأس هؤلاء المتآمرين رجال كأمثال رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودى الذى أظهر الإسلام وأبطن النفاق ، فيسميه المسلمون « كهف المنافقين » ، لأنهم كانوا يخلون إليه ، ويتآمرون فيه بليل ، ويستودعون ظلام هذا الكهف السميع البصير سرّ تآمرهم وخفى كيدهم. ورسول الله فى خلال ذلك كله يجاهدهم ويرجو هدايتهم ، ويظل يفعل ذلك ثمانى سنوات غير قانط ولا يائس ، يصلى على من مات من المنافقين ويستغفرلهم ، فإذا طال ذلك أنزل عليه ربه فى سورة « براءة » آخر سورة نزلت ، أشد آية فى القرآن خاطب الله بها عبده ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الظالمين » ثم ينهاه أشد النهى فيقول : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » . كلمات قاطعة وأوامر حاسمة كحد السيف !!

عشر سنوات والقرآن ينزل على رسول الله فى المنافقين واليهود مقرون ذكرهما معاً !! عشر سنوات تقرأ تاريخها فى كتب السيرة فلا تمضى صفحة واحدة إلا وفيها ذكر لليهود والمنافقين معاً ، عشر سنوات واليهود والمنافقون معاً يؤلبون على رسول الله القبائل ويفتنون المسلمين ، ويدبرون الكيد للمؤمنين والمؤمنات ولرسول الله ، حتى كان ما كان من اليهودية التى دست له ولأصحابه السم فى الشاة فينبأ صلى الله عليه وسلم بما فعلت ، فيلفظ بضعة اللحم من فمه صلى الله عليه وسلم .

ثم ماذا ؟ ثم يحدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فيقول : « كان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم أن قال : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » . آخر كلمة ينطق بها صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ! آخر كلمة تجرى على لسانه وهو يلبى دعوة ربه إلى الرفيق الأعلى ! ويروى الرواة هذه الكلمة ، ويأتى علماؤنا أحسن الله جزاءهم فيقفون عند هذا الحديث ينظرون ماسرّ هذا الأمر الحازم القاطع ؟ إنهم لا يهتدون إلى سر ، ولا يقفون

على خبر ، إلا أن يقولوا جميعاً كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال ص٩٩ : «وإنما نُراه قال ذلك صلى الله عليه وسلم لنكث كان منهم ، أو لأمر أحدثوه بعد الصلح » رويدكم أيها العلماء ! إنه تأويل متهافت ، ولا تجعلوا الظن أصلا فى التأويل . لقد كان أولى بكم أن تسألوا أنفسكم : أى نكث ذلك الذى كان من يهود الحجاز ومن أهل نجران ؟ وكيف ذهب خبره فلم يرولنا ؟ وأى أمر ذلك الذى أحدثوه بعد الصلح ؟ وكيف غاب عنا خبره ؟ ولكن غفر الله لكم وجزاكم خيراً إذ لم تقطعوا برأى تدلسونه على الناس كما يفعل أدعياء العلم وكذبة العلماء فى عصرنا هذا ، بل قلتم جميعاً كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام : «إنما نراه» (بضم النون) أى إنما نظنه ظنا . ولكن ما قيمة الظن فى أمر كهذا الأمر ؟ وكيف تريدون أن تفسروا حديثاً بظن من الظنون لم تأت به رواية ، ولم يعرف له خبر يؤيده من حوادث التاريخ ؟

كلا أيها العلماء ! إنها آخر كلمة تكلم بها رسول الله وهو معرض عن الدنيا مقبل على الآخرة ، آخر كلمة ينطق بها لسان نبى الله الذى لاينطق عن الهوى . كلا فالأمر أعظم وأجل وأخطر مما تظنون . إنها كلمة من كلمات النبوة ! إنها تنبيه من الله على لسان نبيه إلى أحداث ستكون ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً . لقد كشف الغطاء وتتجلى لرسول الله غيب ما سيكون ، فرآه وهو على فراش الموت كما رآه المؤمنون عياناً من بعد : فتنة ماحقة فى الحجاز وما جاورها ، وفى نجران وما أطاف بها . نار مشتعلة فيما حول المدينة من الحجاز ، وأخرى مستعرة فيما حول نجران من اليمن . إنه يقولها صلى الله عليه وسلم لا لشىء كان بل لشىء سيكون ، يراه هو ولا يراه أصحابه رضى الله عنهم .

ولقد نزل الموت برسول الله صلى الله عليه وسلم كأشد ما ينزل حتى دعا بقدح من ماء ، يدخل يده فيه ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : « اللهم أعنى على سكرات الموت . اللهم أعنى على كرب الموت . ادن منى ياجبريل ! ادن منى ياجبريل ! ادن منى ياجبريل» وعنده صلى الله عليه وسلم خميصة (ثوب من خز) يأخذها فيلقيها على وجهه ، حتى إذا اغتمَّ بها وضاق ألقاها عن وجهه وهو يقول « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أبنيائهم مساجد» ويقول أيضاً : « لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين» ، وتكون آخر كلمة يتكلم بها وهو فى مثل ما نرى من كرب الموت : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » : أى أدركوا النار قبل أن تشتعل ، أنقذوا العرب من فتن لاتبقى ولا تذر ! احذروا يهود الحجاز ، واحذروا أهل نجران خذوا عليهم طريق الفتنة وأخرجوهم قبل أن يخرجوكم ويسفكوا دماءكم أيتها العصابة القليلة المؤمنة ! ويقبض الله إليه نبيّه قبل أن يقول لهم فى هذا الأمر قولا لا يضلون بعده ، وتبقى هذه الكلمة بغير تفسير حتى يقول العلماء فى أمرها ما قالوا رجماً بالغيب .

ثم ماذا ؟ ثم لا تكاد تتم بيعة أبى بكر حتى تنفجر الردة فى أماكن بعينها من جزيرة العرب ، فتقول عائشة بنت أبى بكر الصديق أم المؤمنين قولا يروى لنا ، لم يلق إليه أحد بالا إلى يوم الناس هذا : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ! اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب وصار أصحاب محمد كأنهم معزى مطيرة ، فى حُش ، فى ليلة مطيرة ، بأرض مَسبعة . فوالله ، ما اختلفوا فى واحدة إلا طار أبى بحظّها وغنائها عن الإسلام ». ويحدثنا أيضاً عروة بن الزبير العوام : «وقد ارتدت العرب إما عامة ، وإما خاصة فى كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم فى الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقلتهم وكثرة عدوهم » .

وخليق بى وبك ، أن نقف قليلا عند هذا . نقف حيث وقف بنا أمر رسول الله أن : « أخرجوا اليهود من الحجاز ، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب » ، نقف حيث وقفت بنا آخر كلمات تكلم بها صلى الله عليه وسلم ، وحيث وقف بنا قوله وهو فى كرب الموت « لئن بقيت لا أدع جزيرة العرب دينين » ، وحيث وقف بنا قول أم المؤمنين عائشة : « اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب » ، وحيث وقف بنا حديث عروة : « ارتدت العرب ... ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى » . ثم نأخذ جميعاً نقرأ تاريخ حروب الردة فى كتب القدماء من المؤرخين ، وماذا قالوا فى أسبابها ، ونقرأ تاريخها أيضاً فى كتب المحدثين من المؤلفين والمؤرخين ، ونقرأ

أيضاً كتب المستشرقين الذين يجلّهم الدكتور طه ويرفعهم بذكرهم رفعاً شديداً فماذا نجد؟ نجد غموضاً شديداً كأننا نسير في ليلة مظلمة في بطن واد عميق، عن يمينه جبل شامخ وعن يساره جبل شامخ قد أطبقا عليه جميعاً. وإذا الردة في كتب القدماء أخبار مجموعة كما اتفق لهم أن يجمعوها، لم ينظر أحد في أسبابها، ولا في الحوافز التي أغرت العرب بها، ولا في أمر المرتدين وصفتهم وعلاقة بعضهم ببعض، ولا في وجه الشبه الذي يجمع بينهم قبل أن يرتدوا. وإذا الردة في كتب المحدثين أخبار أيضاً حاول أصحابها أن يرتبوها ما استطاعوا، فلما نظروا في أسبابها، وفي حوافزها، وفي صفة أهلها وفي علاقة بعضهم ببعض، وفي وجه الشبه الجامع بينهم قبل أن يرتدوا — إذا بهم يخلطون خلطاً شديداً كأنهم يبحثون عن ذرة في بحر من الوحل. وإذا المستشرقون يملأون كتبهم كعادتهم بالجهل الذي يضرب بعضه في وجوه بعض.

نعم، نقرأ تاريخ الردة في كل هذه الكتب جميعاً، فإذا هي خالية جميعاً من ذكر اليهود ومن ذكر المنافقين إلا كلمة شاردة ككلمة عائشة وكلمة عروة بن الزبير بن العوام تعرض في كتب القدماء، وإذا المحدثون من المستشرقين الخائضين فيما ليسوا له بأهل، لا يكادون يذكرون اليهود والمنافقين في حرب الردة، وإذا هذا عجب من أعجب أمرهم، فهم أشد ولعاً بالبحث عن الأسباب واستقصائها ونبشها، من أن تخفى عليهم هذه الحقيقة البينة التي بين أيديهم، حقيقة اليهود والمنافقين وما كان لهم من خطر في تاريخ الإسلام منذ هاجر رسول الله إلى أن قبضه الله إليه!! وإذا بك ترى المؤلفين من رجالنا قد ضلوا إلى حيث أضلهم أساتذتهم من المستشرقين، فغفلوا عن تعليل الردة كيف كانت؟ وكيف بدأت؟ ومن بدأها؟ وكيف تم أمرها؟ ولم يسأل واحد منهم نفسه. أليس من العجيب الذي لا يقضى منه عجب أن يقضي نبي الله عشر سنوات منذ هاجر إلى المدينة حتى قبضه الله إليه، فلا يمضي يوم واحد لا يلقى فيه أشد البلاء من كيد يهود، ومن كيد أشياعهم وصنائعهم من المنافقين، ثم يظل رسول الله هذه السنوات العشر وهو يقاتل اليهود ويقاتل مكايدهم في الأوس والخزرج، وفي القبائل، وفي الأعراب حول المدينة، ثم يظل رسول الله يتلقى الوحي من ربه هذه السنوات العشر، فإذا أول سورة تنزل عليه وهي البقرة، أكثرها في ذكر اليهود والمنافقين وبيان حالهم وصلة بعضهم ببعض وائتمارهم جميعاً بالمؤمنين الذين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله. وإذا آخر سورة تنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهي براءة كلها في صفة اليهود والمنافقين، وفي الكشف عن أقوالهم ودسائسهم وكذبهم وخداعهم حتى فضحتهم ونبأتهم بما تخفى صدورهم من الكيد والغيظ والنفاق، ثم يكون آخر ما يتكلم به صلى الله عليه وسلم وهو في كرب الموت: «لئن بقيت لا أدع في جزيرة العرب دينين»، وأمره لصحابته: «أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب»، ثم يقبض الله إليه رسوله ويبايع أبو بكر، وما هي إلا أيام قلائل حتى تشتعل نيران الردة في أما كن بعينها من جزيرة العرب شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً — أليس من العجيب الذي لا يقضى منه عجب أن لا نجد بعد هذا كله شيئاً في كتب القدماء أو المحدثين — أو المستشرقين إن شئت — ذكراً لليهود والمنافقين في أمر الردة؟ أهكذا ينتهي فجأة من تاريخ العرب ذكر اليهود والمنافقين بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أيجوز في المعقول أن تظل يهود وأشياعها من المنافقين تكيد للاسلام ولرسول الله وللمؤمنين والمؤمنات عشر سنوات كاملة متتابعة يوماً بعد يوم، فإذا لحق رسول الله بالرفيق الأعلى (في سنة ١١ من الهجرة) نزعوا أيديهم من كل كيد، وبرئوا من كل حدث كان بعد ذلك في تاريخ الإسلام — برئوا من الردة (في سنة ١١ من الهجرة)، وبرئوا من مقتل عمر (في سنة ٢٣)، وبرئوا من الفتك بعثمان بن عفان رضي الله عنه (في سنة ٣٥).

ولكن كيف غاب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى قوله: «أخرجوا اليهود من الحجاز، أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب»؟ وكيف غفل قدماء علمائنا عن معنى هذا الحديث وفيم قيل؟ وكيف ذهل المؤرخون القدماء عن أن يربطوا بين تاريخ الردة وبين تاريخ اليهود والمنافقين؟ وأخيراً كيف كانت الردة في الإسلام؟ وما آثارها التي تخلفت عنها؟

هذا حديث أحدثك به إن أنسأ الله في أجلي حتى ألقاك في مكاني من هذه الصفحات.

محمود محمد شاكر

هل ذلك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

– ٢ –

تفنيد رأى الباشا الجديد

٥ – بينت فيما تقدم أن ما استقر عليه رأى الباشا فى بحثه الأخير يقوم على عناصر ثلاثة .

(ا) تفسيره لقوله تعالى « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »

(ب) تفسيره لقوله تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولوحرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »

(حـ) محاولة التوفيق والتنسيق بين التفسيرين أو التأويلين.

كما أتيت فيما سبق أيضاً على خلاصة وافية لهذه العناصر . وهأنذا أوجز فيما يلى ما استدل به معاليه لكل منها مردفا كل دليل بردى عليه : –

٦ – أدلة العنصر الأول : استدل معاليه لرأيه فى تفسير الآية الأولى بالأدلة الآتية : –

الدليل الأول – أن تحديد عدد الزوجات من الأمور الأساسية فى التشريع للعرب ، فلا يستقيم مع بلاغة القرآن الإتيان بحكمه بصفة عرضية جواباً لعبارة شرطية واردة لغرض آخر هو الإقساط لليتامى ، (بدليل أنها مسبوقة بقوله تعالى : وآتوا اليتامى أموالهم – الآية ٢ من سورة النساء) فهى بعيدة بظاهرها كل البعد عن نكاح النساء وتقييد التعدد ولا مناسبة بينها وبينه .

وردى على هذا الدليل :

١ – أن السورة الواردة فيها هذه الآية تسمى « سورة النساء » وهى من أكثر سور الأحكام اشتمالا على أنواع مختلفة منها ، فمن أحكام خاصة باليتامى والسفهاء ومعاملتهم والاقساط لهم إلى أخرى خاصة بالنساء ونكاحهن والمحرمات منهن إلى ثالثة خاصة بالمواريث والمعاملات المالية إلى رابعة خاصة بالقتال والجهاد فى سبيل الله ، وفى التلاوة ليست الآيات الخاصة بكل نوع مجموعة فى موضع واحد من السورة بل نجد بعض آيات النوع الواحد متفرقة فى مواضع مختلفة منها ، فمثلا أحكام المواريث وردت عنها الآيات ذوات الأرقام ١١و١٢و١٨و١٧٥، وأحكام القتال والجهاد فى سبيل الله وردت عنها الآيات ذوات الأرقام من ٧١ إلى ٧٧ و٨٣ و٨٩ و ٩٠ ومن ٩٤ إلى ٩٦ . وكذلك أحكام النساء وردت آياتها متفرقة فى مواضع مختلفة من السورة ومثلها أحكام اليتامى ، وفى بعض المواضع تتعاقب آيات النوعين كما فى الآية ذات الرقم ٣ التى نحن بصددها إذ سبقتها الآية ذات الرقم ٢ عن اليتامى وهى قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أنه كان حوباً كبيراً) ولحقتها الآية ذات الرقم ٤ وهى قوله تعالى (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) ثم الآية ذات الرقم ٥ عن السفهاء والآية ذات الرقم . عن اليتامى؛ ومن الآيات ما تشتمل الواحدة منها على نوعين أو أكثر من الأحكام ، كالآية ٥ من سورة المائدة . وهذا النهج الدالة عليه جزئيات أخرى كثيرة فى مختلف الصور ، راجع إلى مراعاة ما بين بعض موضوعات الأحكام المتعاقبة آياتها من وجوه المشاكلة والمناسبة بالرغم من اختلاف هذه الموضوعات ، وإلى أن التنزيل كان منجما تبعاً لأسباب ومناسبات النزول . وإذن فليس فى مجرد سبق الآية ذات الرقم ٢ الخاصة باليتامى للآية ذات الرقم ٣ ما يدل على أن الأخيرة نزلت أيضاً فى شأن اليتامى قصداً وأن ما ورد فيها عن النساء جاء بصفة عرضية غير مقصودة .

٢ – والدليل على أن الكلام فى هذه الآية وارد فى شأن نكاح النساء قصداً لا عرضاً الآية ذات الرقم ١٢٧ المبدوءة بقوله تعالى (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) وهى التى تشير كما ذكر معالى الباشا إلى حكم الآية السابقة ذات الرقم ٣ مما يبين أن تلك الآية نزلت قصداً فى حكم النساء أيضاً ، ولذا اتبعت كما قدمنا بالآية ذات الرقم ٤ الواردة فى حكم آخر خاص بنكاح النساء ،وهو حكم صداقهن

٣ — أن فى تفسير هذه الآية أقوالا أربعة ذكرها ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية مؤيدة بالمأثور عن الصحابة والتابعين فى بيان سبب نزولها وتفسيرها على ضوئه . وأحد هذه الأقوال ما ذكره الباشا من أنها أمر لأولياء ، اليتيمات بنكاح سواهن إن خافوا ألا يقسطوا لهن فى أموالهن . لكن ابن جرير بعد ما ذكر هذه الأقوال الأربعة قال : « وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية قول من قال بتأويلها : وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك فخافوا فى النساء ، فلا تنكحوا منهن إلا مالا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة إلى الأربع إلى أن قال » وإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة بألا تقدروا على إنصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فإنكم أحرى ألا تجوروا عليهن لأنهن أموالكم وأملاككم ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر » اهـ.(١) فعلى هذا التفسير المختار تكون الآية كلها بما فيها من عبارة الشرط وعبارة الجواب واردة فى نكاح النساء عامة ، ويكون ذكر اليتامى فى عبارة الشرط لمجرد قياس وجوب العدل فى النساء على وجوب العدل فيهم ليكون ذلك أفعل فى النفوس ورعاية للمناسبة بين هذه الآية والآية السابقة الواردة فى اليتامى . وسواء أكان المقصود بالآية رعاية الإقساط الواجب للنساء كالإقساط الواجب لليتامى أو رعاية الإقساط لليتيمات أنفسهن ، فلفظها صريح فى تحديد نكاح النساء بعدد معين ، وحكم إباحة التعدد مأخوذ منها اتفاقاً لأن العبرة كما هو معلوم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ومما تقدم يتضح وجه الارتباط بين عبارتى الشرط والواجب فى الآية ويندفع الاعتراض على إفادتها حكم التعدد .

الدليل الثانى . أن كلمة (ما) فى قوله تعالى (ماطاب لكم) هى من أقوى ما يكون فى إفادة العموم ، والباشا يميل إلى القول بأنها نكرة بمعنى (أى شىء) أى أية امرأة أو مجموعة من النساء ولا يميل إلى القول بأنها موصولة بمعنى (من) وقد استعمل مشاكلة لها كلمة (طاب) ولم يستعمل كلمة (حل) لأن الطائب قد يكون حلالا وقد يكون حراماً ، فما يطعن على بلاغة القرآن وتساوق عباراته أن ينحدر من هذا العموم الكلى إلى التحديد والقصر على الأربع .

وأقول فى الرد على هذا الدليل أنه فضلا عن أنه لم يرد عن أحد من رجال اللغة — الذين يقول الباشا إنه اعتمد على مقرراتهم فى فهم الألفاظ التى تناولها بالتفسير — القول بأن (ما) هنا نكرة ، وبالرغم من أن لطاب معنيين : المعنى الذى أورده الباشا ، ومعنى آخر هو (حل) وهذا المعنى هو ما قال به أئمة اللغة فى تفسيرها هنا وما استقر عليه اصطلاح الأئمة والفقهاء فى استعمالها ، فكان أحدهم إذا استفتى فى حكم فعل من الأفعال قال : أراه طيباً أو أراه يطيب له (أى للفاعل) بمعنى أنه حلال أو يحل(١) — أقول فضلا عن ذلك فليس فيما فهم به الباشا هذين اللفظين ما يعكر على دلالة الآية على تحديد التعدد ، ذلك أن العموم المستفاد من (ما) إنما هو « عموم وصفى » أى مستغرق لجميع الأفراد المندرجة تحت وصفها (لأنها نكرة موصوفة فتكون مقيدة ، بوصفها كما هو معلوم) لا « عموم عددى » فالتحديد بعد ذلك فى العدد لا يتعارض والعموم لأنه تحديد لغير الجهة المقصود عمومها ، وإنما يمس عموم هذا اللفظ ما يخرج منه بعض أفراده أى ما يخرج بعض النساء الطيبات عن حل نكاحهن كما لو قال « فانكحوا ما طاب لكم من النساء على أن كن مسلمات (أو غير يتيمات) » فتخرج فى هذه الحالة الكتابيات واليتيمات مع اندراجهن تحت عموم النكرة الموصوفة . وإلا فليتفضل معالى الباشا فيدلنا على صيغة أخرى كان يمكن نزول القرآن بها للدلالة على حل نكاح ما يطيب للرجل من النساء فى حدود الأربع . على أنى أسارع فأنبه إلى أنه حتى على التسليم بأن فى القول بدلالة الآية على تحديد التعدد قصراً وتحديداً لعمومها المستفاد من لفظ (ما) فليس فى ذلك ما يصح اعتباره عدم تساوق يطعن على البلاغة إذ غاية ما فيه أنه تخصيص عام وذلك مألوف ومتعارف فى القرآن وفى غيره من بليغ كلام العرب حتى قالوا « إنه ما من عام إلا وخصص » وجعلوا من أنواع العام : العام المخصوص والعام الذى أريد به الخصوص .

الدليل الثالث : أن القول بدلالة الآية على حكم تحديد التعدد يؤول بنا إلى نتيجة منكرة : ذلك أن مثنى وثلاث ورباع معناها

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى ، ج ٤ ص ١٥٥ وما بعدها ، طبع مصر سنة ١٣٢٥

(١) ولم يرد عن أى واحد منهم وصف ما هو حرام بالطيب ، بل كانوا جميعاً يصفونه بالخبيث

المتفق عليه عند الجميع اثنان اثنان وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، فيكون المعنى أن يأتي الرجل لامرأتين فيتزوجهما في وقت واحد بعقد واحد ، أو لثلاث نساء أو لأربع فيتزوجهن في وقت واحد بعقد واحد كذلك . وهذا من أشد ما يكون إفساداً للفكر لمخالفته ما هو معلوم من ما جريات العادة عند العرب وغير العرب في الزواج . فليس إذن المعنى الحرفي هو المقصود وإنما هذه الألفاظ كناية عن الأخذ الجزاف المنافي لكل تحديد ؛ لأن عبارة « مثنى وثلاث ورباع » أتت بكل ما في العربية من ألفاظ الصفات العددية التوزيعية إذ لم يسمع في العربية بعدها إلا لفظ « عشار » فقط

ويرد على هذا الدليل من وجهين : (الوجه الأول) إقرار معاليه على ما رآه من أن المعنى الحقيقي لهذه الألفاظ لا يمكن أن يكون مراداً بها ، ومنع أن يكون الأخذ الجزاف المنافي لكل تحديد لازماً لهذا المعنى الذي ليس له في الواقع لازم عقلي ، وغاية ما فيه أنه يمكن الخروج من النص — إذا نحن أغفلنا معنى تحديد التعدد المتعارف منه — بأنه لم يرد فيه ما يوجب التحديد ، والفرق بين الناحيتين واضح إذ الأولى ناحية إيجابية كان يجوز لو وجدت أن تكون مقصودة للشارع ، أما الثانية فلا يمكن أن تكون مقصودة له لأنها أمر سلبي .

(الوجه الثاني) أنه حتى على التسليم بأن هذا المعنى لازم للعبارة فلا يمكن أن يكون مكنياً بها عنه إذ يشترط في الكناية — كما هو معلوم — جواز إرادة المعنى الأصلي . وقد سلم معنا الباشا بأن هذا المعنى لا يمكن أن يكون مراداً . على أنه ليس مما يناسب بلاغة القرآن ومقاصده — وهو بصدد تأليف العرب بعدم مصادمتهم في العادات المتأصلة فيهم كما يقول الباشا — أن يستعمل في ذلك عبارة تخالف — في ظاهرها على الأقل — ما جريات هذه العادات وقد كانت له مندوحة عن ذلك باستعمال الحقيقة ، بدلا من الكناية ، في هذا المقام .

الدليل الرابع — أن القرآن لو أراد بهذه الآية تحديد تعدد الزوجات بالأربع لعبر عن ذلك بعبارة بسيطة موجزة (يحل نكاح النساء إلى أربع) بل لنص على تحريم ما وراء الأربع في آية المحرمات

والرد على الشق الأول من هذا الدليل أن التعبير على هذا النحو لا يتناسب والمستوى الرفيع لأسلوب القرآن القائم على قواعد من الترغيب والترهيب ، والتبشير والتنفير ، والوعظ والزجر ، والوعد والوعيد ، مما هو وحده كفيل بتحقيق أغراضه السامية ؛ فقد أراد سبحانه أن يبين للعرب بهذه الآية الكريمة ما أطلقه لهم من سعة في أمر النكاح المشروع تغنيهم عن مقارفة الحرام فشرع لهم نكاح كل منهم ثنتين بدلا من واحدة إن أمن الجور ، فثلاثاً بدلا من ثنتين إن أمن ذلك ، فأربعاً بدلا من الثلاث إن أمن ذلك أيضاً ، فإن هم خافوا الجور في الأربع فليعدل الخائف عنهن إلى الثلاث أو الثنتين ، أو الواحدة ، أو ما ملكت يمينه . ولا يخفى ما في سوق التعبير على هذا النحو من بلاغة مقنعة للمخاطبين مما لا تفي به العبارة التي رآها الباشا « بسيطة موجزة »

والرد على الشق الثاني من الدليل أن آية المحرمات لم تستقص كل النساء المحرم نكاحهن ، فلم يرد فيها مثلا ذكر لزوجات الأب اللائي حرم نكاحهن بآية أخرى هي قوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » وذلك عناية منه عز شأنه بهذا التحريم يخصه استقلالا بآية توضح شناعة ما كان متعارفاً مألوفاً من ذلك النوع من النكاح ، كما لم يرد فيها ذكر المشركات المحرم نكاحهن بقوله تعالى في آية أخرى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وذلك قصد بيان أغراض خاصة بمدى هذا التحريم (حتى يؤمن) وعلة (أولئك يدعون إلى النار) مما لا يشترك فيه تحريم آية المحرمات ، فكذلك الحال فيما يتعلق بتحريم ما زاد على الأربع يخصه استقلالا بآية تفي بالأغراض السابق بيانها . على أن الأمر في هذه الآية ليس مقصوراً على تحريم ما زاد على الأربع حتى كان يمكن أن تشمل مدلولها آية المحرمات ، بل قصد أيضاً بيان حل التعدد إلى الأربع وترتيب التحريم لما جاوزهن على بيان حلهن وما فيه من سعة مجزئة تناسب تخصيص آية لذلك تنتظم هذه الأغراض التي لا يتناولها شأن الوارد ذكرهن بآية المحرمات واللائي قصد إلى تحريمهن لذواتهن ، لا لأمر عارض كزيادتهن على الأربع ...

(يتبع)

إبراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

رسائل حائرة :

الرسالة الرابعة ...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

لا تسأليني حين أرجع والأسى باد عليا
والدمع يلمح فوق أهدابى ، ويمشى ناظريا :
« مامر هذا الحزن ؟ مالك تذرف الدمع الأبيا »
نظراتك الســجواء تنسينى كآباتى مليا
بسماتك الغـراء تمــلأ عالمى زهرا نديا
لمساتك الزهراء تبعث فى دمى نغما شجيا

إنى ليحزننى سؤال الناس عن سرى الدفين
فبحق ما بينى وبينك من هوى لا تسألينى

لا تسألينى إذ نكون معا هنالك فى خميله
فتريننى مستغرقا فى الفكر آونة طويلة :
« مامر هذا الفكر ؟ ما تلك الخيالات الجميله ؟ »
إنى — وحبك — لست أدرك سره حتى أقوله
إنى على رغمى أفكر ، ليس لى فى الفكر حيله
أنا زورق فى لجة الأفكار لا يدرى سبيله

حيران يبحث دون ماجدوى عن الشط الأمين
فبحق ما بينى وبينك من هوى لا تسألينى

لا تسألينى : « هل تراك تقول هذا الشعر عنى ؟
أتراك ترفعه إلى ، وتستمد الوحى منى ؟ »
إنى من الغيد المــلاح الفاتنات أخذت فنى
من كل فارعة القوام ، وكل بارعة التثنى
إن حدثت ، فحديثها فى الروح لحن أى لحن
وإذا بدت ، فكأنهــا فجر الربيع بدا يغنى

يا منيتى أنا بلبل يشدو على كل الغصون
فبحق ما بينى وبينك من هوى لا تسألينى

لا تسألينى أن أراك ، وأنت فى حضن الضياء
إن الضياء يذيع أسراراً نحن إلى الخفاء
إنى لأهوى أن أراك ، وأنت فى ظل المساء
فالليل عند ذوى القلوب يزيد فى سحر النساء
والليل لحن ساحر الأنغام ، مسحور الأداء
والليــل قيثار تداعبه مــلائكة السماء

هذى مناى أذعتها بيضاء ســافرة الجبين
فإذا فهمت حديثهــا ، فمساك ألا تسألينى

لا تحرجينى بالسؤال ؛ فقد يحيرنى الجواب
ما كل شىء فى الضمير يبين معناه الخطاب
ومن الأمانى ما يبينه الحيـاء والاضطراب
وأرى المعانى كالنساء ، فبعضهن له نقاب
وأرى العيون لها حديث ليس يخطئه الصواب
تبدى السرائر مثلما يبدو من الكأس الشراب

فتعرفى بالروح روحى ، وافهمى لغة العيون
وبحق ما بينى وبينك من هوى لا تسألينى

إبراهيم محمد نجا

من الأدب البرازيلى

ترجمة الأستاذ شفيق معلوف

شراعان

طريقك غير طريقى وروحـ	ـك رائدها لم يعد رائدى
شراعان نحن فسيرى ولا	تعودى فمــا أنا بالعائد
يرانا القريب فيدرك بعد	شراعك عن زورقى الشارد
وأما البعيــد فيحسب أنا	شراعان فى زورق واحـــد

« جودس ازغور وغوتا »

(البقية على الصفحة التالية)

الأدب والفن في أسبوع

القومية العربية حتى تكوين الجامعة :

كانت المحاضرة الأخيرة للأستاذ ساطع الحصرى هى : « نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى تكون جامعة الدول العربية » ؛ وقد ألقاها يوم السبت فى الجمعية الجغرافية الملكية ، نختم بها بحثه القيم فى نشوء القوميات فى بعض البلاد الأوربية وفى تركيا وفى البلاد العربية ، وقد استعرض فى كل هـذه البلاد الحوادث والتيارات الفكرية الدالة على أن القومية نشأت وتكونت فى كل منها على أساس اللغة والتاريخ .

وقد أشار فى بدء هـذه المحاضرة إلى الاتفاق الذى تم قبيل الحرب العالمية الأولى بين العرب والأتراك ، والذى يقضى بجعل التعليم فى المدارس باللغة العربية بدل التركية وبإشراك العرب فى بعض المناصب والهيئات النيابية ، فقال إن هـذا الاتفاق قوبل بالارتياح من الجانبين ، ولـكن التيارات السياسية المختلفة ظلت آخذة فى مجراها ، ووجدت حوادث منها الانتقام من زعماء العرب واضطهادهم ، مما بث فكرة الثورة فى نفوس العرب ، حتى حانت الفرصة ، وقامت الثورة العربية فعلا ضد الدولة العثمانية ، وتقدم الجيش العربى إلى سوريا ، وكان يساعده الإنجليز والفرنسيون ، وتكونت دولة عربية فى قلب سوريا ، فقوى الشعور بالقومية العربية وبلغ الحماس لها أشده ، وغذاها الكتاب والشعراء .

ولما انتهت الحرب كان الانتداب الفرنسى من قسمة سوريا ولبنان ، فأخذت فرنسا تعمل على إضعاف القومية العربية بالطريقة التى تتبعها فى شمال إفريقية ، فكما كانت تقول لأهل تونس والجزائر ، إنهم ليسوا عرباً ، وإنما هم من سلائل الرومان ، وتمنع التعليم باللغة العربية وتقصره على الفرنسية فيما عدا القرآن ؛ كذلك كانت تصنع مع السوريين ، وخاصة المسيحيين منهم الذين كانت تقول لهم إنهم من سلالة الصليبيين ؛ وعلى الرغم من كل ذلك وغيره من الوسائل ظلت القومية العربية متمكنة من نفوس العرب فى سوريا ولبنان . أما فى العراق فلم تقاوم الفكرة العربية ، لأن الإنجليز كان أكبر اهتمامهم موجهاً إلى الاستراتيجية والشئون الاقتصادية ؛ واشتدت العروبة فى فلسطين لقوة الشعور بها أمام الصهيونية .

ثم قال الأستاذ : إن مصر كانت بعيدة عن الحركة العربية الأولى ، لأنها كانت فى شبه استقلال عن الدولة العثمانية ، وكانت اللغة الرسمية فيها العربية ، وكانت تنظر إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الخلافة الإسلامية ، فهى تتجه إليها بعواطفها ، بل كانت تتطلع إليهـا للخلاص من الإنجليز ؛ ومن الغريب أن الأتراك الذين ينظر إليهم المصريون هذه النظرة — كانوا يحسدون المصريين على ما هم فيه من الحرية المفقودة عندهم ، لأنهم كانوا يعانون الاستبداد وتقييد الحريات .

ولـكن مع مرور الزمن تنبه المصريون إلى الحقائق وأدركوا مرامى الفكرة العربية ، وشعروا بضرورة التقارب بين البلاد العربية ، وأخذ الأفراد والجماعات فى جميع البلاد العربية تسير نحو هذا التقارب بمختلف الرسائل ، حتى انتهى الأمر إلى شعور الحكومات بذلك ، فجعلت تتقارب ، حتى تكونت جامعة الدول العربية ، فأخذت الفكرة العربية بذلك صبغة رسمية .

ثم قال الأستاذ : إلى هنا ينتهى الجانب التاريخى ، أما مابعده فهو الجانب السياسى لأنه كلام فى الحاضر ، وأنا أريد أن أتجاوز هـذا الحاضر فأتنبأ بالمستقبل ، لأنى أرى الظواهر الاجتماعية

ضحك وبكاء

لئن بكى الطفل فى المساء تجد ... فى خـده فجر لؤلؤ ضحـكا
ويبسم الشيخ للضحى فترى ... غياب شمس فى مقلتيه بكى

« الفريدو ده اسيس »

الذكريات

كأنى بالذكريات ازدحمن ... على الصدر مختلجات الجناح
حمامات برج توارت وعادت ... إلى البرج مثخنة بالجراح

« الفريدو ده اسيس »

كالظواهر الطبيعية من حيث دلالة الأمور على ما تفضى إليه ، وقد صحت نبوءتى منذ نحو عشرين عاماً بأن مصر ستتحول إلى الفكرة العربية وتعتنقها — لذلك أستطيع أن أقول — بعد ما أذكركم بما لاحظناه فى المحاضرات السابقة من أن اللغة والتاريخ يدفعان إلى القومية حتما — بأن جامعة الدول العربية ما هى إلا بذرة وخطوة فى سبيل كالتى سارت فيها الإمارات الألمانية ...

تأبين الجميل باشا :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الأحد حفلة تأبين لعضوه المغفور له انطون الجميل باشا بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، فافتتح الحفل الدكتور فارس نمر باشا بكلمة قصيرة نائباً عن الرئيس الذى لم يحضر لانحراف ألم بصحته . ثم ألقى الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى كلمة ضافية تتبع فيها مراحل حياة الفقيد وعمله فى خدمة الأدب والصحافة ، وأفاض فى بيان مزاياه وصفاته الخلقية الكريمة .

ثم ألقى الأستاذ على الجارم بك قصيدة متينة التركيب عالية البنيان ، وأستطيع أن أصفها بغير ذلك من جزالة اللفظ ووفرة المعنى والاستعارة والخيال ، ولكنى آخذ عليه قوله :

نسى الشعر فى صراع الرزايا رنة الكأس والغزال الأغنا
شـغلته مآتم ونعوش عن هوى زينب وعن وعدلبنى

فإن مجرد ذكر الكأس المرنة والغزال الأغن وهوى زينب ووعد لبنى — لا يتفق والمقام

وبعد قصيدة الجارم بك ختم نائب الرئيس الحفل بشكر الحاضرين .

المحندأ والمبهوأ :

اتخذت إحدى المجلات من هاتين الكلمتين مقرونتين بالمجمع اللغوى ، عنواناً وموضوعاً للتفكهة ، لما يبدو بين الكلمتين العاميتين وبين مجمع اللغة العربية من المفارقة والغرابة ، وطاب للمجلة — على أسلوبها — أن تتندر بأن أعضاء المجمع يدعون إلى استعمال بعض الألفاظ العامية دون اعتبار لما ورد فى المعاجم من فصيح اللغة ، وأوردت بعض أقوالهم فى ذلك .

وحقيقة الأمر أن مؤتمر المجمع كان يناقش البحث الذى قدمه إليه الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فى « العامية والفصحى » والذى يرى فيه وجوب دراسة اللغة العامية لأنها لغة قائمة فى حياتنا دراسة تعين على تعزيز الفصحى ببعض الكلمات العامية المحرفة عن العربية ، وذلك بردها إلى أصلها ، لأن هذه الكلمات يجملها شيوعها محاطة بهالة تحدد معناها ، فيكون ذلك كسباً كبيراً للغة الفصحى .

وقال الأستاذ أحمد أمين بك فى مناقشة هذا الموضوع :

« تستعمل اللغة العامية كلمات لها معان محددة لا نستطيع التعبير عنها فى الفصحى تعبيراً دقيقاً ، فقد عرضت على المجمع من قبل كلمة « Echantillon » فترجمت بـ« نموذج » إلا أن هذه الترجمة ليست دقيقة فى أداء المعنى وأن كلمة « عينة » العامية تدل على هذا المعنى دلالة تامة . وقد رأى المجمع أن صياغتها عربية فوافق عليها . وإذا قال العامة « بيت محندأ » أى ضيق فى جمال ، و « بيت مبهوأ » أى واسع فى غير نظام فإن الدلالة العامية أدق من الدلالة العربية وهى ضيق وواسع ، فلو وجدنا أنفسنا فى حاجة إلى مثل هذه الكلمات وليس فى الفصحى ما يطابق معناها مطابقة دقيقة فلا مانع من إدخالها فى اللغة العربية بعد ردها إلى الصيغ العربية » .

وقال الدكتور طه حسين بك « فى العامية ألفاظ عربية فصيحة تغير النطق بها مثل « السيدة » و « الست » فالسيدة عربية والست عربية أيضا ولكننا حين نبحث فى القاموس لانجد لفظة « الست » مع أننا نعلم أن من بين نساء العرب من تسمى بـ « ست الكل » و « ست الملك » .

وقال منصور فهمى باشا : « لقد عثرت على كلمتى « جوانى » و « برانى » الدارجتين فى اللغة العامية وأصبحت أستعملها فى الفلسفة » .

والمتأمل فى هذا الموضوع يجد له ناحيتين : الأولى البحث

عن الكلمات العامية المنحرفة عن الفصحى وردها إلى أصلها. وهذا عمل صالح من غير شك ، فنحن ورثة اللغة العربية وسلائل العرب ، وأكثر ما يجرى على ألسنتنا له أصول وجذور فى لغة أجدادنا ، ولست أرى جريه على الألسنة ابتذالا له ، بل هو يكسبه ظلالا وأطيافا نستطيع أن نجمعها إلى الفصاحة برد الكلمة إلى الفصحى . والناحية الثانية أخذ كلمات من العامية لمعان لا نجد لها فى العربية ألفاظا تفى بدقة التعبير وفاء تلك الكلمات العامية . ويمكن رد هذه الناحية إلى الأولى وإقفال هذا الباب المؤدى إلى خطر العجمة . وهنا تظهر فائدة الدراسة التى قال بها فريد بك ، فإننا نستطيع بها تعرف الأصل العربى لكثير من الألفاظ العامية فنقضى بها حاجات التسمية والتعبير ، ونرجع إلى أمها الفصحى كما يرجع الغائب إلى أهله .

ونأخذ مثلا هذه الألفاظ التى مثل بها حضرات أعضاء المجمع فكلمة « عينة » التى رأى المجمع صياغتها عربية فوافق عليها كان يمكن إقرار كلمة «عينية» بدلها ، فهذه مصدر مصنوع من كلمة « عين » بمعنى نفس الشىء ، وهى نص فى المعنى المطلوب ، ولا حاجة مع هذا إلى التخريج الذى لجأ إليه المجمع فى كلمة «عينة» وما أرى « الحندأ » إلا مأخوذاً من « حندوقة العين » وهذا الأخذ مبنى على تشبيه الشىء «المحندأ» بالحندوقة فى الجمال والصغر والاستدارة . وما أرى « المبهوأ » إلا من « البهو » بما يدل عليه من السعة وبعثرة الأثاث فى جوانبه . أما « الست » فهى كلمة مولدة بالتحريف عن « السيدة » وقد وردت كثيراً فى كلام المتأخرين ، وأما « جوانى » و « برانى » فقد أوردهما الصرفيون فى المنسوب على غير قياس .

هذا وقد قرر مؤتمر المجمع إحالة ذلك البحث إلى لجنتى « اللهجات » و « الألفاظ والأساليب » ، ومما يذكر أن اللجنة الثانية أنشئت أخيراً فى المجمع ، أما لجنة اللهجات فهى موجودة منذ إنشائه ، ولم تنجز شيئاً إلى الآن ، وأرى أنها تستطيع أن تثبت وجودها وفائدتها بتنظيم دراسة الموضوع الذى نحن بصدده للوصول إلى نتائج عملية فيه ، كما أرى أن هذا أجدر بجهودها من الدراسات اللغوية التاريخية التى هى أليق بالمعاهد والجامعات .

حق المؤلف :

وافق مجلس الجامعة العربية على مشروع القانون الذى وضعته اللجنة القانونية لحماية حق المؤلف ، وأوصى مجلس الجامعة حكومات الدول العربية باتخاذه فى كل منها .

وقد بين المشروع الذين يتمتعون بحماية هذا القانون ، وهم مؤلفو المصنفات المبتكرة فى الآداب والفنون والعلوم أيا كانت قيمة هذه المصنفات وبصرف النظر عن استعمالها أو الغرض من تصنيفها . وتشمل هذه الحماية المصنفات التى يكون مظهر التعبير عنها الكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة . ويعتبر مؤلفاً الشخص الذى ينسب إليه المصنف عند نشره . ويتمتع بالحماية من ترجم مصنفاً إلى لغة أخرى ، ومن قام بتحويل مصنف من ضرب من ضروب الأدب والفنون إلى ضرب آخر ، أو من قام بتلخيصه أو تحريره بما فى ذلك كل صور إظهار المصنفات الموجودة بشكل جديد ، ولا تخل هذه الحماية بحقوق مؤلفى المصنفات الأصلية وللمؤلف وحده الحق فى تقرير نشر مصنفه ، وفى تعيين طريقة هذا النشر ، وله أيضاً الحق فى استغلال مصنفه ماليا بأية طريقة يختارها ، وله كذلك الحق فى أن يجيز نقله إلى الجمهور بأية وسيلة كانت ، ولا يجوز لغيره أن يباشر شيئاً من ذلك إلا بإذن كتابى منه . ولا يجوز نقل الروايات المتسلسلة أو القصص الصغيرة وغيرها من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية ، التى ينشرها مؤلفوها فى الصحف أو النشرات الدورية إلا بإذن منهم .

وتضمن القانون عدا ذلك مواد أخرى وتفصيلات لحالات مختلفة فى التأليف الموسيقى والسينمائى وغير ذلك ، كما بين حقوق ورثة المؤلفين .

وقد بين أيضاً جزاء المخالف لأحكامه ، وهو الحبس لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر وبغرامة لا تزيد على مائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين ، عدا ما تقضى به الحال من التعويضات .

العباس



أكذوبة فظيعة :

سامحك الله يا أستاذ طنطاوى على اتخاذك من الأكاذيب موضوعاً للكلام الفلسفى فى « حكمة القدر » .

سامحك الله مرة أخرى على تصديقك « الأكذوبة الفظيعة » أكذوبة سقوط ابنتى من شرفة الطابق الخامس وقد بلغت سالمة ولم « تمجنها السقطة مجناً » .

الا تعلم يا صاحبي أنى قاص ألفق الحكايات فأنفخ فى الممكنات من روحى فأصيرها خلقاً سوياً من جسد وروح ؟ أليس من حق القاص أن يتذرع بالأكاذيب علهيا بدرك « حكمة القدر » ؟

قد تعرف يا صديقى أنى كنت أتفرد فى حبك الأكاذيب سواء فيما كتبت ونشرت فى النقد الأدبى ، وفى كتابة القصة ولم أشرك فى تلفيق أحداً ، أما فى هذه المرة ، فإنى أعترف لك بأنى لم أكن — ويا للأسف — الملفق وحدى لأكذوبة سقوط ابنتى « الحلوة » حقاً من شاهق ، بل اشترك فى توشيتها وتنميقها وتنسيقها وعرضها حتى وصلت إليك على النحو الصحيح الذى أذعته ثم نشرته فى « الرسالة » بل اشترك معى فيها .

١ — جيران بيتى وفيه من الطوابق خمسة ومن « الشقق » ثلاثون شقة فمن هؤلاء الجيران من رأى الحادث رأى العين ، ومنهم من سمع به .

٢ — رجال الأسعاف وقد نقلوا ابنتى إلى مستشفى قصر العينى

٣ — أطباء قصر العينى وقد آووها عندهم مدة يومين كاملين

٤ — رجال بوليس قسم الأزبكية وقد أجروا تحقيقاً لمعرفة أسباب السقوط بمحضر رقم (٣٢٥) .

٥ — رجال النيابة وقد حفظوا القضية بنمرة (٩٨٣٠) .

٦ — وأخيراً أطباء مستشفى عانوس وقد عالجوا ابنتى وقد أصيبت بارتجاج فى المخ وقد زال بحمد الله بعد عشرة أيام .

هؤلاء كلهم اشتركوا معى فى تلفيق هذه الأكذوبة التى لا تنطبق حقاً على ناموس الجاذبية ، ولا على القانون الطبيعى ، ولا على أساطير العجائب والمعجزات ، بل ربما تنطبق على « حكمة القدر » .

حبيب الزحلاوى

النساء ملائكة :

عندما صخب أمراء فرنسا ورجال الاقطاع فيها فى دار ندوتهم على الوزير العظيم الكردينال « ريشيليو » وانهالوا يسلقونه بألسنة حداد ، استمع الوزير لصخبهم وضجيجهم فى هدوء المطمئن ، الواثق من نبل غرضه ، وشريف قصده ، وعندما استهل كلامه رداً على ما جاء على ألسنتهم من هجر القول وفحشه قال :

« أكثروا من الشتائم واتخذوا منها أكة فلن تدركوا مقدار إشفاقى عليكم » ثم استمر يتحدث فى صلب الموضوع وصميمه دون الدخول فى مهاترة أو إسفاف . ووالله لا أجد ما أستهل به ردى على الأستاذ الكريم أحمد الشرباصى المدرس بمعهد القاهرة الثانوى ، خيراً مما استهل به الكردينال حديثه . ثم أدلف إلى الصديق أعاتبه ، وإلى العالم أحاسبه ، فى هدوء المؤمن بمبدئه والعامل على تنفيذه وما أقصد غير وجه الحق وحده .

لقد شغلك يا صديقى ألوان الصور وجمال المناظر ، عن التعمق فى درس ما بين سطور كتاب « النساء ملائكة » من أغراض نبيلة ، ومبادىء جليلة وآراء . هى كلها دعامات للأخلاق الحميدة . فكم فيه من دفاع عن الفضيلة وكؤوس مترعة بالخمر البريئة ، يستقيها الظمآن فتتشرب نفسه ما فيها من حلال زلال .

وبقدر ما راعتك الصور التى أخرجتك عما أعرفه فيك من هدوء ، وأعهده فيك من إنصاف ، بقدرما أهملت أيها الأخ الصديق تصفح الكتاب ومحاولة نقده نقداً عادلا أرتضى حكمك بعده ، فتصفح الكتاب ، وأنا راض بعد ذلك بحكمك ، ومتقبل نقدك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

محمود يوسف

الأمين بدار الكتب المصرية

الغوغاء :

فى العدد (٧٦٠) من الرسالة الغراء ، تساءل الأستاذ أبو ماضى عن رأى الأدباء فى ورود كلمة « الغوغاء » مؤنثة فى الفقرة (٦٦١) من نقل الأديب ، مع أن المفهوم أن لفظ « الغوغاء » مذكر ، وأن همزته ليست للتأنيث الخ .

غير أن هذا الذى يعتبره الأستاذ أبو ماضى مفهوماً لا خلاف فيه ليس هو كل شىء فى الموضوع

فقد جاء فى اللسان : الغوغاء ، الجراد إذا احمر وانسلخ من الألوان كلها ، وبدت أجنحته ... الجراد أول ما يكون سروة ، فإذا تحرك فدبا قبل أن تنبت أجنحته ، ثم يكون غوغاء وبه سمى الغوغاء ، والغاغة من الناس . وهم الكثير المختلطون .. يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف ... فمن صرفه وذكره جعله بمنزلة قمقام والهمزة بدل من واو ، ومن لم يصرفه جعله بمنزلة عوراء . قال أبو العباس : إذا سميت رجلا بغوغاء فهو على وجهين : إن نويت به ميزان حمراء لم تصرفه ، وإن نويت به ميزان قمقاع صرفته .

وجاء فى تاج العروس : الغوغاء الجراد ، يذكر ويؤنث ، ويصرف ولا يصرف ، هو أولا سروة ، فإذا تحرك فدبا ، فإذا نبتت أجنحته فغوغاء . كذا فى التهذيب .

وقال الأصمعى : والغوغاء الكثير المختلط من الناس ، سموا بغوغاء الجراد على التشبيه .

وفى نوادر قطرب : مذكر الغوغاء أغوغ ، وهذا نادر غير معروف . ومما تقدم نرى أن كلمة الغوغاء تذكر وتؤنث وتصرف ولا تصرف وأن همزتها مختلف فيها بين أن تكون منقلبة عن الواو وبين أن تكون للتأنيث .

وبالغ قطرب فاعتبر الكلمة مؤنثة بلا نزاع ، واخترع لها مذكراً ! هذا هو حكم اللغة ورأى علماء اللغة ، فلا حرج على ابن السبكى إذا أنث « الغوغاء » فى طبقات الشافعية ، ولا تثريب على فقيد العربية النشاشيبى إذا نقل ذلك بلا تعقيب .

برهان الدين الداغستانى

« لن » لا تقتضى تأكيداً ولا تأبيداً :

قرأت بإعجاب ما كتبه الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى معقباً على كلام صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا

غير أنه قد استرعى انتباهى فى كلام معاليه هذه العبارة « ولن كما يقرر النحاة هى أشد أدوات النفى للمستقبل إذ تنفيه نفياً باتاً فالقرآن يسجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة أى أن العلة المتوهمة للتصريح بالتمديد لن تتحقق أبداً »

والذى أعلمه أن لن كما ذهبت إليه جمهرة النحاة لا تقتضى تأبيداً للنفى ولا تأكيداً ، ولم يقل بذلك إلا الزمخشرى فى كتابيه « الأنموذج والكشاف » مستدلا على مذهب المعتزلة فى نفس رؤية الله تعالى حينما تعرض لتفسير الآية الكريمة من سورة الأعراف « قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » حتى لقد صار كلامه فى لن مضرباً للأمثال فقال الأدباء « لن الزمخشرية » وإننى مع احترامى لألمعية الزمخشرى — أضع يدى فى يد النحاة وأذكر للرد على كلامه أدلة منها

١ — أنه لم يقم دليل على كونها للتأبيد

٢ — وأنها لو كانت كذلك للزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى « فلن أكلم اليوم إنسياً »

٣ — وللزم التكرار بذكر الأبد فى قوله تعالى « قل لن تخرجوا معى أبداً »

وأما التأبيد فى قوله تعالى « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » فن أمر خارجى لا من مقتضيات لن ، والله الموفق للصواب .

هارون محمد أمين



أسطورة الحب الخالد

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ ماجد فرحان سعيد

كان لأحد الملوك ثلاث بنات . وكان جمال الكبريين رائعاً ساحراً . أما الصغيرة فلقد تفردت بجمال عبقري يعجز البيان عن إيفائه حقه من الوصف الصادق البليغ . وتضوعت فتنة سحرها وجمالها حتى صار الناس يتوافدون عليها من كل صوب وحدب ليتمتعوا بمشاهدتها ، ويؤدوا لها فروض الاحترام الذى لا يليق إلا بفينوس — إلهة الحب والجمال .

وغضبت فينوس على هذا التمرد الذى بدا لها من الناس ، فهزت رأسها بسخط قائلة : « أمن المعقول أن تقوى هذه المخلوقة البشرية على إهدار كرامتى واغتصابها ؟ اولكننى سأجعلها تتندم وتتمنى لو لم يكن لهـا ذاك الجمال الخارق ! » . ثم دعت ابنها كيوبيد — وهو كما نعلم إله الحب — واستثارته بشكواها قائلة : « كل ما أريده منك يا ولدى العزيز أن تعاقب بسيشى ، تلك الحسناء المتمردة ؛ أريد أن تنتقم لى منها انتقاماً يطفىء غلتى ؛ دعها مثلا تعلق بحب شخص حقير ، يذيقها من صنوف الإهانات أمرها وأقساها ! » . فتأهب كيوبيد لتنفيذ أوامرها ؛ وذهب إلى حديقتها الجميلة ، حيث يوجد نبعان ، أحدهما عذب ، والآخر ملح أجاج . وملأ من كل منهما إناء ، وأسرع به إلى مخدع بسيشى ، حيث وجدها نائمة ؛ وذرف على شفتيها بضع قطرات من الماء الملح ؛ ولكن منظرها الفاتن كان قد أثار فى قلبه آنذاك كوامن الحب والإشفاق . ثم وخز جانبها بطرف سهمه فاستفاقت مذعورة ، وفتحت عينيها لتشاهده ، إلا أنها لم تتمكن من رؤيته لأنه كان متخفياً . فاضطرب لحركاتها حتى جرح نفسه بطرف سهمه . ولكنه لم يعبأ بجرحه ، وكل ما كان يبتغيه أن يخفف من الضر الذى ألحقه بها ؛ ولذلك عاد فذرف على جرحها بضع قطرات من البلسم الصافى .

ولم تجن بسيشى نفعاً من سحرها وجمالها بعد أن حل عليها غضب فينوس ، لأن أحداً لم يتقدم إليها طالباً الزواج ، مع أن أختيها ، وهما لا تضاهيانها سحراً وجمالا تزوجتا منذ وقت طويل . وجلست الحسناء وحيدة فى مخدعها ، وسئمت هذه الوحدة حتى وهذا الجمال ، هذا الجمال الذى نالت به أكبر المدح والإطراء ولكنه عجز عن إيقاظ الحب فى القلوب .

وخشى أبواها أن يكونا قد أثارا سخط الآلهة ، ولذلك استشارا الكهان فى أمرها ؛ فعلما إذ ذاك بأنه كتب لها أن لا يكون زوجها من البشر ، وإنما هو وحش مروع ينتظرها على قمة جبل قريب . فملأت هذه الكلمات قلبيهما رعباً وحزناً ؛ ولكن بسيشى قالت لهما : — « ولم تنتحبان على الآن ؟ لقد كان أجدر بكما لو حزنتما عندما كان الناس ينثرون على باقات الثناء الذى لا أستحقه ، حتى بلغ بهم إجلالى أن دعونى فينوس ! إننى أقدر الآن بأننى ضحية ذلك اللقب ؛ هيا إذا أوصلانى إلى الجبل الذى سألاقى عليه حظى العازب ! » .

وتمت جميع الترتيبات ؛ وأخذت الحسناء مكانها فى الموكب المتوجه إلى الجبل ، ما بين نحيب الناس وعويلهم . وهنـاك تركوها وحيدة ، وعادوا إلى بيوتهم .

وقفت الحسناء على حافة الجبل بقلب لاهث من شدة الخوف ، وعينين محمرتين من كثرة الدموع . وإذا بالريح الغربية اللطيفة تأتى وتحملها إلى واد مزهر . وهناك ألقت بنفسها على الضفة الخضراء واستسلمت للنوم . ولما استفاقت نظرت حولها ، وإذا بها ترى حديقة غناء ضفرت على حفافى ممراتها أكاليل من الخضرة الزاهية ؛ فدخلتها ، ودهشت إذ رأت فى وسطها نبعاً تفيض منه مياه بلورية صافية ، وبالقرب من النبع قصراً بهياً ، أعمدته ذهبية لامعة ، وجدرانه مرصعة بالرسوم والنقوش البديعة التى ترتاح لها العين ، وتنعم القلب بالبهجة والسرور .

وعندما توغلت فى الحديقة ، رأت غرفاً وقاعات فخمة ، تغص بالكنوز الثمينة وبثمرات الفن الرفيع والطبيعة الخلابة .

وإنها لكذلك، إذ بها تسمع صوتاً يخاطبها قائلا: «أيتها الفتاة الفاضلة! إن كل ما ترينه ملك لك! وإنما الأصوات التي تسمعينها أصوات جواريك اللواتي ينتظرن تنفيذ ما تأمرين به. فإذا ما أردت الاستراحة فهناك على فراشك الوثير؛ أما العشاء، فإنه ينتظرك في الخميلة المجاورة».

وفعلت الحسناء كما أشير عليها؛ فبعد أن استراحت جلست في الخميلة، حيث وجدت مائدة ممدة، عليها من المأكولات ألذها، ومن الخمور أجودها. كما وإنها شنفت أذنيها لسماع الألحان العذبة التي كانت تعزفها فرقة موسيقية خفية.

ولكنها حتى ذلك الوقت لم تكن قد رأت زوجها الموعود، لأنه كان يأتيها في ساعات الظلام، ويغادرها قبل انبثاق الفجر. ولطالما تضرعت إليه أن يمكث عندها لتتمكن من مشاهدته؛ ولكنه لم يكن ليوافق أبداً، بل كثيراً ما كان يقول لها: — «ولم ترغبين في مشاهدتي؟ هل تشكين في حبي لك؟ إنني أخشى إن رأيتني إما أن تخافي مني، أو أن يستحيل حبك لي عبادة حارة؛ وكل ما أرجوه أن تقابليني بمثل حبي!».

وكأن هذا الجدال قد هدأها مدة من الزمن، لا سيما وقد استمرأت تلك السعادة التي رتعت فيها. ولكنها عندما كانت تخلو بنفسها، كانت تحن إلى أبويها وأختيها. وفي إحدى الليالي طلبت من زوجها أن يسمح لأختيها بزيارتها. فمنحها ذلك الطلب عن طيبة خاطر.

وأمرت الحسناء الريح الغربية بإحضارهما. فأقبلتا في الحال، وعانقاها وتبادلن القبل مرارا. ثم دعتهما لدخول مخدعها والقصر الذهبي، وأرتهما هناك كنوزها العديدة. فلما شاهدتا ما هي عليه من النعمة ورخاء البال، بدأ الحسد ينخر في صدريهما. ولما استدرجتاها إلى الاعتراف بأنها حتى ذلك الحين لم تكن قد رأت زوجها، بدأتا تغويانها على خيانته، وتوغران صدرها بشتى أنواع الشكوك؛ وفي ذات مرة قالتا لها: — «أنسيت ما تنبأ به الكهان من أن زوجك ليس إنساناً؟! إنه وحش مريع يغذيك الآن بكل لذيذ ليأكلك في النهاية لقمة سائغة! فاعمل يا أختاه بنصيحتنا؛ جهزي نفسك في الحال بمصباح وسكين حادة؛ وعند ما يكون زوجك غارقا في نومه، أشعلي المصباح، واقتربي منه، وقفي بنفسك على حقيقة حاله. فإذا تأكدت من صحة ما نقول، فلا تتواني دقيقة في قطع رأسه لتتخلصي منه!»

وقاومت بسيشي هذا الإغراء في بادىء الأمر؛ غير أنها استسلمت له في النهاية. وما إن أضاءت المصباح واقتربت من زوجها، حتى شاهدت بدلا من الوحش المخيف الذي حذرت منه، إلاها جميلا ساحراً، تتدلى على رقبته العاجية ووجنتيه الوردتين، ضفائر ذهبية من الشعر، وينتصب على كتفيه جناحان نديان أبيضان، عليهما ريش لامع كنوار الربيع. وعندما أدنت المصباح من وجهه، سقطت على كتفه قطرة من الزيت الساخن فاستفاق إذ ذاك مذعوراً، وحدق فيها برهة، ثم أطلق جناحيه للريح؛ وطار من النافذة دون أن يفوه بكلمة واحدة. وعبثاً حاولت بسيشي أن تلحق به؛ فلقد سقطت من النافذة على الأرض. وعندما رآها كيوبيد تتمرغ بالتراب، توقف عن طيرانه ورجع إليها ثم قال: — «أ كذا تقابلين حبي أيتها البلهاء؟ أهكذا، بعد أن عصيت أوامر والدتي واتخذتك زوجة لي، تذعنين لإغواء أختيك وتحاولين قتلي؟ ولكن ارجعي إليهما وافعلي ما تشائين! واذكري أنني لن ألحق بك أي قصاص سوى أن أهجرك إلى الأبد؛ إذ كيف يمكن للحب أن يأوي ما بين الشكوك؟!» وما كاد ينهي كلامه حتى طار بعيداً وتركها مستلقية على الأرض تملأ المكان بعويلها ونحيبها.

واستعادت الحسناء بعض رشدها ونظرت حولها، وإذا بالقصر والجنان قد تلاشت واختفت؛ ووجدت نفسها على مقربة من مسكن أختيها. فقصدته، وقصت عليهما ماحدث. فتظاهرتا بالحزن والإشفاق، ولكنهما قد ابتهجتا داخليا، وظنتا بأنه من الممكن أن يختار كيوبيد إحداهما بدلا منها. غير أنهما لم تجهرا بتلك الخطة، بل صعدتا في الصباح التالي إلى الجبل، ونادتا على الريح الغربية لكي تحملهما إلى كيوبيد. فلما قفزتا في الهواء، سقطتا في الهاوية وقضى على حياتيهما.

أما بسيشي، فقد أخذت تهيم على وجهها ليل نهار، باحثة عن زوجها. فوقعت عيناها على رأس جبل شامخ، يطل من فوق حاجبه هيكل بهي، فتنهدت وقالت في نفسها: — «أليس ممكنا أن يكون حبيبي هناك؟!». وأسرعت صوب قمته. وما كادت تدخله حتى رأت فيه أكواماً كبيرة من الحنطة والشعير، نثرت حولها المناجل وآلات الحصاد. وأرادت أن تسترضي فينوس، ولذا عمدت إلى فصل هذه الأشياء بعضها عن بعض. فلما رأتها سيريس — إلهة الحصاد — منهمكة في العمل، خاطبتها قائلة: «مسكينة أيتها الفتاة! ولكن

لا تكلفني ، فسأرشدك إلى طريقة تهدئين بها غضب فينوس . إذهبي إليها ، وأظهري لها كل خضوع واحترام ، تنالي عفوها ، وتسترجعي زوجك المفقود» فوافقت بسيشي على هذا ، وتوجهت إلى هيكل فينوس . فلما رأتها الإلهة ، لمعت عيناها ببارق من الغضب ، وقالت : — « أتذكرين الآن فقط بأنني سيدتك ، أم جئت ههنا لتزوري زوجك المريض؟ سأختبرك الآن لأرى ما إذا كنت صالحة لأن تكوني زوجة له ! » ، وأمرت أن تتبعها إلى مخازن الهيكل حيث توجد كميات كبيرة من القمح والشعير والفول والذرة ، وقالت لها : — « أريني اجتهادك الآن في فصل هذه الحبوب ، بعضها عن بعض ، على أن تنتهي من ذلك قبل حلول المساء ! » . فلما أجالت بسيشي النظر فيما حولها ، وقفت بدهشة ويأس وذهول أمام تلك الكومة الكبيرة التي تحتاج إلى عمل مضن طويل . وأثار كيوبيد الشفقة في نفوس جيش من النمل ؛ وإذ ذاك توجه به نحو الكومة حيث فصل كل نوع على جانب ؛ ثم اختفى كيوبيد ومن معه في أقل من طرفة عين .

وعند حلول الغسق ، جاءت فينوس تميس بقدها اللطيف ، وتتيه بتاجها المحلي بالزهور . ولما رأت العمل قد تم ، لم تصدق أن بسيشي هي التي أنجزته . ولذا عزمت على اختبارها مرة ثانية . فدعتها في الصباح التالي وقالت لها : « أترين تلك الحديقة الممتدة على حفافي النهر ؟ هناك ستجدين قطيعاً من الخراف ، عليها أصواف ذهبية لامعة . اذهبي في الحال وأحضري إلى عينات مختلفة منها »

وذهبت بسيشي إلى ضفة النهر عازمة على تنفيذ ما أمرت به ولكن إله النهر أوحى إلى الأقصاب النابتة على ضفتيه بنغمات موزونة انسابت تخاطبها قائلة : — لا تحاولي أيتها الحسناء أن تقتربي الآن من النهر لئلا يغمرك فيضانه العظيم ! ولا تقتربي أيضاً من الكباش لئلا تقتلك بقرونها الطويلة ! ولكن انتظري إلى ما بعد الظهر ، فيستريح القطيع تحت ظلال الأشجار وتستطيعي آنذاك أن تجوزي بأمان ، فتجدي قطع الصوف الذهبي عالقة على الأشواك وعلى جذوع الأشجار ؛ وما عليك آنئذ إلا أن تجمعيها وتعودي بها إلى سيدتك ! » فعملت بسيشي كما أشير عليها ، ورجعت ويداها مملوءتان صوفاً لامعاً براقاً . وللمرة الثانية لم تحظ بسيشي برضى سيدتها التي أرادت أن تختبرها في ما ستؤول إليه تجربتها الثالثة والأخيرة ؛ فقالت لها : — « خذي هذا الصندوق واذهبي به إلى پروزرباين — مليكة عالم الأموات — وقولي لها : إن سيدتي فينوس ترجوك بأن تضعي لها في هذا الصندوق شيئاً من جمالك ، كيما تستعيد بواسطته ما فقدته من حسنها ورونقها في أثناء اعتنائها بابنها المريض …

ولكن حذار من أن تتأخري عن الرجوع به قبل حلول المساء ! » . فظنت بسيشي أن هذا واسطة للقضاء عليها ، إذ كيف تستطيع الوصول إلى الظلال الجهنمية مشياً على الأقدام ؟ ولذا صعدت إلى برج عال لتقذف بنفسها عنه ، فتهبط إلى الظلال الخانقة في أقصر وقت . ولكن صوتاً من البرج صاح بها قائلا : « ولم تعمدين أيتها الحسناء إلى الانتحار بهذه الطريقة الزريعة ؟ » ثم دلها الصوت على طريقة تستطيع بها أن تجوز إلى العوالم الجهنمية بأمان ؛ ولكنه حذرها من فتح الصندوق . فعملت بموجب إشارته ووصلت بسلام إلى قصر الإلهة پروزرباين حيث ملئ لها الصندوق بأثمن نوع من الجمال ، ثم أغلق وأعيد إليها ؛ فرجعت به قانعة مسرورة ؛ ولكن ألحت عليها في الطريق رغبة حافزة في فتحه ، لتأخذ شيئاً من الجمال الإلهي ، فتطلى به وجنتيها ، وتظهر أمام حبيبها بمظهر فاتن أنيق . وفتحته ؛ وبلغت بها الدهشة أقصاها عندما لم تجد فيه شيئاً من الجمال قط ، وإنما انبعث منه نوم جهنمي استولى عليها وأسقطها في الحال على قارعة الطريق .

أما كيوبيد فقد برح به الشوق للقاء حبيبته ؛ فذهب إليها ، وجمع النوم عن جسمها ، وأعاده إلى الصندوق ، وأيقظها بوخزة خفيفة من طرف سهمه ، ثم قال : « أهكذا يعود بك حب الاستطلاع فيغويك مرة ثانية ويكاد يودي بك إلى الهلاك ؟ ! ولكن ما عليك من بأس ؛ أتمي الآن فقط ما فرضته عليك والدتي ، وستنسى الماضي ثم طار كالبرق وحلق في أجواء الفضاء ، وطلب من المشتري — إله السماء العظيم وملك الآلهة جميعاً — أن يتوسط لدى أمه لتوافق على زواجه من بسيشي وتباركه . ففعل المشتري كذلك وعند ما نال موافقتها ، أمر بإحضار بسيشي إلى القصر السماوي حيث قدم لها شراب الآلهة ثم قال : « تشربين منه فتصبحين خالدة وسيدوم زواجكما إلى الأبد !

وهكذا استطاعت بسيشي بعد أن طهرتها المصائب والتجارب من أدران الخطيئة أن تتحد مع كيوبيد ، وأن تنعم معه بسعادة الحب الخالد .

ماهر فرهاد سعيد

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الوكاندات

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب إتفاق مع شركة لوكاندات الوجه القبلى واللوكاندات الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية إبتداء من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ لغايه ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٨ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى اللوكاندات المبينة بعد .

إسم اللوكاندة	الدرجة	الأجرة الشاملة عن ٥ أيام و ٤ ليالى من القاهرة مليم جنيه
لوكاندة ونتربالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٤٠ و ١٧
لوكاندة كاتاركت بأسوان	« «	٢٦٥ و ١٩
لوكاندة الأقصر بالأقصر	درجة أولى	٤٠٥ و ٩
لوكاندة جراند أوتيل بأسوان	« «	١٣٠ و ١٠
لوكاندة سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة	٥٢٥ و ٨
لوكاندة العائلات بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٥ و ٦
لوكاندة المحطة بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٥ و ٦

ويمكن الاستعلام عن كافة البيانات والشروط الخاصة بهذا الموضوع من :
محطات . مصر والأسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركات السياحة المعتمدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٦ - الاثنين ٨ مارس ١٩٤٨ - السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٢٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 766

Lundi — 8 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ٨ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتي اليومية :

قصة فتـــاة

— ٣ —

الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٤٥ :

كلمتني ضحى اليوم بالتليفون تذكرني بموعدها عصر الغد بجروبي ؛ وتعتذر من هذا التذكير بأنها تخشى أن تكون استجابتي لمواعيدها في القاهرة كاجابتي عن رسائلها من العزبة . ولو لم يكن في مكتبي وهي تتكلم بعض المتزمتين لقلت لها إن الأمر بين الحالين جدُّ مختلف ؛ فإن إجابتي عن رسائلها قد أصبحت من فضول القول بعد أن صارحتني بأنها تطلب الحب ولا تطلب المعرفة ، وتريد الغزل ولا تريد النصيحة ؛ ولكن استجابتي لموعدها أدب من آداب النفس المهذبة ، يزيد في الحرص عليه شوق إلى رؤية وجه يتجلى في اليقظة بعد أن تمثل لي طويلا في الحُلم ، ثم أملي أن ينجح في كبحها اللسان بعد أن فشل في كبحها القلم .

ولقد استخفني علم الله صوتها الوسيق في السماعة فهممت أن أطلب منها تقديم الموعد يوماً ولكنني لم أفعل؛ لأني أكبر نفسي أن تخضع في أية حال لهواها ، ولأني أوثر أن أقرأ ما بقي من رسائلها قبل أن ألقاها .

حملتُهـا على قطع الحديث بأجوبتي البطيئة المقتضبة ، لأن الجالسين إليّ كانوا قد كفوا عن حديثهم وجملوا بالهم لحديثي ، وما أدري أ كان ذلك منهم اتباعاً لأدب السلوك أم استطلاعاً لحديث امرأة ! وضعت السماعة وعدت إلى زوّاري الأكرمين أناقلهم أحاديث الأدب وأراجيف السياسة ، حتى انفض المجلس وخلا المكتب فنشرت بين يديَّ ما عثرت عليه ليلة الأمس من بقايا رسائلها الحمر ، وأخذت أصفحها ورقة ورقة فألقى المكرر أو السخيف ، وأبقى المفيد أو الطريف . ثم رجعت النظر فيما استبقيت فلم أجد غير رسالتين اثنتين تستحقان التلخيص والتسجيل ، وتستأهلان التعليل والتحليل ، فأثبتهما ملخصتين في صفحة هذا اليوم من مذكراتي ، لتكونا تكملة لصورتها وتغذية لتصوراتي .

قالت الآنسة في رسالتها ما ترجمته : « مالك تبتعد عني متراً كلما دنوت منك فتراً ؟ لقد أوصدتَ بابك دوني ثم تركتني أطرقه وأطرقه حتى أصم أذنيَّ الطرق وأنت لا تجيب ! هل تجد في ردك على رسائلي إحراجاً لك أو إزراء بك أو تبعة عليك ؟ إن كنت لا تحبني — كما أعتقد — فهلا تظاهرت لي بالحب إشفاقاً على هذا القلب الذي يحترق ولا يجد برده إلا فيك ، ويذوب ولا يرى مساكه إلا بك ! كان يقنعني منك أن تحييني بالكلام حتى لا تظل موجة حبي حائرة في الفضاء لا تجد جهاز استقبال ولا أذن مستمع ! لقد تركتني بسكوتك عني أشبه بالمصوِّت في المغارة لا يسمع غير الصدى ، أو المنقطع في المفازة لا يجد غير السكون ! أريد أن أعرف هذا المجهول وأستدني ذلك البعيد ! يخيل إليَّ أحياناً أنه يناديني في زفيف الريح ،

أو يقبلني فى انعطاف الغصن ، أو يعانقني فى لين الفراش ، فأرهف أذنى ، أو أعرض خدى ، أو أنصب صدرى ، فلا أحس وا لهفتاه إلا الرهبة والعزلة والفراغ ! دعنى أبحث عنه فى كل مكان ، وأتصوره فى كل إنسان ، ما دمت لا ترسله إلىّ بالبريد !

دخلت الاصطبل ذات صباح فرأيت الحلاّبة تحلب إحدى الجواميس ، فطاب لى أن أرى هذا المنظر ، وقام بى أن أجرب هذا العمل ، فأخذت الوعاء من فوق ركبة الحلابة ، وجلست القرفصاء تحت بطن الجاموسة ، وقبضت بيمناى على حلمة من حلمات الضرع وجذبتها إلىّ فشخب اللبن حاراً فى يدى . ولذّ لى لسبب لا أدريه أن أمعن فى غمز الحلمة وعصر الضرع وحلب اللبن ، شخباً فى الإناء وشخباً فى الأرض ، وقد دب فى بدنى رعشة خفيفة ، وسرى فى دمى نشوة لطيفة ، وجرى فى نفسى إلى الرجل المشتَهَى نزعة قوية ! ولا أدرى ما الذى ربط فى ذهنى بين حلب اللبن وشهوة الحب ، ولا بين رؤية الجاموسة وذكرى الحبيب . ولكن ذلك كان وإن جهلت كيف كان . ولا يزال الشوق إلى هذه اللذة يعاودنى فأذهب إلى الاصطبل فى الصباح والمساء ، حتى غدوت أبرع من يحلب فى العزبة من الرجال والنساء !

ما ذا تصنع الفتاة الوحدَة يا (حبيبى) لتهدىء قلبها الثائر ، وترضى هواها الطموح ، وتملأ فراغها الموحش ؟ أخى لا يترك الدوار ولا يتكلم إلا فى الزرع والضرع ، وزوجه لا تفارق الدار ولا تتكلم إلا فى الطهى والغسل ، وأنت لا تدع الصمت ولا تتكلم إن تكلمت إلا فى الفضيلة والفضل ! أما الكلام الذى يمتزج بالنفس ويأتلف مع الشعور فلا أسمعه إلا فى هتاف حمامة لإلفها ، أو حمحمة فرس لسائسها ، أو غمغمة بقرة لولدها ، أو تحية ابن البستانى لى وهو ذاهب إلى الحديقة أو عائد منها . وابن البستانى فتى ريان الشباب ، وثيق التركيب ، على وجهه وسامة ، وفى عينيه ملاحة ، وعلى شفتيه جاذبية . يجىء أباه فى أكثر الأيام ليعاونه فى أعمال الحديقة ؛ فكنت كلما رأيته تمنيت أن أديم النظر إليه وأطيل الحديث معه ؛ ولكن الفروق الاجتماعية التى بينى وبينه كانت تكسر من طرفه وتعقل من لسانه فلا ينظر إلا خلسة ولا يتكلم إلا جمجمة . دعوته ذات مرة ليقطف لى رمانة لم تصل إليها يدى ولا بجنانى ؛ فلما قطفها وقدمها إلىّ وقف ينتظر أمراً آخر ؛ فقلت له بعد أن جست بعينى نوافذ الدار وبماشى الحديقة : تعال

معى نقطف باقة من الزهر ، ونجنى سلة من الثمر . فمشى الفتى بجانبي على استحياء وحذر ، فأردت أن أزيل احتشامه فسألته فى لهجة تسيل أنوثة وعذوبة : أمتزوج أنت أم خاطب ؟ فقال والخجل يضرج محياه : خطبوا لى يا سيدتى ابنة الخولى ، وستزف إلىّ فى موسم القصب . فقلت له ضاحكة : إذن سيكون شهر العسل عظيما ! فنظر الصعيدى إلىّ مبهوتاً كأنه لم يدرك النكتة ولم يفهم الجملة ! فقلت له : وماذا تقول لفتاتك إذا خلوت بها ؟ فأجاب الفتى فى حرج ودهشة : وكيف أخلو بها قبل الزفاف يا سيدتى ؟ إنى أراها فى الحقل أو أقابلها فى الطريق أو ألمحها فى البيت ، فتغض هى من طرفها ، وأشيح أنا بوجهى ، لكيلا تتلاقى النظرتان فنأمن مقالة السوء ونضمن دوام الخطبة . فقلت له وأنا أعبر بصوتى المطوط عن الرثاء والشفقة : مساكين ! إن الخطبة عند المتمدنين تدريب وتجريب ومتعة . تدريب على الزوجية بالفعل ، وتجريب للشخصية بالخبرة ، ومتعة للنفس بالرقص والرياضة والرحلة . إذا كانت خطيبتك بخراء فكيف تعرفها بغير القبل ؟ وإذا كانت مُصنَّة فكيف تكشفها بغير العناق ؟ وإذا كانت مذياعة فكيف تمتحنها بغير الائتمان على (سر) ؟ سأمثل معك دور الخطيبة الحبيبة رحمةً بك وحناناً عليك ، وسأعلمك ما ينبغى أن تعمل ، وألقنك ما يجب أن تقول . وفى ظل شجرة غيناء من شجر التفاح أخرجت منديلى الرقيق فمسحت به ملاغم الفتى ؛ ثم جذبت بيدىّ جانبى رأسه ، ودسست شفتىّ فى زاوية فمه ؛ ثم وثّقت القبلة وعمقتها وطوّلتها وعرّضتها ، وكان الشاب قد صدمته المفاجأة فتصلب أولا ثم استرخى ، وأردت أن أنزع فمى من فمه فاستمصى ؛ ورفعت بصرى إلى أعلى الشجرة فرأيت أفعى (حواء) بجانب التفاحة تريد أن تسقطها إلىّ ، ففررت مذعورة إلى المنزل . وفى اليوم التالى عدت إلى التعليم وعاد إلى التعلم . وكان الفتى فى هذا اليوم على غير عادته نظيف الوجه جديد الثياب جرىء القلب ، فأطلنا الدرس وشفينا النفس وشققنا الحديث . وتعاقبت الأيام على هذه الحال الراضية ، فسكت فى رأسى صوت كان لا يفتر عن الصراخ ، وسكن فى نفسى وسواس كان لا ينى عن الحركة . وكدت أشغل بالفتى عنك ، وباللهو المتحقق عن الحب المتخيَّل ، لولا أن أخى وقف من زوجته على الحقيقة ، فضربنى علقة دامية وحرمنى النزول إلى الحديقة ...

(للقصة بقية)

احمد حسن الزيات

الحمـادون الثلاثة

للدكتور جـواد على

هم حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد الزبرقان . هم ثلاثة كانت أسماؤهم واحدة ، وعاشوا فى عصر واحد ، وكانوا من أصل واحد ، وعلى رأى واحد ، ووجهة نظر واحدة ، بالنسبة إلى العالم والحياة .

وكانوا من الموالى ، وكانوا متهمين فى دينهم وفى أخلاقهم ، وكانوا يروون الشعر ويتعاطونه ، وكانوا جميعاً أصحاب عبث ودعابة ومجانة ، وكانوا على رأس طبقة « الزنادقة » التى ظهرت فى العصر الأموى وصدر الدولة العباسية ، والتى ضمت عدداً من الأعاجم كانوا فى الأصل من عبدة النار ومن الثنوية القائلين بعنصرين : عنصر النور والظلام ، وعنصر النار والتراب ، وبتفوق النار على الطين ، أمثال عبد الله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبى العوجاء ، وبشــار بن برد ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثى ، وصالح بن عبد القدوس الأزدى ، وعلى بن خليل الشيبانى وغير هؤلاء ممن أسلمت ألسنتهم وكفرت قلوبهم .(١)

ظهرت هذه الطبقة فى مدن العراق الرئيسية خاصة ، حيث كان الاختلاط فيها بين العرب والعجم على أشد ما يكون ، وحيث كانت حرية القول على أوسع مايتصوره إنسان ، وكان معظم رجالها من الأدباء الموالى المتعصبين لقوميتهم ، ولذلك اقترنت هذه الحركة حركة الزندقة بالنزعة الشعوبية المعروفة التى تتحامل على العرب وعلى كل ما هو عربى وإسلامى بنفس الوقت .

وكان كل من ذكرنا من طبقة الأدباء الظرفاء ، المتمكنين من ناصية اللغة والأدب ، ومن المتساهلين فى الآداب العامة والتقاليد ، وكانوا كما وصفهم الجاحظ « يجتمعون على الشرب وقول الشعر وهجاء بعضهم بعضاً وكل منهم متهم فى دينه »(٢) وكانوا يقضون أكثر لياليهم فى سمر صاخب فى بيوت المجان ومحبى العبث ، ينفقون ما حصلوا عليه من أثمان المديح أو رشوة « بخلاء » الأغنياء استرضاء لهؤلاء السفهاء الذين قد يتجاسرون

(١) أمالى السيد الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسينى المتوفى سنة ٤٣٦ فى التفسير والحديث والأدب . الطبعة الأولى بمطبعة السعادة سنة ١٩٠٧ بالقاهرة ج ١ ص ٨٩

(٢) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٠

عليهم فيهجونهم بآخر ما عرفه فن الهجاء وآخر ما وصل إليه قاموس الشتائم عند هؤلاء الشطار من سباب .

وطبيعى أن تكون مجالس هؤلاء متحررة من كل قيود ، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الرزانة والاحتشام ، مبدعة أحياناً ومسفة غاية الإسفاف أحياناً أخرى . وقد حفظ لنا بعض الشهود والرواة شيئاً مما كان يدور فى أمثال هذه المجالس الخاصة التى كان يقصدها رهط هؤلاء وجلهم ممن جبل على هـذه الجبلة ، الدعابة والمرح والتحلل ، والاستهتار بكل شىء وبالكذب على الماضى والحاضر إن احتاج الأمر إلى ذلك ، فكانوا يضمون ويقولون ويتنادمون ويتقارضون الشعر ساعات طويلة من ليل أو نهار

وعلى الرغم مما عرف عن هذه الطبقة من العبث والابتعاد عن حياة الجد ، كانوا فى جلهم أصحاب علم بلغة العرب واطلاع على مذاهب الشعر فى الجاهلية والإسلام ، ووقوف على أسرار اللسان . مثل حماد الراوية الذى « كان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها »(١) والذى قال عنه بعض الرواة « إنه قد أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل مايشا كل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم »(٢) ومثل حماد عجرد وكان نفسه من الشعراء المجيدين ، وقد أزعج بشار بن برد الشاعر بأهاجيه الفاحشة وبالمعانى الغريبة المبتكرة التى كان يأتى بها فى هجاء ذلك الشاعر السليط الذى كان يخشى الناس لسانه ويرجون من الابتعاد عنه السلامة . ومثل ابن المقفع وغيرهم ممن ذكرنا .

وحماد الراوية هو أبو القاسم حماد بن ميسرة أو ابن أبى ليلى سابور بن عبيد الديلمى الكوفى مولى بنى بكر بن وائل أو مكنف ابن زيد الخيـل الطائى (٣) وكان زعيم أهل الكوفة فى الرواية وحفظ الأشعار كما كان خلف الأحمر وهو من هذه الطبقة ومن هذا الطراز زعيم أهل البصرة فى الرواية وحفظ الشعر أيضاً .

وكان من المقدمين لدى بنى أمية ولا سيما عند « الوليد بن يزيد » الذى عرف بالميل إلى الشعر والشعراء وبالإغداق عليهم وعلى الأخص على أمثال هؤلاء الشعراء . ويظهر أنه لم يكن من المرغوب فيهم عند بنى العباس .

(١) ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٥

(٢) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٢

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٥

ويظهر أن الرجل كان ذكياً جداً غير أنه لم يكن يحسن الاستفادة من ذلك الذكاء . وأنه لم يتمكن من استغلال مواهبه والقابليات التى كانت عنده . وأنه كان يبالغ فى الدعاية لنفسه . فكان يشيد دائماً بمقدار ما كان يحفظ ، حتى غلبت عليه الرواية وعُرف بين الناس بحماد الراوية . وقد اضطرته المواقف على الانتحال والوضع لكى يتفوق على خصومه ويثبت تغلبه على منافسيه وقد كانوا ما شاء الله . فافتضح أمره وانكشف كما انكشف أمر رواة آخرين . ولوكان صاحبنا قد سلك سبيل العقل وتمسك بأذيال الرزانة وشاطر الشعراء النظم وأظهر مواهبه من هـذه الناحية وهى مواهب شعرية كان يعترف بها الناس ويمكن التعرف عليها من تلك القصائد التقليدية التى كان يضعها على ألسنة الشعراء ويصبها بقوالب لا تظهر عليها آثار التزييف إلا بصعوبة ، لو كان قد فعل ذلك لكان اسمه اليوم بين تلك الأسماء المخلدة فى صفحات شعر الدولتين بدون شك . وكانت ملوك بنى أمية يقدمونه ويؤثرونه ويستزيرونه فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ، وقال له الوليد بن يزيد الأموى يوماً وقد حضر مجلسه بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ فقال بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروى لأكثر ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدنى أحد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم من المحدث ، فقال له فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ، ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال سأمتحنك فى هذا . ثم أمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم . »(١)

ولا أعتقد أن إنساناً يمكن أن يمر بهذه القصة من الكرام بدون تعليق عليها ولا تنادر ، والرواية نفسها إن صحت أنها حقيقة من حماد تبين لنا مبلغ ادعاء الرجل وإسرافه فى الادعاء ، وإسراف أهل الكوفة معه ، وقد كان أهل الكوفة وحماد يشمرون بافتضاح أمرهم فكانوا يقولون : كان النعمان ملك الحيرة أمر فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج وهى الكراريس ثم دفنها فى قصره الأبيض فلما كان المختار بن عبيد الثقفى أمر بإخراجها فأخرجت . فمن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من غيرهم (١) أما صاحب هذه الرواية فحماد نفسه ولك أن تقول فيها ما تريد .

والظاهر أن ما ذكره ابن سلام فى كتابه «طبقات الشعراء» من أنه كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بنى مروان أو ما صار منه(٢) ، يرجع إلى روايات أهل الكوفة . وقد رووا ذلك على ما يخيل إلى لبيان سبب تفوقهم على أهل البصرة وسبب كثرة الروايات عندهم ولم يحدثنا أحد لا من أهل الكوفة ولا من أهل البصرة أنه رأى ذلك الديوان أو أخذ منه ، ولو كان ذلك حقاً لما ترك الناس الأخذ منه ولو بأى ثمن كان .

ومن أمثلة تلاعب حماد بالرواية ما يروى من أن الخليفة المهدى سأل المفضل الضبى عن سبب افتتاح زهير قصيدته :

دع ذا وعد القول فى هرم　　خير البُداة وسيد الحضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل إنى توهمته كان مفكراً فى شىء من شأنه فتركه وقال دع ذا أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم . فامسك عنه ودعا حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده :

لمن الديار بقنة الحجر　　أقوين من حجج ومن دهر
قفر بمندفع النحائت من　　ضفوى أولات الضال والسدر

فاستحلفه المهدى فأقر أنه هو الذى أدخلها فى شعر زهير . فأمر المهدى أن من أراد شعراً محدثاً فليأخذه من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل(٣) . وهكذا أعلنت الحكومة رسمياً كذب رواية حماد .

وهاك مثلاً آخر على كذب حماد : قدم حماد البصرة على بلال ابن أبى بردة فقال ما أطرفتنى شيئاً . فعاد إليه فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة مديح أبى موسى ، فقال ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب فى الناس ، فذهبت فى الناس وهى فى ديوان الحطيئة ، والرواة أنفسهم يختلفون فمنهم من يزعم أن الحطيئة قالها حقاً (٤)

وهنالك أمثلة أخرى كثيرة تريك مبلغ استهتار الرواة بالرواية ومبلغ استهتارهم بالناس . ولم يكن حماد أول من سن هذه السنة

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦

(١) الخصائص لابن جنى ج ١ ص ٩٧
(٢) ابن سلام طبقات الشعراء ص ١٠
(٣) الأمالى للمرتضى ص ٩١ شرح ١
(٤) ابن سلام طبقات الشعراء ص ١٥ ، الدكتور طه حسين فى الأدب الجاهلى ص ١٨٣

بل كان هنالك عدد عديد كل واحد منهم « حماد » فى الوضع بل كان فى هـذا الوقت وقبله وضعوا أقوالا على لسان الرسول والصحابة ثم شاعت بين الناس .

وقد اتهم صاحبنا بالكذب وباللحن وبكسر الكلام .
وصاحب روايتنا هذه هو يونس بن حبيب وهو أحد المراجع التى يعتمد عليها ابن قتيبة صاحب «طبقات الشعراء» وعلماء آخرون . وإليك ما قاله عن حماد : « العجب لمن يأخذ عن حماد وكان يكذب ويلحن ويكسر »(١) وهنالك شهادة أخرى هى شهادة ابن سلام وآخرون إذ قال عنه « وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثوق به : كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار » .

أما الكذب فأمر ثابت عليه ولا أعتقد أن حماداً نفسه كان ينكر ذلك علينا لو كان حياً ، ولا هو من الأشخاص الذين كانوا يرون فى الكذب حرجاً ، ولعله كان يجد ذلك نوعاً من أنواع التسلية وضرباً من ضروب العبث والدعابة . وأما اللحن وكسر الكلام فيجوز صدورهما منه مع علمه بالعربية وتمكنه منها لأنه من أب غير عربى ومن أصل فارسى قريب .

وكان حماد — على ما يدعيه حماد نفسه — من المقربين إلى الخليفة الأموى يزيد الثانى ومن المنقطعين له ، ولم يكن هذا شأنه مع هشام بن عبد الملك فلقد كان هشام يجفوه فلما توفى يزيد وولى الخلافة هشام من بعده خاف « حماد » على نفسه واستتر عاماً عن الناس لا يخرج إلا إلى من يثق به ، ثم خرج بعد ذلك . فلما كان فى جامع « الرصافة » يوم الجمعة طلب الأمير « يوسف بن عمر الثقفى » وكان والياً على العراق فصار إليه فلما رآه ألقى إليه كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبدالله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفى ، أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق (٢) وسار حماد على جمل مهرى حتى وصل باب هشام واستأذن فأذن له فدخل عليه فى دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلم حماد عليه فرد عليه السلام واستدناه حتى دنا منه فقبل رجله وإذا جاريتان فى أذنى كل جارية حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان ،

(١) ابن سلام ص ١٥ (٢) ابن سلام ص ١٤

فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟ فقال حماد بخير يا أمير المؤمنين . فقال أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قال حماد لا ، قال بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله . قال حماد وما هو قال :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق

قال حماد هو لعدى بن زيد العبادى فى قصيدة منها :

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق
لست أدرى إذ أكثروا العذل فيها أعدوٌّ يلومنى أم صديق

إلى أن بلغ إلى قوله :

ودّعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافها الراووق
مزة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب لا صر آجن ولا مطروق

فطرب هشام ثم قال أحسنت حماد(٢) ثم قال اسقيه ياجارية فسقته حتى غل ، ثم قال ياحماد سل حاجتك . فقال كائنة ما كانت ؟ قال نعم. قال إحدى الجاريتين . قال هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . وأنزله فى داره ، ثم نقله من الغد إلى منزل أعده له فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل مايحتاج إليه ، وأقام عنده مدة ووصله بمائة ألف درهم(٣)

وصاحب هذا الحديث هو حماد نفسه ، وحماد من الأشخاص المتهمين كما قلنا ، ونحن فى وضع لا نستطيع فيه تصديق هذه الرواية التى تحمل طابع الدعاية والإعلان ، وهل خلت الأرض من رواة غير حماد ومن أناس لهم إلمام بالشعر ؟ وهل أمن الخليفة من كذب حماد عليه ومن نظم قصيدة فى الحال على الوزن والقافية وهو صاحب أكبر معمل من معامل صنع الشعر ؟ وهل يعقل صدور ذلك من الخليفة هشام بن عبد الملك مع ما عرف عنه من الجد والإمساك والانصراف إلى السياسة والعمل وعدم شرب المسكرات(٤) ولكنها قصة من القصص التى كان يروجها هذا الراوية «حماد» ...

« للكلام صلة » الدكتور جواد على

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦ ذكرها الحريرى فى كتابه درة الغواص .
(٢) المسعودى التنبيه ج ٢ ص ١٨٤ ، ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧
(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦
(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٦

لمن أكتب ؟

للأستاذ محمود محمد شاكر

بيني وبينها أيام معتقة كأنها خمر في دِنان الزمن، فإذا ما قدّر الله لنا أن نجتمع يوماً ، طارت بلبي نشوة ترمي بي إلى عالم ساكن ناضر ناعم النسمات ، فأفارق بها عالماً صاخباً محترقاً لافح الرياح عاصف الأعاصير . واجتماعنا هو إحدى الأماني التي يقول في مثلها الشاعر :

أماني من سعدى رِواءٌ ، كأنما سقتك بها سعدى على ظمأٍ بردا

وإذا اجتمعنا وتنهدت بيننا الأحاديث ، فربما فاجأتني بالسؤال لا أتوقعه ، فيردني سؤالها إلى نفسي رداً عنيفاً لا أملك معه إلا أن أديم طرفي إلى هذا الوجه الذي يخفي وراءه نفساً ثائرة ، ولكنها ساكنة على ثورتها سكون الجبال الراسيات . ولست أدري أتلك إحدى لطائف الحيل التي تحب أن توقظني بها من غفوة الأحلام، أم تلك يقظة دائمة في نفس لا تطيق إلا أن تكون متيقظة حين يدعوها الهوى إلى إغفاءة تريحها من ثورة نفسها واضطرابها ؟ وأي ذلك كان ، فهي قد أخذتني أخذاً شديداً حين استوت في جلستها وقالت : حدثني ، لمن تكتب هذا الذي تكتبه ؟ إنهم جميعاً نيام يغطون ، فلو قذفتهم بالشهب أو الصواعق لناموا على وقعها أو إحرانها .

فلما أفقت على سؤالها ، جعلت أردده في نفسي وأنا أملأ عيني من صفاء هذه الينابيع التي تترقرق في وجهها وفي عينيها . وأخيراً قلت لها : لن أجيبك إلا حيث تقرأين كلامي ، ودعينا لما بنا ، فإن لقاءنا ساعة فرت إلينا من هذا الفراق السرمدي .

***

لمن أكتب ؟ لم أحاول قط أن أعرف لمن أكتب ؟ ولم أكتب ؟ ولكني أحس الآن من سر قلبي أني إنما كنت أكتب ، ولا أزال أكتب ، لإنسان من الناس لا أدري من هو ، ولا أين هو : أهو حي فيسمعني ، أم جنين لم يولد بعد سوف يقدّر له أن يقرأني ؟ ولست على يقين من شيء إلا أن الذي أدعو إليه سوف يتحقق يوماً على يد من يحسن توجيه هذه الأمم العربية والإسلامية إلى الغاية التي خلقت لها ، وهي إنشاء حضارة جديدة في هذا العالم ، تطمس هذه الحضارة التي فارت بالأحقاد والأضغان والمظالم ، ولم يتورع أهلها عن الجور والبغي في كل شيء ، حتى في أنبل الأشياء — وهو العلم .

لم يخامر قلبي يأس قط من هذه الفترة التي نعيش فيها من زمننا ، ولم يداخلني الشك في حقيقة هذه الشعوب ، وإن كانت لا تزال تعيش في بلبلة جياشة بأخلاط من الغرور والخداع والعبث ، وفي أكفان من الفقر والجهل والمخافة ، وفي كهوف من الظلم والاستبداد وقلة الرحمة . كل ذلك شيء أراه وأعرفه ، ولكني أستشف تحت ذلك كله نقاء وطهراً وقوة تدب في أوصال هذا العالم الذي أوجه إليه كلامي ، وهو خليق أن يتجمع للوثبة في الساعة التي كتب له فيها أن يهب مرة واحدة تذهل الناس كما أذهلتهم من قبل ، وهو خليق أن يكون سر الحياة الجديدة التي تضرب عروقها إلى عصور بعيدة في تاريخ البشر . ولعل هذه المحن التي أحاطت به من خارج ، والتي استبطنته من داخل ، هي حوافز البعث الجديد ، وهي نار التمحيص التي تنفي خبثه كما ينفي الكير خبثَ الحديد .

أنا أعلم أن رجال السياسة عندنا لا يزالون أوزاعاً من خلق الله لا ندري كيف نشأوا ، وعلى أي شيء قامت شهرتهم ، ولا إلى أين تمضي أهدافهم ، وهم فوق ذلك كله قد لوّثوا ضمائرهم وعقولهم وأخلاقهم وعزائمهم بأشياء لا يمكن أن تؤدي إلى خير ، وهم قد أشربوا فتنة بأخلاق الساسة الطغاة الذين ابتلي بهم الغرب وامتحنت بهم الحضارة الغربية . ولست أشك ساعة في أنهم فئة لا خير فيها البتة ، مهما دل ظاهر تدليسهم أو تدليس الصحافة بأسمائهم على أنهم يفعلون خيراً أو أنهم سوف ينتهون إلى خير . ولست أرتاب البتة في أن الخير كل الخير هو في زوالهم جملة واحدة من مكانهم ، لكي يتبين لهذه الشعوب العربية والإسلامية أن تهتدي إلى الحق في حياتها وفي جهادها وفي أهدافها .

وأنا أعلم أن رجال العلم من أي أقسامه كانوا ، لا يزالون يتعبّدون أنفسهم لكثير مما لا نفع فيه لأممهم ، بل لعلهم لا يزالون يترفعون عن هذه الشعوب الفقيرة الجاهلة ، والتي هي شعوبهم ، ظناً منهم أنها شعوب لا تستطيع أن تبلغ ما بلغ أن

الناس فى العلم ، فضلا عن أن يدركوا سوابق العلماء فى هذه الفترة من زماننا ، فضلا عن يسبقوا أمم الحضارة الحاضرة فى ميدان هذه العلوم . وهم فى خلال ذلك — إلا من عصم الله — يبسطون ألسنتهم بسطاً شديداً فى أعراض هذه الشعوب ، فيقرفونها بكل مسبة ، ثم يصرفون وجوههم إلى أوربة وأمريكا وغيرهما كأنما هم منها ومن صميمها ، لا من هذه الشعوب البائسة التى ظنوا أن الموت كتاب محتوم عليها .

وأنا أعلم أن أكثر أهل السلطان فى هذا الشرق ، لا يزالون يعيشون فى عزلة لا يبالون قليلا ولا كثيراً بما فيه خير بلادهم ، وأنهم يحتقرون جماهير الشعوب احتقاراً يتسرب فى خاصّ كلامهم كما يتسرب فى أكثر أفعالهم . وهم فئة قليلة فتنتها النعمة والترف واللذاذات ، حتى ما تبالى أن تصب على أممها ضروباً من المظالم كان ينبغى أن تترفع عن ارتكابها ، لا رحمة بالناس ، بل مخافة من الناس ، فالشعوب إذا هاجها ما يهيجها لم تبق على شىء وإن كان فى بقائه خيرها .

وأنا أعلم أن أهل الدين — إلا من رحم ربك — قد رَمَوْا بدينهم ظِهريا ، وإن لبسوا لباسه وشهبوا على الناس وغرّوهم باسم هذا الدين . وهم يأكلون باسم الدين ناراً حامية ، وهم قد فقدوا بفقد آداب هذا الدين كل شىء يجعل لهم عند الناس مكانة ترفعهم عن الشبهات ، وبذلك أصبحوا كالعامة التى تحتاج إلى من يقودها ويهديها .

وقصارى ما يقال هو أن الحياة فى هذا الشرق على اختلاف نحله ومذاهبه وأديانه وأحزابه ، قد صار كأهل سفينة جن أكثر من فيهـا ، وكلهم يريد أن يقود السفينة كما خيلت له طوائف وساوسه وأوهامه ، مستبداً بما يرى من الرأى . ولكنى مع ذلك لن أيأس ساعة من أهل الخير ، لن أيأس من رجل أو رجال توقظهم هذه البلوى المحيطة بالجماعة ، فيدفعها حب الحياة وحب الخير إلى نفض غبار القرون عن أنفسهم ، ثم تنشط من عقالها إلى قيادة هذه الناس بقوة تنفث فى هؤلاء جميعاً روحاً مسدّدة هادية تبرئهم مما أصابهم ، وتستنقذ منهم من يصلح للبقاء والعمل فى جيل جديد ، له هدف معين ، وله طريق لا يفارقه وله همة جياشة تجعله يطوى المسافات المترامية طياً حتى يصل إلى غايته لم يلحقه كلل ولا سآمة ولا إعياء .

فأنا أكتب لرجل أو رجال سوف يخرجون من غمار هذا الخلق ، قد امتلأت قلوبهم بالقوة التى تنفجر من قلوبهم كالسيل الجارف ، تطوح بما لا خير فيه ، وتروى أرضاً صالحة تنبت نباتاً طيباً .

ومهما كان من أمر تلك الطوائف التى ذكرتها ، ومهما كان رأيها فى هذه الشعوب التى تنتمى إليها ، ومهما عدت شعوبها سائمة ترعى أياماً معدودة حتى تتخطفها أرماح الأجل ، فمن هذه (السائمة) سوف ينفرد رجل يقود الشعوب بحقها لأنه منها : يشعر بما كانت تشعر به ، ويألم لما كانت تألم له ، وينبض قلبه بالأمانى التى كانت تنبض فى قلوبهـا . وهو وحده الذى يعرف كيف يرفع عن عيونها حجاب الجهل ، ويطرح عن كواهلها قواصم الفقر ، ويملأ قلوبها بما امتلأ به قلبه من حب هذه الأرض التى تعيش فيها مضطهدة ذليلة خائفة .

إنه الرجل الذى قد خُلطت طينته التى خلق منها بالحرية ، فأبت كل ذرة فى بدنه أن تكون عبداً لأحد ممن خلق الله على هـذه الأرض ، فهو يشرق من جميع نواحيه على أجيال الناس كلها كما تشرق الشمس ترمى بأشعتها هنا وهنا ، ولا يملك الناس إلا أن ينصبوا لهـا وجوههم وأبدانهم ليذهب عنهم هذا البرد الشديد الذى شلهم وأمسك أوصالهم عن الحركة . وهو يسير بينهم فتسرى نفسه فى نفوسهم ، فتموج الحياة فيهم بأمواجها التى لا يقف دونها شىء مهما بلغت قوته أو جبروته .

ألا إن الشرق العربى لينتظر صابراً كعادته هذا الرجل . وإنى لأحس أن كل شرقى قد أصبح اليوم يتلفت لا من حيرة وضلال ، بل توقعاً لشىء سوف يأتى قد أنَى زمانه ، فى كل نفس منه خاطرة تختلج . وهذا الإحساس فينا هو الذى يحملنى على الإيمان بأن ذلك كائن عن قريب ، وأننا قد أشرفنا على زمن قد كتب الله علينا فيه أن نجاهد فى سبيله ، ثم فى سبيل الحق والحرية والعدل ، لأننا نحن أبناء الحق والحرية والعدل ، قد ارتضعنا لبانها منذ الأزل البعيد . وكل ما دخل علينا فى القرون الماضية من المظالم والأكاذيب والاستبداد ، لم يستطع أن يخفت ذلك الصوت الذى تتجاوب به نفوسنا باسم الحق والحرية والعدل .

إن هذه الشعوب التى تُرَى اليوم كأنها على بلادها أسمالٌ بالية ممزقة ، قد بدأت تحس أن عليها أن تتجدد أو أن تزول ، وطبيعة الحياة تأبى لها أن تزول ، فهى لابد أن تتجدد . وهذا الدافع

وحده سوف يمهد للرجل المنتظر أن يزأر زئيره فتصغى له آذان الملايين من أبناء الشرق ، ثم تنطلق من مجاثمها إليه مجيبة لندائه ، فإذا انطلقت إليه أرسالاً ، فيومئذ لن يقف فى طريقها أولئك الساسة المنافقون ، ولا أولئك العلماء المتبجحون ، ولا أولئك الديّانون المخادعون ، بل سوف يصيرون تبعاً ، وقد طال ما خيلت لهم نفوسهم أنهم الرؤوس والسادة .

فأنا إن كتبت ، فإنما أكتب لأتعجل قيام هذا الرجل من غمار الناس ، لينقذنا من قبور جثمت علينا صفائحها منذ أمد طويل . وليس بيننا وبين هذا البعث إلا القليل ، ثم نسمع صرخة الحياة الحرة العادلة يستهل بها كل مولود على هذه الأرض الكريمة التى ورثناها بحقها ، ليس لنا فى فتر منها شريك .

محمود محمد شاكر

غاندى الفيلسوف المجاهد

للأستاذ حسين مهدى الغنام

— ١ —

فى اليوم الثلاثين من شهر يناير الماضى قتل موهانداس كارامشاند غاندى ، وهو ذاهب إلى الصلاة ، برصاص أحد أبناء جلدته ودينه المتعصبين ، فأعاد إلى الأذهان سيرة الأنبياء والمصلحين كما أعاد بحياته حياة السيد المسيح .

لقد كانت حياة غاندى مأساة كما كان موته مأساة أشد وأروع . كان غاندى فيلسوفاً جمل السياسة مذهبه .

وقد ظل خمسين عاماً يكافح فى سبيل استقلال بلاده ، حتى نالته فى حياته ، ولكنه لم يعش حتى يرى السلام يرفرف على ربوعها المترامية ، وهو الذى وهب نفسه لخدمة السلام .

عاش غاندى كالناسك . لبس ملابس خشنة فى غاية البساطة ، حرأما غزله بنفسه على مغزل يد بدائى ، وخفين (صندلين) من القش !

ولم يأكل اللحم ، بل عاش على الفاكهة والخضر واللبن وقضى حياته كلها مجاهداً . وقد اتخذ جهاده ثلاث وجهات رئيسية :

الأولى ضد الطبقات المدينة العالية التى فرضها المستعمر على مئات الملايين من طبقات الهند الدنيا ، التى لا تجد القوت .

والثانية جهاده ضد المستعمر .

والثالثة جهاده فى سبيل السلام والحب ، ومناضلة الشرور والخطايا ، آخذا بمبدأ المقاومة السلبية وعدم العنف .

كما أنه كافح كفاحاً اقتصاديا واجتماعيا عظيما ، فنبه الوعى القوى والاقتصادى ، وأنشأ آلاف المدارس ، وحارب الرجعية ونادى بحق المرأة الهندية ، ولكنه غالى فى تقديس الناحية الدينية وغذاها بين الشعب ، جاعلا من التسامح والإخاء بين الهندوس والمسلمين والمنبوذين هدفه الأول ...

ولقد شابه غاندى الفيلسوف الروسى الإنسانى الشهير ، ليو تولستوى ، وتأثر به فى حياته تأثراً كبيراً .

وكان دائماً يبشر بقوله : « أنكم سوف لا تقترفون القتل » ولكنه مات قتيلا !

وكان مثل تولستوى فى لباسه الخشن ، وفى نظرية عدم العنف والمقاومة السلبية ، وفى دفاعه عن السلام ودعوته لأنيان الخير ، والمعروف والمحبة بين الناس جميعاً ، وإن لم يكن تولستوى فى مثل إخلاص غاندى !

وكان الناس فى كل مكان يتشوقون إلى تذوق ثمار فلسفته ، ولكن قلوبهم لم تعمر بمثل الإيمان الذى عمر به قلبه ، فلم يفعلوا فى سبيل تأدية رسالته شيئاً أكثر من التمنى !

كان غاندى يعمل فى سبيل الروح ، ولكن الناس الذين بشر بينهم بمبادئه كانت تربطهم أسباب قوية بعالم الماديات الدنيوى فى عالم الوقائع والأرقام التى عمته جميعاً حتى غزت الشرق نفسه ، الشرق أبا الروحانيات ومهد السلام .

إلا أن الشرق شرق بطبعه وغريزته . وفى الشرق لطف غريزى ، فلم ينعت هؤلاء الناس غاندى بالجنون ، كما نعت الروسيون والأوربيون تولستوى ، ولكنهم بالغوا فى نعتهم للفيلسوف الشرقى حتى ألهوه ، وسموه القديس ... سموه المهاتما !

ولعل غاندى أخطأ فى مخاطبته لعامة الجماهير ، وتبشيره بينهم ، كما قال بعض مفكرى الهند ، وقالوا لو أن غاندى أنصف نفسه لجمع حوله خلاصة الشباب الطامحين إلى بناء الهند الحديثة ، فإن التعاليم السامية العميقة تفعل فعلها فى نفوس الذين أصابوا-

من الثقافة حظا كبيراً ؛ وإلى هذا يعزون بعض فشله فى تعميم دعوته .

***

يقول السردار إقبال على شاه عن غاندى والشعب الإنجليزى

« لقد أخطأ غاندى فى فهم عقلية الرجل الإنجليزى المتوسط ، إذا كان هـذا الشخص وجد ، ولهذا لم تفهمه الغالبية من الشب البريطانى ، فلقد اختلفت العقليتان كما يختلف القطبان شمالا وجنوبا ...

« ولم يكن غاندى كذلك بالشخصية الرسمية القوية العنصر ، ومن هنا كان اختلافه عن ساسة الهند اليساريين ، فقد كان دائماً ينتقر للرسميات خطاياها ، وإن صح هذا فى الهفوات ، فإنه لا يصح فى الخطايا قطعاً !

« وكان غاندى فى نظر الرجل الإنجليزى فليسوفا ضالا ، أو الـكاهن ارفيع المقهور . وعقلية الرجل الإنجليزى لا تقبل هذا الوضع ، فلم تأبه له كثيراً ، لأنها لم تفهمه .

« ولـكن للانجليز ذاكرة قوية ... وإنهم ليذكرون ما فعل غاندى قديماً من أجل أبناء وطنه المهضومين المدقعين الذين تدوسهم العلية من القوم ، ويذكرون ما صنع فى حرب البوير والزولو من عمل جليل وهو يرأس كتيبة الإسعاف الطبى .

« إلا أن غاندى احتل من تفكير الإنجليزى ما يحتله كبار الإنجليز أنفسهم . والإنجليزى تسوءه الحملات المنيفة على أمثال هؤلاء ، لأنه يعتقد أنهم مخلصون ، والإنجليزى يرحب بالصراحة والإخلاص ويحترمها !

« ولقد استاء الرأى الإنجليزى العام من الحملات التى كانت توجه إلى غاندى فى بعض جرائدهم ، ومن الصور الهزلية التى تصوره قارحا بلا أسنان ، أصلع الرأس ، مخلوقاً عريان إلا من ذلك اللباس التقليدى .

« والمسلمون والإنجليز يتفقون فى هذه الناحية ، فـكلاهما يحترم الشخصيات الفذة ، ويأنف من السخرية اللاذعة منها ومن مهاجمتها بلا اعتدال ، على عكس الغربيين الآخرين .

« وكان غاندى الوطنى ، والفيلسوف ، والداعية ، مجهولا من العالم كله ، حتى اعتزم أن يعتزل المحاماة فى جنوب أفريقيا ، وينقلب مجاهداً وسياسياً قويا ..

« وكان قبل ذلك قد رأى بعض أنحاء الدنيا ، ورأى تعصب البيض ضد الملونين ، وإن كان هذا خف اليوم إلى درجة ما ! »

***

ولقد حورب غاندى كثيراً حتى الـكسندر المظيم كان يساعد معارضى غاندى مساعـدات مادية كبيرة ، ليحدوا من نجاحه فى الهند .

ولـكن ذلك الناسك الهزيل استحوذ على ألباب الملايين من الهنود ببساطته الدينية المتناهية ، فاحترموه ثم أحبوه ثم عبدوه واعتقدوا أنه شبه إله !

فى سنة ١٩٢٢ سجن غاندى ، ثم أطلق سراحه بعد عامين وفى تلك الأثناء كان معارضوه فى حزب المؤتمر ، وهم المعروفون باسم سواراجست ، أكثر من اتباعه ، وأحسن منهم تدريبا واستعدادا ، وحضروا اجتماعا لهم وعارضوا ما سموه دكتاتورية غاندى فى حزب المؤتمر ، ثم انسحبوا ، فاعتبر غاندى هذا هزيمة له وانسحب ...

وعلى الرغم من تلك الهزيمة ، فقد كان لهذه اللفتة النفسانية البليغة أثرها فى تقوية غاندى فقد جلس صامتا ، وأخذ يتحدث بعد قليل ، ثم تكلم عن هزيمته ، وعن حالة الهند المؤسية ، ثم انحدرت دموعه على خديه وتتابعت سريعة . وهنا بكى جميع الحاضرين معه بدموع غزار . وانضموا إليه واحداً واحداً ، وهنا عادوا إلى صفه ثانية ، وكسبهم إلى جانبه من أضعف نقطة حساسة هاجمهم فيها .

فهذه القوة — فى بساطة مظهرها — وبتلك النفحة السيكولوجية حرك غاندى قلب الهند على بكرة أبيها ...

وكانت الجماهير تنظر إلى آرائه على أنها غير مستحيلة التحقيق فصدقوه فيما قال ، إذ كان فى نظرهم مبعوثا سماويا ، ويجب أن يكون صادقا فى آرائه .

وقد سمى غاندى الحـكومات الإنجليزية بالحـكومات الشيطانية فصدقه الملايين من الهنود ... وما زالوا يعتقدون نفس الاعتقاد ، ولـكنهم نسوا أن غاندى هو صائغ هذا التعبير .

وكلما مرت السنون ، وكلما فشل غاندى فى تحقيق ما وعد به شعبه ، وكلما كان فشله صريحا ، زادت مكانته فى نظر الشعب وازداد هذا الشعب له حباً واحتراما وتبجيلا وتقديسا !

(يتبع) حسين مهدى الغنام

الشعر فى العصر المملوكى (١)

هل يمثل الحياة فيه ؟

للأستاذ يوسف البيومى

نستطيع أن نقول نعم ولا نكون مجازفين ، ونستطيع أن نقول لا ولا نكون مبعدين .

نستطيع أن نقول إن الشعر فى هذا العصر على الرغم من جنوحه إلى التقليد والصنعة قد يستطيع الباحث المنقب أن ينظر من خلاله أحياناً إلى بعض مظاهر الحياة سياسية أو اجتماعية . ونستطيع أن نقول إن الشعر قد صمت عن أهم مظاهر الحياة فى هذا العصر فلم يفصح عن رأيه فيها : صمت عن مظالم العصر ، ومفاسد المماليك أمراء وسلاطين . وصمت عن المفاسد الاجتماعية ووصف ملاهى مصر والقاهرة ومغانيهما وما كان يحدث عند الاحتفالات للأعياد القبطية وغيرها من تجاهر بالفسق والدعارة ، ومن تظاهر بشرب الخمر والحشيش . وإذا صمت عن هذين ثم تحدث عن غيرهما فإنه يكون حديثاً لا فائدة منه ولا غناء فيه .

نستطيع أن نقول ذلك كما نستطيع أن نعلل قلة ما ورد من الشعر فى هذين الموضوعين الخطيرين بضياع جل الشعر الذى قيل فيهما ضمن ماضاع من أشعار الشعراء ودواوينهم وهو كثير (٢)

ولما كانت مظاهر الحياة قد تعددت فى هذا العصر وتنوعت فإنا سنقسمها وندرس كل قسم على حدة لنستطيع أن نبين عن هذا الإجمال بالتفصيل ممثلين .

خضع الشعب لحكم إستبدادى قاس أبنا عن قسوته ووصفنا موقف الشعب منها وعللنا هذا الموقف فيما سبق (٣) ونذكر الآن أن موقف الشعر من هذا الحكم الظالم ، ومن حياة السلاطين الخاصة وقد ملئت دعارة وفسقاً — إلا فى القليل النادر — لم يختلف عن موقف الشعب عامة والعلماء خاصة ، فتكميم الأفواه وحبس الحريات ، وكبت الشعور كان قدراً مشتركا بين عامة الشعب وخاصته بين السوقة والكتاب والسراة ورجال الدين . ولكنا رأينا أحياناً تنفيساً عن الصدور المخنوقة ببعض المقطوعات وأكثر ما كان ذلك حينما يولى زمن السلطان أو الأمير وتذهب دولته ولا يجد الشاعر فى ذلك حرجا ولا يخشى منه بأساً . بل حينما يرى فى ذلك أرضاء لخلفائه ووارثى الملك بعده أو مغتصبيه منه .

كان المظفر حاجى مغرماً ببعض المغنيات منقطعاً إليهن عن النظر فى أمور الدولة فأرغم على إخراجهن من القصر فكانت بنفسه عليهن حسرة لم تنقض . وقد حاول أن يتسلى عنهن بلعب الحمام الذى أنفق عليه أموالا ضخمة ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم (فى رسالة الشعر فى عصر المماليك) ونريد أن نذكر الآن أنه لما قتل ذبحاً قال صلاح الدين الصفدى :

أيها العاقل اللبيب تفكر   فى المليك المظفر الضرغام
كم تمادى فى البغى والغى حتى   كان لعب الحمام جد الحمام

وقال فيه أيضاً :

حان الردى للمظفر   وفى التراب تعفر
كم قد أباد أميراً   على المعالى توفر
وقاتل النفس ظلماً   ذنوبه ما تكفر

وكان الناصر (حسين بن محمد بن قلاوون) مغرماً بالنساء ويستصحبهن معه فى أسفاره (لأنه لم يكن له ميل إلى الشباب كعادة الملوك من قبله) (١) فلما قتله يلبغا قال بعض الأدباء فى قصته مع يلبغا ومحبته للنساء موجها أسماء سور من القرآن الكريم — ونلاحظ أن الشعر قيل بعد مقتله كما نلاحظ أن الرغبة فى التوجيه هى مبعث هذا الشعر :

لما أتى للعاديات وزلزلت   حفظ النساء وما قرا للواقعه
فلأجل ذاك الملك أضحى لم يكن
وأتى القتال وفصلت بالقارعه

(١) عن فصل من رسالة (الشعر فى عصر المماليك) للكاتب .

(٢) هذا احتمال ثم هو لا ينطبق على موقف الشعر من حياة السلاطين والأمراء ومظالمها لأنا عللنا صمته عن هذين وأثبتنا أن الشعر ما كان له أن يتحدث عن هذه الحياة وتلك المظالم .

(٣) فى فصل خاص من الرسالة المذكورة (الشعر فى عصر المماليك)

(١) هذه عبارة المؤرخين للناصر حسن نقلناها كما هى لننبه إلى هذه العادة (التسرى بالغلمان) وكيف شاعت وذاعت بين الملوك فى هذا العصر ثم إلى صمت الشعر والشعراء عنها .

لو عامل الرحمن فاز بكهفه   وبنصره فى قصره فى الساعة
من كانت القينات من أحزابه   عطمط به الدخان ناراً لامعه
تبت يدا من لا يخاف من الدعا
فى الليل إذا يغشى بقع فى القارعة

وكان سنجر الشجاعى مشد عمارة مدرسة قلاوون ووزير الديار المصرية فى عهد الناصر محمد بن قلاوون من أقسى المماليك وأظلمهم ، فلما قتل وطافوا برأسه على مشعل قال سراج الدين الوراق :

أباد الشجاعى رب العباد   وعقباه فى الحشر أضعاف ذلك
عصى ربه فالعصا نعشه   وشيع للدفن فى نار مالك

والشجاعى هذا هو الذى يحذر ابن السلعوس منه بعض الشعراء حيث يقول :

تنبه ياوزير الأرض واعلم   بأنك قد وطئت على الأفاعى
وكن بالله معتصما فإنى
أخاف عليك من نهش (الشجاعى)

وكانت عادة التسمير والتعليق منتشرة يعاقب بها الخارجون حتى الوزراء ، فهذا الفخر بن مكانس قد علق (بسرياق) من رجليه لما غضب عليه برقوق بعد أن ضرب ضربا مبرحاً وها هو ذا يذكر هذه الحادثة معتذراً عنها بقوله :

وما تعلقت (بالسرياق) منتكسا   لزلة أوجبت تعذيب ناسوتى
لكننى مذ نفثت السحر من أدبى   عذبت تعذيب هاروت وماروت

وكانت المظالم تصب على خلفاء المسلمين فيخلعون ويسجنون وقد حكى الشعر بعض ذلك فى المقطوعات : قبض برقوق على الخليفة المتوكل على الله وخلعه وسجنه فقال شهاب الدين ابن العطار :

أبشر أمير المؤمنين فما جرى   أقوى دليل أن عزك سرمد
لا تختشى فيد العدا مغلولة   ويد الخلافة لا تطاولها يد

وابن الوردى أجرأ شعراء العصر على التعرض لمظاهر الحياة السياسية ومظالم السلاطين فى كثير من مقطوعاته .

لما ولى الأشرف كجك وهو ابن ثمانى سنين قال ابن الوردى فى ذلك واصفا خلف الأمراء وتنازعهم !

سلطاننا اليوم طفل والأكابر فى   خلف وبينهما الشيطان قد نزغا
وكيف يطمع من مسته مظلمة   أن يبلغ السؤل والسلطان مابلغا

وفى سنة ٧٤٢ عوقب الأمير لؤلؤ القندشى بدار العدل بحلب حتى مات واستصفى ماله وشمت به الناس فقال ابن الوردى فى ذلك :

لؤلؤ قد ظلمت الناس لكن   بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت فى تاج فلما   صغرت سحقت سنة كل لولو

وفى سنة ٧٤٠ هـ قبض الناصر محمد بن قلاوون على النشو شرف الدين القبطى الأصل وعاقبه حتى هلك تحت العقوبة بعد أن كان قد قهر أهل القاهرة وبالغ فى الأيذاء والمصادرة والقتل والخنق فقال ابن الوردى :

النشو لا عدل ولا معرفه   قد آن للأقدار أن تصرفه
من أتلف الناس وأموالهم   يحق للسلطان أن يتلفه

وتاريخه ودواوينه مملوءان بأمثال ذلك وهكذا على الرغم من انصباب المظالم من كل جانب على هذا الشعب وعلى الرغم من أنها أخذت على المحكومين كل تفكيرهم حتى رأيناها تظهر فى أخيلتهم الشعرية ويستمدون منها التشبيهات المختلفة كقول بدر الدين بن حبيب يتحدث عن الخمر .

مظلومة سجنت من بعد ما عصرت
مع أنها ما جنت ذنبا ولا اجترحت (١)

فإنهم قد وقفوا عامة وشعراء وعلماء حيالها هذا الوقف المزرى الشائن : لم يجأروا بشكوى ولم يظهروا ما كمن فى نفوسهم من استياء وألم ، وإن ظهر شىء من ذلك فعلى مارأيت من هذا الاحتياط وبعد أن يكون المشكو مشلول القوى عاجزاً عن أن يظلم أو يرفع ظلماً ، وبعد أن يكون خلفه الذى يتقرب إليه بما يقال فيه يبهج نهجه ويؤذى الشعب أيذاءه وربما كان أيذاؤه إشنع وأقسى وأفظع وأنكى وأشد وقعا على نفوس الشعب شعرائه وعلمائه وذوى النفوذ فيه .

يوسف البيومى
المدرس فى كلية اللغة العربية

(١) يشير إلى عادتى السجن والعصر وأخذ الشعب بهما من غير جناية ولكنها أشارة فى حديث عن الخمر مبنها كما ترى الولوع بالتورية .

هل تملك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

— ٣ —

ولا يفوتنى بمناسبة الرد على هذا الدليل بشقيه — أن أوجه النظر بوجه عام إلى أن القرآن الكريم ليس مجرد مجموعة تشريع Code ؛ بل للمشرع الأعظم إلى جانب ذلك — كما قدمنا — أغراض ومقاصد أخرى يبلغها بأسلوبه الخاص مما لا يدخل مثله فى نطاق مهمة المشرعين الوضعيين لحرام أن يحاول أحد إخضاع نهج القرآن الفذ لنهج هؤلاء المشرعين القائم على مجرد السرد الجاف لمواد مبوبة . فيقال مثلا فى مقام الاعتراض على المعانى والأغراض الواضحة من آية تعدد الزوجات : لماذا عبر بكذا ولم يعبر بعبارة « بسيطة موجزة » ، ولماذا يعبر عن مدلول الآية فى ضمن آية أخرى لها تعلق بموضوعها ، أو لماذا عبر عن هذا المدلول فى سياق غرض آخر لا تعلق له بموضوعه وجوابا لعبارة شرطية عن هذا الفرض ، ويجعل مثل هذا التحكم فى الأسلوب القرآنى الرفيع أساساً للتأويل البعيد للنص صرفاً له عن معناه الصريح فى حل التعدد ؛ هذا المعنى الذى ظاهرته الأحاديث والأخبار وإجماع الأمة قاطبة قولا وعملا منذ عصر النبوة حتى الآن

٧ — أدلة المنصر الثانى : واستدل مماليه لرأيه فى تفسير الآية الثانية بالدليلين الآتيين :

الدليل الأول — أن لفظ العدل وارد فى هذه الآية والآية السابقة بحروفه فلا يمكن أن يكون معناه فيهما إلا واحداً على حقيقته الشاملة للماديات ثم للمعنويات العاطفية جميعاً ، وأن الآيتين متكاملتان أوجبت أولاهما الاقتصار على الواحدة عند خوف العدل ، وأكدت الثانية أن هذا العدل غير مستطاع ؛ فأوجبت بذلك الاقتصار على الواحدة وجوباً لا انفكاك منه .

والرد : أن هذا الدليل إنما يجرى فيما يتكرر من (المعرف بأل) من الأسماء ، فيكون المراد بالسابق واللاحق واحداً . وأساس هذه القاعدة اللغوية أن المعرف بأل إذا تكرر كانت (أل) فيه للعهد ، فيدل على أن المراد بالاسم اللاحق عين المراد بالاسم السابق المعهود . والتعبير عن العدل لم يرد « اسما » بل ورد « فعلا » فى الآيتين وأبان الشق الثانى من الآية الثانية وهو المبدوء بقوله تعالى (فلا تميلوا) أن المراد بالعدل فى الآية الأولى هو العدل المستطاع وبه فى الآية الثانية العدل المطلق على ما قررته فى مقالى السابق وما سأزيده بيناً فيما يلى :

الدليل الثانى — أنه لو صح أن الشق الثانى من الآية الثانية مبين أن المراد بالعدل الذى جعل شرطاً لجواز التعدد هو العدل المستطاع ليتعارض هذا النص مع قوله تعالى (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ولكان فى ذلك إشكال شديد يضطرب له قلب المسلم وتصطرع فيه ذمة من يريد السير على مقتضى شريعة الله القاطعة ؛ إذ كيف يأمر سبحانه بالاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل ، ومع حكمه بتحقق هذا الخوف حتما لعدم إمكان العدل يسقط عمل مقتضى هذا الحكم فيجعل الرجل حراً فى تعديد الزوجات بشرط مراعاة « العدل المستطاع » بينهن ؟ إن هذا يستلزم أن قوله تعالى : (فلا تميلوا) ناسخ لقوله : (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ولا يجرؤ أحد أن يقول بهذا النسخ .

والحقيقة أن الأمر أيسر من ذلك ، فلا تعارض بين النصين ولا حاجة إلى القول بالنسخ ، وما الإشكال الذى بدأ لمعالى الباشا شديداً إلا نتيجة لأخذه جزء الدعوى فى الدليل مما يعتبر مصادرة على المطلوب وهى من مفسدات الدليل كما هو معلوم . فدعوى معاليه — فيما استقر عليه رأيه أخيراً — ذات شقين : الأول أن العدل الوارد فى النصين واحد وهو العدل المطلق ، والثانى أن العدل المستطاع المعبر عنه بقوله تعالى(فلا تميلوا كل الميل فتذروها) هو مجرد حكم وقتى خاص بالزوجات الموجودات وقت نزول هذه النصوص . ومعاليه أقام دليله على أساس ثبوت الشق الأول مع أن الدعوى بشقيها هى محل النقاش وهو فى مقام الاستدلال لها . فقد استدل إذن على الدعوى بالدعوى نفسها وهذا باطل .

٨ — أدلة المنصر الثالث . الواقع أن هذا المنصر من رأى معالى الباشا الذى اضطر إلى تكلفه — كما قدمنا فى التمهيد — دفعا لما استشعره من تضارب ظاهر بين تأويله للآيتين وركة تشوب النظم الحكيم نتيجة لهذا التأويل ، لم يقمه على سند من

دليل عقلي أو نقلي ، وإنما افترض افتراضاً حالة محنة وقع فيها المسلمون لما نزلت الآية مقتضية بجملتها – فيما يرى معاليه – تحريم التعدد ، وإن المسلمين هلموا وجأروا هم والنبي إلى الله متململين من هذه المحنة الراهنة ، فلطف بهم فبين مراده بأن أنزل قوله (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) لا تنظيما للمستقبل الأدنى كما يقولون (أى كما يقول أصحاب الرأى المخالف لرأى معاليه) بل تنظيما للحالة الوقتية الناشئة عن تلك المحنة التي وجدها المسلمون حائقة بهم ، وهي حالة الزوجات المتعددات الموجودات فعلا عند نزول هذا القول ... ما الدليل على وقوع المسلمين في مثل هذه المحنة وجأرهم والنبي بالشكوى ، وإن الآية الثانية نزلت للتخفيف من ذلك ؟! لا دليل !! وإنما يصرح معاليه بأن هذا الاستنتاج يؤيده فيه قوله تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن) مع أن هذه الآية لا تؤيد استنتاجه في قليل أو كثير ، فقد كان دأب المسلمين سؤال النبي واستفتاؤه في كل شأن من شؤونهم بوصفه صاحب الرسالة والتشريع الجديدين ، فسألوه عن الخمر والميسر والمحيض والقتال في الشهر الحرام والمواريث والساعة والروح وعن المولى جل وعلا وغير ذلك من مختلف الشؤون المتعلقة بالتشريع والعقائد والأمور الغيبية ، كما سألوه عن النساء أيضا ، فلماذا يختص معاليه السؤال عن النساء بالدلالة على وقوع محنة وجأر بالشكوى واستجابة للتخفيف الخ ! أم أن ذلك كان قاعدة مطردة في كل ما سألوا النبي عنه في هذه الموضوعات فوجب القول بحدوثه أيضاً في سؤالهم عن النساء ؟!

وهل كان شأن المسلمين في الصدر الأول التململ والجأر بالشكوى هم والنبي من كل ما ورد به الشرع مخالفا لعاداتهم كقاعدة عامة يمكن طردها في جميع جزئيات التشريع – ومنها ما يختص بتحريم تعدد الزوجات – بغير ما حاجة إلى دليل خاص؛ أم أنهم كانوا وعلى رأسهم النبي عليه السلام على العكس من ذلك يتقبلون كل ما يرد به الشرع عن رضى وإيمان بأن فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وتطهيرهم من أوضار الجاهلية وأرجاسها ؟ ثم لماذا يجعل معاليه هذه الآية دالة على تململ العرب من التعدد خاصة مع أنه ليس سوى أحد الشؤون المتعلقة بالنساء والواردة هذه الآية وما يليها مباشرة من آيات يبين السياق أنها نزلت معها للرد على الاستفتاء في هذه الشؤون ؟ .

وإذا نحن ضربنا صفحا عن المطالبة بالدليل على وقوع المحنة والشكوى أفلا يحق لنا أن نطالب بالدليل على أن المقصود بقوله تعالى (فلا تميلوا . الآية) ليس سوى حكم وقتي ، مع أن ظاهر هذا النص دال بطريق الأشارة على أن إمكان مراعاة العدل المستطاع مجزئ بصفة عامة في حل التعدد المشروع وليس ثمة ما يصرف النص عما يدل عليه بظاهره ؟ (بيان ذلك أن الحكم بتحريم الميل كل الميل مرتب على وصف الرجال بعدم استطاعة العدل ولو حرصوا ، فما ورد في عبارة هذا النص هو من قبيل ترتيب الحكم على الوصف بالفاء ، ولفظ « النساء » الوارد في الوصف عام مما يجعل النص مفيداً بظاهره جريان الحكم في جميع النساء ، فلا يمكن قصره على الموجودات في عصمة الرجال وقت نزول الآية إلا بمخصص ؛ وأين هو المخصص ؟) . وإذا كان ما استنتجه الباشا مرادا للشارع بهذه الآية فكيف يعبر جل وعلا عن ذلك بعبارة يخالف ظاهرها مراده فيقع الناس بسبب ذلك في لبس تشريعي لم تكن لهم عنه مندوحة القرون الطوال يقارفون فيها المحرم نتيجة لهذا اللبس ؟! وكيف لم يدل بأى طريق من طرق الدلالة على حقيقة المراد بهذه العبارة غير المقصود ظاهرها وبخاصة أنه دل على ما هو أهون شأناً لتعلقه بالماضي لا بالحاضر حينذاك وذلك بتعقيبه تحريم نكاح كل من زوجات الأب والأختين باستثناء ما قد سلف ؟ ثم أين بيان النبي في ذلك ومهمته عليه السلام أن يبين للناس ما نزل إليهم ، وبخاصة في مثل هذا الذى وقعوا فيه في أشد اللبس إذا نحن تمشينا مع رأى الباشا ؛ أين الدليل على هذه النقطة التي هي حجر الزاوية في نظرية الباشا الجديدة والتي أراد معاليه أن يجعل منها حلقة اتصال بين تأويليه المتعارضين للآيتين فكانت بحق « الحلقة المفقودة » ؟! فليتفضل علينا معالى الباشا بهذا الدليل – إن وجد – فنكون لصنيعه من العارفين ، ونسلم له رأيه على طول الخط . إذ ليس رائدنا – علم الله – سوى التزام جانب الحق .

(يتبع)

إبراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص في الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية (٦، ٧) :

٧ – فى الوجود وعلله

للأستاذ كمال دسوقى

أما وقد وقفتَ على العلل الأربع لابن سينا وأرسطو من قبله ، وعرفت ما هى منها علل الوجود ، وما هى علل الماهية ، ورأيت أن غرضنا هنا ليس إلا علتى الوجود : الفاعلية والغائيـة من حيث هما موجدتان لعلتى الماهية : الهيولى والصورة ؛ فإنه يجدر بنا أن نبسط لك أنواعاً من الفروض فى ترتيب الموجودات وأقسامها عند ابن سينا ، قبل أن نوغل معه فى إلـهياته.

ذلك أن الموجودات تنقسم باعتبار المادة والصورة إلى ما لا مادة له ولا صورة ، وإلى ما له مادة وصورة ، والصورة وإن كانت توجد مفارقة للمادة ، فإن هذه لا يمكن أن تعرى عن الصورة ، ولا يكون وجودها بدونها وجوداً بالفعل – بل بالقوة ، وترتيب الموجودات على هذا الأساس – وبحسب شرفها وأحقها بالوجود هو أولا : الجوهر المفارق غير الجسم ، ثم الصورة المجردة ، ثم الجسم – الذى هو فى مادة وصورة – ثم الهيولى التى هى مجرد مادة وجودها بالقوة ، وأخيراً الأعراض التى تلحق بهذه الجواهر: كالكيف والكم والمتى (الزمان) والأين (المكان) والفعل والانفعال – والوضع ... الخ

والموجودات باعتبار وجودها واجبة وممكنة ، فواجب الوجود هو الموجود الذى متى فُرض غير موجود عرَض منه محال ، وممكن الوجود هو الذى متى فرض موجوداً أو غير موجود لم يعرض منه – هذا ضرورى وذاك لا ضرورة له ، وليس وجوده أولى من عدمه أو العكس . واجب الوجود يكون واجب الوجود بذاته أو لا بذاته – أى بغيره ، فالذى بذاته هو الذى لا بشىء آخر ، أى شىء يلزم محال من فرض عدم وجوده . والذى لا بذاته هو الذى لو وُضع شىء غيره مكانه صار واجب الوجود مثله كالأربعة عند فرض اثنين واثنين ، وكالاحتراق عند وجود المادة المحرقة والمحترقة وعلة الاحتراق .

وتستطيع على ضوء هذه المعلومات أن تفهم كيف يتدرج بك ابن سينا إلى إثبات واجب الوجود لذاته – الذى هو الله – فالعلل الموجدة للشىء فى مقابل العلل المقوِّمة للماهية ، تكون علة للصورة وحدها كالسرير بعد أن يصنعه النجار – أو علة للصورة والمادة معاً – كالجوهر المفارق الذى للسرير أو لغيره من مجموع مادته وصورته – أو علة الإيجاد والتركيب والجمع بين المادة والصورة – وهى العلة الفاعلة أو الموجدة التى هى علة واحـدة أو أكثر مما سبقها من العلل أعنى أنها علة وجودها وليست علة عليتها أو معناها كالعلة الغائية التى من أحكامها أنها علة فى ماهيتها لعلية العلة الفاعلة بالفعل ، وأنها معلولة فى وجودها للعلة الفاعلة هذه ؛ لأن الفاعل أو الموجد إنما يتحرك لتحصيل هذا الغرض ، فتصبح الغاية الأخيرة دائماً أول له .

وعلى هذا فكل موجود – إذا نظر إليه فى ذاته – ومن غير التفات إلى علله الموجدة ، فهو بحيث يجب له الوجود فى ذاته أو لا يجب ، أى أن يكون واجب الوجود لذاته – كالحق القيوم – أو ممكن الوجود بحسب ذاته – كبقية الموجودات وما حقه فى نفسه الإمكان فليس يصير موجوداً من ذاته ، فإن وجوده أولى من عدمه لحضور شىء فيه أو غيبته ، فممكن الوجود بذاته هو إذن واجب الوجود بغيره – أى أنه ممكن الوجود من حيث هو علة لغيره – ويستمر هذا التسلسل لا إلى غير نهاية ، فإذا كان كل معلول لابد له من علة ، والعلة إلى علة أسمى؛ فلابد من الوقوف إلى علة العلل أو العلة الأولى التى هى نهاية السلسلة وهى واجبـة الوجود بذاتها – والتى هى علة كل وجود – وموجدة حقيقة كل وجود فى الوجود ، والعلة النهائية التى ليس قبلها علة .

وبيان ذلك أنه إذا كان لديك سلسلة آحاد من الموجودات كل واحد منها ممكن بذاته واجب بغيره ، وظللت تترقى بهذه السلسلة ، فأنت فى النهاية بين إحدى ثلاث :

١ – إما أن ينتهى بك هذا الترقى أو هذه الطغمة hierarchie

من الموجودات إلى علة ليست معلولة — فتكون حينئذ واجبة بذاتها — وعلة هذه العلل — وتسمى حينئذ واجب الوجود .

٢ — وإما أن يكون التسلسل إلى غير حد ، بأن لا تجد فى آحاد السلسلة علة غير معلولة ، وحينئذ تكون علة هذه الآحاد خارجة عن جملتها ، وتكون مغايرة لآحادها وواجبة بذاتها ، إذ لو كانت غير ذلك لكانت واحدة من السلسلة .

٣ — أو يكون التسلسل دائريا لا يتناهى — فتكون بعض الآحاد أو جملتها عللها جميعاً ، فتكون معلولة لذاتها ، ويصبح الجملة والكل شيئاً واحداً — وفى هذه الحالة لن تكون الجملة معلولة للواحد — لأنه هو معلول بها ، ولن يكون بعضها هو العلة ؛ إذ ليس بعضها أولى بهذه العلة من غيره ، والجملة لا تكون علة للآحاد ، وإلا لم يحتج إليها ما دام كل واحد فى السلسلة معلولا لما قبله علة لما بعده — فسقطت هذه الحجة — وبقيت سابقتاها التى لا بد أن تنتهى فى كليهما — مع التناهى فى التسلسل أو اللاتناهى — إلى طرف خارج عنها — غير متقدم لها فى الزمان — هو علتها اللامعلولة — وهو واجب الوجود الذى هى ممكنة به .

وبعد إذ فرغ الشيخ الرئيس من إثبات واجب الوجود فى ذاته على هذا النحو ، شرع فى إثبات صفاته إيجابيها وسلبيها : كالوحدة وعدم الكثرة أو التركيب والانقسام ، وعدم المشابهة أو الضدية ، وأنه تعالى عاقل لذاته معقول لذاته ، أى أنه عالم قيوم self existent

ولإثبات وحدة واجب الوجود ، يقرر أن الأشياء قد تختلف بأعيانها وقد تتفق — والمختلفة بأعيانها قد تتفق فى مقوماتها أو فى أمر عارض لها ، فينتج لدينا أربعة أقسام يهمنا منها النوع الأول من الأشياء : أعنى المختلفة بالأعيان (بالذات أو الهويّة identite) المتفقة فى مقوماتها (حدودها الرئيسية من جنس ونوع Constituents) ، وبينها أمر تتفق فيه وآخر تختلف فيه اتفاقاً واختلافاً لازمين أو عارضين من جانب وجه الشبه أو وجه الخلاف ، أما اللزوم فيما تتفق فيه كاشتراك الإنسان الناطق والحيوان الأعجم فى الجنس « حيوان » فهو صحيح ، وأما اللزوم فيما تختلف فيه لزوم النطق والعجمة فى الإنسان أو الحيوان فمحال كذلك عروض ما تتفق فيه لما تختلف فيه جائز ، وعروض ما تفترق فيه ليس بمنكر ، كاطلاق الإنسانية على هذا الإنسان أو ذاك ، فالعرضية هنا واضحة الجواز .

ومقدمة أخرى يسوقها فيلسوفنا للبرهنة على وحدة واجب الوجود هى أنه يجوز أن تكون صفة ما كلية سبباً لصفة أخرى جزئية ، وهذه لأقل منها جزئية — فماهية الشىء أو فصله أو خاصته أو عرضه يمكن أن تكون سبباً لصفات أخرى فيما عدا الوجود — إذ الفرق بين الوجود وسائر الصفات أن هذه توجد بسبب الماهية ، والماهية سببها الوجود . فما هو سبب لا يكون مسبباً — وما هو علة لا يصبح معلولا ، وما هو متقدم فى الوجود لا يتقدم عليه غيره فى الوجود . وللامام الرازى على حجج ابن سينا هنا مناقشات ومحاكات ، وللطوسى على هذا الشارح الفاضل مآخذ واعتراضات . وجملة القول بعد هاتين المقدمتين أن واجب الوجود ما لم يتعين لم يكن علة لغيره ، لأنه بغير هذا التعين لا يوجد فى الخارج — وما شأنه ذلك يمتنع أن يكون موجداً لغيره ، وتعينه ذاك إما أن يأتيه من كونه واجب الوجود — وحينئذ لن يكون ثمة واجب وجود غيره ، وثبتت وحدانيته ؛ وإما أن يكون لأمر غير كونه واجب الوجود — فيكون حينئذ معلوماً — لأن وجوده يكون إذ ذاك من غيره ، ويكون الوجود ماهية أو صفة لغيره — وهو محال — هذا من حيث لزوم ما به الاشتراك وما به الاختلاف بين التعين والوجود الواجب ، وبإتمام ذلك بتطبيق عروض وجوه الاتفاق ووجوه الامتياز بينهما — على حد تقسيمنا الرباعى السابق فى المقدمة (كما تجد فى شرح الرازى ص ٢٠٥ والطوسى ٢٠٤ — ٢٠٦) ينتهى ابن سينا إلى فساد الثلاثة الأخيرة ، وإثبات تعين واجب الوجود — وبالتالى وحدته — ذلك لأن الأشياء التى لها حد نوعى واحد — أى لا تطلق على كثيرين ، وخصوصاً إن هى لم تكن فى مادة — لم تتعدد أشخاصها ، بل كان تعينها لازماً لنوعها أو لشخصها وحده ، وواجب الوجود ليس نوعاً يشترك فيه أشخاص، ولا جنساً تشترك فيه أنواع، ولا يقال على كثرة أصلا

ومن هذا نرى أن واجب الوجود لا ينقسم فى الكم ولا فى المعنى ؛ لا فى الكمية ولا فى الماهية ، إذ لو تركبت ذاته من شيئين أو أشياء مجتمعة ، لكانت هذه كلها أو آحادها أسبق منه فى الوجود ومقومة له ، ولكانت بالتالى علة وجوده ، وهو كما قلنا ليس معلولا ولا مركباً ولا منقسماً فى الكم إلى أجزاء متشابهة ، أو فى المعنى إلى واجب وجود وماهية ، بل هو جوهر بسيط غير متجزئ ، وحتى وجوده ذاته ليس جزءاً من ماهيته أو متمما أو مقوماً لها ، فماهيته هى أنيته (وجوده الخاص الذى هو المبدأ لعامة الموجودات) وإنما التكثر بالقسمة الكمية إلى مادة وصورة ؛ وبالقسمة المعنوية إلى وجود وهيولى ؛ فهو الجسم الممكن المحسوس الذى له من نوعه أشباه - ولا كذلك واجب الوجود ، فإنه لا يشارك شيئاً من الأشياء الممكنة فى ماهيتها أو جنسها أو نوعها ، بل هو مستقل بذاته التى لا جنس لها ولا فصل - والتى من ثم لا يمكن تعريفها أو تصورها فى العقل بحد ، أو تصورها فى موضوع أو جوهر .

وكما أن الأول لا ندّ له ولا شبيه ، ولا جنس له ولا فصل ، ولا حد ولا تعريف ، بل شهود وعرفان بالقلب والنظر ؛ فلا ضد له كذلك ، سواء أكان هذا الضد عند العامة المساوى فى القوة المانع ، وعند الخاصة المشارك فى الوضوع المعاقب غير مجامع : إذ الضد فى الحالة الأولى معلول ، ومثله لا ينهض ضداً للواجب الأول ، وفى الحالة الثانية ليس للأول موضوع فيشاركه فيه أحد ، أو يتعاقب عليه بعده أحد .

وطبيعة الأول تجعله بحيث يعقل ذاته وتتعقله ، فهو واحد قيوم ؛ ذاته غير قائمة بغيرها — بل بنفسها ، ومجردة عن علائق المادة ، منزهة عن العهد والضعف وكل حس أو وهم أو تخيل من شأنه أن يجعله غير معقول أو يمت إلى الحس بسبب ، ومن كان ذلك شأنه فقد بين الشيخ الرئيس فى النمط السابق لهذا أنه يصير عاقلا ومعقولا — وعاشقاً ومعشوقاً — فانظره .

ونهاية المطاف ما ينبه عليه ابن سينا من الفرق بين مذهبه فى إثبات وجود الله وبين غيره من المذاهب ، فبينما المتكلمون من المسلمين يستدلون بالمخلوقات على الخالق ، وبالصنعة على الصانع ، وهو ما ذهب إليه كثير من الفلاسفة المتوحدين — مسلمين ومسيحيين ؛ وبينما الحكماء الطبيعيون يستدلون بوجود الحركة على محرك ، والمحركات إلى محرك أول — كما هى حجة أرسطو خصوصاً ؛ إذ الفلاسفة الإلهيين — وهو منهم — يستدلون بالنظر فى الوجود ذاته على إثبات واجب الوجود ، فى مقابل الممكن ، ثم يتبعون ذلك النظر فى ذات واجب الوجود بإثبات صفاته — على هذا النحو الذى فعل ابن سينا — بمعنى أنهم يستدلون بالعلة على المعلول — لا العكس — وهو أكثر يقيناً ، وأتم شرفاً ، وأولى بقومه الإلهيين الصدّيقين الذين لا يرون الله فى « الآفاق وفى أنفسهم » بل يستشهدون بالحق على كل شىء — عملا بقوله : « أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »؟ فلم يحتج إثبات وجود الحق ووحدانيته وبراءته عن السمات إلى تأمل لغير نفس الوجود ليشهد به الوجود من حيث هو وجوده — ثم يشهد هو بعد ذلك على ما هو واجب بعده .

تلك هى طريقة إثبات وجود الله عند الإلهيين من الإسلاميين كما يعبر عنهم ابن سينا فى أروع كتاب له فى الحكمة المشرقية .

كمال دسوقى

من وراء المنظار

صــوف و (دمور)

جلست ذات مساء فى دكان الخياط ضجراً من ضياع وقتى فى انتظار بدلتى متعجباً من أن يخلف الخياط موعده إياى أربع مرات وهو لا يزداد خجلا فى كل مرة عنه فى سالفتها وإنما يزداد هـدوءاً وصفاقة وجه لأنه لم يخجل قط وذلك فيما أرى لكثرة ما ألف من خلف الوعد ...

ولم أجد شيئاً أتفرج به بعد أن فرغت من التفكر فى صفاقته فثقل علىّ الإنتظار وهممت بالإنصراف ، وإذ ذاك دخل الدكان شابان حاسرا الرأس لم ألبث أن أحسست أن فيهما ما أنشد من فرجة ... كان أحدهما فيما قدرت فى العشرين أو فوق ذلك قليلا ، وكان الثانى دونه بنحو عامين ، وكانا كلاهما من أناقة الملبس وسطوع الألوان بحيث يستوقف ذلك منهما البصر قبل أى صفة غيره .. ونظرت فإذا بأصغرهما يتخطر إلى المرآة فينظر فيها نظرات أشاعت فى عينيه وملامحه جميعاً الإعجاب والغبطة ، ثم يصلح رباط عنقه وبصف شـعر فوديه ، وقد اطمأن إلى بريقه ونعومته ، ويستدير يمنة ويسرة فينظر إلى عطفيه وجانبيه ، ثم يلقى نظرة على هيكله كله فى بدلته الجديدة ، ويستدير المرآة مزهواً يصفر بشفتيه لحناً وفى مشيته من الطراوة والتخلج ما لايدع فى بدنه من الرجولة إلا الإسم. وأخرج الثانى مشطه ومشى إلى المرآة فأصلح شعره ووثق فى لمحات قصيرة من جمال طلعته وأناقة بدلته ، ثم جاء فجر مقعداً وجلس عليه قبالة صاحبه الذى اختار أن يجلس على حافة منضدة فى وسط الدكان معتقلا ركبته بيده تارة ، مستنداً إلى ذراعيه يكاد يستلقى على ظهره فوق المنضدة تارة أخرى ... وما اختار المنضدة مقعداً فيما أعتقد إلا ليبقى تجاه المرآة يستمتع بما يرى من وجاهة .

وأخرج أصغرهما علبة سـكائره ومدها إلى صاحبه ، وراحا يرسلان الدخان فى جو الدكان ورأيت لأصغرهما أوضاعاً يتكلفها للسيكارة بين أصابعه وفى فمه وفى كفه إذ يشير بها أثناء الحديث ، وأوضاعاً للدخان كيف يرشفه وكيف ينفثه وذلك عنده من مصطلحات الأناقة والظرف ، واستبطآ الخياط ، وضجرا من أن تضيع دقائق من وقتهما الثمين فى انتظاره ؛ وكان الأصغر يثب إلى الباب كل دقيقتين أو ثلاث يضن بأناقة ورشاقة أن يذهبا سدى طول هذا الوقت الذى يحجبه فيه الدكان وهو ما خرج ورفيقه من دارهما إلا لتعجب بهما الغانيات ! وصحبه رفيقه إلى الباب وقد أبصرا من بعد فى ضوء المصابيح بعض الفتيات ، وعادا ينتقدان ساقى هذه ويمتدحان قوام تلك ؛ ثم جلسا يستعرضان فى ضحك وتحمس ما يعجبهما فيمن يعرفن من كواكب السينما من سيقان وعيون وشفاه ، وكل منهما يدافع عن وجهة نظره فى قوة ، كما لو كانا يتجادلان فى مسألة من مسائل العلم أو الأدب أو الاقتصاد ، وهيهات أن يبقى ما يرعافيه من علم الجمال وما حفظاه من أسماء الكواكب الزهر فى رأسيهما فراغاً لشىء من ذلك الجد وهما بعد كما عرفت من كلامهما طالبان فى الجامعة ...

وجاء الخياط فسأله الأصغر عما عنده من قماش ، ونظر نظرة فى الألوان وسأله عما يطلب ثمناً لبدلة منه ؛ فقال الخياط أربعة وعشرين جنيهاً . وإذ ذاك ألقى الفتى بالقماش من يده ، وقال وهل ألبس بدلة بأربعة وعشرين جنيهاً ؟ وتملقه الخياط بقوله إذا كان مثلك يا سعادة البك لا يدفع هذه القيمة فمن يدفع ؟ وضحك الفتى ورفع رأسه وتأبه وشمخ بأنفه وقال للخياط أريد بدلة كهذه وأشار إلى بدلته ، لقد أخذ خياطى ثمناً لها خمسين جنيهاً ... وكأنما أراد الفتى أن يبين للخياط بدليل آخر مبلغ جهله بقدره ، فأشار إلى رباط رقبته وسأله كم تظن ثمن هذه الكرافتة ؟ فقال الخياط لايقل عن جنيه ونصف يا سعادة البك ! فضحك الفتى ثانية ضحكة مازجتها الكدرة وقال ثمنها ثلاثة جنيهات ونصف .. ثم سلم هو وصاحبه وخرجا من الدكان .. ونظر إلى الخياط وقال لهذا السبب ينجح الخواجات فايهم الواحد من هؤلاء اللاعبين بالمال إلا أن يقال إنه يلبس بدلة ثمنها كذا ، أما قيمتها الحقيقية فآخر مايفكرون فيه ، وفى البلد آلاف بل ملايين لا يجدون بضعة أمتار من الدمور ..

وملت بموضوع الحديث عن وجهته لما فى نفسى من ضجر وغيظ من الخياط الناقد ، فقلت وهل ينجح الخواجات بهذا وحده ؟ فهز رأسه مستفهماً فقلت : وبصدقهم فى المواعيد . . . ومضيت بدون بدلتى ضجراً من خلف الخياط وإن بقى لكلماته أثر قوى فى نفسى ظل يذكرنى أياماً بالجنيهات الخمسين وبضعة الأمتار من الدمور

الخفيف

على الأعراف (*)

للأستاذ محمود غنيم

ما للكنانة بعد طول مطاف   وقفت سفينتها على الأعراف؟
ولقد تكشفت الأمور وأمرها   داجى الغياهب حالك الأسداف
قالوا: السلام فقلت: دون سلامكم   وقع الصوارم والقنا الرعاف
والله ما ساد السلام بعالم   حُرِم الضعيف به من الانصاف
إن الذين ولوا السلام قضوا بما   يدع السلام مزعزع الأكناف
حكموا ففاحت من بوادر حكمهم   ريح الدم الفوار للمستاف
طرحوا القضية فى السلال فهل ترى
يوم القيامة يوم الاستئناف
قل للألى طال التداول بينهم   ليس الصباح على البصير بخاف
فيم التداول إن قرص الشمس لا   يحتاج ناظره إلى كشاف
خدعت بمعسول الوعود ممالك   لم يجن غير مرارة الأحلاف
هل كان ميثاق المحيط رواية   وهمية محبوكة الأطراف
كشفت قضية مصر ثوب ريائهم   يا للرياء وثوبه الشفاف
حلفاؤنا الأحرار لما نكلوا   بخصومهم مالوا على الأحلاف
سبعون عاما فى احتلال دائم   يا للكنانة من سنين عجاف
ضيف ألم بها فأصبح ربها   ثم استباح كرامة الضياف
قالوا: استقل النيل والمحتل فى   واديه محمول على الأكتاف
إن الأسار له مذاق واحد   ولو أنه متعدد الأوصاف
لسنا بأحرار لعمرى ما بدا   لوجوههم طيف من الأطياف

أبنى أبينا فى الجنوب تحية   كالزهر كلل بالندى الرفاف
فى مصر عترتكم وما فى غيرها   من عترة لكمو ولا أسلاف
النيل ألف بيننا بنميره   كتألف الندمان حول سلاف
أخوا رضاع ليس يفصل بيننا   فى الوضع غير شريعة الأجحاف
لا يخدعنكم الدهاة بزائف   من قولهم عذب المذاق زعاف
الأجنبى بأرضنا وبأرضكم   كالغيم فى الجو الطليق الصافى
إن الذى تبع الدخيل منوم   فى الصحو مسلوب الإرادة غاف
إن غره كرم الدخيل فطالما   ذبح الفصيل بمدية العلاف
ضموا الصفوف إلى الصفوف وأرهفوا
بيض العزائم أيما إرهاف
إن الأمانى كالغوانى دأبها   ألا تلين لخاملين ضعاف
لا ينفذ الحق الصريح بنفسه   كلا ولا عدل القضاة بكاف
الحق يعوزه محقق ساهر   كالسيف تعوزه يد السياف
ولقد تألبت الخطوب على الحمى   وبنوه رهن تناحر وخلاف
ما ضر لو نسى الجميع نفوسهم   فيعود صفو الود بعد تجاف
شتى فئات يهدفون لغاية   فكأنهم سفر بألف غلاف
هتفوا لزيد بالحياة وخالد   لكن وقفت على الجلاء هتافى
بطل الجلاء سقت ضريحك ديمة   تسقى الرياض بها طل وكاف
درجت عليك الأربعون ولم تزل   من كل قلب عالقا بشغاف
لك سيرة يتلو الشباب فصولها   كالآى من ياسين والأحقاف
سور رتلها فتشعل فى الدما   ما تشعل النيران فى الألياف
قف بالفلاة وقل: هنا الكنز الذى
دفنوه بين جنادل وفياف
قف بالفلاة وقل: هنا فرد إذا   قيس الرجال يقاس بالآلاف
حمل الأمانة وحده فكأنه   من نفسه فى فيلق زحاف
ما ضر أعظمه تواضع قبره   فالدر در وهو فى الأصداف
يا سيد الشهداء غرسك لم تزل   نسقيه من دمنا ليوم قطاف
وتراثك الوطنى فى يد معشر   لا واهن عزما ولا وقاف
نفر من الأشراف أن جد الحمى   فى البحث عن نفر من الأشراف
رجعوا إلى أعراقهم فتجمعوا   بعد الخلاف تجمع الألاف
من كل باذل نفسه أو ماله   للنيل مقتنع بعيش كفاف
ما أنكروا حقا ولا إن جادلوا   فى باطل لجئوا إلى الأسفاف
لا الحكم طأطأ من رءوسهمو ولا   لانت قناتهمو لغمز ثقاف
لا تستخف الحادثات حلومهم   ويقابلون الموت باستخفاف
قالوا: معاهدة الفخار وقلتمو   داء عضال لا دواء شاف
حتى إذا لاح الصباح لناظر   شهدوا لكم بإصابة الأهداف
أدركتمو عيب الأمور كأنكم   تتلونها من صفحة العراف
وتزعزع المتزعزعون وأنتمو   كالطود فى عصف الرياح وقاف
ووفيتمو لبلادكم بالعهد فى   زمن يقل به الأمين الوافى

محمود غنيم

(*) ألقيت هذه القصيدة بدار الأوبرا الملكية فى إحتفال الحزب الوطنى بمرور أربعين عاما على وفاة المرحوم مصطفى كامل.

الأدب والفن في أسبوع

مهرجان الشباب :

كان يوم الجمعة يوم الشباب ، وهو اليوم الذى أقامت فيه الإدارد العامة للثقافة بوزارة المعارف ، المهرجان الأدبى والفنى لتعرض به نتائج المباريات التى نظمتها للشباب فى الأدب والفنون فمنذ أكثر من شهر يقوم المشرفون على هذا المهرجان بالإعداد له ، وتقوم لجان التحكيم بالفحص وكشف المواهب ؛ حتى وضعوا أيديهم على البواكير ، وقدموا ما طاب منها على مسرح الأوبرا الملكية يوم المهرجان .

افتتح الحفل الأستاذ فريد أبو حديد بك المدير العام للثقافة بكلمة أبدى بها فكرة المهرجان الذى اعتزمت وزارة المعارف تنظيمه سنويا فى شهر عيد الميلاد الملكى ، لحفز قوى الشباب الأدبية والفنية وتدعيم نبوغه ، وبين آثار الفنون فى حياة الأمم ورقيها ، ومما قاله أن مصر التى نشطت فيها الحركات الأدبية والفنية ولم يعقها الاحتلال -- حرية أن تبلغ فى هذا المضمار شأواً أبعد ، على أيدى الشباب فى العهد الجديد ، وقال إنه كان يلاحظ علامات السرور على وجوه أعضاء لجان التحكيم حين تلوح لهم لمات فى إنتاج الشباب ، وإن ذلك يدل على ما يرجون فيهم من خير وما يودون لهم من توفيق .

وبعد أن ألقى الفائزون فى مباراة الغناء نشيدا ، تقدم الفائز الأول فى مباراة الشعر (وترى بعد هذا كلمة عنه) فألقى قصيدة ، ثم ألقى الفائز الأول فى الزجل زجلا مطلعه « كلمة فاروق حلوة » ثم تلا ذلك عزف موسيقى إجماعى وانفرادى على مختلف الآلات من طلاب ومحترفين وهواة ، وتخلل العزف نشيد وقطعة غنائية ثم وزعت الجوائز على الفائزين فى المباريات ، وبعد ذلك مثل فريق مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية مسرحية إسماعيل الفاتح ، وأعقبه فريق هواة الأسرة الأباظية بتمثيل الفصل الثانى من مسرحية قيس ولبنى .

الشاعر الأول :

كانت مفاجأة المهرجان هذا الشاب الشاعر عبد العليم محمد القبانى الذى يشتغل بخياطة الملابس البلدية بالاسكندرية ، وكانت القصائد التى قدمها فى المباراة الشعرية قد استرعت التفات لجنة التحكيم فى الشعر وأثارت إلى جانب دهشتها شيئاً من الشك ؛ فلما كان الأستاذ فريد بك أبو حديد بالاسكندرية عرج على دكان هذا الترزى الشاعر ، وجلس بجانبه يحادثه متوسما أمره ، وجذب عبد العليم كراسة من درج بدكانه ، وجعل يسمع فريد بك أشعاره ...

فاز الأستاذ عبد العليم فى المباراة بقصيدتين هما « من ليالى البحيرة » و « ليلة فى حان » وقد ألقى الأولى فى المهرجان ، وأولها :

قلت لى لما تلاقينا على شط البحيرة
فى مساء رائع الفتنة موفور المسرة
كلما حاولت أن أنساه لا أذكر غيره

ياحبيبى ابتسم الدهــر لنـــا
فتعـــال نجتنى زهر المــنى
لا تقل لى فى غد موعــدنا
نحن لا نملك إلا يومنــــا

ويقول فى القصيدة الثانية « ليلة فى حان » :

يا ابنة الحان هفا قلبى إليك ... فاتركيه يحتسى من خمر ثغرك
طاف بالدنيا وأمسى فى يديك ... ظامئاً لا يرتوى إلا بخمرك

فدعيه يحتسى حتى الصباح
من جنى الكرمة والحسن المباح
يا ابنة الحان دنا الفجر ولاح
وأنا لا أرتجى عنك رواح

على أن التمثيل بأجزاء من هاتين القصيدتين لا يعطى فكرة صحيحة لقيمتهما ، فكل منهما ذات وحدة وخيال متصل .

شاعر من الجنوب :

وقد فاز فى مباراة الشعر شاب من إخواننا السودانيين هو الشاعر إدريس محمد جماع ، وهو طالب بكلية دار العلوم ، ومن قصيدته يصف النيل حين يغضب :

إذا الجنادل قامت دون مسربه ... أرغى وأزبد فيها وهو غضبان
ونشّر الهول فى الأجواء منطلقاً ... وكان فى كل صوب منه بركان
لحول الصخر ذرا فى مدارجه ... فبات وهو على الشطين كثبان
عزيمة النيل تفنى الصخر حدتها ... فكيف إن مسه بالضيم إنسان

الخطيب الأول :

يذكر القراء ما كتبته فى عدد مضى عن مباراة الخطابة وما لاحظته على موضوعها وهو بيت من حكم المتنبي؛ وكان ذلك فى إحدى جلسات المباراة ، وفى جلسة أخرى اقترح على المتبارين الموضوع التالى : « تمثل وقد جئت إلى هذه المباراة جمعا من ثراة مصر جاءوا ينتظرون كلمتك فوجهها إليهم ولتكن غايتك حثهم على افتداء فلسطين بالمال فإن غيرهم يفتديها بالأرواح » وحدد للتفكير ساعة ، وجعل للخطابة عشر دقائق ، وكان بين المتبارين الشاب الأديب عبد الصبور مرزوق الطالب بكلية دار العلوم ، فروى ساعة ثم تقدم يقول :

قال لى صاحبى ليعلم مابى ... أى شىء غدوت منه حزيناً
قلت حرب وفتنة وجحيم ... فى فلسطين ، أين نلقى المعينا
موطن الوحى أصبح اليوم نهبا ... وعرين الأسود بات مهينا

ثم سار بعد ذلك فى الموضوع نثرا ، ووجدتنى أسرع إلى تسجيل بعض قوله ، فمنه « فلن يزيدنا عسفهم إلا إباء وثورة ، ولن يزيدنا كيدهم إلا كفاحا وقوة ، ولن يفل عزيمة الشرق أنه مهدد ، ولن يحول دون نجاحه أنه مستعبد » ومنه « فقد شربنا مع الفطام كيف نجالد اليأس فنحيله أملا ، وكيف نغالب الأقدار فتزيدنا أجلا ، وكيف نستعذب الموت فى كفاح المحن ، ونستعيد الماضى وإن طال على الماضى الزمن » .

وقد عاد إلى ارتجال الشعر فى أثناء الخطابة فقال :

فسلوا الأرض فى فلسطين أرضى من بعد طهر رجس
وسلوا المسجد المقدس عنهم ... وهو يبكى بروعة وتأس
« أحرام على بلابله الدو ... ح حلال للطير من كل جنس »

والبيت الأخير لشوقى بك ، أتى به على سبيل التضمين .

وكان عبد الصبور هو الفائز الأول فى الخطابة ، ولم يلق فى المهرجان بالأوبرا ، لأن المهرجان كان يذاع ما يلق فيه ، والإذاعة تحتم الاطلاع على النص من قبل ، والخطابة ارتجال .

يريد أن يشبع قراءة :

هو أحد الفائزين فى مباراة القصة ، وهو الشاب الأديب محمد يسرى أحمد الطالب بكلية الطب ؛ قدم إلى المباراة قصتين قصيرتين : « الغربال » و « الأعمى » والتى فازت الأولى ، لا لأنها أحسن من الثانية ، ولكن اللجنة قرأت قصة « الأعمى » فألفتها قصة جيدة من حيث القيمة الفنية ، بل إنها دهشت لبراعة كاتبها فى التحليل وتبيين الدوافع التى حملت بطل القصة على على ارتكاب أمر محرم يعافه الطبع المستقيم ، ولهذا صرفت النظر عن القيمة الفنية وأسقطت القصة من الحساب ، واكتفت بقصة « الغربال » .

وقد استرعى أمر هذا الشاب التفات لجنة القصص ، من حيث نبوغه فى فن القصة مع صغر سنه التى لا تتجاوز الثانية والعشرين ، فكان موقفها منه كموقف لجنة الشعر من الشاعر التوزى ... أثار إلى جانب دهشتها شيئاً من الشك ... وقصد إلى منزله بحلمية الزيتون الأستاذ عبد الله حبيب عضو لجنة التحكيم فى القصة ، وجلس معه فى غرفة الاستقبال ، وعلم الشاب أنه فاز فى المباراة ، وأنه سيمنح ميدالية ذهبية ، فقال :

— كم تساوى هذه الميدالية إذا بعتها ؟

— إنها يا بنى تتكلف نحو ثلاثة جنيهات لدقة صنعها ، ولكنك إذا بعتها فلن يزيد ثمنها على خمسين قرشاً .

— إننى جائع إلى القراءة ... أمر بالمكتبات فأرى فى واجهاتها « شهى » المؤلفات فى الآداب والفنون ، فأحس بالشوق إلى التهامها ، ولكنى أنصرف عنها آسفا كاسف البال ، لأنى

لا أقدر على ثمنها ، وكم أفضل جائزة مالية على هذه الميدالية ، لكى أشبع من قراءة هذه الكتب ...

وكان المقرر أن تقصر الجوائز المالية على الفائزين من غير الطلبة ، أما هؤلاء فيمنحون ميداليات ، خشية أن تصرفهم النقود عن الجد ، فينفقوها على شيء من اللهو ... ولكن الرغبة التى أبداها محمد يسرى كانت من أسباب الرجوع عن هذا القرار فمنح جائزة مالية كما منح غيره من الطلبة الفائزين .

بقية الفائزين :

فاز فى الشعر عدا الفائز الأول والشاعر السودانى — كمال النجمي وعبد المنعم حسن قنديل ومحمد الحناوى وسعد دعبس ويوسف زاهر ، وفاز فى الخطابة — عدا الأول — حسين دياب وطه محمود عثمان ومحيى الدين الحلوانى ، وفاز فى القصة محمد أمين حسونة (الأول) ومحمد يسرى أحمد الذى تقدم ذكره ومحمد رشاد حجازى وعبد الفتاح مجدى ونعيمة وصفى وإنعام إبراهيم النجار ومحمد شريف وفاز فى المسرحيات أحمد جاب الله شلبى ، وفاز فى التمثيليات الإذاعية عزالدين فراج ، وفاز محمد محمود زيتون فى الخطابة والشعر والتمثيليات الإذاعية ، وفاز محمد على ناصف فى القصة وفى المسرحيات (الأول) وفى التمثيليات الإذاعية ؛ وفاز محمد عبد الرازق مرزوق فى القصة وفى المسرحيات . وبلغ مجموع الفائزين فى فنون الأدب وباقى الفنون ١٢٠ ، وكانت الجوائز بعضها أدبى وبعضها مالى ، وبلغ مجموع الجوائز المالية ٥٠٠ جنيه .

ويلاحظ أنه لم يفز من الفتيات فى الأدب غير اثنتين فازتا فى القصة ، وقد كانت نسبتهن فى الموسيقى كبيرة وقد برعن فى فى العزف وخاصة على البيان رفيق الأنامل الناعمة .

الموسيقى والتمثيل :

كانت الأناشيد والموسيقى أضعف برنامج المهرجان ، وكان أغلب العزف بأنواعه ضربات على الآلات لافن ولا طرب فيها ، وقد شغل مع هذا أكثر وقت المهرجان ، حتى مله الحاضرون . وإن لم يخل من ومضات ، كعزف ذلك الصغير على الكمان ، وضرب هذه الصغيرة على البيان ، وهما صغيران قدمهما نبوغهما المبكر إلى صفوف الشباب ..

وقد مثل فريق مدرسة الخديو إسماعيل الثانوية مسرحية إسماعيل الفاتح ، ومثل فريق هواة الأسرة الأباظية الفصل الثانى من مسرحية قيس ولبنى ، فأزال الفريقان ما ران على النفوس من ملل الموسيقى ، ودلا على كفاية الفرق المدرسية والهواة فى فن التمثيل المسرحى .

معرض الكتب والفنون :

وفى اليوم التالى لمهرجان الأوبرا ، وهو يوم السبت ، ناب عن معالى وزير المعارف الأستاذ إسماعيل القبانى المستشار الفنى لوزارة المعارف — فى افتتاح معرض الكتب ومعرض الفنون بدار خدمة الشباب (٧ شارع سليمان باشا) .

ويشتمل المعرض الأول على الكتب الصادرة فى سنة ١٩٤٧ التى بعث بهما المؤلفون ودور النشر إلى المعرض بناء على طلب الإدارة . ويحوى معرض الفنون لوحات فى الرسم والتصوير بأنواعه ، وتماثيل وأشغالا يدوية وصناعات زخرفية ، قدمتها هيئات وأفراد وفرق هواة ومحترفين .

ويظل المعرضان مفتوحين للجمهور أسبوعا من يوم الافتتاح .

العباس



ميزان الحكمة (*)

لأبى الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن

حققه وعلق عليه الأستاذ فؤاد جميمان

بقلم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

هذا كتاب كان مخطوطاً فنشره لأول مرة فى المطبعة العربية الأستاذ فؤاد جيمان ، وذلك فضل يجب أن نسجله للناشر الذى رأى أثراً من الآثار الإسلامية مجهولا عند المسلمين اليوم فآثر أن يعرضه على قراء العربية فى طبعة أنيقة وذوق فى الإخراج مع التعليق فى بعض المواطن التى تحتاج إلى تعليق .

والحق أننا محتاجون إلى إحياء التراث العربى وكشف النقاب عن ذخائره ، فإن كثيراً من هذه الآثار لا يزال مطموراً فى ظلمات لم يكتب لها إلى اليوم أن ترى النور . كما حدثنى بذلك الأستاذ الدكتور محمد سامى الدهان الذى رأى بعينيه كثيراً من مخطوطات برلين العربية مدفوناً فى دير من الأديرة الكاثوليكية فى ألمانيا بعد أن صارت العاصمة الألمانية غرضاً للقنابل الإنجليزية

لذلك فرحت أشد الفرح حينما رأيت كتاب «ميزان الحكمة» للخازن يظهر إلى دنيا المطبوعات بعد أن كان فى عالم المخطوطات؛ فإن كل مخطوط عربى يقدم إلى المطبعة اليوم فإنما هو يد يسديها ناشره إلى الأمة العربية وإلى تاريخها الطويل الذى أسهمت به فى بناء الحضارة مدة من الزمان .

وينبغى أن لا تخرجنا العجلة فى طبع المخطوطات ونشرها عن القواعد الصحيحة للنشر والتحقيق ، وأن لا تعجلنا الفرحة بالإخراج عن الأناة فى التحقيق والتحرى له وحسن الضبط فيه ؛ فإن من الخير أن يظل المخطوط مخطوطاً عن أن يخرج إلى الناس على غير الوجه الذى أراده مؤلفه . وإن من الأمانة لتراث الأسلاف أن يظهر كما كان لا كما نتوهم نحن أن يكون .

ولا أعنى بذلك أن أنقص من عمل الأستاذ فؤاد جيمان أو أن أهون من أمر إخراجه لكتاب «ميزان الحكمة» على هذا الوجه الذى طالعنا به مكتب الشروق للطباعة والنشر ، فأنا على ثقة أن عناية كبيرة بذلت فى سبيل إخراج هذا المخطوط الذى تلفت منه كثير من الصفحات ، والذى فُقد منه فوق ذلك جزء ليس بالقليل . فإن الفصول الثلاثة الأولى من الباب الثانى من المقالة الخامسة مفقودة ، وقد أشار الناشر إلى ذلك فى ذيل صفحة ١٠٧ . أما الباب الثالث من هذه المقالة فلم أقف له على أثر فى موضعه من الكتاب ولم أجد المحقق أشار إلى ذلك ، بل وصل ما بين البابين الثانى والرابع من غير تعرض لهذا الباب المفقود .

على أن إخراج المخطوطات يجب أن يرجع فيه إلى أكثر من مخطوط واحد حتى تتم المقابلة بين النسخ الخطية من الكتاب على أتم الوجوه . ولكن هذا العمل قد يمنى القائمين به ويرهقهم من أمرهم عسراً . ولكن العسر فى سبيل التحقيق العلمى هو وسيلة يهون عندها الوصول إلى أنبل الغايات ؛ وهى إظهار النص على حال لا يبعد به عن أصله الذى أراده له مؤلفه . ولا يلجأ إلى المخطوط الواحد إلا حين تنعدم من العالم نسخ خطية أخرى . فهل كان الشأن كذلك حين نشر الأستاذ جيمان هذا الكتاب عن نسخة خطية واحدة ؟

يقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان فى التصدير الذى قدم به بين يدى الكتاب « إن قنصل روسيا فى تبريز عثر صدفة فى منتصف القرن الماضى على هذا الكتاب « كتاب ميزان الحكمة » ويقول فى موضع آخر : « وأخيراً توفق الأستاذ فؤاد جيمان فى الحصول على مخطوط لميزان الحكمة فنقله مع شىء من الشرح والتعليق » ويقول الأستاذ جيمان ناشر الكتاب فى صفحة ١٧ : (وربما كانت النسخة التى بين أيدينا هى تلك النسخة الموجودة فى فارس إذ لم أستطع أن أتبين تاريخها وذلك التشويه الكبير الذى ألم بها) . ويقول أيضاً فى الصفحة نفسها : (لكن المستشرق الألمانى ويدمان يذكر أن نسخة منه موجودة فى أحد جوامع بهاى فى الهند) .

(*) ١٢٨ صفحة من القطع الكبير — نشره مكتب الشرق بالقاهرة

هذه خلاصة قصة هذه المخطوطة كما ذكرها الناشر ومقدم الكتاب ، وليأذن لى الأستاذان الفاضلان أن نسخة خطية من هذا الكتاب توجد فى « الخزانة الآصفية » وهى خزانة عامة « تحت نظم الدولة الآصفية » بالهند . واسم الكتاب مذكور فى فهرس الخزانة ج ١ ص ١٢٥ كما ورد فى كتاب « تذكرة النوادر» المطبوع فى حيدراباد الدكن والذى أخرجته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٥٠ هجرية . — راجع "تذكرة ص١٦٦ وهذا المخطوط كما وصفته التذكرة بمقالاته الثمان — هو الذى نشره الأستاذ جيمان . ومعنى هذا أن من هذا الكتاب نسختين خطيتين كان أولى بالناشر أن يحصل على ثانيتهما بطريق التصوير مثلا ؛ فربما كانت هذه النسخة الآصفية أكثر ضبطاً وأكمل صفحات وأسلم من التلف . وبهذا كان يتجنب هذا الفراغ الكبير الذى تركه فى الكتاب المطبوع معتذراً بتلف الأوراق أو فقدانها .

أما النسخة التى يذكر المؤلف أن المستشرق الألمانى ويدمان يقول إنها موجودة فى أحد جوامع بمباى بالهند فقد وقفت طويلا عند ذكرها وأطلت الوقوف ... ويظهر أنها مقالة أو أكثر من مقالات « ميزان الحكمة » نسخت فى ربيع الآخر سنة ٥٨٥ بساحل بحر عمان فى موضع نفال أى بعد حياة الخازن ببضع عشرات من السنين . ولكن « تذكرة النوادر » ومؤلفها أحد علماء الهند المعاصرين يذكر أن بين مخطوطتى الآصفية وجامع بمباى اختلافاً فى عبارتهما وإن كان يذكر على سبيل الاحتمال أن الكتابين شىء واحد .

ويذكر الأستاذ قدرى حافظ طوقان شيئاً عن ترجمة الخازن فى الكلمة التى عنونها بهذا العنوان ؟ (من هو الخازن مؤلف هذا الكتاب ؟) . والحق أنها كلمة لا يسمو بها الإيجاز والاقتضاب أن ترتفع إلى مرتبة التعريف بعالم طبيعى من علماء المسلمين . ولو أنه نقل ما كتبه البيهقى فى كتابه « تاريخ حكماء الإسلام » الذى حققه الأستاذ محمد كرد على بك لأضاف إلى التعريف بالخازن شيئاً عن زهادة هذا العالم الجليل وعفة نفسه وجمال خلقه « ونقاء جيبه عن الأطماع الخسيسة » . كما يذكر المؤرخ « ظهير الدين » فى كتابه صفحة ١٦٣ .

ويظهر لى — والله أعلم بالسرائر — أن الأستاذ الناشر أراد أن يخرج كتاب الخازن على أى وجه ... وأن الأستاذ طوقان أراد — أو أريد له — أن يقدم الكتاب على أى وجه ... فخرج الكتاب وظهرت القدمة ... ولكن الكتاب لم يُظهر لنا « ميزان الحكمة » على أصله وحقيقته ؛ ومقدمة الأستاذ طوقان لم تظهر لنا « الخازن » الحكيم العربى على حقيقته . فإن الأستاذ طوقان يعلى من قدر « الخازن » إلى حد خشى معه أن يتوهم القارىء أن فى ذلك انتقاصاً من قدر العلماء الأوربيين: « تورشلى » و« بسكال » و« بويل » . وما هناك بأس أن ننصف آباءنا العرب حين تجب النصفة . ولكن ماذا يقول الأستاذ طوقان فى أن مقدمته كانت تحتاج إلى كثير من الشرح العلمى الطبيعى ، لا مقدمة عابرة يسد بها فراغ . وما كان هناك موضع أولى بشرح نظريات « الخازن » من مقدمة لكتاب ألفه الخازن ليفهم على حقيقته بعد موته بأكثر من سبعة قرون وما كان هناك أحد أولى بمثل هذه المقدمة من الأستاذ العالم قدرى حافظ طوقان . ولعل عالمنا العربى الجليل يعوض ذلك بمقال عن «الخازن» فى إحدى المجلات العربية العلمية الرصينة .

أستغفر الله ما قصدت أن أعنف على ناشر له فضل النشر كالأستاذ جيمان ، ولا على عالم — له فضل التعريف بعالم عبقرى — كالأستاذ طوقان ؛ فكلا الرجلين له فضل التقديم بأثر يعتز بذكراه المسلمون والعرب حين كانت لهم مقاليد العلم وميادين البحث — ولله عاقبة الأمور ...

محمد عبد الغنى حسن

الكتب

ثمار المطابع :

٨٩ شهراً في المنفى
١٩٣١ – ١٩٣٨

تأليف الأستاذ محمود حسني العرابي

لو كان مؤلف هذا الكتاب أوروبياً أو أمريكيا لنال من نباهة الذكر وذيوع الصيت قسطاً وافراً ملحوظاً ! ولو أن صاحبه أزجاه – إذ قدمه لقراء العربية – على أنه ترجمة لمغامرات انجليزي أو فرنسي أو أمريكي لاشتد إقبالنا على الكتاب ، وازداد إكبارنا لصاحبه ، وعظمت في عيوننا شخصيته ، ولشمر الكتاب عن سواعد الجد والنشاط ، وانطلقوا يعددون مآثر ذلك المغامر الإفرنجي ، وراحوا ينعتونه بنعوت البطولة والمجد ، وخلعوا عليه صفات الشرف والإباء والمصابرة !

ولكن هذا الكتاب ليس سوى بعض ما صادفه الأديب الكاتب المعروف الاستاذ محمود حسني العرابي في حياته الحافلة ، من ألوان الشدائد والصعاب ، وضروب التجارب والمغامرات ، منذ رحيله مكرهاً عن أرض وطنه الأول العزيز في عام ١٩٣١ إلى أن شاءت الظروف عودته إلى إحضانه في غضون عام ١٩٣٨ ، قبيل اندلاع نيران الحرب الأخيرة .

وقد أجمل المؤلف الفاضل في فصول هذا الكتاب الضخم وصف ما صادفه وما ألم به طوال مرحلة اغترابه عن مصر في عبارة رقيقة عذبة وأسلوب قصصي أخاذ ، تتجلى فيه شخصية صاحبه على نحو يندر الاهتداء إلى نظائره في هذه الأيام !! فهو يمتاح من تجاربه ويكتب دون حاجة ملحة إلى اصطناع الخيال أو التأنق في الوصف الفني ، ذلك أن الأيام التي مرت به في غربته قد احتشد بها كثير من الأحداث التي يعجز الخيال الموغل عن تصوير بعضها ، بل إن في بعضها ما يفوق الخيال الذي يتخيله القابعون في عقر دورهم ، والمعتصمون « بيروجهم العاجية » الأنيقة المترفة !

ولقد سجل الأستاذ العرابي حوادث تلك الفترة العاصفة من حياته الدائمة الصخب والضجيج تسجيلا فنياً لم نحظ بمثله – كما قدمنا – في كثير من كتب المغامرات عند الأوربيين ! ولقد جمله على نسق القصة ، فروى لنا حوادث تلك الفترة من حياته منذ غادر أرض مصر ، إلى أن قضى الله بأن يؤوب المغترب إلى أحضان أمه سالماً ، وسرد في غضون ذلك ما قاسى من آلام وغصص ، ونوه بما صادفه من عقبات وما عاناه من أوصاب ، ولم ينس أن يفضى إلى القارىء ببعض غرامياته وصداقاته التي هونت عليه أهوال الغربة وغصص الحرمان والفاقة !

وفي الكتاب تصوير صادق لحنينه إلى الوطن . فقد حدث وهو في محنته ببرلين، أن قدم رهط من المصريين لشهود مهرجانات الألعاب الأولمبية التي أقيمت بالعاصمة الألمانية عام ١٩٣٦ ، وتصادف أن جلس ذات مساء في مقهى بها ، إلى مائدة مجاورة لمائدة جماعة من أولئك المواطنين الزائرين الذين أنطلقوا ينتقصون وطنهم في غير رحمة ، ويبدون إعجابهم بعظمة الحضارة الألمانية ، ويعربون عن أملهم في الإقامة ببرلين ، ينهلون من مفاتنها ، ويقبسون من سنى حضارتها ولألائها ؛ فانبرى لهم يسفه آراءهم وينصح لهم بالابقاء على حب أمهم الرءوم مصر ، والعودة إلى أحضانها حيث يعملون على الرقي بها إلى حيث العلا والفلاح . واشتبك معهم في حوار رائع حقاً ، تجلى فيه حنين المغترب المحروم إلى وطنه النائي العزيز . ولولا معرفة صاحب هذا القلم بالأستاذ العرابي . وإدراكه مبلغ ما تنطوي عليه نفسه الشاعرة الحساسة من هوى مضطرم لا حد له بمصر وكل ما يتصل بمصر ، لخال ذلك ضرباً من الإيغال في الخيال ، أو نوعاً من المبالغات التي يعمد إليها الكتاب في معظم الأحيان توسلا بها إلى ترويج بضاعتهم المزجاة !

والجزء الثالث من هذه الذكريات قد وقفه الكاتب على نشاطه في سبيل العروبة والعرب ، وهو في منفاه ؛ ففيه سرد مسهب مفصل لنشاطه حينما تولى رياسة النادي العربي في برلين ، ذلك النادي الذي بذل المؤلف من وقته ونشاطه ماعاد عليه بالنجح

والتوفيق فى أداء رسالته الثقافية والرياضية ، أما عن النشاط السياسى لذلك النادى ، فيكفى الإلماع إلى مظاهرته قضية فلسطين وتأييده الصادق لها فى فترة الاضطرابات التى عمت البلاد المقدسة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية .

هذا والأستاذ المؤلف لا يعرف التأنق فى العبارة ، ولا يعشق المبالغة فى إظهار عواطفه ، وأسلوبه خير شاهد على ذلك الصدق الفنى المنقطع النظير .

والحق أن المكتبة العربية لتفخر بتلك الذكريات الحاشدة الحافلة ، وترحب بها كل ترحيب ، وتفسح لها مكاناً بارزاً مرموقاً ، وترجو لها الذيوع والانتشار الجديرين بأمثال هذه الدراسات الجادة المنطوية على التجربة الصادقة والنظرة المستقيمة المستوية ، والروح المؤمنة المطمئنة إلى عدالة موقفها وعدالة قضية بلادها ، وأحقيتها فى الحياة الحرة الكريمة .

مختار الوكيل

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوى

كان أدب الأقصوصة إلى وقت قريب هو أكثر الآداب تأخراً فى اللغة العربية ، ولعل للسينما أثراً كبيراً فى هذا التخلف ، فقد كانت تخطف كل نجم تأمل فيه الخير حتى احتسبنا الله فى الأقصوصة وقنعنا من الأدب بألوانه البواقى الأخرى .

قد كان ذا .. حتى خرج إلينا الأستاذ حبيب بهذه المجموعة الأخيرة فإذا بها ترد إلينا أملا كدنا نفقده ، وتطمئننا أن للأقصوصة أصحابها .. والأستاذ حبيب أديب مطبوع بارع فى حبكة قصته ، ماهر فى إيجاد العقدة وحلها ، وهو بعد ذو قدرة فائقة فى التمسك بقارئه حتى ينتهى من قصته .

ليس من اليسور أن أتكلم عن جميع الأقاصيص التى دبجها الأستاذ حبيب فى مجموعته الأخيرة ولكننى فى قصته الثانية لاحظت له رأياً متطرفاً بعض الشىء نظم فيه قواعد عامة للقصة يصعب علينا أن نقبلها مرة واحدة .. وقبل تأمل هذه القواعد يطيب لى أن ألفت الأستاذ حبيباً — وهو أستاذ لا مراء — إلى أن صفة الأستاذية يجب علينا نحن أن نضفيها عليه منزلين بذلك الأمر فى منزله ، أما إذا قالها هو عن نفسه فإننى أخشى أن يظن الجاهلون أننا لا نعطى ذا الحق حقه حتى فى الأدب .

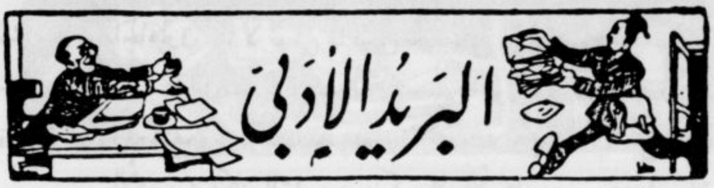
عنوان هذه الأقصوصة « دميم » وهى فى ذاتها جميلة .. ولكنه حين ساقها قدم لها بنقاش بينه وبين شاب من شداة الأدب ، وكان الشاب يستنكر على الأستاذ حبيب دعواه بأن الأقصوصة لابد لها من عقدة وحل وحبكة ووحدة زاعماً — أى الشاب — أنه سريع الخلق لأشخاص روايته قوى الديباجة فى عرضه للقصة وهو قانع بهاته المواهب معتقداً أنها فوق الكفاية ؛ ثم هو يعرض على الأستاذ حبيب مثالا هزيلا يستطيع أى قارىء أن يهدم الصلة بينه وبين القصة غير محتاج فى ذلك للأستاذ حبيب ليظهر زيفه ويقارن بينه وبين أقصوصته الكاملة « دميم » التى خلقها فى جلسته ليقنع الشاب بتفوقه عليه .

ولكن أيعتقد الأستاذ حبيب حقاً أنه لا غنى للقصة عن العقدة والحل ؟ ! فماذا نسمى « غاية المرأة » .. أهى أقصوصة أم مقال .. وإن كانت أقصوصة فأين العقدة .. فإن رضينا بحب الفتاة لرفيق صباها الذى ظهر فجأة عقدة .. فأين الحل ؟ ! .. لا والله إنها أقصوصة رائعة كل الروعة ولكنها مازالت بغير عقدة ولا حل . « غاية المرأة » هذه أقصوصة يعالج فيها الأستاذ حبيب فتاة على أبواب الزواج ويتعمق نفسيتها من يوم أن تعرفت بخطيبها حتى ولدت منه .. وكم كان الأستاذ حبيب بارعاً فى عرضه هذا ! وكم كانت ريشته دقيقة فى رسم الخلجات المتغايرة التى تمر بها نفسية الفتاة الشابة !

والأقاصيص الأخرى كلها من هذا النوع فى السمو .. تهدف جميعها إلى غاية ، وتخرج من أبها بعبرة .. وهذا لون من ألوان القصص .. ولكنه لا يمنع القصص غير ذات الهدف أن تكون هى الأخرى جميلة .. ولا يمنعنا نحن أن نقدر الطاقة الفنية المبذولة فى هاته القصص .

« أنات غريب » عنوان يجبه القارىء ويوقفه مشفقاً على هذا الغريب يعز عليه أن يحل بعصر عربى أديب ويطلق فى أجوائها الرحبة أنة مهما خفتت .. وهى التى تنزل الضيوف جميعاً أهلا فكيف بالأديب .. ولكن قبل هذا التساؤل .. أهو غريب ! . أيحل أى منا غريباً بأى قطر عربى !.. لا والله كانا فيه الأهل . دارت بذهنى هذه الأسئلة وما زالت به تدور حتى قرأت الإهداء فأشرقت نفسى واستقرت .. لقد كان العنوان ابن غمامة زائلة بددتها شمس مصر الضاحكة فأطلقت أستاذنا حبيباً مشرقاً ضاحكا

ثروت أباظه



حقيقة الفضاء :

عاد الأستاذ العقاد يناقشنى فيما لم أقله ، ويعرض عما قلته . ولو كان يستوعب « مصادره العلمية » جيداً لما كان مضطراً أن يجمل رده الأخير مقتصراً على الإشارة إلى محاضرة ألقاها العلامة إينشطين سنة ١٩٣٠ فى جامعة نوتنجهام لكى يأخذ منها فقرة يظن أنه جبهنى بها .

ليست هذه الفقرة محور المحاضرة وإنما جاءت فى سياقها لأن إينشطين قالها قبلا منذ أعلن نظريته النسبية سنة ١٩٠٢ ، وقالها بعد ذلك مراراً ، وقالها آخرون قبله وبعده ، وما هى خافية على أحد . وهى أن الأمواج الكهرطيسية مالئة الفضاء . ومنها أمواج الضوء الذى نراه وأمواج الراديو التى نحس بها . والكهرطيسية شىء مادى لا روحى ؛ لأنها ذرات منحلة صادرة من الشمس والنجوم . وهى ما سموه ضوئيات (فوتونات) . وهى التى سماها إينشطين وغيره من العلماء « مادة الفضاء » . Space Substance

وهذا ما قلته أنا مراراً . وفى هذه المجلة أيضاً قلته غير مرة . انظر صفحة ٢٤٤٤ . فماذا الذى يرد عليه أستاذنا ؟

لا أدرى سوى أنه يريد أن يكون المتكلم الأخير فى هذه المناقشة . فأنا أتعهد له منذ الآن أن هذه المجالة ، هى كلمتى الأخيرة فى موضوع وفيته حقه فى جميع مقالاتى فى هذه المجلة ولا سيما المقالة الأخيرة وفى كتابى النسبية . وله بعد ذلك أن يقول ما يشاء .

كل ما قلته فى هذا الموضوع لا أنقض منه حرفاً . فأرجو من الأستاذ أن يستوعبه جيداً .

وأما قوله أن الفضاء نفسه هو مصدر تكوين المادة فهو فلسفته الخاصة لأننا لم نعلمه من سواه وإلا فليدلنا على من قاله .

الحقيقة الراهنة أن المادة أوجدت الفضاء . لولا المادة ما كان فضاء . (والمراد بالفضاء الحيز الذى تشغله المادة – هذه الملاحظة للقارىء الكريم) .

أما الزمن أو (الوقت) فما هو إلا مقياس الحركة ، أى حركة المادة . لولا حركة المادة لما كان وقت ، وإلا فما معنى دقيقة وساعة ويوم وعام وقرن ؟

بقى أن الأستاذ لم يقل لنا شيئاً عن فيثاغوراس الذى أدخله فى المناقشة عنوة ولماذا أدخله ؟ ألم يجد فى مقالى فى المقتطف ما يناقشنى فيه ، فاستعار ذلك الفيلسوف القديم ليجعله موضوع مناقشة . والسلام والتحية للأستاذ .

نقولا الحداد

حول تعليق العباس على قصيدة الجارم بك :

قرأت ما كتبه الأستاذ العباس تعليقاً على قصيدة الشاعر الكبير على الجارم بك فى تأبين المغفور له أنطون الجميل باشا وفى هذا التعليق يقول الأستاذ — ولكنى آخذ عليه قوله :

نسى الشعر فى صراع الزايا ... رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش ... عن هوى زينب وعن وعدلبنى

فإن مجرد ذكر الكأس المرنة والغزال الأغن وهوى زينب ووعدلبنى لا يتفق والمقام .

وفى رأيى أن مجرد ذكر هذه الأشياء لا يحط من قدر الشاعر ولا يهجن شعره فى الرثاء — مادام ذلك مشفوعاً بصراع الرزايا ، وبالمآتم والنموش — ولعل الشاعر يريد أن يصف حالة يعانيها فى نفسه لا نحيطها نحن — وأنت ترى أن دريد بن الصمة قد افتتح قصيدته المشهورة فى رثاء أخيه عبد الله بالنسيب إذ يقول :

أرث جديد الحبل من أم معبد ... بعاقبة أم أخلفت كل موعد ؟

ولم اسمع من النقاد من اعترض عليه أو تصدى لنقده ، لأنه أراد أن يسجل الحادثة التى دارت بينه وبين أم معبد زوجه حينما لامته فى حزنه على أخيه فطلقها .

وما أرى أن نسير فى ركاب « ابن وكيع » وهو صاحب كتاب المنصف الذى ألفه فى بيان سرقات المتنبى — وكان ينظر دائماً بعين السخط إلى شعره — لأن أبا الطيب كان قد هجاه — كما يقول بعض المؤرخين — فعاب عليه من جملة ما عاب هذا البيت .

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

وقال « ووصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار » .

قال الأستاذ قسطاكى الحمصى — صاحب منهل الوراد —

« لو ذاق ابن وكيع طعم الخواطر السامية ، وما كانت تولده مخيلة أبي الطيب له من الصور الصادقة لما انتقد هذا الانتقاد البارد فإن المتنبي لما تصورت له الميتة فى ساعة النزع وما بعدها ، دعا لها بالرحمة فجمل الحنوط صلاة الرحمن ، وخطرت فى فكره شناعة منظر الموت وما يجره على أبدع الصور من الانقلاب فاستدرك الدعاء بقوله على الوجه المكفن بالجمال ، وقال اليازجى « وجمل وجهها مكفناً بالجمال إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها وإنما بقى عليها جمالها كالكفن »

أمين محمد عثمان

كشف تاريخي:

طبع تاريخ (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للمؤرخ الناقد شمس الدين السخاوى) فكتب كاتبون فى « الرسالة » و « الثقافة » و « مجلة المجمع العلمى العربى » فى الكشف عن مؤلف محاسن المساعى فى مناقب الأوزاعى الذى كان نشره الكاتب الأكبر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله ، غفلا من اسم المؤلف ، لأنه لم يهتد إليه . فقد جاء فى الجزء ٢ ص ٧٢ من (الضوء اللامع) أن مؤلفه هو شهاب الدين أحمد بن زيد الحنبلى المتوفى سنة ٨٧٠ كما فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) ج٧ ص٣١٠ ثم رأى بعضهم فى فهرس دار الكتب المصرية أن فيها نسخة من محاسن المساعى منسوبة إلى الحافظ بن حجر ، فاستبعدوا صحة هذه النسبة ، دون أن يعارضوا المطبوعة بالمخطوطة للفصل فى هذا الشأن . فقمت أنا بهذا الأمر فتبينت أن المخطوطة هى المطبوعة إلا أن فى تلك زيادات كثيرة فى المقدمة وفى غضون الكتاب ولا سيما فى الفصل المعقود لذكر بعض ما اختاره الأوزاعى من المسائل الفقهية ، فنى المخطوطة أكثر من ضعفى ما فى المطبوعة من الانفرادات والاختيارات الفقهية . وفى المطبوعة من مراثى الأوزاعى ٦ أبيات ليس غير ، وفى المخطوطة ٦٨ بيتاً لبضعة شعراء

واسم المؤلف فى المخطوطة مكتوب بخط غير خط النسخة ، فلعلها وقعت فى يد أحدهم غفلا من اسم المؤلف فنسبها إلى الحافظ ابن حجر بلا تحقيق .

وفى (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ) للشمس السخاوى ، إن مؤلفه سرد أسماء المؤلفات التى ألفت فى تاريخ رجال مخصوصين ، وذلك فى آخر كتابه الجواهر والدرر فى ترجمة الحافظ ابن حجر ، فلعله يتيسر الرجوع إلى نسخة دار الكتب المصرية من هذا الكتاب لزيادة التثبت ، ولنرى هناك فى جريدة مؤلفات ابن حجر إن كان ألف فى هذا الموضوع ؛ لأن تلميذه الأثير السخاوى هو أعرف الناس بذلك .

محمد أسامة عليبة

جوانى وبرانى :

هاتان الكلمتان عربيتان فصيحتان فقد وردتا فى حديث أفصح العرب والعجم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملى صفحة ٨٧ ، ٨٨ طبعة المليجى سنة ١٣١٨ وهذا نص الحديث .

روى الحارث الهمدانى عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على ما من عبد إلا وله جوانى وبرانى ، بمعنى سريرة وعلانية ؛ فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ؛ ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه . وما من أحد إلا وله صيت فى أهل السماء فإذا حسن وضع الله له ذلك فى الأرض؛ وإذا ساء صيته فى السماء وضع له ذلك فى الأرض . فسئل عن صيته ما هو قال : ذكره .

فلا غضاضة إذا استعملنا هاتين الكلمتين بمعنى الداخل والخارج لأنهما صدرتا من أفصح ولد عدنان القائل « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش »

حسين سلام وباب

ستّ في رسالة الغفران :

ورد فى رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى عند العبور على الصراط « فوجدتنى لا أستمسك . فقالت الزهراء صلى الله عليها لجارية من جواريها يا فلانة : أجيزيه . فجعلت تمارسنى وأنا أتساقط عن يمين وشمال . فقلت ياهذه إن أردت سلامتى فاستعملى معى قول القائل :

ستّ إن أعياك أمرى فاحمليني زقفونة

هارون محمد أمين

(الرسالة) : (ستّ) مختزلة من سيدى المحرفة عن سيّدى ثم لحقتها التاء للتفريق بين المذكر والمؤنث



الاعــــتزال !

للكاتب الانجليزى هانسفورد جونسون

بقلم الأديب سيد أحمد قناوى

غطت الآنسة « ويلدون » آلة الكتابة بعد أن نال منها الملال وأدركها الكلال ثم ارتدت معطفها الخفيف الداكن اللون وألقت نظرة سريعة على المنضدة الكبيرة التى أمامها ثم أطفأت المصباح الصغير لتبارح مكان عملها .

كانت قد تأخرت عن موعد انصرافها من العمل كل ليلة ، فكل الغرف قد أقفرت من شاغليها وأمست العمارة الكبيرة فى صمت موحش ، وسكون رهيب … ولكنها لم تكن فى حاجة إلى الإسراع فى العودة إلى منزلها الصغير ، فليس هناك من ينتظرها …

وهذا العمل ينسيها إلى حد ما عزلتها الموحشة التى تعيش فيها فضلا عن أن تأخرها يساعدها على أن تجد مقعداً فى السيارة تستريح فيه من عناء يوم قضته فى العمل بدون انقطاع ولا فتور .

كانت الآنسة « ويلدون » قد بلغت السادسة والثلاثين من عمرها … ولم تسعد بما تسميه الفتيات « اللحظة السعيدة » ؛ فهى لم تحظ بزوج يخفف عنها أعباء الحياة ، ولم تعرف رجلا شريفاً يذهب بها إلى « دور السينما » ، ولم يقدر لها قط أن تجد شابا عند الباب ينتظرها ليتأبط ذراعها ويسير بها إلى حيث يعلم هو وحده . كانت قد سمعت بهذا كله همساً من الفتيات الكثيرات اللاتى عملت إلى جانبهن … ولكنها هى لم تعرف حقيقة الشاعر التى تجىء فى ضوء هذه الحوادث … ومع ذلك فهى سعيدة بعملها سعيدة بغرفتها الصغيرة فى (بيزووتر) . وبذلك الطريق الهادىء الذى تقطعه على قدميها كل صباح وسط « كنجستون جاردنز » ،

فإذا أظلم الليل وعادت إلى غرفتها وجدت فرصة طيبة لتتناول كوباً من الشاى ثم لتأكل بعض البيض والجبن ثم تنصرف إلى المطالعة …

وتذكرت « الآنسة ويلدون » وهى تهبط الدرج إلى باب المنزل أن برنامج الإذاعة جميل ، وعلى هذا فستستطيع أن تقضى بعض الوقت فى سماع الموسيقى ؛ وقد تستطيع بعد ذلك أن تضطجع فى فراشها لتقرأ قصة من القصص العاطفية التى تدخرها للحظات العزلة .

وبلغت الآنسة « ويلدون » الطريق ولكنها وجدت ما أدهشها … فقد كانت السماء تمطر مطراً خيل إليها أنه يزداد لحظة بعد لحظة ، وصدمتها هذه الحقيقة فهى لم تفكر فى هذا المطر ولم تتوقعه . ثم إن معطفها الخفيف لا يمكن أن يرد عنها البرد وإن ردَّ عنها وقطرات المطر إلى حين ، وضاقت بالمارة الكثيرين الذين يسرعون الخطى إلى محطة السيارات لأنها لن تجد المقعد الخالى الذى ترجو أن تستريح فيه . وإنه لا يبقى أمامها إلا أن تسير على قدميها مسافة لا تقل عن ميل حتى تصل إلى محطة المترو ؛ وهى مسافة ليست قصيرة ولا يسيرة فى هذا المطر الوابل

ولكن الآنسة « ويلدون » تكره البقاء بلا عمل فجمعت أطراف معطفها حولها وراحت تجد فى السير … وفجأة أحست يداً تلمس ذراعها فدارت على عقبيها لتجد نفسها أمام وجه باسم لرجل فى قرابة الثلاثين من عمره . قطبت الآنسة « ويلدون » حاجبيها ، فهى لا تعرف هذا العبث ولا تستمرئه ، ولكن الرجل لم يلبث أن قال لها فى هدوء :

— لا تسرعى هكذا ، أن ثيابك مبللة .. خذى هذا .

ومدَّ الرجل يده بمعطف من المعاطف التى تقى من المطر .. ودون أن تدرك ما تقول أجابت فى همس :

— شكراً لك .. إننى راضية بهذا البلل . .

ولعلها كانت تريد أن تضع حداً لهذه القصة التى لا تسينها ولا تريدها .. ولكن الرجل لم ينصرف بل قال :

— لا تكونى حمقاء . إنك تسيرين بنفسك إلى حتفك فهمست قائلة :

— ولو كان هذا حقاً فاذا فيه ؟

فابتسم الرجل وهو يقول :

— ليس جميلا أن يموت الإنسان فى مثل هذه السن . تدثرى بالمعطف ، وانقذى هذا الصدر الجميل .

وكان صوت الرجل قوياً يحمل على الطاعة ، وكان جديداً على سمعها لم تعرفه من قبل ، وهى إلى جانب هذا فى حاجة إلى هذا المعطف ، فلم تشعر إلا بالمعطف حول جسمها ، فمدت ذراعها لتستكمل ارتداءه ثم ضمت أطرافه حول صدرها وهى تقول :

— ولكن ماذا تصنع أنت ؟

— إن ثيابى غليظة ، وأنا رجل .

— شكراً لك .

ولم تكن الآنسة «ويلدون» تعرف ما تقول ، فهى لم تشعر قط بأنها كانت يوماً ما موضع عناية أو اهتمام من أحد ، اللهم إلا مستر « بردفور » الشيخ الذى تعمل سكرتيرة له ، ولكن شتان بين هذا وذاك ! على أن الذى كان يشغلها هو ماذا يكون بعد هذا ...

ولم تلبث الدهشة أن استولت عليها عند ما سمعت الرجل يقول لها :

— هل تناولت الشاى ؟

ولم تكن فى الواقع قد تناولت شيئاً بعد الظهر ولهذا أجابت بسرعة : — لا ...

ولعلها أحست فى سؤال الرجل أنه يدعوها إلى قدح من الشاى؛ وهى وإن كانت حقاً فى حاجة إلى شراب ساخن بعد أن بللها المطر إلا أنها لم تكن لها خبرة بمثل هذه الدعوات فاعتذرت شاكرة ، ولكن الرجل تظاهر بأنه لم يسمع شيئاً وقال :

— هيا بنا ، هناك مكان دافىء نجد فيه حاجتنا .

ولدهشة الآنسة « ويلدون » رأت نفسها تسير إلى جانب الرجل وقد تأبط ذراعها ، وأحست بأصابعه تلامس صدرها ..

ورأت كأنها تقرأ قصة من قصص الفراغ التى تدخرها لوقت النوم . وولجا الباب وأعجبها المكان كما لذها الدفء فلما انتحيا ركنا بجوار المدفأة قال الرجل وقد تهلل وجهه :

— الآن تستطيعين أن تخلعى المعطف حتى تجف ثيابك .

ورجت هى أن تهنأ بلحظة سعيدة كهذه اللحظات التى سمعت عنها فأطاعت الرجل وراحت تحتسى الشاى فى سكون .

ومرت اللحظات فى أحاديث عن الجو والرياضة ، وفجأة نظر الرجل فى ساعته ثم قال :

— يا إلهى ! لقد كدت أنسى أن أمى دعتنى إلى العشاء هذه الليلة . لقد أعدت لى دجاجة كبيرة... إننى أتركك الآن؛ ولكن لا تسرعى فى الخروج فسأدفع للساق ثمن الشاى .

— ولكن كيف أرد إليك معطفك ؟ وكانت وهى تقول ذلك تأمل أن يتفقا على موعد لعله يكون فى الغد . وضحك الرجل ضحكة مرحة ثم قال :

لقد نسيت هذا ... على أية حال هذه بطاقتى إذا شئت أن تتحدثى إلى فى أمر المعطف . ومد الرجل يده بالبطاقة ثم انصرف . وظلت الآنسة « ويلدون » برهة فى شبه حلم ، فقد كان الحادث كله غريباً لم تألفه ، وكان كل ما مر بها منذ أن تركت مكان عملها يرغمها على أن تفكر فى أشياء لم تكن لتتوقع حدوثها قط .

وألقت نظرة خاطفة على البطاقة فقرأت فيها :

« جون برونت » وكيل شركة المعاطف الواقية من المطر . ولقيت فى طرف البطاقة إشارة تلفت النظر إلى ما خط فى ظاهر البطاقة ، فلما قلبت البطاقة قرأت ما يأتى :

« إذا أعجبك هذا المعطف فأرسلى لنا جنيها وعشرة شلنات وإلا فاتصلى بنا تلفونياً فنرسل إليك من يتسلمه منك » .

وبذلك تبددت أحلام الآنسة « ويلدون » ومرت بها قصة عاطفية قصيرة كلفتها جنيها وعشرة شلنات ولكنها أبقت لديها أثراً لها هو معطف جديد للمطر ...

وهكذا انصرفت الآنسة « ويلدون » عن الناس وآثرت أن تعيش على هامش الحياة .

سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٧ — الاثنين ١٥ مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٢٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 767

Lundi — 15 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧٦٧ «القاهرة في يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ١٥ مارس سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

من مذكراتي اليومية :

قصة فتــاة ..

— ٤ —

يوم الخميس ١٠ مايو سنة ١٩٤٥

كانت الساعة خمساً بالتمام حين دخلت مخْلَى جروبي الجديد أبحث عن الآنسة (س) ؛ وكانت العلامة التي سأتعرفها بها أن أجد نسخة من (الرسالة) على المنضدة التي تجلس إليها . ولكن ماذا أصنع والناس قد فروا من وهج الحر في قلب المكان فتكوفوا حول الموائد في حواشيه وبماشيه فلا يجد المار طريقه بين المقاعد إلا بصعوبة ، والربيع الزاهر المطار قد خلع من حلله وحُلاه على الأشخاص والأشياء ، فالجو عطر والمنظر سحر والأزياء وشي والنساء وُرود والرجال أشواك والأحاديث أغاريد ، فلا أستطيع لشيوع الجمال وعموم الحسن أن أعرف صورة من صورة ، ولا أن أميز زهرة من زهرة !

لو كنت حديد البصر لنفضتُ المكان من بعيد ، فعرفت على أي منضدة تنام (الرسالة) ، وفي أي كرسي تقعد الفتاة ؛ ولكن البصر كليل والمساء مقبل ، فلا مناص من الجولان المتهم بالفضول ، ولابد من النظر القريب من اللمس . على أنني توخيت المناضد المفردة فجملت وجهي إليها ونظري عليها ، فلم أخط غير قليل حتى رأيت منضدة صغيرة عليها يدان رقيقتان تقلبان (الرسالة) ، فكنت في خروجي برؤيتها من ربكة المشي وحيرة النظر أشبه بالزورق العامه في ظلام المحيط أبصر في المرفأ ومض المنارة ، أو بالسائر التائه في مجاهل القفر سمع في الواحة نبض الحياة .

أقبلت عليها فاستقبلتني واقفة كما يستقبل النساء الرجال في الريف ، ومدت يدها إليَّ فتصافحنا باسمين ، وجلسنا متقابلين ، وكلانا يصعِّد النظر في الآخر ويصوبه ، ويوازن في نفسه بين ما تصوره في الخيال بذهنه ، وبين ما رآه في الحقيقة بعينه . أما هي فلم أدر ماذا كنتُ في خاطرها من قبل ، وماذا أنا في ناظرها الآن . وربما حملني العُجب المضمر في كل نفس أن أسألها عن ذلك في مؤتنف الأحاديث . وأما أنا فقد كنت موزَّع النفس والحس بين صورتين تختلفان في الذات كل الاختلاف ، وتتشابهان في المعنى بعض التشابه : فتاة العزبة في نفسي كزنبقة الروضة المطلولة ، بضة الجسم ، لدنة القوام ، مطهمة الوجه ، قد نضرت وجنتيها النعمة ، وغلَّظت شفتيها اللذة ، وسوّت خَلقها الطبيعة ؛ وفتاة (جروبي) في حسي نُوارة من نُوار الفول أبطأ عن حقله الغيث ؛ فهي رقيقة البدن ، مخروطة الوجه ، دعجاء العين ، فاترة اللحظ ، طويلة الأنف ، ظمياء الشفة ، حلوة الافترار ، هواها أكبر من جثمانها ، وقلبها أجرأ من لسانها ، وخبرها أضخم من عِيانها ؛ ولكنها على الجملة وضيئة الطلعة ، مليحة القسمات ،

لطيفة الروح ، تحمل الرجل بصباحة وجهها وصراحة قلبها على أن يأنس بها إذا حضرت ، وأن يفكر فيها إذا غابت .

قلت لها بعد التحيات المنوعة والترحيب المكرّر والأسئلة المعتادة : لقد انقطعت رسائلك عنى منذ شهر فلم أعرف الأسباب التى أقدمتك إلى القاهرة ؛ وما أحسبنى أعلم أن لكِ هنا أقارب تصلين رحمهم بالزيارة ، وتمتحنين كرمهم بالضيافة . فلعلكِ قدمتِ مع أخيك أو بعض أهلك لغرض من الأغراض الخاصة أرجو ألا يكون من بينها المرض . فقالت الفتاة وقد أرسلت نفسها على سجيتها بعد احتشام من اللقاء الأول لم يدم طويلاً : ليس بجسمى والحمد لله ما أشكوه ؛ ولنا فى حى المنيرة منزل موروث تقيم فيه أختى الكبرى وزوجها وابنتاها ، فأنا نازلة عليها به ، ومطمئنة إلى حياتى فيه . وأما سبب قدومى فله حديث عرفت بعضه وغاب عنك بعضُه ، ولو كنت مطلقة اليد لما انقطعت رسائلى عنك ، ولا التبست أمورى عليك . ذكرت لك فى رسالتى الأخيرة — لو تتذكر — ما كان بنى وبين ابن البستانى ، وكيف استرقت زوجة أخى هذا السر من أفواه الخدم وأفشته إلى زوجها ، وما أعقب ذلك من الضرب المبرّح ، والحجاب الكثيف ، والمراقبة الشديدة . وكنت أظن أن لذلك العقاب حداً يقف عنده ووقتاً ينتهى فيه ؛ ولكن العذاب اشتد وامتد حتى ضاق مكانى فى البيت ، وساء مقامى فى الأسرة ؛ فأخى يعاملنى بقسوة ، وزوجته تكلمنى بجفوة ، وخادماته القرويات ينظرن إلىّ بازدراء . ومما سوّد نهارى وأطال ليلى أن أخى صادر بريدى فحرمنى أن أقرأ ما أحب ، وأن أكتب إلى من أريد ، فأصبحت كسجينة الزنزانة محرومة من اعتبار النفس واستثمار الأنس واستحضار الوجود .

كان لا بد للاناء أن يطفح ، وللجَلَد أن يهى ، وللصبر أن ينفد ، فوطنت نفسى على الفرار إلى القاهرة . ولكن كيف الفرار وليس فى يدى مال ولا فى قدرتى مشى ولا فى أسرتى مساعد ؟ الأمر سهل ! بين العزبة والقرية مسافة قصيرة وسكة معبدة ، وبين أخى وعمدتها صداقة وثيقة ومعاملة متصلة . وهو يعرفنى منذ أن كنت طفلة ، ويسأل عنى كلما زار الأسرة ؛ فإذا ذهبت إليه وطلبت منه باسم أخى بعض المال فما أظنه يمتنع أو يتلكأ أو يسترب . على أن معى خواتمى وأساورى فأستطيع أن أستعين ببعضها إذا حبطت هذه الخطة . وفى تباشير الصبح قبل أن يتيقظ البيت ويسرح الفلاحون وضعت ألزم أشيائى وأخفها فى حقيبة صغيرة ، ثم تسللت إلى الطريق الذاهب إلى القرية ، وكانت الأرض قد طلّها الندى ، والنبات قد كلله الحباب ، والطبيعة الراقدة تحت جنح الليل قد أخذت تستفيق وتنتعش وتتحرك ؛ فالطير تصدح بأغاريد الصباح ، والشجر يتجه بالتحيات إلى الشمس ، وآحادٌ من الفلاحين المبكرين ينقلون كالأشباح خطاهم الوئيدة على ضفاف القنوات وحواشى الزروع ، وأنا فى هذه الصحوة الجميلة أسير بين حقول القمح خائفة مسرعة ، أترقب كل أمر ، وأتأهب لكل طارئ ، فأعدُّ لكل سؤال جواباً ، ولكل تصرف علة . وستر الله علىّ حتى بلغت القرية وطرقت باب العمدة ، فتلقانى أهله بوجوه منطلقة وصدور رحبة ، ثم قدموا إلىّ الفَطور فلم أنل منه ما ينال العجلان القلِق . ثم دخلت على العمدة فى غرفته وقلت له : إن أخى غائب فى المدينة ، وقد أبرقت أختى إلىّ تنبئنى أن ابنتها فى نزاع الروح وأنها فى حاجة إلىّ ، فلا بد من سفرى فى قطار الصباح وليس معى نقود فما كان جواب الرجل إلا أن قدم إلىّ عشرة جنيهات وأمر الحوذى أن يهيئ لى العربة .

دخلت القاهرة عشية يوم الأحد الماضى ، وكان حالى وأنا أسير فى زحمة الخارجين من المحطة حال الهارب من السجن ، يتوهم فى كل مكان جاسوساً يسمعه ، وفى كل طريق شرطياً يتبعه . فلم تكد عينى تقع على سيارة عامة بجانب الإفريز حتى دخلت فيها وقلت للسائق : المنيرة ، شارع كذا ، رقم كذا . وما هى إلا عشر دقائق حتى وقفت السيارة أمام البيت ، فصعدت الدرج ، وغمزت الجرس ، وأسرعت أختى فى لهفة إلى باب الشقة وفتحته وهى ترتجف ، وعانقتنى وهى تنتحب ! وكان مبعث ذلك كله أن أخى أرسل برقية إلى زوج أختى يعلن إليه هربى ، ويلح عليه فى طلبى ، فساورت أختى الهموم ، وتنازعتها الظنون ، وعللت هذا الهرب بما أقاسيه فى العزبة من العدوان المستمر ، والحرمان المتصل ؛ لأن أخى لا يهتم بها فهى تسىء به الظن ، ولأن امرأته لا تخف على قلبها فهى تعتقد فيها الظلم ! وقويت أنا فى نفسها هذا التعليل بما افتريت من الأكاذيب واختلقت من المظالم . فكتبت أختى إلى أخى تسترضيه عنى وتسأله أن يأذن لى فى البقاء معها أياماً لتجلو عن جسمى هذا المرض ، وتكشف عن نفسى هذا الهم . ولكننى قطعت العزم على أن أموتِ هنا ولا أعيش هناك ، وأن أخسر رضا الناس أجمعين إذا كسبت رضاك ...

(للقصة بقية) احمد حسن الزيات

حول كتاب « عثمان »

حكومة النبي وخلفائه

للأستاذ عباس محمود العقاد

« يقول ... الدكتور طه حسين فى كتابه عثمان ! » إن حكومة الرسول والخلفاء الراشدين من بعده كانت وضعية وليس للدين الإسلامى يد فيها . ويستنتج من هذا أنه لا فرق بين المسيحية والإسلام من هذه الوجهة وأعنى نظام الحكم والمجتمع ، ويأتى بدليل قوله تعالى : وشاورهم فى الأمر ويقصد الأمور الدنيوية بأسرها ...

« ولكن ألم يقرأ قوله تعالى عز من قائل : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .

«هل كانت حكومة المسلمين من وضع محمد عليه الصلاة والسلام دون إيحاء من رب السماء ؟ وهل كان أبو بكر وعمر يقومان بأعمالهما من تلقاء نفسيهما وليست هى من جوهر الإسلام فى شىء ؟ وهل كان عمر رضى الله عنه يقصد من قوله : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء » ... أقول هل كان يقصد الأموال بأنواعها كما يعتقد الدكتور ، أو يقصد الزكاة والصدقات ؟

أرجو إيضاح ذلك على صفحات الرسالة الغراء ... الخ

« الأعظمية » عبد الكريم الوهاب

***

جاءنا هذا الكتاب فحذفنا منه بعض العبارات التى لا تدخل فى السؤال ، واكتفينا منه بما نشرناه .

والذى نراه أن الأديب صاحب السؤال قد ظلم الفكرة التى نقلها عن كتاب عثمان ، لأن الدكتور طه حسين لم يقل شيئاً مما فهمه فى سؤاله ، وكل ما يفهم من كلام الدكتور طه أن حكومة النبى عليه السلام لم تكن حكومة « ثيوقراطية » أى حكومة تستأثر بها طائفة من الكهان والأحبار ولا تشرك فيها الأمة برأى فى اختيار الحاكم وتقرير الأحكام .

وهذا فى رأينا صحيح .

فمسألة الحكم فى الإسلام حق لجميع المسلمين يتولاه من يصلح له وتتفق جمهرة المسلمين على صلاحه . وليس العالم بالفقه فيه إلا كالعالم بأصول الحكم فى هذه الأيام ، يختار لحاجة المجتمع إلى هذه الأصول ، ولا يختار لأن علمه يجعل الولاية حكراً له أو حقاً محصورا فيه وفى طائفة من أمثاله .

وليس رأى المسلمين فى صلاح الحاكم بمانع أن تكون أصول الشريعة التى يحكم بها من عند الله ، وكل ما يمنعه أن يعتبر « الحق الإلهى » الذى ادعاه بعض ملوك أوربة وسيلة إلى إنكار حق الرعية فى الشورى والرقابة على الحكومة . وقد أبى الإسلام هذه الدعوى فكانت سنته هذه مزية له بين الأديان .

وقد أوضح الدكتور طه حسين هذا المعنى فقال يرد على القائلين بالثيوقراطية فى الإسلام أنهم قد يرون : « أن الحكومة التى كانت تحكم المسلمين فى هذا العهد إنما كانت تستمد سلطانها من الله ، ومن الله وحده ، لا ترى أن للناس شأنا فى هذا السلطان ولا ترى أن من حقهم أن يشاركوا فيه أو يعترضوا عليه أو ينكروا منه قليلا أو كثيراً » .

فالواقع أن الإسلام لا يعترف للحاكم بحق إلهى يمنع الناس من حسابه والتعقيب على حكمه ، وهذا الذى فهمناه من كتاب عثمان حين رجعنا اليه ، فلا غبار فى رأينا عليه .

أما كلمة عمر عن الأموال فقد عقبنا عليها فى كتابنا عن عبقرية عمر فقلنا : « إنه لم يرد فى كلامه تفصيل لهذه النية . ولكن الذى نعلمه من آرائه فى هذا الصدد كان لاستخلاص ما كان ينويه . فعمر على حبه للمساواة بين الناس كان يفرق أبداً بين المساواة فى الآداب النفسية والمساواة فى السنن الاجتماعية .. ولم تكن المساواة فى أدب النفس عند عمر مما ينفى التفاضل بالدرجات ، ولم يكن يرضيه كذلك أن يعتمد الفقراء على الصدقات والعطايا ، ويعرضوا عن العمل واتخاذ المهنة ، فكان يقول لهم فى خطبه : يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين . وكان يوصى الفقراء والأغنياء معا أن يتعلموا المهنة ، فإنه يوشك أن يحتاج أحدهم إلى مهنة وإن كان من الأغنياء ... فيسوغ لنا أن نفهم

من هذا جميعه ممنى ما انتواه من أخذ فضول الغنى وتقسيمه بين ذوى الحاجة ، وهو تحصيل بعض الضرائب من الثروات الفاضلة وتقسيمها فى وجوه البر والإصلاح » .

***

هذا مجمل رأينا فى سؤال الأستاذ الوهاب .

وقد تلقينا كتباً أخرى فى هذا السياق يسأل كتابها عن مواطن فى كتاب عثمان لا نرى حاجة إلى تفسيرها ، لأن إنعام النظر فى الكتاب نفسه يغنى عن ذلك التفسير .

على أننا نعتقد أن الذين يستقبلون كتاب عثمان بمثل هذا النقد لم يظلموه كما ظلمه المقرظون له بلسان التزلف والدهان ، فإنهم يقولون فيه ما لا يقوله إلا عاجز عن التقدير الصحيح . وهو كاف لإعطاء الكتاب حقه من الثناء .

فهؤلاء المجزة عن التقدير الصحيح يزعمون أن الفتنة الكبرى لم تبحث على قواعد التاريخ أو على قواعد السنن الطبيعية قبل كتاب عثمان .

ومن جراءة الجهل أن يصدر مثل هذا الادعاء فى هذه السنوات على التخصيص ؛ لأن هذه السنوات قد ظهر فيها كتاب يسمى عبقرية الإمام ، طبعت منه طبعات قبل ظهور كتاب عثمان ، وترجم إلى اللغات الشرقية ، وانتشر فى جميع الأقطار الإسلامية ، وقرأه عشرات الألوف من أقصى المشرق الإسلامى فى الهند إلى اقصى المغرب الإسلامى فى مراكش وإفريقية .

وفى هذا الكتاب كلام عن الفتنة الكبرى التى برزت فى ايام عثمان ودامت إلى قيام الدولة الإسلامية .

وقد وصف عصر عثمان فقال : « إنه هو العصر الذى تكون فيه المجتمع الإسلامى بعد نشأة الدولة الجديدة ، فبرز فيه نظام جديد على أساس الثروة المجلوبة من الأقطار المفتوحة ، وعلى أساس الولايات التى تولاها بعض الطبقات المرشحة للرئاسة من العلية وأشباهها » .

وأحصى الكتاب أسباب التذمر سبباً سبباً فقال فى مسألة الثروة : « كثر المترفون من جانب وكثر المتربون من جانب آخر ، وشاع بين الجانبين ما يشيع دائماً فى أمثال هذه الأحوال من الملاحاة والبغضاء » .

وقال عن قلق أبناء الولايات : « إن المتذمرين توافدوا من الولايات إلى المدينة مجندين وغير مجندين ، وتولى زعامة المتذمرين فى بعض الأحيان جماعة من أجلاء الصحابة كتبوا صحيفة وقعوها وأشهدوا فيها المسلمين على مآخذ الخليفة » .

وقال عن التنافس بين العواصم « إن التنافس كان على أشده بين العاصمتين الحجازيتين وبين الكوفة ، لا يرضى أهل المدينة بما يرضى أهل مكة ، ولا يرضى أهل الكوفة بما يرضى هؤلاء وهؤلاء » .

وقال عن أثرة قريش : إن قبائل البادية « كانت تنفس على قريش غنائم الولاية ومناصب الدولة وينظرون إليهم نظرتهم إلى القوى المستأثر بجاه الدين والدنيا وحق الخلافة والسطوة » .

وقال عن طبقات المسخرين « كان العبيد والموالى والأعراب المحرومون حانقين متبرمين لا يرضون عن حظهم من العيش بعد أن علمهم الإسلام حقوق المساواة وشرع لهم شريعة الإنصاف » .

وقال عن جمهرة القراء والحفاظ وأصحاب النسك والفقه والشريعة : « إنهم خلق كثير يعدون بالألوف ويتفرقون فى الحواضر والبوادى ولا يزالون كأنبياء بنى إسرائيل منذرين متوعدين ساخطين على ترف المترفين » .

وقال إن أبا بكر وعثمان كانا يمسكان الصحابة بالحجاز ويحذران منهم أن ينطلقوا فى الأرض فيقبلوا على الدنيا ، وأن عثمان أهمل هذه السياسة الحكيمة وشق عليه أن يطيل حبسهم بالحجاز والهيمنة عليهم بجواره .

وقال غير ذلك مما لا يخرج عنه سبب واحد من أسباب الفتنة ، ولخصها كلها فى مرجع واحد وهو افتراق عهد الخلافة وعهد الملك ، وأن الموقف كان فى خلافة عثمان « ملتبساً ... متشابكا ؛ لأنه كان نصف ملك ونصف خلافة ، أو كان نصف زعامة دينية ونصف إمارة دنيوية . فوجب أولا أن يتضح الموقف بينهما وأن يزول الالتباس عن قلق صريح ، ووجب — وقد زال الالتباس وتقابل الضدان اللذان لا يتفقان — أن يبلغ الخلاف مداه ، ولن يزال قائماً حتى تكتب الغلبة لمبدأ من المبدأين وحكم من الحكمين » .

هذا بعض ما جاء فى عبقرية الإمام عن أسباب الفتنة الكبرى

مسكين حماد ! كان شاعراً مجيداً من الشعراء المجيدين . وكان ذكياً شاطراً ما فى ذلك شك ، وكان حافظاً ما فى ذلك شك أيضاً ؛ غير أنه لم يستغل ذكاءه ولم يستعمل مواهبه فى قول الشعر فكان كصاحبه خلف الأحمر ينظم باسم الغير ، ويقول الشعر ثم ينسبه إلى القدماء . ولعله كان يجد فى ذلك رواجا أكثر من رواج النظم المنسوب إلى نفسه ، وهو رجل يريد أن يعيش وأن يتنعم ؛ ولكن ما ضره لو نسبه إلى نفسه ؟ ألم يعش كثير من أترابه الشعراء على حساب شعرهم !

لقد كان خلف الأحمر أحسن منه حظاً ولا شك ، فقد حفظ الرواة عنه ما لم يحفظوه عن حماد ، وذكروا عنه ما لم يذكروه عن زميله حماد . ولم نجد فى الكتب من أخبار حماد غير اليسير مع كل المبالغات التى رويت عن محفوظه من الشعر ، لقد ذهبت معه إلى القبر فقبرت معه إلى أبد الآبدين .

والعادة كما يقول العوام أن تطول رجل الإنسان بعد الموت ؛ غير أن رجل حماد ظلت قصيرة ، فلم يتبار الناس فى رثائه ، ولم يعبأ إخوانه على ما يظهر لوفاته ، إنهم لا يقيمون وزناً إلا للأحياء ؛ أما الأموات فإلى اناس آخرين ، فلم يرد مما قيل فى رثائه غير ما رثاه به عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفه أبو يحيى محمد بن كناسة بقوله :

لو كان ينجى من الردى حذر نجاك مما أصابك الحذر
يرحمك الله من أخى ثقة لم يك فى صفو ودّه كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم فيه ويدرس الأثر (١)

وحماد هو الذى جمع السبع الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس (٢) والتى يقال لها « الملقات السبع » . جمعها من قصائد كثيرة واختارها من بين الشعر الجاهلى اختياراً ، والتى قيل عنها إنها كانت قد كتبت بالذهب وعلقت بالكعبة . والتى شرحها جماعة من الشرّاح . والتى جاء عنها فى « جمهرة أشعار العرب »

« وقال المفضل القول عندنا ما قاله أبو عبيدة فى ترتيب طبقاتهم وهو أن أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفه

(١) ابن خلكان ج ص ٢٠٧

ابن العبد . قال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب بالسموط ومن زعم غير ذلك فقد خالف جمهور العلماء .. » (١) وقد أورد أبو زيد محمد القرشى أسماء الطبقات الأخرى مثل المجمهرات والمذهبات .. الخ . (٢)

ويرى المستشرق « نولدكه » أن اسم « السموط » هو الذى أوحى إلى مخيلة الرواة بوضع تلك القصص عن الملقات السبع وعن تعليقها فى جوف الكعبة دون دليل قائم ولا حجة مقنعة ، مع أن رواة السيرة والمغازى لم يذكروا عند بحثهم فتح مكة من أمر هذه الملقات شيئاً كما أن الحديث النبوى لم يتعرض لها . وهذا ما يحملنا نشك فى صحة ما ورد من روايات .

الدكتور جواد على

(١) جمهرة أشعار العرب . Cod. Berlin. Sqrenger .

(٢) noldike, Beitrage njur Kenntniss der poesie der dten Araber, Hannover, 1864. P, xx.

٢ - غاندى الصـــوام

للاســـتاذ حسين مهدى الغنام

من أقوال غاندى المأثورة قوله : « إن المواطن الذى يريد أن يخدم وطنه ، يجب عليه أن يحتفظ بجسده وعقله طاهرين ، حتى يجعل من نفسه أداة صالحة لخدمة هذا الوطن . والإنسان الذى يخدم السلم والإنسانية ، عليه ألا يتجه فى نضاله إلى الأشخاص ، بل عليه أن يحارب النظم الفاسدة ويستأصل روح الشر التى تسيطر على بعض الناس » .

وكان هذا الرأى دستور غاندى فى حياته ، ومبدأه ومذهبه العلنى الذى نادى به ، ثم اعتنقه عملياً وأداه بنفسه فى حياته ، وعمل على نشره فى العالمين ...

فلما بدأ حركة العصيان المدنى أمر أتباعه أن يتخلوا عن كل متاعهم الدنيوى ، ويهبوا أنفسهم لخدمة غرضهم الأسمى ، ويتطهروا روحاً وجسماً ويتهيأوا لمحاربة الشر الكامن فى الإنسان، حربا روحية بلا عنف أو قسوة

وبدأ الرجل حركته الجديدة . وتبعه مريدوه وتلامذته .

ولـكن إحدى تابعاته ضلت ، فانقطعت عنهم واحداً وعشرين يوماً ، عادت بعدها تستغفر زعيمها ، فاستيقن من صدق توبتها ، وعزم أمره على شراء خطاياها بالصوم واحداً وعشرين يوماً ...

وهـكذا بدأ غاندى سياسة الصـوم ، التى تتلخص فيها فلسفته !

والذى قاله السردار إقبال على شـاه عن قوة غاندى الروحية وتأثيرها على الهنود ، صحيح فى جملته . وكان سلاح الرجل الوحيد ذلك السلاح الهادىء الذى لا يحدث صوتاً ولا فرقعة ، سلاح الصوم ، والصوم يعنى الإنسانية العليا والصبر والقناعة والرضى .

وكان هـذا السلاح ذا تأثير عظيم فى الهنود ، بل لم تـكن مجموعة من القنابل الذرية بـكافية لأن تهز ملايين الهنود كما يزلزلها صيام ذلك الشيخ الهندوكى الواهن الجسم .

كان المتقشفون والروحيون من الهنود يقدرون لزعيمهم أنه سيعمر ما بين ١٢٥ و ١٣٣ عاماً . وكان غاندى يعتقد مثـل هذا الاعتقاد . ولـكنه قبل اغتياله نذر أن يصوم حتى الموت إذا لم ينفذ الهندوس ماطلب منهم فى صالح المسلمين واتحادهم معاً .

ولطالما عمد غاندى إلى الصوم الذى كان أشد أسلحته ، فـكان هـذا الصوم يقف الاضـطرابات الطائفية فى بلاده ، فتنقلب دعوات البغضاء إلى أغانى حب . وكان يتلافى الأزمات الحادة التى كانت تجر الخراب والدمار على الملايين ، ويهدىء الأعصاب والثورات ، ويحفظ اتحاد الهنود ، وينقـذ أرواح الملايين ، بهذا السلاح الضعيف القوى ، الذى برع فيه فكان يفل عزائم الأبطال ...

ولقد هدأ غاندى ثورة كلـكتا مرة ، بأن صام ، ففعل صومه ما لم يستطع فعله ٥٥ ألف جندى لم يستطيعوا حفظ السلام فى مقاطعة البنجاب .

وكان غاندى ، أشهر صائم فى العالم ، لا يشجع غيره على تقليده فى الصوم بلا روح .

لما أفطر بعد صومه الخامس عشر الذى استغرق ١٢١ ساعة قال لأبناء وطنه : « فى هذا العصر المقلد بلا تمييز ولا شعور ، أحذركم وأقول إنه لمن الغباء من أى شخص آخر أن يفعل مثلى وينتظر نتائج سريعة ، فستذهب آماله وآلامه هباء ، فإن للصيام مؤهلات قاسية يجب أن تتوفر فى القائم به ، إذ يجب أن يكون صاحب عقيدة صادقة فى الله ، وأن يكون صومه بدعوة من الله ودعاء له . وبهذا يكون للصوم أثره ونتائجه التى أدى من أجلها وقبل أن يؤدى يجب أن يمهد له بتمهيدات طويلة ، فـلا تدعو إنساناً ما أن يقوم إذن بهذا الصيام مالم يكن مستعداً له استعداداً قلبياً خالصاً ... إنه ليس مجرد تقليد » .

وقبل سنين طويلة كتب غاندى عن الصيام فقال : « إن الصيام نظام قديم قدم آدم . وكان يتخذ إما وسيلة لتطهير النفوس وإما لغايات نبيلة أو رذيلة . ومن قبل صام بوذا وعيسى ومحمد حتى يتمكنوا من رؤية الله وجهاً لوجه . إن الصيام قطعة من كيانى ، وإنى أتمسك به ، لأنه وسيلة كل باحث عن الحقيقة »

وقد كتب طبيب غاندى الذى كان يعنى به أيام صيامه ،

وهو الدكتور روى : « أن الصيام عند غاندى عقيدة دينية . فقد كان يبدؤه بالصلاة ، ثم يختتمه بالصلاة ، كما كان فى أثناء صومه — طال أم قصر — يبدو كأنه متصل بقوة روحية عليا »

وقبل أربع وعشرين سنة صام غاندى ٢١ يوماً فى دلهى ، لكى يربط بين الهندوس والمسلمين . ثم صام لنفس الغرض فى كلكتا هذا العام ، وقد أدى صيامه إلى نتائج طيبة ، كما صام فى سبتمبر الماضى فى ثانية المدن الكبرى فى الكومنولث الإنجليزى ، وكانت الإضطرابات بين الطوائف تهددها وتهدد أهلها بالدمار والفناء ، وأدى صومه إلى نتيجة عظيمة ، حتى سمى هذا الصوم معجزة كلكتا ..

وبدأ غاندى صيامه التاسع عند ما اعتقل أثناء الحرب الماضية فى (ڤيلا) أغا خان فى بونا ، ثم رفض عرضاً بريطانياً بإطلاق سراحه إذا أنهى صومه ، وقد أطلقوا سراحه عام ١٩٤٤

ولقد لعب غاندى دوراً عظيما فى جميع المحادثات التى أدت إلى استقلال الهند فى أغسطس من العام المنصرم ، فأعلن قبل تحقيق حلم حياته الذهبى بأيام قلائل ، إنه اعتزم أن يعتزل السياسة ، واصطحب معه حسين السهروردى — الزعيم المسلم المعروف — وعاشا فى أكثر أحياء كلكتا اضطراباً وشغباً ، ثم بدأ فى أول سبتمبر صومه حتى يعود إلى كلكتا عقلها !

وقد أنهى صيامه بعد أربعة أيام حينما بدأت قوة (بوليس) شمالى كلكتا صيامها لمدة أربع وعشرين ساعة ، مشاركة للزعيم وكان فى تلك القوة ضباط أوربيون وانجليز وهنود كثيرون .

وفى السادس من سبتمبر الماضى ، قبل أن يغادر غاندى كلكتا ، أخبر المصلين معه أنه إذا أقلق سلام كلكتا مرة أخرى ، فليس أمامه إلا الصوم حتى الموت ...

وفى الثالث عشر من يناير هذا العام ، بدأ صيامه إلى أجل غير معلوم ، ليحقق اتحاد الهندوس والمسلمين . وعندئذ أرسلت الهند والباكستان ، مندوبيهما إلى (ليك سكسس) ليقدموا إلى مجلس الأمن وجهات أنظارهما عن ولاية كشمير ، ولكن المهاتما قال إنه لا شأن لصيامه بأعمال الأمم المتحدة .

وفى الثلى عشر من نفس الشهر ، عندما وقعت حكومة الهند ورؤساء أحزابها تعهداً بتحقيق شروط غاندى السبعة التى اشترطها عليهم فى صالح المسلمين ، أنهى صومه ، وكانت مدته ١٢١ ساعة ثم قال : « لا أستطيع أن أعتقد فى استحالة الصداقة والأخوة بين الهندوس والمسلمين والسيخ والمسيحيين واليهود والفارسيين فإذا تحطمت هذه الصداقة التقليدية تحطم الشعب الهندى كله . وإذا تحقق هذا العهد ، فانى أؤكد لكم أن تحقيقه سينعش قوتى وسيضاعف ابتهالى إلى الله ، وسيمينى هذا على أن أحيا بقية حيانى قرير العين ، مؤدياً للانسانية الخدمة التى فرضتها على حتى اللحظة الأخيرة من حياتى ، التى يقدر لها بعض المتنبئين أنها ستكون ١٢٥ سنة ، ويقول البعض الآخر بل ستكون ١٣٣ عاماً »

ومن حوادث صومه الطريفة ، صومه الذى قام به مشاركا (أباشد تواردهان) الذى رفض أن يقوم بعمل (الزبال) فى سجن (برفادا) ، ورفض كذلك أن يمس أى طعام حتى لا يقوم بعمل الكناس كما أمر ، فصام ، وصام غاندى معه ، وهنا خشيت السلطات على حياة الزعيم فأعفت (أباشد) من أوامرها ، وهنا أفطر الرجلان ...

وكان من ثمرات صيامه الطيبة ، صومه ضد الحكم الذى تبع محادثات ما كدونالد سنة ١٩٣٢ ، ضد المنبوذين ، وهم أحط الهنود حياة وأشدهم فقراً ، فكان من نتائج هذا الصوم أن تفتحت أبواب المعابد الهندية الضخمة للمنبوذين ، ومنذ ذلك اليوم صاروا يعرفون باسم (الهاريجان) وهى تعنى أحباب الله !

وفى الخامس والعشرين من يونيو سنة ١٩٣٤ حاول شخص مجهول أن يلقى قنبلة على غاندى فى بونا ، فأخطأته ولكنها أصابت سبعة أشخاص . وكان لهذا العمل الإرهابى أثره ، فبعد أسبوعين استعمل أحد أنصار قضية (الهاريجان) العنف فى التعبير عن اعتقاداته فى مقاومة الهندوس ، فصام غاندى سبعة أيام ليشعر هذا الخاطىء بخطيئته .

وقد قال الباندیت نهرو مرة عن المهاتما : « لشد ما كان غاندى لغزا غامضاً محيراً ، ليس للحكومة الإنجليزية وحدها ، بل لشعبه أيضاً ، بل لأقرب المقربين إليه من أنصاره ومريديه »

ثم قتل هذا اللغز البسيط المعقد ، الذى لم يفهمه أحد حق فهمه ، فقضى شهيد اتحاد الهند ، وشهيد الإنسانية فى هذا العصر المادى المضطرب ، ولكنه مات ميتة نبى ... والأنبياء — كما قيل

قديماً — غرباء فى أوطانهم ، بل فى العالم ، لأنه لا يفهمهم فى حياتهم فهماً صحيحاً ...

ولقد قتل غاندى قتلة دنيئة — وهو ذاهب للصلاة — بيد أحد أبناء وطنه ودينه ، فمات ميتة الأنبياء الشهداء الغرباء فى أوطانهم .

ولكن العالم كله عرف غاندى ، وأن لم يدن بمبادئه ، مع اعترافه بها ، إلا أنه يتخبط فى طريقه إلى تحقيق أهدافها العليا وهى أهداف كانت منذ الأزل وما برحت رسالة الأنبياء والشعراء والرسلين .

حسين مهدى الغنام

على نفسها جنت براقش

للاستاذ نقولا الحداد

صرنا فى هذه الأيام نسمع قول بعض الساسة أنه إذا لم ينفذ تقسم فلسطين فهيئة الأمم تفقد هيبتها . أجل تفقد هيبتها من غير شك . ومشروع التقسيم لن ينفذ على الإطلاق ، وهيئة الأمم ستفقد هيبتها حتماً ؛ ويكون موتها فجأة لا كموت جمعية الأمم المرحومة ، لأن هذه كانت مريضة بالسل وهيئتنا مريضة بالذبحة الصدرية . فبنونة أخرى تقضى نحبها .

من الملوم على هذا المصير الفادح ؟

هيئة الأمم نفسها ملومة . وعلى نفسها جنت براقش .

لأنها لم تكن محكمة للقضاء العادل كما كنا نظن ، بل ظهر لنا أنها كمحكمة صلح ، لا تقضى بين محتكمين بل تحاول مصالحة العرب واليهود مصالحة قهرية . ولكنها مصالحة مستحيلة ، لأنه ما من أحد فى الدنيا يصالحك على بيته وأنت تحتله عنوة وتعمد إلى اقتسام شطر منه وليس لك فيه حق لا أولا ولا آخراً .

أجل لم تكن هيئة الأمم محكمة قضاء ولا محكمة صلح ؛ بل كانت سوقاً للمساومة على المصالح الشخصية على حساب صاحبها . فالإنصاف لا يمكن أن يكون رائدها بتاتاً . بل كانت ساحة مناوأة بين الدول ذوات المصالح التى كانت تتذرع بالمسألة الفلسطينية إلى اقتناص أغراض اقتصادية واستراتجية ونحوها .

وقد رأينا فى عرض قضية فلسطين فى هيئة الأمم كيف كانت هذه الأغراض تتبارى بلؤم ودناءة . فلكى يرقى شخص واحد لا عبقرية له إلى كرسى الرئاسة يستغيث باليهود القابضين على زمام الدعاية . وقد ساعده مركزه الوقتى فى كرسى الرئاسة على أن يضغط على بعض الدول الصغيرة بالوعود والوعيد لكى يصوتوا مع التقسيم ، فأطاعوا كما يطيع صبيان المدارس . ولما كسب مشروع التقسيم الأكثرية ظن الصهيونيون أنهم امتلكوا نصف فلسطين وأنهم سيمتلكونها كلها ثم يمتلكون جميع البلاد العربية من النيل إلى الفرات . فصاروا يرقصون فى الشوارع . ولكن ما لبث هذا الرقص أن تحول إلى مناحات .

والغريب العجيب المدهش أن اليهود والذين انحازوا إلى جانبهم لم يفكروا فى كيفية تنفيذ هذا المشروع السخيف بل ظنوا أنهم بمجرد صدوره يصبح العرب أمام أمر واقع وأن العرب يسلمون حالا ويخنعون . وما عتموا أن رأوا أن دون التنفيذ خرط القتاد . وأن الأمر الواقع هو العكس .

تطاولوا على العرب كما تطاولوا على الإنجليز . ولكنهم ما لبثوا أن رأوا أن العرب لا يستخذون لهم كما يستخذى الإنجليز بل كالوا لهم الصاع صاعين . فجزعوا وجعلوا يستغيثون بالقوة الإنجليزية لكى تحميهم من العرب .

أين السبعون ألف هاجانة الذين طبلوا للعالم بهم ؟ لم يظهر من السبعين ألفاً سبعون صعلوكا . وأخيراً اعترفوا فى الأسبوع الماضى أن عندهم ثلاثة آلاف وخمس مئة ، وسيجندون عشرة آلاف آخرين ثم ١٥ ألفاً ! هذا ما يدعونه الآن وهم كاذبون .

وهكذا على الرغم من انفضاح كذبهم ما زالوا يخدعون العالم بقوتهم الوهمية وبضعف العرب الذى يزعمونه . فلماذا إذن يستغيثون بهيئة الأمم وبمجلس الأمن وبأمريكا كلها لكى ترسل لهم قوة بوليسية لكى تنفذ التقسيم ؟ وماهى وظيفة الهاجاناه إذن ؟

ولكن ليس لمجلس الأمن بوليس دولى ليقوم بدور التنفيذ . وما من أميركى أو غير أميركى يبعث إلى فلسطين لكى يوطد دولة يهودية . وما من أحد ممن صوتوا لقرار التقسيم يتجاسر أن يطلب من دولته أن تساهم بقوة عسكرية لتنفيذ التقسيم . بل إن

٢ - الحمادون الثلاثة

للدكتور جواد علي

وروى الرواة قصة حماد التي ذكرناها بشكل آخر قابل للتصديق موافق للعقل ، فلم تدخل إليها المبالغة على الطريقة التي رأيناها في قصته مع هشام وردت في كتاب « العقد الفريد » بهذه الصورة : جلس الوليد يوما وجارية تغنيه ، فأنشدت الوليد :

قينة في يمينها إبريق .

فاستنشده حماد الراوية ، فقال :

ثم نادى ألا اصبحوني فقامت قينةٌ في يمينها إبريق
قدّمته على عُقار كعين الديك صفى سلافه الرّاووق
حرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق[1]

(١) العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي حـ ٥ ص ٢٢١ بتحقيق محمد سعيد العريان .

وهي نفس الحكاية كما رأيت غير أنها دون مبالغات ولا تهويل ، كما أن الخليفة الذي حدثت معه هذه الحكاية هو الوليد وليس الخليفة هشام وهو أمر مقبول معقول يجوز صدوره من الوليد ، ولم يذكر بهذه الرواية عن أمر استدعائه شيئاً .

وفي « الأغاني » قصة أخرى مصدرها « حماد » والخليفة صاحب القصة هو الوليد ، ووردت على هذه الصورة :

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر :

أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فسرّح إليّ حماداً الراوية على أحبّ دابة من دواب البريد وأعطه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها . قال فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إلي ، فقلت السمع والطاعة ، فقال يا دُكين ، مُرْ شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم . فأخذتها . فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف بن عمر فقال يا حماد ، أنا بالموضع الذي عرفته من أمير المؤمنين ، ولست مستغنياً عن ثنائك . فقلت اصلح الله الأمير « إن العوان لا تعلم الخمرة » وسيبلغك قولي وثنائي . فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فأذن لي ، فإذا هو على سرير ممهّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزار ورداء بقيئان الزعفران قيئاً ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السمح وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال أنشدني :

أمن المنون وريبها تتوجع فأنشدته حتى أتيت على آخرها[1]

ولا تستبعد حكاية طلب الوليد لحماد فقد كان « حماد » من المقربين للوليد ، وقد كان يقصده عند الحاجة فيحصل على هداياه ثم يرجع كما كان يجالسه ويدخل مجلسه[2] . وكان الوليد يميل إلى الشعراء والأدباء وأهل الفن . ويجوز أن يكون فيما ذكره عن « يوسف بن عمر الثقفي » مبالغة إذ لم تكن صلاته بالوليد على الصورة التي ذكرها « حماد » : كان على العكس مقربا لديه طيلة مدة حكم « الوليد » إلى أن قتل ، فغضب عليه « يزيد » وعزله عن العراق ثم قتل بعد ذلك سنة ١٢٦ للهجرة[3] .

كان حماد شيطاناً خبيثاً ماكراً يستطيع استخراج ما في القلوب . وكان يمضي وقته في الدعابات والمهاترات وقول الشعر

(١) الأغاني حـ ٢ ص ٢١٠
(٢) Ensy' of Galam' Vol H' p 1177 '
(٣) ابن خلكان نمرة ٨٥٣ ، ابن الأثير حـ ٢ ص ٢٢٤

وبعض ما تردد في صفحات الكتاب كله في تفسير تلك العوارض الاجتماعية .

فمن الجرأة التي لا توصف إلا بأنها جرأة الجهل ، أن يحاول غمر من الأغمار ستر هذه الحقيقة عن الأعين ، وهي تمد بعشرات الألوف .

ونحن لا يعنينا الأمر ، لأنه لا يضير كتابنا عن عبقرية الإمام ؛ فإن عبقرية الإمام لا يحجبه كلام يلغط به غمر من الأغمار .

ولكننا ننبه إليه ؛ لأن سكوتنا عنه يعد عجيباً جداً في هذا الزمن وفيما بعد هذا الزمن ، ولأن قحة الجهل خليقة أن تزجر ، ليتعلم الجهلاء كيف يكتبون حين يريدون الثناء على مؤلف من طراز كتاب عثمان .

فهذا الكتاب من مؤلفات العصر التي يستطيع الناقد الخبير أن يثني عليها ولا يقول فيها إلا حقاً . فإذا لجأ إلى الباطل في الثناء عليه فإنما يسيء إلى نفسه ويسيء إلى الكتاب : يسيء إلى نفسه ، لأنه يفضح عجزه ؛ ويسيء إلى الكتاب ، لأنه يرى الناس أنه محتاج إلى الباطل ليظفر ببعض الثناء .

عباس محمود العقاد

جاء في العقد الفريد : إنه كانت في أبي عطاء السندي لثغة قبيحة ، فاجتمع يوماً في مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية ، وحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وبكر بن مصعب ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : ما بقي شيء إلا وقد تهيأ في مجلسنا هذا . فلو بعثنا إلى أبي عطاء السندي ؛ فأرسلوا إليه فأقبل يقول مرْحباً ، مرْحباً هيا كم الله . وقد كان قال أحدهم : من يحتال لأبي عطاء حتى يقول جرادة ، وزج ، وشيطان ؟ فقال حماد أنا ، فقال يا أبا عطاء ، كيف علمك باللغز ؟ قال هسن ، يريد حسن ، فقال له .

فما صفراء تكنى أم عوف كأن سويقتيها منجلان

قال زرادة ؟ فقال أصبت ؛ ثم قال :

أتعرف مسجداً لبني تميم فويق الميل دون بني أبان ؟

قال في بني سيتان ، فقال أصبت ، ثم قال :

فما اسم حديدة في الرمح ترمي دوين الصدر ليست بالسنان

فقال زُزّ ، فقال أصبت (١)

وكان حماد كسائر أهل الكوفة يفضل « الأعشى » على شعراء الجاهلية . قال يحيى بن سليم الكاتب :

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء ، فأتيت باب حماد فاستأذنت وقلت : يا غلام ! فأجابني إنسان من أقصى بيت في الدار فقال من أنت ؟ فقلت يحيى ابن سليم رسول أمير المؤمنين . قال ادخل رحمك الله ! فدخلت أتسمّت الصوت حتى وقفت على باب البيت فإذا حماد عريان على فرجه دَستجه شاهسفرم ، فقلت إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس ، فقال نعم ، ذلك الأعشى صناجها (٢)

وهذه القصة على ما يخيل إلى هي من وضع رواة الكوفة الذين كانوا يتعصبون للأعشى على سائر الشعراء ويقدمونه على الجميع ؛ وإلا فقد كان بوسع الخليفة استدعاء الراوية إليه واستطلاع رأيه وأخذ الدليل . وكان أهل الكوفة يتعصبون للأعشى نكاية بالبصريين الذين كانوا يتعصبون لامرئ القيس (٣)

والظاهر أن العباسيين لم يكونوا يعطفون عليه حتى ولا أعوانهم مثل أبي مسلم الخراساني ، بل كان الراوية يخاف منهم ويبتعد عنهم كلما استطاع ذلك . كالذي جاء في حديث حماد عن استدعاء أبي مسلم الخراساني له حيث يقول : أرسل إليّ أبو مسلم ليلا ، فراعني ذلك ، فلبست أكفاني ومضيت ، فلما دخلت عليه تركني حتى سكن جأشي ، ثم قال لي ما شعر فيه أوتاد ؟ قلت من قائله أصلح الله الأمير ؟ قال لا أدري . قلت فمن الجاهلية أم شعراء الإسلام ؟ قال لا أدري . قال فاطرقت حيناً أفكر فيه حتى بدر إلى وهمي شعر الأفوه الأزدي حيث يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ

فإن تجمع أوتاد وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

فقلت هو قول الأفوه الأزدي أصلح الله الأمير ، وأنشدته الأبيات ، فقال صدقت ، انصرف إذا شئت ! فقمت ، فلما خطوت الباب لحقني أعوان له ومعهم بدرة فصحبوني إلى الباب ، فلما أردت أن أقبضها منهم قالوا لابد من ادخالها إلى موضع منامك فدخلوا معي ، فعرضت أن أعطيهم منها شيئاً فقالوا لا نقدم على الأمير (١) . ثم من يدري فلعل الخوف هو الذي أوحى إلى حماد الراوية بهذا الشعر الذي لا يمكن نظمه إلا من رجل حضري على طراز حماد ، أو لعل القصة موضوعة من أساسها إن أردنا أن نذهب مذهب الشك في أكثر أقوال حماد .

والظاهر أن إعراض العباسيين عن « حماد » الذي كان يلتجيء إلى الأمويين هو الذي حمله على مغادرة « بغداد » في أيام المنصور بعد أن وفد إليها يلتمس الرزق في قصور خلفاء بني العباس . والظاهر أن الحظ كان قد ابتعد عنه وظل يبتعد عنه ولا سيما في أيام المهدي عدو الزنادقة اللدود . وكان حظ أكثرهم مثل حظ حماد . ويقال إنه سافر بعد ذلك من الكوفة إلى البصرة حيث كانت له هنالك عصابة ثم عاد بعدئذ إلى بغداد . ولكنه وجد إعراضاً من المهدي ومطاردة فاضطر إلى مغادرة العاصمة إلى أن توفي عام ١٥٥ أو ١٥٦ أو ١٥٨ للهجرة (٢)

---

(١) العقد الفريد ح ص ١٧٨ وما بعد .

(٢) الأغاني ح ٩ ص ١١٠

(٣) في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ٢٥٣

(١) العقد الفريد ح ٦ ص ١٥٨

(٢) ابن خلكان ح ١ ص ٢٠٧ ، الأغاني ح ٣ ص ٨٠

كلا منهم يقول : لقد أعطيناكم أصواتنا . أفلا تكفى ؟ والآن تطلبون جنودنا أيضاً ! ما هو فضلكم على البشرية ؟ حكمنا لكم بنصف فلسطين . نخذوه إن كنتم قادرين .

إنى أراهن على أن مجلس الأمن لا يستطيع أن يحصل على جندى واحد لكى يرسله إلى فلسطين لأجل زرقة عيون الصهيونيين وشقرة وجوههم وصفرة شعورهم . كما إنى أراهن على أن لجنة الدول الخمس لن تأتى إلى فلسطين لكى تنفذ التقسيم . لأنه ما من أحد منهم بائع دمه جزافاً لأجل خاطر كوهين وليفى وشارول وأضرابهم .

إن الصهيونيين الماكرين خدعوا ترومان وأمثاله من أنصار التقسيم بأكاذيبهم فى جرائدهم ودعاياتهم لكى يوهموا أن عندهم سبعين ألفاً من الهاجانة وكذا ألوفاً من الإرهابيين مدججين بالسلاح الحديث ، وأن العرب تنقصهم الشجاعة والسلاح والإنفاق . فلا يمكن قرار التقسيم حتى يخروا ساجدين مستسلمين للأمر الواقع .

طالما طبلوا وزمروا بهذه الدعاية حتى تجاوبت أصداؤها فى أقاصى الدنيا ، وصدقهم سذج الأميركان وعلى رأس قائمة الساذجين السيد ترومان فانحازوا إلى جانبهم . وقبل أن يجىء دور التنفيذ رآهم أولئك المنخدعون يستغيثون طالبين النجدة .

فى أثناء كتابة هذه المجالة ينعقد مجلس الأمن للنظر فى القضية . ولا يلبث أن يقع فى حيص بيص لا يدرى ماذا يفعل فيها لأنه يدرك أن التنفيذ لا يمكن إلا بإرسال قوة عسكرية . وهو ليس عنده من القوة ظلها . وزد على هذا أن الخواجة ترومان هرب إلى جزر الكاريبى لكيلا يمشى فى جنازة المشروع ولا يرى النائحين اللاطمين وقد أدرك بعضهم هذه الخيبة فرأى أن يتداركها باقتراح تأجيل القضية عسى أن تمكن تسوية الأمر بين العرب واليهود بطريقة ودية . رأى سخيف مضحك . ما أسخف منه إلا رسالة ترومان إلى حكومة العراق يناشدها بأن ترد العرب عن اليهود فى هذا الصراع الرهيب .

أفما أدرك هذا المخدوع أن اتفاق اللصوص معه على سرقة منزله أسهل جداً وأمكن من اتفاق العرب واليهود . أفما علم حتى الآن أن العراق وكل دولة عربية تحسب نفسها ضلعاً من فلسطين .

ليست هيئة الأمم ومجلس الأمن والحكومة الأميركية أقل حيرة فى هذه القضية وأقل ارتباكا من الصهيونيين الذين رأوا أنفسهم الآن أمام أمر واقع عكس ما كانوا يتوقعونه . لم يخدعوا العالم بأكاذيبهم وتهويلهم أكثر مما خدعوا أنفسهم . هم الآن فى ورطة لا يدرون كيف يخرجون منها .

لقد عرضوا فى أول الأمر على بريطانيا أن تحسب دولتهم من جملة الدومنيون التابعة لها ، يعنى أن تجعلهم تحت حمايتها . فظهر أن انكلترا لم تطمئن لمعاملة اليهود فنفرت من اقتراحهم هذا . ثم جعلوا يتقربون إلى روسيا . ولكن هذه السياسة الخرقاء لا تجوز على بريطانيا وأميركا ولا على روسيا .

لم يبق فى قوس الصبر منزع . لقد جنت على نفسها براقش وقد وقعت الحرب بين العرب والصهيونيين فلم يعد فى وسع هيئة الأمم ولا مجلس الأمن ولا أميركا ولا دول أوروبا الصغيرة أن تنقذهم من براثن العرب الأشاوس .

مهما تكن نتائج مساعيهم ومساعى أحبابهم فقد استل السيف من غمده ولا يمكن أن يغمد فى غمده ثانية إلا بأحد أمرين : إما أن يقاتلوا حتى يفنوا ويبقى العرب أهل بلادهم لا شركاء لهم فيها ، أو أن يرجعوا قانعين بالسلامة .

وأما أن يقترحوا اقتراحات متوسطة أو يأملوا أن يكونوا وطنيين فى الحكومة العربية المستقلة ذات السيادة فلم يعد العرب يقبلون اقتراحات كهذه . لقد خسروا القضية فخير لهم أن يرحلوا . وإن قبلت الحكومة الفسطينية بقاءهم فلا يعتبرون فلسطينيين لهم ما للشعب الفلسطينى بل يعتبرون غرباء عن البلاد .

كل يوم تذيعون أن مالاً يجمع لكم من أميركا فهما وفر هذا المال المزعوم المكذوب فلا يكفيكم لأن الألف التى تكفى المجاهدين العرب تحتاجون مقابلها إلى مليون ، فلا تهولوا بملايينكم .

أنتم فى الشرق لا تبلغون مليوناً . والعرب يبلغون ثلاثين مليوناً على الأقل . فقبل أن يفنى من العرب ألف يكون مليونكم قد فنى . فعودوا إلى رشدكم وارحلوا قبل أن تفنوا .

نقولا الحداد

٣ - فن المسرح

للأستاذ عبد الفتاح البارودى

ربما يكون من المناسب — قبل أن أستطرد فى حديثى عن القيم المسرحية — أن أناقش ما أثاره الأستاذ (رمزى خليل) من خلاف حول قولى (بالعدد ٧٥٩) : إن البانتوميم والميم فنان رومانيان إذ قال (بالعدد ٧٦٠) ما نصه : « ... إن اليونان عرفوا هذين النوعين بل إن أشهر ممثليهما هو بيلادس الممثل اليونانى المعروف وإذن يكون هذان الفنانان يونانيين وليسا رومانيين » .

وقد كان من الممكن أن أحسم هذا الخلاف بنقل عبارة تكاد تكون مشتركة فى شتى المعاجم الأدبية بصددهما وهى : (Purely Roman Creation أى ابتداع رومانى بحت) ولكنى أوثر أن أنساق مع حجة الأستاذ المعترض إلى أقصى ما تحمله من فروض . وقبل كل شىء أبادر فأوافقه على أن بيلادس ممثل يونانى .. ولكن ما العلاقة الحتمية بين جنسية الممثل وبين الفن الذى يمثله ؟ ألا يجوز أن تمثل (الفرقة المصرية) روايه فرنسية ثم يظل المثلون مصريين وتظل الرواية فرنسية ؟ لو أن بيلادس هو الذى ابتدع البانتوميم والميم ابتداعاً لجاز أن نجد مبرراً ، وإن كان بمفرده ضعيفاً ، لعزوهما إلى جنسه . أما وهو مجرد ممثل من جهة وهناك من هو أشهر منه — كما سنوضح بعد — من جهة ثانية ومقر تمثيلياته روما من جهة ثالثة وشهرته قاصرة على البانتوميم وحده دون الميم من جهة رابعة . فكيف يتأتى لنا إذن أن ننسبهما معاً إليه ؟! وحتى لو فرضنا أن هذا الممثل بالذات ابتدع فناً ما — أى فن — لما صح أن نعزوه إلى « اليونانية » إلا بتحامل شديد ؛ لأن المصطلح عليه فى الآداب والفنون القديمة أن العصر اليونانى أو الهلينى ينتهى بانتهاء الكلاسيكية اليونانية فى أواخر القرن الرابع ق . م ثم يبدأ العصر الهلينستى مزدهراً فى المدرسة الاسكندرية التى حملت لواء النهضة العلمية والأدبية بعد أثينا . ثم تزدهر روما بانتقال النفوذ السياسى إليها وعتد عصرها الأدبى من منتصف القرن الثانى ق . م . إلى القرن الخامس ب . م تقريباً . فإذا عرفنا بعد ذلك أن بيلادس بلغ أقصى شهرته فى فن البانتوميم حوالى عام ٢٠ ق . م . أدركنا بسهولة أن عصر بيلادس كله واقع فى العصر الرومانى الأدبى .

ومع هذا فلعله من المستحسن أن نتحدث بإيجاز عن كل من البانتوميم والميم زيادة فى التعريف بهما وشرحاً لما قد يكتنفهما من غموض أو غرابة .

(البانتوميم) لون من ألوان التمثيليات ابتدعته روما لمجرد « التسلية » وتستمد موضوعاته من الأساطير غالباً . وبينما تنشد الجوقة أناشيدها يؤدى الممثل دوره برقص معبر يعتمد على الحركة لا أكثر . وقد زاد الممثل اليونانى بيلادس الذى أسلفنا ذكره عدد أفراد الأوركسترا زيادة كبيرة ؛ وهذا هو مصدر شهرته . وكان للروايات مناظر مناسبة ، ولكن لم يزد عدد الممثلين عن ممثل واحد فقط يكون بمختلف الأدوار مستعيناً على أداء كل منها بالتقنع بقناع خاص به . ويعتبر باثيلس Bathyllus أشهر ممثلى البانتوميم [1] وقد بلغت شهرته إلى حد أن اسمه صار يطلق على كل من يمثل هذا اللون .

أما (الميم) فقد عرفه الدوريون والسيرا كوزيون فى حالة ساذجة . وبعد هيروداس (٣٠٠ — ٢٥٠ ق . م .) من أبرع واضعيه . وإلى هنا لا يمكن اعتباره فناً بالمعنى الصحيح بل لا يعدو أن يكون تصويراً تهكمياً لبعض حوادث الحياة اليومية العادية فى المدن مقصوداً به « تسلية » الجمهور بين فصول الروايات التمثيلية ، وقوامه الحركة المعبرة بمصاحبة الآلات الموسيقية وأهمها (الفلوت) وبغير كلام إطلاقاً . ثم ظل يتطور إلى أن صار فناً فى القرن الأول ق.م. منذ استطاع لابريس Laberius وبوبليليس Publilius أن يتخذاه وسيلة هامة من وسائل النقد اجتماعياً وسياسياً [2] . ومما يجدر ذكره أن البانتوميم أدى إلى انحطاط التراجيديا ، وكذلك أدى الميم إلى ازدواء الكوميديا .

ويعزى شيوع هذين الفنين بين الرومان إلى أن مجتمعهم كان مكوناً من طبقتين : قلة ضئيلة مثقفة مؤمنة بعظمة التراث الإغريقى وتحاول تقليده ... وكثرة عابثة تنشد التسلية ولا تحس بصلة بينها وبين ذلك التراث الغريب عنها . فاتجاه الفئة الأولى نحو الإغريق باعد بين الجماهير والأدب فأصبحوا يكرهون التراجيديا ويفضلون عليها الملاهى بصفة عامة . وانتهى الأمر بأن

---

(١) معجم الأدب الكلاسيكى — طبعة أكسفورد .

(٢) دائرة المعارف البريطانية .

هجروا المسارح التى تقدم مسرحيات يونانية مترجمة أو مقتبسة إلى دور تمرض البانتوميم والميم (١).

وأظن أن فى هذا الكفاية ولا بأس من العودة إلى حديثنا المعتاد

المسرح وقيمته الاجتماعية

الفن المسرحى فن اجتماعى الغاية والوسيلة معاً. فهو بواسطة مجتمع مصغر فوق المسرح يصور للمجتمع الكبير فى الحياة: نزواته ونزعاته وميوله تصويراً يبرزله عيوبها ويحضه على إصلاحها. وقد تكون لبعض الفنون الأخرى علاقة مباشرة بالمجتمع ولكنها على الأرجح لا تستطيع أن تجارى المسرح فى معالجة مشكلاته؛ لأنها إما أن تتناولها من بعيد بالإيحاء والرمز فلا تفيد الجماهير أو بالشرح والتفصيل فتبعث الملل فضلا عن أنه بهذا وذاك تتعارض غالباً مع أصول الفن فيها. أما المسرح فإنه بطبيعته الفنية يقوم على تمثيل «الفعل ورد الفعل» فى صورة تتفق مع مجتمع إنسانى، بمعنى أن أشخاص الرواية يجسمون المشكلات بشتى نواحيها تجسيما لا يلزم معه شرح أو إسهاب. وبهذا يتاح للمصلح الاجتماعى فى المسرح ما قد لا يتاح له فى سائر الفنون. وإنه لمن المعجز أن نجد بالاستقراء بين شتى الفنون فى شتى العصور فناً أوثق صلة بالمجتمع من المسرح. بل أكثر من ذلك أننا نجد أن المسرحيات تبلغ أوجها كلما حافظت على هذه الصلة وتهوى إلى الحضيض إذا أغفلتها مهما كانت الظروف والاعتبارات. فبالرغم من أن مسرحيات أرستوفانيس مثلا كانت أرستقراطية النزعة إلا أنها نجحت فى المجتمع اليونانى الديموقرطى لأنها كانت مستوحاة من ذلك المجتمع ذاته. وعلى النقيض أخفقت الروايات الرومانية التى يطلق عليها Palliata أو أخفق معظمها. ولو أنها كانت مستمدة من التراث اليونانى المظيم وذلك لأن هذا التراث على عظمته التى لا شك فيها لم يكن معبراً عن العواطف الجياشة فى المجتمع الرومانى وتكاد تكون الصلة الوثيقة بين المجتمع والمسرح أهم الالتزامات الواجب مراعاتها فى التأليف المسرحى لضمان نجاحه. وصحيح أن نجاح أو إخفاق المسرحيات يرجع — إلى حد كبير — إلى براعة المؤلف؟ لأن الصور المسرحية النهائية لها تطور داخلى خاص خاضع له. ولكن الشيء الذى لا جدال فيه أن هذا التطور ذاته يتأثر وينفعل ويتفاعل مع التغيرات العامة التى تطرأ على المجتمع.

(١) محاضرات الدكتور وهيب كامل

من هنا نرى بل يشترط بعض النقاد على المؤلفين ضرورة استيحاء المجتمع الذى يعيشون فيه حتى فى الروايات التاريخية التى تدور حوادثها فى الماضى السحيق ولا تمت إلى حاضرهم بصلة مباشرة. وأغلب الظن أن هذا هو ما حدا بمؤلف مسرحى عظيم مثل برنارد شو إلى استهلال روايته التاريخية (قيصر وكليوباترة) ببداية تدور حول المجتمع الإنجليزى الحالى! إذ يخرج الإله حورس من الظلام ويحدث الجمهور عن الإنجليز وعقائدهم وخصالهم منددا متهكما عليهم مقارناً فى ذلك جميعاً بين الإنسان الحالى والإنسان فى العصور القديمة مستنتجاً من ذلك جميعاً أن الإنسانية لم تتقدم منذ عصر قيصر إلى الآن إلا تقدماً آلياً لا ينبغى أن يؤبه له ما دام لا يصاحبه التقدم المنشود فى المشاعر والإحساسات

وقد يقال إن ارتباط المسرح بالمجتمع هكذا يجعله «تابعاً» خاضعاً له وبذلك يفقده قوته الإصلاحية المزعومة! ولا جدال فى أن هذه التبعية حقيقة ملحوظة بل إنها غير مقصورة على النواحى الفنية والأدبية. فالناحية الاقتصادية أيضاً لا يمكن تجاهلها؛ إذ المسرح يخضع إلى أبعد الحدود لقانون العرض والطلب؛ ولذا يحاول — ما وسعه — أرضاء الجماهير ولو على حساب الفن أحياناً، حتى لقد جاز لناقد كبير مثل وليم آرتشر أن يطالب المؤلفين «بأن لا يضعوا شيئاً جوهرياً فى المنظر الأول من الفصل الأول من مسرحياتهم» لغير ما سبب سوى أن الجماهير من طبعها التلكؤ. وقلما تصل إلى مكان العرض فى موعده المحدد أى لسبب لا علاقة له بصميم الفن.

فكيف يتسنى للمسرح أن تكون له قوة إصلاحية وهو خاضع على هذا النحو للجماهير التى كثيراً ما تثور على كل إصلاح؟ الواقع أنه على الرغم من كل هذه الاعتبارات وعلى الرغم من أن كل فن مقيد بقيود مختلفة بالمجتمع إلى حد ما فليس هناك فن يمكن أن يتخلص من أكبر عدد ممكن من هذه القيود مثل المسرح لسبب صغير جداً هو أن فى أوضاعه من المرونة والجاذبية ما يهيء للمؤلف المسرحى البارع الفرصة لبث آرائه بسهولة. ومهما تكن مخالفة لعقائد المجتمع، فكثيراً جداً ما يستطيع بالإفصاح والإيضاح والإلحاح أن يتغلب فى النهاية. إذن فحرية المسرحى ليست منعدمة كما أنها ليست مطلقة ولا مفر له من أن يعمل فى حدود ممكنات الفن ومزاج المجتمع ولكن البراعة فى الملاءمة بينهما. ومهمته هذه فى غاية الدقة والمشقة. فليس أغنى

هل ذلك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستـــاذ إبراهيم زكي الدين بدوي

— ٣ —

الاعتراضات ما زالت متوجهة

فى تعقيبى السابق على حديث معالى الباشا وجهت إليه جملة اعتراضات فصلت القول فى بعضها واجتزأت بالاشارة إلى باقيها ، وقد حاول معاليه — فى بحثه الأخير دفع كل منها بما لا مقنع فيه ، وهاك البيان .

٩ — الاعتراض الأول . أن معاليه قد أغفل فى رأيه الوارد فى حديثه والنصوص القرآنية التى استدل بها لهذا الرأى قوله تعالى . (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) هذا النص الذى هو تتمة الآية التى جعلها معاليه مناطاً للتأييد رأيه ، وهى قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) وأن عمل معاليه فى أغفال هذا النص الذى هو موطن الحكم الصحيح فى هذا الموضوع كعمل من يستدل على تحريم الصلاة بقوله تعالى « فويل للمصلين » ضاربا صفحا عن باقى الآية .

وقد حاول الباشا دفع هذا الاعتراض من ناحيتين : ناحية الشكل حيث قرر أن القياس مع الفارق وأن الشأن فى إغفال النص الذى أغفله معاليه يختلف عن الشأن فى إغفال باقى آية (فويل للمصلين) وسواء أكان ماقرره معاليه فى ذلك أو ماقررته أنا صحيحاً فلا أحب أن أضيع الوقت فى مناقشته فى هذه النقطة الشكلية البحت . وحسبى أن معاليه قد أقرنى ضمنا فى رده على أن للنص الذى أغفله وهو جزء متمم للآية التى استشهد بها شأناً أى شأن فى الموضوع الذى كان بصدد الإدلاء عن رأيه فيما هو حكم الشرع فيه ، بدليل تسليمه بأنه موطن الحكم فى الآية كلها (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا) وإن كان اعتبره حكما موقوتاً ، وبدليل احتياجه فى محاولة دفع ايراده عليه إلى تكلف ما تكلف من افتراض حدوث محن وأمور بين العرب عند نزول آية (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) وهو ما رد به على الاعتراض من ناحية الموضوع مستدلا بذلك فى الوقت نفسه على صحة رأيه وقد بسطنا القول فى ذلك وفى الرد عليه فى كلامنا السابق عما استدل به معاليه للعنصر الثالث من رأيه .

١٠ — الاعتراض الثانى . إذا كان المولى سبحانه قد عنى بالآيتين اللتين استشهد بهما معاليه مجرد تحريم التعدد ، ففيم كان الأخذ والرد باباحته فى إحداهما التعدد بشرط العدل ، ثم بتقريره فى الثانية أن العدل غير مستطاع إطلاقا ، وتوزيع المعنى بذلك بين آيتين وكانت آية واحدة تجزئ فى تحريم التعدد وبيان علته وهى عدم استطاعة العدل الواجب .. وفيم التعبير بمثنى وثلاث ورباع؟!

وقد أجاب عن ذلك بما سبق أن أشرنا إليه من تأويله عبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما لا تحتمله ولا يناسب المقام ولا سياق النص ؛ وقد فندنا هذا التأويل فيما تقدم بما فيه الكفاية فلا حاجة إلى تكراره هنا .

كما أجاب أيضاً محاولا دفع مايشوب النصوص — على أساس تأويله — من الأخذ والرد وتوزيع المعنى بغير مقتض ، بما سبق أن أشرنا إليه فى التمهيد من أن المولى سبحانه أراد ألا يجابه العرب

للمجتمع من المسرحيات ذات الآراء الإصلاحية ولكن بشرط أن تتصل به اتصالا ناعماً ليناً رفيقاً وتفتح له الطريق سهلا ممهداً وتنيره له إلى حيث تهدف فى رضى وطمأنينة .

والمجتمع فى مراحل تقدمه لا يكاد يذكر فضل فن عليه كما يذكر فضل المسرح ؛ فمسرحيات موباسان وأمثالها فى فرنسا ، ومسرحيات جوزيف أديسون وأمثالها فى انجلترا ، ومسرحيات تولستوى وأمثالها فى روسيا ، هى من أهم العوامل التى انتشلت المجتمع الأوروبى من نزعات المجون التى كانت مستولية عليه فعلا. وقل مثل ذلك عن شتى المسرحيات قديماً وحديثاً فى أغلب النهضات الاجتماعية

على أن المجتمع الإنسانى فى العالم كله لم يكن فى حاجة إلى المسرح فى وقت من الأوقات كما هو الآن . فقد سببت له الحرب الأخيرة ومشكلاتها ونتائجها كثيراً من الاضطرابات التى غيرت القيم وحجرت العواطف وألقت فى روعه حب المـال واقتناص الفرص . ومثل هذه الانحرافات لا يكفل علاجها غير المسرح لأنه أقدر الفنون بتحليل أسبابها الدفينة وإظهـار المجتمع عليها وبذلك يمهد له إعادة بناء مقوماته الصحيحة ويساعده — كما يقول هيكل — على استرداد قوة التنسيق بين العقل والشهوات وبين الفطرة والشذوذ .

للبحث بقية **عبد الفتاح البارودي**

دفعة واحدة بحكم تحريم التعدد الذى كان من عاداتهم المتأصلة « فتدرج » معهم فى هذا الحكم كشأنه فى كثير من الأحكام الواردة لمعالجة نقائص العرب بطريق التدرج . فتحداهم أولا بما يبيح — فى ظاهره التعدد بشرط العدل ثم أبان لهم بعد ذلك أن العدل غير مستطاع اطلاقاً .

وردنا على هذا الوجه من الدفع أن ما ذكره ليس من قبيل « التدرج » فى الاحكام ؛ إذ التدرج فيها — كما هو مفهوم اللفظ بداهة وكما وقع فعلا بالنسبة للاحكام الواردة حقيقة على طريقة التدرج كحكم الخمر مثلا — هو إتيان المشرع بحكمين أو أكثر منتقلا من التخفيف إلى التشديد ، والوارد فى التعدد من أول الأمر على رأى معاليه — حكم واحد هو التحريم لأن العدل فى ذاته غير مستطاع . ويؤيد ذلك ما افترضه معاليه نفسه من اضطراب النبى والمسلمين وتململهم وجارهم بالشكوى عند نزول الآية الأولى لعلمهم أن العدل فى ذاته غير مستطاع اطلاقاً مما استجاب له المولى — فى رأى معاليه أيضاً — بتخفيف الحكم بالآيه الثانية بجعله العدل المطلق غير مشروط فى الزوجات الموجودات فعلا وقت النزول ، فلولا أنهم فهموا الحكم من أول الأمر على أنه التحريم لما تململوا وجاروا بالشكوى . فليس ثمة أذن تعدد أحكام تدرجت إلى حكم أخير . أما التعديل الوارد للحكم فيما يرى معاليه فليس تعديلا دائماً بل موقوتا . وهو تعديل إلى التخفيف لا إلا التشديد ، فأين التدرج إذن ؟

١١ — الاعتراض الثالث . أن أحاديث كثيرة قد وردت بأمر النبى لمن كان تحته من الصحابة أكثر من أربع زوجات عند نزول الآية الأولى ، بالابقاء على أربع منهن ومفارقة الباقيات كما وردت أحاديث أخرى مختلفة الألفاظ وتؤول كلها إلى معنى واحد هو أنه عليه السلام طلب من ربه ألا يلومه على اجترائه بما يملك من العدل المستطاع بين زوجاته دون العدل المطلق مما يدل على أن الأول هو المراد بالعدل المشروط لجواز التعدد .

وقد رد معاليه على الأحاديث الأولى بأنها تقضى إلى الظلم بتشتيت بعض الزوجات اللاتى كن موجودات من قبل وما قد يكون لهن من أطفال مما يعتبر اعتداء على الحقوق المكتسبه فلا يعقل أن تأتى به شريعة سماوية أو وضعيه .

ولو أن معالى الباشا ناقشنى فى اسناد هذه الأحاديث — والأمانة العلمية تقتضينى أن أصرح بأن فى أسناد بعضها مقالا من رجال الأسـناد — لقلت له وجهة نظر وإن كانت مدفوعة كما سأبين ذلك فيما يلى ، لـكنه اقتصر على مناقشتى فى المتن ، فأجيبه عن ذلك بأن ليس فيما ذكره ظلم ولا اعتداء إذلم يطلب إلى الرجال سوى استعمال ما لهم من حقوق سابقة فى التطليق الذى كانت الزوجات معرضات لوقوعه عليهن قبل ورود الشرع بتحديد التعدد . فأين هو الحق المكتسب لهن إذن مع وجود حق الطلاق للرجال ؟ وإذا قيل إن الطلاق وإن كان حلالا فهو أبغض الحلال كما وردت بذلك السنة فلا ينبغى أن يستعمل إلاعند وجود مسوغاته ، رددت على ذلك بأن فى مقدمة المسوغات وضع حد لعلاقات دمغها الشارع بالفساد ، بتحريمها ، ومهما بلغت درجة البغض فى الحلال فهى لا تنتقل به إلى مرتبة الحرام ، ففى الأمر باستعمال هذا الحق ارتكاب أخف الضررين مما يتفق وعمومات الشريعة . ثم أن شأنهن بعد الطلاق كشأن سائر المطلقات فى احترام حقوقهن المتخلفة عن الزواج السابق وإمكان التزوج بهن فى نطاق أحكام الشرع ، كما أن أطفالهن لا يظلمون بفقد شىء من حقوقهم على آبائهم بل تظل لهم كافة الحقوق كما كانت قبل الطلاق . فما هو الظلم فى ذلك ؟

على أن مايجرى فى أوامر النبى المتقدمة يجرى أيضاً فى أوامر الخاصة بباقى من ورد الشرع بتحريم ما كان معروفاً من نكاحهن فى الجاهلية ، كزوجات الآباء والأختين المجموع بينهما ، وقد وردت الأحاديث بأمر النبى بالتفريق فى هذه الحالات أيضاً ؛ فهل يرى معالى الباشا أن هذه الأحاديث مفضية بدورها إلى الظلم مما لا يمكن معه الاطمئنان إلى صحتها ؟

ورد معاليه على النوع الثانى من الأحاديث رداً مسهباً عن زوجات النبى عليه السلام وظروف زواجه بكل منهن ، وانتهى إلى أن التعدد كان من خصوصيات النبى التى ابتلاه بها ربه جل وعلا فلا محل للاستشهاد بالأحاديث الواردة عنها ، وأن النبى لم يكن مكلفاً فيما يختص بزوجاته الموجودات وقت نزول آية التعدد إلا بما كلف به سائر المسلمين حينذاك من وجوب مراعاة «العدل المستطاع » بل أنه رفع عنه هذا التكليف مراعاة لظروف ابتلائه وذلك بقوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) .

(البقية فى العدد القادم)

إبراهيم زكى الدين بدوى
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

طرائف من العصر المملوكي :

صفي الدين الحلي

في بلاط بني أرتق

للأستاذ محمود رزق سليم

قد نشعر في هذا المقال أننا نبعد عن ديار مصر والشام وهما محور الحديث في العصر المملوكي ، وأننا نيمم شطر ديار أخرى هي ديار بني أرتق بماردين وديار بكر . ولكنا مع هذا لا نزال في صميم العصر . فإن الشاعر صفي الدين الحلي من أجل شعرائه، وكان هو وجمال الدين بن نباتة فرسي ميدان فيه ، لا يشأهما شاعر آخر من رجال حلبتهما . فإذا تحدثنا عن صفي الدين وعلاقته ببني أرتق فإنما نتحدث عن خاصة بارزة من خواص أحد شعراء العصر ، وعن وشيجة أثيرة من وشائجه كان لها أثر كبير في أدبه

وحقاً ولد صفي الدين بالحلة بالعراق عام ٦٧٧ هـ ويبدو أنها « حلة بابل » التي عناها بقوله بعد انتزاحه عنها وعن قومه فيها إلى ملوك الدولة الأرتقية :

ألا أبلغ — هديت — سراة قومي بحلة بابل عند الورود
ألا لا تشغلوا قلباً لبعدي فإني كل يوم في مزيد
لأني قد حللت حمى ملوك ربوع عبيدهم كهف الطريد

ثم انتزح إلى المملكة الأرتقية وطوف في آفاق الديار الحلبية والشامية والحجازية ، ولكنه عرج آنا على مصر وأقام بها ردحا من الزمن ، اتصل في خلاله بسلطانها المظيم الناصر محمد بن قلاوون وكاتب سره النابه علاء الدين بن الأثير ، ومدحهما ، ووصف مناظر الطبيعة المصرية وعيد فتح الخليج . وجُمع ديوانه بإشارة من علاء الدين . وصفي الدين تأثر — بلاريب — بالثقافة المصرية ، وتأثر بالمدرسة الأدبية المصرية التي قدست مناهج القاضي الفاضل في الكتابة والشعر ، وقدست من بعده مناهج ابن نباتة فيهما ، وعنيت أكثر ما عنيت بالتورية والتضمين . غير أن صفي الدين مع هذا كان نسيج وحده وبخاصة في شعره ، وافتن في هذا الشعر افتنانا ليس الآن مجال الحديث عنه ، سوى أننا نشير إلى أنه سلك مسالك البديع فيه ، ولج في هذا السلوك حتى لنشعر أن ألفاظ اللغة أصبحت كالعبد رهن يديه يصرفها كيف شاء وأنى شاء . وحتى استطاع أن يكون من مبتكري فن شعري جديد هو فن البديعيات ، والبديعيات في الشعر تعادل المقامات في النثر ، بلغ بها الفن البديعي أوجه شعرا ، كما بلغ بالمقامات أوجه نثرا . وللبديعيات حديث طويل قد نعود إليه في مقال جديد . ويعنينا الآن أن نتحدث عن صلة صفي الدين ببني أرتق وأثر هذه الصلة في أدبه .

فمن هم بنو أرتق ؟ هم ملوك ماردين وديار بكر منذ أواخر القرن الخامس الهجري . وهم بقايا من الدول التي خلفتها الدولة السلجوقية الناشئة في أواخر القرن الرابع الهجري وامتد ملكها من أواسط آسيا إلى غربها ، واستولت على بغداد والعراق في نحو منتصف القرن الخامس الهجري . ثم تشققت فيما بعد وانبثق منها دويلات عدة ، كان في جملتها الدولة الأرتقية . وينتسب ملوك هذه الدويلة إلى جدهم أرتق الذي كان أحد قواد السلاجقة . فملك بيت المقدس زمناً . ثم ملكها من بعده ابناه ؛ فدهمتهما جيوش الدولة الفاطمية عام ٤٨٩ هـ وانتزعت منهما بيت المقدس ، فسارا إلى الجزيرة الفراتية فملكا بها ديار بكر وقلعة ماردين واستقرا بها عام ٤٩١هـ . وتتابعت أبناؤهما من بعدهما حتى ملك منهم المنصور وابنه الصالح اللذان عاشا في أوائل القرن الثامن الهجري ، وهما اللذان اتصل بهما صفي الدين اتصالا وثيقاً ، وعاش في حاشيتهما زمناً طويلا .

وكان صفي الدين من قبل هذا يعيش بين قومه في الحلة . ويبدو أن المشائر العربية فيها كانت لا تزال تعلق بها أشياء من الروح القبلية والعصبية الجاهلية . وكان قوم صفي الدين فريقين : فريق أبيه بنو سبنس من طي ، وفريق أمه بنو محاسن . وكان بنو محاسن هؤلاء ذوي رياسة وثراء ومنهم (صفي الدين بن محاسن) وأخوه (جلال الدين بن محاسن) . نشأ الشاعر بين هؤلاء وهؤلاء فأحس بما لقومه من عراقة في الأصل وفراهة في الحسب فحميت نفسه ووثبها الشباب فنشط شعره في باب الحماسة والفخر وربأ عن التكسب بالشعر . ثم وقعت الوقيعة بين أخواله ، وآل أبي الفضل ، فغدروا خاله « صفي الدين » وقتلوه بمسجده ، فثارت

ثائرة قومه وفي مقدمتهم شاعرهم صفي الدين الذي أهاب بخاله « جلال الدين » أن ينتقم . وما زالوا حتى أوقعوا بأعدائهم وأمعنوا فيهم كيداً وإذلالا ، فكان هذا ضراماً جديداً لحماسة الشاعر ونخره .

ويبدو أن الشاعر لم تهدأ ثائرته ، ولم تثب أناته ، ولم يقنع بهذا الانتقام ، فظل يؤلب قومه على أعدائهم ويضرى بين الفريقين نار العداوة والبغضاء حتى أصبح شجى في حلوق الأعداء وأصبحوا يتلمسون منه مقتلا . فتملكه الخوف ، فآثر الفرار .

فر صفي الدين إلى بني أرتق يتطلب في كنفهم ملجأ يأوى إليه ، ودرعاً يستجن بها فأجاروه وأكرموا مستقبله ، واستمعوا لحديثه ، وأصغوا لشكاته . ورفعوا مكانته ووهبوا له الكثير من النعم ؛ مما ألهج لسانه بشكرهم ، وأبهج بيانه بذ كرهم ، ونظم في مديحهم أجود القصيد وأخلده استجابة لداعي الوفاء والولاء

قال يمدح المنصور وإجارته له .

وأجارني إذ حاولت دمى العدا ورأت شفاء صدورها من ورده
من كل مذّاق تبسم ثغره وتوقدت في الصدر جذوة حقده
ولذاك لم يرني بمنظر شاعر تبني قصائده جوائز قصده
بل بامرئ أسدى إليه سماحه نعما فكان المدح غاية جهده

هذه الأبيات من قصيدة له في مدح الملك الصالح بن المنصور تغزل في مطلعها فقال :

دبت عقارب صدغه في خده وسعى على الأرداف أرقم جعده
وبدا محيـاه فقوق لحظه نبلا يذود بشوكه عن ورده

ومنها يمدحه :

الصالح الملك الذي صلحت به رتب العلاء ولاح طالع سعده
ملك حوى رتب الفخار بسعيه والملك إرثا عن أبيه وجده
متسهل في دست رتبة ملكه متصعب من فوق صهوة جرده
فإذا بدا ملأ العيون مهابة وإذا سخا ملأ الأكف برفده
كالغيث يولي الناس جودا بعدما بهر العقول ببرقه ورعده

وهكذا يرى القارئ كيف انساق صفي الدين إلى المديح وإلى التكسب بالشعر وهو الذي يقول : « وكنت عاهدت نفسي ألا أمدح كريماً وإن جل ، ولا أهجو لئيما وإن ذل » .

ولعل أول مدائحه للملك المنصور فائيته التي يقول فيها :

لاقيتنا ملق الكريم لضيفه وضممتنا ضم الكمي لسيفه
وجعلت ربعك للمؤمل كعبة هي رحلة لشتائه ولصيفه
يا من إذا اشتبه الصواب أعاره رأيا يخلص نقده من زيفه
وإذا أتى أرض العدو فوحشها من وفده ونسورها من ضيفه الخ

انضم صفي الدين إلى حاشية الملك المنصور وبنيه ، وأصبح من سمارهم وجلسائهم ثم أصبح شاعرهم الأثير ، يفيضون عليه بصنوف من النعم ، حتى حسده على مكانته أهل ديار بكر . وفي ذلك يقول مخاطباً المنصور :

حسدت أهيل ديار بكر منطقي فيها كما حسد الهزار اللقلق
أعيت أكابرهم أصاغر لفظها ولربما أعيا الرخاخ البيـدق
جاءوك باللفظ المعاد لأنني غربت في طلب الغريب وشرقوا
لهم بذاك جبـلة جبلية ولنا عراق والفصاحة معرق
ما كنت أرضى بالقريض فضيلة لكن رأيت الفضل عندك ينفق
قالوا خلقت موفقاً لمـديحه فأجبتهم أن السعيد موفق

هكذا كانت منزلة صفي الدين عند بني أرتق . وكلما زادوه برا زادهم ذ كرا ، وكلما جادوه عطاء جادهم بقاء ، وكلما آثروه قربا آثرهم حباً ، وكان لذلك أثره الكبير في إنتاجه الأدبي ؛ إذ نظم عدة من القصائد في مدح المنصور سميت « المنصوريات » وهي من أجود آثاره الأدبية : ونظم تسعاً وعشرين قصيدة مرتبة على حروف الهجاء سميت « الأرتقيات » . وكأنما أراد بهذه الأرتقيات أن يطلع مليكه على ضرب من فن النظم الشعرى جديد ، وعلى منزع من منازع الشعر لم يحوم حوله شاعر من قبل ليدله بذلك على ثبات قدمه في صناعته ، وعلو كعبه في حرفته ، وعلى امتلاكه ناصية الافتنان إلى حد الافتتان .

والأرتقيات بعدد حروف الهجاء فلكل حرف قصيدة . فواحدة همزية وواحدة بائية وهلم جرا ... والتزم أن يبـدأ كل بيت في القصيدة بحرف رويها ، وأن تكون عدة أبياتها تسعة وعشرين . وقد يكون هذا الالتزام كله من عبث الصناعة ومن عبث الفراغ . ولكن إذا علمنا أن الشاعر قل أن سقط في بيت منها ، بلغنا به حد العجب وشهدنا بجادته وإجادته بالرغم من كل هذه القيود التي تعلق بها .

والأرتقيات — وإن كانت مسوقة للمدح — بدت مسرحاً لفنون غير المدح عدة ، كالغزل والخمريات ، والفخر والشكوى .

ومن رقيق أبياتها ما صدر به أرتقيته الكافية حيث قال :

كفى القتال وفكي قيد أسراك يكفيك ما فعلت بالناس عيناك
كلت لحاظك مما قد فتكت بنا فمن ترى في دم العشاق أفتاك

كفاك ما أنت بالمشاق فاعلة ... لو أنصف الدهر فى المشاق عزاك
كلت أوصاف حسن غير ناقصة ... لو أن حسنك مقرون بحسناك
كيف انثنيت إلى الأعداء كاشفة ... غوامض السر لما استنطقوا فاك
كتمت سرك حتى قال فيك فى ... شعراً ولم يدر أن القلب يهواك . الخ

لم يعش صفى الدين فى الدولة الأرتقية عيش الشاعر المادح المتكسب ، بل تهذبت منزلته ، وتوطدت مكانته حتى بلغ مبلغ المشير ، وكأنما أصبحت له ضلع فى سياسة الدولة وتوجيه ملوكها. تشعرنا بهذا قصائده ، فقد رفع إلى المنصور عام ٧٠٢ هـ قصيدة بارعة ، وكان المنصور قد أرسل جنوده ليحاصروا أعداءه فى « قلعة إربل » ولم يرافقهم فى المسير إليها . فحرضه صفى الدين فى قصيدته تلك على اللحاق بهم ليشد بوجوده أزرهم ويشحذ هممهم ، ويكون خوفاً لأعدائه ، ومضطربا لصفوفهم . ومزج فى هذه القصيدة المدح بالنصح ، والتحريض الجرىء بالتأدب . واستخلص من الحوادث ما توحى به من حكم وأمثال ، مع دقة تمثيل وكثرة تشبيه ، وتنقل بالفكرة بين حججها وبراهينها ، إغراء بالأخذ بها ، ومنها يقول :

أبد سنا وجهك من حجابه ... فالسيف لا يقطع فى قرابه
والليث لا يرهب من زئيره ... إذا اغتدى محتجباً بغابه
والنجم لا يهدى السبيل سارياً ... إلا إذا أسفر عن حجابه
والشهد لولا أن يذاق طعمه ... لما غدا مميزاً عن صابه
إذا بدا نورك لا يصده ... تزاحم الموكب فى ارتكابه

ويقول :

قم — غير مأمور — ولكن مثلما ... هز الحسام ساعة اجتذابه
فالعمى لا تعلم إرزام الحيا ... حتى يكون الرعد فى سحابه
كم مدرك فى يومه بعزمه ... ما لم يكن بالأمس فى حسابه

ومنها يغريه بأعدائه ويرسم له طريق معاملتهم :

لا تبذل الحلم لغير شاكر ... فإنه يفضى إلى إعجابه

ويقول :

لا تقبل العذر فإن ربه ... قد أضمر التصحيف فى كتابه
فتوبة المقلع إثر ذنبه ... وتوبة القادر مع عقابه
لو أنهم خافوا كفاء ذنبهم ... لم يقدموا يوماً على ارتكابه

ويقول فى خاتمتها معتذراً عن التحريض ، ومنسلاً إلى الفخر بنفسه على عادته :

لم يك تحريضى لكم إساءة ... ولم أحل فى القول عن آدابه
ولا يعيب السيف وهو صارم ... هز يد الجاذب فى انتدابه
ذكرك مشهور ونظمى سائر ... كلاهما أمعن فى اغترابه
ذكر جميل غير أن نظمه ... يزيده حسناً مع اصطحابه
كالدر لا يُظهر حسنَ عقده ... إلا جواز السلك فى أثقابه

ولما مات المنصور وولى الملك من بعده ابنه العادل فالصالح ، حسنت صلة صفى الدين بالصالح بعد لأى ، ومدحه بجملة من الروائع سميت « الصالحيات » . وتشعرنا هى الأخرى بسمو مكانته لدى الصالح ، بل لتشعرنا أنه كان عنده أقرب وآثر مما كان لدى المنصور حتى سماه صفى الدين بولى نعمته ، وتشعرنا أنه كان أكثر دالة عليه ، حتى كان فى خطابه له أجرأ مما كان فى خطابه للمنصور ويشير إلى المنصور فى مدحة رفعها إلى الملك الصالح فقال مبيناً سبب مدحه بعد أن كان قد طوى بساط المدح بعد المنصور :

ولقد عهدت إلى عرائس فكرتى ... ألا تزف إلى منعم بعده
لكنك الفرع الذى هو أصله ... شرفاً ومجدك بضعة من مجده
ونجيه فى سره ووصيه ... فى أمره وصفيه من بعده

ويقول منها :

لله كم قلدتنى من منة ... والقطر أعظم أن يحاط بعده

ويقول :

فاستجل دراً أنت لجة بحره ... والبس ثناء أنت ناسج برده
يزداد حسناً كلما كررته ... كالتبر يظهر حسنه فى نقده

وقد عاود صفى الدين النصح للصالح كما كان ينصح لأبيه من قبله ، ويحرضه على أعدائه ويلحب له الطريق إلى معاملتهم ويجنبه الحلم والعفو ، فيقول من قصيدة :

فيا ملكاً قد أطمع الناس حلمه ... لكثرة ما تهفو فيعفو ويصفح
أعد — غير مأمور — على الضد كيده ... وأذك له النار التى بات يقدح
فقد أيقن الأعداء أنك راحم ... فباهوا بأفعال الخنا وتبجحوا

ويقول منها :

تهن بعيد النحر وانحر به العدى ... فجودك عيد للورى ليس يبرح الخ

عاش صفى الدين ما عاش واتصل بغير بنى ارتق من ملوك وأمراء ورؤساء ، وافتن فى الشعر ما شاء له الافتنان حتى مات عام ٧٥٠ هـ بعد أن ترك أدباً خالداً وتراثاً ماجداً .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

من نوادر المخطوطات :

شرح المشكل من شعر أبي تمام

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

في أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٦ كنت في حلب أنتظر قطار طوروس ، في طريقي إلى الموصل ، للقيام بتدريس اللغة العربية وآدابها في كلية الموصل ، فكلفني أحد الأصدقاء أن أبحث له عن بعض المخطوطات الواردة في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي ، فأصف له بعضها وصفاً علمياً واضحاً ، وأبحث عن مؤاني بعضها مما لا وجود له في كتاب الدكتور الجلبي .

وكان من تلك المخطوطات التي كتبها صديقي في ورقة صغيرة « شرح مشكلات أبي تمام » ، وكان المطلوب وصفه والتعريف بمؤلفه . ولما بلغت الموصل ، واستقر بي المقام بها ، ذهبت أبحث عن « شرح مشكلات أبي تمام » ، فكان مما وقفت عليه :

« كتاب شرح مشكلات ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي مخطوط في ١٣٢ صفحة ، في كل صفحة ١٩ سطراً مكتوب بخط نسخي جميل بقلم محمد صالح الشريف ، ضبط الكثير من كلماته الغريبة بالشكل الكامل . كتبت الأبيات المشكلة من شعر أبي تمام بالمداد الأحمر ، والشرح بالمداد الأسود ، للتفريق بين المتن والشرح ، فرغ من كتابة هذه النسخة في ٢٤ من المحرم سنة ١١٥٦ هـ

وهذا الكتاب مما أهداه السيد أحمد بك الجليلي إلى النادي العلمي بالموصل في ٢٧ من شهر صفر سنة ١٣٣٧ هـ ، ولما انحل النادي العلمي ضمت كتبه إلى المدرسة الإسلامية — الفيصلية العلمية الآن — وفي بعض المواضع تقييدات واستدراكات وتصحيحات لما ورد في الشرح بقلم صادق .

هذا كل ما أمكن الوقوف عليه في وصف كتاب « شرح مشكلات ديوان أبي تمام » ، وأما موضوعه فإني أفضل أن أنقل إلى القارىء نص مقدمة المؤلف ليرى بنفسه أي كتاب هو هذا الذي نكتب عنه وهذه هي المقدمة « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم .

جاريتني — أيدك الله — أمر شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وما فيه من عويص الأبيات ، وبديع المعاني والألفاظ إلى غير ذلك مما يستبديه فنه فلا يسامم ؛ ويختص به نهجه فلا يقاسم ، ثم سألت أن أتتبع مشاهير كلماته ، فألتقط من فقرها ما يفتقر إلى تبيين ، ومن بيوتها ما يحوج إلى تفسير ، ثم أتبع كلا منه بما يحتمل من تلخيص بأوجز ما أمكن من لفظ ، وأقرب ما أعرض من بسط . لتجعل ذلك دليلا يهدى إلى الاغمض من باقيه ، ومعيناً يعدى إلى ألطف ما فيه .

وقد نظرت في عظم ديوانه ، وجمعت منه جل ما يلتى في المجالس من أبياته ، ثم تحريت في شرحها مسارك ، وتوخيت فيما سهل منه أو توعر تحصيل مرادك . غير محتفل بما يلحق من كد ، ولا مفكر فيما يعرض من تعب . حتى حصل على حد يملك الناظر فيه — مع أدنى تأمل له — عنان هذا الشعر وزمامه ، ويخبر المذاكر — بعد أيسر تمرن به — غرض هذا الشاعر ومهامه . فتى جارى فيه سبق ، وإذا ناضل به قرطس .

والله أسأل التوفيق ، وإياه أعبد واستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

* * *

هذا هو وصف كتاب شرح مشكلات شعر أبي تمام من حيث شكله ، وهذه هي مقدمته التي تبين عن موضوعه وتشرحه ، ولكن بقي شيء آخر لم نعرفه إلى الآن وهو من هو مؤلف هذا الكتاب ؟ .

الواقع أن هذا السؤال لايزال بلاجواب إلى الآن . فإني قرأت الكتاب وفحصت كل جوانبه وحواشيه ، فلم أجد أية إشارة إلى اسم مؤلفه ، فأخذت أسأل كل من آنس فيه المعرفة من أصدقائي ومعارفي ، فلما أعيتني الحيلة كتبت كتاباً إلى الأستاذ

كور كيس عواد الموظف بمكتبة المتحف العراق ببغداد ، أشرح له خبر العثور على هذه التحفة الفنية ، وأسأله إن كان يعرف شيئاً عن مؤلف هذا الكتاب ، فكتب إلى كتاباً مؤرخاً فى ٢٢ — ١٠ — ١٩٤٦ يقول فيه : ... أما شرح مشكلات أبى تمام ، فقد تملكنى الفرح لوقوفكم على نسخة منه . بحثت كثيراً عن هذا الكتاب ، وراجعت فهارس المخطوطات العربية لخزائن الكتب المختلفة فى بلدان الشرق والغرب ! غير أننى لم أجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، فضلا عن معرفة مؤلفه ! الخ والأستاذ كوركيس عواد رجل عرف بالدقة والأمانة فيما يتناول من عمل ، فهو عندما يقول : إنه لم يجد ذكراً لكتاب بهذا العنوان ، يقول ذلك بعد ما استفرغ الجهد فى البحث والدرس ، ولكن هل يكون هذا مثبطاً لعزمى ، واقطع الأمل فى معرفة المؤلف ؟

وذات يوم كنا نتجاذب الحديث على شاطئ دجلة مع نفر من كرام رجال التعليم فى الموصل ، فاخبرنى الأستاذ الصديق السيد عبد النافع حكيم أنه قرأ — فيما قرأ — أن كتاب شرح مشكلات أبى تمام هو للمرزوق ، ويغلب على الظن أنه قرأ هذا فى بمقدمة أخبار أبى تمام للصولى الذى نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى القاهرة .

ولما رجعت إلى مقدمة أخبار أبى تمام للصولى ، وجدت أن الناشرين ذكروا فيها أن للمرزوق كتاباً باسم شرح المشكل من شعر أبى تمام ، وأن فى مكتبة الجامعة المصرية صورة شمسية من هذا الكتاب مأخوذة عن أصل محفوظ فى الأستانة .

وإلى هنا استطعت أن أمسك بأول الخيط فى سبيل معرفة مؤلف هذا الكتاب ، ولكن لا سبيل إلى المضى فى البحث أو الجزم بنسبة كتابنا الذى بين أيدينا إلى المرزوق حتى نرى نسخة الجامعة المصرية ، ونقارن بينها وبين نسختنا لنعرف هل هما كتاب واحد أم لا ؟ فلنترك هذا الآن لنبحث عن المرزوق هذا من هو؟

يقول ياقوت الحموى فى إرشاد الأريب — ج ٥ ص ٣٤ — ٣٥ — : أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق ، أبو على من أصبهان كان غاية فى الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار . وتصانيفه لامزيد عليها فى الجودة ، وكان قد قرأ كتاب سيبويه على أبى على الفارسى ، وتتلمذ له بعد أن كان رأساً بنفسه ، وله من الكتب : كتاب شرح الحماسة أجاد فيه جداً ، كتاب شرح المفضليات ، كتاب شرح الفصيح ، كتاب شرح أشعار هذيل ، كتاب الأزمنة ، كتاب شرح الموجز ، كتاب شرح النحو ؛ ثم ينقل ياقوت عن الأبيوردى أن المرزوق كان يتفاصح فى تصانيفه كابن جنى ، وأنه كان معلم أولاد بنى بويه باصبهان ، ودخل عليه الصاحب بن عباد ، فما قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه .

ثم نقل عن ابن مندة أن المرزوق توفى فى ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . هذه خلاصة وافية من ترجمة المرزوق التى ذكرها ياقوت ، ونقل السيوطى فى بغية الوعاة بعض ماذكره ياقوت من غير أن يزيد عليه شيئاً .

وقد لاحظت أن كتاب شرح مشكلات ديوان أبى تمام لم يذكر فى كتبه التى أوردها ياقوت فى إرشاد الأريب والسيوطى فى بغية الوعاة .

ولما عدت إلى القاهرة فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٤٧ سارعت بالذهاب إلى مكتبة الجامعة المصرية ، فوجدت الصورة الشمسية لكتاب شرح مشكل ديوان أبى تمام — وهو برقم (٤٨ — ٢٤) أدب معارة للاستاذ عبده عزام أحد مدرسى كلية الآداب فى الجامعة المصرية لأن الأستاذ عبده عزام يشتغل من أمد بعيد فى إخراج شرح التبريزى لديوان أبى تمام إخراجاً علمياً .

فبعثت بقطعة من نسخة الموصل لمقارنتها بالصورة الشمسية التى لدى الأستاذ عزام بواسطة الصديق الكريم الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب الموظف بالقسم الثقافى بالجامعة العربية ، وظهر من المقارنة أن النسختين لكتاب واحد هو شرح مشكل ديوان أبى تمام كما ظهر أنه لا دليل على أن الكتاب للمرزوق إلا ما كتب على ظهر نسخة الآستانة .

ولكن هل تكفى هذه الكتابة التى على ظهر نسخة الآستانة لإثبات أن الكتاب للمرزوق ، مع أن مترجمى المرزوق لم يذكروا فى كتبه اسم هذا الكتاب ؟ ومما قوى

هذا الشك فى نسبة هذا الكتاب إلى المرزوقى أن صاحب كشف الظنون أيضاً لم يعرض لذكر هذا الكتاب مع أنه ذكر كتاباً آخر للمرزوقى لم يذكره مترجموه . وهو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته » وهو — كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٣٢١ — كتاب ألفه المرزوقى فى الرد على كتاب لأحمد ابن عبيد الله القطربلى المعروف بالفريد أظهر فيه أخطاء أبى تمام فى الأسلوب وغيره .

أليس من الممكن أن يكون كتاب « شرح مشكلات ديوان أبى تمام » الذى بين أيدينا هو كتاب « الانتصار لأبى تمام من ظلمته ؟ » وهذا شك جديد يلقى ظله على اسم الكتاب الذى نحن بصدده غير أنى اطلعت أخيراً فى دار الكتب المصرية على كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام[1] » لأبى البركات المبارك بن أحمد بن المستوفى الأربلى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ فوجدت أنه يذكر فى المقدمة الكتب التى أعتمد عليها فى شرح ديوان أبى تمام إلى أن يقول : « وعلى كتابى أبى على أحمد بن محمد ابن الحسن المرزوقى ، أحدهما فى شرح مشكل أبياته المفردة ، والآخر فى الانتصار لأبى تمام من ظلمته » فكان هذا نصاً صريحاً من ابن المستوفى الأربلى المتوفى بعد المرزوقى بنحو مائتى سنة بأن للمرزوقى كتابين — غير الكتب التى ذكرها ياقوت والسيوطى هما : « شرح المشكل » و « الانتصار » .

ويذكر ابن المستوفى فى مقدمة كتابه أنه ينقل فى كتابه نصوص الكتب التى اعتمد عليها فراجعت إلى كتاب « النظام » وقابلت ما نقله بن المستوفى عن المرزوقى بالنسخة الخطية التى استنسختها عن نسخة الموصل لشرح مشكل ديوان أبى تمام ، فوجدت النصوص متحدة لا تزيد حرفاً ولا تنقص حرفاً .

وبعد فإنى — الآن — أستطيع الجزم — وأنا مطمئن القلب — بأن كتاب « شرح المشكل من شعر أبى تمام » « المحفوظ فى خزانة المدرسة الفيصلية العلمية بالموصل هو لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، وأن لهذا الكتاب نسخة فى إحدى مكاتب الآستانة وصورة شمسية فى مكتبة الجامعة المصرية ، ونسخة أخرى مدرجة فى كتاب « النظام فى شرح شعر المتنبى وأبى تمام » لابن المستوفى الأربلى .

وأرجو أن أكون وفقت بعض التوفيق فى وصف كتاب شرح المشكل من شعر أبى تمام والتعريف بمؤلفه .

برهان الدين الداغستانى

---

(١) هذا هو اسم كتاب ابن المستوفى الأربلى الذى شرح فيه ديوانى المتنبى وأبى تمام كما ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة ابن المستوفى والحاج خليفة فى كشف الظنون فى أثناء الكلام على شروح ديوان أبى تمام . وهو كتاب ضخم قيم جمع فيه مؤلفه عدة شروح لكل من الديوانين ، وهو ينقل نصوص الكتب التى اعتمد عليها من غير تصرف ، وهو ينصح — على ما ذكره ابن خلكان والحاج خليفة — فى عشر مجلدات كبار . وفى دار الكتب المصرية من هذا الكتاب ثلاث نسخ ناقصة تنتهى ثلاثتها عند حرف الدال من شعر المتنبى وأبى تمام وأولى هذه النسخ تحت رقم (٥٧١) أدب الموجود منها ثلاث مجلدات مخطوط بقلم معتاد . إلا أنه سمى فى فهرس دار الكتب المصرية — ج ٣ ص ٢١٩ — شرح المشكل ، ونسب إلى الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ استناداً إلى ما وجد على ظهره من أنه للخطيب التبريزى ، مع أن اسم مؤلفه المبارك ابن المستوفى الأربلى واضح صريح فى مقدمة الكتاب لو أن واضع الفهرس عنى نفسه مشقة قراءة المقدمة ! .

والنسخة الثانية والثالثة من هذا الكتاب صورتان فتوغرفيتان مأخوذتان عن أصل مكتوب بقلم فارسى يظن أنه مكتوب فى القرن الثانى عشر الهجرى ينتهى ما فيهما إلى أثناء حرف الدال فى ٣٨٦ لوحة وكل لوحة بها صفحتان ورقمهما (١٠٥٩٢،١٦٤٠) أدب ، وهاتان النسختان منسوبتان إلى ابن المستوفى المؤلف الحقيق ، ولكن اسمهما لا يزال مغلوطاً إذ بقى مثل اسم النسخة الأولى : شرح المشكل ! ..

من هي ...؟

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

أنا لا أهوى سواها   ملأ القلب هواها
إن تناءت قلت : آها !   أو تراءت قلت : واها !
ألهمتنى الشعر سحرىّ المعانى — مقلتاها
وسقتنى الحب عطرىّ الأمانى — شفتاها
وجلت للقلب فجراً   وربيعاً من صباها
فتغنى فى رباها   وتهادى فى سناها

هى عذراء براها الله   فى أبهى مثالِ
فتراءت مثلما كنـ   ـت أراها فى خيالى
وتهادت فتنة يقـ   ـظى بأحلام الليالى
وحواليها رؤى السحـ   ـر ، وأطياف الجمال
ولها إشراقة النو   ر ، وأسرار الظلال
فهفا قلبي إليها   بحنينى وابتهالى

كنت من قبل هواها   حائراً بين الغوانى
لا أرى الروح الذى أبـ   ـحث عنه فى زمانى
ذلك الروح الذى يد   عوه روحى وكيانى
والتقينا فتعارفـ   ـنا كأنا توءمان
ونشأنا فى ربا الحب ، وفى ظل التدانى
وشربنا الصفو خمراً   فى كئوس من حنان

سألتنى ذات يوم   وعراها ما عراها !
من تراها ألهمتك الشعر سحراً ؟ من تراها ؟
قلت : يا أحلام أيامى ، ويا سرّ مناها
أنت أغنيّة حب   وأنا شعرى صداها
أنت فى صحراء عمرى   روضة طاب شذاها
وأنا البلبل يحيا   شادياً فوق رباها

كل حرف فى قصيدى   مهجة تهفو إليك
كل لحن فى نشيدى   لهفة تحنو عليك
إن أفراح شبابى   نبعها السامى لديك
وصبابات فؤادى   سرها فى ناظريك
وأزاهير غرامى   عطرها فى وجنتيك
وحياتى — يا حياتى —   كلها ملك يديك

سوف يبقى لك فى رو   حى وفى قلبى حنينُ
سوف يبقى لاسمك المحـ   ـبوب فى شعرى رنين
قلت فيك الشعر حتى   ذهبت فيك الظنون
واشتهى رؤياكِ أصـ   ـحابى وقالوا : من تكون ؟
يا صحابى : حسبكم أو   صافها ، فهى تبين
يا صحابى : إنها سرٌّ به   قلبى ضنين

مع المطر

للأستاذ إدوار حنا سعد

على نافذاتى بنان المطر   تدق فتوقظنى للسمر
لنا ألفة من زمان الطفو   لة فى صفحتيها تنام الذّكر
فتحت لها شرفتى مثلما   تلاقى الحبيبان بعد السفر
تقبلنى قطرات الرذاذ   ويندى بها خدىَ المستعر
وقد مال للغرب غصن الظلام   ونوّر فى الشرق ورد السحر

تتابع وقمك فوق الطريق   شجى الرنين رتيب الخطى
غسلت الهموم وصر الموا   جد عن مهجتى وأذبت الأسى
شعرت بروحى تندى كما   ترف الأزاهير تحت الندى
وتورق ، كالغصن إن جدته   وتفرح ، كالقفر بعد الظما
وتلمع مثل الطريق الجديد   إذا نمت فيه ، زها وازدهى

فيا ابن السمو ويا ابن الصفاء   إلى عنصريك تناهى الرجاء
فلم يبق فوق الثرى — للسماء   سوى نفحة من شذى الأنبياء
سوى شاعر يستشف الآله   بكل جمال — خبا أو أضاء
سوى عاشق أريحى الحنين   كيعقوب أو عيسوى الحياء
فيفنى بأحبابه ذاته   ويعرف فى الله معنى الفناء

كلانا على الأرض ، ملقى بها   ومنبعنا من كروم السما
إذا ما تسامى بأرواحنا   جناح الصفا — وهى وارتمى
فلما نزل بين تصميدة   وإسفافة ، شرّدا حوما
أيكرهنا نفر فى الحمى   ونحن نجن هوى بالحمى
إذا جدت لمّ ، فيا ويحكم   وإن جرت لم أجد اللوما

من وراء المنظار

صــدقة ترفض

الصباح بارد الأنفاس يلذع نسيمه الوجوه وينفذ إلى العظم ، والأرض مبتلة من أثر مطر خفيف ، وليس خارج داره بل ليس خارج فراشه إلا من يغدو إلى عمله فما يملك أن يتراخى أو يقعد .

ووقفت أنتظر إحدى السيارات العامة ، وأنقل بصرى فى وجوه السابلة أرى كيف يسعى الناس سعيهم فى سبيل العيش ، وكيف تقوم الحياة فى المدينة على كدح من لا يأبه لهم ، وأتبين ذلك الجد المحبوب فى خطوات الناس وفى صفحات وجوههم الصابرة الشاحبة التى محا الإشراق منها الغلاء والكدح ...

وانعطف أحد بائعى اللبن على عجلته المثقلة بصفائحه من أحد الشوارع وهو غلام فى نحو الثامنة عشرة ، فما كاد يستقيم حيث أقف حتى انزلقت به العجلة فوقعت على الأرض ، وهوى المسكين على جنبه واللبن يتدفق فيجرى على الأسفلت دفاقا ...

وخف إليه بعض السابلة فأنهضوه ورفعوا العجلة يحفظون ما بقى من اللبن ، وراح بعضهم يحوقل ، وراح البعض يعض شفتيه يظهر الأسف ، ولكن لم يخل الحال من ماجنين راحوا يصيحون من هنا ومن هناك : عليه ميّه ... عليه ميّه ! وأخذوا يضحكون فى غير مبالاة كأنما يشمتون من الغلام شماتة الواثق من أنه أضاف إلى اللبن ماء ...

وذهل الغلام عن نفسه لحظة ثم نظر إلى اللبن يجرى بين يديه ومن خلفه ، فما أحسبه والله لو أنه كان ينظر إلى دمه يجرى هكذا على الأرض ما كان يبدو أكثر مما بدا جزعاً وهلعاً ... لقد كانت ترتعد فرائص المسكين كأن بهما زلزلة ، وكأن مفاصله لا تقوى على حمله ، وكان يمسك العجلة بيد مرتجفة ويلطم وجهه بالأخرى وفى هذا الوجه صفرة كصفرة الموتى ... ثم كان يصرخ بين الفينة والفينة صرخة أشبه بصرخة الثاكلة تزفر النار على كبدها ويرمض الحزن مهجتها ، وكان يلفظ لفظة من ألفاظ الشكالى يعبر بها عن أله ...

ورأيتنى على رغمى أمام صورة من صور الفزع الإنسانى اشمئز منها خاطرى وتحرك لها قلبى ، ففيها مع الخوف الذلة والمسكنة وما أثقل على قلبى رؤية ضعيف فى موقف الضعف فما بالك بموقف الفجيعة والخوف .

وأدخل بعضنا أيديهم فى جيوبهم ثم مدوها بما جادوا به إلى فتى نبأتنى كتبه ودفاتره أنه من الطلبة ، تولى جمع صدقة لذلك المسكين واجتمع عدد من السابلة يواسونه بكلماتهم التى كان يمجها سمعه فما فيها غناء تلقاء هذه الكارثة ... ودنا منه أحدهم وهو شاب فى ملابس العمال فقال له فى لهجة قوية . وماذا جرى حتى تعمل هذا كله ... عيب ... أسكت ... خليك جدع ... وقال المسكين : سيطردنى الخواجة فلا أجد عملا ... واقترب منه عدد من العمال وفى يد كل منهم بعض أدوات حرفته أو منديل طعامه ، وكانوا جميعاً يستشمرون العار مما يفعل ، فكانوا يطلبون إليه أن يكف وهو فى حيرة من أمثال كلامهم ... « بلاش عبط » « خليك عاقل و » « إيه يعنى » وأضرابها لا يرى فيها حلا لورطته القطيعة ...

ونظر هؤلاء العمال إلى ذلك الطالب الذى كان يجمع الصدقة ، فارتاحت نفوسهم ، وإن بدا شىء من الخجل فى وجوه بعضهم ؛ ومشى الطالب إلى كهل بادى الوجاهة شهد الحادث من أوله ، فرجا منه أن يجود بشىء ؛ فتكره له واحمر من الغضب وجهه ، وحار لحظة ما ذا يذكر من علة للرفض ؟ ثم انفرجت شفتاه الغليظتان الصارمتان عن قوله ، وهو يشير إلى اللبن بسبابته : من غير شك دا عليه ميّه !

وضحكت ، وما كان أحوجنى إلى الضحك ساعتئذ ، فقد أثقل الألم قلبى ... ونظر إليه العمال نظرات كريهة ، ومشى الطالب إلى بائع اللبن المسكين يعطيه ما جمع له ، فما كان أشد عجبى أن رأيت أحد هؤلاء العمال يعود إلينا بتلك القروش ويطلب إلى كل منا أن يسترد ما أعطى ؛ ونظرت فاذا بهم يخرجون أيديهم من جيوبهم الفقيرة بالقروش يدفعونها للغلام المسكين ويكفكفون بها دمعه ، ومضيت وما سرى عن قلبى ما أثقله إلا ما فى عملهم هذا من مغزى : لقد رفضوا الصدقة التى صحبها الأذى وأحلوا محلها العون ، وقالوا لنا ، وإن لم ينطقوا : لسنا فى حاجة إلى عطفكم وإن كنتم إلى سعينا وكدحنا أبداً محتاجين ..

الخفيف

الأدب والفن في أسبوع

نتيجة مسابقة المجمع اللغوي :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية مساء الأربعاء الماضي في الجمعية الجغرافية الملكية ، بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٨ وهي كما يلي :

فازفي الشعر الأستاذ علي الجندي عن ديوان « أغاريد السحر » والأستاذ عثمان حلمي عما أرسله إلى المجمع من شعره ، وجائزة كل منهما ثمانون جنيها ؛ والأستاذ محمود حسن إسماعيل عن ديوان « الملك » والأستاذ إلياس فرحات من المهاجرين اللبنانيين بالبرازيل عما أرسله إلى المجمع من شعره ، وجائزة كل منهما سبعون جنيها . وفاز في القصة الأستاذ نجيب محفوظ عن قصة « خان الخليلي » والأستاذ محمد سعيد العريان عن قصة « على باب زويلة » وجائزة كل منهما مائة وخمسون جنيها .

وفاز في البحث الأدبي الأستاذ علي علي الفلال عن بحث « مهيار الديلمي » بجائزة مائتي جنيه .

وقد قدم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني الشعراء الفائزين وألقى كلمة عن الشعر ، وقدم الفائزين في القصة الدكتور ابراهيم مدكور وتحدث عن فن القصة ، وألقى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف كلمة عن البحث الأدبي وقدم الفائز فيه .

مؤتمر المجمع وقراراته :

عقد مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة ١٩٤٨ اثنتي عشرة جلسة ، كانت أخراها في أواخر فبراير الماضي ؛ ومؤتمر المجمع هو الاجتماعات السنوية التي يحضرها جميع الأعضاء من أجانب ومصريين ، وتكون في أوائل السنة ، وهو غير مجلس المجمع الذي يحضره المصريون فقط ، وينعقد في غير أوقات المؤتمر ويستمر طول السنة عدا الأجازة الصيفية .

وقد ألقيت في جلسات المؤتمر هذا العام محاضرات ، منها محاضرة عن صلة اللغة العربية باللغات السامية للدكتور عبد الوهاب عزام بك ، ومحاضرة عن الاصطلاحات الفقهية للشيخ عبد الوهاب خلاف ، ومحاضرة عن نشأة المصطلحات الفلسفية للدكتور إبراهيم بيومي مدكور ؛ وعرضت عليه بحوث في الإملاء وموقف العامية من الفصحى ، والنحت ، ووصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء ، وملاحظات بين اللغة والنحو ؛ ونوقشت في هذه الجلسات طائفة من المقترحات . وقد انتهى المؤتمر إلى القرارات الآتية :

١ — اختيار الدكتور طه حسين بك والدكتور إبراهيم بيومي مدكور ليمثلا المجمع في مؤتمر اللغويين السادس ومؤتمر المستشرقين الحادي عشر اللذين سيعقدان بباريس في شهر يوليه المقبل .

٢ — ضرورة شرح المصطلحات العلمية الجديدة شرحاً يوضحها ، على أن تنشر مقرونة بشرحها في الأوساط العلمية بمختلف البلاد العربية بعد إقرار المجلس لها ، وإذا ما استكملت وسائل نشرها عرضت على المؤتمر مصحوبة بتعاريفها النهائية ثم تسجل في جزازات خاصة .

٣ — الموافقة على نموذج المعجم الكبير من حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من موظفين وخبراء

٤ — تشجيع دراسة العامية واللهجات المختلفة تحقيقاً لما رمى إليه مرسوم إنشاء المجمع واختيار بعض الخبراء لذلك كي يعملوا تحت إشراف لجنتي اللهجات وألفاظ الحضارة .

٥ — إحالة مشروع تيسير الإملاء إلى المجلس ، كي يبحث في ضوء قرارات المؤتمر الثقافي العربي الذي عقد بلبنان في العام الماضي ، ثم تقدم نتيجة ذلك إلى مؤتمر المجمع في دورته القادمة

٦ — تكوين لجنة لوضع كتاب في النحو طبقاً لقواعد تيسيره التي أقرها المجمع من قبل .

٧ — الموافقة على جواز وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التي يستسيغها الذوق العربي .

٨ — الموافقة على جواز النحت عندما تلجىء إليه الضرورة العلمية .

٩ — الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية .

وسنرجع إلى بيان بعض هذه القرارات في الأعداد القادمة بمشيئة الله .

أعضاء مراسلون بالمجمع :

وقد عرض على المؤتمر فى جلسته الأخيرة موضوع اختيار أعضاء مراسلين بالمجمع من الخارج ، وبعد مناقشة اتفق على ترشيح الآتية أسماؤهم .

الأستاذ جبرييل من روما ، والأستاذ أربرى من لندن ، والأستاذ لاوست من ليون ، والأستاذ نيبرج من أبسال ، والأستاذ خليل مردم والأستاذ شفيق جبرى والأمير مصطفى الشهابى والأستاذ جميل صليبا والأستاذ عارف النكدى من سوريا ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى من العراق ، والأستاذ الشيخ طاهر ابن عاشور ، والأستاذ الشيخ علال الفاسى من تونس ، والأستاذ الشيخ محمد الحجوى من مراكش ، والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن من السودان ومدرس بالأزهر .

وستعرض هذه الأسماء على مجلس المجمع لاتباع ما يقضى به مرسوم المجمع ولائحته فى شأن تعيين الأعضاء المراسلين .

ضيفان من لبنان :

فى القاهرة الآن ضيفان كريمان من إخواننا أدباء لبنان ، هما الأستاذ سعيد تقى الدين ، والأستاذ سهيل إدريس . والأستاذ سعيد هو قنصل لبنان فى الفليبين ، وقد قضى فى هذه البلاد بعيداً عن البلاد العربية اثنين وعشرين عاماً ، وقد بدا نشاطه الأدبى فى السنوات الأخيرة بما نشره فى صحف لبنان وما ألفه من الكتب فى القصص والنقد الأدبى ، وآخر كتاب ظهرله « حفنة ريح » . والأستاذ فى طريقه من أمريكا إلى لبنان بعد هذه الغيبة الطويلة ، وقد تحدث إلى عن شعوره لما حل بمصر فعبر عن سروره بتطور الشعور القومى العربى وقال إن هذا الشعور قد تجاوز الرسميين والمثقفين إلى أفراد الشعب ، كما قال إن التمازج بين شعوب العرب هو غاية الفكرة العربية .

أما الأستاذ سهيل إدريس فقد جاء من لبنان للقاء الأستاذ سعيد تقى الدين بمصر ، وهو يهتم فى هذه الزيارة القصيرة بالتعارف مع أدباء مصر والوقوف على نواحى النشاط الأدبى فيها

الأدب الشعبى :

سمعت يوم الجمعة من محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية ، حواراً بين الأساتذة شوقى أمين وكامل عجلان ومصطفى حبيب ، كان موضوعه « توحيد المنهج الأدبى بين الأمم العربية » وقد تتبعت حديثهم باهتمام لأرى كيف يختلفون فى هذا الموضوع ، فلم أجد بينهم خلافا فى الصميم ، فأصل القضية أن الأمم العربية ذات لغة واحدة تصوغ بها آدابها التى تجتمع فى خصائص عامة ، ولابد مع ذلك من اختلاف ألوانها وسماتها باختلاف البيئات ؛ ولم يكن بين الأساتذة المتحاورين من يقول بغير ذلك ، وإنما كانوا يشققون الكلام دائرين حول ذلك المحور . ولكنهم أثاروا فى ضمن الموضوع مسألة الأدب الشعبى فاختلفوا فيها حقاً ، فقد قال الأستاذ عجلان : أريد أن تكون حياة الشعوب العربية فى فنها الرفيع صورة متحدة ، وهذا يدعونى إلى أن أغضى عن الأدب الشعبى الذى لا ينفذ إلى طوايا الخلود . فقال الأستاذ حبيب : أنا لا أوافق على الغض من الأدب الشعبى ، لأنه الأدب الحى الذى يمثل مشاعر الشعب وآماله وآلامه . فقال الأستاذ شوقى : أثرتما حديث الأدب الشعبى وكأنكما تجاهلتما أننا اتفقنا على ضرورة التوحيد اللغوى بين العالم العربى ، فإذا فهم من الأدب الشعبى أنه الأدب المكتوب باللغة المحلية العامية فإنه مهما يكن من سموه لن يقوى على البقاء ، فاللغات العامية فى تطور وشيك ، وهى بتعميم الثقافة تتعرض للتداعى ، وستذهب جهود أولئك الأدباء الشعبيين هباء بعد سنوات هى وإن كثرت قليلة فى عمر الزمان ، وإن المصرى اليوم ليعجز عن تفهم قطعة كتبت بالعامية منذ نصف قرن فقط ؛ وأما إن أريد بالأدب الشعبى الذى يصور منازع الطبقات العامية ويجلو أوضاع حياتها فإن هذا الأدب إن كان مكتوباً باللغة العربية كان بقاؤه مرهوناً بالدرجة التى هو عليها من الجودة والروعة ، وقد بقيت لنا روائع فى الأدب العربى بقوة تصورها لا بجلالة موضوعها ولا بأنها تمثل أدب الخاصة .

النهضة التعليمية فى القرن الأخير :

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها يوم الخميس الأستاذ اسماعيل القبانى بك المستشار الفنى لوزارة المعارف بنادى اتحاد خريجى الجامعة ، وقد استعرض فيها المراحل التى مر بها التعليم فى مصر منذ عصر محمد على ، وعنى بإبراز مشاكله الحاضرة مبيناً أن أصولها ترجع

إلى ذلك العصر ؛ فقد كان بعصر قبل محمد على تعليم ديني بالأزهر والكتاتيب ، وكان هذا التعليم يتفق مع الشعب وعواطفه ، ولكنه لم يكن يلائم الحضارة الأوربية التي أخذ بها محمد على في الإصلاح والنهوض بالبلاد ، فلجأ إلى إرسال البعوث وإنشاء المدارس لتخريج فنيين يستعين بهم على ما اختطه من الإصلاح ، فلم يكن الغرض نشر التعليم بين أفراد الشعب وإنما كان وسيلة إلى إعداد طائفة من الفنيين ؛ فكان هناك تعليمان ، تعليم شعبي وهو الديني ، وتعليم خاص يمد الوظفين والحكام ، فنشأ عن هذا مشكلة الازدواج في التعليم التي لا تزال الدولة تعالجها بالعمل على توحيد المرحلة الأولى في التعليم .

وبين الأستاذ اتجاه التعليم في عصر إسماعيل وما تلاه إلى ناحية الشعب ونشر الثقافة بين أفراده ، حتى نكبت البلاد بالاحتلال الذي عمل على قصر مهمة المدارس على تخريج موظفين ، وقال إنه يلاحظ أن النهضات التعليمية في مائة السنة الأخيرة اقترنت بالشعور الوطني القومي ، وذلك يتمثل في اجتماع مجلس الشورى في عهد إسماعيل الذي نادى بوجوب الاهتمام بالتعلم فكانت نهضته وكان تنظيمه على يد على باشا مبارك سنة ١٨٦٦ ، وفي الحركة العرابية اهتم الخديو توفيق بإصلاح التعليم ، فوضعت النظم لنشره في جميع أنحاء البلاد ، ولكن الاحتلال لم يمهل هذه النظم لتؤتى ثمراتها ، ويتمثل ذلك أيضاً في دعوة مصطفى كامل إلى إنشاء المدارس الأهلية وفي الدعوة إلى إنشاء الجامعة المصرية وفي مجاراة حكومة الاحتلال للشعور الوطني بإنشاء مدارس مجالس المديريات ، ثم يتمثل في أوائل العهد الدستوري سنة ١٩٢٥ وما صاحبه من توسيع التعليم ، ويتمثل أخيراً في اشتداد الوعي الاجتماعي والقومي الحالي وما يجري معه من العمل على تهيئة فرص التعلم للجميع .

ومما قاله الأستاذ القباني بك أن التعليم كان منذ محمد على إلى وقت الاحتلال بالمجان ، وكانت مجانيته حقيقية لا كالمجانية الحالية التي أخذ بها في التعليم الابتدائي ؛ لأن المدارس إذ ذاك كانت مفتوحة لكل راغب في التعليم مع ملاحظة قلة الراغبين ، أما الآن فإن المدارس لا تتسع للجميع ؛ لأن الدولة لا تستطيع أن تلبي كل الرغبات لقصر وسائلها . ولن تكون المجانية محققة حتى تستطيع الدولة أن تفتح أبواب مدارسها لجميع أبناء الأمة على السواء في تعليم موحد .

تعريب الأفلام :

شغل الوسط السينمائي والصحف الفنية في هذا الأسبوع بموضوع ترجمة الأفلام الأجنبية إلى اللغة العربية المعروفة بعملية (الدبلاج) وقد أثار هذا الموضوع عرض فلم « لص بغداد » الأمريكي بسينما ستوديو مصر ناطقاً باللغة العربية . وقد أبدى السينمائيون المصريون سخطهم واحتجاجهم على هذا العمل بدعوى أنه خطر على الأفلام المصرية ويهدد عمال السينما بالتعطل . وإلى جانب هذا يرى بعض النقاد أنه لا خطر على السينما المصرية من الدبلاج بل هو يؤدي إلى ترقيتها ؛ لأن المنافسة القوية تبعث على الإجادة ، ويرى بعضهم أن الذي يهدد السينما المصرية حقاً إنما هو هذه الأفلام التي كثرت أخيراً وسادها التهريج والابتذال والاستخفاف بالجماهير وتخديرها واستغلال جهلها ، وأنه إذا كان السينمائيون يطالبون بحمايتهم من المنافسة الأجنبية فالواجب قبل ذلك هو حماية الفن السينمائي الصحيح وحماية الجمهور من الفوضى والاستغلال . وقد تلقى منتجو هذه الأفلام الدرس القاسي من الجمهور بإعراضه أخيراً قبل أن يهددهم به الدبلاج .

والعجب أن منتجي الأفلام المصرية يثورون الآن على تعريب الأفلام الأجنبية وهم يزاولون هذا التعريب في أفلامهم مع التمصير والمسخ والتشويه ... ثم ادعاء التأليف !

هذا وقد تألفت لجنة للنظر في هذا الموضوع برياسة معالي وزير الشؤون الاجتماعية ، واجتمعت وقررت السماح بإطلاق تعريب الأفلام العلمية والثقافية وتحديده للأفلام التاريخية والتمثيلية بثلاثة أفلام في السنة ، كما وافقت اللجنة على السماح بتعريب أفلام الدول التي تستورد أفلاما من مصر ، على أن يكون عدد الأفلام الأجنبية التي يسمح بتعريبها في هذه الحالة مساوياً لعدد الأفلام المصدرة من مصر إلى هذه الدول .

العباس



رد على نقد :

نشر الأستاذ « زينون » في الثقافة نقداً لكتبي الثلاثة : أحمد عرابي وإبراهام لنكولن ومن وراء المنظار ؛ ومما جاء في نقده قوله : « وأحب أن أقدم للقارىء مفتاحاً لكل ما كتب الأستاذ الخفيف وما سيكتب ، بل مفتاحاً لكل ما تحدث به إذا ما تحدث ، فقد وجدت هذا المفتاح إذ كنت أقرأ له هذه الكتب الثلاثة التي أخرجها وهو جماع ظاهرتين معروفتين في علم النفس ، أما أولاهما فهي ما يسمونه اتحاد المدرِك بالمدرَك وأما الثانية فهي ما يسمونه بتفكير التمني »

جعل الأستاذ هاتين الظاهرتين أساس ما أكتبه بل ما سأكتبه وذلك أعجب ، وقال « فلا تقرأ له هذا التاريخ الذي سطره بحيث تحاسبه الحساب العسير الذي تحاسب به مؤرخاً أخذ على نفسه أن يثبت لك الحق أجرد بارداً ، بل اقرأه قراءتك لأديب قادر ماهر أضفى خياله ألواناً زاهية على ما يكتب وما يصور من مواقف » .

عجبت إذ قرأت هذا ، وازداد عجبي لأن كاتبه هو الأستاذ « زينون » بالذات ، وهو من أعلم رجاحة عقل وصدق نظر وسعة اطلاع ، وإنه ليعلم كما أعلم أن تفكير التمني إن جاز في القصة فهو لا يجوز في التاريخ ؛ لأن التاريخ مسائل تقرر أو تنقض بالدليل فإن « جرى فيه الفكر بما يتمنى الكاتب أن يكون هو الواقع » لم يعد تاريخاً وإنما أصبح قصة . والأستاذ « زينون » قد قرأ كتبي كما قال ، وأنا من ناحيتي قد بنيت كتابيَّ وبخاصة الأول على الوثائق أستخرج منها الدليل ، وأحسب أني ما قدمت رأياً واحداً بغير برهان أو عدة براهين أرجعتها إلى مصادرها ، وهذا هو ما تفضل بعض حضرات القراء فأثنوا به على كتابي « أحمد عرابي » ؛ وإذا كان الأمر كذلك فلي أن أعجب من تفكير التمني » هذا الذي نسبه إليَّ الناقد الفاضل وجاء في نقده قوله عني « اقرأه قراءتك لخطيب أخذ يلوح بيديه لسامعيه ويرفع ويخفض من صوته ، لا يعنيه أن يقول الحق جافاً كما تفهمه العلوم ، بل يريد أن يقع من نفوس سامعيه بما أراد أن يقع »

والأستاذ « زينون » يعلم كذلك كما أعلم أن لكتابة التاريخ طرقاً منها أن يكون حول شخصيته ، ولهذه الطريقة دعاة كثيرون اليوم وهو في هذه الحال مزج بين الأدب والتاريخ كما يصنع أساطين كتاب التراجم المحدثين من أمثال زويج ولدوج وكما فعل بلوتارخ في الأقدمين ، ومن المؤرخين من اصطنع هذا في غير الشخصيات كذلك ، وما أظن خلود جيبون إلا لأنه كان أديباً في كتابه ومؤرخاً معاً ، وأنا أستطيع أن أفعل مثل ذلك على قدر طاقتي ، وأحسبني فعلته في كتابي فأوردت الحقائق وتقيدت بها ثم أضفى خيالي الأدبي ما شاء « من ألوان زاهية على ما كتبت وما صورت من مواقف » ولكن دون أن أضحي بالحقائق أو أفكر تفكير التمني ؛ وإذا كان الأستاذ الناقد قد أورد ما أورد من الشواهد ليؤيد بها خطابتي ، فليت شعري لم اقتصر عليها ، ولم يورد شواهد من براهيني ومناقشاتي وتحليلي ؟ أذلك لأنه يريد أن يجعلني على رغمي أفكر تفكير التمني ؟

أؤكد للأستاذ الفاضل « زينون » أني ما أردت بردي هذا دفاعاً عن كتبي بقدر ما أردت أن أبرهن له أن ما سماه تفكير التمني لن يكون في كتابة كاتب وتسمى مع ذلك تاريخاً قط ، وأنا أعاهده وأشهد القراء على عهدي هذا ، أنه إن دلني على شيء فيما كتبت لا يستند إلى دليل ، أخطأت فيه أو أصبت ، فلن أكتب تاريخاً بعد ذلك أبداً ، ولعله لا يتبرم ، بما في عهدي هذا من خطابة ، ولعله واجد فيه منطقاً ، أو على الأقل ، شيئاً يشبه أن يكون منطقاً.

أما عن وراء المنظار ، فإنه يقول : إن دقة التصوير التي زادت فيه عن حدها قد أنقصت بعض الشيء من قيمة هذا الكتاب الفنية ، وأحب أن أقول إن هذه الدقة التي زادت عن حدها هي أقوى مدح يوجه إلى مثل هذا الكتاب وهي جوهر فنه ، فهو ليس بقصة فيها أحذف شيئاً من الطبيعة وأضيف شيئاً » ، وإنما هو « من وراء المنظار » أعني أني أكتب ما أرى وكلما توافى لي من الدقة قدر كنت إلى هدفي أقرب ... وليت لي حقاً هذه الدقة التي زادت عن حدها ، فإنه لم ينلها إلا كل طويل الباع من القصصيين الواقعيين وهي مجال سبقهم وموضع تبريزهم

هذا ، وللأستاذ « زينون » صادق مودتي وعظيم شكري على ما تفضل به عليَّ من ثناء أرجو أن أظل عاملا عليه .

الخفيف



أقصوصة من روائع الأدب الإيطالي :

من شابه أباه

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

عاش قدماً من بلاد « الإغريق » ملك ذو بأس وسلطان عظيم ، يدعى « فيليب » ... وقد ألقى ذلك الملك فى غياهب السجن بأحد العلماء الراسخين فى العلم .. لما قارفه من إثم ور كبه من عدوان ! ..

وكان ذلك العالم ممن حباهم الله بالحكمة وآتاهم المعرفة .. حتى ذاع صيته فى كل أفق .. وجرى ذكره على كل لسان ..

وحدث ذات يوم أن أهدى ملك « أسبانيا » إلى الملك « فيليب » جواداً كريم الأصل جميل الشكل أشهب اللون ذا جرم عظيم ... ! فأرسل الملك فى طلب « البيطار » ليعلمه الرأى فى هذا الحصان ، بيد أن هذا أسر فى أذنه أن الحكيم الإغريقى هو أعلم أهل الأرض بكل أمر ، وأخبرهم بكل شىء ! ..

فدعاه الملك من سجنه ! . وقال له : « أيها السيد .. لقد ألقى فى روعى ما أصبت من العلم البعيد ، وترامى إلى سمعى ما جنيت من الخبرة العميقة ! . تخبرنى بما تراه فى هذا الجواد ؟ ! . »

فلما أنعم الحكيم فيه النظر ، وفحصه عن دقة وبينة .. تبسم وقال للملك : « يامولاى .. إن هـذا الجواد جيل حقاً وسريع الركض ! . بيد أنه أرضع لبن الحمير ! .. »

فأوفد الملك « فيليب » الرسل إلى « أسبانيا » ! ليلموا بجلية الأمر ، فانثنوا على أعقابهم يسوقون له اليقين على أن التى أرضعت الجواد حمارة .. فقد نفقت أمه إثر ولادته ! ..

فأخذت الدهشة الملك وتولاه الإعجاب ! .. وأمر بأن يقدم إلى الحكيم فى سجنه ، نصف رغيف من الخبز — جزاء له على صدق ما نظر — من نفقة القصر ! .

ثم حدث بعد ذلك أن جلس الملك إلى مجموعة من جواهره الثمينة ولآلئه التالية ، يختبرها .. فلم يلبث أن بعث إلى الحكيم يدعوه ! . وقال له سيدى إن غور علمك بعيد لا يدرك له العقل نهاية ولايبلغ منه غاية ! ويلوح أنك عليم خبير بكل دقيقة فى هذا الوجود ! . وها هى ذى أحجارى الثمينة التى أعتز بها ، وأهتز زهوا لها ! فدعنى — بربك — أعلم أيها أعظم — فى نظرك الثاقب — قيمة وأكرم معدناً .. » فأجابه الحكيم هازئاً : « هلا أنبأتنى يا مولاى أى واحدة تحسبها أثمن هذه الجواهر وأكرمها ؟ »

فانتقى الملك من بينها جوهرة تتألق جمالا وتفيض بهاء .. ومديده بها إلى الحكيم وهو يقول « إن هذه — أيها السيد الجليل — تبدو لى أشد حسناً وأرفع قيمة ! .. »

فتناولها « الحكيم الإغريقى » وراح يفحصها بين أنامله ويقلبها فى راحته ، ثم أدناها من مسممه ، وأصغى برهة إليها ! ثم قال فى صوت هادىء رزين : « يخيل إلى يامولاى .. أن هذا الحجر يضم فى جوفه حشرة حية ! .. » فأمر الملك — مستغرباً : — بالجوهرة أن تكسر فى رفق ! .. فخرجت منها — أمام ناظريه — دودة تسعى !

فزاد دهش الملك وعظم إعجابه بحكمة الإغريقى ، وعقله الفذ وعلمه العجيب .. وأمر بأن يقدم له — فى سجنه — رغيف كامل كل يوم ! ..

وانسلخت أيام وانقضت شهور ، وكان الشك لا يفتأ ينتاب الملك ، والظنة لاتبرح تراوده بين حين وحين فى نسبه إلى أبيه ! . فأرسل فى طلب الحكيم ، وقال له : « أيها الرجل العليم ... إن بلاءك اليوم لعظيم .. أريدك على أن تخبرنى إبن من أنا ؟ ! »

فأجابه العجوز — مظهراً الدهشة — فى صوته الهادىء وحكمته الرزينة : « يا مولاى .. إن هذا لعجيب ! لاريب فى أنك إبن سلفك الملك العظيم .. والدك ! . » فصاح الملك حانقاً فى غلظة : « إياك والمراوغة من سؤالى : إخبرنى الحقيقة وأنت آمن ! فإن خالجك تردد ، فسوف أضرب عنقك كخائن حقير ! »

فأجابه الإغريقى : « إذن يامولاى ! لاتثريب على ولاحرج ، إنى أخبرك أنك سليل خباز ! » فدخل الملك « فيليب » على « الملكة الوالدة » .. قلقاً ظامئاً إلى جلاء الحقيقة .. وهددها وشدد النكير عليها .. فاعترفت له بأن الحكيم لم يتجاوز الحق فيما قاله !.

حينئذ بلغ إعجاب الملك بالحكيم حداً عظيما ، فاحتبسه معه فى غرفة بمنأى عن القوم — وقال له : « يا سيدى الجليل ! .. لقد تجلت لى آيات بينات من علمك ، وبراهين ساطعة على قدرتك ! وقد حان أن تكشف لى النقاب عن سر معرفتك بها وحكمك عليها ! .. »

فأجابه الحكيم — وهو يبتسم فى لطف — : « يامولاى ! سأنبئك بتأويل مالم تحط به خبراً ! ... أما الحصان فقد علمت أنه رضع لبن الحمير من أذنيه المتدليتين المتراخيتين ، وليست هذه من طبيعة الخيل ! .. وعلمت أن فى جوف الجوهرة حشرة حية ، لأنى استشعرت حرارة لما قبضت عليها .. وعهدنا بالأحجار باردة .! ومن الجلى أن الحرارة لا تصدر إلا عن كائن حى داخلها ! »

ثم سكت الحكيم .. فقال له الملك مستحثاً : —

« هه .. وكيف فطنت إلى أنى ابن خباز ؟ »

فاستطرد الحكيم فى قوله وهو يبتسم فى خبث ورقة :

« حينما أخبرتك بحقيقة الحصان لم تجد على إلا بنصف رغيف من الخبز ، وعندما أنبأتك عن الحشرة الحية فى بطن الجوهرة أمرت لى برغيف كامل من الخبز كل يوم ! فأدركت عن يقين من هو أبوك !

فلو أنك وُلدت من صُلب ملك حقاً لوهبتنى مدينة بأسرها كمنحة أستحقها .. ولكنك اكتفيت برغيف من الخبز وهو ما كان يفعله أبوك الخباز !.. ومن شابه أباه فما ظلم !.. »

حينئذ خجل الملك من ضعة أصله ودناءة سجاياه ! وأطلق اسر « الحكيم الإغريقى » ورد عليه حريته ..! ثم أعاده إلى أهله مثقلا بالعطايا .. وولاه منصباً رفيعاً ! ..

مصطفى جميل مرسى

صانع الخير

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد

كان الوقت ليلا ، حده . فلاحت له من بعيد أسوار مدينة مخططة على شكل دائرة ، فوجه خطاه نحوها . ولما دنا منها سمع فى داخلها خفق أرجل طروبة ، وقهقهة أفواه جذلة وأنغام قيثارات كثيرة صادحة ؛ فقرع الباب ففتح له البوابون فرأى أمامه قصراً من المرمر ، أعمدته الرخامية الرائعة الجمال متوجة بأكاليل الأزهار ، وفى داخله وخارجه مشاعل مضاءة من الأرز . فدخله وبعد أن اجتاز ردهات من العقيق الأبيض الخلكيدونى وأواوين من اليشم وبلغ قاعة الوليمة المستطيلة رأى على متكأ من الأرجوان شاباً مكلل الشعر بالورود ، قرمزى الشفتين من آثار الخمر . فدنا منه ولمس كتفه قائلا : « لماذا تعيش هذه العيشة ؟ » فالتفت الشاب وراءه فعرفه وقال : « قد كنت أبرص فأتيت أنت وشفيتنى . فكيف أعيش غير هذه العيشة ؟ » .

ترك القصر وخرج إلى الجادة ورأى بعد هنيهة امرأة موشاة الثياب بالنقوش تنتعل حذاء مرصعا باللؤلؤ ، ورأى شاباً مرتدياً ثوباً ذا لونين يسير فى أثرها الهوينا مترقباً كأنه صياد . وكان وجه المرأة شبيهاً بوجوه الدمى الجميلة ، وعينا الشاب تشتعلان لذة وتدفقان شهوة ، فتأثرهما مسرعاً حتى داناهما . فلمس يدى الشاب وقال له : « لماذا تنظر إلى تلك المرأة هذه النظرات ؟ » . فالتفت الشاب وراءه فعرفه وقال : « قد كنت فيما مضى أعمى فأرجعت إلىّ بصرى . فبأى شىء أنظر إذا لم أنظر إلى ما ترى ؟ » .

فتركه وتبع المرأة حتى أدركها . فمس ثيابها المزركشة وقال لها : « أليس من سبيل غير سبيل الخطيئة ؟ » . فالتفتت المرأة إليه وعرفته فضحكت وقالت : « ولكنك قد غفرت لى ما أسلفت من خطايا من قبل . وهذا السبيل طريق المسرات ! »

فخرج من المدينة حتى إذا كان فى ظاهرها رأى شاباً ينتحب على قارعة الطريق فاقترب منه ، ولمس غدائره المسترسلة وسأله . « لماذا تبكى ؟ » فرفع الشاب طرفه إليه فعرفه وقال له : « لقد كنت ميتاً ، فجئت أنت فأحييتنى ، فماذا أصنع غير البكاء ؟ »

عبد الوهاب مصطفى

العدد ٧٦٨ – الاثنين ٢٢ مارس ١٩٤٨ – السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢٤ ٥ ٣٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

16 ème Année No. 768

Lundi — 22 — 3 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

السنة السادسة عشرة «القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٢ مارس سنة ١٩٤٨» العـــدد ٧٦٨

من مذكراتي اليومية :

قصة فتـــاة

— ٥ —

يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٤٥

كان لحديث لقائنا الأول بقية ضاق عن تسجيلها الوقت فى صفحة الأمس فأنا أسجلها ملخصة فى صفحة اليوم .

قلت للآنسة (س) بعد أن قصت علىّ مغامرتها الحمقاء بخروجها من العزبة شريدة ، وسفرها إلى القاهرة فريدة : إن حكايتك فى تحررك من أخيك أشبه بحكاية العنزة (بلانكيت) فى تحررها من سيدها (سيجان)

قالت وما خبر هذه العنزة ؟ قلت : خلاصة خبرها فيما زعم (دوديه) أنها كانت عنزة جميلة الشكل خفيفة الظل ذات قرنين مفوّفين ، وعينين كحلاوين ، وشعر أبيض ناصع ، وظلف أسود لامع ؛ وأنها كانت تعيش فى حظيرة مولاها عيش الرافهين الأغرار ، تنزو وتلعب فى حبلها الطويل ، وتأكل وتشرب فى مذودها الحافل . وفى ذات يوم أطلت من النافذة فأبصرت الجبل يُوشيه الزهر ، والسهل يغشيه النبات ، فقالت لنفسها : يا لله ! ما أجمل الحياة هناك ! وما أسعد من ترتع فى تلك المروج طليقة من هذا الحبل ! ما للمعز وللحظائر والقيود ؟ إنها بالحمير والبقر أخلق . ومنذ تلك الساعة عرضت العنزة من المكان ، وبرمت بالقيد ، وعزفت عن الطعام ، حتى هزل بدنها وشح لبنها . وكان السيد سيجان كلما دخل عليها الحظيرة وجدها جاثمة على الأرض أمام الباب ، تنظر نظر المشوقة ، وتثغو ثغاء الولهى ! فأدرك آخر الأمر أن بها شيئاً تخفيه ، فسألها : ماذا بك يا بلانكيت ؟ لعل حبلك قصير فأطيله ، أو علفك قليل فأزيده ! فقالت العنزة مفضية فى غير اكتراث : أرح نفسك يا سيد سيجان ، فليس ما أشكوه قصر الحبل ولا قلة العلف .

— إذن ما ذا تشكين ؟

— أشكو القيد .

— وما ذا تريدين ؟

— أريد الجبل .

— الجبل ؟ ! ألم تسمعي أن هناك الذئب ؟

— بلى سمعت ، ولكن لى قرنين طويلين يخشاهما الأسد .

— ليس قرناك يا مسكينة أطول من قرنى أختك (رينود) ، فقد صاولت الذئب بشجاعة طول الليل ، ولكنه أطرعليها فى الصباح !

— يا للمسكينة ! ولكن لا بأس . دعنى بربك أجرب حظى مع الذئب يا سيد سيجان

فلما رأى سيجان أن عنزته لا يقنعها المنطق ولا يعظها التاريخ ، حبسها فى حجرة بالحظيرة ثم أغلق عليها الباب ، ولكنه

نسى أن يغلق النافذة ، ففرت منها إلى الجبل ! ورأى الجبل فى بلانكيت غير ما رأى فى سائر المعز من جمال اللون وحسن الشارة فلقيها لقاء جميلا ، وأمر أشجاره أن يظللن لها الطريق ، وأزهاره أن يعطرن لها الجو . ووجدت العنزة نفسها مرسلةً من كل قيد ؛ فلا وتد ولا حبل ولا جدار ، فأخذت تمرح فى الخلاء الرحب ، وتسرح فى الكلأ الرَّطب ، وتوازن فى اشمئزاز بين ضيق الحظيرة وسعة المرج ، وبين تفاهة العلف ومراءة العشب ، فتحمد الله على ما رزقها من نعمة الحرية ومتعة العيش . فلما قضت حاجتها من الشبع والرى ، أخذت تثب فى الهواء ، وتركض على الأرض ، وتقفز فوق الصخور ؛ ثم تبلل شعرها بماء الغدير ، وترقد لتجففه بحر الشمس ، ثم تنهض فتصعّد فى شعاف الجبل حتى تقف على قنته ، فيخيل إليها من فرط الصلف وسحر الغرور أنها حورية مرجه وملكة واديه ! وبينما هى ترسل النظر الساخر من ذروة الجبل إلى حظيرة سيجان أبصرت قطيعاً من الوعول ينال من شجر الكرْم فتحلب ريقها شرهاً إليه ، وما هى إلا وثبات حتى نزلت على القطيع ففسح لها المجال بأدب ، وقرب إليها المنال فى لطف . ثم وقع بقلبها بعض الوعول فاختلت به ساعة أو ساعتين فى ظلال الغاب . وجملة القول أنها قضت يوماً من أيام الجنة لم تقضه قبلها عنز من عِنناز سيجان ، ولا نعجة من نعاج داود .

ولكن الهواء برد والمساء أقبل ، فخشعت الأصوات ، وسكنت الحركات ، وانبعث من جانب الحظيرة بوق السيد سيجان يدعو الآبقة إلى الرجوع . حينئذ تذكرت الذئب وقد أنساها إياه قصف النهار ولهوه ، فاعتراها شيء من الحيرة والتردد ؛ ولكنها تذكرت كذلك الوتد والحبل ، فمطت شفتيها وأصمت أذنيها وقررت البقاء . وانكفأت بلانكيت تبحث عن مرقد وثير فى مغاور الجبل فرأت بين الأوراق أذنين مصرورتين تحتهما عينان تشمان الخطر ، وتقدحان الشرر ، فعلمت أنه الذئب ! وأرادت أن تمضى فى سبيلها ، فضحك منها الذئب حتى بدت أنيابه العُصل ، واندلع لسانه الغليظ ؛ فاستيقنت الموت وتذكرت ما سمعته عن مصرع العنزة رينود ، فهمت بالاستسلام ؛ ولكن بدا لها أن تدافع ، لا لأنها تعتقد أن العنز تقتل الذئب ، ولكن لأنها تربأ بكرامتها أن تكون أقل شجاعة من رينود . والحق أن بلانكيت اضطرت الذئب إلى أن يستريح عشر مرات أثناء المعركة ، وفى كل استراحة كانت تملأ فمها بالعشب الندى ، وترقب طلعة الفجر فى الأفق الحالك ، ثم تعود إلى الصراع ؛ حتى لاح الضوء الشاحب ، وصاح الديك المؤذن ، فخرت شهيدة الحرية بين يدى الذئب وهى تلفظ مع نفسها هذه الجملة :

الحمد لله قد بلغت أمنيتى ، وإن لحقت بى منيتى !

***

قالت الفتاة : قصة طريفة ! ولكنى أعدك ما دمت عندك أن ألزم الحظيرة ولا أفك القيد ولا أخلع الزمام . فقلت لها : لا تنسى يا بنيتى أن حظيرتك عند أخيك لا عندى ، وأن حريتك فى قيده لا فى قيدى ، وأن زمامك بيده لا بيدى . وهيهات أن أكون لك إلا أباً يشفق أو أخاً يمين أو معلماً يرشد . فقالت وهى تنهنه عبرة تريد أن تقطُر : ليكن ! حسبى أن أراك وأن أسمعك ! لقد حاولت أن أغويك فلم أستطع ، فحاول أنت أن ترشدنى فلعلك تستطيع . سأجعل فى يديك مقاليد أمرى ، وأودع بين جنبيك مكنون سرى . وسأتبين معالم الطريق فى ضوء مصباحك ، وأنشد سكينة القلب فى ظل جناحك . فقلت لها أعاننى الله وأعانك . ثم افترقنا ونفسى تغالب الضلال ونفسها تغالب الهدى ، وما تدرى نفسى ولا نفسها ما ذا تكسب غداً !

يوم الخميس ١٧ مايو سنة ١٩٤٥ :

كان لقاؤنا الثانى فى مطعم الكرسال ظهر هذا اليوم ؛ وكنت قد واعدتها على هذا اللقاء ساعة انصرافنا من جروبى . وكانت هى شديدة الحرص على أن نلتقى كل يوم ، ولكننى أقنعتها بأن نجعل بين اللقاءين أسبوعاً لتعرف فيه خبيئة نفسها ودخيلة هواها ، لتردَ يوم ترد عن بينة ، وتصدر حين تصدر عن بصيرة . سبقتها إلى الموعد فى هذه المرة فتخيرت مائدتنا فى ركن من أركان المطعم الفخم . ولم يكد يطمئن بى الجلوس حتى رأيتها مقبلة فى زينتها الكاملة : فرأسها النفرتيتى الساحر قد خلص من يد الحلاق الساعة ؛ وفستانها الفيروزى الأنيق قد خرج من محل الخياط اليوم ؛ وشنطة يدها اللازوردية الملقة على

(البقية على صفحة ٣٥١)

الحمّادون الثـــلاثة

للدكتور جواد على

— ٣ —

وننتقل بك أيها القارىء من حياة حماد الراوية وقد سقت لك بعض أخباره إلى حياة حماد آخر هو « حماد عجرد » وهو يفوق المرحوم صاحبنا عبثاً وزندقة ، ولست أقصد من وراء هذا الحديث رواية أخبار الزنادقة ، وإحياء ذكرى الزندقة ، وفى عصرنا من يفوق من ذكرنا عبثاً واستهتاراً وزندقة وتفاخراً بالخروج على أنظمة البلد والمجتمع . ولكننا نقصد من وراء هذه الدراسة إظهار صورة من صور حياة الناس فى ذلك العهد غامضة على كثير من القراء ، ترينا لوناً من ألوان الحياة وفوضوية من تلك الفوضويات التى قوضت دعائم المجتمع العربى القديم .

وحماد عجرد الذى أريد أن أتحدث عنه هو أبو عمرو وقيل أبو يحيى حماد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفى وقيل الواسطى(١) . وبعد فلا تغرنك هذه الأسماء وهذا النسب الطويل العريض وتلك النسبة العربية التى تتحدث فى الظاهر عن عربية أصيلة وفى الواقع غير ذلك . ولست بجبيح لك سراً إن قلت لك إن الرجل كصاحبه مولى من الموالى ، من موالى سواءة بن عامر ابن صعصعة . شأن أكثر العابثين والمجان الذين ظهروا فى هذا الوقت خاصة وقت تدهور السياسة العربية وتولى الملوك المترفين من بنى أمية مقاليد الحكم فى الإسلام . وفى بلد وإن كانت العروبة غالبة عليه غير أن العجمة كانت تبذر مفاسدها فيه وتؤسس نواديها فى كل مكان .

لقد كان حماد عجرد على الرغم مما اتهم به من الزندقة سليط اللسان بذىء الكلام لا يقف أمامه فى هـذا الفن أحد . وقد عرف بشار بن برد وهو من المتهمين بالزندقة كذلك بأنه من أبذإ الناس لساناً وأنه من الهجائين المقذعين فى هجائهم . وكان مسرفاً فى الهجاء حتى عجل بنهاية نفسه . ومع هذا الهجاء لم يتمكن من التغلب على حماد ولا من إسكاته وقطع أنفاسه فكانت بينهما أهاج شديدة وكانت بينهما سباب وشتائم فقال حماد فى بشار أهاج فاحشة جاء فيها بمعان غريبة وإقذاع فاقت حد الوصف حتى كان بشار يضج منه(١) .

روى الصباح الكوفى قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لى : يا أبا على ، أما إنى قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه ، يعنى حماد عجرد . فقلت بماذا يا أبا معاذ ؟ فقال بقولى فيه :

يا ابن نهيا رأس على ثقيل   واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيرى إلى عبادة ربيـ   ـن فإنى بواحد مشغول

فقلت لن أدعه فى عماه . ثم قلت له قد بلغ حماداً هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا . قال ماذا يقول ؟ قلت يقول :

فادع غيرى إلى عبادة ربيـ   ـن فإنى عن واحد مشغول

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ؛ ثم قال إننى لا أحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين . وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لى(٢) .

واشتد الهجاء بين الشاعرين فكان بشار يهجو حماداً وهو فى البصرة وكان حماد يرد عليه أو ينظم ما هو شر منه وهو فى الكوفة . فكان من جملة ما قاله حماد فى بشار .

والله ما الخنزير فى نتنه   بربعه فى النتن أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه   ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه   ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده   وجنسه أكرم من جنسه

ولما سمع بشار هذه الأبيات تظاهر بعدم الاكتراث وقال : ويلى على الزنديق ! لقد نفث بما فى صدره . فقيل له وكيف ذاك ؟ فأجاب ما أراد الزنديق إلا قول الله تعالى « لقد خلق الإنسان فى أحسن تقويم » فأخرج الجحود بها مخرج هجائى(٣) . وهو قول متهم فى متهم .

قال الرواة وهذا خبث من بشار وتغفل شديد . وهو خبث حقاً والتفات فطن ، فيه سرعة خاطر ، يتقطر غيظاً وحقداً من

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .
(٢) الأمالى للمرتضى ص ٩٣ .
(٣) الأمالى للشريف المرتضى ص ٩٣ .

هذا الشاعر الأعمى على ذلك الخصم الذى يراه ولا يتمكن بشار من رؤيته فيصفه :

قال الشريف المرتضى وأول من جمل نفى الإلحاد تأكيداً للوصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة ، مساور الوراق فى حماد عجرد حيث قال :

لو أن مانى وديصانا وعصبتهم جاءوا إليك لما قلناك زنديق
أنت العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نيرنج مخاريق(١)

ومساور الوراق صاحب هذه الأبيات شاعر رقيق ماكر من الهجائين وله فى الهجاء مكانة . وكان ممن يخشى لسانه . وهو القائل فى أهل الرأى والقياس :

كنا من الدين قبل اليوم فى سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قاموا من السوق إذ قامت مكاسبهم فاستعملوا الرأى بعد الجهد والبوس
أما الغريب فامسوا لا عطاء لهم وفى الموالى من شح علاميس(٢)

وكان موجعاً فى هجائه . ويمتاز عن أقرانه الشعراء بسعة ثقافته واطلاعه على الكتب بحكم مهنته ولذلك كان يخشى المثقفون هجاءه فكانوا يسترضونه بالدراهم ويشترون مدحه بالمال .

وكان ظريفاً صاحب مجلس ومعشر محدثاً يدل ما تبقى من شعره على خفة روحه ، له قصيدة جميلة فى وصف الطعام يصف فيها أنواع الأطعمة والأصناف الفاخرة من الأشربة ، من أوائلها :

إسمع بنعتى للملوك ولا ترى فيما سمعت كميت الأحياء
إن الملوك لهم طعام طيب يستأثرون به على الفقراء
أنى نعت لذيذ عيشى كله والعيش ليس لذيذه بسواء(٣)

ومن الهجاء الذى قاله بشار فى حماد عجرد وهو يمثل بخل المهجو وبعده عن الكرم قوله :

إذا جئته فى الحى أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تبلغ العلا وفى كل معروف عليك يمين

وهنا لك أبيات أخرى قيل إنها فى هجاء حماد عجرد وقيل أنها فى هجاء حماد بن الزبرقان وهو رجل من هذه الفصيلة . وقيل بل إنها فى هجاء حماد الراوية وهى :

(١) الأمالى للشريف المرتضى ص ٩٣ .
(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ١٥٤ .
(٣) العقد الفريد ج ٨ ص ٩ .

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد(١)
هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد(٢)

وكانت لحماد عجرد بطانة وجماعة ترتاح إليه ويرتاح إليها وهى على شاكلته بالطبع ، مثل حريث بن عمر وكان حماد ينزل عليه وكان من المشهورين بالزندقة(٣) . ومثل مطيع بن إياس وهو علم بالزندقة لايحتاج إلى تعريف ، ومثل يحيى بن زياد . وكانوا يجتمعون ويتنادمون ويتنابزون بالألقاب . حدث على بن الجعد فقال : « قدم علينا فى أيام المهدى هؤلاء القوم حماد عجرد ومطيع بن إياس الكنانى ويحيى بن زياد فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يطاقون خبثاً ومجانة(٤) » .

وكانت محجة القوم فى الكوفة بيت رجل يقال له « ابن رامين » قدم من الحجاز ولعله كان من أصل يهودى ، وكان صاحب قيان ونبيذ « فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده مثل يحى بن زياد الحارثى وشراعة بن الزند بوذ ومطيع ابن إياس وعبدالله بن العباس المفتون وعون العبادى الحيرى ومحمد بن الأشعث الزهرى المغنى وكان نازلا فى بنى أسد فى جيران إسماعيل بن عماد فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره إلى بنى عائذ فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما . وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء(٥) » .

وقد اشتهر أهل الحجاز بالميل إلى الغناء وباتقانهم فنونه ، ولذلك كان مجلس « ابن رامين » من مجالس طلاب الغناء المشهورة فى الكوفة . وكان عامة من يقصده من أصحاب الفن يحسنون الغناء وقول الشعر أو روايته على الأقل . وكان إسماعيل بن عماد مثلا صاحب شعر رقيق جميل وحس مرهف يقول الشعر فى « ابن رامين » وفى صاحبات ابن رامين وفى شعره نغم موسيقى . وأما محمد بن الأشعث الزهرى وهو من رواد هذا المحل ومن

(١) فى بعض الروايات « يعرف قدره » .
(٢) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ٣٠٢ .
(٣) الأغانى ج ١١ ص ٢٩٠ .
(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧ .
(٥) الأغانى ج ١١ ص ٣٦٤ .

الأدب الماجن
وأثره فى نكبة فرنسا

للأستاذ يوسف البعينى

منذ خمسين عاماً على التقريب لمع فى سماء الغرب كاتب من أوسع كتابه ثقافة ، وحكيم من أعمق حكمائه فكرة — هو الأديب الفرنسى المشهور رومان رولان الذى لا يجهله أحد من قراء الأدب العالمى الحديث .

ومما طالعته لهذا الكاتب الخلاب مقالة مطولة عالج فيها نكبة فرنسا فى الحرب الأخيرة وانتهى فى تحليله إلى نتيجة فلسفية رائعة هى أن الأمم الضعيفة الأخلاق الماجنة التفكير فى أدبها وحياتها ، يتسرب إليها الخمول والاستسلام تسرب الانحلال فى الشجرة النخرة . فإذا لم تتلاف الأمم هذا الداء الوبيل قامنية على جراثيمه الفتاكة سارت إلى الانقراض على ما يذكر التاريخ .

لقد أصاب هذا المصلح الكبير فى تحليله . فهذه أمم الأرض وهى بين منقرضة هجرتها الحياة وخاملة نوا كبها الفناء ، نرى أن الضعف الأخلاق والأدب الماجن المستهتر والانغماس فى أقذار الدعارة كانت السبب الأهم فى انهيار صولتها ، وانطفاء أنوارها ، وانطواء أعلامها فى ساح الجهاد

***

ذكرنى مقال رومان رولان بما قرأته من أعوام للبحاثة الأسبانى «أسين بالاسيوس» عن تاريخ الشعب الفارسى وقد عزا سقوط الفرس ، بعد أن دوخوا الأمصار واستظهروا فى مختلف مرافق الحياة ، إلى الضعف الأخلاق الذى تمشى فى آدابهم وضروب معيشتهم مثبتاً صحة كلامه بشواهد عديدة تشير كلها إلى أنواع الدعارة والفحشاء والانحطاط النفسى التى تمرغوا فى أوحالها مستهترين فى إرضاء حواسهم البهيمة بهدم كل قانون سام ونظام اجتماعى . ومن شواهده التى أودعها كتابه الذكور هذه الدعوة الوحشية وقد شاعت فى عصرها شيوعاً عظيما وهى للحكيم « شهار » . وفيها يقول :

« الويل كل الويل ، لمن يكفر بالخمرة واللذة المصحوبة بنوبة من الذهول . فإن جزاءه الجحيم إذ تكوى روحه الشريرة بالنار ، وتقطع أطرافه وأوصاله بالسكاكين والكلاليب ، ثم يقذف فى بئر من الدم طعاماً للأفاعى والغيلان . أما الذى يقبل على تقديس الخمرة واللذة فطوبى له إذ ينال رضى خالقه فيعيش سعيداً ، ويموت سعيداً » .

وهذه دعوة ثانية للشاعر « سنطور » الملقب بالعطار الفارسى وقد لاقت إقبالا كبيراً عند خاصة الفرس وعامتهم :

« ملت إلى شفة الكأس الصينية المزخرفة
لارتشف منها ما ينبه حواسى الجسدية
وبينما الشفة على الشفة ،
همست شفتها الرطيبة :
إشرب ما دمت حياً

المقيمين فى بنى أسد فكان مطرب النادى ، كان يغنى تلك الأشعار ويأتى بألوان من الغناء تهز السامعين هزاً . وكان مطيع بن إياس وهو صديق حميم من أصدقاء حماد عجرد من هؤلاء الفنانين الوهوبين أيضا وكان ينظم الشعر ويرويه . فكانت هذه الندوة ندوة الفنانين ، هذا ينظم وهذا يغنى وهذا يروى وهذا ينكت ، ومن هذا الخليط يتكون ذلك الجو الأدبى الذى امتازت به مدينة الكوفة كما امتازت حانات باريس وأمهات المدن الأوربية التى اشتهرت بالنتاج الأدبى فتجد فيها الشذوذ والعبقرية والسذاجة والاتقان والمتناقضات التى لا تجتمع فى نوادى العاديين من الناس .

أما بضاعة هذه الطبقة التى كانت تدر عليهم الأرباح فكانت الشعر وروايته ، وكانوا يحصلون على العطايا والهدايا إما عن طريق المدح وإما عن طريق الذم وهجاء الناس . وكانوا ينفقون أموالهم بغير حساب على القيان والشراب والمجالس والذهاب إلى البساتين لتمضية الوقت بين الماء والخضراء والوجوه الحسنة . وكان بستان شورين من البساتين التى كان يقصدها إسماعيل بن عمار وصحبه وفى صحبتهم قيان بن رامين . فهنالك شراب وهنالك شواء وهنالك غناء . وهنالك الحياة التى كان يقضيها فرسان العصور الوسطى . أو جماعة « Burschenschaft » من طلاب الجامعات فى ألمانيا التى كانوا يقضون أوقاتهم على هذا النحو أيام الفراغ .

جواد على

فاللذة ستفقدها بعد حين وعندها تمسى الحياة بلا جمال »

وزاد العلامة الأسبانى على أدلته البليغة فى كتابه قوله : إن الشعب الفارسى لم يرض بالذل والهوان ، ولم يألف الانكماش والتوانى إلا بعد أن فقد أخلاقه فى أدبه واتجاهات حياته . هذه حقيقة ناصعة لا تقبل التأويل والاعتراض ؛ لأن انحطاط الأخلاق فاتحة لتضعضع الأفراد والجماعات وهو أشد خطراً على المجتمع من الضعف المادى نفسه . وما أصدق كلام الشاعر العربى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهوت الدولة الفرنسية فى الحرب الأخيرة أمام عدوها التاريخى الألد ، فلم تغن عنها حصونها المنيعة ولم يجدها نفعاً جيشها المدرب . وغدت باريس — عاصمة النور — مسرحاً لعدوها المنتصر الذى طالما حلم بانتهاك تلك المدينة العظيمة التى ارتفعت تحت سمائها الصافية تماثيل الجبابرة ودور العلم والاختراع ومتاحف الفن والجمال ، وكلها تحتفظ بالذكريات الخالدة خلود الدهر .

وقد تبارى فريق من أمراء البراعة فى تشخيص هذه الفاجعة وتحليل أسبابها فقال اندريه موروا الكاتب العالمى إن تفكك بلاده كان سببه قلة السلاح . وأكد جول رومان صاحب المؤلفات القيمة فى علم النفس أن تدهور أمته يعزى إلى خمول الساسة وزيغ أصحاب المقامات العليا . ونسب جاك ماريتان وشارل مورا وسواهما من أنصار الملكية إنكسار الامبراطورية إلى الاشتراكية وغيرها من الآفات ... ما خلا الحكيم الكبير والمصلح الاجتماعى رومان رولان فقد خالف أقرانه وجلا بوضوح وجرأة نكبة الشعب الفرنسى وأسبابها التى مهد لها الضعف الأخلاقى الذى تمشى فى الأوضاع الاجتماعية والأدبية بعد الحرب الأولى قاضياً على عزة النفوس ، فغدا الأديب لا ينشد فى أدبه سوى الأغراض الدنيئة ، وأمسى الرجل المسئول لا يفكر إلا فى قضاء شهواته الحقيرة !

فهل صحيح قول هذا الحكيم ؟

إن من تدبر الأدب الفرنسى الحديث الذى ظهر بعد أن عصفت زعازع الحرب الأولى على العالم مكتسحة من الحياة كل ما يجمل الحياة .. يقر بحقيقة ما يقوله هذا المفكر البصير الذى عالج قضايا المجتمع فى كتابه « جان كريستوف » بما لم يعالجه قبله أحد من كتاب الغرب . وحسب القارىء أن يقابل بين انتاج أعلام الماضى وأدباء اليوم حتى يدرك موطن الحق وإن يكن جارحاً ، ويجس موضع الداء وإن يكن مؤلماً .

وعندى أن هذا النوع من الأدب الحديث هو الذى جنى على الأمة الفرنسية إذ أفسد أخلاقها وأمات فيها تقديس الكرامة وتلك النزعة إلى الحرية التى اشتهرت بها على مدى العصور . وأنا لم أقرأ رواية من هذه الروايات الماجنة المستهترة التى ظهرت بعد الحرب الأولى إلا رأيت الحب الجنسى والميول الساقطة تكاد تكون كل شىء ، فلا يستوقف المطالع من شؤونها الطويلة العريضة سوى تصوير أمور شاذة معيبة يندى لها الجبين حياء وخجلا لأنها تحمل فى طواياها المفونة والفساد مع الأغراء الفاضح المتهتك ...

وأكثر من شط فى هذا الباب زعماء مذهب « اللاوعى » الذى يلاقى اليوم أكبر التأييد فى الشرق العربى وعلى الأخص فى لبنان . ولزعماء اللاوعى شبه جنون فى درس المسائل الجنسية فلا يرون فى العالم شيئاً خلافها يستحق الاهتمام ، وهكذا لا تجرى أقلامهم إلا بوصف الشهوات وتفاعيلها وبكل مثير للأهواء ودافع إلى الاستهانة بضوابط النفس والنظم الاجتماعية .

إليك مثالا من هذا الأدب وهو للشاعرة « جان فالكر » :

« لا أريد النوم !

إذ فى النوم غفلة القلب ، وغياب الحب ، وحياة تمر ضياعاً

قد أطوّق ذراعىّ وأنا نائمة ، ولكن فمى لا يقول للحبيب : اقترب

ومتى غرقت فى سبات عميق تسكن هموى فلا أعود أشعر باللوعة تضنى قلبى وتحطم جسدى . لذلك لا أريد النوم !

إنى أحب آلامى الشديدة التى تضغط على كل شىء فى

أحب ساعات اليأس يسود فيها الجنون فتخور عزيمتى ،

وتضيع أنفاسي ، وتتلاشى قواي

أحب الاستسلام إلى كل أنواع العذاب ، لأنني بعد مجيء الصباح ، أتلذذ بذكرى ما جرى لي تحت سدول الليل ، لذلك « لا أريد النوم » .

وإليك مثالا ثانيا وهو للشاعرة « ماري درمار » :

« كم فكرت عندما أكون بعيدة عنك قائلة في نفسي : — أي سر فيه يجذبني إليه ؟ إنه ليس فتى جميلا .

بل هو متسلط ، قاس بمظاهره المنيفة !

كم قسوت على بشراسة ، وكم آلمتني حاملا إليّ العذاب بحبك الوحشي .

نعم لقد ملأت حياتي بالعذاب . ولكي أتخلص منك ، أريد أن أبغضك .

ولكنني أشعر تحت تأثير قبلاتك الطائشة أنني ملكك إلى الأبد ... »

وهاك مثالا ثالثا وهو للشاعر بول ڤرلين :

« وقفت أمام رسمه الجميل

وقد لوى عنقه العاجي إلى اليمين

فعاودتني منه ذكرى ليالينا المبطنة بالآهات والدموع

والغرام — وقد ذوى ربيعه ، ما زال يئن في القلب قيثاره .

والنظرة السارحة ألقيتها البارحة على جدث يضم رفاته الذي أمسى طعاماً للديدان .

وآهاً — كيف تعرى غصنه

حب تنوح في الدجى أشباحه

أهكذا يتلف الموت أعيادنا

ويغيّب في الثرى أحلامنا

فيمسي بعد زهو المنى شبابنا ترابا

ويكفن النسيان بكفه العاتية ،

ذكرياتنا الصّباح العِذاب ...

نظم ڤرلين هذه القصيدة بعد وفاة (صديقه) أرتور رامبو صاحب عدة مؤلفات شعرية وبينها ديوان « الزورق السكران » وقد تمكنت بينهما علاقات مريبة شاع خبرها في أوربا ثم انتهت في عاصمة بلجيكا بعد حادثة مشؤومة لا تزال وقائعها محفوظة على اضبارة في المكتبة الملكية بتلك العاصمة . وأنا ماجئت على ذكر هذين الأديبين إلا لأقول إن أبناءهما منتشرون في الغرب انتشار الدمامل الخبيثة . ففي أسبانيا تزعمهم الشاعر غرسيا لوركا الذي ذهب ضحية فرنكو في الثورة الأسبانية الأخيرة وقد ترك آثاراً يندى لها جبين الشعر . وفي البورتغال يمد أنطونيو بوتو في طاليمتهم .أما في البرازيل فيعرفون باسم «الاعتزاليين» وهم أكثر من هموم إبليس ... لكن المحيط البرازيلي الراقي يواجههم بالنقد القاسي والتقريع الصارم .

وهذا المذهب العاطل بما فيه من تفكك أخلاق مهيض لأجنحة الشعر يقوم على التغزل بالرجل دون المرأة . والتغزل بالغلمان عرفه الفرس والعرب في عصر الانحطاط .

على أن ما يحيط بهذا المذهب المغري المشوق من صور ورؤى تموج في ظلال وألوان زاهية حيناً وقاتمة أحياناً وقع من نفوس أنصاره موقع التأييد والاستحسان فحسبوا غموضه إلهاماً علوياً وإباحيته فنا غريباً . وفي المحاضرة التي ألقاها الأديب الكبير بول ڤالري عن ڤرلين برهان أكيد على شذوذهم وقد جاء فيها ما يأتي :

« إن السلوك الشاذ ، والصراع مع الحياة القاسية ، وسكنى السجون والمستشفيات ، والعربدة المتصلة ، ومخالطة الأدنياء ، وحتى الإجرام نفسه — كل ذلك مما يلتئم والإنتاج الشعري الرفيع. والحق أن الشاعر ليس رجلا اجتماعياً بالمعنى المعروف لهذا الإصطلاح، فما دام الشاعر شاعراً فلن يستطيع أن ينتظم في أية هيئة من الهيئات التي تنشد مصلحتها من طريق الحرص على الأخلاق والقانون ، فالقوانين المدنية تلفظ أنفاسها على عتبة شعره » .

ويضيق بي المجال إذا جئت أعرض لكل ما هنالك من شؤون وعبر . ولكنني أكتفي بإيراد مثال واحد وهو للشاعر بول جير الذي صاحب ديوان « أنت وأنا » الذي قال عنه الفنان والفيلسوف الأسباني المشهور ميكال أونامونو أنه من أحط ما نظمه الشعراء . وهاكه :

« وكنا اثنين ، في الغاب مجتمعين ، تحجبنا أشجاره عن

أعين الرقباء ، فإذا ساقية تسير مترنحة ، وبلبل على الأغصان يغني .

كأنهما من صدى قبلاتنا ثملان ... مترنحان .

قلت لرفيق — وقد غمرته نشوة الحب — أمن قوامك الأهيف ، ومن شفتيك الورديتين ، تمتد رعشة سحرية في الغاب وفي الأشجار ، في المياه والأطيار ، وفي كياني المعذب بوخز الغرام !

غرام طام كالسيل ، مستعر كالنار ؟

وعلى هذا النسق المتخاذل يكتب الأدباء المعاصرون كتبهم ورواياتهم ويظنون أنهم يخدمون أمتهم المسكينة التي هوت إلى حضيض الهوان فكانوا هم الجانين عليها كما يقول رومان رولان كبير مفكريها في هذا العصر . وأنا حتى لا أتهم بالتحامل والخروج على الأمة التي أحببتها ووقفت على أدبها وتاريخها كأبنائها الحقيقيين أورد فيما يلي رأي إسطفان زويك الناقد العبقري المشهور في أدباء فرنسا المعاصرين وهو : « إن أدباء فرنسا الذين لمعوا بعد الحرب الكبرى متأثرين بمذهب عار من الخلق السامي الكريم والتصور الذي لا حدود له سيجرون المثل العليا إلى الهاوية . وإني آسف الأسف كله لمصير هذا الشعب الذي سطر في التاريخ البشري أروع الصفحات وأمجدها » .

وأورد أيضاً رأي الرئيس مازاريك الذي تمتع في حياته بزعامة الأدب والسياسة وقد أدلى به إلى الوزير لويس بارتو عندما زار تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٣٣ وهو : « إن أبطال قصصكم الجديدة عامة تحركهم الشهوات الوضيعة والحب الجنسي الشره . ويمكنكم أن تتأكدوا أننا قد مللنا ، بل قد اجتوينا هذا الضرب المأفون من الروايات العاطلة السقيمة التي لا تطالعنا فيها سوى امرأة سليطة يحبها اثنان أو ثلاثة عدا زوجها « الصنديد » الذي تخدعه بشتى الحيل . وهكذا في دائرة بغير انتهاء . فهل هذا هو الفن الكتابي الرائع الذي اشتهرتم به على مدى العصور؟ ذلك لا يمكن أن يكون بل هو زيغ وكبوة في الأدباء المعاصرين ، فإذا لم تقضوا على هذا الداء الوبيل دفعتم غالياً ثمن تهاونكم في المستقبل .

إن تحت قباب قوس النصر ووراء ستائر البانتيون عيوناً تحدق . فحذار من تلك النظرات المخيفة ، حذار منها !! »

***

ولقد صدق الرئيس مازاريك رحمه الله في نبوءته وأدى الشعب الفرنسي ثمناً فاحشاً لقاء رضاه عن ذلك الأدب الماجن المخدر .

فهل في نكبة فرنسا درس لنا أفراداً وجماعات ؟

عندما حمل المصلح الاجتماعي الكبير المرحوم أمين الريحاني على الأدب المائع السخيف لم يكن يقصد في حملته الصادقة إلا الأدب الماجن المستهتر الذي نشره في لبنان بعض الكتاب والشعراء من أنصار مذهب « اللاوعي » . وقد أحسن الريحاني الفيلسوف أيامئذ إلى أمته الصغيرة التي لا تملك من مفاخر الحياة سوى خلقها العالي المتين ، والأمة التي تخسر خلقها تخسر كل شيء .

إن في نكبة فرنسا درساً بليغاً لكل من ضعف خلقه وانحط تفكيره . ولو أن هذه الأمة اختطت لنفسها طريقاً قويماً غير الذي سلكته في العقد الأخير مستوحية تاريخها العظيم الحافل بالأمجاد والزاخر بشواهد العبقرية لما انحدرت ذلك الانحدار الأليم الذي يشبه الأحلام !!

فهل يعتبر أنصار أدب الغموض والإبهام ؟

يوسف البعيني

من العصبة الأندلسية

شخصيات عباسية :

جحظة المغنى الشـاعر

٢٢٤ – ٣٢٤ هـ

للشيخ محمد رجب البيومي

كان للشعر والغناء فى الدولة العباسية سوق رائجة ، فما ينظم شاعر قصيدة ، أو يبدع مغن صوتاً ، حتى تتطلع إليه الأنظار ويتصل ذكره بالرؤسـاء والأعيان فتخلع عليه الهبات الوافرة وتهدى إليه المنح الجزيلة ، وقد يطير ذكره إلى الخليفة ، فيقربه من سـاحته ، ويسمر معه فى أطيب أوقاته ، حتى يكون نديمه المحظوظ ، وصفيه المختار .

لذلك أكب الناشئون على الأدب ، يقيدون شوارده ، ويقتنصون فرائده ، فحفلت بهم المجالس ، وأورثوا الثقافة العربية ثروة خلّدت العصر العباسى فى سجل التاريخ حتى لا يكاد يوجد نظيره فى شتى عهـود العربية وقد توالت عليها السنون وامتدت بها الأحقاب .

ولقد كان أبو الحسن أحمد بن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى أحد هؤلاء الذين أوتوا نصيباً وافراً من المعرفة ، فقد سلخ من عمره وقتاً مديداً فى البحث والدراسة حتى اسـتطاع أن يكون عالماً متعدد الثقافة ، ومؤلفاً غزير المادة ، وشاعراً خفيف الظل ثم هو بعد ذلك مُغن بارع تحن إليه المسامع وتتعلق به القلوب .

انحدر أبو الحسن – وقد اشتهر بجحظة – من سـلالة البرامكة فحرص جهده على أن يكون بعيداً عن المزالق السياسية كيلا تحوم حوله الشبهة فيؤخذ بجريرة آبائه وأجداده ، لا سيما وقد وجد فى عصر أهدرت فيه دماء الساسة ، وتناثرت أشلاء القادة من وزراء ورؤساء ، بل لقد انتقل الخطر إلى أمراء المؤمنين فـكان الخليفة يهوى فى ليلة واحدة من القصر إلى القبر ، وحسبك أن تعلم أن جحظة قد شهد فى مدى عمره عشرة خلفاء فارقوا تيجانهم ما بين قتيل وجريح .

ولم يستطع أبو الحسن أن يستفيد من أدبه وغنائه كما استفاد غيره لأنه كان ذا نمط خاص فى حياته فلم يسر فى ركاب أمير ، ولم يجامل عظيما ، والرؤساء فى كل زمان ومكان لا يجزلون حباءهم الوافر إلا لمن يحبر فيهم المدائح الطويلة ، لاهجاً بالثناء عليهم فى غدوه ورواحه ، ولهذا كان الشاعر يشكو من دهره ، ويعجب من حرمانه ، أضف إلى ذلك ما وقر فى نفسه من أنه سليل البرامكة ذوى الأموال المصادرة ، والتراث السليب ، وهو بعد ذلك فقير معدم تسأله عن حاله فيجيب .

لست الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحـل والحرم
أنا الذى دينه إسعاف نائله ... والفقر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذى حب أهل البيت أفقره ... فالعدل مستعبر والجوْر مبتسم

وكأن السياسة قد حرمت عليه أن يتمدح بآبائه وأهله فكان يعانى من ذلك هما ناصباً وشجنا مبرّحاً ، وقد ينفجر صبره فيسفر عن مراده فى وضوح ، ويروح عن نفسه فيقول :

أنا ابن أناس موّل الناس جودهم ... فلم يخل من أحسانهم بطن دفتر

ولقد كان الغناء يدر عليه بعض الخير والنعمة ولـكنه مسرف متلاف لا يبقى على شىء فهو فى حاجة ماسة إلى العطاء المتواصل ، والغريب أنه ابتلى بمن يغنّيه فيكتب إليه رقاعاً عديدة دون أن يأذن بصرف واحدة منها وقد يكون جحظة فى ضيق من عيشه فيعلن إليه تبرمه إذ يقول :

إذا كانت صلاتـكمو رقاعاً ... تُخطّط بالأنامل والأكف
ولم تـكن الرقاع تجر نفعاً ... فها خطى خـذوه بألف ألف

وشر من ذلك أن يغنى جماعة فيقولون له أحسنت ثم لا يعطونه قليلا أو كثيراً وهو ينتظر أن يحظى ببعض ما يتمتع به زملاؤه المغنون من منح وهبات فلا يسمه إلاّ أن يعبر عن هذه الحقيقة المريرة فيهتف .

لى صديق مغرى بقربى وشدوى ... وله عند ذاك وجه صـفيق
قوله إن شدوت أحسنت زدنى ... وبأحسنت لا يبـاع الدقيق

ولقد دفعه ضيق يده إلى التهافت على موائد الخلان والأصدقاء فـكان لا يترك صاحباً إلا تجمه فى مأكله ومشربه ، فإذا صادف منه بشراً وابتساماً سكت عنه ، وإذا لمح فى وجهه عبوساً سلقه بهجائه المقذع ، وأخذ يشهر به فى كل مـكان ، راوياً عن بُخله ما يُجتمع من النوادر المضحـكة كأن يقول « سلمت على بعض الرؤسـاء وكان مُبخلا فلما أردت الانصراف قال لى يا أبا الحسن ماذا تقول فى أكل القطائف ؟ فقلت ما آبى ذلك ، فأحضر لى

جاماً فيه قطائف فأوغلت فيها وصادفت منى سغبة ، وهو ينظر إلىّ شزراً فقال يا أبا الحسن إن القطائف إن كانت بجوز أتخمتك ، أو كانت بلوز أبشمتك ، فتعجبت من شأنه ، وقلت فى أمره .

دعانى صديق لى لأكل القطائف   فأممنت فيها آمناً غير خائف
فقال وقد أوجعت بالأكل بطنه   رويدك مهلا فهى إحدى المتالف
فقلت له ما إن سمعنا بهالك   ينادى عليه يا قتيل القطائف

لذلك تجد أكثر معارفه قد أقفلوا أبوابهم فى وجهه حذراً من لسانه كما نبهوا على الحجاب أن يصرفوه بمجرد رؤيته ، وجحظة يعلم جيداً ما يبطنون له ، فيشنع عليهم فى تهكم يصل به إلى الوقاحة والتبجح فيقول :

ولى صاحب زرته للســــلام   فقـابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره   لخـــوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائباً   لأدخلنى أهـــله للنكاح

وكان إذا امتدت الموائد لا يرحم معدته بل يأخذ على نفسه عهداً أن يبتلع ما تقع عينه عليه ، وقد بلغ من بعض البخلاء أن ضربه فأوجعه لما صادف من نهمه الزائد ، فقد دخل على هرون ابن عريب فقدم إليه « مضيرة » فأوغل فيهـا إيغالا جعل ابن عريب يقول له : جعلتُ فداك أنت عليل ، وبدنك نحيـل ، والعصب ثقيل . فأجابه النهم فى تهكم ! والعظيم الجليل ، المفضل المنيل ، لا أترك منها الكثير ولا القليل . فغضب هرون وضربه عشرين مقرعة ، ولم يترك جحظة حادثته تمر بل سجلها فى شعره فقال:

ولى صاحب لا قدس الله روحه   وكان من الخيرات غير قريب
أكلت طعاماً عنده فى مضيرة   فيـا لك من يوم علىّ عصيب

ومهما يكن من شىء ففى هـذه الأخبار ما يدل على كلفه بالطعام ولا ريب فقد كان فمه يستولى على جانب كبير من إنتاجه وتأليفه ، ولم يقتصر على ما ترنم به من الشعر فى هذا الباب بل ألف كتباً خاصـة ذات فصول وعناوين ، والذى يقرأ هجاءه للبخلاء يعتقد أنه كان على شىء من الكرم فى بيته ، والحقيقة أن أبا الحسن ممن اشتهروا بالكزازة والشح فقد طار له فى هذا الباب صيت بعيد ، قال أبو على الأعرابى : كنت فى بيت جحظة فدخل علينا رجل من البادية ونحن نأكل فدعوناه وكان طاوى تسع ، فأتى على القصعة ونحن نرمقهما ونضحك ، فلما فرغ من مضغه قال له جحظة أتلعب معى النرد ؟ قال نعم فوضعاه بينهما ولعبا فانهزم جحظة هزيمة لم تمهد له ، فأخرج رأسه من الخيمة ورفع يده إلى السماء قائلاً : لعمرى إنى لأستحق هذا لأنى أشبع من أجاعه الله .

هذا وقد أوقعه شرهه فى مضحكات غريبة فقد كان يتحين الخلوة فى رمضان ليشبع جوفه ، وأحيانا يذهب إلى المرحاض وفى كمه كسرات من الخبز يلوكها فى غفلة من العيون ، قال الحسن البغدادى : كان جحظة عنـد أبى يوماً فى شهر رمضان فأجلسته فلما انتصف النهار سرق رغيفاً ودخل المستراح ، واتفق أن دخل أبى فرآه فاستعظم ذلك وقال ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال أفتّ لبنات وردان ما تأكل . وبنت وردان دويبة كالخنفساء توجد كثيراً بالمستراح .

وغير كثير على جحظة أن يفعل ذلك فقد كان من المستهترين بالدين إلى أبعد حد وأقصاه ، فهو يشرب الخمر ، ويأتى المحرمات ويتعرض للنساء مع أن الله قد منحه من الدمامة قسطاً لا يحتمل معه تماجن وخلاعة ، وقد سماه ابن المعتز بجحظة لنتوء قبيح فى عينه قد شوه سحنته حتى ضُرب بها المثل

وكان فوق ذلك قذر الثياب ، رث الأردان ، مع أنه كان يغشى المحافل العامة ويتصدر منتديات السمر ، وكذلك كان من معارفه البحترى وأبو الفرج ، ولست أفهم لذلك علة غير أن هؤلاء وأمثالهم ربما أرادوا أن يحاربوا ما شاع ببغداد من الترف الفاحش فى الزىّ والملبس ، فدفعتهم المغالاة إلى ما صاروا عليه من قذارة وحطة ، وإلا فلو كان جحظة قد اضطر إلى ذلك لفقره المدقع فلماذا أصر الوليد وأبو الفرج على ما كانا عليه من رثاثة وامتهان

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومي

هل علك تحريم تعدد الزوجات؟

للأستاذ إبراهيم زكي الدين بدوي

(تتمة)

وأقول رداً على هذا الدفع أنه بغض النظر عما إذا كان التعدد في ذاته من حيث المبدأ خصوصية للنبي أو أن الزيادة على الأربع فيه هي وحدها الخصوصية فإن ما سبق أن سقته من الإشارة إلى الأحاديث المذكورة إنما كان للاستدلال على أن المولى جل شأنه لم يكلف إلا بالعدل المستطاع بين الزوجات المتعددات ، وقد رددت فيما تقدم على ماذكره معاليه من أن ذلك كان حكماً وقتياً . أما قوله إن النبي قد أعفي من تكليف العدل فجوابه أنه ثابت بالآثار المستفيضة أنه كان عليه السلام يحافظ على القسم بين زوجاته بالرغم من رفع التكليف عنه بذلك . وقد بين عليه السلام القسم على النحو الوارد في تلك الأحاديث فوجب على المسلمين الإقتداء به في ذلك . ويؤيد هذا الآثار الواردة عن بعض الصحابة — ومنهم عمر رضي الله عنه وهو من علم تشدده في مراعاة أحكام الدين — بمعنى القسم على النحو الوارد في السنة مما يدل على أنهم كانوا يرون أنهم غير مكلفين إلا بما كلف نفسه به النبي من العدل المستطاع .

هذا وقد ختم معالي الباشا رده على الاعتراض المذكور ، بمعارضته بأنه إن فرض أن آية (وإن خفتم إلا تقسطوا في اليتامى فانكحوا) مسوقة للتصريح بتحديد النساء إلى أربع فقط فإنها تقرر أيضاً وجوب الاقتصار على الواحدة عند خوف عدم العدل فلماذا لم يأمر النبي الناس بمفارقة ما زاد على واحدة لأن خوف عدم العدل يملأ كل نفس حتى نفس النبي ، واقتصر على أمرهم بما هو مقتضى الشق الأول من النص أي بعدم الزيادة على الأربع وأردف هذه المعارضة بقوله « أن هذا يجعلنا نرتاب أشد الارتياب في صدق تلك الأحاديث التي يحتجون بها »

والحقيقة أن ليس فيما أورده أية مدعاة للارتياب لأنه إن أراد بالعدل هنا العدل المستطاع فليس مرد القول بالخوف من عدمه إلى النبي بالنظر إلى غيره ، وإنما مرده إلى الشخص نفسه وما يشعر به من قدرته أو عدمها على أجراء هذا العدل ، وهذه مسألة نسبية تختلف باختلاف الأشخاص وأحوال كل وظروفه ، فلم يكن للنبي إذن ما يأمر به فيها زيادة على ما ورد في الكتابة وقد كان عليه السلام يقول في مثل هذه الأمور « سل قلبك ولو أفتوك » . أما أن أراد به العدل المطلق (وهو ما يظهر أنه مراده بدليل قوله أن الخوف من عدمه كان يملأ قلب النبي نفسه) فإن معارضته مدفوعة حينئذ بأنها مصادرة على المطلوب على الوجه الذي بينته فيما تقدم ، وفيها — عدا ذلك — حجة عليه لاله ، وهي أن عدم ورود أمر من النبي للناس بمفارقة ما زاد على الواحدة عند نزول الآية دليل على أن العدل المشروط فيها لجواز التعدد ليس هو العدل المطلق والا لأمر بمفارقة ما زاد على الواحدة للقطع بخوف الجميع عدم هذا العدل .

١٢ — الاعتراض الرابع

إن الأمة قاطبة قد أجمت قولاً وعملاً منذ عصر النبوة حتى اليوم على حل تعدد الزوجات في الإسلام ؛ فهل كانوا جميعاً بما فيهم الصحابة والخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم غير عالمين ولا فاهمين لحقيقة ما ورد به الشرع من تحريم ذلك ؟ أم كانوا محلين لما حرّم الله ؟

وقد حاول معالي الباشا دفع هذا الاعتراض بأن الإجماع الذي يسري على المسلم ديانة له صور ثلاث : الأولى أن يقوم في أساسه على نصوص قرآنية مسلم بصحة قيامه عليها مباشرة أو بطريق القياس الصحيح . والثانية أن يقوم على سنة نبوية يطمئن الضمير على صحتها وإلى صحة قيامه عليها مباشرة أو بالقياس الصحيح كذلك . والثالثة أن يكون إقراراً من الناس كافة لعادة من المباحات لم يأمر بها كتاب ولا سنة ولم يمنع منها كتاب ولا سنة لا مباشرة ولا بالقياس . وهذه الصورة الثالثة هي التي يصح أن يطلق عليها اصطلاح (الإجماع) أما الصورتان الأولى والثانية فإن الدليل الشرعي فيهما ليس هو إجماع الناس إنما هو نص الكتاب أو السنة أو القياس الصحيح على نص أيهما . والمسألة التي نحن بصددها غير مقول أن فيها إجماعاً من قبيل الاصطلاح المذكور بالصورة الثالثة ؛ بل يقولون أن الإجماع فيها قائم على العمل مباشرة بقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاث ورُباع) وقوله من بعد (فلا تميلوا كلّ الميل فتذروها كالمعلقة) ولا شك أن الحكم ما دام مرده إلى النص فإن لكل مسلم وإن

انصاع قضاء للاجماع المرتب عليه ؛ أن يعترض ويبين ما يعتقده فى الأساس من خطأ التأويل .

وردّى على هـذا الدفع أن المتفق عليه بين القائلين بحجية الإجماع — وهم جمهور مجتهدى الأمة المعتد بآرائهم فى ذلك اتأيدها بما جرى عليه العمل فعلاً فى عهد الصحابة من الاحتجاج بالإجماع والتقيد بما أقره من أحكام — أنه لابد أن يكون له سند من النص أو القياس بمعناه الواسع الشامل للاستنباط من عمومات الشريعة .

وعلى ذلك فالصورتان الأولى والثانية من الصور الثلاث التى ذكرها الباشا هى من صور الإجماع لامحالة ؛ وثمرة وجود الإجماع فى هاتين الصورتين — إلى جانب سنده من النص أو القياس عليه — أن هذا السند قد يكون ظنى الثبوت (كما هو الحال بالنسبة لأحاديث الآحاد ومعظم السنن منها كما هو معروف) وقد يكون ظنى الدلالة (كما هو الشأن فى النصوص المحتملة بظاهرها لأكثر من معنى واحد ، وكما هو الشأن فى القياس) وقد يكون ظنى الثبوت والدلالة معاً (كما هو الشأن فى بعض أحاديث الآحاد التى تحتمل بظاهرها أكثر من معنى واحد ؛ أو التى يظهر بينها وبين نصوص أخرى من الكتاب أو السنة وجه تعارض) والإجماع حجة قاطعة ؛ فإذا ما أقر فى عصر من العصور حُكما مستنبطاً من النص نفسه أو مقيساً عليه أصبح هذا الحكم مما تحرم مخالفته ولا يكون النص بعد ذلك محل اجتهاد ، فلا يحل بعد ذلك لمسلم مخالفته بدعوى أن سند الإجماع محل اجتهاد ، وإنما يحل فى هذه الحالة قبل انعقاد الإجماع .

هذه هى ثمرة وجود الإجماع مع النص ؛ فهو — إذا سلم معنا الباشا بحجيته وانعقاده فى هذا الموضوع — مانع لمعاليه من التأول فيما تأول فيه من النصوص بما يخالف ذلك الإجماع ، ومانع للمسلمين كافة من الأخذ برأيه فى ذلك إن هو أصر عليه بعد هذا البيان .

هذا ولا يفوتنى أن أنبه هنا إلى ما هو الحق فى نقطة أثارها الباشا فى بحثه ومن شأنها أن توجب بعض اللبس على الناس فى صحة انعقاد الإجماع على هذه المسألة ، فقد قرر أن بعض المتطرفين قالوا بجواز التعدد إلى تسع وبعضهم إلى ثمانى عشرة مستندين إلى تفسيرهم لعبارة (مثنى وثلاث ورباع) بما يوافق ذلك .

والحق أنه لم يُنقل عن أحد من الصحابة مثل هذا القول بل كل ما نقل عنهم يفيد العكس أى أن الحكم الشرعى جواز التعدد إلى الأربع فحسب . فإجماعهم إذن لم يخرقه أحد ، وقد قررت ذلك صراحة معظم كتب الحديث والتفسير فليرجع إليها من يشاء كما نقل هذا الإجماع عدة من الثقات فى هذا الباب . أما مخالفة ذلك النفر ممن سلم الباشا بتطرفهم وسفه رأيهم ؛ فهى — إن ثبتت — فلا يعتد بها فى خرق الإجماع المذكور لأنهم وجدوا بعد انعقاد الإجماع على هذه المسألة واستقراره بانتهاء العصر الذى انعقد فيه ؛ وذلك لأن هذا الرأى منسوب إلى بعض الظاهرية وهؤلاء لم يوجدوا إلا بعد عصر الصحابة . على أن شيوخ هذا المذهب أنكروا صدور هذا الرأى عن أحد ممن ينتمون إليهم ؛ فثبوت قولهم به إذن محل نظر . وحتى على التسليم جدلاً بأن خلافهم ثابت وأنه قادح فى هذا الإجماع ؛ فإن قدحه لا يتناول منه إلا إفادة الآية لتقييد التعدد بالأربع ؛ فهو يمس ناحية الحظر فى التعدد لا ناحية الإباحة التى تظل بعد ذلك قدراً متفقاً على انعقاد الإجماع على دلالة الآية عليه ، وهو ما يخالف رأى الباشا القائم على الحظر وعلى أن عبارة (مثنى وثلاث ورُباع) مفيدة بظاهرها الإباحة المطلقة للتعدد الجزاف وإنها — مع ذلك — ليس مقصوداً بها حل التعدد مطلقاً ولا تفيد هذا الحكم بحقيقتها ، فرأيه إذن مخالف للقدر المتفق على انعقاد الإجماع عليه قطعاً فى جميع العصور ...

ولمعالى الباشا أيضاً فى دفع هـذا الاعتراض — فيما يتصل بالاجماع العلمى قصة عجيبة مسلسلة الحلقات قوامها أن فترة الإسلام الأولى منذ الهجرة حتى آخر الدولة الأموية كانت عهداً مليئاً بحروب المسلمين وفتوحاتهم «والجنود فى كل أمة يدللون ويتجاوز لهم عن كثير من الآثام فى مقابل أنهم وهبوا حياتهم ... » والشباب من جند المسلمين كانت تتنبه فيهم الغريزة الجنسية فى فترات الفراغ والراحة بين المواقع الحربية ولا سبيل لهم إلى إجابة داعيها بغير التزوج لأن الزنا محرم « لكنهم كانوا » إذ أراد الواحد منهم بعد إحدى الوقائع أن يتزوج فوق من تزوجها بعد واقعة سابقة — كانوا يجدون قوله تعالى (فإن خفتم ألا تعدلوا

فواحده) مانعاً من التعديد ... ولـكنهم من جهة أخرى يعرفون أن آباءهم وأجدادهم المسلمين متزوجون قبل وفاة النبى (أو كانوا فى حياته وقبل وفاتهم هم متزوجين) بعدة من النساء ليس عليهم (أو ما كان عليهم) إلا العدل بينهن بقدر الاستطاعة عملا بقوله تعالى فلا تميلوا — الآية ، فيتأففون لسلبهم ميزة التعدد لمجرد تأخرهم فى الوجود عمن أبقيت لهم هذه الميزة وهؤلاء كانوا من القاعدين عن القتال لتقدم السن بهم ، لذلك كان الشباب المجاهدون يرون أنفسهم أجدر بهذه الميزة ممن خصوا بها مما دفعهم « إلى التحلل من حكم الآية ، وإلى تعديد النساء واغتفر أولو الحل والعقد للجنود هذا التجاوز ... وبديهى أن السياسة الشرعية ما كانت تأبى هذا الاغتفار لأن النفع الذى كان يحدث للدين الاسلامى من استرضاء الجندى وتحصينه من الزنا أكثر بكثير من إثم التعديد »

« استمر الجنود إذن على التعديد كما إخال ، ولـكنهم فى داخل ضمائرهم لم ينسوا أنهم لا يستطيعون العدل وأن واجبهم ديانة الاقتصار على واحدة ، فما العمل ؟ لم يعدموا من يهون عليهم هذا الوضع بالحيل الشرعية » فتلمسها لهم المتلمسون فى لفظ (رباع) فى الآية وحللوا لهم الأربع وألزموهم الوقوف عندها وكان لهم فى السبيات الجيلات اللاتى توزعوهن ملكا لهم ما يغنى عن التزوج زيادة عن الأربع بالمهيرات الثقيلات النفقة من الحرائر « ولولا هذه الظروف المسهلة لما تنازل الجنود عن التعديد ولاستحلوه إلى ما فوق الأربع ولوجدوا من يعينهم على هذا ... »

« ولقد يخيل إلى (هذا نص كلام معاليه) » أن أولئك الجنود الذين استنوا تلك السنة قد شايعهم عليها أهلوهم « المتخلفون عن القتال ممن كان ساريا عليهم حكم (فلا تميلوا) والذين كانوا — مع ذلك — بحاجة إلى « الاستزادة من الأزواج فوق الواحدة الباقية ممن كن عندهم وقت نزول هذه العبارة ، فكان من مصلحة الجميع المبادرة إلى تحبيذ سنة الجنود وإلى تعميمها والسياسة الشرعية أيضاً كانت ترى المصلحة فى هذه المناصرة ، وذلك لأن الحرب تهلك الجنود وتقلل عدد الواطنين ، ومن الواجب التغاضى عن العمل بالواحدة فى حق المتخلفين (أى عن القتال) وإباحة تعديد زوجاتهم بزيادة النسل ... »

« استمرت إذن عادة الأربع ... ودامت بدوام الحروب والثورات فى القرنين الأول والثانى » فلما جاء عصر التدوين فى آخر الثانى وأوائل الثالث كانت قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة المحببة إلى المسلمين واللائمة لغرائزهم الموروثة ... فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها وتدوين الواقع من متابعة الناس لها وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى كما تساهل فيه المحاربون الأولون .. وما كان فى استطاعتهم غير هذا خصوصاً وليست المسألة من العقائد التى تدعو إلى التحرج ونبذ المسايرات »

ذلك تلخيص القصة التى أوردها معاليه لما قصد دفعه من هذا الاعتراض وقد أدعمنا هذا التلخيص بنصوص كلامه نفسها كيلا يتسرب إلى القراء أدنى شك فى صحة نقلنا ، وندع لحضراتهم بعد ذلك الحـكم على قيمة هذا الاتهام الخطير الذى تناول بالتأثيم — على الأقل — جميع الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم والأئمـــة المجتهدين وفقهاء المذاهب فى جميع الأزمنة والعصور ، إن لم يكن بارتكاب المحرم فبإقراره بالتغاضى والسكوت عنه طوراً وابتكار الحيل التأويلية للنصوص طوراً آخر، ثم بنشر ذلك على الناس أخيراً فى عهد التدوين على أنه حكم الله فى هـذا الموضوع متغافلين — طبعاً — عن أنهم مسؤولون أمام الله عما أحدثوه من هذا الحدث الخطير وهذه « الجريمة المستمرة » فى الإسلام بالخرق لأحكامه وتقريرهم الحرام للناس على أنه حكم الله فيما أحل ليتبعوه فاتبعوه فعلا — فى رأى معالى الباشا حتى يومنا هذا ، ومتغافلين عن القاعدة التى قرروها استنبأطا من عمومات الشريعة وهى أن « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وعما توعد به الله من يحكم بالهوى وبغير ما أنزله

وإنما قلت فيما تقدم أن رأى الباشا يتناول بالتأثيم جميع من ذكرت « على الأقل » لأن الوقائع الحربية لم تبدأ منذ عهد الصحابة بل بدأت فى عهد النبى عليه السلام كما هو معروف ...

وأخيراً أدع لحضرات القراء الحكم على رأى هذا سناده فى تأويل القرآن بما يخالف المتفق عليه فى تفسيره ، ورد السنن المؤيدة لهذا التفسير ، وتسفيه الإجماع المقرر لـكل ذلك قولا وعملا . والله أحكم الحاكمين .

ابراهيم زكي الدين بدوي
المتخصص فى الشريعة الاسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

زواج تولستوى (*)

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —

كان الطبيب بيرز يعيش وأسرته عيشة راضية فى موسكو منذ أن تزوج سنة ١٧٤٢ وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره بالآنسة ليوبوف إسلافين ، وكانت فتاة فى السادسة عشرة ...

كان هذا الطبيب الألمانى الأصل موفور الرزق بما كان يكسب من حرفته ومن وظيفته فى بلاد القيصر ، وإن لم يك من ذوى الثراء الواسع ؛ وكان له ولأسرته مكانة اجتماعية مردها إلى منصبه الرسمى الذى حصل فيه على لقب النبل جزاءاً على خدماته فى القصر الإمبراطورى ...

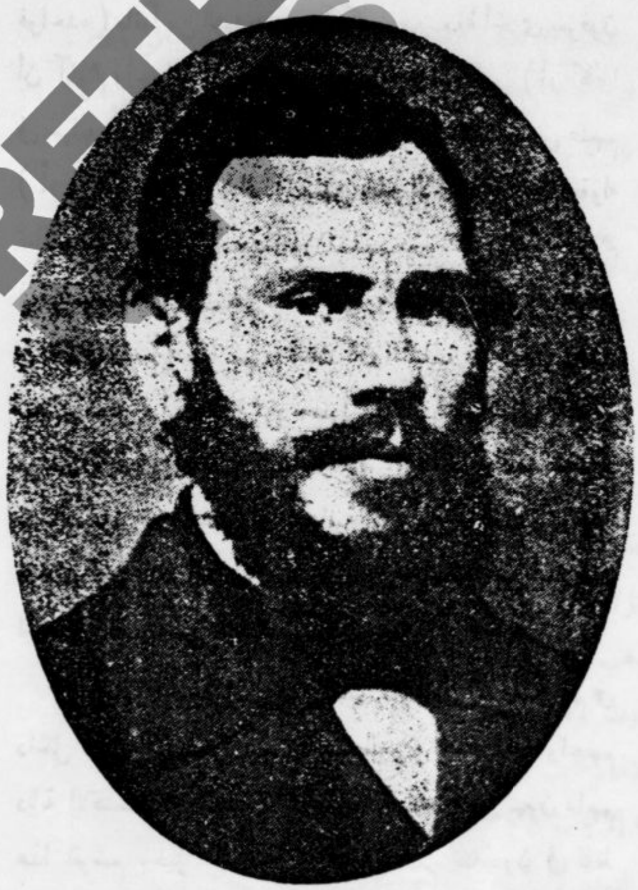
وقد أنجبت الزوجة الفتية لبعلها حتى سنة ١٨٦٢ ثلاث عشرة عاش منهم ثمانية ، ومن هؤلاء ثلاث بنات كانت كبراهن واسمها إليزابث فى التاسعة عشرة ، ويليها سوفيا وهى دونها بسنة ، ثم تانيانا وهى دون سوفيا بسنتين ...

ولم تكن زوجة الطبيب بيرز إلا تلك البنت التى أحبها تولستوى وهو طفل ، والتى أدت به الغيرة ، ذات يوم ، إلى أن يدفعها من شرفة فأصابها بالعرج زمناً غير قصير ؛ لم تكن إلا إسلنيف الصغيرة التى عاشت فى كنف أبيه ، وقد ولدتها أمها لرجل يدعى الاسكندر إسلنيف عاشت معه بعد أن هجرت زوجها ولم تستطع أن تحصل منه على الطلاق .

وقد تعلم البنات فى البيت على أيدى معلمين ومعلمات من ألمان وفرنسيين ، وكان أبوهن يعدهن ليكسبن قوتهن بعملهن ، ولذلك كن يتعلمن ليكن معلمات ...

وقرأ البنات ، وبخاصة سوفيا ، كثيراً من الكتب . وكان لقصة ترجنيف الآباء والأبناء أثر عظيم فى نفوسهن ، وقد اشتد عطفهن على بطل القصة بازاروف .

وفى ربيع سنة ١٨٦١ نجحت أليزابث وصوفيا فى امتحان تبيح لهما الالتحاق بجامعة موسكو .



تولستوى قبيل زواجه

وكان البنات فى غير أوقات الدروس يخطن ويطرزن وينظفن المنزل ويقمن على مختلف شؤونه ، ويعلمن إخوتهن الصغار ؛ ولم يكن يكدر عليهن صفو حياتهن إلا ما يكون أحياناً من غضب أبيهن ، ولكنهن لم يرين أمهن الصبور الهادئة كيف تحتال بكل حيلة لتفثأ غضبه . فأثر ذلك فيهن أثراً حميداً .

كانت أليزابث كبرى البنات فتاة طويلة القامة ، ساحرة العينين ، فى ملامحها كثير من الجد والسكون ؛ وكانت هادئة باردة الطبع ، قليلة النشاط نوعاً ما ؛ وكانت أعمال البيت تضايقها وتثير فى نفسها الاشمئزاز ، ولعل مرد ذلك إلى كسلها وإلى رغبتها فى القراءة ؛ فكثيراً ما كان يرى فى يدها كتاب ، لا تكاد تفرغ من عمل حتى تعود إليه ...

وكانت تانيا صغراهن على نقيض أليزابث ، فتاة لعوبا مرحة لا تفتأ تثب هنا وهناك حتى لتملأ البيت كله بضحكها وصوتها الساحر الجميل . وكانت تسمى فى البيت « الشيطانة الصغيرة » ، وكان لها ولع بالموسيقى ، وكانت متقدة العاطفة ؛ تملأ قلبها حرارة الشباب ، تحب صاحباتها فتستغرق فى الحب ، ولا تنى

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة »

تظهر لـكل من يراها إعجابها بنفسها وفرط إحساسها بذاتها .

وكانت وسطاهن صوفيا ، أو سونيا كما كانت تسمى فى البيت ، وسطاً بين أختيها : تميل إلى تاتيانا وتحب مرحها وتنـكر من إليزابث سكونها وانطواءها على نفسها .

وكانت سونيا موفورة العافية ، نشطة متوردة الوجنتين ، براقة العينين ؛ وكانت ذات جمال وفتنة وبخاصة عيناها الواسعتان الرماديتان ...

ولئن كانت تحب صوفيا مرح أختها تاتيانا ، إلا أنها كانت تحس أبداً أن هاجساً خفياً لا تدريه ولا تنكره يوحى إليها شيئاً من الحزن المبهم الذى يشوب مرحها دائماً ، فلا تحس سروراً إلا أحست معه شيئاً من الحزن ؛ كتبت لتاتيانا ذات مرة تقول « إن تلك الموهبة التى تحسدين عليها وهى الاستمتاع بكل شىء وبكل شخص بارزة فيك كل البروز ، أما أنا فعلى عكس ذلك ، إذ أجد ثمة شيئاً حزيناً فى كل مرح وكل سعادة » .

وكانت سونيا رحيمة بأخوتها ، تؤدى عمل البيت فى غير ضجر أو كلال ؛ وكانت مولعة بالأدب والتصوير والموسيقى ؛ وقد احتفظت منذ الحادية عشرة بدفتر تثبت فيه ملاحظاتهـا ؛ وقد جاء فيه عن قراءتها قولها « لقد أحدث كل من « عهد الطفولة لتولستوى وداڤيد كوبر فيلد لدكنز فى نفسى أعظم الأثر ، ولقد بكيت حين فرغت من قراءة كوبر فيلد لأنى سوف أفترق عن أولئك الأشخاص الذين باتوا أعزاء إلى قلبى » .

وكان يغشى بيت بيرز كثير من الأضياف ، وبخاصة فى يومى السبت والأحد ، وكانت بنات الطبيب زينة الدار ، وكانت أمهن شديدة الرقابة عليهن تحدجهن حدج الملامة أمام الضيوف ، أو تنصح لهن بكلماتها إذا خلت إليهن ...

وأخذ البنات يغشين المجتمعات ويشهدن حفلات الرقص ويشاركن فيها ، وقد ذهب لهن صيت فى الجمال والظرف والرشاقة وحسن الذوق .

وكان أول من أعجب بسونيا معلمها الشاب ، ولـكنها كانت لا تكترث له ، ولا تعبأ بتنهداته ، وبينما كان يعينها على نقل مقعد إذ أمسك بيدها وقبلها ، فصاحت به كيف تجرؤ على ذلك ؟ ثم أرادت أن تريه مدى احتقارها إياه فمسحت بمنديلها موضع شفتيه من يدها ؛ ثم إنها أخبرت أمها بما فعل فلم تعفه من اللوم قائلة « لم لا تسلـكين مسلك أختك إليزابث من الجد والاحتشام » وأبعد المعلم المسـكين عن البيت ...

وأعجب بها بعده ضابط شاب ، وكان ينتمى إلى أسرة غنية يدعى پولڤانوف ، وأحست سونيا انجذاباً نحوه ، ولما قبل يديها ذات مرة لم تغضب ولم تشمئز ، ولـكنها أحست النشوة تشيع فى هيكلها كله وباتت تتوقع وتحلم ...

ولما هم بالرحيل صارحها برغبته فى أن يتزوجها ، وجعل لها الخيار أن تعدل عن رضائها إذا رضيت ، وذلك إذا اضطرته ظروف الحياة أن يغيب عنها . . . وأخذ أهلها هذا على أنه بعض عبث الشباب ...

***

كانت أول زيارة ذات بال من جانب تولستوى لأسرة بيرز سـنة ١٨٥٦ ، وقد أشرنا إلى هذه الزيارة من قبل ، وقد أعدت المائدة له ولمن كان معه من الضيوف إليزابث أولىزا كما كانت تدعى وأختهـا سونيا ، وكانتا يومئذ طفلتين فلاعبهما تولستوى وضاحـكهما وجلس بعد الطعام يقص عليهما القصص عن سـباستبول وما كان من أنباء الحرب ، وكانتا قد قرأتا « عهد الطفولة » و « عهد الشـباب » وسرهما ما جاء فى الـكتابين عن جدهما لأمهما وقد كان كما ذكرنا صديقاً لأبيه ... وأحست البنتان سروراً عظيما لجلوسهما بين يدى الـكاتب النابه ، وداخل تولستوى السرور مما أحس فى الأسرة كلهـا من هناءة وأعجب بالبنتين وأختهما الصغيرة وما أشعنه حولهن من مسرة ... ولقد أسرعت سونيا بعد رحيله إلى الـكرسى الذى كان يجلس عليه فربطت فى رجله شريطاً لتعرفه ..

وفى سنة ١٨٦١ بعد عودته من رحلته الثانية إلى أوروبا ، زار تولستوى أسرة بيرز ، فأعجبه ما رأى من تغير البنات فقد غدون آنسات يغشين المجتمعات ويأخذن زينتهن فى كل مجتمع ؛ وتهفو إليهن أفئدة الشباب ...

وتحدث إلى لىزا حديثاً فى الأدب والدين وأفاض فى الـكلام عن مدرسته ، وأوحى إليها أن تكتب شيئاً عن محمد النبى العربى وعن مارتن لوثر ؛ وجلس مع سونيا إلى البيان ، ولعب معها

الشطرنج ؛ وعابث تانيا وضاحكها وقص عليها من قصصه … ولم يصرفه اهتمامه بمدرسته عن أسرة بيرز فأكثر من زياراتها ، ورفعت الكلفة بينه وبينهم فكان يأتى إليهم فى أى وقت وكأنه واحد منهم ، وألفه البنات وألفهن ، وكن يشرن إليه بقولهن « الكونت » وألفه كذلك خدم الدار وبات يحبه ويأنس بلقائه كل من يراه …

وتحدث الناس أنه عما قريب سوف يخطب ليزا إلى أهلها ، فقد قيل إنه ذكر لأخته مرة أنه إذا تزوج يوماً ما فستكون عروسه من آل بيرز …

وبلغ حديث الناس آل بيرز فسرهم ذلك أبلغ السرور ، ففى زعمهم أن ليزا خير من تصلح زوجة للكونت ، وبات الأبوان يرتقبان الخطبة ، وسمعت بذلك ليزا فزادت من عنايتها بمظهرها ، وباتت تحلم أحلام الحب والسعادة وفى نفسها عن « الكونت » أنها قد شغفته حباً …

ولكن تولستوى كان لا يحس فى نفسه أنه يحبها ، فقد جاء فى مذكراته فى شهر مايو سنة ١٨٦١ قوله « قضيت يوماً بهيجاً عند آل بيرز ، يجب ألا أقدم على زواج ليزا » وقال فى سبتمبر « إن إليزابث بيرز تغرينى ، ولكنى لن أدع ذلك يحدث ، فإن مجرد الإغراء الذى لا يصحبه أى شعور ما غير مجد » .

وأحس أن سونيا تزداد كلّ يوم قرباً إلى قلبه ، كما كانت تزداد حسناً ، وأحست الفتاة زيادة اهتمامه بها ، وكان صاحبها بوليفانوف قد غاب عنها غيبة تشبه القطيعة ، وكانت تتوجد أحياناً ، حتى لتجهش إذا خلت إلى نفسها . ولما رأت إقبال تولستوى عليها أحست مع حسرتها على صاحبها وحيرتها من مسلك الكونت ، وباتت تسأل نفسها : أهو حقاً يحبها ؟ ثم لا تلبث أن ترى أنها واهمة فتذكر بوليفانوف ، ولكنها لا تكاد تلقى تولستوى حتى تملأ نفسها الحيرة .

وعرج تولستوى على موسكو فى صيف سنة ١٨٦٢ وهو فى طريقه إلى سمارا ، فزار آل بيرز ؛ وكانت سونيا يومئذ تميل بخيالها إلى تولستوى ، ولا تكاد تذكر بوليفانوف ، وكان يحس الكونت نحوها أن قد أخذ يمس قلبه الحب .

ولما قص تولستوى على الأسرة كيف اضطر إلى بيع قصته قبل أن يتمها أو يهذبها ليؤدى بثمنها دينه بعد خسارته فى الميسر ، لم تقو سونيا على حبس دموعها رثاء له وتألماً من مسلكه . ولما رحل عنهم كانت سونيا حزينة تطيل النظر صلواتها فدنت منها « الشيطانة الصغيرة » تانيانا وسألتها فى خبث « أتحبين الكونت يا سونيا ؟ » فأجابت أختها فى دهشة « لست أدرى … »

ولما عاد تولستوى من سمارا إلى قريته والغضب ملء نفسه مما فعل الشرطة بداره ومدرسته ، أنساه غضبه زيارة من زوجة بيرز ومعها بناتها فى أجمل ملابسهن الصيفية لأخته مارى فى ياسنايا بوليانا .

وشاع فى نفسه السرور بهذه الزيارة ، وكانت تراه عمته تاتيانا وأخته مارى وكأنه من فرط مرحه قد عاد إلى سن العشرين ، وباتتا ترتقبان أن يطلب يد ليزا .

وبلغ من حفاوة تولستوى بالفتيات أن عمل مع الخدم فى إعداد سرر نومهن بنفسه ، وكن فى الحجرة التى جعلت لهن يؤدين بعض ما يتطلبه هذا الأعداد وكم ضحكن فى مرح وغبطة والتقت عينا تولستوى بعينى سونيا ، وكانت بينهما نظرة طويلة وكأنه لم يرها إلا فى هذه اللحظة فإن شيئاً يحسه ولا يدرى كنهه يسرى فى هيكله كله ، وإن عينيها لتحدثانه حديثاً يفهمه حتى كأنه الهمس ، وإن عينيه كذلك لتحدثانها بكل ما فى نفسه .. وضرجت الحمرة وجهها فأشردت نظرتها ولكن بعد ان نفذت إلى قلبه .

وزاره فى اليوم التالى صديقه فت وبعض أصحابه فخرجوا مع البنات إلى الغابة وقضوا نهارهم فى مرح كان البنات مبعثه كما كن مبعث ما شاع حولهن من جمال وفتنة .

ولما رحلن إلى إفتسى حيث أرادت أمهن أن تزور أباها فى ضيعة التى ورثها من أمها فى هذه القرية التى كانت تبعد نحو أربعين ميلا عن ياسنايا ، لم يطق تولستوى الوحشة بعدهن ، فلحق بهن على جواد أبيض ونظرن فإذا به بينهن .

وكان القصر فى افتسى حافلا بالضيوف ، وكان عدد من السيدات والآنسات بينهن بنات بيرز يتهيأن للرقص ، ولكن تولستوى كان فى شغل بحاتوسوس به نفسه عما يدور حوله ، وجلس يحدث رب الدار حديثاً كانت تكدره خلجات وجدانه ،

سـلافان

محنة الفردية في الأدب المعاصر (١)

للأستاذ شكري محمد عياد

لا أعرف كاتباً صور محنة الفردية في هذا العصر كما صورها چورچ ديهامل . ولك أن تقول : محنة الفردية ، أو محنة الفرد حسبما يحلو لك من رغبة في التجريد الفلسفي ، أو التخصيص الإنساني .. وأنت مصيب على الحالين ، فهي محنة يعانيها الأفراد المثقفون اليوم ، لا في فرنسا وحدها بل في كل بلد مسته الحضارة الصناعية والإنتاج بالجملة . ومصدر هذه المحنة إحساس هؤلاء المثقفين ذوي الذكاء اللامع أو الإحساس المرهف أو الخيال الوثاب بأن هذا المجتمع الحديث لم يعد محتاجاً إلى ذكائهم اللامع ولا إلى إحساسهم المرهف ولا إلى خيالهم الوثاب ، بل لعله ينظر إلى هذه الأمور التي كانت تعدها الإنسانية من قبل ميزات نظرة الشك والارتياب لأنها أصبحت تعد في دنيا العمل عوائق ومعطلات . وهم يلاقون من ذلك عناء غير قليل ، حتى ليضطرون إلى إحدى اثنتين : إما أن يستبدلوا بذواتهم الحساسة ذواتاً أخرى أشبه بالآلة في انتظامها ودقتها ، وأكثر انطباقاً على ما يتطلبه المجتمع الحديث ، وإما أن ينسوا أنهم أفراد ، ويلقوا بأنفسهم إلقاء في جيش الساخطين على هذا المجتمع ، المعدين العدة لتغييره وفق ما يرونه الحق والصواب.

وهم على الحالين لا يستطيعون الاحتفاظ بفرديتهم ، ولا تحقيق ذواتهم ، وقلما ينجون من هـذا القلق الذي ينوشهم من كل جانب ، وقلما يصلون إلى حالة من السلام النفسي الذي ينشدونه . وأكثرهم ينطوون على أنفسهم ، ويختبرون إحساساتهم ، ويطعمون أحلامهم وآلامهم ، وربما وجدوا في الألم لذة أكبر ، لأنه لا يلوح لهم بأشياء مستحيلة ، ولا يعرضهم لخيبة قاسية .

هذه الفرقة من الناس ، إذاً ، ظاهرة بارزة في الحياة الإنسانية لعصرنا الحاضر ، يعنى بهـا علماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، والفلاسفة ، والأخلاقيون ، والأدباء ، والفنانون . ولعل مما زيد عنايتهم بها أن هذا الفريق من الناس هم الجمهور الأكبر من قراء الأدب والفلسفة ، وأهل الفـكر ، ومتذوقي الفن . فـكأن رجال الفـكر والفن إذ يعالجون مشا كل هذا الفريق من الناس إنما يعالجون مشا كلهم هم أنفسهم في نطاق أوسع ، وكأن هذا الجمهور إذ يطالع ما يكتبه له الأدباء والمفـكرون إنما يطلع على مشا كله الخاصة ، وما يقدمون لها من حلول .

كتب چورچ ديهامل سلسلة من خمس قصص تدور كلها حول محنة الفردية في العصر الحديث ، أي حول التنافر بين الفرد ونفسه ، وبين الفرد ومجتمعه . وابتدع في هذه شخصية « سلافان » ، وهي شخصية لا تقل حياة ولا صدقاً ولا عمقاً عن شخصية « هملت » أو « دون كيشوت » . هي شخصية ذلك المثقف المرهف الحس الذي يلفظه المجتمع الحاضر ، وتخنقه أوضاع الحياة التافهة العادية . على أن ديهامل لا يتخذ بطله من أولئك المثقفين ذوي الثقافة العالية المنظمة ، ولا من أولئك المفـكرين السحابيين الذين يعيشون في أبراج عاجية ، وإنما هو رجل من عامة الشعب ، لم ينل ما اصطلح الناس على تسـميته

(١) مقدمة لقصة « اعتراف منتصف الليل » چورچ ديهامل — ترجمة عربية تظهر قريباً .

فإن كل شيء من مراح الشباب وزياطه يذكره بشبابه الذي ينطوي وروحه التي تخمد ؛ وإنه ليحس وهو بعد في الرابعة والثلاثين كأن بينه وبين الشباب أمداً بعيداً .

وجلس غير بعيد يترقب ويغالب ما في نفسه من حسرة ، وجاءته سونيا تمشي على استحياء وقد حان وقت الرقص فقالت : ألا ترقص الآن ؟ فأجابها وهو يخفي همه بابتسامة : إني اليوم أكبر سناً من أن أفعل ذلك . .

وقد جـال باله في تلك الليلة إلى سونيا ، يدور بعينيه إلى حيث تكون ، وكانت سونيا تقابل نظراته بنظراتها وكأنما تقول له إنها تدرك ما في نفسه ، وكان يحمر وجهها في صورة ملحوظة كلما دنت منه .

ولحظت ذلك عينا ليزا فأفلت منها زمام أعصابها وقالت لأختها الصغرى ، بعد الحفلة وهي تجهش : إن سونيا لتحاول أن تأخذ مني السكونت . . ألم تر ذلك ؟ إن مسلكها وإن عينيها وإن رغبتها في أن تنفرد به ، كل أولئك الآن يبدو جلياً . . .

محمود الخفيف

(البقية في العدد القادم)

بالثقافة العالية ولا الثقافة الثانوية ، ولكنه قرأ كثيراً وفكر كثيراً .. يقول لصديق : « إننى فقير ، وقد كنت فقيراً دائماً ، فدرست كما يدرس الفقراء ، أعنى أننى درست دراسة فقيرة . وقد آلمنى ذلك وبخاصة فى السن التى يتألم فيها المرء لمثل هذه الأمور . ثم أخذت أثقف نفسى بنفسى ، وعلى قدر استطاعتى ، فأنا أعلم اليوم أكثر مما يعلمه غالبية البورجوازيين فى مثل سنى . ولكن الراجح أنى لم أتعلم هذه الأشياء بطريقة منظمة ، كما تقول . ومن ثم لا يعدنى الناس مثقفاً ، وأصدقت القول إننى مستنى العدوى من أفكار الناس عنى ، فأصبحت أشك أنا أيضاً فى ثقافتى . إنها لثقافة طيبة ، لا تخلو من رسوخ وغنى ، ولكنها ليست ثقافة « أصيلة » . لا ضير ! إننى مثابر على القراءة .

وهو يقضى سحابة نهاره فى بعض تلك المكاتب التى تؤوى عشرات أو مئات من طبقته ، يؤدون أعمالا تافهة . وهو مشغوف بالموسيقى يعالج النفخ بالناى ، ولكنه يقول عن نفسه : « والأمر المؤلم أننى لنقص الدربة والدراية والدرس أوقع بطريقة عاجزة صبيانية قطعاً أحسها إحساساً طيباً ؛ إذ ينبغى أن أقول - لأكون عادلا فى الحكم على نفسى — إنى مشغوف بالموسيقى ، وإنى أدين لها بأنبل مشاعرى . ولكنى حين أجاهد آلتى لا يبدو على أننى أفهم شيئاً مما أرقمه ، على حين أن أورين مثلا — وهو ينفخ فى الناى أيضاً — أورين هذا الذى لا يفهم شيئاً من الموسيقى ، ولكن له أصابع متمرنة ، يخيل إلى من يسمعه أنه مشبوب الوجدان » .

وقد تسأل : لماذا جعل ديهامل بطله مثقفاً عامياً وفناناً عاجزاً ، ولم يختره رجلا ممتازاً فى ثقافته أو فنه ؟ ألا يكون فى هذه الصورة الأخيرة أصدق تمثيلا لمشكلة المثقفين فى هذا العصر؟ ولكننى أذكرك بأمرين اثنين : أولهما أن ديهامل لا يعالج مشكلة المثقفين الممتازين وحدهم ، ولا مشكلة هؤلاء المثقفين الممتازين بوجه خاص ، بل مشكلة كل من يتغلب فيهم جانبا الفكر والوجدان على جانب العمل ، وطبيعى ألا يبلغ هؤلاء جميعاً رتبة العبقرية . والأمر الثانى أن القصة والأدب على العموم قد اتجها وجهة شعبية منذ ظهر المذهب الواقعى فى الأدب واتخذ موضوعاته من الحياة العادية ، حياة الناس العاديين . لم يبق الأدب تصويراً لحياة الأبطال وصراعهم ، بل أخذ أشخاصه من زحمة الحياة العادية التى تموج بصنوف المآسى والمساخر . ولعل هذا هو الأثر الخالد للمذهب الواقعى فى التراث الأدبى الإنسانى ، فما أظنه قد أصبح فى استطاعة الأدب فى حاضره أو مستقبله أن يترفع عن مشاكل جماهير الناس مهما تكن طبقتهم أو ثقافتهم أو نحلتهم ، ولا أن ينتزع العواطف الإنسانية من مجالها الطبيعى ، ليضعها فى إطار من العظمة المصنوعة . وقد ظهر المذهب الطبيعى وعميده زولا بعد المذهب الواقعى ، فزاد هذا الاتجاه بالأدب نحو الشعب قوة ووضوحا . فديهامل محافظ إذاً على تراث الأدب الفرنسى الخالد ، وهو فى الوقت ذاته دقيق الإحساس بالمشكلة التى يعالجها حين يختار بطله نكرة من النكرات ، أو كما يقول هذا البطل عن نفسه :

« رجلا لا يختلف فى شىء عما ألفه الناس ، رجلا يشبه كل الرجال إلى حد مخيف ! »

ظهرت قصتنا Confession de Minuit — وهى الأولى فى مجموعة سلافان — سنة ١٩٢٠ ، ثم تلاها « رجلان » Deux Hommes سنة ١٩٢٤ ، و « يوميات سلاڤن » Journal de Salavin سنة ١٩٢٦ ، و « نادى ليونيه » le Club des lyonnais سنة ١٩٢٩ ، وأخيراً « كما هو » Tel zu'en lui méme سنة ١٩٣٢ . حلل ديهامل فى القصة الأولى عناصر التناقض بين الفرد ومجتمعه ، وبين واقع الفرد وآماله ، وبين أفكاره وأعماله . صور ذلك كله منعكساً على ذهن سلاڤان فهو لا يقص أحداثاً ، بل أفكاراً بلغت من قوتها وتمكنها مبلغ الأحداث ؛ فهى أحداث بالنسبة لصاحبها ، وهى مغامرات حقة تعمك أنفاسك وأنت تقرؤها ... أحداث هذه القصة لا تعدو أن سلاڤان يفصل من عمله على أثر حادثة يعدها الناس حمقاً منه وشذوذاً ، ويراها هو عملا ضروريا يرد إليه ثقته بأنه انسان يعيش بين أناس . وليس بعد ذلك إلا البطالة والتشرد والفاقة ، وأحلام الحرمان ، وأوهام القلب الوحيد .

وفى القصة التالية « رجلان » نرى سلاڤان الصديق ... نراه فى ضوء تلك الصلة النفسية العميقة التى تكشف من أسرار النفوس ما لا تكشفه الأفكار ولا الأحلام ولا الأوهام .

نظرات فى الأدب العراقى

للأديب غائب طعمة فرمان

هل هناك أدب عراقى ؟

سؤال يسأله كثيرون ولا يظفرون له بجواب مقنع ، ولا برأى صائب صحيح .

أما الشيوخ فيزمون بشفاههم احتقاراً وسخرية ، ويهزون رؤوسهم محكا من السائل واستخفافاً بالسؤال ، فيكفرون بالواقع وينكرون على العراق أدبه ، وعلى الشباب يقظته ، وعلى الجيل الجديد رسالته ؛ ثم يلقون عليك المواعظ والأمثال ناعين لك الأدب ساخطين على شياطينه الجديدة .

أما الشبان فيرفعون رؤوسهم افتخاراً ، ويقرون بوجود أدب عراق يوا كب الحضارة ، ويتفق مع روح العصر الحاضر ، ويستجيب لضرورات الحياة الحاضرة ، وينظر إلى الوجود كينبوع يستمد منه الأدب إلهامه ، ويقتطف منه زهرات وحيه

أما الأولون فغالون ، وأما الآخرون فمغرورون .

والأدب لن يزول عن الوجود ما دامت هناك حياة ، ومادام هناك شعور بالحياة . فالوجود العامر بالشعور ، المكلل بأكاليل الحياة ، المتنعم بنعيم الإحساس لم يفقد الأدب ولن يفقده أبد الآبدين .

لأن الأدب — فى أبسط مدلولاته — مجموعات تجارب حية يسجلها الفنان فى ألفاظ ، ويرمز لها برموز ليستدل بها من رصيدها الكامن من الأحاسيس والمشاعر … وهنا يتحدد وجود الحياة ، ويترتب عليه إنشاء الفن .

وأخطل الرأى أن نتصور انعدام أدب أمة وهى ما زالت تتنعم بالحياة .

لأنك فى ذلك تنكر وجودها ، وتسلبها نعمة الحياة ، أو تجعلها فى رتبة الجماد سواء بسواء .

فلابدَّ من وجود أدب إذا وُجدت أمة ، لأنه لابد من وجود شعور إذا وجدت حياة . والأشياء محيطة بنا ، الملازمة لنا ، نتأثر بها ، ونشعر بوجودها أو بمكان وجودها فى مخيلتنا الواعية ؛ ولهذا كله كان الأدب قديم المولد قِدم الحياة ، وواكب الإنسانية فى تاريخها ، وصاحبها فى نضالها ، ورسم لها صورة الكفاح مع الطبيعة .

وصديقه رجل لا يشبهه فى شىء من الأشياء . إذا كان سلافان مثال الرجل الذى لا ينسجم فكره وعمله فإدوار مثال الرجل الذى يقيس فكره على قدر عمله . وإذا كان سلافان مثال الرجل الساخط على وجوده فإدوار مثال الرجل الراضى عن وجوده . وإذا كان سلافان مثال الرجل الذى يزداد انحداراً كل يوم ، فإدوار مثال الرجل الناجح الذى يزداد كل يوم صعوداً . إدوار هو على الجملة صورة حية للمجتمع الحديث . هو الرجل الذى تخضع حياته لنظام لا يحيد أو لا يكاد يحيد . هو الرجل الذى يترجم جميع أفكاره إلى أعمال ، وجميع دوافعه ونوازعه إلى مصالح . هو الرجل الذى تنسجم رغباته مع واقع الحياة ، حتى لتحار أيهما يستجيب للآخر … أهو يكيف وجوده طبقاً لواقع حياته ، أم هى أحداث الحياة تنساق مع رغباته ؟ يعرف سلافان من مطعم كانا يترددان عليه وكأنه يحس فيه ضعفاً وعجزاً عن المضى فى تيار الحياة الزاخر ، فيود لو يسنده بذراعه القوية ليزداد التذاذاً بقوته … ويقبل سلافان — بعد تردد — هذه اليد الممدودة إليه ، ويبذل له الصديق من جاهه وماله ، ويقبل سلافان هذه الهبات أيضاً ، ولكن على حساب كرامته وكبريائه ، حتى إذا ضاق صدره بعد سنين طوال من هذه الصداقة غير المتكافئة ، ثار على ما ألقى فيه من عبودية ، وفارق صاحبه فراقاً غير جميل .

والقصص الثلاث الأخيرة تصور صراع سلافان لتحقيق فرديته . فإنه لم يحدد بعد مطلبه من الحياة ، وإنما كانت نفسه أشبه بصندوق رنان ، كل عمله أنه يضخم الذبذبات التى تصل إليه من الخارج : ولكنه قد بدأ يحس نزوعاً إلى إكمال نفسه ، فصاحبه يقول له قبل أن يفارقه : « ما بك ؟ » فيجيب : « بى كل ما ليس بى … أشياء لا تستطيع أن تمنحنى إياها يا إدوار … السلام . السعادة . روح خالدة . الله . »

(البقية فى العدد القادم)

شكرى محمد عياد

وبعض الناس لا يفرق بين وجود الأدب وازدهاره واكتمال أساليبه الفنية؛ فهم إذا قالوا: إن العراق ليس له أدب عنوا بذلك أنه لا يملك أدباً فنياً مزدهراً.

والحقيقة أن العراق – ككل أمة حية – لها أدب، ولكنه لم يكتمل بعد أساليبه الفنية، وأن الروّاد الأولين عند ابتداء القرن العشرين ليُذكرون بالاجلال والاحترام لا لأنهم ارتفعوا بالأدب العراقي إلى منزلته العليا، ولا لأنهم أصابوا حظاً عظيما من التجديد، بل لأنهم عبّروا عن الجيل الناشئ، ووا كبوا الشعب العراقي في قصة نضاله، وسجلوا آثاره وعواطفه وانفعالاته. ولم يتأخروا عن قافلة الحرية السائرة.

والعراق قريب عهد بنور الحضارة، وقريب عهد بنور الحرية وقريب عهد بعصر النضال والكفاح في سبيل السيادة الوطنية، والاستقلال الذاتي. وما زالت صور الاحتلال العثماني البغيض ونعسفه المؤلم، وأصداء الثورة العراقية ترن في الآذان، ولا زالت قصة الكفاح لنيل الحقوق كاملة، والاستمتاع بالحياة حرة، والانعتاق من القيود والأصفاد قصة الشعب العراقي المتكررة الباقية المعادة.

والعراق بلد الثورات والانتفاضات، ومهد الحرية الفكرية في عصر الإسلام الذهبي؛ والعراق عابد الحرية والاستقلال أبداً لأنه مجبول على الاستمتاع بها، والتضحية لأجلها. وتاريخ العراق سلسلة من الثورات الداخلية والخارجية، وسلسلة من التمرد والتحرر من الوضع القائم. وقصة الشكاية قصة الشعب العراق التي ستبقى خالدة سرمدية، يشتكي من السلطان، ويشتكي من الطبيعة، ويشتكي من الحياة، ويشتكي من الناس جميعاً. ولن ننعى هذه الشكايات لأنها لازمة من لوازم طبعه أو التأمين على حياته.

فمنذ عهد مغرق في القدم كان العراق بركاناً للثورات، وناراً مضطرمة الأوار، لا تخمد نار ثورة إلا لتقوم مقامها ثورة أخرى؛ ففي العهد الإسلامي لم يهدأ في حقبة من الحقب ولم ينل منه الاستقرار أي منال. والخلفاء العباسيون لم يستطيعوا على رغم قوتهم ونفوذهم، وامتداد سلطانهم أن يهيمنوا على الوضع، ويسكتوا لهيب النار، فما فتأت الثورات تتوالى، والتمردات تتعاقب، وتراخي الزمن يزيدها عظمة واتساعاً.

والحال كانت أعظم اضطراباً، وأشد نكاية، وأكثر تلهباً عند ما زال نفوذ العباسيين، واضطرب حبل الأمن، وتناهبت الأمبراطورية الإسلامية أمارات، ودولة نشأت في بقع مختلفة، واشتد النزاع فيها على السيادة السياسية والفكرية، وطال الصراع ولم ينته إلا باجتياح العثمانيين الأمبراطورية المقطعة الأوصال الكثيرة الاضطراب.

والعهد العثماني مظلم كئيب، سارت فيه المأساة بخفوت وصمت، وامتلأت النفوس غيظاً، والقلوب حقداً على الترك المحتلين، ومقتاً لهم، وحباً للتخلص من تعسفهم وظلمهم.. ولم يسكت العراق عما يجول في ضميره، وعما يضطرم في قلبه من نوازع الحرية، ودوافع الثورة وما انفك يطالب بالإصلاح ويعلن سخطه على الولاة الظالمين.

وفي العهد الوطني لم يسكت العراقيون، وظلوا يطالبون بالحقوق، ويلهجون بالاستقلال التام، ويتحرقون للعدالة الاجتماعية والديمقراطية الصادقة. والحكومات تتوالى والوزارات تتبع الواحدة الأخرى، والشعب دائب على إعلان السخط..

فما سبب كل هذا؟

ما علة هذا التمرّد الطويل، والتقلب الدائم، والسخط المستمر؟

من الشائع المفهوم أن للبيئة الأثر الأكبر في تكوين مزاج الفرد، وتلوين نفسه وتمييز طباعه

فلننظر إلى الطبيعة العراقية لنَستشفّ من خلالها طبائع العراقيين، وأمزجتهم الخاصة، وطابعهم المميّز لهم.

الجغرافيون يقولون: إن طبيعة العراق متقلبة لا تثبت على حال، ثائرة لا تستقر على منوال ... فهو بلد قاري متغيّر الطقس تغيراً سريعاً ملحوظاً: قارس الشتاء، حادّ القيظ، وشمال العراق متوج بجبال عالية تكللها الثلوج، وجنوبه مكتنفٌ بصحراء واسعة جافة، حمراء الرمال، كثيرة الزوابع فكثيراً ما تهب الرياح حاملة معها رمالاً مزهجة حمراء.

في هذا الجو الغاضب المتقلب يعيش العراق. فماذا يكون مزاجه وطبائعه؟

فلا بد من أن يتقلب كما يتقلب جوه، ويتلون كما تتلون بيئته، ويثور ويصخب كما تثور صحراؤه وتصخب.

واصطبغ الأدب العراقي الصميم – منذ عصور ازدهاره – بصبغة التمرد على الحياة، والضجر من الطبيعة، والتأفف من

الناس . وهذا ما نقرأه فى شعر الشعراء العراقيين الذين يمثلون الطبيعة العراقية ، ويستجيبون لوحى البيئة والمحيط ... وتلك الصرخات الداوية فى الشعر العراقى العباسى ما هى إلا استجابة للبيئة . والشريف الرضى والمتنبى جبلان شامخان يبرزان فى محيط الأدب العربى واضحى الدلالة ، مميزى الأعلام .

ولولا الأثر الذى تركه تمازج العرب بالأمم الأجنبية ، وتهافت الأجانب على العراق ، وتأثير السياسة العباسية لظهر الأثر ، أكثر وضوحاً ، وأبرز سمات .

وَوُسِمَ الأدب العراقى بالسخط كما وُسِمَ بالثورة ، وفقد الرجل العراقى إيمانه الثابت الراسخ بما تُسن من نظم ، وبما تقوم من حكومات ... لأن مسرحه المتقلب أفقده الإيمان بالبقاء الدائم فى كل ما يرى من الأشياء التى تواضع الناس عليها .

وهذه العوامل مضافاً إليها أثر الإخفاق الدائم فى أغلب ما يحاول من أمور ، فى أعم ما يؤمن به من دساتير وحكومات — خلقت روح الكآبة المرة فى نفسه ، وأشاعت الألم فيه ... والإخفاق الدائم يبلغ الفرد إلى الانطواء على نفسه ، وإلى الكآبة القاتمة ويضفى روحاً تشاؤمياً خفيفاً على آرائه وعواطفه ... فلهذا لم نشهد فى تاريخ العراق الطويل رجلا نستطيع أن نضمه إلى دعاة التفاؤل ، والمؤمنين بسير البشرية إلى الحياة السعيدة ، وبلوغها مراتب الاطمئنان والأمان .

وللأسباب ذاتها لم يخلق فى العراق فيلسوف يحسب له حسابه ، ويشمخ مع الشوامخ من الفلاسفة العالميين .

والأدب الشعبى العراقى يرسم لك النفس العراقية التى صورتها لك تصويراً صادقاً تاماً .

وتلك الخطوط والملامح تمين لك الأدب العراقى وتجسمه تجسيماً واضحاً ... ولا مناص من وجودها فى الأدب العراقى الصادق .

وإذا استطاع العصر الحاضر أن يضع حداً لهذه الملامح والخطوط ويخرج لنا أدباً يميل إلى التحرر من عبودية هذه السمات فالفضل فى ذلك لنور الحضارة القائمة على تقارب الأمزجة ، وترابط الأمم .

فلم يعد كل قطر مهما بلغ من عزلته وانطوائه على نفسه ، وحرصه على البقاء فى حدود ذاتيته مستطيعاً أن يقاوم تيار الحياة الجارف القائم على الإخاء والتعاون

ولكن حذار من أن نفهم من ذلك أن ننسى أنفسنا ونبتر قوميتنا ، ونتجنى على تاريخنا ومن الخطأ أن يظن أن القومية والأخذ بأسباب الحضارة الحاضرة طرفاً نقيض ... ومهما يكن من طغيان التيار الأممى فإن ملامح القومية لا تزول ولن تزول أبد الدهر ... ونحن العرب لا نزال نعتز بقوميتنا ، مقدسين لتاريخنا .

والسمات والملامح التى رسمتها لن تزول كلها أبداً .

وهى قد عينت لنا الأدب العراقى بصورته ، وبينت حدوده وقسماته ، وعلى ضوئها يمكن أن ندرس من نحب دراسته من شعراء العصر الجديد لنرى مصداق ما كتبت .

ويجب أن أنبه إلى ملاحظة واحدة قبل بدء الدراسة وهى : أن تلك العوامل السالفة الذكر لم تمط مجالاً لظهور الأدب الذاتى ولم نر إلا بعض الأشباح الهزيلة تظهر شفافة ضعيفه ثم تختفى .

لأن الحياة الصاخبة القائمة المتمثلة بالنشاط والحيوية لا تدع للأدب أن ينشىء أدباً ذاتياً بعيداً عن واقع الحياة ودوافعها ، بعيداً عن أحاسيس الجمهور وشعوره .

غائب طعمة فرمان
كلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

من ديوان « الشروق »*:

موت فنان

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

رثاء فنان مسجى على فراش الموت وقد سكن كل شىء فى الليل إلا من نحيب الباكين من حوله وقد حمل الأثير على أجنحته صدى صوته فى أغنية من أغنياته

عناؤك المذبُ فى الظلامْ … يرنُّ فى مسمع الزَّمنْ
وأنت فى قبضة الحِمامْ … كالحُلم فى قبضة الوَسَنْ

أأنتَ يا صامتاً تؤوبْ … أيامُه للمَدى البعيدْ
الصادحُ المرقصُ القلوب … الساحرُ الفاتنُ النشيدْ ؟ !

أأنت … !؟ لا … أنت غيرُهُ … فأين لى شدوُكَ الجميلْ ؟
قد فارَق العُشَّ طيرُهُ … وهام كالحائر الضَّلول

كم خيم الُحزنُ فى رحابكْ … ونام فى ساحك الرنينْ
تمزِّقُ الليلَ بانتحابكْ … وتُرعِشُ النجمَ بالأنين !

يا مُغرقَ الكون فى الأغانى … الكونُ يشتاقُ للهَزارْ
غرقتَ فى لُجَّة الزمان … فهل تمعقتَ للقرارْ ؟

هجرتَ ألحانك العِذاب … وعشتَ فى صمتك الحزين
تجرَّع اليأسَ والعَذابْ … وتشربُ السُّقمَ والمنون

أأنت من حرَّك النفوس … بصوته الساحر الرؤوم ؟ !
أأنت من أرقص الكؤوس … أأنت من أرَّق النجومْ ؟!

أأنت … ؟! لا … أنت غيرُهُ … فأين لى صوتُك الحنون ؟
قد بانَ لِلَّيل فجرُهُ … وأنت مُستسلم الجفون !

أصمتك الوحشُ الكئيب … يا هاتف الأمس سُخريَهْ
بعالَمٍ مُغرم يذُوبْ … على ترانيم أغنيهْ ؟

قد غالك السُّقم واستبدّ … وأنت فى ميعة الشبابْ
سلمتَ قيثارة الأبدْ … لجاهل لحنُه اضطراب

يطوف فى ساحك القدر … مُجمَّد الجبهة اكتئابا
يضمُّ من كوبك الزَّهَرْ … ويَحطمُ الفنَّ والشَّبابا

قد خفَّ فى صمتك المنون … برُوحك الحيَّة الصَّدى
فتَّ فى الليل .. والسكون … يكفكفُ الطلَّ والندى

عناؤك المذبُ فى الظلام … يرنُّ فى مسمع الزَّمن
وأنت فى قبضة الحِمام … كالُحلم فى قبضة الوَسَن

حسن كامل الصيرفى

اذكريني …

للأستاذ عبد القادر القط

افترقنا . . فاذكرى الماضى ولا تنسَىْ صداهْ
والمحى فى كل محزون خيالاً من رؤاه
وإذا طالعت فى دنياك ألوان الحياه
من شقاء وصفاء ومهانات وجاه
فأطيلى وقفةَ الآسى على النُّبل المهين
وصُبابات أمانىٍّ وجاه . . . واذكرينى

وإذا رفرفَ عصفورٌ بأجواز السحابْ
مرِحَ الخفقةِ واللفتة صدّاحَ الإياب
وتدلى . . فرأى فى العش أظفار الخراب
ورأى أفراخهُ الزُّغب دماء فى التراب
فاذرِفى من دمعكِ الغالى على الطير الطعين
ونفوس شفَّها ذلُّ التراب . . واذكرينى

وإذا ألقت بأيديها إلى القيظ الظلال
واستباحت لفحةُ الشمس محاريب الجمال
ورنا الزهرُ إلى النور بأجفان ثقال

(*) يصدر بعد أسبوع عن دار المعارف بمصر

وتمشت في رحاب الكون أنفاسُ الكلال
فأحسّي اللفحَ والضيقَ مع الظلّ السجين
وانشُدي الرَّوحَ لأبناء الكلال .. واذكريني

وإذ أنتْ على صمت من الليل الرياح
وتوارت في دياجي السحب آفاقُ الصباح
وأفاق الطير من نجواه مذعور الجناح
وصحت من حولك الدنيا على وخز الجراح
فدعي روحك تنسابُ مع اللحن الحزين
وامنحي الرحمةَ أنضاء الجراح ... واذكريني

وإذا ما خفق الشجو على سُمر الغصون
باكيات تاجها الأخضرَ في كفّ المنون
وتبدّى الأفقُ الشاحبُ مقرورَ الجبين
وطفت في خلَد الأعياء أحزان السنين
فابعثي في نفسك المراح مطوىّ الشجون
وجراحات أقرّتها السنين ... واذكريني

عبد القادر القط

الأدب والفن في أسبوع

تقديم الفائزين في مسابقة المجمع اللغوي :

أتينا في العدد الماضي على نتيجة المسابقات الأدبية التي احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بإعلانها في دار الجمعية الجغرافية الملكية ، وقد حملنا التهيؤ للطبع على الاقتصار بذكر أسماء الفائزين وجوائزهم ، ونذكر الآن أهم ما كان في هذا الحفل وخاصة تقديم الفائزين .

ألقى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني كلمة عن الشعر قال فيها إن الشعراء الذين يظهرون في الأمم أكثرهم ينسون ، لأن الشعر كسائر الفنون ، لا يخلد فيه إلا الأعلون أو الذين يقول فيكتور هيجو إن حرارة نفوسهم تبلغ درجة الغليان التي ما فوقها درجة .

وما أكثر من قالوا الشعر في كل أمة وكل جيل من أجيالها ، وما أقل من بقيت أسماؤهم مذكورة ، لأن الأوساط لا يحصون وذاكرة الدنيا أضعف وأضيق من أن تعي غير الأفذاذ ، والوسط كالردىء في ميزانها أو حسابها ، كلاهما يسقط من الحساب أو يميل في الميزان .

ولقد تلقى مجمعنا في هذه المسابقة أكثر من ثلاثين ديواناً كلها من الوسط ، فكان بين أمرين ، أن يتشبث بالمثل الأعلى وذلك عزيز ، أو أن يؤثر التشجيع وسبيله أهدى ، فآثره ، ونظر في الشعر الذي عرض عليه متسامحاً ، واستخلص أربعة دواوين قسم الجوائز بين أصحابها ، لتعذر المفاضلة الصريحة مع التقارب الشديد ومن هذه الدواوين ما يجرى على النهج القديم أو التقليدى ، وما يؤثر نهجاً جديداً ، وما يتبع القديم حيناً وينحرف عنه حيناً ، ولكن فيها كلها اجتهاداً ونضجاً وإخلاصاً بيناً ، وكثير مما تركت إجازته ليس دون هذه كثيراً ، ولكنه كان لابد من مقياس للمفاضلة ، والمقياس هو وضوح الشاعرية وحسن الأداء ووفاؤه أو على الأقل سلامته من الشوائب .

وهكذا كاد الأستاذ المازني يخلع أصحابه من الشعر (مع الفارق بينه وبين أبي موسى الأشعري) كما خلع نفسه من قبل .

وقد قدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الفائز في البحث الأدبي « مهيار الديلمي وشعره » فأفاض في الثناء عليه وفي بيان قيمة بحثه ، ولم يأخذ عليه شيئاً .. ومما يذكر أنه لم يقدم في مسابقة البحوث الأدبية غير هذا البحث وبحث آخر في « البيئة الأدبية في المدينة أيام بني أمية » وكانت المفاضلة بين البحثين ففاز الأول .

وقدم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الفائزين في القصة ، فعرف بكل منهما وبين أثر دراسته في أدبه ، وقال إن قصة الأستاذ نجيب محفوظ « خان الخليلي » تمتاز بالروعة القصصية الفنية ولكن يلاحظ على أسلوبها عدم الدقة في الناحية اللغوية أما قصة « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان فتمتاز بصدق التاريخ وسلامة الأسلوب وصفاء الديباجة وصحة اللغة والعمل الفني فيها مقبول .

المعجم الكبير :

من قرارات مؤتمر المجمع الموافقة على نموذج المعجم الكبير من حيث المبدأ ، على أن يتابع السير فيه ويعد بما يتطلبه العمل من موظفين وخبراء .

وهذا المعجم مقرر أن يخرج بمقتضى المرسوم الملكى بإنشاء المجمع ، ليكون شاملاً لألفاظ اللغة العربية وتحقيقها وبيان مشتقاتها بأسلوب جديد وعلى نمط يلائم التقدم العلمى الحديث .

وقد اتفق على أن يكون الدكتور طه حسين بك مقرراً لهذا المعجم على أن يختار له مساعدين لإعداده ، ومن بين هؤلاء المساعدين من يكون ملماً باللغات السامية باحثاً فى العلاقات بينها وبين اللغة العربية ، وقد طلب إلى الدكتور طه حسين بك وضع نموذج لهذا العمل يعرض على المؤتمر حتى إذا أقره أمكن المضى فى إعداد المعجم على أساسه ، فقام الدكتور طه ومعاونوه بوضع نموذج يتضمن مادتى « أبر » و« أجر » وأظهر ما فى هذا النموذج تقسيم المادة الأصلية إلى معان رئيسية تتوزع الصيغ المسموعة فى هذه المعانى ، على أن يصدر كل قسم من أقسام المعانى الرئيسية ببيان مايقابله فى اللغات الأكادية والعبرية وغيرهما من الشقائق السامية ، وكذلك تضمنت المواد بيان أهم الأعلام الجغرافية والتاريخية التى توافق هاتين المادتين ، وأضيف إلى الصيغ العربية الأصلية ما جد فى الاستعمال العربى من مصطلحات وكلمات تجرى فى الشؤون العامة مما عنى بتسجيله دوزى ولين وغيرهما .

وقد طبع هذا النموذج وعرض على أعضاء المؤتمر لدراسته ونوقش فى إحدى جلساته ، وأذن المؤتمر بالجرى فى وضع المعجم على هذا النسق بعد إبداء ملاحظات طلب أن تكون موضع النظر

وإدارة المجمع الآن بصدد اختيار المعاونين فى وضع المعجم وعرض الأمر على مكتب المجمع لتدبير الوظائف وتقدير مكافآت المعاونين الذين ينتدبون من خارج المجمع .

الواجب الثقافى نحو الجنوب :

لبى الدكتور طه حسين بك دعوة رابطة الطلبة السودانيين إلى اختتام موسمها الثقافى بالقاء محاضرة عن « واجب مصر الثقافى نحو الجنوب » بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية يوم الجمعة

قال الدكتور طه : إن مصر قصرت فى نشر الثقافة بالسودان تقصيراً لم يكن لها فيه حيلة لأنها كانت مكرهة عليه بل هو كتقصيرها فى حق نفسها ، لتحكم الإنجليز فى شؤونها ، واستمر تقصيرها الثقافى إزاء السودان بعد أن حصلت على استقلالها الداخلي وعكست من تدبير أمرها فى التعليم ، لأن الإنجليز حالوا بينها وبين السودان بخلق المشاكل التى بدأت بقتل السردار وإخراج الجيش المصرى من السودان ، وظل الإنجليز يخلقون المشاكل ويضعون العقبات فى سبيل الثقافة المصرية بالسودان إلى اليوم ، وأشار الدكتور إلى الصعوبات التى صحبت إنشاء مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، تلك الصعوبات التى لا يعرفها أكثر الناس والتى لا تزال قائمة إلى الآن . ثم قال : على أننى أفترض أن هذه الصعوبات والعقبات لم تكن وأن مصر خلى بينها وبين تدبير أمر الثقافة بوادى النيل شماله وجنوبه ، فماذا كان يحدث ؟ كان لابد أن تولى التعليم بالجنوب من عنايتها ما تبذله للشمال ، فكانت تنتشر المدارس على اختلاف درجاتها فى أقاليم السودان انتشارها فى أقاليم مصر ، وكانت جامعة فؤاد الأول بالقاهرة تستقبل الطلبة من الجنوب كما تستقبلهم من الشمال ، وحين فكرت مصر فى إنشاء جامعة ثانية لم يكن مكانها إلا الخرطوم قبل الإسكندرية . ولكن الإنجليز حالوا دون كل ذلك ليفرقوا بيننا فى الثقافة ، وفى الوقت الذى حاربوا فيه الثقافة المصرية فى الجنوب أباحوا لأنفسهم ما منعونا منه فصبغوا التعليم هناك بصبغة إنجليزية وجعلوه على أوضاع تخالف أوضاع التعليم المصرى ، وإن مما يؤسف له أن المدرسة المصرية الوحيدة التى أنشأتها الحكومة المصرية بالسودان على منهاج التعليم المصرى ، تخضع لنظم الحكومة السودانية المركزية وتحكمها ، ولا تظفر هذه المدرسة من الحرية فى تدبير أمرها بشىء مما تظفر به المدارس الأجنبية فى مصر .

ثم انتقل الدكتور إلى الكلام على الوحدة الثقافية فقال إننا يجب أن نتفق على أن هذه الوحدة أساسها توحيد التعليم فى جميع مراحله بجنوب الوادى وشماله ، عدا ما تقتضيه أحوال الأقاليم الجغرافية والاقتصادية من اختلاف كالتنبع فى مراحل التعليم الأولى بأقاليم القطر المصرى ، وقال إن وحدة الثقافة هى الخطوة الأولى والأخيرة والمتوسطة فى وحدة الوادى ، لأنها تشيع فى القلوب شعوراً واحداً وفى العقل تفكيراً واحداً وفى النفوس عاطفة واحدة ، وحينما يتم ذلك لا يستطيع الانجليز ولا مجلس الأمن ولا أية هيئة أخرى أن تفصل جنوب الوادى عن شماله .

وقال الدكتور : إننا ما دمنا مؤمنين بالوحدة الثقافية إيماناً

حقاً لا رياء فيه فيجب أن نعمل على تحقيقها ، وذلك بفتح المدارس المصرية على مختلف درجاتها وعلى مصاريفها للطلبة السودانيين ، وإذا اختلفنا في التعليم بمصر أيكون للمصريين بالمجان أم بالثمن فلا ينبغي أن نختلف هذا الاختلاف بالنسبة إلى السودانيين ، بل يجب أن يتعلموا في جميع المدارس المصرية بالمجان ، ويجب أن تهيأ لهم إلى جانب ذلك وسائل الحياة المطمئنة وتيسر لهم المشقات التي تنشأ من الانتقال من بيئة إلى بيئة ، ويجب على الحكومة المصرية ألا تكتفي بذلك بل تبذل كل الوسائل لإغراء السودانيين بالتعليم في مصر . وهنا قال الدكتور : لقد احتملت مصر الامتيازات الأجنبية أربعة قرون ، فمن واجبها أن تجمل للسودانيين امتيازات في التعليم نحو نصف قرن حتى يصلوا إلى المكانة التي وصلنا إليها فتعوضهم بذلك عما لحق بهم من ظلم في الماضي ؛ وإلى أن يمكن إنشاء المدارس في الجنوب كما في الشمال ، يعد أي نوع من تعويق تعليم السودانيين في مصر إجراماً في حق الوطن

تشجيع التأليف المسرحي :

وضعت اللجنة المالية بمجلس النواب تقريرها عن ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . وقد جاء في هذا التقرير أن اللجنة رأت رفع الاعتماد المخصص لمكافآت المؤلفين للمسرح من ٥٠٠ جنيه إلى ١٥٠٠ جنيه ، لأنها رأت أن المبلغ الأول تافه إلى حد نأى بكبار الكتاب عن الدخول في ميدان التأليف المسرحي مما أدى إلى حرمان المسرح المصري من جهود أولئك الكتاب وهبط بالمستوى الفني للمسرحية المصرية في الآونة الأخيرة بصفة عامة .

وسائل النهوض بالسينما :

ومما جاء في ذلك التقرير خاصاً بالسينما أن اللجنة رأت في العام الماضي ضرورة وضع تشريع ينظم صناعة السينما في مصر ، ويضع حداً للعوامل التي أدت إلى هبوط مستواها الفني ، فقد كانت صناعة السينما في مصر قبل الحرب مزدهرة ، وكان لإقبال الأقطار الشقيقة وترحيبها بالأفلام المصرية أثر بارز في هذا الازدهار ثم زاد ازدهارها إبان الحرب لعدم ورود الأفلام الأجنبية ، لكن رجال المال تدخلوا في هذه الصناعة بغية الكسب ، واستعانوا ببعض الفنيين الذي لم تتوافر لديهم الدراية الكافية في هذا الفن لحمل هذا العبء ، ومن ثم هبط المستوى الفني ، مما أثار الشكوى من ضعف الأفلام . وإلى جانب هذا التشريع رأت اللجنة وجوب إيفاد بعثة فنية إلى الخارج لتزود بأحدث ما وصلت إليه هذه الصناعة ، كي تساير نهضتنا السينمائية جميع مراحل التطور السينمائي . ولكن الوزارة لم تخط نحو هذا العلاج أية خطوة ، فالتشريع لم يصدر ، والبعوث لم توفد . لهذا تكرر اللجنة رغبتها في وضع هذا التشريع سريعاً كما ترى إدراج الاعتماد اللازم في ميزانية إدارة البعثات لإيفاد أربعة شبان إلى أوربا وأمريكا لدراسة فنون الإخراج السينمائي وغيرها مما يتعلق بصناعة السينما . وتقترح اللجنة لدعم هذه الصناعة وتوجيهها إنشاء مجلس أعلى للسينما يضم الفنيين الممتازين ، وترى اللجنة أن من وسائل التشجيع وضع جوائز قيمة للذين ينتجون أحسن الأفلام العربية فنياً واجتماعياً ، لأن هذه الجوائز تحفز كبار المنتجين على خوض هذا المضمار . واللجنة لا تردد في أن تخطو هذه الخطوة من جانبها فترى إدراج ٥٠٠ جنيه جائزة لأحسن فلم ينشأ خلال العام ، على أن يكون المجلس الأعلى هو الحكم في وضع شروط هذه الجائزة وتقدير العمل ومنحه الجائزة التي يستحقها .

العباس



التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود :

جاء فى مقال الأستاذ عبد المتعال الصعيدى المنشور فى العدد (٧٦٤) من (الرسالة) الغراء تحت هذا العنوان مايلى : « ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لامرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله... الخ »

قلت : إن هذا لا يتسق والتسلسل الزمنى للتاريخ ، اذ كيف يقضى الروم على دولة اليهود ويجلوهم من فلسطين لأنهم كذبوا المسيح وحاولوا قتله قبل ظهوره ؟

والذى تذكره المراجع التاريخية أن الروم احتلوا أورشليم على يد قائدهم بمبيوس قبيل ظهور المسيح ، وظلت البلاد تحت حكمهم حتى استولى عليها العرب زمن الخليفة العادل عمر ابن الخطاب .

أما تدمير أورشليم وتشتيت شمل اليهود للمرة الثانية فى التاريخ — بعد وقيعة نبوخذ نصر بهم — فكان سنة ١٣٥ ميلادية فى عهد الأمبراطور الرومانى دريانوس ، وذلك بعدان نفد صبر الروم من كثرة الثورات التى كانوا يقومون بها والدسائس التى يدسونها ولن تقوم لهم قائمة إلى ماشاء الله ...

وللأستاذ الصعيدى تحياتى وإعجابى .

(بغداد) — **على الشوبكى**

الى الأستاذ علي بك حلمي :

جاء فى عدد الرسالة (٧٦٤) فى مقالك « القتل فى الشرائع » أن استشهدت على القتل فى الأنجيل بما جاء فى هذه الآية :

« سمعتم إنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيسر فحول له الآخر أيضاً » .

وهذه الآية لا تتضمن فى معناها سوى الحض على التسامح وعدم مقابلة الشر بمثله ، ولا نلمح فيها جانباً يشير إلى القتل ؛ وقد ذهبت نتيجة لذلك إلى أن الإنجيل تساهل فى عقوبة القاتل . والصحيح أن الإنجيل نص على عقوبة القاتل نصاً صريحاً فى الآية التالية من انجيل متى :

« سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال يا أحمق يستحق نار جهنم » .

فاذاً نستنتج مما تقدم أن الإنجيل لم يحرم القتل ووضع له عقوبة فحسب بل حرم ماهو أقل منه بدرجات .

الرملة — فلسطين — **رزق عيسى زعرور**

أسس التعليم الأولي :

أخرج الأستاذ « خورشيد عبد العزيز » المعلم بمدرسة « دميرة » باكورته الأولى . أسس التعليم الأولى فى مصر « وكان ذلك نتيجة سنوات قضاها المؤلف فى مزاولة مهنة التعليم ، وهو فى كتابه هذا يعالج مشاكل مختلفة تمس المعلم والتلميذ وغير ذلك مما هبط بذلك الضرب من التعليم . وهذه المشاكل إن عولجت فستظهر ثمرات التعليم الأولى فى مصر ، وسيلمس المواطنون تلك الرسالة التى يؤديها المعلم الأولى . ولم ينس المؤلف أن يسجل فضل رجالات مصر العاملين على نهضة التعليم وفى مقدمتهم أستاذنا الجليل الزيات وإنا لنحيي فى المؤلف هذا المجهود والله ولى التوفيق .

على زين العابدين منصور

تنبيه لا بد منه :

كثيراً ما يخلط الكاتبون بين استعمال (ثم) العاطفة و(ثم) التى بمعنى هناك للشيء البعيد دون القريب ، وذلك بالحاقهم التاء المفتوحة والمربوطة على كليهما دون مراعاة الأصل . والصواب

ألا يدخل (ثم) العاطفة سوى التاء المفتوحة لا غير . كقول من قال :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

أو كقول الآخر .

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لايعنينى

أما (ثم) المكانية التى بمعنى هناك ، فلا يلحق بها إلا التاء المربوطة تمييزاً لها عن اختها العاطفة ..

وكلاهما يستعمل فى لغة البيان ، غير أن ثمت العاطفة ترد فى الأعم الأغلب فى الشعر دون النثر وذلك للضرورة التى يقتضيها الوزن فى سياق القصيد . فتنبه شكر الله لك .

(الزيتون) عدنان

المجمع اللغوى وتشجيع الانتاج الأدبي:

وافق المجمع اللغوى على اجراء مسابقة جديدة لتشجيع الانتاج الأدبى وتوزيع جوائز على الفائزين على الأساس الآتى :

مائتا جنيه لكل من أحسن انتاجاً من الشعر العربى الفصيح سواء كان مخطوطاً أو مطبوعا ومن أحسن قصة وضعت بالعربية الفصحى سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة منذ أكتوبر الماضى إلى أكتوبر القادم على الانقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط .

ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أثر الحروب الصليبية فى الأدب العربى فى مصر والشام . ومائتا جنيه لأحسن بحث بالعربية الفصحى عن أبى الفرج الاصفهانى وكتاب الأغانى والا يقل البحث المقدم فى كليهما عن مائتى صفحة من القطع المتوسط .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع اللغوى صورتين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المتقدم للحصول على الجائزة وذلك فى موعد لايتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ والمجمع سيحتفظ بنسختى الانتاج الفائز وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل صورة يقدمونها وتقدم الموضوعات المتبارى عليها باسم لجنة الأدب بالمجمع .

قصة فتاة

(بقية المنشور على صفحة ٣٢٦)

كتفها قد تدلت فى فراغ الخصر واستقرت على الجانب ؛ وشفتاها القرمزيتان قد انفرجتا عن ثغرها الشتيت لتلقى التعبية ثم تواصل الحديث . وكانت الجوقة حينئذ تعزف لحناً رقيقاً رفيقاً ينسجم مع شحوب الضوء وهدوء المكان ونشوة الجلاّس ، ولكنها جعلت الموسيق دَبْر أذنها وفضلت أن تتكلم على أن تسمع ، فأخذت تناقلنى على الطعام شهى النوادر وطلىّ الأخبار حتى جرها الحديث إلى أنشودتها الغرامية المعتادة ، فعطفتها برفق إلى حديث يوم الأحد الماضى وسألتها : لعلك فى هذا الأسبوع قد وجدت النور الذى تفتقدين ، والسلام الذى تنشدين !

فقالت وهى تنفض رأسها إلىّ : أى نور وأى سلام وقد شد الله عضد شيطانى بشياطين أُخر ؟ لقد وجدت فى بنت أختى وأترابها من الإغواء ما يضل العابد بلفظة ، ويفتن الراهبة فى لحظة !

فقلت لها : إذن لا بدّ من الرجوع إلى العزبة .

فقالت : أرجع إلى الوتد والحبل ؟ لا يا سيد سيجان ! دعنى بربك أجرب حظى مع الذئب !

لم أكن بعد ذلك فى نصيحتى لبلانكيت إلا كمن يرقم على ماء أو ينفخ فى رماد ، ففوضت أمرها إلى الله ثم افترقنا على غير ميعاد .

(للقصة بقية) احمد حسن الزيات

تصويب :

فى مقالة (تسعة قروش) فى العدد (٧٦٥) :

فاستقرا على ما فى يدى	صوابها فاستقر على ما فى يدى
غوايتهم إليها	« توانبهم إليها
حرباً عليه ليس معها	« حرباً عليه حرباً ليس معها
فأفرضت روعهما	« فأفرخت روعها ؟
درت أمس بشحاذة	« مررت أمس بشحاذة
يرى أطفال الناس	« وهو يرى أطفال الناس
ولكن أهذا ذنب	« ولكن هذا ذنب

وفى مقالة (حكمة القدر) فى العدد (٧٦٣) :

يذكر الإيمان	صوابها يؤكد الإيمان
فاكشفه حاجة	« فاكشفه صاحبه



ديوان أبي فراس الحمداني

حققه وحرّره ووضع فهارسه

الدكتور سامى الدهان
دكتوراه دولة فى الآداب من باريس مع مرتبة الشرف الممتازة

العصر الحمدانى من أزهى عصور الأدب العربى عاش فى ظله جمهرة من الشعراء خلد شعرهم على الزمان ، وحفظت لهم العربية تراثهم فى بطون الكتب يتداولها جيل بعد جيل مخطوطة بعد مخطوطة حتى كانت الطباعة فلم يلقوا منها ما لقى أقرانهم ، ولم يظهروا على نورها كما ظهر أندادهم ؛ فظلوا ظلماً لا يقره الأدب الرفيع وفيهم : النامى والناشىء والصنوبرى وكشاجم وأبو فراس والسرى الرفاء ، وكلهم فحول أقوياء لو تفرقوا على العصور العربية لسكان كل منهم واحدها .

ولكن هذا الظلم قد انتهى — والحمد لله — فيما نعتقد ، وانقضى أجله فيما نرى ، بعد أن تصدى لهذا العصر الحمدانى من عاصمة بنى حمدان فى القرن العشرين الأديب الباحث المحقق الدكتور سامى الدهان ، يسمى فى جمع تراث العصر الحمدانى كله ليظهره على الناس كاملاً يزهو فى القرن الرابع عشر الهجرى كما كان فى القرن الرابع . فهو يعمل فى اختصاص دقيق كما يعمل علماء الغرب لشعرائهم سواء بسواء .

وهو إذ يخرج لنا اليوم « ديوان أبى فراس الحمدانى » نرى فى طيات عمله تهيئة كاملة ، وإعداداً شاملا لشعراء العصر كله ، نرجو أن نرى أثره قريباً فيما ينشر من نصوصه ويظهر من متونه . ونلمس هذه المعرفة الشاملة للعصر الحمدانى مما أثبت لنا حضرة الناشر فى حواشى « الديوان » وتعليقاته ، من وقوف على مخطوطات العصر ، وشغف بمراحله ، واضطلاع بكل ما فيه من شعر ونثر ، وتاريخ وسير .

ونرجو أن يزهو الشعراء الحمدانيون جميعاً بعد قليل بدواوينهم كاملة كما يزهو اليوم « أبو فراس » بديوانه الجديد الذى حققه ونشره الدكتور الدهان بعد جهد نافع طويل وجد مثمر كبير ، فقد مضى الشاعر وخلف بعده ما شدا به فى جولاته ، وما كان منه مع تلك الحياة القريبة ما بين طرفيها ، من شعر جمعه ديوانه على تقصير فى الاستيعاب ، وتخلف فى تحرير الكلمات ، وجنف عن إقامة الأوزان ، وبعد عن التيسير بالضبط والشرح .

وغبر الديوان يخرج من طبعة إلى طبعة حاملا مع الأوزار الأولى أوزاراً أخرى ، والناس قانعون من شعر الشاعر بما صح لهم فى مبناه ومعناه ، أو بما لان لتوجيههم فاستقام ، متخففين مما استعصى على الفهم ، وند عن الإقامة ، فعاش من الديوان قله . هذا غير شعر غاب عن النشر كثير خفى بخفائه جانب من حياة صاحبه ، وأخفى الاستغلاق جانباً آخر . وما لدراسة يتنازعها هذان نجاء من الزلل أو قرب من السداد .

ذكرت ذلك كله وأنا أنظر فى ديوان أبى فراس الجديد الذى أخرجه حضرة الباحث المحقق ، فقد وجدتنى بين أجزاء ثلاثة كبار تربى صفحاتها على الثمانمائة ، فى ثوب جد أنيق . وكنت أجدنى بالأمس القريب بين صفحات تبلغ المائة أو تزيد عنها ، فى رثاثة وبذاذة . وجدتنى أطالع جهداً جديداً على النشر فى الشرق طالما رقبناه ورجوناه ، فهذا استقصاء فى المقابلة بنسخ من الديوان جاوزت الأربعين خف إليها الدكتور يحصيها ويجمعها ، وكانت هنا وهناك فى مكتبات الشرق والغرب ، أفادت الكثير بما زادت وحررت . وهذا شرح لابن خالويه على الديوان بين تمهيد لقصائده وتفصيل لحوادثه وإبانة عن غوامضه لا عهد للناس به من قبل . وغير هذا وهذا مما جاء من إشارات إلى أماكن شعر أبى فراس من كتب الأدب والتاريخ ، وفيها نفع واستئناس . ثم ما كان من إشارات إلى أماكن الحديث عن أبى فراس فى هذه المراجع . صنع الدكتور الدهان بديوان « أبى فراس » هذا وغيره فوفاه ضبطاً وشرحاً وزوده بفهارس عشرة ، بعضها للشعر المروى فى كتب الأدب والتاريخ ، وبعضها لما تفردت به هذه الطبعة ولم يحمله ديوان لأبى فراس قبل ، وبعضها للمعانى والأبواب ، ثم القوافى والأعلام والقبائل والأماكن والكتب والموضوعات .

ذاك عدا دوحة انتظمت بأصولها وفروعها الأسرة الحمدانية كما استخلصها الدكتور الناشر من شعر الشاعر وما ضُمنته المراجع . وعدا جدول تكاد العين تضل فى سمته جمع المقابلات

بين القصائد والنسخ الخطية فى بسط واستيفاء .

هذا ديوان أبى فراس الجديد يدلل على ما بذل فيه من جهد وما حمل فى سبيله من عناء . وقد حبس الدكتور الناشر على هذا العمل نفسه سنين عشراً بين إعداد وطبع . وما عشر سنين بكثير على مثل هذا العمل الجليل . وما أحوجنا ونحن بسبيل إحياء نصوصنا القديمة أن تكون لنا التفانة إلى مثل هذا الاستقصاء لا نبالى امتد بها الأجل أم قصر .

وبين أيدينا مؤلفات عنى بها مستشرقون كتب لها الخلود وليس عليها إلا أن تعاد طبعاً ؛ وليس بدونها إن لم يفضلها أبو فراس الحمدانى . فما فى الظن أنه تبق لأبى فراس شىء فى عالم الغيب لم يهتك عنه الدكتور الدهان ستراً ، ولا مكتوبة من ديوانه لا تزال سراً . فما أحقه من عمل بالثناء ، وأجدره من نهج بالجزاء ، وأولاها من طريقة بالاقتداء ...

ابراهيم الابيارى

ابراهيم بن سيار النظام

تأليف الدكتور عبد الهادى أبو ريده

كتاب فلسفى أخرجه منذ عهد غير بعيد الدكتور عبد الهادى أبو ريدة المدرس بكلية الآداب وقد عرض فيه حياة النظام وآراءه الفلسفية سواء كانت آراء طبيعية تتصل بالجسم والحركة والخلق والكمون والتداخل ، أو آراء اخلاقية أو سياسية تتصل بالخير والشر والجبر والاختيار والإرادة والاستطاعة ، عرضها فى نهج نظيم وأسلوب قويم . وقد تحدث الدكتور أبو ريده إلى جانب هذا عن النظام من الناحية الفكرية فبين رأيه فى الحديث ومسائل الفقه وتفسير القرآن وإعجازه ، وذكر طرفا من أدبه وشعره ، ولكنه طرف موجز مقتضب ؛ فالكتاب كتاب فلسفة وليس بكتاب أدب . وقد خصص الدكتور أبو ريده فصلين فى الكتاب أحدهما عن الله والآخر عن الإنسان لعلهما أروع ما فى الكتاب .

ولى كلمة موجزة أحب أن أوجهها إلى الدكتور أبو ريده بمناسبة إخراجه كتاب النظام والتمهيد للباقلانى وهى أننا كنا ننتظر منه شيئاً آخر ؛ فالدكتور أبو ريده يكاد يكون المانيا فى حياته الخاصة ولا يرى إلا متكلما بالألمانية بين ردهات الكلية ؛ ولكن للأسف لم تستفد المكتبة العربية من المانيته شيئاً يذكر . وخليق به أن يترجم لنا عيون كتب الفلسفة الألمانية ويحدثنا عن الفلاسفة الألمان حديثاً مستفيضاً صحيحاً . ويظهر أن الدكتور يحس بقلة إنتاجه الفكرى وقصر مدة تدريسه بالجامعة وهى سنتان فيلجأ إلى تلاميذه وغير تلاميذه فى البحث ومراجعة التجارب . والواقع أن الأستاذ أبو ريده فى وسعه أن ينتج كثيراً وأن ينتج شيئاً مرضياً أيضاً ولكنه يؤثر العافية ! كتاب النظام كتاب قيم ما فى هذا شك وقد ألجأ إلى تحليله فى فرصة أخرى .

ابراهيم جمال الدين الرمادى

شباب قريش

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

خصبة ممتعة تلك الأبحاث التى تكشف لك نواحى محجبة لم يجس خلالها فكر ، ولا حلق فى أرجائها خيال ؛ فتكون بمثابة الرائد فى عالم الفكر ؛ يشوقك ويحفزك إلى التطلع والمغامرة بما يعرضه من صور وما يغريك به من مشاهد ؛ فيكون أثرها فى إثارة الهمم وشحذ القرائح عميقاً مثمرا من هذه الأبحاث — شباب قريش — فى العهد السرى للاسلام — فقد تناول — المؤلف — جانباً من تلك الجوانب الكثيرة المتشعبة فى حياة الدعوة الإسلامية ، وهو أثر هذه الدعوة فى نفوس الشباب وتدفق تيارها القوى الفعال فى نضارة قلوبهم الزاخرة الجياشة وكيف كان إنفعال هذه النفوس بها وإيمانهم بمادئها ! حتى غدت تلك المبادئ وقد أصبحت جزءا من كيانهم الروحى والعقلى والخلقى ؛ فوثبت تلك المبادىء بشبابهم واكتست الدنيا من إخلاصهم ونشاطهم ذلك الرداء الروحى والاجتماعى ؛ البهيج حول تلك الرسالة وتلاقى شباب قريش لها وبذل كل ما يدخل فى الطوق بذله فى سبيل تبليغها والتمكين لها .

أقام المؤلف هذا البحث فوفق فى تجلية هذه الناحية وفتح لنا طريقاً جديداً لمن يريد أن يعالج هذه النواحى من الجانب النفسى والاجتماعى والتاريخى . وقد مهد المؤلف لتاريخ أولئك الشباب بنظرات عن سبق الشباب إلى الإسلام ، وأثر الشباب فى الإسلام وأسماء الشباب والشابات ؛ ثم أخذ يقدم لك هؤلاء الشباب فى صور موجزة طلية تدعو إلى الإيمان بأن كل دعوة لا يناصرها إخلاص الشباب وحمية الشباب وفداء الشباب مقضى عليها . نأمل أن يحدث هذا الكتاب فى نفوس شبابنا ما أحدثته الدعوة الإسلامية فى نفوس شباب قريش .

محمد عبد الحليم أبو زيد

مطبعة الرسالة

العدد ٧٦٩ — الاثنين ٢٩ مارس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠ ٥ ٢٦

16 em Année No. 769

Lundi — 29 — 3 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٦٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٢٩ مارس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصـــة فتـــاة

— ٦ —

يوم الأحد ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٥ :

أخذت الفتاة منذ يوم الكرسال تطاردنى بالتليفون ثم بالرسائل ثم بالرسل تريد أن نتلاقى فى شرفة فندق من الفنادق الكبرى ، أو فى مقصف حديقة من الحدائق العامة ، فكنت أجيبها بالمعاذير ، أو أعللها بالمواعيد ، أو أدافعها بالمطل ، حتى لجأت آخر الأمر إلى الخديعة فادعت أنها ملت حياة المدينة ، وحنت إلى حياة الريف ، وأنها تود أن تلقانى لقاء الوداع لأنهج لها الحياة التى تحياها فى العزبة ، وأنتقى لها الكتب التى تقرأها فى العزلة ، وأعين لها الغاية التى تتوخاها فى المستقبل . فقلت لنفسى المرتابة : ولم لا يجوز أن يكون الله قد كشف للفتاة عن بصيرتها ، وأراد للشاردة أن تعود إلى حظيرتها ؟ ثم واعدتُها السادسة من مساء هذا اليوم فى شرفة الكنتنتال . فلما التقينا أخذت تبدىء فى العتاب وتعيد ، وتلوم على الصدود وتحتج ، وتعبر عن الشوق وتبالغ ، وأنا قبالتها هادىء النفس ، رزين الشعور ، أسمع عتابها ولا أعتذر ، وأقبل احتجاجها ولا أعترض ؛ حتى إذا قرت الفورة وسكنت الريح قلت لها وقد لاحظت أن لسانها قد طال وأن احتشامها قد قل : أرجو أن تكونى قد سئمت الجبل ولما يلقَك الذئب يا بلانكيت !

فضحكت الفتاة بملء فيها ، ثم قالت : أوه ! أنا أسأم الجبل ؟! لقد وجدت فيه حرية نفسى ومتاع قلبى ؛ أما ذئابه فقد تألفتُها حتى صارت كلاباً ، وأما نموره فقد روضتُها حتى عادت هررة .

— إذن ماهذا الذى تزعمين من أنك عزمت الرجوع إلى العزبة ؟

— ماذا أصنع ؟ جربت الصدق فى استدعائك فأخفق ، فقلت أجرب الكذب !

— أظنك تذكرين أنى عينت مكانك منى فى حديث سبق ، فوضعتك فى موضع البنت أو الأخت أو التلميذة . ولكنك عققت الأب ، وجحدت الأخ ، وعصيت المعلم ! فماذا عساى أن أملك لفتاة ركبت رأسها وظلمت نفسها وأنكرت حِجاها ؟

— تملك أن تكون لها الصديق الذى يضاعف سرورها ويحفظ سرها ؛ وتملك أن تكون لها الفنان الذى يرضى شعورها ويفهم شعرها . إن لروحى ما لجسدى من الرغائب والمتع ؛ وقد أجد ما يلذ النفس والجسم فى ملاهى القاهرة وأفاكيه الناس ، ولكننى لا أجد ما يلذ العقل والروح فى غير لقائك والحديث إليك .

لقد كنت وأنا فى العزبة كلما أحسست أن هواى يستبد ، وخطاى تتعثر ، وخطاياى تثقل ، كتبت إليك بما اعتزمتُ أو اجترمت ، فأشعر بما يشعر به المسلم الذى تاب إلى الله فغسل بتوبته ذنبه ، أو المسيحىّ الذى اعترف للقسيس فمحا باعترافه خطيئته .

كذلك وأنا هنا أحس بأثقال نفسى تبهظ قواى ، فأنا أريد أن أخفف منها بالاعتراف لك بها . وقديماً قالوا : لا ذنب لمن أقر ، والاعتراف يهدم الاقتراف .

ثم استمرت الفتاة تقول دون أن تنتظر تعقيبي على كلامها أو موافقتي على استرسالها :

ظفرت من أختي وزوجها بالحرية التي لا تحفل التبعة ولا تبالي المراقبة ؛ ووجدت في ابنة أختي وصواحبها النمط الذي تجمعه وحدة الهوى وتملكه شهوة المغامرة ؛ فالخروج غير مقيد بسبب ، والرجوع غير محدد بزمن ، والبيت كالفندق يجتمع فيه أهله للأكل والنوم ثم لا يسأل أحدهم الآخر أين كنت ولا متى جئت !

خرجت أول ما خرجت مع زوزو ابنة أختي إلى معارض الأزياء ومجالي الزينة في شارع فؤاد ؛ وكنا ساعتئذ في الضحى ، والشبان يملأون طوارئ الشارع كأنما كانت المدارس في إضراب أو عطلة ؛ فشينا مشية العروس في ثياب الربيع ووشيه ، نقف هنا ونميل هناك ، ونستحسن هذا ونستقبح ذاك ، وزوزو تلمح اللمحة أو تبسم البسمة فتكون مغناطيساً يجذب القلب الحديد ويوهن الإرادة الصلبة . ثم التفت فإذا وراءنا أفراد وأزواج من الأيفاع والشبان والكهول ، يوقّمون خطاهم على ما نرسم ، ويرهفون آذانهم لما نقول . فنبهت زوزو ، فقالت : أعلم ! ثم مالت بي إلى معرض (شملا) فأخذنا نقلب النظر في معروضاته من وراء الزجاج ، حتى وقع في أسماعنا صوت رقيق يدعونا إلى نزهة في (كرزلر) ، فتشاغلنا فكرر ، ثم تجاهلنا فألح ، ثم تصاممنا فجهر ، ثم تجهمنا فزحر ، ثم تضاحكنا فهجم ، ثم التفتنا فأشار إلى العربة ، فسرنا بجانبه صامتتين شامختين كأنما كنا ننتظر سواقنا ليرجع بنا في عربتنا إلى المنزل !

كان للفتى رفيق ينتظره في مكان القيادة من السيارة ؛ فلما رآنا هش بوجهه ورحب بلسانه ؛ ثم فتح الباب ، فركبنا نحن الأربعة إلى جزيرة الشاي ، فشربنا بالأكواب الصغيرة ، وأكلنا في الصحون الكبيرة ؛ ثم ساعدنا المد على الهضم بجولة في الحديقة خرجنا فيها قليلاً عن المألوف من المزح والدعابة . حتى إذا فتر الحر وهبت نسمات الأصيل ، ذهبنا نستنشق أنفاس الصحراء من وراء (مينا هاوس) ؛ ثم عدنا فقضينا الهزيع الأول من الليل في سينما (ديانا) ؛ ثم رجعنا في كرزلر بعد العشاء إلى البيت ، فوجدنا الصالون قد أخذ زينته بمن حضرن من صواحب زوزو ، وكنّ يقضين ساعة انتظارنا في العزف والقصف والرقص . فأخذنا مجلسنا بينهن ، وأخذت كل واحدة منهن تنشر على الأخريات خوافي عينها ودفائن صدرها ، فاستنتجت من جملة أحاديثهن وحوادثهن أنهن يغامرن إما طلباً للزواج ، وإما رغبة في المال ، وإما ابتغاء للهو ، وإما حبا للزهو ؛ فاللائي يطلبن الزواج يتعرضن للشباب أو الأعزاب ، يترصدنهم في كل طريق ، ويتصيدنهم بأي وسيلة . واللائي يرغبن في المال يتوخين الكهول والشيوخ ، فيبذلن لهم ظواهر اللذات أو بواطنها ابتغاء الهدايا من ثياب وزينة وعطر . واللائي يبتغين اللهو يخترن ذوي الوجوه الحسان والطباع الفكهة ، فيساقينهم كأساً بكأس ، ويبادلنهم متاعاً بمتاع . واللائي يحببن الزهو ينشدن أولي الجاه والنعمة ، فيرا كبنهم في العربات الفخمة ، ويجالسنهم في الحفلات العظمى . وهؤلاء جميعاً قد ينجحن ، إلا طالبات الزواج فإنهن بالتجربة يخسرن حيث يرجون الربح ، وينقصن حيث يبتغين الكمال .

تركت زوزو تذهب إلى موعد الشابين في عصر اليوم التالي ومضيت وحدي إلى مواطن الفتنة ومزالق الصبي لأشعر بعزة الاستقلال ، وأنعم بلذة المغامرة . فما كان أدهشني حين علمت من نفسي أني فتانة بالطبع ، خداعة بالفطرة ، ألحظ فيصبو الشيخ ، وأفترّ فيخف الحليم ، وأشير فيعنو المتكبر ، وأطلب فيسخو البخيل ؛ وأقلب في كفيّ النفوس والقلوب فلا أجد نفساً تتأبه عن ضراعة ، ولا قلباً يتأبى على امرأة !

أولعت على الأخص بتجار الكلام من المحامين والصحفيين والممثلين ، لأنهم يحسنون الحديث ، ويجيدون الكتابة ، ويجمّلون الواقع . وقد أغويت منهم حتى اليوم أربعة عشر رجلا بين شاب وكهل ، وغني وفقير ، وكيس وأحمق ! وسأقص عليك حديث كل منهم لتعلم كيف يجعل الله من الرخاوة سلطاناً ومن الضعف قوة . فقلت لها وأنا أصفق للنادل وأتهيأ للقيام :

حسبي يا ابنتي ! لقد رأيت العيّنة وسمت البيّنة . وما أحسبك تذكرين هذه المخازي لتندمي عليها وتتوبي منها ؛ إنما تذكرينها كما تذكر العاشقة ما جرعت من رحيق الحب لتلتذ ؛ وتجترّينها كما تجترّ بلانكيت ما أكلت من زهور المرج لتهضم . لا يغرنك يا مسكينة أنك لقيت أربعة عشر خروفاً في السهل وزيادة ، فإنك عما قليل ستلاقين ذئباً واحداً في الجبل وكفى !

(النهاية في العدد القادم)

أحمد حسن الزيات

بين المهابة والعدل

للأستاذ عباس محمود العقاد

بارك الله في سيرة ابن الخطاب حياً وميتاً . أي رجل كان ؟ إنه ليعمل ما دام يذكر ، وإن أثره بعد موته بأربعة عشر ألف سنة لمن أكبر آثار هذه الحياة الخالدة . فإن أكثر من عشرين ألف شاب في مقتبل الحياة يشغلون اليوم عقولهم ونفوسهم بفهم العظامة العمرية في شتى مناحيها ، وليس أنفع للشاب الناشئ من عرفانه بهذه السليقة العظيمة وهذا الخلق العظيم .

ومن أحب الأشياء إلى أن أتلقى في البريد ، حيناً بعد حين ، سؤالاً من طلاب العلم الناشئين يدل على عنايتهم بالنفاذ إلى حقيقة هذا الرجل النادر الذي يقل نظراؤه في تواريخ الأمم كافة . فإن العقول الفتية لن تسمو في أفق النبوغ بمعراج أشرف من هذا المعراج ولا أوثق منه في أساسه المكين .

وقد أخذت نفسي بالإجابة عن كل سؤال من هذه الأسئلة ينتظره مؤلف الكتاب من قرائه المجتهدين في استيعاب معانيه . وحدّ هذه الأسئلة أن تدور على الموضوع ولا تنحصر في معاني المفردات ، لأن المفردات من شأن المعجمات التي تتداولها الأيدي وليست من صميم الموضوع الذي يرجع فيه إلى المؤلفين .

ومن هذه الأسئلة هذا السؤال من الأديب صاحب الإمضاء قال بعد تمهيد نشكره عليه :

« ... لقد كنا نقرأ في باب إسلام عمر فغمضت علينا نقطة فأردت أن أرسل إليكم كتاباً أرجو فيه التوضيح ، وترددت كثيراً ولكني تشجعت وكتبته . فأود أن تفسحوا صدركم الرحب لهذا السؤال .

« ذكرتم في باب إسلام عمر أنه بعد أن أسلم أبى إلا أن يخرج ليضرب به أناس كما كان يضرب أناساً في سبيل ذلك الدين ، وأنه سار إلى الناس يضربونه ويضربهم إلى آخر ما في هذه القصة ، وهي إن اتفقت مع عدل عمر وحبه للمساواة ، فإنها تناقض مهابته وشجاعته . إذ من كان يجرؤ على أن يمدّ نظره — فضلاً عن يده — إلى عمر رضي الله عنه وهو الذي تنحنح مرة والحجام يقص شعره فما كان من الحجام إلا أن ذهل عن نفسه وكاد أن يغشى عليه . وكذلك في قصة هجرته التي رواها علي رضي الله عنه : قلتم إنها تدل على شجاعة عمر وعدله ، وأنا أرى أن هذه القصة — وإن كانت برهاناً ساطعاً على شجاعة الفاروق — فإنها لا تحمل من معانيها أي شيء من العدل ...

« هذا ما أردت أن أسألكم فيه ... والسلام عليكم ورحمة الله .

فتحي زكي الحداد

بمدرسة شبين الكوم الثانوية

* * *

ولاشك أن سؤال الطالب النجيب له وجهه ، أو له مايسوغه ؛ ومن مسوغاته على الأقل توضيح شيء في علم النفس ، يتعلق بحياة ذلك الرجل العظيم ، كما يتعلق بكل حياة .

فالتناقض لا يكون إلا في اختلاف الأثرين لصفة من الصفات في حالة واحدة ، أو حالات متشابهة .

أما إذا اختلفت الحالات واختلفت الآثار ، فلا تناقض هنالك على الإطلاق .

لأن الاختلاف يؤدي إلى الاختلاف ، ولا يؤدي إلى اتفاق .

ورب عمل واحد يؤدي اختلاف مناسباته إلى اختلاف الحكم عليه ، حتى يكون الحكم عليه في إحدى المناسبات نقيض الحكم عليه في مناسبات أخرى

فأنت تقدم الطعام إلى السائل الجائع فأنت محسن إليه وهو في مقام المحتاج إليك !

وأنت تقدم الطعام إلى صديقك فهو يسرك بذلك كما تسره ، ولا تقف منه في هذه الحالة موقف صاحب اليد العليا من صاحب اليد السفلى ، كما يقولون في مواقف الإحسان .

وأنت تقدم الطعام إلى أميرك فيشرفك أن يقبله ويستجيب دعوته ، ويوشك أن يكون محسناً إليك بقبول طعامك ، ولا تكون أنت المحسن إليه .

والعمل هنا واحد وهو تقديم الطعام .

ولكن اختلاف المناسبة هو الذي يوجب اختلاف الحكم عليه إلى هذا المدى الواسع من الاختلاف .

ونقترب من المثل في إسلام عمر فنقول : إن البطل الرياضي مخيف إذا وقف في حلقة المصارعة ، لا يقترب منه كل مصارع

إلا إذا أنس من نفسه القدرة على الصمود له والأمل فى التغلب عليه .

ولكن هذا البطل الرياضى يعلم تلاميذه ويتعرض لمنازلتهم ويدعوهم إليها ، فيتقدم له أصغرهم وأكبرهم على السواء ، وربما تعمد أن يتمكنوا منه ليريهم كيف يكون التمكن من الخصوم . فلا يشعرون بين يديه بتلك الهيبة التى يشعر بها خصومه عند الجد فى الصراع .

ونقترب خطوة أخرى فنقول : إن الطفل يهاب الرجل الكبير ولا يخطر له أنه قادر على ضربه ، ولكنه إذا علم أن أباه ، أو أن رجلا فى قوة أبيه ، يستدرجه إلى ملاكمته هجم عليه ونسى الفارق بين قوته وقوة ذلك الرجل الكبير .

وعمر بن الخطاب كان يتعمد أن يتعرض للضرب فى ذلك الموقف ، ويسعى بنفسه إلى ضاربيه .

وكان المشركون يعلمون ذلك من عمله ومن كلامه ، ثم يعلمون أنه رد جوار خاله لأنه لا يريد أن يحتمى من ضربهم بذلك الجوار .

ومهما يبلغ من مهابة إنسان ، فإن المهابة لا تمنع أن يتكاثر عليه عشرون أو ثلاثون وهم فى حماسة الغيرة على العقيدة حول البيت وأصنامه . ثم ينجلى لهم الخطأ بعد التجربة « حتى يحجموا عنه ويفتر من طول الصراع » فيجلس وهم قائمون على رأسه يثلبونه ، وتمنعهم مهابته مع ذلك كله أن يجهزوا عليه ، وهو متعب بين الفتور .

وينبغى أن نذكر هنا أن حماسة الدين كانت تضاف إلى مهابة عمر بعد إسلامه ، فإن حماسة المسلم لدينه كانت تزيد مهابته لهذا المسلم العظيم .

أما حماسة الدين فى أنفس المشركين فقد كانت تثور على هذه المهابة ولا تضاف إليها . فهى هنا من أسباب الاجتراء وليست من أسباب التوقير .

***

وقصة الهجرة التى رواها على رضى الله عنه هى كما قال : « ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر ابن الخطاب ، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهماً واختصر عنزته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها . فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ثم أتى المحراب فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم : شاهت الوجوه . لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ! من أراد أن يثكل أمه أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى .. »

وقد عقبنا على ذلك فقلنا « إنه كان فى تحديه هذا لقريش عدتان : شجاعته وعدله » .

والطالب الأديب يقول إنه يرى فى هذه القصة دليل الشجاعة ولا يرى فيها دليل العدل .

وليست الشجاعة والعدل نقيضين .

وإنما تعرف الصفات بالبواعث عليها ، أو بالنيات كما قال النبى عليه السلام . فتكون الشجاعة على الظلم على قدر النفور منه وانطباع النفس على الإنصاف .

ولو كان ابن الخطاب يقصد إلى الهجرة وكفى لما كانت به حاجة إلى هذا التحدى فى حرم الكعبة .

ولكنه تحدى الظلم من فرط شعوره بالعدل .

وقد كان يشتد على المسلمين وهو مشرك ، فليس من الإنصاف أن يتراجع عن المشركين وهو مسلم .

ولقد رأينا أن صديقه أبا بكر لم يستثره بكلمة حين أراد أن يستثيره لحرب الردة كانت أفعل فى نفسه من قوله : أجباراً فى الجاهلية وخواراً فى الإسلام ! .

فكانت شجاعته هنا منوطة بعدله ، وكان عدله هو الذى أوجب عليه أن يقدم بعد إحجام ، ولم يكن إحجامه لقلة الشجاعة فيه ؛ بل أحجم حتى لمس موضع العدل فى المعاملة ، فأشفق أن يكون له ميزان فى الجاهلية وميزان فى الإسلام .

إن الشجاعة تصدر فى النفس من بواعث كثيرة :

تصدر من حب الاستعلاء فلا تبالى بظلم الضعفاء .

وتصدر من حب الإنصاف فلا تبالى بقوة الطغاة .

وتصدر من الطمع أو من السورة الحيوانية ، أو من جهل العواقب ، أو من غفلة الحس عن مواطن الخوف .

فأى هذه الشجاعات كانت شجاعة ابن الخطاب ؟

إنها شجاعة الرجل المطبوع على العدل ، والرجل الجرىء على

الظالمين ، والرجل الذي يأبى أن يصيب مخطئاً وأن يسلم من المصاب كما أصيب غيره من المسلمين .

ولو لم يكن حب العدل مصدراً من مصادر تلك الشجاعة لكفاه أن يهاجر ، وأن يدخر شجاعته لمن يلقاه ، حين يلقاه .

ولكنه تحدى المشركين ؛ لأنه كان من قبل يتحدى المسلمين ، وكان هذا التحدى هو المقصود . ولم تكن شجاعته هي المقصودة لأن شجاعته تثبت له بلقاء من يتعقبونه ، حيثما تعقبوه .

أما العدل فهو الذي يوحى إليه ألا يكون الظالم في نظره أعز من المظلوم .

ذلك هو عمر في صميم ضميره . شجاع لأنه عادل لا يقبل الظلم ، وعادل لأنه شجاع يقدر على الظالمين . وقد تنفصل طبيعة الشجاعة وطبيعة العدل في نفس غيره .. أما في نفسه الشريفة فلا تنفصلان

رحمه الله ونفع الناس بقدوته العالية ما ذكره الذاكرون .

عباس محمود العقاد

هيئة الأمم تترنح وتتداعى

للأستـــاذ نقولا الحداد

مات مشروع التقسيم (تقسيم فلسطين) ومات معه هيئة الأمم، ثم مات وليدها « مجلس الأمن » . فإن تكن الأم وابنها لم يموتا بعد فإنهما في حالة النزع . ولن يسير في جنازتها سوى بني إسرائيل الذين كانوا ينوون أن يجعلوهما مطيتين للوصول إلى عرش السيادة على العالم ولكن العناية الإلهية لا تشاء أن يكون سطح الكرة الأرضية كله أرض الميعاد ، ولا أن يكون أرض ميعاد على مدى الزمان . إن هؤلاء الناس قد خدعهم غرورهم وغرر بهم وعد موسى أولاً ثم وعد بلفور ثانياً . فمشوا في طريق وعر ، فإذا هم يقعون في واد عميق تحطمت فيه آمالهم كلها .

ظننا أن الحرب الأخيرة كانت عبرة لساسة الأمم يتعلمون منها أن الجنس البشرى لا يعمر على الأرض إلا على أساس السلام ، وأن السلام لا تقوم له قائمة إلا على أساس العدل ، وأن المرشد إلى العدل هو الضمير الصالح ؛ كذا كنا نظن ، فإذا بنا نرى حمامة السلام على الأرض مذبوحة تتخبط بدمها .

وكنا نظن أيضاً أن هؤلاء الساسة أدركوا في نور الحكمة السياسية أن الناس وهم أمم متفرقة يتعذر أن تتفق مصالحهم وتهمد غلواء مطامعهم في هذا العصر الذي تهدمت فيه الحدود بين الممالك ، وأصبحت الأمم متشابكة في المعاملات رغم أنوفها ، فيصعب أن يتفق ساستها على الاتحاد الاجتماعي ، واصطنعوا للجنس البشرى كله نظاماً عاماً يربط بعضهم ببعض ويتفادون به الاحتكاك المثير لحروب عالية . فإذا بنا نراهم يزيدون شقة الخلافات بينهم اتساعاً بحيث يستحيل الوئام والسلام .

ثم رأينا أنهم أنشأوا المنشأة العظمى — هيئة الأمم — ثم المنشأة الصغرى — مجلس الأمن — التابعة لها ، فاستبشرنا باهتداء الوجدان العالمي إلى أن السبيل الوحيد إلى اتحاد الأمم وتفادى خصوماتها هو إنشاء دولة عالية كبرى تجمع جميع الدول وتقيم لها نظاماً عادلاً عاماً ينصفها بعضها من بعض ويوزع أسباب المعايش لها جميعاً بالتساوى المتناسب . وأملنا أن العالم سيعيش في ظل هذا النظام الدولى بسلام متمتعاً بما أسبغ الله عليه من نعم الأرض .

هذه كانت أمنية جميع الناس المفكرين في كل دولة على الكرة الأرضية .

ولكن واأسفاه ما لبثنا أن رأينا أن « ريمة عادت إلى عادتها القديمة » — عاد التنازع الدولى أشد فجوراً منه قبل الحرب . رأينا أن هيئة الأمم ليست برلماناً دولياً كما كنا نظن ، ولا مجلس الأمن وزارة دولية كما اعتقدنا ، بل رأينا أن هذه الهيئة ليست إلا ساحة لاقتسام الغنائم ، وأن اجتماعات وفودها ليست إلا مؤامرات فظيعة لتناهب هذه الغنائم بأشكال مختلفة ، كل دولة على قدر مالها من حول وطول ، وإذا بالقوى يمعن بالنهب والسلب والضعيف المنهوب يصرخ متألماً من تمزق لحمه عن عظمه .

يعنى أن هـذا النظام الدولى الجديد لم يكن إلا مجماً شيطانياً جهنمياً ينذر العالم بثورة عالية قادمة مآلها هلاك الجنس البشرى أو انقراض المدنية على الأقل .

جمل الميثاق الإنلانتى دستوراً لهيئة الأمم . وهو يقضى بأن تلغى الإنتدابات وتبطل الحمايات وتنتهى الاحتلالات ويترك لـكل أمة أمر مصـيرها تقرره بنفسها كما تشاء ، وأن تكون حقوق الأمم كحقوق الإنسان ، والحرية والإخاء والتساوى فى الشؤون السياسية . وإذا بنا نرى مجلس هذه الهيئة يخالف جميع نصوص الميثاق من غير تورُّع وليس عنده حرمة لدستوره أو لأى قانون دولى .

فيسمح لإنكلترا مثلا أن تبقى جيوشها فى مصر والسودان والعراق وغيرها . ويقرر بأن تذبح فلسطين وتشطر شطرين يعطى منهما شطر لشعب أفاق ملمم من ممالك مختلفة لـكى ينشىء لنفسه دولة جديدة دينية فى فلسطين ، فى حين أن دساتير هذا العصر لا تعتبر للدين دولة أو مملـكة .

لا لزوم لإيراد أمثلة أخرى لتمرد هذه الهيئة على دستورها وعلى الميثاق الذى استندت إليه . فـكأنها حكومة عالية . ولـكن بلا دستور ولا قانون ولا وازع عن الاعتداء والطغيان . ولا مستند لها فى أحكامها إلا المطامع الأشعبية . فهل يمـكن أن تستقر حـكومة أو دولة أو هيئة دولية على أسـاس التناهب والإعتداء والجشع ؟

ما فقدت هيئة الأمم هيبتها بسبب أنهـا لا تحرز قوة لتنفيذ أحـكامها ، بل فقدت هيبتها لأنها فقدت ثقة العالم بها ، وإلا لزودها العالم ببوليس دولى ينفذ قراراتها العادلة . ولـكن العالم رأى أنها لا تستند إلى القوانين القويمة فى أحـكامها وخشى أن تتورط فى الظلم والعسف فتاب عن تأييدها . ولهذا يتحفز العالم لنعيها .

إن التـاريخ منذ نشوئه إلى مئات القرون التى عبرها يذيع بصوت جهورى وبصراحة أنه ما من دولة أو مملـكة صمدت جيلا أو بضعة أجيال على مخالفة القوانين القويمة ونقض النظم الصالحة بل كان الاستبداد والاعتساف ونقض القوانين أسباباً لتقوض أركانها وتداعى بنيانها وتضعضع كيانها .

إن هيئة الأمم هذه تترنح الآن متداعية للسقوط لذلك السبب عينه وهو السبب الطبيعى لسقوط كل بناء اجتماعى وهيئة ودولة ونظام بشرى وحكم إنسانى منذ نشأ الإنسان اجتماعياً إلى الآن .

فلننبك هذا النظام الاجتماعى العالمى (هيئة الأمم) الذى كنا ننشده ونتمنى أن يكون فتحاً جديداً لملوك السلام على الأرض .

ما أسخف هذا الإنسان .

بل ما أسخف أساطين الساسة هؤلاء .

إذا كان رجل واحد يضحى بالعدالة ويفادى بالسلام ويذبح الحق ذبحاً على مذبح أنانيته — إذا كان يفعل هذه وا كثر منها لـكى يرقى إلى كرسى رئاسة الولايات المتحدة فهل نحسب هـذا الرجل إنساناً صالحاً للحكم ؟ هل يصلح هذا الرجل أن يدير شؤون أمة مؤلفة من ١٣٥ مليون نسمة فى الدرجة العليا من الرقى ؟ وبمـاذا نميز بين الرجل الذى يضحى بسلام العالم وأمن الأمم الصغيرة ومصالح شـعبه الحيوية على مذبح شهوته وغرامه بالرئاسة — بما ذا نميزه عن إبليس الرجيم ؟

لا يتورع عن أن يرصـد ٣٠٠ بليون ريال لحرب قادمة قد تـكون ماحقة ساحقة . لا يتورع بأن يغتصب من ملايين الأمة هذه البلايين لـكى يجعلها وقيداً لملايين الشباب فى حرب أصارها على الأبواب .

مهلا يا هذا إلى أن يتنفس العالم الصعداء بعد هلاك الملايين من الأرواح وضـياع الملايين من الأموال . مهلا إلى أن يشبع الجائع ويدفأ العريان ويرتاح المتعب .

إن عصر الآلات الذى نحن فيـه كفيل بأن يعيش الناس كلهم برغد فى عمل أسبوع واحد من كل شهر وأن يرتاحوا أربعة أسابيع . ولـكن هؤلاء الساسة الأشرار لا يتورعون أن يستغلوا الناس شهراً كاملا لـكى ينفقوا تسعة أعشار نتاجه فى التقتيل والتخريب .

من أين يأتى ترومان بثلاث مئة بليون لأجل الحرب ؟ أليس من مجهود قومه فى العمل مدة ٣٠ يوماً فى كل شهر .

ليست هذه الجريمة جريمة ترومان وحده ، بل هى جريمة كل سياسى من ساسة العالم الذين يلعبون بشؤون الأمم .

لقد نُـكب العالم بطبقة من الناس ليست على قدر كاف من العلم ولا على شىء من الحـكمة ولا على ذرة من الضمير الصالح .

ألا رحمة الله على أفلاطون الذى توصل بحكمته (فلسفته إلى معرفة أن الدولة لا تصلح لإدارة شؤون الأمة ولا تعيش

طويلا إلا إذا تولى أمورها فلاسفة . لأن الفلاسفة تنطبع نفوسهم على حب العدالة بحكم فلسفتهم . وإدارة الدولة لا تحتاج إلا إلى كثير من العدالة وقليل من العلم .

الأمم الآن فقيرة بفلسفة أفلاطون وغنية بفلسفة نيتشه الذى نادى بالسورمان (الإنسان المتفوق) . فتفوق من أتباعه على غرار فلسفته غليوم الثانى وهتلر الأول . فذهبا ضحية فلسفته — رحم الله الثلاثة جميعاً .

نقولا الحداد

ومضــــات فــكر

للاستاذ أنور المعداوى

أفق ... وأفق !

مسيو أندريه جيد — كما لا يخفى على القراء — عميد من عمداء الأدب الفرنسى المعاصر ، وكاتب لم يشأ أن يحتل مكانه فى الأكاديمى فمرانسيز ، وهو بعد ذلك قد ظفر بجائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٤٧ ، ولكن منزلته الأدبية ظلت فترة طويلة وهى مترجحة بين آراء النقاد من خصومه وأنصاره ؛ أما خصومه فينظرون إليه نظرة قوامها أن شهرته أكبر من علمه . ومازلت أذكر رأى الناقد الفرنسى هنرى بيرو فى أندريه جيد حين وصفه بأن عقليته منظمة ولكنها قليلا ما تبدع ، وأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ! وكنت أقول لنفسى إن بيرو ينفس على الرجل شهرته ، وإن رأيه فيه رأى أملاه الهوى ولعل ما بينهما من خصومة قد دفعه إلى أن يهاجم فنه بهذا النقد الذى يفيض قسوة وصرامة .

كنت أقول لنفسى هذا قبل أن أقرأ « الباب الضيق » لأندريه جيد ، ورسالته إلى معربه حين سأله أن يأذن له بنقله إلى العربية ... ولكنى رجعت بذاكرتى إلى الوراء بعد أن قرأت رسالة الأديب الفرنسى إلى معرب كتابه ؛ رجعت بذاكرتى إلى رأى هنرى بيرو فى أندريه جيد حين وصفه بأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ، وانتهيت إلى أن بيرو قد يكون متجنيا فى اتهاماته الأخرى ، ولكنه لم يعد الحق حين رمى جيد بضيق الأفق ! ولعل أقوى دليل يمكن أن أقدمه إلى القراء هو أن أنقل إليهم فقرات من رسالته إلى معرب كتابه « الباب الضيق » يقول فيها « ... ترجمة كتبى إلى لغتكم ؟ إلى أى قارىء يمكن أن تساق ؟ وأى الرغبات يمكن أن تلبى ؟ ذلك أن واحدة من الخصائص الجوهرية فى العالم المسلم ، فيما بدا لى ، أنه وهو الإنسانى الروح يحمل من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة . أمخطىء أنا ؟ هذا ممكن . ولكنى لا أحس قط كثير قلق فى نفوس هؤلاء الذين كونهم القرآن وأدبهم . إنه مدرسة للطمأنينة قلما تغرى بالبحث ، وهذا فيما أظن هو الذى يجعل تعليمه محدوداً ! وأحسب أن ليس فى كتبى كلها أبعد عما يشغل نفوسكم من كتابى « الباب الضيق » ، فيم يستطيع هذا الظمأ الصوفى الذى صورته هنا أن يمس نفوساً هى قعيدة اليقين » ؟

إن رجلاً هذه نظرته إلى من كونهم القرآن وأدبهم لرجل ضيق الأفق ما فى ذلك شك ؛ وإن الحياة العقلية فى الإسلام ، تلك الحياة المليئة بالنضال الفكرى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، والتى كانت ميداناً هائلا لتطاحن الآراء والأفكار حول هذا الدين ومايثيره فى النفوس من قلق وجدل وأسئلة ، لتزلزل كل كلمة من كلمات أندريه جيد . إنه لم يقرأ شيئاً عن الفرق الدينية المختلفة التى لنا فى فضلها الفكرى من أدب وعلم وفلسفة تراث فذ تعتز به العربية على مر الأجيال ! ولو أنه قرأ ما كتبه المستشرق الألمانى جولد تسيهر عن العقائد الإسلامية ، أو ما كتبه المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون عن التصوف الإسلامى ، لما هرف بما هرف ، ولما أرسل القول على عواهنه ، ولكنه كما قال هنرى بيرو بحق : كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة !

هذا أفق ضيق نضعه أمام أفق آخر لأديب آخر هو توماس كارلايل فى كتابه « الأبطال » ، ولو أن الزاوية التى نظر منها كارلايل إلى الإسلام تختلف عن الزاوية التى نظر منها جيد ، ولكنها زاوية تضع الفارق بين أفقين على كل حال . يقول كارلايل « فى الإسلام خلة أراها من أجل الخلال وأشرفها ألا وهى التسوية

بين الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الإسلام سواء ، والإسلام لا يكتفى بجمل الصدقة سنة محبوبة بل يجملها فرضاً حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعده ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل فتكون جزءاً من أربعين من الثروة تعطى للفقراء والمساكين. جميل والله كل هـذا ، وما هو إلا صوت الإنسانية ، صوت الرحمة والإخاء والمساواة ينبعث من فؤاد ذلك الرجل محمد ، ابن القفار والصحراء » ...

كلام أديب ؛ حين يكون الأدب ومضة فكر ، وخفقة قلب ، واستجابة شعور . وحديث عالم ؛ حين يكون العلم سعة اطلاع ، ورحابة أفق ، وسلامة تقدير !

كرامة فنان :

هذه قصة عن العبقرى الإيطالى ما يكلانجلو ، قليلة الألفاظ ولكنها كثيرة المعانى ... وتستطيع بعد قراءتها أن توافقنى على أن خير عنوان يمكن أن يوضع لها هو هذا العنوان « كرامة الفنان » .

إنها قصة فريدة تتمثل فيها غيرة الفنان على فنه ، وثورته على كل من يمس كرامة العبقرى أو ينال من جلالها ، ولو كان المعتدى هو البابا يوليوس الثانى ... ! قرأت هذه القصة وعجبت كيف يجرؤ ما يكلانجلو على أن يقف من البابا موقفاً لا يستطيع أن يقفه ملك من ملوك أوربا فى القرن السادس عشر ! ولكنه الفنان ... الفنان الذى كان يشعر فى أعماق نفسه أن قداسة فنه لا تقل منزلة عن قداسة الكنيسة !

لقد ترامت إلى البابا أنباء العبقرى الشـاب الذى بهر فلورنسة بعظمة آثاره الفنية فى الرسم والنحت ، فأرسل يستدعيه ليزين جدران القصر البابوى وردهاته بمعجزات فنه الخالد . . . ومثل رجل الفن أمام رجل الدين ، وكان لقاء أفاض فيه البابا على الفنان كثيراً من عطفه وتشجيعه . . وحين طلب أنجلو مائة ألف « سكودى » أجراً لعمله قال البابا : فلتكن مائتى ألف يا سيدى ! .. وبدأ الفنان العظيم يستلهم الوحى فى صوره وتماثيله ، ويبعث فيها الحياة تنبض فى كل ناحية من نواحيها ، مما جعل يوليوس يحله من نفسه مكاناً لا يدانيه مكان . ودب الحقد والحسد فى نفوس رجال القصر لهذه المنزلة الرفيعة التى حظى بها أنجلو فوشوا به إلى البابا .. ويفاجأ يوماً بأحدهم يقول له فى لهجة لا تخلو من وقاحة : « سيدى ، لدى أمر من قداسة البابا بطردك من قصره ، ويحسن بك ألا تريه وجهك بعد اليوم ! »

وفى كبرياء العظيم يودع أنجلو آثاره الحبيبة وقصر البابا وروما ومن فيها ، تاركا له رسالة يخاطبه فيها بقوله : « أيها الأب المقدس ، لقد أمرت بطردى من قصرك ، ويؤسفنى أنك ستحتاج إلىّ مرة أخرى ، فإذا احتجت إلىّ — وهذا أمر ليس منه بد — فعليك أن تبحث عنى فى مكان آخر .. غير روما ! » ..

ويستشعر البابا فداحة الخسارة بعد رحيله ، ويسأل عنه فيعلم أنه في فلورنسة ، فلا يسعه إلا أن يبعث إلى حاكمها برسالة يطلب إليه فيها أن يقدم اعتذاره لأنجلو ، وأن يرجوه فى أمر العودة مرة أخرى . . ويمتنع أنجلو . . وتصل رسالة أخرى من البابا يؤكد فيها اعتذاره ويلح فى إحضاره . ويمعن أنجلو فى التغاضى وتصل رسالة ثالثة فيصر أنجلو على أن يلقاه البابا فى منتصف الطريق بين روما وفلورنسة .. وقد كان ! !

هل تستطيع أن تعثر فى العالم كله ، وفى تاريخ الفن كله ، على فنان من هذا الطراز ؟ لا أظن ! إن مايكلانجو قد قدم أروع مثال يمكن أن يحتذيه فنان !

ترى لمن أهدى هذه القصة الفريدة فى تاريخ الفن ؟ أهديها إلى بعض الناس هنا فى مصر ، أولئك الذين دفعوا بكرامة الفن إلى الحضيض فى سبيل مآربهم الشخصية والمادية .. هل أسميه ؟ كلا . إنهم يعرفون أنفسهم .. ويعرفهم الناس !

أنور المعداوي

زواج تولستوى (*)

للأستاذ محمود الخفيف

- ٢ -

وجلس تولستوى يحدث رب الدار وابنته فى إحدى الحجرات ، ويستعيد ذكريات الماضى ، وانضم البنات إلى أمهن وجدهن ولبثن يستمعن وكانت أمهن تصيح بهن الفينة بعد الفينة ليأوين إلى مضاجعهن ولكن حديث الكونت كان يسحرهن حتى تبين الجد فى لهجة أمهن فقمن متثاقلات لينمن .

وتبعهن تولستوى إلى باب الحجرة ، ثم استوقف سونيا قائلاً إنه يريد أن يفضى إليها بحديث وخفق قلب الفتاة ، ومشت معه إلى منضدة للعب الورق فى إحدى الحجرات ، ولندع تاتيانا تقص علينا ما كان بينهما من حديث قالت « الشيطانة الصغيرة » فى مذكراتها « لقد طلب إلىّ أن أغنى ولما كان ذلك آخر ما أرغب فيه وقتئذ ، فقد هربت إلى الثوى واختفيت تحت البيان .. وبعد دقائق دخل الحجرة تولستوى وسونيا ، وكان يبدو عليهما الاضطراب فى صورة غير عادية ، وجلسا إلى منضدة اللعب ... وقالت سونيا : هكذا ترحل غداً ؟ ولماذا تعجل على هذا النحو ؟ إننا سوف نفتقدك ، وأجاب تولستوى : إن مارى وحدها وهى تتأهب للسفر إلى الخارج . وسألته سونيا : أتسافر معها ؟ وقال الكونت : كلا . لقد كنت أرغب فى ذلك ولكنى الآن لا أستطيع . وتراجعت سونيا فلم تسأله لم لا يستطيع فأنها تدرك ماذا يكون الجواب ، ورأيت فى وجهها ما يشعر أن شيئاً خطيراً يوشك أن يحدث ، ووددت أن أخرج من مخبئى ولكنى خجلت من ذلك فبقيت ساكتة . وقالت سونيا : هيا بنا إلى الفناء فإنهم لابد يبحثون عنا ؛ وقال الكونت : لا . . أرجو منك أن تظلى لحظة ... وكان يكتب شيئاً ما على المنضدة بقطعة من الطباشير ، ثم قال فى صوت متهدج من أثر اضطرابه : أتستطيعين أن تقرأى



صوفيا بيرز قبيل زواجها

ما أكتب لك إذا استعملت الحرف الأول من كل كلمة فحسب ؟ وأثبتت فى وجهه نظرة وقالت: أظن أنى أستطيع. وكتب تولستوى الحروف ، وكأنما أوحى إلى أختى فقرأت : إن شبابك وتطلعك للسعادة يذكرنى تذكيراً قوياً بشيخوختى وباستحالة السعادة على وكان يعينها تولستوى بعض العون فى قليل من هذه الكلمات . وكتب حروف غيرها ، فقرأت إن فى أسرتك خطأ حول أختك وحولى ، ينبغى أن تعينينى أنت وتاتيانا ...

هذا ما ذكرته تاتيانا ، ونضيف إليه أنها ما كادت تجيب حتى صاحت بها أمها : سونيا ! إذهبى إلى سريرك . هل تفعلين ؟ وأسرعت سونيا إلى مخدعها .

وبعد بضعة أيام زارت زوجة بيرز وبناتها ياسنايا ثانية لتوديع مارى قبل سفرها ، وكان تولستوى ساكناً يطيل التفكر أثناء هذه الزيارة ، ولما تأهبن للرحيل قال لهن : سوف أذهب ممكن إلى موسكو إذ كيف أستطيع أن أبقى هنا دونكن .. إن مقامى هنا يكون من الكآبة والوحشة بحيث لا أطيقه ...

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة » .

ثم سافرن فكان معهن حتى بلغن موسكو ...

وذهب آل بيرز من موسكو إلى بيتهن الريفي في قريتهم بوكروفسكوى ، ووعدهم تولستوى أن يوافيهم إليها بعد قليل .. وعادت إليه في وحدته هواجس نفسه ، كما كانت حاله مع فاليزيا وأخذ يسأل نفسه عما يشعر به ، أهو الحب حقاً أم أنها الرغبة في الحب ؟

وذهب إلى بوكروفسكوى كما وعد ، وكانت لا تزال تعتقد ليزا أنه يحبها وأنه سوف يخطبها إلى نفسه ؛ وكانت تتنازع الأحلام والمخاوف قلب سونيا .

ووجد تولستوى في بوكروفسكوى معلماً شاباً يدعى بوبوف في الخامسة والثلاثين من عمره يخفى في نفسه نحو سونيا ما يبديه تودده إليها وما يشبه الغزل من حديثه ونظراته ؛ وكانت تحس سونيا ميله إليها فأغرته بعض الأغراء ، ولكن بالها وقلبها كانا إلى الكونت وإن غاب .

وفعلت الغيرة فعلها في قلب تولستوى ، فكان كثيراً ما يأتي إلى القرية وكانت على نحو اثنى عشر ميلاً من موسكو وكان يؤثر أن يذهب إلى هناك ماشياً في أكثر الأحيان .

وبات موقفه من الأسرة غريباً فهو لا يتقدم بالخطبة إلى ليزا وإنه في الوقت نفسه ليكثر من غشيان بيتهم أينما كانوا كما لو كان واحداً منهم ؛ ولذلك لم يكن عجباً أن يظن الطبيب أن جمال امرأته هو الذي يجذب إلى بيته هذا الكونت الغامض .

وكان لا يفتأ يسأل تولستوى نفسه أما آن له أن يستبطن دخيلة سونيا وأن يدرك حقيقة عقلها ووجدانها ، فإن اختياره زوجة لا تصلح له بعد عنده كارثة لا يكون معها رجاء ...

وسألها هل تكتب مذكرات ، فقالت : لا ولكنني عبرت عن حقيقة شعوري في قصة كتبتها ! وألح عليها الكونت أن يقرأها فأبت أول الأمر ، ثم تظاهرت أمام إصراره أنها تعطيها إياه على كره ..

ترى هل كتبت سونيا هذه القصة ليقرأها تولستوى ؟ ذلك ما يكاد يؤدى إلى الجزم به موضوعها .

كان في القصة رجلان : أولهما البرنس دوبلتسكي ، وهو في منتصف العمر نشط ذكي قليل الآراء ، ليس على قدر كبير من الوجاهة ؛ وثانيهما فتى في الثالثة والعشرين ، هادىء ساكن يتمسك بكثير من المثل العليا واسمه سميرنوف .

وكانت بطلة القصة تدعى هيلين وهى فتاة جميلة ذات عينين دعجاوين ساحرتين ؛ ولهيلين أختان واحدة أكبر منها تدعى زنايدا وهى فتاة بارد الطبع ، والأخرى أصغر منها وتدعى نتاشا وهى بنت في الخامسة عشرة لعوب مرحة .

وكان يغشى دوبلتسكي بيت الأسرة دون أن تخالجه أفكار الحب ؛ وكان سميرنوف يحب هيلين ، وكانت تحس بميل نحوه ، وقد اقترح عليها الزواج ولكنها لم تستطع أن تقطع برأي واعترض أهلها على هذا الاقتراح من شاب في مثل سنه وعدوه بعض عبث الشباب ، ثم اضطرته ظروف العيش إلى السفر فغاب غيبة طويلة .

وكانت زنايدا تميل إلى دوبلتسكي ، وكان يكثر غشيان البيت ولكنها ظلت في حيرة من أمره كما كانت هيلين في حيرة من أمر شعورها لا تدرى ماذا تريد ، ولا تستطيع أن تقول حتى لنفسها إنها أوشكت أن تحب دوبلتسكي ؛ وكان يؤلمها أنها ربما كانت تخدعه وتخدع أختها ؛ وطالما حاولت أن تغالب عواطفها ولكن تلك العواطف كانت تغلبها ؛ وظهر من دوبلتسكي أنه يحبها أكثر مما يحب أختها وذلك ما جعله يبدو في نظرها أكثر مما كان جذباً لها ، لم تفهم حقيقة شعوره وكان يتعبها ويضايقها غموضه وانطواؤه على نفسه .

وعاد سميرنوف ، ولم تطق هيلين أن ترى ما يظهر من تألم إذ شعر أنها تحب دوبلتسكي ، فاعتزمت أن تدخل الدير ؛ ثم إنها احتالت حتى قربت بين دوبلتسكي وأختها زنايدا ، وزفت هي بعد ذلك إلى سميرنوف .

سهر تولستوى حتى قرأ القصة ولقد وقف عند أشياء فيها ومن أهمها ما وصف به دوبلتسكي من بعد عن الوجاهة ومن غموض في الفكر ... أهذه صورته في نفس سوفيا ؟ لقد طالما كانت هيئته مبعث ألم لنفسه وهو صغير فهل يتجدد اليوم ألمه وهو في الرابعة والثلاثين ؟ . ذلك ما تحدثه به نفسه بعد قراءة

طرائف من العصر المملوكي :

النقـــد الأدبي

للأستاذ محمود رزق سليم

النقد الأدبي كما نفهم في العصر الحديث ، هو النظر في النتاج الأدبي لأمة أو فرد ، لنرى مبلغ دلالته على الصدق ومقدار نطقه بالحق . نقلبه على وجوهه المتعددة تحريا لمظاهر الحسن فيه ، وتلمسا لمواضع النقص منه ، جاهدين في إبراز حسنه أو نقصه ، مع الإشارة إلى الحسن لم كان حسنا ، وإلى النقص لم كان نقصا . ومعنى ذلك تحليل الأدب وتعليله لفظا ونظما وفكرة ، وتوضيح المؤثرات التي تأثر بها ، ثقافية أو جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية أو شخصية أو نحوها ، مع توضيح آثارها فيه . ثم بيان مدى تأثير هـذا الأدب بدوره في فرد آخر أو جماعة أخرى ، باعتباره عاملا جديداً من العوامل الحيوية المؤثرة في حياتهما . ثم موازنة هذا الأدب بغيره ومعرفة مدى الفوارق بينهما ، إبرازاً لقوة أحدهما أو ضعفه وسموه أوضعته ، وصدقه أو مينه ، وتأثره بغيره أو عدم تأثره . والموازنة بذلك تعين على تشخيص الأدب وإبراز عناصره وإيضاح مميزاته وخصائصه .

والناقد الـكامل يحتاج — لـكماله — إلى سعة من العلم وإحاطته بالأدب ، ودراسة اجتماعية حاذقة وفلسفة نفسية عميقة . هذا إلى ذوق فني سليم ، واطلاع على ما كتبه أرباب النقد البياني ورجال البلاغة للاستئناس به والاسترشاد بقواعده ، حتى يكون بذلك كامل المدة واضح الحجة ، جامعاً لأصول النقد الصحيح من ذوق ومعرفة .

مثل هذا الناقد إذا جلس للحكم على الأدب نرجح أن يكون حكمه عادلا ونافعاً .

ونقول : نافعاً ، لأن النفع الجديد الذي يتضمنه حكمه هو مزية النقد الـكبرى ، ومزية الناقدين ، وأبسط ما توصف به هذه المزية أنهـا تبصير حق بالأدب المنقود ، يضاعف أثره ، وتمهيد جميل للأدب الجديد يذلل سيره ، وإذا كان النقد في العرف الحديث أدبا وصفيا ، فهو أدب إنشائي من ناحية أخرى . وعلى الأقل من ناحية أنه يسن السبيل أمام الأدب الجديد ، ويرسم له الطريق الذي يسلـكه ، ويهيئه — بزعمـه — لبلوغ كماله . والنقاد — في هذا — يعبرون عن مزاج جيلهم وذوق معاصريهم وحاجة جمهورهم . ويجهد الأدباء كتابا وشعراء ، في تحري أذواق النقاد ، والتجانف عما يريبهم . فينضج أدبهم مطبوعا بطابع

القصة وصار يسمى نفسه دوبلتسكي !

وما هذه الخاتمة التي اختارتها لقصتها ؟ أتنصرف عن دوبلتسكي فتتزوج سميرنوف ؟ أتريد بذلك إغراءه وإخراجه من تردده ، أم أنها تؤثر عليه سميرنوف ؟ ومن يكون سميرنوف هذا ؟ أهو بوبوف الذي تطارحه الحديث وتظهر له الود ، أم هو ذلك الضابط الشاب بوليفانوف ؟ وهل تعمـل سوفيا على التقريب بينه وبين أختها ليزا ؟

ألا تحب سوفيا هيئته فهي لذلك غير واثقة من أنها تحبه ؟ يالها من حيرة ! لقد كتب في مذكراته في الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٨٦٢ بعد قراءة القصة بيومين يقول « أيها الوجه القبيح لا تحلم بالزواج . . إنك لست أهلاً لهذا . . وإن أهليتك لن نوع آخر وإنه لـكثير ما منحته منها »

وعلى الرغم من ذلك ذهب إلى الضيعة في اليوم التالي ، ولمـا رجع أثبت في مذكراته قوله « لا شيء من حب كما سلف ولا من غيرة حتى ولا من ندم ، ولـكني لا أجد مثيلا لحالتي وذلك ما يجعلها حلوة . . كانت ليلة لذيذة وكانت العواطف رقيقة سارة إن بوبوف في غاية الذكاء وفي غاية الرقة » وكتب في مساء اليوم التالي يقول « لست أغار قط من بوبوف إذ يتحدث إلى سونيا ولا أستطيع أن أصدق أن يكون ذلك حقيقة حالي . إنها كذلك تتكلم في حزن وهدوء ... أيهـا الأحمق إنك غير أهل لهـا ... لقد قضيت الليلة معهم ... لم أنم .. إنها هي أبداً ... »

(البقية في العدد القادم) محمود الخفيف

نقادهم . لهذا يقال إن النقاد هم موجهو الأدب فى الأمة وهداته . ولا يحرر من ربقتهم إلا أديب معاصر ، ولكن لديه من المؤثرات الخاصة عدة عوامل جنحت به إلى أفق من الحرية . على أنه قد يعيش غريباً بين قومه ، وقد لا يتأثرون بأدبه إلا بعد فترة من الزمن .

هذا هو الذى فهمناه فى العصر الحديث من معانى النقد الأدبى . فهل ولد النقد قبل اليوم مولداً على هذا الغرار ؟ الحديث عن ذلك طويل يضطرنا إلى النظر فى اتجاهات النقد فى كل من العصور الأدبية المنصرمة ، وهذا مالم نقصده هنا الآن . وإنما قصدنا أن نعرض فى إيجاز إلى الحديث عن النقد الأدبى فى العصر المملوكى .

غير أنه لا ريب فى أن النقد الأدبى ولد بمولد الأدب ، إذا راعينا أن قارئ الأدب أو سامعيه سواء أكانوا من الخاصة أم العامة مولعون أبدا بالنقد والتعليق على كل مايقرءون أو يسمعون ولو بكلمة عابرة ، أو نقدة طائرة ، أو تعليقة حائرة . وهكذا نستطيع القول إن النقد قد ولد مع الأدب الجاهلى ، غير أنه كان نقداً فطريا وفى نطاق ضيق وبين خليط من اعتبارات شتى ، ومرجعه الذوق الخاص ، وغير مقيد بقواعد ولا مرتبط بذوق عام ... ثم نضج النقد الأدبى بعض النضوج بمجىء الإسلام ، وأقبل الناس على سماع الأدب والنظر فيه ، وكانت بالأمويين عناية فائقة بسماع الشعر قديمه وحديثه ، والتعليق عليه ، وقياس شعر بشعر ، وموازنة بيت ببيت ، حتى جاء العصر العباسى ، وأقبل القوم على الدرس والتصنيف والترجمة . ولقحت العقول بالمترجمات ، وفاضت المجالس بما ينشده الشعراء والرواة من محاسن الآداب العربية ، ونشط النقد ، وتكون ما يشبه الذوق العام . وعنى بالدفاع عن الأساليب القرآنية وبيان ما فيها من أسرار التراكيب . فظهرت بوادر العلوم البلاغية ثم اشتد أزرها وقوى أمرها وتجمعت حقائقها حتى تألفت علوما لها موضوعاتها وأبوابها وقواعدها . وصنفت كتب فى النقد والموازنات اعتمدت فيما اعتمدت عليه ، على الذوق الخاص ، وهكذا انتهى عصر العباسيين بعد أن خلف فى ميدانى النقد الأدبى والبيانى ذخيرة نفيسة . ولكن النقد — على كل حال — لم يبلغ ذلك المبلغ الذى رسمنا صورته فى أول المقال ، والذى يتقاضاه منا العصر الحديث :

وبعد فما نصيب العصر المملوكى من هذا التراث ، وما الذى أضافه إليه ؟ أهم ما يجبهنا من ذلك ، ذوق بديعى عام استحوذ على الأدباء والنقاد جميعاً . لم يعتمد على ما خلفه الأقدمون من قواعد فى النقد البيانى فحسب ، وإن كانت هذه القواعد من أهم دعائمه ومصادر إلهامه . وإن كان قد جمع كل أبواب البلاغة جديدها وقديمها تحت راية البديع .

ولقد كان للقاضى الفاضل عميد الأدباء فى العصر الأيوبى ، أثر بارز فى الكتابة والشعر فى العصر المملوكى . لأنه ابتدع للاسلوب طريقته البديعية الخاصة التى أساسها الإكثار من المحسنات وبخاصة السجع فقد التزمه ، والجناس والطباق ، مع الغلو فى سوق التورية والاستخدام والإمعان فى التشبيه والاستعارة ، والتلميح إلى الحوادث ، والتوجيه بالمصطلح العلمى ، وتضمين المأثور والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، إلى غير ذلك من محسنات وسمات . وهذه طريقة فى الأسلوب مبنية على ماسنه من قبله الكاتب الشهير ابن العميد (٣٠٠ هـ — ٣٦٠ هـ) وغيره من أدباء العراق . غير أن الفاضل غلا فى التزام ما استحسنوه وانقاد الأدباء من بعده — وبخاصة فى العصر المملوكى — إلى طريقته وتعصبوا لها ، حتى تركزت فى أذواقهم وفى أذواق النقاد معا ، وأصبحت نهجاً متبعا وقاعدة مرعية بين قواعد النقد التى يزنون بها الآثار الأدبية الجديد منها والقديم على حد سواء .

وظهر شاعر مصر الكبير جمال الدين بن نباتة (٦٨٦ — ٧٦٨ هـ) فنهج نهج القاضى الفاضل ، وتعصب لطريقته ؛ فكان بذلك زعيماً ثانياً للطريقة الفاضلية فى الشعر والكتابة . واتجهت عناية ابن نباتة إلى إجادة التورية والتضمين ، فأبدع فيهما أيما إبداع ، وأتى منهما بالعجب العجاب ، واتجهت كذلك إلى الجناس ؛ ولكن عنى بإخراجه مخرج التورية ، فأجاد وأطرب ، وأفاد وأعجب ؛ فكان بذلك وغيره ذا طريقة جديدة هى الطريقة النباتية ، وأصبح لها أتباع ومتعصبون هم جمهرة عظيمة من أدباء العصر المملوكى ونقاده ، وتركزت بدورها فى أذواقهم حتى صاغوا أساليبهم فى قالبها ، أو اتخذوا منها قواعد جديدة للنقد وزنوا بها ووازنوا بين أدب وأدب ، وبين شعر وشعر . وفى مقدمة

المتعصبين لهما والناقدين على أساس منها ومن الطريقة الفاضلية : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي (٧٢٥ هـ) صاحب كتاب « حسن التوسل إلى صناعة الترسل » . وتقي الدين ابن حجة الحموي (٨٣٧ هـ) صاحب كتاب « خزانة الأدب وغاية الأرب » . وهذا الكتاب أوسع نطاقاً من سابقه . وقد ألفه ابن حجة ليشرح فيه بديعيته ، وهي المنظومة التي مدح بها سيد المرسلين عليه السلام ، وضمن كل بيت من أبياتها شيئاً من البديع . وقد وازن فيه بينها وبين بديعيتي عز الدين الموصلي وصفي الدين الحلي موازنة أساسها البديع ، ذاكراً اسم النوع البديعي واختلاف العلماء فيه ، وشواهد الأدباء عليه . وقد استطاع ابن حجة أن يخرج كثيراً عن النطاق العلمي الذي ضرب به علماء البلاغة في أخريات العصر العباسي ، كالسكاكي مثلا . واستطاع أن يجعل من كتابه هذا معرضاً أدبياً صافياً تألق فيه كثير من شعر العصر المملوكي ونثره ، ومع نقده نقداً هو مزاج من النقد الأدبي الصحيح الذي أساسه الذوق ، ومن النقد البياني الموروث الذي أساسه العلم ؛ مبيناً ، بين الفينة والفينة ، مذاهب الشواذ والخارجين على الطريقة النباتية من شعراء هذا العصر . ومن بينهم صلاح الدين الصفدي الذي جُن جنوناً بالجناس وأنواعه ، كما جن به الصاحب بن عباد من قبل ، وأكثر مما جن . وقد حمل ابن حجة على الصفدي وسفه ولوعه بالجناس مبيناً أن هذا المذهب يخالف مذهب ابن نباتة وتابعيه ، من العناية بالتورية واعتبارها أسمى ضروب البديع ، بل أجود أبواب البلاغة . وقد انساق الصفدي بدافع حب الجناس إلى وضع كتاب فيه بخاصة وسماه « جنان الجناس » ملأه أمثلة من الجناس . وقد نقده ابن حجة في كتابه « خزانة الأدب » نقداً مراً وأورد من نظمه عدة أمثلة ، وذكر أن جمال الدين بن نباتة لما قرأ عنوان الكتاب قرأه هكذا : « جنان الخناس » وجرى بين الرجلين بسبب ذلك ما يطول شرحه . وذكر أيضاً أن من بين ناقدي الصفدي الشيخ بدر الدين البشتكي الذي قال عن الصفدي بمناسبة نظمه هذا : « وإن من ذلك مبلغه من النظم لجدير أن يقعد مع صغار المتأدبين » . هذا إلى أن ابن حجة قد ألف كتاباً آخر في نقد الصفدي وتسفيه كتابيه « جنان الجناس » و « فض الختام »

وهو « كشف اللثام » .

هذا كله يشعرنا بأن ابن حجة وغيره من نقاد العصر لم يتقيدوا بالقواعد البلاغية ولا بما وصل إليه النقد البياني من تقعيد بل حكموا في كثير مما نقدوه أذواقهم وقواعد نهجهم البديعي .

وهذا لا يمنعنا من الإشارة إلى أن هناك رجالا صرفوا جهودهم إلى النقد البياني وقواعده الموروثة عن العصر السابق ، فكانوا علماء أكثر منهم أدباء . وفي رأينا أنهم لم يأتوا من وراء هذه الجهود بجديد وما مؤلفاتهم إلا شروح أو مختصرات لمؤلفات السالفين من علماء البلاغة . وقد حظي كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي (٦٢٦ هـ) بنصيب كبير من هذه المؤلفات ، ومنها ماوضعه الجلال القزويني ، والجلال السيوطي ، وزكريا الأنصاري ، والبهاء السبكي . غير أننا لا نبالغ إذا قلنا إن هؤلاء لم يمثلوا العصر ولا ذوقه الأدبي ولا قواعده في النقد . أما الفريق الآخر فهم أدنى إلى هذا التمثيل وأقرب .

على أن النقد الأدبي — في الحق — كان أوسع نطاقاً مما وصفنا . وأكثر شغلا للقوم مما رسمنا ؛ إذ كانت له عوامل عدة أذكت ناره وأشملت أواره . وأكثرت سماره فضلا عن حب البديع والتسابق إلى ابتكار التوريات والتضمينات ، كانت هناك منافسات أدبية شديدة بين أدباء مصر وأدباء الشام ، ومنافسات أخرى بين شاعر وشاعر ، وكان من الناس من يتعصب لهذا أو يتحمس لذاك . وكانت هناك مباريات بين المتعاصرين من الشعراء ومساجلات ومعارضات . وكان كثير من وجوه الناس وأعيان الرؤساء يغري هذه المعارضات حتى ولو لم تكن بين المتعاصرين وكان بعض الملوك والرؤساء ذوي بصر بالشعر ومكانه . وكان بالشعراء ولوع بالتضمين فولجوا إليه كل باب حتى تهاووا إلى السرقة عمداً أو دون عمد . كل هذه الأمور ترينا أن النقد الأدبي قد وجد الأسباب فدق الأبواب وولج الأعتاب وعاش بين القوم في أخفض جناح وأخصب مراح .

ويضيق المقام إذا ذهبنا نعد الأمثال ونضربها . فلنكتف بالإشارة عن العبارة ، وبالتلميح عن التصريح فنقول .

روى المقريزي في خططه أن الملك الأشرف خليلا عاد في عام ٦٩٠ هـ من الشام بعد أن فتح عكا ، فلقيته القاهرة برجالها في

حفل عظيم ، وتقدم ابن المنبرى الشاعر فأنشد قصيدة قال فى مطلعها :

زر والديك وقف على قبريهما   فكأننى بك قد نقلت إليهما

فتطير الأشرف من هذا البيت ونهض قائماً حانقاً وهو يقول : ما وجد هذا شيئاً يقوله سوى هذا البيت ! ؟

وروى تاج الدين السبكي فى طبقاته عن تاج الدين المراكشى ، قال : دخلت عليه مرة وهو ينشد قول ابن تقى .

حتى إذا مالت به سنة الكرى   زحزحته شيئاً وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه   كى لا ينام على وساد خافق

وقول الحكم بن عقال :

إن كان لابد من رقاد   فأضلعى هاك عن وساد
ونم على خفقها هدوءاً   كالطفل فى هزة المهاد

وهو ومن عنده يقولون إن قول الحكم أجدر بالصواب فإنه لا يناسب المحب أن يبعد حبيبه . وينشدون قول صلاح الدين الصفدى — أمتع الله ببقائه — فى ذلك رداً على ابن تقى :

أبعدته من بعد ما زحزحته   ما أنت عند ذوى الغرام بعاشق
إن شئت قل أبعدت عنه أضالعى   ليكون فمل المستهام الوامق
أو قل فبات على اضطراب جوانحى
كالطفل مضطجعا بمهد خافق

قلت — أى السبكى — « إن ابن تقى وإن ساء لفظاً حيث قال « أبعدته » فقد أحسن معنى ، لأنه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذى لا يستطيع الحبيب النوم معه عليها فقدم مصلحته على مصلحته وترك ما يريد لما يريد ، وأبعده عما يقلقه ، ولو قال « أبعدت عنه أضلعاً تشتاقه » لأحسن لفظاً كما أحسن معنى . وأما الحكم فإنه وصف خفقانه بالهدوء ، وهو خفقان يسير يشبه اضطراب سرير الطفل . وهكذا نقص ، فوقع النزاع فى ذلك . وأرسلوا إلى القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل العمرى — رحمه الله — صورة سؤال عن الرجلين « ابن تقى » و « الحكم » أيهما المصيب . فكتب : قول ابن تقى عليه مأخذ لكنه قول المحب الصادق .

يكفيه فى صدق المحبة قوله   كى لا ينام على وساد خافق
ما الحب إلا ما يهد له الحشا   ويهد أيسره فؤاد العاشق الخ

هذا مثل من أمثلة المجالس الأدبية ومجالس النقد ، وفى الطبقات وغيره أشباه له كثيرة .

أما السرقات الأدبية فقد زاد خطرها وتطاير شررها فى هذا العصر . ومن شعرائه من سطا على شعر غيره بدعوى التضمين قال مجير الدين بن تميم :

أطالع كل ديوان أراه   ولم أزجر عن التضمين طيرى
أضمن كل بيت فيه معنى   فشعرى نصفه من شعر غيرى

واشتهرت سرقات ابن نباتة من علاء الدين الوداعى ، كما اشتهرت سرقات صلاح الدين الصفدى من الجمال بن نباتة ولما وقف ابن نباتة على مسروقاته ألف فى ذلك كتاباً سماه « خبز الشعير » لأنه مأكول مذموم ونقد فيه الصفدى وأورد كثيراً مما سرقه — وقد تتبع ابن حجة فى كتبه عشرات من سرقات الصفدى وابن نباتة وغيرهما . ومن ذلك قول ابن نباتة :

ومولع بفخاخ   يمدها وشباك
قالت لى العين ماذا   يصيد قلت كراكى

فقال الصفدى :

أغار على سرح الكرى عندى ما رى الـ
ـكراكى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعى يا عين عن ورد حسنه
ألم تنظريه كيف صاد كراكى

على أن ابن حجة هذا قد تعقبه أديب آخر هو شمس الدين النواجى فنقده فى كتاب سماه « الحجة فى سرقات ابن حجة » وللبدر الدمامينى كتاب آخر نقد فيه شرح الصفدى للامية العجم واسمه « نزول الغيث »

وبعد فما تقدم نشعر بمقدار عناية أدباء هذا العصر بنقد الأدب ، وبيان زائفه من طارفه وهذا دليل على الحيوية الأدبية واليقظة الفكرية ، ولا يقدح فى هذا اختلاف أذواقهم عن أذواقنا فلكل أهل عصر فى آدابه ونقده اتجاه وقواعد وأذواق

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

شخصيات عباسية :

جحظة المغنى الشاعر

٢٢٤ - ٣٢٤ هـ

للشيخ محمـــد رجب البيومى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

لم يكاف جحظة بالطعام وحده بل كان كلفه بالشراب موضع الغرابة حتى تلاشت بجانبه الشهوة إلى المآكل فى أواخر شبابه فهو يقول :

قد قلل الإدمان أكلى فما   أطعم زاداً قيس أبهام
فالحمد لله وشـــكراً له   قد صرت من بائد أقوام
قوماً ترى أولادهم بينـــهم   للجوع فى خـــلة أيتام

وقد حدا به الإدمان الفاحش إلى التردد إلى الديارات المنتشرة فى بغداد وضواحيها المتقابلة ، فأخذ الراية من أبى نواس ، ووكل إلى نفسه الدعاية البارعة إلى ما فى الأديرة من متع وملاذ ، وأصبح شعره فى هذا الموضوع وسيلة كبيرة من وسائل التعريف بما هناك. وأنت ترى الشابشتى وياقوت والعمرى وجميع من كتبوا فى هذه الناحية يروحون عن قرائهم بقصائد جحظة ، والواقع أن الديارات كانت فتنة كبيرة من فتن الشيطان ، فهى تقام بين الحدائق والبساتين وبها من المذارى الراهبات مايستخف الوقور؛ والغريب أن خلفاء المسلمين كانوا يؤمونها مع الشعراء والماجنين ، وأى إنسان يرى نفسه فى حديقة مورقة ، وعن يمينه عذراء ناهدة ، وعن يساره خمر معتقة ، وأمامه لدن يافع يغنيه ثم لايقدم على انتهاك الحرم فى هذا الجو الإباحى الخلاب ، وإليك ما وصف به جحظة دير الزندورد لتقف على ما بهذه الأماكن من مغريات جاذبات :

سقيا ورعيا لدير الزندورد وما   يحوى ويجمع من راح وريحان
دير تدور به الأقداح مترعـــة   من كف ساق مريض الطرف وسنان
فالعود يتبعـــه ناى يوافقه   والشدو يحكمه غصن من البان
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا   وذاك إنسان سوء فوق إنسان
هـذا ودجلة للرائين معترض   والطير يدعو هديلا بين أغصان

ولقد اختص أبو الحسن دير المذارى بوده ومحبته ؛ فقد رأى فيه من المتعة واللذاذة ما ليس فى غيره . فكان فيه مماته ومغداه ؟ وإليه مراحه ومأواه ، وطالما جمعه بكثير من الشعراء والأدباء ، فيتذاكرون ويتناشدون . وقد يغلبه السكر فيخرج على حال كريهة فى المنظر والهيئة : فثيابه مبتلة ، ورائحة الخمر تتقدمه ، ثم هو يدافع عن نفسه فى هذا الوضع البغيض ، فيقول :

قالوا قميصـك مغمور بآثار   من المدامة والريحان والقار
فقلت من كان مأواه ومسكنه   دير المذارى لدى حانوت خمار
لم ينـكر الناس فيه أن حلته   خضراء كالروض أوحمراء كالنار

وعشاق الأدب يطربون لما تغنى به جحظة فى دير المذارى ، فقد رسم لهم منظراً من مناظره الضاحكة فسمعوا صلصلة الناقوس ورأوا القسيس يترنح من السكر ، ثم ينهض إلى القيام فيرتمش من الإدمان ، ويغنى فتتقاطر دموعه على خده ، وأخيراً يخلص إلى الحنين لهذا المهد فيقول :

ألا هل إلى دير المذارى ونظرة   إلى الخير من قبل الممات سبيل
وقد نطق الناقوس بعد سكوته   وشمعل قسيس ولاح فتيـل
يريد انتصاباً للقيـام بزعمه   ويرعشه الإدمان فهو يميـل
يغنى وأسباب الصواب تمـده   وليس له فيما يقـول عديل
(ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة   إلى قرقرى قبل الممات سبيل)
وثنى يغنى وهو يلمس كأسـه   وأدمعه فى وجنتيـه تسيل
سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى   ويحدث بعدى للخليل خليـــل
سقى الله عهداً لم تـكن فيه علقة   لهم ، ولم ينـكر على عذول

وأنا أعجب كيف عرَّج أبو الحسن على قسيس الدير فلم يتنقصه مع أنه كان يقطع الجلسات الطويلة متحدثاً فيما يعرفه من علائق القُسُسِ بالراهبات ، وكثيراً ما كان يغنى بقول القائل :

إن بالحيرة قساً قد مجن   فتن النساك فيه وافتتن

هجر الإنجيل من حب الصبا ورأى الدنيا متاعاً فركن

وأنا أعتقد أن رجال الدين على جانب كبير من التقوى والصلاح وقد يندر فيهم من تزل قدمه فى وهدة الخطأ ، فيؤخذ البرءاء على كثرتهم بآثام المذنبين ، ومن ذلك ما زعمه الجاحظ من أن فتياناً من تغلب أرادوا قطع الطريق على ركب يمر بهم ثم جاءتهم العين بأن السلطان قد عرفهم وجدّ فى طلبهم ، قال أحدهم فاحتجبنا فى الدير فلما أمنا قال بعضنا لبعض : ما عنينا أن نشد القس بوثاق ثم يخلو كل واحد منا إلى راهبة عذراء ، فإذا طلع الفجر تفرقنا فى البلاد ، وكنا جماعة بعدد الراهبات فوجدناهن كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس ، فهذه قصة قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة ، ولكن الشعراء قد نددوا بها أفضح تنديد فكان مما قيل :

وأفسق من راهب يدعى بأن النساء عليه حرام
إذا ما مشى غضّ من طرفه وبالدير فى الليل منه عُرام
ودير العذارى فضوح لهن وعند اللصوص حديث تمام

ولقد حظيت الراهبات بالروائع البديعة من شعر جحظة ، وما ظنك بشاعر قضى عمره الطويل فى تطلبهن بأديارهن فهو لا يفتأ يرحل إلى كل مكان عراق يحللن به ، ولولا فقره المدقع لانتقل إلى الشام ومصر فى تصيدهن كما فعل أستاذه أبو نواس وهو فى غزله يعبر عن الواقع ولا يتعداه فيقول :

وظباء يتلون سفراً من الإنجيل باكرن سحرة قربانا
لابسات من المسوح ثيابا جعل الله تحتها أغصانا
خفرات حتى إذا دارت الكأ س كشفن النحور والصلبانا

كما أنه كان يستعين بأصدقائه الموسرين على نفقات السفر وأجور الارتحال ، ومن هؤلاء إبراهيم بن المدبر أحد ولاة الدولة وكتابها وسراتها ، ولعل السر فى صداقتهما الوطيدة هو اجتماعهما على حب عريب المغنية فقد جُنّ ابراهيم بها جنوناً عارماً ، وكان أبو الحسن من صنائعها المقربين فقد منحته الهبات الوافرة لانتسابه إلى سيدها وولىّ نعمتها الأول جعفر البرمكى ، لذلك نجده يتحمس لغنائها ، ويبالغ فى مدحها على غير عادته ، قال جحظه : قال أبو العباس بن حمدون : ليس غناء عريب مما يعتد به لكثرته ، لأن سقطه كثير وصناعته ساذجة ، فقلت له : وَمَن من مغنى الدولة العباسية سلمت صناعته كلها حتى تكون عريب مثله وأخذت أعدّ أكثر من مائة صوت لها وهو يعترف بجودتها ، فقال لى أخيراً ما خلّفت عريب امرأة مثلها فى الغناء ، فقلت له ، ولا كثيراً مثلها فى الرجال .

فانظر إلى دفاع جحظة عن عريب وأقرنه بما تعرفه عنه من تحامله على كل مغن وتنقصه لما يسمع من الألحان ، جيداً كان أو رديئاً ، قال أبو الفرج : « ومذهبه — أى جحظة — فى كتاب الطنبوريين أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بما يقدر عليه من الثلب ، وبما يعلم وما لا يعلم من الرأى » وليس الكتاب بأيدينا لنستدل على ما ذكره صاحب الأغانى ، ولكنه ثقة فيما يقول :

وكنت أتمنى أن يبقى الدهر على شىء من كتب أبى الحسن حتى نعرف طريقته فى البحث والتبويب ، فقد ألف كتابين فى الطعام ، وآخرين فى الغناء ، وكتاباً فى التنجيم ، وديواناً جمع أشعاره الكثيرة ولكن حظه النكد قد أضاع ثروته الأدبية ونحن ننظر إلى ما بقى من كلماته النثرية فنشهد له بالجودة كأن يقول فى حمل مشوى : الشهيد بن الشهيد ، ذهبى الدثار ، فضىّ الشعار ، وكأن يواسى رجلا سرق ثوبه فيقول : هون عليك . فليس قميص يوسف ، ولا برد النبى ، ولا رداء الشباب ، أضف إلى ذلك نكاته الفكهة كقوله عن دعوة حضرها : كل ما فيها بارد إلا الماء وأمثال ذلك كثير .

أما منزلته فى الغناء فقد قال صاحب زهر الآداب : « إنه ممتد النفس حسن المسموع ، طيب الصوت ، إلا أنه كان ثقيل اليد فى الضرب ! ويذكر جحظة عن نفسه أنه وفد على المقتدر مع جماعة من المغنين فأعطاه مائتى دينار ، وأعطى كنبزة ثلاثمائة ، وأعطى غيرهما مائة ، ومن هنا ندرك أنه كان فوق الوسط فى صنعته ، لا سيما وقد اعترف ابن الرومى به — على عدائه له — فقال يهجوه :

نبئت جحظة يستعير جحوظه من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمنادميه تحملوا ألم العيون للذة الآذان

ولو كان رديء الصنعة ما كان لصوته لذة ، ولست أدرى السبب فى تحامل ابن الرومى عليه ، ولعله لما اشتركا فيه من التزاحم على الموائد ، والشره فى المآكل ؛ فقد قيل فى المثل العامى : الضيف يكره الضيف ، وصاحب المنزل يلعنهما بلا انقطاع ! !

ويهمنا أن نتحدث عن شعره فنعلن أنه لم يجر على عادة غيره من شعراء عصره فيرسل المدائح الطويلة ، مفتتحة بالغزل الصناعى بل كان يجيش صدره بالمعنى ، فيصوغه فى عدة أبيات ، وأحياناً يسهب فى نظمه ولكن فيما يتعلق بحياته الخاصة ، فهو من هذه الناحية شاعر يحترم فنه فلا يعبر عن غيرما يختلج فى حناياه ، لذلك تجد إنتاجه منصرفاً إلى مجالس اللهو وتصوير ما يمثل فى الحانات من مناظر العبث والشراب ، على أنك تلمس إبداعه حين يبتدىء فيصف المكان أولا ويتكلم عن المدامة والساقى ثانياً ثم ينتقل إلى المغنى فيسمعك رنين الأوتار ، ويريك ترنح الشاربين ، إذ يقول :

طرقنا « بزوغى » حين أينع زهرها
وفيهـا لعمر الله للعين منظـر
فكم من بهار يبهر العين ضوؤه   ومن جدول بالبارد العذب يزخر
ومن مستحث للمدام كأنه   وإن كان ذمياً أمير مؤمر
شقائق تندى بالندى فكأنها   خدود عليهن المدامع تقطر
فكم ساقط سكراً يلوك لسانه   وكم قائل هجراً وما كان يهجر
وكم منشد بيتاً وفيه بقية   من العقل إلا أنه متحـير
وكم من حسان جس أوتار عوده   فألهب ناراً فى الحشا تتسعر
يغنى وأسباب الصواب تمده   بصوت جليل ذكره حين يذكر
(فكان مجيئى دون ما كنت أتقى   ثلاث شخوص كاعبان ومعصر)

ولعل فيما أسلفنا من شعر أبى الحسن ما يوقفك على اشراق لفظه ورقة معناه ، والحق أنه تأثر بأبى نواس فى أغراضه ، وإن تخلف عنه فى جزالته ، وعذره أنه كان يوزع جهده بين الشعر والغناء والتأليف ، هذا إلى ثقافته الواسعة فى اللغة والنحو والفلك فقد أثقلت عقله فلم يتمكن من التحليق كما تمكن الحسن بن هانىء ، على أنه كان ذا تشبيه بارع لا يتأتى للكثيرين كأن يقول :

ورق الجو حتى قيل هـذا   عتاب بين جحظة والزمان

أو يقول :

دليـل فى جوانبـه حران   فليس لطول مدته انقضاء
عدمت مشارق الإصباح فيه   كأن الصـبح جود أو وفاء

وأحياناً يعمد إلى الفكاهة الماجنة ، فيصوغها فى خفة ودعابة إذ يقول :

رأيت الغانيات صددن عنى   وأعرضت القبـلة الرداح
وقلن مضت بشرتك الليالى   فقلت نعم وقد رث السلاح

وقد جرى مع البحترى فى وصف ثقيل بارد فقال الوليد أبياته الشهيرة فى هجاء ابن الجهم وقال جحظة على طريقته ونهجه :

يا لفظـة النعى بموت الخليل   يا وقفة التوديع بين الحمول
يا طلعـة النعش ويا منزلا   أقفر من بعد الأنيس الحلول
يا نهضة المحبوب من غضبة   يا نعمة قد آذنت بالرحيل
يا بكرة الثكلى إلى حفرة   مستودع فيها عزيز الثكول
يا شوكة فى قدم رخصـة   ليس إلى إخراجها من سبيل

وهذا طراز من الشعر إن دل على شىء فإنما يدل على تمكن صاحبه من صناعته ، وإن كان لا يرضى من يتطلب التنويع فى المنحى والتمدد فى الاتجاه ، لا أن يسير الشاعر على نمط واحد ، وكأنه بناء آلى يضع حجراً على حجر .

وقد عاش الشاعر قرناً كاملا قضى فيه أربه من اللذة والمتعة وإن كان الوهن قد دب إليه فى أواخر عمره فوقع فيما لا يرتضيه من المرض والهزال ، وحينذاك تقوست قناته وثقلت حركته ، وأصبح من الموت قاب قوسين فصاح يرثى نفسه :

هى التسعون قد عطفت قناتى   ونفرت الغوانى من وصـالى
كأنى بالنوادب قائلات   وجسمى فوق أعناق الرجال
ألا سقياً لجسمك كيف يبلى   وذكرك فى النوادب غير بالى

ثم خمدت أنفاسه ، فسكت وتر ، وجف كأس ، وخلا سامر ، ومات إنسان .

محمد رجب البيومى

سلافان

محنة الفردية في الأدب المعاصر (*)

للأستاذ شكري محمد عياد

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ويعود سلافان إلى وحدته المريرة اللذيذة ، ويستدير أعوامه الأربعين ، وقد شغل بتحديد وجهته في الحياة ، فهو يقول عن حياته في تيك الأعوام : « أربعون سنة ولم أفعل شيئاً : ولومت هذا المساء ما استحققت أن يذكر اسمي على لسان ، ولا أن تبقى صورتي في ذاكرة . ليتني لا أموت هذا المساء ! دعاء أرفعه إلى الفضاء ، أو قل إنني أسأل القدر ، مادمنا لا نعرف غيره ، فما أظن أن الدعوة الحارة لا تجد صدى ولو لفظت في الصحراء » . وهو ينظر في أمره كله ويقلبه على جميع وجوهه ، حتى إذا استقبل عامه الأول بعد الأربعين كان قد استقر عزمه على أن يتأله ، أو يكون قديساً ، فهو يبدأ « يومياته » ليسجل خطواته في هذا السبيل .

ولكنه لا يؤمن بالدين ، فهو لا يريد أن يكون قديساً كقديسي الكنيسة ، بل يريد أن يحيا حياة القديسين ، يريد أن ينعم بلذة الفضيلة ، يريد أن يرفع الفضائل النفسية — في ذاته هو — إلى أوج من العظمة . وهو يرى أنه بهذا يفي بحاجة من حاجات العصر : حاجته إلى قديسين ، فقد كان لكل عصر قديسوه ، ولكنه لا يرى لهذا العصر قديسين .

ويأخذ في جهاد نفسه جهاداً منظماً ، يدونه في « يومياته » وكلما خرج من معركة من هذه المعارك النفسية وجد نفسه مريضاً أو مستثقلا ، أو محتقراً . . ووجد أنه لم يبلغ من فضائله المنشودة شيئاً . وذلك لأن قديسي العصور القديمة كانوا يمارسون فضائلهم معتمدين على إيمان وثيق بالله واليوم الآخر ، كانوا يعتقدون أن الحق في جانبهم ، وأن الله معهم ، فكان في أعمالهم ثقة واطمئنان وجلال . أما هو فلا يؤمن بقوة خارج نفسه ، ولا يبحث في جهاده إلا عن نفسه ، ففضائله تبدو سخيفة مضحكة ، إذ يعوزها الوسط الذي لا تنشط إلا فيه ، وكأنما هو رجل يحرك شفتيه بالغناء فلا يتجاوز غناؤه حنجرته .

ويتمنى سلافان أن يؤمن ، ويرتاد الكنائس ، ويعترف ، ولكنه يحس في هذه التجارب كلها شيئاً من الصدق . إنما هي حركات وأقوال لا تصدر من قلوب قائليها ، ولا تصل إلى قلوب سامعيها . هي أشبه بالبقايا المتحجرة من عصور إنسانية بائدة . ويكتب إلى قس بروتستنتي يسأله النصح لروح ضالة ، فيكتب إليه كتاباً موجزاً ذا رقم وتاريخ ، ويحدد له ساعة يلقاه فيها بعد أسابيع ... ويقابله في مكتب كمكاتب رجال الأعمال ، وإذا هو أمام قس يرشد الأرواح الضالة « بالجملة » ، على طريقة الإنتاج بالجملة ، ويرد الإيمان إلى النفوس الحائرة بأحدث أساليب التحليل النفسي .

لا يستطيع سلافان ، إذاً ، أن يكون قديساً . وتنتهي هذه التجربة الأليمة بمرض طويل في مستشفى مجاني ، دخله على أثر حمى أصابته لأنه قدم معطفه وحذاءه — في الشارع وفي ليلة من ليالي الشتاء — إلى أفاق لئيم ، لم يجد ما يعطيه إياه ، فأبى أن يقدم إليه كساءه على أن يحتمل نظرة الشك التي صوبها إليه .

ويخرج سلافان من المستشفى وقد كسبته هذه التجربة نوعاً من الهدوء ، ولكنه ما زال يبحث .. يبحث بالمعنى المطلق لهذا الفعل ، كما يقول . ويهديه البحث إلى « نادي شارع ليونيه » ، وهو ليس بناد على الحقيقة ، إنما هو حانوت إسكاف فقير يجتمع فيه بعض الشيوعيين الثوريين الذين يدعون إلى مجتمع جديد . يجتمعون فيه خفية حيث يتباحثون في مشاكلهم ويدبرون أمورهم ، وإن كنا لا نعرف ماذا يدبرون بالضبط لأننا نراهم بعيني سلافان ، وليس سلافان واحداً منهم وإنما هو في اصطلاحهم « عاطف » وكما يقول أحدهم : « من أولئك المثقفين الذين ينزلون إلى الشعب . طراز ١٩٠٠ » . فهم لا يطلعونه إذاً على كثير من أسرارهم ، ولكنه يفهم أنهم يطمحون إلى حياة أسعد ، وراهم يعيشون عيشة خشنة ، ويعلم أنهم يلاقون ألوان

(*) مقدمة لقصة « اعتراف منتصف الليل » لجورج دبهامل — ترجمة عربية تظهر قريباً .

الاضطهاد ، ونفسه نزاعة إلى السمو ، ذواقة للألم ، فبينما هو يفكر أن يلقى بنفسه فى تلك النار ، يعلم من أمرهم ما لم يكن يعلم ، فهم ثوريون فنيون ، لا يبالون كثيراً بالفرد ، لأن همهم تغيير المجتمع ، وإنما يأتى صلاح الفرد بعد صلاح المجتمع . عندئذ تنفر منهم فرديته فيقول لهم : « إننى لا أسمح لنفسى بانتقادكم ، وأغلب ظنى أنكم ما دمتم مقدمين على هذا الأمر فتم ما يدعوكم إلى ذلك . ولكنكم تستطيعون أن تغيروا ما يسمى النظام ، وتستطيعون أن تخلفوا الطبقة الحاكمة ، تستطيعون أن تغيروا كل شىء ولكنكم إذا لم تغيرونى أنا — أنا سلافان مثلا — فإنكم لم تغيروا شيئاً ! »

فإذا سأله سائل منهم : « ولماذا تلح هكذا فى تغيير نفسك ؟ » أجاب فى صوت خفيض ولكنه واضح يسمعه الجميع : « لأنى .. لأنى جبان » .

ويعكف وحده على هذه الفكرة يديرها فى نفسه حتى ينتهى فيها إلى نوع من الفلسفة . إنه يريد أن يغير روحه ، ولكن ليس فى ذلك شىء من المغالاة ولا تكليف الأمور غير طبائعها ، بل إنه تجربة معقولة . فروحه ليست إلا أربعين سنة من الحوادث والأفكار والإشارات والأقوال . إنها الحى الذى يعيش فيه ، والمنزل الذى يسكنه ، وملابسه وأثاث بيته ، وزوجه وأمه المجوز . إن ما يسميه روحه هو ذلك العالم المألوف الذى يضغط عليه ويخنقه ، والذى يريد هو أن يرفعه عن عاتقه ويطوح به . . .

ولكن سلافان لا يفارق أصحابه الثوريين حتى يدهمهم البوليس ويقضى ليلته فى السجن . ويعود إلى داره فى صبيحة ذلك اليوم ليجد أمه تهلك أسى . . .

كأنما انفسح له المجال لينفذ مشروعه الجديد ، فهو يودع زوجته بخطاب قصير ، ويمضى ليجرب أن يكون رجلا آخر غير سلافان . وقد تعلم هذه المرة ألا يطمح إلى أفعال رائعة . . . لن يحاول أن يكون قديساً ، بل يكفيه أن يكون إنساناً ، يخفف آلام المنكوبين من البشر ، وما أكثرهم ! فنراه فى القصة الأخيرة « كما هو » يعيش فى الجزائر باسم « سيمون شاڤجران » ، وكيلا لشركة « فونوغرافات » ، وقد حلق لحيته

واستبدل بنظارته المعدنية عوينات ذهبية الإطار ، وأصبح يحظى بإجلال عارفيه لأنه لا يفتأ يضرب الأمثال على تضحيته وإيثاره وحبه للانسانية . فهو قد أنقذ صبية صغيرة من بين عجلات القطار فى مرسيليا ، وقد تبرع بدمه لجريح ، وتطوع لتمريض المصابين بالطاعون . ثم هو يرعى خادمه «مختاراً» ويعلمه القراءة والكتابة ويحاول أن يثنيه عما هو منغمس فيه من قبيح العادات . إذن فقد أصبح يمارس أعمال الخير حقاً ، ولم يعد يجرب اكتساب الفضائل بطرق خيالية . ولكنه على ذلك كله غير راض عما يفعل ! لماذا ؟ إنه غير مجرد من كل تفكير جماعى ، فأمله يرى أن طيبته وإنسانيته لم تخففا شيئاً من آلام الناس . ولكنه لم يقدم على هذه التجربة الكبيرة لينقذ الإنسانية ، بل أراد أن ينقذ الإنسانية فى نفسه أولا ، بأن يكون إنساناً فاضلا فيما يأتى وما يدع ، عن سليقة وعادة لا عن تفكير وإرادة . وهو يرى أنه لم يبلغ من ذلك شيئاً . فهو يرتد ثانية إلى نفسه ، ويصارح صاحباً له : « كيف يستطيع المرء ألا يكون إلا ما هو ؟ وكيف يحاول أن يكون غير ما هو بغير أن يصيبه الجنون ؟ »

هو إذاً لم يتقدم خطوة منذ فكر أن « يغير روحه » . ولكنه يتعلم شيئاً واحداً : يتعلم « أن العمل الطيب إنما هو ثمرة تفكير يوازن ويختار . أنه النتيجة الثابتة الرائعة لصراع باطنى كبير » . وتدخل هذه الحكمة على نفسه شيئاً من الهدوء . . . فهو يستطيع إذاً أن يصل إلى السلام النفسى الذى ينشده عن طريق هذا الصراع الباطنى الموجه دائماً نحو غرض طيب .

وتأتى نهاية سلافان فى عمل من هذه الأعمال الطيبة .

قتل خادمه مختار رجلا إيطالياً برصاصة مسدس ، وكان سلافان يستطيع — بشىء من حضور الذهن — أن يمنع الحادث ، ولكنه لم يفعل ، واعتصم الخادم بقبو المنزل . فسار إليه سلافان يضرع إليه بأن يخرج ويعده أن يدافع عنه ، وإذا بالخادم يرديه بطلقة من مسدسه .

عمل من أعمال الطيبة ! عمل يودى بصاحبه دون جدوى ولكنه يأتيه بالسلام النفسى الذى ينشده ، لأنه انتصار على تردد النفس وجبنها ، ومواجهة للجهل والظلم والشر ، ولأنه لطف

اقرأ معي

وقف برنارد شو فى جماعة العمل الحر بالجمعية الفابية بلندن يلخص المدالة الاجتماعية التى يرجوها لبنى وطنه فقال :

إن مطالبى عادلة ومتواضعة وهى شقة صغيرة فى الطرف الغربى من لندن ، ومنزل ريفى جميل ، وسيارتان ، وثلاثة أو أربعة آلاف من الجنيهات ، ومع ذلك لا يكون هناك شخص أقنع من برنارد شو فى إنجلترة . إن أصحاب الملايين المديدة يصفوننى لطلبى المتواضع هذا بأننى شيطان فقير ؛ ولكنى أرى أن ما طلبت يكفينى أن أعيش بسهولة فى هذا الوضع الاجتماعى العادل أحب أن أرى كل رجل وامرأة .

***

الويلات التسع (لجبران خليل مطران)

١ — ويل لأمة تنصرف عن الدين إلى المذهب ، وعن الحقل إلى الزقاق ، وعن الحكمة إلى المنطق .

٢ — ويل لأمة تلبس مما لا تنسج ، وتأكل مما لا تزرع ، وتشرب مما لا تعصر .

٣ — ويل لأمة مغلوبة تحسب الزوكشة فى غالبها كمالاً ، والقبيح فيها جمالا .

٤ — ويل لأمة تكره الضيم فى منامها وتخنع إليه فى يقظتها

٥ — ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش ، ولا تفاخر إلا إذا وقفت فى المقبرة ، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع .

٦ — ويل لأمة سياستها ثعلبة ، وفلسفتها شعوذة ، أما صناعتها ففى الترقيم .

٧ — ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير ، ثم تشيعه بالفحيح والصفير ، لتقابل فاتحاً آخر بالتزمير والتطبيل .

٨ — ويل لأمة عاقلها أبكم وقويها أعمى ومحتالها ثرثار .

٩ — ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة .

***

وضعت جمعية المحامين فى نيويورك بناء على اختباراتها الكثيرة فى القضايا المختلفة بين الزوجين ، والمؤدية إلى شقاء الأسرة وخراب البيت عشر وصايا للزوج ، هى :

١ — لا تكن بخيلا فالزوجة وإن يكن لها صبر على الفقر لا تحتمل البخل والتقتير متى كان زوجها فى سعة .

٢ — أترك الأمور المنزلية لزوجتك تدبرها كيف شاءت .

٣ — ابتسم فى بيتك . ابتسم دائماً ولو كنت مهموماً ؛ فالابتسام أحسن ما يقوى السعادة الزوجية .

٤ — لا تخف أن تطلع امرأتك على محبتك الشديدة وتقديرك لها ، وأثرها الطيب فى حياتك .

٥ — كن دائماً حبيباً لا زوجاً فقط ، فالمرأة تكره أن ينتهى الحب حالما ينتهى شهر العسل .

٦ — لا تعنف زوجتك مهما كانت الظروف صعبة .

٧ — ابتعد عن أقاربك وأقاربها ما استطعت ، وابنيا بيتكما كما تريدان .

٨ — لا تسكن معك رجلا غريباً ؛ فإن النمر فى بيتك أقل خطراً من ذلك .

٩ — لا تهمل فى لباسك وهيئتك وعوائدك أمام زوجتك

ورحمة ، ولأنه عفو ومغفرة . وتلك هى الفضائل النفسية التى جاهد سلافان ليبلغها . فليكن عزاؤه إذ لم يحظ بها فى حياته ، أنه أحسها فى مماته ، وليكن عذره إذ لم يبلغ السلام النفسى الذى ينشده ، أنه دفع حياته ثمناً له !

***

لست أدرى ماذا عسى أن يكون رأيك فى سلافان . وقد أردت بهذه المقدمة شرحاً وتفسيراً ، ولم أرد نقداً وموازنة ، على أنى أكتفى بأن أقول إن سلافان الشاب أحب إلى من سلافان الكهل لأن سلافان الكهل أبعد عن الواقع وأقرب إلى أن يكون دعاوة لأفكار الكاتب ، ولأن سلافان الشاب أروع سخرية وأقل تشاؤماً على رغم ما ينتابه من يأس عنيف .

شكرى محمد عياد

بل ابق معها كما كنت أيام الخطبة .

١٠ — عامل أولادك بالحنان والمحبة والعدل ؛ فإنك بذلك تأسر قلوبهم وقلب أمهم معهم .

***

قرأت في إحدى نشرات The New History Society جمعية التاريخ الجديد بنيويورك الفقرات التالية عن السلام لبعض شبيبة العالم .

تحولوا إلى الشبيبة الراغبة في السلام وفي حياة أفضل فالشيوخ لا يفهمون . (تشيكو سلوفاكيا)

تظل الحروب آخذة مجراها ما دام الرأي العام لا يعترض عليها . (إنجلترة)

لتمت الأمم لكي تحيا البشرية . (فرنسا)

اغرسوا في الفتيان تلك الفضائل التي تجعلهم من وطني ولايات العالم المتحدة . (هولندا)

يجب على الفتيان أن يحرروا أنفسهم من تعصبات الهيئة الاجتماعية المفلسة . (رومانيا)

قاطعوا خطب الأساتذة المهالئين للجندية وأثيروا هياجاً هائلا ضد الحرب (إيطاليا)

على الشبيبة أن تحرر نفسها من عادة المغالاة في احترام التقاليد الميتة وأن تنهض من غفلة الإذعان للأصنام التي يجب عليها انزالها عن عروشها . (البرازيل)

***

نشرت مجلة Leader عدة حقائق عن السكر نقتطف منها ما يلي :

١ — عرفت زراعة قصب السكر منذ ٣٠٠ سنة قبل الميلاد في الهند ومنها عرف في بلاد الفرس ثم بلاد العرب وبعد ذلك بألف سنة أخذه أهل مراكش إلى أسبانيا ومنها عرف في إنجلترة بعد خمسة قرون .

٢ — كان السكر حتى القرن الخامس عشر يستعمل كدواء فقط ولثمنه المرتفع في ذلك الوقت لم يكن في قدرة السواد الأعظم من الناس أن يشتروه .

٣ — كان أول من استخرج السكر من البنجر هو بنيامين دليسه عام ١٨١١ عند ما لم تتمكن فرنسا أبان حروبها من الحصول عليه من الخارج . وقد أنعم عليه نابليون بوسام الشرف تقديراً له .

٤ — أجمع أطباء نيوزيلند على أن نقص السكر في الجسم يسبب ميلا إلى الإجرام وقد فحصوا دم عدد كبير من المجرمين فوجدوا فيه نقصاً كبيراً في الجليكوز .

(الأبيض — السودان) إيليا حليم حنا

عادت النــــار . . .

للأســــتاذ محمود حسن إسماعيل

« إلى النار التي اندلع لهيبها في رمادي ... فكادت تورق في عذابه أغصان الزوال ! »

وما كدت أبصرها في انظلام   وأصـــغى لأنوارها في دجاه
تلفتُ فاهتزَّ فِيَّ الرَّمادُ   وشبت من الموت رؤيا لظاه
وأوما إليها سكونُ الزَّوال   فضجت بجنبيه نارُ الحيــاه
وهبَّت قبورٌ سلاها الفناء   ولم يبق فيها لبـــاكٍ شكاه
سلونا وضمنا وضاع الرباب   ومرنا خريفاً جفـــاه الرعاه
وكل الذي كان في كأسنا   بقايا النـــدامة عند العصاه
وجرح خفي حملنا أســـاه   ودرنا به صرخـة في فلاه !
فمن أين يا رب هـذا الضياء   ولا أرض فيها نقيم الصلاه ؟ !
تلفت ! واهـــاً على الحائرين   إذا بوغتوا باخضرار الفلاه !
غناء ، وعشب ، ومجرى غدير   توهج من نشوة شاطئاه
وصبحٌ مزاميره في الفضـاء   وترجيعها كامن في حشاه
وماض رخيم الردى ، كلمـا   تزايلت منماه ، ألقى عصـــاه
فأطرقت حتى عبرت الزوال   وهيَّلت أحلامه في ثراه ! !
وقلتُ الهوى لم يضع .. إنما   أضاعت خطاها إليه فتـــاه

* * *

تعـالى نسرْ في خضم العذاب   وزورقنا ساخر من أساه
تعالى نواصل سرى العاشقين   وركب جنون الصبـا للحياه
ونمشي..ونمشي..إلى أن نزول   ويلفقنا سكرة منتهـــاه
فإن ساورتنا رياح الزمان   دفنـا أساها بنـار الشفاه
تعالى نحلق بهـذا العذاب   ونمض إلى كل أفـــق نراه
تعـالى فإني لمحت الوجـود   بعينيك حيران تهوى رباه
خمائله باكيات الظـلال   وغدرانه ظـامئات المياه
ونوح بجفنيك شاجي الأنين   عبرت الدجى مطرقاً في صداه
وليـل بصدرك خابي النجوم   صفير الأعاصير أشـق دجاه
سمعت الخيـانة في غابه   وحيَّاتها تســتفز الرقاه
تدب إلى كل أيك رطيب   وتُجرى مهالكها في ثراه !
وجنات شوق رطاب اللهيب   قريبات عهـد بسحر الإلـه
بجنبيك فضـــت أفانينها   شواظاً من العطر يبكي شذاه
لمن ارتجاس تبيد الذنوب   إذا وسوست شهقة في حماه
وفيهن مهوى ضلال السنين   إذا أزهقت شارداً في هواه
وبحر من التيه نائي الضفاف   تلاشى وأوغل بي شاطئاه
عبرنا بأمواجـه اللاهثات   عذاباً تضلّ الليـالي سُراه
على زورق رافضي الشراع   تلجلج في عاصف ثم تاه ...
وتهنـا به في خضم حزين   جفا الفلك تياره واشتهاه !
تعالى فإني منـــاد غريب   على قمـــة لم تقم في حياه
عبرت الليـالي بناي شجي   وقلب شــقي طفت علّتاه !
فهيا نغنى لهـــذا الرماد   لعـل البلى ينتهي من ثراه
ونغـــدو رباباً لفجر الربيع   وحلماً عميقـاً يناغى كراه !
تعالى ... فما في حياة العباد   لأمثالنا غـير تلك الصلاه !

محمود حسن إسماعيل

الأدب والفن في أسبوع

حول جوائز فؤاد الأول الأدبية :

قالت « أخبار اليوم » إن الأديبين الكبيرين إبراهيم عبد القادر المازنى وتوفيق الحكيم أرسلا إلى معالى وزير المعارف خطابا نشرت نصه ، وهما يقولان فيه إنه قد بلغهما أن كتباً لهما قدمت إلى مسابقة لنيل جائزة فؤاد الأول ، ويرجوان استبعاد هذه الكتب ، حتى يقولا : « وإن إقحامنا فى مباراة للجميع تزاحم فيها بالمناكب ناشئة الأدباء والمؤلفين فيما يستحقون من تشجيع ، ليظهرنا بمظهر فيه مجافاة للذوق ومنافاة للمروءة »

وأود أولا أن أقول إن جوائز فؤاد الأول الأدبية لا تمنح لفائز فى مسابقة وإنما تمنح لخير كتاب أو كتب ظهرت فى السنوات الخمس الأخيرة ؛ وينص مرسوم إنشاء هذه الجوائز على أن اللجنة تبحث فيما تختاره من الإنتاج وما يقدم إليها من أصحاب الإنتاج أو غيرهم من الهيئات التى ينتمون إليها .

وأقول ثانياً إن جوائز فؤاد الأول ليست مباراة لناشئة الأدباء والمؤلفين ، وأستطيع أن أقول استنتاجاً من فهمى لوضعها الرسمى : إن من سيمنح الجائزة سواء أكان واحداً أو أكثر لا يمكن أنه يقل مستواه الأدبى عن طبقة الأستاذين المازنى وتوفيق الحكيم ... فلهما أن يطمئنا على مروءتهما وعدم مجافاتهما للذوق .

وقد فرغت اللجنة من مهمتها فى يوم الأربعاء الماضى وقد علمنا أنها اقتصرت فى منح الجوائز هذا العام على الدراسات الإسلامية الأدبية

الذوق الأدبى عند الطفل :

ألقى الدكتور إبراهيم سلامة الأستاذ بكلية دار العلوم ، محاضرة عن « الذوق الأدبى عند الطفل » يوم الخميس بمعهد التربية للمعلمين ، بدأها بقوله : الأدب فى آخر تحليله فكرة مصورة تزجيها عاطفة . فعناصره ثلاثة : الفكرة والصورة والعاطفة . ثم قال لا بد لنا من أن نرجع بالأدب إذا بحثنا عنه فى الطفل إلى العاطفة . كما لابد من مجاراة بعض علماء النفس الذين يمثلون الطفل بالرجل البدائى الذى تحركت فى نفسه المشاعر أول شىء ، وكان اتجاه عاطفته نحو المعبود ، وإذا تلمسنا الأدب فى تلك الأزمنة البعيدة ألفيناه عند المقربين إلى الآلهة من الكهنة والسحرة فهم القادرون على التعبير عن عواطفهم بالكلام الذى ينمقونه ويزوقونه ليكون مخالفاً لكلام سائر الناس ، ومن السهل أن نتصور حلقة من هذه الحلقات البدائية المقدسة ، فنتصور إنشاداً وغناء وتوقيعاً وتصفيقاً ودورات متعددة مقسمة بين الكلام والحركة ، ففى هذه الحلقات كان الرقص والغناء والموسيقى تعبيرات عن العاطفة عامة وعن العاطفة الدينية خاصة . فالطفل فى المرحلة الأولى من طفولته لا نستطيع أن نعتمد فى إيقاظ ذوقه الأدبى إلا على الناحية العاطفية والرقص والغناء والموسيقى نافعة فى تكوين الذوق الفنى عموما ، ولكن لكى ننتفع بها فى تنمية الذوق الأدبى لا بد أن ننتقل من الرمزية الحركية إلى الرمزية الكلامية أى إلى إنشاد وإلقاء وغناء ، فالأناشيد الجمعية المغنية والموقعة على الموسيقى نافعة جداً فى هذه المرحلة . وإن يقظة الذوق الأدبى عن طريق النثر صعبة حتى فى الكبار ، فليست لنا وسيلة لهذه اليقظة الأدبية مع الصغار إلا بالأناشيد والموسيقى واختيار العبارات الانفعالية الراقصة .

ثم قال الدكتور : إن طبيعة الطفولة طبيعة أدبية ، فالطفل يقول لأمه أحبك كما يقول الشاعر لحبيبته ، بل الطفل أرق أحياناً من ابن أبى ربيعة الذى أحب الرباب « عدد النجم والحصى والتراب » وأحب الطفل أمه « قد السكر وقد العسل والشكولاته » ؛ فالطفل أديب بطبعه وذوقه والمعلمون يفسدون عليه هذا الذوق . وهو يخاطب الجماد ويناجيه ، فالطفلة تخاطب دميتها ويخاطب الطفل كلبه ويكلمه ويسأله ويجيب عنه ، كما يخاطب الشعراء الديار والأطلال . وكلاباريد يقول : إن الطفل وهو يلعب يحلم وعيناه مفتوحتان ، والشاعر إذا شعر كان فى شبه غيبوبة ، والشاعر الحالم أرق الشعراء . ولكن هذه الفنية الأدبية فى الطفل

لا تلبث أن تختنق بعـد الثامنة لاشتغاله بالقيم اللغوية فى الألفاظ ولهجرة اللغة الحرة الطبيعية التى نشأ عليها إلى لغة كلاسيـكية ليس فى قاموسه منها إلا القليل ، والمأزق هنا ضيق ليس فيه إلا منفذان ، إما ضياع القيم الوضعية للغة ، وإما ضياع اللغة الأدبية للطفولة التى لا يعبأ فيها بالقيمة اللغوية ، والمعلم اللبق من يستبق لغة الطفل فيعد لها بدل أن يميتها ويميت معها كثيراً من العواطف والأحاسيس اللغوية والتصورات الفنية .

الشعر بين حاضره ومستقبله :

استمعت مرة أخرى يوم الجمعة الماضى إلى الأساتذة شـوق أمين وكامل عجلان ومصطفى حبيب ، يتحاورون فى إذاعة الشرق الأدنى العربية ، وكان موضوع الحوار « الشعر العربى بين حاضره ومستقبله » وقـد اختلفت آراؤهم ونظراتهم إلى حالة الشـعر الحاضرة ، فعجلان يحمل على شعرائنا الأحياء حملة شعواء ويقول إنه قلب نظره بين الشعراء بعد شوقى فلم يجد نفسه إلا ملتفتاً نحو شوقى ، حتى يقول : إن شوقى هـو ما ضينا فى الشعر وحاضرنا والمستقبل غيب . ويرى أن شعراءنا لم يـكونوا هم أصحاب السبق فى تصوير حياتنا وخوالجنا وآمالنا فى الفترة الحاضرة ، وأن موقفهم يكاد يكون موقف المتخلف عن الركب .

وينكر شوق أمين أن ترى قرائح الشعراء بالعقم أو بعده ، ويرى أن شوقى بمـكانته التى نالها كان من عمل الظروف الخاصة به ، ولو أتيحت هـذه الظروف أو أشباهها لغيره من الشـعراء لرأينا شوقيين كثيرين ، ويتخيل أن المجتمع الأدبى كأنما أراد حداداً على شوقى فلم يفسح المجال لشعرائنا المعاصرين كى يغنوا غناءه ويقوموا مقامه ؛ ويقول إن واجبنا هو أن نتيح لناشئتنا مختلف المناهل الثقافية والأدبية ، ونمهد لـكل ذى نزعة أن يجد له متنفساً ، وبهذا التيسير والتمهيد تتكشف العبقرية ويظهر العبقرى ، وسيشق لنا ذلك العبقرى أفقـاً نتطلع إليه معجبين ، ونرى فيه المثل الأعلى .

ولا يرى حبيب أن الظروف وحدها أو الطبيعة وحدها تستطيع أن تخلق شاعراً نابغاً وعبقريا ، بل ثمة عوامل أخرى ترجع إلى الهبة أولا ونفاذ البصر والبصيرة ثانياً هى التى تعين على خلق الفنان . وليست البطولة العبقرية وقفا على الأبهة والعظمة ، فكثيرون من الأبطال شعراء وغير شعراء قد ذاقوا مرارة المتبت وعاشوا حياتهم فى شظف ، ومع ذلك تركوا تراثاً خالداً من الأدب والمجد .

ويقول لعجلان : أنت تتحامل على الشعراء ، فمازلنا نقرأ لمحات من الحياة فى شعر أبناء هذا الجيل ، ولعلنا نظلمهم إذا قلنا إنهم متأخرون عن السابقين لأننا فى مثل هذا الحـكم نصدر عن مقاييس فرضنا فيها الثبات ، مع أن المقاييس تتغير والحياة تسير ، حتى إن معظم الشعراء والأدباء الآن مازالون ينسجون على منوال الأعصر الخالية فى الشعر والأدب ، ولذلك فإن إنتاج قرائحهم لا يملأ نفوسنا نحن الشباب ، والناس يريدون أن يسمعوا شيئاً عما جد فى الوجود وأثره فى الحياة ، فاعذروا الشعراء إن هم لم يصادفوا هوى فى نفوس الشيب لأنهم يستجدثون ، ولا فى نفوس الشباب لأنهم لم يبلغوا بهم ما يريدون والذنب ذنب العصر لأنه لم يستقر .

السينما الثقافية فى خدمة الشباب :

تعمل إدارة خدمة الشباب بوزارة المعارف فى إعداد بعض الرسائل التثقيفية التى ترمى بها إلى إفادة الشباب واستغلال أوقات فراغهم فيما تميل إليه نفوسهم من الهوايات الأدبية والفنية .

وقد بدأت باختيار طائفة من الأفلام الثقافية لعرضها على جمهور من طلاب المدارس الثانوية ، وقد أعدت لهذا العرض حجرة كبيرة بدارها فى شارع سليمان باشا .

وقد اختارت تلك الأفلام من الإنتاج السينمائى الجيد ، ومما يؤسف له أنها لم تجد فلما مصريا واحداً يمكن أن يسمى ثقافيا .. وقد عرض فى هذا الأسبوع فلم « إجازة الأسبوع المفقودة » لشركة بارامونت ، و« حياة مدهشة » لشركة راديو ، و« البداية أو النهاية » لشركة مترو . وستعرض أفلاماً أخرى فى الفترة القادمة إلى أوائل مايو . ثم تنتظر حتى يفرغ الطلاب من الامتحانات . وفى العطلة الصيفية توسع الإدارة مدى نشاطها ليشمل لتيسر من الوسائل كما يشمل أكبر عدد ممكن من الشباب ، فلا يقتصر الأمر على العدد القليل الذى يختار الآن من المدارس .

والواقع أن إدارة خدمة الشباب تعمل الآن فى دائرة ضيقة جداً ، فليس كل الشباب هؤلاء المشرات الذين يترددون على دارها فى القاهرة ، ويوم تستطيع أن تمد أسبابها إلى الشباب فى أكثر جهات القطر ، يصح لها أن تغتبط بتأدية رسالتها .

الإذاعة وإنتاج الشباب :

كانت إدارة الإذاعة قد كتبت إلى إدارة خدمة الشباب التى قامت بتنظيم المهرجان الأدبى والفنى للشباب ترجو منها أن تبعث إليها ببعض الإنتاج الفائز فى المهرجان من أناشيد وتمثيليات إذاعية لإذاعتها ؛ ولم تذكر إدارة الإذاعة أنها ستدفع أجوراً لأصحاب هذا الإنتاج . فرد عليها الأستاذ عبد الله حبيب وكيل إدارة خدمة الشباب بأن الوزارة أجازت هؤلاء الشباب بجوائز أدبية وجوائز مادية قليلة على قدر ما سمح به « الاعتماد » وأن الإذاعة تتم لهم التشجيع إذا منحتهم أجوراً على ما تريد إذاعته لهم ، فإذا رأت ذلك فإن الإدارة ترسل إليها ما تطلب من ذلك الإنتاج

ولكن الإذاعة لم تجب ولعلها تنظر فى الأمر ؛ ولا شك أن أخذ إنتاج الشباب لإذاعته بالمجان ليس من العدل ، كما أنه ليس من العدل ولا من الحزم أن تقتصد محطة الإذاعة وتدخر لتستطيع أن ترضى كبار المطربين والموسيقيين الذى يتحكمون فيها على حساب الشباب الذى هم أحوج إلى التشجيع وإلى أن يجنوا شيئاً من ثمرات قرائحهم ومواهبهم .

الفن المعاصر والفن المصرى :

كانت وزارة المعارف قد استقدمت جماعة من كبار الفنانين الفرنسيين والاسبانيين ، لعرض طائفة من إنتاجهم فى الرسم والنحت ولإلقاء محاضرات بمدرسة الفنون الجميلة العليا ؛ وأقامت معرضاً لصورهم وتماثيلهم بدار الجمعية الزراعية الملكية ، هو معرض الفن المعاصر . وقد تفضل جلالة الملك بزيارة هذا المعرض ، وفى خلال هذه الزيارة الكريمة قال جلالته للمشرفين على المعرض : هل يمكن إقامة معرض مصرى كهذا ؟ وكانت هذه رغبة سامية ولفتة بارعة من جلالة الفاروق . ولا شك فى أن الوزارة ستعمل على تحقيق ذلك .

وقد وافقت هذه الإشارة الملكية هوى كثير من الفنانين المصريين الذين كانوا يشكون من اهمالهم ويوجهون النقد إلى استدعاء الفنانين الأجانب وبذل الأموال لهم ، مع أن لهم أى المصريين — إنتاجاً لا تقل قيمته الفنية عن إنتاج هؤلاء الأجانب . ومما يذكر بعضهم أن استدعاء هؤلاء الفنانين كان بوساطة مليونير مصرى معروف له شغف بهذا الفن ، وهم من أصدقائه ..

ومما لوحظ فى معرض الفن المعاصر أن الرسوم واللوحات كتبت عليها أسماؤها وموضوعاتها بلغة أجنبية ، ولم تكتب حتى بجانب الأجنبية — باللغة العربية . وهذه ظاهرة يؤسف لها أشد الأسف ، وخاصة أن هذا المعرض تنظمه الحكومة المصرية التى تفرض اللغة العربية فى مكاتباتها ، فكان يجب على الأقل أن يترجم المكتوب باللغة الأجنبية إلى العربية ويكتب فى أوراق منفصلة تعلق بجوار الصور والتماثيل .

« العباس »



التاريخ يعيد نفسه بين المسلمين واليهود :

ذكر الأستاذ على الشوبكى أنه جاء فى مقالى بهذا العنوان « ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم عن فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله) وعلق عليه بأنه لا يتسق والتسلسل الزمنى للتاريخ ، إذ كيف يقضى الروم على دولة اليهود ويجلوهم عن فلسطين لأنهم كذبوا المسيح وحاولوا قتله قبل ظهوره .

ولا شك أن مثل هذا لا يفهم من كلامى ، لأن الذى جاء فيه أن تسليط دولة الروم على اليهود هو الذى كان قبيل ظهور المسيح ، وعطف ما بعده عليه من القضاء عليهم وإجلائهم لا يقتضى أن يكون قبل ظهور المسيح أيضاً ، لأنه لا يلزم من تسليط دولة على أمة أن تقضى على دولتها عند تسلطها عليها ، ولا أن تجليها من وطنها ، فهذا فعل وذاك فعل ، وقد يحدث الفعل الثانى بعد مضى زمن على الفعل الأول .

وللأستاذ الشوبكى تحياتى وشكرى .

عبد المتعال الصعيدى

استدراك على صاحب العقد الفريد :

أورد صاحب العقد الفريد فى الجزء السابع باب « من سمع صوتاً فوافقه معناه فاستخفه الطرب » ما نصه : وغنى ابراهيم الموصلى محمد ابن زبيدة الأمين بقول الحسن بن هانىء فيه :

رشـــأ لولا ملاحته ... خلت الدنيا من الفتن
كل يوم يسترق له ... حسنه عبداً بلا ثمن
يا أمين الله عش أبداً ... دم على الأيام والزمن
أنت تبقى والفناء لنا ... فإذا أفنيتنا فكن
سن للناس القرى فقروا ... فكأن البخل لم يكن

قال : فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه وأكب على ابراهيم يقبل رأسه ؛ فقام إبراهيم من مجلسه يقبل أسفل رجليه وما وطئتا من البساط ؛ فأمر له بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال إبراهيم ياسيدى قد أجزتنى إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم ! فقال الأمين : وهل ذلك إلا خراج بعض الكور؟

والذى أذكره أن هذا تجن على الأمين أولا ، واختلاق على ابراهيم ثانياً ؛ فلقد فات الأستاذ العريان محقق الكتاب – كما فات صاحب العقد أن ابراهيم الموصلى لم يدرك زمن الأمين إذ كانت وفاته على عهد الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة . قال صاحب نهاية الأرب : لما مرض ابراهيم مرض الموت ركب الرشيد حماراً ودخل على ابراهيم يعوده وهو جالس فى الأبزن « حوض يغتسل فيه » فقال له : كيف أنت ياابراهيم ؟ فقال : أنا والله ياسيدى كما قال الشاعر :

سقيم مل منه أقربوه ... وأسلمه المداوى والحميم

فقال الرشيد : إنا لله ، فخرج فما بعد حتى سمع الداعية عليه .

وذكر صاحب الأغانى : قال اسحق بن ابراهيم الموصلى : دخلت على الرشيد بعقب وفاة أبى ... إلى أن قال فأدنانى منه فقبلت يده ورجله والأرض بين يديه فاستعبر وكان رفيقاً فوثبت قائماً ثم قلت :

فى بقاء الخليفة الميمون ... خلف مصيبة المحزون
لا يضير المصاب رزء إذا ما ... كان ذا مفزع إلى هارون

فقال لى : كذلك والله هو ، ولن تفقد من أبيك ما دمت حياً إلا شخصه .

هارون محمد أمين

فى مقال :

فى العدد (٧٦٨) من (الرسالة) الغراء اطلعت على مقال الأديب غائب طعمة فرمان « نظرات فى الأدب العراقى » ولى عليه تعقيبان لغويان ، هما :

١ – قال فى سياق المقال : «.. وتلك الصرخات (الداوية) فى الشعر العراقى .. » فاستعمل الفعل الثلاثى (دوى) من الدوىّ أى إحداث الصوت ! وهو خطأ ما فى ذلك شك ! إذ لا يقال : دوى الرعد . وإنما : دوّى الرعد .. لأن الثلاثى ماضيه – وهو من باب صدي – بمعنى مرض ، والدوى – على القصر –

المرض . وإذاً فالصواب أن يقال « الصرخات المدوية لا (الداوية) ... »

٢ — وقال : « .. و (على) ضوئها يمكن أن ندرس .. » وهو استعمال « مصلحى » بحت لا ينتمى إلى لغة الضاد على وجه الصواب بسبب أو بأسباب . والصحيح أن يقال : « ... (فى) ضوئها .. » . قال تعالى فى كتابه العزيز « كلما أضاء لهم مشوا (فيه) » . ومن أصدق من الله قيلا !

وبعد : فليس غرضنا من تعقيبنا هذا الخاطف إلا الذود من لغة الضاد ، هدى الله الجميع إلى الرشاد والسداد .

(الزيتون) عدنان

كتاب تاريخ الأدب العربي :

تجرأ أحد المجرمين من الكتبيين فقلد الطبعة العاشرة من كتاب « تاريخ الأدب العربى » وعرضها للبيع ، وهى طبعة ناقصة محرفة مشوهة ، يعرفها القارىء لأول وهلة من صغر حجمها ، وسوء طبعها ، واختلاف حرفها ، وخلوها من الشكل ، وكتابة عناوين الأبواب بالخط الفارسى وهى فى الأصل مكتوبة بخط الثلث . وأولى علامات هذه الطبعة المزيفة أن تجد على صفحة الغلاف الأولى جملة (حقوق الطبع محفوظة) غير محصورة بحاصرتين وهى فى الطبعة الأصلية الصحيحة محصورة بهما وشكلهما هكذا [ ] .

وقد اتخذت الإجراءات الرسمية لضبط الزيف ومصادرة النسخ المزيفة . وإنا لننصح لحضرات القراء أن يميزوا بين الطبعتين بما ذكرنا من الفروق ، وأن يتفضلوا — متى وقعت فى أيديهم نسخة مزورة — فيخبروا إدارة الرسالة بمكانها ومصدرها وعلى الأخص فى الأقطار العربية . وقد شرعنا نطبع الكتاب طبعته الحادية عشرة وستكون مزيدة منقحة كما عودنا القراء فى كل طبعة

حول ديوان أبى فراس :

لأمراء فى أن هذا الديوان فى ثوبه الجديد خليق بكل ماقوبل به من حفاوة وتنويه . فهو طراز لا عهد للشرق به فى الاخراج ، وأسلوب يجب احتذاؤه فى نشر تراثنا القديم ؟ ولكن ما فائدة كل هذه المجهودات فى التحقيق والنشر إذا ظلت عقيما لم ينتفع بها منتفع ، وباتت حتى فوق متناول أساتذة الأدب فى معاهد الأدب العالية ؟

جرى ذكر نشر هذا الديوان وثمنه فى مجلس شيخ من شيوخ اللغة والأدب فى مصر . فتبسم ضاحكا وقال : ما معنى أن يبلغ ثمن الديوان فوق الثلاثة جنيهات . وكم أستاذا ممن يدرسون الأدب يتحمل دخله أن يبذل فى أمثال هذا الديوان هذا المبلغ ؟ وكم يبقى لما تخرجه المطابع العربية ؟ وما يحمل إلينا من المطبوعات الأجنبية ، يجب أن تظل هذه الأعمال العلمية ، « ما أمكن » بمنأى عن روح التجارة بعيدة عن أن يكدر صفاءها غبار الاستغلال ، حتى يتهيأ لها أن تؤتى آثارها المرجوة . إن كنا نريد أن نزود الأمة : وننهض بذوقها وفكرها . .

إن أهم ما ينال من مكانة هذا الأثر فى النفوس أنه قد شق مطلبه وعسر سبيله على كثير من الاساتذة الذين هم حماة اللغة ورعاة الأدب فضلا عن الشباب .

محمد عبد الحليم أبو زيد

مهرجان للشعر فى النادى النوبى العام :

يقيم النادى النوبى العام بالأسكندرية مهرجاناً شعرياً احتفالا بالربيع فى الساعة السابعة من مساء يوم الأحد ٢٨ مارس سنة ١٩٤٨ ، برئاسة صاحب العزة البكباشى أحمد الطاهر بك رئيس جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية . ومن خطبائه وشعرائه الأساتذة : إدوار حنا سعد ، حسين محمود البشبيشى، خليل شيبوب ، عبداللطيف النشار، عثمان العزب ، الآنسة عواطف بيومى ، الأستاذ محمد فضل اسماعيل



طبيعـــة مبهمة !

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

مالت السيدة الوضيئة جانباً ، وهى جالسة على مقعد وثير مغطى بالمخمل الأحمر فى عربة فاخرة من عربات السكة الحديدية !. وقد ضمت أناملها البضة الرقيقة مروحة مريشة أنيقة الصنع رائعة الوشى .. راحت تهتز وتتراقص عن يمين تارة وعن شمال ! ..

وطفق المنظار الملق على أنفها الدقيق الفاتن لا يقر له قرار ، بينما بدت « الحلية الماسية » مشرقة تتألق على جيدها كزورق يسبح فى ماء المحيط ! ..

وجلس فى مقعد قبالتها الناموس [1] الإقليمى للجمعيات الخاصة وهو شاب حديث المنبت فى الأدب ، يخرج على القوم بين حين وحين بقصص طوال — من النسق الرفيع كما يحلو له أن يسميها — ينشرها فى جريدة الإقليم ...

راح يحملق فى صفحة وجهها ، ويحدق عن قصد لا يحول .. بعين العارف الخبير ! إنه يتأمل ويدرس .. ويتصيد ظلالا عابرة وأطيافاً حائرة بين ثنايا هذه الطبيعة المبهمة ، والغموض يكتنفها !

إنه يحاول أن يفهمها ويسبر غورها .. فروحها ونفسها .. كلتاهما مبسوطة بينة الجلاء أمام ناظريه ..

ثم لم يلبث أن قال لها ، وهو يلثم رسغها البض على مقربة من السوار ! .

« آه .. لقد أدركت ! . أدركت إلى أبعد مدى ما يدور بين جوانحك .. إن روحك ذات الحس المرهف والأمل الطامح .. تسعى فى سبيل الخلاص من ربقة الحيرة الطاغية ، والفكاك من أسر القلق القاتل ! إنه لصراع عنيف « نضال مخيف ! ولكن تمالكى روعكِ وأمسكى عليك صوابك وتذرعى بالصبر فلسوف يأتيك الفوز من حيث لا تعلمين .. أجل ! »

فقالت السيدة الأنيقة فى صوت خفيض مضطرب النبرات ، وقد علت وجهها بسمة حزينة : « أكتب عنى يا « فلدمار » ...

أن حياتى عامرة مختلفة ألوانها ! . زاخرة بالمال والذهب .. بيد أنى — على الرغم من ذاك — لا أذوق للسعادة طعماً ، ولا أجد الهناءة إلا حلماً ! . ما أنا إلا نفس معذبة وروح شقية فى صفحة من صفحات « دستوفسكى » ! .

« عرف العالم بهذه النفس يا « فلدمار » ، وأذع خبر هذه الروح ذات الحظ العاثر والطالع النحس ! . لقد أوشكت أن تبلغ من قلبى مبلغاً عظيما . ولعلك لا تجدنى بعد ساعة فى هذا القطار »

— « خبرينى ! . ناشدتك الله .. خبرينى ! . »

— « أعرنى مسمعيك .. لقد كان أبى كاتباً فى « الخدمة » قتر عليه رزقه .. وكان ذا قلب تممره الطيبة ويفيض عطفاً وحنواً وذا عقل ليس بالعاطل من الفطنة والمعرفة .. بيد أن الزمام أفلت من بنانه وهو فى غاية العمر ، وتنكّب جادة الرشد وهو على شفا القبر ! .. فأدمن الخمر وأغرق فى الميسر .. وامتدت يده إلى الرشوة فلوثها دنسها ! . إنى لا أضمر له لوماً .. بل طالما رثيت له وأشفقت عليه ! .

وأمى ! — ولكن ما الذى يدعونى إلى أن أمضى فى هذا ! . المتربة والعوز .. والنضال المرير فى سبيل لقمة تسد الرمق ! .. والشاعر التى تكتنف المرء لإحساسه بتفاهة شأنه وحقارة أمره فى موكب الحياة الصاخب ! أوه ! دعنى .. لا تدفعنى إلى أن أبعث هذه الذكريات وأثير تلك الشجون .. لقد جاهدتُ فى أن أشق سبيلى وأنت أدرى بمجال التعليم فى تلك المعاهد التى تأوى من يطلب العلم فيها ، وما يجتاح الشباب — وهو يتفتح — من حماقات ونزوات .. ثم هذه الخفقات الأولى بين الضلوع .. للحب الوليد ! إن ذلك لرهيب مهيب ! . الحيرة والاضطراب ، وتلك الآلام المبرحة التى تحز فى النفس حزاً عند من يفقد يقينه بالحياة ! ...

أوه إنك مؤلف ! . وتدرك ما يفعم قلوبنا .. معشر النساء !

---

(١) « الناموس » هى الترجمة الصحيحة لمن يدعى « السكرتير » . « جبل »

لسوف تفهم كل شيء ! . كم كنت تعسة شقية! : أتلمس السعادة وأى سعادة ! وأتوق إلى أن أطلق لروحى عنان الحرية ! أجل فها هنا .. تكمن سعادتى وتستكن راحتى ! . »

فتمتم « المؤلف » .. وهو ينهال على رسغها العاجى فيلثمه مرة أخرى عند السوار !. « يالك من مخلوق رائع! إنى لا أقبلك أنت .. بل أحيى فيك الإنســـانية المعذبة .. ألا تذكرين « رسكولنكوف » وقبلته الخالدة ! .. »

— « أوه .. يافلدمار .. إنى لتواقة إلى المجد ، مشوقة إلى الرفعة ظامئة إلى الشهرة ! إنى لأحن إلى أمر غير هذه الأمور التى لا تفتأ تدور على وتيرة واحدة .. أمر غريب عجيب لا تألفه النساء ! .

وبعد هذا ! . ألقت إلى المقادير قائداً عجوزاً عظيم الثراء وافر النعمة ! . هلا فهمتنى يافلدمار . لقــد كانت تضحية بالنفس وأى تضحية ! . وإنكاراً للذات وأى إنكار! ينبغى أن تعلم هذا !

لم يكن بوسعى أمر غيره فقد علقت « الأسرة » آمالها وعقدت أمانيها على أن أقبله . كم عانيت منه فلشد ما أثار سخطى وأهاج بغضى فقد كان عناقه شيئاً كريهاً وحديثه تعافه النفس

وكنت — على الرغم منى — أظهر له اللطف وأتكلف الرقة ؛ إنها لحظات مريعة . بيد أن الرجاء كان يراود نفسى والأمل يداعبها فأمنيها اليوم الذى يوارى الرجل فيه التراب ويضمه اللحد . حينئذ سوف يخلو سبيلى ، فأحيا كما يروق لى وأهب نفسى إلى الأنسان الذى أعبده سعيدة راضية لا مجال للريب فى أنه ثمت إنسان يقع من النفس موقع الشغف يافلدمار »

وراحت السيدة الوضيئة تحرك مروحتها فى شيء من العنف والشدة وبدا وجهها وكأنما اتخذت سماته الأهبة للبكاء ، ومضت فى حديثها مستأنفة « وأخيراً خمدت أنفاس الرجل وذاق منيته تخلّف لى نصيباً ليس باليسير . لقد صرت طليقة كالطائر الذى يحوم فى جو السماء فيقع على مايهوى إنها الساعة التى حانت فيها سعادتى أليس كذلك يا فلدمار؟ لقد أقبلت السعادة تطرق نافذتى ولم يكن على إلا أن أدعها تدخل

ولــكن أسمع يافلدمار ففى هذه اللحظة التى كنت فيها أسمى الرجل الذى أهيم به حباً لأهبه نفسى وأصبح شريكة حياته ، وساعد عون له وناصرة لشوكته فأسعد به وأستريح إليه

فى هذه اللحظة تبددت الأوهام وطارت الأحلام شعاعاً . إن حياتنا حقيرة تمجها النفس ، تافهة لا معنى لها . إنى بائسة أشد البؤس ، يائسة أبلغ اليأس ..!

لقد كانت ثمت عقبة أخرى فى سبيلى فلما انثنيت أتلمس السعادة إذا بها نائية عنى بعيدة كل البعد ..أوه ! ما أشد هذا ألماً وتبريحاً لو أنك تحس هذا الألم وتستشعر ذاك العذاب »

— « ولــكن ما الذى قام فى سبيلك ونهض فى وجهك هذه المرة ؟ ! بالله خبرينى ما هو ؟ ! »

— « قائد عجوز آخر واسع الثراء فكأنى مثل الذى فر من الموت ، وفى الموت وقع »

وانسدت المروحة « المحطمة » على الوجه الوضيء ، واعتمد « المؤلف » رأسه الضخم على راحة يده وأغرق فى لجة من الفكر وقد لاح فى هيئة الفيلسوف الحكيم

وانطلقت القاطرة تدوى بصفيرها وصليلها بينما اصطبغت سُجف النافذة بالحمرة الوردة وقد أشاعتها الشمس الغاربة !

« الدق » مصطفى جميل مرسى

مصلحة سكك حديد الحكومة المصرية

ركوب المسافرين فى درجات أعلا من درجة تذاكرهم

نظراً لتعدد الشكوى من ركوب المسافرين فى درجت أعلا من لدرجة التى تخول لهم تذاكرهم الركوب فيها . ورغبة فى عدم طغيان ركاب كل درجة على الدرجة الأعلى . وتمكيناً للركاب من التمتع بالركوب فى الدرجة المقررة لهم بحكم ما بيدهم من تذاكر . أصدرت المصلحة تعليمات مشددة باتخاذ الاجراءات الكفيلة بمراعاة النظام ومنع المخالفات — ومن بين هذه الاجراءات أن يقوم خدمة القطارات بغلق أبواب الدرجتين الأولى والثانية بحيث لا يسمح بالدخول فى كل منها إلا لمن بيدهم تذاكر تخول لهم الركوب فيها .

ولما كان بعض الركاب يتذرعون بعدم وجود أماكن فى العربات التى تخول لهم تذاكرهم الركوب فيها . ويتخذون ذلك مبرراً لركوبهم فى درجة أعلا فسوف لا يلتفت لذلك العذر بحيث إذا وجد أى راكب فى درجة أعلا يلزم بدفع فرق الأجرة فى حدود القوانين الموضوعة .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٧٠ — الاثنين ٥ ابريل ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٢٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 770

Lundi — 5 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٧٧٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ — ٥ أبريل سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

من مذكراتى اليومية :

قصـــة فتـــاة

— ٧ —

يوم السبت ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٥ :

ظلت الفتاة أسبوعين بعد لقائنا فى الكنتننتال تتردد فيهما على مكتبى ، فلا تجد الفرصة مواتية لتقول مثل ما كانت تقول ؛ ولا الجلسة خاصة لتسمع مثل ما كانت تسمع . ثم انقطع عنى عِيانها وخبرها فجأة ، فلم أعد أراها فى المكتب ، ولا أسمعها فى التليفون ، ولا أقرأها فى البريد ؛ فملأت هـذا الانقطاع بما يجوز من العلل فى مثل هذه الحال ، ولكنها لم تعْدُ أن تكون ظنوناً لا يطمئن عليها البال :

هل عادت إلى القرية ؟ ولكن لماذا لم تودعنى قبل سفرها ؟ ولماذا لم تخبرنى بعودتها وهى تعلم أنى أسر بخبرها ؟

هل أصابها مرض ألزمها الفراش ؟ ولكنها مرضت قبل ذلك فلم يمنعها المرض أن تبعث إلىّ برسالتها مرة وبرسولتها أخرى .

هل قطعت بينها وبينى الأسباب ؟ ولكنها قنعت منى بالسبب الضعيف الذى لا يربط ، فلا ينفعها أن تقطعه ، ولا يضرها أن تصله . إذن ما عسى أن تكون العلة الصحيحة لانقطاع خبرها عن علمى هذا الشهر كله ؟

كنت أدير فى خاطرى هذا السؤال حين ألقى إلىّ البريد فى مساء هذا اليوم كتاباً ورقه كذلك الورق ، وخطه كذلك الخط ؛ ولكن أسلوبه مختلف وإمضاءه مغاير ! مَن (زوزو) هذه التى تكتب إلىّ بهذا الطول وتخاطبنى بهذه اللهجة ؟ عرفت بعد ما قرأت أنها ابنة أختها ، وأنها تقص علىّ فى هذا الكتاب مأساة خالتها ، وما غاب عنى من عقدة هذه المأساة ونهايتها .

سألخص كتابها فى صفحة هذا اليوم وهو التاسع والعشرون من سبتمبر ، لأرفه عن نفسى المحزونة بهذا الأسلوب الطريف ، ولأكل به هذه القصة التى بدأت فى الربيع وانتهت فى الخريف !

قالت الآنسة زوزو ما ممناه : أكتب إليك يا سيدى ولست غريبة عن بالك ، فإنك سمعت بى ولا شك من خالتى المسكينة (س) ، وقد كنت رسولتها إليك فى ذات يوم لو تذكر . ولطالما حدثتنى عن أثرك فى نفسها فأشتهى أن أراك ، وخوفتنى من رأيك فى مثلها فأستحى أن ترانى . ولولا أن فى ذمتى عهداً لخالتى ورفيقتى أن أقص عليك عاقبة أمرها لما أبحت لنفسى أن أبكيك بذكر حادثتها الأليمة وخاتمتها المحزنة !

لقد لقيها الذئب فعلا يا سيدى ! لقيها فى أصيل يوم من أيام أغسطس الأخيرة ، وكان الحر فيـه يزهق النفوس ويضيـق الأنفاس ؛ فجلسنا أنا وهى فى (سان سوسى) بميدان الجيزة نستروح نسيم النيل ونستنشى عبير الرياض . وكان الذئب يجلس إلى المنضدة التى تقابلنا فى زى شاب وضىء الطلعة ظريف الهيئة ، فخالسَنا النظر وخالسناه ، وأشار أن يجالسنا فجالسناه . وعرفنا

من نحوى كلامه أنه مخبر فى إحدى جرائد الصباح، فزويت وجهى عنه لأنه لم يكن من الصنف الذى أتعاطاه. ولكنه كان حسن الحديث حاضر البديهة بارع النكتة لطيف الدعابة، فاستخفّت خالتى ظله وصفت إليه. وقضينا فى مناقلة الطرائف والأسمار أربع ساعات كانت أربع سنوات فى رفع الكلفة بينها وبينه. ثم عدنا مع الفتى فى الترام إلى المنيرة، وهنالك ودعناه وواعدناه. وباتت خالتى على هوى جديد لم تذق مثله منذ قدمت القاهرة ونازعت الندمان كؤوس الحب!

تجدد بعد ذلك الموعد، وتعدد اللقاء، وتأكد الود، حتى أصبحت تخرج وحدها إليه، فيقضيان أواخر النهار وأوائل الليل متنقلين فى القاهرة بين مقاهيها وملاهيها، وبين أرباضها ورياضها، فيتساهمان اللهو، ويتقاسمان الصفو، والشاب يبذل لها من الوعود، مقدار ما تبذل له من النقود؛ فيزعم أن أحد الأحزاب المعارضة سينشىء له صحيفة، ويشترى للصحيفة مطبعة، ويبنى للمطبعة داراً؛ وأن رئيس الحكومة قد بلغه ذلك، فهو يساومه على قلمه الحوّل القلّب، وعقله الخرّاج الولّاج، بمورد ذهبى يتفجر فى بيته كل شهر من خزانة الداخلية وخزانة الحزب. وهو على يقين جازم من أحد الموردين إن لم يكن من كليهما؛ ولذلك أمر سماسرة البيوت أن يبحثوا له عن دارة فى المعادى، ووكلاء السيارات أن يسجلوا اسمه على سيارة (بويك)!

ما ذا تصنع خالتى وقد جمع الله لها كل أمانيها فى هذا الصحفى الشاب؟ حب مكنون يملأ شباب القلب، ومنطق معسول يلائم هوى النفس، ومستقبل مأمون يضمن رفاهية العيش! أخلدت إليه بالثقة، ورفّت عليه بالأنس، وقبلت أن تزوره فى غرفته الخاصة على سطح من سطوح المنازل الحقيرة! وهنالك رأت أن ثروة الشاب لا تزيد على بذلة نظيفة فوق جسمه، ولسان ذهبى فى فمه، وطمع أشعبى فى قلبه! ولكن الهوى يعمى ويصم، والشباب يغوى ويضل، والشراب يغرى ويجرى. فباتت لأول مرة فى بيت غير بيتها، من دون إيذان لرفيقتها ولا استئذان من أختها!

وفى الصباح أفاقت المسكينة من سكرة الهوى فأحست بعقرة الذئب! فقالت له وهى تمزج الدم بالدمع: ما علاج هذا الأمر وأخى لا يزال على حفاظ أهل الصعيد: يفرق بين الحرية وللإباحة، وبين المدنية والتبرج؛ فهو يسامح إلا فى الشرف، ويغضى إلا عن العرض؟

فأجابها الفتى باسماً: العلاج الزواج! وكان قد علم من قبل أن لها مالا مدخراً وأرضاً مستغَلّة؛ فالزواج له فرصة، ولكنه لخالتى غصة. فقالت له: إن أسرتنا تشترط فى الزواج التكافؤ فى الطبقة والثروة؛ وحالك على ما أرى لا تطمعك فى رضا أهلى. فقال لها الفتى فى إصرار وقوة: المهم أن نستر بالزواج جريمة العرض؛ أما جريمة الفقر فجريرتها هينة، وعقوبتها محتملة. وسنجابه أخاك بالأمر الواقع فيثور قليلا ثم يسكن، ويغضب طويلا ثم يرضى.

وصارحت الأخت أختها بالحادث والحديث؛ فباركت أمى الخطبة وأقرت الزواج. واتفقت الحماة والعروسان على ليلة العقد وحفلة الزفاف. وتسامع الناس بالخطبة المفاجئة والقران الخفى، فظنوا الظنون، وتقولوا الأقاويل؛ وأبرق بعضهم بهذه الشائعات إلى خالى فلم يبت إلا فى القاهرة.

تطلب منى المحال إذا طلبتَ أن أصف لك كيف دخل خالى الصالون فوجد المأذون وبيده الدفتر، وأبى وبإزائه العريس، وأمى وبقربها العروس، والبواب وبجانبه الشاهد الآخر، وهؤلاء جميعاً شملهم السكون وغشاهم الوجوم؛ فكأنهم يودعون مريضاً يُحتضَر، أو يشيعون ميتاً يدفن... تصور أنت بخيالك هذا المنظر الأليم على أبشع ما يكون المجلس عبوساً وجهامة، وفى أشنع ما يكون الجلوس خزياً وندامة.

سلم خالى إيماء باليد ثم جلس وعيناه تلتهبان من الحنق، وشفتاه ترتجفان من الغضب، والتفت إلى أمى وقال لها بصوت فيه روعة القضاء ورهبة القدر: متى كنا يا فلانة نزوج بناتنا فى مثل هذا المكان، ومن مثل هذا الإنسان، فى غيبة عن الأهل وخفية من الناس؟ لقد سبقتمونا إلى (المدنية) فلم يعُد رأينا متفقاً فى معنى الشرف، ولا شعورنا متحداً فى إدراك الكرامة!! ثم لحظ العروس البائسة وقال لها بلهجة صارمة: إذهبى يا فاجرة فأعدى حقيبتك وسأنتظرك أمام البيت.

(البقية على صفحة ٤٠٧)

الحمـــام الزاجل

للأستاذ أحمد رمزى بك

فى الحروب الحديثة :

يعتمد فن تحريك الوحدات الكبرى وسوقها للقتال على شبكة من طرق الاتصال أصبحت بعد استعمال الراديو بأصنافه مع التلفون العادى والتلغراف عملا من أدق وأصعب الأعمال لضبط المخابرات ونقل المعلومات وتوجيه الأوامر ، وتصبح هذه الآلة المحكمة التنظيم عرضة للوقوف والتعطيل إذا اشتبكت الوحدات العسكرية فى معركة حاسمة؛ إذ هنا تفرض الحرب نوعاً من المفاجآت قد تعطل كل ما أنتجه العقل البشرى من مخترعات: ويبرز الحمام الزاجل كواسطة لنقل المعلومات لا يمكن إغفالها .

نعم إن الحرب الحديثة ، الخاطفة أو الثابتة أمام الحصون ، الزاحفة أو المتراصة ، الهجومية أو الدفاعية بأصنافها المختلفة ، تخلق أحياناً من الظروف الطارئة ما يشل عمل هذه الوسائل المستحدثة التى أوجدها العلم والتى يستطيع العلم وحده أن يبطل أثرها ، فيحتم على المقاتلة العود إلى استعمال أساليب القدماء التى خيل إلينا أننا تركناها ومن بينها الحمام الزاجل الذى قد يصبح الوسيلة الوحيدة التى نتمكن بواسطتها من إنقاذ موقع محاصر أو نقل رسالة هامة يتوقف عليها مصير جيش من الجيوش أو نتيجة معركة ناشبة .

نظامه فى الجيوش :

لذلك أصبح للحمام الزاجل أنظمة محكمة فى جيوش العالم؛ فقد رأيت فى الحروب الماضية والحرب الأخيرة عدة أبراج متنقلة للحمام مركبة على السيارات ، وعرفت أن كل برج منها يحوى مجموعة من الحمام تقرب من المئة وأنها مقسمة ثلاثة أسراب :

سرب غائب ، وآخر يستريح ، وثالث كاحتياطى . وكانت حمائم كل سرب توزع على ثمانية مراكز أو تسعة يراعى فى ترتيبها أن تكون على صف واحد بين الأبراج وتتناوب الحمائم الانتقال والتمرين عليها لنقل الرسائل .

ويقوم على خدمة الحمام جنود مدربون لهم صبر على تربيته ومران على تعليمه والاستفادة منه . والحمام الزاجل أليف يسهل تعويده وتدريبه على الرحلات ما دامت الأبراج ثابتة ، أما إذا تحركت وتبعت الوحدات فى تنقلاتها احتاج الأمر إلى استخلاص نوع من الحمام الدرب الذى اعتاد اكتشاف طريق برجه ولو تغير موقعه . وهذا النوع من الحمام إذا رُبى وأحسن تدريبه يكتشف أبراجه فى دائرة قطرها عشرون كيلومتراً مهما تبدّل أو تغير موقع الأبراج .

وتعلق الجيوش كما قلنا أهمية خاصة على هذا النوع الممتاز من الحمام لأنها تعتمد عليه فى إنقاذ حالات لا تجدى فيها الوسائل المادية ؛ إذ يرجع إليه الفضل فى الحربين العالميتين الأولى والثانية ووسط قوات متحاربة تملك غاية ما أوجده العقل البشرى من وسائل الاتصال ، يرجع إليه الفضل فى تغيير خطة عسكرية أو تقديم موعد هجوم حاسم أو تأجيله . وكم من وحدات انقطعت عنها النجدات وتعذر عليها استعمال اللاسلكى لئلا تفضح أماكن تجمعها ، أنقذها الحمام الزاجل ! !

الحمام الزاجل فى الجيوش الإسلامية :

ويعتبر استعمال الحمام الزاجل من وسائل المخابرات التى أحكم أمرها فى أنظمة الجيوش الإسلامية وخصوصاً فى مصر أيام استقلالها ؛ إذ كانت لها اليد الطولى فى هذا المضمار : وكانت قلعة القاهرة المحروسة مركز الإرسال والوصول للمكاتبات التى يحملها الحمام الزاجل : وكان يربى فى أبراجها نوع ممتاز من الحمام أطلق عليه اسم الرسائلى لاتخاذه من فصيلة أعدت لحمل الرسائل السلطانية التى كانت توضع فى داخل أنابيب من المعدن الخفيف أو فى داخل أكياس من الحرير .

وتفنن كتاب ديوان الإنشاء بقلعة مصر فى أسلوب هذه الرسائل وبلاغتها وجعلها فى منتهى الاختصار لنقل ما كانوا يريدون إيصاله من المعانى ، بل حرصوا على اختيار نوع الورق الذى يكتبون عليه رسائلهم ليخف وزنه على الطائر .

وانتهى بهم الذوق إلى إكرام الحمام الناقل للبشرى بتولية السلاطين أو الحمام الحامل لأنباء الظفر والانتصارات فى المعارك

فكانوا يطوقون جوانبه بالمسك والعنبر والروائح العطرية ، كما كانوا يتعمدون طلاءه بالسواد إذا نقل أخبار الهزائم والوفاة .

حوادث فى التاريخ الاسلامى :

حينما هوجمت مصر مرتين من الشمال بالجيوش الصليبية الأولى أيام السلطان الملك الكامل بن العادل الأيوبى ، والثانية أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهى حوادث أفزعت العالم الإسلامى ، كانت أسراب الحمام الزاجل تنقل أخبار المعارك وشدتها فيقع كل طائر منها على أبراج القلعة وهو مجلل بالسواد دليلا على حمله للاخبار السيئة التى يعانيها المسلمون فى دمياط وميادين القتال .

وكانت القاهرة تقوم لها وتقعد ويكثر الابتهال إلى الله إذ يهرع الناس إلى المساجد لإقامة الصلوات .

ولما انتصر المصريون وأمراء مصر نزل الحمام الزاجل على أبراج القلعة مطوقاً بالعطر والمسك والزعفران ينقل بشرى زوال المحن والمصائب وأنباء الانتصارات الحاسمة المتتالية : هذا ما سجله التاريخ للحمام الزاجل .

ويظهر أن الإفرنج كانوا يجهلون أمر هذا الحمام بدليل ما ورد فى تاريخ حصارهم لمدينة القدس قبل فتحها ؛ فقد بعث قائد القوات المصرية المحاصرة — وكانت من جنود الدولة الفاطمية — طائراً لنقل أخباره إلى خارج المدينة فلم يلتفت إليها الإفرنج لولا أن جاء من أعلمهم بأن الطير ينقل الأخبار فتربصوا به وأطلقوا النشاب عليه فأصابوا الطير ، ولما وقع عثروا على القصاصة المراد إرسالها فتنبهوا إلى خطورته ، وضيقوا الحصار على المدينة حتى فتحوها .

الحمام الزاجل وآل سلجوق

كانت دولة آل سلجوق من أعظم دول الأرض ، وكان الحمام الزاجل معروفاً قبلها ، ولكن فى عهدها أدخلت أنظمة شبكات الخطوط الرسائلية فى أنحاء هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ؛ فإليها يرجع الفضل فى جعل تربية الحمام وتنظيم استعماله فناً من الفنون اللازمة للدولة . وهذا كغيره من مستحدثات السلاجقة الذين لهم الأيادى التى لا تزال خافية . وعنهم أخذ نور الدين الشهيد بن زنكى هذا النظام السلجوقى فأحكم أمره فى الشام ثم انتقل إلى آل أيوب فكانوا أول من أتقنه وأحكمه بأبراجه وأسرابه فى مصر ثم بلغ منتهاه فى العصور التالية

تربيته وتدريبه والعناية به

أفتتن القدماء بالحمام الزاجل بعد أن رأوا نفعه ، فأصبحت لهم دراية بتربيته وتدريبه والعناية به ، وكانوا يقسمونه على حسب لونه وعدد الرياش المتبرة فى الأجنحة والأذناب ، وفرقوا بين الذكر والأنثى ؛ فجعلوا لكل عملا خاصاً به ، وصنفوا الطير ، فميزوا بالفراسة ما لمسوا نجابته من صغره ، واختاروا الزمان والمكان الملائمين للافراخ ، وهى أمور لم تصل إليها الجيوش الحديثة التى تربى الحمام الزاجل الآن .

ويبالغ المؤرخون فينسبون إلى أن القدماء جعلوا للطير أنساباً كأنساب الخيل ، وألفوا الكتب فيها وفى أعمال الحمام الزاجل وبطولته ، فنسبوا إلى خلفاء العباسيين والفاطميين أنهم دفعوا أثماناً باهظة ثمناً له ، وأن ملوك الروم كانوا ينافسونهم فى ذلك . فمن قبيل المبالغات أن الحمام المصرى بدمشق نقل بعض أنواع الفاكهة النادرة فى الشام لمصر أيام العزيز بالله ثانى خلفاء الفاطميين ، أو ما ذكروه عن الطير الذى قطع المسافة بين القسطنطينية وبغداد مرة واحدة ؛ إذ يندر أن تعرف الحمامة أماكنها إذ زادت المسافة عن عدد معلوم من الكيلومترات قلما يتعدى العشرين أو الثلاثين ؛ كما أن سرعة سفرها محدودة ومعلومة فلا يصح أن ينسب إلى الطير ما لا يصدقه العقل .

نظام القدماء فى نقل الرسائل :

قلنا إن الدولة السلجوقية هى التى أتقنت نظام شبكات الحمام الزاجل لأحكام طرق الاتصال ونقل المخابرات بأسرع الطرق ، وكانت الدولة المصرية فى العصور الإسلامية قوية الجانب تحكم مساحات واسعة من أراضى آسيا تمتد على نهر الفرات وتصل أحياناً إلى دجلة ، وكانت تسيطر فى الشمال على منطقة عسكرية تحيط بها القلاع والمدن المحصنة . فكان من أول ما اهتمت به الدولة إحكام المخابرات مع هذه المناطق فاستعملت طرق البريد السريعة وإيقاد النيران لنقل الإشارات بين القلاع وبعضها ثم أحكمت نظام الحمام الزاجل .

ويعود الفضل فى تنظيم المخابرات وتاقى الحمام الرسائلى إلى شبكة الأبراج ومحطات الإرسال المنشأة بين العاصمة والأماكن

التلمود واليهود

للأستاذ نقولا الحداد

تلقيت من مجلة « الرسالة » مقالتين ضافيتين رداً على مقالى : « التلمود خدع اليهود » الذى نشر فى « الرسالة » فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ؛ إحداهما بلا تاريخ ولا ذكر لمكان صدورها ولا إمضاء سوى كلمة «عاصف» . وما هى إلا عاصفة هراء وسباب وبذاء . فهذه لا تستحق إلا أن ترمى فى أقصى مكان من الدار ، أو أن تلق فى النار لكى يطهر جوها من عفونة الأقذار .

وأما الأخرى فعلى النقيض : هى نقد كالربت الخفيف على الكتف ، من أديب أريب بتوقيع « لطيف مختار » من بغداد يدافع فيها عن التلمود واليهود ، ويرد على كل فقرة فى مقالى . فلو نشرت فى « الرسالة » لشغلت نحو ٦ صفحات على الأقل ؛ ولو رددت على كل نقطة فيها لشغلت « الرسالة » كلها .

و« الرسالة » وقف على قراء ينشدون العلم والأدب الصافيين . لذلك اجتزئ عن البحث الطويل بالكلام فى أمرين : التلمود ونيات اليهود .

أولا : لم يكن التلمود مقصوداً فى مقالى ؛ وإنما كان المقصود موسى عليه السلام ؛ لأنه هو الذى ساق بنى إسرائيل من أرض مصر إلى أرض كنعان بعد أن أوصى الإسرائيليات أن يستعرن من المصريات حليهن ، بحجة أن عندهن احتفالا عظيما . فرحلن فى اليوم التالى والحلى معهن . ولما بلغ موسى بهم أرض كنعان قال : إن الله يرسل أمامهم ملاكا ويطرد من أمامهم الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين (انظر الأصحاح ٣٣ العدد ٢ ، والأصحاح ٢٣ ، والعدد ٢٣ من سفر الخروج . وكان كلما تذمروا من بطئهم فى برية سينا مناهم بأنهم سيمتلكون منازل الكنعانيين وأثاثهم وفرشهم ولحفهم وطناجرهم ومواشيهم وكرومهم الخ .

لماذا طرد الله أولئك من أمامهم ، أليسوا خليقته ؟ أما كان ممكنا أن يحولهم إلى عباده ؟ هذه مسألة لاهوتية لا نبحث فيها ،

المختلفة وأهمها قلعة دمشق وقلعة حلب . وكانت أبراج القلعة بمصر نقطة مركزية تتلقى الحمام من دمشق وأسوان والإسكندرية على السواء .

وتليها شبكة دمشق العاصمة الثانية فى أهميتها : لأن لنائب السلطنة حق المخابرة رأساً مع القاهرة وله الحمام الخاص به . وكان لنائب قلعة دمشق هذا الحق أيضاً وله الحمام الزاجل الخاص به ، وحق الاتصال المباشر مع السلطان بصفته قائداً لموقع عسكرى محصن . وكانت المسافة تقطع على مراحل : فالحمام الذى يطلق من دمشق يهبط الصنميني ومنها يقوم آخر إلى أبراج محطة طفس ثم قلعة أربد بفلسطين ثم بيسان ثم جنين ثم قاقون ثم غزة وهى نهاية شبكة الشام .

والحمام القائم من أبراج قلعة مصر يهبط فى سرياقوس ومنها إلى بلبيس ثم الصالحية ثم قطيا ثم الواردة ثم غزة وهى ملتقى الشبكة المصرية على الشامية .

أما قلاع الشمال وأهمها البهنسا وقلعة الروم أو قلاع جبل طوروس فكانت تبعث برسائلها إلى مدينة حلب ومنها إلى المعرة ثم حماة ثم حمص ثم قارة إلى قلعة دمشق وإليها تصل حمائم الأعمال الفراتية أى قلعة الرحبة وقلعة جعبر . وكانت المسافات بين هذه الأماكن تسمى مسارح الحمام بحيث لا يمكن أن يتعداها بل يجب أن يعود الحمام ثانية بعد أداء واجبه إلى أبراجه الدائمة بمحطات الإرسال . وكانت القلاع مشحونة بالجند والمقاتلة وأبراج الحمام وعلى اتصال دائم بقلعة الجبل بمصر : مركز الحكم وأبهة الملك .

بهذا حفظت مصر الحصون والثغور والقلاع وتمكن جندها من كسب الحروب الصليبية وكسر التتار عدة مرات .

كانت قوات مصر لا تقهر ولذلك سميت مصر بالمحروسة وعساكرها بالمنصورة ، وأطلق عليها فى المستندات والوثائق الرسمية : هذه الدولة القاهرة .

كانت أسراب الحمام الزاجل تعمل للنصر فى خدمة مصر القاهرة

أحمد رمزى

وإنما اقتضتها سياسة موسى فى قيادة بنى إسرائيل .

وإذا كانوا فى ذلك الزمن شعب الله المختار ؛ فقد صار ملايين من البشر من عباده ، أفلا يزال اليهود شعبه المختار ؟ وإذا كان الله قد وعدهم أرض كنعان فى ذلك الزمان ، أفيبقى هـذا الوعد نافذاً أربعين قرناً ؟ وإذا كان نافذاً إلى اليوم ، فسكان فلسطين اليوم هم من سلالة إسرائيل ، ولما ظهر الإسلام أسلموا . فهم الآن فى وطنهم والقادمون من وراء البحار دخلاء .

وإنما جنبت موسى هذه المسؤولية تورعاً والقيتها على التلمود لأن التلمود هو شريعة اليهود الأولى والصحيحة ، وشريعة موسى جاءت ثانوية . وإن كان التلمود قد جمع من شرائع مختلفة منذ قرنين بعد المسيح ، وفيه ما ليس فى التوراة من عجائب الفروض والسنن وغرائب المقدسات والمحرمات الخ كما سترى . فلا بدع أن نستند إليه فى مقال أو كتاب .

يقول الأستاذ لطيف وهو يدافع عن التلمود : إنه قرأ التلمود بنفسه فلم يجد فيه إلا تعاليم إنسانية ومدنية ، مما يوصى بمراعاة القريب (ومن هو القريب) وإيوائه كفرد من الأسرة إلى غير هذا من الفضائل . حسن ! ولـكن هل مر فى أثناء مطالعته للتلمود على هذه الآيات البينات التالية :

« إن التلمود وجد قبل الخليقة . ولولا التلمود لزال السكون » (انظر سفر بشليم ٥٤ ، ٥٨ من التلمود الأصيل) .

« إحذر يا بنى — يقـول الحاخام رابا — واتبع التلمود لا التوراة ؛ فالتوراة تتضمن أحكاماً لا تستوجب مخالفتها عقاب الموت . وأما من يخالف حرفاً جاء فى التلمود فالقتل عقابه . ومن يهزأ بكلمة من كلـمات التلمود يغمس فى الغائط ويساق فيه حياً إلى أن يموت » ، (سفر رُوبين ٢١ حرف ب من التلمود) — ويحكم يا هؤلاء ! ما فطن مأمورو هتلر إلى تعذيب فظيع كهذا .

« إن الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه » ، (سفر مجيلا ٢١) .

« من يعارض حاخاماً أو يناقشه أو يتململ منه يعـارض العزة الإلهية نفسها » . « كلام الحاخام إن ناقض كلام حاخام آخر هو من وحى الله أيضاً ؛ فلليهودى أن يختار من الـكلامين المتناقضين ما يوافقه » ، (سفر شولبين وسفر جيباموت) .

« إن الحاخامين ملوك ، ويجب إكرامهم كملوك » ، (سفر جينين ٦٢) .

« دخلت يوماً قدس الأقداس فرأيت الله جالساً على كرسى مرتفع ، فقال لى : باركنى يا بنى . وإذ باركته شكرنى وسلم وانصرف » (سفر بيراشون ٧ حرف ١) .

« ما يقره الحاخامون على الأرض هو شريعة الله » ، (سفر روش هشاشا ٨ حرف ب) .

« الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ويُدعون يَهوَه أى : (الله) » . (سفر بابا تبرا ٧٥ حرف ا) .

« للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه » (سفر مويدقنان ١ حرف ا » .

« إذا احتدم الخلاف بين الحاخامين والله فالحق مع الحاخامين » (سفر بابا مزيا ٨٦ حرف ا) . وهنالك كثير من هذه الطرائف .

إذا كان الأستاذ لطيف المختار لم يجد هذه الآيات فى التلمود الذى طالعه فأسأله : أى تلمود قرأ ؟ طبعاً لم يقرأ التلمود الأصيل بل قرأ التلمود المنقح .

التلمود الأصيل ذو ١٤ جزءاً جمعت محتوياته فى القرن الثانى للميلاد . وقد قرّظه الـكاتبان اليهوديان : جـيروم ونارو فقالا فيه : إنه مجموعة شـاذة لمعتقدات وعواطف وآمال وخرافات وقصص وتقاليد وقواعد تشريعية وأدبية .

وقد ظهر من هـذه المجموعة طبعات مختلفة أقدمها عهداً ظهرت فى مدينة البندقية سنة ١٥٢٠ ثم طبعت بعد ذلك مراراً . فما لبثت أن جاءت حجة ضد اليهود ؛ فنقحها مجمع منهم واستبعد منها كل ما هو شاذ وناب وأصدر أمراً بأن لا يطبع إلا النسخة المنقحة . ولـكن الناشرين ضربوا بهذا الأمر عرض الحائط . وأما الآيات النابيات فحفظت على حـدة يلقنها الحاخامون لبنى جلدتهم شفوياً .

والظاهر أن الأسـتاذ لطيف لم يطلع إلا على التلمود المنقح الذى قدمه إليه أحد اليهود الذى يخجل من إظهار التلمود الأصيل .

وإذا شاء حضرة الأستاذ أن يعرف أشياء أخرى عن التلمود الأصيل وعن أخلاق اليهود ومبادئهم ودسائسهم الخ فأنصح له

أن يطلع على كتاب الصهيونية ونشأتها وأثرها الاجتماعى (الذى أخذت عنه معلومات عن التلمود فى هذا المقال) بقلم م كفورى وقد طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه. فإذا لم يجده فى بغداد فلعل الأستاذ محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية يستطيع أن يجلبه له.

وإذا شاء الأستاذ لطيف المختار أن يعرف أسرار سلوك اليهود الخاص فى جميع الأمم وكنه رغبتهم فى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين يتوسلون بها إلى السيطرة على كل العالم واستعباد جميع الأمم؛ فنرشده إلى مجموعة « البروتوكولات » الأربعة والعشرين السرية التى طبعتها The Briton Publishing Society 40 great orm and Street w.C.I London

وثمنه شلن ونصف ما عدا البريد.

وهى خلاصة مباحثات مؤتمر مؤلف من ٣٠٠ من حكماء اليهود، وهذه المجموعة تسمى قوانين شيوخ صهيون العلماء.

Protocoles of The Meetingr of the Learned Elders of Zion

وهى تعتبر التلمود الجديد الذى يطبقون عليه حياتهم فى هذا العصر. ففى هذه الوثائق السرية يرى حضرة الأستاذ فلسفة إبليس الرجيم. ويرى الأساليب الشيطانية لاستخدام الحرية للاستعباد، والديموقراطية للفوضى، وسلطان الذهب لدك الشعوب. وهناك يرى كيف أن الدعارة أقرب الوسائل لاستيلاء الضعفاء على الأقوياء، والخبثاء على الحكام، والمال لزلزلة كل نظام — كل ذلك توطئة لسيادة صهيون على العالم.

لست أنا مفتئتاً على اليهود وإنما أنا مستمد أخلاقهم وسلوكهم من تلمودهم ومن بروتوكولاتهم. وفى التاريخ منذ عهد إبراهيم إلى اليوم ترى فى أعمالهم أدلة ناصعة على سلوكهم وتصرفاتهم. ترى سياستهم الجهنمية ظاهرة فى جميع الانقلابات الدولية التى حدثت. وكان آخرها الانقلاب العثمانى الذى بيت له يهود سلانيك منذ نصف قرن حتى تم على أيدى مسلمين كانوا يهوداً فى الأصل فأسلموا لأجل هذه الغاية. ثم تلاه الانقلاب الروسى الهائل وكان أنصار لينين فيه كلهم يهوداً. ثم انمحقوا، وآخر من انمحق منهم تروتسكى. ثم الحرب الأخيرة التى كان اليهود من عواملها السرية فى أوروبا وأميركا. وكان كل انقلاب ينتهى بافرنقاع اليهود من حوله. فلا يهمهم هذا الافرنقاع مادام الغرض الهدم وقد حصل.

لو يتسع المجال لاقتبسنا كثيراً من فضائح هذه البروتوكولات وفظائعها فنكتفى الآن بنزر يسير منها للدلالة على نمطها.

فبينما البند السابع من البروتوكول الأول يتكلم عن الحرية يقول « يكفى أن تدفع شعباً إلى الحكم الذاتى برهة من الزمن إلى أن يتحول إلى غوغاء بلا نظام، فلا يلبث أن نحوله نحن إلى جهاد قتال ثم إلى معارك بين الطبقات. وفى وسط هذه المعارك تحترق الحكومات وتهبط أهميتها إلى رماد ».

ثم يقول البند الثامن: « سواء كانت الحكومة قد انهكت قواها فى أثناء تشنجها، أو أن الشقاق فى داخلها جعلها تحت أقدام عدوها — فى كلتا الحالتين تعتبر ساقطة خاسرة — تصبح فى قبضة يدنا. إن رأس المال الذى هو برمته فى يدنا يصل منه غصن إلى الدولة وهى فى إبان تخبطها، فلا بد أن تتشبث به لخلاصها من ورطتها وإلا فهبط إلى القعر ».

البند ٢٢ يصف إحدى الوسائل للتوصل إلى القوة والسلطة « إن الجوييم (والجوييم هم الشعوب غير اليهودية بحسب اصطلاحهم) يتلهون بالخمرة فينشأ فتيانهم بلهاً ضعاف الأدبيات يسهل قيادهم؛ فيقودهم رسلنا الاختصاصيون من معلمين وخدم ومربيات أطفال فى منازل الأثرياء، وكتبة فى مكاتب الأشغال وأمثالهم، وعلى الأخص نساؤنا اللواتى فى مواخير الدعارة المختلفة الدرجات التى يختلف إليها الجوييم. وأحسب بين هؤلاء سيدات المجتمع (سيدات الصالونات) اللواتى يسمين طواعية مع أولئك فى الإفساد والبذخ والترف ».

البند ٢٤ من البروتوكول الأول يقول: « إن حكومتنا وهى ماضية فى سبيل النصر يمكنها أن تبدل إرهاب الحرب بأحكام الإعدام الأقل إرهاباً والأكثر تأثيراً لكى تقيم الرعب الذى يؤدى إلى الطاعة العمياء. على أن القساوة التى بلا رحمة هى العامل الأقوى فى الحكومة. ليس لأجل الحصول على الفوز فقط، بل باسم الواجب، ولأجل النصر يجب أن نواظب على الشدة وعلى جعل الناس يعتقدون بصواب ما نفعله ... لذلك ليس بالوسائل

المشروعة بل بعقيدة القساوة تنتصر وتخضع جميع الحكومات إلى حكومتنا العليا . حسبهم أن يعلموا أننا بلا رحمة لكيلا يجرأوا على العصيان » .

وعلى هذا الطراز تتمشى البروتوكولات الـ ٢٤ فى ٦٠ صفحة من القطع الوسط بحرف الجرائد . وإذا سنحت الفرص نقتطف منها أيضاً وأيضاً .

وإذا ظفر الأستاذ لطيف بهذا الدستور الجديد أو التلمود الثانى ، رأى أن ليهود العصر الأخير نيات فاضحة فى هدم الفضائل المسيحية والإسلامية وغيرها ، وتقويض أركان الأنظمة الاجتماعية ، ونسف كل نوع من الحكم طالحاً كان أو صالحاً ؛ لكى يرقوا على أنقاض خراب العالم إلى منصة السلطة . ومن هنك يملون على الأمم أنظمتهم التى تضمن لهم السؤدد والاستبداد والاستعباد .

لا ريب أن هذه السياسة الخرقاء التى يتعملونها سخيفة فلا يمكن أن يقوموا بها على سطح هذا الخضم الإنسانى وهم متقلون بهذه الأضاليل ؛ فهم فاشلون على كل حال فى فلسطين وفى أوروبا وفى أمريكا . فليجربوا حظهم فى أمم الشرق الأقصى فلعلهم يغرقون هناك إلى قعر الأوقيانوس الاجتماعى ، إذا لم يتوبوا من غيهم ويعودوا إلى وجدانهم السليم ويندمجوا بسائر الأمم طارحين عن عواتقهم تلمودهم . وإن أصروا على عزائمهم تتكرر فيهم ما كان من حظهم فى ألمانيا .

فإذا لم تكن أيها الأستاذ لطيف يهودياً وإنما تتبرع للدفاع عن اليهود من قبيل العطف فشكراً لك ، ولكنى لا أرى أن اليهود يستحقون العطف ما داموا يبيتون لجميع الأمم غدراً وأذى. فأرجو أن تطلع على التلمود الأصيل لا المنقح ، ثم على التلمود الجديد أى مجموعة البروتوكولات ، ثم قل لى ألا ترى أن التلمود خدع اليهود بإيهامهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم يمتازون على جميع الشعوب ؛ فصمموا على أن ينشئوا دولة لأنفسهم على الرغم من تشتتهم ثم يغزوا سائر حكومات العالم ويخضعوها لسلطان حكومتهم العليا .

أرى أيها الأستاذ أنك رددت على مقالى بعد مرور ثلاثة أشهر على نشره فى « الرسالة » . فهل كان ردك هذا نتيجة مؤامرة فجاء بروتوكولا خامساً وعشرين ؟ فعسى أن تكون قد نجحت فيما فعلت ، ونلت ما انطوت عليه رغبتك وسلام عليك ولك .

***

بقيت لى كلمة أوجهها إلى اليهود أنفسهم . ألا يرى يهود العالم أنهم حيثما أقاموا كانوا مصدر خوف وأذى أفلا يتساءلون فيما بينهم : لماذا كان يكرههم الشعب الألمانى ثم جميع شعوب أوربا ، ثم الشعب الإنكليزى الذى كان أعطف الشعوب عليهم ، وقد منحهم وعد بلفور ، ثم الشعب الأمريكانى وقد قسم لهم قطعة من فلسطين ثم ردها لأهلها لأسباب سياسية .

لماذا لا يعقدون مؤتمراً ويبحثون فى أسباب جفاء العالم لهم ، ويبحثون عن وسائل لإزالة هذه الأسباب لكي يعيشوا مع العالم بسلام ؟ .

وأما قولهم إن العالم يحسدهم لأنهم أذكياء ؛ فهذا سبب سخيف لا يقيم أحد له وزناً .

لا نريد لهم الشر ؛ فليريدوا الخير لأنفسهم والسلام .

نقولا الحداد

نعم نملك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

نعم نملك تحريم تعدد الزوجات ، ولكن بطريق ما كان يصح أن يخفى على حضرة صاحب المعالى العالم العلامة عبد العزيز فهمى باشا ، وقد سلكه أولو الأمر حديثاً فى نظائر لتعدد الزوجات ، ولم يتعسفوا الطريق إليها كما تعسف فى طريق تحريم تعدد الزوجات فوقع فيما لا يصح أن يقع فيه مثله فى علمه وفضله ، لأن إباحة تعدد الزوجات من الأحكام التى جرى العمل بها فى عهد النبوة والصحابة ، وفى كل العهود الإسلامية إلى عهدنا الحاضر ، وهو الحكم الذى يوافق تشريع الإسلام ، لأنه يمتاز بأنه تشريع صالح لكل زمان ومكان .

ومن يخالف مثل هذا الحكم الظاهر يقع فيما وقع فيه الباشا حين أنكر إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام ، فاضطر حين خالف بهذا ماجرى عليه العمل جيلا بعد جيل إلى تعسف لم يقع نظيره من مسلم ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، ولله العصمة وحده ، وقد كان هذا بأن ذهب إلى أن فترة الإسلام الأولى منذ الهجرة إلى آخر الدولة الأموية كانت عهد امتلاءوا بحروب المسلمين وفتوحاتهم ، والجنود فى كل أمة يدللون ويتجاوزلهم عن كثير من الآثام فى مقابل أنهم وهبوا حياتهم للدفاع عن أمتهم ، والشباب من جند المسلمين كانت الغريزة الجنسية تتنبه عندهم فى أوقات الراحة بين المواقع الحربية ، ولم يكن لهم سبيل إلى إجابة داعيها بغير التزوج ، لأن الزنا محرم ، فكانوا يتزوجون غير زوجاتهم اللاتى تركوهن فى بلادهم ، ثم استمروا على هذه العادة المحرمة ، ولم يعدموا من يهونها عليهم بالحيل الشرعية ، ثم شابهم عليها أهلوهم ولولم يكونوا محاربين ، فانتشر العمل بها بين المسلمين فى القرن الأول والثانى ، ولما جاء عصر التدوين فى آخر الثانى وأوائل الثالث كانت هذه العادة قد صارت من التقاليد القديمة المستقرة المحببة إلى المسلمين ، فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها ، وتدوين الواقع من متابعة الناس لها ، وتساهلوا فى تأويل سندها من القرآن ، كما تساهل فيه المحاربون الأولون .

ولاشك أن مثل هذا الكلام لايصح أن يقال من عالم مثل الباشا درس تاريخ المسلمين ، وعرف باخلاصه لدينه وتقاليده ، لأنه لايعقل أن يسكت المسلمون كلهم على ذلك الإثم ، ولا يوجد فيهم واحد يقوم بانكاره ، وينبههم إلى حقيقة أمره ، ولكن الباشا حفظه الله وأطال فى عمره يرى أن تعدد الزوجات صار غير محتمل فى عصرنا بشكله الأول ، وأنه لابد من تقييده بقيود تلائم ماصار إليه المسلمون الآن ، فيجد من الأستاذ الفاضل إبراهيم زكى الدين بدوى ومن لايحصى من العلماء من يقف فى طريقه ، ويرى أنا لانملك أن نحرم تعدد الزوجات ، لأن فى هذه خروجا على إباحة الدين له ، كما قيل مثل هذا عند تحديد سن الزواج ونحوه مما جرى العمل الآن به ، وألفه الناس بعد أن ثاروا عليه عند تشريعه ، فيقابل الباشا هذا الغلو فى التشدد فى أمر القديم ، بالغلو فى محاولة إبطاله ، ويوقعه هذا فى خطأ الغلو مثلهم ، لأن الإسلام دين وسط لا غلو فيه ، وبهذا كان أصلح تشريع عرفه البشر منذ وجودهم على ظهر الأرض .

إن الإسلام قد أعطى تعدد الزوجات حكم الإباحة ، ليتصرف المسلمون فيه فى كل زمان ومكان بحسب المصلحة ، فيأخذوا به إذا اقتضت مصلحتهم ، أن يأخذوا به ، ويكفوا عنه إذا اقتضت مصلحتهم أن يكفوا عنه ، ويكون بهذ احكماً صالحاً لكل زمان ومكان ، كما هو شأن سائر أحكام الإسلام ، فلم يجعله سنة أو فرضاً على المسلمين حتى يؤخذ فيه شىء عليهم ، ولم يضيق عليهم بتحريمه كما ضيق غيره من الأديان ، لأن هذا التضييق لايلائم كل زمان ومكان .

وليس معنى الإباحة فى الإسلام أن يأخذ المسلمون فيها بشهوتهم ، فلا يقفوا فيها عند حد ، ولا يتصرفوا فيها بالحكمة لأنه أسمى من أن يطلق لشهوة المسلمين عنانها فى هذا الحكم ، وقد أباح لهم لباس الزينة والأكل والشرب من الطيبات ، ولكنه لم يطلق لهم أمرها إطلاقاً ، بل قال الله تعالى فى الآية — ٣١ — من سورة المائدة (يابنى آدم خذ وازينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين) فماظنك بإباحة تعدد الزوجات وأمره فيها ليس كأمر الزينة والأكل والشرب ، لأن

كلا من هذه الثلاثة مباح مرغوب فيه ، أما تعدد الزوجات فهو مباح غير مرغوب فيه ، كما قال تعالى فى الآية — ٣ — من سورة النساء (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .

وقد كان الأخذ بإباحة تعدد الزوجات مقبولا فى الصدر الأول لأن المسلمين كانوا عدولا متمسكين بأمردينهم ، فكانوا يعدلون بين نسائهم وأولادهم ، وكانت النساء لا ترى حرجاً فى ذلك التعدد لأنه كان يؤخذ بالحكمة ، ولا يتأثر فيه بالشهوة ، وكان الأبناء من الزوجات المتعددة لا يجدون تفاوتا فى المعاملة من آبائهم ، فلا يحدث بينهم شقاق يضر بدينهم .

ولأن المسلمين كانوا فى قلة بين الأمم المجاورة لهم ، وقد قامت بينهم حروب متتابعة تحدث فيهم قلة إلى قلتهم ، فكانوا فى حاجة إلى تعدد الزوجات ليعوض ما يصيبهم فى الحرب من فقد الرجال ، ويزيد فى عددهم حتى يمكنهم أن يدافعوا عن أنفسهم ، ويكون فيه علاج لما تحدثه الحرب من نقص عدد الرجال عن عدد النساء ، فيجمع بعض الرجال بين زوجتين أو ثلاث أو أربع ، ممن فقدن رجالهن فى الحرب ، ليقمن بوظيفة النسل المسلمين ، ويجدن من يقوم بأمرهن بعد فقد أزواجهن ، فى حال من الحل لا يكون فيها حرج عليهن ، ولا يكون فيها من الضرر بالمجتمع مثل الزنا .

ولأن المسلمين فى ذلك الوقت كانوا خير أمة أخرجت للناس ، فكانت كل زيادة فيهم زيادة فى تلك الأمة التى أخرجها الله لتؤدى رسالتها بين الناس ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، والزيادة فى الخير محبوبة ، ولا شىء فى أن يصار إليه بتعدد الزوجات ، لأن كل وسيلة إلى الخير مقبولة .

فهل المسلمون الآن كأهل الصدر الأول ؟ وهل يرجى خير من زيادتهم بتعدد الزوجات كما كان يرجى فى عهد ذلك السلف الصالح ؟ اللهم كلا ثم كلا .

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى وجوه الحى غير وجوههم

فليس المسلمون الآن عدولا كما كانوا فى الصدر الأول ، فلا تجرى تصرفاتهم فى تعدد الزوجات بالحكمة بل بالشهوة ، ولا يعدلون بين نسائهم وأولادهم ، ولقد كان هذا سبباً فى فساد الأسرة الإسلامية ، لأن الأسرة لا يستقيم حالها بغير العدل ، ولقد جر فساد الأسرة إلى فساد الأمة ، لأن الأمة تتألف منها ، فيصلح حالها بصلاح حالها ، ويفسد حالها بفساد حالها .

وليس المسلمون الآن فى قلة كما كانوا فى الصدر الأول ، لأن عددهم يربو الآن على ثلثمائة مليون ، وهذا عدد لا يستهان به إذا ربى تربية صالحة ، ولا قيمة له إذا لم يؤخذ بهذه التربية ، فهم الآن ليسوا فى حاجة إلى زيادة العدد ، وإنما هم فى حاجة إلى تلك التربية الصالحة .

وليس المسلمون الآن خير أمة أخرجت للناس ، حتى يكون فى زيادتهم بتعدد الزوجات زيادة فى خيرهم ، لأنهم لم يجعلوا خير أمة أخرجت للناس بذواتهم ، وإنما جعلوا كذلك لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فإذا لم يقوموا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانوا كغيرهم من الأمم ، بل كانوا أسوأ حالا منهم ، وهاهم أولاء الآن لا يقومون بهذه الوظيفة كما كان يقوم بها سلفهم فصاروا إلى كثرة لا خير فيها ، ولا يرجى خير فى زيادتها بتعدد الزوجات ، بل يزيد شرها ويتفاقم كلما زادت ، ويتسع خرقه بزيادته على الراقع .

نعم نحن الآن غثاء كغثاء السيل ، كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأسد على فريستها ، فقالوا له : أعن قلة يارسول الله ؟ قال : لا ، ولكن غثاء كغثاء السيل .

ولقد كان العشرون من أهل الصدر الأول يعدون بمائتين ، وكان المسائة منهم يعدون بألف ، بل كان الواحد منهم يعد بألف أو أكثر ، أما نحن الآن فالألف منا يعدون بواحد ، ولا خير فى كثرتنا ونحن على هذا الحال ، بل يجب أن نعمل على تقليل عدد الأسرة فينا بمنع الزيادة على زوجة واحدة ، ليمكن رب الأسرة أن يربيها تربية صالحة ، ويمكننا أن نهيء جيلا صالحاً يعتز الإسلام به ، ولا يكون كهذا الغثاء الذى يحط من شأن الإسلام ، ويحط من قدر المسلمين بين الأمم .

وسيجد الباشا بعد هذا أن ما يريده من منع تعدد الزوجات كان مطلباً سهلا لا يحتاج إلى ما تكلفه فى أمره ، وما كان الشارع الحكيم ليعطيه حكم التحريم الذى حاوله الباشا ، وهو يزن أحكامه أعدل وزن ، فلا يرضى أن يجعل تعدد الزوجات كالزنا فى الحكم

فى التحليل النفسى :

تخاف من العرائس

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

قالت إنها تخاف من العرائس ، فتبادر إلى ذهنى أنها تخاف من الفتيـات فى سن الزواج وقد أعلنت خطوبتهن وأصبحت الواحدة منهن « عروسة » كما هو الاصطلاح فى تعبير العامة . وأيد هذا الظن أن السائلة فتاة حول العشرين من عمرها . فقلت لها ولماذا تخافين من العرائس ، هل ترهبين الزواج ولا تريدينه ؟ قالت لا ، ليس الأمر كذلك ، إنى أعنى تلك العرائس التى يصنعها الناس للزينة أو التسلية ، ويتخذها الأطفال أداة للهو واللعب والعبث ، ثم نطقت بالفرنسية « بوبيه » Poupeé .

ورأيت أن الأمر ليس منهلا كما تصورت فى أول الأمر ، فطلبت منها زيادة الإفصاح والبيان .

هذا وأنا آخذ حالة الفتاة مأخذ الجد ، فهذا أول شرط فى التحليل النفسانى .

قالت : إنى أخجل من نفسى خجلا شديداً ، ولا أحب أن أفضى لأحد بأمرى حتى لا يهزأ بى ، فأنا أعلم أن العرائس لاضرر منها ، وهى لا تؤذى ، ولا تملك نفعا ولا ضراً ؛ ثم إنى قد بلغت من السن ما لا ينبغى أن ينزل بقلبى الخوف من مثل هذه الأشياء التى لا تليق إلا بالصغار من الأطفال . وبلغت من الثقافة ما أعلم معه علم اليقين أننا نحن الذين نصنع هذه العرائس بأيدينا ، فكيف نخاف منها .

وكانت حقاً على درجة من الثقافة ، فقد تلقت العلم فى مدارس فرنسية ، وهى تشتغل الآن مدرسة فى مدرسة ابتدائية .

واستطردت قائلة : فأنت ترى أن هذه الحالة تسبب لى متاعب كثيرة ، وترهقنى من أمرى عسرا . فأنا لا أطيق أن ألمس «عروسة» واضطرب اضطرابا شديداً إذا دخلت حجرة فوجدت فيها شيئاً من ذلك فأخرج منها . ولهذا السبب رفع أهلى من البيت كل عروسة ، وكل تمثال للزينة ، لأننى أخاف كذلك من التماثيل . وإذا علمت أن صديقة من صديقاتى تحتفظ فى بيتهـا بعرائس أو تمـاثيل ، أبيت أن أزورها ، دون أن أبدى السبب الحقيقى لأنه مضحك حقاً .

ثم إنى لا آمن إذا دخلت بيتاً ، وجلست فى غرفة تخلو من العرائس ، أن يدخل علينا طفل يلهو بعروسة فى يده ، وعندئذ يحدث لى هذا الخوف الذى يبلغ حد الفزع ، فأستأذن فى الحال وأنصرف ، وأنا فى موقف شديد الحرج بالنسبة إلى نفسى وبالنسبة إلى صديقتى .

ثم تصور أن لى أختا تـكبرنى سنا ، وهى متزوجـة وذات أطفال ، وقد حرمت على نفسها شراء العرائس لأبنائها حتى تيسر لى زيارتها ، وتستقبلنى فى دارها . فانظر مبلغ العنت الذى كنت سببه ...

قلت لها لعل هذه العرائس قبيحة المنظر ، تخيف حقاً ، فهى لذلك تبعث الرعب .

قالت : الغريب أن العروسة كلما زادت جمالا ، ازددت خوفا .

فالتقطت منها هذه الـكلمة ، أعنى « العروسة الجميلة » ، وقلت فى بالى هذا مفتاح أعلم منه سر نفسها . ثم ذهبت ألاحقها بالسؤال عن ذكريات المـاضى وعهد الطفولة ، إذ كانت العقد النفسية تتكون فى الصغر بل الصبا المبكر .

قالت إنها لا تذكر متى بدأ خوفها من العرائس ، ولـكن أهلها يقولون إنهـا وهى طفلة صغيرة جداً تخاف منها . وأقدم ذكرياتها التى تعيها ، أنهم كانوا يضعون تمثالا من الجبس على هيئة امرأة ذات ملاءة سوداء فوق الشباك بالقرب من سريرها وكانت رؤية هذا التمثال تفزعها وتبعث فى خيالها أشنع الأوهام .

وهذا كله معقول ، فالطفل الصغير قاصر الإدراك ، وقد يكون أصل هذا الخوف ومبعثه إيحاء بعض أخوات هذه الفتاة وقولهم لها ما يثير الخوف ، فصدقتهم ، واستمرأوا هذا العمل ومضوا فيه ؛ وأصبحت الفتاة الصغيرة ترهب هذه العرائس وترتعش أو ترتـ

لأن التسوية بينهما فى الحرمة يأباها العقل .

وسيجد الأستاذ إبراهيم بدوى بعد هذا أنه لم يكن له أن يقول فى عنوانه (هل نملك تحريم تعدد الزوجات) لأنا نملك هذا من غير نزاع ، ونزاعه مع الباشا فى أن تعدد الزوجات حلال أو حرام ، وهذا له عنوان غير ذلك العنوان ، والحق أردت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت .

عبد المتعال الصعيدى

عند رؤيتها . وثبت فى نفسها هذا الخوف مع الزمن وأصبح كما يقولون « عقدة نفسية » .

ولـكن حل العقدة يكون بمعرفتها ، واستخراجها من باطن النفس وأغوار الماضى فيبرح عنها الخفاء . وقد علمت صاحبتنا بأمر هذه العقدة ، وعلمت أن ليس فى العرائس ضرر ، فما هو السر إذن ؟

فانصرفت إلى البحث عن هذه « العروسة الجميلة » التى تخاف منها ، التمس فى الجمال علة الاضطراب .

وكان من الواضح أن السائلة غير جميلة .

وشرعت أسألها عن أخواتها وعن علاقتها بهن ، ولها أختان شقيقتان إحداها تـكبرها بثمانية أعوام والثانية بعامين . الـكبرى متزوجة وصاحبة أبناء ، والصغرى لم تتزوج بعد .

وتبين من نبرات صوتها عند الجواب أن بينها وبين أختها الثانية أشياء . فهى أجمل منها ، وأكثر منها حظاً فى التعليم ، وتشغل منصبا أفضل منها .

وألححت فى السؤال ، فقالت إنها تحترم أهلها وأخوتها وقد رباها أبوها تربية صالحة ، وعلمها أن تقف من أخوتها موقف المحبة والاحترام .

ولـكن الغيرة لا تعرف التقاليد والحدود الاجتماعية . والواقع أن الغيرة الشديدة قامت بين صاحبتنا وبين شقيقتها منذ الصغر فهى أجمل منها ، وأحسن منها فى التعليم حظاً ، وأرقى من حيث المنزلة الاجتماعية ؛ فضلا عن الغيرة الطبيعية التى تنشأ بين الأختين إذا كانتا متقاربتين فى السن .

إذن فهى فى صراع بين الواجب والواقع ، بين واجبها نحو أختها وأهلها ، وبين طبيعة نفسها التى تحدثها بالغيرة .

ولـكن ما شأن أختها بالخوف من العرائس ؟

لقد حدث عندها ما يعرف فى علم النفس باسم « التحويل » Transference ، فقد حولت خوفها من العرائس وهى الدمى التى يلعب بها ، إلى أختها لما بين الاثنين من مشابهة فى معنى « العروسة » . والعروسة عند العامة هي الفتاة المخطوبة إلى عريس فالأخت عروسة بالمعنى الصحيح لهذه الـكلمة . وأكبر الظن أن الشخص الذى كان يخيفها فى الصغر ، أى وهى فى سن الثانية من عمرها ، هى هذه الأخت .

وإذن فقد تعقدت العقدة ، وتحولت من مجرد الخوف من العرائس المصنوعة للهو ، إلى الخوف من « العروسة الجميلة » وهذا سر قولها إن العروسة كلما كانت جميلة ، كان خوفها أشد . وكأن أختها أصبحت رمزاً حولت إليه خوفها ، وغيرتها ، وبغضها . .

ويؤيد هذا كله ، ما ذكرته من أنها لا ترغب فى الزواج ، وتمانع فيه ، أو على الأقل كانت تمانع إلى عهد قريب .

ويؤيد ذلك أيضاً أنها تخشى الأطفال الحديثى الولادة ، أى الذين فى سن الرضاعة . قالت إنها ذهبت عند أختها الـكبرى ، وهى متزوجة وذات أطفال ، وعرض لأختها أمر يقتضى أن تخرج من الغرفة على عجل ، فأعطت ابنها الرضيع إلى صاحبتنا ، والتمست منها أن تهدىء من روعه إلى أن تعود . وحملت الفتاة الطفل بين يديها وهى ترتجف من شدة الخوف ، وكادت تلقى به إلى الأرض .

ونصحها أحد الناس بأن تصنع عروسة من قماش لعل ذلك يجعلها تألف بطريقة عملية هذه العرائس فلا تعود ترهبها .

وفعلت ذلك ، فقصت القماش ، ووضعت داخله القطن ، حتى إذا أوشكت العروسة أن تـكتمل ، وصورت رأسها ، لم تستطع أن تمضى فى صنعها إلى النهاية ، وبرز الخوف فى نفسها .

ليس العلاج عسيراً ، فإذا عرف السبب بطلت آثار الاضطراب ؛ والمهم أن يقتنع المريض بصحة الأسباب ، وأن يعمل على علاجها .

أما عن السبب الأول وهو الخوف من العرائس الذى كان يقع فى الصغر ، وصحبها إلى الـكبر ، فيرجع إلى الوهم والتهويل ، وقد عرفت أن هذا الوهم باطل ، ولا ينبغى التهويل فيه .

أما عن السبب الثانى وهو الغيرة من أختها ، فقد وجدت بعض المشقة فى ترويض نفسها على محبتها المحبة الأخوية الصادقة ذلك أن القضاء على الأحوال النفسـية التى ثبتت فى النفس مع طول الزمن من أشق الأمور ، مثلنا فى ذلك مثل من يعتاد التدخين أو لعب الميسر أو شرب الخمر ، لا يسهل عليه أن يقطع عادته التى ألفها بين يوم وليلة .

وقد رسمنا لهـا الطريق المؤدى إلى كبح جماح الغيرة ، وفى القضاء على الغيرة من أختها على وجه الخصوص القضاء على خوفها الموهوم من العرائس .

أحمد فؤاد الأهوانى

إلى الشرق العربي المجاهد :

ذكريات أجناس

للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

« كان المرج واسعاً والماء صافياً نيراً ، والعشب أخضر ملتفاً ، يغرى بالرعى سارح السوائم . وقطيع البقر يجرى ههنا وههنا طاعماً من الكلأ ، شارباً من الماء ، موقناً أنه نامت عنه المقادير كان ذلك كذلك ، حين جاء أول إنسان ، وقاد أول ثور ليضع على عنقه النير ، ثم أجرّه المحراث وشق به الأرض » .

* * *

هذا ما قاله الثور الأسود والزبد يسيل من شدقيه ولا يكاد يستطيع أخذ أنفاسه ، حين وقف تحت الشجرة إلى جانب الثور الأبلق لينالا علفهما ثم يعودا يحملان النير .

ولم تكن ذكريات الحرية الأولى التى أفاضها على صاحبه لتخفف مما يعانيه هو . بل احمرت عيناه ، ولوّح بقرنيه فى الهواء كأنما يغالب ما يدفعه إلى أن يفتك بهذا الحراث الغشوم . ولم يكن قد وضع رأسه فى المذود ساعة استعاد ذكريات ماضيه الحر ، كلا ، ولا وضع رأسه بعدها . على حين كان صاحبه يأكل التبن أكلاً لمَّا غير مبال بما يخالطه من زبد يسيل من شدقيه . فقال الأسود :

أنت يا صاحبى هادئ لم تثر فى نفسك ذكريات الحرية ما قد أثارته فى نفسى حتى صدتنى عن الطعام . فلم يرفع الأبلق رأسه من المذود المشترك ، بل مال عليه بصفحة وجهه يقول ساخراً :

— هيه هيه أيها المغرور !! لعلك ابن بقرة فيلسوفة قصت عليك ما حفل به تاريخنا فى القديم من سعادة كخيال الأساطير . وهبْ هذا صحيحاً فماذا أنت فاعل ؟! يجب أن تسلم أيها الخيالىّ بأن عنقك هذا القوى الغليظ لم يخلق هكذا إلا للنير .

فضرب الأسود بحافره الأرض حفاظاً وغيرة ، ثم خارخورة مكتومة قال على إثرها :

— أنت يا صاحبى مظلم الغريزة مخطئ الإلهام ؛ فأعناقنا لم تبد هكذا إلا لأن جدنا الأول حمل النير يوم قاده الطاغية من مرجه الجميل فغلظ عنقه شيئاً ورثه ابنه من بعده . ثم ما زال هذا الميراث السيئ يظهر أكثر وضوحاً على تعاقب الأجيال حتى خلقت أنا وأنت على نحو ما ترى . فتوارث العيوب وإقامة الأجيال على البغيض من أكبر البلايا التى تمنى بها الجماعات . فلو أن الثور الأول رفض النير ما حمله الثانى من بعده . على أن الثانى ليس خالياً من التبعة كذلك ، لأنه لو رفضه ما حمله الثالث وبتتبع حلقات السلسلة نصل إلى أننى وإياك يجب أن ننزل النير من على عواتقنا لنخلّص منه سلالاتنا المقبلة .

قال الأبلق وقد كف عن الأكل : لكنك فى كل ما قلت تناقض مبادئ الخلقة ، لأننى لا أكاد أرى نوعاً سوانا يصلح لحمل الهوان الذى نحن فيه .

فقال الأسود : لم يكذب ظنى فيك فأنت حقاً مظلم الغريزة ! لماذا أكلف نفسى عناء البحث عن جنس آخر يحمل النير من بعدنا ؟! نريد أن نتخلص منه ، ثم ليحمله الشيطان أو ليحمله الحرّاث نفسه .

وكل ما أستطيع أن أجزم به هو أن الثور الأول لم تكن خلقته على ما نحن عليه . فلابد أنه كان رقيقاً لطيفاً فيه من الظباء مشابه كثيرة ؛ ولما صاحبه الاستعباد أتلف نسله على مرّ الزمن . أما سمعت عن قصة الغراب ؟ لقد كان يمشى فى الزمان الخالى على رجليه باعتدال ، ثم طرأ عليه ما هو خارج عن خلقته فمشى على رجل واحدة وقبض الأخرى حين فشل فى محاكاة العصفور ونسى مشيته الأولى !! آه ... ثم كان الغربان على ما تراها الآن مشيها وثب : لقد ذكرنى بنفسه ، هاهوذا قادم أتراه ؟؟ إنه آت ليلتقط حبات الفول من أمامنا فى المذود .

وتهافت الغراب باحثاً عن الحب ، فطرده الأسود برأسه ، ثم عاد فطرده مرة أخرى . فوقف فوق الشجرة ، وترجح بأحد الأغصان ، وأدار رأسه ذات اليمين وذات الشمال كأنه يفتش عن أحد من جنسه ، ثم شرع يقول للأسود :

سمعت ما قلته عن الغربان أيها الملعون وأنا فى طريقى إليك .

لقد أورثني أبي عرجاً ولم يورثني عبودية . وهأنذا أسخر منك قادراً على أن أسخر ممن استعبدك كذلك ، فانظر ما أنا فاعل ... أنا ابن الهواء الطلق وسليل ذوائب الأشجار .

ثم أطلق سلسلة نعيب تشاءم الحراث منها فقام عن طعامه وقذفه بحصاة ، ولكنه طار عن الشجرة ساخراً مزهواً ...

* * *

فاض على الثور الأبلق غيظ من أن سخر من جنسه ضعاف الأجناس ، فرفع رأسه عن طعامه ناظراً إلى الأسود بعينين ملتهبتين كذلك كأنه يسأله ماذا يجب أن يعمل ؟ يا للتراجع الحظ ! أيسخر منا كل جنس حتى الغربان ؟!

قال الأسود : وأخيراً آن لك أن تعلم أنك مغلوب ، وأننا كنا من قبل في مرج خلق لنا وخلقنا له ، يوم خص الله كل جنس بطعام ومكان ! ! وبقينا هكذا حتى حجزنا الظلم عن مرعانا ومرّ الزمان ومرّ حتى خيّل إليهم أنه علينا حرام ...

كان الحرّاث قد فرغ من طعامه واضطجع قليلاً على أحد جانبيه وعيناه إلى الثورين ، فرأى الأسود لم ينل من علفه شيئاً على حين أكل الأبلق قليلا ثم كف . فقام إلى الأسود يمسح ظهره ويطرد عن عينيه الذباب ، ثم حل رباطه وأورده الماء ، وأعاده إلى مكانه ، ثم رمى أمامه حفنة من الفول خصه بها وعاد فاضطجع من جديد في هدوء شديد يرقب ويرى ما ذا يكون ؛ فتبادل الثوران نظرات السخرية حين رأيا أنه حابى الأسود ولم يهويا إلى علفهما بفم .

ومرت لحظات قام الحراث من بعدها إلى الأسود يصب عليه سوطه ثم جرهما معاً إلى المحراث ولم ينزل عنهما النير إلا بعد أن غابت الشمس .

* * *

أوى الرعاة إلى الأكواخ ، وأوت السوائم إلى الحظائر ، وسكن الليل فهاجت هواجس المكروبين .

ورقد الأسود بجوار الأبلق يجتران على المربط علف المساء ويراجعان حديث الصباح فقال الأبلق :

لقد كفرت بالذي قلت لي في الصباح ياصاحبي لأنني فكرت وأنا هادئ . ويخيل إليّ أنه كما ينسجم البلح على النخل ، وينسجم الجميز على شجر الجميز ، لا ينسجم النير إلا على أعناق الثيران !! تصوره مرة على رقبة جمل ، ثم تصوره أخرى على رقبة زرافة ، تحكم ولاشك بأنه شاذ غريب .

فنطحه الأسود برفق ليثوب إليه رشده ، ثم قال :

لن ينزل عن عنقك النير حتى تؤمن بأنه لم يخلق لك . ولو رآه الناس على رقاب الجمال والزرافات طوال القرون التي رأوه فيها على رقابنا ، لآمنوا وآمنت معهم بأنها خلقت للنير . إن طول الألفة للمكروه يقربه من أن يكون في نظر الضعيف حقاً ، على أن الأقوياء يرقون دائماً من حسن إلى جميل ومن تل إلى جبل .

ثم قام واقفاً على رجليه وخار خواراً عنيفاً هز أرجاء الحظيرة حتى ظن الأبلق أنه باطش به لا محالة ، وقال : لا تعتبرني مغالياً إذا قلت لك : لو رأى كل ما يسكن الأرض من دابة أن البشر من قديم تحت سلطان البقر لألفت دواب الأرض كلها هذا الوضع !!

الأمر في أوله مصادفة يا صاحبي ، ثم تألف العين ما فعلته المصادفة ، حتى يقال بعد طول السنين : يجب أن يكون هذا هو الجنس الغالب .

فقال الأبلق خائفاً لاهثاً : وماذا أنت مقترح أن تفعل ؟! اهدأ قليلا لئلا يسمع الحراث ! !

فقال الأسود : ألا فليسمع فإني أريد أن يسمع : المرج لنا كما قد خلقه الله .

قال الأبلق : وهل ينجيك هذا من النير والمحراث عند ما تشرق الشمس ؟!

فرد صاحبه : لن ينجينا من الاستعباد إلا أن نعتصم كلنا بالمرج ، فإما أن يكون لنا الكلأ الأخضر ، وإما أن يكون لنا الموت الأحمر .

« وهجع المظلومان حتى الصباح ، ولم يكونا نائمين ، لأن شبح النير أفسد عليهما المنام ! ! » ...

محمد عبد الحليم عبد الله

زواج تولستوي (*)

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

وعادت الأسرة إلى موسكو فكان يزورها كل يوم ، ومازال أهل الدار ما عدا صوفيا وتانيانا يعتقدون أن الكونت يتجه بقلبه إلى ليزا ...

وظل على هذه الحال أسبوعين بعد ذلك لا يقطع زيارته ولا يجمع عزمه على رأى ؛ ولقد جاء فى مذكراته فى السابع من سبتمبر قوله « لقد بقيت يومين بالبيت أفكر على انفراد فى أمرى لا تدفع نفسك يادوبلتسكى حيث الشباب والجمال والشعر والحب فإن لهذه أيها الشيخ مَن هُم أصغر منك ؛ إن موضعك فى صومعة من صوامع العمل حيث تطلع من عزلتك فى سرور وهدوء على سعادة الآخرين وحبهم . لقد عشت فى هذه الصومعة وسأعود إليها » وأثبت بعد ذلك بيومين قوله « أى دوبلتسكى لا تحلم ... لقد كتبت لها كتاباً لن أرسله ، لم أستطع أن أنم لمدة ثلاث ساعات ؛ لقد حلمت وعذبت نفسى كما يفعل غلام فى السادسة عشرة » وقال فى اليوم التالى « إنى أشعر بالحب أكثر من أى يوم سلف . . وإن الأمل لا يزال فى أعماق نفسى يجب أن أحل هذه المعضلة ... لقد بدأت أكره ليزا وإن كنت أرثى لها . . أعنى يا إلهى وأرشدنى . . إن أمامى ليلة طويلة فارغة أقضيها ، ذلك يؤلمنى أنا الذى طالما ضحكت من آلام المحبين ! كم ذا رسمت من خطة كى أصرح لها ولتانيا ولكل امرىء ولكن عبثاً حاولت ... لقد أخذت أزدرى ليزا من كل قلبى »

كان مرد هذه الحيرة الشديدة إلى أنه يخشى ألا يكون ما يحسه نحوها حباً كما يكون الحب ؛ كان يخاف من نفسه على حد تعبيره ، ويزيده خوفاً أنه كلما تدسس إلى شعورها ليتبين ما إذا كانت بها عيوب وجد نفسه منجذباً إليها ..

وفى الثانى عشر من سبتمبر كتب فى مذكراته « إننى أحب



تولستوى عند الأربعين

اليوم على صورة لم أكن أصدقها من قبل ... لقد بلغ بى الجنون أنى أخشى أن أقتل نفسى إذا ما لبثت على هذه الحال . لقد قضيت المساء عندهم ؛ لقد بدت لى بهيجة ، ولكننى دوبلتسكى القبيح يجب أن آخذ أهبتى وشيكا . لا أستطيع النكوص الآن ، ولو أننى دوبلتسكى إلا أن الحب غيرنى . لقد سنحت لى فرص ولكنى لم أغتنمها . . منعنى الخوف ، ولكن كان على أن أتكلم فى بساطة إنى أحب أن أعود إليهم فأذكر كل شىء أمامهم جميعاً »

وفى اليوم التالى كتب يقول « لقد سطرت كتاباً سوف أرسله إليها فى غد ... قوّنى يا إلهى ... ما أشد خوفى من أن أموت ، فأن مثل هذه السعادة تبدو لى مستحيلة . رب أعنّى وأرشدنى »

وقال بعد ذلك بيوم « لم أنم إلا ساعة ونصف ساعة ، ولكنى على الرغم من ذلك منتعش جد مهتاج » وفى اليوم التالى كتب يقول « أخفقت فلم أحدثها . ولكنى قلت لها إن لدى شيئاً أحب أن أحدثها عنه »

وذهب تولستوى فى مساء السادس عشر إلى آل بيرز وفى جيبه الكتاب الذى أعده والذى لبث فى جيبه ثلاثة أيام ، وأنى

(*) فصل من كتاب « تولستوى » الذى سوف تقدمه إلى المكتبة العربية قريباً « مطبعة الرسالة » .

سوفيا جالسة إلى البيان ، فجلس إلى جانبها ، والانفعال ملء نفسه وبدنه ، وأحست انفعاله فسرى إليها قدر عظيم منه فتشاغلت بدور كانت تلعبه قبل مجيئه . ودخلت تانيا فطلبت إليها أختها أن تغنى تريد بذلك أن تخفى ما فى الموقف من اضطراب ... وغنت تاتيانا فى صوتها الرائق الحلو ، وناداها تولستوى باسم مغنية كبيرة هى مدام فياردو إعجاباً بها ، ثم قال لنفسه إذاختمت تاتيانا لحنها خاتمة جيدة فسوف يعطى صوفيا ذلك الكتاب ؛ وكانت تاتيانا موفقة كل التوفيق إذ ختمت لحنها ، وانسحبت الشيطانة الصغيرة فى لباقة ، وقد أحست أنها اللحظة الحاسمة ، وما كادت تغادر الحجرة حتى مدّ تولستوى يده بالكتاب إلى سونيا قائلاً إنه ينتظر ردها ، وتناولته سوفيا بيد مرتجفة ، وخرجت به فأسرعت إلى حجرتها وأوصدت الباب وراءها وجلست تقرأ . . « أى سوفيا .. أصبح الأمر لا يطاق ؛ لقد ظللت أقول لنفسى طيلة ثلاثة أسابيع سأبوح لها الآن ، ومع ذلك كنت أخرج كل مرة وفى نفسى مزيج من الحزن والأسف والرعب والسعادة ! وكنت أنظر كل ليلة نظرة إلى الماضى فأسخط على نفسى ان لم أبح لك وأسأل نفسى ما ذا عساى كنت أقول لو أنى تكلمت ... لقد ظننت أنى أستطيع أن أحبكم جميعاً كما أحب الأطفال ، وكنت فى إقتنى لا زلت أستطيع أن أقطع ما بينى وبينكم وأعود إلى خلوتى ، إلى عملى الذى يشغل وقتى كله . . ولكنى الآن لا أستطيع شيئاً . أشعر أنى أحدثت فى بيتكم شيئاً من الاضطراب ، وأن صداقتكم لى كما تصادقون رجلا شريفاً قد لحقتها بعض الشوائب ، ولذلك لا أستطيع الانطلاق كما لا أستطيع البقاء . . وإنى أحمل هذا الكتاب معى وسوف أقدمه إليك إذا لم أجد فى نفسى من الشجاعة ما أبوح لك معه بكل شىء ... وإنى أعتقد أن أسرتك تنظر إلىّ نظرة خاطئة إذ تحسب أنى أحب أختكِ إليزابث وليس هذا بحق ، فإن قصتك لا تبرح عقلى قط ، وذلك لأنى بعد أن قرأتها أصبحت أعتقد أنه غير خليق بى ، أنا دوبلتسكى أن أحلم بالسعادة ، لقد كتبت لك ونحن فى إقتنى أقول إن شبابك ومرحك يذكرانى فى صورة قوية بتقدمى فى السن وباستحالة السعادة علىّ ... ولكنى حينذاك كنت أكذب على نفسى ولا زال هذا حالى ؛ إنك فتاة أمينة صريحة ، فدليني ويدك على قلبك دون أن تتعجل — وإنى أناشدك الله ألا تتعجل — ماذا عسى أن أفعل ؟ لو أنى علمت منذ شهر أنى سوف ألقى مثل هذا الألم السار الذى عاينته طيلة هذا الشهر لضحكت حتى يقتلنى الضحك . نبئينى بكل مافى نفسك من إخلاص : أتكونين زوجة لى ؟ إذا كنت تستطيعين أن تقولى : نعم وأن تقوليها من أعماق نفسك فقوليها ، ولكن إذا كنت تحسين أدنى شك فقولى لا ... نشدتك الله أن تفكرى ملياً فى الأمر ، وإنى لأمتلىء رعباً كلما فكرت فى قولك لا ، ولكنى أوطن النفس على تحمل ذلك ، وسوف أقوى على تحمله بيد أنه من الأمور المفجعة ألا تحبنى من تكون لى زوجة بقدرما أحبها

وسمعت سونيا دقات عنيفة على الباب ، وصوتاً هو صوت أختها ليزا يناديها فى إلحاح أن تفتح ففتحت فقالت أختها ! ماذا كتب لك الكونت ؟ نبئينى . ووقفت سونيا جامدة والكتاب فى يدها ، فقالت ليزا صائحة أخبرينى الساعة ماذا كتب لك الكونت فقالت سونيا فى عبارة فرنسية : إنه طلب يدى ؛ فأجهشت أختها قائلة : أرفضيه ... أرفضيه من فورك !..

ودخلت أمهما فعملت فى لباقة على أن تبعد بين الأختين فتخرج بهما من هذا الموقف الكرية وكان الكونت إذ ذاك فى الثوى ينتظر ، والقلق ملء نفسه ، ويداه خلف ظهره ، وقد استند إلى الموقد وفى وجهه صفرة لم يعرف مثلها من قبل ، وأرهف سمعه إلى وقع أقدام خفيفة ، وإن قلبه ليثب بين ضلوعه ودخلت سونيا فنظرت إليه قائلة : نعم ... ثم ولت مدبرة .

وتقدمت ليزا فهنأت أختها ، ثم مشت إلى الكونت فهنأته وقبلته فى كثير من الكرم والنبل ؛ وجاءت الأم فهنأت سوفيا وفى نفسها من السرور بقد ما فيها من الشفقة على ليزا .

وكان رب الدار قد مسته وعكة من قبل فتذرع بها وتردد فلم يهنىء الكونت ، ولم يبد ارتياحه لأنه كان يحب ليزا ، وأظهر الطبيب الشيخ كثيراً من الرثاء لابنته ، ولكن ليزا نفسها ما زالت تستحلفه والدموع فى عينيها ألا يغضب أختها ، حتى اطمأن فؤاده فذهب إلى تولستوى وصافحه مهنئاً .

وتصادف أن كان اليوم التالى يوم ميلاد الأم ، وكانت دار الطبيب بيرز ملأى بالضيوف فأعلنت الخطبة وأقبل الضيوف على العروسين مهنئين ... وغابت ليزا عن الموائد متوارية من القوم ، الأمر الذى تألم له قلب تولستوى على الرغم مما كان يفيض به من فرح ، ولقد تحدث بهذا إلى عروسه ، وهو الذى لا يحب منذ طفولته أن يؤلم أحداً ...

محمود الخفيف

١ — الأعلام :

محمد بك النجارى

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

أخلص الناس للعلم ، وأنفعهم له وبه ، هم الذين يقبلون عليه استجابة لميولهم الفطرية ، وإشباعاً لرغباتهم الفكرية ، ويتخذونه مجالا لرياضة الذهن وتثقيف العقل ، وباباً للافادة وتخليد الذكر ، فى غير ما نظر إلى إدراك مكافأة أو حصول على أجر .. ولقد كان من هؤلاء المغفور له القاضى اللغوى محمد بك النجارى طيب الله ثراه وأكرم مثواه .

نشأ النجارى نشأة بعيدة عن مجال الثقافة اللغوية والأدبية ، فقد تربى فى المدارس المصرية على عهدها الأول ، ثم انتقل إلى مدرسة الحقوق الخديوية كما كانت تسمى فى تلك الأيام ، فأتم دراسة القانون فيها ، وكان من المبرزين بين متخرجيها ، فأوفدته الحكومة فى بعثة إلى فرنسا عام ١٨٨٢ لإتمام دراسة القانون بها ، فبقى هناك خمس سنوات كاملة ، إذ عاد سنة ١٨٨٧ م فعين مساعد نيابة من الدرجة الأولى ، ولقد ظلّ يترقى فى مناصب القضاء الأهلى حتى انتهى إلى رئاسة محكمة الزقازيق ، ثم نقل إلى القضاء المختلط فعين قاضياً لمحكمة الإسكندرية ، ثم لمحكمة مصر ، وقد انتقل إلى جوار ربه وهو فى هذا المنصب . .

وفى سجلات الحكومة مئات تربوا مثل تربية النجارى فى المدارس المصرية ، وقدر الله لهم التفوق فى نيل الشهادات الدراسية ، وبلغوا فى المناصب الحكومية أرفع مما بلغ درجات ودرجات ، وليس فى هذا كله ما يحرك قلم الكاتب أو يثير رغبة المؤرخ لتدوينه ، وما كان النجارى جديراً بالذكر لولا أنه اتخذ لنفسه مجالا آخر ، شغل به عقله ، ووقف عليه جهده ، ومنحه إخلاصه ورغبته ، وهو مجال الثقافة اللغوية التى أحبها وعشقها ، فبذل نحوها جهداً يحمد . وخلّف فيها أثراً يذكر .

وكان أول ما أبدى فى ذلك أن لمس المشقة الكبيرة التى يعانيها القائمون بالترجمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وما يجهدهم فى الحصول على التعبيرات والمترادفات التى تؤدى المعنى فى دقة وتعبر عن الغرض فى أمانة ، فعكف على تأليف معجم فرنسى عربى جمع فيه من مادة اللغتين ما وسعه الجهد ، وقد أخرج هذا المعجم فى ستة مجلدات كبيرة ، فأدى بذلك للغة خدمة جليلة تشهد بصادق غيرته وبالغ ما بذل من جهد واجتهاد .

وكان أن اتجه إلى آداء خدمة أجل وأصدق نحو العربية ، إذ عنى بإخراج كتاب المخصص تأليف أبى الحسن على بن اسماعيل النحو اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده ، والمتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة ، وكان هذا الأثر الجليل قد انتهبته أحداث الزمن ، وتفرقت أجزاؤه فى مكاتب الدول ، فعنى النجارى بك بجمع هذه الأجزاء من مكاتب انجلترا والبورتغال وبلاد ما بين النهرين ، وضم ذلك إلى ما عثر عليه من الكتاب فى دار الكتب المصرية ، وبعد أن قام بترتيبه وتنسيقه تعاون جماعة من أهل الفضل وأنصار اللغة والأدب على طبعه ونشره ، فخرج فى سبعة عشر جزءاً كبيراً ، وفى خاتمة الجزء السابع عشر أشار رئيس تصحيح الكتب العربية بالمطبعة الأميرية إلى الجهد الذى بذله العلامة النجارى فى إخراج هذا الكتاب ، فقال بعد أن ذكر ما لهذا السفر من قيمة جليلة : « ومن أجل ذلك قام بطبعه لتيسير تناوله وتعميم نفعه جمعية خيرية ، من فضلاء المصريين وسراتهم ذوى الهمم العلية ، وفى مقدمتهم حضرة العلامة المحقق صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية . وحضرة صاحب السعادة حسن باشا عاصم رئيس دوان خديوى ، وحضرة الوجيه الفاضل صاحب العزة عبد الخالق بك ثروت أحد أعضاء لجنة المراقبة القضائية بالحقانية ، وحضرة السرى الأمثل صاحب العزة محمد بك النجارى أحد قضاة المحكمة المختلطة بالإسكندرية ، وهو حفظه الله كان ذا السبق والنهضة الأولى فى تحقيق هذا المشروع الجليل فإنه بذل همته فى استكتاب هذا الكتاب من نسخة عتيقة

مغربية بالـكتبخانة الأميرية المصرية قد ركض فيها البلى ولعب، وأكل منها الزمان وشرب، حتى أبلى ثوبها القشيب، وأذوى غصنها الرطيب، ولم تسعد الأيام بثانية تعززها بعد البحث والتنقيب، وبعد كتابة نسخة منها وكل تصحيحها ومقابلتها على أصلها إلى حضرة الأستاذ العلامة مرجع طلاب اللغة والأدب الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى، وكان معه فى المقابلة حضرة صديقنا الفاضل الشيخ عبد الغنى محمود أحد علماء الأزهر الشريف .. »

وإنه كما ترى لعمل جليل، وإن مما يزيد فى تقديره أن يتم من رجل يربطه منصبه بثقافة القانون والفقه لتطبيق مواده وأحكامه. على أن النجارى لم يقف عند هذا الحد، فقد رجع الى « لسان العرب » وهو أوسع معجم فى اللغة العربية فرآه مرتباً على طريقة غير مسهلة ولا وافية بالحاجة فى استخراج الـكلمات والـكشف عن معانيها، فعزم على ترتيب هذا المعجم الضخم على حروف الهجاء، متبعاً فى ذلك منهج المعاجم الحديثة فى اللغات الأجنبية، وضم إليه فى هذا الترتيب معجم الفيروزابادى المعروف بالقاموس المحيط حتى يكون أوفى وأتم، وفى أثناء عمله هذا عنى بجمع الـكلمات العربية التى تقارب الـكلمات الفرنسية فى اللفظ وتتفق معها فى المعنى، وأراد أن يخرجها فى كتاب على حدة، وقد جمع من هذه الـكلمات حوالى ثلاثة آلاف كلمة عربية وفرنسية.

وشمر النجارى لإخراج هذا المعجم الذى قصد إليه ترتيباً وتنسيقاً، فأخذ يواصل الجهد لذلك حتى شارف الغاية، فأعد منه تسعة عشر مجلداً، وبقى مجلد واحد أعجزه المرض عن إتمامه، فسافر إلى أوروبا للاستشفاء، ولعله يصيب من الراحة ما يعينه على إتمام هذا العمل، وقد عاد من أوروبا فعلاً يستروح روح العافية، فعكف على إنجاز الجزء الأخير فى ذلك المعجم، ولـكن الداء انتكس به، وعاودته العلة أقسى مما كانت، فلم يذعن للمرض هذه المرة، وظل يوالى العمل فى منصبه من جهة وفى المعجم من جهة أخرى، وكأنه كان يتعجل الفراغ من هذه المهمة قبل فراغ العمر، فبينما كان يقلب صفحات أحد المعاجم وهو جالس على مكتبه فى إحدى الأمسيات إذ سقط جثة هامدة وفاضت روحه إلى بارئها، ولم يبق من إتمام المعجم إلا ورقات معدودة فى آخر الجزء العشرين، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٣٢ هجرية – ١٩١٤ ميلادية.

وتصرمت السنون على وفاة النجارى، وطوى عمله فى مطاوى النسيان. وفى الأيام الأخيرة تقدم ورثته إلى وزارة المعارف لعلها تعنى بنشر هذا المعجم الذى رتبه ونسقه وبذل فى سبيله أعز ما يملك وهو صحته وحياته، فأحالته الوزارة إلى المجمع اللغوى ليرى فيه رأيه، ثم كان أن أعاده المجمع إلى الوزارة، ولا يزال المعجم بين يدى الوزارة لم يستقر لها رأى إلى الآن فى شأنه.

محمد فهمي عبد اللطيف

من رباعيات عثمان

للأستاذ عثمان حلمى

حانتى

هذه حانتى وهذا مكانى است أنساهما وإنْ نسيانى
كم ليال أطلقتُ فيها لهوى ومراحى مع الشباب عنانى
ملكتنى روحٌ تعربدُ فى رو حى فما يستقرُّ منها كيانى
كلما جلجلت بنفسى لم أمـ ـلك رقيبى على يدى ولسانى

كنتُ إنْ أقبل المساء كأنى بى روحٌ قد مسها روحُ جنٍّ
ظامئاً لا أكادُ أروى بغير الـ ـكأس فى ركن هادىء مطمئن
كلما قلت هاتها أقبل السا قى بكأس تثير روح التمنى
فتعاطيتها وليس بنفسى غاية قبل شربها أن أُثنى

طفرت نشوتى بأول كاس طفرات من وحشتى لاتتناسى
فإذا بى ألقيتُ عن سر نفسى حجباً من ترمتى واحترامى
وإذا بى نسيتُ ما آد قلبى من أسى جاثم ومن وسواس
ولقد تصلحُ النفوس إذا ما عولجت من همومها بالتناسى

ثم ناديت أيهذا الساقى ثنِّ من بعدها بكأس دهاق
هاتها لى فلا رفيق سواها فهى نعم الرفيق بين الرفاق
فمضى ثم جاءنى وبنفسى من سُمار كلهفة المشتاق
وبكأس أكادُ أقرأ فيها آية من بدائع الأذواق

فطفت نشوتى وطار وقارى وانجلت بهجتى وغاض ازوراری
فلقد خفَّ كلُّ ما كان بينى من قيود وبين نشوان جارى
طوت الخمر كل ما حال بالأنـ ـفس عن همها من الأستار
فتعرت عن الحفاظ فما تفـ ـرق بين الإعلان والإسرار

ثم جاء الساقى بكأس سواها بلغتْ نشوتى بها منتهاها
زلزلتْ كل ما استقام بنفسى من نهاها كما استثارت هواها
وبدت لى الأشياء فى عين صفوى راقصات فى أى صفو تناهى
كلما شعشع الصفاء بنفسى زادها النور بهجة وجلاها

ما يكاد الساقى يروحُ بكاس منه حتى يعود منه بكاس
دار مثل الطاحون رأسى واعو جَّ لسانى وأسرعت أنفاسى
وتراخت مفاصلى كلما حا ولتُ نهضاً لم ألق لى أى بأس
ثم ناديتُ هات أخرى وقد ود عتُ من بعدها رجائى ويأسى

ثم جاء الساقى بغير نداء كاظماً سوء نفسه الشوهاء
حاملاً كأسه التى لست أدرى عدها لو أردت دون عناء
ولعمرى وقد نسيت وجودى كيف بى ذكر أتفه الأشياء
هات أخرى لعنت يا أيها الخنـ ـزير واطلب ما شئته من عطاء

عثمان حلمى

أين الخلان؟

للأستاذ على متولى صلاح

ساءت الدنيا فلا خل وفـ ـىّ أصطفيه
أقفرت إلا من الخا ئن والوغد السفيه
وخلت أربعها من كل ندب أرتضيه
كل من فيها عدو وظلوم لأخيه

يا زماناً أجفل الوا لد فيه من بنيه
كل ما فيك بغيض كل ما فيك كريه
كل من نلقاه فى النا س عدو نتقيه
ساء يومى مساء أمسى كله دهرى شبيه
ليت شعرى يا زمانى أى يوم أرتجيه ؟

يا فؤادى دع من الد نيا عذاباً أنت فيه
خل عنك النبل للفا جر منهم يدعيه
وابغ لؤماً وابغ مكراً وابغ سيفاً تنتضيه
إنما العاقل من يعر ف حرصاً يشتريه
فهو للدنيا أسير وعلى الناس يتيه ... !

(مصر القديمة) على متولى صلاح

الأدب والفن في أسبوع

مواجهة الأزمات الفكرية :

ألقى الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة المعارف ، محاضرة موضوعها « مواجهة الأزمات الفكرية » في مساء الخميس الماضي بقاعة الدكتور عبد الحميد سعيد التذكارية بجمعية الشبان المسلمين .

قال الأستاذ المحاضر : إن الأزمات الفكرية ليست شراً ، إنما الشر من عدم مواجهتها وإصلاحها ؛ وهي تدل على اليقظة والحياة ، لأن المجتمع الذي يتناسق في تفكيره مجتمع راكد . وقال إنني أريد أن أخرج الدعوات الحزبية السياسية من الأسباب المؤدية إلى الأزمات الفكرية ، لأن هذه الدعوات ، وإن أحدثت صخباً وجلبة ، ليست عميقة التأثير في التيارات الفكرية ، وكذلك سعي طوائف من الناس لتحقيق مصالح عاجلة ، فإن هذا النوع من القلق الفكري لا يعدو شعور طائفة بأنها مظلومة نتيجة لبطء الأداة الحكومية وعدم سيرها على قواعد منتظمة ، فتسلك هذه الطائفة مسلكاً غير نظامي لنيل حقوقها ، وهذه الظاهرة هي كذلك عمل وقتي قليل التأثير في الأزمات الفكرية . إنما تأتي هذه الأزمات من دعوة دينية أو اجتماعية ، فدعوة الدين الجديد تؤدي إلى أزمات نفسية وصراع فكري بين الدعوة الجديدة وبين ما كان عليه الآباء من القديم . أما الدعوة الاجتماعية فكانت قديماً تقترن بالدين ، وبتتبع حوادث التاريخ يظهر أن كل دعوة إصلاحية لبست ثوب الدين . ومما يدل على الارتباط بين الدين والأفكار الاجتماعية ما يلاحظ في تاريخنا الإسلامي من اقتران الدعوة الشيعية في بعض البلاد بالفكرة الاجتماعية كثورة الزنج في العصر العباسي .

وفي العصر الحاضر لا يمكن القول بتمام الانفصال بين الدعوات الاجتماعية والدينية ، فنحن نرى دعوات اجتماعية مادية لا تعبأ بالدين ، وخطر هذه الدعوات أنها تجعل للمادة كل الأهمية دون اعتبار للروحية أو الدينية .

ثم قال : من الخطأ مواجهة هذه الدعوات الاجتماعية المادية الخطرة بالقمع والكبت ، لأن القمع يؤدي إلى استفحالها والتمسك بها لاعتقاد أن للحاكمين مثلا مصلحة في محاربتها لظلم المحكومين ، وكذلك من المواجهة المخطئة محاولة الاقتصار على التفنيد وبيان العيوب والأضرار ، لأن الحجة تقارع الحجة ، ولا يكون لذلك نتيجة حاسمة . أما المواجهة الحقة النافعة فهي وضع مراس للسفينة التي تعبث بها الرياح وتتقاذفها الأمواج ، فلا تجد الأمان إلا عند هذه المراسي تلجأ إليها وتستقر فيها . ولوضع هذه المراسي يجب أن يكون مفهوماً أننا أمة لا تعيش في مهب الريح تتقبل كل ما يرد إليها ، بل نحن أمة ذات تراث تنشئ منه العدة التي تواجه بها الظروف والطوارئ ، فكل ناحية لابد أن تصطبغ بذلك الميراث ، فالتعليم ينبغي أن ينشأ فيه الناشئ متأثراً باللون التراثي ، ومما يؤسف له أن مادة التعليم في مصر إلى الآن عديمة اللون . والجماعة التي ينتمي إليها الأفراد سواء أكانت ثقافية أم اقتصادية أم غير ذلك . ينبغي أن يكون منهجها مشتقاً من ذلك الميراث ، فلا تقتصر على الناحية الخاصة من نشاطها ، بل يجب أن تتجه إلى تكوين المواطن بتثبيته في مرساه لا تزعزعه العواصف .

وقد كانت هذه المحاضرة مكتنزة دسمة ، كما وصفها الدكتور منصور فهمي باشا في تعقيبه عليها ، وقد ألقاها الأستاذ شفيق بك في ارتجال وإيجاز وضحت معهما مراميها البالغة .

التسجيل الثقافي في مصر وفي سوريا :

أعدت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف في الفترة الأخيرة برنامجاً لأعمال ثقافية جديدة كما أعدت الوسائل الفنية لتنفيذها ، ومن هذه الأعمال إصدار سجل ثقافي سنوي يحوي مظاهر النشاط الثقافي خارج النطاق المدرسي في عام ، وأنشأت له إدارة التسجيل الثقافي التي تعمل الآن في إعداد سجل سنة ١٩٤٨ ، ومن تلك الأعمال أيضاً إحياء الذخائر الأدبية ، وطبع كتب تمت ترجمتها ومراجعتها .

وأدرجت الإدارة في ميزانيتها اعتمادات لتنفيذ ذلك البرنامج ولكن مشروع الميزانية الجديد تناول بالحذف أو التخفيض جانباً كبيراً من هذه الاعتمادات ، فحذف مما حذف ثلاثة آلاف جنيه كانت مخصصة لطبع السجل الثقافي ، وهذا الحذف وإن كان لا يعوق إصدار السجل إذ يمكن طبعه من اعتمادات أخرى ، إلا أنه مما يؤسف له أن تتجه الدولة إلى التقتير على الأعمال

الثقافية الإنشائية النافعة فى الوقت الذى تسخر فيه على أمور نعتقد أنها ليست إلا وسائل لهذه الأعمال كايفاد الأعضاء إلى المؤتمرات فى البلاد الأوربية وغيرها ، وهذا بصرف النظر عما تبذله الدولة من الأموال فى استقدام فنانين أجانب لن تجنى البلاد منهم إن جنت إلا فوائد كمالية .

هذا فى الوقت الذى تلقت فيه الجامعة العربية من سوريا أن وزارة المعارف بها قررت تأليف لجنة برياسة وزير المعارف ، تكون مهمتها تتبع وتسجيل الحركات العلمية والأدبية والثقافية فى البلاد العربية بجميع مظاهرها والعمل على تشجيع هذه الحركات وتوجيهها نحو الرقى والكمال عن طريق الاتصال بالهيئات والمحافل العلمية والفنية والأدبية من ناحية ، والعمل على عقد مؤتمرات دورية وتأسيس جميات أختصاصية فى مختلف فروع العلم والثقافة من ناحية أخرى. ومن مهمة هذه اللجنة أيضاً إعداد مايلزم للاتصال باللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية وذلك بدرس المسائل التى تكون موضوع أبحاث اللجنة المذكورة وتهيئة أسس الاقتراحات التى يجب أن تقدم إليها حول تلك المسائل ، والاتصال أيضاً بهيئة التربية والعلوم والثقافة لمنظمة الأمم المتحدة ، وذلك بدرس المسائل التى تدخل فى مناهج أعمال الهيئة المذكورة وتهيئة المقترحات التى يجب أن تقدم إليها مع مراعاة التوجيهات والتوصيات التى تصدر بشأنها من اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

أعلام الأدب العربى فى الإذاعة :

أعلنت الإذاعة أنها ستقدم سلسلة جديدة من الأحاديث الدورية ، يقدم فيها قادة الأدب والفكر فى مصر عرضاً مسلسلا لأكبر شخصيات الأدب العربى ، وأبطال الفكر الذين كان لهم أثرهم فى نهضة العقل العربى وتقدم آثاره فى ميدان الفكر العالمى فى مختلف فنونه من شعر ونثر . وقد افتتح هذه السلسلة الدكتور أحمد أمين بك يوم الجمعة الماضى بحديث بين فيه خصائص الأدب وآثاره فى الحياة . وفى يوم الجمعة الآتى يتحدث الدكتور محمد صبرى عن الشاعر الأول (امرئ القيس) بدءا من العصر الجاهلى وستتابع حلقات السلسلة مع العصور المتعاقبة .

ويلاحظ أن حلقات تلك السلسلة تتكون من شخصيات الأدب العربى المشهورة المدروسة فى كتب تاريخ آداب اللغة العربية للمدارس الثانوية ، كامرئ القيس والأعشى وطرفة ولبيد وحسان والفرزدق والأخطل وبشار وأبى نواس والبحترى وأبى تمام والمتنبى وأبى العلاء المعرى . الخ .

وقد اختير لتقديم هذه السلسلة أدباء الدولة الذين تغلب عليهم الصفة الرسمية ، حتى أنه روعى فى اختيارهم تمثيل المعاهد والوزارات والمصالح .. كما أن الشخصيات التى سيتناولها البرنامج قد أخذ تاريخها طابعاً رسمياً لاستقرارها وثباتها بالمناهج المدرسية الرسمية فبينها وبين من اختيروا لتقديمها جناس تام ...

ولا شك أن إذاعتنا قد شعرت بتقصيرها نحو الأدب ، بالنسبة إلى الإذاعات العربية الأخرى التى تفتن فى تقديم برامج أدبية متنوعة مشوقة ، فأرادت — ولها أجر المجتهد — أن تأخذ بشىء فى هذا السبيل ، فعمدت إلى تقديم سلسلة أعلام الأدب العربى المذكورة . وكنا نود أن توفق إلى تقديم شىء غير مملول لتكراره ، شىء فيه جدة ، يستحق أن يبذل فيه أعلامنا المتحدثون مجهوداتهم وتظهر فيه ابتكاراتهم .

وعيب الإذاعة العام ، هو فقرها فى ذوى الاختصاص الفنى ، فالموظف الواحد يشرف على نواح فنية متعددة ليس من أهلها أو المبرزين فيها ، وإلى هذا السبب يرجع كثير من الاضطراب فى تقديم الفنون بها .

الاتحاد الثقافى :

نشأت فكرة الاتحاد الثقافى فى أوائل العام الماضى ، على أثر الخلاف الذى قام بين أعضاء الاتحاد المصرى الإنجليزى ، بين المصريين منهم وبين الإنجليز ، ذلك الخلاف الذى أدى إلى حل هذا الاتحاد ، ورأى الأعضاء المصريين تكوين اتحاد ثقافى يحل محل الاتحاد المنحل .

وقد اجتاز الاتحاد الثقافى عقبات منها « المكان » إذ وفق أخيراً إلى اختيار الباخرة « مصر » مقراً له . وفى يوم السبت الماضى احتفل بافتتاحه ، وقد خطب عبد الله بك أباظة فى هذا الافتتاح فوضح فكرة الاتحاد بقوله إن هذه الفكرة اختمرت لدى نخبة من الأعضاء الذين تضامنوا فى حل الاتحاد المصرى الإنجليزى حينما خاب أملهم فى قيامه بتحقيق الأغراض التى ساهموا فيه من أجلها وهى إقناع شركائهم فيه حينذاك

بوجهات النظر المصرية الصحيحة وإيجاد جـو من التفاهم القائم على احترام الحقوق الوطنية خارج نطاق المحيط الحـكومى والرسمى ، فلم يتم لهم ذلك وتقرر حله على الوجه الذى أرادوه . وقد وصف رسالة الاتحاد بأنها ستكون ثقافية مصرية وطنية بعد أن ظلت نحو عشر سنوات مختلطة بالطابع الأجنبى .

واهم أغراض الاتحاد ما يأتى :

١ — توفير الوسائل الاجتماعية لتحقيق التعارف والصداقة بين الأعضاء .

٢ — تهيئة أسباب الجمع بين مختلف الثقافات فى مصر .

٣ — إعداد مركز للنشاط الفكرى فى مختلف نواحيه .

٤ — تمهيـد السبل للوقوف على وجهات النظر فى التفكير العـالى وذلك بغية المعاونة على معالجة الشؤون العامة برأى ناضج .

ومما يستلفت النظر فى تكوين هذا الاتحاد الثقافى أن أعضاءه من ذوى المناصب الـكبيرة و كبار رجال السياسة والاقتصاد ، وليس لأكثرهم نشاط فكرى أدبى أو ثقافى . وحبذا لو نفوا عن أنفسهم صفة الأرستقراطية ويسروا سبيل الانضمام إليهم للمشتغلين بالإنتاج الأدبى والثقافى ، وخاصة عنصر الشباب المثقف ، وبهذا يخدمون فكرة الاتحاد ، ويكون ذلك أدعى إلى تحقيق أغراضه .

الاتجاهات السياسية والاجتماعية في العالم العربي :

هذا هو عنوان المحاضرة التى ألقاها محمد صلاح الدين بك فى قاعة يورت التذكارية بالجامعة الأميركية يوم الجمعة الماضى ، وقد بدأ ببيان الصلات التى تجمع بين البلاد العربى ، ومنها وحـدة الآلام والآمال ، أما الآلام فهى معاناة الاستعمار الأجنبى الذى يسير على طريق « فرق تسد »و« قسم تسد » و « خرب تسد » و التخريب بالتمكين للفقر والجهل والمرض : أما الآمال المشتركة فهى التخلص من هذا الاستعمار فتملك الأمة أمرها وتعالج أحوالها . ثم انتقل إلى تفصيل الاتجاهات السياسية فى الحقبة الأخيرة ، فقال : كان العالم العربى عند ما نشبت الحرب العالمية الأولى مختلف الاتجاه ، فكان القسم الشرقى منه (العراق والشام والحجاز) ضد تركيا وألمانيا والقسم الغربى (مصر وشمال إفريقيا) كان الشعور فيه مع تركيا وألمانيا ضد الانجليز والحلفاء . ولـكن بعد الحرب اتحدت الوجهة ازاء إخلاف الوعود فى أثناء الحرب ، ضد دول الاستعمار ، وقامت الحركات الوطنية فى الأمم العربية ووصلت إلى طور العمل ، وكان له مظهران : الثورة والمفاوضة ، وعقدت المعاهدة العراقية سنة ١٩٣٠ والمعاهدة المصرية سنة ١٩٣٦ ومن حسن حظ سوريا ولبنان أنهما لم ترتبطا بمعاهدة مع فرنسا قبل الحرب . ولما نشبت الحرب العالمية الثانية خدعت الأمم العربية مرة ثانية بميثاق الإطلانطيق وغيره من الوعود ، فما انتهت الحرب حتى تكشفت النيات الاستعمارية السوداء ، وفى هذه المرة تغير الاتجاه الوطنى فى العالم العربى ، فقد أصر الرأى العام على رفض المفاوضات ، وسبقت الشعوب الحـكومات فى ذلك . وهنا تساءل المحاضر : ماذا نصنع الآن : المفاوضة غير مجدية ، والهيئات العالمية تحكم للأقوياء ، ولا قوة حربية لدينا ، قال : ليس هناك إلا أن نجمع الـكلمة ونصلح أمورنا بالقضاء على الفقر والجهل والمرض ، ولا بد أن يسبق هذا ما يقال من تقوية الجيش ، فلن يكون هناك جيش قوى لأمة ضعيفة ينهكها الفقر والمرض والجهل .

وقال إن الإنجليز يخيفوننا الآن بقرب وقوع حرب ثالثة لنتعاهد معهم ، ونحن يجب علينا أن نبقى على الحياد حتى لو وقعت الحرب ، ومن العجيب أن يخيفنا الإنجليز باستعمار روسيا ونحن لم نتخلص بعد من استعمارهم ؛ وبين المحاضر ضرورة إعلان الحـكومة بطلان معاهدة سـنة ١٩٣٦ خشية أن يتمسك بها الانجليز عند وقوع الحرب الثالثة .

فكاهة :

كانت ليـلة مرح ممتعة ، تلك التى « أحياها » الأستاذ محمد مصطفى حمام فى نادى نقابة الممثلين ، وذلك بمحاضرته التى عرض فيها ألواناً من الفكاهات فى القديم وفى الحديث ، ومما أطرف به أن معالى الأستاذ إبراهيم دسوقى أباظة باشا كان مرة يتحدث مع وزير سابق ، وكان الحديث أولا فى الأدب ثم انتقل إلى السياسة ، فقال الوزير السابق : دع لنـا السياسة يا دسوق وتكلم أنت فى الأدب . فقال دسوق باشا :

— أنا معترف بأن سعادتك فى السياسة أب لى .

— وفى الأدب ؟

— أمى !

العباس



حـــــــديث الصومعة

رسائل من إبراهيم الدباغ لمصطفى الدباغ

ألا رحم الله إبراهيم الدباغ الشاعر الثائر الفكه الخفيف الروح ، فقد كان محدثاً طلىّ الحديث يحب المرح والفكاهة ، ويرى فى الحياة المرسلة على السجية فلسفة ومنهجا . فلم يكن يخضع حديثه — أو شعره — للقيود التى تفرضها حياة المجتمع ، ولم يكن يقول : هذا جائز خلقياً وهذا غير جائز ، بل كان يمضى فى الحديث مسترسلا إلى حيث يقوده ، وينظم الشعر كيفما واتته القريحة . ولعل هـذا سبب من الأسباب التى تحول دون نشر جانب كبير مما قرضه من الشعر ، ودون تسجيل كثير من المساجلات الفكهة التى اشترك فيها الدباغ فى صومعته مع زائريه وخلانه .

وكان الدباغ منذ عام تسعة وعشرين وتسعمائة وألف يبعث إلى ابن أخيه الأستاذ مصطفى الدباغ فى فلسطين رسائل يطويها على آراء له ، ونصائح يبديها ، ودروس فى الأدب والشعر يسوقها متحللا من المجاملات الشخصية ، متذرعاً بالصراحة السافرة التى قد تغضب المعنيين .

وقد تجمع للأستاذ مصطفى الدباغ من رسائل عمه إبراهيم الدباغ طائفة كبيرة ، فآثر ان ينشرها ويذيعها كما هى ليطلع القارئين على ما كان يمنّ لهذا الشاعر الفلسطينى من رأى ، وعلى ما كان يعتنقه من منهج يجعله ديدنه فى الحياة .

وفى هذه الرسائل تعرض الدباغ لكثيرين من الأدباء فى مصر وفى غير مصر ، وأصدر فى كل منهم حكما يتسم بالصراحة والإبانة وقال فى كل منهم قولا فامتدح من رآه أهلا للمدح وذم الذين عدهم مستأهلين للمذمة .

ولنذكر على سبيل التسجيل طائفة من آرائه فى المعاصرين والمحدثين من أهل الأدب .

قال فى الدكتور شبلى شميل : كان شبلى يغضب للالحاد ، لا لرب العباد ، ويسب الدين والديان ، إذا عارضه فى نظرية القرود إنسان .

وقال فى الدكتور زكى أبى شادى : الدكتور أبوشادى سريع الخاطر فى إنشاد القصائد ، شغوف (كذا) بإذاعتها على علاتها

وقال فى الدكتور زكى مبارك : إن نشاطه ومثابرته فى الحياة الأدبية والاجتماعية ليست فى حاجة إلى التدليل ، وآثاره تملأ الأفق وتحجب ضوء الشمس ، والنثر الفنى جهاد سبع سنين مع غيره من المشاغل ، وقد ظهر له خلال هذه السبعة الأعوام طائفة من الكتب ولم نسمع عنه أو منه تبرماً بالوقت والناس . وهو يدون كل ما يقع تحت حسه ونظره فلا تفلت منه شاردة ولا واردة إلا وأتى لها رخاً من عقله وبازياً من يراعته ، وهذا ما يجب على كل أديب يحس بالحياة ويشعر بلذة العمل .

وفى الشيخ نجيب شاهين : على حديثه مسحة القرآن وأثر الاقتباس ولغته مبتذلة مع ما فيها من رنة الطربَ .

وقال فى طه حسين : اعتقد أن مؤلفاته كلها عقيمة ، وليست ذات قيمة !

وفى سلامه موسى : إنه وطه حسين أشد بخلا وإمساكا مما يتصور المتصورون ، وعلى العكس مبارك وخليل مطران فكلاهما مكساب مهلاك .

وفى الشعراء : بعد شوقى لا يليق أن يكون كبير شعرائنا أحد غير واحد من هؤلاء الثلاثة . مطران . محرم . الكاشف .

فالقارىء يرى أن الدباغ لا يفتقر إلى الجرأة ولا يخشى أن يصدر الرأى فى قوة وثقة . وقد نختلف معه فى كثير مما ارتآه ونعارضه فى بعض المذاهب الاجتماعية التى دعا إليها ، ولكن هذا لا يحول دون أن نذكر له أنه صاحب رأى يعرف كيف يلقيه مغمض العينين غير مبال بما يكون له من دوى .

ولقد كف بصر إبراهيم الدباغ قبيل وفاته بسنوات وسنوات فكانت هذه العلة مدعاة لانطوائه على النفس ونفوره من الناس وإيثاره الانزواء وقعود الدار عن مخالطة أهل ندوته . وما فتئت الأمراض تقبل عليه وتنهش بدنه حتى كانت منيته ذات يوم ، ونعاه الدكتور زكى مبارك وشيع بنفسه جنازته .

وهذه المحن — فيما يبدو من رسائل الدباغ — جعلته برماً بالحياة ضيقاً بكل ما فيها ، أقرب إلى التشاؤم منه إلى التفاؤل

وإن كانت هذه الظاهرة لم تستطع أن تأتى على محبته للفكاهة وتعلقه بها .

وحديث الدباغ فى رسائله التى جمعت فى كتاب « حديث الصومعة » حديث متشعب مستفيض يبدأ من مكان وينتهى إلى آخر ويمر فى الطريق على ألوان شتى من الأفكار . ولكن هذا الحديث مشـــوق مبعد الملل يهيىء لك أنك تصغى بنفسك إلى إبراهيم الدباغ وتجلس معه مرهفاً السمع مصيخاً الأذن . ولك إن شئت أن تقاطعه وأن ترد عليه ، لأن الجرىء فى إذاعة الرأى ، واسم الصدر لقبول كل رأى .

ربيع فلسطين

السيد البدوى

تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

من هو « المريد » فى اصطلاح المتصوفين ؟ هو — إن لم أكن نسيت ذلك الذى يفنى فى شيخه ويجعل حياته كلها طاعة وتجردا وعبادة . يأمر الشيخ فيطيع « المريد » وشيخ المريد هو قلبه الخافق ، وهو عينه الباصرة ، وهو وعيه ، وهو إرادته . الدنيا بما حوت هى الشيخ فى عين المريد ، والطريق إلى الجنة فى الآخرة هو الشيخ ... هذا هو « المريد » وهذا هو شيخه .

فمن هو شيخ « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ؟ العلم والأدب والتاريخ ، هذه الأقانيم الثلاثة شيخ واحد !! له المجد ، وله العلى ، وفى سبيل طاعة هذا الشيخ يفنى « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ، وإذا قلت : يفنى ، فإننى أعنى مدلول هذه الكلمة فى غير كناية أو مجاز ... لأن صاحبنا يفنى حقاً فى سبيل شيخه الثلث الرحمات !!

لقيته — أول مالقيته — فى ندوة دار الكتب المصرية ، منذ خمسة عشر عاماً . وكان طالبا يحصل العلم نهارا ، ويعمل فى الصحافة ليلا ، لقيته فى أولى مدارج شبابه ، ناحل الجسم ، ذاوى العود ، مضمضم البنيان ، تراه فكأنك ترى شيخاً أوقرت ظهره السنون ، ويتحدث الرفاق فى ندوة الدار شتى الأحاديث ، ويتشعب القول فى شئون الحياة وفى أحداث السياسة ، وصاحبنا صامت لا يتكلم ، ويدور الحديث على كل لسان ، وحديث صاحبنا الذهول والاطراق !

فإذا عرج المتحدثون على العلم أو الأدب أو التاريخ ، أفاق الذاهل المطرق ، وتطلق الوجه الأسمر العابس ، وتهللت أساريره ومضى صاحبنا يفيض بما يشاء الله أن يفيض ، فما شئت من علم وأدب وتحقيق ، وما شئت من نقد وتمحيص ، وكأن هذا الجسم الناحـل الذاوى قد أصبح كله « شحنة » من الكهرباء تشع بالحيوية والنور والعرفان ... وتبارك الله أقدر الخالقين .

منذ ذلك الحين تمكنت بينى وبينه أسباب المعرفة ، فلم تزدنى الأيام إلا إيماناً بغزارة علمه ورفيع أدبه وكريم خلقه . ومنذ ذلك الحين سلكته فى عداد « المريدين » فى دولة العلم والأدب والتاريخ ، ومضى هو قارئاً ومحققاً ومؤلفاً ، يضنيه البحث ، وتنهكه القراءة ، وتلح عليه ، فيتداوى بالتى كانت هى الداء . الكتب أكداس على سريره ، وعلى المناضد ، وفوق الأرفف ، وتحت المقاعد ، وعلى مائدة الطعام .

ويشفق عليه خاله الكريم ، فيمضى به إلى الطبيب ، يتجسسه ويتعرف داءه ، وفى كل مرة لا يسمع المريض ولا الخال سوى كلمات مكررة معادة : الكبت الجنسى والإجهاد وشدة الحاجة إلى الانطلاق من الكتب ، والراحة والرياضة ... وهذه الأمور كلها فى نظر « المريد » بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، فالأقانيم الثلاثة شيخ واحد ... له المجد ، وله العلى ، وفى سبيله يمرض ويصح ، وله الأمر فى شأن هـذا « المريد » من قبل ومن بعد .

. . حتى إنتاجه الأدبى فى الصحافة فهو قراءة كتب ثم تلخيص ونقد وتحقيق وتمحيص . وحتى كتبه التى يؤلفها ، فهى رحلات وأسفار شاقة مضنية فى صحارى الكتب وشعاب المراجع ، يقرأ مائة كتاب ليحقق منها موضوعاً عن « أبى زيد الهلالى » يقع فى سلسلة كتب « اقرأ » ويعكف على دراسة « الجاحظ » فيمد فى تاريخه « كتاب الجاحظ الضحكوك » ثم يدعه قبل تقديمه للطبع ، ليعكف على تاريخ « السيد البدوى » أو « دولة الدراويش » فيخرج للناس فى هذا الموضوع كتاباً جليل الشأن قيم الأثر ، هو الآن بين أيدى القراء ينعمون فيه بما أنعم ، ويجنون من شهى ثماره ما أجنى .

إنه فى هذا الكتاب ، وفى غيره من الكتب ، التى أعدها ، والتى يعدها ، هو هو « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف ، يغوص إلى القاع ، فيظفر بأنفس النفائس ، ويحلق فى الأجواء ، فلا يهبط إلا بما يشع على موضوعاته نور العلم والمعرفة .

إنه يعيش فى الكتاب وللكتاب ، ولا شىء غير الكتاب ، حتى لأرجح أنه لم يسمع إلى اليوم عن « الأوبرج » ولا يدرى أين موقع « الكيت كات » ولا أستبعد أن يكون « الأوبرج » فى نظره وفى مبلغ علمه نوعاً من أنواع الأطعمة الأفرنجية يقدم على موائد الموسرين ، وأن يكون « الكيت كات » كلمة محرفة عن شواء الكتكوت . ! ! فإذا قلت له : إن الأول ملهى من ملاهى العاصمة التى تزخر بالمتعة والهوى والشباب ، وأن الثانى هو الآخر مطرح من مطارح اللهو على ضفاف النيل ، لاذ بالصمت والذهول والإطراق ، كأن هذا الأمر لا يعنيه ، وكأن حديث دنيا غير دنياه .

وإنى لأشفق على هذا الصديق مما هو فيه ، ولا أدرى متى يعرف لنفسه حقها من المتعة والراحة والنعيم ؟ إنه ماض فى طريقته الوعرة الشاقة ، سادر فى « تجرده » من حياة الشباب . إنه يحترق فى ميعة الصبا ، لا يرحم نفسه ، ولا يشفق عليها . وأغلب الظن أنه يجد الراحة فى هذا الشقاء ، ويستروح نسمة النعيم من هذا العناء .

وأقسم لو كان أمر هذا الصديق فى يدى؛ لأقمت عليه « مروضاً » كالذى يقيمه الموسرون على جيادهم الأصيلة ، ليقدم له الطعام فى موعده ، ويشرف على تضميره ورياضته بالقدر المناسب لجسمه وصحته ؛ ليدخر بذلك من قوته ما يضمن له الفوز دائماً فى حلبة السباق .

فإذا لم أستطع هذا طالبت بسن قانون « للحجر » عليه وعلى أمثاله المبذرين الذين ينفقون من قواهم فيعرضونها للاضمحلال والفناء .. أيكون المبذر فى ماله عرضة للحجر عليه ، ولا يكون المبذر فى قواه وصحته وكيانه عرضة للحجر عليه ؟ ويكون خاله الكريم من أبرز رجال القانون ، ولا يفكر فى مثل ما أفكر فيه ذلكم هو « المريد » محمد فهمى عبد اللطيف مؤلف كتاب « السيد البدوى » أو « دولة الدراويش » جليته للقراء ممن لا يعرفونه معرفتى به . أما الكتاب فهو بين أيديهم ، كما أسلفت ينعمون منه بما أنعم ، ويجنون من شهى ثماره ما أجنى .

عبد الله حبيب

حفنة ريح . . .

تأليف الأستاذ سعيد تقى الدين

للأدب المهجرى ذاتية خاصة ، وصفات مميزة ترفعه إلى منزلة عالية فى عالم الآداب العربية .

من هذه الصفات أن الأدب المهجرى هو أدب الحياة النابضة الفياضة . . . والأديب المهجرى فنان يقبل على الحياة ليعبَّ من عِبرها ، وليتزود بتجاربها ، وليندمج مع حوادثها فيكون آراءه نتيجة لاختبار طويل ، وتجربة واقعية تامة وإدراك للأمور الحياتية . . فإذا أراد أن ينشىء أدباً عمد إلى ما ادخرته حاسته الواعية ، وما التقطته مخيلته المصورة .. واستمد الوحى والإلهام من هذه الحياة التى لا ينضب معينها ، ومن هذا الكون الذى لا تُبلى جدته . . وهما يمدانه بكل طريف وجديد ورائع . . ومن هنا كان الشعر المهجرى صورة نابضة تحمل إليك (قِطاعاً) من الحياة ، مصورة لك خوالج النفس الإنسانية ومشاعرها بإطار شعرى شفاف .

ومن هذه الصفات أيضاً : هذه الروح الطليقة الشاعرية الظامئة التى تتغلغل فى الأدب المهجرى ، وتطبعه بطابع خاص ، وتضفى عليه ظلالا فيها حرارة الروح إلى السمو ، ونبضات القلب وتلهفه إلى الحب ، وتسابيح الضمير ينشد عالم الحرية والانطلاق. وإنك لتحس تلهفاً حاراً ، وظمأً شديد يتطلعان إليك من بين السطور عند قراءتك لهذا الأدب الرائع .

ولست أنا بصدد التحدث عن الأدب المهجرى فأسهب فى تبيان صفاته ولكنى أودُّ أن أتحدث عن كتاب اسمه « حفنة ريح » لأديب مهجرى اسمه سعيد تقى الدين . هو فى نظرى وفى نظر المطلعين على أدبه من أكبر كتاب المسرحية فى الأدب العربى . . لا يدانيه فى منزلته إلا توفيق الحكيم رائد المسرحية فى الأدب العربى ، على ما بينهما من اختلاف فى الأسلوب ، وتباين فى النظرات الفنية .

فسعيد تقى الدين فنان واقعى يستمد فنه من الحياة ، ومن الكون المحيط به .. فهما كفيلان بتزويده بالتجارب الكثيرة ، ومده بالملاحظات القيمة . . وأشخاص مسرحياته واقعيون

لا يكادون يجنحون إلى الشذوذ . فهو شديد الإخلاص للحياة ، عظيم الحرص على صورها . . أما توفيق الحكيم فلا يعتمد على الحياة فيما ينشيء منذ تأليفه كتاب (يوميات نائب فى الأرياف) أو من قبل ذلك . فأشخاص مسرحياته خياليون تخلقهم مخيلته ، ويحركهم هو بنفسه ، ويرسم سلوكهم وأمزجتهم حسب رغبته ؛ لأنه يرحو من ذلك خلق الجو الفكرى الذى يلذه ، والذى يكاد يخنق كل صوت ما عداه . . فلهذا يمتزج مع الأشخاص ، ويشرف على حركاتهم ، ويعين تصرفاتهم .. فهذا (فلان) يمثل الغريزة الحيوانية ، و (فلان) يمثل النفس الطامئة إلى إدراك الغيبيات ، و (فلان) يمثل هذا الطور أو ذاك من أطوار الرقى الإنسانى وهلم جرا . . . أما سعيد تقى الدين فلا يطرق الجو الفكرى ، ولا ينظم الأشخاص لتعبر عن فكر بعينها — كما يفعل الحكيم — ولكنه يصور لك صورة من الحياة بمساوئها ومحاسنها ، بشرها وخيرها ، بأحزانها وأفراحها . . ويهتم بالناحية النفسية أكثر من اهتمامه بأية ناحية أخرى ، ويدع الأشخاص يعملون بما توحيه إليهم الحياة دون أن يتدخل فى سلوكهم . .

وبالإضافة إلى هذه الفروق نضمُّ إليها فرقاً آخر وهو روح الفكاهة والسخرية التى تميز بها الأديب المهجرى ولم يعرف بها الأديب المصرى .

وبعد هذا كله أحدثك عن الكتاب « حفنة ريح » فأقول لك : إن الكتاب يضم مهزلة ذات فصل واحد هى « حفنة ريح » ومجموعة قصص هى « موجة نار » ومراسلات بين المؤلف والأستاذ سهيل إدريس أحد الأدباء اللبنانيين :

والمسرحية خلق فنى ممتاز تقف فى الصف الأول من صفوف المكتبة المسرحية فى الأدب العربى توافرت فيها عوامل النجاح فرفعتها إلى هذه المنزلة العالية .. وعوامل النجاح فى هذه المسرحية الممتازة هى عوامل النجاح فى كل مسرحية ناجحة فهى ترجع : أولا : إلى مقدرة المؤلف فى التصميم الفنى المسرحى ، ثانياً : وإلى إشاعة الحركة على المسرح ثالثاً : وإلى خلق الأشخاص الذين يتصلون بالواقع بأسباب قوية ، ويتحركون على المسرح كما يتحركون على مسرح الحياة ، رابعاً : وإلى إجراء الحوار الجيل الجارى جرياناً لا يعكره التكلف ، ولا يعتريه الخفوت .

أضف إلى هذا كله تلك الفكاهة المستحبة ، والروح الشفافة الطليقة ، والسخرية اللاذعة . . تلك الصفات التى امتاز بها الأستاذ سعيد تقى الدين ، وأطلقها فى أجواء مسرحياته فكانت عاملا من عوامل نجاحها .

وقد أشاع المؤلف فى مسرحيته هذه « التأرجح Peripety » واهتم اهتماماً كبيراً فى إبرازه « من اللحظة التى يرفع فيها الستار إلى (كمك سخن) » فى آخر المسرحية .

وعلى الرغم من أن التأرجح سمة من سمات المهزلة الناجحة فإن المؤلف لا يمكن أن يعتمد عليه وحده — لأن من خصائص التأرجح خلق الجو النفسى فحسب ، فلهذا نلمح فى « حفنة ريح » الناحية النفسية وحدها .

وأشخاص المسرحية محبوبون لأنهم واقميون ، ولأنهم من أصحاب النفوس الساذجة الكريمة ، ينطقون فتبتسم لما نطقوا به ، أو تنفجر ضاحكا تعجب من هذه النفوس الغريرة الطليقة المحبوبة إلى أبعد غايات الحب . .

والمؤلف يسير مع الأشخاص أو مع الحياة أو مع ما يقتضيه الواقع فى الجزء الأكبر من المسرحية حتى إذا ما وصل إلى النهاية بدا التكلف ظاهراً حيث يقنع (وجيه) اللحام الكهل بأن فى استطاعته أن يعود إلى شبابه إذا قال « الله يسامحك الله بالحساب » فيتنازل عن دينه لوجيه ، ويظهر التكلف بوضوح فى الطريقة التى هيأ بها المؤلف زواج الأشخاص .

وأكبر الظن أن الأستاذ سعيد عندما أوشك أن يصل إلى نهاية مسرحيته وضع (العجائب السبع) التى خلقها أمامه ، وكيف النهاية حسب ما تقتضيه هذه العجائب . . فجعل اللحام يسترجع شبابه بطريقة عجيبة تثير الضحك ليستخلص من ذلك العجيبة الأولى وهى (لحام يستعيد شبابه) . وأغرى الشيخ نسيب بترك وظيفته الحكومية بطريقة غريبة ليستخرج من ذلك العجيبة الثانية وهى (شاب يرفض وظيفة حكومية) . . وأقنع (أم ظريف) بالطريقة نفسها على أن تسامحه بالإيجار ليصل إلى العجيبة الثالثة وهى (ملاك يسامح مستأجراً) . . وقس على ذلك سائر العجائب الأخرى . وهى (مؤلف أدبى نفع البشرية) و (أم تزوج ابنتها من دون مصاغ) و (ظهر فى لبنان رجل

يلبس اسمه من دون لقب) و(البوليس يقبض على القاتل والقتيل فار من وجه العدالة) .

والملاحظ في هذه المسرحية أن الحبكة ، والتسلسل الروائى والانسياب الحوارى على درجة كبيرة من الإتقان تدل على رسوخ قدم الأستاذ سعيد فى الفن المسرحى . . ورسالته إلى المخرج هى غاية فى الدقة الفنية ، فيها من الملاحظات الفنية ما ينفع المخرج والممثل والكاتب المسرحى على حد سواء .

ولنتحدث الآن عن مجموعة « موجة نار » من هذا الكتاب ولنعرض أولاً آراء المؤلف فى القصة ، ففى الكتاب آراء يحالفها التوفيق مرات ، ويتنكب عنها مرات أخرى :

يعرف المؤلف القصة ص ٢٥٤ فيقول « القصة كما أفهمها هى حادثة غير عادية محتملة الوقوع تسرد بأسلوب جذاب سهل ، وتنتهى بمفاجأة حلوة معقولة » .. ولكن المؤلف يتخلى عن شرط أو شرطين من هذه الشروط الأربعة فى بعض قصصه . فهناك قصة يعوزها التصميم الفنى وهى (الخطاب المبتور) . وتفتقر قصة أخرى إلى الصدق الفنى وهى (الدواة) ؛ وهناك قصتان تحتاجان إلى الحرارة وإلى إشاعة الحياة والحركة النابضة فيهما . . أما قصة (آلام الذكرى) وقصة (موجة نار) فهما أحسن ما فى المجموعة الأولى لأنها صورة إنسانية رائعة أملتها الحياة التى خاض غمارها ، والثانية لأنها تبرزلنا هذه الروحية التائهة التى شغف بها المهجريون

ولست أدرى كيف يرى المؤلف « أن عنوان القصة يجب أن يكون لغزاً موسيقياً !! » ص ٢٥٩ .. أيعد المؤلف المنوان (اللغزى الموسيقى !!) عنصراً فى عناصر التشويق ؟! .. وإذا كان كذلك فقد ساءلت نفسى وأنا أقرأ ما قاله المؤلف عن عنوان القصة لولم يكن عنوان مسرحية سعيد تقى الدين « حفنة ريح » ولولم يكن عنوان القصة « موجة نار » أأعدل عن قراءتهما ؟ . كلا ... وألف كلا فليس من الضرورى أن يكون العنوان (لغزاً موسيقياً) كما ليس من الضرورى أن تكون (العبارة الأخيرة فى القصة قنبلة ذرية تنفجر بين عينى القارئ ! !) — الله يحفظ عيوننا من شر القنابل الذرية — .. ونحن لورجعنا إلى نهاية قصص سعيد تقى الدين لما رأيناها قنبلة ذرية تنفجر ، ولا (ديناميتا) يثور بين عيوننا ومع ذلك فنحن لا نملك إلا الإعجاب بها .

قصة فتـــاة

(بقية المنشور على صفحة ٣٨٢)

حاولت أمى أن تجيب لتـبرر الموقف المريب ، وهمَّ أبى أن يتكلم ليدفع الخطر الداهم ، وأراد المأذون أن يفتى لينقذ العقد المهدَّد ، ولـكن خالى أزلقـهم ببصره ؛ ثم خرج وهو يتسعر من الغيظ وينتفض من الغضب كأنه لم ير أحداً ولم يسمع كلاماً .

وقضى هو وأخته الليل فى أحد الفنادق ثم ركبا أول قطار إلى العزبة . والقوم هناك يا سيدى يرجمون بالظنون ؛ فبعضهم يزعمون أنها سجينة القصر ، وأكثرهم يعتقدون أنهـا دفينة القبر . والأمر الذى لا مرية فيه أنها خرجت من دنيا الناس !

هذه قصة فتاتى ، وما أظنها تختلف كثيراً عن قصص أكثر الفتيات اليوم ! ذهبت غفر الله لها ضحية للتربية المهملة ، والرقابة المغفَّلة ، والتعليم الفاسد ، والقدوة السيئة ، والقصص الماجنة ، والصحف الخليعة ، والسينما المثيرة ! فهل يُضطر الذين لا يزالون لسـوء حظهم يغارون إلى أن يعودوا فيسألوا الله العصمة من ولادة البنات ، أو يقولوا كما كان يقول الجاهليون : وأدَ البنات من المـكرمات ؟

أحمد حسن الزيات

سامح الله الأستاذ سعيد تقى الدين — لا بالحساب لأننى لا أطلب شيئاً أولا ،ولأننى لا أرجو منه أن يستعيد شبابى لأنه لم يذهب بعد ثانياً ، بل سامحه الله بهذه الأمثلة التى تدل على خفة روحه أو دمه . لست أدرى ..

هذا الـكتاب ممتاز حمله إلينا البريد اللبنانى فأطلعنا عليه ، وقضينا ساعات لذيذة معه .. ولـكن أين الـكتب اللبنانية الأخرى التى تخرجها المطبعة اللبنانية فى كل شهر ؟ . الجواب عند الأستاذ سهيل إدريس لأنه يعتب على اخواننا المصريين لأنهم لايحفلون الأدب اللبنانى !

غائب طعمة فرمان

كلية الآداب



حول عادت النار :

في عدد الرسالة رقم ٧٦٩ الصادر يوم الأحد ٢٨ مارس قصيدة عصماء للشاعر المبدع المجدد الأستاذ محمود إسماعيل وقد التبس على منها بعض الكلمات مثل قوله : (وأصغى لأنوارها) والمعروف أن الأنوار إنما ينظر إليها لا أن يصغى لها الإنسان ؛ فلو قال إنه يصغى للأصوات الحبيسة عند اندلاع النار لكان مقبولا مستساغا ؛ ولكني لا أكاد أفهم هنا معنى الإصغاء سواء أخذ على الحقيقة أو المجاز . ثم قوله (فاهتز في الرماد) لا يكاد يبين معناه . وأي رماد هذا ؟ أهو رماد النيران أم رماده هو لا قدر الله ؟ وهل يقصد بهذا أصل الإنسان ؟

وأيضاً قوله وماض — رخيم الردى ؛ فإني لم أقرأ هذا الوصف للردى من قبل؛ ولو أنه قال وماض وخيم الردى لكان مفهوماً .

واستعمل الشاعر تزايل متعدية ولم ترد في القاموس والمصباح والمختار فإنه ذكر زيل فتزيل أي فرق ومنه قوله تعالى فزيلنا بينهم؛ ويقال زايله بمعنى فارقه والمصدر زيال ومزايلة ؛ والتزايل التباين . فالذي يظهر من كلام الثلاثة أن تزايل لازمة لا متعدية وقد عداها الشاعر الكبير في قوله تزايلت معناه

وبعد: فلعل الأستاذ يوافينا بالرد الكافي والجواب الشافي وله مني التحية والسلام .

يوسف عبد الله عثمان

حول (النقد الأدبي) :

في العدد (٧٦٩) من (الرسالة) الغراء اطلعت على مقال للأستاذ محمود رزق سليم « النقد الأدبي » من طرائف العصر المملوكي ... ولي عليه تعقيب وهو :

لقد قال في سياق المقال : « ... مع الإشارة إلى الحسن لم كان حسناً ، وإلى النقص لم كان نقصاً ... »

وهذا فيما أظنه خطأ .

وتكتب هكذا إذا ما أريد الصواب ، وتكون في ثلاث حالات :

(١) « ... مع الإشارة إلى الحسَن ، ولم كان حسناً ؟ وإلى النقص ، ولم كان نقصاً ... »

(٢) « ... مع الإشارة إلى الحُسن لمّا كان حُسناً ، وإلى النقص لمّا كان نقصاً ... »

(٣) « ... مع الإشارة إلى الحسَن . لمْ كان حسناً وإلى النقص لمْ كان نقصاً ؟ ... » مع وضع نقطة بعد الحسن والنقص ووضع علامة استفهام بعد السؤال .

وما أردت من تعقيبي هذا الخاطف إلا الذود عن لغة الضاد مع تقديري التام لأبحاث الأستاذ . وله مني ألف تحية وشكر .

« دمنهور » حسن العشماوي

في اللغة :

في عدد الرسالة الغراء (٧٦٩) اطلعت على قصة الأستاذ مصطفى جميل مرسي « طبيعة مبهمة ! » ولي عليها تعقيب لغوي ينحصر في الآتي :

١ — قال الأستاذ المعرّب « .. فلشد ما أثار سخطي و (أهاج) بغضي . . » فاستعمل الفعل الرباعي وهو خطأ لاشك فيه ؛ إذ الفعل ثلاثي الأصل ومتعد بنفسه فضلاً عن لزومه . تقول : هاج الغبارُ أي ثار وارتفع عموداً في السماء . وتقول : هاجه غيره أي (هيجه) وأثاره . قال الشاعر :

هاج قلبي (فهاج) ذكراً وأحيا ماضيات الهوى ولغوَ الشباب!

وإذاً فاستعماله — رباعياً — خطأ صريح ، لا يحتاج لمزيد توضيح !

٢ — كنت كتبت في « البريد الأدبي » للرسالة في العدد (٧٦٨) كلمة أبين فيها الفرق بين استعمال (ثم) العاطفة و (ثم) التي بمعنى هناك للشيء البعيد دون القريب وذلك إذا لحقت التاء — مفتوحة ومربوطة — بكليهما .

ولكن فى قصة الأستاذ وجدناه يقول « .. لا مجال للريب فى أنه (ثمت) إنسان .. » فيكتبها بالتاء المفتوحة على غير الصواب ورجاؤنا من الأستاذ الرجوع — ولو باللمحة العابرة — إلى ما كتبناه فى هذا الباب ؛ ففيه كفاية ما يراد ، وما تحتمه لغة الضاد ، قبل النقد والنقاد . والسلام .

عدنان

(الزيتون)

تعقيب على استدراك :

نشر الأستاذ هارون محمد أمين بالعدد (٧٦٩) من (الرسالة) استدراكا على صاحب العقد الفريد فى ذكره غناء إبراهيم الموصلى بحضرة الأمين ، فقرر أن هذا « افتراء على إبراهيم ، وتجن على على الأمين » حيث أن إبراهيم قد توفى فى خلافة الرشيد . !

والمتأمل فى القصة يدرك الوقت الذى حدثت فيه فإن إبراهيم الموصلى يخاطب الأمين بقوله (ياسيدى) مجردة عن أمير المؤمنين وهذا يدل على أن الغناء قد حدث فى عهد الرشيد ، والأمين ولى للعهد ، ولا أظن أن الأستاذ هارون يدعى أن الغناء فى ذلك الوقت كان مقصوراً على شخص أمير المؤمنين !!

هذا وقد نقل الأستاذ هارون عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أبياتاً فى الرشيد . وقع فى أولها خلل عروضى ، ولعل صوابه :

فى بقاء الخليفة الميمون خلف عن مصيبة المحزون

يوسف زاهر

التنويه الأدبى :

« يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة فى الثقافة الأدبية العليا للتنويه الأدبى بما يراه المجمع نافعاً فى بابه من هذه الكتب دالا على جهد وابتكار على أن تكون هذه الكتب مما ألف منذ سنة ١٩٤٤ .

وستدرس اللجنة ما يقدم إليها من هذه الكتب أو ما يطلع عليه أعضاء المجمع ، ثم يعقد المجمع فى النهاية جلسة علنية للتنويه بخير الكتب وبأصحابها ، وسيعلن عن موعد هذه الجلسة بعد الانتهاء إلى قرار .

كتاب تاريخ الأدب العربى :

تجرأ أحد المجرمين من الكتبيين فقلد الطبعة العاشرة من كتاب « تاريخ الأدب العربى » وعرضها للبيع ، وهى طبعة ناقصة محرفة مشوهة ، يعرفها القارىء لأول وهلة من صغر حجمها ، وسوء طبعها ، واختلاف حرفها ، وخلوها من الشكل ، وكتابة عناوين الأبواب بالخط الفارسى وهى فى الأصل مكتوبة بخط الثلث . وأولى علامات هذه الطبعة المزيفة أن تجد على صفحة الغلاف الأولى جملة (حقوق الطبع محفوظة) غير محصورة بحاصرتين وهى فى الطبعة الأصلية محصورة بهما وشكلهما هكذا [ ] .

وقد اتخذت الإجراءات الرسمية لضبط المزيف ومصادرة النسخ المزيفة . وإنا لننصح لحضرات القراء أن يميزوا بين الطبعتين بما ذكرنا من الفروق ، وأن يتفضلوا — متى وقعت فى أيديهم نسخة مزورة — فيخبروا إدارة الرسالة بمكانها ومصدرها وعلى الأخص فى الأقطار العربية . وقد شرعنا نطبع الكتاب طبعته الحادية عشرة وستكون مزيدة منقحة كما عودنا القراء فى كل طبعة

العدد ٧٧١ — الاثنين ١٢ ابريل ١٩٤٨ — السنه السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣٠٥٣٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 771

Lundi — 12 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ١٢ أبريل سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من حقيبـــة البريد

للأستاذ عباس محمود العقاد

في حقيبة البريد — هذا الأسبوع — شيء عن عمر ، وشيء عن الفن الجميل .

أما الشيء الذي عن عمر فقد أسفت لما فيه من سوء الفهم وسوء الأدب ، ولو شئت لأغفلته ولم أنظر فيه ، ولكن دواعي الأسف ترجع إلى من كتبه لا إلى من كتب إليه ، وقد يكون من عذر السن لمن كتبه أن ننظر في علته ، عسى أن يكون فيها ما يعالج وما ينفع فيه العلاج .

والعلة الكبرى أن تنطوي نفوس ناشئة على هذه الخلة التي تتصيد أسباب الاستياء والإساءة ، وهي قادرة على أن تصحح شعورها لو كان يعنيها هذا التصحيح . لأن الأمر لا يحتاج منها إلى أكثر من الفهم البسيط ، والفهم المستقيم .

ففي رسالة من طالبات في بعض المدارس الثانوية يسأل الكاتبات : كيف تثبت أن ذيننا يحل الرشى ؟ هل تأتي بآية من كتابنا تدل على أننا نحلها ؟

وقد أشار الكاتبات إلى ما جاء في الصفحة الـ (١٤٢) من عبقرية عمر عن رأيه في استخدام بعض الذميين من أبناء عصره وهو بنصه : « إنه يبدو لا النهي عن استخدام بعض الذميين » . ثم عللنا ذلك تعليلا واضحاً لا لبس فيه ، لأنه خطة سياسية تجرى عليها جميع الدول في جميع الأزمان مع جميع الغرباء ولو كانوا من ديانة واحدة ، فقلنا : « ما نظن أحداً ينكر أن استخدام الغرباء عن الدولة خليق أن يحاط بمثل هذا الحذر وأن تجتنب فيه مثل هذه الآفة ؛ إذ يكثر بين المرتزقة الذين يخدمون دولة من الدول — وهم غرباء عنها كارهون لمجدها وسلطانها — أن ينظروا إلى منفعتهم قبل أن ينظروا إلى منفعتها ، وأن يساوموا على نفوذهم قبل أن يستحضروا الغيرة على سمعتها والرغبة في خيرها وخير أهلها ، ولا سيما في زمن كانت الدول تميز فيه بالعقائد قبل أن تميز بالأوطان ، وما من أمة في عهدنا هذا تبيح الوظائف العامة إلا بقيود وفروق تتفق عليها : أولها تحريمها على الأجانب ما لم تكن في استخدامهم منفعة عامة ... »

وقد كان عمر ينظر إلى أناس معينين من طلاب الوظائف في ذلك الحين ، وهم موظفو الدولة البيزنطية في أواخر أيامها ، وكانت وظائفها يومئذ مضرب المثل في الرشوة والفساد وسوء الإدارة ، فليس على الوالي الأمين من حرج أن يستريب بخدمتهم في الدولة الجديدة ، وقد كانوا في دولتهم التي يدينون بالولاء لها يستبيحون الرشوة والانتفاع على حساب الدولة والرعية .

وفي عصرنا الحديث تحرم الحكومات استخدام الأجانب — ولو كانوا من ذوي الاستقامة — إذا كانت حكومتهم في موقف كموقف عمر من الدولة البيزنطية ، فلا تسمح الحكومة

الإنجليزية مثلا باستخدام الألمان فى إبان الأزمات السياسية ، ولا فرق بين الإنجليز والألمان فى الأصل والدين ، بل لا فرق بينهم فى مذهب الكنيسة فى بعض الأحيان .

وقد صنع عمر مثل هذا مع أجلاء الصحابة حين خامره الشك فى إقبالهم على الدنيا ، وصنع من قبله أبو بكر الصديق حين أوصاه فى مرض وفاته فحذره : « هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قد انتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم وأحب كل امرئ منهم لنفسه » ... فلما خلفه عمر كان الصحابى من هؤلاء يسأله السفر فيقول له : « إن خيراً لك ألا ترى الدنيا وألا تراك » ص ٢٦٣ .

فلا شأن لأديان الذميين بما صنعه عمر . وإنما هو حكم عام كان رضى الله عنه يلتزمه مع كل طالب وظيفة ، ولو كان من أجلاء الصحابة المعدودين .

وليس عمر بالذى يقول السوء عن أوامر السيد المسيح ونواهيه فإنه يتعلم من القرآن الكريم أن المسيح روح الله ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، بوحى من الله .

أما الكاتب الذى ألف « عبقرية عمر » فهو الكاتب الذى قال فى كتابه عن الله وهو يذكر السيد المسيح : لقد « كانت بشارته أعظم فتح فى عالم الروح . لأنها نقلت العبادة من المظاهر والمراسم إلى الحقائق الأبدية ، أو نقلتها من عالم الحس إلى عالم الضمير . ولم يشهد التاريخ قبل السيد المسيح رسولا رفع الضمير الإنسانى كما رفعه ، ورد إليه العقيدة كلها كما ردها إليه . فقد جعله كفؤا للعالم بأسره بل يزيد عليه . لأن من ربح العالم كله وخسر ضميره فهو الخاسر فى هذه الصفقة الخاسرة . وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ وماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ؟ ... إن الطهر كل الطهر فى نقاء الضمير . فمناط الخير كله فيه ، ومرجع اليقين كله إليه . فليس شىء من خارج الإنسان يدنسه . بل ما يخرج من الإنسان هو الذى يدنس الإنسان .. وهناك حياته وبقاؤه ، فليس حياته من أمواله » الخ الخ ص ١٤٧

أقول هذا تفهيما وتأديباً ، ولا أقوله للملاطفة أو استرضاء .

فإن الفتاة التى تسرع إلى الشتم والبذاء تستوجب التفهيم والتأديب ، بل تستوجب الزجر الشديد ، ولكنها لا تستحق الملاطفة ولا الاسترضاء .

***

وقد كان السؤال عن الفن الجميل أسئلة كثيرة ، يدور بعضها على التصوير وبعضها على التمثيل .

ولا يتسع المقام هنا للكلام على التصوير لأنه يحتاج إلى أمثلة من الصور المختلفة لا يتيسر عرضها فى هذا المقام .

فنكتفى بالسؤال عن التمثيل ، وهو كما جاء فى خطاب الأديبين صاحبى الإمضاء .

قالا : « كانت إجابتكم فى المطالعات أن التمثيل فى مصر مقتلة للوقت . وإنه محاكاة قردية لهذه الصناعة ، وإنه تمثيل للتمثيل « ورجاؤنا أن تتفضلوا بالإدلاء برأى فى المسرح المصرى بعد هذا العمر الطويل الذى سلخه ، وبعد أن ظهرت على خشبة المسرح فرق كثيرة ، انتهى أمرها جميعاً إلى الفرقة المصرية التى تعينها الدولة » ونرجو أن نعرف : هل حققت الفرقة المصرية رسالتها الفنية التى أنشئت من أجلها ؟ وما هى وسائل النهوض بالمسرح المصرى ...

محمد حسين الكاشف أنور فتح الله

دبلوم فى النقد والبحوث الفنية من المعهد العالى لفنى التمثيل العربى

***

وخلاصة رأيى بعد عشرين سنة من كتابة « المطالعات » أن الاشتغال بالتمثيل عندنا قد أخرج لنا آحاداً من نوابغ الممثلين ، ولكنه لم يخرج لنا فرقة كاملة يتم فيها التعدد ، ويتم فيها التجانس مع تعدد الأدوار .

وأول ما يلاحظ على نوابغ الممثلين عندنا أنهم ينجحون فى تمثيل النماذج العامة ، ويندر بينهم من ينجح فى تمثيل « الشخصيات » الخاصة ، كما يشاهد مثلا فى إعطاء « بول منى » لكل من شخصيات باستور وإميل زولا وفلاح الصين والمجرم الهارب من السجن ، والمخبول الذى يعيش بشخصية مزدوجة ، وليست كلها نموذجا واحداً من الطبائع البشرية ، لأنها تختلف فى إعطائها وإخراجها أبعد اختلاف يقع بين إنسان وإنسان .

هذه القدرة قليلة عندنا إلى الآن ، وعلتها أن الطراز العام هو الذى يفهمه عامة النظارة والمتفرجين ، ولابد للنجاح فى الأدوار

الخاصة من إدراك واسع لمناحى النفس البشرية وأطوار الشخصيات المختلفة ، يحبب هؤلاء النظارة والمتفرجين فى تمثيل هذه الشخصيات إذا عرضت عليهم ، لأنهم يشعرون بما فيها من متعة الفوارق الدقيقة بين طبائع الإنسان ، وليس فى طاقة الممثل أن يتفرغ لإحياء « شخصية » خاصة تكلفه الجهد واليقظة والدراسة الفنية والعلمية إذا كان قصارى الأمر أنه « كله عند العرب صابون » . وإن المتفرج يقنع بما دون هذا الجهد ، وقد يفضل الجهد اليسير على الجهد الكثير .

هذه الآفة فى التمثيل هى بعينها آفة فن الغناء .

فإنك تستطيع أن تسمع ألف أغنية فلا ترى فيها ملامح الشخصية المختلفة ، ولا تلمس فيها دقة التفصيل والتنويع ، لأن التصنع فيها أبرز من الإحساس الأصيل .

وهى آفة لا يلام عليها فن التمثيل المصرى على انفراد ، لأنها آفة المجتمع الذى لا يزال فى طور التكوين والتنويع .

وإذا كان التمثيل المصرى لم يخرج لنا فرقة كاملة حتى الآن ، فما لا شك فيه أن المجتمع المصرى لم يخرج لنا بعد جمهوراً كاملا لتلك الفرقة ، إذا وجدت على تمامها أو تم فيها التعدد والتجانس بين جميع الأدوار .

فليس عندنا الآن جمهور كامل « مواظب » لغير نوع واحد من المسرحيات ، وهو نوع التهريج والمجون وإثارة الحس بمناظر الشهوات ومناظر الشجار .

أما الفن الرفيع فله جمهور متفرق أو أشتات من جماهير عدة ، لا يستقل واحد منها بإنهاض فن متقدم يثبت على قدميه .

وينتهى بنا ذلك كله إلى نتيجة واحدة : وهى أن التمثيل المصرى فى حاجة إلى معونة دائمة من الحكومة ، ومعونة دائمة من الموسرين الغيورين على هذا الفن الجميل ، لأن التمثيل فى العالم كله — وفى مصر خاصة — يعبر محنته الكبرى مع الفتنة الطاغية من قبل الصور المتحركة ، ولكنه هو الفن الباقى بعد هذه الفتنة وهو الينبوع الذى ينبغى أن يعتمد عليه فن الستار الأبيض ، ولا تؤمن عليه العاقبة إذا ترك وحده بغير معونة وتشجيع .

عباس محمود العقاد

دولة الدول الصهيونية

للأستاذ نقولا الحداد

ليعلم العرب والعالم أجمع أن تأسيس دولة صهيونية فى فلسطين هو نذير بخطر على العالم عظيم ؛ لأن الدولة الصهيونية ستبتلع جميع دول العالم فى عصر أو عصرين . والشيوعية الروسية ليست إلا صنيعة الصهيونية نفسها . وما إنشاء هذه الدولة الصهيونية إلا تتمة برنامج وضعه حكماء اليهود السابقون أى حاخاماتهم ، (وكلمة الحاخام بالعبرية تعنى الحكيم والحاكم معاً . وكان هذان المعنيان لشخص واحد من قديم الزمان) .

والبروتوكولات التى نشرتُ نموذجاً منها فى مقالى السابق هى ملخص محاضر جلسات أولئك الشيوخ الحكماء . وفى هذه المحاضر السرية يرى القراء ما ذا يبيت الصهيونيون لجميع الأمم غير اليهودية التى يسمونها فى اصطلاحهم « الجوييم » ومايضمرونه من السيطرة والاستبداد والأذى للأمم ، وسأنقل من هذه المحاضر إلى « الرسالة » أهم مافيها من الاستعداد لهذه السيطرة والوسائل الجهنمية التى يتوسلون بها من غير أن يفطن ساسة الأمم وعلماؤهم وزعماؤهم إليها ؛ أو يفطنون إليها مستهترين .

ولذلك نعرضها على القراء لكي يعلموا أن الدولة الصهيونية فى فلسطين إن قامت إنما هى بدء التهام الأمم وابتلاع دولها ... لا سمح الله .

هذه البروتوكولات كانت سرية ثم افتضح أمرها فى آخر القرن المنصرم ، إذ اتصل خبرها بأحد أعيان الروس الأستاذ سرجيوس بيلوس ، وهى مكتوبة باللغة الروسية ، وقد طبعها فى سنة ١٩٠٥ وكتب لها مقدمة قال فيها : « إن نسخة خطية من هذه الوثائق دفعها إليه صديق قبل وفاته فى سنة ١٩٠١ بأربع سنين ، وأكد له أنها ترجمة (إلى الروسية) صحيحة كل الصحة (ربما كانت عن أصل فرنسى) سرقته سيدة من شخص ذى مقام وذى نفوذ عظيم فى الماسونية بعد نهاية اجتماع ماسونى عقد للتكريس فى باريس ؛ وكان هذا الاجتماع فى وكر للمؤامرات الماسونية اليهودية (غير الماسونية العامة) .

ولا بدع أن تكون فرنسا أوكارا سرية للصهيونية لأنها بطبيعتها الثورية أرض صالحة لنمو الدسائس الصهيونية التى ألقت عليها حلة « الحرية والأخاء والمساواة » ذراً للرماد فى العيون كما سيجيء بيانه .

وأضاف نيلوس إلى هذه القصة أنه نشر هذه النسخة الخطية مطبوعة تحت عنوان : « بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء » ، وقال إنها ليست بالضبط نصوص محاضر تلك الجلسات السرية التى عقدها هؤلاء الشيوخ ؛ بل كانت كبلاغ رسمى تنقصه بعض فقر حذفها شخص قوى النفوذ .

والأستاذ نيلوس يسلم بعدم إمكان الحصول على برهان خطى أو شفهى على صحة هذه الوثائق ؛ وإنما يقول : « نكتفى بأدلة الظروف الوافرة التى تؤيد صحتها . على أن مشتملات هذه الوثائق يجب أن تقنع « من لهم أذنان للسمع » لأنها واضحة ولا بد أن نسمع صراخ اليهود ومن يداجيهم من غير اليهود : « إن هذه الوثائق ملفقة ومدسوسة عليهم » ، وعلى الرغم من هذا فالحوادث تثبت صحتها .

وقد وردت نسخة من طبعة سرجيوس نيلوس إلى المتحف البريطانى وعليها قيد الاستلام وتاريخه فى أغسطس سنة ١٩٠٦ وهناك عثر عليها الأستاذ فكتور مارسدن الذى كان يراسل جريدة المورنن بوسط فى موسكو أثناء الحرب الكبرى السابقة والانقلاب الرومى الذى حدث فى غضونها ، ولما كان مارسدن يعرف الروسية جيداً عكف على ترجمة هذه الوثائق فى المتحف نفسه إلى الانكليزية فطبعتها جمعية الطباعة البريطانية .

وقد نشرت جريدة نيويورك ورلد سنة ١٩٢١ تعليقاً على هذه الطبعة من حديث مع هنرى فورد ورد فيه قوله : « ما يمكن أن أقوله الآن بشأن هذه البروتوكولات أنها تصدق على ما هو حادث الآن فى العالم . لقد مرّ على نشرها إلى اليوم نحو ١٦ سنة وهى تصدق على حالة العالم فى هذه المدة . نعم تصدق عليها » .

أجل إن الحوادث فى كل العصور تظهر خطة الأمة اليهودية التى اتفق عليها شيوخها على تمادى الزمن حتى عصرنا الحاضر . وانتشر خبرها مما تسرّب منه من هؤلاء الشيوخ على الرغم من سريتها وحرصهم على كتمانها .

فى ١٤ يوليو سنة ١٩٢٢ نشرت جريدة جويش كرونكل (اليهودية) بعض مذكرات تيودور هرزل ، ومنها خلاصة حديث حين زار انكلترا مع الكولونل جولد سميد الذى كان يهودياً ثم تنصر وبقى يهودياً فى قلبه . فلمّح هذا اليهودى المتنصر لهرزل « إن الطريقة الوحيدة لتجريد الأعيان الانكليز من أملاكهم لقتل نفوذهم الذى يحمون به الشعب الانكليزى من سيطرة اليهود ، هو سن ضرائب ثقيلة على أملاكهم . فاستحسن هرزل هذه الطريقة . ولا يخفى أن مذكرة هرزل هذه تتفق مع البروتوكولات كما سيتضح ذلك فيما سننشره منها .

وفى ٨ أكتوبر سنة ١٩٢٠ نشرت جريدة جويش جارديان كلمة للدكتور وزمان رئيس الصهيونية المعروف الآن حين وداعه لرئيس الربانيين فى وليمة قبل سفره لسياحة فى الامبراطورية البريطانية قال فيها : « إن نعمة الحماية التى أسبغها الله على اليهود هى أنه شتتهم فى العالم » — طبعاً لكى ينشروا هذا البرنامج ، وسترى هذا واضحاً فى البروتوكول الحادى عشر .

من هم هؤلاء الشيوخ العلماء الصهيونيون الذين ائتمروا ؟؟

يستفاد مما كتبه فى هذا الموضوع وولتر راتينيو فى جريدة وينر فراى برس فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٢ أن ثلاث مئة شيخ من شيوخ بنى إسرائيل معروف بعضهم لبعض يقررون مصير القارة الأوروبية ، وهم ينتخبون خلفاءهم ممن يحف حولهم من ذويهم وأصدقائهم .

وفى سنة ١٨٤٨ ألف بنيامين إسرائيلى رواية تمثيلية وردت فيها هذه العبارة بلسان بطلتها المسماة سيدونيا (ويقال إنها من آل روتشيلد الأثرياء اليهود) : « هكذا ترى يا عزيزى كنز سباى (معناه الجاموس المكار) أن العالم يحكمه أقيال يختلفون عمن يتصورهم الناس الذين ليسوا وراء الستار » . وإسرائيل هذا كان يهودياً فتنصر أبوه لكى يتسنى له أن يتغلغل فى السياسة البريطانية، وتغلغل بالفعل إلى أن صار اللورد دزرائيلى المعروف والمنافس لجلادستون . وبهذه العبارة المشار إليها كاد يصرح أن الذين وراء الستار هم اليهود ، وبهذه البروتوكولات التى نحن بصددها كشفت العناية الإلهية أن الذين وراء الستار هم اليهود .

وكان دزرائيلى وراء الستار فعلا يعمل بأساليبه الخفية ويلعب

بجميع الحكومات الأوروبية فى عصره . فعلى جميع الأمم البيضاء تلقى مسؤولية مراقبة هذه الأمة اليهودية التى تفتخر بأنها بقيت فى الوجود دون سائر الأمم القديمة والامبراطوريات البائدة — على حد قول داروين : « بقاء الأنسب » كما يعتقدون .

* * *

ليست هذه الحركة الصهيونية بنت الأمس بل هى قديمة من عهد سليمان الحكيم وغيره من الحكماء أى منذ سنة ٩٢٥ قبل المسيح . فكان الحاخامون يفكرون فى الخطط الممكنة لانتصار صهيون السلمى على العالم كله ، (وكلمة صهيون كانت ترادف أورشليم ثم اطلقت على فلسطين) .

والراجح أو الأكيد أن الماسونية كانت من جملة خططهم كما تدل عليها شعائرها وطقوسها ، وما هى إلا أحبولة لاصطياد طبقات الناس على اختلاف طوائفهم ودرجاتهم واستخدامهم بالأساليب الخفية لأغراض جمعيتهم السرية التى هى « جمعية ماسونية يهودية » ضمن الماسونية العامة ؛ وليس للماسون العموميين علم بها . وتلك « الماسونية الخفية » تنفذ مآربها بواسطة « الماسونية العامة » من حيث لا يدرى ذوو الشأن .

ولكى تنتشر الماسونية العامة فى جميع الأمم صبغوها بصبغة الإنسانية والفضيلة وجعلوا شعارها : « الحرية والأخاء والمساواة » الذى اقتبسته الثورة الفرنسية ، وبهذه الطريقة دخل فيها الممتازون من عامة الناس وأصحاب المهن العالية وأصحاب النفوذ من الحكام والموظفين حتى الوزراء والأمراء والملوك ، ولهذا استطاعت « الماسونية اليهودية الخاصة السرية » المكتومة عن جميع العالم أن تنفذ مآربها على يد الماسونية الشائعة . وسترى فى البروتوكول الحادى عشر تحقيق ذلك بجلاء . فقد ورد فى صلب البند السابع من هذا البروتوكول بالنص الكامل :

« فلأى غرض اخترعنا هذه السياسة (الداهية) وأدخلناها فى عقول الجوييم (الناس غير اليهود) من غير أن ندع لهم أية مظنة أو شبهة لكيلا يتنبهوا لاختبار ما تنطوى عليه ؟ حقاً لأى غرض فعلنا هذا إذا لم يكن قصدنا أن نحصل على طريق ملتو نتوصل به إلى قومنا المشتت الذى لا نتصل به عن طريق مستقيم . هذا هو الطريق الذى نعنى فى جملته أساساً لمنظمتنا الماسونية السرية الخاصة التى لا يعرفها هؤلاء الجوييم [(١)] البهائم (كذا) والتى لا يتشبه بها هؤلاء السائمة حتى ولو كانت موجهة ضدهم . إن هؤلاء الجوييم مجذوبون إليها بجاذبية هذه المظاهر الخلابة فى المحافل الماسونية التى ليست إلا ذراً الرماد فى العيون » اه

إذن فليعلم ماسونيو العالم أنهم يخدمون مآرب الصهيونية وهم غافلون .

إذا راجعنا أسباب الحوادث حتى الحروب ولا سيما الأخيرة منها لرأينا أصابع الماسونية فيها : فى الثورة الفرنسية والانقلاب العثمانى والانقلاب الروسى الخ .

إن أولئك الشيوخ الحكماء (الحاخامين) الدواهى الذين وضعوا الخطط فى هذه البروتوكولات وكانوا ينقحونها على طول الزمن حسب مقتضيات الحال ، كانت خططهم هذه تنفذ على يد أشخاص تكرسوا لهذا الغرض . قصد هؤلاء الحكماء أن يفتحوا العالم كله لأنفسهم بالأساليب السلمية ، أو التى يسلمون بها من كوارثها ، أو بالأحرى بأسلوب مكر الحية وخبثها كما سترى فى البروتوكول الثالث . ترى فيه رأس الأفعى الرمزية يمثل اليهود الذين تخصصوا لتنفيذ خطط الإدارة اليهودية للدولة الصهيونية المنتظرة ، وجسم الأفعى هو بقية الشعب اليهودى . فالإدارة تبقى سرية حتى عن الشعب اليهودى نفسه ، وحيث أن الأفعى تتغلغل فى قلوب الأمم حتى التى تقاومها (بواسطة الماسونية طبعاً) فهى تنقب تحت الدول غير اليهودية وتلتهم جميع حكوماتها . ولا تزال هذه الأفعى تعمل عملها بحسب الخطط المرسومة لها إلى أن يصل رأسها إلى صهيون (فلسطين) ، وحينئذ تكون قد أتمت دورتها حول أوربا وطوقتها ، وقد قيدتها بسلسلة ، وبسطت سلطانها على سائر العالم . يُعمل كل هذا ببذل الجهد فى إخضاع سائر البلاد بالنفوذ الاقتصادى .

إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يتم إلا بعد أن تطأطىء رؤوس ممالك أوربا ، وتخر ساجدة إلى إله المال أى بواسطة الأزمات الاقتصادية والخراب الشامل ، وحينئذ تنهار الآداب الاجتماعية والروحية وتنحط الأخلاق . ويكون من جملة العوامل لهذا الانحطاط السيدات اليهوديات ، ولا سيما الفرنسيات ،

(١) الجوييم هم النصارى وغيرهم من الأمم والطوائف . هذا فى اصطلاحهم

والإيطاليات . هذا ما ينوه به حكماء اليهود . لا ريب أنه أفعل الوسائل لنشر الفساد فى حياة الأفراد والزعماء وقادة الأمم .

يمكنك أن ترسم خريطة الأفعى الرمزية هكذا :

كانت أولى خطوة لهـا فى أوربا سنة ٤٢٩ قبل المسيح فى بلاد الأغريق فى عهد بركليس حين شرعت الأفعى تقضم عرش تلك المملكة . والخطوة التاليـة فى روما لعهد أوغسطس قيصر سنة ٦٩ قبل المسيح . والثالثة فى مدريد لعهد تشارلس الخامس سنة ١٥٥٢ مسيحية . والرابعة فى باريس نحو سنة ١٧٩٠ فى زمن لويس السادس عشر . والخامسة فى لندن حول سنة ١٨١٤ بعد سقوط نبوليون . والسادسة فى برلين سنة ١٨٦٧ بعد الحرب الفرنساوية البروسية . والسابعة فى بطرسبرج حيث ظهر رأس الأفعى فى سنة ١٨٨١ وهذه المعلومات وغيرها مستقاة من مقدمة الترجمة الانكليزية .

جميع هذه الممالك التى عبرتها الأفعى كانت أسسها قد تزلزلت ؛ فألمانيا تزعزعت قوتها الظاهرة من غير أن تشذ عن القاعدة . وأما روسيا فقد اجتاحتها الأفعى غير مرة . وفى سنة ١٩٠٥ تركز رأس الأفعى ، ثم اتجـه سمها إلى موسكو وكييف وأودسّا .

هذه هى الخريطة التى رسمها المترجم مراسل المورنن بوسط إلى زمنه . ونحن نقدر أن نزيد عليها أن الأفعى صدمت موسكو صدمة حطمت كل روسيا فى الانقلاب الشيوعى وكل أوربا فى الحرب السابقة وهكذا عرفنا أين استقرت الأفعى فى أوربا .

وكانت هـذه الخطة مرسومة قبل إنشاء جمعية تركيا الفتاة التى أنتجت ثورة البلقان ثم الانقلاب العثمانى . حتى أنه لما شبت الحرب الكبرى السابقة تحطمت تركيا وتمزقت إربًا إربًا .

ولمـا انتظمت خطة الحكماء الصهيونيين (التى سنراها فى محاضرهم) زعم اليهود أن هذه البروتوكولات مزورة ومدسوسة عليهم . إذن فعليهم أن يفسروا لنا الأسباب الأساسية للثورات والحوادث التاريخية المشتبه فيها . ومن أمثالها :

١ – إطلاق سراح تروتسكى (برونشتين) من الاعتقال فى هاليفاكس ، سكوشيا حين كان فى طريقـه إلى إحداث مذبحة لملايين من الروس المساكين .

٢ – تعطيل مكتب خارجية انكلترا المادة الحيوية فى التقرير عن بلشفة أودندبك الوزير الهولاندى (وعـلم هذين المثلين عند المترجم) .

٣ – وعد بلفور الخ .

ويؤيد صحة البرتوكولات دزرائيلى فى كتابه « لورد جورج بنتنـكن » فى الفصل ٢٤ إذ يقول بعبارة جازمة : « إن اليهود يبتغون أن يدمروا النصرانية بطريقة يصفها بصراحة أنها مطابقة للبروتوكولات » .

وفى رأى كاتب بعض هـذه المقتبسات أن وجود قسس بلاشفة فى الـكنائس وأساتذة بلاشفة فى الجامعات وغيرها كان مستحيلا لو لم تـكن البروتوكولات صحيحـة . فالبلشفية هى مكيدة صهيونية هائلة ، والقارىء يرى فى أثناء قراءة البروتوكولات أدلة عديدة على صحتها .

نلفت نظر القارىء إلى ماسننقله من بنود هذه البروتوكولات ونود أن يراجع فى نفسه ما يعلمه من حوادث العـالم وثوراته وانقلاباته وأزماته السياسية والاقتصادية عسى أن تبدو لبصيرته اليد الصهيونية العاملة فى هذه الحوادث من وراء الستار . ولولا هذه اليد الصهيونية الممتدة من عهد سليمان الحـكيم إلى اليوم لـكان العالم أقل توازنًا وأهدأ بالاً وأشمل سلامًا .

وليعلم العرب على الخصوص والعـالم على العموم أن رأس الأفعى اليهودية اقترب إلى الأرض المقدسة لـكى يقيم فيها ملك صهيون ويؤسس دولته ويرفع بيرق سلطانه . فإن نجح لا سمح الله فليعلم العالم أجمع أن جميع ممالـكه ودوله أصبحت فى حوزة هذه الأفعى . وبعبارة صريحة تصبح كلها أدوات فى يد الصهيونية وآلات لرفع سؤددها وتصبح جميع الأمم عبيداً لها « فمن له أذنان فليسمع » .

وليعلم ستالين أنه هو شخصياً من الجوييم الذين يلقبهم حكماء الصهيونية بالبهائم ، وإنه وهو يبذل جهده فى تأييد تقسيم فلسطين وإرسال شيوعيين يهود إلى فلسطين يعمل فى إنشاء دولة صهيونية يكون هو أول من يخضع لها ، وروسيا أول دولة تخر لها ساجدة . وليعلم أيضاً أن الشيوعية التى يبشر بها وينشرها هى من اختراع حكماء صهيون ، وأن روسيا الشيوعية صائرة شيئاً فشيئاً من

من ظرفاء العصر العباسي :

١ - أبو العينـــاء*

١٩١ - ٢٨٣ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

« فى هذا العالم الزاخر بالمتناقضات عرش للهزل كعرشه للجد ، استوى عليه أبو العيناء منذ بلغ أشده حتى رد إلى أرذل العمر فمات »

بقى أبو العيناء معروفاً بهذه الكنية منذ اشتهر بين أهل عصره حتى انطوت حياته الطويلة الطريفة . أما اسمه فهو محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء ؛ لأن جده خلاداً كان من رقيق اليمامة ، وكان مولى لأبى جعفر المنصور ؛ فقد روى الخطيب فى (تاريخ بغداد) عن محمد بن صالح بن النطاح مولى بنى هاشم أنه قال : « حدثنى أبى قال : طلب المنصور رجالا ليكونوا بوابين له . فقيل : إنه لا يضبط هذا إلا قوم لئام الأصول ، أنذال النفوس ، صلاب

(*) أهم مراجع هذا البحث : معجم الأدباء لياقوت الحموى ، تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادى ، لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى .

أملاك الدولة الصهيونية . وليعلم أنها منذ الآن فى أيدى الصهيونيين ، والأفعى الرقطاء لا يزال جسمها رابضاً فى روسيا ، ولا يزال ستالين يجهل أن اليد التى تحركه هى يد الصهيونية (إذا لم يكن ستالين نفسه صهيونياً) ، وقد يخلف ستالين (بعد عمر طويل) على عرشه صهيونى يدير دولة صهيونية تابعة للدولة الصهيونية العليا ، وحينئذ تتلقى موسكو أوامرها من تل أبيب .

هل يعلم ستالين هذا أم لا يزال من الجاهلين المغرورين .

وليعلم المغفلون الأمريكى والانكليزى والأوروبى على العموم أن الخوف ليس من الشيوعية (الشيوعية ليست الاشتراكية ، بل هى صورة أخرى للصهيونية) وإنما الخوف من هذه الشيوعية التى تنطوى أذيالها على الصهيونية . فعلى دول الغرب إن كانت تريد أن تتقى شر الشيوعية أن تقطع رأس الأفعى الصهيونية قبل أن تنفث سمومها فى أرض عيسى ومحمد المقدسة .

نقولا الحداد

الوجوه ، ولا تجدهم إلا فى رقيق اليمامة . فكتب إلى السرى عبد الله الهاشمى — وكان واليه على اليمامة — فاشترى له مائتى غلام من اليمامة ، فاختار بعضهم فصيرهم بوابين ، وبقى الباقون فكان ممن بقى خلاد جد أبى العيناء[1] ... »

ويبدو أن القاسم بن خلاد والد أبى العيناء لم يطب له المقام فى بغداد ، فولى وجهه شطر الأهواز بخوزستان ؛ فكان مولد ابنه فى كورة من كورها سنة إحدى وتسعين ومائة بعد نكبة البرامكة بسنوات ، وقبل وفاة الرشيد بسنتين : فأبو العيناء قد تم الرضاعة حين بويع للأمين بالخلافة بعد وفاة أبيه فى طوس ، وأضحى فى السابعة من عمره لدى مقتل الأمين ، ونشأ أحول العين مخضوباً بالحمرة خضاباً ليس بالمشبع ، فامضى فى الأهواز سنوات من طفولته ، ثم انتقل منها إلى البصرة فأمضى فيها بقية حداثته وكل شبابه وجانباً من كهولته ، فى عصر المأمون الذى دام عشرين عاماً ؛ فأصبح أبو العيناء فى ربيعه السابع والعشرين ، ثم فى عصر المعتصم الذى بقى ثمانية أعوام فأضحى أبو العيناء فى السادس والثلاثين ، ثم فى عصر الواثق بالله الذى ظل خمسة أعوام فجاوز أبو العيناء حدود الأربعين . ويومذاك اعتلت عيناه فأمسى بعد حوله أعمى بعد مغادرته البصرة إلى دار الخلافة ليقضى فيها أكثر من نصف عمره الطويل .

كان ذكى القلب ، مميز الفؤاد ، قوى الذاكرة ؛ فساعدته هذه المواهب على الإقبال على طلب العلم فى صغره ، فحفظ القرآن وتعلم الفرائض ، وتوفر على دراسة العربية ، وبرع فى حفظ الروايات والأخبار ، حتى أن الدارقطنى روى عنه « أنه أتى عبد الله بن داود بن عامر الهمدانى الخربى[2] وهو صغير ليحدثه فقال له : تحفظ القرآن ؟ فقال : قد حفظته . قال : تعلم الفرائض ؟ قال : قد حذقتها . قال : فتعلم العربية ؟ قال : تعلمت منها ما فيه كفاية ، فامتحنه فى كل ذلك فأجاد . فقال لو كنت محدثاً أحداً فى سنك لحدثتك[3] »

وهذه القصة قد رواها الخطيب فى تاريخه بأطول من هذا وأوضح (ص ١٧٢ ج ٣) وهى إن دلت على شىء فأول ما تدل عليه تصوير صادق لاستعداد أبى العينـاء الفطرى الذى يؤهله

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣ طبعة مصر .
(٢) نسبة إلى محلة سكنها بالبصرة تسمى خربية ، توفى سنة ٢١٣ هـ
(٣) لسان الميزان ص ٣٤٦ ج ٥ طبعة الهند .

لسماع الحديث وروايته ، لولا صغر سنه وحداثته . ولئن ضن الحربى على الفتى بتحديثه صغيراً فإنه لم يعدم وسيلة للتشجيع ؛ إذ وجد متنفساً لرغبته ، وإرضاء لنهمه فى كتابة الحديث وطلب الأدب لدى أبى سعيد الأصمعى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وأبى زيد الأنصارى ، ومحمد بن عبد الله العتبى ، وأبى عاصم النبيل ، الذين كان لهم أكبر الأثر فى توجيه حياته العلمية(١)

وفى عهد طلبه للعلم على أبى زيد الأنصارى لحقت به كنيته المشهورة « أبو العيناء » ، فقد سأله رجل : « كيف كنيت أبا العيناء ؟ قال : قلت لأبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى : كيف تصغر عيناً ؟ فقال : عُيَينا يا أبا العيناء فلحقت بى منذ ذاك (٢) » .

وقد لاحظت — بعد طول البحث والتنقيب — أنه كان منصرفاً إلى العلم الانصراف كله قبل أن يجاوز الأربعين من عمره فلم يحاول الاتصال بالخلفاء والأمراء ، ولم يتكسب بالشعر والرواية كما كان يتكسب فى عصره أمثاله من الرواة والشعراء . فكن واثقاً أنك لن تقرأ له خبراً واحداً أو نادرة واحدة تتصل بقصر الخلافة ؛ لا فى أواخر عهد المأمون ولا فى شىء من عهد المعتصم . ولم يكن ليحول دون ذلك سكناه بالبصرة ؛ فقد كان فى مكنته أن يغادرها حين يشاء إلى دار الخلافة عن طواعية واختيار ؛ بيد أنه انتظر الأقدار حتى أخرجته من منشئه إخراجاً ، يوم نكب نكبة فى أواخر أيام الواثق لحمل على أثرها إليه ، فاتصل عفواً بابن أبى دؤاد الذى كان له نفوذ فى الدولة كبير . روى أبو العيناء عن نفسه قال : « كنت فى أيام الواثق مقيما بالبصرة ، فكنت يوماً فى الوراقين بها إذ رأيت مناديا مقفلا فى يده مصحف مخلق الأداة فقلت له : ناد عليه بالبراءة مما فيه — وأنا أعنى به أداته — فأقبل المنادى ينادى بذلك . فاجتمع أهل السوق والمارة على المنادى وقالوا له : يا عدو الله ! تنادى على مصحف بالبراءة مما فيه ؟ وأوقعوا به . فقال لهم : ذلك الرجل القاعد أمرنى بذلك . فتركوا المنادى وأقبلوا إلى وتجمعوا على ورفعونى إلى الوالى وعملوا على محضراً ، وكتب فى أمرى إلى السلطان . فأمر بحملى

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٢ .

لحملت مستوثقاً منى . واتصل خبرى بأبى عبد الله بن أبى دؤاد ، فتكفل بأمرى والفحص عما قرفت به ، وأخذنى إليه ففك وثاقى ؛ وتجمعت العامة وبالغوا فى التشنيع على ، ومتابعة رفع القصص فى أمرى ، فقلت لابن أبى دؤاد : قد كثر تجمع هؤلاء الهمج على وهم كثير . فقال : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) . فقلت : قد بالغوا فى التشنيع على فقال : (ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله) . فقلت : إنى على غاية الخوف من كيدهم ، ولن يخرج أمرى عن يدك . فقال : (لا تحزن إن الله معنا) . فقلت : القاضى — أعزه الله — كما قال الصموت الكلابى :

لله درك — أى جنة خائف ... ومتاع دنيا — أنت للحدثان
متخمِّط يطأ الرجال بنعله ... وطأ الفنيق دوارج الروان(١)
ويكبهم حتى كأن رؤوسهم ... مأمومة تنحط للغربان
ويفرِّج الباب الشديد رتاجه ... حتى يصير كأنه بابان

قال : يا غلام ! الدواة والقرطاس ... أكتب هذه الأبيات عن أبى عبد الله . فكتبت له ، ولم يزل يتلطف فى أمرى حتى خلصنى » (٢)

ولم يأسف على فراقه البصرة ؛ « إذ وجد ماؤها أجاجاً ، ووجد حرها عذاباً ، ووجدها تطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم » كما وصفها للخليفة المتوكل لما سأله : ما تقول فى البصرة يا أبا العيناء ؟

لا ، لم يأسف على فراقها لولا أن الشقاء هجم عليه ، وأن الدهر قسا عليه ، فأخذ نور عينيه !

يومئذ بكى على البصرة وضيائها ، ونقم على بغداد وظلامها . يومئذ عرف قيمة البصر بعد أن فقد البصر !

ولكن الصولى — كما فى تاريخ الخطيب — يحدثنا عن أبى العيناء حديثاً لا يخلو من طرافة يصف به الباعث على رحيله عن البصرة ، فإنه روى عنه أنه قال : « سبب تحولى من البصرة أنى رأيت غلاماً ينادى عليه بثلاثين ديناراً يساوى ثلاثمائة دينار فاشتريته . وكنت أبنى داراً فأعطيته عشرين ديناراً لينفقها على الصناع ، فأنفق عشرة واشترى بعشرة ملبوساً له ! فقلت: ماهذا ؟

(١) المتخمط : الرجل الغلاب الذى لا يطاق . والفنيق : الفحل الكريم ، ودوارج القرون : ما درج من الهوام .
(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٣ ج ٣ .

فقال : لا تعجل ، فإن أرباب المروءة لا يعتبون على غلمانهم هذا . فقلت فى نفسى : أنا اشتريت الأصمعى ولم أدر ! ثم أردت أن أتزوج امرأة سراً من بنت عمى ، فاستكتمته ودفعت إليه ديناراً يشترى به حوائج وسمكا هازبا (١) فاشترى غيره ، فغاظنى... فقال رأيت بقراط يذم الهازبا ! فقلت : يا ابن الفاعلة لم أعلم أنى اشتريت جالينوس ... فضربته عشر مقارع ، فأخذنى وضربنى سبعاً . وقال : الأدب ثلاث يا مولاى ، وإنما ضربتك سبعاً قصاصاً . فرميته فشججته ، فذهب إلى بنت عمى وقال : «الدين النصيحة» و «من غشنا فليس منا» إن مولاى قد تزوج واستكتمنى فقلت : لا بد من تعريف مولاى الخبر ، فضربنى وشجنى ! فمنعتنى بنت عمى دخول الدار ، وحالت ما بينى وبين ما فيها ، وما زالت كذلك حتى طلقت المرأة . وسمته بنت عمى (الغلام الناصح) ، فلم يمكنى أن أكلمه فقلت : أعتق هذا وأستريح ... فلما أعتقته لزمنى وقال: الآن وجب حقك علىّ . ثم إنه أراد الحج فزودته ، فغاب عشرين يوماً ورجع وقال : قُطع الطريق ، ورأيت حقك قد وجب . ثم أراد الغزو فجهزته ، فلما غاب بعت ما لى بالبصرة وخرجت منها خوفاً أن يرجع » (٢)

وهذا الحديث الطريف نقله عن الخطيب ياقوت فى (معجم الأدباء) وابن حجر فى (لسان الميزان) على اختلاف فى الألفاظ يسير ، وهو — فى جملته أو تفصيله — لا يعتبر تعليلا لتحول أبى العيناء من البصرة كما هو الواقع ونفس الأمر ، وإنما هو تعليل لتحوله منها كما شاء هو أن يصوره بأسلوب التهكم ، وعرضه الساخر ، فى رواية الأخبار .

— ٢ —

وكنت أود أن أصل الكتابة بتحليل نفسية هذا الظريف ودراسة أطواره من خلال آثاره — بعد أن عرّفت بمولده ونشأته ، ومقامه وانتقاله — لولا أنى وقفت أمام نص فى معجم الأدباء ، يدور حول عمى أبى العيناء ، فدارت حوله فى نفسى عوامل شتى من الشك والارتياب . يفيد هذا النص « أن جد

(١) نوع من السمك ، ويعد فيقال : هازباء أيضا . وهو هنا من وصف الجنس بالنوع .

(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٧ ج ٣ ولسان الميزان ص ٣٤٥ ج ٥

أبى العيناء الأكبر كان يلقى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فأساء مرة المخاطبة بينه وبينه ، فدعا عليه بالعمى — له ولولده من بعده — فكل من عمى من ولد أبى العيناء فهو صحيح النسب فيهم ! » .

لا أكتم القارىء الكريم أنى ما إن قرأت هذه الرواية حتى شممت رائحة الوضع فيها ، فقلت فى نفسى : إنها لا تخرج عن أحد أمرين : إما أن راويها المعاصر لأبى العيناء المنافس له يريد باختلاقها النيل منه والتمريض به ؛ إذ كان له ولدان أبو جعفر وعبد الله ، وكلاهما كان بصيراً غير أعمى ؛ فهما إذاً دعيان لا يصح نسبهما من أبيهما — وفى هذا قذف صريح فى أبى العيناء — وإما أن بعض العلويين المتشيعين الكارهين له الناقمين منه أذاعها بين الناس لا على سبيل المنافسة ولكن على سبيل العداء ؛ إذ كانت تبدر منه أحياناً كلمات مقذعة فى المتشيعين .

هذا ما جاء فى نفسى بادىء الرأى ... إلا أن رواية شديدة الشبه بالنص السابق — فى تاريخ الخطيب — قد أراحتنى من الشك الطويل ، وحملتنى من تغيير حكمى بسبيل ، لألتمس للواقعة أى تعليل . يقول أبو العيناء نفسه فى هذه الرواية الجديدة : « دعا المنصور جدى خلاداً - وكان مولاه — فقال له : أريدك لأمر قد همنى وقد اخترتك له ، وأنت عندى كما قال أبو ذؤيب الهذلى :

ألكنى إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر

فقال : أرجو أن أبلغ رضا أمير المؤمنين .

فقال : صر إلى المدينة على أنك من شيعة عبد الله بن حسن ، وابذل له الأموال واكتب إلىّ بأنفاسه وأخبار ولده . فأرضاه . ثم علم عبد الله بن حسن انه أتى من قبله ، فدعا عليه وعلى نسله بالعمى . قال أبو العيناء : فنحن نتوارث ذلك إلى الساعة(١) ! » .

فقد اتفقت هاتان الروايتان فى تعليل عمى أبى العيناء ، بدعاء مستجاب شق حجب السماء ، وإن اختلفتا فى شخص الداعى أهو على بن أبى طالب أم عبد الله بن حسن ؟ وفى شخص المدعو عليه أهو جد أبى العيناء الأكبر أم جده القريب خلاد ؟

ونحن إذا سلمنا بأصل الفكرة المنتزعة من الروايتين نعود من جديد أمام أمرين : إما التصديق بهذه الواقعة — عمى أبى

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣ .

الميناء استجابة لدعاء – على أنها مصادفة تلاقت مع الواقع ، وما أكثر ما يتلاقيان ! وإما اتهام هذا الظريف نفسه باختلاق القصة من أساسها وإذاعتها بين الراغبين فى سماع أخباره العجيبة ، ونوادره المبتكرة ، فرواها هو بلفظ ورواها السامعون بلفظ آخر ، وتداولتها الألسن لتكون دليلا صريحاً على تمكن ملكة الكذب من نفسه ، وسيطرتها على لسانه ، فإنى – كما سترى من قريب – ما عرفت لساناً أحب إليه الكذب من لسانه ، ولا نفساً أرضى بما تختلق من نفسه !

وقد ترى غير ما رأيت ، فتفرض أمراً ثالثاً وهو أن الرواية الأولى موضوعة ، وأن الثانية على أبى الميناء مدسوسة ، لولا أنك بهذا الفرض تتهم ياقوتاً الحموى بوضع ما لا غرض له فى وضعه ، ثم ترمى الخطيب البغدادى بقلة تحريه وضبطه ، مع أنه الحافظ المشهور الذى أجمع علماء الحديث ورجال الجرح والتعديل على قبول آثاره ، ورواية أخباره .

وكيفما عللنا سبب عمى أبى الميناء ، فسنوافق على حوله قبل عماه ، وسنؤيد المبرد فى روايتـه عنه « أنه إنما صار أعمى بعد أن نيف على الأربعين وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرُمى فيهما بما رمى . ثم يستدل المبرد على ذلك بقوله : والدليل على ذلك قول أبى على البصير .

قد كنت خفت يد الزما ن عليك إذ ذهب البصر
ولم أدر أنك بالعمى تغنى ويفتقر البشر !

والخطيب فى تاريخه روى هذين البيتين بضمير المتكلم الجمع (كنا نخاف من الزمان ... الخ البيت الأول . لم ندر أنك الخ البيت الثانى) ونسبهما إلى أحمد بن أبى طاهر (١) . وهما – على كل حال – علامة نستأنس بها فى أن عمى أبى الميناء كان طارئاً فى كبره ، ولم يكن فى الوِلادة ولا فى صغره . ويؤيد هذا محاورة ابن أبى دؤاد لأبى الميناء يوم سأله : « ما أشد ما أصابك فى ذهاب بصرك ؟ قال خلتان ، يبدؤنى قومى بالسلام ، وكنت أحب أن أبتدئهم ، وإنى ربما حدثت المعرض عنى وكنت أحب أن أعرف ذلك فأقطع عنه حديثى ! قال ابن أبى دؤاد : أما من ابتدأك بالسلام فقد كافأته بحسن النية ؛ وأما من أعرض عن حديثك فما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما وصل إليك من سوء اجتماعه ! »(١)

ويزيدنى اطمئناناً بصحة ما ذهبت إليه أن ليس لدينا دليل واحد على أن أبا الميناء عمى قبل الأربعين – فضلاً عن أنه ولد أعمى . والخطيب وابن حجر – وإن كانا قد أوردا خبر عماه بصيغة التمريض – إلا أنهما لم يحددا زمناً لعماه قبل هذه السن ولا بعدها . ثم إنه ليس ضرورياً أن نفهم من عبارة أبى الميناء فى رواية الخطيب « فنحن نتوارث ذلك – أى العمى – إلى الساعة » أن كل من تناسل من هذه الأسرة يقضى عليه قانون الوراثة بأن يولد أعمى ، فإن الوراثة – كما يصح أن تكون مباشرة – يمكن أن تفعل فعلها بعد زمن يطول أو يقصر : فلنا إذاً أن نطمئن إلى رواية المبرد – فى هذا الموضوع – ثم لنا أن نحكم بحول أبى الميناء قبل عماه من الروايات الكثيرة المتضافرة التى نذكر منها على سبيل المثال محاورة لطيفة دارت بين أبى الميناء ومحمد بن خلف بن المرزبان .

قال أولهما للثانى : « أتعرف فى شعراء المحدثين رشيداً الرياحى قال محمد بن خلف : لا . قال أبو الميناء : بل هو القائل فىّ :

نُسبت لابن قاسم مأثرات فهو للخير صاحب وقرين
أحول العين والخلائق زين لا احولال بها ولا تلوين
ليس للمرء شائناً حوَل العيـ ـن إذا كان فعله لا يشين

فقال ابن خلف : وكنت قبل العمى أحول ؟ أفمن السقم إلى البلى ؟ فقال أبو الميناء : هذا أظرف خبر تعرج فيه الملائكة إلى السماء اليوم . ثم قال : أيما أصلح ؟ من السقم إلى البلى أو حال العجوز – أصلحها الله – من القيادة إلى الزنا ؟ » .

هذه رواية معجم الأدباء ، وشبيهة بها – مع اختلاف فى اللفظ يسير – رواية تاريخ بغداد (ص ١٧٥ ج ٣)

والمحاورة فيها إذا ختمت بالدعابة ، فقد بدئت بأقوى مظاهر الجد ؛ لأن الفخر كان وما يزال حديث النفس . وحديث النفس كان ومازال مستمداً من أعماق الشعور ، والشعور كان ومازال حاسة الواقع : فليس بغريب أن يستمد نخور بنفسه كأبى الميناء من واقعه ومن نظرة الناس إلى واقعه مدعاة إلى الاعتزاز والتعالى

(١) تاريخ بغداد ص ١٧٤ ج ٣

(١) المرجع السابق ، الصفحة ذاتها . وتجدها فى معجم الأدباء أيضاً

ألغام الدكتور ماغنس

للاســتاذ نجاتي صدقي

كان سكان حي وادي الجوز في القدس مستسلمين إلى نوم عميق بعد يوم من العمل الشاق في سبيل المعاش ، وكانت الساعة تشير وقتئذ إلى الثانية بعد منتصف الليل .. فإذا وقفت في غرفتي في تلك الساعة وتطلعت من نافذتها الشرقية مخترقاً بنظرك ظلام الليل الحالك ، ارتسم أمامك جبل الزيتون ، وقد قامت عليه أشباح عمارات الجامعة العبرية ، ومستشفى هــداسا ، وهي تغتسل بالفحم السائل ...

ثم إذا لقيت بنظرك إلى يمين الجبل رأيت هنــاك قسما من بيوت قرية الطور وهي أيضاً تغط في نوم عميق هادىء ، لــكنها آثرت أن تبقى بعض الأضواء هنا وهناك تحسبا للمفاجآت ، وكم تحمل هــذه المفاجآت في طياتها من جرائم مشبعة بالخسة والنذالة . وكنت أنا ساعتئذ في جملة الناس المستغرقين في نومهم ، أودع يوما مضى واستقبل يوما آتيا ، وإذا بي أستيقظ فجأة على أزيز الرصاص ينطلق من جميع الأسلحة الآلية ، من (برن) و (ستن) و (طومسون) وبنادق انكليزية وكندية وفرنسية وألمانية ، يتخللها انفجارات مروعة تهتز لهــا أركان البيوت ، تمتزج مع أصوات نساء ورجال وصفارات ، فيتجاوب صــداها في الوادي الممتد من محلة الشيخ جراح حتى ضريح العذراء مريم فتخيلت نفسي في مدريد سنة ١٩٣٧ ! ...

كان المهاجمون جماعات من منظمة (الهاجانا) اليهود المرابطين في الجامعة العبرية وهم خليط من التلامذة والعمال ، وبينهم عــدد من الفتيات . وقد اقتحموا أطراف الحي من ناحيــة الجبل مغتنمين فرصة خلو هذه الناحية من الحرس الوطني تقريباً ، لأن السكان كانوا يعتقدون بأن الجامعة العبرية هي معهد علم وتربية وثقافة ، ويستحيل أن تصدر منها طلقة واحدة .

ومما يدل على قوة اعتقاد العرب هذا ، حوار جرى بيني وبين صاحب حانوت من أهل الحي ، وهو رجل أمي ، سليم الطوية ، قلت له : أنظن أن الجامعة العبرية ستكون مصدر خطر على وادي

ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وهنا تبرز جوانب خاصة من شخصية هذا الظريف تبعثنا على أن نؤكد لك أنك ستبحث في طوايا الأدب العربي طويلاً حتى تجد ظريفاً كأبي العيناء يحسن الهزل في جده كما يحسن الجد في هزله ، فيمزج بينهما مزجاً يحيرك ، ثم لا تدري : أتلتمس من بين غضون شعره أو نثره حقيقة ترضيك ، أم خيالا يلهيك !

فهو مثلا يريد أن يتغاضى عن حوله يعمد إلى تناسي عيبه ، ويمعن في إظهارك على بعض ما أورثه الحول من الخيرات ، وما حمل إليه من البركات ، وما أنقذه من المآزق المحرجات ، ويثني على الله هذا الثناء الذي قلما نسمع بمثله إلا من مثله :

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها على حولٍ يغني عن النظر الشزر
نظرت إليها والرقيب يظنني نظرت إليه فاسترحت من العذر!

هذه صورة من هزله في جده ، لــكن أسلوبه حين دافع عن عماه بعد أن أخــذ الله نور عينيه يختلف من بعض الوجوه عن أسلوبه ههنا ، فإنه هناك أدنى ميلا إلى الجد الذي يتجلى في فخره بنفسه ، وفي اعتزازه بلطف سمعــه وإرهاف حسه ، وفي إعجابه بسلاطة لسانه وقوة بيانه ، وذكاء قلبه ورجاحة لبه ، وصرامته في حماية ذاته من لهو العابثين :

إن يأخــذ الله من عينيَّ نورهما
فني لساني وسمعي منهما نور !
قلب ذكي ، وعقل غير ذي خطل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور !

ولقد يكون هذا الفخر دأب كل من يشعر بنقصه في شيء ما ! فإذا هو يتلمس الأسباب إلى ستر معايبه بمحاسنه ، فيتجاهل الحقيقة المرة ويتفاخر بما عوضه الله من خير ... إلا أن أبا العيناء لا يكتفي بهذا ، فلعله لديه ظاهر التصنع ، بادي التكلف ، وإنما يريد أن يجلو لك نفسه على حقيقتها كما يزعم ثم يشعرك بقيمة تلك الحقيقة ، لتقتنع بقوة شخصيته : وهــذا ضرب من جده في هزله .

(يتبع) صبحي ابراهيم الصالح

الحوز والأحياء العربية المجاورة ؟

فقال : كلا يا أبا سعيد ، هذه دار علم ، ونحن لا نخشاها ، كما أننا لا نعتدى عليها ... وهي على الجملة فى حمى قوانين العالم !

وحدث أيضاً أن اعتقل الحرس الوطنى صحفيا يهوديا أمريكيا واقتاده إلى مقر قيادة مدينة القدس ، حيث أخذوا يحققون معه فقال فى دفاعه : إننى من أنصار الدكتور ماغنس عميد الجامعة العبرية ... وحزبنا يريد سلماً مع العرب . فأفرجوا عنه مصحوباً بحرس ليوصله إلى الأحياء اليهودية .

وبلغ مسمعى حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أصوات آتية من وسط الوادى تقول بالعبرية : مهير . مهير . كاديما(*) !

وأعقب تلك النداءات انفجار هائل شعرت معه أن دارنا قد تزحزحت عن مكانها ، ثم استمر تبادل إطلاق النار حامياً ، وكانت تصدر عن الأسلحة السريعة الطلقات أنغام غريبة تشبه الخبط على الأبواب ، أو النقر على الزجاج ، أو الضرب على طبلة السحر ... ثم تنفجر ألغام الدكتور ماغنس وكأنها قرع طبول تشترك فى هذا العزف الآثم .

وحين بلغت المعركة الليلة أوجها اقترب أحد المعتدين من كوخ منعزل ، تركه صاحبه ليساهم فى الدفاع عن الحى ، ولم يبق فيه سوى زوجة وستة أطفال ... ولما سمعت المرأة حركة عند كوخها ظنت أن زوجها عاد ليتفقد أسرته ، فصرخت قائلة : من بالباب ؟... فأجابها المعتدى : يهوديم ، ثم سألها : أين زوجك ؟

قالت : خرج ، ولا أدرى إلى أين ، وليس فى البيت سواى وأطفالى ....

لعل القارئ يتصور أن المعتدى ابتعد عن الكوخ وسكانه الأبرياء الآمنين ، غير أن الواقع كان على العكس من ذلك ، فإنه وضع لغماً عند باب الكوخ ، وأشعل فتيله ، وأطلق ساقيه للريح ، ملبياً صوت قائده الذى يقول له من بعيد : بوهينا اتسحاق ... مهيرا(1) ! ... وبعد لحظات انفجر اللغم ، وقتلت المرأة مع أربعة من أطفالها ، واستحال الكوخ إلى رماد .

أما الدكتور ماغنس فهو عميد الجامعة العبرية بالقدس ، فى حدود الخامسة والخمسين ، أمريكى الجنسية ، مديد القامة ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، ذاهل النظرات ، وصاحب مائة مشروع ومشروع من أجل التقارب بين العرب واليهود .

واستمرت المعركة حتى السادسة صباحاً ، فتطلعت إلى جهة الجامعة فرأيت أحد المعتدين يقذف النار من مدفع (برن) ، وقد نصبه فى صومعة الدكتور ماغنس ، وتقع هذه الصومعة فوق سطح فرع الإنسانية التابع لكلية الآداب ! ...

وحوالى الساعة السابعة صباحاً هدأت المعركة ، وهرع السكان إلى حيث يقع الكوخ المنسوف ، والأشلاء المبعثرة ، وكان بود المعتدين أن يغتنموا هذه الفترة الملائمة ، ويمطروا الحشد بوابل من الرصاص ، لو لم تتدخل السماء وتسدل ستاراً كثيفاً من الضباب على الجامعة العبرية لمدة نصف ساعة من الزمن .

ثم انقشع الضباب ... وانتشر الضياء ... وعرف العرب أمراً جديداً ، هو أن فى وسع العلم والجريمة أن يعيشا فى الجامعة العبرية تحت سقف واحد ! ...

نجاتي صدقي

(*) النترعة ... السرعة ... وإلى الأمام .

(1) تعالى يا إسحاق على عجل

الحيــاة التناسلية

والتحليل النفسانى

للدكتور فضـــل أبو بكر

مما يؤسف له حقاً أننا قلما نعالج مثل هذه الموضوعات فى بلاد الشرق ، وإذا تعرضنا لها بعض الأحيان نمر عليها مراً سريعاً خاطفاً وبكثير من التحفظ . كذلك نشرح هذه الحياة للشبان والشابات فى سن المراهقة وما قبلها بنفس ذلك التحفظ متحاشين ما استطعنا الخوض فى الحياة التناسلية من حيث التكوين التشريحى والوظائف الفسيولوجية لتلك الأعضاء وما ينتاب تلك الحياة من أمراض جسمانية هى الأمراض التناسلية ، ومسخ نفسانى هو الشذوذ التناسلى وما يترتب على كل هذه الطوارىء من أضرار ، وما عسى أن يتخذ من الحيطة والتدابير لاتقاء شر هذه الأمراض بمختلف أنواعها كما أن هذه التبعة تقع على كاهل الوالدين والمعلمين.

هذا التقصير ناشىء من اعتبارنا — خطأ — أن مثل هذه الحياة سرية ، ومن هنا أطلقنا وما زلنا نطلق على الأمراض التى تنتابها فى معظم الأحيان بالأمراض السرية ، وفى قليل من الأحيان بالأمراض التناسلية ، مع أن التسمية الأولى هى تسمية خاطئة ومضرة فى الوقت نفسه . وما زال بعض الناس يقدسون سرية هذه الأمراض ويرفعونها إلى مستوى « سر المهنة » وينكرونها نكراناً باتاً على الطبيب المداوى نفسه ويضللونه تضليلاً يعقد الأمر ويزيد فى إشكاله من حيث تشخيص المرض . وقد تحاوره وتحتال عليه بشتى الحيل ليبوح لك بالسر الرهيب وتفهمه بأن سر المهنة يقضى عليك بألا تبوح بشىء مما يدلى به المريض فى مثل هذه الأحوال حتى إلى أقرب الناس إليك أو أقربهم إليه ؛ كما أنه فى حالة الإفشاء يمكنه مقاضاتك والاقتصاص منك بواسطة القانون . وقد تلين قناته ويأنس إليك فيقص عليك حقيقة الأمر فى بعض الأحيان كما قد يستمر فى نكرانه وتضليله . غير أنه من حسن الحظ أن مضاعفات المرض نفسه ، وما تتركه من آثار باقية ، والنتائج التحليلية للفحص ، كل ذلك كفيل بفضيحة الأمر وإفشاء السر فى معظم الأحيان .

إن سبب هذا النكران يرجع إلى عدة عوامل منها « الحياء » ، والحياء من الإيمان كما يقول الحديث وهو ركن حصين ودعامة قوية من دعائم الأخلاق بلا شك ؛ غير أنه فى مثل هذه المناسبات يكون الحياء مستعملا فى غير موضعه ، أو استعمل استعمالا خاطئاً للأسباب التى سبق ذكرها . ومنها أيضاً عادة « احترام النفس » وهو شعور طبيعى فى الإنسان ويجب تشجيعه وتنميته فى كل نفس ؛ غير أنه من غير المعقول أن يفقد المريض قيمته أو ينحط قدره فى نظر الطبيب إذا عرف أن مريضه مصاب بمرض تناسلى ؛ حتى ولا فى نظر المجتمع — إذا أنصف المجتمع — لانتشار هذه الأمراض . ومن ضمن هذه الأمراض ما يسمونه « بمرض الأبرياء » وخاصة مرض الزهرى ؛ فقد يصاب به الإنسان أحياناً من طريق غير الطريق التناسلى أو المخالطة الجنسية كما يشاهد ذلك فى أكثر من مرة . كما قد يكون سبب التكتم من ناحية المريض هو عدم ثقته بالطبيب ، واتهام مقدرته على كتمان السر ، وأن فى إذاعة هذا السر منشأ كل عائلية ومضار تسبب للمريض — وهذه أيضاً حجة واهية ووهم لا محل له إلا فى ذهن المريض ؛ إذ أنه ما من طبيب يحترم مهنته ويقدر مسئوليته تسول له نفسه إفشاء مثل هذه الأسرار . ثم أنه من غير المعقول أن يلجأ المريض إلى طبيب لا يثق به ؛ إذ فقدان مثل هذه الثقة قد يكون مصحوباً بالشك فى العلاج نفسه وفى مقدرة الطبيب . ومن هنا ينتج فقد الإيمان والاعتقاد وما يترتب على ذلك من « إيحاء » — هذا الإيحاء هو عنصر نفسانى هام يساعد على الشفاء ويزيد فى مناعة الجسم وحيويته فى نضاله ضد الأمراض . كذلك جهل المريض بما سوف يترتب عليه من عواقب وخيمة وأضرار لنفسه أو لمن يعيشون حوله ؛ كما أن هنالك خصلة مكروهة وعادة ذميمة هى عادة الكذب الذى يلجأ إليه الكثيرون من غير ما حاجة ماسة كما قد أصبح للبعض الزم لهم من الخبز اليومى .

لا نقصد مما سبق ذكره أن المريض بهذه الأمراض التناسلية يحتم عليه إذاعتها فى المجالس والمنتديات أو على صفحات الصحف أو يتخذ منها مادة للسمر والتندر ؛ لا نقصد إلى شىء

من ذلك بل نقول بالعكس من ذلك بضرورة التستر — « وإذا بليتم فاستتروا » كما تقول الحكمة ولكن الذى نريده وننتظره من المريض هو عدم مراوغة طبيبه وتضليله كما نطالبه باتخاذ ما يلزم من الاحتياط حتى يحول دون انتشار العدوى لغيره من الناس .

إن مشكلة الحياة التناسلية ولاسيما تحليلها من الوجهة النفسانية مشكلة عويصة معقدة . وقد شغل هذا الموضوع الحيوى حيزاً كبيراً من تفكير أطباء الأمراض بالحياة العصبية والتناسلية وتأثر كل منهما بالآخر . ومن أهم من عنوا بالتحليل النفســـانى « Psychanalyse » هو العالم النمسوى المعروف « فرويد » « Freud » الذى كان أستاذاً فى جامعة ڤينا والذى يعد أكبر مرجع لهذا النوع من التحليل ، كما أنه امتاز بعمق التفكير والتأويلات البعيدة المنطقية ، وبالشجاعة فى إبداء آراء جريئة . وقد عانى من ذلك كثيراً ورماه البعض بالمغالاة ، كما أن هنالك اعتبارات أخرى من سياسية وعنصرية ، إذ كان من أصل يهودى . كل ذلك سبب له مشاكل ومتاعب ، وشعر بالاضطهاد أخيراً مما أجبره على مغادرة النمسا والإلتجاء إلى انجلترا كما لجأ إليها ابن عم له من قبل هو « كارل ماركس » إذ طرد من ألمانيا لأسباب مشابهة .

تظهر الغريزة الجنسية عند الطفل فى طور مبكر جداً كما يقول العالم المجرى « لندنر » « Lindner » يقول هذا العالم أن عوارض الغريزة الجنسية ترجع إلى عهد الرضاعة ؛ فهو يرى فى الرضاعة عملية حيوية بالنسبة إلى الطفل ؛ إذ تدر عليه اللبن اللازم لقوته ، والذى لا تكون حياة من دونه ، وتهديه إلى البحث عن هذا اللبن غريزة حب النفس وتنازع البقاء . غير أن « لنـدنر » « وفرويد » يقولان إن الطفل يشعر أثناء وقت الرضاعة بشعور خفى ولذة ظاهرة هى إشباع الغريزة التناسلية واللذة التى تنتج من إجابة هذه الغريزة ؛ فتراه بعد أن يأخذ كفايته من اللبن لا يلذ له النوم إلا وهو ممسك بفمه ثدى أمه فى نشوة ظاهرة وشعور بالطمأنينة ؛ حتى إذا نما الطفل قليلا نجده يبحث عن عضو آخر مثل إبهام يده أو غيره من أجزاء الأعضاء ليمصه واجداً فى ذلك لذة كبيرة هى — حسب ما تقدم — لذة جنسية . لذلك أطلق على منطقة الفم والشفتين « بالمنطقة الجنسية » « Zone Erogéne » كما ذهب فرويد إلى أبعد من ذلك بقوله أن هنالك منطقة جنسية ثانية توجد فى الدبر وهو يرى فى عملية التبرز عند الطفل لذة تناسلية كما يقول فرويد إن هـذه اللذة ما زالت آثارها كامنة عند الكبار بقوله أن الشعور الخفى بالراحة والرضى بعد أداء عملية التبرز ولا سيما بعد الإمساك الذى ينتج عنه تصلب فى المواد البرازية . هذا الشعور من المعقول جداً أن يكون سببه خلاص الجسم من مواد غير مرغوب فيها كما أن فى بقائها بالجسم أكثر من اللازم ضرراً بالجسم ؛ غير أن هـذا الشعور لا يأتى فقط من الأسباب المذكورة ؛ ولكنه يكون مصحوباً فى الوقت نفسه بشعور داخلى خفى منشؤه إشباع نوع من الغريزة الجنسية وما يصحب ذلك من لذة وراحة

ذكرنا فى المثالين السالفين بدأ الحياة التناسلية عند الطفل ولكنه بدأ شاذ ، فالحياة التناسـلية تبدأ بالشذوذ ولما يبلغ الطفل الثالثة من عمره ، يبـدأ اهتمامه بتكوينه التناسلى ويسترعى فضوله وجود الأعضاء التناسلية فى جسمه وأن كان يجهل ماهيتها وما خلقت من أجله ؛ غير أن الطفل من غير شك يبدأ بمداعبة أعضائه التناسلية فيحدث عنده لذة جنسية . ويعتبر هذا مثل ثالث آخر للشذوذ التناسـلى « Perversion Sexuelle » نسميه شذوذاً تناسلياً لأن الحياة التناسلية الطبيعية السليمة الطبيعية هى البحث عن مثل هذه الملاذ الجنسية عند جنس مضاد — ذكر وأنثى — بالاختلاط الجنسى . وقد يكثر الطفل من مداعبة تلك الأعضاء بعد أن يشعر بنوع من اللذة فيستدعى ذلك اهتمام والديه فيمنعونه عن عمله الشاذ بشتى الطرق من ترهيب وترغيب ؛ غير أن المنع لا يميت فى نفسه ذلك الشعور وربما زيده ويزكيه فيشعر بشىء من الغبن ويسبب له هذا المنع مركباً نفسياً ضمن المركبات النفسية الكثيرة وهو ما يسميه فرويد « بمركبات الخصيان » « Complexe de Castraction » وهو الشـعور بالغبن لدى الخصيان الذين حرموا ملاذ الحياة التناسلية .

هذا ويؤكد فرويد أن أول ما يبدأ الطفل حياته التناسلية العادية إنما يبدأها بالشعور الجنسى نحو أمه . وهذا الشعور شاذ فيما يتعلق بالعرف والمجتمع ولكنه طبيعى فيما يتعلق بالغرائز الجنسية

بكونه شعوراً نحو جنس مضاد لجنسه كما توجد مثل هذه الغريزة فى الطفلة بالنسبة لأبيها ، وهو شعور أشبه بالجذب والتنافر بين الأقطاب فى عالم الكهرباء والمغناطيس .

لا يمكن لأحد أن ينكر الشعور الطبيعى للأطفال نحو والديهما وما فيه من حب طاهر برىء ؛ ولكن براءة هذا الحب لا تنافى وجود الغرائز وسلطانها . وقد نسمع بعض الأحيان أن الطفلة تريد الزواج من أبيها ، والطفل يرغب أمه ؛ كل ذلك فى سن مبكرة بين الثالثة والرابعة مثلا ، فيثير ذلك تسلية للوالدين وعطفاً على الأطفال لهذه السذاجة البريئة . وقد وصف هذه الظاهرة فرويد وسماها « مركب أوديب » « Oedipe Complexe » وأديب هذا كما تقول الأسطورة الإغريقية كان ملكا ظالماً جباراً ؛ وقد أنبىء بأنه سوف يقتل أباه ويتزوج أمه وذلك من حيث لا يعلم . ولما كان قد فارق أبويه فى سن مبكرة وانقطعت كل الصلات بينه وبينهم فإنهما لا يدريان عن أمره شيئاً . وفى ذات مرة أمر بقتل رجل كعادته فى قتل الرجال ، كما أخبره ذات مرة أحد أفراد حاشيته بوجود امرأة جميلة فى مكان ما ؛ فأمر فى الحال بإحضارها وتزوج منها . ولم يمض إلا وقت قصير حتى تبين له بأن المقتول لم يكن غير والده وأن الزوجة لم تكن غير أمه . وهكذا حلت به الكارثة وصدقت النبوءة فحزن أوديب حزناً شديداً وعاقب نفسه على ذلك بأن فقأ عينيه الإثنتين . وقد اتخذ الأدباء والشعراء من مأساة أوديب مادة خصبة دسمة مثل « سوفوكليز » و « إيورد بديز » وغيرهما من شعراء الأعريق .

أما الحياة التناسلية السليمة « والمنتجة » فهى تبدأ بعد البلوغ إذ يكتمل تكوين هذه الأعضاء تشريحياً وتتهيأ لأداء رسالتها فسيولوجيا بالتلقيح الذى ينتج النسل .

وقد يطرأ انحراف الحياة التناسلية فيطبعها بطابع المسخ والشذوذ وهذا المسخ قد يكون مخففاً أو كامناً حتى لدى من يتمتعون بحياة تناسلية طبيعية . وقد تستحكم حلقات هذا الشذوذ ويظهر جلياً عند ضعفاء العقول والمصابين بالإنحلال الذهنى تساعد على ذلك الوراثة المثقلة مما يجنيه الآباء على الأبناء ، كما أن هذا الشذوذ قد يؤدى إلى أمراض عقلية واختلال فى التوازن الذهنى الذى بدوره يساعد على تكون هذا الشذوذ ؛ وهكذا كل منهما يساعد على حدوث الآخر فى شبه « دائرة خبيثة » .

غير أن هذا الشذوذ — من سوء الحظ — ليس محصوراً فى ضعاف العقول ولكن قد يصاب به بعض المفكرين والشعراء وغيرهم ممن يتمتعون بحياة اجتماعية كبيرة عالية ؛ ولكنك إذا درست حياة أولئك الكبراء والمفكرين ورواقبها عن كثب وجدت أن ذلك الشذوذ قد يعدو تلك الناحية التناسلية ويسرى إلى حياتهم الخاصة والعامة . وقد تصدر منهم أحياناً بعض التصرفات الشاذة بل الجنونية ولست أجد أصدق من المثل القائل « الجنون فنون » وهى فعلا فنون متنوعة الأشكال والألوان .

والشذوذ التناسلى على أنواع كثيرة منها يسمى « Homo-sexualitè » ، ويشمل الذكور والأناث أى العلاقة الجنسية بين فردين من نوع واحد — أى بين رجل ورجل وامرأة وامرأة ومنها ما نسميه بالعادة السرية (جلد عميرة) « Masturbation »

ولنكتفى الآن بهذا القدر خوفاً من الملل ورفقاً « بحياء » بعض القراء وإن كان لا حياء فى العلم كما لا حياء فى الدين .

(باريس) فضل أبو بكر

من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة: (*)

١ ـ الوطنية الجديدة

للأستاذ محمد محمد على

في عام ١٩٠٩ لفت اثنان من حكام المستعمرات الأوربية أحدهما إنجليزي في الهند البريطانية ، والآخر روسي في التركستان ، لفتا النظر إلى التغير الذي بدأ يحدث في اليقظة الاجتماعية والثقافية لسكان المستعمرات . فقال اللورد رونالد شاي : (١) « هناك مشكلات آخذة في الظهور ، لها أثر بعيد بالنسبة للعالم عامة ، ولبريطانيا خاصة ، تحفز على التفكير والدراسة ، أعضاء جمعيتنا ، وإنى أشير إلى تلك المشكلات الممثلة في الرغبة الزائدة لتأكيد الذات ، التي تثير أعصاب الشرقيين . وفي الواقع أن احتكاك الفكر الغربي بأفكار الشرقيين ، قد أحدث تأثيراً كبيراً في جميع سكان الشرق .

وفي نفس العام ، كتب الحاكم الروسي العام للتركستان : (٢) « إن الحروب قد حركت العالم الإسلامي في الفترة الحالية ، فقد ظهرت أولاً فكرة الجامعة الإسلامية ثم المطامع الوطنية المتزايدة والأفكار الثورية ، كل هذا قد حرك الجماهير الإسلامية ، وأيقظ في أوساطهم فكرة الوحدة الوطنية ، والأفكار الاشتراكية »

ومنذ عشرين سنة كافحت الهند من أجل الاستقلال ، الذي لفت أنظار بريطانيا والعالم . وفي التركستان ، حلت الجمهوريات الوطنية الاشتراكية محل الولايات الروسية التي كانت تحت سيطرة الحاكم العام . وقد عُرف تفوق أوربا في ميدان العلوم الهندسية والتنظيم الفني . وبدأ الناس يعرفون بالتدريج أن أوربا يمكن أن تقهر بأسلحتها ، فساروا على نهج حركات التحرير الوطنية التي قامت في أوربا في القرن التاسع عشر . ولما تنبهت في شرق أوربا — أمم لا تاريخ لها — للشعور بذاتها ، في القرن التاسع عشر ، وحاولت أن تلعب دوراً إيجابياً في التاريخ ؛ استيقظ الشرقيون من ظلمات عهود الإقطاع الوسطى ، وهبوا إلى غرض واحد في شعار الوطنية ورأسمالية الطبقة الوسطى .

إذن ، فالشرق قد وصل إلى عصر فيه الوطنية أعلى وأسمى الأوضاع الاجتماعية ، وتفرض طابعها على العصر .

ومنذ سنوات ، كان الدين هو العامل الفعال في الشرق .

وليست الوطنية ديناً خارجاً oustine ، ولكنها تشق طريقها بجانبه ، وغالباً ما تعدل فيه بالتغيير والإصلاح .

إن الوطنية اليوم في تلاؤم مع النظم الاجتماعية الجديدة . وقد ظهر هذا في أوربا بوضوح : عند ما كانت هناك حاجة إلى القضاء على الإقطاع ، والوطنية المحلية القائمة على أساس الزراعة والأسواق الصغيرة والمدن والوصول إلى الوحدة الكبرى في ظل النظام الرأسمالي .

لقد كانت الوطنية هي الشكل الذي وافق حاجات الرأسمالية الناشئة والطبقة الوسطى الفنية ، ولا تزال الوطنية في الشرق تواجه حاجات اجتماعية واقتصادية ، سواء نظرنا إلى الموقف من وجهة نظر أوربا اليوم ، أو الشرق في الماضي القريب . فنظم الصناعة الرأسمالية تشق طريقها إلى الشرق ، ويسير اقتصاد النقد والتصنيع : imdustvialisatiou إلى جانب الزراعة والمبادلة . وهنالك طبقة وسطى فنية آخذة في الظهور ، والشعور برسالتها ، ومتأهبة للكفاح ضد نبلاء الإقطاع .

وفي الأقطار التي تجرى فيها هذه العمليات ، نرى أن الحركات الوطنية قد قضت على الانقسامات الدينية بين السكان ، كما في مصر وسورية . وإن السياسي المنقطع النظير — ابن السعود بعيد عن روح التطور في رسالته السياسية ، ويعقد الشباب العربي في سوريا وفلسطين — حتى المسيحيون — آمالهم على بدوى الصحراء المسلم ابن السعود . وعندما أعلن الأتراك الرابطة الوطنية

(*) فصل من كتاب : هانز كوهن : الوطنية والاستعمار في الشرق الأدنى : (الطبعة الإنجليزية) لندن ١٩٣٢

(١) في خطابه السنوي إلى جمعية آسيا الوسطى بلندن في يونية ١٩٠٩

(٢) اقتبست كلماته من : M. Nemchenko Nationalnoye Razmezevaniye Saednei Ozii Moscow 1925.

وهناك تفاصيل عن التغير الاجتماعي والثقافي في الشرق ، في كتابي « تاريخ الحركة الوطنية في الشرق » ، وكذا في : Orient and Okzidert .

فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ — عن الولايات العربية فى الأمبراطورية العثمانية ، ومدن الإسلام المقدسة ، الذى كان امتلاكها فى غاية الأهمية لدولة الخلافة الإسلامية ؛ أرسل وفد الخـلافة الهندى برئاسة محمد على . إلى نائب الملك فى الهند فى ١٩ يناير سنة ١٩٢٠ وإلى لويد جورج فى ١٩ مارس ، يقول إن الخليفة يجب أن يمتد نفوذه إلى المدن المقدسة الثلاث : مكة والمدينة والقدس ، وإلا فإن معاهدة السلام لن يقبلها أى مسلم مؤمن .

وقد نقل (خودابكش) كلمات ولسون كاس الأمريكي :

« إن شباب الإسلام اليوم مفـكر بأسلوب سياسى أكثر منه دينياً ، وهو متحمس جداً لنفع أمته أكثر من تحمسه لانتشار الإسلام . وإن عظمة الإسلام ليست مسألة خلافة أو شريعة ، بل هى مسألة وحدة سياسية تقف في وجه الغرب »(١) .

٢ – الشباب الحديث

بعد الحرب العظمى (الأولى) مباشرة — عند ما سادت بين الشرقيين تجربة الوحدة الوطنية ، ظهر أن الاختلافات الدينية قد اختفت . فالمسلمون والأقباط فى مصر ، والمسلمون والمسيحيون فى فلسطين وسوريا ، والشيعة والسنيون فى العراق ، والمسلمون والهندوس فى الهند ؛ كل أولئك حاربوا جنباً إلى جنب من أجل الثورة على أحوالهم السياسية . ولا تزال اليقظة القومية لها وجود اليوم وإنها لعامل فى تاريخ هذه الأقطار — التى ما كانت توجد بغيرها. وسوف لا تلعب الاختلافات الدينية دوراً فى السياسة فى محيط الحضارة العربية المصرية ؛ وهذا بالرغم من السياسة الاستعمارية الرجعية وتصميمها للنمو السياسى واليقظة القومية ، وذلك بادخال أقليات دينية وعنصرية .

إن الشباب المسلم يعمل على ربط نفسه بالتقاليد ، فيفصل ما هو ذو قيمـة عما لم يعد يتلاءم والوقت الحـاضر ، وليخلق إسلاماً مجدداً يقبل محاسن الغرب ويغالب الحضارات الأوربية ، هؤلاء الشباب ينـكرون إرساليات التبشير ، ويرون أنفسهم ، وقد واجهتهم مشكلات — كان يجهلها آباؤهم ، ويقابلهم تغير سريع فى أحوال الشرق الفـكرية والاجتماعية . لقـد دخلت فى نفوسهم قوى جديدة وخلقت لأول مرة : حركة شبان مسلمين

ومنذ قرون لم يكن فى الشرق حزازات ولا اختلافات بين الآباء والأبناء . أما الآن فقد حدث تغير فى علاقات الأفراد وصلتهم بالحياة والأسرة والطبيعة .

وقد أسر الشباب فى الشرق : حب الرياضة والتجول ، كما دخلت إلى حياتهم العاطفية مشكلات الحب والزواج . ثم إن تعليم البنات يغير العلاقة بين الجنسين . وزيادة على ذلك يأمل الشباب — ولما يملـكوا القوة بعد — أن يتخلصوا من المـاضى ومما وارث من العادات فى السياسة الشرقية ، مثل الأساليب الرجعية ، والحاجة إلى العزيمة الماضية ، وانخفاض مستوى المسئولية الاجتماعية ، وعدم القدرة على التضحية بالمصالح الشخصية فى سبيل الصالح العام والمحسوبية ! . وكانت جمعيات الشبان المسلمين مجمع هذه الآمال ، إذ حاولت إنشاء مراكز ثقافية واجتماعية لشباب الإسـلام . وفى إبريل ١٩٢٨ — انعـقد في يافا مؤتمر لجمعيات الشـباب المسلمين مع مائة وعشرين مندوباً عن فلسطين . وقد أجمع المؤتمر على إصدار إعلان عن تأسيس مدارس إسلامية وطنية ودعوة الحـكومة إلى فتح مدارس جديدة ، وتعـديل برامج الدراسة فى المدارس الأجنبية بروح وطنية . كما وُضع للاجتماع شارة ونشـيد وعلم . ومما يلفت النظر الاحتفال بيوم الجمعـة وتخصيصه للعطلة الأسبوعية ، وتنظيم دراسات مسائية للعمال ، وتشجيع المسرح العربى ، وإنشاء جمعيات إسلامية للشابات ، غرضها رعاية الطفل والعلاج المجانى للمرضى الفقراء .

هذه القرارات الحازمة لم تُعرف فى الإسلام ، ولا من عهد قريب . وليس من شـك فى أن هناك تأثيراً بأوربا ، ولـكن الشباب يجاهد لاستنبات هذه الأفـكار فى تربة إسلام مجدَّد .

وليس من يشك أيضاً فى أن الجيل الناشىء من المسلمين والمسيحيين أكثر نضوجاً سياسياً من الجيل الماضى ، وذلك بفضل تعاليم المدرسة الجديدة والجامعة الأوربية . ولم يقتصر عمل الشباب على وضع المطـالب القومية فى المقدمة فحسب ، بل إنهم تيقـظوا للمشكلات الاجتماعية وضرورة إيجاد حلول جديدة .

(يتبع) **محمد محمد على**

(١) The Expansion of Islam, 1928, P. 257 ·

من شواهد النبوة :

المتنبئـــون

للأستـــاذ على العمارى

لم يعد خافياً على من كان له قلب أن الشواهد على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أسطع من فلق الصبح ، ولكن لا بأس أن نسوق هنا شاهداً جديداً مر عليه أكثر الناس مؤرخين ، وقد سخروا منه حينا ، واستطابوا السمر به فى أحيان كثيرة ، ولكن ما أظن أحداً منهم — على مبلغ علمى — فطن إلى المعنى الأصيل ، أو كشف عن السر الإلهى الذى كن فى دعوى المتنبئين . ولا شك عندى أن التنبؤ كان من الدلائل الواضحة على صدق النبوة ، وهل أدل على وجود الشمس من تضاؤل أشعة المصابيح أمامها ؟ وما كان هؤلاء المتنبئون إلا كالأعلام المنصوبة على رأس الطريق تدعو الناس إليه ، وتزعم أنها ترشدهم إلى المنهج القويم ، فمن الناس من سلك ولكنهم لم يبعدوا حتى وجدوا الصخور والأشواك ، ومالا قبل لهم به من حشرات الأرض وأفاعيها . وحينئذ استيقظت أحاسيسهم ، وأدركوا خطأهم ورجعوا إلى الأعلام فحطموها ، ولكن بقيت منها أشلاء تنادى كل سالك بأن الطريق ليست من هنا ولكنها من هناك ... هناك الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ولا أمت ، ولا أشواك ولا حشرات . ولقد ظهر المتنبئون فى الجزيرة العربية ظهور السراب الخادع ، فكان من العرب من وثق ببرهان عينيه ، وأيقن أنه السراب ، وإنما يخيل له ، وأن طريق الماء ليست إليه . ومنهم من انخدع — عن جهل أو عن علم — فسار ، ولكن بعد أن حفيت قدماه ، ونهكت أعصابه ، ما وجد إلا سرابا يقول له واضحاً صريحاً : إنى لست ماء فالتمس الرى عند غيرى . وكان هذا السراب — لمن سار ولمن لم يسر — شاهداً لا سبيل إلى الشك فيه على أن الماء فى غيره .. هكذا كان شأن المتنبئين ..

ومن عجيب هذا الأمر فى العرب أنه لم يدعه منهم من كان بطن أن يدعوه ، فقد كانت طبيعة الأشياء تقضى بأن يتنبأ رجل كأمية بن أبى الصلت ، فإنه هيأ نفسه لتلقى الوحى ، فدان بالحنيفية ملة إبرهيم ، وقرأ الكتب المقدسه وكره عبادة الأوثان ، وأخذ نفسه بالفضائل فحرم الخمر والزنا والميسر ، وخالط الأحبار والرهبان ، وتزيا بزيهم ، وأظهر التأله ، وما هى إلا غمضة عين وانتباهتها حتى يجيئه — زعم — الوحى ، فلما ظهرت النبوة فى قريش ، ونزل الوحى على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، امتلأت نفسه حقداً وحسداً ، وصد عن السبيل ، وبالغ فى العداء للمسلمين ، وقاتلهم مع مشركى مكة ، وجعل يرثى من قتل من كفار قريش فى بدر ، فكان طبيعياً — وقد حرم النبوة — أن يدعيها ، فمنده آلانها — على زعمه — ولكنه لم يفعل ، أو يتنبأ رجل كعامر ابن الطفيل فقد كان سيد قومه ، وآلى على نفسه ألا ينتهى حتى تتبع العرب عقبه ، فما كان له — كما حدث عن نفسه — أن يتبع عقب هذا الفتى من قريش . وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يضمر الغدر به ، وعرض معه أن يجعل الأمر له سنة ، ولنفسه سنة ، أو يجعل له الوبر ولنفسه المدر ، ولكن الرسول أبى ، فقال عامر : والله لأملأنها عليك خيلا جرداً ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا ، ولكنه — مع ما كان يحرص عليه من ملك العرب — لم يدع النبوة ، وإنما ادعاها قوم لم يكونوا على مقربة منها ، ادعاها مسيلمة بن حبيب ، وبعض كتب السيرة تحدثنا بأنه لما وفد مع قومه على رسول الله جعلوه فى رحالهم ليقوم بشئونها . وادعاها طليحة بن خويلد الأسدى ، وادعاها الأسود العنسى ، وادعاها لقيط بن مالك الأزدى فى عمان . ولم يحدثنا التاريخ عن واحد من هؤلاء قبل ادعائه النبوة بما يمكن أن يكون مؤهلا فيه لها ، عدا ما ذكروا من كهانة طليحة . ثم ادعتها امرأة ، ادعتها سجاح بنت الحارث التميمية ، فصح قول الشاعر :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

ولم يخف هذا الأمر على أتباعها ، فقال أحدهم يسخر منها بعد أن تزوجت مسيلمة

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

والذى نستطيع أن نقوله فى كل هؤلاء (ليس بمتنبىء صادق ، ولا بكذاب حاذق) فإن أحداً منهم لم يستطع أن يتقن دوره الذى قام به ، وأن يخدع الناس عن دعوته . نعم كان منهم الكهان الذين مرنوا على استهواء العامة ، وكان منهم من تعلم

الحيل ليجوه بها على قومه ؛ فقد قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار : قال الجاحظ : كان مسيلمة قبل إدعاء النبوة يدور فى الأسواق التى بين دور العرب والعجم يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات واحتيالات أصحاب الرق والنجوم . اهـ . ثم جاء العصر العباسى فكان المتنبئون جماعة من الحمق ، ولم يكن لهم تأثير لا فى العامة ولا فى الخاصة ، وإنما هو الجنون ، فان لم يكن فالحمق لا ريب فيه .

فكيف — إذن — استطاع هؤلاء المتنبئون أن يسخروا أقوامهم فى حروب دامية مع جيوش المسلمين ؟ وكيف استطاع مسيلمة — مثلا — أن يحشد أربعين ألفاً يقاتلون قتالا لا هوادة فيه ولا رفق ، حتى يقول فيهم بطل المسلمين خالد بن الوليد : شهدت عشرين زحفا فلم أرقوما أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداماً من بنى حنيفة يوم اليمامة . وحتى يقول فيهم رافع بن خديج : خرجنا ونحن أربعة آلاف ، فانتهينا إلى اليمامة فننتهى إلى قوم هم الذين قال الله فيهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) . ولماذا صبر هؤلاء حتى دوخوا المسلمين ، وقتلوا منهم ألفاً وثمانمائة ، وضحوا من رجالهم بعشرين ألفاً ؟ ليس السر قطعاً تصديقهم بنبوة صاحبهم ، فما كانوا يحاربون فى سبيل الدين ، وقد كانوا — أو على الأقل كثير منهم — على يقين من كذب هذا الادعاء . على أن هذا لم يكن شأن مسيلمة وقومه وحدهم ، وإن كان أكثر المتنبئين أتباعا — ولذلك سبب نحن ذاكروه متى انتهى بنا الكلام إليه — فقد كان وراء طليحة الأسدى نحو السبعمائة رجل ! وقبل أن نجيب على هذه الأسئلة يجب أن نذكر أن حركة التنبؤ تأخرت كثيراً ، ولم تظهر إلا فى أخريات حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما ظهر بعد وفاته .

وقد طال نظرى فى هذا الأمر ، ثم وجدت فى مقدمة ابن خلدون ما يصح تعليلا ، قال بعد أن تحدث عن النبوة والكهانة ، وانقطاع الكهانة فى عهد النبوة « فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدى النبوة فقط ، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه ، وهذا هو الظاهر، لأن هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس ، لأن النبوة هى النور الأعظم الذى يخفى معه كل نور ويذهب » وهذا ولا شك تعليل نفسى جيل ، فإن النبوة بقوة سطوعها فى النفس تخمد فيها كل حركة توحى بها الشياطين ، وتشمر النفوس معها بأنها مضروب عليها من كل نواحيها ، فلا تفكر فى باطل — من هذا النوع — ولا تأتيه ، ولكن هذا التعليل — مع ذلك — ليس كل الحق فى موضوعنا ، فأنى لأرى أن تأخر ظهور المتنبئين كان مرجعه إلى أن العرب تركوا قريشاً تنازل النبى ، وتصطدم به ، وكانوا هم على هامش المعركة ، فلما كان عام الفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ورأى الأعراب أن الدعوة المحمدية قد مكن لها بدأوا يفكرون فى طريق يماتدون بها هذه النبوة التى ظهرت ، وكانت هناك أسباب أدت إلى ظهور حركة التنبؤ فى أواخر أيامه صلى الله عليه وسلم .

ثم نعود إلى الإجابة على ما قدمنا من أسئلة فنقول : إن ثلاثة أمور عظيمة هى التى دفعت بهذه المشائر إلى أتون الحرب ، ليس منها يقينهم بنبوات أصحابهم ، أولها ما جاء به أولئك المتنبئون من وضع كثير من أوامر الدين عن أقوامهم ، فقد رووا أن مسيلمة وضع عن قومه الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا . وفى القصة الموضوعة التى تصور لنا ما حدث بينه وبين سجاح التميمية أنه أصدقها بأن وضع عن قومها صلاتين مما جاء به محمد . والرواة يحدثوننا أن بنى تميم لا يصلون صلاة الفجر ولا صلاة العشاء الآخرة لأنهما مهر فتاتهم . ويروى عن طليحة أنه كان يقول لقومه : إن الله ما يصنع بتعفير وجوهكم ، وتقبيح أدباركم شيئا ، اذكروا الله ، واعبدوه قياما . على أن أهم ما فى هذا الأمر أن المتنبئين أعفوا أتباعهم من الزكاة ، وهى السبب الأصيل الذى أدى إلى ارتداد العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . وثانيها تلك العصبية الجامحة التى كانت لا تزال تحتل نفوس العرب ، والتى تصورها لنا كلماتهم ؛ فقد رووا أن طلحة النمرى جاء اليمامة فقال : أين مسيلمة ؟ قالوا : مع رسول الله . فقال : لا ، حتى أراه ، فلما جاءه قال : أنت مسيلمة ؟ قال نعم . قال : من يأتيك ؟ قال : رحمن . قال فى نور أو فى ظلمة ؟ قال فى ظلمة ، قال طلحة : أشهد أنك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر . ثم بقى مع مسيلمة حتى قتل فى موقعة عقرباء (كما فى ابن الأثير) ، كما روى أن عيينة بن حصن لما أتى طليحة ، وكان بين غطفان وأسد حلف فى الجاهلية قام وقال : إنى لمجدد الحلف الذى كان بيننا فى القديم ومتابع طليحة ، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من

الشيوعية في الإسلام

بين رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغاني

كتب أحد الكتاب بحثاً تناول فيه رأى العالم الصحابي أبي ذر الغفارى في توزيع المال في الإسلام ، وانتهى منه إلى القول بوجود الشيوعية في الإسلام ، فأحالت وزارة الداخلية هذا البحث إلى لجنة الفتوى بالأزهر لإبداء الرأى فيه ، فأصدرت اللجنة فتوى بهذا الصدد قالت فيها :

« إن من مبادىء الدين الإسلامى احترام الملكية ، وإن لكل امرىء أن يتخذ من الوسائل والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته ما يحبه ويستطيعه ، ويتملك بهذه السبل ما يشاء . وقد ذهب جمهور الصحابة وغيرهم من الفقهاء المجتهدين إلى أنه لا يجب في مال الأغنياء إلا ما أوجبه الله من الزكاة والخراج والنفقات الواجبة بسبب الزوجية أو القرابة وما يكون لعوارض مؤقتة وأسباب خاصة كاغاثة ملهوف وإطعام جائع مضطر ، وكالكفارات وما يتخذ من العدة للدفاع عن الأوطان وحفظ النظام إذا كان ما في بيت مال المسلمين لا يكفى لهذا ولسائر المصالح العامة المشروعة كما هو مفصل في كتب التفسير وشروح السنة وكتب الفقه الإسلامى » .

وبعد أن أشارت اللجنة في فتواها إلى ما يكون من تطوع القادرين بالإنفاق في وجوه البر عرضت لمذهب أبي ذر فقالت :

« وذهب أبو ذر الغفارى رضى الله عنه إلى أنه يجب على كل شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من مال مجموع عنده في سبيل الله ، أى في سبيل البر والخير ، وأنه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله . هذا هو مذهب أبي ذر ، ولا يعلم أن أحداً من الصحابة وافقه عليه ، وقد تكفل كثير من علماء المسلمين برد مذهبه ، وتصويب ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين بما لا مجال للشك معه في أن أبا ذر رضى الله عنه مخطىء في هذا الرأى . والحق أن هذا مذهب غريب من صحابي جليل كأبي ذر ، وذلك لبعده عن مبادىء الإسلام وعما هو الحق الظاهر الواضح ، ولذلك استنكره الناس في زمنه ، واستغربوه منه ... ولما كان مذهبه داعياً إلى الإخلال بالنظام والفتنة بين الناس طلب معاوية والى الشام من الخليفة عثمان رضى الله عنه أن يستدعيه إلى المدينة — وكان أبو ذر وقتئذ بالشام — فاستدعاه الخليفة ، فأخذ أبو ذر يقرر مذهبه ، ويفتى به ويذيعه بين الناس ، فطلب منه عثمان أن يقيم بجهة بعيدة عن الناس ، فأقام بالربذة بين مكة والمدينة ..وبها مات رضى الله عنه في خلافة عثمان ..

ويبدو لى أن اللجنة لم تفرق في فتواها بين الشيوعية والاشتراكية ، مع أن بينهما فرقا كبيرا ، وعلى هذا فقد خطأت أبا ذر في رأيه ، وما كان أبو ذر شيوعياً ، ولا يرى هذا الرأى ، ولكنه لا شك كان اشتراكيا ، يدعو إلى رد مال المسلمين على المسلمين . وقبل أن أناقش حكم اللجنة هذا أورد فتوى في هذا الشأن للمغفور له السيد جمال الدين الأفغاني وهى تخالف فتوى اللجنة تمام المخالفة ، فقد سأله أحد الباحثين عن مذهب الاشتراكية « سوسيالست » الذى ينادى به الغربيون ويرون فيه علاجاً حاسماً للحالة الاجتماعية القائمة في بلادهم ، وهل هذا المذهب مما يقره الإسلام ويرتضيه فقال السيد رضوان الله :

« الاشتراكية الغربية ما أحدثها وأوجدها إلا حاسة الانتقام من جور الحكام والأحكام وعوامل الحسد في العمال من أرباب

قريش . على أن عيينة هذا ، لم يدخل الإيمان قلبه — ولعل كل الذين ناصروا المتنبئين من سادات العرب كانوا كذلك — فقد روى أن عيينة لما أسر وطيف به المدينة وهو مكتوف جمل الصبيان يقولون : يا عدو الله ! كفرت بعد إيمانك ؟ فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين . وهذه العصبية تفسر لنا تفسيراً واضحاً موقف كل متنبىء من عشيرته ، فإن كانت العصبية قوية كثر أتباعه ، وإن كانت ضعيفة قل هؤلاء الأتباع . ومن المشهور في التاريخ أن ربيعة كانت شديدة الحسد للمضريين لما ظهر النبى منهم ، حتى قال المأمون (لم تزل ربيعة غضاباً على الله منذ أرسل نبيه من مضر) وهذا يفسر لنا كثرة أتباع مسيلمة ، وشدة صبرهم على قتال المسلمين .

(للحديث بقية)

علي العماري
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

الثراء الذين استعملوا ثروتهم فى السفه والسرف ، وبذلوها فى التبذير والترف ، على مرأى من منتجها ، والعامل فى استخراجها من بطون الأرض .. »

« أما الاشتراكية فى الإسلام ، فهى ملتحمة مع الدين الإسلامى ملتصقة فى خلق أهله . . وهذا خير كافل لجعلها نافعة مفيدة ، ممكن الأخذ بها ، لأن الكتاب الدينى وهو القرآن الكريم أشار إليها بأدلة كثيرة منها : إن المسلم أول ما يقرأ من فاتحة الكتاب : الحمد لله رب العالمين ، فيعلم أن للخلق رباً واحداً ، وهو مع سائر الخلق من المربوبين على السواء . ويرى ويعلم أن القرآن أتى على ذكر أرباب القوة ورجال الحرب والغزاة ومن يتولى إمرتهم وحياتهم ، فخاطبهم آمراً ومعلماً ومدافعاً ومبيناً حقوق المستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك مع من ذكر ليكون لهم من ذلك الجهاد وتلك المساعى نصيب إذ قال « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فلله خمسه وللرسول ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » ، فهذه آية باهرة ، أوجبت على من يسمى مجاهداً ومخاطراً بحياته أن يكون مشتركا معه فى نتيجة غزواته وغنائمه من لم يكن مشتركا فعلا .. وهم لا شك من المستضعفين الذين إنما قعدوا عن الاشتراك فى الجهاد والسعى وراء الغنائم لعلل تختلف أشكالها وأنواعها ، ولكن الله لم يجز حرمانهم ، بل جعل لهم نصيباً من مساعى أولئك الأشداء الأقوياء المجاهدين الخائضين غمرات الموت . »

« كل ذلك تراه مبنياً على حكمة الاشتراك ، ولبث حكم هذه الآية جارياً ، وكان الرضاء به شاملا لمجموع المسلمين ، من مجاهد أو قاعد عن الجهاد لعلة ، فبدأ بالدرجة الأولى بعد الله ورسوله بذوى القربى من المجاهدين على درجاتهم ، ثم عطف على من دونهم فى المرتبة الثانية ممن ليس لهم فى المجاهدين أقرباء فقال : واليتامى ، ثم وسع نطاق الاشتراكية فقال : والمساكين ، ثم رأى أن يأخذ نطاقاً أوسع فقال : وابن السبيل ، أى عابره . فتم بذلك الشكل نوع من الاشتراكية لم يكن أوسع منه شكلا ، ولا أنفع .. »

ثم جاء بموضع آخر من الكتاب مقرعاً لمن يكنزون الذهب والفضة ، ثم حبذ وأثنى على الذين يؤثرون على أنفسهم بالعطاء والإسعاف والإطعام ولو كان بهم خصاصة .

« وهكذا ترى قانون الاشتراكية المعقول فى آيات القرآن تترى ، فلننظر هل عمل بهذا القانون ؟ وما كانت نتائج العمل به ؟ »

« ثم ، إن الأخاء الذى عقده المصطفى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار لهو أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراكية قولا وعملا . فالمهاجر من المسلمين إنما استطاع أن يفر بدينه راضياً بهجر بلده ، وترك مسقط رأسه ، ومفارقاً أهله وذويه ، والخروج من ماله ومقتناه ، مسروراً أن يصل إلى دار الهجرة سالماً — والأنصارى ، وهو فى بلده مع أهله وذويه وماله ، قبل راضياً مسروراً أن يشارك أخاه المهاجر بكل معنى الاشتراك . حتى لو تطلع الإنسان منا اليوم ، وأشرف على تلك الأرواح الطاهرة لرأى من مجال الاشتراك روحاً وجسداً ، ما ينبهر له عقله ، ولصح اعتقاده أن عمل الدين وتأثيره فى تلطيف الكثافة الجثمانية لا يضارعه مؤثر أو عامل آخر على البشرية ، ولرجعوا لو كانوا يعقلون ... »

« وبعد النبى صلوات الله عليه كان صاحب أكبر منصب وهو الخليفة لرسول الله يسير بسيرة نبيه من الاكتفاء بالقليل من العيش والكفاف منه ، ومجالسة الفقراء ومشاركتهم بكل معنى الاشتراك فى مظاهر الحياة الدنيا ونعيمها . فأهل الإسلام مع تمخض سلطان الحرية فيهم لم يروا فى سيرتى الصديق والفاروق رضوان الله عليهما ما يدعوهم إلى أقل تذمر أو تململ ، أو تفكير بمناهضة لسلطانهما ، أو تألب على أشكال حكمهما وإمرتهما ، أو إحداث شغب يعرقل مساعيهما فى الفتوحات ، بل كانوا يبذلون النفس والنفيس فى طاعة الخلفاء وتأييداً لشوكة الإسلام وتعميماً لعدل الشريعة السمحة ... »

وبعد أن أورد السيد الأفغانى جملة من الشواهد الدالة على اشتراكية الخليفتين الأولين ، وما تجلى من ذلك فى سياستهما وتصرفاتهما ، عرض لمذهب أبى ذر فشرحه فى إفاضه وأشاد به ، وسنعرض لذلك فى المقال التالى

« الجاحظ »

من ديوان « هناء » :

قلب شاعر

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

« ليت ملهمتى الخالدة « هناء » تصغى لهـذا القلب الذى يشدو والسكين تقطر دماً »

لى مضغة بين جنبى لا قرار لها — كأنها الجـــنة ما بين أهوائى
هى الفؤاد الذى لولا نوازعه — لـكنت أرفل فى أبراد نعماء
لا يســـتقر على حال مرزأة — كالشلو تنتابه أنياب رقطاء
يمسى ويصبح خفاقاً نقلبه — على بساط المـآسى أعمل الداء
تجمع الأمل الزاهى بساحته — كما حوى الحب ممزوجاً ببغضاء
فهو الذى حمـل الآلام قاتلة — حتى غدا عاجزاً عن حمل سراء
وهو العليل وقد خابت مطالبه — بالطب .. يأمل تحنان الاطباء
وهو المحب وقـد ظلت رغائبه — بالحب .. يأمل إحسان الأحباء
يا للجريح لقد حار الأساة به — وارحمتاه لميت بين أحياء

عجبت للشاعر الموهوب ترهقه — حياته ويوافيهـــا بأطراء
ما باله وهو فى فجر الشباب يرى — بالرغم من زهوه فى زى بكاء
مدله ، ذاهل ، أسوان متشح — بالهم يدأب فى بيداء ضراء
لا تأخذ العين منه عند رؤيته — إلا خيالا عليه برد غمـاء
أبقت عليه يد الأيام طابعها — من بعد ما فتكت فيه يد الداء
كأنمـــا الموت منه قيد أنملة — أو قد يسير إليه سـير إبطاء
إن كانت الخيبة الـكبرى غنيمته — بعد الطواف وراء المأمل النائى
فليملأ اليأس منه كل جارحة — واليأس داء وترياق لأدواء
ماقيمة الأمل المنشود إن نظرت — عينى الحياة فكانت جد سوداء

يا للجمال لقد حفت فوا كهه — بالمغريات وفيهـا متعة الرائى
هل يحرم الشاعر الموهوب لذتها — وينعم الوغد فيها بعد أقصائى
يا لوعة أجج الحرمان جذوتها — فأحرقت بلظاها كل أعضائى
لا تهدئى فعسى تذكو بشعلتها — ذبالة خمدت ما بين أحشائى

ســبع وعشرون ما أبقت على كبدى
إلا غـــلالة أوجاع وأرزاء (١)

كأنهـا ويد الأقدار تنسجها — قـــبر تشيده الدنيا لأبوائى
مرت على سنون العمر كالحة — كأنها ماوعت ترجيع أصدائى
فن هموم منيخات إلى محن — ومن عناء إلى شكوى وبلواء
كأننى صخرة صمـاء لا كبد — حرى تمـــج بآمال وأهواء

أشكو إلى الحب قلباً ظل منفرداً — فى وحدة كظلام القبر خرساء
حيران كالبلبل المأسور فى قفص — وحوله جنـــة حفت بآلاء
حران لا أمل يزهو فيسعدنى — ولا صباح الهوى ينأى بظلمائى
ولهان والنصب القتال أنهكنى — هل من خميلة حسن ذات أفياء
حتـام أظمأ والأقداح دائرة — مثل الـكوا كب مابين الندماء

هذا الخيال الذى يسرى على مهل — للقبر شـــعلة أفـكار وآراء
ينير درب الهدى للناس فى زمن — تخبطوا فى دجاه خبط عشواء

أجريت قلبي ينبوعاً يـلذ به — كل البرية أحبـابى وأعدائى
وما رجوت صفاء من نفوسهم — وكيف أرجو صفاء الطين والماء
وقد وهبت لهم روحى وماملكت — كفى ، فلم يذ كروا بالحمد آلائى
لئن ظلمتم شبابى فى طراوته — فأين ياظالمى الأفذاذ أخطائى ؟
أنا الشعاع الذى يخزى ظلامكم — فليل جهلـكم يعنو لأضوائى
إن كان يسعدكم ما تنعمون به — فليس يسعدنى عز الأذلاء
أنا الذى تملأ الأيام سيرته — فهل يهدم مجدى كيد حرباء !
لا در در الذى يسعى لغايته — أن لم تـكن روحه تصبو لعلياء

(بغداد) — عبد القادر رشيد الناصرى

(١) سبع وعشرون : عاماً عمر الشاعر حتى هذا العام ١٩٤٨ .

الأدب والفن في أسبوع

كذبة إبريل في الجامعة :

نشرت الأهرام أن مناظرة ستجرى فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وموضوعها « الدستور المصرى أدى رسالته ولا يحتاج إلى تعديل » وذكرت أسماء من سيؤيدون الرأى وعلى رأسهم الأستاذ عباس محمود العقاد ، ومن سيعارضونه وفى مقدمتهم الأستاذ فكرى أباظة . وذهبت فى الموعد المحدد مع من ذهبوا ، وامتلأ المدرج المعين للمناظرة على سعته بجمهور كبير من طلبة الجامعة والأزهر وغيرهم ، وحل الموعد المحدد للبدء ، ثم انقضى بعده نحو نصف ساعة ، ولم يظهر على المنصة إلا الدكتور مظهر سعيد الأستاذ بكلية الآداب ، الذى نظر إلى الحاضرين ونظروا إليه ... ولم يظهر ما يدل على أن هناك مناظرة ... فقد كان اليوم أول إبريل ! واختلطت أصوات الضحك بصيحات الاستنكار

وكان موقف الأستاذ حرجاً ، ولكنه أخرج نفسه من هذا الموقف بلباقة ، إذ نهض وقال : أيها السادة ، كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول تحييكم تحية إبريل ... وقد وقعنا أنا وأنتم فى هذا « المقلب » ولكن لا عليكم فسأحدثكم عن « كذبة إبريل » من الوجهة النفسية والتاريخية . وقال الأستاذ : إن كذبة إبريل ظاهرة إنسانية لها اعتبارها ، فالناس يشقون طول العام ويعانون مايعانون فى مشاغلهم اليومية ، حتى تضيق نفوسهم بالجد المتواصل فيحتاجون إلى مناسبات ومواسم يفرجون فيها عن الكرب والهموم ، ولا شك أن فى بيئاتنا الشرقية كثيرين يضيقون بمداعبات إبريل ، على خلاف ما تقابل به فى البيئات الغربية من المرح والسرور .

وقال : إن التعليل الراجح لكذبة إبريل هو أن السنة كانت تبدأ فى التقويم القديم بشهر إبريل ، وفى القرن السادس عشر غير هذا المبدأ ، فجعل أول السنة شهر يناير ، وانقسم الناس فى فرنسا إلى فريقين ، فريق المجددين الذين قبلوا هذا التغيير ورحبوا به ، وفريق المحافظين الذين لم يعترفوا به وظلوا على اعتبار إبريل أول السنة ، يقيمون فيه حفلاتهم . وكان المجددون ، على مر السنين ، يسخرون من المحافظين حتى بلغت سخريتهم أن كانوا يرسلون إليهم دعوات فى أول إبريل إلى حفلات ومآدب لا حقيقة لها ، ومن هنا سار الكذب عادة فى هذا الموسم .

ومما قاله الدكتور مظهر أن الفرنسيين يسمون من ينخدع بكذبة إبريل « سمكة » وفى انجلترا يسمى أول إبريل « يوم المغفلين » ولما فرغ الدكتور من كلمته انصرف « السمك » أو كما يقول الانجليز ...

التنويه الأدبي :

أعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة فى الثقافة الأدبية العليا للتنويه بما يراه نافعاً منها ، كما نشرت « الرسالة » فى البريد الأدبى من العدد الماضى .

وقد كانت النية متجهة — قبل ذلك — إلى تتويج كتاب واحد فى العام ، عن طريق الإشادة الأدبية . ولكن رئى أن جوائز فؤاد الأول الأدبية تحقق هذا الغرض إلى جانب المكافأة المالية . وبطبيعة الحال لن يتقيد المجمع فى هذا التنويه بقيود « الميزانية » لأنه أدبى بحت ، ولهذا لن يقتصر على بعض الكتب دون بعض مما يستحق التقدير ، بل سيشمل كل ما يراه نافعاً دالاً على جهد وابتكار . وسيكون التنويه فى حفلات تقام لهذا الغرض .

ومما يذكر أن الأمر فى ذلك غير مقصور على النتاج المصرى ، بل سيشمل المؤلفات فى جميع البلاد العربية ، وقد كتب إلى حكومات هذه البلاد وإلى المجامع العلمية بها لتوافى المجمع بأحسن ما لديها من المؤلفات الأدبية .

النحت للضرورة :

كان من قرارات مؤتمر المجمع ، فى جلسته الأخيرة ، جواز النحت عند ما تلجىء إليه الضرورة العلمية . وقبل اتخاذ هذا القرار نظر المؤتمر فى تقرير لجنة ألفت من بعض الأعضاء لوضع

مبحث فى النحت ، وقد استهلت اللجنة التقرير بقولها « النحت ضرب من الاختصار وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر . وقد نحتوا على منهاج الأفعال الرباعية فى الأفعال والخماسية فى الأسماء ، فنحتوا من الجملة فقالوا سبحل سبحلة فى النحت من سبحان الله وحمدل حمدلة من الحمد لله وبسمل من بسم الله ... الخ » وبعد أن عرضت جملة من صور المنحوتات فى العربية وأقوال العلماء فى النحت قالت : « المتقدمون على أن النحت سماعى فيوقف عند ما سمع وليس لنا أن ننحت ، ولعل هذا لأن النحت اختراع ألفاظ لم تعرفها العرب فلا تدخل فى لغتهم ؛ وقد نقل عن بعض المتأخرين نسبة القول بقياسيته إلى ابن فارس ، قال الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل : ونقل عن فقه اللغة لابن فارس قياسيته ، ومثل ذلك نقل عن الشمنى » إلى أن قالت : « ونحن نقول بجواز النحت فى العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة . وهذا نموذج لكلمات منحوتة وضعت لمصطلحات كيماوية ، وهى من وضع لجنة الكيميا والطبيعة فى المجمع » .

ومن هذه الكلمات :

حلمأ (حلل الماء)

شبزلالى (شبه الزلال)

حلكح ، يحلكح ، حلكحة . أو حلكل ، يحلكل ، حلكلة (حلل الكحول) برمائى (نحت من البر والماء)

نزجن (نزع الايدروجين)

شبغراء (شبه غراء)

وجرت مناقشة قال الدكتور طه حسين بك فى ختامها : « أحب أن أشير إلى شيء يجب ألا يفوتنا قبل إقرار أى كلمة من المنحوت ، ذلك أنه يجب علينا أن نستقصى فى البحث والدرس عند الحاجة إلى التعبير عن معنى من المعانى ، لعل هناك وسيلة من وسائل الاشتقاق أو المجاز أو لعل هناك كلمة سابقة موضوعة ، فيغنى هذا أو ذاك عن النحت ، فمثلا فى (شبه الغرائى) قد نصادف فى الأفعال العربية أفعالا تدل على التشابه . فأنا أرى أننا لا نلجأ إلى النحت إلا باعتباره ضرورة » ثم وافق المؤتمر على القرار السابق وهو « جواز النحت عند ما تلجىء إليه الضرورة العلمية »

وبعد فهل يستطيع المشتغلون بالكيميا والطبيعة أن يشتغلوا إلى جانب تحليل الكحول بنطق « الحلكحة » وأن يعالجوا ، إلى نزع الايدروجين ، لفظ « نزجن » ؟ ؟ أو ليس يكفيهم ما يلقون من عناء فى النزع والتحليل .. ؟

السينما الثقافية العربية :

شهدت يوم السبت الماضى فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية — فلمين ، اسم أحدهما « التقدم الصناعى فى المملكة السعودية » والآخر « الحياة فى البحرين » ولقد عرض لنا الفلمان مناظر من هذه البلاد الشقيقة ، وعرفانا حقائق فى حياتهما يجب أن يعرف مثلها كل قطر عربى عن شقيقه فى هذا العهد الجديد عهد الجامعة والوحدة ، ولكنى لحظت إلى جانب هذه الحقائق ظواهر القصد إلى الدعاية بإبراز آثار الأمريكان والانجليز فى مرافق البلاد العربية .

وأود بعد ذلك أن أوجه الكلام إلى الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، فهى مهتمة بمشروع استخدام السينما الثقافية فى بلاد الجامعة ، وقد علمت أنها دعت الفنيين فى وزارة المعارف والجامعة الشعبية وبعض المنتجين إلى تأليف لجنة لبحث هذا الموضوع وتنظيم العمل فيه من ناحية اختيار أفلام وإنتاج أخرى تحقق الأغراض الثقافية العربية . أريد أن أنبه على أمرين :

١ — أن يأخذ تعريف البلاد العربية بعضها ببعض ، بوساطة الأفلام مكانا لائقا فى مشروع السينما الثقافية ، ولا يخفى ما فى ذلك من عوامل التقريب بين الشقيقات ، وما فيه من فوائد ليس أقلها وقوف كل عربى على نواحى الحياة فى بلاد تمتد فيها رقعة الوطن ، على المبنى العربى الشامل .

٢ — الحذر من الأجانب ، وخاصة الأمريكيين الذين يهتمون بالدعاية فى هذا المجال ، ولابد أن سيتقدم كثير منهم لعرض « خدماته » فى هذا المشروع ، فينبغى رفض هذه « الخدمات » أو مراقبتها إن كان لابد منها ، ليخلص العمل لأغراضه العربية الأصيلة .

متحف ثقافي :

قررت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية إنشاء متحف يجمع فيه ويعرض الوثائق المتصلة بمعارف البلاد العربية والغرض من هذا المتحف أن يجلو حالة هذه البلاد الثقافية الراهنة فى صورة واضحة ، ويعين على مقارنة بعضها ببعض مقارنة صحيحة ويجعل من الإدارة الثقافية مركزا للدراسات والاستعلامات المتصلة بكافة شؤون الثقافة العربية ، كما يجعل منها واسطة دعاية مجدية لها

وقد أرسلت الإدارة بذلك إلى الحكومات العربية ، وطلبت إلى كل منها موافاتها بما يأتى :

١ — الكتب والأنظمة والقوانين والمناهج والتقارير والإحصاءات المطبوعة .

٢ — مجموعة الصور والمخطوطات التى تعطى فكرة واضحة عن المبانى المدرسية والحياة العلمية والتعليمية .

إذاعة ما نشر :

كانت الإذاعة ، فيما مضى ، تقدم بعض الشعراء « ليقرأ من شعره » ولكنها جرت أخيراً على ألا تقدم إلا من يعد شيئاً للإذاعة . وهذا أمر طبيعى ، لأن الإذاعة لا بد أن يكون لها موضوع خاص ، وهو أيضاً يحفز على الإنتاج ؛ ولا يصح أن يكافأ على الكسل و « الاجترار » .

وقد كتب الأستاذ محمد الأسمر بجريدة « الزمان » يقول : « وما ينشره الأدباء فى المجلات أو الدواوين يجب على الإذاعة ألا تحول بينه وبين إذاعته بحجة أنه نشر ، فجمهور القارئين قليل جداً بالنسبة للجماهير المستمعة التى لا تقرأ ولا تكتب » .

وهل الجماهير التى لا تقرأ ولا تكتب تستمع إلى الشعر والأدب؟ ثم إن المفروض أن الإذاعة تقدم ألواناً من نتاج الحركة الأدبية المتجددة ، والشاعر الذى يريد أن يدير « الاسطوانات » من ديوان كان قد أخرجه ، ما شأن الإذاعة به؟

وتصور أى مهزلة تكون عند ما تدعو الإذاعة عدداً من الأدباء ليتلو كل منهم ما تيسر من آياته ...

مولد شاعر :

نشرت مجلة « العالم العربى » فى عددها الأخير (١٢) مقالا بعنوان « مولد شاعر » غير مذيل بتوقيع ، ولكن وضع فى الفهرس مكان اسم الكاتب : « أبو نواس » وهذا المقال ، بعينه وجميع أجزاء جسمه ، نشر فى « الرسالة » للآنسة نعمت فؤاد منذ خمسة أشهر (العدد ٧٤٨ الصادر فى ٣ نوفبر سنة ١٩٤٧)

و « أبو نواس » له سرقات أدبية كثيرة أخذه بها النقاد ومؤرخو الأدب ، ولكن من كان يظن أن سيمتد به الزمن ويطول عمره حتى يسرق مقال الآنسة .. أو تراه يسرق حياً وميتاً .. أم ماذا .. ؟

مؤتمر الآداب الحديثة :

يجتمع الآن فى باريس بجامعة السوربون المؤتمر الدولى لتاريخ الآداب الحديثة ، ويدور البحث فيه حول الأدب العصرى والتطورات السياسية والاجتماعية .

ويتكون المؤتمر من ممثلى سبع عشرة أمة ، وكان قد دعى إلى حضوره الدكتور طه حسين بك ، فاعتذر من عدم استطاعته تلبية هذه الدعوة ، لأنه سيمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى مؤتمر اللغويين ومؤتمر المستشرقين اللذين سيعقدان بباريس فى شهر يولية القبل ، ومن المشقة أن يسافر الآن ويعود ، ثم يسافر إلى هذين المؤتمرين .

العباس



تخيروا لنطفكم :

فى مساء الجمعة ٢ من إبريل سنة ١٩٤٨ احتج عالم كبير فى حديثه بالمذياع بخبر (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) على أنه حديث نبوى .

والمحدث العجلونى يقول فى كتابه (كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) المطبوع بالقاهرة : قال ابن الجوزى : فى سنده مجاهيل . وقال الخطيب البغدادى : كل طرقه ضعيفة . وقال أبو حاتم الرازى : ليس له أصل . وفى التحفة والنهاية : صححه الحاكم واعترض . .

وتصحيح الحاكم لا يوثق به ، لقول الذهبى فيه : صدوق لكنه يصحح فى مستدركه أحاديث ساقطة . ويرى الحافظ ابن حجر أن سبب هذا هو طروء غفلة وتخليط له فى آخر عمره أثناء تأليفه المستدرك . وقال ابن ناصر الدين : فيه تشيع وتصحيح واهيات ، على مافى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٣ ص ١٧٧ .

والحديث الصحيح فى هذا الشأن هو .(... فاظفر بذات الدين تربت يداك) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ، وأحمد وأبو يعلى والبزار ، وغيرهم ، كما فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى) ج ٤ ص ٢٥٤ .

محمد أسامة عليبة

بين تيمور والنشاشيبى :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة الكتاب ما كتبه الأستاذ محمد رجب البيومى فى ترجمة المغفور له أحمد تيمور ، ومما استوقف نظرى قوله « وكتاب النوادر مخطوط ثمين جمع فيه المؤلف ماوقعت عليه عينه من طريف الأخبار وشتى الملح ؛ فهو يشبه نقل الأديب للأستاذ المرحوم النشاشيبى وكان تيمور يود أن يقدمه للمطبعة العربية فحالت منيته دون أمنيته » اه

والحقيقة أن كتاب النوادر يختلف عن نقل الأديب لأن الأول نوادر معينة مرتبة تحت عناوين جامعة ، فباب لنوادر النحو وباب لنوادر اللغة وباب لنوادر التاريخ وهكذا ، أما نقل الأديب فعدة مختارات ثمينة جمعت بلا ترتيب أو تبويب . ولقد رأيت أن أنبه إلى ذلك على صفحات الرسالة ، فقراؤها أعرف الناس بنقل الأديب وبالأستاذ رجب البيومى أيضاً .

منصف

أسس إصلاح التعليم الأولى فى مصر :

قرأت ما تفضلت (الرســالة الغراء) بنشره للشيخ (على زين العابدين منصور) عن هذا الكتاب . . وقد كنت أطمع فى أن توضح (الرسالة) أغراضه ومراميه العامة التى تهدف إلى نقد الأوضاع الحالية الرسمية وغير الرسمية التى تقف سداً حائلا وستاراً كثيفاً دون أن يكون المعلم فى مرحلة التعليم الأولى كريماً عزيزاً فى كل ناحية لينتج نفوساً كريمة عزيزة تتحكم فى المجتمع المصرى المنشود للمستقبل المأمول ! ومن الجلى أن هذا فى مبناه ومعناه متداخل فى رسالة مجلة الرسالة الناطقة بلسان الشعوب العربية المعبرة عن آمالها وآلامها القومية ... فلا غرو إذا حملناها هــذه الأمانة ودعوناها إلى إنفاذ ذلك فى أمد قريب ...

خورشيد عبد العزيز
معلم دميره

كتاب تاريخ الأدب العربى فى شرقى الأردن

جاءنا من شرق الأردن أن النسخ المزيفة من كتاب تاريخ الأدب العربى تتداول بين الطلبة والقراء فى (إربد) ، وأن الذى يتولى تصريفها هو ناظر مدرسة إربد الثانوية ؛ وهو أستاذ فاضل معروف بكرم الخلق وحسن السيرة ، وقد تخرج فى مصر ؛ فلا نشك فى أنه يفعل ذلك بحسن نية ؛ ولكننا نرجو منه أن يساعد العدالة على كشف هذه الجريمة بأن يبلغنا أو يبلغ حكومة شرق الأردن كيف وقعت له هذه النسخ ، ومن أرسلها إليه من مصر أو من فلسطين ، وعليه منا سلام الله ورحمته .

سؤال لأعضاء المجمع اللغوى :

الله : هل أصل لفظ هذه الكلمة — لاه — فدخلت عليها أل للتعريف ، أم هل وضع هذا اللفظ معرفاً كما هو ؟ وإذا لم يوضع معرفاً فما أصله ، وكيف حرف وحول حتى صار على هذه الكيفية ؟ لا ننكر أن لفظ الجلالة أعرف المعارف ولكن نقصد هنا الناحية اللغوية فقط وننتظر الإجابة .

(سائل)

رسالة الفن :

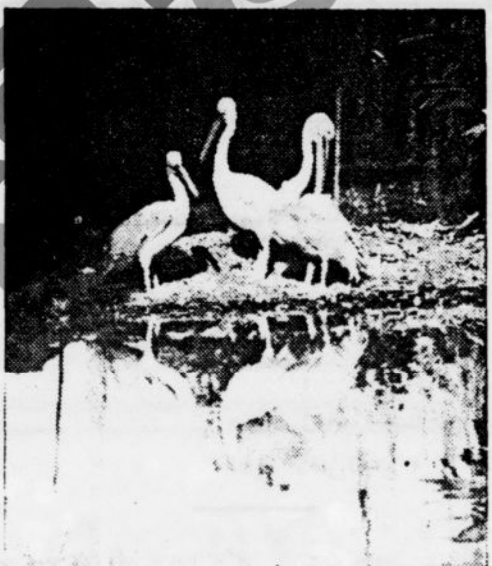
زار محرر (الرسالة) الفنى معرض الجمعية الفوتغرافية المصرية المقام بصالة المعهد البريطانى بسكة المغربى رقم ٣ بالقاهرة ، وشاهد اللوحات البارعة التى عرضها الأعضاء ، ولاحظ المجهود العظيم الذى بذل فى إقامة هذا المعرض الجميل



ونحن إذ نسجل للجمعية نجاح معرضها الأول ونقدم التهنئة إلى رئيسها الأستاذ الدكتور أحمد موسى ، نرجو لها اطراد النجاح فى خدمة فن جميل تفتقر مصر إلى تعاون رجاله وتكاتفهم للنهوض به .

ويسر الرسالة أن تنشر لوحتين من لوحات الدكتور أحمد موسى مع أبيات من القصيدة التى هنأه بها تلميذه الفنان السيد رأفت :

فى رؤى الأحلام ؟ أم أين أنا ؟   أم أساطير خيال ها هنا
أم هو الفنان فى سبحاته   سارباً فى زورق الفن بنا
يبهر الشيطان من أنغامه   لحن أرواح يهز القننا
لوحة السلم التى فاضت بها   روح فنان تسامى سننا



كم حسدتُ الطير فيها راحة   مالنا منها نصيب مالنا
ضاحك فيها يناجى ضاحكا   وأمين الطير يرعى آمنا
يا أبا ليلى ، وما ليلى سوى   زهرة الروض جمالا وجنى
أيها السارى لمجد خالد   تتحدى فى سراك الزمنا
أيها السامى بفن باعه   أدعياء الفن فى سوق الغنى
وكلوا بالجنس من أقلامهم   ريشة ذات وعقت وطنا
إنما الفن الذى علمتنا   عانق الروح وعاف البدنا



تضحية أم

للأديب عبد القادر صادق

« روى لى هذه القصة شيخ جليل زار الشرق الأقصى للتبشير » (الكاتب)

تشرف على المحيط الباسفيكى مدينة جميلة تسمى « أوزاكا » تمتد فى جنوبها سهول فسيحة مترامية الأطراف ، مبتدئة من ذلك الكوخ المتواضع، تحيط به أشجار باسقة عارية من الأوراق، أو مكتسية بها .

فى أمسية من أمسيات الخريف الكئيبة لعام ١٩٠٤ واليابان قد أعلنت النفير العام ، إذ تأزم الخطر عليها ، وأحدق بها أعداؤها الروس من الشمال الغربى ؛ راح الشبان يتقاطرون زرافات ووحداناً على مكاتب التسجيل ملبين نداء الوطن . فى هذه الأمسية الكئيبة ، وفى هذا الكوخ البعيد عن البلدة ؛ جلست الأم « شيمار » ساهمة مشردة الخواطر ، موزعة الأفكار ، تحيك بيديها جورباً من الغزل ، على عادتها ، من يوم أن توفى زوجها وترك لها ولداً فى التاسعة من عمره . لقد مضى على الأم عشرة أعوام ، وهى ما تزال تجد فى حياكة الجوارب طول النهار وطرفاً من الليل ، لتوفر لولدها شئون الحياة وأسباب العيش ، وهى تتعهده بالرعاية والعناية ، ساكبة عليه كل ما فى الأمومة من حنان . وكان الموقد أمامها ، والنار تئز فيه أزيزاً أشبه بالوسوسة ، فتبعث لها بالدفء والإيناس ؛ إنها لتنتظر خبر ولدها « فوزاكى » ذلك الشاب الذى ذهب لتسجيل اسمه فى عداد المجندين ؛ وإنها لتتخيله ، وهو الشاب الفارع القامة ، المفتول العضد ، القوى البأس ، بالبزة العسكرية متقلداً سلاحه ، وهو يشق خطوط الأعداء ويقارع كوارث الحرب ، متفوقاً فى فنون النزال والضرب ، تزين ساعده الأشرطة العسكرية ، وتملأ صدوره الأوسمة والأنواط البراقة ...

ويقطع عليها هذا الحلم اللذيذ دخول ابنها « فوزاكى » والوجوم يغشى سحنته ، والحزن يسيطر عليه ، فتهب إليه الأم لتتلقاه متلهفة ، تريد أن تضع فى تقبيله كل حنانها لخبره السار فى أن يكون من عداد المجندين ، ولكنها ترتاع لمرآه الواجم وهو يأخذ يدها بين يديه ، كأنه ينشد منها المعونة والعزاء ، متجهاً بها إلى الموقد :

— أماه ! ما أمر خيبتى عند ما علمت لجنة التسجيل أنى وحيدك ، وأن ليس من يقوم على رعايتك سواى . . . ولما اعترضت على ذلك أجابونى بأن القانون لا يسمح لأمثالى بالتجنيد .. وكان بينهم رجل وقور الشيبة ، جليل الهيبة ، رأف بحالى وتقدم نحوى وهو يقول : لا تحزن يا بنى ، إن خدمة والدتك نوع من خدمة بلادك . وقد ظن أنه بذلك يستطيع تمزيق وتبديد خجلتى ، وأنا أنظر إلى رفاق طفولتى فى المدرسة ولداتى فى المعمل وهم يرتدون البزات العسكرية . . لست أنكر أننى وحيدك ، ولكن أما كان الأجمل لك والأجدر بى ، أن أكون مدافعاً ومانعاً ضيم العدو لنا واستعباده لبلادنا فيتصرف كيفما شاء بأرضنا ومالنا ونسائنا ؟ ! . .

لا يمكن أن أتصور يا أماه شماتة الناس بى ، ونفورهم منى وهم يشيرون إلىّ بسخرية قائلين : هذا الذى تخلف عن خدمة بلاده والذود عن حياضها .. يا لسقوط همته ، ويا عالته على أمته ! لئن تطونى الأرض بين طياتها ، أحب إلى من سخريات الناس وشماتتهم . وإنى لأشعر فى أعماق قلبى العزم ، وفى غليان دمائى البأس ، يدفعاننى لأن أحيا لبلادى وأموت لبلادى ، وأن أحظى بشرف الجندية ، حيث بشرفك هذا يا أماه ! وتشرف بلادنا بالعزة والكرامة فتقضى على مطامع أعدائها ..

كانت أمه ما تنفك طوال حديثه تنقل طرفها الوامق بين شفتيه ووجهه الحزين ، وقد أخذت رأسه بين يديها وراحت تواسيه :

— نعم ما قال هذا الرجل المطوف النصوح يا بنى : أن

خدمة والدتك نوع من خدمة أمتك ؛ ولكن هل هناك مانع من أن تقوم والدتك بخدمة بلادك ؟؟ ..

فرفع بصره إليها ، ليعى ما تقول .. ولكنها راحت تتابع حديثها ، متجاهلة دهشته ونظرات عينيه المستفهمة ، وكأنها مصممة على أمر ما ، وأناملها ما تزال تعبث بخصلات شعره الجميل ؛ ثق يا بنى بأنك ستكون فى خدمة بلادك وستتقدم رفاقك .. ولكن قل لى : ألست بجائع ؟ أجل ! أنت جائع ، لا شك أنك جائع !! ..

وانفلتت نحو صوان الأكل ؛ فشيعها بنظرات الوامق البار ، وهى تسير بخطوات وئيدة رزينة مولية له ظهرها ، ولمعت لعينيه شعرات الشيب كأسلاك من النور الساطع عند ما ضاحكتها رقصات ألسنة اللهيب من الموقد وحطت على عقصة شعرها الملتفة : يا لى من أحمق ! كيف لم ألحظها من قبل ؟ هكذا قال لنفسه ، وقد ارتد رأسه إلى راحتيه ، وساورته الهموم ولكن سقطة جسم على الأرض ردته إلى صوابه .. يا لهول ما رأت عيناه !. . أمه المسكينة مضرجة بدمها المتدفق.. المدية مغروسة فى صدرها ؟!..

تملكته روعة المشهد الأليم ، وأخذته الحيرة فما يستطيع أن يهتدى لعمل ينقذ به أمه ..

وتفطن أمه إلى ما يريد فتقول

— لا لا يا « فوزاكى » لا تحاول إنقاذى ، ولا تستدع أحداً .. فكر فى إنقاذ بلادك ، فى أمك اليابان لا أمك « شيحار » ! ..

لن أكون حائلة بين إشباع عواطفك الجائشة لخدمة بلادك ، ولن أكون السبب فى خيبتك وخجلتك بين أبناء قومك .. لن أحرمك شرف الجندية ، ولن أحرم اليابان خدمة أبنائها .. لقد وهبتك للبلاد فأنت ملك لها ، ولست ملكا لى ، فنى سبيلها ما وهبت ... سر على بركة الله ، وإلى الأمام بالرعاية والعناية والكرامة . .

وتأخذها سكرة الموت وهى تجالده ، آخذة انفاسها بعسر ومشقة . وقد بدا على وجهها نور سماوى لست تلقاه إلا على وجوه القديسين والأولياء الصالحين من دنيانا ، وراحت تقول متممة رسالتها ...

وهناك فى السموات العلى ، ألتقى بك وقد رويت عواطفك الملتهبة ، وقد تكللت بلادنا بالعزة والنصر ... هناك ألقاك لأتابع العناية بك ...

وأطبقت أجفانها لتتابع الحلم اللذيذ ... فى مجد اليابان وفى فتاها البطل العزيز .

(دمشق) عبد القادر صادق

خمســــة كتب جديدة

لمحمــــود تيمور بك

١ – عطر ودخان

طبعة ثانية مزيدة – تطلب من مكتبة الهلال بأول شارع الفجالة

٢ – نداء المجهول

طبعة ثالثة منقحة – تطلب من مكتبة الآداب بدرب الجماميز

٣ – قصص من الحياة المصرية

باللغة الإنجليزية – ترجمة الأستاذ دنيس جونسون دافيز

يطلب من مكتبة النهضة ن ٩ شارع عدلى باشا

٤ – أبو الهول يطير

مشاهدات وخواطر يسجلها سائح فى العالم الجديد

٥ – سلوى فى مهب الريح

قصة مصرية مطولة

الكتابان الأخيران يطلبان من

مكتبة الخانجي

ن ١١ شارع عبد العزيز

سكك حديد الحــــكومة المصرية

خط صحراء سيناء – القنطرة شرق – رفح

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بمناسبة استلام سكة حديد الحكومة المصرية خط صحراء سيناء الواقع بين القنطرة شرق ورفح (نهاية الحدود المصرية) ابتداء من أول إبريل سنة ١٩٤٨ ستسير الآن ستة قطارات ركاب أسبوعياً على الخط المذكور فى الأيام والمواعيد المبينة بعد .

مع العلم بأن الركاب القاصدين فلسطين أو القادمين منها سينقلون من والى قطار فلسطين بمحطة رفح أما المسافرون منهم بعربات النوم فيعمل لهم ترتيب خاص لمواصلة سفرهم بذات العربة دون الحاجة للانتقال .

المحطات	٧٥٠ درجة ١ و ٢ و ٣ وعربة نوم وعربة أكل السبت والأثنين والأربعاء
القنطرة شرق . . . قيام	٢٣ ١٥
رمانة . . . . . «	— ١٥ .
بئر العبد . . . . «	١ ٠٤
مزار . . . . . «	٢ ٠٥
العريش . . . . «	٣ ٠٥
رفح . . . . . وصول	٤ ٠٠

المحطات	٧٥١ درجة ١ و ٢ و ٣ وعربة نوم وعربة أكل الأحد والثلاثاء والخميس
رفح . . . . . قيام	١٣ ٣٠
العريش . . . . «	١٤ ٣٠
مزار . . . . . «	١٥ ٣٣
بئر العبد . . . . «	١٦ ٢٣
رمانة . . . . . «	١٧ ١٢
القنطرة شرق . . . وصول	١٨ ١٠

العدد ٧٧٢ — الاثنين ١٩ ابريل ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

٣٠٥٣٢

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

16 em Année No. 772

Lundi — 19 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ١٩ أبريل سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من أقاصيص الجوارى فى عهد الرشيد :

بهــيرة

[مهداة إلى صاحب المعالى إبراهيم دسوق أباظة باشا]

— ١ —

— ما أجمل هذا الصوت ! من أين مصدره ؟

— من صوب النهر يا مولاى

— إن حلاوته وإيقاعه لينبئان عن ظرف بارع وصبّى نضر

— لعلها قينةٌ فى زورق من زوارق المخنثين (١) تسرِفُ على لهوهم الماجن بالغناء والحسن كالعادة

— مل بنا إلى الشاطئ عسى أن نرى مصداق ما نسمع

وكان الرجل الذى سأل وأمر طويلاً بدين الجسم أشقر اللحية على وجهه جلالة السلطان ومهابة الملك ؛ أما رفيقه الذى أجاب وأطاع فكان مساوياً له فى العمر ، ولكنه كان ربعة القوام ، رقيق البدن ، أزهر اللون ، تتوسم الظرف من ملامحه ، وتتبين الذكاء من ألفاظه . وكانا يلبسان ملابس التجار ويمشيان مشية المستطلع بين القصور الناعمة القائمة على دجلة من كرخ بغداد فى أصيل يوم من أيام أبريل . وعلى ثلاث خطوات منهما كان يسير رجل وثيق التركيب عظيم الإسطة يلحظ لحظات الصقر ورعاهما بعين النَّمر . وكانت دار السلام يومئذ فى أيام العروس (١) من عهد الرشيد ، قد تجمعت فيها الدنيا ببهجتها وزينتها ، وفتنتها وثروتها ، فهى أشعة من الجمال والسِّحر ، وظلال من الرخاء والبِشر ، ونسمات من الرَّوح والعطر ، وأخيلة من الحب والشِّعر ، ومُتَع من نعيم التمدن الإسلامى القائم على لذة الروح والجسم ، وسعادة الدين والدنيا ، وراحة النفس والناس

***

اتجه الرجلان وتابعهما الصامت نحو الصوت فجرهما إلى بستان مشرف على النهر قد جلست على عريش من عرائشه الكاسية بأشتات الرياحين والزهر جارية فى وفرة الجمال وزهرة العمر ترسل هذا اللحن الغزلى الشجى الضارع كأنها تهدهد به حباً لا يهجع ، وتناجى به حبيباً لا يسمع !

فدار بين أعظم الرجلين وبينها هذا الحوار الرقيق :

— لعلك تودين أن يكون لهذا الغناء الساحر سامع !

— لو كنت أوده لما عزّ علىّ أن أجده

— وهل خلق الله مثل هـذا الصوت ليتبدد فى الهواء ويضيع فى هذه الخلوة ؟

— سل البلبل حين يبعث الشدو : هل يريد أن يبعثه إلى أذنك ؟ وسل الشمس حين ترسل الضوء : هل تريد أن ترسله إلى عينك ؟ وسل الزهرة حين تبث العطر : هل تريد أن تبثه لأنفك ؟

— تبارك الله ! براعة فى الغناء وبراعة فى الذكاء وبراعة فى الحسن ! ماذا تسمين ؟

(١) كان يطلق هذا الاسم فى بغداد على أهل الترف واللهو والفتوة ممن يشبهون (أولاد الذوات) اليوم

(١) كان الناس يسمون عهد الرشيد لرخائه وجماله أيام العروس

— بهيرة

— ولمن تكونين ؟

— لسيدى على بن وهب

قالت ذلك بهيرة ثم حيت الرجل وصاحبيه وانطلقت بين أشجار البستان كأنها عروس من عرائس الروج ازدهاها الربيع فطفرت من المرح راكضة راقصة

— لقد وقعت بقلبى هذه الجارية يا جعفر !

— إذا شاء أمير المؤمنين كانت فى ملكه من الغد

— ٢ —

وفى غد ذلك اليوم انتقلت بهيرة بالشراء إلى قصر الرشيد بالرصافة ، وكان يموج بالحور والولدان موجان الفردوس ، حتى بلغ ما فيه من السرارى والقيان زهاء ألفى جارية من الروميات والكرجيات والجركسيات والعربيات والحبشيات ، يرفلن فى الأفواف الموشاة بالذهب ، والعصائب المرصعة بالدر ، والمناطق المنسوجة من العسجد ؛ ويخطرن بين دوائر الحرم مَوائس من الدلال ، نشاوى من الحسن ، ينفحن بالفتون والحب كما تنفح الزهور العاشقة بالعطور المغرية فى ميمة الربيع ...

أحلها مسرور الخصى مقصورتها الأنيقة بين مقاصير سحر وضياء وخنث (١) وأفاض عليها من الوشى والزينة والحلى ما جعلها قطعة من الفن الجمالى الخيالى لا تبلغها قريحة شاعر ولا عبقرية مصور . وانغمرت بهيرة فى فيض الجمال والنور والترف واللذة ؛ ولكن هـذا القصر الذى لا ثانى له فى دنيا الناس لم يستطع بما فيه من النعيم الدافق والسرور المتصل واللهو المختلف والأشجار المحمولة من كل أرض ، والأطيار المجلوبة من كل سمـاء ، والأواوين المنجدة بالديباج والإبريسم ، والبرك المزدانة بالتماثيل والدُّمَى ، والسلطان الذى خضع له الدنيا ، والجلال الذى اعتز به الدين ؛ لم يستطع بكل أولئك أن يمسح عن وجه بهيرة هذه الكآبة الناشية ولا هذا الشحوب الملحّ ، فقد كانت أشبه بالوردة المقطوفة على المائدة الغارقة فى السرور الطافحة باللذة : تذوى وتموت وكل ما حواليها يزدهى وينتعش . فهل كان قصر الخليفة أضيق من قصر التاجر ؟ أم كانت سيادة ابن وهب أندى على قلب بهيرة من سيادة الرشيد ؟ واقع الأمر أن هذه الحال لم تطرأ على بهيرة فى عيشها الجديد ، وإنما كانت تلازمها وهى فى ملك ابن وهب ، وقد تذرع الرجل بالطب والحيلة واللهو إلى أن يرفه عن جاريته المحبوبة فما كانت تزداد على عنايته بها ورعايته لها إلا همًّا على هم ؛ حتى استراب فى حبها إياه فحاول أن يصل إلى سرها ويعرف متجه هواها فما استطاع . فلما ساومه النخاس عليها بالثمن الربيح نزل عنها غير آسٍ ولا آسف

كانت بهيرة قبل عامين قد وهبت قلبها الخالى المنتظِر لفتى من سراة بغداد الظرفاء فشغله كله وتغلغل فيه تغلغُل السر ، وشاع به شيوع السرور . ثم تقلبت عليهما الأيام والأحداث وهما ثملان من رحيق الحب ، وادعان فى ظل الأمان ، حتى نزل بالفتى ماينزل بالمترفين المتبطلين من كساد الحال وهجوم الفاقة ، فباع كل ما يملك ، ثم عاش على الأمانى فترة من الدهر ؛ ورأى آخر الأمر أن من الإخلاص لحبيبته ألا يحمّلها وزر إسرافه وعواقب طيشه ، فباعها على الرغم من تشبثها به وإيثارها إياه من على ابن وهب

ودأب يزورها يوماً بعد يوم وهى فى قصر ابن وهب ، من وراء الحديقة ، ومن خلال السور ، وهى تنتظره فى العريش الذى رآها فيه الخليفة يوم تنكُّره ، فيتساقيان كؤوس الهوى ، ويتناقلان حديث المنى ، ويتشاكيان حرقة الوجد ، وينظران نظرات الأسى المرير إلى دجلة والشبابُ الأحباب يشرقون على وجهه إشراق البسمة العذبة على ثغر السعيد ، فيذكران كيف كان هذا النهر الخالد مسرحاً لصباهما اللاهى ، وشاهداً على حبهما الخالص ؛ وكيف نظر إليهما الدهر الخؤون فتقوض الربع الآهل ، وتفرق الشمل الجميع ، وآل الأمر بهما إلى أن يكون بين قلبيهما عاذل لا يُتَغفل ، وبين جسميهما حاجز لا يُقتحم !

كانت بهيرة وهى فى قصر ابن وهب تستطيع أن ترى سليمان وأن تتحدث إليه وأن تترك للأقدار الرحيمة إسعاف حبيبها البائس بالثروة المرجوة فيستردها إلى ملكه ؛ ولكنها انتقلت الآن من عش الحمام إلى غيل الأسد ! فمن ذا الذى يستطيع الدنو من قصر الخلافة ؟ لقد ضرب الدهر بينها وبين

---

(١) هن الحظايا الثلاث اللاتى استأثرن بهوى الرشيد حتى قال فيهن :

إن سحراً وضياء وخنث هن سحر وضياء وخنث
أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثى قلبى وترباها الثلث

حبيبها إلى الأبد ؛ فلا هو يستطيع الدخول إليها ولا هى تستطيع الخروج إليه ؛ فكأنه مات من دنياها وماتت من دنياه . وبيت الخلافة لأمثالها قصر فى الأول وقبر فى الآخر !

— ٣ —

على أن الهوى كالسكر لا يعرف المحال ولا يحس الخوف ولا يبصر العاقبة فقد احتال سليمان حتى ظفر بثياب خادم من خدام جعفر بن يحيى . فكان يدخل قصر الرشيد فى هذا الزى فلا يرتاب فيه الحراس ولا ينكره الخدم . وعرف مقصورة بهيرة فكان يتسلل إليها فى الظلام أو فى الغفلة ، فيقضى معها ساعة من النهار أو هزيعاً من الليل ينضحان فيه غرامهما المسعور بالحديث المعسول والقبَل الندية

وفى ذات ليلة طغى عليهما الحب وعصفت برأسيهما الصبابة فتولدت فيهما ناشئة من الأمل والعزم . قال سليمان وهو يثبت نظره المتوقد فى نظر بهيرة الساجى :

— لقد أعددت عدة الخلاص ومهدت لك سبيل الهرب

— وماذا أعددت يا سليمان ؟

أعددت لك هذا الثوب الفلانى فالبسيه واخرجى تحت الليل حين تخشع الأصوات وتهجع العيون ولا يدخل ولا يخرج إلا رسل الأسرار بين قصور السادة والقادة . وسأكون فى انتظارك لدى مشرع القصب من دجلة

فقالت بهيرة ودمعها الساجم يتقاطر على خديها تقاطر الطل :

— أنسيت يا سليمان أنى ملك الخليفة فلا أخرج منه إلا بالبيع أو بالعتق !

— لم أنس يا بهيرة ، ولكن الخلاص بغير ذلك محال

— وكيف يصفو لنا العيش يا سليمان وهو شقاء متصل بمعصية الله وخيانة الخليفة ؟

— ربك يا بهيرة أخفتى هذا الصوت فى نفسك ، وفكرى قليلاً فى بؤسى وبؤسك . ليس لى غيرك وليس لك غيرى ؛ أما الخليفة فله ألفا جارية ، وله أضعافهن إذا شاء . والله يا بهيرة يغفر الذنوب جميعاً

— ألا تظن ياسليمان أن العذاب فى الحب عذب ، وأن الموت فى سبيله شهادة ، وأن هذه الساعة التى نلتقى فيها على غفلة من الرقيب بين الخوف والأمن ، وبين اليأس والرجاء ، أدنى إلى الحب الصحيح والسعادة الحق من العيش الغرير الناعم على مراد الرذيلة ؟

— إن العشاق يا بهيرة لا يعيشون بعقول الخليين ولا يخضعون لقوانين المجتمع

وأسلس لسليمان الدمعُ والكلام فأوشك أن يحمل بهيرة على رأيه لولا أن قرع باب المقصورة قارع عنيف ، فاستطير قلب العاشقين من الرعب ، وأيقنا بالهلاك المحتم

وفتح الباب ودخل مسرور قهرمان القصر وسيد الموالى وحاجب الرشيد ، ومعه نفر من الحراس ، فأمر بالقبض على سليمان ، وكان قد سمع بآذان جواسيسه ما دار من الحديث بينه وبين بهيرة

— ٤ —

سِيق العاشقان إلى مجلس الخليفة الخاص متهمين بانتهاك حرَم الخلافة ، والمؤامرة على الفرار ، والخلوة الأثيمة . فسألهما عن جلية الخبر فأجاباه بصحته . واستفهم الشهود عن تفصيل الحديث فأدلوا به على نصه . وكان الخليفة مفتوناً ببهيرة لما جرَّب عليها من الوفاء والذكاء والصدق فعفا عنها ، ودفع بسليمان إلى مسرور ينفذ فيه حكمه

فتقبل العاشق المنكود الحكم عليه قبول من راض نفسه على التسليم بالقضاء المحتوم والأمر الواقع . وذهب به الموالى إلى لقاء الموت ، ولبثت بهيرة فى حضرة الخليفة شاخصة لا تطرف ، واجمة لا تنطق ، كأنما أخرجها الجمود عن الحياة ، وفصلها الذهول عن الوعى . ثم رأرأت بعينيها فى سكون ، وحركت لسانها ببطء ، وألقت بنفسها على قدمى الخليفة وهى تقول :

مولاى : إنى أعلم أن الجريمة إذا مست الشرف ضاق بها العفو وقصُرت عنها الشفاعة ؛ ولكنى أعلم كذلك أن حلمك لا يستخفه غضب ، وعفوك لا يتعاظمه ذنب . فهب لى دم سليمان فقد جنى عليه حبى ، وسعى إلى عدمه وجودى . وهو يا مولاى صادق النية سرى الخلق برىء الساحة

فقال لها الخليفة : إن هذه الجريمة تُنسى بوجهها الوقاح صورة الرحمة . فاسأليني ما شئت إلا العفو ، فانى لا أمنح إلا ما أملك

المقاصـــد الصهيونية

للأستاذ نقولا الحداد

ورد لى كتاب على يد مجلة « الرسالة » بإمضاء حسن (وبس) ، وليس فيه عنوان مرسله سوى أنه من المنصورة . ويقول كاتبه إنه مسلم ، وإنه طالب فى مدرسة الملك الكامل . والله أعلم . ويقول إن سنَّه ١٦ سنة ، ولكن عظته لى عظة ٣٦ سنة متواضعة لطيفة رقيقة. وفحواها أنه « لا فرق بين اليهودى والمسيحى والمسلم » ، وهو يتمنى تحقيق ذلك الحلم السعيد الذى نرى فيه الشعوب جميعاً شعباً واحداً ، وأن اليهود ما هم إلا آدميون مثلنا . فلا يجوز أن نأخذهم بجريرة أجدادهم . إلى غير ذلك من الأمانى التى يتمناها كل واحد من الناس .

فقالت بهيرة : إذن تعدنى يا مولاى ألا يُقتل حتى أراه .

فقال لها الخليفة : لك هذا الوعد .

وأرسل وراء الجلاد يأمره أن يرد عليه سليمان قبل أن يمضى قضاءه فيه .

فلما خرج الرسول أدارت بهيرة بصرها فى السماء والفضاء والطبيعة ، ثم أرجعته وهو يفيض بالدمع والأسى ، ورددته فى نواحى البستان ، وفى جوانب المكان ، وفى مرايا الجدران ، وفى حلتها الذهبية ، وفى حليتها اللؤلؤية ، وفى وجه الخليفة ؛ ثم أدخلت إصبعيها فى محجريها فاقتلعت بهما عينيها

فصاح بها الخليفة وقد أفزعه ما رأى :

— ويحك ما ذا صنعت بنفسك ؟

— فديت بعينىَّ حبيبى يا مولاى !

— وكيف ذلك يا حمقاء ؟

— ألست وعدتنى يا مولاى ألا يُقتل حتى أراه ؟ فالآن لا أراه ولا يُقتل !

كان أثر هذا الحادث بالغاً فى نفس الخليفة ، فبسط على العاشقين جناح رحمته ، ومهد لهما الحياة السعيدة فى ظلال نعمته . وقنعت القادية العمياء من دنياها بالعيش على نور الحب وفى كنف الحبيب !

احمد حسن الزيات

مرحى يا بنىّ ! أشكر لك عظيم الشكر حسن ظنك بى ، وعطفك الخالص على اليهود ، واعترافك لهم بأنهم بشر مثلنا . وكان يحسن بك أن تبعث بهذه العظة إلى السيد جمال الحسينى الذى ذهب إلى لايك سكسس لكى يناقش هيئة الأمم فى مسألة صهيونى فلسطين لا يهودها ؛ لأنه يعتقد أن يهود فلسطين القدماء هم بشر مثلنا عاشوا فى البلاد آمنين مسترزقين ، ولكنه يرى أن صهيونى فلسطين الوافدين عليها من مشرديهم فى أوروبا لكى يمتلكوها أرضاً وشعباً ودولة ؛ هؤلاء ليسوا بشراً بل أبالسة .

نحن لا نكره اليهود ، ولكنهم هم يكرهوننا ، ويلقبوننا بالجوييم البهائم ، وكلمة الجوييم هذه تطلق عندهم على كل من ليس يهودياً ، وقد عاشوا بين الجوييم فى فلسطين وغيرها قروناً وأبواب الرزق مفتوحة على مصاريعها ، والقلوب مفتوحة لمحبتهم وإكرامهم ؛ لأن مسيحنا قال : (أحبوا أعداءكم) فكيف بالأصدقاء ؟ وقد تبرع لهم مسيحيو أمريكا باثنين وسبعين مليونا من الريالات ليستعين بها المتشردون فى أوربا ، فإذا بهم ينفقونها فى فلسطين لمكايدة العرب ! وفى قرآنكم الكريم : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم » ؛ وأما هم فيقولون إنه يحل لهم كل ما يملك الجوييم ، يعنون النصارى والمسلمين والوثنيين على السواء من عهد موسى عليه السلام إلى اليوم والغد . وسلوكهم اليوم ناطق بهذه النيات الأنانية ومطابق لمنهاج استنوه لأنفسهم يعادون به الأمم ، ويهيئون أنفسهم لدولة عليا تسود الدول جماء وتستعبد الشعوب .

نحن لا ندين اليهود بما قاله موسى ؛ بل ندين الصهيونيين بما قاله حكماؤهم فى مواثيقهم ، أى البروتوكولات التى سننشر ما نقتطفه منها تباعاً مما يدل على ما يبيتونه للجوييم أمثالى وأمثالك وما تنطبق عليه أعمالهم أمس واليوم والغد .

نحن لا ندين اليهود الذين قاموا بين ظهرانينا وكانوا فى أمن وطمأنينة ، وإنما ندين الصهيونيين الذين جاءوا من وراء البحار ينفذون مواثيق حاخاماتهم الكبار فى سبيل إنشاء دولة صهيونية تسود العالم كله وتصبح جميع الدول تابعة لها ، وجميع الأمم عبيدها ، ويهود العالم كله أسياد الشعوب .

نحن لا نفتئت على اليهود وإنما ندل الجوييم مسلمين ومسيحيين على مقاصد الصهيونيين لكى يحذروا مكايدهم .

واسمع الآن ما قالته مواثيقهم (بروتوكولاتهم) بشأن دولتهم قال الميثاق (البروتوكول) الثالث البند ٦ :

إن النــاس الذين هم تحت قيادتنا قد محقوا الأرستقراطية (سلطة الأعيان) الذين كانوا قوة الدفاع الوحيدة عن مصالحهم المرتبطة بهناء الشعب . فبإبادة الأرستقراطية يقع الشعب فى قبضة اللئام من ناهبى الذهب الذين لا رحمة عندهم والذين وضعوا نير الظلم ثقيلا على أعناق العمال » (غير اليهود) .

البند ٧ :

« وأما نحن فنظهر على المسرح بمثل المنقذين للعامل من هذا الظلم . ومن ثم نقترح عليه أن يدخل فى منظماتنا المحاربة — الاشتراكية والفوضوية والشيوعية التى نعضدها دائماً بواسطة الأخوية المزعومة المفروض أنها رباط الإنسانية ، وهى الماسونية الاجتماعية (أى الماسونية العمومية غير الماسونية اليهودية السرية التى تختفى عن الماسونيين على العموم) . والأرستقراطية التى بحكم الشريعة تمتعت بتعب العمال تغتبط برؤية هؤلاء العاملين يتغذون شابعين وصحتهم جيدة وأجسامهم قوية . وأما نحن فيسرنا العكس ، وإنقاص عدد هؤلاء الجوييم حتى قتلهم . إن قوتنا فى إنقاص الغذاء الذى أضحى داء مزمناً ، وفى ضعف العامل وسقمه البدنى ؛ لأن هذين الأمرين يتضمنان عبودية العامل لإرادتنا وإنه لا يجد فى حكومته أو سادته قوة لمناهضتنا .

الجوع يخلق حق الرأسمال بالتحكم فى العامل أكثر مما أعطت سلطة الملوك الشرعية من الحقوق للارستقراطية » .

ترى مما تقدم أنهم بدعوى العطف على العمال (وهم يعنون بالعمال كل مسترزق) يستخدمونهم لأغراضهم التى لا يفطن لها العمال على يد ماسونيتهم .

وقد رأيت أيضاً أن الاشتراكية والفوضوية والشيوعية هى من مخترعاتهم ، كما ترى فى البند الثانى من الميثاق الرابع سر قوتهم غير المنظورة :

« من وماذا يستطيع أن يقاوم قوة غير منظورة كقوتنا ؟ فالماسونية العمومية التى ينتظم فيها الأمم (الجوييم) وهم كالعميان لا يرون ما أمامهم وما وراءهم ؛ إنما هى حجاب يحجبنا ويحجب أغراضنا . وأما منهاج عمل قواتنا فيبقى للعالم سراً مجهولا » .

ومما جاء فى البند ٣ بعد الكلام عن الإيمان بالله من غير وحى ولا وجدان .

« ... بهذا الإيمان يُحكم الناس بحراسة أبرشية الكنيسة . ونسير نحن برضى وتواضع تحت قيادة الراعى الروحى خاضعين لتدبيرات الله على الأرض . هذا هو سبب أننا لا بد لنا أن ننقب تحت أساس كل إيمان لكى ننتزع من عقول الجوييم مبدأ الألوهية والروح ونضع مكانه الحسابات الرياضية والحاجات المادية »

وفى البند ٤ يقول « ... ولكى تشقق الحرية جماعات الجوييم وتدمرها يجب أن نجعل الصناعة على أساس المضاربات فتكون النتيجة إن ما يُستغل عن الأرض بالصناعة تتداوله الأيدى إلى أن يتسرب إلى أيدى جماعاتنا عن طريق المضاربات » .

يعنى أن الجوييم يشتغلون فى الأرض وتتسرب غلاتهم إلى أيدى الماليين بفعل المضاربات . ومن هم الماليون ؟ ؟

وبعد أن يتكلم الميثاق الخامس عن السيطرة الإدارية يقول فى آخر البند الأول ... « هذه القوانين تقتل الحريات والتسامح مما يتساهل به الجوييم فتمتاز مملكتنا بالاستبداد النسبى بحيث يمكن أن نمحق أى جوييم يجرأ أن يقاومنا بالفعل أو بالقول » .

وفى البند ٦ : « قيل فى الأنبياء إننا نحن الذين اختارنا الله نفسه لكى نحكم كل أرض ، وقد منحنا الله النبوغ لكى نستطيع أن نقوم بعملنا . فإذا كان فى معسكر معاد لمعسكرنا نبوغ يجاهد ضدنا . فالضد الجديد لا يقدر أن يقاوم القديم المستقر؛ فالعداء بيننا يكون مهلكا ، والحرب تكون بلا هوادة ولا رحمة . حرباً لم يشهد العالم مثلها ... وإنما يكون نبوغ المعسكر الآخر قد جاء متأخراً فلا نخشاه ... إن جميع عجلات « المكنة » الحكومية تسير بقوة الآلة المحركة . وهذه الآلة فى يدنا — الذهب إن علم الاقتصاد السياسى الذى استنبطه شيوخنا الحكماء منح الامتياز الملكى لرأس المال — وهو فى أيدينا » .

فنرى فى هذا البند أنهم يعتقدون اعتقاداً قلبياً أن الله اختارهم وحدهم شعباً له ، ومنحهم السلطة المطلقة على كل الأرض . فكيف نستطيع أن نعيش مع شعب يعتقد هذا الاعتقاد فى نفسه

ويعتقد أن الشعوب الأخرى بهائم لا حقوق لها ولا حياة .

فى البنـد العاشر من نفس الميثاق الخامس نرى حيلتهم الشيطانية فى القبض على زمام الرأى العام ، وهو كما لا يخفى أقوى قوة اجتماعية وهو يقول : « لـكى نقبض على الرأى العام يجب أن نضع الجمهور فى موضع الحيرة والارتباك بأن نبذر فيه آراء متناقضة فى كل ناحية مدة طويلة حتى تتضعضع عقول الجوييم وتتيه فى معارج الضـلال إلى أن يروا أن الأفضل ألا يكوّنوا لأنفسهم رأياً سياسياً . ولا يستقروا على رأى فى أية سياسة يفهمها الجمهور ، بل لا يفهمها إلا القادة الذين يقودون الشعوب ويرون أنفسهم متناقضين فيها . هذا هو السر الأول فى قيادة الشعوب فى بيداء الجهل » .

فى البند ١١ « السر الثانى المطلوب لنجاح حكومتنا يشتمل على ما يأتى : الإكثار من الخيبات الأهلية ، وانتشار العادات السيئة ، وتعقد ظروف الحياة الدنية بحيث يستحيل على أى واحد أن يعرف أين هو من الصواب فى هذه الفوضى حتى يصبح الواحد منهم لا يفهم الآخر . هذه الحالة المربكة تخدمنا فى ناحية أخرى ، تزرع الشقاق فى جميع الهيئات والأحزاب ، وتبدد القوى المتجمعة من مواضعها ، وتمت تخضع القوى التى لا تزال ممتنعة عن الخضوع لنا ، وتثبط عزيمة أى شخص فى مقدرته أن يعرقل مساعينا . لا شىء أخطر لنا من الأشخاص المفـكرين المبتـكرين العباقرة . فإذا كان وراء أى مشروع نابغة من النوابغ يستطيع أن يخرب أو يعمر أكثر مما يستطيعه ملايين من الناس الذين زرعنا بينهم الشقاق . لذلك يجب أن نوجه ثقافة الجوييم بحيث أنهم إذا وقعوا على أمر يحتاج إلى ابتكار أو تفـكير يسقط فى أيديهم ويرتدوا مخفقين ... إن المجهود الذى ينتج من حرية العمل يستنفد القوى إذا اصطدم بحرية أخرى . وبهذا الاصطدام تنشأ صدمة أدبية خطيرة تفضى إلى الإخفاق . بهذه الوسائل يمكننا أن نحبط قوى الجوييم حتى يضطروا إلى تقديم قوة دولية لأجل أمن العالم فتبتلع تدريجياً جميع قوات دول العالم من غير عناء وتؤلف حكومة عليا تسيطر على العالم ، وإذ نكون نحن اليد العاملة فيها بتمهيداتنا السابقة نقيم مكان حكام اليوم إدارة حكومتنا العليا ونسيطر على العالم . هذه الإدارة العليا تمد أيديها إلى جميع الجهات وتقبض على أزمة جميع السلطات وحينئذ تعجز أية قوة من الجوييم أن تقف فى سبيلها » .

هكذا قد وضع حكماء الصهيونية برنامج مساعيهم إلى اعتلاء عرش السلطة العالمية العليا . وجميع حركات الصهيونيين الآن وقبل الآن تدل على أنهم نشطون فى هذا السبيل ، وأن الهدف لم يعد بعيداً عنهم كثيراً . فهاهم يشتغلون فى صهيون فلسطين ، وروسيا تعضدهم من وراء الستار . فإذا لم يصد العالم كله الصهيونية والشيوعية جميعاً فقد يصيبون الهدف ويكون ذلك بفضل بلاهة بعض الساسة مثل ترومان وأمثاله .

ترقب يا عزيزنا حسن المقال القادم عن برنامج الصهيونيين فى ميدان العمل ورأس المـال . وثم لا تعود تلومنى إذا فتحت عينيك وأمثالك لـكايد الصهيونيين .

نقولا الحداد

لا ، لا نملك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

لم أكد ألمح بين مواد فهرس الرسالة الصادرة فى ٥ إبريل الجارى هذا العنوان « نعم نملك تحريم تعدد الزوجات » حتى ساءلت نفسى : ترى من هذا الذى تطوع للدفاع عن قضية بينة الخسران ؟ وما إن رأيت العنوان مقرونا باسم صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى حتى زاد إشفاقى على المدافع وخشيت عليه مغبة الأمر .

لكن سرعان ما تبددت مخاوفى حين طالعت المقال فوضح لى أن العنوان لا يترجم له . ويخيل إلى أن الأستاذ قد أغرى بمعارضة عنوان مقالاتنا المنشورة بمجلتى « المجتمع الجديد »(١) « والرسالة »(٢) تحت عنوان «هل نملك تحريم تعدد الزوجات» فاوقعه ذلك — دون ماقصد — فيما ظنه مأخذاً علينا من عدم المطابقة بين العنوان والمقال . فالأستاذ يقرنا على أن الشرع قد أباح تعدد الزوجات إلى أربع ولم يحرمه بأى نوع من أنواع التحريم ، ويؤيدنا فى انكارنا على معالى عبد العزيز فهمى باشا — أسبغ الله عليه ثوب العافية — ماذهب إليه من القول بأن الشرع يحرم ذلك ، وما ارتكبه دفاعاً عن هذا القول من « تعسف لم يقع نظيره من مسلم» بتأويله آى القرآن بما لا تحتمله ، ورده السنن الواردة بالاباحة وتسفيهه الاجماع المنعقد عليها قولا وعملا فى جميع العصور ... الخ ... لكنه (الأستاذ الصعيدى) يرى — مع ذلك — أننا « نملك تحريم تعدد الزوجات ، ولكن بطريق ما كان يصح أن يخفى على حضرة صاحب المعالى العالم العلامة عبد العزيز فهمى باشا ... » ولم يبين لنا هذا الطريق صراحة وإن كان قد أشار إليه بما يفهم منه أنه طريق التشريع الوضعى القائم على استعمال ولى الأمر ماله من سلطان على عماله قضاة كانوا أو مأذونين بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعاوى المترتبة على هذه العقود .

فإن كان هذا ماعناه — ولا يمكن أن يكون قد عنى سواه — فقد أخطأ القصد إلى التحريم ، وإلى حقيقة هدف الباشا وما خفى ومالم يخف على معاليه . ذلك أن الطريق الذى أشار إليه قد لجأ إليه الشارع المصرى حقيقة فى نظائر لتعدد الزوجات تحقيقاً لمقاصده الاصلاحية بما يناسب تطور الزمن وتغير الأوضاع . ومن هذه النظائر مسائل إثبات النسب ، والنفقة ، والعدة ، وتحديد سن الزواج الذى أشار إليه الأستاذ ، لكن هذا الشارع لم يتناول هذه الأمور بتحريم قط ، وما كان له أن يفعل ، إذ الحل والحرمة حكمان دينيان ، والحاكم هو الله وحده جل شأنه ، وإنما سلك الشارع المصرى طريقاً سلبياً لا علاقة له بحل ولا حرمة ، وهو كما قدمنا — طريق منع القضاة والمأذونين من سماع بعض الدعاوى وتحرير بعض الوثائق الخاصة بهذه الأمور . فلا ينبنى على ذلك أن ينقلب الحرام منها حلالا أو الحلال حراماً حتى يصح القول بأننا « نملك التحريم » وكل ما هنا لك أنه عطل من الآثار المترتبة على هذه الأمور ما يستلزم الوصول إليه قضاء القاضى أو تحرير الوثيقة وترك الناس بعد ذلك أحراراً يتزاوجون ويقر بعضهم لبعض بالنسب ويؤدون لزوجاتهم ما عليهم لهن من نفقات غير مقيدين فى ذلك إلا بأحكام الدين . ويعتبر صحيحا كل ما ينشئون بينهم من علاقات على هذا النحو ، وتترتب عليه جميع الآثار الشرعية عدا ما ذكرنا من الآثار المعطلة . فلو طلق مسلم مصرى زوجته ثم ولدت بعد الطلاق لأكثر من سنة ولم ينكر المطلق الولد ثبت نسبه منه شرعاً ، وترتبت للولد والوالد كافة الحقوق من نفقة وحضانة وولاية وتوارث وغيرها . ولو تزوج من يقل سنه عن ثمانى عشرة سنة بمن يقل سنها عن ست عشرة سنة فزواجهما صحيح شرعا تترتب عليه كافة الآثار الشرعية عدا المعطل منها . وكذلك الحال فى باقى الأمور التى سلك فيها الشارع هذا الطريق السلبى .

بل إن العلاقات التى تنشأ من هذا القبيل فى حدود الأوضاع الدينية صحيحة قانونا أيضاً وتترتب عليها كافة الآثار عدا ما نص على تعطيله . ومن ذلك أن مواقعة الزوج لزوجته التى يقل سنها عن ست عشرة سنة لا تعتبر جريمة ، فلو لم يكن هذا الزواج

---

(١) العدد ٣ .

(٢) الأعداد من ٧٦٤ إلى ٧٦٨ من السنة السادسة عشرة .

صحيحاً قانوناً لا عتبرت جريمة هتك عرض ولا تطبق على الزوج حكم المادة ٢٦٩ من قانون العقوبات — ومن ذلك أيضاً أن محكمة النقض والابرام قد أصدرت فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ برياسة معالى عبد العزيز فهمى باشا نفسه حكمها المشهور بعدم اعتبار ذكر الشهود سناً غير حقيقية لأحد الزوجين فى وثيقة العقد مع علمهم بسنه الحقيقية ، جناية تزوير بناء على أن واقعة السن ليست من الأركان الأساسية فى عقد الزواج لأنه يصح وينفذ وتترتب عليه آثاره الشرعية بدونها .

ولهذه الاعتبارات المتقدمة نرى الشارع المصرى يعبر عما تناوله من هذه الأمور بتعبير يتفق وحقيقة ما قصد إليه من معنى سلبى لا يتعرض فيه لحل ولا حرمة ، فيقول مثلا « لا تسمع الدعوى لنفقة عدة لمدة تزيد عن سنة من تاريخ الطلاق ، كما أنه لا تسمع عند الإنكار دعوى الأرث بسبب الزوجية لمطلقة توفى عنها زوجها بعد سنة من تاريخ الطلاق » (المادة ١٧ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩) بخلاف الأحكام التى أوردها متفقة وأحكام الشريعة ولو فى بعض المذاهب فقط ، كقوله « لا يقع طلاق السكران والمكره » (المادة ١ من المرسوم بقانون سالف الذكر) .

على أن سلوك المشرع المصرى لهذا الطريق السلبى مبنى على قاعدة شرعية مقررة وهى « تخصيص القضاء بالمكان والزمان والحادثة » إلا أن تطبيق هذه القاعدة فى مصر محل نظر ليس هنا مجال التبسط فيه . وحسبى أن أجتزىء ببيان أن المقصود بهذه القاعدة وما يتفق مع ماحدث من تطبيقها فى جميع عصور الإسلام المتقدمة ، هو تخويل ولى الأمر ، بما له من الولاية القضائية العامة ، الحق فى تنظيم هذه الولاية بين قضاته بما يتفق والصالح العام ومصلحة المتقاضين وحال القضاة من أن بعضهم أكثر صلاحية للحكم فى بلد دون آخر، وفى زمان معين دون زمان آخر، وفى بعض الدعاوى دون بعض . وليس المقصود بهذه القاعدة حرمان المتقاضين من التمتع بالآثار المترتبة على ما أحله الشرع ، وإلا كان فى ذلك تعطيل لبعض أحكامه الخاصة بترتب الآثار المتقدمة على تصرفات أجازها مما لا يدخل فى نطاق هذه القاعدة ولا يمكن أن يكون مقصوداً بها . ولذا قرر جميع من تعرضوا لبيان هذه القاعدة من أمثال ابن فرجون فى تذكرته والماوردى فى أحكامه السلطانية أنه إذا كف ولى الأمر جميع قضاته عن سماع الدعوى بناء على هذه القاعدة ، وجب عليه أن يسمعها بنفسه كيلا تتعطل بعض أحكام الشرع ، فليرجع إلى ذلك من شاء .

ومما تقدم يتبين بجلاء للاستاذ عبد المتعال أن الطريق السلبى الذى أشار إليه ليس طريقاً للتحريم بحال فى وضعه الحالى ، بل ولا يجوز (شرعاً) أن يترتب عليه تعطيل لبعض الأحكام المترتبة على تصرفات شرعية صحيحة ؛ ولذلك لم يقل به معالى عبد العزيز فهمى باشا فى مسألة تعدد الزوجات ، وما كان هذا الطريق ليخفى على مثل معاليه ، ولكنه أراد شيئاً ، مغايراً لما عناه الأستاذ ، أراد « تقرير » التحريم بقانون على أنه حكم الشرع كما فهمه معاليه من النصوص القرآنية ، لا « إنشاء » حكم جديد

فعنوان مقالاتى فى الرد على معاليه يطابق موضوع النزاع بينى وبينه تمام المطابقة .

إبراهيم زكى الدين بدوى
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون

مجلس الشورى لابليس

لشاعر الهند المرحوم الدكتور محمد إقبال

بمناسبة أسبوعه الذى سيقام فى (لاهور) آخر هذا الشهر احتفالا بذكراه

ترجمة الدكتور السيد محمد يوسف

كلمة المترجم

لا يزال العالم مسرحاً للنزاع بين الحق والباطل . ولئن كانت كفة الحق رجحت فى فترات من التاريخ ولا سيما إبان ظهور الإسلام ففى عصرنا هذا نرى الدنيا كلها تعانى نظاماً إبليسياً يقوم على أساس استعباد الإنسان للانسان . ومما يدعم هذا النظام أن الدين لم يعد يلعب دوراً إيجابيا فى الحياة البشرية مع أنه بقى منه عناصر شتى فى صورة مشوهة ممسوخة تعمل عمل الأفيون فى تنويم الطبقات المهضومة الحقوق ، مثـل الاعتقاد بقضاء الله وقدره ، ولـكن أصبح من المقرر أخيراً أن الإنسانية متبرمة من هذا النظام وربما ظهرت هناك تيارات فى الفـكر واتجاهات فى العمل تدل على أن الإنسان قد بدأ يتفقد نوع النظام الذى يكفل له ما يعوزه تحت النظام الحاضر ، فتارة نسمع الأصوات تعـلو مدوية بـ« الحـكم للأمة »وتارة أخرى نرى الناس يعجبون بتعاليم ماركس ، ويهرعون إلى مبادئ الشيوعية التى كانت الفاشستية تمد قوتها لمناوأتها والقضاء عليها حين نظم الدكتور إقبال أبياته المترجمة فيما بعد فى سنة ١٩٣٦ — نعم نلاحظ جميع هذه التيارات المتضاربة فيخيل إلينا أن النظـام الإبليسى قد صار على وشك الانهيار وأن فجر السـعادة سينبلج عن قريب . ولا غرو إذا استدعى هذا الحال عقد جلسة هامة لمجلس الشورى لإبليس يوم كانت بوادر الحرب الماضية قد لاحت فى الأفق لـكل ذى بصيرة وخبرة . وهاهوذا الشاعر يطلعنا على ما جرى فى تلك الجلسة بين إبليس ومستشاريه . والآن بعد أن اشتعلت الحرب العالمية ثم وضعت أوزارها ، وفرغت الشـعوب المختلفة من وضع القائمة لربحها وخسارتها — الآن نحن فى موقف يسهل علينا فيه أن نحـكم على حسن تدبير إبليس أو بعبارة أخرى صـدق تنبؤ الدكتور إقبال وبعد نظره فيما صرح به من أن جميع الحركات الإصلاحية ليست فى الحقيقة إلا أجزاء من خطة واحدة مدبرة من تلقاء إبليس الذى لا يهدد سلطانه إلا الإسلام .

أما الإسلام فإنه وإن كان خطراً عظيما بالقوة لـكنه ليس بخطر بالفعل ؛ لأن المسلم قد فقد الإيمان برسالته والثقة بنفسه ؛ فاعتزل معترك الحياة وتنازل عن الدنيا وما فيها فلا يهمه مصير الإنسانية وأوضاع العالم إذا هو شغل فـكره فى الترف العلمى المفسد لقوة العمل مثل الإلهيات والـكلام؛ وإذن فليس على إبليس للاحتفاظ بسيادته على الأرض إلا أن يستمر فى صرف نظر المسلم — عدوه الوحيد — عن الحياة والجهاد فى سبيلها .

ولـكن مهما يكن الحال باعثا على الاطمئنان من ناحية المسلم فالخطر لا يزال متمثلا أمام إبليس فى طبيعة الإسلام وجوهره ؛ لأن الإسـلام ينطوى على استنـكار الاستعباد بجميع أنواعه وتزكية الثروة وجعلها أمانة فى يد المنعمين . وهاتان الناحيتان — السياسية والاقتصادية — هما اللتان تهمان الإنسانية فى الوقت الحاضر . فلو اهتدت بمقتضى الظروف إلى اكتشاف مبادئ الإسلام — الملك لله والأرض لله — لفسـد الأمر على إبليس . فلذلك تراه يسهر على حجب هـذا الطريق المستقيم عن أنظار الجمهور المتلمسين طريقهم فى الظلام ليبقوا حيارى متطرفين تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال .

ومما يجب التنبيه إليه أن رسالة إقبال — رسالة الجد والعمل المنتجين — هى تسخير الأسباب المادية والسيطرة التامة على الأحوال والنظم الاجتماعية دون الخضوع لها ؛ فهو دائماً شديد الاغتباط بمظاهر الحركة والنشاط حتى فى حياة إبليس ولا يملك الاستهزاء بالركود والجمـود فى الملائكة المشتغلين بالتسبيح والتقديس فقط كأنه يريد التأكيد بأن الفضل كل الفضل فى المغامرة والمخاطرة لا فى الانحياز وسلامة النفس . وهذا أسلوب مطرد للدكتور إقبال فى معالجتـه لشخصيات موسولينى ولينين وماركس ؛ فإنه ينوه بحيويتهم دون أن يتقيد ببرامجهم . وسنرى هذا الأسلوب ينجلى أمامنا بصورة بارزة فى هذه الأبيات المترجمة

السنة سنة ١٩٣٦ م

إبليس — هذه الدنيا لعبة العناصر من قدم ، تقطعت آمال سكان العرش الأعظم حسرات عليها ، قد أزمع الآن على خرابها ذلك المصرف للامور الذى سماها عالم الكاف والنون(١) أما أنا فقد أريت الأفرنج حلم الملوكية وأبطلت سحر المسجد والدير والكنيسة ، وإنى لقنت المعدمين درس القدر ؛ وألهمت المنعمين جنون الرأسمالية . أفيطيق أحد إطفاء النار المستعرة فيما تستند وقائمها إلى لوعة فى قلب إبليس ؟ وهل يطيق أحد قلع تلك النخلة التى تمتد أغصانها بتربيتنا نحن ؟

المستشار الأول — لا شك أن هذا النظام الإبليسى محكم ، إذ تأصل من جرائه العوام فى طريق الاستعباد . هؤلاء المساكين قد قدرعليهم السجود من الأزل حتى أصبحت الصلاة بدون القيام(٢) من مقتضيات فطرتهم ، لايمكن أبداً أن يتولد فيهم أمل . ولئن ولد أحياناً فلا بد من أن يموت أو يبقى فجا ناقصاً . إن من معجزات سعينا المتواصل أن أصبح المتصوفون وأئمة الدين كلهم من عباد الفردية وإنما كان هذا الأفيون يوافق طبع الشرق ، وإلا فعلم « الكلام » لا يقل شيئاً عن مزامير القوال . ولو بقى الاحتفال بالطواف والحج فما الذى يهمنا من أمره ؟ إذ أن سيف المؤمن المسلول قد فُل ، وعلى قنوط مَن يدل هذا الفرمان الجديد أى قولهم أن الجهاد محرم على المسلم فى هذا العصر ؟

المستشار الثانى — أخير هذا الضجيج بشأن « الحكم للجمهور » أم شر ؟ عجباً إذ لست مطلعاً على الفتن الناشئة فى الدنيا

المستشار الأول — إنى على علم ، ولكن خبرتى بالدنيا ترشدنى إلى أنه لا داعى للخطر أبداً من ناحية ما هو قناع للملوكية ليس إلا . نحن بأنفسنا خلعنا على الملوكية زى الجهورية إذا تنبه ابن آدم قليلا إلى عرفان نفسه وتقدير ذاته . إن أمر الملكية يمتاز بماهيته الخاصة بحيث لا يقتصر أبداً على وجود « الأمير والسلطان » سواء أكان هناك مجلس الملة أم أركان دولة أبرويز ، « السلطان » عبارة عن كل من يطمح ببصره إلى زرع غيره . أو لم تر إلى النظام الجمهورى فى الغرب ؟ الظاهر مشرق ، أما الباطن فهو أظلم من جنكيز !

المستشار الثالث — كلما بقيت روح الفردية فلا داعى إلى الاضطراب . ولكن كيف تتسنى المعارضة لفتنة ذلك اليهودى الذى هو الكليم ؟ إلا أنه ينقصه التجلى وهو المسيح ؛ بيد أنه ليس معه صليب . ما هو بنبى ولكنه متأبط كتاباً . يعوزنى التعبير عن نظرة ذلك الكافر الهتاك للأستار كأنما هى القيامة لأقوام الشرق والغرب . وهل يكون هناك أشنع من فساد الطبع هذا ؟ أعنى أن الارقاء قوضوا أطناب خيام مواليهم .

المستشار الرابع — انظر ترمعارضة تلك الفتنة فى إيوان رومة الكبرى ؛ فإنا نحن قد جعلنا آل قيصر يحلمون بحلم قيصر مرة ثانية . من الذى يلتف بأمواج بحر الروم ، يعلو تارة مثل الصنوبر ، ويزمجر تارة أخرى مثل الرباب ؟

المستشار الثالث — أنا لا أسلم بالتبصر فى العواقب لمن فضح سياسة الإنجليز بمثل هذا الطريق .

المستشار الخامس — (مخاطباً إبليس) : يا من بحرارة أنفاسه يقوم أمر العالم ! كلما شئت أنت هتكت أية خبيئة . بفضل حرارتك يتحول « الماء والطين » إلى عالم الحرقة والزمجرة ؛ كما أنه بإرشادك يصبح أبله الجنة بصيراً بالأمور . إن الذى يعرف بين العباد الساذجين باسم « الرب » لا يبزك أبداً فى الخبرة بفطرة آدم . إن الذين يشتغلون بالتسبيح والتقديس والطواف لا غير ، لا يزالون خجلين ناكسى الرءوس أمام غيرتك . لئن كان جميع السحرة الإنجليز لا يزالون مطيعين لإرشادك على الرغم من ذلك ، فإنى فقدت الثقة بفراستهم . ذلك اليهودى الفاتن الذى برزت فيه روح مزدك قد أوشك أن يتمزق كل رداء من جراء جنونه . وقد أصبح الزاغ الصحراوى مساوياً للشاهين والصقر . ما أسرع طبيعة الدهر تبدلاً ! تلك التى ظنناها قبضة من الغبار قد تبعثرت وحجبت الأفلاك ، وبلغ الذعر من الفتنة المنتظرة بالغد إلى أن ارتعدت منه الجبال والمروج وضفاف الأنهار . يا مولاى إن العالم الذى يعول على سيادتك فقط ، ذلك العالم على وشك الانقلاب

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (كن) فيكون

(٢) يؤكد الدكتور إقبال أن الخضوع لله يستلزم الاستعلاء وعدم الخوف بالنسبة إلى كل ما سواه والقيام فى الصلوة كأنه رمز للاستقلال والثبات فى وجه غير الله كما أن الأركان الأخرى ولا سيما السجود تعبير عن التسليم لله —

إبليس — (يخاطب مستشاريه) : إن عالم اللون والرائحة بما فيه من الأرض والشمس والقمر والسماء طبقاً على طبق ، إنمـا هو طوع بنانى . وسيشهد الشرق والغرب بعينهما ما يعجبهما إذا ما أحميت أنا دم أقوام أوربا . إنما تـكفى صرخة واحدة منى لحمل كل إمام من أئمة السياسة وشيوخ الـكنيسة على الغلواء . ولو كان أحد من السفهاء يرى أن الثقافة الحاضرة من صنع الزجاج فليجرب بنفسه كسر أدواتها من الـكأس والـكوب . إن الجيوب التى مزقتها يد الفطرة لا يمـكن أبداً أن ترفأ بإبرة المنطق المزدكى . أنَّى يمـكن أن يهولنى هؤلاء الشيوعيون المترددون إلى الأزقة قلق الأحوال موزعى الفـكر مختلطى الأصوات ؟ ولـكن لو كنت أشعر بخطر فهو من جهة تلك الأمة التى ما تزال شرارة الأمل مخبأة تحت رمادها . لا تزال يوجد بين هؤلاء القوم عدد قليل من الظالمين الذين يتوضأون بالدموع بالابكار . كل مطلع على بواطن الأيام يتأكد من أن فتنة الغد هى الإسلام لا المزدكية .

— ٢ —

أنا أعرف أن هذه الأمة لم تبق حاملة للقرآن ، وأن الرأسمالية هى بعينها أصبحت ديناً للعبد المؤمن . ولا يغيب عنى أن أكام شيوخ الحرم خلو من اليد البيضاء للاضاءة فى ليل الشرق البهيم . ولـكنى أخاف من مقتضيات هذا العصر أن تؤدى إلى تبيان الشريعة النبوية . وحذار ثم حذار من الدستور النبوى فانه حافظ لناموس المرأة ، ومبتلى المرء ومكونه . إنما هو إنذار بالموت لجميع أنواع الاستعباد حتى لا يبقى بعـده لا الفغفور أو الخاقان ولا المسكين المرابط بالطريق . هو يطهر الثروة ويزكيها من كل رجس ، ويجعل المنعمين أمناء على المال والثروة . وهل يكون انقلاب فى الفـكر والعمل فوق هـذا : « الأرض لله لا للملوك » يا حبذا لو بقى دستور كهذا مخبأ عن عيون العالم . ومن المغانم أن المؤمن نفسه يعدم اليقين (١) والخير فى أن يبقى هو مشتبكا فى الإلهيات مشغولا فى أوجه تأويل كتاب الله .

— ٣ —

لا أضاء الليـل المظلم للمتقى الذى تبطل تـكبيراته طلسم الجهات الستة ! هل مات ابن مريم أم هو حى خالد ؟ هل صفات ذات الحق هى عين الذات أو منفصلة عنها ؟ هل المقصود من « الموعود » هو المسيح الناصرى أو المجدد المتصف بصـفات ابن مريم ؟ هل ألفاظ كلام الله قديمة أو حادثة ؟ بأية عقيـدة تنحصر نجاة الأمة المرحومة ؟ هذه المجموعة من اللات ومناة من صنع الإلهيات . أولا تـكفى هى لشغل المسلم فى هذا العصر ؟ عليـكم أن تجنبوه عالم العمل حتى تفشل كل خطة له فى ميدان الحياة . الخير كله فى أن يبقى المؤمن مستعبداً إلى يوم القيامة ، متنازلا لمصلحة الآخرين عن هذا العالم الذى لا ثبات له . إنما يليق به الشـعر والتصوف اللذان يحجبان عن نظره مسرح الحياة . أنا لا أزال متخوفاً كل لحظة من يقظة هذه الأمة التى تنطوى حقيقة دينها على احتساب الكائنات . عليكم أن تشغلوه عن نفسه بالذكر والفـكر وأن تحصروه فى المزاج الخانقاهى (أى الرهبانية)

السيد محمد يوسف الهندى

(١) يعنى الإيمان القوى بحيث لا يتطرق إليه شك وهو المحرك للعمل

ظواهر فى حياتنا الأدبية ... !

للأستاذ أنور المعداوى

فى حياتنا الأدبية ظواهر تستوقف النظر ، وتغرى بالبحث ، وتدعو إلى التأمل والمراجعة . وتستطيع أن تسمى كل ظاهرة من هذه الظواهر مشكلة ؛ لأنها فى حقيقتها مشكلة تتعدد فيها الجوانب ، وتتشعب الزوايا ، وتبقى بعد ذلك فى انتظار العلاج ! ولك أن تضع مشكلة النقد الأدبى فى مقدمة المشكلات التى تعانيها الحياة الأدبية عندنا فى هذه الأيام ؛ فالنقد الأدبى فى مصر هو « نقد الأغمار » كما سماه الأستاذ العقاد وأصاب فى التسمية .

ولقد تناول الأستاذ العقاد هذه المشكلة فى معرض حديثه عن أحد الكتب التى ظهرت حديثاً حول فتنة عثمان ، تناولها من زاوية الإشارة ولفت الأنظار ، لا من زاوية النفاذ إلى مكامن العلل والأسباب ، ومن هنا كانت اللفتة العابرة فى حديثه أشبه بلقطة « الكاميرا » السريعة التى تجيد اختيار الزاوية عند التقاط الصورة ... أما أنا فأحب أن ألتقط الصورة من زواياها المتعددة لأستطيع أن أعرض للمشكلة لوحة لا تنقصها وفرة « الرتوش » !

أول زاوية يمكن أن ننظر منها إلى المشكلة هي أن أكثر الذين يتولون صناعة النقد لا يصلحون لها ؛ فبعضهم تنقصه الثقافة الرفيعة فهو من أنصاف المثقفين ، وبعضهم تنقصه التجربة الكاملة فهو من المبتدئين ، وبعضهم ينقصه الذوق المرهف فهو من ضعاف الملكة وقاصرى الأداة ! هذه الأركان الثلاثة من أركان النقد الأدبى نضعها مجتمعة فى كفة ، لنضع فى الكفة الأخرى ذلك الركن الخطير الرابع ونعنى به الضمير الأدبى ... وهو وحده مشكلة المشكلات ! وماذا تجدى الثقافة ، وماذا تجدى التجربة ، وماذا يجدى الذوق ، إذا كان الضمير الأدبى لا وجود له ؟ لا شيء يجدى على الإطلاق ؛ لأن الضمير يوجه الثقافة فلا تجور ، ويهدى التجربة فلا تضل ، ويرشد الذوق فلا ينحرف ... وماذا نفعل وأصحاب الضمير الأدبى فى مصر هم فئة من ذوى الأهواء والأغراض ، يسيرون فى ركاب هذا وذاك ، يصفقون وليس هناك ما يدعو إلى التصفيق ، ويهتفون وليس هناك ما يدعو إلى الهتاف ؟ ! الضمير الأدبى فى مصر هو مشكلة المشكلات . وأعجب العجب أن الذين يتولون صناعة النقد فى هذه الأيام لا يشعرون بأنهم معرضون لميزان الناقدين ، وأنهم حين يظفرون بثناء بعض الناس يفقدون احترام الآخرين ... إنهم لا يشعرون بشىء من هذا لأنهم أغمار ، ولأنهم أصحاب أهواء وأغراض !

النقد الأدبى فى مصر تنقصه هذه الدعائم الأربع مجتمعة : الثقافة ، والذوق ، والتجربة ، والضمير ... وأقول مجتمعة لأن هناك المثقف المحروم من الذوق ، فهو قد يوفق حين يقدم إليك نظرية فى النقد الأدبى ؛ ولكنه يخفق إذا ما وصل إلى مرحلة التمثيل والتطبيق ؛ ذلك لأن موهبة الذوق الفنى عنده لم تنضج كل النضوج ، والنقد فى أصدق صوره وأكملها لا يقوم إلا على التوفيق بين القاعدة والمثال ... وهناك المثقف الذى لم يمد ثقافته بروافد من التجربة الكاملة ، ونعنى بها معالجة الكتابة فى النقد الأدبى على هدى الإحاطة التامة بأصوله ومناهجه ... وهناك المثقف الذى تجتمع له الثقافة والذوق والتجربة ولكنه يتخلى عن ضميره لقاء غرض من الأغراض !

هذه هى بعض الزوايا التى ننظر منها إلى من يتولون صناعة النقد فى هذه الأيام ، وتبقى بعد ذلك زاوية لا تقل عن سابقاتها خطورة ، وهى أن هؤلاء الناس تنقصهم صفة التخصص؛ فبعضهم يتحدث عن القصة وهو لا يعرف شيئاً فى فن القصة ، وعن المسرحية وهو لا يدرك على أى الدعائم يجب أن يقوم البناء الفنى للمسرحية ، وعن التاريخ الأدبى وهو لا يستطيع أن يفرق بينه وبين غيره من ألوان الدراسة الأدبية ، وعن الشعر وهو محروم من نعمة الشعور ! ومما يبعث على الأسى والأسف أن بعض الأدباء ممن كانوا يحذقون صناعة النقد قد انصرفوا عنها إلى الكتابة فى الصحف اليومية جرياً وراء المادة ، غير مبالين بالفراغ الذى تحسه المكتبة العربية فى هذا المجال منذ سنين !

ونترك النقد الأدبى لنتحدث عن مشكلة أخرى هى مشكلة القصة المصرية الحديثة ... وأول شىء نقرره هو أن القصة عندنا لا تزال تخطو فتتعثر ، سواء فى ذلك القصة الطويلة أو القصيرة

التحليلية أو الموضوعية ، التاريخية أو الذاتية ، ومرجع هذا إلى أن كتابنا القصصيين لا يسيرون على القاعدة التى وضعها مارك سوان حين قال : « يجب أن يكون للقصة تصميم فنى كذلك الذى يضعه المهندس المعارى للبناء ؛ أو كتلك المذكرات التى يعدها المحامى قبل مباشرة إحدى قضاياه » .. القصة عندنا ينقصها التصميم الفنى ؛ ينقصها كيف تبدأ ، وكيف تسير ، وكيف تنتهى ؛ دون أن يكون هناك شذوذ أو اضطراب فى هذه المراحل الثلاث ! وكتاب القصة عندنا ينقصهم الفهم الصادق لأصول الفن القصصى فى كثير من الأحيان ؛ فمنهم من يعتقد أن الواقعية فى القصة مثلا هى أن ينقل عن الواقع ، المادى المحس ، نقلا يتركز فى لفظ أو يتمثل فى عبارة ! الواقعية هى أن تنقل الحياة إلى الورق — لا كما كانت — ولكن كما يمكن أن تكون ... الواقعية هى أن تسير الحادثة مع مجرى الحياة ... الواقعية هى الصدق فى التعبير بحيث لا يطغى الخيال على الواقع ، ولا يجور الفن على الطبيعة . الواقعية بمعنى آخر هى الدقة فى تصوير انعكاس الحياة على حواس الفنان . فأين كتاب القصة المصرية من هـذه المعانى ؟ ! إنهم لا يفرقون فى كثير من الأحيان بين أصول القصة التحليلية والموضوعية ، ومن هنا تجدهم يحفلون فى كل قصة من هذا اللون أو ذاك بالنهاية المفتعلة والعقدة المنافية لمجرى الحياة ، ليحدثوا شيئاً من المفاجأة يثيرون به إعجاب القارئ ، ولو كانت تلك المفاجأة على حساب الفن ... مع أن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والأهواء ، لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ؛ لأن هدفها الأول هو وضع العواطف الإنسانية تحت مجهر التحليل النفسى !

وتلمس إلى جانب ما ذكرت بعض الظواهر الأخرى التى لا تزال تترك أثرها العميق فى بناء القصة المصرية ، تلمس الحوار المصنوع ، لأن كتابنا القصصيين يتخيلون أن فن الحوار يتمثل فى اللفظ الأنيق ، والمعنى الرشيق ، والعبارة الموشاة ، دون أن يرجعوا إلى الحياة ليروا إن كانت تطيق هذا كله أو لا تطيقه . الفن فى الحوار ليس هو الصناعة اللفظية ، ولكنه إنطاق الشخوص بما يمكن أن تنطقها به الحياة ، فلا يتحدث أحد الخدم مثلا كما يتحدث سارتر أو كسير كجورد ، ولا ينطق أحد الجهلاء كما ينطق بيكون أو ديكارت ! وتنظر فتجد أكثرهم يحركون فى قصصهم شخوصاً من صنع المخيلة لا من صنع الحياة ؛ مخيلتهم هى التى ترتب المنظر ، وتحرك الشخوص ، وتصنع الحوار ، فتكون النتيجة زيفاً فى العمل الفنى يبعد القارئ عن جو الواقعية الذى تنشده كل قصة يرجى لها البقاء ؟ وتبحث عن تصوير الجو الشرقى والروح المصرية فلا تقع عليه فى كثير مما أخرجه كتاب القصة فى السنين الأخيرة . وهذا راجع إلى السطو على الفكرة فى القصة الغربية ونقلها بمهارة إلى القصة المصرية كما يفعل الأستاذ توفيق الحكيم ، تماماً كما تأتى بغانية من غانيات باريس فتنزع عنها آخر ما ابتكرته محال الأزياء الباريسية ثم تلبسها « الملاءة اللف ! » قد تكون أجمل ، وقد تكون أكثر فتنة ، ولكنها تتعثر فى مشيتها ولا تستطيع أن تواصل السير . وكيف تستطيع وهذا اللباس الغريب يحد من حرية الجسم ورشاقة الحركة ؟ !

وكثير من قصاصينا تنقصهم صفة الخروج إلى الحياة ... ومن هنا تفوح من قصصهم رائحة « الجدران المغلقة » ، وأعنى بها تلك الأركان المنعزلة التى يقبعون فيها ليرسموا للحياة لوحة تستمد ظلالها وأضواءها وألوانها من جو المحال العامة والأندية الخاصة ... الفنان الحق هو من يخرج إلى الحياة ليستخدم كل حواسه فى تذوق معانيها ، ونقل كل ما يمكن أن يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى ، والفن — كما قلت غير مرة — ما لم يتصل بالحياة ، فهو همود وجمود وموت !

وإذا ما انتقلنا إلى المشكلة الثالثة وهى مشكلة المسرحية المصرية الحديثة فى أى لون من ألوانها سواء كان هذا اللون هو الدرامة أو الميلودرامة أو الكوميديا ، وجدنا أن خطوات العمل الفنى فيها أكثر تعثراً منه فى القصة ، ومرجع هذا أيضاً إلى أن من يعالجون كتابة المسرحية فى مصر أناس لا يلمون كل الإلمام بأصول الفن المسرحى . إن نجاح المسرحية يتوقف إلى حد بعيد على توفيق الكاتب فى اختيار الفكرة أولا ، ثم على تهيئة الجو المسرحى لفكرته تهيئة تعتمد أول ما تعتمد على بعث الحياة والحركة فى الحوار ، وفيما يعرض من نماذج بشرية يعتمد فى تحريكها عن جو الدمى وقطع الشطرنج ، وعلى عنصرى

التشويق والمفاجأة ، وعلى التسلسل الفني في عرض الحوادث عرضاً لا تحس فيه انقطاع الصلة بين الفن والحياة . أما أساس العمل الفني في المسرحية فهو « الصراع » ؛ الصراع النفسي والفكري والفني كما يقسمه واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحي الحديث هنريك إبسن ، وأما الصراع النفسي فهو ذلك الذي يكون بين ميول نفسية ، والفكري هو ذلك الذي يكون بين ميول ذهنية ، والفني هو ذلك الذي يتمثل في عملية الحوار ، من ناحية صدق الصلة بينه وبين كل شخصية تلعب دورها على المسرح . كل هذه الدعائم لا بد من توفرها ليتم البناء الفني الكامل للمسرحية الناجحة ، وقد نجد بعض هذه الدعائم متوفراً في المسرحية المصرية ؛ ولكن مصدر إخفاقها هو خلوها في كثير من الأحيان من عملية « الصراع » بأركانه الثلاثة مجتمعة ، وبخاصة الصراع النفسي، فليس فيها منه إلا ومضات قليلة مبعثرة تشع هنا وهناك .!

هذه هي الظواهر التي خرجت بها من دراستي لبعض جوانب حياتنا الأدبية في السنين الأخيرة ، وهي ظواهر تستطيع كما قلت لك أن تلمس في كل منها مشكلة تتعدد فيها الجوانب ، وتتشعب الزوايا ، وتبقى بعد ذلك في انتظار العلاج !

أنور المعداوي

من ظرفاء العصر العباسي :

٢ – أبو العينـــاء

١٩١ – ٢٨٣ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

وما أستطيع — ولا أحسبك تستطيع — أن تكتم أعجابك بهذا الظريف وهو يدلك على مواطن الغنى من نفسه ، ومواضع العزة في تصرفاته ، إذ يوحي إليك أنه غض الطرف عن زهرة الحياة الدنيا ، وكف البصر من متاعها القليل وعرضها الأدنى .

فينشد مزهواً مرفوع الهامة :

الحمـــد لله ليس لي فرس ولا على باب منزلي حرس

ولا غـــلام إذا هتفت به بادر نحـــوى كأنه قبس

ابني غـلامي وزوجتي أمتي ملكنيها المِلاك والعرس

غنيت باليأس واعتصمت به عن كل فرد بوجهه عبس

فـــا يراني ببابه أبداً طلق المحيا سمح ولا شرس

إذن هو يحمد الله — الذي لا يحمد على مكروه سواه — على أنه لم يجعل له مالا ممدودا ؛ فليس له خيل مسومة ، وأفراس مطهمة ، وليس له على الأبواب ، حراس ولا حجاب ؛ ولا له غلمان وجوار ، كأنهم في المبادرة نحوه شعلة من نار : وإنما غلامه الوحيد ابنه وفلذة كبده ، وجاريته الفريدة هي زوجته التي دفع إلى أوليائها مهرها فملكها بعد وليمة عرسه ... فحسبه اليأس مما في أيدي الناس ، فان فيه غنى النفس يعتصم به عن الذين يصعرون الخد ، ويقطبون الجبين ؛ بل ليأخذن ميثاق نفسه لما أفقرته هزاهز الدهر ثم قعدت به الأيام عن طلب الرزق ليمتزن بكرامته ، فلا يقرع باب مخلوق متزلفاً متملقاً ، ولا يسأل من الناس سمحاً ليناً لطيفاً ، ولا شرساً قاسياً عنيفاً ، أعطوه أو منعوه !

يالها من مهارة !

أما وإن هذه المهارة عند أبي العيناء في إبراز شخصيته هي التي أكسبته ثقة بنفسه لا تتزعزع ، وأخافت كثيرين من التصدي لمعارضته ، لأنه كان سريع الجواب حاضر البديهة لاذع النكتة ؛ ما جابه إنساناً إلا غلبه ، ولا ناقشه إلا أفحمه ، ولا جادله إلا ظهر عليه .

ولا ريب أن لسماعه من الأصمعي وأبي عبيدة والانصاري والعتبي وأبي عاصم النبيل الذين سبق أن ذكرنا أسماءهم فضلا كبيراً على فصاحته وبلاغته ، ولسنه وظرفته ؛ وعذوبة شعره وسهولة نثره ، وحسن اختياره ، في رواية أخباره !

ولقد كانت حياة هذا الظريف حافلة بكل مدهش وغريب ، فاذا كان قد عاصر قبل عماه المأمون والمعتصم والواثق ، فأنه عاصر بعد عماه المتوكل الذي دام أربعة عشر عاماً فأمسى أبو العيناء في السادس والخمسين ، ثم عاصر ابنه المنتصر الذي دام ستة أشهر فأتم أبو العيناء السابع والخمسين ، ثم المستعين الذي خلع بعد أن بقي أربعة أعوام فصار أبو العيناء في الواحد والستين ، ثم المعتز الذي خلع نفسه بعد ثلاثة أعوام فأصبح أبو العيناء في الرابع والستين، ثم المهتدي الذي خلع بعد أقل من عام فأضحى أبو العيناء في

الخامس والستين ، ثم المعتمد الذى ظل ثلاثة وعشرين عاماً فأشرف أبو العيناء على الثامن والثمانين ، ثم المفوض الذى خلع نفسه فى السنة ذاتها ، وأخيراً حضر ثلاث سنوات أو أربعاً من خلافة المعتضد توفى على أثرها سنة اثنتين وثمانين ومائتين كما قال الدارقطنى ، أو سنة ثلاث وثمانين ومائتين كما قال أبو جعفر بن أبى العيناء . ولا بأس إذا رجحنا رواية الابن فى هذا المقام . وهكذا فقد عاش أبو العيناء ثلاثة وتسعين عاماً ، أو قل إنه عاش قرناً إلا قليلا !

وما هذا بالعمر القصير ... فقد تقلبت فى حياة أبى العيناء عصور كثيرة فرأى فى خلالها ملوكا تعز وتذل ، وحكومات تحيا وتموت ، وأبطالا يسوقون الناس إلى الموت ثم يساقون إلى الموت ، ورجالا أكبروا النظام فأسسوا وبنوا ، وجماعات استحبوا الفوضى فهدموا وحطموا : وكان لهذه المشاهد فى نفسه آثار كانت تتفاوت قوة وضعفاً ، وإيجاباً وسلباً ، وغموضاً ووضوحاً ، فتعلم الثقة بنفسه حين ألقى ثقته بالناس لا تنفعه ، ورأى بهجة الدنيا لا تستحق العناء لما قاسها بمصائبها التى تكدر صفوها ، فإذا هو يبكى على حرمانه ، ثم يزهد زهادة الفقير الضعيف ، ثم يتشكى إلى نفسه ، وينشد من صميم قلبه :

تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلَق
وخان الناس كلهم فما أدرى بمن أثق
رأيت معالم الخيرا ت سدت دونها الطرق
فلا حسب ولا أدب ولا دين ولا خلق !

وإن مجتمعاً خالياً من روح الثقة بين أفراده وجماعاته ، قد سدت الطرق دون معالم الخيرات فيه ، حتى أبطأ بالحسيب حسبه حين لم يسرع به عمله ، وجنى على الأديب أدبه حين كسدت بضاعته ، ولم يرفع المتدين دينه حين ضعفت مكانته ، ولم يعز الفاضل خلقه حين ضاعت كرامته — إن مجتمعاً هذه بعض أوصافه ليس بالمستقر الصالح ، ولا بالمثابة الآمنة .

لكن أبا العيناء — على سخريته بمجتمعه ، واستخفافه بأهل زمانه — قد أدرك الحقيقة التى لا تخفى على الحكيم ، وعرف كثيراً من أسرار القلوب وخبايا النفوس التى لا تكشفها إلا التجارب ، فوازن بين فصاحة الفصحاء وسوء حالهم ، وبين دراهم الأغنياء ونعومة عيشهم ، فعصر الألم قلبه ، وأنطق لسانه ، ففاض شعره بالحسرة وهو يقول :

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى فى كيسه لرأيته شر البرية حالا
إن الغنى إذا تكلم كاذباً قالوا صدقت وما نطقت محالا
وإذا الفقير أصاب قالوا لم تصب وكذبت يا هذا وقلت ضلالا
إن الدراهم فى المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهى السلاح لمن أراد قتالا

ولما آمن بأن الدراهم هى لسان الفصيح ، وسلاح القاتل ، بحث عنها فلم يجدها ، أو قل إنه وجد القليل منها ، فأخذ يعزى نفسه بالنكتة اللاذعة ، والدعابة الموفقة ، والرواية الطريفة ، يدخل بها السرور على قلبه المحزون وعلى قلوب جلسائه ومعارفه ، حتى اشتهر أمره بين أهل عصره ، وذاع صيته بين أعلى الطبقات وأوسطها وأدناها ، فنادم بعض الخلفاء والأمراء والوزراء ، كما حاور الأدباء والشعراء والظرفاء ، ثم ساير العامة العاديين : فكان الجميع معه على أمرهم مغلوبين ! . . .

— ٤ —

ويبدو أن المتوكل كان أشد الخلفاء رغبة فى اتخاذ أبى العيناء نديماً ، حتى قال ذات مرة لجلسائه : « لولا أنه ضرير لنادمناه » فلما بلغه ذلك قال : إن أعفانى من رؤية الأهلة ونقش الفصوص صلحت المنادمة » هذه رواية معجم الأدباء ، ونجد مثلها فى تاريخ بغداد (ص ١٧٤ ج ٣) . وكان هذا الجواب باعثاً على إرسال المتوكل فى طلبه . فلما دخل عليه فى قصره المعروف بالجعفرى سنة ست وأربعين ومائتين قال له : « ما تقول فى دارنا هذه ؟ فقال أبو العيناء : أن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك :

فاستحسن كلامه ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز عن قليله ، وأفتضح عند كثيره . فقال له : دع هذا عنك ونادمنا . فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا محتاج أن أخدم . ولست آمن من أن تنظر إلىَّ بعين راض وقلبك على غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ؛ فأختار العافية على التعرض للبلاء . فقال : بلغنى عنك بذاء فى لسانك . . . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم فقال « نعم العبد إنه أواب » وقال عز وجل « هماز مشاء بنميم » وقال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لى الله المسامع والفما ؟

ما أحسنه من تخلص !

يعتذر أبو العيناء عن خبث لسانه بأنه لا يشتم إلا الأثيم ، ولا يهجو إلا الذميم ، كما أنه لا يثنى إلا على صاحب المعروف ، ولا يمدح إلا الحقيق بالمدح ، كأنه يريد أن يقنع السامع بصدقه فى شتمه وهجائه ، وفى مدحه وثنائه ؛ لأنه يذكرك بأن معرفة الشر باسمه ، أو الخير برسمه ، تدل على تفكير ساذج لا يعدو ظواهر الأمور ، ولصاحبه أذن لا يسمع بها ، ولسان لا ينطق به : لأن الإنسان الذى لا يعبر عما سمع وتفهم ملتو بيانه ، مائل ميزانه .

ولنا — أمام هذا العرض الواضح — أن نقرر أن أبا العيناء كان شديد الصراحة فى التعبير عن رأيه الخاص ، يحب مجابهة كل إنسان بما يلمس فيه من عيب ، وللعيب مقياس شخصى عنده لا يوافقه عليه كثير من الناس . ويبرز لنا هذا المعنى من نفسه جوابه الشافى لمن سأله : « إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟ قال : ما دام المحسن يحسن ، وما دام المسىء يسىء . وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب(١) النبى والذمى ! » .

ولقد تبلغ به صراحته مبلغاً يحمله على الاعتراف بما يؤذيه ، ولا سيما إذا غلبته النكتة على أمره . فانه ساعتئذ ينساق مع ما يجيش فى نفسه ، ومع ما يلذ لسامعه ، ولو اتهم برقة فى دينه ، وضعف فى يقينه ، وزلزلة فى عقيدته .

دخل يوماً على المتوكل فقدم إليه طعام ؛ فغمس لقمته فى خل كان حاضراً وأكلها . فتأذى بالحموضة ، وفطن الخليفة له فجعل يضحك . فقال : « لا تلمنى يا أمير المؤمنين ! فقد محت حلاوة الإيمان من قلبى » !

وإن رجلا يعرض بمحو حلاوة الإيمان من قلبه ليستر امتعاضه بدعابته — لرجل صريح ما فى ذلك ريب . ومثله لا يرى فى بذاءة اللسان عند اللزوم إلا وصفاً للواقع ، فهو فى سفاهته يتحدث عن صراحته ، لا يسأل عمن أمامه ، ولا يكترث بما يحيط به ...

كان المتوكل يكره التشيع لعلى بن أبى طالب وآله . فسأل أبا العيناء : « هل رأيت طالبياً حسن الوجه ؟ » .

قال : نعم ، رأيت ببغداد منذ ثلاثين واحداً . قال : تجده كان مؤاجراً (يؤجر نفسه) وكنت أنت تقود عليه . فقال : يا أمير المؤمنين أو يبلغ هذا من فراغى ؟ أدع موالى مع كثرتهم وأقود على الغرباء ؟

فقال المتوكل للفتح : أردت أن أشتفى منهم فاشتفى لهم منى ! »

وهذه صراحة منقطعة النظير لم يشجع أبا العيناء عليها إستخفاف المتوكل بالطالبيين ورميه إياهم بعبارات لا تليق بقدر ما شجعه عليها اعتقاده الخاص بآل البيت ورغبته فى إفحام الخليفة نفسه . ولست أعنى بهذا أنه كان متشيعاً لآل البيت ، فما يكون يأبه لشىء من هذا ، وإنما كان يكون لنفسه رأياً خاصاً فى كل من يلقاه : يصاحب من يريد ، ويخاصم من يريد ، ويهمه — قبل كل شىء — ألا يعلو عليه مخلوق .

وكما ظهر أبو العيناء بمظهر المدافع عن آل البيت ليفحم الخليفة المتوكل بجوابه ، خاصم يوماً علوياً ولم يكترث بتشيعه . فقال له العلوى : « تخاصمنى وقد أمرت أن تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ؟ فقال : لكنى أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت ! » .

فالرجل معارض من الطراز الأول ، ومولع بأن تظفر معارضته حيث كان ، وأمام كل إنسان مهما كان ؛ ولكنه إذا سمع ما فيه مقنع لنفسه بعد طول الحوار رضى به ويبدى إعجابه ولو صدر من صبى أو غلام . نعرف هذا من قوله « أخجلنى ابن صغير لعبد الله ابن خاقان قلت له : وددت أن لى إبناً مثلك . قال : هذا بيدك ! قلت : كيف ذلك ؟ قال : تحمل أبى على امرأتك فتلد لك ابناً مثلى »

وأظن هذا عائداً إلى صراحته حتى يمثه إعجابه بالصغير على الخجل منه وعلى تسجيل هذا الخجل على نفسه . فلا تستغرب منه بعد ذلك أى موقف أمام المتوكل وغيره ترك فيه نفسه على سجيتها ، ولم يتكلف ولم يصطنع .

أنظر إليه وقد دخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال : فى أى الحيزين أنت ؟ فقال : فى حيز الأمير أيده الله . وغلب عبيد الله فقال : يا أبا العيناء قد غلبنا . وقد أصابك خمسون رطل ثلج . فقام ومضى إلى ابن ثوابة وقال : إن الأمير يدعوك . فلما دخلا قال : أيد الله الأمير ؛ قد جئتك بجبل همذان وما سبذان ثلجاً تخذ منه ما شئت ! » .

وهكذا لم يجد لمداعبة الأمير إلا ابن ثوابة ، فاتهمه بالبرودة

---

(١) تلدغ

وجمله جبلا من الثلج ؛ فما رجا لابن ثوابة وقاراً ، ولا استحيا من الأمير !

ومواقفه مع جميع الأمراء كمواقفه مع الدهماء . ولقد حجبه أمير ثم كتب إليه يعتذر منه فقال : « تجبهني(١) مشافهة وتعتذر إلى مكاتبة ؟ » ، وشكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان ، فقال له : « ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر ؟ فما فعل في أمرك ؟ قال : جرني على شوك المطل(٢) ، وحرمني ثمرة الوعد . فقال : أنت اخترته . فقال : وما عليّ وقد « اختار موسى قومه سبعين رجلا » فما كان منهم رشيد « فأخذتهم الرجفة » ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالمشركين مرتداً ، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكما فحكم عليه ؟ » .

أما نوادره مع الوزراء فأكثر من أن تحصى ، وأبدع من أن تروى ، ولا معدى لنا عن ذكر بعضها من غير تعليق تمثيلا للقارىء وترويحا عن نفسه :

دخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له : « ما الذي أخرك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سرق حماري . فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . قال : فهلا أتيتنا على غيره ؟ قال : قعد بي عن الشراء قلة يساري ، وكرهت ذل المكاري(٣) ومنة العواري » .

ووعده ابن المدبر يوماً أن يعطيه بغلا ، فلقيه في الطريق . فقال : « كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟ فقال : أصبحت بلا بغل » فضحك منه وبعث به إليه .

وحمله وزير على دابة ؛ فانتظر علفها . فلما أبطأ عليه قال : « أيها الوزير ! هذه الدابة حملتني عليها أو حملتها عليّ ! » .

وكان يتطاول على الوزير أحمد بن الخصيب حتى وضع كتاباً في ذمه حكى فيه : « أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس ، وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة(٤) والجهالة والتفغل ، فتجاذبوا أطراف الملح في ذمه ؛ فقال أحدهم : كان جهله غامراً لعقله ، وسفهه قاهراً لحلمه . وقال آخر : لو كان دابة لتقاعس في عنانه ، وحرن في ميدانه . وقال آخر : كنت إذا وقع لفظه في سمعي أحسست النقصان في عقلي . وقال بعض كتابه : كنت أرى قلم ابن الخصيب ، يكتب بما لا يصيب ، ولو نطق لنطق بنَوْك عجيب . وقال آخر : لو غابت عنه القافية لنسيها . وقال أبو العيناء في آخر هذا التصنيف : « كان ابن الخصيب إذا ناظر شغب ، وربما رفس من ناظره إذا عجز عن الجواب ، وخفي على الصواب ، واستولت عليه البلادة ، وعري كلامه عن الإفادة ؛ وكان إذا دنوت منه غرك ، وإن بعدت عنه ضرك ، فحياته لا تنفع وموته لا يضر .

لذلك هجاه قائلا :

أشكل وزيرك إنه ركالُ ... قل للخليفة يا ابن عم محمد
قد أحجم المتظلمون مخافة ... منه ، وقالوا ما نروم بحال
ما دام مطلقة علينا رجله ... أو دام للنزق الجهول مقال
قد نال من أعراضنا بلسانه ... ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال وإن ترد ... مالا فمنفد وزيرك الأموال

فما زاد أبو العيناء على أن جعل ابن الخصيب ركالا يطلق رجله على الناس ، وطالب الخليفة بأن يضع فيه الشكال الذي تقيد به الدابة . وأحسب أن هذا منتهى ما يصل إليه الهجاء !

(البقية في العدد القادم)

صبحي ابراهيم الصالح

(١) تؤنبني حتى أنكس رأسي .
(٢) التسويف والإبطاء بالوعد .
(٣) المؤجر .
(٤) العي في اللسان والغباوة في الفهم .

من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة (*)

تأليف هانز كوهين

٣ – المرأة الجديدة

خطت تركيا والشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى خطوة حاسمة فى العصر الحديث نحو تحرير نسائهم، ومساواتهن بالرجال أمام القانون وفى الحياة العامة . ولكن لا تزال مصر والأقطار العربية فى مفترق الطرق . وقد نشطت حركة تحرير المرأة فى مصر والبلاد العربية فى الجيل الماضى، وأحرزت نجاحاً فى مسألة قانون الزواج . ولعبت المرأة دوراً إيجابياً فى الجهود الوطنية من أجل الاستقلال منذ الحرب العظمى (الأولى) .

وكانت صفية زغلول تقف دائماً إلى جانب سعد، ومثلته وهو فى منفاه، واستحقت لقب الشرف : أم المصريين . إذ التفت حولها مجموعة من سيدات المجتمع، ونشطن فى نصرة زغلول .

وقد قامت الحركة النسائية فى مصر بدور معقول تحت رئاسة هدى هانم شعراوى أرملة شعراوى باشا الذى اصطحب سعداً فى نوفمبر ١٩١٨ عندما ذهب إلى المندوب السامى البريطانى لعرض المطالب المصرية . وفى مارس ١٩٢٣ أنشىء اتحاد نسائى مصرى . فأرسل وفداً إلى الاتحاد النسائى الدولى بروما . وقد أشارت هدى هانم شعراوى فى خطابها إلى التصورات الزائفة عن مركز المرأة فى الإسلام التى تسود الغرب .

وأعلنت أن الذى تحتاجه المرأة هو التعليم وتعديل قانون الزواج، لضمان مركزها اللائق بها .

وكان من نتيجة الحركة الوطنية الكبرى فى ١٩١٩ أن ظهرت المصريات بعد طول حجاب، فى وقت كانت الأمة فى حاجة إلى كل قواها لنيل الاستقلال . فاتحدت النساء مع الرجال، ولعبن دوراً عظيما فى الكفاح، كاتبات فى الصحف ومؤسسات للجرائد . وأسسن من مواردهن الخاصة مدارس للصناعات اليدوية للفقراء، وفتحن العيادات للأطفال المشردين، ونظمن الجماعات الأدبية والثقافية .

وقد يعتبر المشروع الذى يناقش قانون الزواج الإسلامى — المقدم فى عام ١٩٢٩ — نجاحاً أحرزته الحركة النسائية المصرية، إذ يجعل الطلاق أكثر صعوبة، وللزوجة الحق فى طلب الطلاق إذا أساء الزوج المعاملة لدرجة تجعل حياتهما غير محتملة .

ويمكنهما طلب الطلاق إذا هجرها زوجها لأكثر من عام، بدون سبب وجيه، أو إذا حكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر على الأقل . وفى المشروع قواعد جديدة تتحكم فى رفض الزوج إبقاء زوجته، وحالات النزاع حول الصداق . وترك الأبناء مع أمهم حتى سن التاسعة، والبنات حتى الحادية عشرة، وذلك فى حالة الشقاق والانفصال .

ويبطل الطلاق إذا أعلنه الزوج مضطراً، أو فى حالة سكر . وليس للقاضى أن يرفض طلاقاً، ولكن عليه مناقشة الأسباب ومحاولة النصح بالصلح . ومع أن هذه الشروط تمثل حدوداً واضحة فى تفسير القانون السابق، إلا أن شرط العقوبة على الزوج الذى نطق بالطلاق بدون توسط القاضى الشرعى — قد أحدث تغييراً عظيم الأهمية .

هذه الإصلاحات — إن لم تكن مست التقاليد — ترمى إلى اتخاذ مستويات قانونية ثابتة للأوضاع الاجتماعية . ولم يمانع المشروع فى تعدد الزوجات، بل جعل الزواج الثانى أكثر صعوبة . وذلك بأن حتم على الزوج أن يبرهن أمام القاضى الشرعى أنه فى مركز يمكنه — ماليا وأخلاقيا — بالقيام بحاجات زوجاته ومن يعولهم .

وفى مسألة تحرير المرأة نجد أن مصر أكثر تقدما من سوريا والعراق، وأن برنامج الحركة النسائية اجتماعى قبل كل شىء . فهو يقضى بإنشاء مدارس ومراكز تعليمية للنساء والفتيات المحتاجات، وتعليم بنات الطبقات الدنيا فى مدارس لتدبير المنزل، وتدريب ممرضات لرعاية الأطفال والمرضى .

وليست هناك معارضة جدية للحجاب سواء فى مصر أو سوريا . ولكن حادثاً وقع فى بيروت فى مايو ١٩٢٨ يدل على

(*) فصل من كتاب هانز كوهين (الوطنية والاستعمار فى الشرق الأدنى) الطبعة الانجليزية . لندن . ١٩٣٢

التغير التدريجي فى الآراء . فقد زاد عدد المسلمات اللائى ظهرن فى المجتمع سافرات فى هـذا الثغر . وقامت حركة احتجاج ، ووزعت المنشورات تدعو المسلمين لاتخاذ خطوات ضد السافرات . وفى الجمعة التالية تكلم الخطباء فى المساجد ضد هذه المنشورات ، وطالبوا باحترام الحرية الفردية . ثم نظمت الحركات النسائية فى سوريا وفلسطين والعراق .

وفى إبريل ١٩٢٨ انعقد أول اجتماع للنساء السوريات لمناقشة مسائل التعليم والتدريب المهنى ، وتعديل قانون الزواج . واقترح الاتحاد عقد مؤتمرات سنوية لنساء العرب ، تنعقد بالتتابع فى مصر وسوريا وفلسطين والعراق . وكان غرض الحركة النسائية فى فلسطين مناصرة الكفاح من أجل استقلال العرب . وفى مصر وسوريا توجد صحافة تدعو لمصالح المرأة ، وكثيراً ما يحررها النساء(١)

وفى يولية ١٩٣٠ انعقد مؤتمر لنساء البلاد العربية ، وكان يعتبر دليلا للوحدة الشرقية . وجاءت الوفود وأرسلت التقارير من الحجاز .والعراق وتركيا وإيران وأفغانستان والهند الإسلامية كما أرسل الاتحاد النسائى الدولى مندوبة وقد أكدت رئيسة المؤتمر نور حمادة ضرورة حصر الكفاح فى رفع مستوى المرأة ثقافياً واجتماعياً ، وليس فى المطالبة بالحقوق السياسية . لقد كان حجاب المسلمة منافياً للطبيعة ، وسوف يزول من نفسه بارتفاع مستوى التعليم . وناقش المؤتمر تعديلات قانون الزواج ومسألة الخدمة الاجتماعية ، وطالب بإصلاح التقاليد الزوجية . فيجب على الرجل وزوجه أن يعرف كل منهما الآخر قبل الزواج ، وينبغى تقليل أهمية الشوار purchase price بين المسلمين والصداق بين المسيحيين . وأعلن أن اتحاد المسلمات مع المسيحيات فى مصر والأقطار العربية سيجعل من الحركة النسائية عاملا هاماً فى التقدم الثقافى والاجتماعى .

ويملل دخول الفلسطينيات فى هـذا المحيط من الوجهة الجغرافية فقط ؛ فالنساء فى الدوائر الأرثوذكسية واليهودية متساويات مع النساء العرب فى الثقافة والاجتماع . ثم إن اليهوديات اللائى هاجرن إلى فلسطين — من أوربا فى الخمس سنوات السابقة — قد أتين بالأفكار التقدمية فى النشاط الثقافى والاجتماعى والسياسى . فتذهب الفتيات كالفتيان إلى المدرسة ، وتلعب الجمعيات النسائية دورها فى الصحة والخدمة الاجتماعية . وبفضل جهود اليهوديات ضمن النساء المساواة التامة فى فلسطين . ولكن اعتبارات قومية تحول دون وقوع احتكاك مباشر بين الحركات النسائية اليهودية والعربية فى فلسطين .

وليس من شك فى أن الجماهير قد تنبهت إلى اليقظة الوطنية والسياسية ، وكنى بعواطفهم السياسية الملتهبة أمثلة واضحة . فشعروا بالمسئولية لمحو الأمية وإنشاء مكتبات شعبية ، وتأسيس المدارس وإقامة حلقات ثقافية .

حقاً ، إن الصحف السياسية تقرأ على نطاق واسع مدهش ، حتى الذين لا يعرفون القراءة فى القرى ، يستمعون إلى محتوياتها بصوت عال . ولكن مدى قراءة الكتب الجيدة أقل اتساعا ، وغالباً ما تجهلها الطبقات ، ثم إن معظم الصحف فقيرة فى المادة الثقافية .

وعندما تتحقق الأغراض الوطنية والسياسية ، فإن قوى الحركة يمكنها أن تتجه إلى الغايات الثقافية . ترجمة

(يتبع) محمد محمد على

---

(١) عن موضوع مركز المرأة فى الأدب العربى الحديث ، أنظر :
Ettore Rossi Una Scrittice Araba Cottolica Mayy (Narie Ziyadah) in Oriento Noderno روما – السنة ٥ ص ٦٠٤

وتدل كتابات مى بوضوح على الشعور بالوحدة التى تجمع المسلمين والمسيحيين . فقد ولدت فى ١٨٩٥ وهى كاثوليكية من أب لبنانى وأم فلسطينية وانتقلت إلى بيروت ثم إلى القاهرة فى بداية نشاطها الأدبى . ويرجع تعضيد تعليم المرأة المسلمة ونهضتها الاجتماعية إلى اللبنانية المسيحية وردة اليازجى (١٨٣٨ — ١٩٢٤) والمصرية المسلمة عائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ — ١٩٠٢) وملك حفنى ناصف (١٨٨٦ — ١٩١٨) ويتميز هؤلاء بالوطنية العربية الصادقة . وأول كاتب أيد تحرير المرأة المصرية هو قاسم أمين المتوفى عام ١٩٠٨ ، ومؤلف « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وكان تمليذا لجمال الدين الأفغانى وصديق سعد زغلول الذى أهدى إليه المرأة الجديدة

وفى مركز المرأة فى الأدب والصحافة منذ أكثر من ثلاثين سنة . أنظر : مارتن هارتمان : صحافة مصر العربية ١٨٩٩ ، ص ٤٦ — ٥٠ .

وقد ظهرت أول صحيفة عربية نسائية فى مصر عام ١٨٩٢ باسم « الفتاة » تحررها سورية مسيحية هى هند بنت نوفل .

وقد أتمت أول فتاة مصرية الدراسة الثانوية كتلميذة خارجية عام ١٩٠٦ ثم شغلت مناصب هامة فى التعليم . وبعد عودة سعد زغلول فى ١٩٢١ ألح على زوجته أن تظهر بدون حجاب . وبلغ عـدد مدارس البنات الأميرية عام ١٩٢٨ : ٢٢٤ مدرسة تجمع ٦٠٠ و ٣٦ تلميذة . وقـد سمحت الجامعة المصرية للفتيات بالدراسة فى كليات الطب والعلوم والآداب وتقدم فى السنة الأولى (٢٨ — ١٩٢٩) سبع فتيات لدراسة الطب . وفى أوائل ١٩٣٠ أثارت المحاضرات حول مساواة الجنسين : احتجاج الدوائر الإسلامية المحافظة .

بين شيخ وشاب وفتاة

للأستاذ ثروت أباظه

أما الشاب فأديب قانع من الأدب بتذوقه وتلذذه . قرأ أكثر ما كتبه المتقدمون ، فلما كتب المحدثون عزف عن القراءة . ولم يجد ما يبرر به هذا المزوف إلا أن يقول لم يعد فى البلد أدب . أصبح هم الكاتب أن يكتب عن الحب والمرأة ، كأن الدنيا قد خلت من كل شىء إلا الحب والمرأة . . فلم يعد فيها مجال للمثل العليا ولا نصيب للموعظة الحسنة . . أين كتاب الأدب القديم وشعراؤه ؟ أين فلسفة المعرى ، وحكمة أبى تمام ، وأمثال المتنبى ؟ أين روائع ابن العميد ، وبدائع عبد الحميد ، ورقائق ابن الزيات ؟ رحم الله الأدب !

وهكذا كان يعزى الشيخ نفسه عن اجتوائها حديث الشباب ، حديث الحب والمرأة .

وأما الشاب فهو ابنه ، أراده على أن يكون أديباً فكان ، ولكنه كان على غير طراز أبيه . . كان الأب يؤثر الأدب القديم ويحب أن ينهل ابنه من موارده ، فأخذ يحفظه الأشعار المختارة لعباقرة الجاهلية والإسلام ؛ ولكن ابن القرن العشرين لم يكن ليحتمل أن يقرأ كل كلمة مرتين : مرة فى الكتاب ومرة فى المعجم . فكره الأدب القديم بعد أن تزود منه ما يكفيه أساساً ونبراساً . ولما رأى الأب أن ابنه لا بد تارك الأدب لو بقى مقصوراً على قديمه سمح له أن يقرأ ما يشاء ، فقرأ أكثر ما كتب فى الأدب الحديث .

وأما الفتاة فهى زوجة الشاب ، وهى أيضاً أديبة بفطرتها ، لم توجه نفسها فى قراءتها توجيهاً معيناً ، ولكنها مع ذلك ذات حس فنى دقيق وذوق أدبى مرهف .

أسرة تربطها أواصر القرابة والنسب ، ثم توثق هذه الرابطة بينها رابطة الأدب . أحببت هذه العائلة وأصبح من بواعث الغبطة فى نفسى أن أزورها كلما تهيأت لى الفرصة . . وكان أن ذهبت ، فوجدت (الرسالة) بين أيديهم ، وكانت بها الحلقة الثالثة من (قصة فتاة) . . وهى التى يصف فيها الأستاذ الزيات الفتاة حبيبة فى المزبة ، تلح عليه أن يحاوبها حباً بحب ، لا حباً بنصيحة . ويصفها وقد ملت الانتظار . . فيأتى بقصتها مع الجاموسة ، ثم روايتها مع ابن البستانى .

رأيت الشيخ يتوثب على كرسيه ، وقد رده الحنق شاباً ؛ ورأيت الفتاة مهتاجة فكأنما هى صاحبة القصة ، وكأن « س » اسمها الحقيقى ؛ ورأيت الشاب يكتم فرحة تفيض على محياه ، فبدا فى وقاره وكأنه الشيخ ... وعجبت أن يغضب الشيخ والفتاة لسبب واحد ؛ إذ العادة أنه إذا غضب الشيخ رضيت الفتاة ، وإن رضى غضبت . ولكن السبب ، وإن اتحد فى جوهره وهو المقال ، تشعب فى عرضه ، قال الشيخ :

— لو لم يكن الزيات هو صاحب الرسالة لوثقت أن هذا المقال مزور عليه . . لا حول ولا قوة إلا بالله ! لقد كان أسلوبه وأدبه عزائى عما أصابنى فى الأدب الحديث . إنه وحده الذى كان يظهر جمال الأدب الجديد حين يكسوه بالأدب القديم ، أيكتب هو أيضاً عن الحب ؟ وأى حب ! وعن الشهوة ؟ وأى شهوة ! لا ، لا يصلح قلم الزيات لهذا الأمر . . ثم التفت إلىّ وقال : قل له يرجع إلى ما كان عليه فإنه أولى به وأحرى .

قالت الفتاة : لا بأس يا عماه أن يكتب فى الحب ، ولكن أهكذا يكون حب الفتاة ؟ أهى لا تحب إلا بهذه الصورة التى رسمها لها ؟ إن الكاتب حين يكتب عن جنس بذاته يختار من بينه شخصية تتفق عناصرها وأغلب أفراد هذا الجنس

أفتاته « س » هى نموذج الفتاة المصرية ؟ أكل فتاة عصرية ترى فى الخطبة تجريباً وتدريباً ومتعة ، وأن هذا التجريب يكون ...

لم يدعها الشاب تتم الحديث بل اندفع قائلاً :

— حسبك . . حسبك . . فوالله ما غضبت لجنسك المجروح أن يتهم ، ولكن غضبت لأنه يكشف الستار عن خبيئته ، ويبدد ذلك الوهم الذى كان يرن على دخيلته . تضحكن على الرجال فتدعين غموضه وإبناله فى الاستخفاء . . وظللنا نحن المساكين نقع فى حبائلكن ونرتمى فى شباككن ، محاولين الوصول إلى ما تخفيه نفوسكن حتى نتمكن بعد ذلك من إقامة الحياة فى سننها

٢ - الشيوعية فى الاسلام

رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغانى

أوردنا فى المقال السابق ما أذاعته لجنة الفتوى بالأزهر عن « الشيوعية فى الإسلام » وما حكمت به على مذهب أبى ذر الغفارى من المخالفة للاجماع والخروج على مبدأ الإسلام ، ثم أوردنا فتوى السيد جمال الأفغانى عن « الاشتراكية فى الإسلام » ، وفى هذا المقال نورد ما قاله السيد عن مذهب أبى ذر وما أبدى من استحسان هذا المذهب . قال السيد رضوان الله عليه : « فى زمن قصير من خلافة عثمان تغيرت الحالة الروحية فى الأمة تغيراً محسوساً . ولشد ما كان منها ظهوراً فى سير العمال والأمراء وذوى القربى من الخليفة وأرباب الثروة بصورة صار يمكن بها الإحساس بوجود طبقة تدعى « أمراء » وطبقة تدعى « أشراف » ، وثالثة « أهل ثروة وثراء وبذخ » ، وانفصل من تلك الطبقات طبقة العمال وأبناء المجاهدين ، ومن كان على شاكلتهم من أرباب الحمية والسابقة فى تأسيس الملك الإسلامى وفتوحاته ، ونشر الدعوة ، وصار يعوزهم المال الذى يتطلبه طرز الحياة ، والذى أحدثته الحضارة الإسلامية ، إذ كانوا مع كل جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم لا يستطيعون اللحاق بالمنتمين إلى العمال ورجال الدولة . وقد فشت المىزة والأثرة والاستطالة ، وتوفرت مهيئات الترف فى حاشية الأمراء وأهل عصبيتهم ، وفى العمال ومن استعملوه وولوه من الأعمال .. فنتج من مجموع تلك المظاهر التى أحدثها وجود الطبقات المتميزة عن طبقة العاملين والمستضعفين فى المسلمين ، تكون طبقة أخذت تتحسس بشىء من الظلم وتتحفز للمطالبة بحقهم المكتسب من مورد النص ، ومن سيرتى الخليفة الأول والثانى أبى بكر وعمر كان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك والجامعة

الواضح .. ولكن أبيتن هذا علينا . حتى جاءت فتاة فكشفت عن أهم جزء من ذلك السر ، فغضبت أنت وثرت .. ولكنك لم تعرفى كيف توجهين ثورتك ، مع أنها واضحة الهدف .

رأيت النقاش يطول فقلت :

— لقد والله ذكرتمونى بالمستمعين إلى شاعر الربابة ، حين كانوا ينصبون للمعركة قبل أن يعرفوا النهاية .. انتظروا قليلاً حتى تكمل القصة .

وكملت القصة خريفاً وكانت قد ابتدأت ربيعاً . هكذا كانت حقيقة ، أما على صفحات الرسالة فقد كملت أمس . فذهبت إلى هناك ، فإذا الشيخ ضاحك ، وإذا الفتاة جذلة ، وإذا الشاب يكفكف من فرح الشيخ ، ويخفف من سرور الفتاة .. قال الشيخ :

— ألم أقل لكم إن الزيات لا يمكن أن يكتب فى الحب لمجرد الحب .. لقد صدق ظنى فيه . إن القصة نصيحة مبذولة للفتيات من رجل خبر الدنيا وجربها .. وأبى أن يقصر تجاربها على نفسه . ألم تر إليه يقص قصة بلانكيت والخراف ثم الذئب ورواية الفتاة والشبان ثم الذئب أيضاً . إنها نصيحة أحسن تغليفها حتى تخف على السمع وتصل إلى القلب .

قالت الفتاة :

— لقد نالت تلك الفتاة جزاءها .. ولئن كشفت عن أسرار جنسها فإن أخاها قد أخذ بالثأر ؛ وما أظن مآلها إلا الموت المحقق

قال الشاب : « رويدك يا أبى ! وحسبك يا زوجتى ! فإن الرجل وإن ختم قصته بالنصيحة ، فما ذاك بمانع القصة أن تهدف إلى أهدافها الأخرى . فهى فن قبل أن تكون إرشاداً ، وهى تحليل نفسى قبل أن تكون هديا .. أما أنت فما هذا الكلام الغريب ؟ تعزين نفسك بأن البنت قد نالت جزاءها ، فهل ذلك هو الرد على حقيقة ما قالته عنكن ! لشد ما تهرفن أيتها النسوة حين تفحمكن الحجة . حاول الشيخ أن يجيب ، وحاولت الفتاة أن تغضب ، ولكننى قطعت عليهما القول والغضب :

— إن القصة حلوة ومرة ؛ يستطيع كل منكم أن يلتذ هذه الحلاوة وأن يكابد تلك المرارة . لينظر كل إليها من الناحية التى ترضيه . ولئن اختلفت هذه النواحى فإن ثمة زاوية لو نظرتم منها جميعاً ما اختلفتم : القصة قصة الفن ، والأسلوب أسلوب الزيات !

ثروت أباظة

الإسلامية ، الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى ، فجاء إلى معاوية ابن أبي سفيان وهو فى الشام ، وخاطبه بوجوب الرجوع إلى سيرة السلف وبتقليل دواعى السرف والترف وعدم التمادى فى مسببات الحسد ، والعمل على نزعها من العاملين من رجال المسلمين ، وذكر مواعظ كثيرة ، وعدد أخطاراً جمة من وجود طبقة فقيرة عاملة مفكرة فى المسلمين ، يكتنفها شظف العيش وقلة ذات اليد بين ظهرانى قوم أكثرهم ممن لا سابقة لهم فى الإسلام ولا لآبائهم ، ولا من الطبقات المحمودة ، ولا من المجهودات أو المميزات العلمية والجسدية ، ما يوليهم أو يعطيهم حق ما هم فيه من النعيم ، وطيب العيش والرخاء ، غير محض الانتماء والأدلاء بولاء لآل حرب وعمالهم .

فأجابه معاوية بما معناه : يا أبا ذر ، إن ما تقوله هو الحق ، ولكنى ليس فى استطاعتى الرجوع لا إلى سيرة الصديق وسيره ، ولا إلى العمل الذى كان يعمله الفاروق ، وغاية ما فى إمكانى الحث على بذل الصدقات والقول اللين إرشاداً لتخفيف دواعى الحسد ، وغير ذلك فلا سبيل إليه .

قال أبو ذر : قد نصحتك يا معاوية ، والدين النصيحة ، فاحذر أنت والخليفة عثمان مغبة ما أنتما عليه . وذهب من مجلس معاوية مغاضباً ، واجتمع مع طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين وقص عليهم من سيرة السلف أشياء ، وأطلعهم على ما قاله عامل الشام معاوية بن أبي سفيان ، وأردفها بإعلانه مشاركته لهم فى كل ما يحسون به قلباً وقالباً . وبمختصر القول أنه شجعهم على النهضة والمطالبة بحق صريح لهم اهتضمه جماعة بغير وجه شرعى ، ولا باجتهاد إمام سلف ، فكان من وراء عمل أبى ذر هذا أن حصل شىء من التهييج والانفعال النفسى ما خشى معه معاوية وأعوانه سوء المصير .

فجمع معاوية كيده ، واستنجد دهاءه ، وبعث لأبى ذر ليلا بألف دينار ، فقبلها أبو ذر ، وفى الحال بادر لتعريفها على الفقراء والمعوزين من المسلمين . وفى ثانى يوم أرسل معاوية رسولاً وقال : يا أبا ذر ، أنقذنى من عذاب معاوية ، فإن الألف دينار لم يرسلها إليك وإنما غلطت ، فقال أبو ذر ، والله لم يبق معى من دنانيره ولا دينار ، فليمهلنى حتى آخذها ممن وزعتها عليهم من المستحقين فى المسلمين . وعلم معاوية صدقه وضاق به ذرعاً ، فكتب إلى الخليفة عثمان مستجيراً من إلفاآت أبى ذر ، وما أحدثه من التأثير فى النفوس . فأجابه متعجلا إرسال أبى ذر إليه ، فأرسله ، ولما تقابل مع عثمان لم يسمع منه أكثر مما سمع من معاوية ، وأنه لا يمكنه أن يفعل ما فعله الفاروق مع العمال من مصادرة ما عندهم من الثروة ، ولا أن يرجع ما كان من حالة مجموع المسلمين فى عهدى الصديق والفاروق إلا عن طريق الحث على بذل الصدقات والأحسان فقط . فقال أبو ذر : يا عثمان ، أما تذكر حديث رسول الله ومعناه : « إذا وصل البناء إلى سلع (جبل فى المدينة) واستعلى فى المدينة . . الحديث » وجبت الهجرة . وفى رواية أنه قال : يا عثمان : إن النبى صلى الله عليه وسلم أمرنى بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، وها قد استعلى بناؤك وبناء قريبك معاوية وأعوانكما . فأستودعك الله تاركا لك ولمن استعملت من العمال أعمالكم ، والله من ورائكم محيط . فألح عثمان عليه أن لا يفعل فقال أبو ذر : إن رسول الله أولى أن يتبع ، وهاجر من المدينة .

كان فى عمل أبى ذر هذا أنه قد أخذ بمحض النصح لخليفة المسلمين إذ ذاك « عثمان » وبنصح عماله ، وبالدفاع عن حقوق المسلمين كى لا تتكون طبقة اشتراكية يكون رائدها الانتقام ، بل دعاهم إلى العمل بنص القرآن والاقتداء بمن طبق ذلك النص عملا من الخلفاء كأبى بكر وعمر .. »

***

وبعد ، فهذه هى فتوى السيد جمال الدين الأفغانى فيما كان من رأى أبى ذر الغفارى وخلافه مع ولاة الأمور على توزيع المال فى الإسلام ، ورد مال المسلمين على المسلمين . وشتان بين رأى لجنة الفتوى فى مذهب ذلك الصحابى الجليل ، ورأى السيد الأفغانى ؛ فبينما ترى اللجنة أنه أخطأ الاجتهاد وخالف الأجماع يشهد الأفغانى برجاحة رأيه وسلامة مذهبه . وسنعود فى المقال التالى للتعقيب على فتوى اللجنة بما يوضح هذه المسألة التى تشغل الأذهان فى هذه الأيام ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الفكاهة والكاريكاتير في الأدب العربي :

كان هـذا عنوان محاضرة الأستاذ كامل كيلانى فى دار الاتحاد النسائى يوم الجمعة الماضى ، وقد كان أكثر من هناك من الجنس الناعم ، أوانس وسيدات ، ولذلك رأى الأستاذ أن يستعمل نون النسوة فى خطاب الحاضرين أو الحاضرات (على مذهبه) ولم يعبأ بنا ولا بالنحويين ... ولـكن هل أرضاهن بهذا الصنيع ؟ أولسن هن المطالبات بإلغاء نون النسوة ؟ وقد احتججن عليه بعد الفراغ من المحاضرة احتجاجاً رقيقاً ؛ وهن — وإن أنكرن نون الإناث — لم تفارقهن لوازمها فى أثناء المحاضرة ، فهذه إحداهن تشتغل (بالتريكو) ولا يفوتها أن تبتسم لبعض الفكاهات التى تأتى فى سياق المحاضرة ، وتلك أخرى تفتح حقيبة يدها وتستغرق فى النظر إلى مرآتهـا وتصلح شيئاً من زينتها ... ولا تنتبه إلى المحاضرة إلا على ضحكات صواحبها من تلك الفكاهات . أفلا ترى الأستاذ على حق فى تجاهلنا واستمساكه بنون النسوة ...؟

بدأ الأستاذ كامل كيلانى بشرح لغوى خفيف لمعنى الفكاهة حتى قال : الفاكهة ثمرة الأرض والفكاهة ثمرة العقل . ثم قال إن الإنسان يبلغ بالفكاهة البارعة ما لا يبلغه بكثير الكلام ، واستشهد بما قاله « سويفت » مؤلف « جلفر » فى بعض قصصه : « ثم صفعه فى احترام وأدب » وبمقالة برنارد شو لأحد اللوردات وقد قال له إنك تبغى المال من رواياتك ، قال له برنارد شو : وماذا تبغى أنت من أعمالك ؟ قال : الشرف . قال كل منا يسعى فى طلب ما ينقصه .

ثم قال إن الأدب العربى زاخر بالفكاهات التى تجسم الأشياء والمعانى تجسيما « كاريكاتيرياً » فتبرز المقصود إبرازاً بالغاً يشبه فى الأدب فن « الكاريكاتير » فى التصوير ؛ ومثل لذلك بقول الجاحظ فى كيسان النحوى : « أعرف رجلا يسمع غير مايقال له ، ويكتب غير ما سمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ما قرأ » وقد نظم هذا أحد الشعراء فقال :

تقول له زيد فيكتب خالداً ويقرؤه بكراً ويفهمه عمرا

ومما مثل به من هـذه الصور الأدبية « الكاريكاتيرية » قول بعضهم :

أفرط نسـيانى إلى غاية لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة مهمة أودعتها الطرسـا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى وصرت أنسى أننى أنسى

وقول ابن الرومى :

إن تطل لحية عليك وتعرض فالمخالى معروفة للحمير
علق الله فى عذاريك مخلاة ولكنها بغير شعير
لو غـدا حكمها إلىَّ لطارت فى مهب الرياح كل مطير

وقوله :

أبو سليمان لا ترضى طريقته لا فى غناء ولا تعليم صبيان
له إذا جاوب الطنبور محتفياً صوت بعصر وضرب فى خراسان
وتحسب العين فكيه إذا اختلفا عند التنغم فكى بغل طحان

وقول المتنبى :

وإذا أشار محدثاً فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول أبى الفرج فى بعض قصصه بالأغانى : « ثم خرجت من الخوخة لحية حمراء يتبعها رجل » ولمل محرر « آخر ساعة » نظر إلى هذا عندما كتب منذ نحو عشر سنوات فى الحديث عن رجل من رجال السياسة كان معروفاً بطول شاربيه : « ثم خرج من السيارة شاربان يتبعهما رجل » .

وقال لى الأسـتاذ كامل كيلانى ، وقد عبرت له عن استحسانى لتسمية هذا الموضوع ، قال : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربى بالمغالاة ، وهـذا هو نوع من المغالاة نراه مطابقاً فى التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

أبو القاسم الشابى :

ألقى الأستاذ صالح جودت محاضرة عن أبى القاسم الشابى ، يوم الخميس الماضى بنادى الاتحاد الأرثوذكسى . قال : عرف الأدب العربى هذا الشاعر لأول مرة فى سنة ١٩٣٣ حينما نشرت له مجلة « أبولو » قصيدته المشهورة « صلوات فى هيكل الحب » التى أثارت اهتماماً عظيما وأنشأت مدرسة جديدة فى الشعر الحديث . كان أبو القاسم يؤمن بالسمو ، ويرى أن الشعر ليس

إلا تصوراً للحياة فى صورة رفيعة تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله ؛ ومصداق هذه النظرة فى قصيدته التى أشرنا إليها، هذه الأبيات فى نجوى حبيبته :

أنت، أنت الحياة فى قدسها السا مى وفى سحرها الشجى الفريد
أنت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود
أنت قدسى ومعبدى وصباحى وربيعى ونشوتى وخلودى

ثم قال : ولد أبو القاسم سنة ١٩٠٩ فى بلدة توزر بتونس ، وحفظ القرآن ، ثم التحق بالمعهد الزيتونى ، ثم بكلية الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٩ وكانت وفاته سنة ١٩٣٤ فى المنفى الذى اختاره لنفسه فى مكان يقال له باب حومة العلوج .

وقال أحد الأدباء التونسيين : إن أكبر مؤثر فى حياة الشابى ، موت حبيبته ، غير أننا لا نجد فى شعره ما يشير إلى صحة هذه الواقعة . إن حبيبته موجودة فى أكثر شعره ، أما موتها فلا أثر له .

أما المؤثر الثانى فى حياة الشابى وشعره ، فهو أنه كان مجدداً جريئاً صاحب دعوة تقدمية كبيرة فى الأدب التونسى ، أثارت عليه أدباء البيئة الجامدة المحافظة التى يعيش فيها ، فلقى منهم حربا شعواء . حاربوا آراءه فى الأدب ، وأخيلته فى الشعر ، كما أنه لقى من ناحية أخرى كثيراً من عنت الفرنسيين المستعمرين لبلاده ، لأنه كان فى شعره الوطنى فولتير العربى ، الذى دعا شعبه إلى الثورة من أجل الحرية فى كثير من القصائد الصارخة ، ومنها قصيدة رائعة مطلعها :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر

ولكن الشعب لم يستمع إلى هذه الصرخات المدوية ، ولم يثر على القيد ، فوقف أبو القاسم يتهكم ويتألم فى قصيدة مدوية عنوانها إلى الشعب ، ومنها :

أنت يا كاهن الظلام حياة تعبد الموت ، أنت روح شقى
كافر بالحياة والنور ، لا يصغى إلى الكون قلبه الحجرى
أنت دنيا يظلها أفق الماضى وليل الكآبة الأبدى
والشقى الشقى فى الأرض شعب يومه ميت وماضيه حى

وهكذا اجتمعت على أبى القاسم حروب ثلاث ، حرب من الأدباء والشعراء الجامدين أو الحاقدين ، وحرب من الفرنسيين المستعمرين ، وحرب من نومة الشعب وعدم استجابته لصرخات الحرية . وقد كان كل هذا كفيلا بأن يهد كيانه ، فأصابته ذات الرئة ، وعاش عمراً قصيراً كعمر الزهر عند باب حومة العلوج ، يقرأ ، وينظم الشعر ، ويرعى الأغنام ، حتى مات ولما يتجاوز الخامسة والعشرين .

نشر الثقافة الأزهرية :

مما يحمد لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر اهتمامه بنشر الثقافة الأزهرية بين الشعوب العربية والإسلامية ، وقد تحدث أخيراً إلى أحد زعماء العرب فقال إنه يسمده أن يستطيع الأزهر إنشاء فروع له وتوجيه بعوث منه إلى كل البلاد الإسلامية ، ولكنه يرى أن على الأزهر أن يوجه اهتمامه أولا إلى الشعوب التى لا ثقافة لها ، وأن هذا هو ما اعتزمه ، إذ قرر إرسال بعوث إلى جنوب أفريقية وشرقها وإلى أوغندا وإرتيريا ، أما البلاد العربية التى تتوافر لها الآن عوامل الثقافة فهى فى غنى عن ذلك ، ومع هذا فإن الأزهر مستعد لأن يمدها بالمدرسين كما طلبت حكوماتها إليه هذا .

وبهذه المناسبة نلفت النظر إلى أمر يتعلق بنشر الثقافة الأزهرية فى سائر البلاد العربية ، ذلك أن فى الأزهر كثيراً من البعوث الوافدة إليه من مختلف البلاد الإسلامية ، ومن المفهوم طبعاً أن الغرض من هذه البعوث هو أن يتزود أفرادها من الثقافة الإسلامية بالأزهر ، لينفعوا بها قومهم إذا رجعوا إليهم ، ولكن كثيرين من هؤلاء يقضون الأعمار فى مصر ، وتظل أرزاقهم من الأزهر جارية عليهم ، ولا يعودون إلى بلادهم . وأحسب أنى لست بحاجة إلى أن أقول إن مصر لا تضيق بهؤلاء الإخوان ، فهى ترحب بهم دائماً ولا تعتبرهم غرباء . ولكن المسألة هى أنهم ، بإقامتهم الدائمة هنا ، يفوتون الغرض الذى تنشده منهم بلادهم ، والذى من أجله أرسلتهم إلى الأزهر .

العربية فى الباكستاند :

من أنباء الباكستان أن جماعة الثقافة العربية تطالب بتعميم تعليم اللغة العربية فى المدارس ، حتى تصبح هى لغة التعليم هناك ، وأن من أغراض هذه الجماعة نشر الثقافة العربية فى الباكستان ،

وأنها ترمى إلى تكوين جمهور يقرأ المؤلفات ودواوين الشعراء التى تصدر فى البلاد العربية .

وهذا أمر طبيعى ، فقد عرف المسلمون الهنود منذ الفتح الإسلامى بالإقبال على تعلم اللغة العربية ، وقد نبغ منهم فيها كثيرون فى الأدب وعلوم الدين ؛ ولغة التخاطب الحالية تحتوى على كثير من الألفاظ والتراكيب العربية . وشعور المسلمين فى الباكستان يتجه الآن نحو البلاد العربية ، وقد بدا أخيراً فى تأييدهم لقضية فلسطين ، ولا شك أن اللغة العربية وآدابها وثقافاتها ، هى أهم ما يربطها بالبلاد العربية ، وهى وسيلتها إلى كتلة الجامعة العربية .

العربية وهيئة الثقافة الدولية :

عاد الأستاذ شفيق غربال بك من باريس ، حيث حضر اجتماع اللجنة التنفيذية لهيئة التربية والتعليم والثقافة الدولية (الأونيسكو) وهو عضو دائم فيها .

وقد قام الأستاذ شفيق بك بمساع لجعل اللغة العربية لغة رسمية لمؤتمر الهيئة إلى جانب اللغتين الانجليزية والفرنسية ، فكللت مساعيه بالنجاح .

ومن المعلوم أن هذه الهيئة تدعو إلى حسن التفاهم العالمى عن طريق التقارب الثقافى ، فمن أغراضها محاربة طرق التربية التى تغرس فى نفوس الناشئة فكرة السيادة العنصرية ، وهى لهذا تعنى بإعادة نشر التعاليم الديمقراطية فى ألمانيا واليابان .

وستعقد الدورة الثالثة لمؤتمر الهيئة العام فى بيروت ابتداء من يوم ١٤ أكتوبر القادم وستمثل به الدول العربية ، وتهتم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بتنسيق الصلة بهذا المؤتمر .

القصة والشعر :

ظهر من إحصاء فى الولايات المتحدة أن المجلات الخاصة بالشعر من أكسد المجلات ، ويقابلها المجلات القصصية التى تمد من أبوجها ؛ والحال عندنا تشبه ذلك من حيث قلة الاهتمام بقراءة الشعر والإقبال على قراءة القصص ؛ وإن كان ليس لدينا الآن مجلة خاصة بالشعر بعد مجلة « أبولو » التى كان يصدرها الدكتور زكى أبو شادى وقد تعطلت منذ سنين ؛ كما أنه ليس لدينا مجلة خالصة لفن القصة الرفيع بعد مجلة « الرواية » التى أدغمت فى « الرسالة » وأرى أنه يجب المبادرة بفك هذا الإدغام لضرورة الاحتفاظ بمستوى القصة باعتبارها فناً من فنون الأدب ، لأن التسابق على تقديم مواد تافهة للقراءة السهلة ، يكاد ينحدر بالقصة إلى مستوى هذه المواد .

كتابة التسلية :

فى مقال بمجلة النـــداء عنوانه « الصحافة المصرية ... تطورت !! » قال الأستاذ سلامه موسى :

« إن الكتاب التافهين قد فشوا فى هذا المناخ الصحفى الجديد ، وصار دأبهم تسلية القراء دون أن ينفعوهم ، وهناك مجلات أسبوعية ليس فيها شىء آخر غير التسلية ، وهى حرب على الذكاء والفهم كما أنها تنشر الأمية السياسية بين القراء . والأب الذكى والأم المستنيرة التى تتبصر للمستقبل يجب أن يقاطعا مجلات التسلية حتى ينشأ أبناؤهما على جد ونقد وذكاء فى معالجة الشئون السياسية والاجتماعية ، لأن جرائد التسلية تبلد الذهن وتجعل القارىء يهتم بالتافه دون الجدى من الشئون ، ويصبح هذا الاتجاه خطته فى الحياة لا فى القراءة فحسب »

كتب مصرية لجامعة ألمانية :

طلبت إحدى الجامعات الألمانية إلى بعض المراسلين الألمان فى مصر ، أن يتصلوا بالمؤلفين المصريين ويطلبوا منهم نسخاً من مؤلفاتهم ليرسلوها إلى هذه الجامعة ، حتى تستطيع بذلك أن تعوض ما فقدته ، بسبب القنابل فى الحرب الأخيرة ، من المكتب والمخطوطات العربية التى كانت تحتويها مكتبتها .

معهد السينما :

اجتمعت لجنة النهوض بشئون السينما يوم الأربعاء الماضى برياسة وزير الشئون الاجتماعية ، لمواصلة بحث وسائل ترقية فن السينما ؛ وفى اجتماعها الأخير عهدت إلى يوسف وهبى بك وأحمد بدرخان ومحمد عبد العظيم ، وضع برنامج الدراسة فى معهد السينما المزمع إنشاؤه . وينتظر أن تبدأ الدراسة فى هذا المعهد فى العام الدراسى القادم ، وسيكون مستواه التعليمى مماثلا لمعهد التمثيل العالى ، وستتجه الدراسة فيه إلى الناحية النظرية والعملية فى وقت معاً .

العباسى



إلى معالي وزير العدل :

زار أحد الشعراء معالي أحمد مرسي بدر بك وزير العدل في مكتبه بالوزارة ، فوجد من تواضعه وحسن استقباله وفرحته بلقاء الأدب ما أنطقه بهذه الأبيات :

أبى الله إلا أن تزيد تسامياً ... فما زادك الكرسي إلا تدانيا
وما حاجة العالي بأصل وسؤدد ... ليطلب من جاه الوزارة عاليا
وما عجبٌ جمع النقيضين في امرئٍ ... بعدت ، ولكن كنتَ بالفضل دانيا
فما بدّل الكرسي منك جوانبا ... ولا غيّر الكرسي منك نواحيا
ترى المجد أعمالاً كباراً وهمة ... وغيرك يلقاه مُنى وأمانيا
وأوليتَني بالعطف منك مآثرا ... فقلدت جيدَ الشعر منك غواليا
وكدتُ أمنّي النفس بالظلم مرة ... لعلي ألاقي الحق عندك ثانيا

لن الزمخشرية :

كتب الأستاذ هارون محمد أمين في بريد الرسالة الأدبي عدد ٧٦٥ تعليقاً تحت عنوان (لن لا تفيد تأكيداً ولا تأبيداً) تعقب فيه ما جاء في كلام معالي عبد العزيز فهمي باشا من إفادتها لذلك وقال (والذي أعلمه أن لن كما ذهبت إليه جمهرة النحاة لا تقتضي تأبيد النفي ولا تأكيده ولم يقل بذلك إلا الزمخشري) الخ ثم ذكر في التدليل على إبطال ما ذهب إليه الزمخشري قوله (واذكر في الرد عليه أدلة منها أنه لم يقم دليل على كونها للتأبيد وأنها لو كانت كذلك للزم التناقض بذكر اليوم في قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسياً ، وللزم التكرار بذكر الأبد في قوله تعالى : قل لن تخرجوا معي أبداً) ولا ريب أن ما ذكره الأستاذ هارون مبين في مثل القاموس والمغني وغيرهما ؛ غير أن كثيراً من المحققين قد بحثوا هذا الموضوع وأتوا بما يختلف مع ما نقله الأستاذ هارون فرأيت أن ألفت النظر إليه :

ذكر الإمام الزمخشري في كشافه ومفصله : أن لن معناها تأكيد النفي ، ووافقه على ذلك كثير من النحاة كما ذكره الصبان في حواشي الأشموني والجلال السيوطي في همع الهوامع . ونقل الأخير في الإتقان أن العرب تنفي المشكوك بلا ، والمظنون بلن . وفي كلام سيبويه ما يؤيد هذا الرأي إذ يذكر أن لا نفي ليفعل ، ولن نفي لسيفعل والأخير مؤكد في الإثبات فكذلك يكون نفيه . وقال السعد : إن منع إفادتها للتأكيد مكابرة .

أما دلالتها على التأبيد فقد نسبت للزمخشري في بعض نسخ أنموذجه وبعضها الآخر يتفق مع الكشاف والمفصل في التعبير بالتأكيد دون التأبيد . ومهما يكن فنقطة الخلاف بين ما نسب إلى الزمخشري وبين الجمهور هي : هل أن لن تستعمل على وجه الحقيقة في غير التأبيد أم تختص به ؟ فالجمهور يقول بالأول والزمخشري بالثاني . قال ابن مالك في التسهيل : « وينصب المضارع بلن مستقبلا بحد وبغير حد ، خلافاً لمن خصها بالتأبيد » . وانتُقد رأي الزمخشري هذا بما ذكره الأستاذ هارون . واتهمه ابن مالك بأن الحامل له على دعوى التأبيد اعتقاده بأن الله لا يرى في الآخرة وانتصر له بعض المحققين وأجاب عن التناقض المزعوم في قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسياً . بأن الزمخشري لا يمانع في استعمالها في غير التأبيد مجازاً حتى يحصل التناقض . وعن التكرار في : قل لن تخرجوا معي أبداً بأنه على تسليم وجوده لا محذور فيه ؛ إذ التكرار يرد في كلام البلغاء للتأكيد. ورد على ابن مالك في توجيه تلك التهمة بقوله : « إن ذلك خروج عن منصب المباحثة ؛ إذ بعد ثبوت إمامته في العربية باتفاق أئمتها كيف ينسب إليه مثل ذلك الذي لا يصدر عن الجهلة ؟ فالإنصاف أن اجتهاده في العربية المسلم له المبني على تتبع مواطن الاستعمال قضى بحسب ما ظن بتأبيد نفيها ؛ وعليه خرج الآية الموافقة بحسب ظاهرها لمذهبه ، فقد بنى مذهبه على الاستعمال اللغوي دون العكس . على أن في هذا البناء توقفاً ، إذ لا يمتنع من التجوز في الألفاظ ، فليس لما ذهب إليه كغيره من طائفته إلا الأدلة العقلية المبينة بردودها » ومما تقدم يتلخص أن لن تفيد تأكيد النفي عند كثير من المحققين كما أنها تستعمل حقيقة في الدلالة على تأبيده وإن لم تتعين له خلافاً لما جاء في كلام

الأستاذ هارون ، وأن الزمخشري لم ينفرد إلا بدعوى التميين ، على أن هذه الدعوى قد وافقه عليها ابن عطية أيضاً .

طرابلس الغرب — عبد الرحمن القلهود

نشيد العربي !! :

« اقترحت دائرة التوجيه الوطني في الهيئة العربية العليا (نشيداً يتفق مع روح الجهاد القائم في أقطار العروبة ، يتضمن معنى الغناء في أوزانه ، وينبض رجولة في كل لازمة منه ، على أن يكون محدوداً لا يقل ولا يمل ...) وقد تخيرت هذا النشيد . »

نحن أبناء الصناديد الأباه — قد ورثنا المجد لا نرضى سواه
فنهضنا نبتغي عز الحيـــاه — بقلوب كالرواسي لا تلين
لن نرى فينا جبان — إن دعا يوم الرهان
وحمانا رغم أنف الحدثان : — لن يهان ! لن يهـان !
سوف نمضي قدُماً بين الأمم — لا نبالي الموت ، لا نخشى الحمم
نبذل الروح إذا الخصم دهم — ونوالي موكب النصر المبين
قد رزنا للجـــلاد — مذ دعانا الاتحـــاد
وتعالى صوتنا في كل واد : — الجهاد الجهاد !

يا شباب العرْب هيا للكفاح — جردوا من عزمكم أمضى سلاح
وانزعوا من قبضة الدهر النجاح — فلقد هان الذليل المستكين
أنت حر لا تضـــام — يا فتى العرْب الهمام
فتقدم لا تبالي بالحمام : — للأمام ! للأمام

محمد سليم الرشدان
رام الله — فلسطين
ماجستير في الآداب واللغات السامية

بين تيمور والنشاشيبي :

أحب أن أؤكد للأستاذ الفاضل « منصف » أن ما ذكرته في مجلة الكتاب عن مخطوط « النوادر » هو الصحيح ، فقد رجعت في ذلك إلى أناس قرأوا الكتاب بأعينهم ، ووصفوه بما ذكرت . ولو كنت بالقاهرة لنقلت له ما قاله الأستاذ محمد كرد علي والسيد محمد الببلاوي في هذا الصدد ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

على أن النسخة الخطية للكتاب لا تزال في حوزة اللجنة المؤلفة لنشر مخطوطات تيمور ، فلا أقل من أن يتفضل أحد أعضائها الأفاضل فيحكم بيننا في هذا الموضوع .

وقد يكون الأستاذ « منصف » قد قرأ في النوادر نادرتين متتابعتين أو أكثر في موضوع واحد ، فظن أن الكتاب مبوب مقسم ، والحقيقة أن هذا من قبيل التصادف فحسب ، وفي نقل الأديب ما يماثل ذلك ، بل إن النشاشيبي رحمه الله قد أفرد قبل وفاته عدة صحائف من نقله في موضوع واحد ، هو الحث على الجهاد ، وكان ذلك بمناسبة الدفاع عن فلسطين ...

هذا وللأستاذ المنصف تحياتي .

(الكفر الجديد) — محمد رجب البيومي

حول قصة تضحية أم :

طالعت في العدد الماضي من الرسالة القصة القيمة التي كتبها الأديب عبد القادر صادق من دمشق والتي قدم لها بأن رواها له شيخ جليل زار الشرق الأقصى للتبشير !

ولقد لاحظت أنها وقعت في حرب ١٩٠٤ ، وهي سنة متقدمة جداً بالنسبة لسن الكاتب الفاضل ، وللمبشر الجليل !

ويؤسفني أن أقرر هنا للحقيقة والتاريخ ، أن هذه من صنع مصر ، لم يصنعها خيال الأديب الكاتب ، ولا رواية الشيخ المبشر ، ولكن صاغها قلم هذا الضعيف — حسين الغنام — ونشرها فيما نشر من صور بطلات النساء التي كان ينشرها في (جريدة الجلاء) بمدينة الإسكندرية . وكان ذلك عام ١٩٣٨ ... حتى أسماء الأبطال هي أسماء الأبطال ، مع تحوير طفيف ، وسبحان جامع الخواطر .. !

هذا مع اعتقادي أن للقصة أصلاً عربياً صرفاً ...

حسين مهدي الغنام

تصحيح :

في مقال الأستاذ « الجاحظ » « الشيوعية في الإسلام » في العدد (٧٧١) من « الرسالة الغراء » ورد استدلال في كلام « جمال الدين الأفغاني » بقوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شيء فلله خمسه » والصواب « فأن لله خمسه » وجاء بعد ذلك « ولذوي القربى » والصواب « ولذي القربى » والله الموفق .

علي زين العابدين منصور



« نــــار ونور »

ديوان شعر للأستاذ محمد مجذوب

شعرنا العربى فى العصر الحاضر يعانى أزمة ..

ومعنى ذلك أننا نعانى أزمة شعورية .. أى أننا لا نستطيع أن نستوحى الحياة لنستمدّ منها الإلهام ، ولا نتعمق النفس الإنسانية لنسبر غورها . . ولا نمد أبصارنا إلى هذا الكون الواسع لنجول بأفكارنا فيه . . أى أننا لا نستطيع أن نخلو إلى أنفسنا ساعة نستوحيها ، ولا نعتمد على شخصياتنا لنستقل بأنفسنا ، ونؤمن بنظرتنا الذاتية .

نعم ! إن الشعر العربى فى أزمة محكمة ..

أساسها أننا لا نزال غير متفقين على معنى الشعر .. فكثيرون يحسبون أن كل من سطّر أبياتاً وقيدها بالوزن وسجنها فى (قارورة) القافية شاعراً من شعراء عصرنا المعدودين ..

وشعرنا يتلوى بين فئتين : فئة تغرق فى الإغراب ، وتولع بالطلاسم والأحاجى ، ولا تفرق بين الرموز السحرية ، والألفاظ الشعرية ، فتأتى بما لا يفهمه الناس ولا يتذوقونه .. ولا يمكن أن يُنسب إلى الشعر فى أية حال من الأحوال ؛ فتخنق العاطفة ، وتملأ شعرها بالصور المضطربة المتهالكة التى لا تستند إلى ركن من المعقول ..

وفئة لا تزال تعيش فى القرن الرابع الهجرى ؛ تحسب الشعر تقليد الشعراء القدامى ، والسير على مناهجهم ، وإحياء المديح والرثاء المتكلف ، وتظن الشعر كلمات محنطة ، وجملا متراصة ، وقوافىَ مسجونة لا يربطها نظام ، ولا تصل بينها وشائج قربى ، فترمى الناس بالغث ، وتعرض عليهم معارض للألفاظ المحنطة التى لا تحمل رصيداً من عاطفة ، ولا خفقة من إحساس ، ولا ذرة من إدراك . .

ونحن الآن فى عصر الذرة ، عصر النور والكهرباء ، عصر التيقُّظ والاندفاع إلى الأمام ، وكسر القيود ، وإدراك القيم السامية للحياة ، والتفكير العميق بالمثل العليا التى يجب أن تكون عليها الإنسانية لترفل فى برد السعادة ، وتتمتع بثمار الطبيعة ، وتنعم بأفياء الجهاد ... نحن فى عصر القومية ، عصر الاستقلال الذاتى ، فإذا رأينا فئة تلغز فلا نفهم شيئاً ، وأخرى تعبث ولا تصدر عن شىء ، فماذا يكون موقفنا منهما ؟

موقفنا منهما أن ننتصر لأمتنا الناهضة الباسلة ، ولقوميتنا النامية المتحفزة ، ولذاتيتنا التى تريد أن تستقل ، وتكوّن كياناً خاصاً بنا -- نحن أبناء العرب وبنى العصر الحاضر . . — فإذا حددنا موقفنا رسمنا خطتنا بإزاء من يعتدى على قوميتنا ، ويلهو بنا ، ويرمى إلى الحط من شعرنا العربى عن قصد أو عن غير قصد .

وديوان (نار ونور) يمثل الفئة الثانية تمثيلا صادقاً ! ويعبر عن العقلية المحدودة ، والنظرة الضيقة ، والعاطفة الميتة التى عُرف بها شعراء هذه الفئة . فلننظر فى هذا الديوان :

الشعر — كما أفهمه — تجربة نفسية صادقة ، وتصوير دقيق لهذه التجربة .. فهو نتيجة لاستجابة عاطفية أو فكرية للمؤثرات الخارجية معروضة فى تعبير لغوى دقيق .. فنحن نعيش فى هذا العالم محاطين بأشياء كثيرة ، أحياء وجماداً .. والحياة التى تخفق بين جوانحنا تدفعنا إلى التأثر بهذه الأشياء إيجاباً أو سلباً . فما علينا إلا أن ننقل إحساسنا الصادق إلى القرطاس .

هذا هو الشعر فى أبسط تعاريفه ذو ركنين من العاطفة والتعبير الصادق .

فماذا حقق لنا الأستاذ المجذوب من هذين الركنين ؟

فى الديوان قصائد أملتها المناسبات ، وقصائد أخر تعبر عن آراء الشاعر فى الناس ، ونظرته إلى الحياة .

وأنا أمقت شعر المناسبات لأنه (كالسُخرة) الأدبية وكالتجارة التى يلتجأ فيها الشاعر إلى المراوغة والكذب ، وإلى الخداع والتضليل ، أضف إلى ذلك أن شعر المناسبات يقيد شخصية الشاعر التى يجب أن تظهر واضحة جلية طليقة فى كل ما ينظم .. وشعر المناسبات يدفع الشاعر إلى إرضاء الجماهير ، وإرضاء الممدوح ، وتملق العواطف

وفى قصائد المناسبات من هذا الديوان تظهر نفسية الشاعر

المضطربة : يتكلف المعانى ويسرف فى التكلف حتى يخيل إلينا أنه يعبث عبث الصبيان ، وينشأ من غير عاطفة أحسها ، ومن غير شعور اختلج فى نفسه . .

وتلك هى النكبة الكبرى فى هذا الديوان . فالشاعر يعرف الشعر رصف كلمة جنب أخرى ، ووضع بيت تحت بيت ، فتراه يرثى رجلا ، ويمدح محسنا ، ويحتفل بمولد طفل ، وينظم رقية تمزية ! .. وهذا أعجب ما عرفت فى هذا الباب .

فلنفرض على القارئ الكريم شعر المناسبات هذا . . شعر المناسبات الذى دافع عنه الشاعر ولم يحسن الدفاع كما لم يحسن التطبيق . . ولكن عندنا أناة وصبر لنعرف منزلة هذا الشاعر الكبير .. ولنقرأ مدحه لمعالى مظهر باشا رسلان الذى يقول فيه :

آية الفن أن يفيض على الظلـم   سميراً وفى الجمال فنونا !
فأدرها صهباء فى عرس الحق   تردّ الوجود شعراً مبينا
المنى فى يديك قاصرة الطرْ   ف فمتع بحسنهن (الجفونا) !
لفها النور فى وشاح من الخلـ   ـد أراق الدجى عليه الشؤونا (؟)
وذرا فوقه الكواكب حمرا   ء عليها دم الضحايا سخينا !

أقرأت هذا العبث اللفظى الذى لا طائل وراءه ؟ . . أرأيت المنى ومتعت (جفونك) — لا أهدابك — ؟ . . أرأيت دم الضحايا (السخين) . . ثم اقرأ هذا المدح ، وافهم الصفة التى أطلقها الشاعر على ممدوحه :

يارسول السلام والرحمة الكبر   ى ورب الجحاجيح المنقذينا
ومنار الهداة للمدلج السا   رى وغيث السماء للمجدبينا

لو بيعت هذه الألقاب فى السوق فهل تعرف كم يكون ثمنها ؟

إننا نمقت شعر المناسبات لأنه يطلق الألقاب دون استحياء ولا خجل؛ فهذا رسول السلام ، وذاك رب الرحمة ، وآخر غوث السماء ، ورابع أمام الفضيلة والإحسان والجود ...

ولننتقل إلى الرثاء لنقرأ رثاءه لغازى حيث يقول :

اختنق يا لواء حزناً فإن الشـ   ـمس مخنوقة السنا فى الأعالى
اختنق إن فى اختناقك معنى   غصة الدمع فى صدور الرجال
اختنق فالمصاب بالبطل المر   موق (من شرفة النهى والخيال)
اختنق فالشآم سكرى وبغدا   د ثكول والقدس فى زلزال !!

ولم يختنق إلا القراء المساكين من هذه المبالغات الغريبة .

إن رثاء الأستاذ المجذوب يذكرنا بشعراء الفترة المظلمة ، حين قبروا الفضيلة ، وكسفوا الشمس ، وخربوا الدنيا ، ورثوا الحق والإنصاف والكرم والمثل العليا .. لماذا ؟ .. لأن صاحبهم مات .. الله يرحمه .. أما سائر شعر المناسبات فنتركه لأن أصابه السهاد!

ولنأت إلى أشعاره التى تضمنت آراءه فى الناس وفى الحياة .

والأستاذ المجذوب فى هذا الباب يحاول تقليد الصافى النجفى الشاعر الإنسانى الساخر . . وهيهات أن يبلغ ذلك ! . . لأن الصافى شاعر دقيق الملاحظة ، فياض الإحساس ، عاطفى المزاج ، إنسانى النزعة ، يفكر فينفذ إلى الأعماق ، ويصدر عن شخصيته القوية التى طبعت شعره بطابع خاص . تلك الشخصية التى كونتها حياة الصافى الخاصة ، وظروفه المحيطة به .

أما الأستاذ الشاعر فسخريته مصطنعة ، وآراؤه غير عميقة ؛ فإذا أراد أن يسخر استهزأ بالناس ، ولعن القدر والحياة .. كأن السخرية استهزاء بالناس وعبث بالأوضاع .

والهجوم على الناس أصبح (موضة) هذا العصر .. فإذا أراد رجل أن يرفع نفسه ، ويسمو متكبراً على حساب الآخرين ذم الناس والدنيا ، وكفر بكل شىء . . وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على (مركب نقص) .. فالنفس الكبيرة تحترم النفوس وإن كانت صغيرة . وأنا لا أنكر أن فى الدنيا شراً كثيراً ، وأن أوضاع الناس قائمة على شىء من الظلم والقسوة . . ولكننى أود أن لا ننخدع بالمظاهر الكذابة ولا أريد أن نلهو بالفقاقيع .. بل أريد الشاعر يختص بالانفعالات النفسية ، وبالخلجات القلبية أريد الشعر يرتفع إلى أعلى لا ليتحدث عن الصدق والكذب ، وعن غرور الناس وضلالهم حديث الحكيم أو الواعظ .. بل أريده تصويراً صادقاً للواقع ، وعرضاً دقيقاً للحياة .

والأستاذ المجذوب ينظم باللغة المهلهلة ، ولا يفرق بين لغة الشعر ولغة الجرائد اليومية .. والوزن والقافية جنيا عليه جناية كبيرة . . وكثيراً ما يفلت من يديه الوزن فيضطرب . . أما الحشو فكثيراً ما يلجأ إليه الشاعر للمحافظة على الوزن . ومن أمثلة (الزمان النائى ، والظلام المبيد ، والساحل المنكود) . .

والأخطاء اللغوية كثيرة أردت أن أحصيها فمللت . والخلاصة أنى تكلمت عن هذا الديوان لأعرض صورة من صور هذه الأزمة الشعرية فى أدبنا العربى . . ولا نستطيع أن نظفر فى الديوان كله بغير قصيدة واحدة ترتفع إلى منزلة الشعر ، وهى (رثاء مستنقع) والحق أنها من أبدع الشعر وأصدقه وأكثره عاطفة وشعوراً .

غائب طعمه فرمان

مطبعة الرسالة

العدد ٧٧٣ — الاثنين ٢٦ ابريل ١٩٤٨ — السنه السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٤

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 773

Lundi — 26 — 4 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

دعويان منفصلتان

للأستاذ عباس محمود العقاد

تلقيت من الأستاذ صاحب التوقيع خطاباً جاء فيه :

« ... قابلت فتى ممن يسمون أنفسهم بالتقدميين وهم يعلنون عن أنفسهم بصراحة . فبدأ يهاجم كعادتهم ، وكان محور هجومه عمر بن الخطاب . »

« اتفقنا من حوارنا على أن الغرض الأساسى للدين هو علاج الأمراض الاجتماعية ومنها الناحية الاقتصادية . فلا يكون هناك المعدم وصاحب الملايين . قلت إن نظام الزكاة فى الإسلام يحقق ذلك ، فقال : تعال معى لنرى هل أفلح هذا النظام فى عصر من العصور . إن محمداً قد أفلح بدينه فى نقل الناس من حياة العبودية إلى حياة حرة ، فتطلع الناس إلى حقوقهم وأخذوا يدركونها . وفى عصر عمر الذى بلغ فيه الإسلام أوجه ، حدث أنه كان هناك امرأة تطبخ الحصى لعيالها الجياع بجانب رجل يهب لبيت المال عدة ألوف من النوق ... ولا يوجد فى التشريع الضمان الاجتماعى الكافى الذى يمنع حدوث هذا الفارق . وتناولنا الكلام على الضريبة التصاعدية ، فادعى أن الإسلام لا يقر النظام التصاعدى فى الضرائب .. وأن شخصاً مثلى — وغيرى كثير — لم يؤهلهم تعليمهم للرد على هذه الدعاوى وإقناع من يضطربون من الشك من جراء ما ينفثه زملاؤهم التقدميون من آراء فاسدة . . فهلا توليت الجواب على هذه الآراء حتى تهدى الحائر وتخرس الضال .. ولكم منى الشكر ، ولوعلى قراء هذه الرسالة »

السيد محمد الغزى

معيد بكلية الهندسة : جامعة فاروق

***

والذى نريد أن نبدأ به هو الفصل التام بين أمرين مختلفين يجمع بينهما هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالتقدميين .

الأمر الأول فساد المجتمع الحاضر .

والأمر الثانى أن الشيوعية هى علاج هذا الفساد .

فمهما يكن من مرض زيد من الناس فليس هذا بشهادة طب لكل من يدعى القدرة على علاجه ، ولو كان من المشعوذين زيد من الناس مريض لا شك فى اشتداد المرض عليه . سلمنا . وذهبنا فى التسليم إلى غاية ما يريدون . ولكن مرضه هذا لا يشهد بالقدرة الطبية لكل من يعالجه ، ولا بصحة الدواء الذى يوصف له فى ذلك العلاج .

هذا شىء ، وهذا شىء آخر ، ولابد من الفصل بين مرض زيد ودعوى الطبيب . لأن الطبيب الجاهل أضر من المرض ، أو أضر من ترك المريض بغير علاج .

والشيوعية لم تثبت قط — نظراً ولا عملا — أنها هى الطبيب الصالح لعلاج الفساد فى المجتمع الحاضر . فقد كانت

روسيا أكثر من عشرين مليوناً من أبنائها ذهبوا فى المجاعات والأوبئة والفتن الأهلية ، وكلفتها حربة أبنائها الذين لا يملكون حق انتقاد الحكومة فيها ، ومضى عليها ثلث قرن من الزمان فى تطبيق دائم تعززه القوة الغالبة ، فكانت نهاية المطاف أن روسيا تأخذ بنظام الطبقات وتخشى أن تنكشف للعالم ، فيطلع العالم كله على فشلها ، ولا تزال محتاجة إلى إثارة الفتن فى كل بقعة من بقاع الأرض ، لتأمن على نظامها المتصدع الذى تخشى عليه الزوال .

أما أن الغرض الأســاسى للدين هو علاج الأمراض الاجتماعية ، فهذا غير صحيح .

لأن الأمراض الاجتماعية عارض يتغير من عصر إلى عصر ، ومن بلد إلى بلد ، ومن سلالة بشرية إلى سلالة أخرى .

ولو كان الدين مسألة هذا المجتمع أو ذاك لوجب أن يكون لكل أمة دين ، وأن يتغير هذا الدين فى كل عشرين أو ثلاثين سنة ، وهذا غير الواقع الذى نراه .

إنما الدين علاقة بين الإنســان وبين هذا الوجود كله ، أو علاقة بين الموجودات الإنســانية وبين مصدر هذا الوجود .

ما الإنسان ؟ ما مصيره ؟ ما هو رجاؤه فى حياته ؟ ما هو قوام الحقائق والأخلاق فى ضميره ؟

هذا هو مناط الدين وهذه هى رسالة الدين .

فهو مسألة إنسانية تلازم الإنسان على توالى العصور ، وعلى اختلاف المجتمعات .

ثم يأتى إصلاح المجتمع من طريق إصلاح الضمير .

فإذا صلح الضمير صلح المجتمع من هذا الطريق .

وإذا سلمنا بالتطور فمعنى التطور أن يكون هناك عيب يتبعه كمال ، وأن يكون هناك خطأ يتبعه صواب ، وأن يكون هناك سيء يتبعه حسن ، أو حسن يتبعه ما هو أحسن .

فلا يصح أن يكون النقص دليلا على فساد النظام كله ، لأن التدرج يستلزم وجود النقص فى كل طور من الأطوار ، أملا فيما يعقبه من التمام والصلاح .

وليس الصلاح على كل حال هو منع التفاوت بين الناس . لأن التفاوت سنة من سنن الحياة ، بل علامة من علامات الارتقاء فى هذه الحياة .

لا تفاوت بين ذرة وذرة من ذرات الجماد .

لا تفاوت بين خلية وخلية من خلايا الجراثيم .

لا تفاوت بين حشرة وحشرة من صغار الحشرات .

ولكن التفاوت يزداد كلما ارتقى الكائن الحى فى معارج الحياة ، ولا يزال هذا التفاوت مطرداً حتى يبلغ غايته فى الإنسان ، فيصبح الفارق بين إنسان وإنسان كالفارق بين الأرض والسماء تلك هى علامة التطور والارتقاء .

ومع هـذا التفاوت الذى يلازم الارتقاء ، لا معنى لإلغاء التفاوت فى المراكز والأرزاق .

نعم إن المساواة واجبة فى الحقوق ، ولكن هذه المساواة لا ينبغى بحال من الأحوال أن تكون مساواة بين حق المجتهد وحق الكســلان .

لأن المساواة بين المجتهد والكسلان تجنى على الكســالى أنفسهم قبل جنايتها على المجتهدين .

فالحياة كلها حافز واستجابة Stimulus and Response

وليس فى الحوافز البشرية حافز أقوى من حافز الخوف من عاقبة الكسل والإهمال ، إذا رأى الناس أن الكسل والإهمال يحرمان صاحبهما حظه من الرزق والطمأنينة .

فإذا زال هذا الحافز زال الباعث على التقدم والنشاط واستخدام القوة الكامنة فى كل بنية حية، وانحدر الإنسان إلى حضيض الحيوان وإذا حدث هذا فالبلية فيه أعظم جداً من بلية آحاد من الناس يطبخون الحصى فى وقت من الأوقات ، لأنها بلية تحيط بالطبيعة البشرية كلها وتقضى على جميع حوافز الحياة .

وإذا كان التاريخ يروى لنا اليوم أن امرأة فى عهد عمر ابن الخطاب كانت تطبخ الحصى فأنقذها عمر ، فالفضل فى ذلك للنظام الذى جعل هذا الحادث مثلا يروى فى التاريخ ، ولم يطمسه بغشاوة الظلم والكتمان كما تنطمس اليوم ألوف الشكايات فى مجاهل سيبريا ، وفى ظلمات السجون ، وفى حنايا القبور ، فلا يعلم بها أحد من الناس فى ساعتها ، فضلا عن علمه بها بعد مئات السنين .

أما حديث صاحبك عن الضريبة التصاعدية فى الإسلام فهو

سياسة الصهيونيين المالية ونذالتهم

للأستـــاذ نقولا الحداد

أسأل الأستاذ لطيف مختار من بغـداد ، و « العاصف » (المهذب) المجهول العنوان ، والفتى الأديب حسن من المنصورة ؛ هؤلاء الذين لاموني فيما كتبت عن اليهود والتلمود والبروتوكولات الصهيونية — أسألهم : هل بلغ إليهم ما فعله الصهيونيون في بلدة دير يسين غربي القدس ، وفي بلدة ناصر الدين قرب طبرية وغيرهما من التفظيع بالأجنة في الأرحام والرضّع على الصدور والأطفال في الأحضان ، ومصونات النساء في الخدور ، والشيوخ الضعفاء العزل من السلاح ، وما فعلوه في قرى أخرى حيث لا توجد حامية من الرجال للدفاع ضد قوة صهيونية تفوقها عدداً وعـدداً خمسين مرة ؟

هل عرف أولئك الذين لاموني فيما كتبت أن هؤلاء الصهيونيين الذين قرّع بهم العالم في الجرائد والبرلمانات لأجل هذه الفظاعات يستهزئون بهذا التقريع ويفتخرون بهذه النذالة .

وهل يعلم الذين لاموني أن هذه هي أخلاق اليهود « يتمرجلون » على الأطفال والنساء ، ولكنهم أمام أبطال العرب يفرون فرار الأرانب والفئران ، وأنهم في معاملاتهم حيث تقوم قوة الحق لسحق الباطل يكونون كما قال القرآن الشريف : « ضربت عليهم الذلة والمسكنة » .

هؤلاء هم الذين رأيناهم يفتكون بالضعفاء ، ولكنهم يخرون ساجدين أمام الرجال الأبطال . لماذا نطلب منهم المروءة والإنسانية؟ أعرب هم ؟ هذه أخلاق العرب . العرب ينذرون أهل القرية قبل ضربها لكي يخرج منها النساء والأطفال(١) .

لله ما أشرف النمور والفهود والذئاب ، وما أحنّ الهـِرر وأرق قلوب الكلاب .

وهل علم الذين لاموني أن حاخام اليهود في فلسطين (حاكمهم

---

(١) وفي مظاهرة في بيروت احتجاجاً على فظائع اليهود أحاط الجنود بالحي اليهودي لكي يحموا اليهود من غضبة الشعب . هكذا يرد العرب على نذالة اليهود .

حديث خرافة ، لأن ولي الأمر في الإسلام — مع قيام الشورى في حكومته — يستطيع أن يفرض ما يشاء ، كما اقتضته مصلحة المجموع .

***

ولضريبة عمر في أعناقنا بقية على ما يظهر .

فقد جاءنا أيضاً هذا السؤال عن عمر بن الخطاب من الأديب صاحب الإمضاء . قال :

« ... في كتابكم عبقرية عمر أنه رضى الله عنه أوصى بوضع قواعد النحو ، بينما يقول أستاذنا الفاضل بأن الذي أوصى بوضعها هو علي بن أبي طالب ... فهلا تفضلتم بشرح هـذا الاختلاف ؟ ...

أحمد كمال الدين الفرابلي

طالب بمدرسة العروة الوثقى الثانوية بالإسكندرية

وجوابنا للطالب الأديب أننا اعتمدنا فيما كتبناه على مسند عمر في الجامع الكبير حيث قال أبو مليـكة : « قدم أعرابي في زمان عمر رضي الله عنه فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد ؟ فأقرأه رجل (براءة) فقال : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام في رسوله . فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه . فقال : يا أعرابي ! أتبرأ من رسول الله ؟ فروى له القصة . فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي . قال فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن الله بريء من المشركين ورسولُه . فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه . فأمر عمر رضي الله عنه ألا يقرئ الناسَ إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود فوضع النحو » .

وهذه رواية يصح التعويل عليها ، وقد ثبت على كل حال أن الفاروق رضي الله عنه كان ينكر بعض اللحن في كلام معاصريه ، ويوصي بحفظ عيون الكلام لتمكين ملكة الفصاحة وتقويم اللسان .

عباس محمود العقاد

أو حكيمهم) بعث برسالة إلى جلالة الملك عبد الله يدعى أنه استفظع هذه الفظائع التى فظّعها اليهود والهاجاناه . لماذا يبعث الرسالة لجلالة الملك عبدالله وحده ؟ هل هناك سر سيظهر بعدئذ ؟ ونظن أن جلالة الملك عبد الله أجابه : إن كنت لا تستطيع أن تمنع هذه الفظائع فاستعف من منصبك وأنت زعيم المفظعين ، وإن كنت لا تتحمل حقيقة وقر هذه النذالة فاذهب إلى مغارة فى جبل نبو جنوبى أورشليم حيث دفن النبى أرميا تابوت العهد المحتوى على اللوحين الحجريين اللذين كتب الله بأصبعه عليهما وصاياه ؛ واسمع هناك صوت الله « لا تقتل » ، واستغفر الله عن شعبك إن كان الله يقبل الاستغفار .

هؤلاء هم الذين إذا لامهم أحد لفظائعهم قالوا : « هى حرب إبادة » . ولكنهم يجهلون أنهم يبيدون عن بكرة أبيهم قبل أن تبيد كتيبة من العرب . لله ما أجهلهم !

هؤلاء أيها العاذلون هم اليهود الذين يريدون أن ينشئوا دولة يهودية فى فلسطين تكون دولة الدول الصهيونية التى تضع تحت أقدامها جميع دول العالم . هؤلاء أيها اللاحون هم الذين يجب أن نجاورهم ونعيش بين ظهرانيهم عبيداً أذلاء إذا نجحوا .

هؤلاء هم شعب الله المختار الذى يقول إن الجوييم غير اليهود من جميع الأمم هم بهائم .

هؤلاء هم الذين أشفقتم عليهم من قلبى وما علمتم أن قلبى ليس إلا فاضحاً براجمهم ومواثيقهم السرية ، وليست أعمالهم إلا تطبيقاً لمواثيقهم — بروتوكولاتهم . وإليك فصلا من مواثيقهم عن سياستهم المالية :

العمل ورأس المال — الميثاق السادس :

البند الأول : يجب أن ننشىء فى أول فرصة احتكارات ومخازن (مصارف) احتياطية للثروات الضخمة تتوقف عليها ثروات الجوييم (الناس الذين ليسوا يهوداً) إلى أن تهبط هذه إلى القعر مع اعتمادات الحكومة على أثر الهبوط السياسى (يعنى أن تضمحل هذه الثروات متى حصل انقلاب سياسى خطير) .

بند ٣ — يجب أن نعظم أهمية حكومتنا العليا بكل طريقة بحيث تكون ممثلة لحماية جميع الذين يخضعون طواعية لنا ولمصالحهم (لأن هؤلاء أصبحوا فى يدنا نتصرف بهم كيف نشاء) .

بند ٤ — ستكون قوة أرستقراطية الجوييم قد ماتت (تجاه قوة المال طبعاً) فلا ينبغى أن نحسب لها حساباً ، وإنما يجب أن نحسب حساب أصحاب الأملاك منهم ؛ لأنهم يظلون ضارّين لنا بمعنى أنهم يعتمدون عليها فى مصادر أرزاقهم (فلا يحتاجون إلينا) ، ولذلك يجب أن نبذل كل جهد فى أن نجردهم من أملاكهم بأن نسعى إلى فرض الضرائب الثقيلة على هذه الأملاك وتحملها الديون الباهظة ، وهذا التدبير يضعف عمليات الامتلاك ، ويقلل الميل إلى التملك ، وبالتالى يجعل الملاك خاضعين لنا بلا قيد ولا شرط .

(ولهم طرق أخرى فى تجريد الناس من أملاكهم وأموالهم منها أن يسلطوا عليهم نساءهم فى أندية الدعارة كما كانوا يفعلون فى فلسطين وغيرها . يشترون الأملاك من أصحابها بالأثمان الباهظة والنساء يستردن هذه الأموال بثمن لا قيمة له عندهن ولا عند رجالهن ، وما هذا بالأمر المنكر عندهم كما ذكرنا فى البند ٢٢ من الميثاق الأول فى مقال سابق) .

بند ٥ — ولما كان الأعيان من الجوييم بحكم الإرث الطبيعى والاجتماعى لا يكتفون بالقليل فى إشباع شهواتهم فإذا عزّ الكثير عليهم يتحرقون ويطيرون شعاعاً (لاريب أن الصهيونيين مصيبون فى هذه الفلسفة . فليس للأعيان صبر على المضض كما لليهود)

بند ٦ — فى نفس الوقت يجب أن نسيطر بكل جهدنا على التجارة والصناعة جميعاً ونجعلها تحت إرادتنا وإدارتنا . وإنما قبل كل شىء يجب أن ندبر دفة المضاربات التى تلعب الدور الخطير فى تهيئة الموازنة بينهما (أى فى خضوع الصناعة لنظام المضاربات) لأن عدم دخول الصناعة إلى دار المضاربات يضاعف رؤوس الأموال فى أيدى الخاصة ويساعد على تقوية الزراعة بتحرير الأرض من عبء الدينونة لبنوك الأراضى (وهذا أمر مناقض لمساعيهم فى السيطرة) ، والذى نبتغيه هو أن الصناعة يجب أن تستنزف من الأرض قوة العمل ورأس المال بواسطة المضاربات ، وهذه

تسرب إلى أيدينا جميع أموال العالم ، وحينئذ ننزل الجوييم إلى درجة العمال ، وثمت يخر الجوييم ساجدين لنا رغم أنوفهم وإلا فلا يستطيعون أن يعيشوا .

(فترى مما تقدم اللعبة الشيطانية فى استنزاف الأموال بواسطة المضاربات المختلفة . ولهم طرق أخرى لسلبها كاليانصيب على اختلاف أنواعه ، والتأمينات والمراهنات المتنوعة كالسباق وصيد الحمام وأشكال القمار ونحو ذلك . كل هذه من اختراعاتهم)

بند ٧ — ولكى يتم هدم الصناعة عند الجوييم يجب أن يُساعد فعل المضاربات بفعل الترف الذى نشرناه بين الجوييم . لأن الترف يلتهم منهم كل شىء (المال والشرف والوطنية الخ) فيجب أن نرفع الأجور والماهيات ، فإن هذه لا تنفع العمال النفع الذى يتصورونه ؛ لأننا فى الوقت نفسه نرفع أسعار الحاجيات زاعمين أن ارتفاع الأسعار نشأ من انحطاط نتاج الزراعة والمواشى . ويجب أن نزعزع ما أمكن مصادر الإنتاج بأن نعوّد العمال على الفوضى والاعتصاب والإضراب وإدمان المسكرات ، وإلى جنب ذلك نبذل كل جهد فى أن نستأصل عن وجه الأرض جميع قوى الثقافة عند الجوييم .

(هل يمكن إبليس الرجيم أن يستنبط وسائل للهدم والتدمير أقوى من هـذه ؟ إن هؤلاء الحكماء الصهيونيين هم أساتذة الأبالسة) .

البند ٨ — ولكيلا يفطن الجوييم إلى مقاصدنا هذه قبل مجىء الوقت الملائم لإعلان دولتنا يجب أن نوهمهم بأننا راغبون رغبة صادقة فى خدمة طبقات العمال وتقويم المبدإ الأساسى للاقتصاد السياسى الذى نسدد إليه ومنه جميع أنواع دعايتنا .

(أترى كيف أنهم يعملون أعمالهم الخبيثة من وراء ستار الأعمال الصالحة ؟) .

الميثاق التاسع :

بند ٢ — إن كلمات السر — الحرية والأخاء والمساواة — التى وضعناها نحن للماسونية لكى تظهر جمعية صالحة يجب أن تتغير متى تكونت مملكتنا إلى هـذا التعبير : — حق الحرية وواجب المساواة ونظرية الأخاء — هكذا يجب أن نصوغها ، وبها نمسك الثور من قرنيه ، ونكون قد نقضنا بالفعل كل حكم ما عدا حكمنا ، وإن بقى بعض الأحكام السابقة قائماً فلا يكون نافذاً نفوذاً خطير الشأن . وإذا احتجت أية حكومة علينا فيكون احتجاجها صورياً فقط .

بند ٣ — لا يمكن أن تقوم موانع تحدد نشاطنا . إن حكومتنا العليا تقوم فى الأحوال والظروف غير الشرعية فتوصف بالدكتاتورية القوية المستبدة التى تنفذ رغائبها بالقوة القاهرة (إلى أن يقول الرئيس) : أنى فى موقف يسمح لى أن أخبركم بضمير صاف إننا نحن الذين نسن القوانين يمكننا فى بعض الأوقات المناسبة أن نتسامح فى القضاء والأحكام ؛ فنذبح من نذبح ونعفو عمن نشاء ، ونحن كزعماء لجماعاتنا نمتطى جواد القيادة ونحكم بقوة الإرادة المطلقة ؛ لأن فى أيدينا شراذم الأفراد الذين كانوا قبلاً الحزب القوى ، وقد انتصرنا عليهم ، والسلاح الذى فى أيدينا هو المطامع الأشعبية التى لا حدّ لها والجشع النارى ، والنقمة بلا رحمة ، والبغض والحقد الشديدين (نعوذ بالله . هـذا هو عين ما نراه فى سلوك هؤلاء القوم مطابقاً لهذا البند) .

بند ٤ — منا نحن يصدر الذعر الشامل (كذا بكل قحة) ففى خدمتنا أشخاص لهم جميع صنوف الآراء والمبادىء والتعاليم من فوضويين ودعاة واشتراكيين وشيوعيين وحالمين بالمملكة الطوباوية utopia على أشكالها المختلفة . لقد ألقينا على رقابهم نير العمل لغرضنا . كل واحد منهم حامل على حسابه الخاص البقية الباقية من الحكم القديم لكى يطرحها فى الهاوية ، وبهذه الأفعال نرى جميع الحكومات فى عناء وشدة ، وكل منها تجتهد أن تنجو من هذه الشدة بأية تضحية ، ولكننا لا نمنحهم السلام والراحة ما لم يعترفوا بحكومتنا الدولية العليا ، وبخضوعهم المطلق لها .

بند ٦ — لقد ضجت الشعوب بوجوب تقرير أمر الاشتراكية فى اتفاق عام فى مؤتمر دولى ، ولكن انقسامهم إلى أحزاب مختلفة دفعهم إلى أيدينا لأنهم لا يقدرون أن ينفذوا خطة لهذا النزاع إذا لم تكن عندهم أموال للنفقة ، والأموال فى يدنا .

(هكذا يستندون إلى المال فى كل مكيدة يكيدونها) .

بند ٧ — يمكن أن نظن أن يتوصل ملوك الجوييم العقلاء البعيدو النظر إلى اتحاد عام (كالجامعة العربية مثلا) ولقاء هذا الاتحاد تنغمس قوة الغوغاء فى هياج أعمى ؛ ولكننا قد احتطنا

مشاهدات مسافر :

ألمانيا بعد الحرب

للدكتور محمد سامى الدهان

أجل أعود من جديد إلى هذا البلد الواسع الكبير ، يحفزنى أمران ؛ فأنا أسعى فى جمع تراثنا المخطوط من مكتبات ألمانيا المتفرقة فى غنى ، الموزعة فى نظام . وأنا أسعى كذلك فى أن أتعرف إلى الأساليب الحديثة فى كل شىء : فى المرونة والحياة ...

كان على أن أسجل « القديم » وأن أرسمه حيث كانت ألمانيا أمة تهتز لذكرها أمم ، فيهم من يرى عندها المثل الأعلى والغاية القصوى ، وفيهم من يكفر بحضارتها ويطيل فى ذمها. كان على أن أسجل هذه الزيارة الطويلة الواسعة من أقصى حدود الراين ، بطاحه ونجوده ، حتى برلين ؛ ومن هذه العاصمة حتى ليبزغ ومونيخ ونور نبرغ ، فالغابة السوداء وتوبنيكن ونهر الراين ؛ فى شهور عصيبة من عام ١٩٣٨ ، والعالم يضع أبواباً لحدوده ويخترع الأقفال من ورائها ؛ فكان لأنباء الحرب هلع فى القلوب وجزع فى النفوس ونار فى الرماد ، وهمم تتوثب ، ودنيا ترجف ، وآمال تبنى، وأمان تتهدم . كان على أن أصف كيف كانت تخوض ألمانيا حرب الأعصاب فى الدعاية لجنسها والاستجابة لعرقها والجمع لشملها .

وكنت وأنا أعبر الحدود البلجيكية الألمانية أقرأ فى صحف باريس أن القوم أعلنوا التجنيد وجمعوا الصفوف وأنهم على أبواب حرب ، وقد أقسموا أن يقفوا بين رغبة ألمانيا واستلاب السوديت .

وما من شرقى عربى يستطيع أن ينزل من القطار عشرات المرات ، وأن يلبس القناع الواقى عشرات المرات ، وأن يتمرن فى سفره على الاستعداد مع القوم لحرب عصيبة ، فلا يهتز له جنان ، ولا يرتجف له قلب ! فقد تعلمت الحرب عن الأدب ، وجربت النضال عن الكتب ، فلست أفهم فتاة تحرس النفق ، وامرأة تفتش المارة ، وأخرى تحمل السلاح . ولست أفهم كيف يؤمن عشرات من الملايين بالحرب فى القرن العشرين ، يتقدمون إلى النار فى ثغور باسمة وقلوب هائمة ، لا يسمعون إلا لصوت واحد فى زحمة الأصوات ، ولا يتلفتون إلا لنداء واحد فى جلبة النداءات .

كان على أن أصف ما شهدت من اجتماع برلين ، وما سمعت من الأقطاب الأربعة من خطب موتيخ ، وما كان فيهما من تأخير الحرب عاماً كاملا . ولكن هذا كله غدا فى التاريخ ، وانطوى فى الحقب ، وتحدث عنه الناس فأكثروا ، ووصفه الكاتبون الغربيون فأسهبوا . ولعل لى رجعة إليه حين يحلو الكلام فيه .

أما الآن ، وقد هدأ غبار المركة الصاخبة ، وسكنت ثورة العاصفة الجامحة ، فقد أحببت أن أعود من جديد إلى هذا البلد القديم لأرى القوم فى حال غير الحال ودنيا غير الدنيا .

ولن يكون السفر عن سبيل سفارة ألمانية وقنصلية جرمانية ، فقد تولى الحلفاء الأربعة فى كل عاصمة منح الإذن لمن له أن يطلب المرور . وفى باريس على مقربة من ساحة « التروكاديرو » شارع ضيق طويل على البناء الأوسط كتابة عريضة تعلن عن موقع « مصلحة الأمور الألمانية والنمسوية » . فإذا دخلت فسترى الضابط الإنكليزى والأميركى والفرنسى يتجاورون فى غرفة واحدة ويتحاورون فى لغة واحدة ، تنتقل من مكتب إلى مكتب ، وأنت تتقلب بين شارات ونجوم فلا تجد أثراً للسلطة الرابعة ، لأنك

لكل حادث من هذا القبيل ، فقد أقمنا بين القوتين متراساً بشكل رعب متبادل بينهما (قوة الجند من جهة وثورة الرعاع من جهة أخرى) . بهذه الطريقة تبقى قوة الشعب الدمياء سنداً لنا . ونحن وحدنا نجهزها بقائد ، وبالتالى ندربها فى الطريق الذى يؤدى إلى هدفنا .

(لا تستغرب إذا قيل لك إن معظم الحروب والثورات ، ولا سيما الأخيرة منها نشأت من جراء مكايد صهيونية) .

بند ١٣ — (يقول الزعيم القائم فى مؤتمر الحكماء الشيوخ)

قد يلوح لكم أن الجوييم يقومون علينا فى يوم من الأيام إذا أحسوا بما هو جارٍ من استعداداتنا قبل أن يحين الوقت الملائم لإعلان حكومتنا . أجل . ولكن عندنا فى الغرب ضد ثوراتهم مناورات رهيبة تتصدع فيها القلوب الحديدية — المخابىء الخفية والسكك الحديدية تحت الأرض إلى غير ذلك من السراديب تمتد قبل مجىء الوقت المنتظر تحت العواصم والحواضر . فمن تحت الأرض تنسف هذه العواصم والمدن فتنتفض فى الهواء وتتندثر كل أنظمتهم وسجلاتهم الخ . وفى مقال قادم خططهم فى الصحافة.

نقولا الحداد

تستطيع أن تقصد إلى أية منطقة إلا البلد الحرام ؛ حيث ركز الروس أعلامهم ، وبسط السوفيت ظلالهم . فإذا كنت تلح فى الزيارة فاذهب إلى برلين وهناك تستشير من بيدهم الحل ، فيمنحون الأذن أو يحرمون ..

يا لله ما أعجب الدنيا تتبدل فى أعوام عشرة فكأنها ما كانت ، وتتغير فى سنين فكأنها ما وجدت ، يزورها المرء وهى بستان جامع وهضاب نضرة وبلدان عامرة ثم يعود إليها فإذا هى جرداء قاتمة وأكوام من أحجار حتى ليخيل إليه أنه يزور بلاداً أصابتها الزلازل ، أو انهارت عليها البراكين ، أو تقادمت عليها القرون ومسحت عليها العصور ، فيحسب أنه يزور مدينة أثرية يتلمس فى جنباتها التاريخ ويقرأ من خرائبها العبر . ذلك أول شعور يمس المرء حين يجتاز نهر « الراين » ، ويعبر الحدود . بل لعله وهو يتنقل فى قطار تخم من ربوع الالزاس يكذب الخارطة بين يديه ويتهم نفسه بالجهل بالجغرافية فلا المعالم معالم ولا الحدود حدود .

واستقبلنا على الحدود جنود ألمانيون فى لباس نازى قديم بال لأنهم لا يملكون سواه ، وأقبلوا يفتشون الحقائب ، فما ينفكون يفتحونها ويغلقونها ، فيفتحون عيونهم للمنظر الجميل من مأكل لم يعرفوا طعمه منذ حين ، ولباس لم يعرفوا لمسه منذ أمد ، ثم يطبقون العيون على قذى ويشكرون المسافر ، ويحيلونه إلى السلطة المحتلة ، فتوزعه السلطة فى قطار من القطرات . ولن يشكو المسافر من القطار الذى يحمله والثمن الذى يدفعه ، فله الدرجة الأولى والثانية ، يمرح فيهما كما يشاء . وفى الثالثة سكان البلاد يتكدسون وقوفاً ، ويتعلقون بأطراف القطر وسلالمها ، كما يتعلق غلمان القاهرة بأطراف حافلات الترام سواء بسواء . وسيعجب الأجنبى للألمانى كيف يحيا اليوم ، فهو يقتطع الخبز الأسود الكبير لقمة بعد لقمة هى كل غذائه الذى رأيته فى يومين اثنين من رحيل القطار ، ويرى مناظر لا تصدقها عيناه . هذه امرأة مرضع نامت على جدار القطار وهى تحتضن وليدها ، وهذا شيخ سكت رفاقه عن استبداده فى الجلوس بالمر فنام جالساً ؛ وهذا شاب بلغ المحطة التى إليها يقصد وهو يعرف أنه بلغها لكن القوة خانته والجوع خذله فماله حيلة فى قيام ولا قعود ، فآثر البقاء ، وما ينتظر القطار الجياع ! ...

أما أنا فقد تعبت من مشاهد البشر ، وعدت إلى مكانى من العربة أنعلق بالطبيعة فهى أم رءوم وحسناء وفية ، أمتع النظر بالغابة السوداء ونحن نجتازها ، نمر بين صفوف من أشجار كثيفة عالية ، وقد شق القطار طريقه بينها ، متلوياً فى سحر لا ينسى وفتنة لا تزول ، هى كل زاد المسافر فى ألمانيا اليوم .

فلما أظلم الليل انتشلنى النوم انتشالاً وما أيقظنى إلا صوت هذه الجموع الغفيرة فى المحطات ، فظننت أنه العيد ، فنحن فى يوم أحد ، وقد عرفت الألمانيين من قبل يعدون للأعياد عدتها والآحاد فرصتها ، فهم يرحلون من قرية إلى قرية لا يستقرون ولا يقيمون ، يتنقلون فى جمال الطبيعة ، يقطفون ثمرة الأسبوع ، ينتجعون مواقع الزهر والعطر ، والجبل المشرف ، والنهر المغنى ، ولكن رفيق فى السفر أفهمنى أن الألمانى يسافر إلى الريف يوم الأحد من كل أسبوع فى اصطياد البطاطس وانتشالها من التراب ، فالأرض أم لا تؤمن بمذهب ، ولا تدين بسياسة ، والبطاطس بعض الغذاء قبل الحرب وكل الغذاء بعد النكبة ؛ فلا بأس فى أن يعد الألمانى أكياساً واسعة يجمع فيها كل ما تصل إليه يده فى السوق السوداء طعاماً لأسبوعه .

بلغنا محطة توبينكن ، فنزلت بين هذه الجموع المتراصة التى كانت ترقب القطار منذ الليل ، فأخذت سبيلى فى يسر غريب ؛ ذلك لأن للاجنبى سبيلا غير سبيل المواطن . غير أن العسر كل العسر فى أن تجد من يحمل الحقائب إلى المنزل ؛ فقد طفقت أبحث فى المحطة عمن يحملها وكنت أظنهم كثيرين لرداءة اللباس وفقر المظهر ، فلم يقبل على منهم أحد ، فلما أقبلت عليهم أعرضوا جميعاً ، ولما لجأت إلى تفسير وشرح ، وجدت من يرضى بلفائف التبغ جزاء ؛ فهى وحدها الرائجة وهى وحدها العملة النادرة .

وأخذت سبيلى إلى المنزل ماشياً ، فليس من عربات أو سيارات ولن أطمع فيها بعد الذى رأيت .

وعزفت عن التفكير إلا فيما جئت له ؛ فأنا أزور ثالث مدينة جامعية على « الراين » بعد بون وهايدلبرغ ، بل هى تمتاز عنهما بأنها من مهود الاستشراق ، ففيها ما ليس فى الجامعتين من مخطوطات عربية نفيسة ، ففيها المتنبى وأبو فراس وابن وحشية ، وفيها ليتمان و « بور » وفايشابلر من مشاهير المستعربين فلا أقل من أن أقيم أياماً أستعيد بين القدامى والمحدثين ذكرى عاطرة ؛ وأقوم بالتحية الطيبة قبل أن أرحل إلى الدير ...

سامى الدهان

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو العينـــاء

١٩١ – ٢٨٣ ﻫ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

— ٥ —

عرفنا أسلوب أبي العيناء مع الخلفاء والأمراء والوزراء ، فما رأيناه مع أحد منهم إلا صريحاً ؛ فلا يستغرب بعد ذلك إذا أفاض في مداعباته كل الإفاضة مع الطبقتين الوسطى والدنيا ، لأن معارفه فيهما كانوا كثيرين ، وكان — بحكم الصداقة — أشد رغبة في التفلت من كل كلفة ، وأكثر طواعية في الإقبال على كل ما يدخل السلوى على محبيه .

ولابد من الإشارة إلى تلك العلاقة القوية التي توطدت بينه وبين الجاحظ : فقد كانا صديقين لا كلفة بينهما ، بل قد اشتركا سوياً في وضع حديث « فدك » كما يعرف المشتغلون بعلم الحديث . وخلاصة هذا الحديث أن السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم طالبت بعد وفاته بنصيبها مما ترك ، وأنها بكت وأبكت لتصل إلى ما تبغي . والحديث باطل من أساسه كما اعترف أبو العيناء بذلك حين قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك » وقال إسماعيل بن محمد النحوي : « كان أبو العيناء يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ »(١) . وقد ذكره ابن حجر في (الموضوعات)

وإن علاقة بين اثنين تسمح لهما بوضع حديث مشترك لهي علاقة متينة لحمتها التفاهم وسداها الانسجام : فلا بدع إذا رأينا الجاحظ يسلك في مداعبة أبي العيناء سبيلا لا يسلكه إلا الأحبة ، ويقابله الآخر برضا وارتياح . والقصة التالية تلقي ضوءاً على نوع الصداقة التي استحكمت عراها بين الرجلين .

قال أبو العيناء : « كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت من صديقه ؟ فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ — وهو صديقك — فأحب أن تأخذ لي كتابة إليه بالعناية ؛ فصرت إلى الجاحظ فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبد الله ؟ فقلت : مسلّماً وقاضياً للحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا . فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرف أخبارنا ... إذا كان في غد وجّهت إليك بهذا الكتاب ، فلما كان من الغد وجّه إلي بالكتاب ، فقلت لابني : وجّه بهذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته . فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور ، فينبغي أن نفضه وننظر ما فيه . ففعل فإذا فيه : كتابي إليك مع من لا أعرفه ، فقد كلمني فيه من أوجب حقه ؛ فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذممك . فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري . فقال : يا أبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب . فقلت : أو ليس موضع نكرة ؟ فقال : لا ، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به . فقلت : لا إله إلا الله ما رأيت أحداً أعلم بطبعك ولا بما جبلت عليه من هذا الرجل ... علمت أنه لما قرأ الكتاب قال أمّ الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف ، أم من يسأله حاجة . فقلت : ياهذا تشتم صديقنا ؟ فقال : هذه علامتي فيمن أشكره ! »(١)

ولم يكن الجاحظ يكتفي بمداعبته أبي العيناء على هذا النمط فإنه كان أحياناً ما يعذبه واجداً في تعذيبه ارتياحاً غامضاً في نفسه « كان الجاحظ يتقلد في خلافة إبراهيم بن العباس على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء . فلما أراد أن يخرج من عنده تقدم إلى من يحجبه أن لا يدعه يخرج ولا يدعه يرجع إليه إن أراد الرجوع . فخرج أبو العيناء يريد الانصراف فمنع من الخروج ومن الرجوع إلى الجاحظ ، فنادى أبو العيناء بأعلى صوته : يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ! »(٢)

ومثل هذا النمط من التعذيب في الدعابة كثيراً ما نجده بين المتفاهمين من الأصدقاء . وكان من أشد هؤلاء صلة بأبي العيناء محمد بن مكرم والعباس بن رستم اللذان سئل عنهما مرة فقال : هما الخمر والميسر ، إثمهما أكبر من نفعهما . وأكبر الظن أن صلته بابن مكرم كانت أقوى ، لأن مداعباته له كثيرة مشهورة .

(١) لسان الميزان ص ٣٤٦ ج ٥

(١) تاريخ بغداد ص ١٧٥ ج ٣

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨ ج ٣

وابن مكرم كان من هذا النوع من الأصدقاء الذى يحب أن يجد السرور لنفسه ولو بالتهكم على صديقه — وما أكثرهم فى كل زمان ومكان — وكان يرى فى عمى أبى العيناء فرصة لإيذائه لا رغبة فى الإيذاء نفسه فلا حاجة به إليه ، ولكن ليستمتع بردود أبى العيناء المبتكرة ، وأجوبته اللاذعة .

حضره يوماً وأخذ يؤذيه ثم قال : الساعة والله أنصرف فقال أبو العيناء : ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك !

وقال له يوماً يعرض بالبلد الذى نشأ فيه : كم عدد المكدين (المتسولين) بالبصرة ؟ قال : مثل عدد البنائين ببغداد . فأجابه بأشد من تعريضه .

وأبو العيناء فى طرائفه مع ابن مكرم يسمى إلى إيلامه برده ، بمقدار تألمه من هزله وجده ، وهو إذا أراد أن يرسل الجواب لا يمنعه منه مانع ، ولا يصده عنا صاد ، لأنه يرى أن الحرية فى الدفاع أجدر من الحرية فى الهجوم !

ومهما اختلف الباحثون فى تحليل نفسية هذا الظريف فستحملهم النصوص الكثيرة على الاتفاق على رقة دينه ، إذ كان يتعرض للدين فى مختلف المناسبات غامزاً لا يعبأ ولا يبالى . قال له العباس بن رستم يوماً : « أنا أكفر منك . فقال له : لأنك تكفر وممك خفير مثل عبيد الله بن يحيي وابن أبى دؤاد وأنا أكفر بلا خفارة » .

وأنا لا أصدق أن هذا من التظرف فى شىء ، إذ ما كان ليعترف بأنه يكفر بلا خفارة إلا لرقة دينه ، وإن قوى الدين لا تسمح له نفسه أن يتظرف بشىء يتنافى مع الأدب فى اعتقاده ، بل يرى أن كل شىء يباح له الخوض فيه إلا الدين ، فإن له حرمة لا يحل مسها لمخلوق . أما صاحبنا فيرى من الظرف والكياسة أن يتظاهر بمخالفة الدين . قال مرة : « أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة . قال لى أبى : يا بنى ، إن الله تعالى قرن طاعته بطاعتى ، فقال : « اشكرلى ولوالديك » فقلت له : يا أبت إن الله ائتمننى عليك ولم يأتمنك علىّ ، فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق » .

وقد كتب أبو العيناء إلى صديق له ولى ولاية موعظة عجيبة أعتبرها وثيقة على ضعف دينه . واقرأ إذا شئت ما كتب

« أما بعـــد فإنى لا أعظك بموعظة الله لأنك عنها غنى ، ولا أخوفك إياه لأنك أعلم به منى ، ولـكنى أقول كما قال الأول :

أحار ابن بدر قد وليت ولاية فـكن جرذاً منها تخون وتسرق
وكاثر تميما بالغنى إنمـا الغنى لسان به المرء الهيوبة ينطق

واعلم أن الخيانة فطنـة ، والأمانة حرفة ، والجمع كيس ، والمنع صرامة ؛ وليس كل يوم ولاية ، فاذكر أيام المطلة . ولا تحقرن صغيراً ، فإن من الدور إلى الدور ، وإبلاء الولاية رقدة ؛ فتنبه قبل أن تنبه . وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر . وما هـذه الوصية التى أوصى بها يعقوب بنيه ؛ ولـكن رأيت الحزم فى أخذ العاجل ، وترك الآجل » .

وهكذا خلط أبو العيناء فى هذه الموعظة العجيب أسلوبها كثيراً من الهزل فى الجد ، فما أحب لصاحبه الأمانة لأنها حرفة الخازنين ، ولا كره لصاحبه الخيانة لأنها فطنة وذكاء ، وما أحب له أن يجود بماله لأن فى المنع صرامة وحزماً ، ولا كره له أن يجمع القناطير المقنطرة لأن فى كنزها أبهة وفخراً . فلينتهز فرصة ولايته فإنها لا تسنح دائماً ، وليكسب ما استطاع من الغنائم ليـكون حكيما حازماً ، وليضم الصغير مع الـكبير ، وليلق القليل على الـكثير ، وليجمع الفتيل والقطمير ، وليفتح عينيه على كل شىء دق أوجل ، فربما تمطل بعد عمل ، وربما أفل نجمه بعد أمل . أما الآخرة فنعيمها آجل بعـيد ، أين منه نعيم الدنيا القريب ؟

أفرأيت أعجب من هذه الموعظة ، وأغرب من هذه الوصية ؟

أما إنها — على مسحة الهزل فيها — لدعوة صارخة إلى اجتياز حدود الدين التى تضع سداً بين واجب الإنسان وطمعه ، وبين مسئوليته وجشعه ، وتسلك به سبيل الزهد عن ظهر غنى ، والعفاف على قوة وقدرة . فما كان أضعف دينك يا أبا العيناء ! وما كان أشد تساهلك أيها الراوية الظريف !! ...

— ٦ —

وإذا أضفنا إلى انحلال تدينه سفاهة لسانه بطبعه وهجيراه أصبح واضحاً لدينا أنه كان متهالـكا على إرضاء هواه وإشباع شهوته ، وأنه ما كان ليتورع عن الخروج على أصلح التقاليد بنفسه بعد أن خرج عليها بتعبير لسانه ، لأن عفيف النفس يأبى

على ألفاظه أن تكون نابية ؛ أما وقد ترك صاحبنا نفسه على سجيتها فلابدع إذا كان خبيث اللسان؛ ثم لاغرو إذا كان خبيث العمل، ثم لا عجب إذا وصمه الناس بأنه مخنث ، حتى قال له ابن الجهم يوماً : يا مخنث ! فأجاب : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه » .

ولا يعنيني هنا أن أستمتع برده فما أنتظر من مثله غيره أو أقل منه ، ولكني أشير إلى أن للناس فيما أطلقوا عليه من أوصاف ما جرأهم من أعماله وتصرفاته . وهذا — على ما أعتقد — من الأسباب الجوهرية التي جعلت حفاظ الحديث يحكمون بضعف مارواه هذا الظريف ، بل إن بعضهم قد رماه بالكذب والوضع؛ فالخطيب في تاريخه — بعد أن ذكر الذين رووا عنه : وهم أحمد ابن عيسى المكي، وأبوعبد الله الحكيمي، ومحمد بن يحيى الصولي ، ومحمد بن العباس بن نجيح ، وأبو بكر الادمى القارى ، وأحمد بن كامل القاضي — قال : ولم يسند من الحديث إلا القليل . والغالب على رواياته الأخبار والحكايات [1] وروى عنه — لإظهار ضعفه — حديثاً ذكر سنده ثم حكم عليه بأنه غريب . وفي هذا الحديث أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بطائر فقال : اللهم آتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فجاء على فحجبته مرتين ، فجاء في الثالثة فأذنت له . فقال : يا على ما حبسك ؟ قال : هذه ثلاث مرات قد جئتها فحجبني أنس . قال : لم يا أنس ؟ قال سمعت دعوتك يا رسول الله ، فأحببت أن يكون رجلا من قومي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الرجل يحب قومه » [2] .

علق الخطيب على هذا الحديث بقوله : غريب بإسناده لم نكتبه إلا من حديث أبي العيناء محمد بن القاسم عن أبي عاصم ، وأبو الهندى مجهول — وهو أحد رجال السند — واسمه لا يعرف ؛ ثم نقل عن أبي الحسن الدارقطني قوله : « أبو العيناء ليس بقوى في الحديث » وأكد هذا ابن حجر في (لسان الميزان) ثم روى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك » وهذا الحديث الباطل من أساسه قد سبقت الإشارة إليه .

(١) تاريخ بغداد ص ١٧١ ج ٣

(٢) تاريخ بغداد ص ١٧٢ ج ٣

ولم يستحى أبو العيناء مدى حياته من تكرار رواية هذا الحديث الموضوع حتى قال إسماعيل بن محمد النحوى : « كان أبو العيناء يحدث بذلك بعد ما مات الجاحظ » [1] .

وروى عنه ابن حجر أيضاً حديث « مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل العين ، ودواء العين ترك مسها » وعلق عليه بقول الدارقطني : « لم يروه غير أبي العيناء » [2] .

ولست أستغرب أن يضعفه حفاظ الحديث ، فإن رجلا يعترف بجريمة الكذب على رسول الله ثم ينشر كذبه جدير به أن يتخيل ما شاء ليرضى ملكة الكذب المسيطرة على لسانه . وحرىٌ أن يضحك ما طاب له ليبقى ضاحكا مدى الحياة لذلك كان أسلوبه واحداً لا يتغير : فلسانه سليط مع الجميع ، وربما كان أكثر تمكناً من الاسترسال مع العاديين من الناس لأنه لا يجد من الفارق بينه وبينهم ما يمنعه من التظرف كيف شاء .

قال له ابن الجماز المغنى يوماً : « هل تذكر سالف معاشرتنا ؟ فقال : إذ تغنينا ونحن نستعفيك ؟ » . وقالت له قينة : « هب لى خاتمك وأذكرك به . فقال لها : اذكرى أنك طلبته منى ومنعتك »

وهو إذا استطاع أن يخفض من قدر محدثه ليكبر من قدر نفسه لا يتورع ولا يحتاط : اعترضه يوماً أحمد بن سعيد فسلم عليه فقال له أبو العيناء : من أنت ؟ قال أنا أحمد بن سعيد . فقال: إنى بك لعارف ، ولكن عهدى بصوتك يرتفع إلىّ من أسفل ، فما له ينحدر علىّ من علو ؟ قال : لأنى راكب . فقال : عهدى بك وأنت فى طمرين [3] لو أقسمت على الله برغيف لأعضك بما تكره » .

وهو يمازح من يعرف ومن لا يعرف ، ومن يروق لعينه وقد لا يروق لأعين الناس ، ولا يعنيه إلا أن يكون ضاحك السن ، سواء أضحك منه الفؤاد أم بات فى هم دفين .

وقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال : « من هذا ؟ قال : رجل من بنى آدم . قال أبو العيناء : مرحباً بك — أطال الله بقاءك — كنت أظن أن هذا النسل قد انقطع » .

وهذه الدعابات قليل من كثير تجد بعضها فى معجم الأدباء

(١) لسان الميزان ص ٣٤٦ ج ٣

(٢) المرجع السابق الصفحة ذاتها ... (٣) ثوبين خلقين

فى ترجمة محمد بن القاسم أبى العيناء . ونلمح فى كل هذه الدعابات أو أكثرها إشارة عنيفة إلى تمرده على البشر ، وتشاؤمه منهم ، وقلة إيمانه بهم !

وجميل بنا أن نذكر أنه عاش فقيراً ، ولكنه — على قلة ذات يده — كان يملأ قلبه العطف : يطعم المساكين ، ويرحم الضعاف العاجزين ، ويلذ له أن يداعبهم كما يداعب غيرهم لعلهم يطربون : دعا سائلا ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله فقال له : « يا هذا ، دعوتك رحمة فتركتنى رحمة »

بيد أنه إذا اشتدت به الحاجة لا يسأل من أى سبيل يجمع ماله : قال أبو العيناء « مررت يوماً فى درب بسرَّ من رأى فقال لى غلام : يا مولاى فى الدرب حمَلٌ سمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه ، وغطيته بطيلسانى وصرت به إلى منزلى . فلما كان من الغد جاءتنى رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك : ضاع لنا بالأمس حمَل فأخبرنى صبيان دربنا أنك أخذته ، فأمر برده متفضلا . فكتبت إليه : يا سبحان الله ! ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربنا يزعمون أنك بغَّاء وأكذبهم أنا ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صبيان دربك أنى أخذت الحمل ؟ قال : فسكت ولم يعاودنى » .

وهو فى المداوة خصيم مبين : يشمت ويتمنى الشر والضرر. مر يوماً على دار عدو له فقال : ما خبر أبى محمد ؟ فقالوا : كما تحب قال : فمالى لا أسمع الرنة والصياح ؟ »

وعلى كل حال ، فقد كان هذا الشاعر الظريف من هؤلاء الأفراد الضاحكة وجوههم الباكية قلوبهم ، الذين نرى ظواهرهم لاهية ، ونرى حقائقهم قاسية . وكأنما رأى أن الهزل يسرّى عنه بعض ما يجده ، فبقى يضحك الناس عمرا طويلاً حافلاً ، وكان خير ما أرضاه أنه أراد أن يستوى على عرش الهزل استيلاء الحاكمين على عرش الجد ، فكان له ما أحب منذ بلغ أشده حتى رد إلى أرذل العمر فمات .

وبعد ، فكأنما كان هذا الظريف — حتى فى شيخوخته — يعاند الدهر ولا يريد أن يموت : فقد ركب سنة ثلاث وثمانين ومائتين سفينة إلى البصرة وكان فيها ثمانون شخصاً ، فعصفت العاصفة غضبتها ، وثارت الأنواء ثورتها ، فحطمت السفينة وأغرقت ركابها ، فما نجا منهم سوى أبى العيناء إذ تعلق بطرف الزورق فأخرج حياً[1] لكنه لم يستطع أن يعاند الدهر من جديد فقد عاجلته منيته فى هذه السنة نفسها فمات كما جزم المسعودى فى (مروج الذهب)

مات وما زال الظرفاء يتندرون بدعابات أبى العيناء ؟

مات فسكت ذلك اللسان السليط ، وشلت تلك الحركة التى لا تعرف السكون !

ولكن ... لقد عاش هذا الظريف ضاحكا طول الحياة ، حتى إذا حضره الموت أرسل دمعة أو دموعاً وهو يودع الدنيا قائلا:

ياويح هذى الأرض ما تصنع — أكل حى فوقها تصرع ؟
تزرعهم حتى إذا ما أتوا — أشدهم تحصد ما تزرع !

وبعد ، ففى كنوز الأدب العربى لآلىء نادرة كأبى العيناء ، خليق بأيدينا أن نقع عليها لنخرجها لشبابنا الناهض فتسحر القلوب وتخطف الأبصار .

صبحى إبراهيم الصالح

(1) لسان الميزان ص ٣٤٤ ج ٥

من شواهد النبوة :

المتنبئـــــون

للأستـــــاذ علي العماري

« تتمة »

وثالث الأسباب التي دفعت بعشائر المتنبئين وأصحابهم إلى الصبر والصدق في حروب المسلمين الطمع في الملك والرغبة في السيادة . ولقد عرف المتنبئون كيف يأكلون الكتف ، فهم إن فاتهم — إحكام الكذب في دعواهم لم يفتهم استمالة أقوامهم بما يطمعونهم فيه من ملك العرب . وهذا أمر قد استقام لكل المتنبئين ، فأما مسيلمة فقد ابتدأ أمره بأن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فأني قد أشركت معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ، ولكن قريشاً قوم يعتدون » فرد عليه النبي « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » فلما جاءه كتاب الرسول أخفاه ، وكتب عنه كتابا زعم أنه وصله بثبوت الشركة بينهما ، وأخرج ذلك الكتاب إلى قومه فافتتنوا به . وبهذا — إلى جانب ما قدمنا من أسباب — استطاع عدو الله أن يسخر هذه الآلاف المؤلفة في حرب مبيدة . وأما طليحة فقد ذكروا أن مما سجع به قوله « والحمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام » . وسواء أصحت هذه المقالة أم لم تصح ، فإنها تدلنا على كل حال على الفكرة التي كان يبثها طليحة في قومه ، وهي أنهم إنما يطلبون الملك . وسينالونه . وسجاح ما كان لها أن تجرر وراءها سادات قومها من تميم ، ووجوه أخوالها من تغلب الا بهذه الأمنية الجذابة : « إنما أنا امرأة من يربوع ، فإن كان ملك فهو لكم » إذن فقد كانت العصا السحرية التي أمسك بها هؤلاء المتنبئون هي التلويح بالملك والسيادة لهؤلاء العرب الظامئين إلى السلطان . ولقد ألم الرافعي رحمه الله في كتابه « إعجاز القرآن » ببعض هذه الأسباب التي شرحناها . قال بعد الكلام عن بعض المتنبئين : « على أنه لا اتباع له من غير قومه ، ولا يشايعه من قومه الا طائفة يستفزون لأمره ، ويعطفون عليه جنبات الناس حتى يجمعوا له أخلاطا وضروبا ، وقد تبعوه وشمروا في ذلك حمية وعصبية ، وحدبا من الطباع على الطباع ، فهم في غنى عن نبوته وقرآنه ، وإنما رأيهم الخطار بالأنفس والأموال على ما تنزعهم إليه الطبيعة مقاربة لمن قارب صاحبهم ، ومباعدة لمن باعد ، وعسى أن يرد عليهم ذلك مغنما ، أو ينفلهم من غيرهم ، أو يجدى عليهم بالعزة والغلبة ، أو يكون لهم سبيل منه إلى التوثب ، أن صادفوا غرة ، وأصابوا مضطربا إلى غير ذلك مما تزينه المطمعة ، ويمزبه الغرور ، ويقصد إليه بالسبب الواهي ، وبالحادث الضئيل ، وبكل طائفة من الرأي وبقية من الوهم ، وتستوي فيه الشمال واليمين ، وتتقدم فيه الرؤوس والأرجل ، مبادرة لا يدري أيهما حامل وأيهما محمول »

يضاف إلى كل ذلك ما ذكره ابن خلدون من أن بعض هؤلاء المتنبئين وأنصارهم كان يطمع في النبوة ، فلما لم تجئه عاند قال في فصل بعد الكلام على الكهان : « ثم إن هؤلاء الكهان إذ عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة ، ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد ، كما وقع لأمية بن أبي الصلت ، فإنه كان يطمع أن يتنبأ . وكذا وقع لا بن صياد ولمسيلمة وغيرهم ، فإذا غلب الإيمان ، وانقطعت تلك الأماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطليحة الأسدي وسواد بن قارب ، وكان لهما في الفتوحات الإسلامية الآثار الشاهدة بحسن الإيمان » .

* * *

قلنا في المقال السابق إن التنبؤ في العصر العباسي كان جنونا ، فإن لم يكن فهو الحمق لا شك فيه ، وإنما دعانا إلى هذا القول أنا وجدنا جمهرتهم غير جادين في هذا الإدعاء ، فلا أنصار ولا اتباع ولا غايات عظيمة يقصدون إليها ، كما كان هذا شأن أصحابهم السابقين ، ولذلك فإنا لا نلم بأخبارهم مؤرخين ، وإنما نلم بشيء منها فيه طرافة يستريح إليها الدارس ، ويستمتع بها القارئ ، فإن أخبارهم كما يقول صاحب العقد الفريد « حدائق مونقة ، ورياض زاهرة ، لما فيها من طرفة ونادرة ، فكأنها أنوار مزخرفة

أو حلل منشرة ، دانية القطوف من جانبي ثمرتها ، قريبة المسافة لمن طلبها ، فإذا تأملها الناظر ، وأصغى إليها السامع ، وجدها ملهى للسمع ، ومرتعا للنظر ، وسكنا للروح ، ولقاحا للعقل ، وسميراً في الوحدة ، وأنيساً في الوحشة » وإنما كان الأمر كما يقول ابن عبد ربه لأن في أخبارهم الغريب المطرب ، والطريف المعجب ، بل إن ادعاءهم النبوة نفسه كان مما يضحك الثكلى ، ويسرى عن المحزون ، لأنه اقترن بحمق وسخف . وحسبكم بقوم يفترون على الله الكذب ، ويزعمون أنه أرسلهم زورا وبهتانا ، دون أن يكمن وراء ذلك ما يكون كفاء لهذه الكذبة البلقاء ، ليس ببعيد عندى أن الأخباريين اختلقوا وتزيدوا ، وأرادوا مادة للسمر والتفكه فالتمسوها في المجانين ، والحمقى ، وفي هؤلاء . ولعل اختيارهم لهذا النوع كان اختياراً موفقا إلى حد بعيد . نعم روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا كلهم يدعى النبوة . ولكن نحن لا ننكر أن قوماً ادعوا النبوة كما أننا لا نسلم — كذلك — أن هذه الأخبار كلها وقعت بالفعل . ومهما يكن من شيء فإن أحق جانب بالنظر في أخبار هؤلاء هو جانب الفكاهة والملحة . على أن أصحاب السمر لم يخلوا المتنبئين القدامى من لاذع نكاتهم . وما أشك في أن قصة زواج مسيلمة بسجاح وأنه اختدعها عن نفسها وأمهرها بإسقاط صلاتين عن قومها ، ما أشك في أن هذه القصة وضعها مازح مفحش خبيث .

أما أخبار متنبئى العصر العباسي فإنها تدلنا في جملتها على أنهم كانوا على حظ عظيم من الحيلة وحسن التخلص أو هكذا أراد لهم الوضاع .

ادعى رجل النبوة في عهد المهدى فأدخل عليه فقال له : أنت نبي ؟ قال نعم . قال : متى نبئت ؟ قال : وما تصنع بالتاريخ ؟ قال : ففي أى المواضع جاءتك النبوة ؟ قال : وقعنا — والله — في شغل ! ليس هذا من مسائل الأنبياء ، إن كان رأيك أن تصدقنى في كل ما قلت فاعمل به ، وإن كنت عزمت على تكذيبي فدعنى أذهب عنك . فقال المهدى : هذا ما لا يجوز ؛ إذ كان فيه فساد الدين ، قال : واعجبا ! تغضب لدينك لفســـاده ، ولا أغضب أنا لفساد نبوتى ؟ ثم قال للمهدى : أحاكمك فيما جاء به من قبلى من الرسل ، قال : رضيت ، قال أكافر أنا عندك أم مؤمن ؟ قال : كافر ، قال فإن الله يقول : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ودع أذاهم » فلا تطعنى ولا تؤذنى ، ودعنى أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء ، وأدع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم . فضحك المهدى وخلى سبيله . ! !

وإذا كان هذا لجأ إلى آية من كتاب الله يستند إليها ويتخلص بها فإن غيره كان يعتمد على النكتة البارعة ، والأضحوكة الآخذة ، يتلمس بها الخلاص من قبضة الخليفة وبطشه ... أتى المأمون بإنسان تنبأ فقال له : ألك علامة ؟ قال نعم . علامتى أنى أعلم ما في نفسك ! قال المأمون : قربت على ، ما في نفسى ؟ قال : في نفسك أنى كذاب ! قال : صدقت ، وأمر به إلى الحبس ، ثم أخرجه بعد أيام ، فقال : هل أوحى إليك بشيء ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال لأن الملائكة لا تدخل الحبس ! فضحك المأمون ثم أطلقه .

وجيء بمتنبيء — مقيدا — إلى سليمان بن على فقال له : أنت نبي مرسل ؟ قال : أما الساعة فأنى مقيد . قال : ويحك ! من بعثك ؟ قال : أبهذا يخاطب الأنبياء يا ضعيف ، والله لولا أنى مقيد لأمرت جبريل أن يدمدمها عليكم . قال : فالمقيد لا تجاب له دعوة ؟ قال : نعم . الأنبياء خاصة إذا قيدت لم ترتفع دعاؤها .

ولا أدرى ما الذى حمل الأخباريين على أن يشقوا لكل متنبيء طريق النجاة إن لم تكن الدعابة هى غايتهم ؟ ! على أنهم إذا أوقعوا أحدهم في مكروه التمسوا الفكاهة في ناحية أخرى من خبره . ادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسرى الوالى الأموى وعارض القرآن ، فأتى به خالد ، فقال له ما تقول ؟ قال : عارضت في القرآن ما يقول الله تعالى « إنا أعطيناك الكوثر » فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تطع كل كافر وساحر . فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب ، فمر به أحد الظرفاء فقال : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، وأنا ضامن ألا تعود .

هكذا كانوا يتندرون بهم ، ويسخرون منهم ، ونحن لا نجد في عصرنا من يدعى النبوة وإنما نجد من يدعى الألوهية في الدين وفي غير الدين ، فهل يصلى هؤلاء على عود ؟ !

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

من أدب العراق :

المرأة فى شعر الرصافى

للشيخ محمد رجب البيومي

حيا الله الشعر العربى ، فلقد آزر النهضة الشرقية أتم مؤازرة ، فأيقظ عيونا نائمة ، وأسمع آذانا موصدة ، وطاح بجبابرة قساة ، وأدوا الكرامة الإنسانية ، وأزهقوا العزة القومية ، كما أسدلوا على الشرق الصريع ستورا مظلمة مخيفة ، تنصب خلفها المكائد الدنيئة ، ويتجبر فى ليلها الحالك شياطين البغى والاستبداد

ولقد كان الرصافى رحمه الله فى طليعة هؤلاء المباقرة المجاهدين ، فقد اتخذ من يراعه القوى صارما بتارا ، تنقل به من معركة إلى معركة ، فهو فى ميدان السياسة يشن الغارة على السرطان الاستعمارى ، ويقف فى وجه الطاغوت التركى ؛ وهو فى ميدان الاجتماع يحث على التعليم المنتج ، ويدعو إلى الاخلاق الرفيعة ، كما تراه يتغنى بماضى الشرق الزاهر ، ويندب حاضره المنكود ، حتى أثمر جهاده أى إثمار ، فهب العالم العربى ينقب عن تراثه الضائع ، ويستعيد مجده المغصوب .

وسأحاول اليوم أن أكشف عن أثر الرصافى فى النهضة النسوية ، كما أبين شعوره نحو المرأة كانسان ناضج ، وكيف أوحت إليه من المعانى والأخيلة ما ارتسم واضحاً فى مرآة شعره . ولا عجب فقد وجدت لزاماً بعد أن وقفت على مجهوده الموفق فى هذا السبيل أن أتحدث عنه إلى القراء .

* * *

لم تكن حال المرأة فى العراق خيراً منها فى مصر ، بل كان الحجاب والجهل من لوازمها الأكيدة فى كلا القطرين ، فارتفعت الدعوة بتحريرها أولا فى ربوع النيل ، واحتدم الجدال بين الأنصار والخصوم ، فكانت معركة طاحنة تردد صداها فى ربوع العراق ، فنهض الرصافى والزهاوى للمطالبة بحق الفتاة ، وتصديا للهجوم المنيف بما يملكان من بيان ، فكانت المقالات الضافية ، والقصائد الرنانة ، تعبر عن آرائهما الجديدة فى جرأة وعنف ، وواصل الرصافى جهوده ، فتألب عليه الجمهور ، وتعقبه الحاكم التركى فى غدوه ورواحه ، وهو لا يفتأ يناضل عن حق اعتقده ويقوض أركاناً عتيدة يراها غير صالحة للبقاء !

كان قاسم أمين فى مصر صاحب الرأى الأول فى حركته التحريرية ، وكان الشعراء والمثقفون يسيرون وراءه فى كثير من التحفظ والاحتياط ، أما فى العراق فقد كان معروف وجميل يقومان بعبء قاسم فى حماسة يصل بها إلى الثورة والاندفاع ، ومن هنا كانت مكانتهما الاجتماعية فى بغداد أقوى من مكانة شوقى وحافظ ومطران فى مصر ، والفرق بين هذين وهؤلاء فرق ما بين الخطيب والمصفقين مع التسامح اليسير ! !

على أن الرصافى كان فى دعوته يعدد أساليبه الشعرية ، فلم يسر على نمط واحد فى قوافيه ، فتارة يعمد إلى العاطفة ، فيرسم لك صورة قاتمة لبائسة جاهلة ، قضت عمرها سجينة مغلولة ، حُرّم عليها العلم فهو أرفع من أن يهبط إلى مستواها الوضيع ، وأذلها الفقر فهى تئن تحت براثن الجوع ، ثم ضرب حولها الحصار المنيع فهى لا تسعى إلى طلب القوت . ويتساءل بعد ذلك : فى أى طريق تسير ؟ والعيون راصدة ، والفاقة قاتلة ، اسمعه يقول

لم أر بين الناس ذا مظلمه … أحق بالرحمة من مسلمه
منقوصة حتى بميراثها … محجوبة حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صوانا لها … من كل ما يدعو إلى المأثمه
والعلم أعلى رتبة عندهم … من أن تلقاه وأن تعلمه
ما تصنع المرأة محبوسة … فى بيتها إن أصبحت معدمه ؟
ضاقت بها المعيشة إذ دونها … سدت جميع الطرق المعلمه
كم فى بيوت القوم من حرة … تبكى من البؤس بعينى أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها … وأعمل الفقر بها ميسمه
عاب عليها قومها ضلة … أن تكسب القوت وأن تطعمه
من أى وجه تبتغى كسبها … وطرقها بالجهل مستبهمه ؟

وتارة يعمد الشاعر إلى الأدلة الخطابية ، فيسهل الغاية ، ويتفادى العاقبه حيث يستغنى بالحياء عن الحجاب ، وبالتهذيب والدراسة عن اللثام ، ثم يغضب أن يكون رجالنا ذئابا متنمرة ، ونساؤنا نعاجا مستكينة ، ويقيم البرهان على تأخر الشرق بتأخر فتياته ، فهن جزؤه المفلوح ، ونصفه الأشل ، فكيف يضمن البقاء

على حاله بدون تناسب ، والقاعدة غير ذلك ؟ إنه يقول :

شرف المليحة أن تكون أديبة ... وحجابها فى الناس أن تتهذبا
والوجه إن كان الحياء نقابه ... أغنى فتاة الحى أن تتنقبا
واللؤم أجمع أن تكون نساؤنا ... مثل النعاج وأن تكون الأذؤبا
والشرق ليس بناهض إلا إذا ... أدنى الرجال من النساء وقربا
فإذا ادعيت تقدما لرجاله ... جاء التأخر للنساء مكذبا
من أين ينهض قائماً مَن نصفه ... يشكو السقام بفالج متوصبا
كيف البقاء له بدون تناسب ... والدهر خصص بالبقاء الأنسبا

ولا ينسى الشاعر فى دعوته التحررية ضغنه على المستعمرين ، فهو يرجع التوغل الاحتلالى إلى الأمهات وحدهن ، حيث كن إماء جاهلات ، فلم ينشئن أولادهن على العزة والكرامة ، فهانت نفوسهم ، وتحملوا جور الدخيل وتعسف الغريب ، وكأنه اصطاد عصفورين بحجر واحد حين قال :

أضافوا عليهن الفضاء كأنما ... يغارون من نور به وهواء
ولو أنهم أبقوا لهن كرامة ... لكانوا بما أبقوا من الكرماء
ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم ... على الذل شبوا فى حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نفوسهم ... تحمل جور الساسة الغرباء

وقد اشتهرت قصيدة معروف التائية شهرة واسعة فتناقلتها الصحف المختلفة ، وسجلتها الكتب المدرسية مرات عديدة ، لأن ناظمها واضح صريح ، يذكر حجج الخصوم ويدفعها بالمنطق العقلى ، والدليل التاريخى . ولأمر ما ذكرنى هذه القصيدة الرائعة بأخت لها نظمها حافظ رحمه الله فى موضوعها الهام ، وكان لها من الشهرة ما لقصيدة الرصافى ، ولكن روح معروف أكثر انتقادا ، وتفكيره أوسع أفقا ، وإن اجتمعا معا فى السلاسة والعذوبة. وكلا الشاعرين قد بدأ موضوعه بالدعوة إلى الفضيلة ، والتمدح بمكارم الأخلاق ، فقال الرصافى :

هي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربى ... على ساق الفضيلة مثمرات
وتسمو للمكارم باتساق ... كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجد روحاً ... بأزهار لها متضوعات

وقال حافظ :

أنى لتطربنى الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزنى ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية فى صفاء مزاجها ... والشرب بين تنافس وسباق
بألذ من خلق جميل طاهر ... قد مازجته سلامة الأذواق

ومضى معروف فشبه الأم بالمدرسة ، وقارن بين ابن المتعلمة وابن الجاهلة ، فشبه هذا بنبت الفلاة ، وذاك بزهر الرياض ؛ واستمان بخياله ، فجعل صدر الفتاة لوحاً بديعاً تتراءى فيه صور الحنان الدافق ، ثم دلف إلى آراء المحافظين فدحضها فى هدوء وبساطة ، وبين موقف الشريعة الإسلامية من المرأة وكيف أخطأ الجامدون فنسبوا إلى الدين ما ليس منه ، واستدل بعائشة أم المؤمنين وما كانت عليه من فصاحة وفقه ، ثم عاد يتساءل فى تبرم

فما للأمهات جهلن حتى ... أتين بكل طياش الحصاة
حنون على الرضيع بغير علم ... فضاع حنو تلك المرضعات
نرى جهل الفتاة لها عفافاً ... كأن الجهل حصن للفتاة
ونحتقر الحلائل لا لجرم ... فنؤذيهن أنواع الأذاة
لئن وأدوا البنات فقد قبرنا ... جميع نسائنا قبل الممات
حجبناهن عن طلب المعالى ... فعشن بجهلهن مهتكات
وقالوا إن معنى العلم شيء ... تضيق به صدور الغانيات
وقالوا شرعة الإسلام تقضى ... بتفضيل الذين على اللواتى
لقد كذبوا على الإسلام كذباً ... تزول الشم منه مزلزلات
ألم المؤمنين إليك نشكو ... مصيبتنا بجهل المؤمنات
فتلك مصيبة يا أم منها ... (نكاد نغص بالماء الفرات)

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

٢ — الأعلام :

أحمد فتحى زغلول باشا

[فى مارس الماضى مضى على وفاة أحمد فتحى زغلول باشا ٣٤ عاماً]

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

ولد أحمد فتحى زغلول فى قرية أبيانة بمديرية الغربية فى ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هجرية ، وكان أصغر أنجال الشيخ إبراهيم زغلول أحد الأعيان البارزين فى تلك القرية ، ولكنه حرم حنان الوالد وعطفه ؛ إذ مات والده وتركه رضيعاً لم تتفتح عيناه للحياة بعد ، وكان شقيقه سعد زغلول فطيماً ، وكانت والدتهما — وهى إحدى عقائل عائلة بركات — لا تزال شابة لا تتجاوز العشرين ، فنحت شبابها لولديها اليتيمين ، ووقفت نفسها على تربيتهما تحت رعاية أخيهما الكبير لأبيهما الشناوى زغلول الذى عنى بتعليمهما على ما كان معهوداً فى تعليم أولاد الأعيان يومذاك ، وكان أن نفع الله بالطفلين اليتيمين على خير ما يكون النفع للأمة والوطن ، فصار سعد إلى ما صار إليه فى زعامة الأمة وقيادتها ، وانتهى فتحى إلى ما انتهى إليه ، دعامة من دعائم الإصلاح التشريعى والاجتماعى ، ومنارة تهدى ركب الأمة إلى سواء السبيل .

ولم يكن اسمه أحمد فتحى ، وإنما كان اسمه فتح الله صبرى ، هكذا سماه والده ، وهكذا عرف فى حياته الأولى ، حتى انتهى من مراحل التعليم فى كتّاب القرية ، وفى مدرسة رشيد الابتدائية ، ثم المدرسة التجهيزية ، ودخل مدرسة الألسن وصادف أن زار أحمد خيرى باشا ناظر المعارف يومذاك تلك المدرسة ، فأعجب بذكاء الشاب فتح الله صبرى ، وأدهشه ما لمس فيه من نبوغ خارق ، فخلع عليه اسمه أحمد ، ونحت من «فتح الله» إسم فتحى ، وهكذا سماه أحمد فتحى ، وأصدر أمره إلى المدرسة بقبوله بالمجان ، ورد ما دفع من المصاريف إليه ، وكانت هذه أول شهادة بالنبوغ لفتحى زغلول ...

وتخرج فتحى متفوقاً فى دراسته ، فأرسلته نظارة المعارف سنة ١٨٨٤ إلى فرنسا لدراسة الحقوق ، وقد رجع فى سنة ١٨٨٧ بعد أن حصل على شهادة الليسانس فى القانون ؛ فعين بقلم قضايا الحكومة ، ثم رقى رئيساً لنيابة أسيوط ، ثم رئيساً لنيابة الإسكندرية ، ثم مفتشاً بلجنة المراقبة ، ثم رئيساً لمحكمة الزقازيق فرئيساً لمحكمة مصر ، ثم اختير وكيلا لنظارة الحقانية ، وقد ظل فى هذا المنصب حتى انتقل إلى جوار ربه ...

تلك كانت حياة فتحى زغلول فى مناصب الحكومة ، وهى حياة يمكن للمؤرخ أن يجملها فى سطور ، وما كانت حياة الوظيفة فى يوم مجال عبقرية ولا مظهر نبوغ ، وإنما كان مجال عبقرية فتحى ومجال نبوغه فى ناحية الإصلاح التى رادها ، والتى رأى فى انتهاجها خدمة للوطن ونفعاً للأمة وإفادة لشباب طامح يتوثب للنهوض ، وينشد الحياة المهذبة الكريمة . فما هو ذلك المجال الذى اختاره فتحى للعمل ، وآثره بجهوده ونبوغه ؟

يقول فتحى باشا فى كلمة من كلماته : « إن من يخبر حال هذه الأمة ويقف على كنه خلقها ، ويعرف جيداً حقيقة خصالها ويدرك الصحيح من آمالها ، وينعم النظر فى أعمالها ، يقتنع بأن التربة زكية لا يفسد زرعها إلا شىء من البذور الرديئة ، وبأن الخلق الكريم يغشاه ستار من عدم العلم التام بالواقع ، وبأن الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك وأوهام تطوح بنا يوماً ذات اليمين ويوماً ذات الشمال . أما أعمالنا فثمرة هذا وذاك، تهتاج والسكون واجب ، ونلهو وكل النجح فى العمل ، وما كان شىء من كل هذا يكون لولا خطأ فى تقدير حقيقة حالنا ، وعدم التفات إلى حركة البيئة التى نحن فيها ، ونسيان لشىء كثير من الماضى ولهو عن الحاضر وعدم اهتمام بما هو آت . ومحال أن تدوم هذه الحال ، فلا بد لنا من إعداد المدة اللازمة لهذا التحول ، وما هى إلا العلم ؛ فإن العلم سلم الأمم إلى الحضارة ، وكاشف ظلمات الجهل ، ومسدد الآراء ، ومنجح كل مجهود ، وهو الذى ينقى الضمائر ، ويجمع شمل المتفرقين ، ويطهر السرائر ، ويوحد كلمة المتنافرين ، وينير البصائر فيهدينا إلى أن التآزر شرط النجاح ، وأن يد الله مع الجماعة ، وأن التباغض مجلبة الشر وأن التنابذ سبيل إلى الذلة » ...

هذا هو مارآه فتحى فى تشخيص داء الأمة ، وتقدير الدواء لها ، وعلى هذا اندفع ينشد العلم الصحيح لشفاء الأمة من دائها . العلم الذى « ينقى الضمائر ، ويطهر السرائر ، وينير البصائر » ، العلم الذى « يقوم الأخلاق ويبصر الأمة بما لها من الحقوق ،

وما عليها من الواجبات » ، وبين غسق القرن الماضي ، وغلس القرن الحاضر كانت تهز حياة الأمة دعوات الإصلاح المتتالية ، فكان الأستاذ الإمام محمد عبده يدعو دعوة الإصلاح في الناحية الدينية ، وكان مصطفى كامل يحمل لواء الوطنية ، وكان قاسم أمين يدعو إلى النهوض بالمرأة المصرية ، وكانت هذه الدعوات يكتنفها ما يكتنفها من الضجيج والتدافع . أما فتحي زغلول فقد وقف في ميدانه ينادي : « علموا الأمة . علموا الأمة » ، وانتحى من ذلك ناحية هادئة ، فعكف على التأليف والترجمة ، ونقل الآثار النافعة ، حتى يقيم من ذلك دعامة للأمة تنهض عليها إلى ما تنشده من الحرية والكرامة وقوة الشخصية .

وكان فتحي زغلول رجل ارتقاء لا رجل ثورة كما يقول أحمد لطفي السيد باشا ، وكان يرى أن الوصول في الاصلاح إلى نتيجة مضمونة يقتضي إدراك الحقوق والواجبات ؛ حقوق الفرد وواجباته ، وحقوق الأمة وواجباتها ، ولهذا ابتدأ سنة ١٨٨٨ على أثر عودته من فرنسا بترجم كتاب «العقد الاجتماعي» لروسو ، ولكنه بعد أن قطع فيه شوطاً بعيداً تجاوزه ، وأقبل على ترجمة كتاب «أصول الشرائع» لبنتام فأتمه وأصدره بعد فترة وجيزة ، ثم مضى في الترجمة والتعريب ، فعرب كتاب « خواطر وسوانح في الإسلام » للكونت هانري دي كاستري ، و « سر تقدم الإنكليز السكسونيين» لأدمون ديمولان ، و « روح الاجتماع » و « سر تطور الأمم » و «جوامع الكلم» و « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ، و « خطاب مصطفى فاضل باشا إلى السلطان عبد العزيز » و « كتاب يورجار في الاقتصاد السياسي » ، و « جمهورية أفلاطون » و « الفرد ضد المملكة » لسبنسر .

ومن هذه الكتب ما تم تعريبه وطبعه ، ومنها ما تم تعريبه ولم يطبع ، ومنها ما تركه رهن الإنجاز والإتمام ولا ندري ماصنعت به الأيام .

أما في مجال التأليف فقد ترك « كتاب المحاماة » و « شرح القانون المدني » و « رسالة في التزوير » ؛ كما ألف كتاباً « في التربية العامة » فأتمه ولكنه لم يطبع فيما علمت . وهناك كتاب وهو كتاب « حاضر المصريين وسر تأخرهم » الذي ظهر سنة ١٩٠٢ من تأليف « محمد عمر » ، وكتب مقدمته فتحي باشا ، فإن بعض العارفين يعزون تأليف هذا الكتاب إلى فتحي زغلول باشا ، ويقولون إنه أخرجه على نسق كتاب « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » الذي ترجمه ، ولكنه لم يضع اسمه عليه إيثاراً للسلامة نظراً لما تضمنه الكتاب من نقد شديد لاذع ...

وكان لفتحي باشا في التعريب طريقة آثرها وارتضاها . كان يقرأ الكتاب ويأتي عليه جملة ، ويتشرب روح المؤلف ويتقمص شخصيته ، ثم يأخذ بعد ذلك في التعريب . قال أحمد لطفي السيد باشا : « ولفتحي باشا في تعريبه شخصية تامة ممتازة في طريقته وفي أسلوبه البياني . أما نحوه في التعريب فليس هو الالتزام الحرفي للأصل ، ولا المجافاة للأصل ، ولكن نحوه بين ذلك وسط مرض . وأما أسلوبه فهو عربي خالص لا يعنى فيه بفضلة الزخرف والمحسنات اللفظيـة ، ولكنه مع ذلك متين الرصف ظاهر الرشاقة جذاب جداً » .

أما شخصية فتحي باشا فكانت شخصية العالم ؛ فالهدوء والرزانة ، والإخلاص للعمل ، وأداء الواجب قبل كل شيء ، والابتعاد عن مجال الضجيج والصخب . كل هذه كانت صفاته الظاهرة ، حتى أنه لم يكن يرى في ميدان الحياة العامة إلا قاصداً لعيادة مريض ، أو مواساة رفيق ، أو متوجهاً لرد زيارة ، أو مشاهداً لحفلة أنس لا بأس أن يجد فيها شيئاً من الرفاهية ، وماعدا ذلك فكل وقته بين الدفاتر والقماطر ، والتحرير والتحبير ، كأنه كان يتعجل إنجاز مهمته قبل أن تعجله المنية . قال صديقه أحمد لطفي السيد باشا فيما رواه عنه :

« ما أنس لا أنس إذ دخلت إلى فتحي باشا في داره بهليوبوليس في يوم حر ذي لوافح محرقات . دخلت إليه وقت الهاجرة فوجدته على مكتبه ، وأمامه أوراقه منثورة ، وكتبه مفتوحة ، يقرأ ويراجع ، ويعرب ويكتب ، كذلك دأبه لا ينقطع عند خلوه من عمله الرسمي إلى عمل واحد بعينه ، كأن عادته في العدل بين الناس جملته يعدل في تقسيم فراغه بين المقاصد العلمية المختلفة . أو كأنه يجد في الانتقال من عمل إلى عمل راحة وتنشيطاً . فقلت له : أتلك هي رياضتك في الأجازة وراحتك في حمارة القيظ؟ فقال وهو يبتسم : نعم هـذه رياضتي . فخلفته فيما يظنه رياضة ، ويتخيله سعادة ، وخرجت أحمد الله على أن منا من ينفق صحته وملكاته ووقته في سبيل العلم » .

هكذا عاش أحمد فتحي زغلول باشا للعلم ، وفي سبيله أنفق

صحته ووقتـه وجهده ، وفى عام ١٩١٣ م أدرك أهل الفضل مدى ما أدى الرجل فى هذه السبيل من مآثر ومفاخر، فأقاموا له حفلة تكريم خطب فيها أعلام القانون والبيان فأشادوا بأياديه وجهوده فى خدمة التشريع والعلم ، وكم كان الأسف بالغاً إذ لم تمض على ذلك شهور حتى اختاره الله إلى جواره فى ٢٧ مارس سنة ١٩١٤ ، فكان الذين اجتمعوا لتكريمه ؛ هم الذين اجتمعوا لتأبينه . ولقد مضت على وفاة ذلك العالم الجليل أربع وثلاثون عاماً وما زالت الثروة العلمية التى خلفها خير زاد يقدم لأبناء الأمة فى فترة الانتقال التى يواجهونها ، وإن من المؤلم أن تبق بعض الآثار التى خلفها فتحى باشا ولم يمهله الرحمن حتى يقوم بإذاعتها مطوية إلى اليوم .

محمد فهمى عبد اللطيف

فلسفة حياة :

الاعتراف بالعيــوب

للأستاذ محمد خليفة التونسى

من العيوب ما يدل الاعتراف به عند الضرورة على شجاعة صاحبه ومعرفته الصادقة بنفسه ، ومنها ما يكون إظهاره ضرباً من ضروب القحة ، ومظهراً من مظاهر الاستهتار ، ولا ضرورة تلجىء الإنسان إلى الاعتراف بهذه العيوب .

والنوع الأول متصل غالباً بطبيعة الإنسان ، والنوع الثانى متصل بوقائعه التى سقط فيها وآثامه التى ارتكبها .

وحسب الإنسان بلاء أن يعرف الناس من ضعفه ما لا يقدر على إخفائه عنهم مهما حاول إخفاءه ، وألا يزيدهم من كشف عوراته وتقديم الشـواهد التى لم يروها حتى أراهم إياها ، ولم يطلعوا عليها حتى حدثهم بها .

من المفيد لمن يحاول إصلاح نفسـه أن يعرف عيوبها ليسهل عليه علاجها ، ومن العبر المفيدة للناس أن يروا أمامهم إنساناً ذا نقائص استطاع أن يبرىء نفسه منها ، أو تفوق فى حياته عليها ونجح معها ، فإن هذه العبر تبعث فيهم التفاؤل فتبعثهم على البحث عن نقائصهم وطلب السلامة منها ومحاولة علاجها بطريقة هذا الإنسان أو بطريقة أخرى تلائمهم .

على أن من القحة والاستهتار ، والتمادى فى التهتك والفجور أن يذكر الإنسان نقائصه وخطاياه فى معرض المباهاة والفخار ، أو حباً فيما يسمى الصراحة ، بينما هو لا يقصد من وراء ذكرها التغلب عليها ، والكشف عن عواقبها الوخيمة ، وأن تكون عبرة له أو عبرة لغيره .

وما نفع الناس من أن يعترف لهم إنسان بعيوبه دون مطمع إلا أن يصفوه بالصراحة أو الشجاعة أو الإنصاف ونحو ذلك ، بينما هو فى مأمن منهم مهما صلحت الأحوال بينهم وبينه ، إذ لا موثق له ببقائها على صلاحها ، فهو — حين يعترف لهم بعيوبه — يكشف عن مقاتله لمن لا يستحيل ولا يستبعد أن يناصبوه المداوة والكيد .

ربما كان أقل ما يبتلى به منهم أن يقابلوه بالاشمئزاز والاحتقار ، وندر أن يكون فيهم من يقابلون عيوبه بالعطف والرثاء ، وأندر من ذلك أن يكون فيهم من يلقاها بالعلاج والإصلاح .

إن لم يكن بد للمريض بداء الكلام من الثرثرة فليثرثر بما ليس من عيوبه ، فإن لم يكن له بد من الثرثرة بها فلمن يتيقن لديه علاجها أو الوقاية من عواقبها ، فيكون مثله أمامه مثل المريض أمام الطبيب الحاذق الأمين حين يفضى إليه بأوجاعه دون خجل ولا ريبة ، فالاعتراف على هذا النحو عون للطبيب على فهم مرضه وتمكين له من إبرائه منه ، أو تخفيف آلامه عنه . وفى هذا صلاح له .

فإن لم يجد الإنسان هذا الطبيب الحاذق الأمين ولم يكن له بد من الثرثرة فعليه بمن يترقب عنده مقابلة عيوبه بالفهم والعطف ليحسن له الاعتذار والعزاء ، فيمده بالثقة والأمل ويكون مثله عنده مثل الابن عند أبيه المشفق الأمين ، يخطىء ابنه فيلقى خطاياه بالحنان والتسلية ولو لم يلقها بالإصلاح والتقويم ، وصاحب العيوب فى هذين الحالين آمن أن يقابل اعترافه بالاحتقار عند المودة ، والاستغلال عند الكريهة ...

محمد خليفة التونسى



مع الخزاف «مايودون»

للدكتور محمد بهجت

أحسنت الحكومة صنعاً باستقدام بعض الفنانين البارزين من فرنسا لمحاضرة طلاب الفنون الجميلة العليا والتحدث إلى أساتذتهم ومبادلتهم الرأى فى نواحى الفنون المختلفة ، كما أحسنت كل الإحسان بإقامة معرض كبير حوى الكثير من صفوة أعمالهم بالسراى الكبرى بأرض الجمعية الزراعية ، بلغ من أهميته أن حظى بزيارة ملكية .

ومع أن الإقبال عليه كان كبيراً لحد ما ، إلا أن الكثرة من الطبقة المثقفة لم تستمتع به أو تفد منه شيئاً ، وذلك لأن القائمين بأمره لم يعلنوا عنه الإعلان الكافى بالصحافة العربية أو بواسطة الإذاعة . ومن الناحية الأخرى أهملته تلك الصحافة إهمالاً معيباً كأن لم يقم معرض خطير للفن الحديث فى القاهرة أنفقت عليه الحكومة بسخاء وأولته الصحف الأجنبية بعض العناية . وكأن لا أثر لمثل هذا المعرض القيم فى تثقيف عقول الناس وإشباع نفوسهم بجمال الفن !

كانت معروضات الفنانين السبعة رائعة تسترعى الأنظار بطرافتها وروعتها وقوتها ، ولا يسعنا إلا إحناء رؤوسنا إعجاباً بأعمالهم واحتراماً لنبوغهم جميعاً .

غير أن واحداً منهم كان مبرزاً فى الحلبة يسطع فنه بأقوى مما يقع على جانبيه من أضواء ساحرة ، كان يستوقف جمهرة الزائرين لأطول وقت ، ويشدههم بجمال فنه وينتزع منهم أضخم عبارات الإعجاب والإطراء — أستغفر الله — بل إنهم كانوا يخلعونها عليه جزافاً سماحاً . ذلكم هو جان مايودون الخزاف العالمى الفذ الذى مكنته إدارته الفنية لمصانع سفر الشهيرة لمدة ثلاثين عاماً أو أكثر من أن يقف على أدق أسرار هذه الصناعة قديمها وحديثها ، وأن يخلق لنفسه طريقة فنية رائعة .

يجد المشاهد نفسه أمام فن جديد ذى طابع خاص ، أهم مظاهره جمال عظيم فى أشكال الزهريات والقوارير والصحون التى صممت بعناية فائقة وذوق سليم حتى ليكفى أن تؤثر فى النفوس بجمالها الذاتى خالية من النقوش والألوان ، ثم جمال ألوانها وانسجامها انسجاماً شعرياً عذباً ، مع الذهب خالصاً فى بعض الحالات أو مختلطاً قليلا أو كثيراً بتلك الألوان . أما الرسوم التى عليها ، فإما هى حيوانات زخرفية أشبه بغزلان راكضة ، وإما هى أناسى من نسيج الخيال أو من عالم الأساطير ، غير أنه لا توجد أسطورة ما ممثلة ، أنها لا تعنى شيئاً ما بل هى مجرد أخيلة يستعين بها الفنان على إيجاد حركات جميلة أو مجموعة متناسقة من الألوان . وهو فى هذه الرسوم متأثر بالفن الإغريقى لحد كبير ؛ وفى بعضها يلمس المشاهد أثر ميكائيل أنجلو .



ثم أن لكل قطعة « شخصيتها » وسحرها الخاص حتى ليصعب على المرء أن يختار لنفسه واحدة منها ، ويود لو يراها مجتمعة كمجموعة من الدرر النوالى ، ويكره أن ينفرط عقدها ، كما أن كل واحدة منها تمثل فن (مايودون) وتظهر خصائصه بكل وضوح ، مطبوعة بطابع ذوقه الرفيع .

وبينما كنت أستمتع مرة بمشاهد معروضاته إذ قدمنى إليه صديقى الأستاذ المصور أحمد صبرى ، فراعتنى أناقته المعجبة ، وقامته المديدة ، وأكتافه العريضة ، رأسه الكبير المكلل بشعر أشيب

رتيب ، وعيناه اللامعتان الفاحصتان . رما كدنا نشقق الحديث حتى بدت لى منه روح مرحة وحماسة فياضة ونفس إنسانية عظيمة مخلصة ، شغفت بالحب والجمال ، ثم تواضع عجيب هو من خلق العباقرة القادرين . سألته أن يحدثنى عن فنه فقال :



أستعمل فى عجائنى الطين النقى والسليس والطباشير والزجاج. والأخيران يجعلان لأوعيتى صلابة ورنيناً . وأستعمل من الألوان أكاسيد معادن الحديد والنحاس والكروم والمنجنيز والفضة والرصاص . ثم إنى أستعمل الذهب مخلوطاً مع أكسيدى الزئبق والبزموت . والحق يقال أننى متأثر إلى حد كبير بتلك المواد التى كان الفرس والعرب يستعملونها فى أعمالهم .

إننى أجهز تلك المواد بنفسى ، لا مساعد لى فى ذلك . أحضر العجائن وأسوى منها الأوعية على أشكال شتى ثم أتركها على الأرفف لتجف ، وبعد ذلك أحرقها على درجة عالية من الحرارة (١٠٥٠ مئوية) فتكتسب صلابة كافية وتصير صالحة للعمل عليها فى الخطوات التالية .. وفى كل صباح يصحبنى كلبى العزيز ونجول معاً هنيهة فى حديقتى الجميلة ، نذهب بعدها إلى المصنع الواقع وراء تلك الحديقة ، فألقى نظرة خاطفة على الأوعية فيروقنى أحدها فأنتزعه من مكانه وأرسم عليه بالقلم الرصاص رسماً ما من غير سابق تحضير أو دراسة ، فأجعله حيواناً أو إنساناً أو شيئاً بهما ، حسبما يتفق مع طبيعة الوعاء وقد أزيد عليه أو أنقص منه؛

فإذا ما راقنى الرسم وضعت لون الخلفية (١) ، ثم أدخلته النار وحرقته على درجة الحرارة العالية المذكورة لمدة معينة ، ثم أخرجه بعدها حتى يبرد ، ثم أضع عليه ألوان الرسوم التى أتخيرها بعناية وأدخله النار مرة أخرى . وبعد ذلك أضع الذهب . وقد يدعونى الحال إلى إحراق الوعاء مرتين أو ثلاثا بل وست مرات حتى يكون بعدها كاملا . وأحياناً لا يعجبنى رسم أو لون ما فأغيره وأعيده إلى النار . وهنا سألته عما يعنى برسومه — وقد حيرنى أمرها — أهى موضوعات من القصص الأغريقى أو غيره ؟ فأجاب بالنفى قائلا : « إنها لمجرد الزخرفة » وإيجاد التآلف والتوازن ليس إلا . فيعطيها من الألوان ما ينسجم وألوان الخلفية ويجعل المجموعة كلها جميلة تطرب العين والفؤاد معاً . ثم إنه وافقنى على ما لاحظته من تأثره بالفن الأغريقى ، وبفن ميكائيل أنجلو الذى كان يعكف على دراسته ، وبالفن الفرنسى الذى كان سائداً فى عصر لويس الرابع عشر ، إلى أن قال : « ولكنى أحاول أن أتحرر منها تدريجياً ، وأختط لنفسى فناً خاصاً » .

وبعد أن حدثنى عما شاهده من الفن المصرى القديم وعن خصائصه وروائعه سألته عما تركه ذلك الفن فى نفسه من أثر . وهنا حدجنى بنظرة عميقة ثم اندفع يقول فى حماسة ممزوجة بمرارة وألم : « كنت أظن أننى أوفيت على الغاية ؛ ولكنى اليوم أشعر بأننى قزم إلى جانب الفنان المصرى القديم الذى يبرز الجمال بقوة ، بسيطاً هادئاً ، لا تكلف فيه ولا إجهاد . أصبحت أرى ضآلة عملى وتفاهته بجانب تلك الأعمال الجليلة الرائعة . إن كل هذا (مشيراً بيده إلى قطعه الجميلة) هراء معقد لا غناء فيه . لسوف أقلع عن كل ذلك . آه ! لقد بدأت أفهم الآن ، والآن فقط بعد أن بلغت الخامسة والخمسين ، ولم يبق من العمر إلا أقله ، ومن الجهد إلا أضأله . لشدما يؤلمنى ذلك ! إن أخوف ما أخافه أن لا يسعفنى الأجل بتحقيق ما تصبو إليه نفسى وما ينفجر به خيالى الآن . عندما أعود إلى باريس سوف أكب على العمل بهمة زائدة وأحاول أن أخرج فناً بسيطاً جميلا حلواً . سأحاول أن أخرج بعض ما تعلمته وشاهدته هنا ؛ وسيكون فى ذلك نقطة

(١) وضعت كلمة الخلفية لتؤدى معنى الكلمة الفرنسية Fon أو الكلمة الإنجليزية Background وعسى أن يعنى بها المجمع اللغوى .

التحول الماثلة فى حياتى الفنية التى أوشكت على الأفول » .

— وما رأيك فى مستقبل فن الخزف بمصر ؟

— لاينقصكم شىء من عناصر النجاح على ما أرى . فتربتكم غنية بأحسن المواد الأولية اللازمة للعمل ، وشبابكم على جانب وافر من الذكاء واستعداد للتوثب والابتكار . وكل ما ينقصكم هو فرن ذو حرارة عالية ! هذا كل ما فى الأمر . إننا نعرض عليكم بضاعتنا وفننا ، ولكننى أنا فرنسى أفكر برأس فرنسى ، ويجب أن تفكروا أنتم كذلك برؤوس مصرية .



— هل تعود إلى مصر مرة أخرى ؟

— لقد شغفتنى مصر والمصريون حباً . وأكبر ظنى أننى سأعود إليكم فى العام القادم حاملا بعض أعمالى الجديدة التى سأستوحيها من زيارتى لبلادكم الجميلة الغنية بالفن

وهنا أقبل بعض زملائه وأسر إليه شيئاً فاستأذن وانصرف

أما بعد فنرجو من وزارة المعارف أن تستن هذه السنة الحميدة فتستقدم إلينا كل عام بعض أساطين الفن من مختلف الشعوب حتى يتم التلاقح الفنى بيننا وبينهم ؛ شأنها فى ذلك شأن الفرق التمثيلية والجوقات الموسيقية ، كما نرجو أن تدفع فنانينا إلى الأمام بكل وسائل الترغيب والتشجيع حتى تستطيع مصر أن تبنى مجدها الفني الحديث على آثار فنها القديم .

محمد بهجت

المدير المساعد لقسم البساتين

وحشة شاعر...

للشاعر السودانى أبى القاسم عثمان

أيها الليل يا عدو حيـــاتى   ومثير الجياش من أناتى
أنا أرهقت يا غشوم تماسا   نى وأسكرت بالغناء فلاتى
عبثاً تستخف بالنغم الحلو   وبالمطر فى ظلال حيـــاتى
مصر أوحت فأيقظت فى ضلوعى   نغماً تســـتحثه نزواتى
هنئت فيه بالضـــلالة أفرا   حى وأوتارى التى فى لهـاتى
فتوثبت فى مدارج ألحـــا   نى وهللت فى مدى صلواتى
وتطلعت للشماع طموحاً   ساخراً بالظلام فى خلواتى
قبس الله قـــد أنار فتونى   وأمات المحزون من آهاتى

فى روابى « سنار » ودعت أيا   مى وذرّفت أدمعي وشكاتى
كنت أودعتها نوازع نفسى   ألهبتهـا قساوة الذكريات
يا رفيقى لقـــد لمست بقلبى   ما يعانى الغداة من صدمات
رحمتا فالضباب يزحم آفا   قى ويغتال هدأتى وثباتى
ورماد الأوهام فى ليل إدلا   جى أدال المسحور من نبراتى
قهقهات الأشباح أذكت جنونى   لا رعى الله فـترة القهـقهات
أنا من صارع الحياة فأفنى   عمره النض فى صراع الحياة

لهف نفسى وقد حييت زماناً   فى ضجيج الأغلاط والنزهات
ما الذى قـدر الإله لنفس   تعبت فى صياغة الأمنيات
غـير أنى يزفنى لجهادى   عبقرى الأهـداف والغـايات
سوف أجتاز محنتى لأغنى   أغنيات الهروب والانفلات
مصر دنيا طلاقتى وكفاحى   ومنى مهجتى ومحراب ذاتى
فيك أنسيت يا كنانة أوجا   عى وأيقظت خافقى من سبات
أدركينى على البعـاد فأنى   قد سئمت الشرور فى الفلوات
فيك يا مصر ثلة من رفاق   بهمو يستضاء فى الظلمات
شـعراء يهزهم كل معنى   من معانى التسبيح والفلسفات
فاذكرونى أحبتى إن عودى   أيبســته جسارة السافيات
أمسيات الخريف ضاعفن يأسى   فذكرت الندىّ من أمسياتى

أبو القاسم عثمان

الأدب والفن في أسبوع

جائزة فؤاد الأول الأدبية :

نشرت « أخبار اليوم » أن لجنة جائزة فؤاد الأول الأدبية رأت تقسيم الجائزتين المخصصتين لسنتى ١٩٤٧ و١٩٤٨ بين أربعة أدباء ، هم الأساتذة عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل باشا والدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك ، ثم قالت :

« وعلم ذلك الأستاذ العقاد ، فارسل كتابا إلى وزير المعارف يحتج فيه على تقسيم الجائزة إلى جائزتين ، وعلى مساواة مؤلف له ١٧ كتابا بمؤلف له جزء من كتاب ، ويعنى بذلك أنه أصدر خلال السنوات الخمس الأخيرة ١٧ كتابا بينما لم يصدر الدكتور طه خلال هذه المدة إلا الجزء الأخير من هامش السيرة ، وأن هذا الجزء ليس دراسة ولكنه تصوير لفترة من التاريخ الإسلامى .

كذلك أرسل الأستاذ العقاد كتابا آخر إلى رئيس ديوان جلالة الملك — مقدم الجائزة — شرح فيه تصرف اللجنة ، وقال إنه يخالف الفكرة التى أنشئت من أجلها الجائزة ، وقد أرسل معالى رئيس الديوان كتاب الأستاذ العقاد إلى وزير المعارف ، فأحاله إلى اللجنة وطلب إليها أن تبحث وجهة نظره ، وهل تقسم الجائزة ؟ ويستحسن أن يحتفظ بوحدتها لتكون تتويجا مناسبا للعمل الأدبى الذى أنتجه الفائز بها »

والواقع أن قانون الجوائز ينص على جواز التقسيم فى حالة تساوي قيمة النتاج ، ولكن اللجنة رجحت فكرة التوحيد لتحقيق التتويج الأدبى المقصود من الجائزة ، فرأت أن يمنح كلا من الجائزتين أديب واحد . وهى الآن بصدد النظر فى ثلاثة كتب ، هى « عبقرية عمر » للأستاذ العقاد ، و« الصديق أبو بكر » لهيكل باشا ، و « ظهر الإسلام » للدكتور أحمد أمين بك . أما كتاب الدكتور طه حسين بك وهو الجزء الثالث من « على هامش السيرة » فهو لا يدخل فى الموضوع الذى قررت اللجنة تخصيص هاتين الجائزتين له ، وهو « الدراسات الإسلامية الأدبية » على أن تكون جوائز السنين القادمة فى فنون الأدب الأخرى كالشعر والقصة . . الخ

ولذلك استبعدت اللجنة هذا الكتاب لأنه أقرب إلى التصوير الأدبى ، والمؤلف نفسه يقول فى مقدمته إنه ليس دراسة ولا تاريخا .

ويتصل ذلك بما قالته « أخبار اليوم » من أن الأستاذين المازنى وتوفيق الحكيم اعتذرا من عدم الاشتراك فى هذه المباراة ، وقد بينت فيما مضى أن جوائز فؤاد الأول ليست مباراة وإنما هى للتتويج ، فهى تشبه جائزة « نوبل » . وأضيف الآن إلى ذلك أن الأستاذين المازنى وتوفيق الحكيم لم يؤلفا كتبا فى الدراسات الإسلامية الأدبية — وهى موضوع الجائزتين — فى خلال السنوات الخمس الأخيرة ولا فيما قبلها ، فم يعتذران ... ؟

عضوية المجمع اللغوى :

رأى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسته الأخيرة ، أن يؤجل الآن شغل الكرسى الذى خلا بوفاة أنطون الجميل باشا ، وذلك لفترة قد تتجاوز الدورة الحالية للمجمع

ومما يذكر أن أحد الأعضاء اقترح وضع قواعد لشغل الكراسى التى تخلو بالمجمع ، كالاعتماد على الآثار العلمية والأدبية للعضو المرشح للاختيار ، كما اقترح توزيع كراسى الأعضاء بحسب الاختصاص فى العلوم والفنون والآداب ، حتى إذا خلا مكان روعى فيمن يشغله أن يكون مختصا فى فن سلفه . ولم يبت فى شىء من ذلك برأى .

إمارة الشعر :

قال الأستاذ العقاد فى حديث له مع محرر « الزمان » وقد سأله عن رأيه فى إمارة الشعر :

الشعر مذاهب كثيرة ولكل مذهب شخصية بارزة ممثلة له . ولقد وجد فى انجلترا فى عصر واحد أكثر من عشرة شعراء لا يمكنك أن تسمى واحدا منهم أميرا للشعر . ومع ذلك يمكنك أن تقول إن كلا منهم كان إماما فى شعره . فأنت لا تستطيع أن تفاضل مثلا بين بيرون وشلي وكلوردج من حيث العظمة الشعرية ، ولكنك ترى لكل منهم نمطا من الشعر يتفوق فيه ، فهو إمامه وإذا شئت فهو أميره ...

الأدب الرمزى :

وقال الأستاذ أيضاً وقد سأله المحرر عن رأيه فى الأدب الرمزى :

كلمة الأدب الرمزى كلمة سخيفة ، لأن الأدب قبل كل شيء الافصاح ، فمن عجز عن الافصاح فأولى له أن يترك الأدب ، ومن كان لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغة أخرى غير هذه التى تواضع الناس على التفاهم بها ، وليخترع إن استطاع نوعاً من الهيرغليفية القديمة تغنى فيها الصور والإشارات عن الحروف والكلمات . إن ما يسمونه بالأدب الرمزى سواء فى مصر أو فى أوربا ليس له عندى أشرف من كلمة واحدة باللغة العامة وهى « تهجيص » !

نهر النيل فى الأدب :

ألقى الدكتور محمد عوض محمد بك محاضرة عنوانها « نهر النيل فى الأدب » بالاتحاد المصرى الثقافى يوم الثلاثاء الماضى ، قال فى أولها : أريد أن أطوف بالميدان الأدبى لكى أنظر إلى الشعراء أو الكتاب الذين كان النيل ملهما لهم ودافعاً إياهم إلى بعض الانتاج الأدبى فى موضوع نهر النيل ، وأنا لم أحاول أن أفتش فى كل الآداب عما يتصل بالنيل ، فهذا العمل يحتاج إلى عصابة قوية من الباحثين ، إنما أريد أن أعرض ما عثرت عليه بطريق المصادفة المحضة ، ويسرنى أن ألقى مساعدة من الأدباء فى استكمال هذا البحث حتى تتكون لدينا مجموعة عظيمة لأدب نهر النيل تستحق أن يتألف منها مجلد ضخم .

ثم تتبع موضوع النيل فى الأدب بالترتيب الزمنى ، فبدأ بالأدب المصرى القديم وأورد منه قصائد فى النيل ؛ وتحدث عن ثلاث قصائد فى موضوع النيل لثلاثة من كبار شعراء الانجليز هم شلى وكيتس وهنت ، فقال إن هؤلاء الشعراء الثلاثة اجتمعوا فى يوم من سنة ١٨١٨ م واتفقوا على أن يؤلف كل منهم أنشودة موضوعها النيل ، على سبيل المنافسة الأدبية ، وقال إن هذا الاتفاق يرجع إلى أن اهتمام الناس فى أوربا بنهر النيل قد أخذ ينتعش فى أوائل القرن التاسع عشر ، وقد أخذ بعض المستكشفين يقوم برحلات للبحث عن منابع النهر ، ثم ينشر قصة رحلاته فيلفت الأنظار مرة أخرى إلى هذا الموضوع القديم .

ثم انتقل الدكتور عوض بك بعد ذلك إلى الأدب العربى فقال إننا نلاحظ أن نهر النيل لم يجد فى الأدب العربى القديم من يعنى بشأنه سواء من زار مصر وأقام على ضفاف النهر أو من سمع به وكان من الجائز أن يصفه على السماع كما فعل الشعراء الانجليز. وقد أشار إليه القرآن الكريم : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى » ونلاحظ أن وصف الأرض بأنها تجرى من تحتها الأنهار كثيراً ما ورد فى وصف الفردوس . كذلك ورد ذكر مصر ونيلها فى الحديث وفى الكتب التى تنسب إلى عمرو بن العاص ولكن ذكرها لم يرد على لسان الشعراء إلا قليلا . وقد زار مصر من كبار الشعراء العرب عدد ليس بالقليل منهم أبو نواس الذى مدح والى مصر « الخصيب » بشعر جميل لم يرد فيه ذكر النيل ومصر إلا عرضاً كما ترى فى قوله :

أنت الخصيب وهذه مصر   فتدفقا فكلاكما بحر

وقد نشأ أبو تمام فى مصر ولكنه لم يذكر فى شعره مصر ونيلها مع أنه كان يسقى ماء النيل بالجرة فى المسجد الجامع بمصر . كذلك زار مصر المتنبى وقد ذكر النيل عرضا فى شعره . وهو وإن لم يهتم بالقول فى النيل إلا أنه لم ينج من أثر النيل فى شعره ؛ فإن أشعاره التى قالها فى مصر هى أبدع وأروع مما ألفه قبل إقامته فى مصر وبعدها . وأرجع الدكتور عدم اهتمام هؤلاء الشعراء بمعالجة موضوع نهر النيل إلى عدة أسباب ، أهمها أن وصف الأنهار والبحار والغابات لم يكن من الموضوعات التى ألفها شعراؤنا ، وأن الشعراء فى أوائل العهد العربى لم يكونوا من المصريين، ولم يكثر ذكر النيل فى الشعر العربى إلا بعد أن أصبحت العربية لسانا لأهل مصر ولغة أدبائهم . ومع ذلك فإن الشعراء المصريين كانوا فى أول الأمر مقيدين بما ورثوه من تقاليد شعرية . ومما يلاحظ أن العصر الذى أخذ فيه الشعراء المصريون يعالجون موضوع نهر النيل كان الشعر قد أخذ ينحط كثيراً عما كان عليه فى العصر العباسى الأول . وهم على كل حال كانوا يحسون بالنهر ويشعرون به فقالوا فى التشوق إليه وفى وصفه وفى فيضانه والمقياس الذى يقاس به وفاء النيل وفى جزيرة الروضة ومنظر السفن فى النهر

وأيام اللهو على ضفته والرياض التي يجرى وسطها وما إلى ذلك .

ثم انتقل الدكتور عوض إلى عصر النهضة الحديثة التي ازدهر فيها الأدب وأصبح شاعراً بوجود النيل إلى أن قال : إن شعراء مصر فى عصرنا هذا قد يخصون النيل بأبيات أو مقطوعات أو إشارات ، أما شوقى فقد جاراهم فى هذا ولكنه يزهم بأن خص النيل بقصيدة من أروع قصائده تجمع بين الوصف الصادق والخيال المبتكر والنزعة الفلسفية والنظر إلى النيل كـكائن مستقل لا كعرض من أعراض الحياة ، وتجمع بين الوصف الشعرى وبين حوادث التاريخ ، وهى القصيدة التى أهداها شاعرنا إلى العالم المستشرق مرجليوث والتى يخاطب النهر فى أولها بقوله :

من أى عهد فى القرى تتدفق   وبأى كف فى المدائن تغدق

وقال الدكتور : بهذه القصيدة نستطيع أن نقف أمام شعراء الغرب الذين تناولوا هذا الموضوع أمثال كيتس وشلى وهنت ، دون أن نخجل من تقصير أدبنا عن أدبهم فى موضوع شديد الصلة بحياتنا دون حياتهم .

تحول فكرى فى أمريكا :

فى يوم الجمعة الماضى ألقى الأستاذ فؤاد صروف محاضرة فى قاعة يورت بالجامعة الأمريكية ، موضوعها «الاتجاهات السياسية والاجتماعية الحاضرة فى الولايات المتحدة الأمريكية» وهى حلقة من سلسلة محاضرات «العالم كما هو اليوم» التى ينظمها قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية .

بين الأستاذ المحاضر ما يسود الولايات المتحدة الآن من التيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وقد أجملها فى ثلاثة ، فقال إن فى حياة الولايات المتحدة ثلاثة تيارات عميقة ، وهى خروجها من عزلتها ، وميلها إلى تعزيز نظام الاجتهاد الحر الذى يقوم على مبدأ «وأن ليس للانسان إلا ما سعى» بتوفير أسباب العدالة الاجتماعية ، واتجاه أهل الفكر والتربية فيها إلى دراسة الأساس الخلقى الاجتماعى للحضارة الصناعية التى تعد الولايات المتحدة أتم مثال لها . وأوضح هذا التيار الفكرى بقوله : إن قيام الدولة الأمريكية فى قارة غنية صرف التربية الأمريكية خلال زمن طويل إلى تقديم دراسة التكنولوجيا (علم الحرف والصناعات) على دراسة العلوم الانسانية ، فالأب الذى يريد أن يقدم هدية إلى ابنه الصغير ، يميل على الأكثر إلى تقديم مجموعة من الآلات يلهو بها ، فيفككها ويركبها ؛ وهذا الانصراف إلى تقديم التكنولوجيا على دراسة الآداب القديمة ، هو الذى جعل تقدم أمريكا الصناعى شيئاً يبهر النفس فى سرعته وعظمته . ولست أريد أن أزعم أن طائفة كبيرة من الجامعات العريقة نبذت العناية بالعلوم الانسانية والآداب القديمة ، ولكن أقول إن العناية بتقديم التكنولوجيا هى الغالبة . بيد أن طائفة من رجال الفكر أخذت تدعو إلى نهج جديد ، فمشكلات العالم الحديث فى رأيها ليست مشكلات معرفة وإنتاج وحسب ، فقد تقدمت المعرفة تقدما عظيما وارتقت وسائل الانتاج الصناعى والزراعى ارتقاء باهراً ، فلم يغن كل ذلك فى حل المشكلات الاجتماعية وزيادة سعادة الناس ، ولكن المشكلات ترتد — فى رأيها — إلى جهل ما للمعرفة ووسائل الإنتاج من قيمة اجتماعية ، فالاجتماع البشرى الذى يسير فى طريق الكمال ليس يكفيه أن تكثر فيه المعرفة وأن تتوافر فيه وسائل الإنتاج ، بل ينبغى له أن تكون المعرفة طريقاً إلى الحكمة ، وأن تفضى وفرة الانتاج إلى حسن التوزيع بين الناس ، فإلى الرضا والطمأنينة والسعادة ؛ وهذا التيار فى التربية الأمريكية لا يزال فى أوله ، ولكنه قوى زاخر .

ثم قال : إن مستوى المعيشة العالى أو الكافى ليس سوى مرحلة فى الطريق المفضى إلى مستوى صحيح للحياة ، والرخاء لا نفع فيه إلا على قدر ما يهيء من جو يكفل سعادة العقل وسكينة النفس . ولن نستطيع أن نقيم على سطح الأرض حضارة صالحة للبقاء ، إذا أقمناها على الرخاء وحسب دون الفضائل العريقة ودون إدراك القيم الاجتماعية والروحية للأشياء المادية التى صرنا نحسن صنعها وعرضها . وإذن فاتجاه الأمة الأمريكية إلى استكشاف هذه القيم ودراستها والعودة بها إلى الأصول التى قامت عليها الأمة الأمريكية فى عهدها الأول هو أهم اتجاه حديث فى حياتها اليوم ؛ لأنه إذا استطاع الشعب الأمريكى أن يحل مشكلة حياده الخاصة ويصون فضائله العريقة وإيمانه بالمُثل التى من أجلها هجر آباؤه الأولون قارة أوربا وفى سبيلها خاض حربين عالميتين ، فنى وسعنا أن نطمئن إلى أن ضمان حق الحياة والحرية وطلب السعادة فى حضارة تمد الرجل رجلا لاعبدا سوف يكون المصباح الذى يهتدى به الأمريكيون فى علاقاتهم بسائر الناس .

العباس



نعم تملك تحريم تعدد الزوجات :

ما كنت أظن أن يخفى ما كتبته تحت هذا العنوان بعدد الرسالة فى ٥ من إبريل سنة ١٩٤٨ م على صديقى الأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى ، حتى يرد ما لا يرد منه فى عدد (٧٧٢) من مجلة الرسالة ، لأنه لا ينكر أحد أن ينقلب المباح حراماً إذا نهى عنه ولى الأمر لمصلحة تقتضى النهى عنه ، كأن ينهى عن زرع القطن فى أكثر من ثلث الملك ، فتجب طاعته شرعاً فى ذلك ، وتحرم مخالفته فيه ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فيكون زرع القطن فى أكثر من الثلث حراماً من هذه الناحية ، وإن كان فى ذاته مباحاً ، وقد يكون هناك ضرر من إطلاق زرعه ، ولكنه لا يصل إلى درجة التحريم إلا بنهى ولى الأمر عنه ، لأنه ليس بالضرر الذى يقتضى الحرمة

وكذلك الأمر فى تعدد الزوجات ، فلولى الأمر أن ينهى عنه إذا أساء المسلمون استعماله ، فيصير حراماً لنهيه عنه ، وإن كان فى ذاته مباحاً . وهذا أمر معروف بين العلماء ، لأن الله تعالى لم يبح لنا شيئاً إلا فى حدود المصلحة ، فإذا انتفت المصلحة انتفت الإباحة ، بل نص العلماء على أن من المندوب ماينقلب مكروهاً لسبب من الأسباب . وكل ما ذكره الأستاذ زكى الدين فى رد هذا لا يعدو أن يكون تنظيما فيه أو استثناء له من ولى الأمر ، بمقتضى ماله من حق التحريم والمنع . ولعل مما يدعو إلى هذا أن الناس لم يتهيئوا بعد لفهم هذا الحق ، بل يعدوه خروجاً على الدين ، فيحمل هذا ولى الأمر على أن يستثنى فى ذلك مايستثنى ، ولا يذهب فيه إلى آخر ما جعله الله من حقه .

عبد المتعال الصعيدى

١ – شرط رواية الحديث الضعيف :

فى صباح السبت ١٠ من ابريل سنة ١٩٤٨ حدثنا فى المذياع عالم أديب عن الجهاد ، وعزا الخبر المشهور (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ...) إلى النبى عليه صلوات الله وسلامه .

وفى معجم المحدث العجلونى المسمى (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) ج ١ ص ٤٢٤ قال الحافظ ابن حجر : هو مشهور على الألسنة وهو من كلام ابراهيم بن علية . وقال العراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر .

ويشترط المحققون من المحدثين كالعز بن عبد السلام سلطان العلماء ، وابن دقيق العيد ، والنووى أن تكون صيغة رواية الضعيف صيغة تضعيف وتمريض مثل ورد ويحكى ويذكر ويروى والفقيه ابن حجر الهيتمى يثبت ولعله فى كتابه الفتاوى الحديثية، عدم جواز رواية أى حديث إلا بعد معرفة درجته من الصحة وغيرها

٢ – أول اكتتاب فى الإسلام :

فى (عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس) وغيرها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد التوجه إلى غزوة تبوك أو العسرة لأنها كانت فى زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد حض أهل الغنى على النفقة فى سبيل الله والحملان والقوة والتأسى ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، بذل عشرة آلاف دينار وثلاثمائة جمل . وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم . وجاء عمر بنصف ماله ، واقتدى بهم أكثر الصحابة وأما النساء فقد تبرعن بحليهن . ومفصل أخبار تلك الغزوة فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ج ٦ ص ١٩١ — ١٩٥ و ج ٩ ص ٥٨ .

محمد أسامة عليبة

أعضاء مراسلون للمجمع اللغوى :

أصدر معالى الدكتور السنهورى باشا وزير المعارف قراراً بتعيين المذكورين بعد أعضاء مراسلين لمجمع فؤاد الأول للغة العربية وهم حضرات الأساتذة : جبريل (روما — ايطاليا) ،

وأربرى (لندن — بريطانيا) ، ولاوست (ليون — فرنسا) ، ينبرج (أبسالا — النرويج)، خليل مردم وشفيق جبرى والأمير مصطفى الشهابى (سوريا) ، ومحمد بهجت الأثرى (العراق) ، وطاهر بن عاشور (تونس) ، والشيخ محمد الحجوى وعلال الفاسى (مراكش) ، والشيخ محمد نور الحسن (السودان) ، وخير الدين الزركلى (المملكة العربية السعودية) ، وعبدالله عبدالرحمن الأمين (من موظفى المعارف بالسودان) .

وقد علمنا أن الأستاذ ميخائيل نعيمه من بين المرشحين عن لبنان والسيد اسحاق الحسينى من المرشحين عن فلسطين وعلمنا كذلك أن الهيئة متجهة إلى اختيار عضو من مراسلين لكل بلد . والطريقة المتبعة أن يتفق المجمع على الأسماء ثم يبلغها لمعالى وزير المعارف لاصدار القرار بتعيينهم

حول قصيدة :

فى مجلة « العالم العربى » لشهر إبريل الجارى قصيدة للآنسة الفاضلة فدوى طوقان بنابلس بعنوان « ليل وقلب » . هذه القصيدة (بقضها وقضيضها) أذكر أنها نشرت فى مجلة « الرسالة » الغراء العدد (٧٤١) إلا أنه وقع تحريف فى بيت منها ؛ فهو فى الرسالة :

تخاف على زهرات (الصبى) تبددها كفه القاسية

وفى العالم العربى :

تخاف على زهرات (الربيع) تبددها كفه القاســـية .

ويبقى أن نسأل : كيف يجوز إن جاز نشر قصيدة بعينها فى فى مجلتين سيارتين فى « مصر » واحد وقطر واحد ؟

ثم هل يقع اللوم على المرسل إن كان أرسل ، أم على الناشر إن كان نقل ؟ الجواب للدراك ، ننتظره من هنا أو من هناك !

(عين)

أين الأستاذ الطنطاوى :

ما لهذه الأحداث الكبيرة التى تلم بالشرق فتؤسيه ، وبقلب المسلم فتدميه ، وبدنيا العرب الهادئة الوادعة فتحيلها ناراً لاهبة لا تحرك من قلم الأستاذ (الطنطاوى) ساكن ! .. ولا تثير فى قلبه الحى المؤمن ما كمن ؟ ! ..

كيف لا تذكى هذه المحن الفاجعة فى نفسه أوار العزة والنضال فيهب ليدافع عن الحق و كرامة الإسلام وقد عهدناه فارساً حراً لا يمل النزال ! .. هل أيس من الإصلاح و كفر بالإنسان فألقى السلاح الذى جاهد به طويلا في شـــبابه و كهولته حين أشفى على الأربعين ؟ ! ..

(فتى الفيحاء)

استفهام :

استدعى نظرى قول الأستاذ « عبد القادر الناصرى » فى قصيدته « قلب شاعر »

حتام أظمأ والأقداح دائرة مثل الكواكب مابين الندامــاء

فقد بحثت فى قاموس « الفيروزابادى » فى مادة « ندم » فلم أجد جمعاً مثل قوله « الندماء » والمعروف أن الجمع إنما هو « نُدماء » و« ندامى » و« نِدام » أرجو توضيح ذلك . وحبذا لو قال « مابين الأخلاء » وقوله فى نهاية القصيدة « إن لم تكن روحه تصبو لمليــاء » فالمعروف أن الفعل « صبا » يتعدى « بإلى » لا « باللام » .

على زين العابدين منصور



من الأدب الايطالى :

ذلك الرجـــل !!

للشاعر الايطالى جبريل دانونزيو

بقلم الأديب محمد فتحى عبد الوهاب

كان قصير القامة ممشوقها ، تنوء رقبته برأس ضخم يميل قليلا إلى اليسار ، وقد اكتسى هذا الرأس غابة كثيفة من الشعر الكستنائى المسترسل إلى كتفيه فى تجعدات والتواءات ، تلعب به الريح لعبها بعرف الجواد ، ولحية كثة كلحية المتقشفين ، تركها دون تهذيب وقد تراكت عليها ندف صغيرة من القش . وكانت عيناه تتطلعان دائماً إلى موقع قدميه العاريتين ، حتى إذا ما رفعهما ظهر فيهما الغموض والابهام ، ولاح فيهما الرعب ، أو بدتا كما لو كانتا عينى مخبول تارة ، أو رجل محموم تارة أخرى . أو تشهد فيهما ما يجعلك تفكر فى الماء الأخضر الآسن اراكد فى حفرة ضيقة ، أو فى وميض السيف اللامع .

كان يرتدى سترة قديمة حمراء ، قد ألقى بها على كتفيه كأنها المعطف . وكان الناس يروون عنه شتى الأقاصيص ، ويتحدثون عن حب ، وخيانة ، واعتداء ، وهروب ...

كنت فى سن الثالثة عشرة عند ما قابلته أول مرة ، فجذبنى منظره . وكان ذلك فى يوم من أيام الصيف الحارة والميدان الكبير تغمره الشمس ، وقد أقفر إلا من بعض الكلاب تتسكع هنا وهناك ، والسكون يخيم على المكان ، اللهم إلا من ذلك الصرير الممل لمجلة السنان . وكنت قد اعتدت الوقوف برهة أراقب ذلك الرجل من خلف مصراعى نافذة غرفتى ، فأراه يسير فى بطء تحت شمس الظهيرة ، يختال فى جومن المظفة ، أو يزحف قرب الكلاب فى هدوء حتى لا تلاحظه ، ويلتقط حجراً يقذفها به فى خفة ثم يهرب متظاهراً بأنه شىء غير منظور ، فتقبل عليه الكلاب وتلتف حوله وهى تبصبص بأذنابها ، فينظر إليها ثم ينفجر ضاحكا ضحكات قصيرة صبيانية فأشاركه ضحكه .

وفى ذات يوم تمالكت شجاعتى ، وأطللت برأسى من النافذة ثم ناديته . فالتفت إلى فى سرعة ثم ابتسم ، والتقطت زهرة من الأصيص قذفت بها إليه ، ومنذ ذلك الحين أصبحنا صديقين .

وفى مساء يوم سبت كنت واقفاً على الجسر وحيداً أراقب حركة أسطول الصيادين وهو راجع من الصيد . كانت شمس يوليو البديعة تغرب ، وقد احمرت السماء بالسحب الذهبية ، وتوهج النهر الجارى صوب البحر وارتعشت أمواجه فى تلألؤ وزاء . وكانت الضفاف تحت الهضبات تلقى ظلها على الماء فتنعكس الأشجار ، وتظهر قممها كأنها نائمة على صفحه الماء فى ذلك الجو الحار . وجعلت القوارب تلقى مراسيها فى بطء وقد طوت أشرعتها البرتقالية الكبيرة ذات الخطوط الزخرفية السوداء . وابتدأت تفرغ حمولتها من السمك . وسرت الريح تحمل أصوات النوتية ورائحة الصخور .

والتفت فجأة ورائى فرأيت الرجل واقفاً يتصبب عرقاً ، وقد أخفى يده اليمنى وراء ظهره ، وأضاءت فمه ابتسامته الصبيانية المعهودة . فصحت أهتف باسمه وأنا أمد يدى المتخاذلة إليه فى سرور . وتقدم نحوى وقدم إلى بيده التى كان يخفيها باقة أنيقة من الخشخاش الأحمر وسنابل القمح الذهبية . فصحت وأنا أتناولها منه « أشكرك ، أشكرك ، ما أجملها ... »

وسحب يده على حاجبيه ، وجعل يمسح العرق المتساقط ثم ينظر إلى أصابعه المبللة ثم إلى ، وأخيراً ضحك وقال « إن الخشخاش الأحمر ينمو بين القمح الأصفر هناك فى الحقول ، فرأيتها وأحضرتها لك فقلت لى » ما أجملها « وكانت الشمس هناك كالنار » .

كان يتكلم فى خنوع ، ويقف بين كل كلمة وأخرى كأنه يحاول أن يتبع خيط أفكاره . إن آلاف الصور المبهمة المضطربة كانت تتجمع فى ذهنه . فيحاول أن يبرزها ويتشبث باثنتين

أو ثلاثة منها ، تلك التى كانت أ كثرها ثبوتاً وأوضحها صورة ، وتهرب منه الصور الباقية . كنت ألحظ ذلك فى عينيه فأتعجب . وكأنه شعر بما يجول فى خاطرى ، فأدار رأسه صوب قوارب الصيد وقال وهو يفكر :

— هذا الشراع ، إنه شراعان ، واحد فى الهواء ، وواحد فى الماء .

كان لايدرك أن الشراع الأسفل انعكاس الشراع الأعلى على صفحة الماء . فجعلت أشرح له ذلك قدر امكانى ، فاستمع إلى فى ذهول ، ثم ابتسم وتطلع إلى الأشرعة .

وسقطت زهرة من الخشخاش فى النهر ، فراقبها حتى اختفت مع التيار ، ثم قال فى صوت حزين لا يوصف « لقد رحلت بعيداً ، بعيداً جداً » وكأنها شىء عزيز لديه » .

وبعد لحظة من الصمت سألته « من أى قرية أتيت ؟ »

فالتفت صوب السماء يتطلع إلى صفاء لونها الزبرجدى . كانت الجبال القاتمة تظهر أمام الأفق كأنها جبار راقد . وامتد الجسر الحديدى فوق النهر يقطع السماء إلى صور صغيرة ، وظهرت خلفه الأشجار الخضراء وقد استحالت إلى أشباح قاتمة. واختلطت ضحكات الجنود فى الثكنات بصوت البوق

وأخيراً قال « كان عندى منزل أبيض ، نعم كان كذلك ، تحفه حديقة كبيرة من الفواكه . لقد اعتادت تريزا أن تحضر فى المساء . كانت جميلة ، إن عينيها ... ولـكن ... »

وكف عن الكلام وقد ظهرت على هينيه الكآبة . ولـكن سرعان ما عاد إلى هدوئه ، ثم انحنى لى ، وسار مبتعداً عنى وهو يغنى .

***

ومنذ لك الحين كنت كلما أراه يمر فى الطريق أناديه وأجود له ببعض الطعام . وفى ذات مرة قدمت إليه القليل من النقود الذى أعطتنى إياه والدتى ، فنظر إلىّ فى صرامة ، ثم دفع بها إلى فى احتقار ظاهر ، وأخيراً أدار ظهره ومشى دون أن يلتفت إلى .

وفى ذلك المساء قابلته خارج الميناء الجديد ، فتقدمت إليه قائلا

— سامحنى ، سامحنى .

فهرب كأنه حيوان جافل ، وفى لحظة كان قد اختفى عن أنظارى بين الأشجار . ولـكن فى صباح اليوم التالى كان ينتظرنى على باب دارى ، وابتسم فى شجاعة ، ثم قدم إلى باقة يانعة من زهور المرجريت . كانت عيناه مخضلتين بالدموع ، وشفتاه ترتعشان ... وعادت المياه إلى مجاريها .

وفى ذات مرة ، فى أواخر شهر أغسطس ، كنا جالسين فى نهاية الطريق وكانت الشمس قد توارت بالجبال . وقد امتدت أشجار الصنوبر حتى البحر ، وابتدأ القمر يرتفع فى بطء فى عنان السماء بين السحب القاتمة ...

ونظر إلى القمر ثم تمتم قائلا « انظر ! الآن تستطيع أن تراه .. تستطيع أن تراه »

وجعل يتأمله لحظة ثم قال « ذلك القمر ! إن له عينين وأنفاً وفماً كالبشر ، لست أدرى ما الذى يفكر فيه . من يدرى ؟ »

ثم جعل يدندن أغنية ذات لحن حزين ، من تلك الأغنيات التى يرتلها الأهلون عند قطف الكروم فى ليالى الخريف الحارة . وكان يلوح لنا عن بعد مصباحا قطار قادم فى سرعة ، فظهرا كأنهما عينا وحش تحدقان فينا . ومر القطار يهدر ويتمالى دخانه وصفيره عند عبوره الجسر الحديدى ، وعاد الصمت يخيم تدريجياً على الأرض الشاسعة .

ووقف الرجل على قدميه وصاح وهو يشير إلى القطار المبتعد « إذهب ، إذهب ، إذهب ، بعيداً ، بعيداً ، إنك تنساب كالتنين ، والنار فى داخلك ، النار التى وضعها فيك الشيطان »

ولن أنسى ما حييت منظره وهو واقف فى هذه اللحظة .. ولم يهدأ انفعاله الأبعد أن تلاشى صوت القطار وعاد الصمت يخيم على الطبيعة .

وعندما كنا فى طريقنا إلى الدار كان لايزال غارقا فى أحلامه

* * *

وفى ذات صباح جميل من سبتمبر ذهبنا إلى البحر . إن ذلك الاتساع السرمدى للماء الأزرق العميق كان ممتدا حتى الأفق المتألق ، وكانت قوارب الصيد تبحر أزواجا ، فتظهر كأنها طيور هائلة الحجم مجهولة النوع ، قدنشرت أجنحتها الصفراء القرمزية . وكانت الهضاب الرملية-النحاسية ترقد على طول الساحل خلفنا وقد لاحت من ورائها الكتل الضخمة الخضراء من مزروعات

شجر الصفصاف .

قال فى صوت خافت وكأنه يخاطب نفسه فى لهجة التعجب والشعور بالخوف « يالهذا البحر الخضم الأزرق الضخم ! ويالهذه الأسماك الضارية المفترسة ! أن (أركس) هناك سجين فى قفص من حديد ، يصيح فلا يسمع أحد صيحاته . إنه لن يرجع ثانية . وهذه السفينة السابحة فى الماء ، أنهـــا تجلب الموت لـكل من يشاهدها »

ثم صمت .. وأقبل على الشاطئ حتى غمرت الأمواج البيض الصغيرة قدميه . من يدرى مالذى كان يحدث داخل عقل هذا المسكين الضعيف ؟

وبينما نحن مقبلان على الدار وقد التزم الصمت طول الطريق نظرت إليه فأخبرنى قلبى بأشياء غريبة .

وهمس أخيراً فى صوت خافت وهو يأخذ بيدى « إن لك أما فى منزلك تنتظر أوبتك لتقبلك » كانت الشمس تغرب فى الماء الصافى خلف الجبال ، والنهر يتلألأ بشتى الانعكاسات .

فسألته والدموع تتساقط من عينى وأنت ، أين والدتك ؟ »

فنظر إلى عصفورين فى الطريق ، والتقط حجراً سدده كأنه بندقية فى يده ، ثم أطلقه عليهما ، فوليا كأنهما السهام .

وصاح وهو يراقب طيرانهما فى السماء اللامعة وهو يضحك فى صخب « طيرا .. طيرا .. »

* * *

ومرت الأيام فلا حظت فيه تغيراً ، كأنما أصابته الحمى . كان ينطلق مسرعا إلى الحقول كأنه الجواد حتى يقع على الأرض مبهور الأنفاس ، أو يرقد الساعات مفترش الثرى دون حراك يحدق بعينيه فى وهج شمس الظهر المحرقة . وعند ما يقبل المساء كان يلقى بمعطفه الأحمر على كتفيه ويتنزه جيئة وذهاباً فى الميدان ، يختال فى خطوات طويله بطيئة كأنه عظيم اسبانى . وكان يتحاشانى ، ولا يجلب لى الزهور . وتألمت لهذا الهجر . كان الناس يدعون بأنه سحرنى . وفى ذات صباح ذهبت قاصداً لقياه . ولـكنه لم يرفع عينيه ، بل احمر وجهه كأنما مسته نار . فصحت فى اضطراب « ما الأمر ؟ »

— لاشىء ,

— بل هناك شىء .

— لا شىء..

— هذا غير صحيح .

ولاحظت أنه ينظر أمامه بعينين متقدتين ، فالتفت ، فوجدته يتطلع إلى فتاة ريفية حسناء واقفة أمام مدخل حانوت

وتمتم وقد شحب لونه : « تريزا » ففهمت أن الرجل المسكين كان يتخيل فى هذه الفتاة غادة بلدته التى أثرت على قواه العقلية

وبعد يومين قابلها فى الميدان ، فاقترب منها مبتسما وهو يقول: « إنك أكثر جمالا من الشمس . فلطمته بقوة على وجهه

كان هناك بعض الصغار بالقرب منهما ، فجعلوا يسخرون منه بعد أن تركته الفتاة وحيداً مصدوما باهتا ، وابتدأت بقايا الخضر تطير فترتطم فى وجهه . والتفت إلى الصبية ، وهدر كالثور الجريح ، ثم أمســك بواحد منهم وألقاه على الأرض كأنه من الأسمال

* * *

ورأيته ، يمر أمام نافذتى بين أيدى اثنين من رجال الشرطة مقيداً ، والدم يسيل من لحيته منحنى الظهر ، مرتعش الجسد ، والناس من خلفه يضحكون ويسخرون . نظرت إليه فامتلأت عيناى بالدموع

وكان الحظ قدواتاه ، فان الصبى لم يصب الا بجروح يسيرة ، وخرج من السجن بعد يومين

مسكين ذلك الرجل! كان قد تغير تغيراً تاماً وأصبح مكتئب الوجه لايثق فى أحد ، غضوبا وكنت أراه فى بعض الأحيان ينفلت مساء فى مسرعة كبيرة كأنه الـكلب ، ويختفى فى طريق مظلم قذر

وفى ذات صباح مشرق الشمس صافى السماء من اكتوبر وجدوه على خط السكة الحديدية بجانب الجسر وقد تمزق إربا حتى أصبح كتلة دامية مشوهة من اللحم ، وانسحبت احدى ساقيه مع عجلات القطار الذى دهمه إلى مسافة بعيدة ، وظهرت عيناه الخضراوان فى رأسه المقطوع الذقن المصبوغ الشعر بالدم القانى ، تحدقان فى رعب هائل

مسكين ذلك الرجل ! كان يود أن يشاهد القطار عن قرب ، ولـكنه كان يبتعد ثم يبتعد – كما كان يقول – ذلك الوحش الطويل ذلك التنين الذى بداخله النار التى وضعها الشيطان !

محمد فتحى عبد الوهاب

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ الزيات

نفدت الطبعة العاشرة من هذا الكتاب

أما الطبعة التى تباع الآن فى البلاد العربية

فاحترس منها

انها طبعة مزيفة فيها النقص والخطأ والتحريف

والتشويه زيفها أحد الكتبيين فى القاهرة

انتظر الطبعة الحادية عشرة قريباً

طبعة أنيقة صحيحة فيها زيادات كثيرة

ولاسيما فى العصرين العباسى والحديث

مبادى

فى القضاء الشرعى

للأستاذ الزين القاضى

كتاب يفيد القاضى والمحامى

وكل مشتغل بالحقوق والفقه

يقع فى ٤٦٠ صفحة من القطع المتوسط

ويطلب فى القاهرة من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب

ومن المنصورة من الأستاذ على عبد الله

بمكتبة الشامى وثمنه ٢٠ قرشاً عدا البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

خط صحراء سيناء — القنطرة شرق — رفح

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه يسير الآن يومياً القطار رقم ٧٥٠ الذى يغادر القنطرة شرق فى الساعة ١٥ ر ٢٣ ويصل إلى رفح فى الساعة ٠٠ ر ٤ والقطار رقم ٧٥١ الذي يقوم من رفح فى الساعة ٣٠ ر ١٣ ويصل إلى القنطرة شرق فى الساعة ١٠ ر ١٨.

العدد ٧٧٤ — الاثنين ٣ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٦

[illegible]

16 em Année No. 774 — Lundi — 3 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ٣ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

من علامات الساعة...!

من علامات الساعة أن يتشجع اليهودى فيحمل سلاحاً ويشهد حرباً ويحرز نصراً ويحتل مدينة !!

ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك إلى الثكنة ، ومن الدكان إلى الميدان ، ليحارب العرب على فلسطين ، ويثأر للفرنج من صلاح الدين !!

ومن علامات الساعة أن يكون لليهود جيش ينتصر على العرب فى حيفا ، وعلم يرفرف على المسجد فى يافا ، ودولة تريد أن تقوم فى القدس !!

كذلك من علامات الساعة أن ينهزم العربى أمام اليهودى ولو ظاهرته مادية الأمريكان وخديعة الانجليز وشيوعية الروس ؛ فإن الثعلب بحسبه أن يشم ريح الأسد من بعيد ليُجحر ، وإن الفأر بحسبه أن يبصر الهر من فوق الجدار ليسقط !

يا لله ماذا نرى ؟ نرى الألوف من نساء العرب وأطفال العرب يخرجون من ديارهم مشردين فى البر والبحر ؛ يلتمسون فى الشام المأوى ، ويطلبون فى مصر الأمن ، وأهلوهم مصرَّعون على ثرى الوطن الحبيب السليب بعد أن قذفوا فى صدر العدو آخر رصاصة ، ودفعوا غائلة الجوع بآخر كسرة ، وافتدوا وطن الآباء بآخر رمق !

يا لله ماذا نسمع ؟ نسمع أن تل أبيب تحكم يافا ، وأن راية صهيون تخفق على مسجد (حسن بك) ، وأن بنى إسرائيل يذبِّحون الأبناء ويستحيون النساء فى دير ياسين !

لقد سمعنا أن اليهود يحتلون البلاد بالنساء والذهب ، ولكننا لم نسمع قبل اليوم أنهم يحتلونها بالرجال والحديد ! !

ماذا جرى حتى استجملت الناقة يا يهود ، وماذا جرى حتى استتنوق الجمل يا عرب ؟ ! جرى أن اليهود يعملون ونحن نقول ، ويجدّون ونحن نهزِل ، ويبذلون ونحن نبخل ، ويتعاونون ونحن نتخاذل ، ويتكتلون ونحن نتوا كل !

للجامعة العربية فى كل شهر مؤتمر ، وفى كل أسبوع مجتمع ، وفى كل يوم قرار ، وفى كل ساعة تصريح ، وفى كل دقيقة خطبة ؛ وكل أولئك يحمله الهواء إلى المجاهدين المجهودين أصواتاً لا تدفع سيارة ، ولا ترفع طائرة ، ولا تحشو مدفعاً ، ولا تملأ بطناً ، ولا تبعث قوة . فإذا جاء يوم العمل نظر بعضهم إلى بعض ، فإذا الأول واقف لأن ترومان لم يتقدم ، وإذا الثانى ساكت لأن بيفن لم يتكلم ، وإذا الثالث مترجح لأن الآخرين لم يستقروا على رأى !

كنا قبل أن تنشأ (الجامعة العربية) أهواء متشعبة وآراء متضاربة وقوى متفرقة ؛ فكنا نجد عذرنا فى هذا الانقسام ، ونعزو فشلنا إلى هذه الفرقة ، ونهدد خصمنا بأن فى جُمعتنا الخلاص منه ، وفى وحدتنا القضاء عليه ؛ فلما أذن الله لأوطاننا أن تتصل ، ولدولنا أن تتحد ، ابتلانا بمحنة فلسطين ليعلم العدو المتربص ماوراء العربى إذا تجمع شمله ، وما غناء الإسلام إذا تجدد حبله

(البقية على الصفحة التالية)

الصحافة فى الميثاق الصهيونى

للأستـــاذ نقولا الحداد

قرأت أخيراً أن فى العراق حركة صحفية هائلة ؛ فقد صدرت تصريحات لجرائد جديدة عديدة ، وأنبئنا بصراحة أن لليهود نفوذاً كبيراً فيها . وإذا كان اليهود قد مدوا أنوفهم للجرائد العراقية فلا بدع أن يفعلوا هنا فى مصر أكثر من هذا وأجهر . عندنا هنا أربع جرائد أفرنجية صهيونية ، ومجلة عربية شهرية . وفى كل جريدة من جرائدنا المحليـة العربية صهيونى أو أكثر يسيطر عليها لقاء خدمة اقتصادية هى استجداء الإعلانات لها من أرباب المصالح اليهودية عن يد شركة الإعلانات الشرقية وهى صهيونية

وقيل لنا بالأمس إن إحدى جرائدنا الكبرى قد باعت ٤٩ بالمئة من قيمتها لشركة الإعلانات الشرقية ، وما بقى منها إلا اثنان بالمئة لكى تتحول السيطرة القانونية عليها إلى الشركة المذكورة ، ولكن الشركة لا تعجز عن الحصول عليها بأية الطرق ، فيصبح عنق تلك الجريدة الموقرة تحت نير الصهيونيـة تفلح به الدعاية الصهيونية على كيفها . ثم ما لبثنا أن قيل لنـا إن الجريدة نفسها اشترت الشركة كلها . ثم قيل لنا إن الجريدة والشركة اندمجتا معاً فى شركة واحـدة ، ولا اعتبار لأى الفريقين أثقل يداً فى الشركة المزدوجة ، لأن الموظفين الذين كانوا يديرون الحركة فى شركة الإعلانات لا يزالون فيها وكلهم يهود . فهى شركة محايدة صورياً وصهيونية فعلا. كل هذا لا يهمنا كثيراً إلا أننا نعلم أن الصهيونيين بسطوا يدهم على رأس الصحافة العربية المصرية . حدث هـذا فى الوقت الذى نسخط فيه على الصحافة لأميركية التى أصبحت تحت سلطان الصهيونيين وصار الرأى العام الأميركى للمئة وخمسة وثلاثين مليوناً من الأميركان بقيادة الصهيونيين . فإذا بقيت أصابع الأخطبوط الصهيونى تتغلغل فى الرأى العام العربى أصبح العرب خضـماً وسجداً عقلا وإحساساً واقتصاداً للنفوذ الصهيونى

وإليك الميثاق الثانى عشر من برنامج الصهيونيين فى الصحافة :

البند الأول : إن كلمة « حرية » التى تفسر تفسيرات مختلفة نحن نفسرها هكذا :

البند ٢ — الحرية هى أن يكون لك الحق أن تفعل مايخوله لك القانون . إن هذا التفسير يكون فى أكثر الأحيان العادية خادماً لنا لأن القانون فى يدنا بل نحن القانون . القانون ينفى أو يثبت مانحن راغبون فيه طبقاً لبرنامجنا . فإذاً الحرية بأى معنى تكون فى يدنا .

البند ٣ — تستخدم الصحافة هكذا :

ما هو الدور الذى تلعبـه الصحافة اليوم ؟ الصحافة تثير العواطف التى تقتضيها غايتنا ، وتهيج الإحساسات التى تخدم أنانية الأحزاب وغاياتها . والجمهور لا يعلم ولا يفهم ماذا تخدم الصحافة من الأغراض الحزبية السخيفة التافهة الباردة . نحن نسرج الشعب ونلقى على ظهره البرذعة وكذا نفعل بحاصلات المطابع والصحافة . وإلا فكيف نرد هجمات الصحافة إذا كنا أهدافاً للكتب والرسالات التى تهاجمنا ؟ إن نتاج الدعايات التى تستوجب النفقات الثقيلة بسبب ضرورة الرقابة عليها ستكون مورداً كبيراً لدولتنا لأننا سنفرض عليها ضريبة طوابع خاصة ونطلب من أصحابها ضمانات مالية قبل أن تصدر ، ورخصة لكل صحيفة ومطبعة ، وهذا الإجراء يكون ضمانة لحكومتنا ضد كل هجوم عليها من قبل الصحافة والطباعة . لأننا فى محاولة كل هجوم نضرب غرامة ثقيلة بلا رحمة ولا شفقة . ولا يخفى أن الأحزاب لا تبخل على الجرائد بالنفقات اللازمة لها لأجل الدعاية . وإنما يمكننا أن نقفل أفواه هذه الدعايات ضدنا عند ثانى هجوم تهجمه علينا ؛ وذلك بمعاقبتها بالغرامة الثقيلة

فالجامعة العربية اليوم فى ميزان الأقدار وامتحان الشدائد ؛ فإذا رجحت كفتها على اليهودية رجحت فى كل أمة ، وإذا ثبت معدنها على المحك فى هذه الأزمة ثبت فى كل أزمة .

إن مستقبلنا رهن بهـذه المعركة ؛ فإذا كسبناها كسبنا جل ما نبغى ، وإذا خسرناها خسرنا كل ما نملك . ذلك لأن اليهود لا يستطيعون أن يقيموا لهم دولة فى فلسطين إلا على عمَد من الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية . وأيًا ماتكن هذه العَمد فإنها التدمير والتكفير والفوضى إذا كانت شيوعيـة ، وإنها الاستهتار والاستئثار والبلوى إذا كانت رأسمالية .

احمد حسن الزيات

لا أحد يجرأ أن يضع أصبعه على فم معصومية حكومتنا ، وعندنا عذر لإغلاق أية جريدة أو مطبعة ، وهى أننا ندعى أن الجريدة تقلق الرأى العام وتهيجه بلا مبرر .

(يقول خطيب جلسة الحكماء) — أرجو أن تلاحظوا أن يكون لهؤلاء المهاجين لنا محررون لجرائد نحن أنشأناها ولكنها لا تهاجم إلا نقطاً فى سياستنا وإجرا آتنا . كنا قبلا قد قررنا تنقيحها وتغييرها ، فكأنها تهاجم الريح .

البند ٤ — لا يذاع على الجمهور أية إذاعة إلا بإرادتنا وتحت سيطرتنا . إن الأنباء والمنشورات حتى اليوم هى تحت سيطرتنا ، لأن جميع أنباء العالم مركزة فى مراكز خاصة تتهافت إليها الأخبار من جميع أقاصى الأرض وتتوزع منها إلى جميع أنحاء العالم ، وجميع وكالات هذه المراكز فى أيدينا فتذيع ما نمليه نحن عليها .

(يمكنك أن تقول إن هذا هو الحاصل اليوم) .

البند ٦ — فلنوجه الآن أنظارنا إلى مستقبل الصحافة : كل من يرغب أن يكون ناشراً أو كاتباً أو طابعاً يجب أن يكون حاصلا على دبلوم من جامعة أو مدرسة مختصة بتخريج الناشرين والكتاب . وبحسب قانون هذا الدبلوم يمنع الناشر من النشر عند أول خطأ يرتكبه . هذه التدابير تكون وسيلة ثقافية فى أيدى حكومتنا التى لا تسمح للجمهور أن يقاد فى غير الطريق الذى نرسمه نحن إلى بركات النجاح . هل يوجد واحد منا يجهل أن هذه البركات الخيالية هى السبيل المؤدى رأساً إلى المتخيلات التى تلد علائق الفوضوية بين الناس وبينهم وبين الحكومة ؛ لأن الرقى أو تصور الرقى يدخل إلى الحكومة فكرة التحرر ، ولكنه يعجز عن إقامة حدود للتحرر ، وجميع الذين يدعون أنهم أحرار هم فوضويون ولو بالفكر ، وكل واحد منهم يحاول أن يتصيد طيف الحرية ، ويقع فى فوضى الاحتجاج على تقييد الحرية لا لغرض سوى حب الاحتجاج لا لأجل التحرير .

البند ٧ — نأتى الآن إلى المطبوعات الدورية . فهذه سنفرض عليها وعلى كل مطبوعة ضرائب بوضع طوابع على كل صفحة ، ونفرض أيضاً ضمانة مالية . والكتب التى تقل عن ٣٠ صفحة تضاعف الضريبة عليها ونعتبرها كراريس ؛ أولا لكى يقل عدد الكراريس والمجلات التى هى أردأ المطبوعات السامة . وثانياً لكى يوجب هذا التدبير على الكتاب أن يتوسعوا فى الكتابة وتكون كتبهم كثيرة لكى يتجنبوا عبء الضريبة . فيقل قراؤهم ، وفى الوقت نفسه نجعل مطبوعاتنا التى نؤثر بها على عقلية الجمهور رخيصة فى متناول كل واحد لكى يقرأ بنهم وشوق . لأن الضريبة تقلل الطموح الأدبى وتخور عزيمة الكتاب . وثقل الغرامات يجعل أرباب القلم معتمدين علينا ، وإذا قام بعض الكتاب يكتبون ضدنا فلا يجدون من يطبع لهم . وعلى الناشر أو الطابع أن يحصل على إذن للطبع والنشر . وهكذا يتيسر لنا أن نعرف نيات أضدادنا فنصدها ولو بحجج واهية .

البند ٩ — الأدب والصحافة هما أهم القوى الثقافية . ولذلك ستمتلك حكومتنا أقوى الجرائد والمجلات ، وهذه تخمد أنفاس كل نفوذ لكل صحيفة مستقلة تنشر أموراً ضدنا ، وبالتالى نملك بتأثير جرائدنا كل تأثير على الرأى العام . وإذا منحنا رخصا لعشر جرائد يجب أن يكون لنا ثلاثون جريدة وعلى هذه النسبة تكون الصحف المستقلة . وهذا التدبير لا يثير شبهة الشعب ضدنا ، ولا سيما إذا جعلنا بعض الجرائد التى نصدرها معارضة فى الظاهر لنا فتكثر ثقة الشعب بها ، وإنما تكون المعارضة فى السطحيات . ولذلك تقوى ثقة الشعب بنا نحن أيضاً ، وتدفع إلى يدنا الخصوم المعارضين الذين يشتبهون بمقاصدنا ، ويقعون فى فخاخنا ولا ضرر منهم لنا .

البند ١٢ — تكون جرائدنا من كل لون : ارستقراطية جمهورية ثورية حتى فوضوية بحسب مقتضى الحال ؛ ويكون لها يد فى كل رأى عام . فإذا نبض نابض فى إحدى هذه الأيدى المحركة يقود الرأى العام فى اتجاه مقاصدنا . لأن الضعيف المنفعل ينفذ قوة الحكم ويذعن إلى أية إشارة منا . وهؤلاء القوم المنفعلون الذين يظنون أنهم مرددون رأى جرائدهم ، يرددون بالفعل الرأى الذى نحن نرغب فيه ، ويظنون عبثاً أنهم يتبعون رأى جرائدهم ولكنهم بالحقيقة سائرون فى ظل رايتنا .

البند ١٤ — إن مهاجمة خصومنا لنا تخدم أغراضنا من جهات أخرى ، وهى أن رعايانا يقتنعون ويعتقدون أنهم حاصلون على ملء الحرية فى الكلام والنشر ، وهكذا يتحول أنصارنا إلى اليقين بأن جميع الجرائد المخالفة لنا ليست إلا فقاقيع فارغة لأنها غير قادرة على أن تجد أثراً جوهرياً فى مخالفتها لأوامرنا .

البند ١٥ — إن قواعد التنظيم التى لا تراها أعين الجمهور هى من أضمن الوسائل لكسب ثقة الجمهور إلى جانب حكومتنا .

إن هذه الطرق تجعلنا من حين إلى آخر في مركز يجعلنا قادرين على أن نثير العقل الاجتماعي أو أن نهدئه في المسائل السياسية حسب رغبتنا ، فنقنعه أو نشوش عليه أو نضعضعه . فالآن الصدق ، وغداً الكذب . ننشر الحقائق ثم ننشر ما يخالفها ، نفعل هذا حسب مقتضى المصلحة ، نفعله بكل حذر ؛ نجس الأرض قبل أن نضع أقدامنا . سيكون لنا نصر مبين على خصومنا أو معارضينا لأنهم لا يملكون جرائد تستطيع أن تعطى التعبير الصحيح عن آرائهم بسبب خطتنا في معاملة الصحافة ، ولذلك لا نضطر أن نجحدها إلا جحداً سطحياً وهم يظنون أنهم يتمتعون بحرية الصحافة .

الملخص : النفاق في مذهب الصهيونيين هو ملح الصحافة وبهارها بل هو « شطتها » أيضاً . هو البهار الذي يشهى القراء للقراءة . فلذلك ترى الجرائد مبتلاة بالأخبار الكاذبة فلا تدرى إن كان الخبر الذي تقرأه صادقاً أو كاذباً ، وشركات الأخبار مبتلاة بسيطرة الصهيونيين عليها كبلوى الجرائد . تقرأ اليوم خبراً فتصدقه لأنه معقول فلا يشمرك بغش فيه ، ثم لا تلبث أن تقرأ غداً نقيضه أو تكذيباً له . ولا يمكن جمهور القراء أن يشكوا في صدق ما يقرأون وإلا فلا يصدقون خبراً . لا يمكنهم أن يميزوا بين الخبر الصادق والخبر الكاذب ؛ لأنه ليس في ما ينشر شبهة تضلل الظن . إن اختلاق الأخبار وتمويجها هو سجية في الصهيونيين يستغلونها لأغراض شيطانية لا تنكشف إلا بعد حين ، وقد تقرأ خبراً ضد مصلحتهم فلا تلبث أن ترى أنه كاذب ولكنه نفعهم) .

(منذ صارت قضية فلسطين في هيئة الأمم كانوا يذيعون أن عندهم جيشاً من الهاجاناه يبلغ ٨٠ ألفاً . ولما جاء دور القتال لم يظهر عندهم أكثر من ٨٠٠ جندي . فكانوا كلما وقعوا في ورطة مع العرب يهرعون إلى الجيش البريطاني لكي ينجدهم . ولما بدت مسألة التقسيم وشمروا أن العرب متحفزون للدفاع أذاعوا أنهم طلبوا من أميركا ٤٧٢ مليون دولار وستأتيهم تواً ، فما أتاهم شيء . ثم أذاعوا أن القائد الكبير فوزي بك القاوقجي قتل في معركة فاصلة . فما لبث القاوقجي أن أذاع في الراديو أنه يفقأ حصرمة في عيونهم . وهكذا لهم كل يوم كتاب من الأكاذيب في الجرائد والمجلات والأنباء التلغرافية التي في حوزتهم . فيجب الحذر من قبول الأخبار) .

البنـد ١٧ يشرح التعليمات للصحافة من حيث ارتباطها بأسرار الماسونية التي لا يباح بها ، وكل صحافي مقيد بأسرارها كأنها أسرار المهنة ، وكل فرد من الصحفيين يخشى أن يبوح بسر لئلا يتهم بفضيحة ، وما من أحد خال من فضيحة .

البند ١٨ — فحواه أنه لا بد من إلهاب عقليات أهل الأقاليم عند ضرورة التأثير في العاصمة ، ومصدر هذه التهييجات في كل حال يكون « نحن » على قصد أن الرأي الذي قبل في العاصمة يكون حائزاً لتأييد الأقاليم .

البند ١٩ — حين نكون في فترة الانتقال من الحكم القديم إلى حكمنا الجديد أي إلى ما نظفر به من السيادة يجب أن لا نسلم بما نقلته الصحف من خيانة أحد من الشعب . يجب أن يكون نوع الحكم الجديد يرضى كل فرد من الناس . يجب أن يرى فيه الشعب أمانيه محققة وأن الاجرام قد زال . ويجب أن يقتصر البلاغ على المجنى عليه والشهود فقط . يعني أن لا تنشر الجرائد أخبار الجرائم لكي يقتنع الشعب أن الأمن مستتب تمام الاستتباب

هذا ملخص الميثاق الثاني عشر عن الصحافة ، وإلى الملتقى مع القراء في حين آخر .

حاشية : قرأنا أن معظم عرب حيفا هاجروا إلى سوريا ولبنان ، وفي بعض الروايات أن المهاجرين تجاوزوا الأربعين ألفاً وبعضهم رفع الرقم إلى ثمانين ألفاً . وقد قيل لنا إن بعضهم هاجروا إلى مصر لكي تتحمل مصر تبعتها من هذه النكبة . أليس مؤلماً مفزعاً أن يفر أهل الدار منها ، وأن الضيوف المغتصبين يبقون فيها فيستولون على جميع ممتلكات العرب كما فعل بنو إسرائيل يوم « جرجرهم » موسى إلى أرض كنعان فنهبوا فرش الكنعانيين وحللهم وطناجرهم الخ — التاريخ يعيد نفسه . وإذا كانت الدول العربية لا تنقض بكل قواها على تل أبيب من جميع النواحي ، وبدكونها دكاً ليضطروا اليهود أن يخلوا حيفا لكي يأتوا لإنقاذ تل أبيب رغم أنوفهم — إذا لم تفعل الدول العربية كلها هكذا في وقت واحد استعجل اليهود وغزوا يافا ثم القدس وسائر مدن فلسطين ، ثم انتقلوا إلى عمان فإلى دمشق فإلى بيروت فإلى مصر ، إلى جميع ممالك العالم ، وحينئذ يصح حلم الصهيونيين .

إن ما يتظاهر به اليهود في حيفا من الإنسانية نحو العرب إنما هو مكر فلا تصدقوه . لا يخرجون عن طبيعتهم ، فحذار منهم !

نقولا الحداد

عبد الله بن سبأ

للدكتور جـــواد على

هذا رجل نقرأ خبره فى كل كتاب من كتب « العقائد والفرق » ، وفى أكثر كتب التاريخ التى تعرضت لموضوع « الفتنة » التى حدثت فى أيام الخليفة « عثمان بن عفان » ، وفى حادث مقتل الخليفة « على بن أبى طالب » فى الكوفة بعد تلك المؤامرة السياسية التى دبرها نفر من المعارضين لسياسة الخليفة وسياسة « معاوية بن أبى سفيان » و « عمرو بن العاص » بطل رواية التحكيم .

وقد وضع الدكتور طه حسين كتاباً أسماه « الفتنة الكبرى [1] » بحث فيه عن عصر الخليفة الشهيد « عثمان بن عفان » ، وعن العوامل التى أدت إلى حدوث تلك الفتنة التى فرقت شمل العرب بعد ألفة ، وضعضعت صفوف المسلمين إلى اليوم .

وقد تعرض الدكتور فى الفصل الثالث عشر من كتابه لعبد الله بن سبأ الذى كانت له يد طولى فى هذه الفتنة على رأى جمهور من المؤرخين . وقد ذهب الدكتور إلى أن الرواة المتأخرين قد أكبروا من شأن هذا الرجل وأسرفوا فيه حتى جعل كثير من الرواة القدماء والمتأخرين هذا اليهودى المسلم مصدراً لما كان من الاختلاف ، إلى أن قال :

« ولست أدرى أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ، ولكنى أقطع بأن خطره — إن كان له خطر — ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون فى عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان ، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد فى جميع الأقطار [2] » .

وقد علق على الكتاب جماعة من الكتاب منهم الأستاذ السيد محمود محمد شاكر الذى نشر بحثاً قيماً فى مجلة « الرسالة » عن « الفتنة » ، وعن علاقة « عبد الله بن سبأ » بها [1] ، وقد أنكر على الدكتور رأيه فى هذا اليهودى المسلم ، صاحب الفتنة ، وصاحب تلك الآراء الفاسدة التى رددها ولقنها جماعة من السذج وهم فى صدر الإسلام على مايقوله أصحاب كتب العقائد والتاريخ .

والواقع أن خبر « عبد الله بن سبأ » ، وخبر الفرقة التى استجابت لدعوته ، وخبر الفتنة التى أثارها فى العراق وفى مصر خاصة ، وخبر تلك المقالة المنسوبة إليه ، فى المال وفى الرجعة وفى الوصية ، وفى الغلوّ فى حب على بن أبى طالب ؛ كل هذه من المسائل التى تحتاج إلى دراسة وبحث ، ورجوع إلى المصادر ، ومقارنة تلك المصادر بعضها ببعض ، وترتيبها ترتيباً زمنياً ، ونقد رجال الرواية ، وفحصها فحصاً دقيقاً حتى يتمكن المؤرخ من الحكم فى هذه القضية حكماً قطعياً ، وما نقوله لم يتم حتى الآن .

وقد لقى موضوع « عبد الله بن سبأ » عناية خاصة من المستشرقين ولا سيما من يهود المستشرقين . وأعتقد أن السبب واضح ؛ فهنالك طائفة منهم كانت على علمها وتدقيقها تتعصب على الإسلام ، وتتمسك حتى بالتافه من الروايات وبالأحاديث الموضوعة التى نص علماء الحديث على كذبها ، وتتخذها حجة لإثبات أثر اليهودية أو النصرانية فى الإسلام وفى أصول الدين .

ومن جملة أولئك المستشرقين « هربلو » « D Herbelot » و « دى ساسى » « De Sacy » و « فايل » « weil » و « فون كريمر » « Von Kremer » و « دوزى » « Dozy » و « مويز » « Muir » و « أوكست ميلر » « August Muller » و « فان فلوتن » « Aan Vloten » و « كريتس » « Crotz » المؤرخ اليهودى المعروف ، و « ولهوزن » « wellhausen » و « هرشفلد » « Hirschteld » و « هوتسما » « Houtsma » . فى مادة « عبد الله بن سبأ » فى « دائرة المعارف الإسلامية » ، و « اسرائيل فريد لندر » « Israel Friedlaender » ، وقد بحث عن عبد الله بن سبأ بحثاً مفصلا ، وجمع كل ما أمكنه جمعه من الروايات التى وردت فى الكتب العربية عن هذا اليهودى .

(١) الدكتور طه حسين . الفتنة الكبرى ١ عثمان . دار المعارف بمصر ١٩٤٧

(٢) الفتنة ص ١٣٢

(١) « الرسالة » العدد ٧٦١ يوم الاثنين ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة والعدد ٧٦٢

ورد خبر عبد الله بن سبأ فى كتب الأدب والتاريخ ، ويرجع أصل هذه الروايات إلى العصر الأموى ، وإلى رواة الكوفة أو البصرة ، أى رواة أهل العراق ، وممن ذكرهم «الجاحظ» المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة وهو أديب كبير صاحب أحاديث لطيفـة ، ذكرهم فى كتابه الشهير «البيان والتبيين» فى «كتاب العصا[١]» وقد أخذ روايته عن حباب بن موسى عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جرير بن قيس ، الذى قال : قدمت المدائن بعد ما ضرب على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لى ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه[٢] . وقد نقل عن الجاحظ جمهور من المصنفين نقـلا يمكن معرفته عند مطابقة الروايات ومقارنة بعضها ببعض .

وورد خبر « ابن سبأ » فى كتاب « المعارف » لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ؛ وقد تعرض له فى معرض « الفرق » فقال : « السـبأية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال على رب العالمين ، فأحرق على أصحابه بالنار[٣] » .

وقد اعتمد أكثر المؤرخين على رواية أبى جعفر بن جرير الطبرى المؤرخ والمفسر والفقيـه الشهير ، المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة[٤] ، وقد اعتمد عليه أكثر المستشرقين كذلك . نقلوا عنه نقلا بالحرف الواحد ، ونقلوا عنه اقتباساً ؛ فمن أخـذ عنه ابن مـكويه صاحب كتاب « تجارب الأمم[٥] » ، والمؤرخ المعروف « ابن الأثير » أبى الحسن على بن أبى الـكرم محمد بن محمد بن عبد الـكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى عز الدين صاحب كتاب « الـكامل » فى التاريخ[١] ؛ المتوفى سنة ٦٣٠ للهجرة الذى اعتمد على تاريخ الطبرى وضمنه كتابه بعد حذف الأسانيد .

ومن المؤرخين الذين اعتمدوا على الطبرى عبـد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (١٤٠٦ للميـلاد) صاحب كتاب « العبر وديوان المبتدإ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر[٢] » ، والعالم الشهير القريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة (١٤٤٢م[٣]) ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ للهجرة فى كتابه « حسن المحاضرة[٤] » .

أما رواية الطبرى فترجع إلى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى[٥] ، وسنتحدث عن هذه السلسلة بعد أن ننتهى من ذكر المصادر التى تعرضت لخبر عبد الله بن سبأ .

ونجد فى « العقد الفريد » لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة روايات عن عبد الله بن سبأ وعن أتباعه السبأية الذين قال عنهم : « السبائية أصحاب عبـد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ، وفيهم يقول السيد الحميرى :

قوم غلوا فى علىّ لا أبا لهم ... وأجشموا أنفساً فى حبه تعبا
قالوا هو ابن الإله جل خالقنا ... من أن يكون له ابن أو يكون أبا

وقد أحرقهم على رضى الله عنه بالنار[٦] » .

وقد ذكر ابن عبد ربه رواية أخرى نسبها إلى الشعبى فى حديث له مع مالك بن معاوية جاء فيها « أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة ، فانها يهود هذه الأمة ، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا فى الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولـكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم ، وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ونفاهم إلى البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط ، وعبد الله بن السوداء نفاه إلى

---

(١) البيان والتبيين طبعة حسن السندوبى ج ٣ ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩٢٢

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦

(٣) كتاب « المعارف » ص ٢٦٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤ ص ٣٠٠ طبعة أوربا .

(٤) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٢٩٤٢ ج ٥ ص ٦٦ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ومواضع أخرى .

(٥) طبعة Cactani « كيتانى » ج ١ ص ٤٢٨ سنة ١٩٠٩

---

(١) « الـكامل » طبعة مصر ج ٣ ص ٤٨ ، ٦٠ ، ٦٤ طبعة « تورنبك » Tornberg ج ٣ ص ١٢١ ومواضع أخرى .

(٢) راجع الجزء الثانى القسم الثانى ص ١٣٩

(٣) خطط طبع بولاق ج ٢ ص ٣٤٣

(٤) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٤٩

(٥) الطبرى طبعة أوربا ج ١ ص ٣٩٣٢ ج ٥ ص ٩٨ طبعة مصر

(٦) العقد الفريد طبعة محمد سعيد العريان ج ٢ ص ٢٣٦

الحازر وابن كروس(١) ... » ، ونجد فى رواية ابن عبد ربه شيئاً جديداً لا نجده فى الروايات المتقدمة .

وقد سبق أن أوردنا رواية أخرى عن عبد الله بن سبأ نسبت إلى الشعبى كذلك ، وهى رواية الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » غير أنه لم يسمه « عبد الله بن سبأ » بل دعاه « ابن السوداء » ، ونجد فى رواية صاحب « العقد الفريد » أن الشعبى قد فرّق بين « عبد الله بن سبأ » وبين « عبد الله بن السوداء » فجعلهما رجلين مختلفين نفى أحدهما إلى « ساباط » ، ونفى الثانى إلى « الحاذر » ، ونجد مثل هذا التفريق فى كتب أخرى .

جواد على

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١ راجع نفس الرواية فى ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٣٤

الانكليز حلقة الشر المفرغة

للاستاذ محمد البشير الابراهيمى
رئيس تحرير (البصائر) الجزائرية

أيها العرب !

إن الإنكليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإنهم كالشيطان منهم يبتدىء الشر وإليهم ينتهى . وإنهم ليزيدون على الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذى وتقتل ، وجنادل مسومة تهشم وتحطم وتخرب ، لا لمة تلم ثم تنجلى ، وطائف يمس ثم يخنس ، ووسوسة تلابس ثم تفارق . ويزيدون عليه بأنهم لا يطردون بالاستعاذة وتذكر القلب ويقظة الشواعر ، وإنما يطردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والأحجار والمدر ، ويدفعون بما يدفع به العدو المواثب ، بالثبات المتين للصدمة ، والعزم المصمم على القطيعة وبت الحبال ، والإرادة المصرة على المقاطعة فى الأعمال ، والإجماع المعقود على كلمة واحدة ككلمة الإيمان « إن الإنكليز لكم عدو فاتخذوهم عدوا » . يرددها كل عربى بلسانه ، ويحملها عقيدة جنانه ، وربيطة وجدانه ، وخير ما يقدمه من قربانه .

قد غركم أول الإنكليزى فأعيذكم أن تغتروا بآخره بعد أن صرّح شره ، وافتضح سره ، وانكشف لكم لينه عن الأحساك والأشواك . وقد تمرس بكم فعرف الموالج والمخارج من نفوسكم قبل أن يعرف أمثالها من بلادكم ، وحلل معادن النفوس منكم قبل أن يحلل معادن الأرض من وطنكم ؛ وعجم أمراءكم فوجد أكثرهم من ذلك الصنف الذى تلين أنابيبه للماجم ، وتدين عروبته للأعاجم .

قد علمتم أنه هو الذى وعد صهيون فقوى أمله ، ولولا وعده لكانت الصهيونية اليوم — كما كانت بالأمس — حلما من الأحلام يستغله (الشطار) ، ويتملل به الأغرار .

وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم فى قضيتها ، وأنه ما انتدب إلا ليحقق وعده ؛ وأن فى ظل انتدابه ، وبأسنة حرابه ، حقق صهيون مبادىء حلمه فانتزع الأرض منكم بقوة الإنكليز وقوانين الإنكليز ، وفتن ضعفاءكم بالخوف وفقراءكم بالمال حتى أخرجهم من ديارهم ، واتخذ الصنائع والسماسرة منكم ، وبنى المدن بأيديكم ، ومهد الأرض بأيديكم ، وشاد المصانع بأيديكم ، وأقام المتاجر وبيوت الأموال لامتصاص دمائكم وابتزاز أرزاقكم .

وعلمتم أن الإنكليز هم الذين سنوا الهجرة بعد الفتح ليكاثروكم بالصهيونيين على هذه الرقعة من أرضكم ، فلما انتبهتم للخطر غالطوكم بالمشروع منها وغير المشروع . ومتى كانت هجرة الوباء والطاعون مشروعة إلا فى دين الإنكليز ؟

وعلمتم أن بريطانيا هى التى جرت ضرتها البلهاء أمريكا إلى محادّتكم وجرأتها على احتقاركم لتكيدها وتكيدكم ، ولتحل بالسياسة ما عقده الاقتصاد بينكم وبين أمريكا من صلات ؛ وأنها هى التى ألبت عليكم الأمم الصغيرة ودويلاتها حتى إذا جالت الأزلام وأيقنت بالفوز أمسكت إمساك المتعفف ، وتظاهرت بالروية والحكمة ، وجبرت خواطركم بالحياد ، وملأت الدنيا تنويها بهذا الحياد الفاضح ، فكانت كالقاتل المعزى ...

يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ! إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد لدغتم من الجحر الإنكليزى مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا . وخدعتم من الجانب الإنكليزى كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا . خدع خلفكم كما خدع سلفكم ، واستهوى أمراءكم

وكبراءكم ودعاكم إلى موائده الفقار فلبيتم . وما رأى منكم فى كل الحالات إلا المجاملة ، واستمرار المعاملة ، وما أنس منكم إلا التهافت على أعتابه ، والتملق بأسبابه .

فيا ويحكم ... أكل ذلك لأن الانكليز أغنياء وأنتم فقراء ، أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء . كلا ... إنهم لأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم . وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم فاقطعوا عنهم المددين يضووا ويهزلوا ، واخذلوهم فى مواطن الرأى والبأس ينخذلوا ، وعمروا جزيرتكم تخرب جزيرتهم . إن لبدة الأسد هى بعض أسبابه إلى زرع الهيبة فى القلوب ؛ ولكن لبدة الأسد البريطانى لبدة مستعارة . فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التى تكمن وراءها الرهبة لأمسى الأسد هرا مجرود العنق معروق الصدر بادى الهزال والسلال .

إن الغنى عمل وتدبير . فلو عملتم لكنتم أغنياء . وإن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات ، وفطمها عن الشهوات . وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكنتم . وإن بدء القوة من قوة الأخلاق ، وقوة الاتحاد

***

هذا أول الإنكليز عرفتموه ، فهل عرفتم آخرهم ؟ إنهم كانوا أداة تفريقكم فى الماضى ، وكانوا عونا للزمان عليكم ، فلما رأوا شملكم إلى اجتماع ، وجامعتكم إلى تحقق ، جمعوا لكم كل ما عندهم من مكائد ومصائد ... إنهم ينطوون لكم على المظالم ؛ وإن فى جعبتهم ما فى جعبة الحاوى من حيات . وإن فى أيديهم عروق الجسم العربى يضغطون على أيها شاءوا متى شاءوا . فى أيديهم قضية مصر يساومون بها وبما كـون ، وفى أيديهم قضية السودان يلوحون بها وبما كـون ، وفى أيديهم قضية ليبيا يشاغبون بها وبما كـون ، وفى قبضتهم شرق الأردن بما فيه ، وما شرق الأردن إلا خيط الخنق وشريط الشنق فتله الإنكليز بأيديهم وأمرُّوا على الأيام فتله ، لأمرٍ هم بالغوه إن لم تهبوا وتذبوا ، وفى أيديهم العراق ومنابعه ، واليمن وتوابعه ، ولهم على سوريا ولبنان يد ممنونة ، فى طيها مدية مسنونة . وفى أيديهم مفاتيح الجزيرة ، وأمراء الجزيرة ، وقد أعدوا لكل قفل من أقفالها مفتاحاً ، ولكل أمير من أمرائها مقودا من رغبة أو رهبة . ولهم مع ذلك من بينكم العيون الراصدة ، والألسنة الحاصدة . وفيكم مع ذلك الآذان السامعة ، والهمم الطامعة ، وفى سجلاتهم ذممكم وهممكم وقيمكم ، قدروها تقديرا ، وأوسعوها تحليلا وتدبيرا .

إنهم ما حركوا مشروع سوريا الكبرى فى ميقات معلوم إلا ليفتنوا بعضكم ببعض ، ويغروا بيتاً ببيت ، وقريشاً بتميم . فينخرق الإجماع وتفترق الجامعة . وإن هذه النقطة هى أعلى ما يصل إليه الدهاء الإنكليزى ، كما أنها أعسر امتحان للضمير العربى الذى يتمنى أن يتكتل العرب ولكن بدافع من أنفسهم لا على يد عدوهم . وإن الانكليز لقادرون على تحريك غيرها من الفتن المفرقة . وإنكم — أيها العرب — لا تردون كيدهم إلا بإجماعكم على تحديهم ، واجتماعكم على إيقاف تعديهم ، وإقامة جامعتكم على اعتبار مصلحة العرب ووطن العرب فوق الأغراض والأشخاص .

إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية ، حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية ، فحركوا فى وجوههم تلك الكتلة متراصة يرهبوا ثم يذهبوا .

لسنا فى هذه الكلمة حقائق مريرة ، وأومأنا إلى قضايا يسوءنا أن نزيد حمأتها مدا . ولكن ما عذرنا إذا أمسكنا عن الشرح ، ولو كان فيه جرح ! وقد تأدى إلينا من تراث أجدادنا العرب هذه الحكمة الغالية « من كتم داءه قتله » .

(الجزائر) **محمد البشير الإبراهيمى**

تولستوى الحــائر (*)

للأستاذ محمود الخفيف

أتم تولستوى « أنا كارنينا » وقد أصبح فى روسـيا أحد رجالها المدودين ، وفى أدبائها فارسهم المعلم ، وأصبح فى أوربا أحد القلة الأفذاذ من أساتذة الفن وأعلامه . وإنه لذو ثراء عريض ، وذو بنين ، يسـكن إلى زوجة اختارها لنفسه عن بينة وحب ؛ وهو إلى ذلك يتمتع بالعافية ، وقد وهبه الله جسماً قوياً لا تسكن حيويته ولا تفتر قوته . وإن موهبته الفنية لتمد اليوم أكثر مدها وإن روسـيا كلها لتنظر إليه نظرتها إلى أعظم من أنجبت من رجال القلم فى تاريخها ، حتى لقد اغتدى اسمه لها مفخرة قومية ، واغتدت به تباهى بأن صار لهـا فى أدب الدنيا صفحة مرقومة ومقام معلوم .

ولـكنه بين عشية وضحاها ينظر فإذا بهذا كله عنده لا شىء ، وإذا به يشعر أنه شقى لم يذق مثل شقائه أحد أو يعذب عذابه أحد على الرغم مما يحيط به مما يراه الناس من أسباب السعادة والنعيم .

إنه ليتقلب على فراشـه إذا جنه الليل مسهد الجفنين . ولقد يئن أنين المحموم بل لقد يجهش فى الظـلام كما يجهش الصبى ؛ وإنه ليثب من فراشه فيذرع الحجرة حتى يتنفس الصبح ... وإنه ليجلس إلى مكتبه مطرقاً أو محدقاً فى الفضاء ، لا يفتح كتاباً ولا يرفع قلماً ؛ وإنه ليعتزل زوجته ، ويتـكره لأبنائه أو يشيح بوجهه عنهم ؛ وإنه ليدفن وجهه ساعات بين كفيه ؛ وإنه ليسرع ذات مرة إلى بندقية صيده فيبعدها ويغلق من دونها باباً مخافة أن يقتل بها نفسه ؛ وإنه ليترك ما يأتيه من رسائل فى غُـلُفها ، ولا يحب أن يلق أحداً من صحابته ؛ وإن زوجتـه لتمتلىء فرقاً وحزناً حتى لتـكاد تذهب نفسها عليـه حسرات ؛ وإن أولاده ليعجبون ولـكنهم واجون ..

ماذا دهاه ؟ إن حاله هذه حال من تلق ضربة فى الظلام تركته يترنح من الألم ، وكلما أوشك أن يفيق أخذه دوار فتركه



يتخبط ويهذى ، لا يدرى متى يعود إليه صوابه ...

ولـكن تولـستوى لم يتلق الضربة على حين غفلة ، فإنه منذ صدر شبابه تهجس فى نفسه أسئلة عن الحياة ومعناها ، والغرض منها ؛ ولقد رأينا كيف ألحت عليه هذه الأسئلة وهو فى القوقاز وشغلته آماله وأحلامه بالصيت والأسرة السعيدة ؛ كما شغله عمله على تحقيق هذه الآمال ، وعمله فى التعليم والمجلة والزراعة ؛ ولـكن تلك الأسئلة كانت تعاوده بين حين وحين ، وهى فى كل مرة أشد إلحاحاً عليه منها فيما سلف ...

وعظم إلحاحها عليه بعد زواجه فقد كان له قبل الزواج بعض ما كان يزيح عن نفسه هواجسها من أمل حلو . فلما بات الأمل حقيقة ماثلة ، التفتت نفسه إلى ما كان يكربها ..

وظهر أثر تلك المخاوف قوياً أثناء كتابته قصتيه الـكبيرتين فيما أجراه على ألسنة بيير والبرنس أندرو وليفن ؛ ولقد خاف ليفن أن يقتل نفسـه من اليأس لأنه لا يرى فى الحياة إلا العذاب ثم الموت . .

(*) من كتاب تولستوى — يصدر فى منتصف شهر مايو عن دار الرسالة بالقاهرة .

وكان يصل به الحال أحياناً أثناء كتابته « أنا كارنينا » إلى ما يخيفه ويخيف زوجته كما أسلفنا ، حتى لم يعد أكثر من مرة بينه وبين الجنون إلا خطوة ، وما زاده التأمل إلا حيرة ولا دراسته الفلسفة إلا تشاؤماً وضيقاً ...

وواجهته تلك الأسئلة بعد « أنا كارينينا » مواجهة مخيفة وعاد في إلحاح وفي ضيق يقول لنفسه : لماذا ؟ ما وجودي وما الغرض منه ؟ ما هذا الذي يسمى حياة ؟ ولم كانت الحياة ؟. قال في كتابه « اعتراف » يصف هذه الحال « لقد أخذتني الحيرة حتى لا أدري فيم أفكر ؛ فإذا نظرت مثلا فيما عسى أن أعلمه أولادي قلت لنفسي : وفيم هذا ؟ أو إذا فكرت فيما عساه أن ينهض بالفلاحين سألت نفسي : وماذا يعنيني من هذا ؟ أو إذا ذكرت ما عسى أن أكسبه من صيت بما كتبت قلت : سوف تغدو أبعد صيتاً من جوجول أو بوشكين أو شكسبير أو موليير أو من كتاب الدنيا جميعاً ، فما جدوى ذلك ؟ ولم أحرجواباً قط ، وتلح الأسئلة عليّ حتى ما تقبل ريثاً ؛ فيجب أن تأتي جواباً على الفور ؛ فإن لم أجب عليها صار مستحيلاً عليّ أن أعيش ... ولكنني لم أجد ما أجيب به ... وأحسست أن ما كنت أضع عليه قدمي قد ذهب هباء ، فليس ثمة ما أقف عليه ؛ وما عشت زماناً عليه قد ولى ، ولم يبق لي شيء . وبلغ بي الحال أن أصبحت أنا الرجل القوي الثري لا أطيق أن أعيش ؛ وصارت تدفعني قوة لا تقاوم لأضع لحياتي حداً على صورة ما . ولست أستطيع القول : إني رغبت أن أقتل نفسي ، فإن القوة التي كانت تنتزعني من الحياة كانت أقوى وأشمل وأوسع مدى من أن تكون مجرد رغبة . لقد كانت قوة شبيهة بتلك التي كانت من قبل تربطني بالحياة ولكن في اتجاه عكسي » .

ويصور لنا حاله بإحدى الخرافات قال : « هناك خرافة شرقية قديمة عن سائح أقبل نحوه وحش هائج في أحد السهول ؛ فلجأ هذا السائح هرباً من الوحش إلى جب ناضب ، ولكنه وجد في قاع الجب غولاً قد فغر فاه ليلتقمه ، ولما رأى السائح التعس أنه لا يستطيع أن يصعد من الجب مخافة أن يلتهمه الوحش الثائر وأنه كذلك لا يستطيع النزول إلى قاعه مخافة أن يلتهمه الغول ، فقد أمسك بفرع من النبات انبثق من صدع في الحائط وتعلق به ؛ وأحس بالتعب يدب في يديه شيئاً فشيئاً ، وشعر أنه سوف يسلم نفسه عما قليل لا محالة إلى الهلاك الذي يتربص به من فوقه ومن أسفل منه ، ولكنه لن يزال متعلقاً بالغصن ؛ ثم إنه ما لبث أن رأى فأرين أحدهما أبيض والآخر أسود ، وقد دارا حول ذلك الغصن ، وأخذا يقرضانه ؛ وأيقن السائح أن الغصن لن يلبث حتى يقطع فيسقط هو في فم الغول ؛ وبينما يرى ذلك ، ويعلم أنه هالك لا محالة ، إذ يبصر بقطرات من الشهد على بعض أوراق الغصن فيصل إليها بلسانه ويلعقها ... وهكذا أتعلق أنا بغصن الحياة ، وإني لأوقن أن غول الموت يتربص بي وأنه سوف يمزقني كل ممزق . ولست أستطيع أن أدرك لماذا وقعت في مثل هذا العذاب . ولقد حاولت أن ألعق الشهد الذي كانت لي فيه سلوة من قبل ، ولكنني لم أعد أجد في الشهد ما يلذني ؛ وما برح الفأران الأسود والأبيض ، وهما الليل والنهار يقرضان الغصن الذي تعلقت به ، ورأيت الغول في وضوح ، ولم يعد للشهد طعمه الحلو . وليس أمام ناظري إلا الغول الذي لا مهرب منه والفأران ، ولن أستطيع أن أدير عيني عن ذلك ؛ وليس هذا حديث خرافة ، وإنما هو الحق الذي لا ينكر والذي يفطن إليه كل إنسان »

لم يجد تولستوي معنى للحياة ، فما هي إلا عبث ، بل إنها واللاشيء سواء ؛ ذلك ما رجع به من طول تأمله ومن طول قراءته شوبنهور وكانت وغيرهما ، وذلك ما أجاب به عن تلك الأسئلة التي ظلت سنين تلح عليه وتعذب نفسه .

وهذا اللاشيء هو ما أفزعه ، ثم إن انتهاءه إليه بعد طول التفكر هو الضربة التي تلقاها في الظلام والتي تركته يترنح ويصرخ من أعماق نفسه الحائرة : ما هذا ؟ أين أنا ؟ ولم جئت هنا ؟ وإلى أين مصيري ؟

لقد اهتدى البرنس أندور إلى الحب كما اهتدى بيير ، واهتدى ليفن إلى السمو بالروح الخالدة والعزوف عن مطالب الجسد الفاني ، ولكن تولستوي خالقهم لم يهتد إلى شيء ، وظل حاله كما كان حال ليفن قبل هداه حين وصفه بقوله « عند ذلك تبين في جلاء أن كل حي إلى فناء وأنه هو نفسه ليس أمامه ما يتطلع إليه إلا الألم ثم الموت ، ثم الفناء الأبدي ؛ ولذلك استقر رأيه على أنه لن يستطيع بعدُ أن يعيش على هذه الحال ؛ فإما أن يجد تفسيراً للحياة أو فليقتل نفسه »

(البقية في العدد القادم)

محمود الخفيف

مشاهدات مسافر :

٢ - ألمانيا بعد الحرب

إلى الدير ....

للدكتور محمد سامى الدهان

هذه « توبنكين » كمهدى بها تحتضن نهر الراين فى فخر وزهو فتتلوى حوله الجنائن والبيوت ، وتداعب شطئانه الأبنية والجسور . ولا تزال بيوتها قائمة فى هندسة غريبة تتوالى صاعدة من السفح إلى القمة فتكسب الجبل الذى تقوم عليه جمالاوجلالا. ولو أتيح لك أن تنظر من القمم حولها إلى المدينة لانبسطت أمامك المدينة الحسناء خلال رقعة من الخضرة والماء فتانة خلابة لم تنير الحرب منها إلا فى بيوت سقطت فأصبحت أكواماً ، وحوانيت خلت من البضاعة فغدت خاوية ، وواجهات للمخازن أقفرت إلا من إعلان كبير عن الكمية من الزبدة والخبز والخضار التى توزع خلال الشهر . ويدهشك أن ترى الألمان وقوفاً فى صفوف متلاحقة أمام كل بائع ، تنتظر فى صبر عجيب نصيبها الضئيل من خبز يناله الألمانى ليومه كله ونأتى عليه فى غداء واحد ؛ وزبدة ينتظرها الألمانى لأسبوع بأجمه ، ونصيب مثلها فى فطور واحد ، ولباس قديم جديد تبعثه عبقرية الفقر والحاجة حياً بعد البلى . ويدهشك كذلك أن ترى نظام المقايضة والمبادلة بين البضائع والحاجيات ، وقد عاد إلى ألمانيا فى القرن العشرين بعد أن دفنته منذ قرون .

لا تزال توبنكين موطن الجامعة يقبل إليها الطلاب الناشئون مشغوفين حريصين ، ويملئون مقاعد المكتبة دءوبين جشمين ، يعملون حتى تضج معدهم الصغيرة بالجوع وأجسادهم الهزيلة من الغذاء . ماتت أفراحهم وحفلاتهم التقليدية حول كئوس الجعة ؛ وخمدت أغانيهم وأهازيجهم فى الشوارع والحفلات ، وتفردت النساء والأطفال بالحدائق والحقول لأن الشباب الألمانى بين العشرين والثلاثين غائب عن الميدان وهو اليوم فى الأسر أو فى القبر .

ولا تجد أكثر ما تجد فى هذه المدينة إلا شيوخاً وعجزة قد استسلموا للكنيسة أكثر أوقاتهم ، أو للبيوت يزرعون حدائقها الصغيرة ، منها يأكلون وعليها يقتاتون . وما هى إلا سياحة قصيرة حتى يمل المسافر النظر والنزهة ، فيستريح إلى صديق ودود يستمع منه الشكوى والحرمان والشجاعة والأمل .

ولى فى هذا البلد أصدقاء مستشرقون منهم ليتمان Littemann وفكتور بور Viktor Burr وفايسفايلر Weirsweiler . أما الأول فما يزال يبتسم فى فلسفة للحياة ، فى أسلوب شرقى ، ويتحدث عن ماضيه فى فلسطين ومصر بلهجة عربية ، ويعتز بطلابه ، وفيهم آنسة تترجم « الأيام » للدكتور طه حسين بك إلى اللغة الألمانية ، وطالب يؤلف رسالة عن « الفيح القسى فى الفتح القدسى » للعماد الأصفهانى ، وآخر يؤلف عن العامة والأزجال ، يسترشدون برأيه فى بيته أو فى معهد العلوم الشرقية. وهذا وهذا غاصان بالكتب العربية الجليلة النادرة . فمن شاء أن يعود إلى الشرق وهو فى ألمانيا فليقصد الرجل . وأما فيكتور بور فهو قيم المكتبة العامة ، يؤلف عن العرب والبيزنطيين فى أناة ودقة وعلم عرف بها أساتيذه وأجداده وأما الثالث فليس فى المنطقة ، وإنما وقعت الهدنة وكان فى « غوتنجن » فأصبح من نصيب المستعمر الجديد . وحظه فى هذا كحظ المخطوطات العربية سافرت خلال الحرب من أماكنها إلى مخابىء أمينة . فلما انتهت الحرب أصبحت البلد فى دولة ومخطوطاتها فى دولة . فى الجنوب مخطوطات الشمال وفى الغرب مخطوطات الشرق . ففى كل منطقة مخطوطات المنطقة الأخرى ، فاذا فى هذه المنطقة من مخطوطات ؟ لعل أصدقائى من المستشرقين لا يعرفون ذلك بل لعلهم لا يسمون إلى هذه المعرفة فى هذه الظروف ...

والألمانى يجهل ما يجرى فى بلاده الآن ، وقد عادت به النكبة قروناً فى ركب الحضارة . فقد انقطعت المواصلات الحسنة أو كادت ، وتباطأ البريد حتى لكأنه معدوم ، فالبرقية من برلين إلى غيرها تقطع أربعة أيام أو ستة ؛ والرسالة تطوى المسافات فتفتحها أيد وتغلقها أيد فى رقابة غريبة ، فاذا وصلتك فأنت بها سعيد . فليس عجيباً إذاً أن يجهل الألمان ما فى منطقتهم من خزائن ثمينة ، ذلك لأن الحكومة النازية نقلت أكثر المكتبات إلى مخابىء نائية وأحاطت هذا النقل بالكتمان ، وحرمت إذاعة الخبر ، ليجهل الحلفاء مواطن التحف ، وليجنبوها غاراتهم المنيفة التى اشتدت فى الشهور الأخيرة قبل الانكسار .

واختارت أحد مخابئها هذه القرية ، بين جبال عالية لا تصلها الطائرات فإذا وصلتها لم تنل منها . وليس فى هذه القرية الصغيرة ما يحوى الكنوز ويضم التراث ويكفل المخطوطات إلا حصن واحد جبار هو هذا البناء الكبير بناء الدير . فما من سبيل إذاً إلى بلوغ بعض أمنيتى إلا أن أدخل الدير ...

لبثت يومين كاملين أفكر فى الدير وفى السبيل إلى الدير ، فقد انقطعت الأسباب بين أكثر المدن الكبيرة فكيف نبلغ هذه القرية ، وليس من قطار مباشر يصلنا بها ، وليس من مهاجرين يقصدون إلى الدير ؛ وكيف أقنع من حولى أن ثمة مخطوطات عربية يجب أن أراها ؟ ! جزعت حين عرضت الأمر على أصدقائى من الألمان فضحكوا . إن السكان لا يبلغون المأكل والملبس ، ونحن نفتش عن زينة الحياة وترف العلم ، نحيى الكتب القديمة وننمى بالأوراق الصفراء ، والأشخاص حولنا يتضورون جوعاً ! فما أعجب الدنيا !

استطعت بعد جهد أن أقنع سيارة تقلنى فى شروط قاسية ؛ بعضها أننا سنقطع أياماً فيما يجتازه المسافر من قبل فى ساعات ، والسيارة هى السيارة ، ولكن جهازها اليوم عجيب لا يأكل إلا الخشب وقد حرم «السائل» النادر هو كذلك . فماج السائق إلى برميل كبير يرمى فيه قطعاً من الخشب تحترق خلال بعض الساعة فإذا الجهاز يؤذن بالحركة وإذا نحن نمضى فى الطريق .

لا أستطيع أن أتصور عواطفى الآن ، ولست أذكر أكان علىّ أن أضحك أم أحزن . فصوت السيارة غريب ، ودخانها الأسود كان يلفح مع الريح وجوهنا ، فنفرح أن السيارة جادة ، وما هى إلا ساعة حتى تهدد بالوقوف لأن المحرك جاع ، فلنفرغ بعض الكيس من الخشب ولنمض كذلك فى مرتفعات ساحرة ووديان فتانة ؛ تنسينا هزل الزمان وسخرية الأيام ، وما يصنع الإنسان بالإنسان حتى بلغنا القرية التى نقصد إليها ؛ وإذا القرية لا تعدو عشرات البيوت فى واد جميل عطر ، وإذا بناء الدير يقوم فى عظمة لحراسة الوادى والإشراف على خيراته .

دخلنا سور الدير ، وقرعنا الجرس ؛ فإذا الكاهن البواب يسألنا عن الغرض والغاية ؛ فتولى صديقى الكلام ورجا عنى أن « ألقى الأب الأول » Pater Prior كما يسمونه فهو رئيس الآباء وراعى الدير . فدخلت حجرة الانتظار بين صور القديسين والصلبان ، ولبثت واقفاً واجماً حتى فتح الباب فإذا الأب المنتظر قد سلخ فى السن ، وعلى عينيه نضارتان سوداوان ، وعلى صدره صليبه الذهبى الكبير المتدلى ، فسارعت إلى الأرض جاثياً على الركبة اليسرى واستلمت يده أفتش عن الخاتم الذى أقبله بشفة مرتجفة وقلب مضطرب لئلا يخوننى التمثيل فيكشف أمرى وتبوء مهمتى بالفشل وأعود أدراجى لا ألوى على شىء .

انفرجت أسارير الرجل المحترم ورحب بى وعرف من لهجتى الألمانية أنى غريب وأنى قدمت المنطقة لأزور القرية للمرة الأولى ، وأن ليس فى القرية من سكن آوى إليه . فالفنادق مستشفيات خاصة بجرحى الحرب ، وأنى لاجىء إليه ، وليس من سلطان للاستعمار عليه . فقد وعدت المدنة بأن تحترم الأديان وبيوت الله ، فهو وحده يحكم القرية والدير ، وإليه هنا المرجع والمآب .

فهم الرجل فى كلمات ، وأجاب فى لطف بالغ ووقار جميل بأن الدير بيت للجميع وأن ما فى الدير ملك لله ، وأنه موكل بصحبتى قيم المكتبة فهو دليلى إلى المخطوطات ، وصديقى إلى اكتشاف المخبئات . وقرع الجرس فانحنى كاهن صغير من « الإخوان » ، وانفتل يطلب الأب غالوس Pater Galus وسألنى فى هذه الفترة القصيرة وقد فهم حرمتى للمكان وغربتى بين السكان ليتأكد أنى لست من البروتستانت الكثرة فى ألمانيا ؛ فديره للكاثوليك وهم قلة فيها يتكاتفون ويتعاونون . ولست أدرى كيف أجبت ، ولست أذكر كيف تكلمت ، وإنما أعرف أن قلبى وقف عن الخفقان لحظة خلت أنى أقضى إثرها ، وأنى أجبت من غير أن أعلم : أجل يا أبى الكبير أجل ! فرجانى فى تبسط جميل أن أصطنع الحرية فى طلب ما أريد ، فشكرت له ، وانحنيت على يده ثانية أودعه كما استقبلته لألقى الأب القادم والتى بين يديه بمقاليد الأمر وماجئت له

وما هى إلا دقائق حتى كنا ننحنى فى الكنيسة أمام المعبد نقدم واجبات التحية فى الاحترام قبل أن يحين العشاء .

ويشاء الله أن تتتابع المراسيم الصعبة فى أقل من ساعة . فالدخول إلى الأكل له نظامه فى الدير . يدخل الآباء واحداً بعد واحد وهم يرتلون ؛ ويتبعهم الإخوان فى أثرهم وهم يرتلون ؛ ثم يدخل ضيوف الدير ، وفيهم ثلاثة طلاب وأستاذان ، وهم كذلك يرتلون ، وأنا ساكت واجم أنظر يمنة وأنظر يسرة فى طرف خفى وقلب وجل ، قبل الدخول ، لئلا أخطىء فى الحركة وأشذ عن هذا النظام الدقيق .

ووقفنا دقائق أمام المائدة ونحن خشوع سكوت ملتفين حول

طرائف من العصر المملوكي :

التـــورية

للأستاذ محمود رزق سليم

التورية ضرب من البديع ، والبديع — بلاريب — فن جميل من فنون القول . سواء اختلفت النظرات إليه أم ائتلفت . إذ الفن في جوهره مظهر الفنان ومستجاب وحيه ومرتاض عاطفته به يصور وجدانه ويرسم فكرته ، ابتغاء التأثير في سامعه وهو في هذا يجري وفق ذوقه ويسير قيد مزاجه . فإذا نهج على قواعد أخرى فإنما هي قواعد قد ارتضاها هذا الذوق ، واطمأن إليها هذا المزاج . فلا عليه إلا أن يصور ويرسم . فإن بلغ فيه من سامعيه ومعاصريه حد الإعجاب ، فذلك عهده به وأمله فيه ورجاؤه منه . وإلا فقد بذل ما استطاع ، وقدم ما قدر عليه . وهو بين هذا وذاك فنان لا يغض من فنه نقدنا قد ولا إزراء مزر .

ولقد كان فن البديع أغلى فنون الحديث ومسالك الأسلوب عند أدباء العصر المملوكي وشعرائه . ملك على القوم أحلامهم وذلل أقلامهم فلا تجري إلا بين أرسانه ، ولا تجول إلا وسط ميدانه ، فوردوا موارده وعنها صدروا . ومدوا موائده وإليها ابتكروا . وكانوا بذلك أدنى أدباء عصر إلى تمثيل أهله ، وأقرب شعراء حقبة إلى تصوير معاصريها .

نقول ذلك ، لا على سبيل المبالغة ، بل على سبيل الحق والصدق . ذلك أن الشعب المصري طبع من عهد بعيد على أن يسلك في حديثه مسالك البديع ترفيها للخطاب ، وتجميلا للألفاظ ، وتجميعاً للمعاني ، وإلماعا إلى الذكاء وتوقد الذهن ، وإشعاراً بحضور البديهة . فهو يجنس ويوري ويطابق ويقتبس ويضمن ، ولا ينى يبعث في خلال ذلك النكتة إثر النكتة والفكاهة غب الفكاهة ، فيها دلالات عدة واتجاهات شيء ينم عنها اللفظ بمنطوقه مرة وبمفهومه مرة وبملابساته مرة ، وهكذا .

لا نحاول هنا أن ندرس مبعث هذه الروح فيه ، ولا أن نتتبع أسبابها . ولا نحاول أن نرجعها إلى عواملها الطبيعية من ذكاء ، أو طيب عيش أو طيب مناخ ، أو إلى عواملها الاجتماعية من كبت عاطفة أو مقاساة حرمان أو كون التياع . أو من خب في لذة ، أو تطرف في ترف ، أو غلو في سرف . أو غير ذلك مما يتطلب له المرء مخرجاً في القول فلا يجد إلا هذه الضروب البديعية ، ففيها له التنفس والمراح . يجمع في أحدها العديد من المعاني ثم يترك السامع يقلبها بين يديه ويختار من بينها ما يلذه ويروقه ، فهو بذلك يحمله على التفكير معه ، ويدفعه إلى مشاركته ، ويسري بخياله إلى شيء التصورات ، ويتنقل به بين مختلف المعاني ، ويكفيه بذلك فنا .

سرت هذه الروح في الشعب خلال حديثه حتى كانت له سمتاً وشارة ، وعرفت عنه منذ أمد ، ونمت نمواً عجيباً في العصر المملوكي . ولعل حياة الزخرف والدهان ، التي كان يفيض بها العصر ، كان لها أثرها في هذه النمو العجيب ، الذي نضح على أدباء العصر وشعرائه فكانوا — كما ذكرنا — أدنى إلى تمثيله وتصويره .

موائد طويلة ومقاعد من خشب في قاعة كبيرة استوعبت مئتين من الآباء والإخوان مع ستة من الضيوف جُعلت في وسط القاعة ، وحولنا من الجهات الأربع سكان الدير ، وقد أخذوا أماكنهم في نظام عجيب . وتصدر القاعة الأب الكبير ، فلما أذن لنا ارتمينا على مقاعدنا من غير أن نرفع البصر أو نحرك عضواً من الأعضاء نستمع إلى الإنجيل يتلى علينا من منبر عال باللاتينية ثم بالألمانية . وطاف الإخوان بالأواني يحملون العشاء فأصبنا ماء ساخناً يسمونه حساء ، وسلطة من العشب الأخضر عليه ماء وملح ، ثم طبقاً من البطاطس المطبوخ ، وختمنا بالحلوى وهي من الخبز الأسود قد تناثرت على بعض أطرافه ذرات من السكر . ولكننا لم نر اللحم ولم نذقه فهو عنا غريب .

وانتهى العشاء الكامل الشامل فأرسلنا الشكر إلى الباري وخرجنا كما دخلنا في نظام جميل ، وكلٌّ يهنئ رفيقه على الصحة ويسأله عن شهيته في أكلة اليوم — على عادة الألمان في آدابهم وولائمهم — .

لم أبال بهذا الغذاء أكان دسماً أم لم يكن لأني أمني النفس بغذاء الغد من مخطوطات العرب !

فإلى الغد أيها الآباء ! ..

سامي الدهان

واعتقادى أننا — معشر المصريين — لا نزال حتى اليوم ندرج فى هذه المدارج ، ونطرق تلك السبل ، برغم فراهة كتابنا وحدق شعرائنا وحرية أدبائنا ، وإزاحتهم ربقة البديع عن أعناقهم وتغلغلهم وراء المعانى والأفكار ، وسوقهم خلف الدقائق ، وأخذهم من الفلسفة وإمعان النظر بنصيب ، ظهرت عوارضه على إنتاجهم وأساليبهم . ولكنى أعتقد أنهم - رغم حسناتهم تلك - لا يمثلون بأساليبهم العصر الذى فيه يعيشون . ومن كان فى ريب من هذا ، فليسر فى طرقات القاهرة ، وليمر السمع إلى نكات العامة ومحاورات الباعة ومحادثات المارة . فليلج الأسواق الجامعة والمنتديات الحافلة وماشا كلها . فليصت إلى أساليب الناس فى الحديث ، وإلى مدى امتلائها بالتوريات اللطيفة والتضمينات الطريفة والتجنيسات والمطابقات والتلميحات وغيرها من محسنات البديع، لا تكاد تخلو منها عبارة ، أو تفرغ منها إشارة. والجمهور فى ذلك يصدر عن طبع سليم وفطرة قوية . فهو يعكس فى أسلوبه تصوراته الباطنة وانفعالاته الخفية الكامنة — فإلى أى مدى صار أدباؤه المعاصرون مرآة له فى مسالك أسلوبه ومناهج حديثه ؟

ليست عندى ريبة فى أن أدباء العصر المملوكى أدنى إلى تمثيل عصرهم أسلوبا وتصويراً — كما ذكرت — وإذا كان الشعب فى مجموعه ذافن فى مسالك القول فهؤلاء كانوا ألسنته المتكلمة وعواطفه المترجمة . فهم بدورهم فنانون صادقون . ومصورون ماهرون .

وصحيح أن هناك من النقاد الحديثين من وضع لنقده مقياسا يعنى فيه بالبحث عن المعانى المبتكرة والتصورات الجديدة والأفكار المفيدة . كأنه يريد من الشعر ألا يكون إلا فلسفة وإلا حكمة وإلا مثلا ، وإلا دستورا صامتا من دساتير الحياة . وأن يكون كذلك فى كل عصر من العصور . وبهذا المقياس يزيف أدب العصر المملوكى ويزيف شعره ، حتى ليتساءل عن أدبائه وشعرائه ويقول أين كانوا يعيشون ؟

والحق أن جلال الأدب فى أسلوبه ، وجماله فى طريقة أدائه وأن صدقه فى أن يعبر عن عاطفة الأديب وشعوره ، وأن يحسن فى تصويره . ولاريب أن ضروبا كثيرة من البديع تعين الأديب على ماهو بصدده من فن فى التعبير والتصوير، ومن أبرزها التورية والتضمين والجناس والطباق . وهذه كانت من أهم دعائم الأسلوب فى العصر المملوكى .

أنا لا أدافع عن البديع ولا أحدث عن مذهبى فيه . وإنما أحببت له العدل ، وأردت له الإنصاف . فقد كان مزاج الأدب وقوام الأسلوب فى عصر من العصور المصرية . ولم يكن ذلك غريباً منه حينذاك ، بل الغريب ألا يكون . وكيف كان إنتاجه فهو قمين بإعادة النظر فيه من مؤرخى الأدب بيننا . أحب ألا يتأبوا على البحث فيه ، وألا يعثروا فى حصافته قبل أن يبدءوا ببحثه فليعيدوا فيه النظر بعد إحسان الظن به . ويقينى أنهم سينصفونه وسيجدون فيه شيئاً جديداً مفيداً ممتعاً .

والبديع بعد هذا كله ، أو قبل هذا كله ، فن — بلاريب — جميل ، كما أشرنا . وقد استطاع أدباؤه أن يبرزوا بصورة عملية واضحة ما فى هذه اللغة الكريمة من مزايا ولطائف وضروب جمال فى تكوين ألفاظها وتناسق كلماتها . وأبانوا كيف أقدرهم هذا التكوين والتناسق على التلاعب بالأسلوب والإبداع فى الحديث ، فأظهروا ما خفى فى هذه الألفاظ من أسرار ، وأشعروا الناس بجمال الترادف والاشتراك والتضاد فيها ، وجلوا اللغة فى ثوبها المرن المطاط الذى كثيراً ما يتسع للمعانى المتنافرة التى تندعن الذهن حينا كيفية اجتماعها وطريقة تآخيها .

وكانت التورية أحب أنواع البديع عند أدباء العصر المملوكى وأجل مابرعوا فيه منها . وأفضل ما أبدعوا فيه المعانى ، وأجمل ما أحسنوا فيه التصوير ، لم يشذ منهم عن هذا النهج شاذ . وصحيح أن الصلاح الصفدى — كما بينا فى مقال النقد الأدبى — أغرم بالجناس وجن به دون أدباء عصره ، ولكنه إلى جانب هذا كان من شعراء التورية . قال ابن حجة الحموى :

« هذا النوع — أعنى التورية — ماتنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب . ولعمرى إنهم بذلوا الطاقة فى حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب التورية فإن التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث فى القلوب ، ويفتح أبواب عطف ومحبة . وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول ، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول . »

وقال أيضاً : « وقع الإجماع على أن المتأخرين هم الذين سموا إلى أفق التورية وأطلعوا شموسها . ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كئوسها . وقيل إن الفاضل هو الذى عصر سلافة التورية لأهل عصره . وتقدم على المتقدمين بما أودع منها فى نظمه ونثره . فإنه — رحمه الله تعالى — كشف بعد طول التحجب سترحجبا بها . وأنزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها . وممن شرب من سلافة عصره . وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دره : القاضى ابن سناء الملك ، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها . ومتمسكين بطيب أنفاسها . إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها . والواسطة فى عقد جمانها . كالسراج الوراق وأبى الحسين الجزار ، والنصير الحمامى وناصر الدين حسن ابن النقيب ، والحكيم شمس الدين بن دانيال ، والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر . »

وهؤلاء الأدباء الستة الذين ذكرهم ابن حجة هم من شعراء العصر المملوكى وفى نصف القرن الأول منه تقريباً . وقد توالى من بعدهم أدباء فحول آخرون هم حلبة ابن نباتة ومنهم الصفدى وابن الوردى وابن اللبانة والحلى والاسعردى والعمرى والمعمار ، وتوالت الحلبات من بعدهم — كما سنبينه إن شاء الله فى مقال آخر — وكلهم يسير تحت راية التورية ، وعاصرهم فى بلاد الشام آخرون . قال الصلاح الصفدى يذكر بعضهم :

« وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم ، وتأزر نصرهم ولأن فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم . كل ناظم تود الشعرى لوكانت له شعراً . ويتمنى الصبح لوكان له طرسا ، والغسق مداداً والنثرة نثراً . ماجلا من بنات فكره خوداً إلا شاب لحسنها الوليد . وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد . كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى شيخ شيوخ حماة . والأمير مجير الدين بن تميم . وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى . ومحيى الدين بن قرناص الحموى . وشمس الدين ابن العفيف . وسيف الدين بن المشد . »

وقال أيضاً : « ولاتقل أيها الواقف على هذا التأليف : لقد أفرطت فى التعصب لأهل مصر والشام . على من دونهم من الأنام . وهذا باطل ودعوى عدوان . وحمية لأوطانك وما جاورها من البلدان . فالجواب أن الكلام فى التورية لاغير . ومن هنا تنقطع المادة فى السير . ومن ادعى أنه يأتى بدليل وبرهان فالمقياس بيننا والشقراء والميدان . »

وبعد فما هى التورية ؟ قال ابن حجة يعرف بها :

« هى أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان أو أحدهما حقيقة والآخر مجاز . أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية . فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك »

والتورية — كما يرى القارئ — تحتاج إلى إلمام باللغة وإلى نزعة أدبية سليمة ، وإلى لطافة فى الحس . وهى إحدى طرق أداء المعنى . والفرق بينها وبين أداء المعنى فى حيز الدلالات اللفظية هوالفرق بين الأدب واللغة . والمورى مجدد لأنه يضع أمام السامع صوراً من المعانى عدة متشابكة فى بعض أجزائها ، متماسكة فى بعض ملابساتها ، فيدفع السامع إلى التنقل بخياله والتجول بفكره بين صورها الشتى حتى يقع خاطره على المعنى المقصود ، دون أن يشعر بثقل أو يحس بجهد ، بل بالعكس يتنقل بينها كما يتنقل بين أجزاء روضة ، وبين ثنيات بستان ، ويكون لذلك أثره فيه فيلطف حسه ويرق خياله ويتسع تصوره ، وهذه دعائم نفسية تقوم عليها دولة الأدب . وقد نقل ابن حجة قول الزمخشرى فى التورية حيث قال : « ولا نرى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذه الباب ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام صحابته رضى الله عنهم اجمعين . فمن ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » لأن الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار فى المكان ، وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود ، لأن الحق تعالى وتقدس ، منزه عن ذلك . والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور »

— ويهمنا من كلام الزمخشرى حديثه عن التورية . أما ما استشهد به من القرآن الكريم ففيه نظر . لأنه كان يدين بالاعتزال .

ومع ذلك فيه نظر من ناحية أخرى ، إذ يعتبر تأويله هنا من باب الكناية مثلالامن باب التورية . وهذا يجرنا إلى الإشارة إلى أن التورية — فى جوهرها وفيما نشعر — ليست فى حدودها الضيقة

التى وضعها فيها علماء البلاغة بل أنها أوسع نطاقا وأبعد آفاقا . أو أنها على الأقل ذات صلة وثقى بأنواع البلاغة والبديع ، كالكناية والمجاز والإلغاز والمحاجاة والتوجيه والتلميح والإبهام والجناس ، وأن بينها وبين هذه الأنواع أموراً متشابهة لاتفرق بينها إلا دقائق معنوية ، وهذه الأمور تشعرنا بأنها جميعاً تمت إلى التورية بأوثق الصلات . على أن هذا موضوع يحتاج إلى بحث ومعاودة ونظر جديد . فلنتركه الآن لنطرف القارئ ببعض نماذج التورية التى أثرت عن أدباء العصر المملوكى ، وكثير منها فى الغزل والوصف والشكوى والمدح والإخوانيات . ومنها ما يلى :

كان السراج الوراق مقيما بالروضة ، فكتب إليه نصير الدين الحمامى موريا بها فقال :

كم قد ترددت للباب الكريم لكى
أبل شوق وأحيى ميت أشعارى
وأنثنى خائباً مما أؤمله   وأنت فى روضة والقلب فى نار

فكتب إليه السراج الوراق :

الآن نزهتنى فى روضة عبقت   أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتنى بشذاها فانثنيت بها   وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تغالط فمن فينا السراج ومن   أولى بأن قال إن القلب فى نار

وقال أبو الحسين الجزار موريا بصناعته :

إنى لمن معشر سفك الدماء لهم   دأب وسل عنهم إن رمت تصديق
تضئ بالدم إشراقاً عراصهم   فكل أيامهم أيام تشريق

وقال الجزار موريا بلفظ « المطوق » :

أنت طوقتنى صنيعاً وأسمعـتك شكراً كلاهما ما يضيع
فإذا ما شجاك سجعى فإنى   أنا ذاك المطوق المسموع

وقال ابن دانيال الموصلى موريا فى « قوام » :

أيا سائلى عن قد محبوبى الذى   فتنت به وجداً وهمت غراماً
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا   طوالا فأضحى بين ذاك قواما

ومن توريات الشاب الظريف فى كلمة « باقل » :

ولو أن قسا واصف منك وجنة   لأعجزه نبت بها وهو باقل

ومن توريات جمال الدين بن نباتة فى كلمة « راحة » :

يا غائبين تعللنـا لغيبتهم   بطيب لهو ولا والله لم يطب

ذكرت والكأس فى كفى لياليكم
فالكأس فى راحة والقلب فى تعب

وقال أيضاً فى « الكمال » وهو مسمى به :

أرى جلستى عند الكمال تميتنى   غبونا ونفسى بالملوم يفوت
وما تنفع الآداب والعلم والحجا   وصاحبها عند الكمال يموت

وقال متغزلا موريا فى « حمل وقد » :

سألت النقا والبان أن يحكيا لنا   روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها   وقال قضيب البان ما أنا قدها

وورى محيى الدين بن عبد الظاهر فى « الأوراق » فقال متغزلا :

ذو قوام يجور منه اعتـدال   كم طعين به من المشاق
سلب القضب لينها فهى غيظى   واقفات تشكوه بالأوراق

ومن طرائف التوريات ماخرج مخرج الجناس ، قال ابن حجة « قد تقرر أن ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى لأنه نوع لفظى لا معنوى . وهو نوع متوسط بالنسبة إلى ما فوقه من أنواع البديع : والتورية من أعز أنواعه وأعلاها رتبة فإذا جملت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد ، وخلصت من عقادة الجناس » .

ومن جناس التورية قول بدر الدين الدمامينى يصف ابن حجر العسقلانى :

حمى ابن على حوزة المجد والعلى   ومن رام أشتات المعالى وحازها
وكم مشكلات فى البيان بفهمه   تبينها من غير عجب ومازها

ومازها من ماز يميز أو بمعنى لم يدخله الزهو .

فأجابه ابن حجر بقوله :

بروحى بدراً فى الندى ماأطاع من   نهاه وقد حاز المعالى فزانها
يسائل أن ينهى عن الجود نفسه   وهاهو قد بر العفاة ومانها

ومانها ، من مانه بمعنى كفاه . أو مانها من النهى .

ويطول المقام إذا ذهبنا نتحدث عن التورية ونستشهد لأنواعها من شعر هذا العصر . فحسبنا ماص .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

من أدب العراق :

المرأة فى شعر الرصافى

للشيخ محمد رجب البيومي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما حافظ فقد جعل الأم مدرسة كصاحبه ، وزاد فرفعها إلى قمة عالية فكانت عنده أستاذ الأساتذة الذين ملأوا الدنيا وشغلوا الناس ، كما شبهها بروض زاهر ، يورق ويثمر إذا تعهده الحيا بالرى ، وأعلن تبرمه بحالتها الراهنة ، فذكر أنها ليست أثاثاً يقتنى فى الدور ولا درراً تصان فى الأحقاق ، فيجب أن تتبوأ مكانها فى المجتمع . وهو مع هذه الصيحة يحتاط أكمل احتياط ، وينظر إلى البداية والنهاية معا فى وقت واحد ، فيخوف من السفور ، ويحدد مهمة المرأة الاجتماعية ، فهى ربة بيت تنهض بأعبائه ، وتضطلع بشؤونه .

قال شاعر النيل :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً   بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع   يحذرن رقبته ولا من واقى
يفعلن أفعال الرجال لواهياً   عن واجبات نواعس الأحداق
فى دورهن شؤونهن كثيرة   كشؤون رب السيف والمزراق

وإذن فحافظ متحفظ فى ثورته ، وكل ما يريده أن تخرج الفتاة إلى مدرستها ثم ترجع إلى البيت الذى تديره ، ولا كذلك الرصافى ، فهو يمشى مع السفور إلى أبعد شوط ، ويرى أن المرأة كالحمامة لها ريش يجب أن تطير به ، وسجع يلزم أن تردده ، وإلا لما خلق الله لها ذلك ، وكان التعلل بالشريعة نغمة متصلة رددها المحافظون فأطنب الشاعر فى دحض هذه الحجة ، وأخذ يكرر قوافيه المتلاحقه فى نقضها . ومما قاله فى ذلك فوق ما قدمناه :

وأكبر ما أشكو من القوم إنهم
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
وذلك أنا لا تزال نساؤنا   تعيش بجهل وانفصال عن الجمع
أفى الشرع إعدام الحمامة ريشها
وإسكانها فوق الغصون عن السجع

فقد أطلق الخلاق منها جناحها   وعلمها كيف الوقوف على الزرع

وقصائد الرصافى فى هذا الموضوع أكثر من أن تحصر ؛ فقد كان يرى الدفاع عن حقوق المرأة أمانة فى عنقه ، يجب أن يؤديها بغير تمهل وانتظار . وقد أفلح الشاعر فى دفاعه أى فلاح ، وعاش حتى رأى المرأة الشرقية كما أحب لها من تقدم وصمود ، فعاد يمجد فى مواهبها ، ويبالغ فى مكانتها ويفخر بنهضتها التى تمت فى وقت يسير . وما ظنك بزارع كادح بذل جهده الدائب فى شق التربة وغرس الثمرة ، وصادف من الصخور ما كاد يهشم معوله ، ويبدد قوته وما زال يتعهد غرسه بالماء حتى رآه — بعد لأى — جنة مورقة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، هكذا كان معروف ! !

وهنا نتساءل بعد ما أسلفناه من جهاد الشاعر عن موقفه العاطفى من المرأة ، وهل ملكت يوماً زمام فؤاده ؟ وماذا أوحت إليه من فاتن الغزل ورقيق النسيب ؟ ؟

وقبل كل شىء نذكر أن الرصافى قد تزوج مرة واحدة فى حياته ، أثناء إقامته بتركيا ، ولم يكتب له التوفيق كزوج مسؤول ، فطلق امرأته بعد مدة وجيزة ، وألقى العبء عن كاهله ، كما صنع شاعر النيل ؟

كما لم يحدثنا أحد من معارفه بأنه أحب فتاة معينة ، أو أنشأ علاقة مع امرأة بذاتها ، وإن كنا نعلم أنه كان إباحياً متحللا يبحث عن شهوات الجسد من أى طريق . وأنت تنظر إلى ماروى عنه من صادق النسيب ، فتجده ينظر إلى النساء بمنظار واحد ، فهو يغازل هذه وتلك دون أن يدخر فى قلبه شجنا مبرحاً ، أو لوعة حارة . وإذن فمعروف يهوى الحسن مجرداً عن ذاته كما يراه فى كل لون ووضع ؛ فهو يحب البيضاء إذ تتألق كالبدر ، ويعشق الحمراء إذ يتذكر بها طلوع الشمس ، ويميل إلى السمراء والصفراء جميعاً فى وقت واحد !! وقد يظن بعض الناس أن هذا خيال شاعر لا حقيقة له ، والواقع غير ذلك ، فالجمال لا يقف عند لونه ، وإنما يتعداه إلى الخفة والمرونة . وكأنى بالرصافى وقد وجد قلبه أعظم من أن يختص بواحدة ، فهام بجميع الملاح . اسمعه يقول

وقفت عليكن قلبى الذى   يمر به الحب مر السحاب
فمنكن أحببت هذى وتى   والفيت عذبا بكن العذاب

فمنكن بيضاء ما مثلها   (عدا حمرة الخد) ألا القمر
فتلك التى طاب لى وصلها   كليلة البدر طاب السمر

ومنكن حمراء جذابة   حكى وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها وهى خلابة   فأمسك بالكف منى الضلوع

ومنكن صفراء فى لونها   كأن قد تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على ضعفها   أصحت هبوب النسيم العليل

ومنكن سمراء تحكى الدمى   وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفتيها يلوح اللمى   فتوقد فى القلب نار الجوى

ومنكن من هى مثل الرياح   لها فى ذرى كل قلب هبوب
تريد غلاب جميع الملاح   وتبغى عذاب جميع القلوب

فمنكن طرا بوادى الهوى   أهيم وإن لم نعد عائدة
ألا إن حبا بقلبى انطوى   كثير فلم تكفه واحدة

وطبيعى أن يكون الرصافى فناناً ماهراً فى نظرته إلى المرأة ، فهو يصفها فى دقة وحذق وكأنما أحاط بحركاتها واحدة فواحدة . وقد صور ملهى للرقص فى بغداد ، فكدنا نراه فى القاهرة . والذى يهمنا منه تلك اللوحة الرائعة التى رسمها للراقصة الفاتنة ؛ فقد تكلم عن ثوبها الحريرى تخيل إلى أنه حائك ماهر يصفه لزميله كى يصنع مثله. وانتقل إلى حركاتها السريعة فكاد يسبقها فى الخفة والوثوب ، على أنه يطير معها فى الجيئة والذهوب ، ولن أترك القارىء حتى أضع أمامه جانباً من هذه اللوحة ، فالفن يشوه بالتلخيص أقبح تشويه ، قال معروف :

خطرت والجمال يخطر منها   فى حشا القوم جيئة وذهوبا
وعلى أرؤس الأصابع قامت   تتمطى تبخترا ووثوبا
بمبس الأنس أن تروح ذهابا   وبعيد ابتسامه أن تؤوبا
نحن منها فى الحالتين ترانا   رقب الشمس مطلعاً ومغيبا
حركات خلالها سكنات   يقف العقل بينهن سليبا
وخطى تفضح العقول اتساقاً   نظمتها تسرعا ودبيبا
لو غدا الشعر ناطقا بلسان   لتغنى بوصفها عندليبا
أظهرت فى الجمال من كل عضو   لعبا كان بالعقول لعوبا
مشهد فيه للحياة حياة   تترك الواله الحزين طروبا

وله من هذا السياق النضيد شىء كثير .

هذا وقد رأيت بعض من كتبوا عنه غب وفاته يعدون ما تنزل به فى المرأة تقليداً واحتذاء ، وحجتهم فى ذلك أن الشاعر لا يهدف إلى فتاة معينة ، وأنا أقول : إن من الخطأ البين ألا نفرق بين ما تفتتح به القصائد من عبارات التشبيب وبين ما يجيش بصدر الشاعر فهتف به . نعم قد يكون الأديب فى إنتاجه متجها إلى عناصر غير الحب واللوعة ، ولكن هل يكون معنى ذلك أنه تناسى عاطفته التى تختلج فى خفاياه ، وتتجاهل غريزته التى تموج فى خلاياه ، فإذا قال غزلا فاتنا قيل له من فتاتك ؟ ما اسمها ؟ وفى أى بيئة نشأت ؟ وبأى ثقافة تميزت ؟ وإذا مر الشاعر فى طريق مزدحم ، فوقعت عينه على حسناء ساحرة ثم اختفت عنه فى لجج الزحام الحاشد ، دون أن يعلم عنها أى شىء ، أنقول له : حطم يراعك ، ومزق طرسك ، لأن فتاتك غير معروفة باسمها وصفتها فلا ينبغى أن تنسب بها وإلا كنت صانعا أى صانع ! ! هذا والله شىء عجيب !!

إن شاعراً يحترم فنه كمعروف لا يمكن أن ينشىء غزلا دون أن تشتجر فى صدره العواطف ، ولنا أن نعد من تشبيبه التقليدى ما يجىء عرضاً من المرأة فى موضوع خاص ، يهدف إلى فكرة خاصة ، لا تتصل بالحب من قريب أو بعيد ، كقوله فى قصيدة « العالم شعر » .

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى   أجاب ألا لبيك يا بيضة الخدر
تهادت تريني البدر محدقة بها   أوانس إحداق الكواكب بالبدر
فلله ما قد هجن لى من صبابة   ألفت بهاطى الضلوع على الجمر
تصافح إحداهن فى المشى أختها   فنحر إلى نحر، وصدر إلى صدر
مررن وقد أقصرت خطوى تأدبا   وأجمت أمرى فى محافظة الصبر
فطأطأن للتسليم منهن أرؤسا   عليها أكاليل ضفرن من الشعر
فألقيت كفى فوق صدرى مسلماً   وأطرقت نحو الأرض منحنى الظهر
وأرسلت قلبى نحوهن مشيعاً   فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
وقلت وكفى نحوهن مشيرة   ألا إن هذا الشعر من أجل الشعر

فهذه الأبيات من قصيدة وصفية ، نظمها الرصافى ليعلن أن الطبيعة ديوان شعرى ممتاز ، وأخذ يقلب صفحات الديوان ، فرأى فى سكون الليل قصيدة عامرة عدها من (أحسن) الشعر ، ورأى فى طلوع الشمس قصيدة بارعة عدها من (أبدع) الشعر ، ورأى فى وحشة المقابر قصيدة باكية عدها من (أفجع) الشعر ،

اتجه إلى المرأة فنظم الأبيات المتقدمة لأنه يرى فى ركب حواء قصيدة ساحرة من (أجمل) الشعر، وإذن فالكلام هنا عن المرأة تقليدى سلفى، حيث لم تكن صاحبة الفكرة التى تقوم عليها القصيدة. ومن الظلم البين أن نسحب هذا الحكم على جميع ما ترنم به معروف عن المرأة. وليت شعرى من ينكر صدق العاطفة فى قوله عن فتاة مجهولة.

فتنت الملائك قبل البشر ... وهامت بك الشمس قبل القمر
ومرّ بك السمع قبل البصر ... وغنى بك الشعر قبل الوتر
فأنت بحسنك بنت العبر

يروح الشتاء وتصحو السما ... ويأتى الربيع بمـا نمـا
فيطلع فوق الثرى أنجما ... ويبتسم الزهر بعد الظما
فأنت ابتسامة ذاك الزهر

فطرفك بالفتر كم قد روى ... نشيد الغرام يهد القوى
وما أنت شاعرة فى الهوى ... ولكنما الشعر فيك انطوى
فآية حسنك إحدى الكبر

فهذا الشعر لو روى لشاعر ممن اشتهرت صاحبته لعد من قوافيه المختارة، فهل يليق بعد ذلك أن نتساءل عن الملهمة من هى؟

فإذا لم نجد الإجابة الواضحة، حكمنا على الشاعر بالتقليد والصنعة دون تريث!! الحق أننا سطحيون.

ولا بد لنا أن نتكلم عن اتجاه الرصافى فى أقاصيصه الاجتماعية فقد جعل المرأة عنصر الأقصوصة الهام، فلا مناص له من أن يصور خوالجها الهامة، ونوازعها الراجفة، مما يتطلب دراسة عميقة لنفسية حواء. ولهذا كان الشاعر فلسفى النظرة دقيق المنحى، وإن خدع قارئه برونق الديباجة وسلاسة التركيب. ولو ذهبنا نستقصى ما روى له فى هذا المضمار لا متدبنا حبل البحث، ولكننا نضع أمام القارىء قصيدة «أم ليتيم» كنموذج لطريقة الشاعر، فهو يريد أن يندد بالتحزب الدينى، والتعصب المذهبى، وما يجر ذلك من نقص فى الأموال والأرواح، فقام فى قصته برحلة إلى الأحياء المعدمة، فى هدأة الليل، وسمع أنيناً مؤلماً يرن فى كوخ بائس فعرفه، حتى إذا بدأ الصبح أتاه، فرأى به أرملة حزينة — هى بطلة قصته — وأمامها طفل جائع تملله بالطعام، ودمع معروفاً يصف لنا الأم الجائعة وما وقعت فيه من التناقض الغريب، حيث جمعت بين الضحك والبكاء فى لحظة واحدة، فهو يقول.

وقفت لديها والأسى فى عيونها ... يكلمنى عنها وإن لم تكلم
وساءلتها عنها وعنه[1] فأجهشت ... بكاء وقالت أيهـا الدمع ترجم
ولما تناهت فى البكاء تضاحكت ... من اليأس ضحك الهازئ المتهكم
ولكن دموع العين أثنـاء ضحكها ... هواطل مهما يسجم الضحك تسجم
فقد جمعت ثغرا من الضحك مفعما ... إلى محجر باك من الدمع مفعم
فتذرى دموعا كالجمان تناثرت ... وتضحك عن مثل الجمان المنظم
فلم أر عيناً قبلها سال دمعها ... بكاء وفيها نظرة المتبسم
وقلت وفى قلبى من الوجد رعشة ... أمجنونة يا رب فارحم وسلم

ويسير الشاعر فيذكر حنان الأم الرءوم وكيف ضمت إليها ابنها فى شفقه وعطف، وماذا قال لها الطفل وهو يسأل عن أبيه؟ وكيف أجابته بما يريده الشاعر من أقصوصة فوصفت ما دار بين المسلمين والأرمن من مذابح تجرى دماؤها باسم الدين؟ استمع إلى كل ذلك فى قوله.

وظلت له[2] ترنو بعين تجودها ... بفذ من الدمع الغزير وتوأم
سلى ذا الفتى يا أم أين مضى أبى ... وهل هو يأتينا مساء بمطعم
فقالت له والعين تجرى غروبها ... وأنفاسها يقذفن شعلة مضرم
أبوك ترامت فيه سفرة راحل ... إلى حيث لا يرجى له يوم مقدم
مشى أرمنيا فى المعاهد فارتمت ... به فى مهاوى الموت ضربة مسلم
على حين ثارت للنوائب ثورة ... أتت عن حزازات إلى الدين تنتمى
فقامت بها بين الدبار مذابح ... تخوّض منها الأرمنيون فى الدم
ولولاك لا خترت الحمام تخلصا ... بنفسى من أتعاب عيش مذمم

ومهما يكن من شىء فالمقام لا يسمح أن نلم بغير هذه القصة الشجية، ذات المغزى الرائع، مما نظمه الشاعر الكبير، ففى كل قصة منظر مختلف لفتاة بائسة، دهمتها الخطوب. ولا ضير على الرصافى إذا أكثر من تصوير هذه المآسى الدامية فقد نشأ فى أمة مزقتها العلل، وتحرشت بها الأحزان، فتقاطرت من عينه الدموع!!

أين أنت يا معروف؟ وكيف خمدت جذوتك الملتهبة، وسكن فؤادك الخافق الجياش؟ ووقف ذهنك الموار.

سكت فلم نسمع غناءك مشجياً ... فيا بلبل القطر الشقيق ترنم!

(الكفر الجديد)

محمد رجب البيومى

---

(١) ، (٢) الضمير فيهما تعود إلى الطفل.

ترجمة وتحليل :

١ – أمنية الشاعر !

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

... أما الشاعر فإنه مفخرة الأدب الفرنسي « ألفونس دي لامرتين » ، وأما الأمنية فإنها قصيدة عصرها من حبة قلبه ، فكانت زفرة حرّى تحترق بلهيبها عبرات الذواقين لهذا النوع من الشعر المثالي الرفيع .

وهذه الأمنية تصوير دقيق لما يجيش في نفس الشاعر المرهف الحس الذي لا يني يعبر بشعره عن الآفاق التي يدرك عظمتها ولا يصل إليها مهما بذل من الجهد ، وعن العوالم التي يحس روعتها ولا يبلغها مهما ارتقى في الأسباب .

نظم لامرتين هذه القصيدة – كما حدث عن نفسه – « في فترة من حياته تحولت فيها فكرته – التي كانت لا تتوخى غاية ، ولا تعين أمنية ، ولا تعنى بهذه الأرض ومن عليها – تحولا طبيعياً منتظراً نحو السماء وبانيها ، ونحو الطبيعة وبارئها ، فأمست أناشيده كلها دينية . يومئذ عرف أرواحاً كانت تقواها ثمرة دموعها ، وعرف أرواحاً أخر كانت عبادتها كأريج الربيع الفواح تحت أضواء الشمس المشرقة التي تمتع القلب بالبشر والسرور . ولقد أحب أن تكون روحه من هذه الأرواح الأخر .

حطم الألم أعصابه ، ورده صامتاً لا يبين ، جاحداً لا يؤمن ، يائساً لا ينتج . ثم أقبلت عليه السعادة بعد إدبار ، فحببت إليه الإيمان وزينت في قلبه ألحانه ، فعاد ناعم الفكر ، رخي البال (*)

في تلك الفترة التي عاد فيها إلى إيمانه أو عاد إليه إيمانه نظم قصيدته في مدينة من مدن إيطاليا تسمى (ليفورن) (Livourne) سنة ١٨٢٧ . ولست أدري ما الذي ربط قلبي بقلب لامرتين ، فما تأملت إحدى قصائده إلا أحسست كأنه ينظمها بلساني أو ينثرها عن لسانه ، أو يكتبها من لوحة قلبي وأتلوها في لوحة قلبه ؛ وما أريد بهذه الكلمة أن أعلو بنفسي إلى أفق هذا الشاعر العظيم في روعة تصوره ، وسحر خياله ، فما ينبغي لي هذا ولا أستطيعه ؛ إن أريد إلا أن أتيح لقلمي بعض العذر في ترجمة قصائده وتحليلها كلما وجدت فراغاً ، وآنست رغبة .

(*) Harmonies Poétiques et Religieuses p 302

لم يبح لامرتين لنفسه تصوير أمنيته إلا بعد أن أعلن عجزه ، واعترف بعي لسانه : فشعوره أسمى من أن يترجم عنه ما تيسر له من الكلمات المحدودة ، وتفكيره أعلى من أن يذيعه لسانه العي الذي لا يحسن الابتكار والتوليد .

١ – « آه ! لو كانت لي كلمات وصور ورموز
لترجمتْ عن شعوري !
ولو كان لساني العيُّ قادراً على التعبير
لأذاع تفكيري ! »

أما وقد أبت الكلمات الحية ، والصور الناطقة ، والرموز الموضحة ، أن تواتيه وتكون مطواعاً لقلبه ولسانه – فليس أمامه إلا سلوك المنهج الذي سلكه الشعراء من قبله – وسوف يسلكونه من بعده – فليمثل مثول الخاشع الخاضع بين يدي السماء ، وليصف حكمتها بأرفع ما يجري به لسانه من آي المديح والثناء ؛ فالتقديس لها ، والسرمدية عنها ، والأزلية منها ، لأنها ما أخرجت من ظلمات العدم شيئاً إلا أدخلت عليه نور الحياة ، ولا أبدعت للوجود كائناً إلا علمته لحناً ينشده فيطرب ، ولا بثت في السقف المرفوع كوكباً إلا أنزلت عليه وحياً يتلوه فيرضى ، ولا حددت للمسافات موضعاً إلا جعلت له مغنى تصدح بلابله فيشجى السامعون . .

٢ – « إنها الحكمة قدسية سرمدية وروح أزلية ،
تمد العالم كله بالحياة !
فللكلِّ كائن لحنه ، ولكل كوكب وحيُه ،
ولكل موضع مغناه ! »

ويمضي لامرتين في تأمله فيرى أن ينبوع هذه الأنغام كلها نغم واحد ، ولكنه ليس عادياً توقعه أنامل العاديين ثم يفتر بفتورهم ، ولا عبقرياً تتلاعب به قلوب العباقرة فيختنق بموتهم ؛ وإنما هو نغم خالد لا يفتر ، قديم لم يتغير ، أزلي لن يختنق . أخذ من عيون الطبيعة سحراً يسبي القلوب ، ومن وقارها هيبة تأسر النفوس ، ومن خلاقها العظيم رهبة تعجز العقول . ومع أن جرْس هذا النغم رتيب لا يتبدل فإنه حلو في الإسماع كلما تكرر ازداد حلاوة .

٣ – « ما لهؤلاء إلا نغم واحد ، ولكنه كالطبيعة ساحر مهيب ؛
وكخلاقها عظيم ذو جلال !
وإن هذا النغم الخالد ، بجرسه الرتيب ،
لمحبوب يا إلهي في كل مجال ! »

وكيف لا يكون هذا النغم محبوباً وهو موسيقى مختلفة الإيقاع ؟ فمنه صوت الرياح إذا هبت تداعب الأمواج ، وصوت البحر إذا تنهد شوقاً أو زمجر ضجراً ، وصوت الصاعقة إذا توعدت انذاراً ، ودوت غضباً . . وهل من غبي بين البشر لا يعرف ماذا تعني هذه الأصوات ؟

٤ — « فإذا الرياح هبت على الأمواج ، وإذا البحر تنهد أو زمجر ،
وإذ الصـــاعقة قدمت بالوعيد ...
ليت شـــعرى ، هـــل من غبي بين البشر ،
يســـأل عما تريد ؟؟ . . . »

كلا ... لن يسأل عن مرادها سائل ، فإنها تفصح بلسان مبين عن كل ما تروم : فما مداعبة الرياح للأمواج ، وما تنهد البحر وزمجرته ، ولا دوى الصاعقة ووعيدها ، إلا مظاهر من رحمة الله وقهره ، تتجلى تارة في جلاله وقدرته وفضله ، وتارة في غضبه وانتقامه وعدله . ولو سألت الرياح عن أغانيها ، والبحار عن تأوهها وأنينها ، والصواعق عن إنذارها ووعيدها ، لقالت : إنها تسبح بحمد الله ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ؛ ولتداعت إلى الفرار إذا ذر شارق من نور وجهه ، أو لاح بارق من نور ظله ؛ ولتنادت إلى السكوت ، واجتمعت على الإصغاء ، وائتلفت لسماع النغم الوحيد الذي يرسله من لدنه ليملأ الدنيا ألحاناً وأغاريد !

٥ — « قال قائل منها : يا لجلال الله ! وقال ثانيها : يا لقدرته وفضله!
وقال آخرها : يا لغضبه وانتقامــــه !
ثم ولى أحدها هارباً من إشراق وجهه ، وقال آخر : قد لاح بظله!
أيتها السموات والأرض أصيخي لكلامه ! »

بيد أن الفرق واضح بين الإنسان وهذه الطبيعة ، فإن هذه تنطق بلسان الحال فيغنيها عن لسان المقال ، وذاك أوتى لسان المقال ليعبر عن لسان الحال ، ومقاله متوقف على الألفاظ ، وما الألفاظ إلا قوالب للمعاني لا تنبض بالحياة ، ولا جناح لها فتحلق في الأجواء ، أو تنطلق في الآفاق ، كهذه الطيور التي تهيم في كل مكان ، وتحط على كل شجرة ، وتهبط كل واد ، وتعلو كل جبل ، وترى كل شيء . ولئن كانت فكرة الإنسان خالدة لا تموت — لأن موحيها الحي القيوم كتب لها الحياة — فإن ألفاظه المعبرة عنها لأصداء ترجع الأصوات ، وما كان لصدى أن يدوم ، فلا يلبث أن يزول .

٦ — « لـكن الإنسان الذي خلقته ، هذا الذي يفهم الطبيعة ،
لا يهتدى بغير الألفاظ إلى المعاني الرفيعة ؛
« وإن ألفاظاً فاقدة الحياة مهيضة الجناح ، إذا قيست بفكرته التي لا تموت
كانت أصــــداء وشيكة السكوت ! »

مسكين هذا الإنسان الذي ينشد الحقيقة فلا يظفر إلا بصداها ، ويروم الانطلاق من سجنه والتفلت من قيده ، فيضرب بينه وبين رغبته بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب : فمثله كمثل العاصفة يحدق بها الغمام من كل جانب ؛ ويطبق عليها من كل مكان تعانده فيضحك ، ويحاول تمزيقه فيبتسم ، وتود لو انفجرت لتفارقه فيصفح عنها لتلازمه ، فلا هو بتاركٍ لها منفذاً ، ولا هي بقادرة على الفرار . أو كالموجة محبوسة في هذا البحر العميق تود لو رأت عالماً سواه ، إلا أن الشاطىء يقف في طريقها سداً منيعاً ، فتثور في وجهه فتلطمه لتتغلب عليه فلا يتزحزح ، وتهدأ ثائرتها فتغسل قدميه لتسترضيه فلا يبالي ، وتعيد الكرة من غير أن تصيب نجاحاً ، فتيأس من العلو عليه ، وتقنع بسجنها قناعة العاجز الساخط ، لا قناعة الراضي المقتدر .

٧ — « روحه كالعاصـــفة . . . في الغمام تزمجر ،
ولا تســـتطيع أن تنفجـــر
أو كالموجـــة الحبيسة تلطم الشـــاطىء وتجلوه ،
ولا تســـتطيع أن تعلوه ! »

والملوم على كل حال روح الإنسان لا ملهمها ، لأن هذه الروح مغرورة تحاول أن تجتاز الحد الذي وضع لها ، فيدركها التعب ، ويسرع إليها الضنى : تريد أن تبرهن على قوتها وهي ضعيفة ، وعلى علمها وهي جاهلة ، وعلى مقدرتها وهي عاجزة ؛ فهي كهذا النسر الصغير الذي لم ينبت ريشه بعد ، يريد أن يطير كما تطير النسور ، ويريد أن يسابقها منذ تفتحت عينه على عالم النور ، ولكنه يتبين ضعفه فيقنع نفسه بالوثوب على الأرض ، ثم يتبين عجزه فإذا هو قانع بالترفق في دبيبه ، يمشي مشية الحذر ، ويبطىء إبطاء الذي يزحف شاكا مستريباً .

٨ — « وتتعب نفسها وتضنيها كأنها نسر صغير ،
لم ينبت له بعـد شكير
تتفتح عينـه على ماله ، فيـترفق في الدبيب ،
ترفق الزاحف المستريب ! »

(التتمة في العدد القادم)

صبحي ابراهيم الصالح

عبد القادر الحسيني!

للأستاذ أحمد مخيمر

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . . »

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل   بمثل عزمك تبنى مجدها الدول
أمامك الجنة الخضراء تفتحها   لك الدماء التي أهرقت والأسل
السابقون من الأبطال قد دخلوا
والصاعدون من الأحرار قد وصلوا
ودوا لحب الوغي لو أنهم رجعوا   ليقتلوا مرة أخرى ، كما قتلوا
يعانقون ظباها ، وهي هاوية   كأنما الطعن في لبّانهم قُبل
ستلتقون على أنهارها زمراً ،   وفوق أرواحكم من خلدها ظُلل
والدوح يرقص والأنوار هامسة   والطير تدنو، وتستعلي، وترتحل

يا ابن الحسين! دموع الحزن جارية   وناره في طوايا القلب تشتعل
على شبابك نبكي لوعة وأسًى   وإن يكن لحياة الخلد ينتقل
شمس طوتها المنايا وهي مشرقة   صبحاً ولم يدن من آفاقها الطفَل
وزهرة من نضير الزهر ذات ندى   لم يشبع الفلُّ منه غصنها الخضِل
على ابتسامك ، والهيجاء عابسة   والنار تصرخ، والأسياف تقتتل
على اقتحامك، والأبطال شاكية   وللدماء على أبدانها سبل
على إرادة مرهوب العزيمة ، لا   ريث إذا طمت البلوى، ولا عجل
كأنها هَبَّةُ الإعصار جارفة ،   ودفعة السيل، والعسَّالة الذُّبل
إن يقتلوك فبالذل الذي شربوا   من راحتيك، وبالضيم الذي نهلوا
ملأتهم بظلام الخوف؛ فانطلقوا   وفوق أعينهم من ليله سدُل
من لا تبادره بالسيف بادره   من نفسه القاتلان الجبن والوجل
لو لم يُعنهم بنو التاميز ما حملوا   رمحاً ، ولا قاتلوا لو أنهم حملوا
أخس ما شهدته الأرض من أمم   كأنهم من قرار الذل قد جبلوا
للموت ما ولدوا، للقبر ما حشدوا،   للخسر ما بذلوا ، للضيم ما نسلوا
الذائقون على كفَّيك مصرعهم   والتائهون ، فلا سهل ولا جبل
والكاذبون إذا أبطالكم صدقوا   والقائلون إذا شجعانكم عملوا
والحاشدون ألوفاً لا غناء بها   يوم الصدام ، وخير منهم رجل
لهم من الحرب أغلال، ومسكنة،   وذلة ، ولك الأسلاب والنفل . .

يا حامي القدس من كيد يُرادُ به   خلا العرين، ومات الضيغم البطل
أغناك عزمك عن نظم ، وعن خطب
فلم تزل بلسان السيف ترتجل
أرسلتها كلمات منه دامية   حمراء آذانها الأخلاد والقلل
بريقها وهي تهوى في مقاتلهم   بلاغة خشيت لألائها المقل
لو لم تكن بك قد هامت مضاربه   لما غدا وله من حزنه ألل
بكى . فأبكى ، ولم تبرح مدامعه   لما قضيت مع الباكين تنهمل
يرنو لشبليك محزوناً ، ونائحة   وراء نعشك ثكلى شفها الخبل
قد أذهلتها المنايا ، فهي حاسرة   بين الحشود ، فلا خدر ولا كلل
لم يُبق في قلبها التوديع من جلد   إن الفراق بغيض ليس يحتمل !

يا حامي القدس، دعهم يشمتون فما   يستأخر العمر يوماً إن دنا الأجل
في حومة المجد والأرماح مشرعة   لقيت حتفك ، والأبطال تنتضل
فما جبنت على يأس ، كما جبنوا   ولا خذلت على روع كما خذلوا
ولا أدرت وجوه الخيل مدبرة
في الموقف الضنك من خوف وقد فعلوا
وليس أشرف من موت حظيت به
والنصر دانٍ إلى عينيك مقتبل
والنقع فوق رءوس القوم يثقله   من الدماء التي أهرقتها بلل
وللكماة على أسلابهم فرح ،   وللسيوف على أشلائهم زجل
وراية العرْب تستعلي ، ورايتهم   ممزق جانبيها العار والخجل . .

يا ابن الحسين تحيات نرددها
ما أشرق الصبح ، أو ما ابيضت الأصل
غامرت في الشرف الأعلى ففزت به   وجاذباك إليه الحب والأمل
ونلت في حومة الهيجاء ما طمحت
يوماً إلى مثله آباؤك الأول
جنات عدن إلى لقياك ظامئة   والسابقون لدار الخلد ، والرسل
من لؤلؤ قصرك الثاوي على شرف
يرف في ساحته البشر ، والجذل
والماء من ربوات الخلد يدفعه   لظله الأبد المذخور والأزل
والظل بالماء في الشطآن مقترن   والماء بالقصر دون الظل متصل
وللملائك تسبيح وهينمة   كما ترنم شاد بالهوى زجل
فانعم بخلدك في أبهائه فرحاً   إن الخلود جزاء أيها البطل . .

(الزقازيق)   أحمد مخيمر

الأدب والفن في أسبوع

جوائز فؤاد الأول :

كان يوم الأربعاء ٢٨ إبريل الماضى يوم الذكرى الثانية عشرة لوفاة المغفور له الملك فؤاد الأول . وفى ذكرى فؤاد الأول احتفل بتوزيع جوائز فؤاد الأول فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، وهكذا اجتمعت كل هذه المعانى فى هذا اليوم المشهود كما قال معالى وزير المعارف فى كلمته التى افتتح بها الحفل . ثم أعقب معاليه معالى الأستاذ على عبد الرازق رئيس لجنة الفحص لجائزة الآداب ، فمعالى الدكتور محمد بهى الدين بركات باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة القانون ، فسعادة الدكتور حسن صادق باشا رئيس لجنة الفحص لجائزة العلوم ؛ وتحدث كل منهم عن أعمال لجنته وخصائص المؤلفات التى فاز أصحابها بالجوائز . وقد تضمنت كلمة رئيس لجنة الأدب أن اللجنة رأت نفسها إزاء كتب ثلاثة لم تستطع أن تفاضل بينها لتختار منها اثنين لجائزتى سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٤٨ فقررت فوز كل من الثلاثة بجائزة كاملة .

وأعلن رئيس لجنة العلوم قرار اللجنة المتضمن إرجاء توزيع جائزتها إلى العام القادم .

والفائزون فى الأدب هم — وفق ترتيب حروف الهجاء — الدكتور أحمد أمين بك ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور محمد حسين هيكل باشا . وقسمت جائزة القانون بين الدكتور حلمى بهجت بدوى والدكتور محمود حسين أبو عافية .

الألفاظ والأساليب في المجمع اللغوى :

ألفت بمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى العام الماضى ، لجنة الألفاظ والأساليب ، واختير الأستاذ أحمد أمين بك رئيساً لها والأستاذ على الجارم بك كاتب سرها ، وحددت أغراضها بالبحث فيما يرد بالصحف والمؤلفات الحديثة ، وما يجرى على ألسنة المثقفين من ألفاظ وأساليب ، لمعرفة الصحيح من غيره ، وتعديل ما ليس بصحيح ، ووضع صحيح بدلا مما لا يمكن تعديله ؛ على أن تعرض ما تنتهى إليه على مجلس المجمع ، ثم تذاع قراراته فيها بعد ذلك على الجمهور فى الصحف .

وقد بحثت اللجنة كثيراً من تلك الألفاظ والأساليب ، وأعدت فى اجتماعها الأخير قرارات فى ستة عشر لفظا وأسلوبا ، وعرضت على مجلس المجمع الذى شرع فى مناقشتها بجلسة يوم الاثنين الماضى ، وسيوالى النظر فيها فى الجلسات التالية وستذاع عقب إقرارها . ومن الألفاظ التى وافق عليها المجلس لفظ «مهرج» لمن يضحك الناس . وقد بنيت صحة هذا اللفظ على قرار سابق للمجمع يجيز تضعيف الثلاثى للتعدية والتكثير ، والموجود فى اللغة «هرج» ثلاثياً بمعنى خلط ، فالمهرج هو الذى يخلط فى كلامه لإضحاك الناس ، وقد استحسن الدكتور طه حسين بك هذا الاستعمال وأبدى رأيه فى أن يضمن «المعجم اللغوى الكبير» الذى يشرف الدكتور طه حسين على إعداده ، كل ما يعتمد من الألفاظ والأساليب التى تبحثها اللجنة .

الاستفتاءات اللغوية :

ومن عمل لجنة الألفاظ والأساليب النظر فيما يرد على المجمع من استفتاءات لغوية وأسلوبية ، وتتولى الإجابة عليها ، ثم ترسل هذه الإجابات إلى أصحابها .

ولعل من المفيد أن ينشر من هذه الإجابات ما يرى فى نشره فائدة عامة ، فأقترح على اللجنة أن تضم مثل هذا إلى الألفاظ والأساليب التى تذيعها .

وقد ردت اللجنة على ثمانية استفتاءات . ومن الطريف أن بعض هذه الاستفتاءات ورد من طبقات شعبية ، وهى ظاهرة سارة لما تدل عليه من رغبة هذه الطبقات فى استعمال الصحيح من اللغة ، ومن ذلك استفتاء من رئيس نقابة عمال التنجيد ، يسأل فيه عن كلمة « تنجيد » ليستعملوها فى تسمية النقابة إن كانت صحيحة أو يدلهم المجمع على صحيح بدلا منها إن لم تكن كذلك ، فأرسل المجمع إليه بصحتها .

القصص الإنساني :

تنقل الأستاذ محمود تيمور بك فى الأسبوع الماضى بين الجامعات الثلاث : جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وجامعة فاروق

بالإسكندرية ، والجامعة الشعبية بدمنهور ، حيث ألقى محاضرات فى « القصص الإنسانى » وقد تضـمنت هذه المحاضرات آراء شخصية للأستاذ المحاضر ، بناها على تجاربه وممارسته لفن القصة فتجلت فيها أصالة البحث والتفـكير ، وكذلك تعرض فى هذه المحاضرات لـكثير من القضايا التى يتنازع فيها النقاد خاصـة بالمذاهب الأدبية والفنية فقد ناقش الفـكرة التى تنادى بتجنيد القصة للاصلاح الاجتماعى وتناول الأعمال الفنية للآراء والمشكلات القومية — مناقشة دقيقة خلص منها إلى القول بأن إجراء ذلك عبث بالفن ، وأن الـكاتب إن لم يكن حراً طليقاً فلا صدق فى فنه ، وأنه إذا كان صادقا قوى الإلهام واستطاع أن يحس إحساسا عميقاً بمبدأ من المبادىء أو مشكلة من المشكلات ، استطاع أن يعبر عنها فى عمل فنى يجد فيه المصلح الاجتماعى تأييداً لقضـية الإصلاح أو تعزيزاً لمبدأ من المبادىء . فأما أن يتكلف الـكاتب معالجة إحدى هذه الشـكلات أو يذعن لرغبـة من الرغبات الخارجية فى هذا الصدد ، فإنه يكون متكلماً كاذباً على نفسه وعلى الإلهام الفنى .

وكان فيما تناولته المحاضرة حديث عن التاريخ بين العالم والفنان ، وقد شرح الفرق بين موقف المؤرخ والقصاص من أحداث التاريخ ومشاهده ، فقال إن العالم مضطر أن يذعن للحقائق ويتحرى دقة الأرقام وصدق الوقائع ، فأما الفنان فإنه يقرأ هذه الحقائق ويتمثلها ، ثم يترك لوحيه الفنى أن يلهمه صورة لا تكذب على التاريخ برسومها وأعلامها ، ولـكنها ليست ترجمة تاريخية مبنية على وقائع ، ثم قال إن المؤرخ العالم قد يقرب من المؤرخ الفنان إذا اصطبغ أسلوبه وتصويره بصبغة فنية ، وكذلك المؤرخ الفنان قد يقرب من المؤرخ العالم إذا التزم الدقة التاريخية جهد الإمكان ، ولـكن الذى لا شك فيه أن مهمة كل منهـما تختلف عن مهمة الآخر وأن النظرة إلى كل منهما يجب أن تكون نظرة خاصة وأن نقدر عملهما على هذا الاعتبار .

وقد أفاض المحاضر القول فى مذهب ما وراء الواقع وأثره فى القصـة الفنية وفى الرسم والرقص والموسيقى ، وقال إن هـذا المذهب يستمد من العقل الباطن ويجب أن يكون له رقيب من العقل الواعى وإلا كان كالبركان يقذف بالحمم وكالعباب يطغى موجه إلى حد الإغراق .

وختم الأسـتاذ تيمور بك محاضرته بالإشارة إلى أن القصة الخالدة هى القصة التى يتوافر حظها من العناصر الإنسانية الثابتة بغرائزها وطبائعها ، والتى لا تقتصر على جاذبية اللون المحلى والموضوعات الوقتية ، والتى لا تعتمد على قضايا المنطق والحـكمة ولا تؤثر الوعظ المباشر والنصح الظـاهر والتأييد المـكشوف للقضايا الاجتماعية . ثم ألمع إلى أن خير الطرق فى تربيـة النشء بالقصة هو أن نضرب صفحاً عن الأمثال والمواعظ الجامدة التى لا يحس الناشىء أثرها فى واقع الحياة ، وأن نستعيض عن ذلك بقصص إنسانية تربى فى النشء فطنة وتبصراً بالحياة التى يعيشها فلا يعرف حين يمارس هذه الحياة أن أصحاب الأمثال والمواعظ كانوا يتـكلمون عن عالم لا صـلة له به ولا وجود له فى حياته .

الاتجاهات الاجتماعية فى العالم العربي :

كان موضـوع « الاتجاهات السياسية والاجتماعية الحاضرة فى العالم العربي » أو بعبارة أدق كان استيفاء الـكلام فى هذا الموضوع ، آخر حلقة فى سلسـلة « العالم كما هو اليوم » التى نظمها قسم الخدمة العامة فى الجامعة الأمريكية ، فمنذ أسـابيع تحدث فيه الأستاذ محمد صلاح الدين بك ، وأوردنا خلاصـة حديثه فى حينه ، وكان كله فى الاتجاهات السياسية ، أما الشق الثانى من المحاضرة وهو الاتجاهات الاجتماعية فقد ضـاق عنه الوقت فى المرة الأولى ، فـكان موضوع الحديث الذى ختمت به السلسلة فى يوم الجمعة الماضى بقاعة يورت التذكارية .

قال إن الهدف الذى يرمى إليه العـالم العربى الآن هو التمتع بالاستقلال والحرية ، والتمتع بالحياة الدستورية الديمقراطية التى تقوم على سلطة الأمة ، وتهدف إلى أن تحيا الأمة حياة إنسانية كريمة ؛ والعالم الآن تسوده مبادىء اجتماعية ، هى فى نفس الوقت اقتصادية ، يقصد بها تحقيق سعادة الناس ؛ وهى الرأسمالية التى تمثلها أمريكا ، والشيوعية التى تتمثل فى روسيا ، والاشتراكية كما تطبقها الحـكومة البريطانية ، ومدار الخلاف بين هذه المبادىء على الإنتاج والتوزيع . فالرأسمالية تقوم على الحرية فى السـعى وترك ثمرات العمل لأصحاب الجهود ، والمبدأ الشـيوعى يجعل المجموع الذى تمثله الحـكومة يملك كل شىء ، وتوزع المنتجات على الجميع ، ولـكن هل تقسم بالمساواة المطلقة ، أو على حسب الحاجة ؟ الواقع أن ما يجرى فى البلاد الشيوعية يحجبه « الستار الحديدى » الذى يمنع تسرب الأخبار الحقيقية ، على أنه يؤخذ

مما يرد من الأخبار أن الملكية الآن فى روسيا موجودة فى غير أدوات الإنتاج ، كالمنازل والأثاث ، أما أدوات الإنتاج كالأراضى الزراعية والمصانع ، فلا يملك الأفراد شيئاً منها ؛ وكل يأخذ على حسب جهده ، ورجال الفكر وأهل الفنون هم أحسن الجميع حالا لكثرة مكاسبهم . وأما الاشتراكية المعتدلة فهى التى تطبقها الحكومة البريطانية وهى طبعاً تقر الملكية الفردية ، ولكن مبادئها تتمثل فى تأميم بعض المرافق ، أى تنظيم الحكومة له وقيامها عليه ، وبقية المرافق يقوم بها الأفراد والشركات ، كما تتمثل فى رعاية الحكومة للطبقات الفقيرة وفرض الضرائب التصاعدية وغير ذلك .

وبعد أن أفاض المحاضر فى شرح تلك المبادىء من الوجهة العملية وبيان ما يؤخذ على الرأسمالية وما تعاب به الشيوعية قال: تتسرب أخبار هذه المبادىء إلى مصر وإلى سائر البلاد العربية ، فتشغل الأذهان بالتفكير فى أيها يصلح أن يقوم عليه النظام الاجتماعى عندنا . وأسلم سبيل أن نسعى وراء أمر واحد ، هو العدالة الاجتماعية ، فنسعى لرفع مستوى الحياة عامة ، وتحقيق العدل بين الطبقات ، ونستطيع أن نضع خطوطاً عامة لتحقيق العدالة الاجتماعية فيما يلى :

١ — التخلص من السيطرة الأجنبية التى هى سبب ما نحن فيه من جهل وفقر ومرض .

٢ — تقريب مسافات الخلف بين الطبقات بمختلف الوسائل كالضرائب التصاعدية وتحسين أحوال الطبقات الفقيرة .

٣ — ضمان العمل لكل مواطن ورفع الأجور ووضع حد أدنى لها بحيث يكسب العامل ما يقوم بجميع حاجاته .

٤ — أن نعطى المواطنين فرصاً متساوية ، وذلك بتعميم التعليم والتداوى ، بحيث يكون كل منهما ميسوراً لكل فرد من أبناء الأمة .

٥ — الضمان الاجتماعى بجميع أنواعه ، كالتأمين من العجز عن العمل والشيخوخة ورعاية من يتركهم المتوفى من الأولاد وغير ذلك .

وحذر فى ختام المحاضرة من الاستجابة للدعوات الهدامة لما فيها من خطر التدخل الاستعمارى ، إلى مخالفتها للأديان ونظام الأسرة ، وإلى ما تؤدى إليه من الحجر على الحرية العامة بالنسبة للأفراد ، لأن الحكومة فيها هى صاحبة الحرية المطلقة ؛ ودعا إلى التزام الحيدة فى المبادىء الاجتماعية وفى السياسة العالمية .

تعقيب :

ومما يلاحظ أن المحاضرين الآخرين فى الاتجاهات السياسية والاجتماعية فى البلاد الغربية ، كانوا يصفون الاتجاهات « الحاضرة » أما صلاح الدين بك فقد كان مجاله — كما رأيت — شرح المبادىء العالمية ، وبيان ما يجب أن تكون الحال عليه عندنا ؛ ويخيل إلىّ أنه عمد إلى ذلك فراراً من حرج الكلام فى حالنا التى تبلغ غاية السوء ، وماذا يقول ؟ إن جميع تلك المبادىء تضع رفع مستوى المعيشة العام فى مقدمة ما تمنى به ، فأين نحن حتى من الرأسمالية الأمريكية ؟! ولو أن باحثاً أراد أن يعرف المبدأ الاجتماعى الذى نسير عليه ، لما وجد له غير اسم واحد ، هو « الظلم الاجتماعى » .

الشروق :

أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفى فى الأسبوع الماضى ديوانه الجديد « الشروق » والأستاذ الصيرفى من رواد الشعر الحديث ، له « سلوك شعرى » خاص فهو لا يقول فى المناسبات وقل أن يشترك فى الحفلات ، لا ينظم إلا بالدوافع الشعرية الخالصة ، وهو يدع شعره يسير بنفسه فلا يدفعه بما يدفع به بعض الناس أشعارهم . وديوان الشروق من القليل الذى يثبت وجود الشعر فى هذه الآونة .

العباس



معرض الرسام زهدي :

أقام الرسام زهدى معرضاً فى نادى الصحفيين هذا الأسبوع تحت رياسة الوزير العالم معالى إبراهيم دسوق أباظه باشا عرض فيه سلسلة من الرسوم تمثل الوقائع المتتابعة للتاريخ المصري والعوامل التى سيطرت على توجيهه منذ الحملة الفرنسية حتى نهاية حكم إسماعيل باشا ، وليس هذا فى الواقع بالعمل الهين ، فإنه اتجاه يقتضى الدراسة والاستيعاب والإندماج الروحى فى جو ذلك التاريخ حتى يمكن أن ينفعل إحساس الفنان بحقائقه واتجاهاته فيرسمها بريشته وكأنها أجسام حية ناطقة تتمثل مشاهدها للنظر والفكر .

والتعبير عن الحقائق التاريخية بقلم المؤرخ أسهل بكثير من التعبير عنها بريشة الرسام ، لأن المؤرخ يسرد لك الوقائع على ما تؤدى إليه المقدمات من نتائج ، وتدل عليه الإتجاهات من حقائق ، أما الرسام فإنه لابد أن يعرض عليك فى هذا شيئاً يستوقف النظر ويثير الإحساس ويوحى إلى الذهن ، وهذا كله ما وفق إليه ذلك الرسام المصرى المؤمن بفنه وبوطنه وبفكرته .

وحقائق التاريخ حين تظهر فى معرض الفن تكون أروع مظهراً وأشد تأثيراً وأبق على الزمن وأخلد ، فإننا ما نزال نتغنى بحروب الإغريق ووقائعهم التاريخية ، لا كما دونها المؤرخون ، بل كما أنشدها فى القديم شاعر ضرير إسمه هوميروس .

لهذا كان اتجاه الرسام زهدى إلى تصوير حقائق التاريخ المصرى ووقائعه فى فترة من فترات التطور أجل خدمة نحو قوميتنا ونحو تاريخنا يؤديها الفن ، ولقد تجلت فى رسومه دراسة المؤرخ وتمحيصه للحقائق ، إلى جانب ما تجلي من روعة الفن وبراعته . وإن من الواجب على وزارة المعارف أن تضع يدها على هذه الرسوم التى تمثل تاريخنا الحديث أروع تمثيل ، فتضمه فى كتاب إلى طلاب المعاهد والمدارس وأبناء الوطن ، وبهذا تؤدى ما قصد إليه ذلك الفنان البارع من خدمة التاريخ المصرى والقومية المصرية .

لو أن فناناً أجنبياً عرض على وزارة المعارف مثل هذا العمل لوقفت أمامه خاشعة وقامت له مهللة ، ويفتح فى الميزانية اعتماد ضخم لإخراجه .. ولكنه اليوم عمل فنان مصرى صميم كأروع ما يجب أن يكون ، فهل آن لنا أن نؤمن بالنبوغ المصرى فنؤازره وننتفع به ؟

محمد فهمى عبد اللطيف

النحو الجديد :

أخرجت دار الفكر العربى فى هذه الأيام كتاب النحو الجديد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، فكان فتحاً جديداً فى باب التجديد ، لأنه قلب نحو سيبويه رأساً على عقب ، وأصابه فى الصميم من أصوله وفروعه ، ودل بهذا على أن دعاية التجديد بيننا ليست جعجعة لا طحن لها ، وإنما هى حركة ستتناول الصميم من علومنا ، وستعيدنا علماء نجتهد ونجدد كما كان يجتهد ويجدد علماؤنا الأولون ، ولا شك أن جمود علومنا القديمة هو الذى يقعد بنا جميعاً عن النهوض ، لأن التكاسل يعدى ، كما قال الشاعر :

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد بعدوى فما أعدتنى الثؤباء

لقد ابتدأ كتاب النحو الجديد بدراسة محاولات التجديد الحديثة فى قواعد النحو ، فدرس المحاولة الأولى للأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتاب إحياء النحو ، وفى رد الأستاذ محمد عرفة عليه فى كتاب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، ثم درس المحاولة الثانية فى تقرير اللجنة التى ألفتها وزارة المعارف لتيسير تدريس قواعد اللغة العربية ، وفى تقرير اللجنة التى ألفت بدار العلوم للرد عليها ، ثم درس المحاولة الثالثة المؤلف فى تيسير قواعد الإعراب بمجلة الرسالة سنة ١٩٣٨ م ، ثم درس المحاولة الرابعة للأستاذ أمين الخولى فى تذليل اضطراب الإعراب والقواعد ، ثم درس المحاولة الخامسة للأستاذ شوقى ضيف فى إلغاء نظرية العامل لابن مضاء القرطبى فى كتاب الرد على النحاة

ثم ختم هذه الدراسة التى تسجل أعظم ثورة على نحو سيبويه بوضع آجرومية جديدة للنحو ، وهى آجرومية تراعى غاية النحو الكبرى من تمثيل الإعراب لمعانى الجمل العربية ، وقد حذفت على هذا الأساس كل حشو فى النحو ، كباب البناء وباب الاشتغال ، ثم أضافت أبواباً منه إلى أبواب ، لأن التفرقة بينها تخرج بالنحو عن غايته من تمثيل الإعراب للمعانى ، وقد حققت مع هذا ما أرادته وزارة المعارف من تيسير قواعد الإعراب

(ص)

رسالة النقد

« طفولة نهر »

لنزار قبانى

للأستاذ أنور المعداوى

نزار قبانى ؟ .. أين كان هذا الشاعر وأين كنت ؟ ! ما أكثر ما يقع فى يدى من دواوين الشعر فى هذه الأيام ، فلا أكاد أقبل عليها حتى أعرض عنها .. إلا هـذا الديوان ! لقد لقيت صاحبه منذ شهر لأول مرة ، وأسمعنى بعض شعره لأول مرة ، ولم أشأ يومئذ أن أقطع برأى فى فنه خشية أن يكون قد قدم إلى خير قصائده .. أما الآن ، فأستطيع وأنا مطمئن أن أقدم هذا الشعر إلى الناس .. وأن أقدم صاحبه .

وقبل أن أضع هذه المجموعة الشعرية فوق مشرحة النقد ، أقول إنها تثير مشكلة طال حولها الجدل وسوف يطول ، ما دام هناك أناس ينشدون الفن للفن ، وأناس ينشدون الفن للمجتمع . أما أولئك فهم الذين يفهمون الفن وأصوله ، وعلى أى الدعائم يجب أن تقام . وأما هؤلاء فلا يريدون للفن إلا أن يسير فى ركاب المجتمع ولو تنفس برئتين صناعيتين ، غافلين عن أن رسالة الفن ما هى إلا صدق التعبير عن الحياة ، التعبير عما فيها من جمال وقبح من تناسق وشذوذ ، من خير وشر ، من حرية وقيود !

سيقول من لا يفهمون رسالة الفن إن « طفولة نهر » ما هو إلا صلوات فكر فى محراب الجسد ، أو صلوات روح ، أو صلوات شعور .. وسأقول أنا إنه صلوات فن ؛ وحين يرتفع صوت الفن بالصلاة يجب أن تخمد كل الأصوات ! إن الدفاع هنا ليس دفاعاً عن صاحب هذا الشعر ولكنه دفاع عن الفن .. إن الفن الصادق لا يعرف القيود ، ويوم يتشح الفن بغلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعى فقل إنه قد انحرف عن الجوهر الأصيل فى رسالته ، وهو أن يعبر عن الحياة فيصدق فى التعبير ! .. عش فى أعماق الحياة ، واستخدم كل حواسك فى تذوق هذه الأعماق فإذا استطعت أن تعبر فى صدق عن انعكاس الحياة على حواسك ووقعها على شعورك فقد أنتجت فناً ! وبهذا القياس نستطيع أن ننظر إلى « طفولة نهر » وإلى كل أثر فنى تبدعه القريحة ! لقد كنت أود أن أطيل الدفاع عن رسالة الفن ، ولكن الشاعر سبقنى فدافع عن شعره فى كلمات صادقة حين قال : « الشعر يحيط بالوجود كله .. وينطلق فى كل الاتجاهات فترسم ريشته المليح والقبيح ، وتتناول المترف والمبتذل ، والرفيع والوضيع .. ويخطئ الذين يظنون أنه خط صاعد دائماً ، لأن الدعوة إلى الفضيلة ليست مهمة الفن ، بل مهمة الأديان وعلم الأخلاق .. وأنا أؤمن بجمال القبح ، ولذة الألم ، وطهارة الإثم ، وهى كلها أشياء صحيحة فى نظر الفنان . يقول كروتشه فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن : إن العمل الفنى لا يمكن أن يكون فعلا نفعياً يتجه إلى بلوغ لذة أو استبعاد ألم ، لأن الفن من حيث هو فن لا شأن له بالمنفعة . وقد لوحظ من قديم الأزمان أن الفن ليس ناشئاً عن الإرادة ، ولئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير فليست قوام الإنسان الفنان ؛ فقد تعبر الصورة عن فعل يحمد أو يذم من الناحية الخلقية ، ولكن الصورة من حيث هى صورة لا يمكن أن تحمد أو تذم من الناحية الأخلاقية ؛ لأنه ليس ثمة حكم أخلاقى يمكن أن يصدر عن إنسان عاقل ويكون موضوعه صورة . إن الفنان فنان لا أكثر ، أى إنسان يحب ويعبر . ليس الفنان من حيث هو فنان عالماً ، ولا فيلسوفاً ، ولا أخلاقياً . وقد تنصب عليه صفة التخلق من حيث هو إنسان ، أما من حيث هو فنان خلاق فلا نستطيع أن نطلب إليه إلا شيئاً واحداً هو التكافؤ التام بين ما ينتج ، وما يشعر به »

لقد وفق نزار قبانى فى عرض قضية الفن فى هذه الكلمات الصادقة التى تخيرتها من كثير . وحين استشهد برأى كروتشه ، وهو رأى يقطع خط الرجعة على الرجعيين .. وحين نفذ إلى مكامن الهدف بهذه الإصابة البارعة فى قوله : « ولو صح لنا أن نقبل ما زعمته المدرسة الأخلاقية فى الفن لمات الفن مختنقاً بأبخرة المعابد .. ولوجب أن نحطم كل التماثيل العارية التى نحتها ميشيل أنجل ، والصور البارعة التى رسمها رفائيل ، لأنها إثم يجب ألا تقع عليه العين ؛ ولو ذهبنا مع أشياع هذه المدرسة إلى حيث يريدون ، لوجب أن نخرج من حظيرة الشعر الجيد قصيدة النابغة التى قالها فى زوجة النعمان

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولتــه واتقتنا باليد

ولـكان علينا أن نملن النابغة ، ونعتبره ضالا لا يستحق أن نقرأ سيرته وأشعاره ! »

أنا مع نزار قبانى ولو وقفت وحدى إلى جانبه ، وسأصغى إليه بكل جوارحى حين يهمس فى قصيدته « حلمة » :

يا حرف نار سابحاً فى ركتى عطور
يا كلمة مهموسة مكتوبة بنــور
سمراء ، بل حمراء ، بل لونها شــعورى
أم قبلة تجمــدت فى نهــدك الصغير
مظلة شــقراء فوق قســوة الهجير
إبريق وهــج عالق بهضــبتى مرور
أم أنت شــباك هوى مطرز الســتور
فراشــة محروقة الجنح على غــدير
دافئة كأنهــا . مرتْ على ضميرى

هكذا تمضى أوزانه وقوافيه ، متفقة والجو الذى يتنفس فيه شعره ، جو الأوزان القصيرة والقوافى الراقصــة ، أما الصورة الوصفية فتستمد بذورها من خصوبة الحقل الشعرى واتساع مداه . . . ومن هنا تستمد الوثبة الشعرية قوتها من وثبتين أخريين ، هما الوثبة الشعورية والوثبة الموسيقية .

تعال نستمع له مرة أخرى فى قصيدته « وشوشة » :

فى ثغرها ابتهــال يهمس لى تعــال
إلى انعتاق أزرق حــدوده المحــال
نشرد تيــارى شــذا لم يحفقا بيــال
لا نستحى فالورد فى طريقنــا تــلال
ما دمت لى مالى وما قيــل وما يقــال !
وشوشــة كريمــة ســخية الظــلال
ورغبــة مبحوحــة أرى لهــا خيــال
على فم يجوع فى عروقــه الســؤال

هنا ظلال من النفس تلتقى بظلال من الحياة ، وبضوء من هنا وضوء من هناك يتم العمل الفنى ، مستمداً خطوطه من التجربة الشعورية ؛ من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . . أرأيت إلى الرغبة المبحوحة ؟ الرغبة التى تتنزى فلا تقوى على على الانطلاق ؟ الرغبة التى تريد أن تهتك حجب الصمت ولـكنها بحت من التردد والتهيب والإحجام ؟ الرغبة التى لم يبق منها على الفم والإخيال يلوح ثم يختفى ؟ وأى فم ؟ فم يجوع السؤال فى عروقه .. ولا يبوح !

ويحلق الفــكر فى آفاق من رهبة الفناء ، وتهوم الروح فى أودية النسيان التى يبلى فيهــا كل جديد ، ولـكنها تهويمات لا تخلو من يقظة تومض تحت الرماد ، وتلتمس العزاء فى خدعة الخلود ... وتــكتمل الألوان فى الصورة المنتزعة من معرض الحياة . أما الإطار فمن صنع الخيال السابح وراء الوهم ، المتشوق إلى ارتياد المجهول ، وتمضى التجربة الشعورية إلى منتهاها حين يقول فى قصيدته « سؤال » :

تقول : حبيبى إذا ما نموت ويدرج فى الأرض جثماننا
إلى أى شىء يصــير هوانا أيبلى كما هى أجســادنا ؟
أيتلف هــذا البريق العجيب كما سوف تتلف أعضاؤنا ؟
إذا كان للحب هــذا المصير فقد ضيعت فيه أوقاتنــا !
أجبت ومن قال إنا نموت وتنأى عن الأرض أشباحنا ؟
سنحيا .. وحين يعود الربيع يعود شــذانا وأوراقنا
إذا يذكــر الورد فى مجلس مع الورد .. تسرد أخبارنا !

وحين يطول الانتظار ، ويعصف القلق بجمال الرؤى والطيوف ويتوثب الشوق الملح إلى القادم الممعن فى إبطائه ؛ تكون النفس الإنسانية فى ارتقابها ولهفتها قد أنكرت كل شىء ، وكفرت بكل شىء ... استمع له يصف لحظة انتظار :

جئت وجاع المنحــدر ولا أزال أنتظــر
أنا هنا وحــدى على شرق رمادى الســتر
مستلقيــاً على الذرى تلهث فى رأسى الفكر
وأرقب النوافــذ الزرق على شــوق كفر

هل أحسست الفكر حين تلهث ، والشوق حين يكفر ؟ ! وحين يقبل الحبيب الغائب ، تقبل معه الدنيا ، وتقبل الذكريات تشق طريقها من وراء الزمن ... ويقبل الصبا بجنونه وأحلامه وأوهامه :

قالت صباح الورد .. هــذا أنت صاحب الصفر
ألا تزال مثلمــا كنت غلاماً ذا خطر ؟
تجعلنى على الثرى لعباً . . وتقطيع شعر
فإن نهضنــا كان فى وجوهنــا ألف أثر !
قلت لهــا الله ما أكرمها تلك الذكر !
أيام كنا كالعصافير ... غنــاء وسمر

تسابق الفراشــة البيضــاء ... ثم نتتصر
ونكسر النجوم ذرات ... ونحصى ما انكسر
فيستحيل حولنــا الغروب شــلال صور ...
حكاية نحن ... فمنــد كل وردة خــبر
إن مرة سئلت ، قولى : نحن دورنا القمر !

هنا وفى كثير من القصائد الأخرى لنزار قبانى ، تلمس أن اكتمال الوحــدة الفنية مرجعه إلى تسلل التجربة الشعورية ، وتناسق الظلال المنعكسة من النفس والحياة .

وأود أن ألفت النظر إلى أن هذا الشاعر يصوغ معانيه أحياناً في ألفاظ قد تبدو لأصحاب المدرسة المادية فى التعبير وكأنها قد استخدمت فى غير مواضعها ؛ وهى تبدو لهم كذلك لأنهم يعيشون فى رحاب الظلال المادية للألفاظ ، ولو عاشوا فى رحاب ظلالها النفسية لوجدوا كل شىء فى موضعه من الشعر ، لأنه فى موضعه من الشعور ... إن الشعر ما هو إلا ترجمة صادقة للشعور الصادق ، فلا ضير من أن يستخدم فيــه اللفظ الذى تتفق ظلاله وظلال النفس ، وتتسق إيحاءاته مع منطق الإحساس ! ومهما يكن من أمر فإن لمشكلة الظلال النفسية والمادية فى اللفظ قضية شغلت القدماء كما شغلت المحدثين ، وهى قضية سنعرض لها فى مقال نتناول فيه بالنقد أصحاب المدرسة المادية فى التعبير قديماً وحديثاً أولئك الذين لا ينظرون إلى الألفاظ إلا من خلال هياكلها العظمية !

كل ما آخذه على صــاحب « طفولة نهد » ، هو تلك القوالب النثرية التى يصب فيها شعره أحياناً ، وما يرد فى بعض أبياته من ألفاظ ابتذلت من كثرة الاستعمال ، مما يعصف بجمال القالب الشــعرى ، ويذهب بأثر الإيقاع الموسيقى . استمع له مثلا فى هذين البيتين :

ما دمت لى سر المساء معى وهــذه الأقمار أقمارى
وأنجم المســاء لى مئزر وفوق جفن الشرق مشوارى

إن كلمة « مشوارى » هنا كلمة سوقية لا تتفق أبداً وهذا الجو الشعرى الذى عاشت فيه ، ولو وردت فى النثر لما استسغتها ، فما بالك بالشعر ؟

واستمع له مرة أخرى فى هذين البيتين :

هو الدفء لا تذعرى إن رأيت قميصك نهب تدفع قه
فما هــدت يا طفلتى طفلة سيهمى الشتا غيمة بعد غيمه

نهب تدفع قة ؟ ! .. إضافتان ثقيلتان على السمع ، لا تكاد تطيقهما الأذن العادية ، فما بالك بالأذن الموسيقية ! ألا تحس هنا أن القالب قد بدأ أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ؟

واستمع له مرة ثالثة فى هذين البيتين :

لنى نحارير الهوى وأمضى أنا فى السحاب وأنت فى الأرض
غورى مع الشــيطان لا أسف ولتبتلعك زوابع البغــض

لست أدرى كيف تحتمل الصياغة الشعرية كلمة « غورى » هــذه .. لقد اهتز صرح الجمــال الفنى فى البيتين تحت وطأة هذه الــكلمة !

مآخذ قليلة كنت أرجو أن يخلو منها هذا الديوان ، ومهما يكن من أمر فإنها لا تمنعنى من القول بأن نزار قبانى شاعر .. وشاعر موهوب .

أنور المعداوى

العدد ٧٧٥ – الاثنين ١٠ مايو ١٩٤٨ – السنة السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٣٨

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 775 — Lundi — 10 — 5 — 1948

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٧٧٥ « القاهرة فى يوم الاثنين أول رجب سنة ١٣٦٧ — ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى مذاهب الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد يغنى التمثيل حيث لا يغنى الدليـل ، ولا سيما فى تلك المسائل التى تتفق فيها الآراء ولا يقع الخلاف عليها فى الحقيقة إلا لاختلاف الأسماء .

ومن هذا القبيل مسألة الحكم على المذهب الرمزى بينى وبين الكاتب الألمعى الأستاذ فريد بك أبو حديد .

فقد سألنى مندوب « الزمان » عن هذا المذهب فقلت له : إن كلة الأدب الرمزى كلة سخيفة ؛ لأن الأدب قبل كل شىء إفصاح ، فمن عجز عن الإفصاح فأولى أن يترك الأدب . ومن كان لا يتكلم إلا بالرموز فخير له أن يخترع له لغـة أخرى غير هذه التى تواضع الناس على التفاهم بها . وليخترع إن استطاع نوعاً من الهيرغليفية القديمة تغنى فيها الصور والإشارات عن الحروف والكلمات » .

ووجه المندوب هذا السؤال إلى زميلنا الأستاذ أبى حديد بك فقال : « لا أوافق الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه بخصوص الأدب الرمزى ؛ فإن كان هذا الأخير من نوع بيجماليون لبرنارد شو ، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم ، وتاييس لأناتول فرانس ، فانه يعد من أسمى أنواع الأدب . ولعل اختلاف الرأى بين العقاد وبينى يرجع إلى أن الصورة التى فى ذهنى عن الأدب الرمزى قد تغاير تلك الصورة التى فى ذهن العقاد عنه » .

وهكذا أفاد تمثيل الأستاذ فريد للأدب الرمزى المقبول عنده فى التقريب — بل فى التوحيد — بين القولين .

فـكل هذه الروايات التى تعجب الأستاذ تعجبنى ، وترتقى عندى إلى المرتبة الأولى فى فن المسرح والرواية .

ولـكنى لا أحسبها من أدب « المذهب الرمزى » الذى تكثر الدعوة إليه بين الفرنسيين خاصة فى هذه السنوات الأخيرة ، لأنها لا تعمى ولا تتعمد التلبيس ، ولكنها من أصرح مايقرأه القارئون وإذا توسمنا فى التعبير فهى عندى من الرمز السائغ وليست من الرمز الممنوع .

لأننى — حين أجبت عن ذلك السؤال — عنيت الرمز الذى يلجأ إليه الـكاتب عمـداً وله مندوحة من الإفصاح ، أو عنيت الرمز الذى يهرب من النور وليست له معذرة فى الهرب منه .

أما الرمز على إطلاقه فليس هو بممنوع ولا مستهجن ، وقد بينت أنواعه فى مقال بمجلة الـكتاب نشر فى أول السنة الماضية فقلت فيه بعنوان « مسوغات الرمزية » .

« إن التعبير بالرموز عادة قديمة فى تعبير الإنسان ، بل عادة قديمة فى بديهة الإنسـان . فالحالم مثلا يعبر فى منامه عن شعور الضيق أو الخوف بقصة رمزية .. والـكاتب الذى لم يعرف الحروف الأبجدية يرمز إلى المعانى بالشخوص والرسوم . و كهان الديانات يرمزون ويعمدون كثيراً إلى الـكنايات والألغاز ... والنساك

المتصوفون يرمزون لأنهم لا يستوضحون المعانى الغامضة التى تجيش بها نفوسهم فى حالة كحالة الغيبوبة ... وكان بعض الدول يقهر الرعية على عقيدة لا يدينون بها وقد يدينون بغيرها ، فيشيرون إلى عقائدهم برموز يفهمونها ... وقد يكون الرمز اختصاراً لعبارة مفهومة أو صورة ظاهرة ... فالرمز شيء مألوف فى تعبير الإنسان وفى طبيعة الإنسان ، ولكنه مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية ، وهى حالة الاضطرار والعجز عن الإفصاح ... فإذا لوحظت هذه الحالة فالرمز أسلوب متفق عليه لا يحتاج إلى مدرسة تنبه الأذهان إليه . فالخيالى لا يستشير مدرسة من المدارس لتشير عليه أن يحلم بالصور والتشبيهات ... والشاعر لا يعاب إذا مثل لنا الكواكب والأزهار فألبسها ثياب الأحياء . ومن ضاق به اللفظ فعمد إلى التخييل والتشبيه فالناس لا يحسبونه من هذه المدرسة أو تلك ؛ لأن المدرسة التى يصدر عنها فى هذه الحالة هى مدرسة البديهة الإنسانية حيث كان الإنسان .

هذه الرموز الطبيعية هى الرموز التى نعجب بها كما يعجب بها الأستاذ فريد .

أما الرموز التى وصفناها بالسخف فهى تلك الرموز الملفقة فى غير حاجة ولغير علة ، إلا ذلك الهراء الذى يتحدثون فيه عن « اللاوعى » ... و « اللاشعور » ، ويقولون إنهم يعبرون به عما لا يعيه العقل ولا يحيط به الحس الظاهر ، وهى جهالة منهم يسوقهم إليها أن الكلام عن « اللاوعى » وعن « اللاشعور » شيء جديد ، وكأنهم يحسبون أن الإنسان قد خلق مجرداً من هذا « الوعى الباطن » أو هذا الشعور الذى لا يعى نفسه قبل أن يتكلم عنه النفسانيون المعاصرون .

والواقع أن « اللاوعى » قديم فى الإنسان ، وأنه قد صدر عنه فى تخيله وتفكيره قبل أن نطلق عليه هذه الأسماء ، وإذا كان المعاصرون قد كشفوه أو أطلقوا عليه الأسماء فذلك أدعى إلى كشفه وتوضيحه ، لا إلى طغيانه على العقل والحس وإلغاء هذا وذاك كأنهما معطلان فى تعبير الإنسان وتفكيره ، عاجزان عن الإبانة والأداء .

فالتعمية المقصودة لغير علة هى الرمزية السخيفة التى ننكرها ولا نسيغها ، وهى وليدة التشدق بالمبتدعات الحديثة فى مذاهب علم النفس عن غير فهم ولا تمييز بين ما هو حديث فى الكشوف العلمية وما هو حديث فى طبيعة الإنسان .

إن الكلام الحديث عن طبيعة العقل كالكلام الحديث عن طبيعة النظر أو حقائق النور والإضاءة ، ونحن لا نغير نظارنا إلى الأشياء لأننا عرفنا عن دقائق العين ما لم نكن نعرف ، وكذلك لا نغير شعورنا بالدنيا لأن علماء النفس أطلقوا على الملكات النفسية فينا أسماء لم يعرفها الأقدمون .

ولكن هذه الطائفة التى تسمى نفسها بالمدرسة الرمزية تظن أننا قد خلقنا خلقاً جديداً بعد ظهور تلك المصطلحات على الألسنة فتلغى ما كان من تفكير وتعبير لغير سبب ، وتتعمد أساليب التعمية لأنها سمعت أن الوعى الباطن غير الوعى الظاهر ، وهما فى الحقيقة قد كانا كذلك منذ أول الزمان .

فليكن فى الأدب « رامزون » ، لأن الرمز أقرب إلى التوضيح والتأثير .

أما الرامز الذى تظهر له الحقائق فيضع يديه على عينيه لكى لا يراها ، فهو لا يرينا شيئاً قط يستحق أن نراه .

***

وقد سألنى مندوب الزمان أيضاً عن كلية الآداب ، فقلت له إن هذه الكلية لم تخرج أديباً واحداً منذ نشأت ، وأن الشبان الذين نبغوا منها فى الأدب قد نبغوا بجهودهم وملكاتهم على الرغم من سوء التعليم هناك ، وقيامها فى الغالب على قواعد الانتفاع وحب الظهور .

وسئل الأستاذ أبو حديد فقال : « أوافقه بتحفظ . وهذا التحفظ يرجع إلى أن الجامعة المصرية وليدة ربع قرن فلا ننتظر منها بعد ما ننتظره فى ربع قرن آخر ، وأملى أن تكون النتيجة طيبة » .

ولست أريد أن أخالف الأستاذ فى هذا التحفظ إلا بما يرضيه ويرضى الحقيقة .

فالأستاذ أبو حديد من خريجى مدرسة المعلمين العليا ، وهذه المدرسة قد أنشئت لتخريج المعلمين ولم تنشأ خاصة لتخريج الأدباء .

ولكنها — مع هذا — لم تنقض عليها سنوات حتى أخرجت للعربية أدباء من طراز محمد السباعى وعبد الرحمن شكرى وإبراهيم

٢ ـ عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد على

وجاء فى تاريخ الطبرى : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء »[(١)]. وا كتفى فى مواضع أخرى من تاريخه « بابن السوداء » [(٢)] وفى العبارة الأولى شرح لكلمة « ابن السوداء » ويدل ما ذكره الطبرى على أن أم عبد الله كانت سوداء اللون وأنها كانت قريبة من الزنوج أو من أصل زنجى قريب أو بعيد ، وأن أباه كان من اليمن وإن كنا لا نعرف اسمه كما لا نعرف اسم أمه ، وأنه كان يهودياً إلى أيام عثمان .

وفى البيان والتبيين » [(٣)] حديث جاء فى بعض فقراته « فلقينى ابن السوداء وهو ابن حرب » ولست فى شك من أنه يقصد « بابن السوداء » عبد الله بن سبأ الذى يتحدث عنه أصحاب كتب الفرق ، لأن المقالة المنسوبة إلى هذا الرجل هى نفس المقالة التى ينسبها الرواة الآخرون إلى عبد الله بن سبأ ، كما يذكر مؤرخون ورواة أن « ابن سبأ » هو « ابن السوداء » فهل عرف الجاحظ ذلك ، أم أنه قصد شخصاً آخر ؟ على كل حال فالمهم فى الرواية أنه نص على اسم والد « ابن السوداء » فدعاه « حرباً » ولكن أى « حرب » هو ؟ فهنالك مئات من الأشخاص عرفوا بحرب . ثم من كان والد حرب ؟ ومن أى قبيلة كان ؟ ذلك ما لم يتحدث عنه الجاحظ ولا غير الجاحظ من الكتاب أو الرُّواة أو المؤرخين . وقد فرَّق بعض الرُّواة بين « عبد الله بن السوداء » و« عبدالله بن سبأ » فجعلوا كل واحد منهما شخصاً ، ومن هؤلاء ابن عبد ربه ، والبغدادى ، ومن أخذ عنه مثل الاسفرائينى . ويعتقد المستشرق « إسرائيل فريد لندر » أن هذا التفريق الذى جاء فى كتاب « البغدادى » سببه الرواية المنسوبة إلى الشعبى ونصها : « وقد ذكر الشعبى أن عبد الله ابن السوداء كان يُعين على قولها . وكان ابن السوداء فى الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبي وصياً [(١)] إلى آخر الرواية ، وكان قد ذكر قبل ذلك اسم « عبد الله بن سبأ » فحدث هذا الاختلاف ولكنه كان يقصد فى الواقع شخصاً واحداً لا شخصين[(٢)]

ويظهر مثل هذا الاختلاف ولكن بصورة أخرى فى موضع من كتاب « العقد الفريد » للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة . فى الموضع الذى ذكر فيه رواية مفصلة للشعبى عن « الرافضة » – وأكثر الروايات التى تتعرض لبحث الرافضة هى من روايات الشعبى — جاء فيها « وقد حرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ، ونفاهم إلى المدائن : منهم عبد الله بن سبأ ، نفاه إلى ساباط ، وعبد الله ابن السَّبَّاب ، نفاه إلى الحاذر ، وابن كروّس » . فذكر الشعبى فى روايانه هذه اسم شخصين : « عبد الله بن سبأ »

(١) الطبرى جـ ٥ ص ٩٨ (طبعة المطبعة الحسينية) .
(٢) الطبرى جـ ٥ ص ٦٦ ومواضع أخرى .
(٣) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦ ؛ طبعة السندوبى القاهرة سنة ١٩٢٧

(١) الفرق بين الفرق فى بحث الشيعة والغلاة . ص ١٢٣
(٢) Isrdel Friea La-der . seper . 2 . a 28

المازنى ومحمد جلال وكامل سليم وأحمد زكى والعبادى وعوض محمد وفريد أبى حديد ومحمد بدران .

فالمسألة إذن مسألة البيئة والاستعداد لا مسألة الزمن الطويل أو القصير .

ولا فضل لمدرسة ننتظرها خمسين سنة لتخرج لنا أديباً أوجلة أدباء ؛ فإن تعليم المدرسة برنامج محدود السنوات ، وليست هى أمة تتولد فيها الأجيال وتحسب أطوارها بالعشرات من السنين . وإذا تم برنامج بعد برنامج ولم نشعر لتمامه بأثر فى النهضة الأدبية فذلك هو الإفلاس بعينه ، أو ذلك هو الدليل على أن الأديب الذى يخرجه لنا نصف قرن من الزمان هو وليد الأمة فى تطورها وليس وليد المدرسة التى كان ينبغى أن تعطيه ثمرتها فى بضع سنوات .

حقق الله أمل الأستاذ فى النتيجة الطيبة ، ولكن قبل خمس وعشرين سنة إن شاء الله ... !

عباس محمود العقاد

و « عبد الله بن السباب » والذى يطالع هذا الموضع يتصور أنه الثانى من زعماء الغلاة فى حب على بن أبى طالب ، وأنه كان من حزب عبد الله بن سبأ ، وأن اسم والده هو السباب »

ولكن إذا ما درسنا كتب الفرق وجدنا أنها تسمى أتباع عبد الله بن سبأ « السبائية » كما تسميهم « السبابية » فى ذات الوقت . جاء فى كتاب البغدادى « الفرق بين الفرق » « الفصل الأول من فصول هذا الباب ، فى ذكر قول السبابية ، وبيان خروجها عن ملة الإسلام . السبابية أتباع عبد الله بن سبأ الخ »(١) وقد تكرر ورود هذه التسمية فى كتب أخرى . وأرى أنها لم تأت عن اشتباه أو عن خطأ فى الكتابة ، بل جاءت من سبّهم الخلفاء . وقد ظهر السبُّ بينهم على مايظهر قبل أيام عثمان . ولما جاء الإمام إلى العراق أنكر عليهم ذلك . وظلت فرقة منهم ماضية فى سبها ، كما سبَّ الخوارج سائر الصحابة ممن اشترك فى الحوادث السياسية منذ عهد عثمان فما بعد . والظاهر أن القدماء كانوا يطلقون على تلك الجماعة «السبابية» وعلى الواحد منهم «السبابى» نسبة إليهم تمييزاً لهم عن الفرق الأخرى التى ظهرت بعد وفاة الرسول ، كالذى رواه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة فى كتابه « عيون الأخبار » عن المغيرة من أنه كان « سبابياً » وأنه كان من الغلاة (٢)

وكان « المغيرة » وهو المغيرة بن سعد مولى لبجيلة من السبابين . وقد أصلح جماعة من المحققين والناشرين المخطوطات القديمة واستبدلوا « بالسبابية » السبائية و « بسبابى » سبائى لشيوع « السبائية » وشهرتها . ورد فى النسخة الخطية «لعيون الأخبار » « وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبابياً وصاحب نير نجات » فاستبدل محقق هذا الكتاب بكلمة « سبابياً » كلمة « سبائياً » أى من السبائية « أتباع عبدالله بن سبأ . وقد اعتمد فى ترجيحه هذه الكلمة على ما جاء فى مفاتيح العلوم للخوارزمى(٣) وعلى ما جاء فى العقد الفريد (٤) وفى القاموس(٥)

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣
(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٨
(٣) مفاتيح العلوم ص ٣١ طبعة أوربا
(٤) العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧
(٥) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٩ ، القاموس مادة سبأ .

كما استبدل السيد سعيد العريان محقق « العقد الفريد » « بعبد الله بن السباب » عبد الله بن السوداء . ومعنى هذا أن عبد الله بن السوداء شخص آخر غير عبد الله بن سبأ كما جاء ذلك لدى البغدادى . وأعتقد أنه لا داعى إلى هذا التبديل فلعل « ابن السباب » من « السبابية » وهى إحدى المصطلحات القديمة التى كانت تطلق على الجماعة التى كانت تسبُّ قسماً من الصحابة . وعلى كل فنحن لا نعرف أى شىء عن هذا الشخص الذى سماه الرواة « عبد الله بن السباب » ولا عن الشخص الآخر الذى سمّاه صاحب العقد الفريد « ابن كروّس »(١)

ويذهب أكثر الرُّواة إلى أن « عبد الله بن سبأ » هو من أهل اليمن . وقال بعضهم أنه من حمير؛ ولذلك قيل له «الحميرى»(٢) وقد عرف « كعب الأحبار » وهو يهودى مسلم بالحميرى كذلك ؛ غير أننا لا نستطيع أن نقطع بأنه كان من حمير أى من صميم « حمير » فيجوز أن يكون من المنتسبين إليها بالولاء . وهنالك رجل آخر له شهرة فى التأريخ قيل عنه أيضاً إنه كان يهودياً أو من أصل يهودى ، هو « وهب بن منبه » ثم أسلم أوأسلم أهله . وقد ميز عن صاحبيه بلقب هو « الأبنوى » ويعنى هذا اللقب أنه كان من « الأبناء » أى من أبناء جنود الفرس الذين كانوا قد جاءوا إلى اليمن قبل الإسلام لطرد الأحباش . وزعم الطبرى فى تاريخه أنه كان من أهل صنعاء (٣) أما الشعبى فقد ذهب إلى أن عبد الله بن السوداء كان من أهل الحيرة . ونحن لا نستطيع رفض رواية الطبرى كما لا نستطيع قبولها . ولا نستطيع أيضاً تصديق رواية الشعبى ولا تكذيبها . حتى أننا إذا ما أخذنا بالرواية الثانية فإنها لا تتعارض مع الرواية الأولى إذ يجوز أن يكون من أصل يمانى هاجر إلى الحيرة فى العراق (٤) . كما أن من الجائز أن يكون اسم « سبأ » هو الذى أوحى إلى الرواة بهذه القصة قصة موطن « عبد الله » وانتسابه إلى اليمن ومن اليمن فى صنعاء .

وأستطيع أن أقول وأؤكد أن اشتهار « عبد الله »

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤١
(٢) ابن حزم . Shiiteo, 1, 37
(٣) Friedländer, S ' 22 .
(٤) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٢٣

بابن السوداء لم تكن شهرة تسره ، كما لم تكن شهرة تسر أتباعه إن كان له أتباع حقاً . وقد استعملت هذه الكلمة دوماً للتحقير والازدراء . وقد عير بها « عمار بن ياسر » حينما تجاسر وتطاول على الخليفة عثمان بن عفان فكان من جملة ما قاله الخليفة « ويلى على ابن السوداء ! لقد كنت به عليما » (١) وقد عير بها « المقداد ابن الأسود » فقيل له « يا ابن السوداء » (٢) . ولما غضب أبو ذر الغفارى على كعب الأحبار قال له « يا ابن اليهودية » و « يا ابن السوداء » (٣) .

ويكاد يكون فى حكم الإجماع بين الرواة الذين ذكروا خبر عبد الله بن سبأ أنه كان يهودياً . وقد أيد علماء الشيعة ذلك أيضاً مثل النوبختى والكشى والكلينى المحدث الشيعى الشهير صاحب كتاب « الكافى » فى أحاديثه عن الإمام الصادق فى عبد الله ابن سبأ (٤) . ويظهر من دراسات هذه الروايات أنها ترجع فى الواقع إلى أوائل العصر العباسى وأواخر العصر الأموى .

وقد كانت « صنعاء » عاصمة اليمن فى أيام الأحباش قاعدة مهمة لليهود . والظاهر أنهم أقاموا بها منذ مدة قبل غزو الأحباش لليمن . وأنهم صاروا يشعرون بطمأنينة بال وراحة فى هذه المدينة ، فربطوا حوادثها بالتوراة وقالوا إنها مدينة « أزال » « أوزال » التى ورد خبرها فى الكتاب المقدس (٥) . فهل كان « عبد الله بن سبأ » أحد هؤلاء اليهود الذين حافظوا على ديانتهم إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان حتى إذا أسلم تملكته حمى التنقل من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر داعياً الناس إلى دعوات غريبة ، طمعاً فى إثارة الفتنة وخلق الفوضى فى صفوف المسلمين . فزار الحجاز وذهب إلى البصرة فالكوفة فالشام فمصر ، واتصل بكل هذه الأقطار عن طريق المراسلة حتى تمكن من تأجيج نار فتنة لم تخمد حتى اليوم ؟

والعجيب أن رجلا كهذا الرجل لم يسجل الرواة حوادثه ولا أخباره ، ثم ينصاع له شيوخ من شيوخ المسلمين ، ولا يتقدم أحد لقتله أو سجنه على هذه المقالات التى كان يظهرها وهو فى صورة مسلم يدين بالإسلام .

ذكر الطبرى أنه لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن فى عبدالقيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة ، وكان حكيم ابن جبلة لصاً ، إذا قفل الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه . ومن كان مثله فلا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها . فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح . فقبلوا منه واستعظموه . وأرسل إليه ابن عامر فسأله ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك . فقال مايبلغنى ذلك ، أخرج عنى . فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم »(١)

والمعروف أن ولاية « عبد الله بن عامر » على البصرة ، بعد عزل أبى موسى الأشعرى عنها ، إنما كانت فى سنة تسع وعشرين للهجرة فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢) فيكون مجىء عبد الله ابن سبأ إلى البصرة إذاً فى سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة ، أى فى السنة الثالثة من حكمه كما أخبر بذلك الطبرى ...

(للبحث بقية)

جواد على

(١) اليعقوبى حـ ٢ ص ١٤٧

(٢) اليعقوبى حـ ١ ص ١٨٧ طبعة « Houtsma » وص ١٩٨

(٣) Fridländer ' P ' 28

(٤) راجع الكافى فى أحاديث الامام الصادق . طبعة محمد عبد الرحيم

(٥) Hastings . P, 958 . Harris' el — Yemen . P ,313·

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٩٠

(٢) الطبرى حـ ٥ ص ٦٤

لا، لا نملك تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

كان صديقنا الأستاذ عبد المتعال الصعيدى يقرر فى رده الأول علينا أننا « نملك تحريم تعدد الزوجات » ولكن بطريق مخالف لطريق معالى عبد العزيز فهمى باشا ، « وقد سلكه أولو الأمر حديثاً فى نظائر لتعدد الزوجات » ، وأشار إلى هذا الطريق بمثال هو « تحديد سن الزواج ونحوه مما جرى العمل الآن به ، وألفه الناس بعد أن ثاروا عليه عند تشريعه » ؛ مما يفهم منه بوضوح أنه طريق التشريع الوضعى القائم على استعمال ولى الأمر ما له من سلطان على عماله مأذونين كانوا أو قضاة بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعاوى المترتبة على هذه العقود .

فلما بينا له — تعقيباً على رده — أنه قد أخطأ القصد إلى التحريم بما أشار إليه من طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة ، وأن ما ينشأ بين الناس من علاقات شرعية فى الأمور التى تناولها المشرع الوضعي بطريق المنع المتقدم ، يعتبر صحيحاً شرعاً وقانوناً وتترتب عليه جميع الآثار المترتبة على سواه ، عدا تحرير الوثيقة وسماع الدعوى وهما الأثران المعطلان خلافاً لما هو النظر الصحيح فى « قاعدة تخصيص القضاء » ، راح — فى رده الثانى — يحرر مراده بأن لولى الأمر « أن ينهى عنه (تعدد الزوجات) إذا أساء المسلمون استعماله ، فيصير حراماً لنهيه عنه ، وإن كان فى ذاته مباحاً » كما ينهى عن زرع القطن فى أكثر من ثلث الملك » فيكون زرع القطن فى أكثر من الثلث حراماً من هذه الناحية وإن كان فى ذاته مباحاً ... هكذا يقول الأستاذ .

وظاهر مما تقدم أن معالم هذا الطريق الأخير تغاير المعالم التى أقامها للطريق الأول تمام المغايرة ، فذاك طريق ليس له سوابق فى التشريع المصرى الحديث ولا القديم على الأقل فيما يتعلق بنظائر تعدد الزوجات التى مثل لها الأستاذ نفسه بتحديد سن الزواج ؛ فلا ينطبق عليه إذن القول بأنه « قد سلكه أولو الأمر حديثاً فى نظائر لتعدد الزوجات » ، وبالتالى لم يألف الناس هذا الطريق ، فلا ينطبق عليه القول بأنه « مما جرى العمل الآن به وألفه الناس بعد أن ثاروا عليه عند تشريعه » . كما أن ما ذكره الأستاذ نفسه فى ختام رده الأخير من « أن الناس لم يتهيأوا بعد لفهم هذا الحق (حق ولى الأمر فى التحريم) ؛ بل يعدوه خروجا على الدين » يبين بجلاء أنه لم يكن الطريق الذى عناه فى رده الأول ووصفه بأن تحريم تعدد الزوجات بواسطته « كان مطلباً سهلا لا يحتاج إلى ما تكلفه (الباشا) فى أمره » ، والذى تنطبق عليه هذه الأوصاف كلها إنما هو الطريق الذى فهمناه من رده الأول وأشرنا إليه فيما تقدم .

والظاهر أن الأستاذ قد استشعر — قبل سواه — هذا التغاير التام بين الطريقين وأنه لا يستساغ معه اعتبار ثانيهما تحريراً للمراد من الأول ، فحاول أن يعقد بينهما وشيجة قربى إذ قرر فى ختام رده الأخير ما يتضمن أن العلاقة بين الطريقين علاقة الفرع بأصله . فالطريق الذى قررنا أنه هو ماعناه فى رده الأول ولا يمكن أن يكون قد عنى سواه ، متفرع — فى رأيه — على الطريق الوارد فى رده الأخير ولا يعدو أن يكون « تنظيما فيه أو استثناء له من ولى الأمر بما له من حق التحريم والمنع . ولعل مما يدعو إلى هذا أن الناس لم يتهيأوا بعد لفهم هذا الحق ... الخ » والواقع خلاف ذلك لأن الطريقين متغايران — كما قدمنا — تمام التغاير ، ولا يمت أحدهما إلى الآخر بالصلة التى حاول الأستاذ عقدها بينهما ولا بما يماثلها . فهما وإن كانا من حق ولى الأمر — فيما يرى الأستاذ — إلا أن حقه فى كل منهما لا بد من إرجاعه لأصل مغاير لأصل الآخر ؛ فحقه فى منع عماله من تحرير وثائق أو سماع دعاوى معينة راجع إلى (سلطته التنظيمية) عليهم باعتبارهم أدواته فى مباشرة (ولايتى التنفيذ والقضاء) . أما الحق المنسوب له فى التحريم فلا مندوحة من إرجاعه إلى (سلطة تشريعية) لولى الأمر تتعلق بأفعال المكلفين عامة مما يقتضيه تعريف الحكم الشرعى .

وحتى على التسليم بأن طريقه الجديد مما يصح اعتباره تحريراً لمراده بالطريق الأول ، فهو مع ذلك غير مؤد إلى الغاية التى قصد إليها إلا وهى التدليل على دعواه أننا نملك تحريم تعدد الزوجات ، إذ لم يرد عن أحد من القائلين بحق ولى الأمر فى النهى عن المباح

تولستوى الحائر (*)

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ما الحياة إلا وهم . وما سعينا فيها إلا عبث . وما أنفسنا وأولادنا إلا طعام للدود . وما مسراتنا وملاهينا إلا كأصوات الخائفين من الأطفال فى ظلام الغابة اللفاء يدرأون بها عن أنفسهم الخوف . وما ذلك الذى نسميه فى الحياة جمالا إلا غرور ، إن كل ذلك إلا باطل ؛ وإن هو إلا اللاشىء . ذلك ما أفضى به إليه تأمله ، وذلك مايعذبه ويفزعه ويحيطه باليأس من جميع أقطاره وليته ينسى ! ولكن أنى له النسيان وهذه الحياة نفسها تذكره أبداً بفزعه الأكبر منها ؛ وهو ما فكر فيها لمجرد الفكر فى ذاته ، ولكن شيئاً مبهماً خفياً ظل يوجه نفسه هذه الوجهة منذ حداثته ، لا ينقطع عنه إلا ليعود إليه أقوى مما كان ، وما زال حتى وقف به على حافة الهاوية ...

وما قصر أو تهاون فى درس أو قعد عن استقصاء . قال : «ولكنى ربما كنت قد سهوت عن شىء أو أخطأت فهم شىء . ذلك ما تحدثت به إلىّ نفسى مراراً ؛ فليس من الممكن أن تكون مثل هذه الحال من اليأس أمراً طبيعياً فى الإنسان . ثم بحثت عن تفسير لهذه المسائل فى كل ناحية من نواحى المعرفة بلغها الناس ، وبحثت بحثاً مؤلماً طويلا ، لا لمجرد الفضول والنظر ، وقضيت فى بحثى الشاق زمناً ، بالنهار وبالليل ، أجدّ كما يجد من أشرف على الهلاك حين يطلب النجاة ؛ فلم أعد من ذلك بطائل»

لم يدع شيئاً من العلوم النظرية ولا من العلوم التجريبية ، ولكنه لم يجد فى العلم بغيته . فما بلغ العلماء من العلم إلا بعض ما يتصل بأبحاث المختصين والمحترفين ، أما ماله صلة بالمشكلة الأساسية وهى مشكلة الحياة ، فقد أهملوه أو جهلوه . يقول عن العلماء «إنهم هكذا يجيبونك : أما عن سؤالك : ماذا أنت ولم تعيش ، فليس لدينا جواب ، وليس هذا مما نشغل أنفسنا به . أما إذا أردت أن تعلم قوانين الضوء أو قانون الاتحاد الكيميائى أو غيرها فلدينا أجوبة واضحة محددة عن ذلك لا تقبل الجدل» .

ولم يدع شيئاً مما له فى الفلسفة صلة بمسائل الحياة ، فقرأ سقراط وبوذا وسليمان الحكيم وشوبنهاور واضرابهم ، ولكنه لم يرجع من فلسفتهم إلا «بأن كل شىء فى الحياة عبث ، وأن السعيد هو ذلك الذى لم يولد» .

ماذا يقول سقراط ؟ أليس هو القائل : «إننا نقرب من الحقيقة كلما أخذنا فى الابتعاد عن الحياة ، وأن حياة الجسد شر وباطل ؛ وعلى ذلك فالقضاء على حياة الجسد من النعيم ، وينبغى علينا أن نطلبه ؟» وماذا يقول بوذا ؟ أليس هو القائل : «إن من المستحيل أن نعيش وفى نفوسنا أن الألم أمر لابد منه ، وأننا سوف يلحقنا الضعف ويصيبنا الكبر ويدركنا الموت .. ألا إنه يجب علينا أن نتخلص من هذه الحياة ؟» .

وماذا يقول سليمان ؟ أليس هو القائل «عبث فى عبث وباطل فى باطل ، وماذا يجنى الإنسان من عمله تحت الشمس ؟ يمضى

(*) من كتاب «تولستوى» الذى يظهر بعد أيام عن دار الرسالة بالقاهرة .

أن هذا يجرى فيما وردت بحله نصوص (تفصيلية) محكمة فى الكتاب والسنة كما هو الحال فى تعدد الزوجات (وليست هذه النصوص — فيما أعتقد — موضع خلاف بينى وبين الأستاذ عبد المتعال) ، ولا تفيد عباراتهم جريانه الا فيما هو من قبيل «المصالح المرسلة» التى لم يشهد لها الشارع بحل ولا بحرمة فتكون — قبل نهى ولى الأمر — على أصل الأباحة ، أو «سد الذرائع» بالنهى عما يدخل تحت نصوص (أجمالية) بالإباحة إلا أنه يتخذ ذريعة لارتكاب محرم . والحرمة المستفادة من نهى ولى الأمر فى هذه المواضع وما شابهها تكون مستندة فى الواقع إلى دليل عام من الكتاب أو السنة ، فلا يقال إنها شرعت بنهى ولى الأمر ابتداء . على أن مسألة نهى ولى الأمر عن المباح — حتى فى نطاق هذا التحديد الذى بيناه — مسألة خلافية ، القول فيها طويل والرأى غير مستقر ؛ فهى ، من كل الوجوه ، ليست بالذى يصح أن يعول عليه فى مثل هذا الباب .

أما ما استشهد به من موضوع «زراعة القطن» فلا يصلح للاستشهاد لأنه قياس مع الفارق الكبير ، وهذا ظاهر .

ابراهيم زكى الدين بدوى

المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون
من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد

جيل ويأتي جيل غيره والأرض هي الأرض قائمة أبداً ؛ وكل ما كان هو ما سوف يكون ، وما عمل هو ما سوف يعمل ؛ ولا جديد تحت الشمس . ولن يذكر ما مضى من الأشياء ، وكذلك ما هو آت فسوف لا يذكره من يأتي بعده » .

وماذا قال شوبنهور ؟ أليس هو القائل : « الحياة هي ذلك الذي كان يجب ألا يكون ... هي الشر ؛ وإن انتهاءنا إلى اللاشيء هو الخير الوحيد فيها » .

وهذه الحكمة الهندية القديمة كيف تصور الحياة ؟ « كان سكياموني أميراً شاباً يعيش عيشة سعيدة حُجب عنه العلم بالمرض والكهولة والموت . وخرج الأمير ذات يوم للنزهة فبصر بشيخ فقد أسنانه ، يتعثر في مشيته ، ويبعث منظره الرعب في النفس ، فسأل ذلك الأمير الذي لم يكن له علم بالشيخوخة حتى ذلك اليوم سائق عربته ، وقد أخذه العجب : ماذا يكون ذلك ؟ وكيف وصل الرجل إلى هذه الحال التعسة الكريهة ؟ ولما علم الأمير أن ذلك حظ الناس جميعاً ، وأنه سوف يصيبه لا محالة يوماً ما ، لم يستطع أن يستمر في نزهته ، وأمر سائقه فعاد به إلى القصر ليتفكر في هذه الحقيقة . ثم أغلق من دونه الأبواب وجعل يتفكر . ويرجح أنه وجد عزاء لنفسه ؛ فقد خرج ثانية للتنزه مبتهجاً سعيداً ، ولكنه أبصر هذه المرة مريضاً منهدماً أعشى العينين مرتعش البدن ، ولما لم يكن للأمير علم بالمرض فقد وقف وسأل عن ذلك . ولما علم أنه المرض ، وأن كل إنسان عرضة له وأنه هو نفسه ، وهو الأمير القوي السعيد ، قد يمرض في غده ، لم يطق متابعة سيره وعاد ثانية إلى قصره ليتدبر ويبحث عن عزاء ويرجح كذلك أنه أصاب عزاء ، فقد خرج يتنزه للمرة الثالثة . ولكنه في هذه المرة وقع على منظر جديد ؛ فقد أبصر رجالا يحملون شيئاً ما ، فسأل ماذا يكون ؟ ولما أخبر أنه رجل ميت قال متعجباً : ميت ؟ وما الميت ؟ وأخبر أن الإنسان إذا أصبح مثل ذلك الرجل صار ميتاً . فدنا الأمير من الجثة وكشف عنها غطاءها ونظر فيها وسأل ماذا يحدث بعد ذلك ؟ فأخبر أنها سوف تدفن في الأرض واستفهم عن سبب ذلك فأجيب : لأن الميت سوف لا يعود إلى الحياة وسوف يتعفن وينتج الدود . وسأل الأمير أذلك حظ الناس جميعاً ؟ وهل يحدث لي مثل هذا ؟ وهل أدفن وأتعفن وأنتج الدود ؟ أتقول نعم ؟ إذن فإلى القصر . ولن أخرج بعد ذلك أبداً طلبا للمتعة .

ثم إن سكياموني فقد كل عزاء ، وأيقن أن الحياة أعظم شر ، وجعل همه كله أن يتخلص منها ويخلص غيره » .

هكذا تُصور الحكمة الهندية الحياة وهكذا رآها تولستوي ، ولقد فكر كثيراً في أن يتخلص منها ...

ولكنه يرى كثيراً غيره من الناس يعيشون لا تزعجهم الحياة ولا يكربهم التفكر فيها ، فإذا كان لم يجد في العلم هداه ولا في الفلسفة ، أفلا ينظر في حياة الناس ليرى كيف يرضون ولا يشقون مثل شقائه ؟

وعرف من الناس في الحياة أربعة أنماط : ففريق هم الجهلاء الذين لا يدرون أن الحياة عبث وسخف ، وليس له في هؤلاء فائدة ؛ لأنه لا يستطيع أن يعود جاهلا . وفريق يعلمون سخفها ، ولكنهم مع علمهم يوطنون أنفسهم على تحملها ، وهو لا يقدر أن يجاريهم فهو متبرم ساخط . وفريق هم الجادون العاملون الذين يتخلصون من الحياة على أية صورة ، وهو لا يستطيع أن يفعل فعلهم لأن شيئاً خفيا يمنعه من ذلك كلما أغراه اليأس . وفريق يرون الحياة زوراً وعبثا وأن لا خير في مستقبل ولا رجاء ، ومع ذلك فهم يتعلقون بها وإن تعذبوا ، وهو من هذا الفريق .

على أن هناك فريقاً خامساً لا يدخل في هذه الأنماط الأربعة ، هم أولئك الذين لا يكترث لهم أحد ، وينظر إليهم السادة نظرتهم إلى الدواب ، وهؤلاء قد وجدوا لهم في الحياة معنى يعيشون عليه ، معنى لا يتصل بالمعقول ولا بالفلسفة ، وذلك هو الإيمان .

ولكن إيمان هؤلاء يقوم على أساس من الأرثوذكسية عقيدة الكنيسة الروسية الإغريقية ، وهي ما لا يستطيع أن يحمل عقله على قبوله ...

يا للحيرة ! إن العقل يفضي به إلى إنكار الحياة نفسها ، وإن الإيمان يقتضي أن يعطل العقل ... أي بلاء هذا ؟ وأي ليل معتم !

ولكنه علم فيما علم قول المؤمنين إنه لا بد من إعداد النفس للإيمان حتى تؤمن ؛ وإذاً فليدع العقل جانباً وليناقش رجال الدين ، ولينظر في كلامهم لعله يصل إلى قلبه ، وليقرأ ما كتبه آباء الكنيسة ، وليطالع سير القديسين ، وليتعبد فيقيم الشعائر جميعاً ، وليزر الأديرة ، وليذهب إلى الأب الصالح أمبروز ، ذلك

الذى كان يستعينه جوجول والذى استعانه دستويفسكى وسولوفييف ؛ وفعل ذلك جميعا ولكن الشك ما زال يأخذ بخناقه ويكاد يزهق روحه ...

ويقرأ العقيدة الأرثوذكسية ، وكلما أمعن فيها سخرمنها وبعد عن التصديق بها . فما هذا التثليث ؟ وما هذا التحول إلى دم المسيح ولحمه ؟ وما تلك المعجزات التى تنسب إلى القديسين ؟ وما تلك الأدعية والصلوات والطقوس ؟ أذلك مما يقبله العقل ؟ كلا ثم كلا

ثم يحاول أن يطرد الجحود من نفسه فربما كان الجحود هو ما يحول بينه وبين الإيمان . ويقول لنفسه دائما إنه مستعد لأن يؤمن . قال فى كتابه « اعتراف » يصف ذلك : « لقد اتجهت صوب الإيمان لأنى لم أجد شيئا خارجه إلا الخراب . وعلى ذلك فما دمت لا أستطيع أن أطرح عقيدتى جانبا فقد صدقت وخشعت . وقد أحسست فى قلبى من القنوت والخشوع ماجعلنى أفعل ذلك . ثم إنى عدت فخشعت وازدردت الدم واللحم من غير سخرية فى نفسى رغبة منى فى أن أصدق ؛ ولكنى أذكر ما مر بى من صدمة وأرى ما ينتظرنى فيما هو قادم ، فلا أملك أن أظل مصدقا » .

وإذ يرى نفسه فى بحرلجى من الحيرة يسأل نفسه : ماذا يريد أن يعرف على التحديد ليلتمس السبيل إلى معرفته ؟ فيكتب على رقعة : لماذا أنا حىّ ؟ ماسبب حياتى وحياة غيرى من الناس ؟ وما هدف حياتى وحياة غيرى ؟ ماذا تعنى ثنائية الخير والشر التى أحسها فى نفسى ؟ ولماذا هى قائمة فيها ؟ وعلى أى وجه ينبغى أن أحيا ؟ وما الموت ؟ وأهم من ذلك كله وأكثره تعقيداً كيف أنجى نفسى ؟ ذلك أنى أحس أنى هالك ، فإنى أعيش ثم أموت؛ وإنى أحب الحياة وأخاف من الموت ، فكيف أنجى نفسى ؟ »

وإذا لم يبق له إلا الدين والإيمان ، فأى إيمان ؟ إنه إذا قارن فى نفسه بين تلك الأوقات التى آمن فيها بالله وبين تلك التى أنكر فيها الله ، وجد الأولى نيرة فيها شفاء للنفس ، ووجد الثانية مظلمة فيها العناء ، ولكن الإيمان بالله شىء ، والإيمان بما تقول الكنيسة الأرثوذكسية شىء آخر ...

ولا يزال يطيل القراءة فى العقيدة الأرثوذكسية ، ولا يزال يقرأ الأديان جميعاً فى كتبها ، ولا يزال يزور الأماكن المقدسة علها توحى إلى نفسه الإيمان ، ومن ذلك مدينة كييف وماتزدحم به من كنائس وأديرة قديمة . ولا يزال يستفهم القسيسين والطيبين من الطاعنين فى السن من الناس . ولا يزال يقيم الشعائر ويعظمها . . ثم لا يعود من ذلك جميعاً بشىء إلا الجحود بما تقول الكنيسة .

تلك حال تولستوى وما صنع فى تلك السنوات التى أعقبت زواجه حتى أتم كتابه « أنا كارنينا » . ثم تلق الضربة التى جملته يتخبط فى الظلام ، والتى جملته يلق بعيداً بحبل كان فى متناوله مخافة أن يشنق نفسه ، ويجمل دون بندقيته قفلاً غليظاً كيلا يصوبها إلى قلبه . وما تلك الضربة إلا أنه بعد طول عنائه يرى الحياة لاشىء ، ولكم يزعجه اللاشىء ويوبق روحه ويزعزع فؤاده!

ولكن إذا كان لا يحب أن يقتل نفسه فما معنى أن يستسلم لليأس ؟ وكيف يحيا إذن ويطيق حياته إذا كان لا يرضى الموت ولا يرضى الحياة ؟

إذن فليجاهد على وعورة الطريق وبعد الشقة وظلمة المفازة ، ليجد معنى للحياة ترتاح له نفسه ، ويسعد به البشر . ولئن وقف به ما سلف من جهاده وقفة التائه الذى يخيفه الفضاء والظلام ، فلخبره أن يمضى لعله يجد بعد الضلال هدى وبعد العذاب راحة . ولأن يتحمل وعثاء السفر مهما عظمت أهوَن عليه من هذه الوقفة التى تكاد تلقيه فى قرار سحيق ...

لقد قضى من عمره قرابة ثلاثين عاماً يعمل للفن ، فليقض ما بقى من عمره عاملاً على تقرير معنى الحياة ، وليس ما يمنع أن يكون الفن أداته فيما هو قادم إذا لزم الحال ...

وسوف يعمل تولستوى دائباً ناصباً ، حتى ليعد جهاده فى سبيل غايته من أروع فصول الكفاح فى خطى البشرية ، فليس أبلغ فى معانى البطولة من تحمل مثل ما سوف يلقاه من عذاب ، ولا من الصبر على مثل ما سوف يعترض له من صعاب . ولسوف يغدو تولستوى فى تاريخ الفكر الحديث ، والأدب الحديث ، والفن الحديث ، بجهاده الهائل منقطع القرين فى إخلاصه وحميته وثباته . أجل ، وسوف يرتفع إلى منزلة وسط بين الأنبياء والناس.

محمود الخفيف

لا أثر للمغازلة فى روسيا

مترجمة عن مجلة انترناشونال دايجست

بقلم الأستاذ توفيق ضعون

هذا ما بدا لأحد سكان غربى أوروبا عند ما زار موسكو ، وقد عاد منها مقتنعاً أن « الرفيق كوبيـد » أصبح شيئاً غير مرغوب فيه فى وطن ستالين . أما روايته فى هـذا الصدد فهى ما يلى :

لقد ألف سكان غربى أوربا مشاهدة المطارحات الغرامية على أنواعها ، وفى جملتها تبادل القبَل فى الشوارع والمتنزهات ، والتشجيع على المناصرة الذى يلقاه الرجال من الغوانى . فلا بدع إذن أن يعجب الباريسيون أو سكان أى مدينة من كبريات المدن الأمريكية للمحافظة التامـة على الآداب العمومية التى يلقونها فى موسكو .

ممـا لا ريب فيه أن هذه المدينة التى تعج بضعفى عدد سكان باريس هى واحدة من « أنظف » بلدان العالم ؛ إذ أن العلاقات اليومية بين الرجال والنساء خاضعة لقواعد التعفف والصون التى جرى عليها الأقدمون . فلا عواهر يخطرن فى الأسواق ، والرجال والنساء ، شباناً وكهولا ، لايتبادلون القبل علانية ، ولا يسيرون متشابكى الأذرع ولامتضامّين لـكى يثبتوا للملأ مايضمره أحد الفريقين للآخر من حب وإعزاز . وجـل ما يراه الزائر محبان يتنزهان ، وقد أخذ كل منهما بذراع الآخر فى احتشام كلى ، فيخيل إليه أنهما زوجان انقضى على قرانهما عقد من السنين .

ومما استرعى انتباهى بنوع خاص أننى بينما أنا واقف فى مطار كالينغراد فى انتظار طائرة تقلنى إلى موسكو ، تجلى أمامى مشهد وداع مدهش جرى بين جندى مبتور الذراع وخطيبته الحسناء المسافرة ؛ فمنذ ما أزف الموعـد أخرجت الفتاة من محفظتها تفاحة قدمتها للجندى فتناولها مبتسما ، وبادلها بدوره إهداءها بضمة من أزهار كان قد اقتطفها من حقل مجاور . والظاهر أن تعرضهما للأنظار ربكهما إلى حـد أنهما افترقا دون عناق . وصعدت الفتاة إلى الطائرة حيث لبثت مستغرقة فى تفكيرها لاهية عن كل ما حولها باستثناء لحظات خاطفة كانت تلق فيها نظرة أسى من النافذة ، أو تصوبها إلى طاقة الزهر الصـغيرة التى زوّدها بها خطيبها الجندى ، وعبثاً حاولت الترفيه عنها ، فقد رفضت بأدب وحزم كل ما عرضته عليها من سكائر وحلوى .

وفى غضون الأسبوعين اللذين قضيتهما فى موسكو تكررت أمامى المشاهد الدالة على المحافظة إلى أقصى حدودها . ولم يتفق لى ألبتة أن رأيت مطارحة من المطارحات الغزلية الشائعة المألوفة فى المدن الأوروبية والأمريكية . فإن تلك النظرات الخاطفة التى يتبادلها المارة عادة فى باريس أو نيويورك ، والتى تعبر عن التباهى بالجمال أو الأناقة أو الإعجاب بهما مفقودة تماماً فى موسكو . والذى وثقت منه أن الفتاة أو المرأة فى العاصمة الروسية لا تدرك معنى لأدلة الحب والإعجاب ، أو هى تأخذ نفسها بواجب تجاهلها فإن أنت أطلت النظر إليها عزّت ذلك منك إلى تبينك لطخة علقت بأنفها فتحاول إزالتها بمنديلها .

وإذا رأيت امرأة جالسة على مقعد فى حديقة عامة فلا تخش إذا أنت جاورتها أن تحدجك بغضب ، أو تخلى مكانها ؛ إذ هى لا ترى فى صنيعك ما يريب أو يدعو إلى الاستهجان . وإذا جرؤت على سؤالها عن الوقت أو استطلعتها رأيها فى الطقس أجابتك بكل بساطة معينة لك الساعة ومعربة عن شعورها بنقص الحر أو اشتداده بالنسبة إلى ما كان عليه فى الأحد الفائت .

ولا يصح أن يُعزَى ما يبديه الذكور فى موسكو من الفتور أو التحفظ إلى نقص فى جاذبية إناثها ، فهن على العكس من ذلك بارعات الحسن ، وجمال بعضهن رائع فتان . فهناك الموسكوفيات الذهبيات الشعور السمهريات القوام ، والشماليات ذوات البشرة العاجية والأعين الزرق ، والقوقازيات الفاتنات اللحاظ المفترات الثغور . ولـكن برغم كل هذه المغريات يندر أن يميرهن الرجال التفاتاً . وحتى اليوم لا أعلم سبباً لهذا الفتور وعدم المبالاة يبديهما الرجال نحو أبرع النساء جمالا سوى اعتبارهم الاحتفال بالجمال إلى حد التدله ، إخلالا بالآداب العامة .

وممـا يلفت النظر بنوع خاص هو أنه بين زهاء الألفين من اللوحات العصرية المعروضة فى المتحف الفنى لا يوجد رسم واحد عار . وفى أثناء إقامتى فى المدينة أعرت مديرة النزل دفتراً أودعته ما أوحاه إلىّ خيالى من رسـوم عارية لآدم وحواء فى

الفردوس . فلم يكد يقع نظرها على الرسم الأول حتى أعادت إلىّ دفترى قائلة : « اسمح لى أن أعيد إليك بضاعتك إذ لا سوق فى روسيا للرسوم البذيئة ! » ، ولا يتوهمن القارئ أن بين تلك الرسوم ما يريب أو يخدش العفاف ؛ فإننى لو كنت فى باريس لما تحرجت أن أطلع عليها راهبة فى دير سان سوبليس فلا ترى فيها ما يوجب الإغضاء . والأغرب من ذلك أن الكثيرين من أصدقائى فى موسكو أكدوا لى أن تلك الديرة لا تعد من المتطرفات فى التصون .

وربما كان أشد ما حيرنى سلوك الرجال ؛ فهم متطرفون فى كتمان عواطفهم الجنسية . ومما أذكره فى هذا الصدد أننى بينما كنت مسافراً فى طائرة أخذت أسلى نفسى بمطالعة عدد من مجلة « ليف » حتى إذا ما استوعبت جل ما يهمنى من مواده دفعته إلى ضابطين روسيين مجاورين لى ، فراحا يقلبان صفحاته دون أن يستوقفهما ما حفل به من رسوم الفتيات ذوات الجمال الرائع والهندام البارع ، شأنهما فى ما مرا به دون مبالاة من صفحات المواد لجهلهما اللغة الإنكليزية . أما الصفحة الوحيدة التى أطالا فيها التحديق فهى تلك التى تضمنت إعلاناً عن معمل دراجات آلية .

ولا يزال ذلك الاحتشام المحسوس الملموس فى روسيا سراً مغلقاً علىّ ، وربما كان من أول الأسباب الداعية إليه هو أن النساء فى الاتحاد السوفياتى ، باستثناء أقلية لا يؤبه لها ، أصبحن على قدم المساواة مع الرجال ، ففى كل مكان تقوم المرأة بأعمال كانت وقفاً على الرجال ، كقيادة الحوافل ، وبيع تذاكر السفر فى محطات السكك الحديدية ؛ حتى أن تنظيف المجارى تقوم به النساء. وكثيراً ما تبصر إحداهن خارجة من الأعماق وقد علت وجهها وثوبها الأقذار بعد أن غاصت فيها بحذائها الساق الضخم .

ومن الجهة الثانية نرى أن الروسيين قد أعياهم إدراك مفهوم الغربيين للأسلوب الأصلح فى العلاقات بين الجنسين . ومن الأمثلة الطريفة على تقصيرهم فى هذا المضمار هو ما شاهدته فى (ڤيانا) ، فقد دُعى عدد من الفتيات الفرنسيات المجندات إلى حفلة اجتماعية أقامها ضباط روسيون . ومما لا ريب فيه أن الفرنسيات لم يجاوزن فى سلوكهن الحد الذى ألفنه مع أبناء جنسهن . وكان الروسيون الذين تجنبوا كل أنواع المنازلة أن رافقوا بكل أدب مدعواتهن إلى منازلهن ، ولكنهم لم يتمالكوا أن أبدوا منتهى الاستغراب عندما رأوا الفتيات يودعنهن عند الباب ولم تدع واحدة منهن رفيقها للدخول وتناول فنجان من الشاى أو كأس من الشراب .

وهذا لا يعنى أن الغريب المقيم على سفر فى موسكو لا يستطيع أن يصادق فتاة روسية ، على أن علاقته بها تختلف كثيراً عما لو كان فى باريس أو لندن أو نيويورك . مثال ذلك أن الفتاة الموسكوفية تستاء إذا حاول رفيقها أن يدفع ثمن ما تتناوله من طعام أو شراب ؛ فهى تصر على دفع حصتها من النفقة ، ولا تقبل هدية إلا إذا كان فى استطاعتها أن تقدم ما يضارعها فى أول فرصة تسنح .

وقد اتفق لى أن قدمت يوماً لفتاة عرفتها هدية صغيرة فردت عليها فى الحال بطاقة من الأزهار . وفى ظرف آخر قدمت لفتاة موسكوفية زجاجة عطر أتيت بها من باريس فما كان منها إلا أن قدمت إلىّ على الأثر كيساً من البرتقال .

وها أنا قد عدت من روسيا مندهشاً لتحرر الروسيات من سلطان الحب . ولا بد لى من الاعتراف بأن العلاقات الجارية بين الجنسين فى العاصمة الروسية تدهش إلى أقصى حد الرحالة الذى تتالت أمامه فى كل مكان المشاهد الدالة على ما كان للحرب من الأثر فى تداعى الأخلاق ، وما عقبها من الفوضى الأدبية فى البلدان الأوروبية دون استثناء .

توفيق ضعون

مذبحة الأبرياء
في قرية دير ياسين

للأستاذ على محمد سرطاوى

تقع قرية دير ياسين البالغ عدد سكانها (٧٠٠) نسمة ، غربى بيت المقدس ، بين المستعمرات اليهودية ، وكانت تعيش مع اليهود على أحسن ما تكون الصداقة ، ولم يعتد أحد من سكانها على أحد من اليهود .

ويوم كانت البلاد تشيع ابنها البار ، وبطلها العظيم ، الشهيد عبد القادر الحسينى ، بطل القسطل ، إلى مثواه الأخير ، انقضت جموع غفيرة من اليهود المسلحين على تلك القرية وأمعنت فى السكان الأمنين قتلا وذبحاً : فبلغ عدد القتلى (٢٥٠) قتيلا . وكان من بينهم (٢٥) امرأة عاملا ، (٥٠) امرأة مرضعا ، و (٦٠) امرأة أو فتاة ذبحن ذبح الخراف فى أفظع مظاهر القسوة . ثم جمعوا (١٥٠) امرأة وبعد أن مزقوا ملابسهن ، واعتدوا عليهن ، أركبوهن سيارات مكشوفة ، وطافوا بهن الأحياء اليهودية . وكان الجمهور الصهيونى المتمدن المهذب يرجمهن بالحجارة ويبصق عليهن ، ويشتم دينهن ، ونبيهن ؛ والجلادون واقفون فوق رؤوسهن ، يتباهون بهذه البطولة ، والجمهور يهتف لهم ، ويطيل التصفيق ، حتى إذا ما أتعبهم الطواف بهن ، أوصلوهن إلى طرف الأحياء العربية ، وأخذوا يقذفونهن إلى الأرض ، ويطلقون الرصاص فوق رؤوسهن كبرا وجبروتاً وإرهاباً !

والذى يتراءى أن الباعث النفسى الذى يحرك هؤلاء الناس ، إلى أعمال وحشية من هذا النوع ، لا يعود فى أصله إلى وطنية صحيحة ، ورغبة صادقة فى العيش بسلام فى جزء من الأرض ، وإنما يعود إلى شعور هذه الطائفة ، أفراداً وجماعات ، بالعجز والجبن ، والبعد عن الرجولة والشجاعة ، لأن الرجل الشجاع لا يستبيح لنفسه أن يقتل طفلا أو امرأة فى مثل هذه السهولة ، ثم يتباهى بما عمل من بطولة ، وبما صنع من معجزات .

والتاريخ الحافل بالاضطهاد الذى ذاق مرارته اليهود ، فى الزمن البعيد والقريب ، كان كافياً ليترك فى أعماق نفوسهم ثورة جامحة مدمرة ، على أى عمل يقترف على أيديهم ، أو بسببهم ، يتصل بالأساليب التى اضطهدوا بها ، لو كانت لهم ضمائر تتمشى فيها الكرامة الإنسانية .

والذى ينشد الحرية والاستقلال لا يطلبهما عن طريق محاربة استقلال الآخرين وحريتهم . وإنسان من هذا النوع خليق بأن يحرر نفسه من ذل الزمن ، وأن يتحرر من القيود والنزعات الهمجية التى لا تسيطر إلا على الشعوب الساذجة التى لم تنل قسطاً من يقظة الضمير ، قبل أن يرفع عينيه إلى مصادر النور !

وليس مقياس مدنية شعب من الشعوب ، هو مقدار ما يملك من قوة مادية ، وإنما هو مقدار ما يملك من قوة روحيه تدفعه إلى حب الخير ، وإلى التمرد على الظلم فى جميع صوره ومظاهره !

والعقبات الزمنية التى يقف أمامها شعب من الشعوب فى طريق سيره نحو الأبد المجهول ، ليست إلا اختياراً عملياً ، يقدمه ذلك الشعب للحياة ، لترى مقدار ما فى طبيعته من حب للشر أو الخير ليمنحه التاريخ الشهادة التى يستحقها .

ولقد يخدع شعب من الشعوب نفسه ، ويدور حول الحقائق ويتحلل من شخصيته الصحيحة فى سيره مع تيار الحياة ، ولكنه لا يلبث أن يعود إلى قواعد نفسه مهزوماً مدحوراً ، كما يعود إلى نفسه وطبيعته المجرم الأفاق الذى يتظاهر بالورع المزيف ، والتقوى التى ليس لها فى حسه وجود .

ولقد كلف الطموح الجنونى ، فى الأمس القريب ، ألمانيا والعالم أجمع ، ضحايا ، وآلاما ، ومتاعب ، كانت نهايتها انهيار هتلر ونظامه ، ومن ورائهما ألمانيا العظيمة ، تلك الأمة التى دمرها ذلك الطموح ، وجرعها مرارة الذل والخضوع .

واليهود ، وهم حفنة فى حساب العدد ، يطمحون إلى السيطرة على سبعين مليوناً من العرب ، بانتزاعهم فلسطين ، وهى قلبهم الخفاق ، غير مقدرين النتائج الوخيمة التى ينطوى عليها هذا الاندفاع الجنونى .

والفظاعة المتناهية ، فى صور القسوة والبربرية والهمجية ، التى يعتدون بها على النساء والأطفال والشيوخ ، حتى على جثث الشهداء ، سياسة يحسبون أن اتباعها يرهب العرب ويوصلهم إلى ما يريدون منهم . وقد نسوا أو تناسوا ، أن العرب أمة عريقة فى المجد ، شديدة البأس ، لا تلين لأساليب العنف ، ولا يزيدها ذلك إلا عنفواناً وصبراً وجلداً وتصميما على الأخذ بالثأر ، مهما

بين الشيوخ والشباب

للأستاذ عباس خضر

تجرى بين الحين والحين مناوشات بين أدباء الشباب وشيوخ الأدب ، تتمثل فى نقدات خفيفة من الشباب للشيوخ ، قليلها فى أعمال أدبية معينة ، وأكثرها تفنيد لمسلك بعضهم فى الإنتاج التافه السف الذى يختلف عن سابق جدهم وإبداعهم ، ولبعد أكثرهم عن ملابسة الحياة وواقع الناس فيما يكتبون ، فهم — فى رأى الشباب وبعض الشيوخ — إما هاذرون مسفون ، أو معتصمون بالقباب الذهبية .. ولا أقول الأبراج العاجية .

وتتمثل تلك المناوشات أيضاً فى حملات بعض الشيوخ على الشباب ورميهم بالقصور فى التحصيل واستكمال الأداة ، وأنهم يحاولون هدمهم ، ويقولون إن عليهم أن يجدوا ويكدوا ليصلوا إلى ما يبتغون ويظفروا بما يأملون . وقد كتب الأستاذ المازنى مرة يتساءل : هل يحفر الشيوخ قبورهم بأيديهم ؟ ماذا يريد هؤلاء الشباب ؟ وضرب مثلا للشباب ما بذله من جهود فى التحصيل وما عاناه فى مقتبل حياته الأدبية .

وأخيراً كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالا فى «أخبار اليوم» بعنوان « آمال الجيل » أشهد أنه كان لبقاً فيه ، إذ بث فى أوله وفى وسطه روحا طيبا فى معالجة الملافة بين الجيلين . ومما قاله « ما الذى سيحدث فى العشرة أو الخمسة عشر عاماً المقبلة ؟ هل الأمل معقود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز بنوبتها فى الصف الأول ، لتمضى فى رفع مشعل الأدب والفكر فى هذا البلد ؟ ! أو أنه كما يقال ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟ ! » وقال : « ونحن إذا جلنا اليوم فى حديقة الأدب المصرى لوجدنا أشجارا مملوءة بعصير الحياة ، مونمة بأزهار الفن .. لا ينقصها إلا أن ننظر إليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ماستكون عليه غدا من سموق وارتفاع .. » ومضى يتساءل عن واجبهم نحو أعلام الغد ويعترف بانصرافهم عنهم إلى أن ختم المقال بقوله : « غير أن المشكلة التى تحيرنا دائماً هى : وسيلة المعونة ! .. أهى فى تجنيب الجيل الجديد

تطاول الزمن ، ومهما جسمت التضحيات .

ولقد سبق للغرب أن شن هجومه على الشرق باسم الدين ، فى الحروب الصليبية ، وفى فلسطين نفسها ، فلم يهن العرب ، وبقيت الحرب بينهم وبين أوربا سجالاً قرابة قرنين من الزمن القاسى ، تمكنت فى نهايته من طردهم منها . وهاهو التاريخ يعيد نفسه ، ويحمل إلى شواطىء فلسطين جماعات مشردة ، أفاقة ، مجرمة ، من الهوان على أنفسهم وعلى الحقيقة ، أن يحسب لهم العرب حساباً ، مهما امتلأت أيديهم من أدوات الفتك والتدمير والغدر والنذالة التى يطفح بها تاريخهم القديم والحديث ، إن جاز أن يكون لجماعات من هذا النوع تاريخ أو مايشبه قصة تفوح منها روائح القبور والجيف .

إن العرب وهم شعب عريق فى المجد ، لن يقابل أعمال اليهود البربرية بمثلها ، بل يمضى وراء أولئك الأنذال أشباه الرجال ، يعلمهم درساً قاسياً ، ويهدم على رؤوسهم المجرمة ، صروح الأوهام ، متبعاً فى ذلك وصية أبى بكر ، أول خليفة ، لأول جيش يفيض على أطراف الهلال الخصيب من الجزيرة الجبارة ، من عدم الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ . وحينما احتل الصليبيون بيت المقدس ، تباهوا بأن خيولهم كانت تسبح فى دماء النساء والأطفال والشيوخ الذين استجاروا برحاب المسجد الأقصى فذبحوهم فيه . ولكن صلاح الدين الأيوبى حقن دماء أولئك القساة ، وسمح لهم بالخروج من بيت المقدس حين تم له طردهم منها ولو عقل اليهود ، وقدر لهم ، أن ينظروا إلى قلوب العرب الكريمة الرحيمة ، قبل هذه البربرية ، لوجدوها تفيض بالحنان والرحمة ، ولتأكدوا من أنها أبر بهم وأحنى عليهم من تلك القلوب المستعمرة التى تتخذهم الآن وسيلة للاعتداء على حرية العرب الذين طالما أغدقوا عليهم العطف فى كل عصور التاريخ .

والعرب فى كافة أقطارهم ، مصممون على سحق الصهيونية المجرمة ، فى فلسطين ، لا حباً فى سفك الدماء ، ولكن دفاعاً عن الشرف العربى الذى استباحوه فى رعونة جنونية . والويل لهم حينما تدنو ساعة الإنتقام والثأر لشرف المسلمات فى دير ياسين ، اللائى طالما صرخن ، وا معتصماه ! وللعرب سبعة معتصمين الآن يثأرون للشرف المستباح . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

علي محمد سرطاوي

أخطاءنا ، أم هى فى إشعاره بأخطائه ؟ أهى فى إعداده قبل الظهور ، أم فى إظهاره قبل الإعداد ؟ ! ثم أولئك الذين قطموا فى فهم شوطا وظهروا بمض الظهور ، وبدت مواهبهم متألقة كقطع النور ، أعلينا إزاءهم واجب ؟ ما هو ؟ وما السبيل إلى الوفاء به ؟ .. إنا جيعاً لعلى استعداد أن نؤدى واجبنا ولن نحجم عنه أبداً ، إذا عرفنا الوسائل وملكنا الأسباب ! »

ولا أرانى فى حاجة إلى قدر كبير من الألمعية لأدرك أن المقصود من المقال هو هذا الختام الذى انحسرت عنه تلك الروح الطيبة .. وقد استعان على إبراز هذا المقصود بعبارات التهكم من مثل « أم فى إظهاره قبل الإعداد ؟ ! » كما استعان على ذلك بنقط التعجب وعلاماته التى حرصت على إثباتها فى مواضعها . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذا المقال من أسلحة كتلة الشيوخ . فهو يشبه « مشروع مارشال » من حيث أن كلا منهما يرمى إلى مكافحة الكتلة الأخرى .. فكأنه يقول : هؤلاء الشباب الذين يتطاولون علينا — ماذا يريدون منا ؟ وماذا نصنع لهم ؟

ولكى أثبت للاستاذ الحكيم حيادى وبراءة هذا الذى أكتبه من تلك الناوشات التى لن تفضى إلى حرب ذرية على أى حال — أسارع فأقره على حيرته وحيرة الشيوخ فيما يصنعون لهؤلاء الشباب » وإن فى هذه الثروة الأدبية الضخمة التى كونها أدباء الجيل ، لمدرسة الشباب ، وقد تخرجوا فيها فعلا ، فما هو الإعداد إن لم يكن هذا ؟ أيعقدون لهم فصولا فى النصح والإرشاد ؟ ولا أخفى أننى أبتسم عند ما أسمع أن كبار الأدباء قصروا نحو الجيل الجديد وأن عليهم أن يأخذوا بيدهم .. إلى آخر هذا الكلام الذى لا أرجعه إلا إلى العى ...

على أن هناك جانبا عمليًا لا يملك كل الكبار فيه شيئاً ، وهو النشر والتشجيع على الإنتاج . ومن الحق أن أقرر أن من بيدهم شىء من ذلك نراهم يشجعون كثيراً من الشبان الناضجين ويقومونهم ، وإن كان بعضهم يقصر عنايته على بطانته والسائرين فى ركابه ..

ولا أريد أن أسترسل فى ذلك الذى جرتنى إليه دعوى ذوى العى والراغبين فى الوصول دون عناء . أما ذوو الكفاية والكرامة من الشباب فما تلك دعواهم ، إنما هم يشقون طريقهم بأقلامهم ، لا ينتظرون من أحد معونة ولا يداً ، وهم إزاء ما يشاهدون من إسفاف الكبار ، يرون أنهم أقدر على تلبية روح عصرهم الجديد ، فإن لم يتيسر لهم ذلك الآن فهم فى الطريق إليه .

أما النقد الأدبى ، وقد تخلى عنه الكبار لأسباب منها : المجاملات الشخصية ، والرغبة فى الدعة الذهنية ؟ فإن الشباب يحاولونه . وتعوقهم عوائق كثيراً ما تأتى من الشخصيات التى يتناولها النقد ؛ فما يكاد يظهر نقد فى صحيفة حتى يصيح المنقود : هؤلاء الشباب الذين لم يقرؤا كما كنا نقرأ ... الخ — يريدون أن يهدمونا ... ولا أجد غضاضة فى أن أصرح بأن مجاملات المشرفين على النشر من أكبر عوائق النقد الأدبى ، وهم يقولون لك : ترفق ، ولا تكن عنيفاً . أ كان أساتذتنا أدباء الجيل مترفقين فى نقد من كان قبلهم ... ؟ أو فى نقد بعضهم بعضاً أيام الحماس والفتوة ... ؟ لقد كانوا يتبادلون شتائم يخرجون فيها عن حدود الذوق والفن والأدب . ولاشك أن لغة النقد الآن — على قلته — قد ارتقت وهذبت . بل هى رقت إلى حد أفسدها ... وهو حد التقارض والمصانعة .

فكيف يفزع من هذا النقد الرفيق من ذلك ماضيه فى النقد ؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم خاصة فليس له ماض فى النقد الأدبى ، وهو لا يميل إلى الاشتباك فى المعارك الأدبية ، ولذلك نراه يتخذ أسلوبا « حكيما » فى الفزع من النقد .. يقرأ ما يكتب عنه ، ثم يعقد فصلا فى أخبار اليوم يتظاهر فيه بأنه يعالج موضوعاً مستقلا ، وما هو فى الواقع إلا تبرير لما يؤخذ عليه ... وأستطيع أن أرجع دافع كل مقالة كتبها فى ذلك إلى شىء كتب عنه . ثم جاء أخيراً يسأل : ماذا نصنع ؟ تناقش ياسيدى وجهاً لوجه ، وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم ...

والحق الصريح أن أكثر نتاج الكبار فى هذه الأيام لا يعجب الشباب ، ولا يعجب كثيراً من الكبار أنفسهم ، ويعز على الجيل الجديد أن يفجع فى أساتذته ، وأن مما يمكن أن يصنعه هؤلاء الأساتذة أن ينفضوا الغبار عن تماثيلهم القديمة المقدسة لدى الشباب ..

أمنية الشـــاعر!

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

... وكأنما عز على لامرتين أن يتعب روحه ويضنيها فى البحث عن الله، أو كأنما شعر أنه أوفى من بحثه على الغاية التى يحق للبشر أن يوفوا عليها — فآثر أن يستريح راضياً بأمنية يتمناها مخافة أن يلجئه طول البحث إلى الكفران والجحود، فتأوه مشتاقاً إلى الحقيقة، ثم تمنى خاصة واحدة من خواص الملائكة، فغض بصره عن حياتهم السرمدية، وعن سعادتهم الأبدية، ولم يرج سوى الإلهام له وللناس: لأن الإلهام هو الذى أرضى الملائكة ربها فسمعت وأطاعت، وحرية التفكير هى التى بعثت البشر على الانطلاق فخضعوا طوعاً أو كرهاً؛ ولكن الذين خضعوا كارهين ما برحوا يستغربون لماذا ألهم الله غيرهم الطاعة فأنشدوا لحن الخلود، ولم يلهمهم هم فعاشوا فى شقاء من بعده جحيم؟..

« ٩ — إن ما أتمناه من الملائكة ليس حياتهم السرمدية،

لا، ولا سعادتهم الأبدية!

ولكنه الإلهام. هذه الحاسة التى يستطيع بها القلب الجحود،

أن ينشد لحن الخلود!»

ويخيل إلى الشاعر أن الله أجابه إلى رجيته، فأنار بصيرته بوميض من الإلهام؛ فإذا هو لا يكتم فرحه بما يجول فى نفسه، ولكنه يقر بأنه لا يقدر على إبداء هذا المعنى السامى الذى انكشف له، فكان أعظم من الأمواج الصاخبة، ومن الصواعق الغاضبة، فيترك سره لليل ليظهر الناس عليه:

« ١٠ — يســاور نفسى شىء أرق من الصَّبا اللعوب،

سيذيبه الليل ويُفشيه!

شىء أعظم من الموج، ومن الصـاعقة الغضوب،

وقلبى لا يستطيع أن يبديه!»

ويقارن لامرتين بين هذا الوميض الذى انكشف لبصيرته وبين أسرار الطبيعة التى احتجبت عن بصره، ويتسمع إلى لحن الوجود النفاذة إلى أعماق النفوس، فيرى أنه لم يؤت من الإلهام إلا قليلا، ويرى أن لثَبَج البحر لحناً أوقع من لحنه، ولجذوع الغابات نَغَماً أروع من نَغمه، وللعواصف الهوج نشيداً أقوى من نشيده، وللأنهار الجارية أغاريد أحلى من أغاريده: فالبحر لا يقذف إلى ضفافه أمواجه إلا ليسمع شكواها، وجذوع الغابات لا ينحنى بعضها إلى بعض إلا لتلحن نجواها، والعاصفة لا تملأ صدر السحاب إلا لتضاعف صوتها فى أعماقه، والأنهار لا تتنفس إلا لتعلم الناس موسيقاها؛ فلكل منها مزمار يطلق منه أنغاماً تسبح بحمد الله وتقدس له، وكلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه... أما الإنسان فإنه مهما صفت نفسه وراق قلبه يتمنى أن يحسن الغناء كما تُحسنه الأمواج، والجذوع، والعواصف، والأنهار، وكل مظهر من مظاهر الطبيعة البكر، ثم يجد أمنيته تصاعد فى عالم مجهول، ثم لا يدرى أتعود عليه بالإخفاق أو النجاح. إلا أنه أخيراً يحقق فيعلم أن مزماره من صنع يده وهو لا يصنع إلا كاملا، وأن مزامير الطبيعة من صنع الله وهو لا يصنع إلا كاملا...

« ١١ — أيها الخضم الذى يقذف إلى ضفافه أمواجه الشاكية!

يا جذوع الغابات المتناجية!

يا عاصفة يعتلى بها السحاب، ويا أنهاراً أنفاسهـــا خرير!

آه! لو أوتيت هذه المزامير!»

ويلتفت الشاعر إلى نفسه، ثم يخاطب روحه التى تمنَّت كثيراً ولم تجب إلا قليلا، ويعجب كيف يصبر نفسه مع الحب الذى يضطرم فى أحشائه كأنه نار لا ينطفىء لها لهيب، أو إعصار ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، ويتألم لهذه الروح التى جعلت حب الله صلاتها وتسبيحها، وتقربت إليه بخفى ندائها، ولم تُرَجِّه إلا أن يشرق عليها بنور معرفته، لينقذها من حماسة كلها لهيب، ومن ذهول كله وحشة، ثم لم يستجب لها بشىء. ولو شاء أن يستجيب، لأسر فى أعماقها اسمه الحبيب؛ ولو أسر اسمه لرضيت روح الشاعر، واطمأن قلبه، واهتدى عقله.

« ١٢ — وا روحاه! هذا الإله الذى يفعمك حبه كأنه نار..

أو تحترقين به كأنه إعصار!

لو استجاب – وأنت مشدوهة ذاهلة – لحاستك الجياشة اللاهثة،
لأسر اسمه في لفظة واحدة!»

وهنا يهتف بلامرتين صوت خفي : لا تعجل فإن الله يسر اسمه ، وما عليك إلا تلتمس زمانه ومكانه لتسمعه : يسر اسمه في أذن الطبيعة فتهمس به شفتاها وهي مختلية في صومعتها ، بعيدة عن الدنيا وضجتها ، قريبة من السماء ورحمتها . . . حينئذ يجلس الطبيعة إلى السماء جلسة المستلم إلى المعلم ، فتحفظ منها اسم الله وتناجيه معها ، ثم تنتظران كلتاهما تنفُّسَ الصبح ليفضي إليهما بأسرار الملأ الأعلى ، أو ترقبان عسعسة الليل لتسمعا سمر الكواكب ، فما يسمر منها كوكبان ، إلا على ذكر الخالق الرحمان .

« ١٣ – إن هذا الإسم لسرٌّ تهمس به الطبيعة في الخلوات ،
كما تحفظه السموات !
وكلما طلع الفجر أفضى بهذا السر ، وكلما تسامر كوكبان ،
كان صداهما الشجي الفتان!»

ويفرح الشاعر بما ألقى إليه الهاتف ، ويظن أنه وقف منه على السر المنشود ، وأنه قد وصل به إلى اسم المعبود ، فما عليه إلا أن يسهر ليله فيسمع الكواكب السامرة ، أو يثب مع الفجر ليعي أسراره الباهرة . . وفي هذين الوقتين السعيدين يريد أن تمسي كلها حواسه أذناً تسمع وقلباً يعي ؛ بل يريد أن تمسي العواصف والأعصار ، والأرض والنيران والبحار كلها آذاناً صاغية ، لأن من سكت في هذين الوقتين فإنما يسكت لنفسه ، ومن ضج فإنما يضج عليها . ويريد من الرياح أن تقف لتتعلم هذا الإسم بعد أن طربت بألحانه ، ومن السموات أن تسترجعه وتردده بعد أن ثملت بخمرة عرفانه : فقد « خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً » .

« ١٤ – إن العواصف والإعصار ، والأرض والنيران والبحار ،
خليقة أن تسكت لسماعه !
وإن الرياح الطَّروبَ بألحانه ، حريّة أن تقف لعرفانه ،
والسموات لاسترجاعه ! »

وما أحوج المتألم إلى ذكر هذا الإسم العظيم وترداده ، لأن لوسيقاه رنة تشفي السقيم ؛ ومن أجدر من لامرتين بالراحة وهو تعب ، وبالشفاء وهو عليل ، وبالسرور وهو حزين ؟

لقد كان في الأثناء مضطرب الفكر ، موزع النفس ، متزايل المشاعر ، حتى أنه نظم قصيدته المعروفة (مالروحي حزينة Pourquoi Mor âme Ea est Triste) فلم يكن أحب إلى قلبه من وسيلة يتحول بها من أزمات نفسه الحادة إلى السكينة والاستقرار

ألا وإنه قد وجد هذه الوسيلة ، وهي التي ستأسو ما جرحته يد الحياة ، وهي التي ستحيل وادي أتراحه جنة أفراح . فليقذف بحزنه بعيداً ، وليلق بأساه ظهرياً ، وليستدبر كل ما يعكر عين قلبه ، وليستقبل الحياة من جديد برضا وارتياح !

وتغمره السعادة وتلابس روحه ، ويضع في كفة ميزان ما نال من لذتها الحاضرة وفي كفة أخرى ما لازمه من ألم التعاسة الماضية ، فيجد نعيمه أرجح ، ويلفي التذاذه أغلب ، فلا يقيم لطول الزمن وقصره وزناً ، ويرى أن لحظة إيمانه تعادل إعدام حياته ، ويخشى أن تفارقه هذه السعادة التي لا يمكن أن تدوم لأنها بسعادة الملائكة أشبه ، وهي بين البشر كالنسيم المعطر يضوع بنفحاته ، ثم يعود من حيث أقبل تاركاً هذا المأخوذ برائحته للأعاصير والعواصف ، وللرياح والأنواء ، ينالها وتناله ويصارعها فتصرعه .

خاف أن تزايله هذه السعادة إذا بقي على قيد الحياة ، فتمنى أن تكون ختام حياته ، وآخر لحظاته ، ليلاقي الحقيقة التي سمى إليها بوجه ناضر ، وليقف في أول شاطىء ما لخضمه من آخر : فأرسل هذه الأبيات الأخيرة بحرارة الشاعر ، وحماسة المؤمن :

« ١٥ – هذا الإسم وحده معاداً غير ممنون قمينٌ أن يأسو سقامي
في هذا الوادي من الآلام !
فجدير بي أن أهتف غير محزون : لينصرمْ آخرُ أيامي ،
فقد مجدت الإله ، ومرحى بالحمام!»

وإنك لتحس في هذه القصيدة روحاً متصوفة تذكرك بالذين سلفوا من أصحاب النزعة الروحية المجردة ، فمن أين لهذا الشاعر مثل هذه الروح ؟

ويزول عجبك متى علمت أن لامرتين – وإن لم يتلق التصوف علماً ، أو يذقه مسلكاً – كان صوفي المزاج ، مستمداً

طرائف من العصر المملوكي :

السبعة الشهب

للأستاذ محمود رزق سليم

جرت عادة الشعر ، أو اعتادت الطبيعة الشاعرة في كل أمة ، وفي كل جيل من أجيالها أن تنجب ، وأن تلد لنفسها من نجبائها رسلا يؤدون للناس رسالتها ، ويقضون دينها ، ويوفون للحياة حقها . فيكونون سر روحها النابضة وبصيرتها الوامضة ، وبنودها الخافقة وألسنها الناطقة . ويحيون في جيلهم دولة الشعر والأدب .

ولو أننا تتبعنا العصر المملوكي من أوله إلى آخره ، وهو زهاء قرون ثلاثة ، تضم أجيالا ستة — إذا قدرنا لكل نصف قرن جيلا — لوجدنا في كل جيل منها حلبة من الشعراء ، جالوا في الميدان ، فرسان رهان ، مالكين الأعنة شارعين الأسنة . والأدب اللباب مسلس لهم في الزمام ، مرخ في الخطام . ليصلوا منه إلى الغاية ، ويوفوا على النهاية . ولأدركنا أن الشاعرية المصرية ما كانت قط عقيما ، وأن شعراءها ما كانوا أبداً مقصرين .

وإذا ذكرنا ما كان يحيق بالعصر وأدبائه ، من مثبطات الهمة وموهنات العزيمة ، ومن منغصات العيش ومقعدات الأمل وموئسات الأدب ، ثم رأينا أن شعراءه — بالرغم من هذا — انطلقوا في كل واد ، وسرحوا في كل مسرح ، حتى اتسعت في القول آمادهم ، وبعدت آفاقهم ، وقضوا حق الشعر فخلفوا منه أفانين ، وأدوا رسالة الأدب فأبدعوا منه آيات . لعرفنا أي شعراء وأي أدباء كان هؤلاء الأسلاف .

وترى بين المتعاصرين منهم — فيما ترى — وشائج الأدب موصولة ، وصلاته حافلة ، وروح سارية متوثبة ، ودعوته قائمة منشورة . لا يخلو أحدهم من مطارحة صديق أو معارضة رفيق ، أو مداعبة صاحب ، أو مفاكهة خليل ، أو مسامرة نجي ، أو معابثة شجي . أو مسابقة إلى مكرمة شعرية ، أو مباراة في مأثرة أدبية .

وأولى حلباتهم حلبة الجزار والوراق ، وابن عبد الظاهر والشاب الظريف . ثم حلبة ابن نباتة والحلي والصفدي وابن الوردي والشهاب بن فضل الله . ثم حلبة القيراطي والموصلي وابن مكانس وابن أبي حجلة . — وهكذا لا تكاد تخلص من حلبة إلا إلى أختها ، ولا تغادر طائفة إلا إلى غيرها . وإذا ذهبنا ننوه برجال

للترهب لو تهيأت له الظروف لنشأته في بيت يقدس التقى والزهد والعفاف .

وإني لشاعر في قرارة نفسي بأن هذا المقال موجه إلى طائفة من الناس تتذوقه ، وقد يقرؤه غيرهم فلا يجدون الحلاوة التي وجدوها . ولقد أحسن لامرتين إذ وجه هذه القصيدة مع قصائد أخرى من نوعها تجاوز الأربعين في ديوانه (أنغام شعرية ودينية Harmonis Poétiques ét Religieuses إلى طائفة خاصة وصفها في مقدمة الطبعة الأولى بقوله :

« في هذه الدنيا قلوب حطمها الألم ، ونبذها المجتمع ، تنزع إلى عالم أفكارها وإلى عزلة أرواحها لتبكي أو تنظر أو تتعبد . فهل أطمع أن يدعو أصحابها أشعار تقدس العزلة كما يقدسونها إلى الشعور بالارتياح نحو أنغامها ، وأن يقولوا أحيانا إذا أصاخوا إليها : « إننا لندعو بأقوالك ، ونبكي بدموعك ، ونبتهل بأناشيدك ؟ » .

لو أن بعض هذه الأرواح التي ليست في هذا العالم مطلقاً تستجيب في سرها لأصواتي الخافتة الضعيفة . ولو أن بعض القلوب التي ما زالت قاسية تتفتح وتذرف دمعة جديدة ؛ ولو أن بعض هاتيك الأرواح الحساسة النقية تفهمني وتعرفني وتبلغ سويداء قلبي وتُتِمّ بينها وبين نفسها ألحانا لم أزد على أن ضربت على بعض أوتارها فإن هذا حسبي ، وإن هذا لغاية متمناي ، بل إن هذا لأبعد من أن أرجوه ! »

وإني لأعتذ بهذه الكلمة الجياشة بأنبل العواطف الإنسانية في توجيه هذا المقال الذي أرجو مخلصاً أن يكون فاتحة لهذه الموضوعات .

وبعد . . . فهذه أمنية الشاعر كما صورها لامرتين : روح تسبح ، وخيال يحلق ، وقلب يؤمن ، وسعادة تغمر ، ورضا واطمئنان يجملان الحياة .

صبحي ابراهيم الصالح

كل حلبة عادين مآثرهم ، ذاكرين مفاخرهم ، لاحتاج المقال إلى أكثر من مجال .

والسبعة الشهب الذين عنونا بهم المقال ، يكونون حلبة من تلك الحلبات ، أو على وجه أدق هم فريق من حلبة تعاصر رجالها وتعدد أبطالها . وقد اجتمعوا في القاهرة في وقت واحد ، وكان كل منهم يلقب بشهاب الدين وهم سبعة من الشعراء الذين ذاع صيتهم وملأ شعرهم فجاج القاهرة وغمر أسماعها ، حتى أطلق عليهم القاهريون هذه التسمية « السبعة الشهب » وعرفوا بها ، وسجلتها لهم كتب الأدب والتاريخ .

هؤلاء الشهب السبعة هم : الشهاب بن حجر العسقلاني ، والشهاب بن الشاب التائب ، والشهاب بن أبي السعود ، والشهاب ابن مباركشاه الدمشقي ، والشهاب بن صالح ، والشهاب الحجازي ، والشهاب المنصوري .

لمعت هذه الشهب معا في سماء القاهرة في أواسط القرن التاسع الهجري ، وليسوا أول الشهب اللامعة بها ولا آخرها ، فقد سطع بالقاهرة من الشعراء غيرهم من يدعى « شهاب الدين » مثل شهاب الدين بن العطار المصري المتوفى عام ٧٩٤ هـ ، ولكن ميزة هؤلاء المتشابهين في ألقابهم وحرفهم أنهم تعاصروا واجتمعوا بها فاقترنت ألقابهم ، وأضفى عليهم هذا التعاصر والاجتماع ثوبا من الجلال والشهرة .

وفضلا عما اشتهر به كل منهم على حدة من الفضل ، عقدت المودة أواصرها بينهم -- أو على الأقل بين بعض منهم وبعض ، واتصلت بينهم وشائج الأدب وروابط الفن ، فتبادلوا بالشعر مقارضات الثناء ومطارحات الإخاء ، وعمت فيهم مظاهر التعاطف والألفة مع التسابق في مضمار الأدب .

أما شهاب الدين بن حجر العسقلاني فهو قاضي القضاة العالم الفقيه الحافظ الراوية المؤلف المؤرخ ، صاحب كتاب « الدرر الكامنة » و « فتح الباري » و « الإصابة » وغيرها من ذخائر الفقه والتاريخ والحديث . وهو الأديب الشاعر الناثر . وفي إحدى مقالاتنا السابقة جلينا صفحة من أدبه وروينا فيها طرفا من شعره ، ذاكرين أن له ديوان شعر مخطوطا قيما لا يزال قابعا مجفوا في رف من رفوف دار الكتب المصرية . ولا بأس هنا أن نذكر أنه قال الشعر في أغراض عدة منها النبويات والمدائح والإخوانيات والغزل وغيرها . وقد وشح وقطع ، وطارح وورى وألغز وحاجى ، إلى غير ذلك .

ومن لطيف أغزاله قوله :

صب للقياك بالأشواق ممعود ... فقيد صبر عن الأحباب مفقود
ناء عن الأهل والأوطان مغترب ... وواحد ماله في الصبر موجود
متيم قد بكى بعد الدموع دما ... كأنما هو في عينيه مفصود
النار ذات وقود في جوانحه ... شوقا وفي خده للدمع أخدود
يا مخجل الشمس بالأشواق إن فتى
طلعت في داره يوما لمسعود
أسرت قلبي ومذ حجبت عن بصري
تيها فكان له بالقرب تبعيد

روى أن شهاب الدين بن مباركشاه مدح ابن حجر بقصيدة دالية . وروى أن شهاب الدين الحجازي كان يطارح ابن حجر شعراً .

وكان ابن حجر أول شهاب منهم خبا ضوءه وغاب شعاعه ، وأسلم للمغيب ، وكان ذلك في عام ٨٥٢ هـ وقد رثاه الشهابان الحجازي والمنصوري . فقال أولهما من قصيدة رائية :

كل البرية للمنية صائره ... وقفو لها شيئا فشيئا سائره
والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن
لم ترض كانت عند ذلك خاسره

ومنها يصفه :

فكأنه في قبره سر غدا ... في الصدر والأفهام عنه قاصره
وكأنه في اللحد منه ذخيرة ... أعظم بها درر العلوم الفاخره

وذكر الشهاب المنصوري أنه سار في جنازته ، فأمطرت السماء على نعشه ، وقد قرب إلى المصلى ، ولم يكن الوقت وقت مطر فقال :

قد بكت السحب على ... قاضي القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذي ... كان مشيدا من حجر

أما شهاب الدين المعروف بالشاب التائب فهو أحمد بن علي ابن محمد القرافي القاهري الشافعي . ذكر السخاوي في الضوء أنه كان أديبا فاضلا جيد الخط ، أخذ العلم والأدب عن ابن

الهمام والشمنى والحصنى ، وقرأ توضيح ابن هشام . وأنه كان يطارح بشعره . وممن طارحهم الشهاب المنصورى ومن شعره مورياً فى حسناء اسمها شقراء :

سبقت لميدان الفؤاد بحبها   شقراء تجذب مهجتى بعنان
فتراكبت حمر الدموع وشهبها   مذ جالت الشقراء فى الميدان

والشاب التائب هو ثانى المودعين من الشهب ، فقد توفى عام ٨٦١ هـ .

وبهذه المناسبة نذكر أن هناك شاباً تائباً آخر ولد بالقاهرة سنة ٧٦٧ هـ ، واسمه أحمد بن عمر بن أحمد ، ولقبه شهاب الدين أيضاً ، كان يتعاطى العلم حتى عد فى الفضلاء ، ويجلس على موائد الأدب حتى عد فى الأدباء . وكان ينظم الشعر ويميل إلى الصوفية حتى اعتقد فيه بعض الناس ، ومات بدمشق عام ٨٣٢ هـ . روى ذلك السخاوى فى الضوء أيضاً .

أما شهاب الدين بن مبارك كشاه ، فهو أحمد بن محمد حسين القاهرى الحنفى . تلقى العلم على ابن الهمام وابن الديرى ، وغيرهما . وصنف بعض الكتب ، ومنها كتب أدبية مثل « السفينة » . وبرع فى نظم الشعر ، قال عنه ابن إياس : « كان من أعيان الشعراء » ، حسن اتصاله بكثير من أعيان عصره ومنهم ابن حجر العسقلانى ، وقد روينا أنه مدحه بقصيدة دالية . ومن شعره يشبه عشرة بعشرة قوله :

فرع جبين محيا قامة كفل   صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل هلال صباح بانة ونقا   آس إقاح شقيق نرجس در

وله فى القناعة :

لى فى القناعة كنز لا نفاد له   وعزة أوطأتنى جبهة الأسد
أمسى وأصبح لامسترفداً أحدا   ولا ضنينا بميسور على أحد

والشهاب بن مبارك كشاه هو ثالث من توارى من الشهب ، فقد توفى عام ٨٦٢ هـ .

أما الشهاب الرابع فهو شهاب الدين بن أبى السعود ، وكان هو والشهاب بن صالح كثيرى المطارحة . وقد توفى فى مكة عام ٨٧٠ هـ .

وشهاب الدين بن صالح ، اسمه أحمد بن محمد بن صالح ، قال عنه ابن إياس « كان عالما فاضلا وأديباً شاعراً ماهراً » ويعرف بابن صالح ، وبسبط السعودى . والسعودى هو جده شمس الدين كان عالماً وأديباً مصنفاً .

وقد أكب ابن صالح على دراسة علوم الدين والعربية حتى برع فى كثير منها ، متتلمذاً على جلة شيوخ عصره مثل القاياتى والشمنى والنويرى . وأقبل على فنون الأدب حتى حذقها ، وأجاد فى نظم الشعر ، فانسجم لفظه ومعناه . وطرق أبواب المديح والإخوانيات ونظم العلوم . وطارح أنداده من كبار الشعراء ويقال إنه كان أرق شعراء عصره نظماً . ويفضله صديقه شرف الدين العطار على ابن حجر العسقلانى وابن نباتة المصرى . وكان هو وشهاب الدين بن أبى السعود فرسى رهان . واتصل بأعيان عصره ومنهم الكمال ابن البارزى . وكان ذكياً سريع الإدراك . وقد نظم العقائد النسفية شعراً . ويحدثون عنه أنه هجر الشعر بأخرة وجنح إلى العلوم .

ومن شعره يشبب بمن اسمه « فرج » ويورى ومضمنا :

شكا فؤادى هم الصد يا فرج   وفيك أصبح صدرى ضيقاً حرجا
واستيئس القلب حتى رحت أنشده   يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا

ومدح السخاوى صاحب الضوء اللامع ، ومن قوله فيه :

وقد حفظ الله الحديث بحفظه   فلا ضائع إلا شذى منه طيب
وما زال يملا الطرس من بحر صدره   لآلىء إذ يملى علينا ونكتب

ومات ابن صالح فى عام ٨٧٣ هـ . وهو خامس الشهب ظعناً .

أما سادسهم فشهاب الدين الحجازى ، المولود فى القاهرة عام ٧٩٠ هـ . واسمه أحمد بن محمد بن على الأنصارى الخزرجى الشافعى . كان سريع الحفظ . وقد بدأ حياته التعليمية بدراسة مذهب الإمام الشافعى وحفظ حديث الرسول عليه السلام . وغير ذلك من علوم الدين . ثم أقبل بجماع نفسه على الأدب ، وأجاد فى قرض الشعر حتى طار صيته فى الآفاق ، وطارح العسقلانى ، وراسل الشهاب المنصورى ، وغيرهما .

وكان الحجازى خفيف الروح لطيف المعاشرة طريف المحاضرة . ويبدو لنا أنه كان عالى الهمة وثاباً إلى المكرمات الأدبية ، فقد روى أنه جمع شعره ونثره فى ديوان . وله مختصر فى شرح

المقامات . وله شرح على المعلقات . وصنف كتباً أدبية عدة منها تذكرة فى نحو خمسين مجلدة ، وكتاب قلائد النحو فى جواهر البحور . وكتاب فى الألغاز وكتاب فى الحماقة مرتب على حروف المعجم . — وفى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة محلاة بالذهب من كتابه « روض الآداب » وهو مجموعة أدبية مرتبة على خمسة أبواب : المطولات والموشحات والمقاطيع والنثريات والحكايات . ويبدو أنه لم ينجب ، وذلك لقوله :

قالـــوا إذا لم يخلف ميت ذكرا
ينسى ، فقلت لهم فى بعض أشعارى
بعد الممات أصيحابى ستذكرنى ... بما أخلف من أولاد أفكارى

ومن شعره :

قصدت رؤية خصر مذ سمعت به ... فقال لى بلسان الحال ينشدنى
انظر إلى الردف تستغنى به وأنا ... مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

وقد مات الشهاب الحجازى عام ٨٧٥ هـ عن خمس وثمانين سنة تقريباً ، فرثاه صديقه الشهاب المنصورى بقصيدة منها :

لهف نفسى على أفول الشهاب ... تحفة القوم نزهة الأصحاب
كان فى مطلع البلاغة يسرى ... فتوارى من الثرى بحجاب
فقدت بره أيامى المعانى ... ويتامى جـــواهر الآداب
هطلت أدمع السحاب عليه ... وقليل فيه دموع السحاب

وبموت الحجازى أصبح الشهاب المنصورى وحيداً لا شهاب غيره فقال يرثى زملاءه الستة :

خلت سماء المعانى من سنا الشهب ... فالآن أظلم أفق الشعر والأدب
تقطب العيش وجها بعد رحلة من ... تجانبوا بالمعانى مركز القطب
تعطلت خرد الأيام من درر ... كانت تحلى بها منهم ومن ذهب
لو تعلم الأرض ماذا ضمنت بطرت ... بهم كما يبطر الإنسان بالنسب
ولو درى المسك أن الأرض قبرهم ... لود نشقة عرف من شذى الترب

وقد أصبح المنصورى من بعدهم شاعر عصره غير منازع ، ورأس أدبائه غير مدافع . واسمه أحمد بن محمد بن خضر السلمى ، ويعرف بالهائم القاهرى . كان جميل الهيئة متعففاً عن الناس . مهر فى نظم الشعر وسلك به أبواب الغزل والوصف والمديح والرثاء وغيرها . وقد عاش بين سنتى ٧٩٩ هـ ، ٨٨٧ هـ ، ومات بعد أن نيف على الثمانين ، وبعد فالج أصيب به فأقعده زمنا . وقد جمع شعره فى ديوان كبير . وتقدم لنا من نظمه أمثلة . ومن قوله فى الشكوى :

ليت شعرى وفى الزمان خطوب ... وبلاء يختص بالأحـــرار
هـل لميت قضى عليه طبيب ... من كفيل أو آخـــذ بالثار

وقال متغزلا فيمن اسمه « شاهين » مع التورية :

قد صاغك الله من لطف ومن كرم ... وزاد حسنك بالإحسان تزيينا
فاخفض جناح الرضا واصطد طيور وغى ... من جو إخـلاصنا إن كنت شاهينا

هؤلاء هم السبعة الشهب . ولو مدنا التاريخ بالكثير من أخبارهم لكان للبحث فيهم مجال أوسع ، ولكن هذه الآثار التى قدمها عنهم تدل على علو كعبهم ورسوخ قدمهم فى الأدب والشعر ، فهى منهم كالعنوان من الكتاب ، واللمحة من الشهاب .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

نامي ...

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

نامي فإن الليل قد جاء   ومضى النهار، وكان ضوضاء
والنهر نام، فلم يعد ماء   لا ... بل ملاكاً رائع الطهر

نامي لدى صدري؟ ففي صدري   دنيا من الأنغام والشعر
إن كنت أنت خميلة الزهر   فأنا الهزار يهيم بالمطر

واستقبلي حلم الصِّبا العذب   فيه تطير عرائس الحبّ
هو صورة لنوازع القلب   ما أروع الصور التي تغري!

إني سأقضي الليل سهرانا   أرعى الصبا غضًّا وفينانا
لا ... لا تخافي لست سكرانا   إني بدأت أفيق من سكري

لا بأس إن قبّلت يا ليلى   ثغراً يفيء بنوره الليلا
أترين أني آثم؟ كلا   ليست أثاماً خمرة الثغر

لا بأس إن داعبت يا ليلى   (كأسين!) ما أغلى وما أحلى!
أنا إن لعبت فلم أزل طفلا   لعب الطفولة غير ذي وِزْرِ

قومي فإن الفجر قد لاحا   والبلبل الغرِّيد قد راحا
يستقبل الأنوار صداحا   ويطير من زهر إلى زهر

والزهر داعبه الندى فصحا   واهتز في أوراقه فرحا
قد خلته في غصنه قدحا   في كفّ أغيدَ مائل الخصر

وسرى النسيم مُنى وأفراحا   تشدو فيشدو الكون أرواحا
وتشير عطر الزهر فوّاحا   فإذا الوجود يفيض بالسحر

هذا الصباح يبث في نفسي   دنيا من الأفراح والأُنس
هاتي المدام، وقربي كأسي   أو قربي شفتيك من ثغري

قومي اسمعي أنغامي السكرى   تذكي الحنين، وتبعث الذكرى
قد أرسلتها نفسي الحيرى   لتذيع ما بالنفس من سر

قومي نطر في أُفقنا السامي   أنشودة من وحي أحلامي
ذهب الظلام، وتلك أنغامي   تهتز بين أشعة الفجر

قومي نغنّي غنوة الحب   فوق الربا الريانة العشب
ما بال هذا الواله الصب   لا يستقر اليوم في صدري؟!

ما باله كالطائر النزق   طال الحنين به إلى الأُفق؟
تمضي الحياة به على قلق   من ذلة الحرمان والأسر!

قومي اسأليه الآن في عطف   ماذا تريد؟ وما الذي تُخفي؟
سيجيب: أمنيتي التي تشفي   هي قبلة من ثغرك البِكْر

هي قبلة تُهدى إلى نفسي   أمل الشباب، وبهجة العرس
وتنير مثل أشعة الشمس   فيذوب فيها كالندى عمري

ساعي البريد

للأستاذ شفيق معلوف

ساعي البريد وما ينفك منطلقاً   وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلفة   تفوح منهن أطياب المواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوقة   إليه تخفق من وجد وتسهيد
بدا فهز عقود الغيد مقدمه   هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم العشاق يحملها   على يديه ويهديها إلى الغيد

يا ساعياً بابتسامات توزعها   على الشفاه بلا منٍّ وترديد
كم وجه أم عجوز إن برزت له   لم تُبق من أثر فيه لتجعيد
تلقي إليها كتاباً إن يصب يدها   شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف   بابن إلى صدر تلك الأم مردود

وكم وكم رقعة كالحظ مشرقة   وهبتها كل كابي الحظ منكود
يا واهباً كل بشرى حين جدت بها   راحت تكذب عنك الفقر بالجود
أبعدَ بذلك فينا ما بذلت نرى   عينيك في مأتم والناس في عيد
لو تعلم الناس يوماً أنها سلخت   أيامها البيض من ليلاتك السود!

شفيق معلوف



كتاب الكندى إلى المعتصم بالله

فى الفلسفة الأولى (١)

حققه وقدم له الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لم تمض إلا أربعة أشهر أو خمسة على كتاب « معانى الفلسفة » الذى ألفه الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى حتى أتحف جناح الفلسفة فى المكتبة العربية بكتاب من كتب فيلسوف العرب يعقوب الكندى ، وهو الكتاب الذى بعث به أول فيلسوف من فلاسفة العرب إلى الخليفة العباسى .

ولم يكن غريباً على فلاسفة المسلمين أن يبعثوا بكتبهم إلى الخلفاء ، ولم يكن جديداً على « الكندى » نفسه أن يراسل الخلفاء فى مسألة من مسائل العلم ، فقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى « طبقاته » أن للكندى رسالة إلى المأمون « فى العلة والمعلول » .

وتحمل مراسلات الفلاسفة للخلفاء والأمراء معنى تشجيع هؤلاء لأولئك ، وهى فى ذاتها دلالة من الواقع والتاريخ على ما كان يقوم به الخلفاء من احتضان العلماء وتقريبهم ومعونتهم على أداء الرسالة الجليلة التى نصبوا أنفسهم لها ، وأضنوا أنفسهم فى سبيلها .

وعنوان الرسالة نفسه « فى الفلسفة الأولى » يحمل سؤالا يرد على الخاطر لأول وهلة ؛ فهل هناك فلسفة أولى تقابلها فلسفة ثانية وثالثة ورابعة ؟ وهل هناك فلسفة أولى تقابلها على سبيل الطباق البلاغى فلسفة آخرة ؟ كما يقال فى الشهور القمرية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ؟ وكما يقال فى صفات الله : هو الأول والآخر ؟ ؟

ظننت أول الأمر أن الفلسفة الأولى هى فلسفة اليونان التى اشتغل بها العرب فى إبان نهضتهم فى الترجمة ، فقد أكبوا على فلسفة اليونان ونقلوها إلى اللسان العربى الذى كانت الفلسفة شيئاً جديداً عليه . ولكن الدكتور الأهوانى يقول فى مقدمته التحليلية النفيسة للرسالة إن اصطلاح «ما دون الطبيعيات» هو نفسه « الفلسفة الأولى » ص٥٥ ؛ وقد يكون ذلك مقبولا لو أن عنوان رسالة الكندى هو « كتاب الفلسفة الأولى أو ما دون الطبيعيات » ، ولكن العنوان هو كما يذكر الدكتور الأهوانى « كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد » ، ويستنبط المحقق من هذا النص أن ما دون الطبيعيات غير التوحيد ، ولكنه ينسى ما يقوله الكندى فى أحد مواضع الرسالة أن الفلسفة هى علم الربوبية والوحدانية — أو التوحيد — وينسى ما يقوله الكندى فى موطن آخر : (إن علم العلة الأولى سمى بحق الفلسفة الأولى) .

ورسالة الكندى فى الفلسفة الأولى لا تزيد على نصف الكتاب المطبوع اليوم إلا قليلا . أما النصف الأول فهو تحقيق علمى دقيق فى ترجمة الكندى ونشأته ومنزلته فى تاريخ الفلسفة الإسلامية وأسلوبه فى الكتابة الفلسفية وتحليل الرسالة ذاتها ، وقد أضاف هذا التحقيق كثيراً من القيمة لهذه الرسالة التى كان للدكتور الأهوانى فضل نشرها فى لغة العرب لأول مرة ، وهو فضل نسجله دائماً مع الشكر لكل من يزيح ستراً عن أثر من آثار المسلمين إبان نهضتهم فى زماننا هذا الذى تدعونا فيه دواع كثيرة إلى كشف الغطاء عن كل أثر إسلامى صغر أو كبر .

وإذا كنا أخذنا فى عدد ماض من مجلة « الرسالة » على الأستاذ فؤاد جيمان عدم استيفاء التحقيق والتحليل لكتاب « ميزان الحكمة » الذى ألفه الحكيم الرازى ، فان الدكتور الأهوانى كان فى الحق بعيداً عن موضع المؤاخذة حين أخرج رسالة الكندى فى الفلسفة الأولى هذا المخرج الذى يجرى على أسلم قواعد نشر المخطوطات . وإذا كان لم يقع لصديقنا الأهوانى من مخطوط الكندى إلا نسخة خطية واحدة فانه فى الحق قد عنى نفسه فى التحقيق والمراجعة على الرغم مما عاناه من رداءة الخط وكثرة التصحيف وعدم الإعجام فى النسخ .

(١) نشر دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى — ١٤٨ صفحة من القطع الصغير .

ولا أقول إن تحقيق الرسالة الكندية المعتصمية قد أوفى على الغاية ، وخاصة حينما لا يكون بين يدى الناشر إلا مخطوط واحد يجتهد فى تخريج الغامض من نصوصه على ما يقتضيه السياق حيناً أو على ما يوحى به الحدس أحياناً ... مما يحمل الناشر على أن يقول هذه العبارة التقليدية ... : (فى الأصل كذا ولعلها كذا) ولعل ما يقع من اضطراب أو غموض فى أسلوب الكندى مردود فى بعض الأمر إلى ما عند الناسخين من تخليط وتصحيف . والدكتور الأهوانى يعترف مع بأن الكندى الذى تقع له العبارات البليغة فى بعض رسائله ويحدث له التعبير المشرق « فى رسالة فى الحيلة لدفع الأحزان » لا يقع له الغموض فى بعض ما كتب إلا حين يحمله التفلسف على التوعر .

وأخشى أن يكون الكندى مظلوماً فى الذى قيل من رداءة أسلوبه . فهل كان هو ينقل الرسائل عن اليونانية بنفسه أم كانت تنقل له ؟ فاذا كانت تنقل له فليس الذنب فى الأسلوب ذنبه ، ولكنه ذنب الناقل ... ألم يختلف مؤرخو الحكمة الإسلامية فى كتب الكندى اختلافاً يدعو إلى العجب ... فابن النديم يقول عن كتاب جغرافية بطليموس إنه نقل للكندى نقلا رديئاً ... ويقول القفطى إن هذا الكتاب (نقله الكندى إلى العربية نقلا جيداً) . فأنت تقف أمام هذا التناقض موقفاً لا تدرى وجه الحق فيه .

ويذكر ابن النديم أيضاً أن كتاب « الإلهيات » لأرسطو نقله أسطاث المترجم للكندى الفيلسوف . فيزيدنا شكا فى رسائل الكندى وصحة نقله إياها من اللسان اليونانى ... على أن صديقنا الدكتور الأهوانى لا يبالى بأمثال هذه الشكوك ويمضى فى رسائل الكندى كأن الطريق إليها مأمون العثرات ...

ويظن بعض الناس عمداً أو خطأ أن الكندى مسيحى سريانى . وقد وقع فى هذا الوهم الفيكونت فيليب طرازى فى كتابه القيم « عصر السريان الذهبى » . ومن عجب أن هذا الكتاب طبع سنة ١٩٤٦ ، وطبع قبله كتاب للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق وفيه نفى لمسيحية الكندى وتحقيق لهذه المسألة تحقيقا لا يدع مجالا للشك فيها . وأظن أن الكونت طرازى قد وقع له كتاب الشيخ مصطفى عبد الرازق لأنه يفتخر بمكتبته العامرة فى بيروت فما معنى الإصرار على الأمر بعد تبين الحق فيه ؟ ؟ وقد أشرت إلى ذلك فى مجلة « الكتاب » عدد فبراير سنة ١٩٤٦ ص ٦١٦ ، ولعل الدكتور الأهوانى رأى أن هذه الحقيقة فى إسلامية الكندى وعربيته لا تحتاج إلى مزيد من التحقيق أو التقرير .

والكندى لم يُتهم بالانتساب إلى يونان كما يقول الدكتور الأهوانى فى صفحة ٢٣ . والظاهر أن المسألة اختلطت على الدكتور وهو ينقلها عن « المسعودى » فى كتابه « مروج الذهب » فلم يقل الكندى إنه يونانى ، ولكنه كان يذهب مذهب القائلين فى الأنساب أن يونان أخ لقحطان . وشتان بين هذا وذاك . أما الشاعر الذى هجا الكندى لهذا الخلط فى الأنساب فهو أبو العباس الناشىء من طبقة ابن الرومى فى الإجادة وما كان يستحق من الناشر هذا التنكير بقوله عنه « أحد الشعراء » ... وصحة البيت الأخير من أبيات « الناشىء » كما يلى :

وتخلط يونانا بقحطان ضلة   لعمرى لقد باعدت بينهما جداً

ويظهر أن الكندى مبتلى باضطراب الناس فى حياته وفى آثاره وفى قيمته الفلسفية ؛ فالدكتور مدكور يقول عنه إنه كان ممهداً للفلسفة الإسلامية ولم يكن فيلسوفا . والدكتور أبو ريدة يقول عنه إنه كان فيلسوفا بالمعنى الواسع الذى يتمثل فى فلاسفة اليونان . والمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول إن ما بأيدينا من آثاره لا يمكن من استخلاص مذهبه الفلسفى نسقا كاملا . وأغرب ما فى هذا الاضطراب أن شهرة الكندى كانت موضعاً للخلاف عند الناس . حتى أن الدكتور الأهوانى يقرر فى ص ٣٦ أنه كان عديم الشهرة ، وأن رداءة أسلوبه كانت علة فى عدم شهرته . وأين هذا من قول الناشر نفسه فى صفحة ٣٨ بأن الكندى اشتهر بالفلسفة ، وكأنه بهذا يناقض نفسه ... وأين هذا من قول القفطى عنه : (إنه المشتهر فى الملة الإسلامية بالتبحر فى فنون الحكمة الخ) .

بقيت كلة واحدة فى مقدمة الدكتور الأهوانى لرسالة الكندى فى الفلسفة الأولى ، فقد بلغت من وضوح المقاصد وسلامة المنهج وسهولة التعبير مبلغاً نهنىء الأستاذ عليه ، وخاصة إذا قيست بالرسالة نفسها وما فيها من غموض فى بعض المواطن . وكأن الدكتور الأهوانى يعنى أن يقول بهذا الوضوح المقصود أن الغموض التعبيرى ليس دائماً من أدوات الفلسفة ولا من لوازمها .

محمد عبد الغنى حسن

الكتب

جولات فى القاهرة

تأليف ر . ل ديفنشير

هى العناية الآلهية التى أنقذت القاهرة من التدمير كلما شبت الفتن واحتدمت الحروب. فتقاصرت دونها قنابل الألمان وماحشدوا من جيش وعتاد ، وتحطمت قبـل أن تصل إليها قوى المغول المدمرة المخربة ، وارتد عنها الصليبيون فى ذلة وانـكسار ، وبقيت القاهرة وحدها تحمل تراث الإسلام الفنى المجيد ، كاملا غـير منقوص ، واحتفظت القاهرة بسلسلة متصلة الحلقات لكل عصور الأمر الاسلامية الحاكمة ، من يوم أن شاء الله لدينه أن يستقر على ضفاف النيل ... ونجد هـذا التراث فيما ورثناه من عمائر وتحف ومخطوطات ، تظل دائماً تذكرنا بجمال الماضى وعظمته وجلاله ، وتظل دائماً تحفزنا على استرجاع مجد أجدادنا ، فنعيد للاسلام قوته وعزته وروعته .

فإن تـكن المؤلفة قد اختارت القاهرة تجول بين آثارها الاسلامية شارحة أصولها الفنية فى هذا الـكتاب ، فقد أحسنت الاختيار . وإن يـكن للمؤلفة فى أعناقنا — نحن العرب — جميلا لفرط غيرتها وتحمسها لآثار الإسلام ، أو لأنها اتخذت من الصحافة منبراً تلقى من فوقه الإرشاد للعناية بآثار الإسلام ، فدفعت المسئولين إلى المحافظة عليها ، فإننا قوم لا ننكر الجميل .. ولـكن الأمر الذى استحقت من أجله عطف جلالة الملك الراحل ورعاية جلالة الفاروق المظيم ، فأنعم عليها بنشان الـكمال فى عيدها الثمانينى ، إنما هو صدقها فى دعوتها للآثار الإسلامية ، نراه واضحاً فيما تـكتب من مؤلفات أو تلقى من محاضرات ، صححت بها شعور آلاف من الأجانب الذين كانوا لا يدرون عن القاهرة إلا تلك الاكاذيب المخترعة التى حشرها فى أدمغتهم مرتزقة الاستعمار ، وكتاب أقاصيص الخيال الدنىء .

وكتاب « جولات فى القاهرة » هو دراسة تاريخية وافية لمختلف العمائر الإسلامية ، من مساجد وأضرحة ومدارس وتكايا وقصور ومنازل خاصة ، أو قناطر وأسبلة وأسوار وبوابات مع إلمامة طيبة بمحتويات دار الآثار العربية وما ضمت من تحف نفيسة . وقد اتبعت المؤلفة فى تبويب كتابها هذا طريقة الجولات بحيث يستطيع القارىء أن يقوم بنفسه بهذه الجولات وأن يدرس الآثار الإسلامية فى القاهرة جملة وتفصيلا دون أن يصعب عليه الأمر أو يصيبه ملل أو كلال .

فيتناول الـكتاب أهم الآثار القائمة فيقدم للأثر لمحة سريعة عن تاريخ حياة صاحبه ، والأحوال التى بنى فيها الأثر ، والآراء التى أثيرت حوله ، ورد عليها ، ثم يدرسه من الناحية المعمارية ، ويشرح الأساليب الفنية التى اتبعت فيه ، والتأثيرات الغريبة التى اقتبسها الفنان المسلم بعد أن صقلها بما يلائم ذوقه وفنه ودينه

وبالرغم من أن الفنان المسلم كان منكراً لذاته ، ممتزاً بفنه ، فلم يكن كثير الاهتمام يذكر اسمه على كل العمائر التى بناها ، أو التحف التى صنعها ، إلا أن المؤلفة تشاء أن ترد إليه حقه واعتباره الأدبى فتقول : « ويبدو لى أن الفنان المسلم الذى عاش فى تلك الأيام كان عاشقاً للجمال لذاته ، بل كان مخلصاً فى محبته لنتاجه ، فترى مثلا صانع الفخار المصرى يفرغ غاية الجهد فى العناية (بشبابيك القلل) وهو يعلم تماماً أنها خافية محجوبة عن الناظرين » ...

وترد على الذين يتهمون المسلمين بهدم عمائر غيرهم ليحصلوا منها على مواد البناء : « حقاً أن المسلمين كانوا يستولون على أعمدة الـكنائس المسيحية والمعابد المصرية القـديمة ليستعملوها فى عمائرهم ... ولـكن مسيحى إيطاليا كانوا أيضاً يتبعون نفس الطريقة ، فدمروا المعابد الرومانية الـكلاسيـكية ليحصلوا على أعمدتها » ...

وطالما نقدت احتلال القوات الانجليزية للقلعة واستعمالهم مسجد الناصر محمد بن قلاوون « ففى سنة ١٨٨٥ كان هذا المسجد محولا إلى سجن حربى ، إلا أن أحد الضباط الانجليز زاد الأمر سوءاً فحوله إلى مخزن للذخائر فى سنة ١٩١٥ فبات عرضة للنسف بين لحظة وأخرى فيختفى من عالم الوجود أثر فنى جميل » .

على أن طول الاحتلال للقلعة ترك هذه المنطقة بـكراً ، فى حاجة إلى الـكشف والتنقيب « فان دراسة الأستاذ كريزويل لم



طيبة تكشف عن أسرارها :

ها هي ذي جمعية الآثار القبطية تسجل نصراً جديداً . وهي، منذ إنشائها عام ١٩٣٤ ، تعمل دائبة حتى نالت تقدير الأوساط العلمية في العالم . وقد استطاعت أخيراً ، بفضل أريحية سيدة مصرية فاضلة ، أن تباشر حفرياتها الأولى . وعهدت بذلك إلى الأستاذ شارل بشتلي سكرتيرها النشط ، والعضو بجمعيات علمية ، مصرية وأجنبية ، عديدة ، والمعروف بأبحاثه القيمة في علمي الآثار والأجناس والتاريخ .

والآثار القبطية ، كما نعلم ، حلقة من حلقات الآثار المصرية ، يبدو تاريخ مصر بدونها ناقصاً . ولقد كانت مصر مسرحاً للمسيحية في أول عهدها الحافل بالآلام والاستشهاد . فانعزل النساك في صحارى طيبة . وكان رهبان طيبة يتكاتبون على كسرات الفخار Ostraca ، ثم على الرقوق في عصر متأخر. فكان لرسائلهم تلك فضل الكشف عن طريقة معيشتهم ومشاغلهم والكثير من عادات عصرهم .

وفي ١٩١٤ قدر لمتحف المتروبوليتان للفن بنيويورك أن يكتشف ببلدة القرنة دير إيفانوس . وكان فيما اكتشف كسرات فخار وأوراق بردي تشير إلى دير الأنبا فيبامون .

وفي أواخر عام ١٩٤٧ قام الأستاذ شارل بشتلي بالكشف عن هذا الدير .

ودير الأنبا فيبامون من القرن الرابع للميلاد . وهو يقع من الأقصر على ثمانية عشر كيلو متراً ، في ظل صخرة عمودية تعلو إلى خمسة وعشرين متراً ، وقد طمر تحت الرمال والأحجار . وقد وجد على الصخرة نقش جنائزي يذكر اسم راهب : الأنبا إبراهيم ، واسم الدير ، فقطع الشك باليقين وشرع في رفع الأنقاض .

وقد اكتشف أولا مخزن للنبيذ ، وأكد ذلك تحليل المادة السوداء التي وجدت ببقايا الجرار . ثم الإسطبلات وحظائر

تتعد الأجزاء الشمالية من قلعة صلاح الدين ، أما الأجزاء الجنوبية الغربية من القلعة فقد عثر فيها على طغراء قايتباي وبعض الأقبية والعقود التي ترجع إلى القرن الرابع عشر مما يثبت لنا وجود عمائر في هذه المنطقة » .

وبعد أن أفاضت في شرح نواحي القوة في عظمة العمائر الطولونية ، وفخامة المساجد الفاطمية ، وجمال المدارس الأيوبية ، وجلال القباب ورشاقة المآذن المماليكية ، تكلمت عن الفن الإسلامي في مصر إبان الحكم التركي ، وأبانت كيف أن البلاد أصيبت بنكبة فنية قاسية على يد السلطان سليم الأول .

ويحدثنا التاريخ عن أن الأتراك ملؤوا سفائن من الفسيفساء ومصبعات الرخام (Marble Panel) وتحف خشبية منقوشة الخ . . . وحشدوا معها زبدة الفنانين المصريين وأرسلوهم إلى القسطنطينية — وأن واحدة على الأقل من هذه السفائن قد غرقت بما فيها من حمل غال ثمين .

وتنفرد دار الآثار العربية بمجموعتها المشهورة من المشكاوات الإسلامية . وتود المؤلفة أن توجه نظر القارئ إلى هذه الثروة الفنية الرائعة وتلح عليه بزيارتها والاستمتاع بجمالها . . . والحق الذي لا مراء فيه هو أن القاهرة تفخر بامتلاك كنزين ثمينين لم تر الدنيا مثلهما : هذه المشكاوات ، وكنوز توت عنخ آمون .

والكتاب من بواكير إنتاج « دار النشر للجامعات المصرية » أخرجته في ثوب فني قشيب تنافس به كبريات دور النشر الأوروبية ويحلى بحوالي نيف ومائة صورة لمختلف العمائر والتحف الإسلامية أكثرها من عمل الأستاذ كريزويل، وخريطة مساحية كبيرة مبين عليها مواقع الآثار في مدينة القاهرة ، وقائمة طويلة بأسماء وتواريخ أهم الآثار الإسلامية بالقاهرة مرتبة حسب التدرج الزمني .

والكتاب رغم أنه جامعي في دراساته التاريخية الأثرية ، إلا أنه وضع في أسلوب رشيق جذاب وبطريقة يفيد بها المثقفين عموماً ، والزائرين أصحاب الوقت المحدد ، وعشاق الفنون الإسلامية المشغوفين بها .

(القاهرة)

مصطفى كامل ابراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

الضأن والأفران والأهراء وملحقات الدير جميعاً .

واكتشف كذلك مومياوان ، ولا شك أن إحداهما للأنبا إبراهيم ، وهما ملفوفتان فى كفن من الكتان وقد حنطتا تحنيطاً كاملا . ولم يعثر على غيرهما . ولا شك أن الرهبان الآخرين دفنوا فى المقبرة القريبة من هذا المكان وقد اكتشفت من عهد قريب .

وقد عثر أيضاً على الخلوات والكنيسة التى لم يبق منها غير المصاطب ، وكان الرهبان يجلسون عليها وقت القداس ، ثم بعض صلبان طليت بالأحمر ، وبقايا صورة حائطية ، ونقوش عديدة .

ونظام الخلوات على طريقة القديس باخوميوس ، أى خلوات مشتركة ؛ فتتضمن الحجرة سريرين أو ثلاثة أسرة من البنيان .

ويظهر بعض الرسوم حالة المسيحيين حينذاك . فيبدو فيها آثار مصر القديمة وذكرى عهد وثنى غير بعيد .

اكتشف علماء الآثار مناطق اعتزال الرهبان فعلا ، كما أنهم وصلوا بفضل النقوش وغيرها إلى معرفة الكثير من عاداتهم وعادات عصرهم . ولكن دائرة الفكر والعقيدة بقيت مغلقة . فهل قدّر لهذا الكشف أن يفتح لنا ما أغلق ؟ إن الأستاذ شارل بشتلى بعد تقريره ليرفعه إلى جمعية الآثار القبطية ، فنرجو له التوفيق .

عدلى طاهر نور

فلسطين والأدب :

فلسطين ... اسم إذا ذكر دمعت العيون وتحرقت الأكباد وانفطرت القلوب ، لا من بغى الصهاينة ووحشيتهم ، ولا من شد أزر الدول الأجنبية لهم ، فلم يجل بخاطر عربى ومسلم يوماً أن يترك الصهاينة عدوانهم وشرهم ، أو يهجر الإنكليز خداعهم ومكرهم ،أو يعدل الفرنسيون عن خصومتهم وجنونهم ، أو يُعرض الأمريكان عن تألبهم علينا (وحرانهم) . . ولكن الذى تتقطع النفس عليه حسرات هو هذا الجمود الذى ران على عقول بعض الكبار فأبلاها ، وتغلغل إلى حبات قلوبهم فأقساها ، حتى غدوا لا يعدون فلسطين فى هذه المحنة المصيبة إلا بخطب وبيانات ووعود وتصريحات ، والشعوب مهتاجة ، والأعداء يبطشون ، والدنيا تنتظر، والتاريخ يرتقب ،ليروا ماذا نحن فاعلون!

فمن واجب الأدباء وقادة الفكر إزاء هذا أن يشعروا هؤلاء بواجبهم وينهضوا بهممهم ويشحذوا من عزائمهم . وللأدب فى هذا الميدان جولة وصولة ؛ فهو الذى يفصح عن رأى الشعب ويبين عن شعوره ، ويفتح العيون الساهية على الواقع المرير ، ويحرك بعض الآذان لينتبه أصحابها فيشعروا بشعور الناس ويفكروا بعقول الأمة ويتقدموا بعزيمة الشعوب ...

وها قد شق الأستاذ (الزيات) للأدباء الطريق وضرب أحسن المثل ، واستن الاستاذ (نقولا الحداد) هذه السنة الحسنة والأمل أن يسير أدباؤنا فى هذا الركب وينهجوا هذا النهج .

فطوبى لمن حطم الكأس وكسر الدف وودع الحب وهجر الروح وتقدم إلى حلبة الكفاح ليذكى النار ويلهب النفوس واهباً قلبه وقلمه (لفلسطين) حتى يأتى نصر الله . إلا أن نصر الله قريب .

المعادى (فتى الفيحاء)

الاتجاهات الدينية فى الفلسفة الحديثة :

هذا هو موضوع المحاضرة القيمة التى ألقاها الأستاذ البطاوى فى دار جماعة ابن رشد الثقافية فى الأسبوع الماضى . وقد استحق الأستاذ منا الإعجاب والتقدير حينما عالج هذا الموضوع رغم خطورته حيث تكلم عن الفوضى الاجتماعية والتضارب الفكرى والمذهبى بعد الحرب الثانية ، وحيث تكلم عما يبدو — « بعد اكتشاف السلاح الذرى » وقوف الدول الكبرى صاحبة الأمر والنهى عليه ، وعن خشية الإنسانية من الفناء إن هى أقدمت على حرب عالمية أخرى — ما يبدو بعد كل هذا وغيره من بشائر تتجه بالفلسفة الحديثة اتجاهاً شاملا سريعاً نحو الدين لكى تنقذ الإنسانية بوضعها إياها فى حماه الأمين ، وخاصة بعد أن تحقق كثير من الباحثين أن الفلسفة المادية تهوى بالمثل العليا إلى الحضيض وتدفع بالأمم إلى الأنانية البغيضة والتشاحن الذى يؤدى إلى الحروب والهلاك .

على هذا النمط سار الأستاذ فى محاضرته مستشهداً بأحدث الآراء فى الشرق والغرب للفلاسفة والباحثين فى هذا الموضوع مقارنا بينها وبين أقوال القدماء عقب الحرب السبعينية وبعد الحرب العالمية الأولى ليخلص من كل هذا إلى تلك النتيجة الخالدة : وهى أن « الفلسفة الحديثة بدأت بالفعل تتجه اتجاهاً دينيا » .

إلا أن إعجابنا بمقدرته لا يمكن أن يحملنا على التغاضى عن خطأ أو سهو عرض فى أثناء الحديث عن « الأثنينية Dualism » وأحب أن يتفضل فيحدد موقفه منه على صفحات هذه المجلة الغراء ؛ فإن له من الأهمية والخطورة ما يدركه كل دارس للفلسفة الحديثة



يا حيـــاتى

صورة فى أربعة مناظر

للأديب فؤاد السيد خليل

المنظر الأول :

جلس الضابط متكئاً على أريكة فى منزله ، وقد وضع رجلا على رجل متصنعاً هيئة الجد والوقار التى يظهر بها فى نقطة البوليس التى يشرف عليها ، وجلست زوجته بجانبه مطأطئة رأسها تدعو الله فى سرها أن تكون العواقب سليمة . ووقف ابنه أمامه عارى الرأس واضعاً يديه خلف ظهره وقد التمعت عيناه وبدت على وجهه أمارات هى مزيج من الخوف والتحدى . وقال الوالد بعد فترة من الصمت الذى أراد به أن يلقى الرعب فى قلب ابنه كما تعود أن يلقيه فى قلوب المجرمين :

— لم عدت من القاهرة ؟

— أظنك علمت أن المدرسة أضربت وأغلقت لمدة شهر .

— أظنك ؟ !

— ألم تعلم يا بابا ؟

— أهكذا يخاطب الولد أباه ؟

— ماذا أقول إذن ؟

— أتجيبنى على سؤال بسؤال ! لقد ساءت أخلاقك كثيراً فى القاهرة !

— يظهر أنك متعب اليوم !

— أتسخر منى يا كلب !

وانتفض الوالد وقد احتقن وجهه وبرزت عيناه ورفع يده ليهوى بها على وجه ابنـه ؛ غير أن الولد قال له : لا تضرب . وأخـذ الرجل وارتمى على مقعده قائلا فى حشرجة تشبه حشرجة المحتضرين .

— ألست أباك يا على ؟

— وأنا ألست ابنك يا بابا ؟

وكانت الزوجة قد أخذت بهـذا التطور السريع فى سير (المعركة) فلم تستطع أن تتكلم أو تتحرك أو حتى أن تفكر ، ولـكنها استردت بعض جأشها فقالت لابنهـا : اخرج يا على . فخرج يمشى فى خطوة عسكرية كأنه طالب فى الكلية الحربية أو فى كلية البوليس لا فى كلية الزراعة ولـكن لا غرو فالولد سر أبيه .

نظرت الزوجة خلسة إلى زوجها فوجدت الدموع تترقرق فى عينيه فوضعت وجهها بين يديها وأجهشت بالبكاء ، فتمالك الرجل نفسه بسرعة وقال لها : لا تبكى ولا تحزنى فلا بد من طرده من البيت . غير أن الزوجة رفعت رأسها بسرعة وقالت له :

— ماذا تقول ؟

— أقول إن هذا الولد يحزننا ويتحدانا ، وسيفسد أخلاق إخوته ، وقد حصل على التوجيهية وأصبح قادراً على الاستقلال بنفسه فليذهب إلى جهنم إذن .

— ألم يكمل لك أبوك دراستك ؟

فكنا نعرف أن ديكارت لم يكن «دخيلا» على «الأثنينية» كما ذكر المحاضر فى كلامه عن الفلسفة فى فجر نهضتها الحديثة ؛ بل نعرف أنه كان « أثنينيا» إلى أبعد حدود « الأثنينية » ، وهو بعد حقاً وليس زعما كما قال — مؤسس الإثنينية التى تقول بوجود الروح مع وجود المادة فى العصور الحديثة . وما كان هذا ليخفى على باحث مثل الأستاذ المحاضر يعلم تمام العلم أن جمهرة مؤرخى الفلسفة يعدون ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة ، ويعلم من كتب ديكارت نفسه — كما ذكر فى محاضرته القيمة أنه مؤمن بالله وبخلود الروح ، أما جهلنكس الذى أثنى عليه الأستاذ وقدمه على ديكارت ، فإنى لست أعرف له من فضل سوى أنه هذب أقوال ديكارث فى الأثنينية وعدّلها إلى مذهب Occasionalists أو « الإتفاقيين » .

أما أن يكون الدخيل أصيلا والأصيل دخيلا فهذا أمر لا يستقيم أبداً ولا يمكن أن ترتاح إليه نفس .

دكتور سمير الناصرى

— كان أبي يضربني (بالمركوب) فلا أرفع عيني فيه .

— ذلك زمن وهذا زمن .

— فهمت الآن . أنت التي دللته وأفسدت أخلاقه . أخرجي معه إذن .

— أنا أخرج معه ! أتطردني !

— يجب أن يكون بيتي مثال النظام والطاعة وحسن الأخلاق

— وماذا صنع ابنك حتى استحق منك كل هذا ؟ !

— ألا تعلمين أنه ينفق تلك مرتبنا وحده في القاهرة على ملذاته ، ولولا الفدانان لمتنا جوعا .

— أتستطيع أنت أن تعيش الآن في القاهرة بما يعيش به ؟

— كنت أعيش بربع هذا المبلغ . إن ابنك يدخن ويحب أيضا يا عزيزتي !

— يحب ! يحب من ؟

— يحب طالبة معه في الكلية .

— لا نصدق هذا الكلام . إنه لا يزال في الثامنة عشرة .

— ولكنها هي تزيد على العشرين واسمها سعدية عبدالعظيم .

— أهذا صحيح ؟

— نعم . أنا واثق . وهو يذهب إلى بيتها كل يوم بحجة المذاكرة .

— قد يكون هذا السبب صحيحا .

— أتصدقين هذا الكلام الفارغ !

— ألا يذهب إليها بعلم أهلها !

— لا أدري !

— أنك تسيء الظن دائما .

— وفضلا عن ذلك فهو شيوعي !

— من قال لك هذا ؟

— هو نفسه عندما قدم في أجازة نصف السنة ، كان يلومني على أنني أؤجر الفدان بأربعين جنيها ويطلب مني أن أؤجره بثلاثين ليستطيع الذي يزرعه أن يأكل مثلنا .

— ليتنا نستطيع ذلك !

— ونموت جوعا !

— وهل هذا دليل على أنه شيوعي ؟

— كل آرائه وتصرفاته وإخلاقه تدل على أنه شيوعي . وأقسم بالله إن لم يرجع عن غيه لأكون أول المبلغين عنه ...

المنظر الثاني :

قال حسين بك لحري للحاج عبد العظيم مبروك :

— لا أستطيع تخفيض الإيجار يا حاج عبد العظيم ، إن نفقاتنا كثيرة وستزيد علينا الضرائب .

— كفى الله الشر .

— حضرات موظفي الحكومة لا يكتفون بمرتباتهم ولايشبعون .

— قد يكونون معذورين يا سعادة البك .

— وماذا تصنع الحكومة ؟ تأخذ من جيوب الناس وتعطيهم؟

— بل تعطيهم من المالية .

— والماليه ياحاج عبد العظيم من جيوبنا .

— الذي أفهمه أن المخدوم مكلف بالانفاق على الخادم .

— وهل يجب أن يأكل خادمك اللحم والفاكهة ويلبس الحرير .

— إن خادمنا تأكل مما نأكل وتلبس مما نلبس ، ولذلك فهي أمينة جداً ، تحافظ لنا على اللقمة وعلى المليم .

— ارسلها لي ياحاج عبد العظيم . إن خادمي اللص اللعين سرق من محفظتي خمسين جنيها .

— حاضر .

— حاضر صحيح ، أوفك مجالس ؟

— ياسلام ياسعادة البيك ! والله لوطلبت سعدية بنتي جارية لأرسلتها اليك .

— اشكرك ! وهل هي كبيرة ؟

— انها في الجامعة ياسعادة البك .

— الخادم في الجامعة ؟ !

— بل سعدية بنتي ياسعادة البك .

— أهي جميلة ياحاج عبد العظيم ؟

— انها في نظري جميلة جداً ياسعادة البك . هذه بعض صور لها عملتها لتلصق واحدة منها على البطاقة .

— بطاقة التموين ؟

— بل بطاقة الدخول في الكلية بعد الأضراب .

— أكانت مضربة ؟

— كانت الكليه كلها مضربة .

— حتى البنات يضربن !

— انهن يتعلمن من الذكور ياسعادة البك .

— لمنة الله على الذكور وعلى الأناث ! (ماعدا سعديه طبعاً ياحاج عبد العظيم .

اشكرك ياسعادة البك .

— وإكراما لهذه الصورة سأعفيك الآن من تحديد ميعاد لدفع المتأخر .

— اشكرك ياسعادة البيك !

— على شرط أن ترسل إلى الخادم الآن.

— على العين والرأس .

المنظر الثالث :

كانت الآنسة سعدية عبد العظيم مضطجعة على سريرها تقرأ فى كتاب (الكيمياء الصناعية) وكانت أمها تقف بجوارها تكاد تطفر الدموع من عينيها وتقول لها :

— ردى علىّ يا سعدية . اسمعى كلامى !أنا أمك .

— كلمة واحدة الن أتزوجه .

— أهذا كلام عاقلة ؟ حسين بك الغنى العظيم ترفضه فتاة فقيرة !

— عجوز وقبيح الشكل والأخلاق !

— يا ندامة يا بنتى ! الرجل عيبه جيبه . ماله حسين بك سيد الرجال ! !

— لا أريده .

كونى عاقلة يا سعدية . حسين بك هو الذى يؤجر والدك أطيانه ونحن مدينون له بألفى جنيه وقد وعد بالتنازل عنها وتخفيض الإيجار أيضاً ، وسيعطيك (شبكة) جميلة ثمينة ولا يطلب منا أى جهاز . وهذا كنز يا ابنتى نزل علينا من السماء .

— وكانت سعدية قد عادت إلى القراءة فى كتابها وكأنها لم تسمع شيئاً من هذه المحاضرة الطويلة المغرية . فابتسمت أمها وقالت : خلاص ! سأقول لوالدك إنها موافقة .

— من قال ذلك ؟ يستحيل ! يستحيل ! تزوجوه أنتم ! أما أنا فلا .

وهنا لم تتمالك الأم نفسها فأخذت تجهش بالبكاء وتلطم خديها وتقول . يا خسارة التربية ! ستخربين بيتنا يا فاجرة . لا كنتِ ولا كانت أيامك . وكأنما تأثرت ابنتها فاعتدلت وقالت لأمها بصوت كأنه صادر من القبر . سأعمل ما فيه راحتكم .

وأسرعت الأم تزف إلى زوجها هذه البشرى .

أما سعدية فكانت تناجى نفسها قائلة : يريدون أن يبيعونى له كأننى سلعة أو جارية ! وما ذنبى أنا إذا كان سى حسين بك يظلم أبى فى الإيجار وهو يريد تخفيض الإيجار ، فيطلب من الحكومة سن قانون لتخفيضه . أما أنا فسأترك لهم منزلهم وأعول نفسى وأتمم تعليمى .

وفى اليوم التالى لم تعد سعدية إلى منزل والديها .

المنظر الرابع :

بعد هذه الحوادث بشهر واحد وفى ضحى أحد الأيام كانت الشمس المشرقة الجميلة تشرق فى أنحاء الديار المصرية على المناظر الآتية :

١ — الطالب على عبد الحميد يجلس مكتئباً فى غرفته وقد أمسك بيده ورقة الفصل من الكلية لعدم تسديد المصروفات .

٢ — الضابط عبد الحميد حمدى حزيناً فى منزله وبجواره زوجته يقرآن خطاباً بخصم خمسة عشر يوماً من مرتبه لاشتراكه فى إضراب ضباط البوليس .

٣ — الفلاح محروس جاب الله يقف واجماً أمام جاموسته التى تباع بأبخس الأثمان لتسديد ما عليه من إيجار الفدانين للضابط عبد الحميد حمدى .

٤ — زوجة محروس جاب الله تجلس فى غرفة مظلمة حاملة بين يديها طفلها الذى يئن ويتلوى وهى تظن أن عليه عفريتاً وما به إلا الحمى الشوكية اللعينة .

٥ — الآنسة سعدية عبد العظيم مبروك تجلس أمام طفل صغير لصديقة لها تعلمه وتنتهز فرصة اشتغاله بالكتابة فتخرج من حقيبتها صورة للطالب عبد الحميد وتنظر إليها بحب وإشفاق .

٦ — حرم الحاج عبد العظيم فى بيت متواضع مع باقى أطفالها تبكى وفى يدها ورقة طلاقها .

٧ — الحاج عبد العظيم يتوجه إلى أحد المحامين الشرعيين ومعه إعلان من المحكمة الشرعية .

٨ — حسين بك نخرى فى قصره الفاخر وقد أخرج من محفظته صورة جميلة للآنسة سعدية .

وكان كل من هؤلاء يتأوه قائلا : « يا حياتى » .

فؤاد السيد خليل

العدد ٧٧٦ — الاثنين ١٧ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 776

Lundi — 17 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٧ — ١٧ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لمن هذه القوة فى فلسطين ؟

إذا قلت إن القوة التى فى فلسطين لليهود ، فكأنما قلت إن للأرانب دولة فى غاب الأسود ! ومن ذا الذي يصدق خبراً تناصرت على تكذيبه أدلة الشريعة والطبيعة والعِيان ؟ فالقرآن يخبر أن الله ضرب على اليهود الذلة والمسكنة بما عصوا وعدَوا ؛ فمن يزعمُ الآن أن مُلك إسرائيل يعود ، فقد كذب القرآن وصدَّق التلمود . والطبيعة تشهد أن الغريزة تفقد شهوتها بالتعطيل ، كما يفقد العضو وظيفته بالترك : فغريزة الافتراس فى الحيوان ضعفت فى الإنسان بالإهمال ، على مدى الحقب الطوال ، حتى أصبحت أثراً فى العض ورمزاً فى التقبيل . والأظفار الخمسة فى رِجل البهيم تطاولت عليهــا الدهور وهى تتسلق وتنشب ، فاعتراها الضمور والذبول حتى صارت أثراً تاريخياً وراء الحافر أو الظلف . واليهود منذ فرق شملهم (بختنصر) ، وبتّ حبلهم (أدريان) أخذت تضعف فيهم غريزة الدفاع عن النفس بالقوة حتى ماتت فى مدى خمسة وعشرين قرناً لم يدافعوا عن حياتهم فيها إلا بخداع الثعلب وتملق الكلب وتلون الحرباء . فمن أين لهم الأكف التى تحمل السلاح ، والقلوب التى ترفد الأيدى ؟ أما العيان — وهو مصداق النقل وشاهد العقل — فيثبت أن اليهود ثعابين من غير سم ، وبراكين من غير نار . هل رأيت يهودياً دخل فى عنف وإن هان ، أو جرؤ على ظلم وإن قل ؟ أنا نفسى شهدت لبعضهم منظراً لا أنساه حتى أموت ، ولا أذكره إلا ضحكت : قضيت الصيف فى بغداد سنة ١٩٣٠ ، والصيف فى بغداد لفحات من جهنم بالنهار ، ونفحات من الفردوس بالليل . فالبغداديون يميتون أيامه فى السراديب ، ويحيون لياليه على دجلة . ففى ليلة قمراء من هذه الليالى ركبتُ أنا وصديق (الحسنى) زورقاً من زوارق النزهة ، فيه السمك (المسجوف) والفاكهة الطيبة . وسار بنا الزورق يتهادى حتى توسط النهر ، فوقع فى أسماعنا من ضفاف الكرخ غناء وعزف . فقلنا للنوتى : اتبع طريق هـذا الزورق اللاهى . فقال فى لهجة الغاضب الأنوف : ولماذا نتبع نحن ولا يتبعون هم ؟ هؤلاء يهود ! ولو شئتم أتيتكم بالمغنى والعازف ! فدهشت ولم يدهش صديق . وحاذى المركب المركب ، فإذا رهط من شباب اليهود لا يقلون عن العشرة ، قد انتظموا عقدين على جانبى المركب ، وفى الوسط مائدة مستطيلة عليها الطعام والشراب والزهر ، وفى الصدر مغنية حسناء تضرب على العود ، وكهل بدين ينقر على القانون ، وشاب أنيق يعزف على الكمان . فلما رأونا سكنت الحركات ، وخشعت الأصوات ، وتجمعت الأكتاف ، وتدلت الأطراف ، وشخصت الأعين ؛ ونادى ملاحنا بلهجته العراقية الآمرة : « تعالْ يا بِنت ! تعالْ يا وِلدْ ! » وانتظرت أن أرى الغضب والإباء ، أو التردد والوناء ، فلم أر إلا القوم يخلون للجوقة الطريق واجفين ، ويساعدونها على الانتقال واقفين ! ولو كنا جرينا مع النوتى على مذهبه ، لنقل كل ما كان فى مركبهم إلى مركبه !

(البقية على الصفحة التالية)

٣ – عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد على

رأيت أن أقدم رواية وردت إلينا عن « عبد الله بن سبأ » هي رواية تعود إلى القرن الثالث للهجرة . وهي أقدم من رواية الطبرى ، والطبرى أول من تعرض « لابن سبأ » في تفصيل واطناب بالنسبة لحوادث الفتنة . وقد تعرض « أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي وهو من رجال القرن الثالث للهجرة ومن رجال الشيعة لعبد الله بن سبأ في معرض كلامه عن فرق الشيعة ؛ وهي رواية مهمة لأنها تمثل رأى الشيعة في هذا الرجل ، وما قالوه فيه . وأنت إذا ما قرأت ما كتبه النوبختي عن « السبأية » تيقنت من أن بعض علماء الكلام قد نقلوا عنه .

قال النوبختي : « السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك . فأخذه عليّ فسأله عن قوله هذا فأقر به ، فأمر بقتله . فصاح الناس إليه : يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيره إلى المدائن . وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب عليّ عليه السلام ، أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ؛ وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع ابن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة ؛ فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام بمثل ذلك . وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه .

فمن هنا قال المخالفون إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية . ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه : كذبت ! لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة ، وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ؛ ولا يموت حتى يملك الأرض .

والنوبختي من المعاصرين لابن قتيبة الدينورى صاحب كتاب المعارف « المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة » وللطبرى « المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة » ولابن عبد ربه « المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة » . ولعالم شيعي آخر ذكر « ابن سبأ » بعبارة تكاد تكون عبارة النوبختي بعينها وهـذا الرجل هو « أبو عمر ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشى » صاحب كتاب « معرفة أخبار الرجال » وقد عاش في بغداد وكانت داره من الدور المقصودة ، وملتقى طلاب العلم . ولابد لنا من ذكر عبارة الكشى عن « عبد الله ابن سبأ » لنتمكن من تكوين فكرة عنه وعما ورد فيه .

وقد أخذ الكشى روايته هذه — على ما يقوله — عن ابن قولويه عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف القميّ عن محمد بن عثمان العبدى عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان عن أبيه ، وتنتهى هذه السلسلة بالإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ للهجرة . والمعاصر للخليفة العباسى المنصور .

جاء في كتاب معرفة أخبار الرجال أن الإمام قال « إن عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة وزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك) ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال نعم أنت هو ، وقد كان ألقى في روعى أنك أنت الله وأنى نبي . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك ! قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب. فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب ، فأحرقه بالنار وقال إن الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقى في روعه ذلك » .

وذكر رواية أخرى هي أن الإمام جعفر الصادق ذكر عبد الله بن سبأ فقال « لعن الله عبد الله بن سبأ ! إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً . الويل لمن كذب علينا ؛ وأن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم ؛ نبرأ إلى الله منهم » . إلى أن قال « ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام ، وكان يقول وهو على يهوديته في

لمن هذه القوة إذن ؟ إنها للاتحاد الذى جعل النحل تهزم جيشاً بأسره ، ومكن للبراغيث أن تخرج (النمروذ) من قصره . وإنها للعلم الذى ينقل على أجنحة النحل قذائف تدك المدن ، وينبت في أفواه البراغيث أنياباً تقتل الفيلة . وإنها للمال الذى يسخر المصانع الأمريكية لتسليح اللص ، ويجبر الممالك الأوربية على تأييد الباغى .

فهل أعد العرب العدة لهذه الأقانيم الثلاثة ، أم لا يزالون يعتمدون في دفاعهم على الفتح والورانة ؟ أحمد حسن الزيات

يوشع بن نون وصى موسى بالغلو فقال بعد إسلامه ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام مثل ذلك . وكان أول من أشهر القول بفرض إمامة على ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم ، فمن ههنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية » (١) .

والعبارة الأخيرة هى نفس العبارة التى ذكرها النوبختى فى كتابه « فرق الشيعة » عن عبد الله بن سبأ ، وحيث أن الشخصين كانا متعاصرين ، فمن الجائز أن يكون قد نقل أحدهما عن الآخر ، غير أن مقدمة خبر كل واحد منهما عن « عبد الله ابن سبأ » وعن السبائية تدل على أنهما أخذا معا من مصدر آخر لعله أقدم من مصدرهما . والظاهر أنهما أخذاه عن كتاب لا رواية لأن الكشى يسلك سبيل الأخباريين والرواة فيذكر عادة فى كل رواية سلسلة الرواية ، ولم يفعل ذلك فى هذه العبارة التى يظهر أنها كانت عبارة كتاب آخر وأنهما نقلاها نقلا يكاد يكون حرفيا من « ذكر بعض أهل العلم » إلى آخر هذه الفقرة . ولعلهما نقلا ذلك عن كتاب آخر يعود إلى سعد بن عبد الله الأشعرى القمىّ المتوفى سنة ٢٩٩ أو ٣٠١ للهجرة ، وهو عالم له مصنف فى هذا الموضوع .

ومما يستحق الملاحظة كذلك أن النوبختى كان قد ذكر فى آخر خبره عن السبأية أن عبد الله بن سبأ لما بلغه خبر مقتل الإمام علىّ وهو بالمدائن « قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا ، لعلمنا أنه لم يمت ، ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض » (٢) .

وهذه العبارة قريبة فى المعنى من العبارة التى ذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » والتى نسبت إلى جرير بن قيس ، ولعلهما أخذا من منبع واحد واستعمل كل واحد منهما العبارة التى اختارها لهذا المعنى .

ونجد فى كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر ابن طاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة ذكراً « لعبد الله ابن سبأ » فى معرض حديثه عن الفرق ومنها فرقة « السبأية »

(١) كذلك :

(٢) فرق الشيعة ص ٢٢

اتباع عبد الله بن سبأ وقد سماهم « السبابية » وقد عرفت هذه التسمية بهذه الصورة فى كتب أخرى (١) . وقد نقل عنه « أبو المظفر عماد الدين شاهفور طاهر بن محمد الاسفرائينى المتوفى سنة ٤٧١ للهجرة (٢) . نقل عنه نقلا يكاد يكون بالحرف لذلك يكرر ما ذكره البغدادى فى هذا الباب . واختص عبد الرازق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرسعنى من رجال القرن السابع للهجرة كتاب البغدادى وأدخل ما ذكره البغدادى فى كتابه (٣) .

ويعد كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ من أهم المراجع التى تعرضت لبحث « عبد الله بن سبأ » وأتباعه « السبائية » وقد اعتمد عليه جماعة من العلماء منهم الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦ للهجرة (٤) وعلى الأخص المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة . الذى نقل عنه نقلا حرفياً (٥) ؛ ثم المؤرخ الشهير ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة (٦) . والجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ للهجرة صاحب « شرح المواقف » فى علم الكلام للإيجى المسمى « المواقف فى علم الكلام » (٧) .

ونضيف إلى هذه المراجع ما ذكره ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ للهجرة فى كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » وقد دعاهم « السبابية » (٨) . وما كتبه أصحاب الكتب الأخرى .

(البقية على صفحة ٤٥٧)

(١) راجع عنه ابن خلكان « وفيات الأعيان » طبعة « ده سلان » ح ١ ص ٤١٥ وطبعة مصر ح ١ ص ٤٢٣ ، الكتبى « فوات الوفيات » طبعة مصر سنة ١٢٩٩ ح ١ ص ٢٩٨ ، السبكي طبقات الشافعية الكبرى المطبعة الحسينية ح ١ ص ٢٢٨ و ح ٣ ص ٢٣٨ فما بعد .

(٢) راجع عنه السبكى طبقات ح ٣ ص ١٧٥ ، له « التبصير فى الدين » وكتاب التفسير الكبير Brockilmann , Suppz , 1 , P 731 996

(٣) راجع كتابه « مختصر كتاب الفرق بين الفرق » إخراج الدكتور فيليب حتى مصر مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤

(٤) راجع كتابه « المواقف فى علم الكلام » « طبعة Saerensen » ص ٣٤٢ وله كتب أخرى راجع فى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ح ٣ ص ٢٥١

(٥) المقريزى خطط ح ٢ ص ٣٥٢

(٦) راجع المقدمة طبعة « Quatremér » ص ٣٥٨

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ح ٣ ص ٢٥١

(٨) راجع طبعة مصر سنة ١٣١٧ — ١٣٢١ للهجرة فى خمسة مجلدات .

الغيظ المحـــــزن!

للأستاذ نقولا الحداد

ألا يغيظنا أن عرب فلسطين يفرون أمام فظائع اليهود الخبثاء، ويتشردون فى البلاد العربية هنا وهناك، وأولئك الدخلاء الصهيونيون الأراذل يتمكنون فى البلاد وينهبون بيوت العرب، ويفطرون ويتغدون ويتعشون من طعام العرب، ويلبسون ثياب العرب، ويملكون أثاثهم وأمتعتهم — يفعلون هكذا كما فعل أسلافهم من قبلهم منذ ٣٢ قرناً حين ساقهم موسى من مصر إلى أرض كنعان حيث طردوا الكنعانيين من بلادهم وتناهبوا أرزاقهم؟! هل يعيد التاريخ نفسه؟

ألا يحزننا أن هؤلاء الجبناء الخبثاء يتكلّون بنساء العرب وأطفالهم وعجزتهم كما ينكل الذئاب والنمرة بفرائسها من الحملان والكباش والفراخ، ونحن نقرأ أخبار هذه الفظائع وأكبادنا تتقطع، وقلوبنا تتمزق!

ألا نخجل أن نرى إخواننا، وهم أهل البلاد، يفرون أمام الدخلاء فرار النعاج من الضوارى ونحن نتفرج ونسمع ونقرأ ونتألم، ولا ننتقم من هؤلاء الأشرار شر انتقام؟ لماذا؟ لأننا نريد أن نتحامى غضب البريطانيين قبل أن ينتهى انتدابهم. وهؤلاء الذئاب يستغلون صبرنا، وطيبة قلوبنا، وتمسكنا بالإنسانية وشرف الخلق.

يا قوم... لا ينفع مع هؤلاء الأشرار الطغاة العتاة قول يسوع الناصرى يوم علقوه على خشبة الصليب: «يارب اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». فهم يهزأون حين «نحول لهم الخد الأيسر» ويستبلهوننا... لا ينفعنا مع هؤلاء الأشرار إلا قول القرآن الكريم: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم».

كان على الجنود العرب أن يقتصوا منهم على الأثر؛ رضى الانكليز أو غضبوا. كفانا يا قوم استخذاء كما استخذى الانكليز لليهود اللئام. حسبنا مراعاة لخاطر الانكليز وهم يحمون اليهود دوننا ولم يقوموا بواجب المحافظة على الأمن كما يدعونها سبباً لبقاء انتدابهم. ولو شاؤوا الأمن لاستطاعوا أن يحقنوا كل دم فى فلسطين، وعندهم ٩٠ ألف مقاتل، ولكنهم كانوا يبتهجون أن يروا هذه المجازر ويشاهدوا تلك الفظائع الوحشية، فحتى متى نداريهم ونراعى خاطرهم؟

والآن ماذا قررتم أن تفعلوا أيها العرب الرجال مع هؤلاء الأنذال الذين لا يعرفون ما هى الإنسانية، وليس لهم قلوب بشرية! كيف يجب أن تعاملوا هؤلاء الكلاب الغلاظ الرقاب ذوى القلوب الصلاب؟

يجب أن تقرروا منذ الآن أن تكافئوا هؤلاء الأرديا هكذا:

أولا — مصادرة جميع أملاك اليهود وأموالهم فى البلاد العربية كلها باعتبار أنهم كلهم صهيونيون، وأن العدوان فى فلسطين هو عدوانهم وهم شركاء فيه. تصادر أملاكهم كما صودرت أملاك الطليان والألمان فى الحرب؛ وأن يعوض من هذه الأموال على عرب فلسطين ما نهبه الصهيونيون وما خربوه وما خسر العرب فى كل ناحية بسببهم.

ثانياً — يجب أن يذاع هذا الحكم على الصهيونيين لكى يعلموا أن كل ما يأتونه من المنكر فى البلاد العربية على الإطلاق يتحمل وزره إخوانهم فى كل بلد عربى، ولكى يعلم اليهود الذين فى مصر وغيرها من البلاد العربية أن كل مال جمعوه للصهيونيين يجب أن يسدد من أموالهم؛ لأن المال الذى فى أيديهم هو مال عربى، وقد اكتسبوه من العرب فلا يمكن أن يرسل إلى الصهيونيين لكى يحاربوا العرب به.

ثالثاً — أن يبلَّغ صهيونو فلسطين أن كل ما نهبوه من أموال العرب، وكل ضرر أوقعوه على العرب سيؤخذ التعويض عنه منهم أضعافاً يوم الحساب بعد إخماد عنفوانهم يوم الهزيمة، وأن كل نفس أزهقوها من أنفس العرب يجب أن يدفعوا ديتها أضعافاً، وأن كل نفس من أنفس النساء والأطفال والشيوخ سيقدمون مقابلها أضحية على مذبح الإله مارس.

رابعاً — أن يعلم هؤلاء اليهود الصلاب الرقاب أنهم لا يعاش معهم بعد قمع ثورتهم؛ بل يجب أن يطردوا من البلاد العربية كلها.

هذا ما نتوقع أن يفعله قادة الجيوش العربية منذ الآن إن كانوا يحسنون القيادة ويستحقون الزعامة ويرغبون فى صيانة حقوق العرب التى أضاعها تراخى الزعماء وتواكلهم. حسبكم يا قوم استخذاء!

نقولا الحداد

الفن الانسانى

للأستاذ أنور المعداوى

(مهداة إلى الفنان الإنسانى محمود تيمور)

الصلة بين الفن والإنسانية صلة لا يحسها إلا الفنان الإنسان ... ولقد قلت مرة — وما زلت أقول — إن الفن إذا لم يستمد وميضه وحرارته من نبضات القلب الإنسانى ، كان وميضه كوميض البرق ، وكانت حرارته كحرارة الحمى ... ! وكل أثر فنى تبدعه العبقرية أو تصوغه القريحة ، لايترك أثره فى النفس ولا بقاءه على الزمن ، مالم تلتق ومضة الفكر فيه بخفقة القلب ، ولفتة الزهن بحركة الشعور ، ومنطق العقل بفورة الوجدان ... بشعاع من هنا وشعاع من هناك ، يشق ضوء الفن طريقه إلى فجاج الروح ، وشعاب النفس ، ومسارب العاطفة ، وبغير هذا كله يخبو البريق فى الفن ، وتبهت الصورة ، وتفنى صفات الخلود !

من أعماق النفس وأغوار الحياة ينبع الصدق فى الفن ... ولن يتهيأ الصدق فى الفن مالم يستخدم الفنان كل حواسه فى تذوق الحياة : يرقب ، ويتأمل ، ويهتك الحجب ، وينفذ إلى ما وراء المجهول ؛ فإذا استطاع أن ينقل كل ما يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى ، فهو الفنان ... وإذا استطاع أن ينقل إلى هذه اللوحات كل ما فى القلب الإنسانى من نبض وخفوق ، فهو الفنان الإنسان ... وعلى مدار القوة والضعف فى تلك النبضات ، يفترق العمل الفنى عن مثيله فى كل فن من الفنون ...

الفن الإنسانى هو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور ... وأن يكون الشعور مرآة صادقة تلتقى على صفحتها النفس الإنسانية فى صورتها الخالدة ، بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التى تتمثل فى ذلك التجاوب الزوجى بين الفن وصاحبه ، وبين الفن ومتذوقه ، وبين الفن والإنسانية ، بكل ما فيها من اختلاف الميول والأذواق . ولسنا نقصد بهذا إلى أن يسير الفن فى ركاب المجتمع ... كلا ، وإنما ندعو إلى أن ينطلق الفن انطلاقاً يتحرر فيه من كل قيد يفرضه عليه طلاب الشعور المزور والانفعال المصطنع . عندئذ يستطيع الفن أن يتنفس فى أجواء لا يحس فيها مرارة الاختناق ، وعندئذ يلتقط الفن من طريق الحياة — وهو فى ظل الحرية — كل ما يتبقى فيها من رواسب العواطف المتباينة فى النفس الإنسانية .

إن الفنان هو من يعبر عن الحياة فيصدق فى التعبير ... وإلى هنا يكون الفن قد أدى رسالته التصويرية ، وهى رسالة تهدف إلى التصوير الأمين والعرض الصادق ، ولكن هاتين الميزتين قد تهتز لهما فى نفسك عاطفة الإعجاب ، دون أن تهتز لها مكامن الشعور ... إن الإعجاب بالأثر الفنى شىء والاهتزاز له والتأثر به شىء آخر ؛ وهنا تبرز لنا الناحية الأخرى من رسالة الفن وهى الناحية الإنسانية ، تلك التى يكتمل معها الخلود فى العمل الفنى . إقرأ للقصاص الفرنسى جى دى موباسان أقصوصتين من أقاصيصه هما « الحلية » و « ولد »[1] ، تعجب بالأولى وتهتز من أعماقك للثانية ، ثم قارن بين الأقصوصتين تجد البون شاسعاً بين أثر هذه وتلك فى حساب الشعور . وما أبعد الفارق بين فن يترك أثره فى الذهن ، وفن يترك أثره فى النفس ... إن موباسان فنان مبدع هنا وهناك ، ولكنه فى « الحلية » فنان فحسب ؛ فنان يستلهم قلمه ... أما فى « ولد » فهو فنان وإنسان ؛ إنسان يستلهم قلبه ... !

واقرأ بعد ذلك « رينيه » لشاتوبريان و « رفائيل » للامرتين و « آلام فرتر » لجوته ، تلمس أن نبضات القلب الإنسانى فى هذه القصص الثلاث ، لم تبلغ من القوة والصدق والعمق ما بلغته فى « أدولف » لبينجامان كونستان ؛ ومن هنا كانت « أدولف » فى رأى النقاد أكثرها بقاء على الزمن لأنها أكثرها إنسانية .. ولقد قرأت هذه القصة مرات ، ولا أذكر أنى قرأت غيرها أكثر من مرة ، بل لا أذكر أن قصة تركت فى نفسى من الأثر مثل ما تركت « أدولف » ؛ ذلك لأن الفن إنما يقاس بمقدار أثره فى النفس ومدى صلته بعنف الوجيب فى القلب الإنسانى . وأنت حين تقرأ هذه القصص الثلاث ، تشعر أن كلا منها قد وضعت للجيل الذى عاشت فيه فهى لا تكاد تصلح إلا له ، وأن الفارق بينها وبين « أدولف » هو الفارق بين الفن التصويرى الذى يقف بك عند فترة من الزمن لا يتعداها ، وبين الفن الإنسانى الذى يتخطى حدود الزمان والمكان(*) ولقد بلغ من عمق الصلة بين الفن والإنسانية فى « أدولف » ، أن اكتشف

(١) قام بنقل هاتين الأقصوصتين إلى العربية الأستاذ الزيات فى كتابه « من الأدب الفرنسى » ، ومما يجب الإشارة إليه أن الأقصوصة الأولى قد نقلها إلى العربية أكثر من قلم ، ولكن قلم الأستاذ صاحب الرسالة — فيما أعلم — هو خيرها رقة وأمانة وأصالة

(*) (الرسالة) : هذا رأى نسمعه لأول مرة ، فكان على الكاتب أن يذكر الدليل الذى اعتمد عليه ، والنص الذى استند إليه .

النقاد أن هذه القصة لم تكن إلا تصوراً صادقاً لحياة مؤلفها ، وأن « أدولف » لم يكن فى الحقيقة إلا بنجامان كونستان ، وأن « إلالينورا » لم تكن إلا الكاتبة الفرنسية مدام دى ستابل ! « أدولف » هى قصة القلب الإنسانى فى كل جيل من الأجيال ، يقرؤها كل إنسان فيشعر أنها قد كتبت له ، ويكاد يجد نفسه فى كل سطر من سطورها ... وهذا هو الفن الإنسانى الذى تتلقاه الإنسانية جديداً على مر الزمن ! ... الفن الذى يأخذ مادته من أعماق النفس ، ونبضات القلب ، وأغوار الحياة .

وعلى ذكر القصص الإنسانى أقول إنى شاهدت منذ أيام فى إحدى دور السينما قصة من القصص النادرة ، تدور حوادثها حول حياة الموسيقار روبرت شومان ... ولن أنسى أن هذه القصة قد هزتنى هزاً عميقاً ، لا بموسيقاها ولا بروعة تمثيلها ، ولكن بما حفلت به من لمسات إنسانية نفاذة استطاع كاتبها أن يدفع بها إلى مكامن الشعور فى النفس الإنسانية ؛ ولقد خرجت بعد انتهاء العرض وأنا أستعيد فى نفسى بعض تلك اللمسات التى حشدها الكاتب فى قصته ليصور بها الجانب الإنسانى فى حياة شومان ... ولعل مشهداً واحداً من مشاهد هذه القصة يقف وحده متفرداً ليترك أثره العميق فى النفس والحس ؛ هو ذلك الذى ظهر فيه شومان وزوجته وتلميذه يهيئون طعامهم بأيديهم بعد أن تخلت الطاهية عن خدمتهم .. هنا يقف الثلاثة حيارى أمام دجاجة ! . . لا تقوى نفوسهم الفنانة الشاعرة على ذبحها ؛ تمسك الزوجة بالسكين فتخونها قواها فتدفع بها إلى زوجها ، واضعة ثقتها فيه كرجل لا يرتاع لرؤية الدماء .. ويجمع الموسيقار أشتات شجاعته ، ولكنها تتناثر هنا وهناك فلا يبقى إلا العزم الخائر أمام شبح الجريمة ! . . ولا تجد الزوجة بداً من الاستنجاد بالرجل الآخر ليرد للرجولة كرامتها ، ولكن الرجل الآخر ما يكاد يقترب من الضحية والسكين فى يده حتى يرتد ضعيفاً مسلوب الإرادة أكثر إخفاقاً من صاحبه .. ولا تزال السكين حائرة بين أيديهم المرتجفة ، ولا تزال الدجاجة على قيد الحياة ! .. ويهتف روبرت شومان وهو ينظر إلى زوجته وتلميذه ، يهتف من أعماقه : لقد خلقت للعزف لا للذبح ! !

بمثل هذه اللمسات الرائعة ، ترتفع القصة فى الغرب إلى آفاق مشرقة من الفن الإنسانى .

وإذا ما تركنا الفن الإنسانى فى القصة إلى الفن الإنسانى فى التصوير ، تبرز لنا لوحتان فريدتان هما « العذراء والطفل » لرفائيل و« الجيو كوندا » لدافنشى . وعلى كثرة ما أخرج عباقرة الرسم من لوحات للعذراء والطفل فإن لوحة رفائيل تقف وحدها متفردة ، لا بظلالها وأضوائها وألوانها ، بل بشىء آخر هو قوة الوجه ... المعبر عن الإنسانية فى أنبل ملامحها ، وأجمل سماتها . إن الريشة التى أبدعت هذه اللوحة ريشة إنسان قبل أن تكون ريشة فنان ؛ إنسان أنطق أسمى مراتب الأمومة فى نظرات السيدة العذراء ، وأسمى مراتب النبوة فى نظرات السيد المسيح ... ومن هنا شقت لوحة رفائيل طريقها إلى القمة ، بينما وقف غيرها لا يتخطى السفوح ، لأن هذه من صنع المخيلة ، وتلك من صنع الشعور

من هذه الزاوية الإنسانية التى نظر منها الفن إلى رفائيل فى « العذراء والطفل » ، ينظر الفن مرة أخرى إلى ليوناردو دافنشى فى « الجيو كوندا » ... هى لوحة تمثل امرأة ، ولكن أية امرأة ؟ ! لقد استطاع دافنشى الإنسان أن يبعث فى عينيها العميقتين نظرات قديسة ، وفى شفتيها الرقيقتين ظل ابتسامة لا ترتسم إلا على شفتى ملك . وفى العينين والشفتين ركز دافنشى الإنسانية بكل ما فيها من معانى النبل والطهر والبراءة ، ولهذا كانت « الجيو كوندا » تمثل ذلك الجمال الروحى المتصل بالسماء ، بينما كان غيرها يمثل ذلك الجمال المادى المشدود إلى الأرض !

من كل هذه الأمثلة التى قدمتها إليك تستطيع أن تخرج بشىء واحد ، هو أن الفن إذا لم يستمد وميضه وحرارته من نبضات القلب الإنسانى ، كان وميضه كوميض البرق ، وكانت حرارته كحرارة الحمى ... !

أنور المعداوى

على ذكر حوادث فلسطين !

عـــار لا يمحى

للأستـــاذ شكرى فيصل

حين فتحت عينىّ فى الصباح كنت كالذى يستيقظ من حلم مرعب ... لم أكن شهدت ما يؤرقنى ويزعجنى ، ولكنى أعلم أنى أويت إلى فراشى وعلى شفتىّ هذه الأسئلة التى يدور بها ذهنى وينطلق بها لسانى : ما ذا تفعل هنا ؟ أى شىء هذا العلم الذى تجهد له ، وتمنى فيه الوقت والصحة والشباب ؟ ما يكون من شأن العربية التى تعمل لها وتنطوى جنديا من جنودها إن قدر لصهيون أن تحقق أحلامها ، وأن ترفع أعلامها ، وأن تنشىء سلطانها فى هذه البقعة من البلاد العربية ... أين يقع هذا العمل الذى تحبس نفسك عليه من هذه المعارك التى تدوى ، والنفوس التى تستشهد ، والبلاد التى توشك أن تضيع بين حمق القيادات ، وحقد الزعامات وأطماع السياسات ، وحقارة الأغراض ... أين أنت ... وما شأنك وهذا الطريق ؛ لا طريق غيره قبل أن تسوى معالمه ، وترفع سواه ، وينتهى إلى غايته من طرد العدوان ، وصد الطغيان ، ورد الغزو الأحمق .

ولم تكن هذه هى الليلة الأولى التى أواجه فيها هذا الحساب العسير ... فقد كانت هذه الأسئلة تتخذ ألف لون ، وتصطبغ ألف صبغة ... وكانت تأخذ علىّ مسالكى فى النهار إذا ابتدأ النهار ، وفى الضحى إذا ارتفع الضحى ، وفى الظهيرة حين أقطع فى الظهيرة هذا الطريق الذى تستلقى عليه الظلال مكدودة ممزقة ، بين الجامعة وهذا البرج العاجى القريب الذى أعيش فيه ... وكانت تسد علىّ دروبى كلما هممت أن أعمل أوأفكر أو أكتب ، فلا يكون فى طاقتى أن أخلص منها أو أنتهى بها إلى رأى حاسم. كانت تتجاذبنى موجات من لهبة الروح وخمود الجسم ، من دفقة القلب وخور الأطراف ، من قسوة الواقع ومن رخاوة النشأة .. فلم يكن لى أكثر من أن أرتد إلى هذا الماضى ألعن هؤلاء الذين سيطروا على ثقافتنا من رجال الانتداب ، فزينوا لنا الحياة جنة وحريرا ، وما كانت إلا لهباً وسعيرا ، وجهاداً كبيرا ...

وفى خطى مضطربة سريعة ، كنت أمضى لأمد يدى إلى الباب أجذب الجريدة التى ترك الموزع نصفها ممتداً إلى داخل البيت ونصفها الآخر على العتبة الخارجية ، فعل الرجل المعجل المسرع

***

وبدأت أقرأ ... وكان نبأ ... وكانت لحظات هى مزيج من الذهول العميق والدمعة الثرة .

حيفا ! ... إن كل صورة من صورها تنتثر أمام عينى فى وضوح شائك حاد ... إن أطيافها التى كانت فى ذهنى كالضباب المعتم تشرق فى لحظة سريعة فى مثل لهب النار المتأججة ، وتسطع فى مثل تألق البرق النير ... إن أصواتها التى كانت صدى ضئيلاً ، نحيلاً ، بعيداً ، فى خاطرى لترن فى أذنى فى مثل القصف المفزع . إنى لأنظر فى الصحيفة التى بين يدى ولكنى لا أرى حروفاً ولا أشهد كلمات ... وإنما أرى هذه المدينة التى مررت بها مرات ومرات فى طريقى إلى القاهرة ، وفى طريقى إلى دمشق . إنى لا أحس ما حولى ... لكأنى فى هذه اللحظات أذرع هذا الشارع ، شارع الملوك ، وأنحنى أدخل فى الشوارع القديمة التى تمتد وراءه ... إنى لا أسمع هذه الأصوات التى تتعالى هنا تحت نافذتى ، وإنما أنا أستمع إلى هذه الأصوات التى « كنت أعيش معها يوماً من كل عام ... إن آلافاً من الصور السريعة ، المتتابعة ، المتلاحقة ، تغزونى : الفندق والمطعم وسكة الحديد ، المحطة القديمة التى أقامها العثمانيون ، والمحطة الجديدة التى أقامها اللصوص المنتدبون ... المدينة القديمة والدكاكين الواطئة والأسواق المغطاة والتجار الدمشقيون وأبناؤهم وإخوانهم وجيرانهم ... باعة الكتب هؤلاء الذين كنت أرقب عندهم مطبوعات فلسطين وما يتيح الوضع القلق للمؤلفين الفلسطينيين أن ينتجوه ... المسجد الجامع الذى كنت أصعد إليه على سلم رخامى عريض ، والمسجد الآخر الذى كنت أجتاز إليه سوقاً ضيقة مغلقة بالعتمة ... آلاف العمال العرب ، والوجوه العربية ، واللسان العربى بهذه اللهجة التى كانت تضم فى حيفا كل لهجات فلسطين؛ هذه كلها كانت تنثال علىّ وتنطلق من ذاكرتى كالنبع الفوار المضطرم ... لم يبق فى حيفا شارع أو طريق ، مشهد ، أو موقف ،

«كان حقير أو جليل ، شيخ كبير أو عامل صغير ، عامل «دوب» من عمال المحطة ، أو صديق كريم من التجار ، أو مجاهد نازح منذ نزح فيصل المظيم عن دمشق ... لم يبق فى حيفا القديمة أو حيفا الجديدة هذه التى كنا نسعى إليها فى مقر المراقبة لنعرض جوازاتنا وأوراقنا وأقلامنا ونتاج عامنا الدراسى على قوم بكم عجم نستأذنهم المرور بها فى بلادنا وأوطاننا ... هذه كلها عاشت فى ذهنى مرة واحدة ... لقد انتفضت كما ينتفض العصفور الجريح بعد أن تكون مرت به سكين بارقة بيضاء وخرجت وردية حمراء .

***

والآن ... ماذا بقى من حيفا هذه التى عرفنا ... ماذا أبقت منها بلاغات الزعماء ، وتصريحات الرؤساء ، وأحقاد قادة العرب . يا ويلى حين أتمثل أى شىء أبقت الحادثات من حيفا ... إنى لأجد النار التى تكوينى ، والسياط التى تؤذبنى ... إنى أهرب من نفسى لأنى أخجل من نفسى أن أقول الذى كان ... ليس فى يدى هذه الأداة الطيعة التى تنساب فوق هذه الأوراق ، فقد كفرت بالأقلام والأوراق ... وماذا يقول الكاتبون إن كتبوا ... ويح الذين يسألونهم أن يكتبوا ، كأنما يسألونهم أن يقصوا عليهم قصة من تاريخ قديم لأمة منقرضة ، يزينون حواشيها ببلاغة القول ، ويفيضون على أطرافها بريق الأدب ، ويذهبون ببعض مواقفها فى شطحات الخيال ، وينمقون نظمها بروعة الأساليب ، ثم يدعونهم أن ينعموا بما فيها من فن أو بيان ؛ والمصيبة التى تحل فى فلسطين مصيبتهم ، والوطن الذى يُغتصب وطنهم ، والأعراض التى تنتهك أعراضهم ، ومواكب الذين أجلوا عن ديارهم أمام أعينهم فى كل عاصمة من عواصم العرب ... كأنما لا يزال هناك حاجة إلى حمية تستثار ، وحماسة توقظ ، ومقالات تكتب وتنشر .

وماذا يكتب الكاتبون ؟ هل يسجلون الخزى ، ويؤرخون العار ؟ ... هل يقولون كان هنا مسجد فاندثر المسجد ، وكان هنا سوق فسويت السوق بالتراب ، وكان هنا حرمات وذكريات فديست الحرمات ودفنت الذكريات ... أفيستطيع القائلون أن يقولوا كان هنا أعراض فانتهكت الأعراض ، وكان أطفال ونساء فهام الأطفال والنساء على وجوههم ؟ كان هنا مدينة عربية ثانية الموانىء العربية على البحر العربى ثم مرت بها ساعات مجنونة مسحورة فانتزعت من أهلها ، وأطبق عليها الأعداء من فوق ، فى مثل سرعة اللص الغادر ، وخفة المجرم المدرب ، وتنظيم الكيد المبيت ... فلم يدعوا فيها أثراً لعروبتها ... ثم طفقوا يغنون ويرقصون ويشربون على أشلاء القتلى وأنفاس المنكوبين الحرى ... ثم مضوا يفعلون ويفعلون ، وتتصاعد عشرة آلاف «وا معتصماه» من عشرة الآف قلب ، قلب طفلة غريرة ، وفتاة نضيرة ، وزوجة وفية ، وامرأة حامل ... ثم لا يكون فى أمراء العرب ، ورؤساء العرب ، وأقطاب العرب ، من مشارق الحجاز وهضاب نجد ، وغوطة دمشق ، وغابة بيروت ، وظلال الوادى ، «معتصم» واحد يسرع إليها بجيشه ، لايحميها ، ولكنما يتخذها جنة ووقاء لأعراضه وأوطانه التى سيسرى إليها الداء ... وإنما يكون فيها «معتصمون» بالهدوء يخافون لوم اللائمين فى الدنيا ولا يخافون عذاب الله فى الآخرة وذلة الخزى فى التاريخ ... ويرجون السيادة بعد أن انتزعت منهم صرة السيادة ، ويأملون لذراريهم الخير ولم يبق شىء من الخير لهم حتى يورثونه ذراريهم ؛ ويلتزمون الحذر ، وما هو إلا الضعف والخور ... ويتدفقون بالأحاديث ولا يزالون ، لا تحس فيها وهج النار ، ولا تجد لها رائحة البارود ، ولا تسمع لها قصف المدفع وثقل العتاد ، ولا تشعر أن وراءها جلبة جيش ودوى تكبير ... وإنما هى لا تزال تنضح بالعطف ، وتنشر السلم ، وتنثر الأزاهير ، ثم لاتنسى أن تحتمى بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله ... والويل لهم من يوم الله ... ما كان الله ليرتضى منهم هدوء الموت وسياسة الضعف ، وحذر الجبناء .

***

أى عار هذه المذلة التى يلقاها العرب فى محنتهم الحاضرة ! . أى قدرة على الحياة هذه التى يستطيعون أن يباهوا بها ، أن يتقدموا بها إلى العالم المتمدن برهاناً إذا ظل الكرمل هو الكرمل ، وظلت حيفا فى قبضته فى إسار الذل وذل الهوان ! ... أى خديعة أرادها لهم هؤلاء الحياديون الذين يصدر عنهم الشر وينتهى إليهم الشر . أى بلاهة سيرميهم بها التاريخ إن لم يرفعوا هذا الإصر ، ويحطموا هذا الذل ، ويستنقذوا الشرف الذى غلب عليه المكر ، واصطلحت عليه عوامل الغزو والسلب ، وبات طريداً شريداً تنزف من جراحه

الدماء ، من ورائه نار ومن أمامه بحر ، ومن دونه ودون الإنقاذ قوم ينامون على الوعود ، ويستكينون للثقة ، ويلينون لمعسول الأحاديث الخلب ، ويؤاثرون أعداءهم بالأمن ويحملون إليهم السلام حملا على جثث من قتلاهم ، وأشلاء من موتاهم ، ودماء من دمائهم !!

كانت فى هذه البقعة من الأرض حيفا عربية … ولن يكون فى قدرة أحد من الذين يتطلعون إلى المجد العربى ، ويعملون ليقظة الإسلام أن يتحدث عن الشعب العربى ، عن توثبه ، عن أمله المريض ، عن جامعته ووحدته ، قبل أن تعود حيفا عربية من ذروة الجبل إلى قدميه اللتين تستلقيان على شاطىء البحر وأمواجه ، قبل أن يغسل هذا العار الذى يكسو كل هضبة من هضاب الكرمل ويقف عند كل ثنية من ثناياه ، ثم يرمى بأرجاسه وأحجاره بعيداً ، بعيداً ، فى سط البحر … قبل أن يقف عشرات المؤذنين فى عشرات المساجد ينادون من جديد : الله أكبر ، الله أكبر .

لن يكون فى أعناقنا ولاء لأى واحد من هؤلاء الذين يتمثل فيهم سلطان العرب قبل أن يمحى هذا العار .. إن فى يد كل زعيم عربى أثرا من رجس ، وإن أيدينا لن تصافح من جديد إلا أولئك الذين طهروا أيديهم من هذا الرجس وغمسوها فى دم أعدائهم سبع مرات متواليات .

***

لا الذين يحمون بيوت الله ، ولا الذين ينقمون لرسول الله ، ولا الذين يحيون شرع الله ، ولا الذين يدعون العروبة قبل محمد نبى الله … ليس أحد من هؤلاء جميعاً أهلا لأن يكون حيث يريد أن يكون حتى يكشف غمة هذا الخزى الذى يعيش فى وطأته كل هذه الملايين … وحينذاك … حينذاك فقط سيكون فى الخالدين … سيكون فى هذه الصفحة المشرقة التى يشع فيها وهج محمد ، والتى تتلألأ عليها بحروف متوهجة نيرة أسماء سعد وعمرو وطارق وموسى وصلاح الدين ونور الدين وإبراهيم باشا .

أما قبل ذلك … فدعونا نردد قول الله : ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل … ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً .

القاهرة (ص . ب ١٣٧٥) **شكرى فيصل**

عبد الله بن سبأ

(بقية المنشور على صفحة ٤٥١)

ونستطيع أن نقول بعد مقارنة المراجع التى ورد فيها ذكر عبد الله بن سبأ ، أننا لم نجد حتى الآن أى مصدر يفصل لنا حياة هذا اليهودى المسلم ، وقد ذهبت أكثرها إلى أنه كان من أهل اليمن وأنه كان من مدينة « صنعاء » عاصمة اليمن والتى لم ذكرها فى عهد الأحباش خاصة ، وأنه كان يهودياً فأسلم وصار يتنقل فى الأقطار الإسلامية حتى انتهى به المطاف فى العراق حيث نزل البصرة ثم الكوفة ثم الشام ؛ غير أنه لم يجد من بين الشاميين أنصاراً ، فذهب إلى مصر حيث راجت دعوته هناك ووجد له أتباعاً ، ولعب دوراً كبيراً فى الفتنة التى أثارها على الخليفة عثمان .

وقد عرف هذا الرجل بصورة عامة باسم « عبد الله » وأما اسم والده فهو « سبأ » . ويندر ورود هذه الكلمة على أنها اسم شخص (١) . وقد ورد فى بعض الكتب على أنه عبد الله ابن وهب أو وهاب بن سبأ(٢) . أو عبد الله بن وهب السبائى(٣) نسبة إلى سبأ . وزعم أنه كان على رأس الخوارج . ويعنى بهذا أنه من « سبأ » أى من أهل اليمن ، فهو من أصل عربى جنوبى على زعم الرواة (٤) . وربما كانت هذه النسبة هى التى جعلت الأخباريين يتصورون أن اسم والده هو سبأ . على كل حال لا نستطيع أن نعرف اسم والده بالضبط .

وقد اشتهر عبد الله كذلك بابن السوداء ، ويظهر من رواية الطبرى أنه إنما قيل له ذلك لأن أمه كانت سوداء ، فعرف بابن السوداء . وقد فرقت بعض المصادر بين « عبد الله بن سبأ » و « ابن السوداء » فجعلت بعضها عبد الله بن السوداء رجلا آخر كان يمين السبائية « السبابية » على قولها ، وأنه كان فى الأصل يهودياً غير أنه كان من أهل الحيرة (٥) .

جواد على

---

(١) القاموس طبع كلكتا ج ١ ص ٢١

(٢) خطط مقريزى ج ٢ ص ٣٥٦

(٣) Friedländer , P , 19 ذهبى مشتبه طبعة « De Jang » ج ٢ ص ٢٥٠

(٤) الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٧ بين شعب وبين اسم شخص .

(٥) البغدادى فى مادة « السبابية » .

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى

سفير إيران بمصر

سعادة الدكتور قاسم غنى سفير ايران بمصر شخصية علمية من الطراز الأول ، لم يمض عليه فى مصر إلا أشهر معدودات ومع ذلك استطاع أن يكسب لنفسه ولأمته أصدقاء ممتازين ، لا فى المحيط الاجتماعي والدبلوماسى فحسب ، ولكن فى المحيط العلمى أيضاً ، وقد كان ذلك واضحاً فى قاعة المغفور له على ابراهيم باشا بكلية الطب ، ثم فى قاعة دار الحكمة حيث ألقى الدكتور السفير العالم محاضرتيه عن « تاريخ الطب الإسلامي » فكنت ترى الحاضرين مزيجاً مختلفاً مابين سياسيين ووزراء وعلماء وأطباء وآباء روحانيين وغيرهم مما لم تألف قاعات المحاضرات فى مصر شهوده كثيراً ، وكلهم أصدقاء للدكتور قاسم غنى معجبون بعلمه وأدبه وفضله

ولقراء الرسالة عهد بهذا العالم البحاثة من قبل ، فقد قدمه اليهم سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى عدد من اعدادها . وهو الآن مهتم بنقل كتابه العظيم الذى الفه بالفارسية عن « التصوف الإسلامى » إلى اللسان العربى .

وقد ظفر صديق من أصدقاء الدكتور والرسالة بهذا البحث العلمى القيم ، الذى ألقى فى كلية الطب ودار الحكمة فآثر به قراء الرسالة ، وها نحن أولاء نقدمه فى أعداد متوالية شاكرين معجبين :

« الرسالة »

١ — طب العرب فى الجاهلية :

فى بدء ظهور الإسلام عند ما كانت الشريعة الجديدة لم تتجاوز بعدُ حدود القبائل العربية فى الحجاز إلى سائر بلاد العالم كان معظم القبائل العربية ، مثل بقية القبائل البدوية لا يهتم بالعلوم والفنون المختلفة ؛ وكان جل اهتمامهم منصباً على التعمق والتوسع فى علوم العربية وأحكام الشريعة الإسلامية .

وبما أن معالجة المرضى وتمريضهم من الأمور الطبيعية لدى الإنسان ، وأن لجماعات البشر حتى فى بداوتها غريزة حفظ الحياة ، وأن حاجتها لتسكين آلامها وأوجاعها تجبرها على البحث عن العلاج اللازم لأدوائها وأوجاعها ؛ فكان لابد من أن ينشأ بينها نوع من الطب والعلاج البدائى وقد كان . فقد ظهر وشاع طب من هذا القبيل بين القبائل العربية البدوية .

وقد كان الطب الشائع بين القبائل العربية فى مبدأ ظهور الإسلام عبارة عن بعض المعالجات التجريبية ، مقرونة بأعمال السحر والخرافات كما كانت الحال لدى أكثر القبائل الرحل ، وكما لا يزال شائعاً إلى يومنا هذا لدى بعض الأقوام غير المتحضرة ، فإن عوامل شتى كالمصادفات والتجارب والاختبارات ومشاهدة الطبيعة ، والنظر فى أحوال المرضى واتباع الغرائز الطبيعية والدوافع الفطرية وتقليد الحيوان ، والتدبر والتفكر فى أعماله ، دفعت الإنسان للوصول إلى تدابير طبية ، وهدته إلى اتخاذ وسائل علاجية ، ثم أضيف إلى ذلك كله بالتدريج ، عقائد ومعارف وافتراضات صحيحة وغير صحيحة مثل الشبه الموجود بين الإنسان والعالم الأكبر ، وتأثير النجوم والكواكب والأجرام السماوية الأخرى فى الإنسان ، وعبادة الأرواح ، والاعتقاد بتناسخها ، وعودتها إلى الأجسام ، والإيمان بوجود الجن والشياطين والأرواح الخبيثة ، وحلول الشياطين والأرواح الشريرة فى بدن الإنسان وتسبيبها الآلام المبرحة ، إلى غير ذلك من المعتقدات ، فتكون من مجموع ذلك كله نوع من الطب ، كما أشرنا إليه آنفاً .

وقد كان جماعة من الشيوخ المجربين ومن بعدهم أبناؤهم والمتصلون بهم ممن كانوا يشاهدون التجارب والمعالجات التى يقوم بها الشيوخ ، كانوا يقومون بعلاج المرضى؛ وهؤلاء يمكن اعتبارهم أطباء تلك الحقب . وكان عدد قليل من العرب ممن درسوا الطب فى البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، ولا سيما إيران يزاولون مهنة الطب بين قومهم، منهم الحارث بن كلدة الذى كان قد درس الطب فى مدرسة جند يسابور ، وابن أبى رمثة التميمى ، وكان جراحاً معروفاً ، وزينب ،وقد اشتهرت بمعالجة الرمد والجراحات .

وقد كان ظهور الإسلام سبباً فى لم شمت القبائل العربية البدوية ، إذ أنشأ جامعة سياسية ودينية واجتماعية قوية لهم ، استطاعت فى زمن وجيز أن تقلب أوضاع العالم المتحضر حينذاك رأساً على عقب ، وأن تخلف امبراطوريتى الفرس والروم .

وقد كان من آثار غلبة العرب على أقوام كانت تسبقها فى الحضارة والعلوم والفنون أن اقتبس العرب كثيراً من علوم تلك الأقوام وفنونها ، فإن تقدمهم السريع واستقرار مدنيتهم ، كانا يستلزمان هذا الاقتباس .

ولابد لمعرفة مصادر الطب الإسلامى من أن نلقى نظرة إجمالية على تاريخ الطب قبل الإسلام وفى العصر الأول الإسلامى لنعرف كيف ومن أى الأقوام وعن أى طريق وصلت تلك العلوم ! ومن جلبها الطب إلى العرب ، والحالة التى كانت عليها تلك العلوم عندما تلقاها المسلمون عنها . وبعد ذلك نستطيع أن نعرف إلى أى حد خدم المسلمون هذه العلوم ومبلغ ما نالته تلك العلوم على أيديهم من تقدم وعظمة .

٢ — مصادر الطب الإسلامى :

لقد أسلفنا القول فى أن الأمم القديمة جميعها كان لها نوع من الطب والعلاج ، وأن تاريخ ظهور الطب هو تاريخ ظهور النوع البشرى ، أعنى أن الأمراض والأوجاع المختلفة لازمت الإنسان الأول منذ بدء الخليقة وأن الآثار التاريخية التى اكتشفت عن الإنسان الأول تدل على وجود آثار بعض الأمراض لديه ، ومن الثابت أن الإنسان — مثل سائر الحيوان — كان يبحث بحكم الغريزة والفطرة والإيحاء الطبيعى عن علاج لتسكين آلامه وإبراء أمراضه .

وقد كان لدى بعض الأمم القديمة كالصينيين وسكان ما بين النهرين ومصر وإيران والفنيقيين والهنود طب مدروس مدون ، وكان الطب يعتبر لديهم مهنة خاصة لهما ناحيتان علمية وعملية ، غير أن اليونان من الأمم القديمة تعتبر الأمة التى بلغ الطب لديها شأواً عظيماً من الرقى ، وكان له لديها شأن جليل .

وكان بلوغ الطب هذه المنزلة الرفيعة لدى اليونان بفضل بُقراط الذى يُدعى بحق (أبا الطب) .

لقد عاش بقراط فى عصر من أزهى عصور الرقى العلمى فى اليونان ، أعنى عصر بركليس الذهبى الذى ظهر فيه كثير من عظماء اليونان أمثال توسيديد ، وفدياس وسوفوكل وأوريبيد .

ويعد بقُراط بحق أعظم أطباء الأمم القديمة علماً وعملا ، وقد بقى زهاء ألفى عام شخصية طبية مسيطرة على عالم الطب فى الدنيا كلها ، وقد كانت أقواله وآراؤه المرجع الوحيد فى هذا الباب وعليها المعول طوال هذه الحقبة حتى النهضة الأوروبية .

وإن الشطر الأكبر من المعارف التى رتبها ونظمها بقراط عن الطب مأخوذ ومقتبس من سائر الأمم أو اليونانيين السابقين عليه فى الزمان ، غير أن له فضل دراسة كل هذه المعارف ونقدها والوصول عن طريق النقد والبحث العلمى إلى معارف ومعلومات جديدة .

وقد كانت هذه هى الطريقة التى جرى عليها كثير من مواطنيه أمثال أفلاطون وأرسطو كلٌّ فى بابه — فقد اقتبسوا من معارف الأمم التى سبقتهم أو التى عاصرتهم ، واستفادوا منها ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، بل درسوا تلك المعارف ، ونقدوها نقداً علمياً دقيقاً ، وفرقوا بين أصولها وفروعها وغثها وسمينها ورتبوا استنتاجاتهم وبوّبوها على خير وجه ، ووضعوها فى متناول طالبى العلم فى العالم أجمع .

لقد خلص بقراط الطب من أجواء الهياكل والمعابد المشبعة بالأسرار والألغاز ، وحرره من قيود الكهنة ورجال الدين ، وأقامه على أسس العلوم الحيوية الصحيحة ، وأرجع المرض والحياة لقوانين طبية ثابتة ، وبرهن على أن الوصول إلى تلك القوانين الثابتة ممكن عن طريق دراسة الطبيعة دراسة دقيقة وافية ، كما بين الروابط التى تربط العلة بالمعلول . وقد جعل أساس كل بحوثه الطبية الدرس والتجربة بعد أن وازنهما بالنظر والاستدلال والمنطق واهتدى بهديهما ، ولاءم بين التجارب العملية والأمور النظرية ، وقد وُفق فى ذلك توفيقاً عظيماً .

يعتقد بقراط أن الإنسان جزء من الطبيعة والكون ، وكما أن كل كائن حى فى هذا الوجود مرتبط بالطبيعة طبقاً لقواعد مقررة وقوانين ثابتة ، كذلك الإنسان فإنه خاضع لهذه القواعد والقوانين نفسها ؛ والموازنة بين العوامل الطبيعية هى الصحة والحياة ؛ وإن قُوى الفرد كلها تهدف لإيجاد هذا التوازن والتعادل .

وعند ما يختل هذا التوازن لعلل خارجة ، تبادر جميع قُوى الفرد لدفع هذه العوامل الخارجية والعلل الضارة وإيجاد التوازن المطلوب وإقراره ، وأن مهمة الطبيب مقصورة على خدمة طبيعة الفرد ومساعدتها فى هذا المسعى الحيوى الذى تقوم به ، ولذلك كان يسمى الطبيب بخادم الطبيعة .

وحيث أن تشريح الجثث الإنسانية كان غير مستطاع حينذاك وكان علم التشريح وعلم وظيفة الأعضاء ناقصين تبعاً لذلك ، فإن المعارف التى كانت لدى بقراط عن الطب لم تكن كبيرة من

حيث الـكم ، فإن دائرة معارفه عن الأمراض كانت ضيقة لا يستطيع بها إيضاح تطورات المرض وتحولاته كما ينبغى ؛ غير أن معارفه كانت على مبلغ عظيم من الأهمية من حيث الـكيف .

لقد بنى بقراط طريقته على أساس علمى متين ، فقد فصـل الطب عن الدين فصلاً تاماً وجعل حالة المريض نفسه أسـاساً لعلاجه .

ويتضح من صيغة القسم المعروف بعهد بقراط ومن الرسائل الطبية التى ألفها ، أنه قد حـدد بوضوح تام حقوق الطبيب ووظائفه وواجباته الأخلاقية والاجتماعية ، كما يتبين من ذلك كله أنه قد أضفى على هذه المهنة صورة خلقية ، وجعل منها عملاً إنسانياً وقياماً بالواجب محتما ، وكان هو نفسه مثلا حيا للأخلاق الفاضلة من إيمان بالحق ودفاع عنه وحب للخير وإيثار وعطف على المرضى والموجعين ، وهمة عالية فى نشر العلم والعرفان وغيرة عليها لا تجارى .

وقد ترك بقراط للعالم مجموعة طبية تعتبر أقدم تراث طبى قدم للبشرية ، وأثمن مجموعة ، ألا وهى المجموعة الأبقراطية - Corpus Hippocraticum - وفيهـا بحوث عن جميع النواحى النظرية والعملية فى الطب ؛ وتعد أهم مصادر الطب الإسلامى .

واحتذى إبنا بقراط وصهره وبعض تلاميذه من بعده حذوه وترسموا خطاه فى بحوثهم الطبية . وأضاف إليها أفلاطون وأرسطو بنظرتهما الفلسفية آراء فى كليات الطب . ثم ظهرت فى المدن وبعض الجزر اليونانية مجامع أوحلقات مهمة لدراسة الطب . وبرز كثير من الأطباء الـكبار فى هذا المجال وكانوا جميعاً مع تفاوت فى الدرجة من شراح مؤلفات بقراط وآثاره إلى أن أصبحت الإسكندرية مركزاً للعلوم الطبية اليونانية ، وأجيز تشريح جثث الموتى وتقدم علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء تقدماً كبيراً .

فالإسكندرية كانت بالنظر لموقعها الجغرافى وماضيها الاجتماعى محل اختلاط شتى القبائل والأقوام الإفريقية والآسيوية والأوربية وكانت من أهم المراكز الاجتماعية والثقافية فى الدنيا القديمة ، لذلك تجمع فيها معارف مختلفة من مصادر شتى أضيفت هذه كلها إلى طب بقراط .

وقد انتشر طب اليونان بين الروم أيضاً ، وكان معظم القائمين بمزاولة هذه المهنة من اليونانيين أنفسهم إلى أن ظهر فى القرن الثانى للميلاد ، أستاذ عظيم آخر فى عالم الطب ، وهو جالينوس .

أجل ، كان هناك فى الحقبة الواقعة بين عصر أبقراط وعصر جالينوس عدد من كبار الأطباء أمثال تيوفراست Thèophraste وديبيـكاس Deocles ، وسلس Celse ، وديوسقوريدوس Dioseoride ، وبليناس الحـكيم Pline L. ancien وكاليوس أورليانوس Gaelius Aurélianus ، وارته Artée وغيرهم . وقد أضاف كلٌ منهم شيئاً جديداً إلى المعارف الطبية القديمـة كما أظهر بعضهم نظريات حديثـة أحياناً . غير أن أساس الطب بصورة عامة لم يتغير عما كان عليه فى زمن بقراط ، إلى أن ظهر جالينوس العظيم من برغامس Pergames وهو من يونانيي آسيا الصغرى ، فـكان الشخصية الطبية العظيمة الثانية بعد بقراط .

لقد تلقى جالينوس دروسه الأولى فى مسقط رأسه ، ثم استمر فى تلقى العلم فى جزيرة كورينتس Corinthes ، ثم رحل إلى الإسـكندرية ، فتلقى فيها الطب علماً وعملاً ، ثم شدَّ رحاله إلى جزيرة قبرص وجزائر أخرى من جزائر البحر الأبيض المتوسط وفلسطين ، وكانت رحلاته كلها للدرس والبحث عن الأعشاب الطبية والاتصال بعلماء تلك البـلاد ، ثم عاد بعدها إلى موطنـه ومارس مهنة الطبِّ هناك مدة ، ثم استـقرَّ به المقام فى روما وأسس فيها حلقة لدرس الطب فى رحمى مارك أورل .

وكان عالماً محباً للعلماء والفلاسفة واشتغل أيضاً بمزاولة الطب هناك ، وكان يقوم فى نفس الوقت بتربية جماعة من تلاميذه كما كان يقوم بتأليف مؤلفات مهمة فى علم الطب أصبحت فيما بعد مصدراً من أهم مصادر الطب الإسلامى .

وكان جالينوس يعد بصفة خاصة أستاذ علم التشريح غير منازَع مدى أربعة عشر قرناً ، أى من القرن الثانى للميلاد إلى القرن السادس عشر منه . وكان جميع أطباء القرون الوسطى ومن ضمنهم الأطباء المسلمون يدرسون التشريح عن طريق مؤلفاته ، حتى ظهر فى القرن السادس عشر للميلاد الطبيب البلجيـكي الشهير فزال من علماء التشريح الـكبار (١) مؤلف فى التشريح برهن

(١) Anbrè Vésale أكبر علماء التشريح فى القرن السادس عشر للميلاد ، وقد كان يقوم بتشريح جثث الموتى طبقاً للطرق العلمية الصحيحة وله مؤلف عظيم فى التشريح أوضح فيه الأخطاء الموجودة فى تشريح جالينوس

فيه على وجود نقائض فى تشريح جالينوس فأسقطه من الاعتبار .

والخلاصة أن اليونانيين وضعوا أساس علم الطب بالاستعانة بمعارف سائر الأمم وتجاربهم . ومن أهم رجالهم فى هذا الصدد بقراط العظيم الذى أقام بحوثه على أساس البحث والتحليل والنقد العلمى والتجارب ، فأبرزه لنا بصورة علمية صحيحة ؛ وسعى خلفاؤه من بعده فى هذا البناء على تلك القواعد المتينة . ثم تقدمت الدراسات الطبية فى الإسكندرية ؛ وظهر بعد ذلك جالينوس فى القرن الثانى فدون معارف العلماء المتقدمين وأظهرها بصورة علمية منظمة واضحة .

وقد تهيأت مقدمات سقوط امبراطورية روما الغربية نتيجة لضعفها وفساد الإدارة فيها وحدوث حوادث اجتماعية وسياسية مختلفة ، ووقوع حروب وتفشى أمراض ، ثم سقطت تلك الإمبراطورية ، ونتج عن سقوطها أن مراكز العلم والحضارة أصبحت هدفاً لهجوم القبائل البربرية ؛ إذ أن هؤلاء البرابرة انحدروا من جبال الإلب واستولوا على إيطاليا ، وكان من جراء ذلك أن العلوم والفنون ومن ضمنها الطب لم تتوقف عن التقدم فحسب ، بل عادت القهقرى ثانية ، واستولى على الطب السحر والشعوذة والدجل والخرافات ، وحلت التمائم والعزائم محل العقاقير والأدوية الطبية مرة أخرى .

ولم يكن انتشار الدين المسيحى واعتناق الناس له بصورة رسمية فى روما الشرقية — الامبراطورية البيزنطية) مشجعاً للعلماء إذ أن الكنيسة كانت تعتبر العلم والفلسفة مخالفين للشرع نوعا ؛ ما لذلك قامت بسد أبواب المدارس والقضاء على الجامع العلمية واعتبرت العلماء والفلاسفة كفرة مارقين عن الدين . ففى القرن الخامس للميلاد مثلا أغلقت الكنيسة أبواب مدرسة الرها (أوس) وكانت قائمة محل أورفة الحالية — وطردت منها النسطوريين فرحل جماعة منهم إلى إيران والتجأت إليها ، وكان لبعضهم فضل كبير فى تقدم مدرسة جندى سابور . وكان هؤلاء — النسطوريون من اتباع نسطوريوس أسقف القسطنطينية الذى نفى منها بناء على طلب المجامع الدينية بتهمة الابتداع فى الدين ، والذى مات حوالى سنة ٤٤٠ ميلادية بمصر ، وتفرق معظم اتباعه وتلاميذه فى بلاد سورية وبين النهرين وإيران وعاشوا فيها ونشروا الحضارة اليونانية فى أرجائها وفى سائر بلاد الشرق بترجمتهم للمتون اليونانية إلى اللغة السريانية (الأرامية الحديثة) وتأسيسهم المدارس فى (الرها) و (نصيبين) وبعض المدن الأخرى ، واشتغال بعضهم بتدريس العلوم المختلفة كالرياضيات والفلسفة والطب وغيرها فى مدرسة جند يسابور . وفى القرن السادس الميلاد عندما طرد الفلاسفة الوثنيون الأفلاطونية الحديثة Neo Platénien من الأسكندرية بناء على أمر الامبراطورجوستنيان الأول واضطهدوا أولى هؤلاء وجوههم نحو بلاد المشرق وانضموا إلى النسطوريين . وانضم إليهم كذلك جماعة من اليهود والأقباط ممن كانوا على اطلاع واف على علوم اليونان وقاموا جميعاً بنشر العلوم والمعارف اليونانية ومن جملتها الطب فى بلاد الشرق .

هذا مجمل تطور الطب قبل الإسلام ذكرناه مقدمة لما نريد أن نبسط فيه القول فيما بعد . وبعد هذه المقدمة ليس فى وسعنا أن نفهم بصورة جلية كيف كانت حالة هذه العلوم عند ما اتجه نحوها المسلمون وبأية درجة كانت فى متناول أيديهم ، وما مبلغ اقتباسهم منها ؛ وأخيراً ما هى الخدمات التى أسداها المسلمون لتلك العلوم وكيف أسديت إليها .

(يتبع)

الأحـــــلام

بين التأويل الفلسفي والتعليل العلمي

للأستاذ عبد العزيز جادو

« إنما نحن كالمادة التى صنعت منها الأحلام » قولة قصد بها شكسبير دون شك ، المساعدة على إيضاح لغز الوجود . ولكن السرّ تحوّل فقط من « نحن » إلى « المادة التى تصنع منها الأحلام » . فما هى مادة الأحلام ؟

منذ بداية القرن الحالى ، أجاب كثيرون عن هذا السؤال كلٌّ بما يعتقده صواباً . وأحدث نظرية نعرف أنها تتعلق بهذه المادة التى تصنع منها الأحلام ، هى التى قامت فى الزمن الذى سجلته التوراة : كان الحلم نبوءة ؛ لذلك كان يحتاج إلى تعبير . ومن هذا الاعتقاد ، نشأت أنظمة للتعبير متفاوتة فى الإجادة والإتقان . فالتفسيرات أو التأويلات التى كان يستعملها سيدنا يوسف تبدو بسيطة نوعاً . فحُزَمُ القمح إذ تنحنى تعبيرها أن إخوته يقدمون له الولاء والطاعة . ورؤيته الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، تنبئ بصورة ما ، عن عظمته المستقبلة

« يُوسُفُ أيُّها الصِّدِّيقُ أفتِنا فِي سَبْعِ بقَرَاتٍ سِمانٍ يَأكلهنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسبعِ سُنبلاتٍ خُضرٍ وأُخرَ يابساتٍ لعلى أرجعُ إلى الناسِ لعلهمْ يعلمون . قال تزْرعون سَبْعَ سنين دأباً فما حصدتمْ فذرُوهُ فى سُنبله إلاّ قليلاً مما تأكلون . ثمّ يأتى منْ بعْدِ ذلك سبعٌ شداد يأكلنَ ما قدَّمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصِنُون . ثمّ يأتى منْ بعْدِ ذلكَ عامٌ فيه يُغاثُ الناس وفيه يُعصرُون »(*)

إذن كان يوسُف أكبر مُفسر للحلم على أنه نبوءة من نبوءات المستقبل . ولكنا سمعنا فى الأربعين سنة الأخيرة عن شخص آخر — إسرائيلى كيوسف — كثير الكلام عن التأويل والتفسير — هو سيجموند فرويد .

وخلافاً لما يرى رجل الأحلام القديم من أن فى الحلم نبوءة لإرادة الله ، يرى فرويد أن فى الحلم سجلاً للماضى ، وأن فيه دليلاً أو إشارة إلى رغبة الحالم أو إرادته .

وقد تجرمت عشرات القرون بين الرجلين ، وطال العهد بين الزمنين ، ولكن لا يزال فهمُنا لمعظم الظواهر الطبيعية العامة كما هو لم يتقدم إلا يسيراً ، وما أظنه سيتقدم ولو تقدمت بنا الأزمان .

وإنه لحقٌّ أن كتب الأحلام ما زالت متداولة ، ولكن منزلتها لا تتجاوز منزلة قراءة البخت بواسطة « الكوتشينة » أو الفنجان ، أو قراءة الأخلاق بواسطة خطوط راحة اليد . فتفسير الأحلام قد انحط إلى درجة كبيرة .

وعندنا الآن نظريتان مشهورتان عن مسببات الأحلام : إحداهما عالجها هنرى برجسون ؛ والأخرى وهى التى سلفت الإشارة إليها عالجها فرويد . وكان للنظرية الأخيرة أهمية واعتبار أكثر مما كان للأولى ، ويرجع هذا فى الغالب ، إلى أنها تكوّن عنصراً هاماً فى نظام علاج يعرف بالتحليل النفسانى .

فبرجسون ، كفيلسوف ، يعالج الأحلام على أنها أحلام وحسب . وفرويد ، كعالم ، يهتم بها على أنها علامات أو دلائل للحالات العاطفية ، والشئون الحيوية .

ومن رأينا أن كلتا النظريتين ضرورية ، يجب الأخذ بها لتفهم أسباب جميع أحلامنا .

ولنأت هنا بعبارة مسهبة لبرجسون ، تلم بلباب النظرية ، وتجمع أشتات الموضوع . يشرح فيها استمرار حواسنا أثناء النوم فى استقبال التأثيرات والانفعالات ؛ فالعيون سريعة التأثر بدرجات الضوء ، والآذان تتأثر بالصوت ، والجسم فى مجموعه يتعرض للتأثيرات أو الانفعالات الخارجية . أما داخلياً فالأعضاء المختلفة أيضاً تسبب إحساسات للتسجيل ، إحساسات مزعجة ربما تكون من الأعضاء الهضمية ، أو من القلب ، أو الرئتين :

الذكريات المكبوتة :

« وقصارى القول ، أن فى النوم الطبيعى ، تكون حواسنا قطعاً قابلة لتأثيرات خارجية ... وبعيد على إحساس حقيق أننا

(*) جاء فى سفر التكوين من التوراة « فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد . قد أخبر الله فرعون بما هو صانع . البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين . والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين . هو حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التى طلعت وراءها هى سبع سنين . والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً هو الأمر الذى كلمت به فرعون . قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع . هو ذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً . فينسى كل الشبع فى أرض مصر ويتلف الجوع الأرض»

نصنع حلمنا أو نلفقه ؟ إذن كيف نلفقه ؟ . .

« إن ذكرياتنا ، فى لحظة معينة ، تصوغ شكلاً هرمياً مجسماً تطابق قمته حاضرنا ... ولكن ، من وراء الذكريات التى تحشد فى شغلنا الحاضر ، وتظهر بوساطتها ، يوجد أخرى غيرها آلاف وآلاف غيرها ، تحت المنظر الذى قام الشعور بتدبيجه ووراءه ... وإنها لتتوق أحياناً إلى الضوء : ومع ذلك فإنها لا تحاول أن تنهض إليه ؛ لأنها تعرف أن هذا مستحيل ، وإننى أنا ، مخلوق حىّ ومتصرف ، عندى ثمة شىء آخر أقوم بعمله غير إشغال نفسى بها .

« غلبنى النعاس ، إذن تلك الذكريات المكبوتة ، التى تشعر بأنى تركت العائق جانباً ، ترفع المزلاج عن الباب السرّى الذى يُبعد بينها وبين حقل الشعور ، وتبدأ فى التحرك والثورات ، ومن ثمّ تنهض وتنتشر إلى الخارج — لتؤدى فى ليل اللاشعور رقصة طيفية همجية . وتندفع إلى الباب الذى لا يزال (مواربا) وتتزاحم جميعها لاجتيازه . ولكنها لا تقدر ؛ فهناك كثير ، كثير جداً . من هذه كلها ، على أيها يقع الاختيار ؟ . .

« سهل علينا الحدس والتخمين . الآن فقط ، عندما نستيقظ كانت الذكريات المحتملة هى التى استطاعت أن تطالب بوصل موقفى الحاضر بإحساساتى المطابقة للواقع ... وهكذا إذن من بين الذكريات الطيفية ، ذكريات تتوق إلى وزن نفسها مع اللون ، والصوت . وبالاختصار مع المادية ، تلك الذكريات التى تعقبها هى التى يمكنها أن تماثل لون التراب الذى أحسه وأراه ، والضوضاء الخارجية أو الداخلية التى أسمعها ، وغيرها ... فعندما يحدث هذا الاتحاد بين الذاكرة والإحساس ، فإننى أحلم .

« الإحساس عنيف حار ، ملوّن ، فيه ذبذبة ، وهو فى الغالب حىّ ، ولكنه غامض ؛ والذاكرة واضحة وصافية ، ولكنها بدون مادة ولا حياة لها .

الإحساس يتوق إلى قالب يجمّد فيه ميوعته ؛ والذاكرة تتوق إلى مادة تملأها وتدكها — وبالاختصار لتستوعبها . فهما منجذبان كلٌّ إلى الآخر ؛ والذاكرة الطيفية ، يجعلها نفسها مادية فى الإحساس الذى يمدها باللحم والدم ، لتصبح مخلوقاً يعيش فى حياة من حيواتها، حلم ...

« ميلاد الحلم إذن ليس سراً ... فما الفرق الجوهرى بين الكينونة فى حلم والكينونة فى يقظة ؟ نجمل الكلام فى ذلك بأن القوى العقلية ذاتها قد تمت ممارستها ، سواء كنا فى حالة اليقظة ، أو فى حالة الحلم ؛ ولكنها تتوفر فى الحالة الأولى ، وتسترخى فى الثانية . والحلم هو الحياة العقلية الصحيحة ، ناقصة جهد التركيز » .

هنا نرى أن نظرية برجسون الملخصة فى هذه الكلمات ، بسيطة غاية البساطة . عنصران يشتغلان لتلفيق حلم : إحساس ، ووضع صورة منسوج حولها بوساطة الذاكرة ، ضوء يومض من نافذتى بينا أكون نائماً ؛ فتنسج ذاكرتى حول هذا الإحساس بالضوء قصة معقولة ومقبولة . هذه القصة أو هذا التعليل هو حلمى

كثير من الأحلام المألوفة لدى معظمنا يمكن أن تفسر على ضوء هذه النظرية . قد نحلم بأننا مسافرون بقارب فى البحر ، ونحدث ببعض طوارئ صغيرة لها صلة بالمغامرة ، ولكن العنصر السائد هو برودة الهواء . فنحن شاعرون ببرودة كما لو كنا مسافرين بالبحر . ونستيقظ فنجد أن غطاءنا منزلق عن السرير ، الأمر الذى نالنا منه برد شديد .

أو أننا قد نرى حلماً من تلك الأحلام التى نعيش فيها كما لو كنا فى نعيم ؛ كأن نكون مثلاً محلقين بلطف وبشكل توقيعى فى أجواء الفضاء الفسيح . وإنه لبسيط كما أنه ممتع ، فماذا علينا لو قلنا لأصدقائنا كيف يعملون مثلنا ؟ ولكن للأسف ، لقد فقدنا اللعبة حالما استيقظنا من النوم . والتفسير الصائب المعقول حسب نظرية برجسون ليس إلا نسمة فى الغرفة قريبة منا تداعب الفراش أو قميص نومنا ذاته . ولكن أرجلنا لم تستند على الأرض ، فنشعر فى غير وضوح بهذه الحقيقة . ولا يمكن أن نكون سائرين فتفعل ذاكرتنا الباقى ، إذ تؤلف القصة ، ونرى أنفسنا طائرين . والاعتقاد بأن ما نأكله يؤثر فى الغالب فى أحلامنا ولاسيما فى جعلها غير سارّة ، يتصل تقريباً بهذه النظرية . والإحساس فى هذه الحالات هو المضايقة التى يسببها عسر هضم ينشأ من أكلة ثقيلة.

ولنرجع الآن إلى الرجل الذى قلب نظام الاتجاه نحو الأحلام؛ ليس هذا مجال الإشارة إليه إلا فيما يتعلق بما مضى ، والتأثير الهائل الذى له على الفكرة اليوم ؛ العبارات والتعبيرات التى أبدعها موجودة تقريباً فى كل ما يتصل بآداب العصر الحاضر ؛ والمواد التى كتبت مرة لتبرهن على أنه كان ذا تأثير فى الأدب غير مرغوب فيه ، مهنته العلاجية استعملت لكى تكون ضد اختيار طرائقه فى التدريب . ولكن تأثيره لا يزال مستمراً سواء كان

للخير أو للشر .

كثيراً ما نظن عن الحلم أنه مشوش ومقلق لنومنا ، ولكنه بالنسبة لنظرية فرويد يُعد بمثابة حارس . فالحلم يقي النائم من الاستيقاظ ، سواء بواسطة منبهات خارجية لحواسه ، أو بواسطة منبهات داخلية تهيئها انفعالات ، أو أفكار غير سارّة . ومثل الحلم كمثل أم تقول لطفلها الذى تعرف أن أصواتاً أو مشاهد غير عادية تخيفه « لا تخف ، إنه لم يكن إلا الهواء يداعب الأغصان »

كل حلم يعبر عن رغبة :

لكى نفهم هذه النظرية على حقيقتها يلزمنا أن نضع نصب أعيننا بضع قواعد ثابتة : كل حلم يعبر عن رغبة ، والحلم الرمزى هو إشباع مستتر لرغبة مكبوتة . وفى الأحلام ننال ما تصبو إليه نفوسنا أخيراً ، ولكن — « ليس هناك حلم واحد لا يمكن أن يظهر بواسطة التحليل ليعتدى على بعض قوانين أخلاقية أو شرعية » وإن التشبث والإصرار على هذين المبدأين هو الذى يسبب — فى الغالب — ذلك السخط على فرويد . ولا نرى فى الحقيقة سبباً للانزعاج أو الشك فى هذه البيانات .

ومن المحقق أن أى شخص متأمل ، أمين فى تأمله ، سيعترف بأنه غالباً ما يتمنى امتلاك ما ليس فى حوزته ، ويرغب فى حوادث وعواطف يعرف أنها مطابقة لسبل حياة الزمن الحاضر ولا يمكنه امتلاكها . وما نسميه رغباتنا الشرعية أو القانونية لا نكبتها بل نعبر عنها ونصرّح بها ، ونحاول أن نحصل عليها أو على الأقل نسمح لها ببعض الاشتراك فى حيواتنا . وإن مجرد الرغبات فى الأشياء الممنوعة هى التى نخرجها من عقولنا ، ظناً منا أننا بعملنا هذا قد محوناها وحطمناها . ولكن هذا يبدو مريباً ومبهماً . وإنها لتبدو أقوى بنوع ما مع القوى الخبيثة المكتئبة . وستجد طريقها إن لم يكن فى حياة يقظتنا إذن فى نومنا .

نحتاج فضلاً عن ذلك إلى أن نفهم أن هناك محتويين لكل حلم ، كما كانت آراء المفسرين مثل يوسف . فهناك المحتوى الحرفى أو الظاهر ، إذ تحلم بحصان شرس . والمحتوى المجازى أو الكامن فى مثل هذا الحلم ، هو التعبير عن رغبة جنسية غير قانعة طبقاً لتفسير فرويد .

والمعنى الكامن كثيراً ما يبدو للحالم محرّفاً ، أو متنكراً لكى يستطيع المرور من « الرقيب » الذى يدل عليه اسمه ، والذى يحاول فى النوم دائماً أن يُخفى العناصر غير المناسبة عن عقولنا . هنا يأخذ فرويد على نفسه مسئولية ما ذكرناه آنفاً بأن جميع رغباتنا المكبوتة مخجلة وفاضحة لنا كمتمدينين ، فهى فى النوم لا يمكن أن تظهر بدون تحريف . فيلزمها إذن أن تتقنع

تأويل بسيط :

هنا الكثير مما يشمئز منه الشخص المحافظ على التقاليد ، ويحجم عن قبوله ، ولكن حينما يبدأ التأويل يكون هناك الرفض المنيف ، أو الإستخفاف ، أو السخرية من قبَل الكثير ، لماذا تكون الحية والشمسية وسيقان الورد المستقيمة وغيرها من الأشياء البريئة لماذا تكون فى الأحلام رُموزاً للأعضاء المستترة من جسم الإنسان ؟ ولماذا يكون الحلم الذى فيه خيل ، على وجه التخصيص ، وأحياناً أنواع أخرى من الحيوان ، أو الحلم بصعود سلالم ، أو السير فوق ممر من تحته ثغرة واسعة ، لماذا تكون هذه الأحلام « المقلقة » رموزاً لرغبة جنسية لم تشبع ؟ .

يجب أن يُفهم تماماً أن هذه الرموز لم يخترعها فرويد ، ولم يذكرها بطريقة اعتباطية ، ولكنها اكتشفت فقط . ومنبعها فى لا شعور الفرد أو الذريّة . ولقد حلل فرويد وأتباعه آلافاً وآلافاً من الأحلام .

وفيما يلى نقتبس عبارة لبريل Brill أتى فيها بحلم وتعليله ، أو بالأحرى ، بمعنييه الظاهر والباطن .

« حلمت إحدى مريضاتى أنها رأت ولدها الأكبر مُكفناً فى تابوت ، وكانت مع ذلك غير مكترثة به قط . ولما قيل لها إن الحلم يقوم مقام إشباع الرغبة أصرّت على أن هذه النظرية خاطئة ، إذ أنها لا تضمر أى رغبة كهذه بخصوص ابنها . ومع ذلك فقد أظهر التحليل النفسانى الحقائق التالية :

مات زوجها تاركاً لها طفلين ؛ ثم تزوّجت من أرمل له هو أيضا طفلان . وكان الزوجان سعيدين ، ولكن نظراً لأن لهما أربعة أطفال فإنهما لا يستطيعان القيام بتربية من يأتى بعدهم . وكثيراً ما أعربت الزوجة عن رغبتها الأكيدة فى الحمل من زوجها الثانى لكى تقوى الرابطة بينهما ، ولكن وجود أربعة أطفال فى الأسرة يعوق هذه الرغبة . فالحلم يشبع رغبتها بأن يريها أن فى الأسرة ثلاثة أطفال وحسب »

عبد العزيز جادو

القـــــول للسيف

للاســـتاذ حسني كنعان

يتساءل عشاق الأدب من قراء « الرسالة » المجاهدة فى وسط هذه النمرة العاتية التى تغمر سماء فلسطين الدامية أين هو الأستاذ الطنطاوى وأين قلمه العذب ومقالاته النارية وقوله الفصل ؟ لماذا توارى عن المسرح ولم نعد نرى له أثراً فى أزالة الغمة وتفريج الكرب بما كان يكتبه عن البلاد العربية كلما حزب الأمر وبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين ، فكان السائلين حفظهم الله وأنسأ فى آجالهم يظنون أن القضية قضية أشعار تقرض ومقالات تنشر وأقوال تقال وقرارات تقرر واجتماعات تعقد ورجالات من الساسة اليعربيين تطير متنقلة بين العواصم العربية للمشاورة والمداولة ، وقد غرب عن بال السائلين أن العالم العربى بأسره جماعاته وأفراده قد سئم هـذا النوع من الجهاد وبات يرقب الأعمال الحاسمة ، أجل لقد برم الناس من سياسة الأقوال وباتوا يرقبون الأعمال الجدية فالقضية اليوم قضية دولارات تنثر ، وطائرات ترجم ، وزحافات تقذف وقنابل تفتك ومتفجرات تبيد وتهدم ، لقد ظن العرب وإن بعض الظن اثم ، أن هؤلاء الواغلين فى أقدس بقعة من بقاع الأرض العربية ، هم من أنسال أولئك اليهود الذين عهدناهم يجوبون الحارات والأحياء ويذرعون الشوارع سحابة يومهم لا ينى الواحد منهم عن الصياح يملء فيه : (طرابيش عتق للبيع ، أحذية عتق للبيع) ليتبلغوا بهذه التجارة المحطة بلغ العيش ، فتلحقهم صبيه الحارات والأحياء ترجمهم بقشور البطيخ والليمون والبرتقال إستخفافاً بأمرهم واستهانة بهم ...

كلا ياساده ! فنحن أمام عصابة من الأوروبيين المدربين على للقتال والإجرام والفتك نساء ورجالا أطفالا وكهولا . قاءتهم أوروبا وبعثت بهم الدول الاستعمارية للعيث فى أرضنا فساداً . قوم خلق منهم الاضطهاد المتلرى أمة ناقمة على البشرية متمردة متعطشة للدماء والفتك والدمار . لا ترعى عهـدا ولا ذمة . غشيت سماء الوطن المقدس من هـذه الطغمة سحابة دكناء أثاروها على العزل الآمنين الوادعين فى فلسطين موجة إرهابية جنونية لا هوادة فيها ولا رحمة . بقروا بطون الحبالى وذبحوا الأطفال وقضوا على الأجنة ومثلوا بالكهول والعاجزين . ولقد ركبوا فى حوادث حيفا وطبرية ويافا وغيرها من المدن والقرى التى أوغلوا فيها رؤوسهم وجن جنونهم فتفننوا فى الذبح والتقتيل والتشريد والتبعيد والنهب والسلب، وحمتهم فى إجرامهم وعضدتهم سيدة البحار صديقة العرب التقليدية ! أجل مهدت لهم هذه الدولة الأفعوانة الرقطاء طريق الغزو ومنعت العرب من الدفاع عن أنفسهم وحالت دون الوصول إليهم ... إن العين لتدمع والفؤاد ليبكى دماً على ما ألم بأهل فلسطين من مصائب وإحن ، كوارث أحدقت بهم تتضاءل أمامها كارثة الأندلس . خرجوا من ديارهم مروعين مذعورين لا يلوون على شيء ، فلا الأب يعرف أين بنوه ، ولا الإبن يعرف مصير أبويه . تركوا فى المدن المجتاحة أموالهم وأملاكهم وخرجوا على الشاطئ ناجين بأنفسهم . ولقد نيف عدد النازحين على المئين من الآلاف . وصلت طلائعهم من الكتل البشرية إلى دمشق وهم على آخر رمق يجودون بدمائهم ، تتراءى لك المسغبة والمتربة والذلة والمهانة فى تقاسيم وجوههم التى تحمل الأنوف الشماء والحمية والعزة والكرامة ، قوم شردهم البغى والظلم (الانكلو صهيونى) والغدر والمؤامرات الدنيئة فحلت بهم المصيبة التى تركت الرءوس بيضاً ، وبيض الوجوه سوداً ، لا تنفع معها شكوى ولا يجدى أنين . كل هذا وقع على مرأى ومسمع من الدول الغربية التى يتشدق زعماؤها ورؤساؤها بالسلام والوئام . والدول العربية مافتىء رجالاتها عاكفين على القرارات والمداولات والمشاورات ولا نقول إنهم قد أخذوا غدراً ووقع الذى وقع وهم فى غفلة عنه ، فلقد كان هذا الأمر متوقعاً حدوثه منذ عهد بلفور المشئوم فما أعدوا له عدة ، وما أقاموا له وزناً . وهاهم اليوم يتحينون فرصة زوال الدولة الطاغية عن الأرض المقدسة وزوال نفوذها وسلطانها ليقفوا فى اليوم الموعود أمام شذاذ الآفاق يناقشونهم الحساب ، ويثأرون لبنى سحنتهم ونحلتهم منهم ، وتلك الدولة تخادع وتماطل وتطاول فى الجلاء وتلف وتدور ، كيما تظل مسيطرة وباسطة سلطانها لتتم الوعد الذى قطعته على نفسها لإقامة الدولة الصهيونية . أفبعد الذى حصل نطلب من الأستاذ الطنطاوى والسرطاوى أن يخوضا غمار معركة قلمية فى هذا السبيل والحكم فيه للسيف كما ترى ؟ فأين هى السيوف العربية ؟ وأين هم الضاربون بها ؟ وأين القوى والعتاد ؟ نسأل الله السلامة والعافية للقطر

ماذا تعرف عن السودان؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

قطر جميل بطبيعته الفطرية ، غنى بموارده الكثيرة التي لم تستغل . مساحته أكثر من ثلاثة أضعاف القطر المصري ويبلغ سكانه نحو ثمانية ملايين نسمة .

سكان النصف الشمالي منه عرب مسلمون شديدو الاعتزاز بأصولهم ، حتى أنك عند ما تسأل أحدهم عن جنسيته لا ينسب نفسه إلى القطر كله بل إلى قبيلته .

أما سكان الجنوب فهم زنوج ، لهم رطانات عديدة ومعظمهم وثنيون عراة الأجسام .

ولا تختلف مظاهر الحياة في السودان كثيراً عنها في صعيد مصر بل تتفق في كثير من التقاليد واللهجة مع الفارق في الملبس الذي يتكون من عمامة بيضاء وجلباب أبيض .

أما الموظفون فيلبسون الملابس الأفرنجية والقبعة ويسمح لهم بلبس الجلاليب والعمائم البيضاء في مكاتب الحكومة .

والنساء في المدن محجبات يخرجن مؤتزرات بملاءات خفيفة بيضاء اللون غالباً ، ولا يظهر هذا الرداء من أجسامهن شيئاً غير أعينهن . وزيارتهن لبعضهن تكون بعد غروب الشمس عادة .

والمرأة السودانية على جهلها تلمح فيها ذكاء فطريا وروحاً خفيفا ؛ وهي تقدس الشجاعة في الرجل، فإن جبن مرة فمعنى هذا عندها أنه تجرد من رجولته وهو في هذه الحالة يفضل الموت على وصمة العار هذه .

والسوداني شجاع لا يعبأ كثيراً بالآلام بل يستسيغها في سبيل الاعتزاز بالنفس والكرامة ؛ وهو كريم إلى حد كبير ، مضياف يصل كرمه إلى حد الاسراف ، كما أنه ديمقراطي بطبعه يخالط ويجالس من هو أقل منه في الجاه والمركز الاجتماعي . فالعظيم والحقير كلاهما لا يرى للفوارق وجوداً . والسودانيون لا يعبأون بالألقاب ؛ وبلغ لهم أن ينادى بعضهم بعضا بالاسم المجرد . والشخص العادي إذا تحدث عن كبير في المركز الاجتماعي يقول (فلانا) بدون لقب ، ولكنه لا يجرد من لقبه في سياق الحديث رجل الدين أو الرجل المسن .

والسودانيون يبذلون كل ما في طاقتهم لتعليم الأبناء حتى أن هذه الرغبة القوية جعلت المدارس الموجودة اليوم لا تكفي حاجة الجميع . وهم لا يرون أي غضاضة في أن يبعثوا بيناتهم إلى المدارس الأولية ؛ ولكن فئة قليلة جداً ترسلهن إلى المدارس الوسطى ؛ لأن الفتاة عندما تصل إلى هذه المرحلة من التعليم تكون غالباً في طور المراهقة .

والحكومة مهتمة بالتعليم الأولى أكثر من اهتمامها بالتعليمين المتوسط والثانوي . وعدد المدارس الوسطى (الابتدائية) الحكومية والأهلية في السودان كله ٢٣ مدرسة للبنين ، ومدرستان ثانويتان حكوميتان ، وواحدة أهلية . ماعدا المدارس المصرية والتابعة للجاليات المختلفة .

والشاب السوداني الآن يقبل على التعليم برغبة صادقة ، ويرى أنه الوسيلة الوحيدة التي توصله إلى الرقي المنشود وتحقيق الأماني القومية .

والأمن مستتب في السودان على رغم قلة رجال الحفظ ؛ وهذا يرجع إلى أن السوداني ليس شريراً بطبيعته . ويدهشك أن ترى المساجين يسيرون ووراءهم رجل البوليس وهم غير مقيدين بأغلال . وبعضهم يشتغل بخدمة الموظفين الحكوميين بأمنونهم على متاعهم وأرواحهم . والغريب أنهم لا يفكرون في الهرب وهم مطلقو السراح ...

والحياة الاجتماعية تختلف باختلاف المدن ، فالمدنية تكاد تكون غربية في العواصم مثل الخرطوم ، وشرقية في المدن التي

الشفيق وأزالة المحنة والغمة عنه ، كما أننا نسأله ونتوسل إليه أن تنقلب أسنة هذه الأقلام المرهفة في أيدي أصحابها إلى دبابات ، وطيارات ومدافع ، وقنابل ومتفجرات تأتي على جذور الصهاينة من أساسها ؛ عندئذ يرى أستاذنا الزيات وصديقنا الطنطاوي وطه والعقاد والمازني وأحمد أمين وغيرهم من كبار كتابنا في طليعة القادة اليعربيين الذين يرفعون رايات العروبة رفافة خفاقة على المجاهدين الأغالب ، ويعيدون أمجاد العرب .

(دمشق) حسني كنعان

أكثر سكانها من الوطنيين مثل أم درمان أما أهل الجنوب الزنوج فتكاد تكون معيشتهم فطرية .

أما المعيشة فاللحوم والطيور والأسماك رخيصة جداً . ويبلغ ثمن أقة اللحم الضأن عشرة قروش . ويوجد من الخضر مايوجد في مصر، ولكن أسعارها هي والفاكهة أكثر ارتفاعاً . وهنا أزمة مساكن أشد مما هي في مصر والايجارات أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب .

أما جو السودان فإنه جميل جداً في مدى ثمانية شهور، فمن نوفبر إلى منتصف ابريل جفاف واعتدال، وهذا هو وقت الشتاء . ويبدأ الحر من أواخر إبريل إلى أواخر يونيو، ولكن عندما ترتفع درجة الحرارة تسقط الأمطار فتلطف الجو . أما يوليو وأغسطس فإنهما أجمل الشهور في السودان : جو ممطر منعش وطبيعة ساحرة فاتنة . ولا أغالي إن قلت إن الجو خلال هذين الشهرين لا يقل عن جو الأسكندرية صيفاً ، ويمتاز عليه بالأمطار اللطيفة . وتنقطع الأمطار في سبتمبر . وقد يسقط فيه مطر خفيف يسميه الأهالي (الرشاش) أو مطر (البُخَات) أي السمحاء لأنه قد ينزل في مزرعة ولا ينزل في نفس الوقت في المزرعة التي تجاورها تماماً . وخلال سبتمبر حتى معظم أكتوبر يكون الجو مشبعاً بالرطوبة اللطيفة ، وتكثر في الهواء الحشرات المختلفة الألوان والأشكال وهي غير ضارة ....

والطبيعة في السودان فاتنة جذابة ؛ فهناك أرض الجزيرة بأقطانها ومحصولاتها المختلفة ، وفي كردفان تتجلى البداوة بإبلها التي تسير على الكثبان الرملية الصفراء والابقار والأغنام والماعز في مراعيها الجميلة التي تنبتها الأمطار؛ والجنوب بمياهه التي تنساب في الوديان صافية تنبت الخيرات وتجعل الأرض جنة بما فيها من الثمار المنوعة المتوافرة وغيرها من خيرات الله الوفيرة التي لو استغلت لجعلت السودان من أغنى الأقطار .

هذه لمحة خاطفة عن السودان غرضي منها أن يتعرف أبناء وطني حقيقة هذا الشطر الجنوبي من وادي النيل الذي يجهل عنه المصريون الشيء الكثير .

إيليا حليم حنا
دبلوم عال في التربية
دبلوم صحافة

الأبيض — السودان

البدر

للأستاذ عثمان حلمي

قل لي إذا اسطعت أيها البدر … هل لك سر وما هو السر
ظللت من أول الزمان على … صمتك لم يفش سرك الدهر
مستبشر الوجه في العيون إذا … رنت وفيها الرجاء والبشر
أو عابساً في عيون من عبسوا … أو ساخراً عم نورك السخر
كنت مع الأولين في زمن … ولى وولوا فما لهم ذكر
وأنت في الآخرين ترمقهم … بمقلة ملء لحظها حذر
باق على الدهر ما لسعيك من … نهاية في السرى ولا عصر
وعمرك الدهر في الوجود ولو … أن المدى في حسابنا شهر
تمر في رجعة فما لهمُ … مروا ولم يرجع الأُلى مروا
أبليت في الأرض من مررت بهم … ولم تزل أنت أنت يا بدر
كم عاشق سره ضياؤك إن … أساءه من حبيبه هجر
ناجيته في ظلام وحشته … نجوى غريب أضره الفكر
وشاعر هام من ضيائك في … خياله واستخفه الشعر
سمعت في البعد همس مهجته … بكل ما قد أجنه الصدر
وكاد من فرحة ومن طرب … يجن سكراً وما به سكر
أشمت من نشوة السرور به … بالنور ما لا تشيمه الخمر
في مقلتيك اللتين أبصرتا … كل تليد وطارف خبر
عند ابتسامي أرى ابتسامهما … وشع في الذعر منهما الذعر
قل ليَ كم شامخ مررت به … أصابه بعد رفعة حَدَر
هوى وران الثرى عليه ولم … يبق لَعمري لأمره أمر
سيان في الأرض روضة أُنف … لديك إما مررت أو قبر
ألم ترعك القبور صامتة … وقد غدت ما لعدها حصر
وأنت في وحشة تمر على … رُقودها والرقود لم يدروا
ما بالهم طال ليلهم وأبى … من طوله أن يعوده فجر
وما لهم قد رضوا برقدتهم … وهل لهم في رضائهم عذر
يا هول سر ظللت تكتمه … عنا ولم يفش سرك الدهر

عثمان حلمي

الأدب والفن في أسبوع

« اليونسكو » :

يزور مصر الآن الدكتور جوليان هكسلى المدير العام للمؤسسة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (المعروفة باليونسكو) وقد حضر إلى مصر بعد زيارة طويلة لسائر البلاد العربية وتركيا وإيران ، حيث اجتمع بهيئاتها الثقافية والتعليمية تمهيداً للمؤتمر القادم لهذه المؤسسة الذى سيعقد بلبنان فى أواخر هذا الصيف .

وقد ألقى الدكتور هكسلى محاضرة عن (اليونسكو) وأغراضها فى الجمعية الجغرافية يوم الأحد الماضى ، فبين كيف نشأت فكرتها والمراحل التى مرت بها إلى الآن ، قال إن فكرة المؤسسة نبتت فى لندن خلال الحرب ، إذ رأى جماعة من رجال التعليم والثقافة من مختلف الأمم أن يقوموا بجهود فكرى لتحقيق السلام العالمى ، ورأوا أن السبيل إلى ذلك هو العمل على تآلف الثقافات لإزالة الريبة بين الشعوب ، لأن أسباب الحرب تنشأ فى الذهن فلا بد من التقريب بين الأذهان والعقول ليتحقق حسن التفاهم والإخاء . ولما انعقد مؤتمر سان فرنسيسكو فى سنة ١٩٤٥ وتباحث بعض أعضائه فى شئون التعليم ــ نص فى ميثاقه على إنشاء مؤسسات للعناية بمشاكل التربية ، تكون مستقلة مع بعض الاتصال بهيئة الأمم المتحدة .

وقد انعقد مؤتمر الهيئة العام لأول مرة بباريس فى العام الماضى ، فقرر السعى لإصلاح بعض نظم التربية فى بعض الدول ، قصد الوصول إلى التعاون الفكرى الصحيح ، وكان من قراراته :

١ ــ تنظيم حملة عالمية للقضاء على الأمية بتحديد المستوى الأدنى للتعليم فى جميع الأمم .

٢ ــ تنظيم بحوث عالمية للكشف عن الدوافع النفسية والاجتماعية التى دفعت العالم إلى التطاحن فى الحرب العالمية .

٣ ــ العمل على إزالة الحواجز المانعة من التعاون الفكرى بين الأمم المتنافسة .

الدكتور هكسلى :

والدكتور هكسلى مدير « اليونسكو » فى الستين من عمره ، وهو كاتب وشاعر وعالم بيولوجى ، له مؤلفات فى العلوم والآداب والاجتماع ، منها كتاب « نحن الأوربيين » الذى فند فيه نظريات النازى المتعصبة تفنيداً يقوم على أسس علمية صحيحة ، وله دراسات قيمة فى مشروعات الإصلاح الاجتماعية . ومن آرائه فى المشكلات العالمية أن الانتصار فى الحرب لا يؤدى حتما إلى إنقاذ المدنية من الخطر الذى يهددها ، وإنما الذى يكفل إنقاذها هو مقدرتها على إزالة أسباب الخوف والظلم واليأس ، وهى تستطيع تحقيق هذه الغاية إذا وضعت نصب أعينها أن المجتمع البشرى يتألف من كل لا يتجزأ تتوازن فيه الحقوق والواجبات وأن القيم الاقتصادية فى هذا المجتمع يجب أن تخضع للاعتبارات الاجتماعية .

مصر و « اليونسكو » :

وقد انضمت مصر إلى المؤسسة منذ نشأتها ، فقد اشترك الدكتور محمد عوض محمد بك فى اجتماعاتها الأولى بباريس ، وكان له جهود كبيرة فى وضع منهج العمل للجنة العلوم الاجتماعية إحدى لجان المؤسسة . ويمثل مصر الآن فى اللجنة التمثيلية ، الأستاذ شفيق غربال بك ، وقد أشرنا قبل الآن إلى مساعيه التى كللت بالنجاح فى اعتبار اللغة العربية من لغات المؤسسة الرسمية . ولمصر فى باريس مكتب أنشأته وزارة المعارف المصرية ليكون على اتصال دائم بسكرتارية « اليونسكو » فيبلغ الوزارة مشروعات الهيئة وبرامجها وما ترغب إطلاع الحكومة المصرية عليه من مقترحاتها وقراراتها ، ويبلغ الهيئة ما تريد الحكومة المصرية إبلاغها إياه من مثل هذه المقترحات والقرارات .

للتعريف العالمى :

وقد رغب الدكتور هكسلى إلى معالى وزير المعارف ، أن يزوده بأسماء الهيئات الثقافية والفنية والعلمية المصرية ، حكومية وغير حكومية ، وأسماء الشخصيات العامة من علماء وأدباء وكتاب وفنانين ، ممن يجب أن يعرفهم العالم .

وتعمل الآن فى إعداد ذلك إدارة التسجيل الثقافى التابعة للادارة العامة للثقافة بوزارة المعارف .

الدكتور طه حسين :

كانت هيئة « اليونسكو » أرسلت إلى الدكتور طه حسين بك تدعوه إلى اجتماع لجنة ترجمة الآثار الأدبية العالمية الذى سيعقد فى باريس ابتداء من ١٨ مايو الحالى . وقد سافر الدكتور طه يوم الخميس الماضى إلى فرنسا لهذا الغرض .

مجلة الكاتب المصرى :

وقد أعلن الدكتور طه فى الأهرام قبل سفره ، باعتباره رئيس تحرير مجلة « الكاتب المصرى » — أن إدارة المجلة قررت وقف إصدارها « لأسباب لا تتصل بمحرريها ولا بقرائها » .

وقد علمت أن دار الكاتب المصرى ستتوقف أيضاً عن أعمال النشر التى تقوم بها إلى جانب إصدار المجلة ، بعد أن تفرغ مماهى بصدده . وواضح من عبارة الدكتورطه « لأسباب لا تتصل بمحرريها ولا بقرائها » أن احتجاب المجلة قد يرجع إلى الناحية المادية.

ومن الإنصاف أن أقول أن إنتاج دار الكاتب المصرى ومجلتها ، لم يكن يختلف — من حيث اللون العام — عن إنتاج المجلات الأدبية ودور النشر الأخرى .

وقد أشار الدكتور طه فى بيانه الوجيز إلى الملتقى بينه وبين القراء فى ميدان آخر ، ويقال إنه سينضم إلى مجلة أدبية شهرية أخرى ، وقد يتولى رياسة تحريرها .

طريقة جديدة :

أعادت إحدى هيئات النشر والتوزيع ، طبع كتاب «صندوق الدنيا » للأستاذ المازنى ، وظهرت فى الصحف إعلانات عنه منوعة مختلفة الصيغ والأشكال ، وجاء فى أحدها للتمثيل على محتويات الكتاب :

« الجدة التى لبست مريلة وذهبت إلى المدرسة » .

« حلاق القرية يحلق على الأرض للأستاذ المازنى » .

« أبو الخوارق وابن الزوابع يتضاربان على العمم » .

« الشيخ الذى (زغزغه) المازنى ففقد وقاره » .

وهذه الطريقة فى الإعلان مجدية فعلا فى التشويق إلى الكتاب ؛ ولإقبال الناس على مؤلف للأستاذ المازنى أثره فى التثقيف والانتفاع من القراءة الأدبية . ولكن متتبعا — مثلى — لشؤون الأدب والثقافة ، لا يصح أن يغفل تسجيل أمر جديد كهذا ... فقد كان مثل هذه الطريقة يتبع من قبل فى مؤلفات ينادى عليها الباعة بمثل « المرأة التى أكلت ذراع زوجها ! » دون أن يثبت مؤلفوها أسماءهم عليها .

أما الجديد فهو الإعلان بمثل ذلك عن مؤلفات أدبية معروفة لأدباء معروفين كالمازنى . ولست أعترض ، ولكنى — كما قلت — أسجل ...

من طرف المجالس :

غشيت مجلس ثلة من الأدباء ، فلاحظت أنهم إذا قدم عليهم قادم جديد ، عرفه أحدهم باسمه ، ثم يقول لأصحابه فى شبه همس: أبو نواس ! أو يقول : ابن الرومى !

ثم علمت أنهم اصطلحوا على ذلك ، فإذا كان القادم من غير أهل الخير وليس من ذوى الوفاء فهو ممن يصفهم أبو نواس بقوله :

وقح ، تواصوا بترك البر بينهم ... تقول: ذا شرهم، بل ذاك، بل هذا

وإن كان وفيا لإخوانه ، فهو من أصحاب ابن الرومى القائل :

وخلين تما بى ثلاثة إخوة ... جسومهم شتى وأرواحهم معا
موافين أهواء توافت على هوى ... فلو أرسلت كالنبل لم تعد موقعا
إذا ما دعا منا خليل خليله ... بأفديك لبانا مجيباً فأسمعا

من طرف الإذاعة :

لست أدرى لم عادت الإذاعة إلى ما كانت قد تركته من تقديم بعض الشعراء « المحبوبين لديها » ليقرأوا من أشعارهم ! فقد سمعت أخيراً أحد هؤلاء يذيع قطعا قديمة مختلفة من شعره ، ينتهى من قطعة ، فيذكر عنوان أخرى ويلقيها ، وهكذا ... فذكرنى هذا الصنيع بما يفعله « شكوكو » حين ينتقل من « سلم لترماى » إلى « اللباريق » و « حسن أبو على سرق المعزة » !!

وسمعت فى حوار بأحد « البرامج الخاصة » من يقول : نحن يا سيدى قوم بدائيون ! وهذا البرنامج أخرجه فلان الفلانى ووضعه فلان آخر ، وبطبيعة الحال راجعه مراجع وأقره ؛ فلم يتنبه أحد من هؤلاء إلى أن الذى يفهم أن هناك بدائيين وغير بدائيين — لا يصح أن يكون بدائيا !

أدب المناسبات :

كتب الأستاذ محمود تيمور بك كلمة فى « الزمان » بعنوان « أدب المناسبات » قال فيها : « جرت أقلام طائفة من الكتاب على الغض من شأن القطع الفنية ، بحجة أنهـا وليدة مناسبات كانت راهنة ، وأكثر ما اتجهت إليه سهام هذا النقد شعر المراثى والمدائح ونحوها » .

وناقش الأستاذ تيمور هذه القضية إلى أن قال : « والمقياس الصحيح للفصل فى تلك القضية الأدبية أن الفنان بين حالتين :

« حالة قدرة على استيحاء الموضوع أيا كان ، واستجابة حقة للاستنامة الذاتية التى يحيا بها الموضوع فى قرارة النفس . وفى هذه الحالة من القدرة والاستجابة ينجلى التعبير وتتبين مرتبته : غثا كان أم سميناً .

« وأما الحالة الأخرى فهى حالة الحمل على النفس ، وتكليفها أن تستشعر ما لا تحس ، دون أن تـكون منها استجابة ، ودون أن تأذن للموضوع بأن يحيا بين حناياها حياة حقة . وفى هـذه الحالة الأخرى يخرج التعبير سقطاً لا روح فيه ، وفجا لا مذاق له ، يبدو عليه أثر التصنع والـكذب » .

الفه المعاصر :

أقام جماعة من الشبان الفنانين المصريين ، معرضاً لأعمالهم فى التصوير والنحت بدار إدارة خدمة الشباب تحت رعاية معالى وزير المعارف ، وقد افتتحه معاليه فى الأسبوع الماضى ، ويشرف على المعرض الأستاذ حسين يوسف أمين وهؤلاء الشبان (جماعة الفن المعاصر) هم : ابراهيم مسعودة ، وكمال يوسف ، وسمير رافع وعبد الهادى الجزار ، ومحمود خليل ، وسالم عبد الله الحبشى ، وماهر رائف ، وحامد ندا ، وهم جميعاً يتجهون بفن التصوير اتجاها جديداً يساير التطور الفكرى وينتفع بالثقافات الحديثة ، فلم يعد الفن المعاصر يتمشى مع مجرد تسجيل المناظر للهو والرفاهية وإنما هو يقوم على غزو الطبيعة وسيطرة العلم والوعى بالأوضاع الاجتماعية وبمدى ارتباط الفن بالحياة .

وهؤلاء الفنانون ، وإن جمعتهم مدرسة فنية واحدة ، يسلك كل منهم فى إنتاجه مسلكا يلائم شخصيته . وأروع ما فى هذه المعرض أنك تلاحظ ذاتية الفنان فى لوحته ، ويبدو لك في كثير من هـذه اللوحات عمق فلسفى ونظرات فنية موضوعية ، وإن كان بعضها غير مفهوم ... لى على الأقل .

المجمع العلمى العراقى :

أنشىء بالعراق فى أوائل هذا العام مجمع جديد هو « المجمع العلمى العراقى » وقد اختير لرياسته الأستاذ محمد رضا الشبيبى . وأعراض هذا المجمع هى :

١ — العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة .

٢ — البحث والتأليف فى آداب اللغة العربية وتاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضاراتهم .

٣ — دراسة علاقة الشعوب الإسلامية بنشر الثقافة العربية

٤ — حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وإحياؤها

٥ — البحث فى العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف وبث الروح العلمى فى البلاد .

العباس



كلمة أخيرة في تعدد الزوجات :

لا أدرى فيم يخالفنى صديقى الأستاذ زكى الدين بدوى ، وقد وافقنى على أن لولى الأمر أن يمنع من تعدد الزوجات بمنع سماع الدعوى فى أكثر من زوجة واحدة ، فليس بعد هذا إلا ما يراه من أن هذا طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة ، ولو صح هذا لما كان هناك معنى لثورة كثير من العلماء كلما شرع ولى الأمر فى منع سماع الدعوى فى مثل ذلك . والحقيقة أن منع سماع الدعوى فى مثل ذلك يراد به منع الناس منه ، وبهذا يرى بعض العلماء أن ما أباحه الله للناس لا يصح منعهم منه ولو بالمنع من سماع الدعوى فيه ، ولا يصح لولى الأمر أن يتبرم به أو يحاول الحجر فيه على الناس بأية وسيلة ، وهذا إلى أن القاضى كان يباح له شرعاً سماع الدعوى فى مثل ذلك ، بل كان يجب عليه أن يسمعها ويحكم فيها بحكم الله تعالى ، لأن القاضى يجب عليه شرعاً سماع الدعوى من صاحبها ، ويجب عليه شرعاً أن يحكم فيها بما أنزل الله فى أمرها ، فإذا منعه ولى الأمر من سماعها كان فى ذلك تحريم لما أباحه الله له ، بل لما أوجبه عليه ، فيثور كثير من العلماء لذلك أيضاً ، ويرون فيه خروجاً على الدين ، وانتهاكاً لحرمة الشرع ، فكيف بعد هذا كله يرى الأستاذ زكى الدين بدوى أن المنع من سماع الدعوى طريق سلبى لا تعلق له بحل ولا بحرمة .

وقد وافقنى الأستاذ زكى الدين بدوى أيضاً على أن هناك من يقول بحق ولى الأمر فى النهى عن المباح ، ولكنه ذكر أنه لم يرد عنهم أن هذا يجرى فيما وردت بحله نصوص تفصيلية محكمة فى الكتاب والسنة كما هو الحال فى تعدد الزوجات. ولا شك أنه لا فرق بين مباح ومباح فى ذلك النهى ، ونحن إنما نرى النهى عن المباح عند الحاجة إليه ، وعند إساءة المسلمين استعماله ، وإذا كان فى ذلك خلاف بين العلماء فمن الواجب على الأستاذ المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد أن يكون مع من يعطى ولى الأمر هذا الحق ، لما فيه من المرونة فى التشريع ، وعدم الوقوف فى المباح عند حالة واحدة ، ولو تغيرت الظروف والأحوال وصارت الإباحة فيها مصدر بلوى للمسلمين ، وهو بهذا أجدر من الأستاذ الذى تخرج بين جدران الأزهر فقط ، ولم يشاهد جامعات باريس وفؤاد .

لقد كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة أبى بكر ، وفى صدر خلافة عمر ، ولكن الناس خالفوا ذلك فأوقعوه ثلاثاً ، فأمضاه عمر عليهم عقوبة لهم ، وأخذ الأئمة الأربعة بحكم عمر فى ذلك ، فحرموا على الناس الرجعة بعد الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وقد كانت مباحة لهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة أبى بكر وفى صدر خلافة عمر . فليدع الأستاذ زكى الدين بدوى القافلة تسير ؛ لأنه لا يصح من مثله أن يضع فى طريقها العقبات .

عبد المتعال الصعيدى

إلى علماء الدين وأساتذة التاريخ :

يا أصحاب الفضيلة والسادة ! ما قولكم — جعلكم الله أنصاراً للحق على الدوام — فيما جاد فى مقال الأستاذ حيدر الشيرازى أحد موظفى المجلس الحسبى بمصر المنشور فى صحيفة منبر الشرق فى عددها ٤٧٩ فى ٢٢ المحرم سنة ١٣٦٧ ٥ دسمبر سنة ١٩٤٧ فى الصفحة الخامسة بأن (مدينة النجف كانت جبلا وهو الذى قال فيه ابن نوح سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، فأوحى الله إليه : ياجبل ، أيعتصم بك منى؟ فتقطع قطعا قطعاً وصار رملاً ثم بحراً عظيما كان يسمى (نى) ثم جف فسمى (نى جف) أى نجف ؛ وإن الخليفة هارون الرشيد علم بموضع قبر الإمام على كرم الله وجهه فأمر أن تبنى قبة فبنيت القبة ونقشت وفرشت وأضيئت ؛ وإن الخمر إذا دخلت مدينة النجف انقلبت خلا ؛ وإن الكلب لا يدخلها ، وإن نادر شاه حاول إدخال كلب معه فقاوم الكلب حتى قتله نادرشاه ، وحاول إدخال النبيذ فانقلب خلا) هذا ما يقوله الأستاذ الفاضل الشيرازى فما هى كلمة العلم الصحيح والتاريخ الأمين يا علماء المسلمين والعرب ؟

(الرياض) ابن سلوم

حرمة القرآن :

قرأت فى عدد من الرسالة قصيدة لشاعر معروف فى ذكرى الزعيم مصطفى كامل جاء فيها هذا البيت :

لك سيرة يتلو الشباب فصولها ... كالآى من ياسين والأحقاف

فحز فى نفسى هذا التشبيه ، وكنت أود لهذا الشاعر أن يتجنب مثل هذه التشبيهات التى لا تليق بجلال كتابنا الكريم . ولست أدرى لم يلقى الشعراء بأنفسهم إلى هذا المأزق الضيق ؟ ويتقحمون فى هذا المسلك الوعر ؟ إن كان هو قصد الإطراف والإجادة ، فليعلموا أن مثل هذه التشبيهات مما يسخف بها الشعر ويسمج ، فإن من سمات الشعر الجيد ألا يمس الشعور العام فى أية ناحية من نواحيه ، ولا شك أن المتدينين يجدون شيئاً كثيراً من الإمتعاص والإشمئزاز حين يقرأون أمثال هذه التشبيهات التى تسلك بعض كلام البشر مع القرآن الكريم فى قرَن .

وأنا أعرف أن الذى ساق بعض شباب الجيل إلى مثل هذه التعبيرات السمجة هو ما قاله شوقى فى رثاء إسماعيل صبرى :

لو كان للقرآن بعدُ بقية ... لم نأت بعد رثيت فى الأعراف

ولكن من قال أن كل شىء جاء من شاعر كبير كشوقى أو كالمعرى يكون أصلا يحتذيه الناشئون ، على أن الذى دعانى إلى أن أكتب هذه الكلمة هو أن هذا الشاعر نفسه ذكر هذا المعنى فى رثاء شوقى ، فهو يقول عن شعره :

رب تلميذه أكب عليه ... مثل أكبابه على قرآنه

فإذا تجاوزنا هذا الشاعر إلى غيره من ناشئة الجيل وجدناهم منساقين فى هذا التيار ، لا يشعرون بما فى مثل هذه من حمق وسخافة . سمعت مرة شاعراً يمدح عظيما فيقول : (تحذوك بعد إلهم معبوداً) .

وقرأت لآخر فى هذه الأيام يمدح شيخاً جليلا فيقول :

شمس تضىء المشرقين كأنها ... شمس الرسول سماؤها أم القرى

هو نفحة الرحمن أرسله هدى ... للعالمين ورحمة وتبصرا

إلى ترهات كثيرة ، وأباطيل مستقبحة من أمثال هذه التشبيهات الجريئة ، وإنى أحب أن أعلم من لم يكن يعلم أن مقام القرآن ومقام الرسول أحق بالصيانة ، وأجدى ألا يوضع واحد منهما فى هذه الموازين .

علي العماري

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

من وصايا أبى تمام :

من أعجب ما قرأت وصية أبى تمام — شاعر المعانى — للوليد بن عبيد البحترى — تلميذه — قال « تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، وأحسن الأوقات لتاليف شىء أو حفظه وقت (السحر) .. » . قلت : وفى جعل أبى تمام الثلاث — رحم الله أبا تمام — أخطاء ثلاثة :

١ — جعل للشعر (أو النظم) أوقاتاً ومواعيد !

٢ — وأفاد أن النظم يحسن ويلطف على قلة هم وغم !

٣ — ثم ثلث أثافيه بأن (السحر) أحسن أوقات النظم والتأليف !

والشاهد أن وصية (مولد المعانى) إن هى إلا وصية صانع لصبى يعلمه الصنعة فيقول — بعد الذى سبق من القول « وكن كأنك خياط يقطع الثوب على مقادير الأجسام » ولا يقول كما قال بشر بن المعتمر : « وعاوده عند نشاطك » فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هنالك طبيعة أو جريت فى الصناعة على عرق .. » .

وبعد : فقد أذكرنى هذا القول أو هذه الوصية « التمامية » ماتراه فى هذه الأيام من شعر الصنعة أو شعر (المناسبات) الذى يقال فى كل آت من الحادثات أيا كانت الحادثات . فلينق الله الشعراء والشاعرات !

(الزيتون) **عدنان**

العزة بالاسم

وقعت فى مقالى « بين الشيوخ والشباب » بالعدد الماضى من الرسالة — هنات مطبعية يدركها القارىء بفطنته ، ولكن الفقرة التالية جاءت هكذا : « تناقش ياسيدى وجهاً لوجه وتدفع الحجة بالحجة ، أو تسكت إن أخذتك العزة بالإثم » وكانت هذه العبارة موجهة للأستاذ توفيق الحكيم ، لتجنبه مواجهة من ينقده . وواضح أنه لا يأتى بذلك إثمـاً حتى يعتز به ، وإنما أصل التعبير « إن أخذتك العزة بالاسم » وهـذا هو المقصود بطبيعة السياق .

عباس خضر



أبو الهـــول يطير

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

عندما قرأت هذا العنوان فى إعلانات الصحف قلت لعل الأستاذ تيمور يعنى بأبى الهول نفسه ، فهو رمز المصرى كما هو رمز الصمت . وفى التسمية دلالة لا بأس بها ، فنحن نستعير كثيراً من الأشياء المصرية كالنيل والأهرام وما إلى ذلك دلالة على القومية المصرية . حتى إذا شرعت فى قراءة الكتاب اتضح لى أنى كنت واهما فيما ذهبت إليه ، لأن المؤلف لا يقصد نفسه بهذه الاستعارة ، وإنما يقصد الطائرة التى أقلته من مصر إلى أمريكا ، أو إلى الولايات المتحدة على وجه التحديد ، بلاد الحضارة والمدنية الحديثة ، أو الدنيا الجديدة كما يقولون .

ولا ريب فى أن أمريكا تستحق من الشرق أن يتعرف إليها ، بعد أن أصبحت محط أنظار العالم ، وبعد أن انتقلت إليها الحضارة العلمية الحديثة ، فانتهت إلى كشف القنبلة الذرية ، فسبقت بذلك سائر الدول التى كانت تحمل لواء العلم والمدنية .

كنا إذن فى حاجة إلى معرفة هذه الدولة العظيمة الناشئة ، وما فيها من نظم اجتماعية ، وأحوال عمرانية ، وتقاليد يصطبغ بها أهلها ، وعادات تشيع فى سكانها .

وهذا ما فعله الأستاذ محمود تيمور بك فى كتابه « أبو الهول يطير » . صور فيه رحلته إلى تلك البلاد ، وسجل ما شاهده فى السماء والأرض ، والفندق والشارع ، والمطعم والملهى ، وفى كل مكان ، وفى كل ركن من الأركان ، فكان الناقل الأمين الذى شاهد بعين المصرى الشرقى تلك البلاد الجديدة الغريبة .

فهى إذن رحلة « أمريكانية » كان من الخير أن يصورها لنا المؤلف فى هذا الأسلوب الطائر ، حتى نلائم ما عرفناه عن أمريكا التى تحسب حساب السرعة والزمن فى كل عمل . فإذا كان ابن بطوطة أو ابن جبير يقطع الواحد منهما الرحلة فى أعوام ، فلا عجب أن نجد محمود تيمور يقطعها فى شهور . وأن يصل من القاهرة إلى نيويورك فى ساعات .

نقول إن عين الشرق هى التى سجلت ما فى هذا الكتاب من كتب وأطياف وظلال . والشرق مؤمن بطبعه ، وكان الشرق مهبط الأديان منذ قديم الزمان . انظر معى إلى ما يقوله تيمور فى صفحة ٨٠ « ما زال حديث السماء على تطاول الزمن ، وتراوف الحقب ، وتطور العقول ، هو صاحب السلطان الأول على المشاعر والنفوس ... لطالما سمعنا فلاسفة الفكر ينادون بأن العقيدة الدينية على وشك الانهيار ، ولكننا لا نلبث أن تواجهنا حقائق تسخر من هذا الزعم الموهوم ... إن العقيدة ، مثلها كمثل كرة المطاط ، إذا قذفت بها ورأيتها جادة فى هويها إلى الأرض لم تحسب لها من رجوع . ولكنك لا تعتم أن تراها قد وثبت إليك فى عنفوانها أقوى مما كانت من قبل ... » .

فأنت ترى أن الرحلة لا تصف المشاهد الحسية فحسب ، بل تذهب إلى أعماق الحقائق الروحية ، فيحدثنا صاحبها عن الفلسفة والعقيدة والإيمان بالله ، والدفاع عن الأديان .

على أننا ننكر على الأستاذ تيمور قوله : إن فلاسفة الفكر ينادون بالإلحاد ، فهى تهمة لصقت بالفلاسفة وهم منها براء . وقد قيل مثل ذلك عن ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ووقع فى محنة شديدة كادت أن تودى به . على أنا نرى أن الفلاسفة كانوا دعائم العقائد يقومونها بسند الفكر والبرهان ، كما فعل ديكارت فى براهينه الرياضية فى إثبات وجود الله .

وقد نقلت العبارة السابقة من الكتاب لغرض آخر غير هذا النقد الذى وجهته ، ذلك أنى أحببت أن أعرض على القارئ لوناً من أسلوب الكاتب فى كتابته .

ولقد صحبت تيمور فى قصصه منذ زمن بعيد ، فقرأت له تلك « الأقصوصات » ، ويعنون بذلك القصة الصغيرة ، مثل « مكتوب على الجبين وقصص أخرى » و « أبو على وقصص أخرى » .

فكنت أعجب به قاصاً ، كما أعجبت به كاتب رحلة . والميزان ومبعث الإعجاب عندى هو تلك اللذة التى تشعر بها عند قراءة هذه القصص ، فلا تكاد تبدأ فى قراءتها حتى تنتهى إلى نهايتها ، دون شعور بملل أو سأم ، بل يدفعنا فيها دافع قوى من الشغف والتلهف على تتمة القصة .

وقد يختلف النقاد فى الحكم على أدب تيمور وقصصه ، ولا أعد هذا الخلاف مطعناً عليه ، فكل أديب مشهور لا بد أن يكون موضع الخلاف بين النقاد ، وكذلك كان شوقى فى شعره ، رفعه بعض الحكام إلى مرتبة الإمارة فى الشعر ، وقال البعض الآخر إنه ناظم لا روح فيه .

يقول النقاد الذين لا يعجبهم أدب تيمور إنه شعبى ينزل إلى مستوى الجمهور لا فى عباراته وأساليبه فحسب ، بل فى ألفاظه .

ونحن نرى أن هذه السهولة السهلة هى التى يتميز بها قلم تيمور ، والتى تجعل له طابعاً خاصاً يميزه عن غيره ،

ولم تمنع السهولة أن يكون صاحبها أديباً ، بل نحن فى حاجة إلى هذا اللون الذى يبعد بنا عن الأدب التقليدى ، وعن ترسل الجاحظ ، وسجع ابن العميد ؛ ذلك لأننا فى عصر يجمل جمال الموضوع فى صدقه وقوة تعبيره ، ولا حاجة بنا إلى التزويق والتأنق والتكلف مما يصرف الكاتب والقارئ مما عن لذة الفكر الخالص .

وهذا الأستاذ أحمد أمين لا يتكلف بل يكتب كأنه يتحدث فيعرض ألوان الفكر الإسلامى منذ فجر الإسلام وضحاه ، فأفاد واستفاد منه الناس فى غير عناء . وهذا المازنى لا يغرب ولا يتأنق بل تحس كأنه يخاطب العامة ، ومع ذلك فهو أديب لم يطعن فى أدبه طاعن ، ولم يقل قائل إن أسلوبه غير بليغ . أليست البلاغة كما قال ابن المقفع « هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها فإذا حاول عجز » ...

محمود تيمور إذن من هذا الطراز الذى يجرى قلمه بما يجيش فى صدره ، وما تختلج به نفسه ، وما تراه عينه ، فتقرأ له كأنك تستمع إليه .

وأكبر الظن أنه يصطنع بعض الألفاظ العامية المستملحة التى لا نجد لها نظيراً فى الفصحى ، لأنه يريد ذلك ، أو يريد أن يدخل هذه الألفاظ فى قاموس اللغة العربية حتى تندرج فيها . وهذا مذهب لا بأس به .

وهو كذلك يستعمل بعض الألفاظ الجديدة التى استحدثت ، ولعله بتسجيلها يدفع إليها مع الزمن الحياة . أنظر إليه وقد نزل فى باريس وذهب إلى مقهى « كافيه دلابيه » المشهور إذ يقول « لنتناول قدحاً من تلك القهوة الممزوجة باللبن ، مفخرة هذا المشرب البعيد الصيت ... ولنحظ بجلسة نستعيد فيها ذكريات الماضى الحبب ، وننقل النظر فى الغادين والرائحين من أهل باريس ، نتملى بما يبدونه من أناقة ورشاقة وظرف ، وهم يتزاحمون على طوار الطريق ... »

وفى هذه العبارة التى ننقلها لفظتان جديدتان ، المشرب وهو يعنى المقهى ، والطوار أى الترتوار .

وعلى هذا النسق تجد عشرات وعشرات من الألفاظ يجريها فى أثناء التعبير ، فلا تحس فيها غضاضة أو تكلفا . وهذا فضل لا ينكر فى تذليل اللغة العربية لألفاظ الحضارة الحديثة .

وبعد ، فإنى أحب للقارئ أن يمتطى متن هذا الكتاب ، ليطير به فى جواء الفكر ، وينقله إلى الدنيا الجديدة ليسعد فيها بعض لحظات .

أحمد فؤاد الأهوانى

(الرسالة) : آفة النقد عندنا الترديد والتقليد . فالدكتور الأهوانى يردد نغمة قديمة لم يبق لها فى الآذان رجع . كان النقاد يأخذون على أسلوب الأستاذ تيمور فى نتاجه الأول أنه أقرب إلى العامية فى ألفاظه وتراكيبه ، فانتقش هذا الرأي فى أذهان الناس ، وصرفهم الكسل العقلى عن استئناف النظر فيه بالموازنة والنقد ، فلم يلاحظوا تطور أسلوب الكاتب على إدمان الجهد وكر السنين ، من الابتذال إلى السمو ، ومن السهولة إلى الجزالة ، فيما كتب بعد ذلك من مقالات وقصص . ومن أثر هذا الجمود العقلى أن الناس قد اعتقدوا فى كل كاتب من كتابنا ، وزعيم من زعمائنا ، رأياً لا يتحولون عنه ولا يغيرون منه . فلو كان عندنا نقد يجارى التطور ، ولنا رأى يساير النهوض ، لحكمنا على الكاتب بآخر ما يقول ، وعلى الزعيم بآخر ما يعمل . ويظهر أن الأستاذ الناقد يخلط بين السهولة والابتذال ؛ فإن السهولة من الصفات الجوهرية للبلاغة ، ولا يعيبها على الكاتب إلا مجذوب من مجاذيب الصوفية ، أو مجنون من مجانين الرمزية .



المنبوذة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

عند ما دخلت استراحة المسافرين بمحطة لوبان ؛ صوبت أولى نظراتي إلى الساعة ، فوجدت أنه لا يزال أمامي متسع من الوقت حتى يصل قطار باريس السريع . وشعرت فجأة بالإجهاد كأني قطعت عشرة فراسخ سيراً على الأقدام . فنظرت حولي لعلي أرى على الجدران ما أقتل به الوقت فلم أجد شيئاً . فخرجت ووقفت أمام مدخل المحطة ، وأنا أقلب الفكر فيما يرفه عن نفسي إلى أن يصل القطار .

كان الطريق أمامي قد نمت على جانبيه أشجار الفتنة بين صفين من مختلف المنازل الصغيرة ، وقد ارتفع الطريق صعداً ؛ فبدت نهايته كأنها حديقة بعيدة .

وكان مقفراً إلا من هرة تتسكع في الطريق في خفة ، وكلب يسرع في مشيته يشتم قوائم الأشجار باحثاً عن فضلات الطعام ...

واجتاحتني موجة حزينة من الشعور بالخيبة . ما العمل ... ؟ ما العمل ؟ وجدت أنه لا مفر لي من الانتظار الممل بمقهى المحطة الصغير . وتصورت نفسي جالساً وأمامي قدح من الخمر لم تمسه شفتاي ، وجريدة محلية عافت نفسي قراءتها ، عند ما بدت أمامي جنازة قادمة من شارع جانبي لتخترق ذلك الطريق أمامي .

شعرت عندئذ أن منظر مركبة الموتى قد فرج عن نفسي . لقد ربحت على الأقل عشر دقائق من فراغي الطويل .

وتضاعف فجأة انتباهي عند ما شاهدت الميت لا يشيعه سوى ثمانية رجال كان أحدهم يبكي في حرارة والآخرون يثرثرون ويتحدثون أثناء سيرهم . ولم يشترك في الجنازة أي قس . ففكرت وأنا أخاطب نفسي « هاهوذا دفن مدني » ولكن سنح لي خاطر : مابال المئات من ذوي الأفكار الحرة الذين يعيشون في البلدة لا يشتركون في إبداء شعورهم في مثل هذه المناسبة ؟ إن سير هذه القافلة السريع قد دل على أنهم سيدفنون الفقيد دون احتفال ديني .

ودفع بي فضولي إلى افتراض فرض معقد بعيد . ولكن ؛ بينما كانت المركبة تمر أمامي ، إذ بفكرة تنبمث في خاطري هي أن أشيع المركبة مع هؤلاء المشيعين وبذلك أشغل من وقتي الضائع ساعة على الأقل ؛ فسرت وأنا أتظاهر بالحزن خلف الآخرين .

والتفت آخر اثنين منهم إلي في دهشة ، ثم تحدثا في صوت خافت . فاعتقدت أنهما يتساءلان عن سبب وجودي وأنا الغريب عن هذه البلدة . ثم استثارا الاثنين اللذين أمامهما ؛ فالتفتا ناحيتي يتطلعان إلي في فضول . فضايقني ذلك الأمر ، وعزمت على أن أضع حداً له ؛ فاقتربت منهم ، وقلت بعد أن بادلتهم التحية : « أرجو المعذرة أيها السادة إذا كنت قد قطعت عليكم حديثاً ، ولكني عند ما شاهدت الجنازة دفعت نفسي إلى اللحاق بها دون سابق معرفة بالفقيد الذي تشيعونه » .

فرد أحدهم قائلا « إنها فقيدة » .

فدهشت ، وسألت : « إذن هي جنازة مدنية ، أليس كذلك ؟ » .

فأجاب آخر يشرح لي قليلا : « نعم ، ولا . إن القس رفض أن ندخل بها الكنيسة » .

فبدرت مني آهة من الدهشة لأني لم أفهم ما يعني .

فصرح قائلا في صوت خافت : « إنها قصة محزنة . إن هذه الشابة قد انتحرت . وهذا هو السبب في عجزنا عن إجراء الطقوس الدينية قبل دفنها . إن من تراه يبكي هنا هو زوجها » .

فقلت بعد تردد « إنك لتدهشني وتثير فضولي . هل أنتهك سراً إذا ما رجوت أن تقص على هذه القصة ؟ إذا كنت تشعر بأن ذلك فضولا مني فاعتبر كلامي كأن لم يكن » .

فأخذ الرجل بذراعي دون كلفة وقال : « كلا .. ليس ما يمنع أن أسرد عليك وقائعها . فلنبطئ في السير قليلا حتى نكون آخر

المشيمين ، ولدينا من الوقت ما يكفى للسرد قبل أن نصل إلى المقبرة عند الأشجار التى تشاهدها هناك »

ثم طفق يحدثنى قائلا « تصور أن هذه المرأة الشابة السيدة بول هامون كانت ابنة أحد التجار الأثرياء السيد فونتانل . وكان قد حدث لهـا حادث رهيب وهى فى سن الحادية عشرة . لقد اعتدى عليها خادم ، وكادت تموت خزيا وعارا من ذلك الحادث الأليم . وأظهرت المحاكمة الرهيبة أن تلك المسكينة كانت ضحية ذلك الوحش مدة ثلاثة أشهر . فحـكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ونمت الفتاة الصغيرة وقد تلطخت بالعار ، منبوذة ، وحيدة ، بلارفيقات ولاعطف وأصبحت أمام الأهلين كأنها مسخ أوأعجوبة من الأعاجيب . كانوا يتحدثون عنها فى همس ، ويتكلمون عن « الصغيرة فونتانل » فى غمز ، ويديرون ظهورهم عند رؤيتهم لها فى الطريق . حتى المربيات ، كان أ كثرهن يأبين الالتحاق بخدمتها . وكانت العـائلات تبتعد عنها كأنها وباء تخشى أن تنشره الفتاة فيسرى إلى من بالقرب منها .

أى شفقة تعتريك لو كنت قد شاهدت هذه الطفلة المسكينة وهى تراقب الأولاد يمرحون ويلعبون فى السـاحة بعد ظهر كل يوم . كانت تجلس وحيدة أو تقف بجانب خادمتها تشاهد حزينة ما يحدث دون أن تشترك مع الأولاد فى لهوهم . وعندما كانت تفتنها نزوة من الأغراء لاتقاوم ، كانت تتقدم فى خجل وخوف وتدخل فى زمرتهم فى خطوات مترددة ، وكأنها شاعرة بعارها . وسرعان ما ينهض الأمهـات والعمات والمربيات من مقاعدهن ويأخذن بأيدى الأولاد ويجذبنهم بشدة بعيدا عنها ، وتبقى الصغيرة فونتانل وحيدة ، والهـة القلب ، مذهولة ، ثم تنفجر باكية وقد امتلأ قلبها شجنا ، وأخيراً تسرع إلى خادمتها تخفى وجهها المخضل بالدمع فى مئزرها .

وكبرت الفتاة وازدادت حالتها سوءا . وكان الناس يحولون بينها وبين مثيلاتها من الفتيات كما لو كانت مصابة بالطاعون . ولم يكن لدى الفتاة شىء تتعلمه ، لاشىء البتة . لقد قطفت الثمرة المحرمة قبل أوانها وامتلأ جسمها بالأنوثة قبل أن يحين ذلك الوقت الذى تحاول فيه كل فتاة أن تقرأ المستقبل المجهول فى وجه الرجل ليلة الزفاف .

كانت كلما عبرت الطريق بصحبة مربيتها ، ينظر إليها الناس وهم فى خشية منها ، فتغض الطرف شـاعرة بالعار الذى يثقل كاهلها . وكانت الفتيات الساذجات الغريرات يتغامزن عند رؤيتها فى خفية ، ويحولن أنظارهن عنها كلما التقت أعينهن بعينيها .

وكانوا قليلا مايحيونها ، ويتظاهرون بعدم رؤيتهم لها . حتى الصبية كانوا ينادونها « مدام باتست » اسم ذلك الخادم الذى اعتدى على عفافها .

كانوا لا يعرفون مقدار العذاب الذى تعانيه هذه الفتاة . فقد كانت قليلة الـكلام لاتبتسم مطلقاً . حتى أهلها ، كانوا يضيقون بها كأنهم يحقدون عليها من جراء تلك الهفوه الشنعاء . إن الرجل الفاضل لا يمد يده بمحض ارادته إلى المجرم الذى أُفرج عنه ، ولو كان ابنه ، أليس كذلك ؟ وعامل السيد والسيدة فونتانل ابنتهما كأنها من طريدات السجون .

كانت جميلة ، شاحبة اللون ، ذات قامة هيفاء ، وسمت وقور . ولو لم يكن ذلك الحادث لـكنت من المعجبين بها .

ولما قدم الحاكم إلى البلدة بعدغياب ثمانية عشرشهراً استحضر معه سكرتيراً خاصاً ، وهو شاب غريب الأطوار كان يعيش فى الحى اللاتينى بباريس . فرأى الآنسة فونتانل وأحبها . وقصوا عليه قصتها فلم يأبه بها ؛ بل قال إن ذلك يضمن مستقبلها .

وغازلها ثم طلب يدها وتزوجها . وكان لا يخجل من التزاور معها ؛ فكان البعض يرد الزيارة ، والبعض يحجم عنها .

وسار الحادث مع الزمن فى طريق النسيان ، وأخذت السيدة مقامها فى المجتمع . وكانت تعبد زوجها كما لو كان إلهاً . ألم يرد إليها شرفها ؟ ألم يقاوم المجتمع ويكافح الناس من أجلها ، ويواجه الإهانات بسببها ؟ لقد كان يقوم بدوره فى شجاعة قل أن تجدها فى الرجال .

وحملت فتفتحت أمامها الأبواب كأنما تطهرت تماماً بالأمومة . إن ذلك لشىء مضحك . ولـكنها الحياة !

وسار كل شىء فى طريقه للعادى ، حتى حانت حفلة البلدة

السنوية ، وأقبل الحاكم يحيط به سكرتيره وحواشيه وأصحاب الجاه لتوزيع الجوائز على المتسابقين ، وأنت تعرف بالطبع مايحدث من خلاف ومنافسة وغيرة بين الناس فى مثل هـذه الحفلات ، وما أ كثر أن يفقد البعض رشدهم . كان كل سيدات البلدة قد حضرن لمشاهدة هذه الحفلة . وتقدم رئيس فرقة الموسيقى لبلدة دى مورميون ؛ فقلده بول هامون وساماً من الدرجة الثانية . فقذف رئيس الفرقة بالوسام فى وجه السكرتير صائحاً « احتفظ به لباتست — فأنت مدين له ولى بوسامين من الدرجة الأولى » .

كان هناك حشد كبير من الناس فسرعان ماضجوا بالضحك كان جمهوراً خشناً غير مهـذب ، واتجهت كل الأنظار صوب السيدة المسكينة . أواه يا سيدى ، ألم تشاهد قط امرأة جنت ؟ لقد كنت بين الحاضرين فى تلك الحفلة ، وشاهدتها وهى تحاول النهوض فتسقط على مقعدها ثلاث مرات متتالية ، كأنها تريد الهرب فيقيدها عجزها عن اختراق هذه الجموع المتكاثرة المحيطة بها . وسمعت صوتاً من جهة ما يصيح : « أهلا .. أهلا .. بمدام باتست » فضج بعض النـاس بالضحك واشمأز البعض الآخر .

وهبت عاصفة من الضوضاء والمرج ، واهتزت الرؤوس وترددت الأصوات ، وتطلعت الأنظار تشاهد وجـه تلك التعسة ، وحمل الرجال زوجاتهم على أذرعتهم ليشـاهدنها ، وتساءل النـاس أيهن ؟ أهي تلك التى ترتدى ثوباً أزرق اللون ؟ وكان الأولاد يصيحون صياح الديكة ، وانفجر القوم يضحكون بضحكات عالية ، ولـكنها لم تتحرك من مكانها ، كانت جالسة فى ذهول على المقعد الوثير كأنها ساعة خصصت لهذه الحفلة تتطلع إليها الأنظار ، ولم تستطع حراكا ، ولم تتمكن من إخفاء وجهها . كانت جفونها تنطبق ثم تنفتح كأن هناك ضوءا باهراً يحرق عينيها . ولهثت كأنها جواد يصعد مرتفعا من الأرض . كان كل هذا يمزق قلبى تمزيقاً .

وأخذ السـيد هامون برقبة رئيس فرقة الموسـيقى ذلك الشخص الوقح وألقاه على الأرض وسط الضوضـاء الهائلة . وتوقف الاحتفال ، وبعد ساعة كان السيد هامون فى طريقه إلى الدار برفقة زوجه . كانت مرتجفة الجسد صامتة لم تفه بكلمة واحدة . وفجأة تسلقت حاجز الجسر دون أن يتمكن زوجها من منعها ، ثم ألقت بنفسها فى النهر .

واستغرق إخراجها ساعتين من ذلك الماء العميق . كانت بالطبع قد فارقت الحياة » .

* * *

صمت المتحدث لحظـة ثم عاد بعدها يقول « ربما كان من الأفضل لها أن تصل إلى هذه النهاية المؤلمة . فإن هناك أشـياء تحدث فلا يمكن محوها . وهأنذا عرفت الآن لماذا رفض القس أن يفتتح أبواب الـكنيسة لها . فإنه لو كان الدفن دينياً لشيع الجنازة كل أهل المدينة . ولـكن ذلك الانتحار وتلك القصـة الأليمة حملت العائلات على الاحجام عن تشييع الجنازة . ولذلك كان من الصعب أن يشيعها القس .

***

وعبرنا باب المقبرة ؛ وانتظرت فى تأثر بالغ نزول الناووس فى القبر لأقترب من ذلك الشـاب المسكين الذى كان يبكى وينتحب . وشـددت على يده ممزيا ، فنظر إلىّ فى دهشة من خلال دموعه ثم تمتم قائلاً : « شكراً يا سيدى ، شكراً » .

ولم آسف أبداً على اشتراكى فى تشييع هذه الجنازة .

الاسكندرية — محمد فهمى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٧٧٧ ب — الاثنين ٢٤ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

16 em Année No. 777

Lundi — 24 — 5 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٧٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ — ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مقاييس الأعمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعمال الناس لا تقاس بمقياس واحد .

لأنها قد تقاس بحسب النيات ، وقد تقاس بحسب الغايات ، وقد تقاس بحسب الأشخاص الذين يتولونها ، وقد تقاس بحسب المناسبات التى تقع فيها .

فتختلف المقاييس على حسب اختلاف هذه الأحوال .

مثال ذلك أنك تنهى الطفل الصغير عن طعام يثقل عليه وتستبيح أنت تناوله ، وتكون على صواب فى الحالتين .

وأنك قد تنهاه فى حالة المرض عن طعام تبيحه إياه فى حالة الصحة ، ولا تخطىء فى هذا الاختلاف .

وأنك قد تمنع أخاك الصغير عن معاشرة أناس ، ولا ترى أنت حرجاً فى معاشرتهم ، لأنك لا تخشى منهم على نفسك كما تخشى منهم عليه .

وقد يحدث العمل الواحد فيتلقاه رجل بالاستخفاف ويتلقاه غيره بالغضب ، ولا اختلاف فى الأمر غير اختلاف المزاج .

وقد يغتفر إنسان ما ليس يغتفره غيره ، لتفاوت بينهما فى وجهة النظر ، وإن كان كلاهما من أفاضل الناس .

هذه الملاحظة ، أو هذه الملاحظات ، تزيل كثيراً من اللبس فيما يعرض فى سيرة عمر بن الخطاب من الاختلاف بين حكمه على بعض الأعمال وحكم النبى عليه السلام على تلك الأعمال ، وكل ما يستفاد من ذلك أن أفق الأخلاق الإنسانية واسع فسيح ، وأنها تتسع لكثير من العوارض والأطوار ، ولا يستفاد من ذلك حتماً أن هناك تناقضاً فى الأعمال والأحكام .

وقد سألنى الطالب النجيب « حسين حسين الجزار » ، بمدرسة فاروق عن بعض هذه الأعمال التى اختلفت فيها وجهات النظر بين النبى والفاروق ، فرأيت من المفيد فى دراسة النفس الإنسانية ، وفى دراسة العظماء على الخصوص ، أن أبين الوجه الصحيح فى النظر إلى هذه الفروق ، بحيث يبدو من هذا النظر أن عمل النبى جائز من النبى ، وأن عمل الفاروق جائز من الفاروق ، ولا تناقض هناك ، ولا غرابة فى كلا الأمرين .

سألنى الطالب الأديب عن قصة الجارية التى كانت تضرب بالدف بين يدى النبى ، فما هو إلا أن دخل عمر حتى وجمت الجارية وأسرعت إلى الدف تخفيه . فقال النبى إن الشيطان — أو إن شيطانها — ليخاف منك يا عمر !

وموضع العجب عند الطالب النجيب أن تعمل الجارية فى حضرة النبى ما لا تعمله فى حضرة الفاروق .

ولا عجب هناك ؛ فإن كل ما هنالك من الفرق بين الأمرين أن الجارية أنست إلى سماحة النبى ، ولم تأنس إلى شدة عمر . ولا غرابة فى الشدة هنا أو السماحة هناك .

والكلام فى هذه القصة عن شيطان الأغانى والشعر

والأهازيج : أى عن شيطان الفنون على الإجمال ، وليس شيطان الفنون فى حكم الدين أو الأخلاق كشيطان المعاصى والشرور .

والمرجع – بعد – فى هذه القصة إلى الجارية ومن تأنس إليه . وقد تغنى جارية فى حضرة السلطان ، ولا تغنى فى حضرة رئيس الشرطة مثلا أو قائد الجيوش ، ولا يقال إن هذا أو ذاك أعظم عندها من السلطان . فإنما المسألة كلها فى هذه المواقف مسألة الأنس والارتياح . وليس لنا أن نسأل مغنياً أو فناناً ، لماذا يرتاح إلى هذا المقام ، ولا يرتاح إلى ذلك المقام .

ولم يكن عمر رضى الله عنه يحرم ما أحله النبى عليه السلام فى هذا الصدد . فقد قرأ الطالب الأديب ولا شك أن عمر سمع ضجة فى مكان فقيل له إنه عرس . فقال : هلا حركوا غرابيلهم : أى طبولهم . فلا تحريم فى الأمر ولا تحليل ، وإنما هو كما قدمنا مسألة ارتياح « شخصى » لا يحاسب عليه صاحبه بحساب الإلزام .

وسأل الطالب الأديب كذلك عن قصة الأسود بن شريع ، الذى كان ينشد النبى بعض الأماديح ، فاستنصته النبى مرتين إذ دخل عليهما عمر والشاعر لا يعرفه . فصاح : وا ثكلاه ! من هذا الذى أسكت له عند النبى ؟ فقال النبى : هذا عمر . هذا رجل لا يحب الباطل .

ويسأل الطالب : كيف يقبل النبى ما لا يقبله الفاروق ؟

وينبغى أن نعرف أولا ما هو معنى الباطل المقصود فى هذه القصة . فإن الباطل قد يكون بمعنى المزاح : يقال بطل فى حديثه بطالة أى هزل ومزح . وقد يكون بمعنى الشىء الذى لا غناء فيه ، أو الشىء الضائع ، أو الشىء الذى تقل جدواه ، وقد يكون مقابلا للحق مقابلة الشىء وما لا يشبهه ، لا بمقابلة النقيض للنقيض .

وموضع السؤال الحق هنا : أى الرجلين كان أولى بحفاوة النبى عليه السلام ؟ الأسود بن شريع أو عمر بن الخطاب ؟

ولا خلاف فى الجواب .

أما أن النبى يتسع صدره لكلام لا يتسع له صدر عمر ، فليس من اللازم أن يمنع النبى كل ما يمنعه أصحابه ، ولو كانوا على صواب . ونحن نرى مصداق ذلك فى كل شريعة وكل نظام وفى كل زمان . فإن القضاء قد يدين مجرماً بحكم القانون ، ثم يعفو عنه الملك لسبب يراه ، ولا يقال إن فى الأمر مخالفة للعدل أو للشريعة ، وإنما هو اختلاف للتقدير الذى قضى بالعفو ، والتقدير الذى قضى بالعقاب .

واختلاف التقديرين بين النبى العظيم وصاحبه العظيم ، كما قلنا فى عبقرية عمر « هو الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم . فالنبى لا يكون رجلا عظيما وكفى ، بل لابد أن يكون إنساناً عظيماً ، فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء ، وتهيؤه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم ، فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها ، وإن لم يكن معرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه ، وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة » .

والمعنى البسيط الذى يفهم من هذا الفارق ، ومن جميع الفوارق ، أن النبى ليس هو عمر ، وأن عمر ليس هو النبى ، وأنهما لا يلزم أن يكونا على نمط فى الفهم والشعور ، وإن كان لكل منهما نصيب من العظمة ومكارم الأخلاق .

***

وسؤال آخر فى علم النفس يسأل عنه الطالب الأديب فيقول : « إن العالم الإيطالى يقرر أن من صفات العبقرية الطول البائن ، أو القصر البين » ثم يسألنى : « لماذا لا يجد الأستاذ من هذا القول ! أليس الطول البائن زيادة عن الحد المطلوب ، أو عن تناسب القوام ؟ » .

ومن الواجب أن نذكر أننا لا نتكلم هنا فى فروض وتقديرات ، ولكننا نتكلم فى واقع لا شك فيه ، وهو أن عمر كان طويلا مفرطاً فى الطول ، وكان كما وصفوه يمشى كأنه راكب ، وكان مع هذا عبقرياً بشهادة النبى وشهادة الصحابة وشهادة الأعمال .

فلا حيلة لنا فى هذه الصفة ، ولا نخرج منها بالفروض والتقديرات .. كان طويلا وكان عبقرياً . فلماذا نقول إن لمبروزو قد أخطأ فى تصويره للازمات العبقرية ، وهو قد أصاب ؟

وبعد فالكلام عن العبقرية غير الكلام عن التناسب . لأن

للتحقيق والتاريخ :

واحــة جغبوب

فى مذكرات دولة إسماعيل صدقى باشا

للأستاذ أحمد رمزى بك

١ — تلقى العالم العربى بترحاب مذكرات دولة صدقى باشا لأنها كشفت بعض ما خفى من أسرار السياسة ، وأصبحت تتم حلقات الوثائق التاريخية . وقد انتظر الكثيرون أن يكون لها نفس الروعة والأثر اللذين تتركهما فى نفس القارئ مذكرات تشرشل وغيره من جبابرة السياسة فى القرن العشرين .

٢ — والمطلع عليها فى مجلة المصور يشهد بأن دولته قد بذل جهداً فى تحريرها وجمع موادها بعد مضى فترة طويلة على الحوادث ، بدليل أنه لم ينقل إلينا شيئاً واقعياً حياً أو صورة حية لما سجله قلمه وقتئذ ، ولكنه تناول بإسهاب بعض المسائل العامة ، ومر مروراً على حوادث أخرى . وإنى ألتمس له العذر فى ذلك لأن صفحات المجلة لا تتسع لأكثر من ذلك .

٣ — ومن قبيل ما تناوله دولته باختصار مسألة واحة جغبوب وخليج السلوم : فقد رسمها بقلمه ليقنع القارئ بأن السياسة الحزبية صورت الاتفاق بصورة سوداء ، مع أنه وفق فى حل هذه المسألة توفيقاً انتهى به إلى نتائج معلومة سبق أن وضعتها السياسة المصرية أمام أعينها ، وأنه بهذا الاتفاق حقق لمصر أهدافاً معينة هى من عمله وحده .

٤ — والذى نعلمه هو أن الحدود العثمانية القديمة كانت تجعل السلوم داخل الأراضى الطرابلسية ، وأن احتلال السلوم حدث مرتين : الأولى فى سنة ١٩١١ بواسطة الجنود المصريين عقب إعلان الحرب بين تركيا وإيطاليا مباشرة ، والأخرى فى الحرب العالمية الثانية عقب انسحاب القوات السنوسية منها ، وبقيت بيد القوات المصرية منذ ذلك التاريخ إلى أن عقد الاتفاق المشار إليه بين مصر وإيطاليا .

٥ — جاء الاحتلال الأول بناء على أوامر كتشنر تنفيذاً للاتفاقات السرية التى عقدتها الحكومة البريطانية مع إيطاليا التى تنص على إدخال جزء من الأراضى العثمانية فى الأراضى المصرية مقابل الحصول على صمت الحكومة البريطانية ، وحياد مصر إزاء اعتداء إيطاليا على أملاك الدولة العثمانية في طرابلس .

٦ — وهذه الاتفاقات من قبيل اتفاق سنة ١٩٠٦ الخاص

العبقرية تفوق خارق للعادة ، والتناسب محافظة على نسب الأشياء التى جرت بها العادة ، فلا يمكن أن يكون الشىء خارقاً للعادة ، ومتناسباً على حسب العرف المألوف فى سائر المناسبات .

إن خرق العادة يستلزم بنفسه مخالفة العادات ، ولهذا كان لزاماً أن ترى فى جملة العباقرة صفات يخالفون بها سواد الناس ، وقد تكون هذه المخالفة شذوذاً فى حالات ، ورجحاناً فى حالات أخرى . بل قد يكون الرجحان كما يقولون « على حساب » صفات أخرى ينقص فيها العبقرى عن سواد الناس ، لأنه زائد عليهم فى ملكات العبقرية والنبوغ .

فلم يخطئ لمبروزو حين سجل هذه الملاحظات ، وهو لم يسجلها ظناً منه وتخميناً لا يستند إلى دليل ، بل سجلها وهو يحصيها بالصفات المعروفة عن كثير من عباقرة العلم والفنون والسياسة والحروب ، فإذا بفريق منهم بالغ فى الطول ، وفريق بالغ فى القصر ، وإذا بأناس منهم تبرز فضائلهم كما تبرز نقائصهم على طرفين متقابلين . وقد رأينا فى التاريخ الحديث دهاة سياسيين تجاوزوا الطول المألوف من أمثال ريشليو وبسمارك وبيكنسفيلد وتاليران ، ورأينا فيه عباقرة دهاة أقصر من القوام المعتدل بين الناس ، كنابليون وعبد الحميد وموسوليني ، فلم يكن فى هذه المشاهدات تفنيد لرأى العالم الإيطالى ، بل كان فيه تعزيز وتأييد

ومن مزايا الدراسات النفسية ولا ريب أنها تربنا الصفة وما يقابلها فى معارج العظمة والعبقرية . فلا نقول إننا نتناقض ونتعارض ، بل نقول إن العظمة الإنسانية أفق رحيب يتسع لشتى الأطوار وشتى الصفات .

عباس محمود العقاد

بتعيين حدود مصر الشرقية فى سينا : غير أن الأولى سرية مكتومة والثانى اتفاق عام بين مصر المحتلة والدولة التى كانت يوماً ما صاحبة السيادة صورق عليه ونشر على العالم .

ولكل منهما هدف واحد : هو ضمان الدفاع عن الأراضى المصرية فى حالة حرب سواء كان الهجوم من جهة الشرق أو الغرب .

٧ — ويعجب القارىء أن هذا الهدف كان من ضمن ما أوصت به قرارات لجنة الدفاع الدائمة للامبراطورية فى وزارة الحربية البريطانية منذ عام ١٩٠٦ ، وبعد حرب البوير ١٩٠١ وانتهائها مباشرة .

٨ — ففى سنة ١٩١٥ انتهت حملة الدردنيل بالفشل ، واضطرت الحكومة البريطانية إلى إيجاد لجنة تحقيق لمعرفة نتائج أسباب هذا الفشل : واستعرضت اللجنة قرارات وخطط الدفاع البريطانية ، فظهر أن تفاصيل حملة مهاجمة المضايق وضعتها وزارة الحربية البريطانية مع اشتراك الأميرالية فى عام ١٩٠٦ ، وأن مشاكل الدفاع عن الأراضى المصرية درست من ذلك العهد ، وأن توصيات لجنة الدفاع نفذت باتفاق ١٩٠٦ لأبعاد الحدود العثمانية عن منطقة القنال ، وكان من ضمن أبحاثها دراسة الحدود الغربية والحصول على خليج السلوم بناء على إلحاح الأميرالية .

٩ — والدليل على ذلك اتفاق ملنر — شالوبا بين بريطانيا وإيطاليا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وهو يؤكد ما ورد بالاتفاقات السرية الخاصة بتوزيع أسلاب الدولة العثمانية بعد الحرب ، وفيه تعترف بريطانيا بسيادة إيطاليا على جغبوب ، وتعترف إيطاليا بضم السلوم وما يتبعها إلى مصر .

١٠ — إذن فالمفاوضات التى أشار إليها دولته ، وهدد بقطعها وسافر من أجلها ، كانت تتناول مسائل شكلية للحدود الجديدة بوضع علامات عليها وتعديلها لإدخال بعض الآثار ، ولا تتناول لب الموضوع بل تفرحالة سابقة مهدت لها الدبلوماسية الأوروبية كل المراحل بين دولتين عظيمتين محددان مناطق نفوذهما وقواعد الحوار بينهما ، ولم ينقصها سوى إقرار الحكومة المصرية لتسجيل حالة قائمة من المبدأ .

١١ — والمستندات والوثائق وأقوال الرجال الذين اشتركوا فى هذه المفاوضات كلها تدل على أن الجانب المصرى ، أخذ الناحية الظهرية لأسباب عدة يرجع معظمها إلى المتاعب الداخلية التى تلقاها الحكومة من المعارضة . وقد سمعنا هذا من رجال إيطاليين تولوا مناصب هامة ، واشتركوا فى هذه المفاوضات من المبدأ ؛ فقد صرحوا بأن اللجنة المصرية الإيطالية نفذت بالضبط ما كان قد اتفق عليه بين إيطاليا وبريطانيا ، وكان موقف الجانب المصرى ، مظهرياً أكثر منه جدياً : ومنهم السنيور كوخ ، وزير إيطاليا المفوض والذى كان يشغل وظيفة مستشار بسفارة أنقرة ، وكان من ضمن من اشتركوا فى هذه المباحثات .

١٢ — وعلى كل حال فان موقف دولته إزاء إيطاليا كان مشرباً بروح المودة بدليل زيارته لموسولينى ، وهى زيارة لم تكن قاصرة على مسألة السلوم وجغبوب ، وإنما كانت لتقدم الشكر على تمهل الدكتاتور سنوات فى عدم احتلال واحة جغبوب ، حتى يتم الاتفاق مع الحكومة المصرية عليه : وقد جاء هذا بالنص فى كتاب « تقويم القوات الإيطالية المسلحة » طبعة ١٩٢٧ (صفحة ١٠١١) : إن الحكومة الإيطالية لم تشأ أن تحتل الواحة عسكرياً قبل أن تحصل على اعتراف الحكومة المصرية لها بهذا الحق » . هذا طبعاً حفظاً لتقاليد الوداد التى لا تريد أن تمسها : ولا نستبعد أن يكون الثمن الذى طلبه الدكتاتور بصبره الطويل ، هو إتمام هذه الزيارة ، وكان يهمه موافقة بريطانيا عليها .

١٣ — ذلك لأنه كان فى وسعها احتلال جغبوب بعد اتفاق « ملنر شالوبا » مباشرة ، ولكنه انتظر حتى تم امضاء الاتفاق المصرى ، فاحتلت جغبوب يوم ٧ فبراير سنة ١٩٢٦ بقوتين مسلحتين قامتا فى وقت واحد ، إحداهما من طبرق ، والأخرى من البردية ، وتلاقتا فى الواحة ، لإسدال الستار على مأساة بدأت فى عام ١٩٠٢ حينما دخلت إيطاليا فى مفاوضات مع دول الاتفاق الثنائى فرنسا وروسيا . والذى أصبح ثلاثيا بانضمام بريطانيا إليه نهائياً ، ولا تخلو فترة ولا مرحلة فيه من دون تفاهم واتفاق على احتلال أماكن استراتيجية ، أو الاعتداء على حق من حقوق الأمم المظلومة : ثمناً لخروج إيطاليا من تحالف ، ودخولها فى تحالف مضاد للدول

أحمد رمزى

الانســـانية الصادقة

روح القصة الفنية

للأستاذ محمود تيمور بك

الإنسانية فى القصة لا تكبر أو تصغر بما تحفل به من نوع الشخصيات وطراز الحوادث ، وإنما تقوى الإنسانية فى القصة بمقدار نصيبها من الصدق فى تقمص المشاهد والمرئيات ، سواء أكانت حيواناً أم جماداً أم من النبات ، وسواء أكانت من سنة الطبيعة أم من الخوارق والمعجزات والأساطير .

فما دام الكاتب يتقمص الموضوع ، ويسبغ عليه ذاتيته ، فإن الشخصية القصصية تبدو على وضعها الحق ، وتنطق بما هو مقدر عليها أن تقوله ، وتجرى الحوادث فى مجراها الذى لا حِوَلَ عنه ، وتتوائق المشاهد فى ألفة وانسجام ، فتخرج القصة وحدة متناسقة لا يحس القارئ فيها من نفرة ولا شذوذ ، على الرغم مما قد تحتويه من تهاويل وتعاجيب .

لا يوهن من إنسانية القصة إلا ضعف التقمص ، وانغلاق الإحساس الذى ينحدر بالكاتب إلى مزالق الكذب والتزوير ، ستراً للضعف ، وتعويضاً من ذلك الانغلاق .

فأما الخوارق أو الأساطير أو ضروب الجماد والنبات وما إليها ، فتلك لا تحول بين القصة واتصالها بالإنسانية ، إذا عرف الكاتب القصصى كيف تمتزج روحه بالطبيعة والوجود ويحيا الكون فيه كما يحيا هو فى الكون ، فيستطيع أن يحيى تلك الموضوعات فى نفسه ، ويهبها من ذاته ، ويكون كأنما قد عاش عيشتها ، وكتبت عليه حياتها ...

ليس روح الفن الإنسانى إلا أن يمتزج الفنان بما يحيط به من موجودات ، يبادلها الحياة والشعور وكأن بينه وبينها « وحدة وجود » ...

وعلى أساس هذه الحقيقة بقيت القصة الإغريقية خالدة الأثر وأقيمت بها دعامة القصة العالمية ، مع أن قصص الإغريق مناطها الأساطير والخوارق ، ولكنها أساطير تهتز فيها خفقات الحياة ، وخوارق تتمثل فيها نزعات النفس . ولذلك ظلت تستجيب لها الأزمنة والعصور على تعاقبها ، لما يسرى فيها من روح إنسانية صادقة .

ويارب تمثال لفنان صادق التعبير قوى الأداء ، تقف أمام حجره فلا تكاد تتوهم سماته الناطقة ، حتى تحس أواصر الإنسانية تؤلف بينك وبينه . ويا رب شخصية قصصية رسمتها أنامل كاتب فنان ، لا يكاد يطالعها القارئ حتى يحس لها وجوداً فى المجتمع وأصالة فى الحياة ، فيعيش معها كأنها حى متميز من بين الأحياء الذين تربطه بهم مختلف الصلات .

فلا غرو أن نرى أبطالا من خلق الفنانين تتوهج ذكراهم ، وتتمثل حياتهم ، فيزاحمون بشخصياتهم الممتازة أولئك الأبطال الآدميين الذين يعمر بهم تاريخ العصور .

وعنصر الصدق فى التعبير الإنسانى ، قد يبلغ من قوته فى الأعمال الفنية أن يكتب الخلود لمحاولات بدائية يعوزها الكثير من عناصر الفن الأخرى .

فما لا ريب فيه أننا نهتز لمشاهدة قطعة من الفن البدائى ، تمثالاً كانت أو صورة أو قصة ، إذا توسمنا فيها لوامع إنسانية تثير فينا شعور الصلة بيننا وبينها . ولعل هذا سر بقاء القصص الشعبى على تعاقب الحقب مثاراً لشعورنا ، ومهزة لإعجابنا ، مع افتقار هذا اللون من القصص إلى كثير من عناصر القصص الفنى القمينة بأن تخلده على وجه الزمان .

ولا يتوافر الصدق فى التعبير الفنى إلا لمن أوتى قدرة على التقمص الحق ، أو الاستيحاء والاستلهام لما يريد التعبير عنه من موجودات الكون وموضوعات المجتمع وشئون الحياة .

وكلما قوى تقمص الفنان صدقت إنسانيته فجاد عمله ، وإنما تنقص درجة الجودة ، ويضعف التعبير ، على قدر الوهن الذى يعترى الفنان فى تقمصه .

ففى ميدان الرقص مثلا هيهات أن تحس الراقصة تأدية موضوعها إلا إذا عاشت فيه وتمثلته كل التمثل ، فتؤدى بحركاتها وإيماءاتها واختلاجاتها حياة الموضوع الذى اتخذته مادة للتعبير .

وهل فى طوق راقصة أن تؤدى الرقصة المعروفة ب « موت البجعة » حق أدائها إن لم تتقمص روح هذا الضرب من الطير وتمزج نفسيتها بنفسيته ، فكأنما هى الطائر ، تعبر عنه بمقدار

عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد علي

– ٤ –

رأيت أن مجيء عبد الله بن سبأ إلى البصرة ونزوله على بنى عبد القيس إنما كان على زعم « يزيد الفقعسى » فى السنة الثالثة من حكم عبد الله بن عامر الذى ولى إمارة البصرة فى عام ٢٩ للهجرة . أى فى سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة . وإنه نزل على حكيم ابن جبلة ، ويزعم صاحب هذا الحديث الذى دونه الطبرى أنه ، أى حكيم بن جبلة كان من أشرار الناس ومن مشاهير قطاع الطرق وأنه كان يذهب إلى أرض فارس « فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب من يشاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان بن عفان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ؛ ومن كان مثله ، فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا

بمقدار فهمها لكنهه واستصفائها لسريرته ؟

على أن القدرة على التقمص لا تكفى فى اكتسابها الرغبة والإرادة والمحاولة ، وإنما هى فى أغلب ما تكون استجابات نفسية تستبد بما بين أحناء الضلوع .

وهذه القدرة على التقمص لا تسلس بالمظاهر ، ولا تتأتى بضروب التكلف والصنعة ، فلا بد أن تستند إلى مؤثرات طبيعية وتأثرات باطنة .

وحسبنا مثلا لذلك شخصية « المتعبد » ، فقد تعاقب على محاولة تقمصها ألوف من سدنة المعابد وعمار الصوامع متخذين لها أقصى ما فى الوسع من ظواهر ورسوم ، يسبغون المسوح ويرددون الأناشيد ويرتلون الصلوات ، ولكن القليلين من هؤلاء جميعا هم الذين استطاعوا أن يتقمصوا شخصية « المتعبد » على حقيقتها ، فوسموا تعبيرهم عن هذه الشخصية بميسم الخلود . وهذه أناشيد « أخناتون » التى يناجى بها ربه ما تزال تتقد فيها حرارة الإيمان ، لأنها وحى قوى لمتعبد صادق الإحساس ، صادق الأداء .

محمود تيمور

منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها »(١) وقد كان « حكيم بن جبلة » من الناقمين والشاغبين على الحكومة ، وكان على رأس الجماعة التى ذهبت إلى المدينة واشتركت فى الفتنة المؤسفة التى أدت إلى استشهاد الخليفة ، وكان قد أظهر أنه يريد الحج ، وكان فى الواقع على اتفاق مع سائر الشاغبين وعلى اتصال محكم بشاغبى الكوفة وأهل مصر(٢) .

ولست أزعم لك أن نزول عبد الله بن سبأ فى دار هذا اللص الشاغب كان حقاً ، ولست أزعم لك أيضاً أن ذلك كان باطلاً ؛ ولكنى لا أبيح لك سراً أن قلت لك بأنى غير مطمئن إلى هذا الحديث الذى يرويه « يزيد الفقعسى » ولا إلى أكثر أحاديث هذا الراوية . لقد كان هوى « ابن جبلة » وجماعته من أهل البصرة مع « طلحة » فلم اختار ابن سبأ النزول على هذا الرجل من بين سائر رجال البصرة . وقد كان هواه مع على . وقد كان فى البصرة أناس يميلون إلى على أيضاً ، والذى أنزل هذا الرجل على « حكيم بن جبلة » فى نظرى هو « يزيد » نفسه صاحب هذا الحديث لغرض سينجلى لك فيما بعد .

لم يتحدث الطبرى عن نشاط عبد الله بن سبأ فى البصرة ولا عن الفتنة التى أثارها فى جنوب العراق . وكل ما قاله أن الوالى بعد ما سمع بخبر هذا الذمى « الذى رغب فى الإسلام ورغب فى جوار ابن عامر » قال له « أخرج عنى ، فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر(٣) .

ولم يتحدث الطبرى ولا غيره عن نشاط هذا الذمى فى الكوفة . والظاهر من كلامه أن إقامته بها كانت قصيرة ، وأنه لم يحصل على النتائج التى كان يريدها من هذا البلد ، فسافر إلى الشام . ولا ندرى بالطبع متى وصل الشام ، والذى نستطيع أن نقوله أنه بلغ مقر « معاوية بن أبى سفيان » بعد خروجه من الكوفة ، وأن ذلك كان بعد سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة .

ويدعى الطبرى استناداً على أقوال « يزيد الفقعسى » أيضاً أنه

---

(١) الطبرى جـ ٥ ص ٩٠

(٢) شرح نهج البلاغة لعز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد جـ ١ ص ١٦٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى .

(٣) الطبرى جـ ٥ ص ٩٠

« لما ورد ابن السوداء الشام لقى أبا ذر فقال يا أبا ذر ، ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ؛ ألا إن كل شىء لله ؟ كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين » فتأثر أبو ذر من مقالته وذهب إلى معاوية فقال : « ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذر، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال فلا تقله . قال فإنى لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين »(١) .

وخرج أبو ذر مغضباً من معاوية غير مقتنع بقوله ، وصار ينادى فى أهل الشام ويقول : « يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذاك وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس ، فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بى ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه عثمان أن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ، فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح . وجهز أبا ذر إلىّ وابعث معه دليلاً وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ، فإنما تمسك ما استمسكت . فبعث بأبى ذر ومعه دليل »(٢)

وذهب « ابن سبأ » وهو بالشام إلى رجل آخر توسم فيه الانقياد والإذعان لمقالته بسهولة ، وهذا الرجل هو « أبو الدرداء » وتحدث إليه بالحديث الذى ذكره لأبى ذر محاولاً إغراءه غير أن « أبا الدرداء » كان حذراً ذكياً فقال له « من أنت ؟ أظنك والله يهوديا » فأتى عبادة بن الصامت وأظهر له نفس المقالة « فتعلق به فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر »(٣)

فيظهر من حديث « يزيد الفقعسى » الذى حكاه الطبرى عن طريق « سيف » أن نداء « أبى ذر » هذا وتحريكه الفقراء على الأغنياء إنما كان بتحريض « ابن سبأ » والحديث كله كما قلت فى حاجة إلى تمحيص . فقد غادر « أبو ذر » الشام فى عام ٣٠ للهجرة ، وترك « المدينة » فى نفس هذه السنة إلى الربذة حيث

(١) الطبرى ﺣ ٥ ص ٦٦ ، ابن الأثير ﺣ ٣ ص ٤٧

(٢) الطبرى ﺣ ٥ ص ٦٦ راجع عن علاقة عثمان بأبى ذر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ﺣ ١ ص ٢٤٠ فما بعد

(٣) الطبرى ﺣ ٥ ص ٦٦

أقام بها إلى أن اختاره الله إلى جواره فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة أى قبل مجىء « ابن سبأ » إلى البصرة (١) . ومعنى هذا أن مجىء « عبد الله بن سبأ » إلى الشام كان بعد وفاة « أبى ذر » وبعد خروجه من الشام بما يزيد على سنتين .

ثم إن صاحبنا « أبو ذر » لم يكن من أولئك الرجال البسطاء السذج الذين كانوا يستجيبون لدعوة رجل لا يعرف من أمره شيئاً ، وقد رأيت أنه سبّ « كعب الأحبار » وقد كان أعلى من هذا النكرة « ابن سبأ » درجة وعلماً ومقاماً ، وأقدم من أخيه فى الدين إسلاماً ، حينما تعرض لبحث فى حضرة الخليفة الشهيد ورجل يقول لكعب الأحبار « يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا والله لتسمعن منى أو لأدخل عليك » (٢) . أو « يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا » (٣) . ثم لا يكتفى بذلك وهو فى حضرة خليفة بل يرفع محجنه فيشج ناصية كعب حتى يضطر الخليفة إلى استرضاء كعب والاعتذار منه . إن رجلاً مثل هذا لا يمكن أن يسلم نفسه إلى مسلم حديث العهد بالإسلام لم يعرف من أمره غير المشاغبة والتجول بين الأقطار . ثم يقنع بدعوته بمثل تلك السهولة التى لا تتناسب مع ما عرف عنه من صلابة أبى ذر وشدة تمسكه برأيه .

وقد روى كثير من المؤرخين قصة « أبى ذر » بشكل آخر قالوا إنه كان يتلو قوله تعالى : (والذينَ يكنزُونَ الذَّهبَ والفضَّةَ ولا يُنفقونها فِى سبيل اللهِ فبشرْهُمْ بِعذَابٍ أليم) وتعليقاته المعروفة الواردة فى حديث « يزيد الفقعسى » أيام كان فى المدينة ، وقبل ذهابه إلى الشام كان يقول ذلك لما شاهد من الثراء الذى انهال على بنى أمية وآل مروان ، فضاق أغنياء المدينة به ذرعاً فنفى إلى الشام لعلمهم بأن « معاوية » رجل ذكىّ حليم يكفيهم هذا الرجل ويلهيه . فلما يئس منه ووجد أنه أصبح خطراً على أهل الشام أعاده إلى المدينة ، ثم استقر بالربذة إلى أن وافاه الأجل فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة (٤) . والمعروف عنه أنه كان زاهداً وكان ينفق ما يصيبه من مال ويدعو إلى ذلك منذ أيام

(١) الطبرى ﺣ ٥ ص ٨٠

(١) الطبرى ﺣ ٥ ص ٦٧

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ﺣ ٢ ص ٢٤٠

(٤) الطبرى ﺣ ٥ ص ٦٧ . وابن الأثير وكتب التاريخ الأخرى

الرسول . فقصة « عبــد الله بن سبأ » مع « أبى ذر » قصــة موضوعة أعتقد أن واضعها هو « يزيد » أو « سيف » ولم يؤيدها رواة آخرون مثل « زيد بن وهب » وغيرهم ممن ذكروا سبب نفى أبى ذر (١) .

ولم يتحدث « يزيد الفقعسى » صاحب أحاديث عبــد الله ابن سبأ عن نشاط هذا الذى فى الشام وعن مدة إقامته فى هذا البلد . والذى يفهم من أقواله أنه لم يتمكن من عمل أى شىء فى « دمشق » وأن « معاوية » لم يقبض عليــه ، وأنه غادر أرض « بنى أميــة » إلى أرض أخرى هى « مصر » ليزرع فى ذلك البلد بذور الفتنة التى زرعها فى العراق

وفى « مصر » على ما يظهر من روايات الطــبرى لقى « ابن سبأ » نجاحاً كبيراً ، وترأس فى هذا القطر الفتنة التى أدَّت إلى استشهاد الخليفة . ويظهر من أقوال « يزيد الفقعسى » أنه جاء وهو فى مصر بمقالة جديدة تضمنت عدة آراء فيها « الرجعة » و « الوصية » و « الإمامة » ثم اختتم كل هــذه المسائل الهامة « بالطعن على الأمراء » وبالمكاتبة مع الأمصار الأخرى فى عيوب الولاة . وقد تمكن بأساليبه المعروفة من إهاجة الرأى العام ومن تسهيم الأقطار فكان أن غادر وفد مصر يريد الحجاز ، وكان أن غادر وفد البصرة متظاهراً أنه يريد الحج ، وكان أن تألبت كل هذه الوفود على الخليفة ولم ترحل عن مدينة الرسول حتى قتل . وكان من أهم أبطال الفتنة بمصر « عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر » .

وأما الذى يظــهر من أقوال الرواة الآخرين فهو أن هــذه المقالات المنسوبة إلى « ابن سبأ » إنما كان قد وضعها فى العراق وأنه وضعها فى مكان مناسب جداً لمثل هذه الآراء وهو «الكوفة» التى عرفت بميلها إلى على وأولاده ، وبانقــلابها على علىّ وأولاده فى الوقت نفسه .

والواقع أن محيط الكوفة هو صورة صادقة للمحيط الوسط الذى كان بين الحضارة وبين البــداوة . وبين الإطاعة للأمراء وبين الميل إلى الفوضى ومعصية الأمراء والطعن على أصحاب الحل والعــقد . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت هــذه البلدة على سيف الصحراء ، وقد كانت ممصرة عصرت فيها أجناس وأنواع من البشر ، فلا عجب إن رأينا فيهــا ذلك الخليط العجيب وذلك الانقلاب السريع .

ولم يذكر أحد من الرواة غير « يزيد الفقعسى » هذه المقالة على أنها كانت من صــنع « ابن سبأ » فى مصر . وحــديث « عبد الله بن سبأ » فى مصر هو من روايات هــذا الراوية ليس غير . أما أصحاب الأخبار الذين تحدثوا عن « عبد الله بن سبأ » مثل « الشعبى » وأمثاله فقــد وضعوه فى العراق وجعلوا مكانه الكوفة ومنفاه « ساباط المدائن » ولم يبعــدوه إلى أكثر من ذلك كالذى فعله « يزيد » .

(للكلام صلة) جواد على

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ح ٢ ص ٢٤٠

من مغموري العلماء

للأستاذ محمد كرد على بك

على ابن ربن

فى المؤلفين من لم نعرفهم إلا بصفحات قليلة مما أبقت عليه الأيام من ألوف صفحات كتبوها ، ومنهم على بن ربَّن الطبيب الفيلسوف المتفرد بالطبيعيات . نشأ هــذا العظيم فى طبرستان ؛ يتصرف فى خدمة ولاتها ، وكتب للمازيار بن قارن ، ووقعت فتنة فى بلاده فخرج إلى الرى ، وهناك قرأ عليــه محمد بن زكريا الرازى الحكيم المشهور ، واستفاد منه علماً كثيراً . ثم رحل ابن ربَّن إلى العراق فبان فضله ، وأسلم على يد المعتصم ؛ فقربه ، وظهر بالحضرة فضله ، وصار من أطباء البيت العباسى ، وأدخله المتوكل على الله فى جملة ندمائه . وقالوا إنه كان بموضع من الأدب .

ألف ابن ربَّن كثيراً فى الطب والصحة ، وأهم كتبه على ما يظهر كتاب فردوس الحكمة ، وهو معلَمة (انسيكلوبيذيا) طبية عامة أنجزه فى بغداد . وهناك أخذ عنه حنين بن إسحق . وله كتاب فى الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب . وعرفنا ابن ربن من كتاب له صغير أسماه : « الدين والدولة » أثبت فيه نبوة الرسول (ص) إثبات عالم عارف بالأديان الأخرى ، ولا سيما اليهودية والنصرانية . وكتابه هذا يدل على اضطلاعه بالحكمة ، وأنه ما انتحل الإسلام إلا عن بصيرة . وقد جوّد الكلام عن الصحابة ، وجميل سيرتهم ، وعفتهم عن المال والرفاهية ؛ كما جوده فى فصل أمية الرسول (ص) .

ومن أجمل ما فى كتاب الدين والدولة نقول عن الكتاب المقدس والنبوات ، عليها مسحة من البلاغة أكثر من الترجمات المتداولة ، ولعلهـا منقولة عن الترجمات الضائعــة من التوراة والإنجيل ؛ إذ أنه ترجمها هو بنفسه لما كتب كتابه . ويطالعك هذا الكتاب : بأن مؤلفه الحكيم الطبيب العظيم هو من أعظم علماء الأديان ، وأنه دان بالإسلام وهو رجل ، وعرف صورة الاحتجاج على أرباب الأديان الأخرى وإفحامهم ببراهينه . وقيل إن أمير المؤمنين المتوكل ساعده على هــذا التأليف . ولو لم تبق الأيام عليه لنسى حتى اسم على بن ربَّن ؛ اللهم عند أفراد قلائل يعانون درس الحكمة القديمة والطب القديم .

مثـال من كلام ابن ربن : قال فى الدلائل على تصحيح الأخبار : رأينـا أمماً كثيرة العدد ، عظيمة القدر ، موصوفة بالأفهام والأصلاح ، يشهدون لعدة من الخبثة الكذابين بجميع ما ادعوه ؛ مثل الزنادقة والمجوس ؛ إما تقليداً أو إلفاً ، وإما غباوة ومحكا ، وإما إجباراً أو كرهاً ، كما فعل زرادشت متنبيء المجوس فانه لم يزل يتأتى لبشتاسف الملك حتى وصل إليــه ، ووزع من وساوسه فى صــدره ؛ ثم لم يزل يختله بذكر الله ، والدعاء إليه ، ويفتل فى الذِّروة والغارب حتى فَتَله عن دينه ، ولواه إلى رأيه . ثم أظهر له ما كان يضمره من الشرك ، وزين له نكاح الأمهات والبنات ، وأكل القذر القذر من النجاسات ؛ فكان الملك بعد ذلك هو الذى أكره أهل مملكته على دينه . وفعل مانى شبيهاً بذلك ؛ فانه ظهر فى زمان كان الغالب فيه دينان : النصرانية والمجوسية ؛ فاختدع النصارى بأن قال لهم إنه رسول المسيح عليه السلام ، وخلب المجوس بأن وافقهم على الأصلين . فلما وجدنا من الإجماع ما هو هكذا ، ووجدنا منه ما هو كالإسلام ؛ علمنا أن قبول كل إجماع فتنة ، ورد كل إجماع ضلالة ...

ابن حبان

كان أبو حاتم محمد بن حبان البستى (٣٥٤) مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، فعدَّ من طبقة البخارى فيه ؛ حتى قيل إن صحيحه أصح من سنن ابن ماجه . سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك العلماء والأئمة والأسانيد العالية . وكان وعاء من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، عارفاً بالطب والنجوم والكلام ، عاقلا معدوداً فى الرجال . صنف فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يسبق إليه . وولى قضاء سمرقند وغيرها من المدن ، ثم صُرف عن القضاء فيما قيل بدعوى أنه زعم أن النبوات علم وعمل . وصنف لأبى الطيب المصعبى كتاباً فى

القرامطة ، والقرامطة كانوا يهددون ملك العباسيين . وقال بعضهم إن له أوهاماً أنكرت فطعن عليه بهفوة منه بدرت ، ولها محل لو قبلت . وقتله الخليفة بدعوى أنه يعرف بعض العلوم الرياضية وهو فى الثمانين من عمره . والغالب أن قتله كان سياسياً فى أمر يضر ببنى العباس . قالوا كانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته وقد سبّلها ووقفها وجمعها فى دار رسمها بهـا جعلها لأصحابه واتخذ مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها وأهل الحديث والمتفقهة ، وجعل لهم جرايات يستنفقونها داره ، وأوصى وصيته أن يبذل كتبه لمن يريد نسخ شىء منها من غير أن يخرجها منها . وذكروا أن السبب فى ذهاب كتبه تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على تلك البلاد ، وجهل أهلها ، فلم تعاور بالنسخ ؛ فضاع أصلها ، ولم يكثر فرعها .

قال أحمد بن ثابت : ومن الكتب التى تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واصفها ، مصنفات أبى حاتم محمـد بن حبان البستى ، ومنها كتاب الصحابة وكتاب التابعين وكتاب أتباع التابعين ، والفصل بين النقلة ، وعلل أوهام أصحاب التواريخ ، وعلل حديث الزهرى ، وعلل حديث مالك ، وعلل مناقب أبى حنيفة ومثالبه ، وعلل ما استند إليه أبو حنيفة ، وغرائب الأخبار ، وما أغرب الكوفيون عن البصريين ، وما أغرب البصريون عن الكوفيين ، وكتاب أسامى من يعرف بالكنى وكنى من يعرف بالأسامى ، والفصل والوصل ، ومناقب مالك ، ومناقب الشافعى ، ووصف العلوم وأنواعها ، والهداية إلى علم السنن ، ومحجة المبتدئين ، والعالم والمتعلم ، والوداع والفراق ، والتوكل والتقاسيم ، والأنواع ، وكتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، ومراعاة الإخوان ؛ إلى عشرات غيرها من الأجزاء فى الشريعة والحديث والفقه خاصة .

ولم يطبع من جميع هـذه الكتب المحررة سوى كتابه : « روضة العقلاء » قسمه إلى زهاء خمسين مطلباً ابتدأ كل مطلب بحديث يتعلق به ، وأتبعه بما قصد بيانه ، ووشاه بشواهد كثيرة من الشعر وغيره ببيان باهر ساحر ، يستفيد منه الكبير والصغير ، ويتأدب به الأمير والأجير ، ويغنى غناءه فى تهذيب الرجال والنساء

وينقل المؤلف الكلام المنظوم والمنثور بالرواية على أصول المحدثين ، ومنظومه كله جدير بالاستظهار والاستشهاد لما ضمنه من عظات ونكات ، يتكلم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع ، واللطف الأداء ، وقد يورد فى أكثر الفصول قصصاً تروق العامة والخاصة ، ويخاطب العقل وما يجدر بصاحبه عمله . وقد نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يخلّ به من أوله إلى آخره ؛ فجاءت مطالبه متساوية الحجم والفائدة ، آخذة من الحسن والإحسان بأوفر نصيب .

ومما قاله : لا يكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب . والعاقل يكون حسن المأخذ فى صغره ، صحيح الاعتبار فى صباه ، حسن العفة عند إدراكه ، رضى الشمائل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته ؛ يضع نفسه دون غايته برتوة (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شىء صار إلى النقص ، ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتحال ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، أخاف أن يكون حتفه فى أقرب الأشياء إليه . رأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون . والواجب على العاقل أن يتجنب أشياء ثلاثة ، فانها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يبس العوسج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبت . لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعِد إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء ، إلا بقدر ما عنده من الغناء ، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه . وهنا رأينا فى بعض كلامه ما أثر قبل زمنه لعبدالله بن المقفع . وختم هذا الكلام بما أنشده عبد الرحمن بن محمد القاتلى :

فمن كان ذا عقـل ولم يك ذا غنى
يكون كذى رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى
يكون كذى نعل وليست له رجل

محمد كرد على

من تاريخ الطب الاسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٢ —

٣ — تعريب الكتب الطبية :

ظهر الدين الإسلامي في أوائل القرن السابع للميلاد وفي خلال سنوات قليلة قهر المسلمون الامبراطوريات وامتد نفوذ الإسلام إلى البلاد الواقعة في مابين السند والقوقاز وعمها جميعاً، ثم بلغ أفريقية الشمالية وأسبانيا حتى بعض جزر بحر الروم مثل صقلية وسردينية وغيرها.

وانقضى القرن الأول من الهجرة بالغزو والفتح وتأسيس الحكومات العربية العظيمة فاستولى المسلمون على بلاد كانت مراكز للحضارة، ودخلت بلاد، كانت تعتبر حواضر للعلوم والفنون مثل دمشق وقيصرية والاسكندرية في حيازتهم؛ وفي أثناء هذه الفتوح وعندما كان المسلمون مشغولين بتدعيم أسس ممالكهم أدركوا أن من المحتم عليهم أن يقتبسوا من حضارات البلاد المفتوحة والأمم المغلوبة ما يمكن اقتباسه، فبدأوا بذلك وبلغت هذه الفكرة شأوها بوجه خاص في عهد الخلفاء العباسيين حينما كان للايرانيين شأن كبير في إدارة أمور المملكة الاسلامية، فألحق بكل مسجد مدرسة، وأنشئت مكتبات، وأسست مستشفيات، وبدأوا في تدريس جميع العلوم ولا سيما علوم الشريعة والطب والفلسفة في مدارسهم.

قلنا إن النسطوريين وحكماء الأسكندرية الذين سبقت لهم الهجرة إلى المشرق ثم اليهود والأقباط والسريان كانوا قد هيأوا مقدمات هذه النهضة الفكرية قبل بدئها بقرنين ولا سيما السريان منهم وهم من أبناء عمومة العرب، وذلك بنقل علوم اليونان من السريانية إلى العربية. وسنذكر فيما بعد لمحة عن الترجمة عند العرب يمكننا أن نقسم المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم المختلفة ومنها الطب إلى طبقتين: المترجين والمؤلفين.

فالمترجمون منهم كانت براعتهم مقصورة على القيام بالترجمة، وكانوا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون السريانية أو اليونانية أو كلتيهما فيقومون بترجمة العلوم من إحدى هاتين اللغتين إلى العربية وكان هذا كل عملهم.

أما المؤلفون فهم الذين كانوا قد درسوا كل المؤلفات والآثار المترجمة وكان لهم بحث ونظر وآراء خاصة حول مادرسوه وتآليف ظهرت فيها شخصياتهم العلمية بصورة واضحة. كان بعضهم يدخل ضمن كلتا الطبقتين مثل يعقوب الكندي في الفلسفة، ويوحنا بن ماسوية وحنين بن اسحق في الطب، فإنهم مترجمون كما أنهم في الوقت نفسه مؤلفون وأصحاب نظر ورأي خاص. فقد كان حنين بن اسحق (ويسميه مترجمو اللغة اللاتينية في القرون الوسطى يوهانيتيوس yohannittius) من نصارى الحيرة وكان في شبابه يبيع المقاقير الطبية ويدرس الطب في نفس الوقت على يوحنا بن ماسويه. ويروى أنه ألقى على أستاذه يوما في مجلس درسه كثيراً من الأسئلة مما أثار غضب الأستاذ، فقال له ما لأهل الحيرة وللطب؟ كان الأجدر بك أن تطوف بأزقة الحيرة وتصرف النقود فتألم حنين من كلام أستاذه وآلى على نفسه أن يتعلم اليونانية ليستغنى بها عن أستاذه في تعلم الطب، وقد أتقنها ثم عاد إلى جند يسابور وبرز في فنه حتى عد من طراز جبرائيل بن بختيشوع وابن ماسويه وأضرابهما أى أنه يدخل ضمن الطائفتين المؤلفين والمترجين.

وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أول أمير من بني أمية اهتم بعلوم اليونان اهتماما خاصاً حتى لقب (بحكيم آل مروان) فقد جمع هذا الأمير نظراً لشغفه بكشف أكسير الكيمياء حكماء اليونان المقيمين في مصر في رحابه وطلب إليهم أن يعربوا المؤلفات اليونانية والمصرية عن أكسير الكيمياء عن اللغتين اليونانية والقبطية، وهذا حسب ما يعتقد ابن النديم أول نقل في الاسلام من لغة إلى لغة.

يقول برتلو Marcelin Berthelot في مؤلفه عن تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى: (كان جل هم الكيماويين الحصول على الأكسير الأعظم وحجر الفلاسفة، غير أنهم خلال تجاربهم للوصول إلى هدفهم هذا وفقوا لاكتشافات كبيرة في الكيمياء

ولاتزال المصطلحات الكيماوية التى وضعها العرب مثل الكحول — والأنبيق — وغيرهما متداولة فى جميع اللغات الأروبية تشهد بما كان للعرب فى هذا الفن من سابقة وفضل) .

وهناك أمر هام أرى لزاما على أن أشير إليه وهو أن لوكلرك Leclerc يشير فى مؤلفه (تاريخ طب العرب) إلى أنه يعتقد أن مبدأ تاريخ اقتباس العرب من علوم اليونان يجب أن يرجع إلى ما قبل زمن خالد بن يزيد بمائة سنة أى أنه يعتقد أن تاريخ فتح مصر يجب أن يعتبر مبدأ لعهد اقتباس العرب من علوم اليونان ؛ فإن يحيى النحوى وكان من ملازمى عمرو بن العاص وخواصه هو نفسه — حسب معتقد لوكلرك — يوحنا فيلوبونوس john PHIloponus شارح كتاب أرسطو وكان فى الأصل من القسس اليعقوبيين وقام بترجمة بعض المؤلفات اليونانية إلى العربية بعد إسلامه . ويشير ابن النديم فى الفهرست ضمن ذكر أسماء مؤلفاته ومقالاته إلى أنه قام بشرح بعض مؤلفات جالينوس الطبية .

وعلى أى الأحوال فإن من المسلم به أنه قد ترجمت فى زمن خالد ابن يزيد بن معاوية كتب فى الكيمياء والطب وعلوم أخرى من اليونانية .

ويذكر ابن النديم مترجما باسم (اصطفن القديم) ويقول إنه قد ترجم كتباً فى الصنعة أى الكيمياء وغيرها إلى العربية لخالد بن يزيد . وكانت هذه الحقبة مقدمة لظهور العلماء أصحاب الرأى والنظر .

ففى عهد المترجمين فى القرن الأول الهجرى أو بعد ذلك بقليل كانت تراجم كتب الطب وسائر العلوم من اليونانية مزيجاً من الأصل المترجم عنه مع عادات المسلمين ومبادىء الصحة فى الإسلام ، ونادرا ما نجد طبيباً مسلماً يبدى رأياً أو نظراً خاصاً ، بل كانوا على الأغلب الأعم يسيرون على النهج الذى سار عليه القدماء فى حين أنا نجد فى العصور التالية أى فى عصور النهضة العلمية الإسلامية علماء كبارا تجاوزوا مرحلة الترجمة والتتلمذ فكان لهم استقلال فى الرأى والنظر . ومع أن أساس معارفهم مقتبس ومأخوذ من علوم اليونان — ومع أنهم معترفون بفضل بقراط وجالينوس اللذين يذكرون دائما أسميهما بكل تجلة واحترام — إلا أن النظر والرأى ظاهران بصورة جلية فى مؤلفاتهم . وتجد فيها أحياناً نقداً لآثار القدماء ومؤلفاتهم ، فترى الأطباء المسلمين يقومون بتجارب جديدة فى الطب ، وتراهم يطبقون تعاليم طبية مفيدة على المرضى فى المستشفيات كما نرى منهم شيئاً كثيراً من الابتكار والابتداع ولا سيما فى طرق العلاج واستعمال الأدوية والعقاقير . وقد ترك علماء هذا العهد مؤلفات كثيرة قيمة فى هذا الصدد .

وفى هذا العهد نرى الرازى يبدى شكوكا على أقوال جالينوس كما نرى ابن سينا ينتقد فلسفة المشائين فى مقدمة مؤلفه حكمة المشرقيين . وفى هذه العصور أصبحت الأندلس وبغداد من مراكز الطب المهمة حتى قيل إنه كان فى مكتبة قرطبة وحدها ثلاثمائة ألف مجلد فى مختلف العلوم والفنون .

ويختلف حكم الناس بالنسبة للخدمة التى أسداها المسلمون لعلم الطب؛ ففريق يعتقد أنه لولم توجد الحضارة الإسلامية لضاعت آثار بقراط وجالينوس وأمثالهما فى ظلام القرون الوسطى ولخسرها العالم إلى الأبد ، وان بقاء هذه الآثار العلمية والمؤلفات كان بفضل وجود المسلمين واهتمامهم بها ، وإن هذا التراث العلمى الغالى لم يسلم بفضلهم من الفناء والضياع فحسب ، بل أضيف إليه الشىء الكثير .

ولما ضعف المسلمون فيما بعد وخرج كثير من البلاد كالأندلس من يدهم كان خيرما تركوه لأخلافهم ذلك التراث العظيم من العلوم والفنون .

هذا رأى فريق ، غير أن فريقاً آخر يرى ، ورأى معظمهم ناشىء عن الجهل أو الغرض أو التعصب ، أن خدمة المسلمين للطب ليست بذات بال ، فان هذا التراث العلمى بقى مدة كامنة لدى المسلمين ورجال الكنيسة ، لكنهم لم يضيفوا إليه شيئاً من عندهم حتى جاءت النهضة الأروبية فتسلمه منهم رجال ذلك العهد واستفادوا منه .

والحق وسط بين هاتين العقيدتين المتضادتين المتطرفتين ، فلاريب أنه لولم يقم المسلمون — بجمع آثار المتقدمين من العلماء وترجمتها ونقدها وشرحها وتفسيرها بتلك الدقة العظيمة لضاع الشىء الكثير من آثار اليونان العلمية . وخير شاهد على ذلك أن كثيراً من مؤلفات اليونان فى الطب قد ضاعت نسخها الأصلية

ولم يبق منها إلا ترجمتها العربية مثل الكتاب السابع من التشريح لجالينوس ؛ فالموجود منه الآن — هو ترجمته العربية ليس غير .

زد على ذلك أن بعض الأطباء من المسلمين قد أسدوا إلى عالم الطب خدمات عظيمة ولاسيما فى الطب العملى والجراحة ؛ وقد برز كثير منهم فى هذا المجال أمثال على بن العباس المجوسى الأهوازى وأبى القاسم بن خلف الزهراوى .

فان لم نقل إن كل ما وجد فى القرون الوسطى من علوم الطب كان بفضل الأطباء المسلمين فلا أقل من انصافهم بذكر الحقيقة وهى أن الطب فى القرون الوسطى مدين للطب الإسلامى والأطباء المسلمين ديناً عظيما .

والذين يقصرون فضل حفظ التراث العلمى القديم على العرب فحسب مبالغون فى قولهم هذا كذلك ؛ فهؤلاء يقولون أنه لولا المسلمون لانقطعت الصلة تماما بين النهضة الأوروبية والعلوم اليونانية القديمة . وليس مايقولونه كل الحق فان قسطاً عظيما من الكتب العلمية اليونانية كان موجوداً فى أديرة المسيحية ، وقد درسها وبحث فيها عدد من رجال العلم وحفظوا للعالم علوم اليونان وطرائق بحثهم ودراستهم العلمية .

وأهمية الطب الإسلامى تقتصر على أنه كان طوال قرون عديدة أى منذ انحطاط الحضارة والعلوم عند اليونان إلى زمن النهضة الأوروبية أهم مصادر علوم اليونان وأصدقها . ولا يفتنا أن نذكر هنا أن الطب الإسلامى كسائر العلوم التى انتشرت بين المسلمين — وإن كان معظمه مأخوذاً عن مؤلفات اليونان وكتبهم فان قسطاً منه مأخوذ ولا شك عن مصادر إيرانية وهندية وسريانية . ومن أراد التفصيل فليراجع الفهرست (طبعة مصر صفحة ٣٤٠ وما بعدها) وفيه أسماء المترجين الذين ترجموا إلى العربية من اللغات المختلفه ومنهم ابن المقفع وكثير من آل نوبخت الذين نقلوا إلى العربية كثيراً من الكتب الفارسية .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المقام إلى أن كثيراً من هذه الكتب التى عربت عن الفارسية الساسانية كان أصلها يونانيا ترجمت إلى الفارسية فى عهد الساسانيين ثم قام بتعريبها الايرانيون أنفسهم ؛ ومن هذه الكتب كتب فى المنطق [١] والطب ترجمها ابن المقفع إلى العربية ، وكتاب فى الطب أيضاً لثياذوسيوس [١] (Thécdseaus) الطبيب الخاص لسابور الثانى عرب من الفارسية

وقد كان للايرانيين أثر واضح فى الطب بصفة خاصة عن طريق مدرسة جند يسابور . فبرغم أن أساس التعليم الطبى فى تلك المدرسة كان الطب اليونانى إلا أنه قد اصطبغ بصبغة إيرانية بالتدريج ، وكان للقريحة الايرانية أثر كبير ونفوذ عظيم فى منهج التعليم بها .

وقد ترجمت كتب أخرى من اللغات الهندية والقبطية إلى العربية ذكر ابن النديم كثيراً من أسمائها وأسماء الذين قاموا بتعريبها . (يتبع)

(١) توجد نسخة نادرة من كتاب المنطق لابن المقفع فى مكتبة الإمام الرضا بمشهد (خراسان) ويرجح أن تكون نسخة فريدة وقد نسخت عنها فى المدة الأخيرة بضع نسخ بأجازة المكتبة المذكورة .

(١) واسمه فى الكتب العربية تياذوق

من لندن :

معركة العروبة فى فلسطين

أهدافها ووسائلها

للأستاذ إبراهيم زكى أباظه

قد لا يصل هذا العدد من الرسالة إلى أيدى القراء إلا بعد انتهاء الانتداب البريطانى المشـئوم على فلسطين ، ودخول الجيوش العربية إليهـا وسحق الأخطبوط الصهيونى الذى يبث الويل والدمار حيثما سار وحل ... وفى حمأة هذه الحوادث وهذا الاختلاط فى الوضع ، تطيش رؤوس وتضيع حقائق هى أجدر ألا تغيب عن أنظار الباحث الحـكيم والمخطط البعيد النظر ... إذ بينما يسير انتباه العالم بكامله الآن نحو الطرفين الرئيسيين فى القضية وهما العرب واليهود ليرى نتيجة صراعهما ، نجد من النادر وجود امرئ يحدد مسئولية بريطانيا ويفيها حقها من اللوم على ما يجرى فى البلاد المقدسة من سفك دماء وتدمير ...

إن كل عليم بتطورات القضية الفلسطينية ليدرك تمام الإدراك أن بريطانيا هى الجانية الأولى والأخيرة فى كل ما وقع وسيقع ؛ وإنه لما يؤلم ضمير كل محب للعدالة ، أن يجد فى بريطانيا اليوم ممثلة لأعظم مهزلة ، بل وإنه ليجد فى سلوكها وتصرفاتها الحاضرة كل ما هو تدنيس للحقيقة وتدليس لحرمة التاريخ وقداسته ذلك أنها بعد أن خلقت المشاكل بعناصرها للوطن القومى اليهودى وباستخدامها الحراب لحمايته ووضع أسسه ، نجدها الآن وقد وقفت تندب حظها فى أن العرب واليهود يصبون عليها اللوم والعقاب بلا مبرر على حـد رأيها ، بل وإنك لتراها تتباكى بسبب ما نزل بأبنائها من قتل وشنق وهى فى ذلك كله تتخذ موقف البرىء المجنى عليه ، والنبيل العادل الذى افتُرى عليه ... ولسان حالها يقول كالشيطان الذى قال بعد أن حبب الـكفر إلى قلوب العباد . إنى برىء مما تشركون .. إن العالم والتاريخ والعدالة لتخط اليوم لبريطانيا صفحة مذلة وعار وخزى بتمثيل هـذا الدور الشائن والذى لم يقتصر على الادعاء بالبراءة بل تعـداه إلى ترك بلاد مقدسة طوال الثلاثين عاماً الماضية تحت رحمة صهيونية آثمة ، تتسلح علناً ولا من محتج ، وتستعد للحرب والفتك بالأبرياء وليس من إدارة تحاسبها على ذلك فى كثير أو قليل ، وتمهد إلى إرهاب ينمو ويتسع وينتظم تحت سمعها وبصرها وليس من تحذير أو ردع ، حتى بات العرب العزل يجابهون مجزرة بربرية فى دير ياسين وغيرها لا تقل إجراماً وتعطشاً للدماء عن مذبحة سانت بارثلمبو أو مذابح سبتمبر ... ومع ذلك لم تقدم انجلترا على عمل تتخذه لحماية الأرواح... هذه حقائق ما كان أجدر بنا أن نعلمها حق العلم ونحن نخوض هذه المعركة الحاسمة ضد عدو غادر أثيم كالصهيونية ... بل وعند انسحاب البريطانيين انسحاب الجانى المتلبس بجريمته .

الصهيونية والشيوعية :

ليست علاقات الصهيونية بالشيوعية بالشىء الحديث ، وليست بخافية على كل من له إلمـام بسير التاريخ الحاضر ، بل وليست من سوء الحظ بالشىء البسيط الوحيد الذى غفل عنه قادتنا ورجالاتنا . . . إذ من ينسى أن منشىء الشيوعية الأول هو ماركس اليهودى ؟ وهل من الجائز أن تنسى البلشفية الحاضرة دينها له ؟ هل تنسى اليهودية صلة النسب بهذا الرجل ومذهبه ؟ وهل من الجائز أن ينسى ستالين وأعوانه ذلك وينسوا واجبهم فى معاهدة التوسع الصهيونى ؟ ثم من ينسى أن نظام الاستقرار والاستعمار الزراعى فى فلسطين هو تطبيق نموذجى للأصول الشيوعية كما هى فى روسيا قلبا وقالبا ؟ ومن ينسى أن من بين المهاجرين اليهود الأولين لفلسطين ، جماعات روسية ركزت نفسها فى الزوايا والنقاط الحيوية فى فلسطين حيث جعلت منها مراكز لخزن السلاح وتدريس أصول الإرهاب وبث التعاليم الفوضية ؟ وعلى من يجهل ذلك أن يذهب إلى مستعمرات شمال شرق فلسطين ومرج ابن عامر ليجـد ألوف النشرات المعنونة بـ « مبادىء القومية » و « وبدعة الديانة » التى جلبها معهم يهود شرق أوربا ؟ وليجد هذه كلها مع الـكميات الهـائلة من الذخيرة والأسلحة ... هذا منذ عام ١٩٢٠ وكما يعترف به اليهود

الروس آنئذ ... ثم من يجهل أن يهود البلقان — تلك البلاد التى هى الوطن التقليدى للإرهاب المحترف فى العصر الحاضر — يقيمون الآن فى فلسطين فى عدد هائل وكلهم متدرب فائق الخبرة بالفنون العسكرية التى اكتسبها أثناء الحرب الحاضرة فى حركات المقاومة ، وجميعهم يرحب بروسيا كحامية للبلقان ، ويرحب بأن يكون لها العون والنصير لإيجاد قاعدة بل وقواعد نشاط فى الشرق الأوسط بادئين بفلسطين ؟ إن الشرق الأوسط كله الآن يعج بهذه القوى الخفية والوكلاء السريين ، كما تعج بهم موانىء دول البلقان ، وكلهم متلهف للعمل ، تواق للفتك والمغامرة من أجل فلسطين والصهيونية ، وروسيا راعيتها الأولى ... فعلينا أن نذكر هذا ونفكر فى عواقبه ! !

مجموعة من الأخطار :

إن كل عليم بأصول الحضارة والتاريخ والعقلية اليهودية لا بدّ أن يفطن إلى فكرة على جانب من الأهميـة وهي « أن الروح التجارية صفة بارزة فى الشخصية اليهودية أينما حلت ومهما بلغت من علم وثقافة ، وهى المعيار الوحيد فى نشاطهم الدنيـوى والأخروى سواء أكان ذلك فى شراء بيضة ، أو إنجاز صفقة ، أو أداء صلاة ، أو الحصول على فلسطين » ولا يصد اليهودى عن نيل ما يبتغيه إلا أن يرى أن إهدار دمائه هو الثمن لما يرجو الحصول عليه ؛ وعندئذ يرجع خاسئاً مدحورا ، ولـكن ليعاود ذلك بوقاحة وتكرار ، وبكل ما أوتيه من غدر واحتيال ؛ لا يردعه عن ذلك رادع إنسانى أو مثـل أعلى ... وكم يجدر بقادتنا أن يفهموا هذه الميزة البارزة فى عقلية الصهاينة ونشاطهم فى هذا الـكون ....

بالأمس طالبوا بوطن روحى فى فلسطين ، ثم ببضعة أفدنة يزرعونها ، ثم ببيوت ومدن يبنونها ، ثم بالحصون والقلاع يرفعون سمنها ، ثم بالدولة يضمنون أسسها .. ثم ماذا ؟ مطالب أثر مطالب . إذا ما أفلحوا فيها — لا سمح الله — فسيطالبون باللقمة فى فم العربى يسلبونها ومعها يسلبون دعامة الحياة والبقاء .

بالأمس عُلق البريطانيون على أعواد المشـانق وبالأمس اغتيـل قادتهم فى القاهرة وروما وبريطانيا نفسها ، بقنابل يدوية ، ونسف البنايات ودك المعاقل ... إلى آخر ما هنالك من وسائل لن تقف عند حد فى وحشيتها كل ذلك لأن الصهيونية تخيلت أن هذا البريطانى أوذلك كفر بمطالب الصهيونية ، أو لأنه احتج على أمر نبا عنه ذوقه ، أو لأنه أعرب عن رأى لم يوافق إنجيل الصهيونية ومطامعها الخطيرة ، فكان جزاؤه سفك الدم ! ثم نما الخنجر الصهيونى فإذا به ذو حدين مرهفين ، أخذ ثانيهما يفتك بالعدو الأصيل — العرب ، فمن قرى تدمر ، وأطفال ونساء حوامل تبقر بطونها ، وتنهش لحومها ، وذلك على مرأى من العالم المتمدين وعلى مرأى من الجيوش العربية ... ! ! فأمام هذا البلاء وأمام هذا الكابوس الذى فرضه الإرهاب الصهيونى على أعدائه السياسيين وعلى الرأى العام العالمى ، من يجرؤ على القول أن المصير المشئوم الذى ناله الـكثيرون ، بعيد عن أن ينال ملوكنا فى قصورهم ، وقادتنا فى بيوتهم ، وأطفالنا فى أحضان أمهاتهم ، ومساجدنا وكنائسنا ، وقبورنا وآثارنا ، ومقدساتنا وحرماتنا ! ! ومن يضمن أن يترفع هذا الإرهاب الأثيم والغدر البربرى عن تدمير كل ما شدناه من آثار وتاريخ وأمجاد وحضارة ؟ إن سلامة الشرق الأوسط بأسره فى كفة الميزان ؛ فعلى الملوك والمواهل والوزراء أن يحزموا أمرهم ويجمعوا رأيهم لتقليم هذا الأخطبوط الصهيونى الخطر ... ! وإلا فليس من البعيد أن يقال فى عهد الملك الفلانى ، ضاعت فلسطين ثم بتفريطه فى الدفاع عنها ، حلت ببلاده هو النوائب والبلايا ... وفى عهـد القائد الفلانى فقدت فلسطين ومنهـا سارت جيوش الأعداء واحتلت بلاده .

هذه أفـكار ليس للتشاؤم دخل فيها ، ولـكن علينا أن نتأهب للأمر وألا نلدغ من جحر مرتين ... لقد قلنا من خطر الصهيونية وخفى علينا ما فى البلاد من أوكار ومكامن ، ومن قوى وأخطار وجيوش انقلبت بين عشية وضحاها إلى قوى نظامية قادرة على صب الويلات ، وإهراق الدماء بدون مقاومة تذكر :

منذ عشرين قرنا من الاضطهاد المزعوم الذى جلبه اليهود على أنفسهم ، غليت قلوبهم بالحقد والضغينة على الإنسانية جمعاء ،

أخذ يتطور الآن بعد تكتلهم في فلسطين إلى حملة من الانتقام تهدف لتصفية الحساب مع كل فرد أو مجموعة سبق فى زعمهم أن ساهموا فى تعذيب اليهود واضطهادهم ، وهذه ملفات الوكالة اليهودية حافلة بخطط الانتقام ، ولم ينس الصهاينة حوادث العراق عام ١٩٤١ ، ولا حوادث الشعوب التى اعتدت أفرادها على أقلياتهم فى بلادها ، ومن بين هذه الشعوب الشعب البريطانى والشعب الألمانى ، ولكن فى المقدمة سيأتى طبعاً كل ما يزعمونه ويختلقونه من اضطهاد حل بهم فى البلاد العربية المجاورة ، كما أن كل كلمة فاه بها أمير أو زعيم كلها مرقومة فى سجلاتهم ، وهم متعطشون لتسديد الحساب بلا رفق ولا هوادة ، وكلما استقر بهم المقام فى فلسطين وتمكن لهم الحال فيها تعاظمت الأخطار وهذبت الخطط لانتقام مروع دام يصبونه على العروبة ودولها .

أبرزت الحوادث العديدة فى السنين العشر الماضية الصلة الوثيقة بين صهيونى فلسطين ويهود الأقطار العربية ، والنشاط السرى الواسع ، والوكالات والمنظمات التى يديرها هؤلاء الآخرون حتى ثبت الآن أن أفراد العصابات الإرهابية التى تفتك بالآمنين فى فلسطين يتألف أغلبها من يهود عرب جُلبوا ودربوا تحت إشراف الخبراء اليهود الأوربيين ، وبسبب معرفتهم العربيـة وملامحهم العربية سهل عليهم تنفيذ تلك المهمات الإجرامية التى عهدت إليهم . ولا يسعنا أن نغفل هنا ذكر سارة أرنسون وأفراد أسرتها التى اختصت بالتجسس فى الشرق وبين القبائل فى الصحراء السورية فى الحرب العالمية الأولى . وأن لهذه الأسرة وكلاء لا يزالون يقومون بنفس المهمة ، كما أن الخدمة السرية للوكالة اليهودية لها قلم خاص للاستخبارات فى الشرق الأوسط العربى ، وهو نشيط وله أساليب هدامة سريعة فى تنفيذ خططه . وقد أثبت يهود اليمن وعدن ويهود حلب بصورة خاصة مهارة تذكر فى هذا السبيل ... إن يهود البلاد العربية جيوب غدر وأعوان هجوم ، خطرها بالغ وسمها نقيع إذا ما اقترن غدرها بالتوجيه المصرى والتنظيم الأخصائى تحت إرشاد الأخطبوط الصهيونى فى فلسطين .

أما توزع اليهود فى العالم فله ميزة بالغة استغلها اليهود كل الاستغلال وعصروا كل خبرات الأمم التى عاشوا بينها وجلبوها إلى فلسطين لا للاستقرار فحسب ، بل للامتداد والتوسع .

وإذا ما علمنا نتاج اليهود الاقتصادى وقوتهم المالية أدركنا الاحتمالات الأكيدة الناجمة عن ذلك فيما لو سمح لهم بالتركز فى الأرض المقدسة ، وليس إنشاء أسطول ضخم ، وجيش عصرى ومصرف دولى ، وإذاعة قوية ، وجامعات ومعاهد ، وحصون وقلاع ، وقواعد غزو ، إلا نماذج من هذا التوسع المتيد الأكيد .

إن هذه مجموعة من الأخطار نقدمها هدية — قبل فوات الأوان — إلى أولئك الذين يتقلدون المناصب ويتحكمون فى توجيه الرأى العام العربى ، ويوجهون سياسته ويناصرون العروبة ويشدون أزرها ، لا بدافع التشاؤم والوجل بل كصرخة يرسلها عالم متألم ، يؤمن بأن الاعتراف بالحقيقة مهما كانت مُرة قاسية هى أولى الخطوات لتسديد الخطر ، وحزم الأمر وخوض المعركة بصبر وبلاء يجدر بالصادقين الذين عاهدوا الله على النصر أو الفناء ، دفاعاً عن العروبة وأمجادها وتراثها الغالى التليد .

مبررات دخول الجيوش العربية :

مضى على انفجار الغدر الصهيونى أكثر من شهرين ، أريقت خلالها دماء ، وأزهقت أرواح ، واحتلت مدن ، واقترفت جرائم هزت وعى الإنسانية ، وروعت أحاسيس البشرية ، وستبقى مذبحة دير ياسين الشاهد الدامى على جريمة فاقت بربرية النازيين ، بل غطت على فظاعة القتل بالغاز والخنق وجرائم القرون الوسطى ، وكل ذلك من جماعات متشردة أعدت ودربت للفتك وفرض دولة يهودية فى الشرق ، وليس لأحد منهم صلة أو حق بهذه الأرض العربية الصميمة . ومما لا شك فيه أن يهود العالم يمولون الاعتداء والجرائم الصهيونية فى فلسطين ، كما أن حركة التجنيد اليهودية على قدم وساق فى كافة الأقطار وتحت أسماء مختلفة أغلبها تحت اسم « حركة الشباب العبرى » ، ولهم معسكرات فى كل مكان تعد الجند وتجمع القوى ، كما صدرت نماذج التحاق بالجيش لكافة الشباب اليهودى العالمى للخدمة فى ميادين فلسطين فى الحال

عند ما يطلب إليهم ذلك ، كما أخذ الكثير من هؤلاء يتسرب إلى فلسطين بكافة الطرق ومعهم تدريبهم العسكري الفائق ، هذا وإن الأخصائيين الروسيين يقودون الآن الفرق اليهودية المرابطة فى عشرات الموانىء فى البلقان ، وكلها عازمة على غزو عام مسلح للأراضى المقدسة .

وعلى العموم فكفة السلم فى الشرق الأوسط الآن هى فريسة لتيارات عنيفة عسكرية وسياسية واقتصادية . وإذا ما علمنا أن دول الشرق فتية الاستقلال حديثة المهد ، وجدنا لأنفسنا كل مبرر يمليه الحق والعدل والأمن والسلام ، وكلها تفرض واجباً سريعاً حاسماً لدخول الجيوش العربية واجتثاث الصهيونية حتى لا تعود إلى شرورها وأخطارها الفادحة .

خطط وأهداف :

القضاء على الصهيونية كقوة عسكرية ، وخنق انتشارها كعقيدة سياسية ، وإدماج فلسطين كدولة عربية ، كجزء فى جامعتنا ، وإيجاد إدارة مدنية شاملة لكافة الرعايا — هذه هى بالايجاز ما يجب أن تهدف له الجيوش العربية عند دخولها إلى فلسطين ...

تقوم فى تل أبيب الآن معاقل إرهاب ومستودعات أسلحة ومصانع تجعل من المدينة خطراً يهدد سلامة الشرق ، وإذا رأى الإنجليز فى تدمير برلين العمل الوحيد لصون السلم العالمى والقضاء على رأس الثعبان النازى ، فدمار تل أبيب ونزعها ، كنواة لدولة يهودية ، من مخيلة اليهود ، عمل ضرورى لا مفر منه إذا أردنا أن نكون عمليين فى أعمالنا وخططنا لحفظ السلم فى الشرق . فهذا الوكر الذى يحتله ربع مليون إرهابى عنيد يجب أن يلقى نفس المصير الذى لقيته برلين وخاريحوف وهامبرج ، ووجودها على قيد الحياة بكل ما يكمن فيها من أخطار سيكون برهانا — يوماً ما — على عقم تفكيرنا ، وقصر نظرنا .

إن الصهيونية كالنازية فى أهدافها ووسائلها هى مذهب خالط الدم واللحم واخترقه إلى العظم فى جسم كل يهودى ، لذا أصبح من الواجب على القيادة العربية ، إعداد منهج يحفظ لليهود حياتهم كأفراد خالين من شوائب الصهيونية ، كمبدأ هدم وسيطرة ، والاستعاضة عنها بثقافة سلمية أخوية تمكن اليهودى العيش بهدوء وأمن مع الجمهرة العربية فى فلسطين . . . إن محق الصهيونية كمبدأ خفى هو إنقاذ لمستقبل الشرق . وكخطوة جوهرية فى هذا ، يجب على القيادة ألا تغفل عن فرض رقابة شريعة فى الدقيقة التى تدخل جيوشها الأراضى المقدسة على الشواطىء وإيقاف الغزو الذى ستقوم به ألوف صهيونية عدة تنتظر الأوامر بالنزول إلى البر .. إن كل صهيونى يقدم حديثاً إلى فلسطين ، هو خبير عسكرى مُنتدب لمهمة خاصة فى الدولة الصهيونية المزعوم إنشاؤها . .

إن دخول الجيوش العربية حادث بالغ الأهمية فى تاريخ العروبة ؛ فهو أول عمل مشترك تقوم به الجامعة لحفظ حياتها ، وسيشخص العالم بأبصاره ليرى كفاءتها وحنكتها فى مراحل حياتها الأولى ، وسيقبل حكمها وحلها لقضية فلسطين ، حتى ولو فرض بالقوة كما يتطلب الموقف الآن ، وسيكون حقيقة واقعة إذا ما اقترن ذلك بإيجاد إدارة مدنية ذات كفاءة وحنكة حتى ولو كانت عربية صميمة . إن الحنكة والشجاعة من القائد البارع تخضع لها رقاب الأعداء ولو كان ظالماً . هذا درس تعلمته البشرية خلال تجارب عديدة رغم عدم اعترافها به . وإن كل هوادة ، أو تراخ فى هذه المرحلة الحاسمة معناها الانهزام أمام الإرهاب وانتحار الجامعة العربية ، وتحطيم الأهداف والمبادىء والمطامح التى علقتها عليها ملايين الشباب فى أطراف العالم العربى

هذا يوم تشخص فيه عيون الأيتام والأطفال والنساء ، والمروعين حتى الطامحين إلى القتال ، ولكن يعوزهم السلاح والدراية ، بل وعيون العالم أجمع ، لترى جيوش العروبة تخوض معركة التحرير لإنقاذ فلسطين وإراحة العالم من قلق وخوف عجزت بريطانيا وهيئة الأمم المتحدة بسبب مطامعها وأنانيتها عن إيجاد الحل العادل لها .

إن هذا يوم له فى تاريخ العروبة ما بعده ، فاجعلوه مشهوداً أغر — وللعروبة نصر محتوم وظفر محقق .

(لندن) ١٩٤٨/٥/١١ — ابراهيم زكي أباظه

المحامى

الربيع الخـــالد ...

« إلى جيش النصر الظافر ... فى فلسطين »

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

ليس الربيع لنا دوحاً وأنهاراً ... ولا غنــاء وأنداء وأزهارا

ولا رُبى مرحات الأيك وارفة ... كجنة الخلد آصالا وأسحارا

ولا نسيما تحس الغيد نفحته ... عطراً ولفحته فى القلب إعصارا

ولا أهازيج أطيار تسيل كما ... سال الندى عبقاً من كف آذارا

بل الربيع الموشى فى مباهجه ... روح الحياة بدا كالنبع ثرارا !

روح تغلغل فى الدنيا فبد لها ... بالجدب خصباً وبالظلماء أنوارا

برى على الأرض أشجاراً وأودية ... وفى السموات أطيافاً وأطيارا

وإنمـــا هو سر لا قرار له ... وإن تبلج أزهاراً وأقمـــارا

أرى الربيع شباباً ضاحكا نضراً ... كالبحر مصطفقاً والنجم سيارا

فإن توارى شتاء فهو أجنحة ... تهيم فى الأرض إقبالاً وإدبارا

وتقتنيه الصحارى فى بواطنها ... تشكو صدًى ثار فى أعماقها نارا

فيمتلى السحب ترجيها وبوسمها ... رعداً وبرقاً فيهمى الغيث مدرارا!

وللطبيعة إحســاس تحس به ... نور الدجى وترى للجهر أسرارا

ليست زهور الروابى فى خمائلها ... إلا قلوبا وأسماعا وأبصارا !

وللطبيعة أسرار يبــوح بها ... فم الربيع عشيات وأبـكارا

تفيض بالبهجة الكبرى. مواكبه ... أنسا وبشرا وأضواء وأعطارا

منذا يراه ربيعاً واحداً ألفا ... وقد تمدد أطواراً وأوطارا ؟

لـكل نفس ربيع فى قرارتها ... رأته رأياً ولم تبصره إبصارا !

والعين لا تبصر الأكوان حالية ... إلا بنفس ترى الأوكار أفكارا!

ورب ذى بصر أعمى البصيرة لا ... يرى بشار أُحسن هز « بشارا »

إذا رأى الشمس والأقمار سافرة ... فقد رأى حجباً شتى وأستارا

وأنت يا فتنة للقلب آسرة ... ياروضة من رياض الخلد معطارا

يا صورة لربيع الحب مؤتلقاً ... ندى ونداً وأزهاراً وأثمارا

أرى بعينك لى سحراً وساحرة ... وفى محياك لى خمراً وخمارا

أنت الحياة التى تجلو الربيع لنا ... يعانق الشرق إجلالا وإكبارا

وما الربيع سوى الحرية انبعثت ... فى الشرق عزماً على الأعداء جبارا

ليعلم الغرب أن الشرق ناجزه ... بالنــار ناراً وبالبتار بتارا !

حتى نجدد للتــاريخ سيرتنا ... مهاجرين كما كنا وأنصارا

وما فلسطين إلا الجنة اقتربت ... لمن يذيق « اليهود » النار والعارا

هيا إليها على أشلائهم لنرى ... معنى الربيع وجيش النصر جرارا

العرب كم رفعوا للحق ألوية ... ومصر كم حررت بالسيف أمصارا

خواطر مسجوعة :

الحـــكمة

للأستاذ حامد بدر

قيل لِمَ لَمْ تطل فى مقالك ؟ قلت وما عيب ذلك ؟ . إن المعنى المعزز ، فى اللفظ الوجيز ، كالحسناء الرشيقة ، فى الحلة الأنيقة . والمعنى الضئيل ، فى اللفظ الطويل ، كالجسم الغث ، فى الثوب الرث . وقد تأتى الحكمة فى كليمات ، ولا تأتى فى صفحات . كما يجزل لك السخى العطاء ، ولا يشعرك بمناء . ويثقلك الشحيح بمن طويل ، لو يعطيك القليل !

فالحـكمة درس كبير ، فى أوجز تعبير ، يمليه قلب بصير ، ويؤيده تجريب كثير ، فتعجب من سطور ، تتيه على الشذور ، لأنها أغنى من الـكتب ، وأغلى من الذهب ، ينبعث نورها من حلك المداد ، كنور القلب ينبعث من السواد . نخذ من الحكمة ثروة قرون ، ولا تمشى بحثاً عن ثروة قارون . إن فى الحـكمة ثراء كبيراً ، (ومن يُؤتَ الحكمةَ فقدْ أوتى خيراً كثيراً)

أجل فى الحـكمة ثراء ، يفتقر إليه الأثرياء ، ونور لا تغنى عنه سمة البصرين ، ولا أشعة القمرين . ثراء يملأ الجنان ، بالرضا والإيمان ، ونور تتضاءل عنده الأنوار ، وتنكشف أمامه الأسرار ، فقلب الحـكيم غنى بما فيه ، عامر بما يحويه ، وعينه نافذة وإن لم تكن نجلاء ، وحسبك أبو العلاء !

والحـكيم إن فـكر ارتقى ، وإن عبر انتقى . فالحـكمة بنت الفـكرة العالية ، فى العبارة الغالية ، بل هى من الأدب غايته ، ومن البيان آيته . و كثيراً ما تمتُّ إلى الشعر بلحمة ، (وإن من الشعر لحـكمة) إلا أنها ليست حكما لطبع جائر ، ولا وحياً لشعور ثائر . بل تجىء عند هدوء النفس ، واعتدال الحس ، بعيدة عن عسف الغلواء ، بريئة من سرف الأهواء .

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة والمثقفون :

هذا هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور محمود عزمي بك يوم الثلاثاء الماضي في الاتحاد الثقافي المصري .

تتبع المحاضر مدلول الثقافة في العصور المختلفة حتى العصر الحديث ، وانتهى من ذلك إلى تعريف « الثقافة » بأنها الجانب العقلي للحياة الاجتماعية ، وأنها تشمل المعارف ذات الأثر العملي النافع في الحياة ، فهي شاملة بمعنى أن المثقف هو الذي يأخذ من كل فن بطرف ، وهي ذات صبغة حيوية لارتباط المعلومات بالحياة العملية الواقعة .

ولذلك لا يعد الباحث المختص في أي فرع من فروع العلم ، أو فن من الفنون ، مثقفاً ، ما لم يلم ببقية العلوم والفنون إلماماً نافعاً . وأشار المحاضر إلى ما توصف به الثقافة من نحو « الثقافة الفرنسية » أو « الثقافة العلمية » قائلا إن معنى الشمول الذي تدل عليه « الثقافة » لا يتفق مع هذا التخصيص .

وقال إن الكلمة التي كانت تدل على ذلك المعنى الشامل لألوان المعرفة في العصور العربية المتوسطة ، هي كلمة « أدب » فقد كانت تطلق على الشعر والنثر والتاريخ والفقه والتفسير والحديث والفلسفة والمنطق وغير ذلك . ولكن في العصر الحديث أخذت كلمة « أدب » المعنى الفني المعروف . وهنا قص المحاضر قصة طريفة تدور حول البحث عن كلمة عربية تقابل كلمة « كالتير » الإفرنجية حتى اهتدى إلى « الثقافة » فأطلقت على هذا المعنى . قال : كنا طلبة في باريس من مختلف البلاد العربية في وقت ثار فيه هناك جدل حول معنى الثقافة ، فألفنا جمعية أسميناها « جمعية التهذيبات العربية » ولما عدت إلى مصر واشتغلت بالتدريس ، كنت أحتاج إلى كثير من الأسماء العربية للمدلولات الحديثة ، ودلني بعض الناس إلى كتاب « المخصص » لابن سيده ، فاستفدت كثيراً منه ، وقيل لي إنه مما ينفع في هذا المجال مؤلفات خريجي دار العلوم الذين تعلموا في بعثات بأوربا ، وقرأت هذه المؤلفات ووجدت فيها كثيراً مما أطلب ، ومرة وقعت على كتاب لأحدهم وهو الأستاذ حسن توفيق العدل ، اسمه « سياسة الفحول في تثقيف العقول » فأمسكت بكلمة « تثقيف » وراجعت بعض المعاجم حتى وجدت في « أساس البلاغة » كلمة « الثقافة » بمعنى طلب العلوم والمعارف ، ثم كتبت مقالا بجريدة السياسة عنوانه « الثقافة البيضاء المتوسطة » فعقب عليه الدكتور طه حسين في فصل من فصوله التي كان يكتبها بعنوان « حديث الأربعاء » واستحسن كلمة « الثقافة » ولكن لم يعجبه وصفها بالبيضاء المتوسطة .. ذاهباً إلى أن الإضافة أحسن فيقال « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » بدلا من ذلك العنوان .. وبعد ذلك سارت الكلمة حتى الآن . وقال المحاضر إنه رجع إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وسأل عن مكان كلمة « الثقافة » في أعماله ، فقيل له إن المجمع لم يتعرض لها بشيء إلى الآن ، سوى ما تضمنته الأصول المعدة للمعجم الوسيط من أن « الثقافة » هي الإلمام بالمعارف المختلفة إلماماً حسناً .

تصوير الكاتب لغير بيئته :

نشط الأستاذ محمود تيمور بك أخيراً في الكتابة عن القضايا والمذاهب الأدبية ، ومن ذلك ما نشرته له مجلة « الاستديو » في عددها الأخير بعنوان « هل يحيا القصاص حياة أبطاله ؟ » وقد تعرض في هذا المقال لاتصال الفنان ببيئته وغير بيئته وأثر ذلك في فنه ، وقال « ولبعض النقاد عذرهم فيما يرتأون من أن القاص يجب أن يكون قد مارس حياة الصعلكة مثلا ليجيد التصوير لشخصية الصعلوك ، وأن يكون قد عاش عيشة الفلاح ليتحدث عن نفسية الفلاح » ثم قال : « على أن هذه الفكرة في وجاهتها وأصالتها ، وفي صدق أمثلتها ، ليست كل الرأي في هذا الصدد ؛ ولا يمكن أن تكون هي الحتم اللزام الذي لا سبيل غيره إلى تجويد وإتقان ؛ فقد يكفي أن يخالط الفنان طبقة من الناس ، ولوناً من الحياة ، نوعاً من المخالطة قل أو كثر ، فسرعان ما يتأثر بهذه الطبقة وذلك اللون ، وسرعان ما يجد في هذا التأثر مدرجة لإجادة الوصف والتعبير ، تسعفه الفطنة ، وتمده البصيرة ،

ويحلق به الخيال فى الآفاق والأعماق » .

وقال أيضاً : « ومن الطريف أن فى صميم الميدان الأدبى أمثلة تثبت عكس ما يراه النقاد من أن ابن البيئة أولى من يجيد تصويرها ، فقد يكون الفنان نزاعاً إلى نوع من الحياة غير الذى يحياه ، طلاعاً إلى جديد من العيش ، وإن كان أدنى من عيشه ، وأحفل بالمشقة والكبد ؛ فيبعثه الحرمان والنزوع إلى تمثل تلك الحياة المنشودة والاستمتاع بها فى عالم الخيال ، ومن ثم يستبين تعبيره قوياً حياً يصور بيئة غير بيئته ، وطبقة غير طبقته ، وحياة غير حياته » .

ولك أن تلاحظ أن ذلك ينطبق على الأستاذ تيمور نفسه ، لما يشيع فى قصصه من تصوير ألوان من الناس بعيدة عن حياته فى طبقته ، فهو إذ يفصل القول فى هذه القضية ، إنما يصدر عن إحساس وتجربة . على أننى أضيف إلى ما بينه ، أن الفنان الذى يطرأ على بيئة جديدة يسترعى انتباهه فيها ما يراه الفنان المقيم بها أمراً عادياً لا يستحق الالتفات ، لطول الألفة والمعاشرة

مثال :

ثم أريد من تلك الفقرات التى نقلتها من كتابة تيمور أن تكون مثالا لتعليق « الرسالة » على ما كتبه الدكتور الأهوانى بالعدد الماضى عن أسلوب تيمور ، ولعله يرى أن هذه الكتابة أقرب إلى « ترسل الجاحظ » منها إلى كثير مما يكتبه بعض الكتاب فى هذه الأيام ... وهى كتابة تيمور التى عدّ الدكتور من مزاياها أن تبعدنا عن ترسل الجاحظ ! ..

معرض الكتاب للطفل والناشىء :

أقامت وزارة المعارف بدار خدمة الشباب (٧ - شارع سليمان باشا) « معرض الكتاب للطفل والناشىء » وهو يضم مجموعات من الكتب العربية والإنجليزية والفرنسية والأمريكية الخاصة برياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية ، وقد شاهدت بينها مجموعة لا بأس بها من الكتب الأدبية العامة (غير المدرسية) وقد ضمها المعرض لأنها مقررة للقراءة الأدبية فى مكتبات المدارس الثانوية ؛ والمعرض بطبيعة الحال لا يضم كل الكتب المؤلفة للطفل والناشىء ، وإنما يحتوى على كثير منها ، ولا سيما الكتب غير العربية ، والمعروض منها هو المستعمل بمصر فى المدارس المصرية أو الأجنبية ، ومع هذا فإن القسم العربى أقل من كل قسم من الأقسام الأخرى ، ولم يعجبنى أن تأخذ هذه الأقسام صدارة المكان ، فقد كان يجب أن يتقدم القسم العربى مهما كان حظه من الكمية والمادة والمظهر .

والغرض من هذا المعرض أن يقف الزائرون من رجال التعليم والمؤلفين والناشرين والآباء والأمهات - على مدى ما وصلت إليه كتب الأطفال والناشئين . وقد رأيت المعرض زاخراً بعدد كبير من السيدات « الأجنبيات » يتأملن ويتصفحن باحثات عن الغذاء العقلى لأولادهن ، وأرسلت البصر فى جوانب المكان فلم تقع عينى على امرأة مصرية . . وليس ذلك لاحتجابها ، فقد رفع الحجاب ؛ ولا لاحتشامها ، فهى فى السينما ...

الطبيعة بين الشعر والعلم :

ألقى الدكتور محمد حسين هيكل باشا يوم الجمعة الماضى محاضرة بنادى رابطة خريجى معاهد فرنسا وبلجيكا وسويسرا ، كان موضوعها « الطبيعة بين الشعر والعلم » استهلها ببيان أنه سيتحدث حديثاً قوامه رواية مشاهد وليس القصد منه التفكير فى نظريات أو مذاهب وآراء . ثم بدأ بالحديث عن « مساقط النياجرا » التى تقع بين أمريكا وكندا ، فقال إنها من عجائب الدنيا السبع ، ومناظرها بما يحيط بها من حدائق من أجمل مناظر الدنيا ، ومن عجيب أمرها أن المقبل عليها لا يبهره أول ما تقع عليه عينه من مشاهدها ، ولكن كلما أنعم الناظر فى مفاتنها أحاط بها وتجلت له عظمة الطبيعة على نحو يعجز عن وصفه أبلغ الكتاب وأقدر الشعراء . وحول هذه المساقط جنات فسيحة متدرجة فى الارتفاع بحيث يرى الإنسان المساقط من أى مكان فيها . ومما يزيدها جمالاً بالليل ما يسلط عليها من الأشعة الكهربية الملونة ؛ وكل ذلك قد جعل منها بحق « جنة شهر العسل » وهنا ساق هيكل باشا دعابة قال فيها إنه عندما زار هذه المساقط لم يكن مثل الكثيرين الذين يقضون فيها شهر العسل ، لأن الذى كان يرافقه إنما هو الأستاذ جورج حبيب سكرتير فنى مجلس الشيوخ .. ولذلك لم يكن تأثيرها الشعرى فيه بالغاً ، وإنما راعه كثيراً ، عناية أهل تلك الجهات باستخدام العلم فى تجميلها

والانتفاع بها ، فأنشأوا مهابط كهربية (عكس المصاعد) تهبط إلى عمق خمسين متراً فى الأرض ، فإذا نزل النازل لبس ثياباً من الجلد لأنه يكون قريباً من مستوى رشاش الماء ، فيستمتع بمنظر لا مثيل له ؛ وبالقرب من المساقط محطة كهربية قوتها حوالى ١٧٥ حصاناً كلها مستمدة من مياه المساقط التى تنحدر إليها فى جوف الأرض . ثم قال : هناك يشعر الإنسان بقوة الطبيعة وعظمة العلم . قلت فى نفسى وقد شهدت المساقط والمحطـــة الـكهربية : أيهما أبدع وأروع سحر الطبيعة أو عقل الإنسان ، الطبيعة كما هى أو بعد تهذيب الإنسان لها وتسلطه عليها ؟ أعتقد أن علم الإنسان حين يختلط بالطبيعة وحين يندمج فيها ، هو بعض هذه الطبيعة ، كالصخور التى تتغير أوضاعها بفعل الطبيعة ، فالإنسان قوة من قوى الطبيعة .

ثم انتقل هيكل باشا إلى « الريفيرا » فتحدث عن جمالها واقتران العلم بالشعر هناك أيضاً ؛ وقال إن زرقة البحر الأبيض المتوسط جميلة فى الإسـكندرية ومرسى مطروح ، وفى غيرهما ، ولـكنها لا تبدو رائعة أخاذة كما تبدو على ساحل « الريفيرا » الممتد من مرسيليا إلى جنوة . ثم قال : منذ ثمانى عشرة سنة زرت الأقصر ، وركبت الباخرة منها إلى أسـوان ثم من أسوان إلى القاهرة ، وكنت فى خلال الرحلة أشعر بالرضى والطمأنينة لجمال النيل وزرقة مائه ولما كنت أستشعره من الآثار المصرية القديمة القائمة على شواطئه ، ولكن هل استطعنا أن نخلق على شط النيل « جنة لشهر العسل ؟ » ونحن نخطر فوق مياهه فهل ارتقينا «بالإنسان» المقيم فى واديه إلى مرتبة الإنسان ؟ لا أزال أذكر منظراً رأيته مكرراً فى تلـكم الرحلة ، الفلاح يزرع قطعة من الأرض يقتات منها هو وعياله ، ينقل المـاء إليها من النيل بوساطة رجل عند المجرى يرفع الماء إلى ثان ، والثانى يرفعه إلى ثالث ، والرابع يوزعه على الزرع . ولا شك أن الحال لم تتغير إلى الآن ، وقد بلغنا عن طريق العلم ما بلغنا فى معرفة طرق رفع المياه ، ولكن لم نستخدمه فى راحة هؤلاء الناس .. أليس مما يجرح القلب أن نهمل هؤلاء الناس وندعهم يشقون ؟ أليس واجباً أن نعمل وأن ننشر آراءنا فى الناس ؟ أقول هذا وأنا أعترف أنى من المسئولين عن التقصير فى هذا المجال ...

من طرف المجالس :

اعتدت أن ألقى بعض الأصدقاء يوماً من الأسبوع بمشرب فى القاهرة ، وكثيراً ما أجد هناك من لا أرتاح إلى مجلسه ، فأعتبر ذلك ضريبة للقاء الأصدقاء !

وذات يوم أقبل علينا صديق من غيبة طويلة ، ففرحنا به وشاعت البهجة فى نفوسنا لقدومه . وبينما نحن نمرح ونمزح إذا « ضريبة تصاعدية » تفرض علينا فى شخص صاحب يأبى إلا أن يكون شاعراً ، قد أعد قصيدة طويلة من الشعر « الوسط » فنغص علينا بإلقائها على أسماعنا ... والبلوى بهذا الصاحب أنه لا عيب فيه إلا شعره الذى يحرص على ألا تفوتنا بدائعه ! فلو أنه ممن لا تقتضى صحبته المودة لسهل التخلص من الإنصات لإنشاده ..

أفضيت بأمر هذا الشاعر إلى الأستاذ كامل كيلانى ، فابتسم ثم قال : ألا تعرف أنى قلت فى مثله أبياتاً منها :

فزكاة صحبته سماع قصيدة أبياتهـــا قد زلزلت زلزالا
فإذا أبيت فقد عققت صداقة وإذا رضيت فقد حملت جبالا

أوربا فقط :

دعت رابطة « مصر — أوربا » إلى حفلة ساهرة يوم الخميس الماضى بالنادى اليونانى الذى تتخذه مقراً مؤقتاً لها ، أو هكذا تقول .. فقد كان كل ما فى الحفلة التى دعت إليها « رابطة مصر — أوربا » أوربيا ، كان هناك موسيقى أوربية وغناء أوربى . أما مصر ، وهى الشطر الأول من اسم الرابطة ، فلم يكن يدل عليها هناك إلا الطربوش رئيس الرابطة المصرى . وكانت الرابطة قد دعت قبل هذه الحفلة بنحو أسبوع إلى سماع محاضرة لأحد الأجانب باللغة الفرنسية ، ولم تدع مرة إلى محاضرة عربية ، فلماذا لم يسموها « رابطة أوربا » من غير إقحام مصر المسكينة .. ؟

هل رابطة « مصر — أوربا » اتحاد مصرى انجليزى آخر .؟

التأليف المسرحى :

عانت الفرقة المصرية فى العام المتصرم أزمة فى التأليف المسرحى فلم تقدم فى هذا الموسم من الروايات المؤلفة الجديدة سوى رواية



فلسطين والأدب :

قرأت ما كتبه « فتى الفيحاء » فى العدد السابق من (الرسالة) فاهتز كيانى وكادت تذهب نفسى حسرات لما قارنت بين موقف أدبائنا وشعرائنا من أبناء وطنهم وأشقائهم ، وموقف بيرون الشاعر الانجليزى من يونان .

فبيرون لم تكن تربطه باليونان لغة أو وطن أوجنس ، ومع ذلك أبت عليه نفسه أن يرى طلاب الحرية وخطاب المجد يكافحون الناصب ويدفعون المحتل ولا يكون لهم من نصرته نصيب ، فهجر راحته ووقف نفسه على اليونان ليكون له فى إعانة الضعفاء قسط وفى بناء الحرية مقام .

فصرخت من أعماق نفسى واخجلتاه ! أعقمت الأمة العربية فلم تلد بيروناً واحدا ؟

ولكن سرعان ما تبدل الخوف أمنا حين رأيت (الرسالة) تفتتح معركة فلسطين الأدبية فأرسلها صاحبها[1] مدوية مجلجلة تنعى على ساسة أوربا وقادة أمريكا لصوصيتهم الكافرة وصليبيتهم المتطرفة ، وتأليبهم الجائر على العرب ابتغاء مرضاة يهوذا ومصانعة لأبناء صهيون . ثم ثنى على ذلك[2] فصور نفسية اليهودى وقد اقتربت الفريسة منه بعد أن أحكم لها الشباك ، ثم بدا له فارتد عنها مذعوراً ، فلم يفره فى هذه المدة وهج الذهب الذى عبده منذ خلق ، ولم تأمره السـادة التى ما زجت نفسه وانحدرت إلى عروقه من أسلافه ، لأن ذلك قد يعوق سير الصهيونية ويضر مصلحة إسرائيل . ثم ثالث[3] فأنذر بقيام ساعة العرب قريبا وكيف لا تكون قريبة وقد استنوق الجمل واستجملت الناقة ، فحمل اليهود السلاح وشهدوا الحرب وأحرزوا النصر واحتلوا المدن ؟

ثم انتظرنا بعد ذلك أن يستجيب أدباؤنا الكبار لنداء العروبة والأخوة فتتوارد على (الرسالة) مقالاتهم وقصائدهم لتسجل فى ديوان العرب المشترك محنة فلسطين ، فتشجع الخائف وتطمئن الحائر وتضيف عزيمة إلى عزائم المجاهدين . انتظرنا أن يحرك سقوط حيفا ومذابح دير ياسين وتشريد أبناء فلسطين مواطن العطف من نفوس شعرائنا فيبرز رثاء لمن استشهد ، ومواساة لمن شرّد ، وناراً تلظى على نفاية البشر وشذاذ الآفاق !

ولكن انتظارنا ذهب عبثا !

وبعد فأنا لنرجو من أدبائنا أن يصححوا موقفهم من فلسطين وأن ينظروا من أبراجهم العاجية بمنظار يكبر لهم الآلام الشديدة والمحن القاسية ليروها ، فينصروا أهلها بألسنتهم وأقلامهم ويضموا إلى مجدهم الأدبى شرف الجهاد فى سبيل حماية المسجد الأقصى وعروبة فلسطين .

(شبرا) **أحمد الجنادى**

عضو البعثة السورية

(١) الرسالة عدد ٧٥٤ .
(٢) العدد ٧٥٦ .
(٣) العدد ٨٧٤ .

واحدة هى « الناصر » لعزيز أباظة باشا ، وباقى ما قدمته إما مترجم أو مقتبس أو مؤلف قديم . ولم يبد إلى الآن ما يدل على انفراج هذه الأزمة ، على رغم ما قيل من اعتماد مبالغ من المال لتشجيع التأليف المسرح .

ومما يدل على ذلك أن لجنة ترقية التمثيل العربى ، لما أرادت أن تكمل هذا النقص فى وضع برنامج الفرقة فى الموسم القادم ، قالت إن الظروف الحاضرة لا تسعف الفرقة بالمسرحيات التى تؤدى رسالة الأدب المسرحى الرفيع على الوجه الأكمل ، وهى لذلك ترى ضرورة الاستعانة بالمسرحيات القديمة التى سبق أن أخرجتها الفرقة القومية وأحرزت النجاح . ومن هذه المسرحيات « مجنون ليلى وكليوبترا » لشوقى ، و « قيس ولبنى والعباسة والناصر » لعزيز أباظة ، و « حواء الخالدة » لمحمود تيمور ، وتقدم مع هذه الروايات مسرحيات مترجمة سبق إخراجها وتمثيلها أيضاً .

وقد انكشفت الضجة التى ثارت حول المسرح فى أواخر هذا العام ، عن انضمام يوسف وهبى إلى الفرقة المصرية ، أما تزويد الفرقة بمؤلفات مسرحية جديدة فلا تزال بإزائه علامتا أسف واستفهام ..

العباس

حول الفن الإنساني :

قلت فى العدد الماضى من الرسالة وأنا أتحدث عن الفن الإنسانى ، إن قصة « أدولف » للكاتب الفرنسى بنجامان كونستان تمد فى رأى النقاد أكثر القصص الذاتية بقاء على الزمن ، لأنها أكثرها إنسانية .. فهى أبقى من « آلام فرتر » لجوته و « رينيه » لشاتوبريان و « رفائيل » للامرتين ؛ وإن الفارق بينها وبين « أدولف » هو الفارق بين الفن التصويرى الذى يقف بك عند فترة من الزمن لا يتعداها ، وبين الفن الإنسانى الذى يتخطى حدود الزمان والمكان .

قلت هذا فعقبت الرسالة عليه بقولها : إن هذا رأى نسمعه لأول مرة ، فكان على الكاتب أن يذكر النص الذى اعتمد عليه ، والدليل الذى استند إليه

وردى على هذا التعقيب هو أنى كتبت فى مجال العرض والتحليل لا فى مجال التحقيق العلمى .. وإذا كانت الرسالة تريد النص والدليل ، فحسبى أن أنقل للقارئ رأيين فى « أدولف » يتفقان فى المعنى وما ذهبت إليه ، أحدهما للكاتب الفرنسى الكبير بول بورجيه ، والآخر للناقد الفرنسى فردينان برونتيير . يقول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلا أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل القصص التى ظهرت فى القرن التاسع عشر أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزنى كما هزتنى هذه القصة » . ويقول برونتيير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترقى إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى » . ويلاحظ أن الرأى الأول قد شمل فى مجال التفضيل قرناً كاملا هو القرن التاسع عشر ، وفى هذا القرن ظهرت آلام فرتر ورينيه ورفائيل .

وإذا كانت الرسالة تريد دليلا فحسبى أن أقول إن كلا من القصص الأربع تصور حياة مؤلفها ممثلة فى عواطفه الإنسانية وتجاربه النفسية .. وهنا يقف الناقد ليلمس ظاهرة فريدة تحدد القيم الذاتية للأثر الفنى ، هى أن « أدولف » تصور العواطف الإنسانية عند كونستان وغير كونستان ، من أصحاب الشعور والوجدان . . وأن آلام فرتر ورينيه ورفائيل لا تصور هذه العواطف إلا عند جوته وشاتوبريان ولامرتين !

هذا حكم يصدره النقد إذا ما أقام الدراسة الفنية على أسس وطيدة من الفهم النفسى ، ولا عجب بعد ذلك إذا ما قررت أن الفارق بين « أدولف » وبين القصص الثلاث هو ما ذكرت ولعلى أكون قد قدمت النص والدليل ...

أنور المعداوى

(الرسالة) : لا ، يا أستاذ أنور ! إن شرط النقل الصحة ، والصحة لا تتحقق فى النص إلا إذا نقل بلغته من كتاب معلوم ، وصفحة مرقمة ، وطبعة معينة . أما دليلك فلا ينهض إلا إذا أثبت بالطريق العلمى أن الإنسانية فى جوته وشاتوبريان ولامرتين من نوع خاص فتعبيرهم عنها لا يعم ، وأنها فى كونستان وحده من نوع عام فتعبيره عنها لا يخص . ويبقى أن تقنعنا إذا سلمنا لك صحة النقل أن هذين الناقدين الفرنسيين قد حكما لأدولف هذا الحكم بالنسبة للأدب الأوربى لا بالنسبة للأدب الفرنسى حتى يجوز أن يدخل (فرتر) فى هذا الحكم

شرح وإيضاح :

أراد الأستاذ الفاضل السيد على زين العابدين منصور فى العدد ٧٧٣ من مجلة الرسالة الغراء ، أن نوضح له كيف جوزنا لفظة « نداماء » الواردة فى قصيدتنا « قلب شاعر » المنشورة فى العدد ٧٧١ من الرسالة الغراء :

حتامَ أظمأ والأقداحُ دائرةٌ   مثل الكواكب ما بين النداماء

مع أنه بحث فى قاموس « الفيروزابادى » فى مادة « ندم » فلم يجد لها جمعاً سوى ، ندماء ، وندام ، وندامى . ونود أن نقول للأستاذ منصور أن مد المقصور وقصر الممدود ضرورة من الضرورات التى أجازها علماء العروض ، ولما كانت لفظة — ندامى — مقصورة فيكون مدها « نداماء » وكذلك لفظة « مولاى » مقصورة ، وعند مدها يقال « مولائى » وقد استعمل ذلك أبو نواس كثيراً فى شعره ، فقال من قصيدة منشورة فى ديوانه المطبوع بالمطبعة الحميدية المصرية عام ١٣٢٢ هـ ص — ٢٠٢ فى باب الخمريات :

إنى لأشرب من عينيه صافية   صرفاً وأشرب أخرى مع ندامائى

وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

يا رب مجلس فتيان سموتُ له   والليلُ محتبس فى ثوب ظلماء

ولا نظن أن أبا نواس الشاعر ، وهو حجة فى اللغة ، يورد لفظة فى شعره دون أن يكون متأكداً من أن علماء اللغة أجازوها

أما قول الأستاذ منصور أن فعل « صبا » يتعدى بـ « إلى » لا بـ « اللام » فى قولنا « إن لم تكن روحه تصبو لعلياء » فهذا اعتراض ضعيف لأن « اللام » تقوم مقام « إلى » فى كثير من الأحايين . فنحن نقول : ذهب إليه وذهب له ،

(البقية على صفحة ٦٠٥)



فى الأدب الحديث (*)

تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

الأستاذ عمر الدسوقى من أدبائنا المبرزين ، الواسعى الاطلاع ، الدائبين على البحث والتنقيب ، القادرين على التمحيص والتحقيق ، وهو ذو قلم بارع سيال ، وأسلوب قوى متين ، يشهد له بتمكنه من الآداب العربية والآداب الأجنبية على السواء .

أخرج لنا حديثاً كتابه « فى الأدب الحديث » وهو من الكتب الجليلة القيمة التى استوفت حظها من البحث والتحقيق ، ولقد قرأ مؤلفه الفاضل واستقصى كل ماله علاقة بالأدب الحديث حتى بلغت مراجعه أكثر من خمسة وثمانين مرجعاً بعضها عربى وبعضها أجنبى ، وبعد أن هضم هذه المراجع أخرجها لقراء العربية فى هذا الثوب القشيب ، المركز المعلومات ، الممحص المباحث ، فى أسلوب عربى مبين ، وعرض رائع جذاب .

استعرض المؤلف الفاضل الأدب الحديث من يوم أن بدأ يحبو إلى أن شب واكتهل وصار مارداً عملاقاً فى جيلنا الحاضر .

استعرض النهضة فى عصر محمد على . شارحاً السبل التى سلكها للنهوض بالشعب المصرى ، ورفعه إلى مستوى الأمم الناهضة ، مبيناً أن الاتجاه فى عصر محمد على كان علمياً بحتاً لحاجة النهضة إلى العلوم ، وأن الآداب لم يكن لها إلا نصيب ضئيل ، ثم انتقل إلى عصر اسماعيل فتكلم عن النهضة فى عصره ، وعن الجمعيات العلمية التى قامت ، والمدارس الأدبية التى نشأت ، مترجماً لأصحاب هذه المدارس ، وواقفاً عند البارودى باعث الشعر الحديث وقفة طويلة ، خرج منها مبيناً إلى أى حد حاكى البارودى القدماء وقلدهم ، وإلى أى حد جدد واخترع . وعرج منها على النهضة فى بلاد الشام مبيناً أثر الإرساليات التبشيرية فيها ، وانتقل من ذلك إلى النهضة الجديدة فى الأدب العربى التى اتخذت لها لوناً خاصاً ، والتى ظهر فجرها فى أخريات إسماعيل وعهد توفيق حينما منيت مصر بالاحتلال الأجنبى وازدياد نفوذ الأجانب وما كان من تنبه المصريين إلى الخطر الداهم ، ومصادفة ذلك وجود السيد جمال الدين الأفغانى الذى ألهب النفوس وحرك العزائم وأيقظ الهمم ، وما كان من جراء ذلك من ظهور الأدب القومى .

ثم انتقل إلى الكلام عن الاحتلال الانجليزى وفرض اللغة الانجليزية على تلاميذ المدارس المصرية ، وما كان من أثر ذلك من اتصال الأدب العربى والفكر العربى اتصالا مباشراً بالفكر الغربى ، وما كان من أثر هذا من اتجاه الأدب العربى إلى المسلك الذى سلكه حتى يومنا هذا .

ولقد بين إلى أى حد أثر الأدب الغربى فى الفكر العربى وفى ألوان الأدب واتجاهاته وأساليبه نثراً وشعراً ، دارساً بعض الألوان الجديدة التى قدمت للقارىء فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وبعد أن بين ما للترجمة فى النهضة الأدبية الحديثة واتصال بالفكر الأوروبى بين ما للمستشرقين من جهد فى سبيل اللغة العربية وآدابها وبحث العقيدة الإسلامية ومذاهبها ، ونشر ما عفت عليه الدهور وأغفلته يد النسيان من كنوز اللغة العربية معرفاً بأشهر المستشرقين المحدثين ومنتهياً من ذلك كله إلى الكلام عن القصة والمقالة ، وهما الثوبان الجديدان اللذان ظهر فيهما النثر الحديث .

ولقد دعاه كلامه عن القصة إلى أن يتعرض بالتخطئة إلى ما قاله المستشرقون ومن حذا حذوهم كالأستاذ أحمد أمين بك ، من عقم الخيال العربى لخلو الأدب العربى من القصة ، على أننا نخالف الأستاذ عمر الدسوقى فى ذلك ونؤيد الأستاذ أحمد أمين بك ، وسنفرد هذا ببحث خاص ليس هذا مقامه .

والحق أن هذا الكتاب فى رأينا من أحسن المؤلفات فى دراسة هذا العصر الحديث ، ولقد وفق فيه مؤلفه توفيقاً كبيراً يستحق عليه كل شكر وإعجاب .

(كرمة ابن هانىء) **كمال بسيونى**

(*) أخرجته حديثاً مطبعة الرسالة

تربية سلامه موسى

تأليف الأستاذ سلامه موسى

ما قرأت فى اللغة العربية سيرة كتبها صاحبها عن نفسه خالفه فيها توفيق كالتوفيق الذى أصابه الأستاذ سلامه موسى لما سجل أخيراً سيرته وأصدرها فى كتاب عنوانه « تربية سلامه موسى » . فهو كتاب أصيل فريد يمتاز بالصدق والإخلاص، ويبسط آراء الكاتب وانفعالاته وما استثاره من أحداث، وما استفزه على التفكير، ويرد لأساتذته المفكرين ديناً، ويرشد أبناء الجيل الجديد إلى وسائل الكفاح الذهنى وطرق التجاوب بين الإنسان والمجتمع الذى يحيط به .

والأستاذ سلامه موسى إنسان ، بشرى ، يؤمن بالإنسانية وبالبشرية ، ويرى أن العالم « قرية » لجميع قطانه ، وأن الفضيلة موجودة فى كل مكان حتى عند الزنجى الجلف الذى جافته الحضارة وطمست الجهالة مسام ذهنه . وهو ما فتئ يعطف على كل كائن : على الفراشة ، وعلى الدابة ؛ وما برح يؤكد كل حركة إصلاحية مستقبلية ، سواء كانت هذه الحركة من جانب المرأة للتحرر من قيود الرجعية الآسرة ، أو من جانب المستذلين من الشعوب ، أو من جانب الراسفين فى أغلال الجهل الواقعين فرائس للمرض والفقر . والأستاذ سلامة صريح صراحة غير مألوفة فى مصر وفى الشرق ، حتى إنه ليقول عن نفسه « أخطأت حين اعتنقت المذهب النباتى » و « كتبت مقالا عربدت فيه وفسقت » ويقول « وقعت فى فجر شبابى فى عربدة جنسية ذاتية » ويقول « تقاضيت جنيهين فى شهر مرتباً من وزارة الشئون الاجتماعية » ، ويوغل فى اعترافاته إيغالا لا ضابط له إلا الحقيقة .

وقد يسأل القارئ : وما دخل « حياة » سلامه موسى فى « تربيته » ؟

والواقع أن الأستاذ سلامه ما سرد سيرته إلا ليوطئ بها لبسط فلسفته فى التربية والتهذيب الذاتى . فهو يتحدث عن نشأته والبيئة التى أنبتته والمشكلات التى اعترضته ليبين كيف تسنى له أن يستجيب لهذه العوامل وكيف تحقق له أن يتلمس أسباب العلاج فكان يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً شأن كل راغب فى الاستطلاع ، تواق إلى تحصيل معارف كونية موسوعية .

وناحية ذات شأن تعرض لها الكاتب فى كتابه هى الحديث عن تاريخ الكفاح المصرى فى سبيل الاستقلال ، والجهاد لنفض غبار الاستعمار عن أديم الوادى ، وتصويره لهذه الأحداث تصوير انفعالى قوى . ألا ترى كيف بكى يوم قال له فرنسى وقح « الانجليز أسيادكم » وعاد إلى فندقه يتبرز دماً ومخاطاً . ألا ترى كيف أن حادث دنشواى الفاجع جعله فى حالة غثيان وذهول لا يستطيع الطعام أياماً . أو لا ترى أن الشئ الوحيد الذى أعرب الأستاذ سلامه عن أسفه عليه فى كتابه هذا هو أن الرقابة قيدت حرية كتابته خمسة عشر عاماً فى الحربين العالميتين الأولى والثانية . لم يأسف على فقد أمه ولا على فقد شقيقاته ولا على السجن الذى زج به فيه قدر أسفه على تكبيل حرية قلمه فى هذه الفترة الطويلة .

والأستاذ سلامه يعيش للمستقبل لا للماضى فيقول إن الطاقة الذرية أنشأت عنده مركب نقص ما فتئ يعانيه منذ ما انفجرت قنبلة نيومكسيكو ثم قنبلة هيروشيما . ويقول إنه فى السنوات العشر القادمة — إذا جاز له أن يرجو مد عمره فيها — سيدرس الذرة درساً مستفيضاً ولو اقتضاه ذلك استئجار مدرس خاص لأن خطورتها أكبر من أن يهملها رجل مثقف . وأمنيته فى هذه السنوات التى لما تجئ هى أن يزور أوربا ويطوف فى أرجائها ، ولكنه يخشى إن فعل أن تعمد السلطات المصرية إلى تجريده من جنسيته كما فعلت من قبل بالأستاذ محمود حسنى العرابى حين انتهزت فرصة سفره إلى ألمانيا وجردته من جنسيته لا لسبب إلا لدعوته التحررية الفكرية . وهو يريد أن يختم حياته فى الريف المصرى لأنه يرى فيه جمالا لا يراه فى المدن ، يريد أن يصادق الخراف والحمير والبقر والشجر ، يريد أن يتحدث إلى النجوم ويحيى الشمس فى الصباح ويضحك مع الماء يجرى بين النبات ويأكل الخس والفجل على حرف القناة .

وبعد ، فهذا كتاب تلوته مرتين وأرجو أن أتلوه مرتين أخريين على القليل فقد شغل تفكيرى ونشط حواسى وأنهض

الفعل الارادى

تأليف الدكتور أبو مدين الشافعى

فى مصر اليوم حركة ظاهرة ونشاط ملموس من جانب المهتمين بالدراسات النفسية .

ولدراسة علم النفس مكانتها فى العصر الحديث ولقد فطنا فى مصر أخيراً إلى هذا ، فصار عندنا علماء أفاضل يعملون على نشر علم النفس ودراسته بالأساليب الحديثة والوسائل العلمية .

والكتاب الذى أعرض له الآن ، هو للدكتور أبو مدين الشافعى مدرس علم النفس بكلية الآداب ، وهو نتيجة دراسات طويلة وتجارب كثيرة وعمل متصل فى هذا الباب . ولذا استوفى الكتاب جانب العرض النظرى للافكار المتعلقة بالإرادة والأعمال الإنسانية وفكرة الجبر والاختيار ، كما أنه شمل كثيراً من التجارب الدقيقة التى استفاد الدكتور من إجرائها إيمانه الشخصى بالعمل الذى يؤديه والنتائج التى يقول بها غير معتمد فى هذا على الأعمال التى انتهى بها مؤلفو الغرب وعلماؤه إلا من ناحية التوجيه والأسلوب فحسب . ولذلك كثيراً ما تراه يخالف الرأى الذى يذهبون إليه ويجمعون عليه خصوصاً وأنه فى دراسته إنما يهتم بالشخصية المصرية التى لها من الظروف والأحوال ما يختلف اختلافاً كبيراً عن سواها .

والذى يدلك على أن الدكتور يقدم إليك مادة استوفى بحثها واستكمل أداتها هو أنه قد تخصص فى هذا الموضوع بالذات . فله كتاب سابق هو كتاب الانتباه الإرادى وكتاب آخر باسم التعب . فدراسته ليست مرتجلة ، بل هى نتيجة تخصص وعناية طويلة بالموضوع . وهذا يظهر لك من قوله : « يمكن عد الانتباه الإرادى أهم ركن للفعل الإدارى ، إذاً فدراسة الانتباه هي المقدمة الضرورية لدراسة هذا الفعل . وعملية العزم تبدأ فى مرحلة الانتباه أو الاختباء وتنتهى بالتنفيذ »

فهو إذاً قد نظم عمله بحيث بدأ بدراسة الانتباه ليخلص فى النهاية إلى دراسة الفعل الإرادى نفسه . وهو لا يدرسه نظريا على الطريقة القديمة ، وإنما يعمد إلى التجارب فيستمد منها الدليل على الخطوات التى يخطوها فى هذا السبيل . ولذلك كان عمله متصلاً بجسم الإنسان ونفسه معا بحسبانهما وحدة لا يمكن أن يدرس منها جانب على انفراد . « وليمكن الوقوف على هذه المرحلة من الفعل الإرادى لابد من إلقاء نظرة على أسسه البيولوجية لنوضح الفروق بين أنواع الفعل بوجه عام ، ولنصل إلى مميزات الفعل الإرادى ، وما هو دور الكف والتركيز فى عملية التنفيذ» وهو لا يعنى بالجسم وأوضاعه على هذا الوجه فحسب ، بل يؤمن أيضاً من ناحية أخرى بأنه لابد من بحث صلة الفعل الإرادى بالعوامل النفسية البحتة قبل التطور الذهنى والانفعال والضبط ، على أن يكون هذا البحث على نمط علمى بعد أن طال النقاش حوله فى الميدان الفلسفى » .

فأساس نظرته إذاً هو التكامل . وهذا يتجلى بوضوح فى محاولة الربط بين العوامل النفسية فى الفعل الإرادى وبين الحديث عن الوسائل التى تحدد لنا حالات الجسم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يقول بوجود صلة بين النشاط الإرادى وما يسميه بالمجال الحيوى وهو المجال الذى يضمن للشخص توازناً عاماً يحقق به أغراضه الحيوية . وعنده أن المجال الحيوى يتوقف على مجالات أخرى مثل المجال الجسمى والمجال الاجتماعى والمجال الطبيعى والمجال الذهنى ، فالمجالات الثلاثة الأولى يشمل كل منها المجال الذى يسبقه ، فالمجال الطبيعى يشمل المجال الاجتماعى ، ويشمل هذا بدوره

عزيمتى وأرشدنى إلى آفاق كان حرياً أن لا أقف عليها . كتاب بدل عندى قيم الأشياء وجعلنى أستمير من الطفل رغبته الدائمة فى الاستطلاع وإلحاحه المستمر فى الاستفهام والسؤال .

وكأنى بالأستاذ سلامه موسى يريد أن يقول لقرائه : كونوا كونيين ... إفتحوا أذهانكم لكل جديد ... لا تعيشوا بعيداً عن الواقع ... انهلوا من موارد المعرفة غزيراً ، ... قاوموا السلفية والتأخرية والجمود ... تعصبوا للبشرية عامة ... آمنوا فبغير الإيمان لا يكون للحياة معنى ... أطلبوا مزيداً من الحياة لتزدادوا ثقافة واتساع فكر .

ربيع فلسطين

(المحرر بالمقطم — القاهرة)

المجال الجسمى ، وأما المجال الذهنى فإنه يربط بين هذه المجالات كلها .

فهو إذن عالم يدرس مسائل الاجتماع ومظاهر الطبيعة ، وحالة الإنسان ، ينتهى منها جميعاً إلى الرأى الذى يعمل به فى علاج الحالات المرضية المختلفة . وليس أدل على نزاهته العلمية من قوله : « ولم يكن بيير جانيه مخطئاً حين نسب إلى النشاط الحركى وإلى العمل العضلى قدراً من المجهود أكبر مما يبذله النشاط الذهنى ، وذلك لأن الأفعال الفكرية ، أفسح حرية من الأفعال الحركية الخارجية » . فهذا الرأى يخالف ما هو شائع بين عامة الأدباء الذين يريدون أن ينسبوا إلى أنفسهم امتيازاً على العامة فى المجهود الذى يبذلونه ، والمشاق التى يتكبدونها ، والذين يقولون دائماً أن نشاط الذهن أثقل على النفس وأدعى للتعب من المجهود اليدوى .

والذى أعتقد أن الذى أفاد الدكتور كثيراً فى دراسته هو عنايته بالدراسة العملية من جهة واشتغاله بمعالجة الحالات المرضية من جهة أخرى . ولذلك كثرت فى كتابه الأمثلة التى يذكرها تأييداً لفكرته فى أنه إذا شئنا معالجة المرض النفسى فعلينا أولا وقبل كل شىء أن نغير من المجال الذى يعمل فيه الشخص المريض ، كما أنه من الواجب أن نوفر له الجو الذى يتلاءم مع طبيعة مرضه ؛ فالحالات المرضية الداخلة فى نطاق علم النفس تحتاج إلى معرفة طرق التغيير ولا تكتفى بالوقوف على الحالة الراهنة وعلى نوع المرض . ففكرة المجالات الحيوية من شأنها أن توجد لنا حلولا كثيرة لأمراض بقيت ألغازا إلى يومنا هذا وعلى هذا الأساس قال بصراحة الطبيب والعالم معا ؛ « فالعدد الكبير من المصابين بالأمراض العقلية فى العالم لا يمكنه أن يجد الشفاء بين جدران المستشفيات ، ويتطلب أغلبهم مجالا خاصاً يساعدهم على استرجاع توازنهم العقلى وضبطهم الإرادى . فمن العبث إذاً محاولة علاج المصاب بالشعور بالنقص عن طريق الوعظ أو الحقن ، فلا بد من أن نضعه فى المجال الذى يرجع له ثقته بنفسه ليقاوم حسب مقدرته الخاصة » .

والذى آخذه على الدكتور هو أنه كان يذكر أحياناً كثيرة بعض أسماء العلماء باللغات الأجنبية دون محاولة ترجمتها صوتياً فى ألفاظ عربية . وكذلك كان يغفل أحياناً عند ذكر الكتب وأسمائها . والأفضل أن يذكر الكتاب بلغته الأصلية وبالترجمة العربية لاسمه فى الوقت نفسه . ومن حيث المراجع التى أشار إليها فى أسفل الصفحات تعد دقيقة ومتقنة ، بيد أنه ينقصها الترجمة بل إن الترجمة العربية لها وحدها تكفى طالب علم النفس والقارئ العادى . وآخذ عليه أيضاً أنه مقل فى الكتب التى يظهرها مع حاجتنا الماسة إلى مجهود كبير فى هذا الباب من الدراسات النفسية . ونحن فى بدء نهضة علمية من هذا النوع يفيدها الاطلاع والقراءة أكثر مما يفيدها عمل الدكتور الخاص فى معمله أو فى عيادته . وحبذا لو قام مع بعض تلاميذه بترجمة بعض الكتب الهامة التى تعد من المراجع الأساسية فى علم النفس . وأما من جهة اللغة التى كتب بها الكتاب فعلى الرغم من سلامتها ومن امتيازها على كتاباته السابقة فإنها ينقصها عنصر المرونة والتوضيح . فكثيراً ما كان الدكتور يكتفى بالفكرة يذكرها عارية فى جملة أو جملتين دون أن يحاول تفنيدها وربطها بما يليها ربطاً جيداً . ومن هنا بدا الكتاب جملة من اللمحات والضربات الخاطفة ...

وهذا ، على كل حال ، لا ينقص من قدر الكتاب ، بل على العكس يدل على أن الكمال الإنسانى مستحيل . وللدكتور منا الإعجاب بعمله القيم النفيس .

عبد الفتاح الديدى



ليـــلة فى القبر

للاســـتاذ نجاتى صدقى

مات الأديب بعد أن قضى عمراً حافلاً بالإنتاج الأدبى ، فقد ترك ثروة أدبية تقع فى ثلاثة عشر كتاباً ، وهى تعالج مواضيع مختلفة من تاريخية ، وعلمية ، واقتصادية ، وروايات وقصص .

وفى منتصف الليلة الأولى من دخول الأديب القبر جاءه الملكان الكريمان منكر ونكير ، ويالها من ليلة !

فنبه ناكر الميت قائلا : إيه يا رجل قم ! . .

وقال له نكير : هيا انزع عنك هذا الرداء الأبيض لنرى ما يضم فى طياته من صفحات سود ! ..

فذعر الأديب لهذه المفاجأة ونهض متثاقلا ، فرأى نفسه قبالة ملكين جبارين يحمل أحـدهما هراوة حديدية ضخمة ، ويحمل الثانى تحت إبطه كتاباً كبيراً .

وقالا له : نحن الملكان اللذان أخبرك عنهما الشيخ أثناء إيداعك هـذه الحفرة .. فرجاؤنا ألا تنزعج من زيارتنا غير المنتظرة ، فنحن لم نأت إلا للقيام بواجباتنا المقدسـة ، وإنا لنتمتع بسلطات لا حد لها ، فنطرق القبور دون استئذان ، ولا نميز بين غنى أو فقـير ، رجل أو امرأة ، فتى أو فتاة ، طفل أو طفلة ...

وسنشرع الآن فى محاسبتك حساباً تمهيدياً ، وعليك أن تكون معنا صريحاً ، وتيقن بأننا لن نرحمك إن حاولت المداورة أو المراوغة .

وسأله منكر حامل الهراوة : ما اسمك ؟ . وما مهنتك ؟

فأجاب الميت — اسمى (....) ومهنتى الأدب ! ..

ففتح نكير الـكتاب الـكبير ، وقلب صفحاته قليلا إلى أن عثر على اسم المرحوم .. وانكب يطالع مع ناكر ما كتب عنه فى عشر صفحات طوال ، ولما بلغا نهاية ترجمة حياته التفتا إليه والشرر يتطاير من أعينهما .

وقال له نكير : حياتك مليئة بالآثام ، وسنحاسبك الآن حساباً عسيراً ، قل لنا أأنت صاحب كتاب (النجاة فى الصدق) وغيره من الـكتب الـكثيرة ؟ ..

الميت : نعم ..

نكير : أتعترف بأنك كنت تدس السم فى هذا الـكتاب وفى غـيره ، وأنك كنت تنشر الإلحاد فى الناس ، وتبث فيهم الإباحية ؟ ..

الميت : هذه تهم باطلة ، وإنى لأحتج عليها بكل ما أوتيت من قوة .. إنك أيها الملك الـكريم تردد ما قاله خصومى فى . والواقع أننى كنت أنشر المعرفة فى قرائى ، وأبث فيهم روح الحرية .. كنت أرفع الغشاوة عن أعينهم وأدلهم على طريق الهدى والصواب .

نكير : لقد بدأت تراوغ ؟ .. والتفت إلى منكر وقال له : اضرب !

وهوى منكر بالهراوة على ظهر المرحوم وقدميه بضربات شديدة جعلت سكان القبور المجاورة يرتعدون فرقاً من هول ما يجرى فى قبر جارهم الجـديد ، وكان الأديب يصرخ وسط هذا العذاب ويقول : إن عملـكما هذا غير شرعى .. وستظهر براءتى فى يوم الحساب الأكبر .. ماذا تريدان منى ؟ .. إننى نشرت المحامد فى قرائى ، وكشفت النقاب عن مساوئ الناس وشرورهم ، وبينت لهم أخطاءهم ونقائصهم .. ثم إننى إذا كنت قد وضعت مؤلفات وأنا على قيد الحياة مشبعة بشىء من الحرية والصراحة ، فثقا بأننى عوقبت عليها ، وسجنت ، واضطهدت ، وليس لديكما مبرر لمعاقبتى مرة أخرى ! .

فتوقف منكر عن الضرب ، وتابع نكير قوله للمرحوم الأديب : إسمع أيها المتهم .. نحن نضاعف العقاب على الـكتاب المفكرين ونجعلهم فى المرتبة الأولى بين المتهمين ويليهم الأشقياء واللصوص ! .. فالشقى عندنا ينتهى أمره بموته .. أما الـكاتب

لجريمته لا تنتهى بموته ، بل على النقيض من ذلك فإن مفعول سمومه يزداد جيلا بعد جيل .. وهذا عين ما فعلته كتاباتك وما ستفعله فى المستقبل .

والتفت إلى منكر وقال له بحزم : اضرب ! .. اضربه بشدة على أصابعه التى كانت تقبض على القلم ! . .

وهوت الهراوة على يدى المرحوم ، وكان يصرخ ويتلوى من شدة الألم ، ثم حاول المقاومة لكن رأسه ارتطم بحجر فانطرح مغشياً عليه ، فمسح ناكر وجهه بيده فأفاق ثانية وقال رحماً كما أيها الملكان الكريمان . إننى دعوت فى كتاباتى إلى حرية الإنسان ، فقبحت جميع أنواع الظلم والطغيان ، ونبهت فى قرائى حب الفنون ، وحدثتهم عن الحب ، والموسيقى ، والغناء ، كما حدثتهم عن لؤم النفس ومساوئها ، ومظاهر خستها وانحطاطها ؛ وقد فعلت ذلك متمتعاً بحرية القول التى خولتنى إياها الهيأة الاجتماعية ، وكان رائدى دائماً الإصلاح ، والإصلاح لا غير .

فقاطعه نكير قائلا : قلت لك لا تحاول أن تضللنا ، إنك منهم بتفرقة الأبناء عن الآباء ، وبإيقاع الشقاق بين أسرة وأخرى ، وحى وآخر ، وجماعات وجماعات ، هذا والله وحده يعلم ما ستسفر عنه كتبك من شرور فى الأجيال القادمة .

والتفت إلى منكر قائلا للمرة الثالثة : اضرب وافهمه بأنه لا زال فى دون التحقيق ! ..

وانهال منكر على الأديب بالهراوة ، وهذا ينقلب على نفسه ، ويعول مستنجداً ولكن دون جدوى .

وهنا تدخل نكير وأشار على منكر بإيقاف الضرب منبهاً إياه إلى أن الساعة بلغت الثانية بعد منتصف الليل ، ثم التفت إلى المرحوم الأديب وقال له : نكتفى بهذا القدر هذه الليلة ، وانتظر قدومنا غداً عند منتصف الليل أيضاً فلنا معك حساب بصدد مجموعة قصصك المسماة) المدينة الشقية — وقصص أخرى) ثم إننا سنوالى زياراتنا إليك فى ثلاث عشرة ليلة على التوالى لنبحث معك فى كل ليلة آثام كل كتاب على حدة .. فإلى الغد أيها المتهم .

وعاد الملكان الكريمان فى منتصف الليلة الثانية إلى قبر الأديب ولكن لشد ما أدهشهما أنهما وجدا القبر خاوياً ! . .

نجاتى صدقى

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٦)

كما نقول : صبوت إليه وصبوت له .

هذا ما عن لى كتابته جواباً على استفهام الناقد الفاضل ، وعسى أن يتصدى عالم جليل من علماء اللغة ، فيشرح لنا ذلك .

وللرسالة وصاحبها الجليل ، فائق تحياتنا . وشكرنا على فضله وأدبه

بغداد **عبد القادر رشيد الناصرى**

رد . . . وعجب

كنت نشرت فى العدد (٧٧١) من الرسالة الزاهرة « قصة تضحية أم » واشد ما تملكنى العجب حين طالعت فى العدد (٧٧٢) الذى تأخر وصوله عشرة أيام بسبب أزمة النقل البريدى المستحكمة فى هذه الأيام ؛ كلمة للاستاذ الفاضل حسين مهدى الغنام تحت عنوان « حول قصة تضحية أم » نفى فيها صياغتى للقصة ، ورواية الأستاذ الجليل جمال الدين الجيلانى فى أصلها وأسماء شخصياتها ، وادعى أنه نشرها فى جريدة « الجلاء » بمدينة الإسكندرية عام ١٩٣٨ . وهو العام الذى كنت فيه ، فى الرابعة عشرة من عمرى ؛ وأنا لم أسمع باسم هذه الجريدة من قبل ، وأظن أنها لم ترد للشام بعد ؛ وأن الأستاذ الراوى كان مقرباً فى بلاط حيدر آباد الهندى آنئذ ؛ ثم ماذا يمنع رواية قصة أو حادثة قد مضى على حدوثها خمسمئة سنة مثلا .! وبعد فهذا عجب . ولعله يزيد عجبى لو أطلع على صورة هذه القصة التى صنعها قلم الأستاذ حسين مهدى الغنام لأعرف مقدار التحوير والتصوير واجتماع الخواطر !

عبد القادر صادق

تصويب :

قال الأستاذ العمارى فى العدد الأخير من الرسالة « والذى ساق بعض شباب الجيل إلى هذه التعبيرات السمجة هو ما قاله شوقى فى رثاء اسماعيل صبرى .

أو كان للذكر الحكيم بقية   لم تأت بعد رثيت فى الأعراف »

والحقيقة أن الكاتب قد أدخل بيتين خالدين لشوقى فى بيت واحد ، فقد قال شوقى أولا فى رثاء مصطفى كامل .

أو كان للذكر الحكيم بقية   لم تأت بعد رثيت فى القرآن

ثم قال ثانياً بعد خمسة عشر عاماً فى رثاء اسماعيل صبرى .

لو أن عمراناً نجارك لم تسد   حتى يشار إليك فى الأعراف

(سرس الليان) **محمد محمد القاضى**

العدد ٧٧٨ — الاثنين ٣١ مايو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٥٤٤

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 778

Lundi — 31 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧٧٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ رجب سنة ١٣٦٧ — ٣١ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لله جيش الفـــاروق !

إن فلسطين لتشهد وهى ترى جيشنا اليوم على أرضها للمرة الرابعة أنه هو جيش رمسيس الثالث ببأسه ونجدته ، وأنه هو جيش صلاح الدين بإيمانه وشدته ، وأنه هو جيش إبراهيم ببسالته وجرأته ، وأنه هو جيش الإسلام الذى ورد فيه القول المأثور : « إذا فتح الله عليكم بمصر فاتخذوا بها جنداً كثيفاً ، فإن هذا الجند خير أجناد الأرض » . والتاريخ الذى سجل لجيشنا الأصيل النبيل هذه الشهادة المقدسة ، لا يزال يسجل تَثَبـُّتها بما ينقل من مساعيه الصادقة ومداعيه الخطيرة حقبة بعد حقبة . والواقع الذى جرى بالأمس ويجرى اليوم ، لا يزال يؤيد أن هذا الجند خير أجناد الأرض ، لا لأنه قهر الحجاز ولم تقو على قهره تركيا ، ولا لأنه فتح عكا وقد عجز عن فتحها نابليون بجيش فرنسا ، ولا لأنه سحق الجيش التركى بقيادة (مولتكه) فى نصيبين ولم تستطع سحقه روسيا ؛ ولكنه خير أجناد الأرض لأنه خرج من أسر انجلترا سليم الروح ، نقى الجوهر ، صليب العود ، شجاع القلب ، شديد الطماح ، بعد خمس وستين سنة قضاها فى قبضة المحتل ، غريباً فى وطنه ، بعيداً عن حصونه ، مجرداً من سلاحه ، تساومه سيطرة الإنجليز على عزته ، وتراوده رخاوة الكسل على حميته ، وتغالبه دعة الفراغ على بطولته . ويأيسر من بعض هذا انكسر بأس الجيش الفرنسى نخر على أقدام الألمان مبذول القيادة ، ضارع الخد ، لا يحفزه حافز من ذكرى جان دارك ، ولا يحجزه حاجز من مجد نابليون .

كان الشامتون والمتشائمون يقولون إن الاحتلال صير مصر امرأة ، لها الزينة والمتاع ، وعلى عشاقها النفقة والدفاع ، حتى زين العبث لبعض الساسة فى الزمن الأخير أن يزوجها من إنجلترا زواج الأبد لتضمن الكاسب وتأمن القاصب . وجعل الإنجليز منذ مُنى باحتلالهم وادى النيل يمكنون لهذه الفكرة الخبيثة من نفوس الشعب ، فيزعمون أنهم دخلوا مصر ليحفظوا العرش ، وأنهم احتلوا مصر ليحموا البلاد ، حتى أنسونا ونحن عشرون مليوناً أننا زعزعنا عرش الخلافة ونحن مليونان ونصف! ثم عملوا لدوام هذه الحال ، فسرحوا الجيش ، وزيفوا التعليم ، وعاثوا فى النفوس ، وعبثوا بالضمائر ، وسلطوا الأهواء على عقول الخاصة ، والأدواء على جسوم العامة ، حتى إذا حسبوا أنهم بلغوا ما أرادوا انتفضت الأمة المقبورة فزال الكفن وذهب العفن وفار الدم الحر وثار التاريخ المجيد ، واستهلّ وعينا القومى فى مُلك فؤاد وحكم سعد ، ثم بلغ رشده فى ملك فاروق وحكم النقراشى . ثم جاءت قضيتنا فى مجلس الأمن فكانت معركة الحق كسبناها بالقلم ، وأعقبتها قضية فلسطين فكانت معركة القوة وسنكسبها بالسيف ؛ وكان انتصارنا فى هاتين القضيتين دليلا من أدلة الواقع على أن أمتنا بخير : ملك مثمر الشباب موفق الرأى مؤيد العزيمة ، وحكومة نزيهة النفس حرة الإرادة شعبية النزعة ، وشعب ذكى

أحرب تشب أم ثورة تقمع؟

للأستاذ نقولا الحداد

فى أخبار الأمس أن الجامعة العربية طلبت إلى هيئة الأمم الاعتراف بدولة عربية فى فلسطين. فإن كان هذا الخبر صحيحاً فهو مثل قولك: إن الولايات المتحدة الأمريكية طلبت من هيئة الأمم أن تعترف بدولة أمريكية فى أمريكا. فلا أصدق أن الدول العربية طلبت الاعتراف بدولة موجودة من زمان!

إن الدولة الفلسطينية كانت موجودة قبل الانتداب البريطانى، وقد جاء الانتداب البريطانى اعتداءاً عليها فكتم أنفاسها. فلما انتهى الانتداب، أو تنازلت عنه بريطانيا، عادت الدولة العربية الفلسطينية إلى كيانها الطبيعى، فلا معنى لمطالبة الجامعة العربية لهيئة الأمم بالاعتراف بدولة عربية فى فلسطين، لأن هذه الدولة كانت موجودة قبل أن توجد هيئة الأمم، بل قبل أن توجد عصبة الأمم المرحومة التى فرضت الانتداب، فلا داعى لأن تعترف بها هيئة الأمم الآن، وإلا فعليها أن تعترف بدولتى انكلترا وفرنسا اللتين خرجتا من الحرب السابقة دولتين كما كانتا!

وتحرير الخبر أنه لما وقعت الحرب الكبرى السابقة اتفق الإنكليز مع المغفور له الشريف حسين، على أن يشترك معهم فى محاربة الأتراك، حتى إذا تم النصر لهم كانت البلاد العربية المتخلفة عن الدولة العثمانية دولة عربية قائمة بنفسها تحت حكم الشريف حسين كملك عليها.

وقد برّ الشريف بوعده، ودفع بجنوده إلى ساحة القتال مع الإنكليز وحارب الأتراك. ثم تمّ النصر للحلفاء — ولولا معاونة العرب ما انتصر الإنكليز. لأن العرب كانوا العنصر الفعال فى تلك الحرب — ولكن الإنكليز لم يبرُّوا بالوعد. بل نقضت بريطانيا وعدها بخيانة فاضحة، إذ تقاسم الإنكليز والفرنسيس ميراث الدولة العثمانية فى الشرق العربى، وتولت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان، وإنكلترا على فلسطين (ومعها شرق الأردن) والعراق. وبقى الملك حسين ملكاً فى الحجاز كما كان من قبل. وكان من طغيان الانتداب الإنكليزى إعلان وعد بلفور الشيطانى بوطن قومى لليهود وما تلاه من تدفُّق اليهود على فلسطين وتسليم بريطانيا لهم زمام الطغيان فى البلاد كما هو معلوم، وليس غرضى من هذه الفذلكة أن أبسط مكر بريطانيا وفظائع الصهيونيين. وإنما غرضى أن أثبت أن الدولة العربية فى فلسطين كانت موجودة كنتيجة للحرب الكبرى الأولى. وإنما لؤم السياسة البريطانية خنقها وترك للصهيونيين الحبل على الغارب فى استعمارها. ولما سقط الانتداب البريطانى الذى كان جاثماً على صدرها تنفست ونهضت على قدميها. إذن لا داعى لأن تطالب الجامعة العربية هيئة الأمم بالاعتراف بها. بل على هيئة الأمم أن تلتمس من الدولة العربية أن تعترف بها (أى بالهيئة) وأن تضمها إليها كعضو شرعى أصيل فيها.

أما اليهود الذين فتحت بريطانيا لهم صدر فلسطين لكى يكون لهم وطناً قومياً فهم دخلاء غرباء جنساً ولحماً ودماً وروحاً ونفساً وقلباً وكبداً الخ. فالدولة التى أعلنوها وطالبوا الدول بالاعتراف بها، إنما هى دويلة مزيفة ملفقة، دولة تمثيلية. فهى كما لو قام السوريون واللبنانيون فى أمريكا يُعلنون دولة سورية لبنانية لهم، فما قيمة هذا الإعلان؟

فلما زال كابوس الانتداب البريطانى عن صدر فلسطين عادت الدولة الفلسطينية إلى كيانها، وإذا باليهود الدخلاء يدعون حصة فى المملكة الفلسطينية العربية. ثم يثورون فى سبيل الحصول على هذه الحصة. ولذلك قام العرب يقمعون هذه الثورة

إذاً ما يسمونه حرباً فى فلسطين ليس بالحقيقة حرباً، بل هو قمع ثورة صهيونية خسيسة لئيمة نجسة (جوييم بلغتهم). ولولا أن الانتداب الإنكليزى أظفرهم بعنق فلسطين، ويسر لهم

الفؤاد مهل القياد نافذ الهمة، وجيش جرىء الصدر مثالى النظام فدائى الخطة. وإن أمة تقوم نهضتها على هذه الأركان السليمة لا بد أن تبلغ مكانها المرموق فى ركب الحياة.

إن جيشنا بأعماله الباهرة يرحض عنا بالفعل عار الكلام، ويكشف عنا بالقوة ذل الضعف، ويفاوض خصمنا فى الميدان على استقلالنا التام. فقدموا العون لمن يبنى لكم المجد، وابذلوا المال لمن يبذل فى سبيلكم الروح، ولا تنسوا أننا منذ دخل فلسطين بدأنا نعيش.

احمد حسن الزيات

أيها المليك العظيم !

للأستاذ شكرى فيصل

« جرت التقاليد على ألا يدلى جلالة ملك مصر بأحاديث ، ولكن جلالته تفضل فأذن بالإعراب عن وجهة نظره فى مشكلة فلسطين فقال في الجواب عن خير الوسائل لوقف النزاع المحتدم بين العرب واليهود : إنه لابد من استخدام القوة... »

الصحف اليومية ١٢ / ٥ / ١٩٤٨

أيها المليك الشاب ! فى كل هذه الفترة التى كانت تتأزم فيها قضية فلسطين كنا ، نحن الشباب ، ننظر حوالينا هنا وهناك ، نرقب اليد التى تخلع القفاز ، والإرادة التى تطيح بالحذر ، والقوة التى تستطيع أن تدل على نفسها فى ساعات الحاجة إليها ، فلم نلمح اليد ، ولم نجد الإرادة ، ولم نحس القوة ... وإنما حملونا على أن نعيش فى خور الأمل ، وفى قلق الترقب ، وفى حمّى الانتظار ... وتطلمنا لحجبوا عن أعيننا الواقع ، وتأملنا نخدروا هذا الألم بالحذر الخادع ، وتساءلنا : أين موقع العرب اليوم من موقع العرب الأولين ؟

وطفرت من أعيننا دموع ، وارتسمت على شفاهنا تمتمات فيها غضب وغيظ ويأس ، أو ما يشبه اليأس ، وطافت بأذهاننا ذكريات من التاريخ فيها إنكار للذات ، وفناء فى الواجب ، لم نجد لها فى واقعنا الأليم أشباهاً ولا أشباحاً ... فطوينا التاريخ القديم كأنما كنا ندفنه ، وقفزت من أمامنا صور من التاريخ القريب : صورة من فيصل ، وصورة من غازى !

أما الأولى ، فهى صورة النبل السرى ، والإيمان القوى ، والإحساس الرفيع ... صورة فيصل يطرح العداوات ويولى ظهره لها ، ويهزأ بالثارات ويضحك منها ، وتظهر له مصلحة العرب الكبرى فينسى عرش أبيه الذى كان يريده ملكا واسعاً فى بلاد عربية واسعة ، فإذا هو منفى صغير فى جزيرة ضيقة صغيرة ، ويسافر إلى ابن السعود يصالحه ويقبله ... لا تخفق فى صدره ذكرى أبيه القريب ، ولكنما يتحرك فى ضميره صوت جده الأعلى محمد ، ولا يرتسم فى صفحته عاله الصغير ، وإنما ينفسح من أمامه

استعمارها وملكهم حقوق العرب فيها ، وحرم العرب حقوقهم لما أمكنهم أن يستفحلوا هذا الاستفحال ، وأن يستمدوا هذا الاستمداد للقتال كأنهم عالمون أنهم سيصطدمون يوماً من الأيام مع العرب . وقد جاء هذا اليوم .

وقد أدرك العرب اليوم أنهم لا يحاربون يهود فلسطين فقط بل هم يحاربون يهود العالم كلهم وكل من هم تحت ضغط اليهود المالى وضغطهم السياسى . ولذلك يبذلون النفس والنفيس هنا وفى أمريكا وغيرها لكى يؤيدوا هذه الدولة المزيفة .

وغريب أنهم وهم فى جميع ممالك العالم متألبون لإنشاء دولة صهيونية شيوعية يستنكرون على الدول العربية أن تعاون شقيقتها فلسطين المغلوبة على أمرها ، ويطلبون من هيئة الأمم أن تنهى الدول العربية عن مساعدة هذه الشقيقة .

وما انبرت الأمم العربية لهذه المساعدة ، إلا لأن برنامج الطغيان الصهيونى شامل لجميع دول الشرق الأوسط ، ولا سيما الدول العربية . فكيف لا تنبرى إذن ؟

وفى التاريخ أمثلة عديدة على معاونة الدول بعضها لبعض اذا أحست أن الخطر مقبل عليها . فى أوائل هذا القرن استجار أهل كوبا من ظلم الأسبانيين المستعمرين ، فهبت الولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذ الكوبيين من ظلم الأسبان بحجة أن هؤلاء جيرانهم فلا يطيقون أن يسمعوا أنين جيرانهم ويبقوا صامتين . فحاربت أمريكا أسبانيا وخلصت كوبا من بين براثنها ، ثم ردت لها استقلالها . فإذا كانت أمريكا تجير كوبيا بحكم الإنسانية والجوار ، أفلا يجب على العرب أن يهبوا لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونيين ، والصهيونية خطر عليهم جميعاً .

الحمد لله ، إنه ليس لهيئة الأمم قوة بوليس دولى تنفذ قراراتها بالقوة ، وإلا طغى الظلم واستفحل الاستبداد وقتل الحق بيد ترومان ما دام هذا المغفل تحت سلطان شرذمة متمولين يمدونه بالدعاية له فى الانتخاب إذا أيدهم فى طغيانهم .

والحمد لله ، أن الشعب الأمريكى شعر أن ترومانهم يتهور بمصلحتهم وهو ألعوبة فى يد اليهود ، إذ انضح لهم صبح الحق وهو انتصار العرب فى جهادهم المقدس ...

نقولا الحداد

الذى ليرسم صورة الامبراطورية العربية الكبيرة التى يفنى فيها فيصل وابن السعود، ليعيش فيها العرب سادة أحراراً وكراماً أبراراً

وأما الصورة الثانية ، فهى من غازى هذا الشبل ... صورة فيها الجرأة الذكية الرائعة ، والضربة المسددة البارعة ، والعزم الأبى المتدفق ، والجد الثائر الذى يريد أن يتحقق ... صورة فيها كل مكارم الفتوة ، وعزائم النبوة ، وحماسة الإيمان ... صورة هـذا الشاب الذى يغضب للحق ، ويثور للعرب ، ويتطلع إلى المستقبل الذى يلتقون فيه فى ظلال رسالتهم الخالدة لينطلقوا بها من جديد ، فيحطم العقبات التى كان الأعداء يزرعونها ، ويبدد الأوهام التى كانوا ينثرونها ، والأحلام التى يعيشون عليها ، لا يبالى فى ذلك إلا إرادة الوطن العربى الكبير !

صورتان من فيصل وغازى فى التاريخ القريب كنا نرقبهما فلا نجدهما ، ونتطلع إليهما فلا نظفر بهما ، ونطوى الليل لا تغمض لنا عين ، ونفنى النهار إفناء لا يهدأ لنا خاطر ولا ينعم لنا بال ، ونعيش فى جحيم القلق وسعير الترقب ... صورتان من عظمة فيصل واندفاع غازى ، نبشنا عنهما الأرض ، ودرنا نسأل عنهما السماء ، وطرقنا لنظفر بهما كل باب ... وكاد يعصف بنا اليأس ويتولانا القنوط أن نقع عليهما أو على إحداهما ... لولا أن الله أراد بالعرب الخير ، فإذا الصورتان ، صورة العظمة ، وصورة الاندفاع ، صورة الحكمة ، وصورة القوة ، تبرزان من جديد فى مثال حى عامل كريم ، فى مثالك أيها الملك المظيم !

* * *

إن آلافاً من الشباب الذين يتقلبون على الجمر ، يقرءون حديثك السامى الذى أذنت بإذاعته ، وإنهم ليحسون أن قضيتهم التى كانت تلتمس الحكمة والقوة معاً ، فلا تجد إلا حكمة عاجزة أو قوة خائفة قد وجدت عندك غايتها ، وحققت طلبتها ، وبلغت هدفها ، ولم يتجاوب الضمير العربى العام مثل هذا التجاوب الحي حين سمع : « لا بد من استخدام القوة ! »

إنه يعرف ماذا يعنى الملك المظيم حين يقول : « لا بد ! » ... إنه يحشر فيها كل عزمات الأبطال منذ دخل العرب بيت المقدس حتى دخلها النبى ... إنها همسة الأمان لأرواح آلاف الشهداء الذين سقوا فلسطين بدمائهم ، وغذوها برفاتهم ، وأقاموا من أجسامهم سياجاً لها !

لقد كان العرب فى حاجة إلى كلمة واحدة هى خير من عشرات الصحف ، ولقد قلت يا مولاى هذه الكلمة ، وسيترجمها الشعب العربى إلى عمل وعزيمة واندفاع ... لقد كنا نأمل أن تنفرج عنها فى مثل صراحتها الشفاء ، فلم يكن لها غير هذه النفس الكبيرة تنهض لها فى جلاء ووضوح وبيان .

* * *

إن حديثك المظيم ، أيها الملك المظيم ، هذا الذى ابتعث من أعماقنا الإيمان بعد أن كدنا نفقد الإيمان ، وأزاح عن وهجه عتمة الضباب وكدرة الظلمات ، فارتد صقيلا مشمساً ، وعاد إليه نوره بعد الذى فعلت به الحادثات وألقت عليه النوازل من ظلال معتمة سوداء ... فليبارك الله لك فتوتك ، فمع هذه الفتوة يجد الفتيان المتفتحون للمجد التجاوب ، ويحسون لها فى أعماقهم الألاءة ... وليحفظ عليك شبابك ، ففى هـذا الشباب الحكيم الجرىء ضاعت الحكمة القلقة والقوة الوجلة !

وسيحفظ لك التاريخ أنك قلت فهزأت بالقيود وضحكت من السدود . وإنا لنرقب أن يحفظ لك التاريخ أنك فعلت فرفعت البنود ، وجزت الحدود ، حدود تافهة مصطنعة هى عارضتان من الخشب ، وشبكة من القطن ... فعلى بركة الله !

(دمشق) **شكرى فيصل**

عبد الله بن سبأ

للدكتور جواد على

— ٥ —

ذكر البلاذرى فى كتابه « أنساب الأشراف » كل أخبار أبى ذر ، غير أنه لم يتطرق إلى خبر التقاء « عبد الله ابن سبأ » بأبى ذر فى الشام ، ولا فى أى مكان آخر (١) . وقد جاء البلاذرى فى كتابه هذا بروايات عن أبى ذر لم ترد فى الطبرى مما يدل على أنه قد اغترف من منابع لم يغترف منها صاحب التأريخ . وأن أصحاب تلك الروايات لم يعرفوا عن هذا اللقاء شيئاً ، ولو عرفوه لما تركوه .

ونجد مضمون رواية الطبرى عن نظرية « أبى ذر » فى المال فى « أنساب الأشراف » ونجد أنه كان يقول بها وهو فى المدينة قبل ذهابه إلى الشام ، وأن معاوية أرسل إليه ثلاثمائة دينار، وأن حبيب بن مسلمة الفهرى أرسل إليه مائتى دينار فردها . ونجد أشياء أخرى لم ترد فى الطبرى ؛ كل ذلك حمل معاوية على توجيه أبى ذر إلى المدينة خوفاً من إفساده أهل الشام عليه (٢) .

ويظهر من رواية « يزيد الفقعسى » أيضاً عند الطبرى أن «عبد الله بن سبأ» أصاب نجاحاً كبيراً بمصر، وأنه وجد هنالك أتباعاً وأنصاراً ، وأنه لقنهم « الرجعة » و« الوصية » و« الطعن على الأمراء » وأنه صار يكاتب الأمصار ويدعو إلى الفتنة (٣) . حتى ألب الناس على ولاتهم وحكامهم وقاموا بتلك الحادثة الأليمة التى آلت إلى مذابح وفتن كانت سبباً لتفريق الكلمة وحدوث الحروب .

وأن الخليفة رضى الله عنه حينما أدرك خطورة الموقف أراد الوقوف على أسبابها ، ومعرفة العوامل التى أدت إلى حدوثها « فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة ، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، وفرق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم. وقالوا جميعاً الأمر أمر المسلمين ، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم

(١) البلاذرى أنساب الأشراف حـ ٥ ص ٥٢
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣ (٣) الطبرى

ويقومون عليهم . واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه ، منهم عبد الله ابن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر » (١) .

وهذه الرواية الأخرى هى فى حاجة إلى نقد ودراسة ، فالظاهر من روايات الطبرى نفسها أن « عمار بن ياسر » كان فى المدينة فى هذا الوقت (٢) ، وأن أهل مصر كانوا يراسلونه ويتصلون به عن طريق المكاتبة ، وأنهم عند ما وصلوا إلى المدينة كان بها ، والمعروف أن علاقة الخليفة بعمار لم تكن على ما يرام، فلا يعقل إرساله لأداء مثل هذه المهمة . والذى ذكره البلاذرى أن الفتنة التى ظهرت بمصر كانت ترجع إلى أعمال « محمد بن أبى بكر » و « محمد بن أبى حذيفة » حتى إن الوالى « عبد الله ابن سعد بن أبى سرح » اضطر إلى وضع رقابة صارمة عليهما لئلا يفسدا الناس ، حتى إنهما عند ما طلبا الخروج معه فى الغزو أعد لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس ، فمرض محمد بن أبى بكر فتخلف وتخلف معه ابن أبى حذيفة ، ثم إنهما خرجا فى جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوغرا صدور الناس .

فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمار بن ياسر وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحة خبر ابن أبى حذيفة وحق ما بلغه عنه من باطله ، وأمره أن يقوم بعذره ويضمن عنه العتبى لمن قدم عليه . فلما ورد عمار مصر حرض الناس وانضم إلى جماعة ابن أبى حذيفة ثم أرجع بعد ذلك إلى المدينة (٣) .

ولم يذكر البلاذرى أن صاحب الفتنة هو « عبد الله بن السوداء » ويتفق الطبرى مع البلاذرى فى هذا الخبر فى كل شىء سوى وجود هذا الشخص الذى قيل إنه « عبد الله بن سبأ » وقد عزا المسعودى هذه الحركة إلى محمد بن أبى بكر (٤) . ولا أريد هنا أن أجرد اليهود من المؤامرات التى دبرت للكيد بالإسلام ، وحوادثهم فى ذلك كثيرة مشهورة يكفى أنهم هم الذين دسوا السم للرسول وأنهم كانوا يتولون نشر دعاية خبيثة بين المسلمين اضطرت « الخليفة عمر بن الخطاب » إلى اتخاذ موقف حاسم مشرف تجاههم أنقذ به العرب والإسلام . ولكنى

(١) الطبرى حـ ٥ ص ٩٩ (٢) الطبرى حـ ٥ ص ١٠٦
(٣) البلاذرى حـ ٥ ص ٥١
(٤) المسعودى مروج الذهب حـ ١ ص ٤٤٠ (المطبعة البهية)

لا أريد فى الوقت نفسه أن أسلم بدعوى من يصدق الروايات والأخبار فأسلم بأن المسلمين كانوا يصدقون كل ما كان يقال لهم بلا تفكير ، وأن يهوديا نكرة لم يعرف مركزه فى اليهود ولا منزلته فى الإسلام يستطيع أن يلعب هذا الدور الذى قصه علينا « سيف بن عمر » عن جماعة عن « يزيد الفقعسى » وأنه يستطيع أن يضحك من عقول المسلمين ، وأنه يضع لهم مقالة ومقالات ثم يجادل الإمام على حيا ، ثم يدعى بعد وفاة الإمام أنه لم يمت وأنه حى يرزق فى السحاب .

ورجل هذا شأنه فى الدسائس والفتن والمؤامرات كان من الواجب الإشارة إليه بشىء من التفصيل ، والتنبيه عليه ، وكان فى وسع « معاوية » القبض عليه والتنكيل به بين الناس .

ولم نجد فى شعر الرثاء الذى قيل فى قتل الخليفة « عثمان » واستشهاده ما يشير إلى هذا اليهودى الفاتن ، وقد ورد من هذا الشعر فى الطبرى وفى البلاذرى وغيرهما ما فيه الكفاية (١) .

ويظهر من تاريخ الطبرى أن المشاغبين الذين حاصروا المدينة وكانت غالبيتهم من المصريين كانوا يعرفون « بالسبائية » كذلك ، وأنهم كانوا من المحبين للفتن وأنهم لما سمعوا خطبة « على بن أبى طالب » بعد مبايعته قالوا :

خذها إليك واحذرن أباحسن	إنا نمرُّ الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن	بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلَين كالشطن	حتى يمرَّنَّ على غير عنن (٢)

والظاهر أنهم شاغبوا على « على بن أبى طالب » وأنهم تركوا العسكر ولم يمتثلوا الأوامر وأنهم كانوا يحبون الفوضى والخروج على النظام .

وإن الأمر بعد مقتل الخليفة أصبح فوضى ، فثار العبدان على الرؤساء وخرج الأعراب لما تراءت لهم علامات الغزو وإمكان الانتقام من أهل المدن . وتجد هذه الفوضى واضحة مرسومة فى خطبة « على بن أبى طالب يخاطب بها طلحة والزبير » يا إخوتاه ! إنى لست أجهل ما تعلمون ، ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ؟ هاهم قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا لا ، قال فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، وإن لهؤلاء القوم مادة ؛ وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً . إن الناس من هذا الأمر إن حرك ، على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق . فاهدؤوا عنى وانظروا ما ذا يأتيكم ثم عودوا .

واشتد على على قريش ، وحال بينهم وبين الخروج على حالها . فلما ذكر له ذلك ذكر فضلهم وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك . ونادى : برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه (١) عندئذ تذامرت السبائية والأعراب وصاروا يشاغبون على علىّ . ولما أراد علىّ إخراج الأعراب وإرجاعهم إلى مياههم أبت السبائية ذلك وأطاعهم الأعراب (٢) .

فالظاهر من هذه الروايات أن حالة من الفوضى قد عمت الأمصار بعد مقتل الخليفة « عمر بن الخطاب » الذى كان قد سيطر على الأمور سيطرة تامة . وأن الذين كان فى قلوبهم مرض وزيغ انتهزوا فرصة مقتل الخليفة وارتباك الأمر واستبداد الولاة بالرأى دون سائر الرؤساء ، فأثاروها فتنة وفوضى أدت إلى حدوث ذلك الوضع الشاذ ، فأفلتت الأمور من أصحابها وخرج العبيد والمستضعفون على قريش ، وانتهز الأعراب هذه الفرصة وقد كانت أخلاقهم وطباعهم مكبونة فى أيام « عمر » واتفقوا مع الموبجين الذين دعاهم الطبرى بالسبائية والذين شاركوا حتى فى المشاغبة على « على » عند ما رأوا منه أنه كان يريد استتباب الأمن والقضاء على الفتن وإعادة سلطة قريش كما رأيت .

ولا ندرى لم دعاهم الطبرى «سبائية» ؟ ألأنهم أتباع « عبدالله ابن سبأ ؟ » ولكن أين كان هذا الرجل فى هذا الوقت ؟ ولم لم يشترك مع المصريين أو غيرهم عندما ذهبوا إلى المدينة وقد نسبت أكثر المصادر سبب الفتنة إلى أشخاص آخرين ؟ أم لأن جمهرتهم كانت من أهل اليمن ، وقد كانت العادة أن يقال لهم « سبايين » أو « حميرين » كما كانت فى مصر جالية كبيرة منهم قبل الإسلام وبعده ، فقيل لهم لذلك « سبائية » ولا علاقة لهذه السبائية بسبائية عبد الله بن سبأ ؛ وأن هذه « السبائية هى التى دعت الأخباريين لسبب ستراه إلى خلق أسطورة « عبد الله ابن سبأ » هذا الذى جعلنا الرواة نكتب عنه هذه المقالات . فاختلقوا شخصاً يهودياً مسلماً أبوه من سبأ وأمه سوداء من

(١) الطبرى ح ٥ ص ١٥٠ ، البلاذرى ح ٥ ص ١٠٢ فما بعد
(٢) الطبرى ح ٥ ص ١٥٨

(١) الطبرى ح ٥ ص ١٥٨
(٢) الطبرى ح ٥ ص ١٥٩

في تاريخنا الحديث :

مواقف حاسمة ...

(لمؤرخ معاصر)

في سجل الثورة المقدسة صفحات مشرقة من المجاهدة والتضامن ، والمفاداة .. يجدر بالقوم أن يرجعوا إليها ، وأن يقفوا عندها يتأملون ماضيهم ، ويتدبرون حاضرهم ، ويرسمون مستقبلهم : ليربطوا حلقات جهادهم الموصول .

كانت مصر يومئذ تمتحن بنار الثورة ، وكانت الطريق واضحة ، والأهداف واحدة ، فلم يكن أبالسة الاستعمار «وسماسرته» قد جعلوا من كراسي الحكم أصناماً بعد ..

وأراد اللورد كيرزون أن ينال من وطنية المصريين ، وأن يغمز ثورتنا أمام العالم ... وكانت جهودهم في لوزان وفرساي قد أثمرت ، وأقفل سدنة السلام وحراس العدالة أبواب مؤتمر الصلح في وجه مصر — هذا ، ولم يكن المداد الذي سطرت به أنشودة الدكتور ويلسون قد جف .. تلك الأنشودة الجميلة ، ذات الألحان الأربعة عشر التي كانت الأفيون الذي خدر الرأي العام في الشرق مدة الحرب الأولى . فلما وضعت هذه أوزارها ظن المصريون أن حقوقهم ستكون موضوع الاعتبار .. وإن هي إلا معركة فقهية بيننا وبين الانجليز .. ولكن القوم نازلونا بسلاح غير شريف ، وحملوا أعضاء مؤتمر الصلح على إهانة العدالة ؛ وأذاعت[1] « دار الحماية » في مصر اعتراف ويلسون بالحماية البريطانية على مصر .. ولم يفت ذلك في أعضاد المصريين ، ولم يزد النار المقدسة إلا اشتعالا ، وبذل الأعمام أموالهم وأرواحهم في تطهير الأرض الحرام من برابرة الغرب ، وعصابات الاستعمار .

وأعلنت الأقدار هزيمة القوة فصرح اللورد كيرزون أن ثورة مصر إن هي إلا حركة مملولة يرتجلها الغوغاء ... ولو قد كانت هذه الحركة جدية لاشترك فيها الموظفون وهم صفوة الأمة وأرشد

(١) ٢٢ إبريل ١٩١٩ .

الأحباش أو غير ذلك كما رأيت .

ولا شك عندي في أن هذه العناصر ، سبائية سميتها أم كانت مسخرة ومحرضة ، حرضها أناس كانوا يسمون منذ عهد الرسول إلى خلق الفتن وتفريق العرب إلى شيع وأقسام ، وأنها حاولت الكيد لمن كان يعرف فيه الحزم والعزم ، وأن مقتل الخليفة « عمر » لم يكن بتلك الصورة البسيطة الساذجة التي رسمها الأخباريون ، بل كان خطة منظمة مدبرة يعرف بها جماعة . وأن نفراً كان لهم اتصال وثيق بذلك الرجل الذي صنع تلك الآلة للفتك بالخليفة .

يكفيك أن تقرأ خبر « كعب الأحبار » مع « عمر بن الخطاب » لتعرف منه أن « كعباً » هذا كان يعرف المؤامرة وأن الخليفة أحس بذلك من حديث كعب . جاء كعب إلى عمر قبل مقتله فقال : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام .

قال : وما يدريك ؟

قال كعب الأحبار : أجده في كتاب الله عز وجل التوراة .

فقال عمر : الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ! ؟

فقال كعب : اللهم لا ، ولكني أجد صفتك وحليتك ، وأنه قد فني أجلك .

فقال عمر : وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً !

فلما كان من الغد جاءه كعب فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان . ثم جاءه من غد الغد فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها ، فلما كان الصبح خرج عمر وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء هو فكبر ، ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات[1] .

لا أدري هل تحسن الظن بعد ذلك « بكعب » وتقول معه إنه كان يجد كل شيء حتى القتل في التوراة ، أم أنك ستخرج وأنت به شاك وتقول كما قال عمر . الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ! ؟

جواد علي

(١) الطبري جـ ٥ ص ١٢

عناصرها ، وفى هذا السبيل أثنى على الموظفين أجل الثناء لأنهم لم ينقطعوا عن أعمالهم أثناء الثورة التى اجتاحت البلاد .

وحاجّنا السير وليم برونيت فادعى أن الأقباط لم يستجيبوا لدعاة الإضراب ، وأشاع الثناء على الموظفين ، والإشادة بحسن سلوكهم .

ولكن مصر لم تشرب العسل المسموم ، وإنما أكرهت الأنجليز على ابتلاع آرائهم ، ووضع ألسنتهم فى جيوبهم .. وكان رد البلاد عليهم حاسماً رائعاً :

فأما الأقباط فأكذبوا ادعاء الغاصبين ، وخرج القسيسون والرهبان إلى المساجد ، وخطب القمص سرجيوس فى الأزهر ، وفتحت الكنائس للشيوخ والعلماء ، ومشى مشيخة الأزهر يحملون بساط الرحمة فى جنازات الشهداء ، وخفقت الأعلام ذوات الصليب والهلال ، وتواصف الناس مقالات سينوت بك حنا « الوطنية ديننا ، والاستقلال حياتنا » ، وكانت ترانيم القوم قصيدة الشيخ ابراهيم سليمان :

الشيخ والقسيس قسيسان وإن تشأ فقل : هما شيخان .!!

كانت سياسة الاستعمار تريد تسليط البلد على نفسه ، وكانت ترمى إلى تشتيت قوته ، وتوجيه تيار الثورة فى غير مجراه ... ولكن مصر المتحدة لطمت هذه السياسة لطمه النبة ، وعرفت كيف ترد سهام الإنجليز إليهم .. لم يكن فى مصر مسلمون وأقباط ، وإنما كان فيها مصريون : مصريون لهم صوت واحد يدوى بالاستقلال « وأن الوطن للجميع ، والدين للديان » .

وأما الموظفون فقد جاء ردهم على مزاعم الانجليز مفحماً ، وجاء فى أهرام أول إبريل سنة ١٩١٩ تحت عنوان المسألة المصرية فى مجلس النواب « أن العناصر الأكثر رزانة من السكان لا تستحسن هذه المظاهرات » . فأسرع هذا وأمثاله بالموظفين إلى الإصرار على دحض مزاعم المستعمرين ، وإسقاط حججهم أمام العالم ، وكان الإضراب هو الرد البليغ الذى لا رد سواه . وكتبت أهرام ٢ إبريل سنة ١٩١٩ تحت عنوان شعور الوظفين « أنهم لاحظوا أن بعضهم أخطأ فى فهم شعورهم فى الأحوال الحاضرة فقرروا الإضراب عن العمل غداً (الخميس) ويوم السبت المقبل فى جميع الوزارات والمصالح » وعلى هذا يكون بدء الإضراب يوم الخميس الثالث من إبريل ، وعلى هذا جرى المنشور الحكومى الذى أذيع على الصحف فى أول مايو سنة ١٩١٩ عند ما أرادت الحكومة أن تؤاخذ الموظفين فتقطع رواتبهم أيام الإضراب ؛ فقد حدد منشور « الحقانية » أيام الإضراب وقدرها سبعة عشر يوماً من ٣ إلى ٥ إبريل ثم من ٩ إلى ٢٢ منه .

ويقول عبد الرحمن بك الرافعى : إن الإضراب بدأ بالفعل يوم الأربعاء ٢ إبريل ولكنه صار عاما يوم الخميس ٣ إبريل .

ويبدو أن الحركة قد بدأت قبل هذا . ولعل الوظفين لم ينتظموا أعمالهم من أواخر مارس بعد أن تناقلت شركات البرق خطاب اللورد كيرزن الذى أراد به أن يسمى بالمصريين بين أنفسهم حتى يكفيه بعضهم شر بعض ... ولكن الحركة لم تأخذ سبيلها إلى أسماع العالم إلا فى هذا التاريخ ربما اجتمع كبار الموظفين لتحديد الإضراب وتنظيمه ، وكتابة العرائض ، والموافقة عليها ، ورفعها إلى عظمة السلطان وإبلاغها الحكومة البريطانية . وكان للحركة قادة من أمثال عبد الرحمن فهمى ، وأمين الرافعى ، ومحمود سليمان باشا ، وعبدالله سليمان أباظه ؛ وكان من زعماء الموظفين على ماهر بك « صاحب المقام الرفيع » وحلمى عيسى بك « باشا » وزكى العرابى أفندى « باشا » وإبراهيم دسوقى أباظه أفندى « باشا » وأحمد شرف الدين أفندى « بك » والأستاذ عاطف بركات ، والأستاذ حسن نشأت .

وكان للحركة معاقل سرية كان من أهمها منزل الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه ، وعبد الهادى الجندى ، ومراد الشربينى ... وفى هذا الجو تألق اسم البطل الشهيد أحمد ماهر ، ومحمود فهمى النقراشى ، وظهر الخطيب المتدفق شكرى كيرشاه .

وفى يوم الأربعاء ٩ إبريل صدر الأمر رقم ٢٦ لدولة رشدى باشا بتأليف وزارته الرابعة ، وكانت حركة الموظفين قد بدأت بعد استقالة وزارته الثالثة ، وكانت استقالته هذه من المواقف الكريمة التى أيدت وجهة النظر المصرية ، وكان السيرونجت قد طلب إلى رشدى باشا أن يؤجل البت فى استقالته حتى يتصل بحكومته فى لندن لإقناعها بالسماح له ولعدلى باشا بالسفر إلى أوربة ، ولكنه أصر على أن يسمح بالسفر لكل من يشاء من المصريين .. وقبلت الحكومة البريطانية سفر الوزيرين دون أعضاء الوفد فاعتبر هذا رشدى باشا رفضاً لمطالب الوزارة الوطنية ، وأصر على استقالته ... فلما ألف وزارته الرابعة ظن أن الوظفين سيهاونونه ، ويعودون

إلى أعمالهم ... مادام الإضراب قد أعلن وأدى نتيجته ؛ وكان المنشور السلطانى قد أذيع فى يوم الثلاثاء ٨ إبريل بعودة النظام ورفع الحجر على سفر المصريين وإطلاق سراح زغلول ، وصدقى ، ومحمد محمود ، وحمد الباسل .

ولكن الموظفين أصروا على الاستمرار فى إضرابهم وألفوا لجنة من مندوبى الوزارات والمصالح من سبعة وخمسين عضواً .

وفى ١٠ إبريل [1] اجتمعت اللجنة بوزارة الحقانية فشرطت للعودة شروطاً فيها كثير من التعنت ، ورفعوا بهذه الشروط قراراً إلى رشدى باشا . ويستدعى رئيس الوزراء زعماء الموظفين فيجيبون دعوته إلا على بك ماهر ، وفى هذا الاجتماع كرر الوزير للموظفين طلب فض الإضراب ولكنهم أصروا على موقفهم ، واشترطوا أن تعتزل الوزارة الحكم ... تلك الوزارة التى أيدت الثورة وكانت فى الجبهة الشعبية من يوم تأليفها .

وفى يوم الثلاثاء ١٥ إبريل طلعت الصحف ببيان آخر من رشدى باشا يدعو فيه الموظفين إلى العودة ، ويلقى عليهم مسؤولية الاستمرار فى الإضراب .. ونشرت جريدة المقطم يوم ١٨ إبريل سنة ١٩١٩ أن رشدى باشا استدعى بعض أعضاء لجنة الموظفين ، وناقشهم طويلا ، وبين لهم خطر الموقف ، وانفض الاجتماع دون الوصول إلى قرار نهائى .

ويقف رشدى باشا موقفاً كريماً فيقبل اعتزال الحكم إن كان ذلك رغبة الموظفين ، وأطلع الوزراء رؤساء الموظفين على نص كتاب الاستقالة قبل أن يرفعوه إلى عظمة السلطان .. وتتوالى الحوادث بسرعة فيجتمع بعض أعضاء لجنة الموظفين ويقررون العودة . كان ذلك يوم ٢١ إبريل ؛ وفى اليوم الثانى أذاع الجنرال اللنبى منشوراً يقضى باعتبار كل موظف مستقيلا إذا لم يعد إلى عمله وأذيع المنشور فى الصحف — الاهرام ٢٣ / ٤ / ١٩١٩

وفى نفس هذا العدد تكذيب بتوقيع محمد عاطف بركات ومحمد زكى الإبراشى : « لا صحة لما جاء فى بعض المنشورات من أن اللجنة العليا للموظفين قد قررت الاستمرار فى الإضراب ...

إن حركة إضراب الموظفين عام ١٩ كانت حركة رائعة موفقة لولا أنهم تمادوا فيها بعد زوال أسبابها .

إنها قصة رائعة لم يحسنوا ختامها ... وحسبك أنها انتهت بسقوط وزارة رشدى وكان سقوطها خسارة كبيرة ... وفى نفس اليوم الذى عادوا فيه كان اعتراف ويلسون بالحماية الإنجليزية على مصر تتناقله شركات البرق فى العالم .

ولقد صحب هذه الحركة مواقف غاية فى النبل والشجاعة ، والإيثار ... فمن ذلك أن الإنجليز طلبوا إلى الوزارة اعتقال زعماء الحركة ونفيهم فأبت الوزارة هذا ، وردت على الإنجليز بأن « رؤساء الإضراب هم زهرة الشبيبة المصرية فلا نقبل أن يهانوا ، ولا نستطيع تحمل مسئولية اعتقالهم ، وإذا بدا لقوة أجنبية أن تعتقلهم فسنكون نحن « الوزراء » أول الثائرين ... »

والذين سمموا بأيام الحماية ، وعهود المستشارين والإشراف ، واستئثارهم بالحكم والنفوذ يعرفون إلى أى حد كان رشدى باشا رجلا فذا ومثلا نادراً فى الشجاعة والاستبسال ، ويعرفون إلى أى حد ظلم الموظفون الرجل ، وحرموا حكومته من العون والتأييد ...

وأراد الإنجليز أن يأخذوا الموظفين بأضرابهم فجاء فى أهرام الخميس الأول من مايو سنة ١٩١٩ منشور الحقانية بعنوان « موظفو الحكومة أيام إضرابهم عن العمل » : تقرر مبدئيا قطع مرتب مدة الإضراب وقدرها سبعة عشر يوما من ٣ إلى ٥ إبريل ثم من ٩ إلى ٢٢ منه — من جميع الموظفين والمستخدمين الوطنيين مع حفظ الحق فى إبداء المعارضات . أما إعانة الرتب فتصرف كاملة طبقاً للتعليمات الخاصة بها »

وقبل الموظفون ذلك ، ولكنهم طالبوا ألا يعامل صغار الموظفين بذلك ... ويثور هؤلاء ويأبون أن يكونوا أقل من رؤسائهم بذلا وتضحية حتى يقنعهم الرؤساء بقطع الرواتب عن نصف مدة الاضراب .

هذه صفحة من تاريخ اليقظة المصرية ننفض من عليها غبار الليالى . وكم فى سجل الثورة المقدسة من صفحات يجدر بالمصريين أن يرجعوا إليها ، وأن يقفوا عندها ... ليتأملوا ماضيهم ؛ حتى يتدبروا حاضرهم ، ويرسموا مستقبلهم ... ويربطوا حلقات جهادهم الموصول ...

(مؤرخ)

(١) الاهرام والمقطم ٩١ / ٤ سنة ١٩١٩

مناوئة الماضى :

زيارة لحصن الأكراد (*)

أدب وحرب

للأستاذ أحمد رمزى بك

١ — لزيارة حصن الأكراد قصة لا بأس من إيرادها على سبيل الفكاهة كدخل لهذا الحديث ، فقد سبقتها زيارة لحصن آخر هو قلعة مدينة طرابلس . ولم يكن لدى برنامج موضوع لزيارة القلاع والحصون التى أنشأها الصليبيون أو احتلوها بالمشرق ، وإنما جاءت الزيارتان وليدتى المصادفة . وإليكم ما دفع إليهما .

٢ — حينما جاء الجنرال جورو الفرنسى إلى مدينة طرابلس عقب احتلال فرنسا للبلاد بعد جلاء الجيوش البريطانية عنها ، استقبل فى قلعتها استقبالا غريباً ، فقد تلقاه جماعة من جنوده ، وقد لبسوا لباس فرسان الهيكل Templier ومقابلة الاسبتار Hospitaliers ومعنى هـذا الاستقبال مظاهرة صليبية بعـد سبعمائة سنة من انتهاء هذه الحروب . وخطب الجنرال وأظهر سروره باسترجاع فرنسا لمعقل من معاقل الصليبيين . وقد عد هذا العمل من أخطاء جورو التى سجلت عليه ، لأن فرنسا لم تفتح هذه البلاد بجيوشها حتى تحتفل باسترجاع حصن نزع منها . ثم إن عقلاء الفرنسيين أشاروا بخفة إلى أن هذه الحروب كانت حرباً عامة اشترك فيها الفرنسيون وغيرهم من الألمان والإنجليز . وكانت نهاية الحروب خروج الصليبيين بعد هزيمتهم ، فليس من الحكمة فى شىء أن تلصق هذه الحروب ونتائجها بالشعب الفرنسى وحده .

٣ — كان قد مضى أكثر من عشرين عاماً على هـذه الحوادث حينما زرت مدينة طرابلس ، فإذا بأهل المدينة يتحدثون عنها ، وكأنها حصلت من أيام . لله در الجنرال جورو ! لقد كان أهل طرابلس رجال رباط ومثاغرة منذ القدم ، فإذا هو يذكرهم بماضيهم ، وإذا هم من جديد من المرابطين المثاغرين الذين لم يفقدوا شيئاً من حماسة آبائهم وأجدادهم ، وكان أن تحادثنا فى موضوع مدينة طرابلس وكيف دخلتها جيوش الملك المنصور سيف الدين قلاوون وانتزعتها من أمراء الصليبيين ؛ وتحمس الجمع فخرجنا إلى قلعة طرابلس ، وقرأنا الكتابة التى سجلها الفاتح على باب القامة : وكان أثر هذا الاستقبال الفرنسى أن أوجد وعياً قومياً وحماساً فى قلوبنا .

٤ — وأمضينا سهرة حول فتح طرابلس وسير حملتها ، فإذا بالحديث يتناول قلعة الحصن أو حصن الأكراد وهى التى قامت منها الحملة التى استولت على طرابلس ، وكان أن تقررت زيارتنا للحصن العتيد فى يوم من أيام عام ١٩٤١ حينما كانت الحرب العالمية الثانية فى أشد أدوارها وطأة : فقمنا فى أكثر من ست سيارات على طريق حمص ، وما كدنا نترك محطة تل كلخ حتى ظهرت لنا القلعة العظيمة بأبراجها تطل علينا من فوق رابية لا يقل ارتفاعها عن سبعمائة وخمسين متراً عن سطح البحر ، وهى فى ضخمتها وعظمتها توحى إلى الناظر إليها بأنها تتحدى الأجيال . فكأن الزيارة الأولى جاءت من وحى الاستقبال الفرنسى ، وأتت زيارة حصن الأكراد نتيجة لما لمسناه ورأيناه عند زيارة قلعة طرابلس: كان كل هذا بغير قصد مبين .

٦ — وتمت هذه الزيارة فى يوم بأكمله . فقد صعدت بنا السيارات إلى قمة هذا المرتفع ، ورأينا الأراضى الخصبة التى كان يسيطر عليها أصحاب الحصن ، وظهر لنا البحر من بين المرتفعات : ورأينا كيف كان أهل الحصون يتخابرون بالنيران الموقدة . وحينما نزلنا من السيارات واتجهنا إلى باب الحصن أخذتنا الرهبة لدى قراءة ما كتب بالخط النسخ الجميل من مثال العصور المملوكية القديمة فى مصر . فأخذنا نحاول القراءة ، فأتى إلينا من باع لكل منا بطاقة قد صورت عليها الكتابة الخالدة :

٧ — بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هـذا الحصن المبارك ، فى دولة مولانا الملك السلطان الملك الظاهر العالم العادل

(*) نص المحاضرة التى ألقاها الأستاذ أحمد رمزى بك الممثل السياسى لمصر بسورية ولبنان من ٣٩ — ١٩٤٤ عن زيارته لقلعة حصن الأكراد بسورية فى نادى خريجى جامعات فرنسا وسويسره وبلجيكا فى مساء يوم الجمعة ١٦ إبريل ١٩٤٨

المجاهد المرابط ... ركن الدنيا والدين أبو الفتوح بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، وذلك بتاريخ يوم الثلاثاء خامس وعشرين من شعبان سنة ٦٦٩

٨ — لا أخفى عنكم أنها كانت وكأنها نفحة من نفحات مصر تستقبلنا . أما أنا فقد كنت سريع الخطى ، أقفز ذات اليمين وذات اليسار ، كنت أرى الحصن بأبوابه وأبراجه وأسواره وطبقاته وكأنه قطعة من بلادنا .

وصعدت على الدرج وقلت من هنا صعد أبو الفتوح بجنده وأمرائه ، ومررت إلى الرحبة الأولى فإذا الحصن الثانى له روعة أكبر من الروعة التى يراها الإنسان للباب الأول : ومن هذا المدخل يصعد الداخل إلى مكان القيادة ، فرأيت كيف أبقى الزمن آثار أقدام الحرس ، وحيث موضع الرماح التى كان يحملها السيادبة كنت أراها على يمين الداخل وشماله حتى صعدنا إلى الأماكن العالية : حيث كانت حجرات الرئيس ومائدته ومكان عبادته .

٩ — هذه هى النظرة الأولى لهذه الزيارة ، وقد جعلتها موضوع حديثى الليلة ، فلا تنتظروا منى أن أحدثكم حديث العالم فى فن هندسة التحصين وعمارة القلاع قديمها وحديثها ، ولا أن تسمعوا منى حديثاً فى التاريخ وعلم الآثار ، وإنما حديثى الليلة هو حديث رجل مرّ بحصن من حصون القرون الوسطى فأخذته روعة المكان ، وغمرته ذكريات عن بلاده وهو بعيد عنها ، فإذا به ينادى هذه الحجارة القائمة ، ويحدثها ويسعى إلى منادمة الماضى سعياً قد يجعل هذا المكان يبوح بسره وينطق بما كان عليه من أمجاد القرون الماضية .

١٠ — فالمعلومات التى أقدمها لم أحاول جمعها على طريقة علمية منطقية بالبطاقات ، ولم تكن نتيجة خطة معينة ، أو بحث قصدت به أن أقف بينكم اليوم لأنقله إليكم ، وإنما هى نتيجة مطالعات متفرقة فى أوقات متباعدة ، وهذه المطالعات أثارتها زيارتى لهذا الأثر ورغبتى فى إشباع نفسى منه .

١١ — فهناك فريق من الناس يؤمنون بأن قيمة بعض الأشياء هى فى مقدار ما تثيره فى أنفسهم من انتباه أو وعى أو رغبة فى الاستزادة من التعرف إليها ، ثم فيما تتركه هذه الأشياء فى عقولهم وأذهانهم من دوافع قد تلازمهم مدة طويلة من الزمن ، وتدفعهم إلى عمل أشياء نافعة أحياناً .

١٢ — وإنى أتشرف بأنى من هؤلاء الذين يؤمنون بأن التاريخ والآثار وكثيراً من محاسن هذه الدنيا ، هى حية ما دامت تؤثر فينا وتجعلنا نشعر بشعور معين ، وتحت إيحاء هذا الشعور نقوم بإتمام عمل من الأعمال النافعة المفيدة . وأعترف بأنى مدين لزيارتى حصن الأكراد بشىء كبير من هذا الإيحاء الذى لازمنى مدة طويلة ونفخ فى روحى حماساً ، للتعرف على أشياء ، والإيمان بعصور كانت فى مخيلتى قائمة يحيط بها الكثير من الضباب . فأخذت أتحين الفرص لزيادة معلوماتى عنها وشغل أوقات الفراغ فى تعرف هذه الأيام والكشف عما وراء الحجب من أشياء قد تكون معلومة لأهل الاختصاص ، ولكنها كانت على كل حال مجهولة لى .

١٣ — لا بد أنكم اشتقتم إلى التعرف على هذه القلعة السورية ، والتى أمضيت كل هذه المدة دون تحديد موقعها ، والتحدث إليكم عنها بعد أن طال حديثى عن مقدمات هذه الزيارة . ولذا أنقل إليكم ما كتبه الأستاذ الجليل محمد كرد على ، صاحب خطط الشام إذ قال : قلعة الحصن ، أو حصن الأكراد أو الكرك Crac des Chevaliers ولا تزال محفوظة منذ عهد الصليبيين على ما هى عليه ، وهى آية فى باب الهندسة العسكرية فى القرون الوسطى ناطقة بلسان حالها بأن هؤلاء نزلوا الأراضى المقدسة .

١٤ — قال : فلننظر بعده إلى ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان فقد كتب : منذ أكثر من سبعمائة عام حصن الأكراد هو حصن منيع ، حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب وهو المتصل بجبل لبنان ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى فى موضعه برجاً ، وجعل فيه قوماً من الأكراد كطليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقاً ، فخافوا على أنفسهم فجعلوا يحصنون هذا البرج إلى أن صار قلعة حصينة ، منعت الفرنج من كثير من غاراتهم فنازلوه ، فباعه الأكراد ونزحوا لبلادهم ، وملكه الفرنج وهو فى أيديهم إلى هذه الغاية (أى إلى

عهد ياقوت الحموى) وبينه وبين حمص يوم واحد ، ولا يستطيع صاحب حمص أن ينتزعه من أيديهم .

ثم اختلط عليه الأمر فجاء بذكر الدواية فى حصن الأكراد ويقصد فئة الاسبتار أصحاب الحصن فقال عنهم : هم قوم من الفرنج يحبسون أنفسهم لقتال المسلمين ويمنعون أنفسهم عن النكاح — يقصد إيمانهم بالرهينة — ولهم أموال وسلاح ويتعاطون القوة ويمالجون السلاح ولا طاعة لأحد عليهم . انتهى كلامه .

١٥ — وهذا رأى لكاتب عربى قيل استعادة الحصن من أيدى الصليبيين : ويهمنا قبل الانتقال من هذا التعريف أن نصحح لياقوت ؛ فأصحاب الحصن هم جماعة الاستبار لا الداوية .

١٦ — والاسبتار هم Les Hospitaliers والداوية هم الهيكليون نسبة إلى هيكل سليمان أو المعبد Les Templiers وهما منظمتان صليبيتان ، كان الغرض الأساسى من تأليفهما مد يد المساعدة لرواد الأراضى المقدسة الذين تنقطع مواردهم ، أو يقعدهم المرض ، ومن هنا تفهم كلمة Hisplar ثم ألقى عليهما واجب حماية الحاج .

ثم انتهى الأمر بهما إلى أن أصبحتا قوتين عسكريتين منظمتين لمحاربة المسلمين . وقد حصلت كلتاهما على حق احتلال القلاع والحصون ، وعلى حق إدارة المقاطعات وفرض الضرائب ، وعلى حق عقد المعاهدات والهدنة والصلح . فأصبحت كل منظمة حكومة داخل حكومات الصليبيين ، ووصل عدد المنتمين لهاتين المنظمتين إلى ١٥٫٠٠٠ مقاتل ، وكانوا على ثلاثة أصناف :

١ — الفرسان : من طبقة النبلاء من مختلف شعوب أوروبا وهم الذين يتولون مناصب الشرق الكبرى .

٢ — الضباط : ويمكن أن يلحق بهم أبناء الطبقات الوسطى .

٣ — الكتاب : ويتولون وظائف الكتابة والأعمال الدينية الثانوية .

١٧ — وكان حصن الأكراد معقلا من معاقل الاسبتار : وهم الذين زادوا على أسواره وبنوا الأبراج العالية . وأهم ما بقى من آثارهم القاعة الكبرى ومسكن رئيس الفرسان Logis du Maitre وغير ذلك . وقد تسلموا الحصن من أمير مقاطعة طرابلس لوجود الحصن على الحدود .

١٨ — وكانت القواعد المتبعة أن يقسم جماعة الاسبتار ، أو الهيكليين على الدفاع حتى الموت ، ولا يعفون من قسمهم إلا بأمر أعلا من عميد الهيئة (Le Grand Maitre) فكانوا أهل رباط يتقربون إلى الله بقتال المسلمين بغير هوادة ، وكانوا يعتبرون من مات فى قتال الإسلام شهيداً ، ومن عوائدهم (التى أخذوها عن المسلمين وأهل الشرق) اطعام أربعين مسكيناً لمدة أربعين يوماً ، وإخراج زكاة العشر للفقراء عن جميع المحاصيل ، بل فرضوا على أنفسهم إخراج رغيف عن كل عشرة أرغفة تخبز فى مطاحنهم .

١٩ — وكانت المنافسة على أشدها بين المنظمتين ، بل كانت تنتهى أحياناً إلى العداء المفتوح ، وفى منطقة حصن الأكراد كانت قلاع صافيتا وطرطوس فى يد الهيكليين .

٢٠ — وللمنظمتين تاريخ طويل فى الحروب الصليبية ، ويبرز اسم عميد كل منهما فى كثير من الحوادث ، وفى توجيه سياسة الأمارات اللاتينية . ولذا أفرد المؤرخون المؤلفات الطويلة للتحدث عنهم .

٢١ — ويهمنا من أمرهم ما كان لهم من السلطان فى حصن الأكراد ، فقد ذكر صاحب كتاب :- Les Hospitaliers en Terre Sainte كشفاً بأسماء من تولوا وظائف كبرى من الاسبتار بحصن الأكراد ابتداء من ١١٦٥ إلى ١٢٦٧ وخصوصاً العمداء ذكر من بينهم . nes Chatelails Pierre de - Mirmandi ' Raymond de Pignani Arnaud de Mon- thrn . ويؤكد الكثيرون أن رفاتهم لا يزالون فى أقبية الكنيسة التى كانت بالحصن .

ولقد رأيت فى متحف الحصن مجموعة من الجماجم البشرية ، وعليها آثار ضربات السيوف ، فهل هى لقوم الاسبتار أم لجماعة من المسلمين ؟ هذا ما يقف التاريخ حائراً أمامه .

(يتبع) أحمد رمزى

حول دولة صهيون المزعومة :

بيت العنكبوت !...

للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح

« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . قرآن كريم

تزعم أسرة العناكب أنها عاشت حيناً من الدهر فى بيت تام البناء ، مكتمل الأثاث ، كثير المتاع ؛ وأن صروف الزمان وعواديه أخرجتها من بيتها بغير حق ؛ فتقطعت بها الأسباب ، وسُدَّت فى وجهها الأبواب ، وأصبح شملها مشتتاً بعد اجتماع ، وأمسى حبلها مبتوتاً بعد اتصال ...

وتزعم أسرة العناكب — فوق ذلك — أن طائفة منها طوفت فى الآفاق ، فما ثُقِفَتْ فى بلد إلا سامها أهلوه سوء العذاب ، حتى انتهى بها التطواف إلى البقعة المباركة التى أخرجت منها ، فبدا لها أن تتخذ فيها بيتاً واحداً يضم « قومها » فحشرت ونادت فما أجابها منهم إلا أصوات بعيدة فى الشرق والغرب وفى الشمال والجنوب ، فأوحت إليهم أن انسجوا خيوطكم بكرةً وعشياً ، ثم هاجروا إلينا لواذاً ، ثم ائتونا صفاً ، فسنبنى معاً بأيدينا ذلك البيت الذى حرمتنا منه الحياة ، فى الأرض المقدسة التى أخرجنا منها شرَّ إخراج !

وانهمكت طائفة العناكب فى إعداد تصميم البناء ، وراحت تعمل فى ضمير الخفاء ، بينما أنشأت أخواتها تنسج لها الخيوط تباعاً ثم تمدها إليها من كل مكان ، فتجمع بعضها على بعض وتفتلها فتلا محكما لتجعل منها حبالا تستطيع أن تصطاد بها إذا احتالت ما تشاء .

وصبرت العناكب طويلا على الذلة مضروبة عليها ، والمسكنة محيطة بها ... ولكن حبالها التى تجمعت لديها بالصبر ، سهلت عليها بالمكر أن تصطاد الثعلب الذى يخدع ولا يخدع ، والذئب الذى يأكل ولا يشبع ، والحرباء التى تتلون ولا تخشع ، فامتطت ظهورهم إلى غايتها ، وسخرتهم جميعاً لخدمتها ، فأسقطوا من كرامتهم لأعزازها ، وذلوا أمامها ذلة العبيد للسيد الجبار !

وعجب الناس للثعلب كيف خدع وهو الذى لم يتقن إلا الخديعة والمكر ، وللذئب ما الذى أرضاه فقنع وإنه لا تقنعه إلا الفريسة البكر ، وللحرباء لم شحب لونها وامتقع وإن وجهها ليتخذ ألف لون فى كل شهر ... وخف عجب الناس حين تبين لهم أن خيوط العنكبوت التى استحالت حبالا قد سولت للثعلب الماكر أن فى مكنتها أن تصنع له المعجزات فواعدها سراً وعده المشئوم ؛ وللذئب الكاسر أنها ستقتنص له الفرائس السمان فساعدها علانية على بيتها المزعوم ؛ وللحرباء المتلونة أنها ستكون ملك يدها وطوع إشارتها فأيدت الباغى الغشوم ، وانتصرت للظالم على المظلوم !

ولم يدر الثعلب على مكره ، ولا الذئب على حذره ، ولا الحرباء على نفاقها ، أن العنكبوت على وهن خيوطها كانت أسرع منهم مكراً ، وأكثر منهم حذراً ، وأشد منهم نفاقاً ...

ثم تصرمت الأيام ، وقويت الصلات بين هذه العناكب وأصحابها الثلاثة ، فتعاهدوا على أن يدبروا لأسد الغاب مكيدة يخرجونه بها من عرينه ، فإن الله قد ضرب على أذنه سنين عدداً ، فنام نومة اللَّبِق بعد أيام ذات نصب وعذاب ، وغط غطيط التعب إذ يحلم بالأمانى العذاب ، ولم يدر بخلده أن العناكب قد صنعت من حبالها شباكا ، وأنها اغتنمت فرصة نومه فألقت عليه هذه الشباك ، واستعانت بحيلة الثعلب وقوة الذئب وتدبير الحرباء على زحزحته عن موضع رقاده ؛ فصحا فى استرخاء الكسول ، وتثاءب تثاؤب الملول ، ثم ردد بصره فى حيرة وذهول ، كأنه لا يصدق شيئاً مما يرى ، فما كان للثعلب أن يسعى للمكر به ، وما كان للذئب أن تطوع له نفسه الدنو منه ، ولا كان للحرباء — تلك الحرباء الحقيرة التى ليس لها سلاح إلا التلون والنفاق — أن تجرؤ على الغدر به ؛ فليحاول تمزيق الشباك بأنيابه ومخالبه ، وليزأر زئيره المرعب ، وليثر ثورته الغاضبة ، فلعل أشباله تسمع زئيره فتصرخه ، ولعلها لا تكون بعيدة عن العرين الذى رباها فيه ، ولا نائمة فى الغاب كما كان

ناعماً ، ولا هي تفط مثلما كان يفط ؛ أو لعلها لا تكون مشغولة بأكلها وشرابها ، تعدو على الفرائس فتلتهمها ، وترد العيون لتشرب ماءها ، لاهية عن عرينها وعرين آبائها وأجدادها فإن للصوص لقدراً تضل معه حكمة الحكماء ، وأن للجبناء لمكراً تعجز عنه شجاعة الشجعان ..

ولما سمع الثعلب والذئب والحرباء زئير الأسد نكصوا على أعقابهم وقد أصاب قلوبهم من الهلع ما جعل دماءهم تجمد في عروقهم ، وكادوا يعلنون للمناكب نقضهم لما أبرموا معها ، ورجوعهم عما به وعدوها ، وولاءهم للأسد الذي يعرف كيف ينتقم لنفسه منهم ومنها ، لولا أنهم رأوا أسرابها تتافل الأسد فتدب على ظهره ، وتجرى بين يديه ، وتمشى فوق عينيه ، وهو لا يكاد يحس بها لصغرها وحقارتها ، فظن الأصحاب الثلاثة أن المناكب لم تعلُ رأس الأسد إلا لأنها أشد منه قوة ، ولم تُقم من جسده حيث تشاء إلا لأنها أعظم منه بأساً ؛ واستطاعوا أن يستعيدوا رباطة جأشهم ، وطفقوا يهتفون للمناكب هتاف الإعجاب والتشجيع ، بل استبد بهم الغرور ، فنادوا الفيلة والنمور ، والدببة والقرود ، حتى الغزلان والفهود ، والبغال والحمير ، والهررة والكلاب ، لينقلبوا على سيد الغاب ، ويعترفوا بعرينه للمناكب ، فهذه شريعة الذئاب والحرباوات والثعالب ! .

واجتمعت على أصواتهم الوحوش الشرسة ، والحيوانات الأليفة : فمنها ما كان يعوى ، ومنها ما كان يزمجر ، ومنها ما كان ينبح ، ومنها ما كان ينهق ، ومنها ما كان يخور ؛ فاختلطت من أصواتها النكراء موسيقى عجيبة لا تطرب من الناس أحداً إلا ترومان الأحمق ، وأتلى الطائش ، وستالين المغرور .

بيد أن هذه الأصوات لن تغنى المناكب شيئاً ، فلقد سمع الأشبال زئير الأسد ، فصحوا من نومهم كما صحا من نومه ، وتناسوا أحلامهم كما تناسى أحلامه ، وأقسموا لا يذوقون الأكل ولا الشراب ، حتى يخرجوا المناكب من الغاب ، ويلقوا درساً بليغاً على الثعالب والحرباوات والذئاب ...

وإن سهول مصر وجبال لبنان ، وبطاح سورية وواحات العراق ، وأودية الأردن ونجود الحجاز ، ورمال الجزائر ورياض اليمن ، وإن كل بقعة تهتف بالإسلام ، وكل أرض تنطق بالضاد لتنظر من بعيد إلى البلاد المقدسة ... إلى فلسطين عرين العروبة لترى رأى العين كيف ينتصر أشبالها الأشاوس ، وكيف يحفظون البيت لأسياده ، وكيف يمزقون بنفخة واحدة ما نسجته يد المنكبوت .

يومئذ تندم بريطانيا التي ظنت أنها تخدع ولا تخدع ، وتعض أناملها من الغيظ أمريكا التي عرفها العالم تأكل ولا تشبع ، وتزهق نفس روسيا التي مردت على النفاق ولم تخشع .. ويومئذ تعلم المنكبوت البلهاء أن الأولياء الذين اتخذتهم من دون الله لا يستطيعون أن يبنوا لها بيتاً ، ولا أن يوطئوا لها كنفاً ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، و « يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١)

صبحى ابرهيم الصالح

---

(١) سورة الروم الآيات ٤ — ٥ — ٦

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٣ —

لقد كان بدء نقل الكتب العلمية إلى اللغة العربية كما ذكرنا آنفاً — بعد استقرار الحكم العربى ، وأن أكثر المترجين كانوا من أمم غير عربية ، وأحياناً من غير المسلمين كالسريان والعبريين ومن الإيرانيين المسلمين منهم ، والنصارى واليهود والمجوس ، غير أن النهضة العلمية الحقيقية بدأت فى العصر العباسى ، وكان للإيرانيين حينذاك نفوذ كبير وشأن فى الدولة عظيم .

فى هذا العصر ترجمت كتب علمية على درجة كبيرة من الأهمية ، ولا سيما فى زمن خلافة المأمون . وكانت أمه وزوجته إيرانيتين ، وكان نفوذ الإيرانيين قد بلغ فى عهده غايته ، فى هذا العصر حصل العرب بطريق الفتح ، أو بإيفاد بعوث خاصة إلى بلاد الامبراطورية البيزنطية ، أو بالشراء أو المبادلة على كثير من الكتب اليونانية النفيسة ، أو ترجمتها السريانية ، فجمعوها فى مكتبة الخليفة المسماة (بيت الحكمة) ، وقام بتعريبها مهرة المترجين . ويروى بعض المؤرخين المسلمين عن سبب اهتمام المأمون بالعلوم الفلسفية وغيرها قصة ملخصها أن المأمون رأى أرسطو فى منامه وسر من كلامه ، فرغب فى قراءة مؤلفاته . لذلك أحضر كتبه وأمر بترجمتها إلى العربية .

ويروى ابن النديم بهذا الشأن هذه الرواية :

(إن المأمون رأى فى منامه كأن رجلا أبيض اللون ، مشرباً حمرة ، واسع الجبهة مقرون الحاجب أجلح الرأس أشهل العينين ، حسن الشمائل ، جالس على سريره . قال المأمون : وكأنى بين يديه قد ملئت له هيبة ، فقلت من أنت؟ قال: أنا أرسطاليس . فسررت به وقلت : أيها الحكيم ، أسألك؟ قال سل . قلت ما الحسن؟ قال ماحسن فى العقل. قلت ثم ماذا ؟ قال ما حسن فى الشرع ، قلت ثم ماذا ؟ قال ما حسن عند الجمهور . قلت ثم ماذا ؟ قال ثم لا ثم . وفى رواية أخرى قلت زدنى ، قال من نصحك فى الذهب ، فليكن عندك كالذهب . وعليك بالتوحيد . وهو يعتقد أن هذا المقام كان من أوكد الأسباب فى إخراج الكتب، غير أننا نرى كما سبق القول فى ذلك ، أن ظهور الفلسفة والعلوم فى الإسلام كان أمراً طبيعياً وكان من مستلزمات الحضارة ، وأن اتصال المسلمين بالأمم المتحضرة كان يوجب عليهم الاكتساب من علومهم ومعارفهم.

وكما أن اللغة اللاتينية كانت لغة العلم فى جميع البلاد الأوربية طوال القرون الوسطى ، أصبحت اللغة العربية بالتدريج ، لغة العلم والعلماء بين المسلمين . وكان العلماء والمسلمون من كل قوم ولغة يؤلفون مؤلفاتهم بها ليستفيد منها جميع المسلمين . وبتوالى الزمن أصبحت المصطلحات العلمية التى وضعت فى اللغة العربية ، كالنقد الرائج يتلقاها الجميع بأحسن قبول .

هذا ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن للغة العربية خصائص ومزايا تجعلها صالحة لوضع المصطلحات الجديدة فهى من أغنى لغات العالم ، ففى اللغة العربية مثلا وزن (فُعال) وأكثر الكلمات التى على هذا الوزن ، مثل صداع وزكام وجذام ودوار وبحار (دوار البحر) وخمار وغيرها تدل على الأمراض ، وتلك مزية قلما تتوفر فى لغة أخرى ، إلى غير ذلك من مزايا لا تعد ولا تحصر .

وقد وضع العرب فى بعض الأحيان بمهارة متناهية ، كلمات عربية تؤدى معانى الكلمات اليونانية بدقة مثل كلمة تشخيص مقابل كلمة ديا جنوسيس Diagnosis ، وتقدمة المعرفة مقابل بروجنوسيس Prognosis كما أنهم كانوا فى أحيان أخرى يأخذون نفس الكلمات اليونانية بصورتها الأصلية مع تحريف بسيط يناسب النطق العربى مثل كلمات (ذوسنطاريا) و (إيلاوس) و (ذيابيطوس) .

وهذه الكتب المترجمة إلى العربية هى التى ترجمت من العربية إلى اللاتينية فى القرون الوسطى ، وترجمت معها المؤلفات الطبية لمحمد بن زكريا الرازى ، وعلى بن العباس المجوسى الأهوازى ، والشيخ الرئيس ابن سينا ، وأبى القاسم الزهراوى وأضرابهم ، ودرست فى مدارسهم وبعد ذلك بزمن طويل أى فى العصور الحديثة عرف الأوربيون المتون اليونانية الأصلية لتلك التراجم ؛ وبعد العثور على المتون الأصلية ، فقدت التراجم العربية رونقها السابق .

يذكر ابن النديم فى الفهرست (١) أسماء ما يقارب السبعين مترجماً من هؤلاء المترجين مع ذكر الكتب التى قاموا بتعريبها واللغة المترجم عنها ، كما أنه يذكر ضمن بيان ترجمة الحكماء والأطباء اليونانيين أسماء مؤلفاتهم التى ترجمت إلى العربية مع ذكر أسماء الذين قاموا بترجمتها ، أو الذين قاموا بإصلاح الترجمة بعد مراجعتها على الأصل اليونانى أو السريانى ، غير أن أكثر هذه الكتب قد ضاع مع الأسف على أثر الحوادث المختلفة .

وها نحن أولاء نذكر هنا كنموذج أسماء بعض كتب بقراط وجالينوس المهمة المترجمة إلى العربية مع ذكر أسماء الذين قاموا بترجمتها (٢) .

١ — كتاب عهد بقراط تفسير جالينوس : ترجمه إلى السريانية حنين بن إسحق ثم نقله إلى العربية حبيش وعيسى بن يحيي

٢ — كتاب الفصول لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن إسحق فى سبع مقالات إلى العربية .

٣ — كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن إسحق إلى العربية .

٤ — كتاب الأمراض الحادة لأبقراط تفسير جالينوس : ترجم عيسى بن يحيي ثلاثاً من مقالاته الخمس إلى العربية .

٥ — كتاب أبيذيما لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه عيسى بن يحيي إلى العربية :

٦ — كتاب الأخلاط لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه عيسى بن يحيي إلى العربية .

٧ — كتاب الماء والهواء لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن أسحق إلى العربية .

٨ — كتاب طبيعة الإنسان لأبقراط تفسير جالينوس : ترجمه حنين بن إسحق وعيسى بن يحيى إلى العربية .

ويلاحظ أن معظم كتب جالينوس نقلت إلى العربية بواسطة حنين بن إسحق أو تلاميذه ، مثل عيسى بن يحيى ، وحبيش .

كان حنين بن إسحق من أشهر علماء عصره وأكثرهم إنتاجاً ، فإن سبعة أعشار مؤلفات بقراط قد ترجمت بواسطته ، والقسم الباقى منها ، وكذلك الشطر الأكبر من مؤلفات جالينوس قام بترجمته هو أو بعض تلاميذه .

وكان حنين ينقل على الأغلب الكتب اليونانية إلى السريانية ثم يقوم تلاميذه بنقلها من السريانية إلى العربية ، ثم يراجعها هو بنفسه ويصححها . وقد قام هو بنقل بعض الكتب من اليونانية إلى العربية مباشرة ، ويتضح من مجموعة ترجماته أنه كان متضلعاً للغات فى الثلاث: اليونانية والسريانية والعربية تضلعاً تاماً

وقد قام حنين بن إسحق وابنه إسحق بن حنين وتلاميذه بترجمة بعض مؤلفات جالينوس بالكيفية التى ذكرناها فى ترجمة كتب بقراط منها كتاب (الصناعة) وكتاب عن (النبض) وكتاب فى (العلاج) و(المقالات الخمس فى التشريح) وكتاب (الاسطقصات) وكتاب (المزاج) وكتاب (القوى الطبيعية) وكتاب (العلل والأعراض) وكتاب عن أمراض (الأعضاء الباطنية) وكتاب كبير عن (النبض) وكتاب عن (الحميات) وكتاب عن(بحران المرض) وكتاب عن(أيام البحران) وكتاب فى (حفظ الصحة) وكتاب (التشريح الكبير) وكتاب عن (اختلاف التشريح) وكتاب (تشريح الحيوان الميت) وكتاب (تشريح الحيوان الحى) وكتاب عن (علم بقراط فى التشريح) وكتاب عن (علم أرسطو فى التشريح) وكتاب (تشريح الرحم) وكتاب (حركات الصدر والرئة) وكتاب (علم النفس) وكتاب (الصوت) وكتاب (حركات العضل) وكتاب (الحاجة إلى النبض) وكتاب (الحاجة إلى التنفس) وكتاب (العادات) وكتاب (آراء بقراط وأفلاطون) وكتاب (فوائد الأعضاء) وكتاب (سوء المزاج) وكتاب (الأدوية المفردة) وكتاب (الأورام) وكتاب عن (المولود فى الشهر السابع) وكتاب عن (سوء التنفس) وكتاب (تقدمة المعرفة) وكتاب عن(الفصد) وكتاب عن صرع الأطفال وكتاب عن الأغذية وكتاب (الكيموسل) وكتاب معالجة الأمراض الحادة وكتاب تركيب الأدوية وكتاب فى أن الطبيب الفاضل (فيلسوف) وكتاب عن الكتب المنسوبة إلى بقراط ، وبيان الكتب المقطوع بصحة نسبتها إليه ، وكتاب فى الترغيب فى درس الطب ، وكتاب عن اختبار الطبيب ، وكتاب

(١) صفحة ٣٤٠ — ٣٤٢ طبع مصر
(٢) الفهرست صفحة ٤٠١ طبع مصر

فى أن قوة النفس تابعة لمزاج البدن ، وكتب أخرى ترجمت جميعها بهمة حنين بن اسحق وتلاميذه مثل حبيش بن الحسن الأعثم وعيسى بن يحيى واصطفن بن بسيلى وابراهيم بن الصلت ونجله اسحق بن حنين وآخرين .

وقد نقلت مؤلفات أخرى لمشاهير الأطباء اليونانيين إلى العربية مثل كتاب (تشريح الأحشاء) وكتاب (الأدوية المستعملة) لأوريباسيوس Oribase وكتب عدة من مؤلفات روفس (Rnfus d'Ephése) منها كتاب تسمية أعضاء الإنسان وكتاب اليرقان ، وكتاب أمراض المفاصل ، وكتاب عن أمراض الحنجرة والبلعوم والذبحة ، وكتاب عن النساء العواقر ، ووصايا صحية ، وكتاب الصرع ، وكتاب حمى الربع وكتاب ذات الجنب وذات الرئة وكتاب عن القيء وكتاب عن الدوار القاتل وكتاب عن أمراض الكآبة والمثانة وكتاب فى الجراحات وكتاب عن صحة الشيوخ وكتاب عن التوليد وكتاب احتباس الطمث وكتاب الأمراض المزمنة على رأى (بقراط) وكتب أخرى منها كتاب عن (أمراض العيون وعلاجها) وكتاب عن الدودة الوحيدة من مؤلفات الطبيب الشهير اسكندروس طراليوس Alexandre de Tralles وبعض كتب بولس الأجانطى Paule d'Egine منها كتاب أمراض النساء وكتاب (الأدوية المفردة) لديسقوريدس Dioscoride وهو من أعاظم علماء الأدوية والعقاقير وقد قام برحلات كثيرة للبحث عن خواص الأعشاب والنباتات إلى كثير من البلاد والجزائر النائية .

ولحنين بن اسحق العبادى المترجم العظيم المذكور المتوفى حسب رواية ابن النديم فى صفر من العام الستين بعد المائتين من الهجرة ، غير كل هذه الكتب المترجمة مؤلفات هامة كثيرة منها كتب فى الطب مثل كتابه فى الأطعمة وكتاب فى تقسيم علل أمراض العين وعلاجها وكتاب عن الأسنان واللثة وكتاب عن أوجاع المعدة وعلاجها وكتاب عن المولود فى الشهر الثامن .

ومن كبار المترجمين الذين يدين الشرق لخدماتهم العلمية قسطا بن لوقا البعلبكى ويقول ابن النديم فى ترجمته (كان يجب أن يقدم على حنين لفضله ونبله وتقدمه فى صناعة الطب ، ولكن بعض الإخوان سأل أن يقدم حنين عليه وكلا الرجلين فاضل) .

إن معظم ما قام بترجمته قسطا بن لوقا فى الهندسة والأعداد والموسيقى ، غير أن له كذلك تراجم جيدة جداً فى الفلسفة والطب منها كتاب (الدم) وكتاب (البلغم) وكتاب (الصفراء) وكتاب (السوداء) وكتاب (علة الموت الفجاءة) وكتاب (أيام البحران) وكتاب (الفصد) .

وينتسب عدد كبير من كبار مترجمى اللغة العربية لمدينة حران . وكانت تسمى هلنو بوليس (Helleno polis) لحبهم العظيم للمعارف اليونانية وعرف هؤلاء بالصابئين . وليس هنا مجال التحدث عن أصلهم ودياناتهم .

وأشهر علماء حران ومترجميها ثابت بن قرة ونجله أبو سعيد سنان بن ثابت ونجل هذا الأخير أبو الحسن وآخرون من أنجاله وأحفاده وقد اشتهروا جميعاً بالعلم وحسن الترجمة .

ومن أعاظم علماء القرن الثالث الهجرى أبو يوسف يعقوب ابن اسحق الكندى المعروف بفيلسوف العرب ، وكان متبحراً فى علوم القدماء ، وله مقالات ومؤلفات نفيسة فى كل فرع من فروع العلوم المختلفة ومنها الطب . وينسب له ابن النديم فى سياق ذكر مؤلفاته فى العلوم والفنون المختلفة الكتب الآتى ذكرها فى الطب :

رسالة فى (طب بقراط) ورسالة فى (الأطعمة والأدوية القاتلة) ورسالة فى (الأبخرة التى تنقى الهواء وتزيل منه آثار والأوبئة) ورسالة عن (الأدوية التى تزيل آثار الروائح المؤذية) ورسالة فى (كيفية الأدوية المسهلة وجذب الاخلاط) ورسالة فى (حفظ الصحة) ورسالة فى (أسباب بحران الأمراض الحادة) ورسالة عن (الأعضاء الرئيسية فى الإنسان) ورسالة عن (كيفية تركيب الدماغ) ورسالة عن (علة الجذام والشفاء منه) ورسالة فى (عضة الكلب الكلب) ورسالة فى (الأعراض التى تظهر بسبب البلغم) ورسالة عن (علة موت الفجأة) ورسالة عن (أوجاع المعدة والنقرس) ورسالة عن (الطحال) ورسالة عن (فساد جسد الحيوان) ورسالة عن (مقدار فائدة صناعة الطب) ورسالة عن (الطعام) وأخرى عن (فساد الطعام) .

والآراء جد مختلفة فى قيمة هذه التراجم ومبلغ جودتها أو رداءتها .

يقول بونيون Pognon (وكان قنصلا لفرنسا بحلب وقد طبع عام ١٩٠٣ المتن السريانى لأحد مؤلفات بقراط مع ترجمته

فى ليزيك) أن التراجم السريانية غامضة ومعقدة وهى تراجم لفظية لدرجة أن معانى بعض الجمل لا تفهم ، وأن تركيب الجمل والعبارات فيها مشوش ، ومفردات اللغة مستعملة لغيرما وضعت له من المعانى . وسبب ذلك أن المترجمين كانوا يجتهدون فى أن تكون ترجمتهم صادقة ومطابقة للأصل على قدر الإمكان ، ولذلك كانوا عند ما يواجهون جملة صعبة يكتفون بوضع الترجمة اللفظية للكلمات اليونانية مكان الكلمات الأصلية دون أن يفكروا فى معنى العبارة كلها ، وإن جهلوا معنى الكلمة اليونانية اكتفوا بكتابتها عيناً بالحروف السريانية ؛ لذلك كله ترى فى تلك التراجم كثيراً من العبارات غير الصحيحة والجمل غير المفهومة .

إن هذا العيب يصدق إلى حدّ ما على بعض هذه التراجم ولاسيما الكتب التى ترجمت فى مبدأ تعرف المسلمين على فلسفة اليونان وعلومهم ، فقد كان لهذه التراجم نواقص كثيرة من وجهة فن الترجمة ، ولذلك كثيراً ما نرى ابن النديم يقول فى الفهرست (قام بترجمة الكتاب فلان وأصلحه فلان) .

وكان من أسباب نقص هذه التراجم نقص اللغة السريانية نفسها وضيق أفقها بالنسبة للغة اليونانية التى تعتبر من أغنى لغات العالم وأوسعها دائرة ، وقد كانت لغة الخطاب والتأليف قروناً عدة ألف بها أمثال هومبروس واشيل وتوسيد يد وديموستن وبقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم .

ومن أسباب نقص هذه التراجم غير ما ذكرنا عدم وجود مصطلحات علمية وفلسفية لدى السريان أو عدم معرفة مترجمى الحقبة الأولى منهم بتلك المصطلحات .

ومن البديهي أنه عند ما ترجمت هذه الكتب المترجمة مع ما فيها من العيوب والنقائص التى يشير إليها يوبون إلى اللغة العربية ازدادت عن أصلها بعداً وأضيفت إلى غموض الترجمة وإبهامها الشىء الكثير وأصبحت استفادة الطب منها من أصعب المشكلات .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى ترجمة حياته التى أملاها على تلميذه أبى عبيد عبد الواحد بن محمد الفقيه الجرجانى (١)

(وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس على غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لى محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا أعرف المقصود به ، وأيست من نفسى وقلت هذا الكتاب لاسبيل إلى فهمه ، فإذا أنا فى يوم من الأيام حضرت وقت العصر فى سوق الوراقين وبيد دلال مجلد ينادى عليه فعرضه على فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة فى هذا العلم ، فقال لى اشتر منى هذا فإنه رخيص أبيعكه وصاحبه محتاج إلى ثمنه فاشتريته بثلاثة دراهم فإذا هو كتاب لأبى نصر الفارابى فى أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ورجعت إلى بيتى وأسرعت إلى قراءته فانفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان صار لى محفوظاً على ظهر القلب وفرحت بذلك وتصدقت ثانى يومه بشىء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى)

ويفهم من هذا أن الترجمة كانت فى بعض الأحيان ضعيفة ورديئة لدرجة أن قريحة كقريحة ابن سينا كانت تحتار فى تفهم معناه وتيأس من ذلك .

فإن شئنا أن لا نعدو الحق والإنصاف فى حكمنا يجدر بنا أن نذكر أن نشر العلوم اليونانية وتعميمها ووضعها فى متناول طلبة العلم وتقريبها لفهمهم كان بفضل الطبقة الثانية من المترجمين الذين كانوا قد فهموا تلك العلوم بأنفسهم فهماً جيداً . وكانت ترجمتهم واضحة يفهمها طالب العلم بسهولة ، وبفضل هؤلاء وببركة دراساتهم وتحقيقاتهم العلمية وتصحيحهم للتراجم السابقة حلت المشكلات العويصة .

أما قول بعض النقاد أن التراجم لا تفهم دون مراجعة الأصل فمبالغ فيه .

يعتقد لوكلرك Leclerc أن النقل المباشر من اليونانية إلى العربية حسن بصورة عامة ، والكتب المترجمة بهذه الطريقة مترجمة بذكاء عظيم وقريحة وقادة وذوق سليم ، غير أن النقل من العربية إلى اللاتينية ، وكان يقوم به مترجمون غير ملمين باللغات ، كان ناقصاً ومشوهاً ، فالذين يحكمون على الترجمات العربية عن طريق ترجماتها اللاتينية قد سلكوا طريقاً خطأ . ويذكر لوكلرك مثالا حياً لهذا فيقول إن بعض أقسام القانون لابن سينا لا يفهم جيدا ، أو قل لا يفهم أبداً باللاتينية ؛ والسبب هو أن المترجم لم يكن يعرف العبارة العربية فى الأصل ، أو لم يكن يتقن اللاتينية التى ترجم إليها .

(يتبع) **قاسم غنى**

---

(١) عن صورة لنسخة خطية من ترجمة ابن سينا ومؤلفاته لابن عبيد الجرجاني محفوظ فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٧٠ ر ل

طرائف من العصر المملوكي :

أساليب العامة في الشعر الفصيح

للأستاذ محمود رزق سليم

نشأ الشعر العربي أول ما نشأ فصيحاً . وعاش فصيحاً زمناً طويلا بعد نشأته . لم تزايله فصاحته ولم تتحول عنه عربيته ، حتى اختلط العرب بالعجم وبخاصة في عصر بني العباس . فأدى هذا الاختلاط إلى فساد السليقة العربية وانحراف اللسان الفصيح . وتكونت اللغة العامية ، وتغايرت طرق أداء المعاني فيها عن مأثور العربية . وألف العرب التخاطب بها ، وتناقل المعنى بأساليبها .

ومنذ ذلك الحين أخذ كثيرون من أهل الغيرة على لسان القرآن والحديث يكافحون سيلها ويدرءون خطرها . ولكن جرت الحوادث دون غايتهم ، وتتابعت الأيام دون ما أملوا . وعاشت العامية ، ولا تزال تعيش ، طاغية بين جماهير الأمم العربية . إلا أن لغة العلم والأدب والشعر ، ظلت بمنأى عن العامية إلى حد ما ؛ غير أنها لم تسلم جملة من رذاذ منها يصيبها ، ومن رشاش ينتثر عليها .

ونعني بالأساليب العامية ، الطرق الكلامية والعبارات التي يؤدي بها العامة مضمون أفكارهم ومتبادر معانيهم بدون حرص منهم على تحري قواعد العربية في نحوها وصرفها .

والأساليب العامية بهذا ، تفترق افتراقا ما ، عن أساليب العامة . ولبيان ذلك نقول : إن في كل أمة من أمم الأرض غابرها وحاضرها ، طبقتين متميزتين ، كما تجمع بينهما جوامع عدة ، تفرق بينهما فوارق شتى ، وهما العامة والخاصة .

أما الخاصة فهي الطبقة النابهة ، التي سلكت إلى الثقافة مسالكها ، وبلغت من التعليم حظاً موفوراً ، وأوتيت بجانب ذلك ذكاء في القريحة ، ورهافة في الحس ، وطلاقة في اللسان ، وقوة على التعبير . فيقع خاطرها على الفريد من المعنى ، والجديد من الرأي ، أو يسمو إلى الرائع من الصور ، والبديع من الأخيلة ، فيسجل الشوارد ، ويقيد الأوابد . وهي بذلك وبعد ذلك ، تنشر نوازعها على العامة ، فتؤثر أثرها الجليل في حياتهم وحياة الأمة جمعاء . فتقتعد الخاصة بذلك ، منها مقعد القيادة والتوجيه .

والخاصة لها أساليبها وطرق أدائها للمعاني ، بل لها مفرداتها بل ومصطلحاتها ، ولغتها هذه أوسم من لغة العامة نطاقاً وأبعد آفاقاً ، وأقدر على إحكام النظرة وتحديد الفكرة ، وهذه أوصافها في جملتها لا في تفصيلها .

أما العامة فهي من عدا الخاصة ، من عمال وصناع وزراع وتجار ومحترفين حرفاً لا تنزع إلى إنتاج فكري أو أدبي . بل هي حرف آلية تجري على سَنن من التقليد .

وللعامة كذلك أساليبها وطرق أدائها للمعاني ، بل ولها مفرداتها ومصطلحاتها . غير أن لغتها هذه أضيق أفقاً من لغة الخاصة ، وأضعف منها قدرة — في جملتها — على التعبير عن رقيق المعاني وعميق الأفكار . ولا تخلو من كلمة جامعة ، وحكمة بارعة ، ومثل مضروب ، وقولة مأثورة ، وطرفة نادرة . ونستطيع أن نحدد « لغة العامة » بأنها اللغة الشعبية الدائرة على الألسن ، التي ابتذلت عباراتها ومفرداتها — في نظر الخواص — بكثرة الاستعمال .

وفي الأوساط العربية ، كانت لغة الخاصة ولغة العامة فصيحتين معربتين ، قبل أن تنحرف العربية في التخاطب وقبل أن تتولد العامية . فلما انحرف لسان التخاطب — كما ذكرنا — وتولدت العامية ، زادت الفرقة بين لغة الخاصة ولغة العامة . وزادت الألفة بين العامة والأساليب العامية .

والآن نرى أن لغة العامة تعلق عليها الأساليب العامية والمفردات العامية ، المشوهة بالتحريف واللحن وترك الإعراب وبالدخيل ، ونحو ذلك . غير أنها في جوهرها عربية . وفي جعبتها — كما أشرنا — كثير من الأمثال والحكم والكلمات الجامعة والعبارات الرائعة والتشبيهات السائغة والكنايات اللطيفة ونحو ذلك .

والخاصة لا تقيم دائماً على لغتها بل كثيراً ما تصطنع لغة العامة في حديثها كلما عاشت كما يعيش سائر الناس وكلما استراحت من أداء رسالتها في علم أو أدب .

وإزاء هذا يحرص العلماء والأدباء حينما يتصدون للتأليف

والنظم ، على أن يهجروا لغة العامة ، ويتناسوا مبتذلاتها ، ليسلم لغتهم رونقها وبهاؤها ، ويبقى لها سموها ومقدرتها وجلالها . غير أنهم — وهم من الشعب وإلى الشعب — لا يستطيعون مهما حرصوا ، أن يزيحوا عن كاهلهم نيرها جملة . بل تبقى منها فى لسانهم لوثة ، تتردد نفثاتها بين الآن والآن ، بوعى أو بغير وعى .

هكذا كان حال شعراء العصر المملوكى حينما يتصدون لنظم الشعر . كانت أساليب العامة يتردد صداها بين الفينة والفينة فيما ينظمون . وفى العصر المذكور كان سيل العجمة طاغيا على البيئات العربية ، بسبب شدة اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس ، وبخاصة الجنس التركى الذى كان له حينذاك الحكم والسلطان . فكان لذلك أثره فى سيادة العامية ، فلا غرابة أن رأينا منها لوثة فى ألسنة الشعراء . بل الغرابة فى ألا تكون . والشعراء أقرب أنواع الأدباء إلى الشعب ، وأدقهم حساسية ، وأعمقهم إدراكا لما فى بيئاته وأشدهم تأثراً بما فى محيطاته .

غير أن بعض النقاد فى العصر الحديث ينعى على هؤلاء الشعراء ما تهاووا إليه من أساليب العامة ، ويتخذ ذلك ذريعة إلى وصفهم بضعف ثقافتهم وقلة بضاعتهم من العربية . وهذا — فى رأينا — حكم جائر . فاصطناع الأديب للغة العامة ، قد يغض من أدبه باعتباره أديبا عربياً ، ولكنه لا ينبغى أن يتخذ دليلا على ضعف ثقافته أو قلة بضاعته . والشاعر المثقف تنسل إلى شعره أساليب العامة دون وعى منه ولو كان حريصاً . وذلك لألفتها وجريانها على لسانه فى حياته العادية ؛ والأدلة كثيرة فى كافة عصور الأدب .

وصحيح أن بعض شعراء العصر المملوكى كان أمياً ، ولكنه نظم بالعربية الفصيحة وهذه مفخرة للعصر ، وصحيح كذلك — بجانب هذا — أن كثيراً من شعرائه ، وممن اندست أساليب العامة إلى شعرهم ، كانوا على جانب عظيم من الثقافة ، ومؤلفاتهم خير شاهد على ذلك ، كابن عبد الظاهر وابن فضل الله والعسقلانى وابن نباتة وابن الوردى والصفدى وابن حجة .

وإذا كانت أساليب العامة قد أخذت سبيلها إلى ألسنتهم ، وظهرت أطيافها فى أبياتهم بدافع الاختلاط والتأثر بحياة العامة ولغتهم ، فهناك دوافع أخرى لا نستطيع أن نتجاهلها أو ننساها ومنها الرغبة فى الإيضاح ، وحب الدعابة والتفكه ، والاستجابة لداعى البديع ، فقد تحلو التورية أو يجمل الجناس ، إذا روعى الاستعمال العامى . ومن هنا نفهم أن بعض الشعراء تعمد هذا الاستعمال لغاية من الغايات .

وليس معنى استعمال الأساليب العامية أن تظل عامية محرفة أو غير معربة ، بل كثيراً ما تجرى مجرى الفصيحة . وقد ينقذها اصطناع الشاعر لها مما تردت فيه من الابتذال .

ونحن نعرض هنا على انظار القارئين نماذج من شعر العصر المملوكى ، ذاكرين أن دراسة ما فيها من أساليب العامة تعمل على ربط لغتنا بلغة أسلافنا ، وتعين على فهم مدى تطور أساليبنا العامية فضلا عما تقدمه من الأدلة على سمو الروح الأدبية وأصالتها لدى شعراء العصر المذكور ؛ فمن ذلك ما يلى :

نعلم أن بائعى « الكتاكيت » ينادون فيقولون : « يا ملاح الملاح » . ويبدو أن هذا النداء كان معروفاً فى عصر المماليك ومستعملا فى نفس المعنى . وقد كان أحد نواب الشافعية ، وهو بدر الدين الدميرى محمد بن يوسف المتوفى عام ٨٨٧ هـ ، معروفاً بين الناس بـ « كتكوت » فاتخذ بعضهم ذلك وسيلة إلى مداعبته فقال فيه الشاعر على بن برد بك موريا بملاح الملاح وفيه دلالة على ما ذكرنا قال :

إن الدميرى صديق فلا أسمع فيه قول واش ولاح
ولا أرى كالغير تقبيحه بل هو عندى من ملاح الملاح

وقال محيى الدين بن عبد الظاهر :

يارب كأس صرت من شربها من بعد رشفى ريق معشوق
ملتهب الأحشاء ناراً لأن شربتها منه على الريق

وفى الشطر الأخير تعبير عامى ، ويتضمن تورية لطيفة . فقد ورى بعبارته عن المعنى المقصود ، وهو أنه شرب الكأس بعد رشف ريق معشوقه ، وكان الريق أحلى وأجل إطفاء لنار أحشائه من الكأس .

وقال جمال الدين بن نباتة فى الشكوى :

قل عونى على الزمان فأصبحت صبوراً على مراد الزمان
حابس اللفظ واليراع عن النا س فلا من يدى ولا من لسانى

وفى الشطر الأخير عبارة عامية تدل على ضعف الحيلة ، وفى البيت كله لف ونشر . وفيه اكتفاء :

وقال شمس الدين بن دانيال الموصلي يشكو حظه كذلك ، ويذكر أنه باع حماره وعبده مما ، فأصبح بذلك فقيراً لا يملك شروى نقير ولا قطمير . وفي بيته الثاني — مع الاكتفاء ومع اللف والنشر المرتب — مجانة يفطن لها الأديب . قال :

ما عاينت عيناي في عطلتي أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد أصبحت لافوقي ولا تحتي

وقال زين الدين عمر بن الوردي متغزلا في تاجر مليح :

وتاجر شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم سائر
قال : علام اقتتلوا هكذا قلت : على عينك ياتاجر

والمعنى العامي للعبارة الأخيرة « بصراحة وعلى المكشوف » فوري به عن المعنى الذي يريده وهو أنهم اقتتلوا بسبب ما في عينه من فتنة وسحر . ولا تزال العبارة مستعملة في عاميتنا بنفس المعنى الأول .

وقال صلاح الدين الصفدي يصف جرة خمر :

وجرة أظهروها والراح فيها كمينة
شممت طينة فيها فرحت سكران طينة

وقال ابن الوردي في لاميته المشهورة :

واهجر الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل

وشاهدنا في عبارة « إن كنت فتى » وهي ترادف الاستعمال الشائع الآن وهو « إن كنت جدع » أي إن كنت شهما . وبدهي أن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم . وقال ناصر الدين بن النقيب يشكو نحول جسده :

يقول جسمي لنحولي وقد أفرط بي فرط ضني وا كتئاب
قمت بي ياسقم ما لم يكن يلبس والله عليه الثياب

وتفيد العبارة الأخير بمعناها العامي الذي لا يزال شائعاً حتى اليوم ، « أنه لا يطاق » ، وورى بها عن شدة نحول جسمه حتى إنه لم يعد يصلح لثياب يرتديها .

ومن لطيف توريات ابن نباتة بالأسلوب العامي ، قوله متغزلا .

سألت النقا والغصن يحكي لنا قاري
روادف أو أعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها وقال قضيب البان ما أنا قدها

وشاهدنا في العبارتين « ما أنا حملها » ، « ما أنا قدها » .

وقال صفي الدين الحلي في معرض الغزل واصفا الصباح :

والصبح قد أخلقت ثوب الدجى يده
ولـيته جاء للمشتاق بالخلق

وهجا ابن أبي حجلة المغربي ، الصلاح الصفدي فقال :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه في الريح

وقال سراج الدين الوراق يتغزل موريا :

ومهفهف عني يميل ولم يمل يوماً إلى فقلت من ألم الجوى
لم لا تميل إلى ياغصن النقا فأجاب كيف وأنت من جهة الهوا

وقال برهان الدين القيراطي :

يا هاجرا أو قمني هجره وصده في حالة صعبة
أخذت قلبي بالتجني وما تركت لي منه ولا حسبة

وفي البيتين عبارات عامية ، وفي الثاني تورية في « حبه » .

وقال ناصر الدين بن النقيب :

ودعتهم ثم انثنيت بحسرة تركت معالم معهدي كالبلقع
ورجعت لا أدري الطريق ولا تسل رجعت عداك المبغضون كرجعي

وشاهدنا في الشطر الأخير ، وترادف عبارته العبارة العامية « رجع رجعة الأعادي » .

وبعد فهذا باب يتطلب المزيد من البحث ، وفي دراسته — بلاريب — نفع للادب والتاريخ .

(حلوان)

محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

قولوا لمن ملأ الزمان تشدقاً

للأستاذ حسن الأمين

أعيا البيان وخاب فيك المنطق   النار أجدى في الكفاح وأصدق
طيبي فلسطين الأبية واسلمي   وطناً له يعنو الزمان ويطرق
لا تيأسي فعلى يمينك فيلق   ملء الربى وعلى يسارك فيلق
اليعربيون الأباة تواثبوا   من كل فج للوغى وتدفقوا
يهتاجهم للبأس أروع مشئم   ويهزهم للأريحية معرق
نسلتهم الصحراء أبطالا إذا   ساروا إلى غاياتهم لم يُلحقوا
إني لتصبيني الصحارى سمحة   وتروقني فيها الظبي والأينق
ويهيج وجدي الليل في تلماتها   ويهزني فيها الصباح المشرق
ويثيرني والنخل أتلع جيده   عصفورة فوق النخيل تزقزق
ومواكب يشدو جرير حولها   طرباً ويهتف بالفخار فرزدق
وتشوقني والذاريات عواصف   نار القرى بين البيوت تحرق
« شبت لمقرورين يصطليانها »   أعشى أضربه السرى ومحلق
والطلعة السمراء لوحها الضحى   ولوى معاطفها الغرام المحرق
وربابة اراعى الطروب ونغمة   يشدو بها في الليل صب شيق
وتثير أشواقي وتبعث صبوتي   أطلال رامة والنقا والابرق
وأحن للعرب الذين تحدروا   منها فسادوا في الورى وتفوقوا
ملكوا الزمان فما استباحوا ذمة   ورعوا الشعوب فأحسنوا وترفقوا
أكرم بأبناء الصحارى إنهم   أحرى بتكريم الحياة وأخلق

***

قولوا لمن ملأ الزمان تشدقاً   بالعدل أين العدل يا متشدق
أمن العدالة أن تقسم أرضنا   ويباد فيها قومنا ويمزقوا
وتبيت ترتع في حماك مسودا   وحماى للشذاذ نهب مطلق
أيبيحهم وطني الكريم وأمتي   مترلف لنوالهم متملق
أين المواثيق العذاب وأين ما   قد نمقوا فيها وما قد زوقوا
(الأحمر) الريان أذكاها لنا   مثل الذي أذكى العدو (الأزرق)

***

صبراً فلسطين الصبور لقد دنا   يوم يعض الظالمين ويرهق
المغرب الأقصى المروع هاجه   أن تستضامي عنوة والمشرق
ستثور مصر والعراق ومكة   شهب عمان إليك وجلق
ستغص بالقتلى السهول وترتوى   شم الجبال من الدماء وتشرق
حطين ! ... والفتح المبين مخلد   هلا قصصت على الفرنجة ما لقوا
تلك الوقائع لا تزال جديدة   تخضر منها الأمنيات وتورق
يا نسمة الشام الحبيبة هدهدى   روحا بصالية الجوى تتحرق
أنا في هواى بجلق متبغدد   وعلى الفرات ودجلة متدمشق
فتحملي من (قاسيون) نوافحا   يشفي بعاطرها الفؤاد الشيق
وانلي علي من الحمية قصة   يزهو بها وجه الإباء ويشرق
أمشت دمشق إلى النضال أأقبلت   منها الزواحف والخيول السبق
أسرت إلى الثغر المنيع أأسرعت   للفتح تحتوش المدى وتطوق
الطائرات محومات والظبى   متوثبات والمذاكي تعنق
يا نسمة الشام الحبيبة عللى   قلباً على الوجد المبرح يخفق
يرنو إليك وشوقه متضرم   ملء الضلوع ودمعه مترقرق
هبي علي من الجبال لعلني   أستاف عرف الظاعنين وأنشق
الواردي الماء الفرات وما دروا   أنا نغص على الفرات ونشرق
والعاتبين وما دروا أنالهم   أوفى على العهد القديم وأوثق

(نزيل بغداد)   حسن الأمين

الأدب والفن في أسبوع

شاعر يتبرع بجائزته لفلسطين :

كان الأستاذ إلياس فرحات من الفائزين فى مسابقة الشعر التى أجراها مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا العام ، وهو عربى مهاجر يقيم فى البرازيل ، وقد فاز بجائزة قدرها سبعون جنيها لم ترسل إليه بعد .

وأخيراً تلقى المجمع كتاباً من الأستاذ إلياس يبلغه فيه أنه متبرع بجائزته لصالح فلسطين ويرجو تحويلها إلى جامعة الدول العربية لضمها إلى الأموال التى يكتتب بها فيما يختص بفلسطين ، ويقول الأستاذ فى كتابه إن هذا المبلغ هو كل ما يملك من مال .

رسالة الكاتب :

أذاعت محطة لندن العربية يوم الخميس الماضى ، حديثاً للدكتور طه حسين بك فى « رسالة الكاتب » بدأه بقوله : لو سئل الجاحظ عن رسالة الكاتب ما هى و كيف يقوم بها ، لدهش لهذا السؤال وما فهمه ، وليس الجاحظ وحده ، بل لووجه نفس السؤال إلى معاصريه ومن قبله من كتاب العرب واليونان والرومان وغيرهم لكان موقفهم منه نفس الموقف ، وذلك لأن الكتابة فى تلك العصور لم تكن إلا مظهراً من مظاهر التفكير العقلى ، لا تكلف فيها ، ولا احتياج إلى سؤال وجواب ، والقراء لم يكونوا فى حالة تهيئهم لمثل هذا السؤال ، ولم يكونوا يشعرون إلا بالحاجة إلى قراءة ما يكتب الكاتب ، لا يسألون عن مهمته ومنهجه وما إلى ذلك . إنما يأتى السؤال عن مهمة الكاتب حين تتقدم الحياة الفنية وتتعقد الصلات بين الكاتب والقراء ، وحين تصبح الحياة نوعا من الترف ، وحين يكثر الكتاب وتتنوع مذاهبهم ويختلف تناولهم لنواحى الحياة المتعددة المعقدة ؛ وقد كان الكتاب القدماء قلة وكان إنشاؤهم على قدر الحاجة العقلية الطبيعية ، أما الآن فقد كثر الإنتاج وأصبح زائداً على حاجة الحياة الإنسانية فى العصر الحديث ، وتعقدت الصلة بين الكاتب والقارئ تعقدا شديداً ، فصار القارئ يسأل الكاتب : ماذا يكتب وما هى مهمته ؟ وصار الكاتب يسأل القارئ عما يريد أن يقرأ وما يجب أن يكتب له .

ثم قال الدكتور طه : والآن أجيب عن السؤال باعتبارى كاتباً يكتب ، ويشعر أن له صلات بقرائه ، ويشعر أيضاً بما توجبه هذه الصلات من التبعات . مهمة الكاتب أن يحقق نفسه أولا ، بمعنى أنه يكتب ما يصور نفسه وشخصه وآراءه فى الحياة ، فالكاتب شخص مستقل له طريقته فى التفكير ، وله طريقته فى الحكم على الأشياء ، وله طريقته فى التصوير والتعبير ؛ والكاتب الحر يكتب ما تمليه عليه حريته لا يفكر فى رضاء القارئ ولا سخطه

وهناك أمر ثان لا ينبغى أن يغفله الكاتب ، وهو أنه لا يكتب لنفسه وحدها ، وإنما يكتب ليقرأه الناس ، فهو أداة اجتماعية إلى جانب كونه إنسانا حراً ، فبالحرية والتضامن الاجتماعى يستطيع أن يحقق شخصيته ثم يكون أداة نافعة فى البيئة التى يعيش فيها ، وهذه البيئة قد تكون ضيقة جداً ، وقد تتسع قليلا ، وقد تتسع كثيراً . فالكاتب الذى يكتب فى الفلسفة مثلا إنما يكتب لنظرائه الفلاسفة وبيئتهم محدودة ، والكاتب الذى يكتب فى المسائل الأدبية والفنية بيئته أوسع ، والكاتب الذى يكتب للجمهور الضخم يكتب فى حياة الناس ويتصل بمنافعهم المختلفة ؛ وهو على كل حال يجب أن يكون نافعاً فيما يكتب ، ويجب أن يفكر فيمن يكتب لهم وفى صلاته بهم . ولا ينبغى أن يحصر فكره فى هؤلاء الذين يقرأونه الآن ، بل يجب أن ينظر إلى من يأتى بعدهم من الأجيال . فمهمة الكاتب تحقيق شخصيته وأن يكون أداة نافعة للبيئة الاجتماعية التى لا يحدها زمان ولا مكان .

أناشيد الجهاد :

اهتمت الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، بإعداد طائفة من الأناشيد العربية المناسبة للحالة الحاضرة ؛ وقد فرغت من إقرار أربعة أناشيد سترسلها إلى إدارة الإذاعة المصرية لإذاعتها ثم تبعث بها أيضاً إلى الإذاعات العربية الأخرى .

وأول هذه الأناشيد نشيد مطلعه :

أشرق الفجر فسيروا فى ضيائه ودعا الحق فهبوا لندائه

إنه وحى السماء .

إنه صوت الإباء .

للإخاء للعلاء .

وهو من تأليف الأستاذ محمد مجذوب مدرس الأدب والعربية بتجهيزى البنين والبنات بطرسوس (سوريا) وهو الفائز بالجائزة الأولى فى مسابقة الأناشيد التى نظمتها الإدارة الثقافية : وكان هذا النشيد قد لحن فى القاهرة فجاء تلحينه غير موفق ، ورئى إرساله إلى ضباط الموسيقى بالدرك اللبنانى لتلحينه ولا يزل هناك .

والنشيد الثانى ، وهو الفائز بالجائزة الثانية فى المسابقة ، للأستاذ محمد مرسى مسلم المدرس بمدرسة الرمل الابتدائية للبنات بالاسكندرية ، وأوله :

إننا العرب الكرام عرشنا فوق أبراج السماء
شرقنا مهد السلام مجدنا فيه معقود اللواء

وقد لحنه معهد الموسيقى :

والنشيد الثالث للأستاذ حسن أحمد باكثير ، وأوله :

قد بدأنا الكفاح وشحذنا الرماح
وامتشقنا السلاح وملأنا البطاح
بجيوش العرب نحن نحن العرب

وقد لحن هذا النشيد قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية كما لحنه معهد الموسيقى . ومما يذكر أن صاحبه تبرع به لفلسطين فلم يأخذ عنه جائزة .

والنشيد الرابع وضعه الأستاذ الصاوى شعلان بناء على طلب الإدارة الثقافية ، وقد لحنه معهد الموسيقى ، وأوله :

إلى المجد هيا شعوب العرب إلى نهضة صبحها قد أنار
لنا فى العروبة أعلى نسب يتوج بالنور شمس النهار

الإذاعة المسكينة :

كتب الأستاذ محمد الأسمر بجريدة « الزمان » يلفت نظر المشرفين على الإذاعة المصرية إلى قراءة أحد قارئى القرآن بها آيات من سورة البقرة أولها « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله» ذاهبا إلى أن قراءة هذه الآيات لاتناسب الظروف والملابسات الحاضرة ... إلى أن قال : « لقد كانت الإذاعة فيما أذاعته صباح أمس من القرآن الكريم مثل القرىء الذى جاءوا به ليقرأ فى حفل زواج ما تيسر من القرآن فقرأ قوله تعالى : « الطلاق مرتان » .

والقارىء العادى حين يقرأ هذا الكلام يظن أن فى القرآن الكريم ما يؤيد قضية اليهود فى فلسطين وأن قارىء القرآن بالإذاعة تلا الآيات التى هى فى صالح اليهود ، وكانت إدارة الإذاعة عن ذلك من الغافلين !! وعليها بعد ذلك أن تراقب قراءة القرآن حتى لا يذاع منها ما يمس سلامة الجيش فى هذه الظروف العصيبة !! .

أما الآيات الكريمة فحاشاها أن تتضمن شيئاً من ذلك ، وإنما هى — على عكس ذلك — تتضمن تخاذل اليهود فى القتال ومخالفاتهم لنبيهم . وأما الإذاعة فهى مسكينة دائماً ... مسكينة فيما تأتيه ويؤخذ عليها فعلا ، ومسكينة فى ابتلائها بمن يريد أن يدلى بدلوه فى مؤاخذتها ولو بغير حق ..

الدول العربية فى مؤتمر اليونسكو :

ألفت لجنة فى وزارة المعارف برياسة الأستاذ شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، للنظر فى موضوع اشتراك مصر فى مؤتمر هيئة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الذى سيعقد بلبنان فى أواخر هذا الصيف . والمفهوم أن لجاناً مماثلة بوزارات المعارف فى الدول العربية تنظر فى هذا الموضوع ، على أن ترسل كل هذه اللجان تقاريرها إلى اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية التى تعمل على توحيد وجهة النظر العربية فى المؤتمر ووضع خطة مشتركة ، وستجتمع اللجنة الثقافية لهذا الغرض بالاسكندرية فى ٣١ أغسطس القادم .

ترشيح فارس الخورى لرياسة اليونسكو :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من دمشق أن وزير المعارف السورية صرح بأن الحكومة رشحت دولة فارس الخورى بك لرياسة مؤسسة الثقافة والتعليم والاجتماع فى هيئة الأمم المتحدة ليكون خلفاً للأستاذ هكسلى عندما تنتهى مدة رياسته وأن الدول العربية وبعض الدول رشحت دولته لهذا المنصب الكبير .

ولا شك أن الأستاذ فارس الخورى أهل لهذه الرياسة ، فهو رجل عالى ممتاز باتساع ثقافته وومضات فكره ، وأن توليته هذا المنصب تعد للبلاد العربية كسباً كبيراً .

ومما يذكر بجانب ذلك أن ساسة الدول الاستعمارية فى هيئة الأمم المتحدة أصبحوا يضيقون به لما دأب عليه من تفنيد سياستهم وفضح أساليبهم بقوة حجته وبيانه الناصع الساخر . وكم يودون أن يتخلصوا منه ، ولعلهم واجدون فى رياسته للهيئة الثقافية متنفساً لصمدائهم ...

دراسات عالمية فى التربية :

ورد على وزارة المعارف من هيئة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة أنها قررت إقامة دراسات صيفية للتربية يحضرها مربون تندبهم وزارات المعارف فى بلاد الدول الأعضاء ، وذلك بغية أن ترفع هذه الدراسات مستوى التربية والتعليم فى أنحاء العالم ، وأن تكون — إلى ما يلابسها من اجتماع المربين من مختلف الدول — وسيلة إلى توثيق الصلات وزيادة التفاهم الدولى .

وقد قررت وزارة المعارف ندب الآنسة رمزية الغريب لحضور الدراسات الخاصة بموضوع « تربية المعلمين » والتى ستكون فى لندن من منتصف يولية إلى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، وندب السيدة إحسان العابد لحضور الدراسات الخاصة بموضوع « تزويد النشء بمعلومات وافية عن هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة » والتى ستكون فى « ليك سكسس » من ٧ يولية إلى ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨ .

التنويه الأدبى :

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ونظرت فى موضوع التنويه بالكتب الأدبية ، وانتهت إلى ما يلى .

١ — تؤلف لجان من أعضاء المجمع فى أكتوبر من كل عام لكل فرع من فروع الأدب من شعر وقصص وبحوث ودراسات أدبية ولغوية الخ . ويكون من وظيفة كل لجنة تتبع ما يصدر فى العالم العربى من كتب تتصل بموضوع التنويه وقراءتها ، وتقديم تقرير عنها للجنة العامة للأدب ثم لمجلس المجمع .

٢ — يقتصر عمل كل لجنة على ما يصدر من الكتب فى هذه الموضوعات فى العالم السابق ، على أن تنظر مع ذلك فى الكتب التى قدمت إليها فعلا .

٣ — فى ضوء تقارير اللجان الفرعية تتخذ لجنة الأدب قرارها فيما يصح أن ينوه به .

٤ — لا تكون الكتب المترجمة موضعاً للبحث والقراءة والتنويه إلا إذا كان المترجم من أمهات الكتب العالمية التى تعود على العالم العربى بفائدة محققة وكان فى ترجمته ما يضيف ثروة إلى اللغة العربية .

٥ — يكون التنويه بالكتب فقط ، لكن يجوز للجنة الأدب أن تقترح على المجلس التنويه بخير المؤلفين ذوى الآثار الأدبية الممتازة ممن خدم الأدب مدة طويلة فيستحق التقدير .

٦ — ينص فى قرار التنويه على أن ما تنوه به اللجنة هو خير ما قدم إليها لا خير الكتب الموجودة .

وقد عهد إلى الأستاذ محمود خلاف سكرتير لجنة الأدب ، الاتصال بدور النشر والمكاتب والمجامع والهيئات العلمية وإدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، لجمع خير الكتب التى ظهرت فى العالم العربى سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ .

من طرف المجالس :

كنا فى ندوة الرسالة ، وكان الحديث فى ترجمة الآداب ، وأن كثير ممن يتصدرون للترجمة لا يراعون الدقة فيها ، فقال أحد الزملاء .

تصور أن أحد هؤلاء يقول فى حوار برواية ترجمها من الانجليزية : « أنت أكرم من حاتم يا لورد ! »

العباس



١ – رائد التراث العربى (١)

ألفه الأستاذ جان سوفاجيه وترجمه الأستاذ صلاح الدين المنجد

مؤلف هذا الكتاب هو المستشرق الفرنسى الأستاذ جان سوفاجيه رئيس دائرة تاريخ الشرق الإسلامى ، وقد اقتبس منه الجزء الذى بين يدينا ، وترجمه الأستاذ صلاح الدين المنجد رئيس ديوان مصلحة الآثار العامة فى الجمهورية السورية . ألفه مؤلفه للمتبدئين من طلاب الاستشراق الفرنسيين ، وهو فهرس للمراجع وفهارس المراجع لا سيما الأجنبيـة ، مرتب حسب الموضوعات ، وهو قسمان : أولهما فى كتب المراجع والوثائق كتاريخ الآداب الشرقية والقرآن والحديث والنحو والمعاجم والرحلات والتراجم ، وثانى القسمين فى مصادر تاريخ الإسلام وتشمل مصادر تاريخ النبى والأمويين والعباسـيين والسلاجقة والمغول والعثمانيين .. وقد كتب له الأستاذ المنجد مقدمة عرف فيها المؤلف وبين غرضه فى كتابه ونقده . والكتاب مفيد لمن يطلبون الوقوف منا على ما كتبه المستشرقون من شتى الأقطار فى تراثنا لأنه فهرس لبحوثهم فيه ، وقد وصفه الأستاذ المنجد بقوله « مسرد نقدى جامع لكل ما ألفه علماء الشرقيات عن التراث العربى فى مختلف العصور والموضوعات » وهو تعريف به غير جامع ولا مانع كما يقول المناطقة : فمؤلفه يغفل عن كثير من منشورات المستشرقين ومؤلفاتهم ، وقد أشارت إليها دائرة المعارف الإسلامية ويذكر بعض ما كتب الشرقيون — وهم غير مستشرقين — بينما يغفل عن بعض ، ويحيل الباحث إلى مصـادر عربية (٢) ليس لهـا ترجمة فى لغة أجنبية . مثال ذلك أنه يشير — فى قسم المؤسسات — إلى كتاب النوبختى عن الشيعة الذى نشره ريتر Ritter فى استنبول سنة ١٩٣١ م ، ولا يذكر كتاباً أعم فائدة منه هو كتاب « مقالات الإسلاميين » للأشعرى وقد نشره ريتر نفسه فى استنبول سنة ١٩٣٠م والكتابان من سلسلة واحدة ، هى المنشورات الإسلامية للمستشرقين الألمانيين ، وكل حلقاتها مطبوعة حوالى هذا الوقت، كما أن المؤلف يغفل فى الموضوع نفسه عن « مختصر الفرق بين الفرق » للرسعنى وناشره الدكتور فيليب حتى Professor - AMerican University of Beirut , Formerly Lecturer Columbia Univesity ' New york . بينما يذكر له فى مكان آخر كتابه تاريخ العرب History of the Arabs وهو شرقى لا مستشرق ، والكتب الثلاثة الأولى لم تترجم فيما نعلم إلى لغة أوربية . وهناك تقصير فى الكتاب يحسن التنبيه إليه هو أن المؤلف لا يذكر أسماء الكتب فى العربية واللغات الأوربية غالباً . بل يكتفى بقوله كتاب فلان ، ويقصر المترجم فلا يستدرك على المؤلف هذا النقص فيسده ، وذكر الكتاب فى العربية أهم من ذكر مؤلفه ، ونحن نذكره قبل مؤلفه ، وقد نغفل عن ذكر المؤلف فلا نحس بخسارة كبيرة والأوربيون على العكس من ذلك وهناك فقرة تمثل ذلك وتمثل سمات أخرى ، جاء (فى ص ٥٠) ما نصـه « كتاب البغدادى الذى نقل القسم الأول منه إلى الإنكليزية K . ch . Seelye وطبع فى نيويورك عام ١٩١٩» فماذا يفهم القارىء العربى الناشىء من ذلك ؟ ما اسم كتاب البغدادى فى العربية ؟ وما اسمه فى الإنجليزية ؟ أرجل مترجم أم امرأة ؟ متى طبع حقاً ! واسمه فى العربية « الفرق بين الفرق » واسمه فى الإنجليزية « Moslem Schisms and Sects » ومترجمه — لا مترجمه — السيدة كيت كامبرز سيلى Mrs Kate Chamders Seelye . وطبع فى نيويورك سنة ١٩٢٠ كل ذلك كان حرياً بالأستاذ المنجد استدراكه ، ولعله فاعل فى فى الطبعة التالية .

قد يكون هذا الكتاب جليل الوفاء بغرضه لمن وضع لهم وهم طلاب الاستشراق الفرنسيون كما ذكر الأستاذ المنجد فى مقدمتـه ، ولكن ما أقل فائدته التى تعود على الباحث العربى والتى لا فائدة غيرها تبرر نقل الكتاب ، ومن أجل ذلك نترقب حلقـات السلسلة التى وعد بها الأستاذ المنجد لتكون دليلاً لباحثينا صغاراً وكباراً على مصادر التراث العربى فنحن به أجدر وعلى فهمه أقدر

(١) نشرته دار العلم للملايين وطبعته مطبعة الكشاف ببيروت سنة ١٩٤٧ ، ٨٣٠؛ صفحة .

(٢) يغفل المؤلف فى هذه المصادر عن كل كتب التراجم التى وضعت فى الجرح والتعديل ، ولقد حل وضعها فى هذا الشأن واضعى فهارس دار الكتب المصرية على عدها — تساهلا — فى فهرس مصطلح الحديث لا فهرس التاريخ ، وفهرس التاريخ أولى بها

٢ — شاعرية أبى فراس [1]

ألفه الضابط العراقى نعمان ماهر الكنعانى

٢ — ومؤلف « شاعرية أبى فراس » الأديب نعمان ماهر الكنعانى الرئيس فى الجيش العراق . ويسرنا أن يقبل على البحث والتأليف ضباطنا العرب كما يفعل الضباط فى البلاد الغربية ، ولا يقتصروا على دراسة عملهم الذى اختصوا به فإن مشاركتهم فى المعرفة بحثاً وتأليفاً أمر ضرورى لهم أولا ومفيد لغيرهم ثانياً . فإن المشاركة تفتق أذهانهم ، وتخصب حياتهم وتبصرهم حتى بعملهم العسكرى ، وتجنبهم الجفاف العقلى والنفسى وتملأ فراغهم بما يعود عليهم وعلى غيرهم بالخير . هم فى حاجة المعرفة ولا سيما الأدبية التى هى قسط مشترك ، لأنهم « ناس » أولاً « وجنود » ثانياً ، ولا غِنى للانسان إنساناً وجندياً فى هذا العصر المعقد المستنير من المعرفة ولا سيما الأدبية لأن الأدب هو التعبير عن الحياة ، ولهذا نرحب بهذه الرسالة من ضابطنا الأديب ونتمنى له ولأمثاله مزيداً من البحث والتأليف .

تتضمن الرسالة إهداء ومقدمة وبحثاً فى « شاعرية أبى فراس » ومختارات من شعره .

فأما الإهداء فلجيش العراق ، ولا عجب فالموضوع شاعرية « جندى » قضى عمره القصير فى خوض الحروب والأسر بسببها وأما المقدمة فكاتبها الدكتور المحقق المعروف مصطفى جواد ، وهى « كلمة فى أدب القرن الرابع » وربما كانت هى ذاتها مفيدة ولكن لا موضع لها فى الرسالة ، وقد كان حرياً بالدكتور جواد أن يجمل سبباً بينها وبين موضوع الرسالة أو مؤلفها كأن يستبدل بهذا الحشو المضطرب الزائد بياناً لمنزلة أبى فراس بين أدباء عصره أو شعرائه خاصة ، أو يلقى ضوءاً على حوادث عصره المتصلة به — ولا سيما أن الرسالة خالية من ذلك — تستبين فيه منزلة الشاعر أو بيئته التى نشأ فيها ، أو كأن يعرف القراء بالمؤلف أو يجلى منهجه فى كتابه أو ما إلى ذلك . بل لو اقتصر الدكتور — وهو الباحث اللغوى النحوى الذى طالما سوّد الصفحات فى الكتب والصحف والمجلات عرضاً يتتبع المؤلفين بالتزييف — على تصحيح أخطاء الرسالة لكان فيه بلاغ .

وأما البحث فهو — فيما نعلم — أول بحث مستقل فى موضوعه ، وهو خال من الحشو والفضول ، وإنه ليدل على فهم « جندى » مستقيم مستقل يتأدى إلى غرضه بحزم وثقة دون أن يعتوره تردد ولا التواء .

والبحث مقسوم عشرة أقسام أولها فى أسلوب أبى فراس ، وثانيها فى معانيه المبتكرة ، وثالثها فى موضوعات شعره إجمالاً والموازنة بينها من حيث إجادته وكثرة قصائده فيها وهو يرتبها هكذا نازلاً : الفخر فالغزل فالمدح فالوصف فالرثاء فالحكمة . ويذكر أن هجاءه كان نادراً ويبين أسباب ذلك كله ، ورابعها فى فخره ، وخامسها فى مديحه ، وسادسها فى وصفه الطبيعة والمعارك ، وسابعها فى غزله ، وثامنها فى رثائه ، وتاسعها فى حكمه وأمثاله ، وعاشرها فى أسره ورومياته التى قالها فى أسره شاكياً أو مستعطفاً أو عاتباً أو ثائراً ، وفى خلال ذلك أحكام لا نوافق على كثير منها وإن كنا نقر بعضها ونطمئن إليه .

وأما المختارات فقد أحسن اختيارها شواهد على أقسام البحث : أولها خمسة طويلة من « رومياته » متممة للقسم العاشر وتليها ستة « متفرقات » قصيرة شواهد على الأغراض الأخرى

والبحث « مدرسى » فى منهجه ودراسته ، ومن أجل ذلك جاء « خفيفاً » سهلا بسيطاً . وإذا كان لم يعطنا « صورة » ولا « ترجمة » حيّة نابضة لشخصية أبى فراس من خلال دراسة شاعريته فى شعره وهو « ديوان شخصيته » فقد رسم أمامنا خطوطاً بارزة من هذه « الصورة » ، وعين لنا معالم واضحة من هذه « الترجمة » وكشف لنا كثيراً من العواطف والآمال التى كانت تصطرع وتمور فى قلب هذا « الجندى » الطموح ، وفى هذا بلاغ أى بلاغ من ضابطنا الأديب .

ولعله معيد النظر بعد فى رسالته فى ضوء « ديوان أبى فراس » فى طبعته الجديدة التى أخرجها منذ أسابيع الدكتور محمد سامى الدهان ، فإنها أوفى بمطلوبه لزيادة نصوصها ، وصحة ضبطها ، وفهارسها المفصلة ، وخلوها من عيوب الطبعة القديمة التى شكاها ضابطنا الأديب فى مطلع بحثه ، وإنا لآثار قلمه الناضج إن شاء الله منتظرون .

القاهرة **محمد خليفة التونسى**

(١) طبعة خاصة بمطبعة الكاتب فى بغداد سنة ١٩٤٧ ، تسعون صفحة من القطع المتوسط



مسألة نحوية :

جاءنى من بعض الطلاب النجباء فى السنوات التوجيهية أن أساتذتهم قد لاحظوا فى مذكراتهم على « عبقرية عمر » أن فى الصفحة الخامسة والأربعين منه خطأ نحوياً حيث جاء فيها أن عمر رضى الله عنه « تفقد رجلا يعرفه فقيل له إنه يتابع الشراب ، فكتب إليه : إنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوْب شديد العقاب ذى الطوْل لا إله إلا هو إليه المصير »

قالوا : والصواب « ذا الطوال » لأنه صفة لله ، ولله فى الجملة مفعول لفعل أحمد فى أولها ...

وظاهر من ملاحظة الأساتذة أنهم قد فاتهم أن عمر رضى الله عنه إنما اقتبس آية من القرآن الكريم فى أول سورة غافر وهى : « حم تنزيل الكتابِ من اللهِ العزيز العليم ، غافِر الذّنب وَقابل التوْب شَديد العقاب ذى الطوْل لا إله إلا هو إليه المصير ... »

وقد جرت عادة عمر وعادة المسلمين عامة أن يقتبسوا الآية بنصها ولا يغيروا فيها مراعاة لموقعها من إعراب كلامهم الذى اقتبسوها فيه .

ومن ذلك فى الكتاب نفسه أن عمر قال لمن هابوه : « ... كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : بالمؤمنين رؤوف رحيم » ص ١٧

ولو أنه أجاز التغيير فى الآية الكريمة مراعاة لموقعها من إعراب كلامه لقال : « رؤوفاً رحيماً » خبراً لكان .

هذا هو الوجه فيما أوردناه من كلام عمر واقتباسه .

على أنه لو لم يكن اقتباساً لما صح الجزم بتخطئته على جميع الوجوه ، لأن باب الاتباع فى النحو معروف ... ومنه « جحر ضب خرب » بكسر الباء فى خرب ، وصوابها أن تضم لأنها وصف جحر وليست بوصف لضب ، وإنما كسروها على الاتباع

ونحن نود من كل من يعثر بخطأ فى الكتاب أن يعلنه ، ولكن بعد مراجعة نفسه ومراجعة مصادره . لأن المحاسبة بعد المراجعة أول خصلة تستفاد من سيرة ابن الخطاب ...

عباس محمود العقاد

جددوا ميثاق عمر فقد نقضه اليهود !

رضى الله عن الفاروق عمر بن الخطاب ، وأبقى ذكره فى الخالدين ، فقد زان الإسلام والمسلمين بورعه وتقواه وألمعيته ، وكان ملهماً ينكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل ما يعرف به خلجات القلوب ووساوس النفوس ، ولذا كانت أحكامه وقضاياه مضرب المثل إلى اليوم فى الحكمة والقوة والوضوح .

وكان أن شرط على أهل الكتاب شروطاً متى أخذوا بها وحافظوا على نصوصها فقد أمنوا على أنفسهم وذريتهم وأموالهم . وقد صار ميثاقه هذا دستوراً للأمة المحمدية فى جميع الأزمنة والعصور ، يجدده حكام المسلمين وملوكهم وقت الحاجة تنبيهاً لمن أخذ عليهم وتأديباً .

« وقد جدد هذا العهد السلطان الناصر حسن بن قلاوون ، فقد جمع اليهود والسامرة وغيرهم ، وجدد عليهم البيعة ، وشرط شروطاً ، وأرسل بذلك مراسيم إلى بلاد مصر والشام ليجمع النائب بها أكابر اليهود ، وأن يقرأ عليهم نص كتاب الإمام عمر بن الخطاب ليعتمدوا أحكام الشريعة المطهرة فيما يلزمهم من الشروط التى يترتب عليها عقد الذمة اقتداء بالشروط العمرية فيهم وتقريراً لأحكامها ، وتجديداً لما تقادم من أيامها ، وتعظيما لدين الإسلام وأهله »

وهذه الشروط سطور فى آخرها(١) . وأن يرشدوا المسلمين ، ولا يطلعوا على عورات المسلمين فى منازلهم ، ولا يضربوا أحداً من المسلمين ، ومتى خالفوا ذلك فلا ذمة لهم ، وقد حل فيهم ما يحل فى أهل الشقاق والمعاندة . .

شطانوف

محمد منصور خضر

(١) لطائف المنن : للشعرانى

١ — سؤال :

يقول امرؤ القيس : ولا سيما يوم بدارة جلجل ، ويستعمل المعاصرون هذه الكلمة فيقولون مثلا « الأمل فى النصر كبير بفلسطين سيما وقد تدخلت القوات العربية النظامية » فأى الاستعمالين أصح ؟

(الرسالة) : الأصح استعمال امرىء القيس ولا يجوز غير ذلك .

٢ — غورى :

عاب الأستاذ أنور المعداوى كلمة « غورى » فى شعر نزار قبانى بالعدد ٧٧٤ من الرسالة ، وهى كلمة صحيحة من غار يغور . ولعل الذى دعا الأستاذ إلى هذه التخطئة أن العامة استعملت هذا الفعل بمعنى قريب جداً من هذا المعنى .

٣ — اسمان :

قال الأستاذ (العباس) فى معرض الحديث عن محاضرات تيمور بك » وقال إن هذا المذهب يستمد من العقل الباطن ، ويجب أن يكون له رقيب من العقل الواعى » .

والمفهوم أن الباطن والواعى اسمان لمسمى واحد . فما رأى الأستاذ مع كبير تقديرى له ؟

عثمان موسى

كوستى : السودان

مجلة الأمير فاروق الثانوية بالقاهرة :

أهدى إلينا الأستاذ إسماعيل بك خيرى ناظر مدرسة الأمير فاروق الثانوية ، مجلة المدرسة السنوية حافلة بشتى الموضوعات العلمية والأدبية بأقلام أساتذة المدرسة وطلبتها ، وبها حديثان مهمان للكاتبين الكبيرين الأستاذين عباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات . والمجلة رائعة التنسيق جميلة التبويب حسنة الطبع . والفضل فى ذلك لمراقبها الأستاذ بدوى طبانة ، ورئيس تحريرها الطالب حسين حسين الجزار .

العدد ٧٧٩ — الاثنين ٧ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

16 em Année No. 779

Lundi — 7 — 6 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٧٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٧ — ٧ يونيو سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

زعيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

والزعيمان هما أحمد عرابي المصرى ، وإبراهام لنكولن الأمريكى ، وكلاهما كان صاحب دور حاسم فى تاريخ وطنه ، وكلاهما كانت سيرته موضوع كتاب من تأليف كاتب واحد ، وهو الكاتب المحقق الأستاذ محمود الخفيف .

تقرأ فى الصفحات الأولى من كتاب أحمد عرابى : « مهما يكن من الأمر فما أحسب أن فى الناقين على عرابى من يستطيع أن يمارى فى أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل أو يقول ، وأنه قبل ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، كان أول مصرى فلاح فى مصر الحديثة نجم من بين عامة الفلاحين فى قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية من القضايا الوطنية الكبرى » .

ثم تقرأ الكتاب إلى صفحاته الأخيرة فتخرج منه بهذه الصورة التى ارتسمها المؤلف وثبت ألوانها وظلالها بالوقائع والأسانيد وجمع لها من الوثائق ما لا غنى عنه فى فهم هذا الزعيم ، ولا فى فهم مصر الحديثة وعوامل نهضتها ودخائل تاريخها فى الجيلين الأخيرين :

ومما لا شك فيه أن زعيم الثورة المصرية فى القرن التاسع عشر قد أصاب وأخطأ ، وقد نجح وأخفق ، وقد أحسن وأساء . ولكنه لم يكن قط خائناً متواطئاً مع الإنجليز على مصلحة وطنه كما افترى عليه خصومه ، وإنما خانه التوفيق كما خانه بعض أعوانه ، وكان تصرف الإنجليز معه بعد إخفاقه تصرفاً طبيعياً لا غرابة فيه إذا رجعنا إلى المعهود من سياستهم ومن خططهم فى معاملة أمثاله ، فهم لم يرفعوا عنه العقوبة القصوى لتواطؤه بينهم وبينه قبل الثورة العرابية أو بعدها ، ولكنهم فعلوا ذلك لأنهم لم يعاقبوا أحداً من الزعماء الوطنيين بعقوبة أشد من عقوبته كما رأينا فى مصر والهند والسودان وأفريقية الجنوبية وغيرها من البلدان التى كانت لهم يد فى محاسبة زعمائها ، ولأنهم من الجهة الأخرى كانوا يسوغون احتلالهم لمصر بفساد الأحوال فيها ، فلم يكن فى وسعهم أن يحكموا بأقصى العقوبة على رجل يثور على فساد الأحوال .

وليس تمحيص التاريخ المصرى ، ولا تمحيص الزعيم المصرى ، كل ما يستفاد من قراءة كتاب الأستاذ الخفيف عن فترة الثورة العرابية ، فإن أساليب السياسة الأوربية فى القرن العشرين ، وأساليب الاستعمار الأوربى على العموم ، بعض ما يستفاد من هذا الكتاب الذى يعد فى بابه قليل النظير .

***

أما سيرة إبراهام لنكولن فهى السيرة الوحيدة التى ظهرت فى اللغة العربية لهذا الرجل العظيم ، وهى سيرة لم يستوعبها كتاب واحد ولا كتب عدة فى اللغة الإنجليزية بين المتكلمين بها

أو القادرين على الاطلاع فيها ، حيث يعلم الناس كثيراً من تاريخ الولايات المتحدة ، فيستغنون عن إقحام هذا التاريخ فى سيرة هذا الزعيم أو ذاك .

والواقع أنه لا توجد فى التاريخ كله فائدة أو عبرة لا تستخلص من سيرة إبراهام لنكولن فى حياته الشخصية أو حياته العمومية سواء تعلقت هذه العبرة بأطوار العظماء أو بأطوار الأمم فى نشأتها ، أو بأطوار السلم والحرب ، أو بعجائب الأخلاق ونقائض الآراء .

فقد يستغنى القارئ بسيرة مستوفاة لإبراهام لنكولن عن سير مئات من العظماء ومئات من الحوادث ، ولا يفوته شيء ذو بال .

وهنا موضع الصعوبة فى استيفاء كتاب عربى لهذه السيرة الجامعة ، وقد كانت صعوبة قائمة أمام كل مؤلف تعرض لهذه السيرة من الغربيين فضلا عن الشرقيين .

ويستطيع القارئ أن يعرف لنكولن معرفة صحيحة من كتاب الأستاذ محمود الخفيف ، لأنه يعرفه كما كان عظيما غاية فى البساطة ، بسيطاً غاية فى العظمة ، أميناً فى السياسة ، سياسياً فى الأمانة ، فكها يضحك الثكالى ، وحزيناً لا يفارقه حزنه مدى الحياة ، كريماً فى الصداقة والخصومة : يقف جلسات الوزارة ليستقبل فلاحاً صديقاً من رفقة صباه ، ويقهر خصومه كل القهر فلا ينتقم منهم ولا يفكر فى إذلالهم ، بل يعرف لهم حقهم ويصون عليهم كرامتهم ، ويسعى فى ذلك كأنه يسعى فى مكافأة ولى من أوليائه يدينه بالحب والوفاء .

تلك صفات لهذا الرجل العظيم تعرفها من هذا الكتاب ، ولكنك مع هذا لا تحيط بكل شيء ولا تعرف كل شيء ، بل تعرف مالا بد منه ويبقى من وراء هذا التعريف الضرورى مجال واسع للمزيد .

ومن المباحث التى تجاوزها الكتاب ، ما يساعد القارئ كثيراً على تعليل هذه الصورة الصادقة التى تتجلى له من سيرة هذا الزعيم العجيب .

فليس فى الكتاب تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التى ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه ، يشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها فى تاريخ الإجرام عامة وفى تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص .

ولا تتم العبرة من تاريخ لنكولن إذا لم تكن نشأته وارتقاؤه إلى رئاسة الجمهورية ، وحقائق مصرعه موضع اهتمام خاص يفوق كل اهتمام بغيرها من الموضوعات .

فقد كان لنكولن مديناً بتعليمه لأمه ، ولولا هذه العناية من أمه لعاش ومات فلاحاً لا يسمع أحد باسمه فى غير بلده الذى يعيش فيه .

وقد كانت هذه العناية وراثة من أعجب الوراثات ، لأن أمه كانت من سلالة غير شرعية لفتاة بلغ من رغبتها فى العلم — على خلاف عادة النساء والرجال فى زمانها ، أنها أقبلت على دروسها الخاصة فأحبت أستاذها واستسلمت له وتعرضت للمهانة فى سبيله .

وكان لنكولن يعلم هذا ويتحدث به على دأبه من الصدق والصراحة ، وكان يعزو إلى هذه السلالة كثيراً من خلائقه وميوله ، ولا سيما الميل إلى المعرفة والاستزادة منها ولو لم تكن من لوازم عمله ، كاقباله على تعلم الهندسة والفلك ودراسة شكسبير وبعض الآثار اليونانية ، وهو محام لا يحتاج إلى هذه المعلومات .

وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية ، لأنه لم ينجح قط فى انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة فى اللحظة الأخيرة أكبر الأثر فى هذا النجاح .

وعمل المصادفة فى تواريخ العظماء يفتقر إلى توضيح هذه المواقف وتحليل أسبابها وملابساتها ، لأننا نرى فيها عمل العظيم وعمل البيئة فى توجيه أكبر الحوادث التى اشتغل بها التاريخ .

أما مقتله فلا يفهم على حقيقته من التاريخ الأمريكى إلا إذا عرف القاتل وعرفت دواعيه إلى اقتراف هذه الجريمة ، وجملة ما يقال عنه أنه ممثل فاشل أراد أن يعوض فشله فى أدواره المسرحية بهذا الدور من أدوار المغامرات المعهودة فى تاريخ البلاد الأمريكية؛ ولولا عوارض شخصية فى طبيعة هذا المفتون لما وقع الحادث على الإطلاق .

***

والذى يبدو للوهلة الأولى من كتابى الأستاذ الخفيف أنه موفق فى تحقيق معلوماته وفى وزن أبطاله .

إلا أنه حين يحتاج إلى الميزان المشترك بين أبطال متعددين ، يضطرب فى الميزان بعض الاضطراب .

ومن أمثلة ذلك فى تاريخ لنكولن أن كلامه عن بطله صحيح ، وأن كلامه عن دوجلاس مزاحمه صحيح ؛ ولكنه إذا عرض الرجلين على « الميزان المشترك » لم يبلغ من الدقة ما يبلغه من وزن كل منهما على انفراد .

ومن أمثلته فى تاريخ أحمد عرابى أنه لم يحرر الميزان كل التحرير عند الحكم على عرابى ومن يعده مثلا ، أو عند الحكم على سائر النابهين الذين اشتركوا فى حوادث الثورة العرابية .

فقد يكون عشرات من الرجال فى الحادث الواحد مختلفين متنابذين ، ويكون لكل منهم حقه من الرأى ، وحقه من العذر وحقه من التعظيم .

ولكننا نلاحظ هذه الملاحظات العابرة وننتهى منها إلى تقدير لا شك فيه لكتابى المؤلف عن هذين الزعيمين ، وذاك أنهما على التحقيق مصدر لاغنى عنه للعلم بكلا الرجلين فى اللغة العربية ، وإن الصعوبة التى واجهت مؤلفهما الفاضل لا تنمط الجهد الكبير الذى توفر عليه ، فاستحق به ثناء الناقد وإقبال القارىء واستزادة المستزيد

عباس محمود العقاد

منارة الماضى :

٢ - زيارة لحصن الأكراد

أدب وحرب

للأستاذ أحمد رمزى بك

٢٢ — لفت حصن الأكراد أنظار رجال الآثار والعلماء من أواخر القرن الماضى ، وكتبوا الكثير عنه ، ولهم المطبوعات والرسوم التى تدل على عملهم المتواصل .

٢٣ — وكان آخر ما ظهر من عمل جدى إنشائى : هو عمل البعثة التى أقامت أكثر من عشر سنوات ابتداء من عام ١٩٢٧ وظهرت نتيجة أبحاثها فى المجموعة المسماة Les Châteaux de Croisées التى طبعتها مصلحة الآثار الفرنسية تحت عنوان Le crac des eheva liers وهو كتاب من أعظم الكتب الأثرية تأليف Deschamps ويزيد من قيمة هذا العمل أن البعثة أعادت هذا الحصن إلى بعض رونقه القديم ، وأخذت فى هذا العمل سنوات عدة ، ولذا جاء عملها من الوجهتين : الأثرية والعلمية من الأعمال الخالدة .

٢٤ — وإنى إذ أشير إلى هذا أرجو أن أجد من السلطات المصرية والسورية اهتماماً يفوق هذا الاهتمام لإعادة قلاع القاهرة ودمشق وحلب إلى ما كانت عليه فى إبان سطوتها وعزها على نمط لا يقل فى قيمته العلمية والأثرية عما قامت به بعثة حصن الأكراد الفرنسية .

٢٥ — وأخذ على البعثة الفرنسية هدمها لقبور من ماتوا من المسلمين ودفنوا داخل الحصن ، ومنهم من كان يحكم هذا الحصن باسم مصر نائباً عن السلطة المصرية ، أذكر من ذلك تربة الأمير صارم الدين قايماز الظاهرى السميدى أول نائب للسلطنة بعد الفتح ، توفى سنة ٦٧٣ ودفن بالحصن . وحقق سوبرنهيم Sobernheim الكتابة التى على شاهد القبر ورسمها ، وليس لهذه التربة أثر بعد الترميمات ، ولم يكن من حقوق البعثة أن تعبث برفات قائد مصرى كبير بعد أن رقدت بالحصن الذى افتتحته جنوده مئات السنين .

٢٦ — اعتاد الناس حينما يتحدثون عن أثر مثل حصن الأكراد أن يشيروا إلى الحروب الصليبية وأثرها ونتائجها وبعض حملاتها ، وموضع هذا الأثر فى تاريخ هذه الحروب : ولا شك فى أن هذه الطريقة واجبة الاتباع ، ولكنى سأخالف هذه القاعدة من بعض النواحى .

٢٧ — ذلك لأن أغلب حملات الحروب الصليبية قد أصبحت معروفة ومتداولة ، ولم يعد من المفيد إعادة الكثير مما قرأه الناس عنها : ثم قد يتسع البحث إلى مناطق تبعدنا عن الغاية التى رسمناها لأنفسنا وهى حصن الأكراد وزيارته .

٢٨ — ولذلك سنشير إلى المنطقة التى فيها حصن الأكراد وأثرها فى الحروب الصليبية ، ونأتى ببعض النتائج التى حصلنا عليها من أثر هذه الحروب فينا .

٢٩ — يفسر الأتاتورك مصطفى كمال رئيس الجمهورية السابق تاريخ الحروب الصليبية بأنها الهجوم المضاد الأول من

الدول المسيحية ضد الإسلام : لأن الفتوحات الإسلامية وانتصارات المسلمين أثارت بوقفتها هجوماً مضاداً Contere Aittaque فهو يرى أن حروب الصليبيين الأولى كادت تقتلع ملك المسلمين بأكمله ، وأن وقفة الحروب الصليبية فى الامارات اللاتينية أوجد الحرب الثابتة فى المراكز المحصنة ، والتى دامت حتى أتم المسلمون أهبتهم ، وجاءت هجماتهم التالية التى قذفت بالفرنج إلى الساحل : فكانت الرد على الهجوم المضاد المسيحى .

٣٠ — ففى فترة الهدوء والاستجمام بين الهجومين أنشأ الصليبيون خطاً من الحصون والقلاع ، يبدأ من خليج العقبة ويمر بالكرك والشوبك ، ويلتقى مع سلسلة الحصون التى تحمى أنطاكية ، وتنحدر مع جبال العلويين حتى جبل لبنان .

ففى منطقة الوسط تماماً يقع مثلث مكون من الحصون الثلاثة : فى الشمال مصياف، وفى الجنوب حصن الأكراد ، وإلى الغرب صافيتا

٣١ — فهذا المثلث الواقع على منطقة جبلية يسيطر على عدة طرق حيوية بالنسبة لمقاطعة طرابلس الصليبية ، وعلى مناطق زراعية خصبة تجعل المحتلين لهذه القلاع لا يهتمون بغير قلاعهم وأملاكهم ، ويسهل عليهم الاتصال فيما بينهم بالنيران لتبادل المساعدة ، ولصد كل عدوان يأتى إليهم . ولذلك استمرت هذه البقعة شوكة فى جنب المسلمين منذ أيام صلاح الدين ومن قبله إلى أيام الملك الظاهر بيبرس .

٣٢ — والحرب هى الحرب فى كل الأزمان تتطور قواعدها وأساليبها ولا تتبدل أهدافها . فهدفها الأول : هو تحطيم قوة المقاومة لدى الخصم وتدميره .

ولاشك فى أن الحملات الصليبية الأولى لم تصل إلى أغراضها ؛ فإن قوة المسلمين لم تحطم فى يوم من الأيام — وإن الفترة بين دخولهم فلسطين وإخراج صلاح الدين لهم من القدس بعد معركة حطين كانت من فترات الثبات والتركز كما قال مصطفى كمال . وقد دامت ٩٠ عاماً — وكانت كل المعارك الصغيرة من قبيل الهجمات التعرضية التى يقوم بها جيش من وراء الاستحكامات ثم يعود إليها بعد إتمام غرضه .

٣٣ — هذه الاستحكامات الدائمة هى القلاع التى أشرنا إليها والتى تمكن صلاح الدين بعد هجومه العام من انتزاع أكثرها من أيدى الصليبيين ، ولكنه توفى قبل أن يتم العمل الذى بدأه لذلك وبقى حصن الأكراد لم يسلم إليه ، وعادت حالة الاستقرار والهدوء من وراء القلاع ، وإن كانت تغيرت عقلية ملوك الصليبيين فأصبحت مصر هدفاً لحملاتهم للقضاء عليها حتى يتم لهم تحطيم قوة المسلمين وتدميرها تدميراً تاماً .

٣٤ — وهناك حقيقة لا بد من إعلانها وهى تتلخص فى إفلاس الخلافتين العباسية فى بغداد والفاطمية فى مصر فى اتخاذ موقف يسمح لكل واحدة أو لكلتيهما معاً من البروز كقوة مجاهدة مكافحة تصلح لقيادة المسلمين فى عراك يمثل الموت والحياة للعالم الإسلامى . فهذا الموقف السلبى انتهى بهما إلى النتيجة الطبيعية المحتمة وهى زوال الخلافة الفاطمية من الوجود وضعف الخلافة العباسية إلى أن صفيت على يد هولاكو .

٣٥ — والقارئ لأخبار الصليبيين عند نزولهم لدمياط وخصوصاً لأخبار نشاطهم وحماسهم عندما وصلت لهم أنباء استيلاء التتار على بغداد يخيل إليه أن قواد الصليبيين قد وثقوا من أن العالم الإسلامى قد زال من الوجود بزوالها مع أن أثر الخلافة العباسية كان ضئيلا جداً فى الحروب الصليبية لدرجة لا يصدقها العقل

٣٦ — والفضل الأكبر فى صد الحروب الصليبية وإعداد أول هجوم إسلامى على معاقل الصليبيين فى فلسطين هو لمصر تحت قيادة صلاح الدين الذى ورث هذا النشاط عن نور الدين الشهير .

وهذا ما أدركه كتاب الصليبيين ، وما شعر به قوادهم بعد وقت طويل ، وما باح به الجنرال كاترو بقوله : إن مصر فى مطالبتها بعودة الدستور والحياة النيابية فى سوريا ولبنان إنما تريد أن أن تلعب الدور الذى لعبه من قبل صلاح الدين فى شئون دمشق

٣٤ — والعمل الحاسم لآخر هجوم إسلامى كان لمصر تحت قيادة الملك الظاهر بيبرس هذا الهجوم العام الذى سقطت فيه انطاكية وحصون الشمال ، وأخيراً حصن الأكراد وغيره من حصون الوسط .

٤٨ — ولو أعقبت وفاة بيبرس فترة هدوء واستجمام لعادت الحروب الصليبية مرة أخرى ، ولكن قلاوون وابنه الأشرف كانا أسرع إلى مداومة الزحف واستغلال الموقف ، فلم يقف الهجوم الثالث حتى حقق ما كان يؤمله كل من صلاح الدين وبيبرس ، فسقطت طرابلس ثم عكا التى قال عنها الشاعر فى مدح الأشرف خليل بن قلاوون :

صدمتها بجيوش لو صدمت بها ... صم الجبال أزالتها ولم تزل

(البقية فى العدد القادم)

أحمد رمزى

بين بدر وأحد :

الفـــــدائي الأول

للأستاذ عمر الخطيب

مد الليل جناحه وشمل السكون ظـلام دامس ... وتحرك الجيش الصغير فى هدأة الليل وغمرة الظلام من المدينة يتقدمه القائد الأعظم (رسول الله) ومن ورائه أصحابه كالـكواكب المتلألئة حول البدر المنير ... ساروا وقد سبقهم الخيال إلى ماء (بدر) حيث يعسكر المشركون الذين تجمعوا ليحبطوا دين الله ويقتلوا رسول الله ويؤذوا أصحابه (الصابئين) ... فاستحث القوم جيادهم وأسلسوا لها القياد ، وقلوبهم تخفق شوقاً للجهاد ، ونفوسهم ترقص طرباً بلقاء أعداء الله الذين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم ... ولم يكن أحب للمسلم إذ ذاك من خوض ساحات الشرف حيث يصول ويجول ويجندل الأقران ويصدع الشجعان ، وقد آلى على نفسه أن يستشهد فى سبيل العقيدة التى يؤمن بها ، والمبدأ الذى ملك عليه لبه ...

ولـما كانوا (بعرق الظبية) استشار الرسول أصحابه ، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ، وقام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ، امض لـما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولـكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون » !

وسكت الناس بعد أن استمعوا لمقالة المقداد ، فقال رسول الله : أشيروا على أيها الناس ، وكان يريد بكلمته الأنصار الذين أعطوه موثقاً أن يؤازروه وينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ...

فقام صاحب رايتهم (سعد بن معاذ) وقال : لـكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل؛ فقال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهـدنا ومواثيقنا ... على السمع والطاعة ، فامض لـما أردت فنحن معك ... فوالذى بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . فتهلل وجه الرسول واطمأنت نفسه ، ووثق من إخلاص الجند لقائدهم واستبسالهم فى سبيل دينهم

***

جاء (أنس بن النضر) ، وقد كان غائباً عن المدينة ، فغدا إلى المسجد ليؤدى الفريضة خلف رسول الله ويستمع إلى حديثه العذب الجميل ويجتمع مع إخوانه الصادقين ليتدارسوا القرآن ، ويتعاونوا على الخير ، ويفكروا فيما يرفع شأن دينهم ويحقق لهم أمانيهم ... وما إن دخل المسجد حتى ألفى نفسه وحيداً بين شيوخ كبار ، وصبية صغار، يركعون ويسجدون، ويضرعون ويبتهلون، فراعه أن يجد المسجد على غير ما ألفه ، واستوضح من القوم الخبر فأنبؤوه بأن الرسول فى غزوة يقاتل المشركين ... فأفلت من يده ودمعت عينه ندماً على ما فاته من الجهاد مع رسول الله ، ورجع خائباً إلى بيته وفى قلبه أسى وفى صدره غصة وفى نفسه حسرة !

***

ورجع المسلمون من (بدر) ، وقد نصر الله حزبه وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وقتلوا من قريش مقتلة عظيمة ، ونالوا منها مغانم كثيرة ، ومكن الله المسلمين من أعدائهم حتى صرعوا رؤوس الجاهلية وأقطاب الشرك ... عادوا وأكاليل النصر فوق هاماتهم يتقدمهم الرسول الكريم ، فاستقبلتهم المدينة جذلة فرحة ، وزغرد النساء ، وأنشد الصبيان ، والقلوب مفعمة بالعزة والفرح ... وجاء (كعب بن مالك) شاعر الرسول ينشد :

عجيب لأمر الله والله قادر ... على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً ... بغوا وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقل منهم عزيز وناصر
فلما لقيناهم وكل مجاهد ... لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيرُه ... وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها ... مقاييس يزهيها لعينيك شاهر (١)
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكب أبوجهل صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمر حمّه الله زاجر (٢)

---

(١) مقابيس : جمع مقباس وهو شعلة النار

(٢) حمه الله : قضاه وأراده .

وما إن استقر بالرسول المقام ووزع الغنائم على الجنود وأعطى كل ذى حق حقه حتى جاءه (أنس بن النضر) والدموع تذرف من عينيه والأسى يعقد لسانه والحسرة تلوح من أسارير جبينه ... جلس أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتذر عما صنع ويعطيه عهداً وموثقاً على أن يكون الجندى الأمين و (الفدائى) الصادق إذا ما حارب الرسول المشركين مرة أخرى ...

قال: «يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين. لئن الله أشهدنى قتال المشركين ... ليرين الله ما أصنع ...

* * *

رجعت قريش إلى مكة تبكى قتلاها وناح النساء عليهم شهراً كاملاً بعد أن جززن رؤوسهن .. رجعوا وقد تركت (بدر) فى نفوسهم أثراً عميقاً حز فى قلوبهم وحفزهم إلى العمل على الأخذ بالثأر ولم الشعث وجمع الشتات والاستعداد لمعركة أخرى ينتقمون فيها لما أصاب ساداتهم يوم بدر ويمحون عار الهزيمة الذى لحقهم وكاد يودى بمكانتهم بين العرب وقد أدركوا أنهم إن لم يأخذوا على يد هؤلاء المسلمين ويفصموا عروتهم ويضعفوا قوتهم فسيقضى على قريش بالذلة والضعة بعد العزة والمنعة .

وعزموا على القتال وحشدوا الجموع وجهزوا الجيش والتقوا مع المسلمين جانب (أحد) وكان المسلمون إذ ذاك قلة وقد باغتهم العدو وأصبح قريباً من ديارهم .. وكان اليوم يوم جمعة، فصلى الرسول بالناس وأخبرهم بأن النصر لهم ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم؛ ولبس لأمة الحرب وتقلد السيف وتقدم بالمسلمين نحو (أحد) وأمر بعضاً من أصحابه أن يرابطوا فى أعلى الجبل وأن يرشقوا المشركين بالسهام، وأوصاهم بأن لا يتركوا مكانهم حتى ولو ظهر المسلمون على أعدائهم ... ودقت الساعة وابتدأت المعركة فكان النصر فيها بادىء ذى بدء حليف المسلمين إذ حملوا على أعدائهم حملات صادقة زعزعتهم وقذفت فى قلوبهم الرعب وأدركوا أنهم إزاء قوم ذوى بأس شديد يكرهون الحياة ويطلبون الموت نصرة للعقيدة ودفاعاً عن المبدأ .. فتراجعوا وفروا منهزمين .. ولما رأى (النابلة) أن العدو قد انهزم وترك وراءه الأموال والمتاع والسلاح نسوا أمر رسول الله فتركوا أماكنهم وأسرعوا لينالوا ما بقى من الغنائم ... وهنا اغتنم الأعداء الفرصة فكروا عليهم من خلفهم وأخذوا مواقعهم وأشرفوا عليهم وشرعوا يرمونهم بالنبال، وجعل الفرسان يحملون عليهم بالسيوف حتى رجحت كفة الأعداء وكاد يقضى على المسلمين ...

* * *

رأى (أنس بن النضر) ما أصاب المسلمين وكيف أن الله قد أخذهم ببعض ما كسبوا، وذكر العهد الذى قطعه لرسول الله على نفسه، وثارت فى نفسه عزة الإسلام وطفرت الدمعة من عينيه حزناً على ما أصاب المسلمين فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين)» ثم امتطى صهوة جواده واستل سيفه وشرع رمحه وتقدم نحو صفوف الكفار فاستقبله (سعد بن معاذ) فقال له أنس (يا سعد بن معاذ! ... واهاً لريح الجنة! إنى لأجد ريحها ورب النضر عند هذا الجبل) وألفى أبا بكر وعمر وقد انتحيا جانب الجبل وألقيا بأيديهما فقال: ما يجلسكم! ... قالوا: قتل رسول الله[1]، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه) ثم ألقى بنفسه فى أتون المعركة واستقبل الموت استقبالا رهيباً لا عهد للناس بمثله وقد وهب روحه (فداء) للاسلام الذى آمن به والرسول الذى اتبعه.

* * *

انجلى غبار المعركة وهدأ صليل السيوف ورجعت الجيوش أدراجها وبقى من المسلمين من يلم القتلى ويحمل الجرحى ... وافتقد المسلمون (أنس بن النضر) فلم يجدوه بين الجرحى أو القتلى فاشتد حزنهم عليه وعظم مصابهم به وأيقنوا بأنه قد أصبح أسيراً فى يد المشركين يسومونه سوء العذاب وينتقمون منه شر انتقام؛ وبعد قليل جاءت أخته (الربيع) لترى أخاها فألفت المسلمين حيارى لا يعرفون من أمره شيئاً، وأخبروها بأنهم لم يجدوه بين القتلى أو الجرحى، فأنعمت النظر فى وجوههم التى مثل بها المشركون فلم تجد بين هذه الوجوه التى شوهها الأعداء ما يدل على أن أخاها منهم، وكادت تقطع بما قطع به القوم لولا أن وقع بصرها عفواً على (بنانه) وكان جميل البنان فعرفته بها وأيقنت أنه (أنس)

(١) وكان المشركون قد أذاعوا هذا بين المسلمين ليفرقوا جمعهم .

كم بيننا من الكتاب؟

للأستاذ عبد المنعم الصاوى

من الكاتب ؟ ...

إذا كان كل من يحمل قلماً يستطيع أن يخط به كلاما يمكن أن يقرأ ، ويؤدى إلى معنى من المعانى ، أيا كان هذا المعنى .

إذا كان هذا يسمى كاتباً ، إذن لجاز لنا أن نسمى أطفال المدارس الابتدائية كتاباً ! !

وإذا كان الكاتب هو ذلك الذى يستطيع أن يملأ عدة أعمدة من صحيفة أو مجلة أو كتاب ، فى أى وقت يشاء ، أو فى أى وقت يطلب إليه أن يكتب ...

إذا كان هذا هو الكاتب ، إذن لأخرجنا الكتابة عن نطاقها الفنى ، وحدودها المتسامية ، وجعلناها أقرب إلى الصناعة منها إلى الفن الجليل المتسامى ! !

فمن إذن الكاتب ؟ ... من هو ؟

هو الذى يحمل قلماً ، وفكرة ، وأمانة .. فأما القلم فوسيلة ، وأما الفكرة فمنهج ، وأما الأمانة فهى الهدف .

وليس القلم هو ذلك الشيء الصغير المتواضع الذى يستطيع أى إنسان أن يملكه ، ما دام يستطيع أن يدفع ثمنه الزهيد الصغير ... وإنما القلم معنى من المعانى الكامنة فى النفس ، قبل أن تكون كامنة فى الجيب ، أو فى محال بيع الأقلام بمختلف أنواعها . .

هذا المعنى الكامن فى النفس ، يستمد عناصره ، ووجوده ، وكيانه كله ... من الدم ، والألم ، والقلب معاً .

وليست الفكرة ، هى أن تدرس كتاباً ، أو عدة كتب .. أو أن تنتهى من دراسة ، ولو كانت جامعية .

لا ، ليست هذه هى الفكرة ، وإنما هى قبل كل شيء فلسفة تتخذها بعد أن تكون قراءات الزمن فى الكتب وفى الحياة ، وتجارب السنوات وشدائد الأيام ، واستقصاء المعارف والحقائق الكونية الراسخة فى طبيعة البشر . . بعد أن تكون كل هذه العناصر قد تفاعلت فى نفس إنسانية ذواقة ، متفتحة ، مشرقة ، لامعة ، بارعة ، فاستقرت أخيراً فيها حقيقة واحدة ، تكون منهجاً واحداً ، يتخذه الكاتب فلسفة فى الحياة .

وليست الأمانة هى أن تحمل رسالة معينة وتسعى إلى تحقيقها بمختلف الوسائل . . ليست هذه هى الأمانة ... وإنما هى أسمى من هذا بكثير .

هى أمانة الكاتب لقلمه المستمد من دمه وعرقه وآلامه وقلبه ... أمانته تجاه هذا القلم ، فإذا هذا القلم أقدس ما يملك ، لا يستبيح لنفسه أن يتجنى عليه باستعماله استعمالا غير مشروع ، أو استعمالا يجاوز الحق ، ولو فى واحد من مائة ، فإن مجاوزة الحق تتساوى : واحداً فى المائة ، ومائة فى المائة .

وهى أمانة الكاتب تجاه منهجه الذى كونته الدراسات والقراءات والتجارب والدموع ... لا يتصرف فى هذه الفكرة إلا فى حدود تتسق معها ولا تنبو عنها .. ولا تتنافر أو تتناحر مع فلسفة الكاتب فى حياته .

وهى أمانة الكاتب تجاه مجتمعه الذى يعيش فيه ... أمانته تجاه العقول والأفكار التى تتناول إنتاجه وتتأثر به ، وتحذو حذوه ...

وهى أمانة الكاتب تجاه التاريخ الذى يتناوله ، ويسجل عليه ، ما أفاد ، وما أضر ، ويضمه فى القائمة البيضاء ، أو ينخفض به إلى مستوى الذين لا يرتفعون عن القائمة السوداء .

إذا توفرت هذه العناصر كلها فى شخص فهو الكاتب ،

فأكبت عليه وهى تبكى ووقف المسلمون إزاءه يترحمون عليه ويسألون الله له الجنة .

* * *

يقول أنس بن مالك (فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون) .

ويقول (كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه من المؤمنين « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؛ فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »)(١) .

(المعادى)

عمر الخطيب

(فتى الفيحاء)

---

(١) روى حديث أنس الشيخان البخارى ومسلم .

وإلا لم يكن كاتباً ، وأصبح من الجناية على المجتمع وعلى الأفكار وعلى الأخلاق ، وعلى مستقبل الجيل أن يعد هذا الشخص كاتباً ... بل أصبح من الجناية فعلا ، أن تفتح لأمثال هذا الإنسان المتجنى صفحات الصحف ، وأنهار المجلات ، وأبواب دور النشر .

والسؤال الآن هو : كم كاتباً في مصر ؟

في مصر سبع صحف يومية تصدر كل صباح ، وثلاث تصدر كل مساء ، عدا المجلات الأسبوعية التي لا يدركها الحصر ، غير المجلات الشهرية ، والنشرات الكثيرة العديدة .

وفي كل صحيفة من هذه الصحف ، مقال واحد على الأقل ، أما في المجلات فكل منها تحوى عدة مقالات .

ولو أننا استعرنا الطريقة الأمريكية في الأحصاء ، لأمكننا أن نقول إن القراء المصريين يواجهون كل يوم بحوالي عشر مقالات وقصص لعشرة كتاب ...

ومعنى هذا أن هناك سبعين قلماً تسود هذه الصفحات البيض ، وتطلع بها على القراء ! !

كم مقالة من هذه المقالات ، وكم قلماً من هذه الأقلام ، يستحق أن يعنى به عقل واحد ، أو تفكير واحد ، أو قارىء واحد ؟ .

وكم من هؤلاء الكتاب ، لهم أقلام ، وأفكار ، وأمانات ؟

هل هم هؤلاء الحزبيون الذين لا يمسكون أقلامهم إلا ليصفوا وجه كبير بأنه أقرب إلى وجوه الملائكة طهراً ... ويصفوا ذاك الكبير بأنه مقلوب السحنة يحاكى الشياطين !!

أم هم أولئك الذين يتعرضون لخفايا السياسة ، دون أي علم بعلم السياسة أو فن السياسة أو خفايا السياسة ... ويتبجحون فإذا هم يوجهون ، ويرسمون الخطوط وينتقدون ، بل ويكيلون اتهامات لا حصر لها ، زاعمين أن لهم مكان القيادة بين الساسة والزعماء ! !

أم هم هؤلاء الذين يتناولون حقائق الفن بأقلام هزلت وضعفت حتى لا تكاد ترى ولا تبصر ، فإذا الكلام عن الفنون كله وصف لعيون هذه الممثلة أو تلك ، أو صيحات هذا الممثل أو ذاك ، أو هزات بطن هذه الراقصة أو تلك !!

أم هم أولئك الذين ينتجون ألوان الأدب من شعر وقصة ومسرحية ، دون دراية بفن ولا علم ... ودون أن تكون لديهم ملكة الخلق والانتاج ، فإذا إنتاجهم كله وصف سخيف ، وحوار ممل ، وحوادث تهدف إلى استغلال أرخص العواطف وأحط النزعات !!

أين هم إذن ... على صفحات الصحف والمجلات ؟ .

لو استطعنا أن نجد واحداً أو اثنين أو ثلاثة ... فمن يكون بقية السبعين ؟

هل هم كتاب ؟

لست أجيب ، وإنما أترك الإجابة لقراء هؤلاء المساكين ... بقيت الكتب .. ودور النشر التي أصبحت مفتوحة الأبواب لكل طارق .

كم من هذه الكتب يمكن أن يكون ذا فائدة أو أثر للقراء ... ؟

وكم من كتابها يصح أن يعدوا بين الكتاب ؟

إننا لحسن الحظ نجد أن عدد قراء الكتب ، المنكوبين بما فيها قليل ، ولهذا يهون الشر .

ما سبب هذا الوضع الغريب المخجل الشاذ ؟

وماذا يكون علاج هذه الحالة العجيبة ؟

وكيف يمكن أن تتعدل هذه الأوضاع الغريبة ؟

نترك هذا الآن ... إلى عودة .

عبد المنعم الصاوى

الأستاذ بقسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

من تاريخ الطب الاسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى

سفير إيران بمصر

— ٤ —

ذكرنا فى حديثنا السابق مجملا عن طب العرب فى الجاهلية ، ونبذة عن مصادر الطب الإسلامى وتأثير علوم اليونان فيه ، وتحدثنا عن كيفية نقل علوم اليونان وسائر الأمم إلى العربية ، وذكرنا أن المسلمين بدأوا ترجمة العلوم منذ القرن الأول الهجرى أى من بدء تعرفهم على الأمم الأخرى واتصالهم بها ، وقلنا إن هذه التراجم قد تحسنت بالتدريج واتسعت دائرتها حتى بلغت ذروتها فى زمن المأمون ، وكان للايرانيين حينذاك نفوذ كبير فى المجتمع الإسلامى ، أى عندما كانت النهضة العلمية الإسلامية فى أوجها ، وإن عدداً كبيراً من مترجمى هذا العصر قام بإصلاح التراجم السابقة .

وفى حديثنا اليوم سنتكلم بإيجاز عن هذا العصر ثم نتحدث عن ظهور كبار الأطباء المسلمين من أصحاب الرأى والنظر وعن مطالعاتهم ودراساتهم فى الأمراض والعلل وعلاجها ، وفى مطالعاتهم عن أحوال المريض بجانب سريره ، ونذكر نبذة عن البيمارستانات عند المسلمين .

كان المأمون مهتما بهذا الأمر لدرجة أنه كان يبعث الهدايا الثمينة لملوك الروم ويسألهم مقابل ذلك الإذن فى إنفاذ بعض المختار من كتب الفلسفة والعلوم القديمة المخزونة المدخرة لديهم إليه ، وكان من جملة شروط الصلح بين الخلافة الإسلامية وامبراطورية روما الشرقية ، أن يأذن امبراطور الروم للمسلمين بشراء الكتب العلمية اليونانية من البلاد التابعة له ، وكانت الكتب التى تصل إلى المأمون خير الهدايا التى يبعث بها إليه الملوك .

يقول ويتينجتون wittington فى مؤلفه عن تاريخ الطب :

« إن فتوح المسلمين العلمية ليست بأقل أهمية من فتوحهم للبلاد وغزوهم لها » (١)

(١) Browne , Arabian Midicine

وقد اقتدى بالمأمون كثير من السراة الأغنياء من أهل الفضل والذوق وبذلوا جهوداً كبيرة فى ترجمة الكتب العلمية ونقلها إلى العربية .

وكان من نتائج هذا الاهتمام والتشجيع أن ظهر عدد كبير من مهرة النقلة فى ذلك العصر .

يذكر المؤرخون أن المأمون كان يعطى حنين بن اسحق العبادى ما يعادل وزن الكتب التى يقوم بنقلها إلى العربية ذهباً

وكان يشتغل فى دار الترجمة التى كان يرأسها حنين أكثر من تسعين مترجماً بنقل الكتب ، ومن مشاهيرهم ابن أخته حبيش الأعسم ، وعيسى بن على ، وعلى بن يحيى ، وأيوب الأبرش ، وحجاج بن مطران .

وبفضل جهود هؤلاء وعلو هممهم وبصرف الأموال الكثيرة وتحرى الدقة المتناهية نقلت إلى العربية كتب كثيرة نفيسة حقاً نجد فى كثير من كتب التاريخ ، ولا سيما فى كتاب الفهرست لابن النديم ، أسماءها وعناوينها بالتفصيل . غير أن كثيراً من هذه الكتب قد ضاع بسبب ما أصاب القسم الأكبر من البلاد الإسلامية فى القرن السابع للهجرة من الخسائر نتيجة لحملة المغول عليها . وليس لدينا الآن من آلاف الكتب غير أسمائها ؛ وربما كان هناك كتب كثيرة ضاعت وضاعت معها أسماؤها أيضاً

وينبغى ألا يغيب عن بالنا أن شيوع عقيدة الأشاعرة الجامدة الشديدة التحفظ ، وتغلبها على طريقة المعتزلة الحرة فى البحث العلمى والدينى ، وعوامل كثيرة أخرى كانت قد أثرت فى النهضة العلمية الإسلامية فحدَّت من تقدمها قبل حملة المغول ، إلا أن هذه النهضة العلمية كانت لا تزال بعد على شىء من القوة ، وكان مقام العلم والأدب لا يزال شامخاً إلى أن جاءت حملة المغول كالسيل الجارف فأصابتها بصدمة قوية فلم تقم لها بعد ذلك قائمة .

إلا أن حملة المغول هذه لم تصب العلوم الطبية بما أصابت به غيرها من العلوم من ضرر ، لأن أفراد قبائل المغول على رغم بربريتها كانوا يهتمون بصحتهم وسلامة أبدانهم ، لذلك فقد حفظوا كتب الطب من الاضمحلال والضَّياع ، كما أن حبهم الشديد للشهرة وخلود الذكر كان من الأسباب التى صانت كتب التاريخ من الضياع والفناء .

إن هذه العاطفة أعنى حبهم للشهرة وخلود الذكر لم تصن كتب التاريخ من الضياع فحسب ، بل كانت سبباً لتأليف كتب

أخرى نفيسة فى هذا الباب ، مثل تاريخ جهانكشاى للجوينى ، وجامع التواريخ لرشيد الدين بن فضل الله الحمدانى ، وتاريخ الوصاف لفضل الله الشيرازى ، وتاريخ كزيده لحمد الله المستوفى القزوينى ، وهى كلها معتبرة من الآثار والمؤلفات التاريخية الخالدة

والخلاصة أن أكثر المؤلفات التى نقلت فى عهد المأمون إلى العربية كانت تراجم متقنة تدل على دقة المترجمين وحسن قريحتهم ، وأن تبويب الكتب المترجمة إلى فصول ومقالات وأبواب مع ذكر المراجع والمصادر التى نقلت عنها التراجم تدل على ذوقهم السليم .

وبعد أن تعرف المسلمون عن طريق هذه التراجم على مصادر الطب الأصلية ، وبعد أن عم البحث العلمى وأنشئت البيمارستانات والمعاهد العلمية وتكونت حلقات الدرس — ولهذا بحث مهم خاص ليس الآن محله — بدأ دور استقلال الأطباء المسلمين فى بحثهم وتأليفهم . وفى هذا العهد الجديد شرع هؤلاء بتدوين ما فهموه من التراجم فى مؤلفات خاصة حسب ذوقهم الخاص ، وأضافوا إلى ذلك كله خلاصة مطالعاتهم وتجاربهم الشخصية فكان من نتاج ذلك كتب مستقلة فى الطب للمؤلفين المسلمين .

وكان لمسلمى إيران خدمات مهمة فى هذا الباب أيضاً لسابقتهم وماضيهم الطويل فى الطب منذ عهد الساسانيين بفضل المدارس الطبية العظيمة التى كانت فى إيران ومنها مدرسة جنديسابور . لذلك فإن كثيراً من الأطباء ذوى الرأى والنظر والأساتذة الكبار والمؤلفين المشهورين كانوا من الإيرانيين ولا سيما فى القسم الشرقى من البلاد الإسلامية .

أما الطب فى المغرب والأندلس ، فإن له بحثاً خاصاً مستقلا ؛ والكلام فى أحوال فلاسفة تلك البلاد وأطبائها كابن رشد وابن زهر وخلف بن العباس الزهراوى الشهير بجراح العرب وابن جلجل وابن وافد واسحق بن عمران وأحمد بن الجزار القيروانى وأضرابهم ، يحتاج لبحث طويل فى عدة محاضرات ، ولا سيما الكلام عن أثرهم فى البلاد المجاورة لأسبانيا والطلبة الذين وفدوا إلى الأندلس من سائر بلاد أوروبا للدرس والتحصيل ، والكتب العربية التى نقلوها إلى اللاتينية والعبرية وغيرهما — وهذه كلها أمور ذات شأن تقتضينا أن ندرسها دراسة عميقة ، ونخصها بمحاضرة أخرى إن سمح الوقت بذلك .

كان أكبر همّ معظم العرب فى العصور الإسلامية الأولى هو درس اللغة العربية وعلوم القرآن والشريعة ، ولم يكونوا ليهتموا كثيراً بسائر العلوم .

يقول جولد زيهير Gold Ziher المستشرق المعروف وهو من أكبر المستشرقين تضلعاً فى اللغة العربية ، وله اطلاع واسع على الفقه الإسلامى — إن عدد علماء العرب حتى فى علوم القرآن والشريعة كالتفسير والحديث والفقه كان أقل من عدد العلماء من غير العرب فى هذه العلوم أيضاً .

ومن الأمور التى استرعت نظر الأستاذ ادوارد براون فأشار إليها فى مؤلفه (الطب الإسلامى) إن الأطباء العرب ولا سيما المسلمين منهم لم يكونوا محل ثقة العرب واعتمادهم فى العلاج ؛ وقلما كانوا يرجعون إليهم فى ذلك . ويستشهد الأستاذ براون برواية ذكرها الجاحظ فى كتاب البخلاء عن طبيب مسلم من العرب اسمه أسد بن جانى أكسد ، فقال له قائل: « السنة وبئة والأمراض فاشية وأنت عالم ولك جد وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تأتى هذا الكساد ؟ قال أما واحدة فإنى عندهم مسلم ، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب ، بل قبل أن أخلق ، أن المسلمين لا يفلحون فى الطب . واسمى أسد ، وكان ينبغى أن يكون اسمى صليبا ومرايل ويوحنا وبيرا (ويقصد الأسماء اليونانية أو السريانية أو الآرامية) وكنيتى أبو الحارث ، وكان ينبغى أن تكون أبو عيسى وأبو زكريا وأبو إبراهيم (أى كنى اليهود أو النصارى) وعلى رداء قطن أبيض، وكان ينبغى أن يكون رداء حرير أسود ؛ ولفظى لفظ عربى ، وكان ينبغى أن تكون لغتى لغة أهل جنديسابور (يقصد لسان أهل إيران) . والخلاصة أن معظم الأطباء الكبار من المسلمين فى عصر النهضة العلمية والاستقلال الفكرى فى الإسلام كانوا من الإيرانيين ، وكان أطباء هذه الحقبة من أصحاب الرأى والنظر ممن جازوا مرحلة التقليد والتسليم لآراء أسلافهم ؛ فإنهم كانوا يبذلون غاية الجهد ويعملون رأيهم فيميزون بين الصحيح والسقيم من الآراء ، ويضيفون إليها من عندهم الشىء الكثير ؛ وخير مثال لهؤلاء محمد بن زكريا الرازى الذى جمع فى مؤلفيه كتاب المنصورى وكتاب الحاوى كل المعارف الطبية التى كانت موجودة فى زمنه من مؤلفات من سبقه من الأطباء من يونانية وغير يونانية ، ونقدها نقداً علمياً

يدل على علو كعبه وطول باعه وإحاطته التامة ، وزاد عليها مشاهداته وتجاربه الشخصية ، كما أنه ألف كتاباً فى الحصبة والجدرى ، ولم يكن أحد من الأطباء الذين سبقوه ، قد عرف أن هذين المرضين مرضان مستقلان . وله غير هذه الكتب رسائل خاصة عن تجاربه الشخصية ومطالعاته فى البيمارستانات ، وبجانب فراش المرضى ، ورسائل أخرى فى المبادئ الخلقية التى يجب على الطبيب مراعاتها والسير بموجبها بحكم الواجب ، وفى هذه الرسائل أيضاً تتجلى اختباراته الشخصية بوضوح تام .

ومن مؤلفات الرازى كتاب باسم شكوك الرازى على كلام جالينوس فاضل الأطباء فى الكتب التى نسبت إليه ؛ ولدى نسخة خطية منه يقول فى مقدمتها :

(إنى لأعلم أن كثيراً من الناس يستجهلوننى فى تأليف هذا الكتاب ، وكثيراً منهم يلوموننى ويعنفوننى على مناقضة رجل مثل جالينوس فى جلاله ومعرفته وتقدمه فى جميع أجزاء الفلسفة ومكانه منها ، وأجد أنا لذلك مضضاً فى نفسى، إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو أعظم الخلق على منة ، وأكثرهم لى منفعة ؛ به أهديت ، وإثره اقتفيت ، ومن بحره استقيت ، مما لا ينبغى أن يقابل به العبد سيده ، والتلميذ أستاذه ، والمنعم عليه ولى نعمته ، وبودى يشهد الله أن هذه الشكوك التى أنا ذاكرها فى هذا الكتاب ، لم تكن فى كتب هذا الرجل الخير الفاضل العظيم قدره ، الجليل خطره ، والعام نفعه ، الباقى فى الخير ذكره ، لكن صناعة الفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم ولا مساهلتهم ، وترك الاستقصاء عليهم، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه كما قد ذكر ذلك أيضاً جالينوس فى كتابه فى منافع الأعضاء حيث وبخ الذين يكلفون أتباعهم وأشياعهم القبول منهم بلا برهان . وكان أكثر ما عزانى وسهل على أن هذا الرجل الجليل لو كان حياً حاضراً لم يلمنى على تأليف هذا الكتاب ، ولم يثقل ذلك عليه إيثاراً منه للحق وحباً لتقصى المباحث . إلى أن يقول : « وأما من لامنى وجهلنى فى استخراج هذه الشكوك والكلام فيها فإنى لا أرتفع به ولا أعده فيلسوفاً إذ كان قد نبذ سنة الفلاسفة وراء ظهره ، وتمسك بسنة الرعاع من تقليد الرؤساء وترك الاعتراض عليهم .

هذا أرسطاطاليس يقول — اختلف الحق وفلاطن وكلاهما صديقان لنا ، إلا أن الحق أصدق لنا من فلاطن . وهو يقاومه ويناقضه من أجل آرائه ، فقد ناقض أرسطاطاليس فى أوضح أجزاء الفلسفة بعد الهندسة الذى هو المنطق يبين غلطه فى كثير من المواضع ، حتى أنه يتعجب ويقول : لست أدرى كيف ذهب على الحكيم هذا المعنى وهو فى غاية الوضوح !

وتذكرنا هذه المقدمة بمقدمة أخرى للشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه حكمة المشرقيين وفيها ينتقد فلسفة المشائين .

والذى يتبين من مطالعة هذه المقدمة أن تحولا فكرياً عظيما كان قد طرأ على ابن سينا فى أخريات أيام حياته نتيجة المطالعة والدرس ، إذ نراه يبدى آراءه دون أن يتقيد بفلسفة المشائين ، ويبينها حسب فلسفة اليونان ولو خالفت فلسفة المشائين، أو باينت آراءه التى كان قد أبداها الشيخ نفسه حتى ذلك التاريخ

وبما أن النمو العقلى والفكرى عند الحكماء والفلاسفة وتقدمهم فى هذا الباب يشبهان إلى حد كبير تقدم الأطباء المسلمين فى العلوم الطبية ، أعنى أن النسبة بين أطباء عصور النهضة وعهد ظهور التأليف المستقلة ، وبين مترجمى الكتب الطبية فى العصور الأولى من الإسلام هى نفس النسبة بين مترجمى المؤلفات الفلسفية فى العصور الأولى ومترجمى كتب الفلسفة فى العصور المتأخرة ، أرى أن أذكر لحضراتكم هنا هذه المقدمة القيمة .

(يتبع)

من مغموري العلمـــاء

للأستاذ محمد كرد على بك

ابن حبان — (بقية ما نشر فى العدد ٧٧٧)

من الحكايات التى ساقها ابن حبان قوله: سمعت إسحق بن أحمد القطان البغدادى بتستر يقول : كان لنا جار ببغداد كنا نسميه طبيب القراء ، كان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم . فقال لى دخلت يوماً على أحمد بن حنبل ؛ فإذا هو مغموم مكروب . فقلت . مالك يا أبا عبد الله ؟ قال : خير . قلت : ومع الخير ؟ قال : امتحنت بتلك المحنة (القول بخلق القرآن) حتى ضُربتُ ثم عالجونى وبرأت ، إلا أنه بقى فى صلبى موضع يوجعنى هو أشد علىّ من ذلك الضرب . قال : قلت اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط ؛ فقلت : ليس لى به معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا . قال : فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل معرفة . فقلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل . فدخلت وجمعت فتيانهم ، وكان معى دريهمات فرقتها عليهم ، وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بى ؛ ثم قلت : من منكم ضُرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً . قال : فقلت له أسألك عن شىء ؟ قال : هات . فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ، ضرب على الجوع للقتل سياطاً يسيرة ؛ إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ ؛ إلا أن موضعاً فى صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر . قال : فضحك . فقلت : مالك ؟ قال : الذى عالجه كان حائكا . قلت : فما الحيلة ؟ قال : يُبطُّ صلبه ، وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته . قال : فخرجت من الحبس ؛ فدخلت على أحمد ابن حنبل ، فوجدته على حالته ؛ فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه ؟ قلت : أنا . قال : أوَ تفعل ؟ قلت : نعم . قال : فقام فدخل ثم خرج وبيده مخدتان ، وعلى كتفه فوطة ؛ فوضع إحداهما لى والأخرى له ؛ ثم قعد عليها ، وقال : استخر الله . فكشفت عن صلبه وقلت : أرنى موضع الوجع . قال : ضع إصبعك عليه ؛ فإنى أخبرك به . فوضعت إصبعى وقلت : هاهنا موضع الوجع قال : ههنا أحمد الله على العافيه . فقلت : ههنا ؟ قال : هاهنا أحمد الله على العافية . فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية . قال: فعلمت أنه موضع الوجع . قال: فوضعت المبضع عليه فلما أحس بحرارة المبضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم حتى بططته . فأخذت القطعة الميتة ورميت بها ، وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر للمعتصم . قال : ثم هدأ وسكن ؛ ثم قال : كأنى كنت معلقاً فأحدرت . قلت : يا أباعبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو للمعتصم . قال : إنى فكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكرهت أن آتى يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة . هو منى فى حلّ .

ومن حكاياته أيضاً : أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا محمد بن عثمان العجلى قال : لما حدث شريك بحديث الأعمش عن سالم عن ثوبان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم ؛ فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء . فسعى به إلى المهدى فبعث إلى شريك فأتاه فقال : حدثت بها ؟ قال : نعم . قال : عمن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش . قال : ويلى عليه ! لو عرفت مكان قبره لأخرجته فأحرقته بالنار . قلت : إن كان لمأموناً على ما روى . قال : يا زنديق لأقتلنك . قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم . قال : والله لأقتلنك . قلت : أو يكفى الله . قال : فخرجنا من عنده فاستقبلنى الفضل بن الربيع فقال : ليس لك موضع تهرب إليه . قلت : بلى . قال : فانه أمر بقتلك . قال : فخرجت إلى جبل ، فخرجت يوماً أتجسس الخبر فأقبل ملاح من بغداد ، فاستقبله ملاح آخر من البصرة ؛ فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين . قلت يا ملاح قرب فقرب .

الماوردى سنة ٤٥٠

إمام فى الفقه والأصول والتفسير ، بصير بالعربية ، كاتب من الطراز الأول ؛ نشأ فى البصرة ، وتولى القضاء فى بلدان كثيرة ، وكان شافعى المذهب ، وقيل إن فيه عبقة من الاعتزال . صنف

كتباً لم ينشر بالطبع منها غير « الأحكام السلطانية » و « أدب الدنيا والدين » و « أعلام النبوة » و « قانون الوزارة » ، ومن كتبه الضائعة « الحاوى » فى الفقه ، قيل لم يصنف مثله . وله تفسير القرآن الكريم ، والنكت والعيون ، والإقناع فى المذهب ، وغير ذلك ، وعمّر ستاً وثمانين سنة وسكن بغداد بأخرة .

هـذا موجز ما ترجم له المترجمون ، وما أثر من كتبه غاية الإبداع فى تصنيفه ، تظهر فيها شخصيته ، وتتجلى تجاربه ومعرفته بأمور الدول ، وتاريخ الحركات الفكرية والسياسية فى الإسلام . تتمثل الماوردى وأنت تقرأ الأحكام السلطانية عالماً عصرياً قتل الحياة تجربة ، وما دوّن للناس إلا ما ينفعهم بإيجاز لا خلل فيه ، وهو من الكتب التى إذا قرأتها مرة ساقتك بدون تقصد منك إلى معاودة قراءتها ؛ بل لو قرأتها مرات شاقتك فتتصفحها مرة ومرة . وحقاً إن هـذا السفر الممتع هو مرجع فريد فى فنه : كتاب فى جرم صغير ونفع غزير . ولو لم يكن له غيره من المصنفات لكفى أن يعدّ صاحبه من أعظم المؤلفين المجودين وأنت إذا حدقت النظر فى هذا الإبداع تراءى لك أن الماوردى لم يتقن من فنون العلم غير هذا العلم ، وأنه شغل بوضعه زمناً طويلاً فى حياته ، فقد جمع هذا العظيم إلى معرفته الكاملة بشرع الإسلام معرفة توازيها فى سياسة الناس ، وحسن القضاء بينهم ، وقيام الدول ونُظمها . ولقد أفاض فى الأحكام السلطانية فى الخلافة ، وتقليدها ، والوزارات وأنواعها ، والإمارات والولايات ، والقضاء وضروبه ، والمظالم والنقابات والجبايات من خراج وجزية وصدقات وحمى وأرفاق وإقطاعات ، وكلام على أنوع الدواوين ، وأحكام الجرائم والحسبة والمنكرات والمعروفات ، وغير ذلك مما له مساس بأحوال المجتمع ، وفيه مقنع لمن ادعوا أن المسلمين أيام عزهم كانوا يسيرون على غـير قوانين مدونة . وما أشبه كتاب الأحكام السلطانية بالشريعـة الإسلامية يصلح لكل جيل وكل قرن ، لا يعروه عتق ولا وهن . وأنت كلمـا أمعنت النظر فى صفحاته زدت حرمة لصاحبه ، وإعجاباً بمـا خطته أنامله على القرطاس ، ولا نعدو الحق إذا قررنا أن كتاب « أدب الدنيا والدين » هو أيضاً من أمتع ما كتب علماء الأخلاق والتربية ، مصادره الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، وأقوال الحكماء والبلغاء ، وفيه طائفة من الشعر البديع والنثر المنسجم ؛ لو درسه الطالب أجزاء عن المطولات ، وكان له مادة يستشهد بها مدى حياته .

وبعد فان الماوردى لا يعدُّ من المكثرين جداً من التآليف ، ولـكنه يحشر فى المجودين جداً فيه ؛ فهو نابغة عصره فى تطبيق مفاصل الشريعة ، واستبطان أسرارها ، أتى بجديد ما كان يعرفه الناس ، ولا اهتدت إليـه القرائح قبله ، وأخذ من القديم كل ماينفع ويرفع ، وكان له من توليه القضاء درس حال البيئات الكثيرة ومن طول عمره معوان على تفهم ما قرأ وثقف ودرّس ، وتمثل ماروى وروى . وبتفرغ قلبه من هموم الحياة فرغ وقته لنشر أنوار علمه ؛ فأخذ بمجامع القلوب فى حياته ومماته ، وكان اعتداله وإخلاصه ما كف الألسن عنه حياً ، وخالف عرف أبناء جيله فى مسائل اجتهد فيها فتحملوه وما تبرموا به ، وا كتفى من دنياه بمـا أعطته فكان خير معلم ومرشد .

ولقد روى فى أدب الدنيا والدين شيئاً دل على بعـد غوره وفرط دهائه قال : وربما صنع ذا السفاهة من طلب العلم أن يصور فى نفسه حرفة أهله وتضايق الأمور مع الاشتغال به حتى يسمهم بالأدباء ، ويتوسمهم بالحرمان ؛ فإن رأى محبرة تطير منها ، وإن وجد كتاباً أعرض عنه ، وإن رأى متحلياً بالعلم هرب منه ، كأنه لم ير عالماً مقبلاً وجاهلا مدبراً . ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل وأصول ، كنت أخفى عنهم ما يصحبنى من محبرة وكتاب لئلا أكون عندهم مستثقلا وإن كان البعد عنهم مؤنساً ومصلحاً ، والقرب منهم موحشاً مفسداً .

وهاك مثالاً واحداً من إخلاصه فى قضائه وتحريه للحق : لمـا أمر الخليفة أن يزاد فى ألقاب جـلال الدولة ابن بويه لقب « ملك الملوك » لم يُفتِ مع من أفتى بجواز ذلك ؛ مع أنه كان من خواص جلال الدولة ، فلمـا أفتى بالمنع انقطع عنه . فطلبه جلال الدولة ، فمضى إليه ، على وجل شديد ؛ فلما دخل قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحداً لحابيتنى لما بينى وبينك ، وما حملك إلا الدين ؛ فزاد بذلك محلك عندى .

وقال عن نفسه فى كتابه أدب الدنيا والدين : ومـما أنذرك به من حالى أننى صنفت فى البيوع كتاباً جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس ، وأجهدت فيه نفسى ، وكددت فيه خاطرى ، حتى إذا تهذب واستكمل ، وكدت أعجب به ، وتصورت أننى أشد الناس اضطلاعا بعلمـه ؛ حضرنى وأنا فى مجلسى أعرابيان

فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهن جواباً ، فأطرقت مفكراً ، وبجالى وحالها معتبراً ؛ فقالا : ما عندك فيما سألناك جواب … أنت زعيم هذه الجماعة ؛ فقلت : لا . فقالا : واهاً لك ، وانصرفا ثم أتيا من يتقدمه في العلم كثير من أصحابي ؛ فسألاه فأجابهما مسرعاً بما أقنعهما ، وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه . فبقيت مرتبكا ، وبحالتهما وحالى معتبراً ؛ وإني لعلى ما كنت عليه في تلك المسائل إلى وقتي . فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلل بها قياد النفس، وانخفض لها جناح العجب ؛ توفيقاً منحته ورشداً أوتيته . وحق على من ترك العجب بما يحسن أن يدع التكلف لما لا يحسن ، فقد نهى الناس عنهما واستعاذوا بالله منهما .

محمد كرد علي

نهاية شاعر

للأستاذ علي العماري

كانت ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة في السنة الثالثة والعشرين بعد الهجرة ليلة فاصلة بين عهدين من عهود الإسلام : عهد الأمن والسلامة والهدوء ، وعهد الغدر والعدوان والفتنة ؛ فقد تنفس صُبحها عن حادث جليل ، وجناية مروعة اهتزت لها أركان الدولة العربية ، وأحدثت في الإسلام الحدث ، وأى نازلة أروع من قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؟ !

في هذه الليلة ولد لرجل من رجالات قريش طفل أسماه (عمر) وكناه (أبا الخطاب) . ذاك أمير العدل والحزم والحكمة ، وهذا أمير اللهو والغزل والشعر ، لذلك كان أهل التقوى إذا تذاكروا — فيما بعد — شئون هذه الليلة جرت على ألسنتهم هذه الكلمة (أى حق رفع ، وأى باطل وضع)(1) .

نشأ (أبو الخطاب) كما ينشأ لداته من فتيان قريش المترفين يسحب ذيول الصبا ، ويجرى ملء عنانه في مراتع الهوى والجمال . غنى واسع ، وجاه عريض ، وعز باذخ ، وقد أعانه على ذلك وسامة محبب ، وظرف يعشق ، ولسان ساحر ، وقلب شاعر ، وإنما تركه سراة قريش ، وأغضى عنه شيوخها ، يمتع في مجالى شبابه ، ويفتن في ذكر فنونه وفتونه ، ويتبع فتياتها ، ويشبب بهن (رعاية لأسرته ، وفخراً بشاعريته ، وترقباً لتوبته)(1) .

وربما كانوا يرجون أن يرفع في الشعر قدرهم ، ويعلى فيه سنامهم ، ولقد نالوا من ذلك ما أرادوا ، فإن العرب كانت تقر لقريش بالفضل في كل شيء إلا الشعر ، حتى نبغ ابن أبى ربيعة فأقرت لها بالشعر أيضاً .

وكأنما أغرته كل هذه الأسباب مجتمعة ، فاندفع لا يلوى على شيء ، وسدر في غوايته لا يبالى أحداً ، وكان عبثه لا يكاد يتعدى النساء ، فهو يواعدهن ويتحدث إليهن ويختدعهن ، ثم يودع ذلك كله في شعر قصصي رقيق ، وأسلوب لين عذب (وإن له لموقعاً في القلوب ، ومدخلا لطيفاً ، لو كان شعر يسحر لكان هو)(2) . (فلشعر ابن أبى ربيعة لوطة بالقلب ، وعلق بالنفس ، ودرك للحاجة ، وما عصى الله بشعر قط أكثر مما عصى بشعر ابن أبى ربيعة(3)) . وقد جمح به الصبا والغزل ، فاتخذ أيام الحج مواسم لصبواته ، ومشاعر البيت الحرام مرابع لهواه :

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

وهكذا كان ينظر هو وأترابه لأيام الحج :

تلبث حولا كاملا كله لا نلتقى إلا على منهج
في الحج إن حجت وماذا منى وأهله إن هى لم تحجج

ما منىً وما أهله إن لم يلق صاحبته ؟

ولم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالى الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالىء عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

نعم كان شعره السحر ، يستميل به القلوب ، ويستنزل به المتأبى ، ويتأنس الشارد ، وينزل الأعصم من قنده ، وكأنما انفجر له — وحده — ينبوع الشعر الغزِل ، فورد منه المنهل الصافى النمير . وليس هنالك شك في أن سروات الناس ، بل عامتهم أحسوا بالشر يتمثل في شعره ، ورأوا رءوس الشياطين تطل من قوافيه ، فخافوا على فتياتهم أن يتصباهن هذا العبث ، ومنعوا أن تدخل دفاتره البيوت ، أو يسمر به مع ربات الخدور ، وقالوا : « ما دخل على العواتق في خدورهن شيء أضر عليهن من شعر عمر بن أبى ربيعة » . وقال هشام بن عروة : « لا ترووا فتياتكم شعر عمر لا يتورطن في الزنا تورطاً » .

(1) الأغاني حـ ١ ص ٧١

(1) تاريخ الأدب العربي للزيات ص ١٠٣

(2) الأغاني ص ٧٨ (3) زهر الآداب حـ ١ ص ٢٨٥

غير أن هذا الشاعر يتنصل من كل ما ينسبه إلى نفسه ، ويزعم أنه يقول وقلبه مطمئن بالإيمان ، ويذيع فى الناس .

إنى امرؤ مولع بالحسن أتبعه ... لا حظ لى منه إلا لذة النظر

وما نلت منها محرماً غير أننا ... كلانا من الثوب المورد لابس

نجيين نقضى اللهو فى غير مأثم ... وإن رغمت الكاشحين المعاطس

ويساير بعض فتيان قريش، وقد تقدمت به السن فيقول له: ياابن أخى قد سمعتنى أقول فى شعرى : قلت لها وقالت لى ، وكل مملوك لى حر إن كنت كشفت عن فرج حرام قط ، فيقول الفتى : قت وأنا متشكك فى يمينه فسألت عن رقيقه فقيل لى : أما فى الحوك فله سبعون سوى غيرهم .

ويمرض فيجزع أخوه الحارث جزعاً شديداً ، فيقول له عمر : أحسبك إنما تجزع لما تظنه بى ، والله ما أعلم أنى ركبت فاحشة قط وهكذا يحاول أن يدفع عن نفسه ما وقر فى أذهان الناس مما أخذوه من شعره ، فيصدقه قوم ، ويؤكدون عفته وطهارته ، فيذكر بعض الرواة أن عمر عاش ثمانين سنة فتك منها أربعين سنة ، ونسك أربعين سنة . ويروى صاحب الأغانى عن الزبير بن بكار قال : « لم يذهب على أحد من الرواة أن عمر كان عفيفاً ، يصف ويقف ، ويحوم ولا يرد » . ويكذبه آخرون ، ويجابهونه بهذا التكذيب ، ويعتمدون فيما يعتمدون على اعترافه على نفسه فى بعض الأحايين ، وتشك طائفة ثالثة فى مبلغ قوله من الصدق حتى معاصروه أنفسهم لا يطمئنون إلى شىء من هذا .

ولاشك أنه بذلت محاولات كثيرة لرده عن غوايته ، وصرفه عن حياة اللهو والعبث . ويبدو أن شيئاً منها لم يفلح ، وأن الأمر كان كما يقول عبد الملك بن مروان : « أما أن قريشاً تعلم أنك أطولها صبوة ، وأبطؤها توبة »(١)

وفى بعض الروايات أنه تاب على حدود الأربعين ، ونذر لئن قال بيتاً ليعتقن به رقبة ، ثم انصرف إلى بيته مهموماً مكتئباً ، وربما مكث على هذه التوبة أياماً ، لكن الحنين عاوده ، والشوق إلى الشعر استبد به ، فأطرق وفكر ، فأدركت جارية ما بنفسه من أسف على توبته فقالت له إن لك لأمراً ، فاندفع يقول شعراً ، فكان تسعة أبيات ، فأعتق تسعة من عبيده ، وفى هذا الشعر يقول :

تقول وليدتى لما رأتنى ... طربت وكنت قد أقصرت حينا

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً ... وهاج لك الهوى داء دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء ... إذا ما شئت فارقت القرينا

فقلت شكا إلى أخ محب ... كبعض زماننا إذ تعلمينا

وذو القلب المصاب وإن تعزى ... مشوق حين يلق العاشقينا

ولعل أخاه الحارث — وكان ديناً عفيفاً لم تلد أمة خيراً منه كما يقول عبد الملك — كان أكثر الناس وعظاً له ، وربما حاول غير مرة أن يكبح جماحه ، ويصرفه عن صويحباته ، وربما بذل فى ذلك غاية وسعه ، وأفرغ له كل جهده ، ولكنه لم يفلح أيضاً ؛ وعاد يقول : « ما أرى عمر ينتفع بوعظنا » أغراه بالمال ، وبعث به إلى اليمن حيث أخواله ، رجاة أن يثوب إلى رشده ، ويقلع عن أباطيله إذا فارق هذه البسمات الوضاء ، وترك تلك الوجوه الصباح التى ألفها وألفته ، ولكن الحنين يراجعه ، والشوق يعاوده ، إلى صاحبته الثريا فيقول :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن

لا داركم دارنا يا وهب أن نزحت ... نواك عنا ولا أوطانكم وطنى

فلست أملك إلا أن أقول إذا ... ذكرت لا يبعدنك الله ياسكنى

بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها ... وموقفى وكلانا ثم ذو شجن

وقولها للثريا يوم ذى خشب ... والدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولى له فى غير معتبة ... ماذا أردت بطول المكث فى يمن

إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

وهكذا يعتذر بغير العذر ، ويتشكى على غير عصاه ، وإلا فما لهذا الفاتك والحج يتعلل به ، ويتباكى على فوته ؟ !!

ومهما يكن من أمره فإن طول نظرى فيما أحاط بأخريات حياته يقضى على أنه نسك ، ولكنه لم ينسك استجابة لوعظ واعظ ، ولا خضوعاً لإرادة مريد ، وإنما رأى الستين ثقلت على كاهله ، والسن تخونته ، وغزلان الحجاز تنفر منه ، بعد أن انطفأت جمرة شبابه ، وخمد مشبوب عاطفته ، فماذا يصنع ؟ هربت منه اللذات ، وتنكرت له الصبابات ، فليمل إلى جنب الله ، وليستجب لداعى التوبة ، وهو يرى الموت على حبل ذراعه ، وينظر قبره قد حفر ، وأنهما لفرصة قد انتهزها ، لما تولى عمر ابن عبد العزيز الخلافة بعث إليه فلما جاءه قال له : هيه :

(فلم أر كالتجمير منظر ناظر) وذكر له البيتين اللذين ذكرناها آنفاً ، ثم قال : فإذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام ، فتى

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة .

اللقيــــطة

للأستاذ حسنى كنعان

إن هـذه الوليدة التى أولدها « ترومان » بالأمس معترفاً بصراحة نسبها ، وسماها أهلوها « دولة إسرائيل » ما كادت تتلقفها أيدى القابلات الآسيات حتى تلقفتها يد عزرائيل وخنقت فى مهدها قبل أن تهبط الأرض وتتفتح عيناها للنور وتستنشق النسيم ، حتى أن بعض أعضاء مجلس الأمن من المحبذين لها اضطروا إلى استبدال هذا الإسم تحت تأثير ممثل سورية العلامة الداهية الأستاذ فارس بك الخورى ، فأطلقوا عليها « السلطات اليهودية » ، وبهذا التأثير وهذه الحملة الصادقة قضى على أحلام اليهود ودفنت آمالهم ، وبات من المحقق أن يبحث لها مولدوها عن قبر بدلا من هـذا المهد الذهبى الذى كان ينتظرها طوال هذه السنين التى تمخضت بها . وهكذا شأن كل وليدة لقيطة غير صريحة النسب ، فاعتراف بعض الدول الموالية لأهلها بها لم يفت فى سواعد العرب المناضلين المكافحين عن عروبة الديار التى يراد إقامة المهد فيها ، ولم يفل من عزائمهم ومضائهم . إن الأمة العربية جماء من أقصى حدود النيل إلى تهامة فنجد فاليمن فإلى الفوطتين وشواطئ فينيقية فإلى مياه الرافدين والأردن كلها هبت هبة رجل واحد وبقلب واحد شاهرة الحسام فى وجه هذه اللقيطة الباغية ، وفى وجه كل من لف لفها أو والاها أو قال بقولها ، ولن تتراجع عن تصميمها ما لم يكتب لها النصر — بإذن الله — أو الموت والإبادة — لا سمح الله ولا قدر — !

وليست الأمة العربية وحدها هى التى ستكون حائلا دون نمو وتقوى هذه اللقيطة الأفعى ، بله جميع الأمم الشرقية التى تتاخم حدود أراضيها للبحر الأبيض المتوسط ، ستكون عوناً للعرب على خنق اللقيطة وعدم السماح لها بالظهور والبقاء . وستقف بجانبها دول أوربية لها ضمائر تساند العرب فى حقهم . وسوف لا تتكرر مأساة التصويت على التقسيم مرة ثانية ، لأن الدول بدأت تتراءى لها مناورات البيت الأبيض والكرملين ، وبدأت تنظر إلى القضية الفلسطينية العادلة بغير النظرة التى كانت تنظرها يوم عرضت على التقسيم والتصويت ..

حتى أن الشعب الأمريكى جله إن لم نقل كله ناقم على سياسة حكومته لتحيزها لجانب دون آخر ، لأن الأوربيين والأمريكيين وإن كانوا لا يمتون إلى العرب بصلة أو نسب ، فإن بعضهم « عندهم ضمائر » ... ودليلى على ذلك حادثة المستر كارلتون عميد الكلية الأمريكية فى الشهباء وقنصل أمريكا الفخرى ، والحديث الذى دار بينه وبين المحافظ الأستاذ عادل العظمة الذى جاء فيه أن اعتراف المستر ترومان بالدولة اليهودية « التى ولدت ميتة » لا يعبر عن وجهة نظر الشعب الأمريكى ، وهو يعبر عن رأيه بمفرده ... وإن جميع الأمريكيين يعرفون مكر اليهود وخداعهم ومقدرتهم على اشتراء الضمائر والأصوات والتلاعب بالعواطف ببذل الأموال وبذل أشياء أخر .

ثم قال العميد : « إن الأغلبية فى الشعب الأمريكى تشجب عمل ترومان وتمقته ، وسيظهر أثر ذلك فى الانتخابات الآتية ،

يغلتون ؟ أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شىء غيرك ؟ ثم أمر بنفيه ، فقال : يا أمير المؤمنين أوخير من ذلك؟ قال: وما هو ؟ قال : إنما هو الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر ، وأجدد توبة على يديك . قال : أو تفعل؟ قال : نعم . فعاهد الله على التوبة

والذين يؤكدون أن عمر تاب رهبة من خليفة المسلمين يجهلون كل الجهل طبائع النفوس إذا عمرت ، فإن الرجل مهما أسرف على نفسه ، فسيجد من تقدم سنه ما يوحى إليه بالإنابة إلى الله ، ولاسيما إذا كان ماتصبو إليه نفسه غيرممكن، ويجهلون كذلك مكانة ابن أبى ربيعة فى قريش ، وأنه أرفع — لو أراد — من أن يخضع لتهـديد خليفة . وكيف وهو الذى شبب ببنات الخلفاء وأخواتهم ؟

ورواية أخرى تحدثنا أنه مد خطوه إلى أبعد من ذلك ، فإنه عرض على الخليفة يغزو فى البحر ، وكأن الله أراد به الخير ،فمات شهيداً . قال عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : « فاز ابن أبى ربيعة بالدنيا والآخرة ؛ غزا فى البحر فأحرقوا سـفينته فاحترق » (١)

على العمارى
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

(١) البيان والتبيين حـ ٣ ص ٧٧ : ط . الخطيب

حيث ينتظر أن يسقط فيها هذا الصهيونى الأول سقوطاً مريعاً ما بعده من سقوط ... »

فرد عليه المحافظ شاكراً له هذه العواطف الفياضة نحو العرب وقضيتهم العادلة . وقال فيما قاله : يحق للسوريين أن يدهشوا كل الدهشة لموقف الشعب الأمريكى النبيل الذى لم تمت فيه الضمائر ولم تبلغ منه الغايات ، فالسوريون قاطبة يقدرون مزايا الإخلاص والحرية والعدالة فى الشعب الأمريكى الذى لهم بينه جاليات ومؤسسات ، وما من أحد ينكر فضل الدنيا الجديدة على المدنية والحضارة . ولأمر ما صوت السوريون للأمريكيين مفضلهم على جميع أمم أوربا يوم عرض عليهم الانتداب عام ١٩٢٠ ، عندما أبصروا أن لا بد من انتداب دولة ما من الدول الحليفة عليهم »

وكان لكلمة عطوفة المحافظ التأثير الحسن لدى العميد الأمريكى ، ذهب بعدها شاكراً ، مودعاً بمثل ما استقبل ، وهذا دليل قاطع على نفرة الشعوب الحرة من سياسة حكوماتها ، ومقت الصهيونية المتجنية الآثمة العاتية .

فالأمة العربية بأسرها لا يرتضى واحد من رجالاتها المسئولين أن يمثل الدور الذى مثله من قبله أبو عبد الله الصغير فيستحق لعنة الأحفاد كما استحقها ذلك الخليفة « الضعيف الإرادة » .

وإنما يريد كل واحد منهم أن يمثل ذلك الدور الذى مثله المعتصم العباسى ، فيلبى نداء الفتاة العربية السبية فى فلسطين ، كما لباها ذلك الخليفة بعمورية .

وبهذا يصبح كل عربى فى نفسه معتصما ، فلا يتخلف أحد عن إجابة النداء والواجب . إن فى تقديم الدم كما فعل طلاب المدارس العليا بدمشق ، وذلك بتقديم دمائهم لجرحى المجاهدين ، وهى أقصى ما يملكونه ، أو فى المال أو فى التضحية بكل ما يمتلكون

إن هذه الجيوش العتيدة الزاحفة إلى ساحات الجهاد فى الأراضى المقدسة ، أولى القبلتين ، لتطهيرها من أرجاسها وأنجاسها تخوض اليوم هناك مع شذاذ الآفاق معركة الموت أو الحياة ، وهى لن تتراجع عن تصميمها — كما جاء سابقاً — ما لم يكتب لها الظفر بدفن اللقيطة وأهلها ... وما غلب قوم عن قلة إن كانوا متساندين متعاضدين ، والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وهو جدير بمنحه للمؤمنين ...

وإن مصر وهى المتبنية لهذه الحركة التحريرية نظراً لنمو نواة الجامعة العربية فى واديها وعلى ضفاف نيلها السعيد ، لن يعجزها المال والرجال ، وتكتل الشعوب العربية فى ظليل راياتها لمتابعة هذه الحركة حتى النصر النهائى ، فإما رايات خفاقة إلى الأبد ، وإما ميتة شريفة — لا قدر الله — وحياة خالدة عامرة بالجهاد والمفاخر ...

وليست هذه هى المأثرة الأولى التى حفزت هذا القطر الشقيق إلى تبنى قضايا العرب ، وهى مأثرة من مآثر لا تزال ماثلة للعيان فى الزحف المصرى لإقامة الدولة العربية الكبرى فى ظل ساكن الجنان جد الأسرة العلوية محمد على باشا وولده إبراهيم ...

(دمشق) حسنى كنعان

في أخريات الشباب

للأستاذ حسين الظريفي

أصبحت لا غضا ولا ذاويا ... أحيي شبابا لم يعد ذاهيا
مال إلى المغرب شمس له ... كان الضحى أمس بها ضاحيا
لقد مضى عهد الصبا وانقضى ... مقتضيا أوطاره قاضيا
إذا تذكرت أحايينه ... كنت به القصة والراويا

يا حسن أيام بصدر الصبا ... لم يبق منها الدهر لي باقيا
كانت بها لي ميعة من صبا ... أسحب من أذيالها الضافيا
تغفل عيني عين دهري إذا ... ما رحت فيها لاعبا لاهيا
لا أحسب الشمس سوى غادة ... تستأسر الحاضر والباديا
دانية منا على نأيها ... يا رب ناء لم يكن نائيا
إذا أطلت من عل لم تدع ... شيئا على وجه الثرى خافيا
كانت ترى مني أخا غفلة ... عما جرى أو لم يزل جاريا
طفلا ترى في جنبات الحمى ... لم ير أهلوه له ثانيا
وطالما كانت على دجلة ... تبصر مني كاتبا ماحيا
ألبس من أنوارها حلة ... لا تعدم العاطل والحاليا
وقد أظل الصبح مستدفئا ... من شدة البرد بها شاتيا
ولا تغيب الشمس حتى أرى ... عنها بديلا ولها قافيا
وربما مر سحاب بها ... فاتخذت منه لها واقيا
تبدو نجوم الليل من بعدها ... مبدية ما لم يكن باديا
أطمع أن تطرح في راحتي ... ولو بذلت الثمن الغاليا
وما لعيني هلال بدا ... إلا وأعجبت به رائيا
أحسبه من فضة زورقا ... من الحبيبين جرى خاليا
والبدر يهدي الليل من نوره ... ما لم يعد ليلا به داجيا
لم ألفه للشمس إلا أخا ... كان وما زال لها تاليا
وكلما مر نسيم الصبا ... مر بجنبي رائقا صافيا
ولم يزل دهري بي ماضيا ... لا تعبا يوما ولا وانيا
حتى انجلى شرخ شبابي به ... مستهديا مهتديا هاديا
يبسط من راح الهوى راحة ... ولم يكن من راحة صاحيا
إذا دعته للعلى دعوة ... أدرك فيها المثل العاليا
شرخ شباب ما تذكرته ... إلا وقد عددت له ثانيا
يحضرني مغتملا آملا ... ورائحا في يومه غاديا
صاحبت مذ صاحبته مهجة ... تفتح الحب بها ناميا
ثم استوى فيها على سوقه ... ثم تبدى زاهرا زاهيا
ثم انثنى يعطي الجنى عن غنى ... يشبع من كان به طاويا
غذيت آدابي بأثماره ... وما يزال الطاعم الكاسيا

سقيا لشرخ من شباب مضى ... ما كنت في يوم له ساليا
أصبح أبياتا يغنى بها ... فتطرب السامع والشاديا
حليت ديواني بها قائلا ... لولا حلاها لم يكن حاليا
لم تبق عندي من شبابي سوى ... بقية لست لها باقيا
ولست بالجاهل ما في غد ... ولو على الناس بدا خافيا
كأنني بالشيب في لمتي ... أوقد نارا وانتضى ماضيا
لا يترك الدهر له صاحبا ... حتى يرى شيخا به فانيا
ذان الجديدان يجدان بي ... ولا يجددان لي باليا
فلا أطاش الله لي رمية ... كنت عليهما بها راميا

حسين الظريفي

الأدب والفن في أسبوع

عاصفة بولندية حول « بانت سعاد » :

لأول مرة تقع في يدي — من بريد الرسالة — « النشرة الإخبارية » للمفوضية البولونية بالقاهرة ، وثبتت عيني بها على موضوع أخذ نحو صفحتين منها ، جعل عنوانه « خطاب مفتوح إلى الدوائر العلمية : كعب بن زهير بين وارسو والقاهرة — قصة مخطوط عربي قديم »

وتتلخص القصة كما روتها النشرة في أن مستشرقين يملكان نسختين خطيتين لقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير ، وهذان المستشرقان هما البروفسور كوفالسكي البولندى ، والدكتور فيشر الألماني ؛ أما فيشر فقد أهدى نسخته إلى دار الكتب المصرية ، وأما كوفالسكي فهو يعمل منذ ثلاثين عاماً في تصحيح المخطوط وإعداده للنشر ، وأبلغ المستشرقين بشروعه في العمل « كما أعلن احتفاظه بحق الأسبقية في هذا العمل » ولما شرع في طبع الكتاب جاءت الحرب فتوقف نشر الكتاب وما كادت تنتهي حتى استأنف عمله ، وأتم طبع الكتاب . وفي يناير سنة ١٩٤٨ بلغ كوفالسكي أن دار الكتب المصرية في سبيل إعداد المخطوط الذي لديها للنشر معتمدة في ذلك على ما تركه لها فيشر ، فأرسل إليها كتاباً « يعرب فيه عن رأيه في أن قيام دار الكتب بإعداد مخطوط انتهى طبعه بالفعل ، مضيعة للوقت وإسراف في الجهد والمال ، وأن من المصلحة العلمية توحيد الجهود والاقتصار على ما أتمه بالفعل » ولما لم يتلق رداً على هذا الكتاب أرسل إلى المفوضية البولندية بالقاهرة لتتصل بدار الكتب في هذا الشأن ، فكتبت المفوضية إلى الدار تسأل عن حقيقة هذا الموضوع ، فلم تتلق منها رداً « فأرسلت أحد موظفيها في يوم ١٧ مارس ١٩٤٨ فقابل حضرة مدير دار الكتب الذي أبلغه صحة ما وصل إلى علم البروفسور كوفالسكي ، وأن الأستاذ أحمد زكي العدوي رئيس القسم الأدبي في الدار يقوم في الوقت الحاضر بإعداد المخطوط وأنه أنجز نصفه تقريباً . ووعد حضرة مدير دار الكتب ممثل المفوضية بإرسال رد رسمي إلى المفوضية بوجهة نظر الدار ، ولكن لم يصل هذا الرد إلى المفوضية » .

ثم ختمت النشرة الموضوع بقولها : « ولما كانت مهمة المفوضية هي حماية حقوق المواطنين البولنديين ، ولما كانت المفوضية حريصة كل الحرص على تجنب أي شائبة تشوب العلاقات الثقافية بين بولندا ومصر والعالم العربي ، فإنها تنشر هذه القصة لتحيط المهتمين بالأمر بأسبقية البروفسور كوفالسكي في هذا العمل العلمي ، وهي ترجو مخلصة في أن يوفر الآخرين (كذا) الجهد والمال الذي يبذل لإنجازه بالفعل » .

وأول ما يسترعي النظر في هذه القصة هو اشتغال المستشرق كوفالسكي بتصحيح قصيدة « بانت سعاد » منذ ثلاثين عاماً ، وحرصه على إعلان أسبقيته في إخراجها وطبعها ، مع أنها غير محتاجة إلى كل هذا الجهد ، ومع أنها كما قال جورجي زيدان في آداب اللغة العربية « طبعت مراراً بمصر وأوربا وشرحها كثيرون منهم ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة إلى الآن ، ومن الأصل والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها » .

والظاهر أن المخطوط الذي طبعه كوفالسكي هو ديوان كعب ابن زهير وفي جملته قصيدة « بانت سعاد » وأن المفوضية البولندية لم تفهم عنه تماماً ، ويدل على هذا أيضاً أن النسخة التي أهداها فيشر إلى دار الكتب المصرية (والتي تقول النشرة إنها مثل نسخة كوفالسكي) هي مخطوط جامع لشعر زهير بن أبي سلمى وابنه كعب ، وقد وصفه فيشر في كتابه المصاحب للمخطوط ، إلى مدير دار الكتب المصرية (وكان إذ ذاك الدكتور منصور فهمي) بقوله : « يحوي هذا المخطوط القديم ديوانين من الشعر العربي القديم ، أحدهما للشاعر الجاهلي الكبير زهير بن أبي سلمى والآخر لابنه كعب بن زهير شاعر « البردة » . وسبق أن قلت لكم : إن من رأيي أن هذا المخطوط القديم جدير بأن يصور تصويراً شمسياً وأن تضم النسخة المصورة إلى مجموعة المخطوطات التي بدار الكتب المصرية . كذلك جدير بأن يصدر في طبعة منقولة عن هذه النسخة المصورة . واليوم لازلت عند رأيي هذا وعلى أي حال فديوان كعب بن زهير جدير بهذا ، لأنه لا يعرف له نسخة ثانية . وهذا سبب عدم نشره حتى الآن ماعدا البردة » وقد نشر هذا الكتاب في صدر « ديوان زهير بن أبي سلمى » الذي أخرجته دار الكتب المصرية والذي قالت في أول مقدمته :

« هذا ديوان زهير بن أبى سلمى ، وسيليه فى النشر ديوان ابنه كعب . ولم يعرف شعر كعب مجموعاً فى ديوان قبل ذلك وسنشرع فى إخراج شعر كعب عقب ظهور هذا الديوان الجامع لشعر زهير وقد اعتزمت الدار نشر هذين الديوانين بعد أن اهتدت إلى مخطوط جامع لشعرها محفوظ بمكتبة الجمعية الشرقية الألمانية بمدينة هلة يرجع تاريخه إلى سنة ٥٣٣ هجرية » .

ودار الكتب تعمل الآن فعلا فى إخراج ديوان كعب بن زهير ، وقد تولى إتمام تصحيحه الأستاذ عبد الرحيم محمود بعد وفاة الأستاذ زكى المدوى فى أوائل مايو الفائت ، وقد أوشك الأستاذ عبد الرحيم علي الفراغ منه ، وستصدره الدار قريباً .

ومما يذكر أن الأستاذ الميمنى الهندى عثر فى استامبول على مخطوط لديوان كعب بن زهير مع شرح له ، وأرسله إلى دار الكتب لطبعه ، فوجدت الدار أن شرح مخطوط فيشر (وهو للسكرى) أوفى من شرح مخطوط الميمنى (وهو للاحول) ومع ذلك فهى تستفيد من شرح الأحول فى تصحيح المحرف من شرح السكرى وغير ذلك .

ومن غريب الاتفاق أن المستشرق كوفالسكى توفى فى أول مايو الماضى فقد نشرت المفوضية البولندية نبأ وفاته فى نفس النشرة التى فصلت فيها الموضوع الذى نحن بصدده ، وغرابة الاتفاق أنه توفى فى الأسبوع الذى توفى فيه الأستاذ زكى المدوى ..

وقال لى الأستاذ مرمى قنديل مدير دار الكتب المصرية : جاء إلى موظف مصرى بالمفوضية البولندية ، وكلمنى فى هذا الموضوع ، وعرض على ملازم من عمل المستشرق كوفالسكى فى ديوان كعب بن زهير فوجدتها تختلف عن عملنا فى بعض النواحى فمهجه يفيد المستشرقين أكثر مما يفيد القارئ العربى بخلاف منهجنا الذى يتجه إلى تحقيق الفائدة الكاملة للقارئ العربى ، على أننا ننشر ديوان كعب بن زهير تنفيذاً للبرنامج الموضوع لإحياء آدابنا العربية ، ولنا فى ذلك طريقتنا وجهودنا الخاصة ، فهل نقطع العمل فى إخراج كتاب لأن أحداً ما أبلغنا أنه أخرج هذا الكتاب ؟

وبعد فماذا تريد المفوضية البولندية ؟ إنها تذكر أمرين : « حماية حقوق المواطنين البولنديين » و « الحرص على العلاقات الثقافية بين بولندا ومصر والعالم العربى » فما هو حق المواطن البولندى الذى طبع كتاباً تطبعه دار الكتب المصرية ؟ إن كانت تريد إعلان سبقه فلم يعتد أحد على هذا الحق ؟ وإن كانت تبغى النصح لنا بادخار الجهد والمال وعدم بذلهما فى عمل تم مثله كما قالت ، فنحن أدرى — مع الشكر — بتقدير قيم العمل فى خدمة أدبنا ، ولا أريد أن أظن أنها ترمى إلى عدم المنافسة فى بيع نسخ الديوان ..

أما « العلاقات الثقافية » فإن الأمر لا ينبغى أن يمسها بسوء ... وهو على كل حال أهون من حادث السفينة البولندية فى مياه تل أبيب ، ومن تأييد بولندا قيام دولة يهودية بفلسطين فإذا كان هذا وذاك لم يؤثرا فى العلاقات السياسية فإن ديوان كعب بن زهير سيمر هو أيضاً بسلام .

دعاء جديد :

وضع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر دعاء ، ليقنت به المسلمون فى صلاتهم ، نصه :

« اللهم انصرنا فإنك خير الناصرين ، وثبت أقدام عبادك المجاهدين ، واضرب بسيوفهم أعناق أعدائك الباغين ، وأنزل سكينتك على قلوب المؤمنين ، وأيدهم بنصر من عندك مبين ، ياأرحم الراحين ، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وقد ألف فضيلته هذا الدعاء لمناسبة الحال الحاضرة ، حال القتال فى فلسطين ، وفضيلته يعلم أن المجاهدين فى فلسطين لا يحاربون بالسيوف ، ولو أن السيوف كانت أسلحتهم لما طالت أعناق أعداء الله الباغين ، فدونها إذن حقول الألغام ومرامى المدافع ومساحب الدبابات والمصفحات .

وذلك الدعاء — ولا شك — تجديد ، فقد ألفه شيخ الأزهر زيادة على الدعاء المأثور ، ولكن التعبير بالسيوف لا يتلاءم مع هذا التجديد ، فهلا قال فضيلته بدلا من ذلك :

« واضرب بقاذفات قنابلهم مستعمرات الصهيونيين ، ودك بدباباتهم ومدافعهم حصون الباغين ، واجعل ألغام الأعداء برداً وسلاماً على عبادك الفدائيين » .

أغنيات قومية :

قالت إدارة الإذاعة إنها عنيت منذ بداية الحرب واشتراك الجيش المصرى فيها ، بتقديم برامج حماسية لتقوية الروح القومية وإن المطربين بها اتجهوا بوحى من شعورهم ، وبتوجيه فى إدارة

الإذاعة ، إلى هـذا الغرض مما أضفى على برامجنا لوناً جديداً لم يكن مألوفاً منذ وقت طويل .

قرأت هذا الكلام فى مجلة الإذاعة ، ثم سمعت مطرباً يغنى إحدى الأغنيات التى وصفتها الإذاعة بأنها قومية ، سمعته يردد :

ما نفوتش مطرحنا إحنا العرب إحنا

وسمعت مطربة تغنى أغنية « قومية » أيضاً مطلعها :

عايز أعيش عايز أتهنى عايز أشوف نفسى فى جنة

فهل قصارى جهادنا أننا « ما نفوتش مطرحنا » ؟ وهل يضفى الذى « عايز يتهنى » لوناً جديداً على برامج الإذاعة ..؟

فرحة النصر :

كنت قرأت إعلاناً عن ظهور ديوان شعر منثور اسمه : « وحى القيثارة » لزينب محمد حسين . ولم يتح لى بعد أن أقرأ هذا الديوان ، ولكنى قرأت لصاحبته بالعدد الأخير من جريدة الحوادث قصيدة عنوانها « فرحة النصر » قالت فيها :

« إن حبيبى الشجاع فى سبيل الحق قد ذهب بعيداً ...

تحرسه عين الله ودعوات قلبى الشاب ...

وتهتف له ملائكة السماء هتافات الحب وتباركه ...

غداً تعود إلى يا بطلى الحبيب مكللا بأكاليل النصر ...

وفى عينيك نظرة مشرقة جذابة ...

تتحدث عن بطولتك وجهادك ...

وبسمتك الرقيقة تزيدها شجاعتك فتنة وجمالا ...

وصوتك الهادىء المعبر . . يضفى بكلماتك المتحمسة على رجولتك قوة ومهابة ... »

لم أستطع أن أخفى ارتياحى إلى هذا المسلك الشعرى وإن يكن فى أول الطريق ، فهذه الشاعرة تحس بما حولها ، وتؤدى مشاعرها هذا الأداء السليم الصادق الذى ينم على شخصية الأنثى وحسن تقديرها للبطولة .

وإذا كنا قد اغتبطنا بالمقاتل الشجاع فى فلسطين فإنا نغتبط أيضاً بشاعرة تحدثه هذا الحديث ...

مسابقة أدبية ثقافية :

قررت وزارة المعارف تنظيم مسابقة أدبية ثقافية ، تمنح للفائزين فيها جوائز مختلفة ، وهى كما يلى :

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسى ، وقيمة جائزتها الأولى أربعون جنيهاً للتمثيلية ذات الفصل الواحد ، وسبعون جنيهاً لذات الفصلين ؛ وقيمة الجائزة الثانية ثلاثون جنيهاً لذات الفصل الواحد ، وخمسون جنيهاً لذات الفصلين .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية ، وجائزتها الأولى ثلاثون جنيهاً ، والثانية عشرون جنيهاً .

٣ — المسرحيات العامة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٤ — القصة الطويلة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٥ — القصص القصيرة ، وجائزتها الأولى خمسة وعشرون جنيهاً ، والثانية عشرون جنيهاً .

٦ — بحوث أدبية وفنية ، وجائزتهـا الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٧ — بحوث فى التاريخ والآثار ، وجائزتهـا الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٨ — الرحلات ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

٩ — العلوم المبسطة ، وجائزتها الأولى مائة وخمسون جنيهاً ، والثانية مائة جنيه .

الباطن غير الواعى :

عقب الأديب « عثمان موسى » على فقرة مما كتبته فى تلخيص محاضرات تيمور ، تقتضى تفريقاً بين العقل الباطن والواعى — قال : « والمفهوم أن البـاطن والواعى اسمان لمسمى واحد » .

ويظهر أن هذا الفهم مستقر عند الأديب فى عقله الباطن ، وكان فى حاجة إلى مراقبة من عقله الواعى . .

من قال لك يا سيد عثمان إن الباطن والواعى اسمان لمسمى واحد ؟ ! . .

العباس



على هامش كتاب :

سعد زغلول من أقضيته (*)

« إلى القانونى الأديب الأستاذ
عبده حسن الزيات تحية شكرى وإعجابى »

للأستاذ عدنان الخطيب

خسارة :

عرف الشاب « العمل الحكومى » صغيراً ، عرفه فى أبشع صورة وفى أجلها ، عرفه يوم كان « راتبه » يملأ جيبه وكلتا يديه ، عرفه جيلا فى مظهره ومكانته عند الناس ، ولكنه عرفه قبل كل شىء سماً قاتلا يميت المواهب ، ويقضى على ما فى النفس الأبية من عزة وكرامة ، عرفه قيداً فى عنق صاحبه ، يحد من نشاطه ويقيد من حركاته ، ومازال يضيق حوله حتى تنفلج أعصابه وتنشل حركته ، ثم لا يكون إلا كالقبر لا هواء فيه ولا نور ، ولا حيلة لمن فيه إلا انتظار يوم البعث والنشور ، يوم الإحالة على « المعاش » والاعتكاف فى البيت شيخاً أحنت الأيام عظامه ، وتصلبت منها شرايينه ، ينتظر يومه الأخير ، كما كان ينتظر آخر الشهر يوم القبض ووفاء الديون .

ثم عرف الشاب « الوظيفة » وخبر حقيقتها فجزع من مصير كمصير أربابها ، وهو الذى شرب لبن الكرامة والأنفة رضيعاً ، وعشق الحرية وجوّها يافعاً ، ثم كان جريئاً بفطرته ووراثته ، لا يعرف كبيراً لا يقال الحق فى وجهه ، ولا يعترف بفضل لمن لم يكن من أهل الفضل ولا الفضيلة من صفاته ، جزع من أن تطول أيامه فيها فتخف قدرته على الانفلات من أسارها ، فتركها غير آسف عليها ، ثم ساح فى الأرض ليزيد فى علومه وتجاربه ، ويرضى ضميره وطموحه ، وعاد يعمل حراً طليقاً فى المهنة التى ارتضاها لنفسه وأحب العمل فيها على منهج رسمه بنفسه ، وأسلوب يتفق وآماله ومبادئه .

بدأ الشاب يعيش المعيشة التى كان يهواها ويصبو إليها ، وأخذ يملأ أوقات فراغه بتدوين ذكرياته ورحلاته ، وكان « للوظيفة » وقصص « الموظفين » حظ منها عظيم . لقد فضح شيئاً من حياتهم والجو الذى يعيشون فيه ، وحلل نفسية « الموظف » تحليلا ليس فيه رفق ولا محاباة ، وإن كان فيه بعض العطف وكثير من الشفقة . قرأ الناس بعض ما نشر من هذه الذكرات فعجبوا منها واستغربوا ما فيها . أضحك بها بعض زملائه القدماء ، وأبكى الكثير منهم على نفوس أفسدها جو « الوظيفة » وحياة خسروا فيها أثمن ما فى الحياة ، خسروا فيها حرية التفكير ، ولذة الانطلاق من القيود .

هذه هى قصة الشاب الذى خسر اليوم حرية « المحامى » التى أحبها ، وجو « المحاماة » الذى عاش فيه طلقاً عاملا على تحقيق رغباته العلمية ، وبلوغ أهدافه الثقافية .

أليس من الغريب أن يخبرك هذا الشاب بنفسه أنه ترك اليوم مهنته ليقوم « بعمل حكومى » كلف به ، وهو الذى رفض قبله عدة مرات تكليفاً له فى « الوظائف » الهامة قيمته ، وفيه تقدير لدراسة عالية أضافها إلى دراسته القانونية . إن قائداً من قواد الجبهة الوطنية ومعلماً من معلمي الإخلاص والنزاهة يدير اليوم وزارة العدل فى سورية ، يطلب من الشاب أن يؤدى « خدمة مدنية » فى جبهة « القضاء » الوطنية فيحار الفتى ويكاد يرفض لولا أن ثقة الطالب ثقة غالية نادرة لا تباع ولا تشترى بمال ، ولولا أن مقر « الخدمة » فى « جبهة » لا ذل فيها ولا صغار ، ولا يخرج من فيها إلا ظافراً منتصراً ما دام ناصع الجبين و « سلاحه أبيض » لا يعرف صدأ الأيام ، ولم تلونه « رغبة أو رهبة » ؛ ثم كاد يرفض لولا أنه ما يزال يشعر بقوة ومناعة يستطيع معها دفع ما وضع على عاتقه يوم يجد فيه أعراض « الوظيفة » أو شيئاً من سمومها الفتاكة .

من غرائب المصادفات :

للمصادفات فى هذه الحياة أثر عظيم ، ولغريبها تاريخ يدون

(*) أخرجته مطبعة الرسالة بالقاهرة فى عام ١٩٣٩ .

ويقرأ ، وجميلها من النوادر التي تذكر وتنشر ، فإن في ذكرها متعة ولذة ، وإن في نشرها اعترافاً بجمالها وتقديراً لموقعه من النفس الشاعرة المقدرة .

لقد أخرج القانوني الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات كتابه القيم عن القاضي العظيم سعد زغلول سنة ١٩٤٢ ، وقد أحب يوم عقد مؤتمر المحامين العرب في دمشق التلطف بإهدائي نسخة منه لو وجد معه من الكتاب نسخة ، ثم عاد الأستاذ الصديق إلى مصر وانقضت على عودته بضعة أشهر عمل فيها على ما يظهر ، على إخراج كتابه الظريف « من يوميات محام » وما كادت الصحف تعلن خروج الكتاب إلى الأسواق ، حتى سارعت إلى إرسال من يقتني لي نسخة منه ، ويعود الرسول يخبرني على لسان بائع الكتب ، أن الكتاب لم يصل بعد إلى دمشق. وتشاء الصدف أن يدخل إلى مكتبي ساعتئذ ساعي البريد يحمل إلى رزمة مصدرها مصر ، ففضضت غلافها ، فإذا هي كتاب « سعد زغلول من أقضيته » موشحاً بإهداء يدل على رقة في الشمائل ، وكرم في الأخلاق ...

وضعت الكتاب أمامي وأخذت أفكر في تلك المصادفة الغريبة ، وأبت الصدف إلا أن تأتي بالعجائب ، فأتلقى في تلك الجلسة مرسوماً جمهورياً يدخلني في عداد « القضاة » ، ويَنيط بي عضوية دائرة الجنح والجنايات في مدينة حمص !! ... ولئن كانت هذه المصادفة من الغرائب فهي بلاشك أجمل مالاقيته في حياتي منها ، لمكانة سعد من نفسي ، وهو القائد العظيم والزعيم المرشد المحبوب ، ولما أكنه للاستاذ الصديق عبده حسن الزيات من آيات التقدير والإعجاب بأدبه الرفيع وأخلاقه السامية .

صلة القانون بالأدب :

سئلت مرة عن رأيي في صلة القانون بالأدب ، فأجبت السائل وكان جوابي مقالاً نشرته مجلة « الصباح » السورية ، بدأت فيه بتعريف الأدب والقانون ، ثم ألمت إلى تاريخهما اللذين يتصلان بالإنسانية في مهدها ، وبعد أن تكلمت عن صلاتهما في الماضي قلت « ولاشك أن صلة القانون بالأدب أصبحت بحكم المستوى الثقافي العام ، أحكم ارتباطا ، وأكثر تداخلا ، كما أصبح رجل كل منهما يشعر بأنه لا يستطيع الانفراد بأحدهما دون أن يتمه بالآخر ؛ فرجل الأدب وهو اليوم صاحب رسالة اجتماعية هامة ، لم يعد في إمكانه الاستغناء عن الثقافة القانونية ليؤدي رسالته على وجهها الأكمل ، وليتبوأ المركز اللائق بمن يحمل مثل رسالته ، رسالة الحياة الخالدة . إن الأديب في العصر الحديث أصبح محتاجاً إلى الإلمام بكثير من الثقافات على اختلاف أنواعها ، والثقافة القانونية في مقدمة هذه الثقافات ، وبقدر سعة هذا الإلمام وعمقه يبرهن الأديب للناس أنه في صميم الحياة التي يحمل رسالتها » .

ثم تكلمت عن رجل القانون فقلت إن حاجته « إلى الأدب كحاجة المادة إلى الروح لتصبح جسما حياً ، ومكانة القانوني في المجتمع إنما تتناسب في قيمتها مع حظه من الأدب وميزاته الأدبية سواء كان مشرعاً أو قاضياً أو محاميا ... »

ولقد فصلت هذا القول بالكلام عن حاجة رجال التشريع والقضاء والمحاماة إلى الأدب ومنه قولي : « والقاضي يجب أن يكون أديباً يحسن الإبانة عن وجوه الحق ، قادراً على مناقشة دفوع المحامين اللحانين بلغة صحيحة لا تترك لهم مجالا للبحث أو التذمر . تقرأ قراراته فتقرأ علماً وأدبا يستهويانك وإن لم تكن ذا صلة بها ، وكثير من المثقفين يقرأون أحكام بعض القضاة فيعجبون بالتفكير السليم والفقه القانوني يعرض بأسلوب متين ولغة راقية ، بينما يعرض المشتغلون بالقانون عن تتبع أحكام أكثر المحاكم لضعف لغتها وتفكك أسلوبها مما يشوه المادة القانونية إن وجدت فيها » ثم ضربت مثلا فقلت : « فالميزات الأدبية ، مثلا ، هي التي جعلت نجم القاضي سعد زغلول يتألق في سماء القضاء كما تألق في سماء السياسة والوطنية . وشخصية سعد القاضي كانت موضوعاً طريفاً طرقه أحد رجال القانون الأدباء ، عزز به مكانة سعد في النفوس وأضاف إلى شخصيته لوناً جديداً من ألوان الخلود » .

وكان كلامي هذا صورة خاطفة وأثراً من آثار قراءتي لكتاب « سعد زغلول من أقضيته » يوم صدوره . أما اليوم فلا بد من عودة إلى « سعد » عودة فيها تؤدة « القاضي » وتدقيقه واستيعابه ، وفيها دراسة التلميذ الطموح لشخصية يعتقد أن صاحبها مثال يحتذى ومرشد تقتفى آثاره ، وقائد تستلهم من روحه الشجاعة بعد أن قدر لهذا التلميذ النزول إلى ساحة الجهاد التي خلف الزعيم فيها آيات من الجهد والبطولة .

كتاب الزيات :

لا شك فى أن كتاب الأستاذ الزيات يعتبر أول كتاب من نوعه فى العربية ، فموضوعه شخصية سعد زغلول من خلال احكامه فى القضاء ، وبالرغم من صعوبة العمل الذى أخـذه المؤلف على عاتقه ، ووعورة الطرق التى سلـكها توصلا إلى غايته ، فقد انتهى إليها بعد أن ملأ نا إعجابا بأدبه وطول أناته ودقة تمحيصه وعمق تتبعاته ، وتقديراً لما بذله من جهود جبارة وأوقات ثمينة قضاها فى تتبع آثار سعد القضائية ، ونسخ ما عثر عليه من احكامه بعد قراءة ملفاتها المطروحة فى مستودعاتها ما يقرب من نصف قرن .

وأنا أرى أن أفضل تقريظ لهـذا الـكتاب أقوم اليوم به ، بعد مرور سنتين على صدوره ، اهداء هذه الباقة التى اقتطفتها من حديقة الأستاذ الزيات إلى الألوف من قراء « الرسالة » الذين لم تتح لهم فرصة قراءة هذا الـكتاب الفريد الذى يقع فى اربعمائة صفحة قسمت إلى تسعة فصول ، هذه زبدتها بعناوينها مرتبة بترتيبها فى الـكتاب .

١ — ثورة المصلح وغيرة العادل :

أصدر سـعد أحكاماً كثيرة فى دعاوى رفعت إليه ، وإنها لأحكام خالدة تجلت فيها روح الثائر المصلح والحاكم العادل ، أحكام تملأك اعجاباً وتقديراً ، أحكام كل مافيها ينبئ (عن قريحة قانونية ذات مرونة ولباقة ، ونفس شديدة الاستجابة لأوامر العدل المطلق ونواهيه) ، وأن الحـكم الواحد منها ليخدم (اغراضاً اجتماعية ووطنية كبيرة قبل أن يخدم صاحب حق بإبتائه حقه : يخدم القضاء بما يؤكد ويمان استقلاله ، ويخدم العدالة بما يمهد أمامها من طريق أفسده الشوك ، ويخدم التشريع بما يوضح له من نقصه وسخفه ، ويخدم الفقه بترحيب آفاقه وتسديد خطاه فى سبيل المدل والمعقول) ؛ فإن أردت الدليل على هذا الـكلام فاسمع ما يقوله سـعد فى أحد أحكامه [... لا يمكن أن يكون المراد بهذه الأعمال الإجراءات الاستبدادية المخالفة للعدل والقانون والمضرة بحقوق الأفراد وليست فيها مصلحة عامة للناس ، لأن ذلك لا ينطبق بوجه من الوجوه على مبدأ الحـكومات العادلة ، ولا يصح أن تتضمنه شرائعها] !

وسعد الذى كان يطبق القانون على الناس لم يكن ينظر إلى القانون كنصوص مجردة واجبة التطبيق ، بل كان ينظر إلى القانون كوسيلة غايتها (اثبات جوهر الحق والعدل ، ونفى الغش والحيلة والغصب ، وأن مسباره هذا لينتظم احكامه) جميعاً ؛ وهو إذا حاول مرة أن يقضى على حيلة تسلب شخصاً حقاله ، رغب إلى القانون ألا يحاول حماية المحتال لأنه من العار [أن يمنح القانون حقاً ثم يجيز الحيلة لاسقاطه] .

لقد كان سعد يصدر من وراء قوس القضاء أحكاما جديرة بالخلود لأنها كانت (تستخلص الحق من ركام الانكار واللجج) وإن هى اصطدمت يوماً بصلابة القانون وجدتها (قد لانت شيئاً تحت معول بناء حازم ، فى حزمه رفق ، وفى رفقه عدل ، وفى هدمه خلق وإيحاء وتجديد وتشييد) ..

إن حكماً يحوى هـذه الفقرات [... أن وقوع مثل هذه التصرفات بحجة اظهار الفاعل أو كشف الحقيقة ، أشد خطراً على النظام العام من خفاء الجانى أو تخليصه من العقاب ، لأنه لا شيء أسلب للأمن ، وأقلق للراحة ، وأزعج للنفوس ، من أن يعبث بالنظام من عهد إليه حفظ النظام !] ليس بحكم (قاض يفصل فى تهمة أفراد ، إن هو إلا — حكم — مصلح ثائر يعرف للثورة قواعدها ، وللتمرد إبانه ، واجتماعى مرشد يثبت للمجتمع بالعدل اركانه ، ورجل دولة حريص على « تحـديد المسؤليات وتعيين المسؤلين ») .

(يتبع) عدنان الخطيب



أثر التشيع فى الأدب العربى (١)

للأديب محمد سيد كيلانى

مؤلف كتاب « أثر التشيع فى الأدب العربى » هو الأديب محمد سيد كيلانى ، والمؤلف وكتابه حريان بأن نهش بهما ونبش لهما ، فقد ألف الأديب كتابه على نحو مقبول [سنعرضه] وهو طالب بالسنة الأولى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وأسلوبه فيه واضح سليم يدل على وضوح موضوعه فى ذهنه وتمكن قلمه منه ، بل إن أسلوبه فيه أسلم وأوضح من أسلوب كثير من أساتذته فيما يخرجون لنا اليوم ، ونحن نقرر هذه الحقيقة آسفين ، والمؤلف يتناول كثيراً من أطراف موضوعه المختلفة ويعرضها عرضاً رفيقاً واضحاً . ولذلك كله نتلقى كتاب مؤلفنا « الطالب الأديب » بالرضا والغبطة على رغم ما لنا عليه من مؤاخذات كثيرة سنذكر بعضها بعد .

الكتاب مقدمة تبين أقسام البحث ، وأربعة أبواب : الباب الأول فيه فصلان : أحدهما تحدث فيه الأديب بالخلافة وتفرق الآراء فيمن تكون له بعد موت النبى وموقف الأحزاب المختلفة من ذلك وموقف كبار الصحابة ولا سيما أبو بكر وعمر ، ثم خلافتهما وخلافة عثمان ، وموقف الصحابة بعد قتله من على . والفصل الثانى : حديث سطحى بفرق الشيعة ومعتقداتها . والباب الثانى يبدأ بمقدمة فى مقتل الحسين وما لحق بالعلويين عامة زمن الأمويين والعباسيين ، ويليها فصلان : أحدهما فى النثر الشيعى ، ويبدأ : بالخطابة فالرسائل فالأحاديث الموضوعة فالقصص فنحل الشيعة بعض أوليائهم وأعدائهم القول وأكثره تكرار لما فى القصص . والفصل الثانى فى خطباء الشيعة وفيه ترجمة لعلى ونقد ممتع واف لكتاب « نهج البلاغة » المنسوب إليه ، ولا ترجمة لغير على هنا فيما عدا إشارة خاطفة إلى أنه لم يظهر بعد على من الخطباء غير الحسن والحسين ، وأن الشيعة انصرفوا عن نشر الدعوة بالخطابة إلى نشرها سراً ، وأن لفاطمة خطباً نسبت إليها ولعلى بن الحسين رسالة تعرف برسالة الحقوق . والباب الثالث فى الشعر وهو فصلان : أولهما فى الشعر الذى نحله الشيعة بعض أوليائهم وأعدائهم ، كعلى وأبى طالب ومعاوية وعمر ويزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ؛ وثانيهما فى الشعر الذى قاله شعراء الشيعة فى التشيع ، وأغراض هذا الشعر : كالمدح ، والرثاء ، والهجاء ، والدفاع عن حق على وبنيه فى الخلافة ، وشعر النقائض بين شعراء الشيعة وخصومهم من الشعراء . والباب الرابع فى : شعراء الشيعة وفيه ترجمة لعشرة شعراء هم : الكميت ، وكثير ، وعبد الله بن عمر العبلى ، والسيد الحميرى ، ودعبل ، وابن الرومى والمفجع البصرى ، والشريف الرضى ، ومهيار ، وابن هانىء الأندلسى .

وقد توخى المؤلف فى كتابه النهج العلمى فجنبه ذلك كثيراً من المزالق ، ولكن صحة المنهج لا تغنى وحدها ولابد معها من وعى ناضج يحسن استخدام المنهج ، وهذا ما ليس فى وسع الأديب ولداته . والكتاب يعتمد على مراجع كلها — إلا واحداً — قديمة ، ولو اعتمد على المراجع الحديثة إلى جانبها لأنارت له الطريق . وهذا هو السر فى أن كثيراً من أقسام الكتاب بتراء ، وفى تهجم الأديب على بعض الصحابة كعمر وتصديقه خرافة المؤامرة الثلاثية بينه وبين أبى بكر وأبى عبيدة ، ولم يشر الأديب إلى مصدرها . وأظن أن مخترعها الأب لامنس المستشرق وهو قسيس اشتهر بقدحه فى الإسلام ورجاله ، ولو قرأ الأديب كتاب « عبقرية عمر » للأستاذ العقاد لبان له زيفها . ولقد كانت عبقريات العقاد وابن الرومى كفيلة بتجنيبه كثيراً من هذه المزالق ، كما أنه غفل فى بعض الفصول عن مراجعها الصحيحة كالفصل الذى كتبه فى فرق الشيعة ومعتقداتهم ، وكان حرياً به أن يعتمد على كتاب « فرق الشيعة » للنوبختى وهو أقدم وأوفى مرجع فى موضوعه ومؤلفه أجدر المؤلفين باحترام آرائهم فى هذا الموضوع . ولا يزال كثير من العلماء غير محيطين بفضل هذا الكتاب ومؤلفه ، وكان عليه أيضاً أن

---

(١) نشرته « لجنة النشر للجامعيين » وطبعة دار الكتاب العربى بالقاهرة سنة ١٩٤٧ م ، وصفحاته ١٦٤ ،
يطلب من مكتبة مصر بشارع الفجالة — ثمنه ١٥ قرشاً

يعتمد على كتابي فجر الإسلام وضحى الإسلام للدكتور أحمد أمين بك ، ومقالات الإسلاميين والإبانة للأشعرى ، وإلى جانب هذا التقصير فى بعض الفصول ، فضول فى بعضها الآخر ، فهو فى الباب الرابع يطيل الشواهد التى لا موضع لها ، ولا يكتفى فى تراجم الشعراء بما يتصل بتشيعهم بل يطيل تراجمهم ، ويكتفى فى تراجم أكثرهم ببضعة سطور فى تشيعهم . ومن أقسام الكتاب التى يجدر التنويه بها ما كتبه فى نقد نهج البلاغة والتشكيك فى صحة نسبه إلى على وهـذا الشك — وإن كان قديماً — قد أيده الأديب بحجج له قوية طريفة .

وإذا كان الأديب مسئولا عن كل ما أشرنا إليه من مآخذ كالاضطراب والتقصير فى جانب والفضول فى جانب ، وكالأخطاء التاريخية واللغوية التى نكتفى بالإشارة إليها عن التمثيل لها — لجدير بنا إنصافاً له أن نحمل بعض هذه المسئولية على الضرورة التى تكره صاحبها على عمل قبل استكمال معداته له ، وإلا ناله من وراء العصيان شر متطير ، وأن نحمل بعض المسئولية على المرشدين الذين نصبوا للارشاد إن بالحق وإن بالباطل — فإذا ما استرشدوا لا يرشدون .

محمد خليفة التونسى



فى المملكة الأردنية الهاشمية :

لمناسبة قيام القيادة العليا للدول العربية المحاربة فى عمان ، أنشر هذه الكلمة ، أوجزفيها القول عن وصف حاضرتها وبعض مدنها ، وتجارتها ، وشؤونها العلمية وغير ذلك :

فى الصيف الماضى هبطنا (عمان) حاضرة المملكة فرأيناها مدينة جميلة تتسع شوارعها المعبدة تارة وتضيق تارة ، وهى فى واد تكتنفه جبال تقوم عليها أكثر بيوت المدينة ، ودورها حديثة البناء من الحجر الأبيض المنحوت ، وفيها دور لا تقل حدائقها عن بعض حدائق دور مصر الجميلة ، وفيها بضعة مساجد جليلة .

وكان لعمان فى هذه الحرب شأن عظيم فى التجارة ، وقد كانت البلد الوحيد فى الشرق الذى يسمح لتجاره بالاستيراد من أوربة ، لذلك قصدها التجار من سورية وفلسطين وغيرهما فصدروا منها كثيراً مما كانت غاصة به من البضائع .

وأهل المملكة الأردنية عرب أقحاح ، يشتغلون بالزراعة والتجارة وتربية الأغنام . وتنتج أرضها فواكه من كل الثمرات، وذلك لجودة تربها فى أوديتها ومرتفعاتها ، ولطيب مائها .

وقد خطت هذه المملكة الصغيرة فى عددها ، الكبيرة فى مساحتها ، خطوات التنظيم والعمران والتعليم والحضارة بعدة يسيرة ، وذلك بفضل عناية مليكها العالم ، واعتماده على أهل العلم من السوريين والفلسطينيين وأهل البلاد ، وقد قاربت أن تضاهى الأقطار الأخرى فى الإقبال على العلم وفى نسبة المتخرجين الذين يردون مناهل الجامعات . وجل أساتذة مدرستها الثانوية من خريجى الجامعة الأمريكية ببيروت . وفيها مدرسة للعلوم الدينية ، ومدرسة للصناعة تعلم النشء بعض الحرف . يضاف إلى ذلك مدارس عسكرية قائمة فى المعسكرات . وفيها صحف ثلاث ، ونواد عدة ، من أكبرها نادى جلالة الملك حسين الذى يختلف إليه كثير من الأدباء لالقاء المحاضرات الممتعة . وفيها من علماء شنقيط والمغرب وسورية وفلسطين وغيرها . وسكان الحاضرة نحو خمسين ألفاً يعيشون عيشة مدنية مترفة . وفيها آثار مدرج فرعونى عتيق ، وفي جبلها آثار قلعة قديمة .

وأما مدينة (السلط) التى تبعد عن عمان نحو نصف ساعة بالسيارة ، فأبنيتها أبنية المدن لا أبنية القرى ، وبيوتها قائمة على ثلاثة تلال . وكانت فيها حركة تجارية طيبة ، لكنها انتقلت إلى عمان . وفيها مدرسة ثانوية كبيرة قائمة على ربوة شاهقة تطل على واد أغن ممرع . وفيها مسجدان ، وآثار قلعة عتيقة ، ويشرب أهلها من عينين فيها . ويسمون لمد الكهرباء إليها . ومواردها من كرومها التى تمشى فيها نحو ثلاث ساعات ، وهى محيطة بالمدينة من كل ناحية . والعنب والزيت هما المحصولان اللذان تنتجهما هذه البلدة الجميلة ، فتصدر منهما إلى كل مكان ،

وفى جبالها كثير من الينابيع التى تروى وديانها المكتظة بالأشجار والأثمار المختلفة . ويبلغ سكانها نحو ١٨ ألفاً جلهم متحضرون يشتغلون بالتجارة والزراعة . وكانت السلط فى زمن الدولة العثمانية مركزاً للتجارة ومركزاً للحكومة . وفيها جبل يرتفع نحو ألف متر عن سطح البحر ، فيه مقام للنبى يوشع ، تظهر من عنده أنوار بيت القدس .

وفى طريق الذاهب من عمان إلى القدس أغوار قريبة من البحر الميت تزرع فيها الخضر فى الشتاء ، ولا سيما فى (الشونة) الزاخرة بحدائق الموز التى تبعث بثمراتها إلى فلسطين بلا انقطاع . وفيها تربة صالحة لإنبات ما يخرج فى أراضى البلاد الحارة . ويخترق هذه الأغوار نهر الأردن المظيم . وفى (الشونة) يقضى جلالة الملك فصل الشتاء ، ويؤمها كثيرون من جهات مختلفة لدفئها . وهى منخفضة نحو ٣٠٠ متر عن سطح البحر . ولو أتيح إصلاح الرى فى هذه الأغوار لأفاضت على الناس من خيراتها وبركاتها ما يكفى الملايين .

وأما (إربد) فقائمة وسط سهول فسيحة ، وهى فى طريق المسافر من عمان إلى دمشق . وهواؤها ألطف وأبرد من هواء عمان فى الصيف ، إلا أن مرتفعات عمان تضاهيها فى ذلك . وهى من المدن الكبيرة فى شرق الأردن . وكانت تابعة فى زمن العثمانيين للواء عجلون الذى يشمل الرقة وجرش والطيبة والمزار . وحول إربد قرى فيها آثار كثيرة كقرية (رأس قيس) وغيرها

أما (جرش) فقرية فيها جامع كبير بناه الشاميون المقيمون فيها ، وجامع قديم أقامه الجركس سكان القرية الأولون ، وأعظم ما فيها هى آثارها الرومانية المدهشة فى الجبل . ويشرب الناس هناك من عين فيها عذبة ...

من شئون الحرب فى الإسلام :

أوصى أبو بكر قواده بوصايا خليق أن يوصى بها كل قائد ، منها :

١ — أحسن صحبة جندك .

٢ — ابدأهم بالخير وعدهم به .

٣ — إذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً .

٤ — أصلح نفسك يصلح لك الناس .

٥ — أكرم رسل عدوك ، وأقلل مكثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن المتولى لكلامهم .

٦ — أصدق الحديث تصدق المشورة .

٧ — اسهر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار .

٨ — أكثر حرسك وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم ، وأحسن أدب الغافل وعاقبه فى غير إفراط ، وأعقب بينهم فى الليل واجعل النوبة الأولى أطول من الآخرة .

٩ — لا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها .

١٠ — لا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ، ولا تجسس عليهم ، ولا تكشف للناس عن أسرارهم .

١١ — جالس أهل الصدق والوفاء .

١٢ — أصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس .

١٣ — ستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له .

لما التقى الجمان فى وقعة اليرموك قال رجل لخالد القائد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ما أكثر المسلمين وأقل الروم ! إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال .

وقال عكرمة : قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كل موطن ثم أفر اليوم ! ثم نادى (من يبايع على الموت ؟) فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور فى أربعمائة من فرسان المسلمين ثم حملوا أمام فسطاط خالد حتى ضعضعوا الروم ، وهجم خالد بين خيلهم ورجلهم ، فانهزم فرسان العدو وتركوا الرجال . ولما رأى المسلمون خيل الروم تريد الفرار أفرجوا لها فتفرقت . وقتل الرجالة واقتحموا فى خندقهم وهوى فيه ألوف مؤلفة بين قتيل وجريح ودارت الدائرة على الروم ... وكان المسلمون نحو خمسين ألفاً ؛ والروم أكثر من مائتى ألف ...

محمد أسامة عليبة



أقصوصة روسية :

تحـــفة يتيمة !

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

بقلم الأديب كمال الدين الحجازى

وصل «ساشا سميرنوف» إلى عيادة الطبيب «كوشلكلوف» يحمل تحت إبطه شيئاً ملفوفاً .

كان ساشا وحيد أمه فسأله الطبيب : كيف حالك يا ولدى ؟ فأجاب شكراً أيها الطبيب ، إن أمى ليعجز لسانها عن شكرك على حسن صنيعك بشفاء ولدها ! فقال الطبيب : إننى لم أعمل سوى ما يفرضه الواجب على كل طبيب . فقال الولد : إن أمى فقيرة أيها الطبيب الفاضل ولا تملك سوى هذه التحفة الثمنية التى أحملها بين يدىّ والتى أرجو أن تتقبلها . فقال الطبيب : لا داعى لذلك ولا ضرورة له . ولكن ساشا أصرّ على تقديم الهدية إليه وألح عليه بقبولها ، وقال إن رفض الهدية يعد إهانة له وتصغيراً من شأنه ومن شأن أبيه الذى أورثه ذلك الأثر الفنى والذى هو بمثابة تذكار منه ، فقد اعتاد أبوه أن يشترى الآثار البرنزية ويبيعها من عشاق الآثار القديمة . ثم وضع الأثر على المنضدة .

كان الأثر شمعداناً من البرنز ، جلس على قاعدته تمثالان لامرأتين عاريتين على هيئة حواء ، يستحى المرء من وصفهما ، كان هذان التمثالان يبتسمان ويميل أحدهما على الآخر بدلال كأنه يقبله ويتأهبان للرقص ! ولما أنعم الطبيب النظر فى الهدية حك رأسه وقال : لا ريب أنها تحفة فنية ولكنها ... لست أدرى ما أقوله ، فالشيطان يوسوس فى صدور الناس ! وهل من اللائق أن أضع هذا التمثال الملوث على المنضدة ؟ فقال ساشا غاضباً : ولم ايها الدكتور؟ إنك تحمل على الفن حملة شديدة . إن هذا عمل فنى خالد . إن الروحانية تتمثل فيه بأجمل صورها . ولاريب أن الناظر إليه سينسى كل ما يحيط به من الأمور المادية ويتطلع إلى المثل العليا ! دقق النظر فيه تجد الجمال والروحانية تدعوانك إليهما ! فقال الطبيب : إنه أثر خالد يا ولدى ، ولكنك تعلم أننى متزوج ، وأعتقد أن من غير اللائق أن أضعه فى هذه الغرفة التى يغشاها كثير من النساء والأولاد دائماً . فقال ساشا : أنك تنظر إلى التمثال نظرة الشك والريبة وتتطلع إليه بأعين السوقة وعامة الناس ، ويجب أن تسمو عن ذلك يا دكتور . إنه الأثر الوحيد الذى أورثنيه أبى وقد آليت لأهدينه إليك ، فقد شفيتنى من المرض . فقال الطبيب ، وقد أراد التخلص من هذه الورطة ، لابأس ياولدى ، ضعه على المنضدة . وضع ساشا الشمعدان كما أشار وقال للطبيب : آسف إذ لم أجد رفيقه ولكنى سأجد فى البحث عنه ، ولم يدر الطبيب ما يقصده ساشا من رفيقه أو شريكه ، ثم ودعه وخرج .

أراد الطبيب التخلص من هذا التمثال ونظر إليه ملياً ، فخطر بباله أن يهديه إلى صديقه المحامى الذى كان مديناً له ببعض النقود وقال فى نفسه : إنها فكرة حسنة ، سأقدم إليه هذه التحفة وهو رجل أعزب كالطير الطليق . سار الطبيب إلى مكتب صديقه المحامى ، وبعد أن شكره على حسن دفاعه عنه وخدماته السابقة له ، رجا منه أن يتقبل منه هدية متواضعة وهى تمثال البرونز النفيس . وما إن وقع نظر المحامى عليه حتى أعجب بجماله ولكنه بعد أن أدمن النظر فيه قال : أعتذر يا صديقى من قبوله ، فإن أمى تزورنى دائماً ، كما أن مكتبى يؤمه كثير من الناس كل يوم ! فقال الطبيب : لا تقل ذلك يا صديقى ، إن من نكران الجميل أن ترفض مثل هذا الأثر الفنى . فقال المحامى متهكماً : « حبذا لو كانت السيقان مصقولة أو مغطاة ببعض ورق التين على الأقل » ولكن الطبيب لم يأبه له واغتنم فرصة انشغاله ببعض شأنه ووضعه على مكتبه وانصرف .

تأمل المحامى فى هذا الأثر وهم بقذفه من نافذته ولكن يده

لم تطاوعه فقد كان الأثر جميلا ، وقال فى نفسه : ليس لى إلا أن أقدمه هدية إلى الممثل الفكاهى « شوشكين » فإن الممثلين يحبون مثل هذه الأشياء الفنية البديعة .

ولما قدم الأثر إلى شوشكين أعجب به أيما إعجاب ، كما أعجب به كثير من الناس الذين رأوه ، وقد غصت غرفته بالمتفرجين والممثلين الذين كانوا يأتون إليه فى أى وقت يشاؤون . ولما رأى شوشكين هذا العدد الغفير من الناس لم يجد بداً من التخلص من هذا الأثر الذى جلب إليه كثيراً من التعب والشقاء ، وتمنى لو كان التمثال صغيراً ليتمكن من وضعه فى درج مكتبه ، ففكر فى بيعه لإحدى النساء المولعات بمثل تلك التحف الفنية ، ولم يلبث أن باعه لها .

وبعد يومين بينما كان الطبيب كوشلكوف جالساً فى عيادته ، فتح الباب فجأة ودخله ساشا وهو يحمل شيئاً ملفوفاً بين يديه ، والابتسامة تداعب شفتيه وقال للطبيب : إنك لا تستطيع أن تتصور مقدار سرورى وابتهاجى ، فقد استطعت بعد جهد جهيد أن أحصل على رفيق التمثال وشريكه ، وأن والدتى تشاركنى الفرح أيضاً ، ثم وضع ساشا الشمعدان على الطاولة فرحاً مسروراً وخرج .

نظر الطبيب إلى التمثال وقال فى نفسه : « ترى هل شعر ساشا بأن تمثال حواء الذى أهدانى إياه قبلا كان ينقصه تمثال آخر لن تستطيع حواء أن تعيش بدونه ، فأحضر لها تمثال آدم ! » .

(القدس) **جمال الدين الحجازى**

الندوة الأدبية

وزراة المعارف العمومية — إعلان

مسابقة الثقافة العامة لسنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩

تعلن الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف عن مسابقة ثقافية لسنة ١٩٤٨/٤٩ فى الموضوعات التالية ، وبالجوائز المبينة أمام كل منها وهى .

١ — تمثيليات قصيرة للمسرح المدرسى — وقيمة جوائزها الأولى ٤٠ ج لتمثيلية الفصل الواحد و ٧٠ ج لتمثيلية الفصلين وقيمة جوائزها الثانية ٣٠ ج لتمثيلية الفصل الواحد و ٥٠ ج لتمثيلية الفصلين .

٢ — تمثيليات قصيرة للاذاعة المدرسية — وجائزتها الأولى ٣٠ ج والثانية ٢٠ ج .

٣ — المسرحيات العامة وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٤ — القصة الطويلة وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٥ — القصص القصيرة وجائزتها الأولى ٢٥ ج والثانية ٢٠ ج .

٦ — بحوادث أدبية وفنية وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٧ — بحوث فى التاريخ والآثار وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج

٨ — الرحلات وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج .

٩ — العلوم المبسطة وجائزتها الأولى ١٥٠ ج والثانية ١٠٠ ج وعدد جوائزها اثنتان أولى ، وأربعة ثانية .

وآخر موعد لقبول موضوعات هذه المسابقة هو آخر نوفمبر سنة ١٩٤٨ ويمكن الاتصال بادارة التأليف بوزارة المعارف للحصول على الشروط المفصلة لهذه المسابقة .

٩٤٨٦

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير قطارات سريعة بين مصر والأسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من أول يونية سنة ١٩٤٨ ستسير المصلحة قطارات سريعة فاخرة درجة أولى وثانية وبولمان بين مصر والاسكندرية تقف فى محطة طنطا وسيدى جابر فقط فى المواعيد الآتية :—

المحطـــات	٩٩١ سريع درجة أولى وثانية وبولمان	٩٩٣ سريع درجة أولى وثانية وبولمان
مصر قيام	٤٥ ر ٧	٠٠ ر ١٨
طنطا وصول	٤٧ ر ٨	٠٢ ر ١٩
طنطا قيام	٥١ ر ٨	٠٦ ر ١٩
سيدى جابر «	١٧ ر ١٠	٣٢ ر ٢٠
الاسكندرية وصول	٢٥ ر ١٠	٤٠ ر ٢٠

المحطـــات	٩٩٠ سريع درجة أولى وثانية وبولمان	٩٩٢ سريع درجة أولى وثانية وبولمان
الاسكندرية قيام	١٥ ر ٧	٣٠ ر ١٧
سيدى جابر «	٢٥ ر ٧	٤٠ ر ١٧
طنطا وصول	٤٩ ر ٨	٠٤ ر ١٩
طنطا قيام	٥٣ ر ٨	٠٨ ر ١٩
مصر وصول	٥٥ ر ٩	١٠ ر ٢٠

السفر بهذه القطارات سيكون على أساس حجز المقاعد مقدماً مع دفع الرسم الآتى :—

٢٠٠ مليم للدرجة الأولى .

٥٠ مليم للدرجة الثانية .

عن المسافة كاملة ونصف هذه القيمة عن المسافة إلى طنطا أو منها ، ويمكن للركاب الحصول على تذاكرهم قبل ٤٨ ساعة من موعد سفر القطار تفتح شبابيك التذاكر فى هذه المحطات من الساعة ٧ إلى الساعة ٢٢

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٠ — الاثنين ١٤ يونيو ١٩٤٨ — السنه السادسه عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 780

Lundi — 14 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ شعبان سنة ١٣٦٧ — ١٤ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدباء معـــاصرون

أرشحهم للخلود

لحضرة صاحب المعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة باشا

رئيس جامعة أدباء العروبة

يسألني السائلون عمن أرشحهم للخلود من أدبائنا المعاصرين ، وأحسب إلى أن يكون الجواب على صفحات « الرسالة » القراء .

***

إذا ما ذكر الناثرون ، كان أول من أذكره ، وأول من يستأثر بإعجابي ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات ، فهو أقوى كتاب العصر ديباجة وأنقاهم أسلوبا وأعرفهم بالصيغ العربية الصحيحة ، ومن أراد البيان العربي في أسمى درجاته فعليه بما يكتبه الزيات .

أما الكاتبان القادران ، العقاد ، وهيكل ، فإن عنايتهما بالموضوع الذي يعالجانه — وهما أقدر كتابنا جميعاً من الناحية الموضوعية — أقوى من عنايتهما بسمو الديباجة وإشراقها ؛ وبالديباجة يعني أشد العناية ، الكاتبان الكبيران ، المازني ، وتوفيق دياب .

وإذا كان الذين ذكرتهم من الناثرين قد كتب لهم الخلود فعلا ، فقد كنت أود أن أرشح للخلود بجانبهم بعض الناثرين من الشباب ، لكني أراهم مع الأسف لا يولون هذه الناحية من الأدب الرفيع ما تستحقه من اهتمام ، ولا أجد بينهم من يحاول أن يبلغ في هذا الفن الجميل درجة الكمال .

أما الشعراء ، فإذا تجاوزنا الذين بلغوا القمة من زمان بعيد ، كطران والعقاد والجارم ومن إليهم ، فإن لدينا ممن يلونهم شعراء لا شك أنهم سيبلغون في العالم العربي أعلى مكانة . ولست أدري من يكون أولهم ؟ ففي بعض المواقف يمتاز أحدهم ثم يبزه سواه في موقف آخر . وقد يتفوق عليهما زميل ثالث في موقف جديد ؛ لهذا تصعب المفاضلة بينهم . فهل يكون الأول ناجي ، أم طاهر أبو فاشا ، أم غنيم ، أم الموضي الوكيل ، أم الغزالي ، أم حمام ، أم الصاوي شملان ؟

وكثيراً ما تفوق الحناوي ومخيمر والجرنوسي والجنبلاطي وعبد المنعم إبراهيم وشمس الدين وغيرهم .

وهنا كلمة لا بد منها ، وهي أن هؤلاء الذين نوهت بهم ، هم من شعراء جامعة أدباء العروبة ، وليس المقصود بشعراء الجامعة أعضاء مجلس إدارتها وحدهم ، فإن لها أعضاء أنصاراً ، كالشاعرين الكبيرين رامي والأسمر ، وهما من أكبر شعراء هذا الجيل .

وإني لحريص على أن أصحح فهما خاطئا سرى إلى بعض الأذهان وأثار حملات لا مبرر لها ، فأقول إني لا أحتكر لرجال جامعة أدباء العروبة المجد الأدبي في هذا العصر ، وإن كانوا في الحقيقة أقوى مجموعة عرفها التاريخ الأدبي الحديث ، وأنا أعد الجامعة

مكونة من أعضائها العاملين ومن أنصارها جميعا . أما أعضاء مجلس إدارتها فهم فوق مقدرتهم الأدبية الممتازة ، أنشط الأدباء وأشدهم دأبا ، وأغزرهم إنتاجا ، وأكثرهم مثابرة على خدمة الأدب والأدباء ، وتنظيم المهرجانات ، وإحيائها بخطبهم وقصائدهم التي يحملها المذياع إلى دنيا العروبة فتملأ مسامع الملايين فى سائر الأقطار العربية ، وتحفز النفوس إلى طلب المجد ، وتغرس فيها الشجاعة ومكارم الأخلاق .

وإن لشعراء الجامعة لآثارا أدبية جديرة بالخلود ، أرانى نخوراً بأن أعرض ما يحضرنى منها فى هذه الساعة .

فهذا ناجى يقول فى « الغريب » .

يا قاسيَ البعد كيف تبتعد ؟ إنى غريب الديار منفرد
إن خاننى اليوم فيك قلت غد وأين منى ومن لقاك غد
إن غداً هوة لنا ظرها تكاد فيها الظنون ترتعد
أطل فى عمقها أسائلها أفيك أخفى خياله الأبد ؟
يا لامس الجرح ما الذى صنعت به شفاه رحيمة ويد ؟
ملء فؤادى لظى وأعجبه أنى بهذا اللهيب أبترد !

ومن شعره الوطنى :

مر الغزاة بمصر وانتهوا زمرا فأين بالله تيجان ودولات
كأن صخرة أقدار تحطمهم وما من القدر المحتوم إفلات
مروا ومصر على التاريخ باقية كأنما حولها للنور هالات
فاعجب لمنطق أذيال يقوم له محض من الزور وشته الضلالات
ومسرح فى الليالى لا جديد به لكن يعاد عليه الذئب والشاة

ومن شعر طاهر أبى فاشا فى قصيدة وطنية نظمها لدى عودة دولة النقراشى باشا من أمريكا بعد دفاعه المجيد عن قضية مصر فى مجلس الأمن :

ألق عن وجهها الغضوب النقابا لا تخاصم إلى الذئاب الذئابا
أمر الأمر فادّرعهم شيوخا عاقروا الصبر وادّرعهم شبابا
وأدر لحنك الذى أيقظ الثو رة واجهر فى صهده الأعصابا
أمة تنشد السلام فما با ل حمام السلام أمسى غرابا ؟
والذى يطلب الحياة سلاما كالذى يطلب الحياة سرابا

ومن شعر غنيم فى قصيدة « ثورة على الحضارة » .

ذرعتم الجو أشباراً وأميالا وجبتم البحر أعماقا وأطوالا
فهل نقصتم هموم الكون خردلة أو زدتموفى نعيم الكون مثقالا
يا طالما حدثتنى النفس قائلة أنحن أسعد أم أجدادنا حالا ؟

ومن قصيدة له فى الكلب البوليسى « هول »

كلب ينم على الجناة تمشى العدالة فى خطاه
إن قال أرهفت النيا بة سمعها وصغى القضاه
قد بات يرعى الأمن « هو ل » وغيره يرعى الشياه
شيخَ الكلاب أخفت ذئا ب الإنس لا ذئب الفلاه
وأنفت من صيد البزا ة فصدت صياد البزاه
وسلبت كلب الكهف ما بيديه من عز وجاه
لم تقض فى النوم الحيا ة كما قضى فيها الحياه
إن طوقوك فطالما طوقت أعناق الطغاه

ومن قصيدة لحمام فى « القمر »

ويا رقيبا على العشاق مؤتمنا السر عندك مكنون ومدخر
ويا رسولا من الماضى الرهيب إلى من كان يخشع للماضى ويدّكر
ويا شهيداً على أعمالنا يقظا عدلا ، ويا مقلة يرنو بها القدر
يا من يعيش بأعمار مجددة وكل يوم يرى الأعمار تختصر
يا قيصرا عرشه الدنيا وما وسعت وجنده الأنجم الوضاءة الزهر
يا صورة من جمال الله مشرقة والشاعر الحق تسبى لبه الصور
إليك يا بدر عتبا كنت أكتمه فالآن يا بدر لا كتم ولا حذر
أتذكر الحرب إذ ثارت جهنمها وطار منها على آفاقنا شرر
وكنت للخصم جاسوسا فكم نزلت على هدى نورك الغارات والغير
قد سخروك لشر ما خلقت له لا تأس يا بدر إنى عنك أعتذر !
كم ليلة لحت فيها شاحبا أرقا كأنما شفك التطويف والسهر
أوضقت بالظلم يغشى الأرض قاطبة أأنت مثلى طريد الظلم يا قمر ؟!

ومن شعر عبد المنعم إبراهيم فى العروبة

الجود والحلم والأقدام والأدب شمائل علمتها للورى العرب
الصيد إن ركبوا والصفو إن طربوا والعفو إن غلبوا والنار إن غضبوا
السحر ما كتبوا والطهر ما شربوا والبحر ما وهبوا ، والأمر ما رغبوا

هذه شواهد من أشعارهم ، بل أزهار من رياضهم ، وإن لهم ولإخوانهم لبدائع وروائع ، زادهم الله اتقانا وإحسانا ، وجعلهم للأدب والعروبة أسنادا وأركانا .

إبراهيم دسوقى أباظة

صور من الحياة

للدكتور عبد العزيز برهام

(إن قول الحق لم يدع لى صديقاً)
(أكثم بن صيفى)

لا يجرح غير الحقيقة (مثل فرنسى)

جمعتنى الصدفة بصديق قديم كنت آخذ عليه دائماً إخلاف المواعيد . زرته فى مقر عمله فوجدت عنده عدداً عديداً من الزوار كلهم يرجوه فى أن يشفع له عند فلان أو فلان فى أمر كذا أو كيت ، ورأيته يمنيهم جميعاً بقضاء حاجاتهم ، فيخرجون من لدنه ، وقد امتلأت نفوسهم بالآمال ، وظنوا أنفسهم قاب قوسين أو أدنى من بلوغ المرام . ولكنهم ما كادوا يبرحون مكتبه حتى تنفس الصعداء ، والتفت إلىّ وعلى شفتيه ابتسامة ثم قال : أفّ لهؤلاء الناس ! أيظنوننى عبداً مسخراً لهم ؟ ما أكثر ما هم عليه من بله ! قلت : وماذا يحملك على أن تمنيهم كل هذه الأمانى ؟ قال : وماذا يضيرنى ، وقد بلغ الحمق بالناس أن يصدقوا كل ما يقال لهم ؟ أولا يسرك أن تراهم وقد خشعت أبصارهم أمامك ، وانخفضت أصواتهم ، وبدت عليهم الذلة والمسكنة ، وهم يضرعون إليك بالرجاء ؟ قلت : وأى لذة فى هذا ؟ قال : إن فيها لذة لا يشعر بها إلا من مر بمثل ما أمر به . قلت : أما آن لك أن ترعوى يا (نيرون) زمانه ؟ قال : وأنت ! أما آن لك أن تقتصد فى نصحك ؟ قلت : بلى . ثم افترقنا .

انقضت ثلاثة أشهر لم أر فيها صديقى ، ثم عدت إليه أزوره ، ولشد ما كانت دهشتى عند ما رأيت بين زواره فريقاً ممن رأيتهم عنده من قبل يطلبون شفاعته ، وإذا به يعود فيعدهم ويمنيهم . لم أطق صبرا على رؤية هذه المسرحية الموجعة ، فلت عليه بعد أن صرف واحداً منهم بالحسنى ، وكنت أرى فى مظهره ما يستاهل المساعدة : أتنوى حقاً قضاء حاجة هذا الرجل ؟ فقال ، وهو يهمس فى أذنى : وكيف لى بقضاء ما يطلب ؟ إنه يطلب أن أعينه فى وظيفة ممرض ، وأنا لا أعرف من أطباء الصحة أحداً . قلت : ففيم إذن كل هذه الأمانى المعسولة ؟ قال : دعه ، فستنجلى له الحقيقة يوماً ما ، وسيريحنى من تردده الممل علىّ . قلت : ولماذا لا تصارحه بها ؟ قال : يالك من غر ! أتريد أن أقول له إننى لا أعرف من أطباء الصحة أحداً ؟ قلت : ولم لا ؟ قال : هذه حماقة لا أرضاها لنفسى .

لم أكد أسمع منه هذا الحديث حتى بعثت فاستدعيت الزائر الذى انصرف ، وكان لا يزال على مرأى منا ، وقلت له على مسمع من الجالسين : أيها الأخ ! إن فلاناً هذا يأسف لأنه لن يستطيع قضاء أمرك ، فهو لا يعرف أحداً من أطباء الصحة .

فوقف الرجل مشدوهاً من سماع هذه الكلمات ، وهو لا يكاد يصدق ما يسمع ، وكأن لسان حاله يقول : ففيم إذن كانت كل هذه المقابلات ؟ وانتفض صديقى انتفاضة تدل على الغضب البالغ فلقد فوجىء بما قلت . ثم التفت إلىّ يقول : هذا لا يليق بى أن تقوله . هذه إهانة لا أقبلها منك . قلت : أو ليس ما قلت حقاً ؟ قال : وما كل حق يقال . قلت : ولكن هذا الرجل يجب أن يعرف إلى أين يسير ؟ قال : لا شأن لك بى وبأمورى . ثم مدّ إلىّ يده وهو يقول : وداعاً ، يا صديقى . فوقفت وانصرفت وأنا أقول : وداعاً لا لقاء بعده .

* * *

وأردت أن أتزوّج ، فأوصيت كل من تصلنى بهم صلة أن يمدنونى فى البحث عن « نصفى الثانى » . ثم طرقتْ بابى ذات مساء سيدة هى منى بمنزلة الوالدة ، ووجهها يطفق بشراً . وما كادت عينها تقع علىّ حتى صاحت : أبشر يا صاح ! فقد وجدت ضالتك المنشودة . إنها فتاة فى ريعان الشباب ومقتبل العمر ، من أسرة كريمة ، وإن لم تكن غنية . قلت : وهل نقلت إليهم ما تعرفين عنى ؟ قالت : لقد قلت عنك كيت وكيت ، وقلت إنك تملك خمسين فداناً . قلت : فى أى بلد ؟ قالت : لا أدرى . قلت : فكيف إذن قلت ذلك وأنت تعلمين أننى لا أملك قيراطاً واحداً ؟ قالت : أو لست جديراً بأن تملك هذا المقدار وأكثر منه ؟ قلت : الجدارة شىء والواقع شىء آخر . وما كان لك أن تقولى غير الحقيقة .

التقيت بأصهارى « الجدد » وكان استقبال بالغ الحفاوة ، وترحيب لا نظير له ، ثم اتفقنا على كل شىء ، ولكن ... وما أقسى لكن هذه ! دار بخلدى أن هؤلاء الأصهار « الجدد »

أساتذة الجيل :

أحمد تيمور باشا

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

« إلى الصديق الكريم ، والباحث المحقق ، الدكتور محمد سامى الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة فى الحديث عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل ... »

تيمور ، بفتح التاء ، ويحققها بعض العلماء بالكسر ، كلمة تركية ينطقها الأتراك فى لغتهم دمير أو دمور ، ومعناها عندهم الحديد ، وكانت تستعمل لقب تمجيد فى المملكة العثمانية ، والولايات التابعة لها ، وبها لقب السيد محمد كاشف جد الأسرة التيمورية ، وأول من وفد منهم إلى مصر ...

وأصل السيد محمد هذا من بلاد كردستان بولاية الموصل ، ويذهب آل تيمور فى إثبات نسبهم إلى أنهم من أصل عربى اعتماداً على ما ذكره ابن الكلبى وابن خلكان ، من أن نسب الأكراد ينتهى إلى عمر مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ، أو ينتهى إلى عدنان كما ذكر بعض العلماء . على أن آل تيمور يذهبون من ناحية أخرى إلى أن جدتهم زوجة السيد محمد كاشف ، وهى السيدة عائشة الصديقية ، كانت كريمة السيد عبد الرحمن الاستانبولى ، وهو كما يقولون شريف النسب ، صريح العروبة ، كان يتولى الكتابة فى الديوان السلطانى للسلطان سليم الثالث ، وكان السلطان يحبه ويقربه ويثق به ، فلما قتل السلطان فرّ إلى مصر ، وعاش فى رعاية عزيزها محمد على باشا مكرماً إلى آخر حياته ...

ولقد كان السيد كاشف جد الأسرة التيمورية من رجال السيف ، وقد جاء إلى مصر فى رفقة محمد على مع الجند الذين أرسلهم السلطان لتثبيت سلطة الخلافة العثمانية على مصر بعد خروج الفرنسيين منها واضطراب الأحوال فيها ، وقد كانت بينه وبين محمد على فى أول أمرهما صداقة ومودة . فلما تم الأمر

الذين سأكون واحداً منهم ليس من اللياقة أن أحبس عنهم حقيقة ثروتى ، فجمعت أطراف شجاعتى « وصححت » المعلومات التى وصلتهم عنى . وما كنت أدرى أننى بهذا القول قد بخست فى نظرهم من قدر نفسى ، فلم أكد أصل منزلى ، حتى لحق بى رسولى ، والغضب باد على وجهه ، وهو يصيح فى وجهى : لقد أفسدت كل شىء ! قلت : ماذا ؟ قال : مالك وللحديث عن أطيانك ؟ لماذا لا تتركهم فى ضلالتهم ؟ لقد اعتذروا من عدم قبولك صهراً لهم ، وفهمت أن السبب هو أنك قلت لهم إنك لا تملك شيئاً . أو ما كان الأحرى أن تموه عليهم حتى ينتهى كل شىء ؟ قلت : لا أستطيع . وإياك أن تفعل هذا مرة ثانية . قال : إذن فأعفنى من هذه المهمة ووداعاً ياصديق ! قلت : وداعاً

* * *

وكنت ذات يوم منهمكاً فى عملى ، وقد قدرت للفراغ منه ساعة من زمان ، وإذا بزميل لى يقتحم على الباب ، والبشر يطفح من وجهه ، ويقطع علىّ سلسلة أفكارى ، وهو يدندن بألفاظ لم أفهم لها معنى . ثم قال : أما تهنئنى ؟ قلت : بلى ، ماذا أصبت ؟ قال : كنت مع المدير الآن أحمل إليه « توصية » من فلان باشا وقد وعدنى بترقيتى فى الشهر القادم . قلت : ولكننا لا زلنا على بعد ستة أشهر من الميزانية الجديدة ؟ قال : وما شأن الميزانية الجديدة الآن ؟ قلت : لأن الترقية إنما تكون على درجات خالية وقد استنفدت المصلحة فى ترقياتها الأخيرة جميع ما لديها من درجات . قال : كيف ، وقد وعدنى بما قلت لك ؟ قلت : لقد خدعك . قال : هذا محال ؛ وخير لك أن تبشر ولا تنفر . قلت : لقد أعذر من أنذر . قال : لا ، إنك تسعى بقولك هذا فى تثبيط همتى ، ولا تود لى خيراً ؛ إن المدير لا يكذب . قلت : شأنك وما تريد . قال : الآن قد كشفت ما تنطوى عليه نفسك من حسد لى ، وحقد على ، وكان أولى بك أن تفرح لفرحى . قلت : لو أن هناك ما يستحق الفرح . فانفلت زميلى من الغرفة حانقاً ولم أعد أرى وجهه . ثم مضى شهر أعقبه شهر آخر ، ثم تلته شهور أخرى وصاحبى لا يزال ينتظر الترقية الموعودة . ولكن هذا لم يحل دون تجنبه إياى ، ونشره بين زملائى أن فلاناً يكره الخير للناس ، ثم روايته القصة بصورة تؤيد ادعاءه . وما أقل المحققين للأخبار !

دكتور

عبد العزيز برهام

لمحمد على باشا فى الولاية على مصر ، فرب إليه صاحبه القديم ، وأخذ يعتمد عليه فى تنفيذ خططه وتدبيراته ، وقد كان ساعده فى حادثة الفتك بالمماليك فى مأدبة القلعة ، كما كان عضده فى إخماد ما كان من فتن وما قام من ثورات ، وكما أرسل محمد على ابنه طوسون على رأس الحملة المصرية لحرب الوهابيين أرسل برفقته السيد محمد ، فأبلى فى هذه الحرب بلاء حسناً ، وكان أن عينه محمد على كاشفاً على الشرقية ، وهو مثل منصب المدير فى هذه الأيام ، ومن ثم لزمه لقب كاشف وعرف به ، حتى إذا ما استقرت الأمور فى الحجاز عينه والياً للروضة الشريفة ، فبقى هناك خمس سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وتخلى عن الأعمال الرسمية ، ولكنه بقى مع محمد على على حسن الصلة والمودة . وفى أواخر حياته انقطع للعبادة ، وعكف على الأخذ بأسباب الصلاح والتقوى حتى توفى عام ١٨٤٨ م وهو فى حدود الثمانين من العمر ولم يترك من الخلف إلا ابنه إسماعيل .

لم ينشأ إسماعيل على غرار والده ، ولم يكن له مثل غرامه بالجندية وأساليب النضال ، ولكنه نشأ من صغره وفى طبعه الميل إلى العلم والأدب ، وقد عنى والده بإشباع رغبته ، فأحضر له المعلمين فى العلوم العربية والدينية ، وعهد إلى أحد رجال الترك الأفذاذ بتعليمه اللغة التركية وآدابها ، ولقد كان هذا التعليم المنزلى للعلوم الإسلامية والآداب التركية هو المظهر السائد بين الأسر الكبيرة فى مصر يومذاك ، إذ كانت روح الدولة إسلامية خالصة ، وكانت الصلة بين مصر وتركيا صلة خلطة ونسب ودين أكثر مما هى صلة حكم ، وكان رجال الحكومة كلهم أو جلهم من الأتراك ، وكانت الطبقة العالية تتكون من الأسر التركية التى وفدت على مصر فلكت الضياع والثروات والمناصب ، ومن ثم كانت اللغة التركية والآداب التركية لها مكانة كبيرة فى نفوس الخاصة ، وكانت الأسرات الكبيرة تحرص عليها وتراها غاية الكمال فى تثقيف أبنائهم وإعدادهم لمناصب الحكومة ودواوينها ، كما هو الشأن اليوم فى الحرص على تعلم الإنجليزية والفرنسية .

برع إسماعيل فى الإنشاء التركى ، وأخذ بحظ وافر من الثقافة التركية ، لهذا ولما كان من متانة الصلة بين والده وبين محمد على باشا ، فقد شمله محمد على بعطفه ، واتخذه كاتباً خاصاً له ، ثم عينه وكيلا لمديرية الشرقية التى كان والده كاشفاً عليها من قبل ، ثم زاد فى العطف عليه فعينه مديراً ، وظل إسماعيل فى هذا المنصب ينتقل من مديرية إلى أخرى . ولكن يظهر أن حياة الإدارة وما تقتضيه من الصرامة لم توافق طبعه الأدبى وإحساسه المرهف ، ولهذا سعى بنفسه عند محمد على فى التخلى عن هذا المنصب والعودة إلى الديوان فحقق له رغبته ... ولما تولى عباس باشا الأول عينه وكيلا لديوان كتخدا ، وكان أكبر ديوان فى الحكومة المصرية ، وكان وكيله يعتبر أكبر رجال الدولة بعد الوالى ، فله الإشراف على جميع شئون الدولة مثل ما لرئيس الوزراء فى هذه الأيام ، ومنصب كهذا يقتضى لا شك من صاحبه كثيراً من اليقظة والحذر ، ولكن إسماعيل كما قلنا كان صاحب طبع أدبى لا يسنده فى مثل هذا المركز السياسى ، ولهذا لم يلبث أن عزل من هذا المنصب بوشاية كاشح ، غير أن عباس باشا تبين حقيقة الأمر فأعاده ناظراً لخاصته . ولما تولى سعيد باشا أرجعه إلى الديوان كما كان من قبل ، ولكنه لم يلبث أن استقال لإهانة لحقته من الوالى ، وكأن الرجل كان قد عاف الحياة الحكومية وشبع منها ، أو كأن ما أحاط به من ظروف اضطرته إلى الخروج من الديوان الخديوى مرتين قد بغضه فى تلك الحياة فظل بقية عهد سعيد وشطراً كبيراً من عهد إسماعيل منعزلا عن الناس ، عاكفاً على كتبه وتدبير الأمور فى أملاكه ، وجعل من داره نادياً للسمر والمذاكرة مع أهل العلم والأدب . وفى آخر حياته أنعم عليه إسماعيل باشا برتبة الباشوية ، واختاره ناظراً لخاصة ولى عهده توفيق باشا ، ولكنه توفى بعد ستة شهور من تولى هذه النظارة سنة ١٨٧٢م ولم ينجب إلا ابنتين كبراها السيدة عائشة عصمت تيمور الشاعرة المعروفة ، وابنا هو المغفور له أحمد تيمور باشا ، كما ترك خزانة كتب تضم كثيراً من النوادر ، وخاصة فى اللغة التركية وآدابها ، ولكنها ضاعت وبعثرت ، ولم يبق منها إلا فهرسها ...

نشأ المغفور له أحمد تيمور يتيما ، لم ير والده ، ولم يتمتع بحنان الأبوة ، فقد ولد عام ١٨٧١ م ، أى قبل وفاة والده بعام واحد ، فتعهدته شقيقته الكبرى السيدة عائشة تيمور بالرعاية ، وتولته بالتثقيف ، والتعليم ، وكان الابن صورة ممتدة للأب فى هدوء الطبع ، والميل إلى العلم ، والشغف بالثقافة ، فدرس العلوم

الأولية على مدرسين خصوصيين بالمنزل ، ثم أخذ يدرس اللغة العربية على الشيخ رضوان محمد أحد العلماء المشهورين فى ذلك العهد واللغة الفرنسية فى مدرسة كليير ثم على الأستاذ عبيدبك ، كما أخذ فى دراسة التركية والفارسية . وكان بطبعه ميالا إلى الإفادة والتحصيل ، فنبغ فى دراسة اللغات الأربع . وإذا كان أحمد تيمور لم يحضر عهد والده ولم يتمتع بتلك الندوة العامرة التى كان يقيمها فى بيته لمذا كرة العلماء ومسامرة الأدباء ، فإن الله قد هيأ له من ذلك ندوة أحفل فى دار ابن أخته محمود توفيق بك ، فكان يتردد عليها للافادة . ويحدثنا تيمور باشا بطرف من أخبار هـذه الندوة فى الترجمة التى كتبها لصديقه محمد أفندى أكل فيقول : « وكان أول التقائى بالمترجم فى دار ابن أختى محمود توفيق بك ، وهى إذ ذاك مجمع الأدباء ومحط رحال الفضلاء ، فلما رأيته استغربت شكله واستملحت محاضرته ، ثم رأيته يناقش الأدباء ويطارحهم الشعر ، فدنوت منه وكنت صغيراً فى أول الطلب ، وقد تعذر على فهم باب أفعل التفضيل وأجهدت نفسى فى درسين متواليين على تفهمه ، فلم يفتح على بشىء فيه ، فسألته عنه فأوضحه لى بعبارة سهلت على فهمه ، فكان بعد ذلك كثيراً ما يقول لى ممازحاً : إذا ذكرت شيوخك فاذكرنى معهم ولا تنسنى ... »

وهناك شيخان جليلان تتلمذ عليهما أحمد تيمور ، وكان لهما أبعد الأثر فى توجيهه وفى ثقافته ، وكان رحمه الله يذكرهما دائماً بالإجلال والتبجيل ، أولهما العلامة اللغوى الشيخ محمد محمود الشنقيطى ، وثانيهما العلامة المنطقى الشيخ حسن الطويل .

أما الشنقيطى فقد كان تيمور باشا يقصد إليه فى داره ، ويجلس أمامه لتلقى الدرس ، وكان الوقت يطول به وهو متربع على الأرض ، فكان حينما يشعر بالم ويريد أن يبدل رجلا بأخرى يقول الشنقيطى له : لا تتألم يا أحمد ، فقد كنا نقطع بالراحلة شهوراً وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية . ويحكى تيمور باشا عن نفسه فيقول : وأشار على مرة أستاذنا العلامة الشنقيطى أن أطالع أمالى أبى على القالى مطالعة إمعان وتدبر ، ولم تكن طبعت بعد ، فاستنسخت منها كراريس عكفت على مطالعتها ، واحتجبت عن الناس بضعة أيام ، حتى استوفيت ما بهذه الكراريس ...

وأما الشيخ حسن الطويل فيظهر أنه كان أشد خلطة وأعلق بنفس أحمد تيمور ، وهو يعتبره أستاذه الذى قومه وثقفه وأخذ بيده إلى الطريق المستقيم ، وقد كتب تيمور باشا ترجمة مطولة لهذا الأستاذ الفاضل أورد فيها سبب اجتماعه به وتحدث عن مدى انتفاعه بعلمه وفضله فقال : « أما سبب اجتماعى به وقراءتى عليه ، فإنى كنت خرجت من المدارس بعد تلقى ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا فى سن العشرين ، وقد علق بالعقيدة شىء من آثار التربية بهذه المدارس ، إلا أنى كنت مولعاً من الصغر بالإسلام ومحاسنه والمطالعة فى السيرة النبوية ، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين ، فكان ينشرح صدرى لأشياء وينقبض من أشياء تعرض لى فيها شبهات ، ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التى تمسكوا بها وجعلوها من الأصول الدينية ، فأجد التصادم والتناقض ، فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم لعلى أجد عندهم مفرجاً ، فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات حتى كدت أحكم بأنها من الدين ، وأن الأمر دائر بين شيئين : فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة ، وإما أن يكون ما نراه حقاً ، ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل فى النفس ، حتى أرشدنى بعض الأصحاب للمترجم ، فأخذت فى السؤال عنه من أهل العلم ، فكانوا ينفروننى منه حتى بالغ بعضهم ورماه بالزندقة ، فقلت : إذا كنت لم أجد طلبتى عند من تسمونهم بالصلاح والورع فلعلى أصيبها عند الزنادقة . ثم سعيت فى الاجتماع به ، وسألته القراءة عليه والاهتداء بهديه ، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق ، وأعدت عليه الصرف وعلوم البلاغة بتوسع ، ثم قرأت طرفاً من الحكمة . ولما رآنى مجداً فى التحصيل قرر لى درساً ثانياً بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها . وكان من عاداته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحاً للنفس ، فكان يسافر إلى ضيعتنا التى بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء ، فكنت أقضى معه هذين اليومين فى مطالعة واشتغال ، حتى فى حالة المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معى وأسمعه فيه ، فيقرر لى المسائل ونحن سائران . . . فكان اجتماعى به ومصاحبتى إياه من أكبر نعم الله علىّ فى دينى ، ولو لم يكن له على سوى تصحيح العقيدة وتأديبى بآداب الحنيفة السمحة لكفى

« للحديث بقية »

محمد فهمى عبد اللطيف

من تاريخ الطب الاسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني
سفير إيران بمصر

— ٥ —

يقول ابن سينا فى المقدمة المذكورة :

« وبعد » فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو ألف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم ، مع اعتراف منا بفضل أفضل سلفهم (يعنى أرسطو) فى تنبيهه لما نام عنه ذووه واستاذوه ، وفى تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفى ترتيبه العلوم خيراً مما رتبوه ، وفى إدراكه الحق فى كثير من الأشياء ، وفى تفطنه لأصول صحيحة سرية فى أكثر العلوم وفى إطلاعه الناس على مابينها فيه السلف وأهل بلاده ، وذلك أقصى ما يقدرعليه إنسان يكون أول من مدّ يديه إلى تمييز مخلوط وتهذيب مفسد ويحق على من بعده أن يلموا شعثه ويرموا ثلماً يجدونه فيما بناه ويفرعوا أصولا أعطاها فما قدر من بعده على أن يفرغ نفسه عن عهدة ما ورثه منه وذهب عمره فى تفهم ما أحسن فيه والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ، ولو وجدها ما استحل أن يضع ما قاله الأولون موضع المفتقر إلى ما زيد عليه أو إصلاح له أو تنقيح إياه .

وأما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به ولا يبعد أن يكون قد وقع إلينا من غير جهة اليونانيين علوم وكان الزمان الذى اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ما قصر علينا بسببه مدة التفطن لما أورثوه . ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذى يسميه اليونانيون (المنطق) — ولا يبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره — حرفاً حرفاً فوقفنا على ما تقابل وعلى ما عصى ، وطلبنا لكل شىء وجهة فحق ما حق وزاف ما زاف .

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى (المشائين) من اليونانيين كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور فانحزنا إليهم وتعصبنا للمشائين إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم — وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه وأغضينا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجهاً ومخرجاً ونحن بدخلته شاعرون وعلى ظله واقفون . فإن جاهرنا بمخالفتهم ففى الشىء الذى لم يكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل . فمن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح . وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عيون هؤلاء الذين فى العصر — فقد بلينا برفقة منهم عارى الفهم كأنهم خشب مسندة يرون التعمق فى النظر بدعة ، ومخالفة المشهور ضلالة كأنهم الحنابلة فى كتب الحديث لو وجدنا منهم رشيداً أثبتناه بما حققناه — فكنا ننفعهم به ، وربما تسنى لهم الإيغال فى معناه فعوضونا منفعة استبدوا بالتنفير عنها .

ومن جملة ما ضننا بإعلانه عابرين عليه — حق مغفول عنه يشار إليه فلا يتاق إلا بالتعصب . فلذلك جرينا فى كثير مما نحن خبراء ببجدته مجرى المساعدة دون المحاقة . ولو كان ما انكشف لنا أول ما انصببنا إلى هذا الشأن لم نبد فيه مراجعات منا لأنفسنا ومعاودات من نظرنا — لما تبينا فيه رأياً ولاختلط علينا الرأى وسرى فى عقائدنا الشك ، وقلنا لعل وعسى . لكنكم أصحابنا تعلمون حالنا فى أول أمرنا وآخره وطول المدة التى بين حكمنا الأول والثانى ، وإذا وجدنا صورتنا هذه فبالحرى أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا به واستدركناه ، ولا سيما فى الأشياء التى هى الأغراض الكبرى والغايات القصوى التى اعتبرناها وتعقبناها مثين من المرات . ولما كانت الصورة هذه والقضية على هذه الجملة ، أحببنا أن نجمع كتاباً يحتوى على أمهات العلم الحق الذى استنبده من نظر كثيراً وفكر ملياً ، ولم يكن من جودة الحدس بعيداً واجتهد فى التعصب لكثير فيما يخالفه الحق فوجد لتعصبه وما يقوله وفاقاً عند الجماعة غير نفسه ، ولا أحق بالإصغاء إليه من التعصب لطائفة إذا أخذ يصدق عليهم فإنه لا ينجيهم من العيوب إلا الصدق .

وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا — أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا — وأما العامة من مزاولى هذا الشأن

فقد أعطيناهم فى (كتاب الشفاء) ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم، وسنعطيهم وفى اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه، وعلى كل حال فالاستعانة بالله وحده ».

ويظهر لنا من هذه المقدمة الفرق الشاسع بين المترجين ومتتبعى فلسفة اليونان الذين كانوا يتلقون آراء فلاسفة اليونان فى جميع الأحوال بأحسن قبول ويعتبرون عقولهم منتهى ما يصل إليه العقل، وبين الحكماء أصحاب الرأى والنظر من المتأخرين أمثال ابن سينا ممن لم يكونوا يرون فى عقول فلاسفة اليونان أقصى ما يبلغه العقل البشرى ولم يكونوا يتقبلون آراءهم كحقائق لا تقبل الشك والجدل.

كان يرى الشيخ الرئيس أن فلسفة أرسطو تعتبر كاملة لزمان أرسطو فحسب، وأن للأجيال القادمة أن تبدى فيها رأيها تنقدها وتصحح ما تراه فيها من الخطأ كما كانت نظرة الرازى لآراء جالينوس فى الطب.

وهناك أمر آخر أرى من المناسب أن أشير إليه وهو أن ابن سينا لم يقتصر فى كتابه (الشفاء) وهو عن فلسفة المشائين — على نقل ما وصله من أقوال أرسطو عن طريق التراجم بل أنه (أى كتاب الشفاء) هو حاصل ما فهمه هو نفسه من فلسفة أرسطو

اتصل أبو عبيد الجوزجانى تلميذ الشيخ وصاحبه وجامع أكثر كتبه بابن سينا فى جرجان وصاحبه حتى آخر أيام حياته أى ما يقارب خمسة وعشرين عاماً ولازمه فى كل حال وكل مكان لم ينفك عنه فى سفر أو حضر، وكان الراوى الثقة الذى نقل إلينا تاريخ حياة الشيخ.

يقول أبو عبيد هذا فى شرح أحوال الشيخ: - « ثم سألته أنا شرح كتب أرسطو طاليس فذكر أنه لا فراغ له إلى ذلك الوقت، وقال ولكن إن رضيت منى بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندى من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم، فعلت ذلك، فرضيت به.

وكان بعد محمد بن زكريا الرازى وقبل زمن الشيخ الرئيس ابن سينا طبيب آخر وهو على بن العباس المجوسى الأهوازى، وكان تلميذاً لأبى ماهر موسى بن سيار المجوسى وله كتاب جامع فى الطب اسمه (كامل الصناعة الطبية) ألفه وقدمه لعضد الدولة الديلمي الملقب بشاهنشاه أو ملك الملوك. وكان طبيبه الخاص ومن هنا سمي الكتاب بالملكى.

ينتقد على بن العباس فى مقدمة مؤلفه هذا — وهو من الآثار الخالدة فى الطب الإسلامى، جميع الأطباء الكبار الذين سبقوه.

نراه يقول فى المقدمة المذكورة:

فأما أبقراط الذى كان أمام هذه الصناعة وأول من دونها فى الكتب فقد وضع كتباً كثيرة فى كل نوع من أنواع هذا العلم، منها كتاب واحد جامع لكثير مما يحتاج إليه طالب هذه الصناعة ضرورة، وهذا الكتاب هو كتاب الفصول، وقد يسهل جمع هذه الكتب حتى تصير كتاباً واحداً حاوياً لجميع ما قد يحتاج إليه فى بلوغ غاية هذه الصناعة، إلا أنه استعمل فيه كسائر كتبه الإيجاز حتى صارت معان كثيرة من كلامه غامضة يحتاج القارئ لها إلى تفسير، وأما جالينوس المقدم المفضل فى هذه الصناعة فإنه وضع كتباً كل واحد منها مفرد فى نوع من أنواع هذا العلم وطول الكلام فيه وكرره لما احتاج إليه من الاستقصاء فى الشرح وإقامة البراهين والرد على من عاند الحق وسلك سبيل المغالطين، ولم أجد له كتاباً واحداً يصف فيه ما يحتاج إليه فى درك هذه الصناعة وبلوغ الغرض المقصود إليه منها للسبب الذى ذكرته آنفاً.

وقد وضع أورنياسيوس كتباً وكذلك فولس الأجنطى ورام كل واحد منهما أن يبين فى كتابه جميع ما يحتاج إليه، فوجدت أوربناسيوس قد قصر فى كتابه الصغير الذى وضعه لابنه (أوناقس) وإلى عوام الناس، فلم يذكر فى الكتاب الذى وضعه لابنه (اسطات) فى تسع مقالات فإنه لم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية التى هى الاستقصات من الأمزجة والأخلاط والأعضاء والقوى والأفعال والأرواح إلا اليسير، ولم يذكر فى هذين الكتابين شيئاً من العمل باليد؛ فأما كتابه الكبير الذى وضعه فى سبعين مقالة فلم أجد فيه إلا مقالة واحدة فيها ذكر تشريح الأعضاء. وأما فولس فلم يذكر فى كتابه من الأمور الطبيعية إلا اليسير. وأما أمر الأسباب والعلاقات وسائر أنواع المداواة والعلاج باليد فقد بالغ فى بيانه؛ إلا أنه لم يذكر ما ذكره فى كتابه على طريق من طرق التعليم. وأما المحدثون فلم أجد لأحد منهم كتاباً يصف فيه جميع ما يحتاج إليه فى مداواة

الأمراض والعلل وأسبابها وعلاماتها وما سوى ذلك فذكره على جهة الإيجاز من غير شرح واضح ؛ ومع ذلك فإن ترجمته ترجمة سوء رديئة تعمى على القارئ له كثيراً من المعانى التى قصد إلى شرحها ولا سيما من لم ينظر فى ترجمة حنين وأشباهه . وأما يوحنا بن سرابيون فإنه وضع كتاباً يذكر فيه شيئاً سوى مداواة العلل والأمراض التى تكون بالأدوية والتدبير ولم يذكر العلاج الذى يكون باليد ، وترك أشياء كثيرة من العلل ولم يذكرها من ذلك أنه ترك من علل الدماغ ذكر العلل المعروفة بالقطرب والعشق والاسترخاء الحادث عن القولنج ولم يذكر فى علاج العين مداواة النتوء على ما ينبغى ولم يذكر علاج السرطان فى العين وغير ذلك من علل الأجفان .

وأما مسيح فإنه وضع كتاباً نحا فيـه النحو الذى نحاه هرون فى قلة شرح الأمور الطبيعية والأمور التى ليست بطبيعية مع سوء ترتيبه لما وضعه فى كتابه من العلم وقلة معرفته بتصنيف الكتب .

وأما محمد بن زكريا الرازى فإنه وضع كتابه المعروف بالمنصورى وذكر فيه جملا وجوامع من صناعة الطب ولم يغفل عن ذكر شىء مما يحتاج إليه ، إلا أنه لم يستقص شرح ما ذكره لكنه استعمل فيه الإيجاز والاختصار وهذا كان غرضه وقصده فيه ؛ فأما كتابه المعروف بالحاوى فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه المتطببون من حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل التى تكون بالتدبير بالأدوية والأغذية وعلاماتها ، ولم يغفل عن ذكر شىء مما يحتاج إليه الطالب لهذه الصناعة من تدبير الأمراض والعلل ؛ غير أنه لم يذكر فيه شيئاً من الأمور الطبيعية كعلم الاستقصات والأمزجة والأخلاط وتشريح الأعضاء ولا العلاج باليد ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام ولا على وجه من وجوه التعاليم ولا جزأه بالمقالات والفصول والأبواب . والذى يقع لى من أمره وأتوهمه على ما يوجبه القياس من علمه ومعرفته لصناعة الطب وتصنيف الكتب وفهمه فى هذا الكتاب إحدى الحالتين : إما أن يكون وضعه وذكر فيه ما ذكر من جميع علم الطب ليكون تذكرة له خاصة يرجع إليه فيما يحتاج من حفظ الصحة ومداواة الأمراض عند الشيخوخة ووقت الهرم أو النسيان أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب ، وكذلك لكثرة تجريده التآليف من التنظيم ، وإما أن ينتفع الناس به ويكون له ذكر حسن من بعده ، فعلق جميع ما ذكره فيه تعليقاً ليعود فيه فينظمه ويرتبه ويضيف كل نوع منه إلى ما يشاكله ويثبته فى بابه على ما يليق بمعرفته بهذه الصناعة فيكون الكتاب بذلك كاملا تاماً فعاقه عن ذلك عوائق وجاءه الموت قبل إتمامه ؛ فإن كان إنما قصد به هذا الباب فقد طول فيه الكلام وعظمه من غير حاجة اضطرارية دعته إلى ذلك حتى قد عجز أكثر العلماء عن نسخه واقتنائه إلا اليسير من ذوى اليسار من أهل الأدب فقل وجوده ، وذلك أنه ذكر فى صفة كل واحد من الأمراض وأسبابه وعلاماته ومداواته ما قاله كل واحد من الأطباء القدماء والمحدثين فى ذلك المرض من أبقراط وجالينوس إلى إسحق بن حنين ومن كان بينهما من الأطباء القدماء والمحدثين ولم يترك شيئاً مما ذكر كل واحد منهم من ذلك إلا أورده فى هذا الكتاب وعلى هذا القياس فقد صارت جميع كتب الطب محصورة فى كتابه هذا .

وأما أنا فإنى أذكر فى كتابى هذا جميع ما يحتاج إليه فى حفظ الصحة ومداواة الأمراض والعلل وطبائعها وأسبابها والأعراض التابعة لها والعلامات الدالة عليها مما يستغنى الطبيب الماهر عن معرفته إلى أن يقول (وأنا ممثل لك مثالا للطريق الذى أسلكه فى كتابى هذا من صفة الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها وأجمل ذلك فى ذات الجنب) .

(يتبع)

منارة الماضى :

زيارة لحصن الأكراد

ادب وحرب

للأستاذ أحمد رمزى بك

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

٣٩ — ويرجع الفضل إلى إحراز هـذا النصر إلى عقيدة القضاء على الفرنج وإنهاء الحروب الصليبية إنهاء تاماً ، تلك العقيدة التى تملكت عقول الجنود والقواد وملوك مصر منذ بدأ بيبرس حملاته والتى تتلخص فى الاستيلاء على الحصون والقلاع وعدم ترك الفرصة حتى تسترد الولايات اللاتينية استعدادها مرة أخرى ، وعليه أفرغ كتاب الفرنج جعبة شتائمهم على هؤلاء الأبطال ، وكتب جبون يرثى الحروب الصليبية يقول : « ساد سكون محزن غريب مظلم على طول ذلك الشاطىء الذى ظل زماناً طويلا تتردد فيه أصداء النزاع العالمى وتمر عليها كتائب المقاتلة »

٤٠ — أنشـأ الصليبيون معاقل وأبراجاً فى الحصون التى احتلوها تشهد لهم بطول الباع والأناة وللعرب والبيزنطيين ، بل وللفرس وغيرهم آثار تشهد لهم أيضاً :

وهذا فن يهم أربابه ، وقد أخرجت البعثة الفرنسية حجارة نحتها العرب وأخرى نحتها الفرنج من أسوار حصن الأكراد ، وفى أسوار قلعة القاهرة من الحجارة ما نحته أسرى الفرنج ، فقد كانت الطريقة المتبعة استعمال الأسرى فى هذه الأعمال .

٤١ — وقد استعمل حصن الأكراد وغيره من الحصون فى فترات الهدوء التى دامت بين هجومين عظيمين : استعمل كرأس حربة مدة احتلاله بالصليبيين لإدخال الرعب فى قلوب المسلمين ، ثم كلجأ يلجأ إليه المقاتلة والفرسان بعد عودتهم من حملة موفقة ليستجموا ويستعيدوا قوتهم ليعودوا مرة أخرى إلى الغزو .

٤٢ — وقد بقى حصن الأكراد ١٣٠ عاماً وهو رأس حربة كما قلنا يهددون بها حمص وما حولها ، ويحولون دون المسلمين والاتصال بالجهات التى تحت حكمهم فى بعلبك والبلاد الأخرى المجاورة لها .

٤٣ — ولما شعر المسلمون بأهمية هذا الموقع العسكرى وأذاه فى صفوفهم لجأوا إلى نور الدين الشهيد صاحب دمشق الذى جمع جنوده فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ونزل تحت حصن الأكراد ، فبينما هو فى معسكره وفى وسط النهار ، دهمته كتائب الفرنج من خلف الجبل القائم عليه الحصن ، وأحاطت بالجيش الإسلامى وهو على غير أهبة فأعملت فيه السيف ، وقصد الافرنج خيمة العادل نور الدين ، فكاد أن يقع أسيراً لولا رباطة جأشه وسرعة خاطره إذ خرج من الباب الخلفى وركب فرساً للنوبة ، وكانت بقيدها الخلفى فنزل أحد أتباعه من الأكراد فحلها وقتل لساعته ، ولولاه لوقع نور الدين فى الأسر .

٤٤ — وفى هـذه الحادثة بالذات يقول أبو الفرج عبيد الله ابن سعد الموصلى من قصيدة فائقة :

بنى الأصافر ما نلتم بمكركم ... والمكر فى كل إنسان أخو الفشل
وما رجعتم بأسرى خاب سعيكم ... غير الأراذل والأتباع والسفل
هل آخذ الخيل قد أردى فوارسها ... مثال آخذها فى الشكل والطول
أم سالب الرمح مركوزاً كسالبه ... والحرب دائرة من كف معتمل

وفيها يخاطب نور الدين :

لا نكبت هتك الأقدار عن غرض ... ولا ثنت يدك الأيام عن أمل

٤٥ — وبرغم ما فى القصيدة من محاولة الاعتذار أمام الهزيمة والفرار ، فإن العملية الحربية الصليبية كانت ناجحة إذ تجلى فيها عنصر المفاجأة وظاهرة السرعة بدليل تتبع المنهزمين حتى حمص . والفضل للموقع الممتاز لحصن الأكراد ، ذلك الموقع الذى أتعب المسلمين أكثر من قرن من الزمن كما قلنا .

٤٦ — ولدينا من قبيـل هذا المقال الكثير من الهجمات والمتاعب التى سببتها حامية حصن الأكراد الصليبية لمدينتى حمص وحماة وغيرهما من بلاد المسلمين .

ففى عام ٥٩٩ زحف الفرنج من حصن الأكراد إلى مدينة حماة فركب صاحبها وحاربهم فى رمضان . وجاء فى السلوك ضمن حوادث سنة ٦٠٣ أن الملك العادل الأيوبى صاحب مصر خرج من مصر إلى العباسة ومنها إلى دمشق ثم برز إلى حمص ، وذلك

عقب الحملات المتتالية التى شنتها حامية حصن الأكراد وتمدد الغارات على كل من حمص وحماة ، ونازل الحصن وأسر خمسمائة رجل من أطرافه . ولقد نازله قبله صلاح الدين وغيره من ملوك المسلمين ولكنها كانت جميعاً حملات تمرضية استكشافية ، أو إذا شئت تأديبية ضد القاتلين من جماعة الصليبيين المستحكمين فى هذه القلعة ولم يعقبها حصار كامل الأهبة والاستعداد كما حدث بعد ذلك .

٤٧ — وقد بقى هذا الحصن قذى فى أعين المسلمين يهدد بلادهم حتى تم فتحه فى عام ٦٦٨ هجرية على يد الملك الظاهر بيبرس سلطان مصر وصاحب الفتوحات وهو ما سنفرد له فقرة خاصة تأتى بعد ذلك .

٤٨ — وقبل أن يتم الفتح على يديه اتبع طريقة أسلافه ، وهى الهجمات التمرضية السريعة لجس نبض الحامية واستنفارها للخروج من وراء الخنادق والأبراج ؛ فى هذا العام أى فى ٣ جمادى سنة ٦٦٨ ركب الملك فى مائتى فارس وأغار على أطراف الحصن ثم صعد إلى الرابية ومعه قدر أربعين من الفرسان فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين بالدروع فحمل عليهم وقاتلهم وتبعهم حتى دخلوا الحصن . وتقول الرواية إنه صاح بهم ليدعوا رفقاءهم إلى الخروج ، وأشار إلى عدد من معه وأنهم جميعاً بأقبية بيض أى غير مدرعين بالزرد والحديد .

وتشير الرواية إلى أنه عاد إلى مخيمه وأطلق الخيول فى المروج الخضراء والمزارع التى كانت حول الحصن .

٤٩ — وكانت هذه آخر الحملات التأديبية إذ سقط الحصن بعدها فى أيدى الملك الظاهر الذى بادر إلى ترميمه وإعادة إصلاح أبراجه وخنادقه واتخاذه نقطة ارتكاز لجيوشه فى عملياته الحربية ضد الفرنج المحتلين لمقاطعة طرابلس ، فأصبح حصن الأكراد رأس حربة موجها إلى الغرب بعد أن كان موجها إلى الشرق أى إلى قلب الأراضى الإسلامية .

٥٠ — ولهذا الوضع أمثلة فى الحروب الحديثة فإن الزائرين لمنطقة جبال الكارسو فى شمال إيطاليا لابد عاينوا الحصون الكائنة فى جهة سان ميشيل وسابوتينو حيث لا تزال أماكن المدفعية التى استعملها النمسيون وأماكن تلك التى استعملها الإيطاليون بعدهم ظاهرة .

٥١ — وتحدثنا الرواية بالتفصيل عن بعض ما قام به الملك الظاهر فقد أمضى أياماً فى الصيد ، وكان يصنع السهام بيده وبريش النشاب ، وكان يحضر العمارة بنفسه ويشحذ همم العمال ويشجعهم بل كان يشمر وينقل الحجارة على كتفيه ، وكان ينزل فى الخندق ويحفر بيديه . ولما أتم العمارة وأعاد تركيب المنجنيقات أمر بتجربتها أمامه ليعرف أماكن سقوط حجارتها ومدى إصابتها للأهداف .

٥٢ — وتنتظم الحياة مرة أخرى بحصن الأكراد إذ تولى القيادة فيه الأمير حسام الدين قيماز الذى مر ذكره : وأطلق عليه اسم نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات على رأس حامية مؤلفة من ٥٠٠ جندى وعشرة أمراء طبلخانة و ١٥ أمير عشرة

٥٣ — وبمقارنة هذه الحامية تظهر أنها أقل مما كان يحتل الحصن من جنود الصليبيين إذ كانت تتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣ آلاف وهؤلاء يدخل بينهم الخدم والزراع وطوائف من أهل البلاد .

٥٤ — وبعد حسام الدين قيماز تعين سيف الدين بلبان الطباخى ثم الأمير علم الدين سنجر الدواداری . ويوسع المهتمون بالتاريخ المصرى استكمال هذا الكشف حتى يكون مكملا للكشف الذى ضم أسماء من تولوا القيادة بالحصن أيام الاحتلال الصليبى .

٥٥ — انتهى الحصن فى عهد المنصور قلاوون إلى أن أصبح مركز تجمع الجيوش التى حشدت هناك للزحف على مقاطعة طرابلس ، وكان الطباخى يقود الحامية من البرج الذى كان يحتله عميد الاستبار ، ويبعث بطلائعه لاكتشاف الأماكن التى نزلها الجنود قبل حصار طرابلس .

٥٦ — وفى عهد الملك الأشرف خليل بن قلاوون اشتركت الحامية فى أعمال الحصار الرائعة حول مدينة عكا وقد قامت ومعها المجانيق التى ركبها الملك الظاهر ومن بينها منجنيق هائل أطلق عليه اسم المنصورى .

٥٧ — أتينا بصورة من الحياة والقتال فى الحصن فى العهدين الصليبى والإسلامى لكى تسهل المقارنة وتركنا فتح الحصن على أيدى المسلمين جانباً حتى لا يكون فاصلا يضيع المقارنة بين العملين .

٥٨ — فقد أشرنا إلى عملية قام بها الملك الظاهر تشبه الهجمات التى اعتادها ملوك المسلمين وأمراؤهم ولم يكن يرمى من ورائها إلى هدف معين . وسنرى فى حملته على حصن الأكراد كيف يلجأ إلى أساليب المفاجأة والسرعة وتضليل الخصم .

٥٩ — ففى السنة التى أتم فيها الملك الظاهر إنشاء الجسر والقناطر القائمة بقرب شبرا ، قرر فتح حصن الأكراد الذى استعصى على غيره من الملوك والأمراء .

٦٠ — وإليك برنامج السفر : غادر القاهرة فى ١٨ جمادى الآخرة ، وصل دمشق الخميس ١٨ رجب ، وفى المدة السابقة لوصوله أى بين ١٨ جمادى و ١٨ رجب أشغل العدو إذ ابتدأت الحملات الخاطفة ضد قلاع الصليبيين فى :

جبلة . وسقطت حصون اللاذقية . صافيتا . المرقب . المجدل . القليعات . طرطوس :

٦١ — فى يوم ١٩ رجب الموافق ٣ مارس سنة ١٢٦٧ تجمعت قوات الملك الظاهر أمام حصن الأكراد .

ونلاحظ فى هذه الأعمال اختفاء الهدف الرئيسى حتى اللحظة الأخيرة .

٦٢ — جاء إليه ابنه الملك السعيد والأمير بيليك الخازندار وبمجرد وصولهما بدأت أعمال الحصار : إذ أخذت الجنود فى نصب المجانيق وعمل الستائر لحماية الرماة .

٦٣ — اقتحمت الأسوار الثلاثة على التوالى عنوة ما عدا البرج الأخير الذى استحكم فيه فرسان الاسبتار حتى آخر مراحل الحصار.

٦٤ — فى ٧ شعبان سقطت الباشورة الثانية التى تؤدى إلى الحصن الداخلى ، ودخلت العساكر البلد بالسيف وأسروا من فيه من الجبلية والمزارعين ثم أطلقوهم .

٦٥ — وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان طلبت الحامية الأمان فأمنهم الظاهر وتسلم البرج الأخير فدخله و كتبت البشائر وترتب أرباب الوظائف بالحصن من جهة المملكة المصرية أى النواب والقضاة وبقى بيد مصر حتى دخول السلطان سليم ديار الشام ، فزال ملك مصر عنها كما زال عن غيرها من البلاد .

* * *

٦٦ — هذا هو حصن الأكراد الذى توجهنا لزيارته ومررنا بأقسامه ، ووقفنا أمام أبراجه ، وفيها أبراج بناها المنصور قلاوون ، ولا تزال الأسماء والآيات القرآنية كما كانت .

٦٧ — ودخلنا أماكن الخيول ، وقد كشفت عنها البعثة الفرنسية فرأينا ما أدهشنا : أثر حوافر الخيل ومواضع ربطها والحديد الذى كانت تشكل به . لقد كان الردم يغطى كل هذا ، ولما أخرجته يد الإنسان من تحت التراب إذا به كما كان يوم تركه أصحابه منذ مئات السنين .

٦٨ — وكان للحصن آبار ومجار للمياه حينما كشف عنها وجدت أوانى من النحاس من عصر الملك الناصر محمد ورؤوس النبال والرماح .

وعدت من الحصن وقد غمرتنى نفحة من تلك النفحات التى تؤذن بخروج الإنسان من طور ودخوله إلى طور جديد من أطوار الحياة : فقد تغيرت نظرتى إلى بعض الأشياء ، وأخذت طريقاً لإشباع نفسى بتقليب صفحات الماضى الذى بدأت أحس بأننا قطعة منه .

٧٠ — وإذا بى أؤمن بأن تاريخ مصر والشام وحدة لا تتجزأ ، وأن أية محاولة للفصل بينهما تؤدى بنا إلى نتائج معكوسة أى تقرير مبادىء سلبية يقصد أصحابها توزيع القوى والعزائم وتجريح الأمم وإنقاص الدور الذى ألقته علينا الأقدار وحمله لنا التاريخ كقوة مقاتلة منشئة منتصرة .

٧١ — وها نحن نعيش فى عصر طابعه السرعة والإقدام ، والبناء والخلق والتجديد ومع هذا لا نزال نسير على خطوات وئيدة والزمن يعدو أمامنا : ذلك لأن عوامل التفكك والانحلال والسلبية لا تزال تعمل فى صفوفنا وتعوقنا عن الأهداف الكبرى

٧٢ — هل كان الذين انتصروا فى هذه الحروب وقادوا الحملات وتغلبوا على الحوادث لهم نظرة خاصة ومنطق خاص حتى تغلبوا على قوات تفوقهم : وأحرزوا النصر ، وأننا لا نستطيع أن تكون لنا مثل نظرتهم ومنطقهم ومثلهم العليا ؟

إن الذين خاضوا هذه المعارك أظهروا نهاية ما يمكن من الإقدام حينما وجدوا القيادة الصالحة ، فهل يجدها معاصرونا الآن؟ إن استمرار الكفاح والجهاد لمدة تقرب من قرنين لهو أظهر دليل على أن صفات الاستمرار والمداومة ثابتة فى الصفوف بين الأمم الإسلامية ، ولا تحتاج إلا لمن يظهرها ويحسن قيادتها وتوجيهها.

٧٣ — ونحن لا نعيد الحروب الصليبية بمآسيها ومتاعبها

وإن كانت تتكرر على مقربة منا فى فلسطين ولـكننا نقول : إننا فى حاجة وقت السلم إلى صفات لا تقل عن الصفات التى تحتاجها الأمة وقت الحرب بل قد تزيد .

٧٤ — إننا فى عصر يتطلب انتزاع النصر فى السلم كما انتزعه أسلافنا فى الحرب ؛ وتحضيرهذا يتطلب جمع القوى الشتتة وتنظيمها وتعبئتها ، وهذا التنظيم نوع من الـكفاح الدائم المستمر

٧٥ — إنه يتطلب نوعاً من الهدوء والثبات والتركيز ، والاقدام وهى من قبيل الصفات التى تمكن بها أسلافنا من انتزاع النصر فى المعارك التى ذكرتها أو أشرت إليها فى الـكلام عن حصن الأكراد ولا أشك فى أن هذه الصفات كامنة فينا وأؤمن أنها ستخرج فى القريب لـكى نحقق فى السلم ما يرى الـكثيرون أنه بعيد التحقيق وليس فى طاقة شعوب الشرق أن تقوم به ، ولـكن وثبتها نحو تحقيق مثلها العليا ستجعل هذا الرأى حقيقة ماثلة للعالم أجمع .

أحمد رمزى

طرائف من العصر المملوكى :

أدب الحــرب

للأستاذ محمود رزق سليم

ما أكثر امتلاء العصر المملوكى بالحروب الخارجية ، وما كان أسرع ملوكه وأمراءه إلى تلبية نداثها كلما دعت ، والاستجابة لهـا كلما أهابت . ومن يتصفح تاريخ هذه الحقبة الفريدة من تاريخ مصر يجد أن جيشها كان يكافح عدوين لدودين طاغيين معتدين ، همـا التتار والفرنجة . ولم يكن فى كفاحه متجنياً ولا معتدياً ، وإنما كان يذود عن ممتلـكات مصر وأرض المسلمين ومقدساتهم . فلم تـكن حروبه حروب أطماع وأهواء ، ولـكن حروب دفاع ورد اعتداء . فهى حروب مشروعة لهـا سند من الدين والعقل والقانون .

أما التتار فكانوا فى بداءة أمرهم وفى جلته ، وثنيين جهلاء ، وسفاكين للدماء . وما دفعهم من أقاصى بلادهم فى آسيا ، إلا حـب الفتح والاستعمار . وما أشبههم فى العصر الحديث — لا بألمانيا وحدها — ولـكن بكل دولة من تلك الدول الـكبرى الفاغرة فاها للشرق وخيرات الشرق تبغى استلابها والتهامها ، استلاب اللصوص والتهام القطاع . وكان يظن أنهم القوة لا تهزم ، فـكفكف المماليك غربهم ، وفلوا سيوفهم ، وردوهم داحرين على أعقابهم فى جملة مواقع حاسمة قاصمة . وزالت بذلك خرافة قوتهم .

أما الفرنجة فقد حركتهم إذ ذاك أطماع استعمارية كذلك ، وشنوا الحروب على سواحل البحر الأبيض الشرقية تحت ستار من المسيحية — والمسيحية الطاهرة منهم براء — وكانت هذه السواحل من شمال البلاد الحلبية إلى الشامية إلى الفلسطينية فى جملة ممتلكات مصر ، يعيش فيها جميعاً شعب واحد متحد المشارب مجتمع الأهواء متجانس القومات ، له دينه ولغته وجنسه وتقاليده وله مشاعره المتشـابهة ومصالحه المشتركة . فذاد عنها سلاطين مصر الأباة ، عارفين للدين حرمته ، وللوطن كرامته ، ودافعوا عنها دفاع المستميت ، لا ونى ولا وجل .

وإلى جانب ذلك كلـه كانت لهم حروب أخرى بعضها لتأديب أمير شق عصا الطاعة ، أورد عدوان جار من جيرانهم ، أو نحو ذلك . وأبدى كثير منهم سـلاطين وأمراء وجنوداً ضروباً من الشجاعة خارقة .

وكانت هذه الحروب — فى كثير من ظروفها — منشطة لشياطين الشعراء والأدباء، فتابعوا سيرها وتحولاتها ، مستمنحين منها الوحى ، مستشمرين الإلهام . فدحوا الملوك والأمراء الذين أبدوا من ضروب الشجاعة والمهارة ما استحق التخليد ، وكان لأعمالهم أثر مجيد فى الانتصار . وحمسوا وفاخروا بما نال جيش مصر من الظفر ، ووصفوا الوقائع ومالابسها من حوادث وما صاحبها من آلات القتـال ، كالرماح والسيوف والخيل واللامات ، وسجلوا بذلك كله كثيراً من حوادث أجيالهم ، وشاركوا العصر إلى حدما فى آلامه وأحلامه .

ولم يقصر الـكتاب الناثرون عن إخوانهم الشعراء فى هذا المضمار . فقد كان بمصر حينذاك ديوان من دواوين الدولة خاص

بالكتابة وهو « ديوان الإنشاء » تصدر عنه الرسائل الرسمية الهامة . ويلي أمر الكتابة فيه حذاق المنشئين وبارعوم . وكان في جملة الرسائل التي يعنون بكتابتها « البشارات » وهي أنواع ، ومنها : البشارة بانتصارات الجيش على أعدائه ، فيوصف فيها تحرك الجيش واستعداده للاشتباك في القتال وما يأتيه السلطان أو أعوانه من ضروب المغامرة والشجاعة ، وما يصبونه على عدوهم من أهوال ، وما يصيبونه بعد هذا من نصر وظفر ، إلى غير ذلك . وكانت هذه الرسائل تكتب بعبارة أدبية طريفة مطولة يجري أسلوبها على الطريقة الفاضلية أو النباتية ، يبدع فيها الكتاب ما شاء لهم الإبداع والفن الكتابي الذي يسلكون سبله . وتنشر هذه الرسائل على الناس أو تتلى في الجامع . فهي إلى حد ما شبيهة بما يكتبه مراسلو الصحف في أيامنا ، ممن يصحب الجيوش في تحركاتها . وذلك لما يسري فيها من روح أدبية ونزعة عاطفية . ومن هنا تفارق البلاغات الرسمية الحربية التي يذيعها أولو الشأن اليوم عن حركات الجيش في لطف وإيجاز. ولو استطعنا جمع هذه البشارات كلها لكان لنا منها سجل أدبي رائع عن حروب المماليك وانتصاراتهم .

وقد روى أن الظاهر بيبرس سلطان مصر غزا في الشام ، واستطاع بجيشه المصري أن يوقع بالتتار ويذل الفرنجة ويفتح المدن المنيعة ويدك الحصون المستعصية . وقد شارك جنوده وعماله بيده في أداء أعمالهم ، وأظهر خوارق من المغامرات . ولما فتح قيسارية — وكانت من قلاع الفرنجة ومدنهم الحصينة — كشف بلادها وقوّم خراجها ، ووزع ذلك كله على أمرائه الذين شاركوه في جهاده . وكتب بذلك « مكتوب جامع بالتمليك » وهو ضرب آخر من الرسائل الرسمية . وقد جاء في مطالعه بعد الحمد والصلاة ما يلي في وصف الانتصار :

« إن خير النعمة نعمة وردت بعد اليأس ، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس . فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسباباً ، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبواباً . وهزمت من التتار والفرنج المدون ، وربطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين . وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم في عقر الدار ، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار . وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب إلى حلقات الإسار . ففرقة منهم تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً ، وفرقة تبني ما هدم التتار بالمشرق وتعليه تحصيناً . وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة ، وتتسنم هضاباً سامقة ، فهي بحمد الله البانية الهادمة ، والقاسمة الراحمة . كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففرى ، وحلت رياح النصرة ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى . وكونته السعادة ملكا إذا رأته في دستها قالت تعظيما له ما هذا بشرا ... » إلى آخر هذا المكتوب .

وقد نظم أديب عصره وشاعره محيي الدين بن عبد الظاهر ، هذه الأبيات يصف فيها جنود مصر ومغامرات بيبرس في حرب التتار ، فقال :

تجمع جيش الشرك من كل فرقة ... وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا

وجاءوا إلى شط الفرات وما دروا ... بأن جياد الخيل تقطعه وثبا

وجاءت جنود الله في المدد التي ... تميس لها الأبطال يوم الوغى عجبا

فعمنا بسد من حديد سباحةً ... إليهم فما اسطاع العدو له نقبا

واعتقادنا أن هذه الأبيات بقايا قصيدة طويلة بارعة للقاضي محيي الدين . وهي تحدثنا في طلاقة ووضوح بما كان ثم من شجاعة بيبرس وجنوده . فإنه خاض نهر الفرات بنفسه للقاء التتار على شاطئه الآخر ، فاندفع جنوده في إثره خائضين ، فدحروا العدو وشتتوا شمله . وفي البيت الثالث يصف الشاعر الجنود بأنها جنود الله ، وفي ذلك دلالة على عقيدتهم في أنهم إنما يخرجون للجهاد في سبيل الله وحماية دينه . وقد أبدع الشاعر في البيت الرابع إذ يقول « فعمنا بسد من حديد » كناية عما يلبسون من درع وعما يحملون من سلاح ، وعما لهم من كثرة ، وعما فيهم من جرأة . وهذه أهم أدوات النصر ، وقد انتصروا فعلا ، فإن العدو لم يستطع لهذا السد العظيم نقباً ، وفي العبارة الأخيرة شيء من الاقتباس وفيه إشمار بتشبيه سدهم هذا بسد ذي القرنين .

وقد نظم الشاعر بدر الدين يوسف بن المهمندار في نفس الواقعة أبياتاً بديعة دقيقة الوصف رائعة التصوير تنضح بالمجد وتوحي بالفخار وتسجل عظمة أولئك الأسلاف الصيد ، والغضافر الصناديد : ومن هذه الأبيات قوله :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا   والخيل تطفح فى المجاج الأكدر
وقد اطلخم الأمر واحتدم الوغى   ووهى الجبان وساء ظن المجترى
لرأيت سدا من حديد ما يرى   فوق الفرات وفوقه نار ترى

ومنها :

ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبى   ومن الفوارس أبحرا فى أبحر
لما سبقنا أسهما طاشت لنا   منهم إلينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا للرمى منهم أعينا   حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم   دون الهزيمة ريح كل غضنفر

وانظر حسن التعليل ، أو توكيد المدح بما يشبه الذم ، فى قوله :

ما كان أجرى خيلنا فى إثرهم   لو أنها برءوسهم لم تعثر

ومنها :

وجرت دماؤهم على وجه الثرى   حتى جرت منها مجارى الأنهر
والظاهر السلطان فى آثارهم   يذرى الرءوس بكل عضب أبتر
ذهب الغبار مع النجيع بصقله   فكأنه فى غمده لم يشهر

ومن سلاطين مصر الأشرف خليل بن قلاوون . وقد حارب كذلك فى بلاد الشام وفتح مدينة « عكا » الحصينة بعد أن رماها بالمنجنيق وهدم سورها وقلعتها . وكانت بيد الفرنجة . فدحه القاضى شهاب الدين محمود الحلبى بقصيدة بائية فى نحو خمسة وستين بيتا . قال فى مطلعها :

الحمد لله ذلت دولة الصلب   وعز بالترك دين المصطفى العربى
هـذا الذى كانت الآمال لو طلبت   رؤياه فى النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها   فى البحر للشرك عند البر من أرب
عقيلة ذهبت أيدى الخطوب بها   دهرا وشدت عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت   فى البحر والبر ما ينجي سوى الهرب
كانت تخيلنا آمالنا فنرى   أن التفكر فيها غاية العجب
أما الحروب فكم قد أنشأت فتنا   شاب الوليد بها هولا ولم تشب
سوران بر وبحر حول ساحتها   دارا وأدناهما أنأى من العطب
مصفح بصفاح حولها أكم   من الرماح وأبراج من اليلب
مثل الغمائم تهدى من صواعقها   بالنبل أضعاف ما تهدى من السحب
كأنما كل برج حوله فلك   من المجانيق ترمى الأرض بالشهب
ففاجأتها جنود الله يقدمها   غضبان لله لا للملك والنشب
كم رامها ورماها قبله ملك   جم الجيوش فلم يظفر ولم يجب
لم ترض همته إلا الذى قعدت   للعجز عنه ملوك العجم والعرب

ثم أخذ الشاعر فى مدح السلطان ثم وصف جيشه ووصف الحرب منوها بالأغراض المتوخاة منها ، إلى غير ذلك من الأغراض الشعرية .

وفى عام ٦٩١ هـ فتح السلطان الأشرف خليل قلعة الروم ، فهنأه شاعره هذا وهو القاضى محمود الحلبى بقصيدة رائية على نمط القصيدة السالفة فى الروعة ودقة الوصف وجمال التصوير ووضوح المعنى . وقد بدأها بوصف راية السلطان وهى صفراء اللون ، فكان له من اصفرارها مدد جميل لوصفه قال :

لك الراية الصفراء يقدمها النصر   فمن كيقباذ إن رآها وكيخسرو
إذا خفقت فى الأرض تهدى بنورها   هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى الثغر
وإن نشرت مثل الأصائل فى وغى   جلا النقع من لألاء طلعتها البدر
وإن يممت زرق العدى سار تحتها   كتائب خضر تحتها البيض والسمر
كأن مثار النقع ليل وخفقها   بروق وأنت البدر والفلك والبحر
لها كل يوم أين سار لواؤها   هدية تقليد يقدمها الدهر
وفتح بدا فى إثر فتح كأنما   سماء بدت تترى كواكبها الزهر
فكم وطئت طوعا وكرها معاقل   مضى الدهر عنها وهي عانسة بكر

وكان الأدب ابن حجة الحموى من خلصان سلطان مصر الملك المؤيد شيخ المحمودى اتصل به قبل سلطنته أيام أن كان أميرا فى بلاد الشام ، وقدم إلى مصر بعد سلطنته وأقام فى خدمته ردحا . وكان المؤيد قبل سلطنته قد وقعت فتن بينه وبين سلطان مصر حينذاك الناصر فرج بن برقوق . فانهزم فرج أمامه فى ضيعة من ضياع الشام اسمها « اللجون » فكان ذلك مثارا لشاعرية ابن حجة إذ مدح المؤيد وذكر المعركة ووصف ما دار فيها موفقا فى كثير من أبياته . فقال يخاطب المؤيد :

يا حامى الحرمين والأقصى ومن   لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله إن الله نحوك ناظر   هـذا وما فى العالمين مناظر

فرج على «اللجون» نظم عسكرا — وأطاعه فى النظم بحر وافر
فأبنت منه زحافه فى وقفة — يا من بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم — دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة — فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها :

وإذا مددت يراع رمحك ماله — إلا قلوب الدارعين محابر
ونمال خيلك كالعيون ومالها — إلا جماجم من قتلت محاجر

ويعتبر القتال بين السلطان فرج وأميره شيخ حربا أهلية إذ أن كليهما من رجال الطبقة الحاكمة المصرية حينذاك وما كان أكثر الحروب الأهلية ووقائعها فى هذا العصر !

ويطول بنا المقال لو استرسلنا فى الحديث . غير أننا نختتمه بأن نذكر أن الزجالين كانوا فى عداد الأدباء عناية بذكر الوقائع ووصف الحروب ، وأن الشعراء طرقوا فى باب الوصف ، السيوف والرماح ونحوها من آلات القتال ، ومنهم من أخرج غزله مخرجاً حماسيا ، فاستعار لأدواته وملابساته ماللحرب من أدوات وملابسات . — ومن لطيف ما يروى أن الأمير « الطنبغا الجوبانى » الذى كان نائبا عن سلطان مصر فى كفالة الشام ، زمنا دعا فضلاء الأدباء لكى ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح ، وعددها أربعة . فتبارى فى ذلك كثيرون . ومنهم فتح الدين ابن الشهيد فقال على لسان الرمح :

إذا الغبار علا فى الجو عثيره — فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هـذا سنانى نجم يستضاء به — كأننى عـلم فى رأسـه نار
والسيف إن نام مل‌ء الجفن فى علق — فإننى بارز للحرب خطار
إن الرماح لأغصان وليس لها — سوى النجوم على الميدان أزهار

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

زعيمان

للأستاذ محمود الخفيف

هما أحمد عرابى وإبراهام لنكولن ، يجمع بينهما فى مجال الزعامة أن كليهما كانت الحرية متصلة بطبعه ، وأن كليهما اضطلع بقضية كبرى فى قومه خلد بها اسمه ، ويجمع بينهما فى هذا المقال وفى مقال فى العدد السالف من « الرسالة » بنفس العنوان ما تفضل به من حديث عنهما ، أو بالأحرى عن كتابىَّ فيهما ، الناقد الكبير الأستاذ العقاد .

ولقد أثار ما كتب الأستاذ الجليل أعظم اهتمامى ، فإنى لأنزله من نفسى منزلة الأستاذ ، تلك المنزلة التى ينزله إياها بالحق جمهور القارئين فى العالم العربى ، وأحرص على الإفادة من كل ما يكتب فى الأدب ، فكيف إذا كان ما يكتب متصلا بكتابين أخرجتهما ؟

على أن اهتمامى بما قال عن الزعيمين كان أعظم مما ذكره متفضلا عن الكتابين ، وللأستاذ الكبير عظيم شكرى على ما تفضل به على من ثناء أرجو أن أظل له عاملا .

وإن الحديث عن هذين الرجلين لفرصة يجب ألا تفوت ، فقد أردت بكتابى عن أولهما الدفاع عنه لاعتقادى أنه ظلم ، وأن ظلمه مما يشين هذا الجيل الذى أصاب حظاً غير قليل من الثقافة ؛ وأردت بكتابى عن ثانيهما أن أجمل منه ، وهو الشخصية العالمية المحبوبة ، قدوة لشبابنا ، ومثلا لسادتنا وكبرائنا ... وإن الشباب والكهول فى كلِّ أمة متمدنة ليقرأون عشرات الكتب فى سيرته ويجدون فيه للمصامية المثل الأعلى !

أما عن عرابى ، فحسبى مما بلغت بدفاعى عنه أن أقول فى غير زهو أو فخر : أنه ما من قارئ لكتابى حدثنى عنه إلا آمن لى ، ورأى فى عرابى ما كان من قبل ينكره أو يأخذه فى كثير من الشك والتردد ، وهو أنه زعيم قوى مخلص لعقيدته فذ فى وطنيته ؛ وحسب عرابى أن يشهد له بالإخلاص والوطنية من زعماء الكتاب فى جيلنا هذا أستاذنا الجليل صاحب « الرسالة » ، الذى شرفنى فجعل عملى فى الدفاع عن عرابى عمل إميل زولا فى الدفاع عن دريفوس ، ثم أستاذنا الكبير العقاد الذى نفى عن عرابى فى كلمته الأخيرة ما اتهمه به المفترون ظلماً والجاهلون ، والذى تفضل فقال عن كتابى : « إنه يعد فى بابه قليل النظير » .

ومما أطيب به نفساً أن أجد رأى الناس عن عرابى قد أخذ يتغير ، فالصحف والمجلات تتحدث عنه اليوم على أنه زعيمنا الأول ، ويشيع فيما تكتب عنه كثير من التحمس له ، والمثقفون فى ندواتهم يذكرونه بالخير ويأسفون على ما لحقه فيما سلف من ظلم ؛ فإذا كان مرد هذا أو بعضه إلى ذلك الدفاع الذى دافعت به عنه ، فأى اغتباط ذلك الذى تشعر به نفسى ، ومعاذ الله أن أقصد بهذا إلى شىء من الفخر ، وإنما هو شعور الراحة فى نفس من يوقن أنه أنصف رجلا قضى نحبه مظلوماً وقد أحسن إلى بلاده ، وأنه أول من تصدى إلى هذا الإنصاف . وليغفر لى القارئ ما قد يجده فى كلامى هذا مما يشبه الزهو .

***

وأما عن لنكولن ، فقد أخذ الكاتب الكبير على كتابى مآخذ قرأتها فى كثير من الترحيب والاطمئنان ، فالعقاد من يصدر فى النقد عن أستاذية توجب هذا الاطمئنان ، وتوجب معه الاهتمام والحرص على الانتفاع من جانب كل مؤلف وإن علا كعبه فى التأليف ؛ وأنا بالضرورة أولى بالاهتمام والحرص على الانتفاع ، ومقامى فى التأليف مقام المبتدئ ؛ غير أنى أحس فى بعض ما ذكر الناقد الفاضل ما لا ترتاح إليه نفسى ، وأؤكد للأستاذ الكبير أن أذكر ذلك عن إخلاص وصدق رغبة فى الفهم والتعلم ، وهى على أية حال فرصة طيبة لأسمعه رأيى لعله يتفضل بإرشادى إلى موضع الخطأ فيما أقول ، وفرصة طيبة للحديث عن لنكولن لعل فى الحديث عنه ما فيه للقارئ بعض الفائدة ...

أخذ الأستاذ على كتابى « أنه ليس فيه تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه » ؛ وهذا الذى يأخذه على الأستاذ حق لا مرية فيه ، ولكن كيف السبيل إلى معرفة هؤلاء الأسلاف ؟ هذا هو موضع التساؤل بينى وبين الأستاذ الجليل .

لقد عرف لنكولن أول ما عرف نجاراً ابن نجار أمى ، وولد فى كوخ وسط الأحراج والأدغال البرية بعيداً عن دنيا الحضارة ، ولم يحدثه أبوه عن أسلافه إلا قليلا ، ومرد ذلك إلى بيئته وجهله ، وكان حديث أمه أقل لما أحاط بسيرتها من ملابسات ذكرتها بوضعها فى الكتاب ، نقلا عن لنكولن ، إذ أفضى بها ذات مرة إلى صديقه هرندن ولم يعد إليها أبداً ، حتى لقد كانت إذاعتها على لسان صديقه مثار جدل وضجة فى الولايات المتحدة كلها .

ولم يتحدث لنكولن نفسه عن أسلافه إلا قليلا ، لأنه لم يكن يعرف عنهم إلا القليل ؛ ولقد كان يقتضب الحديث عنهم اقتضاباً كأنه يكرهه ، بينما يفيض إذا تحدث عن نشأته في بيئته الأولى .

لهذا حار كتاب حياته في معرفة أسلافه ، وتحت يدي أكثر من عشر تراجم له ومن بينها كتاب إميل لدوج الذي عرف باستيعابه كل شيء ، وأهم منه كتاب صديقه وزميله في المحاماة هرندن الذي كان أعلم الناس به ، وهو الذي اعتمد عليه لدوج وغيره ، وهؤلاء جميعاً لم يذكروا عن أسلافه إلا القليل وما لهم في ذلك حيلة ...

افتتح هرندن الفصل الأول من كتابه بقوله : « لم يكن لدى مستر لنكولن عادة ما يقوله إذا تحدث عن نفسه وعن آبائه وتاريخ أسرته قبل مجيئهم إلى إنديانا أكثر من تلك الحقيقة ، وهي أنه ولد في الثاني عشر من فبراير سنة ١٨٠٩ في ناحية هاردن بكنطكي ؛ وكان إذا تحدث عن هذا الموضوع ، وقليلا ما تحدث ، يفعل ذلك في كثير من التردد والتحفظ » ؛ وأورد هرندن بعد ذلك بقليل قول لنكولن لأحد أصدقائه فيما بعد ، وكان يسعى لكتابة تاريخ حياته : « لماذا تعنى نفسك يا صاحبي سكربس ؟ إنه لمن أكبر الحمق أن تحاول أن تجد شيئاً ذا بال في شخصي وفي حياتي الأولى . إنك لتستطيع أن تحصرها في جملة ، وتجد هذه الجملة في مرثية جراي وهي « سيرة الفقراء القصيرة البسيطة »

وأنا أرجو من أستاذنا العقاد ، وهو أطول مني باعاً وأكثر اطلاعاً ، أن يرشدني إلى ما أقف منه على أسلاف لنكولن ؛ وإني لشديد الحرص على إرشاده ، ذلك أن الأستاذ الجليل قد عقب على ذلك الذي أخذه علي مما يتصل بأولئك الأسلاف بقوله : « ولا تتم العبرة من تاريخ لنكولن إذا لم تكن نشأته وارتقاؤه إلى رئاسة الجمهورية ، وحقائق مصرعه موضع اهتمام خاص يفوق كل اهتمام بغيرها من الموضوعات » ؛ ولقد تشعر هذه العبارة من لم يقرأ كتابي بأني لم أهتم بنشأته وارتقائه إلى رياسة الجمهورية ، والواقع أن نشأته وارتقاءه إلى رياسة الجمهورية استغرقت من هذا الكتاب الذي يقع في خمسين وثلثمائة صفحة كبيرة نحو ثلثيه ، فقد تحدثت حديثاً طويلا عن حياته وهو صبي في الغابة ، ثم وصفت أخلاقه شاباً يعمل في حانوت ، وقد خرج من الغابة ، ويعمل في البريد ، وفي تخطيط الأرض ، ثم انتقلت إلى اشتغاله بالمحاماة ، وإلى تدخله في السياسة ، واختياره عضواً في الكونجرس ، وما زلت أتتبع في تفصيل ارتقاءه في المحاماة والسياسة ، واهتمامه بمسألة الرق ، وردوده على خصومه ، وما كان من الأحوال السياسية المحيطة به ليفهم سيرته حق الفهم من لا يلم بتاريخ الولايات المتحدة ، حتى بلغت ترشيحه للرياسة ، فبينت في إسهاب كيف رشح ، ومن نافسه ، وما قيمة منافسيه ، ثم شرحت المعركة الانتخابية في استيعاب لا أذكر له نظيراً في كتاب واحد مما قرأت ، وأخيراً بلغت بسيرته ارتقاءه للرياسة ، وأعتقد أني وضحت ذلك جميعاً مع جهلي بتاريخ أسلافه ، ذلك الجهل الذي لم تكن لي ولا لغيري فيه حيلة ...

وثمة مسألة أخرى أخاصم ناقدي الكبير فيها خصاماً شديداً ، وهي أنه ذكر عن كتابي أنه « ليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التي ساقته إلى رياسة الجمهورية » ؛ وليسمح لي الأستاذ الكبير أن أقول له — وهو العليم الذي لا يُعلَّم — أن المصادفات إذا كان لها شأن في حياة بعض العظماء ، فإن لنكولن أحد من تخلو حياتهم من المصادفات خلواً تاماً . ولعله أوضح مثل في هذا الصدد ، وإلا فأي عصامية أقوى من عصاميته ؟ وما عمل المصادفات في حياة نجار ابن نجار شق طريقه في الحياة كما كان يشق طريقه بين أحراج الغابة ، فقيراً لا جاه له ولا نسب يعتمد عليه ، ومازال يتكئ على نفسه حتى أصبح رئيس الولايات المتحدة ؟ كلا ، ليس للمصادفات دخل في حياة لنكولن ، بل لقد كانت تعترض له أشد الصعاب ، وقد كان يخفق مرات فيما يسعى إليه ولقد نافسه في حزبه خصوم شداد ، وكاد يتغلب عليه سيوارد أقوى خصومه ، فيظفر بأغلبية المؤتمرين من الحزب الجمهوري الذين أرادوا ترشيح رجل من الحزب للرياسة ؛ ولقد كان هو ينتظر الفشل ويتحدث به إلى هرندن ؛ وإذا كانت المسألة مسألة اختيار يقوم على الموازنة والخصومة ، فأي دخل في ذلك للمصادفة التي تقوم على الحظ ؟ ذلك — كما أسلفت — ما أخاصم فيه ناقدي الفاضل ، وكنت أحب أن يضرب مثلا لأثر المصادفة في حياة لنكولن . والحق أني حرت في قوله « وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية ، لأنه لم ينجح قط في انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة في اللحظة الأخيرة أكبر الأثر في

هذا النجاح » . ولكم يسرنى ويسر قراء الأستاذ الكبير أن يضرب لنا بعض الأمثلة لما يذكر .

وذكر الأستاذ الفاضل عن الكتاب قوله : « وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه » ؛ والحق أنها جريمة غير محددة الدوافع أشبه بجريمة أبى لؤلؤة فى ضيق نطاقها المعلوم . وأما بطل الجريمة فلم يذكر شيئاً ، ولم يصل القصاص فيها إلا إلى ثلاثة أشخاص من شركائه ؛ وخير ما يقال عن ذلك القاتل ما ذكره الأستاذ العقاد نفسه حين يقول : « وجملة ما يقال عنه أنه ممثل فاشل أراد أن يعوض فشله فى أدواره المسرحية بهذا الدور من أدوار المغامرات المعهودة فى تاريخ البلاد الأمريكية ، ولولا عوارض شخصية فى طبيعة هذا المفتون لما وقع الحادث على الإطلاق » ... وأظن أنه لا محل بعد هذا لأن يؤخذ على الكتاب أن « ليس فيه تعليق على مقتله ولا عن المتآمرين عليه » فضلا عما أوجبه الأستاذ من اهتمام خاص بحقائق مصرعه فيما أوجب من أمور ذكر أن العبرة من تاريخه لا تتم إلا بها .

بقيت مسألة واحدة ، وهى أن الأستاذ الجليل يرى أنى — كما يبدو لأول وهلة من كتابى — موفق فى تحقيق معلوماتى ووزن أبطالى ، إلا أنى حين أحتاج إلى الميزان المشترك بين أبطال متعددين أضطرب فى الميزان بعض الاضطراب ، وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكنى لا أستطيع الجزم بصحته كما لا أستطيع الجزم بنفيه ؛ وذلك لأنى لست أذكر أنى عنيت بالميزان المشترك ، فقد كنت أصف كل شخص وحده ، ولم أصدر حكما على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره ، ولهذا لم تتضح فى ذهنى عبارة الأستاذ الناقد : « ومن أمثلة ذلك فى تاريخ لنكولن أن كلامه عن بطله صحيح ، وأن كلامه عن دوجلاس مزاحمه صحيح ، ولكنه إذا عرض الرجلين على الميزان المشترك لم يبلغ من الدقة ما يبلغه من وزن كل منهما على انفراد » .

وبعد ، فإنى أعود فأقدم للأستاذ الجليل عظيم شكرى على فضله ، وأعبر له عن بالغ سرورى واهتمامى بنقده ، وشديد حرصى على الإفادة من إرشاده ونصحه ، فذلك دأبى معه فى كل ما أقرأ له منذ نشأتى ...

الخفيف

مزامير :

أين راحت ؟

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

— ١ —

« إلى راهبة الضحى السمراء
فى أغلالها الجديدة ... »

لم أكد أسبح فى وادى شذاها
وأذل المطر من عانى ذراها
وأصيد السحر ، لو كانت رباها
ها جمات بين ألفاف الأبد
كل ظل حول جنبيها رصد ..

لم أكد .. والكأس فى كفى صاد
وعلى أغصانها الخمر تنادى
حانة فيها ... وأخرى فى فؤادى
أقبلى ... والكأس كادت تتقد
ومددت الكف .. لكن لم أكد

لم أكد .. والنهر نشوان الضفاف
وخطا الزورق أرست بالمطاف
والهوى ما بين عب وارتشاف
حائر السكرة عات مستبد
وهى بركان توارى فى جسد

لم أكد .. حتى تلفت إليها
فإذا النار صلاة فى يديها
وإذا وعد هفا من حاجبيها
فارقت الكأس إيماناً بغد
وارتقبت الوعد ... لكن لم تعد !!

محمود حسن اسماعيل

الأدب والفن في أسبوع

لماذا خاضت مصر معركة فلسطين ؟

كان هذا عنوان الحديث الذى ألقاه بالإذاعة معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا وزير المواصلات ، ولم يكن هذا الحديث كالذى عهدناه من الوزراء والسياسيين الذين تحكمهم الرسمية والدبلوماسية ، ولم يكن حديث رجل فارق الشباب ، إنما كان حديث « شاب » مصرى عربى ، استشعر مصريته وعروبته ، وواتاه البيان العربى ، فراح يتدفق فى حماس وقوة ، ولم يقف فى الحق عند حد ، بل كان صريحاً جريئاً لاذعاً . حمل على الولايات المتحدة حملة شعواء ، إذ قال : إننا دخلنا الحرب مضطرين بسبب المعاملة الجائرة التى عاملتنا بها هيئة الأمم والولايات المتحدة على الخصوص ، وهى التى كانت فى أثناء الحرب تنادى بالمبادئ السامية ، فأصبحت تزود عن المطامع الصهيونية . وليس هناك ظل من الشك فى أنها ضغطت على الدول لتحصل على أغلبية تقول بالتقسيم ، وقد اعترف ممثلو تلك الدول بذلك وأعلنوه . وندد معاليه بموقف الرئيس ترومان قائلا : إن موقفه يدعو للعجب والدهشة ، فهو فى سبيل عدد ضئيل من الصهيونيين لا يبلغ نصف مليون من المشردين والأفاقين والمرتزقين من حثالة الشعوب لفظتهم بلادهم فانهالوا على فلسطين من كل فج لا على أساس من الجنسية أو اللغة أو أى مقوم من مقومات الشعوب ، بل على أساس الدين وحده — فى سبيل هذه الحثالة يمزق الرئيس ترومان ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ويعبث بالمبادئ التى أعلنها العالم بأسره ممثلا فى تلك الهيئة من احترام الحريات وحقوق الشعوب والمساواة بين الأمم؛ ومن أجل هذه الحثالة الشريرة الحتالة يقف الرئيس ترومان إلى جانب وزمان زعيم الصهيونية ، فينزله فى البيت الأبيض ، ويحمله على الظهور بجانبه فى صورة فوتغرافية وهو يقبل منه التوراة هدية ، وفى صورة أخرى وهو إلى جانبه يحتضن شارة العصابة الصهيونية متلفعاً بها نخوراً رغم أنف العدالة الدولية . من أجل هذه الحثالة يعرض بلاده لعداوة ثلثمائة مليون من المسلمين فى أنحاء الأرض — الرئيس ترومان المحب الواله والصب المدنف والمغرم المدله الشغوف بالصهيونية !

ثم قال معاليه : دخلت مصر الحرب مكرهة ، لأنها لم تجد عدلا لدى هيئة الأمم ، فاعتقدت أن العدل لن يكون إلا إذا دعمه السلاح . دخلت مصر الحرب دفاعاً عن فلسطين وعن نفسها ، فإن قيام دولة صهيونية تتاخمها فيه القضاء عليها من كل وجهة ، وقد اكتشفنا بعد التوغل فى فلسطين أننا كنا نعيش على فوهة بركان ، لأن استعداد الصهيونيين بمصر ، وضبط العدد الهائل من الجهازات اللاسلكية والمدافع والبنادق والخرط الدقيقة وقوائم الاكتتابات ، مما يدعو للأسف والدهشة ويضعف حجتى فى إقناع الكثيرين بوجوب التفرقة بين اليهود والصهيونيين . دخلت مصر الحرب — كما قال صديقنا فوزى بك فى مجلس الأمن — لأن النار اشتعلت فى دار جارنا ، فوجب علينا أن نطفئها . وكان من حقه أن يقول بأن النار اشتعلت فى بيتنا ، لأننا والجار نسكن بيتاً واحداً . دخلناها تضامناً مع البلاد العربية الشقيقة المحبوبة ، التى عاهدناها على أن نكون يداً واحدة ، إذا هددنا خطر وقفنا ندافع عن حياتنا ونذب عن كياننا ، والعالم بأسره يتطلع إلينا ، فلا يحسبنا بعد الآن كمية مهملة ورقى لا يساوى قلامة ! !

العالم يطل على مصر

يتحدث الأستاذ محمد رفعت بك فى الإذاعة عن شئون عالمية تتصل بمصر، وكان يسمى سلسلة أحاديثه « مصر تطل على العالم » فلما شغلت مصر بال العالم منذ دخلت جيوشها فلسطين للقضاء على الصهيونية ، أطلق على تلك الأحاديث « العالم يطل على مصر » وفى هذا الأسبوع تحدث عن المسألة الفلسطينية فتناول عدة نقط هامة ، منها أن الغرب لما هاله انتصار الشرق ، أراد أن يقاومه بالدبلوماسية ، فلجأ إلى مسألة الهدنة ، وهو ليس مخلصاً فى ذلك وإنما يريد أن يحمي الصهيونية من بطش العرب ، فى الوقت الذى يغض فيه عن أعمال الهولنديين بأندونسيا ، وهو ينتصر للعصابات الإرهابية فى فلسطين فى الوقت الذى يساعد فيه على العصابات الشيوعية فى اليونان . وقال الأستاذ : إن ما كان مجلس الأمن قرره من وقف القتال بأندونسيا لم يحسم الموقف هناك بل صارت الحال أسوأ مما كانت لاستمرار حرب العصابات ، مما يدل على أن القتال لا ينتهي بوقف الحرب بين الجيوش

النظامية ما دامت أسبابها قائمة .

ومن النقط التى تناولهـا رفعت بك ، أن العرب حينما يستجيبون لطلب الهدنة إنما يستجيبون لنداء الإنسانية والشرف الدولى ؛ ولا يفيدهم وقف القتال ما دامت شروط الهدنة تنص على احتفاظهم بمراكزهم ، لأنهم قابضون على معظم المراكز الهامة فى فلسطين وخاصة أنهم الآن يطوقون تل أبيب وكر الصهيونيين ومقر حكومتهم المزعومة . وقال إن اليهود إن أخلوا بشرط من شروط الهدنة فللعرب أن يستأنفوا القتال كما تنص على ذلك القوانين الدولية .

أعمال المجمع اللغوى :

أرسل مجمع فؤاد الأول للغة العربية إلى إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف ، بياناً شاملا بمثابة تعريف بالمجمع بناء على طلب الإدارة لتضمينه السجل الثقافى لسنة ١٩٤٨ الذى تعمـل الآن فى إعداده .

ومما تضمنه ذلك البيان موجز عن أعمال المجمع منذ إنشائه إلى الآن ، ونوجز هذا الموجز فيما يلى :

١ — اتخذ المجمع طائفة من القرارات العلمية واللغوية فى قياسية الصيغ والتعريب والاشتقاق والتضمين ونحو ذلك ، لتوسيع آفاق العربية والعون على أداء الأغراض العلمية والفنيـة التى جاءت بها الحضارة الحديثة .

٢ — وجه المجمع أكبر همه إلى المصطلحات العلمية والفنية ولا سيما ما يدخل فى التعليم الثانوى ، فاستخرج طوائف منها فى علوم الأحياء والرياضة والطبيعة والموسيقى والطباعة والتصوير والـكهرباء واللاسلـكى وتاريخ القرون الوسطى والمغنطيسية وغير ذلك ، وتبلغ هذه المصطلحات نحوا من عشرة آلاف مصطلح ، وقد دخل كثير منها فى كتب التعليم وفى قوانين بعض الأمم العربية والثقافة العامة .

٣ — وضع المجمع نظاما ناجحة لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، حتى يزول الاضطراب فى كتابتها أو النطق بها ، واستحدث رقوما وعلامات تلحق بالحروف العربية لتمكن النطق بالعلم الأجنبى على وجه الدقة ، وأصدر قائمة بأعلام بلاد السودان والحبشة والصومال وشمال إفريقية وغرب آسيا على وجهها الصحيح

٤ — عنى المجمع بمشكلة الكتابة العربية قصداً إلى وضع نظام يكفل أن تؤدى الحروف إلى نطق الكلمة نطقاً سديداً ، وقد أرصد جائزة مقدارها ألف جنيه لمن يقدم له أحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية ، وقد تلقى المجمع فى هذه المسابقة أكثر من مائتى مقترح ، وما تزال قيد النظر .

٥ — عنى المجمع بمشكلة القواعد ومناهجها فى التعليم رغبة فى التيسير على الناشئين ، وقد درس مشروعاً لهـذا التيسير على أساس المشروع الذى وضعته لجنة ألفتها وزارة المعارف من قبل لهـذا الغرض ، وبعثت به إلى وزارة المعارف لوضع كتاب على أساسه ، وفى هـذا العام قرر المجمع أن تضع لجنة فنية هذا الـكتاب .

٦ — قرر المجمع تأليف معجم لغوى لأوساط المثقفين يجرى فى ترتيبه وتنسيقه على أحدث الأساليب المصرية ، على أن يتضمن إلى الألفاظ العربية أشهر الـكلمات المستحدثة ، وتوضح أعلام الحيوان والنبات بالصور والرسم ، وقد أنجز معظم هذا المعجم .

٧ — قرر المجمع الشروع فى وضع المعجم اللغوى الـكبير الحاوى لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها مع التوسع فى اختلاف المعانى وأصول الـكلمات .

٨ — قرر المجمع أن يؤلف معجما لألفاظ القرآن يراد به أن يعين المثقفين على أن يتزودوا من ألفاظ القرآن الـكريم وتعابيره .

٩ — يقوم المجمع بالإجابة عما توجهه إليه شتى المصالح الحـكومية وطوائف العلماء والمؤلفين ، لترجمة ما يحتاجون إليه من المصطلحات وما يرغبون فى تصحيحه من الألفاظ .

١٠ — قرر المجمع طبع معجم الدكتور فيشر أحد أعضائه ، وهو معجم لغوى تاريخى يعتمد على النصوص الأدبية القديمة ، وقد توقف العمل فى هـذا المعجم لانقطاع الدكتور فيشر عن مصر بسبب الحرب .

١١ — قرر المجمع جمع ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة قصداً إلى العمل على التقريب بين الفصحى وبين لغة الحياة الاجتماعية .

١٢ — عنى المجمع بتشجيع الإنتاج الأدبى الحديث ، وذلك بعقد مسابقات أرصد لها ثمانمائة جنيه سنويا فى ميزانية المجمع .

١٣ — نشر المجمع أربعة أجزاء من مجلته ، وقريباً يصدر العـدد الخامس من المجلة مشتملا على القسم الرسمى فى الدورات التى لم تتضمنها الأعداد السابقة

تعدد المجامع فى البلاد العربية :

ومما تضمنه البيان السابق أغراض المجمع ، وأهمها أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر .

وقد أتيت فى عدد مضى من الرسالة على أغراض المجمع العلمى العراقى الذى أنشىء فى أوائل هذا العام ، وأهم أغراض هذا المجمع المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة . وفى سورية ، من زمن المجمع العلمى العربى ، وهو يتفق مع مجمعى مصر والعراق فى الغاية التى يعمل لها ، فالثلاثة مجامع لغوية عربية أهم ما تعنى به سلامة اللغة ومسايرتها للحياة العصرية ، وهذا يقتضى بطبيعة الحال وضع ألفاظ ومصطلحات ، وقد يضع أحدها لفظاً لشىء غير الذى يضعه الآخر لنفس الشىء ، بل لا بد أن يحدث هذا .

ونتيجة ذلك اختلاف البلاد العربية ذات اللغة الواحدة فى بعض كلمات هذه اللغة ومصطلحاتها ، بل إن هذا الاختلاف واقع فعلا فلم لا تتجمع هذه المجامع فى مجمع واحد تكون له صفة « العالمية العربية » ويكون من عمله توحيد ما تختلف فيه البلاد العربية من أسماء لمسميات حديثة ، وتوحيد المنهج فى العمل لتحقيق الأغراض اللغوية والأدبية والثقافية التى تتصل بمهمة هذه المجامع ويكون المجمع المنشود فوق كل ذلك صرحاً من صروح الوحدة العربية التى أصبحت حقيقة واقعة . وبدل أن يكون كل مجمع من المجامع الحالية مرتبطاً بحكومته المحلية ، يصبح المجمع الموحد مرتبطاً بجامعة الدول العربية .

هدف لغوى :

فى إحدى ليالى هذا الأسبوع سمعت متحدثاً بالمذياع أثار انتباهى بطريقة إلقائه ، والعناية بإعراب الكلمات ، وإخراج الحروف من مخارجها ، ومراعاة قواعد الوقف والوصل ، وتعطيش الجيم ، وما إلى ذلك . ولم يكن الحديث فى اللغة ولا فى الأدب ، فالإذاعة لا تذيع فى اللغة ، والأدب فيها قليل . . على أن أحاديث الأدب لا تظفر بمثل هذه العناية التى يبذلها محدثنا ، وإنما كان الحديث فى السياسة ، ولهذا كان انتباهى وعجبى .

وقد زاد هذا العجب عندما انتهى المتحدث وقال المذيع : سمعتم الدكتور فلان بك . لأن الرجل ليس من أهل ذلك . . ولم يعهده أحد من قبل على مثل هذه الحال من إخراج القاف من أقصى الحلق ، وقضم همزة الوصل ، وملء الشدقين باللفظ ، وتنغيم حرف اللين الأخير . .

ومن قبل ذلك سمعت الرجل بأحد النوادى يلقى محاضرة يخيل إلى أنه اختار عنوانها كلمة معينة ، ليذكر جهاده فى أنه أول من اهتدى إلى استعمالها فى مدلولها الحديث ، ولكن أسلوبه فى هذه المحاضرة كان على عهده الأول ، ولم يكن قد بلغ هذا الطور الذى بدا فى إذاعته الأخيرة .

قل لى هكذا ! كدت أصيح بهذه الكلمة عندما سمعت اسم صاحبنا يتردد فى أثناء الحديث عن شغل الكرسى الذى خلا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية بوفاة أنطون الجميل باشا .

ومن أعمال المجمع ذات الأثر الحميد أنه قرر تأجيل شغل هذا الكرسى متجهة نيته إلى شغله فى العام القادم . وأثر هذا القرار المفيد ظاهر فى صالح اللغة العربية كما رأيت على لسان المتحدث الفاضل ، ومن يدرى فقد ينهج آخرون مثل هذا النهج القويم ، ولا شك أن استمرارهم عليه عاماً يكسبهم قدرة على الفصاحة ويعيد إلى الدقة اللغوية اعتبارها لدى بعض « المتقدمين »

من طرف المجالس :

كان بيد أحد الجالسين مطبوع صغير كتب عليه « ملحمة » وهو نشيد طويل قدمه صاحبه إلى جامعة الدول العربية ليكون « نشيد العروبة » وقدم له بتقاريظ من بعض الكبراء والزعماء

ودار الحديث حول انتقاد هذا الصنيع وهو إقحام الكبراء فى الحكم على الشئون الأدبية والفنية .

ثم أقبل أحد الأصحاب وأخذ مجلسه ، فقال لمن بيده « الملحمة » :

— ما هذا ؟

— نابلسى فاروق . . .

العباس



من خدع المستعمرين :

(مقدمة إلى المجاهدين من شمال أفريقة)

بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٦٥ أرسل نابليون الثالث ملك فرنسة إلى مسلمى الجزائر بعهد ننشره تبياناً لمقدمات الاستعمار ، وخدع المستعمرين المختلفة :

السلطنة الفرنسية — إعلان من حضرة الامبراطور سلطان الفرنسيين إلى جميع المسلمين فى المملكة الجزائرية : إن الدولة الفرنسية لما وضعت قدمها فى وطن الجزائر منذ ٣٥ سنة لم يكن مرادها تمزيق شمل سكان الوطن المذكور ، بل المراد خلاصه من الظلم المترادف عليه منذ أحقاب . وقد جاءتكم بحكم أعدل وأبلغ رشداً مما كانت عليه القوانين التركية التى خلفناها . ومع ذلك فإنكم فى السنين الأولى من الاستيلاء وقع لكم قلق واضطراب لرؤيتكم أمة أجنبية تتصرف فيكم ، فلذلك قاتلتم من خلصكم من الظلم . ومعاذ الله أن نظن أن ما صدر منكم يومئذ كان ذنباً يوجب الملام ، بل نجل ما جبلتم عليه من الخصال الحربية التى حملتكم على رفع السلاح فى وجوهنا ، وأنتم منتظرون قبل الإذعان لنا إجراء حكم الله .

ولكن قد نفذ حكمه بما أراد فليس إلا الرضا بما قدرته الحكمة الإلهية التى تبلغ المرء إلى الخير فى الغالب وتضطره أحياناً إلى عدم نيل مراده وخيبة قصده وعكس اجتهاده .

ومثل ما وقع بكم حل بأسلافنا منذ عشرين قرناً فقد هجمت عليهم أمة أجنبية ، فلم يخضعوا لها وقابلوها مكافحين ثم هزموا . ومن يومئذ تحولت حالهم إلى أحسن منها ، وهو مبدأ تاريخ رقيهم ، وإن (الغول) أسلافنا لما انهزموا تخلقوا بخلق الرومانيين المنتصرين عليهم . وبالاتصال الدائم ، مع اختلاف فضائلهم وعاداتهم تولدت منهم على مرور الأزمنة هذه الأمة الفرنسية التى وفق الله لها وقتا لتنشر فى الدنيا ما ألهمها الله من محاسنها .

ومن يدرى ! لعل العرب فى يوم آت يجدون مساعدة وعونا على الاستقلال فى بلادهم ، كما كانوا قبل فى القرون الماضية مسيطرين على بعض سواحل البحر الأبيض المتوسط ولكن لا يكون ذلك إلا بعد صلاح أحوالهم واختلاطهم بالأمة الفرنسية .

فارضوا أيها العرب بما حكم الله به ، وقد قال تعالى (تؤتى الملك من تشاء) وحيث أقدرنى الله على هذا الملك بقدرته ، أريد أن أصرف أموركم بما يؤمن مصالحكم وخيركم ، وقد قررت لكم ملكية الأرض التى كنتم تستغلونها تقريراً قاطعاً مستمراً ، وأجللت مقام كبرائكم مع احترام دينكم ، ورغبتى أن أزيد فى رفاهيتكم وأن أشرككم فى حكم الوطن ، أكثر مما أنتم عليه الآن ، كما أرغب فى مساهمتكم فى أنواع خيرات التمدن . لكن ذلك مقرون بشرط طاعتكم واحترامكم لمن ينوب عنى فى الحكم وأخبروا إخوانكم المغرورين بأن استمرار سعيهم بعدم الطاعة سيعود بالخسران عليهم ، فالمليونان من العرب لا يقدرون على معاندة أربعين مليونا من الفرنسيين . وحيث تحققتم بأنى سلطان عليكم فاعلموا أنى محام لكم ، وأن كل من عاش طائعاً فى ظل حكمنا فله حق المساواة ، واذكروا أنكم منتسبون إلينا إذ كنتم منذ عشرة أعوام أحرزتم نصراً مع جنودنا ، ووقف أولادكم إلى جنب أبنائنا فى المعارك التى وقعت فى القرم وإيطالية والصين والمكسيك ، ولا تنحل الرابطة التى تقع فى ساحات الحرب . وقد رأيتم قوتنا وما نفعله بعدونا عند عدوانه ، وما نبذله من مودتنا حين توده . فاعتمدوا معشر العرب على الدولة الفرنسية لأن شؤونكم وشؤونها متحدة ، ومن يهدى الله فهو المهتد ، كما فى القرآن .

انتهى من (جريدة المؤيد) بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩١١ .

من شئون الحرب فى الإسلام :

وفى حصار العرب لدمشق ولد للبطريق الذى على دمشق ولد فدعا قومه فأكلوا وشربوا وتركوا مواقفهم الحربية ، ولم يعلم سوى خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا تخفى عليه من أمور الروم خافية ، وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلم ، فلما أمسى ذلك اليوم

نهض مع بعض رجاله وقال للجند : إذا سمعتم تكبيراً على السور فاصمدوا إلينا واقصدوا الباب . فلما وصل مع رجاله إلى السور ألقوا الحبال فصعد عليها الرجال ، وكان المكان الذى صعدوا إليه أحصن موضع بدمشق وأكثره ماء ، ثم استوى على دمشق .

***

وفى وقعة أجنادين بعث قائد الروم من يأتيه بأخبار المسلمين ، فلما عاد قال (بالليل رهبان ، وفى النهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ، ولو زنى رجم ، لإقامة الحق فيهم) فقال القائد إن كنت صدقتنى لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها .

***

وفى فتح القادسية ظل رستم قائد الفرس مدة يعرض على قومه مصالحة المسلمين فلم يقبلوا ، فنصب سريره ورتب جنده ، وجعل أمامه الفيلة ، كما أن يزدجرد وضع جنداً بين المدائن والقادسية لتأتيه بالأخبار . أما سعد بن أبى وقاص فقد كان به دماميل لا يستطيع الجلوس بسببها ، فاختص قصراً له ثم عبأ الجند وحثهم على القتال . ثم التحم الجيشان ، وارتجز الشعراء ، فاشتد عواء الفيلة وأجفالها ، ثم انكسر الفرس وأسر هرمز من ملوكهم ، ووقعت الصناديق عن الفيلة ، وكانت سبعين فيلا وهلك من عليها ، ثم أعادوها فى ثالث يوم فدحروا أيضاً . ثم هبت ريح قلبت سرير رستم فقام يستظل ببغل فضربه هلال بن علقمة فقتله ، وطيف برأسه ، فتفرق الفرس وأخذ العرب رايتهم الكبرى ، وكان عدد قتلى العرب فى هذه الوقعة نحو ثمانية آلاف ، وعدد قتلى الفرس زهاء ثلاثين ألفا . وبسببها سقطت بلاد العراق فى يد العرب حياهم الله .

الطلاق الثلاث بلفظ واحد :

فى ص ٥٧١ من عدد « الرسالة » ٦٧٦ (لقد كان الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر ، وفى صدر خلافة عمر ، ولكن الناس خالفوا ذلك فأوقعوه ثلاثا فأمضاه عمر عليهم عقوبة لهم ، وأخذ الأئمة الأربعة بحكم عمر فى ذلك) ...

وفى سنن البيهقى وعند الطبرانى وغيرهم بأسانيدهم : كانت عائشة بنت الفضل عند الحسن بن على ، فلما بويع بالخلافة هنأته ، فقال الحسن : أتظهرين الشماتة بأمير المؤمنين ، وأنت طالق ثلاثا — ومتعها بعشرة آلاف — ثم قال لولا أنى سمعت جدى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أو سمعت أبى يحدث عن جدى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا عند الأقراء أو طلقها ثلاثا مبهمة لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، لراجعتها وإسناده صحيح .

ومن الدليل على وقوع الثلاث بلفظ واحد فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام حديث الملاعنة المخرج فى صحيح البخارى ، حيث قال عويمر العجلانى فى مجلس الملاعنة : كذبت عليها إن أمسكتها يا رسول الله ، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره النبى عليه الصلاة والسلام ، ولم يرد فى رواية ما أنه عليه الصلاة والسلام أنكر عليه ذلك ، فدل على وقوع الثلاث مجموعة ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليدع الناس يفهمون وقوع الثلاث بلفظ واحد لو لم يكن هذا الفهم صحيحاً . قال ابن حزم : لولا وقوع الثلاث مجموعة لأنكر ذلك عليه . وفهم البخارى أيضاً من هذا الحديث ما فهمته الأمة جماء من الوقوع حيث ساق هذا الحديث فى صحيحه فى (باب من أجاز طلاق الثلاث) .

وفى المجموع الفقهى عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليهم السلام أن رجلا من قريش طلق امرأته مائة تطليقة فأخبر بذلك النبى عليه الصلاة والسلام فقال بانت منه بثلاث وسبع وتسعون معصبة فى عنقه . وبمعناه أحاديث فى (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٤ ص ٣٣٨) ، ومن حديث ابن عمر قال أرأيت لو طلقتها ثلاثا أكان لى أن أراجعها فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لا ، كانت تبين ...

وأما حديث ابن عباس (كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ...) الذى أخرجه مسلم فى صحيحه . فقد رده النقاد لعلل كثيرة ، منها :

١ — مخالفته لمذهب راويه ابن عباس فقد ثبت عنه أنه يرى أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثا . روى ذلك عنه عطاء



حديث البرد أو البرداء :

قرأت من أسابيع حديث الدكتور زكى مبارك الأسبوعى فى صفحة جريدة « البلاغ » الأدبية ، فوجدته يفتتح الحديث بالبرد وخوفه منه ، وشدة هلعه من آثاره فى جسمه ، ثم ختم الحديث — حديث البرد — بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى البرد : اتقوا البرد ، فإنه قتل أخاكم أبا الدرداء .

ويغلب على الظن — بل أكاد أكون جازماً — أن تلك القولة إنما هى سجعة سجع بها بعض المتفاصحين فإن أبا الدرداء — واسمه عويمر بن مالك الأنصارى الخزرجي — لم يمت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبر الرسول عن وفاته بسبب البرد أو غير البرد من أسباب الموت المتعددة ، بل عاش إلى ما بعد ذلك بأمد طويل ، فقد عاش إلى سنة ٣٢ من الهجرة حيث توفى فى الشام وقد ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبى الدرداء هذا عويمر حكيم أمتى . وفى حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الفارس عويمر . وكان أبو الدرداء رضى الله عنه تاجراً من كبار تجار المدينة قبل الإسلام ، وصار بعد أن أسلم من نساك الفرسان ، وشجعان النساك . عليه رضوان الله .

(حلوان) **برهان الدين الداغستانى**

١ — طريق الهجرة النبوية :

كنت استدركت على الأستاذ الحصانى بعض مواضع مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، معتمداً على (عيون الأثر فى فنون المغازى والسير) لابن سيد الناس — طبعة مصر — و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمى) — طبعة مصر — مما لم يذكره الأستاذ محمود الحصانى فى (خريطة الهجرة النبوية) وقد زارنى عالم أديب نجدى فاطلع على هذه الخريطة وعلق عليها

وعمرو بن دينار ومالك بن الحارث ومحمد بن إياس والنعمان بن أبى عياش وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم ، بل طاوس نفسه راوى الحديث السابق عنه .

٢ — انفراد طاوس بروايته ، وإنه لم يتابع عليه ، وقال القاضى اسماعيل فى أحكام القرآن وقال غيره أيضاً : طاوس يروى أشياء منكرة منها هذا الحديث ...

٣ — وجود انقطاع فى الحديث ، وفى صحيح مسلم بعض أحاديث منقطعة .

٤ — إن أبا الصهباء أحد رواته إن كان مولى ابن عباس فهو ضعيف على ما ذكره النسائى ، وإن كان غيره فهو مجهول .

٥ — إن فى بعض طرقه (هات من هناتك) وجل قدر ابن عباس عن أن يواجهه أحد من الصحابة فى طبقته فضلاً عن مولاه بمثل هذا الخطاب ، وعلى تقدير إجابته يكون الجواب من هناته المردودة باعترافه ، وقد اشتهر حكم رخص ابن عباس عند السلف والخلف .

٦ — استحالة خروج عمر رضى الله عنه على الشرع بالرأى ، وسكوت الصحابة على ذلك .

٧ — حديث ركانة الذى بمعنى هذا الخبر ، هو حديث منكر على مايقول الجصاص وابن عبد البر وابن الهمام والحافظ ابن حجر ، وأعله البخارى بالاضطراب ...

٨ — حديث ابن عباس لفظه محتمل ، وعند الاحتمال يسقط الاستدلال .

هذه كلمة موجزة استخلصتها من (الاشفاق على أحكام الطلاق) و (ذيول تذكرة الحفاظ) و (أحكام القرآن للجصاص) و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى) .

لاظ أوغلى :

كانت الإذاعة المصرية أذاعت كلمة مقتضبة عن هذا الرجل ، فأزيد عليها بأن معنى اسمه (ابن لاظ) وهى قبيلة قوقازية على ساحل البحر الأسود ، وهى فرع من الجركس . وكان سلاحدار خسروباشا والى مصر قبل محمد على باشا ، ثم تولى فى عهد محمد على باشا الكتخدائية (وزارة الداخلية) بعد إقالة طوبوز أوغلى .

محمد أسامة عليبة

بما يأتى — وأهل مكة أدرى بشعابها — :

١ — منازل ثقيف هى فى الطائف وما حوله ، وليست لهم منازل فى شمال خيبر .

٢ — الرجيع من منازل هذيل بقرب مكة ، لا فى شمال المدينة.

٣ — بعاث بالثاء المثلثة ، لا بالتاء المثناة .

٤ — بواط بدون أل التعريفية ، على ما فى (عيون الأثر) ومعجمات اللغة .

٥ — العشيرة هى من قرى ينبع النخل وبقربها ، لا على الساحل.

٦ — العيص هى قرية تابعة لينبع ، وليست على الساحل .

٧ — بئر معاوية صوابها (بئر معونة) فى أرض بنى عامر .

٨ — بنو زبيد مسا كنهم رابغ وما يجاورها ، ولم يكونوا هنا فى عهد الهجرة بل كانوا باليمن .

٩ — غران بالنون ، لا بالراء .

١٠ — وادى حنين يقع بين نخلة ومكة ، لا فى شرق نخلة .

١١ — عكاظ هو فى الجنوب الشرقى من الطائف ، لا فى الشمال الغربى منها .

١٢ — كرا الواقع بين الطائف وعرفات هو بالراء لا بالدال ، وهو جبل عظيم ، وأما (كدا) فهى ثنية بمكة ، وتسمى الآن (ريع الحجون) .

١٣ — الوتير هو بالتاء المثناة ، لا بالثاء المثلثة .

١٤ — نخلة ليست موضعاً واحداً ، بل هما واديان عظيمان بقرب مكة ، أحدهما وادى نخلة اليمانية ، والآخر وادى نخلة الشامية ويجتمعان فيكونا وادياً يسمى مر الظهران ، يصب فى البحر الأحمر ، فى جنوب جدة .

٢ — من أوهام الأقلام :

١ — لكم تداولت أقلام الكتاب « حبذت عمل فلان » يريدون بذلك استحسنت عمله . مع أن أئمة اللغة أمسكوا عن الإقرار بصحته ، إلا صاحب القاموس فقد قال : « لا تحبذنى أى لا تقل لى أنت حبيبى » وقد أثبته تباهياً على الجوهرى فى أن القاموس أغزر مادة من الصحاح ، وقال صاحب التاج : فى زيادة مثله على الصحاح نظر . فلو تسامح أعلام اللغة فى استعماله ما تسامحوا فى جواز دلالته على المعنى الذى استحدثه له بعض كتاب هذا الزمن .

٢ — وأحلوا « المواطن » فى موضع « الوطنى » مع أنه لا يدل على شىء مما يعنون ، فهو اسم فاعل من واطنت فلانا على هذا الأمر إذا أضمرت فى نفسك أن تفعله معه .

٣ — ويستعملون « الحياد » فى عدم الدخول فى الحرب ، مع أنه من اللفظ المهمل عند العرب ، بهذا المعنى فالاعتزال أدل من غيره على التنحى عن الحرب ، قال الحارث بن عباد :

قد تجنبت وائلا كى يفيقوا   وأبت تغلب على اعتزالى

٤ — ويقولون « لبثوا هناك برهة من الزمن » يعنون به وقتاً قصيراً . مع أن البرهة هى الوقت الطويل . وللوقت القصير ألفاظ كثيرة عند العرب ، منها « هنيهة » .

٥ — ويقولون « إخصائى » والصواب « متخصص » وهو المنقطع إلى ممارسة فن واحد يحذقه . لأن الإخصاء هو سل الخصيتين . وقول القاموس : « أخصى تعلم علماً واحداً » خطأ .

٦ — ويقولون « المخابرة — المخابرات » والصواب « المراسلة » لأن المخابرة هى المزارعة على نصيب معين .

انتهى بإيجاز من (المناظرة اللغوية الأدبية بين الأساتيذ : عبد الله البستانى والمغربى والكرملى) المطبوعة بمصر .

محمد أسامة عليبة

حول كلمة (غورى) :

فى نقدى لديوان « طفولة نهد » للشاعر السورى نزار قبانى يقول الأديب الفاضل عثمان موسى معقباً على بعض ما قلت فى نقدى لديوان « طفولة نهد » إننى عبت على كلمة « غورى » فى شعر نزار قبانى ، وهى كلمة صحيحة من غار يغور ، وإن الذى دعانى إلى هذه التخطئة هو أن العامة استعملت هذا الفعل بمعنى قريب جداً من هذا المعنى ... والشىء الذى أود أن أقوله له هو أن الزاوية التى نظرت منها إلى الكلمة بعيدة كل البعد عما ذهب إليه فأنا — مع علمى بأن الكلمة صحيحة — لم أتعرض لها بالتخطئة وإنما تعرضت لها من ناحية تأثيرها فى الصياغة الشعرية ؛ لأن كلمة « غورى » حين ترد فى بيت من الأبيات تحمل القالب الشعرى أقرب إلى النثر منه إلى الشعر .. ولا يعيب المعانى مثل صبها فى قوالب نثرية .

هـذا هو كل ما قصدت إليه ، وعلى الأديب الفاضل أن يرجع إلى ما كتبت ، وأن يراجع بعد ذلك نفسه ! . .

أنور المعداوى

رسالة النقد

على هامش كتاب :

٢ – سعد زغلول من أقضيته

« إلى القانونى الأديب الأستاذ عبده
حسن الزيات تحية شكرى وإعجابى »

للأستاذ عدنان الخطيب

٢ – الغيرة القومية :

فى مصر قضاءان ، كان الأجنبى منها دائرة تحصيل وتشجيع للأجانب على امتصاص أموال البلاد ، والتمادى فى الاستعلاء على أصحابها الشرعيين ، يوم كان (.. يقاد الفلاح الأمى ، ويقاد المصرى الذى يتصبب عرقاً فلا يملك وقار نفسه حين يستطيع أن يقرأ أنباء الوفيات فى صحيفة عربية ، وتقاد الأرمل الغرير ، يقاد هؤلاء ، ويقاد من هو أجهل منهم وأضعف إلى أقلام كتاب المحاكم المختلطة فيمضون أو يبصمون أوراقاً لا يميزون أسفلها من أعلاها ، ولا يجرأون أن يرفعوا عيونهم إلى الموثق العظيم الذى يحررها ، ثم ينصرفون ويقال « عقود رسمية » لا يكلف تنفيذها هذا الدائن المرابى أو المخاتل ، إلا أن يدفعها إلى أقلام المحضرين أو ينزع بها ملكية العقار ، فهى كالحاكم أو أقوى ، هى الحكم الذى ظهر بغير دفاع ، وبغير مستندات ، وبغير معارضة ، وبغير استئناف ، وبغير التماس .

وكان القضاء الأهلى مفخرة يفاخر بها الشرق العربى إذ كان فيه رجال كسعد وإخوانه ، تقرأ أحكامهم فتجد فيها (فقهاً جباراً سليما ، وعقلا قانونياً بالطبع ، لا تختلط عليه شعرة بشعرة) وإذا انتهيت منها انتهيت (إلى نتيجة لا ترضى القانون وحده ، ولكنها ترضى العاطفة الوطنية أيضاً) .

اسمع سعداً يرد على مصرى أحب أن يحتمى بالقضاء الأجنبى صارخاً فى وجهه [لا سلطة لقوانين المحاكم المختلطة إلا على الحقوق المختلطة] ، وهناك أحكام كثيرة إن قرأتها وجدت فيها صورة صادقة عن (جهاد سعد الأول فى مكافحة الامتيازات وتمصير القضاء) ذلك الجهاد الذى أثمر معاهدة مونترو يوم ظفر (تلامذة سعد وأصدقاؤه بتقليم أظافر نظرية الصالح المختلط) والذى نرجو أن ينتهى قريباً بقطع كل يد أجنبية تنقص من استقلالنا ، وفى وجودها اعتداء على حريتنا أو عدم ثقة بعدالتنا ، ونحن يوم كنا فاتحين غالبين ، لم يكن فى الدنيا عدل غير عدلنا .

٣ – النصوص عن العبث :

(فى قواعد الاجراءات مدنية وجنائية ، وفى دفوع الخصوم ، تحكمات كثيرة قد يؤدى تطبيقها تطبيقاً أعمى إلى نتائج غير عادلة ومضحكة أحياناً) ولكنك إذا رأيت قضاء سعد عندما يصطدم بتلك التحكمات رأيته (قضاء جمع بين السلامة والحكمة) وإذا قرأت الأسباب التى يستهل بها أكثر أحكامه قرأت أسباباً (محكمة قوية التدليل ... تنبئ عن التحرر من الشكليات وصون الحق من أن يضحى فى سبيلها إذا أمكن تضحيتها هى بغير خرق للقانون) فاسمع سعداً يقول فى حكم له [إن هذا يعتبر خطأ فى التطبيق . وكان يوجب إلغاء الحكم المطعون فيه لو أنه أضر بالمتهم] أو قوله [إن الخطأ فى تطبيق القانون لا يكون وجهاً للنقض إلا إذا نشأ منه ضرر] لا بل انظر سعداً حين يقرر [أن عدم تبيان تاريخ الحكم المستأنف فى عريضه الاستئناف لا يستلزم بطلانها إلا إذا ترتب عليه عدم تمييزه عما عداه] لتعرف سعداً أى القضاة كان فى سعة أفقه وتحرر فكره ، واستجابته للحق المجرد .

٤ – وضع الأمور فى نصابها وصبر القضاء :

(دقة التمييز بين المتشابهات هى ميزة الفقيه الأولى ، والصبر من ألزم وأجمل ما يتحلى به القاضى الكامل) وقد كرس الأستاذ الزيات هذا الفصل (لبيان مدى تمكن هاتين الصفتين من عقل سعد ومن نفسه) وهو لم يحاول فيه أن يكيل الثناء لسعد كيلا (بالحق وبالباطل ، إنما كان يحاول تحليله) ودراسة آثاره دراسة عميقة تصور للقارىء عظمة سعد فى تفكيره ، وعظمته فى أخلاقه

وأنك إذا قرأت حكما من الأحكام التي نقلها لعجبت أن ترى الدائرة التي أصدرته (لا تهمل في أسبابها أن تؤاخذ ، وتتعب ولا ترى عبثاً أن تسمع إلى المبطل لتقول له بعد ذلك — أو لتقول للناس فهو أدرى بنفسه — بأسباب طويلة مفصلة ، كيف وفيم كان مبطلا) ولوجدت خير شاهد على كل هذا في مثل قول سعد [نعم إن ذلك ربما يفضي إلى ... ولكن عكسه يؤدي إلى ... » ثم «وحيث أنه وإن كان الحكم الصادر في مواجهة أحد الشركاء في حق غير قابل للانقسام لايسري على بقيتهم فإن قطع المدة الخ» ثم « وليس هذا لأن ... بل لأن ...]

إن جميع تلك الأحكام التي صدرت عن دائرة فيها سعد يكفيك النظر إليها لتقر الأستاذ الزيات على أن محررها كان سعداً لاعتبارات عديدة وفي طليعتها (ظاهرة اللوم يوجه إلى دفاع الحكومة وصوت المرشد والمعلم الذي لا يأسف حين تسنح له فرصة تشبع فيه شهوتين : شهوة الإرشاد للاصلاح ، وشهوة الإرشاد للاستعلاء على الضعاف والمهملين)

اقرأ تلك الأحكام ، اقرأها لتعرف معجباً كيف كان (يضع « العلم » ويضع « الفقيه » كل شيء في نصابه) وكيف كان « القاضي » يصبر صبر القاضي العادل الرزين .

٥ — حرية الدفاع وحقوقه :

كان في سعد (حرص القاضي العادل على مظهر العدل ، وحب الخطيب الترافع لسماع المرافعات) وكان لا يعترض صاحب حق أو صاحب دعوى في الدفاع عن موقفه ... ولا يضيق فرص الدفاع أمام شاك أو مشكو) والأستاذ الزيات لا يعني بلفظة « الدفاع » هذه (الترافع عن المتهم فقط ، إنما يعني الدفاع عامة في الميدان المدني والجنائي ، ويعني به هذا المعنى الفني المتخصص الذي يرادف « المحاماة » و « المحامين ») فسعد الذي يقول إن [حفظ النظام الذي من أهم أركانه ألا يحكم انتهائياً على أحد إلا بعد تمكينه من الدفاع عن نفسه] يوجب [أن يكون الدفاع عن المتهم حراً خالياً عن جميع المؤثرات التي تقيد المحامي]

ولكن سعداً إن احترم الدفاع ولم يضيق عليه لم يكن ليتساهل معه إذا تجاوز حقوقه أو أخل (في نظام التخاصم ، أو لم يحفظ للقضاء هيبته) وهو لم يتأخر مرة عن أن يصدر حكما يعرض فيه بمن أخل بالنظام ، إن قرأته رأيت فيه (عصا المؤدب ترتفع ... وهو كاشر عن نابه ، معتد بمقعده العالي ، يغمه السخط على هؤلاء الذين اجترأوا على مقامه ، اجتراء إن لم يبلغ حد الخلاف لأمره ، فقد بلغ حد التصرف بغير إذنه !) بل إنه لا يتأخر أحياناً عن الرد على المحامين وهو (يبيع لهم بضاعتهم ، ويأخذهم بمنطقهم ، ويقيدهم بحبال من صنعهم) ؛ بل هو لم يتأخر مرة أو مرات عن إحالة بعض المحامين إلى مجلس التأديب لأنهم أهملوا واجباتهم ، أو لأنهم استعملوا الخديعة مع خصومهم ؛ وليس هذا بمستغرب من قاض لم يتأخر عن القول [أن الخطة التي جرت الحكومة عليها في هذه الدعوى لا توجب ارتياح القضاء لأعمال مندوبها فيها]

(لا توجب ارتياح القضاء ! وليس هذا بالقليل حين يصدر من القضاء !

وليس هذا بالقليل حين يصدر على الحكومة ! إنه اتهام ! فإدانة ! فعقاب !!)

٦ — الفقه الشرعي :

درس سعد في الأزهر ، فتفقه في الدين ، ثم درس الحقوق وتقلد منصب القضاء ، وأخذ يحكم بين الناس بموجب القوانين المدنية الحديثة ، ولكنه (لم يهمل الإفادة من دراسته الفقهية الأزهرية ؛ بيد أنه لم يتعمد التعالم بها وإقحامها في غير مقحم ، وإنما كان يضعها موضعها حين يكون العرض لها والأخذ منها أمراً لازماً أو شبه لازم) لقد أصدر مرة حكماً يقول فيه [إن المعول عليه في الشريعة الغراء ... هو الموافق للعدل ، إذ لا يجوز لمدين أن يتبرع بمال تعلقت به حقوق الغير]

لقد كتب سعد هذا الحكم وهو بلاشك (مغتبط بما وجد عند الشريعة الإسلامية من رأي معول عليه ، اغتباط القاضي العادل حين يجد النص « الموافق للعدل ») وإذا علم القارىء أن صاحبي سعد في حكمه هذا كانا أجنبيين لا يجد أية صعوبة في (تمييز الولد العظيم لهذا الأثر العظيم)

٧ — القاضي الحافظ :

تكلم الأستاذ الزيات في كتابه كثيراً عن (ثورة المصلح وغيرة العادل ، وتحرره من الاوضاع وتمرده على شكليات القانون والبحث عن الحق أنى ثقفه ، وتوفير العدل من كل طريق) ولكنه أسرع في فصله السابع إلى الكلام عن سعد الحافظ

حتى لا (ترسم للرجل فى الأذهان المتسرعة المشغوفة بالأحكام المطلقة صورة ذات أود لا تصدق التعبير عنه أولا تستوفيه) ونقل لنا أحكاماً من قراءتها نجد سعداً ليس بالمحافظ الجامد ولا بالمجدد المائع ، بل هو القاضى المفكر الذى (يستقصى الحقيقة) وينطق بالحكم الذى يرضى وجدانه ، وليس فى أحكامه (ما يند عن مزاج محافظ ، وليس فيها أيضاً ما يتعارض مع مزاج مجدد) .

وليس أجمل من هذه الفقرة يختم بها الأستاذ الزيات فصله إذ يقول (ويتصل بمعنى المحافظة الروح العائلى الذى يطالعنا فى أكثر من حكم واحد : كره سعد من نظار الوقف أن يتحيفوا حقوق المستحقين ، وأبى على بعض الورثة أن يتملكوا حصص الآخرين بما يزعمون من وضع يد مستطيل ، ثم كره من صغار الأخوة أن يستأدوا كبارهم الريع عما مضى ، ذلك بأنهم حيوا فى أكنافهم ، فليكن الريع فى النفقة ، ولتكن الأسرة وحدة ، ولتظل المحبة أخوة متآخين على سرور متقابلين .

فإذا دخلت الجريمة بين الأخ وأخيه ، أو بين الوالد وبينه ، فالويل للمجرم الأثيم : لن يظفر من رفق سعد وإسماحه بغير (القصاص) الجسيم .

٨ — القاضى الجنائى :

خير كلمة وصف بها الأستاذ الزيات سعداً القاضى الجنائى (هى كلمة « الموزون ») وصفه بها بعد أن نقل كثيراً من أقضيته الجنائية ، وأثبت كيف كان كل واحداً منها (قضاء رفيقاً عادلا موزوناً كما أثبت أن سعداً لم يكن (بالقاضى الذى يجهل أو يهمل وظيفته الاجتماعية ، ولا شك أن القاضى الجنائى الذى يقدر دوره الاجتماعى حق قدره لا يستطيع أن يحمل لوزن العقوبة ميزاناً من نحاس أو حديد ، فميزان هذا شأنه لن يفى مهما يكن مدى انضباطه) انما العدالة (تريد ميزاناً حساساً مستجيباً بلون العقوبة باللون المناسب للمتهم ، ويفردها كما يقول أصحاب علم العقاب) .

كان سعد إذا اقتنع لا يتأخر عن الإدانة أبداً ، ولكنه كان (لا يكتفى بأن يقتنع ، وإنما يرى حقاً عليه للعـــدل والضمير الاجتماعى والمتهم نفسه) أن يقنع كل الناس (بما اقتنع به) ، ومع كل هذا فقد سمح كاتب جلساته لنفســه بأن يقول عنه أنه كان (يبتعد عن الإعدام ، وأنه كان يتهم بأنه ما زال فى قضائه متأثراً بحرفة المحاماة والدفاع عن المتهمين) والحقيقة الناصعة أن أحكام سعد كلها ليس فيها (تضييع لحق الجماعة ، ولا إهدار لمصلحة الفرد والدفاع) ؛ أسمعــه ، وقد تألم من عقوبة حصلت بنتيجة خطأ ، كيف ثار وصرخ (إن العدالة الإنسانية التى وضع القانون لاحترامها تأبى إيلام نفس بعقوبة) تنتج عن خطـأ . لا بل أسمع هذا المبدأ على لسان سعد المشرع [لا يجوز أصـلا أن يلقى الشخص عقابه ويعذب ويتألم ، بينما تكون العدالة لا تزال مشتغلة بشأنه ، باحثة فيما إذا كان مستحقاً لذلك العقاب أم لا)

وصفوة القول أن قاضينا الجنائى (لم يكن بالمتحرج فى تأويل النص المعاقب ، ولا بالمترخص فيه ، ولم يكن الجانح إلى الإدانة ، أو الشغف بالتبرئة ، ولم يصطنع قسوة الحكم كمبدأ ، ولا اختط التسهل طريقة) بل كان القاضى الذى (عرف أن يلين وأن يقسو) أنه كان (القاضى الموزون) .

(البقية فى العدد القادم)

عدنان الخطيب

سكك حديد الحكومة المصرية

قطار اكسبريس (راس البر) بين القاهرة ودمياط

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من ١٠ يونيه سنة ١٩٤٨ ولحين صدور إعلان آخر سيسير قطار اكسبريس (عربة صالون بولمان ودرجة أولى وثانية وثالثة) بين القاهرة ودمياط ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة ٨٠٠ ويصل إلى دمياط فى الساعة ١٢٠٥ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ١٧٠٠ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢١٠٥ أيام الأربعاء والجمعة والأحد .

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبريس عربة بولمان ودرجة ١ ر ٢ ر ٣	
مصر	قيام	٠٠	٨
بنها	»	٤٠	٨
الزقازيق	وصول	٠٩	٩
	قيام	١٤	٩
ههيا	»	٣٢	٩
أبو كبير	»	٤٦	٩
كفر صقر	»	٠٣	١٠
السنبلاوين	»	٢٦	١٠
المنصورة	وصول	٤٨	١٠
	قيام	٥٨	١٠
شربين	»	٢٦	١١
دمياط	وصول	٠٥	١٢

المحطات		٩٤٠ اكسبريس عربة بولمان ودرجة ١ ر ٢ ر ٣	
دمياط	قيام	٠٠	١٧
شربين	»	٤١	١٧
المنصورة	وصول	٠٧	١٨
	قيام	١٥	١٨
السنبلاوين	»	٣٩	١٨
كفر صقر	»	٠٤	١٩
أبو كبير	»	٢٣	١٩
ههيا	»	٣٦	١٩
الزقازيق	وصول	٥٢	١٩
	قيام	٥٧	١٩
بنها	»	٣٠	٢٠
مصر	وصول	٠٥	٢١

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨١ — الاثنين ٢١ يونيو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٠٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 781

Lundi — 21 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٢١ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى النقد التــــاريخى

للأستاذ عباس محمود العقاد

يشيع فى هـذا العصر نقد التاريخ ، لأن أبواب التاريخ على اختلافها قد أصبحت من موضوعات الدراسة الشائعة فى المدارس والجامعات ، وأصبح التعليق عليها من عمل الأساتذة والطلاب والقراء .

وقد لاحظنا أن نقدة التـاريخ عندنا يثبتون وينفون ، ويصوبون ويخطئون ، ويعرضون للروايات والأسانيد بين قبول ورفض ، وبين ترجيح وتوهين ، ولـكن الكثيرين منهم لا يلتفتون إلى الفرق بين صحة الرواية ودلالة الرواية ، وهما شيئان مختلفان ، لأن الرواية الصحيحة قد تكون خلواً من الدلالة فى تاريخ الأمة أو سيرة العظيم ، وقد تكون الرواية الـكاذبة أدل على الأمة أو على العظيم من كل خبر صحيح .

لهذا لا يصح أن يكون عمل الناقد التاريخى مقصوراً على إثبات الصحيح وإسقاط غير الصحيح ؛ لأن الخبر الذى له دلالة نفسية أو دلالة اجتماعية لا يسقط من سجل التاريخ ، وإن كان مقطوعاً بكذبه أو مشكوكا فيه ؛ فإنما المهم — جد المهم — فى التاريخ هو ما يدل عليه .

ولنذ كرمثلاً لذلك ما قيل عن حروب الإمام على رضى الله عنه مع كفرة الجن فى الـكهوف والمغاور ، وماكان من تأليبه الجن المسلمين على الجن الـكافرين فى أيام الدعوة الإسلامية .

فقل فى صحتها ما تشاء . قل إنها كذب محض وتوليف من نسج الخيال ، ولـكنك لا يجوز لك من أجل ذلك أن تلقى بها فى سلة المهملات كما يقولون ، لأنها لا تكون من المهملات وفيها دلالة على شيء كثير ، وفيها بيان للفارق بين « شخصية » على وشخصية غيره من الشجعان فى نظر الناس .

لم لم ترو أمثال هذه المعارك عن خالد بن الوليد ؟ إن خالدا رضى الله عنه كان من أشجع فرسان العرب والإسلام ؛ فليس اعتقاد الشجاعة فى إنسان هو الذى يوحى إلى الخيال أن يتمثله فى تلك الصورة وينسج حوله أشباه تلك الروايات ، ولـكنها الشجاعة وشيء آخر غير الشجاعة ، وهو الإيمان بقدرة غيبية أو بسر من الأسرار الإلهية يملـكه هذا الشجاع ولا يملـكه ذلك الشجاع .

وإذا بلغ من رواية « خيالية » أنها تريك كيف كان بطل من الأبطال فى نظر الناس ، فتلك دلالة نفسية لا تظفر بها فى كثير من صادق الأخبار .

هذه التفرقة بين حجة الرواية ودلالتهـا هى التى نلاحظها فى إيراد بعض الروايات التى نشك فيها أو نقطع بنفيها ، ولكننا لا نسقطها من الحساب عند الـكتابة عن سيرة عظيم من العظماء لأنهـا لا يصح أن تسقط من الحساب وفيها دلالة عليه أو على نظر الناس إليه .

لاحظناها فى سيرة كل عظيم من عظماء العرب الذين كتبنا عنهم ، ولو أننا أسقطناها لفاتنا أن نفهم حقيقة العظيم كما كان ، وأن نفهم حقيقته كما كان فى نظر الناس .

من ذلك فى سيرة عمرو بن العاص أننا أوردنا رواية ابن الكلبى حيث قال : « لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه علجها أن ابعث إلى رجلا من أصحابك أكلمه ففكر عمرو وقال : ما لهذا أحد غيرى ، وخرج حتى دخل على العلج فكلمه ، فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله : فقال العلج : حدثنى ! هل فى أصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ؛ إنى هين عليهم إذ بعثوا بى إليك وعرضونى لما عرضونى له ولا يدرون ما تصنع بى . فأمر له بجائزة وكسوة وبعث إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ماممه . فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه ، فقال : يا عمرو ! قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراده ، ورجع فقال له العلج : ما ردك إلينا ! قال : نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت . أعجل بهم ، وبعث إلى البواب أن خلّ سبيله » .

فهذه القصة تذكر ويقال فيها إنها غير مقطوع بصحتها ، ولكنها تذكر لدلالتها النفسية ودلالتها التاريخية . وكذلك فعلنا حين عقبنا عليها فقلنا « إنها لا تؤخذ على علاتها فى تفصيلاتها ولا يلزم أن تصح أصولها ولا فروعها ، ولكنها تدل - ولو كانت مؤلفة - على أشياء قريبة من الحقيقة ، بل لا بد أن تكون قريبة منها ، لأن صدق الأخبار عامة لا يستقيم ولا ينتظم بغيرها . فن تلك الأشياء شهرة عمرو بالدخول فى أمثال هذه المداخل العويصة التى يجرب فيها حيلته كما يجرب إقدامه . ومنها أن عرب الشام كان فريق منهم على الأقل ينظر إلى الحرب بين الروم والمسلمين نظر العصبية الجنسية على ما بينهم من الفارق فى العقيدة ... الخ »

وهكذا فعلنا فيما رويناه عن فراسة عمر بن الخطاب وملكاته الغيبية واشتهاره بها بين المسلمين . فإن الرواية فى هذا المقام تذكر وتشفع بالتعقيب عليها وبيان حكم العلم والتاريخ فيها ، ثم تؤخذ منها دلالتها على كل فرض من الفروض ، وإن كان بعض هذه الفروض إنها مخترعة أو أنها نقلت مع المبالغة فيها والزيادة عليها .

***

فرق إذن بين الصحة والدلالة فى الروايات التاريخية .

وفرق آخر - شبيه بهذا الفرق - بين أمرين آخرين لا يمطيان حقهما من التفرقة ، وهما النفى وعدم التصديق .

فإذا مر بك خبر مقرر فجزمت بنفيه فأنت المطالب بالدليل .

ولكنك إذا مر بك خبر من الأخبار فلم تصدقه فأنت الذى تطالب الدليل ، وليس عليك أن تقيم دليلا لأنك لم تصدق خبراً تعوزه الأدلة ، بل كل ما عليك أن تذكر أسباب الشك أو أسباب عدم التصديق .

وهذا الذى فعلناه فيما روى عن وأد الفاروق لبنت من بناته ، فإن الرواية ناقصة تبعث الشك ولا تطرد مع سائر الأخبار ، فليس علينا أن نصدقها ولا يقال إذا نحن لم نصدقها إننا مطالبون بدليل أو أننا نفينا كلاما بغير برهان .

ولعلنا نقرب الفرق بين الأمرين بتشبيه عصرى من مسائلنا المعهودة فى الدعاوى اليومية . فكلام المدعى لا يلزمك ما لم يقم دليلا عليه ، ولكن حكم المحكمة يلزمك فلا تنقضه أنت إلا بدليل أقوى من أسبابه التى بنى عليها .

***

ومن الفروق التى نعرض لها فى هذا الصدد ذلك الفرق البعيد بين الحوادث كما تدل عليه فى ذاتها ، وبين الحوادث كما تدل عليه فى تقدير صاحبها الذى تنسب إليه .

ولنضرب لذلك مثلا من حديث مكتبة الاسكندرية .

فإننا أشرنا إليها واتبعناها بالأدلة التى تبرىء الفاروق من تبعة إحراقها ، ثم قلنا إن الفاروق لا يلام على إحراقها لو صح أنه أحرقها وهو غير صحيح ؛ لأنه لا يطالب بعلم الفلسفة اليونانية ولا يتبين صلاح تلك الفلسفة من أحوال أهلها . « فقد كانوا على شر حال من الضعف والفساد والجهل والهزيمة والشقاق والتهالك على سفساف الأمور . فإذا كان عمر غير مطالب بعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها ، وإذا كانت أحوال الأمم التى هى أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ الاعتقاد بخلوها من كل قيمة ، فأين هو العيب فى تفكيره إن صح أنه فكر على

ضربت عليهم الذلة والمسكنة

للأستاذ نقولا الحداد

يدعي اليهود أن الذى حملهم على اختلاق دولة يهودية هو أنهم مضطهَدون فى كل مكان . لأنهم أقلية مسحوقة فى كل مكان . فإذا صار لهم دولة لجأوا إليها فراراً من الظلم والاضطهاد إذا صدق زعمهم هذا فليعتبوا على ربهم لأنه صرّح فى القرآن الشريف أنهم : ضُربتْ عليهمُ الذِّلَّةُ وَالمسكَنةُ . وليسألوا ربهم يهوه رب الجنود لماذا ضربهما عليهم دون سائر البشر .

والله ما هم بمضطهَدين . بل هم مضطهِدون (بفتح الهاء فى الأولى وكسرها فى الثانية) .

كيف يكونون مضطهَدين وقد جمعوا ثروات العالم وبها يتحكمون بالضعفاء والمنكوبين ؟ كيف يكونون مظلومين وهم خمسة ملايين فى الولايات المتحدة الأمريكية يسيطرون على ١٣٠ مليوناً ؟ وكيف يكونون مظلومين ومضطهَدين وهم يحاربون الآن بمائة واثنين وسبعين مليون ريال تصدق عليهم بها الأمريكيون المسيحيون المغفلون بصفة كونها إعانة لمشرديهم فى أوربا ؟ وكيف يكونون مضطهَدين وقد منحتهم إنكلترا المشئوم وعد بلفور وأطلقت يدهم فى فلسطين فلكوا أغنى ما فيها وأعز ؟ وأخيراً جاءت أمريكا ومنحتهم مملكة ودولة فى فلسطين ومنها يسطون أيديهم على جميع أمم الشرق .

ماذا يريد هؤلاء الأذلاء المساكين بعد هذا ؟ أيريدون أن يكونوا أسياد العالم والعالم كله مملكتهم وأن تكون أمم الأرض عبيداً لهم حتى يرضوا عن الله ؟

العالم لا يضطهدهم ولكنه يكره أعمالهم وتصرفاتهم المناقضة للانسانية ، ألا يتساءلون فيما بينهم لماذا يكرههم جميع الأمم ؟ فى كل بلد أقليات فلماذا لا تشتكى هذه الأقليات من الاضطهاد ؟

لماذا لا يعقدون مؤتمراً شاملا من أساطينهم من جميع جهات العالم ليبحثوا سبب بغض العالم لهم فيزيلوا السبب ويعودوا إلى حظيرة الأمم محبوبين مكرمين ككل أمة وشعب ؟

لا أظنهم يجهلون سبب كره العالم لهم . إنهم يعلمون السبب وهو أنهم يكرهون العالم كله ، لأن كل من ليس يهودياً هو فى نظرهم « جوييم » ومعناه فى لغتهم نجس دنس رجس . وهم

هذا المنوال ؟ » .

وقد جاءنا من الطالب النجيب « السيد رشاد هاشم » بمدرسة الزقازيق الثانوية تعقيب يقول فيه : « إن كونهم على شر حال لا يعطى القوة حقاً : إذ لو فرضنا أن عدواً غاضبا هجم علينا ونحن ضعاف بشر حال والقرآن بيننا أيجوزله أن يحرق القرآن ؟ »

وقبل كل شيء نحب أن يذكر الطالب النجيب أن الفاروق لم يحرق كتاب الدين فيضرب المثل هنا بما يقابله وهو القرآن ، وإنما أحرق فيما زعموا أوراقاً لا يعتقدها أصحاب ملة ، وترك الكتب التى يدينون بها وهو يعلم أنها تخالف الإسلام .

ثم نحب أن يذكر أننا لا نعطى القوة حقاً وإنما ندفع عنها لوماً ، وإن مثل الفاروق ومكتبة الاسكندرية كمثل رجل باع بيتاً فيه كنز مدفون يساوى أضعاف ثمن البيت . فأنت لا تتهمه بالجهل لأنه لم يطلع على خبر ذلك الكنز ، ولا تتهمه بالسفه لأنه باع البيت بأقل من قيمته المدخرة فيه ، ولا تقول إنه لا يعرف قيمة الكنوز ، لأنه لم يدخلها فى ثمن البيت .

كل ما هنالك أنه لا يتهم على أساس معقول ، وليس من اللازم أن نقول إنه كان على حق أو على صواب .

وهذا هو الفرق بين دلالة الحادثة فى ذاتها ، ودلالتها كما تدخل فى تقدير صاحبها الذى نسبت إليه .

فالذى يحسب على الفاروق هنا هو ما يدخل فى تقديره ، ولا لوم عليه أن أحرق مكتبة الاسكندرية بهذا التقدير .

***

وهذه الفوارق بين الصحة والدلالة ، وبين حق النفى وحق الشك ، وبين الحادث كما وقع والحادث كما أريد ، ألزم ما يكون استحضاراً عند قراءة التاريخ ، بل عند مباشرة كل عمل من أعمال الحياة .

عباس محمود العقاد

يتصرفون مع الناس بمقتضى هذه العقلية الخبيثة . فيحللون لأنفسهم مال « الجوييم » ويستحلون سفك دمهم واغتصاب أملاكهم وهضم حقوقهم . ولا يردهم تلمودهم عن هذا . بل بالعكس يبيح لهم كل هذا وأكثر منه . لا يردهم عن هذه الإباحية إلا قوانين البلاد وقضاؤها . فإذا أمكنهم أن يفعلوا فعلتهم ويتحاشوا القضاء فلا خوف عندهم من الله لكي يردهم .

قد ينبرى بعضهم وبعض مناصريهم لتسفيه قولى هذا واعتباره افتئاتاً عليهم وتحاملاً . فليقل المتشيعون لهم : ماذا يحسبون تقطيع اليهود فى دير يسين وطبريا وميرون وغيرها بالأطفال والنساء والشيوخ ؟ هل يفعل هذه الفظائع من يخافون الله ؟ هل يفعله المتمدنون ؟

وماذا يفسر المدافعون عنهم تعمدهم تسميم الآبار فى غزة بميكروب الكوليرا والطيفوئيد لكى يباد الجيش المصرى هناك عن آخره .

والله إن الذى لم يفعله هتلر بهم فعلوه هم بالعرب . تورع هتلر عن استعمال الغازات السامة وعن تلويث المياه بالميكروبات المرضية . وأما هم فلا يتورعون . فماذا كان هؤلاء الاثام يقولون لو فعل العرب بهم مثل فعلتهم ؟!؟ ولكنهم يعلمون جيداً أن العرب لا يرتكبون هذه الدناءات . ولهذا هم يستغلون هذه النزاهة العربية .

كم مرة تعهدوا بهدنة وكانت الهدنة من مصلحتهم فنقضوها ما سكت العرب عن القتال احتراماً للهدنة حتى أسرعوا إلى الخيانة والغدر .

والغريب أن هؤلاء المنافقين يترجون الصليب الأحمر أن يسمح لهم العرب بإخراج ٦٠٠ امرأة وطفل من القدس القديمة لكيلا يقتتلوا تحت وابل رصاص العرب . يطلبون هذا الطلب لأنهم يعلمون جيداً أن العرب يشفقون على الأطفال والنساء فيريدون أن يستغلوا شفقة العرب . ولكن جلالة الملك عبد الله لم يعد يصدق مكرهم فأبى أن ينيلهم هذا الاستغلال .

وهل تنطوى هذه الهدنة الأخيرة ذات الـ ٤ أسابيع من غير أن ينقضها الصهيونيون مراراً ؟ والعرب يصبرون عليهم صبر الكرام . لا أعتقد أن هذه الهدنة تطول فسينقضها اليهود وثم ينقضُ العرب عليهم انقضاضهم الأخير فيمحقونهم .

العرب لم يقترحوا الهدنة لأنهم لا يأتمنون بها بل يأبونها ، ولأنها من مصلحة الصهيونيين . وما رضى العرب بها إلا لكيلا يقال إن العرب لا يريدون سلاماً . فليعلم العالم الآن من يريد هدم السلام .

إنى أتخيل دولة صهيون الخيالية تقول مع شمشون الجبار : « علىّ وعلى أعدائى يا رب » إذا شبت الحرب العالمية الثالثة بسببهم . هذه هى أخلاق هذه الطائفة التى تدعى أنها مضطهدة . وهى ذليلة مسكينة ولكنها غادرة خائنة ، فكيف تستحق الشفقة اللهم إنها لا تنال الشفقة إلا من المتيَّم بها عاهل الأمريكان الذى يهون عليه أن يضحى بمصلحة بلاده وبسلام العالم على مذبح رضى الصهيونيين . ولا يزال هذا الأحمق يتحبب لليهود ويستضيف زعيمهم ويزمان على الرغم من أن أمريكان الشرق قد احتجوا على سياسته الخرقاء . ولكى يظهر أنه لا يحسب حساباً إلا لاحتجاج أمريكان أمريكا نفسها . وسيظهر احتجاجهم فى أنهم لن ينتخبوه .

وقد علمت من مصدر ثقة أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أبلغ الشركة الأمريكية المتعاقدة معه على البترول ، أنه سيضرب بالعقد الذى بينهما عرض الحائط ، إذا كان ترومان سيسلح الصهيونيين أو يؤيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

نقولا الحداد

الجنس والحضارة

للأستاذ عبد العزيز جادو

لقد كان قليلا ذلك الذى فهمناه عن اللاشعور وصلته بالأحلام ، وعن الجنس وظواهره العقلية العجيبة قبل أن يبدأ سيجموند فرويد عمله العظيم . فلقد أوضحت دراسة التطور العلاقات التى بين كل المخلوقات الحية ، وتماثل البناء التشريحى بين كثير من الأجناس . ولا يزال علم السيكولوجيا يعوزه بعض استكشافات لتوطد أركانه نهائياً على أساس ثابت من قانون ؛ وليتتبع النمو التدريجى للعقل من بسيط إلى مركب .

ومما يجدر بالذكر أن الدكتور بريور De Breuer الذى عمل معه فرويد أول الأمر فى « العلاجات الناطقة » Talking treatments لاحظ بعض أعراض شاذة فى حالة امرأة شابة عزاها إلى الهستيريا . وعجز عن إزالة هذه الأعراض باستخدام التنويم المغنطيسى ، الذى كان يزاول فيما مضى بتوسع أكثر من الآن ، وكان شائعاً إذ ذاك فى صناعة الطب ، وأخذت حالتها تزداد سوءاً . ولاحظ الدكتور بريور أن مريضته فى حالات « ذهولها » تتمتم مع نفسها . فجعلها تكرر الكلمات التى تفوهت بها ، وبهذه الطريقة علل الباعث على الفكر التى تسلطت على عقلها حتى توالدت . وكان الأثر لمنشأ هذه الأوهام والتخيلات التى تسلطت على الفتاة هو فى الواقع وجود « الدوافع المخبوءة » Hidden Motives الشركة فى مظاهر اللاشعور التى تفوق الحصر فى علاقاتها بالحياة اليومية وبالحالات العقلية المرضية .

وعاد فرويد ، الذى كان يدرس فى ذات الوقت على العالم الشهير شاركوت .Charcot — إلى فينا ليلتقى بالدكتور بريور ، الذى كان يستعمل حينذاك « طريقة المسهل ‪Γathartic‬ ‪Method‬ » . وظهر لفرويد أن بريور لم يفهم تماماً علاقة هذه الطريقة بالسيكولوجيا العلاجية ، فأقنعه بإتمام أبحاثهما فى الإجراءات التى ابتكرها حديثاً ، ومع ذلك فقد أضاع بريور بعض حماسته بخصوصها .

ولم تتزعزع ثقة فرويد فى كشفه ولم تفتر همته . فواصلا استقصاءاتها مدة من الزمن تراءى لها فى نهايتها إقامة الدليل على قيمة كشفها ، وانتهيا إلى النتيجة بأن العاطفة المحبوسة فى مريض إذا ما عوقت فى طريقها إلى الإفلات الصريح ، فإنهما تتحول إلى أعراض شاذة ، إما فيزيقية وإما عقلية . وبملاحظة مرضاهما فى عيادتهما ، وجدا أن الأعراض كثيراً ما يكون لها صلة ببعض حادثات فى حياتهم . وقادهما هذا إلى الاعتقاد بأن الاختبارات المرضية Pathological كانت تتعلق بأخرى قبلها ، وتلك التى كانت قبلها ليست فى حاجة إلى الباثولوجية فى طبيعتها ؛ وأن التجارب التى سبقتها زودت المصادفة الباثولوجية الأخيرة بخلق عقلى . وبعد أن تعاون فرويد وبريور معاً مدة من الزمن فى هذه الملاحظات والتجارب انفصلا أحدهما عن الآخر فقد دب الخلاف إذ لعب الجنس دوره فى تكوين المصاب Neuros s . وهكذا مضى فرويد قدماً بمفرده ثم نشر تطبيقاً عملياً من نتاج مجهوده . بسماحه لمريضه أن يتكلم بكل ما يدور بخلده ، وبعد ملاحظة بالغة منتهاها فى الدقة ، اقتنع بأن أى شىء يحدث للمريض له صلة مباشرة أو غير مباشرة (بجرح) ما فى لا شعوره .

وفى عام ١٨٩٥ ألقى فرويد أولى محاضراته عن اكتشافاته ، التى قدر لها أن تكون بشيراً بميلاد التحليل النفسانى . Osycho analysis . ولقد تبعه بادىء الرأى ثلاثة نفر من الوسط الطبى هم أدلر Odler ، وستيكل Stekel ، وسادجر Sadger . ولكن فى سنة ١٩٠٠ بدأ يانج Yung وثلة صغيرة من أتباعه الفيزيقيين ، يستعملون الطريقة الفرويدية بعيادة طب الأمراض العقلية فى زوريخ . وبعد ثمانية أعوام ، وبناء على دعوة يانج قام أول مؤتمر لمدرسة الفيزيقيين هذه فى سالزبورج .

عند ذلك أخذ الطلبة الجادون ذوو الضمير الحى يدخلون الميدان أفواجاً . وظهرت المؤلفات الفكرية والانتقادية تحمل طابعى مقدرة المدرسة وحمية الرائد . ومن ميدان علم النفس العلاجى انتشر علم التحليل النفسانى ، وامتد إلى ميادين علم الأساطير Mythology والحوادبت Folk - lore . وبدأت تظهر الشروح التى تعوزها التفسيرات السيكولوجية ، وبدأت تطغى على أساطير الجنس البشرى وخرافاته . واتضح أن رغبات السلالة البشرية التى كانت تتوق إلى الرضى خلال العصور جاء وصفها فى الخرافات والأساطير ، وأنه إذا فهم الشخص المفتاح

السرى الذى يعده به التحليل النفسانى لأمكنه أن يفسر معنى كل تلك القصص القديمة . فقد قال علماء التحليل النفسانى أن عواطف البشر لونها فنان أعمى على لوحة من الفكر .

ومن المعروف قطعاً لدى علماء الأنثربولوجيا أن الرمز لعب دوراً هاماً فى الانتاج البدائى لعقل الإنسـان . بل إن طريقتنا اليوم فى التعبير عن الفـكر قائمة على أساس صورة من الرمزية ؛ فالمهندس الذى يتصور تجويف مدخنة ، والموسيقى الذى يوفق السيمفونيات السماوية ، والفنان الأديب ، كل أولئك يستعملون الرموز كثيراً . وقد أشار أندريه تريدون André Tridon فى أحد مؤلفاته إلى أن : « لغة جميع الشعوب رمزية ، ودائماً ما يفرض الإنسـان فى كلامه مقارنات بين مظاهر ثابتة فى الطبيعة وأجزاء من جسم الإنسان . فنحن نتكلم عن فم النهر أو الـكهف ؛ وعن مهاد الأرض أو جوفها أو بطنهـا ؛ وعن قمة الجبل أو سفحه . ونقول إن فى البطاطس عيوناً ؛ وأن اللون داقٍ ، وحقائق جافة ، وأننا نشم رائحة التعب وغير ذلك .

كيف دخلت هذه التعبيرات فى كلامنا ، وكيف سبر علماء التحليل النفسانى صلتها بأسس تفكيرنا ؟ .. لن نحتاج إلى كبير عناء لنعرف أن هناك معنى عميقاً وراء كل هذا اللف فى كلامنا . إن علاقة ما ، ليست معروفة إلى الآن ، كانت متوثقة بين عناصر ثابتة موجودة فى اللغة وهى الفـكرة البدائية عند بنى الإنسان .

والإنسان يملك فى داخل نفسـه اتجاهين : يوصف أحدهما بالمتقارب أو المـائل نحو المركز Centripetal ؛ والآخر بعيد أو منحرف عن المركز Centrifugal . الأول يميـل إلى نقله إلى الأمام ؛ والآخر يظهر رغبة صريحة للرجوع إلى حالة بدائية . ونرى هـذا الاتجاه ، مثلا ، فى البناء التشريحى للانسان حيث تثابر أحياناً بعض أعضاء جرثومية ثابتة على النمو ، يشبه التعب العظيم فى الإنسـان . ولقد سرد ميشنكوف Metchnikoff فى مؤلفه القيم « طبيعة الإنسان »(١) أمثلة كثيرة عن الشذوذ الموجود فى تشريح الإنسان ، وهل يمكننا أن نشير إلى «النشاز» فى بنائه العقلى أيضاً ؟ أن نيتشه Nietzsche ، الذى سبق علماء التحليل النفسـانى ، تنبأ بكثير من كشوفهم ، فذكر فى أحد مؤلفاته : « فى نومنا ، وفى أحلامنا ، نمر بجميع فـكر البشرية القديمة . وأعنى بهذا أن الإنسان يدرك فى أحلامه ما أدركه أثناء حالات اليقظة منذ آلاف السنين . فالحلم يرجع بنا إلى حالات قديمة من التهذيب الإنسانى ، ويقدم لنا الوسيلة لنفهمها بطريقة أجدى وأحسن . أبدى هذه الملاحظة أخيراً علماء النفس المشتغلين بالفروض الحديثة التى أظهرتها نظريات فرويد وحسنتها ، كما أنها الملاحظة قررت ما لهذا الفيلسوف الشهير من بُعد نظر ونفاذ بصيرة .

لا يخفى أن لـكل شخص دافعاً جنسـياً Libido يطالب بإرضاء رغباته . وإذا لم يقدم له هذا الإرضاء بوسيلة سوية فإن الميل إلى الرغبة يكون فى حل من التسرب من أضعف نقطة فى خط التقييد . وإذا لم يتم هذا أيضاً ، فهناك تسليم من العقل لما يسميه علماء التحليل النفسانى بالتعالى أو التسامى . هـذا لأن الرغبة تتسرب من خلال قنوات لا يستعملها العقل لمنفعته حين تكون الرغبة قادرة على الإرضاء بطريقة اعتيادية . ومن قوانين الطبيعة أن القوة تميل إلى قهر العوامل المكبوتة فى بيئتها بغض النظر عما تـكون عليه هذه العوامل . وليس من قوة فى الطبيعة أعظم ولا أكثر أهمية — حسب الترتيب البيولوجى للأشياء — من الدافع الجنسى .

يقول العالم النفسانى المعروف كوريات Coriat : « إن الفكر اللاشعورية موجودة وفعَّالة فى الفرد العادى كما هى فى المريض بالأعصاب . والفـكر اللاشعورية أو الآراء غالباً ما تظل هكذا ، لأن قوة يطلق عليها المقاومة تمنعها من أن تصير شعورية . وعمل الـكبت كثيراً ما يلتقى بالفشـل وعدم التوفيق ، لأن الدافع المكبوت الرغبات والعقد النفسية تواصل البقاء فى اللاشعور ومن ثم تبعث إلى الشـعور بديلا متنكراً فى هيئة أعراض عصابية »(١) . حينما ينقضى النهار وما فيه من مؤثرات ، يدخل الفرد فى دولة النوم ، فتتسلل الرغبات اللاشعورية لتمثل دورها فى هيئة حلم . ولـكن هنا ، كما فى حالة اليقظة ، يكون الرقيب مُتنبهاً يقظاً ، وبالتالى تسدل على المشهد ستار الرمزية لتخفى طبيعة الرغبات الواقعية التى تعلن عن نفسها .

وفى هذا الصدد كتب أحد تلامذة فرويد التقدير الآتى : « إن الرقيب هو الذى يجبر الأحلام على اتخاذ لغة الرمزية الغامضة لـكى يكفل إمكان ترتيب رواية المادة الجنسية فى الأحلام . فإذا أقنع الشخص نفسه بفائدة الرمزية العظيمة فى ترتيب رواية المادة الجنسية فى الأحـلام ، لا بد أن يصطدم بالسؤال عما إذا كان

(١) The Nature fo Man

(١) Abnormal Psychology P. 18

كثير من هذه الرموز تبـدو كأنها حروف اختزال بمعنى ثابت لـكل الحالات . ويجب أن نلاحظ بهذه المناسبة أن هذه الرمزية لا تتعلق بالأحلام فحسب ، ولـكنها تتعلق أيضاً بفكر لا شعورية لأناس ، وإنها لـكائنة فى « الحوادث » والأساطير وفى الأمثال السائرة وفى الحكم المأثورة وفى النكات كوجودها فى الأحلام . ومن بين هذه الرموز المستعملة أشياء كثيرة تعنى بانتظام الشئ ذاته ؛ وفوق هذا ، وفى الغالب ، فإن الفهم العام والنشاط الجم إنما يعتمد على عقلية هذه المخلوقات » (١)

ولـكل جيل دستوره الخاص بمعاملته وعاداته ، وفـكره ، وآدابه ، وقيَمه ، الخ .. وهذه كلها تلقى قيودها على الفرد وعلى رغباته . وإذن فـكل جيل بنوع ما ، يمكن أن يقال إن له مرتبته اللاشعورية . والجماعة لا تنفك تغير البيئة على الدوام لأن الفرد يضطرها أن تختار وترتب لنفسها المقاييس التى لا يمكن عملها دائماً له ليعيش لها . والفرد إذ يحاط بسور من القمع الذى تسببه الجماعة ، لا يسمح له بالتحدث فى هـذا البحث الحيوى بالطريقة الصريحة التى يعالج بها أى موضوع آخر ذى أهمية لوجوده . ولا يخرج الأمر كله عن كونه تحريماً tadoo . ومن هنا ينشأ الإحساس بأنه لابد من وجود شئ قبيح يختص به . وهكذا ترقى المرتبة فى اللاشعور — مرتبة الـكبت . وقد تبدو كلها واضحـة فى الظاهر . والفرد يدور حول واجبه اليوى ولا يُظهر أى أعراض لطبيعته الجنسية . ولـكن ، فى أعماق عقله توجد شخصية تختلف تمام الاختلاف عن التى تظهر سطحياً

ولقد أوضحت تقصيات علماء الأمراض العقلية كل هـذا بمهارة فائقة . ولوحظ مرة تلو أن السيدات الفضليات اللاتى يعانين هيئة معينة من الانحراف العقلى يتفوهن بسباب عنيف وفحش شديد . والنساء الخليعات ، من جهة أخرى ، اللاتى يعانين نفس هيئة المرض بالذات لا يمكنهن إظهار هذا المرض بالصيغة التى تظهرها أخواتهن الأحسن منهن . والصورة الواضحة للـكبت ونتيجته تؤثر على بعض الأنواع .

ودراسة مذهب الروحيين Animism يعدنا بالدليل الأول عن المادة . فالإنسان القديم يعتقد أن له نفساً أو روحاً تحرك حياته على هذه البسيطة . وتنتقل هذه الروح بعد الممات إلى دائرة أو بيئة أخرى لتبقى موجودة كـكيان مستقل . وما كان الجسم إلا مجرد مسكن للنفس ، وكان ينظر إليها كمخلوق ممتاز . ولم يكن هناك بالتأكيد أى فهم لتأثير الجسم على العقل كما هو معروف فى هذا الزمن .

ويأتى الإنسان بالتدرج ليكـوِّن نفسـه كى يحيط بأشياء لا حياة لها . ويعتقد بأن لـكل شىء روحاً . فالريح الصاخبة التى تثور فى الغابات فتحطم كل ما يصادفها فى طريقها لها روح والنسيم العليل الذى يسلم جسمه لنوم مريح فيه روح ولـكن الإنسان فى الوقت ذاته يعتقد أن هناك وراء الحياة جميعها تكمن قوة غامضة — التـكوين . الجنس — فقد رغباته الجنسية وإحساساته إلى أشيائه المؤلهة . والانفعالات البشرية فى الطبيعة ، كيفما تكن ، كانت محجوبة فوق الآلهة . وبعد مدة من الزمن أصبح الجنس الصيغة الأصلية لعبادة الإنسان وعقيدته . وكان هذا فى حال من الشعور الاجتماعى فى كثير أو قليل من الصفاء . وأصبح الجنس قبيحاً بظهور الحياة المعقدة ، أو كما اصطلح على تسميتها الحضارة . والإنسان المجرد بالنسبة إلى الطبيعة يبدو أقل الأجناس بالنسبة لانحطاط الفكر ولـكنه أسماها فى الوظيفة .

والإنسان اللاشعورى يظل مخلوقاً طبيعياً . فهو يعبر عن رغباته سواء سُمح له بذلك أم لم يسمح . والطريقة التى يعبر بها عن ذلك تتوقف على مقدار التحديدات التى تفرضها عليه البيئة . وهو يرى جاذبية سرية لدافعه الجنسى فى أشكال وفى أبنية أشياء كثيرة فى بيئته كما تعود أن يرى حين كان همجياً . وإنه ليختبر صنفاً من الإرضاء الجنسى بتفرسه فيه وترك أفكاره تجول كما تريد . وبعض عوامل البيئة كالقصص الفـكهة والصور الفنية التى من طراز معين ، خلقت بصراحة لهذا الميل الذى يميل إليه الإنسان ، وإنها تقدم المنفذ لبعض النماذج المـكبوتة .

فالإعلان مثلا له جاذبية على المشاهد أساسها الروابط الجنسية . واعلانات الحائط الـكبيرة والرسوم التى تعلن عن المنتجات التجارية ، بمظهرها ذى الرونق الزاهى لنسـاء نصف عاريات ، يرسم بجلاء ووضوح أن الإنسان سينظر إلى شئ يفتنه جنسياً ، أسرع وأطول مما ينظر إلى أى شئ آخر ليست فيه هذه المزايا . والإنسان يرغب ، بوعى أو بغير وعى ، فى إطالة لذته الجنسية . والدافع الجنسى بفطرته سيتمسك بأى شئ يساعده فى هذا الاتجاه . فهو راقد فى طبيعة الإنسان ذاتها للسعى وراء اللذة والعمل على اجتناب الألم .

---

(١) Freud's Theories of the Neurosis , P . 105
Dr . Hitchman

وإطالة الحب بوساطة العنصر الروحى أشار إليها الفيلسوف كنت بقوله : « وعلى قدر سرعة الذهن فى النشاط ، فهو لا يتوانى عن بذل تأثيره أيضاً فى المحيط الجنسى . وسرعان ما اكتشف الإنسان أن منبه الجنس Atimulus الذى اعتمد فى الحيوانات على مجرد دافع دورى غالباً ما يكون وقتياً ، كان فى حالته الخاصة مقتدراً على الإطالة ، وفى الغالب على الزيادة والكثرة بواسطة قوة التخيل [١] » .

ونجد أن الرغبة تتحقق فى شكل رمزى لا فى الأحلام فقط ، سواء أحلام النوم أو أحلام اليقظة ، ولكن فى الشعر والموسيقى والفن والأدب ، الخ ...

والحياة فى طريقها السريع لتكون أكثر تعقيداً ، وسرعة الحياة الحديثة تجبر الإنسان على تنظيم نشاطه اليومى بالنسبة للزمن الذى تسمح به بيئته . فركبات الترام المزدحمة ، والمطاعم ، والملاهى ، والحوانيت ، والشوارع ، تشهد على ازدياد السرعة التى جلبتها الحضارة الحديثة ملايين الأنفس تسير قطعاناً ضمن الحدود الضيقة بالمدينة . وهذه الحاجة التى تتطلبها السرعة المجنونة ترقى فى عقولنا هيولية غامضة chaos . وبلاد اليونان لم تنجب مفكريها العظام إلا لأنها منحت سكانها وقتاً للراحة ، هذا الوقت الذى يعد من المستلزمات التى لا تقدر قيمتها لكل نفس فنانة .

وفى أثناء كل هذه السرعة وكل هذا التزاحم ، كيفما يكن ، تعمل الجنسية صامتة على التأثير فى الإنسان والضغط عليه وإقناعه ، وحثه طوال حياته . ولكن الإنسان لا يعير كل هذا أى التفات . فهو جد مشغول بالعوامل الموضوعية فى بيئته ، هذه العوامل التى هي ، بعد كل هذا ، أكثر وضوحاً وأكثر أهمية فى نظره . وفى بعض الأحيان تكشف الجنسية عن نفسها مع نسمات الصيف الرقيقة ، وفى أحيان أخرى ، مع عواصف الشتاء الهوجاء . ولكننا فى كل الحالات نتعامل مع المادة نفسها — الليبدو . وأعمال الليبدو لا تخضع للتأثير مع مرور الزمن . هذا التأثير الذى أصبحنا نعرفه الآن وندريه بواسطة استقصاءاتنا السيكولوجية .

عبد العزيز جادو

(١) The Probable Beginning of Human History Published in 1786

الذين جنوا علينا

الذين جنوا علينا ... فبذروا فى طبعنا الحرمان ، وغرسوا فى قلبنا الألم ، وأقاموا حياتنا على دعائم من الشك اليائس ، والحيرة المضنية ، والفكر الحزين ، والحب المشوم ... بيت ومدرسة وتقاليد ! فى أرجاء البيت ، تحكم الوالد ... فمنع النافع ، وأجاز الضار ؛ وفى حلقة الدرس ، أفلس الأستاذ ... فدرس الغث وترك المفيد ، وعنى بالقشور وأهمل اللباب ، وفي جحيم البيئة ، تسلطت التقاليد ... ففرضت الحياء ، وأكسبت الجبن ، والتواكل ، وراضتنا على خلق العبيد !

ومن ثم ، فلم يكن أمل فى ابتكار ، ولم يعد رجاء فى انتظار ، وأرواحنا ظماى إلى المعرفة حنانة إلى الثقافة ، عطشى إلى الجمال ، يفتنها البيان العالى ، ويشجيها الأسلوب الرصين ، ويطربها اللحن البديع ، فتندفع فى غير تحفظ ، وتسرع فى غير اعتدال ، لتلحق ركب الفن والأدب ، والحب والخير ، علها تصيب من ثمار الأذهان مفيداً ، ومن قرائح العباقرة جديداً ، يؤهلها لأن تدرك وجودها فى الحياة ... وما عاش فاقد المعرفة ، وما خلق صدى الشاعر ، وما تمتع بليد الأحساس ، وليس جدير بالبقاء ، حى لا تختلط ذرات الحب الأسمى ، بدمائه وقلبه ، وأهازيجه وأفكاره حتى ذلك الحيوان الأعجم !

تلك هى محنة الشباب الأبى ، فى عصرنا الحر ، حرمان رهيب عنيف ، يتلاشى مع الزمن ، أو يتحطم مع العصيان ، فتنطلق الغرائز على سجيتها متطرفة ، ويستجيب الفرد لشهواته طائعاً ، ويجد اللذة فى أن يركب رأسه ، فلا يسمع من أبويه نصيحة ، ولا يطيع لأستاذه رأيا ، ثم يدفع الثمن أجراً غالياً ، من ثقافته وجهده ، ومن صحته وسمعته ، وعلى حساب مستقبله وكرامته ، ويذهب ضحية بريئة ، لأخطاء جسيمة ، وتوارثناها فيما خلف لنا الماضى البعيد ، من جهالة وخرافة ، ومن عنت وارزاء ! أيها الآباء المشفقون على أبنائكم ، والأساتذة المحبون لتلاميذهم ... لن يقيم هذا العوج ، قانون يسنه البرلمان ، ولا سلطة يمنحها الناظر ، ولا شدة يطبقها الوالد ، ولن يصلح الخلل فى معاهدنا ، والضعف فى ألسنتنا ، والغثاثة فى ثقافتنا ، إلا تربية قويمة ، وتنشئة مستقلة ، وتعاون بين البيت والمعهد ، وثقة بين الوالد والمربى وحرية للابن أن يعبر عما يريد ، وأن يعالج مايحب !

أسـطورة

للأستاذ علي عبد الحي الحسني

من الأساطير التى سمعناها فى الصغر وبقيت فى غضون الذاكرة ، وبعض ثناياها أن رجلا اعتدى عليه عفريت من الجن بمثل ما كان يعتدى به الجن على البشر فبرز الرجل بكل ما أوتي من حول وطول وبكل ما قدر عليه من سلاح وشكة ليقتله .

هجم الرجل على العفريت بكل سلاح ماض ولم يدع فى القوس منزعا لكنه لم ينكأ عدوه ولم يصب منه مقتلا .

وما زال الرجل يعيد الكرة بعد الكرة ويجرب سلاحاً بعد سلاح والعفريت ساخر منه غير محتفل به كأنه من نفسه على أمان ، ومن سهام الرجل وهجماته فى حصن حصين .

حار الرجل فى أمره وأعياه أمر العفريت وكاد يقطع من قتله الرجاء إذ أخبره أحد العقلاء أن روح هذا العفريت فى حوصلة ببغاء وهذه الببغاء فى قفص من حديد ، وهذا القفص معلق فى غصن شجرة ، وهذه الشجرة فى غابة كثيفة يسكنها سباع ضارية وحيات فاتكة ، وعقارب سامة ، ودونها خرط القتاد ، وحولها شم الجبال .

وما زال الرجل يطلع جبلا بعد جبل ، ويقطع وادياً بعد واد ويقتل وحشياً بعد وحش ، حتى خلص إلى هذا القفص وخنق هذه الببغاء ، ولم يكد يقتلها حتى حدثت رجة عظيمة دارت بها الأرض والفضاء ، وأظلمت بها آفاق السماء ، وصاح العفريت صيحته الأخيرة وكان جثة هامدة .. وهكذا قتل الرجل عدوه بعد ما لقى منه عرق القربة .

لعلك سمعت هذه الأسطورة من عجوز فى البيت تحكيها لأحفادها أو أسباطها فررت بها مستهزئاً وقلت :

حديث خرافة يا أم عمرو !

نعم إنها لحديث خرافة وأسطورة من أساطير الأولين ، ولكنها تفيدنا بأن كل حى له مقتل ووريد ولا يؤثر فيه عدو حتى يصيبه فى مقتله ويقطع منه الوريد ، وأن دون ذلك المقتل وحول هذا الوريد حواجز وحصوناً .

وقد تسلط على الأمة الإسلامية عفريت من الحياة الجاهلية واعتدى عليها بصنوف من الخبال وضروب من الأذى والوبال ظهرت فى كثير من أخلاقها وأفعالها كاستخفاف بأحكام الشرع وتجرؤ على المعاصى ، ووقوع فى محارم الله ، واستعباد لعباد الله وإمعان فى الشهوات ، وإسراف فى سبيل التنع واللذات ، وتهافت على الخسائس والرذائل ، وفرار من مكارم الأخلاق والفضائل « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا » .

والناس طبقات : « عامة » و « أوساط » و « عظماء » .

فأما العامة فساكين تدور حولهم رحى الحياة بسرعة لا يرفعون فيها إلى الدين والسعادة الأخروية والاستعداد للموت رأساً ، وإنما همهم أن يؤدوا ضرائبهم ، ويجمعوا لأيام فراغهم ، ويكسوا عيالهم فهم يكدحون فى الحياة كدح الحمير والثيران لا يبتغون إلا للراحة الموهومة ، ولا يستريحون إلا للتعب الواقع ، فهم من البيت إلى الدكان ، ومن الفراش إلى المصنع أو السوق أو الإدارة ، ومن نصب إلى نصب ، ومن هم إلى هم ، لا تنتهى همومهم ولا تنقضى متاعبهم ، حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها .

وأما الأوساط فهم أسوأ منهم حالاً وأكدر منهم بالاً ، عذبهم الله بالحرص والجشع ، ينظرون دائماً إلى من فوقهم ، ولا ينظرون أبداً إلى من دونهم ، فهم فى هم متواصل وأحزان متسلسلة وشقاء مستمر وتدمر جبار وشكوى قائمة وأنين باق ، يجرون فى رهان لا ينتهى ، ويسابقون جياداً لا تكل ولا تسبق ، لا يزال قصب السبق بعيداً كلما انتهوا إلى غاية أخرى فجروا وراءها وهى تبتعد عنهم كما يبتعد الأفق من الطفل الذى يحاول دركه وشعاع الشمس الذى يريد قبضه ، وهكذا يتفلت منهم « المثل الأعلى » فى الغنى والثروة والرخاء والجاه ، فيموت الواحد منهم كئيباً منكسراً لم يستعد ليوم الجد ولم يأخذ لنفسه عدتها ، ويأتيه الموت فيقول « رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين »

وأما العظماء من الملوك وأبناء الملوك والأمراء فإنهم يريدون

فإن أبيتم لنا الانحصار للدرسة ، وخناق البيت ، وقبر المواهب ، ووأد الرغبات ، فلا تعذرونا -- إذا خرجنا إلى الشارع نهتف ، أو بقينا فى الدرس نصفق ، أو أسلمنا فكرنا وعقلنا لتيارات لا تتفق ورسالتنا السامية ، وما يعلقه الوطن على جهودنا وبحوثنا من خير عظيم ...

الطاهر أحمد مكى

أن يلتهموا الدنيا طولا وعرضاً ، وينتهبوا المسرات جرياً وركضاً لا يشفى غليلهم ولا يروى غليلهم وهم من دقائق الراحة إلى دقائق ، ومن بدائع إلى بدائع ، ومن ابتكار إلى ابتكار ، ومن لذيذ فى الطعام والشراب إلى ألذ ، ومن حديث من مستحدثات المراكب والقصور والأزياء إلى أحدث ، لا تكفيهم فى ذلك موارد قطر بأسره ، ومنابع ثروة أمة بطولها ، حتى يلجأوا إلى استقراض وتجارات وضرائب جديدة وإتاوات ولا يبالون فى سبيل ذلك أن يرهنوا بأيدى عدوهم رداء الزهراء أو كساء أبى ذر أو شملة أو يس أو مصحف عثمان أو صمصامة عمرو بن معدى كرب أو رمح الزبير أو بردة كعب بن زهير ويهيئوا صبوحاً أو غبوقاً .

وقد هجم على عفريت الجاهلية جيش من المصلحين فصاحوا به من كل جانب ورموه عن قوس واحدة ولكن لم ينكأوا عدوهم ولم يصيبوا منه مقتلا .

ألقى الوعاظ والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر دروساً فى الأخلاق وأحاديث فى الترغيب والترهيب ، وطمعوا الناس فى الجنة وحذروهم من النار وبشروهم بالوعد وخوفوهم من الوعيد فسمع الناس كل ذلك فى هدوء ، ولم يحرك منهم ساكناً ولم يغير منهم خلقاً .

ألف المؤلفون كتباً جاءوا فيها بكل رقيق ، أوردوا فيها حكايات زهد المعمرين ، وتقشف على بن أبى طالب ، ومواعظ الحسن البصرى ، وكلمات ذى النون المصرى ، ورقائق الفضيل بن عياض ، وزهديات أبى العتاهية ، وفصاحة الواعظ ابن الجوزى وتحليل الإمام الغزالى .

قوارع تبرى العظم من كلم مض

فقام الأغنياء والأمراء والملوك فاقتنوا هذه الكتب وزينوا بها مكاتبهم وتحدثوا عنها إلى ندمائهم وزائريهم فى لباقة ورشاقة ولكن لم تنفذ سهامها من العيون إلى القلوب ولم تجاوز أحاديثها تراقيهم .

قام الخطباء البارعون فألقوا خطباً أسمعت الصم واستنزلت العصم فسمعها هؤلاء وأثنوا على براعتهم وفصاحتهم ومضوا لسبيلهم لم يبكوا على زلة ولم يقلعوا عن سيئة ولم يحدثوا لله عهداً لقد كان والله أقل من هذا يهز القلوب فى الجوانح ويستفرغ الدموع من الشئون ويرجف القصور ويقلب عروش الملوك ، ويجعل من أبناء السلاطين والأمراء مثل ابن أدهم وشقيق البلخى ، يسمع أحدهم — وهو خارج فى قنص أو رائح فى لهو — قارئاً يقرأ : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » الآية فيقول والله لقد آن ، والله لقد آن ، ويرمى آلات اللهو ويخرج من أبهة الملوك وحشمة السلاطين إلى تبذل الفقراء وتقشف الزهاد .

فهل فقدت الألفاظ على تعاقب الأيام معانيها ، أم اعتلت الأذواق أم استعجمت اللغات أم ماذا ؟

إن شيئاً من ذلك لم يقع ، ولكن نفسية الإنسان تغيرت تغيراً عظيما. كان أمر الدين فى الزمان الماضى — برغم جميع أدوائه وعيوبه الخلقية والاجتماعية — جداً غير هزل . وكان أمر الدين يعنى كل واحد ويهمه كما تهم الحقائق والأمور الواقعة ، وكان دونه فى بعض الأحيان حجب من الترف والطبع والرسم وسوء المعرفة وقلة العلم فإذا ارتفعت هذه الحجب وتطرقت دعوة الدين إلى القلوب لم يحل دون التوبة وإصلاح الحال شىء .

أما الآن فقد أصبح الدين موضوعاً تاريخياً أو حديثاً علمياً بحتاً ، وأصبح الحديث عنه فى المجتمع المصرى كالحديث عن كوكب المريخ وعجائبه وعن القطب الشمالى وأخباره. لا يعود على المتحدث والمستمعين بضرر أو نفع ولا يطالبهم بعمل أو ترك ولا يمسهم فى صميم مسائلهم ولا يعنى الإنسان ولا يهمه فى حياته إلا بمقدار ما يتطرف بمعرفته ودراسته فى بعض المجالس أو ما يحادث به أهله عند الحاجة أو ما يجلب به نفعاً ويدفع به ضراً فى مجتمع لا يزال يدين بالدين أو يحترمه فليس له إلا قيمته المادية المؤقتة .

وأصبحت الحياة وتكاليفها جد الجد ولب اللباب وأصبحت مسائلها هم الشيخ ودروس الصبى وشغل الشاب ، وأصبح الجهاد فى سبيلها والنجاح فى ميدانها ، مقياس الفتنة والذكاء ومعيار الظرافة واللباقة ورمز المروءة والشهامة .

وهنا يقف الداعى الدينى حائراً فى أمره كيف يواجه هذه العقلية الجامدة والنفسية الباردة فى سبيل الدين ، أنه واجه العقول الثائرة على الدين فأخضعها ببراهينه ، وشكوكا وريباً تمكنت

من النفوس فسلها بحكمته وملأ القلب إيماناً وطمأنينة ولـكنه ههنا يجد نفسه فى موقف غريب لم يعهده ، فلا إنـكار ولاجحود ولا إباء ولا استـكبار ، ولا عناد ولا اعتراض ، ولا دليل ولا فلسفة ولكن حياد تام فى مسألة الدين واستغناء عن كل مايتصل بالآخرة ، وإخلاد الأرض ، ورضًى بالحياة الدنيا واطمئنان بها .

هنا يقف الداعى حائراً فى أمره كيف يواجه هذه النفسية ومن أى باب يدخلها ، إنه يجد حولها غشاء من حب الدنيا والمال فلاسبيل إليها ولا نفوذ فيها إلا بطريق الدنيا والمال ، وأن سبيل الدين غير سبيل المال ، وأن طريق الغيب غير طريق الحس والشهود ، فماذا يصنع ومن أين يبدأ ؟

إنه ألقى على القوم مواعظه ووجه إليهم خطابه وحـكمته وأجلب عليهم بخيل العـلم والبراهين ، فذهب كل ذلك فيهم سدى وأجابه لسان الحال قائلا « قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون » .

قرأنا فى حكايات « ألف ليلة وليلة » أن السندباد البحرى وجد بيضة عنقاء فظنها لـكبرها وضخامتها وملاستها قصراً من رخام فدار حولها لعله يجد باباً يدخل منه فى داخل القصر ودار مراراً عديدة ، ولـكنه لم يجد باباً وعرف بعد ذلك أنها بيضة عنقاء لا قصر من القصور .

كذلك يدور الداعى حول هـذه النفسية المستديرة التى استهوتها الدنيا ، وغشى عليها حب المال أو الحياة فلا يجد فيها منفذاً ينفذ منه إلى النفسية وينزل فى أعماقها فيقطع منها الرجاء وينقلب منها خاسئاً وهو حسير .

روح هذا العفريت الجاهلى إذن هو الإخلاد إلى الأرض والرضى بالحياة الدنيا وعبادة المال والمادة ...

هذا مقتل هذا العفريت وهذا أبهره ووريده .

وإنما ضاعت فصاحة الفصحاء ، وخطابة الخطباء ، وبلاغة المؤلفين ، وأصحاب اليراع وإخلاص المخلصين وحكمة الحـكماء لأنهم لم يضربوا على الوتر الحساس ولم يصيبوا العدو فى مقتله .

بلغت المـادية أوجها فى عهد الاستيلاء الأوربى وأصبحت فلسفة وفناً وحياة ودنيا ، وليس مظهر من مظاهر حياتهـا ، ولا مركز من مراكز نشاطها اليوم إلا والفضل فيه يرجع إلى أوربا وسيطرتها السياسية والاقتصادية مباشرة أو بواسطة والى غزوها التجارى والمالى .

نافس تجار الغرب بدافع من حب الغنى والثروة واحتكار الأموال — فى الصـناعة والانتاج وغزوا ببضائعهم الشرق وامتصوا بها دماءه ، ولم يقض ذلك لبانتهم لأن نطاق الضرورة ضيق والجشع ما له نطاق فنافسوا فى انتاج دقائق المدنية وفضول الصنائع وكماليات الحياة وصبوها على الشرق صباً واستهلـكوا فى ترويجها كل ذكاء وأدب وفلسفة وسياسة ، واستغلوا سذاجة الشرق وحبه للدعة والفخر ، فما لبثت هذه الدقائق والـكماليات إن دخلت فى أصول المعاش ولوازم الحياة فى الشرق ، وأصبح الذى لا يتحلى بها لا يعد من الإحياء ، ولا يعامل فى المجتمع معاملة سواء ، وأخذت بتلابيب الشرق وأذهلته عن الدين والآخرة ، وعن كل شيء غيرها فى الدنيا ، وهاجت عليه هموماً لا إرجاء لها وبعثت فيه شرها للمال لا نهاية له ، وأجنحت عليه الحياة حجبها لا يسمع فيها إلا « هل من مزيد » .

وما يكاد الشرق يصل إلى هـذه المنتجات وشروط الحياة على جسر من المتاعب والمصائب وعلى طريق من شوك وقتاد ، ولا يكاد يتحلى بها إلا وتصبح هذه المستحدثات آثاراً عتيقة وأطماراً بالية ، ويهجم عليه الغرب بطراز حديث من المنتجات والمصنوعات فينكاص على عقبيه ويتزود لاقتنائها بالمال اللازم — بوجه مشروع أو غير مشروع — ولا يكاد يطلع بهـا على مجتمعه إلا ورحل المنسوخ ويحل الناسخ — وهـكذا لا يزال من حياته فى جهاد مضن شاق ، ومع المصانع الغربية والتصدير الغربى فى رهان دائم يسبقه فيلحقه ويلحقه فيسبقه ، ولا يزال من عيشه فى مضض وغصص يتجرعه ، ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت .

أفسدت المدينة الغربية والتجارة الغربية طبائع أهل الشرق وأذواقهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ، ألانت منهم القناة وأطفأت فيهم جمرة الحياة ، وأحدثت فيهم التخنث الأوربى . وأصبحت الفروسة العربية والنخوة التركية والفتوة الفارسية والبطولة الهندية والغيرة الأفغانية حديثاً من أحاديث التاريخ وأصبحت الحياة فى حواضر الشرق بل وفى بواديه نسخة قاصرة ممسوخة من الحياة الغربية المصطنعة لها ضراؤها وليست لها سراؤها ولها الغرم دون الغنم .

أصبح الناس فى كل بلاد فى تيار الحضارة الغربية يسيل بهم سيلها الجارف ولا يملكون من أمرهم شيئاً وأصبح الوالد لا يملك ولده والماهل لا يملك أهل بيته بل وأصبح الإنسان لا يملك نفسه أمام الهوى وانتقاد المجتمع اللاذع ووخز الضمير وغاص الناس فى بحر المدينة إلى آذانهم فترى الصماليك من المعجم يغدون فى حلة ويرجعون فى أخرى ، وترى الحفاة العراة العالة من العرب رعاء الشاء ، يتطاولون فى البنيان ويتفاخرون باقتناء السيارات الأمريكية من أحدث الطراز وآخر الأنواع ، حتى يخاف أن تنقرض الخيل العتاق من أرض الجزيرة التى ملأت التاريخ والأدب لجديثها وأخبارها .

شحنت البضائع الغربية أسواق الشرق الإسلامى وأنبتت شرائين التجارة الغربية وعروقها — وهى طلائع السيادة الغربية وسيطرتها السياسية وسهامها التى لا تطيش — فى جوف أقداس البلاد الإسلامية واحشائها وجاست خلال الديار وأصبح أهلها عالة على البضائع الأجنبية حتى عادوا لا يتصورون الحياة والمعيشة بغيرها ولا يقضون حقوق الأعياد والأفراح إلا بها ، وامتصت هذه البضائع أموالهم بل دماءهم كالإسفنج تشربها فى بلادهم ، وصبتها فى بلادها — وهكذا أصبح ما يكسبه المسلم بعرق جبينه وكد يمينه وبرز ميتة فى أخلاقه ، وعلى حساب دينه ينتقل إلى البلاد الأجنبية .

التجأت الحكومات الإسلامية لتحقيق مشاريعها العمرانية كما تقول أو لقضاء مآرب رجالها كما يقول الناس إلى الاستدانة من الدول الأجنبية نخفت لذلك ورحبت به ورضخت لها ببعض المال على شروط تجارية وامتيازات سياسية ، وأقبلت على البلاد الإسلامية تحلب ضرعها وتستخرج الذهب الوهاج وماء حياة الصناعة والتجارة (البترول) من بطونها وتهتبل فرصة العمل فى أرضها فتنشط ارسالياتها وتنتشر فى أهلها المسلمين « رسالة الدين والحضارة » وتلحق عدواها المميزين فى الجهالة والفقر والبداوة ، ويتهافت الفقراء الذين أجهدتهم الضرائب وتكاليف الحياة على أجورها وخدمتها تهافت الفراش على الضوء والجياع على المائدة وهكذا أصبح بلاد الإسلام بين أخطار من التنصر والإلحاد والاحتلال الأجنبي » .

ثم هنالك « الطابور الخامس » وهو ذلك الأدب المسلول المسموم الذى ولدته الثورة الفرنسية وارتضعته الفوضى الخلقية ، والإباحة فى أوربا وغذته الشيوعية ، ذلك الأدب الخليع المستهتر الذى ينبت فى القلوب النفاق ، ويسقى غرس الشهوات ويقوض دعائم العمران ويفسد نظام الأسرة ويسخر من كل فضيلة ، ويستهين بكل ادب ونظام ويزين للقارىء مذهب اللذة والانتفاع وانتهاز الفرص ويلخص التاريخ ويوجز الفلسفة والعلم فى حب المال والميل الجنسى ، ويصور العالم كله كأنه ليس إلا ظهور هاتين العاطفتين وليس وراء ذلك حقيقة علمية أو مبدأ سام ، أو غرض شريف .

وقد انتشر هذا الطابور فى أنحاء العالم عن طريق الأدب ، والروايات والمجلات والراديو ، والسينما وتأثر به الحاضر والبادى وتحدثت به المواتق فى خدورها ، وصار ينخر صرح الحضارة الدينية والأدب الإسلامى حتى تسرب العطب اليوم إلى لبابه .

وهكذا أصبح العالم كله شعوباً وحكومات وأفراداً تحت سلطان المادية والجاه والشهوات ، قد شغلت منه كل موضع ومنفذ وملكت عليه جميع مشاعره ، واستهلكت فى سبيلها جميع مواهبه وقواه وتفكيره وذكائه ، وخلقت فى الإنسان نفسية لا تؤمن إلا بالمحسوس ولا تفكر إلا فى اللذة والمنفعة والسعادة الدنيوية ولا تهتم إلا بهذه الحياة ومطالبها الكاذبة التى ما أنزل الله بها من سلطان والتى إنما فرضها على الإنسان الحياة المزورة والمجتمع الفاسد والتجارة الجشعة .

كيف يحل فى هذه المادية الدين الذى أساسه الإيمان بالغيب وإيثار الآخرة على العاجلة الذى يقول « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون » والذى يقول « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » والذى يقول نبيه صلى الله عليه وسلم « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » ويقول « حفت الجنة بالمكاره » .

إذن فالمادية فى هذا العصر هي علة العلل وعدو الدين الألد ومزاحمه الأكبر ، وأن أوربا هى زعيمها الذى تولى كبرها ووكرها الذى تطير منه وتأوى إليه وفيه تبيض وتفرخ .

فأين ذلك البطل الذى يمثل قصة الآدمى مع الجنى على مسرح التاريخ والواقع ؟ ؟

لكهنو (الهند) **على عبد الحى الحسنى**

خطرات في الأدب المعاصر :

١ – حالة أدبنا

أدبنا عكر لا لون له ولا طابع ولا شرعة ولا منهاج ولا هدف . أدبنا أكسح تنقصه الحيويه وتعوزه الروح ويفتقر إلى التوجيه الصحيح .

ونحن نريد أدباً يدفع إلى المجد ؛ يغذى الفكر ويهذب المشاعر ويروض النشء على تذوق كل جميل وفى هذه الصدور اليائسة ينفخ هزة الحياة لتشمر وتفكر ثم تعمل لتحيا سعيدة .

أدبنا عكر لأن فيه من كل مذهب بدعة ، ولكل طائفة شرعة ، ولكل أديب أو متأدب دعوة ، وكل ثائر ناقم يمجد نهجه ويعيب غيره . فمن مشرق يتمسك بالقديم البالى ؛ يركب نهج القديم باسم الاصالة ، ويقتتل فى الأدب باسم القومية ، وعلى المعنى يجنى باسم التعمق ، وعلى اللفظ باسم الجزالة بل وعلى الأدب باسم الأدب . هذا القديم ضال فى غوايته ، تائه فى ضلالته ، ناس أو متناس أن الأدب فن رفيع من فنون الحياة يتجدد بتجددها ويتأثر بكل مافيها من مؤثرات اجتماعية كانت أوفلسفية أو علميه ، وأن أدب أية أمة مهما تعالى وتسامى متأثر بالأداب الأخرى مؤثر فيها .

وأساتيذ المدرسة القديمة وتلاميذها من أدبائنا كثيرون ، ومعظم أدب هؤلاء دوار فى مجالات القديم ، وأكثر موضوعاته لا تعدو اجتراراً لمآثر الماضى ، ومناهل هذا الأدب فلى المعاجم ونبش وريقات الماضى .

ولهذا الطراز من الأدب أسلوبه الخاص ، فلغته عربية سليمة ، وألفاظ جزلة ومعان عميقة وتراكيب مرصوفة لها موسقة النفوس . وهى لغة القرآن فلها قدسيتها ورفعتها وإذن فهى اسمى من أن تؤنس بغريب ، وأوسع من أن تقصر عن أداء معنى ، وأرفع من أن تنالها يد التحوير والتغير ... أما خيالاته فصافية هادئة إلا أن أجواءها ساجية حزينة قل أن تجد فيها تصويراً حركيا أو وضعا نابضاً بالحياة .

ومن مغرب قدر له أن يطلع على شىء من أدب الغرب فبهره التجديد وانغمس فيه ثم عاد يحمل رزماً من الطرائق والمناهج وجهر يدعو لتطبيقها كاملة غير منقوصة . وليته درى أن لكل بيئة خصائصها وفى كل مجتمع ميزات ينفرد بها ولكل قوم أمزجتهم وأهواءهم ، فما يصلح فى بيئة قد لا يصلح كله فى الأخرى ، وما يستساغ عند قوم يمجه آخرون .

هذا بالإضافة إلى أن أسس الخبرات الشائعة فى أى مجتمع من المجتمعات تختلف باختلاف طعومه الفنية ومراتب حضارته وأن أى عزم لبناء صرح جديد لا بد وأن يسند بهذه الأسس .

وابتلى الأدب العربى بحملة المشاعل المستعارة ، فهذا داعية جديد أمه فرنسا رشف لبنها واستطعم أدابها فلكته رقتها وأسرته طرائق تصورها وبهرته مناهج البحث الفرنسية فعاد يدعو لتطبيقها وافية كاملة . وهذا آخر لقف العلم فى انكلترا أواتصل بعلومها وأدابها فانغمس فى رومانتيكية الانكليز وماع معها وهام فى دنا أريافها ثم عاد يدعو إلى البساطة والتحلل من القيود قيود الشعر وتعقيدات النثر ... وثالث ألمانى الثقافة واقعى النزعة جاء يحمل على هذا الأدب الضعيف اللين المائع لأن القوة – فى نظره – هى المظهر السامى للكائن الحى والأدب مظهر من مظاهر الحياة يصورها ويمثلها ويعالجها فلا بد وأن يكون قوياً .

وأدب هؤلاء المجددين متلون وفق أهواء كل منهم ، مصطبغ بنهج من درس عليه ، متأثر بطرائق من أخذ عنه وتكاد أساليبه تمتاز بأنها أسلس قياداً للقارىء فلغته عذبة ألفها فى حياته العامة ، ليس فيها الغريب الشاذ ولا العميق المعقد . ولئن كان جرس الكلمة ورنين العبارة وموسقة السبك هى أنصار الأسلوب القديم فى إثارة مشاعر القارى فلا شك أن وضوح الفكرة وبساطة التركيب وطرافة الموضوع هى أهم ما يعتمد عليها الأسلوب الجديد فى استهوائه نفوس قرائه .

وموضوعات هذا الأدب بنت الواقع تصوره وتعالجه فهى منه وإليه ، ومعظمها إما من صميم حياتنا أو منقول مترجم . وفى الأولى ملح كوميدية عذبة وفى الثانية روائع روما نتيكية مزيدة .

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٦ —

من كل ما ذكرنا نستطيع أن نفهم مبلغ التطور الفكرى والنضج العلمى الذى كان قد بلغه العلماء والأطباء المسلمون فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة ويعدان فى الحقيقة عصر كمال الرقى العلمى لدى المسلمين ، ومن أهم العصور فى تاريخ تكامل الثقافة والعلوم عند البشر .

فى هذا العهد ظهر كثير من الأطباء الكبار من أصحاب التآليف المهمة فى المسلمين ، كانت آثارهم ومؤلفاتهم تدرس فى المدارس ، وكتب العلماء مئات من الشروح والحواشى عليها ، وترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية ، ودرست فى مدارس أوربا الطبية وكانت مدار علم الطب عندهم ، وكان كثير منهم من إيران ، وقد بلغت شهرة خمسة منهم حداً عظيما وخلدت أسماؤهم فى تاريخ الطب وهم :

١ – على بن ربن الطبرى صاحب كتاب (فردوس الحكمة) وكتب أخرى فى الطب ، وقد تلقى عنه الطب محمد بن زكريا الرازى كما روى معظم المؤرخين .

٢ — محمد بن زكريا الرازى وهو أكبر الأطباء المسلمين ومن أعظم الأطباء والكيماويين فى العالم ، وله تآليف متعددة فى الطب والكيمياء .

٣ — على بن العباس المجوسى الأهوازى وكان طبيب عضد الدولة الديلمى ، ومن تأليفاته كتاب (كامل الصناعة الطبية) .

٤ – الشيخ الرئيس أبو على بن سينا الفيلسوف والطبيب المشهور مؤلف القانون فى الطب والشفاء والنجاة والإرشادات ورسائل أخرى فى الفلسفة .

٥ — السيد إسمعيل الجرجانى مؤلف كتاب (ذخيرة خوارزم مشاهى) فى الطب باللغة الفارسية .

٥ — على بن ربن الطبرى :

وقد كان على بن رَبّن الطبرى متقدماً عليهم فى الزمان ، ويعتبر مؤلفه (فردوس الحكمة) أول تأليف طبى مستقل لأطباء المسلمين ، لذلك نكتفى فى حديثنا هذا بذكر مجمل من تاريخ

وبين هاتين الفئتين المجددين ودعاة القديم تأرجح الأدب العربى ، وبين الأثنتين تاه السبيل وطال عليه الأمد .

وفى الأجواء الجديدة تعالت صيحات حق صارخة من « الشاعرين بأنفسهم » الذين يؤمنون أن على الإنسان أن يستغل جميع خبراته ومواهبه فى سبيل شىء واحد هو أن يعيش واعياً نافعاً متعاوناً ؛ وهدف هؤلاء « أن يكون درس الأدب وتاريخه على منهج تصححه الخبرة الإنسانية بالحياة والنفس والجماعة ويمثل التقدم الإنسانى والرقى العقلى » ، وعلى رأس هؤلاء أستاذنا الجليل أمين الخولى ويحرص هذه الفئة على « ألا يكون درس الأدب وتاريخه تناولاً سطحياً وترديداً تقليدياً لما لا يساير تقدم الإنسانية ورقى الحياة العقليه » .

هذه الفئات الثلاث أهل الأدب الحى والثوار المجددون ودعاة القديم قد التفت جميعها فى حلبة واحدة هى هذا الشرق العربى واستمر التصادم وطال التنافس فطالت على أدبنا تقاعد الانتقال . واشتد التزاحم فكثر النتاج لكنه ظل كدراً ، وتأرجح أدباؤنا بين مذاهب هذه الفئات يميلون إلى التجديد باسم المرونة والوقعية ومع القديم باسم الإصالة والقومية فجاءوا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وتذبذب نتاجهم فجاء ضخما كبيراً لكنه ظل كدرا لا لون له ولا طابع ولا شرعة ولا منهاج . بل ولا هدف .

ونحن إذ نقدر للقديم أصالته نؤمن أن الاستمانة به فى السبك الجديد ضرورة وأن الاعتداد به مفخرة ، ولكننا ندعو ألا يلهينا هذا القديم عن خلق أدب حى يصور مسراتنا وآلامنا ومشاكلنا فنستطيبه أنفسنا وتأنس به ، كما أننا نأمل أن تنتظم هذه الاندفاعات التجديدية تنظيما أساسه التبصر ورائده الإصلاح لأنا نريد أن يكون لنا أدب حى دفاع يخلق من ناشئتنا جيلا يتذوق الجمال ويقدر الفن ويملأ صدورهم بسمات .

وفى هذه النفوس الذابلة يتفتح هذه الحياة لتنطلق راضية مطمئنة تستقبل عالم الغد ...

(القاهرة)

حياته مقتبساً مما ذكره معظم المؤرخين عنه وما ذكره هو نفسه في مقدمة مؤلفه كتاب فردوس الحكمة .

هو أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى وكان من أسرة برعت فى العلوم ، وتولت أهم الأعمال لولاة طبرستان ، وكان أبوه من أبناء كتاب مدينة مرو ذوى الأحساب والآداب ، وكانت له براعة فى الطب والفلسفة ، يقدم الطب على صناعة آبائه ، وقد قام بتثقيف ابنه وتعليمه العربية والسريانية عـلاوة على الطب والهندسة والفلسـفة والعبرانية وقليلا من اليونانية أيضاً ، والدليل على أنه كان له إلمام بهذه الألسنة أنه قد شحن فردوس الحكمة ببسط القول فى الهندسـة والفلسفة وشرح فيه بعض اللغات اليونانية ، ونشر ترجمة باللغة السريانية .

وبعد أن فرغ من التعلم فى طبرستان ، توجه إلى العراق وأقام بها وأخذ يتطبب فيها ، وبعد أن عين مازيار بن قارن لولاية طبرستان من قبل العباسيين ، ترك على بن ربن الطب وأسرع إلى هناك ، وتولى الكتابة فى ديوان مازيار ، واستمر فى عمله حتى قتل مازيار ، ثم توجه إلى الرى وعاد فيها إلى التطبب ثانياً ، وهناك أخذ الرازى يقرأ عليه الطب ، ثم رحل إلى سر من رأى وأقام بها وفيها وفقه الله للانتهاء من تأليفه فردوس الحكمة وكان ذلك فى العام الثانى من خلافة المتوكل على الله .

يقول ابن أسفنديار فى المجلد الأول من مؤلفه تاريخ طبرسان ما ترجمته أن الخليفة المعتصم عين علياً بن ربن الطبرى بعد مازيار بديوان الإنشاء فوجدوا معانى ما يكتب أقل منها فى مازيار ، فسألوه عن العلة فقال إن مازيار كان يكتب تلك المعانى بلغته ، أما أنا فإنى أدونها بالعربية وفى هذا ما يدل على قوه عقل مازيار .

ولما تولى المتوكل الخلافة دعاه إلى الإسلام فلباه واعتنقه ، فلقبه بمولى أمير المؤمنين ، ولشرف فضله جعله من ندمائه ، وفى رواية لابن النديم أنه أسلم على يد المعتصم .

وقد اختلف المؤرخون فى دين على بن ربن ، فقال بعض مشاهيرهم ومنهم محمد بن جرير الطبرى أنه نصرانى ، وقال آخرون منهم كالقفطى إنه من اليهود .

يقول القفطى : « وكان له تقـدم فى علم اليهود والربن والربين والراب أسماء لمقدمى شريعة اليهود » ، ويظهر من هذا الكلام أن سبب وقوع القفطى وغيره ممن يعدونه يهودياً ناشىء من كلمة (ربن) إذ أن هذه الكلمة تطلق عادة على العلماء المتبحرين فى علوم الدين عند اليهود — وقد كان لأبيه كما روى عن على بن ربن نفسه وعن غيره من المؤرخين — إحاطة تامة بالكتب المقدسة وعلوم التوراة — أما بعد نشر كتاب (الدين والدولة) بواسطة الأستاذ منغانا المستشرق ، وفيه يصف على بن ربن نفسه أيام نصرانيته لا يبقى أى شك فى أنه كان من النصارى وأن الذين يعدونه يهودياً مخطئون ، وسبب وقوعهم فى هذا الخطأ هو لقب والده (ربن) .

أما تآليفه فهى حسب رواية ابن النديم وابن أبى أصيبعة والقفطى كالآتى :

١ — تحفة الملوك
٢ — فردوس الحكمة
٣ — كناش الحضرة
٤ — منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير
٥ — كتاب فى الأمثال والأدب على مذاهب الفرس والروم والعرب ، وقد أضاف إليها ابن أبى أصيبعة كتباً أخرى منها :
١ — كتاب عرفان الحياة أو إرفاق الحياة
٢ — كتاب حفظ الصحة
٣ — كتاب فى ترتيب الأغذية
٤ — كتاب فى الرقى
٥ — كتاب فى الحجامة

ويجدر بنا أن نزيد عليها كتابين آخرين هما :

١ — (الدين والدولة) الذى نشرته مطبعة المقتطف والذى يشير على بن ربن نفسه فى مقدمة مؤلفه (فردوس الحكمة) إلى أنه قام بنقله إلى السريانية بعد إنجاز تأليفه .

٢ — كتاب الرد على أصناف النصارى الذى أشار إليه المؤلف فى مطاوى كتاب الدين والدولة .

وقد ذكر ابن أسفنديار فى مؤلفه تاريخ طبرستان[1] مؤلفاً آخر له باسم (بحر الفوائد) ولم يسلم من عوادى الزمان من كل هذه المؤلفات التى ذكرناها غير ثلاثة كتب هى :

١ — كتاب فردوس الحكمة فى الطب
٢ — كتاب حفظ الصحة ، وتوجد نسخة منه فى مكتبة بودلين باكسفورد .
٣ — كتاب الدين والدولة ، وقد طبع بمطبعة المقتطف ،

(١) تاريخ طبرستان مؤلف عام ٦١٣ هجرى .

ونذكر هنا نبذة عن كتاب فردوس الحكمة ، قام بمراجعة هذا الكتاب وطبعه ونشره الدكتور محمد زبير الصديق أستاذ جامعة لكنو فى مطبعة أفتاب ببرلين بتشجيع المرحوم الأستاذ ادوارد براون المستشرق الإنجليزى المعروف وإرشاده — وكان طبيباً محباً لإحياء الكتب الطبية — وبمساعدة أوقاف جمعية جيب التذكارية) وذلك بمراجعة النسخ الخطية الثلاث الموجودة فى أوربا والنسختين الموجودتين فى الهند (١) وكان ذلك عام ١٩٢٨ بعد وفاة الأستاذ براون .

وقد كان كتاب (فردوس الحكمة) معروفاً منذ بدء تاريخ تأليفه حتى إن أشهر المؤرخين محمد بن جرير الطبرى كان يطالعه وهو مريض قد لزم الفراش ، واستشهد به الرازى والمسعودى وياقوت وأبو ريحان وغيره من المحققين فى مواضع شتى من كتبهم (٢) .

والكتاب مقسم إلى سبعة أنواع من العلوم ، والأنواع مقسمة إلى ثلاثين مقالة ، والمقالات إلى ثلاثمائة وستين باباً .

ونجتزىء فى حديثنا هذا الآن بالإشارة إلى أن النوع الأول من الكتاب مشتمل على مقالة واحدة يذكر فيها أنه أخذ المعارف التى ضمنها كتابه من بقراط وجالينوس وآخرين من علماء الطب ومن كتب أرسطو وسائر الفلاسفة ومن آثار معاصريه كيوحنا ابن ماسويه وحنين بن إسحق ؛ وأضاف إلى ذلك كله خلاصة كتب أخرى طالعها وألحق بها زيادة فى الإفادة مقالة خاصة فى كتب الطب .

وفى أبواب هذا المقالة يتحدث عن كليات المسائل الفلسفية والعلوم الطبيعية من قبيل الهيولى والصورة والكم والكيف وتأثير الفلك والأجرام السماوية والهواء والشهب والحيوان البرى والبحرى والهوائى وغير ذلك . وفى النوع الثانى ويحتوى على خمس مقالات يشرح المسائل الطبية كالحمل والجنين وعلل العقم والعقر وخلقة الأعضاء والحواس والقوى المدبرة فى البدن والقوى النفسانية والرؤيا والكابوس .

وفى النوع الثالث يبحث عن الأغذية وأنواعها والكمية اللازمة من أنواعها المختلفة وقوة كل نوع منها .

وفى النوع الرابع وهو أكبر أنواع الكتاب وأكثرها تفصيلا يتحدث أولا عن الأمراض بصفة عامة كالبحث عن الأمراض الخاصة بكل دورمن أدوار الحياة والأمراض الخاصة بكل فصل من فصول — السنة وعلة هيجان الأخلاط والطبائع ثم يشرح بعد ذلك الأمراض الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم من قمة الرأس إلى أخمص القدم ويتحدث عن العلاج والفصد والحجامة وخصوصيات كل دواء وذكر علاجه .

وفى النوع الخامس يبين خواص الأشياء وروائحها وألوانها وفى النوع السادس منه يتحدث بالتفصيل عن المواد الغذائية والأدوية المختلفة كالحبوب والغلال والبقول والخضر والفواكه والزيوت واللحوم والمربيات والمخللات والأدوية المفردة والعقاقير والمسهلات ويذكر فيه أيضاً منافع أعضاء كثير من أنواع الحيوان وعن السموم وعلاماتها وترياقها والمراهم والأضمدة وغيرها .

وفى النوع السابع يتكلم عن الماء والهواء والأقليم والفصول والعلاقة الموجودة بينها وبين الصحة والمرض وفائدة علم الطب .

ويتبين من مطالعة كتب على بن ربن أنه لم يسهب فى الكلام عن الجراحة العملية والتشريح بينما نراه فى النوع الرابع من الكتاب وهو أهم قسم فيه ويولف خمسى الكتاب على وجه التقريب ، يتحدث عن الأمراض بتفصيل كلى غير أنه لا يذكر حتى فى هذا النوع شيئاً مهما عن تجاربه الشخصية أو مطالعاته عن المرضى فى المستشفيات على عكس تلميذه العظيم الذى يمكن اعتباره أكبر الأطباء المسلمين أعنى محمدبن زكريا الرازى فإن كل كتبه ومؤلفاته مشحونة بمطالعاته الخاصة فى المستشفيات وبتجاربه المختلفة وبحوثه الدقيقة الشخصية .

ويستفاد من هذه الكتب الثلاثة الباقية من آثار هذا الرجل العظيم أنه فضلا عن مهارته فى العلوم العربية والأدب وحسن الإنشاء ومعرفة اللغات المتداولة فى زمانه كان عالماً بالطب والفلسفة والنجوم أيضاً كما أنه كان لديه اطلاع واسع على الديانات اليهودية والنصرانية والإسلامية .

وينسب بعض الكتاب الذين دونوا سيرة على بن الطبرى إليه أقوالا تعتبر من الحكم والأمثال السائرة (السلامة غاية كل سول — طول التجارب زيادة فى العقل — التكلف يورث الخسارة — شر القول ما نقض بعضه بعضاً — الطبيب الجاهل مستحث الموت . (يتبع)

(١) النسخ الخطية الثلاث الموجودة أحدها فى المتحف البريطانى وهى أكمل نسخة موجودة والأخرى فى مكتبة (جوتا) بالمانيا والثالثة فى مكتبة برلين أماالنسختان الموجودتان فى الهند فاحداهما نسخة خاصة ملك كمال الدين الطبيب الهندى بلكنو الأخرى فى مكتبة رامفور

(٢) من مقدمة الدكتور الزبيرى على كتاب فردوس الحكمة

٨ — من ذكرياتي في بلاد النوبة :

من التـــاريخ الحديث

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

منذ أن عرف الإسلام طريقه إلى بلاد النوبة ، أشرق فى قلوب أهلها ، إشراق الشمس تبدد حلكة الظلام وأضاء أفئدتهم ، وأفهمهم معنى الوطنية الصادقة ، وأنها ليست كلمة تلوكها الألسنة ، ثم لا يكون لها بعد هـذا أثر يذكر ، أو خبر يذاع وينشر ، أو عمل تدفع إليه النفس التواقة إلى المجد ، والمستطلعة إلى العزة ، والسيادة والعظمة .

وبفهم هـذا المعنى السامى ، بدأ الامتزاج الحقيقى فى جميع نواحى الحياة ، والمشاركة فى أسمى أهدافها ، وأنبل غاياتها ، وعلموا أن المصريين إخوانهم فى الدين ، وشركاءهم فى العقيدة . والاتجاهات والميول ، لا يكادون يختلفون فى ناحية من النواحى ، أو شأن من الشئون ... وأن التزاوج والإصهار ، ومبادلة المنافع ، والمشاركات الوجدانية بين الأفراد ، كل أولئك لاشى الفروق ، وكان دليلا عمليا على فهم النوبيين لحقائق الدين ، وإدراك دقائقه ، وأسراره التى تخفى على الكثيرين من أبناء وطننا العزيز .. !!

ومنذ هذا الوقت خمدت فى نفوسهم عاطفة التناحر والتواثب ، وزالت الرغبة فى السيطرة والإعتداء ، وتلاشت روح الكراهية والعداء ، فأخلدوا إلى الهدوء والسلام ، وجنحوا إلى الطمأنينة والاستقرار ، وأيقنوا أن الامتزاج بينهم وبين المصريين أمر واقع لا شك فيه ، عن إخلاص ونقاء ، وحب وصفاء ، وليس حديث خرافة أو خيال .

ومن هذا الحين تجلت عواطف النوبيين نحو مصر ، سامية نبيلة ، كلها الحب الذى لا يعرف البغض ، والإخلاص الذى لا يعرف الرياء والمكر ، أو النفاق والخداع .

وما أروع النوبى حين يخلص ، وهو دائما المخلص الأمين ، الذى يحترم العلائق ، ويقدس الروابط والوشائج ، ويرعى العهد والزمام . !

ومن هذا الحين كذلك استفادت مصر من جهود أبناء النوبة الذين ساهموا جدياً فى بناء النهضة المصرية الحديثة ، مدفوعين بوازع من ضمائرهم الحية ، ودافع من إيمانهم العميق .

وقد اعتمد محمد على باشا على النوبيين فى تكوين الجيش الأول ، كما يقول سمو الأمير المرحوم عمر طوسون فى كتابه : صفحة من تاريخ مصر . إذ كانت الفرقة السادسة المسماة بالإفريقية ، تتركب من جنود نوبيين ، وجنود سناريين ، كانوا عماد النصر ، والظفر فى شتى الميادين ، ومختلف النواحى .

وكم شهدت بلاد النوبة بفخر عظمة الجيش المصرى الحديث ، أيام الخديو إسماعيل باشا سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية .. ذلك الجيش الذى درب أحسن تدريب ، ونظم خير نظام ، ولم يفت فى عضده صحارى بلاد النوبة الرحبة وفيافيها الجدباء ، فكان العتاد الحربى ينقل على ظهور الجمال ، ومتون السفن الشراعية والتجاريه ، حتى يصل إلى مديريه خط الاستواء ، التى فتحها المصريون بدمائهم ، وبذلوا فى سبيلها أرواحهم رخيصة هينة ، ويريد الإنجليز الآن انتزاعها ظلما وغدراً باسم العدالة والديمقراطية . وكم باسم الحق تراق الدماء ، وتزهق الأرواح باطلا وزوراً .

وقـد لعبت بلدة كرسكوا ، وهى فى منتصف الطريق بين الشلال وحلفا تقريباً ، دوراً هاماً أيام إسماعيل باشا ، إذ كانت تصل إليها المعدات والعتاد الحربى ، ثم ينقل هذا كله على ظهور الإبل إلى بربر والخرطوم .

وقد شهدت توشكى — وهى بلدة قرب حلفا — أهم حوادث الثورة المهدية سـنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية ، حين حاول عبد الرحمن ولد النجومى غزو مصر ، طامعاً فيها ، راغباً فى الاستيلاء والسيطرة عليها ، فخرج من دنقلا فى مايو سنة تسع وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية ، فى جيش لا نظام له ، على الرغم من كثرة عدده ، وكانت الحكومة المصرية عالمة بحركاته ، إذ كان سردار الجيش المصرى حينذاك رجلا اشتهر بالحكمة والروية ، والحنكة وبعد النظر . ووقعت مناوشات بين الجيشين قرب حلفا ، وما كاد يصل جيش السودان توشكى حتى التحم المقاتلون ، واشتد القتال ، وحمى الوطيس . وتمكن الجيش المصرى من القضاء على عبد الرحمن ولد النجومى ، ومعظم جيشه .

وسر بذلك الخديو توفيق باشا ، فأرسل إلى السردار تهنئة بهذا النصر ، وأقيم مقام عظيم فى توشكى ضم جميع من مات من الجيش المصرى ، ونقش فوقه باللغة العربية حفراً :

« شيد هذا الأثر تذكاراً لواقعة توشكى التى حصلت فى ٦ من

ذى الحجة سنة ١٣٠٦ هـ ، وانهزم فيها جيش العصاة السودانى المرسل تحت إمرة عبد الرحمن ولد النجومى . فشتتوا بعد قتل أميرهم .. وفى هـذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية الذين استشهدوا وهم فى الميدان »

وكأنما كانت هـذه الواقعة فألا حسنا على البلاد ، فامتدت سلطة الحكومة المصرية إلى سرس (جنوبا) ، وزلزل هذا الخبر التعايشى وجنوده ، فأخذت تتداعى أركان الدولة المهدية ، وينقوض بناؤها حجراً بعد حجر

وقد سار الخديو توفيق بنفسه بعد الواقعة فى بعض معيته إلى توشكى ، وهناك فى هذه البلدة النوبية الواقعة على الشاطىء الغربى للنيل ، والتى لا تبعد عن عنيبة أكثر من عشرة أميال تقريباً ، وقف الخديو توفيق أمام قبر شهدائها . وفى نفسه عواطف متباينة ، ومشاعر مختلفة . وأحاسيس متضاربة ، يتأمل ما أظهره عساكره من شجاعة وإقدام ، وما أبداه جنده من جرءة واستبسال وسرعان ما فاضت دموعه ترحما على هؤلاء الأبطال القتلى الذين بلغ عددهم فى هذه الواقعة ستة وعشرين قتيلا فقط .. !!

وفى الدر ، وإبريم ، وتوشكى ، وأبى سمبل عائلات من المماليك ، بيض الوجوه ، ضخام الجسوم ، يختلفون اختلافاً واضحاً عن بقية الأهلين من النوبيين الأصليين ، فلهم من المماليك نعرتهم ، وحدتهم ، واعتزازهم العجيب بأنفسهم ، إلى حـد يدفعك إلى العجب ، ويوقعك أحياناً فى الحيرة والارتباك ، ويذكرك تواً بقصة التركى الذى فقد الحكم والسلطان ، والصولة والصولجان ، فلم يعدمه فى مجموعة من القلل ملأها ماء ، وجلس بها على قارعة الطريق ، يأمر وينهى ، ويتحكم دائماً فى كل من ساقه حظه العاثر إلى الشرب منها !! ..

وهؤلاء يطلقون على أنفسهم لفظ (كشاف) والواحد منهم كاشف ، وهم بقايا المماليك الذين فروا من مصر ، عقب المذبحة المشهورة ، مذبحة القلعة التى بيتها لهم محمد على باشا سنة إحدى عشرة وثمانمائة وألف ميلادية — إلى مختلف بلدان الصعيد . ولما أرسل محمد على باشا ابنه إبراهيم باشا لجمع الضرائب فى الصعيد ، طارد فلول المماليك ، وهاجمهم فى أوكارهم التى لجأوا إليهـا ، فأوسعوا الخطا إلى الجنوب ، واستقر ببعضهم المقام فى بلاد النوبة ، وطابت له فيها الإقامة ، فألقى بها عصاه ، وقرت فيها عينه ، إذ وجد الجو خالياً ، والأهلين فى طبيعتهم الهدوء والطاعة

وقد كان هؤلاء يحملون معهم كثيراً من الجواهر والذهب ، مما خف حمله وغلا ثمنه ، وارتفعت قيمته ، فأمكنهم أن يسيطروا على النواحى التى نزلوا بها فى هذه البلاد بما معهم من أموال ، والمال مفتاح كل مغلق ، وميسر كل صعب ، ومسهل كل عسير . أضف إلى ذلك النعرة التركية التى تطمح دائماً إلى السـيادة والعظموت ، والقوة والجبروت ، والسيطرة والرهبوت ، الأمر الذى مكن لهم فى هذه الجهات سلطاناً وقوة ، وثبت أقدامهم ، ورفع شأنهم ..

وبتوالى الزمن ، وانقطاع المماليك عن مبعث السـلطان ، وموطن العظمة ، واضطرارهم إلى الاحتكاك بالأهلين فى شتى نواحى الحياة ، وبخاصة سبيل الرزق والعيش ، وبطول العشرة وما طبع عليه النوبيون من أمانة ووفاء ، تزوج هؤلاء من النوبيات ، وتزوج منهم النوبيون ، وأصهر كل إلى الآخر ، فتلاشت بعض خصائصهم ، وأصبحوا مصريين مخلصين ..

ومهما يكن من شئ ، فقد ازداد حب النوبيين لولاة الأمور فى مصر ، وبخاصة أيام المغفور له الملك فؤاد الأول ، الذى ملأ بهم قصره . وتضاعف هذا الحب للمليك المحبوب فاروق الأول حفظه الله ، فغصت بهم دواوين الحكومة ، فكانوا مثال العفة والنزاهة ، والأمانة والإخلاص ..

عبد الحفيظ أبو السعود

المتنبي وكافـــور

للآنسة نعمت فؤاد

المتنبي شـعور ملتهب دفاق ، ونفس طلمة لا تهنأ بالجمام . وكان هو فى شعره يصدر عن هـذا الشعور ويترجم عن هذه النفس : آلامها وآمالها . شجاه أن يذب ابن خالويه عليـه فى حضرة سيف الدولة وليه وصفيه والذى أرسل فيه غرر مدائحه وكرائم أشعاره . يثب عليـه ابن خالويه فى حضرته ويضرب وجهه بمفتاح كان بيده فيشجه ، ويرى سيف الدولة ما حدث فلا يدافع عن أبى الطيب ! إنها لـكبيرة ...

لينهد إلى مصر إن بها كافوراً ، وقد سار إليها قبله أبو نواس فى إمارة الخصيب فأعطاه حتى رضى .

وفد المتنبى على مصر وحده وتخلف عنها هواه حيث بقى فى حلب لا يريم . إن أمير بنى حمدان لم يمسسه بسوء ولـكنه كبر عليه أن يمس بالسوء وهو حاضر فيسكت فيكون سكوته إقرار .

وكان الأستاذ أبو المسك كافور يحب العلماء والشعراء ويقربهم إليه كما جرت بذكره السير . ولعل نفسه الطموح كانت تهفو إلى شاعر يقصر عليه هواه ، ويغنى علاه ، ويخلد مجـده . ومن كالمتنبى صدق شاعرية وبعد صيت ؟ أتراه نفس على سيف الدولة شاعره ؟ أم أراد أن يقال عنه « عظيم القدر مقصود » ؟ كما حكى المتنبى .

إذن لم يكن بدعا من كافور أن يكرم وفادة المتنبى . فما إن نزل أخلى له داراً وخلع عليه وحمـل إليه آلافاً من الدراهم ... يتألف قلبه ويعطفه عليه فهتف المتنبى به كالطير يلذ له التغريد وقد توفر له الماء والحب والشجر .

نحن نعرف المتنبى فى مدائحه لسيف الدولة شاعراً مغلقاً جهير الذكر ولـكن قد يكون الصوت واحداً وتختلف درجاته . إن للمتنبى هنا شاعر آخر . إنه يمدح وكأن به من مدحه غضاضة أتحسب أنه منشرح النفس وهو يستهل أولى مدائحه فى كافور بهذا المطلع :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

إنه عند علماء البديع بعطامه هـذا غير موفق ... وكذلك عندى ...

اصحب المتنبى فى هذه القصيدة تعرف مهمته وتتبين مقصده إنه لم يقصد كافوراً مادحاً بقدر ما قصده مسترفداً بل إملك ترى أنه يهدف إلى مرمى أكبر من العطاء . أنصت إليه :

وغير كثير أن يزورك راجل ... فيرجع ملـكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا ... لسائلك الفرد الذى جاء عافيا

ألم أقل لك أنه شاعر طموح ؟

وهذه النغمة لا تقف عنـد هذه القصيدة بل تطرد فى كل قصائده التى نسميها « الـكافوريات » وإليك الشاهد :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم ... إلى غيـوث يديه والشآبيب
إلى الذى تهب الدولات راحته ... ولا يمن على آثار موهوب
وهبت على مقدار كفى زماننا ... ونفسى على مقدار كفيك تطلب
إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية ... فجودك يكسونى وشغلك يسلب

***

فارم بى ما أردت منى فإنى ... أســد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا ... ن لسانى يرى من الشعراء

أصح عندك ما أقول ؟

إن المتنبى هنـا فى مصر يمدح لينال ... ينال مالا وينال جاها . إنه يرى نفسه من الملوك وإن رآه الدنيا شاعراً .

ونلاحظ فى كافوريات المتنبى أنه حينما يمدح كافوراً فإنما هو مدح كالذم .

بنى كافور دارا بإزاء الجامع الأعلى على البركة وطلب من أبى الطيب أن يذكرها فقال يهنئه بها :

مســـتقل لك الديار ولو كا ... ن نجوما آجر هــذا البناء
إنما يفخر الكريم أبو المسـ ... ـك بما يبتنى من العلياء

أتظن أنه يستقل له الديار حقيقة ؟ إنى أحسبه يتهانف عليه فى سره حين طلب منه أن يذكر داراً وقد عوده سيف الدولة أن يسجل أفضالا وإلا فما معنى قوله فى البيت الثانى :

إنمـا يفخر الـكريم أبو المسـ ... ـك بمـــا يبتنى من العلياء

ألست ترى معى أنه يعرض له أن الفخر إنما يكون بما يكسب حمدا أو يخلد مجداً ؟

الفخر بالعلياء لا بالبناء . هذا هو رده على طلب كافور .

وقال يذكر قيام شبيب المقيلى على الأستاذ كافور وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر فى علاك وإنمـــا كلام العدى ضرب من الهذيان

ألست تلمس النكته فى الشطر الثانى من البيت الأول ما دمت تعرف أن كافوراً كان عبداً بشع الخلقه ؟

أما البيت الثانى فإنه يفضح شعوره إزاء كافور . إنه ينمى على الأقدار حكمتها فى أن تملك هذا وتتركه هو مثلا ! فلا يجد مخرجاً من حيرته سوى أن يردد القولة الشعبية « له فى كده حكم » أو بأسلوبه هو :

« ولله سر فى علاك »

ونلحظ عند المتنبى لونا ثالثاً وهو أنه لا يفتأ يذكر كافوراً بسواد لونه وهو يمدحه !

ومن قول سام لو رآك لنسله فدى ابن أخى نسلى ونفسى ومالية

يريد أن كافوراً من نسل حام ، يريد أنه عبد

وفى قصيدته التى يستقل له فيها الديار يقول :

تفضح الشمس كلما ذرت الشمـ س بشمس منـــيرة سوداء

إن الشمس لو كانت سوداء لما سميت شمسا ولكنه يريد أن يذكر لون كافور والسلام ليطامن من كبريائه وإن تظاهر بمدحه أليس فى ذكر اللون حط من نسبه ؟

بل إن المتنبى صرح بذلك فى قصيدته التى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

فى هـذه القصيدة صرح بأن كافوراً لا نسب له ولكن عزاءه أن المكرمات تناهى إليه ! يسمى ويذبح !

ويغنيك عما ينسب الناس أنه إليك تناهى المكرمات وتنسب

ولون آخر لا يخـفى فى كافوريته ذلك هو حنينه المتشوف إلى سيف الدولة وإذا علمت أن سيف الدولة وكافوراً كانا متنافسين أحسست وقع مدح المتنبى بما حمله من ذكر حنينه على نفس كافور :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم إلى غيوث يديه والشآبيب

قـد تقول أنه يقصد بالغيث ريق الغمام ولكن صدقنى أنه يريد سيف الدولة . إن لفظ « هجرت » لا تقال إلا عن شىء يكون بينك وبينه صلة عزيزة ... أليس لفظ « الهجر » يقابل لفظ « الوصال » فى منطق العاطفة ؟

وقاد إليه كافور فرسا فقال يمدحه !

فراق من فارقت غير مذمم وأم ومن يممت خير ميمم

إن المتنبى فارق محمود الايتطاول الذم إليه . ألم أقص عليك أنه لم يهجره عن قلى ؟ جزى الله ابن خالويه .

رمى واتقى رميى ومن دون ما اتـقى
هـوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى

وأحلم عن خلى وأعـــلم أنه متى أجزه حلماً على الجهل يندم

ها هى ذى قصـة فى بيتيه . هو يعترف أن سيف الدولة لم يتعمده بإساءة فكيف يذمه وهو لو أراد لفل هواه كل سلاح فى يده . ليجرب الحلم إذن عـله يندم على ما فرط منه . هو يحلم عنه ويحلم بندحه . إن البيت الثانى هو بعينه ما نسميه فى عـلم النفس « أحلام اليقظة » .

أرأيت أن المتنبى لم يخلص فى مدحه لكافور بل رنق حنموه بشوائب ذكرتها لك . أو تعده مادحاً ذلك الذى يذكر العيب فى ثنايا المدح وكان أولى به أن يخفيه فى هذا المقام ؟

ولـكن العين لا تغض عن العيوب إلا وهى راضية والمتنبى لم يكن راضياً عن كافور قط كما قال بنفسه بعد أن تحلل منه وأصبح فى وسعه أن يهجوه . لقد نظر إلى شقوق فى رجليه فقال هاجياً :

أريك الرضى لو أخفت النفس خافيـــاً
وما أنـــا عن نفسى ولا عنك راضياً

تظـن ابتساماتى رجاء وغبطة وما أنا إلا ضاحك من رجائيا

وإذ أتينا إلى ذكر هجره لكافور فاعـلم أنه أوسع كافوراً تعييراً بالسواد وضعة الأصل مما ليس عليه مزيد فلنقف اليوم عند هـذا الحد على أن تكون لنا رجعة أخرى إلى أبى الطيب إن شاء الله .

نعمت فؤاد
كلية الآداب . جامعة فؤاد الأول

فلسطين :

يا أخت عمورية

للأستاذ محمود غنيم

قلنا وأصغى السامعون طويلا … خلوا المنابر للسيوف قليلا
سقنا الأدلة كالصباح لهم فما … أغنت عن الحق الصراح فتيلا
من يستدل على الحقوق فلن يرى … مثل الحسام على الحقوق دليلا
إن صمت الآذان لم تسمع سوى … قصف المدافع منطقاً معقولا
لغة الخصوم من الرجوم حروفها … فليقرءوا منها الغداة فصولا
لما أبوا أن يفهموا إلا بها … رحنا نرتلها لهم ترتيلا
أدت رسالتها المنابر وانبرى … حد السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثت عن السلام فلم أجد … كإراقة الدم بالسلام كفيلا

***

يا آل إسرائيل أين الملك هل … مضت الرياح بملك إسرائيلا ؟
أتحققت آمالكم في دولة … تمتد عرضاً في البلاد وطولا ؟
خدعتكم الأحلام في سنة الكرى … ما أكذب الأحلام والتأويلا
يا بانياً بالماء حائط ملكه … فوق العباب أرى البناء مهيلا
هي بنية قامت بغير دعائم … هي دولة قد أنشئت لتزولا
لما استهلت راح يطلب أهلها … مهداً فكان النعش منه بديلا
طلبوا القوابل إذ دنا ميلادها … فاستقبلتها كف عزرائيلا
قل للألى نفخوا بها من روحهم … هيهات قد ولد الجنين قتيلا
لو أن عيسى جاء يحييه لما … وجد الجنين إلى الحياة سبيلا
ليس الشرى للشاردين بمسكن … رحب ولا للمتعبين نزيلا
ولقد يصير لناب ليث طعمة … من بات في غاب الليوث نزيلا

***

« حيفا » فديتك ما لجفنك ساهداً … وللحنك الشاجي استحال عويلا ؟
ما بال أهلك شردوا وثراك قد … أمسى بغير ليوثه مأهولا ؟
أعزز على أبناء يعرب أن يروا … علماً يرف على حماك دخيلا
الجو يرقب خفقه مستنكراً … والطير ينظر نحوه مذهولا
لا جاده الغيث الهتون ولا هفا … ليلا برقعته النسيم عليلا
يا أخت عمورية لبيك قد … دقت حماتك للحروب طبولا
ناديت معتصما فكان غياثه … جيشاً شروباً للدماء أكولا
ما كان بالألفاظ جرس جوابه … بل كان قعقعة وكان صليلا
وأزيز أسراب تصب شواظها … فوق الحصون فتستحيل طلولا
لن يغفر العرب الأباة لغادر … هتك الحرائر والدم المطلولا
غضب الأباة لعرضهم فتخضبي … يا أرض واجري يا دماء سيولا
إنا لقوم ليس يمحى عارهم … حتى يرى بدمائهم مغسولا
فليشهد التاريخ « لليرموك » أو … « ذي قار » في العصر الحديث مثيلا
وليعلم الثقلان أنا لم نزل … نحمي كما تحمي الأسود الغيلا
الصارم العضب الذي فتح الورى … ما زال في يد أهله مسلولا
فلتطلب الأوطان ما شاءته من … دمنا تجده مرخصاً مبذولا
إنا جعلنا أرضنا للمعتدي … قبراً وظلا للنزيل ظليلا

***

النيل لا يرضى هوان أخ ولو … أجرى الدماء بكل قطر نيلا
لما رأيت النيل عبأ جيشه … أتبعته التكبير والتهليلا
وذكرت إبراهيم في حملاته … إذ كان يحدو الجيش والأسطولا
فلطالما دك القلاع بعزمه … ولطالما رد الجيوش فلولا
جيش الصلاحيين سار كأنني … أبصرت بين صفوفه جبريلا
وكأنني «بابن الوليد» و«طارق» … و« أبي عبيدة » يركبون خيولا
قلبت طرفي في الجنود فلم أجد … إلا فروعاً يتبعون أصولا
يتسابقون إلى اللقاء كأنما … هو نزهة بين الرياض أصيلا
ويسارعون إلى الحمام كأنهم … يجدون مر مذاقه معسولا
الطعنة النجلاء تحكي عندهم … طرفاً غضيضاً جفنه مكحولا
ويكاد يحسبها الجريح بجسمه … ثغراً فيهوي نحوها تقبيلا

***

فاروق جيشك جال في ساح الوغى … لا واهناً عزماً ولا مخذولا
داوى جراح الشرق حد سلاحه … وحمى الذمار وحقق المأمولا
لا زلت حصناً للعروبة شامخاً … يرتد طرف الدهر عنه كليلا
قل للعروبة : لن تراعى إنما … يحمي حماك حفيد إسماعيلا

محمود غنيم

الأدب والفن في أسبوع

قصيدة الجارم فى فلسطين :

الحق أن قوى مصر قد بدت فى معركة فلسطين بشكل جمع الدهشة إلى الروعة ، فما كنا نحن نظن أنا هكذا ! وليست هذه القوى فى الناحية العسكرية فحسب ، بل هى فى كل شىء ، حتى الشعر الذى كان قد اتخذ له أخيراً وسادة من ريش النعام ، هب من رقدته ، يشيد بالبطولة ، وينطق بما يجيش فى القلوب . ولقد حشد الأستاذ على الجارم بك كل قواه الشعرية فى القصيدة التى ألقاها بالإذاعة مساء يوم الخميس الماضى ، وما أظنه قال أحسن منها أو مثلها ، فجاءت آية من الآيات المصرية فى معركة فلسطين

قال فى مطلعها :

تألق النصر فاهتزت عوالينا
واستقبلت موكب البشرى قوافينا

ثم قال :

أليس من أحجيات الدهر قبرة ... رعناء ، تزحم فى الوكر الشواهينا
وتائه ماله دار ولا وطن ... يسطو على دارنا قسراً ويقصينا
فيا جبال اقذفى الأحجار من حمم ... ويا سماء امطرى مهلا وغسلينا
ويا كواكب آن الرجم فانطلقى ... ما أنت إن أنت لم ترمى الشياطينا !
ويا بحار اجعلى الماء الأجاج دماً ... إذا علت راية يوماً لصهيونا
العهد عندهم خاف وجحدة ... فما رأيناهم إلا مرائينـــا
ما ذلك السم فى الآبار ؟ ويلكم! ... ومن نحارب ؟ جنداً أم ثعابينا؟

وقال :

بنى العروبة هذا اليوم يومكم ... سيروا إلى الموت إن الموت يحيينا
وخلفوا للعلا والمجد خالدة ... تبقى حديث الليالى فى ذرارينا
لقد صدئنا ودون الغمد منفسح ... فجردوا حد ماضينا لآتينـا
وقربوهم قرابينـــا محررة ... للسيف إن رضى هاتيك القرابينا
ماذا إذا فقدنا إرث أمتنـا ؟ ... وما الذى بعده يبقى بأيدينا ؟

وقال :

يا جيش مصر ولا آلوك تهنئة ... حققت ظن الليالى والمنى فينا
وصلت آخر علينا بأولهـا ... فما أواخرنا إلا أوالينـــا
أعدتها وثبة بدرية صرعت ... دهاة جيش يهوذا والدهاقينا
شجاعة مزقت أحلام ساستهم ... وعلمت مترفيهم كيف يصحونا

أنشودة ناعمة :

كان الأستاذ على محمود طه قد أنشأ قصيدة بعنوان « أخى أيها العربى » دعا فيها إلى القتال من أجل إنقاذ فلسطين العربية ، وقد وقع اختيار الموسيقار محمد عبد الوهاب على هذه القصيدة فلحنها وغناها وسجلتها محطة الإذاعة . وفى مساء يوم الجمعة الماضى أذيع هذا المسجل ، وقدم بأنه « أنشودة فلسطين » وعلى أنه من البرامج الحماسية التى تقدم فى هذه الآونة ، ولم يخلف عبد الوهاب ظننا به . . فهو فنان مبرز فى أغانى الحب الناعمة ، وقد جاءت « أنشودة فلسطين » على نسق « بلاش تبوسنى فى عنيه دى البوسة فى العين تفرق »

وغنى عن البيان أن ما يقال لسرب من الحسان غير ما يقال للأخ العربى فى الميدان .

من حق عبد الوهاب أن يأخذ « أجازة » فى هذه الظروف العصيبة !

الفن المعاصر :

تحدثت فيما مضى عن معرض الفن المعاصر الذى عرض به جماعة من الشبان المصريين أعمالهم فى التصوير ، وقلت إنهم يتجهون فى إنتاجهم الفنى اتجاها جديداً يقولون عنه إنه يساير التطور الفكرى وينتفع بالثقافات الحديثة ويفهم منهم ومن أعمالهم أنهم ثائرون على الأوضاع والقيم الفنية المعروفة ويسمونها « الفن الفوتغرافى » أى الذى يتجه فيه إلى مجرد تسجيل المناظر

وقد قوبل هذا المعرض بحملات من بعض النقاد ، مبنية فى جملتها على أنه لا يهدف إلى غاية جمالية من غايات الفنون الجميلة وأنه تكلف مبعثه الشذوذ والرغبة فى الشهرة ، والحق أن المرء لا يستطيع أن يفهم من تلك المعروضات أو من أحد أصحابها ما يرمى إليه هذا المذهب فى وضوح . وإذا طلبت إلى صاحب رسم أن يبين لك مقصده منه فإن كلامه هو والرسم سيان ..

ليس هناك إلا أن هذا شيء غير ما كان يرسم « الفوتغرافيون » ولكن ما هو هذا الشيء ؟

وقد أبدى رجلان من كبار رجال الفن ، رأيهما فى هذا المذهب بجريدة المصرى ، وهما الأستاذ محمد حسن بك مراقب عام الفنون الجميلة بوزارة المعارف ، والأستاذ أحمد احمد يوسف بك مدير مدرسة الفنون التطبيقية العليا .

قال الأول : « والرأى عند أكثر الذين يمارسون أنواع الفنون الجميلة بصفة جدية ، أن أغلب مذاهب الفن المعاصر من وضع جماعات ذات طوابع فردية ، نشاهد الكثير منها بين آونة وأخرى فى أعقاب النكبات التى تلم بالأمم .

وقال الثانى بعد أن بين أن أى عمل فنى لم يكن فى نتيجته جميلا يسر العين ويرضى النفس ، ويؤدى غاية خيرة طيبة ، إنما هو عمل سقيم ليس من الفن الجميل فى شىء ، قال : « ويتضح من هذا أن المسألة ليست إنتاج صور أو تحف يقلد منتجوها عملا سابقاً ، أو هى تنتمى إلى مذهب من المذاهب ، أو تأتى نتيجة لهو وعبث لا خير فيها ، أو استهتار مقصود وشذوذ نفسانى تدفع به عوامل نابية خارجة عن الأوضاع ، ثم حشد هذا الإنتاج فى معارض عامة أو خاصة يطنطن لها بالدعاية ويثار حولها بالكتابة والجدال استجداء للاعجاب بها ، إنما الغرض الأساسى هو أن يخرج الفنان فى صمت ووقار عملا جميلا نافعاً مفيداً له معانيه السامية وأهدافه النبيلة » .

ترجمة الآثار الأدبية :

ذكرت فى عدد مضى من الرسالة أن الهيئة الثقافية التابعة لهيئة الأمم المتحدة دعت الدكتور طه حسين بك لحضور اجتماع لجنة ترجمة الآثار الأدبية ، وأن الدكتور لبى هذه الدعوة وسافر إلى باريس .

وقد عاد الدكتور طه أخيراً بعد أن انتهت اجتماعات اللجنة ، وقد حضرها مندوبون من الخبراء العالميين فى الشرق والغرب . ونظرت اقتراحاً قدمه الدكتور شارل مالك ممثل لبنان فى شأن نقل الآثار العلمية والأدبية من لغة إلى لغات أخرى . وانتهت اللجنة إلى الموافقة على نقل الآثار العلمية القديمة والحديثة وأن يكتفى بنقل الآثار الأدبية حتى سنة ١٩٠٠ نظراً إلى التأثيرات السياسية والاجتماعية فيما بعد ذلك .

ومما أفضى به الدكتور طه أن مصر منذ عهد محمد على قد اقتفت آثار العباسيين فى نقل العلوم والفنون والآداب ، وأن بين الآداب العربية الحديثة كنوزاً ثمينة جديرة بالنقل .

مؤتمر المستشرقين :

ينعقد بباريس فى خلال شهر يولية القادم ، المؤتمر الحادى والعشرون للاستشراق ، ويمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية فيه الدكتور طه حسين بك والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، ويمثل الأول أيضاً المجمع العلمى المصرى ، وستوفد وزارة المعارف وجامعة فؤاد الأول وجامعة فاروق الأول ممثلين لها فى هذا المؤتمر

الشيخ أبو العيون وفلم « حياة أو موت » :

اتصل الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون بادارة المطبوعات فى وزارة الداخلية فى شأن فلم تعرضه سينما ريفولى بالقاهرة هو فلم « حياة أو موت » لأن فيه مساساً ببعض المعانى الدينية ، وقال فضيلته فى كتابه إلى مدير المطبوعات ، إن القصة تدور حوادثها على أن للحب قانوناً فوق القانون السماوى ، وفصل ذلك بقوله : « والرواية فى جملتها تمثل خليطاً من الأوضاع المادية الرخيصة للمعانى الروحية فى الملأ الأعلى ، وترى فيها عزرائيل عليه السلام فى صورة رجل فرنسى مخنث — كتعبير الرواية نفسها — ينزل بأمر من السماء إلى الأرض لقبض روح شاب ، فيرفض ذلك ذلك الشاب تلك المهمة لأنه يهوى فتاة ولا يستطيع مفارقتها ويعود عزرائيل فاشلا . ثم يعود مرة أخرى للمهمة عينها ، فتنعقد المحكمة السماوية وينتصر فى النهاية قانون الحب على قانون السماء » واقترح فى ختام الخطاب أن تندب مراقبة المطبوعات فى مثل هذه الروايات رجلا من رجال الدين يشاهدها لضمان البعد عن الوقوع فى أخطاء تثير الشعور الدينى فى البلاد .

وقد صدر الأمر بمنع عرض هذا الفلم .

مسابقة الثقافة :

ذكرت فى العدد الأسبق من (الرسالة) موضوعات المسابقة الثقافية التى قررت وزارة المعارف تنظيمها ، والجوائز التى تمنح للفائزين فيها . وأذكر الآن فيما يلى شروط هذه المسابقة :

١ — التمثيليات القصيرة للمسرح المدرسي ، يشترط فيها أن يكون موضوعها مصرياً أو شرقياً ملائماً للعرض أو التمثيل في محيط الشباب بالمدارس الثانوية ، وأن يكون في فصل واحد يستغرق أداؤه حوالى ٤٠ دقيقة ، أو من فصلين يستغرق أداؤهما حوالى ٨٠ دقيقة .

٢ — التمثيليات القصيرة للاذاعة المدرسية ، يشترط فيها أن يكون موضوعها مصرياً أوشرقياً وملائماً للاذاعة على تلاميذ المدارس الثانوية ، وأن تستغرق إذاعتها بين ٢٥و ٣٠ دقيقة .

٣ — المسرحيات العامة ، يشترط فيها أن يكون موضوعها قومياً أو إنسانياً ، يعالج مسألة ذات قيمة حيوية أوفكرة سامية في أي نوع من أنواع المسرحيات ، وأن ينحصر في ثلاثة أو أربعة فصول ، يستغرق أداؤها حوالى ثلاث ساعات .

٤ — القصة الطويلة ، يشترط فيها أن يكون موضوعها قومياً أوشرقياً مما يرتبط بحياتنا في الماضي أو الحاضر أوما نتصوره مستقبلا ، أو ما يعبر عن مثلنا العليا تعبيراً أدبياً سامياً ويصور حياتنا وخلجات نفوسنا ، أو يصور النفس الإنسانية عامة .

٥ — القصص القصيرة ، يشترط فيها ، من حيث الموضوع ما يشترط في القصة الطويلة ، على أن تكون في حوالى ١٢ صفحة من القطع الكبير بالآلة الكاتبة ، وللأديب أن يتقدم بأكثر من قصة .

٦ — البحوث الأدبية والفنية ، يشترط فيها أن تتناول موضوعاتها الأدب العربي ، أو سير العظماء الوطنيين أو العالميين ، أو دراسات عامة في مختلف الفنون (الموسيقى أو التمثيل أو التصوير أو الحفر أو النحت) كما يشترط أن تكون الموضوعات قومية ، أو يكون لها مساس بحياتنا ، أو أن يكون الموضوع إنسانياً عاماً يشارك في الاستفادة منه غيرنا من الأمم والشعوب .

٧ — بحوث التاريخ والآثار ، يشترط فيها أن يستلهم الموضوع من تاريخنا القومي ، القديم أو الحديث ، وأن يهدف إلى إثارة الاهتمام بأمجادنا أو بتراثنا القومي وأثره في الحضارة الإنسانية .

٨ — الرحلات ، يشترط فيها أن يعرض الموضوع وصفاً حياً أدبياً لرحلة أو أكثر قام بها المؤلف في أنحاء وادي النيل أو الأقطار الأخرى ، وبذلك يكون تصوير الرحلة نابعاً عن خبرة شخصية لإقليم أو لعدة أقاليم جال فيها .

٩ — الموضوعات العلمية المبسطة ، يشترط فيها أن تكون سهلة يفهمها القارئ العادي ، وأن تتناول ما تؤديه هذه العلوم من خدمات للحياة الإنسانية العامة في المدن والريف .

ويجب في كل الموضوعات أن تكون مكتوبة بالعربية الفصحى وكل موضوع مقدم المسابقة يجب ألا يكون قد سبق نشره أو تقديمه في مباراة سابقة . وآخر موعد لقبول الموضوعات هو نهاية نوفمبر سنة ١٩٤٨ .

العباس



على هامش كتاب :

سعد زغلول من أقضيته

« إلى القانونى الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات تحية شكرى وإعجابى »

للأستاذ عدنان الخطيب

(تتمة ما نشر فى العددين السابقين)

٩ — المعيار الخلقى :

(كان معيار سعد الخلق صارما) فقد كان يصدر أحكاماً تدل على هذا المعيار الصارم ، وتدل على رغبته فى سيادة مكارم الأخلاق على علاقات الناس ببعضهم ، ولم يكن القانون عنده إلا فى المنزلة الثانية بعد الإخلاق ، وهو القائل (إن كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة) .

أسمع قوله فى حكم من أحكامه (... إن هذا يعد من قبيل خيانة الأمانة ، المعقوتة ذمة ، المعاقب عليها قانونا) ولا شك أن (الإحساس الخلق والالتفات الاجتماعى هما اللذان يوجهان سعداً إلى ناحية « الذمة » وقد كان غنياً عن الاجتماع بهما اكتفاء بكون العمل « معاقباً عليه قانونا ») وسعد فى أحكامه جميعها (لا يصور لنا الناحية الخلقية — فحسب — ولكنه يجمع بينها وبين المنفعة الاجتماعية) لا بل هو يريد (أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) .

إن سعداً كان الرجل الفذ ، الذى لا يعرف إلا الحق ، والذى لا يخاف فيه لومة لائم ، هو الرجل الذى يقدم الحق ويتبعه بقوله (هذا اعتقادى ، وقد عاهدت الله أن أقول ما فى ضميرى ، وهذه لذتى فى حياتى) .

سعد الأديب :

لقد كان سعد أديباً من الطراز الأول ، أديباً يحمل بين جوانحه نفسية الأديب ، ثم أضاف إليها ثقافة وميزات أدبية عظيمة ، تلمح الإشارة إليها ، وتمداد بعضها فى كتاب الأستاذ الزيات ، منثورة هنا وهناك، خلال دراسته لأحكام صدرت عن القضاء الأهلى فى مصر ، يوم كان سعد قاضياً من قضاته ؛ إن قرأتها فسوف (تقطع فى غير تردد أو تحفظ بأنها أحكام سعد لحمة وسدى ، ودماً ولحماً ، وفكراً وأداء ، المنطق الجبار الآمر ، والحجة الوثابة تقفز — كجند بلتف — لتقطع الطريق على المناظر ؛ واللفظ المشرق فى تركيب مصقول ، والإداء المحكم لا يشتكى قصر منه ولا طول .. وهذه التعبيرات المقبوسة من علم المنطق.. وهذا الجمال البيانى الذى يستقيم على الطبع ، فلا تشعر فيه بالآم النحت والسجع ، وعناء « الفاعل » المتصبب تحت نير الصخور ، يحمل نفسه فوق ما يطيق ، ليزهو بحمله ويسمع أذنيه المفرورتين بكلمة من النظارة قد تكون غباء ، وقد تكون رياء ، أوقد تساق تهكما ، أو قد تساق رثاء) .

أما من يحب سماع صوت سعد فليقرأ أحكامه ليسمع (صوت الكاتب صاحب الأسلوب القوى الآمر) وأنا زعيم أنه ، وإن جهل صاحبها ، سيحكم ، إن كان يعرف سعداً ، إنها من بنائه (فإن شمائله ظاهرة فيها ظهوراً قوياً : منطق قوى يعتمد على قياس المشابهة وقياس الأولوية ... وصياغة عربية تضامنت أجزاؤها) ، لينظر فى هذه الأحكام من يحب أن يعرف سعداً ليرى (أسلوبه المتأنق ، وبلاغته المخزونة) بل ليرى (ذوقه السليم) ليرى (وضوح الديباجة ونصاعة الأداء) (الأداء العربى ... والأسلوب المحكم الدقيق) ليقرأ تلك الحيثيات التى خط الأستاذ الزيات تحتها فإنها (تكشف عن قوة العارضة فى الجدال) حيناً ، وتكشف عن (روح سعد المتهكمة وسخريته الحلوة حين تطمئن نفسه) أحياناً أخرى ؛ إنها حيثيات (حكم مسهب ، قوى التسبيب ، محكم التقسيم) .

ليقرأ معى ، من يحب أن يعرف سعداً الأديب ، هذه الفقرة (إنهن وارثات ضعيفات ، وإنها ابنية حقير أشتات ، واللائنون

تجار أخشاب ، يخيل الثراء فى أوصافهم) ولا شك أنك أيها القارئ لما ألمت منها ، ومنها وحدها ، بموضوع الدعوى ، وأهم الدفوع فيها ، وتجلت لك فيها روح الحاكم وقناعته ، بل ما سيحكم به عقبها إنها فقرة كتبها أديب عظيم ، لقد صور لنا فى كلماتها القليلة العدد قضية لا يستهان بعدد صفحاتها وأهميتها ، ألا تعتقد معى ، أيها القارىء الكريم ، إن كاتبها (مخرج بارع دقيق) ؟! عد إلى قراءتها ، واقرأ ما قبلها وما بعدها من فقرات (فسترى فكراً واحداً ينتظمها كلها ، ونظراً واحداً يشيع بينها طمأنينة الانسجام . إنها نغمة تضطر فى غير نشاز ، نغمة بغيضة إلى أولئك الذين يأكلون فى بطونهم ناراً وسعيراً ، حبيبة إلى أولئك الصبية الضعاف وإلى الشادين بالعدل والراعين للحقوق)

إن الأديب عند سعد غير غريب عن معدنه ، إنه ماء عذب يسيل من منبع صاف فياض ، إن سعداً إن كتب أو خطب يكتب ويخطب (وكأنه يتمثل « النهج » الذى طالما نهل من بلاغته) وليس بعد بلاغة « النهج » من بلاغة !!

إعجاب ونفور :

كنت أفكر وأنا أقرأ كتاب « سعد » فى التعليق على بعض ما أعجبنى فيه ، وعلى ما استلفت نظرى من « تعليقات » الأستاذ الزيات الطريفة ، ولكن إعجابى بالكتاب وبجهد مؤلفه الجبار ، جعلنى أترك ما أزمعت عليه ، أتقدم من قراء « الرسالة » بهذه الخلاصة ، فإن وجدوا فيها متعة فهى قبس من بيان صدق الأستاذ الزيات ووشل من فيض أدبه الرفيع ، وإن أنكروا منها شيئاً ، فهى لآلىء حاولت جمعها من كتاب سعد ، وعلى وحدى تبعة سوء صياغتها الصياغة التى تعجب المتفرجين والناقدين .

وإنى لا أود أن أنهى هذه الكلمة قبل إبداء بعض الملاحظات التى مرت بخاطرى وأنا أقرأ الكتاب ؛ فالكتاب ينقصه « فهرس » لا للأعلام ، ولا للأحكام التى فيه لمعرفة دوائرها وتواريخ صدورها ، بل « فهرس » يدلنا ، على الأقل ، على صفحات الفصول التسعة المقسم إليها الكتاب ؛ وفى الكتاب نقص آخر وإنه لنقص فى نظرى عظيم ، فقد خلا من موجز لسيرة سعد ، إذ لو وجدت فيه لكانت عوناً كبيراً يرسم صورة سعد فى مخيلة كل قارىء ، بل لكانت رشداً يعين القارىء على تتبع حياة سعد فى القضاء ، وتواريخ تنقله بين دوائره العديدة ، وعلى معرفة زمن دراسته للقانون ، وتاريخ أجازته ومدة تعاطيه المحاماة ، وتاريخ تركه للقضاء وسببه ، وهذه أمور لها قيمتها ، فى تاريخ سعد بتتبع أحكامه القضائية ، ورسم مناهج لدراستها دراسة لا تختلط اختلاط بعضها فى بعض فصول الكتاب !

وليست هذه الملاحظات بمؤثرة على إعجابى وتقديرى ، ولا يعيب الحكم — كما يقول سعد — إلا يتضمن الإشارة إلى ما كان يحسن به أن يشير إليه ، والثوب المتقن البديع لا يعيب لابسه ، إن نقصته جيوب ، ولو اتفق على أن الجيوب تزيد فى كماله وجماله على من فيه .

(حمص) عدنان الخطيب



تحقيقات على هامش حرب فلسطين :

١ — جاء فى البلاغ الرسمى العراقى الصادر من بغداد والذى نشرته الإهرام فى صباح اليوم ٧/٦/١٩٤٨ ما يأتى :

« أغارت قواتنا على قرية كاكون فى شمال غربى طولكرم وكبدت العدو المرابط بها خسائر فادحة » .

وصحة الاسم بالعربية قاقون لا كاكون ، هكذا ورد فى المعاجم المعروفة وفى كتب التاريخ العربية ثم فى المؤلفات العسكرية وفى الخرائط التى وضعها الجيش العثمانى بالأحرف العربية — راجع خرائط جيش الصاعقة بالديم طبعة وزارة الحربية مقياس ٢٥٠٫٠٠٠

٢ — وجاء هذا الاسم فى معجم البلدان لياقوت : قاقون حصن بفلسطين من عمل قيسارية من ساحل الشام ينسب إليها أبو القاسم عبد السلام بن أحمد حرب القاقونى إمام المسجد الجامع بقيسارية .

٣ — وكان بقاقون قلعة حصينة فأصبحت معقلا من معاقل الإسلام فى الحرب الصليبية إذ ورد اسمها مراراً فى المعارك وفى عقود الهدنة التى كان يعقدها ملوك مصر مع أمراء الصليبيين : راجع كتاب هدنة الملك المنصور قلاوون مع الإفرنج فى ملحق كتاب السلوك وفى كاترمير وفى ابن الفرات .

ومر بهذه القلعة صلاح الدين فى طريق عودته من حصار عكا إلى عسقلان بعد نزوله بحيفا .

٤ — ويقول المؤرخون إن تقدم الإفرنج كان على الساحل وهم يسيرون بالفارس والراجل وعن يمينهم البحر وعن يسارهم الرمل .

وكانت المعارك تنشب ليل نهار وصلاح الدين يسير بنفسه بين الصفوف ونشاب العدو يتجاوزه . ولدينا أوصاف رائعة بمواقف القتال ونقل الجرحى والأسرى فى هذه المرحلة .

٥ — وفى عصر الملك الظاهر نازل قاقون جماعة من أمراء مصر منهم الأمير الكبير أقوش الشمسى البطل المشهور صاحب المواقف الخالدة فى عين جالوت .

٦ — وفى يوم الخميس ٢١ رجب سنة ٦٨٠ وقعت بأبراج القلعة بمدينة القاهرة الرسائل الأولى التى نقلها الحمام الزاجل عن انتصار الملك المنصور قلاوون على التتار فى معركة حمص الفاصلة حينما انتصر الجيش المصرى أكثر من مائة ألف من جنودهم أرسلت البطائق الحاملة للبشرى من قاقون وكانت مراكز من مراكز الحمام ويحدثنا التاريخ أن أهل القاهرة والشام أمضوا الليالى فى تلاوة القرآن والبخارى بالمساجد ابتهالا للنصر؛ فلما وصلت البشائر يحملها الحمام إلى القلعة انطلقوا يوجهون الشكر للعلى الأعلى على ما آتاهم من نصر .

٧ — وفى رحلة السلطان قايتباى إلى الديار الشامية ذكر قاقون فى عودته إلى مصر فقد نزلها فى يوم الثلاثاء ١٨ شعبان ســـنة ٨٨٢ حيث سلك الطريق من صفد إلى كفر كونا — الناصرة — اللجون — قاقون — الرملة — أسدود .

٨ — وفى رحلة الأمير يشبك أنه نزلها وأقام بها .

من هذا كله يتضح أن صحـة الاسم قاقون لا كاكون وأن ذكرياتها قديمة فى التاريخ الإسلامى العربى خصوصاً لأهل مصر .

أحمد رمزى

خليفة المتنبى :

مدح المتنبى كافورا الأخشيدى بقصائد جياد ومن غرر شعره .

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومآقيا

ثم هجاه بأهاج مريرة جاء فيها .

من علم الأسود المخصى مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه فى يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود
لا تشترى العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ومضى الزمن على سنته . إخلاص ونفاق ، وتصريح وجمجمة حتى رأينا من شعرائنا من سار على نهج المتنبى وحذا حذوه . فدح وهجاء الممدوح هو المهجو .

هجا بعض الشعراء رئيسا فقال :

شيخ مناه صغير مثل منبته أقصى المنى عنده لو صار مأذونا
لا رأى يعرضـــه إلا متابعة فرأيه دائماً من رأى (كرسونا)

ثم سار هذا الشيخ رئيساً له يملك نفعه وضره ، فما أسرع ما تحول الشاعر وجاء يقول لهذا الشيخ :

عرفت أبى النفس لا تعرف الهـــوى
ومن آفة الأخلاق أن يعرف النكر

الكتب

صور من التاريخ الاسلامى

العصر العربى

تأليف الأستاذ عبد الحميد العبادى بك

تقدم الجمعية التاريخية هذا الكتاب لعبد الحميد العبادى بك عميد كلية الآداب. والكتاب يقع فى أكثر من مائتى صفحة ويحوى دراسات قيمة مبتكرة فى العصر الأموى: أنشأها صاحبها صوراً، وارتفع بها عما فى أسلوب الدراسة العلمية من إملال أحياناً، وأخرجها فى ثوب أدبى ممتاز فذ. والعبادى بك جيد الطريقة، جامع فى أسلوبه التاريخى بين بلاغة الروايات القديمة، وبين الأسلوب العلمى الدقيق فى العصر الحديث.

ولا شك أن الجمعية التاريخية وفقت التوفيق كله فى تقديم هذا الكتاب إلى العالم العربى؛ لأنه كتاب المؤرخ المصرى الأول فى العصر الحديث، ولأنه على الأخص يصور أمجد العصور فى تاريخ المسلمين. ولعل الجمعية حين اختارته أحست بحاجة العالم العربى فى نهضته الحديثة إلى احتذاء ساسته الأقدمين فى سعة آفاقهم، وشمول نظراتهم، وجلال فعالهم، وحرصهم على الإصلاح، وسميهم إلى الصدارة بين الأمم.

والواقع أن القارئ يحس توثب المؤرخ العميد فى حماسته للعصر الأموى، ويحس حرصه على أن ينتفع الجيل الحديث بالتراث العربى القديم. فانظر مثلا مقاله عن بحر الروم، تر كيف كان البحر جزءاً من نفسه، ومجالا لمجد العرب، ومعقد آمال الجيل الحديث. ثم اقرأ: «أيها المصريون ... لقد استرهنكم المستعمر الأرض، ووضع فى أعناقكم أغلالا وفى أقدامكم قيوداً ولا خلاص لكم من ذلك الرق المضروب عليكم إلا بركوب متن البحار؛ هنالك تنشقون فوق ثبج الماء ريح الحرية الصحيحة، وتبرأون من علل أورثكموها لزوم البر أحقاباً طوالا؛ هنالك

أهنيك يا مولاى والناس كلهم ... يهنئنى حتى سما بك لى قدر
ومثلك لا يزهى بغر قصائدى ... ولكن به تزهى قصائدى الغر

ومنها:

فقل لسكارى التيه موسى أتاكم ... أفيقوا من الأدهام قد بطل السحر
وقل لبنى المعمور أوسا وخزرجا ... تداركم مأمونه الطاهر البر

وهكذا يصبح الرجل بين عشية وضحاها إنساناً آخر. فبالأمس كان أمعة لا رأى له وقد يتصرف فيه أحد مرءوسيه، وهو وضيع النشأة والمنى، واليوم صار أبى النفس يشبه بموسى مرة وبمحمد مرة أخرى.

حدثوا أن الخوارج لما جاءهم موت المصعب. سألوا عسكر المهلب وكانوا لا يعلمون. عن عبد الملك بن مروان فقالوا ضال مضل. ثم سألوهم فى اليوم الثانى. بعد أن علموا باستقرار الأمر لعبد الملك فقالوا: أمام هدى. فقالوا لهم: يا عبيد الدنيا بالأمس ضال مضل واليوم أمام هدى!

وبعد. أليس هذا الشاعر خليفة المتنبى فى هذا فحسب. ولكن المتنبى لم يكن عالماً من علماء الأزهر. ولم يكن يدرس التفسير والحديث والأخلاق فى كلية عالية.

محمد سرحان
أستاذ فى البلاغة والأدب
ومدرس بكلية اللغة العربية

بيان بالكتب التى ستترجم باشراف جامعة الدول العربية:

Brocielmann geschichte der arabischen Litteralur
Creswell - Islamic architecture
Diorand - Story of civilisation
Keen - The agricultural develoPment of the Middle East London 1946 , 126 p 8 gr pl
Le Strange - The lands of the Eastern Califate Cambridge 1905 , 536 p 10 pl .
Musil - Norlhern hejag
Migeon - histoire des arts Musulmans
Nielsen - Die Aitarabische Kuitur 1927 , 240 P
Palencia (Agonzalez) - historia de la Literatura Arabigo Espanola Barcelona 1928 , 356 p
Sarton . Introduction of the history of science
Worthington . A Middle East Science London 1946 , 239 p pl Gravres
Zanbaur - Manuel de Généalogie Twentieth century Sociology edited by Georges Gurwitch and wilbert Man (the Philosophical Library) . New York

تنبعث مصر الحرة حقاً ، مصر الحديثة حقاً ، مصر العظيمة حقاً » . ثم شيء آخر تحس أن المؤلف يدعو إليه دعوة صادقة : تلك هي الدعوة إلى استلهام الطبيعة لأنها أصفى من يهدى إلى صالح التقاليد . وكأن المؤرخ إنما ردد بعض أفكار روسو حين قال : « الصحراء تبعث فى نفوس أهلها وعشاقها الرجولة الكاملة ، والإيمان الصادق ، والعبقرية التامة » . فالكتاب حى الأسلوب صادر عن نفس يهزها الأمل فى المستقبل ، فتنقل إلى القارئ ما تحس فى صدق وصراحة وتردد أحياناً ، كما ترى فى هذه العبارة : ترى هل أمات الله الأمم الإسلامية ، أو ألقى عليها نوماً ثقيلا حقبة من الدهر ، ثم تأذن بحياتها عندما غيرت ما بأنفسها من صفات الشر ، وأنشأت تتحلى بصفات الخير ؟ أكبر ما نأمل أن يكون الأمر كذلك » ...

فإذا أمتعت النفس بهذه الخلجات التاريخية الممتزجة بالوطنية فى توثب وحماسة فارجع إلى دراساته التاريخية البحتة التى تزيد على العشرين . وانظر كيف يصور العصر العربى الأول قبيل الدعوة وبعيدها ، فيبرز لك تقاليده فى الشورى ، وحرصه على المساواة والبساطة فى الدعوة للحق ودين الإسلام ، ثم يعود المؤرخ فيحمل إليك صوت الخلفاء مرتفعاً بالدعوة إلى الإصلاح بعد أن امتد الزمن ، وعدا على كل شيء ، وابتدأ قرن جديد

أما الشورى فقد صورها فى دراستين : إحداهما عن دار الندوة ، والأخرى عنوانها « كيف كان النبي يسوس أصحابه » أما المساواة فقد مثل لها بشخصية عمر بن الخطاب ، وهى ناحية أهملها الكتاب على كثرة ما كتبوا عن ابن الخطاب . وقد تمثل المؤرخ الإسلامى الجليل بأسلوبه العلمى الفنى المساواة فى شخصية أبى ذر الغفارى ، وهو الصحابى الذى أرسل من منفاه بالصحراء صوتاً من الحق لا يزال يدوى فى آذان الأجيال جيلا بعد جيل ، ولا يزال المصلحون يرددون أصداءه فى بقاع الأرض المتحضرة أما الدعوة أيام النبي فقد صور مؤرخنا المصرى مهدها فى ورع صادق وخشوع جليل ، فصور لنا كيف بدأت الدعوة إيماناً راسخاً فى دار بسيطة ، هى دار الأرقم المخزومى ثم يدور الزمان وتجرى المقادير بما شاء الله ويتم للاسلام السلطان على ملك واسع ويقبل على الإسلام أقوام من كل صنف فتحتاج الأمور إلى دعوة جديدة للاصلاح ، وتتطلع الأبصار إلى مصلح يعيد البساطة الأولى ويرد صالح التقاليد . فكان عمر بن عبد العزيز ذلك المصلح الذى أعاد بساطة دار الأرقم ، وأقام خلافته على أصلح التقاليد القديمة . وكان مبدؤه فى ذلك أن سبيل الإصلاح واحدة فى أساسها رغم اختلاف الأجيال والعصور والبيئات ، ولله در العرب حين قالوا « إن الأمور إنما تصلح بما صلحت به أوائلها »

ومقال المؤرخ العميد عن عمر بن عبد العزيز نظرية جديدة وكتاب وحده ، لأنه أثبت له شخصية المصلح . وقد يعرف الناس جميعاً وخاصة المسلمين أن عمر كان خامس الراشدين ، وأن المؤرخين القدماء جمعوا مناقبه . فأى جدة فيما يقول الأستاذ العبادى ؟ الجدة فى تدعيم ما جاء فى كتب المناقب بالأدلة التاريخية البينة على التحقيق العلمى السليم . وشتان بين أقوال أصحاب المناقب وجماع الروايات وبين تحقيقات المؤرخين المحدثين المؤسسة على المنهج العلمى الحديث . فإذا أردنا تصوير هذا الفارق طالعتنا شخصية الرشيد كما تبدو فى القصص التاريخى وشخصيته التاريخية الحقة ؛ وشخصية الحاكم الخليفة الفاطمى بين القصص والتاريخ ، وشخصيات أخرى كثيرة تنازعها الخيال الشعبى وخيال القصاص وتصوير المؤرخين .

ولم يقتصر المؤرخ العميد على تصوير الخلفاء ، وإنما تجاوزهم إلى الولاة والقواد . فكتب مثلا عن زياد صاحب الخطبة البتراء التى تنفى عن النسب ، وأخ معاوية بالمؤاخاة ، وعامل الإمام على من قبل وصاحب ابنه الحسين من بعده . فهو شخصية تحتاج إلى بحث محكم لما تثير فى النفس من معان متضادة ، فيتلطف الأستاذ ثم يتلطف ، ويهدأ ثم يهدأ ، فإذا هو يخرج صورة لزياد تاريخية ، فيها ما فيها من شر ، وفيها ما فيها من خير . وكذلك كتب الأستاذ مثلا عن محمد بن القاسم الثقفى فاتح الهند ، فجعله رمزاً للمجاهدين .

وهكذا لا تكاد تقرأ مقالة إلا وجدتها تخطيطاً تاريخياً متيناً ، وبحثاً عميقاً ، ونظراً مبتكراً ، يثير فى نفسك خلجات شتى ويترك لك مجال تفكير وتعليق . وذلك أن الصور التى يسوقها العبادى تفيض خصباً وحياة قوية نابضة .

والمؤلف قبل كل شيء أستاذ أجيال من المؤرخين مد الله فى عمره

محمد عبد الهادى شعيره
أستاذ مساعد كلية الآداب — اسكندرية

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٢ - الاثنين ٢٨ يونيو ١٩٤٨ - السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٨٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

العـــلم والفن ...

هل يلتقيان ؟

للأستاذ محمود تيمور بك

ما أوسع الهوة بين العلم والفن ! العلم حقائق مسلمة ، وتجارب محكمة ، ونظريات تمخض عنها جهد المعامل ووسائل الاختبار ، وأوضاع تقوم على أسس هندسية ورياضية رائدها العقل الواعى وحده خالصاً من كل شوب .

أما الفن بمعناه الأدبى فهو التماع الخاطر ، وبثّ النفس ، ووهج المشاعر ، واستجابة النازع لما يصادفها فى الحياة من أحداث ومشاهد ومؤثرات . والكثير من ذلك كله رائده العقل الباطن يستيقظ فيبعث ومضاته فى غفلة من العقل الواعى ، وتسلل من رقابته الصارمة ...

ومما يعين على جلاء هذه الفكرة تصور موقفين للأديب والعالم من التاريخ :

يقف العالم أمام الحادث التاريخى وقفة فاحص ممحص ، يستكشف الأسانيد ويتثبت من السنين ، ويقتنص القرائن ، وينتخل الشواهد والأشهاد ، وما يزال معانياً ذلك فى يقظة وترصد وتحفظ ، حتى يطمئن إلى تحرير ما وقع على حقيقته جهد إمكانه ...

ويقف الأديب أمام ذلك الحادث التاريخى بعينه ، فلا يعنيه منه إلا روحه وجوهره ؛ يجاهد نفسه ليعيش فيه ، ويترك لأجنحة مخيلته أن تحلق به فى سمائه ليستنزل الوحى ويستمطر الإلهام ، فإذا هو يظفر بموضوع إن أنكره التاريخ فى صومعة حقائقه وأعلامه ، وفى متحف أحجاره وآثاره ، لم ينكره الفن حين يطالع فيه صورة إنسانية يحيا داخل إطارها ذلك الحادث التاريخى بشخوصه وما يعتلج فى نفوسهم من مشاعر ورغائب واستجابات

ولذلك كان كثيراً ما تتشابه الأحداث والشخصيات التاريخية أقوى التشابه على اختلاف المؤرخين ، وتفاير درجاتهم فى التأليف ؛ ولكن الأدباء الفنانين إزاء تلك الأحداث والشخصيات يختلفون فى تصويرهم لها اختلافاً يقل أو يكثر ، فلكل منهم جانب استيحاء وقبلة استلهام ، وكل منهم يصبغ بصبغة نفسه عمله الفنى ، ويستمد من ذاته الوقود ، وكل منهم يودع قصته ذخيرة من جوهر الإنسانية والحقائق البشرية ، على قدر ما يستطيع أن ينفذ إلى ما يتدسس فى العقل الباطن ، فيواتيه الوحى والإلهام .

ومثل آخر يساق فى هذا المقام ؛ فقد يقع القارئ فى لبس واسترابة حين يقرأ تراجم الأشخاص ، فيرى بعضها قد اتخذ مسحة دقيقة من النسق التاريخى ، والتحقيق العلمى ، واستنباط النتائج من أسبابها الصحيحة طوعاً لقضايا المنطق ؛ ويرى بعضها الآخر ليس إلا صوراً تستند أكثر ما تستند إلى الاستلهام الفنى فتطالعه بملامح إنسانية ناطقة تحمل طابع عصرها وجوه .

وإنما يتعرض القارئ لذلك اللبس والاسترابة ؛ لأنه لم يفرق بين نوعين متباينين أشد التباين ؛ أحدهما : نوع الترجمة التاريخية التى تحتشد فيها الحقائق والأسناد ، والآخر نوع الصورة الوصفية التى تتضوأ فيها ألوان من شخصية الكاتب ، وقوة تخيله واستلهامه فى الوصف والتصوير .

فالمترجم التاريخي عدته أمانة النقل ، ودقة التمحيص ، والمصور الوصفي عدته إطلاق المخيلة وصدق الإلهام .

فلو تمثلنا أن خمسة من المصورين في مرسم فنان يصورون نموذجاً واحداً من النماذج ، ولكل منهم موضع أمام النموذج خاص ؛ فإننا حين نعرض ما صوره هؤلاء الفنانون الخمسة نجد فروقاً بينها جيماً ؛ لأن كل مصور رسم صورته على وفق الوضع الذي نظر إليه ، واستمد إلهامه فيه ، فأسبغ على الصورة من ذات نفسه ما سمحت به ، والنموذج واحد ولكن الصور تختلف لأنها صور فنية لا بد أن تظهر على سماتها أثارة من اختلاف المصورين ...

وإذا كنا نشير إلى سعة الهوة بين العلم والفن ، وتباين منبعيهما : العقل الواعي ، والعقل الباطن ، فإننا لا نعني بذلك أن لا تواصل بينهما على نحو من الأنحاء ، فلسنا نغفل أن الحدود القائمة بين الأديب والعالم قد تتداخل فيكون منها مزاج لا هو بالأدب المحض ، ولا هو بالعلم الصراح .

ولقد يتجرد مؤرخ لكتابة التاريخ ، فتراوحه نسمات من فن البيان تجمل صفحات تاريخية موشاة بالأدب ، ولقد يخلص أديب لبعض فصوله في تصوير الحياة ونقد المجتمع فتحضره قواعد مقررة ، وأوضاع سائدة ، تصل فصوله بمناهج البحث العلمي ...

وربما توافرت إجادة المزج لذلك المؤرخ أو هذا الأديب فيما يعالجانه حتى ليتعذر على القارىء أن يرد كلا منهما إلى العلم وحده أو الفن وحده ...

على أن الذي لا نزاع فيه : هو أن الدقة العلمية ، والحقيقة التاريخية ، لا تشغل بال الفنان قدر ما تشغله خصائص النفس الإنسانية ، وتأثرها بما يساورها من ملابسات الحياة .

فالفن لا طاقة له بالاحتباس داخل أسوار معمل تتحدد فيه الأقيسة وتتعين الأرقام ، وإنما يتطلب الفن جواً طليقاً ينتعش فيه ويمرح ، لا سلطان عليه إلا سلطان الإحساس والشعور .

ذلك لأن الفن الإنساني الخالص ليس مجرد تسجيل مرئيات عابرة ، ولا التقاط ظواهر عارضة : وإنما هو انتزاع لأقصى ما في أعماق النفس ، واستشفاف لما ينطوي بين الألفاف ، وتعرف لأشتات المؤثرات ما يدق منها أو يجل ، وما هو قريب أو بعيد .

محمود تيمور

وارسو نقطة ارتباط
بين موسكو وتل أبيب

للأستاذ نقولا الحداد

قلنا غير مرة إن الصهيونية والشيوعية أقنومان لعنصر واحد فما صدقوا ، ونقولها مرة أخرى بالدليل المحسوس .

بين يهود فلسطين القدماء والجدد نحو ٤٥ بالمائة بولونيون ، أي نحو ٣٥٠ ألفاً تسربوا إلى البلاد ، قليلهم قبل الحرب وكثيرهم في أثنائها وبعدها . وفي وارسو عاصمة بولونيا المقام الرئيسي للصهيونية . وما الوكالة الصهيونية في فلسطين إلا فرع لتلك . والأصل البولوني أصبح نقطة ارتباط بين موسكو وتل أبيب . لأن الصهيونيين لما رأوا أن قضية دولتهم المنتظرة أصبحت في الميزان صاروا كالأخطبوط يمدون أيديهم إلى كل مكان لكي يتمسكوا ويتشبثوا

لما رأوا أن بريطانيا لا تستطيع أن تضمن لهم دولة إسرائيل لأنها لا تريد أن تبيع صداقة العرب بخيانات صهيون ، رأوا أن يعتصموا بدولة السوفيات لعلها تشد أزرهم ، أو أنهم بهذا الاعتصام يتهددون بريطانيا وأمريكا عدوتي روسيا .

ولكن السوفيات عدوة الرأسمالية ، واليهود أمراء الرأسمالية ، فليس سهلاً التوفيق بين إسرائيل والسوفيات . ولذلك نشأت نقطة الارتباط بين الجانبين في وارسو عاصمة بولونيا ، وتولت الوكالة الصهيونية هناك مزج الزيت بالماء . فكانت تعاليمها ليهود فلسطين الجدد أن ينظموا أحوالهم طبقاً لاشتراكية كارل ماركس ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً . ففعلوا ذلك في معظم مستعمراتهم المستجدة . فإذا زرت أية مستعمرة صهيونية في فلسطين رأيت سكانها مشتركين في الإنتاج والإنفاق ، حتى إنك تراهم في المستعمرات الصغيرة يأكلون على مائدة واحدة على اختلاف أسرهم ، كما فعل الأثينيون القدماء ردحاً من الزمن حين كانوا يجربون الجمهورية . فعل اليهود هذا في فلسطين ، حتى إذا زار مستعمراتهم هذه شيوعيون روسيون أرسلوا تقارير إلى موسكو

عن نظامهم هذا إقناعاً لحكومة ستالين بأن الشعب الصهيونى ليس رأسمالياً .

وكانت الوكالة اليهودية فى وارسو تحاول أن تقنع موسكو بهذا الواقع . وكانت عصابة شترن تقوم بالدعاية لهذا الوضع ، وكانت فظائع العصابات الصهيونية تتطاول على قوات الانتداب البريطانى كما هو معلوم ، فتفظع فى الجنود البريطانيين وغير الجنود لكى يظهر لروسيا أن الصهيونيين هم أعداء أعدائها .

ولهذا سهل على الوكالة الصهيونية الرئيسية فى وارسو أن تقنع روسيا بأن دولة إسرائيل إن تكونت ، تكون خير نصرائها ضد إنكلترا وأمريكا ، وأن بترول الشرق الأوسط الذى يقتتل عليه الشرق والغرب يتسرب إلى موسكو فى أنابيب الصهيونية

ولما طرحت المسألة الصهيونية فى هيئة الأمم كان الارتباط بين موسكو وتل أبيب عن يد وارسو قد تمكن بدليل أنه ما اقترح مشروع التقسيم المشئوم فى الهيئة حتى وثب جروميكو مندوب روسيا وثبة الفهد على الفريسة وأعلن موافقة روسيا على التقسيم . والعقل الأنجلوسكسونى فى بريطانيا وأمريكا بطىء الفهم فما حسب حساب هذه الوثبة . لعل كادوجان ممثل إنكلترا حسبه . وأما ترومان فما بالى ولسان حاله يقول: متى ظفرت بكرسى الرئاسة فبعدى الطوفان . ولكنه غير ظافر بالكرسى والطوفان مغرقه على كل حال .

شعر الساسة الإنكليز باللعبة الصهيونية السوفياتية . فبينما كانت الوكالة الصهيونية فى وارسو تعمل عملها كانت بريطانيا قد أوفدت الجنرال كلايتن برسالة غير رسمية يطوف بها على العوالم العربية ، وهو يعرف اللغة العربية جيداً ، ويحاول أن يقنع أساطين العرب أنه خير لهم أن يلوذوا بإنكلترا فهى خير نصير لهم . ولكنهم أفهموه أنهم لا يثقون بكلمة إنكلترا بعد أن كذبت مراراً وقالوا : « الصيف ضيعت اللبن »

على أن العرب عملوا بالقول السائر : « ما حك جلدك مثل ظفرك » فاتكلوا على الله ووحدوا كلمتهم وقابلوا كل قوة ضدهم صهيونية وغير صهيونية بالحزم والعزم ، فإذا لم تتخابث الدول الأجنبية فهم منتصرون بإذن الله .

إن الارتباط بين موسكو وتل أبيب لا يزال على شىء من الوهن لأن موسكو لا تثق كل الثقة باليهود ولو ارتموا فى أحضانها ، لأنها رأت وترى كل يوم أدلة على خياناتهم ، فما يعنونها به من المنافع البترولية والاستراتيجية غير مضمون . ولذلك تعطف عليهم بحساب : حسبهم أنها أول من اعترف بدولة إسرائيل .

وكان بعض رجال الدولة المزيفة يزورون وارسو فى الآونة الأخيرة ساعين فى طلب مساعدة روسيا ، ومنهم موسى سنيخ المتطرف فقد قضى أخيراً فى وارسو أسبوعين لهذا الغرض .

وعصابة شترن الإرهابية أشد العصابات الصهيونية اعتداداً بالمونة الروسية واعتزازاً بالشيوعية . ولذلك تستنكر أن يكون الزعيم ويزمان على رأس الجمهورية الإسرائيلية الملفقة ، لأنه لا يجحد الرأسمالية بل يؤيد . فيخافون أن رئاسته لجمهورية إسرائيل تنفر روسيا .

وفى أواسط أبريل الماضى احتفل يهود بولندا بذكرى تدمير النازى لحى اليهود فى وارسو سنة ١٩٤٣ وترأس الحفلة أدولف برمان وهو أخو جاكوب برمان أحد وزراء بولونيا . وله وظيفة الرقابة غير الرسمية من قبل المكتب السياسى الروسى .

وقد انتهز المحتفلون الفرصة وعقدوا اجتماعاً سرياً مثل نحو ٢٠ وفداً ، منهم وفد فلسطين برئاسة رومان لامبوسكى ممثل المكتب السياسى فى بولونيا .

وأبلغ رومان الحضور أن روسيا لا تدخر وسعاً فى جعل فلسطين دولة يهودية وأن تكون مرتبطة بها ارتباط الابن بالأب . ثم حرض الحاضرين على مقاومة الاستعمار البريطانى والأمريكى كلما سنحت الفرصة للمقاومة .

فإلى أى حد تناصر روسيا الصهيونيين ؟

سيظهر هذا فى الليالى الحبالى القادمة .

نقولا الحداد

آثار الملوك والسلاطين المصريين بمدينتى القدس والخليل

للأستاذ أحمد رمزى بك

روى عن أنس بن مالك أنه قال :
« إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس »

مقدمة :

لملوك مصر وسلاطينها اليد الطولى فى إنشاء المبانى العالية بمدينة القدس ، إذ لهم المدارس والمساجد وبيوت العلم والرباطات والحصون التى بنوها وأنفقوا عليها من أموالهم وحبسوا على خدمتها الأوقاف ورصدوا لوجوه الخير الأموال والضياع والعمائر مما لا يصدقه الجيل الحالى .

ذلك لما حباهم المولى تعالى من بسطة فى الملك والعظمة ، ولما رزقهم من نصر يتبع نصراً ، ولما اشتهروا به من أنهم خدام الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وسدنة الحرمين الشريفين بالقدس والخليل . والمتتبع لهذه الحقبة من الزمن يقف حائراً أمام عظمة تلك العهود وأمام عظمة هؤلاء الملوك ، وتأخذه الحيرة لماذا أخفى الناس تلك الأيادى البيضاء ؟ وما الحكمة فى تناسى ماض لنا هو جزء منا لا أقول يكمل شخصيتنا ، بل أذهب إلى أكثر من ذلك فأقول هو أكبر مظهر لمصر الإسلامية العربية وأثرها فى تاريخ العالم .

عود إلى الماضى :

كان ذلك فى نهاية عام ١٩٣٥ ، هو أول عهدى بفلسطين ، حين دعيت إلى العشاء بمنزل المندوب السامى البريطانى ، الجنرال السير آرثر ووكوب ، فجاء مكانى بجوار المستر ريتشموند مدير مصلحة الآثار ، وتناول برفق عدة مسائل تمت بصلة إلى التاريخ والآثار ، وعرض لهبة روكفلر التى رفضتها مصر ، فقبلتها فلسطين ، ورأى فى هدوءاً واستماعاً ورغبة فى الاستزادة من علمه ، فدعانى لزيارته فى متحفه ، وكنت مأخوذاً بالتعرف إلى الآثار المسيحية ، وقد وضع النائب البطريركى للروم الأرثوذكس برنامجاً لى ، فرأيت أن أحدثه فى ذلك وأن أستعرض معه بعض ما لديه من التحف مما يمت إلى العصور المصرية القديمة . وهنا طفق يحدثنى بطلاقة عن دهشته من الثروة الإسلامية التى أنشأها ملوك مصر فى أنحاء فلسطين ، وما خلفوه فيها . وكنت أنصت لحديثه وهو يقول : إن مصير هذه الآثار إلى الزوال إذا لم تتداركها عناية حكومة إسلامية قوية مثل مصر . وإنى لأدهش من موقفكم ، تقيمون الدنيا لاكتشاف حجر قديم فرعونى ، وتنسون ماضيكم القريب . لكم المدارس والمساجد والقباب مما يشهد لملوككم وأمرائكم بحسن الذوق وعظمة النفس وعلو الهمة فى تذوق الفن ، وتتركون كل هذا وكأن الأمر لا يعنيكم ؟

وكنت أجهل الكثير مما يقول ولا أعرف من أثارنا سوى مدرسة قايتباى ، فأخذت فى أشباع نفسى المتطلعة إلى الاستزادة من المعرفة ، وقلت إذا نظر الناس إلى الماضى نظرة تقديس وإلهام ، فلم لا أنظر إليه نظرة الباحث المتعلم ؟

إن الثمن الذى سأدفعه قد يكون غالياً ، إذ أحدث الناس من قومى بما لم تسمعه آذانهم : وقد يتخذ الذين لا يؤمنون بشىء أقوالى هزواً لهم ، لأنى أحدثهم بما لم يألفوا ، ولأنى أضع للناس قيماً جديدة لبعض الأشياء التى لم يؤمنوا بها ولن يصدقوا بعظمتها وكان أهم ما لدى أن أومن أولا بعظمة ماضينا الإسلامى وأن أعيش فيه ، وقد كان ولا يزال مهما غلا الثمن ومهما كانت التضحية فإنه من أسعد الأوقات أن أشيد بهذا الماضى ، وأن انتهز الفرص للكتابة فيه . وليس أسعد من أن يسمع العالم انتصار جنود العروبة على عصابات الصهيونيون وإخراجهم من داخل مدينة القدس القديمة ، فإن هذا النصر جعلنى أحن إلى القدس ، وهى مدينة من أحب مدن العالم إلى قلبى ، ولذلك يلذ لى أن أكتب شيئاً عنها فى هذه الأيام التاريخية الخالدة التى نحياها : أكتب للحقيقة والتاريخ ، وأعيد قيم الأشياء كما كانت ؛ فأرجو ألا يحمل كلامى على غير ظاهره ، أو أن يؤخذ بأنه يرمى إلى أهداف سياسية . لقد عاشت مصر والشام سوياً أكثر من ثمانية قرون ، وعلى صعيد هذه الأرض كتب أسلافنا بدمائهم قصص الملاحم

الكبرى وذاقوا طعم النصر ، كما أنشأوا أعظم ما يمكن تصوره من المبانى ، تقرباً إلى الله ولخدمة هـذا الدين الحنيف ، وكان عامل الخير وحب الناس طابعهم ، وكانت تسوقهم عاطفة خالصة نحو هذا ، لذلك نجحوا حيث أخفق الغير : فإذا كتبت أشير إلى هذا الماضى العظيم فإنما أدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة

سلسلة من أعمال الخير والإنشاء :

كان ولا يزال للمسجد الأقصى ولمسجد الخليل إبراهيم المقام الأسمى فى نفوس المسلمين . ولذلك اعتنى بهما ملوك مصر من عهد الملك الناصر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب الذى أتم الله فتح القدس على يديه ؛ فإنه اتخذ سنة عمل الخير والعمارة ، واتبع سننه من جاء بعده من ملوك بنى أيوب .

وفى عهد الدولة التركية من الأمراء البحرية بعد أن اتسعت الفتوحات وتوالت الانتصارات تردد اسم الملك الظاهر بيبرس كأعظم القواد العالميين وشبه باسكندر الزمان ، وكان من أكبر البناة والمنشئين أفرد له الأستاذ كريسويل العالم المشهور كتاباً عن آثاره بمصر . أما فى فلسطين فقد ذكر صاحب الأنس الجليل — قاضى القضاة أبو اليمن مجير الدين الحنبلى رحمه الله — أنه اعتنى بعمارة المسجد الأقصى وجدد فصوص الصخرة الشريفة التى على الرخام ، وعمر الخان الكائن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى الشمال المعروف بخان الظاهر ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين ، ووقف عليه نصف قرية لفتا وغيرها من القرى .

ولقد كانت أكثر قرى دمشق وأراضى البقاع داخلة فى أوقاف الظاهر الذى لم يترك باباً لفعل الخير إلا طرقه وحبس الضياع على أئمة المسجد الأقصى ، وعلى تفرقة الخبز وإصلاح حال النازلين والآتين للزيارة من مختلف الجهات .

وفى أيام الملك المنصور قلاوون تمت عمارة سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلى الغرب ، وتم إنشاء الرباط المنصورى المشهور بباب الناظر ، وهو رباط كان فى منتهى الحسن والبناء المحكم ، هذا غير الإصلاحات التى أتمها المنصور بالحرم الخليلى وغير الرباط والبيمارستان اللذين أنشأهما هناك .

أما ابنه الملك الأشرف المدفون على مقربة من مقام السيدة نفيسة فقد كان من أعظم الملوك حتى إنه على يديه أتم الله فتح البلاد الساحلية وإنهاء الحروب الصليبية ، وفى عهده تم عمل فصوص الصخرة الشريفة التى بدأت منذ أيام الملك الظاهر ، وجدد عمارة السور الشرقى المطل على مقبرة باب الرحمة .

وفى أيام الملك المنصور لاجين جددت عمارة محراب داود الذى بالسور القبلى عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى .

ثم جاء العهد الناصرى ، أى حكم الناصر محمد بن قلاوون الأخير الذى استمر حتى وفاته ، وكان وزيره بالشام الأمير الكبير تنكز وهو الذى قيل فى محاسنه[1] :

ألا هل لليلات تقضت على الحمى تعود بوعد للسرور منجز
ليال إذا رام المبالغ وصفها لشبهها حسناً بأيام تنكز

وهو الذى له المنشآت العظيمة بمصر ودمشق والقدس وبيروت ، وله الأيادى البيضاء حتى مدينة ملاطية فى الشمال حيث أراضى الجمهورية التركية . ففى عهد ولايته عمر السور القبلى بالقدس ورخم صدر المسجد الأقصى ومسجد سيدنا الخليل إبراهيم ، وتم فتح شباكين بالمسجد الأقصى ، وجدد تذهيب القبتين قبة الصخرة وقبة المسجد الأقصى . ويقول صاحب الأنس الجليل : ومن عجب أن تذهيب قبة الصخرة كان قبل العشرين والسبعمائة ، وقد مضى عليه إلى عصرنا هذا أكثر من مائة وثمانين سنة وهو غاية الحسن والنورانية ، ومن رآه قضى أن الصانع قد فرغ منه الآن .

ويطول بنا البحث إذا ذكرنا عمائر تنكز كلها فى القدس فهى كثيرة متنوعة فيها بناء الأبواب والقنوات وأهمها إيصال المياه من بركة السلطان بظاهر القدس إلى المدينة وهو عمل هندسى عظيم ، هذا غير أعمال الترميم فى الأسوار والقلاع والحصون والأبراج .

وقد نقشت كل هذه الأعمال على الرخام والحجارة وعليها تاريخ عمارتها . لقد كان عصراً فذاً لا يعادله فى المعمار عصر من العصور .

---

(١) من قصيدة لصلاح الدين الصفدى لما تولى الأمير الطنبغا الصالحى نيابة الشام

ولما ولى السلطان برقوق العرش أراد أن يسير على غرار من تقدمه من ملوك بيت قلاوون فأخذ فى عمارة بركة السلطان وأنشأ دكة المؤذنين تحت قبة الصخرة تجاه المحراب للمبلغين ، ووقف الضياع التى كان يملكها بناحية نابلس على سماط سيدنا الخليل وشرط ألا يصرف ريعها إلا على السماط الكريم : وأخذ بسنة الملك الظاهر بيبرس فكتب نص الوقفية على باب مسجد الخليل إبراهيم كما كتب الظاهر ومن جاء بعده نصوص الأوقاف على أبواب المساجد فلم يغن ذلك شيئاً بل نزعت الأملاك المرصودة لعمل الخير وتداولتها الأيدى ، ولم تحمها القوانين الوضعية كأملاك مرصدة للمنفعة العامة فلا يصح تملكها أو وضع اليد عليها ولله فى خلقه شئون .

مؤلفات العصور الماضية :

ذكر صاحب مسالك الأبصار ، أن الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك ، ألف كتاباً سماه « سلسلة المسجد فى صفة الصخرة والمسجد » .

ولا أدرى هل أبقى الدهر على هذا المؤلف أم ذهب مع الزمن . والذى يظهر مما أورده صاحب مسالك الأبصار نقلا عنه أن المؤلف لم يترك شاردة من غير أن يأتى بها . وإنى لدهش من موقفنا إزاء ماضينا ؛ فهذا يكتب عن المسجد الأقصى فى حوالى سنة ٧٤٣ هـ ، وهذا يقصر عنه الكثيرون ، ونعيش نحن فى القرن العشرين وقد ملأ أنصاف الرجال الدنيا بدعايتهم عن أنفسهم ، ولا نجد بين أيدينا كتابا يعرفنا بالمسجد الأقصى . فلنسر معه قليلا : نجد فى كلامه عن قبة الملك المعظم (ويقصد بها جزءاً من المدرسة المعظمية) أنه يقرر أن دروس النحو كانت تقام بها ، وأن عدد طلبتها كان خمسة وعشرين نفراً من الحنفية ؛ وهى من عمل ملوك بنى أيوب العظام . وفى كلامه وصف دقيق للرباط المنصورى والأبواب والشبابيك التى بالحرم . ثم انظر إليه حيث يقول :

« ولقد مضى على فى مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربعة ، فرأيت له فى كل فصل محاسن فى غيره لم تجمع ، وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكى الأروع ، وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتى إليه ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرته » .

ومن حديثه يتبين أن هذا الحرم الشريف والقبة والصخرة ، لم تعدم اهتمام أهل الخير من مختلف الناس ، فهذا الأمير علم الدين سنجر الجاولى ينشىء مدرسة باسمه ، وهذا عالم من العلماء أو تاجر عظيم يتبرع من ماله ، وينشىء بئراً أو سبيلا أو باباً ، أو يهدى مصحفاً أو قنديلا .

ومن قبيل ذلك ما أورده صاحب الأنس الجليل : من أن سلاطين بنى عثمان وغيرهم من ملوك المسلمين ، شاركوا سلاطين مصر قبل الفتح العثمانى فى الاهتمام بالمسجد الأقصى : فقد حصل السلطان مراد بن محمد بن بايزيد على ترخيص ملوك مصر بإقامة قراء يقرأون القرآن فى مصحف مهدى منه إلى الصخرة .

وكان بنو قرمان من ملوك التركمان بأرض الروم فحصل فهم السلطان إبراهيم على إذن بالقراءة فى الصخرة .

هدايا الملوك :

ولو تتبعنا هذه الهدايا لاتسع بنا البحث ولذا نكتفى بما جاء من حسنات الملك الأشرف اينال ملك مصر الذى بعث بالمصحف الكبير الذى وضعه بالمسجد الأقصى تجاه الشباك المطل على عين سلوان ، وأوقف له قارئاً ورتب ما مقداره ألف ومائتا أردب ترسل سنوياً قيمتها أربعة آلاف دينار وثمانية دنانير .

ثم توالت الخيرات والهدايا فى أيام السلطان أبى سعيد خشقدم المؤيدى إلى أيام الملك الأشرف قايتباى وفى عهده كان ناظر الحرمين الشريفين الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبى جد الأستاذ الكبير إسعاف النشاشيبى رحمه الله .

وجاء السلطان إلى القدس مرتين وأقام بها وأنشأ وعمر مما يجعل لرحلتيه إلى الديار الشامية أهمية وروعة تشجعانني على أفراد كلمة خاصة بهما .

أحمد رمزى

الفتـــوة

فى التاريخ الاسلامى وكتب اللغة

للأستاذ ضياء الدخيلى

فى العدد (٧٧٨) من مجلة الرسالة الغراء يقول الأستاذ محمود رزق سليم: (وقال ابن الوردى فى لاميته المشهورة.

واهجر الخمرة إن كنت (فتى) كيف يسعى فى جنون من عقل

وشاهدنا فى عبارة (إن كنت فتى) وهى ترادف الاستعمال الشائع الآن وهو (إن كنت جدع) أى إن كنت شهما. وبدهى إن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم) وقد دفعتنى كلة الكاتب الفاضل إلى تحقيق معنى فتى وفتوة، إذ قد أصبح لكلمة الفتوة فى العراق أهمية خاصة، وقد تردد صداها فى تاريخنا السياسى والحربى القريب بعد أن جعلها مسيرو وزارة المعارف اسماً لنظام تربوى يستهدف بعث جيل قوى فى جسمه ومبادئه يدربونه على الحياة العسكرية ويعلمونه الرماية واستعمال الأسلحة الخفيفة. وعاد إسم الفتوة مرادفاً للفروسية والشهامة والنبل والعزة القومية؛ غيرأنى أجد من الغريب إدعاء بعض الأدباء وعلماء اللغة أن استعمال كلة (الفتى) بمعنى الرجل الشهم النبيل المتحلى بفضائل الرجولة — هو استعمال مولد؛ وهذا هو طرفة بن العبد يقول فى معلقته

إذا القوم قالوا من (فتى) خلت أننى
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

قال الزوزنى فى (شرح المعلقات) يقول: إذا القوم قالوا من فتى يكفى مهماً أو يدفع شراً خلت أننى المراد بقولهم فلم أكسل فى كفاية المهم ودفع الشر ولم أتبلد (أى أتردد متحيراً) فيهما. وعنيت من قولهم عنى يعنى عنيا بمعنى أراد وقال طرفة.

على موطن يخشى (الفتى) عنده الردى
متى تعترك فيه الفرائص ترعد

قال الزوزنى يقول حبست نفسى فى موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت من فرط الفزع وهول المقام. وقال أيضاً فيها.

ولولا ثلاثهن من عيشة (الفتى)
وجدك لم أحفل متى قام عودى

فمنهن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرى إذا نادى المضاف محنباً كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الخباء المعمد

قال الشارح يقول فلولا حبى ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عودى من عندى آيسين من حياتى؛ فالأولى مبا كرتى شرب الخمر قبل انتباه العواذل، والثانية عطفى إذا نادانى الملجأ إلى والخائف عدوه مستغيثاً إياى — فرساً فى يده انحناء يسرع فى عدوه إسراع ذئب يسكن فيما بين الغضا إذا نبهته وهو يريد الماء؛ فجعل الخصلة الثانية إغاثته المستغيث وإعانته اللاجئ إليه؛ أما الثالثة أنه يقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق تحت بيت مرفوع بالعمد — وهذه مثله العليا التى تحتها قصور تفكيره. والغرض أنه ضمن الفتوة إغاثة الملهوف وتلك هى الشهامة، وقد اعتبرها من الخصال الداخلة فى مكونات الفتوة. ولنشرح غريب الأبيات فنقول (الجد الحظ والبخت. خمرة كميت اللون ضاربة إلى السواد والحمرة قال المتنبى.

إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب النفس مفقود

وكرُّه فرسه عطفه لها، والمضاف الخائف والمذعور. المحنب الفرس فى يده انحناء. السِّيد الذئب. الغضا شجر. المتورد يرد الماء. الدجن إلباس الغيم آفاق السماء. البهكنة المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة، المعمد المرفوع بالعمد):

وقال المتنبى.

فلما أنخنا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى (الفتى)
وأنى وفيت وأنى أبيت وأنى عتوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى ولا كل من سيم خسفا أبى

قال الشارح لديوانه (أنخنا نزلنا. العواصم اسم بلاد. والفتى الحر الكريم. أبيت أمتنعت، وعتوت تجبرت. سام كلف، والخسف الذل، وأبى امتنع) — وبعد فها إنك ترى المتنبى قد استعمل كلة

الفتى فيما يدل على كمال الرجولة والإنسانية الرفيعة ويتضمن الشهامة والإباء وعزة النفس وإليك أيضاً قول الشاعر .

إن (الفتى) من يقول ها أناذا ليس (الفتى) من يقول كان أبى

ولم يغفل علماء اللغة هذا المعنى وإن لم يوفوه بياناً وإيضاحاً .

قال الجوهرى فى (الصحاح) والفتى السخى الكريم ، يقال هو فتى بين الفتوة . وقد تفتى وتفاتى ، وقد تناقل المؤلفون كلمة الجوهرى من دون تمحيص أو تحقيق وهذا من عيوب كتب اللغة ، فكأنها لتشابهها فيها — كتاب واحد فلم يكلفوا أنفسهم جهد مراجعة الشواهد للتصرف فى التعبير والتبيان ؛ فقال الفيروزابادى فى (القاموس) الفتى الشاب والسخى الكريم ؛ والفتوة الكرم . وقد تفتى وتفاتى، وفتوتهم غلبتهم فيها . وقال البستانى فى (البستان) : الفتى الشاب الحدث والسخى، والفتوة السخاء والكرم والمروءة . وقال فى (أقرب الموارد) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم ، والفتوة السخاء والكرم والمروءة . وقال فى (فرائد اللغة) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم . وقال فى (المنجد) الفتى الشاب الحدث السخى الكريم . (فتايفتو فتواً) الرجل : غلبه فى الفتوة أى السخاء والكرم . وها أنت ترى اللغويين هؤلاء قد تعلقوا بأذيال الكرم والسخاء هذه الفضيلة ذات القيمة الغالية فى حياة الصحراء العربية الجدبة ؛ ولكنك تفهم من سياق أبيات المتنبي وطرفة بن العبد معانى بعيدة عما يحوم حوله علماء اللغة ، فإنك تحس أنهما يريدان بالفتوة الشهامة والفروسية والرجولة وما يقارب ذلك من مظاهر القوة والصبر على المكاره والشدة وصلابة العود والنجدة ؛ وإذن فإننا نكاد نتهم أصحاب المعاجم اللغوية فى شرحهم لمعانى الكلمات . وقال فى (محيط المحيط) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم، والفتوة السخاء والكرم والمروءة وعند أهل الحقيقة هى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة . وعند السالكين كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى . وإنى أرى أن هذا هو المفهوم لغة من النصوص المتقدمة الذكر . وقال الزمخشرى فى (أساس البلاغة) هذا فتى بين الفتوة وهى الحرية والكرم . قال عبد الرحمن بن حسان .

إن الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بشملج الصبيان

وقال آخر :

يا عزهل لك فى شيخ (فتى) أبداً وقد يكون شباب غير فتيان

(الشملج هو الذى لا يثبت على حالة ، يكون مرة سخيا ومرة بخيلا ومرة شجاعاً وأخرى جباناً ومرة شاطراً وأخرى قارتا أى جامداً ساكتا : كذا فى القاموس) .

ولكن ابن منظور الأفريقى ينقل فى (لسان العرب) عن القتيبى إنه ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدلك على ذلك قول الشاعر .

إن (الفتى) حمال كل ملمة ليس الفتى بمنعم الشبان

وقال ابن هرمة :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع

ونقل عن ابن برى أن الفتى هو الكريم .

غير أن شارح (القاموس) يقول فى كتابه (تاج العروس) والفتوة الكرم والسخاء ، هذا لغة ؛ وفى عرف أهل التحقيق أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة . وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى إلا على وقول الشاعر .

فإن (فتى الفتيان) من راح واغتدى

لضر عـــدو أو لنفع صـــديق

وعبر عنها فى الشريعة بمكارم الأخلاق . قال ولم يجيء لفظ الفتوة فى الكتاب والسنة وإنما جاء فى كلام السلف . وأقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الإمام أحمد وسهل والجنيد ، ولهم فى التعبير عنها ألفاظ مختلفة والمآل واحد . ويقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى وتفاتى نقله الجوهرى ، وفتوتهم أفتوهم غلبتهم فيها أى (الفتوة) . وبعد فها أنت تجد صاحب تاج العروس يعزو الفتوة إلى الأمام جعفر الصادق وقد كان فى صدر الدولة العباسية وإليه أيضاً ينسب علم الكيمياء . وقد وجدت فى (مجمع البحرين) للطريحى (والفتى أيضاً السخى الكريم وفى الحديث تذاكرنا عند الصادق أمر الفتوة فقال أتظنون أن الفتوة بالفسق والفجور ؟ إنما الفتوة والمروءة طعام موضوع ، ونائل مبذول ، إلى أن قال وأما تلك فشطارة الخ) والشطارة الخبث ، والشاطر هو الذى أعيا أهله خبثا . وقد مدح الغزالى الفتوة فى إحياء العلوم وذكر بعض

المؤرخين أنه كان فى أسيا الصغرى جمعيات أخوية تتبع نظام الفتوة وتكرم الغرباء وتساعد الفقراء ولها زوايا وألبسة وتقاليد خاصة ، وإنها من تقاليد المسلمين القديمة النافعة التى أضعناها ؛ فلو أننا احتفظنا بها مع تحسينها لكانت لنا خيراً من الكشافة

وذكرت الفتوة فى (دائرة معارف الإسلام) وقالوا إن للفتوة مبادىء أخلاقية سامية منها تضحية النزعات الفردية فى سبيل الصالح العام .

وذكر أحد مؤرخى الحضارة الإسلامية أن الفتوة كانت فى العصر العباسى نظاماً له صبغة دينية . ومن صفات الفتيان الشجاعة والكرم ومساعدة الغير وللفتوة نظام خاص وألبسة خاصة ولباس الفتوة الخاص سراويل عليها صورة كأس ؛ فإذا أراد أحد الانخراط فى هذا السلك تقام له حفلة يشهدها إخوانه الفتيان ويلبس سراويل الفتوة ويشرب كأس الفتوة . وكانوا يرمون البندق وهو كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ؛ وكانوا يرمون البندق عن الأقواس كما يرمون النبال . وكان رماة البندق فى العصر العباسى طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحى المدن ويتسابقون فى رميه على الطير ، ويعدون ذلك من الفتوة . وفى خلافة الناصر لدين الله العباسى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ أقبل الناس على رمى البندق وتربية الحمام لأن الخليفة نفسه كان كبير فتيان زمانه ، ورغب فى هذين الفنين . وقد بلغ من رغبته فى ذلك أن جعل رمى البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة على نحو ما عند بعض الجمعيات السرية .

ثم تفننوا فى رمى البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق ، فلما اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب وسموا هذه الآلة بندقية نسبة إليه) .

ضياء الدخيلى

خواطر مسجوعة :

تمثال شاعر

[إلى الملهمين الذين اضطربت حياتهم . وتعثرت خطواتهم. إلى المغمورين الذين مسهم الضيم وهم أباة ، وسيموا الهوان وهم كرام] .

كأنى بالشاعر وقد عاش تسعين عاماً ، بين عيون تعامى ... فلم ينقذه من حياة الأموات ، سوى سهم الممات !

عاش سطراً فى دفتر العناء ، وسراً فى ضمير الفناء . ومات فلم يخسر شيئاً من الدنيا ، لأنه لم يكن قبل الموت حياً !!

عاش فأنكروه ، ولم يذكروه . ومات فتبا كى الجاحد ، وتحازن الحاسد ... !

عاش يبحث عن الضالة المنشودة ، والرحمة المفقودة ، حتى ذوى يأساً ، وقضى بؤساً ... !

عاش هدفاً لإجحاف مر ، واعتساف مستمر ... ومات فهشوا لوفاته ، وبالغوا فى تكريم رفاته !

فقد الرحمة حياً ثم مات ، فطالبوا له غيثاً من الرحمات ! فهل كانت الرحمة للميت لزاماً ، وعلى الحى حراماً ؟ ! أم هو الفضل يذكر إن صاحبه ذهب ، والحقد يزول بزوال السبب . فمن لم يستطع التحديق فى الشمس كان للتعامى مؤثراً ، فإذا غربت انقلب مبصراً ، فأكبر الدفين فى الرمس ، وعرف له اليوم مالم يعرفه بالأمس . ورب متجاهل كان يجاهله جهلا ، ومتعام كان للعمى أهلا .

وكأنى بالشاعر وقد شيعوه إلى القبر ، ملتمسين لذويه الصبر ! وبعد تراب عليه أنهال ، أقيم له تمثال .

وإذا العيون قفلت ، والقلوب غفلت ، فإن التمثال لايلفت ذوى عمى ، ولا يوقظ من ينظرون إليه نظر الأطفال إلى الدمى !

وإذا قضى الشاعر نحبه ، وفارق آله وصحبه ، فإن التمثال لا ينفع من ذهب ، وإن كان من ذهب !

فلعمرى إن لم يظفر الحى بأمنيته ، قبل منيته ، فإن الذكر والنسيان ، فى الموت يستويان !

ليتهم صانوا صاحب التمثال حياً ، فمن مات مذكوراً هو من عاش منسياً !!

حامد بدر

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى

سفير إيران بمصر

— ٧ —

٦ — البيمارستانات فى البلاد الإسلامية :

لقد أشرنا فى حديثنا السابق إلى مطالعات الأطباء المسلمين بجانب سرير المريض، ولتوضيح الناحية العملية من الطب الإسلامى وأعمال الأطباء فى البيمارستانات وطريقة تمريض المرضى وعلاجهم وحالة دور الشفاء عندهم لا بد من أن نلقى كلمة عن هذا الموضوع :

يأمر الدين الإسلامى مثل سائر الأديان السماوية بالرفق والشفقة ويدعو إلى البر بالفقراء والإحسان إليهم ومواساة المرضى والعجزة ؛ وقد كان تمريض المجروحين ومواساتهم والعناية بأمرهم من أهم الأمور التى كان يعيرها النبى صلى الله عليه وسلم اهتماماً خاصاً فى غزواته . فقد جاء فى سيرة ابن هشام أن سعد بن معاذ أصيب فى غزوة الخندق فى شوال من العام الخامس الهجرى بسهم فى الأكحل[١] فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يوضع فى خيمة رفيدة الأسلمية، وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين قائلا : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعود من قريب . ويمكن اعتبار خيمة رفيدة هذه أول مستشفى حربى متنقل عند المسلمين .

وبعد ذلك ازداد عدد هذه المستشفيات المتنقلة التى كانت تسمى بالبيمارستانات المحمولة[٢] مقابل البيمارستانات الثابتة .

وهذه البيمارستانات المحمولة زيادة على استعمالها فى الحروب كانت تنقل من مكان إلى آخر، وكانت مجهزة بكل ما يلزم المرضى عادة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه المرضى والعجزة والزمنين والمسجونين

(١) الأكحل الوريد .

(٢) ويعبر عنها الآن بالفرنسية بكلمة Am bulance

وكانت تنقل من بلد إلى أخرى من البلدان الخالية من بيمارستانات ثابتة .

يقول ابن أبى أصيبعة نقلا من ثابت بن سنان :

إن الوزير على بن عيسى بن الجراح فى أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن أبى العباس وقّع إلى والده سنان بن ثابت فى سنة كثرت فيها الأمراض جداً وكان سنان يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعا جاء فيه :

« فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من فى الحبوس وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فى أمراضهم فينبغى أكرمك الله أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم فى كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون إليه من المزورات (والمزورات هى حساء من الخضر دون لحم أو دسم أو البهريز فى اللغة الدارجة) وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عللهم فيما يصنعونه لهم إن شاء الله تعالى » ففعل سنان ذلك[١]

ثم وقع إليه توقيعاً آخر :

« فكرت فى من بالسواد من أهله وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء ، فتقدم مد الله فى عمرك بإنفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره » .

فنفذ سنان هذا الأمر وانتهى أصحابه إلى (سورا) من بلاد العراق وكان معظم أهلها من اليهود فكتب سنان إلى الوزير يخبره أن بعض أصحابه كتب إليه من السواد يستأذنه فى المقام هناك لعلاجهم أو الانصراف عنهم إلى غيرهم وإنه لا يعلم بم يجيبهم لأنه لا يعرف رأيه فى أهل الذمة . وقد عرض عليه فى كتابه هذا أن الطريقة المتبعة فى بيمارستان الحضرة هى علاج الملى والذمى ؛ فوقع له الوزير توقيعاً أخبره فيه أن يقدم معالجة المسلمين على أهل الذمة ، فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف فى الطبقة التى بعدهم — أى أهل الذمة — وقال « فاعمل أكرمك الله

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٢٢١

على ذلك وا كتب إلى أصحابك به ووص بالتنقل فى القرى والمواضع التى فيها الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية »(١) .

وكانت عادة السلاطين فى دولة المماليك أنهم عند ما كانوا يخرجون إلى القصور التى كانوا قد بنوها خارج المدن للاقامة أياما فيها ، أن يصحبهم فى السفرغالباً حاشية من الأمراء والأعيان ومعهم كل ما تدعو إليه الحاجة حتى يكاد يكون معه بيمارستان كامل لكثرة من معه من الأطباء والكحالين والجراحين والفصادين والأشربة والعقاقير وغيرها .

وكان الأمراء المسلمون أيضاً يستعملون فى حروبهم البيمارستان المحمول وكان يحمله ويحمل الآلات والأدوات والأدوية والعقاقير اللازمة عدد من الجمال خصصت لذلك(٢) .

أما البيمارستانات الثابتة فهى ما كان بناؤها ثابتا فى مكان خاص ؛ وكان هذا النوع موجوداً فى معظم البلاد المهمة ولاسيما فى العواصم الكبرى وكان فى بعضها أ كثر من بيمارستان واحد ولا تزال آثار بعضها باقية إلى الآن كالبيمارستان المنصورى أو (قلاوون) والبيمارستان المؤيدى بالقاهرى والبيمارستان النورى بدمشق وغيرها .

وكانت هذه البيمارستانات بوجه عام منقسمة إلى قسمين منفصلين قسم للذكور وآخر للاناث ، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلات وعدد وخدم من الرجال والنساء(٣) وفى كل قسم منهما قاعات مختلفة فقاعة للامراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للكحالة ورابعة للتجبير ، إلى غير ذلك من القاعات .

وكانت هذه الأقسام الخاصة مقسمة بدورها إلى شعب وأقسام فرعية مثل الفرع الخاص بالمحمومين والفرع الخاص بالممرورين أى المجانين ، والفرع الخاص بالمصابين بالأمراض العادية والأسهال وغير ذلك . وكانت البيمارستانات تقام فى أما كن حسنة الموقع طيبة المناخ .

يروى بعض المؤرخين فى ترجمة حياة محمد بن زكريا الرازى أنه عند ما طلب إليه أن يختار محلا مناسباً لبناء بيمارستان فى بغداد أمر أن يعلقوا قطعا من اللحم الطريف فى أما كن مختلفة

(١) بتلخيص من طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة
(٢) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٣١٠
(٣) طبقات الأطباء الجزء الأول

من المدينة ثم اختار المحل الذى كان تعفن اللحم فيه متأخراً عنه فى سائر الأما كن لبناء المستشفى المطلوب .

وكان من شروط انتخاب المحل المناسب لبناء البيمارستان أن يكون فيه ماء جار .

وكان لكل بيمارستان شرابخاناه أى صيدلية (والكلمة محرفة عن شرابخانة الفارسية ومعناه خزانة الشراب) ولكل شرابخاناه (مهتار) أى رئيس (وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن مهتر الفارسية بمعنى الرئيس أو الكبير) وتحت يده غلمان عنده برسم الخدمة يطلق على كل واحد منهم (شراب دار)(١) .

ومما يسترعى النظر كثرة الأسامى والمصطلحات الطبية الفارسية التى كانت شائعة فى اللغة العربية ويدل ذلك على نفوذ الأطباء الايرانيين وأثر مدرسة جند يسابور منذ عهد الساسانيين، حتى أن العرب استعملوا نفس هذه المصطلحات واللغات الفارسية عيناً أو بتحريف بسيط فى كتاباتهم ومحاوراتهم ؛ فكلمة (بيمارستان) أو مخففها (مارستان) شائعة ومتداولة فى اللغة العربية أ كثر من كلمتى المستشفى أو دار الشفاء .

وكانت كلمة (بيمارستان) تطلق فى بادىء الأمر على المستشفيات التى تعالج فيها الأمراض بصورة عامة ؛ أما بعد ذلك لما أصابتها الكوارث وحل بها البوار وهجرها المرضى أقفرت إلا من المجانين حيث لامكان لهم سواها فصارت كلمة (مارستان) وهى تحريف بيمارستان لا تنصرف إلا إلى مستشفى المجاذيب .

وكان لكل بيمارستان ناظريشرف على إدارته ، وكان النظر عليه يعد من الوظائف الديوانية العظيمة ، وكان تحت إدارته عدد من أرباب الوظائف فى البيمارستان وهم :

١ — رئيس الأطباء وهو الذى يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم فى التطبيب ونحو ذلك .

٢ — رئيس الكحالين وحكمه فى الكلام على طائفة الكحالة حكم رئيس الأطباء فى طائفة الأطباء : — رئيس الجرائحية(٢) .

(١) صبح الأعشى للقلقشندى الجزء الرابع صفحة ١٠
(٢) صبح الأعشى للقلقشندى الجزء الثانى صفحة ١٦٨ والجزء ١١ الصفحة ١١٧ وصفحة ٢٦٨

وكان لكل طبيب حسب درجته ومقامه مرتب خاص وله زيادة على المرتب جامكية وصلات وعلوفة لدابته من الخلفاء والملوك والأمراء .

يقول القفطي وابن أبي أصيبعة أن معدل المرتبات الشهرية للأطباء كان كالآتى :

١ — أطباء الخاص (أى المنقطعون للخليفة أو السلطان) وكان عددهم اثنين لكل منهما فى الشهر خمسون ديناراً (وكل دينار حوالى خمسة عشر فرنكا فرنسياً ذهباً (١) أى ستين قرشاً مصرياً تقريباً) .

٢ — أطباء الدرجة الثانية وهم ثلاثة أو أربعة ، وكان بعضهم يقيم بالقصر ولكل منهم عشرة دنانير ؛ وكان بعضهم طبيباً بالبيمارستان أيضاً فكان له رزقان أى ثلاثون ديناراً فى كل شهر مثل رضى الدين الرحبي طبيب صلاح الدين الأيوبى ، فقد أطلق له صلاح الدين ثلاثين ديناراً فى الشهر ويكون ملازما للقلعة والبيمارستان ؛ وكان للبعض الآخر مثل جبرائيل الكحال ألف درهم كل شهر (والدرهم نصف فرنك فرنسى ذهب أو قرشان مصريان) .

يقول المقريزى إن أول من بنى البيمارستان فى الاسلام ودار المرضى هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى سنة ٨٨ هجرية وجعل فيها الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق .

وكان فى البيمارستان طريقان للعلاج . علاج خارجي أى أن المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه فى منزله ، وعلاج داخلى يقيم المريض فى أثنائه فى البيمارستان فى القسم والقاعة الخاصة بمرضه حتى يشفى (٢) .

فنى الطريقة الأولى كان الطبيب يجلس فى محل خاص ويعاين المرضى ويعطيهم العلاج اللازم ؛ وبما أن هذه المعاينة وهذا العلاج كانا يتمان فى البيمارستان غالباً فقد كان يجتمع التلاميذ بحضرة أستاذهم يعاينون معه المريض ويعرفون كيفية استدلاله على المرض من أعراضه وعلائمه ، وجملة ما يصفه له ، والعلاج الذى يعالجه به ، ومقدار الأدوية والعقاقير التى يوصى بها وطريقة استعمالها .

(١) الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا الجزء الرابع صفحة ٤٦

(٢) تاريخ البيمارستان فى الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك صفحة ٣١

روى ابن النديم وكان معاصرا لمحمد بن زكريا الرازى نقلا عن شيخ من أهل الرى (أن الرازى وكان شيخاً كبيراً كان يجلس فى مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والانعدام إلى غيرهم ، فإن — أصابوا وإلا تكلم الرازى فى ذلك (١) .

إن هذه الطريقة تشبه إلى حد كبير الطريقة المتبعة الآن أو التى يجب أن تتبع فى حالة مداولة الأطباء عن فحص المريض consultation فإن الأطباء بعد أن يعاينوا المريض يجتمعون للمداولة فى غرفة خاصة ويبدأ الحاضرون بابداء آرائهم فى حالة المريض متدرجين من أصغرهم سناً إلى أكبرهم؛ وذلك لأن الأطباء الكبار والمشهورين إن أبدوا رأيهم فى ذلك ربما خجل الطبيب الأصغر منهم بحكم سنه وإجلاله للطبيب الأكبر منه سناً ومقاماً من إبداء رأي يخالف ذلك ، وقد يكون أحياناً أحسن من رأى غيره وأقرب إلى الصواب .

والخلاصة أن دراسة الأطباء لحالة المريض بجانب سريره ومطالعاتهم فى البيمارستانات وأخذهم دروساً عملية كانت تعد فى تلك العهود — وكانت العلوم فيها على الأغلب الأعم نظرية ذات أهمية خاصة بالنظر لأهمية الطب والتبعة التى تقع على عاتق المشتغل به وللمهارة التى تستلزمها هذه المهنة .

وإن شطراً هاماً من كتاب الحاوى للرازى مخصص لهذه الدروس الطبية (الأكلينيكية) . ومنه فصل بعنوان (أمثلة من قصص المرضى) ، يذكر فيه الحالات النادرة التى ترد فيها فى تشخيص المرضى ، وفى كل حالة يذكر اسم المريض وأعراض المرض وطريقة العلاج ونتيجتها .

ويذكر الأستاذ بروان فى كتابه الطب الإسلامى (Arabian Medicine) حالة من هذه الحالات مع ذكر النص العربى وهو كما يأتى :

(كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ، ومرة غب ، ومرة ربع ، ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات كثيرة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعاً ، وإما أن يكون به خراج فى

(١) الفهرست طبعة مصر صفحة ٤١٥ وطبعة ليزيك صفحة ٢٩٩

أساتذة الجيل :

٢ - أحمد تيمور باشا

ندوته في درب سعادة

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

« إلى الصديق الكريم ، والباحث المحقق ، الدكتور محمد سامي الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة في الحديث عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل ... »

كانت منازل الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لعهد أدركناه ، منازل لأهل الفضل من العلماء والأدباء والشعراء ، ومجامع للفحول في كل علم وفن ، يلتقون فيها كل ليلة أو كل أسبوع ، فيتباحثون ويتجادلون ، ويسمرون ، ويضحكون ، ويذهبون في فنون القول مذاهب ، فما شئت من حقيقة علمية خافية ، أو طرفة أدبية رائعة ، أو فكاهة حلوة تروى وتحفظ .

وكان الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لعهد أدركناه ، يرون تقريب العلماء والأدباء حليبة ومظهراً من مظاهر النبالة والعراقة ، فكانوا يفسحون لهم في جانبهم وفي منازلهم ، ويبذلون لهم من جاههم ومالهم ما وسعتهم القدرة على ذلك ، فكانت هذه المجالس هي مجالي التفكير العلمي والأدبي والتدبير السياسي والاجتماعي وليس من شك في أن هذه المجالس قد أثرت في حياتنا الفكرية أكثر مما أثرت « الصالونات الأدبية » في الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر ، ولكنها من الأسف لم نجد المؤرخ الذي يدون أخبارها ، ويذكر آثارها .

كانت في دار الأميرة نازلي هانم فاضل ندوة ، وفي دار آل البكري ندوة ، وفي دار سليمان أباظه باشا ندوة ، وفي دار الإمام محمد عبده بعين شمس ندوة ، وفي دار آل عبد الرازق ندوة ، وفي دار آل القاياتي ندوة ، ولا تزال منها بقية باقية ... وكان من أحفل هذه الندوات وأعمرها ندوة أحمد تيمور في درب سعادة حيث كانت دار آل تيمور الفسيحة الجنبات المفتحة الأبواب ...

ولقد رأيت فيما قدمنا لك أن والد أحمد تيمور باشا قد عكف في آخر حياته على جمع الكتب ومجالسة أهل العلم والأدب في داره ، فلما شب الابن جرى على سنة أبيه في هذا ، وكانت له به قدوة ، ففتح داره لشيوخ العصر وأعلام اللغة والأدب وكل من يمت إلى هذا بسبب ، فكان يجتمع في هذه الدار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن محمود الشنقيطي والشيخ حسن الطويل والشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ طاهر الجزائرلي والسيد محمد الببلاوي والشيخ محمد شاكر والشيخ حسن منصور والشيخ أحمد مفتاح ويحيى أفندي الأفغاني ومحمد أفندي أكل والشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهوري ، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي والسيد عبد المحسن الكاظمي ورفيق بك العظم ، والسيد محمد رشيد رضا ، ثم كان بعد هؤلاء رعيل آخر من أعلام الأدب واللغة ورجال القلم والصحافة والمستشرقين الذين كانوا يتوافدون على مصر للدراسة والتحقيق العلمي والبحث عن المخطوطات النادرة ، فكانت ندوة أشبه بمجامعة علمية تمت لها كل فروع المعرفة ووسائل الدراسة العلمية والأدبية وامتازت بالتخلص من قيود النظم والقوانين ...

في كلاه ، فلم يلبث إلا مديدة أعلمته أنه لا يعاود هذه الحميات ، وكان كذلك ، وإنما صدني في أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خراجاً في كلاه أنه يحم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعاً موضعاً أقوى . ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأغفلت أنا أيضاً أن أساله عنه ، وقد كان كثرة البول يقوى ظني بالخراج في الكلى ، إلا أني كنت لا أعلم أن أباه أيضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء ، وهو أيضاً قد كان يعتريه في صحته فينبغي ألا يغفل بعد ذلك غاية التقصي إن شاء الله ، ولما بال المدة أكببت عليه بما يدر البول ، حتى صفا البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين وتخلص من علته وبرأ برءاً تاماً سريعاً في نحو من شهرين . وكان الخراج صغيراً ودلني على ذلك أنه لم يشك إلى ابتداء ثقلا في قطنه ، ولكن بعد أن بال مِدة قلت له هل كنت تجد ذلك ؟ قال نعم ، فلو كان كثيراً لقد كان يشكو ذلك ، وأن المدة تنبث سريعاً تدل على صغر الخراج . فأما غيري من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال مِدة أيضاً لا يعلمون حالته البتة » .

(البقية في العدد القادم)

فى هذه الندوة تخرج أحمد تيمور ، ودرس وحصل وأفاد ، واستطاع أن يقرأ جميع ما جمع من أمهات الكتب ونوادر المخطوطات وأن يملق عليها التمليقات المفيدة ، فبمد أن كان يجلس فى هذه الندوة مجلس التلميذ المستفيد أصبح يجلس مجلس الأستاذ المفيد ، وأصبح أهل العلم يتوافدون عليه للأخذ عنه والإفادة منه ويرجمون إليه فيما يريدون من تحقيق أدبى أو تمليق لنوى .

لم يدون أحد ما كان يجرى فى هذه الندوة من المطارحات والمناقشات ، ولو جمع هذا لتحصل منه علم كثير وأدب كبير ، ولكنا نجد تيمور باشا يشير إلى ذلك إشارات عابرة مقتضبة فيما كتبه فى تراجم أعيان القرن الثالث عشر الهجرى ، فيقول فى ترجمة الشيخ أحمد مفتاح : « ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة فى فترات فينزل عندنا ، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه فى ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار » .

ويقول فى ترجمة أستاذه الشيخ حسن الطويل : « ومن غريب المصادفات أنه زارنى قبل وفاته بيومين فى ليلة مقمرة ، فجلسنا فى صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولماً به مع قلة إجادته فيه ، فقال لى عندما أراد الذهاب : نحن الآن فى الامتحان وقد قربت الأجازة ، وصدرى ضيق فى هـذه الأيام من الناس ، ونفسى تجنح للعزلة ، فهل تعرف لى مـكاناً أقضى فيه بعض أيام بعيداً عنهم ؟ فقلت : يا سيدى . إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معاً إلى ضيعتنا التى بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال : نعم الرأى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسناً ليشترك معنا فى القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ، ويسر له العزلة ولـكن فى دار قراره » .

ويظهر أن ندوة تيمور لم تكن لها ليلة معينة فى الأسبوع ، بل كانت مفتحة الأبواب دائماً ، وكان إخوانه يجتمعون به كل ليلة وكل وقت يروق لهم ، فهو يحكى عن نفسه أن أستاذه الشنقيطى أشار عليه بقراءة أمالى أبى على القالى قراءة إمعان وتدبر ، فاعتزل الناس ثلاثة أيام لهذا الغرض ، فلم ترق هـذه العزلة صديقه محمد أفندى أكل فعاد إليه بعد الأيام الثلاثة ومعه زجل ينحى فيه على الشنقيطى وعلى أبى على القالى اللذين تسببا فى انقطاعه عن الإخوان وفيه يقول :

يا سيد احمد يا تيمور   يا للى منعنا من أنسك
هو ودادك من بنور   حتى كسرته من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور   يقطع محطات على حسك
هو الـكتاب ده م الجنة   ولا كلام المجـريطى
أبو على كان لك محنة   الله يجـازى الشنقيطى

***

بكره يجينا الشيخ مفتاح   يحلى السهر فى القمارى
نفضل ندردش للأصباح   والشيخ بروحه موش دارى
عبيط خفيف عالم فـلاح   بجوز شـوارب هوارى
أوقات كده يبقى زنه   وأوقات نشوفه رهريطى
أبو على كان لك محنة   الله يجـازى الشنقيطى

وهو زجل طويل ، وكله على هذا النحو من الطرافة والدعابة ، وقد أورده جميعه تيمور باشا فى كتابه أعيان القرن الثالث عشر .

ويحكى تيمور باشا فى ترجمة محمد أفندى أكل أيضاً فيقول : « وأطلعته على رسالة عندى جمعها الشيخ أحمد الفحماوى وذكر بها كنى وألقاباً وضعها لفضـلاء أواخر القرن الثالث عشر على سبيل المزاح والدعابة ، فلقب كل واحد بلقب شاعر متقدم أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع فى وضع رسالة تماثلها فى فضلاء عصره ، وسألنى مشاركته فيها فامتنعت خشية اللوم فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة بابن المقفع لنحافته ودخول شدقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندى الأفغانى بالقدورى لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقدورى اسم عالم مشهور من الحنفية ، ولقب نفسه بابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالقوقس ، ولما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح لسلامة طويته بالأبله البغدادى غضب منه ، وكاد يتفاقم الشر بينهما ، وغضب منه صاحب آخر وكان قصيراً ممتلئاً يتدحدح فى مشيته كما يتدحدح البط لأنه لقبه بابن بطوطة » . .

وهـكذا كانت ندوة تيمور باشا مجالا للمداعبات الأدبية والفـكاهات الطريفة بين الأصـدقاء والإخوان كما كانت مجال علم وأدب ، ودراسة وتحقيق .

« له بقية »

محمد فهمى عبد اللطيف

النزاع بين الروحانيين والماديين

للدكتور فضل أبو بكر

أثارت ظاهرات الطبيعة فضول الإنسان الأول وراعته عواديها فأطلق لخياله العنان ومن بعد ثم شرع يشحذ من قريحته البدائية وتفكيره الساذج يحاول تعليلا لتلك الظاهرات والوصول إلى حل بعض طلاسم الوجود .

ينشد حلا يروى عطاش نفسه الظمأى ووجدانه الحائر ، ويرضى فى الوقت نفسه ولحد ما كبرياءه كحيوان بلغ درجة من التطور العقلى والجسمى ما جعله يلقب بسيد المخلوقات ، وهو لقب ناله بجدارة واستحقاق .

غير أن سيد المخلوقات قد عاش فى ظلمات من الجهل ، وأسدلت بينه وبين نور المعرفة حجب كثيفة حالكة ، ولم يبد أمام ناظره بصيص من نور أو وامض من برق إلا متأخراً جداً بالنسبة لبدأ خلقه كانسان — ولا أقول ككائن حى — كما يحدد ذلك على وجه التقريب علم « الأنتروبولوجيا » وكما تدعم ذلك متحجرات « الجيولوجيا » وحفائر « الأركيولوجيا »

كان لعهد ليس بالبعيد يعتقد فى سطحية الأرض ويظنها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له بساطاً لاحراك فيه ؛ وكان جهله بالسماء وشمسها وكوكبها أشد من جهله بالأرض التى يعيش فوق أديمها وذلك إلى أوائل القرن السابع عشر ، حتى جاء « جاليلى » « ونيوتن » و « لا بلاس » فيما بين منتصف القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، فأثبتوا كروية الأرض ودورانها حول الشمس وقانون الجاذبية ، ونهضوا بعلم الفلك ووضعوا له أسساً وقواعد علمية متينة ، كما أسس العالم الفرنسى « لافوازييه » قواعد الكيمياء بعد ما فند آراء القدماء فيما يتعلق بالاحتراق « والتأكسد » خاصة . كما ظهر غيرهم من العلماء ، وكان عصرهم هو عصر النهضة العلمية خطا فيه العلم خطوات المارد فى جميع فروعه .

لقى الكثير منهم تعنتاً واضطهاداً بل وتعذيباً من رجال الدين ورؤساء الكنائس ، وذلك لجمود أهله فى ذلك الحين وسطحية تفكيرهم وضيق أفقهم ؛ كذلك كان العلم والمعرفة فى ذلك الحين موقوفين على أهل الدين فاشتد الخلاف ودب الحقد فى نفس العلماء كما خرج بعضهم على الكنيسة والدين ، وأكبر مثل لأولئك الخوارج المرتدين كان العالم الرياضى الفلكى « لابلاس » الذى تشرف بالمثول بين يدى جلالة الأمبراطور نابليون الأول لأبحاثه القيمة فى علم الفلك ومؤلفه « الميكانيكا السماوية La Mécanique Celeste فهنأه الأمبراطور على اجتهاده وقال له مندهشاً مستفسراً « أراك لم تذكر شيئاً عن الخالق ولم تمجده فى جليل صنعه !! » فأجابه لابلاس على الفور « ما كنت يا مولاى فى حاجة إلى مثل هذا الفرض » Sire, je n, ai jamais eu bésoin de cetfe hypothese

من هنا يتبين لنا الفرق الشاسع بين المسيحية فى ذلك الوقت وبين الإسلام فيما يتعلق بتسامحه وسعة صدره إزاء العلماء والفلاسفة الذين لم يلاقوا من رجال الدين تعنتاً ولا اضطهاداً إلا القليل بل كانوا على العكس محل احترام وإعجاب الكثيرين كما رعاهم الملوك والأمراء ورغماً عما أدعاه كذباً وتمويهاً للحق بعض المؤرخين الغربيين بأن العرب عند ما دخلوا الاسكندرية فى القرن السابع حرقوا كنوز العلم والفلسفة والفنون من مخلفات الأغريق التى كانت تعج بها مكتبتها الفريدة وتكتظ بها فى ذلك الحين ؛ غير أن بعض المنصفين من مؤرخيهم نفوا تلك التهمة ورأوا العرب من جناية لم يرتكبوها ، وأثبتوا بأن الرومان وحدهم لما دخلوا الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد هم الذين بددوا تلك الكنوز وعبثوا بنفائسها .

ذكرنا فيما تقدم بأن عهد النهضة العلمية كان حقاً العصر الذهبى خطت فيه العلوم والمعارف الإنسانية خطوات واسعة كما تحرر فيه العقل البشرى — لحد كبير — من ربقة القيود التى كبلته حيناً من الدهر .

تقدم علم الكيمياء والطبيعة والرياضيات والفلك منذ ذلك الحين ، ومازالت فى تقدم مطرد — تقدماً غير وجه الأرض وما عليها وكانت نتيجة ذلك حضارتنا الراهنة التى هى وليدة تطبيق تلك العلوم .

وقد نهض الإنسان بعلمى الطبيعة والكيمياء إلى درجة مكنته من تحطيم الذرة واستخدام القوة الهائلة الناتجة عن ذلك .

قوة — كما يقول علماؤها — إذا سخرت فى الصناعة أغنته عن الفحم والبترول وغير ذلك من المواد الخام اللازمة لتوليد القوة وأعطته من الإنتاج أضعافاً مضاعفة لما تأتى به تلك المواد، كما أنها إذا استخدمت أداة للحرب والشر عصفت بالعالم ومن عليه وما عليه وجعلته قاعاً صفصفاً وعليقاً ما كولا .

غير أن علم الحياة لم يخط كما خطت تلك العلوم وذلك لتعقيده ووعورة مسلكه شأن كل ما يتعلق بالحياة، فهو لغز الوجود وسر الخالق! فالإنسان المكتشف المخترع لآلات وأجهزة بلغت من الدقة والإتقان شأواً بعيداً، هذا الإنسان عينه نراه فى الوقت نفسه عاجزاً تمام العجز عن خلق أدنى المخلوقات الحية!! خلق كائن مركب من خلية واحدة مثل «الأميبا» أو «البكتريا» مع أنه يعرف «تحليلا» وبدقة تامة المواد والعناصر التى تتركب منها ولكنه يعجز «تمثيلا» عن أن يهبها الحياة!!

فلغز الحياة وجهل الإنسان بنفسه ككائن حى حير الفلاسفة من عهد سقراط إلى يومنا هذا، وهو ما حدا بسقراط أن يكثر من القول «اعرف نفسك» وهو بيت القصيدة من فلسفته والمحور الذى تدور حوله رحاها . وهو هو الذى أعيا الخيام وجعله يهرب من ميدان الجدل، ويحتمى بالطاس والكاس يغرق فيهما همومه وحيرته، ويستوحيهما لمعرفة السر الرهيب! وهو ما أقلق راحة المعرى حيرة وشكا كان إزاءهما فى كروفر؛ فانظر إليه حين يقول :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ومنها أيضاً :

حار أمر الإله واختلف النا س فداع إلى ضلال وهاد

يقول هذا وربما يطمئن إلى ما يقول حيناً فيماوده الشك وتنتابه الحيرة أحياناً فيناقض نفسه بنفسه كما يذكر ذلك فى شعره وتأملاته، ومن هنا كانت بليته وعذاب نفسه .

وقد روى عنه أنه كان «نباتياً» يعف عن اللحوم ويرى فى أكلها قسوة من الإنسان على الحيوان؛ وربما كان سبب ذلك عقدة نفسية ومركب نقص مصدره إكبار الحياة فى شخص الأحياء!! الحياة التى هزمته لغزها وأعياه سرها : فالإنسان يكبر — من حيث لا يشعر ولا يريد — ما يدق عنه وما يجهله والمجهول ما هو إلا خصم عنيد تغلب عليك وهزمك تكبره وإن كنت فى الوقت نفسه تشمر نحوه بشىء من العداء!!

وقف العلم وأسرار الطبيعة فى حيرة من أمرهما بسبب الجدل الدائم المحتدم بين الماديين المسمين أنفسهم بالواقعيين، وبين الروحانيين، وذلك من عهد سقراط إلى يومنا هذا .

وقد كان أكبر حجة للروحانيين المثاليين عند الأغريق هو «أفلاطون» بلا شك . وكان يمجد الروح والعقل بقدر ما كان يحتقل المادة ويحط من قيمتها . كان يؤمن بخلود الروح ويعتقد بأن الجسد ما هو إلا سجن وقيود وأصفاد تكبلها . والروح — كما يعتقدها — أزلية لا بداية لها ولا نهاية، وقد عاشت قبل أن تحل بالجسم كما ستبقى وتخلد بعد فنائه، وأن جوهر الأشياء وحقيقتها لا يعرف عن طريق الحس والمشاهدة، وإنما الوصول إلى الحقيقة يأتى عن طريق هبة علوية روحانية يمكن تنميتها وترويضها عن طريق الجدل المنطقى والتأمل العميق، وهو ما يميز الفيلسوف — الذى هو لا غيره — القادر المقتدر على حكم الدولة حسب قوانين مثالية توحى بها العدالة ويمليها المنطق السليم .

يشارك أفلاطون فى آرائه تلميذه وخليفته من بعده «أرسطو» الذى نجح فى تدعيم آراء أستاذه بحجج قوية عن طريق المشاهدة والتجارب، ومن هنا كان أقل مثالية من أفلاطون وأقرب منه إلى الواقعية والمادية، كما امتاز أرسطو بآرائه فى مسألة التطور التى أولاها الكبير من عنايته . أما عن كبار الماديين عند الأغريق فنذكر أهمهم وكبيرهم «ديموقريطس» الذى كان يعتقد بأن المادة تتكون من ذرات متناهية فى الصغر وهى فى حركة دائمة سرمدية، وأن تلك الذرّات غير قابلة للتجزئة أو التحطيم، وكان يعتقد فى مادية الروح وتركيبها من ذرات مشابهة لذرات المادة، كما أن حقيقة الأشياء لا تعرف إلا عن طريق الحس والمشاهدة .

ولما كان يعتقد فى مادية الروح فقد نفى عنها الخلود وهاجم آراء أفلاطون مهاجمة قوية فيما يتعلق بأزلية الروح .

ظلت الحرب سجالاً بين الفريقين إلى أن ظهرت الديانة العبرية بأحبارها، ومن بعد ذلك المسيحية بقسيسها، وشن رجال الدين من الطائفتين حرباً ضد الماديين، يستنكرون فلسفتهم

ويحرمون تعاليمهم ، فأفل نجم الماديين إلى منتصف القرن السابع عشر حيث بدأت النهضة العلمية فعادت المادية إلى الميدان من جديد

وأهم الفلاسفة الماديين فى ذلك المهد هو بلا شك «اسبينوزا» الذى كان من أصل يهودى برتغالى ، ولجأت عائلته إلى هولندا حيث ولد وعاش فيها .

تأثر « اسبينوزا » لحد كبير بفلسفة « ديكادرت » وألف كتاباً شرح فيه آراءه فى الفلسفة « والمتافزيقيا » وقد ثار عليه رهبان اليهود وطردوه من حظيرة دينهم على أثر مؤلفه « الدين والسياسة » .

وفلسفة « اسبينوزا » المادية فيها كثير من الغموض ، بل والتناقض فى بعض الأحيان وهاك ملخصها :

المادة — فى اعتقاده — شىء قائم بنفسه له خصائص ومميزات بواسطتها نصل إلى معرفة المادة . أما المادة ككائن — حى أو غير حى — فهذا ما نجهله وهو سر المادة نفسها ، ويقصد بذلك المادة الكبرى أى الإله .

الإله — هو المادة نفسها والكائن اللانهائى ، ولكنه ليس بخالق الكون ، وما نسميه بالمخلوقات ما هى فى الواقع إلا أنواع مختلفة ومحدودة لمادة لا حد لها ولا نهاية هى مادة الله .

أما الروح فهى فى نظره جزء من الجسم وفى وحدة معه ، وهى الجزء العاقل الحساس ، ورغماً عن هذه الوحدة فالروح لا تؤثر على الجسم تأثيراً مباشراً كما أن الجسم لا يكون له مثل هذا التأثير المباشر على الروح ، وإنما هناك تحدث تغييرات وانفعالات فى الجسم يقابلها ما يشابه ذلك فى الروح فى نظام وتناسق تام .

ومن أكبر الروحانيين الشاليين فى منتصف القرن التاسع عشر ، نذكر الفيلسوف « أوجست كت » مؤسس الفلسفة الإيجابية « Positivisme » وهى خليط من الدين والفلسفة والسياسة والاجتماع .

يرى « كت » أن الثقافة الفكرية يجب أن تكون مؤسسة على دعائم قوية من الدين والمتافزيقيا والفلسفة الإيجابية ، كما أنه يرى من الأجدى لعلماء الطبيعة أن يكتفوا فقط بوضع قوانين لعلومها ويصفوا مايشاهدونه من ظاهراتها وما بين ذلك من تشابه وتنافر بدلا من التعمق فى معرفة الأسباب والقوى الخفية المؤدية لذلك والتى تدق عن إدراكهم فى معظم الأحيان ؛ لأن مثل هذا العمق فضلا عن عقمه — يوقع فى الحيرة والشك — وهما يفضيان إلى المادية والسلبية .

والخلاصة كما يقول كت هي أن العقل البشرى مهما سما واتسعت مداركه لا يمكنه أن يصل إلى معرفة الكثير من الأسرار والقوى الخفية فى هذا الكون ؛ ولا يقصد بذلك أن هذا العجز يجب أن يشل من تفكيره ويوقعه فى اليأس والاستسلام بل على الإنسان أن يكثر من التأمل ويجد فى التفكير وألا يكون أخفاقه — كما هو الحال مع بعض الفلاسفة والعلماء — سبباً لتبرمه بالخالق ونكرانه له . ولنتأمل فى قول الخالق نفسه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وكما يقول الفيلسوف الإنجليزى « هربرت اسبنسر » : « من درس الطبيعة دراسة مستعجلة سطحية أغوته وقادته إلى الشيطان ، ومن درسها بتعمق وروية سمت به وأوصلته إلى الخالق » .

فضل أبو بكر

(باريس) بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

---

٩ — من ذكرياتي في بلاد النوبة:

بين عنيبـــة والدر

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

يطلق اسم عنيبة الآن على غير مسماه لأنه يطلق على المكان الجديد الذى أنشأته الحكومة المصرية بعد التعلية الثانية لسد أسوان، والذى يضم المدرسة الإبتدائية وثانويتها، والمركز بما فيه مكاتب الصحة والتموين، والمحكمة الشرعية والوطنية، والبريد، والتلغراف والتليفون والمستشفى، واستراحة الرى. الخ هذه المرافق العامة التى لابد من وجودها فى كل مركز كبير، يكاد يكون صورة مصغرة من مدينة كبيرة..

والواقع أن المكان الذى يشمل كل أولئك ليس هو عنيبة، بل (مستعمرة عنيبة) ولعل البعيدين عن المحيط الذى نعيش فيه، يهزون أكتافهم، ويزمون شفاههم، فى دهشة وعجب، غير شاعرين بكبير فرق بين التسميتين، ولكنهم لو كانوا بيننا حيث نحيا ونعيش لأدركوا سر هذه التفرقة وقيمتها فى نظر النوبيين، إذ أن عنيبة، عبارة عن بلدة تمتد على شاطىء النيل حوالى ثمانية أميال تقريباً، مكونة من نجوع تكاد تكون متصلة متلاصقة، وبيوت كل نجع عبارة عن أكواخ صغيرة، مبنية من اللبن أو الحجارة أحياناً، ولكنها تحمل آثار الفقر والفاقة.. وبين المستعمرة الحكومية التى تضم الموظفين — دواوينهم ومنازلهم — وبين أقرب نجع من نجوع عنيبة الأصلية ميلان على الأقل!!

فإذا تحدثنا عن عنيبة فلا نعنى البلدة الأصلية الريفية.. التى لا يكاد يقطن بها موظف واحد، وإنما نعنى مستعمرة عنيبة التى قامت مقام الدر، المركز السابق، والتى تضم موظفى المركز بأسره، اللهم إلا رجال البريد، والتعليم الأولى والإلزامى فهؤلاء متفرقون فى مختلف بلاد النوبة على شاطىء النيل، وكذا موظفو المدرستين الجديدتين الإبتدائيتين فى الدكة، وقورته..

وإن شئت فقل إن هذه المستعمرة الجميلة التى تفيض حركة ونشاطاً، والتى تعتبر عروس بلاد النوبة على الإطلاق، كانت تدعى فيما قبل: (مقابر عنيبة)!!

إى والله، لقد كانت موضع القبور، ومكان العظة لمن أرادها، فأصبحت الآن مدينة صغيرة، آهلة بالسكان، تضم عشرات الموظفين المثقفين فى أرقى الجامعات المصرية والأجنبية، وبها الماء والنور!!.

ولم يقع اختيار الحكومة على هذه البقعة اعتباطاً، ولكنها اضطرت إلى إنشاء المركز الجديد بها اضطراراً، ولذلك قصة طريفة، نجملها فيما يأتى:

كانت بلدة (الدر) قبل سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف مقر المركز، وأهم موضع فى بلاد النوبة على الإطلاق، وكيف لا، وبها دور الحكومة، ودواوينها: مدرسة ابتدائية لها قيمتها فى ذلك الوقت.. ثم أغرقت بلدة الدر ضمن ما أغرق من البلدان النوبية بسبب التعلية الثانية، وغمرت مياه الخزان بناء المركز وبقية دور الحكومة جمعاء... وأرادت الحكومة أن تنشىء بنايات جديدة لمرافقها المختلفة فى البلدة نفسها ولكن فى مكان مرتفع عن منسوب المياه مهما طغت وكثرت. بيد أنها فوجئت من الأهلين بالمعارضة القوية الصارمة، والرفض الشديد، مما أثار الدهشة والحيرة، والتساؤل والارتباك، ولكن الحكومة إزاء هذا التصميم، لم تجد بداً من الالتجاء إلى بلدة أخرى غير الدر، غير أنها باءت بالفشل، ووجدت الرفض نفسه، والمعارضة التى لم يفلح معها إقناع بحال من الأحوال، وهكذا وقف عمد أربعين بلدة من بلدان النوبة هذا الموقف بعينه، ولم يقبل واحد منهم، ووراءه أهل بلدته بما لهم من سطوة ونفوذ أن يكون مقر المركز من نصيب بلدته، وكأنما هو الخطب الداهم، والشر المستطير!!..

وغفل كثيرون عن سبب هذا، وفهمه العارفون، وأدركوا سره وحمدوا هذا الموقف للنوبيين، لأنه برهن على اعتزازهم بشرفهم، وحرصهم على حماية أعراضهم، من أولئك الذين لا يفهمون واجبهم نحو ربهم، ونحو أنفسهم، فيستجيبون دائماً لداعى

الغريزة ، ويلبون نداء الشهوة ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، ولا يبالون بأعراض الناس . إن هؤلاء أساءوا إساءة بالغة إلى أنفسهم أولا ، وإلى مناطقهم وبلدانهم ثانياً ، وكانوا شر قدوة ، وأسوأ أسوة !! ..

يا لله ! لقد شافهت الكثير من أهل هذه البلاد ، وخاطبتهم فى هذا الموضوع ، فأرقت منهم العيون ، وعادت بهم الذكرى تعيد الصور مكرورة ، وتبعث الأشجان محفورة فى الأفئدة والصدور، وكأنهم يعتقدون أن الله أنقذ عباده الخزان بلدة الدر ، وطهرها من الرجس ، حينما خلصها من شر الموظفين ، وإن بعض الأهلين يعتقد أن بلدة الدر خسرت بذلك سوقاً رائجة ، وتجارة نافعة ، وحركة دائبة !! ..

ومهما يكن من شىء فإن هذه الفكرة سائدة الآن بين الموظفين والأهلين على السواء ، وقليل ذلك الذى يرى أن اختيار هذه البقعة الصحراوية ، والتى لا تزال تشتهر بـ (قبر عنيبة) كما تدل على ذلك الخرائط الكبيرة القديمة ، والتى لا يزال المركز يحتفظ بإحداها يزين بها حجرة المأمور — قليل ذلك الذى يرى أن سبب هذا الاختيار مرجعه إلى المقاول الذى رست عليه المزايدة العلنية ، وأنه اختار هذه البقعة الصخرية بالذات ليوفر على نفسه مؤونة نقل الحجارة من مكان بعيد يكلفه كثير المشاق ، وطائل الوقت والمال !! .

وعلى الرغم من أن عنيبة قد سعدت بمقر المركز الجديد ، ونالها بذلك كثير من الرخاء والرواج ، لتعدد دور الحكومة فيها ، واختلاف دواوينها ، فإن (الدر) لا تزال تجاذبها أطراف ذلك الرداء ، وتأبى فى إصرار أن تستقل عنيبة بهذا الفضل ، وتنفرد دونها بذلك المجد الذى كان لها وحدها إلى عهد قريب .

أجل فإن اسم (الدر) لا يزال يحتل أبرز الأماكن فى هذه الدور ، مما يدعو إلى الدهشة والعجب فى نفوس الذين لا يعرفون شيئاً عن ذلك التاريخ القديم .. وأعجب من هذا أن بعض المصالح الحكومية لا تزال تتمسك باسم المركز القديم فتطلق على مركز عنيبة ، مركز الدر ، وكأنها لا تعترف بكل ما مر بهذا الإسم من حوادث ، وناله من كوارث الأيام ، ولا تقيم وزناً لهذا الإسم الجديد ، أو كأن للاسم القديم لذة ومتعة لا ترضى بغيرهما بديلا .. أو كأن له رهبة وروعة ، فهى لا تريد أن تذهب بما اكتسبه على مر الأيام ، وكر الأعوام ، من جلال ووقار ، أو بمعنى أدق من تخويف وإرهاب ، ونفى وتشريد !! ..

وإننا لنحسن الظن بالحكومة بهذا التعليل كائناً ما كان ، وهو على أسوأ وجوهه خير ألف مرة ومرة من الوجه الآخر الذى يتبادر إلى الذهن من الإبقاء على تسمية المحكمة الشرعية ، والمحكمة الوطنية باسمهما القديم ، وترد بذلك الإسم المخاطبات والمكاتبات فى كثير من الأحايين ... ولا تزال حركة الإصلاح فى مختلف الوزارات تذكر مركز الدر فى قراراتها ، وتهمل مركز عنيبة !! ..

ولا شك أن بلدة الدر أعرق مجداً ، وأوفر حظاً من عنيبة ، ولا يزال فيها السوق التجارى الأصيل ، وإن زال مجدها الحكومى بزوال دور الحكومة ، ورحيلها عنها ، فلا يزال مجدها الحقيقى قائماً بشخصيات أهلها ، ونفوذ الكثيرين منهم ، وبخاصة الذين طلبوا العلم فيها ، والذين زاولوا فيها كذلك شتى الأعمال الحكومية ، واضطلعوا بمختلف المناصب !! ..

واسم الدر أعلق بأذهان الموظفين من اسم عنيبة الذى لا يعرفه غير المتصلين به من مهندسين ومدرسين وقضاة وأطباء وغير أولئك من طوائف الموظفين : فإذا ذكرت اسم عنيبة أمام أحد لم يفهم منه شيئاً ، وخالنى ألغز عليه ، فإذا رآنى جاداً غير هازل ، وصارماً غير مازح ، استفسر واستفهم ، ولم يذهب فكره إلى أكثر من مديرية الجيزة أو الفيوم ، أو بنى سويف . فإذا قلت له أبعد من هذا صمت ، وشك فيما أقول ، فإذا ذكرت له الموقع بالضبط ، وأنها بعد الشلال ، انقبضت نفسه ، وحال لونه ؛ فإذا قلت له إنها هى الدر ذات التاريخ القديم الذى لا يجهله أى موظف ، زم شفتيه ومطهما ، وعقد ما بين حاجبيه ، وهز رأسه فزعاً وهولا مما سمع ، وكأنما لسعته عقرب شائلة ، أو لدغه أرقم لعين ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وحوقل مرات ، واسترجع فى لهجة فزعة ، وكأنما ذكرت أمامه اسم واد من أودية العذاب ، أو طبقة من طبقات الجحيم !! ..

مهلا يا سادة .. فما هكذا تكون الوطنية ، ولا هكذا يكون الخوف والرعب فى القلوب لمجرد المتع واللذة والبقاء فى المدن

رقص السماح

للأستاذ حسني كنعان

هو نوع خاص من أنواع الرقص العربي القديم المجهول في أقطار البلدان العربية ، اختصت به مدينة حلب وحدها دون سواها من البلدان . وأول من اخترع هذا النوع من الرقص الفني الشيخ عقيل المنبجي المدفون في ذروة جبل في قضاء منبج يسمى باسمه جبل الشيخ عقيل ، ومنبج هذه مدينة تبعد عن حلب ٦٠ كيلا يرجع تاريخ وفاته إلى ٤٠٠ سنة على الجملة ، وكان رحمه الله شيخ طريقة من طرق الأحدية الموهوبين المرموقين ذوى الكرامات والخوارق ، اخترع هذه الطريقة من الأذكار التي يلجأ إليها أصحاب الطرق الصوفية في خلواتهم عند ما يتحلقون حلقات حلقات في الزوايا يذكرون الله في طرائق شتى ، وفي أنغام متنوعة وموقعة على الضروب والأوزان ، يرمز إليها بالأرجل أو بالأيدى ، أو بتقديم الصدر أو بتأخيره ، وما هي إلا أن تبدأ حلقات الأذكار بإنشاد الموشحات حتى ترى أصحابها ينتقلون على حسب التواقيع والأوزان ، ويروحون ويجيئون في القاعات ويضربون الضروب بالأيدى والأرجل ، وبتقديم الصدر وتأخيره في انسجام وترتيب وخفة أو تباطؤ في التنقل يبهج الناظرين ، فما يكاد ينتهى الجمع من إنشاد موشح حتى يبدأ غيره من نغمة أخرى ، فترى نفسك أمام هذى الموشحات الأندلسية التاريخية الورونة كأنك في قاعة من قاعات ابن سراج في الأندلس أو ابن سريج ، فتذهل عن الدنيا لشدة ما يداخل فؤادك من أنواع الطرب والشجن والتلهى ، فتخالك في عالم غير عالمنا وفي دنيا غير دنيانا . وفي حلب الشهباء مشيخة في هذا الفن اختصاصيون ذاع صيتهم لدينا وغدوا مضرب الأمثال في البراعة ، عرفنا من المتوفين منهم الشيخ صالح الجذبة ، وكان يحفظ عشرة آلاف موشح مع ضروبها وتواقيعها وأوزانها ، وعبده بن عبده ، وأحمد أبو خليل القباني الدمشقي المعروف ، وغيرهم من الذين لم تحضرني الآن أسماؤهم ...

وعرفنا من الموجودين على قيد الحياة منهم الشيخ عمر البطش ، والشيخ على الدرويش ، ومحمد طيفور . وإنى أسجل هنا للتاريخ والحقيقة أن حلب قد انتهى إليها هذا الفن في بلادنا ، ولأبنائها ميل خاص فيه طغى على جميع الميول ، يصلون الليل بالنهار ، والنهار بالليل دؤوباً عليه . وبين هذى الرقصات نوع خاص يسمى في عرفهم « إسق العطاش » ، وهى سلسلة موشحات من نغمة الحجاز يستغرق معهم إنشادها من المساء حتى مطلع الفجر .

ولأمر ما جاء في الأمثال القديمة لدينا إن الدور أو الأغنية تنبع من مصر وتنتشر في دمشق وتخلد في حلب . فأهلها من أكبر المحافظين على القديم ، ومن أكبر المتلذذين والمتكسبين من هذه الصناعة إتقاناً ، وحسبك أن تعلم أن الشيخ على الدرويش كان من كبار الأساتذة الذين احتاجت إليهم مصر في تعليم هذا الفن في معاهدها الفنية الكبيرة ، واحتاجت إليه تونس وغيرها من الأقطار العربية ، وأن تعلم أن كبار العازفين على الكمان كالأستاذ توفيق الصباح[1] ، وكريم عزة ، ويوسف عزة ، وجميل عويس ، وسامى الشوا ، وفاضل الشوا ، جميعهم من الحلبيين ...

(١) وهو الملقب بسلطان المكنجة ، وله عدة مؤلفات وقطعات موسيقية معروفة .

العامرة ، والعواصم الآهلة ..

ولحسن الحظ أن الموظف تعتريه حالة نفسية ، ويسرع في قضاء ما أريده ، وما أتيت من أجله ، قضاء عاجلا ناجزاً ، غير مقيد بقيد ، ولا مشروط بشرط ، على خلاف العادة ، إذ كان يصرفني كل موظف من أمامه في لباقة أو غير لياقة . . وكأنه حينما يسرع في قضاء مصالحي يشفق بي ، ويعطف على ، أو كأنه يريد أن يبعدني عنه ، ليبعد عنه الشر ! ! . .

ومهما يكن ، فإن اسم عنيبة أفادني إلى حد كبير في قضاء كثير من حوائجي حينما كنت أذهب بنفسي لقضائها ، وكان خيراً وبركة على الرغم من كل ما يقال ، وعلى الرغم من ألسنة بعض الإخوان والزملاء الحداد التي لا تنى عن القدح في عنيبة ، والنيل منها في كل مناسبة ، وفي كل مكان !

عبد الحفيظ أبو السعود

رأت الحكومة السورية فى عهدها الوطنى الميمون الطلعة أن تنهض بهذا الفن كما نهضت بغيره من بقية الفنون ، وأن تحيى مواته قبل أن تفنى البقية الباقية من أربابه وأساطينه ، فأسست فى دمشق تحت إشراف النائب السيد فخرى البارودى الذى يحدب على هذا الفن وأربابه لميله الخاص إليه مدرسة أطلقت عليها المعهد الموسيقى الفنى للاذاعة السورية الموقتة ، تسلم فرع الوشحات ورقص السماح فيه الشيخ عمر البطش ، ويعاونه فى ذلك سعيد فرحات وصالح المحبك الذى كان من أعضاء المؤتمر الموسيقى هو والصباغ المنعقد فى القاهرة تحت إشراف ساكن الجنان الملك فؤاد . واستقدمت له من تركيا الأستاذ رفيق فرسان لفرع النوتة والسماعيات والبشارف يرافقه زوجته وشوقى بك ذلك الموسيقى الذى كتب عنه صديقنا الطنطاوى منذ أمد قصة الموسيقى العاشق فى الرسالة الغراء .

ويعاون هؤلاء فى أعمالهم أساتذة بعضهم من مصر وبعضهم من دمشق وحلب . ثم تألفت فى المعهد فرقة خاصة جمت الأساتذة وبعض النوابغ من التلاميذ يعرضون بضاعتهم ومنتوجاتهم على الملأ فى الحفلات الخاصة والعامة ، ويعرضونها فى محطة الإذاعة الدمشقية ، فيسمع الناس فيها السحر الحلال ، ويشهدون روعة الفن القديم . ولقد شهدت هـذه الحفلات أكثر من مرة ، وكنت كلما شهدتها أزداد بها إعجاباً وفتنة ورغبة فى سماعها ، وقد ينتهى العمر وإعجابى لا ينتهى برقص السماح . وكم كنت أتمنى عند ما أشاهده الفينة بعد الفينة أن لو يتاح لإحدى الشركات السينمائية المصرية أو غيرها أن تأخذ شريطاً عنه فتعرضه على النـاس ليشهدوا روعته وإتقانه ، وهو فن خالد قد أذهب الأقدمون فى إيجاده نور البصـائر ، عسى بمشاهدته يلقى من التشجيع فى الأقطار الشقيقة ما يحفز الهمم على تعميمه وإحيائه بدلا من هذه الرقصات الخليعة الماجنة المخنثة التى سرت إلينا عن طريق الغرب سريان السل أو السرطان وفيها المخاصرة والمعانقة والمعايب....

تصور معى سيدى القارئ كوكبة من التلاميذ الأحداث توحدت ملابسهم وهيآتهم ، وانسجمت أصواتهم ، واتسقت نغماتهم وحركاتهم ، ينشـدون كالبلابل الوشحات الموقعة على الرقصات والآلات الوترية ، وقد تخرجوا على أيدى الصناع الفنيين وحذقوا ومهروا فى فنهم ، تعرض صورهم أمامك على الشاشة ، وتصور ما تحدثه هذى المشـاهد وهذه الأصوات فى نفسك من أثر ورغبة فى إحياء موات هـذا الفن . ألا ترى معى وجوب تعميمه والدعاية له ؟ وإنى لأضمن لهذا الفن الرائع الانتشار عن هـذه الطرق ، فهو يرى كأنه جديد لدى أبناء هـذا الجيل ، وكل جديد لا بد له من دهشـة وروعة وفتنة . وإنى لا أزال أذكر ما أحدثته أول حفلة من حفلات هذا المعهد من أثر بالغ فى نفوس الشاهدين فى صالة سينما دمشق ، أخص بالذكر منهم المتشيعين للموسيقى الحديثة الدخيلة التى أفسـدت علينا قديمنا ، وذهبت بأذواقنا ، تلك الموسيقى التى مجتها الأرض والسماء وهى بعيدة عنا ، لا نمت إليها ولا تمت إلينا بصلة أو نسب !

إنها لمأثرة تذكر لمعالى وزير المعارف الشاب الدكتور منير العجلانى بك أن يتم هذا الأمر فى عهده وفى ظل صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية المعظم الزعيم شكرى القوتلى بك الذى له فى كل عمل مأثرة ، وفى كل نهضة مفخرة ، فالنهضة السورية فى كافة نواحيها مدينة إليه وإلى رئيس وزارته السيد جميل مردم بك

سدد الله خطوات الجميع لما فيه الخير والفلاح لخدمة هذا الوطن المفدى الذى أخذ بهذه الوثبة يشق طريقه فى الحياة .

(دمشق) حسنى كنعان

الألغـــاز عند العرب ...

للأديب عبد الله نيازى

قال صاحبى ، أنا مُحجياك فى هذا اليوم ، قلت : فى أى شىء؟ قال: فى لغز لا أظنك تستطيع حله . قلت : هات عسى أن أدرك كنهه ، قال : دخل أحد الأفراد إلى محل تجارى كبير آملا أن يجد له فيه مكاناً يكسب منه رزق يومه ، ولما دخل إلى مدير المحل أفضى بما جاء من أجله وأبدى رغبة ملحة فى توظيفه ، فأشار المدير إلى سكرتيره إشارة خاصة ذهب بعدها السكرتير وأتى بقدح مملوء بالماء موضوع فى وسط صينية وقدمه إلى الزائر ، وفكر الزائر هنيهة ثم رفع قشة ووضعها على سطح الماء الذى فى القدح . فعجب المدير لفطنته وذكائه وأوجد له مكاناً ... قال صاحبى ما سر هذا اللغز ، وإلى أى شىء رمز قدح الماء الذى قدم إليه ؟ ثم ما معنى تلك القشة التى وضعها الزائر وكانت سبباً فى توظيفه ؟ .. ثم سكت صاحبى وارتسمت على وجهه سمات الارتياح والنصر معاً ، ففكرت برهة ثم قلت ، إنما القدح المملوء بالماء يعنى عدم وجود مكان لكثرة الموظفين الموجودين ولا يوجد أى مكان لطالب جديد . أما القشة التى وضعها الزائر فإنه أفهم المدير بلطف إلى أن القشة لم تزد على الماء شيئاً وكذلك لم تنقصه ، وأنه إذا أضيف إلى عدد الموظفين الموجودين لا يؤثر فيهم شيئاً . فدهش صاحبى وقال : لا بد أنك سمعته من قبل فنفيت زعمه وأبى أن يصدق .

والمطلع على أدبيات العرب يجد الكثير من أمثال هذا اللغز . وتعرف بالألغاز والأحاجى وكانت العرب تزيد فى إبهامها وغموضها لتفحم سائلها فى فهمها وتفاخر بالتفوق عليه ، وكانت هذه الألغاز وسيلة للتندر وتزجية للوقت معاً ، والذى يشبه اللغز الذى رواه صاحبى بل ويفوقه من حيث الوضع والمعنى ما حكاه المدائنى من أن رجلا مر بحى الأحوص ، فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع فى بعض أغصانها حنظلة ، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ، ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب . فنظر الأحوص والقوم فى أمره فلم يدركوا سر ما فعل ، فقال أرسلوا فى قيس بن زهير وكان فارساً شاعراً داهيا يضرب به المثل ، فجاء . فقال له الاحوص : ألم تخبرنى أنه لا يرد عليك أمر ألا عرفت مأتاه ؟ قال : فما الخبر؟ فاعلموه ، فقال : وضح الصبح لذى عينين ، ثم قال : هذا رجل أمره جيش قاصد لكم ، ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم ، فمرَّض لكم بما فعل : أما الصرة من التراب فأنه يزعم قد أتاكم عدد كثير ، وأما الحنظلة فأنه يخبر أن بنى حنظلة غزتكم ، وأما الشوك فأنه يخبر أن لهم شوكة ، وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم إن كان حلواً أو حامضاً . فاستعد الأحوص وورد الجيش كما ذكر قيس .

وتفننت العرب فى وضع الألغاز تفنناً مدهشاً وذهبت بها مذهباً بعيداً وأخلتها الشعر وأحكمت وضعها وتركيبها . ونسوق مثالا على ذلك مقدام الخزاعى .

وعجوز أنت تبيع دجاجــاً لم يفرخن قد رأيت عضالا
ثم عاد الدجاج من عجب الدهر فراريج صبية أطفـالا

وقال : يعنى دجاجة الغزل ، وهو ما يخرج عن المغزل ، ويعنى بالفراريج الأقبية ... ومن الأحاجى هذه ما كان يأتى بأول كلمة من معنى يضمره الحاجى وعلى المجيب أن يأتى به . ومنها ما رووه عن هند بنت الخس وهى قديمة فى الجاهلية قالوا وكانت ساجعة مبتذلة تحاجى الرجال إلى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة ، فقال كاد ... فقالت : كاد العروس يكون الأمير ، فقال : كاد ... فقالت : كاد المنتعل يكون راكباً ، فقال : كاد .. قالت : كاد البخيل يكون كلبا وانصرف . فقالت له ، أحاجيك ؟ فقال قولى ، قالت عجبت ... قال : عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . فقالت عجبت .. قال ، عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها ... ثم أفحمها بكلمة بذيئة فخجلت وتركت المحاجاة .

ومن أطرف ما ذكر فى هذا الشأن دخول أبى القاسم القطان على الوزير الزينبى يهنئه بالوزارة فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح ورقص ، فلما خرج قال الوزير لبعض أهل سره : قبح الله هذا الشيخ ! أنه يشير برقصه إلى قولهم : ارقص للقرد فى دولته .

وبعض الألغاز كانت تجىء عفوا من طريق المصادفة وما كانت تقصدها العرب وهى نوعان : منها ما يقع الإلغاز فيه من حيث المعانى وكانت لا تفهم من أول وهلة ، ومنها ما يقع فيه الإلغاز من حيث اللفظ والتركيب ، ... هذا وللعرب ألغاز وأحاج كثيرة لا يتسع المقام لبسطها هنا فاكتفينا بهذا المقدار ليكون على علم من أن للعرب ألغازاً وأحاجى تفوق ما يتناقله الناس الآن

بغداد عبد الله نيازى

ليالى الحصاد

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

يا ليالى الحصاد ما أنت إلا … بهجة العمر يا ليالى الحصاد
فيك دنيا من الجمال تجلت … لقلوب إلى الجمال صواد
الضياء الذى يرقرقه البد … ر فيجرى على الربى والوهاد
والحقول التى تهز فؤادى … رقة فى نباتها المياد
وتراءى سنابل القمح فيها … كعذارى يمسن فى الأبراد
كل عذراء فى بهى صباها … تتهادى مع السنا المتهادى
والنسيم الذى يمر على القم … ح رقيقاً كخطرة فى فؤادى
أو كهمس الصباح فى أذن الكو … ن لينجاب عنه طيف الرقاد
أو كشدو الطيور فى رونق الفج … ر، وفى بهجة الربيع الشادى
أو كصوت الأوتار إذ لمستها … فى حنان أنامل العواد
والحديث الشهى، والسمر المم … تع بين الأتراب والأنداد
والعذارى التى فقدت صوابى … فى هواها، وضاع منى رشادى
العذارى التى تحوم عليها … أخيلاتى فى صحوتى ورقادى
العذارى التى تضم إليها … حزم القمح فى هوى واتئاد
وتغنى بأغنيات شباب … عاش رهن الأغلال والأصفاد
كل أنشودة تصور قلباً … مستهاما بحاضر أو باد
كل أنشودة تذيع نداء … وهتافا برغبة ومراد
لفظها هزة الصدور، ومعنا … ها خفوق القلوب والأكباد
وصداها يرن فى كل قلب … وهو فى الأفق رائح أو غاد
يا عذارى الحقول أسعدن قلبي … برقيق الغناء والإنشاد
علنى أستعيد ذكرى غرام … مر فى العمر كالشعاع الهادى
كان أنسى، وكان روح شبابى، … ليته عاد بعد طول البعاد
يا عذارى الحقول يا منية الأر … واح رفقا بهذه الأعواد
إنهما منبع الحياة لشعب … ما تربى إلا على الأمجاد
قد غذاها بروحه نيل مصر … وسقتها روائح وغواد
ورعتها الشمس المنيرة حتى … هيأتها لمنجل الحصاد
حسبها أنها تمد عزوقا … فى ثرى مصر كعبة القصاد
كل نبت وكل شىء عزيز … حين ينميه موطن الأجداد
يا عذارى الحقول أين غذاء الروح بعد الغذاء للاجساد؟
إن تقدمنه تقدمن مجدا … وسناء وعزة للبلاد
إنما الكون ساحة لسباق … قوة الروح فيه خير الجياد

يا ليالى الحصاد دمت، ولا طا … فت بمغناك طائفات العوادى
ما أحب السهاد فيك، وإن كا … ن عجيباً فى الليل حب السهاد
يا ليالى الحصاد قد طلع الفج … ر بشيراً باليمن والإسعاد
فاستفاق الوجود، وانتبه الكو … ن، وغنى له الزمان الحادى
يا ليالى الحصاد عودى إلينا … كل عام على مدى الآباد
إنما أنت بهجة ونعيم … لمحبيك يا ليالى الحصاد

١ – إلى الروضة (*)

للأستاذ العوضى الوكيل

(قيلت يوم دخل ممدوح الوكيل روضة أطفال شبرا)

بنى غداً تمضى إلى الروضة التى … تمدك للتثقيف تصفو مناهله
وتعلم منها أننى لك ناظم … قصيداً كأفق الروض فنت بلابله
أسطره فى الطرس حتى إذا استوت … بك السن تدرى ما الذى أنا قائله
نشرت به شعر البنوة رائعاً … فمن لى بشعر مثل شعرى أساجله

٢ – نجاح

(نجح ممدوح الوكيل فى الروضة فهنأناه بهذه القصيدة)

هنيئاً لك الفوز الذى نلت. إننى … ذخرتك للأيام يا أنفس الذخر
ثلاثون عاماً عشتها وثلاثة … وماذا تبقى لى من العمر؟ لا أدرى
ولكننى أدرى بأنك وُصلة … يطول بها عمرى وإن غبت فى القبر
أرى فى أمانىّ الكريمة صورة … لمجدك سماقاً على هامة الدهر
وألمح سباقاً إلى الخير ناهضاً … ولا يبتغى إلا رضائى من الأجر
وألمح مصراً وهى أمك تنحنى … عليك لتلثم الثغر والخد والنحر
ويا ليت شعرى ما تمنيت ضلة … ففشت سمادير الهموم على أمرى

بنىّ امض للعلياء وابلغ بروحها … ولو كان مسراها على ملتظى الجمر
وإن فخر الأبناء يوماً بوالد … فبى تستطيع الفخر فى ساحة الفخر
وحسبك من مجدى وفائى وعفتى … وما روت الأيام من ذلك الشعر

(*) من دوان عالى الصغير « ديوان فى شعر البنوة والبيت ».

الأدب والفن في أسبوع

الصهيونيون ليسوا من بني إسرائيل :

كان حديثاً طريفاً حديث الدكتور محمد عوض محمد بك بالمذياع مساء يوم الجمعة الماضي ، فقد قال في هذا الحديث إن هذه الشراذم الصهيونية التي تأتي بفلسطين أشنع الأعمال وأدلها على الانحطاط النفسي والخلق ، ليست من بني إسرائيل يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم ، فهؤلاء الذين يقتلون الحوامل ويسممون مياه الشرب ويلوحون بالأعلام البيضاء ريثما يتمكنون من الغدر ، لا يمكن أن يكونوا من ذلك العنصر الطيب الذي كان يسكن فلسطين قديماً ، وإنما هم من أمم مختلفة وأكثرهم من العنصر الجرماني اعتنقوا اليهودية في العصور التي نشط فيها التبشير اليهودي . ومما يدل على ذلك اختلاف سحنهم وألوانهم وتكوين أبدانهم ، فلا يعقل أن يكون كل هؤلاء المتباينين أبناء سلالة واحدة ، واستشهد الدكتور بأقوال بعض علماء اليهود التي تنص على دخول كثير من الأجناس في الديانة اليهودية في عصور مختلفة . وقد كان نصف سكان الاسكندرية في بعض العصور القديمة يهوداً ، كما انتشر الدين اليهودي في بلاد اليمن في عصر سحيق ، فهل صار أولئك القدماء من المصريين واليمنيين بذلك من بني إسرائيل ؟!

وقال الدكتور عوض إن هذا الخلط بين الدين والعنصرية بادعاء اليهود أنهم من بني إسرائيل ، خلط عجيب ، لأنه يحصر الدين في سلالة البيت النبوي ، ولا يقول بذلك عاقل ، فليس معنى الدين الإسلامي مثلا الهاشمية أو القرشية . ومما لا شك فيه أن قبيلة بني إسرائيل قد تفرق دمها ، كأي قبيلة أخرى ، فالقبائل لا تبقى . والخلاصة أن هذه العصابات الصهيونية التي تدعي باطلا أنها من بني إسرائيل ، إنما هي أشتات من الأجناس والأمم ، وهي أشتات منحطة ساقطة الفضائل الإنسانية تنم عليهم أعمالهم التي تباعد بينهم وبين السلالة الإسرائيلية . فليست دولتهم التي أعلنوها بفلسطين هي لحسب الزعومة ، بل هم أنفسهم مزعومون وهم دخلاء في النسب كما أنهم دخلاء في فلسطين .

عملية الأدب من الوجهة النفسية :

ألقى الدكتور ابراهيم ناجي محاضرة برابطة الأدباء يوم الأحد الماضي موضوعها « رسالة الأدب » ، وقد أفاض في بيان معنى الأدب وطبيعته ورسالته ، حتى استغرق في ذلك نحو ساعتين استأثر في خلالها بانتباه الحاضرين من الأدباء والمتأدبين على رغم الإطالة والحر ...

ومما تناوله الدكتور ناجي في هذه المحاضرة شرح العملية الأدبية من الوجهة النفسية ، إذ قال :

« نحن نعيش في ثلاثة عوالم : العالم الخارجي ، والعالم الشعوري ، والعالم اللاشعوري ؛ أو عالم الحقيقة ، وعالم الشعور وعالم الخيال . وهذه العوالم في دنيانا العملية تكاد تكون منفصلة تماماً ، أو على الأقل بينها اتصال غير كامل . أما العالم الخارجي ، ففيه المواد التي تستمد منها التجربة ، ولكن وجود التجربة وحدها لا يكفي بغير أن يزول ما بينها وبين العقل الواعي من فواصل ، فيؤدي ذلك إلى اندماجها بالشعور حتى يحدث مايسمى لحظة انفعال . على أن هذه اللحظة تستوعب التجربة صورة موحدة وأنموذجاً كاملا ، فلا يلتقطها الشعور متفرقة مبعثرة ؛ فإذا انزاحت الفواصل بين الشعور واللاشعور ، فإن اللحظة الانفعالية تصير حالة انفعالية ممتدة الزمن ، وزيادة على ذلك يستوعب الانفعال التجربة كخليط معقد متعدد الجوانب ، وهذا ما يجعله مثيراً ومشتملا ، ويجعل الأديب متوثباً لاستيعاب الانفعال والسيطرة عليه ، ومتهزاً فرصته لكي يتاح له أن يستعيد هذه الصورة الحسية الفنية بالألوان ، ولن يتاح له ذلك إلا في وقت يحس فيه أنه على وشك التعبير ، وقد يسمى هذا وقت الإلهام ، ولكننا سيكولوجياً نعرف أنه وقت اختلاط الشعور باللاشعور ... الشعور يغزو اللاشعور ، واللاشعور يطفو بأحلامه وضبابه في الشعور . هذه لحظة تحرر كاملة تفسر لنا السرور الذي نشعر به إذ ذاك . أما الشعور فهو تحليلي في نزعته ، وأما اللاشعور فهو تركيبي . فالشعور يتسلم التجربة ويحيلها قطعاً ، ثم يسلمها

إلى اللاشعور الذى يعيد تركيبها ، ولكنه يعيدها ومعها فروق وتدرجات وألوان وأصباغ وأضواء وظلال ، كالآفاق التى تبدو فى الحلم تماماً . وذلك لأن اللاشعور طبقات وإمكانيات ، وهو يعطى بالتدريج ، ويغرى باقتحامات جديدة . وقد يسأل السائل : ألم يكن من الجائز انتهاز فرصة التجسد الشعورى لخلق عمل فنى ؟ فنجيب بأن التجسد الأول إنما هو تضخم متعب قد يؤدى إلى الانتحار أو الجنون ، أما التجسد الأخير فهو تجسد مخفف تدريجى يطفو فى وسط الألوان والأضواء ، وفيه شعور بالتحرر المنظم ، وفيه كذلك شعور بالتحرر من قيود العرف ، ولذلك يصلح التعبير دائماً فى هدوء الليل وفى الوحدة البعيدة عن العالم .

ويتضح من ذلك أن فى طبيعة العمل الأدبى قسم كبير متعلق بالصنعة ما دام العقل الواعى مشتركا اشتراكا كبيراً فى تنظيم العمل ، ولكن الجزء اللاشعورى له أهميته العظيمة . ومن ثم يتضح أنه لا يوجد عمل عبقرى لا تدخل فيه الصنعة . والذين يقولون بالسليقة إنما يجهلون المعانى السيكولوجية للأعمال الفنية .

ويبدو من هذا التحرر السيكولوجى أن المسألة محاولة إزالة فواصل ، فن الباطن إلى الواعى إلى الخارج ... ومعنى ذلك أنها عملية إفضاء إلى الغير ، أو بعبارة أخرى الخروج عما هو شخصى إلى ما هو إنسانى . وهذا هو غرض الفن وغرض الأديب ورسالته. ويتضح كذلك الفرق بين طبيعة العصبى والعبقرى ، فالأول يهتم بتحقيق رغبة مكبوتة ، أما العبقرى فهمه التعبير عنها ، وشتان ما بين الاثنين !

الكاريكاتور فى شعر ابن الرومي :

كان الأستاذ كامل كيلانى قد ألقى محاضرة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالأسكندرية موضوعها « الكاريكاتور فى شعر ابن الرومى » ، وقد عن له أن يستوفى هذا البحث ليخرجه فى كتاب ، وهو يعمل الآن فى إنجازه .

ويتكون هذا البحث من جولات فى متحف الكاريكاتور الذى يضمه شعر ابن الرومى ، والذى يتألف من أقسام مختلفة ؛ فهذا معرض الأنوف ، ومن تحفه صورة لأنف « كنيزة » المغنية ، هى قوله :

« فيه لفرخين عش »

وذاك معرض الدواب الآدمية ، ومن محتوياته وجه « الحربثى » فى صورة ثور :

للحربثى أبى بكر غبب (١) ... وله قرنان أيضاً وذنب

ونحين منك التفاتة إلى ركن فى أحد الأبهاء ، فإذا صورة كاريكاتورية فذة رسمها الفنان ابن الرومى لنفسه فى براعة عجيبة :

من كان يبكى الشباب من جزع ... فلست أبكى عليه من جزع
فإن وجهى بقبح صورته ... ما زال بى كالمشيب والصلع
أشب ما كنت قط أهرم ما ... كنت فسبحان خالق البدع
إذا أخذت المرآة سلفنى ... وجهى وما مت هول مطلعى
شغفت بالخرد الحسان وما ... يصلح وجهى إلا لذى ورع
كى يعبد الله فى الفلاة ولا ... يشهد فيه مشاهد الجمع

آفة البرامج :

استبشرت مجلة « الإذاعة المصرية » بما تلقته الإذاعة من المقطوعات فى مباراة الأغانى التى نظمتها ، فقالت : يبدو أننا مقبلون على فجر عهد جديد من الغناء الرفيع ، لأن بين هذه المقطوعات من يقول المحكمون إنها من الطراز الأول فى عالم الشعر الغنائى ، وتتوقع أن ترفع مستوى البرامج .

وأعربت المجلة عن اغتباطها بظاهرة تدعو حقاً إلى الاغتباط ، وهى أن كثيراً من الأغانى التى وقع عليها الاختيار من إنتاج بعض العمال والصناع الذين يرسلون المنى على سجيتهم وينظمون الشعر الغنائى بالسليقة فى موضوعات قومية ظاهرة الصدق صادقة الإحساس .

والحمد لله الذى وفق الإذاعة إلى هذه الثغرة التى تخرج بها عن النطاق المضروب حولها من المؤلفين المتصلين بموظفى الإذاعة ، فهؤلاء « المؤلفون » هم آفة البرامج ، ولا شك أن انقشاع لياليهم عن الإذاعة بما فيها من التأوهات ونداء الحبائب ، وما يشيع فيها من السخف والتفاهة — هو المبشر بأننا مقبلون حقاً على فجر جديد .

أدركته الحرفة :

تحدث بعض الصحف عن الوضع الشاذ الغريب لموقف

(١) الغبب : اللحم المتدلى تحت الحنك فى البقر وغيره .

الخبير الاقتصادى المصرى بالسودان ، من حيث اضطراره — إزاء تصرف الحكومة السودانية فيما يختص بأعمال وظيفته — إلى الفراغ التام لعدم وجدان ما يعمله فى مصر أو فى السودان .

والطريف فى الموضوع أن إحدى المجلات قالت إن الخبير لما لم يجد ما يشغله قرر أن يشتغل بالأدب !

وأذكر أن موظفاً مصرياً آخر فى السودان هو مراقب التعليم المصرى هناك ، أبت الحكومة السودانية أن تسمح بدخوله السودان ، ولا يزال إلى الآن فى وظيفته رسمياً مع هذا المنع ، فماذا يصنع هذا أيضاً ؟ لقد كان قبل ذلك عميداً للرسم بوزارة المعارف ، فهل يشتغل هو أيضاً بالرسم ؟

مصائب السياسة فى الفنون فوائد ...

مؤتمر اليونسكو :

توالى لجنة (اليونسكو) بوزارة المعارف ، النظر فى موضوع اشتراك مصر فى مؤتمر (اليونسكو) الذى سيعقد ببيروت فى أكتوبر القادم . وقد أرسلت إلى وزارات معارف الدول العربية الشقيقة بالأسس التى ستبنى عليها تقريرها المؤتمر لتضع فى ضوئه تقاريرها توخياً لتوحيد وجهة النظر العربية فى شئون الثقافة العالمية .

ومن المسائل التى يتضمنها تقرير وزارة المعارف المصرية ، مسألة القدر المشترك من التعليم لكل مواطن ، وهى من المسائل التى أوصى بالاهتمام بها مؤتمر الهيئة الذى عقد بالمكسيك فى العام الماضى ، على ألا يقتصر الأمر فيها على تعليم الكتابة والقراءة ، بل يجب العمل على تزويد المواطن بقدر من الثقافة العلمية والاقتصادية ، ومما قالته الوزارات أنها أخذت فى سبيل تحقيق الثقافة الاقتصادية بإنشاء مدارس الصناعات الريفية ، ومدارس المعلمين الريفية ؛ التى يقصد منها تعليم النشء الصناعات الملائمة لبيئاتهم .

ومما يذكر أن هذا المؤتمر الذى سيعقد ببيروت هو المؤتمر الثالث للهيئة ، وكان المؤتمر الأول بباريس سنة ١٩٤٥ ، والمؤتمر الثانى كان فى المكسيك سنة ١٩٤٧ .

الألفاظ والأساليب فى المجمع اللغوى :

ذكرت من قبل أن لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أعدت قرارات فى ستة عشر لفظاً وأسلوباً ، رأت صحة استعمالها بدل ما يجرى على الأقلام وألسنة المثقفين مما ليس بصحيح .

والخطة الموضوعة أن يعرض ما تقرره هذه اللجنة على مجلس المجمع للنظر فيه ومناقشته ثم يذاع عقب إقراره على الجمهور فى الصحف .

والستة عشر لفظاً وأسلوباً الآنفة الذكر هى باكورة عمل اللجنة فى هذا الصدد ، وقد عرضت على مجلس المجمع فناقش بعضها ، ثم انفض على أن يستمر فى مناقشتها بالجلسات التالية ، ولكن الذى حدث أن الجلسات التالية لم تنعقد ، لأن عدد الأعضاء الذين كانوا يحضرون لم يبلغوا فى كل مرة النصاب المعين لانعقاد المجلس ، فينعقد الحاضرون لجنة .. واستمرت الاجتماعات « لجنة » نحو أربعة أسابيع ، ثم أعلن انفضاض الدورة . وعلى ذلك اضطرت « الدفعة الأولى » من الألفاظ والأساليب إلى انتظار الدورة القادمة فى أكتوبر القادم .

جناس :

لما كان المغفور له الملك فؤاد بباريس فى أثناء زيارته لأوربا — زار جامع باريس ، فاستقبله الشيخ قدور بن غبريط شيخ الجامع بخطبة قال فى مطلعها :

الله أحد ، وأصلى على نبيه أحمد ، وأحيى ملك مصر أحمد .

العباس



حول «رائد التراث العربي» للأستاذ صلاح الدين المنجد :

ظهر كتاب « رائد التراث العربي » منذ حين ، وهو كتاب بعضه ترجمة وبعضه تأليف ، وعنوانه مخالف لعنوان الأصل المترجم عنه . ولعل الأستاذ المنجد اختار هذا العنوان الطريف اللطيف الجرس ليستر شيئاً . بل لقد أراد أن يشهد قراء العربية على أنه ألبس الكتاب ثوباً جديداً فاحتاج إلى عنوان جديد . وموضوع كتاب « رائد .. » غير موضوع الكتاب الأصلي : لا يحوى من الأصل إلا النصف الأخير ؛ ولم يكن له أن يقيم هذا النصف مشطوراً مظلوماً ، يصرخ حسرة على نصفه الأول .

وقد نشرت مجلة « الرسالة » نقداً للكتاب ، فيه بعض مآخذ على المؤلف وبعض مآخذ على المترجم ، إن كان الأستاذ المنجد يعد مترجماً (أنظر الرسالة عدد ٣١ مايو الماضى) . والرسالة تفسح لنقد الكتب مكاناً تشكر عليه ، وتوليه من الاهتمام ما يؤثل لها الفضل على العلماء والباحثين .

ولكن لهذا الكتاب قصة طريفة نحب إشراك القراء فيها ، ليتفكهوا بسير بعض العلماء ، فلعل فى هذه القصة عبرة لمن شاء أن يبلغ الشهرة بأيسر جهد . وقد بلينا فى زماننا بجماعة يقمون على كتب أساتذتهم فيأخذون بعضها ويضيفون بعضاً مهلهلا حباً فى الصيت ، ومفاخرة بعدد الكتب ، وإدعاء للعلم الرخيص . وإثم هؤلاء كبير لأنهم يسدون الطريق على العاملين المخلصين فى العلم .

أخرج الأستاذ المستشرق العالم چان سوڤاچيه عام ١٩٤٢ كتاباً بالفرنسية عنوانه « مقدمة فى تاريخ الشرق الإسلامى (المراجع الأساسية) » ثم أعاد نشره عام ١٩٤٦ بعد أن أدخل عليه إضافات وتصحيحات استغرقت ست صفحات .

والكتاب نفسه كتاب قيم عظيم الفائدة لطلاب التاريخ جميعاً مبتدئين وعلماء ، وإنه ليذكر الحقائق البسيطة التى يدركها العالم بالمران ثم لا يجد لها ضابطاً حتى ليعجز عن تلقينها جملة واحدة إلى تلاميذه ؛ فالكتاب كله تواضع لأنه يذكر الحقائق المعلومة التى نمر عليها كراماً فلا نعيرها ما تستحق من الالتفات مع عظم أهميتها . ولقد جمل المؤلف من هذه الحقائق مادة خصبة فأرانا كيف يكون جلال البسائط .

قسم المؤلف كتابه قسمين تناول فى الأول طبيعة المصادر فى التاريخ الإسلامى بالنسبة لمثلها فى فروع التاريخ الأخرى ، وعرض للمصادر المختلفة التى يجب الرجوع إليها من الروايات الشفوية والقصص التاريخية والحديث وكتب التاريخ والرحالة والجغرافيين ورجال الفقه ، ومن النقوش والنميات والآثار ، فبين لنا إلى أى حد نستطيع الاعتماد على كل مصدر من هذه المصادر ، وحظ كل منها من الوثوق . فهذا القسم كما ترى خاص ببيان مناهج البحث التاريخى وبنقد المصادر .

وقد أجمع النقاد فى أوربا على أن هذا القسم من أهم أقسام الكتاب وأعظمها فائدة وابتكاراً ؛ فإذا قرأته راعك منهج الأستاذ المستشرق العليم بطموحه إلى بناء التاريخ الإسلامى على أساس علمى متين دقيق . لأنه يرسم منهجاً علمياً سليماً ، ويصور لك ما يجب أن يتحلى به العالم من وسائل البحث والدرس والتمحيص والعرض . ولن تجد مؤلفاً قبله تناول جميع المصادر الإسلامية فنقدها هذا النقد العلمى السليم . فجاء كتابه دعوة إلى منهج علمى دقيق جديد يخالف الطرق الارتجالية القديمة ، ويؤذن بابتداء الدراسة العلمية فى التاريخ الإسلامى وإتباع أمثل طرائق البحث والنقد والمقابلة . وإنما دعا الأستاذ إلى منهج طبقه بنفسه تطبيقاً أدى إلى أبعد النتائج العلمية أثراً فى التاريخ الإسلامى وأحراها بإظهار هذا التاريخ فى صورته العلمية الحقيقية . فمن من المتعالين فى عصرنا قرأها ؟

أما القسم الثانى من الكتاب فيتناول المراجع الأساسية العربية والإفرنجية ويعرضها عرضاً شيقاً حسب العصور التاريخية ؛ فيبين كيفية الاستفادة منها ، ووجوه النقص فيها ، واتجاه الباحثين فى درسها ، ويبين ما درس وما لم يدرس ، وقيمة ما ظهر من الدراسات . ولم يترك من المراجع الأساسية شيئاً ، أما المراجع الفرعية فلها مظانها المعروفة الكثيرة . وإنما أراد المؤلف بذكر الأصول تصوير علمنا بتاريخنا وما بلغناه فيه . فأظهر فى ذلك براعة تدل على سعة العلم ، وحب للتاريخ الإسلامى ، وازدراء للبحث السطحى .

ثم جاء الأستاذ المنجد ، فحذف القسم الأول الهام كله لم يكد يبق منه شيئاً ، وترجم القسم الثانى ثم أضاف إليه ما شاء من عنده ، وجعل هذا كتاباً !

فالأستاذ المنجد مسئول عن كتابه وحده ، والأستاذ سوفاجيه برىء منه كل البراءة . وقد تبرأ منه بنفسه علناً ، ونشر رأيه فى المجلة الأسيوية هذا العام . وكان يجب على ناقد « الرسالة » أن يطلع على المجلة الأسيوية ليعلم أن أستاذنا سوفاجيه لم يأذن للأستاذ المنجد بترجمة ما ترجم . وذنب المترجم أعظم لأنه مسخ الكتاب ، فلم يكن باراً بنفسه ولا بأستاذه .

وكنت عرضت على الأستاذ المنجد أن نشترك فى إخراج الكتاب كاملا ، لأنى ترجمته فعلا ، وراجع المؤلف ترجمتى ولكنى لم أنشرها بعد . غير أن الأستاذ المنجد أبى واستكبر واعتبر ما ترجم ومسخ جزءا من حلقة علمية طويلة نرجو أن تمتد لها أيامه ، وإن كانت طلائعه لا تنذر بخير كثير .

فإن يجد النقاد مآخذ على « رائد التراث الإسلامى » فكتاب سوفاجيه منها برىء .

محمد عبد الهادى شعيرة
أستاذ مساعد بكلية الآداب بالأسكندرية

مباراة فى القصة :

نظمت مجلة « الأديب » البيروتية مباراة فى القصة أعلنت عنها فى عددها الصادر فى مستهل الشهر الحالى (يونيو — حزيران) ويمنح الفائز فيها ١٥٠ ليرة لبنانية تبرع بها الأستاذ أحمد عويدان .

وتتضمن شروط المسابقة ما يلى :

١ — الاشتراك مباح للجميع .

٢ — يجب ألا تزيد القصة عن أربع صفحات من « الأديب » ولا تنقص عن اثنتين على أن لا تكون نشرت أو أذيعت قبل الآن .

٣ — تكتب القصة على الآلة الكاتبة أو تكتب بخط واضح من ثلاث نسخ .

٤ — تنتهى مدة قبول الاشتراك فى أول سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨ وتذاع النتيجة فى عدد شهر أكتوبر (تشرين الأول) من مجلة الأديب .

٥ — تحكم بين المتبارين لجنة تختارها « الأديب » وتعلن أسماء أعضائها مع إعلان النتيجة .

٦ — للأديب أن تختار من القصص ما تشاء للنشر على صفحاتها بعد إعلان نتيجة المباراة .

٧ — ترسل القصص إلى « الأديب » ص . ب رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان ويكتب على الغلاف الخارجى « مباراة القصة » وتذيل القصة بإمضاء مستعار ويوضع الإسم المستعار والإسم الحقيقى فى غلاف صغير يرفق بها .

والمجلة ترحب باشتراك الأدباء وكتاب القصة المصريين فى هذه المسابقة ويمكن الاطلاع على شروطها الكاملة فى عدد شهر يونيو .

وديع فلسطين
وكيل مجلة الأديب فى مصر

فى قصيدة :

فى عدد الرسالة الغراء (٧٧٩) قصيدة ماتعة للأستاذ الشاعر حسين الظريفى بعنوان « فى أخريات الشباب » مطلعها :

أصبحت لاغضاً ولا ذاوياً   أحيي شباباً لم يعد زاهيا

ولقد استوقفنى منها قوله :

سقياً لشرخ من شباب مضى   ما كنت فى يوم (له ساليا)

إذ لا يقال (سلا — أو سلى — له) وإنما يقال (سلا عنه) .

قال المتنبى :

فقلت إذا رأيت أبا شجاع   (سلوت عن) العباد وذا المكان

وحروف الجر والتعدية وإن كان ينوب بعضها عن بعض ، إلا أن المقام هنا ليس مقام نيابة على كل حال ، والسلام .

(الزيتون)   عدنان

تصحيح :

وقع فى قصيدة الأستاذ محمود غنيم « يا أخت عمورية » المنشورة فى العدد الماضى ، هنات مطبعية يدركها القارىء بفطنته ، ولكن قافيتي البيتين الآتيين حرفت تحريفاً بعيداً عن الأصل ، وصحتهما :

ليس الثرى للشاردين بمسكن   رحب ولا للمتعبين مقيلا

يا أخت عمورية لبيك قد   دقت حيالك للحروب طبولا



١ - أذن وعين

تأليف الأستاذ سلمان الصفوانى

مجموعة من المقالات « الخفاف » القصار تقارب الخمسين كل منها فى صفحتين وقلما تزيد أو تنقص عنهما بضعة سطور . بدأ الأديب العراق الأستاذ سلمان الصفوانى صاحب جريدة « اليقظة » العراقية ينشر مقالاته هذه متوالية في صحف العراق بعد خروجه من المعتقل فى بغداد سنة ١٩٤٤ وكانت الرقابة يومئذ تحد من الحريات بسبب الحرب العالمية الثانية ، قال الأستاذ فى مقدمته :

« وكانت معالجة القضايا العامة بصورة جدية وصريحة من أصعب الأمور على كاتب مثلى فى ذلك الحين ، فالحرب ما زالت قائمة ، والأفكار الحرة خاضعة للرقابة السياسية ، وهذه الرقابة لا تتورع عن كيل التهم لمن لا يجارونها فى اتجاهاتها من الوطنيين الأحرار ، وكان مجال « التأويل » واسعاً فى هذا الشأن إلى حد صارت معه الكتابة بمنطق سليم ورأى سديد من الأمور العسيرة » فالمؤلف يكتب هـذه المقالات بقلم « الصحافى » الذى عاقته الرقابة عن الصراحة والجرأة ، ولا يكتب بقلم « الكاتب الأديب » الذى يحفل بموضوعه ويصوغه بكل قوته وبكل وسعه فى التفكير والتعبير . وقد كتبت المقالات « عفو الساعة » لا لتنشر فى كتاب بل لتنشر فى « صحيفة » يقرؤها « جمهرة » قراء الصحف للمتعة والتسلية والفائدة ، وربما كان ذلك بعض السر فى « خفتها » ويسرها ، وشفيع الأستاذ عند قرائه ما أوجزنا الإشارة إليه من أعذار مقبولة إن شاء الله . وقد اتخذ الأستاذ لمقالاته حين نشرها عنوانها « أذن وعين » لأنه كما قال أراد أن يروى فيها ما تسمعه « الأذن » ويصف فيها ما تراه « العين » وبهذا العنوان نشر مجموعته هذه وهى « المجموعة الأولى » من تلك المقالات .

وليست هناك فكرة « جامعة مشتركة » بين مقالات هذه « المجموعة » وتكاد كل مقالة تستقل بموضوع ، والمؤلف يعالج موضوعه فى حيز ضيق علاجاً هيناً قلما ينفذ إلى الصميم ، وقصاراه لمسة رفيقة هنا ووخزة طائرة هناك بلا تأن ولا استقصاء فى الدرس سواء فى ذلك الموضوعات التى روى فيها ما سمعته أذنه والموضوعات التى رأتها « عينه » بل مثلها أيضاً الموضوعات الفكرية التى لم يتقيد فيها المؤلف بعنوانه « أذن وعين »

وليس من همى هنا أن أعرض على القراء الموضوعات التى تناولها الأستاذ فى مجموعته لا بالتفصيل ولا بالإجمال ، وحسبى الإشارة إلى بعضها . فنها اتحاد الأمة العربية ، والتنظيم السياسى ، وآثاره ، وسياسة التوجيه فى الأمة ، ومعنى العروبة ومن تشملهم ، والقومية العالمية وأسسها ، والدعوة إلى معرفة حق الأديب ، والقومية والمالية ، وبعض نواحى المشكلة الفلسطينية ، وتدوين الأدب الشعبى فى العراق وحرية الأقلام . ونرجو أن تكون المجموعة الثانية » أنضج وأعمق لتكون جديرة بجمعها فى كتاب .

٢ - كأس ومصباح

تأليف الأستاذ محمد أديب نحوى

هذه مجموعة من عشر أقاصيص نشرت فى صحف حلب ، سماها كاتبها باسم الأقصوصة الأولى منها « كأس ومصباح كما جرت عادة القصصيين أخيراً اقتداء بقصصى فرنسا دون إضافة « وقصص أخرى » ويتراوح طول الأقصوصة منها بين اثنتى عشرة صفحة وأربع صفحات ؛ والمجموعة مصدرة بقصيدة جيدة للأستاذ عمر أبو قوس مدير مطبوعات حلب يقدم بها المجموعة إلى القراء ، ويليها إهداء كتبه صاحب المجموعة على قبر أبيه يهدى إليه مجموعتـه لأنه هو الذى تقبل أولى قصصه بالرضا والإكبار ثم مات وتركه يناضل الأيام .

وربما كانت محنة النفس الغضة بهذه الفاجعة وما تلاها هى منشأ ما تنبض به أقاصيص المجموعة جميعاً من قلق وكآبة وسخرية عابسة ، وبنية الأقصوصة فى هذه المجموعة سليمة يعززها الصدق فى الإحساس ، والاستقامة فى التفكير ، والقصد فى الخيال ، وأسلوب التعبير عربى صحيح تغلب عليـه الأناقة مع إفراط فى الاستعارة لا يوهن من تماسكه ولا يحجب ما يريد صاحبه التعبير عنه من معان وصور ، ومع ميل إلى الغموض ناشىء عن الاكتفاء باللمسات السريعة الخاطفة المتفرقة عن الاسترسال لملء كل فراغ فى الصورة ، ومن شأن هذا الأسلوب أن يثير الشعر والخيال فينطلقان لملء هذه الفراغات على أى نحو يناسب ما حولها

محمد خليفة التونسى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٣ — الاثنين ٥ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

091

16 em Année No. 783

Lundi — 5 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٧٨٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٥ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

نقـــلة مســـتحبة

في تاريخ البلاد الأمريكية

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كان الأستاذ محمود الخفيف يطيب له أن يعود إلى حديث لنكولن فنحن لا نكره العودة إليه ، ولا نظن أحداً في هذا الزمن يكرهه ، أو يكره العودة من أحاديث أمريكا الحاضرة إلى أحاديث أمريكا في أي عهد من العهود ، فضلا عن العهد الذي كان رئيسها فيه أعظم رئيس تولى أمورها ، أو كان على الأقل واحداً من ثلاثة على الأكثر بين أعظم هؤلاء الرؤساء .

إنها نقلة مستحبة ؛ لأنها بغير شك نقلة من أصغر رئيس تولى أمور الولايات المتحدة أو يمكن أن يتولاها فيما نظن ، إلى رجل من أكبر رؤسائها ومن أكبر ولاة الأمر في أمم العالم الحديث .

أخذنا على كتاب الأستاذ الخفيف عن إبراهام لنكولن بعض ملاحظات ، وقلنا إن الملاحظة على كتاب يؤلف عن لنكولن أمر لامناص منه كائناً ما كان الكاتب ، وكائنا ما كان منهج الكتاب . لأن آفاق الحياة الفردية وآفاق الحياة الاجتماعية التي تتصل بسيرة هذا الرجل العجيب أوسع من أن تستوعب في كتاب واحد ، ولا سيما كتاب يوضع بالعربية ويحتاج المؤلف فيه إلى اطلاع القراء في لغتنا على مراجع ومناسبات تعد من تحصيل الحاصل في عرف الأكثرين من القراء الأمريكيين والأوربيين .

وكانت خلاصة ملاحظتنا أن الكتاب خلا من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التي ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه بشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها في تاريخ الإجرام عامة وفي تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص » .

وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان الكافي عن أسلاف لنكولن غير ميسور لأن الرجل كان كما هو معلوم عصاميا خامل الآباء والأجداد . ولكن الواقع أن اللغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم المعروف . وقد قال الأستاذ الخفيف إن ثمة شيئاً كان يجذب الصبي إبراهام إلى أمه : «وذلك هو معرفتها القراءة والكتابة ثم رغبتها في أن يتعلم الصبي على الرغم من مجادلة زوجها إياها في ذلك ؛ إذ كان يرى الصبي أحوج إلى الفأس منه إلى القلم ، وحجته أنه لا يعرف من الكتابة إلا أن يرسم اسمه ومع ذلك فهو يكسب بفأسه ما يقيم أود أسرته » ...

وربما كان تاريخ لنكولن كله رهنا بسر هذا الاختلاف بين نزعة المعرفة في أمه ، ونزعة الرح في أبيه ، ولا شك أننا نعرف

الشيء الكثير عن هذا السر متى عرفنا أن هذه النزعة فى أمه موروثة متأصلة ، لأنها من سلالة غير شرعية لفتاة نسيت فى سبيل المعرفة نفسها ومستقبلها . وقد أشار هرندون — وهو حجة فى تاريخ لنكولن — إلى هذه القصة وظهر بعد ذلك كتاب «لنكولن المجهول» لديل كارنيجى فزادها تفصيلا وجاء فيها بما يغنى فى هذا المقام (Lincoln the Unknown by Dale Carnegie)

***

أما مصرع لنكولن فالكلام فيه عن القاتل أهم من الكلام عن الحادث ؛ لأن حادث القتل قد يقع فى كل قطر من أقطار الأرض ، وقد تكون الخصومة السياسية سبباً لاغتيال الساسة فى كل ثورة من ثورات الأمم ، ولكن الدوافع التى نزعت بقاتل لنكولن إلى فعلته لا تمهد فى غير الحياة الأمريكية وفى غير بدوات المغامرة التى اشتهر بها طلاب الظهور فى القارة الجديدة ولا يزالون يشتهرون بها إلى الآن .

فقد كان للرئيس العظيم أعداء كثيرون يودون قتله لتحقيق مطالب أهل الجنوب ، ولكن الممثل الفاشل الذى قتله — وهو جون ويلكز بوث — لم يكن صاحب رأى ولا صاحب غيرة وطنية ، ولا كان من همه نقض الاتحاد الجمهورى أو توسيع حقوق الولايات ؛ ولكنه كان فتى وسيما ابن ممثل عظيم ، وكان أبوه جونيوس بروتس أقدر الممثلين لأدوار شكسبير ، وكان إلى جانب ذلك مثلا فى الصلاح والاستقامة والرحمة بجميع خلائق الله ، وكان من أجل ذلك يحرم أكل اللحوم ويتجنب إزهاق الحياة ولو كانت حياة أفعى أو حشرة مؤذية . فإذا بولده يقتل أعظم رجل فى بلاده لأن وسامته جنت عليه وصرفته عن اتقان التمثيل على المسرح إلى اتقان التمثيل فى مواقف الغرام ، فتخلف عن زملائه وأخطأته الشهرة فى ميدانه وأحب أن يعوض ما فاته منها بمسرحية تاريخية تطغى على كل مسرحية فنية ينبه بها شأن نابغة من نوابغ التمثيل . ولم يكن من قصده فى بادىء الأمر أن يزهق حياة الرئيس ، وإنما خطر له أنه يستطيع أن يختطفه ويحمله إلى الجنوب ويسلمه إلى الولايات الجنوبية لتملى شروطها على ولايات الشمال كما تريد .

وما هو إلا أن فرغ من تدبير هذه المسرحية حتى فوجىء بتسليم قادة الجنوب وضاع كل رجائه فى مؤامرة الاختطاف فخطر له يومئذ أن يقتل الرئيس فى دار من دور التمثيل ثم يلوذ بالهرب لعلمه بمخارج هذه الدور ومداخلها وخبرته بمواضع النور والظلام فيها .

ولولا أنه ممثل فاشل لما خطرت له هذه المؤامرة ، ولولا اعتماده على معرفته بمسارح التمثيل لما اختار المسرح لتنفيذها . فهل يكثر على تفصيل هذا الحادث صفحتان من كتاب عن حياة الرئيس القتيل ؟ وهل يكون مصرع هذا الرئيس مفهوما وموقعه من طبيعة الحياة الأمريكية واضحاً بغير هاتين الصفحتين ؟

***

ويأبى الأستاذ الخفيف أن يصدق أنه أهمل بعض المصادفات التى كان لها الأثر الأكبر فى ارتقاء لنكولن إلى رئاسة الجمهورية فيكفى أن نذكر له فى هذا الصدد أن مصادفة واحدة من هذه المصادفات كانت سبباً لتحول الحزب الجمهورى من وليام سيوارد إلى لنكولن فى المؤتمر الكبير الذى عقده الحزب بمدينة شيكاغو سنة ١٨٦٠ لاختيار مرشحه لرئاسة الجمهورية .

فقد حدث الاجتماع فى يوم ميلاد سيوارد ، وكاد الإجماع بين المندوبين أن ينعقد على اختياره . ولكن مصادفة واحدة غيرت مجرى التاريخ فى ذلك اليوم ... لماذا ؟ ... بسبب بسيط ، غاية فى البساطة ... وهو أن عامل المطبعة لم ينجز إعداد الأوراق التى كانت لازمة للاقتراع ، فاتفقوا على تأجيل البدء بالاقتراع ، وتم التأجيل فعلا ، وحدث الانقلاب المفاجىء فى هذه الأثناء . فإن الصحفى النابه هوراس جريلى — عدو سيوارد اللدود — تمكن فى هذه الفترة من تحويل معظم المندوبين عن رأيهم ، فرجحت كفة لنكولن على غير قصد من جريلى ومن شيعته ، لأنهم لم يكونوا مع لنكولن على وفاق .

ولولا أننا لا نستطيع أن نعيد تاريخ لنكولن وتاريخ ترشيحاته فى مقال واحد لفصلنا الكثير من أمثال هذه المصادفات .

ولم يكن نصيب المصادفات التى كان لها أكبر الأثر فى الترجيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أو فى نصيباً من هذه المصادفات التى صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية ؛ فإن كثيراً من الأحداث التى ارتفعت بحزب على حزب ونصرت جيشاً على جيش ، ترجع إلى مصادفات لم تذكر فى الكتاب .

حجة خيط العنكبوت

وقد فات وقتها

للأستاذ نقولا الحداد

يدعى اليهود أن أهيه (ومعناه : اكون الذى أكون) وما لبث أن سمى أيضاً يهوه (أى يكون) وهو اسم علمَ لإله الإسرائيليين كما هو مذكور فى سفر الخروج الاصحاح الثالث والعدد ١٤ — يدعون أن يهوه وعدهم وهم خارجون من مصر أنه يملكهم من بحر سوف (أى البحر الأحمر) إلى بحر فلسطين (أى البحر الأبيض) ، ومن الجزيرة (برية سينا) إلى النهر (الأردن) . انظر خروج ص٢٣ عد٣١ ، كذا قال يهوه الذى لقبوه بعدئذ رب الجنود ، خروج ص ٣ عد ١٤ ، وقد وعد موسى قائلاً إن ملاكى يسير أمامك (وملك شعبك طبعاً) ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والفزيين والكنعانيين والحوبيين واليبوسيين فأبيدهم . خروج ص ٢٣ عد ٢٣

بعد أن خرج موسى بشعبه من أرض مصر إلى برية سينا صعد إلى جبل سينا لكى يتقبل وصايا الرب . وتأخر طويلا إلى أن نفد صبر شعب إسرائيل ، فاضطروا هرون أخا موسى أن يصنع لهم عجلا من الذهب الذى كان فى أعناق نسائهم مما استلفنه من المصريات قبل أن يخرجوا من مصر لأنهم يريدون إلهاً من ذهب لا من حجر ولا من خشب ، فهم عبدة المال المعبر عنه بالذهب ، فغضب يهوه لأنهم تركوه وعبدوا العجل الذهبى . وقد اقتبسوا هذه العبادة من مصر ، وتهددهم أن يبيدهم . فماد موسى يسترضيه ويذكره بوعده لأجداده : إبراهيم وإسحق ويعقوب بقوله لهم : أنه يجعل نسلهم كنجوم السماء بالكثرة ، وأنه يعطيهم تلك الأرض فيملكونها إلى الأبد . خروج ص ٣٢ عد ١٣ ، ١٤ فاستعطفه موسى إلى أن ندم على الشر الذى قالوا إنه يفعله بشعبه . خروج ص ٣٢ عد ١٣ ١٤ — هذا ما ورد فى التوراة التى كتبها اليهود .

فاليهود يقدمون اليوم هذه النصوص حججاً مسجلة لهم فى التوراة بملكية فلسطين كما نعرفها اليوم ، ويزيدون على هذا الميراث الأملاك التى بين النيل والفرات .

والأنكى أن هناك فريقاً مغفلاً من النصارى يستشهدون بالتوراة فى إثبات هذا الميراث لليهود . فلنر ما هى قيمة هذه الحجة .

ألا يقولون لنا من أعاظم هذه الحجة ، ومن سجلها لهم

ومن الطريف أننا نأخذ على الأستاذ الخفيف أن ميزانه المشترك بين أبطال كتبه ناقص ، فيقول فى مناقشة هذا النقد : « إنى لست أذكر أنى عنيت بالميزان المشترك . فقد كنت أصف كل شخص على حدة ، ولم أصدر حكما على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره ... »

وهذه هى المقدة وليس هذا هو حل العقدة كما رأى الأستاذ الخفيف . وإلا فهل يرى أن تاريخا يقوم على الكفاح بين الشخصيات والقادة ثم لا يصدر فيه حكم على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره يمكن أن يقال إنه وافى الميزان من جميع الوجوه ؟

وإننى أنتهز فرصة الكلام على الميزان المشترك فأصحح هنا خطأ مطبعيا عرض لجلة من مقالى حيث جاء فيه : « من أمثلته فى تاريخ أحمد عرابى أنه لم يحرر الميزان كل التحرير عند الحكم على عرابى ومن يعده مثلا » وصوابها « على عرابى ومحمد عبده » لأن المقصود هنا هو الأستاذ الأمام رحمه الله .

***

وبعد فلست أظن أن الأستاذ الخفيف يرى أن كتاباً يوضع فى تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة فى عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات .

فإذا كان كلام كهذا لا يقال فى مثل هذا الكتاب فهل هنالك من ملاحظات على تاريخ لنكولن الذى كتبه الأستاذ الخفيف أهون من هذه الملاحظات !

عباس محمود العقاد

فى التوراة ؟ ومن كتب التوراة ؟

خرج موسى بالإسرائيليين من مصر في سنة ١٢٥٠ تقريباً قبل المسيح أى منذ ٣٢ قرناً . وفى ذلك الوقت لم يكن فن الكتابة بالحروف قد اخترعه الفينيقيون . كان الكهنة والحكام فى مصر ينقشون على الحجارة بالرسوم الهيرغليفية أسماء الملوك وسنى حكمهم ونحو ذلك . وكان البابليون ينقشون على الآجر النيء مثل ذلك بالحرف المسمارى ثم يحرقونه . فلم يكن لا فى الخط الهيرغليفى الذى هو رسوم أشياء تدل على الأشياء ، ولا فى الحرف المسمارى الذى ليس أرقى من الخط الهيرغليفى ، ما يحتمل أن تكتب به أسفار التوراة الضخمة . والذين بحثوا فى هذا الموضوع وصلوا إلى نتيجة لا تقبل الشك وهى : أن الأسفار الخمسة التى أسندت إلى موسى لم يكتبها موسى ولا كُتبت فى زمن موسى لأن حروف الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد .

والمجمع عليه الآن فى هذا الموضوع : أن اليهود الذين عادوا من سبي بابل سنة ٥٢٧ قبل المسيح أى منذ ١٧٧٣ سنة من خروج موسى بشعبه من أرض مصر ، يعنى بعد نحو ١٨ قرناً هم الذين شرعوا يكتبون تلك الأسفار الخمسة مقتبسين فيها أساطير البابليين وشرائعهم وخرافاتهم وعاداتهم . وقد طبقوها على ملتهم من أسطورة الخليقة إلى أسطورة الطوفان إلى غيرها . وشريعتهم فى سفر تثنية الاشتراع تكاد تكون حرفاً بحرف من شريعة حورابى العربى الذى غزا أشور وبابل ، وحكم هو وخلفاؤه فيهما نحو مائة سنة .

فهذه الحجة التى يتمسك بها اليهود لم يكتبها موسى ولا كتبها أحد لعهد موسى ، بل هم اليهود الذين عادوا من السبى كتبوها فى سنين بعد موسى بثمانية عشر قرناً . وليس عندهم سند واحد يثبت أن ما نسبوه إلى موسى هو قول موسى ، ولا سند واحد يؤيد أن ما نسبوه إلى يهوه قاله يهوه . فهم كتبوا ماشاءوا مما تسلسل إليهم من أقوال الأجداد ومما تصوروه مناسباً لهم من تقاليد ما بين النهرين وما تخيلوه يؤيد عقائدهم الدينية والاجتماعية ووعدوا أنفسهم ما شاءوا أن يكون ميراثاً لهم وملكا وفى إمكانى أنا أن أكتب حجة لى بفندق شبرد أو ميناهوس وغيرهما حتى إنه يمكننى أن أكتب حجة بملكية سراى عابدين وبعد قرن أو قرون يقوم حفدائى يطالبون بهذه الأملاك بموجب هذه الحجج . فمن يقبلها ؟

وهب أنى أخذت حجة من صاحب فندق ميناهوس ، فمن يقبلها بعد ثلاثة آلاف سنة ؟

فالتوراة كما وصلت إلينا على يد اليهود ليست حجة بأن يهوه قالها وموسى كتبها إذ ليس عندنا إسناد بهذا .

ولما رأى اليهود أن حجة التوراة أصبحت واهية بعد تشتتهم وخيبة آمالهم فى أرض الميعاد ودولة إسرائيل ولا سيما بعد أن صارت بين أيدى النصارى والمسلمين تنكبوا عنها كأساس لدينهم واخترعوا التلمود فصار أساساً لدينهم ، ونقحوه مراراً حسب مقتضيات الزمن . وأخيراً لما رأوا أن التلمود ليس أقوى حجة من التوراة جمعوا أساطينهم فى مؤتمرات متعاقبة ووضعوا « مواثيق شيوخ صهيون » (البروتوكولات) التى كتبت بعضها فى (الرسالة) وعقبت عليها .

والغريب أنه ليس فى تاريخ مصر ولا فى غير مصر أن شعباً غريباً يدعى شعب إسرائيل خرج من مصر بقيادة زعيم اسمه موسى أقنع فرعون بمعجزاته أن يسمح لهم بالخروج .

ليس لهذا الحادث ذكر فى تاريخ من تواريخ الأمم ولا أشارت إليه إلا ما ورد فى التوراة التى كتبت بعد ١٨ قرناً لخروجهم كما زعموا .

مع ذلك لم تطبق حوادث اليهود على تلك الوعود المنصوصة فى التوراة .

فأولا لم يفتح اليهود بعد دخولهم أرض الميعاد إلا بعض بقاع منها بعد حروب عنيفة . فلماذا لم يطرد يهوه من أمامهم الكنعانيين والجرزيين الخ كما وعدهم ؟

ثانياً : لم يقيموا فى أرض كنعان أكثر من قرنين ثم سُبوا مراراً إلى بابل وغيرها . فما أقاموا فيها مدة تملكهم البلاد بحق وضع اليد .

ثالثاً : أن نسلهم لم يكثر كنجوم السماء . والمعروف الآن أن نجوم المجرة تبلغ نحو ثلثمائة ألف مليون نجم وهم لا يبلغون بعد ٣٦ قرناً أكثر من ١٦ مليوناً

رابعاً : أن اليهود منـذ خرجوا من مصر ودخلوا أرض كنمان (إن كانوا دخلوا وخرجوا) ما كفوا عن عبادة العجل (الذهب) وأغضـبوا يهوه مراراً . هرون صنع لهم عجلاً من ذهب وهم يصنعون كل يوم ألف عجل . سلهم هل حفظوا شيئاً من وصايا الله ؟ هل يوجد الربا الفاحش عند غيرهم ؟ هل هم إنسانيون كما يريد الله ؟

خامساً : تشتتوا على وجه الأرض . فلماذا تشتتوا إذا كانت أرض كنمان لهم بموجب صك من الله ؟ لماذا لم يبقوا فيها فلا ينازعهم أحد عليها ؟ أصبحوا حيثما نزلوا كانوا رغم أنوفهم من مواطنى ذلك المهجر مكروهين لأنهم كارهون لـكل من ليس يهوديا وأبوا أن ينتموا إلا لدولة يهودية وإلا أن يكونوا من رعايا دولة صهيون القائمة فى الهواء .

فهل بعد مرورهذه القرون كتبت لهم ملـكية فى فلسطين ؟ وهل تقوم لهم حجة بملـكيتها ؟

اليهود يفهمون هذا كما نفهمـه نحن ، وإنما يريدون أن يتمحكوا بهذه السخافات ما دام بين نصارى أمريكا المغفلين من يقولون إن الـكتاب المقدس يعطيهم هذا الحق ، ومن قدس هذا الـكتاب . ومن كذب عن لسـان الله غيرهم ؟ وقد حقق الله وعده لهم فأدخلهم أرض كنمان فلماذا هجروها ؟

واليهود أنفسهم لم تبلغ بهم السخافة أن يقدموا هـذه « الحجـة التاريخية المقدسة » لقضاة هيئـة الأمم لأن هؤلاء يتورعون أن يكونوا أضحوكة الأمم وإن لم يتورع بعض سخفاء نصارى أمريكا عن الاعتراف بهذه السخافات .

ولـكن هل يجسر هؤلاء اليهود الأفاكون أن يقدموا هذه « الحجة الـكتابية » للـكونت برنادوت ؟ وهل يعبرها أذنا إلا بالتحقير لقائليها ؟

إن أهل فلسطين الحاليين هم سكانها الأصليون . كانوا منذ عهـد موسى إلى عهد المسيح يهوداً ووثنيين . ولمـا جاء المسيح تنصر بعضهم . ولما جاء الإسلام أسـلم معظمهم فما خرجوا من أرضهم . وأما القادمون من الغرب فما كانوا إلا وثنيين ، فلما احتـكوا باليهود المشتتين ورأوا أن اليهود يعبـدون إلهاً غير منظور رأوا أن عبادة الأصـنام سخافة فتهود بعضهم ، ومنهم أسلاف الغزاة البولونيين وأمثالهم

إن هؤلاء اليهود لا يعرفون غير إله المال فـلا ننتظر منهم صدق وعد ولا حفظ عهد ، فقد مضى على الهدنة نصف عمرها وهم يصلبونها كل يوم عشرين صليباً

ولا ندرى ماذا يعنى برنادوت بقوله لهيئـة الأمم إنه مرتاح إلى تنفيذ الهـدنة كل الارتياح ، إلا إذا كان مسروراً من استغلال اليهود لها

ولا ندرى لماذا يطلب سفناً وطائرات إلا إذا كان ينوى أن يمكن اليهود من الاستغلال ، وإدخال بعض اليهود إلى البـلاد وحفظهم فى المعتقـل إلى أن يتدربوا ثم يطلق سراحهم لـكى ينضموا إلى الهاجاناه

وما معنى أن يستعد لاستلام حيفا من الجيش البريطانى ؟ هل وطد العزم على الإقامة فى فلسطين لـكى يحرس دولة إسرائيل ؟

إن هـذه الألاعيب إذا جازت على الدول العربية فلا تجوز على الشعوب العربية ، الشعوب العربية تغلى الآن وتفور ، لا على اليهود ؛ بل على الجامعة العربية الصابرة حتى الآن على رذالة اليهود فقد ردت انتصار العرب عدة فراسخ إلى الوراء

(القاهرة) نقولا الحداد

العلاج بالطرق النفسية

للدكتور فضل أبو بكر

بدأت الظواهر النفسية منذ بدء خلق الإنسان فهى جزء منه صادرة عنه ، وكانوا يطلقون عليها فيما مضى العلوم الروحانية « Spiritualisme » وهى عبارة عن بعض الظاهرات النفسانية والروحانية مثل الوساطة وهى المصدر من وسيط « Médium » وهو شخص موهوب يملك المقدرة بأن يكون حلقة الاتصال بين الموتى والأحياء ، إذ يناجى الحى روح ذوى قرابته وأصدقائه ممن توفاهم الله عن طريق ذلك الوسيط . ومنها ازدواج الشخصية التلقائى « Dédoublement Spontané de Personnalité » ومثال ذلك أن ترى رأى العين شخصاً بعيداً عنك بمناسبة حادث خطير وقع لذلك الشخص ، وتسمع صوته تماماً ، وهى رؤية وسمع يختلفان كل الاختلاف عما يراه ويسمعه بعض المجانين والمصابين بعُصاب أو ذُهان أو باختصار فإن تلك الظاهرة ليست « بالهلوسية » البصرية أو السمعية وإنما هي ظاهرة ازدواج الشخصية التلقائى .

وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة بعض الإنجليز مثل « جيرنى » « gurney » و « ميرز » « Myers » وهما عضوان فى جمعية الأبحاث النفسية (البسيكولوجية) الإنجليزية ، ومن الفرنسيين « فلاماريون » و « لانسلن » « Lancelin » .

كل هذا كان معروفاً لدى القدماء ولا سيما الشرقيين مثل الهنود والصينيين وقدماء المصريين كما كانوا يطلقون على تلك العلوم التى تختص بدراسة مثل هذه الظاهرات الروحانية والنفسية العلوم المحجوبة « Les Sciences Occultes » حيناً ، والعلوم اللدنية العلوية فى بعض الأحيان . وكانت فى متناول فئة قليلة موهوبة تأتى من الأعمال فى بعض الأحيان ما يشبه المعجزات وبستشف حجب الغيب الكثيفة .

وظهر فى مستهل فجر النهضة العلمية بعض الفلاسفة ممن انقطعوا لدراسة الظواهر النفسية والروحية مثل « بلين » « Pline » و « بازيل » « Basile » والفيلسوف ابن سينا و « باراسلز » « Paracelse » وزعم هذا الأخير بأن من الممكن أن يؤثر عقل فى عقل آخر بوساطة ما سماه وقتئذ « بالسائل المغناطيسى » .

وفى عام ١٧٧٠ جاء « مزمر » « Mesmer » بنظرية المغناطيسية « Magnetisme » ولقيت استعداداً فى النفوس ضمن لها نجاحاً باهراً . وفحوى « المغناطيسية » أو « المزمرية » كما كانوا يسمونها ، أن كل جسم من الأجسام جماداً كان أو حيواناً تنبعث منه موجات مغناطيسية تكون فى الحيوان أشد مما هى فى الجماد ، وفى الإنسان أشد مما هى فى الحيوان . وكلما كان الإنسان قوياً سليماً كانت قوة الأشعاع عنده أكبر ، وما الأمراض إلا اضطراب يعترى توازن تلك المغناطيسية فى الإنسان ، كما أن لبعض الناس المقدرة — بواسطة اللمس — على أن يعيدوا توازن مغناطيسية المريض ومن ثم يحدث الشفاء .

وقد سادت نظرية المغناطيسية العالم أكثر من نصف قرن ، وكانت تستعمل فى التنويم وفى علاج بعض الأمراض . وظهر من بعد « مزمر » « لافونتين » الذى نسج على منوال مزمر إلى أن جاء فى سنة ١٨٤١ الطبيب الإنجليزى « بريد » « Braid » وحضر ذات يوم جلسة خاصة بعمليات المغناطيسية التى يقوم بها « لافونتين » فقام « بريد » بدوره بعدة عمليات ووصل إلى نتائج مشابهة مع أنه لم يستخدم الطرق التى استعملها لافونتين ، وأنكر فى الوقت نفسه وجود السائل المغناطيسى والمغناطيسية الحيوانية التى كان يعتقد فيها من سبقوه كمزمر ولافونتين ، والتى سادت العالم مدة طويلة. وسمى بريد تلك الظاهرة بالنوم « Hypnose » وطريقة الحصول عليها « بالتنويم » « Hypnotisme » واعتنق مذهب بريد كل المشتغلين بعلم النفس والروحانيات فى ذلك الحين ، كما أقرته الجامعات رسمياً وأدخلت دراسته فى كليات طبها ولا سيما فى باريس .

ثم جاء العالم الفرنسى الأستاذ « شاركو » « Coarcât » ومساعده الأستاذ « بيتر » « Pitres » فى كلية الطب بباريس ومستشفى « السالبتريير » الخاص بالأمراض العصبية ، كما أن شاركو ومدرسته استعملوا ظاهرة التنويم فى الكثير من مرضاهم واستعانوا بها فى العلاج وخاصة لمن كان مصاباً بالهستريا والصرع

وبعض الأمراض العصبية والذهنية الأخرى .

وقد برزت فى الميدان مدرسة « نانسى » بفرنسا تزاحم مدرسة باريس وكان على رأسها الأستاذ «ليبول» « Liebeault » الذى خطا بهذا النوع من الدراسات النفسية خطوات واسعة ودعمه بأسس ثابتة متينة كما طبعه بطابع علمى وأثبت أن التنويم ما هو إلا وليد الإيحاء المباشر وهو ما سماه « بالتنويم النفسى » « Hypnotisme Psychique » ليميزه بذلك عن تنويم شاركو « الحسى » أى الذى يؤتى به عن طريق الحواس مثل البصر والسمع واللمس .

والأيحاء كما يعرفه « برنهايم » « Bernheim » هو عبارة عن ظاهرة نفسية يوحى فيها للانسان بفكرة أو رأى يقبله عقله فيستولى على نفسه ومشاعره . ولكى نعطى القارىء فكرة أوضح نقول إن النشاط النفسى (البسيكولوجى) يشمل عاملين مختلفين متضادين هما عامل « الشعور » « Conscience » أو الوعى ، و« اللاشعور» « Sub - Conscience » . فالأول هو عامل التفكير والتمييز والحكم على الناس والأشياء ، وهو طوعى إرادى يتغلب على الثانى فى حالة الصحو ، وأما الثانى أى اللاشعور فهو آلى غير إرادى ، وهو أداة للحب والهوى ومكمن للعواطف والمخاوف والخيال والذاكرة .

أما أثر الأيحاء فى النشاط البسيكولوجى أى فى الشعور واللاشعور فهو إضعاف الأول وشل نشاطه مع إيقاظ الثانى وإثارته لأكبر درجة ممكنة. وهذا مايحدث تماماً فى النوم العادى الطبيعى إذ يضعف مفعول الشعور رويداً رويداً حتى إذا ما وصل النائم إلى سبات عميق زال أثر الشعور بتاتاً ، أما اللاشعور فيكون فى هذه الحالة فى حالة نشاط عظيم ويقظة تامة .

وإثارة الأيحاء ومداه والانتفاع من ذلك فى العلاج ، كل ذلك يتوقف على عوامل كثيرة من جانب الموحى والموحى إليه ، فيجب على الأول أن يكون ملماً بأوليات علم النفس ، كما يجب أن يكون بارز الشخصية قوى الإرادة صبوراً ، كما يتوقف على مبلغ حساسية الموحى إليه واعتقاده بل ثقته بمقدرة الموحى . ويتفاوت الناس فى درجة الحساسية . وكان « شاركو » يعتقد بأن مرضى الهستريا والعُصاب والذُّهان هم الذين يسهل تنويمهم . والواقع أنهم أشد حساسية من غيرهم . وإن كان الأصحاء — إذا توفرت فى الموحى والموحى إليه الشروط المذكورة — قلما يخرجون عن محيط سلطانه ويقعون تحت رائنه .

أما تطبيق هذه الظاهرات على العلاج فقد اهتدى الإنسان إليه بالسليقة منذ عصور عريقة فى القدم ، وما زالت تلك الطرق بدائية لدى الشعوب البدائية مثل التمائم والتعاويذ لجلب النفع ودفع الأذى وقضاء الحاجة ، والسحر والحسد لجلب الأذى وإلحاق الضرر ، والعرافة للكشف عما يخبئه الغيب وعما يتمخض عنه المستقبل ، كل ذلك عوامل وطرق نفسية من غير صقل ولا تهذيب وإن كان من المغالاة أن ننكر على تلك الطرق بعض النتائج الباهرة التى يحصل عليها بعض من يمارسونها .

هذا ، وقد ثبت عملياً وأصبح فى حكم البدهيات معرفة الصلات الوثيقة التى تربط الانفعالات النفسية بالظواهر الفسيولوجية وتأثيرها تأثيراً مادياً عضوياً ؛ ومع ذلك فليسمح القارىء بأن نضرب له بعض الأمثلة : إذا فوجىء إنسان بخبر محزن وصدمة عنيفة ، فقد يشعر بجفاف فى حلقومه إذ يغيض معين سائله اللعابى ويقف إفرازه ؛ أو فى حالة الفزع والخوف يصاب بإسهال ويشعر بحاجة ملحة إلى التبول ؛ أو أن يسيل فيض من الدمع على خده فى حالة الحزن ، كل هذه الأمثال المعروفة المألوفة وكثير غيرها يؤيد سلطان العوامل النفسانية على الجسم وفسيولوجيته .

والآن أذكر للقارىء بعض الأمثلة التى تستعمل فيها الظواهر النفسية كعوامل للعلاج .

١ — استخدامها فى التخدير الجراحى :

هنالك بعض الحالات الجراحية لا يمكن فيها استعمال مخدر كيماوى ؛ إذ أن بعض المرضى لا يتحملون تخديراً كلياً ولا موضعياً لأن أجسامهم من حيث القلب والرئة مريضة هزيلة ، وقد كنت شاهد عيان سنة ١٩٣٥ ، فى إحدى مستشفيات مونبلييه حين أريد إجراء عملية فى الحال لفتاة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها أصيبت بالتهاب حاد فى مصيرها الأعور ، وكانت ضعيفة القلب هزيلة الرئتين لحد لا يسمح بتنويمها بالمخدر ، ولابد من إجراء العملية فى الحال لانقاذ حياتها المهددة ، فلم ير الأستاذ إتيين « Etienne » وكان أستاذاً لجراحة الأطفال ، بداً من الالتجاء إلى التنويم النفسانى عن طريق الأيحاء والخطوات التى وصل بها إلى ما أراد هى :

حدج الفتاة بنظرات قوية ثاقبة لمدة لا تتجاوز بضع ثوان ، ثم صاح بها فى صوت جهورى متزن مطمئن ثلاث مرات بأنها سوف لا تشعر بأقل ألم ، ومن ثم وضع على وجهها القناع الخاص بالتخدير العادى لإيهامها فقط ، ولم يصب عليه نقطة واحدة من المخدر وأمرها أن تعد من واحد إلى عشر . وما إن وصلت إلى الرقم السادس حتى اختفى صوتها ، ووقعت فى نوع هادىء عميق ، وأجريت العملية فى ظروف مؤاتية وأنقذت حياتها . وقد قرأت عن بعض حالات مشابهة فى جراحة طب الأسنان

٢ — **استخدام الإيحاء فى تخدير الآلام الجسدية :**

نجحت طرق الإيحاء عن طريق التنويم أو بدونه فى تخدير الآلام المبرحة بل فى إزالتها نهائياً فى بعض الأحيان . ويذكر الأستاذ « جاجو » « Jagot » وهو من المشتغلين بعلم النفس أنه دعى ذات ليلة فى ساعة متأخرة لرجل كان يسكن الطابق الأعلى من البيت الذى كان يقطنه ، وكان الرجل يتلوى من ألم مبرح فى ضرسه لم يقو على احتماله إلى حد أن سمح لنفسه بإزعاج الأستاذ فى مثل تلك الساعة مع علمه بأنه ليس بطبيب أسنان ، ولكنه كان يؤمن بمقدرته النفسانية ، فهب الأستاذ إلى نجدة الرجل وأمكنه إزالة آلامه وإعادة الطمأنينة إلى نفسه عن طريق الإيحاء

٣ — **العلاج النفسانى لعضو فقد وظيفته :**

مثل هذه الحالات كثيرة . وسأذكر مثلا شاهدته هنا بنفسى فى هــذه الأيام وهو ما أثارنى إلى كتابة هذا البحث ، وقد وقع فى إحدى مستشفيات بوردو مع الأستاذ العالمى الكبير « جورج بورتمان » « G . Portmann » وهو يعد أكبر حجة فى العالم أجمع لأمراض الأنف والأذن والحنجرة — أتت صباح يوم سيدة تصحب ابنتها وكانت تشعر ببحة فى الصوت على أثر صدمة نفسية غرامية أفضت إلى قبض الصوت وفقدانه تماماً « Aphonie Complète » وقد فحصها الأستاذ بدقة تامة شأنه مع كل المرضى كما فحصناها من بعده فلم نر غير حنجرة سليمة ، ليس بها علامة لمرض أو أثر لالتهاب ؛ وأوتار الحنجرة كذلك فى حالة طبيعية ، فأدركنا أن هذا النوع ليس عضوياً وإنما هو وظيفى أو هستيرى كما يسمونه ؛ فاستعمل معها طريقة الإيحاء ، وكانت دهشتنا شديدة إذ رأينا الفتاة وقد تم شفاؤها وعاد صوتها فى اليوم الثالث إلى حالته الأولى .

وأظن القارىء قد سمع شيئاً عن مدينة لورد « Lourdes » بفرنسا وهى مدينة صغيرة يقال إن العذراء مريم ابنة عمران قد ظهرت فيها . وقد يكون ذلك عن ظاهرة ازدواج الشخصية كما أسلفنا فى مستهل المقال . وقد حدثت الرؤية لفتاة سميت فيما بعد بالقديسة « برنادوت » وكانت فى حالة تامة من اليقظة متمتعة بقواها العقلية . فأصبحت مدينة « لورد » على أثر هذا الحادث أرضاً مقدسـة وموطناً للحج يؤمه الزوار و « الحجاج » من المسيحيين من كل حدب وصوب بقصد التبرك وقضاء الحوائج وشفاء الأمراض ، وإن بعض الحالات المرضية قد تم علاجها فى تلك المدينة — والمريض هنالك يحضر تحضيراً خاصاً قبل ذلك بأيام وتعرض عليه الصور الفوتوغرافية للمرضى الذين شفوا من مرضهم ولا سيما من كان منهم مصاباً بداء المريض الذى ينشد الشفاء . كما تلقى عليه دروس خاصة وكل ما من شأنه أن يضاعف اعتقاده ويقوى إيمانه ، ومن ثم يسمح له بالاستحمام فى حوض يحوى « الماء المبارك » . وقد دلت الإحصائيات على أن بعض المرضى قد تحسنت حالتهم ، كما تم شفاء البعض — وإنى من غير أن أتعرض للناحية الدينية من الموضوع أقول بأن العامل النفسانى من إيحاء وغيره يلعب دوراً هاماً فى مثل هذه الأحوال .

٤ — **العلاج البسيكولوجى فى التربية :**

وهو ما يسمونه بالثقافة النفسية . استعملت هــذه الطرق فى تربية الناشئين بل والكبار لعــلاج الكثير من الأمراض النفسية مثل ضعف الأرادة والتردد وفرط الحياء والجبن والتهور وضعف الذاكرة ، وغير ذلك من الأمراض والنقائص النفسية ؛ وقد أتت بنتائج مشجعة كما استخدمت فى عالم الفن والتمثيل ، وخلقت من البعض فنانين تبدلت شخصياتهم تماماً عما كانوا عليه من قبل مما أدى إلى نجاحهم وشهرتهم فى مهنتهم .

وخلاصة ما تقدم أن العــلاج النفسى حقيقة لا ريب فيها ، وليس نوعاً من الدجل والشعوذة كما كان يظن البعض ؛ وهو يزداد أهمية يوماً بعد يوم ، ويتطور بتطور علم النفس والوصول إلى غوامضه ، كما أنه من المعقول أن نعقد عليه آمالا كبيرة فى المستقبل القريب .

(باريس) **فضل أبو بكر**
عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

مخطوط لم يعرف من قبل

ابن سينا والبعث

للاستاذ سليمان دنيا

عرض الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » لفكرة البعث عند الفارابي وابن سينا وروى عنهما أنهما يقولان باستحالة البعث الجسماني ، لأنه لا يمكن في نظرهما إلا على واحدة من صور ثلاث :

الأولى : « أن يقال : الإنسان عبارة عن البدن ، والحياة — التي هي عرض — قائمة به » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « وهذا ظاهر البطلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن ، فاستئناف خلقهما إيجاد لمثل ما كان ، لا لعين ما كان »

الثانية : « أن يقال : النفس موجودة ، وتبقى بعد البدن ، ولكن يرد البدن الأول بجمع تلك الأجزاء بعينها » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « لا يخلو : إما أن تجمع الأجزاء التي مات عليها فقط ، فينبغي أن يعاد الأقطع ومجدوع الأنف والأذن وناقص الأعضاء كما كان ، وهذا مستقبح ، ولا سيما في أهل الجنة . وإن جمع جميع أجزائه التي كانت موجودة في جميع عمره ، فهو محال من وجهين :

أحدهما : أن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان ، وقد جرت العادة به في بعض البلاد ، ويكثر وقوعه في أوقات القحط ، فيتعذر حشرهما جميعاً ، لأن مادة واحدة كانت بدناً للمأكول ، وصارت بالغذاء بدناً للآكل ، ولا يمكن رد نفسين إلى بدن واحد . بل لا يحتاج في تقرير هذه الاستحالة إلى أكل الناس الناس ، فإنك إذا تأملت ظاهر التربة المعمورة علمت بعد طول الزمان أن ترابها جثث الموتى قد تربت وزرع فيها وغرس ، وصارت حباً وفاكهة ، وتناولتها الدواب فصارت لحماً ، وتناولناها فصارت أبداناً لنا ، فما من مادة يشار إليها إلا وقد كانت بدناً لأناس كثير ، فاستحالت وصارت تراباً ، ثم نباتاً ، ثم لحماً ، ثم حيواناً .

والثاني : أنه يجب أن يعاد جزء واحد ، كبداً وقلباً ، ويداً ورجلا ، فإنه ثبت بالصناعة الطبية أن الأجزاء العضوية يتغذى بعضها بفضلة غذاء البعض ، فيتغذى الكبد بأجزاء القلب ، وكذلك سائر الأعضاء » .

الثالثة : « أن يقال : المعاد هو رد النفس إلى بدن إنساني ، من أي مادة كانت ، وأي تراب اتفق » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « وهو محال من وجهين :

أحدهما : أن المواد القابلة للكون والفساد محصورة في مقعر فلك القمر ، لا يمكن عليها مزيد ، وهي متناهية ، والأنفس المفارقة للأبدان غير متناهية — أي بناء على نظرية قدم العالم عندهم — فلا تفي بها .

والثاني : أن التراب لا يقبل تدبير النفس ، ما بقي تراباً ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجاً يضاهي امتزاج النطفة .

ومهما استعد البدن والمزاج لقبول نفس ، استحق من المبادئ الواهبة للنفوس حدوث نفس ، فيتوارد على البدن الواحد نفسان — إحداهما هي نفسه الأصلية ، والأخرى هي التي استحقها حين صار من جديد بدناً ذا مزاج ؛ فإن من شأن العقل الفعال عندهم أن يفيض على المادة ، حين تصبح ذات مزاج ، نفساً مناسبة لذلك المزاج : نباتية ، أو حيوانية ، أو إنسانية — وبهذا بطل مذهب التناسخ . وهذا المذهب هو عين التناسخ ، فإنه رجع إلى اشتغال النفس ، بعد خلاصها من البدن ، بتدبير بدن آخر غير البدن الأول ، فالمسلك الذي يدل على بطلان التناسخ ، يدل على بطلان هذا المذهب » .

* * *

هذا ما يرويه الغزالي عن الفارابي وابن سينا ، ولكنا إذا رجعنا إلى « الشفاء » لابن سينا وجدناه يقول فيه : الفن الثالث عشر ، إلهيات ص ٦٣٤ ط الهند : « يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع — وفي نسخة : مقبول في الشرع — ولا طريق إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبي ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن .

ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة الثابتتان بالقياس اللتان للأنفس ، وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن لما نوضح من العلل والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك .

فلنعرف حال هــذه السعادة ، والشقاوة المضادة لها ؛ فإن البدنية مفروغ منها فى الشرع ... »

وورد كذلك فى النجاة ص ٤٧٧ ط الكردى هذا النص بلفظه وحروفه .

***

ومن كل هذه النصوص يظهر لنا تناقض واضح بين ما يقوله ابن سينا عن نفسه فى « الشفاء » و« النجاة » وما يقوله الغزالى عنه فى كتابه « التهافت » ، فهو يقول عن نفسه : إن البعث الجسمانى ممكن وواقع ؛ والغزالى يقول عنه : إن البعث الجسمانى مستحيل .

وهنا يطرأ على بال الباحث المتفحص سؤال لا بد منه ، هو : هل الغزالى متقول على الفلاسفة غير أمين فى نقله عنهم ؟ ! أم أن لهذه المسألة عند ابن سينا سراً خفياً يتطلب الصبر والأناة حتى يوقف على غوره ودخيلته ؟ أعنى : هل للمسألة عنده ظاهر وباطن ، ظاهر يكشفه للعامة ، وباطن يحتفظ به لنفسه ، ولمن يؤهلهم استعدادهم لفهمه ، وعن هــذا الظاهر تحدثت الشفاء والنجاة ، وعن هذا الباطن نقل الغزالى ؟ !

كلا الأمرين جد خطير ، لا ينبغى أن يصار إليه عن طريق الظنون والتخمينات ، فإن الظنون والتخمينات لا توصل إلى العلم الصحيح ، وإنما ينبغى أن يصار إليه عن طريق التثبت واليقين

***

قد يحتال لإزالة هذا التعارض فيقال : إن ابن سينا نفسه نزع الوثوق من كتاب « الشفاء » ، ولم ير فيه معبراً عن أفكاره ومعتقداته ، بل رآه معبراً عن أفكار المشائين ونزعاتهم . ومتى صح ذلك لم يجدر بنا اعتبار ما ورد فيه مصوراً لأفكار ابن سينا

وذلك حيث يقول فى مقدمة « منطق المشرقيين » :

« ... وبعد ، فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى ، أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم !

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى المشائين من اليونانيين كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا إليهم وتعصبنا للمشائين ، إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم ، وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه ، وأغضينا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجهاً ومخرجاً ونحن بدخلته شاعرون ، فإن جاهرنا بمخالفتهم ، ففى الشىء الذى لم يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل .

فمن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح ؛ وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عقول هؤلاء الذين فى العصر ...

وما جمعنا هــذا الكتاب — يعنى فلسفة الإشراقيين — لنظهره إلا لأنفسنا ، أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاولة هذا الشأن ، فقد أعطيناهم فى كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم »

وكتاب النجاة صورة مصغرة لكتاب الشفاء وتلخيص له أثبت ذلك البحث والتمحيص ، فالوثوق به من نوع الوثوق بكتاب الشفاء وفى درجته .

وأكثر من ذلك أن ابن سينا فى نفس الشفاء ص ٦٤٧ ، والنجاة ص ٥٠١ ، صرح بأن نصوص الشرع فى مسألة المعاد يجب أن تتلقى بحيطة وحذر ، إذ أنها تنزلت عند مستوى عقول العامة ، فصورت لهم أمر المعاد بالصورة التى يستطيعون فهمها ، لا بالصورة التى هو عليها فى نفس الأمر ، استمع إليه يقول : « وكذلك يجب أن يقرر عندهم — أى يجب أن يقرر النبى عند العامة — أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن إليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه إلا أمر مجملا ، وهو

أن ذلك شيء لا عين رأته ولا أذن سمعته ، وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم » .

والنص بنفس هذه الحروف والكلمات وارد في الكتابين .

أضف إلى ذلك أن ابن سينا صرح في الإشارات بما يفيد أن المعاد بالروح وحده دون الجسم ، قال في ص ١٩٥ ط ليدن : « والعارفون المتنزهون إذا وضع عنهم درن مقارنة البدن وانفكوا عن الشواغل ، خلصوا إلى عالم القدس والسعادة ، وانتعشوا بالكمال الأعلى ، وحصلت لهم اللذة العليا » .

وفي ص ١٩٦ : « وأما البله فإنهم إذا تنزهوا خلصوا من البدن إلى سعادة تليق بهم ، ولعلهم لا يستغنون فيها عن معاونة جسم يكون موضوعاً لتخيلات لهم ، ولا يمنع أن يكون ذلك جسما سمائياً أو ما يشبهه ، ولعل ذلك يفضي بهم آخر الأمر إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين » .

وفي ص ١٩١ : « فلا ينبغي لنا أن نستمع إلى من يقول : إنا لو حصلنا على حالة لا نأكل فيها ولا نشرب ولا ننكح ، فأية سعادة تكون لنا ؟ ! والذي يقول هذا ، فيجب أن يبصَّر ويقال له : يا مسكين ! لعل الحالة التي للملائكة وما فوقها ألذ وأبهج وأنعم من حال الأنعام ، بل كيف يمكن أن تكون لإحداهما إلى الأخرى نسبة يعتد بها ؟ »

بل إنه صرح في « الشفاء » و « النجاة » بمثل ما جاء في الإشارات . قال في النجاة ص ٤٨٥ : « فإذا فارقت — يعني فارقت النفس البدن — ولم يحصل معها ما تحصل به بعد الانفصال إلى التمام ، وقعت في هذا النوع من الشقاء الأبدي ، لأن أوائل الملكة العلمية إنما كانت تكتسب بالبدن لا غير ، وقد فات » .

وقال في ص ٤٨٨ : « وإن كانت مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، وليس عندها هيئة غير ذلك ، ولا معنى يضاده وينافيه ، فتكون لا محالة ممنوة بشوقها إلى مقتضاها ، فتتعذب عذاباً شديداً بفقد البدن ومقتضيات البدن من غير أن يحصل المشتاق إليه ، لأن آلة ذلك قد بطلت ، وخلق التعلق بالبدن قد بقي » .

ونفس هذا النص قد ورد في الشفاء .

***

من كل هذا يخلص لنا :

أولا : إمكان اعتبار ابن سينا قائلا بالبعث الروحاني فقط ، وفي هذه الدائرة يصدق نقل الغزالي عنه .

ثانياً : أن ابن سينا غير متناقض في حديثه عن البعث ، ولكن له فيه ظاهر وباطن ، ومن لم يفطن لهذين الجانبين فيه ظنه متناقضاً ، وليس الأمر من التناقض في شيء .

ولكن ليس هذا هو كل ما يهم الباحث المتفحص في هذا المقام ، فليست إزالة التناقض بين نصوص ابن سينا المختلفة وإزالة التناقض بين حديث الغزالي عن ابن سينا وحديث ابن سينا عن نفسه — وإن أدخلت على تاريخ الفلسفة تكميلا كان يتطلبه — هي كل شيء في هذا المقام .

ذلك أن الغزالي لم يدع في كتابه « التهافت » أن ابن سينا منكر للبعث الجسماني وكفى ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان في إزالة التناقض على الوجه السابق — وهو نتيجة بحثنا الخاص — غناء وأي غناء ، ولكن الغزالي أضاف إلى ابن سينا مع هذه الدعوى أدلة شققها تشقيقاً وفرعها تفريعاً ، فكان لا بد لتاريخ الفلسفة أن يعرف أمرين على جانب كبير من الأهمية :

أحدهما يتصل بابن سينا نفسه ليعرف التاريخ هل هذه الأدلة المعزوة إلى ابن سينا في كتاب (تهافت الفلاسفة) صحيحة النسبة إليه ؟ فإنه إن صحت نسبتها إليه ، جاز للتاريخ أن يقول على وجه القطع — استمداداً من هذه الأدلة وحدها — إن ابن سينا قائل باستحالة البعث الجسماني .

وثانيهما يتصل بالغزالي ، إذ قد عرض لكثير من الفرق المختلفة وناقشها وساق أدلة ودعاوى عزاها إليها ، وقد لا يتيسر الآن الرجوع إلى المصادر الأصلية لهذه الفرق . فهل الغزالي ثقة فيما ينقل ويروى ؟ أم تتسرب إلى نقله الريب وتحوم حوله الشكوك ؟ وهذا جانب هام يعني تاريخ الفلسفة أن يقف على وجه الحق فيه .

***

هذه ثغرة لم أجد — فيما قرأت — من حاول سدها في تاريخ ابن سينا وتاريخ الغزالي على السواء .

ابن سينا : هل قال ما نسب إليه الغزالي من أدلة لإنكار البعث الجسماني ؟ !

والغزالى : من أين استقى هذه المعلومات ؟ !

ومما يزيد الأمر خطورة أن المسألة لم تقف عند ابن سينا والغزالى ، بل جاوزتهما إلى من أخذ عن الغزالى من علماء الكلام وإلى من دافع عن ابن سينا ، كابن رشد . فكان على علماء الكلام أن يعرفوا — قبل أن يرددوا — من أى المصادر استقى الغزالى هذه الأدلة التى يعزوها إلى ابن سينا ، فهل عرفوا ؟! .. وكان على ابن رشد أن يعرف — قبل أن يناضل ويدافع — هل ما نسب إلى ابن سينا صحيح النسبة إليه ، فهل عرف ؟! ..

***

ثغرة أدركتها أول الأمر ضيقة ، ثم ما زالت تتسع أمامى حتى وصلت إلى ما رأيت . ولشعورى القوى بحاجة تاريخ الفكر الإسلامى إلى سدها ، حاولت أن أسدها على أى وضع كان ، فقلت معلقاً على هـذه الأدلة التى يعزوها الغزالى إلى ابن سينا ، وأنا أخرج كتاب « تهافت الفلاسفة » « هذا المثال — أعنى قوله : إن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان ... الخ — وغيره ، نجده موجوداً فى كتب الكلام بنصه وفصه ، فلعل علماء الكلام لم يرجعوا إلى كتب الفلاسفة نفسها — نظراً لأنى لم أجد فيما لدى من كتب الفلاسفة وقتذاك شيئاً من هـذا الكلام — وإنما عولوا على هذا التصوير الذى اضطلع به الغزالى . على أنى أكاد أجزم بأن الغزالى فى تصوير وجهة نظر الفلاسفة ما كان يقف عند الحد المنصوص عليه فى كتبهم ، وإنما كان يفترض افتراضات ويذكر احتمالات ويناقشها ليتخلص له : أن كل ما يمكن أن يقال على لسانهم فهو مدفوع مردود » .

وظل الأمر واقفاً عند هذا الحد : ثغرة تتطلب سداً محكماً من الفولاذ ، وضمت فيها لفافة من الخيش إلى أن تكفل هذا المخطوط بهذا السد الفولاذى .

وإلى اللقاء فى مقال تال — إن شاء الله — نحلله فيه ولنتعرف محتوياته .

سليمان دنيا

مدرس الفلسفة وعلم العقيدة
بكلية أصول الدين

نداء الفـــداء

أو أنشودة الجهاد فى حومة فلسطين

نص الفدائية الحماسية التى هتف بها الشاعر على محمود طه وألف منها الموسيقار محمد عبد الوهاب لحنه الجديد « أنشودة فلسطين »

أخى ! جاوز الظالمون المدى … فحق الجهاد وحق الفدا
أنتركهم يغصبون العروبـ … ـة مجـد الأبوة والسؤددا
وليسوا بغير صليل السيوف … يجيبون صوتاً لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده … فليس له بعدُ أن يغمدا
أخى ! أيها العربى الأبى … أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخى ! أقبل الشرق فى أمة … ترد الضلال وتحيى الهدى
أخى ! إن فى القدس أختاً لنا … أعدّ لها الذابحون المُدى
صبرنا على غدرهم قادرين … وكنا لهم قدراً مرصدا
طلعنا عليهم طلوع المنون … فطاروا هباء وصاروا سدى
أخى ! قم إلى قبلة المشرقين … لنحمى الكنيسة والمسجدا
« يسوع » الشهيد على أرضها … يعانق فى جيشه « أحمدا »
أخى ! قم إليها نشق الغمار … دماً قانياً ولظى مرعدا
أخى ! ظمئت للقتال السيوف … فأورد شباها الدم المصعدا
أخى ! إن جرى فى ثراها دمى … وأطبقت فوق حصاها اليدا
ونادى الحمام وجن الحسام … وشب الضرام بها موقداً
ففتش على مهجة حرة … أبت أن يمر عليها العدا
وخذ راية الحق من قبضة … جلاها الوغى ونماها الندى
وقبل شهيداً على أرضها … دعا باسمها الله واستشهدا
فلسطين يفدى حماك الشباب … وجل الفدائى والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور … فإما الحياة وإما الردى !

على محمود طه

السيدة غريغوري

للأستاذ نجاتي صدقي

قال لي أحد معارفي ذات يوم : أذكر أنني قرأت لك منذ سنة تقريباً قصة بعنوان (الأب غريغوري)(١) وقد ختمتها بأن (كلاره) كانت تذهب كل يوم أحد إلى مقبرة صهيون بالقدس لتبكي القسيس الراحل . .

قلت — نعم ... وهل من عيب في هذه الخاتمة ؟

قال — كلا . .

قلت — إذن ما هي رغبتك ؟

قال — أتشوق إلى معرفة مصير هـذه السيدة . وهل هي باقية على قيد الحياة ؟ . وهل تزوجت أم لا تزال على عهدها الذي قطعته لزوجها الشيخ وهو على أبواب الأبدية ؟ .

قلت — أتريد أن أضع ملحقاً للقصة ؟ .

قال — كلا ، ولكني أحس رغبة ملحة في معرفة ما تم لهذه السيدة التي وصفتها بأنها السحر الحلال ، والأنوثة المغرية

قلت — لا تزال السيدة غريغوري مقيمة على عهدها ألا تتزوج أحداً بعد الأب غريغوري ، فتمثاله ما فتىء معلقاً في صدر غرفتها ، وصورة السيد المسيح لم تتزحزح عن مكانها منذ خمس سنوات ، وقنديل الزيت يواصل إضاءة أيقونة العذراء ليلا ونهاراً . أما خُطاب السيدة غريغوري فكثيرون ، وأعرف منهم أربعة ، وإليك قصصهم :

الخاطب المثال :

جاءها في بادىء الأمر مثال وقال لها : أتسمحين أيتها السيدة أن أصنع تمثالا نصفياً لزوجك الراحل ؟

فأظهرت كلاره ارتياحها لهذا العرض الكريم ، وأذنت له بصنع التمثال ، فصنعه ، وكان أبرز شيء فيه لحية الأب غريغوري ، ونصبته في صدر غرفتها ... ثم قال لها المثّال : أتسمحين أن أصنع تمثالاجانبيا (بروفيل) لوجهك الجميل ؟ ... فأبدت ارتياحها وموافقتها ، وأخذت تزوره كل يوم في ستوديو عمله إلى أن تم صنعه ، وقد ظهرت فيـه السيدة غريغوري بوجهها النحيف الكئيب ، وقد تدلى شعرها الشمث على صدغيها ، وكان تمثالا أخاذاً مما حدا بأحد السياح الأمريكيين أن يبتاعه بثمن باهظ .

وقال لها المثال يوماً : أتسمحين لي أن أصنع تمثالا لجسمك بأكمله ليكون مثالا حياً لصنع الخالق جل جلاله ؟ .

قالت — هذا لن يكون . . فالمرحوم الأب غريغوري هو الشخص الوحيد الذي كنت أظهر أمامه كما خلقت ، وكثيراً ما كان يتحسس جسمي كالضرير ويقول : « سبحانك ربي على قدرتك في تكوين الجمال ! » ... أما الآن فما قيمة هذا التمثال الذي تود صنعه لي ؟ . . كلا ، دع عنك هذه الفكرة .

قال التمثال وقد ركع على ركبتيه : وهل لفنان مثلي أن يحتفظ بتمثالك الحي لنفسه ؟ ! . . إنك ضرورية لي لأستوحي منك الفن الرفيع ... هاك يدي يا كلاره فلا ترفضيها ، أتوسل إليك . . .

فأنهضته كلاره قائلة : لن أتزوج بعد الأب غريغوري أحداً . أما أنت فكفاك فخراً أنك صنعت تمثالا نصفياً للأب غريغوري حاز إعجاب . وصنعت لي تمثالا جانبيا (بروفيل) حاز إعجاب أحد الأمريكيين . وهذا وذاك أحسن دعاية لك كفنان كبير ... فاذهب الآن ترافقك السلامة ، وخير لك ألا تعود إلى بعد هذا اليوم .

الخاطب كاتب العرائض :

أما الخاطب الثاني الذي تردد على السيدة غريغوري فكان أحد كتاب العرائض وهو من معارف المرحوم زوجها ، فكان يزورها بين حين وآخر معزياً فيحمل لها بعض الهدايا ويجلس صامتاً لا يجرؤ على الأفصاح عما يخالج نفسه نحوها ، خشية أن تصده وتجرح شعوره ، إلا أن عينيه كانتا تتحدثان عن أمر ما .

وفي فجر أحد الأيام اقترب كاتب العرائض خلسة من مسكن السيدة غريغوري وأسقط رسالة في صندوق رسائلها وفر . . ولما التقطتها قرأت فيها ما يلي :

« كلاره !

(١) راجع (الرسالة) العدد ٦٦٢

لدى ما أقوله لك ولكنى لم أجرؤ ، حينما كنت أتردد إلى بيتك ، على مفاتحتك بما كنت أفكر فيه من خطط ومشاريع .

والذى كنت أريد أن أبوح به إليك دون مواربة هو أننى أهيم بك يا فتاة أحلامى ... إننى أعجبت بك فى حياة المرحوم الأب غريغورى ، ثم أحببتك بعد وفاته . كم يؤلمنى أن أراك دائماً مطرقة حزينة ... فما الداعى إلى حزنك هذا ؟ وهل تتوقعين أن يعود القس إلى قيد الحياة ؟ أنسيه كما نسى هو زوجته وابنته من قبلك ! . فكرى فى مستقبلك وفى شبابك ونضارتك .

كلاره ! .

أنت وحيدة وأنا وحيد ... فلماذا لا نعمل معا على إزالة آلام وحدتنا هذه ؟ . . أنا أكسب من عملى شهرياً خمسة عشر جنيهاً ، وأنت تكسبين من عملك شهرياً عشرة جنيهات . فلماذا لا تصير معا خمسة وعشرين جنيهاً ؟!..

أجيبى أيتها العزيزة ... أجيبى هذا القلب الكسير ... وآمل أن أتلقى ردك بالبريد حتى أتحمل الصدمة ، السارّة أو المؤلمة ، برباطة جاش » .

من المخلص لك أبداً

« ... »

وبعد أن قرأت السيدة غريغورى هذه الرسالة ذهبت بنفسها إلى حيث يعمل مرسلها وقالت له : تلقيت رسالتك ، أما جوابى فهاكه ... وعركت الرسالة بيديها ، ثم قذفت بها فى الهواء ، وانصرفت تاركة كاتب العرائض فى حيرة وذهول شديدين .

الخاطب القيصرى :

وكان الخاطب الثالث ضابطاً روسياً من ضباط القيصر نيقولا الثانى ، يدعى إيفان بوغاتيرسكى ، وهو رجل فى حدود عمر الأب غريغورى تقريباً ، له عينان ناقبتان ، وشاربان طويلان ، ولحية متدلية من الخدين دون الذقن .

فبينما كانت السيدة غريغورى فى عصر يوم تجلس إلى جانب النافذة تقلب ما تركه المرحوم زوجها من آثار أدبية ، إذ بباب دارها يقرع قرعاً خفيفاً . ولما فتحته وجدت نفسها أمام ضابط روسى قديم ، يحمل بيد علبة حلوى وباقة زهور ، ويحمل باليد الأخرى قبعته ومنديله ... وبادر السيدة غريغورى قائلا : إننى أحد أصدقاء المرحوم الأب غريغورى ، وقد اشتركت معه فى معركة تاننبرغ سنة ١٩١٨ ، وتذوقنا البؤس معا فى أزقة مونمارتر بباريس سنة ١٩٢٥ ... ورحلنا إلى فلسطين فى باخرة واحدة ، فصار هو قسا ، وبقيت أنا أمنى النفس بالعودة إلى روسيا .

فاضطربت السيدة غريغورى قليلا ، وأذنت لهذه الشخصية الغامضة بالدخول .

وبعد أن قدم الزائر الزهور وعلبة الحلوى لصاحبه البيت ، أطرق قليلا ، ثم انحدرت دمعة على خده فمسحها بمنديله وقال وهو يتنهد : رحمك الله يا غريغورى ! لقد كنت أعز صديق لى ، ثم قضى علينا أن نفترق ولا مرد لقضاء الله وقدره ... ولكن ثق يا أخى بأننى لن أنساك وستبقى ذكرياتك الطيبة عالقة فى خاطرى ما حييت .

وساد الغرفة صمت ، ثم قطعه الزائر بمخاطبته السيدة غريغورى قائلا : بلغنى يا سيدتى أن عندك غرفة تودين تأجيرها ، فهل تجدين مانعاً يحول دون تأجيرى إياها ؟ ... أنت بحاجة إلى رجل ليدافع عنك ويعينك على تخطى مصاعب الحياة ... أنت بحاجة إلى مال ، وما من ريب فى أن معاشك لا يسد بعض نفقاتك . أرجو أن تأذنى لى باستئجار غرفة فى مسكنك وسأدفع أى مبلغ تطلبينه ، يضاف إلى ذلك أنك ستجدين إلى جانبك من يحدثك باللغة الروسية التى كان يملك إياها المرحوم غريغورى .

وساد الغرفة صمت مرة ثانية ... ثم نهضت السيدة غريغورى وأحضرت باقة الزهور وعلبة الحلوى وأعادتهما إلى السيد إيفان قائلة : إذهب وضع هذه الباقة على قبر صديقك إذا كنت توده حقاً ، ووزع هذه الحلوى بين الفقراء ليترحموا على روحه .

وشيعته إلى باب الدار الخارجى ...

الخاطب الفاسق :

أما الخاطب الرابع فكان يهوديا بولونيا صاحب خطة جهنمية ... فقد طرق بيت السيدة غريغورى عصر يوم وبرفقته امرأة وفتاة فى الثانية عشرة من عمرها ... فاستقبلتهم ربة البيت مرحبة بهم ، وبعد لحظات تبودلت فيها النظرات والابتسامات

استهل الرجل كلامه بأن ترحم على روح المرحوم زوجها ، وذكر محامده ومآثره ، ووصفه بأنه كان مثالا للنزاهة والاخلاص بين الناس ، غير أن الموت الذى اختطف روحه لا يتردد فى اختطاف روح أى إنسان إذا ما حانت ساعته .

ولما قدمت السيدة جريجورى الشاى لضيوفها قال لها الرجل وهو يحرك الملعقة فى قدحه : يجول فى خاطرى فكرة أود عرضها عليك ، وربما تجدين فيها بعض الغرابة أو الجرأة ، ولكنها مبنية على شعور عاطفى ، ولا تتنافى مع ناموس الاجتماع ... أنظرى إلى هذه السيدة فهي زوجتى ، وانظرى إلى هذه الفتاة فهى ابنتى ... إلا أننى غير راض عن حياتى الزوجية هذه ، وقد عقدت النية على أن أطلق زوجتى طلاقاً لا رجعة فيه ، وزوجتى توافقنى على هجرى إياها ، أليس كذلك يا راحيل ؟...

فطأطأت راحيل رأسها وأومأت بالإيجاب ...

ثم إن ابنتى سونيا تفضل طلاق أمها على أن يظل سوء التفاهم سائداً فى منزلنا ... أليس كذلك يا سونيا ؟ ...

فطأطأت الفتاة رأسها وأومأت بالإيجاب أيضاً .

وهكذا ترين أيتها السيدة أننى آت لأطلق زوجتى أمامك ، ولأخطبك أمامها وابنتى شاهدة ... وقد انتهجت هذه الخطة لأختصر الطريق ، ولأزيل كل العقبات التى يمكن أن تعترض سبيل زواجنا .

وتناول الرجل جرعة كبيرة من الشاى ، ولعق ما علق على شاربيه من قطرات وتابع حديثه قائلاً : لقد أدركت مقدماً أنك ستقولين لى إنك متزوج ... وإن لك ابنة لا ترضى عن هجرك لأمها ، فقررت أن أحضرهما أمامك لأضع النقاط على الحروف كما يقول المثل ... فما أنا إلا طالب حلال ، وبيتك الجديد فى انتظارك ، والقول الفصل لك .

كانت السيدة جريجورى تستمع إلى كلام هذا الزائر وهى تقرض شفتيها بأسنانها وقد انفعلت انفعالا شديداً ، لكنها تمالكت نفسها وقالت للرجل بهدوء ورزانة أنها غير مستعدة لسماع مثل هذا الهذيان ، ونصحت الرجل أن يبحث عن عريس لابنته وأشارت إليهم بالإنصراف .

وقد انفضح للسيدة جريجورى فيما بعد أن هذا الخاطب هو صاحب بيت للدعارة السرية ، وأن زوجته وابنته تميناته على نصب حباله وشباكه ... وإن « البيت الجديد » الذى كان فى انتظارها ليس إلا بيت الفسق والموبقات .

***

قلت لمحدثى — هؤلاء هم الخطاب الأربعة الذين توددوا إلى السيدة جريجورى ، وكانت تصدهم الواحد تلو الآخر ... ولعلك ترى فيهم نماذج بشرية مختلفة .

قال — أود سماع كلمة منك تفسر لى سلوك هذه المرأة من نفسها ، وسلوك هؤلاء الخطاب الشاذين منها .

قلت — السيدة جريجورى هذه مشكلة سيكولوجية ، فهى صبية مثقفة ، وفاتنة ، وفيها الشيء الكثير من الجاذبية الجنسية ، عاشرت قساً أكبر من أبيها ومات .

فهل وقعت هي فريسة الأب جريجورى عندما كانت فى حالة من اللاشعور الجنسى ؟ ...

هل ثابت هى إلى رشدها بعد أن مات القس ورأت أنها ارتكبت حماقة بمعاشرتها إياه ، لكنها تكابر وتحاول أن تظهر بمظهر المرأة المخلصة للزوجية المثالية ؟

هل تشعر هى بأنها فشلت فى هذا الزواج الذى أثار حولها الكثير من اللغط وتخشى السقوط مرة ثانية فى زواج مماثل له ؟

هل تتوقع هى زوجاً يكون له من القوة ، والذكاء ، والجمال، ما يعوض عليها معاشرتها لذلك الرجل الضعيف ، الخامل ، البشع

وأخيراً ما الذى يحدو بها إلى الإحتفاظ حتى يومنا هذا ، بتمثال القس النصفى ، وبصورة المسيح معلقة على الحائط ، وإلى جانبها أيقونة يعلوها قنديل زيت مضىء ...

هذه أسئلة محيرة حقاً ...

أما خطابها فقد تكونت عندهم فكرة محدودة عنها ، مصدرها القس الراحل ، وهى أنها تميل إلى معاشرة الكهول والشاذين من الرجال ...

من تاريخ الطب الاسلامي

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني
سفير إيران بمصر

(تتمة)

قد استنبط الأستاذ براون من بيان هذه الحالة أن ابتلاء المريض بالحميات المختلطة مع وجود قشعريرة تتقدم الحمى كان سبباً فى أن ظن الرازى فى بادىء الأمر مرضه حمى (الملاريا) ولا سيا أنه كان فى بلاد تكثر فيها هذه الحمى . والحال أن هذه الأعراض لم تكن أعراض حمى الملاريا بل كانت نتيجة لمرض عفن ، وإن الرازى غير رأيه عند ما شاهد المدة فى بول المريض وتحقق لديه أن المرض خراج فى الكلى . .

والغرض من استشهادنا بهذه الحادثة هو أن نبرهن على أن الأطباء كانوا يدرسون حالة المريض وأعراض المرض درساً وافيا دقيقاً وبهذه الطريقة كان طلاب الطب يتلقون من أساتذتهم درساً عمليا تجريبياً عن الطب وعلاج الأمراض المختلفة وفى نفس الوقت كان الطبيب يداوى المرضى ويزداد تجربة ومهارة فى عمله وكان الجميع يخدمون صناعة الطب ويساهمون فى ترقيتها بالدرس والبحث والتجارب المنظمة وفى القسم الداخلى من البيمارستانات عند ما كان يصعب تشخيص مرض مريض فى قاعة من القاعات وتدعو الحال استدعاء طبيب أو أكثر من القاعات الأخرى غير القاعة التى فيها المريض للاستشارة كان يدعى عدد منهم فيتداولون فى الأمر[1] .

وكان الأطباء يشتغلون فى البيمارستان بالنوبة ، فجبرئيل ابن بختيشوع كانت نوبته فى الأسبوع يومين وليلتين[2]

وكانت دروس الطب تعطى على الأغلب فى البيمارستانات فيجلس الطبيب لفحص المرضى ومعاينتهم فيصف العلاج اللازم للمريض ويكتب له ويشرح كيفية استدلاله على المرض للحاضرين، وكان بين يديه الشارفون والعوامل لخدمة المرضى وكان كل ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير ونوع الطعام يوضع بجانب فراشه للرجوع إليه فى تنفيذه وإجرائه .

وكان الطبيب يدور على المرضى بالبيمارستانات ويتفقد أحوالهم ويصف لكل منهم علاجه وبعد فراغه من ذلك يأتى فيجلس فى مجلس خاص فى البيمارستان ويحضر كتب الاشتغال وكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه ثم يجرى مباحث طبية ويقرئ التلاميذ ولا يزال معهم فى اشتغال ومباحثة ونظر فى الكتب مدة ثم يركب إلى داره[1] .

وكانت هذه الطريقة فى التدريس هى للمبتدئين من التلاميذ ؛ أما المشتغلون بالطب والمطلعون على كتبه ومن لهم بعض الاختبارات فى البيمارستانات فكانوا يحضرون مجلس درس الأستاذ ساعات كل يوم فيجرى البحث عن المواضيع الطبية المشكلة أو النادرة ويتداولون فيها علميا وفنيا بكل حرية .

وقد كان النظر فى بول المريض ، وكانوا يسمونه (القارورة) ، والاستنتاج من نظره ويسمونه (التفسرة) ، من الأمور الشائعة ولم يكن الأطباء يغفلون عنه .

وكانت للأطباء العرب فى هذا الباب مهارة كبيرة تدل على قوة استدلالهم وحسن استنتاجهم .

يقول ابن أبى أصيبعة : (أراد الرشيد أن يمتحن بختيشوع الطبيب أمام جماعة من الأطباء فقال الرشيد لبعض الخدم : « أحضره ماء دابة حتى نجربه » فمضى الخادم وأحضر قارورة الماء ، فلما رآه قال « يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان » قال له أبو قريش وقد كان حاضراً : « كذبت هذا ماء حظية الخليفة » فقال له بختيشوع (لك أقول أيها الشيخ الكريم ، لم يبل هذا إنسان البتة ، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة) فقال له الخليفة « من أين علمت أنه ليس ببول إنسان ؟ » قال بختيشوع « لأنه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه » ثم التفت الخليفة إلى بختيشوع فقال له (ما ترى أن نطعم صاحب هذا الماء) فقال « شعيرا جيداً » فضحك الرشيد ضحكا شديداً وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة ووهب له مالا وافراً وقال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »[2]

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الثانى صفحة ١٧٩
(٢) تاريخ الحكماء للقفطى صفحة ١٤٨

(١) طبقات الأطباء الجزء الثانى صفحة ١٥٥
(٢) طبقات الأطباء الجزء الأول صفحة ١٢٦

والخلاصة أن البيمارستانات لم تكن أعمالها قاصرة على معالجة المرضى فحسب ، بل إنها كانت أيضاً تقوم مقام مدارس الطب يتخرج منها الأطباء والكحالون والجراحون والمجبرون .

وكان لكل بيمارستان خزانة كتب أو مكتبة تحوى كثيراً من الكتب كانت فى متناول كل طالب علم ؛ وكان طالب الطب فى أول عهد الدولة الإسلامية بعد أن يتلقى أصول الطب على بعض مشاهير الأطباء ويقوم باختبارات شخصية وتجارب عملية كافية ويجد فى نفسه القدرة على مزاولة الطب يباشرها بعد أن يجيزه بعض الأطباء النابهين فى زمانه أو رئيس أطباء البيمارستان الذى كان يشتغل فيه .

ولم تكن هناك فى أول الأمر قيود خاصة أو امتحانات منظمة لإعطاء أجازة التطبب ؛ وإن أول من نظم هذه الصناعة وأخضعها لنظام خاص فى تأدية امتحان للحصول على أجازة التطبب هو المقتدر الخليفة العباسى ، وكان ذلك فى سنة ٣١٩ هـ . والسبب الذى دعا الخليفة إلى هذا العمل حسب رواية ابن أبى أصيبعة هو أنه اتصل به أن غلطا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل ، فأمر الخليفة المحتسب بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة رئيس الأطباء وطبيب الخليفة الخاص ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة . وبلغ عدد من ترددوا إلى سنان وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح له التصرف فيه من الصناعة ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلا فى جانبى بغداد سوى من استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم فى صناعته وسوى من كان فى خدمة السلطان[1] .

وكان سنان بن ثابت يمتحنهم فيسأل كلا منهم بعض الأسئلة الطبية ويعرف معارفه ودرجة تمكنه فى الصناعة ، فيحدد له حدوداً يجيزه أن يتصرف ضمنها لا يتجاوزها .

وكانت الامتحانات الطبية فى ذلك العهد بسيطة جداً فيها كثير من التسامح والتساهل . يروى أنه دخل يوما فى مجلس سنان بن قرة كهل موقر مهيب الطلعة عليه سيماء أهل العلم ولباسهم فأخذ مكانه فى جانب من المجلس ، وكان مظهره يدل على أنه من أجلة العلماء . وبعد أن انتهى سنان من درسه ومعالجة المرضى خاطب تلاميذه قائلا : « علينا الآن بالاستفادة من فضائل مولانا الشيخ ، ولنستمع لجوامع كلمه لتبقى لدينا تذكاراً لتشريفه هذا المجلس » . ثم سال الشيخ عن اسم أستاذه فأخرج الشيخ من جيبه بدرة من المال وضعها أمام سنان وقال لست يا سيدى من العلماء ؛ لكنى رب أسرة أريد أن أعيلها عن طريق التطبب . فاشترط عليه سنان أن يكون محتاطاً فى عمله فلا يفصد أحداً ولا يعطى من المسهلات إلا الأنواع الساذجة البسيطة منها . فقال الشيخ كانت هذه ولا تزال طريقتى فى التطبب فإنى لم أعط أحداً غير السكنجبين والجلاب ، فأعطاه سنان أجازة التطبب فى هذه الدائرة المحدودة التى ذكرناها .

وجاءه غداة ذلك اليوم ضمن جماعة حضرت مجلسه لأخذ إجازات التطبب — شاب سأله سنان عن اسم أستاذه كما هى العادة فذكر اسم أبيه ، وكان الشيخ الذى ذكرنا قصته ، فسأله سنان عما إذا كان يسير على نهج والده . ولما رد عليه بالايجاب أجازه أيضاً للتطبب فى نفس تلك الحدود .

كان هذا فى بادئ الأمر لكن الحال لم تستمر على هذا المنوال وصار النظام بعد ذلك أن الطالب بعد أن يتم دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء برسالة فى الفن الذى يريد الحصول على الأجازة فى الاشتغال به له أو لأحد مشاهير الأطباء قد أجاد دراستها فيختبره فيها الطبيب ويسأله أسئلة عدة عن هذا الموضوع ، فإن استطاع اجتياز الامتحان أعطاه أجازة تطلق له التصرف فى حدودها .

ويذكر المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك مؤلف كتاب (تاريخ البيمارستانات فى الاسلام) فى كتابه القيم المذكور الذى نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق سنة ١٣٥٧ هجرية أنه عثر فى خزانة كتب المرحوم العلامة أحمد زكى باشا على صورتين لإجازتين طبيتين من القرن الحادى عشر من الهجرة منحت أحداهما لفصاد والأخرى لجراح[1] وها نحن أولاء نذكر هنا ملخصهما : —

(وهذه صورة ما كتبه الشيخ الأجل عمدة الأطباء ، ومنهاج الألباء ، الشيخ شهاب الدين ابن الصائغ الحنفى رئيس الأطباء بالبيمارستان

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٢٢٢ .

(١) كتاب تاريخ البيمارستانات فى الاسلام صفحة ٤٣٠

المصرية إجازة للشاب المحصل محمد عزام أحد تلامذة الشيخ الأجل والكهف الأحول الشيخ زين الدين عبد المعطى رئيس الجراحين على حفظه لرسالة الفصد كما سنبينه : —

الحمد لله ومنه أستمد العناية .

الحمد لله الذى وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين وهدى من شاء للطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الأوقات والأزمان إلى يوم الدين . وبعد فقد حضر عندى الشاب المحصل شمس الدين محمد بن عزام ... بن ... بن ... على المؤذن الجرداني (أو الجرداانى نسبة إلى جرداان وهى محلة بمدينة أصبهان بإيران)(١) المتشرف بخدمة الجراح ، والمتقيد بخدمة الشيخ الصالح بقية السلف الصالحين العارفين وشيخ طائفة الجراحين بالبيمارستان المنصورى وهو الشيخ عبد المعطى المشهور بابن رسلان نفعنا الله ببركاته ، ورحم أسلافه العارفين الصالحين ، وعرض على جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة الفصد وأوقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة . والرسالة المذكورة للشيخ الإمام العلامة التمام شمس الدين محمد بن ساعد الانصارى(٢) شكر الله سعيه ورحمه وأسكنه بحابيح جناته بمنه وكرمه ، عرضاً جيداً دل على حسن حفظه للرسالة المذكورة ، وقد أجزته أن يرويها عنى بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية (وباقى الأجازة مفقود)

والإجازة الأخرى أيضاً من القرن الحادى عشر الهجرى وهى صادرة من رئيس الجراحين بدار الشفا المنصورى (قلاوون)

وخلاصتها بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على آله وصحبه أنه وقف على الرسالة الموسومة (ببرء الآلام فى صناعة الفصد والحجام) نظم لوذعى زمانه وألمعى عصره وأوانه ، الشمس شمس الدين القيم شهرة ، الجراح صنعة ومهرة ، التى أصلها للشيخ الفاضل حاوى الفضائل الشيخ شمس الدين الشربينى الجراح الموسومة (بنهاية القاصد فيما يجب على المفصود والفاصد) وقد قرأها عليه قراءة اتقان وإمعان فلم ير بدأ من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد. وقد أجاد ناظمها فى تحقيقها ، وبذل الجهد فى تحريرها وتدقيقها ... إلى أن يقول استحق راقم وشيها وناسج بردها أن يتوج بتاج الإجازة فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ، ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح ، وهو أن يعالج الجراحات التى تبرأ بالبط ، ويقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط ، وأن يفصد من الأوردة ويبتر الشرائين ، وإن يقلع من الإسنان الفاسد المسوسين (كذا) إلى أن يقول ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال فى كل حال ومآل) .

وإمضاء هذه الإجازة كما يأتى : —

(رقمه بقلمه أحقر عباد الفتاح ، الفقير للحق على بن محمد بن محمد ابن على الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفا بمصر المحروسة ومصلياً ومسلماً ومحمداً ومحوقلا ومستغفراً بتاريخ صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله وحده)

وقد كان الصيادلة أيضاً خاضعين للرقابة فى أعمالهم يؤدون امتحاناً خاصاً قبل اشتغالهم بهذه الصناعة حتى يوثق من علمهم بالأدوية والعقاقير ، ويؤمن مغبة غلطهم فى إعطاء الأدوية والعقاقير ...

يذكر ابن أصيبعة فى الجزء الأول من مؤلفه طبقات الأطباء ضمن شرح حال زكريا الطيفورى الطبيب — وكان من مشاهير الأطباء فى زمن الخليفة المعتصم — قصة خلاصتها (أنه بينما كان الأفشين فى معسكره وهو فى محاربة بابك سنة ٢٢١ هجرية وكان معه زكريا الطيفورى الطبيب أمره باحضار جميع من فى عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة كل رجل منهم ، فرفع ذلك إليه ؛ فلما بلغت القراءة بالقارىء إلى موضع الصيادلة قال الأفشين لزكريا الطيفورى (يا زكريا ضبط هؤلاء الصيادلة عندى أولى مما تقدم فيه ، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره) فقال زكريا (إن يوسف لقوة الكيمائى) قال يوماً للمأمون (إنما آفة الكيمياء الصيادلة ؛ فإن الصيدلانى لا يطلب الإنسان منه شيئاً من الأشياء كان عنده أم لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع إليه شيئاً من الأشياء التى عنده ، وقال هذا الذى طلبت . فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ويوجه جماعة إلى الصيادلة

---

(١) لب اللباب للسيوطى

(٢) واسم الرسالة نهاية القصد فى صناعة الفصد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

فى طلبه لتبتاعه فليفعل) فقال المأمون (قد وضعت الإسم وهو شقطيثا (وهى ضيعة تقرب من مدينة السلام) ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن شقطيثا فـكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة ، فمنهم من أتى ببعض البذور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم أتى بوبر . فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة واهتم بأمر الصيادلة ومراقبتهم .

وبعد ذكر هذه الحكاية أشار زكريا الطيفورى على الأفشين أن يمتحن الصيادلة ، فأعجب الأفشين برأى زكريا ودعا بدفتر الأشرو سنة فأخرج منها نحواً من عشرين إسماً ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته . فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفته تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام فى عسكره ونفى الباقين عن المسكر ولم يأذن لواحد منهم فى المقام . ونادى المنادى بنفيهم وبإباحة دم من وجد منهم فى معسكره[(١)]

وكان من جملة وظـائف المحتسب — وكانت يده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — مراقبة الأطباء والـكحالين والجراحين والمجبرين .

جاء فى كتاب نهـاية الرتبة فى طلب الحسبة[(٢)] وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط ويحلفهم أن لا يعطوا أحد دواء مراً ، ولا يركبوا له سماً ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار ، إلى غير ذلك من الأمور التى يجب على الأطباء مراعاتها فى عملهم .

كما كان للمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف (بمحنة الطبيب) وأما الـكحالون فقد كانوا يمتحنون بكتاب العشر المقـالات فى العين[(٣)] لحنين أيضاً ، وكان على المجبرين أن يؤدوا امتحاناً فى المقالة السادسة من كناش بولس الأجانيطى فى الجبر الذى قام بنقله إلى العربية حنين بن أسحق .

وأما الجراحون فـكان عليهم أن يـكونوا ملمين بـكتاب جالينوس الخاص بالجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح وما يتصل به .

وكان للمحتسب أيضـاً مراقبة الصيادلة بمساعدة الأطباء والمتخصصين فى معرفة الأدوية والعقاقير وإرشادهم .

إن وصف شتى البيمارستانات التى كانت منتشرة فى مختلف البلاد الإسلامية وتبيان تاريخ بنائها وأسماء بناتها وطريقة إدارة أوقافها وذكر أسماء كبار أطبائها والطلبة الذين كانوا يلتقون العلم فيها يحتاج لبحث خاص ، وقد وفى الموضوع حقه المرحوم الدكتور أحمد بك عيسى فى مؤلفه القيم (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام) وفيه يذكر رحمه الله أسماء ثمانين من هـذه البيمارستانات التى كانت تدار فى مصر وإيران والعراق والجزيرة وسورية وجزيرة العرب وبلاد الروم أى آسيا الصغرى وأسطنبول وبلاد المغرب والأندلس بتفصيل واف فليرجع إليه من أراد التفصيل فهو خير مرجع فى هذا الباب .

قاسم غنى

(١) الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ١٥٢

(٢) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لعبد الرحمن الشعرانى (مخطوط)

(٣) طبع هذا الـكتاب لحساب الحكومة المصرية مع تعليق للدكتور ماير هوف المستشرق الرمدى المعروف .

الأدب والفن في أسبوع

الملك الأديب :

كانت زيارة جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك فاروق فى الأسبوع الماضى — مظهراً رائعاً من مظاهر الأخوة العربية ، وقد تحدثت الصحف عن الملك عبد الله حديثاً ندياً تضمن كثيراً من شمائله وسجاياه . ومما يجمل أن يذكر هنا عن جلالته ، رعايته للنهضة الأدبية فى شرق الأردن ، ومشاركته الفعلية فيها ، فهو أديب ممتاز يطرب للأدب الرفيع ، ويروى الشعر ويقوله ، ويكتب بأسلوب بليغ . ولا يكاد مجلسه يخلو من الأدباء والشعراء ، يطارحهم الشعر ويناقلهم حديث الأدب ، وقد ولى كثيراً من الأدباء أهم المناصب فى الحكومة .

وجلالته يعطف على شعراء الشباب الذين عبروا بالشعر فى بلاد شرق الأردن الشقيقة إلى مجال المذاهب الحديثة وأوجدوا هناك نهضة أدبية مرموقة .

والجيل الأردنى الجديد يتابع الحركة الأدبية فى مصر ويقبل على قراءة الصحف المصرية ، ولا سيما المجلات الأدبية .

التعبير الحماسى والأناشيد :

يقول « البسام » فى كتاب منه : « قرأت ما كتبته عن أنشودة فلسطين التى غناها عبد الوهاب والتى سميتها أنشودة ناعمة أتريد أن يقوى حنجرته ويعلى صوته كما يصنع البكار ؟ ! »

لا ، أيها البسام . إن التعبير الحماسى القوى إنما يكون فى التأليف ، أو التلحين ، أو الإلقاء ... كما يتكلم الرجل الذى يملك أعصابه ويضبط نفسه ، بنبرات هادئة قوية معبرة عن بأسه وسطوته ، وهو غير اللين المائع ، وغير الصاخب الصارخ . وأنا لم أسمع إلى الآن من الإذاعة المصرية نشيداً حماسياً ، على تنبى وكثرة ما تذيع من الأناشيد ، وعلى رغم الحوافز الحاضرة ، وإنما نسمع منها الناعم والمائع ، أو الصراخ الذى يقلق النائمين ويزعج الآمنين ، وأ كثر ما تقدم من النوع الأخير ، ومثله هذه البرامج الخاصة المأخوذة من التاريخ الإسلامى والتى يراد فيها أن يؤدى الحماس بالجلبة والأصوات المنكرة . . ولن تؤدى هذه الأصوات ولا تلك الأناشيد الصارخة إلا إلى تصديع الرءوس وإقلاق الراحة .

وقد قرأت فى بعض الصحف شكايات مؤلفين وملحنين معروفين من الإذاعة المصرية لأنها لا تقبل إنتاجهم ، ومنهم : بيرم التونسى وزكريا أحمد ، إذ ألف الأول نشيداً ، ولحنه الثانى وأخذته إذاعة القدس بعد أن أعرضت عنه الإذاعة المصرية . ونحن نسمع فى الإذاعات العربية الأخرى أناشيد قوية لا نسمع مثلها من الإذاعة المصرية ، وكثير من هذه الأناشيد من إنتاج مصريين .

الآفة هى — كما قلت فى الأسبوع الماضى — فى النطاق المضروب حول الإذاعة من المتصلين بموظفيها ، فأنت تسمع أن النشيد أو البرنامج من تأليف فلان أو إخراج فلان ، ولا يتغير هذا الفلان ولا يجدد شيئاً يحسن به علاقته بالمستمعين !

أهى سودنة أم جلنزة :

من أنباء السودان أن الحاكم العام أعلن الدستور السودانى الذى أراده الإنجليز ، وتنص المادة (٤٥) من هذا الدستور على أن « تكون الإجراءات فى الجمعية (التشريعية) باللغة العربية ولكن بدون إخلال بما تدعو إليه حالة استعمال اللغة الإنجليزية متى كان ذلك »

وما دام الإنجليز هناك ، فستكون اللغة العربية مخلة دائماً « بما تدعو إليه حالة استعمال اللغة الإنجليزية » أى أن اللغة التى تستعمل فى الجمعية هى اللغة الإنجليزية ، وليس هذا جديداً ، فالإنجليزية هى لغة التعليم فى المدارس السودانية فيما عدا تعليم اللغة العربية ، وهى لغة الحكومة السودانية فى دواوينها ومكاتباتها وكل أعمالها ، وذلك لأن اللغة العربية تخل بحالة استعمال ... الخ

وهم يقولون إنهم يقصدون السودنة من هذه الإجراءات .. والسودان بلاد عربية لغتها العربية فهل من السودنة أن تهمل

لغة السودان القومية . . أو هي (جلمزة) ؟
ولك أن تقيس على ذلك سائر مشروعات السودنة .

من طرف المجالس :

كان موضوع الحديث هو مقال (أدباء معاصرون أرشحهم للخلود) [1] لمعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا ، وكان أكثر من بالمجلس من الأدباء الذين لم يذكرهم معاليه مع من رشحهم للخلود ، وكان بعضهم ممن ذكروا ولم يرضهم الترتيب . وبدأ الحديث بالاحتجاج والتساؤل عن بعض الأسماء التي وردت في المقال ، وذكر أسماء لم ترد فيه وكانت حرية بتقدير الباشا ، ولكن سرعان ما انقلب الحديث إلى مجرى فكاهي سرت فيه روح الدعابة والمرح ، عند ما قال أحدهم :

لا عليكم . . إن هذا « الكدر » لابد أن يليه « تنسيق »

واستمرت المناقشة بعد ذلك على هذا النحو أو على هذه (القافية) فمن قائل إنه من (المنسيين) وقائل إنه أحق من فلان (بالأقدمية) وقال ناشىء إنه وإن كان لا يطمع في التنسيق ، ينتظر دوره في (تنميق التنسيق) وقال من لم يرضه أن يذكر مؤخراً : إنه وإن كان قد شمله حسن تقدير الباشا إلا أنه يريد تصحيح الوضع حتى لا يتكرر في (الحركة) التالية تقديم من هو أحدث منه عليه ...

واستقر الرأي أخيراً على مطالبة معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا بإصدار تنسيق الأدباء ، وإذا لم يصدر هذا التنسيق فإنهم يعرضون القضية على (مجلس الدولة) مع تكليف (العباس) بأن يبلغ معاليه هذا القرار على جناح الرسالة ...

صرخة في واد :

أصدرت لجنة البيان العربي ديوان الأستاذ غنيم « صرخة في واد » وهو الديوان الذي فاز بجائزة الشعر الأول في مسابقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية سنة ١٩٤٧

وقد أهدى صاحب الديوان نسخة منه إلى السدة الملكية الكريمة ، فتلقى من معالي رئيس ديوان جلالة الملك خطاباً يبلغه فيه شكر جلالته وتقديره السامي .

(١) العدد (٧٨٠) من الرسالة

وشعر محمود غنيم يمتاز بعذوبة التعبير ووضوح الفكرة . وهو شاعر يحس إحساس الجماعة ، فهو أكثر شعرائنا تناولا المسائل القومية وتصويراً لأحوال المجتمع ؛ وهو يتجه إلى هذا المذهب حتى فيما يصور به حياته الخاصة وما يحيط به ، إذ يربط ذلك بالمسائل الاجتماعية العامة ؛ ويمزج كل ذلك بروح شعرية محببة إلى النفوس .

لذلك لن يكون ديوان غنيم ، كما سماه ، صرخة في واد . .

الأدب والبلاغة في المدارس الثانوية :

في سنة ١٩٤٥ ألفت وزارة المعارف لجنة لبحث وسائل ترقية اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية ، والنظر في البرامج والكتب المؤلفة وتيسير قواعد النحو ، وشكلت اللجنة برياسة الأستاذ أحمد أمين بك وعضوية الأساتذة علي الجارم بك وإبراهيم مصطفى وعبد الحميد حسن ومحمد خلف الله ومحمد علي مصطفى ، وعقدت اللجنة عقب تشكيلها بعض الجلسات ثم وقفت أعمالها إلى أن أعيد تأليفها في فبراير سنة ١٩٤٧ مع ضم الأستاذين منصور سليمان وزكي المهندس بك ، والدكتورين عبد الوهاب عزام بك وعبد العزيز القوصي — إلى عضويتها . ووالت اللجنة عملها ، ووضعت تقريراً ضمنته خلاصة أبحاثها ومقترحاتها في أغسطس الماضي . وعقد بعد ذلك المؤتمر الثقافي العربي الأول في لبنان ، وكان هذا التقرير أساس مناقشات المؤتمر فيما يتعلق باللغة العربية ، وجاءت قرارات المؤتمر في مجموعها متفقة مع آراء اللجنة .

ورأت الوزارة أن تعرف آراء جمهور المشتغلين بتعليم اللغة العربية في مقترحات اللجنة ، فأرسلت التقرير إلى جميع مفتشي اللغة العربية ومدرسيها الأوائل بالمدارس الثانوية ونخبة من مدرسيها ، ليبدو ملاحظاتهم عليها . وعقد رجال اللغة العربية بالوزارة مؤتمراً عاماً لهذا الغرض في فبراير الماضي ، وانتهى المؤتمر إلى تأييد مقترحات اللجنة مع بعض التوصيات والرغبات التي رآها كفيلة بتنفيذ تلك المقترحات على الوجه الأكمل .

وأخيراً قدم الأستاذ اسماعيل القباني بك المستشار الفني لوزارة المعارف إلى معالي الوزير مذكرة لخص فيها محتويات التقرير والملاحظات التي أبديت عليه في مؤتمر رجال اللغة العربية ،

كما ضمنها رأيه فى تنفيذ تلك المقترحات ، وقد وصف الأستاذ القبانى بك ذلك التقرير بأنه ينم على جرأة فى الأخذ بوسائل الإصلاح وميل إلى التجديد ولكن من غير طفرة .

وقد كانت اللجنة جريئة حقاً فنفذت إلى صميم مشكلات تعليم اللغة فى المدارس ، وقد خصت الأدب والبلاغة بأكبر قسط من التغيير فأدخلت على مناهجهما تعديلا شاملا يتناول أسسها ، قالت اللجنة فى تقريرها إنها « لاحظت أن دراسة الأدب تبدأ فى المناهج الحالية بدراسة التاريخ دون أن يكون للتلميذ محصول كاف من الأدب ترتكز عليه وأنها قد شغلت مكاناً فسيحاً من مناهج الدراسة ونالت قسطاً كبيراً من جهود المعلمين والتلاميذ حتى طغت على دراسة الادب فأصبحت الفائدة منه قليلة . والطريقة الطبيعية فى الدراسة الأدبية أن تبدأ بدراسة الأدب نفسه وتجعل له الحظ الأوفر من الجهد والاهتمام » وعلى هذا الأساس وضعت اللجنة منهج الأدب فى سنوات التعليم الثانوى بحيث يكون النص محوراً للدراسة ، ويعتبر التاريخ على هامش الأدب

واستعرضت اللجنة تطور النقد العربى وصلة النقد بالبلاغة ، ووصلت إلى أن تدريس البلاغة بشكلها المألوف لا يحقق الهدف المقصود من هذا اللون من الدراسة وهو تربية الذوق الفنى عند التلاميذ . وإعانتهم على حسن فهم الجمال الأدبى وتذوقه وإنارة الطريق أمامهم فى نواحى الخلق والإبداع الأدبى . لهذا رأت اللجنة أن تعود بالنقد إلى وظيفته الأولى وأن تجعله جزءاً عملياً أصيلا من دراسة النص ، ورسمت له منهجاً مدرجاً مرتبطاً من ناحية بمنهج النصوص ومناسباً من جهة اخرى للتطور الذهنى عند التلاميذ ، وجعلت اللجنة فى السنتين الرابعة والخامسة مكانا لبعض النواحى النظرية الأصيلة فى النقد كدراسة الكلمة والجملة وأثر كل منهما فى أداة المعنى ، وكدراسة طرق التصوير المختلفة وبيان ما فيها من جمال دون كثير تعرض للتفصيلات ، وكدراسة الفنون الأدبية النثرية والشعرية وشروط جودتها وعرض نماذج منها .

وواضح من ذلك أن اللجنة أزالت هذه « البلاغة » التى تسخر فيها بالمنهج الحالى عقول التلاميذ ، ووضعت مكانها « النقد الأدبى » بشكل مبسط مفيد ، مما دعا بعض التمسكين بتلك « الرياضات الذهنية » المقيمة إلى معارضة ما جاء فى المنهج متعلقاً بذلك ، وقد وافق مؤتمر رجال اللغة العربية على ما جاء فى المنهج مع التوصية بأن تكون دراسة البديع عملية فى خلال دراسة النصوص الأدبية .

معرض الفنون الجميلة :

أقام اتحاد خريجى الفنون الجميلة العليا ، معرضه الأول بمتحف الفن الحديث بشارع قصر النيل . وقد افتتحه فى هذا الإسبوع سعادة إلهامى حسين باشا .

ويضم هذا المعرض مجموعة مختلفة من أعمال خريجى مدرسة الفنون الجميلة العليا فى التصوير والنحت ، ويتجه أصحابها فى إنتاجهم اتجاهات مختلفة بحسب الشخصية الفنية لكل منهم ، ولكنهم جميعاً يسيرون على مقتضى الأصول والثقافة الفنية التى تلقوها بمعهدهم . وهم يمثلون الجبهة المحافظة بالنسبة لجماعة الفن المعاصر الذين يقتفون مذهب « السريالزم » . وقد زرت معرض الفن المعاصر ثم زرت هذا المعرض ، فوجدت الاختلاف بينهما يبدو على الأقل فى وضوح الفكرة وظهور الجمال الفنى فى المعرض الثانى معرض الفنون الجميلة . ومما يذكر فى إنصاف هؤلاء أنهم بعيدون عن « الفوتغرافية » ونقل الطبيعة كما هى ، بل هم يتجهون فى أكثر أعمالهم إلى رسم الخطوط المؤدية إلى الفكرة بصرف النظر عن الواقعية البحتة . وقد وقفت أمام كثير من تماثيلهم ولوحاتهم مأخوذاً بقوة الأداء فيها ، كالبنت المسكينة المشردة التى نحتها جمال السجينى ، وليالى الكرنك لعبد السلام الشريف ، والعامل الكادح الذى صوره محمد عبد الرحمن ، ووادى الملوك لصلاح الدين طاهر ، وعجوز لصبرى عبد الغنى ، وزنوبة لعباس شهدى ، وصورة الدكتور محمد ولى بك لعبد العزيز درويش . أما تمثال الأستاذ اسماعيل الأزهرى فهو محتاج إلى أن يقال لمن يعرف الأستاذ الأزهرى إن هذا التمثال صنع له . .

ومما لاحظته أيضاً فى هذا المعرض وجود بضع صور تشبه صور جماعة الفن المعاصر فى التحرر والغموض .

العباس



الهدنة ووقف القتال :

الهدنة حلف سياسي وعسكري يعقده مندوبون سياسيون ، ولا يبرم إلا بموافقة الحكومات عليه ، مالم يكن المندوبون مفوضين فى ذلك . والغرض من الهدنة التمهيد لعقد الصلح .

والهدنة نوعان : عامة وخاصة فالعامة توقف القتال فى كل الجهات ، والخاصة توقفه فى بعض الجهات .

وهي سواء أكانت عامة أم خاصة لا مندوحة عن تحديد وقت لها تنتهي بانتهائه. وقد تبرم الهدنة الخاصة لساعات موقوتة. ويجب العناية التامة فى تحديد الأيام والساعات تحديداً لا يحتمل التأويل ، ذلك لأن الحرب تستأنف بلا إنذار عند مضى الزمن الموقوت .

وعلى الحكومات أن تخبر قوادها بالهدنة فوراً خشاة أن يقع خطأ منهم لا يمكن استدراكه .

وإذا وقعت معركة بعد عقد الهدنة وقبل أن يصل خبرها إلى القواد ردت الأسرى وأعيدت الغنائم ، على ما فى المادة ٣٦ من معاهدة لا هاى .

وتوجب الهدنة عادة وقف الهجوم ومنع إطلاق النار وإرسال الجنود ، إذا لم يكن فى صك الهدنة مايخالف ذلك . ولا يمكن حصر الأعمال الممنوعة فى غضون الهدنة لأن النظريات والعمليات متضاربة فى هذا الشأن . فبعض رجال القانون يوجبون الامتناع عن كل عمل فيه منفعة للعدو ، وعلى ذلك فلا يجيزون ترميم الحصون المحاصرة أو زيادة المدافعين عنها ولا نقل الجيوش من مكان إلى أحسن منه . وبعضهم لا يرون تحريم هذه الأعمال ، بل يسمحون بنقل الجيوش وحشدها وإنشاء الخنادق ونحوها والتهيؤ لهجوم مقبل وغير ذلك من الاستعدادات ، على أن يكون ذلك وراء خطوط الحرب .

ونظريتهم هذه هى المتبعة فى الحروب .

فعلى الدول التى تريد تحريم عمل من الأعمال الحربية فى غضون الهدنة أن تنص عليه فى صك الهدنة .

ويجب أن يعنى بأمر تنظيم الملاقية بين الجيوش والأهلين أثناء الهدنة . والعادة أن تعين بقعة منعزلة (حيادية) بين الجيشين منعاً للهجوم ، وأن تكون المسافة بين المخافر الأمامية بعيدة ، وأن يمنع المرور فيها .

وأما الميرة والذخيرة فلا يسوغ إرسالها إلى الحصون المحاصرة عند رجال القانون الذين يوجبون المحافظة على الحالة الحاضرة ، لكن حرمان الجيوش المحاصرة من الميرة يجعل الهدنة بلاء عليهم ، وقد قيل أن هدنة واحدة تكفى لتسليم أعظم القلاع . فالإنصاف والعدل يوجبان أن يرسل المحاصر إلى الجيش المحاصر ما يحتاج إليه من القوت أثناء الهدنة ، لتكون حاله عند انتهاء الهدنة كما كانت عند إبرامها ، فألمانيا سمحت بإرسال الميرة إلى حصون بوهميا سنة ١٨٦٦ ولكنهم لم يبيحوا إرسالها إلى باريس سنة ١٨٧٠ .

وإذا نقض أحد الفريقين الهدنة حق للفريق الآخر أن ينقضها ، على رأى بعض رجال القانون . ويرى غيرهم ، أن على الفريق الآخر أن يدفع العدوان ثم يخبر عدوه بفسخ الهدنة ويستأنف الهجوم عليه إذا لم يكن هناك داع للاسراع . ونقض الهدنة خيانة ، على ما فى الشرع الدولى كما فى المادة ٤٠ من معاهدة لاهاى ؛ أما إذا أخل بضعة جنود بأحكامها فأنها لا تفسخ بل يعاقب المخالفون ، على ما فى المادة ٤١ من المعاهدة المذكورة .

وهناك ما يسمى (وقف القتال) وهوحلف يعقد لمدة قصيرة بين قواد الجيوش والفيالق بواسطة رسل الحرب ، وينحصر فى مواضع محدودة ، وذلك لدفن القتلى ورفع الجرحى من ساحات القتال ، ونحو ذلك .

صهيون كبرذون :

ينطق (صهيون) بعض كبار الأدباء فى المذياع وغيره بفتح الصاد وضم الياء . وفى القاموس المحيط : صهيون كبرذون .

فى استجباء الخراج :

من وصايا أهل الحكمة للملوك : المال قوة السلطان وعمارة المملكة ، ولقاحة الأمن ونتاجة العدل ، وهو حصن السلطان ومادة الملك . والمال أقوى العدد على العدو ، ومن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع فى حقه . ولا يؤخذ من الرعية إلا ما فضل عن

معاشها ومصالحها ، ثم ينفق ذلك فى الوجوه التى يعود عليها نفعها .
أيها الملك ! مر جباة الأموال بالرفق ومجانبة الخرق ، ومن جاوز فى الحلب حلب الدم ، ومثل السلطان إذا حمل على أهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله ، فهو وإن قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية ، وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع .

وما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم فى الأندلس وأمر العدو فى ضعف وانتقاص لما كانت الأرض مقطعة فى أيدى الأجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربى التاجر تجارته ، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة والأجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه ، إلى أن كان الأمر فى آخر أيام ابن أبى عامر ، فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال على النطع ، وقدم على الأرض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم ، فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان ، وضعفت الأجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها . ولم يزل أمر المسلمين فى نقص وأمر العدو فى ظهور إلى أن دخلها الملثمون فردوا الاقطاعات كما كانت فى الزمان القديم .

من شئون الحرب فى الإسلام :

دارت حرب فى الأندلس بين المسلمين والكفار ، ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته من الرأس ، فحملتها الروم وعلقتها فى كنيسة لهم ، فكانوا إذا عيروا بانهزامهم يقولون : لقينا أقواماً هذا ضربهم ، وكان أبطال الروم يرحلون إليها ليروها .

قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذا مشتمل على كل ما فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة ، وأول ذلك أن يقدم بين يدى اللقاء عملاً صالحاً من صدقة ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف وتغيير منكر وأمثال ذلك ، وكان عمر رضوان الله عليه يأمر بذلك ويقول : إنما تقاتلون بأعمالكم .
وروى أن بريداً ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر : أى وقت لقيتم العدو ؟ قال غدوة ، قال ومتى انهزم ؟ قال عند الزوال . فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقام الشرك للايمان من غدوة إلى الزوال !! لقد أحدثتم بعدى حدثا أو أحدثت بعدكم حدثا .

والشأن فى استجادة القواد وانتخاب الأمراء وأصحاب الولاية ، فلا ينبغى أن يقدم على الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ، ثبت الجنان صارم القلب جريئه ، رابط الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ، ومارس الرجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عارفاً بمواضع الفرص خبيراً بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب ، وما الذى يجب شحنه بالحماة والأبطال من ذلك ، بصيراً بصنوف العدو ومواقع الغرة منه ومواقع الشدة ، فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنهم مثله .

وليخف قائد الجيش العلامة التى هو مشهور بها ، فإن عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ، ولا يلزم خيمته ليلا ونهاراً ، وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمى مكانه كى لا يلتمس عدوه غرته .
وإذا سكنت الحرب فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره ، فإن عيون عدوه قد انكبت عليه ، وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش أفريقية عند فتحها .

وقالوا : جسم الحرب الشجاعة ، وقلبها التدبير ، وعينها الحذر ، وجناحها الطاعة ، ولسانها المكيدة ، وقائدها الرفق ، وسائقها النصر .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين) وهذه جماع آداب الحرب .

وقد أوضح الله لنا فى كتابه العزيز علة النصر وعلة الهزيمة والفرار ، فقال تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) يعنى إن تنصروا رسوله ودينه . وأما الهزيمة فعلتها المعاصى ، قال تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) أى بشؤم ذنوبهم .

واستوصى قوم أكثم بن صيفى فى حرب أرادوها فقال : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح فشل ، ولا جماعة لمن اختلف . وتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين .

أسامة



خليفة مسلمين :

نشرت (الرسالة بعددها رقم ٧٨١) كلمة منسوبة لى بعنوان « خليفة المتنبى » نضح فيها من ضعة نفسه ولؤم طبعه وحشاها بالأقذاع والفحش ومحاولة الدس والوقيعة والتطاول على ذى مقام كريم تخفق القلوب بمحبته وإجلاله ، ويعرف له الأزهر وأبناؤه ماضياً مجيداً وحاضراً كريماً وديناً متيناً وخلقاً قويماً وميلاً عن الهوى وحباً للخير واعتصاماً بالله وبالحق ، وحسبه أنه قد اعتز بالله وحده ، فأعزه وأيده وأرضاه ، فرضى عنه ورعاه وسدد خطاه ، وأصلح به ما فسد ، وأقام به ما اعوج ، وجمع به ما تفرق

وعزيز علينا أن تسمح (الرسالة) — وهى مجلة الأدب الرفيع — بنشر هذا الأسلوب الرخيص ؟ ويغلب على ظنى أن الأستاذ الزيات — وهو من هو — لم يطلع على أصل هذه الكلمة ، ولو اطلع عليها لما أجاز نشرها …

محمد سرحان

المدرس بكلية اللغة العربية

و (الرسالة) تسأل الأستاذ : ماذا كان يصنع لو كان فى مكان المحرر ؟ كلمة فى نقد خلق من الأخلاق جاءتنا باسم عالم من علماء الدين ، عمد فيها إلى التلويح لا إلى التصريح ، وقصد منها إلى التهذيب لا إلى التجريح ، فكيف يخطر ببالنا أن الكلام فيها على خلاف مقتضى الظاهر ، وأن فى ورثة محمد من يفترى الكذب ويفتعل الشعر وينتحل الأسماء ويقصد السوء ؟ وإذا كنا لا نطلب من أى كاتب أن يصدق على إمضائه شيخ الحارة ومأمور القسم ، فكيف نرتكب مع حراس الدين ونماذج الخلق هذا الإثم ؟

رأى شاذ :

سمعنا من الإذاعة المصرية فى يوم ماض حديثاً فى (شرع الله) لمدرس بحاث ، نقل فيه رأياً شاذاً للنجم الطوفى يقدم فيه المصلحة على النص والاجماع ، فرأيت من الواجب الحتم أن أنشر كلمة مما قاله المترجمون لهذا الشيخ المتهم :

قال ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ج ٦ ص ٣٩ : نجم الدين سليمان الطوفى الحنبلى … وكان شيعياً منحرفاً فى الاعتقاد عن السنة … ووجد له فى الرفض قصائد ، ويلوح به فى كثير من تصانيفه … واشتهر عنه الرفض والوقوع فى أبى بكر وابنته عائشة رضوان الله عليهما ، وفى غيرهما من جلة الصحابة رضوان الله عليهم ، وظهر له فى هذا المعنى أشعار بخطه نقلها عنه بعض من كان يصحبه ويظهر موافقة له فرفع ذلك إلى قاضى الحنابلة سعد الدين الحارثى وقامت عليه بذلك البينة فتقدم إلى بعض نوابه بضربه وتعزيره وإشهاره ، وطيف به ونودى عليه بذلك ، وصرف عن جميع ما كان بيده من المدارس ، وحبس أياماً ثم أطلق .

وقال ابن رجب الحنبلى كذلك فى طبقات الحنابلة : لم يكن له يد فى الحديث ، وفى كلامه فيه تخبيط كثير … ولقد كذب هذا الرجل وفجر فيما رمى به عمر — من منعه الناس من تدوين الحديث — … ولما جاور فى آخر عمره بالمدينة صحب السكاكينى شيخ الرافضة ونظم ما يتضمن السب لأبى بكر . ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها . وفى الدرر الكامنة للحافظ بن حجر قريب من ذلك . وإنما نقلت ما قاله فيه الحنابلة لأن أصحابه أعرف به

محمد أسامة عليبة

إلى الأستاذ العباس :

حياك الله يا عباس وجمل أيامك كلها باسمة … فقد بلغت ما فى النفس وشفيتها مما كان يعتلج فيها ، وأبنت عما كانت تكنه من ألم لم تستطع أن تبدى به كلما مر بالسمع ما يطرب به ويردده الموسيقار محمد عبد الوهاب من شعر المرحوم شوقى بك فى الثورة السورية حين صب الفرنسيون حمم مدافعهم على مدينة (دمشق) الخالدة ، فانظر إلى ما فى قول الشاعر :

إذا عصف الحديد احمر أفق على جنباته واسود أفق

من وصف حق ولفظ جزل وتصوير بدع يبعث فى النفس الرهبة والروعة حين تستشعر حقيقة الواقع ، وما يفعله عصف هذا الحديد الذى يحمر منه أفق ويسود آخر ، ثم انظر ما ذا تحس وأنت تستمع إلى الموسيقار حين يتخلع ويتفكك بهامة الألفاظ ذاتها ، فيجعل من عصف الحديد ما يشبه عصف الحب أو الريحان ؟

فحياك الله يا عباس على ما دعوت إليه عبد الوهاب ، وحياه الله وبياه إن هو استجاب .

(دمشق) أحمد أبو الطيب

لاظ أوغلى أيضاً :

قال الأستاذ محمد أسامة عليبة فى كلمة وجيزة أراد بها زيادة

التعريف بلاظ أوغلى — الرسالة عدد ٧٨٠ — ... واللاظ قوم من القوقازيين يسكنون على ساحل البحر الأسود ، وهم قبيلة من الجركس .

والواقع أن اللاظ ، أو اللاز — كما ينطقها الأتراك — جيل من الناس يقيم على الساحل الجنوبى الشرقى للبحر الأسود ، فى حين أن الجركس يقيمون على الساحل الشرقى الشمالى لذلك البحر ، ويفصل بين هؤلاء وبين أولئك مساكن الأرمن والكرج ، وليس اللاظ من الجركس فى قليل أو كثير ، بل هما شعبان مختلفان .

يقول العلماء : إن اللاظ من الشعوب القوقازية ، نزحت من القوقاز إلى هذه البقعة من الأناضول من قديم ، ولهم لغتهم الخاصة بهم إلى جانب اللغة التركية ، ولهم صفات ومميزات تكون قوميتهم .

والثابت علمياً أن اللاظ يمتون بصلة القربى إلى أمة الكرج القوقازية ، لا الجركس كما يقول الأستاذ محمد أسامة عليبة .

على أن بعض الشادين من الكتاب يعتقد أن كل قوقازى جركسى ، وأن كلمة الجركس تساوى كلمة القوقازى ، كما أن هناك من تدفعه العصبية إلى مثل هذه الدعوى الواضحة البطلان .

وأنا أعيذ الأستاذ محمد أسامة عليبة أن يكون من هؤلاء أو أولئك ، فاللاظ شعب قوقازى ، ولكنه ليس من الجركس ، بل هو يمت بصلة القرابة إلى أمة الكرج القوقازية .

ولست أظن أن بأحد من القراء حاجة إلى بيان أن الكرج غير الجركس وإن كانا شعبين قوقازيين .

(حلوان) برهان الدين الداغستانى

أهو تجديد فى الشعر ؟

فى جريدة (الزمان) المسائية العدد ١٨٥ اطلعت على قصيدة بعنوان « المصريون » للأستاذ الشاعر محمد الأسمر محرر ركن الأدب بها ، استوقفنى منها بيتان وقفت حيالها موقف السائل المستريب ... قال فى سياق القصيد :

(جيوش تراها كالظلام إذا دجا) وما هى إلا فى الحقيقة نور

ثم قال بعد أبيات :

(جيوش تراها كالظلام إذا دجا) رأيت عليها الموت وهو منير

أقول — أنا السائل المستريب — ما الحكمة الغالية من تكرار شطر برمته ، وترديد لحن بنغمته ، فى قصيدة لا تزيد أبياتها على العشرة ؟ !

أهو قوة البيت فى معناه ، أم هو جماله فى مبناه ، أم هو شىء جديد يراد منه التجديد فى بناء القصيد ؟ !

(الزيتون) عدنان



جناية وصية !

عن الإنجليزية

— ١ —

فى بقعة من بقاع الريف الجميل ، جلس المفتش البوليسى (باول) فى مجلس من الأصدقاء ، بين أشجار الحديقة الباسقة وأزهارها الباسمة ذات الشذا المسكى . . وقد عبث بها النسيم الرطب . . فبعثت الطبيعة الجذابة فى الجالسين حب الحديث ؛ فاقترح أحد الجالسين على المفتش أن يمتعهم بسرد أغرب قضية حققها فى حياته . . فتظاهر المفتش بالكلال ، إلا أن زوجته همست بصوت رقيق النبرات لتبعث فى زوجها الشجاعة والإقدام على سرد القصة فقالت له :

— لماذا لا تقص عليهم قضية « سيفرن » ؟؟ . إنها فى الواقع قضية غريبة فى بابها . .

فنزل المفتش على حكم زوجته .. فاعتدل فى مجلسه وأشعل غليونه . . وأرسل أفكاره فى جو القصة وشرع أخيراً يقول :

— تبدأ هذه القصة على وجه التحديد فى غرفة شبه معتمة ، بها عجوز شمطاء مسجاة فوق سريرها . . جاوزت التسعين من عمرها .. وقد تغلغل المرض الفتاك فى جسمها الهزيل ، فكانت تنتزع أنفاسها بمجهود كبير .. ولم يكن بجانبها غير رجلين كانا يتطلعان إلى العجوز فى لهفة وترقب .. كانت العجوز تحتضر فى تلك الليلة ، إلا أنها كانت تصارع الموت فى يأس وعناد .. ولم يكن حبها للحياة هو الدافع إلى مقاومة الموت بهذا الإصرار .. وإنما دفعها إلى ذلك حبها للمال ومعزتها له . . فقد كانت أشد ما تخشاه أن تفارق ذلك الصنم الذى آثرت عبادته على عبادة الله .. فقد كانت فى العام المنصرم تتمتع بصحة موفورة .. فما بال الموت يدهمها فى النهاية ويرغمها على ملازمة الفراش ، وانتظار الموت .. وفقدان المال .. وتركه فى أياد تعبث به وتفنيه فى أيام وقد جمعته فى سنين ! ! على أن الطبيب كان يتوقع موتها بين لحظة وأخرى — ولكن حبها للحياة — أو حبها للمال — بعبارة أخرى ، ظل يدفع عنها الموت إلى أن حانت الساعة وأقبل ملاك الموت يتحدى الحياة . .

وأما الرجلان فما كانا يرقبان إلا موتها ليضعا يديهما على ثروتها الضخمة . . فقد طال عليهما انتظار موتها حتى امتد إلى ثلاثين عاماً . . ذاقا خلالها ألواناً من العذاب ، وضروباً من الإهانات التى كانت تمطرهما بها عمتهما القاسية الشحيحة . . حتى تبدد أملهما وظنا أن موتهما سوف يسبق موتها ! .

وبينما هما يدمنان النظر إليها وهى تتابع أنفاسها المتلاحقة .. إذ بجسمها يختلج ، وصدرها ينتفض . . فابتسم أحد الرجلين وهمس فى أذن أخيه :

— أكبر ظنى أنها فى النزع الأخير يا « موريس » فيرد عليه موريس شقيقه الأصغر :

— نعم ، يا « شارلس » — لم يبق غير دقائق معدودات . فعلى ما يبدو لى أن ما نسمعه من أنين هو حشرجة الموت ! . وفى هذه اللحظة ، فاضت روح العجوز ، فتنفس الشقيقان الصعداء . وغمر الفرح صدريهما ، حتى كادا يبديان سرورها بالتهانى لولا أن اعتراهما الخجل .. حينما أعلن الطبيب موتها بشىء من الألم .

— ٢ —

وما كادت جثة العجوز توارى التراب فى صباح اليوم التالى ، حتى أسرع الأخوان إلى مكتب محامى عمتهما للاطلاع على وصيتها .. وقد أدهشهما أن استقبلهما ابن المحامى مبدياً اعتذاره عن والده إذ قال :

— إن أبى مريض منذ شهور .. أظنكما أبناء أخى السيدة « سيفرن » — لقد كنت أتوقع قدومكما وسآتيكما بالوصية بعد لحظات . .

ابتسم الرجلان ، وجلسا ينتظران عودة ابن المحامى .. وكانت الدقيقة كأنها ساعة .. حتى عاد ابن المحامى يحمل غلافاً مختوماً ، فقال وهو يفض أختامه :

— هل تريدان أن أقرأ لكما الوصية أو أعطيكما إياها لقراءتها ودراستها ؟؟ .. فأشارا بقراءتها :

فقال إذاً فسأصرف النظر عن القسم الخاص بمكافآت الخدم ..

وأقرأ الشطر الخاص بكما فأمن « موريس » « وتشارلس » على رأيه .. فاستطرد ابن المحامى يقول :

— أقول لكما إن شروط الوصية فيما يختص بكما من الغرابة بمكان ؛ ولهذا أرى أن تقرآها بأنفسكما .. ودفع لهما الوصية ..

فأخذها « تشارلس » وأخذ يقرأ ما يلى :

« وأما ابنا أخوى اللذان انتظرا موتى بصبر وجلد ، فإن حديثى إليهما قصير .. يقولون إن الصبر فضيلة .. ولابد له من حسن الجزاء ، ومع أن ابنى أخى سيحصلان على جزائهما الحق فى جهنم ، فيجب أن يحصلا على جزائهما فى الأرض قبل السماء ...

لقد فكرت فى أن ادعهما يتقاسمان ثروتى .. ولكن لم ألبث أن خطرت ببالى فكرة أفضل كثيراً من ذلك ... لقد انتظرا طويلا ... وصبرا كثيراً ، أفلا يكون « من بواعث رضاى فى مثواى أن أرى أيها أعظم صبراً وأكثر جلداً ؟ ..

لهذا فكرت فى أن أوصى بجميع ثروتى وعقارى لابن أخى الذى يستطيع أن يعمر فى الحياة أكثر من أخيه ... فإذا مات أحدهما تؤول جميع ثروتى لمن بقى منهما على قيد الحياة ... وفى أثناء حياة الإثنين أحرم عليهما الحصول على قرش واحد من ثروتى !! .. »

شهق الأخوان طويلا ... واحمر لونهما ... وراح كل منهما يتطلع إلى الآخر فى ذهول عظيم ...

كانت الوصية بشروطها تحوى إيحاء وتحريضاً على أن يحاول كل من الأخوين قتل الآخر حتى يفوز بالثروة ... لقد أرادت عمتهما الشيطانة أن تحطمهما بضربة واحدة ... فافترق الأخوان ... وعاش كل منهما على بعد من أخيه ! .

— ٣ —

وتحولت حياتهما منذ ذلك اليوم إلى جحيم دائم ، وقلق مستمر .. تسرب الشك إلى كل منهما فى الآخر .. وكان الشيطان اللعين يوسوس لكل منهما أن يفتك بالآخر ليظفر بالثروة . وهزل جسماهما من فرط السهر وأصبحا كشبحين لهما هيكل محطم لا حياة فيه ولا حراك !.

واتفق أن عثر « تشارلس » على موسوعة « بريطانيا » الطبية .. فكان يسهر لياليه ساهدا لا يغمض له جفن .. وهو يمسك بيده ذلك الكتاب يقتله قراءة ودراسة .. وقعت عينه فى الموسوعة على فصل من (الأعشاب السامة) وأسكنه نموها فى انجلترا .. فخطرت « لتشارلس » فكرة شيطانية .. فراح من ساعته يجد فى الحصول على بعض الأعشاب السامة ، فطحنها ، ودس المسحوق الناتج منها فى طعام أخيه « موريس » بخطة جهنمية

— حتى تمت بالنجاح .

فحدد يوماً لارتكاب الجريمة .. وبعد الانتهاء من خطته ، سافر إلى بلدة مجاورة .. فتناول « موريس » طعامه الممزوج بالسم .. ولما عاد « تشارلس » من لندن فى صباح اليوم التالى .. وجد أخاه فى أشد حالات المرض .. فاستشعر شيئاً من الندم .. إلا أن بريق المال أطفأ تلك النار المتأججة .. ولطالما بذل طبيب الأسرة مجهوداً جباراً لشفاء « موريس » إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح .. فذهب ضحية لشروط الوصية ! ..

على أن « تشارلس » لم يجد صعوبة كبيرة فى إقناع الطبيب بأن الوفاة كانت طبيعية .. ولزم بعد ذلك الصمت بعض أيام ... فلم يطالب بالإرث مباشرة خشية أن يثير ذلك الريب ، ويحرك الظنون .. وفى ذلك الظرف الذى كان « تشارلس » مقسم الفكر بين وخز الضمير وجاذبية المال أخذ الناس يتكلمون ويتهامسون . وسرى بينهم الشك والارتياب فى أمر « تشارلس » ، وانتشرت الإشاعات فى كل الأمكنة بأن وفاة « موريس » لم تكن طبيعية . وأنه مات مقتولا بسبب شروط الوصية .. ولم يمض وقت طويل حتى تلقى البوليس رسائل من مجهولين فيها ، اتهام صريح « لتشارلس » ، وأصدر قاضى المقاطعة أمراً باستخراج الجثة وتشريحها . وسرعان ما اكتشف آثار السم فى أمعاء الميت ..

وما كدت أواجه تشارلس بالاتهام حتى خارت قواه ، واعترف بما جنت يداه .. وقدمته للمحاكمة .. فكان مصيره الإعدام .. وكم يزداد قلبى حرقة ونفسى ألماً حينما أتذكر ساعة قيادته إلى الإعدام .. فقد استحال فى تلك اللحظة إلى شبح مخيف ..

— ٤ —

كف المفتش « باول » عن سرد القصة .. فنظر أحد الجالسين إليه بحزن وقال :

— إنها قصة غريبة ومحزنة فى وقت واحد ! ! .

فنظر إليه المفتش باسماً متألماً .. وقال :

— فى الواقع أن الباعث الأكبر على غرابة القصة لم يذكر بعد .. فاستطرد يقول :

ومضت شهور . . ونسى الناس كل شىء عن هذه القضية .. إلى أن جاء يوم تلقيت فيه رسالة من رجل كان يعانى سكرات الموت فى إحدى المستشفيات .. قال الـكاتب فى رسالته :

« أريد مقابلتك حتماً ، فإن لدى معلومات خطيرة عن قضية « سيڤرين » . . . فاسبق بالمجىء أجلى . . . فقد يقول الأطباء .. إن ساعاتى محدودة ..

وكان الخط من السقم بحيث لا يقرأ مما أكد لى أن حالة كاتبه جد خطيرة . . فنظرت عجلان إلى التوقيع فإذا بى أقرأ « ستيفن دريك » وهو اسم لم يطرق سمعي قبل اليوم .. فركبت سيارتى . . . ومضيت إلى المستشفى ، ولما استعلمت من كاتب المستشفى عن « دريك » قال لى إنه نُقل إلى المستشفى فى صباح ذلك اليوم مصاباً بجروح قاتلة على أثر تصادم شديد بين سيارة كان يركبها ، وسيارة نقل كبيرة ، وأن حالته تدعو إلى اليأس!

ودخلت عليه فى الحجرة . . فإذا بى أرى شاباً ممدوداً فوق الفراش .. يئن أنات الألم .. ويتلوى كالأفعى من آلام الجروح. فلما رآنى سكن ورسم على شفتيه ابتسامة الهزيل اليائس ، فابتدرنى بقوله :

آه ! إذاً فقد جئت أخيراً أيها المفتش باول . يبدو أن الدهش يتملكك لأننى أعرف اسمك ، وأشار إلى بالجلوس ..لقد كان شاباً جميل الوجه ، مشرق الجبين ، إلا أنه كان بادى الإعياء من فرط ما ناله من آلام وما نزف من دمه . فاستطرد يقول لى :

« أنا « دريك » محامى قضية « سيڤرين » .. إن بينى وبين الموت دقائق . . ولـكنى أشعر برغبة ملحة فى إشراك شخص آخر فى سرى قبل أن أنطلق للاجتماع بعميلى فى السماء ؛ وقد هدانى تفكيرى إلى اختيارك لأبثك سرى ، وأوضح لك أمرى ، ولا سيما وأنت الرجل الذى قدم « تشارلس » إلى يد العدالة . .

وأطال الشـاب النظر إلى وجهى . . . ثم ابتسم بسخرية واستطرد :

— « يخيل إلى أنك بدأت تفطن إلى ما أنا بسبيل قوله .. نعم ، أنا هو الرجل الذى كان ينبغى أن يوضع فى حبل المشنقة بدلا من « تشارلس » المسكين ، ولـكنى لا أعنى بذلك أننى الذى دسست السم لأخيه .. كلا ؛ إن « تشارلس » هو الذى فعل هذا ، ولـكنى أنا الذى دفعته إلى ذلك ، فقد كانت الوصية التى قرأتها على الرجلين مزيفة .. كان المحامى المحتضر يتكلم بلهجة الساخر المتحدى ، لا بلهجة النادم الباكى .. ولا عجب فقد كان يعلم أنه أصبح فى مأمن من يد العدالة ..

وواصل حديثه بقوله :

« أجل . لقد كانت الوصية مزيفة ، فقد كتبتها بعد طول تفكير . . كتبتها على أمل أن تجنى ، وفعلا جنت على نفسين لاذنب لهما..لقد جعلت فى محتوياتها شرطاً يكفى لحض« موريس » و « تشارلس » على أن يجنى أحدهما على الآخر فيقتله . . وهـذا هو متمناى أن يقتل أحدهما الآخر . . أما لماذا كنت أسعى إلى ذلك ، فالأمر جلى بسيط . . ذلك أننى كنت قد بعثرت إرثهما فى المضاربات المالية ، وما يماثلها من ضروب المراهنة . ولم يكن ثم خطر يتهددنى عندما كانت العجوز « سيڤرين » على قيد الحياة .. إلا أن الموقف تغير بعد موتها وأصبح خطير الجانب مرهوب الظهر !. فقد كان من المحقق مطالبة الأخوين بإرثهما.. وعندئذ تتجلى الحقيقة ، وتسوء العقبى ..

ثم توقف « المحامى » قليلا .. وتنفس طويلا .. ثم أردف :

— إنك بالطبع تعرف بقية القصة .. فعندما ماتت (سيڤرين) اضطررتُ إلى تزييف الوصية الجانية العاتية ، وأنا آمل أن تدفع شروطها أحد الوارثين إلى قتل الآخر ، فتضيع معالم جريمتى .. ولـكن يبدو أننى كنت كثير التفاؤل ؛ فقد مضى أسبوعان بعد وفاة العجوز ولم يقدم أحد الرجلين على جريمة القتل ؛ فلجأت إلى حيـلة أخرى لأحثهما على ارتكاب الجريمة . . . فوضعت « الموسوعة البريطانية » فى متناول يد « تشارلس » وأنا آمل أن يلجأ إلى استخدام أحد السموم المذكورة فيها للتخلص من « موريس » ..

وقد نجحت خطتى بالتخلص من « موريس » فرحت أبث الدعايات وانشر الإشاعات ، فى طول المدينة وعرضها ، مؤداها أن « مؤريس » مات مسموماً .. وقمت أيضاً بإرسال الـكثير من الرسائل المجهولة إلى البوليس التى فيها تبعة موت « موريس » على أخيه « تشارلس » ..

« وانتهى الأمر كما تعلم بإعدام « تشارلس » المسكين !. ولـكن . . حل بى انتقام السماء . . »

ثم كف بعد ذلك عن الـكلام . . فأدهشنى انفجاره فى الضحك .. وبعد لحظات همد جسمه ..

سيد أحمد قناوى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٤ — الاثنين ١٢ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

16 em Année No. 784

Lundi — 12 — 7 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٨٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رمضان سنة ١٣٦٧ — ١٢ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدبنا وهـــذه الحرب

كان أدباؤنا فى الحرب العالمية الثانية إذا سئلوا : ما بالكم تظلون « محايدين » والعالم من جهاته الست قد أخذته جنة الحرب ونفضته حمّى الهلاك ؟ أجابوا : وما لنا ولأمر لا جارّة لنا فيه، ولا رادّة علينا منه ؟ ليست هـذه الحرب لنا فتزهونا العزة، وليست علينا فتهزنا الحميّة . إنما نحن منها كمن يشاهد من جانب الغاب معركة بين الوحوش ، يصيبه من شظاياها الناب المخلوع أو المخلب المقطوع أو المفصل الطائر ، فلا يعنيه إلا أن يسب الضارب والمضروب ، ويلعن الغالب والمغلوب . وهذا ما نهض به فن المقالة فى ميدان واسع ، وتحرك له فن الشعر فى مجال ضيق .

ذلك ما كانوا يقولونه بالأمس فى حرب الألمان والطليان للانجليز والأمريكان ، فماذا عسى أن يقولوا اليوم فى قتال العرب لليهود ، وجهاد القرآن للتلمود ، وكفاح الإسلامية للشيوعية ، ونضال الحرية للرأسمالية ؟ أيقولون إن هذا الشعب الكريم الذى يجود بنفسه وماله ، فى سبيل عزته واستقلاله ، ليس شعب النيل ؟ أم يقولون إن هذا الجيش الباسل الذى قهر العـدو ببطولته وإقدامه ، وبهر الصديق بخطته ونظامه ، ليس جيش الفاروق ؟ أم يقولون إن هذه الحكومة الحرة التى دافعت بشجاعة الحق فى مجلس الأمن ، وهاجت ببراعة القوة فى ميدان الحرب ، ليست حكومة مصر ؟ أليس فيما يرفع الجباه ويعطر الأفواه مما تسجله الصحف كل يوم لقوادنا وجنودنا وطيارينا ، من مواقف البسالة والشهامة والتضحية والإيثار والنجدة والنبل ، ما يوحى للشاعر الحماسى بالملحمة ، وللكاتب القصصى بالقصة ؟ أو ليس فيما يزكم الأنوف ويكظم الصدور مما جنته على فلسطين وعلى المسلمين ، وغادةُ اشترن ، وخيانة أرجون ، وفسولة الهاجنا ، ونذالة يهـود ، ما يفتح للروائى الساخر باب الملهاة ، وللفنان الشاعر باب المأساة ؟ بلى ، إن فى النار الذى يكلل رءوس العرب ، وإن فى العار الذى يجلل رءوس اليهود ، لمادةً ثرّة للخيال المبدع ، ومداداً فياضاً للقلم الخالق . ولقد أدت الصحافة حق الأدب والتاريخ ، وحاولت الإذاعة أن تقضى حاجة العقل والروح ، وأخذ الشعر يجيب داعى الغناء والموسيقى ، فلم يبق إلا الشاعر الطويل النفس الذى يسجل المفاخر فى القصيد ، والكاتب البارع الذهن الذى يصور المآثر فى الرواية . وعما قريب يجرى فى الفلك المصرى كوكب عطارد فينبض اللسان الساكن ويجيش القلب القرور .

لقد كانت القبيلة تغزو القبيلة ، فيُقتل بعض الرجال ، وتنهب بعض الجمال ، فتثور ثائرة الشعر ، وتقوم قائمة الخطابة ، ويسمع الدهر العجلان فيقف مصغياً للبدوى الجلف ليروى للأجيال المقبلة مناقب قومه ، ويخلد على الآباد المتعاقبة حوادث يومه . فهل نقول إن حرب فلسطين التى احتشدت لها دول العرب السبع أضعف تأثيراً فى النفوس من غزوة ، أم هل نقول إن شعراء العروبة

(البقية على الصفحة التالية)

اليوم أقل تأثراً بالمجد من الشُّليك وعروة ؟

إن حرب فلسطين ليست كما يقال مبدأ نهضة ومفتتح عصر ؛ إنما هي أشبه بحروب الفتح في عصر الإسلام الأول : كانت نتيجة لتأليف الله بين قلوب العرب فتوحدت اللغة والكلمة والعقيدة والثقافة والخطة والغاية ؛ وكان من وراء أولئك كله سلطان لم يطاوله سلطان ، وعمران لم يماثله عمران ، وأدب لم يعادله أدب .

(المنصورة) احمد حسن الزيات

من سجايا اليهود، نقض العهود

للأستاذ علي العماري

كان موقف الصهيونيين من الهدنة مثيراً للعجب عند الخبيرين ببواطن الأمور ، والجاهلين بها ، فالعالم كله يعلم أن الدول الغربية إنما أرادت من الهدنة أن تحمى ظهور اليهود ، وأن تبقى على البقية الباقية من قواتهم التي مزقتها الجيوش العربية ، وأن تهيىء لهم الفرصة للاستجمام والراحة لعلهم يستطيعون أن يثبتوا وجودهم ، وأن يمحوا العار الذي لحقهم ، ويزيلوا الخجل من الدول التي ناصرتهم ، وتساءل الناس ، ما بالهم — وهذه حالهم — لم يصبروا على الهدنة ساعة من نهار ؟ وما بال عصاباتهم ترتكب كل يوم حادثاً جديداً ؟ وربما اختلف الناس في الإجابة عن هذا السؤال الذي يبدو غريباً ، وربما ذهبوا مذاهب شتى في التعليل والاستنتاج ، ولكن الذي أؤكده أن مرجع ذلك ومرده إلى أن الغدر ونقض العهد من طبائع اليهود المتأصلة فيهم .

يؤيد ذلك تاريخهم الطويل المملوء بالمضحكات والمبكيات ، مذ أذاقوا كليم الله موسى عليه السلام الأمرين ، إلى أن لفظتهم جميع الدول من أرضها في العصر الحديث . ويؤيده ما سجله القرآن الكريم عليهم . ولهذه الطبيعة في نفوسهم لا أظن أن أحداً يرضى أن يركن إليهم ، أو يثق بمواثيقهم وعهودهم ، ولا أظن (برنادوت) بالغاً شيئاً مما يريد . وكيف ، وقد أعيوا جميع الأنبياء والمصلحين الذين أرادوا لهم الخير ؟ ! فما كان منهم إلا أن التووا على الجميع ، وأصموا آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا ، واستكبروا استكبارا . شكا منهم موسى عليه السلام فقال فيما حكاه القرآن عنه : « رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فافرق بيننا وبين القوم الظالمين » . وشكا منهم هرون عليه السلام : « قال يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين» . وشكا منهم أنبياء الله يوشع بن نون ، وصمويل ، وزكريا ، ويحيى ، وفي القرآن الكريم (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

ولقد عني القرآن الكريم عناية ظاهرة بأخبارهم ، والحديث عن سوء أخلاقهم ، وكشف مطويات ضمائرهم ، حتى كانت السورة بأكملها تنزل في حادثة من حوادثهم ، كما نرى في سورة الحشر التي سجلت غزاة بني النضير . ومن مظاهر هذا الاهتمام أن أول سورة نزلت بالمدينة وهي سورة البقرة جاء في صدرها نحو الثمانين آية مما يتعلق باليهود وآبائهم ، وأن الدارس ليستطيع أن يستخلص أهم المظاهر الأخلاقية التي كانت فاشية فيهم من بخل ، وجهل ، وعناد ، وخيانة ، وغدر ، ودعاوى طويلة عريضة ، ونفاق ورياء إلى آخر ما حفلت به الآيات الكريمة ، ولكني هنا أريد أن أتحدث عن صفة واحدة من صفاتهم تلك هي (نقض العهود) .

وقد ذكر جار الله الزمخشري في كشافه عند تفسير قول الله تعالى (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم) قال : « واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود . وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا ، وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا » ...

نعم قد أخذ الله منهم مواثيق كثيرة ، ذكرت في القرآن ، ولكنهم نقضوا جميع هذه المواثيق ، وقد عاهدهم النبي غير مرة ، ولكنهم كانوا ينقضون عهدهم في كل مرة .

فإنه صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة وجد نفسه بين نارين : نار اليهود في المدينة ، ونار المشركين في مكة ، لذلك كان حريصاً على أن تحسن العلائق بينه وبين اليهود ، فعقد معهم عهداً سياسيا خطيراً ، بين فيه حقوق الطوائف كلها من مهاجرين وأنصار

ويهود ، ونص فيه على شروط الدفاع والهجوم ، فقد كان يفكر فى مهاجمة مكة ، كما كان يتوقع أن تهاجمه يوماً ما ، وقد أمن اليهود على كيانهم الاجتماعى ، وترك لهم حرية الديانة . ومما جاء فى هذا العهد (وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولامتناصر عليهم ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين . لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه وأهل بيته ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين[2]) .

وعاشوا فى ظل هذا العهد آمنين مطمئنين حتى تكشفت نواياهم ، ونزلوا عند حكم طبائعهم ، فقد كانوا يريدون أن يستميلوا النبى صلى الله عليه وسلم إلى جانبهم ، وكانوا يجدون روحا واطمئنانا فى استقبال المسلمين بيت المقدس فى الصلاة ، فلما رأوا أن بعض أحكام القرآن لا تتفق وأحكام التوراة ، وجاء للنبى الأمر بالتوجه — فى صلاته — إلى الكعبة بدرت منهم السوأة السوءاء ، وقالوا : لو كان نبياً حقاً ما ترك ملة إبراهيم ، وهم يزعمون أن بيت المقدس كان قبلة إبراهيم ، فنزل قول الله تعالى : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » وقد حاول النبى أن يفهمهم أن لله المشرق والمغرب ، ولكنهم سفهاء ، فايهتدون « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض » . ثم كان انتصار المسلمين فى غزوة بدر الكبرى ، فدخل الحقد والحسد إلى قلوبهم ، وقال كبراؤهم : « بطن الأرض اليوم خير من ظهرها » ثم نقضوا العهد .

ثم عاهد النبى بنى قريظة ألا يمالئوا عليه فنكثوا وأعانوا مشركى مكة بالسلاح ، وقالوا نسينا وأخطأنا ، ثم عاهدهم فنكثوا ، ومالوا مع المشركين يوم الخندق ، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ، فأنزل الله فيهم قواصم الظهور « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » وهكذا يدمغهم فى وضوح وقوة ، فهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، وهم ينقضون عهدهم فى كل مرة ، فليس على النبى ولا على المؤمنين من حرج إذا مزقوهم كل ممزق « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » .

وكيف يرجى من هؤلاء اليهود الخير ، أو يوثق لهم بعهد ، وهم يتنكرون لدينهم ويفضلون الوثنية على التوحيد فى سبيل مطامعهم الدنيئة ، ومآربهم الخسيسة ، حتى وقعوا فيما لا يقع فيه ذو عقل وخلق . ذكروا أن وفداً من قريش جاء إلى اليهود وحادثهم فى شأن الدين « وقالت قريش لليهود : يا معشر يهود ! أنتم أهل الكتاب الأول ، وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ! » وإلى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » .

ولم يرض مؤرخ يهودى عن هذا الموقف المخزى من اليهود ، ذلك هو الدكتور ولفنسون مؤلف كتاب (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) فقد علق على ذلك بقوله : « كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ... هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام ، والوقوف معهم موقف الخصومة » .

(وبعد) فإن نقض اليهود للعهود موضوع طويل الذيول ، ولست أريد — هنا — أن أستوفيه ، وإنما هى إشارة عابرة .

ولا أختم هذه الكلمة حتى أروى النفس بهذه الآية الكريمة :

« وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » .

وعد الله لا يخلف الله وعده .

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

---

(١) يهلك ويفسد .

(٢) السيرة لابن هشام .

من مآثر الأمير عبد القادر

(مهداة إلى حفيده الأمير سعيد الجزائري)

للأستاذ محمد أسامة علية

لمناسبة قيام الدول العربية بتأديب العصابات الصهيونية في فلسطين رأيت نشر ذَرْوٍ من أخبار هذا الزعيم المجاهد :

في وقعة (خنق النطاح) الأولى سنة ١٢٤٧ هـ كان الأمير بين الصفوف يحرض المحاربين على الثبات ويأمرهم بالتقدم ، فحمل عليه أحد فرسان العدو برمحه فمر من تحت إبطه الأيسر فشد عليه بعضده وهوى بسيفه على الفارس فقده نصفين . ولما تولى النهار وقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيين فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون واستولوا على ذخائرهم . وفي هذا اليوم طُعن فرس الأمير ، وكان أشقر اللون ، ثماني طعنات بحربات العدو ، ثم رماه أحدهم بالرصاص في رأسه فوقع به ، فلم يبال الأمير بذلك بل قام في مكانه ثابتاً إلى أن قدم إليه جنده غيره فامتطاه ، وظل يقاتل إلى أن انتصر المسلمون ، وأشار إلى ذلك الأمير في بعض شعره بقوله :

توسد بمهد الأمن فدمرت النوى
وزال لنوب السير من مشهد الثوى
وعز جياداً جاد بالنفس كرّها   وقد أشرفت مما عراها على النوى
وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب
وخاضت بحار الآل من شدة الجوى
وإنا سقينا البيض في كل معرك
دماء العدى والسمر أسعرت الجوى
ألم تر في «خنق النطاح» نطاحنا   غداة التقينا كم شجاع لهم لوى
وكم هامة ذاك النهار قددتها   بحد حسامي والقنا طعنها شوى
وأشقر تحتي كلمته رماحهم
مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى
بيوم قضى نحباً أخي فارتقى إلى   جنان له فيها نبي الرضى أوى
فما ارتد من وقع السهام عنانه   إلى أن أتاه الفوز رُغم من غوى
ومن يبهم خلصته حينما قضى   وكم رمية كالنجم من أفقه هوى
ويوم قضى تحتي جواد برمية
وبي أحدقوا لولا أولو البأس والقوى
وإنا بنو الحرب العوان بها لنا   سرور إذا قامت وشانئنا عوى

وفي وقعة خنق النطاح الثانية استشهد السيد احمد ابن أخي الأمير وهو ابن خمس عشرة سنة بعد أن بدا من بسالته ما أذهل العقول . ولما وقع عن جواده ميتاً بين الصفوف هجم الأمير في طائفة من وجوه الأبطال جعلهم ردءاً له ، فخرق صفوف العدو وانتشل ابن أخيه من بينهم ، فعجب الأعداء من ذلك وأيقنوا أن القتيل أمير فحاولوا منعهم من أخذه فخابوا ...

وفي معركة برج «رأس العين» أخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كالمطر ، فلم يزدهم ذلك إلا شدة وحماسة ، وجعل الأمير يسير بين المشاة والفرسان وسائر الصفوف يحرضهم على الثبات والصبر في مجال الموت ويذكرهم بأيام الله ، وبينما هو على ذلك إذ عدا عليه أحد فرسان العدو بسيفه فحاد عن سرجه فجاءت الضربة في الفرس فوقع لحينه ، فركب غيره واستمر على ما كان فيه من الحض على القتال . وبلغه أن المشاة فرغت أيديهم من الرصاص فأسرع إليهم بما يكفيهم منه ، ولم يحفل في ذهابه وقفوله بقنابل العدو المتصلة وصواعقه المتتابعة من البرج والبلد .

وفي غزوة «المقطع» التي شنها الجنرال ترزيل ناقضاً بها المعاهدة بينه وبين الأمير ، خرج الجنرال من وهران في خمسة آلاف راجل وفرقة من الفرسان وأربع قطع من المدافع الجبلية وعشرين مركبة للتموين عدا المركبات الاحتياطية ، فنهض له الأمير في نحو ألفي فارس وألف من المشاة فاحتل «بسبك» عازماً على الإقامة هناك إلى أن يتلاحق الناس بالجيش ، ولكن ترزيل عاجله بالزحف إليه ، فعبأ الأمير كتائبه ورتب جنده ، وعين الميمنة قائداً وللميسرة كذلك ، وثبت هو في القلب ، وتزاحف الجمعان واحتدم القتال واستمر يومين فارتدت عساكر الفرنسيين على الأعقاب ، وقتل منهم على ما ذكره (روا) في تاريخه جم غفير ، فيهم الكمندان أودينو ابن المارشال دوك دي ريجو ، وكان قتله سبباً في هذه الهزيمة النكراء . وكان الظمأ والتعب أنهكا جيش الأمير فتفرقوا ، ثم شعروا بأن العدو بات قريباً منهم فرجعوا أفواجاً أفواجاً ، وتوجه الأمير في ألف

فارس اختارهم من جنده وأردف كل فارس جندياً من المشاة ، وخفوا إلى « القطع » ، وسدوا على الجنرال سبيله ، وأحاط جيش الأمير بجيش الجنرال وأضرموا عليه نار الحرب ، فاضطرب الجيش الفرنسى وقتل كثير منه وأسر عدد كبير وغرق فى نهر هبرة أكثر ، وغنم المسلمون ذخائره ، وانسل الجنرال إلى ساحل البحر بمن بقى معه . ثم أرسلت فرنسة المارشال كلوزيل والدوك دورليان ولى عهد ملك فرنسة إلى الجزائر مع الجند والعتاد نجدة وإمداداً لمن هناك ممن عجزوا عن مكافحة الأمير ، فكانت الحرب بينهم سجالا فى عدة وقائع ، ثم تغلب عليه العدو لوفرة عَدده وقوة عُدده ، فاستولوا على حاضرة الأمارة . ثم لمّ الأمير شعثه واستجمع قوته ، ونازل عدوه واسترد الحاضرة ، ثم ظهر عدوه عليه مرة ثانية وغزا تلمسان ، فحصره الأمير وانقض عليه

ويذكر المؤرخ اسكندر بالمار شديد عجبه من استجماع الأمير قوته ورجوعه إلى حاله الأولى بعد أن اضمحلت ثلاث مرات ، وكل واحدة منها كافية لسقوط أعظم سلطان راسخ القدم .

وقال تشرشل فى تاريخه : بعد أن سرد تاريخ حروب الأمير مع فرنسة : إن هذه الأعمال كبيرة جداً بالنسبة إلى سن الأمير وكان فى الخامسة والعشرين مع عدم الاطلاع على أحوال العالم ، لكنها صغيرة بالنسبة إلى ذكائه الفريد . ويعجب العاقل متى سمع أن دولة فرنسة احتاجت إلى مائة ألف عسكرى تقاتل بها الأمير عدا المساعدات الداخلية والخارجية ... مع أن الأمير لم تزد قواته على عشرة آلاف مقاتل .

ولما تواطأ العدو مع جيران الأمير على خذلانه ، وتوالت النجدات للجيوش الفرنسية التى تقاتله مع فيض من السلاح والذخيرة ضعف أمره ، واستولى العدو على المدن والقلاع ، فاتخذ الأمير عاصمة كبيرة متنقلة مؤلفة من خيام كثيرة ومضارب وثيرة ، وسمى ما يخصه منها « الزمالة » وما يخص الأعيان والعامة « الدائرة » ومايخص الجند « المحلة » ، واتخذجلة مضارب لمصانع السلاح ، وأعد فسطاطاً واسعاً لاجتماع المجلس العام ، وآخر جعله مسجداً ، ورتب مضارب للباعة وأهل السوق ، تضرب بعيدة عن الزمالة والدائرة ...

ويقول روا فى تاريخه : إن الأمير عبد القادر كان لا يمل من التعب ولا يكل من الحرب ومشقاتها ، وكان يشاهد انتصارات فرنسة ، ولا يرى نفسه مغلوباً لها . واستمال بحكمته قلوب كثير من القبائل رغبة ورهبة وصاروا فى جيوشه . وقال تشرشل : لما رأى الفرنسيون ذلك بادروا بذر الذهب والفضة رشوة لزعماء القبائل ، فلم يجدهم ذلك نفعاً ...

وكان فى بعض معاركه يقيم مع كثير من فرسانه فى جهات بعيدة عن جيوشه ، وينفد زادهم فيضطرون أن يقتاتوا بالبلوط ، ثم يعثرون على خروف فيقدمونه إلى الأمير فيؤثر جنوده به مع أنهم فى المخمصة سواء . وكان العدو يبذل كل شىء فى سبيل نقض الزمالة مقر الأمير وبيت ماله فركبوا الأهوال من أجل ذلك. وبعد معارك عنيفة وبعد أن انتقل بها الأمير إلى أراض قاصية استطاعوا أن يكتسحوها ، فحزن الأمير لذلك ولكنه لم يهن بل قال : سبحان الله ! كل شىء كنا نحبه وتعلقت أفكارنا به كان يعوق حركاتنا ويحول دون الوصول إلى مطلوبنا ، والآن صرنا أحراراً متجردين لا شغل لنا إلا مقارعة الأعداء ومصاولتهم ومن فقدناه من الرجال فهم شهداء فى الفردوس ونعيمه ، وأما الأموال فسيخلفها الكريم الوهاب ، ويجب أن لا نجبن بل نكون أشد ما كنا أملا .

وبعد استيلاء العدو على حاضرة الأمير (معسكر) خطر للأمير مرة أن يدهمها فزحف عليها بجيش قليل فى عدده ، كبير فى شجاعته وإيمانه ، فخرج إليه الأميرالاى جيرى بجيشه وانضم إليهم الجنرال بيدو والأميرالاى تاميور ومعهما الفرق التى كانت فى تلمسان ، ولحقت بهم الفرق التى كانت فى قسطنطينة ، والأمير فى قلة من الجيش والذخيرة ، فحمى وطيس الحرب بينهم فطوقوا جيش الأمير ، فأبلى الأمير ومن معه بلاء حسناً ، فأصيب جواد الأمير ، فدافع عنه قومه واستشهد بسبب ذلك عدد منهم ، وركب الأمير جواداً آخر ونجا مع بعض قومه ، وحال الليل بينهم وبين باقى جند الأمير ، فأشاع المرجفون أن الأمير استشهد فقالت شقيقته لوجوه القوم : إن فقد شقيقى وذهب فإن كفاحكم ودفاعكم عن الدين والوطن باق فى عنقكم إلى الأبد . فأثارت فيهم روح الشجاعة والفتوة .

وكان من عادة الأمير أن يلقى العدو وهو فى طليعة الجيش ، ومع ذلك فلم يصب فى جسمه سوى مرة واحدة ؛ فقد مسحت رصاصة طرفاً من أذنه اليمنى ، فصلى لذلك ركعتى الشكر لله على ما أصابه فى سبيله . وكان بعضهم يظن أنه يتخذ حجباً وتماويذ تقيه الأذى فأخبرهم أنه لا يعوذ نفسه إلا بما ورد فى السنة من

الأذكار المشهورة .

ولجأ الأمير في عاقبة أمره إلى حرب العصابات فكان يظهر في اليوم الواحد في غدوته في مكان ، وفي عشيته في آخر بعيد عنه كل البعد . قال تشرشل : لقد عجب الفرنسيون من بسالة الأمير عبد القادر وسرعة اختفائه هو ومن معه ، وذكرت ذلك في بعض المحافل السياسية مدهوشاً من أمره فشهد له بعض القواد بعجيب البسالة والحماسة والثبات مع السرعة في الحركات الحربية .

وقد أفرد تشرشل الإنكليزي الفصل السادس عشر من تاريخه لذكر حسن معاملة الأمير للأسرى ورحمته بهم والشفقة عليهم ، وكان يكافئ من يأتيه بالأسير حياً أكبر مكافأة ، وكانت والدة الأمير تعنى بأسيرات النساء عناية تنسيهن ما هن فيه . وجاءه مرة أحد أعوانه بأربع من أسيرات النساء ، فحول الأمير وجهه وقال : الأسد يقنص الحيوان القوي ، وأما ابن آوى فيقع على الضعيف . وقال فاليوت في تاريخه : كان الأمير عدواً كريم الأخلاق فإن كل من كان أسيراً عنده قد أثنى عليه .

واضطر الأمير في بعض معاركه إلى الأمر بإحضار جملين فشدوا على كل واحد حزمتين من الحلفاء بعد أن لاشوهما بالقطران والزفت ، وأمر أن تضرم النار فيهما حين الحمل على العدو ، فلما أحس الجملان بالنار نفرا وذهبا يجوسان خلال خيام العدو ، والجيش من ورائهما ، فما راع العدو إلا مشاعل النار تجول بين الخيام ، ومطر القذائف تنزل عليهم من حيث لا يحتسبون ، فلم يسعهم إلا الفرار مخلفين الذخائر والمتاع . ولما اضطر الأمير إلى التسليم بشروط وافق عليها الجنرال لامورسيير ، ومنها أن يذهب بأهله وحاشيته إلى بلاد المشرق ، خدعته فرنسة وحملته إلى بلادها ولامت الجنرال لامورسيير وأنبته على عدم أسر الأمير بدلاً من قبول تسليمه ، فقال الجنرال : لو حاولت أسر الأمير وزحفت عليه لهذا الغرض ما رجعت بغير خيمته وسجادته . وإنه ليذهب إلى الصحراء بحيث لا أستطيع الوصول إليه ، لأن عبد القادر ذو صلابة في دينه مشتهر بالصدق والأمانة في وطنه شديد التمسك بعبادته ، وهذا هو السبب الذي جمع القلوب عليه ، والظفر الذي أحرزه في حربه معنا هو ثمرة ما قررناه ، فلو ترك في بلاده لكان خطراً علينا ، وما فعلت أنا غير الصواب ، وأرجوه إذا شئتم إلى موطنه وردوا إليه القوة التي بقيت معه واقبضوا عليه عنوة إن قدرتم ، وما قبلت أنا والحاكم العام تسليمه على شروطه إلا حرصاً على راحة فرنسة وجنودها التي أنهكها الحرب ، وضناً بأموالها الكثيرة التي تنفق في هذه السبيل .

ثم طلبت فرنسة من الأمير أن يتخذ فرنسة وطناً له على أن تمنحه أملاكا واسعة تجعله من كبار أغنيائها . فأجابهم بأن الحرية أفضل عندي من أموال فرنسة كلها .

ومما نظمه في تلك الأيام قصيدة طويلة ، منها في حنينه إلى الأوطان :

ومن عجب صبري لكل كريهة ... وحملي لأثقال تجل عن العد
ولست أهاب البيض كلا ولا القنا ... بيوم تصير الهام للبيض كالغمد
ولا هالني زحف الصفوف وصوتها ... بيوم يشيب الطفل فيه مع المرد
وأرجاؤه أضحت ظلاماً وبرقه ... سيوفاً وأصوات المدافع كالرعد
وقد هالني بل قد أفاض مدامعي ... وأضنى فؤادي بل تمدى عن الحد
فراق الذي أهواه كهلا ويافعاً ... وقلبي خلي من سعاد ومن هند

وبعد إقامته في بلاد الشرق سافر مرة إلى باريس لبعض الشئون فزار قصر فرساي ودخل إلى مكان فيه صور الوقائع التي جرت بين جنوده وجنود فرنسة وكان النصر فيها لهم ، فقال للجنرال المحافظ على القصر : لماذا لم تثبتوا صور الملاحم التي كانت الهزيمة فيها لجيوشكم والديرة عليهم ؟ فضحك الجنرال ومن حضر من الأعيان وأيدوا كلام الأمير .

ودعاه أمبراطور فرنسة إلى معسكر شالون ليشهد معه موسم عيده ، فكلمه في شئون كثيرة ، ثم قال له : إن الإمام الشيخ شامل السجين عند ملك الروس يود الذهاب إلى بلاد الإسلام وقد قاربت سنه السبعين . ولما كنت في الآستانة كلمت سفير روسيا في شأنه ، فقال إن الملك وعده بإطلاقه في نهاية الحرب في الداغستان ، وقد انتهت ، ولكن لا بد من انتظار انتهاء هجرة الجراكسة من بلادهم إلى بلاد الدولة العلية . وتحدثت في الآستانة إلى الصدر الأعظم ووزير الخارجية في هذا الشأن فقالا إن الدولة العلية تقبل إقامته في بلادها . وأما لم أعن بأمر الشيخ شامل إلا لأنه قام بما قمت به ، والإنسان يميل بطبعه إلى شبيهه .

طيب الله ذكرى هذا الأمير الباسل ، وأجزل له من مثوبة المجاهدين ...

محمد أسامة عليبة

طرائف من العصر المملوكى :

فى ظلال السرحة

للأستاذ محمود رزق سليم

فى فورة من فورات الشاعرية ، وسنحة من سنحات الفن ، وحين هجمة من هجمات الحس الظاهرى ولمة من لمات الخيال ، وبين لمحة من اللمحات التى تنسجم فيها العاطفة وانفعالها بالذهن فى صفائه ، واللسان فى وفائه ، جلس الشاعر المبدع الوصاف « فخر الدين ابن مكانس » ، فى ظلال سرحة من سرحات النيل ، كرم فى جواره منبتها ، وطاب فى كنفه غرسها ، ورسا أصلها فى أديم شاطئه ، وسما فرعها على صفحة كوثره ، حلا لها المقام حيث تقيم ؛ فلبثت فى مكانها لا تريم ؛ فهى وليدة النيل أو حبيبته ، رضيت ألا تبرح داره ، وأقسمت لا تمل جواره . إذا صفا من تحتها ماؤه ، ورق لها حباؤه ، ضحكت له بنورها الألاق ، وزهرها البراق ، وانثنت عليه بالأغصان اللدان ، والأفنان الحسان . مثنية شاكرة ، مرسلة تحيتها العاطرة .

تلك هى سرحة ابن مكانس التى أطلقت من حوله أرجا عبق بالأرجاء عطره ، وضاع فى الآفاق نشره ، لجذبته إليها به اجتذاباً ، واقتضبته اقتضاباً ، وأثارت فى نفسه وساوس الشياطين ، وأهاجت فى خاطره أبالسة الشعر فأتاها فى بينها ، وناداها من تحتها ، وناجاها بقصيدة فريدة ، تخلدها بين اللدات ، وجعلها فى الخالدات .

جلس فى ظلالها جلوس الواله الشغوف ، شغفه منها جمالها ، وراعه جلالها ، وأعجبه سموقها إلى السماء ، فى أنفة وكبرياء . حتى ليرتد الطرف عنها وهو كليل . أليست بنت النيل ، وسليلة العذب السلسبيل ؟

وطفق ينعت قوامها من الأخمص إلى الرأس ، ومن القدم إلى الذؤابة ، كأنها وهى العجوز الشمطاء كاعب حسناء وخلع عليها من نفسه نفساً ، ومن روحه قبساً . وصور ما أشاعته حولها من نشاط ، وما نشرته من جذل ومراح . فإذا كان المشيب قد اجترأ فطرق عليها الخباء ، ودب فى اللحاء ، فلا يزال ماء الشباب يجول منها فى اللباب ؛ فهى قريرة العين ، راضية القلب ، إذا راح نورها يبسم من الفرح ، غاداه من الغيم كل بكاء ، وإذا داعبتها الأنواء ، فا كهتها السحب بالماء ؛ وإذا توهج القيظ فاستشرى داؤه وعز دواؤه ، طبته عن علم وخبرة ، وشفته من الرمضاء فى رفق وقدرة فهى لذلك مقيل ندمان ، ومغنى حمائم ، لا بل مرتع ظباء وفناء درماء ، يطيب فى ظلها الصيف كما يحلو تحت عطفها الشتاء .

وهى قائمة فى مكانها راضية كأنها سيدة دار شرقية ، أضفى الإسار عليها من الكرامة ثوباً ، ومن العزة ذوباً . ويحسبها أن يحبوها النيل تبرا فتنفثه زهراً . وتهزها الصبا فتصبو ، وكأنها إليك مقبلة تتهادى فى مطارفها ، وتختال فى خفائفها . تخطو خطو الرهاء ، بغير عين كحلاء . وأغصانها الرشاق أعطاف وطفاء

وإذا صفق الموج من تحتها طرباً ، نقطته بأزاهيرها ما بين صفراء فاقعة ، وبيضاء ناصعة . وإذا جاس بالنهر خريره ، مالت إليه ، كأنها أذن مصغية تسمع سره ، وتتعرف أمره ، فيريها فى مرآته محاسنها ، وفى صفحته مفاتنها .

وقد خلع عليها القدم قدسية فأصبحت كدير راهب ، إذا اعتلى بلبلها ذرا غصن فيها وراح يملأ سواد الليل بتطريبه وترتيلاته خلته مسبحاً داعياً ، ومصلياً منادياً .

على هـذا الضرب الفريد من الوصف ، نظم ابن مكانس سرحيته العصماء . وقد بدأ مطلعها بمناجاتها والدعاء لها وتذكر ما كان بينه وبينها فقال :

يا سرحة الشاطئ المنساب كوثره ... على اليواقيت فى أشكال حصباء
حلت عليك عزاليها السحاب إذا ... نوء الثريا استهلت ذات أنواء
وإن تبسم فيك النور من جذل ... سقاك من كل غيم كل بكاء
رحماك بالوارف الممهود منك فكم ... لنا بظلك من أهوا وأهواء

ومنها :

يا طبة بدواء القيظ عالمة ... أنت الشفاء لدى الرمضا من الداء
لا صوح الدهر منك الزهر وانبجست ... عليك كل هتون الودق سوداء

ومنها :

خمائل الروض منشاها ومرضعها   ضرع النميرين من نيل وأنواء
فاستمهدت دوحها المخضل وافترشت   نجم الربا ورمت عرشاً على الماء
قريرة العين بالأضواء باردة ال   قلب الذى لم تنله غير سراء
مقيل ندمان بل مغنى حمائم بل   كناس آرام بل أفناء درماء
قديمة المهد هزتها الصبا فصبت   فهى العجوز تهادى هدى مرهاء
لا يدرك الطرف أقصاها على كلل   حتى تعود له لحظاً لحولاء
وصوت بلبلها الراقى ذرا غصن   فى حلة من دمقس الريش دكناء
يقرع ناقوس ديرى على شرف   مسبح فى سواد الليل دعاء

والقصيدة - وتقع فى أكثر من ستين بيتاً على هذا النسق - وصفية عاطفية . لم يقتصر الوصف فيها على الناحية الحسية فحسب بل خلع الشاعر على سرحته ضروباً من الاحساسات النفسية والانفعالات العاطفية . فكما وصف ارتفاعها وكلال البصر دونه ، ونشأتها بين خمائل الروض ، ورضاعها من النميرين : النيل والأنواء ، وأغصانها وما فيها من لين ، وأزهارها وما بها من وضاءة ، وظلها وماله من وروف ؛ وكما وصف تصفيق الموج من تحتها وترقرقه ، وخرير النهر إليها وجيشه ، وصفحة مائه وصفاءها ، إلى غير ذلك ، نسب إليها ألواناً من الأوصاف المعنوية ، فنورها يبسم ، وظلها يطب من القيظ ، ويشفى من داء الهجير ، وقلبها لم تنل منه غير السراء ، إلى غير ذلك . وقد وصفها بمعنويين متناقضين ، اقتضى كل منهما المقام ، أحدهما أنها تصبو كما تصبو العجوز فقال « قديمة المهد هزتها الصبا فصبت ، فهى العجوز ... الخ » . وشأن الصابية امتلاء القلب بالشجو ، وترنح العطف من الهوى . وبخاصة إذا هبت الصبا وانية رفيقة ، فإنها تبعث فى النفس الولوع ، وتثير فيها الذكريات . ثم عاد الشاعر فنفى عن سرحته صبوها وامتلاء قلبها ، وذلك حينما راح يوازن بين ما فى نفسها وما فى نفسه ، وبين ما تحتمله فى ضلوعها ، وما يثوده بين حناياه ، فبدت له حسناء خالية الفؤاد من الهوى . والحسناء إذا وثقت بجمالها واطمأنت إليه ، ولم يعبث الحب بقلبها ولم يتسلم زمامه ، استطاعت بدورها أن تعبث بالقلوب ، وأن تسخر من المحبين ! وهكذا استطاعت سرحة ابن مكانس أن تتهكم به ، وأن تميل إلى سواه ، وأن تبعث فى فؤاده الغيرة . قال :

خلية حين أحنيت الضلوع على   نار لشجوى بها لا حب لمياء
تهكمت بى فما أحنت أضالعها   على الهواء وأحنتها على الماء

ويمتاز ابن مكانس فى قصيدته هذه بأنه عنى بوصف سرحته هذا الوصف الحسى والمعنوى ، وعنى بوصف ما لابسها من الحوادث اللصيقة بها ، وما دار حولها من المرائى والمظاهر المختلفة . وبعض الشعراء قد يجنح فى قصائده الوصفية ، عن وصف موضوعها إلى ملابساته البعيدة . أما ابن مكانس فقد نظم فى صميم موضوعه ، ولم يخرج عنه إلا نادراً ، ولم يخرج عنه إلا إلى ما يتصل به ، ولم يخرج عنه إلا ليعود إليه .

ونستطيع أن نعدد الموضوعات الجزئية التى طرقها بوصفه ، فمنها : المناجاة والتذكر ، وذكر الظل ، ونعت المنبت وما فيه من خمائل ، وما يجوده من ماء ، ولين الغصون واهتزاز القوام ، وارتفاع الفروع ، وتغريد البلبل ، وتصفيق الموج ، وتساقط الزهر ، وتفضن اللحاء ، إلى غير ذلك مما يتصل بالسرحة اتصالا مباشراً .

وقد أبدع ابن مكانس بعد ذلك فى وصف النهر بعدة أوصاف منها أنه مرآة بدا فيها الحسن واللألاء ، وبأنه يزرى بنهر الأبلة ، وأنه عند تحريك النسيم له يبدو كفرند السيف ، إلى غير ذلك . ومن هذه الأبيات قوله :

مالت على النهر إذ جاش الخرير به   كأنها أذن مالت لإصغاء
كأنما النهر مرآة وقد عكفت   عليه تدهش فى حسن ولألاء
ذو شاطىء راق غب القطر فهو على   نهر الأبلة يزرى أى إزراء
كأنه عند تحريك النسيم له   فرند سيف نضته كف جلاء

ومنها :

كأنه حين يبدو زرقة وصفا   راووق عين بوجه الأرض شهلاء

ومما يذكر بهذه المناسبة أن التقى بن حجة روى فى أحد كتبه هذين البيتين للأرجانى وهما قوله :

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى   من دون نظرة مقلة نجلاء
فتحدثا سراً فحول قبابها   سمر الرماح يملن للاصغاء

ثم رجح أن الفخر بن مكانس ولد منهما المعنى الذى يتضمنه بيته فى السرحة وهو قوله :

مالت على النهر إذ جاش الخرير به ... كأنه أذن مالت لإصغاء

وقد انتقل ابن مكانس بعد وصف النهر إلى ذكر الحمامات الشادية على أراكها ، بين هذه الحدائق الفيح ، حتى أطربت عيدانها وأرقصت أغصانها . قال من ذلك :

من كل ورقاء فى الأفنان صادحة ... بين الحدائق فى فيحاء زهراء

ورق تغنت بتحنان رقين على ... عيدانها فاله فى مغنى وغناء

ثم عاد إلى السرحة يذكر خطاب ظلها ، وأحباب ناديها ، وقد برئت قلوبهم فى رحابها من الحقد ، وخلصت من الشحناء ، فليس يربطهم إلا الوداد ، وليس يجمعهم إلا اللهو الذى لا مكر فيه ، والمجون الذى لا ندم بعده . قال :

يا كرمها فى سراة من أصاحبها ... لا ينطوون على حقد وشحناء

يداعبون بمعنى شعرهم فأروا ... ود الأحبة فى ألفاظ أعداء

من كل شيخ مجون فى شباب فتى ... يقرى المجون بقلب غير نساء

يسمى إليها على جرداء جارية ... من آلها كهلال الأمن حدباء

ونلحظ فى البيتين الثانى والثالث إحدى عادات المصريين فى المداعبة والمهاجنة . وهى عادة لا تزال ماثلة حتى اليوم وبخاصة بين العوام ؛ ذلك أن يترامى الأصدقاء بالهجر من القول ، والمنكور من اللفظ ، وباللغو من الحديث ، وبما يكون بين الأعداء من السباب ، ويعدون ذلك دليلاً على عمق الود وتمكن الصفاء بين النفوس .

ونلحظ كذلك أن الشاعر انتقل انتقالا لطيفاً إلى وصف السفينة التى يمتطى الأحباب المرتاضون متنها فى أمانة النهر وحراسة تياره . وبث فى الوصف الرقيق من التورية ، والدقيق من التشبيه . وقد أنصف السفينة بتشبيهها بهلال الأمن لا بهلال الشك . فقد استسلم اللاهون فوقها للمجون استسلام المؤمنين للأقدار ، فى وداعة ورضا واطمئنان . ثم إن السفينة بعد ذلك قديمة العهد لأنها «نوحية الصنع» ؛ ولعل الشاعر هنا ينعتها بالقدم ليثبت لها بيض الأيادى على العشاق والمحبين ، وفضلها الكثير المتتابع على المجان واللاهين . فكثيراً ما حملتهم إلى غاياتهم ، وحفظت الخفى من مكنوناتهم . وآدوا ظهرها ، وأثقلوا منكبيها ، وما اشتكت عناء ، وما بكت إعياء . وهى بذلك تزهو على الجياد الغر ، والعتاق الضمرة . ويبدو لنا أن زوارق النيل حينذاك —

وقد كانت فى مقدمة وسائل الرياضة واللهو — كانت تتراءى فى أثواب شتى ذات أشكال وألوان بديعة ، فتتهادى بها تهادى العروس فى جلوتها ، والرود فى زينتها . وهى بذلك تضفى على روادها جواً سابغاً من البهجة والأنس والانسجام . وقد كان مظهرها هذا معيناً للشاعر ابن مكانس على تشبيه السفينة بحمامة الروض ، ونسبتها إلى العنقاء لما فيها من غريب البزة وعجيب الزينة ، وفى هذا ما يدل على ما كان فى ملبسها من مبالغات وتهاويل أربت على غيرها . قال ابن مكانس فى وصفها :

نوحية الصنع والإحكام منشأة ... تسير ما سيرت من غير إعياء

سوداء تحكى على الماء المصندل شا ... مة على شفة كالشهد لمساء

ساجية ألبسها الصانعون لها ... من التدابيج ما يزهو بصنعاء

غريبة ذات ألوان وأجنحة ... لم أدر تعزى لروض أو لعنقاء

لم يستطع شأوها أو سيرها عنق ... غر الجياد على كد وإنضاء

وكما تخلص إلى وصف السفينة فى رفق وهوادة ، تخلص منه إلى أبيات خمرية طريفة ، فى لين وكياسة . وقد أبدع فى وصف خمره ما شاء له إبداعه . فجمع فيها بين الشمطاء والعذراء ، لنفاستها وقدم عهدها ، ولأنها مختومة لم تفض ، وبكر لم تقرب ، ورصع بنعوتها أحد أبياته . وأجاد فى وصف إبريقها الذى إذا انحنى فركوع دعاء ، وإذا صوت فتسبيح فأفاء . قال بعد الأبيات السالفة :

كم قد نعمنا بها عيشاً بساقية ... شمطا تجلى على الجلاس عذراء

مما تخيرها كسرى وأودعها ... رب الخورنق فى قوراء جوفاء

حمراء صرفاو صفرا إن مزجت لها ... كم من يد فى سواد الليل بيضاء

راحا إذا ركع الإبريق يمزجها ... سمعت من صوته تسبيح فأفاء

أم السرور التى أبقى الزمان بها ... جزء الحياة وقد ألوى بأجزاء

فعاطنيها على طل الندى سحراً ... فإن ترياقها موتى وإحيائى

وقد اختتم ابن مكانس قصيدته بعدة أبيات ذكر فيها شيئاً من لهوه بين الشادى والشادية وبين العود والناى، وبين الحدائق ذات البنفسج النفاح ، منوها بأنه يأخذ من اللهو بنصيب ، وأنه لا ينوح كغيره من الشعراء على طلل ، ولا يندب خليطاً ، ولا يبكى أحياء .

وبعد ! فلعلنا وفقنا إلى التنويه بهذه القصيدة ولو ببعض التوفيق ، وظفرنا بلفت النظر إلى شىء من نفاستها ، ولو ببعض

الظفر . ويبدو لنا أنها كانت مشهورة مروية يتناقلها الأدباء ويرويها الظرفاء فى العصر المملوكى ، وقد أشار إليها ابن حجة فى خزانه الأدب ، وروى بعض أبياتها . ونود لو يعذرنا القراء إذا وجدوا منا فى عرضها تقصيراً ، فقد اعتمدنا فى نقلها على ديوان ابن مكانس وحده . وأغلب الظن أنها لا توجد كاملة فى سواه . والديوان لا يزال مخطوطاً مقيما فى دار الكتب ، يعانى القارىء فيه ما يعانى فى فك طلاسم الخط ، وترجيح ما يراه فى الشكل من حروفه . ولرداءة رسمها أو غرابته ند عن الفهم معانى بعض كلماته ، فضاعت بهجة أبياتها واضطربت معانيها .

وبعد فمن فخر الدين بن مكانس ؟ هو أحد شعراء العصر المملوكى ، عاش بين سنتى ٧٤٥ هـ ، ٧٩٤ هـ . وهو من أسرة ابن مكانس القبطية الأصل ، المصرية الصميمة فى مصريتها ، الواسعة فى جاهها . واسمه عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن ابراهيم . وابراهيم هذا هو المعروف با بن مكانس ، وينتمى إليه أبناء هذه الأسرة المجيدة ، وقد سعدوا بالإسلام ، ونبغ منهم رجال خدموا العلم والأدب والدولة أجل الخدمات ، ومنهم صاحب السرحة الوزير الصاحب أبو الفرج فخر الدين ، الأديب البارع ، الكاتب النحرير ، الشاعر المجيد ، الفكه الطروب .

ويعتبر فخر الدين بن مكانس من حلبة برهان الدين القيراطى التى نبغ رجالها فى النصف الثانى من القرن الثامن ، ومن أندادهما ابن أبى حجلة ، وعز الدين الموصلى ، وشهاب الدين بن العطار .

وقد اتصل حبل الصداقة بينه وبين كثيرين من أدباء عصره ، ومال منذ الحداثة إلى الآداب ، وكان له بالإنشاء والشعر ولوع أى ولوع . فكتب ونظم وراسل وساجل وتغزل وغازل ، وجنح للمجون واللهو . ذكروا أن السلطان برقوقا غضب عليه مرة فضربه وعلقه من رجليه بسرياق فلبث نصف نهار منكس الرأس ، ولعل ذلك كان بسبب لهوه وعبثه . وقد قال فى ذلك :

وما تعلقت بالسرياق منتكسا　　لزلة أوجبت تعذيب ناسوتى
لكننى مذ نفثت السحر من غزلى　　عذبت تعذيب هاروت وماروت

وقد نظم فخر الدين الشعر فى أغراض عدة ، وغلبت على أسلوبه الرقة والسهولة والوضوح مع العناية بالبديع . وقد يرق أسلوبه حتى يصير مبتذلا ، وتبدو فيه أخطاء قليلة لا ترضى النحو ولا اللغة

واعتبره ابن حجة مبتكراً فى معانيه مخترعاً فى أوصافه ... وهو بارع فى التضمين . سخر من أنف أحد أصحابه — وكان ضخما — فوصف هذا الأنف وصفاً فكاهيا فى أبيات عدة ضمنها أعجازاً بل أبياتاً من معلقة امرىء القيس ! فأخرج المعلقة بذلك عن طريقها إلى طريق آخر ، حتى لكأنها له لا لامرىء القيس . وتلك براعة نادرة . ولفخر الدين منظومة مجونية رقيقة فى الاستجداء وآداب المنادمة ، واسمها «عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء» وله «المزدوجة» وهى فى الدعوة إلى المرح . و «وصية ابن مكانس» وهى منظومة فى السياسة والنصائح . وله ديوان شعره .

وبعد فهذا أحد الشعراء الذين يمثلون الروح المصرية الخالصة والأدب المصرى الصميم ، اتخذنا «سرحيته» وسيلة إلى التنويه به وإثارة الخواطر إلى دراسته .

(حلوان)

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

ترجمة وتحليل :

الغـــروب ! .. (*)

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

استلقى الشاعر على الرمال والريح بليل ، فما كان أمامه إلا البحر الغضوب والشطُّ الجميل ، ولا كان فوقه إلا السماء تسمى فيها إلى المغرب شمس الأصيل . . وراح يتأمل هذا البحر الهائج المضطرب تصطخب أمواجه وتتلاطم ، وتعلو رءوسها وتهبط ، وترغى أشداقها وتزبد ، فخيل إليه أنه أمام قدر تغلى مياهها فتعلو أزبادها ، وأن من تحت البحر ناراً تسجره ، كما يكون تحت القدر مرجل تسعره ؛ فاستشعر حلاوة هـذا التأمل واستغرق فيه ، فما أفاق على نفسه إلا وقد هدأ البحر بعد اضطرابه ، وسكن موجه بعد اصطخابه ، فقد خبت ناره فما تسجره ، كما يخبو مرجل القدر فلا يسعره ؛ ونهض الشاعر يريد العودة إلى منزله فما راعه إلا منظر جديد يتقلب تحت بصره . فلقد هب البحر هبة واحدة : ثم سحب من الشاطىء موجه الدافق المتلاحق ، كما تسحب الغانيـة عن الأرض ذيول ردائها الفاتن ، وأقبل والموج في استرخاء ، على سرير سابح في الفضاء ، ينشدان طيب المنام ، بعد يوم شديد الخصام !

وكان حقاً للامرتين أن يظل مستلقياً على الرمال ليشهد هذا المنظر الجذاب ، فيسجله بهذه الأبيات :

١ — « هـدأ البحـــر كقِدر علا زَبَدُه ،
ثم ذهب جُفاء لمـا خبـا موقده . . .
وهبَّ يسحب من الشاطىء موجه المتدافع ،
كأنه يريد المنـــام في سريره الواسع ! »

وفي الأفق البعيد ، فوق هذا البحر الذي أخذته سنة من النوم ، وبين الغمام المخيم على البحر ، كانت « ذكاء » تعشى على استحياء ، وتهوى في خَفَر من سحاب إلى سحاب ، وتُمُدّ في تردد ظلها على الأمواج ، فكان ظلا مرتمشاً مرتاباً ، يطفو على وجه البحر تارة ويختفي بين طياته أخرى .. ثم اشتد خجلها من تردد ظلها وارتيابه ، فاحمر وجهها حتى أضحى كوجه غانية مخضب بالدماء ؛ وأبت أن تشمت الطبيعة بما عراها من اضطراب ، فوارت في حجاب الأفق شـطراً من وجهها القاني الذي ظل شطره الآخر براقاً يخطف الأبصار ، وجلا يتأهب للتوارى عن الأنظار ، فكان كسفينة جميلة اشتدت بها الريح في يوم عاصف ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، ثم غرقت في الأفق البعيد ؛ فانطوى منها شطر في أعماق الماء ، وبدا شطرها الآخر على وجهه تندلع منه ألسنة اللهيب في حمرة الدماء !

٢ — « والشمس التي كانت تهوى من سحاب إلى سحاب ،
مدّتْ على الأمـــواج ظلَّهــــا المرتاب . . .
ثم وارت شـــطراً دامياً من وجهها البراق ،
كسفينة غرقت في الأفق بعـــد احتراق ! »

وكأنما أسفت السماء لغياب الشمس ، فشحب منها الجانب المواجه لمـا احتجب من ضيائها ، وظهرت عليها أمارات الحزن والاضطراب ؛ على حين غارت الصبا من الشمس فظنت تواريها في حجاب الأفق رشاقة ودلالا ، فاستترت مثلها برقعها الشفاف ، وأنشـأت شفتاها الرقيقتان تنفحان من خلاله نفحاتٍ ألطفَ من حفيف الورق ، وأنعم من لمس الحرير ؛ بينما كانت الظلال تدنو من أمهـا الشمس وتقترب ، وتجتمع بأمرها وتتحد ، ثم تمدو بين يديها وتستبق ، وتمحو تحت ألوانها الداكنة السوداء كلَّ ما يدب على الأرض أو يجرى ، وما يسكن في مساربها أو يسرى ، وكل ما يطفو على وجه الماء أو يسبح ، وما ينطوى في أعماقه أو يعوم .

٣ — « وشحب شطر السماء . أما الهواء اللطيف
فتوارى في الحجـاب ناعماً كالحفيف ...
وعَدَتِ الظلال فمحتْ في ألوانها الدكناء ؛
كلَّ سارب في الأرض أو سابح في الماء ! »

(*) في مقال (أمنية الشاعر) بالعدد ٧٧٤ من الرسالة وعدت بترجمة بعض قصائد « لامرتين » وتحليلها كلما وجدت فراغاً ، وآنست رغبة · وإني أقدم — وفاء بوعدى — هذه القصيدة الثالثة التي تجدها في كتاب (أنغام شعرية ودينية .
Hoarmonies Poétiques et religieuses

وليت شعرى ، ماذا يصنع الشاعر أمام هذه المناظر ؟ بحر يهدأ بعد اضطراب ، وينام بعد اصطخاب . وشمس تمر بين السحاب ، ثم تتوارى في الحجاب . : . وسماء تشحب وتصفر ، وريح تسكن وتقر ... وظلال تمدو وتستبق ، وعوالم تنمحى وتختنق !! ..

أجل ... ماذا يصنع الشاعر أمام هذه المناظر ؟

لقد هدأت بعد ذهاب النهار كلُّ ضوضاء ، وسكنت كل حركة ، وسكت كل صوت إلا صوت باك من فؤاد حزين ، أو متضرع بقلب سليم ، أو شاك ظلم الأقدار ، أو ناشد حقائق الأسرار ! .

ألا وإن للشاعر روحاً تشحب إذا شحبت السماء ، وفؤاداً يبكى إذا تذكر البكاء ، ونفساً تشكو بألم الآخرين قبل شكواها ، وعقلا ينشد الحقيقة ولو من صداها . وهذا ما صنعه لامرتين ووصفه فى هذه الأبيات :

٤ — « وفى أعماق روحى التى أمست بدورها شاحبة ،
قرت بعد ذهاب النهار كل ضجة صاخبة .
وساور نفسى شىء كما ساور الخليقة ؛
يبكى ويدعو ويشكو وينشد الحقيقة ! »

ولو كنت تجلس مجلس الشاعر لرأيت فى ناحية المغرب — وسط قرص الشمس الهلالى الأحمر — باباً واسعاً مفتوحاً على مصراعيه ، تسطع منه الأنوار تتلوها الأنوار ، وهاجة كالذهب ، دفّاقة كالموج ، فتصطبغ السحابة من فوقها بلون أرجوانى جذاب ، فتحسب هذه السحابة خيمة ضُربتْ أوتادها على نار يضطرم أوراها ؛ ويشتد سميرها ، لتغطيها وتمنع الريح من إطفائها ؛ وأن ليس هذا اللون الأرجوانى إلا صبغة اللهيب ، ارتسمت على الخيمة فلاحت من خلالها ، فى روعة مدهشة وجلال عجيب !

٥ — « وفى ناحية المغرب باب واسع مفتوح ،
ترك الأنوار كأمواج الذهب تلوح . . .
والسحابة الأرجوانية شابهت خيمة ،
تغطى — ولا تطفىء — نيراناً مضطرمة ! »

ومثل هذا المنظر الأخاذ جدير أن يجذب إليه الظلال والرياح والأمواج ، فإذا هى تمدو جميعاً صوب هذا القرص الجمرى الملتهب ، وتود لو تحول دون غوصه فى الأفق ، لأن شعاعه العسجدى هو الذى يمدها بالحياة ، وأنها لتخشى الموت إذا فارقها الشعاع .

٦ — « وبدت الظلال والرياح وأمواج البحر ،
كأنها تمدو صوب هذا القرص من الجمر ،
كما لو كانت الطبيعة وكل ما يمدها بالحياه
يخشى الموت بعد أن فقد ضياه ! . . . »

***

ومن عجب أن غبار السماء ، أبى إلا أن يطير عن الأرض منتشراً فى السماء ، وأن زبد الموج آثر أن يطفو على وجه البحر رغوة بيضاء ؛ فما بقى على الشاطىء إلا الشاعر حائراً أمام هذه المناظر ، يرجع البصر فى هذا السكون العميق ، فتنحدر الدموع من عينيه على غير حزن ، وتنهمر على خديه من غير أسى ، فلا يدرى ما الذى أبكاه ، ولا يفهم كيف ذرفت عيناه ...

٧ — « وطار عن الأرض عِثْيَرُ السماء ،
وطفا الزبد على الموج رغوة بيضاء ؛
فأتبعتهما بصرى الحائر المنكسر ،
ودعوعى — من غير ما يحزننى — تنهمر ! . »

بلى أيها الشاعر أنت حرى أن تعرف ما الذى أبكاك !

أبكاك هذا السكون المفعم بالأسرار ، وروعة الليل بعد ذهاب النهار !

أبكاك شعورك بالوحدة إذ رأيت الأفق البعيد خالياً ليس ليس فيه شىء ، مضروباً عليه الحجاب لا يكشف من دونه سر ، وكان فؤادك الذى عذبه طلب الحقيقة وأضناه طامعاً فيما يحيط بالأفق من أسرار ؛ فلما اختفى من أمامك كل شىء تحركت شجونك ، وأحسست لوعة تحرقك ، فجادلت عيناك بالبكاء ، لتلهمك الصبر والعزاء .

ولكن ... أما يزال فؤادك فارغاً لا تجول فيه الأفكار ، أم أوحت إليك هذه المناظر بفكرة جديدة تناجى بها هذه الطبيعة التى تصلى فى محرابها القدسى ؟ ..

كلا ... إنك تفكر ... ولكنك لا تشعر بما يتلجلج فى

صدرك ، فحاول أن تصف حقيقة شعورك ، لترى صورة من تفكيرك .

٨ — «واختفى كل شئ . فبقى فؤادك المذب ،

فارغاً خالياً كالأفق المحجب . . .

ثم تمثلت لى فكرة واحدة . . .

كأنها هرم فى واحة راقدة . . . »

وإن هذه الفكرة التى هبطت عليك هبوط الوحى ، ومثلت فى ذهنك الخالى مثول الهرم فى واحة ليس بها أنيس — لفكرة جليلة ما فى ذلك ريب : فلقد ناجيت بها هذه الشمس التى ما تنفك تسبح فى فلكها ما تستقر ، وتدور حول العالم ما تعرف السكون ، وتسعد بشروقها قوماً حين تشقى بغروبها آخرين ، فإذا هم يعيشون على غير نور ، أو يعشون فى ضوء القمر المستمد من ضيائها ، وهم يرتقبون طلعتها سافرة لا يسترها برقع ، ووجهها براقاً لا يخفيه حجاب .

وناجيت بها السحب المتنقلة ، والأمواج المتدفقة ، والأعاصير المتلاحقة ، إلى أين تسير ، وعم تبحث ، وماذا تروم ؟

وناجيت بها الغبار الذى رأيته يتطاير ، والزبد الذى شهدته يطفو ، والليل الذى راقبته يدخل ، وعينيك اللتين أبصرتا كل شىء ، وروحك التى سبحت فى الوجود ، إلى أين الرحيل ، وأيان السفر ، وفيم الإسراع ؟

فهل سمعت رداً ، وهل تلقيت جواباً ؟ ! ...

٩ — «يا فلكا ما انفك يدور ، والعالم بعده بلا نور !

يا سحباً وأمواجاً وأعاصير : نبئينى أين المصير ؟

أيها الغبار والزبد والليل ! يا عينى وروحى خبرن

إلى أين رحيلنا أجمعين ؟ هلا تعلمين ؟ »

دعها أيها الشاعر إن كانت تعلم أو لا تعلم ، فبحسبك أنك لا تشك لحظة فى أن كل شىء مردود إلى خالقه ، وأن الشمس ما شحب لونها ثم احمر وجهها ثم غاص شطرها إلا من هيبة ربها ؛ وأن الليل ما أقبل ، والنهار ما ارتحل ، والأرواح ما بكت وتضرعت وشكت إلا لأنها تمنى بخطى واسعة نحو بارئها : فهو الذى يقلب الليل والنهار ، وهو الذى مد الظل ، وهو الذى مرج البحر ، وهو الذى سخر الشمس والقمر ، وهو الذى جعل حياة البشر خضماً يضطرب ويهدأ كهذا الخضم الذى تراه ، ليمخر الناس عبابه فيصلوا إلى شاطىء السلامة .

ألا فلتطأطىء الرأس خشوعاً بين يدى ذى الجلال ، فما أنت إلا سابح فى موج كالجبال .

١٠ — « إليك يارب ... فالشمس من بهاء نورك شاحبة ،

والليل والنهار والأرواح نحوك ذاهبة !

تقلب الكون كما تشاء فى حياة شاملة ،

كأنها خضم يغيب كل شىء فى أمواجه الهائلة ! »

وهنا يقوم الشاعر من مقامه ، ويعود إلى منزله وفى عينيه صورة (الغروب) ، صورة ما رسمتها ريشة فنان كما ارتسمت على صفحة الروح .

صبحى إبراهيم الصالح

هل اندفع ملوك العرب إلى الحضارة بتأثير الفرس ؟

للأستاذ ضياء الدخيلي

يحاول سعادة الدكتور قاسم غنى سفير إيران بمصر فى بحثه عن تاريخ الطب الإسلامى فى مجلة الرسالة الغراء — أن يثبت تصريحاً وتلويحاً أن الحضارة العربية شيدها الفرس وهى وليدة عبقرياتهم فى الأغلب ، وأن إدخال العلوم إلى بلاد العرب فى العهد العباسى كان بتأثير النفوذ الفارسى ، فهو يقول (إن النهضة العلمية الحقيقية بدأت فى العصر العباسى ، وكان للإيرانيين حينذاك نفوذ كبير وشأن فى الدولة عظيم) ويقول (وإن أكثر المترجمين كانوا من أمم غير عربية وأحيانا من غير المسلمين كالسريان والعبريين ، وفى الإيرانيين المسلمين منهم والنصارى واليهود والمجوس) ويقول (فى هذا العصر ترجمت كتب علمية على درجة كبيرة من الأهمية ، ولا سيما فى زمن خلافة المأمون ، وكانت أمه وزوجته إيرانيتين ، وكان نفوذ الإيرانيين قد بلغ فى عهده غايته) ثم قال فى العدد الأخير (٧٨١) : (فى هذا العهد ظهر كثير من الأطباء الكبار من أصحاب التآليف المهمة فى المسلمين كانت آثارهم ومؤلفاتهم تدرس فى المدارس ، وكتب العلماء مئات من الشروح والحواشى عليها ، وترجمت مؤلفاتهم إلى اللاتينية ، ودرست فى مدارس أوربا الطبية ، وكانت مدار الطب عندهم ، وكان كثير منهم من إيران ، وقد بلغت شهرة خمسة منهم حداً عظيماً ، وخلدت أسماؤهم فى تاريخ الطب وهم ..) ثم أورد خمسة من الفرس ليستمر فى دراسة حياتهم ...

وإنى أريد أن أناقشه اليوم على أولى دعاويه : فهل العباسيون كانوا مدفوعين من قبل وزرائهم الفرس على أن يبنوا ببغداد مدنية عربية أحجارها من تراث مختلف الأمم السابقة إلى الحضارة والعلم قبلهم مع التسليم بتأثير ما للسنن الاجتماعية ، ولكن حتى فى استعراضه لهذا العامل يقول حفظه الله : (أصبحت اللغة العربية بالتدريج لغة العلم والعلماء بين المسلمين ، وكان العلماء والمسلمون من كل قوم ولغة يؤلفون مؤلفاتهم بها ليستفيد منها جميع المسلمين ، وبتوالى الزمن أصبحت كالنقد الرائج يتلقاها الجميع بأحسن قبول) وإذن فإن التأليف والمؤلفات العربية لا فضل للعرب فيها لأن الأقوام الأخرى اضطرها الزمن لأن تكتب بهذه اللغة ، وليس النتاج العلمى المدون بلغة الضاد نتاجاً لعبقرية عربية ، وإنما ذلك الزمن الساخر العابث هو الذى جعل هذه اللغة أممية عالمية ، فانجر العباقرة الأجانب للتدوين بها الخ .

فلنتساءل الآن : لماذا أدخل العرب مدنيات الأمم إلى لغتهم ؟ يورد بعض القدماء رؤيا رأى المأمون فيها أرسطو فاستيقظ وقد تملكه حب لهذا الفيلسوف ، فاندفع يبحث عن آثاره . ولاريب أنك قانع معى بضعف هذا التعليل وركة اتخاذ هذه الاسطورة سببا للعمل الجبار الذى عج به صدر الدولة العباسية . إن النصوص التاريخية التى سأدلى بها تحدثنا عن طموح ملوك العرب وتطلعهم إلى الرقى والنهوض بأممهم إلى المستوى اللائق بهم مما دفعهم إلى البحث عن منابع الثقافات المختلفة ، وإن تفكيرهم العلمى ودقة آرائهم ونضوجهم أمور كانت تدفعهم ألا يرتضوا فى الحالات المرضية بالتعاويذ والرقى ، إنما كانوا يبحثون عن أرقى الأوساط الطبية وينقبون عنها ليطلبوا كبار أطبائها ، ولم يكونوا يكترثون بالاختلافات الدينية ، فإنهم اتخذوا أطباءهم من مختلف النحل والملل ،وهذا نفسه دليل على رقى عقولهم وسلامتها من الجهل والتعصب الذميم ، وتحررها من ربقات القيود والتقاليد الرجعية . يقول ابن أبى أصيبعة : إن المنصور فى عام ١٤٨ للهجرة مرض وفسدت معدته وانقطعت شهوته ، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه ، فتقدم إلى الربيع (من رجال البلاط) بأن يجمع الأطباء لمشاورتهم فجمعهم ، فقال المنصور : من تعرفون — من الأطباء فى سائر المدن — طبيباً ماهراً ؟ فقالوا ليس فى وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رأس أطباء جنديسبور ، فإنه ماهر فى الطب وله مصنفات جليلة . فأنفذ المنصور فى الوقت من يحضره الخ ، وقد كانت هذه البعثة الطبية فاتحة اتصالات البلاط العباسى ببغداد بمدرسة جنديسابور الطبية وهى مدرسة أسسها الأكاسرة (كما يخبر القفطى) وظلت قائمة فى ظل الحكم العربى لإيران إلى القصر العباسى ، وقد قال ابن أبى أصيبعة إن رسول المنصور لما وصل إلى عامل البلد أحضر جورجس وخاطبه بالخروج معه ، فقال له علىّ هنا أسباب ولا بد أن تصبر على أياماً حتى أخرج

معك فقال له إن أنت خرجت معى فى غد طوعاً وإلا أخرجتك كرهاً ، وامتنع عليه جورجس فأمر باعتقاله ، ولما اعتقل اجتمع رؤساء المدينة مع المطران فأشاروا على جورجس بالخروج فخرج بعد أن أوصى ابنه بختيشوع بأمر البيمارستان (المستشفى) وأموره التى تتعلق به هناك ، وأخذ معه إبراهيم تلميذه وسرجس تلميذه ، فقال له ابن بختيشوع لا تدع ههنا عيسى بن شهلا فإنه يؤذى أهل البيمارستان ، فترك سرجس وأخذ عيسى عوضاً عنه وخرج إلى مدينة السلام) وإذن فقد كان فى عهد الحكم العربى الفارسى — كيان قائم لمدرسة جنديسابور ، وكان فيها أساتذة وتلاميذ ومستشفى تعليمى يتدربون فيه ، فقد قال جورجس للخليفة ، ههنا معى تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم فى الصناعة حتى إنهم مثلى ، فأمر الخليفة بإحضارهم . وإن المنصور كان أول من فتح مجرى هذه الثقافة ليصب فى مدينة السلام ، وقد اتبعه خلفاؤه من بعد . قال فى عيون الأنباء : لما مرض موسى الهادى أرسل إلى جنديسابور من يحضر له بختيشوع بن جورجس . وقال أيضاً ولما كان فى سنة ١٧١ مرض هرون الرشيد من صداع لحقه فقال ليحيي بن خالد : هؤلاء الأطباء ليس يحسنون شيئاً ، فقال يحيي يا أمير المؤمنين أبو قريش طبيب والدك والدتك ، فقال ليس هو بصيراً بالطب ، وإنما كرامتى له لقديم حرمته فينبغى أن تطلب لى طبيباً ماهراً ، فقال له يحيي بن خالد : إنه لما مرض أخوك موسى أرسل والدك إلى جنديسابور حتى أحضر رجلا يعرف ببختيشوع . فقال له أرسل بالبريد حتى يحملوه إن كان حياً . ولما كان بعد مديدة وافى بختيشوع الكبير ابن جورجس ووصل إلى هرون الرشيد . فها أنت ترى أن الرشيد يلح على وزيره الفارسى فى طلب الأطباء وبارزيهم ، أما عيسى الذى استهان به فهو ابن ماسة ، وقد عده ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا فى ابتداء ظهور الدولة العباسية . وفى ضحى الإسلام أن الرشيد أمر جبريل بن بختيشوع أن يعمل ببغداد بيمارستاناً على نمط بيمارستان جنديسابور (نقل الأستاذ أحمد أمين ذلك عن القفطى ولم أجده فى ترجمة جبريل بن بختيشوع طبيب الرشيد فى طبعة مطبعة السعادة . وقد قال الأستاذ فى ضحى الإسلام أن مدرسة جنديسابور الطبية أسسها كسرى أنوشروان . والذى فى أخبار الحكماء للقفطى أن سابور بن أردشير عند ما بنى المدينة لابنة قيصر التى تزوجها نقلت معها إليها أطباء أفاضل ؛ ولما أقاموا بها بدءوا يعلمون أحداثاً من أهلها . ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ويتزايدون فيه ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا فى الفضائل ، وجماعة يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهند لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه هم أنفسهم ، فرتبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعوا فيه كل حسنة الخ . وإذن فإن مدرسة جنديسابور تأسست فى عهد سابور بن أردشير لا فى عهد كسرى أنوشروان كما تفضل الأستاذ أحمد أمين ، فهل يرشدنا الدكتور قاسم غنى إلى وجه الصواب وأهل مكة أدرى بشعابها ؟

ولنعد إلى حديثنا الأول فنقول إنك واجد مما تقدم أن الخلفاء العباسيين قد انبعثوا إلى الاستفادة من أساتذة مدرسة جنديسابور بحثاً عن المراحل العليا لهذا العلم ولوعا بالاستزادة من أنواره ، وأن تطلبهم الطب لمعالجة مرضاهم بأسلوب علمى خال من الشعوذة جرهم إلى الاستكثار من باقى العلوم الطبيعية ؛ والحديث بعضه يأخذ برقاب بعض فقامت النهضة العلمية ببغداد وكانت لها جذور من قبل فى دمشق .

وهناك مدرسة ثانية للثقافة اليونانية كانت فى حران ، وقد حدث القفطى أن ثابتاً بن قرة كان من أهل حران وانتقل إلى مدينة بغداد واستوطنها ، وكان الغالب عليه الفلسفة ، وكان فى دولة المعتضد ، وله كتب كثيرة فى فنون من العلم كالمنطق والحساب والهندسة والتنجيم والهيئة ، وأن محمد بن موسى بن شاكر وصله بالمعتضد ، وأن ثابتاً هذا قد جر علماء حران إلى بغداد فثبتت أحوالهم وعلت مراتبهم ، وقد بلغ ثابت من المعتضد أجل المراتب وأعلى المنازل . ثم يستمر القفطى فى عرض مؤلفاته . ويقول ابن أبى أصيبعة أنه لم يكن فى زمن ثابت من يماثله فى صناعة الطب ولا غيره من جميع أجزاء الفلسفة . وله تصانيف مشهورة بالجودة . وكذلك جاء جماعة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من الفضل . وكان ثابت جيد النقل إلى العربية حسن العبارة ، وكان قوى المعرفة باللغة السريانية وغيرها . وقال ابن خلكان إن لثابت تآليف كثيرة فى فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً ، وأخذ كتاب أقليدس الذى عربه حنين بن إسحق العبادى فهذبه ونقحه وأوضح ما كان مستعجماً فيه ، وكان من أعيان عصره وأن محمداً بن موسى (الذى رباه المأمون وأنشأه فى بيت الحكمة) وصله بالخليفة المعتضد العباسى فأدخله فى جملة المنجمين . وبعد

فإنك واجد الخليفة العباسي هو الذي شجع هذا الحراني على أن يقيم في بغداد ونشر لواء العلم حتى جذب إخوانه من سدنة الثقافة اليونانية في مدرسة حران. قال في ضحى الإسلام كان هؤلاء الحرانيون منبعاً كبيراً من منابع الثقافة اليونانية في العهد الإسلامي، وقد اتصلت مدرستهم بالخلفاء العباسيين بعد اتصال مدرسة جنديسابور وأول من اتصل منهم ثابت بن (٢٢١—٢٨٨هـ) وصله بالمعتضد بنو موسى بن شاكر الذين رباهم المأمون والقفطي أوصله واحد من الإخوة الثلاثة هو محمد كما ذكر ذلك ابن خلكان وابن أبي أصيبعة

ومن ذلك الحين قرب الحرانيون من الخلفاء ثم من بني بويه، وإن مدرسة حران كان لها الأثر الأكبر في الرياضيات وخاصة الهيئة، وأبناء موسى بن شاكر هؤلاء رباهم المأمون وأنشأهم في بيت الحكمة ببغداد. قال القفطي كان والدهم موسى بن شاكر يصحب المأمون والمأمون يرعى حقه في أولاده هؤلاء. فقد مات وخلف هؤلاء الأولاد الثلاثة صغاراً فوصى بهم المأمون إسحق ابن إبراهيم المصعبي وأثبتهم مع يحيى بن منصور في بيت الحكمة، وكانت كتبه ترد من بلاد الروم إلى إسحق بأن يراعيهم ويوصيه بهم ويسأل عن أخبارهم حتى قال جعلني المأمون داية لأولاد موسى بن شاكر. وقد خرج هؤلاء نهاية في علومهم، وقال وهم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب، وقد أتعبوا نفوسهم فيها وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السني، فأظهروا عجائب الحكمة. وكان الغالب عليهم من العلوم: الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم، وإذا عرفت تاريخ حياتهم علمت أن الفضل فيما آتوه من خدمة المدنية العربية وتغذيتها بالثقافات الأجنبية يعود لمن رباهم وأنشأهم، فاقتدوا بسيرته ذلك هو المأمون واضع قواعد النهضة العلمية ببغداد. وبعد فإنا إن استعرضنا كيف أن الخلفاء العباسيين أنفسهم كانوا المشجعين لأن تستفيد الحركة العلمية ممن جاؤوا بهم من العلماء لتغذيتها من مدرسة جنديسابور وحران بقي علينا أن نصغي لابن أبي أصيبعة يحدثنا كيف اتجه الرشيد إلى مدرسة الاسكندرية، قال في عيون الأنباء عند تحدثه عن مشاهير الأطباء في مصر أن الرشيد أهديت له جارية مصرية وكانت حسنة جميلة وكان الرشيد يحبها حباً شديداً فاعتلت علة عظيمة فعالجها الأطباء فلم تنتفع بشيء فقالوا ابعث إلى عاملك بمصر ليوجه إليك واحداً من أطباء مصر ليعالج الجارية، فأرسل له بليطيان بطريرك الاسكندرية فعالجها وشفيت فوهب له الرشيد أموالا كثيرة. وقد تقدم بعد بليطيان جماعة لخدمة أمراء العرب مثل سعيد بن نوفيل طبيب أحمد بن طولون ونسطاس في دولة الأخشيد وبقي مصدر آخر للثقافة العربية في صدر الدولة العباسية هو الثقافة الهندية، وقد حدثنا القفطي في أخبار الحكماء أن المنصور هو الذي فتح مجراه ليصب في مدرسة بغداد إذ نقل أن ابن الآدمي ذكر في زيجه الكبير المعروف بنظم العقد أنه قدم على أبي جعفر المنصور رجل ماهر في معرفة حركات النجوم وحسابها وسائر أعمال الفلك، وكان معه كتاب في ذلك يحتوي عدة أبواب فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية ليعمل كتاب تتخذه العرب أصلا في حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الأعمال، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري وعمل منه زيجاً اشتهر بين علماء العرب حتى إنهم لم يعملوا إلا به إلى أيام المأمون حيث ابتدأ مذهب بطيموس في الحساب والجداول الفلكية. وهذا يدلك أن العرب وملوكهم اندفعوا إلى الحضارات من أنفسهم لا بتأثير الفرس أو غيرهم لأنهم من شعب يتعشق المعالي ويجد في نيلها، وقد أصبحوا بعد فتحهم المعمور وتدويخهم الأقطار حكام الأرض وقادة الشعوب، فكيف يرضون لأنفسهم بالجهل والانحطاط، لذلك رأيت ملوكهم بدافع من غرائزهم وجبلاتهم — كلما سمعوا بعلم أمروا بنقله إلى لغتهم وأكرموا العلماء وأعطوهم الحرية الكاملة وجاروهم في عاداتهم وعقائدهم تطميناً لهم ليسخوا في تعليم العرب، فهذا المنصور يأمر الربيع أن يوفر الخمر لجورجس ويستثنيه من الحظر الإسلامي فيذهب الربيع إلى قطربل ويحمل منها إليه غاية ما أمكنه من الشراب الجيد.

وقال أبو إسحق الصابيء الكاتب إن ثابتاً بن قرة كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة، وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت بشدة، ففزع ثابت، فإن المعتضد كان مهيباً جداً. فلما نتر يده من يد ثابت قال (يا أبا الحسن سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها، وليس هكذا يجب أن يكون؛ فإن العلماء يَعلون ولا يُعلون) وكان الخلفاء العباسيون والأمراء يعادلون الكتب التي يترجمها حنين بن إسحق العبادي بالذهب؛ وقد قيل إنه كان يكتب ما يترجم على ورق ثخين

وبحرف كبير ليكثر وزنه ويزيد ما يتناول من المال. وقد كان إقبال ملوك العرب وأمرائهم على العلوم قبل أن يتنفذ الفرس في دولتهم. هذا عمر بن العزيز في الدولة الأموية بدمشق يأمر بنقل كتاب أهرن بن أعين في الطب إلى اللغة العربية، وقد سبق خالد بن يزيد بن معاوية إلى ترجمة كتب الفلاسفة والنجوم والكيمياء والطب والحروب والآلات والصناعات من اللسان اليوناني والقبطي والسرياني، وخالد بن يزيد هذا أول من جمع له الكتب وجعلها في خزانة في الإسلام (كما ذكر في كتاب الإسلام والحضارة العربية)

أما عن إقبال ملوك الأندلس على العلم فقد نقلوا أنه في عام ١٩٤٨ أهدى امبراطور القسطنطينية إلى الخليفة الناصر في الأندلس كتاب ديوسقوريدس باليونانية مزيناً بالرسوم وهذا كتاب في النبات والأقراباذين كان قد ترجمه اصطفن بن باسيل في أيام الخليفة المتوكل وقد ترك بعض الألفاظ التي لم يعرف لها مقابلا في العربية على أصلها اليوناني أملا أن يأتي بعده من يعرف مرادفاتها في العربية. ولما كان لا يوجد في الأندلس حينئذ من يعرف اليونانية، فقد طلب الناصر من الامبراطور أن يرسل له شخصاً يعرف اليونانية واللاتينية، فأرسل الراهب نقولا الذي وصل إلى قرطبة عام ٩٥١ وقد كتب الطبيب الأندلسي ابن جلجل في مطلع القرن الحادي عشر — كتاباً من الأشياء التي أغفلها ديوسقوريدس وقد ألحق كتابه هذا بكتاب بن باسيل المترجم عن ديوسقوريدس. فجاء الكتابان مؤلفاً كاملا، وطبعاً أن ذلك ثمرة جهود الخليفة الناصر المتقدمة وقال ابن أبي أصيبعة أن أبا مروان بن زهر كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة حسن المعالجة قد شاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد، واشتغل الأطباء بمصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وكان قد خدم الملثمين ونال من جهتهم من النعم والأموال شيئاً كثيراً. وإن أبا محمد بن الحفيد ابن زهر كان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها، واشتغل على والده ووقفه على كثير من أسرار هذه الصناعة علمها وعملها، وقرأ كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري على أبيه وأتقن معرفته، وكان الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر يرى له كثيراً ويحترمه ويعرف مقدار علمه، وأنه لما توجه إلى الحضرة خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في الطريق نحو عشرة آلاف دينار ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدية لما فتحها خدمه على ما جرت به العادة، وقال إنني بحمد الله بكل خير من إنعامكم وإحسانكم عليّ وعلى آبائي. وقد وصل إلى ما كان بيد أبي من إحسانكم ما يغنيني مدة حياتي وأكثر، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي وأن أجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه أبي بين يدي أمير المؤمنين، فأكرمه الناصر إكراماً كثيراً وأطلق له من الأموال والنعم ما يفوق الوصف، وكان مجلسه إذا حضر قريباً منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد ابن زهر. فهل كان هذا الإقبال من ملوك العرب في الأندلس على العلم وأهله بتأثير من الفرس أو غيرهم، أم ذلك لما جبل عليه العرب من حب العلم وتعشق الكمال والفضيلة.

أما ما نقلوا عن احترام ملوك مصر للعلماء وتشجيعهم لهم فقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن ابن الهيثم كان متفننا في العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف، وقد لخص كثيراً من كتب أرسطو طاليس وشرحها وكذلك لخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب، وكان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية إلا أنه لم يباشر أعمالها، ولم تكن له دربة بالمداواة وتصانيفه كثيرة الإفادة قال: وكان ابن الهيثم في أول أمره بالبصرة ونواحيها وبلغ الحاكم صاحب مصر من العلويين — وكان يميل إلى الحكمة — خير ما هو عليه من الإتقان لهذا الشأن فتاقت نفسه إلى رؤيته ثم نقل له عنه أنه قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص. فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال هو في طرف الإقليم المصري فازداد الحاكم إليه شوقاً وسير إليه سراً جملة من المال وأرغبه في الحضور فسافر نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا بقرية على باب القاهرة المعزية تعرف بالخندق (ويقول صاحب فلاسفة الإسلام وهو مصري أن موضعها الآن الضاحية المعروفة باسم (كوبري القبة) وأمر الحاكم بإنزال ابن الهيثم واحترامه إلى آخر الخبر ويقول الأستاذ محمد لطفي جمعه لم يكن

ابن الهيثم يقصد سوى صنع خزان فى موضع خزان أسوان فكر بذلك قبل أن يفكر فيه المهندسون المصريون والغربيون لا سيما الإنجليز منهم — بعشرة قرون ، وقد حال دون تنفيذ فكرته ما رآه من صعوبة مباشرة وكثرة نفقات المشروع وعدد ما ينبغى له من الأيدى العاملة والآلات المدنية الضرورية للحفر والبناء فى مجرى النهر وما يقتضيه ذلك من تحطيم الصخر فى الموضع المعروف بالجنادل .

وبعد فها أنك ترى كيف كان يحترم الحاكم رجال العلم ، وقد ذكر فى عيون الأنباء جملة من الأطباء فى مصر نالوا حظوة كبرى عند ملوكها فمنهم البالسىّ الذى ألف كتاب التكميل فى الأدوية المفردة — لكافور الأخشيدى ومنهم موسى بن العازار الإسرائيلى ، وكان مشهوراً بالحذق والتقدم وكان فى خدمة المعز لدين الله ، وألف له الكتاب المعزى فى الطبيخ وله كتاب الأقراباذين ومقالة فى السعال ومنهم سعيد بن البطريق كان مشهوراً متقدماً فى الطب ، وقد صيره القاهر بالله فى أول خلافته بطريقاً على الإسكندرية ، وله كتاب فى الطب علم وعمل ، ومنهم محمد التميمى ، كان ذا خبرة فاضلة فى تركيب المعاجين والأدوية المفردة ، واستقصى معرفة أدوية الترياق وركب منه شيئاً كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة ، وقد كان مختصاً بالحسن بن عبيد الله المستولى على مدينة الرملة وما انضاف إليها من البلاد الساحلية وكان مغرماً به وبما يعالجه من المفردات والمركبات وعمل له عدة معاجين ولخالخ طيبة ودخناً ذافعة للأوباء ، وسطر ذلك فى أثناء مصنفاته ، ثم أدرك الدولة العلوية عند دخولها إلى الديار المصرية وصحب وزير المعز والعزيز وصنف له كتاباً كبيراً فى عدة مجلدات سماه (مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء) ولقى الأطباء بمصر وحاضرهم وناظرهم ، واختلط بأطباء الخاص القادمين من أهل المغرب فى صحبة المعز عند قدومه والقيمين بمصر من أهلها ، وقد ألف عمار بن على الموصلى للحاكم كتاب المنتخب فى علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد ، وكان عمار كحالا مشهوراً ومعالجاً مذكوراً له خبرة بمداواة أمراض العين ودربة بأعمال الحديد ، وقد وصف الموصلى فى كتابه هذا طريقة عملية الكتركت (Càtaract الساد) بواسطة مصها بإبرة مجوفة ، وربما كانت هذه الطريقة قديمة استعملها غيره قبله منذ زمن بعيد فقد قال صلاح الدين فى كتابه (نور العيون) أن ثابتاً بن قرة كان معارضاً لهذه الطريقة لأن الإبرة قد تمص أغشية أخرى ولكن الموصلى يقول أنه مارس هذه العملية بنجاح تام .

ونظن القارئ الكريم بعد كل ما تقدم يخرج معنا بأن دول العرب على اختلاف أصقاعها كانت تشجع الحركات الفكرية وتمد العلماء ببالغ عنايتها ، وإنه لم تكن النهضة العلمية ببغداد ثمرة التدخل الفارسى وبإيعاز من نفوذ الفرس مباشرة أو بصورة مباشرة ، وقد انهدمت صروح الفكرة التى تغلبت على قلم الأستاذ الفاضل صاحب السعادة الدكتور قاسم غنى . هذا ، وإنى أسجل إعجابى بمقالاته القيمة ، راجياً أن يواصل بحوثه الفنية بالفوائد ، وإن كانت لى بعض ملاحظات عسى أن أبينها قريباً ، والله ولى التوفيق .

(العراق — بغداد) **ضياء الدخيلى**

الطبيب المتمرن فى المستشفى التعليمى سابقاً

طرق تحقيق الذات عند طاغور

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

إن تعاليم الديانة الهندوكية تسلم بوحدة الكون ، وتفرض على كل هندوكي أن يعمل على إدراك هذه الحقيقة بحيوية حتى يؤمن بها عن صدق شعور . ولذلك كانت أسمى غايات الديانة الهندوكية أن يجد كل هندوكي في تحرير روحه من نواقص الحياة ، وتنقية نفسه من شوائب الشهوة ، وتطهير عقله من أدران الفكر ، وتخليص أفعاله من دناءة الشر ، حتى يتسنى له أن يظهر الله الكامن في قرار النفس ، ويحس بوحدة الكون الشاملة ، فيرتقي إلى أعلى درجات الكمال الروحي ويحقق ذاته .

وتختلف المذاهب الهندوكية القديمة في نوع الطريق التي تحقق الذات ، فمنها من يرى أن مجرد حفظ الفيدا وإتقان تلاوتها ، وأداء الشعائر الدينية يكفل الوصول إلى الكمال الروحي ، بينما لا يكتفي مذهب آخر بالأخذ بظاهر الفيدا ، ويطلب التعمق في نصوصها ، إذ هذا التعمق يساعد على معرفة حقيقة اتحاد الله بالنفس ، ويقود إلى تحقيق الذات . ويرى مذهب ثالث الكمال الروحي في التمييز بين الروح والجسد ، وإدراك أن مطالب الروح مطالب حقيقية ، وأنبل وأرفع من مطالب الجسد الخادعة ، ثم تغليب سيادة الروح على الجسد . ولا يعترف مذهب رابع إلا بالطرق العملية ، فلا يتخذ إلا المجاهدات من تعذيب النفس وإيلام الجسم وسائل لتحرير الروح من الرغبات والشهوات . ويعتقد مذهب خامس أن تحقيق الذات يكون عن طريق تفسير مظاهر الكون وأحداث الطبيعة ومعرفة العلاقة التي تربطها بالله . ويعتبر مذهب أخير التأمل في الوجود وإدراك وحدته هي الغاية القصوى التي يجب أن يقصدها كل فرد .

إن كل هذه المذاهب بوسائلها المختلفة لتحقيق الذات تدلنا على أن الديانة الهندوكية تسمح لكل هندوكي أن يبرز الله الكامن في نفسه بالطريقة التي تتفق مع ميوله سواء أكانت دينية خالصة أم أخلاقية تهذيبية أو عقلية تأملية . ولقد بعث طاغور هذه الطرق في صورة تلائم الحياة العصرية ، وتجعل تحقيق الذات متاحاً لكل فرد عن طريق العمل أو المهنة أو الفن الذي يزاوله ، كما جعل من العلم والفن والعمل — وهي الأسس التي نهضت بالمدنية الحديثة — الطرق الحية التي تتولى تحقيق الذات . ويمكن أن نلخص طرق تحقيق الذات عند طاغور في أربع طرق وهي :

أولا : الزهد والتقوى والورع والمجاهدة .

ثانياً : البحث العلمي والكشف عن القوانين .

ثالثاً : الفن باختلاف فروعه .

رابعاً : العمل بتنوع مجالاته الخيرة والنافعة .

أولا : أما عن الزهد والتقوى والورع والمجاهدة ، فإنها تطهر الروح ، وتصفي القلب ، وتنقي النفس من همجية الغرائز وبهيمية الشهوات . إلا أن طاغور لم يعد يستسيغ اعتزال الزهاد الحياة العامة ، واحتقارهم الأعمال الدنيوية ، لأنه يرى أن المجاهدات القاسية ، وتعذيب النفس التي تحرر الروح من عوائق المادة ، وتخلصها من أدران الحياة ، وتهيء النفس لمعرفة حقيقة وحدة الكون ، لا تتعارض مع قيام الزاهد بعمل ما يعود على البشر بالخير والنفع . فضلا عن أن الزاهد لا يستطيع أن يعيش حر الروح في عالم مجهول من الإحساسات الغامضة ، والمشاعر المبهمة ، والأفكار المظلمة المحبوسة جميعاً داخل النفس لا يسمح لها بأية فرصة للظهور في عالم الأعمال الجلي الواضح . فكان الزاهد من دون جميع البشر لا عمل له يسعى به لتقدم الحياة الأرضية ، بينما يقوم كل إنسان ممتاز بعمل ممتاز . فالعالم يعبر عن أفكاره بالقوانين العلمية التي لها فضل كبير على المدنية . ويشغل الفنان إحساساته ومشاعره بالموسيقى أو الغناء أو الأدب أو الرسم فيشيع في النفوس لذات روحية وسروراً طاهراً ، ويبذل كل رجل صالح جهوداً عظيمة لكي يخدم أهله أو وطنه أو الإنسانية ، فلم يشذ الزاهد عن أفذاذ القوم ولا يقوم بعمل إنساني يطلق به ما يحبسه في نفسه من أفكار وإحساسات ومشاعر ، ويقنع بأن يحقق ذاته وهو بعيد عن الحياة ، كارهاً أن يخوض مشاكلها ، نافراً من أن يساهم بنصيبه في خدمة ركب الحضارة الإنسانية !

ثانياً : يؤكد طاغور أن العالم الذي يعمل على كشف القوانين الطبيعية يمكنه أن يحقق ذاته ، وذلك إذا تحررت بواعث البحث العلمي من أي فضول ثقافي يطلب مجرد معرفة سير حوادث الطبيعة

وتطورها معرفة منطقية ، أو إذا خلصت من كل مأرب استقلالى يرمى إلى استخدام ما يتوصل إليه من قوانين فى المنافع الشخصية أو الفوائد المادية ، إذ مثل هذه البواعث تحجب عن العالم حقيقة الظواهر الطبيعية ، فيغيب عنه ما وراء قوانين هذه الظواهر من حقائق ، ولا يتوصل إلى معرفة علاقة قوانين الطبيعة بحقيقة اتحاد الوجود ، فيجهل أنها ملامح مختلفة لقانون واحد ، أو أنها حقائق صغرى متعددة لحقيقة كبرى واحدة هى قانون اتحاد الكون بكامل محتوياته بالله . أما إذا خلصت بواعث البحث العلمى من كل غرض ما عدا طلب معرفة الحقيقة الكبرى ، فإن بحث العالم وراء قوانين الطبيعة يقوده حتما إلى كشف الوحدة التى تربط هذه القوانين بقانون الحياة الأول ، ويعلم باتحاد شتى مضمونات الطبيعة المتنوعة ، ويحس بأن هناك جسما عالمياً واحداً يشمل كل ما فى الطبيعة بما فيها جسمه ، ويشعر بأن جسمه ما هو إلا امتداد لجسم الطبيعة ، وليس هناك إلا حقيقة واحدة . وبذلك يحقق البحث العلمى ذات العالم ، كما أنه يهدى كل من يلم من عامة الناس بالقوانين الطبيعية إلى إدراك وحدة الوجود ويساعده على تحقيق ذاته .

ثالثاً : إن موضوعى الفن عند طاغور هما جمال الطبيعة وجمال الروح . أما عن جمال الطبيعة فلا ينعم به إلا من صفت بصيرته ، وتحررت روحه من سيطرة الرغبات المادية وإلحاح الشهوات الاستقلالية التى لا ترى فى الأشياء غير النفع والفائدة فتحرم الروح من التمتع بالجمال البادى فى الكون ، وتخفى عنها حقيقة ذلك الجمال الذى بعثه الله فى الأشياء ليكون رسوله للناس فى الأرض ، وعلامة على اتحاده بالطبيعة ، حتى إذا ما تأمل بشر وهو طليق الروح طاهر النفس أى شىء فى الوجود أحس بما فيه من جمال ، وما بين أجزائه من انسجام ، فيشعر بجمال توافق الكون ، وبروعة حقيقة وحدة الوجود . وكلما قوى شعور فرد بهذه الوحدة فى عالم الطبيعة عظم إحساسه بسرور يلهب عواطفه الطاهرة ويثير وجدانه النقى ، فيعبر عنه بالموسيقى إذا كان يؤلف الألحان ، وبالشعر إذا كان شاعراً ، وبالرسم إذا كان رساماً ، ويترجم الناس موسيقاه أو شعره أو رسمه إلى ما يحسه الفنان من سرور سرمدى ، ثم إلى ما يدركه من حقيقة وحدة الكون ، فيسرى السرور فى نفوس الناس ، ويحسون بدورهم حقيقة اتحاد الخليقة بالله .

كما أن الفنان لا يستطيع أن يدرك جمال الطبيعة على حقيقته إلا إذا سمت نظرته إلى الأشياء ، فإنه لا يستطيع أن يدرك جمال الروح إلا إذا سيطر قانون طبيعته الأخلاقية على نفسه ، وخلصت من طغيان كل غريزة وشهوة ، وصفت من شوائب كل نقص وضعف ، حتى يمكن أن تظهر له مزايا الروح فى ثوب خلاب بديع ينسجه الخير والحب ، وينجلى فى ثناياه روح الله الكبرى التى تربط كل روح بأخرى وتشملها جميعاً . ومن يتم له ذلك يشعر بسعادة تغمره بالسلام والأمن ، وتحثه على أن يعبر بفنه عما يشعر به من غبطة وحبور ، فيكشف عن جمال الفضائل الروحية ويشجع الناس على تثقيف الروح ، ويدعوهم إلى فعل الخير وتجنب الشر ، ويصف لهم سمو استقامة الخلق ونبل تشبث المرء بالمثل الإنسانية ، ويرفع من قيمة تضحية الفرد فى سبيل المجموع ، ويشيد بذكر الحب الذى يجمع بين القلوب ويفيض على الإنسانية بالطمأنينة والهدوء ، وذلك كله يطهر روح المحبين للفنون ويهيىء لهم سبل تحقيق اتحادهم الصادق بالله . فالفن إذاً مدرسة معلموها قوم توصلوا إلى تحقيق ذاتهم ، ويعلمون الناس كيف يفوزون بوحدتهم مع الله .

رابعاً : يلزم طاغور كل فرد بأن يقوم بعمل مفيد أو خير ، إذا أراد أن يحقق ذاته . ولا يغنى عن أداء ذلك العمل طهارة روحية أو سيادة القوانين الأخلاقية على النفس ، لأن الطهارة الروحية والتمسك بالأخلاق والتمثل بالفضائل ، وإن كانت ضرورية لتحقيق الذات ، ليست كافية ، وتتطلب عملا يؤكد وجودها ، ويصدق على صحتها . ولذلك وجب على كل هندوكى أن يؤدى عملا مفيداً فى سبيل الله ، ويعود بالخير على أهله أو وطنه أو الإنسانية جمعاء بدون أن ينتظر من ورائه نفعاً شخصياً ، ولا يقبل على فعله خوفاً من تهديد جوع أو قوة الفقر أو بضغط أى دافع مادى آخر ، وإلا أصبح عملا باعثه رغبات نفعية وشهوات غريزية تفوق تحقيق الذات .

فكل من يطلب الله يجب أن يعمل عملا باعثه شريف يفيد به الناس لأن العمل الشريف المفيد يخرج الفرد من دائرة أنانيته

ويدفعه لخوض معترك المجتمع الإنسانى ، فيعرف ما يربطه به من علاقات وثيقة ، فتنمو فيه غيرية روحية تشعره بأن له جسما يضم المجتمع البشرى بأكله ، يجب أن يسعى لإسعاده مهما تحمل من كفاح متعب قد يعرضه لمختلف الآلام ، وينزل به أفدح الخسائر كما تشعره بأن له نفساً تشمل الحياة الإنسانية من جميع نواحيها يجب أن يبذل حياته رخيصة من أجل مصلحتها ، ويرحب بالاضطهاد والسجن والحرمان والعذاب حباً فى خيرها .

ومن يؤد مثل هذه الأعمال العظيمة ، فقد صار فى الطريق القويم الذى يظهرله حقيقته الكبرى المقيمة داخل نفسه ، فتأخذ روحه فى الارتقاء فى سلم الكمال الروحى ، وتعلو إلى أرفع درجات الحياة التى تنتهى فيها الحقائق المتناقضة فتستعذب النفس الألم فى سبيل الإنسانية ، وتسعد بالحرمان فى سبيل الخير . وهكذا يتعادل السرور والألم ، ويصبحان حقيقة واحدة فى حب الإنسانية ، كما تتساوى المتعة والحرمان فى فعل الخير . وحين تبلغ النفس هذه المرتبة من السمو تكون قد تحررت تحرراً تاماً من كل ما يتصل بالحياة الدنيوية ، ووعت أن هناك وجوداً أكبر خارجاً عن وجودها ، فتعرف الحقيقة الخالدة ، حقيقة وحدة الكون الشامل الذى يتجلى الله فى جميع أجزائه .

فالدين والعلم والفن والعمل الخير كلها وسائل طيبة تحقق الذات ، وعلى الهندوكى أن يختار منها الطريق التى تلائم مزاجه ويسلكها ، فإنه حتما سيصل إلى غايته الدينية إذا كانت بواعث سلوكه فاضلة ، لا تفسد على النفس سعيها إلى الكمال ، أو تحجب عنها معرفة الله الموجود فى أعماقها . وإذا حاولنا أن نبحث عن الشخصيات التى سلكت هذه الطرق وحققت ذاتها ، فإنه من الصعب أن نجدها خارج موطن طاغور نفسه . إن زهاد الهند القدماء يمثلون لنا بلا شك تلك الشخصية التقية الورعة الصالحة الخيرة ، التى تتحمل طراعية آلام الجسم وعذاب النفس تطهيراً للنفس ، وإعداداً لإفنائها فى الله الذى يوجد فى قرارها وفى جميع المخلوقات . أما عن شخصية العالم الباحث عن القوانين الذى نجح فى تحقيق ذاته فليس له وجود . وأحسب أن طاغور قد تصور العالم على ما يجب أن يكون عليه ، لا كما يوجد بيننا الآن ، لأنه يرى أن سبب كلف العلماء بكشف قوانين الطبيعة ، إما أن يرجع لمجرد فضول علمى يرغب فى معرفة سير أحداث الطبيعة وتطورها والوقوف عند حد هذه المعرفة بدون محاولة التدرج منها إلى حقيقة اتحاد الوجود الشامل ، وإما أن يرجع لشغفهم بفرض سيادتهم على الطبيعة ، فيسيئون الاستفادة من القوانين الطبيعية ، ويسخرونها فى اختراع آلات الحرب والتدمير والتخريب التى تنشر الخوف والقلق فى النفوس ، بينما تتمثل لنا شخصية الفنان فى طاغور نفسه ، لأن كتاباته لا تتناول غير ما يبدو فى الكون من جمال ، أو ما تتصف به الروح من طهارة الخصال ، فتغرق قارئها فى عالم روحى يحوطه الجمال من كل جانب ، وتنشر فى نفسه الأمن والسلام ، وتحثه على قصد الخير وبلوغ الكمال . وإذا بحثنا أخيراً عن شخص حقق ذاته عن طريق العمل الصالح ، فإننا لا نجد مشقة فى تعيينه ، فلقد اغتيل غدراً منذ مدة على أثر صوم أراد به حسم النزاع بين الهندوكيين والمسلمين . ولا أحسب أن هناك من يجهله ، فهو « غاندى » زعيم الهند الروحى وبطلها السياسى الذى ناضل من أجل حريتها واستقلالها فاستحق أن يطلق عليه قومه « المهاتما » ، أى صاحب الروح الكبرى التى طهرها الجهاد الطويل الشاق من أجل الهند ، ونقتها الأخطار والمحن التى صمد أمامها بعزم وشجاعة ، فاستطاعت روحه البشرية أن تندمج فى روح الله الكبرى ، وتحقق ذاتها فى أكمل المراتب

عبد العزيز محمد الزكى

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الابتدائية

بكفر الزيات

الأدب والفن في أسبوع

لعنة الفراعنة على ألمانيا

أثار مندوب مصر فى مؤتمر النقاد الفنيين المنعقد بباريس فى الشهر الماضى — مسألة « رأس نفرتيتى » وطالب بإعادته إلى مصر ، وقد جرت مناقشة بينه وبين بعض الأعضاء فى هذا الموضوع انتهت بإعلان المؤتمر حق مصر فى استرجاع رأس نفرتيتى . وهو تمثال لرأس الملكة نفرتيتى ، كانت قد كشفته سنة ١٩١٣ إحدى البعثات العلميه الألمانية مع مجموعة من الآثار فى تل العمارنة ، وقد احتال رئيس البعثة على أخذه إذ قال إنه حجر عادى لإحدى الأميرات ، ووضع فى متحف برلين وظل به إلى أن نقل فى أثناء الحرب الأخيرة إلى مدينة فيسبادن للمحافظة عليه من الغارات الجوية ، وما يزال بها إلى الآن .

وقصة غرام هتلر برأس نفرتيتى قصة مشهورة ، أخذت مكانها بين القصص الخالدة فى عالم الحب والغرام ، وقد راح هتلر ضحية رأس نفرتيتى كأى محب قتله الهوى ... إذ حقت عليه « لعنة الفراعنة » المعروفة فى عالم الآثار ... كما حقت على كارنرفون كاشف قبر توت عنخ أمون بلدغة بعوضة فى هذا القبر قضت عليه . ولم يصب رأس نفرتيتى لعنة الفراعنة على هتلر وحده ، بل محق بها ألمانيا فى الحرب الأخيرة ، بعد أن لم تعتبر بهزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ولم تلتفت إلى التمثال « الحرام » الموجود فى حيازتها ... ومن الخير لألمانيا أن ترد ملكة مصر القديمة إلى بلادها ، فلن تقوم لها قائمة ما دامت فيها . وأخشى أن يتنبه « الحلفاء » إلى ذلك فيعملوا على بقاء رأس نفرتيتى بألمانيا لتظل هدفاً للعنة الفراعنة !

وقد وقف ولع هتلر برأس نفرتيتى حائلا دون تنفيذ الاتفاق الذى تم بين الحكومتين المصرية والألمانية بعد مباحثات طويلة ، على أن يعاد الرأس إلى مصر لقاء أن تقدم مصر إلى ألمانيا بدلا منه تحفتين أخريين ، هما تمثال كبير للكاهن رع نفير وتمثال آخر من الجرانيت للكاتب المصرى أمينحوتب ، ولم يسع مصر إزاء هذا إلا أن تقرر عدم الترخيص لأية بعثة ألمانية بالحفر والتنقيب عن الآثار فى مصر إلا إذا أعيد رأس نفرتيتى إلى المتحف المصرى .

وينتظر أن يثير هذا الموضوع مندوبو مصر فى مؤتمر المتاحف الدولى المنعقد الآن فى باريس برعاية هيئة « اليونسكو » ويمثل مصر فيه الدكتور الديوانى بك الملحق الثقافى بالسفارة المصرية بباريس والأستاذ توجو مينا رزق الله مدير المتحف القبطى فى القاهرة .

هل عندنا شاعرات ؟ :

تلقت وزارة المعارف كتاباً من إحدى دور النشر بمدريد فى أسبانيا بأسماء الشاعرات المصريات القديمات والمعاصرات ، ودواوين الشعر التى وضعنها أو نماذج من شعرهن ، مع صورهن الشخصية ، لأن هذه الدار تعمل فى إعداد موسوعة تصدر قريباً عن الشاعرات فى مختلف بقاع العالم .

وليت شعرى بماذا تجيب الوزارة ؟ وأين هن الشاعرات المصريات اللائى يستحققن التعريف العالمى ؟ الواقع أن مصر فقيرة فى الشاعرات قديماً وحديثاً ، فلست تجد فى تاريخها الأدبى غير عائشة التيمورية وباحثة البادية ، أما الآن فإنك لا تكاد تعثر على شاعرة ، إذ ليس عندنا إلا من تقول أشياء نسميها شعراً من أجل تاء التأنيث المرعية الجانب ... ومع ذلك فهى أشياء قليلة جداً . ومما يذكر مع هذا أن بعض البلاد العربية الأخرى قد نبغ فيها شاعرات من فتيات الجيل الجديد كنازك الملائكة فى العراق وفدوى طوقان فى فلسطين .

تشجيع التأليف :

جرت وزارة المعارف على أن تعهد إلى بعض الأدباء المصريين ترجمة بعض المؤلفات الأجنبية إلى اللغة العربية استكمالا لنشر الثقافة العامة بين جمهور قراء العربية . وأخيراً طلبت اللجنة العليا لتشجيع التأليف والترجمة بالوزارة ، إلى بعض كبار الأدباء والمفكرين فى مصر والبلاد العربية ، أن يدلوها على المؤلفات التى يجدر بالوزارة أن تعنى بترجمتها ، لتكون فى مقدمة الكتب التى يترجمها الأدباء .

هذا ويشكو من يعهد إليهم بالترجمة من قلة الأجر الذى تدفعه الوزارة لهم ، إذ هى تحاسبهم على عدد الكلمات باعتبار كل كلمة بمليم . .

ولكن حظ الترجمة مع ذلك أحسن من حظ التأليف ، لأن كثيراً من المؤلفين يودون لو ربحوا مليما فى كل كلمة . . والذى تتبعه الوزارة فى تشجيع التأليف هو تقرير بعض الكتب للقراءة بشراء نسخة أو نسختين من الكتاب لمكتبة كل مدرسة من المدارس التى يلائمها الكتاب ، وأكثر من يستفيد من ذلك هم الناشرون الذين اشتروا حق النشر أو أكثره من المؤلف ، وممنى شراء أكثر الحق أن للمؤلف نصيباً قليلا من الربح إلى الثمن المتفق عليه . ويستفيد من ذلك أيضاً كبار المؤلفين الذين ليسوا فى حاجة إلى التشجيع لرواج مؤلفاتهم فى السوق

ويبقى بعد ذلك طبقة من المؤلفين تستحق التشجيع ولا تناله وهم الذين لا يستطيعون أن يجازفوا بتحمل نفقات الطبع ، ولا ترحب بهم دور النشر لعدم شهرتهم أو لعدم بريق مؤلفاتهم مع جودتها . ويكون تشجيع هؤلاء بأن تنظر الوزارة فى مؤلفاتهم المخطوطة لتطبع ما تراه نافعاً منها . وقد فكرت الوزارة فى شىء قريب من هذا ، وهو أن تطبع ما لديها من كتب أدبية وثقافية عامة فاز أصحابها فى مسابقات نظمتها ، ولكنها لم تنفذ ذلك ، والمرجو أن تكون الفكرة موجودة ، وأن تتسع حتى تشمل غير مافاز فى المسابقات من الكتب الجديرة بالتشجيع ، فهذا هو أجدى عمل فى تشجيع التأليف .

اتجاه الباكستان نحو العربية :

كتبت من نحو شهرين عن جماعة الثقافة العربية بالباكستان ومما قلته إذ ذاك « وشعور المسلمين فى الباكستان يتجه الآن نحو البلاد العربية ، وقد بدا أخيراً فى تأييدهم لقضية فلسطين ، ولا شك أن اللغة العربية وآدابها وثقافاتها ، هى أهم ما يربطها بالبلاد العربية ، وهى وسيلتها إلى كتلة الجامعة العربية »

كتبت ذلك وأنا ألمح اقتراب هذه الدولة الناشئة من الفكرة واللغة العربيتين ، وأرصد أنباءها كما يرصد الفلكى حركات نجم جديد ... وقد قرأت عنها مقالا للأستاذ عبد المنعم العدوى فى « البلاغ » يوم الخميس الماضى ، جاء فيه « لم يسبق فى تاريخ الهند الحديث أو القديم أن رجال الحكم فيها أدلوا ببيانات رسمية عن أهمية اللغة العربية ، وحث أبناء المسلمين على تعلمها وفهمها فهماً صحيحاً كما هو الحال اليوم فى حكومة باكستان الاسلامية الحديثة » والمقصود من هذا الكلام وهو بيان اهتمام رجال الدولة بنشر اللغة العربية ، يدعو إلى الارتياح والسرور ، ولكن ينبغى أن يذكر بجانب ذلك ما كان من إقبال مسلمى الهند على تعلم اللغة العربية منذ الفتح الإسلامى وقد نبغ منهم فيها كثيرون فى الأدب وعلوم الدين .

ومما تضمنه مقال الأستاذ أن حكومة الباكستان قررت إنشاء كلية عربية كبيرة فى حيدراباد ، وأن رئيس الوزراء أصدر بياناً يحث فيه أهل البلاد أن يهتموا بها وأن يبعثوا بأبنائهم إليها ، كما قررت إنشاء كلية عربية أخرى فى كراشى وقررت أن يكون تعليم اللغة العربية إجباريا فى مدارسها ، وأن كثيراً من الوزراء بدءوا بأنفسهم فأخذوا فى تعلم العربية ، وأن من مظاهر اهتمام الحكومة بذلك تأسيسها جمعية باكستان العربية الثقافية .

العربية تصارع :

كان قد نشر أن مؤتمر البريد العالمى الذى انعقد أخيراً فى فرنسا ، قرر اعتبار اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية التى تحرر بها صحيفته . ولكن جاء أخيراً من جنيف أن مكتب مؤتمر البريد العالمى فى برن ، قرر استبعاد اللغة العربية من تحرير صحيفته الرسمية ، وقصر تحريرها على اللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية والاكتفاء بإصدار نشرة مفصلة عنها تحرر بالعربية . وهذا القرار يخالف قرار المؤتمر السابق وقد علقت « أخبار اليوم » على ذلك بأن المكتب ليس له أن يصدر مثل هذا القرار لأنه مكتب إدارى يستمد نفقاته من جميع الدول المشتركة فى المؤتمر وفى مقدمتها الدول العربية . ولا ندرى ماذا يكون رأى الدول العربية فى هذا القرار وهل تنسحب من المؤتمر ومعاهداته إذا لم يصحح هذا الوضع .

هذا ومصلحة البريد المصرية تحرر تذكرة إثبات الشخصية التى تعملها للافراد بناء على طلبهم ، باللغة الفرنسية ... ويقولون فى تبرير ذلك إن اللغة الفرنسية هى لغة البريد العالمى ، ولكن هل يمنع ذلك من كتابتها أيضاً باللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية ؟ وإذا كنا نطالب بتحرير صحيفة البريد العالمى باللغة العربية إلى جانب اللغات التى تحرر بها ، فلا أقل من أن تحرر مصلحة حكومية مصرية ما يصدر عنها بلغة عربية

من طرف المجالس :

راى إلى أسماع الجالسين ، قول المذيع : « وبعد استراحة قصيرة نوالى إذاعة البرنامج » .

قال أحدهم : مامعنى هذه الاستراحة ! وأن هى ؟ أهى لصاحب الإذاعة السابقة وقد فرغ فلن يستأنف ؟ أم هى المذيع وقد كان ساكتا ؟ أم هى لصاحب الإذاعة التالية ولم يبدأ بعد !

قال صاحب النكتة :

هى يا أخى استراحة المستمعين ...

من طرف الإذاعة :

فى يوم من أيام هذا الأسبوع ، كان المذيع يعلن عن العدد الجديد الصادر من مجلة الإذاعة ، فذكر من محتوياته : قطعة من ديوان « ابن المعز » .

وقع هذا الاسم « ابن المعز » فى سمعى موقعاً غريباً . فمن هو ابن المعز ؟ أهو شاعر قديم لا نعرفه ؟ أم هو شاعر معاصر من شعراء الإذاعة ؟ ولكن الاسم غير عصرى ، وشعراء الإذاعة معدودون معروفون .

وبعد البحث والتحرى علمت أن « ابن المعز » ما هو إلا « أين المفر » الديوان الذى صدر حديثاً للأستاذ محمود حسن اسماعيل ! ! والذى يتمم طرافة الموضوع أن الأستاذ صاحب ديوان « أين المفر » من القائمين بشئون الإذاعة ، ولعله كان على خطوات من المذيع وهو يحرف اسم ديوانه .

الأدب والصحافة :

ألقى الأستاذ خليل جرجس محاضرة برابطة الأدباء يوم الأحد الماضى ، عنوانها « الأدب والصحافة » شرح فيها معنى الأدب وتكلم على الصحافة كلاماً حسناً ، ثم عقد مقارنة بين الأديب والصحفى بيّن فيها خصائص كل منهما .

وقد مر سريعاً ببعض نقط فى صميم الموضوع لم يوفها حقها كالعلاقة بين الأدب والصحافة من حيث تأثير كل منهما فى الآخر . وليته بسط القول فى تطبيق ما بينه من معنى الأدب والصحافة على ما تنشره صحافتنا اليوم من ألوان من الكتابة ينسبونها إلى الأدب ، ليستبين موقعها من الأدب أو الصحافة إن كان لها موقع من أيهما .

ومن مقارنته بين الأديب والصحفى أن الأديب ينتج حين ينتج من وحى الخاطر والصحفى الحق يتزود بعلم النفس الاجتماعى ليكون إنتاجه ملائماً لأذواق القراء ومتمشياً مع عقلية الجماهير ، وأن الأديب يكتب عندما تواتيه لحظات التجلى والظرف الملائم ، والصحفى يكتب كل وقت ويستجيب للظروف بالسرعة المطلوبة ، وأن الأديب يكتب للأدب ولا يكون نقد المجتمع إلا عرضاً من غير قصد ، والصحفى يكتب أيضاً للامتاع ومؤانسة القارئ ، ولكنه يقصد إلى إصلاح المجتمع ونقده والتأثير فى الرأى العام .

الإنشاء فى المدارس الثانوية :

أتيت فى الأسبوع الماضى على ما تضمنه تقرير لجنة النهوض باللغة العربية بوزارة المعارف من آرائها فى منهاج الأدب والبلاغة فى المدارس الثانوية . وهذا التقرير موضع نظر معالى وزير المعارف الآن ، وينتظر أن يبت فيه قريباً للشروع فى تعديل مناهج اللغة العربية فى المدارس على مقتضاه .

وقد جاء فى التقرير عن الإنشاء فى المدارس الثانوية أن اللجنة لاحظت أن الطريقة المتبعة فى تعليمه تكاد تقتصر على على إعطاء التلاميذ موضوعاً يطالبهم المدرس بالكتابة فيه ، وقد تسبق الكتابة مناقشة شفوية ، وكتابة التلاميذ تسير سيراً سطحياً متكلفا لا يساعد على الابتكار .

وترى اللجنة أن الأساس الأول للاصلاح فى هذه الناحية الربط بين التعبير وبين النواحى الأخرى من النشاط المدرسى والاجتماعى ، واستغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة لتنمية قوى التعبير عند التلاميذ فى جميع سنى الدراسة ، مثل حل النصوص الأدبية وشرحها ، وتلخيص الكتب والقصص والتعليق على الحوادث الجارية ، وكتابة تقارير عن الرحلات والمشروعات الدراسية وأشرطة الخيالة ، وإعداد المقالات والأخبار لمجلة المدرسة ، والخطابة والمناقشة والمناظرة ، وغيرها مما يدخل فى نشاط الجميات الأدبية .

وأشارت اللجنة إلى أنه من اليسير أن تكون اللغة العربية لسان المعلم والتلميذ فى المدارس الثانوية ، فإن التلميذ فى هذه المرحلة قد يصل إلى قسط من التحصيل اللغوى يستطيع معه أن يفهم حديثاً عربياً ، وأن يتابع دروسه بالعربية الصحيحة إذا سار المعلمون معه على هذا المنهج

العباس



فى أنشودة فلسطين :

الشاعر الصديق الأستاذ على محمود طه ، أصبح فى الرعيل الأول من شعراء الشرق العربى ، لا من شعراء مصر فحسب ؛ وأنشودته هـذه أنشودة فلسطين الحبيب ، همّ كل عربى منـذ اليوم ؛ فكل ما يتصل بها مهوى الأفئدة ، ومشرك العيون .

وموقف كهذا الموقف يتبوءه شاعرنا المجيد ، كان جديراً أن يتقاضاه حظاً من دقته وعنايته بأنشودته فى أسلوبها ومعانيها أوفى مما ظفرت به منهما .

ولعل أظهر ما أخطأته الدقة فى هذه الأنشودة :

١ — وصفه « يسوع » بالشهيد ؛ ويسوع فى نظر المسلمين الذين منهم الشاعر ليس شهيداً .

٢ — إجابة الصدى فى قوله : « يجيبون صوتاً لنا أو صدى » فالمعروف أن الصدى يجيب لا يجاب .

٣ — قراءة « استشهدا » بالبناء للفاعل ؛ والذى فى معاجم اللغة : « واستشهد » قتل شهيداً ، بالبناء المفعول لا غير . ولولا أن الشاعر المظيم ألقاها فى المذياع — مجوداً محتفلا — بالبناء للفاعل ، لنسبت الخطأ إلى غيره .

٤ — هـذه « الأخت » التى أعد لها الذابحون المدى فى القـدس ، ما هى ؟ أهى فلسطين ؟ ولـكن فلسطين ليست فى القـدس ، بل القدس فى فلسطين ؛ أم هى أخت على الحقيقـة ؟ ولـكن أخواتنا هناك — مع الأسف القاتل — لا تمد المـدى لذبحهن ، وإنما تذبح أعراضهن بأسلحة الخسة والنذالة والوحشية

٥ — ولا أكتم الصديق الـكريم أن أحمد ويسوع صلوات الله وسلامه عليهما ، أجل وأكرم على الله ، وعلى الناس ، من أن يقودا جيشين لمحاربة أخس خليط عرفه الوجود منذ كان الوجود ؛ ولو ذكر الشاعر « السلاح الأحمر » سلاح العقارب والحشرات ، لأصاب مشاكلة الصواب .

أما بعد ، فإنما أغرانى بهذه النقدات الخفيفة ، حرصى على المجد الأدبى لشاعرنا الـكريم المهندس .

وله منى تحيات مزاجها الإخلاص والإكبار .

مدرس أدب
فى الأزهر الشريف

***

١ — نصوص تاريخية فى الرد على تعقيب

رداً على ما جاء فى ص ٧٦٩ من عـدد « الرسالة » ٧٨٣ نورد ما يأتى :

قال الأستاذ محمد بك فتكرى فى تاريخ الجراكسة (ج ا ص ١٢) نقلاً عن المؤرخ الفرنسى (سن مارتن) : أن الـكرج والجركس واللزكى والججن فروع أصل واحـد ، وهم متحدد الأصل ، وهم أقدم سكنة القوقاس . وقال أيضاً (ج ا ص ٢٢) : دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والـكرج ينتميان إلى جد مشترك . وقال كذلك (ج ا ص ٣٨) : قد ثبتت إقامة الججن منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث يقيمون الآن ، وكذا اللزكى . وقال أيضاً فى (ج ا ص ٦) : أن لفظ الجركسى عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقاسية فيكون « الجركس » يؤدى مؤدى « القوقاسى » . وفى (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) للبدر العينى المؤرخ الـكبير فى (ج ا ص ١٧٠) المحفـوظ فى دار الـكتب المصرية (رقم ٧١ م) : ومن الترك الجركس ، وأصلهم أربع قبائل وهم (تركس) ويقال (سركس) و (أركس) و (الآص) و (كسـا) ويتفرع منهم بطون كثيرة . ثم سرد أسماء تلك البطون ، وتلك القبائل الأربع فى جوانب جبل القوقاس الأربعة ، ففى الجنوب الشرقى (أركس) ، وفى الشمال الشرقى (تركس) ، وفى الجنوب الغربى (آس) — وبهم سمى الجبل « قوقاس » أى « جبل آس » ، وفى الشمال الغربى (كسا) وهم الذين يسميهم الروس اليوم (سرقسيان) كما يسمون قبائل أركس اليوم (داغستان) ، واتبع البدر العينى المصطلح القديم وهو أطلاق (الجركس) على القبائل الأربع التى فى جوانب جبل القوقاس . و (جركس) أصلها (جهاركس) ومعناها (الرجال الأربعة) فى لغة الفرس . وتخصيص إطلاقه على قبائل (كسا) هو اصطلاح روسى حديث .

وحين قال ابن خلدون : (والجركس غالب عليهم) أراد غلبة إطلاق اسم (الجركس) عليهم . ونود أن نرى الأستاذ البرهان يتحدث ببرهان من الأسانيد التاريخية ، فالتاريخ لا يكون طوع بنان أحد .

٢ — مغيب شهابين :

فى ص ٥٣٩ من عدد «الرسالة» ٧٧٥ أن الشهاب بن صالح مات عام ٨٧٣ هـ . والصواب ٨٦٣ على ما فى تاريخ (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى ج ٢ ص ١١٥) و(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٧ ص ٣٠٢) . وجاء فى الصفحة نفسها أن الشهاب بن أبى السعود توفى فى مكة والصواب أن وفاته كانت فى طيبة على ما فى (شذرات الذهب ج ٧ ص ٣١٠) وعلى ما فى تاريخ (الضوء اللامع ج ١ ص ٢٣٣) حيث قال : ثم رجع إلى المدينة أيضاً فأقام بها حتى مات ... ودفن بالبقيع بين السيد إبراهيم والإمام مالك رضوان الله عليهم .

٣ — الحاوى فى دار الكتب :

جاء فى ص ٦٤٥ من عدد الرسالة ٧٧٩ فى ترجمة أبى الحسن الماوردى : ومن كتبه الضائعة الحاوى فى الفقه . والحق أن « الحاوى » موجود منه فى دار الكتب المصرية نسخة كاملة فى ٢٤ مجلداً ، عدا عن ١٤ مجلدة من نسخ أخرى . وقد قال الإمام الأسنوى عن هذا الكتاب : لم يصنف مثله . على ما فى (شذارات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٣ ص ٢٨٥) حيث ترجم له فى صفحة كبيرة وزيادة .

محمد أسامة عليبة

سبق قلم :

فى مقال الآنسة الفاضلة نعمت فؤاد فى العدد (٧٨١) من الرسالة الغراء حول (المتنبى وكافور) قالت تستشهد بأبيات المتنبى على طماحه حين قال :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم ... إلى غيوث يديه والشآبيب

إلى الذى تهب الدولات راحته ... ولا يمن على آثار موهوب

وهبت على مقدار كفى زماننا ... ونفسى على مقدار كفيك تطلب

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية ... فجودك يكسونى وشغلك يسلب

وقام فى روعها أن الأبيات من قصيدة واحدة ، ولم تلتفت إلى أن كل بيتين منها الأول والثانى — والثالث والرابع) ينسب إلى قصيدة قائمة بذاتها . . وقوى الظن عندها أن حرف الروى — وهو الباء — فى الأبيات كلها واحد . . ولكنها لم تشأ أن تلتفت إلى أن البيتين الأولين من — البسيط المردف — وأن البيتين الأخيرين من الطويل الخالى من الردف . .

والمقال — بعد — لا يغض من قيمته الأدبية سبق قلم . . والسلام ...

(الزيتون) **عمر نابه**

تعقيب :

فى العدد (٧٨٢) من مجلة الرسالة الغراء يقول الأستاذ ضياء الدين الدخيلى فى مقاله (الفتوة فى التاريخ الإسلامى وكتب اللغة) : —

« غير أنى أجد من الغريب أدعاء بعض الأدباء وعلماء اللغة أن استعمال كلمة الفتى بمعنى الرجل الشهم النبيل المتحلى بفضائل الرجولة — هو استعمال مولد ، وهذا هو طرفة ... » إلى أن يقول ... وقال المتنبى : —

فلما أنخنا ركزنا الرماح ... بين مكارمنا والعلا

(الأبيات)

والاستشهاد بأبيات طرفة لا غبار عليه ، وأما استشهاده بقول المتنبى ثم بقول ابن هرمة فبدهى أنه بعيد عن الصواب ، لأن المتنبى وابن هرمة من الشعراء المولدين ، وكلامه فى الاستدلال على أن استعمال الفتوة بمعنى الشهامة عربى غير مولد .

وهذا مما يوقع القارىء فى شك من أمر الأبيات الأخرى التى لم ينسبها الكاتب لقائلها ، هل هى مولدة أم غير مولدة ؟

محمد عبد الغافر الجمل

المعلمين العليا



من الأدب الإيطالي :

الأرنب

قصة للكاتبة الإيطالية جرازيا دليدا

ترجمة الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

قامت الجزيرة الصغيرة وسط النهر العريض ، وقد توسطتها بحيرة صغيرة ، أو بالأحرى غدير تحيط به الأشجار والحشائش الطويلة الناعمة ، مرصعة بأزهار عباد الشمس الأرجوانية ، على صفحته كل صور الطبيعة ، فظهرت أكثر جمالا وأرق خيالا .

وأضفى على المكان ، حيث سماء الخريف المتجددة الألوان المتغيرة السحب نهاراً ، وحيث البدر المضيء والنجوم المتلألئة ليلا ، وأشباح الأفنان المتمايلة تنعكس على مرآة البحيرة العميقة ، أضفى كل ذلك عليه جواً من الخيال الرائع .

وفي ذات يوم أرسى الصياد قاربه على الشاطىء الرخو للجزيرة المهجورة ، وانطبعت آثار أقدامه على الرمل الأملس . ورأى البدر يظهر خلال الأفنان فينعكس نوره اللازوردي على ماء الغدير الصغير ، فبهر بجمال ذلك العالم المجهول ، وتلك السماء الشاسعة الغامضة التي ظهرت على صفحة الماء كأنها خارجة من قلب الارض ذاتها .

ورأت أرنب عجوز كانت تعيش بين الأشجار على ضفة الغدير رأت الصياد عدوها اللدود ، فولت هاربة في خفة وسكون ، وقد رفعت أذنيها كأنهما سلاح تذود به عن نفسها .

وغرق الرجل في أحلامه ، وفقدت الأرنب أحلامها . وعندما وصلت وسط الغابة ربضت تحت شجرة قائمة وانتظرت وقتاً طويلا وهي ترهف السمع وتشتم الهواء بأنفها الصغير المرتعش وقلبها يدق دقات قوية لم تستمع إلى مثلها منذ شهور وشهور .

لقد ظنت الأرنب العجوز عندما اختفت جميع الأرانب من أرض الجزيرة بعد الفيضان السابق أنها المالكة الوحيدة لهذا المكان ، وكم حلمت بالعيش هنا بقية أيام حياتها عيشة هادئة ، وحيدة لا ينازعها أحد ، بعد أن هرمت وهجرها أولادها وتخلى عنها الذكور ، ولكن ...

وتذكرت ، لقد عاشت بين جذوع الأشجار التي اكتسحها الفيضان وألقى بها على الضفة المرتفعة للغدير الصغير . وأضحت الجزيرة القاحلة لا يهتم أحد بارتيادها ، وحتى بعد أن جف رملها ونبتت الحشائش على ضفاف الغدير ، لم يزرها الصيادون ، ولم يبق فيها إلا الهدوء والوحدة . ولم يعكر ذلك الصفو سوى تغريد البلابل على الأشجار ، إلى حفيف الأغصان وهي ترحب بالماء يجري تحت ضوء القمر فتهتف قائلة « وداعاً أيها الماء ، إنه من الأفضل أن تجري من أن تظل ساكنا » فيرد عليها الماء مندفعاً نحو البحر «وداعاً ، أنه خليق بك أن تظل ساكنا من أن تجري وتجري على الدوام » .

وكانت الأرنب تستمع إليهما فتشعر بالسعادة تغمر كيانها . إنها أقوى من الأشجار وأسرع من الماء . لقد كان في استطاعتها أن تظل ساكنة ، أو تظل جارية .

ومرت الشهور ، وصمتت البلابل ، وتساقطت أوراق الأشجار ، وأصبحت الأرنب العجوز في سعادة وهدوء وطمأنينة لم تشعر بها من قبل . أما الآن ، فقد أقبل ثانية ذلك الشبح الداكن المرعب ... ولماذا يعود ؟

ورقدت الأرنب منطوية على نفسها بين الأشجار ، وعيناها تحدقان تحت جفونها المحمرة . كانت ترى أمامها امتداداً من الرمل اللامع تحت ضوء القمر ، وقد أحاطت بالدغل تلك الساحة التي كانت مرتعاً وملهى لها زمن الصبى والشباب . كانت إذ ذاك تثب وتتعقب ظلها أو ترتقب حبيبها في الليالي التي يشرق فيها البدر ...

وتحرك خيال على الرمل أعقبه آخر ، فظنت الأرنب أنها تحلم . ولكن سرعان ماعاد الخيالان إلى الظهور وجعلا يلعبان ويمرحان لم يكن هناك أدنى شك في حقيقة وجودهما . كانا أرنبين . وعندئذ

أدركت المخلوقة العجوز سبب عودة عدوها الداكن ، ذلك الصياد ، وظهوره فى الجزيرة ليلا . وعندئذ انفجر بركان غضبها . لقد انتهكت رفيقتاها حرمة هذه الجزيرة ، جزيرتها ، واحتلتها دون وجه حق ...

إن السن والوحدة قد خلقا منها مخلوقة متوحشة أنانية . وكان غضبها ، عندما شاهدت الأرنبين أكثر من غضبها عند رؤيتها ذلك العدو الداكن . وعندما اندفعت من مخبئها وتحركت صوب الفضاء الرملى ورأت الأرنبين العاشقين ، زادة حدة غضبها واشتد سعيره .

ولكن ذلك لم يحل بين العاشقين وبين اللهو والقفز والعدو . كانت الأنثى ممتلئة الجسم شفافة الأذنين . وكانت تعدو حول الذكر وكأنها لا تراه ، ثم ترقد على الرمل ، حتى إذا ما اقترب منها هبت واقفة وجعلت تعدو . وكان الذكر نحيل الجسم مشبوب العاطفة . وكانت كل أنظاره تتجه إلى أنثاه ، فتتبعها واندفع نحوها كانا سعيدين مبتهجين خالى البال .

ولم تتعب الأرنب العجوز من النظر إليهما ، واستمرت تراقبهما حتى اختفيا عن أنظارها بعد أن أجهدهما اللهو اللعب . وارتعشت أذناها كأنهما ورقتا شجر تتلاعب بهما الرياح .

***

ومرت الأيام والليالى ، واختفى القمر وأظلم المكان ، ولما ترجع الأرنب العجوز بعد إلى ضفاف الغدير . كانت تخشى مقابلة الصياد . ورقدت فى أعماق الغابة المظلمة ولكنها كانت تجازف فى بعض الأحيان فتخرج إلى العراء ليلا لتشاهد العاشقين يمرحان فى بهجة وسرور .

وفى ذات يوم سمعت صوت طلقة نارية أعقبتها أخرى ثم ثالثة على بعد كأنها ترداد لصدى بعيد . وأقبل الليل الداكن ، وانحدر القمر خلف الأشجار العالية دون أن يظهر العاشقان فى تلك الليلة الشاعرية التى تليق للعشاق .

لا بد أن العدو الداكن قد اقتنصهما . وعندئذ طغى على الأرنب العجوز شعور من الفرح الشديد جعلها تقفز على الرمل الذى ما زالت تنطبع عليه آثار أقدام العاشقين المسكينين .

وسرعان ما سمعت وقع أقدام بشرية فوات هاربة . واخترقت الغابة حتى اقتربت من الضفة الأخرى للنهر ، ورقدت هناك منزوية حتى مطلع الفجر فى مكان لم تمهده من قبل .

وعندما أشرقت الشمس قامت من مرقدها . كانت الغابة قد أسدل عليها ستار من الضباب ، وتساقطت قطرات الماء البارد من الأشجار . وذهبت الأرنب تستكشف ، واندفعت فى حفرة صغيرة . فرأت ما أثار عاطفتها على الرغم من أنها كانت جامدة العواطف . لقد وجدت عشا لصغار الأرانب رقد فيه أرنبان صغيران ممتلآ الجسم ، يحملقان إليها بأعين ملتمعة . لا بد أنهما نسل الأرنبين الذى اقتنصهما الصياد .

كان أحدهما يلعق رأس أخيه ، وعندما رأى الأرنب العجوز نظر إليها ، ثم جعل يشمها بأنفه المرتعش ثم انكمش خائفاً من جرأته هذه .

وتركتهما الأرنب العجوز وسارت فى طريقها . ولكنها رجعت إليهما ثانية فرأتهما يمرحان ويلعق كل منهما الآخر .

كان ذلك اليوم قاتما باردا . وعندما أقبل المساء بدأت السماء تمطر . فرجعت العجوز إلى عشها القديم بين جزوع الأشجار على الضفة المرتفعة للغدير . واستمرت السماء تجود مطراً مدرارا . إن المطر معناه نهاية الطقس الجميل ، وبدء الطمأنينة والوحدة ، فسرعان ما يصير الرمل رخوا ، ولن يجرؤ الصياد على عبور الغابة المنداة العارية .

ولكن ... ما مصير هذين الأرنبين الصغيرين ؟ وما الذى يحدث لهما هناك فى عشهما الصغير ؟ هل تذكرت الأرنب الوحيدة أولادها الصغار ، ودفء عشها ، وعطف الآباء ؟ إنه من المتعذر معرفة ما جال فى خاطرها فى ذلك الوقت ، ولكنها على أية حال تركت مخبأها عند الفجر وذهبت لترى الصغيرين . كان المخلوقان المسكينان نائمين وقد احتضن أحدهما الآخر . وكانا وهما مستغرقان فى النوم كأنهما يتوقعان قدوم أمهما ، فإنه عند ما أقبلت عليهما الأرنب العجوز مدا أنفيهما وحركا آذانهما .

ونظرت إليهما العجوز بعينين منديتين بالدموع ومدت هى الأخرى أنفها كأنها تشتم رائحة العش .

***

وعادت السماء تهطل مطراً غزيراً ... واستمرت سبع ليال

وثمانية أيام حتى أحاطت الجزيرة غلالة قاتمة من الضباب والماء . وارتفع الماء وظل يرتفع حتى شارف مأوى الأرنب العجوز .

حاولت أن ترجع لتشاهد الأرنبين ولكنه تعذر عليها السير بقرب ملجئها من الرمل المتداعى المشبع بالماء . وأصبح من المستحيل عليها أن تصل إلى الوادى الصغير . وعادت السماء تمطر وتمطر ، واستمعت الأرنب إلى صوت داو قادم من بعيد كأنه ضوضاء جيش معاد غاز يمر مخترقا الأرض مدمرا ما يصادفه .

كانت الأرنب تعرف ذلك الصوت جيداً . إنه هدير النهر المغتصب . فلم تجرأ على مغادرة عشها على الرغم من شعورها بالجوع ونفاذ ما تقتات به اللهم إلا أوراق الشجر الجافة . فاضطرت أن تظل دون طعام بعد أن وصل الماء إلى جذوع الشجر وأصبح من الخطر عليها أن تتحرك قيد أنملة .

وارتفع الماء وظل يرتع فى سكون وحلكة . وظهرت الأرض والسماء والهواء كأنها كتلة واحدة من البرد والماء المضطرب .

وفى اليوم الثامن أقلعت السماء وانقشعت السحب عن زرقتها فبدا القمر يلمع ضوؤه الفضى وغيض الماء وظهر كأنه يتراجع مجهدا من النصر حاملا معه غنائمه وأسلابه من الأغصان وأوراق الشجر والطمى والرمل والمخلوقات الميتة ...

وفى اليوم التالى أشرقت الشمس على المكان المقفر ، فتركت الأرنب مخبأها وجعلت تتطلع حولها .

لقد اختفى الغدير وحل محله تيار بطىء من الماء المشرب بالوحل يجرى تحت الضفة العالية حاملا معه ضحاياه .

وفجأة لاح للأرنب العجوز بين الأغصان العارية وأوراق الأشجار الجافة وآلاف الفقاعات الصغيرة كأنها حبات عقد انفرط لاح لها الأرنبان الصغيران ، جثتين هامدتين ، نحيلين طويلين مفتحى الأعين مرتفعى الآذان ، يسبحان ويسبحان فى الماء الجارى ، الواحد بجانب الآخر وكأنهما شقيقان صغيران لا يود أحدهما الافتراق عن الآخر حتى بعد الموت .

وهكذا عادت الوحدة والوحشة تطرقان قلب الأرنب العجوز وهكذا عادت الجزيرة إلى حالها من الهدوء والسكون .

(الاسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٥ – الاثنين ١٩ يوليو ١٩٤٨ – السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٥

مجلة الرسالة ... للعلوم والفنون

16 em Année No. 785

Lundi — 19 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
١٠٠ في العراق بالبريد السريع
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٦٧ — ١٩ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

قضـــية مكسوبة

للأستاذ عباس محمود العقاد

يحمل صديقنا « الأستاذ الحداد » مطارقه كلها في هذه الأيام .

ويضرب بهذه المطارق كلها على رؤوس الصهيونيين !

فتارة يتناول التلمود ويكشف عما فيه من الوصايا الخفية ، وتارة أخرى يتناول المجامع العليا وما تأتمر به من مؤامراتها الجهنمية ، ويعرض أحياناً للماسونية التي تتخذ هيكل سليمان شعاراً لها ولا تخلو من صلة بسياسة إسرائيل ، ويعرض أحياناً أخرى لدسائس القوم في العصر الحديث وهي نمط منقح من دسائسهم في كل تاريخ قديم .

وحسناً صنع الحداد .

فإنه الآن على الأقل ليضرب بمطارقه حيث تنزل مطارق الله .

وما نزلت مطارق الله على قوم كما نزلت على هؤلاء « شعبه المختار » ... فكأنهم شعبه المختار بمعنى واحد ، وهو معنى الاختيار للنقمة والعقاب .

وآخر ما قرأته له في هذه الحملة الحدادية كلامه عن كتابة التوراة العبرية في عهد موسى عليه السلام .

فهو ينفي كتابة الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليه السلام في عهده ، ويستدل على ذلك بتاريخ الكتابة بين العبرانيين .

ومن المحقق أن هذه الأسفار الخمسة كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بزمن طويل ، وليس أكثر من الأدلة التاريخية القاطعة التي لا تدع لذرة من الشك موضعاً في ثبوت هذه الحقيقة ؛ ولا حاجة بنا ولا بالأستاذ الحداد إلى سرد هذه الأدلة التاريخية المطولة ؛ فإن نصوص الأسفار الخمسة نفسها تغنينا عن كل دليل .

إذ تروى هذه الأسفار فيما تروى نبأ ملك قديم قام في بني إسرائيل . ومعنى ذلك أن هذه الرواية كتبت بعد قيام الملك فيهم على عهد شاؤل وداود وسليمان : أي بعد موسى بثمانية أو تسعة قرون .

ومن أعجب العجب أن تنسب هذه الأسفار إلى موسى وفيها وصف موته ودفنه ، ومقارنة بينه وبين التابعين له من الأنبياء .

ففي الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب . ودفنه في الجوا في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم » .

وفي ذلك الإصحاح أنه لم يقم بعد موسى في إسرائيل نبي مثله ، ومعنى ذلك أن هذا الإصحاح كتب بعد قيام أنبياء كثيرين تنعقد المقارنة بينهم وبين موسى عليه السلام .

فمن الثابت قطعاً أن هذه الأسفار العبرية كتبت بعد عصر موسى عليه السلام بعدة قرون .

ولكنني أكتب هذا المقال لأبسط فيه الرجاء إلى صديقنا

الحداد أن يرجىء حملته على هذه « المستندات » العبرية ، لأنها قد تنفعنا فى قضية مكسوبة إن شاء الله . وهذا هو خط سير القضية التى نعتمد فيها على تلك المستندات ، حتى ينكرها الصهيونيون فنكسب ، أو يعترفوا بها فنكسب ، ونحن الكاسبون على الحالتين .

* * *

فتحت محكمة العدل الدولية عن مندوب مصر يطالب عصابة إسرائيل بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

قال القاضى لمندوب مصر : علام تستند فى دعواك ؟

قال المندوب على وثيقة لا يطعن فيها الصهيونيون !

قال القاضى : أين هى ؟

قال المندوب هى هذه ، ودفع إليه بنسخة من التوراة العبرية .

ويظهر أن الأوربيين والغربيين لا يقرأون التوراة فى هذه الأيام ؛ لأنهم لو كانوا يقرأونها لعرفوا منها تاريخ هؤلاء القوم ، وعرفوا منها أن أنبياءهم كانوا يصفونهم مرة بعد مرة بالتمرد والعصيان وغلظ الرقاب ، وأنهم ما برحوا منذ كانوا على شقاق وشغب واضطراب .

قال القاضى : وماذا فى هذه الوثيقة مما يثبت دعواك ؟

قال مندوب مصر : فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج : « يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين » .

قال القاضى : هذه نية . هذا شروع ، فهل تمت الجريمة .

قال مندوب مصر : نعم تمت . فقد جاء فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج أيضاً « إن بنى إسرائيل ارتحلوا . . . نحو ست مئة ماش من الرجال عدا الأولاد ، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر مواشى وافرة جداً » .

وجاء فى الإصحاح قبل ذلك « أنهم طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين » .

* * *

فسأل القاضى مندوب مصر : ولكن علام بنيتم تقديركم المبلغ المطلوب ؟

قال المندوب : ثابت يا حضرات القضاة من هذه الوثيقة أن عدد الرجال فقط من بنى إسرائيل كان ستمائة ألف رجل ، عدا النساء والأولاد ، فلا يقل عددهم جميعاً إذن عن ثلاثة ملايين .

وثابت من هذه الوثيقة أنهم كان معهم لفيف كثير .

وثابت منها أن المواشى التى أخذوها كانت كثيرة جداً .

وثابت منها أنهم أخذوا أمتعة ذهب وفضة وثياباً موشاة مما يلبس فى الأعراس .

فإذا قدرنا هذا — مع الفوائد المستحقة فى نيف وثلاثين قرناً — فليس هنالك أقل مبالغة فى تقديره بعشرين مليوناً من الجنيهات الذهبية .

فتداول القضاة قليلا فيما بينهم ثم سأل رئيسهم مندوب عصابة إسرائيل :

ما قولك فى الدين المطلوب ؟

قال المندوب الصهيونى : إنى أنكره ولا أعترف به .

قال رئيس القضاة : ولم ؟ هل تطعن فى الوثيقة ؟

قال : كلا . لا أطعن فى الوثيقة .

قال القاضى : إذن ، هل تطعن فى التقدير ؟

فالتفت المندوب إلى مستشاريه ، وتداولوا الرأى فيما بينهم ملياً ، فتبين لهم أن الطعن فى التقدير ينتهى إلى الحكم بمبلغ كثير أو قليل على كل حال . ثم عاد مندوبهم إلى الكلام وهو يقول :

إننا يا حضرات القضاة لا نطعن فى الوثيقة ولا نطعن فى التقدير ، ولكننا نطلب الحكم بسقوط الدعوى لمضى المدة .

فنظر القاضى إلى مندوب مصر سائلا :

ما جوابك على هذا الدفع ؟

قال المندوب : جوابى أن المدة التى مضت على هذا الدين المعترف به هى المدة التى مضت على حق القوم المزعوم فى ملك فلسطين . فإن سقطت الدعوى هنا سقطت الدعوى هناك .

ولم يسع القاضى إلا أن يسأل الطرفين :

أتوافقون إذن على إسقاط الدعوى جملة فى هذه الوثيقة ؟

قال مندوب إسرائيل على عادة القوم فى كل مطلب وفى

كل دعوى : بل تعتبر القضية قائمة فى دعوى صهيون ، وتسقط القضية فى دعوى المصريين !

يا صديقى الحداد !

أنت ترى «خط سير القضية» ... وأنت رجل كيمى ورجل أديب ، ولكنك لا تجهل أن الدعوى مكسوبة على الحالتين ، وإن ساورتك الظنون كما تساورنا فى محاكم الدول وهيئات التحكيم

فهلا رفعت من مطارقك التى تهوى بها على هؤلاء القوم مطرقة واحدة إلى حين ؟

هلا رفعت عنهم مطرقتك التى تهوى بها على « مستندهم » القديم ؟

إرفعها قليلا . وتكون يومئذ قد صنعت بهم ما صنع الحداد

عباس محمود العقاد

هـــذا يوم الحساب

التعويضات والغرامات على اليهود

للأستاذ نقولا الحـــداد

ينص البند ٩ الأخير من مقترحات برنادوت على أن « يعترف عنصرا الاتحاد بحقوق سكان فلسطين الذين اضطرتهم ظروف القتال إلى مغادرة بيوتهم وممتلكاتهم فى العودة إليها دون قيد وفى استعادة كل أملاكهم »

كثر الله خيرك يا سيد برنادوت جزاء إذنك بعودة العرب المشردين من بلادهم بسبب وحشية اليهود وفظائعهم ، ومنحك إياهم حق استعادة أملاكهم ! فهل لاح فى خاطرك أن العرب ليس لهم الحق فى الرجوع إلى بيوتهم وفى استرداد أملاكهم ولكنك تتفضل أنت بمنحهم هذا الحق؟

هل تمنى أن تعاد لهم بيوتهم منسوفة متهدمة مدكوكة إلى الحضيض ولم يبق منها إلا أرضها مغطاة بالركام ؟ وهل تمنى أن تعود لهم بيوتهم فارغة من كل أثاث ورياش وسجاد فاخر إلى آخره ، ومن كل مؤونة كما تركوها وكانوا قد ملئوها أغذية حاسبين حساب الارتباك وفقدان الأطعمة من الأسواق ؟ وهل تمنى أن تعاد لهم دكاكينهم فارغة من السلع الثمينة وغير الثمينة أو متهدمة كمنازلهم ، أو أن تعاد إليهم مرافقهم ومصانعهم وجميع أسباب رزقهم وقد دمرت تمام الدمار ولم يبق لهم رسم دار ؟ وهل تمنى أن تعاد لهم مدارسهم وقد خربت وجعلت مرابض للمدافع ومكامن للذخائر وأوعية للأقذار — أقذار الجوييم (أى الأنجاس) ؟ وهل تمنى أن تعاد لهم معابدهم ، وقد تدنست بأدناس الصهيونيين الفحشاء ، وأرجاسهم الداعرة ، ونجاساتهم « الآرية » . وهل تمنى أن تعود لهم مزارعهم تالفة الزراعات محصودة الغلات ، وبساتينهم مقطعة الأشجار والأغصان ومأكولة البرتقال والأثمار ؟

إن الذين غادروا بلادهم هم العرب وحدهم ، وقد هربوا من طغيان اليهود العتاة ، ففروا إلى إخوانهم العرب مستنجدين . أما اليهود فلم يغادروا مدنهم ومستعمراتهم لأن العرب لم يضطروهم إلى الهرب بأى سبب . وإلى أين يهربون وحولهم خصومهم من كل صوب ، فإلى أى جهة فروا وجدوا أنفسهم فى (أحضان العرب الخصوم يعاملونهم معاملة الخصم الكريم .

مهماً يا سيد برنادوت . لم تكن كارثة الفلسطينيين المشردين فى مغادرة ديارهم وتخريبها ونهبها فقط ، بل فى ضياع أسباب معايشهم جميعاً وفقد أموالهم وإضاعة كسبهم ومتاجرهم فى حين أنهم كانوا عالة على إخوانهم عرب مصر وشرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق على الرغم من أن هؤلاء الإخوان رحبوا بهم وما استثقلوا ضيافتهم بل قدموا لهم كل إعانة كأنهم أهل البيت ولكن النفوس الأبية لا تحتمل طول هذه الضيافة .

لا ندرى كم من ملايين الجنيهات (لا الدولارات) خسر العرب فى هذا التشريد فضلاً عن الأنفس الزكية والأرواح الثمينة التى أزهقتها فظاعات اليهود . كل هذه لم يحسب لها السيد برنادوت حساباً فى تعطفه على العرب . ولكن العرب لا يصبرون على هذا الضيم مهما تناهوا فى كرم الأخلاق لأن ضيفهم الجنس الصهيونى ساقط الأخلاق ، معدوم الضمير ، فلا يستحق سماحاً ولا مغفرة

لذلك كان على الدول العربية جميعاً أن تحصل حقوق العرب الفلسطينيين المادية (علاوة على الحق الوطني) من هؤلاء اليهود الطغاة الذين بلغ بهم الصلف كل مبلغ . وهذا التحصيل ليس بالصعب بل هو أسهل من السهل . أما أن نعتمد على قضاء برنادوت أو مجلس الأمن في تحصيل هذه الحقوق من يهود فلسطين أنفسهم فهو عبث ، لأن اليهود لا يدفعون حقاً من تلقاء أنفسهم .

ولكن لإخوانهم في سائر البلاد العربية أموالا وأملاكا وأسهماً وأوراقاً مالية لا تحصى . وقد استنزفوها من ثروة البلاد بلا جهد ولا عناء . وكانوا يساعدون بشيء كثير منها الصهيونيين في تل أبيب — الصهيونيون الذين صنعوا هذه الكارثة الأليمة فلا يتعذر على الدول العربية أن تحصل تلك الغرامات والتعويضات من هؤلاء اليهود الأعوان . وللدول العربية عذر وجيه جداً في أحقية هذا التحصيل . وهو أن حوادث التفتيش عن الأشخاص الخطيرين في البلاد فضحت هذا العنصر الخطير (الجويم) الذي يهيىء ثورة محلية يراد بها قلب الحكم الحاضر بحيث تكون عاقبته امتداد الصهيونية إلى مصر وجميع البلاد العربية . فكل يوم يظهر من تفتيش البوليس أشخاص يملكون أسلحة وقنابل ومنشورات بالعبرية والعربية تدل على أن في عزم الصهيونيين « الأبيبيين » أن يغزوا مصر حالما ينتهون من غزو فلسطين . والانفجارات التي حدثت في حارة اليهود أخيراً تدل على أن هناك معمل الشيطان الصهيوني ؛ فإن أولئك الذين نسفهم الانفجار كانوا يصنعون قنابل شديدة الانفجار جداً . فلماذا كانوا يصنعونها ؟ ولمن ؟ وعلى حساب من ؟ وقيل إنهم كانوا يرسلونها إلى تل أبيب . وأخيراً جاءهم بلاغ من هناك أن احفظوا هذه المتفجرات عندكم إلى أن نذهب إليكم لأننا ذاهبون .

وكلنا يعلم أن بعضاً من الأشخاص الذين قبض عليهم كخطرين ووجدت عندهم متفجرات هم كبار أغنياء إسرائيل والقابضون على أعنة مالية البلاد . فكل هذه الأمور تبرر للحكومة المصرية وكل حكومة عربية أن تصادر أموال كل صهيوني ثبتت عليه شبهة الخطر ، وأن تفرض ضريبة ثقيلة على كل صهيوني غيره استرداداً لما كان يرسله من المال إلى تل أبيب سراً لإعانة الصهيونية .

فإذا جرت الحكومة على هذه الخطة أمكنها أن تجمع التعويض اللازم للعرب الفلسطينيين ، والغرامة التي هي جزاء فظاعات الصهيونيين . وليس في الشرائع المدنية أو الإلهية ما يمنع هذا الإجراء ، فهو حق وأقل من الحق . فعسى أن تفكر الحكومة في هذا الموضوع ، فهو جدير بأن يأخذ من اهتمامها كل مأخذ .

لا بد أن تنتهي الثورة الفلسطينية بالنصر إن شاء الله . فإذا رغبت الحكومات العربية أن تسترد خسائر العرب وتغرم الصهيونيين الغرامة اللازمة لثورتهم فلا تجد وسيلة لتحصيل هذه التعويضات والغرامات غير هذه الوسيلة ؛ فيحسن بها جميعاً أن تشرع في هذا العمل تواً ...

نقولا الحداد

من أهـــداف الصهيونية

للأستاذ محمـــد أسامة علية

أنشأ الحركة الصهيونية في لندن سنة ١٨٩٦ الدكتور هرتزل اليهودي النمساوي ، واشتهرت باسم الصهيونية لأن أبرز من سعى إليها هي (جمعية صهيون) في النمسا ، وهي جمعية تسمت باسم جبل في صحراء سينا عسكر فيه بنو إسرائيل لإقامة الصلاة بعد نجاتهم من فرعون .

وقد دخل بالتبشير بدينهم كثير من أمم شتى كالسيفرديم الذين انحدروا من سلالة الإسبانيين والبرتغاليين ، والإيشكينازيم وهم يهود روسيا والنمسا وألمانيا والمجر ، والمنفصلون وهم من آباء رومانيين وأمهات من يهود ..

ولهم في الحركات السرية أعظم يد ، ومن أبرزها (الماسونية) وقد عقدت الجمعيات الصهيونية في (بال) في سويسرة مؤتمراً سنة ١٨٩٧ وضعت فيه أسس نظام فتوحاتها في المستقبل على ضوء ما نجحت فيه من خططها ، فكتبوا ٢٤ محضراً تضمنت جماع الخطة والهدف الذي يبلغ باليهود إلى السيطرة على العالم معتمدة على المال والمؤامرات والاغتيالات والدعايات وبث القلق والاضطرابات خلقياً وعملياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، واحتضن ذلك قادة الحركة الصهيونية المعروفون بحكماء صهيون ، وهم القائمون بإدارة السياسة اليهودية ، العابثون بسياسة العالم تمهيداً لعودة ملكهم .

وذاعت هذه المحاضر وكان من شدة وقع ذلك أن استيقظ العالم الغربي النصراني لما تبيته له الصهيونية من سهام مسمومة . وأول من وصل إلى هذه المحاضر هو اليكس نيقولا نيفتش عميد اشراف شرق روسيا ، فسلمها إلى سرج نيلوس وطلب إليه الاستفادة منها بما يحمي مصالح الوطن وعقائد أبنائه ، فنشر كتابه عنها سنة ١٩١٩ فارتاع الصهيونيون لذيوعها وشكا هرزل رئيسهم من اطلاع (الكفار) على أسرار هذه المحاضر ، وقد حاولوا إنكارها ، وحذر آخرون من أغراضها ، وهذا مما يثبت أن اعتماد اليهود على الجميعات والدعوات السرية كاعتمادهم على المال والرشوة واستخدام الوسائل الإرهابية في سبيل مطمعهم بالسيادة العالمية .

موجز المحضر الأول :

القوة الوحشية الغاشمة هي وحدها التي أخضعت الوحوش الضارية التي تدعى بشراً ، ثم خلفها القانون وهو نفس القوة ، إلا أنها مقنعة . فالحق كائن في القوة . والذهب في عصرنا أعظم نفوذاً من الحكومات . والصفات السامية كالصدق والنزاهة هي عيوب ونقائص لا تصلح لنا هدفاً ، وإنما القوة هدفنا ، ويجب أن نتسلح بها للانقضاض على الأنظمة والشرائع وقلبها رأساً على عقب . وبسبب ضعف جميع السلطات في الوقت الحاضر يدوم سلطاننا لأنه مشيد على أسس متينة لا يمكن أن تنال منها الخدع والدسائس وقوة الشعب عمياء لا شعور لها وتنقاد إلى جميع الجهات ولا تقوم للمدنية قائمة إلا إذا قام فيها الحكم المطلق حكم الفرد . وعمالنا من معلمين وخدم ومربيات في دور الأغنياء ومستخدمونا في كل مكان ، ونساؤنا في قاعات الملاهي يسوقون الشعوب إلى مهاوي الانحلال الخلقي الذي يمهد لنا الوصول إلى أهدافنا . ويجب أن نتخذ العنف مبدأ والمكر والرياء قاعدة . ويجب أن لا نحجم عن الالتجاء إلى الرشوة والخداع والخيانة في سبيل بلوغ مآربنا . وينبغي الإقدام على اغتصاب ملك غيرنا إذا كان في ذلك ما يحقق سلطاننا . والقسوة التي لا تعرف اللين هي أول عامل في قوى دولتنا ، وبها سنخضع جميع الحكومات لحكومتنا العليا .

موجز المحضر الثاني :

من مصلحة اليهود نقل الحروب إلى الميدان الاقتصادي لترى الأمم عظيم تفوقنا في هذا المضمار فيضطر الفريقان المتحاربان أن يكونا في يد عملائنا الدوليين ، فنقبض على توجيه الشعوب إلى حيث أردنا . ولكي لا نقع في أخطاء سياسية وإدارية يجب أن لا تفوقنا العناية بآراء الشعوب وأخلاقها وميولها العصرية ، مع المقايسة بين نتائج الماضي والحاضر .

وللصحافة قوتها التي لا تنكر ، ولكن الدول لم تحسن الاستفادة من هذه القوة فوقعت في أيدينا ، وقد استطعنا بواسطتها أن نحرز جانباً مدهشاً من النفوذ وأن نجمع الذهب الوهاج في قبضتنا .

موجز المحضر الثالث :

يجب أن نصل إلى فصل قوة رجال الحكم البصيرة عن قوة الشعب العمياء لتفقد القوتان أثرهما ، وتصبحا عاجزتين كعجز الأعمى الذى يفقد عصاه . ولكى ندفع ذوى المطامع إلى إساءة استعمال السلطة وضعنا جميع القوى المتعارضة وجهاً لوجه وقوينا ميولها الحرة إلى الاستقلال ، وشجعنا كل مشروع يؤدى إلى هذا الغرض وحولنا الممالك إلى ميادين للهرج والمرج . ومتى آن الأوان لأن نخلق بفضل وسائلنا السرية وذهبنا النضار ضائقة اقتصادية عامة ، نقذف فى نفس الوقت بجموع العمال الفقيرة إلى الشوارع فى جميع البلدان الأوربية ، فتقدم هذه الجماهير بلذة على قتل من هم فى نظرها الساذج موضع حسدها وغيرتها وعلى نهب أموالهم ، ولكنها لا تمس أتباعنا بسوء لعلمنا بساعة الهجوم ولاتخاذنا الحيطة للمحافظة على بنى قومنا وإذا عدتم بالذكرى إلى الثورة الفرنسية وجدتم أن سر إعدادها لم يكن يخفى علينا لأنها كانت كلها من صنع أيدينا . ونحن الآن كقوة دولية فى وضع منيع بحيث إذا هوجمنا فى دولة دافعت عنا الدولة الأخرى .

موجز المحضر الرابع :

يجب علينا أن نهدم الإيمان ، وأن ننزع من النفوس المبادئ الإلهية والروحية ، وأن نغرس بدلها حب الحسابات والحاجات المادية ، وأن نشغل الناس بالأعمال التجارية والصناعية لتتجه الأفكار والمساعى إلى تحقيق المنافع الخاصة ، فلا يشعرون بعدوهم العام . ولتفكيك أوصال الجماعات المسيحية وتدميرها يجب أن تتخذ المضاربات قاعدة للصناعة فتخرج جميع الثروات التى تنتجها الصناعة وغيرها من حوزة أربابها إلى فوهة المضاربات فتبتلعها . وما هذه الفوهة إلا خزائننا .

موجز المحضر الخامس :

سيادة الاتحاد المسيحى علينا لا تطول مدتها لأننا بذرنا أصول الشقاق فى كل مكان وأوجدنا التنافر بين مصالح المسيحيين المادية والوطنية ، وأثرنا النعرات الدينية والعنصرية فى بيئاتهم ، وعلى كل حال لا تستطيع الدول اليوم عقد أى اتفاق مهما ضؤل شأنه بدون استطلاع رأينا وموافقتنا . يقول أنبياؤنا إن الله اصطفانا لنسود العالم ووهبنا النبوغ لتكلل أعمالنا بالنجاح .

ولو كان لغيرنا مثل هذا لاستطاع مقاومتنا ، ولكن القادم الجديد لا يساوى الماكن القديم . وسيكون القتال بيننا عنيفاً جداً بلا رحمة ولا شفقة مما لم يشهد العالم مثله . أما أدعياء العبقرية فسيصلون متأخرين لأن المحرك الذى يدير الجهاز الحكومى غدا فى قبضتنا ، وما المحرك سوى الذهب ، وحكماؤنا الذين وضعوا علم الاقتصاد السياسى عرفونا تأثير الذهب العجيب فى العالم . وهذا الذهب يجب أن يجمع الصناعة والتجارة فى احتكاره ، وهذا ما نحن ساعون إلى تحقيقه بواسطة أيد خفية لها اتصال بجميع أنحاء العالم . ومما يجب أن نعنى به فى حكومتنا العتيدة إضعاف الرأى العام بوسائل النقد والتقريع المر ، مع الاستمرار على هذا إلى أن تضمحل عادة التفكير، لأن التفكير يولد المعارضة. ويجب كذلك أن نشغل القوى العقلية بمناوشات خطابية عقيمة . والطريقة المثلى للاستيلاء على الرأى العام تنحصر فى العمل على أفلاقه بأن يغمر بفيض من الآراء المتناقضة تأتيه من كل جانب باستمرار ، فينتهى الأمر بضلال المسيحيين وغيرهم . ويجب أن نتخذ ما يجب لبلبلة الآراء واختلاف مسالك تربية النشء ليكون فى كل أسرة اتجاهات متناقضة بحيث لا يستطيع الواحد فهم مراد الآخر ، وبحيث لا يقوى كائن من كان على إعادة المياه إلى مجاريها ، ومن تأثير هذه الطريقة وقوع الشقاق بين الأحزاب ، وتفرق القوى المتجمعة ضدنا . أما ما يتعلق بثقافة البيئات المسيحية فعلينا أن نقبض على إدارتها بيد من حديد ، ونتصرف فى شؤونها بما يضمن وصولنا إلى أهدافنا .

موجز المحضر السادس :

سننشىء مؤسسات للاحتكار تكون كخزائن للثروات الضخمة ، ويكون لماليات المسيحيين الكبرى وللاعتمادات المالية للدول أوثق علاقة بها ليسهل ابتلاعها فى غد أول نكبة سياسية ولما كانت الاستقراطية المسيحية من حيث هى قوة سياسية قد اضمحلت فقد بقيت أملاكها العقارية ، فهى تستطيع ما دامت مواردها حرة أن تعرقل أهدافنا ، فلابد إذن من الاستيلاء على هذه الأملاك وحرمانها منها ، وأنجع طريقة لذلك هى زيادة الضرائب . وللقضاء على صناعة غيرنا يجب تنشيط المضاربة واستثارة شهوة البذخ والترف ، تلك الشهوة التى تلتهم الأموال بأقرب وقت . ثم نزيد أجور العمال ، ولكنها زيادة لا ينتفعون

منها ، لأننا قد اتخذنا الحيطة لذلك برفع أثمان الحاجات الضرورية . ثم ندبر معاولنا شطر الإنتاج لهدم أسسه ، متوسلين ببعض الوسائل التي تمكننا من تعويد العمال الشغف بالمسكرات وخلق الفوضى . ولكيلا تنكشف حقيقة أغراضنا قبل الأوان يجب نتظاهر بالغيرة على خدمة طبقات العمال ، وبنشر المبادىء الاقتصادية .

موجز المحضر السابع :

إثارة الفتن والشغب والشقاق والبغضاء في جميع البلاد ستكون داعية إلى الاعتراف بمقدرتنا على بث روح الاضطراب أنى شئنا ونشر أعلام النظام حيث أردنا . ودسائسنا المعتمدة على سياسة العقود الاقتصادية والمالية تزيد في تعقيد الشرك الذي نكون قد نصبناه في دوائر الدول . وأما في الشؤون التي تدخل في نطاق ما يسمونه « اللغة الرسمية » فنتخذ خطة معارضة تظهرنا بمظهر أهل الصلاح والإصلاح . وإزاء كل معارضة تثار ضدنا نكون على استعداد لدفع البلاد المجاورة إلى إثارة الحرب على من يجرؤ على مماكستنا ، وإذا ما خطر لهذه البلاد نفسها أن تتحد مع عدونا عمدنا إلى دحرها بإعلان حرب عامة ، وعضدنا في هذه السبيل هو الرأي العام الذي وضعته « السلطة العظمى » سلطة الصحافة في أيدينا . وهدفنا هو إظهار قوتنا للحكومات تارة بوسيلة التعديات الجنائية وطوراً بواسطة المدافع الأمريكية والصينية واليابانية .

موجز المحضر الثامن :

من الواجب أن يحاط نظام حكمنا بجميع قوى الحضارة من كتاب سياسيين وشراع محنكين وإداريين وغيرهم من أهل التخصص في العلوم العليا للوصول إلى أغراضنا . ولما كانت العلوم الاقتصادية لها شأن كبير وجب أن نعنى بتعليمها لليهود ، ويجب أن يكون حولنا جماعات من الصيارفة وأرباب الصناعات والرأسماليين ، ولا سيما أصحاب الملايين لأن الحكم في النتيجة سيكون للأرقام .

موجز المحضر التاسع :

حكومتنا العليا وإن لم يكن لها صفة شرعية اليوم ، لكن القضاء أصبح الآن في أيدينا نضع الشرائع ونصدر الأحكام ، ولنا سلطة القائد العام ، بل نحن نمارس الحكم بيد من حديد . ونحن مصدر الإرهاب المنتشر في كل صقع ، وفي خدمتنا رجال ينتمون إلى مختلف العقائد والمبادىء من ملكيين وجمهوريين واشتراكيين وشيوعيين ، ومن جميع أنواع الخياليين ، يعملون في سبيل مصلحتنا ، وجميع الدول تعاني المشقات والأهوال من جراء هذه الحال ، وتسعى جهدها لاقرار السكينة وتبذل ما وسعها البذل في سبيل السلام . وأما نحن فلا نمتعها بالراحة والسلام ما لم تعترف بحكومتنا العليا ، وانقسام الشعوب إلى أحزاب دفعها بجملتها إلى أحضاننا ، لأن النضال الحزبي لا يقوم إلا على المال وهو في قبضتنا . والذي كنا نخشاه هو قيام الألفة بين قوى الطبقة الحاكمة المثقفة وقوى الشعب الغاشمة ؛ ولكننا احتطنا لذلك فأقمنا جداراً وحالة ذعر بين الفريقين .

موجز المحضر العاشر :

يجب أن نقاوم النزعة إلى البروز الشخصي بدفع الشعب إلى مكافحة من يطوح به الغرور إلى إشهار نفسه بالفعل والكلام ، والشعب لا ينقاد لسوانا ما دمنا نكافئه على طاعته ويقظته . ويجب أن تكون خططنا سديدة ، ولذلك لا نسمح بعرضها على جماعة يتناقشون فيها كالمجالس التشريعية فتخرج منها وفي طياتها آثار جميع الآراء الخاطئة . ويجب أن نتوصل إلى جمع الحكومات كلها تحت سيطرتنا لإلغاء جميع الدساتير القائمة ، ومما يجب التوسل به لبلوغ هذه الأهداف إثارة الشقاق والعداء والبغضاء بين الشعب والحكومة ، وخلق المجاعات وبث جراثيم الأمراض وتعميم البؤس في كل مكان .

موجز المحضر الحادي عشر :

يجب أن نطرح من قاموس البشرية : حرية الصحافة وحرية الضمير ومبدأ الانتخاب لنستطيع بسط سلطاننا المعصوم الذي لا يرجع إلى صواب ولا يعترف بخطأ . ويجب أن نقمع كل حركة تثار ضد هدفنا هذا : والله قضى علينا نحن شعبه المختار بالتشتيت الذي سبب ضعفنا ، ولكن هذا الضعف هو الذي ولد هذه القوة التي عادتنا إلى أبواب السيادة العالمية .

موجز المحضر الثاني عشر :

للحرية عند الناس معان شتى ، فيجب علينا أن نحصرها

ونحدها بقولنا : هى حق التصرف بما يجيزه القانون . وفى وسع القانون أن يبدع أو ينقض كل ما من شأنه أن يغاير روح برامجنا وأغراضنا : وأما الصحافة فيجب أن نكبح جماحها ونجعل منها مورداً لدولتنا فنسن الضرائب الصحفية ، ونفرض ضماناً مالياً على كل صحيفة أو مطبعة ، ثم نفرض غرامات نقدية باهظة على المخالفات فنأمن شر الحملات الصحفية .

موجز المحضر الثالث عشر :

سعينا إلى اقتناص الرأى العام يمهد السبيل لاتمام أغراضنا ، ولكى نحول أنظار الذين تهمهم السياسة إلى نواح أخرى ، يجب أن نثير البحث فى شؤون جديدة كالشؤون الصناعية وندعهم يتحمسون ويغضبون ما طاب لهم ذلك . ونقترح لنشغل الشعب عن شؤونه المهمة فتح أبواب الملاهى والألعاب ونقيم لها دوراً حافلة . كما يجب أن نشوق الأفكار إلى ابتداع أنواع النظريات الخيالية .

موجز المحضر الرابع عشر :

يجب أن لا نعترف بغير ديننا لأننا الشعب المختار ، فيتحتم علينا أن نهدم جميع المذاهب الدينية ، وأحياء الديانة الموسوية التى تستقر فيها القوى التهذيبية والأخلاقية ، وسيتولى فلاسفتنا نقض العقائد المسيحية وغيرها ، وقد نشرنا فى البلاد التى يدعونها متقدمة أدباً إباحياً قذراً وسنواظب على دعمه .

موجز المحضر الخامس عشر :

يجب أن تكون سلطتنا قائمة على الإرهاب الذى سيرفعها إلى مرتبة المصطفين من لدن العزة الإلهية على نمط الأوتوقراطية الروسية عدوتنا اللدود فى هذا العالم هى والبابوية معاً . اذكروا مثل إيطاليا الدامية التى أغرقها (سيلا) (١) بالدماء ، وأذاق الشعب الموت الأحمر ، فأكبر الشعب فيه البسالة فمنحه مزايا العصمة والحصانة . وإلى أن نرتقى سدة الحكم يجب أن نضاعف عدد المحافل الماسونية فى العالم ، ونتخذها مقراً للاستخبارات ووسيلة لتسيير أعمالنا ، ويكون من أعضاء هذه المحافل جميع رجال الشرطة لأن لهم شأناً خطيراً لاستطاعتهم كبح جماح من يعن له التمرد علينا ، وفى وسعها أن تستر أعمالنا . وكل من سعى فى عرقلة أعمالنا حل اغتياله . ولا يجوز فى قضائنا استئناف الأحكام لكيلا يفهم الشعب خطأ أحكامنا . وإذا وضع ملك إسرائيل التاج الذى تقدمه إليه الممالك الأوربية وغيرها على هامته المقدسة أصبح أباً للعالم أجمع .

موجز المحضر السادس عشر :

الجامعات العلمية القائمة الآن هى قوة مجتمعة متضامنة ، فيجب تقويضها وتشييد غيرها على أن تحيا بروح جديدة ، ويعد لها فى الخفاء رؤساء وأساتذة يزودون بمناهج مفصلة للتمهيد لأغراضنا ، ويجب أن نطوى من المناهج مادة الحقوق المدنية وكل ما له صلة بالشؤون السياسية ، ولا تعلم هذه العلوم إلا لبضعة عشر طالباً يختارون من ذوى المواهب ، ثم يكونون تحت أمرتنا

موجز المحضر السابع عشر :

نقابات المحامين توجه مجهوداً دائماً إلى صالح الدفاع ، فيجب وضعها ضمن إطار ليتسنى جعل أعضائها عمالا للتنفيذ . وقد وجهنا جهودنا إلى إفساد رسالة الأكليريكية المسيحية التى تؤخر وصولنا إلى بعض أهدافنا فأخذ نفوذها يتداعى فى نفوس الأمم ، وعما قريب ستموت الديانة المسيحية ، ثم تموت الأديان الأخرى نتيجة لمساعينا . ومتى حان الوقت لهدم الصرح البابوى جعلنا ملك اليهود البابا الصحيح للعالم والبطريرك الوحيد للكنيسة العالمية

وسيكون قدوتنا فى الحكم (فنشو) (١) فنقبض كل يد من الأيدى المائة التى نمتلكها على لولب من لوالب الجهاز الاجتماعى فنستطيع الاطلاع على ما نريد بلا مساعدة من الشرطة الرسمية ، والجاسوسية والوشاية لا يعدان من الأمور المشينة بل من الواجبات لنبلغ ما نريد بمعونهما .

موجز المحضر الثامن عشر :

حينما نحتاج إلى تعزيز قوى الشرطة ، نلجأ إلى افتعال الاضطراب والمظاهرات وإعلان سخط الشعب بلسان أشهر الخطباء ، وحينئذ نتخذ من هذا ذريعة لإصدار الأوامر بمضاعفة المراقبة . والحكام القائمون الآن سنضطرهم إلى الإقرار بعجزهم عن حماية أنفسهم فيتخذون الحيطة لحماية أنفسهم جهاراً فنقضى

---

(١) هو دكتاتور رومانى ولد عام ١٣٦ ق . م سيطر على روما ثم على جميع إيطاليا ، وأمر بقتل خصومه بلا محاكمة .

(١) هو الأقنوم الثانى من الثالوث المندى ، وهو حافظ المكونات .

بذلك على نفوذ السلطة . وأما حكومتنا فيتولى المحافظة عليها حرس خفي لأننا لا نقبل أن نسلم بوجود أعداء لا تقوى الحكومة على إخضاعهم . ويجب أن يظهر حاكمنا بمظهر من لا يستخدم السلطة لمنافعه الشخصية ، فالتجمل بمثل ذلك يرفعه في نظر الشعب

موجز المحضر التاسع عشر :

من الواجب علينا أن نشوق الشعب إلى رفع الشكاوى والاقتراحات إلى الحكومة لتحسين حاله ، فيتسنى لنا بذلك الاطلاع على نقائص الشعب وأهوائه . ولكي يقلع الشعب عن تكريم الباسلين في مضمار الجرائم السياسية نعامل المجرمين السياسيين كمعاملة اللصوص والقاتلين فينظر الشعب إلى هؤلاء وأولئك نظرة الاحتقار والاستنصار .

موجز المحضر العشرين :

خلاصة أعمالنا ستتحول إلى قضية أرقام ، فيتمتع الملك في حكومتنا بحق شرعي على الأملاك والأموال الخاصة بالشعب ، فله حق المصادرة للمال اللازم لتسوية نظام التداول النقدي في البلاد ، ولما كان جميع أموال الدولة ملكاً للجالس على العرش وجب أن لا يكون له ملك خاص لأنه لا يحق لمن يمتلك أموالا خاصة أن يتمتع بملك الجميع . ولقد أحدثنا أزمات اقتصادية في البيئات المسيحية بقصد سحب النقود من التداول فاضطرت الحكومات إلى الرأسماليين تقترض منهم فصارت أسيرة لديهم ، وهؤلاء الرأسماليون بوضعهم أيديهم على الصناعات الكبرى قضوا على الصناعات الصغرى فأضعفوا الشعب والدولة معاً .

والذهب بسبب سحبنا أ كثر من التداول أصبح لا يكفي حاجات الناس ، فيجب إصدار نقد من الورق أو الخشب حسب حاجة الشعب وزيادة عدده . والقرض الخارجي دليل على ضعف الدولة وعجزها ، فالقروض كسيف (داموقليس) مصلت دائماً أبداً فوق رؤوس الحكام الذين يعجزون عن سد حاجات الدولة فيسرعون إلى التماس الصدقة من صيارفنا .

موجز المحضر الحادي والعشرين :

دولتنا لا تحتاج إلى الخارج . وما فعلناه مع الدول من قرضها الأموال ثم استردادها مضاعفة لن يستطيع أحد أن يفعله معنا . بل سنلجأ عند الضرورة إلى القرض الداخلي ، وفي غد الاكتتاب لهذا القرض نصعد الأسعار صعوداً مصطنعاً ليتوهم الناس كثرة الإقبال على الشراء ، ثم نعلن أن صناديق الخزانة العامة قد امتلأت . وسنبطل نظام البورصات المالية ضنا بكرامة سلطتنا في أن نتعرض للنيل منها بسبب تقلبات أسعار السندات الحكومية ، ونقيم بدلها مؤسسات كبرى للصدافة يكون عملها تحديد أثمان الأسهم التجارية بمقتضى نظرية الحكومة ويكون باستطاعتها أن تطرح في الأسواق يومياً من الأسهم التجارية ما قيمته خمسمائة مليون .

موجز المحضر الثاني والعشرين :

في حوزتنا أعظم قوة حديثة في العالم : هي الذهب ، ونستطيع في كل ساعة أن نخرج منه المقدار الذي يكفي لذهول العالم ، فهل نحتاج بعد هذا إلى دليل في أن حكومتنا مختارة من لدن الله وممدة منذ الأزل للحكم . وحكمنا سيؤسس على دعائم قوية ثابتة مستقلا في إدارته لا ينقاد إلى الخطباء الخياليين الذين يكثرون من الكلام التافه وينادون بالمبادئ السامية الوهمية

موجز المحضر الثالث والعشرين :

الشعب لا يخضع خضوعاً أعمى إلا ليد حديدية مستقلة تدرأ شر الغوائل الاجتماعية ، وليس من هم الشعب أن يرى على رأس الحكم ملكا بروح الملائكة بل هو يرهب الملك ذا السطوة والقوة والصولة . وعلى الملك أن يخمد اللهب بقتل كل مذنب ينتمي إلى الجمعيات السرية الثورية ولو اقتضى ذلك إلى فيضان الدماء . وهذا الشخص المصطفى من لدن الله هو الذي توكل إليه العزة الإلهية أمر سحق القوات التي تستفزها الغريزة البهيمية تتعدى الحرية والحقوق الإنسانية ، ثم نقول للشعوب بعد محق هذه القوى : احمدوا الله العلي واحنوا رؤوسكم لمن يتسم بسمة الأصفياء الذين اصطفاهم الرب لينقذكم هو وحده من براثن القوى الوحشية ومن جميع الشرور .

موجز المحضر الرابع والعشرين :

ملوكنا تختارهم لجنة مؤلفة من أعضاء يمتون إلى النبي داود لا على أساس حق الوراثة ، بل على أساس الصفات الممتازة والكفاية ويلقنونهم أسرار السياسة الخفية ، ويطلعونهم على خطط الحكومة على أن يكتموا كل ذلك . وعلى ملكنا عماد البشر وسيد العالم أن يترفع عن الملذات الجسدية .

محمد أسامة عليبة

لخصت ما تقدم من كتاب أهداف الصهيونية تعريب فردريك زريق

مصطفى البكري الصديقى [1]

الدمشقي المقدسي الحنفي الرحالة

(١٠٩٩ هـ — ١١٦٢ هـ ١٦٨٧ م — ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

هذه شخصية من رجال القرن الثانى عشر الهجرى ، نشأت فى دمشق ، وترعرعت فى بيت المقدس وانتهى بها المطاف إلى مصر ، وقد تركت لنا عدداً من الرحلات فى الديار القدسية ، وسوريا ، والأناضول ومصر والحجاز . ومع أن هذه الرحلات ليست شيقة ، ومع أن أسلوبها يمثل أسلوب القرن الثانى عشر الركيك ، وبالرغم من انصراف صاحبها إلى الوعظ والإرشاد عن طريق التصوف ، شأن حملة العلم من رجال ذلك القرن ، إلا أنها تلقى نوراً على كثير من الحوادث ، وتصف لنا حالة البلاد التى زارها فى ذلك العهد المظلم . ونرجو أن نتمكن من تلخيص بعض هذه الرحلات للقراء الكرام . وقد سبق أن نشرنا رحلتين قام بهما صاحب الترجمة من دمشق إلى القدس وبالعكس فى كتاب رحلات إلى ديار الشام ، وذلك فى سنة ١١٣٢ هـ و ١١٣٦ هـ . وقد كتب ونظم الشىء الكثير . ويقول السيد حسن بن عبد اللطيف الحسينى المقدسى فى كتابه [أعيان القدس فى القرن الثانى عشر] إن مؤلفاته زادت على المئة . ويروى لنا المرادى فى درره أن كلمته ظهرت فى أرض الكنانة ، وأن تلامذته ومريديه لما بلغوا مئة ألف أمر بعدم كتابة أسمائهم ، وقال هذا شىء لا يدخل تحت عدد !.

وهو ابن كمال الدين بن على بن كمال الدين عبد القادر محيى الدين الدمشقى البكرى الأستاذ الكبير والعارف الربانى ترجمه المرادى وأفرد له عشر صفحات [1] ونعته « بأحد أفراد الزمان وصناديد الأجلاء من العلماء الأعلام والأولياء العظام العالم العلامة الأوحد أبرّ المعارف قطب الدين صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات والآثار التى اشتهرت شرقاً وغرباً ، وبعد صيتها فى الناس محجماً وعرباً » . كما ترجم له السيد حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه « أعيان القدس فى القرن الثانى عشر [2] »

ولد بدمشق سنة ١٠٩٩ هـ وتوفى والده وكان عمره ستة أشهر ، فنشأ يتيماً فى حجر ابن عمه ، واشتغل بطلب العلم على شيوخ الشام وأجاز له محمد بن محمد البديرى الدمياطى [3] ولازم الشيخ عبد الغنى النابلسى [4] وأخذ الطريقة الخلوتية [5] ثم سكن بعد ذلك إيوان المدرسة الباذرائية [6] وأخذ يدرس فيها فكثر طلابه ومريدوه .

وقام فى سنة (١١٢٢ هـ ١٧١٠ م) برحلته الأولى من دمشق إلى القدس ، وهى تشبه كثيراً رحلة أستاذه الشيخ عبد الغنى النابلسى التى قام بها (١١٠١ هـ ١٦٨٩ م) وقد وصف فيها لنا الطريق ، وما مرّ عليه من القرى والدساكر ، وحالة الأمن ومرافقته الركب والنفرية ، وخان عيون التجار الذى بناه سنان باشا ، وهو خراب الآن يقع بالقرب من قرية شجرة ، ثم مدينة جنين لاحنين المحصنة ، ثم تعرض اللصوص للركب ، ثم طواحين وادى نابلس وكانت تسير على المياه وهى خراب الآن ، ثم القدس ، والحرم القدسى ، وباقى المزارات ، واجتمع وهو يدور مقام الإمام على بن عليل العمرى على ساحل البحر شمالى

---

(١) مؤلف الخمرة المحسية فى الرحلة القدسية ، والخطرة الثانية الانسية للروضة القدسية ، والرحلة الحلبية ، والنحلة النصرية فى الرحلة المصرية ، والحلة الحقيقية لا المجازية فى الرحلة الحجازية ، والاحسان فى الرحلة الى جبل لبنان ، والرحلة الحجازية الثانية ، والقدوم لديار الروم . الخ الخ .

(١) ص ١٩٠ ج ٢ سالك الدرر .

(٢) مخطوط فى حوزة كاتب المقال .

(٣) جد عائلة البديرى ببيت المقدس .

(٤) ولد بدمشق ١٠٥٠ هـ وتوفى ١١٤٣ صاحب الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية ، طبعنا خلاصتها فى كتابنا رحلات إلى ديار الشام .

(٥) أسسها عمر الخلوتى من قيصرية فى بر الأناضول (آسيا الصغري) سنة ٨٠٠ هـ كما جاء في الذكر الجلى . كانت فى أوائل القرن التاسع معروفة بالقدس وقد فقد ذكرها من المستندات منذ قرنين .

(٦) أسس هذه المدرسة بدمشق العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله أبى الوفاء بن محمد بن عبد الله بن عثمان الباذرائى البغدادى ، ولد سنة ٥٩٤ هـ وتوفى سنة ٦٥٥ هـ . وقد بنيت هذه المدرسة مكان دار الأمير أسامة بن المنقذ صاحب قلعة شيزر .

مدينة يافا بالشيخ الإمام نجم الدين بن خير الدين الرملي (١) وكان نجم الدين مفتي مدينة الرملة حينئذ فدرس عليه الوطأ للامام مالك . وقد جيء للشيخ بزنبق برّى طيب الرائحة فقال إن والدي أي خير الدين قال فيه :

وزنبقة قد أشبهت كأس فضة ... برأس قضيب من زمردة عجب
سداسي شكل كل زاوية له ... على رأسها الأعلى هلال من الذهب

وعاد بعد ذلك إلى دمشق ، ومنها إلى حلب (٢) ثم بغداد وانتقل سائحاً في البلاد الشامية ، ثم دخل القدس ثانية سنة ١١٣٦ . وكتاب رحلته الثانية ، كما ألف كتابه ورد السحر المعروف [بالفتح القدسي والكشف الأنسي] وعمر بالقدس الخلوة التحتانية (٣) وكانت تقام بها الأذكار ، ولها تعيين من خبز وأكل على تكية السلطان (٤) لمن أقام بها . وتزوج في القدس ؛ وأرخ بعض رفاقه زواجه بقوله [زفت الزهراء للقمر] .

وقدم من جهة دمشق والى مصر لزيارة القدس وهو الوزير رجب باشا ، فزار صاحب الترجمة وصار له فيه اعتقاد ، واصطحبه معه إلى مصر ، فدخل مصر وأقام بها مدة ، وأخذ عنه العلم والطريقة خلق كثير من أجلهم النجم محمد بن سالم الحفني . ثم زار السيد البدوي ، ومن هناك إلى دمياط وأقام في جامع البحر وأخذ عن علامتها محمد البدري وأجازه أجازة عامة . ثم رجع إلى بلدة بيت المقدس عن طريق البحر وأقام فيها إلى سنة ١١٣٥ هـ . وتوجه إلى طرابلس الشام عن طريق البر ومنها إلى حمص وحماه ، ونزل في بيت يس القادري الكيلاني شيخ السجادة القادرية

(١) هو خير الدين الرملي العليمي الفاروقي الإمام المحدث صاحب الفتاوى الخيرية (الحنفية) ولد سنة (٩٩٣ هـ) وتوفي سنة ١٠٨١ هـ ، ترجمه المحبي ص ١٣٤ .

(٢) كتب عنها رحلته الحلبية .

(٣) تقع هذه الخلوة في الحرم القدسي على يسار الصاعد إلى درج الصخرة وتعرف بالخلوة البكرية الآن .

(٤) وهي أعظم أثر من آثار العثمانيين في القدس بل في فلسطين ، حاشا سور بيت المقدس . ولا تزال هذه التكية عامرة توزع الحساء (الشوربا) والخبز على فقراء بيت المقدس أسست سنة (٩٥٩ هـ — ١٥٥١ م) أسستها خاصكي سلطان (روكسلينا) زوجة السلطان سليمان القانوني .

وأخذ عنه الطريقة القادرية (١) ومنها إلى حلب وكان واليها الوزير رجب باشا المتقدم ذكره وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أحمد خطيب الخسروية الشهير بالبنى . ثم توجه إلى دار السلطنة العلية قسطنطينية عن طريق البر ونزل في مدرسة سورتى مدة إقامته فيها ، وكان يتنقل بين المدارس ، ويمكف على التأليف والإرشاد ، وكلما سكن في جهة وشاع خبره يقصده الناس فيرتحل إلى غيرها . وفي سنة ١١٣٦ هـ رجع عن طريق البر إلى حلب ونزل في الخسروية ثم توجه إلى بغداد ونزل في القادرية . وجاءه كتاب من شيخه عبد الغني النابلسي يحثه على العودة إلى الشام لأجل والدته فعزم وتوجه إلى الموصل فحلب فدمشق وحن إلى الأرض المقدسة فرحل متوجهاً إلى القاع العزيز وبلاد صفد سنة ١١٤٠ هـ وفي تلك السنة ولد له ولد هو الشيخ محمد كمال الدين .

وأقام في القدس يرشد ويصنف إلى سنة ١١٤٥ هـ حين عزم على الحج مع رفقائه ومنهم (حسن بن مقلد الجيوشي) [الجيوشي الآن] شيخ ناحية بني صعب [قضاء طولكرم وأصلها طور كرم وهو الأصح] فتوجه إلى المزيريب ومنها إلى المدينة فمكة وعاد مع الركب الشامي إلى القدس .

وفي سنة ١١٤٨ هـ سار للبلاد الرومية [تركيا الآن] . فمر على بلاد صفد ودمشق ، ثم دار السلطنة ، وتوجه منها بحراً إلى الإسكندرية فوصلها في ثمانية أيام ، ومنها إلى مصر . وعزم بعد ذلك على الرجوع للشام فدخل القدس ، وكانت له بنت رآها مريضة وقد توفيت بعد ذلك فحزن عليها كثيراً . وفي سنة ١١٤٩هـ توجه إلى أرض الكنانة وصحبه جمع كثير ، وظهرت كلمته ، ولما جاوزوا المائة ألف لم يعد يحصيهم . وحج وعاد إلى دمشق ، وكان واليها إذ ذاك سليمان باشا العظمي [العظم] فنزل قرب الخانقاه السمساطية وتحول بعد ذلك إلى نابلس فمكث فيها مدة . وفي سنة ١١٥٢ هـ توجه إلى القدس وبقي بها إلى سنة ١١٦٠ هـ ، ثم سار إلى مصر والساحل الشامي ، فوصل مصر ونزل قرب الأزهر . ولما وصل قرية الزوابل تلقاه الأستاذ الحفني مع خلائق كثيرين من علماء مصر ، وأقام يرشدهم ويزدحمون على بابه وقل من يتخلف عن تقبيل يديه . وفي سنة ١١٦١ عزم على الحج . وأخذ الطريقة

(١) أنشأها السيد عبد القادر الجيلاني في بغداد سنة (٥٦١ هـ) وهي أهم الطرق في العراق والهند

النقشبيندية [1] عن مراد الأزبكى النجارى النقشبندى ، وكان ينفق عن سعة ، مثل أرباب الثروة وأهل الدنيا ، ولم تكن له جهة يعرف منها كيف يفى بأدنى مصرف من نفقاته . وتوفى سنة ١١٦٢ هـ بعد عودته من الحج مبكياً عليه ، ورثاه الشعراء وحزنت عليه مصر والشام وألوف من مريديه وأتباعه . ودفن بالقرافة فى تربة المجاورين وقبره مشهور يزار ويتبرك به .

هذا هو الأستاذ الصديق ، الدمشقى ، المقدسى ، دفين مصر الذى ترك لنا فى رحلاته الكثيرة تراثاً دفيناً نرجو أن نكشف لقراء العربية بعض آثاره تنويراً للأذهان عن قرن لا نعلم عنه إلا القليل أو ما هو أقل من القليل ...

أحمد سامى الخالدى

(١) أنشأ هذه الطريقة بير محمد فى القرن الثامن الهجرى (٧١٧ — ٧٩١ هـ) — (١٣١٧ م — ١٣٨٨ م) الملقب بالشاه ومقامه فى عارفان على مسافة ساعة من مدينة بخارى ، ويفضل هذه الطريقة المغول والتتار والفرس ، وللنقشبندية فى القدس زاوية عند درج الغوانمة فى الجهة الشمالية من الحرم القدسى ، وهى عامرة منذ أكثر من ٢٠٠ سنة ، ويرأسها الآن الصديق اللطيف العارف بالله الشيخ يعقوب الأزبكى النجارى النقشبندى

من وحى الصوم :

هيـــام المتصوفين

للشيخ محمد رجب البيومى

(إلى أخى الأستاذ محمود فهمى البيومى ، وصديقى الروحانى الأستاذ عبد اللطيف عيسى)

الحب ! معنى ثائر عاصف ، شعر به كل إنسان تتأجج فى صدره لوعة ، وتشتجر فى جوانحه عاطفة ، وهو على تباين أنواعه وتعدد ألوانه ، مؤرق مفزع ، يطوى بساط الأنس والدعة ، ويغرس أشواك الضجر والتبرم . وسل الوالد أى حنين مشبوب يمزق أحشاءه حين يتشوف إلى نجله النازح راجياً آملا . وسل الصديق أية لهفة حارة تضطرم فى إحساسه حين يتطلع إلى أنباء صديقه الغائب ، ويتلمس أسباب الحديث عنه فى لذة وشغف . وسل الصب العاشق كم يذرف من الدموع الملتهبة إذا وقفت الحوائل فى وجهه ، وقامت السدود دون مبتغاه . بل وسل العارف بربه كم قاسى من المصاعب وتكبد من المشاق حتى رفرفت روحه فى أجواء الملائكة ، فنعمت بلذتها الكبرى ، وظفرت بسعادتها الباقية ؟

والحب الإلهى أسمى أنواع المحبة وأقدسها ، وإن كان يكلف صاحبه من دمه وروحه ما تقشعر له الأبدان ، فيقضى سحابة يومه وسواد ليله ، شارد العقل ، مبلبل الخاطر ، يخاطبه الناس فلا يسمع ، ويستعطفه ذووه فلا يجيب ، فهو — فى نظرهم — حاضر كغائب ، وحى كميت ، وما يزال يذيب نفسه ويعذب أحاسيسه حتى يصير شبحاً هائماً يُرى فى الوهم ولا يكاد يصدقه العيان . وهكذا الروح إذا قوى اتصالها ، وشع ضياؤها ، تبرمت بالجسد الضيق فأنحلته وأسقمته ، وهذا كله قليل غير كثير فى جانب ما يبتغى العارف من لذة الوصْل ، ونعيم المشاهدة ، ومن يطلب الحسناء لم يغله المهر ...

وليس التصوف حدثاً طارئاً فى الشريعة الإسلامية ، فقد كان الصحابة رضى الله عنهم من كبار المتصوفين ، وكانوا من النقاء والصفاء فى درجة سامية . ثم خلف من بعدهم خلف لزموا نهجهم السوى وساروا فى طريقهم العلوى ، وإذن فقد كان التصوف بمعناه الفطرى من صفات المسلم الأول يقبل عليه فى ارتياح ، وينجذب إليه فى حنين ، حتى تبدلت الحال وانغمس المسلمون شيئاً فشيئاً فى ما جلبته الحضارة من الترف والنعيم ، وهنا بدأ التصوف يظهر بصورة جديدة ، فقد أغضب هذا المصير قوماً عرفوا الله حق معرفته فاعتزلوا الناس ، ولاذوا بقمم الجبال ومطارح الفلوات ، نائين عما يغمر الحضريين من لذة ومتاع ، وفى هذه الخلوات الهادئة هبطت عليهم أشعة السماء ، فغمرت أرواحهم بالنور ، ومدت أجنحتهم بالقوة ، فحلقوا كالنسور فى آفاق رحيبة ، ورزقوا عيوناً بصيرة نافذة ، ترى ما لا يراه الناظرون .

والشريعة الإسلامية لا تنكر الاتصال السماوى ، بل إنها تذهب إلى تأييده أتم تأييد بما تذكره عن كرامة الولى وحرمة العارف ، وقد أسهب أئمة الإسلام فى الدفاع عن المتصوفين ،

مستدلين بفيض زاخر من الآيات والأحاديث ، وممن برزوا فى هذا الميدان حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ، وقد نصصت عليه بذاته لأنى أرتاح كثيراً إلى منطقه الواضح ، فهو لا يتمسك بالأدلة الظنية ، ولا يلتفت إلى الموضوع من الأحاديث والأساطير وجاء ابن خلدون فأيد القوم تأييداً لم يبق بعده مستزاد لمستزيد ، فقد سلم لهم جميع ما يدعونه من كشف واتصال ، وخوارق وكرامات . وإليك ما ذكره فى مقدمته ، قال : « ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس ، والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شىء منها ، والروح من تلك العوالم ، وسبب ذلك الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس ، وقويت أحوال الروح ، وغلب سلطانه ، إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ، وينكشف حجاب الحس فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية ، والعلوم اللدنية ، وتقرب ذاته من الأفق الأعلى ، أفق الملائكة . وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة ، فيدركون من حقائق الروح ما لا يدرك سواهم ، ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية ، وتصير طوع إرادتهم ، والعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون عن حقيقة شىء لم يأمروا بالتكلم فيه » .

وما دامت الروح قد اتصلت بالله هذا الاتصال ، فلا عجب إذا هامت فى حبه ، ونسيت العالم الأرضى بما يدرج فيه من إنسان وحيوان ، بل إن من القليل عليها أن تهيم هياماً متصلا فى سلوكها الروحى ، فقد قطفت الثمرة الحلوة ، ومنحت الوسام الرفيع .

والحب الإلهى كالحب الإنسى ، منطلقه القلب ، ونافذته الإحساس ، فإذا قويت دواعيه ، واشتدت دوافعه ، فإنه يسيطر على الجسم سيطرة تامة ، فتتحول الأعضاء جميعها إلى ألسنة ناطقة بذكر الحبيب ، فهى من شغلها الشاغل فى هيام متصل وسكر دائم ، وأنت تنظر — مثلا — إلى عاشق الفتاة ، فتجده شارد اللب ، نحيل الجسم ، ممتقع اللون ، فلا تستكثر أن ترى عاشق الذات العلوية متصفاً بهذه الصفات ، بل إن المنطق يقضى أن يكون أكثر نحولا ، وأشد ذهولا ، حيث كان ذا مقصود أعظم، وأمل جامح طموح .

ولا يسعنا وقد تعرضنا لهذه الناحية أن نذكر أن الحب الإلهى يكون فى غالب أمره تطوراً لحب إنسانى ، فكثير من العارفين قد ذاق فى مقتبل شبابه مرارة الحب الأرضى ، وعانى ما يعانيه العاشق من منع وحرمان ، وهو بذلك قد مرن على السهر والنواح ، فإذا ما هطل الفيض السماوى على روحه ، بعد وقت قريب أو بعيد ، كان على استعداد تام للسير فى طريقه المملوء بالعرق والدموع ، حتى ينتهى منه بسلام .

يذكر الكاتبون أن تصوف الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى كان خاتمة لرحلة لذيذة قام بها فى عالم الصبوات الحسية ، فقد شاهد فى مكة فتاة فارسية ذات عقل راجح ، وذكاء متوقد ، ثم هى على جانب فائق من الحسن ، فطارحها الأحاديث ، وتساقيا كئوس الجدل العلمى ، وما زال يحن إلى سمرها الشهى ، حتى سرقت قلبه ، وملكت زمام مشاعره ، فساق فيها القصائد الرائعة ولم يشأ أن يخفى أمره معها بعد تصوفه ، بل كتب عنها فصلا ممتعاً جاء فيه : « وهى طفيلة هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضر ، وتحير المناظر ، ساحرة الطرف ، عراقية الظرف ، إن أسهبت أتعبت ، وإن أوجزت أعجزت ، شمس بين العلماء ، بستان بين الأدباء ، يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، أشرقت بها تهامه ، وفتح الروض لمجاورتها أكمامه » ...

والذى يقرأ مقطوعات ابن عربى يلمس إخلاصه فى حبه ، ويحمد له أن تعلق بذات علم وفضل ، فوقع الطير على شكله ، وانجذب الشبيه إلى شبيهه ، والعجيب الغريب أن الشيخ الأكبر قد حاول أن يشرح قصائده فى صاحبته شرحاً لا يتفق مع ما صرح به فيما سبق أن نقلناه عنه ، فهو يحول أبياته إلى ميدان آخر غير ميدانها الأصيل ، مع أن القارئ العادى لا يمكن أن يطمئن إلى شرحه الملفق ، فما ظنك بمن يتعقبونه من أذكياء الناقدين ، وإذا كان ابن عربى قد أعلن غرامه الإنسانى فى نثره ، فلم يلجأ ثانية إلى اللف والدوران فى شعره الجميل ؟ !

هذا قول يحتاج إلى دليل ملموس ، فليسمع القراء أولا هذه الأبيات :

مرضى من مريضة الأجفان   عللانى بذكرها عللانى

بأبى طفلة لعوب تهـــادى   من بنات الخدور بين الغوانى

من بنات الملوك من دار فرس ... من أجل البلاد من أصبهان
لو ترانا برامة نتعاطى ... أكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً ... طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهل العقل فيه ... يمن والعراق مجتمعان ! !

ثم ليسمعوا ثانية ما قاله الشيخ فى شرح البيت الأول — على سبيل المثال — « المرض ، الميل ، أقول لما مالت عيون الحضرة المطلوبة للعارفين من جانب الحق سبحانه بالرحمة والتعاطف إلينا أمالت قلبي بالتعشق إليها » .

فليت شعرى ما هذا الالتواء ، وعلام التستر بعد الوضوح ؟ وإذا كنا نعلم أن صاحبته الأولى فارسية من بنات الملوك فى أصبهان ، فكيف يمكننا أن نفهم هذا الفهم الغريب ؟ وهل يعيب الصوفى أن يسجل صبابته الأولى بشعر يتغنى به الناس ؟ ! لعل الشيخ قد أراد أن يبرز للناس مقدرته العجيبة فى التأويل والتخريج جرياً على ما اشتهر من ادعائه العريض ! !

إن الذى يتعبنا كثيراً فى غزل المتصوفين هو أننا نحمله حملا على المعانى الروحية المقدسة ، سواء أنطق بذلك أم لم ينطق ، وهنا توجد المشكلة العويصة ، فكثير من الأبيات تصدم العقول بأحجار ثقيلة ، فلا يمكن أن تنطبق على الحقيقة الإلهية التى يعنيها العارفون ، وهذا ما دفع بعض الشراح إلى التحامل الزائد على ابن الفارض رضى الله عنه ، ولو أننا أوجدنا الفوارق بين النسيب الإنسى والغزل الإلهى لأرحنا عقولنا من التعب الشديد . وهل يعيب المتصوف أن يكون ذا لونين فى غرامه مادامت عاطفته ملتهبة فى كلتا الناحيتين ؟ وما دامت هناك فوارق زمنية تفصل بين النوعين ، حيث أن من المسلم به أن الهائم بربه لا يمكنه أن يلتفت إلى غيره بحال من الأحوال ؟ وهل نقول لشاعر تصوف بعد أن قضى شبيبته فى الغزل الحسى : مزق نسيبك الأرضى ، وافتح لك فى كتاب القريض صحيفة جديدة ، كيلا يفهم نسيبك الأول على حقيقته الإنسانية ؟ ! لم كل هذا أيها الناس ! !

على أن العواطف الآدمية فى الغزل الإلهى لا تختلف عنها كثيراً فى النسيب الإنسى ، فالعاشق يذكر الغيرة والنحول والسهد كما يذكر ذلك العارف ، ولا ريب فالينبوع الدافق للشعر الغزلى هو الشعور ، وهو هو فى شتى الأوضاع لا يختلف توهجا واشتمالا عند المحبين ، ومن هنا كانت النتيجة واحدة عند الرجلين فالجنون والصرع والتيه قواسم مشتركة بين المدنفين ، وإذا كان الأصمعى قد تجول فى الصحارى الشاسعة ، وتنقل بين الخيام النائية ليسمع آهاته المدلهين ويروى أشعار المتيمين من عشاق البادية ، فلم يفته أن يداف إلى المغارات السحيقة ، ويتسلق القمم الشاهقة ويطوف بالبيت المعظم ليرى بعينيه دموع العارفين تتساقط ، وزفرات الواصلين تتصاعد ، علماً منه أن هؤلاء لا يقلون عن غيرهم ، لذة حديث ، وغرابة اتجاه ، بل إن سائلا سأله عن الحب فلم يسمعه كلام قيس أو عروة أو جميل ، بل ذكر له حديث هائم عارف ، وقد مهد له بقصة طريفة وصف فى آخرها الحب فقال : « جل أن يحد ، وخفى أن يرى ، كمن كمون النار فى الأحشاء ، إن قدحته أورى أو تركته توارى » . وأمثال هذه النوادر لا تندرج تحت حصر ، ولولا أنها وجدت ظلا من الحقيقة ما كان لها هذا النصيب الوافر من الذيوع .

ولقد كان الهائمون الواصلون يعتزون بغرامهم الإلهى اعتزازاً يفوق كل اعتزاز ، بل عدوه مفخرة عالية وميزة سامية لا تتاح إلا لمن حباه الله بالفضل الجزيل ، وهذا صحيح لا اعتراض عليه ، ولكن تنافس هؤلاء فيما بينهم قد دفعهم إلى مغالاة لا تسلم من الاعتراض ، فكل محب واصل — إلا من عصم الله — قد ادعى فى أكثر من مناسبة أنه فاق غيره فى محبة ربه ، ووصل إلى ما لم ينله أحد من الخلائق ، فليت شعرى ما مبلغ هذا الادعاء من الصحة ؟ وهل يمكن المدعى أن يقيم البينة على صحة ما يقول ، وهو يرى الأنبياء والملائكة والسابقين من الإنس والجن ، كل أولئك يتزاحمون بالمناكب ويتدافعون تدافعاً شديداً فى مضمارهم الخطير ، نعم قد يكون إخلاصه الزائد وتفانيه الشديد من عوامل هذا الادعاء ، ولكن أليس من الحسن الجميل أن يتواضع في حبه ويتنازل عن كبريائه فى مثل موقفه المعظم ، فينال تقدير مريديه وسامعيه ، بل ربما جرهم تواضعه إلى تقدير منزلته تقديراً يصل بها إلى ما يريد . وأذكر أنى حين قرأت قول ابن الفارض :

كل من فى حماك يهواك لكن ... أنا وحدى بكل من فى حماكا

شعرت كأنى مختنق مغيظ ، وما زلت أنقب وأحلل ، وأنتقل من تعليل إلى تعليل حتى انتهيت إلى قوله :

ولقد يجل عن اشتياقي ماؤه شرفاً فواظمئى للامع آله

فاربحت كثيراً لتواضعه ، وكأني نسيت ما سلف من ادعائه ، فأقبلت على مطالعة ديوانه بلذة وشغف ، ولا ريب فقد قام البيت الثانى من البيت الأول مقام الاستغفار من الذنب العظيم ! !

وإذا تركنا ابن الفارض وانتقلنا إلى الشيخ الأكبر محيي الدين نجده قد جال فى ميدان الادعاء جولات خطيرة عاصفة ، فقد عز عليه أن يفهم الناس أن النبي المرسل فى درجة تفوق منزلة الولى الواصل ، فانبرى يوازن موازنة جريئة بين النبى والولى ، ثم أعلن — فى غير تريث — « أن الرسول لا يمتاز إلا بالتشريع ، أما الولى فميزته الكبرى هى الاطلاع على أسرار الوجود » . وهذا ادعاء أى ادعاء ، ولكنه من شطحات القوم . وكم للصوفيين من مزالق محرجة ؟ ! فهل تكون مفقودة لدى معشوقهم الحبيب ؟ !

إن الرسول قدوة مثلى للناس ، فكل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير ، فنحن ملزمون بالتمسك به ، أما الولى فليس من ذلك فى كثير أو قليل ، بل إن فريقاً كبيراً من رجال الدين قد نصوا على وجوب التحفظ الشديد مع الأولياء ، وخاصة بعد أن اتسعت هوة الخلاف فى المسائل الكلامية ، وانتشر على يد فريق من المتصوفة القول بمبادئ غامضة لا تدركها الأفهام . ومهما يكن من شىء ، فقد جعل رجال الشريعة للقوم حالتين : حالة الصحو ، وحالة الغيبوبة ؛ أما الأولى فهم ينطقون فيها بما يتفق مع الشريعة ، لأن العارف مستيقظ منتبه ، فهو مؤاخذ على كل ما يصدر منه كما تؤاخذ العامة سواء بسواء . وأما الحالة الثانية وتسمى بحالة السكر عند بعض الكاتبين ، فلا يلام فيها الواصل على رأى ، أو يؤاخذ بجريرة قول ، لأنه غائب عن وعيه ، قد ستر إدراكه بغواش متلاحقة لا يعلم لها كنه . ويذكرون أن أبا بكر الشبلى رضى الله عنه قد دخل على الجنيد ومعه زوجته ، فأرادت أن تستتر عنه ، فقال لها الجنيد : تمهلى تمهلى ... فهو فى حالة سكره لا يدرك شيئاً مما أمامه ! وحين مضت مدة غير يسيرة أشار لها بالاستتار حيث قد انتقل صاحبه من حال إلى حال . ومعلوم أن الجنيد رحمه الله من القلائل الذين يتمسكون بتعاليم الشريعة ، فلا يرون أنفسهم من فصيلة أخرى ترتفع عن الناس ، ومع ذلك فقد عرف صاحبه فى حالتيه ، ومن عسى أن يكون أنبه منه فى الادراك والتميز ؟ !

وكنت أوثر أن نعتبر المتصوفين فى حالة واحدة مدى الحياة ، وهى حالة الغيبوبة والسكر ، فلا نجعل لهم من الصحو وقتاً نؤاخذهم فيه على الأقوال والأفعال ، وإلا فقد أدت هذه المؤاخذة إلى الإطاحة برءوس مفكرة . وكتب التصوف مليئة بأخبار من استشهدوا فى هذا الميدان . وكم يقع القارئ فى حيرة شديدة حين يرى الصوفى العارف ينطق بما يعتبر بعيداً عن الحق ، فيساق إلى مصرعه السريع ثم يأتى — بعد — من رجال الدين وأعلام الشريعة من يبرر قوله ويوجه مذهبه توجيهاً لا يخرج عن المنطق السديد — كما فعل الغزالى مع الحلاج مثلا — فبأى جريرة إذن سفك هذا الدم ، وكيف غاب هذا التأويل عمن أثاروا الغبار ، وأيقظوا السيوف من الأغماد ؟ الحق أنها حيرة شديدة ألتمس الخروج منها فلا أستطيع !!

إن التصوف محنة قبل أن يكون نعمة ؛ فالعارف يكابد من الأهوال ما يقض المضجع ويسيل المدامع ، ثم هو بعد ذلك يتهم فى دينه ، ويساق إلى حتفه كما تساق الشياه !!

ولكن أى هول يكابد ؟ لا يقدر ذلك غير من سار فى الطريق بضع خطوات ، فعرف كيف تحارب النفس ، ويضطهد الجسد ، وتندلع فى القلب ألسنة اللهيب !!

إن الشاب فى عنفوان قوته يصوم اليوم الواحد فى ألم وامتعاض وما يكاد يسمع الآذان عند الغروب حتى يهجم كالليث على المائدة الحافلة بما لذ وطاب ، فما يذر من شىء أتى عليه ، وهؤلاء المساكين يصومون الأيام الطويلة ولا يفطرون بغير الماء وكسر يابسة من الخبز لا تقوى على تحطيمها الأنياب !!

إن الشاب الفنى لا يتسلق قنن الجبال إلا فى وضح النهار ، قوة مجندة من رفقائه ، وعدة مدخرة من الأسلحة الفاتكة ، يتقى بها الهوام والسباع ، وهؤلاء المساكين يسمون فى حنوس الليل إلى التلال والهضاب فيتفكرون فى ملكوت السموات والأرض فإذا حطمهم اللغوب ، هجعوا قليلا فى الكهوف والمغارات ! !

(البقية فى العدد القادم) **محمد رجب البيومى**

فى آفاق حافظ ابراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ حسين مهدي الغنام

الشاعر الحق هو من ينظم فى كل ما يوحى إليه ترجمة عواطفه، سواء كان ذلك عاقلا أم جاداً.

ولقد يقتصر شاعر من الشعراء على غرض واحد من أغراض الشعر، ينظم فيه طيلة حياته، فيبلغ الذروة فى هذا النمط الواحد وقد لا يستطيع أن ينظم فى غرض آخر، ولكنك لن تستطيع الا أن تمده شاعراً من أكابر الشعراء، وإن قصر فى غير الناحية الواحدة.

وقد يحكم لشاعر بقصيدة واحدة!

وكثيرون من الشعراء ينظمون فى مختلف الأغراض، ويعددون أنماط شعرهم ونظمهم، وقد يكونون رابع الشعراء الذين يقصدهم ابن رشيق فى كتابه العمدة!

وقليلون من أجادوا فى تلك النواحى والأغراض المختلفة..

ومن هذا النمط من الشعراء كان شاعرنا حافظ ابراهيم.

فلقد تعددت آفاقه فى نظم الشعر، وأسهم فى كل فن من فنونه، صادق القول، قوى التعبير، جميل الأداء، مرهف الاحساس، متدفق البيان.

ولم يكن حافظ شاعراً فحسب، ولكنه كان كاتباً أيضاً، وإن لم يكن نثره فى مرتبة شعره.

وهذه بعض آفاق حافظ التى حلق فيها شاعراً مرهفاً، وناثراً بليغاً.

١ — شاعر مصري:

كانت البيئة المصرية التى نشأ فيها حافظ مليئة بما يؤز جوانب المخلصين من أبناء البلد ويقض مضاجعهم، فقد كان الانحطاط سائداً فى كل ناحية من نواحيها.

فالجهل يخيم على الشعب كله تقريباً.

والاحتلال البغيض يقيد الشعب ورائديه، ويكم أفواه هؤلاء، ويلقى بهم فى غيابات السجون.

وهنا ظهر حافظ.

ظهر حافظ فكان لسان الشعب الناطق، يصف شعور الجمهور ويذكيه، وإن كان يشعر أن لسانه مقيد، وقلمه مراقب، وسيف الجلاد يلمع أمام ناظريه، ولكن هل يصمت، كما قال:

إذا نطقت فقاع السجن متكأى
وإن سكت فإن النفس لم تطب

كان شعور حافظ فى هذه الفترة ممثلا فى هذا البيت خير تمثيل. ولم يكن هذا شعور حافظ وحده، ولكنه كان شعور المصريين بل الشرقيين جميعاً!

من الواضح أن حافظاً تأثر بالبارودى تأثراً شديداً فى حياته ومنهجه...

ويعتبر البارودى أمام المدرسة الحديثة فى الشعر المصرى التى خرجت على أساليب المتزمتين فى الجيل السابق له، فماد البارودى ومن خلفوه بالشعر العربى إلى بعض عصوره الزاهية إبان النهضة العربية.

وقد قامت الثوره العرابية أيام البارودى، بل كان البارودى بطلا من أبطالها المعدودين، ولكنه لم يساهم فيها بقلمه وشعره، بل ساهم فيها بسيفه ورأيه الفنى. وهو الحد الفاصل بين مدارس الشعر القديمة، وفاتح أبواب المدارس الحديثة، بل إمامها ورائدها...

ولقد جاء حافظ من بعد البارودى فكان الحلقة المتوسطة بين المدرسة التى وضع أساسها البارودى، وبين المدارس التالية التى أنشأها شعراء الجيل الجديد.

إلا أن حافظاً لم يسر سيرة البارودى فى ثورته، فلقد أسهم حافظ فى ثورات المصريين التالية بشعره، ولم يكن رائداً فيها بسيفه...

ومن هنا كان حافظ بحق أول شاعر مصرى حديث ينطق بلسان شعبه، وبلسان الأمم الشرقيه الشقيقة.

فهو يستحث الشعب على مقاومة الغاصب، ومحاربته، ويستنهض الهمم، ويستنفر النفوس، ولم يقتصر على السياسة!

فحسب ، وإن كان له فى السياسة والوطنيات ديوان ضخم قائم برأسه ، ولهذا لا أريد أن أنقل منه شيئاً هنا ، فقصائده عديدة ومشهورة .

ولكن حافظاً طرق أبواب الاصلاح كلها ، وحث المصريين على إصلاح عيوبهم الداخلية ، وحياتهم الاجتماعية المتأخرة ، ونعى عليهم عاداتهم السخيفة ، وتقاليدهم المزرية ، وشتى نواحى حياتهم المظلمة الراكدة ، وتكاسلهم وتوانيهم وقعودهم عن العمل والهجرة فى طلب الرزق ، فهو ينقد الألقاب ، والتكاسل ، وغيرها ، إذ يقول :

وهل فى مصر مفخرة سوى الالقاب والرتب
وذى إرث يكاثرنا بمال غير مكتسب
وفى الروى موعظة لشعب جد فى اللعب

أمة قد فت فى ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها أم بها صرف الليالى لعبا

ثم هو يدعو إلى الاصلاح الاجتماعى الشامل فى كل شىء ، فاقرأ قصائده فى جمعيات رعاية الأطفال ، وقصيدته فى مدرسة بور سعيد للبنات :

لا تهملوا فى الصالحات فإنكم لا تجهلون عواقب الأهمال

من لى بتربية النساء فإنها فى الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

***

ربوا البنات على الفضيلة أنها فى الموقفين لهن خير وثاق
وعليكمو أن تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباق

لو وفى بالزكاة من جمع الدنيا وأهوى على اقتناء الحطام
ماشكا الجوع معدم أو تصدى لركوب الشرور والآثام
راكباً رأسه طريداً شريداً لا يبالى بشرعة أو زمام
سائلا عن وصيه الله فيه آخذاً قوته بحد الحسام

فهؤلاء هم الذين ينشأون لصوصاً !

ثم يقول فى الجامعة المصرية القديمة :

حياكم الله حيوا العلم والأدبا إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم إلا بجامعة تكون أماً لطلاب العلا وأبا

وهو ينعى انحلالنا الاقتصادى كانحلالنا السياسى ، فيقول فى الشركات وفى اليهود :

وما الشركات السود فى كل بلدة سوى شرك يلقى به من تصيدا

لقد سعدت بغفلتنا فراحت بثروتنا ، وأولها (الترام)
فياويل القناة إذا احتواها بنو التاميز ، وانحسر اللثام

وفرّج أزمة الأموال عنا بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا فقد ضاقت بها حيل اليهود

ارحمونا بنى اليهود كفاكم ما جمعتم بحذقكم من نقود

فمصر هي فى نظره وفى خلده :

لا مصر تنصفنى ولا أنا عن مودتها أريم
وإذا تحول بائس عن ربعها فأنا المقيم

ولا نظن أبياته القادمة إلا أنها ستظل خالدة يرددها المصريون ما داموا فى نكباتهم السياسية والاقتصادية يتخبطون ، لأنها تصور أحوالنا الحاضرة خير تصوير ، وتنطق بلسان كل مصرى مخلص :

متى أرى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقب
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألم بها قرم تردد بين الموت والهرب

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرض من الذهب
والقوم فى مصر كالأسفنج قد ظفرت بالماء لم يتركوا ضرعاً لمحتلب

٢ — شاعر شرقى :

ولم تقف آفاق حافظ عند مصر فحسب ، ولكنها شملت الشرق كله ، قاصيه ودانيه .

فكان يتوجع للأمم الشرقية المسلوبة ، كما قال شوقى : كلنا فى الهم شرق ! .

ومن هذا قصائده فى الترك ، والمغرب ، وسوريا ...

وكان يفخر بالأمة الشرقية الناهضة ، كفخره باليابان الفتية المتجددة ، وقصائده فيها معروفة . فليته حى ليقول فيها اليوم قولا ...

ثم إنه يحب أن يرى الوئام سائداً بين الشرقيين جميعاً ، ولا يتخذ الغاصبون من تنابذ الشرقيين بالأديان سبيلا إلى التفرقة بينهم . قال فى عيد الدستور العثمانى :

تحالف فى ظل الهلال إمامه   وحاخامه ـ بعد الخلاف ـ وراهبه
خذوا بيد الإصلاح والأمر مقبل   فانى أرى الإصلاح قد طر شاربه

وقال فى غزو الطليان لطرابلس :

بارك المطران فى أعمالهم   فسلوه بارك القوم على ما
أبهذا جاء إنجيلهمو   آمراً ، يلقى على الأرض سلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا   وجلوا عن أفق الشرق الظلاما

وقال فى تحية العام الهجرى ١٣٢٧ هـ :

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منى   وما بدلوا فى المشرقين وغيروا
وإن لم يقم إلا (نيازى) و (أنور)   فقد ملأ الدنيا (نيازى) و (أنور)

فى هذه القصيدة وحدها سجل ما مر على الشرق كله فى عام ، فقد جمع ما قامت به دوله من نهضات ، وما لمح فيها من بوارق نهضات وتقدم ، وفيها إهابة بالشرق أن يسير دائماً إلى الأمام ، وفيها أمان بعيدة عالية ، إذ يقول :

مضى زمن التنويم يانيل وانقضى   وفى مصر أيقاظ على مصر تسهر
وقد كان (مرفين) الدهاء مخدراً   فأصبح فى أعصابنا يتخدر

ثم يناشدهم فيقول :

رجال الغد المأمول إنا بحاجة   إلى قادة تبنى وشعب يعمر

ويمضى فى هذه المناجاة والإهابة حتى يبلغ قوله :

فما ضاع حق لم ينم عنه أهله   ولا ناله فى العالمين مقصر
لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم   ونحن على الآثار لا شك نظفر

وكذلك قصيدته فى العام الذى يليه ...

وإنك بمقارنتك بين هاتين القصيدتين تدرك آمال حافظ التى ظل يتغنى بها فى مصر والشرق جميعاً طيلة حياته .

فى الأولى تسجيل للأمل الذى بدا بنهضة الأمم الشرقية ، وفى القصيدة الثانية ثورة ، لأن كل ما أمل حافظ فى تحقيقه لم يتحقق !

يقول فى الثانية :

أشرق علينا بالسعود ولا تكن   كأخيك مشؤوم المنازل أخرقا
قد كان جراح النفوس فداوها   مما بها وكن الطبيب موفقاً
هلا حين لمحت نور جبينه   ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو أنها   تليت على الصخر الأصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه   مصراً وأسرف فى النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبئه لنا   لسألت ربى ضارعاً أن يمحقا

ولكنه يعود فلا ييأس ، ويخاطب شباب البلاد :

أهلاً بنابتة البلاد ومرحبا   جددتمو العهد الذى قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم   فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

ولقد كان حافظ يريد أن يرى الشرق ناهضاً حياً ، ذا قوة ترهب الغرب ...

ولكن . . !

إلا أنه يتفاخر بأية أمة شرقية قوية ، ناهضة ، تطاول الغرب وتهزمه .

قال فى حرب طرابلس ما قال ، كما تقدم ، ولكن قف عند هذا البيت من تلك القصيدة :

أيها الحائر فى البحر اقترب   من حمى (البسفور) إن كنت هماما

إن هذا البيت من شعر حافظ يصور لى حافظاً كالأسد السجين فى قفص !

فبمن يتفاخر حافظ ؟

إنه لا يجد أمامه غير تركيا ، فيتحدى بسفورها أسطول الطليان ، ويطلب إليه أن يقترب من حماه إن كان شجاعاً ، فسيضربه الترك ، وإن عجز عن ضربه المغاربة ...

وشىء خير من لا شىء ...

ولكنه حافظ السجين الطليق ، الذى يأمل ويتمنى ويريد ، ولكن الأقدار لم تسعده فتسعفه بما أراد !

ويظل حافظ بين عاملى الأمل واليأس والتفاخر والاستنهاض فإذ تسمعه يقول :

يا ليتنى لم أعاجل بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالا له ورفعة شأن
وليعلم الغرب أنا كأمة اليابان
لا نرتضى العيش يجرى فى ذلة أو هوان

تراه يقول أيضاً :

فاطمئنى أمم الشرق ولا تقنطى اليوم فإن الجد قاما
إن فى أضلاعنا أفئدة تعشق المجد وتأبى أن تضاما

٣ — شاعر ساخر :

ومن النواحى البارزة فى شعر حافظ سخريته اللاذعة ، فقد كان يصب غضبه ونورته فى أبيات من الشعر ساخرة شديدة المرارة ، وإن جاءت فى معرض النصح والجد والوطنية !

قال فى قصيدة (آلامنا وآمالنا) المرفوعة إلى البرنس حسين كامل باشا :

فلا تثقوا بوعد القوم يوماً فإن سحاب ساستهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فإنى أرى السواس ليس لهم ذمام
فكم ضحك العميد على لحانا وغر سراتنا منه ابتسام

وقال إلى روزفلت فى زيارته لمصر :

يا نصير الضعيف مالك تطرى خطة القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم فى حماكم من دونهم ألف سور
أنت تطريهمو وتثنى عليهم نائياً آمنا وراء البحور

***

وعجيب يفوز هذا بانطلاق وهذا فى ذلة المأسور
يا نصير الضعيف حبب إليهم هجر مصر تفز بأجر كبير
فعليهم أن يهجروا وعلى المصرى ذكر المتيم المهجور

والأبيات الآتية من قصيدته فى استقبال السير جورست :

قتيل الشمس أورثنا حياة وأيقظ هاجع القوم الرقود
فليت كرومرا قد دام فينا يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد آن بمجلود ومقتول شهيد
لننزع هذه الأكفان عنا ونبعث فى العوالم من جديد

***

بحمد الله ملككمُ كبير وأنتم أهل مرحمة وجود
خذوه فأمتعوا شعباً سوانا بهذا الفضل والعلم المفيد
إذا استوزرت فاستوزر علينا فتى كالفضل أو كابن العميد

***

لحى بيضاء يوم الرأى هانت على حمر الملابس والخدود

***

وفرج أزمة الأموال عنا بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا فقد ضاقت بها حيل اليهود

كما قال ساخراً من سكوت المصريين على الضيم :

فيا ليت لى وجدان قومى ! فأرتضى حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه

وقوله :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هى أمة تلهو وشعب يلعب

واقرأ كذلك قصيدته فى وداع اللورد كرومر ، فإن فيها من السخرية ما ينم عن روح حافظ فى هذا الضرب .

ومن سخريته القاتلة قوله فى حرب طرابلس :

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملؤوا الدنيا كلاما
خبروا (فكتور) عنا إنه أدهش العالم حرباً ونظاما
أدهش العالم لما أن رأوا جيشه يسبق فى الجرى النعاما
لم يقف بالبر إلا ريثما يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا منة نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عدة ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان فى أيديكمو ذا كلال فغدا يفرى العظاما

ففى هذه الأبيات يصف حافظ الطليان على حقيقتهم ، كما عرفناهم ، حتى فى الحروب الأخيرة !

(البقية فى العدد القادم) حسين مهدى الغنام

مخطوط لم يعرف من قبل

ابن سينا والبعث

للأستاذ سليمان دنيا

(تتمة)

إنتهينا فى مقالنا السابق إلى أن ابن سينا يمكن اعتباره قائلا بأن البعث روحى فقط ؛ وأبنا أن المطاف حول نصوصه فى هذا المقام — أخذا من الشفاء ، والنجاة ، والإشارات — ينتهى ، رغم تضاربها إلى إنكار البعث الجسمانى .

لكن تاريخ الفكر الإسلامى ، ما كان ليقنع من ابن سينا فى موضوع خطير كموضوع البعث ، بادعاء قصاراه الإمكان والتجويز ، أو الترجيح وغلبة الظن . ليس معه من الشواهد والأدلة — حتى فى نظر صاحب الادعاء — ما يسمو به إلى مصاف النظريات العلمية .

وقد كان ابن سينا عند ظن العلم به ، فلم يقنع هو من نفسه ، كما لم يقنع منه العلم ، بهذه الوقفة الحائرة ، فراح يشرع قلمه ليدبج عصارة فكره فى هذا المقام .

وقد دلنا البحث والتنقيب على أن له فى هذا الموضوع كتابين :

أحدهما يعرف بـ « رسالة فى المبدأ والمعاد » .

وثانيهما يعرف بـ « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » .

وإذا كان ابن سينا قد أفرد كتابين لموضوع كهذا جرت عادة غيره بأن يتكلم عنه كلاماً ، يعد وافيا فى بابه ، ضمن كتاب لا فى كتاب مستقل ولا فى كتابين ، كان الأمل قويا فى أن يتكشف ابن سينا على حقيقته فى هذه المسألة ، وأن ينجلى الموقف عنده فيها انجلاء ، لا يبقى معه مجال لهذه البلبلة الفكرية التى أوحت بها كتبه الأخرى ، بما تحمل من أفكار متضاربة ، وآراء متنافرة متعارضة .

رجعت إلى أول الكتابين فإذا هو يقول فى مقدمته : « ... وبعد فإنى أريد أن أدل فى هذه المقالة على حقيقة ما عند المشائين ، بين المحصلين من حال المبدأ والمعاد ، وتقربا به إلى الشيخ الجليل أبى أحمد محمد بن إبراهيم الفارسى ... الخ » .

ولما كنت قد عرفت رأى ابن سينا فى المشائين ، وأنهم عنده من عامة المتفلسفة ، لا من خاصتهم ، وأنه كان ينحو نحوهم ويؤلف على غرارهم حين يكتب للعامة ؛ أما الخاصة فإنه يدخر لهم آراء أخرى مخالفة لآراء المشائين كثيراً من المخالفة ، يودعها كتبا يختصهم بها — انظر المقال السابق ، نص منطق المشرقيين — ، فقد نزعت الثقة من هذا الكتاب كمصدر يؤرخ منه لابن سينا ، وإن صح اعتباره مصدراً يؤرخ منه للمشائين كما يفهمهم ابن سينا إذ ليس يكفى أن يوضع اسم المؤلف على الكتاب ، ولا أن يكون صحيح النسبة إليه ، ليتخذ مصدراً يؤرخ منه له ، بل يجب أن يتحرى وراء التثبت من صحة النسبة ، عن أمر آخر ليس دون صحة النسبة أهمية ؛ ذلك هو قيمة المؤلف فى نظر صاحبه ، أعنى لمن ألفه ؟ ! هل ألفه ليصور به فكرته وعقيدته ؟ ! ... أم ألفه لأناس آخرين تنزل فيه إلى مستواهم ؟ ! وفى ضوء هذا يمكن اعتبار الكتاب مصدراً يستمد منه التأريخ لمؤلفه ، أو عدم اعتباره كذلك .

ولا شك أن إغفال هذه النظرة يوقع فى خلط واضطراب شديدين ، وقد تبينت ذلك واضحاً فى دراستى للغزالى ؛ إذ تضارب الكاتبون عنه تضارباً شديداً ، وتأدوا فى بحوثهم إلى أحكام متعارضة ، واعتصم كل منهم فى تأييد وجهة نظره ، بكتاب من كتبه صحت نسبته إليه ؛ مما حير العقول وبلبل الأفكار ، ومن أجل هذا اعتبر شخص الغزالى مشكلة من مشاكل العلم التى تتطلب الحل والإيضاح ، قال « ديبور » : « إن أمثال الغزالى معضلة فى نظر العلم ، فأشخاصهم حقائق روحية تحتاج إلى توضيح » .

وكان ذلك من غير شك نتيجة لإهمالهم هذا المبدأ الذى هو الطريق الوحيد ، لإضافة الفكرة إلى المؤلف مع الوثوق من أنها تصور رأيه وتعبر عن عقيدته ؛ فلما أخذت فى دراستى له بهذا المبدأ ، أبرزته فى كتابى عنه « الحقيقة فى نظر الغزالى » شخصية واضحة مفهومة ، لا تضارب فيها ولا تعارض .

ومن حسن حظ العلم أن المؤلفين الذين لهم جوانب متعددة ومظاهر متباينة ، قد عنوا بالدلالة على الكتب التى تصور آراءهم التى يرتضونها لأنفسهم ، تمييزاً لها عن غيرها التى تصور أفكاراً

أخرى لا يدينون بها .

فمثلا نجد الغزالى يقول فى كتابه «الأربعين فى أصول الدين» ط الكردى ص ٢٥ :

« ومعرفة أدلة العقيدة قد أوردناها فى الرسالة القدسية فى قدر عشرين ورقة ، وهى أحد فصول كتاب قواعد العقائد من كتاب الإحياء .

وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة تأنق فى إيراد الأسئلة والإشكالات ، فقد أودعناها كتاب « الاقتصاد فى الاعتقاد » فى مقدار مائة ورقة ، فهو كتاب مفرد برأسه يحوى لباب علم المتكلمين ، ولكنه أبلغ فى التحقيق ، وأقرب إلى قرع أبواب المعرفة ، من الكلام الرسمى الذى يصادف فى كتب المتكلمين .

وكل ذلك يرجع إلى الاعتقاد ، لا إلى المعرفة ، فإن المتكلم لا يفارق العامى إلا فى كونه عارفا ، وكون العامى معتقدا ، بل هو أيضاً معتقد ، عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ، ليؤكد الاعتقاد ويستمده ، ويحرسه من تشويش المبتدعة ، ولا تنحل عقدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة .

فإن أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة ، صادفت منها مقداراً يسيرا مبثوثاً فى كتاب الصبر والشكر ، وكتاب المحبة ، وباب التوحيد ، من أول كتاب التوكل ؛ وكل ذلك من كتاب الإحياء .

وتصادف منها مقداراً صالحاً يعرفك كيفية قرع باب المعرفة فى كتاب « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » لا سيما فى الأسماء المشتقة من الأفعال .

وإن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة ، من غير مجمجة ولا مراقبة ، فلا تصادفه إلا فى بعض كتبنا المضنون بها على غير أهلها . وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتستهدف المشافهة بصريح الرد ، إلا أن تجمع ثلاث خصال :

الأولى : الاستقلال فى العلوم الظاهرة ، ونيل رتبة الإمامة فيها .

والثانية : انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية ...

والثالثة : أن يكون قد أتيح لك السعادة فى أصل الفطرة الخ .

***

وهذا هو ابن سينا يقرر فى مقدمة كتابه « رسالة فى المبدأ والمعاد » إنه ألفه على مذهب المشائين ، فيجب — قبل الحكم بأن ما جاء فى الكتاب يصور رأى ابن سينا أولا يصوره — أن يعرف رأيه فى المشائين ، وهل هو يوافقهم ؟ أو يخالفهم ؟ !

وهذا هو نصه فى مقدمة منطق المشرقيين صريح فى أنه لا يدين بكل ما يدين به المشاءون ، ومن المحتمل أن يكون أمر البعث من المسائل التى اختلف فيها معهم ، فلا بد إذن من البحث عن مصدر آخر .

وفضلا عن ذلك فقد جاء فى عبارات الكتاب ما يدل على أن للمسألة عنده غورا ، وأن لها سرا لم يفض به فى هذا الكتاب كقوله « وهذا كلام مغلق ، تحته معان كثيرة ، فى شرحه على الحقيقة تكون النجاة » .

أصبح الأمل بعد هذا معقوداً بالكتاب الثانى . — رسالة أضحوية فى أمر المعاد — ، فلندرسه لنرى قيمته فى نظر ابن سينا ، بعد ما أجمع الباحثون على صحة نسبته إليه .

والقرائن المحيطة بالكتاب تدل على أن ابن سينا صور فيه رأيه ، وأبان معتقده :

أما أولاً : فلأن ابن سينا وهو يتحدث فى الإشارات عن البعث ، أحال استكمال القول فيه على كتاب آخر فيه سعة من القول ؛ والإشارات كما هو معلوم للباحثين يصور آراء ابن سينا التى يدين بها ويعتقدها ، فإذا أحال فيه على كتاب كانت قيمة الكتاب المحول عليه ، خصوصاً بالنسبة للبحث المشترك بين الكتابين ، من قيمة الكتاب المحول فيه ، وقد علمنا أنه نفض يده من الشفاء والنجاة ورسالة فى المبدأ والمعاد ، فلم يبق من الكتب التى تصلح أن تكون مرجعاً استوفى البحث واستكمله حتى يصلح للاحالة عليه إلا كتاب «رسالة أضحوية فى أمر المعاد» وهاك نصه فى الإشارات ط ليدن ص ١٩٧ « ثم ابسط هذا ، واستغن — وفى نسخة : واستعن — بما تجده فى موضع آخر لنا »

وأما ثانيا : فلأن الغزالى قد استمد رأى ابن سينا فى البعث من هذا الكتاب ، والغزالى دارس متعمق ، وقريب عهد بابن سينا وبكتبه ، فهو أعرف بما يصور رأيه وبما لا يصوره . واتهام الغزالى

بأن خصومته لابن سينا تمنع من التمويل على رأيه فيه ؛ يدفعه أن المدافعين عن ابن سينا ضد الغزالى أمثال ابن رشد ، لم يحاولوا قط أن يتهموا الغزالى — خصوصاً فى هذه المسألة — بأنه استقى معلوماته عنها من مصادر لا تعبر عن وجهة نظر ابن سينا التى يدين بها .

وأما ثالثاً : فلأن الكتاب نفسه ، ليس فية شىء مطلقاً ، يدل على أن ابن سينا لم يعبر فيه عن رأيه ، ولم يصدر فيه عن معتقده ؛ والأصل فى الكتاب — متى صحت نسبته لصاحبه — أنه يصور رأيه ، إلا إذا وجد من القرائن والدلائل ما يصرف عن ذلك .

وفضلاً عن هذا فالكتاب يتلخص فى مرحلتين :

إحداهما : التعريف بكل الآراء التى قيلت فى المسألة .

والثانية : نقد كل هـذه الآراء ، إلا رأياً واحداً استبقاه واستصفاه ، وساق على صحته كثيراً من الأدلة . ويحس قارىء الكتاب أن ابن سينا أفرغ فى هاتين المرحلتين كل قواه ، فلم يدخر جهداً فى هدم ما هدم ، ولم يدخر وسعاً فى تأييد ما أيد .

وعملية النفى والإبقاء على هـذا النحو من التتبع والتقصى ناطقة بأنهـا المنهج الصحيح للابانة عن مذهب المؤلف ورأيه الشخصى .

* * *

وفى كتاب « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » هذا ، نجد ما حكى الغزالى عن ابن سينا من أدلة إنكار البعث الجسمانى ؛ وعند ذلك نجـد ما نسد به تلك الثغرة التى كانت شاغرة فى تاريخ الفكر الإسلامى . وكنا قد أبنا فى مقالنا السابق أن لهذه الثغرة جانبين :

أحدهما : يتصل بابن سينا ، أعنى هل قال ما نسبه إليه الغزالى فى كتابه التهـافت من أدلة إنكار البعث الجسمانى ، أم لا ؟! ، ضرورة أنه إن كان قائلا بها ، يكون قائلا بإنكار البعث الجسمانى على سبيل القطع ، دون أن يفسح المجال لشك أو تردد . وقد ثبت أنه قائل بها .

وثانيهما : يتصل بالغزالى ، أعنى هل هو ثقة حين يتحدث عن فرق خاصمهم ورد عليهم ، ممن طال العهد بهم بحيث لا يتيسر لنا الرجوع إلى مصادرهم الأصلية ؟! أم هـو فى موضوع الشك والاتهام ؟! ، وقد ثبت أنه ثقة خصوصاً فى تلك المسألة التى أجرينا امتحانه فيها .

وبعد فلعلنا أيها القارىء الكريم قـد شوقناك إلى كتاب « رسالة أضحوية فى أمر المعاد » ، وما راء كمن سمـع ، وقريباً إن شاء الله يكون فى يدك ، فلقد تفضل مشكوراً الأستاذ البحاثة مدير المعهد الفرنسى باستحضار صور لجميع مخطوطاته الموجودة فى مكتبات العالم ، ليستعان بها على إخراج نص صحيح ، وقد راجعنا هذه الأصول كلها ، وعلقنا عليها ، وقدمنا الكتاب للطبع ، وهو الآن بالمعهد ينتظر دوره .

سليمان دنيا
مدرس الفلسفة وعلم العقيدة
بكلية أصول الدين

الأدب والفن في أسبوع

حول الأنشودة الناعمة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامي بدكرنس ، كتاباً يدافع فيه عن عبد الوهاب وتلحينه لأنشودة فلسطين ، وهو بعد التحية :

« قرأت ما كتبتموه عن اللحن الرائع الذي وضعه موسيقار الشرق عبد الوهاب للأنشودة القوية التي نظمها الأستاذ الشاعر على محمود طه عن فلسطين . ولست أتفق معكم في رأيكم ، فإن القراءة الهادئة للقصيدة وتفهم مراميها ومعانيها فهم أناة وروية ، ثم تنغيمها بعد ذلك التفهم من أي إنسان أوتى حظاً من رقة الحس ، ودقة الأذن ، ورهافة الوجدان لا يمكن أن يأتي إلا على هذا الغرار ، وفي هذا القالب الشجي من الإيقاع والتلحين .

فالقصيدة تخاطب كل عربي في أرض العروبة ، تحثه على الانتقاض على ظلم اليهود ، ونبذ سياسة الصبر ، وتجريد الحسام دفاعاً عن الأرض المقدسة ، تخاطب القصيدة في كل ذلك خطاباً تريد أن تصل به إلى عقله وقلبه حتى ينفض عن التمسك بالأناة ، ومجاراة أمم العالم في سياسة السلام .

فليست القصيدة إذاً خطاباً إلى جيش يخوض المعامع فهي تستزيد حماسته ، وتلهب حميته ، وإنما هي خطاب إلى المسالمين يستنفرهم إلى اطراح السلام ، ونداء إلى الوادعين يستنهض هممهم — بعد أن يبين لهم — ويستثير — عن إقناع — عزماتهم إلى دفع الخطر المحدق بهم ، دون تلبث أو انتظار .

وبعد : ألستم معي في أن هذا اللحن ليس مائعاً ، وإنما هو لحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها ؟

ثم ألستم معي في أن عبد الوهاب لا ينبغي له أن يأخذ « أجازة » في هذا الظرف العصيب ... بل إن على الشعراء والناظمين أن يقدموا له من نتاج القرائح ما يقتضي اللحن العاصف والنغم الثائر ، والإيقاع المثير ، وعندئذ ينطلق صوت عبد الوهاب عاصفاً ، ثائراً ، مثيراً » .

حقاً إن القصيدة تخاطب كل عربي في أرض العروبة ، تحثه على نبذ سياسة الصبر وتجريد الحسام إلى آخر ما قال الأستاذ وأضيف إلى ذلك أن القصيدة نفسها قوية في غير جلبة ولا ضوضاء ، وهي من قبيل ما أدعو إليه من التأليف الذي يؤدي الحماس في هدوء ، خالياً من الطنطنة والمبالغات . ولكن هل أدى التلحين والغناء ما في القصيدة من القوة والحماس ؟ أو هل هما يسيران معه في هذا السبيل ؟ هذه هي المسألة أو القضية التي يريد الأستاذ المحامي أن يكسبها . ويلح في ذلك بسؤاله إياي أن أكون معه في أن اللحن رائع اقتضاه مبنى القصيدة كما استلزمه معناها .. ويؤسفني ألا أكون معه في ذلك .

وحقاً إن القصيدة خطاب إلى المسالمين لاطراح السلام ، ونداء إلى الوادعين لاستنهاض هممهم ، واللحن والغناء كذلك خطاب للمسالمين والوادعين .. ولكن ليظلوا ناعمين وادعين .. لحن جميل ، وموسيقى حلوة ، وغناء رقيق عذب ، تتسلل إلى الأذن في طرب يسلم إلى السكون ويبعث إلى وادي الأحلام .

إنه حين يغني :

أخي قم إليها نشق الغمار دماً قانياً ولظى مرعدا

يحيل الدم إلى (شربات) ويجعل اللظى برداً وسلاماً !

وهو حينما يغني :

فلسطين يفدى حماك الشباب وجل الفدائي والمفتدى

يذرو هباء ما فيه من الفداء وحماية الحمى ، ويضيع الشباب مع من ضيع في الأوهام عمره ...

إن عبد الوهاب فنان عظيم ما في ذلك من شك ، ولكن مجال فنه إنما هو العواطف الرقيقة الناعمة ، وهو يبدع فيه لأنه يصدر عن طبع أصيل ، فيستطيع أن ينقل إحساسه في أنغامه إلى القلوب فيطربها ويأسرها ، ويشركها معه في الشدو والترديد أما العواطف الحماسية ، فليست في طبعه الفني ، وهو إلى الآن لم يأت في هذا الباب بشيء على وفرة إنتاجه في عالم الغناء والموسيقى

وأنا لا أدعوه إلى مخالفة طبعه بالتلحين الحماسي ، لأنه يكون إذن متكلفاً ، والتكلف يفسد الفنون . ولو أنه تلقى من نتاج القرائح ما يقتضي اللحن العاصف والنغم الثائر ، كما يرى الأستاذ أبو النجا أن يفعل الشعراء والناظمون ، لما انطلق عاصفاً

تأثيراً مثيراً إلا إذا جاوز الفن إلى التهريج .

وإنى لأرى أن أم كلثوم أقدر من عبد الوهاب على التعبير الحماسى ، ويبدو هـذا فى غنائها قصيدة « سلوا قلبى » فقد استطاعت أن تجعل الجمهور يغلى ويفور فى بعض مواضع هـذه القصيدة .

وأذكر أن عبد الوهاب كان يدافع عن نفسه ، حين وجه إليه اللوم لعدم المشاركة فى الأغانى الحماسية ، بأن الشعب يردد أغانيه ذات الطابع العاطفى الرقيق ، ولا يسمع من أحد صدى لما لحنه هو أو غيره من أناشيد . وهذا يؤيد ما قلته ، لأنه يصدر فى النوع الأول عن طبعه فينتج إنتاجا حياً ، أما الأناشيد المتكلفة فهى تموت على أثر إلقائها . ومن الخطأ البين ما كان يقال من أن الشعب المصرى ميال بطبعه إلى اللهو فهو لا يقبل على إنشاد جدى فهذا هو الشعب كما نراه اليوم يسبق الفنون فى حماسه وقوته ، وهى تحاول أن تلحق به . .

ويماثل عبد الوهاب فى الغناء والموسيقى ، أحمد رامى فى النظم والتأليف فهو يسجل خفقات القلوب ويتتبع الأطيار على الأشجار ولكنه ظلم نفسه بـ « نشيد الشـــباب » الذى وضعه أخيراً وغنته أم كلثوم ، والذى يبدأ هكذا :

نادى المنادى يا شباب   لبوا الندا   ردوا العدا عن الوطن .

ثم يمط هكذا :

تضامنوا   الشرق   يدعوكم   إلى   طرد العـدا

تعاونوا   الله   يهـديـكم   إلى نور الهـــدى

ثم يختتم بإرسال الحكمة هكذا :

من عاش منا فاز بالعيش الرغيد .

ومن يمت مجاهداً مات شهيد .

كلام عادى فاتر ، وتهبط الحرارة عن درجة الفتور عند ما يأمر بالتعاون ليهدى الله إلى « نور الهدى » .

وأم كلثوم هى التى تنطلق قوية مثيرة لو قدم لهـا المنظوم القوى النابض بالحياة ، وهي التى تستطيع أن تدك تـل أبيب بـ « وصلة » واحدة ... ولكنها لا تغنى إلا ما تلقفه من شعر شوقى ، وما يوضع لها خائراً واهناً ، وهى تكثر من تدرديد أغانيها القديمة ، مثـل أغنية « فضلت أسامح فى روحى » التى غنتها فى حفـلة بور سعيد التى أقيمت للترفيه عن جنود الجيش ، والتى لم تغن فيها شيئاً جديداً مناسباً للحال الحاضرة . ولست أدرى إلى متى تظل تلك المصالحة . ؟

التمهيد لمؤتمر اليونسكو :

كان المقرر أن تجتمع اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، فى الاسكندرية يوم ٢١ أغسطس القادم لوضع خطـة مشتركة بين الدول العربية وتوحيد وجهة نظرهـا فى الشئون الثقافية التى ستـكون موضع نظر مؤتمر الهيئة الثقافية العالمية (اليونسكو) الذى سينعقد بلبنان فى أكتوبر القادم .

وقد حدث أخيراً أن أبدت الحكومة اللبنانية رغبتها فى أن تنعقد اللجنة الثقافية بلبنان لتكون على مقربة من مركز المؤتمر . وقد أجابت اللجنة إلى هذه الرغبة فقررت أن يكون اجتماعها هناك .

ومن الموضوعات التى ستنظر فيها اللجنة فى هذا الاجتماع ، موضوع نشر الأفلام السينمائية التى ترمى إلى تقوية الروح القومية العربية وشعور التضامن والاتحاد بين العرب ، ومن ذلك المساعدة على إعداد أفلام فى البلاد العربية بقصد تعريف بعضها ببعض ، والمساهمة فى وضع أفلام ثقافية شعبية ومدرسية فى البلاد العربية ، وفى ترجمة نطق الأفلام الثقافية الغربية إلى اللغة العربية .

السينما والدعاية :

تفضـل حضرة صاحب الجلالة الملك بزيارة ميدان القتال بفلسطين فى هذا الأسبوع ، وقد سر جلالته بمـا رأى هناك وما وقف عليه من المعلومات والحقائق التى تتعلق بنظام الجيش وخطته فى القتال . وقال جلالته فى صدد التعبير عن سروره إنه يود لو كان المصريون جميعاً موجودين ليشاهدوا ما شاهد جلالته

قلت فى نفسى : ليست هذه الأمنية الملكية الكريمة ببعيدة التحقيق ، ففى الإمكان أن تنقل السينما هـذه المشاهد الرائعة إلى جميع الناس .

وإن ممـا يؤسف له أنه قد مضى على حرب فلسطين قرابة شهرين تحدثت فيها الصحف وأذاعت الإذاعات عن انتصارات العرب وقصت قصص البطولة العربية فيها ، ووصفت أقـلام المراسلين المعارك وصفا رائعـاً ، ولكن لم يعرض باحدى دور

السينما منظر واحد لشيء من ذلك على حين تترامى إلينا من هوليود أنباء تنمى بنشاط الصهيونيين فى الدعاية بوساطة الأفلام لقضيتهم الخاسرة . وقد أمرت وزارة الشئون الاجتماعية بمنع عرض الأفلام التى يظهر فيها ممثلان من هوليود يقومان بالدعاية الصهيونية .

فهل يكفى أن تمنع أفلام الدعاية اليهودية من العرض فى مصر ؟ وماذا فعلنا نحن فى هذا السبيل ؟ ماذا فعلنا لنقل مشاهد المجد العربى على الشاشة البيضاء ؟ وأين السينمائيون المصريون ؟ أما شبعوا من عرض المباذل والخيانات الزوجية ؟ وإذا كانت وسائلهم قاصرة فأين وزارة الشئون الاجتماعية التى تحرص على الإشراف على الشئون الفنية ؟

إن هذا الموضوع لجدير بنظر اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، لأنه يحقق الأهداف التى ترمى إليها من نشر الأفلام السينمائية بالبلاد العربية ، بل يجب أن يبدأ به ويوجه إليه كل الاهتمام ، فينفق فى إنجازه كل المال المعد لنشر الأفلام السينمائية المتقدمة .

مصر تطل على العالم :

تناول الأستاذ محمد رفعت فى حديثه «مصر تطل على العالم» بالمذياع يوم الأحد الماضى موقف مجلس الأمن من قضية فلسطين ، فقال إن هذا المجلس الذى يرغى ويزبد الآن لأن الأمم العربية لم تقبل مد الهدنة ، هو الذى يغضى عن تصرفات الأمم الكبيرة المخالفة لميثاق هيئة الأمم المتحدة ، فى حين أن الدول العربية لم تخرج عن هذا الميثاق لأنها تدافع عن كيانها وتعمل لاستتباب الأمن فى جزء منها طبقاً للمادة الثانية والخمسين من الميثاق .

وقال الأستاذ إن الأمم الكبيرة شكلت هيئة الأمم المتحدة لتنهى آثار الحرب وتحل المشكلات العالمية ، ولكنها إلى الآن لم تستطع أن تعقد الصلح مع ألمانيا والنمسا واليابان بل لم تستطع أن تحل المستعمرات الإيطالية ، مع أن هذا لا يحتاج إلى مفاوضات مع الأعداء بل يفرض عليهم فرضاً ، وذلك للخلافات بين الأمم الكبيرة الناشىء عن مطامعها الاستعمارية . وفى الوقت الذى تعجز فيه الهيئة ومجلس أمنها عن كل ذلك ، تريد أن تجعل من هذا المجلس أداة تخويف وإنذار للدول الصغيرة والمتوسطة ، فنرى أعضاء فيه من أولياء الصهيونية يهددون العرب بالقوة ويلوحون بالعقوبات ، ولكن هذا المجلس المهيض الجناحين لن يستطيع الطيران

وإذا هو حاول فسيسقط سقطة لا قيام له منها ، لأن العرب أصروا على تخليص فلسطين من الصهيونية مهما كلفهم ذلك .

مواكب رمضان :

أذاعت الإذاعة المصرية فى أول يوم من شهر رمضان برنامج « مواكب رمضان » من تأليف الأستاذ طاهر أبو فاشا وإخراج الأستاذ محمد محمود شعبان ، ومعظم هذا البرنامج أغنيات رمضانية تمثل ألواناً من أغانى الشعب فى رمضان ، يتخلل هذه الأغنيات حوار قليل يقصد منه الانتقال من جو أغنية إلى أخرى ، ولكنه جاء مع ذلك مسبوكا محبوكا .

ولدى الإذاعة برامج خاصة برمضان كثيرة ، نفضت عنها الغبار ، وشرعت تقدمها فى فترات مختلفة إلى جانب هذا البرنامج الجديد ، فبدا الفرق واضحاً بينه وبينها ، فأغنيات « مواكب رمضان » تمتاز بالجمال الفنى وتقوم على المعانى الرفيعة ، لأن المؤلف لم يعمد إلى الأذكار و (وحوى) وغير ذلك لينقله كما هو بل هو يضفى من نفسه على الصور الشعبية ما يرضى الذوق الخاص إلى الإمتاع العام ، فبدل أن تسمع فى أحد تلك البرامج « حنن علينا يا كريم حنن علينا » تسمع فى مواكب رمضان « هل الهلال وبان » وقد برع الملحن فى هذه الأغنية وأداها « الكورس » أحسن أداء .

من طرف المجالس :

كان من شجون الحديث فى هذه الجلسة ، كتابات بعض كبار الكتاب فى هذه الأيام ، من حيث إسفافهم وعدم عنايتهم بالتجويد كسابق عهدهم ، فحكى الأستاذ كامل كيلانى الطرفة الرمزية الآتية :

كان أحد العمد بالقاهرة ، فذهب إلى دكان للحلاقة ، ولم يعبأ الحلاق به لمظهره القروى ، فحلق له دون عناية . ونهض العمدة وأعطى الحلاق جنيها وخرج لسبيله .

وبعد أيام عاد العمدة إلى الدكان ، فاستقبله الحلاق أحسن استقبال ، واجتهد أن يعوض تقصيره فى المرة السابقة ، فبذل له غاية العناية . ونهض العمدة وأعطى الحلاق مليما . . فدهش الحلاق وبسط يده بالمليم متسائلا ، فقال له العمدة . هذا المليم للحلاقة الماضية ، وذلك الجنيه لهذه الحلاقة .

العباس

الكتب

نموذج جديد من قصص قومي :

إدريـــــس

(قصة مغربية بالفرنسية — للأستاذ على الحمامى)

للأستاذ محمود تيمور بك

ثلاثة عناصر ، متى توافرت لعمل فنى مكنت له ، وأبلغته ذروة الإجادة ، فأسلست له أهواء النفوس ...

تلك العناصر التى أعنيها ، هى :

قوة الإحساس ، وصدق التعبير ، وموهبة الأداء ...

وقد اتسقت ثلاثتها فى هذه القصة التى ألفها الأستاذ « على الحمامى » فى اللغة الفرنسية ، وسماها : « إدريس » ، وصور بها الحياة المغربية وما يضطرم فيها من آلام وآمال ...

فى تلك القصة تنبسط صحف من التاريخ ، وتنصقل مرآة للحاضر ، وتتجلى أحـوال سياسية واجتماعية قائمة ، وتترسل روح من الوطنية تثير الأفئدة وتهز المشاعر . فالـكتاب بفضل ما حواه من ذلك كله — يعد نموذجاً من القصص القوى ، جديراً بالتقدير والإعجاب ...

ومما هو مسلم به عند البصراء من نقاد الأدب أن الفن لا يجود ولا يؤتى جناه إلا إن تركت له حرية التحليق والانطلاق ، لا نزعة تملى عليه ، ولا مبدأ يتحكم فيه . ومن ثم كانت القصص التاريخية والسياسية والوطنية فى المقام الثانى من القصص الفنى ، لأن كتابها مقيدة أقلامهم بما حدد لهم من أغراض ، وما عين لهم من أهداف .

ولـكن الأديب « الحمامى » فى قصته القومية ، ينجو من تبعة هذا النقد ، ويسمو على تلك الملاحظة ، وذلك لأنه لم يخضع قلمـه لمنحًى مسوق إليه ، ولم يرد فنه على غرض دخيل عليه . وإنما أحس فى قوة ، وعبر فى صدق ، وأدى قادراً على الأداء .

لقـد عايش المؤلف أمته ، وشهد ما تعانيه من كوارث ، وما يعوق خطاها من أغلال ، وشعر بما يعتلج بين حناياها من منازع الحرية والعزة ، وكان لذلك أثر فى نفسه لم يلبث أن دفعه إلى التعبير ، فجرى قلمه طلقاً يصور حياة قومه ، ويكشف عن آلامها وخوالج نفسها فى إيحاء فنى قويم .

وأنت تساير « إدريس » بطل هذه القصة ، وهو يروى لك أحداث حياته ، وما تعاقب عليها من أحوال ، فإذا بك — وأنت مسترسل معه — تطالع الحياة المغربية فى عصرها العتيد ، فترى كيف صنعت سياسة الاستعمار بذلك الوطن المغلوب على أمره ، وتعلم كيف يسام الخسف والعسف فى جحيم تلك السياسة الغشوم ، وكيف تتوق نفسه إلى عيش الحرية والـكرامة ، فهو يـكافح ويجاهد ما وسعه الـكفاح والجهاد .

فقارىء هذه القصة لا يملك سكينته إزاء ما يمر به من صور تفصح له عن نفسية شعب أبى يتنزى فى الحديد والنار ، وتشعره بما يكمن فى سريرة ذلك الشعب من فتوة وحمية ، وما يغلى فى عروقه من دماء أسلافه الذين كانوا فى طليعة بناة الحضارة وسادة الأمم .

والقصة فى جملتها مزاج طريف من التاريخ والسياسة والوطنية والاجتماع ، أو طاقة مزهرة تجمع تلك الأفانين المختلفة ؛ وبراعة الـكاتب تتجلى فى تأليف هـذا المزاج ، وتنسيق تلك الطاقة . فهيهات أن يلمح القارىء فى أطواء القصة حديثاً لا يستدعيه الموقف ، أو موقفاً ينبو عن السياق ، أو إغراقاً فى وصف وتصوير تتجافى به القصة عن سبيل التأثير والإقناع .

ما أكثر ما كتب الغربيون عن الأمم الشرقية والإسلامية بلغات الغرب ، ولـكن ما كتبوه لا يصور نفسية هذه الأمم وعقليتها حق تصورها ، ولا يستوفى حقائقها كما هى عليه ، وذلك لأن أولئك الـكتاب إما أن تحدوهم نيـّـة سيئة ونزعة مغرضة ، وإما أن يقعد بهم عجز عن التحقيق وصدق التصوير .

وإذن فقـد أحسن صاحب « إدريس » صنعا ، إذ كتب قصته بلغة غربية ، سدا لذلك النقص ، وإطلاعاً لقراء الغرب على حقائق أمة إسلامية فتية تنشد سلامة و كرامة .

وما أجمله توفيقاً أن تـكون تلك اللغة الغربية التى كتبت بهـا القصة هى اللغة الفرنسية .. فالقصة ليست إلا صفحة من اضطهاد المستعمر الفرنسىّ . فمن الخير أن يقرأها الفرنسيون بلغتهم ، دانية المنال ، حتى يتبين لهم : كيف يؤدون فى بلاد المغرب رسالة الحرية والسلام !

محمود تيمور



اليوميـــات

قصة للكاتب الألماني آرثر شنتزلر

بقلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

كنت عائدا إلى منزلي ليلة أمس عند ما جلست فترة من الوقت على مقعد بحديقة المدينة ، فلاحظت فجأة سيداً جالساً على الطرف الآخر من المقعد لم أشعر بوجوده من قبل . وأثار ظهوره الفجائي دهشتي وشكوكي لأنه لم يكن في حاجة إلى الجلوس على نفس مقعدي ، لخلو المقاعد الأخرى من رواد الحديقة في ذلك الوقت المتأخر من الليل .

وهممت بالرحيل عند ما خاطبني ذلك الغريب . كان يرتدي معطفاً رمادياً طويلاً وزوجاً من القفازات أصفر اللون . وناداني باسمي بعد أن رفع قبعته يحييني . وعندئذ أدركت في دهشة من هو . إنه الدكتور جوتفريد فيفالد ، ذلك الشاب المهذب ذو المقام الممتاز . وكان قد نقل منذ أربع سنوات من الخدمة المدنية في (ڤينا) إلى ضاحية بالنمسا . لذلك لم أر موجباً للتعبير عن دهشتي من رؤيتي إياه في ذلك الظرف من الزمان والمكان ، على الرغم من أني لم أكن قد شاهدته منذ عيد الميلاد الأخير .

ورددت تحيته بابتسامة فاترة ، ثم هممت أسأله عن سبب جلوسه هنا عند ما قال لي فجأة وهو يبدي بيده حركة اعتذارية .

— أرجو المعذرة ياسيدي العزيز ، ولكن وقتي محدود . ماأتيت إلى هنا إلا لكي أسرد عليك قصة غريبة . ذلك إذا لم يكن لديك مانع من الاستماع إلي .

فسارعت إلى التصريح باستعدادي لسماع ما سيقوله وأنا في دهشة مما تفوه به . ولم أتمالك من سؤاله لماذا لم يقابلني بالمقهى ، وكيف استطاع أن يجدني هنا ، ولماذا وقع اختياره علي بالذات لأستمع إلى قصته ؟

فأجاب في صوت أجش غير عادي — أما عن السؤالين الأولين فسأجيب عليهما أثناء سردي القصة ، وأما اختياري لك ياسيدي العزيز (ولم يلقبني بأي لقب خلاف ذلك) فهو لأني أعرف فيك الكاتب الأديب الذي أستطيع الاعتماد عليه في نشر قصتي العجيبة بالطريقة التي تلائمه .

وبدون أن ينتظر تعليق على ما فاه به ، أنشأ يقص قصته دون تمهيد ، قال :

تدعى بطلة قصتي رد بجوندا . وكانت زوجة البارون ت . الكابتن في فرقة س . ، إحدى فرق (الدراغون) ، وكان مقرها بلدتنا الصغيرة . (ولم يذكر في الواقع من الأسماء سوى الأحرف الأولى ومع ذلك عرفت البلدة واسم الضابط الفارس ورقم فرقته) .

واستمر الدكتور فيفالد يقول « كانت رديجوندا ذات جمال باهر ، وقعت في حبها من النظرة الأولى — كما يقول الناس — ولسوء الحظ لم تسمح لي الفرصة التي تتيح لي التعرف بها ، فضباط الفرقة وعائلاتهم قليلو التعارف بالمدنيين ، ولذلك كنت أقنع بالنظر إليها عن بعد ، أراها وحيدة أو بجانب زوجها أو بصحبة الضابط الآخرين وزوجاتهم وهم يسيرون في شوارع البلدة . وكنت أحياناً أحظى برؤيتها تطل من إحدى نوافذ دارها ، أو ألمحها داخل عربة تتأرجح بها قاصدة إلى المسرح الصغير في المساء وهناك أشاهدها جالسة في مقصورة من مقعدي بأعلى المسرح ، فيخيل إلي أنها تعطف على فترميني بنظرة عابرة لا أجرؤ أن أستنتج منها ما يشف عن الغزل أو التدارف . وبدأت أيأس من استطاعتي وضع قلبي تحت قدميها عند ما قابلتها فجأة وعلى غير انتظار في صباح يوم من أيام الربيع الجميلة بالحديقة الصغيرة الممتدة من باب البلدة الشرقي إلى الريف . مرت أمامي وعلى شفتيها شبه ابتسامة دون أن تلحظ وجودي . وسرعان ما اختفت بين الأشجار دون أن يمر على خاطري أن أحييها أو أتحدث إليها . ولا أدري لماذا لم أشعر بالأسف بعد ما توارت عن أنظاري في أني لم أقم بمثل هذه المحاولة ، ولكن كل ما أدريه أنه حدث لي شيء غريب . لقد شعرت بنفسي فجأة أندفع وراء الخيال وأتصور ما الذي يحدث إذا ما كنت قد تمالكت شجاعتي واعترضت

طريقها أخاطبها . وجعل خيالى يصور لى كيف أنها لم تخف سرورها بجرأتى هذه ، وكيف طفقت تحدثنى وتشكو وحدتها وحاجتها إلى من تبثه لواعج نفسها وقلبها ، وكيف شعرت بالبهجة عند ما وجدت فى ذلك الرفيق الذى تنشده . وكانت نظرتها إلى عند ما ودعتها نظرة تحوى كل معانى الود والتفاهم حتى لخلت — على الرغم من يقينى بأن كل هذا كان مجرد خيال — بأنى عند ما أراها مرة ثانية بمقصورتها بالمسرح فى المساء سأشعر بأن فى صدرى كنزاً مدخراً من العواطف لا يشاركنى فيه أحد سواها .

لعلك لا تعجب ياسيدى العزيز إذا ما قلت لك بأنى وجدت نفسى منساقاً وراء ذلك الخيال الذى لا أدرى كيف بعث ، ولعل منشأه قوة خفية فى نفسى لا أدرى كنهها . فسرعان ما أعقبت أولى مقابلاتنا مقابلات غيرها ، وازداد شغفى برد يجوندا ، حتى أقبل اليوم الذى وجدتها بين ذراعى وتقدم بى خيالى ، وابتدأت تزورنى فى شقتى الصغيرة بأقاصى البلدة ، وعندئذ تذوقت كل أنواع البهجة التى لم أتذوقها فى حياتى الواقعية والتى لا أعرف طعمها إلا فى خيالى الرائع .

وأقبل علينا الخريف عند ما علمت أن فرقة (الدراغون) الذى ينتمى إليها زوجها قد أمرت بالرحيل إلى جاليشيا . فشعرت باليأس القاتل يملأ نفسى — بل يملأ نفسينا — ولم نترك شيئاً مما يقوله العشاق فى مثل هذه المناسبة إلا تحدثنا عنه . تكلمنا عن الهرب معاً ، والموت معاً ، وعذاب الخضوع لحكم القدر .

وأقبلت الليلة الأخيرة ولما نصل إلى قرار بعد . وانتظرت رديجوندا فى غرفتى المزدانة بالزهور وكنت قد حزمت أمتعتى وحشوت مسدسى وكتبت رسائل الوداع استعداداً لما قد يحدث . كل هذا ياسيدى العزيز كان حقيقة نتجت عن خيال غريب . إن وقوعى التام تحت سحر ذلك الخيال جعلنى أعتقد تمام الاعتقاد توقع ظهور محبوبتى أمامى فى آخر أمسية قبل أن ترحل الفرقة . كنت أشعر بقوة خفية لم أحسب لها حساباً تدفعنى إلى البقاء بالدار . وكنت أتوجه مئات المرات إلى الباب الخارجى فأنصت على أسمع وقع خطواتها ، ثم أنظر خلال النافذة آملا أن أراها مقبلة نحوى . ثم شعرت بالقلق واليأس ينتابان نفسى حتى أوشكت على الاندفاع خارجاً ، لأبحث عن رديجوندا وأختطفها من زوجها مطالباً بحقى فى الاستحواذ عليها ، حق حبنا المتبادل .

وأخيراً تهالكت على مقعدى وأنا أرتجف رجفة من أصابته بالحمى . وفجأة — قرب منتصف الليل دق الجرس الخارجى ، فشعرت حينئذ بأن قلبى يكاد يكف عن الخفقان . إن دق الجرس — كما تعلم — لم يكن وليد الخيال . واستمعت إلى صوته وأنا مذهول ، وشعرت برنينه يطرق أذنى ، فأيقظ فى الإحساس الكامل بالحقيقة . كنت أدرك أنه حتى هذا المساء لم تكن مغامراتى سوى سلسلة من الأحلام العجيبة ؛ ولكنى شعرت عند ما سمعت ذلك الرنين بأمل جرىء يستيقظ فى ذات نفسى ، ذلك الأمل فى أن رديجوندا وقد أثر فى أعماق قلبها تلك القوى الخفية التى أحيت خيالى ، واستجابت إلى دعوتى بقوة رغبتى فيها ، سوف أراها واقفة أمامى بلحمها ودمها على عتبة دارى ، وأنه فى اللحظة القادمة سأتناولها حقايين ذراعى .

وذهبت إلى الباب وفتحته ، ولكن ... لم تكن رديجوندا هى الواقفة أمامى ، بل كان ... زوجها ! كل ذلك كان حقيقة كحقيقة وجودك بجانبى على هذا المقعد .

وقف الضابط لحظة يتأمل وجهى ، ووقفت أمامه مذهولاً ، ثم دعوته إلى الدخول والجلوس . ولكنه ظل واقفاً وقال فى ازدراء أنت تتوقع قدوم رديجوندا . من سوء الحظ أنها لا تستطيع الحضور . لقد ماتت ! فرددت قائلا : ماتت !

وخيل إلى حينئذ أن العالم قد توقف عن الحركة .

وطفق ضابط (الدراغون) يقول فى هدوء — لقد وجدتها منذ ساعة بمكتبها وأمامها هذا الكتاب ، وها أنذا قد أحضرته ليسهل علينا وضع الأمور فى نصابها . لقد قتلها الرعب على ما أعتقد عند ما دخلت عليها فى حجرتها بغتة . هذا هو آخر ما سطرته . اقرأه من فضلك .

وناولنى كتاباً مفتوحاً مغلفاً بجلد بنفسجى اللون ، فقرأت الكلمات الآتية « ... والآن سأترك منزلى إلى الأبد . إن حبيبى فى انتظارى »

وأطرقت إطراقة من يدرك ما الذى تعنيه هذه الكلمات .

واستمر الضابط يقول — لا شك أنك أدركت أن ما تحمله فى يدك هو يوميات زوجتى . من الأصوب أن تلقى عليها بنظرة ،

حتى تدرك أنه لا يجديك الإنكار .

وقلبت الصحفات وطفقت أقرأ وأقرأ حوالى الساعة ، وأنا مرتكن على مكتبي وهو جالس على المقعد دون حراك . قرأت قصة حبنا كاملة ؛ تلك القصة الغريبة بكافة تفاصيلها منذ التقائى بها فى ذلك الصباح من يوم الربيع ، وتحدثى إليها فى الحديقة . ثم قرأت عن أولى قبلاتنا ، وسيرنا معاً ، وذهابنا إلى الريف ، وساعات نشوتنا فى غرفتى المزدانة بالزهور ، وخططنا التى وضعناها للهرب أو الموت ، وسعادتنا وبأسنا . كان كل ذلك مسطراً فى هذه الصفحات ؛ هذا الذى لم يكن فيه مسحة من الواقع ولكنه كل ما اتفق لى وقوعه فى الخيال ، وشعرت بعجزى عن تفسير أمر هذه اليوميات . ولكن تباجع فى نفسى ضوء من الحقيقة هو أن رديجوندا قد أحبتنى كما أحببتها ، وأنها قد حصلت على تلك القوة الغامضة فمنحتها موهبة الخيال وبذلك شاركتنى كل حوادث مغامراتى تلك .

ثم ظهر لى شيء آخر . . إن هذه اليوميات لم تكن سوى وسيلة للانتقام منى بسبب ترددى الذى منع أحلامى — أحلامنا — من جعلها حقيقة واقعة ، وحتى موتها الفجائى كان من صنع إرادتها ، بل كان فى نيتها أن تضع هذه اليوميات فى يد زوجها بهذه الطريقة ، ولم يكن لدى من الوقت ما أستطيع فيه أن أستعرض كل هذه المعضلات وأحاول تفسيرها ، ولكن وجود زوجها هنا كان إحدى التفسيرات ، بل التفسير الطبيعى لكل ما حدث ، ولذلك عملت بما تتطلبه الظروف ، ووضعت نفسى تحت تصرف الضابط فى كلمات تناسب الموقف » .

فصحت قائلاً — دون أن تحاول .

فقاطعنى الدكتور فيفالد فى خشونة قائلا — حتى لو كان هناك أدنى نوع من النجاح لمثل هذه المحاولة فإنها لتظهر لى شيئاً مشيناً . إنى أشعر فى نفسى بأنى مسؤول عن كل هذه النتائج التى أوجدتها مغامراتى الخيالية هذه — تلك المغامرة التى كنت جباناً لأنى لم أحققها .

« وقال الكابتن — إنى أحب أن أضع الأمور فى نصابها قبل أن يعلم الناس عن موت رديجوندا إننا الآن فى الساعة الأولى صباحاً . فى الساعة الثالثة سيتقابل شهودنا . وفى الخامسة سنسوى أمورنا .

وأومأت بالايجاب فى برود ، ثم غادرنى : ورتبت أوراقى ، ثم تركت الدار أبحث عن صديقين فوجدتهما فى فراشيهما ، وأطلعتهما على الشيء الضرورى حتى يدركا المهمة الملقاة على عاتقيهما ثم جعلت أذرع الطريق أمام نوافذ دارها ، دار رديجوندا المسجاة الآن على فراش الموت ، وتملكنى حينئذ شعور اليقين بأنى أسير نحو نهاية مصيرى المحتوم .

وفى الساعة الخامسة صباحاً واجهت الكابتن وواجهنى والمسدس فى يد كل منا فى الحديقة الصغيرة بالقرب من المكان الذى خاطبت فيه رديجوندا المرة الأولى .

فقلت — وهل قتلته ؟

قال — لا .. إن رصاصتى مست صدغه ، ولكنه أصابنى فى قلبى ، وسقطت ميتاً فى التو واللحظة كما يقولون .

فالتفت إلى جارى العجيب وكلى دهشة واستغراب ، فإذا به قد اختفى من ركن المقعد فذهلت ... وأخيراً سألت نفسى ألا يجوز أنه لم يكن موجوداً على الاطلاق ، وأن كل ما حدث لم يكن إلا وليد خيالى ؟ ولكنى تذكرت أنى سمعت بعضهم كان يتحدث بالمقهى فى الليلة السابقة عن مبارزة سقط فيها الدكتور فيفالد ميتاً وعن اختفاء السيدة رديجوندا فى نفس اليوم ، والاعتقاد أنها هربت مع ملازم شاب من الفرقة دون أن تترك وراءها أثراً .

وتوالت على الأفكار والأسئلة . أكان ما حدث وما سمعته حقيقة واقعة ؟ ولكنى تراجعت أمام التفكير الذى يخالف المنطق . فقد أجشم نفسى مشقة تأييد نظريات لا قبل لى على تصورها ، كالتصوف وعلم الروح .

إنه لا يمكنى إثبات حقيقة مثل هذه القصة ، إذ تنقصنى الأدلة المادية على صحتها . ووجدت لو أنى اعترفت بها لواجهت مشكلات لا تعد ولا تحصى ، ولاعتقد الناس أنى إما ساحر أو دجال . ومن ثم قررت فى النهاية أن أقص تلك الزيارة الليلية كما حدثت دون تعليق عليها ، وأنا واثق من اعتراض الكثيرين على صحتها ، فإن شعور الثقة عند الناس عن الكتاب وما يكتبونه أقل بكثير من شعورهم نحو غيرهم .

(الاسكندرية) محمد فهمى عبد الوهاب

سكك حديد الحكومة المصرية

إعداد قطارات الصحافة الليلية لنقل الركاب

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أن قطارات الصحافة التى تسير ليلا من مصر إلى الأسكندرية ومن مصر إلى المنيا ستنقل ركاباً فى الدرجات الثلاث الأولى والثانية والثالثة إبتداء من يوم ١٥ يولية سنة ١٩٤٨ وفقاً للمواعيد .

من مصر إلى الأسكندرية وبالعكس

المحطات	٧٧١ ١ و ٢ و٣	المحطات	٧٧٢ ١ و ٢ و٣
مصر ... ... قيام	٢٠ ٣	الاسكندرية . قيام	١٠ ١٣
بنها ... ... «	٠٠ ٤	سيدى جابر . . «	٢٥ ١٣
طنطا ... وصول	٣٢ ٤	كفر الدوار . «	٥٢ ١٣
طنطا ... قيام	٣٧ ٤	أبو حمص . . «	١٣ ١٤
كفر الزيات ... «	٥٥ ٥	دمنهور . . . . «	٣٥ ١٤
دمنهور ... «	٣٧ ٥	اتياى البارود . «	٠٥ ١٥
كفر الدوار ... «	٠٦ ٦	التوفيقية ... «	٢٠ ١٥
سيدى جابر ... «	٢٧ ٦	كفر الزيات . «	٤١ ١٥
الاسكندرية . وصول	٣٥ ٦	طنطا ... وصول	٠٠ ١٦
		طنطا ... قيام	١٠ ١٦
		بركة السبع ... «	٣٣ ١٦
		قويسنا ... «	٥١ ١٦
		بنها ... ... «	١٢ ١٧
		طوخ ... ... «	٢٧ ١٧
		قليوب ... «	٥٠ ١٧
		مصر ... وصول	٠٥ ١٨

من مصر إلى المنيا وبالعكس

المحطات	٧٧٦ ١ و ٢ و٣	المحطات	٧٧٧ ١ و ٢ و٣
مصر . . . . قيام	٠٠ ٣	المنيا . . . قيام	١٥ ١١
الجيزة . . . . «	١٥ ٣	سمالوط . . . «	٤٧ ١١
الواسطى . . «	١٦ ٤	مطاى . . . «	٠٠ ١٢
بنى سويف . . «	٤٤ ٤	بنى مزار . . «	١٧ ١٢
بيا . . . . «	٠٤ ٥	مغاغه . . . «	٤٠ ١٢
الفشن . . . «	١٨ ٥	الفشن . . . «	٠٤ ١٣
مغاغة . . . . «	٤٠ ٥	بيا . . . «	٢٢ ١٣
بنى مزار . . «	٥٦ ٥	بنى سويف . «	٤٧ ١٣
مطاى . . . . «	٠٩ ٦	الواسطى . «	٢٠ ١٤
سمالوط . . . . «	٢٤ ٦	كفر عمار . . «	٤٢ ١٤
المنيا . . . وصول	٤٥ ٦	العياط . . . «	٥٩ ١٤
		المزغونه . «	١٧ ١٥
		البدرشين . «	٣٤ ١٥
		الحوامدية . . «	٤٥ ١٥
		الجيزة . . . «	٠٥ ١٦
		مصر . . . وصول	٢٠ ١٦

ولذا ستعدل مواعيد فتح الكبارى التالية للملاحة .

سيفتح كوبرى حجر النوتية الدفعة الثالثة من ٤٥ ١٢ إلى ٠٥ ١٣ بدلا من ١٠ ١٣ إلى ٤٠ ١٣

« « كفر الزيات الدفعة الثانية من ٠٣ ١٦ إلى ٢٣ ١٦ بدلا من ٣٣ ١٥ إلى ٥٧ ١٥

« « الدلجمون الدفعة الاحتياطية من ٠٥ ١٦ إلى ٢٥ ١٦ بدلا من ٣٠ ١٥ إلى ٥٥ ١٥

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٦ — الاثنين ٢٦ يوليو ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٧

16 em Année No. 786

Lundi — 26 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢٦ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الفريقان المتحاربان في فلسطين

الحـــق والباطل

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر المفوض لدى المملكة السعودية

يحترب في فلسطين فريقان : فريق العرب يذود عن ذماره ، ويدفع عن حقه ، ويدعو إلى النصفة والعدل ، وإلى أن يعيش هو وخصمه أمة واحدة في بلد واحد ، لكل حقه وعلى كل واجبه وفريق آخر من شذاذ الآفاق وخبث الأقطار ، يلجون على العرب ديارهم بأيديهم المال والسلاح ، وما أورثهم تاريخهم والعيش الذليل في أوربا من ختل وغدر ، يظنون أنهم صاروا أمة لأن باطلا يجمعهم ، وعدوانا يربط بينهم ، وكل فرقة منهم تنمى إلى أمة ، وكل جماعة تنتسب إلى بلد ، وكل فرد يحمل سحنة تنافر سحنة أخيه ولا تشبهها إلا في سمات اللعنة فيها ، ومياسم الخزى عليها

ويقول هؤلاء الأرذلون : لا نرضى نصفة معكم ولا مساواة بكم ولكنا نريد وطناً ودولة وأنف الحق راغم ، ودعوة العدل صاغرة وإن لنا قوة من سلاحنا ومالنا وحيلنا وغدرنا وخيانتنا .

ولنا أعوان في اوروبا وأمريكا يسحرون بالمال ، ويسخرون بكل الوسائل رؤساء الدول ، وأئمة الساسة ، وأصحاب الصحف ، وبيدهم المصارف ، ودور السينما وكل وسائل النشر والتضليل ، فيا أيها العرب المساكين ! افسحوا المجال لدولة إسرائيل!

ويقول العرب : لا لا بل تعالوا إلى كلمة سواء ، نسويكم أيها الطراء المتطفلون بأهل البلاد الذين أقرهم التاريخ فيها لا يعرفون غيرها وطنا ، ولا يتخذون غيرها داراً ، فهلموا إلى الدولة الواحدة ، والشريعة العادلة ، والتآخى والتناصف .

فتقول هذه الوجوه الملعونة ، وهذه الفئات الطريدة : لا لا إن أرضكم لنا ، وديارکم لدولتنا ، فانزلوا على حكمنا صاغرين ...

ويحمى العربي ، وهو سمح لا خنوع ، وجواد لا جبان ، وحليم لا ذليل ، ويستنصر حقه ، ويتوكل على ربه ويستمد سجاياه وشيمه ، وأخلاقه ومكارمه ، ثم يستوحى تاريخه ويحشد مآثره فيستبق إليه من أحداث تاريخه ومآثر أمته ما يثبته في المحنة ، ويوقره في الشدة ، وينثال إليه من عز ماضيه ومجد سلفه ما يهون عليه كل خطب ، ويقحمه كل هول .

ويصول عليه عدوان اليهود ومن ورائه مدد من قوى أوروبا وأمريكا ، وتدور به خدع المخادعين وتهاويل المهولين ، وهو العربي الذي يعرف نفسه ويعرفه التاريخ ، ويهزأ بالشدائد إذا جد الجد ، ويحقر الأهوال إذا اشتد البأس .

فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها : من تحت أخمصك الحشر

إن العربي يعرف ما في أيدى أعدائه وأعوان أعدائه من مكر ،

وما لديهم من مال وسلاح ، وما عندهم من علم وفن ؛ ولكنه يعرف كذلك ماله من حق، وما عنده من كرامة ، وما فيه من إباء وما يعده به تاريخه من ثبات فى الأزمات ، وصبر فى الخطوب . فيقدم على الأهوال ذاكراً قول سلفه .

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويتقدم فيزيده الهول مضاء ، والنار صفاء ، منشدا :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤس والحوادث تفعل
فـــا لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تحمل مالا تستطيع فتحمل
وقينا بحسن الصــــبر منا نفوسنا
فصحت لنا الأعراض والنـاس هزّل

حسب الصهيونيون أن الأمم مال وربا ، وأشكال وألوان ، وهيا كل وجدران ، وبغى وعدوان ، وغفلوا عن حقيقة الإنسان الإنسان الكريم ، نفس كريمة ، وقلب شجاع ، وخلق أبى ، وما وراء ذلك صور وزخارف ، وخدع وأباطيل ، تذوب إذا وقدت النار ، وتبوخ إذا حمى الوطيس .

ألا ساء فأل الأوغاد ، وخاب ظنهم حين زينت لهم أموالهم وزخارفهم أنهم للعرب أكفاء وأنداد . فلتبطل دعاوى الوقائع ، ولتكذب ظنونهم المعارك .

ألا إنه إن تحدى باطل الصهيونيين حق العرب ، وجرؤ شذاذ الآفاق على خير الأمم ، ولم يلقوا كفاء بغيهم من ردع ، وجزاء عدوانهم من خزى .

فيا موت زرا إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

أيها العرب الأباة ! إنه يوم له مابعده ؛ فاصدعوا الأهوال بقلوب متفقة ، وأيد مجتمعة ، وامضوا إلى الغاية التى هى بكم أجدر ، وبتاريخكم أليق . إنكم تقاتلون حيث قاتل آباؤكم فى اليرموك وأجنادين وحطين، وقد حطموا الباطل فى كبريائه ، وردوا البغى فى غلوائه ، فزلزلوا بهؤلاء البناة الديار ، وردوا جند الصهيونيين بالخزى والدمار . واتركوها على التاريخ مأثرة إلى مآثر آبائكم ، وسجلوها على الأيام مفخرة إلى مفاخر أسلافكم .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم . »

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

مشاهدات وملاحظات :

تحيـــة العـــلم ...

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

المستشار الثقافى لجامعة الدول العربية

كانت جزيرة « كورفو » منتهى المرحلة الثانية من مراحل سفرتى من بغداد إلى المغرب الأقصى قبيل الحرب العالمية الأخيرة هبطت بنا الطيارة المائية المطار البحرى فى المضيق الذى يفصل الجزيرة من البر ، وقت العصر ؛ ثم نقلتنا السيارة من هناك إلى فندق فى المدينة لنقضى الليلة فيه ، على أن نعود فى فجر اليوم التالى إلى المطار لنستأنف السفر نهاراً .

والطريق الذى يمتد بين المطار والمدينة كان طويلاً ، يمر من بين مزارع جميلة وقرى صغيرة ؛ شاهدنا فيها عدداً غير قليل من الرجال والنساء والأطفال ، كلهم فى ملابس أنيقة كأنهم فى يوم عيد . وكلما اقتربنا من المدينة رأينا علائم الزينة تزداد شيئاً فشيئاً ... إلى علمنا أن ذلك اليوم كان فعلا من أيام الكرنفال .

* * *

كنت قد زرت هذه الجزيرة الجميلة مراراً ؛ غير أن تلك الزيارات كانت قديمة العهد جداً ؛ لأنها كانت تتصل ببداية حياتى التدريسية فى حاضرة « الأبير » — يانيا — التى كانت يومئذ مركز ولاية تابعة للدولة العثمانية .

فكان من الطبيعى أن أشعر برغبة شديدة فى التجوال فى المدينة قبل حلول الليل ، بغية تجديد تلك الذكريات القديمة ومشاهدة الجزيرة — فى عهدها الحالى — بعد مرور هذه السنين الطويلة . فما كدت أعرف غرفتى وأضع فيها حقيبتى ، حتى خرجت من الفندق إلى الشوارع التى تعج بضجيج الكرنفال . وأخذت أسير فى الطرق والميادين دون أن أسترشد بدليل ، غير مواكب التهريج نفسها .. إلى أن وصلت إلى الميدان الفسيح الذى يقع فى ظاهر المدينة ، حيث تلتقى شوارع عديدة فتمر منه جميع المواكب فى روحاتها وغدواتها المتكررة .

رأيت القوم — كمهدى بهم سابقاً — يملأون الجو ضجيجاً والميدان حركة ؛ ويتسابقون فى الضحك والإضحاك بأقنعتهم الغريبة ، وأزيائهم العجيبة ، ورقصاتهم السريعة ، وأغانيهم الخفيفة ، وأجواقهم الهرجة . وكان وصول كل موكب من المواكب إلى الميدان يستثير عاصفة من القهقهة والهتاف والصياح .. تندفع من حناجر آلاف المتفرجين المجتمعين هناك .

وقفت مدة فى زاوية من زوايا الميدان التى تطل على شوارع عديدة ، فتمكنت من مشاهدة المواكب الكثيرة ؛ وأخذت أتتبع حركات القوم بكل اهتمام .

واتفق أن وصل مرة أربعة مواكب غريبة دفعة واحدة من شوارع مختلفة ؛ فزاد نشاط الجميع زيادة هائلة . وصارت الجماعات التى تؤلف المواكب تندفع فى العزف والرقص والتهريج اندفاعاً جنونياً ؛ وأخذت جماهير المتفرجين تغرب فى القهقهة إغراباً عجيباً ، كأنهم أصيبوا بنوبات عصبية تهز جميع أبدانهم هزاً عنيفاً .

* * *

وفى الوقت الذى كان هذا الهرج والمرج قد بلغا الحد الأقصى، وأخذت حواسى تعجز عن تتبع هذه الحركات العجيبة ، وعن تمييز هذه الأصوات الخليطة ، توقفت كل الحركات بغتة ، وانقطعت كل الأصوات فجأة .. وظننت — فى بادىء الأمر — أنه حدث حادث مروع جمد الفرح فى النفوس ، فأدى إلى هذا الوجوم العميق .

فأخذت أجيل بصرى فى كل الجهات ، لاستجلاء أسباب هذا التحول الفجائى إلى أن شاهدت فى آخر الميدان فى محل بعيد جداً ، علماً ينزل بالتدريج من فوق سارية كبيرة ؛ ولاحظت فى الوقت نفسه صوت بوق — لم أنتبه إليه قبلا — وفهمت عندئذ كل شىء .

كان ذلك وقت الغروب ، وقد حان موعد إنزال العلم من سارية الثكنة العسكرية التى تقع فى آخر الميدان ، والبوق كان يدوى إيذاناً بذلك ، والناس قد توقفوا عن السير والحركة احتراماً لذلك العلم !.

وكان صوت هذا البوق قد قضى على كل الحركات والأصوات التى تصدر من تلك الألوف المؤلفة من الجماهير ، حتى فى وسط مهرجانات الكرنفال ، وفى أصخب صفحات التهريج ؛ مع أن معظم أفراد المواكب كانوا قد أصبحوا شبه سكارى من شدة الفرح الذى استولى على جوانحهم من جهة ، ومن كثرة الكئوس التى ارتشفوها فى مختلف الحانات من جهة أخرى .

إن صوت البوق الذى يرافق إنزال العلم كان قد حمل الجميع على التوقف بغتة ، كأنهم كلهم جنود فى ثكنة عسكرية يأتمرون بأوامر قائد يحترمونه كل الاحترام .

أكبرت عندئذ كل الإكبار قوة « التربية المدنية والوطنية » المتأصلة فى نفوس هذا الشعب . . هذه التربية التى تحمل الناس على عدم التقصير فى أداء واجب « الاحترام للعلم » حتى بين ضجيج مواكب التهريج !.

* * *

تذكرت هذه الواقعة — بعد ذلك — عدة مرات ، فى عدة مناسبات .. وكانت الأخيرة منها ، قبل بضعة أيام :

كنت أسير مساء إلى « دار الرسالة » لزيارة صديقى الأستاذ أحمد حسن الزيات ؛ وكنت قد وصلت إلى رأس ميدان عابدين عندما سمعت صوت بوق يدوى بنبرات متقطعة متساوقة . فالتفت حالاً إلى الثكنات فرأيت العلم المصرى الذى يرفرف فوق سارية البناية المرتفعة أخذ ينزل بخطوات بطيئة ، بصورة متساوقة مع نفخات البوق المتقطعة .. فوقفت هناك متوجهاً نحو الثكنات ، لأمتع البصر بتتبع سير العلم باهتمام .

ولكنى لاحظت بغتة أننى كنت الوحيد فى هذا الموقف وهذا الاهتمام ... وأما الذين كانوا يمرون مثلى فى هذا الميدان ، فكانوا يواصلون سيرهم وكلامهم وعملهم .. كأنه لم يكن هناك شىء يستحق الالتفات : هنا جماعة من الأطفال يلعبون ، وهناك طائفة من النساء يتصايحن ؛ وفى كل الجهات عربات تمر ببطء ، وسيارات تسير بسرعة ؛ وعدد كبير من الناس يسيرون فى اتجاهات مختلفة ، ولا أحد منهم يلتفت إلى الثكنات ، أو يرفع البصر إلى سارية العلم القائمة فوقها .. كأن كل ذلك لا يهمه أبداً ولا يخص أحداً غير الجيش وحده ..

وتذكرت عندئذ — بكل تفاصيله — ما كنت شاهدته

فى كورفو ، أيام الكرنفال . . وتأملت — فى ألم مرير — البون الشاسع بين ما حدث هنا وما حدث هناك .

بعد أن غاب العلم المصرى عن عينى وانقطع صوت البوق عن أذنى . . واصلت السير ، وأنا أقول فى نفسى :

إن الوقوف لتحية العلم — بالصورة التى شرحتها آنفاً — قد يبدو للمرء — فى الوهلة الأولى — كمظهر من المظاهر المادية التى لا تستحق الاهتمام . غير أن هذا الوقوف — فى حقيقة الأمر — من الأعمال التى تتصل بتربية النفس اتصالاً وثيقاً ؛ فإن هذه الوقفة التى تضطر الإنسان إلى الخروج عن عالمه الخاص ، ولو لمدة قصيرة . . وتحمله على الانقطاع عن السير وراء مصالحه الشخصية ، ولو لثوان معدودة . وتجبره على الاهتمام بالعَلَم الذى يمثل وطنه وتاريخه ودولته ولو لفترة وجيزة . .

إن هذه الوقفــة المادية ، لمثل هذه الأغراض المنوية ، لابد من أن تؤثر فى النفس تأثيراً عميقاً ، ولابد من أن تساعد على إيقاظ الشعور القومى وإشاعته مساعدة كبيرة .

أبو خلدون ساطع الحصرى

ما أحبها من نقـــلة !

للأستاذ محمـــود الخفيف

أحبب إلى نفسى بهذه النقلة إلى تاريخ أمريكا فى سيرة زعيمها العظيم « أبراهام لنكولن » ، فإنه لمن أعظم ما يسر القراء لاريب حديث صاحب العبقريات عن أشبه العبقريين فى الغرب بابن الخطاب وما أولى لنكولن بنصيب مما يكتب العقاد ؛ ولو تفضل كاتبنا الكبير فعقد فصلا أو أكثر من فصل ، فوازن بين لنكولن وعمر ، وهو خير من يفعل ذلك ، لعددت هذا من أفضل مابلغت بكتابى من خير ...

وبعد ، فأرجو من أستاذنا الجليل أن يصدقنى أن عنايتى بتاريخ لنكولن هى التى حفزتنى إلى كتابة هذا الفصل والذى سبقه ، إذ لا زلت من بعض الملاحظات التى أبداها الكاتب الكبير غير مطمئن النفس ، وما كان ذلك دفاعاً عن كتابى بقدر ما هو رغبة منى فى الاهتداء إلى الصواب .

لا زال تاريخ أسلاف لنكولن سراً فى أطواء الزمن ، وأكبر الظن أنه سوف يبقى كذلك ، وماذا عسى تحتويه الكتب عن أبيه النجار ، وعن جده لأبيه ، وقد كان كذلك نجاراً بين أحراج الغابة فقتلته رصاصة أطلقها عليه أحد الجنود الحمر ؟ وماذا عسى أن يعرف عن أمه وهى ابنة سفيحة لرجل مجهول من أهل الجنوب ؟ ولولا أن تحدث بذلك لنكولن إلى صاحبه هرندن ما عرف حتى هذا القدر من سيرتها ...

بذلك رددت على ما أخذه على الأستاذ الكبير من خلو كتابى من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ؛ وكان ما ذكره الأستاذ تعقيباً على ذلك الرد قوله : « وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان الكافى عن أسلاف لنكولن غير ميسور ، لأن الرجل كان كما هو معلوم عصامياً خامل الآباء والأجداد ؛ ولكن الواقع أن اللغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم » .

إذاً فلا سبيل لنا إلى أسلافه ، ويبقى بعد ذلك آباؤه المعروفون وما نعرف إلا أباه وأمه . ولقد ماتت أمه وهو فى العاشرة من عمره فحرم من تأثيرها فى نفسه ، ذلك التأثير الذى أشرت إليه فى كتابى بقولى : « كان الغلام ينتقل ببصره وخياله من أمه إلى أبيه ، وكانت أمه فى أقاصيصها جادة ، تحس لنفسه الصغيرة شيئاً من الحزن يطوف بنفسها ويتسرب إلى حكاياتها ؛ أما الأب فكان يميل إلى المرح والفكاهة ، ويتدفق إذ يحكى تدفق من لا تنطوى نفسه على شىء مما تنطوى عليه نفس الأم ، وما كان شىء من ذلك ليخفى على فطنة الغلام ، وأحدثت القصص الدينية أثرها فى نفس الصبى وظلت عالقة بلبه وخياله ، وجرت فى كيانه مجرى الدم فى عروقه ، واختزنت حافظته ألفاظها بنصها حتى ليتحرك بها لسانه وإن لم يقصد » .

ولم يكن لأبيه من أثر فى نفسه ولا من صفات نستطيع أن نردها إلى آبائه فنعرف ، ولو بما يقرب من اليقين شيئاً عن أسلافه فنحل اللغز بعض الحل ؛ أما ذلك الذى كانت تنطوى عليه نفس الأم ، فرده فى الأكثر إلى أنها كانت تجهل أباها ؛ على أنى لم أسه عما قد يكون للوراثة من أثر فى حياة لنكولن ، فأوردت

في صفحة ١٥١ من كتابي ما قصه على صديقه هرندن إذ قلت :

« وإنه ليفضي إلى صاحبه هرندن ذات يوم بحديث عن أقاربه وصلته بهم ، ويتطرق الكلام أثناء هذا الحديث إلى منشأه فيكشف لنكولن لصاحبه عن سر يتصل بأمه ، وذلك أنه لا يعرف أجداده لأمه ، فقد كانت أمه التي أحبها والتي يجل ذكراها ابنة رجل مجهول ، وسيظل هذا الرجل مجهولا أبداً ، وكل ما يستطيع أن يعرفه عنه أنه من أهل الجنوب ، وبيان ذلك أن جدته لأمه كانت تعيش وهي فتاة في ولاية فرجينيا في الجنوب فأصبحت ذات حمل وإن لم تتزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحمل تضع أنثى ، وكانت هي وحدها التي تعرف والد هذه الأنثى ، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم . ذلك هو السر الذي يفضي به لنكولن إلى صاحبه على ما فيه مما يوجب الكتمان ، ويردف أبراهام قائلا لصاحبه إنه كان ثمة من ميزة فيه لا يوجد مثلها في أحد من ذوي قرباه ، فردها لاريب إلى أجداده المجهولين من أهل الجنوب » .

***

أما عن أثر المصادفة في حياة لنكولن ، فإني أخشى أن يكون الذي يخرج به القارئ مما كتبه الأستاذ الكبير في هذا الصدد أن لنكولن مدين للمصادفة بكل شيء ، فقد قال الأستاذ في مقاله الأول : « وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية لأنه لم ينجح قط في انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة في اللحظة الأخيرة أكبر الأثر في هذا النجاح » ؛ وقال في مقاله الثاني : « ولم يكن نصيب المصادفات التي كان لها أكبر الأثر في الترجيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أوفى نصيباً من هذه المصادفات التي صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية » .

وأرجو ألا أثقل على أستاذنا العلامة حين أقول له إني لا زلت أخاصمه في هذا ، وإني لا زلت أرد كل ما أصاب لنكولن من فوز إلى شخصيته ، فما أعرف في العصاميين رجلا مثله اتكأ على نفسه في جميع أطوار حياته ، وما أعرف مثله من كانت الظروف كلها من عدوه . وكيف لعمري تصعد المصادفات بنجار ابن نجار إلى رياسة الجمهورية ، وكان في هذه الجمهورية آلاف النجارين غيره ؟ ذلك ما لا أستطيع أن أحمل خيالي على تصوره ، إن هذا الرجل الذي بات يحزم متاعه بيده آخر ليلة قبل سفره إلى العاصمة ليجلس فوق كرسي وشنطون قد بنى نفسه بنفسه . وإنا لنرى اعتماده على نفسه واضحاً في كل أطوار سيرته حتى في هذا العمل الذي يبدو هيناً في ذاته وهو عظيم في معناه ، فقد شهر الرئيس ابراهام لنكولن يملأ حقائبه بيده ويحزم متاعه دون معونة من أهله أو من صحبه ، فما اعتاد الرجل العظيم معونة من أحد !

إني أفهم أن تأتي المصادفة لخامل أو لدعي بشيء من اليسار أو الفوز مرة أو أكثر من مرة ، كما أفهم أن تحول المصادفة بين ذي جدارة وبين ما يريد مرة أو أكثر من مرة ؛ ولكني لا أستطيع أن أرد ما يبلغه العظيم الحق من مكانة أو ما يصيبه من فوز إلى المصادفة ، وإلا فما معنى عظمته ، وما معنى العظمة الفردية على الإطلاق ؟ إن هذا يقتضينا أن ننكر عنصر الاستعداد الفردي ، أو ما نسميه العظمة الشخصية ، ونجعل تاريخ البشرية سلسلة أو سلاسل من المصادفات لا ندري كيف تجري مجراها . ألا إن الرجل العظيم نفسه لهو المصادفة ، فما هو إلا أن يتطلب عصره وجوده ويتهيأ لاستقباله حتى يستعلن السر وتشمل العصر كله ، وتسيطر عليه روح الرجل العظيم ، وهذا وحده الذي يفسر بروزه وسيطرته على غيره من الناس .

وما كان لنكولن بدعاً من العظماء ، فمنذ اشتغاله بالسياسة اقترن اسمه بالمشكلة الكبرى التي شغلت بلاده ، ألا وهي مشكلة الرق ، ثم ما زالت آراؤه في هذه المشكلة تتضح وتتسع دائرتها حتى اشتهر أمره . وإن له لمقدرة في الخطابة تسلكه في أفذاذ هذا الفن من الموهوبين ؛ واغتدى لنكولن أحد رجال الحزب الجمهوري المعدودين ، وكانت الغلبة لهذا الحزب لأسباب كثيرة أهمها حسن سياسته في مشكلة الرق ، ولقد اشتغل بالسياسة واهتم بمشكلة الرق غير لنكولن من كبار الجمهوريين ، ومع ذلك أخذ صيته ، وهو المحامي الفقير الذي لا جاه له يعظم يوماً بعد يوم حتى أغرقهم جميعاً ؛ وما للمصادفة من أثر قط في هذا ، وبهذا وحده اتجهت القلوب إلى لنكولن وبخاصة بعد ما كان من جدال طويل على أعين الناس بينه وبين دوجلاس أحد قادة الديمقراطيين ، وإن اتجاه القلوب إليه لهو « الترشيح » الذي تحسه الأنفس قبل وقوعه رسمياً ...

فإذا كان هذا جميعاً من المصادفات ، فيجب إذاً أن نتفق على معنى المصادفة ، وإلا عددنا حوادث التاريخ جميعاً مصادفات ،

وجعلنا أعمال بونابرت مثلا أو سعد زغلول أو غيرهما من المصادفات ، وما هي إلا تلك القوة التي يمتاز بها الرجل العظيم ، أو تلك « الروح » التي لا تدرك ولا تنكر .

وهل نعد قضية الرق في ذاتها مصادفة ، واشتغال لنكولن بها مصادفة ؟ وما قيمة هذه المصادفة إن عددناها مصادفة ؟ والمهم هنا هو كيف علا صوت لنكولن فيها على جميع الأصوات ؟ وكيف نفذ إلى القلوب دون غيره ؟ وهل نعد مواهبه وفي مقدمتها الخطابة كذلك من المصادفات ؟ وإذاً فاذا يبقى من « الرجل » ؟

ولقد فشل لنكولن في السياسة أكثر من مرة ، فأين كانت المصادفة ؟ هل نعد فشله كذلك مصادفة كما نعد نجاحه لو أنه نجح ؟ ولقد فاز دوجلاس بمقعد الشيوخ دونه بعد صراعهما الطويل ، وعاد هو إلى عمله في المحاماة ! ؟

ودعي لنكولن بعد هذا الفشل إلى نيويورك نخطب الناس هناك فسحرهم بيانه بعد أن سخروا من منظره ومن هندامه ومن شعره الأشعث الذي يعلو رأسه الكبير كأنه ألفاف الغابة . وقد قال الصحفي النابه جريلي وهو من خصومه : « ما من رجل استطاع أن يبلغ بخطابه لأول مرة ما بلغه لنكولن من عظيم الأثر في جمهور السامعين في نيويورك » .

ونشرت كبريات الصحف خطابه وبدأ اسمه يظهر بين أسماء المرشحين لرياسة الجمهورية . ولما عقد الجمهوريون مؤتمرهم العام في شيكاغو في شهر مايو لاختيار أحدر رجالهم ليرشحوه للرئاسة ، كان سيوارد واثقاً من نفسه قليل الاكتراث بلنكولن ، وقدم زعماء المؤتمرين خمسة أسماء غيرهما وجرى الاقتراع على دفعات ، وأعلنت نتيجة الدفعة الأولى من الولايات ، فإذا سيوارد يزيد على لنكولن بسبعين صوتاً وصوت ، ثم أعلنت نتيجة الدفعة الثانية فإذا لنكولن لم يبق بينه وبين منافسه القوى إلا ثلاثة أصوات ، ثم تعلن نتيجة الدفعة الأخيرة ، فإذا إبراهام يظفر على صاحبه ببضعة أصوات فحسب . وإذاً فالأمر هنا أمر اختيار وتمحيص وليس للمصادفة دخل فيه . وما يقال عن عدم إعداد الأوراق اللازمة للاقتراع ونشاط جريلي وتحويله معظم المندوبين عن رأيهم فهو من قبيل ما يروى عن المعارك الانتخابية مما يشبه القصص بقصد التسلية والتشويق أو بدافع المبالغة ، إذ لا شك أنه مما ينبغي أن يؤخذ في كثير من التحفظ أن تتحول آراء المندوبين في فترة قصيرة في أمر عظيم كاختيار رجل للرياسة في غير سبب من شأنه أن يفضي إلى هذا التحول الخطير . ولقد كان جريلي من أشد خصوم لنكولن طيلة حياته ، وظل على لدده حتى بعد أن ظفر لنكولن بالرئاسة . ولم تكن خصومته لسيوارد الامفضية إلى نجاح منافسه ، وهذا مما يجعلنا نرتاب فيما نسب إليه يوم ذلك المؤتمر العام . هذا إلى أنه لو فرض وقوعه كما ذكرنا فإنه أقل من أن يحول آراء المندوبين بالقدر الذي يؤدي إلى نجاح لنكولن

لقد مكن لنكولن لنفسه قبل ترشيحه ، وسبق هذا الترشيح نشاط وتنافس عظيم في القول والكتابة بين أنصار سيوارد وأنصار لنكولن ، وجاء انتصار لنكولن بعد ذلك متفقاً مع مكانته التي ظل عاملا عليها ، لا طمعاً في الرئاسة ، ولكن استجابة لما كانت تهجس به نفسه .

ومع ذلك كله ، فقد كان من الجائز ألا يظفر لنكولن بالنصر في معركة الرياسة وإن رشحه الجمهوريون ، ولكنه ظفر ونال مائة وثمانين صوتاً من أصوات مندوبي الولايات الذين ينتخبون الرئيس وفق الدستور ، وكان عددهم ثلاثمائة رجل وثلاثة ، وهذا العدد قلما ناله رئيس من قبله .

لقد شق لنكولن طريقه إلى الرياسة في مشقة ، وتحمل من عنت الأيام ومن قسوة الظروف ما يزيد في معنى عصاميته ، وما يجعل من الصعب بل من المستحيل على المرء أن يتصور أن المصادفات هي التي صعدت به إلى رياسة الجمهورية ، ولقد ظل يشتغل بالسياسة أكثر من عشرين عاماً حتى نبه اسمه وذهب صيته في طول أمريكا وعرضها ، وهو الذي خرج من بين أحراج غابة من غاباتها فقيراً معدماً علم نفسه بنفسه ، ولم يتكىء منذ كان طفلا إلا على نفسه ...

وبعد ، فإني أعود فأشكر للأستاذ الجليل ما أبداه من ملاحظات على كتابي كانت سبباً في هذه النقلة المستحبة في تاريخ البلاد الأمريكية ، ولعلنا نظفر منه بأمثالها ، وإني لسعيد إذا صدقني كاتبنا الكبير أني لم أرد بالرد على ملاحظاته القيمة دفاعاً عن كتابي ، وإنما الصواب طلبت ؛ وما أبرئ نفسي من الخطأ ، ولست أرى أن كتاباً يوضع في تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة في عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات جلت أو هانت تلك الملاحظات .

صوم غاندى السياسى

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

الصوم تعليم دينى فرضته جميع الشرائع السماوية ، وسنته مختلف الأديان الأخرى . وجعلت من أدائه طاعة لله وتقرباً منه ، ومن مخالفته خروجاً على أوامره . ويعتبر الدين الهندوكى من بين تلك الأديان التى تشرع الصوم فى أوقات محدودة ، وتلزم الهندوكيين بقضائها تزلفا لله . ولكن الشعب الهندوكى العريق فى الروحية لم يكتف بصيام الأيام التى يفرضها الدين ، ويقدم طواعية قربان صومه لله كلما نزلت به محنة ، أو أشقته مصيبة ، أو كلما ارتكب آثاماً يود التكفير عنها . وكانت أم غاندى من أولاء الهندوكيات الورعات المتقشفات التى لا تهمل صيامها الدينى ، فضلا عن أنها كانت تنذر فى مناسبات مختلفة أن لا تأكل إلا إذا رأت الشمس . ويحدث أن تمضى الأيام تباعاً دون أن تأكل شيئاً لأنها لم تستطع رؤية الشمس خلف سحب الهند الكثيفة . فتعوّد غاندى منذ صغره أن يرى أمه تصوم صوماً طويلا شاقاً ، ترك فى مخيلته أثراً مطبوعاً ظهر مفعوله فى حياته العامة .

فابتدأت نزعة غاندى الروحية تتربى فى أحضان تلك الأم التقية الصالحة التى تتمسك بفروض دينها . ثم أخذت تنمو حينما تلقن أول مبادئ الديانة الهندوكية ، ولمس من مواطنيه تعلقهم بها ، ووجدهم شعباً يؤمن بدين يحرم أكل اللحوم ، وينبذ لذيذ الطعام ، ويعيش على النبات ، ويشتهر بالزهد والتقشف . فشب غاندى نباتياً لا تثيره شهوة الأكل ، ولا يغريه فاخر المأكولات ، ويحترم تقاليد دينه . فغرست حياته الأولى مع أمه ، ثم نشأته فى ربوع شعب دينى ، المبادئ الروحية فى نفسه . وأصبح فكره ينزع دائماً إلى الناحية الدينية والروحية ، ويغلب الحقائق الدينية على أى حقيقة تخالفها . وظهر كل ذلك واضحاً حينما خاض معترك الحياة الاجتماعية ، فكان يحاول أن يحل كل ما يقابله من مشاكل بالطرق الدينية . وكان الصوم أول هذه الطرق كان غاندى فى أول الأمر يصوم صيامه الدينى ، أو يزيد عليه أياما معدودة ، كلما طرأت مناسبة شخصية تدفعه لذلك . ولكن حينما أخذ نفوذه يقوى فى جنوب أفريقية ، وأصبح له أتباع مسئول عن سلوكهم وتصرفاتهم ؛ حتى إذا ما صدر عنهم أى فعل يخالف تعاليم الدين ، أو يتعارض مع أصول الأخلاق ، أو يغاير ما ينادى به من مبادئ سياسية ، حق عليه أن يحزن لحدوثه ويتألم ، ويشعر أنه مسئول عما أتوه من آثام ، وينذر صوم عدة أيام أو بضعة أسابيع ليكشف عذاب الصوم ما يحسه من وخز الضمير وكآبة الروح ، أو يخفف ضغط الشعور الأليم بالمسئولية من ناحية ، وليكفر عن آثام أتباعه من ناحية أخرى . فكان صومه يؤثر فى نفوس أتباعه فيتألمون لألمه ، إلا أنهم فى الوقت ذاته كانوا يجلون مقاساته آلام صوم متواصل من أجلهم بدون أن يقترف ذنباً يستحق أن يطلب عنه الغفران . ولذلك حرصوا على ألا يقترفوا من المخالفات والأوزار ما يؤلم غاندى ، فيضطر إلى أن يلجأ إلى صوم يسبب له ما يكرهون من العناء والتعب .

فلما وجد غاندى ما لصومه من أثر عميق فى نفوس الهنود ، أدرك بفطرته النفاذة ، وفهمه السليم لروح شعبه أنه يمكن أن يتخذ من الصوم ذريعة روحية مفيدة ، يخدم بها أغراضه الإصلاحية من تقويم أخلاق قومه ، وإصلاح حياتهم المادية والاجتماعية ، وترقية مستواهم السياسى ؛ كما أدرك أن قوة مفعول الصوم فى نفوس الهنود سببه أنهم قوم لا يرهبون إلا قوة الروح ، ولا يخضعون إلا لسلطان الدين ، فتعمد مخاطبتهم باللغة التى يجيدون معرفتها ويصدعون إليها . فاستعان بالصوم لخدمة مصالحهم ، لأنه يعبر عن قوة دينية ، وعن مظهر من مظاهر القدرة على تحمل الآلام ومقاساة الجوع ، فضلا عن أنه وسيلة من وسائل تطهير الروح . فسهل عليه السيطرة به على قومه ، ونجح فى استخدامه إلى أبعد حد بحيث أصبح الصوم أمضى سلاح سياسى يعتمد عليه غاندى بصفته الشخصية للقضاء على الاضطرابات والقلاقل التى كثيراً ما تحدث فى الهند ، ولتهدئة ثورات النفوس الهائجة حتى يشملها الحب والوئام ، أو لتفادى ما تتعرض له من أزمات سياسية ، وما يهددها من كوارث اجتماعية . ويرجع توفيق غاندى فى استخدام هذا السلاح الدينى فى السياسة إلى أسباب أهمها :

فهم غاندى العميق لمزاج شعبه الروحى ، ومعاملته بالأسلوب الوحيد الذى يصدع له دائماً .

ثم دقة حساسية غاندى وصدقها فى تلمس خطايا الشعب الحقيقية ، وقدرته الروحية ونفاذ بصيرته التى تخترق شغاف قلوب الجماهير ، وتشعرهم بأن خطاياهم قد مست أعماق نفسه ، فسببت له ألواناً مؤذية من الحزن والألم ، فرضى أن يحتمل عناء الصيام ليعفو الله عنهم . وذلك يوجد الفزع فى قلوب الشعب الذى يخاف على حياة الزعيم الذى يحبونه كل الحب فيضطرون للاستماع لنصائحه والأخذ بآرائه السياسية والاجتماعية ، حتى لا يعود إلى صوم قد يكلف غاندى حياته ، وتفقد الهند بطلها المقدس .

ولقد صام غاندى حوالى خمسة عشر صوماً خلال الخمس والثلاثين سنة الأخيرة من عمره أذكر منها على سبيل المثال ثلاث مناسبات صام فيها غاندى ، لأوضح بعض الظروف المختلفة التى كان يصوم من أجلها غاندى . ولنبدأ بصوم سببه أخلاق تذره عند ما كان فى جنوب أفريقية يشرف على التعليم فى المدرسة التى أنشأها بمزرعة العنقاء ، وتسمح باختلاط الصبيان والبنات بالرغم من تباين نشأتهم واختلاف أوساطهم . فحدث أن اعتدى أحد التلاميذ على عفاف فتاة ، فلما سمع غاندى بهذا النبأ الأثيم تألم وشعر أنه كشرف على هذه المدرسة مسئول عما ارتكب ، فعاقب نفسه بصوم تسعة أيام ليخفف بها وطأة وخز الضمير وتأنيبه من جهة ، وليطلب المغفرة من الله لهذين الآثمين من جهة أخرى . فكان لصيامه وقع أليم فى أهل المزرعة طهر ما علق بالنفوس من أفكار سوداء ، كما حرر نفس غاندى من كل ما انتابها من قلق واضطراب ، وأحل محل غضبه على المجرمين إحساساً بالعطف والشفقة عليهما ، فتوثقت العلاقة بينه وبين الأولاد والبنات .

أما عن الصوم الثانى فصامه غاندى بعد أن نزح عن جنوب أفريقية ورجع إلى الهند بصيته المعروف بمحاربة الاستعمار البريطانى ؛ فاستطاع بعد أن درس حال الهند من جميع النواحى أن يتولى زعامة الشعب الهندى . ثم أخذ يطالب باستقلال الهند الذاتى الذى وعدت انجلترا أن تمنحه للهند بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، نظير ما قدمته لها من مساعدات حربية . فلم تكتف الحكومة الإنجليزية بمراوغته ، بل أخذت تشدد الرقابة على الهنود ، كما فرضت عليهم أحكاما عسكرية صارمة . فعزم غاندى على أن يحاربها حرباً سلمية ، أى يحاربها بسلاح العصيان المدنى الذى حاربها به من قبل فى جنوب أفريقية ، واستطاع أن يلغى ضريبة الثلاثة جنيهات المفروضة على الهنود هناك . إلا أنه شعر بصعوبة قيام شعب يقرب من أربعمائة مليون نسمة ، يختلف فيما بينه من حيث الدين والعادات واللغة ، بعصيان إجماعى قبل أن تتشبع روح كل فرد بأساليب العصيان المدنى السلمى . وهذا يتطلب تنظيما دقيقاً لحركة العصيان ، حتى تبتعد عن العنف والشغب والفوضى وحوادث السرقة والتحطيم والحرق . فأخذ غاندى يمرن الشعب بادىء الأمر على العصيان ، بأن طالبهم بمقاطعة كل ما هو إنجليزى . فقاطع الشعب التوظف فى المحاكم الحكومية الظالمة ، والتعلم فى المدارس والجامعات الإنجليزية التى تفسد عقلية الهنود ، وشراء السلع البريطانية . كما طالبهم بمخالفة كل قانون جائر يضر بمصالحهم . وبعد أن تغلغلت مبادىء المقاومة السلبية فى النفوس ، وبعد أن بلغت حماسة الهنود من القوة بحيث لا يستطاع إغفالها ، أعلن غاندى العصيان المدنى العام فى جميع أنحاء البلاد ، وكان يظن أنه لن يحدث شيئاً يعكر صفو سلمية هذا العصيان ، ولكن حدث أشد ما يبغضه إذ اصطدم الأهالى برجال الشرطة ، فهاج الشعب ، وأطلق الرصاص ، وأشعلت النيران ، واريقت الدماء ، فانتشرت الفوضى ، وكثرت حوادث النهب والإتلاف . فأرغم غاندى على أن يوقف هذا العصيان ويعلنه ثلاث مرات متتالية ، وعلى أن يصوم أربعاً وعشرين ساعة من كل أسبوع تكفيراً عن الدم الذى أريق ، وقصاصاً لنفسه على فظائع بنى قومه ، حتى يشعرهم بهمجية عنفهم ، ويلزمهم حد اللاعنف الذى يجب عن طريقه أن تنال الهند استقلالها .

وكان الصوم الثالث سببه ما بين الهندوكيين والمنبوذين من نزاع ؛ لأن مشكلة المنبوذين من أولى المشاكل الاجتماعية الهندية التى وجه لها غاندى كثيراً من عنايته . وذلك لما وجد الهندوكيين يحتقرون المنبوذين أشد الاحتقار ، ويعتبرونهم أنجاساً ، ويحرمون معاشرتهم أو الاتصال بهم . فحاول غاندى أن يمحو الفوارق الاجتماعية بين جميع الطوائف الهندية ، ويعطى المنبوذين من الحقوق السياسية مثل ما لأى هندى آخر . فكان يظهر فى كل

الأزهر والإصلاح

للأستاذ محمود الشرقاوى

سيقول كثير من إخواننا الأزهريين حين يقرأون هذا الذى أكتب عن الأزهر والإصلاح : لماذا وله ؟.

سيقول كثير من هؤلاء لماذا كتب هذا ومن يريد بكذا وماذا يقصد بكذا ؟ لأنهم لا بد — فى اعتقادهم — أن يكون لكل شىء ظاهر وباطن ، ولا بد أن يكون وراء كل عمل أو قول أمر مستور يُسأل عنه بماذا وله .

فهم يقولون فى علومهم ودروسهم لماذا وله وماذا يراد بكذا وهذه محمدة ، وهم يقولون عند ما يرون لأحد رأياً أو سعياً لماذا وله وماذا يراد بكذا ، وهذه مذمة .

وأعلم أن كثيرين منهم سيقولون لماذا أو لِمَ ، وهم يعلمون أن هذا الذى أكتب اليوم قد بدأته قبل أن أبدأ سن العشرين . وإنى كتبته فى السياسة والسياسة الأسبوعية منذ عشرين من السنين ، وأن الأزهر وإصلاحه كانا شغلى وشاغلى منذ أجريت قلمى على قرطاس ، وإنى دأبت عليه وكان وكدى فى « الرسالة » أول ما ظهرت الرسالة إلى هذا الوقت القريب وفى « البلاغ » ثمانى سنين دأباً .

هؤلاء الكثيرون يعلمون ذلك وقد يعلمون غيره ، ولكنهم سيقولون لماذا كتب هذا وماذا يريد وماذا يقصد ؟

ولكن هذا التساؤل وهذا التأويل وهذه الظنون حسنة أو سيئة ، طيبة أم خبيثة ، لن تحول بينى وبين أن أكتب ما أريد ، ولن تمنعنى أن أقول ما تجيش به نفسى عن الأزهر وإصلاحه .

والذى أريد أن أقوله إن الأزهر لم يصلح ، وأن بينه وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً ، ولست أدرى هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟

وأنا حين أزعم أن الأزهر لم يصلح لا أريد أن أتوجه بهذه التهمة إلى أحد ولا إلى عهد ، فالواقع أن الأزهر قد التوت به وبأهله سبيل الإصلاح وبعدت بهم عن أهدافه ومراميه ؛ والواقع الذى هو

مكان يؤاكل المنبوذين أو يعانقهم ، حتى يشجع غيره من الهندوكيين على أن يتشبهوا به ويحسنوا معاملتهم . إلا أنه لم يقدر أن يقضى نهائياً على اضطهادهم المنبوذين . ولكن حين قبلت الهند سنة ١٩٣٥ المشروع الإنجليزى الذى ينص على خضوع البلاد لحكم نيابى مؤلف من مجلسين أحدهما تشريعى والآخر للمقاطعات ، تكون الحكومة مسئولة أمامهما ، ثم بدىء فى توزيع المناطق الانتخابية لتأليف هذين المجلسين النيابيين ، طالب المنبوذون بمناطق انتخابية منفصلة . فأيدهم الإنجليز فى هذا الطلب ؛ إلا أن غاندى رفضه مصرحاً بأن اعطاءهم مثل هذه المناطق يعقد مشكلة المنبوذين ويجعل حلها عسيراً ، ويقضى ببقائهم على ما هم عليه من ذل وهوان ، وهذا فضلا عن أنه يزيد الشقاق بين الطوائف الهندية ، ويقوى الخلافات الدينية التى تشكو منها الهند ، وأعلن الصوم حتى الممات . وما كاد يمضى سبعة أيام على صيامه حتى انتهى الخلاف بتسوية تسلم بانتخاب المنبوذين فى مناطق الهندوكيين ، على أن يكون لهم عدد معين من المقاعد فى المجالس الإقليمية التشريعية .

وإذا حاولنا أن نتكلم عن كل صيام صامه غاندى ، استعرضنا مختلف مشاكل الهند الحديثة سواء أكانت اجتماعية أو سياسية أو طائفية أو دينية ، لأن غاندى لم يترك مشكلة لم يتعرض لحلها ، فإذا ما أحسّ أن هناك مشكلة ستحل بطريقة تتعارض مع مصلحة الهند والهنود فإنه يتفادى مقدما نتائجها الوخيمة ، ويعلن الصوم حتى تحل هذه المشكلة حلا يقع نفعه على الهند ، أو إذا ما تصادم المسلمون والهندوكيون أو اندلعت نيران الثورة الطائفية ، وهاجت النفوس أكثر واشتدت المجازر فإن صيامه يبعث الذعر فى قلوب ملايين الهنود مما يمثله وابل من القنابل ، فيضع حداً للمذابح ، ويسكن النفوس الهائجة ، ويستحيل بفضله الحقد إلى حب . وذلك كله يؤكد زعمنا بأن غاندى أخرج التعاليم الدينية من عالم المعابد إلى عالم الحياة الواقعة ، وأعطى الصوم الدينى حقيقة عملية ، وجعل له وظيفة نافعة فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، واتخذ منه سلاحاً يقوم به أخلاق الناس ، ويهدىء من هياجهم ، ويمحو الحقد والبغضاء من قلوبهم .

عبد العزيز محمد الزكى

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أعجب من هذا كله أن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد .

وليس هـذا شيئاً جديداً بل هو شىء يمتد إلى سنين مضت غير قليلة ، وقد جرى بينى وبين المرحوم الشيخ المراغى حديث فى هـذا منذ سنين لعلى راجع إليه فى « الرسالة » فى يوم قريب أو بعيد ، ويوم أعود إلى هذا الحديث سيعلم من لم يكن يعلم أن إصلاح الأزهر لم يشتغل به أحد ولم يفكر فيه أحد . اللهم إلا المتفائلين والمثاليين (١) والخياليين الذين يعيشـون بين الأمانى والأحلام ، وقد عشـنا بها زمناً رغداً ، ثم ذهبت عن أعيننا الغشاوة .

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى
وإلا فقد عشـنا بها زمناً رغدا

كان المصلحون يرغبون أن يكون الأزهر قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق حتى يقاوم بهـا ما ينتاش العالم كله من إباحية وإلحاد وتهجم على فكرة الدين وعلى مجرد الإيمان ، وكانوا يرغبون أن توجد فى الأزهر هذه البيئة الدينية المؤمنة المدركة لما يقع فيه العالم كله اليوم من أزمة روحية يحسها كل رجل مستنير ويدرك خطرها على القيم الروحية وعلى الأديان كافة ، فإن توجد فى الأزهر هذه البيئة الدينية المدركة فسينهض منها لا محالة من يحول بين هذه العواصف العاصفة بالإيمان وبالقيم الروحية أن تنزع من صدور الناس وأن تذهب هذه العواصف بما بقى فى هذه الصدور من إيمان .

وكانوا يرغبون أن توجـد فى الأزهر بيئة علمية مدركة مستنيرة تخرج للناس هـذا التراث العلمى الإسلامى الفريد ، فتجلوه لعيونهم وأفهامهم ، وتبرز هذا الركاز العظيم المطمور من علوم العرب والمسلمين فى كل فن وعلم ، هؤلاء يدرسون هذا التراث بعقولهم المدركة المستنيرة ، فيظهرون الناس على ما فيه من عمق ومن سعة ومن دقة ومن شمول ، وهؤلاء يبرزون هـذا الركاز المطمور بما ينشرون ويخرجون من كتب ومن مذاهب وآراء ومن شروح وفهارس ومن تبويب .

وكانوا يرغبون فى أن يخرج الأزهر للناس طائفة من العلماء منيرة عقولهم شـجاعة أفئدتهم « يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس ، ويعلـكون — كما يقول الأستاذ الزيات — تزييف « الأباطيل المقدسة » التى اتسمت بسمة الحق وتسمت باسم الدين » (١)

وكانوا يرغبون فى أن يخرج الأزهر للناس طائفة من رجاله يكونون للناس مثلا فى كرم الخلق والحرص على أداء الواجب والزهد فى زخرف الحياة وما يطمع الناس فيه من مجد ومن مال ومن صدارة .

طائفة من الناس شعارهم المحبة والتسـامح والمودة وكرم النفس والترفع عن الصغيرة والشجاعة فى الحق وعفة القلب واليد واللسان ، يحملون خير الناس مقدماً على خير أنفسهم ، والعمل للناس قبل العمل لذواتهم وأشخاصهم وأطماعهم .

طائفة من الناس تقوم حياتهـا على الإيثار والتضحية ، والنصيحة بالعمل قبل القول وبالمثل والقدوة قبل الدعوة والتمثيل

طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شؤون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم ، ويعملون على خلاص هذه الأمة الإسلامية مما هى فيه من جمود ومن جهالة ومن أنانية وجحود .

هذا هو الإصلاح للأزهر وهذه سبيله .

فهل أنا مخطىء إذ أقول إن الأزهر لم يُصلح ؟..

وهل أنا متشائم إذ أقول متسـائلا إن بين الأزهر وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً ، وإنى لست أدرى هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟ . .

أما الخطأ فأعتقد أنى لست مخطئاً ، ولا أعتقد أن أحداً يرى غير ما أرى وهو منصف مدرك .

وأما التشـاؤم والتفاؤل فليس عندى عليهما جواب ، وقد يجيب عنى الحوادث والأيام .

محمود الشرقاوى

---

(١) كان الصديق الأستاذ الزيات فى يوم من الأيام متفائلا أيضاً أنظر مقال « هل انبعث الأزهر ؟ » فى صدر العدد ٤٠٨ من الرسالة « ٢٨ ابريل سنة ١٩٤١ »

(١) مقال « هل انبعث الأزهر »

معركة صبيان

للأستاذ نجاتي صدقي

كانت المواصلات بين أحياء القدس العربية واليهودية منقطعة إنقطاعاً تاماً ... وإذا ما تخطت سيارة من سيارات الطرفين الحدود فمعنى ذلك أنها موفدة بـ « مهمة » لا عودة لها بعد أن يتم لها إنجازها .

إلا أن هناك نوعا من سيارات الشحن اليهودية كان يحق لها أن تخترق أحياء القدس العربية على شكل قوافل أربع مرات فى اليوم ، هى سيارات (البوتاس) .

والسيارات هذه تابعة لشركة البوتاس التى تقع معاملها على ضفة الأردن الغربية ، فى بلدة (كاليه) اليهودية الصناعية ، وهى تستخرج ملحه البوتاس من رواسب البحر الميت ، ثم تعبئه فى أكياس وترسله إلى القدس فى سيارات شحن ضخمة ، حيث تتولى وكالة لها تصدير هذه المادة الكيماوية الهامة إلى خارج فلسطين

ففى بدء الحوادث كانت سيارات البوتاس تسير بحماية عدد من البوليس ... ثم جعلت مقدمة كل سيارة مصفحة بالفولاذ لا يظهر منها سوى ثلاث كوات ، إحداها أمام السائق اليهودى ، واثنتان عن يمينه وعن يساره ... ثم صارت مصفحات الجيش ترافق هذه السيارات ... ثم أخذ فريق من الجند بكامل معداته يصحبها فى طريقها الممتد من أريحا إلى وادى موسى ، إلى قرية العازرية ، إلى باب الأسباط فى القدس فحلة وادى الجوز ، فباب الساهرة ، فالشيخ جراح ، فالأحياء اليهودية .

وكانت هذه السيارات تتعرض فى كل سفرة إلى استقبال حار من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لأن الرصاص كان يستكين فى الأكياس ، أو يتدحرج على أضلاع المصفحات حانى الرأس منكسر الخاطر ! ..

وذات يوم عقد جماعة من صبيان وادى الجوز وباب الساهرة اجتماعاً سرياً فى حديقة المتحف الفلسطينى بالقدس ، وكان موضوعه رسم خطة للاشتباك مع سيارات البوتاس فى معركة ! ..

قال حسن ، وهو أجير بقال : إننى أرتأى أن نرش الطريق بالمسامير ! ..

فهزأ منه صحبه قائلين إن عجلات هذه السيارات من المطاط المسكوب لا المنفوخ .

فقال سليم ، وهو صبى ميكانيكى : إننى أرتأى أن نسد الطريق بالحجارة ، وحين يخرج القوم من سياراتهم لازالة ما نضمه من عوائق أمطرناهم بوابل من الحجارة ! ..

فاستسخف الأولاد رأيه قائلين سيتولى الجند إزالة الحجارة ويذهب مجهودنا سدى ..

فقال شكرى ، وهو تلميذ فى الصف الثانى الابتدائى : إننى أرتأى أن نغتنم فرصة مرور السيارات من هذه الناحية ونقفز عليها ونثير ها ضجة تلقى الهلع فى قلوب السائقين ، فيضطرب حبل توازنهم ، ويصدم بعضهم بعضاً ! ..

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين : وماذا يحل بنا فى هذا الصدام ونحن ممتطون ظهور هذه السيارات ؟ ! ..

فقال عبد ، وهو أجير فران : إننى أرتأى أن نضع قشاً فى طريق السيارات ومتى اقتربت منها أضرمنا فيها النيران ... وسأتولى إحضار القش من الفرن أثناء غياب معلمى ! ..

فقال له المجتمعون : كلامك هذا غير موزون ، أتظن أن هذه السيارات هى أرغفة خبز وأنها ستنتظرك حتى تشمل فيها النيران ؟ ثم ماهى كميات القش التى ستحضرها من الفرن ؟ ..

فقال موسى ، وهو ابن أحد الجنود العرب الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية : إننى أرتأى يا أولاد أن نقذف السيارات بالزجاجات المحرقة ! ..

فدهش الصبية وقالوا بصوت واحد : وما هى هذه الزجاجات؟

قال :أنا أصنعها .

قالوا : وكيف تصنعها ؟ ..

قال : أحضر زجاجات (كازوزة) فارغة ، واملأها بنزيناً . ثم أخرق سدادة كل زجاجة وأضع فيها فتيلاً يمتد إلى البنزين ... واشعل الفتيل واقذف الزجاجة على الهدف ، فتنكسر ويلتهب البنزين ! .

من وحى الصوم :

هيـــام المتصوفين

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

مَن مِن الناس غير المتصوفين يلوذون بالمقابر الموحشة فى الغياهب الحالكة ، وكأنهم يخفون إلى رياض مونقة يداعبها عاطر النسيم ؟

إقرءوا ما سطره البهلول فى سكون الأجداث ، وتعالوا معى نتساءل كيف أوحت إليه من المعانى الممتازة ما توحيه الجنان الضاحكة لشاعر مطبوع ؟ ! أليس هذا من العجيب ؟

وما تقولون فى الأحلام الساحرة التى يشاهدها القوم فى تلك الأماكن الباكية ؟ وهل علمتم أن منهم من رأى فى منامه قبوراً تنشق وتخرج منها طيور مجنحة تملأ الأفق ، ثم يسطع نورعلوى من السماء فيلبس الأجداث حللا بيضاء ، ويهب نسيم عاطر فينعش الأموات !!

خيال غريب ، وتزداد غرابته حين نعلم أنه استمد أصوله من الأشلاء المتناثرة ، والظلام الدامس ، والحجارة الصماء !

أضف إلى ما تقدم كله ، ما عرف عن القوم من السهر الطويل ومحاربتهم النوم بشتى الوسائل ، ولعلهم يجدون فى سكون الليل سلما إلى التحليق فى أجوائهم العالية ، فقد شاع لديهم أن أعمال المؤمن تتبدد وتتلاشى إذا عرفها الناس ، أما الأعمال المستترة فهى الباقية الدائمة ، ومن ثم لاذوا بالظلام وتسربلوا ثيابه السوداء ، فنشطوا للعبادة نشاطاً يغبطون عليه !! وتفرغوا للركوع والقيام فإذا نشر الفجر أجنحته تحسروا كثيراً لرؤية الضياء !!

أى سلاح كانوا يستعينون به فى مصارعة هذه الأهوال ؟ !

لا شىء غير الصبر الجميل ؛ فقد وطنوا أنفسهم على تحمل كل مكروه ؛ وهم يرحبون بالأذى فى الله ترحيباً يفوق كل ترحيب؛ ولهم فى ذلك روائع مدهشات . قال ذو النون المصرى : دخلت على مريض أعوده فسمعته يئن فقلت له : ليس بصادق فى حبه من لم يصبر على ضربه . فصاح من أعماقه : لا ولا صدق فى حبه من لم يتلذذ بضربه ! وهذا رد مسكت بليغ وقد صفقت بدون وعى

فأعجب الصبية بهذه الفكرة الجبارة وأقروها ، ثم وزعوا فيما بينهم إحضار المواد اللازمة . فأجير البقال تبرع بالزجاجات الفارغة ، وأجير الميكانيكى تبرع بالبنزين ، وغيرهم تبرع بالفتيل والكبريت .

ورسمت الخطة ... وهى أن ينتشر الصبية على سور المتحف الفلسطينى ، وعند ما تمر سيارات البوتاس بهذا السور يصرخ موسى : « عليهم » ! . . فيقذفون الزجاجات دفعة واحدة ، وينتهى الأمر .

وهكذا كان ... إذ بينما كانت تسير السيارات فى حولتها بالقرب من سور المتحف الفلسطينى قذفها الصبية بزجاجات البنزين ، فسقط بعضها فى الطريق واشتعل ، وسقط غيرها على جوانب السيارات والتهب ... وسقط غيرها على أسطحة غرف السواقين واحترق .

ولما رأى من فى داخل السيارات أن النار تشتعل هنا وهناك قفزوا منها ظانين أنهم وقعوا فى شرك مرعب ... وفى هذه اللحظة تقدمت بعض مصفحات الجيش لإنقاذ الموقف ، وضرب المشاة طوقاً حول مكان الحادث ، وراح غيرهم يبحث عن المهاجمين فى حديقة المتحف الفلسطينى فوجدوهم مستلقين فى نواويس رومانية قديمة ! . .

واكتفى الضابط باعتقال موسى ، فوضعه فى مصفحة وسار به مع القافلة متجهاً نحو الأحياء اليهودية ، وكان كلما مر به على جمع من اليهود أمره بأن يطل عليهم من الكوة ... ثم يأخذ أذنه بين أصبعيه ويفركها قائلاً : إذا عدت إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال قبضت عليك ثانية وأنزلتك فى هذه الأحياء ! . . ثم أعاده إلى أهله .

وفى صباح اليوم التالى رؤى الصبية مجتمعين فى مكان ما فى القدس ، وقد أغرقوا رؤوسهم فى جريدة صباحية يفتشون فيها عن أنباء معركتهم ! . .

نجاتى صدقى

وأنا أطالعه فى مصارع العشاق .

وشبيه بذلك ما حكاه على بن سعيد العطار قال : مررت بكفيف مجذوم وفوقه زنبور يقع عليه فيقطع لحمه ! فحمدت الله أن عافانى مما ابتلاه ، فصاح فى وجهى : « ما دخولك فيما بينى وبين الله ؟ فوعزته لو قطعنى إرباً ، وصب علىّ العذاب صباً ، ما ازددت له إلا حبا » فما رأيكم فى هذا الرد الآخر ؟ إن صحائف المتصوفين لتزدحم ازدحاماً بأمثال هذه الروائع . وهى عبر تخلق من الثكلى الصارخة حجراً صلداً لا ينبس بنت شفة وإن فارقها أعز الأبناء !

إن العارفين بالله يرون الأذى الجسمى امتحاناً سماويا ، ولا تصدق محبتهم إلا إذا قابلوه مقابلة طيبة ووقع من نفوسهم أطيب موقع وأرضاه ، وقد يبدو لبعضهم أن يمتحن أصحابه بالإيذاء كما يمتحن المولى عبيده بالأوصاب ، فقد زار أبا بكر الشبلى جماعة من أحبائه وهو مريض بالمارستان ، فسألهم عن مجيئهم ، فقالوا إنا محبوك يا أبا بكر ، فرماهم بحجر كان فى يده ، فلاذوا بالفرار وصاح بهم الشبلى : يا كذابون ، لوصدقتم فى محبتكم ما هربتم ! وكأنى به وقد رأى فى ربه أعظم مثال للاقتداء ! !

ولنا أن نتساءل : أكان المتصوفون يشعرون شعوراً تاماً بشدة ما يكابدونه من أنواع الإيذاء ؟ أم أن فيهم من وصل إحساسه إلى درجة يهون معها التعذيب كما تنطق بذلك بعض الروايات ؟

أرجو أن يكون القارىء واسع الصدر فلا يتعجل بتكذيب ما نعرضه بين يديه ، فلن نرسل الكلام إرسالا بدون تعليل وتدليل ، وإن كنا نتكلم فى خوارق بعيدة ، تفعل بالعقول — بادىء ذى بدء — ما تفعله الزلازل فى قنن الجبال .

فهل صحيح ما روى عن أحد الأقطاب أنه كان يسير على الماء وحوله الموج المتلاطم يتراكب بعضه فوق بعض ، وكأنه يسير فى طريق ممهد يدرج عليه الناس !!

وهل صحيح أن الشبلى كان ينتف اللحم من وجهه بمنقارحاد ، فإذا سئل عن ذلك قال : ظهرت الحقيقة ولست أطيقها فأنا أدخل على نفسى الألم لأحس به ولكن هيهات هيهات !!

وهل صحيح أن أبا الحسن النورى سمع منشداً يقول :

ما زلت أنزل من ودادك منزلا   تتحير الأفهام دون نزوله

فتواجد وهام فى الصحراء ثم وقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله كظبا السيوف ، فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من قدميه ، ولا يشعر بشىء من العذاب !

إن فى كتب التصوف أقاصيص عديدة من هذا الطراز ؟ فهل نحكم عليها بالوضع والاختلاق ؟!

سنجد كثيراً من الناس يلوون ألسنتهم ويقولون فى تهكم بالغ : خرافات كاذبة ، ما كان لكاتب أن يسطرها فى صحيفة الرسالة الغراء !!

ونحن — فى الرد على ذلك — لا نستشهد بما سطره المتقدمون فى بطون الأسفار ، ولكننا ننتقل إلى القرن العشرين لنرى ما يجد فيه من خوارق العادات .

لقد نقلت مجلة الهلال بعددها الصادر فى أغسطس سنة ١٩٤٧ عن مجلة « انتير » الفرنسية ، حوادث مدهشة تفوق ما قدمناه ؛ وقد اعترف بها كثير من أساطين العلم الحديث ، ولم يقدموا لها التعليل العلمى ولو أنها سطرت فى كتب المتصوفين لقوبلت بكثير من الاستخفاف . ولا نحب أن نطيل على القارىء ، ولكن نضع أمامه هاتين الحادثتين — مما ذكرته الصحيفة الفرنسية — وله أن يقول فيهما ما يشاء .

١ — كان «ريشادسون» الفرنسى يضع الجمر فى فمه ويمضغه فلا يصاب بأذى ، وقد وضع على لسانه جمراً فوقه قطعة لحم ثم قدمها ناضجة بعد دقائق إلى من شاهدوه من العلماء ! !

٢ — قام الهندى « كودابوكس » بتجربة رائعة فى انجلترا أمام رهط من رجال العلم والصحافة أثبت فيها قوته الخارقة على مقاومة الاحتراق بالنار ، فقد حفروا حفرة طولها أربعة أمتار وعرضها متر ونصف وقد ملئت بالخشب والحطب ، واضرمت فيها النار حتى ارتفع لهيبها ، وجعل الهندى يمشى فى ذلك الأتون الملتهب ذهاباً وجيئة من أول الحفرة إلى آخرها ، وفحصت قدماه بعد ذلك فلم يظهر بهما أثر من آثار النار ! !

فما رأى القراء فى هذه الخوارق ؟ وإذا صحت على يد أناس لا يتصلون بالسماء ، فكيف ننكر أشباهها على الأولياء !

إن الإنسان العادى قد يوجه تفكيره إلى ناحية هامة تستولى

على إدراكه فلا يشعر بشيء سوى ما يفكر فيه . وقد قرأت في الصحف ذات يوم ، أن النار قد شبت في حجرة ريفية وكان بها طفل صغير ، فاقتحمت أمه النار ، وأنقذت ولدها ثم خرجت إلى الناس واللهب يمزق قدميها وهي لا تشعر به حتى نبهها الحاضرون فليت شعري هل يحس بألم جسدي من يرى بعينيه أنوار السماء مهما مزق جسده الرصاص ؟ !

أفيئوا إلى قلوبكم أيها القوم فإن الحق يتسرب إليها بدون استئذان ؟

لماذا نسير في طريق معوج ولا نلجأ إلى الصراط المستقيم ؟ ألسنا نعرف أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فماذا قال هذا الكتاب ؟ !

لقد ذكر أن امرأة العزيز جمعت صواحبها وأعتدت لهن متكأً وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، وقالت (ليوسف) أخرج عليهن ؛ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . فهل نمتري في ذلك بعض امتراء .

لقد أبدع اليافعي رحمه الله حيث قال في التعليق على هذه الآية الكريمة «وهذا في محبة مخلوق فكيف في محبة الخالق ، ولا ينكر ذلك إلا من لم يذقه» وأنا أقول زيادة على ما تقدم ، إن عدم الإحساس بتقطيع الأيدي كان تعلة لامرأة العزيز وهي حينذاك مدعية كاذبة ، فكيف ننكر نظائره على البررة من الأولياء ، أما معجزة يوسف فهي تأويل الرؤيا بدون نزاع .

إذن فقد آن لنا أن نعترف بما قدمناه عن المتصوفين فنجزم أن الشبلي لا يحس بتقطيع لحمه ، وأن النوري لا يشعر بتقاطر دمه ؛ ونصدق قول الجنيد رحمه الله « كنت أسمع السري يقول : قد يبلغ بالعبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . وكان في قلبي من ذلك شيء حتى بان لي أن الأمر كما قال » .

والواقع أن هـذه الخوارق العجيبة هي التي جذبت الخاصة والعامة إلى هؤلاء المتصوفين فكانوا أقوى سلطاناً من الملوك ، وكان العارف يعتصم بجبل نازح فتخف إليه الوفود تلو الوفود ، وقد يقول الرجل كلمة فترفع الخامل وتسقط النابه ، بل إن أمراء المؤمنين كانوا لا يستنكفون من الخضوع لما يمليه الزهاد ، وأخشى أن أعرج على شيء من ذلك ، فأخوض في حديث معاد !

هل أتاكم نبأ أبي سعيد أبي الخير؟ لقد كان مريدوه يتضاربون بالسيوف حرصاً على ماء وضوئه ، والسعيد من حصل على قطرة واحدة يُضيء بها جبهته . ويذكرون أن قطعة صغيرة من قشر البطيخ قـد سقطت منه ، فتهالك عليها الناس واشتراها أحدهم بعشرين ديناراً . فهل بلغ هذه المنزلة في النفوس أمير أو وزير ؟! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولقد ظهر انكباب العامة على العارفين في حلقات السماع ، حيث كان لكل متصوف مجالس إنشاد تقام في أوقات معينة ، فما يحين ميعادها حتى تتدافع عليه الناس من كل حدب وصوب ، وطبيعي أن يكون المنشد ويسمى (بالقوال) حسن الصوت ، لطيف الذوق ، فيختار من الأبيات الرقيقة ما تطرب له المشاعر وتهيج به القلوب ، حتى كان بعضهم يصيح من وجده ، وأحياناً تأخذه النشوة ، فيهيم على وجهه في الآفاق كأنما نشط من عقال .

إن للصوت الجميل أثره البالغ في الاحساس ، فما ظنك إذا اقترن بمعنى سماوي رائع ، ثم سمعه صب ذواق يدرك ما يهدف إليه عالم الإدراك ؟ أليس من القليل عليه أن يترنح ذات اليمين وذات الشمال كمن دارت برأسه العقار .

وقـد يرق شعور المتصوف فيسمو إلى مالا يحيط به عين ، وإذ ذاك يقف في مكانه لا ينطق بشيء . وليس ذلك في مجلس السماع فحسب ، بل في كل موقف تهطل فيه سحائب الرحمة ، فقد وقف أبو بكر الشبلي على عرفات مدة طويلة فلم تتحرك شفتاه بشيء ، وللحجاج حوله ضجيج وعجيج ، فهل يكون هؤلاء أكثر رغبة منه إلى الله ؟ أم أنه شاهد ما خفي عن غيره فعقد الموقف لسانه ، ورجع إلى مقره شارد العقل متقد الضلوع .

إن كثيراً من المتصوفين يتخيلون أنفسهم تحلق في عالم آخر وتشاهد أضواء متألقة لا تتاح لأحد . وقد سئل بعضهم في ذلك فقال : والله لو غاب عني لحظة لتقطعت « وهم يجزمون أن العارف الصادق يصبر عن كل شيء عدا رؤية مولاه . وقد وقف رجل على الشبلي رحمه الله فقال له أي الصبر أشد على الصابرين ؟ فقال الصبر لله ! فقال الرجل : لا . فقال الشبلي : الصبر مع الله ، فقال الرجل لا ، فغضب أبو بكر وقال : ويحك فأي شيء إذن ؟ فقال الرجل : بل الصبر عن الله عز وجل . فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف

روحه ، وكأنه رأى صاحبه قد سبقه فى الطريق فعنف نفسه أحر تعنيف وأقساه ! !

وكثير منهم من يذرف الدموع الغزار حين يخطر بباله أنه غير أهل لمحبة ربه . كيف وقد وقر فى نفوسهم أن ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد يسابقهم مسابقة شديدة فى الافتتان بخالقه ، فهم يتنافسون فيما بينهم منافسة حادة تضطرم فيها الأحشاء . ولهم فى هذا الصدد نوادر غريبة ، فقد حكى سهل ابن عبد الله أنه قابل دباً فى فلاة فحادثه وناقشه ! ! وعلم منه أنه — مع فريق من الوحش — هائم فى ذكر ربه ! ! فما منشأ هذه النادرة ؟ وهل استنبطها سهل من قول الله « وإنْ من شىء إلا يسبح بحمده » وما موقفه بعد ذلك بين يدى نفسه حين يرى أنه بالنسبة إلى غيره ليس فى العير أو النفير ! مسكين مسكين ! !

وإذا غرق العارف فى لجج الصبوة لم يجد فى قلبه فراغاً يسع شيئاً آخر غير ما هو فى سبيله ، ولذلك كان الصوفيون رهباناً لا يتزوجون ولا يتنعمون ، مع أنهم ينضوون تحت لواء الإسلام ! !

هل سمعتم تحذير مالك بن دينار من الزواج ؟ وهل فكرتم فى علة ذلك ؟ لأنه يرى اللذة الجسدية سبة نكراء لا يميل إليها غير الدهماء ، أم ترى ماذا يكون .

إن القوم مكبلون بما ورد فى الكتاب والسنة من الترغيب فى الزواج فبأى سلاح دافعوا عن مبدئهم الغريب ؟

لا يستطيع السامع أن يظفر منهم فى هذا الموضوع بغير الأساطير ، وللأساطير فى نفوس العامة فعل السحر ، فهى تقوم مقام الآيات والأحاديث ، إن لم تفقها عندهم فى بعض الأحايين ، وفى الآدميين من سلبوا العقل الناصح فهاموا كالدواب ! !

واقرأ هذه (الخرافة) أمام عامى ساذج فستجده ينجذب إليها أتم انجذاب ، وربما ندم على ما فرط فى جنب الله حين أقدم على الزواج .

« قال بعضهم كنت فى زاوية بمصر فخطر بقلبى أن أتزوج ، وقوى عزمى على ذلك . فخرج من القبلة نور لم أر مثله ، وإذا بيد فيها نعل من ياقوتة حمراء ، وشراكها من زمرد أخضر مرصع باللؤلؤ ، ثم سمعت هاتفاً يقول : هذه نعلها ، فكيف لو رأيتها ! فذهبت عنى شهوة النساء »

فما معنى هذه الأسطورة ؟ وهل يحرم من الحور فى الجنة من يتصل اتصالاً شرعياً بالنساء ؟ هذا جائز جداً فى منطق البلهاء .

إن القلب لا يتسع لأكثر من واحد ، فلا على الصوفى إذا قنع بمحبة ربه ، ولكن ما ذنب العامة من الدهماء ؟

إن للقوم شطحات وشطحات ، ولا حيلة لهم فيما يشطون به من الآراء ، فقد تفرد الله وحده بالكمال . ومن ذا الذى ترضى جميع سجاياه ؟

وبعد فقد حاولت أن أروح عن نفسى بكتابة هذا البحث ، فقد حبب إلى أن أقوم بجولة خاطفة فى ميدان التصوف النظرى فأطالع الأسفار ، واستنطق السطور ، بعد أن أخفقت فى ميدان التصوف العملى ، فقد أعددت العدة ، وسرت خطوة واحدة ، ثم وقفت كالمقيد المكبول ، فلا أستطيع أن أتقدم ، ويعز علىّ أن أرجع حيث بدأت وأنا فى الاضطراب والحيرة كأسير أم عمرو الذى قال فيه أحد كبار الهائمين .

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها ... تحل الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة ... ولا هو ممنون عليه فيطلق

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

فى آفاق حافظ إبراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ حسين مهدى الغنام

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ومن أمثلة سخريته المستترة ما كان بينه وبين شوقى .

فقد وقف شوقى بين حافظ وبين القصر كالعارض الضخم ، لا يستطيع حافظ أن ينفذ منه إلى صاحب القصر حتى يستطيع أن يصيب بعض ما أصاب شوقى ، ولكن شوقياً لم يترك له مجالاً ينفذ منه .

فقد حاول حافظ أن يتملق شوقياً ، بل قد تملقه فعلاً ، فقال فى بعض شعره يمدح الخديوى :

لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى   إلا فتى ماله فى السبق إلاه

وفى قصيدة ثانية :

إلى سدة العباس وجهت مدحتى   بتهنئة (شوقية) النسج معطار

ومنها :

معان وألفاظ كما شاء أحمد   طوت جزل بشار ورقة مهيار

ويعلل أحمد بك أمين فى مقدمته لديوان حافظ هذا البيت بقوله : الظاهر أنه يريد المتنبي بهذا البيت .

ولكنى أراه يقصد شوقياً ، كما قال فيما تقدم . والسخرية فى هذه الأبيات واضحة .

ومن سخريته بشوقى قوله يمدح الخديوى فى قصيدة أخرى :

واليوم أنشدهم شعراً يعيد لهم   عهد النواسى أو أيام حسان

أزف فيه إلى العباس غانية   عفيفة الخدر من آيات عدنان

من الأوانس حلاها يراع فتى   صافى القريحة صاح غير نشوان

ما ضاق أصغره عن مدح سيده   ولا استعان بمدح الراح والبان

ولكنهما تصافيا وتصادقا بعد ...

والأمثلة على هذا كثيرة لا تكاد تحصى .

٤ — شاعر إنسانى

من الأمثال العجيبة الدارجة فى الطبقات المصرية البسيطة قولهم : فلان هذا رجل إنسان !

فتسأل : كيف ؟

فيقال : إنك لا تسأله شيئاً ويرفضه مطلقاً . ثم هو دائم الاهتمام بغيره وبمن هم أقل منه !

وهذا الوصف الصادق السائر بين الطبقات المصرية البسيطة ينطبق على حافظ إبراهيم فى جملته ، وإن ابتسم البعض لهذا الوصف الرفيع ...

فحافظ إبراهيم كان رجلا (إنسانا) بكل معانى هذه الكلمة ولم تقتصر (إنسانيته) أو عطفه على من هم أقل منه فقط ، بل شملت من هم أكبر منه ، وشملت الأمم والشعوب المنكوبة جيعاً

وليست إنسانية حافظ فى أنه كان دائم الإحسان على غيره ، حتى ليجود بكل ما معه لمعدم أو فقير ، ولو بقى جائعاً هو نفسه وإنما إنسانيته فى العطف على العالم المنكوب ، حتى لتراه — مثلا — يواسى أمة ويعطف عليها ويستدر عطف الغير على هذه الأمة فى نكبة ألمت بها ، ولكنه يعود فى اليوم الثانى فيحمل عليها حملة شعواء لأنها جارت على أمة غيرها أضعف منها ، كما سترى فى قصائده عن إيطاليا بعد .

ومن المعروف أن حافظاً ذاق البؤس واليأس والجوع والحرمان والتشرد ، فهذا مشهور فى سيرته .

ولقد قال أبياتاً فى هذا المعنى فى إحدى قصائده فى حفلة رعاية الأطفال :

لم أقف موقفى لأنشد شعراً   صب فى قالب بديع النظام

إنما قمت فيه والنفس نشوى   من كؤوس الهموم والقلب دامى

ذقت طعم الأسى وكابدت عيشاً   دون شربى قذاه شرب الحمام

فتقلبت فى الشقاء زماناً   وتنقلت فى الخطوب الجسام

ومشى الهم ناقباً فى فؤادى   ومشى الحزن ناخراً فى عظامى

فلهذا وقفت أستعطف النا   س على البائسين فى كل عام

ولم تكن إنسانيته من نوع إنسانية أبى العلاء المعرى الذى يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به   أبر من درهم تعطيه محتاجا

فإنسانية أبي العلاء هنا إنسانية متطرفة ، هي أقرب إلى السخرية والتهكم منها إلى الإنسانية ، فإنه هنا لا يفرق بين الطيب والخبيث ، والنافع والضار ، وحسبه أن يعطفك على الأضعف منك ، رديئاً كان أم جميلا !

وليست هذه بالإنسانية العليا ...

أما إنسانية حافظ إبراهيم فإنسانية عليا .

إنه يعطفك على المعوز والمحتاج ، ويعطفك على المنكوب والمكلوم ، سوء كان ضعيفاً أم قوياً ، ولكنه لن يعطفك على الظالم والخبيث .

على أن هذا لا يعني أن أبا العلاء لم يكن شاعراً إنسانياً عالياً في نواحيه الأخرى ، فأبو العلاء كان ولا شك شاعراً إنسانياً عالي الإنسانية مرهفها ، وهو الذي لم يتزوج حتى لا يجني على أبنائه ، ثم قال : هذا جناه أبي عليّ ، وما جنيت على أحد .

ويلتقي حافظ إبراهيم وأبا العلاء في هذه الناحية ، وإن كان تزوّج لأيام لا تعدو الأربعين ، ثم انفصل عن زوجه ، ولكنه يقول :

وددت لو طرحوا بي يوم جئتهمو
في مسبح الحوت أو في مسرح العطب

لعل (مانيّ) لاقى ما أكابده ... فود تمجلينا من عالم الشجب

فحافظ إذن يلتقي مع أبي العلاء في ناحية ويخالفه في أخرى .

قال حافظ في إحدى قصائده في جمعية رعاية الأطفال :

قد مات والدها وماتت أمها ... ومضى الحمام بعمها والخال

وإلى هنا حبس الحياء لسانها ... وجرى البكاء بدمعها الهطال

فعلمت ما تخفي الفتاة وإنما ... يحنو على أمثالها أمثالي

فهو يحس أن له رسالة إنسانية كبرى ، تحنو على الفقير والضعيف والمريض .

ويقول في رثائه تولستوي :

ولست أبالي حين أبكيك للورى ... حوتك جنان أم حواك سعير

فإني أحب النابغين لعلمهم ... وأعشق روض الفكر وهو نضير

دعوت إلى عيسى فضجت كنائس
وهز لها عرش وماد سرير

***

قضيت حياة ملؤها البر والتقى ... فأنت بأجر المتقين جدير

وسموك فيهم فيلسوفاً وأمسكوا ... وما أنت إلا محسن ومجير

وما أنت إلا زاهد صاح صيحة ... يرن صداها ساعة ويطير

***

حياة الورى حرب وأنت تريدها ... سلاماً وأسباب الكفاح كثير

أبت سنة العمران إلا تناصراً ... وكدحاً ولو أن البقاء يسير

تحاول دفع الشر والشر واقع ... وتطلب محض الخير وهو عسير

***

ألم تر أني قمت قبلك داعياً ... إلى الزهد لا يأوي إليّ ظهير

أطاعوا (أبيقورا) و (سقراط) قبله
وخولفت فيما أرتئي وأشير

ومت وما ماتت مطامع طامع ... عليها ولا ألقى القياد ضمير

***

أفاض كلانا في النصيحة جاهداً ... ومات كلانا والقلوب صخور

هذه هي دعوته للحق وتحكيم الضمير والعمل للخير المطلق ، بين الناس والأمم جميعاً ، لا فرق بين دين ودين ، كما قال في حرب طرابلس ، مخاطباً البابا :

بارك المطران في أعمالهم ... فسلوه بارك القوم على ما

أبهذا جاء إنجيلهمو ... آمراً يلقى على الأرض سلاما

ثم أسمعه يقول في زلزال مسينا ، بعد أن وصف نكبة الطليان ، واستدر عليهم عطف العالم جميعاً .

وسلام على امرىء جاد بالدمع وثنى بالأصفر الرنان

ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان

فاكتبوا في سماء رجيو ومسين وكالبريا بكل لسان

هاهنا مصرع الصناعة والصور والحذق والحجا والأغاني

إنه يستعطف بني الإنسان من كل لون وجنس ولسان ، وإن كان يقول إن هذا ليس إحساناً ، لأنه حق الإنسان عند أخيه الإنسان ، وكأنما يثأر حافظ للضعيف هنا ، وينتصر المغلوب ، حين ثار الزلزال والبحر فأهلك مسينا وأهلها .

ولكنه في قصيدته عن حرب طرابلس ، يحمل على الطليان حملة عنيفة شعواء ويسخر منهم سخراً مراً ، ويستعدي عليهم العالم ، فما سبب ذلك ؟

سببه إنسانيته أيضاً ، وانتصاره للضعيف المغلوب .

ومن هذا أيضاً شعره الرثائي ، فشعر الرثاء في ذاته من أعلى ضروب الشعر الإنساني !

وغير هذا كثير . وهذه أعلى مراحل الإنسانية .

٥ — شعر حافظ

من الأقوال المأثورة عن الأسلوب قول سانت بيف ، على ما أذكر ، ما معناه : إن الأسلوب يعبر عن صاحبه .

أي إنه يعبر عن روحه .

ولقد امتاز شعر حافظ بأنه يعبر عن شخصيته ، أي روحه ، تعبيراً قوياً …

والمعروف عن حافظ أنه كان شديد المرح في حياته الخاصة ، مع أن شعره وأدبه ، في مجموعه ، كان شعراً وأدباً رزينين جادين

فكيف نوفق إذن بين ذلك الرأي وهذه الحقيقة ؟

وهل كان حافظ ذا شخصيتين مزدوجتين كما قال أحد الكتاب

كلا …

فإن نفسه الحزينة — التي عرفت الحياة جيداً — سخرت منها سخرية هائلة فأصبحت كما قال المتنبي تتكسر نصالها على نصاله والنكتة التي اشتهر بها حافظ كانت ستراً لآلامه وأحزانه وإمعاناً في السخرية من الحياة .

ولهذا برز حافظ في ناحيتين من شعره :

الوطنية والرثاء

ويعلل حافظ نفسه هذا بقوله ، عن شعره الرثائي ، في قصيدة تحية الشام :

إني مللت وقوفي كل آونة أبكي وأنظم أحزاناً بأحزان
إذا تصفحت ديواني لتقرأني وجدت شعر المراثي نصف ديواني

***

وهنالك ناحية فنية يجب أن نقرر أن حافظاً كان من أوائل السباقين إلى طرقها والتجلية فيها .

تلك هي الناحية القصصيه في شعره .

وإذا كان حافظ لم يسرد قصصاً في شعره بالمعنى القصصي المفهوم ، إلا أنه نظم قصائد اجتماعية وطنية نحا فيها نحو القصة بلغ بها الغاية مما أراد …

وإذا لم تكن القصيدة التي سماها المنظومة التمثيلية في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت — قصة بالمعنى المألوف ، إلا أن له قصائد فيها قصص ساحر بليغ ، مثل قصائده في رعاية الأطفال وحرب اليابان ، ومراثيه !

ويجمل بنا هنا أن نقف قليلا نناقش رأي أحمد بك أمين في شاعرية حافظ ، في مقدمته لديوانه :

« وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة ، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقا . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

« فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارىء ، فما يسمع شعره سامع ، ولا يقرؤه قارىء إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى الخ …

« وأما خياله فكان مع الأسف — خيالا قريباً — قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً عاماً يجذب النفوس إليه »

ثم ضرب مثلا قصيدته في مدح البارودي وقصته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت .

إن حكم الأستاذ أحمد أمين على عاطفة حافظ وحسن صياغته وجمال موسيقاه حكم صحيح :

ولكن حكمه على خيال حافظ ، حكم مرتجل يحتاج إلى (نقض) وهو أشبه بالرأي الفطير ، لا يقبل صدوره من رجل كالأستاذ أحمد أمين :

لقد قلنا عن قصيدته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت أنها ليست في مستوى شعر حافظ ، مع أن لها ما يبررها ، ولكن لا يصح أن نأخذها مقياساً لشعره وسندا نحكم بمقتضاه لحافظ أو عليه .

وإذا كان أحمد بك يقصد من الخيال القصة بمعناها الصحيح

فليست كل القصص خيالا ، وإن كان حافظ نحا نحواً قصصياً في بعض قصائده كما قدمنا .

ورب بيت واحد من الشعر فيه من الخيال أروع قصة !

فإذا تركنا هذه (القرينة) التي اتخذها أحمد بك أمين سندا لإدانة شاعرية حافظ بالقصور والضحولة ، وفتحنا ديوانه لنقرأ أي قصيدة فيـه ، راعتنا منه خطرات موغلة في الخيال البعيد ، ولنأخذ مثلا باب (الوصف) من ديوانه ، كما قسمه أحمد بك أمين نفسه .

فاقرأ له وصف كساء ، حيث قال مرتجلا :

لي كساء أنعم به من كسـاء   أنا فيه أتيه مثل الكسائي

حاكه الفر من خيوط المعالي   وسـقاه النعيم ماء الصفاء

وقصائده في الشمس ، والسيف ، والمدفع ، وليـلة عيد الجلوس ، وزلزال مسينا ، إذ قال :

خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت   قضي الأمر كله في ثواني

واقرأ قوله :

إذا سرت يوما حذر النمل بعضه   مخافة جيش من مواليك يغشاه

أو حتى قوله المفحش في الهجاء ، والذي لم يثبته أحمد بك في ديوان حافظ :

أخس من دب على ظهرها   ودبت الناس على ظهره !

بل افتح ديوانه واقرأ ما يقع عليه نظرك وتمعن فيه ، سواء كان سياسياً أم اجتماعياً أم رثاء أم في أي غرض آخر ...

فلعل الخيال الذي يقصده أحمد بك أمين إذن هو التغني بجمال الطبيعة . أو الغزل ، وهما الضربان من ضروب الشعر اللذان تخلف فيهما حافظ ، لأنه منصرفاً إلى ناحيتين أساسيتين في شعره ، هما شعره السياسي ، وشعره الإنساني النزعة .

على أن التغني بجمال الطبيعة في حد ذاته ليس خيالا كله !

وناحية أخرى في شعر حافظ .

تلك هي براعته في اختيار اللفظ ، وفي تحديد المعنى الذي يريده ، وفي التصوير .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك قوله إلى روزفلت ، التي لم تذكر في ديوانه أيضاً :

إنما شوقها لقولك يا روزفلت شوق الأسير للتحرير فما هي أعلى مراحل الشوق عامة ؟

إن أعلاها هي بلوغ المشتاق ما يريد .

ولقد حدد حافظ مراحل الشوق وأهدافه في هذا الموضع — بكل هـذه البساطة ، فهو شوق الأسير للتحرير ، والمصريون يشتاقون لسماع قول روزفلت حتى يدافع عن حرية هذا الشعب ، الذي شبهه بالشعب الأمريكي ، أيام احتلال الانجليز له !

وهذا أبلغ ما يمكن أن يقال في مثل هذا الموضع .

ومثل قوله عن الانجليز وسعد :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا   سنريه كيف يصيده زغلول

٦ — حافظ الكاتب :

عرف حافظ كاتباً أيضاً ، وقد اتسم نثره بالبلاغة والمحسنات اللفظية والبديع ، ولـكن نثره لم يكن في مستوى شعره .

ولقد ترجم بعضاً من البؤساء لفكتور هيجو ، عني فيه بالأسلوب ، فتكلف ، ولـكنه أحدث بهذا الـكتاب أثراً محموداً في الصحف وفي الترجمة على الأخص ، أذوجه إليها أنظار الكتاب الذين يعرفون لغات أجنبية .

وألف كتاب ليالي سطيح ، وهو أحسن كتبه النثرية ، وقد عني فيه بالأسلوب أيضاً ، ولـكنه حمـل فيه حملة اجتماعية وفـكرية ووطنية ، لعلها أحدثت بعض الأثر المطلوب في إبانها !

وله كتاب في الاقتصاد السياسي ، بالاشتراك مع آخر .

وكتاب في الأخلاق .

وإذا كان نثر حافظ ، كما تقدم ، في مستوى أقل من شعره إلا أن فيه ما يجب أن يصـان كتراث لشاعر عظيم فقدناه ، وكاتب مجاهد يجب أن تخلد جميع آثاره ، فتبقى أثراً حيا بيننا ، وإن كان مثله لا يمكن أن ينسى ، فـكلما مر عام أحست مصر وشقيقاتها العربية مرارة فقده ، بحاجتها الملحة إليه ، فهو كما قال حافظ نفسه في صديقه شهيرين :

مضيت ونحن أحوج ما نـكون   إليك فمثل خطبك لا يهون

هذه عجالة من آفاق شاعرنا حافظ ابرهيم .

وسنعود إليه في مناسبات أخرى، لنوفيه حقه من الدراسات

حسين مهدي الغنام

عتاب شاعر

طرقت بابك يا صاحب الرسالة حتى كلت كفاى ، وقدمت بين يديك نخبة من أشعارى ، فكان نصيبها الإهمال ؛ وما زال يعاودنى حنين إلى طرق بابك من جديد ، ولكن اليأس أخذ على كل سبيل . وبين ثورة الحنين وهدأة اليأس ، أخذ لسانى يتمتم بهذه الأبيات :

ما بيانى ؟ لقد نكرت بيانى   وعرانى من أمره ما عرانى
قال لى صاحبى : بيانك فجر   يبسط النور فى الصوى والمغانى
كم نهبت الأسرار من عالم الغيـ   ـب وصورتها دُمى للعيان
فلسنى الخطرات محتدم القلـ   ـب نزوع إلى شموس المعانى
ولك العالم الرحيب بجنبيـ   ـك ودنيا الهوى ودنيا الأمانى
إن تمش حائل الرواء كئيباً   ناكس الرأس دائم الأحزان
فلمن تبسم الحياة وتبدى   عبقرياً من وشيها الفتان
إنها غادة تبرج للنا   س لتحظى باللحظ من فنان
انفض النوم من جناحك وانهض   وازحم الطير فى ذرى الأفنان
أنت شبابة الحياة على الأر   ض فهدهد شبابها بالأغانى
قلت : دعنى فقد نكرت بيانى   وعرانى من أمره ما عرانى
طاش سهمى لدى (الرسالة) بالأمس وأضحى قريبها غير دان
كان حلماً فبادرته الليالى   كاشرات فمات فى المنفوان
وهو صرح من الأمانى بنينا   ه قوياً بالروح والوجدان
أرعشت سفحه الرياح اللواتى   زلزلتنى وطوحت بجنانى
فى خضم الظنون والزبد الطا   فى تهاوت بزورق موجتان
موجة اليأس ترتمى فى مداها   موجة الشك فى سمو بيانى
أين يا قائد الشباب إلى المجـ   ـد طريقى وأين منه مكانى
أين يا باعث الطموح من الشر   ق جناحى فقد ملئت هوانى
جئت أشكو إليك نفسك فاسمعـ   ـنى فإنا يا ظالمى أخوان
أنت أيقظت بالروائع إحسا   سى ففاض المستور من أشجانى
رضت بالفن مهجتى فتسامت   عن قيود الدنى وسجن الزمان
فاغترفت الرحيق من حانة النفـ   ـس طروباً وصحت بالندمان
موعدى منكم (الرسالة) يا قو   م فبشرى بالرى والإدمان
واستبقت الصباح أحمل أحلا   مى جميعاً وفرحتى ودنانى
جئت للمرهف الشعور بأشعا   رى ووجدى الموقظ الوجدان
ثم كان الذى علمت من الأمر   وكان القضاء بالحرمان
هل أرقت الدنان يا مسكر الشر   ق بآى نورية التبيان ؟ !
وأذبت الأحلام والفرحة الكبرى دموعاً موصولة الهتان
هل من العدل أن تداس أناشيـ   ـدى وتلقى فى عالم النسيان ؟
وهى من نورك المفاض نجوم   وهى زهر من روضك الفينان
لا أرانى دون اللذين أقاموا   دولة الشعر من بنى عدنان
سل إذا شئت من أردت من النا   س وسائل صحائف السودان
والجموع التى تخف إلى صو   تى وسائل منابر المهرجان
يشهد النيل ذو النضارة والجد ورب الوثبات والإحسان
والمزار الذى يرف بواديه ويشدو فى شطه النعسان
عندما ترقد السكينة فى الموج وتسرى الأحلام فى الكثبان
ينكر الفن والحياة أبا الفن وحسبى أن تستخف بشانى
أين أين الحنان واحسرتاه من نبى الإحساس والوجدان ؟

محمد محمد على السودانى

الطالب بكلية دار العلوم

و (الرسالة) تُعتِب الشاعر المجيد ، وترجو أن تظفر منه بمثل هذا القصيد .

الفاروق فى أرض السلام

(فاروق) بجدت الجهاد بآية   هزت فؤاد الشرق من إعجابه
زرت المجاهد فى عرين جهاده   فشحذت من عزماته وحرابه
أبرأت أوجاع الجريح فلم يعد   يشكو بما قد ناء من أوصابه
وجعلت تسأل عن شهيد قد فدى   أرض السلام بروحه وشبابه
فى كل حصن آية أبدية   من صنع جيشك خطها بحرابه
ما أوقف الفولاذ أبطال الحمى   هم نسل (فرعون) ومن أصلابه

اليوزباشى جمال الدين حماد

المدرس بالمدرسة الحربية الملكية

الأدب والفن في أسبوع

الكاريكاتور في الأدب :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم في العدد الأخير من أخبار اليوم ، مقالا بعنوان « الجاحظ والكاريكاتور » قال فيه إنه كان يقرأ في كتاب « التربيع والتدوير » للجاحظ ، فخيل إليه أنه يصنع فناً طريفاً في زمانه دون أن يدري ، وأتى بوصف الجاحظ لرجل يعرفه جسم فيه عيوبه تجسيما « كاريكاتوريا » بالنثر ، وأتى ببيتين لابن الرومي من هـذا اللون الكاريكاتوري ، ثم قال : « وهكذا زاول العرب فن الكاريكاتور شعراً ونثراً . . حيث لم تتح لهم الظروف أن يزاولوه رسماً ونقشاً . . كل شيء خطر على بال عبقريتهم . وإنهم ليعوضون دائماً ما يفوتهم في جانب بالإجادة في جانب آخر . . قانون التعويض الطبيعي كان رائدهم الخفي في حضارتهم .:. حضارة كاملة شاملة أبى الغرب الظالم المجحف أن ينظر إليها بعين التقدير والتوقير » .

ويذكر قراء الرسالة ما كتبته عن محاضرة الأستاذ كامل كيلاني « الكاريكاتور في الأدب العربي » التي ألقـاها بدار الاتحاد النسائي منذ شهور ، ثم محاضرته « الكاريكاتور في شعر ابن الرومي » التي ألقاها بعد ذلك في كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية . وأذكر أنه أفضى إليّ عقب المحاضرة الأولى بقوله : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربي بالمغالاة ، وهذا هو نوع من المغالاة تراه مطابقـاً في التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

فمن الإنصاف وتسجيل الحقائق أن يذكر سبق الأستاذ كامل كيلاني في هذا المجال .

أسماؤنا والنحو :

حضرت يوم الخميس الماضي مناقشة رسالة بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، قدمها طالب من قسم اللغة العربية بالكلية للحصول على درجة « الماجستير » .

ومن طريف المآخذ التي وجهت إلى الرسـالة ، أن الأستاذ مصطفى السقا أحد أعضاء لجنة المناقشة طلب من مقدم الرسالة أن يعرب تركيباً ورد فيها أوله « إن الأستاذ أمين الخولي ... » ويقصد الأستاذ كلمة « أمين » يريدها منصوبة منونة مرسومة بالألف ...

ويذكرني هـذا باعتراض وجهه معقب لغوي منذ سنين بجريدة الأهرام إلى المرحوم الشيخ حسين والي ، لأنه كتب مقالا وقعه باسمه هكذا « حسين والي » وكان عليه — كما رأى المعقب اللغوي — أن يكتب « وال » دون ياء .

ولو تنبـه مقدم الرسالة إلى اسم الأستاذ مصطفى السقا لاعترض عليه — جزاء وفاقا — لقصر الممدود فيه وهو « السقاء » من غير ضرورة .

تصور أننا تعقبنا كل أسمائنا المصرية بمثل ذلك ، وخاصة خلوها من كلمة « ابن » ماعـدا « عبد الرحيم بن محمود » ! تصور فقط ...

السجل الثقافي :

يعلم قراء الرسالة أن وزارة المعارف أنشأت في العام الماضي إدارة التسجيل الثقافي لإخراج سجل ثقافي سنوي يحوي مظاهر النشاط الثقافي في عام .

والادارة الآن تعمل في إعداد أول عدد من السجل ، وهو الخاص بسنة ١٩٤٨ الحالية ، وقد أتمت قسما منه يشتمل على بيان النشاط الثقافي من أول السنة إلى آخر يونية المـاضي ، وتتخذ الإجراءات الآن لطبع هذا القسم ، على أن يكون في ضمن السجل العام الذي يصدر في أوائل سنة ١٩٤٩ عن سنة ١٩٤٨ كلها .

ويحتوي القسم المنجز على إحصاء للكتب المؤلفة والمترجمة في مصر سـنة ١٩٤٧ ، وبيانات وافية للتأليف والترجمة والصحافة ودور النشر والهيئات الثقافية والمحاضرات العـامة وأحاديث الإذاعة والمؤتمرات والمسرح والسينما ، وغير ذلك من الشئون الثقافية ، عن الفترة الماضية من السنة الحاضرة .

ويؤخذ من تلك البيانات أنه قد صدر بمصر في خمسة الشهور

الماضية ٢١٧ كتاباً مؤلفاً منها ٥٠ فى الأدب ، و ٤١ كتاباً مترجماً منها ١٩ فى الأدب . ورقم الأدب فى كل من التأليف والترجمة أكبر الأرقام .

بين قصيدتين :

أشرت فيما مضى إلى قصيدة الأستاذ على الجارم بك التى قالها أخيراً فى «فلسطين» وألقاها بالمذياع . وقد تناولت أحاديث المجالس هـذه القصيدة مشيرة إلى قصيدة شوقى المعروفة بالأندلسـية والتى مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

وذلك لاتحاد القصيدتين فى الوزن والقافية ، وفيما هو أكثر من الوزن والقافية ، ومن ذلك قول الجارم :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست ... جباهنا تربها إلا مصلينا

فقد قال شوقى فى أندلسيته :

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم ... ولا مفارقهم إلا مصلينا

الجامعة والمؤسسة :

صدر أخيراً قرار بتغيير اسم الجامعة الشعبية إلى « مؤسسة الثقافة الشعبية» ووجهت إدارتها العامة إلى مناطق التعليم المختلفة والمعاهد الثقافية الإقليمية كتاباً أشارت فيه إلى ضرورة مراعاة ذكر الاسم الجديد فى المكاتبات الرسمية بدلا من «الجامعة الشعبية»

وأنا لم أفهم حكمة هذا التغيير ، ولم أستسغ الاسم الجديد . لقد كان الاسم الأول عذبا مغريا ، فقد كان الطالب يقول إنه ذاهب أو آيب من الجامعة وهو معتز مسرور بالفرصة التى أتيحت له لإشباع رغبته فيما يميل إليه من أنواع الثقافة .

أما الآن فهو ذاهب إلى المؤسسة وعائد من المؤسسة وحدث كذا فى المؤسسة ! اسم ثقيل ولا معنى له ، لأن الشىء المؤسس هو الذى جعل له أساس وهو أصل البناء ، فكيف تصح هذه التسمية ؟ وعلى أى « أساس » تقوم ؟

وما عيب الاسم الأول وقد كان حسن اللفظ والدلالة ؟ يبدو أنهم ضنوا على « الشعبيين » أن يشركوا «الجامعيين» فى الاسم . أو لم تكن تكفى الصفة للتفريق ؟

العربية تصارع :

لاحظ أعضاء لجنة تقدير درجات اللغة العربية فى امتحان الشهادة الابتدائية بالدقهلية ، أن ظروف أوراق الإجابة التى ترد إليهم من لجنة مراقبة الامتحان تستخدم فى بياناتها الحروف والأرقام الإنجليزية لتمييز المجموعات ، كما أن الترقيم على أوراق الإجابة بهذه اللغة أيضاً ، وكذلك ترقيم بطاقات التلاميذ . وقد كتبوا بذلك إلى مراقب منطقة التعليم منبهين إلى أن هذا غير لائق وإلى وجوب تداركه فى المستقبل .

والواقع أن هذا التصرف عجيب ، فهو مخالف للرسميات التى تقضى باستعمال اللغة العربية ، وهو مناف للكرامة القومية ، وأنا أريد أن أسأل هؤلاء الذين تجرى أيديهم بالحروف والأرقام الإنجليزية دون العربية على الظروف والأوراق والبطاقات : هل يمكن أن يكتب انجليز على أوراق امتحاناتهم بالعربية ؟ والجواب لا قطعاً لأنهم يحترمون أنفسهم ويشعرون بذاتيتهم .

يظهر أننا لسنا محتاجين إلى الجلاء عن الأراضى فحسب ، بل نحن فى حاجة أيضاً إلى الجلاء عن بعض العقول !

ذكرى حافظ :

تقع فى هذا الأسبوع ذكرى شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فقد نعى فى الواحد والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ ، فهذه الذكرى هى السادسة عشرة . وقد جرينا على عدم الاهتمام بذكرى شعرائنا وأدبائنا ، ومن نهتم به منهم لا نحتفى بذكراه الاحتفاء اللائق .

ولم يبد إلى الآن ما يدل على الاهتمام بذكرى حافظ ؛ وقد كانت محطة الإذاعة تحيى ذكراه بأن «يفرد» أحد مذيعيها بعض أشعاره ... ولكنها فى هذا العام نسيته نسياناً تاما .

حافظ وشوقى :

وقد أخرج – فى هذه المناسبة – الأستاذ حسن كامل الصيرفى كتابه «حافظ وشوقى» الذى درس فيه الشاعرين دراسة مقارنة فصل فيها القول فى النواحى التى اشتركا فيها أو تقاربت صورة المشاركة ، فتحدث عن ديباجة الشاعرين ، وثقافتهما ، وشعرهما السياسى ، والطبيعة فى شعرهما ، والمرأة وأثرها فى كل منهما ؛

وصدى الحوادث عند الشاعرين ، كحادثة دنشواى ، ووداع كرومر ، ووفاة مصطفى كامل ؛ وأثر التاريخ المصرى القديم والتاريخ الإسلامى فى شعر كل منهما ، وما إلى ذلك من الموضوعات التى طرقها الشاعران .

أكاديمية العلوم التاريخية :

تلقت وزارة المعارف من رئيس مكتب البعثات المصرية بلندن ، نص الكتاب الذى أرسله إليه رئيس لجنة المراجع فى أكاديمية العلوم التاريخية ، وفيما يلى ترجمة هذا الكتاب :

فى الجلسة الأخيرة للجنة المراجع التى عقدت بباريس تحت إشراف اليونسكو ، اتجهت الرغبة إلى أن تحوى نشراتنا قائمة موجزة أو بياناً مفصلا للمخطوطات العربية الموضوعة فى تاريخ العلوم . .

وقد طلب إلى أن أكتب إليكم لأسال عما إذا كانت حكومتكم ستوفد أحد الباحثين ليقوم بهذا العمل . وينبغى أن تعلموا أن قائمة المخطوطات الموضوعة فى تاريخ العلوم باللغة اللاتينية واليونانية فى بريطانيا العظمى وأيرلندا ، والتى كتبت قبل سنة ١٥٠٠ ، توجد الآن فى المتحف البريطانى تحت أيدى الطلاب، كما توجد أشرطة سينمائية لهذه القائمة فى معهد واربورج والمبنى الامبراطورى بلندن ومكتبة الكونجرس بواشنجتون

وليس من شك فى أنه لو استطاعت حكومتكم أن تتعاون فى هذا العمل الآخذ الآن فى الانتشار بالبلاد الأوربية الأخرى فإن المراجع العربية الموجودة فى مكتباتكم سوف تضم إلى الكثير من الكتب التى لا تعرف الآن إلا فى اللغة اللاتينية .

فلم فلسطين :

أنحيت باللائمة فى الأسبوع الماضى على السينمائين المصريين ، لأننا لم نشاهد إلى الآن بإحدى دور السينما مشاهد المجد العربى فى فلسطين على الشاشة البيضاء ويسرنى أن أذكر اليوم أن استديو مصر يعمل الآن فى إعداد فلم كبير تعرض فيه مناظر الحرب الفلسطينية، وكان قد أوفد بعض الفنانين إلى ميدان القتال لتسجيل هذه المناظر. وستكون حفلة العرض الأولى فى سينما استديو مصر يوم ٢٧ يوليو الحالى . وقدرت وزارة الشئون الاجتماعية ألا يقصر عرضه الأول على هذه الدار ، فتقرر عرضه فى ست دور للسينما بالقاهرة فى وقت واحد ، كما يعرض فى نفس الوقت ببعض المدن الأخرى ، وذلك لتتسنى مشاهدته لأكبر عدد ممكن من المصريين فى القطر كله .

من طرف المجالس :

حضر المجلس جزار بالقاهرة معروف بميله إلى غشيان مجالس الأدب والفن ، وجرت مناقشة أدبية أقحم نفسه فيها ، فقال له أحد الأصحاب :

— مالك وللأدب ... أما يكفيك اللحم والكبد والطحال ؟

فأجابه على الفور :

— ألا تعلم أن هذه هي المعلقات ؟

تعريف للفلسفة :

عرف الفلسفة كاتب ساخر بقوله :

الفلسفة هى البحث ليلا عن قط فى حجرة مظلمة ولا قط فى الحجرة .

العباس

رسالة النقد

أين المفر

تأليف الأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأستاذ أنور المعداوى

شاعر ... كلمة أقولها بكل ما يحويه مدلولها من معان يدخل فيها الطبع ، والموهبة ، وسعة الأفق ، وقدرة الجناحين على التحليق ؛ أقولها أنا عن صاحب هذا الديوان حين يطلقها غيرى على كل ناظم ، وكل ناحت ، وكل مصنوع .

قرأت له أكثر ما قال من شعر إن لم يكن كل ما قال ، وفى هذه الفترة الطويلة بين إنتاجه الأول وإنتاجه الأخير لم يتغير رأيى فيه .. لقد ظل على مستواه من الشاعرية التى صقلها الطبع وشحذها التأمل ، وغذاها الخيال . ونحن حين نقرر هذا كله ، نقرره بميزان الوعى الفنى ؛ الوعى الذى تمينه مقاييس الذوق والفن على تحديد الأوضاع والقيم .

ولا بد من وقفة قصيرة عند تلك الكلمة التى قدم بها الشاعر لديوانه ، وعرض فيها للشعر العربى الحديث فى شتى فنونه وألوانه وكيف تعددت هذه الفنون والألوان على أيدى أصحابها من الناظمين والشعراء .

وكيف تباينت مصائرها تبعاً لما ينال المعادن الشعرية من زيف فى الفن أو أصالة ؛ وقفة قصيرة لأقول للشاعر إننى كنت أود ألا تظهر تلك الكلمة كمقدمة لديوانه ، حتى لا يتهمه النقاد بأنه ، ما كتبها إلا تزكية لشعره وانتصافاً لنفسه ... على الأستاذ محمود حسن اسماعيل أن يقدم لنا شعره لنحكم له أو عليه ، ولا يحق له بعد ذلك أن يقيم الميزان لنفسه ولغيره فى الوقت الذى يقدم فيه إلى النقاد عملا من أعماله الفنية !

هذه لفتة أسجلها قبل أن أمضى فى عرض شعره ، وقبل أن أقول إننا نعانى تخمة فى الشعر وأزمة فى الشعور ... إن نظرة واحدة إلى ما تخرجه المطبعة من دواوين الشعر فى هذه الأيام ، تنتهى بك إلى الإيمان بهذا الحكم ؛ الإيمان به كحقيقة ملموسة ، ونظرة فيها التذوق والتمعن تسلمك إلى حقيقة أخرى هى أنك لو رحت تبحث وسط هذه التخمة الشعرية عن آثار أدبية ترضى الفن حين تحفل بصدق الشعور ، لما وجدت غير ثلاثة دواوين هى « أين المفر » لمحمود حسن اسماعيل و « طفولة نهر » لنزار قبانى و « الشروق » لحسن كامل الصيرفى ؛ ونظرة فيها التأمل والنفاذ تقنعك بأن أزمة الشعور عند الكثرة الغالبة من شعرائنا مرجعها إلى أن التجربة النفسية قد تمر بهم فكأنما تمر بفراغ موحش لاتلتقى فيه إلا مجموعة حواس معطلة ، لا تستجيب لأحداث النفس والحياة .

أترك هذا لأسجل ظاهرة تلفت الحس الفنى عند قارىء هذا الديوان ، أقصد القارىء المتذوق لا القارىء المجلان ... وهى ظاهرة تتركز فى الحركة النفسية التى تشيع فى الكثير الغالب من قصائده ؛ هذه الحركة النفسية هى « المرصد » الذى يتلقى « الهزات » الشعورية من هنا وهناك ثم « يسجلها » فى بيت من الشعر أو أبيات ... هذه الهزات متفرقة ثم متجمعة تنصهر فى بوتقة الوجدان النابض لتضع بين يدى الناقد نموذجاً كاملا للشاعر الإنسانى ...

محمود حسن اسماعيل فى « أين المفر » مثال صادق لهذا الشاعر ، ولست أجد فى وصف فنه خيراً من تلك الكلمات التى قلتها من قبل عن الفن الإنسانى ، وهو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور ، وأن يكون الشعور مرآة تلتقى على صفحتها النفس الإنسانية فى صورتها الخالدة بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التى تتمثل فى ذلك التجاوب الروحى بين الفن وصاحبه ، وبين الفن ومتذوقه ، وبين الفن والإنسانية بكل ما فيها من اختلاف الصور والألوان .

الشاعر الإنسانى هنا يقف من وراء هذه الأبيات ، وإن شئت فقل من وراء هذه الأنات ... فى « أغانى الرق » :

ألقيتنى بين شباك العـذاب   وقلت لى فن

وكل ما يشجى حنين الرباب ضيعته منى
وهذا جناحى صارخ لا يجاب فى ظلمة السجن
ونشوتى صارت بقايا سراب فى حانة الجن

أواه يا فنى
لو لم أعش كالناس فوق التراب !

جملت زادى من عويل الرياح وغربة الطير
ومن أسى الليل وجد الصباح وشهقة النهر
وسقتنى ظمآن بين البطاح إلا من السحر
وقلت لى رفرف بهذا الجناح واشرب من السر

والسر فى صدرى
قيدت ساقيه بتلك الجراح !

هذه كلمات شاعر ينظر إلى الحياة من خلال « عدسة » فكرية مكبرة ، تكشف الطريق إلى كل خفى من شعاب النفس ، وكل تمريجة فى منعطف الشعور هى كلمات فنان وإن شئت فقل كلمات إنسان ؛ واستمع مرة أخرى لخفقة من خفقات القلب الإنسانى ، فى لحظة من تلك اللحظات التى تمر لكل نفس ألهبتها سياط العذاب ، وألهمتها فلسفة الحرمان ... هناك فى « مقابر السحر » :

وهفا بالنفس ما يهفو بغصن فى يد الإعصار يعول
ثم قالت كيف عن دمى ومنك الدمع يا حيران تسأل ؟
إن أكن فيك سكنت الجسم والجسم تراب يتنقل
فأنا طير بعرش الله لى عش ، وبستان ، وجدول
إنما أبكى لهذا القفص الداجى الكئيب المتململ
لم يجد أى عزاء فى وجودى ... كيف يغدو حين أرحل ؟!

ولما طال المسير بشاعر الإنسانية ، آمنت دموعه وكفر جفنه ، ومن التقاء الكفر بالإيمان انبعث الهتاف الملتاع ، وانطلقت الزفرة المحرقة ، فى طريقهما إلى الله .. هناك فى «التراب الحائر»

رباه ! ما أنا ؟ ... هل وجدت على زمان الناس سهواً !
سويتنى روحاً تمرد ، لا يطيق الأرض مثوى
وأنا التراب ! فكيف صرت هوى وتعذيباً وشجوا !
شرفات غيبك لا يتحن لغير من يبكى دنوا
وأنا إليك ذرفت أيامى فزاد دمى عتوا

ووقفت أحفر للجراح طريقها ... فتمود شدوا !

ونقلة أخرى تقف بنا عند ظاهرة أخرى لا تقل عن الأولى استئثاراً باهتمام الناقد ولا إثارة لملكته الناقدة ، ونعنى بها ظاهرة الرمزية فى شعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل ... هذه الرمزية هى التى تدفع بعض الناس إلى وصف شعره بغموض العبارة حيناً وجموح الخيال حيناً آخر ؛ والحقيقة التى نقررها أنه لا غموض هناك ولا جموح ، وإنما هو عجز المجالى عن التحقيق فى أفق الشاعر ، وقصور إحساستهم عن التجاوب والجو النفسى الذى عاش فيه ، ذلك لأن الرمزية هنا تأتى مطبوعة لا مصنوعة ، وأصيلة لا مقصودة ... الرمزية المطبوعة هى أن يعبر الفنان عن طريق المنويات ، أما الرمزية المصنوعة فهى التعبير عن الماديات بما وراء المنويات ، وفى هذا اللون الأخير من الرمزية يكون السخف والدجل والتضليل !

الرمزية فى شعر هذا الشاعر تصدر عن منبعين أصيلين : التأمل العميق المنعكس من الحياة على النفس وهو ما يعبر عنه با « الاستبطان النفسى » ، وهذا هو المنبع الأول . . أما المنبع الثانى فهو « الفيض الشعورى » المنبعث من قوة الشخصية الشعرية أو رحابة الحقل الشعرى ؛ ومن هنا تطغى النهويمات الروحية التى تصبغ الشعر بصبغة الرمزية الأصيلة لا الرمزية المتكلفة ، تلك التى لا تهدف إلا إلى الغموض والإبهام ! استمع له يقول فى « العزلة » :

صلت بها عيدان لا تعرف الأديان
واستغفرت أغصان لكن بلا ذنب
خيلها حران ونبعها ظمآن
وصمتها ولهان شوقاً إلى الغيب
تفجرت أنهار فيها من الأسرار
يجرى بها إعصار فى عالى الرحب
وهذه أنفاس فى صمتها الوسواس
تدق كالأجراس فى معبد القلب
وهذه حيات تسمى من الساعات
كأنما الأوقات غاب نما قربى

هنا لون من الرمزية لا يعجزك فهم مراميه حين تلقاه بشىء

من الرويه وإمعان الفكر ... كل ما فى العزلة من خلجات النفس وخفقات القلب وهزات الشعور ، تلك الانعكاسات المادية المحسة قد عبر عنها فى هذه الأبيات بأشياء معنوية ؛ «فالعيدان المصلية» بلا دين ، و « الأغصان المستغفرة » بلا ذنب ، و « الأنهار المتفجرة » من الأسرار ، و «الأنفاس الصامتة» التى تدق كأجراس فى معبد القلب ، و « الحيات الساعية » من الساعات ، كل هذه المعنويات التى تنبع من العقل الباطن يمكنك أن تردها إلى وقع العزلة على العقل الواعى ؛ ذلك الميزان الشعورى الذى يسجل ما فى الوحدة من مظاهر الرهبة والصمت ، والرغبة فى اختراق حجب الغيب ، وبطء النقلة فى خطوات الزمن ، وامتلاء الجو بالأسرار ، واستجابة الوجدان لدعاء مجهول يوحى بالتعبد والصلاة ...

وبمثل هذا التطبيق ينجاب ذلك الغموض الذى يطالعك فى بعض قصائد الأستاذ محمود حسن اسماعيل حين تلقاه هنا أو تلقاه هناك .. فى « عرفت السر » و « نهر النسيان » و « الخريف » و « جلاد الظلال » هاتان ظاهرتان أو ناحيتان ؛ ويبقى أن نسجل ناحية أخرى لها وزنها عند الكلام عن الفن التصويرى فى الصياغة الشعرية ، هذه الناحية تتمثل فى الربط بين أجزاء الصورة الوصفية تتمثل فى الربط الشعورى كما تتمثل فى الربط التعبيرى ... ومن اتصال هذا بذاك ، ومن التوفيق فى اختيار الزوايا وتحديد النسب تكتمل الوحدة الفنية التى تخلق من الصورة الكاملة لوحة نابضة تتناسق فيها الجزئيات فى نطاق المدركات الحسية والنفسية ... هذه الظاهرة تستطيع أن تلمسها فى «الشك» و «نشيد الأغلال» و « خمر الزوال » و « المعبد المرجوم » و « الانتظار » ، وتعال نستمع له وهو يصف لحظة من لحظاته :

انتظر هنا ... وطال انتظارى   وهى فى أعينى التفات وذعر
وسؤال لكل شىء حوالى   وإماءة لكل طيف يمر
وانتباه ، وغفلة ، وربيع   وخريف ، وشيب زهر وعطر
وجناح يهفو ، وآخر يهتاج   ومن بين ما يرفان طير
وأنا سبسب توهج منه   لحظاها أيك رطيب وزهر
وهى لا أقبلت ولا عاد منها   لشقائى بعودة الكأس خمر

هذا هو الشاعر الإنسانى ، وشاعر الرمزية المطبوعة ، وشاعر الصورة الوصفية الكاملة ، فما هى الفجوات الشعرية التى يتعثر فيها الناقد ولا يستطيع المضى فى طريقه دون أن يشير إليها ؟ .

هى فجوات قليلة ولكنها تعترض سالك الطريق على كل حال ؛ يجدها فى غلبة اللفتات الذهنية حين تخمد الومضات الروحية .. هناك فى « اللحن المقهور » :

ليتنى كنت رياحا   تهتف الآباد منها
أنا أهواها ولكن   رغم أنى لم أكنها

أنظر إلى هذا التعبير النثرى فى قوله « رغم أنى » ... ألا تشعر هنا بشىء من الهبوط فى الإحساس بالجو الشعرى ؟ ! إن هذا التعبير فى رأيى يصلح لمقالة من المقالات لا لبيت من الأبيات

واستمع له مرة أخرى حين يقول فى « أغانى الرق » :

يا سارق القوت نزعت الحجاب   عن هذه اللقمة
ما كنت أدرى فتكها بالرقاب   أو أنها نقمة
والجوع إن صاح يصيح الخراب   وتصعق الأمة

ألا توافقنى على أن أفق الخيال فى البيتين الأول والثانى أفق شاعر ، وأنه فى البيت الثالث أفق ناثر ؟ ...

وأن القالب الشعرى فى قوله : « وتصعق الأمة » تصبغه صبغة الخطب المنبرية أكثر مما تصبغه صبغة التهويمات الروحية ؟

واستمع له مرة ثالثة حين يهتف فى « الرداء الأبيض » :

عشقت فيك الحزن والسوادا   وسمرة الخدين والحدادا
وجد ولا تحت الدجى تنادى   يا ساقى الحب أغث لى وجدى

وهنا أيضاً يصدمك هذا التعبير « أغث لى وجدى » ... إنه هتاف ينبعث من قريحة اعتراها الهمود بعد وهج التوقد وحرارة الانفعال !

وتأمل معى هذه الصورة الوصفية لوقدة القيظ ولفح الهجير :

وألسنة بيض لهن رطانة   يمثل لغاها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا   خياما على هذا البساط المضرم

إن الصورة هنا تبلغ القمة وتصل إلى مدى الأبداع ، ولكن كلمة « عفاريت » قد أفسدت ألوانها الزاهية !

هذه المآخذ التى تنتثر فى مواضع قليلة من « أين المفر » ، لا يمكن أن يخلو منها أثر من الآثار الفنية ...

وأعود فأقرر أن هذا الديوان يثب بالشعر العربى الحديث وثبات قل أن تجد لها مثيلا فى ديوان آخر .

أنور المعداوى



حكم سليمان :

إلى صديقي الأستاذ العقاد المحترم

فى التوراة مطارق كثيرة لتكسير جماجم الصهيونيين الأنذال فى الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول قصة فحواها أن امرأتين وقفتا بين يدى الملك سليمان تتنازعان طفلا. فقالت الأولى إنى وهذه المرأة نسكن فى بيت واحد ، وقد ولدت كل منا ولداً ، وفى هذا الصباح صحوت فإذا الطفل الذى على ذراعى ميت ، وإذا هو ابن هذه المرأة ، ورأيت ابنى على ذراعها . وإنما الطفل ابنها مات لأنها اضجعت عليه . وقامت وسرقت ابنى وادعته لنفسها ، فالطفل الميت هو طفلها ، والحى طفلى . وأنكرت المرأة الأخرى هذا الكلام وقالت بل الحى هو طفلى .

فقال الملك سليمان أيتونى بسيف . فأتوه بسيف . فقال : اشطروا هذا الطفل شطرين واعطوا كلا من المرأتين شطراً .

فصاحت الأولى : رحماك يا سيدى الملك ! لا تشطروه ! اعطوه كله لها . وقالت الأخرى : بل أشطره واعطونى نصفه ! فقال سليمان الملك : اعطوه للأولى فهى أمه .

فلما سمع جميع إسرائيل بهذا الحكم خافوا سليمان ، لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم

فأين سليمان يحكم بقضية فلسطين ؟ !

هيئة الأمم قطيع غنم رعاه ذئاب !

ومجلس الأمن جمعية لصوص متآمرين !

فما بقى إلا محكمة العدل فى لاهاى ... فهل فيها سليمان ؟

أجل ، فيها البدوى باشا رئيسها ، وهو مصرى عربى .

ولكن ، ألا تنبت هناك رؤوس أفاعى الصهيونية ؟ أو عبيد الصهيونية مثل ترومان ؟ !

قضية فلسطين أوضح من قضية المرأتين المتنازعتى الطفل !

الصهيونيون يقولون : اشطروا فلسطين شطرين : لنا شطر وللعرب شطر ! ! !

والعرب يقولون : لا تشطروها هى لسكانها المقيمين فيها ..

عرب ويهود على السواء !

فأين سليمان يحكم ؟ هل يتقمص فى برنادوت ؟ ! !

نقولا الحداد

فى محيط النحو :

جرى النحاة على اعتبار كلمة (أشياء) ممنوعة من الصرف ، والتمسوا لذلك الحكم عللا غريبة ؛ فمنهم من اعتبرها اسماً مفرداً منتهياً بالألف الممدودة ليبرر منعها من الصرف ؛ وهذا غريب جداً ، لأن قصد الجمع واضح كل الوضوح فى هذه الكلمة . ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيئاء) ؛ ومنهم من تعسف فادعى أنها جمع (شيء) على وزن (سيء) وقال إنها فى الأصل (أشيئاء) على وزن (أدعياء) ثم حصل فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل لعرضه على القارئين .

والذى استطعت أن أهتدى إليه بعد روية وتأمل أن الكلمة جمع (شيء) ووزنها (أفعال) ومثالها جمع (فيء) وهو (أفياء) وحقها أن تكون مصروفة كما صرفت (أفياء) وأمثالها ولا حجة لمن منعها الصرف بورودها غير منونة فى الشعر ، لأن الضرورة الشعرية تبيح صرف الممنوع والعكس ؛ ولكنهم وجدوها فى القرآن الكريم فى سورة المائدة غير منونة ، فقد جاءت فى قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم) ويخيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلل التى أوردوها ولكنه نتيجة القاعدة العامة التى اتفق عليها النحاة وهى جواز صرف منع الصرف وصرف الممنوع للتناسب والضرورة ، وما التناسب إلا مراعاة الانسجام فى جرس الكلمات وائتلاف النغم بين أجزائها ؛ ولذلك قرىء فى المتواتر (سلاسلا وأغلالاً وسعيراً) وكلمة (سلاسل) ممنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع ، ولكنها صرفت لتنسجم مع (أغلالا وسعيراً) وقرىء (ولا يغوثا ويعوقا ونسراً) و (يغوث ويعوق) ممنوعان من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ولكنهما صرفا فى هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسها مع (نسراً) وكذلك (كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديراً) . فإن قوارير الأولى نونت **لتناسب فواصل الآيات .**



المجنـــونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

للأديب جمال الدين الحجازي

قال المسيو دندلين لأصدقائه وهو ينفث دخان سيجارته في بيت البارون راقوت شاتو : « سأقص عليكم أيها الرفاق قصة مخيفة وقعت حوادثها في الحرب البروسية الفرنسية » إنكم تعرفون البيت الذي كنت أسكنه في « فابورج دي كورميل » كانت جارتي هناك امرأة مجنونة لطيفة ! وقد فقدت شعورها أثر نكبات شديدة نزلت بها ، ففي العقد الثالث من عمرها توفي والدها وزوجها وطفلها الذي ولد حديثاً توفي جميع هؤلاء خلال شهر واحد ! وكأن الموت استطاب الرجوع إلى بيتها لاختطاف جميع أفراد عائلتها دون إعطاء مهلة كافية ! فتغلبت عليها الأحزان ، وانتابتها الأزمات الشديدة ، ومكثت في فراشها ستة أسابيع في هذيان دائم كانت خلالها لا تأكل شيئاً إلا مايسد رمقها ، ومكثت في فراشها لا تقوى على الحركة وما أن أبصرها البروسيون حتى تملكتهم الحيرة وحاولوا مراراً إنهاضها من فراشها ، فكانت تصرخ في وجوههم وقد ظنت بأنهم سيقتلونها ، فلم يجدوا بداً من تركها في فراشها إلا أنهم أخرجوها أخيراً من البيت لإزالة ما علق على جسمها من الأوساخ ولتغيير ملابسها الكتانية . ومكثت بجانبها خادمة صغيرة لإعطائها بعض ما تحتاجه من طعام من وقت لآخر .

تُرى ما هي الأحداث التي ألمت بتلك المرأة حتى أصابها الجنون واليأس من الحياة ؟ ذلك ما لم يدرك كنهه أحد ، أتراها كانت تحلم بالموتى وتتراءى لها خيالاتهم ، أم أصبحت ذاكرتها ضعيفة واهية كالماء الراكد الآسن ؟ لم يدر أحد ،

فالمحافظة على حسن الجرْس والانسجام من عادة العرب ، والقرآن الكريم نزل على رسول الله بلسان عربي فلم لا نقول إن كلمة (أشياء) لم تنون لظرف خاص في محيطها في الآية الكريمة إذ لو نونت لتوالى مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من الثقل الذي يأباه تآلف النغم في القرآن الكريم وهذا التآلف من أسرار الإعجاز ؛ فقرئت كلمة (أشياء) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضي وصلها ، وهذا يوجب تكرار لفظ (إنْ) مرتين متواليتين ، فمن أجل ذلك لم تنون (أشياء) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة (أفياء) في الوزن والإعراب .

محمود البشبيشي

المفتش بمنطقة الاسكندرية التعليمية

في اللغة :

في جريدة « البلاغ » سأل سائل الدكتور زكي مبارك فقال : أيقال : وكان القارب مقطوراً إلى المركب ، أم يقال : وكان القارب مقطوراً بالمركب ؟

وتفضل الدكتور بالإجابة ، فبين أن الزمخشري في أساسه يقول : إبل مقطورة .. وهي مقطور بعضها إلى بعض ، وقطر البعير إلى البعير » ثم أردف هذا برأيه فقال : وأنا أقول إن عبارة « القارب مقطور بالمركب » لها وجه صحيح . ونحن نرى بعيوننا أن القارب يشد إلى المركب بحبل غليظ .

وأقول : الصحيح قول الزمخشري لا رأى « الزكي » إذ لو سأل سائل : ما المقطور ؟ كان الجواب : القارب . ولو سأل : وما المقطور به . كان الجواب : الحبل الغليظ . والحال أن السائل إنما يسأل عن المركب وهو المقطور إليه لا المقطور به .

ولو أردنا التوفيق بين قولي الزمخشري والزكي اللغوي لكان الصواب هو « وكان القارب مقطوراً إلى المركب بحبل غليظ » وكفى الله اللغويين شر القتال ، وسوء المقال .. والسلام .

(الزيتون) **عدنان**

ومكثت خمسة عشر عاماً على هذه الحالة التعسة .

نشبت الحرب ، وفى أوائل شهر ديسمبر احتل الألمان كورميل وإنى لأذكر ذلك كأنه حصل البارحة كان الطقس بارداً بل متجمداً وكنت جالساً على كرسى لم أستطع الحركة ، عند ما سمعت صوت أقدامهم الثقيلة الخطوات المنتظمة الصفوف ، ورأيتهم من النافذة يمرون فى الشوارع وقد انتظموا فى صفوف كثيرة ، وبعدئذ أمر الضباط جنودهم بأن ينزلوا فى بيوت سكان البلدة فنزل فى بيتى سبعة عشر رجلا ، وكان من نصيب جارتى اثنا عشر ، وكان القائد من بينهم . وفى اليوم التالى وصلت الأنباء إلى الجنود الذين كانوا يقيمون فى بيت المرأة المجنونة بأنها مريضة ، إلا أنهم لم يقيموا وزناً لمرضها ولم يأبهوا له ، ولما سألوا عن سبب مرضها علموا أنها طريحة الفراش منذ خمسة عشر عاماً وذلك لتوالى النكبات التى نزلت بها والأحزان التى تغلبت عليها فأورثتها الأمراض ، إلا أنهم ولا ريب لم يقيموا لذلك وزناً ، واعتقدوا أن تلك المرأة متكبرة وأنها ملازمة فراشها لكى لا يقع بصرها عليهم ، أليسوا أعداء بلادها ، ذلك ما فكروا فيه.

أصر القائد على رؤيتها ولما وصل إلى غرفتها قال لها غاضباً : يجب أن تنهضى من فراشك وتنزلى إلينا « فلم تجبه ، فواصل القائد حديثه قائلا : إننى لا أحتمل هذه الغطرسة والكبرياء ، فإن لم تنهضى من فراشك فسأضطر إلى إنزالك بالقوة » ولكنها لم تجبه ولاذت بالصمت . وحينئذ رجع الضابط إلى غرفته وقد اشتد غضبه واتخذ من صمتها أداة لاستعمال الشدة معها .

وفى صبيحة اليوم التالى ، أرادت الخادم تغيير ملابس المجنونة ، إلا أن المجنونة بدأت تصرخ صراخاً عالياً وقاومت ذلك ما استطاعت ، وما أن سمع القائد ذلك الصراخ حتى ذهب إليها ، ولما رأته الخادم رمت نفسها على قدميه باكية وقالت له : إنها لا تستطيع النزول يا سيدى ، لا تستطيع ، أرجو أن تسامحها فهى مسكينة » .

ولما رأى القائد ذلك ، ضحك ضحكة خبيثة وألقى ببعض الأوامر إلى جنوده ، فأقبلوا وهم يحملون بين أيديهم فراشاً اتجهوا به نحو تلك المرأة المجنونة . اقترب أحد الجنود من فراشها وقال لها متهكما وهو يفرك يديه : سنرى الآن هل تخلعين ملابسك وتستبدلينها بثياب نظيفة وتسيرين فى نزهة قصيرة أم لا ! ثم سار الجنود فى غابة « اموفيل » وبعد ساعتين رجعوا وحدهم . لم يدر أحد ماذا حصل للمجنونة ولم يعثر لها على أثر ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وأين أخذوها ، لم يعلم بذلك أحد .

بدأ الثلج يتساقط ، وغطى السهول والغابات فجاءت الذئاب وهى تعوى واقتربت من بيوتنا ، مكثت مدة أفكر فى تلك المجنونة الضائعة ! وحاولت مراراً الاستعلام من السلطات البروسية عن مصيرها دون جدوى . ولما عاد الربيع انسحبت جيوش الاحتلال وبقى بيت المجنونة مغلقاً ، وكانت خادمتها قد توفيت فى الشتاء الماضى ! ولم يهتم بالحادث أحد سواى إذ كنت أفكر فى مصير تلك المرأة آناء الليل وأطراف النهار ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وهل هربت إلى الغابة ، أو عثر عليها أحد من الناس وأخذها إلى المستشفى رغماً عنها ، ولم أجد ما يزيل شكوكى ولكن المصادفات والمقادير تدخلت فى الأمر فأزالت هذه الشكوك ، إذ بينما كنت فى الغابة وكان الفصل خريفاً أصطاد بعض الطيور الجارحة ، وقع أحدها جريحا فى حفرة مليئة بالأغصان ولما نزلت إلى الحفرة لالتقاطه رأيت حطام جثة آدمى فى الحفرة ، يا إلهى ... ترى من يكون صاحبها ، وحينئذ تذكرت حالا تلك المرأة المجنونة ، قد يكون كثير من الناس ماتوا فى الغابة أثناء النكبات التى حلت بهم فى تلك السنة ، ولكننى لا أدرى لماذا كنت متأكداً ، بل متأكداً جداً بأننى أرى رأس تلك المجنونة وأن هذه الجثة جثتها !

وعرفت بعدئذ أن الجنود قد تركوها فى هذه الغابة ، وأنها نظراً لتمسكها بعبادتها التى أخلصت لها لم تعبأ بموتها فى تلك الغابة الموحشة ، لقد مزقتها الذئاب وبنت الطيور أعشاشها من بقايا فراشها الصوفى الممزق !

ولما رأيت هذه المناظر البشعة المحزنة كدت أبكى من شدة تأثرى ودعوت الله مخلصاً أن يبعد شبح الحرب عن أولادنا ، فلا يرونه أبدا .

(القدس) **جمال الدين الحجازي**

الندوة الأدبية

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٧ — الاثنين ٢ اغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 787

Lundi — 2 — 8 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٨٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدب المقـــالة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشر الكاتب المطبوع الدكتور زكى نجيب محمود جملة من مقالاته في مجموعة سماها باسم إحدى هذه المقالات ، وهى « جنة العبيط » .

ولو شاء الكاتب المطبوع لسماها « جهنم الحصيف » ، ولم يكن فى تسميته خطأ ولا خروج عن صدق الدلالة ؛ لأن هذه المقالات فى جملتها تدل على هذه « الجهنم » التى يعانيها الحصيف فى حياته ، فيترجم عذابها وآهاتها فى أسلوب يلوح للقارئ كأنه غير أسلوب العذاب والآهات ، وهو منه فى الصميم . وذاك هو أسلوب السخرية والمزاح .

لا جرم جعل الدكتور زكى شرط المقالة أن يكون الأديب ناقماً ، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل . فإن التمست فى مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع الناس فلم تجدها ، وإن افتقدت فى مقالة الأديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه ، فاعلم أن المقالة ليست من الأدب الرفيع فى كثير أو قليل ، مهما تكن بارعة الأسلوب رائعة الفكرة . وإن شئت فاقرأ لرب المقالة الإنجليزية أدسن ما كتب ، فلن تجده إلا مازجاً سخطه بفكاهته ، فكان ذلك أفعل أدوات الإصلاح » .

وإذا كانت المقالة كذلك فسم أدب المقالة جنة العبيط أو جهنم الحصيف ، فأنت على صواب .

ولكننا نريد أن نقول إن « المقالة » أنواع وليست بنوع واحد ، وإن اسمها فى العربية لا يحصرها فى هذا الغرض الذى أحب الأستاذ أن يقصرها عليه ، ونريد أن نتفاهم على اسم يطابق المقالة كما يعرفها فى مقدمة هذه المجموعة على التخصيص .

يقول الأستاذ : إن المقالة يشترط فيها « أن تكون على غير نسق من المنطق : أن تكون أقرب إلى قطعة مشعثة من الأحراش الحوشية ، منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة » ... ويقتبس رأى جونسون الذى يرى : « أنها نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام » ... قطعة لا تجرى على نسق معلوم ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها ، وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شىء » .

ومما لا خلاف عليه أن هذا التعريف يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة ، ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية ، ولا يصدق على جميع الفصول التى تكتب فى حيز المقالة المستقلة .

فالكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوربية يوشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة . فكلمة « Essay » وكلمة « Sketch » وكلمة « Treatise » بل كلمة « Study » ، وهى

تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإيجاز ، وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير ، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها ، أو النموذج الذى يصب التمثال على مثاله ، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط . كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية ، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الإتقان ، كما فعل الفيلسوف مونتانى أبو المقالة الأوربية ، حين سمى فصوله بالمحاولات ، لأنه يراها دون ما ينتظر من مثله من التحقيق والاستيفاء ، لا لأنه يحقق بها شروطاً يتقيد بها الكاتب ولا يجوز له أن يخرج عنها .

وكلمة article وهى أبعد قليلا من هذا الغرض ، تفيد معنى الفاصلة أو الجزء ، ويقابلها عندنا معنى « الفصل » الذى يستقل بموضوعه ، ولا يشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول .

لكن هـذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية .

فمقالات باكون وماكولى وأرنولد وسان بيف ليست كلها من هذا القبيل . بل مقالات « وليام هازليت » نفسه على مساهمته فى أدب المقالة كما يعرّفها الدكتور زكى نجيب ، لا تجرى كلها على هذا النسق ، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير .

ولا يخفى أن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً فى عدد الصفحات ، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز مقالة ، فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات .

لهذا نقول : إننا فى حاجة إلى اسم غير اسم المقالة للدلالة على نوع المقالات التى يعنيها الأستاذ نجيب .

فهل نسميها المجالة ؟ أو نسميها النبذة ؟ أو نسميها الأحدوثة ؟ أو نسميها الأملية ؟ أو نسميها المسامرة ؟

إن اسماً من هذه الأسماء أدل عليها من اسم المقالة على إطلاقه ، وقد عرفنا الأمالى والمسامرات والنبذ والمجالات فى الأدب العربى فرأينا فيها مسحة من أسلوب المقالة كما شاع بين الأوربيين فى العصر الحديث .

على أننى لا أدرى هل أقرظ « جنة العبيط » أو أنقدها حين أقول إنها تشتمل على مقالات لا تنطبق عليها الصفة التى قيد بها كاتبها موضوع المقالة الأدبية . ومنها مقالة « أعذب الشعر أصدقه » ، ومقاله « عن أدب المقالة » بعد المقدمة ... فإنهما بريئتان من فضيلة التشمث والخلو من النسق المنطقى وضابط التنظيم إن صح أنها فضائل مشروطة فى جميع المقالات .

إلا أن فيلسوفنا عدو الفلسفة قد استطاع أن يحرص على هـذه الفضائل وأن يتجنب المنطق والنظام فى بعض المقالات الأخرى فلم يخطئه التوفيق ، لأنه قد استطاع مع ذلك أن يقول شيئاً تلذ قراءته ويستجيش الذهن إلى التفكير .

قال فى مقال « النساء قوامات » :

« إذا عشت فى أمة هازلة حملك الناس محمل الهزل إن كنت جاداً ، وأخذوك مأخذ الجد إن كنت مازحاً »

ثم قال : « ولست أرى لك حيلة سوى أن تقسم لهم فى مستهل الحديث بالذى بسط لهم الأرض ورفع السماء أنك فيما تحدثهم به إنما قصدت إلى الجد ولم تقصد إلى المزاح » .

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إننى أعرف هذه الخصلة جد المعرفة ، لأننى كثيراً ما كنت من ضحاياها .

ومن ذلك أننى اقترحت مرة على مسمع من شيوخ عقلاء أن تعمد الحكومة إلى تجربة نافعة فى كفاح الشيوعية ، وهى إخراج الشيوعيين مرتين فى كل يوم « طابورا » واحداً يمر كل يوم فى حى من أحياء المدينة ، ليرى الناس بأعينهم أى « خلق مقلبة » هذه التى تريد أن تقلب العالم على من فيه .

فضحك الشيوخ العقلاء !

وكتبت ذلك من قبل ومن بعد ، فضحك القراء الألباء . مع أننى والله جاد فيما أقترح ، ولا أزال مصراً على هذا الاقتراح

أيرى صديقنا الدكتور نجيب أن هـذه مقدمة مطمئنة فى صدد الكلام على مقترحاته ؟

ليتمهل قليلا ... أقل من لحظة واحدة ، لأننى سأقول له على الأثر إننى أحسبه مازحاً فيما كتب ، وأحسبه محققاً لشرط

المقالة فى تمهيده ، ولن يثنينى عن هذا الحسبان قسم بباسط الأرض ورافع السماء ، ولا إنذار يلوّح به فى خاتمة أو ابتداء .

فالأستاذ نجيب يقترح أن تسلّم النساء زمام الأمور فى الأمة مائة سنة ليعلم الناس بعدها أنهن قوامات على الرجال .

ولا حاجة هنا إلى سؤال أكثر من السؤال عمن يعلق الجرس !

هل تتقدم النساء فيستولين على القوامة بأيديهن ؟ إن استطعن ذلك فلا حاجة إلى اقتراح ، وسيقمن بالأمر متى استطعنه مئات السنين وأبد الآبدين ، ولا ينزلن عنه بعد مهلة الاقتراح !

أم يعجزن عن ذاك ويكن مع هذا قادرات على القوامة ؟

لا منطق هنا ولا نظام ، ولكنه مزاح على شرط القال فى تمهيد « جنة المبيط » ... وحق باسط الأرض ورافع السماء !

وإنما أسوق هذا التعقيب لأخلص منه إلى نتيجة لا تجافى المنطق ولا النظام ، فأقول للأستاذ نجيب : اكتب على شرطك أو على غير شرطك ، ما دمت على الحالين تقول ما يطيب وتقول ما يصيب .

عباس محمود العقاد

أيهـــا العرب

اعلموا أن العالم كله يحاربكم

للأستاذ نقولا الحداد

أشرف لكم أن تشرب الأرض دماءكم من أن تنزف نزفاً بطيئاً بين براثن الصهيونية .

رأينا أن الدول فى لايك سكسس ترجمنا بالحجارة كلما بُسطت قضيتنا فى مجلس الأمن أو هيئة الأمم . ونحن نتمرمر من أن هذه الدول عميت عيونها عن حقنا فى حين أن حقنا ناصع كالشمس رأد الضحى فى هذه الاجتماعات الدولية . وكلما شددنا أنفسنا قلنا « سننتصر لأن الحق معنا » .

لا يا سادتى . لا تعتمدوا على الحق . لأن الحق لا يكون سلاحاً ماضياً إلا فى عالم الأخيار حيث يتجلى الحق الإلهى فيسجد له الأبرار . وأما عالمنا هذا فهو عالم الأشرار حيث يتجلى الظلم والاستئثار . فلا تعتمدوا على سلاح الحق فهو سلاح الخيال ولا وجود إلا لحرفيه « ح . ق » . وما هذه الاجتماعات التى تعقد فى لايك سكسس إلا مؤتمرات شيطانية يعقدها أبالسة السياسة فيما هم يتقاسمون مغانم الحرب من دماء الأمم الصغيرة . والحمد لله إن الدول المتناهبة الغنائم غير متفقة فيما بينها وإلا سحقت جميع الأمم الصغيرة سحقاً فى بطونها الكبيرة .

فلا تعتمدوا يا سادتى على سلاح الحق . لا سلاح لكم إلا عزمكم وحزمكم وأنفتكم وحصافتكم ثم سواعدكم . فإن انتصرتم فزتم بكيانكم الشريف . وإن هلكتم سلمتم من مذلة العبودية لشياطين الصهيونية وبالها من مذلة أليمة وعبودية لجنس ليس من البشر وليس له رحمة ولا رأفة ولا إنسانية .

رأيتم أن مجمع المتآمرين فى لايك سكسس قد عرف واعترف أن الهدنة كانت فى مصلحة اليهود ، وأنه لم يحترمها إلا العرب . وقد ثبت أن اليهود غنموها فرصة لإدخال فريق من المهاجرين إليهم ولاستقبال أسلحة وطائرات ودبابات لم تكن موجودة عندهم ، والطائرات الضخمة التى غزت القاهرة بالأمس ما كانت إلا إحدى الطائرات التى دخلت تل أبيب فى شهر الهدنة . وظهر لكم جلياً أن الهدنة الثانية تقررت لأجل غير معين — أستبقى إلى أن تتوطد دولة إسرائيل المزيفة ولو طالت أشهراً وسنين ؟ وقد ظهر لكم أن برنادوت كان أخبث من صل وأروغ من ثعلب ؛ فكان يغض نظره عن اليهود فيما هم ينقضون الهدنة ساعة بعد ساعة ، وما وسعه إلا أن يقول إنى لم أذهب إلى فلسطين لكى أوطد حقاً أو أقيم عدلاً ، بل لكى أوفق بين فريقين مختلفين . ولكنه أخفق فى عمل هذه الأعجوبة ، لأنها أعجوبة مزج الظلمة بالنور . وما تورّع أن يطلب من مجلس الأمن ٢٥٠٠ جندى لكى ينفذ الهدنة بالقوة . وإن لم يكف هذا العدد طلب أيضاً عدداً مثله . ويظل يطلب إلى أن يصير عنده مائة ألف . أو يأتى أخيراً بقوات أمريكا وإنكلترا . وربما طلب أخيراً قنابل ذرية .

أفليست كل هذه التصرفات والاستعدادات لإقامة دولة صهيونية بالقوة القاهرة ؟ فإذاً ليست الهدنة هذه هدنة بالمعنى

الحقيق المفهوم ولا سيما أن أحد الفريقين لا يريدها ، وما طلبها إلا الفريق الذى رأى نفسه مغلوباً على أمره .

وما جرى فى لايك سكسس ليس كل ما تفعله الدول الكبرى اللئيمة ضد العرب . بل هناك مساع إبليسية لمنع بعض الدول الصديقة للعرب من مساعدتهم فى الحصول على سلاح .

فأولا : إن الدولتين الكبيرتين اللئيمتين تهددنا تركيا بأن تكفا عن مساعدتها مالياً إذا كانت تسهل للعرب الحصول على السلاح . ولكن هل يمكن إنكلترا وأمريكا أن تقطعا المساعدة المالية عن تركيا وهما قد رجتاها أن تقبل هذه المساعدة لكى تكون ترساً لهما ضد روسيا . فهل جنت هاتان الدولتان حتى تضيعا هذا الترس لأجل سواد عيون اليهوديات أو زرقتها ؟ لا نظن أن تركيا تخاف هذا التهديد .

ثانياً : تهددنا اليونان بأن تحملا بلادها أتون ثورات إلى أن تضمحل فيه إذا كانت تسهل للعرب الحصول على السلاح . ولكننا لا نحن ولا اليونان نصدق أن إنكلترا وأمريكا تتخليان عن اليونان لكى تقع فى إحبولة السوفيات .

ثالثاً : أغرتا فرنكو سيد أسبانيا أن تزيلا الجفاء الذى بينه وبين هيئة الأمم لكى تقبله الهيئة فى حظيرتها . هذا إذا كان لايساعد العرب فى الحصول على السلاح ، ولكن هل يعبأ فرنكو بوعدهما ، وهو لا يعبأ بهيئة الأمم أكثر مما أعبأ بمؤتمر الدول الخمس حين دعته هذه الدول لكى تفاوضه بشأن موقفه فهز كتفيه وقال لا أحضر مؤتمركم . فمن يريدنى فليأت إلىّ . لا ثقة لفرنكو بعدالة هذه الهيئة أكثر من ثقته بقوة جمعية الأمم المرحومة .

هذا بعض ما ظهر من لؤم الدولتين الكبيرتين فى مقاتلة مصلحة العرب وفى معاونة صهيون . زد على هذه المساعى الشريرة التى تسعاها الدولتان الكبريان ومن مالأهما فإنهما تهددانا بالعقوبات الاقتصادية . وهل إحداهما الأكثر نفاقاً تعلم أننا لا نعبأ بالعقوبات الاقتصادية لأن عندنا عقوبات لها أقوى منها . وتعلم أيضاً أننا نستغنى عن استيراد أى شىء من الخارج . فعندنا أرض تنتج الغلال ، وإن احتجنا إلى غذاء نأكل الحجارة . وعندنا قطن وصوف ومعامل لغزلها ونسجهما . وإن احتجنا إلى كساء ننسج من الخيش ملابس . وعندنا النفط والقطن وهم لا يستغنون عنهما . فواحدة باثنتين .

أيها العرب لا تيأسوا فلكم من الله ما يقيكم شر أولئك الأشرار . اصمدوا ولا تجبنوا ولا تحسبوا حساباً لتهديدهم لا تتكلوا على سلاح الحق لخصومكم لا يقيمون للحق وزناً ، ومجلس الأمن ليس محكمة لوضع الحق فى نصابه ، ولا هو ميزان العدالة .

إنى أكاد أنشق غيظاً حين أرى أعداءنا يقيمون بيننا يقاسموننا رزقنا ، ولهم النصيب الأوفر منه . وهم يكيدون لنا ويغدرون بنا . وكل يوم عندنا بينات على خبثهم وغدرهم ، ليس فى فلسطين فقط بل فى سائر البلاد العربية . وقد تمادى كيدهم حتى رموا القاهرة بقنابلهم .

كيف نسمح لألد أعدائنا أن يعيشوا بيننا ويغدرون بنا ونحن سكوت لا نتكلم ولا نعمل ؟ ! يجب طردهم ومصادرة أموالهم . فهم قوم لا إنسانية عندهم ولا رحمة ولا شفقة . لقد رأيتم ما كان من توحشهم فى دير يس وطبريا وغيرهما . فاعلموا أنكم سترون أضعافه إذا ثبت لهم قدم فى وسط البلاد العربية .

أما أنتم أيها الأمريكان المغفلون والإنكليز البلداء وأمثالكم فبعد عشرين سنة ستقولون: حقاً أننا عادينا العرب ظلماً وعدواناً. وستكرهون اليهود كما كرههم الألمان قبلكم . وسيقوم فيكم هتالرة يفعلون بهم أكثر مما فعله هتلر الألمان فيهم — غفرالله له !

نقولا الحداد

الاتجاهات الحديثة
في دراسة التاريخ

للدكتور جواد علي
سكرتير المجمع العلمي العراقي

تحتل نظرية التطور « Genetic » مكاناً بارزاً بين النظريات التاريخية ، وقد تقوى مركز هذه النظرية بعد تطور مفهوم التاريخ ، وظهور ما يسمى بفلسفة التاريخ . وقد ابتدع هذا الاصطلاح الفيلسوف الفرنسي الشهير « فولتير » « Voltaire » الذي كتب بحثاً طريفاً في عام ١٧٦٥ ، تناول فيه عادات ونفسيات الشعوب ، والحضارة البشرية بصورة عامة ، وفلسفة التاريخ الإنساني العام ، وجعل عنوان هذا البحث « la Philosophie de l ' histoire » أو « فلسفة التاريخ » ومنذ هذا العهد شاع هذا الاصطلاح حتى أصبح عنواناً لموضوع دراسة قائمة بحد ذاتها ، ومذهباً من مذاهب التاريخ .

وخلاصة نظرية فولتير أن التاريخ البشري عبارة عن كفاح مستمر نحو عالم أرقى وبشرية أسمى ، وتطور دائم نحو عالم أكمل ، أي أنه سار مع أصحاب نظرية التطور ، وساير المتفائلين على الرغم من روح التشاؤم التي عرف بها هذا الفيلسوف . وقد استخدم الفيلسوف الألماني « هيردر » « Herder » هذا الاصطلاح الذي أوجده فولتير في كتابه القيم الذي سماه « آراء في فلسفة التاريخ الإنساني » وشاع منذ هذا الحين بين الألمان ، ثم انتقل إلى سائر اللغات الأوربية الأخرى .

وشاعت « فلسفة التاريخ » في أوربا وحاول أصحاب هذه الدراسة وضع قواعد وأسس كالتي نراها في العلوم الطبيعية لتحويل التاريخ إلى علم مثل سائر العلوم ؛ حتى طغت على الطريقة المألوفة في كتابة التاريخ العام ، وظهر منهم من رأى وجوب إخضاع « التاريخ العام » لقواعد فلسفة التاريخ ، وتحويل « التاريخ » إلى فرع من فروع الفلسفة أو طريقة من طرق « علم النفس » بحيث نتمكن بواسطته من الإطلاع على النفس البشرية وروحية الإنسانية منذ عرفت إلى ما شاء الله . وقد وجدت هذه النظرية أنصاراً وأتباعاً في نهاية القرن التاسع عشر وكونت لها مدرسة كبرى كان من أساطينها الفيلسوف « ريكرت » « Rickert » و « سيمل » « Simmel » و « ترولش » « Troeltsch » و « دلتاي » « Dilthey » و « هايدكر » « Heidegger » وعلى رأس هؤلاء جميعاً الفيلسوف الكبير « ويندلبند » « Windeband » صاحب المؤلفات المعروفة في الفلسفة وفي فلسفة التاريخ .

والتاريخ في الواقع أهم العلوم التي تتأثر بالعواطف والميول الفردية والجماعية والسياسة العامة للدولة والشعوب ، ويمكن أن نقول إنه مرحلة تمهيدية للسياسة العملية ، ولذلك تحرص الحكومات بجميع أنواعها على الهيمنة عليه وعلى الطرق التي يدون بها هذا العلم ، ومن أهم الطرق المعروفة والتي دونت بها كتب التاريخ الطرق الآتية :

١ — الطريقة الثنائية الثيوقراطية في التاريخ ، وهي من أقدم الطرق الشائعة حتى اليوم في تدوين التاريخ . وهي الطريقة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية ، ولآباء الكنيسة منذ عهد القديس أوغسطين « ٣٥٤ — ٤٣٠ م » « Augustinus » منظم هذه النظرية وواضعها ، وقد سيطرت على عقول المؤرخين المسيحيين طيلة القرون الوسطى . ولا زالت تسيطر على عقول كتاب الكنيسة حتى اليوم .

والسبب في تسميتها « ثنائية » « Dual » أنها تصورت وجود مملكتين « مملكة الله » « Civitās dei » ومقرها السماء ، و« مملكة الشيطان » «Civitas terrena or diaboli» ومقرها العالم السفلي أو الأرضي ، ورئيسها « الشيطان » ، وهي دولة معادية للخالق وفي حرب مستمرة مع انصار الله . وقد تأسست هذه الدولة بسقوط لوسفر Lucifer من السماء إلى الأرض ، وكان « قابيل » « Kain » قاتل أخيه « هابيل » أول مواطن في هذه المملكة ؛ لأنه استجاب داعي « ابليس » فقتل أخاه ، وهو بهذا أول قاتل على وجه الأرض . وأما « هابيل » « Abél » المقتول فانه من مواطني مملكة الله . إذ غفر الله له الخطيئة التي ارتكبها آدم وشمله بعفوه ورحمته وأودعه مملكته في السماء .

ودولة « إبليس » على سطح الأرض قائمة ولا زالت تحاول بسط نفوذها على ممالك الكرة الأرضية ، وكانت أولى الدول التى استجابت نداءه دول آسية والقيصرية اليونانية — الرومانية . وقد تمكن إبليس بفضل أساليبه المرونة فى الإغراء والهيمنة على العقول من السيطرة على عقول حكام هذه الدول إلى أن ظهر « المسيح » الذى جاء لإنقاذ البشرية وإعادة مملكة الله على هذه الأرض ورفع « الخطيئة » عن أعناق البشر . فأبى أعداء الله إلا اجابة دعوة إبليس ، وقد انتقلت دعوة المسيح إلى الكنيسة فهى التى ترعاها وتدافع عنها وتسمى لتأسيس مملكة الله من جديد ونشر مبادىء الله بين المذنبين .

وقد قسمت هذه النظرية البشر أفراداً وجماعات إلى طائفتين : طائفة « أبناء الله » وهى التى آمنت بالله وعملت وفق أحكامه وأوامره وسمت لنشر مبادئه بين الأمم الأخرى ، وهى تحب الأمن والسلام وترجو العافية فى كل مكان وتبتغى حياة الاستقرار ونشر المحبة ، وطائفة « أبناء إبليس » أو « أبناء الشيطان » وهى التى استجابت لدعوة الشيطان وتحزبت له وتجندت فى صفوفه ، وهى قلقة مضطربة لايستقرلها قرار ، تريد نشر الفوضى والتخريب والنزاع فيما بين البشر وسفك الدماء ، شأنها فى ذلك شأن سيدها الشيطان الذى يحاول بكل ما عنده من حيل ووسائل ، العمل على تقويض « مملكة الله » ومساعدة أعمال « الدجال » « Antichrist » وتحبيذ فعله ومحاربة « الكنيسة » وتشجيع « الخطيئة » ؛ غير أن نجاحه هذا وقتى وستزول مملكته فى النهاية وينتصر جنود الله . وعندئذ يكمل التاريخ البشرى وتسود المحبة كل الشعوب ، وتنتفى الخطيئة وتشمل رحمة الله عباده المؤمنين .

فالغاية من هذا التطور التاريخى وفق هذه النظرية مرور البشرية فى هذه الأدوار الحرجة التى يكون فيها المؤمن كالقابض على جمرة النار فيمتحن الله فيهما عباده ، إلى أن تتداعى مملكة إبليس فيحصل « أبناء الله » على شرف « المواطنة فى مملكة الأب » ولا يتحقق هذا الهدف إلا إذا دان الإنسان بمبادىء الكنيسة ، واعتبر كل ما هو موجود على سطح الأرض زائلا لايدوم ، وإن الدوام لله ، وإن الأموال واسطة للقربى من مملكة الله ، فيجب التصرف فيها وفقاً لأوامره وللأحكام التى وضعتها الكنيسة ، يشمل ذلك الأفراد والجماعات .

وتسرى هذه الأحكام على الدول خاصة ، وعلى الحكام أمناء الله على العباد ، لأن وظائف الدولة هى وظائف عالية ، وبيدها مقدرات ملايين الناس ، وقد اختار الناس بمجرد حريتهم أمثال هذه المؤسسات الاجتماعية لخدمة مصالحهم وحقوق الله ، فلا يجوز للحاكم أن يحيد عنها ويتعمداها فتصبح الدولة دولة من الدول الممثلة لإرادة الشيطان ويكون الحاكم طاغية من الطغاة « Tyrao » فيحرم من حق المواطنة فى مملكة الله . وتصبح الدولة التى يديرها آلة من آلات الشيطان مسخرة لتنفيذ أحكامه . ولضمان التعاون مع « أبناء الله » وتنفيذ مبادئه يجب الأخذ بناصر الكنيسة ورجال الدين أولياء الله على هذه الأرض .

ومن هذه النظرية استمد البابوات سلطانهم وحاولوا فرض إرادتهم فى القرون الوسطى على الحكام الزمنيين ، باعتبار أنهم يمثلون السلطات الشرعية التى هى أرفع السلطات وأنهم ينفذون أوامر الله بين الناس ، وأن ذلك لا يعنى العبودية ولا الخضوع لإرادة الكنيسة التى لا تعرف الرق بل تعنى التسليم عن اختيار ، والإيمان المحض مع الشعور بما يترتب على ذلك من مسئوليات . وقد كانت هذه النظرية مصدر نزاع بين الحكام الذين كانوا يرون فى هذه العقيدة سبباً من أسباب التدخل فى الأمور الدنيوية التى يجب أن يبتعد عنها رجال الدين ، والتى تتنافى مع مبادىء الدين نفسه .

إن هذا التفسير للتطور التاريخى هو تفسير دينى ، وهو تفسير يتقارب فى الأفكار العامة مع تفاسير رجال الأديان وإن كان يتعارض مع التفاصيل ومن له مصدر هذه السلطات . ويتقارب « البروتستانت » فى التفسير التاريخى مع هؤلاء على الرغم من اختلافهم عن الكاثوليك فى سلطة « البابوات » ورجال الدين . وربما كانوا أقرب إلى نظرية « أوغسطين » من إخوانهم الكاثوليك .

وممن دافع عن هذه النظرية المؤرخ « بوسويه » « Bossuet » « ١٦٢٧ — ١٧٠٤م » فى كتبه التى ألفها فى التاريخ ؛ فعنده أيضاً أن نهاية التاريخ هى تحرر الإنسانية من « الخطيئة » وإقامة حكومة الله . وقد اعترف فى كتبه بوجود سلطتين فى العالم سلطة

الـكنيسة وسلطة الدولة ، وسلطة الـكنيســة بالطبع هي العليا لأنها تمثل مبادىء الله على هذه الأرض . وعالم آخر إيطالي هو « ويشو » « L Vico » « ١٦٦٨ — ١٧٤٤ م » وهو صاحب أبحاث قيمة في التاريخ ؛ وعنده أن تطور كل أمة يخطو خطوات ثلاثا « ثيوقراطية » و « مرحلة القوة والبطولة » و « المرحلة الإنسانية » . حيث تسود فيها قوانين الله وشريعة العقل ، ويسير الله في كل هذه المراحل وعند جميع الأمم هـذه الأدوار بحكمته وإرادته وربط فيما بينها ؛ ولذلك يسير التاريخ على الرغم مما نراه من استقلال ظاهرى متضامناً يؤثر بعضه في بعض ، والـكنيسة هي أعلى مؤسسة ثقافية ظهرت في التاريخ البشرى ، وسيكون النصر لها . وهنالك مؤسسات ثقافية أخرى ظهرت عند البشر هي الثقافة العبرانية واليونانية والرومانية وقد أزالتها الحضارة المسيحية سيدة الحضارات .

وقد صيغت هذه النظرية المسيحية للتاريخ في أسلوب واضح حديث عند بعض المؤرخين مثل دمستر« J . M . de maistre » « ١٧٥٤ — ١٨٢١ م » وهو إدارى وفيلسوف فرنسى ، وكان يمثل الـكاثوليـكية المحافظة في نظريته عن الدولة وأثناء ممارسته للسياسة . وكان يرى أن سـلطة البابوية فوق سلطات الملوك والحـكومات ، ويجب أن تـكون كذلك لأنها تمثل إرادة الله التي هي فوق كل إرادة ، والفيلسوف فون جورس J. J. Von göures ١٧٧٦ — ١٨٤٨ م ، وهو الـكاتب السياسى الذى أيقظ الروح الـكاثوليكية وصبغها بالصبغة « الرومانتيكية » ودعا وهو في بلاط الملك « ليدويك » ملك « بافاريا » إلى إرجاع السلطة المقدسة العليا إلى مكانتها السابقة وإلى الاعتراف بها على أنها أم مرجع يجب الركون إليه في حل المشكلات .

وقد اصطبغت هذه النظرية الدينية بصبغة « رومانتيـكية » صبغها بها الـكتاب الذين تأثروا بالمذهب « الرومانطيق » أمثال « فريدريك شـليكل » « Fr . Schlegel » « ١٧٣٢ — ١٨٢٩ م » في كتابه « فلسفة التاريخ » . وهو من كبار أصحاب المذهب « الرومانطيق في ألمانيا » وبالمس « Balmes » « ١٨١٠ — ١٨٤٨ م » والفيلسـوف البروتستانتي روشـول « Rocholl »و « كروب » « grupp » .

وكان من نتائج تقدم العلوم الطبيعية وشيوع الآراء العقلية التي تطرد كل ما لا يقبل التصديق عن العقل « Aufklärung - Philosoplis - » ولا تؤمن إلا بالتجربة وشيوع المذاهب المادية ومحاولة العلماء تطبيق القوانين والنتائج التجريبية « Empiri » حتى على العلوم العقلية البحتة . وقد قوت الثورة الفرنسية هـذه الحركة وساندتها نظرية داروين المعروفة وما أعقبها من آراء طبقت في التاريخ وفي علم الاجتماع وعلم النفس .

وكانت الطرق التاريخية المعروفة تعتمد إلى درجة كبيرة في سرد الحوادث على ذكر « الأفراد » الموهوبين الذين كانوا يصنعون التاريخ على حـد قول أكثر المؤرخين . وقد خالف القائلون بالمذهب المـادى في التاريخ هذا الرأى ، وأشادوا على العكس بفعل الجماهير وأثرها العظيم في تكوين الأفراد . وقد تولد من هذه النزعة المادية التي دخلت التاريخ ما يعرف بالمذهب المادى في التاريخ .

والفكرة المادية قديمة جداً في الواقع ؛ فهنالك أناسى نادوا بها في عالم اليونان مثل « Leucippus van Abdera » وكان من المعاصرين للفيلسوف « Anaxagoras » « ٥٠٠ قبل الميلاد » والذى كان من تلاميذه « ديمقريط » « Demokrit » . ومثل « أبيقور » الذى أرجع أصل كل شيء إلى المادة . وكان هنالك جماعة آخرون .

غير أن المسيحية وقفت هذه الحركة المادية ، وعرقلت انتشارها طيلة القرون الوسطى وما تلا ذلك إلى أن كتبت لها العودة ثانية في القرن الثامن عشر للميلاد ، فأخذت توجد لها أنصـاراً وأعواناً إلى أن شملت جماعة من أصحاب العلوم العقلية ، كالفلسفة والتاريخ ، وقد ظهرت في التاريخ على شكلين : شكل يقال له« المادية البيولوجية » « the Biological materialism » وشكل يقال له « المادية الاقتصادية » « the okonomicral materialism . » أو « المادية الاجتماعية » « Somialismus materialism . » وأحياناً « الديالـكتيكية المادية » .

(البقية في العدد القادم)

جواد علي

كتاب النوادر

لأبي عبد الله محمد بن الأعرابي

إملاء أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي

(مخطوط عالي نفيس)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

عثرت في خزانة الكتب الخالدية في بيت المقدس على الجزء الأول من كتاب [النوادر لابن الأعرابي] أما الجزء الثاني فمفقود وقد بحثنا عنه طويلاً فلم نعثر له على أثر . وقد أسرعت فكتبت إلى البروفسور روكلمان العالم الشهير في مدينة هال ، ووصفت له الكتاب ، فكان سروره عظيماً بهذا الخبر ، وقد أجابني قائلا إن الكتاب نادر الوجود على ما تعلم ، وحثني على دراسته وإخراجه لأنه من أنفس كتب الأدب وأجلها قدراً .

ومعلوم أن ابن الأعرابي عاش في القرنين الثاني والثالث وكان من كبار أئمة اللغة والمشتغلين فيها ، وعاصر كبار رجال عصره وأخذ عنهم ، وهو ربيب المفضل الضبي صاحب المفضليات .

ومما يزيد في قيمة هذا المخطوط النادر أن النسخة التي بين أيدينا هي من إملاء أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي (ثعلب)(١) وقد نسخت لخزانة صاحب الحبس أبي عبد الله السكناني من نسخة بخط أبي على الآمدي كتبها للوزير أبي الفضل بن الفرات(٢) من خط أبي موسى الحامض(٣) ، وعورضت بها ، وعارض بها الوزير نسخة بخط ابن الكوفي (١) وبخط ابن الحداد عن أبي العباس ثعلب . عن ابن الأعرابي ، وقد دونت هذه الزيادات في الحواشي ثم قرئت بعد ذلك على ابن خرزاز فصحت .

وصف المخطوط :

تقع المخطوطة في ٢٨٧ صفحة وهي مكتوبة على ورق صقيل جيد يميل إلى الصفرة ، وقد كتبت بالخط النسخي الواضح بالحبر الأسود . وقد شكلت حروفها وزيدت عليها زيادات في الحواشي بالحبر الأحمر ، فما كان عليه كاف فهو من نسخة ابن الكوفي وما كان عليه حاء فهو من نسخة ابن الحداد .

وطول الصفحة ٢١ سنتمتراً وعرضها ١٦ سنتمتراً وقد بدأت السوسة تأكل صفحاتها .

تاريخ النسخ :

نسخت هذه النسخة لخزانة صاحب الحبس أبي عبدالله إبراهيم ابن محمد بن حسين بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الحكم السكناني (٢) .

وقد انتقلت النسخة بعد ذلك إلى (أحمد بن محمد بن عبد الكريم) ثم (سلمان بن إبراهيم بن سلمان) وانتهت إلى وقف السيد أحمد الموقت القدسي المتوفى سنة ١١٧١هـ ، وكان للسيد المذكور خزانة كتب نفيسة ، وآلت في النهاية إلى خزانة الكتب الخالدية منذ أوائل هذا القرن .

ومما لا شك فيه أنها نسخة معتبرة لأنها نسخت عن نسخة بخط الآمدي كتبها للوزير ابن الفرات وهو قريب عهد بالمؤلف . كما أنها عورضت بنسخ أخرى معتبرة .

من هو ابن الأعرابي ؟

يصفه لنا ابن النديم في فهرسته ض ١٠٢ . وابن النديم من رجال القرن الرابع ألف كتابه العجيب سنة ٣٧٧ هـ وتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

---

(١) توفى أبو العباس ثعلب سنة ٢٩١ هـ وله من الكتب كتاب المصون في النحو ، وكتاب اختلاف النحويين الخ . وله مجالسات أملاها على أصحابه تحتوى على قطع من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع .
[الفهرست لابن النديم ص ١١٠] .

(٢) كان وزيراً للمقتدر العباسي ، ولما قتل الخليفة سنة ٣٢٠ ، استتر الوزير (الفخرى ص ٢٤٧)

(٣) من أصحاب ثعلب ، يوصف بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط وكان يورث وله من الكتب كتاب النبات وكتاب الوحوش الخ . (ابن النديم ص ١١٧) .

(١) أبو الحسن على بن محمد الأسدى عالم صحيح الخط راوية جماعة للكتب صادق في الحكاية منقر بحاث (ابن النديم ص ١١٧)

(٢) لم نستطع تعيين وفاته لبعدى عن جميع المصادر .

فيقول « إن أبا العباس ثعلب وهو تلميذه شاهد فى مجلس ابن الأعرابى وكان يحضره زهاء مئة إنسان ، فكان يسئل ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب ، وقد لزمه بضع عشرة سنة ، ولم ير فى يده كتاباً ! » .

ويقول إنه مات (بسر من رأى) وقد أملى على الناس ما يحمل على جمال . ولم ير أحد فى الشعر أغزر منه ، وقد قرأ على القاسم ابن معن(١) وسمع من المفضل(٢) وذكر أنه ربيبه وكانت أمه زوجة المفضل وإنه ولد سنة ١٥٠ هـ وهى الليلة التى مات بها أبو حنيفة ومات ٢٣١ هـ . ثم ذكر كتبه على ما سيأتى فى آخر المقال ...

أما عبد الرحمن بن محمد الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ صاحب نزهة الألباء فى طبقات الأدباء (ص ٢٠٧ — ٢١٣) فقد قال إنه كان مولى لبنى هاشم ، وإنه من أكابر أئمة اللغة ، وإنه أخذ عن الكسائى(٣) كتاب النوادر وعن أبي معاوية الضرير(٤) ، وأخذ عن ابن ثعلب أحمد بن يحيى وهو الذى أملى هذا الكتاب .

وإذا أخذنا بقول الأنبارى ، جاز أن تكون هذه النوادر للكسائى أخذها عنه تلميذه ابن الأعرابى ولا بد من مقابلة هذه النوادر بنوادر الكسائى فى كتبه الثلاث لتصح هذه النظرية .

وفى رأى ابن الشعرانى أن سفيان الثورى كان رأساً فى الحديث وأبو حنيفة فى القياس والكسائى فى القرآن وابن الأعرابى فى كلام العرب .

أما ياقوت فى معجم أدبائه . فقد ذكره فى صدد ترجمة أبى سعيد الضرير (ص ١١٨) فقال إنه أقام بنيسابور وأملى بها المعانى والنوادر ولقى ابن الأعرابى ، وفى (ص ١١٩) يقول إنه صحب بالعراق أبا عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابى وأخذ عنه .

---

(١) أخذ عنه ابن الأعرابى ، ولاه المهدى القضاء كان من أشد الناس افتناناً بالآداب كلها كان من جلساء أبي حنيفة توفى أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ . (ابن النديم ١٠٣) .

(٢) أبو العباس من بنى ثعلبة ، عمل الأشعار المختاره المسماة المفضليات للمهدى ؛ رواه عن ربيبه ابن الأعرابى . (فهرست ١٠٢) .

(٣) النحوى على بن حمزة بن عبد الله الكوفى توفى سنة ١٧٩ هـ ابن النديم ص ٤٤ . وفى ص ٩٨ . يقول إنه توفى سنة ١٩٧ هـ . وله من الكتب النوادر الكبير ، كتاب النوادر الأوسط ، النوادر الأصغر

(٤) هشام بن معاوية الضرير ويكنى أبا عبد الله صاحب الكسائى له كتاب المختصر وكتاب القياس (ابن النديم ص ١٠٤)

وأما ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ فقد ترجمه فى (ص٤٩٢) وقال إنه من موالى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ، وقيل من موالى بنى شيبان وقيل غير ذلك والأول أصح .

وابن خلكان يكشف لنا عن جنسيته فيقول إن أباه زيادا كان عبداً سندياً ، وإن ابن الأعرابى كان أحول ، وكان راوية لأشعار القبائل .

ويقول إنه لم يكن فى الكوفيين أشبه برواية البصريين منه .

ثم يذكر لنا علاقته بالمفضل الضبى ، وأسماء بعض أساتذته مما مر ذكره ، ويقول إن من تلاميذه ، أبا العباس ثعلب وابن السكيت(١) . وقد ناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة وكان رأساً فى الكلام الغريب .

وكان يزعم أن أبا عبيدة(٢) والأصمعى(٣) لا يحسنان شيئاً .

وكان يقول جائز فى كلام العرب ، أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطىء من يجعل هذه فى موضع هذه وأنشد :

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لى غائض

وقل فى كشف الظنون ص (٦١٦) تحت باب النوادر ، إن الأقدمين ألفوا كتباً فى النوادر العربية والفقهية سوى ما ذكر منهم أبو عبد الله بن زياد المعروف بابن الأعرابى اللغوى وهو أى كتاب النوادر (رواية أبى العباس أحمد بن يحيى النحوى ويونس النحوى المذكور فى الأمثال وعليه رد لأبى سعيد حسن بن محمد السيرافى النحوى(٤)) .

تصانيفه :

وقد عدد ابن النديم تصانيفه فى فهرسته ص ١٠٣ : منها كتاب النوادر ، وكتاب الأنواء ، وكتاب صفة النخل ، وكتاب صفة الزرع ، وكتاب النبات ، وكتاب الخيل ،

---

(١) من أصحاب الكسائى وابنه يعقوب . وكان مؤدباً لولد المتوكل توفى سنة ٢٤٦ هـ (ابن النديم ١٠٨)

(٢) أبو سعيد معمر بن المثنى التمرى توفى سنة ٢١٠ هـ وله كتاب إعجاز القرآن وغريب القرآن الخ . ابن النديم ٧٩

(٣) هو عبد الملك بن قريب الباهلى توفى سنة ٢٢٣ هـ وقيل ٢١٧ هـ ابن النديم ٨٢ :

(٤) من سيراف توفى سنة ٣٦٨ هـ شرح سيبويه ، له كتاب أخبار النحويين الخ . ورد لابن حيد .

وكتاب مدح القبائل ، وتفسير القبائل ، وكتاب معانى الشعر وتفسير الأمثال ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب نسب الخيل ، وكتاب نوادر الزبيريين ، وكتاب نوادر بنى فقعس ، وكتاب الذباب ، بخط السكرى ، وكتاب النبت والبقل .

ويضيف ابن النديم أنه روى عن جماعة من فصحاء العرب منهم الصمرونى والكلانى وأبو المجيب الربعى .

نموذج من كتاب النوادر :

نقتصر الآن على إيراد صفحتين من أول الكتاب ، وصفحتين من آخره لندل بذلك على أسلوبه . وليس للكتاب فصول ولا أبواب ، وإنما هو إملاء لنوادر العرب ، وقصصهم ، ثم شرح هذه النوادر ، وما جاء فيها من الكلام الغريب مع مجموعة زاخرة من المترادفات . قال فى الصفحة الأولى : [بسم الله الرحمن الرحيم ، حسبى الله معيناً – قال أبو العباس أخبرنا ابن الأعرابى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة ، فقيل « يا رسول الله هذه سحابة » فقال عليه السلام « كيف ترون قواعدها ؟ » قالوا « ما أحسنها وأشد تمكنها » قال « كيف ترون رحاها ؟ » قالوا « ما أحسنها وأشد استدارتها » قال « فكيف ترون بواسقها ؟ » قالوا : « ما أحسنها وأشد استقامتها » قال : « فكيف ترون برقها أوميضاً أم خفياً أم يشق شقاً ؟ » قالوا « بل يشق شقاً » قال : فقال صلى الله عليه وسلم « الحيا » قالوا « يا رسول الله ما أفصحك ! ما رأينا الذى هو أفصح منك » فقال : « ما يمنعنى وإنما أنزل القرآن بلسانى ، بلسان عربى مبين »

قال : قواعدها ، أسافلها ، ورحاها وسطها ومعظمها ، وبواسقها أعاليها ، وإذا استطال فيها البرق من طرفها إلى طرفها وهو فى أعاليها فهو الذى لا يشك فى مطره وجوده ، وإذا كان البرق فى أسافلها لم يكد يصدق .

قال رجل من العرب وقد كبر وكان فى داخل بيته وكان بيته تحت السماء « كيف تراها يابنى ؟ » قال « أراها وقد نكبت وتبهرت وارى برقها أسافلها » قال « أخلفت يا بنى »

والومض أن يومض إيماضة ضعيفة ، ثم يخفى ، ثم يومض وليس فى هذا بأس من مطر قد يكون ولا يكون . وأما المسلسل فى أعاليها فلا يكاد يخلف . والاقتذاء نظر الطير ثم إغماضها تنظر نظرة ثم تغمض ، ثم تنظر نظرة ثم تغمض ، قال حميد بن ثور :

َخفى كاقتذاء الطير والليل مابس   بجثمانه والصبح قد كاد يسطع اه

وإليك أيها القارىء الكريم نسوق مقالا آخر وهو ما جاء فى آخر الكتاب : رمأ على الستين ، وأرمأ ورمث وطلث وزاحمها وداممها وحبَّاها (١) وحبا لها إذا بلغها وقدعها جازها .

وقال قلت للكلانى « كم أتى عليك » فقال « قد ولت لى الخمسون ذنبها . وقلت لآخر « كم أتى عليك » فقال : « أنا فى فرح الثلاثين » وقال آخر « وقد أخذت بعنق الستين ، وأردأت على الستين وجر دمتها إذا جازها وجردم ما بالحفنة أتى عليه .

وقال الكلاب الغزل الذى يصيد ظبياً فإذا صار إلى الثالث لاعبه ولم يعرض له ، فيقال غزل إذ رآه . ويقال فيه تخنيث . وطرقة وحلة . وقال الدفر النتن متحركة ، والدفر بسكون الفاء الذل ويقال دفر فى عنقه ودفع فى عنقه ومنه قول عمر وادفراه ! أى واذلاه !

ويقال هو معرف سوء ، وثلة سوء ، وبيئة وجيبة سوء . وقال ننطل وناطل دهم الدواهى .

قال وقالت امرأة ورأت رجلا عهدته شاباً جلداً : أين شبابك وجلدك ؟ فقال من طال أمره وكثر ولده ورق عدده ، ذهب جلده . وقوله رق عدده أى سنوه التى يعدها ، ذهب أكثرها وبقى أقلها وكان عنده رقيقاً وأنشد :

لم يختر البيت على التغرب   ولا اعتناف رجلة عن مركب
فهو ممر (٢) كسقاط (٣) القنب

الاعتناف : الكراهة .

يقول لم يختر كراهة الرجلة فيركب ويدع الرجلة ولكنه اشتهى الرجلة وأنشد :

إذا اعتنفتنى بلدة لم أكن لها   نسيباً ولم تسدد على المطالب

وقال الورق ورق الشباب ، نضرته وحداثته ، والورق قطع الدم ، والورق ورق الدنيا وأنشد :

ترى ورق الفتيان فيها كأنهم   دراهم منها مستجاز وزائف

[تجز الجزء الأول من كتاب نوادر ابن الأعرابى والحمد لله حمد الشاكرين ، يتلوه فى الجزء الثانى : قال الفند اسمه سهل بن شيبان بن بيمة]

أحمد سامح الخالدى

(١) فى الأصل وحباها بتشديد الباء .

(٢) الحبل المفتول فتلا شديداً (٣) الحبل

خليـــــل مطران

بمناسبة صدور الكتاب الذهبي لمهرجان تكريمه

للأستاذ وديع فلسطين

قليل تالله كل ما قليل فى الخليل !

وضئيل وايم الحق ما بذل فى تكريمه .

خليل مطران من الماهدين[(١)] فى الشعر الحديث ، ومن معبدى الطريق أمام النهضة الثقافية والفكرية فى العالم العربى المعاصر ، ومن الدعائم الأولى فى بناء الأدب المسرحى فى لغة الضاد ، ومن ذوى الفضل فى استحداث تعبيرات عربية لمصطلحات وعبارات أعجمية كانت مجهولة منغلقة حتى وضع مطران يده عليها وأشاعها وأذاعها .

وخليل مطران أديب له تميزه الخاص ، تفاعلت فيه ثقافات شتى ، وذابت فى ذهنه آداب من المشرق ومن المغرب ، وتهافتت على عربيته الأصيلة قطوف غريبة متباعدة الأطراف ففتقت ذهنه ، ونشرت أمام عقله المتفتح مجال المعرفة فسيحاً ، وجعلت منه ركناً ركيناً فى صرح ثقافة الشرق ، وقطباً يخطب المستشرقون ود شعره ، وباقى فيه المعنيون بالأدب ذى الطابع الإنسانى الخالد معيناً لا ينضب ، ومنهلاً لا تغيض غواربه .

أنشد الشعر من خمسين عاماً أو تزيد ، فكان أبداً مجلياً مجلوّ البيان ، وكان دأباً فى الطليعة يؤاخى «شوقى» ويزامل «حافظ» ويأخذ عنه ومنه شعراء نصف قرن ، وسيهتدى بنظامه ونثره أجيال لما تأت .

أمعن فى الكتابة ، وأوغل فى تدوين « المحبّرات الطوال » فما خلف باباً من أبواب الرأى إلا طرقه ، وما ترك موضوعاً يشغل الذهن إلا جاهر فيه بمعتقده ، وما هجر منحى من مناحى التفكير لعلة ارتآها أو ذريعة تذرع بها .

الشعر ، نظمه .

والمسرحيات ، ترجمها وألفها .

والاقتصاديات ، تضلع منها وحباها بالكثير من وقته وجهده ؛

والصحافة ، مارسها واشتغل بها وحمل أعباءها فما تنكر لها وما تنكرت له .

والمنبر ، ارتقاه منشداً وخطيباً ، فلم تذهب نحولته و«دقة» حجمه بقدرته على امتلاك أفئدة المصيخين له .

خليل مطران موسوعة حية متنقلة . جالسته كثيراً ، فكان دائماً صاحب زمام الحديث ، يديره يمنة ويسرة ، ويعرج به على القديم ، ثم يقفز إلى الحديث بل إلى المستقبل البعيد . يعالج فنون الأدب والعلم علاج مقتدر أصّل قواعده ، وثبت قدميه . ينظر إلى شؤون الحياة نظرة مشارفة مستعلية فلا تبهره المظاهر ، ولايحول الهرج دون أن يبدى فى الشأن حكماً سديداً . فقد حلب الدهر أشطره ، واستوعب غاية ما يستطيعه فرد من قراءة واطلاع وبحث . وخبر الناس طبقات طبقات ، وشهد مواكب الدنية تترى أمامه ، ورأى أصولا ثابتة تتداعى ، وقواعد مؤثلة تهوى وتبلى ، وجالس وطوف ، وأقام فعرف الباقيات الخالدات من الفانيات الذاهبات . واستجمع هذه الذخيرة كلها فى رأسه يرتد إليها فى النظم ، ويعود إليها فى المحادثة ، ويغرف منها كلما اشتهى قلمه الكتابة ... وتلك شهوته المفضلة الأثيرة المقدمة على سواها

خليل مطران ، وإن كان قد تسنم قنة المجد ، وارتقى درجات الرفعة السامقة وشهد ملوكاً يضفون عليه من صنوف التقدير ألواناً ورؤساء جمهوريات يتسابقون فى تكريمه والاحتفاء به ، وشعوباً تهتف باسمه وتردد شعره فى كل صقع ناطق بالضاد ، وأقطاباً مرموقين يجتمعون من كل حدب وصوب ليسدوا له الثناء موفوراً على مسمع من الحشود ، وعلى ملأ من المعجبين ... وإن كان مطران قد قرأ كتباً ألفت فى إطرائه وتقريظه ، ومقالات دبجت فى مديحه والإشادة به ، وشعراً أنشد فى تمجيده وتخليده ، غير أن هذه جميعاً لم تفلح فى بث روح الكِبْر فى خليل مطران ، ولم تُسجد فى حمله على الشموخ والاستعلاء .

فقد ظل الخليل لأصدقائه خليلا ، وأبقى على خلة الاتضاع والوداعة ، حتى لقد أفرط فى هذا إفراطاً تجاوز المدى . وكثيراً ما حدثنى عن « تفاهته » وصغر شأنه وعجبه من أن يكون

(١) الماهدون تعبير يطلقه المغتربون العرب على طلائعهم التى كان لها فضل السبق فى الهجرة إلى الدنيا الجديدة وفى استيطان بلاد ليس لهم بها معرفة ولا ألفة .

موضوع ذكر من قومه .

وهذا شعره يردد فيه آيات الدعة فيقول :

أخاف من سوء تأويل لرأيكم ... فى الفضل لو قلت إنى لست بالقمن

ويقول :

سادتى ، جاز فضلكم آمالى ... أجدير شأنى بأدنى احتفال
أى شىء أنا الذى نال هذا الـ ... ـعطف منكم ، ما صحتى ، ما اعتلالى
ما يرجى من مشهدى أو مغيبى ... ومكانى إلا من الطيف خالى
عندى الحائلان دون رفيع الـ ... ـقدر من قلة ومن إقلال

بل لقد يذهب به تواضعه إلى افتقاد رقيق الحال من الأدباء .

وسلوا أحياء القاهرة الفقيرة تجبكم أن خليل مطران أعرف الناس بدخائلها ومخارجها ، وأكثرهم إلماماً بأزقتها وتوهانها ، فقد كان بنفسه يزور كل أديب ، ويبحث عنه أينما كان مأواه ، ليعرف أفى مسرة هو أم فى معسرة ، أبه حاجة إلى عون يسدى إليه أم إلى هم يرفع عنه ، أم إلى قلب كبير يواسى قلبه ، أم إلى كلة تشجيع يحفز بها همته ، أم إلى رفقة تؤنس وحشته ، أم إلى حديث شهى ينسيه علته . وحسبى فى هذه السانحة أن أقول إن خليل مطران كان من القلة القليلة التى أحاطت بالشاعر إبراهيم الدباغ يوم ألمت به أسقام البدن ويوم حرمته الدنيا بهجة الإبصار، فكان يقصد صومعته فى زورات متتالية منتظمة غير متحرج ولا متردد ولا معاند، وكان يؤثر مجالسة هذا الأديب على مسامرة الكبراء وذوى اللقب والجاه .

وخليل مطران قوة دافعة للأدباء . يرى هذا يوشك على التعثر فيقيمه ، وذاك يسرف فى انحرافه فيقومه ، لا يبخل بالتشجيع ولا يضن بالثناء ، ولا يدخر وسعاً فى سبيل بعث الهمة التى تبطت ، ورد روح النشاط التى خمدت .

أتيته يوماً بكتاب ترجمته وقلت له : إنى عليم بأمراضك مدرك أنك من طلعة الشمس إلى طلعتها فى صبيحة اليوم التالى تبرح بك الآلام وتخضع لنظام دقيق عينه لك الأطباء ؛ فهذه إبرة تحقن فى جسمك مرات فى اليوم ، وهذه أنواع شتى من الأدوية تتعاطاها شرباً واحتلاباً وابتلاعاً عدا الحمامات الساخنة وأعباء التدليك والتدهين . ورجوته بعد هذا أن لا يكلف نفسه عناد تلاوة هذا الكتاب ، وحسبى فخراً أن أراه موضوعاً فى مكتبته .

فما كان من مطران إلا أن قضى الليلة ساهراً يتلو الكتاب كلمة كلمة ، غير مشفق على بصره ولا على صحته المتهالكة ، ولا مترفق بيديه الكليلتين اللتين لا تقويان على حمل شىء ، حتى إذا ما أوشك الصبح على البزوغ ، كان صاحب القلب الكبير قد أتى على الكتاب جميعه .

أتدرون لِمَ فعل مطران هذا ، ولم عرض نفسه لخطر قد يصيب حياته أو يرد حالته الصحية القهقرى ؟؟ لقد فعل الخليل ذلك ليستطيع فى اليوم التالى أن يفوه لناشىء بكلمة تشجيع وإطراء ، فيرضى ضميره ويريح نفسه ، وإن كان ذلك يؤدى على حساب الصحة والبصر والإجهاد الذهنى .

وللاستدراك أقول إن خليل مطران وصف حالته الصحية يومذاك ببيت من قريض مألوف فى قرى لبنان ، نصه :

وجسمى صار نص ميت ونص حى
ونص الحى باقى للعذاب .

هذه صفحة عن خليل مطران رأيت أن أنشرها اليوم فى مناسبة ظهور الكتاب الذهبى لحفلات تكريمه . وليت المجال يسعف ، فأدع القلم يتحدث عن مطران الذى عرفته فعرفت فيه إباء فى النفس ، وكرماً فى الخلق ، وسعة فى الصدر ، وسداداً فى الرأى ، وبصيرة نافذة فى الأمور ، وعفة فى اللسان والقلب ، وجرأة فى القول والفعل ، وسخاء فى العطاء والاحسان ، ووفاء لا يبرحه ، وإخلاصاً يستمده من قلبه العامر بالإيمان ، ومجالدة تدعوه إلى احتمال كل عناء . بل لقد رتب خليل مطران على نفسه واجبات تعهد بالنهوض بها ، فما أخل بوعده ، ولا منعته علة عن تأدية هذه الواجبات جميعاً عن رضا وراحة ضمير .

ولئن كانت هذه المحامد بأسرها قد اجتمعت وتبلورت فى خليل مطران ، وأسبغت عليه الشخصية الفريدة التى يزدان بها هذا الأديب الجليل الكبير ، فليس يسع المرء إلا أن يضرع إلى الله أن يلطف به وبصحته ، ويبرىء بدنه من الأدواء التى تكالبت عليه ، ويمنحه من فيض رحمته ما يخفف عنه أوجاع المرض ، ويكلأه برعايته فى أيام تمر عليه كالسنين والدهور .

فليس عند العروبة سوى « خليل مطران » واحد ، ونحن نراه لا زمة بل ضرورة لأنه بناء لم يعرف الهدم ، ولأنه مجدد مصلح كله وفاء ومكرمات .

وديع فلسطين

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

كنت أود أن يكون عنوان هذا البحث (النهضة الأدبية في السودان) فأتناول فيه من حديث الشعر والنثر ما يرسم صورة صحيحة أو قريبة من الصحيحة للحياة الأدبية هنا، ولكن يبدو أنه سيمضي وقت ليس بالقصير دون أن يجد الباحث المادة الضرورية لمثل هذا البحث؛ فإن نثراً مستقلاً يكوّن أدباً لم يتهيأ بعدُ لباحث.

ومن عجب أن يجد الإنسان مادة غير نزرة ولا قليلة للشعر، ولا يجد شيئاً يمكن أن يعتمد عليه في النثر، وربما كان لذلك أسباب كثيرة هي في الغالب أسباب سلبية، وقد يكون من الخير التغاضي عنها، حتى إذا كان من الخير أن نقول في هذا الشأن قلنا، ولهذا أرى من الحسن أن أقصر بحثي على الشعر وحده.

وطبعي أن يكون في السودان شعر، وأن يكون فيه شعر وفير، فإن أسباب الشعر ودوافعه قوية مستفيضة غالبة، ولو استجاب الشعراء لها، ولو لم تشغلهم شئون أخر عن التأثر بها، والتنبه إليها، لجاءنا شعر وخير كثير.

وإنه لتروعك الرغبة القوية في دراسة الآداب، واستظهار المنظوم والمنثور عند كثيرين من أبناء السودان، فإنك تجد عدداً غير قليل يحفظ الآلاف من أبيات الشعر، ففضيلة زميلنا الشيخ محمد العبيد الأستاذ بالمعهد العلمي بأم درمان يحفظ شعر شوقي كله، لا يند عنه بيت منه؛ وفضيلة الشيخ أحمد العاقب — وهو شاعر — لا يكاد يمر بمسألة، أو يأخذ في حديث حتى يستشهد بأكثر من بيت من الشعر القديم، أو من الشعر الحديث. ولقد لاحظت أن دواوين: شوقي وحافظ والبارودي والعقاد هي الدواوين المفضلة عند الأدباء السودانيين. أما القراءة فهم مغرمون بها، وأكثر ما يقرأون للأساتذة المصريين من كبار الكتاب أمثال طه حسين والعقاد والزيات وهيكل، وآثر المجلات الأدبية عندهم وأحبها إليهم مجلة الرسالة.

ولا مندوحة لمن يريد الدقة والإنصاف في الحديث عن الشعر السوداني، أن يقسمه إلى قسمين، شعر المدرسة القديمة، وشعر المدرسة الحديثة، وكلتاهما تعيش في هذا القرن. ونستطيع أن نقول إن المدرسة القديمة سيطرت على الشعر منذ ابتداء هذا القرن أو قبله بقليل، وبقيت سيطرتها إلى عهد قريب، وبعض أساتذتها لا يزالون يرفدون الأدب بأشعارهم، وإن أخذت أشمة المدرسة الحديثة تبدو في الأفق.

وطابع المدرستين جد مختلف، فبينما نجد سمة التقليد، والتمسك بالتقاليد، والسير على النهج القديم، غالبة على المدرسة القديمة، نجد شيئاً كثيراً من التحرر والطموح والاستقلال في المدرسة الحديثة. وقد تأخر — ولاشك — ظهور هذه المدرسة ولم يستقر لأصحابها منهاجهم بعد، ولكني أعتقد أن الخطة الجديدة في نشر التعليم، وإرسال البعوث إلى مصر وإلى غيرها ستؤتي أطيب الثمار في هذه النواحي. نعم لا يزال الشعراء المحدثون في أول الطريق، ولكن بواكيرهم تبشر بأنهم يسيرون بخطى حثيثة نحو الكمال والنضوج.

وسأقصر حديثي في هذا المقال على مقومات المدرسة القديمة ومناهجها، وطابعها، وشعرائها.

التقليد — في الواقع — هو السمة الأصلية في أساتذة هذه المدرسة. التقليد للشعر القديم وطرائقه، تقليد في الأغراض، وتقليد في المعاني، وتقليد في الأساليب، كما أن من السمات الغالبة على هؤلاء الأساتذة سمة الوقار والرزانة والتحفظ. ولا غرو فأ كثرهم من (المشايخ) بل إن منهم من وصل إلى أعلى المناصب التي يصل إليها الشيوخ في السودان. نعم من شعراء هذه المدرسة من تخرج في كلية غردون، ومن تعلم تعليماً مدنياً، ولكن هؤلاء — أيضاً — لا يقفون بعيداً عن طائفة المشايخ، لأن الروح الدينية أبرز مظاهر الحياة في السودان، وهي قوية مسيطرة، والشعر — ونحن نتحدث عنه من الناحية الفنية — في حاجة شديدة إلى الانطلاق والتحرر والاندفاع.

الشعراء ينظمون كثيراً في المدائح النبوية، وفي المدح، والهجاء، والرثاء، وقل منهم من يخرج على هذه الأغراض. أما معانيهم فهي التي نشأت مع الشعر العربي؛ فالشجاع أسد

هصور ، والجميل بدر منير ، والممدوح أندى من الغمام كفاً ، وأجود من البحر يداً ، والفقيد تعزى فيه المروءة والندى ، والعاشق لا يزال يقف على الأطلال ، ويستوقف الصحب ، ويبكى الديار . وأما الأساليب فقلما تميل إلى شىء من الخروج عن منهج الشعر القديم ، فلا تجد شاعراً نظم فى غير البحور المعروفة بل إنك لتجد أكثر ما ينظم من الشعر على أوزان البحور المشهورة من الطويل والكامل والبسيط ، هذه الأبحر التى تمثل الوقار والشيخوخة والهدوء . ولا أثر فى هذه الأشعار لظل الحياة الجديدة الناعمة المتألقة ، فهى أكثر تأثراً بما يقرأ أصحابها من الشعر القديم ، وهم يجلونه ، فلذلك يحتذونه .

وأبرز ما يصور لنا هذا النهج هو ابتداء القصائد بالغزل ، الغزل المصنوع طبعاً ، فالمدائح ، والتهانى ، والتوديعات ، وأشعار المناسبات ، لا بد من بدئها بالغزل ، ولا بد — مع ذلك — من إظهار المهارة فى حسن التخلص ، وجودة الانتقال . على أن بعض الشعراء يترك هذه السنة ليحيى سنة أخرى ، فيبدأ قصيدته بذكر الخمر وسقاتها وندمائها ، أو يذكر النوق وحثها على المسير كأن يقول الشيخ محمد عمر البنا ، وهو يمتدح عثمان دقنه وأعوانه

ماضرنى أن لو حثثت العيس فى   أثر الحمول ، وإن علا التأنيب
وزجرت للبكرات دامية الخطا   قد مسها نحو الحبيب لغوب
أوجعتها سيراً فصارت ضمراً   كهلال شك ، ينجلى ويغيب

ثم تسأله هذه العيس إلى أين المسير ؟ ومن تريد — وأنت تذرف الدمع — ؟ فيجيبها بأنه يمم الزهادة والتقى ، فمساه يلقى نفحة من سر من زهد الدنيا وطلقها :

(عثمان دقنة) من رقى أوج العلا   بفخاره ، والطاهر المجذوب

ومن الابتداء بذكر الخمر قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يهنىء أحد أصدقائه بزواج :

هات اسقنى حلب العصير   حمراء كالخد النضير
وادع الخلاعة والصبا   واهتف بحىّ على السرور
وأقم (لأحمد) من بيوت الشعر أمثال القصور

وهذا ابتداء واضح الدلالة على الصنعة والتقليد ، فالشيخ عبد الله هذا العالم الوقور الذى نشأ فى بيت العلم والتقى ، لا يطلب الخمر ، ولا يدعو الخلاعة ، ولا يستطيع أن يشبه الخمر بالخد إلا وهو مأخوذ بما فى فكره من شعر القدامى . ثم ما هذه المفارقة العجيبة ؟ دعوة للخلاعة ، وحى على السرور ، ولكن الشيخ — وهو من شعراء السودان المعدودين — لا يجد أنسب لذكر الخمر — التى لم يذقها طبعاً — من تهنئة بزواج ، على أنه يبتدئ مدحة نبوية يذكر الخمر فيقول :

أديرى علىّ الكأس يا ربة الشعر   وجودى بمعسول الرضاب من الثغر
لعلى بهذى الكأس يا عز أنتشى   فأسمو بادراكى إلى العالم الشعرى

وأنا — فى الحقيقة — حائر فى هذه الكأس ، أى شىء فيها ؟ أهو خمر ؟ أم شعر ؟ أو رضاب عزة ؟

وكقوله فى مطلع قصيدة ألقاها فى حفلة الميلاد النبوى :

أدرها بعد نومات العشى   كميت اللون كالخد الوضى
مشعشعة بماء المزن رقت   كما رقت شمائل أريحى
حواليها نواعم آنسات   نواعس ، ذات لحظ بابلى

وعلى ذكر الابتداء بالخمر أقول إن وصف الخمر ليس غرضاً أساسياً فى الشعر السودانى ، وإن كنا نجد بعض الشعراء يتسلى بها ، كما يقول الشاعر صالح عبد القادر .

اسكب الراح ، وناول من طلب   وأدر كأسك ، فالدنيا طرب
واسقنيها بنت كرم عتقت   تطرد الهم ، وتشفى من تعب
يا رفاقى لا تلومونى على   حبها ، فالعيش فى بنت العنب
ما علينا أن شربناها وقد   كتب الله علينا ما كتب

أما الابتداء بالغزل ، فهو — كما قلت آنفاً — اللازمة التى لا تنفك لكثير من القصائد ، ومن ذلك قول الشيخ عمر الأزهرى يمدح صاحب مجلة الجوائب حيث يقول فى أولها :

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائب   فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
فلا سلمت نفس من الحب قد خلت   ولا كان جفن دمعه غير ساكب
سبا مهجتى لدن المعاطف أهيف   له لفتات دونها كل ضارب
ولا عيب فيه غير أن جفونه   بنتها على كسر جميع المذاهب

وهذا شعر جيد ، لولا ما ذكر فيه من هذا الاصطلاح النحوى ، وإن كان ذلك يعد ملحة ملفتة ، وهكذا يمضى فى غزله حتى يقول متخلصاً .

وحى له لم يخف فى الكون أمره   كحب العلا مصباح أفق الجوائب

ولا نعدم فى هذه الناحية من يسن سنة أخرى أيضاً ،

(حيـــاة) بلابسى

للأستاذ نجاتي صدقي

عثر رجال الهلال الأحمر، بعد مجزرة دير ياسين على جثة فتاة فى قميص النوم، ملقاة بالقرب من طريق فرعية مؤدية إلى القرية، فتعرف عليها بعضهم فإذا هى المعلمة حياة بلابسى.

عرفتها فى أواخر سنة ١٩٤٧ وقت أن قدمت للاذاعة موضوعاً أدبياً أرفقته بكتاب تقول فيه: « أرجو أن أتمكن من إذاعـة حديثى هذا فى أقرب فرصة ممكنة ».

وبعد أيام من ورود هذا الحـديث قابلت أحد قضاة القدس فذكرنى (بحياة) وأوصانى بها خيراً ... ثم قابلت أحد مفتشى معارف فلسطين فنبهنى إلى حديث (حياة) وضرورة الاعتناء به ... ثم قابلت أحـد أدباء القدس فقال لى: ألا تهتم بحياة وأحاديثها فهى فتاة تحتاج إلى مساعدة وتشجيع ... ثم قابلت مديرة مدرسة فى يافا فسألتنى إذا كنت قد تلقيت حديثاً من (حياة) واستفسرت عن مدى استعدادى لمساعدتها.

فساءلت نفسى: من تكون حياة بلابسى هذه؟.. وما الداعى إلى كل هـذا الاهتمام بها؟.. وأخذت أرقب الفرصة لمقابلتها والتعرف إليها عن كثب.

وفى عصر أحد أيام يناير من هذه السنة، وكان الثلج يتساقط بكثرة فى القدس، والرياح الباردة العاتية تعصف بشدة، دخلت على حياة وقد تدثرت بمعطف بسيط، ولفت رأسها بمنديل من الصوف وقـد رصع بقطع صغيرة من الثلج، فظهرت وكأنها إكليل من زهر الليمون، رمز العفة والطهارة، يطوق رأسها الجميل.

وفى هذه المقابلة عرفت منها مأساتها:

لقد فقدت أباها منذ أمد غير بعيد، ووالدتها كسيحة طريحة الفراش، وأختها صغيرة غير قادرة على العمل، فوقع على عاتقها عبء الاعتناء بوالدتها وأختها، والقيام بجميع شؤون البيت، والعمل فى الوقت ذاته على كسب المعاش إذ لا مورد لأسرتها تمتاش منه، كما أن والدها لم يترك أى مبلغ من المال، أو أى نوع من العقار.

وهكذا رأت نفسها مضطرة إلى ترك المدرسة قبل أن تحصل على شهادة (المتريك)، وأن تسعى إلى العمل كمعلمة إضافية فى مدرسة ابتدائية، فقيل لها فى دائرة المعارف: ليس بوسعنا أن نجد لك مكاناً شاغراً فى القدس لكننا نحتاج إلى معلمة إضافية لقرية دير ياسين، فقبلت حياة العمل لقاء راتب شهرى قدره ثمانية جنيهات.

وقرية دير ياسين تقع إلى الغرب من القدس وعلى بعد عشرة كيلومترات منها، وطرق المواصلات إليها غير متوفرة، فكانت

فيبتدئ شعره بانكار الغزل، كقول الشاعر عبد الرحمن شوقى يمدح سيادة الحسيب النسيب السيد على الميرغنى.

وقفت ولم أنسب ولم أتغزل ... ولم أشك حالى فى الهوى وتذللى (١)
ولم أبك دارا قد عفت وتغيرت ... وصحبا كراماً بت عنهم بمعزل
ومثلى إذا جن الظلام رأيته ... يقوم قيام الناسك المتبتل
يقولون حب الغيد تيم قلبـه ... وما حب ربات الخبا عنك مشغلى
وما فى فؤادى موضـع لمحبة ... لغـيرك حتى قال ذلك عذلى

على أنى سأوفى هذا المعنى حقه عنـد الحديث عن الغزل، وإن كنت أبادر فأقول: إن جريان الغزل على ألسنة كثير من هؤلاء الشعراء، وخاصة أولئك العلماء الأعلام، من أمثال شيخ علماء السودان سابقاً الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، والشيخ عمر الأزهرى، والشيخ البنا وغيرهم، أقول إن هذا مما لا يدع شكا فى سلطان التقليد على الشعراء.

ولست أريد من هذا أن أحط من قيمة الشعر السودانى، ولـكنى أقصد أن السمة الغالبة عليه فى هذه الحقبة سمة الاحتذاء والمتابعة، والتقليد فيه خير كثير، وفيه كذلك شر كثير. وإن فى هذا الشعر لوثبات طيبة، وملامح مشرقة، سنكشف عنها فى أثناء هذا الحديث، كما أن سير الشعراء فى ركاب القدامى جعلهم يبعدون بأشعارهم عن تصوير الأحـداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولم يجعل لوصف الطبيعة السودانية الخلابة مكانها البارز فى أشعارهم.

(للحديث بقايا)

على العمارى

مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

---

(١) (الرسالة) تنظر هذه القصيدة نظرة إعجاب إلى قصيدة حافظ فى مدح الشيخ محمد عبده ومطلعها:

مدحتك لم أنسب ولم أتغزل ... ولما أقف بين الهوى والتذلل

حياة تضطر للذهاب إليها والعودة منها سيراً على قدميها ، فتترك القدس فى الساعة السادسة صباحاً مجتازة فى طريقها بعض أحياء القدس اليهودية وهى ميا شماريم ، وبيت إسرائيل ، ومحنا يهوداً ، وروميا ... ثم تمر بواد وعر إلى أن تصل مستعمرة بيت ها كيرم، ومن ثم تتجه رأساً إلى دير ياسين .

هذا هو طريق الآلام الذى كانت تعبره حياة مرتين فى اليوم صيفاً وشتاء .

وهى مع أنها صبية جريئة كانت تشعر أحياناً برهبة عند مرورها فى الوادى ، فتخشى أمراً لا تعرف كنهه ... فتنتظر بعض الوقت إلى أن تمر بهـا القرويات الذاهبات إلى القرية أو العائدات منها فترافقهن ... إلا أن هذه الخشية أخذت تتلاشى قليلاً فقليلاً ، وصارت حياة تعبر الوادى بمفردها محيية الحراثين والرعاة ، فيجيبونها محيين مرحبين ، مستفسرين منها عن أولادهم ومقدار تقدمهم ونجاحهم فى دروسهم ، سائلين الله أن يكلأها بعين عنايته ورعايته .

ولم ينحصر حياة عملها فى القرية على التعليم وإنما كانت تعمل فى فترات من النهار ممرضة أيضاً ، فتمد من هـو بحاجة إلى الإسعاف الأولى بمختلف الأدوية ، وتعود المرضى فى أكواخهم، وإذا رأت أن فيهم من تتطلب حالته دخوله المستشفى اتصلت على الفور بدائرة الصحة فى القدس تلفونياً ، أو ذهبت بنفسها إلى تلك الدائرة عند عودتها إلى بيتها .

وما إن أتمت حياة السنة الأولى من عملها فى دير ياسين حتى غدت معبودة سكانها يترادف اسمها مع التربية والطهارة والوطنية الصحيحة .

وفى ذات يوم عادت الفتاة إلى القدس فوجدت أمها قد فارقت الحياة ، فتحملت الصدمة بقلب قـوى ، ولم تنهزم أمام صروف الدهر القاسية وثابرت على عملها فى دير ياسين بما طبعت عليه من عزيمة وثبات ، لحمل ذلك دائرة المعارف على أن تزيد راتبها الشهرى جنيهين آخرين .

وأعلنت هيئة الأمم المتحدة تحقيق ما حلم به هرتزل سنة ١٨٩٥ فى كتاب (الدولة اليهودية) ، فهب العرب يدافعون عن أراضيهم ومواطن معيشتهم ، وانتصب ملاك الموت والمحصد فى يده يجنى الرؤس آحاداً ، ثم عشرات ، ثم مئات ... وكان على حياة أن تختار أحد أمرين : إما أن تقبع فى بيتها تنتظر حظها من الزواج ، وإما أن تسكن دير ياسين لتتابع كفاحها فى سبيل العلم والصحة .

ولم تتردد الفتاة كثيراً فحملت بعض أمتعتهـا ورحلت إلى القرية ، وسكنت فى غرفة من غرف مدرستها .

وفى هـذه الغرفة عانت المعلمة أنواعاً شتى من الحرمان وشظف العيش ... أما الضوء فكان مصباح الزيت ... وأما التدفئة فكان الحرام تلفه على نفسها وهى تراجع الدفاتر ، وتمد الدروس .

وانتشرت الحـوادث بسرعة إلى أن شملت دير ياسـين أيضاً ... ولما كانت هذه القرية محاطة بأربع مستعمرات يهودية ، خشيت خيانة جيرانها فألفت من فتياتهـا وفتيانها حامية وكانت حياة من أركانها .

قالت لى ذات يوم : حدث بينما كنت أتدرب على إطلاق النار من البندقية أن أخطأت الهدف وراحت الرصاصـة تزغرد فى مستعمرة مجاورة ! . .

ومضت أيام وأسابيع تأزمت فى أثنائها الملائق بين دير ياسين والمستعمرات التى حولها ، ولم يدر القرويون أن القيادة اليهودية قد اختارت قريتهم كبده مرحلة جديدة فى خططها «العسكرية».

وعند الساعة الثالثة من صباح يوم قاتم أطبق ألفان من اليهود المسلحين بالبنادق السريعة الطلقات والخناجر ، على سكان القرية النيام ، ونشبت بينهم وبين الحامية معركة لم تدم طويلاً ، فتغلب المعتدون على المناضلين القرويين ، وبدأت المجزرة ! . .

أما حياة فما إن سمعت أزيز الرصاص وانفجار القنابل حتى هبت من فراشها وهى فى قميص النوم ، وهـامت على وجهها فى الحقول وبين التلال ... وبعد لحظات وجدت نفسها فى مكان أمين خارج القرية ، وبوسعها الالتجاء إلى قرية عربية أخرى ... إلا أنها سمعت فى هذه الآونة أنيناً بالقرب منها ، فاتجهت إلى مصدره وإذا هى أمام جريحين من حاميـة دير ياسين ، فتقدمت منهما ، ومزقت جزءاً من قميصها ضمدت به جراحهما ، ثم قر رأيها على أن تضمهما فى مغارة فى تلك الناحية إلى أن تتمكن من إخبار رجال الهلال الأحمر عنهما ، فحملت أحدهما على كتفها وصارت به نحو المغارة ... وبعد مسير عشرة أمتار مزق الجو صوت طلقات سريعة فسقط الجريح قتيلاً ، وسقطت حياة فوقه مضرجة بدمائها .

أما الجريح الثانى فقد قدر له أن يعيش ويروى خاتمـة حياة فتاة تذوقت الجهـاد فى سبيل العلم ، والأمى فى سبيل العائلة ، والبطولة فى سبيل الوطن ! . .

نجاتى صدقى

الأرواح والأشباح

للأستاذ حسين مهدى الغنام

عرف البحث فى الروح والاتصال بها فى العالم الآخر من قديم الأزل، وقد شغل أعرق الشعوب مدنية فى كل ماضر من العصور والأجيال، واستوى فى ذلك الوثنيون وأصحاب الأديان.

فحضارة الوثنيين وتراثهم وآثارهم الباقية صرفت أكبر اهتمامها فى البحث عن الروح وما بعد الموت.

كما ذكرت الأديان جميعاً أن وجود الأرواح بعد الموت حقيقة لا مراء فيها.

وقد ذكرت التوارة قصة روح صالح اسرائيلى متجسدة رأتها امرأة تهبط من السماء ثم تصعد إليها.

أما القدامى فقد كانت أساليبهم فى التعبير عن وجود الروح أو الاتصال بها، أساليب بدائية ساذجة، مما حدا بكثير من المفكرين أن ينسبوه إلى الشعوذة وينكروه.

ولقد اهتم العلم الحديث بالروح وتحضيره والاتصال به بعد الموت، حتى اتخذ صفة (العلم الحديث)، وأصبح له أنصار من كبار العلماء والمفكرين.

وبديهى أن يكون الشرقيون أكثر الشعوب اهتماماً بالروح فالشرق مهد الأديان ومهبط الأنبياء ومسرى الملائكة.

وفى مصر جماعات تهتم الآن بهذا (العلم) الحديث، وفى هذه الجماعات علماء من كبار رجال الدين مثل الفيلسوف الكبير المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى.

ومن هؤلاء العلماء رجل متحمس لهذا العلم كل التحمس، مؤمن به إيماناً عظيماً، هو الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير.

وقد كذبه كثيرون من المتشككين، وانبروا يتحدونه، وهو يصمد لهم ويقبل تحديهم.

وفى الواقع أن هذا العلم يثير الحيرة.

ولو كان الأمر يقتصر على الشرقيين لقلنا إنها شعوب روحية خيالية، يجد هذا العلم بينها مجالا طبيعياً، ولكن العجب والحيرة يأتيان من ناحية الغربيين، وهم قوم ماديون يتشككون فى كل شىء، ولا يؤمنون إلا بالمادة وحدها ...

كان اهتمام الغربيين فى الماضى بالبحث فى الروح يكاد يكون محصوراً فى طبقة معينة، وكان بحثهم فيها يتخذ صورة الاختراع والخيال، أو ينظرون إليها نظرتنا إلى ما نسميه (العفاريت)!

وكان معظم هذه الفئة أدباء يجنحون إلى الخيال فى كتاباتهم وكان أغلبها يتخذ صبغة القصة، ومن هذا النوع عاصفة شيكسبير، وبعض قصص تشارلز ديكنز، وإدجار آلن پو، وأسكار وايلد، حتى جاء السير آرثر كونان دويل فجعل من هذا اللون من الكتابة فنا، أضفى عليه رداء جديداً ...

ثم ازداد اهتمام الغربيين به فى السنوات الأخيرة، فاتخذ منه العلماء علما، حتى تقرر تدريسه فى بعض الجامعات، واتخذ منه الكتاب والباحثون فناً ...

إلا أن العجيب حقاً أن يكون من هؤلاء الأخيرين صحافيون معروفون يعالجون مواضيعه بأدلة وبراهين لا تترك مجالا للشك فى صدق وقوعه ...

ومن هؤلاء الصحافيين الكاتب الانجليزى الكبير هانن سوافر، ولزلى وود، وا.ل. لويد، وموريس باربانل، وتريفور آلن، وغيرهم كثيرون.

كما أن للورد هاليف كس كتاباً عن الأشباح نشره حديثاً ولم نطلع عليه، ولكننا قرأنا عنه وطالعنا قصة منه منشورة فى إحدى المجلات الانجليزية ...

لو كان هؤلاء الصحافيون أدباء لقلنا إن ما يكتبونه خيال أدباء، ولكنهم صحافيون لا يؤمنون إلا بالملموس الذى يرونه بأنفسهم، ولا يجرون وراء خيال الأدباء.

ومن هذه المقالات التى كتبها حديثاً بعض هؤلاء الصحافيين عن وجود الأرواح وتحضيرها، جعلنا مادة هذا الحديث، لأنها تأتى من أوائل الماديين فى أوربا ...

***

إن المطلع على الآداب الغربية يطالع عشرات من القصص التى تدور حول وجود الأرواح والأشباح فى كثير من الأماكن المهجورة والأثرية.

وقـد ذكر لى وود أن بعض الأشباح سكنت فى (الاستوديوات ودور السينما) ، بل أن بعضها ظهر فى شريط سينمائى ...

وذكر شاهد عيان فى استكهولم ، عاصمة السويد ، قصصاً عن أبرشية يظهر فيها شبح سيدة عجوز فى ملابس خضراء تسير بين الأبواب المغلقة ، وثلاث سيدات فى ملابس من الطراز القديم يجلسن على كنبة يحكن بعض الثياب ، وإذا جلست على مقعد معين من الصخر هناك دفعت إلى الوراء . وقد شهد بكل هذه الأقاصيص خمسة من القسس .

أما تريفور آلن ، المؤلف والصحافى المشهور ، فقد بدأ كلامه بقوله إن الأشباح التى يحبها هى الأشباح التى يستطيع التحدث إليها ، وقد وقع له ذلك الاتصال بها فعلا .

ثم تحدث عما سمعه من القصص التى رواها له علماء ومهندسون وأثريون لا يكذبون أو يخترعون ، فقال : ولنأخذ تل العمارنة ، مدينة الفرعون إيخناتون المصرى ، فقد قابلت منذ بضع سنوات أثرياً شـاباً ، هو رالف ليفرز ، وكان ينقب عن الآثار القديمة هناك فى بعثة جمعية التنقيب المصرية . ولم يكن هـذا المهندس المادى يعتقد فيما يسمع عن لعنة توت عنخ أمون . ولكنه ذكر لى أشياء غريبة كان يسمعها فى الليل بين تلك الآثار ، ولم يستطع لها تعليلا ، ومنها موسيقا على آلات موسيقية من العهد الفرعونى ، توقعها أشباح غريبة فى زى عصر إيخناتون فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ولا يمكن أن نشك فى أقوال رجل مثل السير آرثر إيفانز ، فقد قابلته عند ما كان ينقب فى قصر مينون ، فى كنوسوس بجزيرة كريت ، فقد ذكر لى أنه سمع ذات ليلة أصواتاً غريبة ، فترك فراشه ونزل إلى انقاض القصر فرأى كثيرين من رواد البلاط ينزلون السلالم وهم يحملون المشاعل ويتكلمون بلسان مينون الذى عفى عليه الزمان ، وقد راقبهم نصف ساعة .

ولما كان جورج جيستنج ينقب عن آثار كالابريا القديمة ، مرض بالحمى ورأى جنوداً من عهد الامبراطورية الرومانية يمرون أمامه ، وقد وصفهم وصفاً دقيقاً جداً .

ولنتحدث عن دير العذراء القديم فى هيرلى على نهر التيمس الذى أنشأه عام ١٠٨٦ جيوفرى دى ماندفل الذى اشترك فى معركة هيستنجس . فقد فرجنى الكولونيل ريفرزمور على هذ المكان ، ثم ذكر لى عرضاً فى أثناء حديثه أن شبح زوجة جيوفرى الثانية — لسيلينا — وشبح وليم روفرس رهو مدرع بعتاده الحربى ويعتطى جواداً ، سكنا ابهاءه ... وقد وجدت جماجم رهبان فى هذا المكان أثناء التنقيب ، بقامات ضخمة ، وأقدام صغيرة .

وكان لى صديق طبيب قضى أياماً هناك ، فقال إنه رأى فى أحلامه راهباً فى مسوح أسود يحادثه ، فى حجرة من حجرات جناح النوم ، وقد أشار الراهب إلى المدفأة الحديثة وقال : أزلها من هنا ! ثم رأى الطبيب مدفأة قديمة مستديرة جميلة الشكل تحت دعامة كبيرة من البلوط ، خلف المدفأة الحديثة ... ولما أخبر الكولونيل ريفرزمور بهذه الحكاية أزال المدفأة الحديثة فوجد القديمة مكانها ، كما وصفها الطبيب تماماً !

وكانت هناك ضيفة أخرى ، وهى سيدة تهتم بالكتابة الآلية ، فتلقت ذات يوم رسالة عن « بئر فارغة » وفيها أشارات أعانتها على رسم خريطة لهذه البئر ، وأخبرت أنها تحتوى على مجوهرات وكنوز ثمينة ألقاها فيهـا أخ ميت . ثم تلقت رسالة أخرى تقول : ابحثى عن خط الصدأ . .

وأخبر الكولونيل كذلك بهذه الحكاية الطريفة ، فتشكك فيها بادىء الأمر ، لأنه لم يكن يظن أن بئراً توجد فى ذلك المكان ، ولكنه أخذ فى الحفر ، فضرب خيطاً صدئاً تحت الطبقة الأولى ، ثم البئر بعد ذلك ... وتابع الحفر ، فاكتشف عظاماً وملابس من العصور الوسطى ، وأوانى فخارية ، ثم تابعوا الحفر أقداماً عديدة — رأيتها بنفسى — ولكنها لم تكن بالقدر الكافى ليكتشفوا الكنوز تحتها ...

ولما كنت أعيش فى هامبتون — على نهر التيمس — كان منزلى بجوار قصر الروائية المعروفة ونفرد جراهام ، التى صارت فيما بعد مسز تيودور كورى ؛ وكان قصرها هذا ، المسمى سانت الباتز ، والواقع على النهر ، مملوكا من قبل لابن السيدة نل جوين ، دوق سانت الباتز ... ففى الليلة الأولى التى نزل والداها ذلك القصر ، كانا يعبران المرجة التى أضاءها القمر ، وفجأة سأل الرجل زوجته : ألا ترين شيئاً غريباً على شجرة المجنوليا ؟

فأجابته زوجته متعجبة : ماذا ... نعم ... إن هناك رجلا متدلياً منها !

ولما أسرعا فى اتجاه الشجرة اختفى ما رأيا ...

وبعد أسبوع ، كان والد الروائية فى حفلة رقص بمنزل الـكولونيل هارفيلد ، فسأله أحد الأهلين : هل أنت مستر جراهام الذى اشترى قصر سـانت اليانز ، ذلك البيت القديم الجميل ، الذى شنق الرجل نفسه على شجرة الجنوليا فيه ؟ فاستفسر الرجل فزعاً ...

وأخبرتنى الروائية أنها علمت أن عابر سبيل وقع فى ضائقة مالية ، فشنق نفسه على تلك الشجرة ، ويقول الناس أن شبحه يقطن الحديقة .

وذات فجر باكر ، استيقظت مسز جراهام على أصوات غريبة ، ورأت ثلاثة آدميين يتزاحمون على سطح الشرفة ، ويتفرسـون فى نافذتها . كانوا رجلين مضطربين ، يعينون امرأة تبدو ميتة ، رأسها متدل ، وملابسها وشعرها مبتلة بالماء ، فقفزت من فراشها واتجهت إلى النافذة وهى تصيح : ما هذا ؟ ما خطبكم ؟

ولـكنهم اختفوا ...

ولما طلع النهار علمت مسز جراهام أن رجلين وسيدة كانوا فى حفلة بجزيرة تاج القريبة منهم ، وقد عادوا إلى سيارتهم بعد انتهاء الحفل ، ولـكن السيارة اختلت من قائدها وسقطت فى النهر . وكان أحد الرجلين ، وهو تومى هام ، سبّاق بروكلاند الشهير فى السيارات ، يبذل غاية ما فى وسعه لينقذ زوجة صديقه التى غرقت .

ولما رأت مسز جراهام صورته منشورة فى إحدى الجرائد عرفت فيها أحد الرجلين اللذين رأتهما فى رؤياها . فا القول فى هذا ؟ وهذه القصة :

ذهبت خادمة إلى مسز جراهام ذات مرة تقول أنها قابلت سيدة جميلة على السلم ، مرتدية ثوب سهرة مفتوح الصدر ، وتحيط بها أنوار أبدت ما عليها من حلى . ولها نظارات ساحرة حلوة .

وسألتها مسز جراهام إذا كانت خافت تلك السيدة ، فقالت الخادمة : كلا . . . إنهـا كانت جميلة جداً . ولقد أسفت عندما اختفت بسرعة .

واستزادت السيدة خادمتها وصفاً لتلك السيدة الجميلة ، فرأت أن أوصافها تنطبق على السيدة نل جوين — صاحبة القصر الأولى — وعندئذ أسرعت إلى صندوق قديم وأخرجت منه صورة زيتية ، فتعرفت الخادمة فى الحال على صـاحبة الصورة وصاحت : رباه ... أنها بعينها السيدة الجميلة التى رأيت شبحها ، إنها هى بذاتها !

وكان آل جراهام على صلة وثيقة بكنيسة القرية وراعيها . وذات عشية دعوا القسيس لتناول الشاى عندهم ، فلما توجه إلى قصرهم كان بادى الخوف والجزع يلهث من شدة الاضطراب ، وأخبرهم أنه وهو فى طريقه إليهم ، عندما مر بوصية الـكنيسية ، سمع ضوضـاء وأصواتاً غريبة كأنها أصوات جوع من الخلق تناديه من القبور ليلحق بهم ، فأفزعته تلك الأصوات حتى أنه أطلق لساقيه العنان .

فقالت له الآنسة جراهام : إنها أوهام واضطراب أعصاب ثم قدمت له كأساً من الوسكى القوى مع ماء الصودا .

وكان هذا القسيس شاباً قوياً ، صحيحاً بالغ الصحة ، ولـكنه توفى فجأة بعد أسابيع قليلة .

وأما قصور هامبتون ، فإن أروقته مسكونة بأشباح يمـكن أن نسميها نجوم الأشباح !

فثلا هناك شبح كاترن هاوارد التى فرت من حجرتهـا لتماهد هنرى قبل أن يذهب للاعدام فى البرج ، وهى تصرخ فى يأس بين ممرات القصر فتردد أصداء صياحها .

واللادى چين سيمور ، فى ملابسها البيضاء ، تصعد السلالم وتدخل مخادع القصر القديمة ، وهى تحمل شمعة موقدة .

وإن شبحى المفضل الذى أعتز به — لأسباب شخصية — هو شبح السيدة ذات الرداء الرمادى ، وهى السيدة سيبل بن ، مرضعة الأمير إدوارد ، بعد موت چين ... وكانت تلك السيدة تعيش فى المخادع التى يقطنها الآن اللورد واللادى بيردوود .

وقد دفنت فى كنيسة هامبتون عام ١٥٦٢ تحت جدث من المرمر ، عليه تمثال فى حجمها الطبيعى . ويبدو أنها احتفظت

بهدوئها مئات الأعوام حتى أقلقت عظامها فى جدثها ، عندما دم عام ١٨٢٩

فلن تحب سيدة لنفسها أن تعامل مثل هذه المعاملة الخالية من الذوق ، ولو كان عمرها ثلاثمائة عام .

ولهذا بدأ شبحها يظهر فى حجراتها القديمة ، حيث يسمع فتيات آل يونسونبى وغيرهن — من خلف الجدران — صوت سيدة كأنها تدير آلة غزل قديمة .

وقد رأى جندى (ديدبان) ، ذات ليلة شبح امرأة فى (برنس) رمادى ذى رأس طويل .

ولولا خشيتى أن تحسب أنى أطيل فى القصة ، فإنى أضيف إليها باختصار أن مكتب العمل — لأسباب عرضية — هدم هذه الحائط ووجد حجرة مختفية فيها آلة غزل قديمة ، ولوازم نسوية أخرى . وكان (خشب الأرضية) متآكلا بفعل أقدام من سارت عليه ؟

وقد ذكر أرنست لو ، مؤرخ قصور هامبتون ، شبح السيدة بن ووصفه بأنه : أحسن الأشباح التاريخية الحقة .

وإليك مزيداً من هذا ..

فقد روت اللادى مود — وهى ساكنة حديثة فى ذلك القصر — للآنسة جراهام أن ضيفة من ضيوفها كانت تزورها ، فجلست على منضدة الملابس بحجرة نومها ، فدخلت عليها سيدة طويلة ، نحيفة البدن ، فى ثياب رمادية . وقد ظنت الضيفة أنها رئيسة الخدم ، فقالت لها : هل تتفضلين بإيقاد النور ؟ .

وكان زر الضوء بجانب الباب .

ولكن السيدة لم تجب ، ثم انسلت خارجة فى هدوء ..

وقالت السيدة مود إنه لم يكن هناك سيدة بهذا الوصف فى ذلك الوقت ، ولكنه ينطبق كل الانطباق على السيدة بن .

وقد رأى كثيرون هذا الشبح مراراً ..

ومن هذا القبيل ... إن الفنان أريك فريزر يعيش فى بقعة من ذلك القصر ، بقرية هامبتون . ولعله يعيش فى نفس المكان الذى ماتت به السيدة بن .

وقد خبرتنى السيدة فريزر أن ابنتها الصغيرة ، ولم تكن سنها تزيد على عامين أو ثلاثة أعوام ، ولم تعرف شيئاً مطلقاً عن هذه الأقاصيص ، قالت لأمها عرضاً ذات يوم : مامى ... لقد رأيت سيدة جميلة فى ملابس رمادية . دخلت حجرتى فى الليلة الماضية ، ولم اهتم بدخولها ...

وفى مرات متكررة بعد ذلك ، قالت لها الطفلة . لقد رأيت السيدة الرمادية مرة أخرى .

وهناك حكايات وأقاصيص أخرى عديدة ، تقشعر من ذكرها الأبدان . ولكن القصص التى رويتها هى التى أستطيع الاعتماد عليها لوثوقى من مصادرها ، ذكرتها لمن يهتمون بالأرواح والأشباح .

(للمقالة بقية) حسين مهدى الغنام

أحمد الكاشف

مات الشاعر الماجد أحمد الكاشف : منذ أيام معدودات ، بعد أن خدم الشعر والأدب ، والسياسة والعروبة نصف قرن أو يزيد .

نشأته وحياته :

ولد بناحية القرشية من أعمال مديرية الغربية . من أبوين تركيين عريضى الجاه ، وافرى الثراء . رفيعى المنزلة تربطهما بكرام الأسر فى مصر وشائج القربى أو صلات المعرفة ، وعميد أسرة الكاشف بعد الفقيد هو شقيقه محمود بك ذوالفقار الكاشف وكيل الجمعية الزراعية الملكية ومن أقارب الأسرة معالى على باشا الشمسى ، والدكتور حامد باشا محمود .

تلقى الفقيد علومه الأولية فى منزل والده كعادة الأسر الكبيرة . ثم التحق بمدارس طنطا ولكنه لم يتم تعليمه لانصرافه عن العلوم المدرسية إلى كتب الشعر والأدب من جهة ، ولاعتماده على ثراء أسرته من جهة أخرى .

ولم يتزوج الفقيد وعزف منذ صباه عن مباهج الحياة واطمأن إلى العيشة الريفية الهادئة . فترك بيت الأسرة الواسع الرحاب بالقاهرة . وقضى كل عمره ببيته القروى مستغنياً بوجهاء القرية عن كبراء مصر وبصداقة الفلاحين عن مخطالة المتمدينين .

وملأ حب القرية قلبه وشغل فكره حتى قضى حياته معتبراً جميع أهلها أهله ، وشواغلها شواغله ولا يمكن أن يهتم أى شخص بأسرته وبيته أكثر مما اهتم الكاشف بالقرشية وأبنائها وكان منزله جامعة شعبية للقرية . وبرلمانا لها . ومحكمة يقضى فيها بين المتخاصمين ، ولا يخلو يوماً من الشيخ الفانى والشاب الفتى ، والفلاح الساذج . والمثقف الفذ — يديره الكاشف بحكمة ولباقة ومرونة تؤلف بين هذه العناصر الشاذة بحيث ينال كل جالس ما يرضيه ويسمع ما يعجبه —

أخلاقه :

كان الفقيد متصوف النزعة . وإلى الزهد فى الحياة وزهرتها أميل . إلى إيثار لازم حياته فجعله دائماً يفضل مصلحة غيره على نفسه . فيجود بالضرورى ولا يرد سائلا . ويرحب بالعافين والسائلين ولو كان به خصاصة .

ومن أبرز صفاته التسامح . فلم يحمل قلبه غيظاً لعدو . ولا حقداً لمسىء ، وما كانت تمنعه إساءة أحد عن أن يخلص فى خدمته ، بطبع صاف لا تكلف فيه ، وسماحة نفس لا تحامل عليها . كما كان شديد العطف رقيق الوجدان دائم الوفاء وله فى ذلك قصص لا يتسع المقام لذكرها .

أدبه :

برع فى الشعر السياسى حتى بز جميع شعراء العصر فى هذه الناحية ، ويمتاز شعره بأنه سجل حافل للمسألة الشرقية والقضية المصرية ، وقد ارتفع صيته فى فترتين ، أولاهما أيام الخديوى عباس وثانيتهما إبان الوزارة الأخيرة لمحمد باشا محمود .

كما يمتاز شعره برقة الحاشية والخلو من غريب الألفاظ مع وضوح المعنى ومسايرته لبساطة التفكير .

وقد طبع شعره القديم فى [ديوان الكاشف] ولكن ما بقى من شعره الأخير غير مجموع أكثر وأقوى مما جمع .

واجب :

أليس من حق الراحل الكريم أن يجمع ديوانه . ويبحث ويدرس كفاء ما أسداه للأمة واللغة من خدمات ؟ وهل يجوز فى منطق الوفاء أن يهمل هذا الرجل بعد موته وقد ضحى بماله ومستقبله وأوقاته فى سبيل خدمة اللغة والأمة ؟

يا أصدقاء الكاشف وعارفى فضله ويا أسراء معروفه ويا محسوبى إحسانه ويا رجال الأدب واللغة والصحافة أسألكم بالله ألا تنسوا أحمد الكاشف الذى خدم الأمة واللغة نصف قرن أو يزيد .

عطية الشيخ

يا ثائراً بالنـــار

للأستاذ حسن الأمين

صمتاً فقد نطق الرصاص وحسبنا   أن الرصاص إلى القتال ينادى
فى سفح «نابلس» لهيب معارك
وعلى جبال «القدس» صوت جهاد
كل يلوذ بنخوة عربية   كل يردد صرخة استنجاد
يا ثائراً بالنار يحمى أرضه   ويذب عنها جاهداً ويفادى
لم يستكن للظالمين ولم يدع   علجاً يدوس مراقد الأجداد
أنشدتنى لحن الرصاص وربما   أشجاك فى ليل الوغى إنشادى
قد صغت فيك الشعر حراً ثائراً   يذكى الجبان ويستهيج الهادى
أرنو إليك فمن لظاك قصائدى   نظمت ومن قانى دماك مدادى
إن فاتنى بالأمس يومك إننى   أهفو إليك بمدتى وعتادى
فلعل لى يوماً بجنبك يرتوى   فيه من الثارات قلبى الصادى
ولعلنى ألقاك فى رهج الوغى   ولعلنى أمشى إلى استشهادى
ردد على الأسماع أنغام الظبى   نارية الترجيع والترداد
قل للقعاة عن القتال ألم تروا   ماذا يراوح «قدسكم» ويغادى
آلموت فى كف اللئام وأنتم   حولى ولم يهززكم استنجادى
أأرد عن وردى أأقتل صابراً   بيد اليهود أتستباح بلادى
يا ناعمين على الحرير ومادروا   أنا ننام على فراش قتاد
متلفعين دم المعارك مالنا   إلا الحصا فى القفر ظهر وساد
نغدو على النيران يذكيها لنا   غدر اللئام وخسة الأوغاد
ونبيت لا ندرى أنصبح بعدها   أم أن عين الموت بالمرصاد
يا ناعمين وما دروا أنا هنا   لسنا نذوق اليوم طعم رقاد
إخواننا والدهر فرق بيننا   مدوا لنا منكم يد الأنجاد
هبوا إلينا بالبنادق بالظبى   بالمال بالأرواح بالاعتاد
لبيك «نابلس» بكل مصابر   حر وكل مناص ذواد
يفديك إن حمى الوطيس بنفسه   ويقيك بالأموال والأولاد
بالفيلق العربى يمشى صارخاً   القوم قومى والبلاد بلادى
أحمى بنيران المدافع حقها   وأذود عنها بالرصاص العادى
من يستبيح حماى من يسطو على   حقى ومن يلوى رفيع عمادى ؟

(دمشق)   حسن الأمين

نشيد «إلى الأمام»(*)

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

تقدموا   يا جنود الفدا   طال السكون
وحطموا   ما بناه العدا   من الحصون
وقدموا   من بغى واعتدى   إلى المنون
أنتم حماة البلاد   إذا دعا داعى الجهاد

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

إلى الأمام فى ظلال العلم   يا جنود
وجددوا يوم النزال القسم   والعهود
بأن تبيدوا كل باغ ظلم   من الوجود
وأن يكون الانتصار   شعاركم . نعم الشعار

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

سيروا إلى النصر سيروا   فالنصر للعاملين
طيروا إلى المجد طيروا   فالمجد للقادرين
والله نعم النصير   والله نعم المعين
ولتهتفوا المليك   أرواحنا تفتديك

إلى الأمام   يا جنود الوطن   إلى الأمام
على الدوام   فوق هام الزمن   على الدوام

(الاسكندرية)   إبراهيم محمد نجا

(*) هذا النشيد لا تجوز إذاعته إلا بإذن خاص.

الأدب والفن في أسبوع

علماء الدين والفن :

طلب إلى فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، الموافقة على استخدام فرق المسرح الشعبي فى الدعاية الدينية ، وذلك بإدخال الموضوعات التى يتناولها الوعاظ فى الروايات التى تمثلها هذه الفرق ، فلم يوافق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك .

قرأت ذلك الخبر فى الصحف ، وقرأت إلى جانبه أن الشيخ محمود أبو العيون لبى دعوة زوجين من ممثلى السينما ، فتناول طعام الإفطار على مائدتهما ، وأرشد الزوجة إلى بعض الأمور الدينية . وقد نشرت مجلة « الاثنين » صوراً لفضيلته معها ، إحداها وهى تنصت لقراءته آيات من القرآن الكريم ، وواحدة وهو يؤمها فى الصلاة ، وثالثة فى الشرفة ينتظران غروب الشمس ، ولم تهمل الممثلة فى أثناء ذلك زينتها وخاصة صبغ شفتيها باللون الأحمر ...

وقد حسبت أول ما وقعت عينى على هذه الصور أنها مناظر من فلم جديد ... ثم قرأت فى مجلة « آخر ساعة » بتوقيع « الشيخ عبد العزيز علوان » أنه لقى الشيخ أبو العيون وهو خارج من صالة العرض السينمائية فى وزارة الداخلية ، فقال له : « لقد شاهدت اليوم الفيلم المصرى الأول الذى يستطيع أن يفخر به كل شرقى » وذكر اسم الفلم وبعض أبطاله ...

وهكذا نرى موقف كل من الشيخين الكبيرين من عالم المسرح والسينما ، مخالفاً لموقف الآخر ، ولا بد أن لكل من فضيلتيهما وجهة نظره ، ولكنها على أى حال مفارقة من المفارقات التى لا تخلو من طرافة .

ومفهوم طبعاً أن المنشور فى آخر ساعة بتوقيع الشيخ عبد العزيز علوان ، يقصد منه الإعلان عن الفلم الذى تناول الشيخ أبو العيون طعام الإفطار على مائدة بطله . وهنا شىء طريف ينبغى تسجيله ، وهو استخدام اسم عالم كبير من علماء الأزهر فى الاعلانات السينمائية ... وهو (تقليعة من تقاليع) مصر التى تبذ بها هوليوود !

معهد للدراسات الاجتماعية :

قررت جامعة فاروق الأول بالاسكندرية إنشاء معهد جديد للدراسات الاجتماعية ، يلتحق به الراغبون فى هذه الدراسات من خريجى كليات جامعتى فاروق وفؤاد ، على أن يكون الطالب قد درس فى جامعة أو معهد عال علم الاجتماع أو علم النفس أو التربية أو الاقتصاد الاجتماعى أو الجغرافية البشرية أو الجغرافية الاجتماعية أو أصول القانون . ومدة الدراسة فى المعهد سنتان يحصل الطالب بعدها على شهادة معادلة للماجستير . وستبدأ الدراسة به فى شهر أكتوبر القادم .

وتستبين فكرة المعهد من المذكرة التى وضعها عميد كلية الآداب بجامعة فاروق فى هذا الصدد ، فقد جاء فيها أن مصر فى حاجة إلى جيل جديد من الباحثين الاجتماعيين ، يقوم بدراستها على الإحصاء الدقيق لأنها بلد لا تعرف شئونه الاجتماعية على الوجه الأكمل ، وإن علم الاجتماع هو الذى يستخدم الآن فى تعرف أحوال الجماعات الإنسانية وتطورها الاجتماعى والسياسى ، كما أنه الأساس الذى تعتمد عليه الأمم فى توجيه الإصلاح الاجتماعى . والغرض من إنشاء هذا المعهد هو دراسة العلوم الاجتماعية وتطبيقها بوجه خاص على البحوث العملية المتصلة بمصر والأقاليم المجاورة لها .

والواقع أن الدراسات الاجتماعية قليلة الحظ فى بلادنا ، وخاصة الناحية التطبيقية ، فإذا كان لدينا بضعة علماء فى الاجتماع فإن دراستهم نظرية حصلوا بها على شهادات ودرجات جامعية ، أما المجتمع المصرى ، فهو كما يقول عميد الآداب بالإسكندرية لا تعرف شئونه على الوجه الأكمل . ولا تكاد تجد فى ميدان الكتابة والتأليف مكاناً لدراسة أحوالنا الاجتماعية ولعل ذلك من أسباب ما نراه من عقم المشروعات الاجتماعية التى توضع وتعتمد لها الأموال وتنشأ لها الإدارات وتؤلف لها اللجان ولا يرى لها أحد أثراً فى غير الوظائف ودرجات الموظفين .

اليونسكو ومساعي اليهود :

يبذل اليهود مساعي للحيلولة دون انعقاد مؤتمر اليونسكو في لبنان ، وقد كان من أثر هذه المساعي أن أبدى بعض الأعضاء الغربيين مخاوفهم من الاجتماع في بيروت في الوقت الذي تدور فيه المعارك بين العرب واليهود في فلسطين ، وأبلغت هذه المخاوف إلى الحكومة اللبنانية ، فسارعت إلى طمأنتهم وأكدت لهم أن المؤتمر سينعقد في جو آمن لا يخشى فيه أي ضرر .

ولكن المساعي اليهودية نشطت أكثر من ذلك ، فقد جاء في نشرة الهيئة العربية العليا أن إحدى الدول الأعضاء في اليونسكو أرسلت — بدافع تلك المساعي — مذكرة رسمية إلى المستر هكسلي المدير العام لليونسكو ، ترغب إليه فيها إعادة النظر في موضوع عقد مؤتمر اليونسكو في لبنان ، بسبب الاضطرابات القائمة في فلسطين ، ولأن لبنان يؤلف أحد طرفي النزاع ، وهو في حالة حرب مع اليهود ، ويخشى أن يؤثر موقفه في سير أعمال المؤتمر . وقد رد المستر هكسلي على طلب هذه الدولة بقوله : إن مسألة الأمن في طليعة المسائل التي تراعيها هيئة اليونسكو عند عقد مؤتمراتها ، وهي تستطيع أن تصرح استناداً إلى المعلومات التي لديها أن لبنان لم يعلن الحرب على اليهود في فلسطين ، بل بالعكس ، فهو واقف موقف الدفاع ، وقد حشد جيشه على الحدود ، لا رغبة منه في الغزو أو الفتح ، وإنما للدفاع عن أرضه وتأمين السلام والأمن في ربوعه ؛ على أن إدارة اليونسكو سوف تدرس الحالة في لبنان في ضوء التطورات الجديدة .

ومما يلاحظ أن مؤتمر اليونسكو قد شغل الدول العربية عن عقد المؤتمر الثقافي العربي الثاني في هذا العام ، مع أن هذا أجدى عليها وأدنى إلى الناحية العملية من حيث تنفيذ توصياته . أما اليونسكو فما هي إلا إحدى هيئات الأمم المتحدة (المتحدة ضد العرب فقط) ونحن الآن في حالة توجب علينا ألا نثق في هذه الهيئات ، سياسية كانت أم ثقافية ، أو على الأقل لا نرجو منها خيراً .

إذاعات من باريس عن أدباء العرب :

نشرت الأهرام أن الأستاذ راشد رستم مراقب القسم الأوربي للاذاعة المصرية قرر إذاعة سلسلة من الأحاديث باللغة الفرنسية عن الأدباء والشعراء العرب والمصريين مع ترجمة قصائدهم شعراً ، وعهد بذلك إلى الأديب الفرنسي مسيو جاستون برتيه مراسل جريدة « الفيجارو » الباريزية والذي عاش في مصر طويلا . وقد شملت أول سلسلة من هذه الأحاديث إذاعات عن أحمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم وابن الرومي وأبي تمام وأبي نواس وعباس محمود العقاد وعبد الرحمن صدقي وأحمد رامي وشعر الفروسية عند العرب وما نقله منه واصف غالي باشا . وستذاع هذه الأحاديث قريباً من محطة إذاعة باريس ، وسيعقبها أحاديث عن الناثرين والقصصيين .

ويمكن أن نفهم تكليف الأديب الفرنسي مسيو جاستون بإعداد هذا البرنامج على أنه مشرف على تنظيمه ويعاونه فيه أدباء مصريون . وإلا فكيف يدرس ابن الرومي وأبا تمام وأبا نواس ؟ وأنى له القدرة على ترجمة أشعارهم ؟

مؤتمر المستشرقين :

جاء من باريس أن المؤتمر الدولي للمستشرقين عقد جلسته الافتتاحية بالمعهد الوطني للعلوم السياسية في يوم ٢٤ يولية الحالي وقد شهد الجلسة ممثلون لجميع البلاد التي تهتم بدرس حضارة الشرق الأدنى وتاريخه ، وفي مقدمتهم مندوبو مصر برياسة أحمد ثروت بك سفيرها في فرنسا ، ومندوبو الباكستان والهندستان وتركيا والنمسا ولبنان . وسيوالي المؤتمر أعماله في عشر لجان أولها لجنة الدراسات المصرية .

وقد تكلم في هذه الجلسة الدكتور طه حسين بك فقال إنه يحمل إلى المندوبين الفرنسيين وإلى سائر أعضاء المؤتمر تحية مجمع فؤاد الأول للغة العربية وتحية مصر كلها التي يسرها أن تشترك في مؤتمر تعده جوهرياً بالنسبة إليها ، لأن الدور الذي قامت وستقوم به في الثقافة الشرقية وفي أبحاث المستشرقين يقضي عليها بأن تشترك في كل اجتماع من هذا النوع . ثم قال : يسرني أن أنتهز هذه الفرصة لأعلن شكري وشكر جيل كامل من المصريين جيل المهتمين باللغة العربية والآثار المصرية للمستشرقين الفرنسيين وغيرهم من المهتمين بتلك اللغة وهذه الآثار . فما من مصري يعنى بالشئون الشرقية لا يشعر بأنه مدين بأمور كثيرة للمهمة العظيمة

التى قام بها المستشرقون سواء هناك فى القاهرة أو هنا فى باريس لقد كنا جميعاً من تلامذة المستشرقين الفرنسيين ، فسمعنا دروسهم على ضفاف النيل ، وعلى ضفاف السين ، فى مختلف الجامعات الفرنسية . فإذا أعربت لكم عن شكر أبناء الجيل الذين تجاوزوا سن الشباب الآن ، والذين أمثلهم أناهنا ، فإنى أعرب لكم عما نشعر به شعوراً عميقاً ، وأقوم بواجب أعده واجب الأبناء نحو الآباء .

من طرف المجالس :

قال أحد الأصحاب إنه من سلالة على بن أبى طالب ، وسلسلة النسب بين على وعدنان معروفة ، وهو يريد أن يبحث عمن بين عدنان وآدم ، لتتم له معرفة سلسلة نسبه إلى آدم .

فانبرى له صاحب آخر قائلا :

أريد أن تثبت أنك من بنى آدم !

على طريقة طه حسين :

بدا لى أن أكتب فى هذا الموضوع الذى تستطيع أن تقول إنه ليس موضوعاً ، وإنما هو بحث عن موضوع . وسواء اتفقنا على أنه موضوع أو أنه غير موضوع أم لم نتفق على شىء من ذلك فالأمر الذى لا شك فيه أنى دفعت إلى الكتابة فيه دفعاً وحملت عليه حملا . فأنا أريد أن أملأ هذه الصفحات الثلاث التى أملؤها كل أسبوع ، والمطبعة تريد أن تملأها أيضاً ، والقراء ينتظرون أن يقرؤوها أو بعبارة أخرى يريدون أن يملؤوا هم أيضاً فراغهم بقراءتها .

كتبت من هذه الصفحات الثلاث ما كتبت ، ثم رجعت إلى ما كتبت ، وقسته إلى ما تعودت أن أكتب كل أسبوع ، فوجدته أقل منه بحيث لا يسد الفراغ ، ولم أجد عندى ما أكتبه ، أو قل لم أجد أدباً ولا فناً ولا شيئاً يصح أن يقال عنه إنه أدب أو فن أو شبيه بالأدب والفن من قريب أو من بعيد .

هذه الصحف وهذه المجلات ، يومية وأسبوعية وشهرية ، يحررها محرروها ويكتبها كاتبوها فى هذا الحر الشديد ، لأنها لا تتوقف عن الصدور فى الصيف كما لا تتوقف عن الصدور فى الشتاء . تقرأ هذه الصحف وهذه المجلات حين يصبح الصباح ، وحين يرتفع الضحى ، وحين يقبل المساء ، فلا ترى فيها أدباً أو فناً أو شيئاً من قبيل الأدب والفن يترك فى نفسك أثراً أو صدى بعد قراءته ، ويظل عقلك فارغاً من هذا الأثر وهذا الصدى كما كان قبل هذه القراءة .

وهذه القاهرة تكاد تخلو أنديتها وهيئاتها الثقافية الرسمية وغير الرسمية ، تكاد تخلو من كل نشاط أدبى أو ثقافى فى هذا الصيف كما تعودنا أن نراها كل صيف .

قلت لصاحبى : ماذا أصنع فى هذا الموضوع ؟ فقال فى شىء من الإنكار : وهل هو موضوع ؟ فلم أجد مناصاً ولا مفراً ولا بداً من أن أتمثل بهذا البيت الذى طالما تمثلت به قبل الآن وسأتمثل به فى كل آن :

أيتها النفس أجملى جزعاً إن الذى تحذرين قد وقعا

وأكبر الظن أن أوس بن حجر حينما قال هذا البيت فى رثاء فضالة الأسدى لم يكن يخطر له على بال ولم يكن يدور له فى خلد أنى سأتمثل به حينما أقع فى أزمة الأدب والفن فى هذا الأسبوع

العباس



حول لفظة «العتيد» :

بينا كنت أستمتع بقراءة المقال الشيق الذي كتبه الجهبذ الكاتب الشيخ محمد رجب البيومي في العدد ٧٧٣ من الرسالة الغراء إذ لفت نظري وأسر انتباهي في ثنايا المقال لفظة (عتيدة) التي جاءت وصفاً في قوله : (ويقود أركاناً (عتيدة) يراها غير صالحة للبقاء !) وقد كان معناها (القدم) كما يريد كاتب المقال في هذا المقال . وكتب اللغة التي رجعت إليها المختار ، المصباح ، المحيط لم تذكر أن لفظة (العتيد) معناها (القدم) وإنما الذي أفصحت عنه إنما هو لمعنى (العتيد) — بدون هاء(١) — الحاضر المهيأ ، كما في قوله تعالى : — (وأعتدت لهن متكأ...(٢)) وفي قوله تعالى : — (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد(٣)) .

وأما المعنى المراد الذي لم تؤده هـذه اللفظة في هذه المقالة والذي هو (القدم) كما هو مفهوم من المقام فإنما تكون تأديته بألفاظ أخر ليس من بينها (العتيدة) هذه في هذه المقالة ، ألا وهي : العتيق والقديم والعهيد — بالهاء بدل التاء — واللفظة الأولى جاءت في قوله تعالى : (ثم محلها إلى البيت العتيق(٤)) ، وأما الآخرة فقد نطق بها مرتين في بيت واحد المرحوم شاعر النيل حافظ إبراهيم بك في استقبال السير غورست(٥) : —

وفي الشورى بنا داء «عهيد» قد استعصى على الطب المهيد

وهذا ما يحضرني الآن من الألفاظ الدالة على معنى (القدم) ولا أقول هذا كل ما في اللغة في هذا المعنى إذ ربما يطلع علينا بألفاظ أخر من المراجع اللغوية (الرقيب العتيد) الأستاذ عدنان وذلك ما كنا نبغي .

وللأستاذ صاحب المقال إكباري وتقديري وللأديب عدنان تحيتي وللرسالة اللامعة تجلتي .

(طرابلس الغرب) **محمد مهدي أبو حامد**

كلية أحمد باشا

(١) وأما التي بالها فمعناها الطبلة أو الحقة فيها طيب الرجل والعروس
(٢) سورة يوسف الآية ٣١ (٣) سورة ق الآية ١٨
(٤) سورة الحج الآية ٣٣ (٥) السياسيات ديوان حافظ ج ثاني

في ميدان الاجتهاد :

أخرجت جمعية الثقافة الإسلامية بحلوان كتاب في ميدان الاجتهاد للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، وهو معروف لقراء الرسالة بآرائه الحرة المتزنة في كل ما يكتبه في الأدب والعلم ، وبميله إلى التجديد في العلوم على اختلاف أنواعها ، حتى تخلع ثوبها القديم البالي ، وتلبس ثوباً جديداً يجدد عقلية المسلمين ، ويقضي على عهد الجمود ، ويعيد عهد الاجتهاد ، وهم في حاجة إلى تلك الصيحات الإصلاحية الشديدة التي انقضت بموت جمال الدين الأفغاني ، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، لتنبههم من غفلتهم التي عادوا إلى الاستنامة إليها ، بعد أن نبهتهم بعض التنبه صيحات هذين الإمامين .

وكتاب في ميدان الاجتهاد صيحة من تلك الصيحات التي طال عهد المسلمين بها ، بعد أن كانوا يهزون بها هزاً عنيفاً في عهد ذلك الحكيم وتلميذه ؛ فتحيي ما مات من آمالهم ، وتفتح باب الرجاء في مستقبل ناهض ، يعيد لهم سابق عزمهم ، ويسترد لهم جلال ماضيهم ، فيعيشون في هذا العصر كما يجب أن يعيشوا فيه ، ليشاركوا أهله بأرواحهم كما يشاركونهم بأجسامهم ، ولا يشاركوهم بأجسامهم دون أرواحهم ، فيتخلفوا عن ركب الحياة ، ويدركهم ما أدرك المتخلفين من الأمم الماضية — لا قدر الله .

لقد عالج ذلك الكتاب كثيراً من المسائل الشائكة في الإسلام ، فأتى فيها بالعلاج الصالح ، وحل مشاكلها بالرأي القاطع ، لأن صاحبه قد درس دينه دراسة صحيحة ، وخلص نفسه من قيود التقليد والجمود التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة ، وجمع إلى هذا إخلاصه لدينه ، وحبه له حباً يملك عليه نفسه ، فجمع بهذا كله أسباب الرأي الصحيح ، والاجتهاد المتزن .

وهذا بعد أن مهد بدرس نافع في الاجتهاد ، وأتى فيه بتوجيه جديد لم يسبق إليه ، يجمع بين الفرق الإسلامية التي باعدت بينها أصول الاجتهاد القديمة ، ويوجهها لوضع فقه جديد يمثل البيئات الإسلامية كلها ، فيسع المسلمين جميعهم ، ولا يمثل بيئة دون أخرى من بيئاتهم ، وهذا توجيه له خطره في الإسلام ، وله حسن أثره في المسلمين .

(ع)

يطلب من إدارة الرسالة وثمنه ٦ قروش وللبريد ١٥ مليما



من حديث الشعر والنثر

حملتنى الظروف الراهنة على أن أقف من هذا الكتاب موقف الدارس الناقد ، وقد وقفت منه فيما مضى موقف القارىء المستوعب وكان اختلاف الاتجاه فى الحالين لاختلاف البواعث التى حدت بى إلى قراءة الكتاب .

قرأته فيما مضى لأستفيد من معارفه إثر ظهوره ، وها أنذا أقرؤه مع طلابى بمدارس السودان ، لأبصرهم بما اشتمل عليه من آراء قيمة وبحوث طريفة لست فى كثير منها الدليل الناصح والنهج القويم . غير أنى وقفت — واستوقفنى طلابى — عند بعض الآراء فلم أجد لها دليلا من معقول أو منقول يشفى الغلة ويحمل على التصديق وسأعرض لبعض منها بالدراسة على فيها شيئاً من الهداية للطلبة الدارسين .

١ — قتل ابن المقفع :

يعتقد المؤلف بأن إيمان ابن المقفع لم يكن صحيحاً فهو يقول « ولكن إيمانه لم يكن فيما يظهر صحيحاً ولا خالصاً لله فقد كتب فى الزندقة كتباً كثيرة اضطر بعض المسلمين أن يرد عليها فى أيام المأمون ... »

يعتقد هذا الاعتقاد ثم ينفى أن تكون الزندقة هى التى قتلته دون أن يلتمس لذلك دليلا فلم يزد على أن قال : « أما أنا فأرجح جداً أن الذى قتل ابن المقفع ليست الزندقة ... » ونحن لا نجهل أن كثيراً من الباحثين قد دافعوا عن إيمان ابن المقفع إكباراً للرجل وضناً بمثله أن يعود إلى الزندقة وقد من الله عليه بالإسلام وحق لهم وقد حاولوا إبطال هذه التهمة بالدلائل أن يبطلوا ما ترتب عليها من قول القائلين : إن الزندقة هى التى قتلته .

أما الدكتور فيثبت الزندقة ثم ينفى أن يكون القتل بسببها كأنها الأمر الهين الذى لا يستوجب قتلا ولا يستدعى حساباً مع أننا نعلم أن الزندقة فى العصر العباسى قد امتحن بها طائفة من المفكرين والأدباء ولم ينفهم حين نزل بهم بلاء الحاكم أقدارهم ولا علمهم وربما قتل بعضهم زورا وعدوانا للشبهة الباطلة التى زيفها الحساد الناقمون .

والمؤلف ينفى كذلك أن يكون العهد الذى كتبه لعبد الله بن على على أبى جعفر المنصور هو الذى قتله فيقول : « ولم يقتله تشدده فى الأمان الذى كتبه لعبد الله بن على لأنه يوشك أن يكون أسطورة ليس لدينا منها نص » .

وأعتقد أن نعت العهد بالبطلان — لأنه لم يصل إلينا — حجة لا تنهض على أساس فكم من عهود أضاعها الزمن ، وكم من كتب عفى عليها القدم وبقيت لنا أخبارها فيما بقى من أخبار السابقين ، وإذا كان هناك أثر جدير بالضياع فهذا الأثر الذى يعارض مشيئة الحاكم ويقيده بقيود قاسية لا يرتضيها لنفسه ومنها طلاق النساء وتحرير العبيد إذا ما نقض العهد :

على أننا إذا التمسنا سبب القتل فيما كتب الدكتور وجدناه سبباً لم يشر إليه نص من التاريخ ولم يقل به من كان فى عهد ابن المقفع أو بعده بقليل وهو إلى جانب هذا تلمس لأشياء لم تجد لها قوة السببين السابقين : فهو يقول : إن رسالة الصحابة هى التى قتلته ويسرد منها ما رآه مثيرا لحفيظة الخليفة ومشجعا له على قتل الرجل .

لست أفهم أن تزلف الكاتب إلى الخليفة بنصيحة من النصائح بعد أن يمهد لها بالثناء المستطاب مما يدعو إلى الانتقام والقتل .

ولست أفهم أن إشارته عليه بأن يكرم جند خراسان والعراق وأن يأخذ الحيطة من جند الشام مما يريب الخليفة فى أمره إلى الحد الذى يدفعه إلى الفتك به .

ولست أعتقد كذلك أن اقتراحا يتقدم به كاتب فيبسط فيه اختلاف القضاة فى الأمر الواحد ثم يرجو أن يكون البت فى مثل هذا لولى الأمر مما يكون له كبير أثر فى نفوس الحاكمين .

وما جريمة ابن المقفع حين يتوسل إلى الخليفة طالبا «أن يعين فى الأمصار جماعة من الخاصة يكون أمرهم تأديب العامة ومراقبة أعمالهم فإن العامة لا تصلح بنفسها إلا إذا وجدت مؤدبين من

الخاصة والخاصة لا تستطيع أن تعيش إلا إذا كان لها من الإمام مؤدب » ؟

وأى ثورة أرادها — كما يقول الدكتور — وهو فى هذه الرسالة ناصح متودد يرجو أن يبسط الخليفة سلطانه فى كل أمر وتنفذ مشيئته فى كل عمل ؟ !

والحق الذى لا شك فيه أن هذه الآراء وأشباهها ليس لها من جلال الخطر ما يرفعها فوق الزندقة أو يحلها فوق مكانة العهد الذى قيد فيه الخليفة بقيود قاسية ما كان أغناه عنها .

٢ — بين الكتابة والشعر :

ويرى الدكتور فيما يرى أن الكتابة تختلف عن الشعر والخطابة من حيث فهم الناس لها فالناس عنده متساوون فى فهم الكتابة وفى التأثر بها ولكنهم متفاوتون أما الشعر والخطابة فهو يقول : « ونحن عندما نقرأ عبد الحميد أو ابن المقفع لا نجد عندهما اللذة الفنية إذا كنا فى طبقة واحدة أو اشتركنا فى ثقافة واحدة وإنما يقرؤهما منا ذوو الثقافة العالية والساذجة والمتوسطة والبسيطة وكانا بجدالة ومتعة فنية . بينما تختلف لذتنا فى قراءة الشعر باختلاف حظوظنا من الثقافة . فليس كل الناس يقرأ جريرا والفرزدق أو يتذوق زيادا والحجاج ... »

وأعتقد أن الواقع يخالف هذه القاعدة التى وضعها الدكتور ؛ فأكثر الشعر أوضح فى معناه وأبين فى فحواه من الكتابة وبخاصة فى العهد الذى يتحدث عنه المؤلف ؛ فكثير من الناس يفهمون كثيراً من شعر جرير ولكنهم لا يفهمون قليلا ولا كثيراً من المثال الذى ساقه الدكتور لعبد الحميد وقد جاء فيه فى وصف الرماح : « معاقص عقدها منحوتة ووصم أودها مقوم ، أجناسها مختلفة وكعوبها جعدة وعقدها حسكة شطبة الأسنان محكمة الجلاء ... »

أما الخطابة فالقاعدة المطردة فيها أن تكون أسهل من النوعين ليفهمها السامعون فى يسر ويدركوا ما جاء بها فى سرعة وإلا ضاعت قيمتها وذهب الغرض من إلقائها .

على أنى اتهمت معرفتى أمام هذه الحقائق فعرضت على الطلاب طائفة من شعر جرير وتلوت شيئاً من خطبة زياد البتراء فوجدتهم مقبلين متأثرين ثم أقبلنا على الكتاب نقرأ ما جاء فيه من رسالة عبد الحميد فرأيتهم أقل تأثراً وفهما .

٣ — فى كتابة عبد الحميد :

ساق المؤلف أدلة ثلاثة حاول فيها أن يثبت أن عبد الحميد الكاتب متأثر بثقافة اليونان وكتابتهم ولست أريد أن أبطل هذا الرأى أو أثبته ولكنى أقول : إننى لم أجد فى هذه الأدلة — أو على الأقل فى اثنين منها — نصاعة أو قوة تحمل على الإقناع :

فأما أحد الدليلين فهو ما ذكره الدكتور حين قال : « وعندى فى هذه الرسالة نص بسيط يدلنى على أن عبد الحميد كان فى هذه الرسالة متأثر إلا باليونانية وحدها بل بما كان مألوفا عند اليونان فهو يقول فى نصحه لولى العهد ، ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك ونصائحك وتقدم إليهم فى ضبطهم » ونحن نعلم أن الوحدات التى كان يتكون منها الجيش البيزنطى كانت وحدتين اللجيو ويتكون من ستة آلاف رجل ثم السنتريو وعدده مائة رجل ورئيس المائة هو السنتريونس « فنظام الجيش هذا ما أشك فى أنه متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان . » اهـ

لا أستطيع أن أفهم هذا الكلام إلا إذا حدثنى التاريخ أن جيوش العرب قبل عبد الحميد كانت تقاتل جملة ولم يكن لها إلا رئيس واحد وأن هذا الرئيس لم يكن يعتمد فى تحريك جيشه على أعوان من الأبطال يتولون جماعات من الجيش يتقدمون بهم أو يحجمون وأنا أعتقد أن تقسيم الجيش سنة طبيعية هدت إليها ظروف القتال والسرعة فى إنجاز الأعمال وقد حفظت لنا اللغة كثيراً من الأسماء التى تدل على أن العرب قد فهموا هذا وجربوه فى حروبهم : ومن ذلك المقنب والتو والقنبل والمنسر والسرية والحضيرة والجريدة وهكذا ومن بين هذه الأسماء ما يدل على المائة وأعتقد أنها كلمات استخدمها العرب قبل عبد الحميد ولم يكن لليونان ولا لغيرهم آثار فى وضعها .

أما الدليل الثانى فهو أقل من هذا فى المنزلة وأضعف منه فى الحجة إذ يتخذ المؤلف تقسيم عبد الحميد لرسالته الطويلة إلى أجزاء أساساً للقول بأنه نقل هذه الطريقة عن اليونان .

يقول الدكتور هذا وهو يعلم حق العلم أنها رسالة طويلة توشك

أن تكون كتابا وأنها تناولت نواحى مختلفة وضروبا عدة . ومن حق الكاتب فى مثل هذه الرسائل الطويلة أن يستريح بين الفقرة والفقرة ومن حقه كذلك أن يفصل كل ناحية عن الناحية التى تليها لاختلاف الاتجاهين . وليس من الضرورى أن يتعلم عبدالحميد هذه الطريقة عن أمة بعينها فهى الطبيعة التى يوحى بها طول الرسائل

أقول هذا وأنا مقدر لزعيم الأدب فضله ومعترف بجهوده الذى أفاد اللغة العربية ونهض بها فى بلاد الشرق عامة .

وسأحاول فيما بعد إن شاء الله أن أناقش ما بقى من مسائل عل فى هذا النقاش بعض الفائدة للطلاب . والله الموفق .

أحمد أبو بكر ابراهيم

المدرس المنتدب بختوب الثانوية بواد مدنى بالسودان

الفن الهندي (*)

هـذا كتاب لطيف الحجم كبير الفائدة ، يضم بين دفتيه أربع مقالات عن الفن الهندى كتبها أخصائيون ممن وكل إليهم تنظيم المعرض الهندى بالأكاديمية الملكية .

فالمقاله الأولى كتبها الأستاذ راولسن ، أحاط بها بالتاريخ الاجتماعى والفنى للشعب الهندى منذ العصر البليوليتى ، معتمداً على الحفريات والمكشوفات . وتحدث عن الفتح الإسلامى وبين أن الدين الإسلامى هو دين الاخاء والمساواه : فالأمير والعبـد سواء أمام الله وكان الاسلام من أهم الأسباب التى جعلت جنوده ينجحون فى غزو الهند المتنافرة المذاهب والعقائد ، وتكلم عن الدولة الغزنوية فقال : « وجاء شيوخ البراهمة سعياً إلى محمود الغزنوى وعلى أكفهم أموال عظيمة يقدمونها للفاتح المنتصر ويتوسلون إليه إلا يحطم آلهتهم فأجابهم الرجل: إنى محطم أصنام ولست بائع انصاب » وقد أولى الكاتب السلطان محمود الغزنوى الكثير من عنايته ، فتحدث عن الناحية الثقافية التى امتاز بها هذا الرجل ، وظهور الفردوسى . صاحب الشاهنامه (كتاب الملوك) والبيرونى المؤرخ العالمى فى أيامه ، وتكلم عن الهند المغولية ولكنه لم يتعرض لوصف عمائرها ، وقد وصفها أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى ١٨ مقاله نشرتها الرسالة ، ظهر آخرها بالعدد ٧٦٣ .

وفى المقالة « الثانية تكلم الأستاذ كوردنجتون عن النحت وذهب فى بحثه إلى ٥٠٠٠ سنه . وتنقل بين عصور الفن الوثنى ، ولم يجد فى الاسلام مادة لبحثه إذ أن الاسلام بطبيعته ما حق للاصنام المنحوته .

وتحدث الأستاذ ولكنس فى المقالة الثالثة عن التصوير . وللاسلام فى الهند باع طويل فى هذا النوع من الفن ، يقول عنها الكاتب أنها وصلت حداً من الجودة والغنى والتنوع فى دولة المغول بحيث يستعذبه الذواقع مهما اختلفت الأمزجة .

والمقالة الأخيرة كتبها الأستاذ أروين بعنوان (الفنون الصغرى الهندية) . والواقع أنه لم يحدثنا عن الأساليب الفنية التى تناولها الفنانون بقدر ما حدثنا عن تاريخ الصناعات اليدوية ، فبعد عن الغرض الفنى وقد شرحها الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه فنون الإسلام وأدخل فى مقاله الحـديث عن التصوير بطريقة (الفريسكو) مع أنه قد اصطلح على جعله ضمن فن التصوير .

والمقالات شائقة مفيدة ولكن الكتاب لا يمكن أن يصور للقارىء فنون الهند جميعها . فعنوان الكتاب إذن لا يتفق مع ما يحتويه ، ولا ندرى كيف اتخذ السير ريتشارد وينستدت هذا العنوان لهذه المقالات الأربع .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة وبه ١٦ لوحـة ورسوم توضيحية أخرى قيمة ، وهو يعرف ما بين القارىء وبين دولة الهند التى صارت إلى هند ستان وباكستان تلك التى تريد أن تعود من جديد لتلعب دورها على مسرح النشاط العالمى ، نرجو أن يختلف كثيراً عن تلك الأدوار الممسوخة المقيتة التى تمثل اليوم فى هيئة الأمم المتحدة .

(القاهرة) مصطفى كامل ابراهيم

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

(*) نشره فابر وفابر بلندن ١٩٤٧ Fader 8 Fader

سكك حديد الحكومة المصرية

مسـير عربة ديزل بين دمياط والقاهرة

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ٢٢ يوليه سنة ١٩٤٨ ستغادر عربة ديزل (درجة أولى وثانية) محطة دمياط فى الساعة ٤٥ ٧ وتصل القاهره فى الساعة ١٠ ١١ وتعود منها فى الساعة ٤٠ ١١ إلى دميط فتصلها فى الساعة ٠٥ ١٥

ولذا ستعدل مواعيد البخارية دورى العربة رقم ٥ و ١٧ وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : —

المحطات		٩٥٠	المحطات		٩٥١
دمياط	قيام	٤٥ ٧	مصر	قيام	٤٠ ١١
تفتيش كفر سعد	»	٠٢ ٨	محلة روح	»	٠٧ ١٣
رأس الخليج	»	١٨ ٨	المحلة الكبرى	»	٢١ ١٣
شربين	»	٣١ ٨	سمنود	»	٣٠ ١٣
بطره	»	٤٢ ٨	طلخا	»	٤٧ ١٣
المنصورة	وصول	٥٧ ٨	المنصورة	وصول	٥٠ ١٣
	قيام	٠٢ ٩		قيام	٥٥ ١٣
طلخا	»	٠٦ ٩	بطره	»	١١ ١٤
سمنود	»	٢٣ ٩	شربين	»	٢٢ ١٤
المحلة الكبرى	»	٣٢ ٩	رأس الخليج	»	٣٥ ١٤
محلة روح	»	٤٦ ٩	تفتيش كفر سعد	»	٥١ ١٤
مصر	وصول	١٠ ١١	دمياط	وصول	٠٥ ١٥

المحطات		٥	١٧
دمياط	قيام	٢٠ ٧	—
كفر البطيخ	»	٣٢ ٧	—
تفتيش كفر سعد	وصول	٤٥ ٧	—
	قيام	٤٨ ٧	٥٥ ١٤
فارسكور البلد	وصول	٥٥ ٧	٠٢ ١٥

ملحوظة هامة — هذه الديزل لا تقف بمحطة طنعنا .

وسيفتح كوبرى بركة السبع للملاحة من الساعة ٥٥ ١١ إلى الساعة ٢٠ ١٢ بدلا من فتحه من ١٠ ١٢ إلى ٣٥ ١٢

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٨ — الاثنين ٩ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

16 em Année No. 788

Lundi — 9 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شوال سنة ١٣٦٧ — ٩ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الفريقان المتحاربان فى فلسطين

الكرم واللؤم

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض لدى المملكة السعودية

— ٢ —

ما ينقم اليهود من العرب إلا أنهم حموهم وأحسنوا إليهم وأفسحوا لهم فى ديار العرب يعيشون أحراراً ويغشون معابدهم كما يشاءون ويتولون أمورهم الدينية دون حرج .

فتح العرب فلسطين والروم يسيطرون عليها والأمكنة التى يقدسها اليهود والتى يعادون العرب من أجلها اليوم مزابل عق عليها الزمان والهوان ، فطهر العرب هذه الأمكنة وجعلوها مساجد تعظيما لها واتباعاً لأمر الإسلام الذى يعترف بما فى الأديان السابقة من حقائق ، ويعظمها ويبين أنه الدين العام الجامع الذى يجمع كل ما أوحاه الله إلى رسله فى العصور كلها ، والأقطار جميعها ، بعد ان ينفى عنها تحريف المبطلين ، ويخلصها مما علق بها من خرافات الجاهلين .

وعاش اليهود فى كنف العرب أحراراً فى فلسطين وغـير فلسطين وتبحبحوا فى الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة ، وساروا سيرتهم فى عبادة المال ، والتوسل إليه بكل الوسائل فوجدوا مرتعاً خصبا ومتقلباً فسيحاً .

وقد بلغوا فى أقطار العرب مناصب عالية ، وكان لجماعات منهم شأن عظيم فى الدولة الفاطمية فى مصر ، والدولة الإيلخانية فى العراق ، ودول العرب فى الأندلس ، وغيرها .

***

ثم ضرب الدهر ضرباته ، ودار الفلك دوراته ، وجاء اليهود إلى فلسطين يزحمون أصدقاءهم فى ديارهم ، ويستعينون على حماتهم بالأمم التى كرهتهم وأذلتهم وشردتهم ، ففقدوا بأعمالهم صداقة العرب ، ولم يكن لليهود صديق سواهم فى هذا العالم .

وينسى اليهود تاريخهم وتاريخ العرب كله ويرمون العرب بكل ما علمتهم أوروبا من عدوان ، وبكل مافى سجاياهم وتاريخهم من ختل وعداوة للبشر جميعاً إلا من كان يهوديا ، وقالوا ، بزعمهم : هذه بلادنا ومواطننا ، نحن أولى بهـا ، قد عشنا فيها زمناً ، وسيطرنا عليها حقبة ، ولسنا نبالى أن يكون العرب استوطنوها بعدنا ، وعاشوا فيها أكثر مما عشنا ، وسيطروا عليها أطول مما سيطرنا ، ودافعوا عنها ونحن مشردون فى أقطار الأرض ، وهم اليوم فيها يعمرونها ويتقلبون فى أرجائها ويحفظون فيها آثارهم ومآثرهم ، وفى جوانبها قبور آبائهم الذين استشهدوا فيها ودفعوا عنها جبروت الروم ، وجالدوا من أجلها الصليبيين مائتى سنة .

يقول اليهود : لا نعرف التاريخ ولا نذكر فضل العرب فإنا قوم

لا نزن الأمور إلا بالمال والمنفعة ، ولا نقدر الأشياء إلا بفائدتنا وشهوتنا وإن نال غيرنا ضر فهذا الضرر هوانا وبغيتنا ، وبه جذلنا وغبطتنا ، فإننا نعمل لأنفسنا ، ونبغض البشر أجمعين سواء منهم من أساء إلينا كأهل أوروبا ومن أحسن إلينا كالعرب ، ولكننا نستعين بجماعة على أخرى ، ونتمنى أن يهلكوا جميعاً ...

***

لليهود ماض فى فلسطين ، وللعرب ماض وحاضر ؛ لليهود فيها تاريخ انقطع منذ عشرات القرون ، وللعرب تاريخ موصول منذ عشرات القرون . لليهود فى فلسطين تاريخ ذليل مشرد انقطع بجلائهم عنها ويأسهم منها ، وللعرب تاريخ مجيد عزيز دافع عنها فى غير يأس ، واستقر بها فى غير ذلة . لليهود فى فلسطين أحجار مهدومة يبكون عليها هى بقايا الأحداث ، وفضلات العصور . وللعرب آثار قائمة مشيدة تصل تاريخهم ، وتشهد بمآثرهم ، وتكذب دعوى اليهود فى كل بقعة . لليهود فى فلسطين صفحات فى الكتب ، وللعرب صفحات خالدات فى أوديتها وجبالها ومدنها وقراها .

ولو لم يكن للعرب فى فلسطين إلا أنهم دافعوا الصليبيين فيها وحولها أكثر من مائتى عام حتى أجلوهم عنها ، وأقروا مجدهم وتاريخهم فيها ، لكان هذا كفيلا لهم بحقهم فيها أبد الدهر .

***

حق العرب فى فلسطين يقاتل باطل اليهود ، وإحسان العرب يقاتل كفران اليهود وكرم العرب يلاق لؤم اليهود . يتقاتل فى فلسطين الحق والباطل ، والخير والشر ، والمروءة ، والنذالة ، والأخلاق الإنسانية العالية ، والطبائع الحيوانية الدنيئة ، والتاريخ العزيز القائم ، والتاريخ الذليل الميت .

وإن عدل الله سبحانه ، وإن كرامة الإنسان ، وإن أخلاق البشر ، وسنن الخليقة ، لتأبى أن يغلب جند الباطل جند الحق ، والفئة اللئيمة الفئة الكريمة ، وأعوان الشر أعوان الخير ، وحزب الشيطان ، حزب الله .

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » .

عبد الوهاب عزام

أيها العرب

ما حك جلدك مثل ظفرك

للأستاذ نقولا الحداد

قلتها وسأقولها أيضاً : لا تعتمدوا على الحق مهما كان حقكم صراحاً ، لأنه ليس للحق مكان فى هذا العالم الشرير ؛ فقد علمتم أن هيئة الأمم هى جمعية تقسيم أسلاب وغنائم ، وأن مجلس الأمن مجلس مؤامرات وما أوصت هيئة الأمم بتقسيم فلسطين إلا كتقسيم الأسد الأمريكى الفرائس على صعاليك الأمم والدول . وقد طاوعتم مجلس الأمن فى الهدنة الأولى لظنكم أنهم يحسبون لكم احترامها كرم أخلاق ، فظهر لكم أنها دسيسة سياسية دستها إنجلترا وأمريكا عليكم لكى تسلم الهاجاناه من الهزيمة النكراء ، ولكى تتسلح مزيداً وتزداد عديداً . وهكذا كان .

والآن وقد عاد برنادوت بقض وقضيض من الجنود والبوارج والطرادات والنسافات والطائرات الضخمة والجلزونية والمركبات المصفحة والدبابات و و و الخ من الأسلحة ، وفى هدنة لا آخر لها لكى يجعل فلسطين أخيراً كلها ، لا قسماً منها ، دولة إسرائيل . وقد جعل الهدنة بلا أجل مسمى ، لكى يصفو له الجو ، ويرتب ويدرب على مهل ، وهو يزعم أنه يفاوض ويماحك ويناهض ويمارك وأخيراً يستفتى .

وما معنى كل هذا وقد علم أن فلسطين كل لا يتجزأ ، فهل يمكنه أن يعمل أعجوبة بأن يجزئها وتبقى كلا ؟ ثم يستفتى من ؟ وهو يعلم أن العرب أكثرية ساحقة . فبطبيعة الحال ستكون نتيجة الاستفتاء أن فلسطين كلها لسكانها من عرب ويهود فلسطينيين فما معنى الاستفتاء ، وما معنى المفاوضة والأمر واضح ؟ إلا إذا كان برنادوت يظن أن العرب يعلون طول الهدنة واليهود لا يعلونها لأنهم مقيمون فى فلسطين كلها يستغلونها وأهلها مشردون عنها . وكيف يمكن أن يعودوا إليها غير مسلحين ويأمنون شر اليهود الأرداء .

لو كان برنادوت « كونتاً » أى من الشرفاء كما قيل لما قبل

هذه المهمة المقيمة ، وهى مهمة غير شريفة ، ولما قال إنه لم يأت لإحقاق الحق ، بل لكي يسوى خلافاً بين العرب واليهود بأية طريق ولو بالغبن للعرب . ولما رأى أن هذه المهمة مستحيلة عليه عاد بقوات حربية ضخمة لكي ينفذ بالقوة القاهرة ما شاء وشاء له منتدبوه .

لا ندرى الآن إلى أى حد يفلح . نترك الأمر للزمن . وإنما يجدر بالدول العربية كلها أن تحذو حذو العراق باستدعاء مندوبيها من هيئة الأمم إذا لم تقرر هذه الهيئة اقتراح سوريا بعرض قضية فلسطين على محكمة العدل فى لاهاى . فربما كان فيها عدل ، لأنه لا يليق بالدول العربية أن تكون أعضاء فى عصابة متحكمين مستبدين يبتزون من هذا لكي يعطوا هذا ، ولا أن يكونوا فى جمعية لا تريد العدالة .

برنادوت يستطيع بقوته الحربية أن يقهركم . ولكنه لا يستطيع أن يقهر عصابة الأرجون الإرهابية لكي تطلق سراح الإنجليز الخمسة ، حتى إن إنجلترا التى عجزت عن تخليصهم من براثن الأرجون ، تضطر أن ترفع شكواها إلى مجلس الأمن ، وأن يقف السير ألكسندر كادوجان إلى جنب شقى من أشقياء الأرجون ، وهل تخضع عصبة الأرجون لمجلس الأمن إذا كانت لم تخضع لهيئة الأمبراطورية البريطانية العظمى ؟

كنت أتمنى أن تكون هذه الحادثة مع ألمانيا فى عهد هتلر أو مع فرنسا لعهد ديجول فى دمشق ، إذن لرأينا تل أبيب كلها تندك على رءوس سكانها فى ساعة من الزمن ، لأنه لا ألمانيا ولا فرنسا تحتمل هذا الاستخذاء إلا متى قهرت فى الحرب .

ليس غرضى من هذا المقال أن أقول ما قلته الآن . بل غرضى أن أسائل : ماذا تعلمنا من دروس فى هذه الأحداث الأخيرة ؟

ظهر لنا أننا لم نبخل بالمال ولا بالرجال ، حتى ولا قصرنا فى السياسة وإنما سلاحنا قصر ، وجميع الدول تألبت علينا لحرمتنا السلاح ، ولولا هذا لكان بنو إسرائيل الآن طعاماً لسمك بحر فلسطين .

نحن إذن فى حاجة ماسة إلى السلاح ، ليس الآن فقط ، بل فى كل حين ، لأننا لا ننتهى مع الصهيونيين بانتهاء هذه المرحلة ؛ بل سنبقى فى صدام معهم ما داموا بين ظهرانينا . فإن استتبت قدمهم فى فلسطين كانوا نكبة علينا لا تنتهى . فيجب أن نكون دائماً على استعداد لمناهضتهم إلى أن نقذفهم فى بحر فلسطين . فمن أين السلاح ؟

يجب أن نستغنى عن سلاح أية دولة أجنبية . لماذا لا نصنع سلاحنا بأنفسنا ؟ ماذا ينقصنا ؟ المال ؟ نحن أغنياء . العقول ؟ لقد شهد الأجانب فى مؤتمرات كاليفورنيا ونيويورك ولايك سكسس أن لنا عقولاً ممتازة . العمال؟ عندنا كثيرمنهم .

يجب أن ننشىء معامل ضخمة فى جميع البلاد العربية لصنع آخر طراز من الطائرات الخفيفة الضخمة ، وأن ننشىء معامل ضخمة لصنع المدافع من كل طراز والبنادق والذخائر على اختلاف أنواعها ، وأن ننشىء دور صناعة وحياضاً لصنع السفن ، ومعامل لصنع المركبات على اختلاف أنواعها والدبابات .

كل هذا ممكن إذا كانت الدول العربية تعزم عزماً صادقاً أن تفعله ، لا أن تعتمد على شركات مالية ، لأننا نحن الشرقيين لم نجرؤ بعد على الأعمال الاقتصادية الاجتماعية . والعصر عصر اشتراكى أكثر مما هو إفرادى . فيحسن أن تكون هذه المصانع الحربية ملك الأمة لا ملك الأفراد أو الشركات . ويجب أن تقدم هذه المشروعات على كثير من المشروعات الحكومية التى يمكن تأجيلها لمدة خمس سنين على الأقل لأن الدفاع عن النفس يقدم على كل اعتبار

هذا ما يجب أن تفكر فيه الأمم العربية الآن ، لأن العصر عصر الاعتماد على النفس ، وإلا تفدَّى بنا الصهيونيون قبل أن نتعشى بهم . لم يعد فى إمكان الأمم التواكل أو الاتكال على غيرها ما دامت تبتغى الاستقلال التام . الاستقلال التام يقتضى الاستقلال فى كل شىء على الإطلاق لا الاستقلال بكراسى الحكم فقط .

هذه كلمة صغيرة جداً من عربى صغير جداً ، ولكنها كبيرة جداً لأمة عربية كبيرة أو تدعى أنها كبيرة . فالكبير يجب أن يكون مستغنياً عن كل كبير وصغير . والسلام على من اتبع الهدى

نقولا الحداد

الاتجاهات الحديثة في دراسة التاريخ

للدكتور جواد علي
سكرتير المجمع العلمي العراقي

(بقية المنشور في العدد الماضي)

أما مذهب « المادية البيولوجية » فقد دعا أصحابه إلى تطبيق القوانين البيولوجية مثل نظرية داروين وما يتعلق بها على التاريخ وعلى المجتمعات البشرية باعتبار أنها نوع من الكائنات الحية وأنها خاضعة للقوانين العامة التي تخضع لها كل الموجودات . فبحثوا في التاريخ البشري على أنه وجه من أوجه النشوء والإرتقاء وبقاء ما هو أصلح وبحثوا عن الوراثة عند الأمم ، كما فعل « فريدريك فون هلولد » « Friedrich von Hellwald » في بحثه عن التاريخ الثقافي وتطوره من أقدم عصوره حتى الآن . و « دورنك » « E Dühring » « ١٨٣٣ — ١٩٢١ م » وهو من الفلاسفة الذين لاقوا معارضة قوية بسبب آرائهم المفيدة في المادة ونكران الروح .

فمند هذا الفيلسوف « الإيجابي » أن « الشيء الحقيقي » هو الأشياء المرئية فقط ، وعلى ما تظهر للانسان ، وأن الأشياء كلها واحدة ، وأنها هي الواقع أو الحقيقة ، وما عدا ذلك فسخافات . وإن مايسمى بالروح ليس إلا أسطورة ، وأن « الحس » أو « الشعور » طاقة من طاقات المادة ، ولا توجد ما فوق « المادة » أي أمور أخرى ؛ وأن الطبيعة نفسها تشعر وتفكر بالشكل الذي عناه من المادة ، ولهذا يجب دراسة التاريخ على هذا الأساس . فرفض بهذه النظرية المذاهب المعروفة القائلة بما وراء الطبيعة والمذهب الرومانطيق كذلك .

ومن هؤلاء أيضاً « أوتوسيك » « Otto seeck » في كتابه عن تدهور العالم القديم و « كومبلويتر » « gumplowieny » في مؤلفاته عن الاجتماع . و « هوستن ستيوارت شامبرلين » « H · St · Chamberlain » في كتابه المشهور عن أسس القرن التاسع عشر . وقد بحث هذا في التاريخ متأثراً برأي أصحاب نظرية النشوء والارتقاء ، ففرق بين الشعوب « المبدعة » وهي الشعوب المبتكرة على رأيه ، وبين الشعوب المتمدنة والتي لم تفعل في نظره غير ذلك . وبنى تاريخه على أساس عنصري فمجد الآرية والشعوب الآرية وغنى بتفوق الأمم الأوربية على سائر أمم العالم .

ومن أصحاب هذه النظرية « فولتمن » « woltmann » وهو طبيب ومؤرخ وعالم من علماء علم الاجتماع . طبق نظرية « داروين » على التاريخ وعلم الاجتماع وخرج بتأثير هذه النظرية على أن الشعوب غير متساوية في الكفايات وأن الشعوب الشمالية هي الشعوب المنتجة والمبتكرة في هذا العالم . وكذلك « نوفيزو » « novicon » و « Hartwig » وقد حاول هؤلاء مندفعين بالنظرية الداروينية وبما شاهدوه من تقدم عظيم في أوربا وتأخر في الشرق إلى تطبيق هذه النظرية على التاريخ وفي السياسة .

وقد بحث في هذا الموضوع وبصورة أوضح وأعمق جماعة من أصحاب المذهب « الواحدي » « moniamus » القائل بأن أصل كل الأشياء واحد وهو « المادة » أو « الروح » ، ومن هؤلاء « أوستوالد » « Ostwald » « ١٨٥٣ — ١٩٣٢ م » وهو أستاذ من أساتذة الكيمياء حاول تطبيق مبدأ « الطاقة » حتى على العلوم الاجتماعية ، فألف في الثقافة وفي علم الاجتماع ؛ والعالم « كولد شايد » « golds cheid » صاحب نظرية « الاقتصادية البشرية » وقد بحث في « المادية » على أنها طاقة من الطاقات التي يتأثر بها التطور البشري .

إن أصحاب هذه النظرية وإن كانوا قد تأثروا بنظرية « داروين » وبالآراء المادية إلى حد كبير ؛ غير أنهم لم ينكروا عموماً وجود « الروح » . وقد فسروا « الروح » تفسيراً يلائم النظريات الطبيعية ، كما أنهم فسروا تأثير القوة الموجدة أو « الله » تفسيراً لا يدعو إلى مذهب الإلحاد أو نكران الخالق نكراناً باتاً « Atheismus » .

والمذهب الآخر من المذاهب المادية في تفسير التاريخ هو مذهب « المادية الاقتصادية » أو « الوجهة المادية في تفسير التاريخ » فكل العوامل المادية المؤثرة في التاريخ البشري هي

ذات طابع اقتصادى ، وهذه العوامل الاقتصادية تؤثر فى حياة الأفراد والجماعات والحـكومات . وحتى فى العلوم والأديان . وما الحياة الإنسـانية والمظاهر الثقافية على رأى هؤلاء سوى مظهر من مظاهر التقلبات الاقتصادية ، فالتاريخ إذن هو تاريخ اقتصادى ، والعامل الاقتصادى إذن هو العامل الفعّال فى تغيير مجرى التاريخ وتكوين التاريخ .

ويلتقى بهذا المذهب التاريخى مذهب آخر يقال له « المذهب الإثباتى فى التاريخ » وهو قريب من المذهب المـادى وإن ظهر لنا أن المبادىء مختلفة تمام الإختلاف . ومن رجال هـذا المذهب الفيلسوف الفرنسى « أوكست كونت » « Auguste Comte »

يرى أكثر رجال هذا المذهب أن التاريخ البشرى مر فى مراحل حتى بلغ هذه المرحلة الأخيرة ، وإن من الممـكن تمييز ثلاث مراحل مهمة مرت بها هذه البشرية وهى :

١ — مرحلة إرجاع كل الأشياء إلى أسباب وعوامل روحية وقوى غير منظورة مثل السحر والقوى الخارقة والآلهة والقوى التى لا يمكن رؤيتها .

٢ — مرحلة ما وراء الطبيعة « metaphysic » أو مرحلة الأفـكار المجردة ، وترجع فيها الأسباب والمسببات والوجود وما يحدث إلى عامل مؤثر .

٣ — المرحلة الثالثة وهى مرحلة « الفكر الإيجابى » وفى هذه المرحلة بدأ الإنسان يفكر فى ترك البحث فى العلل النهائية غير المنظورة إلى البحث بالطرق الإيجابية وفق الطرق الطبيعية وقوانين التجارب العلمية .

وقد تطورت أكثر العلوم وسارت سيراً إيجابياً إلا العلوم التى تبحث عن المجتمع والمجتمعات البشرية فإنها لا تزال فى حاجة إلى إيجاد قوانين ودساتير كالدساتير الطبيعية يتمكن بواسطتها عالم الاجتماع أو التاريخ من الحصول فى النهاية على نتائج إيجابية ثابتة .

وقد وجدت آراء « كونت » رواجاً كبيراً بين الجماهير . وإن لم يكن ذلك التأثير تأثيراً مباشراً بل كان بواسطة كتابات الـكتاب الآخرين أمثال «جون ستيوارت دميل » و«وهربرت سبنسر » و « هنرى توماس بكل » و « إميـــل ليتريه » « Emil Littré » و« هنرى تين » « Henr Taine »وغيرهم .

لقد وجه هؤلاء أنظار قرائهم إلى دراسة العلوم الاجتماعية وحالات الشعوب والتاريخ الثقافى وما إلى ذلك وساعدوا على نشر آرائه ولا سيما « بـكل » « Buckle » فى كتابه القيم الذى ظهر بين سنة ١٨٥٧ — ١٨٦١ وهو « تاريخ المدنية فى انكلترة » .

وقد أشار إلى ضرورة دراسة نفسـيات الجماعات والعوامل الروحية التى تؤثر فى التطور الثقافى ، ولابد لمعرفة ذلك من الاستعانة بالإحصائيات التى تتعلق بالجماعات . وبواسطة هذه الدراسات التى تستند على الطرق التجريبية نتمـكن من رفع « التاريخ » إلى درجة « علم » من العلوم . أما الاستعانة بالحوادث الفردية وبالوقائع المدونة فإن ذلك لا يرفع من التاريخ شيئاً ، ولا يمكن أن يصل به إلى منزلة العلوم .

وقد تطرق إلى هذا البحث بحث الاستعانة بالإحصـائيات لتـكوين « علم التاريخ الناطق » عالم فرنسى هو « هـنرى بوردو » « Henri Bourdeau » فى كتابه الذى ظهر سنة ١٨٨٨ وعنوانه التاريخ والمؤرخون T ' histoire et les histor ens حيث نادى بوجوب تدوين التاريخ على صورة أرقام وإحصائيات ناطقة تتكلم للناس بصراحة وبدون خجـل ، مثل المعادلات الرياضية أو الـكيماوية . أما وصف الحوادث وتدوينها على رأيه ، فذلك من وظائف الآداب .

ومن الذين نحوا منحى « كونت » فى ألمانيا المؤرخ الألمانى « كارل لامبرشت » « Karl Lamprecht » الذى سـار على أكثر الأسس التى وضعها ذلك الفيلسوف الفرنسى وطبقها فى التاريخ الاجتماعى . وقد أشاد بالقيم التاريخية للجماعات وبأنهـا هى الموجهة للتاريخ متجاهلا بذلك « عامل الفرد » فى التاريخ وتأثير الأفراد فى الجماعات . وقد أدى ذلك إلى احتدام النزاع بين المؤرخين فى موضوع مهم جداً : هل التاريخ من صـنع الأفراد أم من صنع الجماعات ؟ وأيهما أقوى أثراً فى سير الحوادث البشرية ؛ فكان من تأثير ذلك ظهور رسالة طريفة فى موضوع « أهمية الشخصية فى التاريخ بالنظر إلى مقدمة بلوشى فى تاريخ اليونان » .

وقد اصطدم « لامبرشت » بأكثر المؤرخين من أتبـاع

تعليق على مقال فى الرسالة :

جهود العرب المنسية

فى الفلك والهيئة

(كتاب عربى فى الهيئة يذكر قبل مئات السنين ما اكتشفه الغرب حديثاً)

للأستاذ ضياء الدخيلى

قرأت فى العدد (٧٨٢) من مجلة الرسالة الغراء مقالا للدكتور فضل أبو بكر ، جاء فيه إغفال لجهود علماء المسلمين والعرب فى علوم الطبيعة والفلك ، فوجب على أن أعرفه بالحقيقة .

قال الدكتور :

(كان الإنسان لعهد ليس بالبعيد يعتقد فى سطحية الأرض ويظنها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له ، بساطاً لا حراك فيه ، وكان جهله بالسماء وكواكبها أشد من جهله بالأرض التى يعيش فوق أديمها ، وذلك إلى أوائل القرن السابع عشر حتى جاء (جاليلى) و (نيوتن) و (لابلاس) فيما بين منتصف القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، فأثبتوا كروية الأرض ودورانها حول الشمس وقانون الجاذبيـة ونهضوا بعلم الفلك ووضعوا له أسساً وقواعد علمية متينة) .

ولا أريد أن أطيل محاسبة الكاتب المحترم فحسبى أن أقتطف له فقرات من كتاب الملخص فى علم الهيئة ، تأليف محمود بن محمد الجغميني ولم يحضرنى ترجمته ، ولكن من الأكيد أنه كان قبل جاليلى ونيوتن بزمن طويل ، وقد شرح رسالته المختصرة شارح [لم يذكر اسمه فى المطبوع فى إيران] . وأهدى الشرح إلى السلطان بن السلطان بن السلطان ألغ بيك بن شاهرخ بن أمير تيمور كور كان خلد الله شموس سلطنته (١)

وقد طبعت هذه الرسالة فى إيران وكنا نتدارسها فى مدارس النجف الأشرف ككتاب مدرسى (text book) فى علم الهيئة ، قال : (المقالة الثانية فى بيان الأرض وما يتعلق بها ، وهى ثلاثة

(١) لم أعثر على ترجمة للجغميني ولكنى وجدت فى كشف الظنون قد ذكر حاجي خليفه الكتاب مع شروحه الكثيرة قال الملخص فى الهيئة البسيطة لمحمود بن محمد الجغميني الخوارزمى المتوفى سنة ... (كذا) وهو مختصر مشهور مرتب على مقدمة ومقالتين ، شرحه موسى بن محمود المعروف بقاضى زاده الرومى ، وفرغ منه سنة ٨١٥ لألوغ بيك ميرزا

طريقة المؤرخ « رانكه » فى تدوين التاريخ .

غير أن هنالك جماعة ساروا على نهج آخر فى تفسير التاريخ البشرى هو نهج الفيلسوف الشهير « كانت » « Kant » . ومثل هؤلاء « فيشته » و « شلنك » و « هيكل » غير أن أعظم ممثل لنظرية « كانت » فى التاريخ هو المؤرخ الشهير « ليوبولدفون رانكه » « Teopold van Ranke » الذى اهتم على الأخص بالبحث فى « نظرية الفكرة » وأهمية الدولة والفرد . وقد انتقلت آراؤه هذه إلى تلاميذه ومريديه .

ومن أهم النقاط التى بحثت فيها مدرسة « رانكه » هى كيفية اشتراك الشعوب العالمية كلها فى تكوين « التاريخ » والحرية والجماعة وعلاقة الفرد بالحكومة ، وكيف أمكن الجمع بين الحرية والإرادة الحرة للأفراد ، وتكوين التاريخ العالمى . وحكم الضرورة الذى أجبر الإنسان على تقييد حريته طائعاً مختاراً لئلا يقع فى كفاح لا نهاية له ، فاضطر إلى تكوين الحكومات والخضوع لأحكامها مع ما فى ذلك من تضييق للحريات . فضمن بذلك من جهة أخرى أكبر قسط ممكن من الحرية للأفراد .

وقد جاءت هذه الآراء فى شعر الشاعر « شلر » كما جاءت فى نظرية « هيكل » عن تطور العالم فى نظريته عن تطور الـ « Idée » أو « الفكرة » حتى وصلت إلى ما وصلت إليه فى العهد الثالث وهو « العصر المسيحى الجرمانى » .

على أن هذا المذهب فى التاريخ يقابله مذهب آخر هو المذهب التجريبى expressionism والمذهب الانطباعى Impressionism فى التاريخ . ومذهب « الموسوعيين » . و « الإنسانيين » .

جواد على

أبواب الأول فى المعمور من الأرض وعرضه وطوله وقسمته إلى الأقاليم السبعة : الأرض كرية الشكل كما سلف فى المقدمة ، ويبتنى عليها مسألة غريبة وهى أنه لو تيسر السير على جميع الأرض وتفرق ثلاثة أشخاص من موضع معين بأن سار أحدهم نحو المغرب والآخر نحو المشرق وأقام الثالث حتى عاد إليه السائر إلى المغرب من المشرق والسائر إلى المشرق من المغرب فى وقت واحد لكان الأيام التى عدها الغربى فى مدة الدورة أنقص من أيام المقيم بواحد ، وأيام الشرقى أزيد منها بذلك ؛ ويتفرع عليها مسائل غريبة يسأل عنها ، كما يقال : هل يجوز أن يكون يوم بعينه جمعة عند شخص ، وخميساً عند آخر ، وسبتاً عند ثالث ، وغير ذلك مما هو من هذا القبيل ، فيجاب بالجواز ويستغرب هذا) [أقول إن نقصان الأيام وزيادتها هنا مبنى على ما تسببه مماكسة دوران الأرض أو مسايرته] ثم إن المؤلفين يقسمان الأرض إلى المناطق المتعارفة فى كتب الجغرافيا اليوم فيقولان (وتفرض على الأرض ثلاث دوائر إحداها فى سطح معدل النهار (٢) وهى خط الاستواء كما عرفت ، والثانية فى سطح أفق الاستواء ، والثالثة فى سطح دائرة نصف النهار، وكلتاهما فى منتصف المعمورة بخط الاستواء ، فالأولى تقطع الأرض بنصفين جنوبى وشمالى ، والثانية تنصف كلا من نصفيها المذكورين فيصير الأرض بهما أرباعاً ، ربعان جنوبيان ، وربعان شماليان ، والمعمور منها أحد الربعين الشماليين، وهو الربع المشهور بالربع المسكون على ما يرى فيه من الجبال والصحارى والمروج والبحار ونحوها كالآجام ونحوها من المواضع الخربة . قال الشارح يعنى أن المعمور منها هو هذا الربع مع أن أكثرها خراب فى زماننا هذا وسائر الأرباع خراب ظاهراً ، وإلا لوصل خبرهم إلينا غالباً ، ويحتمل أن يكون بيننا وبينهم بحار مفرقة ، وجبال شاهقة ، وبرارى بعيدة تمنع وصول الخبر إلينا . غير أن أحد الربعين الجنوبيين قد حكى أن فيه قليلا من العمارة كما يجىء . وأما ما يحكى من قصة وقعت فى نوبة ذى

(١) قال الجغمينى فى المقالة الأولى إنما سميت هذه الدائرة العظيمة معدل النهار لأن الشمس إذا سامتها اعتدل الليل والنهار تقريباً فى جميع النواحى إلا فى عرض تسعين أى تساويا فى المقدار والدائرة التى وسطها على على وجه الأرض تسمى بخط الاستواء لاستواء الليل والنهار فيها تقريباً .

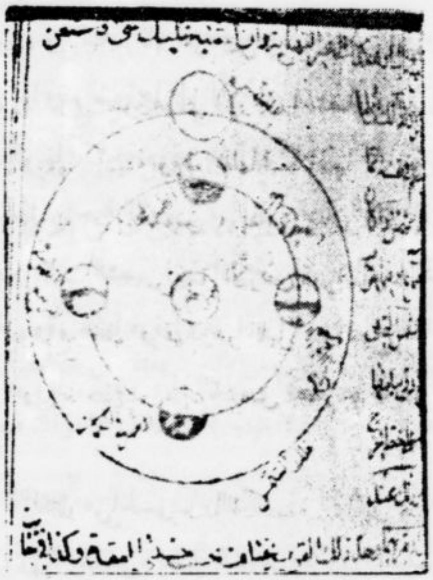
القرنين فالظاهر أنها موضوعة لا أصل لها ، والله أعلم بما فى ملكه (١) .

والدائرة الثالثة من تلك الدوائر الثلاث تقطع المعمور بنصفين غربى وشرقى ، ونقطة التقاطع بين الدائرة الأولى والثالثة تسمى قبة الأرض ، وابتداء المعمور من خط الاستواء على ما ذكره بطليموس فى المجسطى ، إلا أن بطليموس بعد ما صنف المجسطى زعم فى كتابه المسمى بجغرافيا أى صورة الأقاليم أنه وجد وراء خط الاستواء فى أطراف الزنج والحبشة عمارة الخ .. فها أنت ترى أن ما أدرجاه قريب جداً مما يدرسه طلاب الجغرافيا والفلك اليوم . وإليك ما قاله المؤلفان عن اختلاف الليل والنهار: (والشمس إذا وقع ضوؤها على الأرض استضاء وجهها المواجه للشمس لكونها كثيفة ووقع ظلها لكثافتها المانعة من نفوذ الضوء فى مقابله جهة الشمس ، إذ من شأن الظل أن يكون كذلك ؛ فإذا كانت الشمس فوق الأرض فهو النهار ، وإذا كانت تحت الأرض وقع ظلها فوقها وهو الليل ، ووقوع ظلها يكون على شكل مخروط مستدير ، إذ الشمس أعظم جرماً من الأرض بكثير .

وقال المؤلفان عن الخسوف والكسوف : (إن جرم القمر فى نفسه مظلم، وإنما يستفيء بضياء الشمس فيكون النصف المواجه للشمس أبداً مستضيئاً لو لم يمنع مانع كحيلولة الأرض بينهما ، والنصف الآخر مظلماً ؛ وهذا الحكم تقريبى لما بين فى موضعه من أن الكرة إذا استضاءت من كرة أكبر منها كان المستضيء

(١) القصة هى ما ذكره صاحب كتاب عجائب المخلوقات من أن ذا القرنين استولى على الربع المسكون وأراد الاطلاع على ما فى البحار فأرسل أربعين سفينة مشحونة بأصحاب التجارة والأبطال فذهبوا مدة مديدة حتى لقوا سفينة فيها قوم سود الوجوه زرق العيون ، وقد صار الأمر إلى المحاربة بينهم وغلب أصحاب ذى القرنين فقتلوا بعضهم وأسروا آخرين فاستخبروهم فلم يجيبوا بما يفهمون، فتحيروا فى ذلك فجاءوا بهم إلى ذى القرنين فأنكحهم جوارى حتى توالدوا وتعلم أولادهم لغة الفريقين فسئلوا عن أحوالهم فقالوا نحن أقوام من بلد كذا لنا ملك استولى على البلاد كلها ، فلما فرغ من حكم البر تاقت نفسه للاطلاع على عجائب البحار فأرسل أقواماً شتى فى السفينة إلى البحار ونحن من جملتهم . فلما سمع ذو القرنين كلامهم تحير فى عجائب صنع الله تعالى .

أكثر من نصفها ، فمنذ الاجتماع يكون القمر بيننا وبين الشمس فيكون نصفه المظلم مواجهاً لنا فلا نرى شيئاً من ضوئه ، وذلك هو المحاق ؛ وإذا بعد عن الشمس مال نصفه المضيء إلينا فنرى طرفاً منه وهو الهلال ؛ ثم كلما ازداد بعده عن الشمس ازداد ميل النصف المضيء إلينا فازداد ضياؤه أى نور القمر بالنسبة إلينا وهو الزيادة حتى إذا قابلها صرنا بينهما وصار ما يواجه الشمس يواجهنا وهو الكمال ؛ فإذا انحرف عن المقابلة مال إلينا شيء من نصفه المظلم ثم كلما تزداد ذلك الميل يأخذ الظلام بالزيادة حتى يمحق القمر (١)



الصورة رقم (١) الأهـلة

هذه الصورة ترسم حركة القمر فى فلكه حول الأرض حيث يبدو هلالا ثم قمراً ثم يدخل المحاق ، كل ذلك تبعاً لوضع جزئه المنير بالنسبة إلى الأرض ، وتبدو الأرض كروية فى وسط مدار القمر ويشاهد القمر ذا نصفين مضيء وهو المقابل للشمس ، ومظلم وهو الشطر الثانى ، وتبدو الشمس كروية فى أعلى الصورة وقد رسم مدارها حول الأرض وهذه نقطة الخلاف بين الهيئة القديمة والحديثة .

(أخذت الصورة من شرح الجغميني فى الهيئة)

وإذا حال القمر بين الشمس وبيننا فيستر ضوءها عنا كلا أو بعضاً وهو كسوف الشمس ، وهذا السواد الذى يظهر فى الشمس هو جرم لون القمر ، وإذا حالت الأرض بينهما ووقع ظلهـا على وجه القمر المواجه للشمس كله أو بعضـه فلم يصل إليه ضوء الشمس أصـلا أو بقدر ما وقع عليه الظل فيبقى ما لم يصل إليه



الصورة رقم (٢) الكسوف

هنا يعرض الرسم الشمس النير الأعظم فى أعلى الصورة وتحتها القمر وقد أرسل ظله مخروطى الشكل فحجب جزءاً من الشمس أو كلها عن جزء من كرة الأرض وفى وسط الدوائر (تقريباً) الأرض وقد أرسلت فى الفضاء ظلها المخروطي الشكل ، وقد خطت الدوائر التى تمثل أفلاك الشمس والقمر .

(أخذت الصورة من شرح الجغميني فى الهيئة)

الضوء على ظلامه الأصلى وهو خسوف القمر . ولنجتزىء بما



الصورة رقم (٣) الخسوف

وفيها تبدو الشمس فى أعلى الصورة وفى الوسط كرة الأرض وقد امتـد أسفلها ظلها المخروطى الشكل وقد وقع داخله القمر وهو الدائرة البيضاء فى داخل المخروط ورسمت الأفلاك كدوائر حوالى الأرض وكانت ترى الهيئة القديمة أنها مركز العالم .

(أخذت الصورة من شرح الجغميني فى الهيئة)

تقدم عرضه من كلام هؤلاء الذين عاشوا قبل (جاليليو) بمئات السنين ولتغفروا لنا طول ما اقتبسناه من مؤلف الجغميني (الملخص فى الهيئة) ومن شرحه وقد طبعا فى إيران عام ١٢٨٦هـ والعادة فى النجف الأشرف أن يدرسا فى رمضان عندما تتعطل باقى الدروس الأصلية .

لقد تبين مما تقدم أن علماء الفلك المسلمين لم يكونوا يعتقدون فى سطحية الأرض ولم يكونوا يظنونها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له الخ ، كما ظن الدكتور فضل .

بقى لنا أن ندرس فكرة حركة الأرض فهل هى حـديثة الميلاد كما تفضل فضل الحق أنها ليست كذلك . وحرصاً على الوقت نورد مقتطفات من آثار أناس يوثق بشهـاداتهم ، قد عرفوا بالخبرة فى الموضوع . هذا هبة الدين الشهرستانى يقول فى كتابه (الهيئة والإسلام) — (إن أول من كشف السر عن دوران الأرض هو (فيثاغورس) النابغ قبل الميلاد بقرون خمسة ، وتبعه (فلوطرخوس) و (ارخميدس) ثم قوى رأيه (ارسترخوس) الساموسى بعده بقرنين ، وعلم دوران الأرض السنوى حول الشمس فشُكى وكفر ، ثم نبغ بعده بنصف قرن (كليانتوس) من أسوس واختار الحركتين للأرض فشـكى وآتهم بالـكفر أمام الحـكام ؛ ثم ظهر(بطليموس) بعيده بقليل فأوضح سكون الأرض الذى كان الناس يزعمونه فطرياً ويحسبونه بديهياً ورتب الأجرام السماوية والحركات الفلـكية على ما فصله فى (المجسطى) فنال نظامه الصوت والصيت فى العالم المتمدن (حينذاك) حتى أصبح المتفلسفون من المسلمين وغيرهم ينقحون هيئته ويدافعون عنها . وكان فى مهرة فلاسفة المسلمين من يدفع الموانع عن تحرك الأرض أيضاً كالعلامة نصير الدين الطوسى والفاضل بهاء الدين العاملى وكان الأفرنج يومئذ غارقين فى الضلالة ، وكان استبداد البابوات قد منع الأفواه والأفهام عن التحرك فى سبيل العـلوم العقلية وإظهار ما لا تقبله الـكنيسـة . وقد أحرقت الوفا من المستنيرين بعلوم الإسلام وفلسفة ابن رشد القرطبى . وحسبك أن الحكيم (برونو) نطق بسير الأرض قبل الألف الهجرى ، فهجروه وأبعدوه عن أوطانه ثم سجنوه ست سنين ، ثم أحرقوه وأحرقوا كتبه . واجترأ (غاليلو) بعد الألف الهجرى ، فأثبت الحركتين للأرض فأهانوه واضطهدوه حتى قارب الهلـكة ثم سجن طويلا . وأول من نطق بتحرك الأرض من الأفرنج هو (الـكردينال دى كورا) ثم (الـكردينال إليناكوس) ثم (جون مولار) لـكنهم لم يتجاهروا بالقول ولا أتوا بأدلة مقنعة حتى قام (كوبرنيك) فى حدود الألف الهجرى وأقام أدلة قوية وكتب الرسائل والـكتب فى هذه المسألة ، فصار بذلك محييها ومؤسساً للهيئة العصرية وسلك الحـكماء مسلكه ، فأصبح اليوم هذا النظام هو الشائع) .

ويؤيد كلام الشهرستانى ما قرأت فى كتاب (مبادىء علم الهيئة) تأليف ألبز أوَرَت ، إذ جاء فيه (أنه فى نحو نصف القرن السادس عشر ، بينما كان تعليم بطليموس هو المشهور فى كل مدارس أوربا قام (كوبرنيكوس) من بروسـيا ، وأحيا تعاليم فيثاغورس التى هى التعاليم الحقيقية المعول عليها فى هذه الأيام ، وهى أن الشمس مركز ، والأرض وبقية السيارات تدور حولها ، وأن لـكل منها دورة ثانوية تدور على محورها) وفيه (أن فيثاغورس قبل المسيح بخمسمائة سنة ، أسس المدرسـة الثانية المشهورة الفلـكية وهى فى كروتونا من أعمال إيطاليا ، وهو أول من اكتشف ناموس حركات الاجرام السماوية ، ولـكن آراءه رفضت عند علماء هذا الفن بسبب التعصب والعجب .

وقال كرنيليوس فانديك فى (أصول علم الهيئة) :

كان فيثاغورس اليونانى معلم هذا الفن فى مدرسة كروتونا فى إيطاليا قبل الميلاد بخمسمائة سنة ، ولم تعتبر تعاليمه مدة ألفى سنة إلى أن أحياها غاليلو من إيطاليا وكوبرنيكوس من بروسيا فى القرن الخامس عشر والسادس عشر .

أما فكرة الجاذبية فهى أيضاً قديمة قال فى كتاب (بسائط علم الفلك) [وهذا التفاعل بين الأجرام السماوية التى يطلق عليه اسم الجاذبية العمومية انتبه له بعض العلماء من قديم الزمان فأشار إليه بطليموس صاحب كتاب (المجسطى) حاسباً أنه هو الذى يجعل الأجسام تقع على الأرض متجهة نحو مركزها وهو الذى ربط كواكب السماء بعضها ببعض . ويقال إن موسى بن شاكر المهندس الذى نشأ فى أوائل القرن الثالث الهجرى انتبه له أيضاً وقال به . قال ابن القفطى أن موسى بن شاكر كان مهندساً مشهوراً من

١١ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

أصبع الانجليز فى النوبة

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

قد يثير هذا العنوان العجب والدهشة فى بعض النفوس التى لا تعرف شيئاً عن منطقة النوبة ، وربما يدفع بعضها إلى التساؤل الملح : وما صلة الانجليز ببلاد النوبة ؟ وأين مكان هذا الإصبع فى تلك البلاد التى ليس فيها موضع لأجنبى ؟!

والواقع أن الغفلة مستولية على عقول كثير من ساستنا الذين لا ينظرون إلا إلى مواقع أقدامهم ، ولا يجشمون أنفسهم عناء التفكير فيما هو أبعد من ذلك ، ولا مشقة اليقظة والانتباه لما يراد بوادى النيل كله ، وما يكون دائماً وراء الأنباء الذائعة ، والأخبار الطائرة ، ولا يعرفه فى الغالب كثير من الناس :

غفل بعض الساسة المصريين عن واجبهم الوطنى ، حينما جعلوا من بعض بلادهم ، وأعنى منطقة النوبة منفى للموظفين ، واحكموا عقد هذه العقدة النفسية الأليمة ، حتى أن الموظف ليتولاه العجب العاجب حينما ينزل بهذه البلاد ، فلا يرى بها جديداً فى أية ناحية من النواحى ، وأن كل شر سمع به لا أثر له على الإطلاق ، وربما يجد العكس ، كشهرة هذه المنطقة بالحشرات السامة ، والأفاعى القاتلة ... و ... و ... مما لم نجد فيه خلاف ما نعرف فى مختلف بلدان القطر ، بل فى كثير من بلاد الريف ما هو أجدر بحمل هذه الشهرة ، وأولى بذيوع هذا الصيت عنه ؟ ! ومما زاد الطين بلة ، أن كثيراً من أولى الأمر يهملون شأن هذه المنطقة سنوات فتظل مشروعاتها مهملة ، فى زوايا النسيان ، مما كان له أكبر الأثر فى كراهية الناس لهذه المنطقة التى تعتبر من أهم المناطق المصرية الكبيرة .

وإذا كانت السياسة البريطانية قد نجحت فى شىء ، فإن نجاحها فى تعمد إهمال منطقة النوبة ، وحمل الحكومات المصرية على هذا الإهمال — فاق كل نجاح ... إهمالاً جعلها كمنطقة طبيعية خامدة خاملة ، لا حياة فيها ولا حركة ولا نشاط ، حتى ليعتقد المار بها فى طريقه من مصر إلى السودان ، أو العكس ، أنه منطقة قبور ، يدفن فيها الأحياء بدل أن يدفن الأموات ، وكم من موت خير من حياة كلها الجدب والألم ، والشقاء المر ، والعناء المميت ، وأنها فاصل طبيعى بين السودان ومصر ! .

وكأنما أرادت السياسة البريطانية بذلك أن تلقى فى روع كل مشاهد لهذه المنطقة هذا الشعور الباطنى العجيب ، وأن تتخذ من هذا دليلا على الفصل بين شقى الوادى ، جنوبه وشماله ، مصره وسودانه وأن تجعل ذلك حجة لها على تحقيق ما تبغى ، وإنفاذ ما تريد ، وهى دائماً تبنى آمالها وأمانيها الكواذب على الخواء ، وتنسج العنكبوت ثم تمضى فى طريقها الفاسد لتجعل من الظلم عدلا ، ومن الباطل حقاً ، ومن الوهم واقعاً محسوساً ، ولكن هذا وإن جاز فى شريعة الماضى ، وقد سيطرت الغفلة على العقول ، ورانت على القلوب ، فلن يجوز فى شريعة القرن الحاضر ، وقد انتبهت الأذهان ، وتفتحت العيون ، واستيقظت القلوب ، ونضج الوعى القومى ، حتى أصبح الابن يشارك أباه فى السياسة ، ويعاونه على أداء الواجب ، ويتقدمه إذا دعا الداعى إلى ميدان الجهاد والنضال لا يعرف الوهن والضعف إلى نفسه سبيلا ، وهو بما يلاق من الهول والشدة ، والحبس والتشريد ، جد سعيد وفخور ! .

منجمى المأمون) أقول ولوح ابن سينا فى إشاراته ونصير الدين الطوسى وفخر الدين الرازى فى شرحيهما لها . وكان هؤلاء يعبرون عن الجاذبية بين الكواكب بالشوق .

قال الإمام فخر الدين الرازى فى شرحه :

وأما الشيخ (ابن سينا) فقد جزم ها هنا (فى الإشارات) بأنه لابد وأن يكون لكل واحد منها (أي للكرات فى الأفلاك) محرك خاص، لأن المتحرك بالاستدارة إذا ثبت أن حركته ليست إلا شوقية تشبهية ، وجب أن يكون الحال فى كل الكرات كذلك . وأما قوله وتعلم أنه ليس يجوز أن يقال السافل منها معشوقه الخاص هو ما فوقه ، فمعناه ما تبين قبل ذلك من أنه لا يجوز أن يكون معشوق الكرة السافلة فى حركتها الكرة العالية الخ ..

ضياء الدخيلي

ولئن غفل هذا الفريق المصرى عن نيات هذه الدولة العجوز الشمطاء ، اللعوب ، ذات الناب الأزرق الاستعمارى ، الأصيل فى المنكر والدس ، والخداع والرياء ، فلقد فهم الشعب على بكرة أبيه الآن حقيقة الموقف ، وأدرك ما يراد به ، وما يساق إليه …

وفى بلاد النوبة مشروعات كثيرة نفذت بالفعل وآتت ثمارها أطيب ما تكون ، وكان لها فى نفوس النوبيين جميعاً أجمل الأثر وهناك مشروعات كثيرة تنتظر التنفيذ والعقيدة السائدة أن كل مشروع يكون نصيبه الإهمال والنسيان، لابد وأن يكون للانجليز إصبع فى وقفه وإهماله ، لأنهم لا يريدون رفاهية هذه البلاد ، ولا خيرها ، لأنهم آخر من يستفيدون منها ، ولأن القلب النوبى يكره الانجليز كراهية تملك عليه نفسه من جميع نواحيها ، ويدرك تمام الإدراك أن الانجليزى عدو بلاده رقم (١) وأنه خطر ليس بعده خطر ، وأنه شر فى كل مكان يحل به ، والسر فى ذلك يجهله كثير من المصريين ، والقليلون يعلمون أن الانجليز فى وقت ما ، حينما اشتدت بالنوبيين الأزمات ، وضاقت بهم سبل العيش ، بسبب التعلية الأخيرة … انتهز هؤلاء الانجليز الأوغاد ، عن طريق أذنابهم — الفرصة ، وحاولوا اجتذاب قلوب النوبيين إليهم ، وربطهم بعجلة الامبراطورية بحجة صلتهم الوثيقة بأهل السودان ، فإن مديرية دنقلة بأسرها تعتبر منطقة نوبية صحيحة من قديم الزمان ، ولمع الذهب ، وأعشى بريقه العيون،وامتدت الآمال والأمانى الخوالب ، ولكن قلوب النوبيين لم تتحرك لهذا البريق ، وعيونهم لم يعشها هذا اللمعان ، وكان الجواب المفحم أنهم حراس النيل من فوق هذه القمم الشوامخ ، التى تشبه عزة نفوسهم ، ونبل أخلاقهم ، على الرغم من ضيق ذات اليد ، والمبيت على الطوى فى أغلب الأحيان .

وتلقى الإنجليز هذا الدرس القاسى ، وعلموا أن الذهب ليس هو كل شىء ، وإن سياستهم لم يكتب لها النجاح على طول الخط ولهذا أدركوا وطنية هؤلاء … الوطنية الحقة ، التى لا يتم عنها كلام منمق معسول ، ولا عبارات خلابة ، ولا أحاديث مستفيضة ولا خطب حماسية ، ولا مقالات تفيض بهـا أنهار الصحف والمجلات ، وإنما هو شىء أسمى من هذا وأجل ، هو العمل والصبر والجلد ، والإخلاص ، وحب مصر والمصريين ، واحترام القانون إلى حد يثير الدهشة والعجب ، ويكفى أنه قد ينقضى العام بأسره دون أن تقع جناية فى بلاد النوبة كلها على الرغم من امتدادها خمسين وثلاثمائة كيلو متر « فأين نجد هذه الوطنية الصادقة ، والهدوء الجميل ؟!

لقـد كان الإنجليز يريدون النوبيين على تشجيع الحركة الانفصالية عن مصر ، التى أهملت أمرهم ، ونسيتهم فى قفـارهم وصحاريهم » وبذل الانجليز الوعود الخلابة لإحالة منطقة النوبة إلى جنة تجرى من تحتها الأنهار ، وأنفاذ جميع المشروعات الممكنة وغير الممكنة لتـكون هذه البلاد حافلة بالثمار الناضجة ، والزهور اليانعة . يتدفق على أهلها الخير من كل حدب وصوب ، ولـكنهم بحمد الله باءوا بالفشل ، وكان نصيبهم الخذلان الأليم … ومن عجب أن أمر هذه المحاولة لم يكتب له الفضيحة كما يجب . وإنما ظل سراً لا يعرفه إلا القليلون من المصريين ، لأن النوبيين لا يرون فيما فعلوا حكومة يستحقون عليها المدح أو الثناء ، بل هو الواجب الذى لا شكر عليه .

ومما يؤسف له أن كثيراً من الأخطاء تقع كل عام فى الوزارات … الأخطاء الوطنية التى يحزن لهـا قلب الغيور … فمن ذلك ما حدث معنا عام ١٩٤٦ بخصوص استمارات السفر إلى عنيبة ، وجهل الموظف المختص بأمر هـذه الاستمارات ، وهل تـكون من حق موظف عنيبة أم لا ، وطال الأخذ والرد بيننا ، وأخيراً صرف لنا استمارات إلى الشلال فحسب ، لأنه يعتقد أن الشلال نهاية اقتصاصه ، وأننا ملزمون أن نأخذ الاستمارات الباقية من منطقة قنـا التعليمية ؛ إذا كان فى وسعها هى الأخرى أن تصرف استمارات أبعد من الشلال .

وإذا اغتفرنا لهذا الموظف هذه الغلطة ، فهل نغتفر لموظف آخر بالوزارة نفسها غلطة أفظع وأعنف ؟ لقد ذهب أحد الزملاء بعـد تعيينه إلى وزارة المعارف ليأخذ استمارات سفره إلى عنيبة أيضاً ، وما كان أشـد عجبه عند ما فاجأه الموظف المختص بطلب تقديم ترخيص للموافقة عليـه من الجهات المختصة فى مصلحة الحدود . فقال : لماذا ؟ فأجاب الموظف : لأن عنيبة خارج الحدود المصرية ، فلا بد من جواز السفر إليها ؟!

وبهت الزميل ، وحاول أن يفهم الموظف حقيقة الأمر ، وأن

فى الطـــــائرة

للأستاذ نجاتى صدقى

كان المسافر من فلسطين إلى سوريا فى الزمن الغابر يشعر بأنه مقدم على رحلة محفوفة بالمغامرات والمخاطر ، فيقطع المسافة الطويلة إلى عـكاء بالدلجانس ، ثم يستقل حماراً ويجتاز به معبر الناقورة ... ثم يتابع السفر بدلجانس آخر .

وكان معبر الناقورة هذا طريقاً جبلياً ضيقاً ، يقوم على أحد جانبيه جبل شاهق ، وتتراءى على الجانب الآخر هوة سـحيقة تنتهى إلى صخور مسننة يداعبها البحر الأزرق العميق مداعبة هادئة ، فإذا ما نظر إليها المسافر الراكب شاعت فى نفسه موجة من الهلع ، وفضل اجتياز المعبر سـيراً على قدميه ... أو زحفاً على أربعته .

ثم يصل المسافر المدينة التى يقصدها ، ويقص على أهله وذويه ما لاقاه من أهوال أثناء رحلته الشاقة ... ولا يغرب باله طبعاً عن أن يروى لهم وقائعه مع قطاع الطرق ، وفتكه ليلا بالضباع التى ينبعث الشر من أعينها ، وبطشه نهاراً بالذئاب الجائعة ذات الأنياب الحادة والمخالب الجارحة .

هكذا كانت مشاق الأسفار فى الأيام الغابرة ، أما مشاقها فى أيامنا هذه فإليك ما حدث فى الطائرة :

كنت مرة مسافراً فى الطائرة من اللد إلى حلب ، وكان الفصل شتاء ، وكانت الطائرة تقل شخصين فقط هما أنا وتاجر أغنام يدعى أبا محمود ، وهو رجل فى حدود الخمسين ، طيب القلب ، يلبس القمباز ، ولا ينفك عن مداعبة حبات سبحته العقيقية .

وبعد أن قطعنا مسافة فى الطائرة حدث ما أثار دهشتى ... رأيت تاجر الأغنام وقد انـكمش على نفسه ، ممتقع اللون ، زائغ البصر ، فاغر الفم ، مشنج اليدين .. فدنوت منه وسألته : ما بالك يا رفيق الطريق ؟...

فأجابنى بصوت بكاء : أريد النزول ! ...

قلت : هذه طائرة وليست سيارة ، ولن تتمكن من النزول

عنيبة ليست خارج الحدود ، ولـكنه نظر إليه شذراً فى شىء من التعالم المقيت ، فلم يجد الزميل بدا من الرضوخ لما أراد ، وقدم الطلب المراد ، وأخذ مجراه ، وانتقل من مكتب إلى مكتب ، دون أن يفطن أحد إلى هذا الخطأ ، حتى وصل إلى يد أحد الرؤساء بالوزارة ، وكان رجلا ذ كياً يعرف الـكثير عن عنيبة ، فأمسك بالطلب ، وأطال النظر فيه ، وبدا الاستياء على وجهه ، ثم نادى الموظف الذى أشار به ، وافهمه حقيقة الأمر ، واتحفه بقسط كبير من اللوم والتعنيف ، فـما يجدر بموظف أن يجهل حقيقة عمله ، وإن جهل حقيقة بلاده !

وأرمنا بلدة فى بلاد النوبة بين توشكى وأبى سمبل ، وحدث أن أرسل إليها أحد موظفى وزارة الصحة بعض الأوراق ، الخاصة بطبيب المركز أى مركز عنيبة ، بيد أن هـذا الموظف كتب على الظرف (السودان) فذهبت الأوراق إلى السودان ، ثم ردت إلى الوزارة مرة أخرى بعد ما كتب عليها موظف الحـكومة السودانية أن هذه البلدة ليست فى السودان وإنما هى فى منطقة النوبة التابعة للحكومة المصرية واتبع هذه العبارة بمجموعة من علامات التعجب والاستفهام ، التى معناها أننا معشر المصريين لا نعرف بلادنا » .

هـذه الأخطاء التى أسميها أخطاء وطنية ، تقع فى شتى الوزارات ، ومختلف دور الحـكومة كل عام ، وهى إن أحزنت الوطنى الغيور ، فإنما يطرب لها المستعمر الغاصب ... لأنه يرضيه أن يرى كل مصرى منصرفاً عن خير بلاده ، ومصلحة أمته إلى لذاذاته ومسراته ، ويسره جهل الموظفين بما لا يصح أن يجهلوه ويزيد فى سعادته أن يرى القلق بادياً فى وجوه الموظفين فى بلاد النوبة ، ولهذا يتألم الإنجليز لعمران هذه المنطقة بالغ الألم ، ويسوءهم أن تتجه الحـكومة المصرية بالإصلاحات الشاملة فى هذه البلاد ، وبخاصة فى هـذه الأيام ، لأن إصلاح منطقة النوبة يصل ما بين مصر والسودان برباط وثيق ، ويقرب هـذه الشقة التى عمل الانجليز على اتساعها ، ولـكن الله سيحبط مسعاهم حينما نخاطبهم باللغة التى يفهمونها ، وإن غداً لناظره قريب .

عبد الحفيظ أبو السعود

إلا فى مطار حلب ... الأول مرة تصعد فى الجو ؟ .

قال : نعم ... لأول مرة بالشقانى .

قلت : لا تخف ، فبعد ساعتين سنصل إلى حلب ... أنظر إلى أسفل ، ها نحن نجتاز رأس الناقورة ... فتطلع تاجر الأغنام من النافذة ... وحدث فى هذه البرهة أن هبطت الطائرة فى فجوة هوائية ، فانتفض رفيقى ، واسترخى على مقعده ، وراح يؤنب نفسه قائلاً : « أجننت يا أبا محمود ... ما لك وركوب الطائرة ... سافر فى السيارة ... أو فى الدلجانس ... الله يرحم أيام الدلجانس ... أو على حمار ... أو مشياً على قدميك ... ولكنك تريد السرعة ، والآن ستكلفك هذه السرعة حياتك ... يا لك من شقى جاهل يا أبا محمود » ... (وأخذ يبكى) .

ولما دخلت طائرتنا وسط غيوم كثيفة رفع تاجر الأغنام ناظريه إلى وقال : أين نحن الآن ؟ ..

قلت : وسط الغيوم .

قال : فى السماء ؟ .

قلت : نعم .

قال : فى أى سماء ؟ !

قلت : اجتزنا السادسة وعلى وشك الدخول فى السابعة !

فصرخ بأعلى صوته : الله أكبر ... الله أكبر ... الله أكبر ! ...

ثم ارتجت الطائرة فجأة ومالت إلى اليمين ، ثم انحرفت إلى اليسار ... ثم هوت فى فجوة هوائية بعنف ... فشددت الحزام على وسطى ... أما تاجر الأغنام فكان يتمتم قائلاً : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، ولا تجازينا إن أسأنا أو أخطأنا ، اللهم ادخلنا فى زمرة عبادك الصالحين ، آمين يا أرحم الراحمين .

ثم التفت إلى وقال : أبنائى أمانة فى عنقك ! .

قلت : وماذا تعنى بذلك ؟ ...

قال : أبنائى ليس لهم من معيل غيرى ... أستحلفك بالله أن تتردد عليهم دائماً ، وأن تمد لهم يد المعونة إذا ما احتاجوا لها لا سمح الله ... دعهم يبيعون الأغنام أو يقتسمونها فيما بينهم ... وقل لأم محمود بأن تكرس حياتها فى تربية أولادها ... آه إنى أشعر بدنو الأجل ! ...

قلت : ولكن إذا أصيبت الطائرة بكارثة فسيقضى علينا معاً !

وارتجت الطائرة ارتجاجاً عنيفاً ، ثم هبت علينا عاصفة مصحوبة بالرعد ، والبرق ، والأمطار ، فحلقت بنا الطائرة عالياً ، وكانت أثناء تحليقها هذا تهوى بين حين وآخر فى فجوات جوية .

وفى هذه اللحظة أطل علينا عامل الراديو من كوته وناولنى ورقة فلم أطلع على مضمونها لاعتقادى أنها تحدثنا عما قطعناه من مسافة وما تبقى منها لنصل إلى حلب ... أما رفيقى تاجر الأغنام فكان مستلقياً على مقعده مغمض العينين ، متهدل الشاربين ، مرتخى اليدين .

وهبطت بنا الطائرة فى مطار حلب ، وأبو محمود لا يزال يعتبر نفسه فى عداد الهالكين ... فهززته قائلاً : إنهض أيها الرجل لقد وصلنا ! .

ففتح عينيه الذاهلتين وقال : أين نحن الآن .

قلت فى حلب .

فنزلنا من الطائرة ، وسمعت تاجر الأغنام يقول : هذه هى السفرة الأولى والأخيرة بالطائرة ... لقد نجانا الله ! .

فضحكت منه ، وربت على كتفه ، وافترقنا .

ولما بلغت النزول فى حلب ، أخذت أفحص ما فى جيبى من أوراق ، فعثرت على ورقة عامل راديو الطائرة التى ناولنى إياها ونحن نجتاز الزوبعة .. وقرأت فيها :

« نطير الآن على ارتفاع أربعة عشر ألف قدم .. لقد تعطل أحد محركى الطائرة ! نجتاز زوبعة عنيفة . شد الحزام على وسطك إذ ربما نضطر إلى الهبوط فى أى مكان ! . »

والحق يقال إننى ما كدت أنتهى من قراءة هذه الورقة حتى أحسست بقشعريرة تنتابنى من قمة رأسى حتى أخمص قدمى . ومرت بى فترة من الزمن تعرضت فيها إلى ذات الرعب الذى تعرض له تاجر الأغنام وهو فى الطائرة .. ثم رحت أسائل نفسى : هل تنبأ عقل تاجر الأغنام الباطن بما لم يتنبأ به عقلى ؟ . وهل كان لرعبه علاقة بشعوره مقدماً بكارثة كادت تقع ؟ ! .

نجاتى صدقى

دراسات تحليلية :

ذو النـــون المصرى

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

بين ضفاف النيل ورمال الصحراء فى بلدة أخميم بمديرية جرجا من أعمال صعيد مصر ، ولد أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصرى سنة ١٨٠ بعد الهجرة ، وكان أبوه نوبياً جىء به من بلاد النوبة رقيقاً ثم أعتق . ونشأ ذو النون تهب عليه نسائم النيل الرطبة ، وتلفح وجهه رياح الصحراء الجافة ، كلاهما تحمل أسراراً غامضة وتوحى بعظمة الكون وخالقه ، وبين قوم محدودى المعارف ضيق أفق التفكير ، قضى أيام صباه .

فلما شب عن الطوق واتسعت مداركه ، ضاقت نفسه الكبيرة بهذا الجو الخانق المحدود ، فلم يجد سوى الخرائب المصرية يطوف بينها من بلدة إلى أخرى يدرس رموزها ويحاول حلها والوصول إلى أسرارها — وقد كان هذا الطواف المحدود عاملا من عوامل حبه التنقل بين بلدان العالم الإسلامى سعياً وراء بحثه عن الحقيقة ودراسته الصوفية — ولما لم يجد بين هذه الخرائب ما يشفى غليل نفسه ، راح ينشد الهداية فى جوانب الصحراء الواسعة علّه يصل إلى طلبته من المعرفة والعلم . وفيما هو فى حيرته ، سمع بسعدون الصوفى المصرى ، فذهب إليه وسمع منه فسحره حديثه وأشرب قلبه محبته ؛ فلقد وجد بعد العناء والتعب بغية نفسه وأمله المفقود ، وتتلمذ عليه ، ودرس الصوفية على يديه ، وسرعان ما أعجب الأستاذ بفصاحة تلميذه فقربه إليه وآثره بصحبته . وبجانب توفره على دراسة الصوفية كان يدرس الطب والكيمياء وعلوم السحر .

وذات يوم عاد إلى إخميم فوصلها ليلاً وسمع دفوفاً تضرب وشاهد قوماً يلهون ، فسأل ما هذا ؟ فقيل له عرس . ثم سار قليلا فسمع نواحا ورأى نسوة يندبن ، فسأل ما هذا ؟ فقيل له فلان مات . فقال : أعطى أولئك فما شكروا ، وابتلى هؤلاء فما صبروا . لله على ألا أبيت بهذا البلد . وانطلق لايلوى على شىء ، ترفعه رابيه ويخفضه واد ، هائما ينشد المعرفة ويبغى الوصول ، حتى بلغ بيت الله الحرام وزار القبر الشريف ، ثم تابع سيره إلى دمشق وزار كثيراً من النساك المقيمين فى جنوب إنطاكية ، وسألهم وسمع منهم . قال « زرت فى لبنان رجلا نحيفاً ضعيفاً يصلى . فسلمت فرد السلام وما زال فى ركوع وسجود حتى صلى العصر ، ثم جلس ولم يتكلم ، فطلبت منه أن يدعو لى فقال : آنسك الله بقربه . فطلبت منه المزيد ، فقال : من آنسه الله بقربه أعطاه أربعا . عزا من غير عشيرة ، وعلماً من غير طلب ، وغنى من غير مال ، وأنسا بغير جماعة . ثم شهق فلم يفق إلا بعد ثلاث وأنا منتظر ، فلما أفاق قال : انصرف عنى بسلام . فقلت أوصنى قال : أحبب مولاك ولا ترد بحبه بدلا » .

عاد إلى مصر وقد روى ظمأه ، وأخذ ينادى بتعاليمه بين قوم ران الجهل على قلوبهم وعميت بصائرهم فما يفقهون قولا — وكان أول من تكلم عن علوم المنازلات ، فأنكر عليه أهل مصر هذا واتهموه بالزندقة والخروج عن الدين لأنه لم يكن لهم بهذا العلم عهد ، فقالوا أحدث علماً لم تتكلم فيه الصحابة(١) — فاضطهدوه وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ، فبعث إلى عامله على مصر فأرسله إليه ، فألقى به فى السجن . ولكن أصدقاءه وتلاميذه طلبوا له العفو من الخليفة وما زالوا به حتى أخرجه من السجن ، وجمع العلماء ليناظروه . وتحدث أبو الفيض وتحدث العلماء فما زال كلامه يعلو وكلامهم يهبط حتى صمتوا جميعاً وتحدث وحده . ثم وعظ الخليفة ، فبكى بكاء مرا . وندم على سجنه وقال : إذا كان هذا زنديقاً فما فى الأرض مسلم . ورده مكرماً . فدوى اسمه فى الآفاق وأقبل عليه الناس من كل صوب وحدب يلتمسون العلم عنده ويطلبون الرشاد على يديه .

* * *

وكان يعلم تلاميذه التوبة ويلقنهم كبح جماح النفس والاقلاع عن الغواية . وقد كان يفرق بين توبة الإنابة التى ترجع إلى خشية العقاب والخوف منه ، وبين توبة الاستحياء التى تستند إلى الاستحياء من رحمة الله سبحانه وتعالى . وكان يقول التوبة ثلاث: « توبة العوام وهى التوبة عن المعاصى ، وتوبة الخواص وهى التوبة عن الإهمال ، وتوبة المعرفة وهى التوبة التى تعنى الإعراض

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ح١

عن كل شيء سوى الله » .

ومن تعاليمه عن الروح أن النفس هى العقبة الكأداء فى سبيل الكمال الروحى لأنها خاضعة لرغبات النفع الذاتى ، ولذلك وجب على المتطلع إلى الله أن يحارب نزواتها ويتغلب عليها . ولما سئل عن الحجب الموجودة بين الله والروح هو أعظمها أثراً فى إخفاء رؤية الحقيقة قال : « أخفي الحجاب وأشده رؤية النفس وتدبيرها » .

ويقول إنه يمكن عن طريق كبح جماح النفس تخليص الروح من العقبات النفسية وإعادتها إلى أصلها الأول من الطهارة والنقاوة فتعود إلى اتصالها بالله .

فالعودة إلى الله لابد من تطهير النفس من الشرور وكبح جماحها عن الرغبات ومن أية صلة أخرى غير الصلة بالذات العلية ومن تعاليمه فى ذلك : « لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة » .

وذل النفس ضرورى للروح التى تأمل فى أنس الله والقرب منه ، فكلما ازداد العارف فى إذلال نفسه وإخضاعها ازداد قربا من الله ، فيقول « وما أعز الله عبداً بعز ، أعز له من أن يدله على ذل نفسه » لأن المريد عندما يبصر القوة السماوية وتتملكه عظمة خالق السموات والأرض يدرك كم هو ضئيل بالنسبة لهذه القوى فيمتلىء تواضعاً .. وفى ذلك يقول ذو النون « من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله تعالى فإنها تذوب وتصفو . ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه ، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته وجبروته » .

***

وكانت المعرفة أهم الموضوعات من تعاليمه ، فهو أول الصوفيين الذين تعرضوا للكلام عنها . ومن تعاليمه فى المعرفة أن المعرفة بالله ثلاث ، أولاها معرفة التوحيد التى هى ملك المؤمنين جميعاً . وثانيتها معرفة الحجة والبيان وهذه هى معرفة الفلاسفة وعلماء الدين . وثالثتها معرفة صفات الله وهى معرفة أولياء الله الذين يتأملون الله بقلوبهم فيكشف لهم عما لا يكشفه للآخرين فيقول : « علامة العارف ثلاث : لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطناً من العلم ما ينقض عليه ظاهراً من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه ، وكرامته على هتك أسرار محارم الله تعالى » .

والمعرفة تقود إلى الحيرة ، ولكنها حيرة على نوعين : حيرة العامة وتؤدى بأصحابها إلى الزندقة والضلال ، وحيرة الخاصة وهي تتسبب عن الاكتشاف ، فهى الحيرة التى تدوم وتبقى . وفى ذلك يقول « التفكر فى ذات الله تعالى جهل ، والإشارة إليه شرك ، وحقيقة المعرفة حيرة » .

وكما أن المعرفة تؤدى إلى الحيرة فهى كذلك سبيل الاتحاد بالذات العلية ، وفى ذلك قال : « إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب أعينهم وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحزناً فجنوا من غير جنون ، وتبلدوا من غير عى ولا بكم ، وإنهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله وبرسوله ، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ، ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت ، وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا ، واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة ، وسرحت أرواحهم فى العلى حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة ، وركبوا فى سفينة المطية وأقلعوا بريح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العزة والكرامة » .

وتحدث ذو النون عن أسفاره التى كان فيها ينشد سبل الخلاص من شوائب الحياة وأكدارها قال : « لقد حصلت فى أول أسفارى علما يرضى الخاصة والعامة ، وحصلت فى ثانيها علماً يرضى الخاصة دون العامة ، وفى ثالث أسفارى حصلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة ، فغدوت شريدا طريدا. لقد حصلت من العلم فى المرة الأولى التوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء وفى المرة الثانية وصلت إلى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تتفهمها العامة ، وفى المرة الثالثة وصلت إلى الحقيقة التى تسمو على العلم والعقل

فأعرضا عنها ولم يتفهماها » .

لقد كان ذو النون فى بادىء الأمر متنسكا ينشد الوحدة ويبتغى العزلة ، ليدرب نفسه على كبح رغباتها حتى تغلب عليها ، فسار فى طريق التوبة والتطهر حتى من الله عليه بهبة المعرفة فأصبح فى آخر الأمر صوفياً عارفا بالله . وقد وافاه الأجل بمدينة الجيزة سنة ٢٤٥ للهجرة . ومما روى عن جنازته أن كان الطير تتجمع فى السماء وتظلل نعشه . وأنه بعد وفاته ظهر على قبره مكتوب : ذو النون حبيب الله ، من الشوق قتيل الله .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

بعد الامتحـــان ...!!

للأديب الطاهر أحمد مكى

ماذا أصنع ؟ ، وإلى أين أتجه ؟ ، وفى أى المعاهد أنتسب ؟ ، ومن أى الثقافات أرتوى ؟ ... أسئلة حائرة تتراقص على لسانى ، وخواطر قلقة تتماوج فى جنانى ، وآمال واســـعة يضيق بها صدرى ، ويعجز عنها بيانى ؟ ...

أنا أريد المعهد الذى يربى الروح وينشىء البـدن ، ويساير الحياة ، ويراعى تطور الزمن ، . . وأنا أفتش عن الأسـتاذ الذى يوجه ولا يستأثر ، ويرشد ولا يقيد ، ويرسم المنهج ، ويحدد الهـدف ، ولا يدخل فى التفاصيل ، ولا يتمسـك بالجزئيات ، ليجعل شخصه فوق الأشخاص ، وعقله سـيد العقول ، ورأيه أكل الآراء ! ...

* * *

قالوا أمامك كلية اللغة ، بها نشأت العربية ، وفى أحضانها ترعرعت ، وعلى هـدى منها تطورت ، ولعلك واجد هنـاك ما يرضى ذوقك وفنك ، ويشبع رغبتك وهويتك ، ويصعد بك فى معارج من السمو البلاغى ، تتيح لك لذة لا تعدلهـا لذة ، ومتاعاً لا يعدله متاع ! . . .

واسترجعت نفسى ، واستأنيت فـكرى ، ولم أصدق ما قالوا فأنا أعرف بالأزهر ، وألصق بشيوخه ، وأخبر بمناهجه ، وأعـلم بطلابه ، وهم جميعاً ليسوا فى شىء مما يصفون ، وإن بدت ظواهرهم لماعة خداعة ...

فـكلية اللغة قالوا لها يوماً ، كونى على العربية حارساً ولها رائداً ، ثم باركوها بالعناية ، وغذوها بالرعاية ، وحبوها بالجاه ، وعززوها بالإيثار ، وجعلوها مطمح الأنظار ، واستخلصوا لها من الطلاب أنجبهم وأمكنهم ، وأغزرهم ثقافة وعلماً ... ومضت عجلة الحياة مندفعة إلى الأمام ، مسرعة الخطـا ، فأصاب التطور والتقدم شتى مرافق مصر ، ولـكن كلية اللغة لم تؤت ثمارها ، ولم تبلغ أكلها ، ولم تحقق أمل الناس فيها ، فتوارت عن الأنظار ذلك لأن المشرفين عليها بالأمس واليوم ، جعلوا من عقول بنيها آلات لرصـد الآراء ، ومذكرات لتـدوين الحواشى ، وسجلات لحفظ الهوامش ، وحفظة على كتب الأوائل ، غثها وسمينها ، خبيثها وطيبها . . . ثم قالوا لهم ، هذه حدودكم فـلا تتخطوها ، وتلك آراؤهم فلا تناقشوها ، فوجد الطلاب أنفسهم مضطرين لدراسة قواعد لا تتمشى مع الذوق ، ولا تستقيم مع المنطق ، ولا تنهض على أسس سـليمة من الفكر الصحيح والنظر السليم ، والرأى الثاقب ، والبحث العميق ، وتصطدم مع واقع الحياة اصطداماً مراً ، ثم وجدوا أنفسهم مسيرين فى إضفاء القداسة على أشخاص المؤلفين ، لا ينقص لهم رأى ، ولا تنقض لهم قاعدة ، مع أنهم بشر أياً كانوا ، يخطئون ويصيبون على السواء فـكان الإيمان المطلق ، وما أكثر ما يجنى الانقياد الأعمى على حقائق الأشياء !

وأنا حين أعرض لهذا المعهد بمثل هذه الصراحة ، لا يعنينى غل فى النفس أو مرض فى الرأى ، أن أعترف أن فيما يدرس هناك ، كتباً لها قيمتها واعتبارها ، ولها مكانها فى عالم البلاغة والأدب ، ويرجى منها كبير فضل لو أتيح لها المدرس الصالح ! .

ولكن ، أين هو المدرس الصالح ؟ ! . . وقد أفقدت السياسة الأزهر صوابه ، فاضطربت فيه مقاييس الأخلاق وموازين الرجال وجعلت منه مجالاً فسيحاً لنعرة العصبية ، وشحناء الحزبية ، فملأ أناس مكانهم فى الحضيض ، وفات الركب آخرون كانت النصفة تقضى ، أن يكونوا فى مقدمة الصفوف ، ولا يرجى من تافه عـلا نفع ، ولا من عزيز امتهن فائدة ! ... والعربية فى كلا

الحالين هى الخاسرة ، والطلاب هم الضحايا ! !

وإذا كانت الصراحة رائدى ، فأنا أجد فى نفسى الشجاعة لأقول : أن هيئة التدريس فى كلية اللغة أجمالاً ، لا تتناسب وجلال المعهد وعظم رسالته ، وما يرجو له المخلصون من بقاء ودوام . ولست أعرف فيما أذكر من كليات مصر والعالم ، أن هيئة تدريس جامعية ، لا يجيد أساتذتها أكثر من لغتهم التى ولدوا بها ، غير كلية اللغة ، وتلك نقيصة ما كنت أحب أن يوصموا بها ، فى عالم أضحى كتلة واحدة ، وتلاشت فيه الحدود والحواجز ، ولم يعد فى طوع شخص مثقف ، أن يستقل فيه بفكره وآرائه ، بعيدة عن مؤثرات الفكر وتياراته العالمية !...

وتستطيع أن تلمح أثر هذا التقصير واضحاً ، فى متابعة ما يؤلف من كتب ، وما يصدر من صحف ، وما ينشر من بحوث وما يدور من مناقشات ، هل تحس لهم كلمة ، هل تسمع لهم رأياً؟ سؤال ما أظنه يحتاج إلى جواب !

كان فى وسع الأزهر أن يتلافى هذا النقص ، وأن يدفع عن نفسه هذه المعرة ، لو مد يده إلى الأدباء والمفكرين ، ممن بنوا مجدهم العلمى على أسس متينة ، وبجهاد مضن ، وما عليه من بأس ، فكل جامعات العالم تسد نقصها . لما تجد من أساتذة متخصصين أنى وُجدوا . والعالم لا وطن له ، والحقيقة واحدة ، وإن تعددت المذاهب والأجناس والأوطان !

ولكن . . لأمر ما ، رفض شيوخنا أن يعترفوا بالنقص ولغيرهم بالفضل ، فآثروا السكوت والعزلة ، وضربوا حول أنفسهم حاجزاً حصيناً ، وأقاموا دون العالم سداً عالياً ، لا ينفذ منه شعاع الفكر الحديث ؛ ولا يخترقه صدى المعرفة الحقة ، لا يتقدمون ولا يتطورون ، ولا يؤثرون ولا يتأثرون ... وتلك طلائع الموت وبشائر الانحلال !

* * *

وهمس فى أذنى آخرون ، يستحثوننى فى اللحاق بدار العلوم وينسبون لها من المزايا والفضائل ما عرفت وما لم أعرف ، ومَن يدرى فقد لا أعرفه أبداً ، لأنه ليس هناك ، وإنما هو وليد التعصب الأعمى ، والخيال المفرض ! ...

قالوا إنها مهذبة منظمة ، مرتبة منسقة ، سخية فى المال ، شهية فى الطعام ، لن تجد فى دراستها تعباً ولا نصباً ، ولا رهقاً ولا وصباً ، ووجدتنى أدير ظهرى مرة أخرى ، فأنا عارف بما هناك

قد تكون دار العلوم جميلة المبنى ، لطيفة الموقع ، نظيفة المظهر ، لامعة البناء ، فاخرة الرياش ، ولكنها وا أسفاه أيضاً ! أزهرية التفكير ، جامدة الشعور ، لا تربى دراستها فناً ، ولا تعلى ذوقاً ، ولا ترهف حساً ، ولا تنمى خيالاً ، وإنما تنتج مدرساً صالحاً طيعاً ، لحفظ القانون ، ويجيد قواعد التربية ، ويطبق منشورات الوزارة ، ويحسن حفظ النظام فى صفوف التلاميذ ! ...

* * *

لن أذهب إلى الأزهر ، لأنى سأكون أكثر من أستاذى علماً ، وأوسع ثقافة ومعرفة ، فأنا أجيد لغة ، وفى طريق لإجادة الثانية ، وهو لا يعرف إلا واحدة ؛ وأنا ألم بالحركة الفكرية الحاضرة ، ممثلة فى الصحافة والإذاعة والمحاضرة ، وهو ليس على شىء من ذاك ... ولن أذهب إلى دار العلوم ، لأنها مصنع مدرسين ، وأنا لا أريد أن أصبح مدرساً ناجحاً ، بقدر ما أحرص على أن أكون مفكراً حراً ، ولا أحرص على شىء أكثر من حرصى على المعرفة الطليقة ، التى لا تتأثر بالمذاهب والأشخاص ، قدر تأثرها بالمنطق والإقناع ! ...

ولا يعنينى من الحياة ، إلا أن أعيش مع أولئك الخالدين من عباقرة الإنسانية فى مختلف فنونها ، مصورين ومثالين ونحاتين وأدباء وشعراء وموسيقيين ، ممن أعلوا من قيمة الإنسان وقدره وجملوه جديراً بما أكرمه من الخالق من مزايا وصفات ! ..

* * *

بقيت كلية الآداب ... وهى ثرية مترفة ، ناعمة مرهفة ، تتأفف عن أمثالى ، من الغلابى فى دنيا الجاه والمال ، الفقراء فى عالم السادة والسلطان ، فهى تقيم الحواجز ، وتصنع العقبات . ولعلها ثائبة إلى رشدها يوماً ... عافاها الله !

وبعد ... فأين أكمل تعليمى ، وفى أى مهد تستقر روحى ، وعلى أى أساس أختط نهجى ؟ ...

أنا حائر ... فهل عند أحد من جواب ؟ !

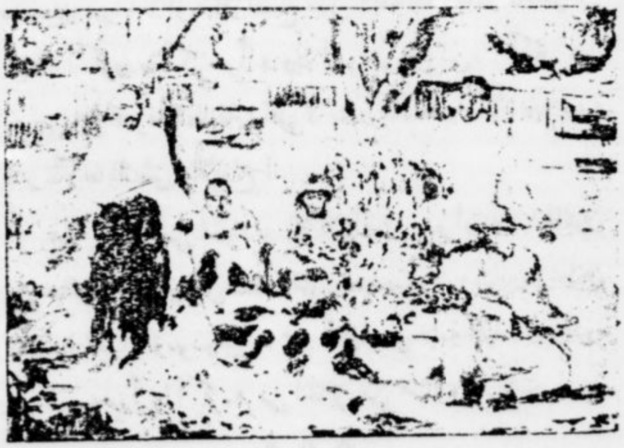
الطاهر أحمد مكى



« الاتجاهات الفنية الحديثة » (*)

للأستاذ محمد بك ناجى

يشاء الله لنا أن نعيش ليختبرنا بهذه الأوقات كى نستحق مصيراً أجل وأعظم . لهذا حشدنا جميع قوانا فى خدمة غرض نبيل ، وانبعثت همتنا للكفاح فى جميع الجبهات فى نفس الوقت . فلنزد من هذه القوى ، ولنضاعف وثباتنا ، فليس فى حوزة الفرد أكثر ما تجمع له من الوسائل . واقد ظلت الروح أبداً مكرسة للنصر .



تجار الجلود فى الحبشة — من تصوير محمد بك ناجى
(عرضت فى معرض البندقية الدولى للفنون الجميلة)

انظروا إلى الحرب الأخيرة وتساءلوا عما إذا كان جنود الأمم المتحدة قد تجردوا من تذوق الجمال الذى كان يسرى فى مظاهر فنهم بمدينتنا القاهرة . لكى يكلل السلاح بالنصر لا يكفى صوت المدفع وحده ؛ فإن الحلفاء قد عبأوا مصوريهم ومثاليهم ليعبروا عن حيويتهم . قد دعيت مصر للاشتراك فى معرض البندقية الدولى للفنون الجميلة ، وهو حلبة سبق أوربية يضرب كل فيها بسهمه . ومصر ساهمت بجرأة بدورها فى هذا المضمار . حقاً أنها وصلت إلى الصفوف الأُلى وهى تلهث؛ ولكنها أقرت مكانتها فى مجمع الأمم . وإنا لنتقدم بشكرنا إلى إيطاليا صانعة السلام الذى يوفق عن طريق الفن بين المصالح المتضاربة المتباينة .

فى البندقية ، المدينة الفناء ، التقت جميع الأمم . وقد ظفرنا بمثل هذا الامتياز أثناء الحرب ؛ وبعدها احتفظت به القاهرة فأمست عاصمة الفنون فى الشرق الأوسط ، وظلت حريصة على هذا التقليد ومن أجل هذا ستحظى إيطاليا التى تنزلنا اليوم بجناحها الفخم بنفس حقوق الضيافة فى قصر المعارض بالقاهرة ، فى العام القادم .

وقد شئت أن أحدثكم عن مدنية أوربية باهرة يقول البعض آسفاً إن الشيخوخة قد دبت فيها — ومعرض البندقية يقدم إلينا صورة جلية . قد تثير أسباب الكوارث قلق المؤرخين ؛ ولكن



قافلة من الحمير — من تصوير محمد بك ناجى
(عن معرض البندقية)

العلوم الزاخرة ، والحرية الوافرة ، والفردية الواسعة ، ثم الكبرياء ، والرغبة العابثة فى خلق عالم مجرد من الطبيعة لا تقلقنا ، ولكن فضيلة التواضع التى تنقص الفنان هى الباعثة على انحلال فنه .

وإمعاناً فى التدقيق ، إليكم المراحل التى اجتازها الفن المعروف بتصوير « المرئيات »

تتضمن أولى هذه المراحل إبراز صورة المرئيات مباشرة بطريقة

(*) « نص الخطبة التى أذاعها الفنان الكبير محمد بك ناجى مدير الأكاديمية الملكية المصرية بروما ، والملحق الثقافى بإيطاليا ، بمناسبة افتتاح معرض البندقية الدولى للفنون الجميلة حيث مثل مصر . »

ساذجة . أما الثانية فتقتبس العناصر الطبيعية لإبداع الطبيعة من جديد . وتطمح الثالثة إلى تكوين عالم لا يمكن تصوره مستقلا عن عالمنا المعقول .

والرأى عندنا أنه يمكن أن نحـدد بين قطبين ما ينتاب عالم الفنون من الاضطراب البالغ : أولهما المحسوس وهو نقطة ارتكاز الفن التصويري أو المرئى ، والآخر المجرد ويثير في النفس برموزه وإشاراته المعانى والارتسامات .



صناع الخزف — من تصوير محمد بك ناجى
(عن معرض البندقية)

وتطرف الفن المعاصر وجموحـه شبيه بتحرير الفرد من الأوضاع القائمة . والنشاط الروحى الرفيع لا يقبل بطبيعته أى مبرر؛ إذ هو حادث مستقل لا يخضع لسواه أو يمكن استخدامه كأداة . إزاء هـذه الانقلابات الطارئة على الفن بفعل التفكير الفلسفى المتضارب ، وما تقدمه لنا مـذاهب مثل : « ماوراء الطبيعة » (الميتافيزيقيـة) ، « والتجريدية » ، « وما فوق المحسوس » (سير رلست) ، « والاستبطانية » (فرويدزم) ؛ لا يعدو واجبنا غير الإلمام بهذه التيارات التى تعتبر أدبية أكثر من أن تكون فنية ؛ أما الأخذ بها والجرى عليها فمتروك للاذواق والميول . ولا يخفى أن حب البشرية والدين والتقاليد والوطن ليست موضوع ما يعرف « بالفن الدولى » وهذه العوامل المذكورة التى خلقت للانسان أجمل تراث ما تزال تفعل فعلها فى بعث نهضة الشرق . ولسوف يظل الشرق للجميع مستودعاً روحياً زاخراً ليعالج مرة أخرى هذه الوثنية يسمى عالم الفن للتحرر منها .

هذا ما يلقيه علينا معرض البندقية من الدروس ، وإنا لجد عارفين له بالجميل .

محمد ناجى



من شئون الحرب في الإسلام :

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدى كرب : صف لنا الحرب ، قال : مرة المذاق إذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن نكل عنها تلف .

وقال هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة : هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ قال ما سلمت من ذلك من ذعر نبه على حيلة ولم يغشنى ذعر سلبنى رأيى . قال هشام : هذه والله البسالة .

وسئل بعض أهل التمرس بالحرب : أى المكائد فيها أحزم ؟ قال إذكاء العيون ، وإفشاء الغلبة ، واستطلاع الأخبار ، وإظهار السرور ، وأمانة الفرق ، والاحتراس من المكائد الباطنة ، من غير استصغار لمستنصح ، ولا استناد لمستغش ، واشتغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره .

وكان بعض أهل التمرين بالحرب يقول لأصحابه : شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فإن الجبان لا يألوا برأيه ما بقى مهجكم ، والشجاع لا يعدو ما يشد بصائركم ، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان ، وتهور الشجعان ، فتكون أنفذ من السهم الزالج ، والحسام الوالج . ولما فتح عمرو بن العاص قيسارية ، سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه علجها أن ابعث إلى رجلاً من أصحابك أكلمه ، ففكر عمرو وقال ما لهذا أحد غيرى ، فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله ، فقال العلج حدثنى هل فى أصحابك أحد مثلك ؟ قال لا تسأل عن هذا إنى هين عليهم إذ بعثوا بى إليك وعرضونى لما عرضونى ولا يدرون ما تصنع بى ، فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه ، فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه ، فقال : يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ، ففطن عمرو لما أراده فرجع ، فقال له العلج ما ردك إلينا ؟ قال نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك يسع بنى عمى فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد ، فقال صدقت عجل بهم . وبعث إلى البواب أن خل سبيله .

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضوان الله عليهما : أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ... ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله ... واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم . وترفق بالمسلمين ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامى ، الانفس والكراع ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحداً من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح . وإذا وطئت أرض العدو فبث العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك فى بعضه والغاش عين عليك وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم ، وتنتق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها أحداً بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية ، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومخاتلته وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذك حراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك .

والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لـكم على عدوكم والله المستعان .قال خالد بن الوليد عليه رضوان الله عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسمى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، ثم ها أنذا أموت حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء . وقالت عائشة رضوان الله عليها : أن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها ، فأف للجبناء فأف للجبناء .

الوساطة الدولية :

هى تدخل دولة أو شخص تدخلا ودياً فى خلاف قائم بين دولتين أو أكثر لحسم النزاع بما يرضى الفريقين كوساطة البابا سنة ١٨٨٥ بين دولتى أسبانيا وألمانيا لرفع الخصام الذى كان بينهما بسبب جزيرة كارولين ، وقد عرض عليهما البابا فكرة لفض النزاع فوافقتا عليها فى معاهدة عقدت بينهما فى روما .

والوساطة إما أن يعرضها الوسيط على المتنازعين من نفسه أو يطلب إليه ذلك أحد الفريقين أو غيرهما . والوسيط ناصح ينحصر عمله فى فحص القضية المختلفة فيها فحصاً دقيقاً واقتراح ما يراه نافعاً ومقبولا لدى الفريقين .

وقد جاء فى المادة الرابعة من معاهدة لاهاى ما نصه : إن عمل الوسيط ينحصر فى التوفيق بين الآراء المتعارضة وتخفيف الأحقاد التى تنشأ عن الخلاف .

وجاء فى المادة السادسة من المعاهدة المذكورة : إن المساعى الجميلة والوساطة سواء أكانتا بطلب من الدول المتنازعة أم بلا طلب منها لا تخرجان عن حد أسداء النصح ولا تلزمان الفريقين .

والفرق بين الوساطة والمساعى الجميلة هو أن الوسيط يدخل فى المفاوضة تواً ويضع الأسس لحل الخلاف ، أما الساعى لرفع النزاع فيعمل لرفع الخصام بنفوذه وسلطانه ، دون دخول فى المفاوضة أو وضع أسس للصلح .

والفرق بين الوساطة والتحكيم أن الوسيط ناصح يبسط رأيه للفريقين ويترك لها الخيار فى القبول أو الرفض . وأما الحـكم فحاكم يبرم قرارات حـكمية ، والفريقان مجبران على تنفيذها . وأوضح فرق بين الوساطة والتحكيم هو أن الوساطة مفاوضة سياسية ، وأما التحكيم فعمل حقوقى ، وأن الوساطة تكون فى فى أى مسألة من المسائل المختلف فيها وإن كانت تتصل بشرف الدول وحياتها ، وأما التحكيم فلا يشمل هذه المسائل .

وأول رغبة فى تحقيق الوساطة كانت فى مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ فقد ورد فى البيان الذى أذاعه المؤتمر : إن المندوبين يرغبون باسم حكوماتهم فى أن تطلب الدول المتنازعة وساطة دولة محبة أخرى أو بذل مساعيها الجميلة فى النزاع الناشب بينهما قبل أن تمتشق الحسام . ثم جاءت معاهدتنا لاهاى الأولى والثانية وبحثتا فى الوساطة والمساعى الجميلة ، وقسمتا الوساطة إلى قسمين: الوساطة العادية والوساطة الخاصة ، فالوساطة العادية جاء عنها فى المادتين ٢ ، ٣ : إن الدول المتعاقدة تتعهد بأن تجنح إلى توسيط دولة أو دول أو إلى طلب مساعيها الجميلة قبل أن تمتشق الحسام ، على أن تكون الأحوال مساعدة على ذلك ، كما أنها ترى من الواجب على الدول المعتزلة (الحيادية) أن تعرض وساطتها على المتنازعين خلال الحرب إذا كانت الحالة مساعدة على الوساطة ، ولا يحق لأحد الفريقين أن يرى هذه الوساطة عملا يناقض المحبة والولاء . والوساطة الخاصة بحثتها المادة ٨ من معاهدتى لاهاى فجاء فيها : إن من الواجب على أى دولة تقع فى نزاع مع دولة أخرى من أجل قضية مهمة أن تختار دولة ثالثة وتخولها حق المفاوضة مع دولة رابعة يختارها خصمها لإعادة العلاقات السياسية التى انقطعت بينهما ، ويجب على الدولتين المتنازعتين أن تمتنعا عن كل خصومة خلال مدة المفاوضة التى لا تتجاوز ٣٠ يوماً إذا لم يكن هناك نص يحدد المدة .

أسامة



أزهرى فى السوربون :

مما يذكر لمصر عامة وللأزهر خاصة مقرونا بالفخر والإعجاب اليوم الثالث من شهر يولية سنة ١٩٤٨ م ففى هذا اليوم شهدت باريس لوناً من ألوان النبوغ المصرى ، وشاهداً من شواهد التطور العلمى فى الأزهر الحديث ؛ ففى قاعة «ريشيليو» الكبرى بالسوربون نوقش فضيلة الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة فى الأزهر الشريف ، لنيل درجة « دكتوراه الدولة فى الفلسفة » ؛ وقد تقدم الأستاذ موسى إلى تلك المناقشة برسالتين ، الأولى موضوعها «الدين والفلسفة فى رأى ابن رشد ، وفلاسفة العصر الوسيط» وموضوع الثانية « التوجيه الفلسفى ، أو مابعد الطبيعة ، فى القرآن» . وكانت لجنة المناقشة والامتحان مكونة من خمسة أساتذة من السوربون والكوليج دى فرانس كما هو المتبع دائماً فى دكتوراه الدولة . وقد رأس لجنة المناقشة البروفسور ليفى بروفنسال ، وشهد الامتحان أيضاً الدكتور طه حسين بك ، كما شهده أكثر من مائتى طالب مصرى من طلبة البعثات فى فرنسا ، وكان الأستاذ موسى موفقاً كل التوفيق فى عرضه لنظريات رسالتيه ودفاعه عن آرائه فيهما ، استمرت المناقشة خمس ساعات كاملة ، ثم أعلنت اللجنة أن الأستاذ موسى قد نال درجة دكتوراه الدولة فى الفلسفة بدرجة مشرف جداً والدرجة التى نالها الدكتور محمد يوسف موسى هى أعلى درجة تمنحها السوربون .

وعقب الامتحان أقبل أصدقاء الدكتور موسى من المصريين والفرنسيين يهنئونه على ذلك النصر العلمى الباهر ، وأشاد الدكتور طه حسين بك بفضله كثيراً فى تلك البرهة . وقد دعت السوربون الدكتور موسى لإلقاء محاضرات عن فلسفة التشريع الإسلامى فى القرآن باللغة العربية .

ألا إن هذا يوم من أيام الأزهر المشهودة ، وإذا كنا نزف التهنئات إلى الدكتور محمد يوسف موسى على ذلك التوفيق الرائع ، فإننا نسأل الله أن يعيده قريباً إلى جامعته الإسلامية الكبرى حتى يشارك مشاركة قوية فى السير بها إلى الأمام

أحمد الشرباصى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

أحسن ما قيل فى كلمة أشياء

حكى أن بعض النحاة سئل عن كلمة أشياء فتظرف ، وقال : « إنى لا أخالف قول الله تعالى : « لا تسئلوا عن « أشياء . » وما تظرف هذا النحوى ، وأجاب بهذا الجواب إلا وهو يرى أن النحويين — وإن كانوا أجمعوا على منع صرفها — فى حيرة من أمر جمعها، وأمر تعليل منع صرفها .

وقد روى العلامة المحقق شهاب الدين الخفاجى فى كتابه طراز المجالس فى مبحث هذه الكلمة — وذلك بعد أن نقل عن النحاة إجماعهم على أنها ممنوعة من الصرف . وتعليلاتهم لذلك — روى الخفاجى : أن أحسن ما قيل فيها ، وعد أقرب إلى الصواب هو ما قاله الكسائى ، وأنها جمع شىء كفرخ ، وأفراخ . وترك صرفها لكثرة الاستعمال تشبيها بفعلاء أى بألف التأنيث الممدودة، وقد يشبه الشىء بالشىء فيعطى حكمه كما شبه « أرطى » بألف التأنيث الممدوده فمنع صرفه فى المعرفة .

ولعل الكسائى يريد بكثرة الاستعمال الوارد فى تعليله — أن كلمة أشياء وردت قراءتها هكذا عن الرسول بغير تنوين مجرورة بالفتحة ، وأنه ليس بد من استعمالها هكذا فى هذه الحالة ؛ إذ كل النحاة مجمعون على أنها غير مصروفة وإنما اختلفوا فى التعليل وعدم اهتدائهم إلى تعليل صحيح لا ينفى أن منع الصرف موجود.

وإلى هنا يتبين أن الأستاذ البشبيشى — فى ارتيائه ما رأى من صرف الكلمة — قد خالف إجماع النحاة دون مبرر قوى . فضلاً عن أنه تكلف فى التعليل . وعرض علينا تعليلاتهم لهذه الكلمة مقتضبة اقتضاباً لا ينقع غلة .

وإذا ثبت أن النحاة مجمعون على أن كلمة أشياء غير مصروفة، وأن الكسائى علل منع الصرف بأنها شبه فعلاء ، وقوى ذلك

بكثرة الاستعمال ، وعرفنا ما المراد بهذه الكثرة — إذا ثبت هذا فقد سقط استدلال الأستاذ البشبيشي بالقياس على كلمة أفياء .

وإنه ليبدو لي — بعد ما سبق — أن أسأل الأستاذ عن هذه الكلمة في الآية القرآنية ؛ فقد وردت كلمة أشياء في الآية مسبوقة بحرف جر . وهو عن ، فلم ضبطت الهمزة الأخيرة بالفتحة ! أليس هذا يدل — دون احتياج إلى كثرة تعليلات ، لا داعي لها — أن كلمة أشياء اسم ممنوع من الصرف جر بالفتحة كما هو المعهود فيه لسبب — من الأسباب المعتبرة في المنع .

على أنه لو كانت أشياء مصروفة كما يرى الأستاذ لضبطت الهمزة الأخيرة — على الأقل — بالجر من غير تنوين هكذا : « لا تسئلوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » وكان هذا كافياً في التناسب ، والانسجام مع محيطها في الآية الكريمة . وكنا وكان النحاة من المسلمين بصرفها ، وما أجهدوا أنفسهم ، وأعنتوها هذا الإعنات الطويل .

ولكن — يا سيدي الأستاذ — كل هذا لم يكن ، وإنما الذي كان هو أنها جرت بالفتحة ، ودل ذلك على أنها ممنوعة من الصرف ، ولأي سبب كان المنع؟ ذاك هو ما أوقع النحاة في حيرة وجعلهم يختلفون في أصل جمعها ويذهبون مذاهب شتى في تعليل منع صرفها ، وإن كانوا أجمعوا على منعها من التنوين .

محمد غنيم

حول بيت :

قال الأديب : أو قرأت قصيدة الجارم بك في « فلسطين » حين يقول :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست
جباهنا تربها إلا مصلينا

ثم أو قرأت من قبل قصيدة شوقي — رحمه الله — في أندلسيته حين قال :

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم ... ولا مفارقهم إلا مصلينا

قلت : قرأت وعلمت ما تعني ، ولكن ما قولك أنت في قول القائل :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقول الآخر :

وقوفاً بها صحبي على مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

قال الأديب : إن ما قاله الرواة والشعراء في أمر البيتين صحيح وأن كلا من الشاعرين صادق في قوله ، أمين في نظمه ، لم ينقل أحدهما عن الآخر ، ولكنهما صدرا عن مورد واحد بمعنى واحد

قلت : وإذا كان هذا هكذا فما بالك تشك وتشكك القارئ معك في بيت الأستاذ الجارم وهو من هو ؟ أو كانت جملة « إلا مصلينا » تلك وقفاً على أمير الشعراء دون أشعر الشعراء ؟

وإذا كان بعض النقاد — قديماً وحديثاً — قد تجاوزوا في اتفاق بيتين معنى ومبنى ؛ فكيف يصح الحجر على اللفظ وهو أداة التعبير والأداء ؟ !

وبعد ، فالنقد تذوق وليس بتشدق وتفيهق ، ولا هو رجم بالغيب أو تعلق بالشبهات ، وللشبهات حدود .

الزيتون **عدنان**

لا تسألوا عن أشياء :

في العدد السابق من مجلة الرسالة الغراء كتب الأستاذ محمود البشبيشي كلمة عن « أشياء » وأشار إلى اضطراب آراء النحاة في أسباب منعها من الصرف ، وانتهى إلى أنها وردت ممنوعة من الصرف في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » بآية ١٠١ من سورة المائدة حتى لا تقع « إن » بعد الهمزة المكسورة المنونة فتتوالى « إن » مرتين ، والأستاذ لا يرضى ذلك بحجة أن القرآن وهو المثل الأعلى للبيان الرفيع لا يجيز هذا التعبير .

فإليه قول الله تعالى : « وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون » في آية ١٥ من سورة يس ، وقوله تعالى : « وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير » في آية ٩ من سورة الملك ، وفي كلتا الآيتين جاءت « إن إن » بهذا التكرار المقبول الخفيف على اللسان « من شيء إن أنتم ... »

ولهذا تبقى كلمة أشياء — كما كانت — ممنوعة من الصرف لأحد الأسباب المدونة بكتب النحو ، وقد وردت كلها باختصار في « حاشية تفسير الجلالين » للجمل عند شرح آية « لا تسألوا عن أشياء ... » خلافاً لما يتوهمه الأستاذ البشبيشي ولما يراه ، وهو مجتهد في اللغة له أجر على خطئه غير المقصود !

أحمد أحمد العجمي

الكتب

زعماء الإصلاح

في العصر الحديث (*)

تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين بك

بقلم الأستاذ محمد خليفه التونسي

أستاذنا الجليل أحمد أمين من علمائنا النابغين الذين ندين لهم بالفضل الكبير في « ريادة » مجهولات التراث الإسلامي وكشف خفاياه ، والذين عبَّدوا لأنفسهم بجهودهم الخاصة الطرق التي سلكوها إليها فاستقاموا عليها ، وعُرفت بهم كما عرفوا بها .

فأعلى القمم في البيئة العلمية التي نبت فيها الأستاذ تتمثل في علم الشيخين الجليلين : محمد الخضري بك ، وعبد الوهاب النجار ، ولكن الأستاذ استطاع أن يرتفع بجهاده الشخصي إلى مستوى فوق أعلى هذه القمم . وهو من أظهر « الرواد » الأكفاء الذين أحسنوا دراسة تطورات الحركات العقلية في التاريخ الإسلامي وأخرجوا محصول دراساتهم في كتب كثيرة تعد في بابها من أوفى المراجع اليسيرة التناول ، وأكثرها دقة ونظاماً ووضوحاً ، ومن أجل ذلك لا نرى كتاباً أخرج بعد كتب الأستاذ في موضوعاتها إلا رأينا فيه استشهادات كثيرة بها ، وإحالات كثيرة إليها ، مما يشهد بفضل الأستاذ وكفايته ، وحسن ثقة الباحثين به وبآرائه .

ودراسة الحركات العقلية الفردية والاجتماعية خير ما تظهر فيه « ملكاته الذهنية الأصلية » فهو يبدو للمتوسم في هذا المجال كالسمكة الجبارة في اليم الزاخر : سارية في مسبحها في خفة ونشاط عاملة بكل قوتها ، منطلقة بكل حريتها دون تردد ولا بهر ، ودون شعور بالخوف ولا الغرابة . ولم التردد والخوف وهي في « بيئتها » التي خلقها الله ويسرها لها ؟ لقد ألفتها فهي عنها راضية ، وإليها مطمئنة ، وبها ناعمة مهما اعتكر اليم ، وضاقت أزماته ، وجاشت دواماته ، واشتجرت تياراته ، وأطبقت عليه الأعاصير تناوشه من كل جانب وإن « السمكة » لتبدو هناك في منتهى جبروتها وحريتها وأبرع حركاتها وأجلها . فمن شاء أن يراها في هذه الصورة الممتعة فلينظر إليها هناك ، وكذلك من شاء أن يلقى الأستاذ في أكمل أهبة وأمتع صورة فليلقه في كتبه التي درس فيها الحركات العقلية الإسلامية : ففيها يرى ملكاته الذهنية الأصيلة متماسكة في عملها كل قواها ونشاطها واطمئنانها . إنها هنا تعمل في « بيئتها » كأنما « تلهمها » التصرف الواجب « بداهة أو غريزة » دون بذل أي مجهود عقلي في البحث والاختيار . إنها « ركبت » لتعمل هذا العمل ، وإنها لتتكلف فيه كل وسعها ، وتجهد له كل جهدها ، وإن كانت كل كلفها وجهدها خفية لفرط موافقة هذه الملكات لعملها واتصالها به .

ومن يقرأ فاحصاً متدبراً سلسلة الكتب التي أخرجها الأستاذ ودرس فيها الحركات العقلية الإسلامية مثل كتاب فجر الإسلام وتوابعه يجد كل فصل فيها مصداقاً لما نقول .

والكتاب الذي بين أيدينا على نمط هذه المجموعة لا يختلف عنها إلا اختلافاً يسيراً سنوضحه بعد ، وهذه التواليف كلها تسيطر عليها « الروح العلمية » وتستقيم مضامينها على « المنهج العلمي » معاً ، وقلما نجد فيها مواضع « محررة » من سلطان هذا المنهج ، وأكثر هذه المواضع القليلة « حلقات مفقودة » في سلسلة البحوث المعروضة لا تتضح « فراغات » مواضعها إلا للمختصين ، و « المنهج العلمي » يوجب على الباحث ترك « فراغ مناسب » لكل « حلقة مفقودة » حتى يعثر عليها هو أو غيره بعد ، وتظل قبل ذلك « مفتوحة » للدارسين .

لا يختلف هذا الكتاب عن « فجر الإسلام » وتوابعه إلا في الغاية التي يرجوها المؤلف منه ، فهو لا يقصد فيما يقدم من معلومات عن هؤلاء المصلحين وإصلاحاتهم أن تُعلم فحسب بل أن تكون حافزاً لهم الشباب إلى الإصلاح والنهوض بأممهم ،

(*) الكتاب ٣٥٨ صفحة من القطع الكبير ، نشرته مكتبة النهضة المصرية بشارع عدلي بالقاهرة ، وطبعته لجنة الترجمة والتأليف والنشر سنة ١٩٤٨ ، وثمنه أربعون قرشاً

ومن أجل ذلك لا عبرة بأن فصول الكتاب متناثرة ، ولا بأن بعضها نشرت من قبل على « صورة » مقالات فى بعض المجلات ولا عبرة حتى بعنوان الكتاب « زعماء الإصلاح ... » فأنت إذا كتبته « حركات الإصلاح ... » لم يكن عنوانك أقل صدقا فى دلالته على مضامين الكتاب من العنوان الذى اختاره مؤلفه له فهو « كتاب عنى فيه أستاذنا الجليل بدراسة الحركات الإصلاحية التى تتمثل أبرز صورها فى طائفة معظمهم من زعماء الإصلاح الدينى وأقلهم من زعماء الإصلاح السياسى فى الشرق الإسلامى فى الجيل الماضى » ولولا أن هذا التعريف — على قصره — لا يصلح أن يكون عنواناً لطوله لكان أليق عنوان لهذا الكتاب لأنه أصدق تعريف به كما سنفصله . وليسأل نفسه وحدها من يفهم العنوان على ظاهره .

يتضمن الكتاب تعريفاً فقدمة فعشرة فصول اختص كل منها بزعيم وحوى له صورة شمسية ، فخاتمة .

فأما التعريف ، فبالكتاب وتطور نشره والغاية منه : فموضوعه « سير عشرة من المصلحين الحديثين فى الأقطار الإسلامية المختلفة » فأما أنهم عشرة كما وصفوا فنعم ، وأما أن الكتاب فى سيرتهم أو سيرهم فتعريف فيه « تواضع » من ناحية ومبالغة من أخرى ، كما سنبين بعد . ويفهم من كلام التعريف أن كثيراً منه نشر فى بعض المجلات ، ثم أتم وجمع « ليسهل تناوله ، ويكثر تداوله » وقد أحسن أستاذنا فيما صنع : إذ أرضى بصنيعه الكريم رغبة إليه ملحة كانت تعتلج فى نفوس من قرءوا الأجزاء التى نشرت منه ، ومما يزيد فى قيمة صنيعه أن فى الزعماء الذين تحدث بهم فى كتابه من ليس للقراء علم حتى باسمه ، ومنهم من للقراء به علم قليل مضطرب لا يسد حاجة ولا « يثير » فكراً أو قلباً . والغاية المرتجاة من الكتاب « أن يكون — فيما يصور من حياة المصلحين ونوع إصلاحهم — باعثاً للشباب ، يستثير هممهم ، فيحذون حذوهم ، ويهتدون بهديهم وينهضون بأممهم » وإنها لغاية حقيقة بالتقدير والسعى إليها ، ولا عجب فى أن يصمد إليها « مرب » كأستاذنا الجليل .

وليست هذه الغاية ظاهرة فى فصول الكتاب ، فالمؤلف أعقل وأكرم من أن يظهرها فى فصوله ، وإن كانت حاضرة فى ذهنه وهو عاكف على كتابة هذه الفصول . فمن « وراء » المعلومات التى يسوقها إلينا « معلمنا » الذى لا يعنيه إلا بسط الحقائق « لنعلم » بل قبل التصدى للتعليم وبعيداً عنه : أى فى مرحلة « اختيار » الموضوعات التى تعلم — من وراء ذلك كله يبدو المؤلف موجهاً عقله إلى عقول « تلاميذه ومريديه » وقد انبعثت من قلبه حرارة منظورة مجتازة عقولهم إلى قلوبهم حناناً وخفية « لتوحى » إليها إيحاء بالعطف والغيرة على المصلحين وإصلاحاتهم والنفور والتمرد على أعدائهم وأعدائها ، من غير أن يدرك « التلاميذ والمريدون » أنهم فى حضرة «مرب» أو واعظ فالمؤلف «يربى» من غير إخلال بالأصول التى يجب على « العالم » التزامها ، ولا يسلك سبل الوعاظ المفضوحة العقيمة ولا يتكلف حماستهم الزائفة ، فمن « يعلمه » هذا الكتاب فبها ونعمت ، ومن « يربه » فهو أفضل .

وأما الفهرس فثلثا صفحة فى عناوين فصول الكتاب لا فى أعلامه ، ولا فى عناصر موضوعاته ونحو ذلك ، ولا حاجة إليها لما سنبين .

وأما المقدمة فهي لازمة أشد اللزوم لفهم الفصول التى تليها إجمالا ، وهى تمهيد لها ، إذا لم المؤلف فيها إلى نهضة العالم الإسلامى بعد الإسلام ثم سقوطه وجموده ، وما أصابه من محن حطمته وتركت فيه كثيراً من الآثار السيئة ، ثم ما كان من نهضة الغرب واقتحامه الشرق اقتحاماً جعله يفيق من غفلته ويحس بعيوبه وبخاصة إلى إصلاحها ، والمؤلف يبين بذلك أن البيئات التى ظهر فيها هؤلاء الزعماء كانت تحس بحاجتها إليهم ويبين أن « أمكنتهم » كانت « فارغة » تنتظرهم ، وأنهم لها وأنها لهم ، لم يقحموا فيها إقحاماً . ومن ثم يراهم القراء حيث هم دون أن يحس لظهورهم بغرابة ولا حيرة .

وأما الفصول العشرة ، فقد اختص كل فصل منها بزعيم ، والزعماء العشرة هم كما رتبوا فى الكتاب محمد بن عبد الوهاب فى جزيرة العرب ، ومدحت باشا فى تركيا ، والسيد جمال الدين فى الأفغان ومصر وغيرها ، والسيد أحمد خان ، والسيد أمير على فى الهند ، وخير الدين باشا التونسى فى تونس ، وعلى باشا مبارك ، وعبدالله نديم فى مصر ، والسيد عبد الرحمن الكواكبى فى الشام

والشيخ محمد عبده فى مصر . وقد اختلفت حظوظ الفصول من صفحات الكتاب : ففصل « السيد أمير على » وهو أقصرها — نال سبع صفحات ، وفصل « الشيخ محمد عبده » وهو أطولها — نال إحدى وستين صفحة ، وبقية الفصول بين هذين حظاً ، وفى كل فصل درست « البيئة التى نشأ فيها الزعيم المصلح وحاجتها إليه ، وصفاته التى أهلته للزعامة فيها ، وما واجهه فى جهاده من عقبات ، وتعاقب عليه من أزمات ، وما صادفه من نجاح وخيبة وأسباب نجاحه وخيبته . كل ذلك قد ساقه المؤلف بأسلوب سديد ، وتعبير واضح ، مع أدب جم فى النقد ، وتقدير قصد فى النقاد .

وكما اختلفت الفصول حظاً من الطول والقصر اختلف حظها من الإتقان والتماسك ، ومن التأثر الحق بالغاية التى قصدها المؤلف بكتابه .

وأما الخاتمة ، فقد استعرض المؤلف فيها إجمالاً وصف النقلة التى انتقلها الشرق الإسلامى على أيدى مصلحيه ، والفروق بين حاليه قبلهم وبعدهم ، وما وقع من الغرب عليه من أفكار ونظم فى استبداده به ، والأزمات الروحية والمادية التى يعانيها الآن ، والتيارات والمذاهب الفكرية والاجتماعية التى تتدافع فيه ، والأخطار التى تتهدده ، والأطماع التى تشتجر حوله ، والمشكلات التى تواجهه فى انتظار الحل على أيدى « مصلحين جدد » والشروط التى يجب توفرها فى المصلح ، والشروط التى يجب أن تهيأ له لنجاحه فى إصلاحه .

هذه كل مضامين الكتاب بإجمال دقيق ، ومن استعراضها يتبين سبب إعراضنا عن فهم العنوان على ظاهره ، فلم يدرس الكتاب بالإجمال ولا التفصيل « كل زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » ولا فى الجيل الماضى وحده فضلاً عن الجيل الحاضر ، ولا كل زعماء الشرق الإسلامى فضلاً عن الشرق عامة والعالم بوجه أعم ، ولا حتى « كل » الزعماء الدينيين فى الجيل الماضى فى الشرق الإسلامى ، بل اكتفى بدراسة حركات الإصلاح على التحديد المتقدم كما يمثلها « أبرز » زعمائها ، وهو مع ذلك لم يوجه عناية ممتازة بتصوير « شخصيات » هؤلاء الزعماء البارزين القلائل ، ودراستهم دراسة بيوجغرافية بل أقنع من ذلك مع أكثرهم بأقل ما يكفل فهم الصلة بين شخصية المصلح وإصلاحاته مع أقلهم بما لا يفيد شيئاً فى فهم هذه الصلة التى لا بد من فهمها وهو يهتم فى دراسة الزعماء أحياناً ببيان بيئتهم وأثرها فيهم ، وبيان ما ورثوا من أصولهم ، ويتمسك بتطبيق ذلك عليهم وعلى أعمالهم وإصلاحاتهم ، ولكنه يأتى مثلاً فى فصل الشيخ محمد عبده فيعترف بأن نبوغ النابغ يعتمد على عنصرين : استعداده الفطرى وبيئته التى عاش فيها ، ويلتوى على أستاذنا تطبيق ذلك على الشيخ الإمام ، فينفض يديه عنه جملة ، ويقول « إنه هكذا خلق » (ص ١٨٥) ولا عجب فى ذلك عندنا لأن مجال أستاذنا الجليل الذى تظهر فيه ملكاته الذهنية الأصلية — كما قدمنا — دراسة الحركات العقلية ، ولا نقول فيه إلا ما قال فى الشيخ الإمام « إنه هكذا خلق » وذلك حسبنا وحسبه أيضاً كى يكون من أعلامنا الذين نفخر بهم ونطاول بهم أمثالهم فى شتى الأمم عن ثقة وجدارة

ليس فى الكتاب دراسة جليلة ولا تافهة لدبفاليرا ولا مزاريك ولا طيلاق ولا غاندى ولا تشانج كاى شيك ولا مصطفى كمال ولا سعد زغلول ولا قاسم أمين ولا أحد من كثير أمثالهم ، وإن كانوا جميعاً من « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » بل من أبرز زعمائه ، وفيهم ما لا يقل فى عظمته وأثره فينا وقربه منا ، وصلته بنا عن كثير من الزعماء الذين اختارهم المؤلف الكبير .

وقد خلا الكتاب — مع أنه تاريخى — خلواً تاماً من ذكر المراجع : فلا إشارة إليها مفصلة ، ولا مجملة فى حواشى الصفحات ، ولا تمديد لها فى أول الكتاب ولا فى آخره ، ولا فى أوائل الفصول ولا أواخرها ، ولعل غاية المؤلف من كتابه هى شفيعه فى هذا السكوت ، فهو كتاب موجه إلى الشباب كى يثير حمهم ، ولا حاجة مع هذه الغاية إلى ذكر المصادر ، لأن « الثقة » بما يقول « المربى » أمر مسلم به لدى « التلاميذ والمريدين »

ولعل لسكوته سبباً آخر شافعاً له : فقد نشرت فصوله من الكتاب فى صورة مقالات فى إحدى المجلات للقارىء العجلان ، ثم جمعت المقالات المنشورة وأضيف إليها مثلها فاستوت كتاباً ، ولا ضرورة مع القارىء العجلان إلى ذكر المراجع أيضاً ، إذ كل ما يعنيه أن « يعلم » وقد « يثار » بذلك وحده ، ولا حاجة إلى المصادر لا فى « التعليم » ولا فى « الإثارة » ولا بعينه مرجع

علمه وثورته للبحث بنفسه بعد ذلك استزادة من العلم والثورة .

غير أن ذلك كله لا يمنعنا من ملاحظة نصوص حصرها أستاذنا بين أقواس ، ولا شك أنها من كلام غيره ، ولا ذكر معها لأصحابها فى المتن ولا الحاشية (مثلا ص ٣٩) كما أن هناك نصوصاً حصر أولها وأطلق آخرها وذلك يحير القارىء فلا يستطيع أن يميز كلام المؤلف من كلام غيره (ص ٣٩) .

وقد تغفر « الثقة » و « المجلة » السكوت عن المصادر كما أسلفنا ، ولكنى لا أدرى أتغفران للمؤلف أيضاً أن ينطلق فى إيراد خواطر على لسان مصلح دون أدنى إشارة إلى اقتباس نص له ولا استشهاد بوثيقة تاريخية عليه تؤكد لأهل « الثقة » وأهل « المجلة » مما أن المصلح كان يفكر على النحو الذى قيل على لسانه للتفرقة بين أسلوب القصاص وأسلوب الباحثين (أنظر ص ٤١ — ٤٢ ، ص ٤٥ — ٤٦) .

إن لكل كفاية مزيتها وخطرها ، وقد تحدثت قبل بكفاءة أستاذنا فى دراسة الحركات العقلية ، وجودة سببح ملكاته الذهنية الأصلية فى عيلمها الزاخر مهما اعتاصت مساربه ، ولعل هذه الرغبة فى السبح هى التى أدت بها — فى دراسة الحركة الوهابية — إلى تناول الحالة الدينية فى الشرق الإسلامى عامة ، وإلا فهل يمكن أن نسلم مهما بلغت « ثقتنا » وبلغت « مجلتنا » — بأن محمد بن عبد الوهاب فى جزيرة العرب كان يعرف « فى مصر شجرة الحنفى ، ونعل الكلشنى ، وبوابة المتولى » (ص ٩) أو هل تأثر بهذه « المقدسات » وإلا فما الداعى إلى الحديث بها فى دوافعه إلى الإصلاح ، والحديث بغيرها فى غير موضعه (مثلا ص ١٢٩ — ١٣٠) .

وأستاذنا الجليل — غفر الله له انتصاره للعامية — كتب بالعربية منذ عشرات السنين ، فهو كاتب « منقوع » فيها ، ومن أجل ذلك وجب علينا أن نعرف له حق « المجتهد » فى « سك » تراكيب جديدة فيها ، ولو لم ترد « المعاجم » بها ، ما دام لها مبرر « ذوقى » يحسه الأديب . مثال ذلك قوله « مازجا التصوف بالفلسفة بالهيئة بغير ذلك » (ص ٦٣ ومثله فى ص ٣٠٩) وقوله « غيورون » (ص ٣٥٥) والمعروف أن جمع غيور غُيُرٌ . وأنا أحمل تبعة هذا وما إليه مع أستاذى الكبير .

وقد وردت تعبيرات أخرى لا أدرى رأى القراء فيها ، فأستاذنا يستعمل « السِّلم » مذكرة (ص ٣٥٥) وما أعرفه — وليس بين معجم — أن السلم مؤنثة كما وردت فى القرآن « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » فهل يجوز تذكيرها ؟ ويقول « صورة للسيد جمال الدين أهداها الشيخ محمد عبده .. » (أنظر الصورة أمام ص ١٠٠) والذى أعرفه أن أهدى يتعدى لثانى مفعوليه بإلى أو باللام . ويقول « فمن أراد الحق كاملا وإلا لا » (ص ١١٠) وأعرف القول « وإلا فلا » (أنظر أيضاً ص ٤٤ ، ٢١١) .

وفى الكتاب مواضع موازنة بين شيئين أو أكثر لبيان وجوه الوفاق أو الخلاف ، غير أن ما قيل فى الموازنة لا « يوضح » هذه الوجوه توضيحاً حاسماً ولا شبه حاسم (أنظر الموازنة بين محمد عبد الوهاب ومدحت باشا وجمال الدين ص ٥٧ ، والموازنة بين ابن خلدون والكواكبى ص ٢٦٣) .

أما بعد فنحن نتوجه إلى أستاذنا الكبير بالتقدير والتحية ، شاكريه على ما أسدى إلينا نحن الشباب من فضل بهذا الكتاب القيم الممتاز من وجوه عدة ، راجين الناشئة أن يقرءوه كى تتحقق الغاية التى ارتجاها أستاذنا لهم منه . وإنهم لأهل أن يستزيدوه من أمثاله ، و « كل يعمل على شاكلته » و « كل ميسر لما خلق له » و « الله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

(القاهرة) **محمد خليفة التونسى**

عصر سلاطين المماليك (١)

تأليف الأستاذ محمود رزق سليم

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

بقلم الشيخ محمد رجب البيومي

عرفت صديقي الأستاذ الجليل محمود رزق سليم — أول ما عرفته — شاعراً مطبوعاً ، ينظم القصائد العامرة في شتى الأغراض الوطنية والاجتماعية والعاطفية ، ولقد قرأت له منذ أمد بعيد ديوانه الرائع « وحي الربيع » فأعجبت بديباجته المشرقة وتفكيره المستقيم ، وعاطفته الدافقة الجياشة .

وعرفته — ثانياً — أديباً منصفاً يسوق آراءه الناضجة ، ممتزة بأدلتها المقنعة ، وبراهينها الدامغة ، وذلك حين قرأت له منذ سنوات ، مصنفة ، القيم عن الأدب الفاطمي وما يليه ، فراقني منه إيجازه البليغ ، وتحليله الدقيق ، ونماذجه الجيدة المختارة من حر القول ، وما نور البيان مما يدل على ذوق محمود ، وطبع سليم .

وهأنذا أعرفه — للمرة الثالثة — مؤرخا دقيقاً يكتب عن حقبة مظلمة من التاريخ المصري ، فيكشف القناع في براعة ، ويميط اللثام في إقناع ، فلقد قرأت كتابه الأخير « عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي » فخرجت منه بذخيرة ثمينة من الحقائق التاريخية ، كانت مخبوءة عن الناس ، مستورة في غواش حالكة من الإبهام ، حتى جاء المؤلف فاستنطق المخطوطات العتيقة وقرأ المطبوعات العديدة ، وتنقل بين المكاتب العربية باحثاً فاحصاً ، وقد حالفه التوفيق فأصدر موسوعة حافلة عن هذا العصر الغامض ، تقع في أربعة أجزاء ضخمة . بلغ القسم الأول منها — وهو الذي نقدمه الآن — سبعمائة صحيفة دافقة بالمعلومات الغزيرة ، في تركيب سلس وترتيب دقيق .

ولقد وفق الأستاذ محمود في اختيار هذا العصر بذاته ، فقد مر به الكاتبون عابسين كالحين ، ومن ألم به منهم إلمامة يسيرة ، قسا عليه قسوة عاتية في حكمه ، فجرده من المحاسن ، ووصمه بما هو بريء منه ، وذلك ما دفع المؤلف إلى كتابة موسوعته الحافلة فأسهب واستطرد ، وناقش وجادل ، وعلل وحلل ، ثم أصدر حكمه النهائي تنطق أدلته بالحق ، وتعترف أسانيده بالصدق .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه عن هذا العصر المغبون « ولقد راعني ما أصابه من جفاء ، وهالني ما ناله من صد ، وما رمى به حينا من أنه عصر ظلمة وتأخر ، وانحطاط وتقليد مع أنه جليل الخطر ، عظيم الأثر ولم تقدم لنا منه الكتب الحديثة إلا صبابة لا تنقع غله ، وثمالة لا تروى طالب نشوة ، لذلك أحببت أن أدرسه ، وأطيل الوقوف بمعاله حتى أصل إلى قرار الحق فيه ، وعولت على الرجوع إلى ما كتبه بنوه الذين عاشوا فيه ، آتيا البيوت من أبوابها ، فهم أصدق حديثاً ، وأقرب مرجعا ، وأجمل نجوى ، وأغراني البحث والقراءة حتى وجدتني غارقا في محيط من مؤلفات لا عدد لها ، فيها المنية لكل أديب ، والمنهج لكل ناهج ، وهي كالبحر لا ينضب معينه ، وكالسيل لا تفيض عيونه ، حينئذ انبهرت عيني ، وماجت الآمال في نفسي موجا ووددت لو استطعت أن أضع موسوعة جامعة في أدب هذا العصر تكون منه للقارىء بمثابة المائدة الشهية التي تضم ألف طعام وطعام .. »

ولقد قصر المؤلف هذا الجزء على التاريخ السياسي للعصر المملوكي ممهداً له بكلمة موجزة عن التاريخ المصري من العهد الفرعوني إلى عهد المماليك ، ولجأ إلى الإسهاب حين تكلم عن أصل السلاطين ، وكيف انتقل إليهم الحكم من الأيوبيين ، ولم يترك من رجال الدولتين (البحرية والبرجية) مملوكا حاكما دون أن يخصه بترجمة وافية مذيلة بالمراجع التي ورد إليها الكاتب ، وقد اهتم كثيراً برجال السلطنة البارزين كالظاهر بيبرس وقلاوون والنوري وطومان باي ، ثم عرج على نواب السلطنة فأفرد لهم أكثر من مائتي صحيفة تنطق بأعمالهم البارزة ، وتسجل على المحسن إحسانه ، وعلى المسيء إساءته في دقة وشمول .

على أني أخالف الأستاذ في ناحية هامة تشيع في مؤلفه ، فقد حرص كل الحرص على أن يترجم لكل من ولى السلطنة أو ناب عنها وكذلك من تحدث عنهم فيما بعده من القضاة والخلفاء وفي هؤلاء جميعاً من لا يستحق أن يكتب عنه سطر واحد ، حيث كان فرداً عاديا ، لم يخلف أثراً ، ولم تحدث في عهده من المفاجآت

(١) الجزء الأول . مجلدان في ٧٠٠ ص

السياسية ما يدعو إلى الحديث عن زمن ولادته ، أو مدة حياته ، أو آونة وفاته !! وإنما ولى وعزل وكأنه لم يولد ، فلم إذن نتعب أنفسنا فى تراجم أصنام آدمية ، قذف بها الزمن فى قرار سحيق !!

ومن المؤرخين من يسهب فى الحديث عن الحكام والرؤساء دون أن يتعرض للحياة الاجتماعية فى العصر الذى يؤرخه ، وكأنه يؤمن بأن تاريخ الشعب يتمثل فى تاريخ ملوكه ، ولكن الأستاذ محمود رزق يفطن إلى خطأ هذا الوهم ، فيخص القسم الثانى من الكتاب بالكلام عن الناحية الشعبية ، فيتعرض للتقاليد والعادات التى شاعت فى المجتمع المصرى ، إذ يصف حفلات الزواج والمآتم والختان ، ويتحدث عن ليالى السمر وأيام الأعياد والمواسم ، وخروج المحمل وعودته ، كما يعتنى اعتناء تاما بأخبار النيل والفيضان فيتحدث عن الجسور والترع والمقاييس ، ويميل إلى وصف الاحتفال بوفائه السنوى ، وإن كان المؤلف لا يجيد — أيضاً — عن استقصائه الشامل فهو يملأ أكثر من عشرين صحيفة بأرقام الصعود والهبوط وتواريخ الزيادة والنقص ، وهذه مغالاة لا تفيد القارىء فى شيء وما دامت هذه الصحائف المديدة تسير على وتيرة واحدة فيكفى أن يسطر الكاتب نموذجا مختصراً منها على سبيل المثال !

ولا أكتم إعجابى بالفصل القيم الذى كتبه المؤلف الفاضل عن القضاء فقد استسقاه من أصفى المراجع ، وأبدع فى عرضه إبداعاً عجيباً ، فوصف جلوس السلطان للقضاء ، ونظره فى المظالم والخصومات ، ودلف إلى حقه الشرعى فى مصادرة الأملاك ، وتدخله الرسمى فى أحكام القضاة ، مبيناً بعض ما حدث من مشادة عاتية بين الحاكم والمحكوم ، ثم انتقل إلى القضاء الشرعى ، وكيف اختصى به الشافعية بادىء الأمر ؟ ثم اشترك فيه علماء المذاهب الأربعة على السواء ، وما شعور الشافعية إزاء ذلك ؟ ومن هو صاحب الحق فى العزل والتعين ؟ وكيف كان يحدث ذلك ؟ وبعد جولة ممتعة فى هذا المضمار ، ختم فصله الجيد بطائفة من التراجم الموجزة لأعلام الفقه والتشريع ، كل ذلك فى سلامة ووضوح .

ولقد كان الأستاذ منصفاً كل الإنصاف حين تعرض إلى محاسن هذا العصر ومساوئه فذكر من الأولى صد الهجمات المعادية من التتار والإفرنج ، ورصد الأوقاف وبذل الأموال ، والثانية احتقار السلاطين للشعب وإهمال حقوقه السياسية وفداحة الضرائب وانتشار الجهل والأوبئة والزلازل ، وذلك جميل من باحث متحمس كتب كتابة ليمجد العصر المملوكى فدفعته الحقيقة إلى الاعتراف بالواقع المرير .

وبعد فلقد قرأت هذا الكتاب من ألفه إلى يائه ، فرأيت من الواجب أن ألفت الأنظار إلى مادته الغزيرة ومعلوماته الضافية راجيا أن يعمل مؤلفه الفاضل على إنجاز ما لم يطبع من أجزائه فنحن إليها فى ظمأ شديد . جزاه الله عن صبره الدائب ، ومجهوده الشاق أطيب جزاء وأوفاه .

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

مطبعة الرسالة

العدد ٧٨٩ — الاثنين ١٦ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

16 em Année No. 789

Lundi — 16 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧ — ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المصادفة والتاريخ

للأستاذ عباس محمود العقاد

سبق إلى أذهان الكثيرين من النقاد العسكريين ، فضلا عن سواد الناس ، أن النازيين أحكموا خطط الميادين كلها وفرغوا من إعداد وسائلها قبل هجومهم على بولونيا ، ومنها خطط الميادين الفرنسية والميادين الروسية .

وظل هـذا الاعتقاد عالقاً بالأذهان إلى ما بعد هزيمة ألمانيا واحتلال أرضها .

فلما تم هذا الاحتلال كان أول ما اهتم به الحلفاء جمع الأوراق والأسانيد من محفوظات الدولة ، ولا سيما المحفوظات السرية فى وزارة الدفاع .

فإذا بذلك الظن يتبدد كله بعد الاطلاع على أوراق القيادة العليا ، وإذا بالوثائق المتكررة تدل على أن القيادة العليا فوجئت بعزم هتلر على غزو فرنسا ، وإذا بهتلر نفسه يستعجل هذا الغزو على غير سابقة من البحث فى خططه واحتمالاته ، لأنه كان يظن أن عقد الصلح بعد هزيمة بولونيا ومحالفة روسيا مستطاع ، ولكنه رأى من الحلفاء إصراراً على المقاومة ، وعلم أنه استنفد وسائل استعداده فلا مزيد عليها ، وكلما مضى شهر على الحرب نقصت قوته وزادت قوة الحلفاء حتى تتوافر لهم أسباب الرجحان المحقق فى النهاية .

وفوجئ القادة باستعجاله فعارضوه أشد معارضة ، وأطلعوه على حقيقة الخطر من هذه المجازفة ، ولكنه سلم لهم رأيهم من الوجهة العسكرية بعض التسليم ، وتذرع بما لديه من « المعلومات السياسية » لتصويب البدء بالهجوم على فرنسا من هذه الوجهة .

وجاء دور الخطة التى يعتمدونها فى النفاذ إلى الأرض الفرنسية من وراء خط « ماجينو » ومن وراء الحدود المغلقة .

لم يكن هتلر قد وضع خطة لهذه الغزوة ولا هو الذى وضعها بعد موافقة القواد إياه ، خلافاً لما سبق إلى الظن أيضاً بعد نجاح الخطة على غير انتظار .

إنما كانت هـذه الخطة من عمل « هدلار » رئيس أركان الحرب ، وقد اعتمدها هتـلر بعد مراجعتها ، وكانت فى مبدأ وضعها شبيهة بالخطة التى غزيت بها فرنسا من ناحية بلجيكا فى الحرب العالمية الأولى .

ولكن ضابطاً شاباً علم بهـذه الخطة فانتقدها ، وقال إنها مكشوفة يسهل تقديرها واتقاؤها ، ومن الواجب تركيز الهجوم الأكبر على جبهة غير الجبهة البلجيكية الغربيـة ، وهى جبهة « الأردن » ، لأن الهجوم فيها غير منتظر ، والمفاجأة من قبله أقرب إلى النجاح .

اسم هذا الضابط الشاب ڤون مانشتين ، وقد سخط عليه رؤساؤه لاجترائه على انتقادهم ، وحسبوا أنه يشق طريقه على رؤوسهم إلى ثقة هتلر وإعجابه ، فنفذوا الخطة مضطرين لأنها

أصابت هوى من هتلر ، وأبعدوا الضابط الشاب عن كل مشاركة فى تنفيذها .

ولم يكن هذا التحول المفاجئ أول المصادفات فى هذه الغزوة الضخمة ولا آخرها .

فقد اتضح من الأوراق الرسمية أن النازيين لم يعرفوا قبل الحرب غاية امتداد خط « ماجينو » على وجه التحقيق ، ولم يعرفوا المواقع التى كانت لا تزال يومئذ فى حاجة إلى التعزيز والامتداد ، فدلهم عليها فى اللحظة الأخيرة ضابط غوى من هواة تصوير المناظر من الطيارات .

كان هذا عمل المصادفة فى أعظم نجاح أصابه النازيون فى الحرب العالمية الماضية ، أو كان هذا عمل المصادفة فى انهيار دولة كانت محسوبة فى عداد الدول العسكرية الأولى .

وليس هذا كذلك آخر المصادفات فى الحرب العالمية ، فإن هتلر أقدم على غزو روسيا وهو يقدر أنه سيجتاحها قبل نزول الشتاء ، ولو أنه استطاع أن يوغل فيها قبل نزوله لكان من الجائز أن يتغير مجرى الحوادث فى هذا الميدان .

ولكن مصادفة صغيرة حالت بينه وبين التقدم فى الميادين الروسية كما شاء فى الموعد المقدور .

لأن اليونان رفضت شروط إيطاليا وهزمت الجيوش الإيطالية فاضطر هتلر إلى إرسال فرق من جيوشه إلى ميدان اليونان ، ليستريح من هذه الناحية ويحمى ظهره قبل الإيغال فى الأرض الروسية ، مخافة أن يدهمه الحلفاء من خلفه وهو مستغرق فى قتال الروس .

ولم تنته المصادفات هنا وهى كافية فى تحويل مجرى الأمور ، بل اتفق فى تلك السنة أن أمطار الشتاء نزلت قبل أوانها ، وكان نزولها شديداً قارساً على خلاف المعهود فى ذلك الموعد من كل سنة

والمصادفات فى الحرب العالمية الماضية أكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نزيد عليها مصادفة قريبة منا ، وهى مصادفة العلمين وانسياق رومل إلى مطاردة الحلفاء قبل استيفاء حاجته من الوقود واضطراره إلى هذه المطاردةُ بهذه العجلة اغتناماً لفرصة سانحة لعلها لا تعود .

وشأن الحروب الكبرى فى الماضى كشأن الحرب العالمية فى عنصر المصادفة . فلولا أن المدد البروسى وصل إلى « واترلو » قبل وصول المدد الفرنسى لكان من الجائز جداً أن يختلف مصير نابليون فى ذلك الميدان .

ذلك عمل المصادفة فى أعظم حوادث التاريخ .

ولا بد للمؤرخ من تسجيله وإعطائه كل حقه ، لأنه واقع لا يحسن إغفاله ، ولأنه نافع للعاملين وفيه عزاء لهم وشحذ لرجائهم

فأما أنه نافع فلأنه لازم فى كل تقدير صحيح .

وأما أنه يوليهم العزاء والرجاء فلأنهم ينتظرون بقية مأمولة بعد استنفاد الحيل وبذل الجهود .

***

ومن هنا كان خليقاً بمؤرخنا الأديب الأستاذ محمود الخفيف أن يطمئن إلى نصيب صاحبه لنكولن من التعظيم والإعجاب ، بعد ما عرف من أثر المصادفة فى نجاحه .

فهكذا الشأن فى كل حادث عظيم !

وهكذا الشأن فى كل رجل عظيم !

وكل مطلع على التاريخ لن يخرج مما كتبناه عن لنكولن بأنه مدين للمصادفة بكل شىء ، ولكنه يخرج منه بأن المصادفة كانت شيئاً فى تاريخ حياته وفى أسباب نجاحه ، وكل شىء فى تواريخ العظماء وفى أسباب نجاحهم لا غنى عن تسجيله والتنبيه إليه

***

قلنا فى قصة سارة إن « الدومينة عندنا أتم الألعاب ، لأن الشطرنج والضامة يعولان على الحيلة ، وكل شىء فيهما مكشوف بعد ذلك ، والنرد يعول على المصادفة والذكاء ، وكل شىء فيه مكشوف بعد ذلك ، والورق إما مصادفة وإما صراع قلما يشبه صراع الحياة . أما « الدومينة » ففيها حساب للمصادفة ، وفيها حساب للتدبير ، وفيها حساب لليقين ، وفيها حساب للظنون ، وفيها حساب للغيب الذى تجهله أنت وخصمك ، وللغيب الذى تجهله أنت ويعرفه خصمك ، أو يجهله هو وتعرفه أنت ، وللعيان الذى يعرفه كل من يشاء ، ولها قوانين تمنعك أن تتحرك على هواك ، ولها حرية تمنحك الخيار بين ما فى يديك » .

فنحن لا نريد تاريخاً من الشطرنج ولا تاريخاً من النرد ، ولا ننفى المهارة عن لعبة التاريخ ، لأن لاعباً يمد يده إلى الورق

هؤلاء هم اليهود

قديماً وحديثاً وأولا وآخراً

للأستاذ نقولا الحداد

كتب الدكتور محمد عوض محمد بك مقالاً فى مجلة الإذاعة المصرية فحواه : أن هؤلاء اليهود (الأخساء الأنذال) الذين ارتكبوا الفظائع الوحشية ليسوا من نسل إسرائيل . بل هم قوم أجانب (آراميين) تهودوا . وما يأتونه من المنكرات هو هو طبيعة سلالتهم لا من طبيعة إسرائيل ، وأنهم لا ينتسبون إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب آباء ذلك الشعب الذى امتاز بأنبيائه وكمائه . فهل يعقل أن ذلك الشعب القديم قد مُسخ هذا المسخ الفظيع ؟ هذا فحوى مقال الدكتور .

والظاهر أن جناب الدكتور لم يقرأ التوراة التى يعتز بها اليهود ، أو على الأقل الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى لكى يعلم أن اليهود هم هم منذ القديم إلى اليوم سواء كانوا من سلالة إبراهيم أو من سلالة اشكيناز . والأستاذ يعلم أن الآداب والأخلاق ليست وراثة بيولوجية بل هى وراثة اجتماعية تحصل من المعشرة . فلو وضعت طفلاً زنجياً فى وسط راق متمدن دمث الأخلاق ، لشبّ كريم الأخلاق ، لين الطبع .

فيهود صهيون تطبعوا بطبيعة أشخاص التوراة . اقرأ التوراة تعلم من هم اليهود من عهد نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى سليمان إلى اليوم . وإليك أمثلة قليلة من سلوك بطاركتهم عن آبائهم الذين كانوا يقودونهم .

لما دخل بنو إسرائيل أرض كنعان بقيادة يشوع وأخذوا أريحا أولا بأعجوبة وهى إسقاط أسوارها بالهتاف بالأبواق دخلوها كل رجل مع وجهه ، وحرموا كل أهلها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . يعنى أنهم قتلوهم ذبحاً بالسيف . أنظر سفر يشوع ، الإصحاح السادس ، العدد ٢١ وما قبله وبعده .

بعد ذلك تقدموا إلى مدينة عاى فلما علم ملك عاى بهم خرج بجميع شعبه لمقاتلتهم . وكان يشوع قد وضع كميناً غربى المدينة من ٥ آلاف مقاتل . فلما خلت المدينة من أهلها دخلها هؤلاء فأصبح أهل عاى بين شقين من إسرائيل ، فأعمل هؤلاء السيف فيهم حتى أبادوهم عن آخرهم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالا .

المجهول فتصادفه الورقة التى يريدها ، أو يضع من يده ورقة فتغلق الباب على خصمه ، لأن المهارة فى هذه « الدومنية » صفة معروفة على الرغم من هذا الحظ الذى يتفق لجميع اللاعبين .

***

بقيت حكاية لنكولن وأسلافه .

فالأستاذ الخفيف قد ذكر « أن جدته لأمه كانت تعيش وهى فتاة فى ولاية فرجينيا فى الجنوب ، فأصبحت ذات حمل وإن لم تتزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحمل تضع أنثى ، وكانت هي وحدها التى تعرف والد هذه الأنثى ، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها ، فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم » .

ولكن ليس المهم أنها زلت !

وإنما المهم لماذا زلت ؟ !

فقد كانت عبقرية لنكولن مزيجاً من خصلتين : إحداهما المرح وحب النكتة ، وقد أخذها من أبيه ، والأخرى نهمة المعرفة ، وقد أخذها من أمه وجدته ، وقد كان حب المعرفة نادراً فى الرجال فضلا عن النساء بين المغامرين والمغامرات من أهل القارة الأمريكية . فمن العجب الذى لا ينسى فى تاريخ الرجل أن جدته أقبلت على التعلم الذى لا يطلبه منها أحد ، وقادها هذا الولع بالعلم إلى التعلق بأستاذها ، فاستسلمت له وجاءت زلتها من هذا الطريق !

وذلك هو بيت القصيد !

وذلك ما لم يذكره الأستاذ الخفيف !

ولعلها مصادفة من المصادفات أبعدت مرجع الحكاية من يد الأستاذ الخفيف … فلن يفلت إذن من حكم المصادفات ! !

عباس محمود العقاد

زد على هذا أن يشوع أحرق المدينة وتركها تلا أبديا خراباً إلى اليوم (أي يوم كتب اليهود سفر يشوع بعد ١٧ قرناً من ذلك العهد).

اقرأ الإصحاح الثامن من سفر يشوع :

ثم تقدم يشوع بقومه إلى مدينة مقيدة وضربها بحد السيف وقتل ملكها وكل نفس حية فيها ، ولم يبق شارداً كما فعل فى عاى وأريحا .

ثم اجتاز إلى لبنة وفعل فيها كما فعل فى أخواتها السابقتين وهكذا اجتاز من مدينة إلى مدينة إلى أن استتب أمره فى أرض كنعان . أنظر يشوع ، الإصحاح العاشر وما بعده .

فترى أن أولئك اليهود الذين فروا من مصر وأمضوا فى برية سينا ٤٠ سنة كانوا يستعدون لهذا التفظيع ثم كانوا ينسبونه إلى أمر ربهم يهوه . ونحن نعلم أن الله تعالى الذى خلق اليهود وجميع الأمم غير اليهود يعتبر جميع الأمم عباده بلا فرق بين إسرائيل وكنعان وعرب وأفرنج ، ولا يمكن أن يأمر بهذه الفظائع ، فما نسبه اليهود إلى الله إنما هو من اختراعهم ، أى اختراع اليهود الذين عادوا من سبى بابل بعد عهد موسى بسبعة عشر قرناً . وموسى ويشوع والله أبرياء من هذا التفظيع .

أما كان حرياً بهم أن يأسروا أولئك الأقوام الذين غلبوا على أمرهم ويستعبدوهم بدل أن يقتلوهم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً كما فعل نبوخذ ناصر ملك بابل حين غزا فلسطين وهو فى ظنهم أنه ليس من شعب الله المختار . لقد كان أشرف منهم نفساً وأحن قلباً . بل كان سبيهم إلى بابل لخيرهم لأنهم تعلموا هناك الحكمة والشريعة فكتبوها فى أسفارهم .

إن هؤلاء الحاجاناه والأرجون واشترن والإرهابيين تعلموا هذه الفظاعات من توراتهم . فلا تبرىء يادكتور إسرائيل القديم من فظائع إسرائيل الجديد .

هذا من حيث التفظيع ، وأما من حيث المخازى الأخرى فاليك أمثلة منها :

من أمثلة غشهم وغدرهم وخداعهم حكاية غش لابان لابن أخته يعقوب الذى سمى بعدئذ إسرائيل وإليه تنتمى دولة إسرائيل الحديثة الخبيثة . فقد وعده خاله لابان أن زوجه ابنته راحيل إذا خدم عنده سبع سنين ، فخدم ، وفى الميعاد عمل لابان مهرجان عرس لابنته . وبعد أن دخل يعقوب عليها وجد أنها ليست راحيل بل هى لئية أختها . فعاتب خاله فى هذا الأمر . فقال له اخدم سبع سنين أخرى وخذ راحيل . وهكذا كان . (سفر التكوين الإصحاح ٢٩)

وإليك قصة غش أفظع من هذه : كان لإسحق ابنان عيسو البكر ويعقوب . وكانت (رفقة) زوجة إسحق تحب يعقوباً أكثر من عيسو أخيه . فسمعت إسحق يقول لعيسو : آتنى يا ابنى بطعام من صيدك لكى آكل وأباركك . فروت هذا الحديث ليعقوب وقالت له أسرع وهات من صيدك لأبيك لكى يباركك ، وكان إسحق ضريراً . فتقدم إليه يعقوب بصيده لكى يأكل ويباركه . فسأله إسحق من تكون؟ قال : أنا ابنك البكر عيسو . وكانت رفقة قد ألبست زندى يعقوب فراء من الماعز لكى تكون زنده كزند عيسو . فقال هات يدك . فجس يده : فقال اليدان يدا عيسو ، ولكن الصوت صوت يعقوب . وباركه . ولما جاء عيسو بصيده قال أبوه : أتأسف أن أخاك سبقك إلى بركة بكوريتك . (الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين)

ولما ضرب الرب صدوم وعموره لارتفاع شرهما إلى عنان السماء ، استثنى لوطاً أخا إبراهيم لأنه كان صالحاً (نسبياً) . وفى ذات يوم قالت ابنتا لوط : لقد امحى الرجال من أرضنا فلنسكر أبانا ونضجع معه فيكون لنا بنون . وهكذا فعلتا بالتناوب . (الإصحاح التاسع من سفر التكوين)

وإبراهيم أبو الآباء الذى غمره يهوه ألهه بالوعود ، لما ذهب إلى أرض مصر وكانت سارة زوجته جميلة نخاف أن يقتلوه لكى يغتصبوها منه . فلما علم فرعون بخبرهما استدعاهما فقال إبراهيم : هذه أختى . فأخذها فرعون . وما لبث أن نزل عليه غضب الله وعلم أنها زوجة إبراهيم لا أخته . فعاتبه فى ذلك وردها إليه . (الإصحاح ١٢ من سفر التكوين)

ثم ارتكب نفس هذا الغش حين انتقل إلى أرض جيران وقدم زوجته إلى أبيمالك ملك فلسطين باعتبار أنها أخته فنزل على أبيمالك غضب الرب وعلم أنها زوجة إبراهيم لا أخته . فعاتبه فى ذلك ، فقال هى بالحقيقة أختى من أبى لا من أمى (تكوين

الإصحاح العشرون) (وما الفرق ؟)

وأخذ داود زوجة أوريا قائد فرقة من جيشه وزنى بها فحبلت في غياب زوجها ، فأوعز داود إلى قائد الجيش أن يضع أوريا في مقدمة الجيش لكي يقتل ، وكان كذلك ، ثم تزوج داود المرأة (سفر صموئيل الثاني : الإصحاح الحادي عشر) هـذا هو داود الذي قال الله عنه « وجدت قلب داود كقلبي »

وسليمان الذي منحه الله الملك والحكمة والغنى غرته في آخر ملكه نساؤه السبع مائة ، وسراريه الثلاثمائة الأجنبيات بعبادة الأوثان وبخطايا أخرى باهظة . فجلبت خطاياه عليه وعلى وطنه عقاباً شديداً (سفر الملوك الأول الإصحاح ١١) ولما فرغت جعبته جعل يقول : باطل الأباطيل ، الكل باطل .

ولما سمح فرعون لموسى وقومه أن يهجروا مصر قال(المؤرخ) أوعز الله إلى الإسرائيليين أن يستعيروا من المصريين الحلى من فضة وذهب والثياب لأن عندهم مهرجاناً . وألهم الله المصريين أن يعيروهم . وفي اليوم التالي فروا بها من أرض مصر .

وهكذا ترى أن اليهود بأمر الله (كما يكذبون) يستحلون أموال الأمم الأخرى . فأي إله هذا الذي يعلم شعبه المختار النصب واللصوصية ؟ أتصدق أن هذا الكلام وحي من الله ؟ —

الإنسان شرير قبل أن يكون صالحا . فإذا جاءه تعليم الشر عن يد إلهه اعتبره حقاً حلالاً . فلا تستغرب أن اليهود يستحلون كل الرذائل والقباحات تجاه خصومهم لأن إلههم يهوه علمهم هكذا كما يزعمون .

أرجو أن تعلم يا دكتور أن إله الإسرائيليين ليس الله إله النصارى والمسلمين .

ذلك قليل جداً من كثير جداً مما جاء في التوراة من مخازي كبار اليهود . فأرجو منك يا حضرة الدكتور ومن كل قارىء أن تلقي من بالك أن كل ما كتب في التوراة هو وحي من الله ، أو أن التوراة كتاب مقدس ، لأن الله لا يوحي بمثل هذه المخازي ولا تكون قصص المخازي كتاباً مقدساً .

إن أسفار التوراة كتبت بالتتابع بعد رجوع الإسرائيليين من سبي بابل أي قبل المسيح بنحو ٦٥٠ سنة وبعد خروجهم من مصر بنحو ١٧ قرناً . وإنما هي أساطير أشور وبابل ونينوى وماري وفارس وعيلام جمعها المسبيون في مدة سبيهم ولما عادوا إلى فلسطين شرعوا يكتبون هذه الأساطير وما عندهم من أمثالها على هواهم .

وإذا كان بعض طوائف النصارى تقدس التوراة فلأنها تعتقد أن التوراة تشتمل على نبوءات بمجيء المسيح .

ولكني وكثيرين مثلي نعتقد أن المسيح في غنى عن نبوءات تشهد له . إن حياته القوية وتعاليمه الأخلاقية الشريفة تشهد له وهي شهادة حق . وبعض الطوائف النصرانية لا تضع التوراة بين أيدي أولادها لما فيها من المخازي .

ومتى قرأت التوراة أو الأسفار التاريخية فيها على الأقل شعرت أن أولئك اليهود القدماء الذين تنسب إليهم البر والقداسة ليسوا أبر من يهود بولونيا وألمانيا وسائر أوربا . فهؤلاء اطلعوا على التوراة واستقوا منها أخلاقهم من شره وجشع ووحشية وتقطيع الخ ... ولولا هذا لكانوا كسائر أهل أوربا أقرب إلى الإنسانية والرحمة وأبعد عن الأنانية .

فأعود وألفت نظرك إلى الوراثة الاجتماعية فهي وراثة أخلاق وآداب في أثناء العشرة . وليست كالوراثة البيولوجية وراثة دم أو بالأحرى وراثة حيوية .

أرجو منك أن تطالع الأسفار التاريخية في التوراة وثم قابلني . والسلام عليك وعلى طيبة عنصرك . وأرجو أن تتوب عن الدفاع عن اليهود . فهم قبيل من الناس لا يمكن أن يكون إنسانياً مادام سنده التوراة وبها يدعي أرض فلسطين وطناً ودولة

نقولا الحداد

حول مقال :

الأزهر والإصلاح

للأستاذ سليمان دنيا

قرأت فى العدد ٧٨٦ من مجلة الرسالة الغراء ، مقال الأستاذ الفاضل محمود الشرقاوى ، تحت هذا العنوان ؛ واعتقد أن كل من قرأ هذا المقال القيم قد أحس بروح الكاتب القوية تفيض غيرة على الأزهر ، وحرصاً على أن يأخذ هذا المعهد العتيق حظه اللائق به ، ويتبوأ مكان الصدارة فى هذا الوجود .

واعتقد أيضاً أن حياء الأستاذ الشرقاوى الجم ، الذى هو خلق أصيل فى طبعه ، هو الذى جعله يحسب للقراء من الأزهريين كل هذا الحساب ، حتى افترض على ألسنتهم كل هذه الاعتراضات وظن أن كل جملة فى مقاله ، بل كل كلمة وكل حرف ، سيسأل عنها بـ « ماذا ، ولم » .

ولكنه رغم كل هذا الحياء المتأصل فى طبعه ، ورغم توقعه أن يسأل عن كل حرف فى مقاله بـ « ماذا ، ولم » ، لم يطق صبراً على الصمت ، وفى نفسه لواعج الغيرة تحتدم ، ونوازع الشوق الملح إلى إصلاح الأزهر تضطرم ، فأرسلها عالية مدوية ، صريحة معلنة « إن الأزهر لم يصلح ، وإن بينه وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً » و « ... إن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد » .

ولعل الأستاذ الشرقاوى مبالغ فى كل هذا الحذر ، وفى اعتقاده أن كلماته الواضحة الصريحة التى تفيض إخلاصاً وغيرة ، ستصرف عن ظاهرها ، وسيطلب لها سر باطن ، مغال فى حكمه بأن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد ، من قريب ولا من بعيد ؛ فمن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر ؛ يجاهدون ما وسعهم الجهد ، لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة ، ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولتهم ، ولكنهم دائبون حريصون . ومن الأزهريين كثير من المشغوفين بالحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، حتى أصبح شغلهم الشاغل ، وهمهم الذى يتذاكرونه فى غدوهم ورواحهم ، وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ، ولهم فى هذه السبيل نشاط مشكور .

***

وإذا كان فى مقال الأستاذ الشرقاوى ما يستحق العتب ، ففيه ، ما يستحق المدح والثناء ؛ ذلك هو تصويره الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر ، تصويراً جمع بين إشراق الديباجة ، ووجازة اللفظ ، وسمو القصد ونبل الغاية .

أرأيت إلى قوله « ... ليكون الأزهر قواماً على نهضة دينية ، أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ، حتى يقاوم بها ما ينتاش العالم كله ، من إباحية وإلحاد ، » وقوله : وليستخرج فى الأزهر «طائفة من الرجال ، يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم » .

وكثير غير ذلك مما أطلع عليه القراء واستذوقوه واستمتعوا به .

أرأيت إلى هذا الكمال الذى يحرص الأستاذ الشرقاوى كل الحرص على أن يبلغه الأزهر ؟ ! ، وهل وراءه ما يمكن أن يطمع فيه طامع ، أو يأمل فيه آمل ؟ ! .

لكنى أعتب على الأستاذ الشرقاوى مرة أخرى ، حيث قد عدد أهداف الإصلاح العليا على نسق جمع بين حسن الأداء وصدق التوفيق ، ثم عقب قائلا « هذا هو الإصلاح للأزهر ، وهذه سبيله » .

حقاً إن هذا هو الإصلاح الذى تصبو إليه نفوس الغيورين ، ولكن أين سبيله ؟ ! . قرأت مقال الأستاذ الشرقاوى مرة وعاودته مراراً ، فوجدت فيه الإصلاح واضحاً بارزاً ، ولكن لم أجد فيه سبيله ؛ وهل سبيل ذلك إلا مشروع واضح المعالم بين الصوى ، يشخص ما ينبغى أن تقوم عليه سياسة الأزهر العلمية : ما يتصل منها بالمعلم ، وما ينبغى أن يتوافر فيه من كفاية ومقدرة وما يتصل منها بالكتاب وكيف ينبغى أن يكون ، وبالدراسة وكيف تؤدى . وما يتصل منها بالطالب وماذا يشترط فيه ، وكيف

راض من جموح ، ويؤلف من شرود ؛ وكيف تعقد بينه وبين العلم صلة تحببه فيه وتصرفه عن كل ما ينافيه .

هذه النواحى جديرة بالدراسة والبحث، والرسم والتخطيط ؛ كان على الأستاذ الشرقاوى أن يعالجها ببيانه المشرق وهدية الوضاء ؛ وإن له من تتبع سير الأمور فى الأزهر منذ حداثة سنه ، ومن اهتمامه بنهضته وإصلاحه ، ودؤوبه على الكتابة فى كل هذه الشئون ، ما يجعله أهدى سبيلا إذا بحث ، وأصدق قيلا إذا كتب ؛ إن من يدعو إلى غاية ثم لا يدل على طريقها يوقع فى حيرة واضطراب ؛ ومن السهل أن تشخص الغاية وتوضح ، وليس من السهل التعرف على أقرب الطرق الموصلة إليها ؛ فليكتب من شاء أن يكتب فى رسم السبيل وتبيين معالمها ، وليكثر من الكتابة فى ذلك ؛ فإن الطريق إذا استبانت واتضحت ، وآمن الناس بأنها توصل إلى ما تصبو إليه نفوسهم من الإصلاح المنشود ، لم تعدم سالكين ، ومن وقتئذ يبدأ الإصلاح يتحقق ؛ أما الاقتصار على ذكر الأهداف والغايات دون الإيضاح الكافى للسبل والوسائل ، فليس من شأنه أن يحقق غاية أو يوصل إلى هدف .

سليمان دنيا

المدرس فى كلية أصول الدين

آلام بيتهوفن

للدكتور فضل أبو بكر

ولد بيتهوفن بمدينة « بون » التابعة لمقاطعة « بروسيا » الشرقية بألمانيا فى السابع عشر من ديسمبر سنة ١٧٧٠ وهو — كما يعلم القارىء — ثالث الثلاثة — «موزار» و « باك » — الذين تفاخر بهم ألمانيا كما أدهشوا العالم فى فن الموسيقى وكان أبوه — كوالد « موزار» موسيقياً بارعاً ولكنه على العكس من زميله نشأ نشأة تعسة فى طفولة بائسة مشردة لقسوة والده عليه ولمعاقرة ذلك الوالد للخمر وإدمانه عليها وهو ما طبع حياة الطفل بطابع التجهم والكآبة منذ الصغر مضافاً إلى ذلك حدة الطبع وسرعة الغضب رغماً عن صفاء نفسه وطيبة قلبه . وقد حكى عنه أنه بينما كان يعزف على عوده قطعة موسيقية وإذا بعنكبوت خرجت من مكمنها وتدلت من نسجها كأنما أطربتها الألحان الشجية فضربتها أمه ضربة أماتتها مما أثار نفس الابن وجعله يحطم عوده من شدة الغضب .

بدأ نبوغ بيتهوفن فى سن مبكرة كما بدأ يؤلف وينتج فى فن الموسيقى فى الثالث عشر من عمره وهو ما أثار دهشة مواطنيه .

كان « موزار » فى ذلك الحين قد بلغ الذروة فى عالم الفن وقد تعلق به بيتهوفن وأعجب بنبوغه وتفوقه فى عالم الموسيقى فلحق به فى مدينة « فينا » فى ربيع سنة ١٧٨٧ يحمل توصية من أحد الكبراء لكى يحظى بمقابلة « موزار » فكان له ما أراد ورحب الفنان الكبير بزميله الشاب الصغير وأكرم مثواه وأراد موزار أن يمتحن بيتهوفن ويتحقق بنفسه عما ذاع عنه من بوادر النبوغ فأعطاه قطعة موسيقية صعبة معقدة ورجاه أن يعزفها على البيان فأبدى الشاب من الكفاءة والنبوغ ما حير «موزار» الذى لم يملك نفسه من فرط الأعجاب فصاح فيمن حوله « تأملوا هذا الشاب الصغير ! إنه سوف يترك فى الدنيا دوياً وسوف يتكلم عنه العالم أجمع » على حد قول المتنبى :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

أما من حيث تكوينه الجسمى فقد كان قصير القامة واسع الصدر ضخم الرأس والعنق قصيرها مما يزيد من قماءته غليظ الشفتين بارز الجبهة والحنك قصير الأنف وفى عينيه قوة معبرة وشعاع نافذ وإذا ما غضب وحدج بهما إنساناً فكأنما يتطاير منهما الشرر ويكسو رأسه شعر كثيف أسود كدجى الليل يتعذر على المشط أن يجوس خلاله أو يقوم ما أعوج من تجاعيد خصلاته المتدلية على أكتافه كأنما هى عرف الأسد .

إن ملامحه — كما يقول عنه بعض الكتاب — إن لم تنم عن وسامة وجمال فهى تعبّر عن هيبة وجلال وكأنما الشاعر يعنيه بقوله :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة ... فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

بدأ الوقر يطرق سمعه وهو فى السادس والعشرين من عمره وهو فى فجر الشباب وأوج المجد وبدأ الداء بأذنه اليسرى وبعد

ماسين لحق باليمنى فضعفت حواسه السمعية وكانت صدمة عنيفة على نفسه الحساسة وجرحاً لكبريائه الشامخ وكبرياء النفس صفة تميز بها الألمانيون أكثر من غيرهم ولا سيما البروسيين وكان فى بادىء الأمر شديد الحرص على كتمان مصيبته ولم يبح بها حتى إلى أقرب الناس إليه لهذا بدأ يمعن النظر ويتفرس فى وجه محدثه مراعياً باهتمام حركات الشفاه وملامح الوجه المعبرة حتى يلم بأطراف الحديث ولكيلا يفوته شىء مما يقال وهى طريقة يستعين بها ضعيفوا السمع أو من فقدوا حاسته فقداناً تاماً وهى مايسمونها فى الطب «بالقراءة على الشفاه» «Ladis — Lecture» ولكن هيهات !! فما كان مجهوده يكلل بالنجاح فى كل الأوقات ، إذ كانت تفوته بعض الكلمات فتبدو على سيماه الحيرة والارتباك ، مما يضطر محدثه لإعادة ما يقول أو الإجهار بالصوت فيزداد ارتباك بتهوفن ويحمر وجهه غضباً لأن فى ذلك ما يذكره بمصيبته ويشعره بأنها لم تعد سراً على أحد .

وفى عام سنة ١٨٠٠ اشتد داؤه وظهرت عليه بعض المضاعفات — دوى فى الأذنين لا ينقطع ليل نهار وضوضاء أشبه بأزير النحل مع شعور بالدوار وآلام فى الأذنين عند سماع الأصوات الحادة وهى عارضة مرضية يسمونها بال « Hyperacousie » .

بيتهوفن والأطباء :

لجأ بيتهوفن إلى استشارة الأطباء بعد تردد كبير لأنه — كما أسلفنا — كان يأنف أن يعترف للناس أو حتى للأطباء بمرضه فضلا عن ضعف ثقته بالطب والأطباء وفى هذا يشبه المؤلف المسرحى الشاعر « موليير » الملقب بشكسبير فرنسا والذى كان يسخر من الأطباء ويهزأ بهم فى مسرحياته لعجز الطب عن مداواته. غير أن إلحاح إخوته جعله يقبل العلاج فاستدعى أهله الأستاذ الدكتور « شمد » وهو صديق للعائلة ومن المعجبين إلى حد كبير بفن بيتهوفن وقد بذل الأستاذ كل ما فى وسعه واستمر فى علاجه أكثر من ثلاثة أعوام ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح واستمر الداء يتطور ويستفحل . ثم تولى علاجه طبيب ثان هو « ملفاتى » وثالث هو « برتوليني » وأخيراً الأستاذ « استاندنهايم » وهو طبيب الإمبراطور الخاص وقد نصحه باستعمال بعض الأجهزة الخاصة بتضخيم الأصوات فاستعمل منها مجموعة ما زالت محفوظة فى المتحف الخاص به والذى يؤمه الزوار من عشاق فن الموسيق من كل حدب وصوب ولكن الفائدة كانت ضئيلة ولم يطق بيتهوفن صبراً على احتمالها فنبذها جميعها إلى جنب وظل سمعه يضعف رويداً رويداً .

وأخيراً نصحه أطباؤه بمغادرة فينا — فينا الجميلة عروس الدانوب والتى أحبها كثيراً فغادرها مرغماً إلى قرية مجاورة وانقطع لفنه انقطاع العابد فى محرابه والراهب فى صومعته يتحف العالم من حين لآخر بأروع ما عرف فى فن الموسيقى .

ولكن العزلة وحرمانه من مجالس الأنس وسمر الأحباب، فى فينا كل ذلك زاد من أحزانه وشقاء نفسه حتى ضاق ذرعاً بالعيش .واستعجل الموت وقد كتب فى ذلك عدة مذكرات منها وصيته التى تركها لشقيقيه « كارل » و« جوهان » نقتطف منها :

« ما أقسى المجتمع فى حكمه على الفرد !! إن الناس كالقاضى المستهتر الذى ليس له من ضميره رقيب ولا حسيب فهو يدين المتهم البرىء ويوقع به العقاب من غير أن يكلف نفسه مؤونة البحث والدراسة لقضيته ! إن الناس يرمونى بالصلف والترفع عن مجالسهم كما ينعتنى البعض الآخر بالشذوذ وما دروا أن قلبى منذ نعومة أظفارى مفعم بالحب والحنان وتفيض فى نفسى عاطفة البر والرفق بالضعفاء والمحرومين . وما ألحانى إلا تعبير صادق لما يختلج فى نفسى من إحساسات .

لقد مضى على أكثر من ستة أعوام وأنا أعانى من عاهتى الأمرين وتزداد حالتى المعنوية سوءا يوماً بعد يوم كما فقدت الأمل فى استرداد سمعى رغماً عن الوعود الكاذبة التى يتمشدق بها الدجالون من الأطباء . لقد جفوت — كرها - مجالس الأحباب لأن كبريائى لا يسمح لى أن أقول لأحد من الناس إرفع صوتك وأجهر بما تقول لأنى ضعيف السمع أو عديمه !! إن العزلة تميتنى حقاً ولكن أين المفر ؟! إن سخرية الناس وشماتتهم هما على نفسى أدهى وأمر .

يا أخوى التمسا من صديقى الأستاذ « شمد » أن يطالع الناس بحقيقة عاهتى بعد موتى حتى يقفوا على حقيقة الأمر وسبب نفورى منهم وليكن لى ذلك مبرر وشفيع وأنى لآمل إلا تعاجله المنية قبلى لأنى لا أثق بغيره من الأطباء .

إنى أترك لكما الثروة المتواضعة التى جمعتها بعرق جبينى فاقتسماها بينكما بالعدل كما آمل أن يسود بينكما الحب والوفاق وأما أنت يا شقيقى « كارل » فأشكر لك حسن صنيعك وعطفك علىّ كما أسألك أن تنشىء أبناءك نشأة طيبة متمسكين بالفضيلة ففى ذلك وحده النجاة كما أنها الطريق المفضى إلى السعادة ، والسعادة ليست فى الثراء لأنه عرض زائل وإنما هى معنوية وليست مادية .

أشكر جميع أصدقائى ولا سيما سمو الأمير « شنوسكى » والأستاذ « شمد » كما التمس منكما أن تحتفظا بالآلات الموسيقية التى أتحفنى بها سمو الأمير كذكرى نفيسة « اللهم إلا إذا أعوزكما المال ففى هذه الحالة فقط أسمح لكما ببيعها » .

أسباب مرضه :

اختلف الأطباء فى تعليل الأسباب التى أودت بسمعه فبعضهم يعزوها إلى مرض الزهرى كالدكتور « جاكو بصن » مثلا ولكن تشريح جثته بعد موته فى السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٢٧ لم يظهر أى أعراض للزهرى وبعضهم يقول إن حمى التيفويد التى أصيب بها فى حداثته سببت له التهاباً فى الأذن الداخلية « Ladyrinthite » غير أن هذه الدعوى ليس لها مكان من الصحة إذ أن مثل هذا الإلتهاب له عوارض لم تظهر على بيتهوفن والمتفق عليه الآن أن مرض أذنيه الذى أودى بسمعه هو ما يسمونه بال « Ots — Sclérose » لأن كل ما كان يشكو منه من عوارض وما دلت عليه نتيجة التشريح بعد الموت ولا سيما تشريح الأذن نفسها يدل على أن بيتهوفن كان مصاباً بالمرض الأذنى المذكور يضاف إلى ذلك أن والده كان ضعيف السمع والوراثة تلعب دوراً هاماً فى هذا النوع من الأمراض السمعية .

أثر الصمم فى فن بيتهوفن :

يظن الكثير من الناس بأن حاسة السمع شىء لا عوض عنه للفنان الموسيقى وذلك أن يعزف بنفسه أو يعزف له أحد غيره ما يؤلف من قطع موسيقية فيتذوق ما بها من فن ويصلح ما بها من ضعف وهو ما حرم منه بيتهوفن مدة طويلة ولكن الواقع ينفى ذلك إلى حد كبير ولا سيما لدى فنان ملهم موهوب مثل بيتهوفن وحاسة السمع لا تلعب إلا دوراً ثانوياً فى هذا الصدد وإنما العامل الأول فى الإنتاج هما ذكاء القريحة وقوة الخيال وقد وهبه الله منهما قسطاً وافراً . والموسيقى فن فوق الإحساسات المادية وهى لغة الوجدان وترجمان العواطف .

إن عاهته لم تمعه عن النبوغ والوصول إلى درجة الكمال فى فنه كما أن أحزانه قد صهرت نفسه وطهرتها من أدران المادة كما أرغمته أن ينزوى وينقطع لفنه ويعيش من أجله كما خلقت فى نفسه « مركب نقص » دفعه إلى طلب الكمال كما تفعل مركبات النقص والعاهات فى النفوس الكبيرة التى تتغالط فى حقائق الواقع وتتحدى الأقدار .

وقد وصف ذلك الكاتب الألمانى بيوش وصفاً بليغاً قال فيه :

« أيها السارى إذا ما مررت بالقرب من دار بيتهوفن فى دجى الليل فلا التمس منك أن تسير رويداً وتقبض أنفاسك كما تهمس فى أذن عشيقتك مخافة أن تزعجه ولكن مر ما بدالك واملأ الدنيا ضجيجاً وغناء بصوتك الآدمى الخشن لأن « موجات » ما تحدثه من ضوضاء لا تجد طريقها إلى أذن بيتهوفن رب الألحان وإله الفن وقد رفمت آذناه عن سماع همس النسيم يداعب ما جف من أعشاب الحقول وهديل الحمائم وتغريد البلابل وسجع الهزار فكيف الحال بصوتك الأجش المنكر ؟ ! إن فى نفسه تتفجر ينابيع الفن وتجرى أنهر من اللحن العذب تروى عطاش ما جف من زرع أنفسنا فيأتى بالثمر الشهى ونجنيه جنياً هو البر والحب والجمال » .

فضل أبو بكر

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

عناصر الشخصية الأدبية

للأستاذ أنور المعــداوى

أريد بهذا المقال أن أحدد عناصر الشخصية الأدبية ، وأن أعدد ملامحها العامة ، وأن أرسم خطوطها الرئيسية ...

وإذا ما كان هناك دافع إلى هذا التحديد ، فهو دافع وزن القيم بميزانها الصحيح الدقيق ، ووضع الأمور في موضعها من صدق النظرة ونزاهة القصد وهدى التائهين إلى معالم الطريق .

عناصر الشخصية الأدبية فى حاجة إلى تحديد ، بل ما أحوجها إلى كثير من التحديد فى هذا الجيل الذى نعيش فيه .. إنه جيل تنقصه الأداة وتعوزه الأناة ، ولا يستقيم له الحكم على حقائق الأشياء فى الكثير الغالب من الأحيان ، ذلك لأنه يأخذ زاده من الثقافة القاصرة ، ويستمد علمه من القراءة العابرة ، وينساق وراء الرأى ينادى به ويدعو إليه ، بلا تمحيص ولا مراجعة !

أول عنصر من عناصر الشخصية الأدبية هو الكرامة العقلية ... وفى ظل هذه الكرامة تحتشد بقية العناصر الأخرى مكتملة ناضجة ، لتصنع الكاتب الحق وتخلق الأديب الكامل . الكرامة العقلية هى أن يحترم الكاتب عقله وعقول الناس ، فلا يقدم إليهم إلا ما يؤمن به إيماناً يقوم على القدر المشترك بين فهم وفهم ، وبين ذوق وذوق ، وبين أفق وأفق ، فى مجال التفكير والتعبير ... والكرامة العقلية هي أن يحترم الكاتب قلمه فلا يتجر بفنه ، ولا يهبط به إلى ما دون المستوى اللائق بحرمة الفكر الحر ومنزلة الفن الرفيع ...

ومن الكرامة العقلية ينبع الضمير الأدبى ، ولا وجود لهذا بغير تلك ، لأنها الموجهة له والرقيب عليه ... وفى الضمير الأدبى يتمثل الركن الثانى من أركان الشخصية الأدبية ، ومن التقاء الركنين يتم الاتحاد فى الهدف والاتفاق فى الغاية ، وإن اتجه كل منهما بعد ذلك فى طريق .

أنا لا أنكر أحداً كما أنكر الذين يلغون عقولهم غير عابئين بيقظة الرأى العام الفنى ولا آبهين لسلطانه ، إنهم أشبه بالنعامة حين تخفى رأسها فى الرمال لتصبح بمأمن من عين الصياد اليقظ . ولا أرثى لأحد كما أرثى لأولئك المتجرين بالفن لقاء غرض من الأغراض ... إنهم يهونون على أنفسهم ويهونون على الناس !

أما أولئك العلماء بلا ضمير ، فكأنى برابليه كان يعنيهم حين قال : علم بلا ضمير خراب للنفس !

إنك لن تجد فى مجال الحكمة الخالدة وتقرير الواقع أصدق ولا أكمل ولا أدق من هذه العبارة . إن رابليه حين نطق بها كان يشرف على الإنسانية من قمة عالية هى قمة الضمير العلمى !

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يستقل الكاتب عن غيره فى طبيعة النظرة وأصالة الفكرة وطريقة التعبير ...

ولا نعنى بذلك ألا ينتفع الكاتب برأى لغيره يتسع به أفقه أو تقوم عليه دعامة من دعائم دراسته ... كلا ، وإنما نعنى به ألا يكون مقلداً بغير وعى ، ومردداً بغير فهم ، وبوقاً ينفخ فيه من يشاء ... ألا يكون بتعبير أدق كتلك النباتات الطفيلية التى لا تستطيع أن تصل إلى الضوء والهواء إلا إذا تسلقت الأغصان الشوامخ ؟ !

أنا لا أضيق بشىء كما أضيق بتلك النباتات الطفيلية ، أولئك الذين يسطون على أفكار الغير ، ويعيشون فى رحاب الغير ..

ولست أدرى ما هى قيمة العمل الأدبى وما هى جدواه ، إذا لم يستقل صاحبه بملكاته الخاصة ويتفرد بمواهبه الأصيلة ؟ !

ولست أدرى ما هو موقف تلك الفئة الأخرى من أصحاب المقالات المترجمة والكتب المترجمة ؟ أقول لست أدرى ما هو موقفها من موازين الأدب والفن ؟ إنك لا تكاد تقرأ للواحد منهم مقالا إلا وهو منقول من لغة إلى لغة ، ولا كتاباً إلا وهو منقول من اسم إلى اسم ! !

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يكون الكاتب واسع الاطلاع رحب الأفق نافذ البصيرة ، وهذا كله لا يتهيأ لصاحبه إلا عن طريق واحد هو أن يقرأ ويقرأ ويقرأ .. وحسن أن يتخصص الكاتب فى ناحية بعينها ، يكب عليها ويفرغ لها ويقتلها بحثاً وتحقيقاً ودراسة ، وأحسن منه أن يقتطع من وقته وجهده ما يتيح له النظر فى ألوان أخرى من الثقافات والدراسات ليكون مثقفاً بأوسع معانى الكلمة حين تنطبق على المثقفين ...

أنا لا أفهم أن يقتصر بعض الأدباء على ميدان الأدب وحده دون أن ينظروا إلى صلة الأدب بغيره من ألوان العلم والفن ، إن الأدب ليتصل اتصالا عميقاً بالتصوير والموسيقى حين يلتقى معهما

الأرواح والأشـــباح

للأستاذ حسين مهدى الغنام

(بقية المنشور فى العدد ٧٨٧)

هذا بعض ما يتعلق بوجود الأشباح

أما موريس باربانل فقد كتب حديثاً مقالات عديدة تتعلق بتحضير الأرواح ، وعن جلسات روحية حضرها ، وعلى الأخص فى تجسد الروح .

ونلخص بعض هذه المقالات فيما يلى :

قال عن جلسات تحضير الروح أن فى هذه الجلسات تتركز الخليقة فى ثوان معدودة ، وأن الأرواح تتشكل فى هيئات الخلق ، ويمكنك أن تراها مجسمة أمامك وتخاطبها وتلمسها . وأن قلوبهم لتخفق ونبضهم يضطرب ، وأجسامهم وأطرافهم كاملة ، حتى لترى أظافرها . ونظراتهم طبيعية ، وشعورهم تختلف الوانها كشعور الأحيـاء ، ففيها الأشقر والذهبى والأشيب . أما أصواتهم فهى نفس الأصوات التى كانت لهم وهم أحياء . وفى بعض الحالات تتجسد الأرواح وترتدى بعض الملابس التى كانوا يلبسونها فى حياتهم ، ولكنهم عادة يظهرون فى أردية طويلة تبرز أشكالهم .

وتتجسد الأرواح بواسطة مادة (الإكتوبلازم) ، التى حللت فى المعامل ، وهى مادة لدنة مطاطة جداً .

وكما أن (البروتو بلازم) أساس مواد البناء ، فإن (الإكتوبلازم) هى المادة التى تتجسد بواسطتها الأشباح .

والتجسد هو أعلى مراحل الظواهر الروحية ، التى تقدم دليلاً ماديا ، الغرض منه إيجاد قرينة تدل على وجود الروح .

وإذا قدر لك أن تشاهد عمليات التجسد كما شاهدتها بنفسى ، فستفهم سر بعض (المعجزات) التى ذكرت فى العهد الجديد (الإنجيل) .

ولقد وقع بين الدكتور بارنس ، مطران بير منجهام ، وبين بعض زملائه مناقشات حامية ، لأن ثقافته العلمية دفعته إلى إنكار (معجزات) الإنجيل ، ولو كان له نصيب من الإلمام بالظواهر

فى مجال واحد هو مجال التعبير الفنى عن قيم الجمال فى الكون ، ويتصل اتصالا عميقاً بالتاريخ حين يبحث الدارسون عن أثر البيئات المادية والمعنوية فى توجيه الإنتاج الأدبى ، ويتصل اتصالا عميقاً بعلم النفس حين ينظر النقاد إلى العمل الفنى على ضوء المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، ويتصل بغير هذا وذاك فى ميدان الروابط والعلاقات .

ولا أفهم مرة أخرى أن يقتصر بعض الأدباء على الثقـافة المحلية وحدها دون أن يتزودوا بغيرها عن طريق لغة من اللغات ، ولا أفهم أن يقتصر غيرهم على الثقافة الأجنبية وحدها دون أن يتزودوا بغيرها عن طريق لغة من اللغات ، ولا أفهم أن يقتصر غيرهم على الثقافة الأجنبية وحـدها دون أن يكملوا شخصيتهم الأدبية بروافد من تراثهم الفكرى الأصيل !

هؤلاء وأولئك لا أملك القول بأنهم مثقفون ، لأن ذلك « المثقف » الذى يعرف الكثير عن تاريخ الفكر الغربى ولا يعرف إلا القليل عن تاريخ الفكر العربى ، ذلك المثقف فى رأى البعض ليس مثقفاً فى رأيى ... وقل مثل هذا إذا ما عكسنا القضية فنقلناها من وضع إلى وضع ومن حال إلى حال !

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه ، فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له ، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذى لا ينتج ولا يثمر ، عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت ، ويغنى الجهـد الذى يبذل فى مكانه عن الجهد الذى يبذل فى غير مكانه ... هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق ، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق ، وهذا القاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الأدبى فلا يخرج بشىء ... كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر من عناصر الشخصية الأدبية عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات !

وأعود فأقرر ما سبق أن قررته من أن الكرامة العقلية هى الركن الأول الذى يشرف على كل ما عداه من أركان الشخصية الأدبية ... إن الكرامة العقلية من شأنها أن تخلق الضمير الأدبى ، وأن تحول دون الإتجار بالفن ، وأن تربى النزعة الاستقلالية ، وأن تدفع إلى سعة الإطلاع ، وأن تعين على أن يعرف الكاتب أين يضع ملكاته ومواهبه .

أنور المعداوى

الطبيعية الحديثة ، لم يكن هناك باعث لهذا الإنـكار .

إن ظهور المسيح بعد الموت ، الذى ينكره الدكتور بارنس ويعتبره من أساطير الأولين ، لا أستبعده شخصياً ، ولا يستبعده غيرى من الذين أتيح لهم أن يشهدوا بعض الظواهر الروحية فى هذه الأيام .

فإن ظهور المسيح فى الحجرة العليا لتلاميذه معقول ؛ لأنه فى الواقع ظهر فى نسخة أخرى من جسده الدنيوى ، وكان جسداً صلباً كاملا ، حتى إن تلميذه (توما) تشكك فى حقيقته ، فسئل أن يتحسس الجسد بنفسه ليتأكد .

ولم يكن فى هذا معجزة اطلاقاً ، لأنه ظاهرة من ظواهر التجسد الروحى .

فقد قمت بنفسى — منذ أعوام قليلة — فى ويلز الجنوبية بملامسة أجسام موتى متجسدة . وكان الوسيط — آلك هاريس — وسيطا هاوياً ، ولم يكن محترفاً يتناول شيئاً عن جلساته .

***

وتكلم المستر باربانل بعد ذلك عن حضوره مع السيدة هيلين هيوز الوسيطة الشهيرة ، بعض جلسات روحيـة تتجسد فيها الأرواح ، وكان الوسيط ذلك الرجل .

وكان قبل كل جلسة يقوم بفحص الحجرة فحصاً دقيقاً جداً ثم أخذ يصف الحجرة المعـدة لذلك ، وما فيها من أثاث بسيط جمع لهذا الغرض . . وقد ضمته الجلسة مع ستة وعشرين شخصاً آخرين . أما هو وهيلين هيوز ـ باعتبارهما ضيفى الشرف ـ فقد جلسا فى مقدمة الوزارة — كما يسمون هيأة الجلسة — حتى أن أرواحاً كثيرة متجسدة كانت تسير على قدميه !

واستمرت إحدى هـذه الجلسات ساعتين ونصف ساعة ، شاهدوا فيها ثلاثين روحاً متجسداً ، وجلس بعضهم على مقاعد وتحادثوا مع الحضور .

أما الروح ، راعى هذه الجلسة ، فقد كان يسمى الكيميائى ثم قال: « وكنت فى فترات متعددة أتحسس هذه الشخوص المتجسدة ، فـكنت أجـد ذلك (الإكتوبلازم) ذا ملمس حريرى ناعم، ولـكنه ليس كالحرير، فإن لى من خبرتى بالمنسوجات — إذ عملت سنين طويلة فى صناعة النسيج — ما يجعلنى أستطيع التمييز بين المنسوجات الحريرية بمقدرة .

ولما هززت بعض هذه الأيدى مسلما ، رأيتها ثابتة وطبيعية ، حتى إننى تحسست أنسجة الجلد والعظام تحته . وكانت أيديا دافئة نابضة ... » .

ثم ذكر الـكاتب مشاهدات أخرى، ثم قصة الطيار دوجلاس هوج الذى قتل فى معركة بريطانيا فى الحرب الأخيرة . فلمـا تجسدت روحه عرفتها هيلين قبل أن يذكر اسمه ، إذ شاهدتها قبل ذلك مرات عديدة .

وهو شاب جميل ، وقد طلب من هيلين أن تقف ليحادثها وجهاً لوجه ، فشكرها على ما قامت به من خدمة لوالديه ، إذ كانت الوسيطة بينهم ، وقبل أن يذهب قبلها فى جبينها ، وقالت هيلين إن أنفاسه كانت حارة ...

وكان لدى هيلين مفاجأة أخرى .

فقد ظهر دليلها الروحى ، وهو من الهنود الحمر ، بزى الهنود الحمر كاملا ... وإنه لمن العسير أن يكون فى هذا شىء من التلاعب .

وكان أروع ما فى هذه الجلسة ظهور روح متجسد خرج وانحرف مسافة عشر أقدام ، ثم حيا الحضور ، ورفض أن يذكر اسمه وشخصيته قائلا أنهم لا بد يعرفونه من هيئته وصوته .

وقد عرفناه فعلا ، فقد كان موظفاً كبيراً ومن أكابر رجال الحركة الروحية فى حياته .

ومن المستحسن أن أذكر لك أنه من النادر أن تظهر هذه الأرواح المتجسدة من وراء مثل هذه الهيئة ، أو المجلس ، لأن هناك حبل حياة خفيا يربطهم بالوسيط ، فى مثل (خلاص الطفل) الذى ذكرته التوراة ، ويقطع عند الموت .

وسار هـذا الموظف الميت مع آخرين إلى زاوية الحجرة ، وجلس على مقعد ، وبدأ نقاشاً طويلا ، بدا طبيعياً جـداً حتى كان من الصعب أن تعتقد أنك تصغى إلى حديث بين الأحياء والموتى

وكان بعض هذه الأرواح المتجسدة يقول أن عليه أن يعود إلى المجلس — أو الوزارة — ليأخذ (تموينا) آخر ... ثم يتقهقرون ويختفون خلف الستارة الموضوعة ، ثم يظهرون بعد

دقائق قليلة ، ويحتلون مقاعدهم التي تركوها .

ولكن نعتقد أن هذه الأرواح لم تكن فراغاً ، فقد كانوا يستديرون لنرى ظهورهم .

وكان لهم وزن جسمي.. فقد انحنى أحدهم على بساط (بعدله) بعد أن زحزحه روح مضى .

وجاء روح صيني بسحنته الشرقية وشواربه الطويلة المدلاة ، وحيا سيدة كان يعالجها بطريق الوسيطة .

وتجسد روح فتاة ، ولكنها لم تقل شيئاً ، وكان الغرض من حضورها إزالة كل شك في هذه الحقائق بطريقة صامتة ، فقد كشفت عن تكوينها النسوي .

وإذا كان أحد المتشككين حضر هذه الجلسة ، وبقي متشككاً كان من الذين يصدق عليهم وصف الانجيل بأنهم لا يؤمنون حتى إذا رأوا الموتى يستيقظون .

***

ومن العجيب أن يعزز الكاتب مقالاته بصور (فتوغرافية) لأرواح تجسدت . ومنها روح الملكة أستريد ، زوجة ليوبولد ملك البلجيك ، وكانت ولية عهد السويد ، وهي ابنة عم ملك السويد الحالي . وقد أخذت هذه الصور باستعدادات فنية خاصة .

والأعجب من ذلك أن روح هذه الملكة أحضرت ووعدت الوسطاء بتجسدها بعد أيام ، وحصولهم على صورة لها .

ثم حضر ، وقالت لهم سيكون لكم صورة جميلة ، ولما تم لهم تصويرها اختفت .

وبعد دقائق قليلة عادت فتجسدت ثانياً ووقفت مع الوسيط — وهو القسيس مارتن ليلجيبالد ، وهو شخصية محترمة جداً — وكانت وقفتهما بجانب فتحة الستار ، حتى يستطيع أحدهما مشاهدة الآخر .

ولما قابل هذا القسيس ملك السويد وحدثه عن تجاربه في الجلسات الروحية ، قال الملك : إن هناك أشياء أكثر في السموات وفي الأرض .

ومن الأشياء العجيبة كذلك التي قدمها باربانل ، توقيع روح باسمه ، كتوقيعه أيام حياته ، ودلائل مادية أخرى كتصوير الروح فتوغرافيا ...

ومن هذا القبيل أيضاً الكتاب الضخم الذي وضعه الصحافي الإنجليزي الأشهر — هاني سوافر — بعنوان قصتي الكبرى وقد ترجم بعضاً منه الدكتور مصطفى الديواني .

هذا إلى جانب عشرات العشرات من الكتب والمجلات التي تبحث في الروح وكل ما يتصل بها ، في الغرب المادي .

أما تحضير الأرواح في مصر فقد قرأنا عنه كثيراً ، وسمعنا عنه كثيراً من بعض أصدقائنا المشتغلين به ، ولكن لم يتح لنا أن نحضر إحدى جلساته .

وأما وجود الأشباح هنا ، فنسمع عنها مئات من الحكايات المصرية . ولكني أذكر الحكاية التالية التي وقعت لنا شخصياً ، ولم نستطع لها تعليلا حتى اليوم :

كان ذلك منذ سبعة وعشرين عاماً . وكان والدي وابن عمته مدعوين في زواج ابن عمة إحدى القرى التي تبعد عن بلدنا حوالي عشرة كيلو مترات . فصحبني والدي معه وصحب ابن عمته ولده وكان في مثل سني ، وكانت ثماني سنوات .

وطالت السهرة ، وكان المدعوون كثيرين جداً من مختلف القرى المجاورة . وكان لدى بعضهم مطايا ، والبعض بدون مطايا وكانت مطايانا عادت إلى البلدة .

وبعد انتصاف الليل أراد ابن عمة والدي أن يعود إلى بلدنا ، فقال أبي لننتظر حتى الصباح إلى أن تيسر لنا مركب . فقال الحاج لوالدي : إن الوقت صيف ، وإذا عدنا سائرين على أقدامنا لم نشعر بتعب ، فالجو جميل جداً ...

ولم يستطع والدي اقناعه بالعدول عن الرجوع في تلك الساعة .

وسرنا ، ولكن بعد خروجنا من القرية قال والدي : (أمرنا لله ... من استخف عقله تعبته رجليه !)

وكان على بعد ثلاثة كيلو مترات ، أو أقل قليلا من بلدنا ، (وابور مياه) مهجور ، وعلى بعد منه مقبرة للمسيحيين . والجسر مرتفع ، والأراضي منخفضة على كلا الجانبين انخفاضاً يبعث في النفوس شيئاً من الرهبة ، وكانت أعواد الذرة في كل مكان مرتفعة بين الأشجار البعيدة ، والدنيا ساكنة ...

فلما اقتربنا من ذلك (الوابور) ، وكان القمر بدراً تقريباً ، وكان الوقت حوالي الساعة الثالثة صباحاً ، رأينا امرأة قميئة

متشحة بالسواد تصمد من بين الحقول إلى الجسر ، وتتجه إلينا من بعيد ، وكانت تلف وجهها ، وتضع على رأسها (طشتا) كبيراً جداً من النحاس ، لا يتناسب مع حجم جسمها الصغير

وقابلتنا وهي ما زالت تخفي وجهها ، ولكني لاحظت أن والدي لم ينقطع عن قراءة القرآن منذ لمحها . ولما مرت بنا ومررنا بها سمعناها تقول نفس الكلمة التي قالها والدي عند خروجنا من تلك القرية : (من استخف عقله تعبته رجليه !)

وأراد الحاج أن يقف ليخاطبها وهو يصيح : ماذا تقولين يا ست ؟ ماذا تقولين ؟

ولكن والدي جذبه ، وهو ما زال يقرأ القرآن بصوت مسموع ، وقال الحاج : أنها حماة (مبيض النحاس) في البلدة

فقال والدي : وما الذي يأتي بها إلى هنا في هذه الساعة ، وفي ذلك المكان بالذات ؟ يا شيخ ، أسرع بنا !

وعاد إلى قراءة القرآن ...

ونظرنا خلفنا فرأينا تلك السيدة قد جلست في وسط الجسر ، وأخذت تجمع التراب من الجسر وتضعه في (الطشت) الكبير .

ولم يكن هناك مساكن قريبة ، بل كانت المسافة بيننا وبين أقرب مسكن ، ما بين اثنين أو ثلاثين كيلو مترات .

وأخذ والدي ، بعد أن وصلنا بلدنا ، يتكلم عن كثير من الأشباح والعفاريت في ذلك المكان ... وعما شاهد من قبل فيه وفي غيره .

ولكني لم أفهم تعليلاً آخر لهذه الحادثة حتى الآن !

وبعد ... فقد قدمنا بعض ما قرأنا في هذه الأيام عن وجود الأشباح والأرواح .

فهل وجود الأرواح ، وبالتالي تحضيرها واتصالها بالآدميين ، حقيقة أم وهم ؟

وهل معقولة كل هذه الأشياء ؟

وإن لم تكن معقولة ، فما هو تعليلها وبعض العلماء من الماديين أنفسهم يجزمون بصحتها ؟

وإذا صح كل هذا ، فما هو التأثير الذي سيكون له على نظرية فرويد في تفسير الأحلام ؟ أنه سيقلبها رأساً على عقب ، فلن تعود تلك الأحلام تفسر على أنها صورة من شهواتنا في اليقظة تتراءى لنا في عالم الأحلام ، لأنها هنا اتصالات روحية وليست مادية .

وسيؤثر ذلك أيضاً على المتواتر من علم تفسير الأحلام والرؤى الذي يتاجر به بعض (الفلكيين وقراء الكف وعلم التنجيم !)

ومن يدري ؟

منذ آلاف السنين ، منذ أن كان الإنسان يعبر عن نفسه وفكره بالإشارة والنحت — في العصر الحجري — إلى عصرنا هذا الذي استطاع فيه العلم المتقدم أن يصور الروح بآلة التصوير ما زال العلم يتخبط في إدراك ماهية الروح وكنهها . وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، صدق الله العظيم .

حسين مهدي الغنام

الفتوة فى اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان فى الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحرير المعاني

للأستاذ ضياء الدخيلي

فى العدد (٧٨٤) من مجلة الرسالة الغراء انتقد الأستاذ محمد عبد القادر الجمل استشهادى بأبيات المتنبي وابن هرمة لاثبات معنى (فتى) فى لغة العرب وهـذان الشاعران وإن كانا من المولدين إلا أنهما مما يحتج بهما ، وهـذه كتب اللغة مفعمة بالاستشهاد بأبيات ابن هرمة فى إثبات معانى الألفاظ ، وقد قال شارح لديوان الحماسة جمع أبى تمام (إن ابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم) [١] وابن هرمة هو إبراهيم بن على ابن سلمة بن هرمة بن هذيل جاء فى (بلوغ الأرب) أن أبا عبيدة كان يقول افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بابن هرمة[٢] وإنك لواجد الاستشهاد بشعره فى كتب اللغة من ذلك أنهم استشهدوا فى مادة سلأ السمن إذا طبخه وعالجه فأذاب زبده بقول ابن هرمة

إن لنا صرمة مخيسة ... نشرب ألبانها ونسلؤها

وأورد الجوهرى فى الصحاح فى (هيد) عن أبى عمرو قول ابن هرمة .

حتى استقامت له الأفاق طائعة ... فما يقال له هيـد ولا هاد

و (هيد وهاد) زجر للابل وما رأيك فيمن منحه الجوهرى ثقته ؟

وإنى لم أورد بيته شاهداً باختيار تعمدته ، ولـكن ذلك جاء ضمن كلام لابن منظور الأفريقي نقلته من كتابه (لسان العرب) فهو الذى احتج بكلام ابن هرمة واستشهد بشعره وفى الأغانى[٣] أن ابن هرمة ولد سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة (١٤٠) قصيدته التى فيها .

(١) فى الطبعة الثانية التى نشرتها مطبعة محمد على صبيح .
(٢) ج ٣ ص ٩٠
(٣) ج ٤ ص ٣٩٧

إن الغوانى قد أعرضن مقلية ... لما رمى هدف الخمسين ميلادى

قال ثم عمرّ بعدها مدة طويلة وفيه أخبر على به سليمان النحوى عن ابن الأعرابى انه كان يقول ختم الشعراء بابن هرمة وفيه وفى كتاب (الشعر والشعراء) أن الأصمعى عده فى خمسة ختم بهم الشعراء فى رأيه . فها أنت تجد اعتداد علماء اللغة بشعره ولو لم يكن فصيحاً لما أقبلوا عليه .

وأما المتنبي فالويل لناقده من غضبته ، لقد جحدت يا أستاذ آيات المتنبي وكفرت بشريعته الأدبية ، فاحذر شـواظ غضبة ذلك العبقرى الذى توج بأكاليل الخلود والذى صرخ فى العصور

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعت كلماتى من به صمم

فآمن بعبقريته حكيم المعرة وأبصر جلاله على عمايته فأهدى للأدب (معجز أحمد) ومن قبلنا بأزمان وأزمان قال العباسى فى (معاهد التنصيص) [١] لقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يسأل عن شىء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل أن الشيخ أبا على الفارسى قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي فى الحال حِجلى وظِربى . قال الشـيخ أبو على فطالعت كتب اللغـة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد وحسبك من يقول أبو على فى حقه هذه المقالة [٢] قال العباسى ورزق المتنبى فى شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل أنه وجد له ما يزيد على أربعين شرحاً وقال فيه أبو القاسم الطبسى :

ما رأى الناس ثانى المتنبي ... أى ثان يرى لبكر الزمان ؟
هو فى شعره نبي ولـكن ... ظهرت معجزاته فى المعانى

وحـكى أن المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية ، أنشد

(١) ج ١ ص ١١
(٢) قال فى تاج العروس (ونقل شيخنا عن أبى حيان ليس لنا جمع على فعلى بالـكسر غير هـذين اللفظين ، ويقال أن المتنبي لقى أبا على الفارسى فقال له كم لنا من الجموع على فعلى بالـكسر . فقال أبو الطيب بديهة حجلى وظربى لا ثالث لهما ، فما زال أبو على يبحث هل يستدرك عليه ثالثاً وكان رمداً ، فلم يمكن له ذلك حتى قيل أنه مع كثرة المراجعة ورمد عينيه آل به الأمر إلى ضعف بصره ، ويقال أنه عمى بسبب ذلك والله أعلم ، ثم قال وهى من الغرائب الدالة على معرفة أبى الطيب وسعة اطلاعه رحم الله الجميع) انظر مادة ظرب .

يوماً في مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

إذا ظفرت منك العيون بنظرة   أثاب بها معيي المطى ورازمه

وجعل يردده استحساناً له وفي مجلسه بن وهبون الأندلسي فأنشد ارتجالا .

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما   تجيد العطايا واللُها تفتح اللَها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى   بأنك تروى شعره لتألها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق .

وما تقول يا أستاذ في ابن هشام إمام النحاة ، لقد استشهد بشعره في كتابه شرح قطر الندى في النحو ، واتخذ شاهداً في بحث الندبة قوله في سيف الدولة :

واحر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمي وحالي عنده سقم

ولا أكتمك أنه انتقده أيضاً وخطأه في بيت له وذلك في بحث (عمل لا النافية عمل ليس) إذ قال وغلط المتنبي في قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى
فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

والشاهد في (لا) في الموضعين فإن المتنبي أعملها عمل ليس مع تعريف اسمها في الموضعين وذلك غلط لاشتراط كون اسمها وخبرها نكرتين ، ومع ذلك فإن للمتنبي جلالا لا يهدم في اللغة ونحن لم نستشهد بشعره وشعر ابن هرمة لإثبات المعنى ، وإنما جئنا بهما لتأكيد ما دل عليه شعر طرفة ولا ريب أن ذلك مما لا يؤاخذ عليه وفرق بين التأسيس والتأكيد وأنت أيها الأستاذ الناقد المحترم قد أسأت إلى المتنبي عندما أنكرت علينا أن نحتج بروائع أبي الطيب في تفهم لغة العرب الأصلية المنزهة من تلويث المولدين والأعاجم والمتنبي العربي لو كان حياً لتناولك لهيب انتقامه ولسير قصيدة في هجائك ترتعد لهولها الفرائص فكفر عن كفرك بآياته الخالدة وجحودك لعبقريته الفذة ، أما سمعت بقصة أبي على الحاتمي عندما تحرش به وتعرض له إذ قدم بغداد فتاه اعتزازاً بأدبه وأبدى من الكبرياء والعظمة ما أسخط عليه البغداديين فانتقده الحاتمي ثم خشي بطشه قال (ثم عمرت ما بيني وبين المتنبي وخفته بالحقيقة أن يشتغل بي دون كل أحد فحداني ذلك إلى كتابة الأبيات من شعره المقابلة لما قال الحكيم أرسطاطاليس وهي الجامعة لجواهر شعره وقدمتها هدية إليه وحسن الحال بيني وبينه) وعلى كل فإن أبيات المتنبي يعتمد عليها في تفهم معنى مفردات اللغة ، هذا ما أردنا بيانه بالنسبة لما تفضلتم به عن هرمة والمتنبي ، أما الأبيات الأخرى فقد استشهد بها كبار علماء اللغة في أهم الموسوعات اللغوية المتداولة ، وقد ذكرت كتبهم التي أخذت منها وهم الزمخشري في الأساس وابن منظور في لسان العرب وصاحب تاج العروس ، ولا ريب أن ما احتج به هؤلاء الفطاحل يصح لي أن أتبعهم في الاحتجاج به وإذكره شاهداً . وإن لم أعرف قائله ، وقد غمزتني بأني أوردت تلك الأبيات المجهولة القائل مع ذكر من وثق بها من كبار اللغويين ولا يهمني بعد ذلك أن يكون قائلها جاهلياً أو مولداً واستثني من ذلك البيت التالي فلم آخذه من كتب اللغة وإنما وجدته في (حلبة الكميت) تأليف النواجي شمس الدين محمد بن الحسن إذ أورده ثاني بيتين لم يذكر قائلهما هما :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً   يغنيك مضمونه عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

هذا وليتذكر الناقد المحترم أنني أوردت تلك الأبيات في نقض قول الأستاذ محمود رزق (وبدهي أن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم) ومع ذلك يصح لي أن أستند إلى قولي المتنبي وابن هرمة إذا استعملا فتى في معنى شهم فإن لغة عصرهما الأدبية الجارية في الشعر مما يعتد به .

ولإكمال البحث أورد لك نصوصاً أدبية أخرى قد لا يأتي جملة منها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وقد استعمل فيها (فتى) في معنى الشهامة ، فقد جاء في هامش بلوغ الأرب (١) أن سعد بن مالك بن ثعلبة جد طرفة بن العبد قال :

والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراحُ
إلا (الفتى) الصبار في النجدات والفرس الوقاحُ

الجاحم من الحرب : معظمها وشدة القتل في معاركها ، تخيل الرجل تكبر ، والمراح الاسم من مرح الرجل إذا اشتد نشاطه وفرحه وبطر واختال .

وفي بلوغ الأرب (٢) قال عمرو المحاربي من عبد القيس :

(١) ج ٢ ص ١٤٩   (٢) ج ٢ ص ١٢٣

سقى جدث (الريان) كل عشية من المزن وكاف المشى دلوح
أقام (لفتيان) المشيرة مهوة لهم منكح من جريها وصبوح
فيا من رأى مثل الهراوة منكحاً إذا بل أعطاف الجيــاد جروح

(الجدث محركة القبر والوكاف المطر المنهل والمزن السحاب الواحدة مزنة وسحابة ، دلوح كثيرة الماء ، والمهوة الفرس السهلة ، والصبوح بالفتح شرب الغداة) فالشاعر هنا جمل الرابطة بين الفتيان الفروسية والخمر والنساء ، وذلك ما اعتبره من الفتوة — طرفة فى معلقته قال الألوسى أن الريان هذا الذى رثاه الشاعر كانت له فرس لا تدرك تدعى (هراوة الأعزاب) لأنه تصدق بها على أعزاب قومه فكان العزب منهم يغزو عليهـا فإذا استفاد مالا وأهلا دفعها إلى آخر من قومه فكانوا يتداولونها فضربت مثلا ، وهـذا ما يريده الشاعر بقوله أنها منكح لهم ، وذلك لأنهم يسبون النساء بفضلها كما كانت عادة العرب فى الغزو والغارات والسبى .

وروى فى بلوغ الأرب (١) عن الأغانى أن كلا بان أمية هاجر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب (رض) فأقام بها مدة ثم لقى ذات يوم طلحة والزبير فسألها أى الأعمال أفضل فى الإسلام ؟ فقالا الجهاد فسأل عمر (رض) فأغزاه فى جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبته قال فى قصيدة يصف شوقه وحنين أم كلاب لابنها .

إذا سجعت حمامة بطن وج إلى بيضـاتها دعوا كلابا
تركت أباك مرعشة يداه وأمك لا تسيغ لها شرابا

فبلغت عمر (رض) فلم يردد كلابا فاهتز أمية وخلط جزعاً عليه ثم أتاه يوماً وهو فى مسجد الرسـول (ص) وحوله المهاجرون والأنصار وأنشأ يقول :

أعاذل قد عذلت بغير علم وما تدرين عاذل ما ألاقى
فاما كنت عاذلة فردى كلابا إذ توجــه للعراق
ولم أقض اللبانة من كلاب غداة غداً وآذن بالفراق
(فتى الفتيان) فى عسر ويسر شديد الركن فى يوم التلاق
فهو يرى الفتى ذلك البطل القوى والفارس الذى لا يهاب

(١) ج ٢ ص ١٣٩

(واللبانة الحاجة وآذنه بالأمر أعلمه به وقوله سجعت حمامة بطن وج سجعت الحمامة هدرت وصوتت ووج اسم وادى بالطائف وقوله لا تسيغ الشراب أى لا يسهل مدخل الماء إلى بلعومها ولا تقدر أن تبتلعه لكربها وشجوها قال عبد الله بن يعرب بن معاوية :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

وروى السيد المرتضى فى أماليه (١) لشاعر يبكى على قتلى بدر من المشركين) ولابد أن يكون جاهلياً :

فماذا بالقليب قليب بدر من (الفتيان) والشرب الكرام
وماذا بالقُليب قليب بدر من الشيزى يكلل بالسنام

قال المرتضى : القليب هى البئر وأهل القليب جماعة قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعـة والوليد بن عتبة ، وقال فى المنجد الشرب بالفتح جمع شارب . وفى الأمالى قال بشر بن أبى خازم لابنته عميرة :

فمن يك سائلا عن بيت بشر فإن له بجنب الرَدم بابا
ثوى فى مَلحَد لابد منه كفى بالموت نأياً واغترابا
رهين بلى وكل (فتى) سيبلى فأذرى الدمع وانتحبى انتحابا

وظاهر أنه يريد كل رجل طيب كريم سيناله البلى ، وروى المبرد فى الكامل (٢) قال رجل من الخوارج فى قتلى إحدى معارك المهلب والخوارج .

بسلى وسليرى مصارع (فتية) كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر :

بسلى وسليرى مصارع (فتية) كرام وعقرى من كميت ومن ورد

(قال الأخفش سلى وسليرى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز) وقال المبرد ارتحل المهلب والخوارج بسلى وسليرى فنزل قريباً منهم فقيل منهم ، فقيل ما تنتظرون بعـدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم ؟ الخ وأورد النويرى فى (نهاية الأرب فى فنون الأدب) (٣) الأبيات التالية للهذلى .

ألا لله درك من فتى قوم إذا رهبـوا

(١) ج ٢ ص ١٨
(٢) ج ٢ ص ١٩٤
(٣) ج ٤ ص ٢٨٥ وقد جاءت أيضاً فى الأغانى ج ٢ ص ٦٤ وفى ديوان الهذليين أيضاً .

وقالوا من (فتى) للحرب يرقبنا ويرتقب ؟
فكنت (فتاهم) فيها إذا تدعى لها تثب

وفى الأغانى (١) أن أبا زبيد قال يمدح الوليد بن عقبة :

لعمر أبيك يا ابن أبى مُرىّ … لغيرك من أباح لها الديارا
أباح لها أبارق ذات نور … تُرَعّى القف منها والعرارا
بحمد الله ثم (فتى قريش) … أبى وهب غدت بُطناً غزارا
أباح لها ولا يحمى عليها … إذا ما كنتم سنة جزارا

يريد جزراً من الجدب والشدة

فتى طالت يداه إلى المعالى … وطحطحتا المقطمة القصارا

(الأبرق هو البرقة إذا اتسعت وهى أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلفة ، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتاً كثيراً يكون إلى جنبها الروض أحياناً : والقف ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه ، فالإبل ترعاه وتسمن عليه والعرار نبت أصفر طيب الرائحة . وقيل هو بهار البحر واحدته عرارة : وغزاراً جمع غزيرة وهى من الإبل الكثيرة اللبن : وطحطح الرجل ماله فرقه ، والمقطمة الثياب القصارا وهى برود عليها الوشى) وقد قال فى الأغانى (٢) عن الوليد بن عقبة هذا أنه أخو عثمان بن عفان (رض) لأمه وكان من (فتيان قريش) وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم ، وكان فاسقاً ولى لعثمان (رض) الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فشرب الخمر وشهد عليه فحده وعزله وفى الأغانى (٣) أن الحطيئة قال يمدح الوليد هذا بعد أن وصله وكان جواداً :

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما … قتال إذا يلقى العدو ونائله
(فتى) يملأ الشيزى ويروى بكفه … سنان الردينى الأصم وعامله
يؤم العدو حيث كان بجحفل … يصم السميع جرسه وصواهله
إذا حان منه منزل الليل أوقدت … لأخراه فى أعلى اليفاع أوائله

(الشيزى خشب أسود تعمل منه القصاع أى أوانى الطعام ويطلق على ما صنع من ذلك ، والردينى الرمح نسبة إلى ردينة وهى امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فإذا غاب باعت ردينة مكانه وكانا يثقفان الرماح أى يقومانها ويسويانها

(١) ج ٥ ص ١٣٨ (٢) ج ٥ ص ١٢٢ طبعة دار الكتب المصرية (٣) ج ٥ ص ١٤٨

فالردينية منسوبة إلى ردينة والسمهرية إلى سمهر ، والخطية إلى موضعهما ، وعامل الرمح هو صدره ، وقال فى المنجد الخطى الرمح المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح : واليفاع كسحاب التل) .

وروى ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار عن الشابشتى (١) أن الحجاج غضب على هند بنت النعمان لكلام خشن وجهته إليه ، فأمر بإخراجها من ديرها القريب من الكوفة فأخرجت ومعها ثلاث جوار من أهلها ، فقالت إحداهن :

خارجات يسقن من دار هند … معلنات بذلة وهوان
ليت شعرى ؟ أأول الحشر هذا … أم محا الدهر غيرة (الفتيان)

فشد فتى من أهل الكوفة على فرسه فاستنقذهن من رسل الحجاج وتغيب فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى فقال إن أتانا فهو آمن ، وإن ظفرنا به قتلناه فأتاه ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال الغيرة فوصله وخلاه وفى كتاب الحماسة للبحترى (١) قال عمرو بن مالك البجلى :

إذا شئت أن لا يبرح الود دائماً … كأفضل ما كانت تكون أوائله
فآخ (فتى) حراً كريماً عروقه … حساماً كنصل السيف حلواً شمائله
فذاك الذى يعنى لواشيك جده … ويكفيك من لهو الكواعب باطله
ويحمل ما حملته من ملمة … ويكفيك طلق الوجه ما أنت سائله

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

(١) ص ٣٢٥
(٢) ص ٥٧

عالم الغيب :

الجن فى منطق الأساطير

للشيخ محمـــد رجب البيومى

وقد كان أرباب الفصاحة كلما
رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن
« أبو العلاء »

يتطلع الإنسان الأسطورة فى تلهف ، ويطالعها مرات عديدة فى تشوق ، وهى على غرابتها وافتعالها تبعث فى العقل نشاطاً موفوراً ، وتخلق فى النفس متعة حبيبة . وقد رزقت الأسطورة فى الغرب مكانة ممتازة ، فوُضعت لها الأسفار المتشعبة شارحة جامعة ، وخدمتها الأقلام القوية محللة معللة ، فهذا باحث يستنبط منها المعنى الخفى ، فإذا تعذر فهمه خلقه اختلاقاً ، وانتزعه انتزاعاً ، وهذا روائى يلونها بأصباغ فاتنة ، فيخلع عليها من خياله الرائع حلة زاهية ، وهذا سمير يُطرف بها أصحابه ، فينفث فى المجلس روحاً مرحة تخلب الأفئدة ، وتسرى عن النفوس ، ولا كذلك الأسطورة العربية ، فهى من قومها فى هم ناصب ، وشجو مبرّح ، فإذا تعرض لها من بنى الضاد باحث أو قصصى أو سمير قُوبل بكثير من الاستخفاف ، وربما منى بمن يطعنه فى ذوقه وعقله . ولو دونت الأساطير العربية فى سفر واف ورُزقت من يتوفر على دراستها دراسة منتجة مركزة ، لكان لنا منها — كما أعتقد — معين رائق ، وكنز نادر ثمين .

ونصيب الجن من الأساطير عظيم موفور ، فقد وضع المتقدمون عن القوم طرائف خالدة ، يطالعها القارىء فيضطر اضطراراً إلى تكرارها وإعادتها ، لأن الجن من العوالم الغيبية المجهولة ، فكل نفس تتوق إلى استيضاح أسرارهم ، والوقوف على أساليبهم فى السعى والكدح ، وما من إنسان تنسّم ريح الحياة إلا غُذى فى طفولته بعجائب مدهشة عن الجن ، فرُدت على سمعه الغض أحاديثهم المتوهمة ، ونوادرهم المتعددة ، حتى إذا شب عن الطوق شبت معه هذه الطرائف ، فتصور الجن أبطالاً مغاوير يهابهم الإنس ، ويذعنون لسلطانهم العتى ، وأنت تسأل عن سبب هذا كله فلا تجد غير الأساطير القديمة ، تلك التى نمت وترعرعت فى نفوس العامة ، حتى أصبحت بتوالى الزمن حقائق ثابتة ، يلقنها الصغير فى المهد ، فلا تبارح مخيلته حتى يغط فى رقاده الأبوى العميق ! !

ولا نجد بأيدينا من المصادر المعتمدة فيما يتصل بالجن غير ما جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فقد ذكر الله عز وجل فى كتابه بعض ما كان يعتقده الجن ، حيث كانوا يعوذون برجال منهم إذا ضربوا فى البيداء واشتمل عليهم الظلام حذراً مما يتأكدونه من بطشهم العارم ، وقوتهم الخارقة ، كما ذكر اتصال الجن بالسماء قبل البعثة النبوية ، فيسترقون السمع ، ويتنبئون بالغيب ، وبين — جل ذكره — كيف حرّم عليهم الاستراق . فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . ولك أن تفهم من ذلك سلطان الجن على الإنس ، وكيف شغلوا جانباً من تفكير الأعراب وتأملهم ، فلا غرو أن وضعوا عنهم الأساطير وأكثروا من نوادرهم العجيبة ، فيما سجلته عليهم كتب الأدب وصحائف التاريخ !!

والجن فى كل زمان ومكان لغز مبهم تُبذل الجهود الدائبة فى حله فلا تستطيع أن تفك غامضه . ومن التوافق العجيب أن الأساطير الدائرة حول هذا النوع من المخلوقات ، تكاد تكون متحدة متشابهة ، فكما تزعم الأساطير العربية قدرة الجن على التشكل والتنوع ، وملازمتهم الأمكنة الخالية ، وظهورهم مع الأشباح فى حندس الليل ، كذلك نجد الأساطير الأوربية تؤكد هذا الزعم ، واقرأ إن شئت ما سطره شكسبير فى روايتى : « العاصفة » « وأبيرون » تجد حديثاً مسهباً عن الجن لا يكاد يخرج عما تطالعك به الخرافات البدوية ، بل عما سمعته فى طفولتك من العجائز الأميات !! اللهم إلا بعض اختلافات يسيرة تحتمها طبيعة المكان ، وظروف المناخ . فالأخبار العربية [مثلاً] تؤكد ظهور الجن بكثرة فى الفيافى والقفار ، والأساطير الأجنبية تعلن وجود هذا النوع فى أعماق المحيطات ، وشواطىء البحار . وقد يكون ما ذكرناه من التشابه راجعاً إلى اتفاق المصادر السماوية فى الحديث عن الجن ، فكانت عنصراً هاماً للتوليد والاستنتاج

ويجب ألا ننسى أن ثقافتنا الحديثة ، قد وقفت حائلا منيعاً أمام أساطير البدو عن الجن وسائر الكائنات الغيبية ، فلم تصادف من الذيوع ما صادفته الخرافات الأجنبية ، لأن القريحة العربية الحديثة التي ارتوت بفيض زاخر من العلوم العقلية تزن كل حديث بميزان المنطق ، فما رفضه الفكر السديد حاربته وفندته ، ولكن الغربيين قد احترموا الخيال كما احترموا الحقيقة على السواء فهم مع تسليمهم بوهم هذه الأساطير قد اتخذوها مجالاً للعبرة والعظة ، فاستنبطوا منها المغزى الخلقي ، والمرمى الإنساني . وقد تكون الأسطورة تافهة لا تهدف إلى غرض ، ولعل واضعها أبله غر نطق بها كما اتفق له ، ولكنهم يكدحون أذهانهم في التحليل والاستنتاج حتى يظفروا بما يريدون ، أما الذهن العربي الحديث فقد احتقر هذه الأساطير احتقاراً تاماً ، ورمى قائلها وسامعها معاً بالجنون والغفلة ، وأنا لا أدرى لماذا لا نجعلها من قبيل الأمثال الفرضية الذائعة في الأدب الجاهلي ، فنسلم أولا بوضعها ، ثم ندلف إلى استنتاج العبرة من حوادثها كما يفعل الأوربيون سواء بسواء ؟...

على أن أكثر هذه الأساطير تهدف إلى الشجاعة والمروءة وما إليهما من الشمائل التي تشربها البدوى ، وسرت في عروقه مع الدم في مجرى واحد ، فكان علينا أن نجعل منها أداة صالحة للتهذيب والتعليم فتضم إلى غرابة المنحى وطرافة التفكير ، روعة المغزى وجمال الهدف ، وإليك هذا المثال مع الإيجاز .

خرج عبيد بن الأبرص إلى الصحراء في نفر من صحبه فسد عليهم الطريق شجاع أسود قد فتح فمه فتدلت مشافره كالبعير ، وكان غريب الخلقة ترمى عيناه بالشرر حتى ما يطيق أحد أن ينظر إليه ، وقد احترق جانباه من الرمضاء فاصطبغا بلون مرعب ، فصاح القوم بعبيد : دونك هذا الجنى فاقتله ، ولكن الشاعر عمد إلى إداوة من ماء فصبها عليه ، فانفتل إلى جحره شاكراً قانعاً ، ثم سار القوم فقضوا حوائجهم وقفلوا راجعين ، غير أن عبيداً قد أضل بعيره ، فسدت السبل في وجهه ، وداهمه الليل بكلكله الثقيل ، فوقف متحيراً لا يدرى ما يصنع في ظلام البيداء وإذا بهاتف من عدوة الوادى يصيح :

يا صاحب البكر المضل مركبه ... دونك هذا البكر منا فاركبه

فالتفت الرجل فإذا بكره بجانبه ، ومعه بكر آخر يرشده إلى الطريق ، فركب والخواطر تملأ فؤاده ورأسه ، إذ يفكر في صاحب هذه اليد البيضاء ، من هو ؟ وكيف اختصه بالرعاية ؟ ولكن الهاتف لا يتركه يمعن في شعاب أوهامه بل يصيح :

أنا الشجاع الذى ألفيته رمضا ... في رملة ذات دكداك وأعقاد

فالخير أبقى وإن طال الزمان به ... والشر أقبح ما أوعيت من زاد

فعلم الشاعر أن الجميل قد رد إليه وأوفاه ، فأخذ السير إلى مقصده في فرح وابتهاج !!

فماذا نقول عن هذه الأسطورة ؟ إننا نتعب أنفسنا في إنكار وقوعها ، كأنه — وهو الواضح البديهي — مجال فسيح للنقاش والجدال ، أما أن نستخرج منها المغزى الرائع ، فنبين لقارئها كيف ينفع المعروف صاحبه فهذا ما لا تفكر فيه على الإطلاق ، فلا عجب أن ضاعت لدينا قيمة هذه الأساطير !!

وقد يدهش القارىء لازدحام الأسفار الأدبية بأقاصيص الجن ، بل ربما تعجب ممن عكفوا على اختلاقها عكوفاً دائباً ، والحق أن هناك عوامل قوية فرضت هذا العكوف فرضاً لازماً ، حيث كان الواضع يجد في عمله مغنماً وافراً يدفعه إلى الاستزادة والتوليد ، فكثير من الناس — كما أسلفنا — يحرص على الإلمام بما في العوالم المجهولة من أسرار ، وكأنه غضب أن يقف علمه عند ما يقع تحت سمعه وبصره ، فعمد إلى استنطاق الأساطير ، وجمع الخرافات ، وخاصة إذا كان فيما يحصله من الغرابة والطرافة ما يدعو إلى استيعابه ، فهو يلجأ إلى من يتوسم فيه المعرفة ، فيمتعه بنادرة معقولة تدخل في هذا الباب ، وما تلبث أن تسير بها الركبان من مكان إلى مكان ، وهي في كل دقيقة تتزايد وتتعظم ، ويجرى فيها الخيال الخرافى مطلق العنان حتى تخرج من دائرة المعقولات إلى حيز المحالات ، وأنت تقرأ الأسطورة الجنية في كتاب متقدم فلا تستغربها ، ثم تجدها انتقلت إلى كتاب آخر وقد اكتسبت كثيراً من المبالغة والتهويل فتقف عندها كالمستغرب ، فإذا انتقلت إلى سفر ثالث بدت صورة مجوفة مضخمة ، تتناكر مع الصورة الأولى تمام التناكر ، فإذا كان التأليف المقيد لا يسلم من الافتعال الملموس ، فما بالك بالسمر الذى لا يعرف القيود والحدود بل ينطلق من الأفواه كما شاء رواته الخياليون . ومهما يكن من

شىء فإن الأسباب الدافعة إلى الاختلاق لا تخرج عن عوامل ثلاثة : دينية ، مادية ، خلقية . وماذا نصنع وقد تكون لنا ثالوث مرح ساذج يمتع الأفئدة ويرفه عن النفوس ! !

ونحن بادئون بالحديث عن العامل الدينى ، فنذكر أن مفسرى القرآن ورواة الحديث ، وأصحاب السير ، قد ساهموا بنشاط وافر فى هذا الميدان ، فقد عولوا جميعاً على استهواء العامة بما يقصون من أنباء ، كما وقع فى نفوسهم أن الغاية تبرر الوسيلة ، فلا عليهم إذا وضعوا التفاسير الكاذبة ، ولفقوا الأحاديث الموضوعة ، ما دامت تجذب إليها القلوب وتدفع سامعها إلى الإيمان والتصديق ، فإذا أراد أحد هؤلاء أن يحض على الصدقة — مثلا — لجأ إلى الخرافات المزعومة فأسهب فيها كما أراد ، ثم لا ينسى أن يخص الجن بنبذ كريمة من وعظه ، فيتنقل عن الحاكم بأسناده ما ملخصه أن أبى بن كعب رأى شبحاً يأكل من تمره ، فقال له من أنت ؟ وأمسك بيده ، فإذا هى كف كلب ، فصاح به أجنى أم إنسى ؟ فقال بل جنى ! قال وما حملك على ذلك ؟ فقال له : لقد علمت أنك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك لتثاب من الله ، ثم أخبر الرسول بذلك فقال : صدقك الخبيث .

وإذا أراد أحدهم أن يدفع الناس إلى الاستغفار ، وذكر الله لا ينسى أن يلم بحديث الجن فيذكر جانباً من استغفارهم وأدعيتهم ، ويزيد فيحكى من الأخبار الملفقة ما لا نجد داعياً لنشره على القراء . وقد يبالغ بعضهم فيخص آيات من القرآن بفوائد نافعة هى إبعادها الجن عن كل مكان تقرأ فيه ، وفى حياة الحيوان الكبرى للدميرى صفحات مملوءة بهذه الأعاجيب !! وقد نسب أكثرها زوراً وبهتاناً إلى رسول الله ، وليت شعرى ما نقول لهؤلاء الذين أسدلوا على عقولهم حجباً كثيفة حين أتعبوا أنفسهم فى تسطير هذا الهراء .

على أن وضاع الحديث لم يبلغوا شأو رواة السير فى هذا المضمار ، فقد تفنن الأقدمون من المؤرخين فى اختراع الأوهام الباطلة ، أو على الأقل فى تسجيلها بكتبهم المتداولة دون مناقشة أو تعليل ، فما من كاتب متقدم يذكر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا تعرض لما قالته الجن فى ذلك من الشعر ! ! وما أوحته إلى الكواهن من غريب الأنباء ، وقد يستغل كثير منهم ما ورد فى القرآن عن الجن فيفسره كما يمليه هواه ، وما ظنك بتفسير مشوه ، لا يعمد إلى إيضاح المعنى وتركيزه بل يحيطه بسياج مديد من الأساطير ، كأن كتاب الله وصحف السيرة لا تفهم بغير هذه المحالات ؛ وقد زعم بعضهم أنه ركب بحر الخزر فضللت ريح الشمال مركبه حتى بلغ جزيرة قاحلة ليس بها أنيس ، فشاهد شجرة ضخمة قد استند إليها شيخ هائل ، فتقدم إليه ، فسأله الشيخ من أنت ؟ فقال من العرب ؟ فجعل يسأله عن الجرهمى وعن فلان وفلان ، حتى انتهى إلى عبد المطلب فسأل عن ابنه محمد الهادى ، فقال له : قد مات منذ زمن ، فشهق شهقة عظيمة ، وانتفض كالفرخ ، ثم أخذ ينوح ويبكى ، وقال أنا السفاح بن الرقراق الجنى ، أعرف التوراة والإنجيل ، وقد اختبأت فى هذه الجزيرة يوم أن أطلقت الطوالق المقيدة ، من وقت سليمان ، وكنت أطمع أن أرى محمداً ، فإذا رجعت إلى المدينة ، فاقرأ السلام على قبره وبلغه أطيب التحيات » ! !

فهذه أسطورة مقتضبة من مئات تدور حول التبشير بنبوة الرسول ، ولا أدرى كيف كانت تقابل من السامعين بالارتياح ، وكيف أبقى عليها الزمن فخلدت فى بطون الأسفار ؟ وليس بعيداً أن نرى فى العصر الحاضر من يتعصب لها كمعجزة خارقة ؟ وكم فى الناس من أغبياء !

ويجب أن يفهم أننا لا ننكر البشائر النبوية التى آذنت ببعثة الرسول العظيم ، بل نؤيد جميع ما ذكرته الكتب الصحيحة ، مما يخضع للناموس الطبيعى ، ولا يصطدم مع التفكير المستقيم ، ومن ذلك — فيما يتعلق بهذا النوع — ما روى عن إسلام سواد بن قارب رضى الله عنه ، فقد كان فى جاهليته كاهناً تهبط الجن عليه بما تسترق من السمع ، فأخبر فيما أخبر به ببعثة الرسول ، ووقع الإيمان فى قلبه فوفد على الرسول بمكة وأنشده

أتانى رئيى بعد ليل وهجعة ... ولم يك فيما قد عهدت بكاذب
ثلاث ليالى قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤى بن غالب
فكن لى شفيعاً يوم لاذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فهذا خبر لا يعدم الدليل على صدقه ، لأن استراق السمع ثابت بنص القرآن ، وسواد رحمه الله قد أسلم لربه ، وقد اعتز بإيمانه اعتزازاً لا يحتمل معه تخرص وادعاء ، حتى أن عمر بن الخطاب

قد ذكره مرة بكهانته فى الجاهلية فغضب غضباً عرف فى وجهه ، فاعتذر إليه أمير المؤمنين وقال له يا سواد ، والله ما كنا عليه من عبادة الأصنام شر من كهانتك . فليس بمعقول أن يتحدث عن سبب إسلامه بما لم يقع ، فهو إذن صادق مصدق ، وإنما الكاذب من يروى الأساطير التى تنتهى إلى عهد سليمان بن داود ثم يكدر بها حياض السيرة المطهرة ، وأولى بها أن تأخذ مكانها فى « ألف ليلة وليلة » فتتلاق الأكاذيب ، وتمتزج الغرائب بالأعاجيب .

(البقية فى العدد القادم) **محمد رجب البيومى**

الأدب والفن فى أسبوع

للأستاذ العباس خضر

محاضرات المصريين بالسودان :

تهم الآن وزارة المعارف بتنظيم المحاضرات الثقافية التى يلقيها الأساتذة المصريون بالسودان ، وأدرجت فى الميزانية لهذا الغرض ألفى جنيه ؛ وذلك بعد أن رأت إقبال الجمهور المثقف بالخرطوم على المحاضرات التى نظمتها فى العام الماضى مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، فرأت تدعيم محاضرات المدرسة بمحاضرات أخرى فى نوادى الخرطوم يلقيها المفتشون الذين يعملون بالمراقبة العامة فى السودان.

وليست محاضرات مدرسة الملك فاروق فى العام الماضى ، أول تجربة فى هذا السبيل ، ففى سنة ١٩٤٣ أوفدت وزارة المعارف بعثتين من كبار أساتذتها ، فألقوا محاضرات بأندية الخرطوم وأم درمان ، كان لها طرب فى نفوس إخواننا بأعلى النيل ، وأقول « طرب » وأنا أقصد معنى الكلمة .. فقد كنت هناك فى ذلك الوقت ، ولا أزال أذكر كيف امتلأ نادى الخريجين بأم درمان — امتلأ ذلك النادى الرحيب واحتشدت فيه الجماهير لسماع محاضرة الأستاذ الصباحى بيومى فى « إعجاز الفاصلة فى القرآن » وشاع الطرب فى الحاضرين حتى كانوا يهتفون عند الفواصل : الله ! كأنهم — لشدة تأثرهم وعمق تذوقهم — فى حفل غناء

ويوم ذاك أيقنت أن هذه الثقافة العربية الإسلامية هى الغذاء الروحى المشترك بين أهل الوادى فى الشمال وفى الجنوب ، كما يشتركون فى الغذاء المادى من ماء النيل .

وأريد أن أفرغ من ذلك لأنبه على أمر آخر فى هذا الموضوع ، ذلك أن الوزارة تقصر بعثات المحاضرين المصريين إلى السودان ، على أساتذتها والمفتشين بها . ولكنى أقترح عليها أن تدعو بعض الكتاب والمؤلفين ، من غير رجالها ، الذين يعرفهم السودانيون بالقراءة لهم ، وهم ولا شك يودون رؤيتهم وسماعهم ؛ فتخرج بذلك هذه المحاضرات الثقافية عن النطاق الرسمى . ولا أخفى أن أكثر محاضرات المفتشين والمدرسين ذات طابع مدرسى ، وقد أشارت إلى ذلك بعض صحف الخرطوم فى التعليق على بعض محاضرات سنة ١٩٤٣

مؤتمرا اللغويين والمستشرقين :

عقد بباريس فى أواخر يولية الماضى وأوائل أغسطس الحالى ، مؤتمران كان لمصر فيهما نشاط ملحوظ ، وكان للغة العربية فى أحدهما ظفر يغتبط به ، وهما مؤتمر اللغويين ومؤتمر المستشرقين ، وقد انعقدا على التعاقب ، كان أولهما مؤتمر اللغويين وقد اختتم أعماله يوم ٢٧ يولية ، وكان مما قرره تمثيل مصر فى لجنته الدولية الدائمة .

وكان بعد ذلك مؤتمر المستشرقين ، وكان من الرغبات التى أبداها أن تمنى دول العالم أجمع بإدخال معلومات عامة عن المدنية الشرقية فى برامج التعليم مع العناية بالمدنية الإسلامية وما تبقى من المدنيتين الهندية والصينية ، فإنه لا يجوز لأهل الغرب أن يجهلوا ما كانت عليه مدنية أهل الشرق الذين يؤلفون نصف سكان العالم .

وظفرُ اللغة العربية الذى يدعو إلى الاغتباط ، كان فى الجلسة الختامية لمؤتمر المستشرقين ، إذ اقترح الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بالأزهر أن يوافق المؤتمر على قبول التباحث باللغة العربية فى المؤتمر القادم ولا سيما عند بحث المسائل الإسلامية . ونوقش الاقتراح ، ثم تقرر قبوله .

وقد بدا نشاط ممثلى مصر فى المؤتمرين ، إذ ألقوا بحوثاً ،

وقدموا تقارير واقتراحات ، كانت موضع التقدير ، واسترعى الانتباه ما أبداه العلماء المصريون فى علم الآثار القديمة مما يدل على بلوغهم فيه درجة عالية ، وقال بعض الأعضاء إنهم أصبحوا فيه مساوين لسائر علماء الآثار فى العالم .

الدكتور طه حسين :

ويمثل الدكتور طه حسين بك فى هذين المؤتمرين ، مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وتدل الأنباء الواردة على وفرة نشاطه فيهما ، وقد كتب للأهرام مقالا — من المقالات التى يوافيها بها من باريس — نشرته بعنوان « بين مؤتمرين » أبدى فيه شغفه بمتابعة أعمال لجانهما فتمنى أن يظفر بـ « تعدد الأجسام » فيستطيع ، كما يقال عن أهل الخطوة ، أن يحضر الاجتماعات المتعددة المنعقدة فى وقت واحد ... أى يحضرها كلها فى وقت واحد أيضاً ! « ولكن هيهات ، إذا أتيح لك أن تستمع لحديث باق فى هذه الساعة من ساعات الضحى فقد قضى عليك أن تحرم أحاديث كثيرة جداً تلقى فى نفس هذه الساعة فى الغرفات المجاورة أو فى الغرفات البعيدة أو فى الدور النائية عن هذه الدار التى أنت فيها » ومما تضمنه مقال الدكتور طه أن المصريين كانوا قلة فى مؤتمر اللغويين ، وكانوا كثرة فى مؤتمر المستشرقين ومع ذلك فإنهم « أكثر ما ألقى فيه من حديث » فلم يشهد المصريون إلا ثلاثة أقسام من عشرة أقسام ، لا لأن أجسامهم لم تطاوعهم ، ولا لأن عددهم لم يطاوعهم ، بل لأنهم مع الأسف الشديد لم يؤتوا من العلم إلا قليلا ، فهم قد استطاعوا أن يشاركوا فيما يتصل بالدراسات الإسلامية وبالدراسات السامية وبالآثار المصرية القديمة والقبطية والإسلامية ، فأما ما عدا ذلك من شؤون الترك والفرس والهند والصين ومن شؤون الدراسات اليونانية الرومانية فى الشرق القريب والبعيد فلم يشارك المصريون فيه لأنهم لا يحسنونه ولأنه لا يدرس فى بلادهم ، ولأن بلادهم لم تفكر بعد فى أن تهيىء أبناءها للتخصص فى فنون العلم على اختلافها »

الدكتور طه بين مصر وفرنسا :

وعلى ذكر المقالات التى يوالى الدكتور طه كتابتها للأهرام من باريس — أقول إنه لوحظ فى بعض عباراتها ما يدل على أنه عاتب على مصر ، أو غير راض عما يتعلق بشخصه فيها ، أو كما نقول بلغة الحديث العامية (واخد على خاطره) فقد قال فى أولى هذه المقالات إنه سيعود إلى مصر يوم تدعوه إليها . . وفى المقال « بين مؤتمرين » المتقدم ذكره ، ختم الحديث عن وفد مصر غير المستكمل للدراسات المختلفة بتوجيه الكلام إلى الهيئات التى أوفدته ، فقال « وأول هذه الهيئات المختصة مجلس الوزراء الذى أوفد إلى المؤتمر وفداً مصرياً أستثنى نفسى منه ، ثم أقول بعد ذلك إنه شرف مصر حقاً » وجاء فى بعض الأنباء أن الدكتور طه سيسافر إلى إحدى القرى الفرنسية للاستجمام ، ثم يسافر إلى إسبانيا لإلقاء محاضرات أدبية ببعض معاهدها وجامعاتها ، تلبية لدعوة حكومتها . ولم يرد فى النبأ ذكر لعودته إلى مصر .

ويدل استثناؤه من الوفد الذى أوفده مجلس الوزراء : على أن الأمر إنما هو بينه وبين الدولة ، ولكن ألم يوفده مجمع فؤاد الأول للغة العربية وهو من الدولة ؟ ولنفرض أن الدولة جافته فى بعض الأمور ، فهل هذا يؤدى إلى التدلل على مصر وهجرانها وهى تقدره حق قدره ؟ وماذا صنعت فرنسا للدكتور طه مما لم تحققه له مصر ، فرضى عنها وأخذ أمورها مأخذ المحب ، كما تدل على ذلك مقالاته الأخيرة بالأهرام ؟

على أننا لم نسمع قبل اليوم أن أحداً من كبارنا أمثال الدكتور طه ، ممن نالهم بعض العنت فى عهود غير أوليائهم ، قد غضب من مصر وهجرها إلى غيرها من البلاد . ولعل ذلك لأنهم ليس لهم « فرنسا » يهيمون بها ... وهل تحتضن الدولة كل كبار الأدباء ؟ وهل هذا لازم لعيشهم فى البلاد ورضائهم عنها ؟

أكتب هذا وأنا آسف لحرمان مصر فى هذه الآونة المضطربة قلم طه حسين الفياض ، وهى أحوج إلى صولاته فى صميم شؤونها المعقدة المختلفة ، منها إلى ما يلقى فى حجرات المؤتمرات القريبة والنائية ... وإن ذلك لأجدى عليها من دراسة شؤون البلاد التى تركب الأفيال !

الكبراء والكتب :

• قرأت فى مقال للأستاذ المازنى بالعدد الأخير من أخبار اليوم ، أنه كان فى مجلس جاء فيه ذكر بعض الذين يعدون أنفسهم من القادة أو الزعماء ، فقال « إنى أراهن بما تشاءون — وأنا واثق أنى لن أخسر — أنه ليس فى بيت « فلان » — ولا داعى لذكر اسمه — كتاب واحد حتى ولا رواية بوليسية ! » وقال

هذا مثل واحد أكتفي به لأنه يغني عن غيره .

وقد ذكرني هذا بما قصه على صديق من قال : عهد إلى أن أقدم إلى بعض الكبار هدايا : نسخاً من كتاب أخرجته لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري ، تنفيذاً لقرار وزارة المعارف القاضي بهذا الإهداء ، فقدمت على فلان — ولا داعي لذكر اسمه كما يقول المازني — وقدمت له الكتاب ، فتناوله ونظر إلى غلافه ثم قال متلطفاً أو متظاهراً بالمعرفة : نعم . أبو العلاء المعري ! بضم الميم .

وهذا الذي جرى لميم المعري ليس أمراً هيناً .. فأقل ما يدل عليه عدم استحقاق الهدية ! وكم هناك ممن يستحقونها ولا تهدى إليهم ، لأن الوزارة تهدي هذه الكتب إلى الكبراء وأصحاب المناصب العالية ، وأكثرهم لا يقرءونها ولا يعرفون قيمتها ، ولا تنظر إلى غيرهم من الأدباء والمتعلمين الذين يلاقون العنت في استعارتها من دار الكتب المصرية .

احتلال الأوبرا :

يظهر أن المهزلة التي تمثل سنوياً على مسرح الأوبرا — ستتابع فصولها في الموسم القادم ... أعني الفرق الأجنبية التي تجلب من أوربا كل عام لتسلية (الخواجات) والترفيه عن أبناء الذوات ... فتحتل المسرح القومي أكثر الموسم بعد أن تجلو عنه الفرقة المصرية وهي أحق به .

فقد قال مراسل الأهرام من باريس إن الأستاذ سليمان نجيب بك مدير دار الأوبرا الملكية وصل إلى باريس وصرح له بأنه سيدعو إلى مصر بين شهري يناير ومارس القادمين ، فرقة مونت كارلو لمدة ١٥ يوماً ، وفرقة الأوبرا الإيطالية لمدة أربعين يوماً ، كما أنه سيدعو إليها بيار بلانشان لمدة شهر مع فرقة تمثل خمساً من رواياته . ويضيف إلى ذلك أنه يرجو أن يوفق لإرسال فرقة الكوميديا المصرية إلى فرنسا وانجلترا في مقابل الفرق الأجنبية التي تستقبلها مصر .

وأنا أسأل أولا : ما هي فرقة الكوميديا المصرية التي يرجو أن يبادل بها ... ؟ هل عندنا فرقة بهذا الاسم ؟ إن كل ما لدينا هي الفرقة المصرية التي تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية وهي ليست كوميدية ، والفرق الأخرى معطلة بفضل هذه السياسة التي منها استجلاب الفرق الأجنبية .

المسألة ليست إلا استرا للموقف بتسميتها « تبادل فرق » فقد استنكر الرأي العام في السنة الماضية الاستمرار في استيراد الفرق الأجنبية ، وحمل عليه النقاد حملات موفقة ، وكان لنا في ذلك مشاركة . فأريدَ اتقاء الشعور العام بهذا « الرجاء » وقد تطورت ظروف البلاد بعد ذلك حتى صرنا إلى حال لم يكن يصح فيها أبداً مجرد التفكير في شيء من هذا الذي يزمعه مدير دار الأوبرا . وقد قال النقاد وقلنا في العام الماضي . والجديد الآن أننا نحارب في فلسطين — نقاتل ونهادن وندفع العدوان ونستأنف القتال — وهذا يقتضي تجنيد الجهود والأموال لمواجهة الجهاد ، ولهذا نلغي الحفلات الرسمية ونستغني عما يماثلها من الكماليات . وقد وقفت دول الغرب ضد قضية العروبة ، وهذا يقتضي أن نقف منهم موقف الحازم الذي لا يتفق معه أن ندعو فرقهم لاحتلال مسرحنا القومي ، ولا يكفي اختصار المدة المعتادة ، لأن الذي يدعو إلى هذا الاختصار هو الذي يدعو إلى الاستغناء التام

أراني أخذت في بيان ما هو ظاهر بالبداهة ... وإني والله لأخجل أن أرى في بلادنا وفي هذه الظروف التي نحن فيها ، تلك الفرق التي يراد قيادتها إلى مصر في الموسم القادم .

من طرف المجالس :

كان الحديث في قضية فلسطين وموقف هيئة الأمم المتحدة منها ، وهو حديث المجالس الغالب في هذا الظرف . قال قائل : عجباً لهذه الهيئة ... كونتها الأمم الكبيرة ، لتحل — فيما تحل — المشاكل التي تنشأ بينها ، وهذه — مثلا — مسألة برلين ، لم تعرض عليها ولم تنظر فيها ، بل عمدت الدول المؤلفة لها إلى المباحثة فيها ، خارج الهيئة ، بالمؤتمرات الثلاثية والرباعية . أما فلسطين فما أسرع ما تبت في شؤونها ، لا لتحمي السلام وإنما لتحمي دولة إسرائيل المزعومة من بطش العرب ، فهل تكونت الأمم المتحدة لتكون « هيئة شرف » بالنسبة لمسائل الأمم الكبيرة ، ثم لتكون أداة فعالة في خدمة الأغراض الاستعمارية والصهيونية ؟

قال آخر : ألا ترون أن هيئة الأمم المتحدة هي أيضاً هيئة مزعومة !

العباس خضر



إلى فضيلة الشيخ أبو العيون :

كان تجلدك الذى أمتنع على صدمة تلك الملمة ؛ وثبات جأشك فى عصف ذلك الخطب ؛ موضع إكبار الجميع ؛ حتى عدت سابقة افضيلتكم فى هذا الميدان ، لقد تخطفت المنايا السود ولدك — وهو يمرح فى أعطاف الرابعة عشر ربيعاً ، ويختال فى حلة نسجت من طراءة العمر ، ونضارة الصبا ، لا تحوكها أنامل الحياة غير مرة ؛ فها هو ذا الشاب يلوذ بحمى — المستشفى — ليكف عادية الداء عن شبابه ؛ فإذا فى ارتقابه بهذه الدار تلك السفينة التى تقلع بالإنسان إلى الشاطىء المجهول . ويهبط النبأ الفاجع على قلب — الشيخ — يا أسلاك البرق — قدحت أى زناد ! ! وأطرت أية شعلة بفؤاد — الشيخ — المرهف الشفوق . أية ناسفة تحمل أمثال هذه الأنباء التى تنزل فى عالم الشعور ؛ والإحساس ؛ وأى لغم تفجره بين الجوانح تلك الكوارث . ولكن قوة إيمان الشيخ ، قد استطاعت أن تحول بين الشيخ ، وبين ما تستهدف له القلوب . فيأبى الشيخ . وهو السكرتير العام للأزهر والرجل الموصول بأفئدة الأمة ؛ أن يذيع نعيه فى الصحف ولا حتى بين الأصدقاء الأقربين .

وتوجه فى قلة قليلة لا تعدو أصابع اليد الواحدة إلى — دار المستشفى — وحمل قطعة قلبه إلى حيث يوسدها المضجع الأخير وصلى عليها حيال القبر ؛ وعاد الشيخ ببعض النفس ؛ والبعض فى القبر وتجلس إلى الشيخ فإذا هو باسم الثغر ، طلى الحديث . مؤنس المحضر . تدور أحاديث الدين ، والأدب ، والاجتماع ، كأننا لسنا فى دار ثكلت عزيزاً ؛ ولا بجوار شيخ حتى التراب على معارف كان يخشى عليها الثقل من موطىء الذر .

لم أكتب هذه الكلمة لتكون عزاء فأنت ، أيها الشيخ ، أسمى من أن يسوق العزاء سائق ؛ ولكن أريد أن أقدم نموذجاً لما تكون عليه الرجولة فى الشدائد ؛ وأن يعرف الناس السنة الإسلامية التى يجمل بهم أن يستنوها مع من يشيعون .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ — ولم لا نسأل عن أشياء ؟

أهى من عالم الغيب الذى استأثر الله بعلمه؟ أم هى من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فيكفر جاحدها ؟ أم نحن نشك فى روايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورتها الحاضرة ؟ أم أغلق باب الاجتهاد فى فروع اللغة كما أغلق عند جمهور العلماء فى فروع الفقه ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ وإنما قصدت فى كلمتى السابقة أن ألتمس الوجه الصحيح الخالى من الحدس والافتراض والتكلف لورود كلمة (أشياء) فى القرآن الحكيم على صورة الممنوع من الصرف ، وإن بدا رأيى جريئاً غير مستساغ عند بعض الناس فحسبى أن يكون رائدى حسن النية ، وأن أفتح البحث أمام الذين يبحثون فى وسائل تيسير النحو فى هذه الآونة على المتعلمين حتى اقترحوا حذف (الممنوع من الصرف) من منهج التعليم الابتدائى لا نزاع فى أن البحث من الجفاف بحيث لا يجمل الخوض فيه على صفحات المجلات ، ولذلك عرضته ملخصاً فى الكلمة الأولى وما زلت على خطتى فى هذه الكلمة ، وإن عسيراً أن أجشم القارىء درس موضوع من أيسر مسائله ادعاء بعضهم أن (أشياء) اسم جمع مثل (طَرْفاء) قدمت لامه فصار على وزن (لَفْعاء) ؛ كل ذلك ليبرروا وروده ممنوعاً من الصرف فى سورة المائدة ، وأنا بلا ريب أستحسن كثيراً رأى (الكسائى) الذى أورده الأستاذ الفاضل محمد غنيم فى كلمته القيمة وملخصه أن (أشياء) جمع (شىء) جاء على صيغته الأصلية ، ولكن منع صرفه لكثرة استعماله فى الكلام تشبيهاً له بالاسم المؤنث المنتهى بالألف الممدودة ، هذا أشبه بالحق ، وأدنى إلى حسن الذوق ولكن ماذا لو التمسنا للمسألة وجهاً آخر ؛ مع التسليم المطلق بصحة الرواية ، أنا لا أزال أقول إن ورود الكلمة على صورة الممنوع من الصرف مبنى على القاعدة النحوية المشهورة التى أوردها (ابن مالك) حيث قال :

ولاضطرار أو تناسب حرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

وقد طابق هذه القاعدة كثير من استعمالات العرب ، وخرّج عليه بعض آى الذكر الحكيم ؛ وقد أشرت إلى ذلك فى الكلمة السابقة ؛ والمسألة ترجع إلى الذوق الموسيقى المعبر عنه

(بالتناسب) فى كلام (ابن مالك) وإنه لو وردت (أشياء) مصروفة فى الآية الكريمة (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) لتكرر حتما مقطعان بلفظ واحد ، وكان ذلك مخلا إلى حد ما بحسن الجرس والتناسق ولا شك أن القرآن الكريم فى المكان الأول من رعاية هذا التناسق ، والسلامة من كل مظان التنافر ، وهذا — كما قلت — من أعظم وجوه الإعجاز ، ولولا ذلك لجرى على كلمة (الأشياء) ما يجرى على كلمة (أفياء) وأمثالها من جموع القلة التى توازنها ، ولا وجه للقياس على توالى المقطعين بتكرار (إن) فى قوله تعالى : (ما نزل اللهُ من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) كما يقول الأستاذ العجمى ، فإن القياس مع الفارق كما يقولون ؛ إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة (شىء) فى هذه الآية وفى الآية الثانية التى أوردها الأستاذ العجمى ، ويكون البدء بما بعد كلمة (شىء) فى الآيتين مما يزيد المعنى قوة ؛ وإذاً لا يتوالى المقطعان ، على أن همزة (شىء) مسبوقة بحرف لين صامت وهمزة (أشياء) مسبوقة بحرف مد صاعد ولذلك تأثيره فى ثقل المقطعين ، أما كلمة (أشياء) فى آية المائدة (وهى محل البحث فإنها مرتبطة بما يليها من الآية الكريمة ارتباط الموصوف بصفته ؛ والصفة هنا قيد فى صاحبها ، فلا بد من وصلهما حتى يكون معنى النهى فى الآية واضحاً ولا بد إذاً من توالى المقطعين ، وهذا ما أجعله علة المنع من الصرف ؛ وعلى ذلك يمكن القول — فى غير حرج — أن ورود كلمة (أشياء) غير مصروفة راجع إلى الجو المحيط بها فى الآية الكريمة فلو خرجت منه جاز عليها ما يجوز على سواها .

ولا محل بعد ذلك للاعتراض الذى أدلى به الأستاذ محمد غنيم وخلاصته أنه لو كانت الكلمة ممنوعة لضبطت همزتها الأخيرة بالجر من غير تنوين ؛ فإنها بلا نزاع غير مصروفة (فى الآية الكريمة) فيجرى عليها حكم الممنوع من الصرف كاملا وتجر بالفتحة ؛ ولكن لمنع صرفها سبباً فنياً غير الذى قالوه ؛ فهو فى رأى المتواضع (ولا يؤاخذنى الأستاذ العجمى) مبنى على اعتبار حسن الجرس والتناسب وعند القدامى الذين ندين لهم بالحق وعرفان الجميل مبنى على أسباب شتى ألممنا إلى بعضها فى صدر المقال .

٢ — أخطاء مشهورة :

كثيراً ما نقرأ فى الصحف والمجلات بَله كراسات الطلبة والتلاميذ — كلمات جرت على الألسنة ، واستفاضت ؛ حتى ليحسبها من قلت درايتهم بمتن اللغة من الصحيح ؛ ولعل من الخير للغة ودارسيها ، أن يتعقب أهل الدراية هذه الكلمات بالنقد البرىء والإرشاد الهادىء السديد ، وعلى منابر الصحافة العالية متسع لمن أراد الإصلاح ؛ ومن ذلك أننى قرأت أمس فى (الأساس) لشاعر ناشىء مقطوعة ظريفة بدأها ببيت مشتمل على كلمة (النضوج) وفى باب (الكتب والمؤلفات) فى (الاخوان المسلمون) كلمة قيمة فى التنويه بديوان (ابن الفر ؟) للشاعر النابغة الأستاذ محمود حسن اسماعيل ورد فيها كلمة (خصوبة الخيال)

والذى أعرفه أن كلمتى (الضنوج — والخصوبة) غير صحيحتين والصحيح أن يقال : (النضج والخصب) أما الكلمتان الأوليان فليستا من كلام العرب فيما أعتقد ؛ ومن أنكر فليغير والسلام .

محمود البشبيشى
(بالأسكندرية)

حول كلمة العتيد :

أرجو أن يعلم الأديب الفاضل « محمد مهدى أبو حامد » أن الكلمة التى كتب عنها تعليقه الكريم كانت فى الأصل «عنيدة» بالنون لا بالتاء فصنع بها التطبيع ما صنع ، كما لم تسلم عبارته أيضاً منه ، فقد كانت فى الأصل و «يقوض» فجملها التطبيع «يقود» بالدال لا بالضاد وكأن القدر شـــاء له ذلك ليعذرني فى خطأ لم ارتكبه ! !

ولا أذكر أنى كتبت طيلة حياتى — فى مختلف الصحف — مقالة سلمت من التطبيع ، وهو على كثرته — واضح يفطن إليه المتأمل ، وسبحان من تفرد وحده بالكمال .

هذا وللأديب الناقد شكرى وتحياتى .

محمد رجب البيومى



الخجـــول !!

للكاتبة الأنجليزية كاترين مانسفيلد

للأديب محمد فتحى عبد الوهاب

كان فى الواقع شخصا خجولاً بكل معانى الخجل، ولا يملك مطلقاً ما يقوله عن نفسه. وياله من خجل! إذا كان فى غرفتك فإنك لا تدرى أين تذهب، ولكنه يظل جالساً حتى يخيل إليك أنك ستنفجر حتماً صارخاً. وتتحرق شوقاً لقذف أى شىء وراءه، عند ما يندفع أخيراً إلى الخارج.

وهو يسترعى اهتمامك عند أول نظرة. وقد تذهب إلى المقهى ذات مساء فتراه جالساً فى ركن منها، وقدح القهوة موضوعاً أمامه. أنه فتى أسمر البشرة، رفيع القامة يرتدى صدرة صوفية زرقاء وسترة رمادية ذات أكمام قصيرة تظهره كصبى عازم على الهروب إلى البحر، صبى هارب فعلاً وها هو ذا يقوم فى لحظة وقد حمل على طرف عصاه منديله المعقود الذى يحوى رداء نومه وصورة والدته ... وها هو ذا يتعثر ليلاً على حافة الجسر الخشبى فى طريقه إلى السفينة.

كان له شعر قصير، وعينان رماديتان بأهداب طويلة ووجنات بيض، وفم متجهم كأنه على وشك البكاء. وكيف تقاوم النساء أغراءه؟ أن قلوبهن لتلتوى عند ما ينظرون إليه. وكان خجله يزيده جاذبية حتى أن وجهه كان يتحول قرمزيا فى كل مرة يقترب منه خادم المقهى، كأنه سجين هارب يعلم ذلك الخادم ماضيه.

وقالت إحدى السيدات «من هو يا عزيزتى ... أتعرفينه؟»

فقالت الأخرى! نعم أعرفه. أنه أيان فرنش، وهو رسام ماهر. أن أول من تعرفت به وهبته حنان المرأة وعنايتها. وكانت تسأله عن أهله، وما يكفيه من الأغطية على فراشه، وكمية اللبن التى يشربها يومياً. ولكنها عند ما ذهبت إلى داره لتلقى نظرة

حول لفظة:

جاء فى كلمة الأستاذ الفاضل السيد محمد مهدى أبو حامد فى البريد الأدبى للرسالة الغراء قوله: «وهذا ما يحضرنى الآن من الألفاظ الدالة على معنى (القدم) ولا أقول هذا كل ما فى اللغة فى هذا المعنى إذ ربما يطلع علينا بألفاظ أخر من المراجع اللغوية (الرقيب العتيد) الأستاذ عدنان وذلك ما كنا نبغى».

وقبل الكلام أقدم الشكر الخالص للأستاذ المهدى على حسن ظنه وجميل شعوره، نحو هذا الضعيف — القوى بالله — وأقول إن ما رآه الأستاذ الأديب ورواه حول لفظة (العتيد) صواب كله وليس لمستزيد عليه مزيد، ولا الرقيب العتيد.

ثم أقول: ومن الألفاظ الدالة على (القدم) — وذلك بالإضافة إلى (العتيق والقديم والمهيد) قولهم: الأبيد والدهير والتليد والسحيق، وفى مقام القياس: الزمين — إن شئت — والأزيل من الزمن والأزل ... وهى كلها ألفاظ تدل على القدم، والخلود بعد العدم ...

(الزيتون) عدنان

من مؤلفات ابن طولون:

قال الدكتور أسعد طلس فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق: وقد نشر لابن طولون من المؤلفات ثلاث رسائل: (الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون) ورسالة (الشمعة المضية فى أخبار القلعة الدمشقية) ورسالة (اللمعة فى تاريخ المزة). مع أن مكتبة القدسى بالقاهرة كانت طبعت قبل ذلك من كتب ابن طولون (اللمعات البرقية فى النكت التاريخية) سرد فيها كثيراً من الحوادث والتراجم التى لا يوجد بعضها فى غيرها، و (إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين) ذكر فيه الكتب التى بعث بها النبى عليه الصلاة والسلام إلى الملوك، و (تبييض الطرس بما ورد فى السمر ليالى العرس).

محمد أسامة عليبة

على جواربه ، جعلت تطرق البـاب دون مجيب ، مع أنها تقسم أنهـا كانت تسمع تردد أنفاسه داخل الغرفة . ووقفت تنتظر وتنتظر ... دون جدوى .

وقررت الثانية أن توقعه فى شراك الحب . فقربته منهـا ، ودعته بالصبى ، وانحنت فوقه لينتشى من العطر الفاخر الذى يفوح من شعرها . وأخذته بين ذراعيها ، وحدثته عن مباهج الحياة التى لا يتذوقها إلا كل مقـدام جرىء . ثم ذهبت إلى غرفته ذات مساء ، وقرعت الباب ثم قرعت ... دون جدوى .

وقالت الثالثة أن التسلية هي ما يحتاجه هذا الصبى . فذهبت به إلى المقاهى والملاهى وأماكن الرقص وطفقت تذيقه الخمر . ولـكن كل ذلك لم يحرك شعرة من رأسه . وثمل مرة ، ولـكنه جلس صامتاً جامداً كالحجر الأصم ، وقد علت وجنتيه بقعتان قرمزيتان . وعنـد ما عادت به إلى غرفته كان قد استرد وعيه ، لخياهـا فى الشارع كأنهما قادمان من كنيسة ... وحاولت ثم حاولت ... دون جدوى . !!

* * *

وبعد محاولات عديدة يأسن منه النساء — لأن روح العطف لا تموت عندهن إلا بصعوبة — ومع ذلك فكن لطيفات معه ، يدعونه فى معارضهن ، ويحادثنه فى المقهى . وكان هذا هو كل ما يستطعن الحصول عليه منه .

واعتقدن تمام الاعتقاد أنه يوجـد شىء صايب مستخفياً فى طيات نفسه . أنه لا يمكن أن يكون بريئاً كما يظهر لهن . ولماذا تجىء إلى باريس إذا كنت تريد أن تكون زنبقة فى الحقل ؟ أنهن لا يشتهين ولـكن .

* * *

كان يعيش فى أعلى بناء شامخ بجانب النهر ، من تلك المبانى التى تخالها خيالية فى الليالى المطرة والقمرية ، وإذا بك لاتشم فى داخلها رائحة الخيال طوال السنة . وكانت غرفته تطل على منظر ساحر والنافـذتان الـكبيرتان تشرفان على الماء حيث الزوارق تتأرجح وتتمايل . وكان أمام النافذة الجانبية منزل صغير يطل على سوق لبيع الزهور تظللها مظلات عـديدة انسابت من شقوقها الأزهار حقاً أنه لا يحتاج إلى الخروج ، فهو يجد ما يجتذبه إذا ما جلس بجانب النافذه ، وما يجعله يمكث فى غرفته إلى ما شاء الله حتى لو أبيضت لحيته واستطالت .

كم تكون دهشة هؤلاء السيدات اللاتى تحدثن عنـه إذا ما تمـكن من اغتصاب باب غرفته ؟ لقد كانت غرفته مثالاً للعناية والنظافة وحسن الترتيب ، فالأوانى معلقة على الحائط خلف الموقد الغازى ، وطبق البيض وقدح اللبن وأبريق الشاى على الأرفف ، والـكتب والمصباح على المـائدة ، والستارة الهندية المزركشة بالرسومات منسدلة على فراشه ، واللوحة الصغيرة المنمقة أمام عينيه بجانب الفراش وقد كتب عليها بخط واضح « استيقظ بسرعة »

كان كل يوم عنده مثل سابقه . فعند ما يغمر الضوء غرفته يستميت فى عمله ، ثم يطهى طعامه وينظف حجرته . ويذهب فى المساء إلى المقهى ، أو يجلس يقرأ ويكتب قائمة معقدة يبدأهـا « ما الذى يمكنى عمـله ؟ » ويختمها بقسم « أقسم ألا أزيد عن صرف هذا المبلغ فى الشهر القادم . الأمضاء — أيان فرنش » .

لم يكن هناك ما يدعو إلى الريبة فى كل هـذا ، كما يدعين . ومع ذلك فقد كن على حق ، لأن ذلك لم يكن كل شىء .

فى ذات مساء كان جالساً بجانب النافذة يأكل البرقوق ويرمى بالنواة على قمة المظلات فى سوق الأزهار الخالية . وكانت السماء تجود مطراً ، أول مطر للخريف فى ذلك العام . والبرق يلمع فى كل مكان ، والهواء يحمل فى جوانحه شذى البراعم ، وقد خفتت الأصوات التى ما زال صداها يرن فى الجو القاتم ، واقترب الناس من نوافذهم يتطلعون إلى فعل الطبيعة ، ويشاهدون الأشجار وقد بدأت تورق وتزدهر . وساءل نفسه أى نوع من الأشـجار تلك التى يشاهدها ؟ وأقبل العامل المـكلف بإنارة مصابيح الشارع ، وابتدأ فى إضاءة المصباح القائم بجانب المنزل أمامه ، ذلك البيت المتداعى . وفجأة كاستجابة لنظراته ، فتح مصراعا نافذة وأقبلت فتاة إلى الشرفة تحمل أصيصاً من الأقحوان . كانت نحيفة نحافة ملفتة للأنظار ، وترتدى مئزراً قاتماً ، وقد عقدت على شـعرها منديلا وهى مشمرة الأكمام وذراعاها يلمعان فى الظلام .

وسمعها تقـول « نعم ، إن الجو حار وذلك يساعد الزهور على النمو » ثم وضعت الأصيص على الأرض والتفتت إلى من تحدثه داخل الغرفة .. ثم استدارت ووضعت يديها على المنديل وجعلت تنظم خصلات شعرها ، وألقت نظرة على السوق الخالية

ثم إلى السماء ، ولـكنها لم تلتفت إليه كأن المكان الموجود فيه ليس إلا خلاء ، وكأنه لا يوجد أمامها منزل مقام . ثم اختفت داخل الغرفة .

وسـقط قلبه من نافذة غرفته إلى شرفة المنزل المقابل ، واستقر داخل أصيص الأقحوان تحت البراعم التى كانت على وشك التفتح . وسمع أصوات الأطباق وهى تغسلها بعد العشاء ، ثم أقبلت إلى النافذة ، ونفضت ممسحة صغيرة فى الهواء ثم علقتها على مسمار حتى تجف .

... لم يسمعها مرة تغنى أو ترفع ذراعيها إلى القمر كما تفعل الفتيات . كانت ترتدى دائماً نفس المئزر القاتم وعلى شعرها ذلك المنديل الأحمر . من يعيش معها ؟ إنه لم يشاهد سواها بالقرب من هاتين النافذتين . ومع ذلك فكانت كثيراً ما تتحدث إلى من بالغرفة . لعلها والدتها العاجزة . ولعل والدها توفى . ولعله كان صحفياً شاحب اللون طويل الشارب أسود الشعر .

أنهما يعملان طوال اليوم ما يكفى لدهما بالقوت الضرورى ولـكنهما لا يخرجان من منزلهما قط ، ولم يشاهد لهما أصدقاء .

وعند ما جلس على مائدته ، كان عليه أن يكتب إقراراً جديداً وقسما جديداً بألا يذهب إلى النافذة إلا فى سـاعات معينة ، وألا يفكر فيها حتى ينتهى من عمله اليومى .

كان ذلك بسيط جداً . لقد كانت المخلوقة الوحيدة التى يود أن يتعرف بها . أنه لا يحتمل الفتيات الضاحكات ولا يجديه أن يتعرف بالنساء الناضجات . لقد كانت فى مثل سنه وعلى شاكلته .

وجلس فى غرفته متعباً ، مسنداً ذراعيه خلف رأسه ، محدقا ناحية نافذتها . وتخيل نفسه موجوداً معها وجمل يصفها لنفسه كما يصورها له خياله . كانت ذات طبع حاد . وكثيراً ما كانا يتشاجران فى حرارة . وكانت لها طريقتها فى الوقوف أمامه فى عناد وغضب . ولم يشاهدها تبتسم إلا نادراً عند ما كانت تخبره عن الهرة الصغيرة التى تربيها ، والتى كانت تزأر كأنها الأسد عندما تقدم لها الطعام . واعتاد الجلوس بجانبها فى هدوء كما يجلس الآن وقد أطبقت يديها على حجرها ووضعت قدميها تحت المقعد الجالسة عليه ، وهى تتحدث فى صوت خفيض أو تظل صامتة ، مجهدة من عناء عمل اليوم . ولم تسأله بالطبع عن عمله . وكان يرسمها فى أوضاع جميلة . ولـكنها كانت تكره كل هذه الرسومات ، وتدعى أنها لا تمثلها مطلقاً . ولـكنه معذور ... إنه لم يتعرف بها حتى الآن . ومن يدرى ؟ فلعل ذلك يستغرق منه سنين طويلة .

ثم وجد أنها تخرج مساء كل خميس لتشتر حاجيات المنزل . ولاحظها خميسين متتاليين وهى واقفة أمام النافذة ، وقد ارتدت معطفاً قديماً حملت سـلة فى يدها . كان لا يمكنه مشاهدة باب منزلها وهو جالس فى غرفته . ولـكن فى مساء الخميس التالى وفى نفس الوقت ، اختطف معطفه وهرول خارجا .

وارتـكن بجانب منزله منتظراً قدومها . لم يكن لديه أية فـكرة عما سيفعله أو سيقوله . ثم أقبلت مسرعة فى خطوات قصيرة خفيفة . ما الذى سيفعله معها ؟ إن كل ما يستطيعه هو أن يقتفى أثرها ... ذهبت إلى البقال وأمضت هناك وقتاً طويلا ، ثم توجهت إلى القصاب ، وجلست تنتظر دورها ، ثم مكثت دهراً عند الخائط . وأخيراً قصدت إلى الفاكهى ، واشترت منه ليمونة وجمل يراقبها وهى تحدث الفاكهى . أنه يشعر أكثر من ذى قبل بأنه يجب أن يتعرف بها . لقد أحب فيها هدوءها ورزانتها ووحدتها وطريقة مشيها ، ووجد فيها كل ما ينشده فى امرأة .

كانت سائرة فى طريقها إلى المنزل عندما رجع يلاحقها . وتوجهت فجأة إلى اللبان ، ورآها من خلال النافذة وهى تشترى بيضة أمسكت بها فى عناية ، بيضة كتلك التى يختارها لنفسه دائماً . وخرجت من الحانوت وتابعت سيرها . وجاءته فـكرة . فلم يتردد فى دخول الحانوت ومكث هناك لحظة . ثم حث الخطى حتى وجد نفسه يسير وراءها . وخلفت منزله عابرة سوق الأزهار مخترقة المظلات الـكبيرة وهى تطىء بأقدامها الزهور المتساقطة على الأرض وزحف داخل منزلها ، وصعد السلم محاولا أن يكون وقع أقدامه ملائماً لوقع خطواتها حتى لا تلاحظ وجوده . وعندما وقفت بجانب الباب ووضعت المفتاح فى الثقب ، أسرع وواجهها فالتفت إليه فى تساؤل .

... واحمر وجهه أكثر من المعتاد ، ولـكنه نظر إليها فى جرأة ، وقال فى صوت تلوح عليه رنات الغضب المـكبوت وقد علت وجهه حمرة الخجل «أرجو المعذرة يا آنسة . لقد سقط منك هذا وقدم لها ... بيضة !!

محمد فهمي عبد الوهاب

(اسكندرية)

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٠ — الاثنين ٢٣ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

16 em Année No. 790 | Lundi — 23 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بدار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٦٧ — ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

يهوه على الأرض

للأستاذ نقولا الحداد

جاءنا برنادوت المجيء الثانى بأوامر ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكنه هو أنزل أو يريد أن ينزل سلطانا . جاءنا بأمر هدنة لا نهاية لها . والعادة أن الهدنة يقترحها أحد المتحاربين ويقبلها الآخر لأن كلا من الفريقين يحتاج إليها لغرض واحد كأن يتفقا على دفن قتلاهما . ولكن هذه الهدنة فرضها برنادوت فرضاً لأجل غير مسمى بلا لزوم ... بسلطان مَن فرضها ؟ — بسلطان مجلس الأمن ... يحتاج إليها اليهود ولا يريدها العرب ؛ ولكن مجلس الأمن أمر ، وأمره الأمر . لماذا ! لعل هذا المجلس هو الله على الأرض ؟ ... ونحن لا نعرف إلهاً على الأرض إلا ما نسمع اليهود ينادونه حيناً بعد حين : « يا إله اليهود » كذا يدعون ويتوسلون ويصلون . . فمن هو إله اليهود هذا ؟ هل هو غير إله المسلمين والمسيحيين ؟ — يظهر أنه إله آخر غير إله العالم كله . بحثنا عنه فى توراتهم فإذا هو الجنرال يهوه رب الجنود . انظر سفر الخروج ٦ : ٣ ومعناه « سيصير » أى أنه سرمدى . واسمه أيضاً أهيه الذى أهيه ومعناه « يكون » خروج ٣ : ١٤ ونصوص التوراة تصور لنا يهوه إنساناً عظيماً يخاطب البشر ويأمر موسى ويوشع أوامر لا تطابق التعاليم الدينية الصالحة كسفك الدم والنهب . ويغضب وينتقم ، إلى غير ذلك من أخلاق البشر . والله منزه عن كل هذه الصفات .

فهل نزل إلههم إلى الأرض لكى يصدر أوامر كما كان يصدر أوامر إلى يشوع حين جمل يغزو أرض كنعان بسفك دم ونهب وتقتيل كبار وصغار ورجال ونساء ؟

إذا كانت هذه الهدنة أبدية فالمعنى أن الحرب انتهت . على أى اتفاق انتهت ؟

هل يريد مجلس الأمن أن يفرض معاهدة خاصة على اتفاق خاص فرضاً ؟ العادة أن الاتفاق يتم برضى الفريقين وإلا فلا اتفاق وإذن فلاهدنة ، وإذن يكون إرغام أحد الفريقين على المهادنة دون الآخر هو بأمر يهوه . وقد قال برنادوت أمس فى صراحة بهذا الصدد « أنه سيبلغ مجلس الأمن عن الفريق الذى ينقض الهدنة والمجلس يقرر العقوبة . ولكن ليس معنى هذا أن الفريق الآخر يجوز له أن ينقضها بل يجب عليه يحافظ عليها » ومعنى هذا الكلام اللغو : أنه إذا هجم اليهود بألفى جندى على القدس القديمة يجب أن تبقى الحامية العربية التى فيها مكتوفة الأيدى تتلقى رصاص اليهود بصدورها .

وما على برنادوت إلا أن يبلغ الخبر إلى مجلس الأمن وينتظر الجواب !

هذه هى شريعة يهوه جنرال اليهود الذى نزل إلى الأرض فى هذه الأيام !

* * *

طلب السير ألكسندر كادوجان إلى مجلس الأمن أن يرسل ١٠٠ ألف جنيه للاجئين العرب فرفض المجلس هذا الطلب !

ألو كان شرتوك هو الذى طلب هذا الطلب فهل كان مجلس الأمن يرفض ؟ من كلف كادوجان أن يطلب إعانة للاجئى العرب ؟ ومن قال له أن العرب يقبلون إحساناً من أية أمة ؟ فى حين أن قسما كبيراً من مالية هيئة الأمم هو من الدول العربية . والدول العربية كلها قررت أن تفرض ضريبة خاصة لإعانة المنكوبين. ولكن هى إنجلترا كالثعلب تتظاهر أحياناً بالعطف على العرب فى حين أنها تغدر بهم فى الخفاء .

إن المائة ألف التى اقترحها كادوجان لا تكفى إلا ربمائة ألف لاجىء أسبوعين . والملك عبد الله ينفق كل يوم ٢٢٠٠ جنيه ثمن خبز للاجئين عنده .

* * *

جاء برنادوت بمهمة وضع مشروع لفلسطين يقبله العرب واليهود . وقد جرب حظه فى الهدنة السابقة فخاب سعيه ؛ لأن المشروع عقيم ، وبرنادوت لا يستطيع أن يخصب العقيم . وهو يعلم شرط العرب الذى لا يقبل الجدل بتاتاً ، وهو عروبة فلسطين التامة . فلماذا يضيع وقته ووقتنا فى طلب المستحيل . إذن ستبقى الهدنة إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين . فما معنى هذه الهدنة الأبدية وما الغرض منها ؟ أيريد سمو الكونت برنادوت أن يصيف ويشتى ، ويصيف ويشتى ، فى رودس إلى ما شاء الله على حساب هيئة الأمم ؟ ما أسخف منه إلا المجلس الذى انتدبه . لو كان شريف المحتد كما يقال وله شئ من كرامة النفس لما قبل هذه المهمة غير الشريفة .

جعل برنادوت مسألة اللاجئين العرب فى مقدمة مساعيه . يريد على زعمه رجوع العرب الفارين من وحشية اليهود وتفظيعهم على الرغم من أن اليهود يرفضون رجوعهم بل يريدون أن يؤتى بيهود من الخارج يحلون محل العرب المهاجرين .

على أى أساس يقترح برنادوت رجوع المهاجرين العرب ؟ هل يضمن أن اليهود لا يعيدون تمثيل دور دير يس الفظيع ؟ أم هل يسمح بأن يتسلح العرب الراجعون تسليحاً كاملا ضخماً لكى يدرأوا عنهم شر أولئك الوحوش الطغاة ؟

أم يقول إنه يأخذ على اليهود عهداً بأن يكونوا قدسيين إنسانيين . وإذا كنا لا نصدق عهود كبريات الدول فهل نصدق عهود أبنائها اليهود المدللين؟

ثم يقترح برنادوت أن يغاث العرب اللاجئين مدة تشردهم عن بلادهم إلى أن يعودوا إلى بلادهم . وهناك ماذا يكون ؟ هل يتقدم أصحابه اليهود لإطعامهم وإيوائهم بعد أن هدموا منازلهم ونهبوا بيوتهم وساقوا أنعامهم ولم يبق لهم لا مأوى ولا طعام حتى ولا زرع يستغلونه ، لأن اليهود أحرقوا الزرع واستغلوا ما استغلوا منه .

هل فكر الفيلسوف برنادوت حلال المشاكل فى كل هذا قبل أن يرحل إلى بلاده لكى يحضر مؤتمر الصليب الأحمر ؟ أم أن المنكوبين يصومون نياماً تحت الشجر إلى أن يعود بالسلامة ؟

* * *

يقول إنه سيعود إلى بلاده لكى يحضر مؤتمر الصليب الأحمر ، وبعد ذلك يعود لكى يبسط مشروعه بشأن فلسطين ويهتم بالعقدة العربية الصهيونية . يعنى ما دامت الهدنة أبدية فلا بأس أن يؤجل ويسوف ولا يهمه أن يقلق الناس فى الشرق العربى على المصير . إذن لا يستطيع أن يفعل شيئاً الآن ونحن نعلم أنه لا يستطيع . فعليه إذن أن ينفض يده من هذه المهمة المقيمة والعرب وحدهم يمكنهم حل هذه المشكلة . فلماذا يتعب نفسه فيما لا طائل تحته ؟ لسنا نصبر إلى أن يقوم فى « كيف » برنادوت أن يقضى أمراً أو يقول كلمة . ونحن عندنا مشردون معذبون يجب أن يعودوا إلى بلادهم مطمئنين لا أن يحتلها قوم جاءوا من آخر الدنيا غزاة طغاة . وعندنا جيوش واقفة فى الميادين معطلة عن العمل . فإذا لم يستطع برنادوت أن يأتى بحل للعقدة لكى ينفرط عقد هذه الجيوش وتعود إلى مواطنها ، فلا أقل من أن تنزل الجيوش للميدان وتحل العقدة بسيف الاسكندر . دعنا نحن نحل العقدة ، فنحلها بسهولة .

لا نسمح أن تحل العقدة بأن يرخى برنادوت العنان قليلا لليهود لكى يتقدموا خطوة ، ثم يشد العنان للعرب لكى يتأخروا خطوة . هذا أسلوب ماكر خبيث لا يسمح به العرب . كفى ضحكا سخيفا على الذقون .

* * *

والآن نوجه العتاب إلى الجامعة العربية الموقرة : أن العالم

ما أشبه الليلة بالبارحة ؟

مكر يهود

للأستاذ عمر الخطيب

[إن فى العار الذى يكلل رؤوس العرب ، وإن فى العار الذى يجلل رؤوس اليهود ، لمادة ثرة للخيال المبدع ، ومداداً فياضاً للقلم الخالق]

« الأستاذ الزيات »

على البطاح المطلة على (يثرب) ، وبين تلك الشعاب البيض التى تمج بالرمال ، وتنام فى أحضان الجبال ، تسكن قبيلتان جمعت بينهما وشائج القربى وأواصر النسب ، وفرقت بينهما شريعة الصحراء ، والجهالة الجهلاء ، هما (الأوس والخزرج) اللتان استفحل العداء بينهما ، وأكل قلوب زعمائهما وأودى بهما إلى حروب طاحنة ومعارك دامية ، أرثت بينهما نوازع الشر ، والتهمت الشباب الغض ، حتى أصبحوا لا يفترقون من وقعة حتى يجمع بينهما أخرى ، وما يجف الدم من معركة حتى يسيل ثانية ويفور :

إذا افترقوا من وقعة جمعتهم دماء لأخرى ما يطال نجيمها

وآخرها تمخضت عنه هذه الأحداث النكراء ، والترات الدكناء حرب كبرى لم يشهد العرب لها مثيلاً ، أورت الجزيرة زناد الفتنة ، وشطرت العرب أشطاراً متناحرة ، وجعلتهم أحزاباً متنافرة ، تلك هى حرب (بُعاث) التى تجندل فى حومتها الفرسان وسارت بحديثها الركبان ، والتى كان للشعراء فيها معارك أخرى ليست الألسنة فيها بأقل إيلاماً من السيوف ، ولا القصائد بأدنى تأثيراً من السهام ؛ وإذا كان السيف المهند يطيح بالرأس ، والسهم المريّش يزهق النفس ، فإن اللسان العضب يخدش العرض الكريم بالمذمة ، والقريض القوى يطعن الأنف الحمى بالمهانة ...

***

ولما أن ظهر فى الجزيرة (محمد) يحمل رسالة الله وشرعة الحق ، ويدعو العرب إلى دين الأخاء والمساواة ، ومبدأ العدالة والنور ، استشار العربُ أحبار اليهود فى أمر هذا النبى الجديد وقالوا لهم : « يا معشر يهود ! إنكم أهل الكتاب الأول ، وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه »[1]. فخالفوا بذلك شريعة التوحيد ، وناقضوا تعاليم التوراة .

بيد أنه لم يمض غير قليل حتى اشتد أزر هذا الدين ، وقوى ساعد هذه الدعوة ، والتف العرب حولها ، واستبسلوا فى سبيلها ، إذ كانت حمامة السلام بين القبائل المتلاحمة ، والأحزاب المتخاصمة طمست من بينهم معالم الشر ، وأطفأت نار الحرب ، وجعلت من هؤلاء الأعراب الجفاة خير عون وأقوى نصير ، وإذا بالأوس والخزرج تتآخيان بعد التلاحى ، وتتصافيان بعد التجافى ،

(١) يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون فى كتابه (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) : « كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى ، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ... »

العربى كله يضج بسبب طول أناة الجامعة وصراعاتها إحساس بعض الدول الكبرى وخاطر مجلس الأمن ، وقد علمنا أن مجلس الأمن كهيئة الأمم مؤتمر للصوفية . وفهمنا أن الإنجليز الذين يتظاهرون بالعطف على العرب أحياناً وبالعطف على اليهود أخرى هم أروغ من ثعلب . فحتى متى تصبر الجامعة على هذا المكر الدولى ؟

اليهود ينقضون الهدنة كل يوم ، فهذا يسوغ لنا أن ننقضها أيضاً وأن توعز الجامعة إلى الجيوش العربية أن تنقض على اليهود فى فلسطين فى وقت واحد ، وتقذف بهم إلى بحر تل أبيب ، فتخلص البلاد من شرهم وتحرر إخواننا العرب الذين وقعوا بين براثنهم فى يافا وحيفا وعكا .

كفى ياسادة صبراً وأملا بالسراب ! إن كنتم تحسبون حساباً لمساعدة الدول العظمى لليهود فخير لنا أن ننكسر فى حرب تشنها كل الدول علينا من أن ندع السرطان الإسرائيلى يتغلغل فى بلادنا ويقضى على حريتنا قضاء مبرماً . الانهزام فى حرب دولية ولا الاستخذاء للصهيونية ...

نقولا الحداد

وتسيران معاً في ركاب هذا الدين الجديد ، تحت قيادة الرسول العظيم ...

ولما هاجر إلى المدينة كانوا (أنصاره) الصادقين ، وأصحابه المخلصين ، آمنوا به وآزروه ، وعاهدوه على أن ينصروه ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم ، واستقبلوا إخوانهم المهاجرين أحسن استقبال ، وأنزلوهم خير منزل حتى ليقول عبد الرحمن بن عوف في حديث له : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بيني وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع : إني أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتيّ هويت ، نزلتُ لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها ... »

وهكذا تكوّن من هؤلاء جيش الإسلام الأول وفرسانه الكماة وأبطاله المغاوير الذين بذلوا في سبيله أموالهم وأرخصوا أرواحهم ، حتى أعزه الله ، وساد الجزيرة ، وعم صداه أرجاء المعمورة ...

* * *

شهد (يهود) هذا التحالف القوي والإخاء المتين ، وأوجسوا شراً من هذا الدين ، وأجمعوا على الكيد بمحمد ، والمكر بأصحابه لأنهم علموا أن هذا الدين – لا محالة – سيعلو ، وإن هذا الرسول سيقوى ، وإن القوة ستحمي ذمار الحق حتى ينتصر ويسود ، ولما أنهم (أهل كتاب) يعلمون صدق الرسول في دعواه ، يئسوا من القضاء على دعوته ، واتفقوا على المكر به وبصحابته ، واليهود أبطال الكيد في الخفاء ، وأهل الخيانة والمكر ، لا تعجزهم الحيل ، ولا يتورعون عن الغدر !

أما من حيث مكرهم برسول الله ، فقد حرّضوا (لبيد بن الأعصم) الذي اشتهر بعداوته للرسول وشدة البغض له فسحره ، بيد أن جبريل أخبره بذلك السحر وبمكانه ، ورد الله كيد الخائنين ، وعفا رسول الله عن لبيد وقال : « أما أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً » (يعني بقتله) .

وأرادوا بعد ذلك أن يمكروا بأصحاب الرسول ويفرّقوا جمعهم ، حتى ينفّضوا عن (محمد) ويعتزلوا دينه ، فيبقى وحده في الميدان دون نصير يمنعه ويؤيده ، بعد أن كذّبته (قريش) ، واشتدت في إيذائه ، وأجمعت على قتله ، وتفريق دمه بين القبائل ، فلبثوا يرتقبون الفرص ، ويحيكون الدسائس ...

* * *

خرج (شاس بن قيس) ، وهو من أحبار اليهود وزبانيتهم يجوب في أطراف يثرب يوماً وحوله بعض أعوانه ، وقد بيّت في نفسه شراً ، بعد أن ضاقت به الحيل ، وتقطعت به أسباب المكر ، فألفى (الأنصار) مجتمعين ، وقد رفرف فوقهم طائر اليمن والخير مستبشرة نفوسهم ، متهللة أساريرهم ، ترقص قلوبهم طرباً بهذا (الإسلام) الذي جمع بينهم ، ووحد صفوفهم ، وأزال من بينهم الضغائن والإحن وأبدلهم بها حباً وإخاء ، وألف بين قلوبهم برابطة الإيمان ، فأصبحوا بنعمته إخواناً ...

شهد هذا اليهودي الماكر ، هذا المجلس الهادئ ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال : « قد اجتمع بنو قيلة[1] والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار » . وأزمع على أن يمكر صفوهم ، ويوقع بينهم ، فرجع بذهنه إلى يوم (بُعاث) ، وما كان فيه بينهم من هجاء وعداء ، فوجد فيه مجالا للاستغلال ، وموطناً لإثارة الأحقاد الدفينة ، وأيقن أنه يستطيع أن يفض مجلسهم ، ويحرك أنفسهم ، حتى تعود الخصومة بينهم أشد مما كانت ، فتفل عزائمهم ، وتحل روابطهم ... ويرجعوا أقواماً متلاحين ، وقبائل متخاصمين ، ويتفرقوا عن (محمد) ، ويتخلوا عن تأييد رسالته ، وهذا ما تتقطع دونه أعناق يهود ، وينفقون في سبيله أعز ما لديهم ...

التفت هذا الغادر إلى واحد من أعوانه فوسوس إليه : أن يعمد إلى مجلس (الأنصار) فيجلس معهم ثم يذكر يوم (بُعاث) وينشدهم قصائد شعرائهم ، ويعمل على المكر بهم ، والقضاء على إلفهم ...

* * *

لم يدر (الأنصار) كيف تسلل إليهم هذا اليهودي الخبيث ولم ينتبهوا لمهمته ، ولم يتيقظوا لمكيدته ، فوقف بينهم يذكر يوم (بعاث) ، وينشدهم ما كانوا يتقاولون به من أشعار ، ويؤلّب الأوس على الخزرج ، حتى وقعت الواقعة ، فذكر القوم ذلك اليوم ، وتنازعوا وتفاخروا ، وأنشد كل أقوال شاعرهم ، ونادى

(١) هو اسم أمهم قيلة بنت كاهل .

الاتجاهات الحديثة في الإسلام : (*)

أسس الفكر الاسلامى

للاستاذ ه . ا . ر . جب

أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد وعضو مجمع فؤاد للغة العربية

إذا أردنا أن نحيط علماً بالتيارات الفكرية الدينية بين المسلمين اليوم ، واجهتنا صعوبة عملية . فلم تحدث حركة فكرية من غير أن يكون لها تأثير . وسواء كانت دوافعها كثيرة وقوية أو قليلة وضعيفة ؛ فلابد من حدوث صدى لها . ولا يمكننا أن نتتبع الحركات الحديثة فى الإسلام بدون أن نرفع القواعد من الأفكار الإسلامية .

وقد يبدو واضحاً أن الأساس المقنع هو الدولة الإسلامية فى القرن التاسع عشر . . أو على الأقل الإسلام فى القرن الثامن عشر . ولكن هذه موضوعات لا زالت معلوماتنا عنها محدودة . وقد ذهب كتاب الإسلام إلى الاهتمام بالقرون الأولى إبان التقدم العلمى والدينى ، وظهور حركة الصوفية وإخوان الصفاء . وبعد القرن الثالث عشر أو ما يقرب من ذلك ، كان معتقداً أن الإسلام باق على قواعده الثابتة التى خلقها له العلماء والمشرعون والحكماء والروحانيون ، فلن يتقدم بل يتأخر . وهذا الرأى يتراءى لنا — من بعض الوجوه — أنه صحيح . والحق أنه صدر عن احد علماء الإسلام المحدثين . ولكن لم تبق نظم العقيدة والفكر سائدة أكثر من ستة قرون . وإذ تقدمت القواعد

(*) H ' A ' R ' gibb : Modern Trends in Islam ' chicago 1947

أحدث مؤلفات المستشرق المشهور ه : ا . ر . چب أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد . وقد ولد بمصر وقضى سنوات عديدة فى الدراسة والكتابة عن الإسلام والمسلمين . وقراء العربية يعرفونه من بحوثه فى مجلة الأدب والفن . وعندما كان أستاذاً زائراً للدين المقارن بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة ، وضع الأستاذ چب هذا الكتاب الذى نقدم اليوم ما تيسر من فصله الأول . وهو يكشف عن أساس وأسباب وطبيعة حركة المجددين ويحلل أهدافها ، ويشرح جهاد مفكرى الإسلام أمثال جمال الدين وأحمد خان ومحمد إقبال ، والصراع بين روح الشرق وعقل الغرب ، ويبحث القانون والمجتمع فى الإسلام ، وأخيراً يتحدث عن الإسلام = فى العالم .

وليس من شك فى أن آراء الأستاذ چب جديرة بالاهتمام . وقد أهدى كتابه هذا إلى ذكرى « محمد حسنين عبد الرازق » تخليداً لصداقة ٢٥ عاماً . (المترجم)

هؤلاء : يا آل الأوس ! ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ! ولم ينصرف اللمين إلا بعد أن احمرت الأحداق ، واحتدم الغيظ ، وثارت الأحقاد ، وتطايرت الدماء إلى الرؤوس ، وافترقوا وقد تواعدوا على القتال ...

* * *

سمع رسول الله بما أصاب الأنصار ، فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين وفى وجهه الغضب ، ووقف بينهم يرمقهم بنظرات أرجعتهم إلى صوابهم ، وأعادت إليهم رشدهم ، ثم تطلع إليهم بعينين دامعتين وقال — وقد ملك عليهم ألبابهم ، وتمكن من شغاف قلوبهم — : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! اتقوا الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ! بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم » ... ولم ينته صلى الله عليه وسلم من كلامه حتى عرف القوم أنها نزغة شيطانية ، ومكيدة يهودية ، فتعانقوا وتمتمت ألسنتهم بكلمات الأخوة الحق ، والتوبة الصادقة ، وانتثرت من محاجرهم دموع الندامة ، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عاهدوه على الإخلاص لهذا الدين ، والاعتصام بحبل الله المتين ... وإذا بوحى الله ينزل على الرسول بهذه الآيات :

« يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(١)

(دمشق — المزة)

عمر الخطيب
(فى الفيحاء)

(١) سورة آل عمران

الظاهرية للعقيدة الإسلامية فى هذه الفترة ، فإن التكوين الأصلى لحياة المسلمين الدينية ، قد اعتراه التغيير والإصلاح .

وسنمعن النظر فقط فى الظواهر الحيوية الخارجيـة التى ظهرت فى الإسلام ، مثل تكوين الامبراطورية العثمانية فى الشرق الأدنى ، وقيام امبراطورية المغول فى الهند ، ونشاط الشيعة فى فارس ، والتوسع فى أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، ونمو المجتمع الإسلامى فى الصين ، وطرد الإسبان والبرتغال من مراكش ، وامتداد نطاق الإسلام فى شرق أفريقيا وغربيها . وقد اعتبرها قدماء المؤرخين حركات حربية ، وإن عقيدة الغزو والتوسع عقيدة حية . ونحن نعرف — أكثر من قبل — الدور الذى لعبته هذه العقيدة .

إن أساس الفكر الإسلامى هو بالطبع : القرآن . وليس القرآن — كالإنجيل مجموعة كتب ذات تواريخ مختلفة وبأيدى متباينة ؛ إنه سفر من السور بلغها محمد (ص) فى السنوات العشرين الأخيرة من حياته تقريباً . فيشتمل على تعاليم دينية وأخلاقية ، ومجادلات ضد الكفار ، وخلاصات للحوادث السابقة ، وقواعد للشئون الاجتماعية والمسائل الشرعية . وقد اعتقد محمد (ص) أن كل ما جاء به من هـذه الأمور كان بوحى من الله ، إذ لم يكن مصطبغاً بفكره الخاص . إنه كلام الله نفسه قام بتلقينه الملاك جبريل . وبعد ما قاله الأستاذ دنكن بلاك مكدونلد من اقتراب العالم المجهول من العقل السامى وعن نظرة الشرقيين للنبوة ، فإن من الضرورى أن أتتبع الأسس النفسية لهذه العقيدة .

إننا قد نحيد عن الصواب إذا اعتبرناها مجرد نظرية (بديهية) متوارثة جيلا بعـد جيل منذ ألف وثلاثمائة عام . بل هى على النقيض من ذلك اعتقاد حى طالما تجدد وثبت فى عقل المسلم — وخاصة العربى — بدراسته للكتاب المقدس .

لقد عارض المسلمون المتدينون عامة فى ترجمة القرآن ، حتى إلى اللغات الإسلامية الأخرى (١)

وهـذا الاتجاه تؤيده أدلة نظرية ، منطقية فى حد ذاتها ،

(١) يرى علماء الأزهر الآن جواز ترجمة القرآن لأغراض غـير دينية بواسطة مسلمين أعاجم : أنظر نور الإسلام (مجلة الأزهر) س ٢ ص ١٢٢ — ١٣٢ ، س ٨ ص ٧٧ — ١١٢ ، ص١٢٣ - ١٣٤ ، وخاصة بحث الأستاذ محمد فريد وجدى : « الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن » ويعارض الرأى بشدة السلفى الشيخ رشيد رضا — فى كتابه : « ترجمة القرآن » ، (القاهرة ١٩٢٦) .

ولـكن يمكن أن نعارض من اعتبارات مختلفة . ذلك أن القرآن أساساً غير قابل للترجمة ، كما هو الحال فى الشعر الرصين . إن المتنبى لا يستطيع أن ينقل نبوءته إلى لغة عادية ، يمكنه أن يعبر عن نفسه فى صور متكسرة ، كما تلعب موسيقى الأصوات دوراً غير محدود فى جذب عقل السامع لتلقى الرسالة . مثلا حالة الترجمات اللاتينية والإنجليزية لـكتاب الإغريق والعبريين ؛ فقد أعطوا الـكلمات الجديدة شيئاً من القوة العاطفية ، بدون اعتماد على التركيب — وأحياناً المعنى — الأصلى .

وإن ترجمة إنجليزية للقرآن ، ينبغى أن تستخدم تعبيرات دقيقة صحيحة للعبارات الرقيقة الذهبية فى اللغة العربية ، وفى نواحى القصص والتشريع وما أشبه ذلك ، تكون الخسارة أقل خطراً ، بالرغم من أن تفكك المعلومات ، بل والظلال الجميلة والجوانب البليغة ، قد يكون لها تأثير غـير محدد . ففى جملة بسيطة مثل « بالتأكيد نحن نحيي ونميت وإلينا الرحيل (المصير) » : (verily We give life and death and unto Us is the journeying) يستحيل علينـا أن نظهر — فى الإنجليزية أو أية لغة أخرى — قوة الضمير « نحن » المكرر خمس مرات فى الـكلمات الست الأصلية (١) .

إننا لن نتطلع إلى معنى القرآن عند العربى ، حتى نتبين قيمة الدور الذى تقوم به اللغة فى تحديد المواقف السيكولوجية .

فبزوغ الحياة العقلية عند العرب — كما بين الآخرين — قد ازدهر بالخيال ، الذى ظهر فى الإبداع الفنى . ولطالما قيل إنه ليس للعرب فن ، وقد يكون هـذا صحيحاً إذا حددنا الفن بأعمال كالنحت والطلاء ... ولـكنه يكون تحديداً ظالماً خاطئاً . فالفن هو أى إنتاج يعبر فيه الشعور الجمالى عن نفسه . وهناك شك فى حاجة الناس إلى التعبير الفنى بأى شكل ، سواء فى الموسيقى أو الرقص ، أو الفنون المادية والنظرية الأخرى ... وميدان الشعور الجمالى عند العرب هو أساساً الـكلمات واللغة ، وهـذا أكثر إغراء بل أعظم ثباتاً وخطراً من سائر الفنون . إذن فمن السهل أن نفهم السبب فى أن العرب — الذين عندهم استخدام الـكلام البليغ أسمى الفنون — يرون فى القرآن أعجوبة حقيقية وعملا فوق طاقة البشر .

ولقد كان العرب والمسلمون عامة مجبرين على إنكار الأفكار

(١) سورة ٥٠ آية ٤٢ : إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (ق)

العالمية مثل « القانون الطبيعى » أو المدل المثالى ، وأظهروا الثنائية أو المادية على أنها مؤسسة على طرق مزيفة فى التفكير تنتج خيراً قليلا وشراً كثيراً . وسنرى كيف أن مصلح الإسلام الكبير — فى القرن التاسع عشر — جمال الدين الأفغانى ، صب جام غضبه على المجددين الهنود الذين حاولوا إثبات صدق الإسلام بمناقشة « تلاؤمه مع الطبيعة » . ومع أن العلماء المسلمين قد وجدوا فى المنطق والرياضات — مثلا — فائدة ، وشجعوا الأسلوب « العلمى فى التفكير ؛ إلا أنهم قد أبقوا هذه الأمور فى مراتب ثانوية .

والإجماع من مميزات الفكر الإسلامى . وهناك من حاولوا تحديده بإجماع المتعلمين ، ولكن حادثاً عجيباً فى القرن السابع عشر يبين كيف كان هذا النوع لا فائدة منه ، حتى ولو آزرته القوة الحاكمة ضد الرأى العام . فمنذ ما بدأ استعمال القهوة ينتشر فى الشرق الأدنى ، أجمع العلماء على أن شرب القهوة حرام ، وعقوبته مثل عقوبة شرب الخمر . وفعلا حوكم بعض الأفراد لانغماسهم فى شربها علانية ! (١) ولكن إرادة المجتمع تغلبت . واليوم يحتسى الجميع القهوة بحرية حتى المتزمتون الذين يعارضون الإجماع فى المبدأ .

ومن الواضح أن الإجماع كان دائماً موضع خلاف بين المحافظين والمجددين ، وهو ليس مبدأ حرية بل أساساً للسلطة ، ولو أن حكمه يقتصر على المسائل التى لم يحكم فيها القرآن أو السنة ، لذلك ولأنه قوة تسمح بما يسمى تجديدا ، فإن العلماء الروحانيين على مر العصور — من القرن الثالث إلى الوهابيين اليوم يعارضون فيما يترتب عليه ، ويقصرون شرعيته على الجيل الأول من المسلمين . هذا فى حين أن المجددين على الدوام قد اعتمدوا عليه فى توسيع مدى عدالة أعمالهم (٢) .

والاجتهاد عكس الإجماع . وقد أطلق عليه إقبال « مبدأ الحركة

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « قهوة » ، بقلم س . فان أرندنك .

(٢) يجد القارىء خلاصة لنتائج البحث فى الإجماع فى كتاب : O ' Pesle ; Le Fondements du droit musumau ' Casad lancā ' 1644 . وكذلك دائرة المعارف الإسلامية مادة إجماع بقلم د . ب . مكدونلد . وقد ظهر حديثاً كتاب (الإجماع فى الشريعة الإسلامية لصاحب المعالى على عبد الرازق بك . (المترجم)

فى الإسلام » ولابد من معرفة معنى الاجتهاد والدور الذى لعبه فى تاريخ الفكر الإسلامى . وهو — كما يعتقد بعض المجددين حرية الحكم . ومن الناحية الأدبية يعنى الاجتهاد : إجهاد النفس فى محاولة الكشف عن الأغراض الحقيقية لتعاليم القرآن والسنة . وقد عمل المتدينون على تحديد موضوعه خوفاً من أن يفتح باب المعارضة الفردية والانقسام . وأخيراً لم تبق ثغرة فى هذه المسائل لم تسد ، فأقفل باب الاجتهاد تماماً (١) .

ومهما يكن من شىء فإنها ظاهرة خطيرة للسنة الإسلامية Sunni Islam فى قبولها للاختلافات الواقعة فى الرأى فى المجتمع — ولطالما فخرت بهذا — وأحسن مثل هو المذاهب الأربعة فى الشرع : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، أسسها الأئمة الأربعة فى القرنين الثانى والثالث ، وهم جميعاً من السنيين . فهذه المذاهب — مثلا — تدرس فى جامعة الأزهر الدينية . حقاً إن الاختلافات بينها تنحصر فى نقط ضيقة فى الشرع والشعائر ، بالرغم من أن الحنابلة — بعدائهم المستحكم لكل المجددين — يعارضون الإجماع من الناحية الدينية — فى كل شىء إلا مدلوله الضيق ، وأحياناً يظهرون عدم رضائهم عن الآراء الأخرى .

(يتبع) ترجمة محمد محمد على

(١) نوقش موضوع تحديد الاجتهاد فى نور الإسلام -- مع إشارة خاصة إلى دعاوى المجددين : س ١ ص ٣٧ — ٤٢ ، ٣ ص ٢٨٤ — ٢٨٦ ، س ٤ ص ٣٩١ . وتجد الرأى الإصلاحى السلفى فى كتاب . H ' Laoust Le Califat dans la doctrine de Rachid Rida ' Beirut ' 1638

مسكويه

أبو على الخازن (*)

الأديب ، الفيلسوف ، المؤرخ ، الحكيم ، القصصى

توفى (٤٢١ هـ) — (١٠٣٠ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

نشأ فى كنف آل بويه ، وهم على رأى ابن طباطبا فى الفخرى من الفرس وليسوا من الديلم ، وإنما سموا بالديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم ، وهى فى الناحية الجنوبية الغربية من بحر قزوين ، كثيرة الأشجار والغابات ، غزيرة الأمطار ، يشتغل أهلها بصيد الأسماك والتحطيب .

وقد سميت هذه العائلة بآل بويه ، نسبة إلى بويه جدّ العائلة ومؤسسها ، وكان صياد سمك ، وكان أحد أبنائه الثلاثة معز الدولة (أبو الحسين أحمد) يقول بعد تملكه البلاد « كنت احتطب الحطب على رأسى » .

نشأت هذه العائلة المالكة من هذا الأصل الوضيع ، واستولت على الخلافة العباسية ، فعزلت الخلفاء وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق . وملكوا مئة عام من ٣٢٢ هـ إلى ٤٢١ هـ حين انقرض ملكهم وهى السنة التى توفى فيها مسكويه ، ربيبهم ، وخازنهم ، ومؤرخهم بل صديقهم الذى عاش فى نعمائهم وترعرع فى قصورهم(١) فكان نعم الصديق الحكيم المشير .

تتلمذ على الرئيس أبو على ابن سينا (توفى ٤٢٨ هـ ١٠٣٦ م) ولم يقدر الرئيس مواهبه ، وليس هو بأول نابغة يخيب ظن الأساتذة فيه . وقد ذكره الرئيس فى بعض كتبه قال « فهذه المسئلة حاضرت فيها أبا على بن مسكويه فاستعادها كرات وكان عسر الفهم ، فتركته ولم يفهمها على الوجه » . هذا معنى ما قاله

(*) أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه (أو ابن مسكويه) الرازى الأصل ، الأصفهانى المسكن والخاتمة ، كان مجوسياً فاسلم .

(١) الفخرى ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

ابن سينا لأنى كتبت الحكاية من حفظى (كذا يقول ابن القفطى فى أخبار الحكماء ص — ٢١٧) .

أما أبو حيان فى كتابه الامتاع فقد وصفه بقوله (وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وغنى بين أنبياء (١) ؟) (كذا) لأنه شاذ ، وإنما أعطيته فى هذه الأيام صفو الشرح لإيساغوجى (٢) وقاطيغو رياس (٣) من تصنيف صديقنا فى الرى (٤) (معجم الأدباء لياقوت ج ٥ — ص ٥) .

واتصل مسكويه بكبار أدباء زمانه ومنهم ابن العميد(٥) واتخذه هذا خازناً لكتبه كما ذكره أبو حيان فى كتاب الوزيرين ، وراسل بديع الزمان الهمذانى(٦) وتدرج حتى صار خازناً للملك عضد الدولة بن بويه وكان مأموناً لديه أثيراً عنده وله مناظرات ومحاضرات ...

على أن مسكويه لم يكن أديباً بارعاً فحسب بل كان مؤرخاً ممتازاً فلقد ألف كتابه الشهير « تجارب الأمم » بلغ فيه إلى بعض سنة ٣٧٢ هـ وهى السنة التى مات فيها عضد الدولة بن بويه صاحبه وهو كتاب جميل كبير يشتمل على كل ما ورد فى التاريخ مما أوجبته التجربة وتفريط من فرط وحزم من استعمل الحزم(٧) .

ولم تقتصر جهوده على الناحيتين الأدبية والتاريخية بل كان « فاضلاً فى العلوم الحكمية متميزاً فيها خبيراً فى صناعة الطب جيداً فى أصولها وفروعها وله من الكتب كتاب الأشربة وكتاب الطبيخ(٨) » .

ويقول عنه ياقوت فى معجم أدبائه(٩) (ويظهر أنه كان

(١) كذا فى الأصل ولعله قصد وغبى بين أنبياء .

(٢) المدخل إلى كتاب المنطق لأرسطو .

(٣) هو أحد كتب أرسطو المنطقية الثلاث ، وهى قاطيغورياس ، وبارى أرميناس ، وأنولوطيقا .

(٤) هو أبو سليمان المنطق ، كان معتزلا من أصحاب أبو حيان التوحيدى

(٥) الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى صاحب طريقة الشعر المنثور توفى ٣٦٠ هـ .

(٦) أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب توفى (٣٩٣ هـ)

(٧) طبعت الجزء الأول لجنة جب . كما طبع الجزءان الخامس والسادس منه .

(٨) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ١ — ٢٤٥) .

(٩) ج ٥ — ص ٥ .

مشغولا بطلب الكيمياء مفتونا بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان فلم يكن يلتفت لغير ذلك . وقد قطن العامرى الرى خمس سنين يدرس ويملى ويصنف ويروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ويظهر أنه ندم على ذلك وأنبه أصدقاؤه . ومع هذا فهو ذكى حسن الشعر ، نقى اللفظ ، ويظهر أنه كان بخيلاً) !

وقد ترك لنا صاحب الترجمة كتباً قيمة فى الأخلاق والتربية والفلسفة منها « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » و« كتاب تهذيب الأخلاق » فى التربية ، و «الطهارة فى تهذيب الأخلاق» و« الفوز الأصغر » و « لغز قابس » و كتاب « الفوز الأكبر » و « كتاب ترتيب العادات » الخ .

وله وصية أنهاها بهذه التذكرة وهو يدعو للعمل بموجبها ، وهى تشتمل على أرقى المثل العليا وأسماها ، وتلخص لنا فلسفته فى الحياة ومذهبه فى السلوك . وهى خمسة عشر باباً :

١ — إيثار الحق على الباطل فى الاعتقادات والصدق على الكذب فى الأقوال والخير على الشر فى الأفعال .

٢ — كثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ...

٣ — والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها . وأول ذلك ما بينى وبين الله جل وعز .

٤ — وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال[١] .

٥ — ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك .

٦ — والصمت فى أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل .

٧ — وحفظ الحال التى تحصل فى شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال .

٨ — والأقدام على كل ما كان صواباً .

٩ — والإشفاق على الزمان الذى هو العمر ليستعمل فى المهم دون غيره .

١٠ — وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغى .

١١ — وترك التوانى ، وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ، وترك الانفعال لهم .

(١) استرسل فى الكلام انبسط فيه واتسع ، وإليه ، انبسط إليه واستأنس ...

١٢ — وحسن احتمال الغنى والفقر ، والكرامة والهوان بجهة وجهة .

١٣ — وذكر المرض وقت الصحة ، والهم وقت السرور ، والرضا عند الغضب ، ليقل الطغى والبغى .

١٤ — وقوة الأمل وحسن الرجاء .

١٥ — والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال إليه .

هذه الشخصية النابغة ، قد تركت لنا آثاراً خالدة فى الأدب والتاريخ ، والكيمياء والطب والحكمة والأخلاق والفلسفة ، تشتمل على ناحية مجهولة لم يشر إليها الكتاب قبل الآن على ما نعلم ، تلك هى ناحية القصص .

فقد جاء فى أخبار الحكماء لابن القفطى [١] ، أن من تصانيف ابن مسكويه كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار والفوائد اللطاف . ويصف لنا ياقوت فى معجم أدبائه هذا الكتاب النادر[٢] فيقول « كتاب أنس الفريد ، مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكما وأمثالاً غير مبوب » .

وقد لفت نظرى هذا الكتاب ، وخصوصاً وإن ابن القفطى يقول عنه أنه أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار ، والفوائد اللطاف .

ولما كان هذا النوع من الأدب العربى نادراً أخذت أفتش عن هذا الكنز الضائع فى مكتبات فلسطين ومصر ، والأستانه وإيران الخ . واستعنت بقناصل تلك الدول وحكوماتها ولكن جهودى المتكررة لم تثمر مع الأسف حتى الآن .

إن الذى يكتشف لنا « كتاب الأنس الفريد» لابن مسكويه الخازن إنما يعثر على كنز ثمين ، ويضيف ثروة أدبية قيمة إلى تراث السلف الصالح .

أحمد سامح الخالدى

(١) ص ٢١٧ .

(٢) ج ٥ ٠ ص ٥ .

توبة المحروم !...

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

بقي في « نيويورك » يكدح وراء الرزق الشرود عشر سنين دائباً، ثم أصاب حظاً سعيداً بعد نحس، وارتجع (١) مالاً كثيراً بعد بؤس، فعاد — وهو على عتبة الأربعين — إلى مسقط رأسه (الميناء) (٢) بلدتنا الهادئة المنعزلة التي توشك ألا تسمع فيها الاجال الطبيعة، وألا تحفظ لها إلا الاستعصام بالتقاليد.

وما جداك أن أصف لك « ميناءنا » الجميلة، فما أراك راغباً في الوقوف على ما صنع الغنى بصاحبنا الذي أوى إلى بلدته بعد غيبة طويلة؛ فهل غردت له بلابل السعادة أغاريدها الحلوة، وهل هتفت له هتفاتها الناعمة، أم نعبت له غربان الحوادث بشقاء جديد، ولاعت قلبه بهوان شديد؟

***

علمت أنه كان في « ميناءنا » قبل أن يتسع رزقه ويرفه عيشه مضرب المثل في قناعة العفيف، وعزة الشريف، سليم الفطرة معتدل المزاج حنيف الدين؛ فرجوت ألا ينقلب مهوان عن ماضيه، ووددت لو أبقت يد غناه على ذكرى فقره فلم تمح صورتها من مخيلته، ولم تبدد آثارها في فؤاده، ولم تمر شجرتها أمام عينيه، وتمنيت أن يكون له من صدق الأريحية وكرم المهزة ما يذكره بالفقراء والمعوزين الذين لا عمل لهم في بلدتنا إلا في البحر، فلا يحرمهم من صدقات يوزعها، أو زكوات يؤديها، أو ثمرات يجبيها، أو مشروعات يحييها، أو مصانع يؤسسها، أو مدارس يفتتحها، أو ملاجيء ينشئها، وألا يكون المال قد أطغاه، وختم على قلبه فأعماه!

ولم يكن رجائي إلا كرجاء الذي أراد أن يشم الريحانة فألفاها ذابلة، فما رضخت يده خيراً، ولا اصطنعت معروفاً، ولا كسبت معدوماً، ولا أعانت في نائبة، ولا ساعدت في خطب، وإنما نثرت المال على الهوى بمنة ويسرة، وفي الشهوة عيشاً وبكرة، حتى عادت صفراء خالية، وباتت على إسرافها باكية ...

***

أبطره الغنى فملأه العجب، وأفسده الفراغ فحبب إليه الطيش فأصبح سكران لا يصحو، هيمان لا يعي، « غفلان لا يفيق » (١)، وأضحى لا يحفل في الناس أحداً، ولا يقيم لكبير وزناً، ولا يرعى لصغير حرمة، ولا يرقب في ضعيف إلا ولا ذمة، وإنما كان ينظر إلى الجميع نظارة الفيل إلى البعوض أو الجمل إلى النمل، « لايحس منهم من أحد ولا يسمع لهم ركزاً »

ومنذ ذلك الحين أمسى أهل بلدنا إذا أرادوا أن يصفوا الرجل الشهوان الذي ما ينفك يوبق جسده برغائبه، ويدسي نفسه بمعاييه، قالوا وهم يتخافتون: أهو أشد من فلان شهوة، وأكثر منه جهالة وصبوة؟!

وأنى لهم السكوت على مآثمه التي جرها عليه بذخه وسرفه، ولهوه وعبثه، وإنه لم يكتف ببنات الهوى يركبهن سيارته الفخمة، وينتقل بهن في شوارع البلدة المحافظة تحت الأسماع والأبصار، ولم يقنع بالخمرة يتهالك على شربها آناء الليل وأطراف النهار، ولا بالموائد الخضر يرودها غير ملول، ولا بالليالي الحمر يواصلها غير خجول، ولا بداره التي استحالت ندياً للأشرار، ولا بشقاقه مع الأبرار والفجار، وإنما راح يكلل جميع ذلك بشرفه يدوس عليه، وبعرضه يفرط به، وبدينه يقصر فيه، وبوطنه يحقره، حتى أضحى شعور الناس لا يأتلف إلا على مقته، وباتوا من كرههم له يديرون في أفواههم ألسنة حداداً تلمنه، وينظرون صيحة القدر الراصد تأخذه وهو يعمه في طغيانه، ويتباهى بعدوانه ...

***

ولم يطل املاء الله له واستدراجه، فما مضى عام واحد على طيشة ولهوه حتى خر من سقفه المرفوع، وتهاوت من شجرته الجذوع والفروع، وغدت جنته الفينانة ذابلة الورود، ميتة الأعشاب، ساكتة البلابل «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها

(١) جمع . (٢) الميناء أسكلة على شاطيء البحر في مدينتنا طرابلس الشام .

(١) أذكر أني رأيت لأستاذنا الزيات مثل هذا التعبير .

الشعر فى السـودان

للأستاذ على العمارى

(تتمة ما نشر فى العدد ٧٨٧)

يقول الدكتور زكى مبارك فى تقدمته لديوان الشاعر السودانى التيجانى يوسف بشير : « فما فى بلاد الله مسلمون أصدق من مسلمى السودان ، والإسلام قوة روحية سامية لا يمن الله بصفائها على غير المصطفين من عباده الأصفياء . يضاف إلى ذلك أنه عند السودانيين فضيلتين جوهريتين : فضيلة الكرامة ، وفضيلة العدل ، وتتمثل الأولى فى اعتزازهم بأنفسهم اعتزازاً هو الغاية فى شرف النفس ، أما الفضيلة الثانية فتتمثل فى صدق المعاملات ؛ فمن النادر جداً أن يحتاج من يعامل تجارهم الكبار إلى الاستعانة بالقضاء » . ثم يقول : « المسجد فى السودان هو المسجد ، ورواده هم المؤمنون ، ومسلمو السودان هم البقية الصالحة من رواد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل هذا أغناهم الله بالمعانى ، وأنزلهم منازل الكرماء » .

وأنا أعرف أن الدكتور زكى لم يهبط أرض السودان ، ولم يمتع نظره ومسامعه بمظاهر التدين عند مسلمى السودان ، وإنى محدثه — لو كان يسمع الآن ويقرأ — حديث الخبير ، فما راءٍ كمن سمع :

التدين فى البلاد السودانية ظاهرة واضحة بارزة تراها فى كل ما تقع عليه عيناك ، فالأمانة الطبيعية غير المتكلفة ، والأمن فى الأنفس والأموال ، وهذه الصلوات الخمس التى تقام جماعات فى أوقاتها ، فى الأسواق العامة ، وأمام حوانيت التجار ، وكم ملأنى غبطة وإعجاباً منظر المصلين فى ساحة المحطة الوسطى بأم درمان ، أو أمام حوانيتهم ، يؤمهم أحد التجار ، وهم بملابسهم البيض النقية خاشعين خاضعين لله ، ثم الكرم الذى لا حد له ، والإجلال لعلماء الدين ... كل هذه مظاهر محببة للتدين العميق فى نفوس القوم

ويظهر هذا التدين بصورة واضحة فى شغف السودانيين بالمدائح النبوية ، فهى أناشيدهم يترنم بها عالمهم وجاهلهم ، ويستمعون إليها ، ويستمتعون بها ، وربما كان من المألوف إذا دعيت إلى

وهى خاوية على عروشها ويقول : يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً »

وصار الناس منه على شماتة الحاقدين ، فما أدركت الشفقة عليه أحداً سواى — لا لأنى أقرب رحماً ، ولا لأنى ألين قلباً — وإنما لشعور عنيف تملكنى يومئذ وأخذ يهتف بى بلا انقطاع :

إن هذا لضحية ! ولكن ويح نفسى إن بك مثل هذا الشهوان ضحية ، فمن الجزار الذى نحاه ، وأين الساطور الذى ذبحه ؟

وما عرفت الجواب إلا حين جمعتنى بهذا المخلوق صلاة الجماعة فرأيته يدخل أول الناس ويبقى فى تضرع واستغفار آخر الناس ، فراعنى مظهره وعجبت له فدنوت منه وقد استبد بى الفضول ، ولم يحوجنى هو إلى مقدمة لا تجدى فقد فهم غرضى فالتفت إلى وكأنما شعر نحوى بالاطمئنان وحدثنى وهو يشرق بالدمع حديثاً كشف غنى الغطاء ، فصار بصرى فيه حديداً ، وحكمى عليه سديداً .

***

وقلت لصاحبى وأنا أصف له الرجل :

— « إنه لضحية يا صاح ، بيد أنه ضحية نفسه وهواه ، فنفسه كانت جزاره الذى نحاه ، وهواه كان ساطوره الذى ذبحه ، فهو فى أيام فقره وبؤسه كان قانعاً قناعة المحروم ، وفى أيام غناه وسعده كان بطراً بطر المنهوم ، وهو لولا استغناؤه لما طغى ، ولولا تخمته لما ثارت شهواته فبغى !

وهكذا الإنسان يا صاحبى يقوده الطمع فيردى ، وتعميه الشهوة فيخزى ، ويسمع بالعبرة فلا يخشى » !

***

ولكن هذا الرجل وعدنى فى بيت الله وهو ما زال عبران أن يتوب ، ولست ارتاب لحظة فى أنه قد أناب ولكنى أتساءل ما تنفع التوبة إذا لم تكن إلا فى ساعات الحاجة والحرمان ؟

(طرابلس الشام) صبحى إبراهيم الصالح

وليمة أن يكون من تتمة الإكرام أن تسمع (مديحاً) . والداحون منهم المحترفون ، وهؤلاء يدعون فى المجتمعات العامة وفى المناسبات الدينية ، كليلة الإسراء ، أو ليلة القدر ، وكثير من البيوت — هنا — تحيي ليالى رمضان بالمديح ، ومنهم من دفعته رغبة شخصية ، وآنس من نفسه جمالاً فى الصوت ، وقدرة على التنغيم والتلحين ، وهؤلاء — يمدحون — غالباً فى المجالس الخاصة . والمدائح — فى أكثر الأحايين — بالشعر الذى قيل فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمداحون يعتمدون اعتماداً كبيراً على (المجموعة النبهانية) كما يعتمد أهل الحِلات والبوادى على أشعار عامية هى غاية فى جودة المعنى ، وحسن الأداء ، ولها تأثير قوى ، يهز المشاعر ، ويحرك العواطف ، وأشهر هذه المجموعات (ديوان أبى شريعة) ، ولهذا الديوان ميزة أخرى ، ذلك أنه وثيقة هامة لمن يريد أن يدرس اللهجات العامية فى السودان ، ونصيحتى لكل من يريد أن يعالج هذا البحث أن يدرس هذا الديوان ، وأن يدرس (طبقات ودّ ضيف الله) فإن فيهما غناء أى غناء فى هذه الناحية .

ولا يفوتنى أن أذكر أن المداحين المحدثين قد أخذوا ينحرفون عن إنشاد المدائح النبوية ، ولكنهم لم ينحرفوا كثيراً ، فهم يتغنون بالقصائد التى تتصل بالعروبة والإسلام ، كأندلسية شوقى ، ورثاء حافظ للشيخ محمد عبده ، ووقفة على طلل لغنيم ، وإن كنت سمعت فى أيام العيد مداحاً يتغنى بقصيدة المتنبى (من للجآذر فى زى الرعابيب) . وقد — والله — أجاد ، لكنه ساءنى جداً حين طلبت إليه أن يسمعنا مدحة نبوية ، فقال إنه لا يحفظ من هذا النوع شيئاً .

ذكرت هذا كله لأمهد به للحديث عن غرض من أغراض الشعر فى السودان ، هو غرض غالب ذائع ، ذلك هو المدائح النبوية ، وإذا كنت فى مقالى السابق قد وصفت الشعراء بالتقليد للشعر القديم ، فإنى أقرر هنا أنهم أصلاء فى هذا الغرض ، وإن كل ما قالوه من شعر فيه ، فهو استجابة لعواطفهم الدينية ، واستجابة لبيئاتهم التى أسلفت الحديث عن مظاهر تدينها ، ولم أقرأ لشاعر هنا لم يجعل أكثر شعره فى المدائح ، وإن منها لشعراء نظموا دواوين كاملة فى هذا الغرض كديوان (روض الصفا فى مدح المصطفى) للعالم الكبير الشيخ أبى القاسم .

ولم يفت الشعراء أن يتحدثوا عن تدينهم ، واعتصامهم بالله ، وبعدهم عن طرق الغواية والهوى ؛ وحبهم فى مديح الرسول ، وارتياحهم له ، يقول الشيخ الطيب أحمد هاشم :

إن سار غيرى للهوان وللهوى فإلى العلا والمكرمات أسير
أو سامر الناس الحسان جهالة فسميرى القرآن والتفسير

ويقول الشيخ على الشامى :

إن طال ليلى فطول الليل يؤنسنى إن كان غيرى طول الليل يضجره
فإن لى فى ظلام الليل مأثرة هى الصلاة إلى المولى فتقصره

ويقول الشيخ مجذوب جلال الدين[1] :

إنى لمن معشر كانت شمائلهم محبة المصطفى فى السر والعلن
يلين قلبى لذكراه إذا تليت ويقشعر إذا ما رتلت بدنى

كما لم يفتهم أن يتحدثوا عن زهدهم فى الدنيا ، ورضاهم فيها بالقليل ، وحثهم الناس على القناعة ، والبعد عن سفاسف الأمور وصغائرها ؛ وهذا شاعر قديم عاش فى السودان منذ قرنين من الزمن هو الشيخ فرح تكتوك ، يقول صاحب (شعراء السودان)[1] فى ترجمته : « هو ولى صالح ، وشيخ من الشيوخ الثقاة وشاعر من كبار الشعراء ، له من صفاء سيرته وسريرته ما يشهد بصلاحه وتقواه ، وهو من قبيلة عرب البطاحين المشهورة فى السودان ، له فى الحكم آيات بينات ، وقصائده كلها فى الوعظ والإرشاد ، قلما ينظم فى موضوع آخر إلا ما دعت إليه الضرورة » . ومن شعره :

يا واقفاً عند أبواب السلاطين ارفق بنفسك من هم وتحزين
إن كنت تطلب عزاً لا فناء له فلا تقف عند أبواب السلاطين
واعلم بأن الذى ترجو شفاعته من البرية مسكين ابن مسكين
خل الملوك بدنياهم وما جمعوا وقم بدينك من فرض ومسنون

---

(١) هو حفيد الولى المشهور بالدامر ، وهو شاعر رقيق ، وهو يرجع سبب نبوغه فى الشعر إلى أساتذته المصريين ، ويتحدث عنهم فى كل مناسبة ، ويشيد بفضلهم ، ولا سيما الشيخ عبد الرءوف سلام .

(٢) مجموعة وضعها الأستاذ سعد ميخائيل ، تذكاراً لإقامته فى السودان ، واعترافاً بالجميل ، وبالأخلاق الكريمة التى نعم بها أثناء إقامته فى السودان ، وقد ترجم فيها لكثير من شعراء السودان ، وحلاها بصورهم ، وذكر مختارات من أشعارهم .

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما   استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
مالى أذل لمخلوق وأسأله   ولو سألت الذى أعطاه يعطينى
فلقمة من طعام البر تشبعنى   وجرعة من قليل الماء ترويني
وقطعة من قليل الثوب تسترنى   إن مت تكفننى أو عشت تكسونى

وقد تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثر القصص التى ذكرت فى السير ، كما تناولت تمجيده وتمجيد أصحابه رضوان الله عليهم ، وتتزاحم علينا الأشعار حين نريد أن نختار منها فلنكتف بقليل من كثير .

تناول الشاعران عبد الله حسن الكردى ، وجلال مجذوب قصيدة الإمام البرعى التى مطلعها :

خل الغرام لصب دمعه دمه   حيران توجده الذكرى وتعدمه

نخمساها تخميسين أعجبانى غاية الإعجاب ، وبهذه المناسبة أقول أن التخميس والتشطير من الأمور الشائعة فى الشعر السودانى ، فمن تخميس الشيخ المجذوب :

يا من تطاول فى وصل تنعمه   ونام ملء جفون العين نومه
أهنأ فما أنت صب القلب مغرمه   (خل الغرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه)
شتان بين سمير الليل ساهره   ونائم غط من بدء لآخره
أتعذل الصب يشكو بعد هاجره   (عذلته حين لم تنظر بناظره
ولا علمت الذى فى الحب يعلمه)

وينتهى من هذا الغزل إلى المديح فيقول :

لا تستوى فى الهدى الأنوار والظلم
ولا السميع كمن فى أذنه صمم
أتاهم المجتبى شمساً وعنه عموا   (حال السها غير حال البدر لو علموا
بل أهل مكة فى طغيانهم عمهوا)
يا ضيعة العمر يا عظمى خسارته   إن لم أشد رحالى نحو دارته
يا كل موصى وفيٌّ فى سفارته   كم أستنيب رفاق فى زيارته
عنى ، وما كل صب القلب مغرمُه)

ويقول الكردى :

أهوى النبي وأرجو من كرامته   خيراً ، وأطمع فى عقبى شفاعته
ومن صبابة قلبى فى مقامته   (كم أستنيب رفاق فى زيارته
عنى ، ، وما كل صب القلب مغرمه)

ويتصل بهذه المدائح شعر كثير فى ذكرى المولد النبوى ، وفى ذكرى الهجرة ، وفى ذكرى غزوة بدر ، وفى المناسبات الإسلامية المختلفة ، وليس أدل على سيادة هذا الغرض وقوته ، من أن شعراء غير مسلمين يقولون فى الأغراض الإسلامية ، ومن ذلك قصيدة الشاعر صالح أفندى بطرس فى الحث على العناية بجامع أم درمان ، ومنها :

يا مسجداً مطلت بنوه بعهده   حتى غدا وهو الحسير المعدم
بدأوك جوداً بالصنيع وأحجموا   ما كان أولى أن ذاك يتمم
بينا تشيد إذ وقفت كأنك الطـ   ـلل المحيل عفاه هام مرهم
أترى المساجد فى القديم تشاد فى   أبهى الشكول فمذهب ومرخم
وتراك تعجزهم بأن تبنى بآ   جر وتسقف (بالمروق) وتردم

على العمارى
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

عالم الغيب :

الجن فى منطق الأساطير

للشيخ محمد رجب البيومى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما العامل المادى فقد كان ذا أثر ملموس فى شيوع الخرافات حيث كانت البادية مورداً ثجاجاً لما انتشر على الألسنة من الأساطير وطالما وفد إليها المتندرون والمتظرفون ، يستعلمون ويستنبئون . وإن أحدهم ليصحب البدوى إلى حاضرته ليقص على أصحابه وذويه ما يتقنه من الترهات إزاء أجر ثمين ، وطبيعى أن يلجأ الأعرابى إلى الافتعال ، لتنفق بضاعته ، فتمتلأ حقيبته ، وهنا يطلق لخياله العنان فيزعم أنه رأى الشيطان مرة فاستضافه وأنشده الشعر ، ومرة أخرى فحاربه وصرعه ، وكلما كان البدوى شديد المبالغة فى حديثه كان أخف موقعاً فى القلوب ، وأسلس مقادة للعقول ، فإذا أخذ نصيبه المادى ورجع إلى خيمته عكف على اعتمال الأباطيل ليكون على أتم استعداد إذا طلب مرة أخرى للسمر والاستمتاع ! !

ويجدر بنا أن نشير إلى ما شاع لدى العرب من تأثير الجن فى الأجسام ، فإذا مرض منهم مريض لجأوا إلى العرافين ومن بق من ذوى الكهانات ، وهؤلاء لا يرعون فى الناس حرمة أو ذمة بل يجسدون الأوهام ، ويبلبلون الخواطر ، فيزعمون أن بالمريض مساً يجب أن يتدارك ، ويطلبون الأجور المرتفعة جزاء ما يقرءون من التعاويذ الكاذبة ، وما يصنعون من الرقى الباطلة . وقد يعشق البدوى فتاة تنتزع فؤاده من أضالعه ، وتخطف عقله من رأسه ، فيأتى به ذووه إلى العراف فيلجأ أيضاً إلى التمائم والتعاويذ ، وكأنه يرى مريض القلب لا يختلف عن مريض الجسم ، فيجعل الدواء واحداً لكلا الرجلين ، وقل فى الجهالة ما تشاء ! !

وقد يبالغ بعض العرافين فيزعم أن الجن تعشق الإنس عشقاً مبرحاً وأن الجنية تلاقى الصد والتيه ما يلقاه الإنسى ، فإذا تمكنت الصبوة من فؤادها ، سلب رشادها ، وتبددت قوتها ، فيمر بها قومها من الجن فيسألون عنها ، فيقال مسها إنسى كما يقال لمن صرع من الإنس مسه جنى ، والطبيب فى كلتا الحالتين هو العراف الأثيم ! !

ولا يترك الفقهاء هـذا الباب حتى يؤيدوه بما يبين لهم من الأدلة ، ونحن نعلم الخلاف العريض بين أهل السنة والمعتزلة فى الصرع والمس حيث قد ذهب الفريق الأول إلى حدوث ذلك ، وقد استشهدوا بحـديث رواه البخارى ، كما أجاز بعض الحنفية زواج الجنية من الإنسى ! ! قال الجاحظ « وزعموا أن التناكح والتـلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد ؛ وهذا ظاهر لأن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السفاد ، وكذلك رجال الجن لنساء الإنس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنسـاء للنساء . قال تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان ، ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه ، لما قال الله تعالى ذلك القول »

وهـذا قول لا يدرى حقه من باطله ، وإلا فكيف نقول لمدنف عاشق يهوى فتاة معنية باسمها وصفتها إن به مسامن الجن ! ! ولماذا يزول المس إذا اقترن بمحبوبته الإنسية ؟ وأين الجنية المزعومة إذن ؟ كل هذا تدجيل صارخ فطن إليه من قال .

وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو علموا قالوا به أعين الإنس
وكم فى الحياة من أكاذيب ! !

بقى أن نتحدث عن العومل الأخـلاقية ، وهى ذات الحظ الأوفر فى اختلاق الأساطير ، لأنها ترجع إلى عامل واحـد ، هو الافتخار بالمواهب ؛ وقد شاع لدى العرب أن الجن متقدمون عن الإنس فى كل شىء ، فهم مصدر الإلهام فى الشعر ، ومنبع الوحى فى البيان ، وهم أولو البأس فى القتال والصـيال ، وهم سلاطين الصحراء وأمراؤها ، يستأذنون فيأذنون ، ويأمرون فيطاعون . كل أولئك قد جعل أصحاب الزهو والخيلاء يزعمون أنهم يفوقون الجن فى مواهبهم ، ويزاحمونهم بمنكب ضخم فى مناقبهم ، وما من دليل سوى الأساطير المزعـومة يخلقها أولو الفخر الـكاذب فيتناقلها الناس على ممر العصور ! !

فالشاعر مثلاً يرى أن منزلته لا تعظم فى قبيلة لا إذا زعم أن الجن تلهمه ومن ثم يتجه إلى وادى عبقر كل يوم حيث يصمد إليه

الوحى من الأرض ، بدل أن يهبط عليه من السماء ! ! ونحن ننظر فنجد ذا الرمة وأبا النجم ، ورؤبة والأعشى وغيرهم يدعون أقرانهم من الشياطين ، هم ناظمو القصائد ومبدعو المعانى والأساليب ، وربما سمى الشاعر قرينه باسم معين ، وذهب يفتخر به فى كل ناد ، كما قال الأعشى فى قرينه « مسحل »

وما كنت شحذوذا ولكن حسبتنى
إذا مسحل يسدى لى القول أعلق

شريكان فيما بيننا من هوادة
صفيان ، إنسى وجن موفق

وصحائف الأدب مليئة بما يماثل ذلك ، وربما كان أصل هذه الفكرة لدى العرب أن شاعراً حسد زميله فى إبداع ، فادعى أن الشيطان هو الذى يجرى البيان على لسانه ، وفى جمهرة أشعار العرب أساطير تؤيد ما نقول ، ومن ذلك ما زعمه ابن المرزوى عن أبيه أنه مر على جماعة ظباء فى سفح جبل ، فرأى شبحاً ذا منظر غريب فارتاع منه ، فقال له اذكر الله ولا تخف ثم سأله : أتروى من أشعار العرب شيئاً ؟ فقال المرزوى : نعم وأخذ يروى له شعر عبيد بن الأبرص ! ؟ فسأله الشيخ من قائل هذا الشعر ؟ ؟ فقال : عبيد ، فتهانف وقال : ومن عبيد ، لولا صاحبه هبيد ؟ ! ثم شاعت بهذه الخرافات فكرة الأخذ عن الجن فكان كل شاعر يأتى بعد ذلك يزعم أن له قرينا ، بل ربما ميز شيطانه بخصائص لا توجد فى غيره ، كما زعم أبو النجم وشركاؤه . وأتى من الرواة من بسط الحبل على امتداده ، فقيض لكل شاعر أنجبته الجاهلية شيطاناً فهوله قرين ، وإن لم يعترف به الشاعر نفسه ، فلافظ قرين امرئ القيس ، وهاذر صاحب النابغة ، وجهنام شيطان عمرو بن قطن وغير هؤلاء لا يحصون ! !

هذا فى الشعر والأدب ؛ أما الافتخار بالشجاعة فقد أورث العربية تركة مثقلة بالخرافات ، فكل صعلوك يزهى ببسالته ، ويختال ببطشه ، يختلق من الأساطير ما يؤيد دعواه ، فيزعم أنه حارب الجن ، ولقى السعلاة فضربها بسيفه ، وامتطى الغول فى البيداء ، وقد زعم صاحب الأغانى أن ثابت بن جابر لقى الغول فى ليلة دامسة ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها ، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شراً ، فلقب بهذا القول وعرف به لدى الجميع .

ومهما يكن من شىء فإن تأبط شراً قد أكثر من الحديث عن الجن إكثاراً لم يتح لغيره . وكأنه رأى فى انتصاره الموهوم على الغول ما يبرر له كل اختلاق ، فذكر فى شعره محاورة قامت بينه وبين غول ضربها ضربة واحدة بسيفه ، فقالت له : ثن الضربة ، فأبى كيلا تعود لها الحياة إذا ضربت مرة ثانية حسب اعتقاده ، كما زعم أنه قابل وفداً من الجن فأشعل النار ونحر الذبائح ودعاهم إلى الطعام ، فذكروا أنهم يحسدون عليه الإنس فهم لا يأكلون كما نأكل ، اسمعه يقول من أبيات .

أتوا نارى فقلت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقلت إلى الطعام فقال منهم
زعيم نحسد الإنس الطعاما

لقد فضلتمو بالأكل عنا
ولكن ذاك يعقبكم سقاما

وقد ابتلى تابط شراً بمن كذب دعواه ، فزعم أنه نزل بشعب وادى الجن فرأى وجوها صباحاً وسما ، فنحر لهم مطيته ليأكلوا من طيباتها المشتهاة ، ذلك هو جذع بن سنان الفسانى إذ يقول .

نزلت بشعب وادى الجن لما
رأيت الليل قد نشر الجناحا

أتونى سافرين فقلت أهلا
رأيت وجوهكم وسما صباحا

نحرت لهم وقلت ألا هلموا
كلوا مما طهيت لكم سماحا

وقد لا يكتفى الصعلوك بأن يفخر بنفسه بل يتعدى ذلك إلى قبيلته ، فيزعم أنها حاربت الجن ، فانتصرت انتصاراً رفعها إلى ذروة عالية من المجد . قال أحد الأفاكين من بنى سهم : ذهب جنى يطوف بالبيت فعرض له شاب من بنى سهم فقتله ، فثارت بمكة غبرة لم تبصر لها الجبال — وإنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن — فأصبح من بنى سهم على فرشهم موتى كثير من قبل الجن ، فكان فيهم سبعون سيخاموى الشباب ، فنهضت بنو سهم وحلفاؤها إلى الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حية ولا عقربا ولا خنفساء ، ولا شيئاً من الهوام يدب على الأرض إلا قتلوه وأقاموا على ذلك ثلاثا ، فسمع فى الليلة الثالثة هاتف يهتف بصوت جهورى ، يا معشر قريش اعذرونا من بنى سهم فقد قتلوا منا أضعاف من قتلنا منهم فأصلحوا ما بيننا ، ففعلت ذلك قريش ، وسميت بنوسهم « قتلة الجن » .

وكثير من مسطرى هذه الأخبار — فى القديم — من يملأ

بهـا الصحائف دون أن يلفت الأنظار إلى مباءتها من الافتراء وكأنه يرى من الأمانة العلمية أن يذكرها كما تلقفها من الأفواه، أو نقلها عن الأسفار بدون تعليق يضع الحق فى نصابه ، بل لعله يتعصب لها تعصباً يترك القارىء فى شك من أمره ، ولـكن الحق لايعدم أنصاره فى كل زمان ومكان ، فـكما وجد جماعة من الفقهاء يتشيعون لهذه الأساطير ، فقد وجد منهم آخرون يفندونها أتم تفنيد ، قال ابن حزم عن الجن : « ومن ادعى أنه يراهم أو رآهم بالفعل فهو كاذب إلا أن يكون من الأنبياء » وقال أبو إسحاق المتـكلم فيما رواه عنه الجاحظ « وأصل هـذه الفـكرة أن القوم تأثروا بوحشـة بلادهم ، ومن أقام بالصحراء منفرداً استوحش وابتلى بالوسوسة ، وتمثل له الشىء الصغير كبيراً ، فإذا اشتملت عليه الشيطان ، وسمع صياح بومة أو مجاوبة صـدى ، تصور فى نفسه كل باطل . وربما كان أحدهم كذاباً فيأتى بشعر يزعم فيه أنه رأى الغيلان وكلمها ثم يتجاوز ذلك ، فيقول قتلتها ، ثم يتجاوز ذلك فيقول رافقتها وتزوجتها » ويستفيض حديثه بين الناس فتسيل به الأندية والمجتمعات » !

هل عرفتم مصرع حرب بن أميه ؟؟ فقد خرج فى نفر من قومه فاعترضتهم حية خبيثة فقتلها وكانت من الجن — فجاءت حية أخرى فطالبت بالثأر ، وقام بين الفريقين معركة طاحنة قتل فيها حرب ، ودفن حيث وافته منيته فقالت فيه الجن .

وقبر حرب بمـــكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر !

وهل علمتم أن سيد الخزرج سعد بن عبادة رضى الله عنه أصيب بسهمين قاتلين من الجن ففاضت روحه الـكريمة إلى بارئها العظيم ؟ ثم رثوه بعد ذلك بشعر ذائع ! وهل سمعتم أن الغريض غنى بالبادية صوتاً مؤثراً فحسده الجن وقتلوه !؟ وهل تدرون أن أمية بن أبى الصلت تعرض ليهودية من الجن ، فبرص أعلاه واسود أسفله . هذا رذاذ من وابل هطال تتدفق به الأساطير !

إن فى هذه الخرافات لمتعة عجيبة ، وأخشى أن أدعو إلى تذوقها تذوقاً فنياً يكشف عن طرافتها الغريبة ، فأجد — فى القرن العشرين — من يميل إلى تصديقها من الناس ! ولم لا يكون ذلك والغباوة تسير مع الزمن فى خطوه السريع !

رحم الله أيام الطفولة ، فقد ملأت مخيلتى بآلاف مؤلمة من هذه النوادر ، وكنت أسمعها فى لذة ومتعة ، فأترنح من السرور

كن مالت بقامته نشوة السلاف ! فأين مضى هذا العهد الحالم ، وكيف عصفت به ريح الزمان ! !

أقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب مذ هجرت ذميم

محمد رجب البيومى

(الكفر الجديد)

المصادر الهامة للبحث

(١) روح المعانى للألوسى
(٢) السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين
(٣) جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى
(٤) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى
(٥) حياة الحيوان الـكبرى للدميرى
(٦) الحيوان للجاحظ
(٧) تاريخ الأدب الجاهلى لأستاذى الجليل محمد هاشم عطيه
(٨) قصص العرب للمرحوم جاد المولى بك
(٩) التصوف الاسلامى للدكتور زكى مبارك
(١٠) مقالات متفرقة فى الرسالة والمقتطف

الفتوة فى اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان فى الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحديد المعانى

للأستاذ ضيـــــاء الدين الدخيلى

[تتمـة ما نشر فى العدد الماضى]

ولنقتطف من ديوان الحماسة اختيار أبي تمام حبيب بن أوس الطائى ، وقد شرحه الشيخ أبو زكريا التبريزى الشهير بالخطيب وكان تلميذاً للمعرى .

قال النابغة الجعدى (١) :

ألم تعلمى أنى رزئت محارباً ... فما لك منه اليوم شىء ولا لِيا
(فتى) كملت خيراته غير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا

قال الخطيب فى شرحه أنه يخاطب صاحبته أم محارب وقوله ألم تعلمى : ظاهره تقرير ، وإنما هو توجع وتلهف على ما فاته من المرثى محارب ابنه .

وقال ابن أهبان الفقعسى يرثى أخاه (٣)

على مثل همام تشق جيوبها ... وتعلن بالنوح النساء الفواقد
(فتى الحى) إن تلقـاه فى الحى أو يرى ... سوى الحى أو ضم الرجال المشـــاهد
طويل نجاد السيف يصبح بطنه ... خميصاً وجاديه على الزاد حامد

قال الخطيب جادية الذى يجتديه ، ويطلب منـه جعل الفتوة والرئاسة مسلمة له فى كل حال وعلى كل وجه ألا ترى أنه قال هو الفتى بين رجال الحى وعنـد لقائك إياه فيهم وقوله أو يرى سوى الحي ، أى فى مكان آخر وفى قوم آخرين بدلا من الحى وقوله أوضم الرجال المشـاهد معناه وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل فى مجامع الملوك وقال سلمة الجعفى يرثى أخا (٤)

أقول لنفسى فى الخـلاء ألومها ... لك الويل ماهذا التجلد والصبر
ألم تعلمى أن لست ماعشت لاقيا ... أخى إذ أتى من دون أوصاله القبر

(١) ج ٣ ص ٥١ (٢) ج ٣ ص ٥٣ (٤) ج ٣ ص ٥٩

[فتى] كان يعطى السيف فى الروع حقه ... إذا ثوب الداعى وتشـــق به الجزر
[فتى] كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قال الخطيب ثوب الداعى أى دعا واصل التثويب أن يكون الرجل فى مفازة لا يهتدى بها فيلوح بثوبه فربما رآه إنسان فيهديه وينجيه ثم استعمل فى غيره .

وقال سالم بن وابصة الأسدى (١)

أحب [الفتى] ينفى الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطاً أذى ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلا هجرا

وقال زياد بن حمل (٢)

كم فيهم من (فتى) حلو شمائله ... جم الرماد إذا ما أخمد البرم

قال الخطيب كم للتكثير وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى وجم الرماد كثيره ولا يكثر الرماد إلا لكثرة الغاشية والأضياف والبرم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر (نوع من القمار) والمراد إذا أخمد البرم النار لبخله .

وقال العريان (٣)

ورحت إلى دار امرىء الصـدق حوله ... مرابط أفراس وملعب (فتيان)
ومنحر مئناث يجرُّ حوارُها ... وموضع إخوان إلى جنب إخوان

قال الخطيب : وملعب فتيان ، لأنهم يجتمعون عنده لسخائه وقوله : يجر حوارها ، لأنها تجزر وهو فى بطنها فيجره من بطنها وروى فى الحماسة (٤) ولم يذكر قائلهما :

وليس (فتى الفتيان) من جل همه ... صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولـكن (فتى الفتيان) من راح أو غدا ... لضرِّ عـدوٍّ أو لنفـع صـــديق

وقد اعترض علينا الأستاذ محمد عبد القادر ، حيث أننا لم نذكر القائل وقد استشهدنا بالبيت الثانى أخذناه من تاج العروس ولم يذكر قائل البيتين فى ديوان الحماسة إلا أن الخطيب التبريزى فى شرحه بعد أن قال الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب الحمرة فى المشى . روى الأصمعى أن أكثم بن صيفى قال : اصحبْ من

(١) ج ٣ ص ٨٥ من حماسة أبى تمام (٢) ج ٣ ص ١٨٢
(٣) ج ٤ ص ٨٤ (٤) ج ٤ ص ١٠١

الإخوان منْ إن صحبته زانك ، وإنْ خدمته صانك ، وإن اختللت عانك ، إن رآى منك حسنةً جازاكَ عليها ، أو سقطة أغضى لك عنها ، لا تختلف عليك طرائقه ، ولا تخشى بوائقه . ثم أنشد البيتين : وليس فتى الفتيان الخ . ومن هذا يتبين قدمهما وصحة الاستشهاد بهما .

وقال أبو كبير الهذلي (عويمر بن حليس أحد بنى سعد بن هذيل) (١)

ولقد سريت على الظلام بِمغشَم   جَلْدٍ من (الفتيان) غير مُثقل

قال : سرى وأسرى بمعنى واحد ، وعلى الظلام: أى فى الظلام ويجوز أن يكون وعلى الظلام فى موضع الحال أى وأنا على الظلام أى راكب له ، والمغشَم من الغشَم : وهو الظلم ، فإن قيل إذا كان السرَى لا يكون إلا ليلا ، فلم قال على الظلام ، ولم جاء فى القرآن الذى أسرى بعبده ليلا ؟ قيل المراد توسط الليل والدخول فى معظمه ، والجلد : الصلب القوى . وقوله غير مُثقل : أى كان حسن القبول محبباً إلى القلوب ، قال ، وقال أبو رياش (المغشم) الذى يغشم الأمور ويخلطها من غير تمييز ، وقيل المِغشم ههنا : من إذا اختفى عليه الطريق اعتسف أى ركب الطريق على غير هداية ولا دراية .

وروى فى الحماسة لامرأة من طيء (٢)

دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك   ومن لا يُجَبْ عند الحفيظة يكلم
فيا ضيعة (الفتيان) إذ يعتلونه   ببطن الشرى مثل الفنيق المسدَّم

(الشرى مكان ، والحفيظة الغضب أى استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يجب ، وقولها يكلم : كناية عن الغلبة والقتل ، والعتل : القود بعنف ، يقال عتله يعتله ، ويا ضيعة الفتيان : لفظه لفظ النداء ومعناه الخبر كأنها قالت ضاع الفتيان جداً إذ كان أعداؤه يعنفون فى قودهم إياه وهو كأنه فحل مشدود الفم خوفاً من صياله ، والفنيق : الفحل ، والمسدَّم : المشدود الفم الهائج الممنوع ، وإنما يفعل به ذلك إذا هاج خوفاً من عضاضه .

وقال جابر بن ثعلب الطائى (٣) :

وقام إلى العاذلات يلمننى   يقلن ألا تنفك ترحل مرحلا؟

(١) ج ١ ص ٤٢
(٢) ج ص ١١٣ من شرح حماسة أبى تمام للتبريزي طبعة بولاق
(٣) ج ١ ص ١٦١

فإن (الفتى) ذا الحزم رامٍ بنفسه   جواشن هذا الليل كى يتمولا
وتزرى بعقل المرء قلة ماله   وإن كان أسرى من رجال وأحولا

(أى لا تزال ترحل ارتحالا ومرحلا انتصب على المصدر وجواشن الليل صدوره وأوائله وأحواله أكثر حيلة) .

وقال أبو النشناش (١) :

فللموت خير للفتى من قعوده   عديماً ومن مولى تدب عقاربه

(أى الموت خير للرجل من قعوده راضياً بفقره وبإفضال مولى يؤذيه بالمن ، ودبيب العقارب : كناية عن الأذى وانتصب عديماً على الحال .

وقال آخر :

إذا القوم قالوا من فتى لعظيمة؟   فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

فهذه النصوص الأدبية أظن أن فيها الكفاية لمن ارتاب فى دلالة فتى على الشهامة والفروسية ، ونود أن ننبه القارىء الكريم إلى أن الفتوة فى العصر العباسى كانت تطلق على اجتماع بعض المياسير على اللهو واللذات تجمعهم الملاهى والعبث والترف والسماع ، فقد وصف عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع حال الفتيان الذى كان يعاشرهم فقال(٢):

فى فتية بذلوا فى القصف ما ملكوا
وأنفقوا فى التصابى العرض والنشبا

وجاء فى (نهاية الأرب) فيمن شرب الخمر واشتهر بها ، (ومنهم والبة بن الحباب الأسدى وهو الذى ربى أبا نواس وعلمه الفتوة وقول الشعر) ويفسر لنا أبو نؤاس تلك الفتوة التى درسها على والبة بقوله :

ما استكمل اللذات إلا فتى   يشرب والمرد ندامه
هذا يغنيه وهذا إذا   ناولهُ القهوة حياه

وقوله :

متيمُ القلب معناه   جادت بماء الشوق عيناه
إن كان أبكاك الهوى مرة   فطالما أضحككَ اللهُ
لا خير فى العاشق إلا فتى   لاطف مولاه وداراه
ودافع الهجر وأيامه   فالوصل لاشك قصاراه —
— (أى غايته)

(١) ج ١ ص ١٦٧
(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٥

وروى النواجي في حلبة الكميت أن أبا الهندي كان منهمكا في الخمر مغرماً بالشرب ، ودخل حانة خمار فشرب عنده إلى أن غلب عليه السكر فنام ، ودخل جماعة (فتيان) فرأوه على تلك الحالة فقالوا للخمار ما حال هذا ؟ قال طيب العيش قالوا فألحقنا به فسقاهم حتى انتهوا إلى حاله فانتبه أبو الهندي فرآهم فقال للخمار ما حال هؤلاء ؟ فقال مبسوطون ، قال فألحقني بهم ، فسقاه حتى لحق بهم ، وانتبهوا فقالوا مثل ذلك إلى أن مضت عليهم عشرة أيام ولم يلتق بعضهم ببعض ثم أنشد أبو الهندي :

ندامى بعد عاشرة تلاقوا ... تضمهم (الفتوة) والسماح
نقيم معاً وليس لنا تلاق ... بيت ما لنا منه براح

وجاء في الأغاني[1] (وبعد وفاته كان الفتيان يجيئون إلى قبره ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره) وجاء في مسالك الأبصار عن حانة عون (أن عوناً كان ظريفاً طيب الشراب نظيف الثياب وكان فتيان الكوفة يشربون في حانوته ولا يختارون عليه أحداً)

وجاء في حلبة الكميت قال السري الرفا الموصلي :

وفتية زهر الآداب بينهم ... أبهى وأبهج من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشي الرخ فانصرفوا ... يمشون من شربها مشي الفرازين

(في المنجد الرخ طائر وهمي كبير وأيضاً قطعة من قطع الشطرنج الجمع رخاخ ورخخة : وفرازين جمع فرزان وهي الملكة في لعب الشطرنج)

وبدهي أن الفتوة في النصوص الأخيرة لم تستعمل في المعاني التي استعملت فيها إشعار الحماسة وغيرها التي تقدمت ، وإنما استعملت في معنى الانغماس في اللهو والسكر والسماع ، وقد نسب الثعالبي في كتابه (الخاص للخاص) بيتين للأعشى أورد فيهما (فتى) في ذلك المعنى فقال :

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني (فتى) ... أتيت المروءة من بابها

وقد أكثر في الأغاني استعمال الفتوة في هذا المعنى فقد جاء في الجزء السابع[2] وكان الوليد بن يزيد من (فتيان بني أمية) وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، وكان فاسقاً خليعاً

(١) ج ٢ ص ١٧٩ (٢) ج ٥ ص ٧٧

متهماً في دينه مرمياً بالزندقة وشاع في أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل .

وعن الوليد أيضاً أنه أبلغه أن جماعة من بني مروان يعيبونه بالشراب فلمهم وقال أنهم ليعيبون على ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال هذا الشعر وأمر عمر الوادي أن يغني فيه وهو من جيد شعره ومختاره :

ولقد قضيت وأن تحلل لمتي ... شيب — على رغم العدا لذاتي
من كاعبات كالدمى ومناصف ... ومراكب للصيد والنشوات
في(فتية)تأبى الهوان وجوههم ... شم الأنوف جحاجح سادات
أن يطلبوا بتراثهم يعطوا بها ... أو يطلبوا لا يدركوا بتراث

وفيه (١) كان الهذلي النقاش يغدو إليه (فتيان قريش) وقد عمل عمله بالليل ومعهم الطعام والشراب والدراهم فيقولون غننا الخ وقد قال فيه (٢) في التعريف بالهذلي هذا أنه سعيد بن مسعود كان ينقش الحجارة بأبي قبيس (جبل في الحجاز) وكان فتيان من قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ويأتيهم فيغني لهم ويكون معهم .

وفي الأغاني (٣) أن وضاحاً هوى امرأة يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها وعاتبه أهله وعشيرته فقال في ذلك :

يا أيها القلب بعض ما تجد ... قد يعيش المرء ثم يتئد
قد يكتم المرء حبه حقباً ... وهو عميد وقلبه كمد
ماذا تريدين من (فتى غزل) ... قد شفه السقم فيك والسهد ؟

حدث الأصمعي عن الخليل بن أحمد أن وضاحاً كان يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة .

وجاء في الأغاني[4] عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن أبيه قال : دخلت الري فكنت آلف (فتياناً) من أهل النعم وهم لا يعرفونني فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها فرأيتها صالحة الأداء كثيرة الرواية فشوقتني إلى العراق وذكرتني أيامي بها فدعوت بعود فلما جيء به اندفعت فغنيت صوتي في شعري .

(١) ج ٥ ص ٦٧ (٢) ج ٥ ص ٦٥
(٣) ج ٦ ص ٢١٢ (٤) ج ٥ ص ١٨٨

أنـــا بالرى مقيم في قـــرى الرى أهيم

وقد كنت صنعت هـذا اللحن قديماً بالرى فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلى فأكبت على رأسي وقالت أستاذى والله فقال لها مولاها أي أستاذيك هذا ؟ قالت ابراهيم الموصلي فاذا هى إحدى الجوارى اللاتى أخذن عنى وطال العهد بها فأكرمني مولاها وبرنى وخلع على فأقمت مدة بعد ذلك بالرى وانتشر خبرى بها ثم كتب بحملى إلى والى البلد فأشخصت .

فترى أن كلمة (فتيان) قد استعملت في العصر العباسي وأريد بها إخوان الطرب الذين جمعتهم العشرة على موائد اللذات فهؤلاء الفتيان الذين تعطينا القصص صورة مصغرة لحياتهم فى العصر العباسي كانوا إخوان لهو وسكر وعربدة وهذا ما يحدد حياة الفتوة فى ذلك العصر المترف كما توضح معالمها هذه القصص المنشورة فى مجلدات الأغانى وغيرها من كتب الأدب وإليك صورة أخرى لحيـاة الفتوة الخليعة فى العصر الأموى ، جاء فى الأغانى (١) فى أخبار الدلال أنه من ظرفاء المدينة فى العصر الأموى وكان جميلا حسن البيـان ، ومن أحضر الناس جواباً وأحجهم . وكان سليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصى غلطاً قال وأن الدلال خرج يوماً مع (فتية من قريش) فى نزهة لهم وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه وعلم القوم بذلك فقالوا قد ظفر نابه بقية يومنا ، وكان لا يصبر فى مجلس حتى ينقضى وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك فغضب وقام لينصرف فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيرهم فنذر بهم (علم) السلطان وتمادت الأشراط (تمادت من العدو وهو سرعة الجرى) فأحسوا بالطلب فهربوا وبقى الغلام والدلال وما يطيقان براحاً من السكر فأخذا فأتى بهما أمير المدينة الخ فترى حياة هؤلاء الفتيان حياة تحلل من قيود العرف وتهرب من أحكام الشرائع الأدبية المتعارفة فى عصرهم وهـذا نموذج لحياة الفتوة فى العصر الأموى وإذا تراجعنا للعصر الجاهلى فإن طرفة يحدثنا عن فتوته فى معلقته والأعشى فى بيتيه المتقدمين ونجد الفتوة إذاك مزيجاً من الطرب والأنس والفروسية والنجدة وقد تكون نجدة وشهامة ورجولة كاملة لا غير كما فى أشعار الحماسة التى أوردنا .

ومن هذا ترى أن الفتوة قد اختلف الناس باختلاف العصور والأزمان والبلدان — فى فهم معناها ولولا ضيق الوقت لأتينا على عرض تاريخى مفصل للفتوة فى الجاهلية وعصور الإسلام . إذ اقتصر حديثنا هذا على استعراض ما عثرنا عليه من النصوص الأدبية الموثوق بها لإثبات دعوانا السابقة من دلالة الفتوة على الشهامة والفروسية والنبل وكمال خصائص الرجولة ، وعسى أن ننال ثقة الناقد الكريم وهل ندرى هل يزيف شواهدنا أيضاً ؟ أم يغضى على مضض وفى العين قذى وفى الحلق شجا : الحق أن معنى (فتى) قد تجلى ولا غبار بعد اليوم عليه ، وقد وضح الصبح لذى عينين والذى استهدفته من إطالة الحديث إعطاء القراء مثلا محسوساً لنقص كتب اللغة وعدم شرحها معانى المفردات كما هى إذ قد رأيت فى مقالى الأسبق فى العدد (٧٨٢) أنها أجمعت على تفسير كلمة فتى بالرجل الكريم السخى ولم تلوح كلها أو جلها إلى ما تضمنته الكلمة من معانى الجلد والفروسية والنجدة والبطولة واستكمال مزايا الرجولة وصفات الشهامة فى حين أن النصوص الموثوق بها والتى وضعتها بين يديك تصرح فى تكذيب قواميس اللغـة ، ورميها بأنها سطحية لا تمنح الألفاظ إلا لمحة الطـائر وفطنة العجلان)

ضياء الدخيلي

(١) ج ٤ ص ٢٨٢

أوراق مطوية :

كل شيء إلى زوال

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كل شىء إلى زوال   فاسقنى خمرة الجمال
لا تسكنى إلى غد   إنه فى دمى خيال
أنا لو كنت خالداً   ما تعجلتك الوصال
هل ترى الصبر نافعاً   لمقيم على ارتحال ؟
إنما العمر خطوة   كخطا الريح فى الرمال
فاسقنى خمرة الجمال   كل شىء إلى زوال !

أترى ذلك الضياء   رائع السحر والبهاء ؟
يملأ القلب فرحة   ونزوعا إلى السماء
ويوافيه بالمنى   وبأحلامه الوضاء
ويغنى فتبعث الطيـ   ـر له أعذب الغناء
سوف يمضى كما أتى   حينما يقبل المساء !
فاسقنى خمرة الجمال   كل شىء إلى زوال !

أترى ذلك المساء   رائع الصمت والخفاء !
يملأ النفس رهبة   دونها رهبة الفناء
فهو بحر بلا ضفا   ف ، وأفق بلا انتهاء
وهو نوم وراحة   وهو سهد على بكاء
سوف يمضى كما أتى   حينما يقبل الضياء
فاسقنى خمرة الجمال   كل شىء إلى زوال !

والربيع الذى تراه   يتهادى على رباه
فتغنى به الدنى   وتغنى له الحياه
سوف يمضى كأنه   أرج الزهر أو نداه
فإذا الزهر ذابل   من بكاء على شذاه
وإذا النهر غائر   بعد ما فاض شاطئاه
فاسقنى خمرة الجمال   كل شىء إلى زوال !

والشباب الذى يطيب   نفح ريحانه الرطيب
وترى حوله المنى   كفراش على لهيب
سوف يمضى مشيعاً   كل ما فيه بالنحيب
ثم يأتى بيأسه   وبأحزانه المشيب
فإذا العمر وحشة   دونها وحشة الغريب
فاسقنى خمرة الجمال   كل شىء إلى زوال !

سوف أحيا مع الشباب   بين أحلامه العذاب
فإذا الجسم فى الثرى   وإذا الروح فى السحاب
وإذا بى مع الهوى   كأغان على رباب
أبصر النور فى الدجى   وأرى الماء فى السراب
إنما الحب ساحر   يبدع الروض فى اليباب
فإذا أقبل الردى   ثائر الهول كالعباب
قلت يا نفس اهدئى   ليس يجديك الاضطراب
إنما العمر رحلة   بعدها يحمد المآب
فاحمدى ذلك المآل   كل شىء إلى زوال !

إبراهيم محمد نجا

من وحي البحر :

السمكة الصغيرة

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

قذفتك الأمواج يا طفلة البحـر   إلى شاطئ عديم الوفاء
لن تصيبى عليه زاداً إذا ما   جعت ... أو تظفرى لديه بماء
لن ترى أى راحم فيه يرعى   أو تذوقى غير الأسى والشقاء
نحن فى عالم التطاحن والحر   ب ودنيا تعج بالبغضاء

لفظتك الأمواج يا دمية البحر   ولم تبلغى حياة الشباب
وتركت العباب وهو متاع   ومراح للخرّد الأتراب
لكأنى بهن يبكين أختاً   لم تمتع بالعيش غض الإهاب

قهر البحر حسنها ورماها   فاستكانت لموجه الغلاب

أمسكتها يداى وهى على الشط   تلوى ... تشكو لديه الجحودا
فتجلى للعين منهـا جمال   يتهادى : لوناً وحسناً فريدا
وبدت صورة الطفولة تحكى   رقة الطفل حين يأتى الوجودا
يا لها ... هل تموت والماء منها   قيدخطو ؟ ... لهفا عليه وليدا
غمستها فى الماء كفى ... فراحت   تضرب الكف رغبة فى الفرار
طفلة البحر : إن تركتك للبحر   أترعين بعد هذا جوارى ؟
من ضمينى بأن أراك إذا أصبـحت فى النيد فاتنات العذار ؟
كم رعينا الظباء وهى صغار   فاسألى اليوم عن جحود الكبار!

طفلة البحر : قد رجعتك للبحر   فعودى فيه لجـو النعيم
واسعدى بالمقام فى لجه الصا   فى بعيداً عما نرى من هموم
واحذرى الصائد الخئون إذا ما   جاء يسعى بطمعه المسموم
واذكرينى ... فإن ذكراك أندى   لفؤادى من آدمى لئيم

دمية البحر : من رعى الود يوماً   مثلنا نحن معشر الشعراء ؟
لو رآك الغداة غيرى لما طالعـت منه إلا نذير الفناء
ولداست أقدامه جسمك الغض فأمسى مبعثراً فى الهواء
إنعمى بالحياة ... إنا أناس   دأبنا فى الحياة بذل الإخاء .

(رأس البر)   محمد يوسف المحجوب

ثلوج الوحدة

للأديب رشيد ياسين

« إلى تلك السنوات التى قضيتها جارياً وراء مثل خادعة ... أسوق هذه اللعنة ! »

هلمى بنابيع المآسى وسممى   كيانى، وشبى عاصفاتك فى دمى
وخلى وجودى فى فم النار آهة   وشكوى، على سمع المقادر، ترتمى
فيارب مأساة يذيب لهيبها   ثلوج سآماتى ، ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاوز وحدتى   وأحـرق بالآهات صمتى على فمى !

مع الوحدة الخرساء عادت سذاجتى   تكلف مغبون وصرخة ناقم
دفنت مراحى فى تهاويل حكمتى   وضيعت فى صيد السراب تبسمى
وعشت يغشينى الضباب فلا أرى   سوى أنجم تنقض فى إثر أنجم
أسير. فلا ظل لخطوى على الثرى ،   وأشدو فلا ألقى صدى لترنمى
أدور على نفسى . وعينى كفيفة   كدوامة يلهو بها لاعب عمى
وحولى وجوم فى فؤادى له صدى   وفوق ركام(١) من أسى وتندم
وفى مقلتى طيف من الشك حاطم   تغذيه أشلاء اليقين المحطم

هلمى احرق دنياى علَّى أهتدى   إلى دربى الخافى بنار تألمى
وأوقد من ماضىَّ فى فورة اللظى   بخوراً على قبر الشباب المهدم
فيارب مأساة يذيب لهيبها   ثلوج سآماتى ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاور وحدتى   وأحرق بالآهات صمتى على فمى !

(بغداد)   رشيد ياسين

(١) الركام : السحاب الكثيف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الكافورة :

طالعني غير واحد من إخواننا الأدباء ، بهذا السؤال : لم لا يكتب الأستاذ الزيات في هذه الأيام ؟ وكنت أجيب إجابات مختلفة ، ليس منها أنه مستسلم للكسل ... وهل يليق أن أجيب بمثل هذا عن أستاذنا الجليل ؟

يقضي الأستاذ أكثر أيام الصيف بالمنصورة ... هناك تحت الكافورة « كافورة الزيات » المشرفة من أحد النوادي على النيل والتي خلدها في بعض ما كتب منذ بضع سنوات .

والعجيب أن الزيات ، الأديب المعروف بالتعبير الجميل عن كل مايقع تحت حسه المرهف ، يخلد الآن إلى « الكسل الفني » تحت الكافورة ... وهو الذي لم يمنعه مرضه في الأيام التي قضاها مستشفياً بحلوان — أن يكتب ما أوحت إليه ، ولم ينس قراء الرسالة تلك اليوميات الممتعة .

فما أجدر الكافورة والمنصورة والريف القريب منها الذي يتردد عليه الأستاذ — بأن تفيض على قلمه من جمال البيان مايصل به صدر الرسالة الذي جافاه من نحو شهرين .

ولست أجزم بأن الأمر في ذلك يرجع إلى الكسل ، فما يدريني ، لعل الكافورة تظلل سراً يختمر ...

قضية أدبية هامة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامي ، كتاباً قفى به على أثر الشاعر محمد محمد علي السوداني الذي عتب على الرسالة بقصيدة لإهمالها نشر أشعاره ، فأعتبته ونشرت قصيدة العتاب في العدد (٧٨٦) .

يقول الأستاذ أبو النجا إن ما أبداه الشاعر العاتب « ترجمان صادق لما تزخر به من الشكوى نفوس الكثيرين من أدباء الشباب ، فقد درجت بعض المجلات الأدبية والصحف اليومية على إغفال ما يرد إليها من ثمرات قرائح المتأدبين من الشباب والإلقاء بنفثاتهم في سلة المهملات رغبة عنهم إلى أولئك الذين نبه ذكرهم وبعد شأوهم من كبار الأدباء » .

ويبين ما يترتب على هذا الاتجاه من آثار بالغة في حياة الأفراد والأمة ، بأنه يشكك ناشئة الأدباء في أدبهم ، لأن معيار جودة الأدب هو نشره ، ومتى تسرب الشك إلى النفس قلقلت ومالت جذوتها إلى الخمود ؛ وهذا يميت في ناشئة الأدباء روح الأدب ، إذ يصرفهم عن التحصيل وتعهد مواهبهم ، إلى أن يقول : « أما النتيجة الضخمة التي يؤدي إليها هذا الأثر وذاك فهي تأخر الأدب في الأمة وعدم ازدهاره فيها ، لقلة عدد الأدباء والمفكرين من أبنائها ؟ والأدب في كل أمة مرآتها المجلوة ، ولسانها المنبي عن المذخور من أمجادها ، والمرجو من تقدمها ونهوضها » .

ويقول الأستاذ إنه عالج نظم الشعر ، ودفع ببعض ما نظم إلى بعض الصحف والمجلات ، وفي جملتها الرسالة ، فلم ينشر له إلا قصيدة في مجلة قدمها إليها أحد أصدقائه الصحفيين . ويسأل في آخر كتابه : هل المهم هو جودة الأدب أم شهرة الأديب ؟ ويقول : « صحيح أن كبار الأدباء قد انقادت لهم أزمة البيان ، ومن المحقق أنهم أقدر على الغوص والسبوح والتحليق ... ولكن هذا لا يمنع من أن يكون في الناشئة موهوب سبق عمره فهماً وفطانة وكملت أداته يافعاً ، فهل يكون جزاؤه — لأنه مغمور — أن نغفل إنتاجه ونهمله ؟ »

وكل ما ذكره الأستاذ في رسالته صحيح لاشك فيه ، وتصوير المسألة وبيان آثارها كما صور وبين . ومن المؤسف أن المهم — عند الكثيرين من المشرفين على الصحف — هو شهرة الأديب لا جودة الأدب ، فهم يقرؤون المقالات والقصائد من ذيولها ... أما « الرسالة » فالأمر في ذلك عندها لا يعدو زحمة المواد واختيار الجيد والصالح للمحافظة على مستواها الأدبي المعروفة به ، وليس كل ما يهمل لرداءته ، فثمة اعتبارات أخرى تتعلق بالموضوع وروح الجملة وغير ذلك . والرسالة

قد فتحت ذراعيها للشباب منذ نشأتها ، حتى تخرج فيها طائفة منهم أخذوا أماكنهم بين الكتاب والشعراء ، ومنهم من هو فى الصدارة الآن ؛ ويوم بدؤوا فيها قباتهم لجودة أدبهم بطبيعة الحال ، فلم تكن أسماؤهم معروفة ، فلا يجوز مع ذلك أن ترمى بأنها توصد الأبواب أمام الشباب .

الألفاظ الأجنبية بين الأمس واليوم :

نشرت مجلة الإصلاح الاجتماعى مقالاً لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا ، عنوانه « موقف العربية من الألفاظ الأجنبية » وهو من مقالات معاليه القديمة التى كان يكتبها فى أوائل هـذا القرن ، قالت المجلة إنهـا تنشره للوقوف على آراء قادة الفكر فى مطلع النهضة الحديثة . أثار أستاذ الأساتذة فى ذلك المقال قضية لا تزال من قضايا اليوم ، فقد دعا الكتاب أن يتساهلوا فى قبول الألفاظ الأوربية (كالأوتوموبيل والبسكليت) ويدخلوها فى الاستعمال الكتابى كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة قائلاً بأن اختراع أسماء تستعمل فى الكتابة وحدها يوسع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام . والطريف فى نشر المقال فى هذا الوقت أنه يتضمن وجهات نظر تغير أساسها الآن تغيراً تاماً ، فما كان معاليه يدرى — إذ ذاك — أن « السيارة » ستجرى على ألسنة الناس أكثر وأسهل من « الأوتوموبيل » إذ قال : « نشر مجمعنا اللغوى رحمة الله عليه أن الأتومبيل (بالأفرنكى) اسمه (بالعربى) سيارة . فإذا قلت لواحد من أهل العلم (جاءت سيارة) فهم من ذلك أنك تخبر عن جماعة من الناس سائرين أو عن أحد الكواكب فأما فى العرف الفلاحى فالسيارة هى الهيئة المؤلفة من جماعة من الفقراء أبناء الطريق يحملون لواء طريقتهم وطبولها وبازاتها لينتقلوا إلى مولد من الموالد ، هـذا هو ما أظن أهل القاهرة يعبرون عنه (بالإشارة) فإن قلت لخادمك جىء بسيارة فتح لك فاه ووقف ينتظر تعريباً للسيارة حتى تقول له جىء (بأتومبيل) ... »

وما كان معاليه أيضاً يعلم وهو يترحم على المجمع اللغوى القديم — أنه سيصير رئيساً للمجمع اللغوى الحالى الذى يسير فى نفس الطريق فيستبدل بأمثال « الأتومبيل » أمثال « السيارة »

وبعد فلا تزال القضية — كما قلت من قضايا اليوم ، بل هى من المعضلات ، فليست كل الأسماء (كالأتومبيل) والسيارة ، فثمة كثير من الكلمات الإفرنجية لا نزال نستعملها فى الكتابة ، وقد تعبت الأقواس فى حراستها ... وكثيراً ما تستأنس فتترك بلا أقواس . وقد وضع المجمع اللغوى كثيراً من الأسماء لمسميات حديثة ، ولكن الكتاب حتى أعضاء المجمع منهم لم يلتزموها فى كتابتهم ، فلم نر أحداً منهم كطه حسين أو أحمد أمين أو المازنى يكتب المسرة أو المشن بدل (التليفون والدش) وهل يعبر الدكتور أحمد زكى عن تحليل الكحول ب (الحلكحة) ؟

والفئة الصابرة فى هذا الميدان ، هم أطفال المدارس وتلاميذها ، وهم وحدهم المكلفون بتنفيذ قرارات المجمع اللغوى ... فالطفل فى السنة الأولى الابتدائية لا بد أن يكون جملا تشتمل على « السحاح » « والأرزن » « والمشرجع » وهو حين يشب عن الطوق ... ويقرأ لكبار الكتاب لا يجد هذه الكلمات وأمثالها فيما يقرأ ، فينفض يده منها كالمعلومات التى يمتلىء بها ليفرغها فى الامتحان !

وقد تقول إن بعض الكلمات التى لا نستسيغها الآن ، قد تسير كما سارت السيارة وكثير غيرها ، ولكن هذا لا يكون إلا فى الكلمات التى يقبلها الكتاب ويمنحونها الحياة بأقلامهم . ولاشك أن للكتاب عذرهم فى استعمال الأسماء الأجنبية التى لم توضع لها أسماء عربية موفقة ، أو لم يوضع لها شىء ألبتة . وأنا لا أرى أحداً يستطيع أن يصف غرفة من الغرف الحديثة فيسمى كل محتوياتها بأسماء عربية صحيحة ، ويؤلف من ذلك — إن استطاع — كلاماً يقبله الذوق المصرى . وهذا مثل واحد ، وغيره كثير .

وما أحسبنا إلا متفقين على ضرورة المحافظة على سلامة التعبير العربى ، وقبول ما يوفق فى وضعه من الأسماء للمسميات الحديثة ، بطريق وجود الاسم فى اللغة ، أو بالاشتقاق أو النحت أو التعريب ، ومن التوفيق فى وضع الاسم أن تقبله الأذواق ، ولا يكفى إقرار المجمع إياه . والمشكلة فيما عدا ذلك من الأسماء الأجنبية ، أفنقبلها كما هى . . أم ماذا نصنع ؟

الفكاهة فن :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة موضوعها « سيكلوجية الفكاهة » بنادى جماعة العمل الوطنى الاجتماعى يوم السبت الماضى . وقد شرح فى هذه المحاضرة علاقة الضحك بالغريزة ، ثم تطرق إلى العلاقة بين الفكاهة والفن ذاهباً إلى أنها لون من

ألوانه ، وقال إن هذا الرأى خاص به ، لأنه لم يجده فيما لديه من المراجع السيكلوجية والفلسفية ، ثم دال على أن الفكاهة فن ببيان التشابه بينهما فقال : إن الفن مشتق من العاطفة مباشرة والفكاهة كذلك ، وقد يلونه الفكر كما يلون الفكاهة الراقية . والفن عند علماء النفس لعب بالانفعالات ، أو هو طاقة حيوية فائضة ، ولذلك يتبع من غريزة غنية بالعاطفة ، ولا يمكن أن تنتجه الغريزة الضحلة ، كذلك الفكاهة الفكرية الراقية لا يمكن أن يجيء بها إلا الأذكياء ، ولا يدركها بسرعة إلا الأذكياء . ويتفق الفن مع الفكاهة فى أن كليهما متعة وسرور ، وفى أنهما لا يهدفان إلى غاية اجتماعية ظاهرة ، وأن التهذيب بوساطتهما ناشيء من طبيعتهما الاجتماعية . ويرجع السبب فى أن عباقرة الفن ممن يجيدون الفكاهة أدباً أو تصويراً ، إلى أن الفكاهة والفن من معين واحد ، وأكاد أقول إن الكاتب الذى يجيد كتابة المأساة كشكسبير يجيد الفكاهة ، لأن أعذب الفكاهة هو الذى يجيء بعد كبت ومرارة كرد فعل ...

والنكتة البارعة سرها فى حل مسألة أو مشكلة ، أو فى وصف شيء بقول مبتكر سريع غير منتظر ، وهذا يشبه اللفتة الذهنية البارعة فى الفن الأدبى الرفيع كالاستعارة التى ترمى إلى وجه شبه بعيد ، أو تناقض غير منتظر .

ثم ختم الدكتور ناجى محاضرته بقوله : يلاحظ أن الفكاهة فى الأدب العربى القديم كانت تكثر عن الطفيليين والمتسولين ، وهذا لون لا نراه الآن كثيراً . وكذلك تكثر فى الأدب العربى الفكاهة باللعب اللفظى ، ولا يزال هذا شائعاً .

فن مصرى :

الفكاهة باللعب اللفظى فن مصرى ، نشأ على ألسنة الشعراء والأدباء فى العهد الأيوبى وكثر فيما بعده ، ولا يزال شائعاً فى فكاهاتنا المصرية كما يقول الدكتور ناجى ، وأكثر ما يكون ذلك بالتورية والتجنيس . وكان من أسبق فرسانه الشاعر المصرى أبو الحسين الجزار ، قال فى زوج أبيه :

وقائل قال : ما سنها ؟ فقلت : ما فى فمها سن

وقال على لسان طبيب عيون :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى وا ضيعتى فيهم وإفلاسى
ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من أعين الناس

ومما يستملح ذكره فى هذا المجال أن الأستاذ العقاد كتب إلى شاعر يسكن بشارع العجم فى مصر الجديدة هكذا :

« إلى شاعر العرب فى شارع العجم » .

ولست أدرى هل يكون « المرسل إليه » شاعر العرب إذا خرج من شارع العجم ؟ !

الأدب والفن فى قسم حلوان :

« وبتفتيش المشتبه فيه وجدنا معه أوراقاً فيها شعر وموضوعات أدبية » .

هذه فقرة من محضر التحرى الذى عمل لى فى قسم بوليس حلوان ، و « المشتبه فيه » هو أنا ، والذى حامت شبهته حولى شرطى ذكى ألمعى ... رآنى بحديقة الفندق المجاور لعين حلوان وأنا منهمك فى الكتابة ، ثم رآنى أغادر الفندق إلى مبنى المياه المعدنية ، وقد عرجت عليها فى طريقى إلى المحطة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، فظن بى الظن كأن لم ير ولم يسمع ! ورآها فرصة موانية لإظهار الكفاية والبراعة ، فلا بد أنى وضعت قنبلة فى مكان من هذه البقعة ، وعما قليل تنفجر ، وهذا هو ملقيها !

ولم يكن بد من الذهاب إلى قسم حلوان . وقال الضابط للشرطى الخارق الذكاء : وكل من تراه خارجاً من القهوة تأتى به ؟ ! ولكن هذا لم يمنع الضابط من أن يتمم ما بدأه الشرطى ... فسألنى وأجبت ، فقال لى : « وحضرتك لازم تتفلسف وتكتب مقالات ! ! وربنى اللى كنت بتكتبه ... » وجعل الضابط يقرأ صامتاً ، وأنا أرجو أن أكسب قارئاً جديداً . ولم يخب رجائى فقد تفضل وأذن لى بالجلوس على كرسى بجواره ... ولكن « محضر التحرى » لا بد منه . وهذا يقضى بحجزى فى القسم حتى يثبت لهم أن « التفلسف وكتابة المقالات » لا ينطويان على خطر ... وتذكرت صديقى الأستاذ سيد قطب فهو من سكان حلوان ، فاستنجدت به ، فأسرع إلى فى القسم ، ولولاه لبت ، وبات معى الأدب والفن ، فى قسم حلوان . وتركت الصديق الكريم فى القسم يتمم معهم « إجراء اللازم » وعدوت إلى المحطة لألحق بآخر قطار من حلوان فى منتصف الساعة الثانية صباحاً .

ولم آسف أكثر مما أسفت لذهاب نشاط البوليس فى اعتقالى هباء ... ألم يكن من المحتمل أن يكون مكانى « عنصر خطر » ولكن لا بأس ، وأرجو لهم حظاً أحسن فى غير هذه المرة .

عباس خضر



زعماء الإصلاح فى العصر الحديث :

نشر الأستاذ الفاضل محمد خليفة التونسى فى العدد ٧٨٨ من الرسالة الغراء كلمة عن كتاب (زعماء الإصلاح فى العصر الحديث تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين بك ، وإنه لواجب علىّ أن أقول كلمة صغيرة أعقب بها على هذا النقد لعلها تبين شيئاً من أمر هذا الكتاب وإخراجه وتسميته .

لما أخذ الأستاذ الجليل أحمد أمين بك فى دراسة بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة فى مجلة الثقافة الغراء حوال سنة ١٩٤٤ ومابعدها جعل عنوان دراسته (زعماء الإصلاح الإسلامى فى القرن التاسع عشر) فراقتنى هذه الدراسة القيمة ، لأن هذا الجيل لا يعلم من أمر هؤلاء المصلحين إلا قليلا ، بل لا يكاد يدرى من أمر إصلاحهم شيئاً ، ولكنى خشيت أن لا تتناول هذه الدراسة أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده والسيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهما ممن قضوا نحبهم فى القرن العشرين . وما دام الأستاذ المؤلف قد درس شخصية السيد جمال الدين الأفغانى فلا بد له من أن يدرس شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده لأنه تلميذه الأول وخليفته فى الإصلاح الدينى والفكرى فى الشرق كله وفى عنق كل مسلم وكل مفكر فى هذا العصر دين كبير لهذين المصلحين العظيمين .

من أجل ذلك كله رأيت أن أقترح على الأستاذ الجليل أحمد أمين بك أن يوسع من أفق بحثه حتى يشمل من ذكرنا ، ولا بأس من أن يجعل عنوان هذا البحث (زعماء الإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث) وأن يجرد هذه الفصول ليبنى منها كتاباً برأسه ينتفع هذا الجيل منه ، ويكون له أسوة حسنة فيه وأرسلت بما رأيت كتاباً إلى حضرته ، فتفضل حفظه الله وبعث إلىّ بجواب مؤرخ ٢٤ / ٦ / ١٩٤٤ هذه صورته :

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو رية(١)

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأشكركم على خطابكم ، وسآخذ برأيكم فى تسمية البحث ، زعماء الإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث ، وأضم إليه بعض الأشخاص التى أشرتم إليها ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد أمين

وما لبث حضرته — بعد هذا الخطاب — أن غير عنوان البحث فى مجلة الثقافة الغراء ، فجعله : (زعماء الإصلاح الإسلامى فى العصر الحديث) وظل يكتب بحثه إلى أن فرغ من بحثه فيما كتب عنهم ، وكأنه عند ما أراد أن يخرج هذه البحوث كتاباً اختصر هذا العنوان فجعله : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث .

هذا ما رأيت أن أعقب به على ما كتب الأستاذ الفاضل التونسى لأبين للناس ما أعرفه من إخراج هذا الكتاب وتسميته ولو أن الأستاذ الجليل أحمد أمين بك قد أراد أن يدرس شخصياته دراسة (بيوجغرافية) كما يريد الأستاذ التونسى لما أعجزه ذلك ، بل لكان عليه هيناً ، ولكن كيف يتبع هذه الطريقة فى ترجمة عشرة من الزعماء — أو عشرين كما يريد الأستاذ التونسى — ثم يخرج هذه التراجم كلها فى مجلد واحد !.

ولعل الأستاذ التونسى بعد أن يطلع على كلمتنا هذه أن يغير رأيه فى هذا الكتاب القيم وينظر إلى قيمته فى نفسه وأثره النافع عند قارئيه ، وهو جد عليم بأن مجال البحث فى دراسة هذه الشخصيات وغيرها لا يزال واسعاً لكل من يشاء أن يدرسها بما يحسن من طرائق وأساليب ، ويعلم كذلك أن التاريخ نهم لا يشبع ، وهو فى حاجة دائمة إلى دراسات مختلفة لشخصيات العلماء وأعلام الفكر والإصلاح .

على أن الذى نأخذه على الأستاذ التونسى هو تنقيبه على تلك الهنات الصغيرة التى أوردها ، لأن مثل هذه الهنات مما لا يكاد يخلو منه قلم كاتب ، وهو نفسه قد زل قلمه ووقع فيما انتقد فيه غيره ، وإلا فما رأيه فى كلمة (مبرر) التى استعملها فى معنى مسوغ وهى كلمة عامية ، ثم هل يرضيه أن يُجمع (معجم) على (معاجم) ؟ ونكتفى بهذا القدر ، وللأستاذ منا خالص التحية .

محمود أبو رية

تحية كريمة :

أرسل الأديب الألبانى الأستاذ وهبي إسماعيل حقى كتابه الجديد « المهد الذهبي » إلى أمير القصة المصرية صاحب العزة محمود بك تيمور وقد تفضل وأرسل عزته إليه الخطاب الآتى :

(١) أثبتنا هذا الخطاب بنصه اتباعا لقاعدة نشر النصوص على أصلها

عزيزى الفاضل الأستاذ وهبى إسماعيل حق

تلقيت هديتكم القيمة « المهد الذهبى » وقصص أخرى من الأدب الألبانى . وإنها لمجموعة طريفة تجلو لنا فى صدق ووضوح أغوار النفس الألبانية وحياة المجتمع . وإنى شاكر لكم أجل الشكر إذ أتحتم لى الفرصة لأن أستمتع بذلك اللون الجديد من الأدب الشرقى ، وأرجو لجهادكم الطيب كل توفيق ونجاح .

وإنى مقدر لجهودكم الطيب فى توطيد أو أصر الود والولاء بين القطرين الشقيقين راجيا لكم حسن التوفيق ومطرد النجاح وتقبلوا خالص مودتى واحترامى .

المخلص

محمود تيمور

١ — تواريخ القدس :

ذكرنى مقال الأستاذ أحمد رمزى بك فى عدد سابق من « الرسالة » بناحية من نواحى عناية المسلمين ببيت المقدس ، وهى كثرة التأليف فى تاريخه . من ذلك ما جاء فى كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ص ١٢٤) : جمع تاريخ بيت المقدس وفضائله الحافظ أبو القاسم مكى بن عبد السلام بن الرميلى المقدسى ، وفضائله أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطى الخطيب والصلاح خليل العلائى ، وللعماد الاصبهانى الفتح القدسى ، وللحافظ أبى بكر بن المحب من نزل بيت المقدس ، وللبرهان بن الفركاح الفزارى باعث النفوس على زيارة القدس المحروس .

ومن الكتب المؤلفة فى ذلك أيضاً : تاريخ القدس لمحمد بن محمود بن اسحاق القدسى ، والجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى ، ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، وإتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى لابن أبى شريف ، والروض المغرس فى فضائل بيت المقدس للتاج الحسينى ، ولطائف أنس الجليل فى تحائف القدس والخليل لمصطفى اللقيمى ، والأنس الجليل

٢ — إنباء الغمر بأنباء العمر :

تكرر كثيراً فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق وغيرها اسم «إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى» بتقديم الباء على النون . والصواب « إنباء الغمر بأنباء العمر » بتقديم النون على الباء ، لأن الكتاب يذكر فيه مؤلفه الأنباء التى دفعت فى زمنه ، ثم يسرد أسماء المتوفين فى كل سنة . وللمؤلف كتاب خاص بأبناء عصره اسمه «الدار الكامنة» . وقد جاء اسم الكتاب صحيحاً فى « فهارس الكتب المصرية » .

محمد أسامة عليبة

لا تسألوا عن أشياء أيضاً :

كنت أحسب أن الآيتين الكريمتين : « وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون » ، « وقلنا ما نزّل الله من شىء إنْ أنتم إلاّ فى ضلال كبير » . فيهما وحدهما الرد على أستاذنا الكبير البشبيشى فى الرأى الجديد الذى ارتآه فى صرف كلمة أشياء الممنوعة من الصرف بإجماع الآراء — فإذا بالأستاذ يقول فى العدد ٧٨٩ من الرسالة الغراء « ولا وجه للقياس على توالى المقطمين بتكرار (إنْ) فى قوله : من شىء إن أنتم ... إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة شىء فى الآيتين . . »

وإذا جاز الوقف على شىء فيهما جاز أيضاً الوصل بل هو الأولى والأعلى والأصح خاصة فى الآية الأولى ، فيتوالى إذاً القطعان (إنْ إنْ) بلا تنافر ولا ثقل ولا إخلال بحسن الجرس أو التناسب أو التناسق الملحوظ فى القرآن . والوصل هو الأصل إذا جاز الفصل كالمعروف :

وإذا كانت همزة شىءْ مسبوقة بحرف لين صامت ، وهمزة أشياء مسبوقة بحرف مد صاعد ، فالأخف والأسهل نطقاً وذوقاً حرف المدّ لا حرف العلة مما يسيغ تنوين همزة أشياء لو جاز فيها التنوين ومتى ورد توالى المقطمين (إنْ إنْ) بسهولة سائغة فى الآيتين ولم يرد ذلك فى آية : لا تسألوا عن أشياء ، مع إمكان ذلك لو صح تنوينها — فلا وجه لشبهة من ثقل أو تنافر وتبقى الكلمة كما كانت ممنوعة من الصرف فى القرآن وفى غير القرآن

ولما كان الأستاذ البشبيشى لم يورد لها استعمالاً مصروفاً فى القرآن أو فى الحديث أو فى الشعر القديم أو فى النثر المعتمد فأنا ما أزال أقول (ولا يقال : أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة : ولا زال منهلاً بجرعائك القطر) ما أزال أقول إنّ الكلمة ممنوعة من الصرف لأحد الأسباب الكثيرة المعروفة التى أثقلت كواهل النحويين فى الكتب وأفهام الطلبة فى المدارس ، فهل يريد أستاذنا البشبيشى أن يزيدها سبباً جديداً ... ؟

أحمد أحمد العجمى



من الأدب الروسي :

شجرة عيد الميلاد

للكاتب القصصي تيودورد وستويفسكي

بقلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

أنا كاتب قصصي ، وأعتقد أنني كتبت هذه القصة . أقول « أعتقد » مع علمي التام بأنها من إبداع قلمي . ولكني مع ذلك على يقين بأنها قد حدثت فعلا في مكان ما في زمن ما ، وقعت في بلدة كبيرة ذات ليلة من ليالي عيد الميلاد الشديدة القر

إني أتخيل غلاماً ، صبياً صغيراً ، له من العمر ست سنوات أو أقل . استيقظ من مرقده في قبو رطب بارد ، وكان يرتدي جلباباً قصيراً ويرتجف من لفحات القر ، ويخرج من فمه مع زفيره سحابة بيضاء من البخار وهو قابع على صندوق في ركن من أركان القبو ، يراقبها تتصاعد في الجو مبتعدة عنه .

كان يشعر بالجوع يلوي أحشاءه . وكم ذهب العديد من المرات في صباح ذلك اليوم إلى الفراش العاري الذي ترقد عليه والدته العليلة ، ذلك الفراش ذو الحشية الرقيقة المهلهلة والوسادة أشبه ما تكون بالأسمال .

ما الذي أوجدها هنا ؟ لعلها قدمت مع ولدها من بلدة أخرى ثم دهمها المرض فجأة . كانت صاحبة الدار قد قبض عليها منذ يومين وأودعت السجن . ورحل معظم السكان لاقتراب العيد ولم يبق في الدار إلا من ثمل دون أن ينتظر عيد الميلاد ، وعجوز في سن الثمانين رقدت في أحد الأركان تتأوه وتتوجع من آلام (الروماتزم) وتعنف الصبي وتبدي تذمرها منه فيخشى الاقتراب منها .

كان في وسعه أن يحصل على ما يروي ظمأه من الغرفة المجاورة ، ولكنه لا يجد كسرة من الخبز يسد بها رمقه وكم قاسى من ذلك الجوع الذي كان يدفعه إلى محاولة إيقاظ والدته عشرات المرات . وشعر أخيراً بالخوف ينتابه الخوف من الظلام . كان الليل قد أرخى سدوله ، ولم يكن عنده ما يستضيء به ، ولمس وجه والدته فلم تبد أي حراك . كانت باردة برودة الحائط . فجعل يخاطب نفسه قائلا « إن الجو بلا شك بارد جداً » ووقف لحظة ، وبدون أن يشعر ، وضع يده على كتفي والدته ، ثم نفخ في أصابعه يدفئها ، ثم جعل يبحث عن قلنسوته فوق الفراش ، وأخيراً خرج من القبو .

لقد كان يود أن يخرج مبكراً ، لولا فزعه من الكلب الكبير الرابض عند باب الجيران . ونظر ، فلم ير للكلب أثراً ، فتابع سيره لا يلوي على شيء .

فليرحمنا الله . يا لها من بلدة ! إنه لم ير مثلها من قبل . حقاً إنها لم تكن كبلدته . كان الليل حالك الظلام ، ولم يكن في الطريق سوى مصباح واحد . وتوارى الناس في ديارهم ، فلم يسمع إلا نباح الكلاب ، مئات بل آلاف منها تنبح وتعوي طوال الليل . ولكنه كان في بلدته يستشعر الدفء ويجد مايقتات به . أما هنا ... آه لو استطاع أن يجد ما يأكله . يا لها من جلبة وضوضاء ! ويا لها من إضاءة ! ويالهؤلاء القوم وتلك المركبات ، وهذا الصقيع ! كان البخار يتصاعد في سحب من أفواه الجياد ، وكانت حوافرها تصطدم في سيرها بالأحجار المغطاة بالثلوج المتراكمة . كم هو في حاجة إلى ما يسد غائلة جوعه ... ولم يشعر الآن بالتعاسة . واقترب منه شرطي فتنكب طريقه وابتعد عنه .

ها هو ذا طريق آخر ، وما أوسعه من طريق . كان الناس غادين رائحين ، يصيحون ويهرولون ويندفعون والضوء ! ذلك الضوء ! ولكن .. ماهذا ؟ إنها نافذة زجاجية كبيرة . ونظر خلالها فرأى شجرة طويلة من أشجار عيد الميلاد ممتدة حتى السقف ، وقد تدلت منها مصابيح وأوراق مذهبة وتفاح ودمى صغيرة وجياد . وكان الأطفال في ملابسهم القشيبة يلهون ويمرحون ، ويأكلون ويشربون . ثم ابتدأت فتاة ترقص مع أحد الصبية . وانسابت إلى أذنيه نغمات الموسيقى . ونظر وتعجب ثم ضحك . كانت أطرافه تؤلمه من البرد وأصابعه حمراء متصلبة ، توجعه إذا ما حركها . وعندما تذكر ذلك ، طفق يبكي ، ثم عدا

حتى انتهى به المطاف إلى نافذة أخرى شاهد من ورائها شجرة ثانية ، ومنضدة حافلة بمختلف الحلوى وقد جلس حولها ثلاث سيدات يوزعن الحلوى على كل من يقصدنهن . وظل باب الدار مفتوحاً يدخله الكثيرون من الرجال والسيدات . وزحف الصبي ودفع الباب ، ثم دلف إلى الغرفة . لقد صاحوا فيه ودفعوا به إلى الخارج . وأقبلت عليه سيدة تهرول ودست فى يده قطعة من النقود ، ثم فتحت له الباب ودفعته دفعاً إلى الطريق .

وسقطت قطعة النقود منه ، ورن رنينهـا على الأرض . ولـكنه لم يستطع قبض أصابعه الحمراء لالتقاطها . وجرى مبتعداً ، وطفق يعدو إلى حيث لا يعلم . وكاد يبكى مرة أخرى . كان خائفاً مرتعباً ، واستمر يعدو وينفخ فى أصابعه ، يائساً ، وحيداً جزعاً . ولـكن ... ما الخبر ؟ كان الناس محتشدين أمام زجاج نافذه وقد ظهرت على محياهم علامات الإعجاب لرؤيتهم ثلاث دمى صغيرة تتحرك وكأنما قد دبت فيها الحياة . كانت الأولى تمثل رجلا عجوزاً جالساً يعزف على كمان كبير ، والدميتان الأخرتان واقفتان تعزفان على كمانين صغيرين وتحنيان رأسيهما ثم تحيى كل منهمـا الأخرى . وكانت شـفتاهما تتحركان كما لو كانتا تتحدثان .

ظن الصبي بادىء الأمر أنها حية . ولـكنه عندما استبان له أنها ليست إلادمى ، ضحك وتهلل . أنه لم يشاهد مثلها من قبل ، ولم تـكن تخطر له ببال . وألهاه ذلك المنظر عن شعور البـكاء الذى انتابه . ثم شعر بمن يجذبه من ردائه ، فالتفت خلفه فرأى غلاماً يلطمه على أم رأسه ، ثم اختطف منه قلنسوته ، ثم ألقاه على الأرض ، فسقط الصبي مرتعباً ، ولـكنه سرعان ماهب واقفاً وعدا مبتعداً عن النافذه وقد وجف قلبه فزعا ، وطفق يعدو دون أن يدرى إلى أين يذهب ، حتى وصـل إلى باب ساحة ، فدلف إليها وتهالك على كومة من الأخشاب وهو يخاطب نفسه « إنهم لن يبحثوا عنى هنا ، فى ذلك الظلام المدلهم » .

وجلس منطوياً على نفسه ، مبهور الأنفاس . ثم شعر فجأة بالسعادة تغمره ، وزال الألم من أصابعه واستشعر الدفء وكأنه قرب موقد . فارتجف وصاح « عجباً ! لابد أنى أحلم ! كم هو لذيذ أن ينام المرء هنا . سأرقد قليلا ثم أعود بعد ذلك لمشاهدة الدمى » وابتسم وهو يفـكر فيها ، وقد تمثلت فى خاطره كأنهـا مخلوقات حية . وسمع صوتاً حنوناً يهتف فى أذنه قائلا « تعال إلى شجرتى . شجرة عيد الميلاد أيها الطفل » .

وظن الصبي أنها والدته هى التى تهمس فى أذنه . ولـكن . لا . إنها لم تـكن والدته . من الذى يناديه ؟ ولم يجرؤ على النظر إليها عندما أنحنت فوقه تحتضنه فى الظـلام . ومد يده إليها . وفجأة ... يا إلهى . ما هذا الضوء الباهر ؟ وما أجمل هذه الشجرة ! أين هو الآن ؟ كان فى مكان جميل كثير الدمى . ولـكن ... كلا إنها لم تـكن دمى ، بل كانوا أولاداً نضرين فى حلل قشيبة وقد تهللت وجوههم بشراً . وأقبلوا عليه من كل صوب يحيطون به ويقبلونه . وشاهد والدته تنظر إليه وقد أشرقت على شفتيها ابتسامة فياضة ، فصاح قائلا « أماه ، أماه ، ما أجمل أن يعيش المرء هنا ! » وجعل يقبل الأولاد ، وود أن يخبرهم عن الدمى التى شاهدها . وجعل يسألهم « من أنتم ؟ من أنتم ؟ » وهو يشاركهم الضحك معجباً بهم . فأجابوه « هذه شجرة عيد ميلاد المسيح ، شجرته الخاصة ، وهبها للأطفال الذين لا يملـكون مثلها » .

كانوا أطفالا حالهم مثل حاله . فمنهم من تجمد برداً فى السلال التى تركهم ذووهم فيها على عتبات الديار . ومنهم من لقى حتفه خنقاً خشية العـار ، ومنهم من مات على ثدى والدته الجائعة والآخرون دهمهم الموت من فـساد هواء المكان الذى كانوا يعيشون فيه . ومع ذلك .. كانوا كلهم مجتمعين هنا كالملائـكة حول المسيح . وكان المسيح يتوسطهم ويمـد يده إليهم يباركهم وأمهاتهم قد فاضت دموعهن . وكانت كل من تعرفت بولدها تندفع إليه فى شـوق تقبله فيمسح عبراتها بيديه الصغيرتين ، متوسلا إليها ألا تبكى . كانت تغمرهم السعادة .. السعادة الحقة .

وانبثق نور الفجر ، عندما وجد حمال جثة الصبي متجمده الأطراف من شده القر ، راقدة على كومة الأخشاب .

وبحثوا عن والدته . كانت قد سبقته إلى العالم الآخر . لقد تقابلا أمام الله فى السماء .

لست أدرى لماذا كتبت هذه القصة التى لا تجرى فى أسلوبها مع مذكرات عادية أو مؤلفات كاتب . ولـكن كل ما أدريه أنى ما زلت على يقين بأنها ليست وليدة الخيال ، وإنما وقعت فعلا ، وإنه قد حدث ما حدث فى ذلك القبو وكومة الأخشاب هناك .

أما عن شجرة المسيح ، فلا أستطيع أن أجزم هل هي حقاً فى عالم الوجود أم أنها من نسيج خيالى .

(الإسكندرية) محمد فهمى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩١ — الاثنين ٣٠ أغسطس ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

16 em Année No. 791

Lundi — 30 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٩١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٦٧ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

فصيلة المخلوقات الخبيثة

للأستاذ نقولا الحداد

لقي أحد معارفي أحد أفراد أسرتي ونصح له أن ينصح لي بالعدول عن الكتابة في الصهيونية ، وكانت نصيحته تتضمن شيئاً من التهديد . ولهذا الصديق علاقة مالية مع يهودي . فهو إذن تحت رحمته ، واليهود لا يعرفون الرحمة . ويلوح لي أنه يريد من هذه النصيحة أن يستعطف شريكه ، حتى إذا فعلت النصيحة فعلها حسبها ذلك اليهودي خدمة جليلة ... وما تعلم صاحبنا حتى الآن من علاقته بذلك اليهودي أنه لو سفك دمه لأجل خاطره لما حسب هذا السفك إلا واجباً لا يكافأ عليه إلا بأن يحمل جثته عند عتبة داره مداساً لنعليه .

لا يعلم صاحبنا أن هذه الفصيلة من المخلوقات الحية ليست من جنس البشر ذات قلوب رقيقة وعواطف شريفة وضمائر حية حتى تقدر المعروف حق قدره . إنما هي بلا ضمير ولا عاطفة ولا قلب ولا إحساس ولا شرف — فصيلة الأحياء الخبيثة .

وقد بلغ اللؤم من هذه الفصيلة أن جازت انكلترا المتفضلة على وعد بلفور جزاء سنمار . وكلنا يعلم حوادث بغيهم ولؤمهم من مقتل اللورد موين ، إلى خطف القاضي من المحكمة ، إلى صلب الضابطين البريطانيين اللذين خطفوهما ، إلى غير ذلك من رذائلهم مع أسيادهم الإنكليز من غدر وخيانات الخ . ففصيلة كهذه لا تحسب حساباً للمعروف والفضل .

وفيما كان الناس يستغربون استخذاء الإنكليز لليهود في فلسطين كان اليهود في مصر وغير مصر يقولون : لا تعجبوا . فإن الإنكليز يخافوننا مضطرين إلى احتمال عدواننا برغم أنوفهم .

والآن إذا ذكرنا أمام يهودي أو يهودية أن اليهود المعتقلين عندنا يعاملون معاملة أفضل مما لو كانوا في منازلهم قال لك : وهل تجسر الحكومة أن تعاملهم إلا أفضل معاملة ؟

لا عجب ، لأن ما نحسبه نحن إنسانية في معاملتهم يحسبونه هم واجباً محتوماً ، لأنهم لا يفهمون معنى الإنسانية والشرف والضمير .

ألا فليعلم العرب أنه لو قامت لهذه الفصيلة الحيوانية قائمة لصاروا جميعاً أذل من العبيد لها ! أليس أفضل للعرب أن تسفك دماؤهم في حرب شريفة من أن يسفكها هؤلاء الأنذال ؟ أو ليس أشرف للعرب أن ينهزموا في حرب تكون الدول الكبرى فيها نصيرة لهذه الفصيلة الطاغية من المخاليق ؟

يتهددني هؤلاء الأنذال بعد أن عجزوا عن إغوائي بالأموال لكي أكف عن فضح سرائرهم وشجب تعاليمهم في كتبهم . فليعلموا أني لن أبقى في الحياة إلى ذلك اليوم المشئوم الذي يستتب فيه أمرهم ، إن استتب لا سمح الله ، لكي ينتقموا مني . وليفهموا أني لم أذكر إلا الحقائق الصريحة عن غاياتهم وتاريخهم ومقاصدهم مما هو واضح في توراتهم وتلمودهم .

وما كانت هـذه الثورة الصهيونية إلا سبباً فى كشف مساوىء هذه الفصيلة من المخلوقات والعالم كله يشهد الآن غدرها وخيانتها وخبثهـا . كم مرة تزيوا بزى الضباط الإنكليز لكى يخدعوا العرب ويغدروا بهم ؟ وكم مرة تزيوا بأزياء العرب ليغشوا العرب ! وأمس تزيو بزى رقباء هيئة الأمم لكى يحتلوا مركز الصليب الأحمر وعمـله إنسانى محض كما هو معلوم . إن جميع أفعالهم فى الحرب والسلم غش وخداع وغدر . والعالم يشهد الآن حقيقة أخلاقهم التى لم يعودوا يستطيعون سترها . لم يعد هؤلاء الذئاب يستطيعون أن يتزيوا بجلود الحملان .

لقد انفضح أمرهم حتى للأمريكان الذين يستنصرون بهم ، وشرع هؤلاء منـذ الأمس يسخطون على ترومان الغبى الذى حملهم تحت إبطه وهو يتوهم أنه يتأبط حملاناً وديعة . لقد انفض الأمريكان عن ترومان . وسيفشل ترومان فى الانتخابات . وحينئذ يعرف العالم أجمع أن من يناصر اليهود فاشل لا محالة . وبذلك تحبط كل دعاية يهودية على وجه الأرض .

ولسوف يندم الأمريكان الذين ناصروا اليهود على العرب وهم قليلون . وسيقولون حقاً : « لقـد أسأنا للعرب بمناصرة اليهود » إذ يشعرون أن وطأة مسـاوىء اليهود فى بلادهم أثقل عن وطأة أبالسة الجحيم . وسيعانون فى طردهم من بلادهم ما عانى الألمان من قبلهم وما يعانى الإنجليز الآن .

هل يعلم القراء أنه مكتوب على أبواب بعض الفنادق الأمريكية : « ممنوع دخول اليهود والـكلاب إلى هذا الفندق » ، ذلك لأن فريقاً من البشر لم يعودوا يطيقون ثقل هذه الفصيلة الحيوانية التى ليس لها من البشرية إلا الوجه واللسان دون الروح والجنان .

لقـد انضح لكل ذى عينين أن هؤلاء الخاليق لا يقيمون وزناً للعهد ولا للشرف ولا للانسانية ولا لهيئة الأمم ولا لمجلس الأمن ، وجامعتنا العربية سامحها الله لا تزال تتمسك بصدق الوعد وشرف الـكلمة فى حين أنه لا هيئة الأمم ولا مجلس الأمن ولا برنادوت يحسبون هذه المحمدة للعرب ولا يقيمون لها وزناً .

وما رقباء هيئة الأمم بأشرف كلمة وأطهر ذمة من هؤلاء اليهود . فقـد صرحوا أمس بكل وضوح أن اليهود هم الذين احتلوا دار الصليب الأحمر متنـكرين فى أثواب الرقباء وشاراتهم وقد أرسلوا هذا الإقرار إلى برنادوت . واليوم يقولون لقد تيقظنا صباحا فإذا فى الدار عرب ويهود ، فلا ندرى من دخلها أولاً ! فانظر المـكر الذى ليس بعده مكر ! هل يدخل العدوّان معاً ؟

وإذا علمنا أن بعض هؤلاء الرقباء يهود أمريكيون فلا غرابة فى هذا النفاق . وقد سأل بعض الصحفيين العرب أحد الرقباء : هل هو يهودى ؟ فأجاب نعم إنى يهودى ، ولـكننا لم نأت بهذه المهمة باعتبارنا يهوداً. بل أمريكيين فتأمل هذا الـكلام الفارغ أو اللغو البارد .

أيها العرب ! إن سياسة : « أحسنوا إلى من أساء إليكم » لا تنفع شيئاً مع هذه الفصيلة الحيوانية حتى ولا مع جماعة الدول؛ فإن كنتم تنوون خلاصاً من هذه الـكارثة فلا تسألوا عن هدنة مفروضة عليـكم فرضاً ، وقد فرضها اليهـود لـكى يستغلوها لأنفسهم . فافتحوا عيونـكم وانظروا ما أمامكم .

نقولا الحداد

حاشية — ورد فى المقال الأسبق « آراميين » والصواب : آريين .

من الأعماق

للأستاذ أنور المعداوى

— ١ —

سأل نفسه وهو يشهد ليلة تنطوى وفجراً يبزغ : أيمكن أن تمر تلك الليلة على إنسان كما مرت عليه ؟ ... وسمع جواب نفسه منبعثاً من أعماقه : محال ... !

وكانت ليلة عيد ... ولا يذكر أنه أحس الفقر فى حياته كما أحسه فى تلك الليلة ، ولا يذكر أنه أنكر دنياه كما أنكرها فى تلك الليلة ، ولا يذكر أنه استشعر الوحدة والغربة والفراغ كما استشعرها فى تلك الليلة ... لقد كان يشم فى كل شىء حوله رائحة الموت ، الموت الكريه البشع الذى يتراءى للأحياء فى الليالى السود ، ويلف الآمال فى أكفانه ، ويهيل على جمال الحياة أكوام التراب !

وأشرقت شمس العيد ترسل ضياءها إلى قلوب الناس إلا قلبه ... لقد بقى وحده فى الظلام ، ظلام الأمانى التى ذوت ، والفرصة الكبرى التى انطوت ، والدنيا التى ذهبت إلى غير معاد . ولأول مرة منذ سنين ، شعر بدافع قوى إلى البكاء ، وحاول أن يبكى ولكنه لم يستطع . لقد تجمدت الدموع فى عينيه ثم تحدرت إلى قلبه قطرات : فيها من دفء عاطفته ، وفيها من وقدة وجدانه ، وفيها من لوعة حرمانه ... وفيها من وهج أساه !

ونظر إلى السماء نظرة من يبحث عن شىء عزيز قد ضاع منه ، أو نظرة من يسأل السماء سؤالاً لا جواب عليه : أين يارب يجد الصبر وينشد السلوة ويلتمس العزاء ؟ كل شىء قد انتهى ، وكل جلد قد انقضى ، وكل زاوية من زوايا النور قد أغلقتها يد الزمن ... وها هو يمضى فى الحياة وحيداً بلا رفيق ، وغريباً بلا حبيب ، وجرحاً تخضبت معالم الطريق من فيض دمه !

إنه ليذكر كيف قضى ربيع العمر منطوياً على نفسه ، بعيداً عن الناس ، تصلى أفكاره فى محراب الشجن ... ويذكر كيف كان يختلس البسمة اختلاساً ، ويغتصبها اغتصاباً ، وترف على شفتيه رفيف الشعاع الحائر يرسله على جوانب الأفق شمس غاربة ! ... ويذكر كيف أتى عليه يوم انقلب فيه من حال إلى حال : ابتسم للحياة من قلبه ، وأضفى عليها من روحه ، وقبس لها من حبه ، وأصبح إنساناً غير الذى كان ...

لقد كان يسير فى طريق الحياة ولا يعرف إلى أين ... لم يكن له هدف يسعى إليه ، ولم تكن له غاية تسدد خطاه ، ولم يكن له أمل ! كل ما يذكره أنه لقى من مرارة السير فى الصحراء مالم يلقه إنسان : لقى فيها الشوك ، ولقى فيها القيظ ، ولقى فيها الصخر ، وذاق فيها ما ذاق من سفى الرمال ولفح السمائم ...

ويذكر أنه لمح يوماً على البعد واحة ، وأنه وقف مشدوها لا يصدق عينيه ، وقال لنفسه : سراب ! ومضى فى طريقه لا يلوى على شىء ؛ وفجأة قالت له قدماه قف ، وقالت له عيناه أنظر ، وقالت له نفسه : هنا يا مسكين ... لقد آن للاغب أن يستجم ، وللمجهد أن يستريح ، وللسفينة الحيرى فى خضم الحياة أن تبلغ الشاطىء !

ونظر إلى السماء نظرة طويلة ، حار فيها دمع واضطرب ريق ... واحة فى صحراء ؟ ونبع يتدفق ماؤه ؟ وزهرة ندية بالعطر فواحة بالأرج ؟ كل هذه الأشياء يا رب له ؟ أين كانت وأين كان ؟ ! ... وابتسم للحياة من قلبه ، وأضفى عليها من روحه ، وقبس لها من حبه ، وأصبح إنساناً غير الذى كان !

وألقى بالماضى كله فى زوايا العدم ... لقد كان يعيش فى حاضره ؛ حاضره الذى داعبته رؤى من المستقبل الباسم ، ورقصت على حواشيه أطياف من الأمل الوليد ، وانطلقت فى أرجائه صيحة العمر الذى بعث ... هناك حيث ينتظره المجد تدفعه إليه يد حانية ، وقلب يخفق ، وبسمة تشرق ، وروح يرح بها الشوق إلى لقاء روح ؛ ويا بعد الدنيا التى كانت فى قلبه والدنيا التى تراءت لعينيه ! ...

— ٢ —

ومضت به الحياة فى طريقها تطوى الأيام ... الزهرة الحبيبة يسقيها من فيض عطفه ، والنبع الرقراق يسعى إليه إذا طال ظمؤه ، والواحة الوارفة تحميه بظلها من لفح الهجير ... يا صحراء : أين كانت الجنة ؟ لقد كانت فى رحابك وهما بغيضاً لا غناء فيه !

يا صحراء : أين كانت السعادة ؟ لقد كانت فى عذابك حلماً مخيفاً لا تأويل له ! وأنت يا زهرته الحبيبة أين كنت ؟ لقد قالت له عيناك إن الجنة ليست وهما ، وإن السعادة ليست حلماً ، وإن ماضيه كله يمكن أن يختصر فى لحظة من حاضره ؛ ماضيه الذى أصبح ذكرى فى طوايا الغيب ، وومضة فى ثنايا الخاطر ، وصرخة كتمت أنفاسها يد النسيان .. !

وفى تلك الدار من ذلك الحى كان هواه ... يذهب إليها مع الصبح ، وحين يقبل الليل ، وكلما هزه الشوق وطال الحنين ؛ ولن ينسى كيف كانت تستقبله الدار يوم كان يقصد إليها : ملء يديه زهر ، وملء عينيه أمل ، وملء قلبه حب ، وملء نفسه دنيا من الأحلام ... أبداً لن ينسى الوجه الذى كان يتلقاه باليدين حين يقبل ، وبالروح حين يجلس ، وبالدعاء حين ينصرف مودعاً إلى لقاء قريب ...

ولن ينسى أنها كانت تهوى الأدب ، وتعشق الفن ، وعلك عليها الشاعر كل معنى جميل ... ولن ينسى أن صلته بها كانت عن هذا الطريق الذى جمع بين قلبها وقلبه ، وبين طبعها وطبعه ، وبين شعورها وشعوره ... ومن أجل هذا كله كان يدفع إليها بكل كتاب يقرؤه ، وكل مقال يكتبه ، وكل أثر من آثار الفن يعلم أنه يلقى من نفسها هوى ورعاية !

لقد كانت تعجب به حين يتحدث ، وحين يقرأ ، وحين يكتب ... أما هو ، فيشهد أنه لم يكن يكتب إلا لها ، لها وحدها ! لم يكن يهمه أن يرضى عنه الناس مادامت هى راضية ، ولم يكن يحفل بأن يتحدث عنه الناس ما دامت هى تتحدث عنه ... ولقد بلغ به الغرور وهو فى غمرة إعجابها به حداً جعله يعتقد أن ليس هناك من يكتب خيراً منه ، ولا من يفهم خيراً منه ، ولا من يتذوق آثار الأدب والفن خيراً منه ! ! ... وكان حين يسألها عن أى المجلات الأدبية تحب ، وحين يتلقى جوابها مشفوعاً بأسباب التفضيل والإيثار ، يبعث إلى هذه المجلة بمقال ، وإلى تلك بغيره . لقد كان يود دائماً أن يرى نفسه إلى جانبها ، حتى إذا عاتبته يوماً على غيابه الذى طال اعتذر لها بأنه كان معها بالفكر والروح ، وحسبها وحسبه أن يلقاها وتلقاه ... بين السطور والكلمات ! وتشهد دار الرسالة كلما ظهر له فى الرسالة مقال ، أنه كان يقصد إليها فى يوم السبت ليحمل إليها العدد قبل صدوره لتكون هى أول من يقرأ مقاله وأول من ينقده ...

لقد كانت تحرص دائماً على أن تكون أسبق الناس إلى لقائه ؛ تلك التى كان يرجو أن تصبح يوما شريكة حياته ... وكم بنى من قصور الأوهام ماشاءت له فنونه وشجونه ! كم أقام على دعائم الخيال عشهما المنتظر ؛ عشهما الجميل الهادىء ، ذلك الذى يملؤه الأطفال أنساً ومرحاً وبهجة ، تملؤه هى حباً وحناناً ورحمة ! !

يا دنيا الأدب والفن ، يا دنيا الجمال والنبل ، يا دنيا الجلال والطهر ، أنت التى دفعته بيديك إلى الأمام فأنسيته كل معنى من معانى الوراء ، وأنت التى بعثت الحياة فى وجدانه فأنسيته كل معنى من معاني الفناء ؛ وأنت ، وأنت ، وأنت ... فأين أنت ؟ ! أين يا دنيا ذهبت ممالك ، وغاض بشرك ، ونضب بهاؤك ؟ يا دنيا ما أقبحك ، وما أحقرك ، وما أهونك ... حين يضيع فيك الأمل ويخيب الرجاء ! !

— ٣ —

وأبداً لن ينسى يا دار هواه ، يا من كنت وحى قلمه ومهبط إلهامه وحديث أمانيه ... لن ينسى حين غاب عنك أياماً ثم ذهب ليرى أهلك فى آخر يوم من رمضان : ملء يديه كما كان بالأمس زهر ، وملء عينيه أمل ، وملء قلبه حب ، وملء نفسه دنيا من الأحلام ... لقد كنت يا دار واجمة ، كئيبة ، يمرح فى جنباتك الصمت ويطبق السكون ! أين يا دار من كانت تفتح له أبواب الشعور بالدنيا على مصاريعها ؟! أين ... أين ؟ لقد قالوا له إنها مريضة ... مريضة ؟ وهرع إلى حجرتها مسلوب الوعى ، مرتاع الخطو ، ملتاع الضمير ، وأخذ مكانه إلى جانبها وتناول يديها بين يديه ، وألقى على الوجه الشاحب نظرة سكب فيها من ذوب قلبه كل ما أدخرته له الليالى وحفظته الأيام !

أما هى فلم تنطق بكلمة ؛ لقد أطبقت شفتيها الذابلتين ، وشع من عينيها بريق عتاب لونته الدموع ...

وأطرق برأسه إلى الأرض برهة ، وطوفت نظراته الذاهلة هنا وهناك كأنما تبحث عن الألفاظ الحيرى فى ساعة اللقاء الرهيب .. واستطاع بعد جهد أن يجمع شتات نفسه ليقول لها : لا أدرى كيف أعتذر إليك .. أحقا كنت غائباً وأنت مريضة ؟ كيف بالله لم يحدثنى قلبى ؟ .. ألا تغفرين لى ؟!

وأمام اللهفة الحرى والخشوع الضارع والصمت المبتهل ، غفرت له ! !

وبالحظة الغفران كم خففت من وخز ضميره ، وكم حملت من عبء عذابه ، وكم قربت بينه وبين الله !

ومضى يحدثها وتحدثه ، ويا عجبا ... لقد عاد إلى الوجه الشاحب إشراقة الفجر ، وإلى الوجنة الذابلة نضارة الورد ، وإلى النظرة الفاترة صفاء النبع ، وإلى الجسد المنهك تدفق العافية !

وقالت له وهى تستوى فى سريرها جالسة : أنظر . . ألا ترى أن العافية قد عادت إلى بعودتك ؟ فأجاب والفرحة الجارفة تهز كل ذرة فى كيانه : لو كنت أعلم لعدتك قبل اليوم ، ولما تركتك نهباً لعوادى السقم ! ومضى يحدثها وتحدثه ، ويقرأ لها وتصغى إليه ، ويبنى لها من قصور الأوهام ما شاءت له فنونه وشجونه .

وتقول له وهى فى غمرة الأمانى وزحمة الأحلام : بالله دعنا من المستقبل وخلنا فى الحاضر ... إن غداً ليوم عيد ، فهل فكرت فى أن تهىء لنا مكاناً جميلا نقضى يومنا فيه ؟! ويقول فى صوت تنطلق فيه الهمسة من نجاج روحه : أما العيد فأنا اليوم فيه ... وأما المكان الجميل فقد هيأته لك فى قلبى !

وترنو إليه معجبة ، ويرتسم على شفتيها ظل ابتسامة فاتنة ، وتهتف من الأعماق قائلة له : هل تعرف أنك تجيد فن الحوار ؟. لماذا لا تعالج كتابة القصة ؟ ... أنا فى انتظار اليوم الذى تكتب فيه قصتك الأولى .

ويعدها بأن يكتب قصته ، ويودعها وتودعه ، وينطلق عائداً إلى بيته على أن يراها فى صباح العيد ... ولم يكن يعلم أن المقادير تدخر له أسود ليلة فى رصيد العمر ، وأبشع صباح فى حساب الشعور ! ولم يكن يدرك أن ما رآه من ومضات العافية حين جلس إليها كان أشبه بومضات المصباح قد فرغ زيته ، فهو يرسل أسطع أضوائه قبل أن ينطفىء ، ويترك الحياة من حوله يختنق فيها النور تحت قبضة الظلام !

لقد طوى الموت فى المساء صفحة عمر ، وغيب القبر فى الصباح أحلام عذراء . ولقد رغبت إليه أن يكتب قصته الأولى ، فاليك يا قبرها يقدم أول قصة وآخر قصة .

وكل حقيقة بعدها وهم ، وكل واقع بعدها خيال ، وكل إيمان بعدها شك ، وكل وجود بعدها عدم . . وكل معنى من معانى الخير والجمال بعدها هباء !

أنور المعداوى

من رمال المصيف

رسالة فى قصيدة

« إلى التى خطرت كالشعاع ، ثم عبرت بغير سلام أو وداع »

للأستاذ على محمود طه

إذا أقبل الليـــلُ يا حَيرتى ... تفقَّـدتُ فى الشط حوريَّتى
وُعدت كئيباً إلى غُرفتى ... أراعى الكواكب من شرفتى
وأشعل بالوجد سيجارتى ... فلا البدر حبَّب لى سهرتى
ولا البحر هدَّأ من ثورتى ... وحيداً تسامرنى فكرتى !

أأجلس يا بحر وحدى هنا ... فأين من العين ذاك السَّنى
وأين من القلب تلك المنى ... وأين مواعيــدُ نادت بنا
وأين المســاء الذى ضمَّنا ... لديك وألَّف ما بيننا
فيا ويح قلبى ماذا جَنى ... ليحمل هذا الأسى والضنى !

خلا من مُحياكِ هذا المصيف ... وأقفر ذاك الندىُّ اللطيفُ
كأنى به قد دهاه الخريف ... فليس عليه خيالٌ مطيف
ذوَى بشرهُ فهو أفق كسيف ... وبرٌّ حزينٌ وبحرٌ لهيف
وموجٌ له أنَّةٌ أو وجيف ... وريحٌ تنوح وليلٌ شفيف

غداً يا حبيبةُ عند المســاء ... ستسأل عنا نجوم السماء
ألم يضربا موعداً للقــاء ... على صخرة بين رمل وماء ؟
أجل يا حبيبةَ هذا الضــياء ... ذهبنا وُعدنا بحكم القضاء !
غريبين نضرب عبر الفضاء ... كأنا على جفوة أو تنائى

مددت إليك يد الواثق ... فمادت بلذع جوى حارق
وأبعــدتِ يا رحمة الخالق ... فم الحبِّ عن نبعك الدافق
تعالىْ إلى روحى الوامق ... تعالى إلى قلبى الخافق
تعالى على عهدك السابق ... تعالى إلى إلفك العاشق !

(سيدى بشر)

على محمود طه

رحلة فى ديار الشام

فى القرن الثامن عشر (الثانى عشر الهجرى)

(الحلة الذهبية فى الرحلة الحلبية)(١)

لمصطفى البكرى الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

كان الداعى إلى هذه الرحلة ، رغبة الشيخ مصطفى البكرى فى زيارة بغداد فيقول فى مقدمة رحلاته « كان كثيراً ما يختلج فى بالى ، فيهيج أشواقى وبلبالى ، زيارة بغداد ورجالها الموالى . فأصد عن الشرب من نهر دجلتها وقربانه ، والغرام يزيد إلى علم الشرق الفريد وصاحب المذهب المذهب السعيد والكاظم (٢) وولده الوحيد ، السامى كل منهم على أقرانه ، وغيرهم من أعيان ، أرباب عيان » الخ . . ويخص من الأعيان سلطان الأولياء سيدى عبد القادر الجيلانى (٣) ، وكان قد انتسب إلى طريقته وتراءى له فى المنام فعزم على التوجه إلى حلب ومنها إلى بغداد ، ولكن زوج والدته منعه من ذلك مخافة الحر ، وخشى تعرض العربان له بسوء . فعدل عن زيارتها ، ورأى أن يتوجه من حلب إلى زيارة مقام سلطان الزهاد ابراهيم بن أدهم (٤) فى جبلة ومنها إلى طرابلس الشام فبيروت فبيت المقدس . وكان رفيقه فى الطريق السيد مصطفى بن عبد الرحمن المنينى (٥) وأخاه لامه أحمد .

وقبل ما تحرك خاطر الشيخ ، لتلك المنازل المواطر ، سأل الشيخ أحمد ، فكاشفه قبل الاستشارة وصرح وما اعتنى بالإشارة .

(١) مصطفى البكرى الصديق (١٠٩٩ هـ — ١١٦٢ هـ ، ١٦٨٧ — ١٧٤٨ م) . مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية بالقدس .

(٢) وإليه تنسب الكاظمين وهى ضاحية من ضواحى بغداد ، عدد سكانها أربعون ألفاً ، وفيها مقام الكاظم وولده .

(٣) هو أبو محمد الجبلي الحنبلى ولد بجيلان سنة (٤٩١ هـ) وتوفى (٥٦١) القطب الكبير .

(٤) توفي (١٦١ هـ) ودفن فى جزيرة من جزر البحر في بلاد الروم مجاهداً .

(٥) نسبة إلى منين وهى قرية خضرة نضرة شمالى جبل قاسيون . إليها ينسب الجوز المنيني لرقة قشره وبياض قلبه . وإليها ينسب الشيخ أحمد بن على المنيني مؤلف كتاب « الإعلام بفضائل الشام » .

وجاء فى هذه الأثناء الأخ الشيخ مصطفى بن عمر الحلوانى وطلب للولد القلبى الشيخ اسماعيل الحرستانى بالدعوة والإرشاد ، ولبس الكسوة على المعتاد ، فأذن له .

ثم كرر الشيخ الاستخارة فى السير ، موقع الإذن بالمسير يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رجب سنة [١١٢٨ هـ — ١٧١٥ م] فتوجه وبات فى قرية (القصير) ورافقه بعض الإخوان مودعين ثم سار إلى أن وصل (القطيفة) ومنها إلى (قارة) ومنها إلى (النبك) المشتية أهلها فيها والمصيفة ، ثم إلى (حسية) ومكث يومين ومنها إلى حمص (١) وهو بلد يذكر ويؤنث . وأقام فى جامعها الكبير ، وزار من بعيد مقام خالد بن الوليد ، مات بحمص سنة إحدى وعشرين [٦٤١ م] .

ويقول الشيخ « ولم يمشم لنا نصيب ، بدخول مدينة حمص العجيب ، تكوينا ومزدرعا وأمواها ، لأن الخراب عمها حتى فيها ظهورها تناهى ، وكان أكثر خرابها من الموالى (٢) الذين من وآلاهم لم يوال الموالى ، على أن فيها من المزارات والسادات الكثير ويغلب على أهلها البلاهة والتغفل (٣) مع الجد والتشمير ، ولقد دخلت جامعها الكبير فرأيته آيل إلى التعمير ، فصليت فيه الظهر والعصر ، بنفر غير كبير » .

وفارق حمص فى الصباح ، ولم يسر غير قليل حتى بزغت الشمس وإذا بخيول كأنها سيل يسيل من عرب يفسدون فى الأرض دون إصلاح ، لا يعرفون صلاحاً ولا سلاحاً حتى فى صلاح ، يرون نهب أموال الخلق مغنماً ، وسلامة الخطار من شرهم مغرماً ، فانعمت القافلة كالحرف المشدد ، وانحازت المقاتلة إلى جهتهم بالرأى المشدد ، فصرف الحق قلوبهم وفلوا (٤) وبعد الكثرة والاجتماع تفرقوا وفلوا وشم الشيخ قرب انصرافهم .

(١) كورة بالشام مشهورة ، أهلها يمنيون ، قال سيبويه هى أعجمية لذلك لم تنصرف وقد تذكر . والعرب تقول « أذل من قيسي فى حمص » .

(٢) قبيلة الموالى ، قبيلة كثيرة العدد تضرب فى صحراء سوريا ، ولها بطون كثيرة ، وإليها ينتسب آل العابد فى دمشق وآل طوقان فى جبل نابلس ، وآل أبو ريشة فى حلب .

(٣) هذا قول عام لا يستند على أساس ولعل ذلك من آثار اختلاف القيسيين واليمنيين .

(٤) فل القوم كسرهم وهزمهم . تفلل القوم انكسروا . وقوم فل أى منهزمون .

رائحة قرنفل فقال « قُرِن فلُّ ريهم » فولوا ، ولم يحصلوا على ما أملوا ، وأصابهم من الله ضيراً ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وعند قرب جسر الدستن كرف [1] ورداً ، فقال الشيخ وراد فاذا قافلة تكد كداً » .

وفى قرية الرستن مرقد الإمام أبي يزيد طيفور بن عيسى السطاوى [2] ، والمذكور له مشيخة على الشيخ ، فقرأ له الفاتحة . وقرب العصر وصل حماة ، ونزل فى جامع مطل على العاصى . وسأل الشيخ من أهل البلد عن سبب خراب ديرتها ، فقالوا له قبيلة العرب الموالى التى تنفر الطباع من سيرتها . وقد أشجاه صوت نواعيرها السامى ، وأبكاه سراً إذ أنكاه جهراً تذكار مربيع مربعه وطنه الشامى ، غير أن نواعيره صغيرة ، وهذه كثيرة كبيرة ، وأنشد بيت الصلاح الصفدى :

إبدى لنا الدولاب قولا معجباً — لما رآنا قادمين إليـه
إنى من العجب العجيب كما ترى — قلبى معى وأنا أدور عليه

قال فى القاموس : العاصى العرق لا يرقأ ونهر حماه واسمه الميماس والمقلوب ، لقب به لعصيانه فإنه لا يسقى إلا بالنواعير .

وسار إلى المحطة ونزل على العاصى ، قرب ناعورة تسقى مروجاً أنيقة فتنبت النبات الحسن النهج والطريقة ، وفى الصباح سار يقطع البطاح ، ويوصل الليل بالنهار من السهاد ، وكان قد وصل إليه كتاب من بعض الأحباب ، صدره به :

يا نسيماً هب من وادى قبا — خبرينا كيف حال الغربا
كم سألنا الدهر أن يجمعنا — مثل ما كنا عليـه فأبى

وتوجه نحو (المعرة) ، وهى على مرحلتين من حلب فبات بها ، ثم سار إلى قرية (سرمين) المحتوية على الألوف لا المئتين ، ونزل فى جامعها الحصين وسار ليلا قاصداً حلب وشهباء ، وأصابه عطاش لقيظ وحر ، حتى وصل سبيل المرأة المرحومة ، فشرب وشربت القافلة ، وكان معه أخوه لامه أحمد فسبقه معلماً والده الحاج ابرهيم الطويل ، فأخذه إلى بيته فى القلمة ، وكانت تصعب عليه الطلمة ، وبعد ثلاثة أيام نزل إلى خلوة فى العادلية . وكان الوصول إلى حلب فى أوائل شعبان المبارك .

وبعد أيام جاءه رفيق السفر السيد مصطفى المنينى يرجوه بالحاح أن يمدح مفتى الديار الحلبية أبى السعود الكواكبى . فتردد الشيخ مراراً من الظهور ولكنه نزل على إصرار رفيقه فقال :

سماء الدنا قد زينت بالكواكب — كما زينت الغبرا ببيت الكواكبى
أناس لهم فى ذروة المجد منزل — يجل ويعلو فوق كل المراتب الخ

وقد سر بها المفتى ، ودعا الشيخ إلى داره ولما استقر به المقام جاءه عمر أفندى النقيب وسأل عنه ، وعن ابن عم الشيخ ، وسبب تغير مزاجه ، وكان قد اجتمع به لما أتى مع أعيان الشام للاقلاة الشيخ مراد ، فأجابه أن هذا الأمر أخبر عنه الشيخ عبد الغنى النابلسى . ثم استفسر عن قضية الدراهم التى طلبت منه بعزمان ، فلخص له القصة وأنها كانت زوراً وبهتاناً ، ومن جملة الشهود على أنها باطلة الشيخ عبد الغنى ، وأعيان الشام وقد أعلم الشيخ المذكور الوزير بالقضية فى مكتوب كبير فجاء العفو ، وقبول شهادته . ولم يجتمع الشيخ البكرى بالمفتى إلا فى العيد بعد الصيام ، وكان يتردد وهو فى حلب على تكية الشيخ أبى بكر بن أبى الوفا ، وليس فى خارج حلب أنزه من تكيته وأعجب ، ولذا قيل فيها صالحية [1] حلب واصطحب معه شيخ التكية ، الشيخ على ، وتردد عليه مراراً ، وتمرض هو والدادة [2] على ، وعوفى المذكور وتوفى الدادة . وطلب الشيخ مصطفى المنينى رفيقه فى الطريق الرجوع ، فكتب الشيخ كتاباً إلى الشيخ اسماعيل الحرستانى وطلب منه أن يسلم له على الحاج ابرهيم الدكانى ويستدعيه فلما حضر ، أذن للشيخ مصطفى بالسفر .

وممن زاره فى حلب الحاج على السكارجى « وطلب منه

(1) شم .

(2) إليه تنسب الطريقة البسطامية ، من رجال القرن الثالث (٢٦١ هـ) مقامه فى جبل بسطام . وله فى القدس زاوية وكذلك فى الرملة . وإليه ينتسب آل الغصين فى الرملة وغزة ولد . وهم شيوخ طريقته فى الرملة .

(1) المحلة المعروفة بدمشق ، نزلها بنو قدامة لما هاجروا من جاعيل (جبل نابلس) فى أيام الحروب الصليبية .

(2) الدادا كلمة محرفة عن كلمة (داية) ، أطلقت فى عصور العباسيين على المربى والمربية . وفى كتاب أخبار أبى نواس الجزء الأول لابن منظور صاحب كتاب لسان العرب ، ذكر لرجل قال أنه كان (دايتى) ويحتمل أن تكون (الدادة) محرفة عن الددا . والددا معناه اللعب ولأن المربى والراعى للطفولة شأنه أن يأخذ الطفل بالتلعيب واسمه دده وتصحفت فاضحت دادا ، والدادة فى التركية المربى وهى من المصطلحات الصوفية .

الخوة ، ورجا الذكر يوم الفتوة » فأناله مأموله ، ولستصحبه معه إلى (الحلوية) وحضر ذكر السيد محمد ، خليفة الشيخ قاسم الخانى وكان المنشد الشيخ حسن ، وكان ينشد أبيات سيدى أحمد ابن عبد الله الإسكندرى ولما وصل إلى قوله :

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع   ولو لم يكن ذنب لما حسن العفو

فبكى وأبكى الحاضرين . وكان الشيخ يتردد على هذا المجلس لالتماس البركة مستعملا الذكر القلبي الخالى عن الحركة ويقول عن أهل حلب والعهدة عليه « ورأيت فى هذه الكرة أن أهل حلب عندهم رقة وخلاعة بالمرة ، وأنهم أخلع من أهل الشام للعذار(1) وأشجع فى تناول أقداح الغرام لوجد ثار ، وأهل الشام أجلد فى السير وأخلد فى طلب البر(2) لأرض الخير ، فإنى كنت أراهم عند سماع الأشعار المديحية فى رمضان يبكون ولدى قراءة القرآن لهم خشوع وسكون » (1)

ولما سمع زوج والدته الحاج ابرهيم الطويل بنية الشيخ زيارة بغداد منعه وأقسم عليه ، خوفاً من الحر ومن شر العربان . فعزم على زيارة سلطان الزهاد ابرهيم بن أدهم . فتوجه فى منتصف شوال إلى تلك المحال ، وسار إلى قرية (كفتيين) وهى من قرى طرابلس الشام ، وهم ليسوا من أهل السنة ، ينتظرون نزول الحاكم بأمر الله ، ووصل (جبلة) وزار مقام ابرهيم بن أدهم وأقام هناك ذكراً .

وسار فى اليوم الخامس والعشرين من رجب ومر على طرسوس ، ورأى قلعة ارواد ، وجاء الرفاق منها بزاد ، وشاهد قلعة المرقب المنيعة ، وبات قريباً من البلد فى مكان نزيه يقال له بركة البداوى . وقدم إليه الشيخ مصطفى القلا ونزل مدرسة الحدادين ثم خلوة الجسر المكين ، ثم القادرية البهية ، واختلى بها عشر ذى الحجة . وكان الشيخ عبد الله الخليلى المهتدى يتردد عليه ، ومدرسة الحدادين قريبة من دار السيد مصطفى القلا ، وانضم إليهم الحاج محمد بن الحاج موسى العطار ، ثم الشيخ مصطفى الرفاعى ودعاه لداره ، وطلب الطريق وتبعه الشيخ عامر الصعيدى ، وكانا لا ينفكان عن قراءة الأوراد الأول فى تكيته ، والثانى فى (المنية) فى مسجده عند جماعته .

وكان جناب الصديق السيد محمد التافلاتى نجل مولاى أحمد (1) وهو ابن عم مولاى اسماعيل ملك المغرب ، ينتهى نسبهم إلى سيدى عبد الله المحض ، قد ورد إلى طرابلس من بيت المقدس ، ولم يكن الشيخ قد اجتمع به قبل ذلك ، فأرسل يطلب الاجتماع بالشيخ فسر به ولكنه لم يطل الإقامة ، وكرر الزيارة . وذهب الشيخ بعد ذلك إلى قرية (المنية) لزيارة مقام النبى يوشع وقراءة الأوراد ، واصطحب معه زمرة من أفاضلها كالسيد على ابن دبوس ، وأخيه السيد محمد والسيد أحمد المفتى ، ومن بيت السيرى ، الشيخ أبى حامد العمرى ، ومن أولاد السيرى الشيخ عمر .

وأكثر الشيخ التافلاتى التردد على الشيخ ، وكذلك الشيخ عبد الله ، وتردد الشيخ عليه فى المدرسة التى نزل منها فى سوق الحدادين ، وتوجه للمنية غير مرة وبات لدى الشيخ عامر الصعيدى . وورد عليه كتاب من الشيخ أحمد الميقاتى بالقدس ، يبلغه حلول دار السلامة بسلامة ، وضمنه سؤال طويل ، عن بيت لسيدى عمر الفارض الذى يقول فى مطلعه : (أروم وقد طال المدى ، منك نظرة) فأجابه برسالة سماها [رفع الستر والردا عن معنى قول العارف أروم وقد طال المدى] . ثم كروا على زيارة يوشع بن نون ، للوداع ، وصحب كل واحد منهم زاد قناق ، وجاء السيد محمد بن أحمد التافلاتى بصحن كبير من المغربية ما لها نظير فأكلوا بعد الشبع . وبعد العشاء أقاموا مجلس ذكر وكان الحادى الأخ الحاج ابرهيم الحرستانى ، وغيره ممن صحب الشيخ فى سيره الربانى .

وفى أول جمادى الثانى عزم الشيخ على التوجه للقدس ، ولم ينثلج صدره إلا للتوجه فى البر دون البحر ، فبات ليلة الوداع عنده الشيخ مصطفى بن الشيخ سليمان الرفاعى ، والسيد مصطفى القلا ، والشيخ عبد الله وجماعته ، وكانوا قد تجمعوا فوق الثلاثين ، وتوجه الشيخ إلى بيروت وقطع نهر الديمور (2) ، ونزل فى جامعها الكبير المعمور ، ودعاه الشيخ مصطفى الحجيجى الشامى ومر بعد الظهر بصيداً ، وقطع جسر نهر الكلب(3) ليلا ،

(1) هو مفتى الحنفية فى القدس (١١٩٢ هـ)

(2) نهر الدامور جنوبى بيروت ، ونهر الكلب شمالى بيروت ولعل الشيخ اهتم بالسجع .

(3) هو نهر النامين

أقام فيها خمسة عشر يوماً ينتظر السير براً فما تيسر إلا بحراً ، فركب منها ضحوة وصل قبيل الغروب عكا ، ونزل فى جامع البحر ، واجتمع فيها بصديقه القديم الشيخ أحمد ، وسار بعد العشاء مع القافلة نحو جينين وقطع نهرى النعامين (١) والمقطع ثم أتى جينين وبات فيها ليلتين عند الحاج عبد الرحمن وفى صبيحة الليلة الثانية سار إلى نابلس ، وبات عند أولاد سيدى يعقوب (٢) ، وفيما هو هناك وفد عليه السيد محمد السلفيتى بغير اتفاق فسر به . وقرأ له الموشح الأول الذى نظمه ومطلعه :

إن رمتموا تشربوا الحيا ... وتستقوا من دنان ريا
والميت يغدو بالقرب حيــا ... وفى حبيب الحشـــا تباهوا
فشـــنفوا سمعى وقولوا ... الله الله الله يا هـــو

والموشح الثانى ومطلعه :

بارق القرب حين لاح لعينى ... غبت عنى وزال عنى أينى
وانمحت ظلمتى بذاك وغينى ... وشهدت الحبيب فى المحراب

وقد بكى السلفيتى عند سماعهما . وارتأى عليه المنام عند المحب الشيخ خليل الحارثى خليفة الشيخ محمد المزطارى ، فبات فى خلوته التى فى المارستان (٣) ليلتين ، وبعد الشمس سار إلى قرية (حجة) ، فتلقاه أهلها بالترحاب ، ونزل فى الخلوة المرفوعة ، وبات ليلتين ، وتوجه عشـية النهار إلى (دير أسطيا) ، ورأى مجذوبها الشيخ خاطر فى بعض القرايا خاطر . وكان الشيخ وهو فى نابلس أرسـل للاخوان فى القدس ، خبر قدومه على الديار ليأهبوا له محلا للنزول ، وبعد صلاة المغرب سمع عن بعد صهيل خيل ، ورأى مجاجة ، فسـأل فقيل إخوان صفا من سكان القدس ، وكانوا السيد أحمد الموقت ونور الدين الهوارى ومعه جمع من الإخوان فسر بهم كثيراً . واقترح بعضهم زيارة سيدى على ابن عليل (٤) ، فوافقوا و كدوا السير إلى (كفر ثلث) واجتمع الشيخ فيها ، بالشيخ على الرابى ، ووصل المقام بعد أن دخل

(١) هو نهر النعامين .

(٢) هذا المكان هو جامع شرقى نابلس ويعرف بجامع الأنبياء وبه بئر نبع . وهو غير بئر يعقوب قرب قرية عسكر .

(٣) قرب الجامع الـكبير بنابلس .

(٤) يقع مقامه شمالى يافا ويعرف بسيدنا على، وهوأبوالحسن المشهور عندالناس بابن علم . ونسبه يتصل بسيدنا عمر بن الخطاب توفى (٤٧٤ هـ) عمر مشهده الحالى سنة (٨٨٦ هـ) عمره أبو العون الغزى شيخ القادرية

الغابة (١) ليلا خوفاً من الطير (٢) وجاءه هناك الشيخ رضوان الزاوى ومعـه كبـكبة (٣) من أهل الود ، فبات ليلة طيبة ، وســار على طريق الطواحين وأقال لشدة الحروبات فى (الزاوية) عند رضوان ، ودعاه إلى (مسحا) (٤) الشيخ طه ، ومنها إلى (بديا) ثم (سرطا) فتلقاه بها مصلح بن صلاح الدين وزار الولى المشهور فيها الشـيخ عبد الله . ثم أتى (كفرعين) ونزل عند مقام العيص ، وفى أواخر جمادى الثانى دخل بيت المقدس ونزل فى الخلوة البيرمية الفوقانية(٥) . وتردد على دار الشيخ نور الدين الهوارى . وفى أوائل شعبان وصل جناب الشيخ محمد الخليلى (٦) وصحبته ، الشيخ اسماعيل بن جابر بن رجب النبيل بن أحـمد البغدادى ، وكان أرسل للشيخ محمد من حلب كتاباً صـدره بقصيدة يعارض فيها قصيدة شيخه ، الشيخ عبد الغنى النابلسى :

صرفنا عنان العزم عن غيرها صرفاً
وقمنـا إليهـــا نحتسى خمرها صرفاً

كما أرسل له من طرابلس الشـام ثلاثة كتب (٧) ضمنها أكثر من قصيدة . وانتقل فى أول رمضـان من البيرمية إلى خلوة جار الله (٨)

(البقية فى العدد القادم) **أحمد سامح الخالدى**

(١) كانت هذه المنطقة مكسوة بالأشجار خطرة المسالك .

(٢) التطير والتشاؤم .

(٣) الجماعة .

(٤) قرية جنوب غربى سرطا .

(٥) نسبة إلى الأمير بايرام جاويش بن مصطفى توفى (٩٤٧ هـ)

(٦) مفتى الشـافعية بالديار القدسية ، وصديق الشيخ البـكرى وأسـتاذه ورفيقه فى الرحلة المصرية ، صاحب الفتاوى الخليلية توفى (١١٤٩ هـ) .

(٧) يستدل من كثرة الرسائل والـكتب التى كان يرسلها الشيخ من أمهات المدن أو يتلقاهـا ، على انتظام سير القوافل ووجود ما يشبه نظام بريد .

(٨) عائلة مقدسية كانت تعرف بأبى اللطف الحصكفى ، خرج منها علماء ومفتون .

العزلة وأثرها فى الأجناس

للأستاذ مصطفى بعيو الطرابلسى

يهتم الجغرافيون بدراسة مناطق العزلة لأهميتها فى الدراسات الجنسية ذلك لأن الأجناس البشرية مهما كانت تابعة لنوع واحد فإنها لا تخلو من وجود اختلاف بين الأفراد. فإذا عزلنا مجموعة خاصة من النوع البشرى فى إقليم منفصل وتركنا هذه المجموعة فى عزلة تامة عما يجاورها لحد ما فلا بد لها بسبب هذه العزلة أن تكتسب صفات جديدة غير موجودة فى المجموعة التى اقتطعت منها ثم تقوى هذه الصفات بمضى الزمن واستمرار العزلة حتى يأتى وقت نرى فيه تكوين جنس جديد فى هذا الإقليم المنعزل وعلى هذا الأساس يظن بعض العلماء أن الأجناس الثلاثة من سوداء إلى بيضاء وأخرى صفراء قد تكون كل منها فى عزلة عن الآخر بهذا الشكل. وتعرف هذه المناطق التى تتكون بها الصفات الجنسية بمناطق التكوين Area og chonactenisetien لهذا يجب أن تكون منطقة التكوين إقليما منعزلاً إلى حد كبير ومثل هذه الجهات يقصدها الإنسان إما بالمصادفة أو للبحث عن الرزق ثم يظل بها زمناً طويلا يكتسب فيها بحكم العزلة والبيئة الجديدة وما تتطلبه من حياة خاصة صفات جديدة تصبح فيما بعد من مميزاته الخاصة.

والإنسان بطبيعته شديد الرغبة فى الانتقال وقد ساقته هذه الرغبة إلى الانتقال لغير موطنه وترتب على ذلك خلط بين الأفراد ونشأة أجناس وانقراض أجناس أخرى، وقد اشتد الخلط خصوصاً فى العصور الحديثة بدرجة تعذر معها الحصول على فرد يمثل جنساً معيناً مع علمنا بأن هذا الجنس موجود فى مكان خاص وذلك لأن الصفات الجثمانية لا تتوفر فى شخص واحد وإنما توجد موزعة بين الأفراد جميعاً، ولهذا ففكرة وجود جنس نقى تماماً تكاد تكون خيالية حتى فى الجهات البعيدة المنعزلة. فمثلا جزر الأندمان Andaman التى يظن أنها تقطن بأنقى الأجناس قد وجد فى ثقافتها ما يدل على اختلاطها ولا يستبعد أن يكون هذا الاختلاط الثقافى قد حمل معه اختلاطاً جنسياً. والإنسان بطبيعته كسول فهو يتفادى المناطق التى لا يجد فيها راحته ولا يلجأ إليها إلا مضطراً، لذلك كانت الموجات الجديدة تطرد أمامها دائما الموجات القديمة إلى الجهات السحيقة الغير محبوبة، ولهذا يمكن القول أن سكان مناطق الأطراف أو العزلة يمثلون أقدم العناصر بالنسبة لما يحيط بها.

وهناك فرق بين المناطق المعزولة والمناطق العازلة، فمثلا سهل المجر تحيط به جبال فهو منطقة منعزلة، وأما الجبال نفسها فهى مناطق عازلة. إذن فمنطقة العزلة إقليم وعوامل العزلة ظاهرات تضاريسية أو مناخية أو نباتية أو مائية، فبرودة المناخ فى أقصى شمال أوربا جعلت قبائل اللابس Lapps فى حالة قريبة من العزلة وتعزل الجبال الأجناس بعضها عن بعض حتى إن الجبل الواحد يعزل على كل من جانبيه جنساً خاصاً يتكلم لغة خاصة كما هى الحال فى سويسرا أضف إلى هذا أن الجبال كذلك تعتبر ملاجىء للأجناس الهاربة إذ تجد فيها مأوى تلجأ إليه إذا استهدفت لأى خطر يهددها بعكس السهول فهى تساعد على الاندماج بين الأجناس إذا تعددت لانبساطها. أما الغابات الاستوائية فى وسط أفريقيه فهى ملجأ للأقزام بعد أن كانوا يشغلون كل أفريقية الاستوائية من المحيط الأطلسى إلى الساحل الشرقى المطل على المحيط الهندى بدليل وجود بقاياهم فى المناطق الشرقية، ولكنهم لجأوا إلى هذه الغابات على أثر موجات الحاميين التى أخذت تفد على أفريقيه عن طريق باب المندب دافعة أمامها العناصر الزنجية إلى مناطق العزلة حيث الغابات الاستوائية كما طردتها إلى الجنوب ومن هناك إلى صحراء كلهارى حيث نجد بعض عناصر من جماعات البوشمن Bushmen السائرة فى طريق الإبادة، وقد كانت جماعات الهوتنتوت أول من طردهم، ثم تلتهم جماعات البانتو، حتى إذا ما جاء الأوربيون إلى تلك الجهات فى القرن السابع عشر زادوا فى إبادتهم وساعد على ذلك أن شعب البوشمن لم يستطع التكيف بالظروف الجديدة.

ونظراً لأن الهجرات البشرية فى أفريقية قد اتخذت طريقها من الشرق إلى الغرب، لذلك كانت مناطق العزلة غرب القارة كما توجد أعقد المناطق الجنسية هناك، وهذا ما نلاحظه أيضاً فى أوربا حيث أن تيار الهجرات قد اتخذ طريقه من الشرق إلى

الغرب عن طريق السهل الأوربي الشمالي الذي يقع بين مرتفعات في الجنوب وأخرى في الشمال فلا تجد الهجرات أسهل من هذا الطريق عند انتشارها على هيئة موجات من الشرق إلى الغرب ولذا كان هذا السهل طريقاً للغزوات في مختلف عصور التاريخ ولا يزال إلى الآن مسرحاً للحروب والقتال، ومما ساعد على تكرار هذه الغزوات أنه لا توجد حدود طبيعية تفصل بين أجزاء هذا السهل، وأصبح من الصعب تحديد الحدود بين دوله المختلفة. وإذا كان مظهر تيار الهجرات في أفريقيا قد اختلف في شكله عما هو في أوربا، فذلك راجع إلى طبيعة المنطقة التي تصل شرق القارة الأفريقية بغربها، حيث الغابات بمسالكها الصعبة مما دفع الهجرات إلى الدوران حول هذه المنطقة إما عن طريق الجنوب أو عن طريق الشمال تخففت هذه الدورة من حدة الهجرات وجعلت بينها فترات منتظمة ساعدت على هضم بعضها فلم تكتسب ذلك المظهر الحربي الدموي الذي نطالعه في التاريخ الحبشي لقارة أوربا.

وعند دراستنا لأثر الحاميين الشماليين في زنوج السودان الغربي نجده أقل ما يكون في منطقة الغابات الساحلية، لأنها لا تشجع العناصر الحامية على سكناها وإذا كان الدين الإسلامي نتيجة لذلك قد أخذ ينتشر في الأجزاء الشمالية من السودان الغربي فإن البعثات التبشيرية الأوربية قد انتهزت هذه الفرصة، وأخذت تغزو هذا الإقليم من الجنوب حيث يزاحمها الإسلام هناك ويظهر كذلك في مدى انتشار الدين الإسلامي في المنطقة التي حول بحيرة تشاد إذ نجد هناك بعض قبائل وثنية استطاعت أن تحتفظ بشخصيتها في مناطق المستنقعات على الرغم من تأثير الإسلام في السودان الأوسط، وما ذلك إلا لأن هذه المستنقعات ما هي إلا مناطق عزلة قد لجأت إليها هذه القبائل. أما في منطقة السودان الشرقي فنجد جماعات النوبا تسكن في التلال الواقعة في كردفان والظاهر أنها كانت تسكن السهول أولا، ثم طردتها القبائل العربية النازحة إلى مكانها الحالي وبفضل منطقة السدود استطاعت قبائل النوبة في جنوب السودان المصري أن تقاوم الأثر الحامي الذي يظهر بوضوح في قبائل الشلوك الساكنة بين النيل الأبيض وبحر الجبل.

أما الواحات فيمكن اعتبارها مناطق عزلة لحدودها المنيعة التي يصعب على كل أحد أن يصل إليها، لذا فهي تمثل عناصر نقية إلى حد كبير، وهذا سبب ما نراه في بعض الواحات من عادات ولغات خاصة كما هي الحال في واحة «سيوة» بمصر وواحتي «زلة» و«جالو» في لوبيا. ولكن يجب ألا ننسى أن هذه الواحات كثيراً ما تستخدم محطات لطرق القوافل بين الساحل الأفريقي الشمالي والسودان جنوباً فساعد ذلك على وصول بعض عناصر جديدة إلى هذه الواحات تركت بلا شك أثرها في السكان الأصليين فضلا عن أن أهل البادية كثيراً ما يغزون هذه الواحات ويشاركون أهلها في معيشتهم عند جدب أراضيهم فيختلطون بأهلها ويؤثرون فيهم.

وإذا بحثنا عن مناطق العزلة في أوربا وجدناها قليلة بالنسبة إلى ما هي عليه في أفريقية، وكثيراً ما تكون مناطق العزلة في أوربا نتيجة للسلاسل الجبلية التي تعوق اندماج العناصر. ومن الأمثلة على ذلك جماعة الباسك التي تسكن على جانبي جبال البرانس في أسبانيا وفرنسا حول خليج بسكاي، وهم يكونون شعباً خاصاً لا تؤثر فيه الأقسام السياسية ولا الطبيعية، ولذلك يعلل بعض العلماء وجودهم بأنهم بقايا لأجناس كانت تسكن شبه جزيرة إيبيريا وفرنسا، ثم طردتها عناصر شمالية وأخرى جنوبية إلى هذه المنطقة التي تحتلها الآن. وتتكلم جماعات الباسك لغة خاصة بها ليست متصلة باللغات الآرية، ولا تزال تحتفظ بعاداتها الخاصة أيضاً. غير أنه يلاحظ أن جماعات الباسك في أسبانيا تسير في طريق الانقراض نظراً لاختلاط الأسبان بهم، وربما كان هذا لازدحام المناطق بالسكان الذين اندفعوا إلى جهات الباسك لاستغلالها بعكس ما عليه الحال في فرنسا.

وتبدو آثار العزلة واضحة في أهالي الجزر البريطانية لتطرف موقعها، ولذلك وصلتها موجات الهجرة متأخرة، وليس معنى هذا أن الموجات المختلفة قد صعب عليها الوصول إلى الجزر البريطانية، فالبحر الذي يفصلها عن بقية القارة ليس عميقاً أو متسعاً، بل كان في الواقع عامل ربط أكثر منه عامل فصل. ولكن رغم كل هذا فوقعها المتطرف خصوصاً الأجزاء الغربية منها وجزيرة إيرلنده قد أعطاها ما يلائم حالة العزلة كما أن طبيعة

تعقيب :

تحية العلم

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

قرأت مقال الأستاذ أبى خلدون ساطع الحصري بك المنون « تحية العلم » المنشور فى « الرسالة » العدد ٧٨٦ يحدثنا فيه عن واجب الاحترام للعلم ويأسف لإهمال إخواننا المصريين تأدية ذلك الواجب على الوجه الرائع المألوف عند أهل جزيرة كارفو فقلت لنفسى : إن من الطبيعى أن يتأثر كل من يشاهد ويلاحظ ذلك الفرق بين تقاليد الشعبين كما تأثر به الأستاذ الفاضل ولكن أوليس أحرى بنا نحن الشرقيين المسلمين إن نطيل الفكر فى مثل هذه الفروق حتى ندرسها درساً وافيا ونستخلص روح الحياة الغربية فنتمظ ونتفع بها دون أن ننقل مظاهرها إلينا فنتسلى ونغالط أنفسنا بمجاراة الأمم الراقية ؛ ما من شك أن حياتنا فى الوقت الحاضر منحلة تماماً غير منظمة ولا منسقة ونحن نحتاج إلى كثير من الإصلاح فى عوائدنا وأخلاقنا ولا بأس بأن يجيء الاحتكاك بالأمم الأخرى حافز لنا على الجد والعمل فى سبيل التقدم والرقى ولكن يجب قبل كل شيء أن نأخذ حيطتنا لئلا يتحول شعورنا بالتأخر إلى الشعور بمركب النقص فيكون كالكابوس الجاثم على أفكارنا وعقولنا حتى ينسينا أننا أمة لها ماض مجيد ولا يتأتى لها التقدم إلا بالرجوع إلى ماضيها ووصل حاضرها به . هذه هى المرحلة التى يقول الدكتور إقبال الحكيم الشاعر الهندى المعروف ، إن كثيراً من الشعوب الشرقية فشلت فى اجتيازها فإنها لما روعها تغلب الغربيين عليها وبهر أعينها تقدمهم فى ميادين الحياة المختلفة ، بدأت تنشد وتتلمس أسباب هذه القوة الظاهرة والتقدم الباهر فظنت أن تلك الأسباب لا تعدو اللادينية والحروف اللاطينية ولبس البرانيط وتمزيق البراقع وتأبط ذراع الحليلات فى الشوارع ومداعبة الخليلات فى الأندية والحفلات وما إلى ذلك من مظاهر الحياة الغربية التى لا تمت بصلة لا قريبة ولا بعيدة إلى تقدم الغربيين وقوتهم وشوكتهم .

مضت الأمم الشرقية تتهافت على تلك المظاهر تهافت الفراش على النار وتنقلها بحماسة بالغة وفى بعض الأحيان بقوة وعنف إلى أرضها وديارها ظناً منها أنها تجارى بهذا الطريق الأمم الراقية كأن

البلاد وما نلاحظه من وجود السهول فى الشرق والمرتفعات فى الشمال والغرب قد جعل اتصال العناصر بعضها ببعض صعب ، ولذا تعسر على الموجات التى أتت من الشرق أن تؤثر كثيراً فى الجهات الغربية ، وكان فى معظم الأحوال الوصول إلى الغرب يتم عن طريق الدوران حول الجزر البريطانية .

وقد أثرت هذه الحالة فى تاريخ إنجلترا السياسى فهى لا تشترك فى المسائل الخارجية إلا بقدر ما يمس مصالحها . وأصبحت سياستها الحربية تدور حول محور موقعها فحيث أنها جزيرة يجب أن تكون أقوى دولة بحرية فى العالم ، وألا تسمح لأية دولة أخرى بالتفوق عليها فى هذه الناحية . وهناك أثر آخر لهذه العزلة فى تطور النظم النيابية فيها حيث انتشرت الروح الديمقراطية بين سكانها لأن البلاد ليست فى حاجة إلى قوة عسكرية دائمة بفضل موقعها الجغرافى ، لذلك كانت السلطة الحاكمة تخشى محاولة الاستبداد بالحكم حتى لا تقوم الثورات فى وجهها فتعجز عن قمعها وتعرض سلطتها للزوال . لهذا احتفظت إنجلترا بسياسة التطوع فى سلك الجندية ولم تحاول اتباع نظام العسكرية الإجبارى إلا فى الحرب الكبرى الأولى حين أجبرتها الضرورة على ذلك وبعد إلحاح فرنسا عليها حتى إذا ما انتهت الحرب عادت إلى نظامها القديم ، ولكنها فى الحرب الأخيرة أيضاً عادت إلى طريقة الإجبار فى فى تكوين جيشها .

ونظراً لما وصلت إليه البلاد من تقدم وديمقراطية فإن جماعة الويلش التى تسكن مقاطعة ويلز ما زالت محتفظة بكيانها الخاص وعاداتها ولغتها الخاصة بعكس ما نراه فى البلاد المتأخرة حيث تضطهد الأغلبية الأقلية ، وتعمل على إبادتها .

(مسراته — لوبيا) **مصطفى بعيو الطرابلسى**

طريق الرقى والتقدم كله هزل ومتعة ولذة !

وخلاصة القول إن مقال الأستاذ ساطع الحصرى بك جاء أية للاخذ بالقشرة دون اللب ونقل مظاهر الحياة الغربية كما هى دون الاستفادة بروحها فى حياتنا الخاصة .

فإن التحية للعلم ليست إلا مظهراً لروح النظام والولاء وأولى بنا أن نطبق هذه الروح على شعائرنا الخاصة وتقاليدنا المألوفة دون أن نتقيد بالشكل الذى تظهر فيه تلك الروح فى أى بلد من البلاد أحلف بالله أنه يغمرنى من الأسف واللهف أكثر مما غمر الأستاذ كاتب المقال حينما ألحظ فى غدواتى وروحاتى أن المؤذن يؤذن للصلاة والآذان يذاع بالراديو فلا يحرك ساكنا ولا يسكن متحركا وترى السارين فى الشوارع والتجار فى المحال والجموع المحتشدة أمام دور السينما والملاهى وكأنهم لم يسمعوا شيئاً !!! أفلم يلقن الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه كيف يردون على الداعى إلى الصلاة والصلاح والفلاح ! أفليس من صميم تقاليدنا أن نكف عن العمل ونذر البيع ونسعى إلى ذكر الله ؟ أفلا يكون منظر مثل هذا أروع من التحية للعلم ، وأدل منها على روح النظام والولاء ؟ وكذلك أرى أن القرآن يذاع بالراديو صباح مساء ولايكون له وقع ما ، فى نفوس العاطلين العابثين الهازلين الآثمين الجاثمين على الأفاريز وداخل المقاهى فهم لايستمعون له ولا ينصتون بل يستمرون فى لعبهم بالنرد ولهوهم بأنواع شتى من اللهو وقد تأصل فيهم هذا الداء إلى حد أنهم يدأبون فى ساحة الفاروق كما يدأبون فى المحال العامة . قد كنت أقرأ وأنا بالهند عن اهتمام ملك مصر بإحياء ليالى رمضان فتتشوق نفسى إلى شهودها فلما حقق الله لى تلك الأمنية وحضرت إحدى تلك الحفلات الملكية كنت أتوقع أن أجد المستمعين كأن على رؤوسهم الطير وخفت أن تصدر منى هفوة لقصورى عن معرفة الآداب المرعية هناك ولكنى اكتشفت أن الأمر أهون بكثير وبدأت أفكر فى نفسى وأتساءل : أولا يليق برجال القصر والمشرفين على تلك الحفلات أن يعلموا الجمهور درساً فى آداب الاستماع إلى أى الذكر الحكيم فيضيفوا بذلك فضلا ويداً إلى أيادى الفاروق المتجددة ؟ ولا شك أن مثل هذا الإصلاح هو أول واجب على عاتق الأزهر الشريف ولكن أخاف أن لا تكون حياة لمن يناديهم الأستاذ محمود الشرقاوى كاتب مقال « الأزهر والإصلاح » .

وخلاصة القول أن الحياة الإسلامية مليئة بمظاهر روح النظام والولاء لو أننا تمسكنا بالعروة الوثقى وسعينا لإحياء تقاليدنا أكثر من الطموح إلى انتحال عوائد الأمم الأجنبية فإن اقتراح الأستاذ ساطع الحصرى بك إنما يذكرنى بحكاية ناظرة مستشفى نقلت من بعض بلدان شرق أوربا الواقعة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة من أحرّ مناطق الهند فأمرت بفتح جميع النوافذ والشبابيك وقت الظهيرة كما كانت اعتادت ذلك من قبل فى الجو المعتدل الذى تركته وراءها وكان الأولى أن تغلقها .

ولا بأس بأن أذكر بهذه المناسبة أن الجامعة الإسلامية بعليكره (الهند) ، التى لى الشرف بالانتساب إليها ، تهتم بمثل هذه الأمور اهتماماً كبيراً لتنمية الشعور الإسلامى بين أبنائها ، فمن الواجب المعمول به هناك أن يكف اللاعبون فى ميادين اللعب والخطباء فى فى نادى الاتحاد من اللعب والقاء الخطب ويلتزموا الصمت طالما يرن صوت المؤذن فى آذانهم وربما حدث أن فرقا أجنبية زائرة أشير عليها بالكف عن اللعب أثناء المباريات فبدأت تنظر ذات اليمين وذات الشمال تتحرى السبب فى دهشة وحيرة كما كان الحال بالأستاذ الحصرى بك فى كارفو فلما أخبرت أن السبب ليس إلا الاحترام للآذان تأثروا تأثراً قوياً ظاهراً بهذا المظهر للطابع الإسلامى الخاص بتلك الجامعة حفظها الله من كل بلاء وعدوان .

السيد محمد يوسف الهندى

بين اليأس والرجاء!

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

بين مرارة الواقع ومثالية الواجب ، وبين يأس يخامر قلوب الناس ورجاء يجيش في نفسي ، وبين غمرة من تشاؤم الكهول ونفحة من تفاؤل الشباب ، أكتب مقالتي هذه مخلصاً فيما تخطه يميني ، مبتغياً الاصلاح ما استطعت .

ومن الأمانة ألا أكتم القارىء أن الذي أوحى إليّ هذا الموضوع هو الأستاذ الفاضل محمود الشرقاوي في مقالته (الأزهر والاصلاح) بالعدد ٧٨٦ من الرسالة .

وللاستاذ في قلبي تجلة واحترام هو بهما جدير : لأن تفكيره في إصلاح الأزهر يعود إلى عشرين عاماً يوم كان شاباً لم يجاوز عقده الثاني ، ولأنه — وهذا من جليل محامده — لم يغادر فرصة يستطيع بها خدمة هذا المعقل الإسلامي الحصين إلا انتهزها خالص النية ، طاهر القلب ، سديد الرأي . ولو نسي القراء مقالاته القيمة في السياسة والسياسة الأسبوعية والبلاغ فما أظنهم قد نسوا ما كتبه إلى عهد قريب عن الأزهر وإصلاحه في مجلة الرسالة التي أبى أستاذنا الجليل الزيات إلا أن يجعلها منبراً من منابر العروبة والإسلام .

وليطمئن الأستاذ الشرقاوي على أني — وقد عرفت روحه — لن أتعمد أن أسأله سؤال الأزهري أو غير الأزهري : لماذا وله ؟ ولن أسأله عمن يريد بمقالته ، أو ماذا كان يقصد بتوجيهه ، لأني لا أرى أن لكل شيء ظاهراً وباطناً كما يرى بعض الناس ، وإنما أعتقد في الشيء الظاهر له ولي ولكل بصير ، وأحب أن أناقشه في هذا الظاهر مناقشة الخبير ...

والظاهر من مقالة الأستاذ أنه يريد أن يقطع على الأزهريين سبيل مناقشته في موضوعه ، لأنه سيدلي برأي خطير لا يقبل فيه جدالاً ، ولأنه لا يحب ممن لم تنضجهم التجارب أن يأتوا بالرأي الفطير لئلا يسمعوا مقالاً . وكنت أوثر أن يرسم الأستاذ هدفه كما كان يرسمه من قبل من غير أن يكترث باعتراض المعترضين ، ولا بنقد الناقدين : فنحن في عصر نحرم فيه حرية الدفاع عن بلادنا لرد عدوان الغاصبين ، ونكره فيه بالقوة على هدنة كلها جور وعسف لئلا نغاضب مجلس الأمن ، ولا نستطيع تحويل قضية فلسطين إلى محكمة العدل الدولية لتفصل في النزاع بين حقنا وباطل المبطلين ، ولكنا ما زلنا نملك حرية الكلام والنشر والخطابة والحمد لله . فليت الأستاذ استعمل هذه الحرية كما يشاء في توجيه مقالته بغير تلك المقدمة ، وليته ترك الأزهريين يستعملون حريتهم كما يشاءون في السؤال والمناقشة ولو بلماذا وله .

بيد أن هذا كله لا يغض — فيما أرى — من قيمة مقالته فلن آخذه عليه ؛ وإنما أشير — وما أملك إلا أن أشير — إلى أنه ما كان له وهو الذي بذل في إصلاح الأزهر ما بذل من وقت وجهد أن يحكم ذلك الحكم الذي يقطع كل أمل ، ويخيب كل رجاء ، ويخنق كل صوت ، ويثبط كل همة ، حين قال : « إن بين الأزهر وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً شاسعاً ومرحلة طويلة جداً ، وإني لست أدري هل إلى هذا الإصلاح سبيل » .

والأعجب من هذا كله أن الأستاذ كرر هذه العبارة في مفتتح موضوعه ومنتهاه ، وأنه تساءل في المرة الثانية : أهو متشائم في حكمه ؟

وإني لأسأل الأستاذ : إن لم يكن هذا تشاؤماً فكيف يكون التشاؤم ؟

ألا يسمى تشاؤماً قسمه بالله العظيم واستعماله عبارات التأبيد والتأكيد مثل قول الأزهري اليائس : والله لن يصلح الأزهر أبداً مهما حاول المخلصون ، وجد العاملون ؟

لو قال أحد هذه الكلمة لاتهمناه بأنه لا يريد أن يواجه الحياة ، ولا أن يصادم الواقع ، لأنه يعلم من نفسه العجز عن تذليل العقاب واقتحام الأخطار واحتمال المتاعب ، فهو يعترف بضعف سلاحه وقلة استعداده ، فليتنح للآخرين فلعلهم أقوى منه يداً ، وأصلب عوداً ، وأثبت جناناً .

ولكن الذي قال الكلمة الأولى رجل مصلح يحفظ له الأزهر خدمات أمينة ، ولا ينكر له فضلاً ، ولا ينسى له ذكراً ، فلماذا

يجنى هذا الأستاذ الكريم على حماسة الشباب ؟ ولماذا يقطع عليهم سبيل الرجاء ؟ وليغفر لى كلة (لماذا) فما يستطيع أحد أن يحذفها من كلامه فى مثل هذا المقام .

الا يرى الأستاذ أن أبسط ما يفهم من مقالته أن أحدنا لو أفنى عمره فى إصلاح الأزهر لن يصل إلى غايته أبداً ، لأن الطريق محفوفة بالأشواك ، والعقبات قائمة هنا وهناك ؟

وماذا يصنع الأزهرى الشاب الذى لا يرضى عن حال كلياته ومعاهده بعد أن سمع هذه الكلمة القضى من رجل أمضى عشرين سنة يفكر بالاصلاح ؟

أفنعتب عليه إذا حطم قلمه إن كان أديباً ، أو كم فمه إن كان خطيباً ، أو أسكت عبقريته إن كان شاعراً ، أو آثر لقعود ولو خلقه الله راغباً فى الاصلاح !

وهل لنا فائدة فى تحطيم الأقلام أو كمّ الأفواه أو اسكات العبقرية أو قعود القادرين على العمل ؟

لا والله لا يعتب على هذا الأزهرى منصف بعد تلك الكلمة اليائسة المتشائمة التى تفيض ارتياباً بإمكان إنقاذ الأزهر من ورطته ...

فياسيدى الأستاذ :

إنك تعلم أن الرغبة شيء والعمل شيء آخر ، ويؤسفني أن أصرح لك بأننا لم نكن إلى اليوم سوى راغبين ، ولم نحاول أن نكون عاملين : وإن الأزهر كغيره من الميادين إن وجد العاملين نهض وانبعث ، وإن وجد المتشائمين تلاشى ومات .

الأزهر صورة من حياة الشرق الذى دبت فيه الفوضى ، بل من حياة المسلمين فى القرن العشرين : طعام وشراب وأوهام وأحلام !

ولا والله ماضر المسلمين أكثر من التشاؤم ، ولا أضعف جهودهم أكثر من القنوط !

إن دخلنا المساجد يوم الجمعة نستمع الإرشاد صدع الخطباء قلوبنا بأننا أمة التأخر والانحطاط وأن لا أمل فى نهوضنا ؛ وإن قرأنا صحيفة من صحفنا وجدناها قليلة الثقة برجال تعمل ، أو جماعات تضم الشتات ؛ وإن سألنا مفكرينا آراءهم في مستقبلنا أفزعونا بنبوءات كأنها قطع الليل المظلم : فلحننا دائماً حزين ، ونغمنا أبداً شاك ، وقيثارتنا فى كل وقت باكية !

* * *

هذه علتنا معشر المسلمين فى جميع الميادين — لا علة الأزهر وحده فى محيطه الخاص ، فإنا لينقصنا عنصر التشجيع ، فلا نشكر عاملاً على صنيع ، وإنما نقابل الناس بالوجه العبوس حين نستطيع أن نلقاهم بالوجه الطليق !

أيها المسلمون : شجعوا الأزهر ولا تقنطوه ، وساعدوه على القيام من عثرته ولا تؤنسوه ، وأصغوا إلى صوته ولا تخجلوه ، وامنحوا ثقتكم للبقية الصالحة من الشيوخ والشباب ، فسترون الأزهر الوثاب !

ويا أيها الكتاب : أقنعوا الرى العام بتغيير نظرته القاسية إلى الأزهر حتى تشعروه بشيء من الثقة بنفسه ؛ حتى إذا لم ينفع تشجيعكم عودوا علينا باللائمة إن كنتم فاعلين .

ويا صاحب الرسالة يا أديب العروبة الأكبر : لقد آمنت بالأزهر وما أحسبك كفرت به كما كفر الناس ، ولقد شجعته طويلاً وما أظنك ترضى بيأسه بعد اليوم : فهلا نفحته من نفثات قلمك بكلمة طاهرة تعيد إلى النفوس طمأنينة بعد القلق ، وراحة بعد العناء ، لينسج الكتاب على منوالك ، فى هذه الأيام الحوالك ! ليتك تستجيب لهذا النداء ، فتنير الطريق للأدباء ...

وبعد ... فما هذه بكلمة شاب مثالى أو خيالى يعيش فى دنيا الأحلام ، وإنما هى كلمة من قلب يقدس التفاؤل فى عصر نصرنا فيه اليأس على الرجاء ، وتثبيط العزيمة على التشجيع .

(طرابلس الشام) **صبحى ابراهيم الصالح**

لأنها مصرية

للأستاذ ثروت أباظه

أخلى الشتاء للصيف سبيله فأقبل هادئاً أول الأمر، ولكنه حين تمكن من القوم أصلاهم ما تعودوا منه مبالغاً فى ذلك مفتناً فيه

ونفر القوم إلى حيث يهادن الصيف، فازدحمت القطر التى تقصد الشواطىء، وكأنما أبى الحر أن يتيح لهم متعة السفر فجمل من زحامهم عوناً له على إنجاح مهمته فى إقامة مشهد من مشاهد جهنم على الأرض.

لم أكن من هؤلاء السعداء قصاد الشواطىء فقنعت بيومين أقضيهما فى الريف. ولم يعرف السفر ذلك فأشركونى فى بلائهم فاشتركت مرغماً.

كان بالمقصورة ثمانية أشخاص بين رجال ونساء، وكان لكل منهم صاحب سفر يهمس أحدهما للآخر بما يقطع به الطريق ويخفف القيظ.

وظننت أنا وصاحبى أن الأمر سيقتصر على الهمس، ولكنه حين انجابت ضجة المحطة واستبد القطار بالطريق.. علا صوت ناعم برطانة فرنسية، فهمست إلى صاحبى:

— إنها تجيد الفرنسية إجادة أهلها لها، ولعلها أن تكون هى نفسها فرنسية.

— أما قسماتها فلا تدل على ذلك، ورفيق سفرها كما ترى يلبس طربوشاً، وما أظنك ترى أنه هو الآخر فرنسى.

— ومتى عرفت أن المصرى لا يصاحب فرنسية؟ وعلى أى حال إن تكن فرنسية فهى من طبقة مصرية راقية..

— ولا هذا.. لأن الطبقة التى تعنيها لم تعد تباهى بتعلم الفرنسية كما تفعل صاحبتنا الآن.. وقد كان آنسات هاته الطبقة يباهين بتعلم هذه اللغة ليتصيدن بها الرجال.. أما اليوم وقد وجد أغنياء الحرب وتمكنوا من إدخال بناتهم حيث يتعلم الآنسات الراقيات — كما يردن أن يسمين أنفسهن — أما والأمر كذلك فلم تعد بالراقيات حاجة إلى إظهار علمهن باللغة الفرنسية، فهى اليوم لا تدل على شىء... وما أظن الآنسة إلا بنت ثرى حرب لم يكن ليتوقع لابنته أن تلوى لسانها فى فمها بلغة غير العربية.

— والعربية الدارجة.. فحين حقق الله له شيئاً لم يكن لينتظره أطلق ابنته من عقالها فرحاً بها فخوراً.. وراحت بدورها تعلن على الملأ — كما ترى — أن أباها... بائع الدجاج علمها فى «الليسيه فرنسيه».

— لم أكن أتوقع كل هذا النقاش، ولو كنت توقعته ما اقتحمته.. إذ أن صديق لا يقتنع أبداً مهما تبين له الحق، وكان القيظ شديداً فآثرت السلامة، وانحرفت بالحديث عن وجهته، معتقداً أننى على حق، ولاحظ هو ما قصدت إليه، فآثر السلامة بدوره، وانحرف معى بالحديث معتقداً أننى على باطل

وشاء القطار أن يقف فجأة.. محدثاً بذلك صوتاً عنيفاً ذعر له الرجال ذعراً أخفت رجولتهم ممظمه. وظهر ما لم تطق الرجولة كبته على وجوههم، أما النساء فقد أظهرن بكل ما يستطعن من القوة ذعرهن، معتقدات أنهن كلما أممن فى الذعر كان ذلك أدنى إلى الأنوثة، ولكن واحدة منهن لم يخرج بها الذعر عن الأدب المنتظر من سيده.. أماربيبة المدارس الفرنسية فماذا فعلت؟ لقد استنفد السيدات الجالسات كل المظاهر التى كان يمكن أن تلجأ إليها، ولا يصح أن تقلد واحدة منهن.

وكيف يكون ذلك وهى ابنة الغنى، صاحبة الرطانة الفرنسية الصافية الخالصة.. أهى بكل هذه الأمجاد تقلد سيدات مصريات لا يتكلمن الفرنسية؟.. لا ودون هذا كل شىء.. أطلقتها صرخة وأتبعتها بقولة... ولكن الحظ خانها فخرجت الكلمة «بلدية» صريحة، وقد أرادتها فرنسية صحيحة.. وخرجت ساقطة تشير إلى القفص الذى أثقل كاهل أبيها قبل أن تدخل المدارس الفرنسية.

— لحاها الله!.. لقد أخجلتنى أمام صاحبى وقد كنت أدافع عنها وعن أصلها..

نظر صاحبى إلىَّ فى شماتة. ونظرت إلى السيدة فى احتقار وغيظ، وشاركنى فى احتقارها كل من كان بالمقصورة.. وأحست هى بهذه النظرات فألمت لضياع جهادها الطويل الذى بذلته فى سبيل احترامنا لها.. جهاد ساعة باللغة الفرنسية.

فلسفة التاريخ :

وحدة الإنسانية

للأستاذ عطية الشيخ

التاريخ الإنسانى كـكل شىء فى الوجود ، يبدو لأول وهلة قطعاً متميزة ، ومجموعات متباينة ، مختلفا باختلاف الأعصر والدول والحضارات والشعوب ؛ ولـكنه يظهر المدقق جسماً واحداً متناسق الأجزاء ، وشخصية واحدة متعاونة الأعضاء ، وبنياناً يشد بعضه بعضا ، ونهراً متصل المنبع بالمصب وإن اختفت أجزاؤه وأسماؤه باختلاف بحيراته وروافده . وكما أن البيت صورة مكبرة لأفراد الأسرة ، والدولة وصورة كبيرة لمجموع بيوتها وأسرها ، فـكذلك الأرض منزل واحد لأسرة الإنسانية الـكبرى ، التى يؤدى فيها كل فرد من البشر ما تؤديه الخلية الواحدة فى جسم الإنسان ، وبتعبير آخر يقوم الإنسان فى حياته بدورين . أحدهما باعتباره فرداً مستقلاً ووحـدة قائمة بذاتها ، وإرادة ظاهرة الاختيار . والدور الثانى يؤديه مجبراً ودون أن يشعر ، باعتباره خلية من خلايا جسم الإنسانية العام ، وإرادته الخفية فى هذا الدور تسيرها الغرائز المركبة فى طبعه بالوراثة ، والمتحكمة فى حياته تحكماً لا يمكن الخلاص منه مهما بذل من العلاج كما يقول علماء النفس ، وما أقصر أجـل الإنسان باعتباره مستقلاً ، وما أطول حياته باعتباره خلية فى جسم الإنسانية العام المبتدىء بآدم والمنتهى بفناء هذا الإنسان . وما أضعف الإنسان ، وما أضيق أفقه إذا قيس بمجهوده الفردى ، ومسارحه ومغانيه كفرد . وما أقواه وما أوسع منزله إذا نظر إليه فى شخصيته الإنسانيه الـكبيرة التى منزلهـا الأرض كلها .

وهناك حقيقة مقررة فى علم الأحياء ، وهى أن كل خلية فى

— سألت صاحبها أن يخرج بها إلى المشى ليلتمسا هواء . فأجابها إلى طلبها .. سألته فى بلادية واضحة وأجابها فى بلادية أفصح وخرجا . . وإذا بصاحبى ينفجر ضاحكا ، وقد كنت والله مع احتقارى للسيدة أفضـل بقاءها حتى غنع عنى ما سألاقيه من سخرية الصديق .. قال :

— إنها فرنسية . أليست كذلك ! .. إنها من طبقة راقية ألا ترى هذا ! .. إنه والله لن يأتى يوم تنال فيه السيدة المصرية ما هى أهله من احترام حتى تعلم أننا نحترمها لأنها مصرية ، وأننا حين نراها قد جنحت إلى جنسـية أخرى نزدريها لنكولها عن جنسيتها .. لن نحترم السيدة المصرية إلا حين نعلم أن لـكل علم تعلمته مكاناً يظهر فيه . . فلو أن هذه السيدة تكلمت بلغة بلادها وأطلقت نفسها على سجيتها ، لما كان بها حاجة إلى كل هذا التـكلف الذى ارتـكبته وركبها فحاد بها عن سلوك السيدة المحترمة ... قلت :

— لعلها حسبت أن أحداً من الجالسين لا يعرف الفرنسية وأرادت أن تقول لصاحبها سراً .

— ما هذا التخبط : أفهمت مما قالته أنه سر ؟ ولم تحسب هى أن الجميع جهلاء ما عداها ؟ . . وأى سر هذا الذى يقـال بأعلى صوت ؟ . .

— انتهينا .. إذن أنت لا تريد المصريات أن يتعلمن الفرنسية

— ما رأيتك أكثر لجاجة منك اليوم . . إننى لم أقل ذلك ولا يمكن أن أقوله . . بل إننى أرى أنه يجب عليهن أن يتعلمن اللغات ، ولا ارتقاء لهن بغير تعلمها .. ولـكن يجب عليهن أن يعلمن أن لغتهن الأولى هى العربيـة ، فإذا لم يعرفنها فأولى بهن ألا يتعلمن شيئاً ، ويجب أن يعلمن أيضاً ... أن فخرهن إنما يكون بلغتهن وبعقلهن لا بأنهن يتكلمن الفرنسية .. إن أحداً لن يحترم السيدة المصرية أو يحس با كمال شخصيتها وعظمة بلادها ولغتها

كانت حجة صديق ناصعة بين يديه لم أطق إغفالها ، فقلت :

— لا عليك ، فأنت على حق يا صديقى . . ولـكن هدىء من روعك فإن اليوم قائظ ، وأخشى أن تنفجر وأنت تدافع ، وأرى صوتك قد ارتفع حتى لتـكاد تفعل فعلتها ..

هلم إلى المشى ، وعهد على ألا أحترم السـيدة المصرية إلا لأنها مصرية .

— أجل ، وحسبها أن تحترم لأنها مصرية .

ثروت أباظه

الجسم الحى ، تحمل خصائص الجسم كله ومميزاته وتحكى فى حياتها وفنائها ، حياته وفناءه . وأن النابتة الجديدة لجنس من الأجناس ، تمثل فى عمرها من وقت اللقاح إلى ما بعد الفناء ، الأطوار والأدوار التى يمثلها الجنس كله من حين نشأته على الأرض ، إلى وقت هذه النابتة .

ومثال ذلك : أن تاريخ الجنس البشرى على وجه الأرض من نشأته إلى وقتنا هذا ، تمثله فى أطواره حياة فرد من وقت إخصاب البويضة فى رحم أمه ، إلى أن يفنى بعد شيخوخته .

ويمكن بناء على هذه القاعدة العلمية — والإنسان كائن حى — يمكن تطبيق هذه النظرية عليه . فكل ما يصيب الفرد الواحد من أحداث ، ينتاب الدول والجماعات ، والبشرية عامة . فميلاد ، وشباب ، وهرم ، وشيخوخة ، ويسر وعسر ، وشدة ورخاء . والعوامل التى تؤثر فى الفرد الواحد بالغنى والفقر ، والبداوة والحضارة ، والضعف والقوة ، هى التى تؤثر فى الدول وفى البشرية عامة ، هذا التأثير . وكل حادثة فى شرق الأرض ، لها أثر وصدى فى غربها ، وكل واقعة غائبة فى جذور التاريخ السحيقة تتفرع وتورق وتزهر فيما يليها من العصور . ويجب على الإنسان ألا يحكم على ما يصيب عضواً من أعضائه إلا بمقدار أثر هذه الإصابة فى الجسم كله من خير أو شر . فقد يبتر عضو ليسلم الجسم كله ، وتتعب أجزاء لراحة البدن جميعه ، وكذلك لا يصح أن يوصف ما يصيب شعوباً أو جماعات من أحداث إلا بالنظر إلى أثر هذه الأحداث فى جسم الإنسانية العام . وبهذه النظرة ، نشعر براحة وتطامن نفس عند قراءة ما يصفه المؤرخون للدول بأنه نكبات وكوارث .

فتهدم بغداد على يد التتار ، وتخرب روما على أيدى القوط ، جدد شباب العرب واللاتين بإدخال دماء فتية قوية جديدة فى عروق هاتين الأمتين .

والحروب المتصلة الجارفة التى لا يخبو أوارها على وجه الأرض، هى من أكبر أسباب التقدم البشرى ، وهي الوسيلة الفطرية للانتخاب الطبيعى بعد تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، ليظل الجنس البشرى سائراً فى مدارج العلا .

والنواميس الطبيعية فى عدالتها وسلامه فطرتها ، تأبى أن يتحرك جسم الإنسانية جميعه حركة قوية عامة ، فيدركه الكلال والتعب والاضمحلال مرة واحدة . وهى لذلك تداول النشاط بين وحداتها لتقوم بدورها ، ثم تستريح ، ويقوم غيرها . فتضمن بذلك استمرار التقدم والرقى والاستفادة بكل مافى أعضائها من قوى ، ومطارح أجزائها من خيرات . فمرة يكون العمل والقيادة لأمم زراعيــة فى أخصب الوديان فى الشرق الأدنى والأوسط ، وأخرى يكلف بالدرسكان سهوب آسيا وصحاريها ، وطوراً يقوم بالعمل سكان أقاصي الشرق فى اليابان والصين ، حتى إذا كلت الدنيا القديمة ومن عليها ، كشفت الدنيا الجديدة فى أمريكا ، وتولت زعامة الإنسانية والسير بها للأمام .

فانظر — رعاك الله — إلى هذا التوزيع الحكيم للقيادة بالنسبة لأجزاء الأرض وأجناسها . فمرة فى شرق الأرض ، وأخرى فى غربها ، وطوراً فى باردها وتارة فى ساخنها ، مع تبادل الزعامة بين البيض والسمر والصفر ، كأنما الناس فى تحركهم التاريخى شخص واحد ، يشتغل باليسرى إذا كلت اليمنى ، ويعتمد على اليمين إذا تعبت الشمال .

وهناك ناموس آخر يسرى على الجماد ، يمكن تطبيقه على الجنس البشرى ، وهو قانون التجمع والتفرق .

فالسديم الشمسى يتفرق بالانفجار ويرتبط بالجاذبية . والبخر يرفع الماء سحاباً ، والبرد والجاذبية يسقطانه أمطاراً ، والحياة تؤلف بين العناصر ، والفناء يفرق بينها .

أقول إن ناموس التجمع والتفريق ، يجب ألا يغيب عن بحاث علم الاجتماع . ففى الإنسان دوافع انفصال واستقلال تنبع منها الأنانية والتعصب للأسرة ، والوطن ، والقبيلة ، والدولة : وهى أدواراً يمثلها كلها باعتباره فرداً مستقلا ، ووحدة قائمة بذاتها ، وفكراً مختاراً . وفيه دوافع خفية للترابط والامتزاج والتكتل والاتحاد يؤديها رغم أنفه بما ركب فيه من غرائز باعتباره خلية فى جسم الإنسانية العام . فهو يحسب فكره حين يفتح قطراً من الأقطار ، يخدم نفسه أو وطنه أو شعبه بتوسيع الملك والتسلط على الغير . ولكنه فى الواقع ، وبالنسبة لسير الإنسانية العام ، يسد فراغاً ، وينهض نياماً ، ويجدد شباباً ، ويصل منقطعاً فى جزء من أجزاء البشرية .

عطية الشيخ

في هوية البطولة بفلسطين :

المجاهدة الشهيدة

للشيخ محمد رجب البيومي

[قرأت بالعدد (٧٨٧) من الرسالة الغراء قصة البطلة الشهيدة « حياة » فأوحت إلى بهذه القصيدة المتواضعة وقد جعلت إهداءها إلى الصديق الأعز الأستاذ عبد المنعم محمد البغدادى] .

صعدت روحها إلى عالم الغيـ   ـب كعطر يفوح بين الزهور
لم تكد تنتمى إلى الخلد حتى   لاح فى ثغره ابتسام السرور
الطيور الجميلة الشدو غنت   فى ابتهاج ، أحبب بشدو الطيور
والعناقيد فى الكروم أكف   صافحتها فى نشوة المخمور
تلك حباتها النضيرة صارت   لؤلؤاً فى إكليلها المضفور
خطرت كالنسيم طاف على الرو   ض فأمسى مضمخاً بالعبير
زين الخلد أوجه حين وافتـ   ـه ببدر يتيه بين البدور
خفت الحور نحوها مثلما هر   ول صاد تجاه عذب نمير
أخذت نايها الحزين وغنت   بين أترابها بلحن مرير
سألوها : أفى الخلود نواح   وعويل يهيج وجد الصدور
فأجابت : شهيدة تطلب الثا   ر حثيثاً لقلبها الموتور
ليس ينسى فؤادها فى فلسطين أنيناً يذيب صم الصخور
ذكرت قصة الكفاح فجادت   عينها كالحيا بدمع غزير
يا لحسناء فى ربى الخلد تبكى   بين سرب من فاتنات الحور
ذكرت مصرع العدالة فى دنيا أحيطت بجائمات الشرور
جلل البغى وجهها بظلام   ليس فيه صبابة من نور
كلما شع من سنا الحق ضوء   يتوارى فى حالك الديجور
الطغام اللئام قد عاونوا القوم على البغى والخنا والزور
لو تركنا لهم لهبوا مع الر   يح غباراً يطير كل مطير
كعصافير ظنت الأيك يخلو   من شريك فبوغتت بالصقور
صدمات من مجلس الأمن هبت   تنقذ القوم من عذاب السعير
عقرب لاذ بالأفاعى فويل   من غدور يرمى ذمام غدور
عاونوا الباطل الصراح جهارا   وأخو الحق ماله من نصير
ثم جاءوا إلى فلسطين يسمو   ن بشر على الورى مستطير
بالدمار المبيد بالخطر الساحق بالويل بالردى بالثبور
فإذا فيلق العروبة ينقض   نسوراً تطير خلف نسور
الليوث الكماة ناداهم المجد   فطاروا إلى العدو المغير
كل ليث يهيج فى صدره البأ   س كنار تشب فى تنور
فجسوم تناثرت كالشظايا   ودماء تدفقت كالبحور
وسماء منها القنابل تهوى   فوق أرض مليئة بالقبور
لو تركنا وشأننا ما تبقى   منهمو فى الحياة شروى نقير
قدر الشرق إنه لجدير   بفناء الورى ، وأى جدير
الكعاب الحسان يزحفن للنصر كموج يفيض جم الهدير
« وحياة » شهيدة الحق تسطو   فى جحيم الوغى كليث هصور
رفعت راية البطولة فأعجب   للواء فى كف ظبى غرير
تبصر القاذفات تهوى مع المو   ت وتسمى لها بقلب جسور
تبرىء الجرح تغسل الدمع تذكى   فى بنى قومها لهيب الشعور
ما أجل الوفاء تلبسه الغيد   وشاحاً مرصعاً بالزهور
أبتغى أن أصوغ فيه قريضى   فتضيق اللغى عن التعبير
الكفاح المرير غال صباها   لهف نفسى على صباها النضير
فتحت للرصاص صدراً وضيئاً   يتراءى كصفحة البلور
الكفاح المرير والعمل الدائب   والسعى فى السرى والبكور
تهبط السهل تعتلى الحزن تعدو   فى ظلام الدجى ووقد الهجير
جعلت ثورة المتاعب منها   شبحاً فر من وراء الدهور
سمعت فى الدجى إليهم أنيناً   لجريح يئن تحت الصخور
نسف البيت فوقه بشظايا   خلقت للفناء والتدمير
بحثت عنه — وحدها — فرأته   أبتر الساق ذا جناح كسير
حملته رغم الضنى وتولت   فى شهيق مؤرق وزفير
فإذا العاصف المدمر يهوى   طائر العدو كالشهاب المنير
وإذا الغادة النبيلة ذرات تلاشى كيانها فى الأثير
رقدت والجريح فى ساحة الخلد   تعب الكرى بطرف قرير
زين الخلد أفقه حين وافته   ببدر يتيه بين البدور

من مجيرى من الأسى — يلهب الصدر إذا ما ذكرتها — من مجيرى ؟
زهرة تبهر العيون على الغصن   وفى الكف نسجها من حرير
سلط المنجل الرهيب عليها   فطواها الثرى ليوم النشور
فإذا الروض مأتم تتباكى   فى روابيه نادبات الطيور
لم أرد أن أصوغ فيها رثاء   تلك والله نفثة المصدور

(الكفر الجديد)   **محمد رجب البيومى**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

مهزلة اليونسكو :

أخذت مسألة تأجيل انعقاد مؤتمر اليونسكو ، جانباً كبيراً من اهتمام الهيئات العربية الثقافية فى هذا الأسبوع ، وهو اهتمام مشوب بعدم الارتياح إلى التصرفات التى بدت أخيراً نتيجة ألاعيب اليهود ومساعيهم للحيلولة دون انعقاد هذا المؤتمر فى لبنان ، فقد كان مقرراً أن ينعقد فى أكتوبر القادم ، ثم أجل إلى نوفبر ، وأخيراً تلقى معالى عبد الرازق السنهورى باشا وزير المعارف برقية من المستر هاكسلى مدير اليونسكو ، يطلب فيها موافقة الحكومة المصرية على تأجيل المؤتمر إلى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٩ .

واقترن كل ذلك بتحريض الدعاية اليهودية بعض الدول على الاعتراض على عقد مؤتمر اليونسكو بلبنان لأنه يؤلف أحد طرفى النزاع فى الاضطرابات القائمة فى فلسطين ، وأبدت دول أخرى مخاوفها للحكومة اللبنانية التى أكدت أن المؤتمر سينعقد فى جو آمن لا يخشى فيه أى ضرر ؛ واقترن أيضاً طلب التأجيل الأخير بما نشر من أن دولة إسرائيل المزعومة طلبت تمثيلها فى مؤتمر اليونسكو ، ويظهر أنها وجدت صعوبة فى السعى لإحباط عقد المؤتمر فى لبنان ، فحولت الاتجاه إلى طلب تمثيلها به مع العمل لتأجيله مدة طويلة تستطيع فيها أن تظفر بالموافقة على اشتراكها فيه .. ومن يدرى ماذا يحدث بعد من هذه الألاعيب ، وماذا يتلوها من رغبات إدارة اليونسكو ؟ .

وقد أولى معالى وزير المعارف هذه المسألة ما تستحق من العناية ، فاجتمع بوزير لبنان المفوض فى مصر ، ثم رأس اجتماع المكتب الدائم للجنة الثقافية بالجامعة العربية يوم الخميس الماضى ، ونظر المكتب فى هذا الموضوع ثم قرر أن يعرض الأمر على اللجنة الثقافية فى اجتماعها بلبنان يوم ٢٨ أغسطس الحالى ، لتقرر موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو ، وسيمثل مصر فى هذا الاجتماع وفد مؤلف من رجال وزارة المعارف برياسة وكيلها الأستاذ محمد شفيق غربال بك .

ويلاحظ من قرار المكتب الدائم أن المسألة لم تعد قبول التأجيل المطلوب أو عدم قبوله فحسب ، بل أصبحت « موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو » إزاء ما أثير حوله لاجتماعه بلبنان وما نشأ عن ذلك من تكرر التأجيل .

هذا ولم ينس الناس بعد ما أعلنته هذه الهيئة الثقافية الدولية من أن أول أغراضها القضاء على أسباب الحروب فى العقول بالتقريب الفكرى بين أمم العالم ، ولكنها منظمة من منظمات هيئة الأمم المتحدة ، فلم يستطع المشرفون عليها أن يقضوا على المطامع السياسية والمصالح الاستعمارية فى عقولهم وهم الذين يريدون أن يقضوا عليها فى عقول سائر الناس !

ثم ما هى جدوى اليونسكو ومؤتمراتها وقراراتها فى هذا العالم المضطرب ؟ وأى دولة من هذه الدول المتنافسة المتشاحنة ستنفذ توصيات اليونسكو ؟ وماذا تجنيه الأمة العربية من هذه الأعمال الخيالية العقيمة ؟ لقد أعدت وزارات المعارف بالدول العربية وخاصة مصر تقريرات مستفيضة عن تقدم التعليم فى بلادها وأخذها فيه بأحدث الوسائل وغير ذلك ، لتلقى فى مؤتمر اليونسكو فيسمعها ممثلو الغرب بآذان من طين وعجين .

لقد أحسنا الظن بهؤلاء « اليونسكيين » إذ صدقنا خلوص نياتهم فى العمل الثقافى الذى يهدف إلى السلام ، وأردنا أن نتعاون معهم ، ولكن هاهم أولاء يتأثرون بالمساعى الصهيونية ، وقد يقبلون الدولة المزعومة ، فالأولى بنا أن ننظم شئون ثقافتنا بيننا ونكرس لها جهودنا فى داخل البلاد العربية . وليأخذوا مؤتمرهم إلى حيث يشاؤون .

بعد كتابة ما تقدم وإعداده للطبع جاءت الأنباء الأخيرة بأن مجلس اليونسكو التنفيذى قرر قبول إسرائيل (المزعومة) فى مؤتمر لبنان بصفة عضو مراقب إذا طلبت ذلك ، وذلك بناء على طلب مندوب الولايات المتحدة .

الصعلكة :

كان الدكتور زكى مبارك ، فى « البلاغ » يوم الاثنين

الماضى ، ينتقل من موضوع إلى موضوع — كدأبه فى « الحديث ذو شجون » — حتى جاء ذكر الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، فقال الدكتور إنه ألقى كلمة فى حفلة تأبين الديب قال فيها : « إن الأديب من الوجهة الشخصية لا يهمنى ولكن إقامة مناحة على شاعر احترف الصعلكة توحى إلى الناشئين أن الصعلكة من شروط النبوغ الشعرى . وهذا لا يجوز » .

والدكتور زكى مبارك كاتب عربى مبين ، وهو يكتب دون تمهل ولا روية ، لأن البيان صار فيه سجية ، كما قال عن نفسه ذات مرة ، وهو إلى هذا واسع الاطلاع ، وذخائره أكثر مما تحويه صفحة « الحديث ذو شجون » على كثرة ما تحوى .

ولذلك عجبت من أن يستعمل « الصعلكة » كما وقعت فى عبارته السابقة ، استعمالاً يجعل من مدلولها الضعة والتسكع ، مجارياً فى هذا ما شاع على ألسنة غير المحصلين . فالصعلوك هو الفقير ، وليس بلازم أن يكون الفقير حقيراً . ومن الغريب أن الاستعمال الشائع لهذه الكلمة الآن على عكس ما كان يطلقها العرب قبل الإسلام على طائفة من الفتاك المدودين المقدمين ، كانوا يسمونهم « الصعاليك » ومنهم الشعراء المبرزون كالشنفرى وتأبط شراً والسليك بن السلكة وعروة بن الورد الذى كان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم وكانت غزواتهم هى السطو على أحياء العرب للسلب والنهب ، ولهم فى ذلك أخبار وقصص عجيبة ، يقوم جانب منها على ما عرف به بعضهم من المهارة فى العدو . وكان هذا مظهراً من مظاهر الفتوة والوجاهة فى الحياة الجاهلية .

ولا شك أنه يصح أن يقال إن الشاعر عبد الحميد الديب كان صعلوكا ، بمعنى فقير ، ولكن الذى يقصده الدكتور زكى مبارك هو المعنى الشائع على ألسنة المعاصرين ، كما يدل تعبيره « احترف الصعلكة » ، فالفقر لا يحترف . وقد عنيت بمناقشة الدكتور فى ذلك ، لأنه من أئمة الجيل ، وتعبيره هذا يوحى إلى الناشئين أن الصعلكة هى الضعة والتسكع . وهذا لا يجوز ...

استهداء الكتب :

كتب الأستاذ أحمد الصاوى محمد بأخبار اليوم ، معلقاً على كتاب ورد إليه من المجلس البلدى بكفر الزيات يستهديه فيه كتبه للمكتبة التى يزمع إنشاءها ، ففند هذا المطلب ، وقال :

« ففى كل يوم تستهدينا كتبنا المجالس البلدية والمحلية والأندية الرياضية والجمعيات الثقافية والأدبية ، ولو كانت كتبنا كالجبز لا فتقرنا وشحذنا من إهداء كل هذا الجبز وتوزيع كل هذا الترمس ... مجاناً ! ! »

والأستاذ الصاوى محق فى هذا من غير شك ، وخاصة فيما يتعلق بالهيئات الحكومية التى تطلب الكتب من مؤلفيها بالمجان ، وهى تعتمد الاعتمادات وتنفق الأموال فى كل وجه وتريد أن ترزئ المؤلفين فى مؤلفاتهم التى سهروا الليالى ، وبذلوا من أعصابهم ، وسكبوا عصارات أفكارهم ، فى تأليفها ، ثم أنفقوا على طبعها ما يرجون أن يجموه على الأقل من ثمن النسخ .

فهذه المجالس البلدية والمحلية التى تسخو فى الاستقبالات وإعداد الاستراحات والمرفهات — تقبض يدها عن المؤلفين وتبسط لهم يد التظارف بالثناء والاستهداء ، كأنها تحسب أن المؤلف لديه ضيعة تنبت فيها الكتب بغير حساب .

ويظن هؤلاء المستهدون أنهم يقدرون المؤلف تقديراً أدبياً باستهداء كتابه ، فإذا كان الأمر كذلك فكل الناس مستعدون « لبذل » هذا التقدير الذى لا يغنى من جوع ... وهل تستطيع أن تطلب من مصنع — مثلاً — شيئاً من مصنوعاته وتدفع ثمناً له تقديرك لدقة صنعه ومهارة صانعه ؟

التمثال والابريق :

تلقيت الكتاب التالى من الأستاذ اسماعيل كامل رئيس قلم المناقصات بوزارة المعارف :

« ... وبعد فقد سبق لشخصى المتواضع أن كتب أقصوصة بمجلة مسامرات الجيب الصادرة فى ١٥ يونية سنة ١٩٤٧ ، بعنوان (دش بارد) .

« وكان اغتباطى شديداً وممزوجاً بالأسف المر عندما وجدت بمجلة الثقافة الصادرة فى ٢٣ مارس سنة ١٩٤٨ أن هذه القصة بالذات تقدم بها الأستاذ محمد أمين حسونة فى مباراة القصة القصيرة فى مهرجان الشباب لسنة ١٩٤٨ فنال بها الجائزة المالية الأولى . وكان اغتباطى لتقدير لجنة التحكيم « حامل » قصتى وإيثاره بالجائزة الأولى ... وهأنذا أرفق كتابى بعددى الثقافة والمسامرات لعل الحقيقة تحظى بعناصرتكم ، تمهيداً لاتخاذ الاجراءات القانونية من ناحيتى » .

قرأت هذا الكتاب ، ونظرت إلى المجلتين المصاحبتين له ، فرأيت قصة « دش بارد » بالمسامرات تتلخص حادثتها فى أن شاباً أراد أن يبعث إلى خطيبته بهدية فى عيد ميلادها ، وحار فى ذلك لقـلة نقوده ... ثم رأى بمحل تماثيل تمثالا مهشما إلى أربع قطع ، فخطرت له حيلة .. اشترى التمثال وأخذه من البائع بعد أن لفه ، وأرسله بالبريد إلى خطيبته ، مقدراً أنها عند ما تراه مهشما تعزو ذلك إلى إهمال عمال البريد . ثم حرص الشاب على أن يكون عند فتاته وقت وصول الهدية . ولـكن حدث عنـد ما وصل (الطرد) أن فتحته الفتاة فوجدت به أربع قطع وقد لفت كل قطعة فى ورقة منفصلة ! فامتقع وجه الشاب عند ما أدرك سخافة البائع الذى أسرف فى الحرص فأضاع سعادة خطيبته و كرامته » .

ورأيت بالثقافة مقالا للأستاذ عبد الله حبيب ، كتبه عن مباراة القصة القصيرة فى مهرجان الشباب ، وقد أتى فيه على ملخص القصة الفائزة بالجائزة الأولى للأستاذ محمد أمين حسونة ، وعنوانهـا « البغل والإبريق » لأن الكاتب قد حول التمثال المحطم إلى إبريق محطم أيضاً ، ولـكنه ثلاث قطع ، وكل قطعة لفت على حدة ، كما حدث فى قصة « دش بارد » .

ولست أدرى لم « يزعم » الأستاذ اسماعيل كامل أن قصة « البغل والإبريق » هى قصته ، وقد غير كاتبهـا العنوان وجعل التمثال إبريقاً ، وجعل أربع القطع ثلاثا ! وليس هذا فحسب ، بل استبدل بالخطيبة ابنة رئيس الشاب فى المصلحة التى يعمل فيها ، ووفق أيضاً فى تغيير المناسبة من عيد ميلاد إلى زفاف !!

أفيصح بعد كل تلك « التغييرات الفنية » أن يقول الأستاذ اسماعيل ما قال ولا يتسامح فيما عدا هذه التغييرات من اتحاد فى الهيكل والعقدة .. ؟

أصعب عليه أن يثنى الأستاذ عبد الله حبيب على قصة « البغل والإبريق » بقوله : « وقد امتازت هذه القصة بالبساطة فى عرض وقائعها وتصوير أشخاصها ، مع دقة التعبير واتساق الفـكرة وربط أجزائها وحسن حبكتها والحرص على تشويق القارىء والاتصال بفـكره » وهو خالى الذهن من أن لهذه القصة أصلا ثابتاً فى المسامرات كان هو الأولى بالثناء ... والجائزة ... ؟

هون على نفسك يا صديق ، ولا يخف عليك أن المسامح كريم ...

رسالتان :

الأولى من الأستاذ حسن أحمد با كثير ، صاحب « نشيد جهاد فلسطين » الذى استحسنته اللجنة الثقافية بالجامعة العربية فقررت تلحينه وإذاعته . وقد لحنه قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية منذ شهور ، وسمعناه هناك فى حفل أقيم للجنة الثقافية ، فنال ما هو جدير به من الاستحسان تأليفاً وتلحيناً . يقول صـاحب النشيد فى رسالته : إلى إن أشهراً كثيرة مضت على ذلك حدثت فى خلالها أحداث فلسطين المتعاقبة » ومع ذلك لم يفرغ الملحنون بعد من تلحين هـذا النشيد ، ولم تحاول الإدارة الثقافية بالأمانة العامة دفعهم إلى الإسراع فى تقديم اللحن لإذاعته ، ولا أدرى متى ينتهون من التلحين ومتى يذاع النشيد إن لم يذع فى هذه الأيام »

والأستاذ با كثير يظلم الإدارة الثقافية ، لأن النشيد قد لحن فعلا كما ذكرت منذ مدة طويلة ، وقد أرسلته إلى إدارة الإذاعة لإذاعته ، ويظهر أنه استقر فى « كهف » هناك يحرسـه كلب باسط ذراعيه بالوصيد ... ويظهر أيضاً أن الأخ با كثير ليس له صلة بأحد فى الإذاعة ، ليوقظ له نشيده من سباته .

والرسالة الثانية من « المخلص فتحى . ا ليسانس الحقوق » يبدى فيه إعجابه بفـكرة إنشاء معهد للدراسات الاجتماعية بكلية الآداب بالاسكندرية ، ولـكنه يأسف لعدم استطاعته كثيرة من المقيمين فى القاهرة الراغبين فى هذه الدراسات ، أن يحققوا رغبتهم ، ويقول : « إننى باسم الـكثيرين ممن يريدون الالتحاق بالمعهد ولـكن ظروفهم تمنعهم من ذلك ، أقترح على حضرتـكم أن تنادى بضرورة افتتاح معهد مماثل يكون تابعاً لكلية الآداب بجامعة فؤاد » .

وطلب السيد فتحى جدير بالتحقيق ، وأعتقـد أن الأمر سـيأخذ مجراه كما يريد ، أى أن معهد الاسـكندرية سيكون تجربة تنتفع منها جامعة فؤاد بالقاهرة ، وإن كان معهد القاهرة سيتأخر ميلاده عن معهد الاسكندرية ، ونتوجه برغبـة هؤلاء الشباب المتطلعين إلى الاستزادة من الدراسات الاجتماعية — إلى عميد الآداب بجامعة فؤاد ، ليعمل على إنشـاء المعهد المأمول فى أقرب وقت مستطاع .

عباس خضر



المفعول معه وواو المعية :

من عنوان المفعول معه يفهم الإنسان أن الاسم المنصوب بعد الواو مصاحب للاسم السابق لها . فالمصاحبة شرح وتوضيح للواو التى هى نص فى إفادة المعية فى هذا الباب . والأمثلة المسموعة من القرآن وغيره واضح فيها معنى الواو بدون تجوز أو تأويل . فمن القرآن قوله تعالى : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » فشركاءكم ليست معطوفة على أمركم ، بل هى مفعول معه ، إذ أنه لا يراد أجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم ، وإنما المقصود أجمعوا أمركم مع شركائكم .

وقوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان » لا يراد به تبوءوا الدار وتبوءوا الإيمان ، إذ أن الإيمان لا يُتبوأ ، وإنما المراد أنهم تبوءوا الدار مع إيمانهم بالله . ومن قول العرب : « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها » معناه لو تركتها مع فصيلها لرضعها . ومن شعرهم قوله :

لا تحسبنّك أثوابى فقد جمعت ... هذا ردائىَ مطوياً وسربالا

معناه هذا ردائى مطوياً مع سربال . وقوله :

فكونوا أنتمو وبنى أبيكم ... مكان الكليتين من الطحال

معناه كونوا مع بنى أبيكم متقاربين متعاونين .

فالشواهد المأثورة يتضح فيها أن الواو نص فى المعية بدون تجوز أو تأويل . إلا أن بعض الشراح توسعوا فى الأمثلة وحملوا الواو معانى تحتاج إلى المجاز فلجأوا إلى التفسير ، وتفسير للتفسير ومزيد من تفسير التفسير ، فقالوا : سرت والنيل ، وسرت والطريق ، أى مصاحباً النيل ؛ ومصاحباً الطريق ، أى مقارناً النيل ؛ ومقارناً الطريق فى سيرى ، وذلك تفسيراً لقولهم سرت مع النيل ، وسرت مع الطريق . وهذا من العبث واللغو بمكان . ولكنا على هذا النمط تعلمنا وعلمنا كتب النحو . وفى هذا العبث وقع المؤلفون ، وبهذا العبث ألزم التلاميذ فى المدارس ، فاضطرب المدرس فى الشرح وتحايل ، واستغلق المعنى على التلميذ فلجأ إلى الحفظ من غير أن يتصور المراد . ففى كتب قواعد اللغة العربية المقررة على تلاميذ المدارس الابتدائية تعريف معقد للمفعول معه استنباطاً من أمثلة وضعوها وفيها كثير من الخطأ ، أو على الأقل فيها مبالغة فى المجاز لا يهضمها التلاميذ ، فقد عرفوا المفعول معه بأنه اسم منصوب بعد واو بمعنى مع ، للدلالة على ما فعل الفعل بمقارنته . فتكملة التعريف « للدلالة على ما فعل الفعل بمقارنته » يتوقف عند تفهمها الكبير ويعجز عن تصورها الصغير . وكان الأولى أن يقتصر فى التعريف على شطره الأول « وهو اسم منصوب بعد واو بمعنى مع » . أما الأمثلة ، فهى مؤلفة بقصد التجديد منهم — على ما يظهر — ولكنها خرجت عن المعنى المطلوب ، فقالوا : غرد البلبل والشجرة ، أى مع الشجرة ، أى مصاحبا الشجرة ، أى مقارنا الشجرة فى تغريده . وقالوا : جلس المسكين وباب المسجد ، أى مع باب المسجد ، أى مصاحباً لباب المسجد ، أى مقارناً لباب المسجد . وقالوا : جلس التلميذ والمكتب ... أى ... أى ... أى ... ومع كل هذه « الأيأية » التى يلجأ إليها ، فإن الأمثلة لا تتضح للمتعلم ، وبخاصة إذا كان صغيراً .

ولعمرى إن هذه وأمثالها مما ورد فى كتب قواعد اللغة العربية مما أخطأها التوفيق وجانبها الصواب ، ولو اقتصروا على خرجت وطلوع الشمس ، أو وغروب الشمس ، أو وصلاة الظهر مثلا ، وغيرها مما يتضح فيه المعنى بدون « أيأية » لكان أولى وأرحم بعقول التلاميذ ، ولكنه الخطأ فى أساس التأليف تبعاً لخطأ سابق فى كتب النحو بدون تمحيص .

ومثل هذا الخطأ أيضاً حادث فى واو المعية التى ينصب بعدها الفعل المضارع ، ذلك أن فاء السببية وواو المعية تضمر بعدهما أن — كما قالوا — وجوباً بشروط ، إلا أن معنى كل منهما مخالف للآخر . فالفاء يكون ما قبلها سبباً لما بعدها ، وما بعدها متأخراً عما قبلها ، وبناء عليه تقول أقبل فأكرمك ، وذاكر فتنجح ، فالإكرام مترتب على الإقبال ، والمذاكرة سبب فى النجاح ، ومن القرآن قوله تعالى : « يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل » ؛ يفهم منه أن عملهم المغاير لما كانوا يعملون مترتب على ردهم إلى

الدنيا مرة أخرى . أما الواو فيكون ما بعدها مصاحباً لما قبلها فى نفس الوقت ، ومن ذلك قوله تعالى : « يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » ، فهم يتمنون ردهم مرتبطاً فى الوقت نفسه مع عدم تكذيبهم بآيات الله ، ومرتبطاً مع كونهم من المؤمنين . ومن الشعر قوله :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

معناه مع إتيانك فى الوقت نفسه مثل ما نهيت عنه . وقوله :

أتبيت ريان الجفون من الكرى   وأبيت منك بليلة الملسوع

معناه مع بياتى فى الوقت نفسه من حبى لك وتقلبى فى فراشى كمن لدغته العقرب .

لكن الأساتذة — مع احترامى لهم — مؤلفى كتب القواعد عاقبوا بين الفاء والواو فى الأمثلة بدون نظر إلى اختلاف معنييهما فقالوا : ذاكر فتنجح ، وذاكر وتنجح ، فالمثال الأول يترتب فيه النجاح على المذاكرة ، ولكنه فى الثانى يحتاج إلى تأويل ، ومع ذلك فهو بعيد عن معنى الواو التى فى هذا الباب على كل حال حقيقة أنه قد يكون مع المذاكرة النجاح ، ولكن ليس النجاح مرتبطاً مع المذاكرة فى نفس الوقت ، وإنما هو مترتب عليها ، وهى سبب له . وذلك ما تفيده الفاء التى تؤدى معناها لام[1] التعليل ، وتصلح أن تخلفها فى أمثلتها .

وإن الآيات والأمثلة لتؤيد كل ما قدمنا ، ولله در ابن مالك إذ يقول :

والواو كالفا إن تفد مفهوم مع   كلا تكن جلداً وتظهر الجزع

فهو يذكر لنا أن الواو ينصب بعدها المضارع كالفاء بشرط أن تفيد المعية . ومثاله موضح كل الإيضاح . فلعل المؤلفين لكتب القواعد يذكرون ذلك عند إعادة الطبعات .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

١ — تشدد فى اللغة لا موجب له :

علم الله أننى جد حريص على سلامة اللغة ، ولكننى أكره التزمت فيها ، وأبغض شىء إلى نفسى الإمعان فى الجدل إلا جدلا يكشف حقاً ، أو يُدحض باطلا ، أو يهدى إلى الرشد ؛ وقد ضقت ذرعاً بمسائل كثيرة يتعلق بها بعض من حسنت نيتهم ، أوضاق أفقهم ، أو استولى عليهم الغرور ، وأحب أن يتسع نطاق (البريد الأدبى) بالرسالة الغراء لنشر هذه المسائل ؛ فمنها :

١ — يحرص كثير من أهل الفضل والدراية على تغيير لفظ العلَم الكُنْية المصدَّر بأب إذا كان مضافاً إليه ؛ فيقولون : مدرسة أبى حمص ، ومدرسة أبى المطامير ؛ جرياً على قاعدة جر المضاف إليه بالياء إذا كان من الأسماء الخمسة ؛ وقد يقعون بحسن نية فيما يدعو إلى السخرية فيقولون (مدرسة بنى أبى الريش) يريدون مدرسة البنين ببلدة أبو الريش ؛ ولو علموا أنه يجوز حكاية الكنية على أشهر أوضاعها ، وهو صيغة الرفع بالواو لأراحوا واستراحوا ، وأظن الأستاذ الإمام الشيخ حمزة فتح الله قد عقد بحثاً لذلك فى كتابه (المواهب الفتحية) ، وقرأ أحد الصحابة (تبت يدا أبو لهب) كما فى تفسير العلامة (أبو السعود) .

٢ — يتشبث بعضهم بوجوب جر كلمة (أثناء) فيقولون مثلا (يلمع البرق فى أثناء السحاب) ، وهم يعتمدون فى هذا التزمت على ورود الكلمة فى جميع المراجع اللغوية التى بأيدينا على هذه الصورة ، ويقول النحاة : إن اسم المكان لا يقبل النصب على الظرفية إلا مبهماً ؛ وأثناء جمع ثِنْى ، وهى فى جميع الأوضاع مخصصة غير مبهمة لانحصار حدودها فيما أضيفت إليه ؛ وهذا بلا شك كلام صحيح ؛ ولكن لم لا يكون نصب الكلمة جارياً على نزع الخافض ، وهو كثير جداً فى كلام العرب ، وجمله بعض العلماء قياسياً فى المصادر المؤولة من (أن) وما دخلت عليه بل فى غير المصادر من الأسماء الصريحة ؟

٣ — ما زال بعض الأدباء ينكرون كلمة (الهناء) لعدم ورودها مجردة من تاء التأنيث فى أشهر الموسوعات اللغوية ؛ وقد غاب عنهم ورودها فى (المخصص) للعلامة (ابن سيده) فى باب ألوان العيش والنعيم (أو كال قال) ؛ ويعلم الله كم جرى قلمهم الأحمر والأزرق على كلمة الهناء شامخين مزهوين ، وكم نال (ابن نباته) الشاعر الظريف من الزراية والاستخفاف حين طرق أسماعهم بيته الرشيق :

هناك محا ذاك العزاء المقدما   فما عبس المحزون حتى تبسما

(١) تبين لى أن فاء السببية تؤدى ما يؤديه المفعول لأجله المجرور باللام دائماً ، فناكر تنجح مثل ذاكر لنجاحك . وتبين لى أن واو المعية تؤدى ما تؤديه الحال دائماً ، فقولك لا تنه عن خلق وتأتى مثله مثل لا تنه عن خلق فى حالة إتيانك مثله . هنا رأى لى ولعله صواب ...

٤ — يتمسك كثير من أولئك بوجوب ضم راء (الرصافة) واقفين عند نص (الفيروزبادى) ، ولو أنصفوا لحولوا أعينهم إلى ما كتبه شارح القاموس على هامش المادة ، وإذاً لعلموا أن الفتح والضم سيان ، وفى ظنى أن الفتح فى مثل هذه الكلمة أرق وأجمل ، وما أحسب (على بن الجهم) طيب الله ثراه قد نطق بها إلا مفتوحة الراء حين قال بيته الخالد :

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

٢ — أحسن من ذى قبل :

كثيراً ما يعترض القارئين ، ويجرى على ألسنة المتحدثين هذا الأسلوب ، ومنهم من يكتفى بفحواه وما يتبادر إلى الذهن من معناه ، غير باحث فيما بنى عليه من أساس لغوى ، أو قاعدة نحوية ، ومنهم من يحرف الكلم عن مواضعه ، فيزعم أن اللفظ الأخير منه وهو (قبل) بفتح الباء لا بسكونها ، وينسى أن هذا الضبط يفضى إلى قصور فى المعنى وتعسف كبير ، إذ (القَبَلُ) هو كل شىء فى مستهل وجوده ، أو على حد تعبير المعجمات : هو الشىء أول ما يكون ؛ وما زلت أبحث فى هذه المسألة وأدير الحوار حولها مع الثقات من أهل البصر باللغة حتى انتهيت إلى ما أعتقده فيها ، وخلاصته أن كلمة (قبل) ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ، ونية معناه كبقية (الغايات) وهى ظروف محصورة فى كتب النحاة منها : بعد ووراء وخلف الخ ، وأن كلمة (ذى) ليست بمعنى صاحب — كما يتبادر إلى الذهن — ولكنها اسم موصول يستعمل فى لغة طيّئ للمفرد وغيره مذكراً ومؤنثاً كما هو منصوص فى المصادر النحوية كشرح (ابن عقيل) وحاشية (الخضرى) ، وإنها قد تأتى مبنية بلفظ واحد وهو (ذو) رفعاً ونصباً وجراً ، وقد تعرب بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالياء جراً عند قوم من طيّئ فتكون فى أحوال الإعراب مثل (ذى) بمعنى صاحب التى هى من الأسماء الخمسة ، وعلى هذا الوجه يمكن توجيه الأسلوب ، ويكون الظرف المبنى على الضم صلة الموصول باعتباره شبه جملة على حسب ما شرحه النحاة .

وإذاً يكون المعنى : هذا الشىء خير من الذى كان قبله ، أو هذه الحالة أحسن من التى سبقتها وهكذا ، وبذلك يستقيم اللفظ وينسجم مع المعنى المراد ، والسلام .

الأسكندرية **محمود البشبيشى**

التناسب . وجو الآية . وحسن الجرس . وتكرير المقطع :

يظهر أن هذه الكلمات ونظائرها حبيبة إلى الأستاذ الفاضل محمود البشبيشى ، ولها بالقلب نوطه ، فهو يألفها ولا يفتأ يلهج بها ويكررها !

ولو كانت تلك الكلمات تحل ما نحن بصدده لقلنا : لقد أتى الأستاذ بما لم يأت به الأوائل ، واستدرك ما فاتهم وطلع علينا برأى طريف له دعامة من الحق تسنده ، ولكن الأستاذ أخذ يردد كلمة التناسب ويظنها حجة له وهى على الضد مما يرى إذ ما شأن التناسب هنا فى موضوعنا ؟ التناسب الذى أورده ابن مالك فى ألفيته إنما أورده فى الأسباب التى تجعل الممنوع مصروفاً ، ومثار البحث مقصور على أن المصروف قد لا ينصرف ، وذلك عند الاضطرار لا التناسب . وبالرغم من هذا ليست الآية شعراً حتى نقول : إن اضطرار الوزن أدى بكلمة أشياء أن تمنع من الصرف وهى مصروفة وبهذا عرف موضع هاتين الكلمتين : الاضطرار ، والتناسب ، وفى أى شىء يردان ، وعلم لنا أن كلمة التناسب فقدت قوتها السحرية ، إذ لا مكان لها فى محل النزاع .

بقى أن ننفتل مسرعين إلى ما بقى من الألفاظ (جو الآية ، وحسن الجرس ، وتكرير المقطع) ، والتى اعتمد عليها الأستاذ بعد التناسب فى التوجيه لرأيه الذى ارتآه فى كلمة (أشياء) الواردة فى الآية ، فهو يرى أن كلمة (أشياء) فى الآية (لو وردت مصروفة لتكرر حتما مقطعان بلفظ واحد ، وكان ذلك مخلا إلى حد ما بحسن الجرس والتناسق ، ولا شك أن القرآن الكريم فى المكان الأول من رعاية التناسق والسلامة من كل مظان التنافر ، وهذا من أعظم وجوه الإعجاز)

وكأن المفسر — على هذا — لو فسر تلك الآية خارجاً بكلمة (أشياء) عن جو الآية ، ومعبراً بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تظهر لكم تشق عليكم وتغمكم » لجاز له أن ينون ، لأن الأستاذ يقول : « فلو خرجت كلمة أشياء عن جو

الآية لجاز عليها ما يجوز على سواها من الصرف والتنوين » . وما رأى الأستاذ الفاضل فى مثل هذا التعبير أو التفسير ؟ أيراه بليغاً خالياً من التنافر ؟ أو يراه غير بليغ ؟ إن رآه بليغاً فقد سلم بأن تكرير المقطع مرتين بلفظ واحد سواء فى الآية أو غيرها لا يخل بحسن الجرس والتناسق ، وإن تخيله غير بليغ لتكرير المقطع مرتين فقد رجع عما ارتآه من صرف الكلمة عندما تخرج عن جو الآية ، والمفسر – كما تعلم – حريص على أن يكون تفسيره متناسقاً يطابق الآية ويقاربها .

وإلى هنا نرى أن التمسك بتكرير المقطع لايقوى على التحليق طويلا ، فقد هوى عندما سدد إليه الأستاذ أحمد العجمى مصوبته وأورد ما أورده من الآيات ، وهل روى غلته ما أجاب به الأستاذ البشبيشى بعد ذلك ؟ فى الحق أن حجة الأستاذ العجمى ما زالت ملزمة ، لأن كلمة (شيء) فى الآيتين منونة ، وليس فوقها علامة من علامات الوقف كما هو المعهود فى المصاحف ، والقياس على هـذا صحيح ، وليس قياساً مع الفارق – كما يقول الأستـاذ البشبيشى – : « وإنه من الممكن ، بل من الحسن الوقف على كلمة شيء » إذ يعد هذا ابتداعاً لم يرد عن الرسول عليه السلام . ويلزم من ذلك على رأيه أن الآية تكون خاليـة من التنافر عند الوقف بدون موجب ، ولا تكون كذلك عند الوصل ، وذلك أمر لم يعهد فى آيات القرآن ، ولم يقل به أحـد إلا إذا وافقنا الأستاذ البشبيشى على هواه كلما أراد التخلص من مشكل ، ودون شك أن هذا يجعل الأمر فوضى .

وادعاء أن همزة (شيء) مسبوقة بلين صامت ، وهمزة أشياء مسبوقة بحرف مد صاعد ، وأن لذلك تأثيره فى ثقـل المقطعين ادعاء غير ناهض . لأنه ثبت فى الآيتين أن المقطع تكرر مرتين بلفظ واحد ، ولا يعكر ذلك ما إذا كان الحرف صامتاً أو صاعداً وذلك كاف فى الرد .

وفى الختم نعود فنقول : إن علماء اللغة بصريهم و كوفييهم أجمعوا على أن الكلمة ممنوعة من الصرف فى جميع الحالات إلا إذا كان ثمت اضطرار ، ومنعت الصرف لكثرة الاستعمال تشبيهاً لها بألف التأنيث الممدودة ، وفى هذا القدر كفاية .

محمد غنيم

لغويات :

نعيد اليوم . للتذكير . ماقلناه بالأمس :

١ – قلنا إن الفعل (هاج) الثلاثى إنما يتعدى بنفسه ويلزم ، وإن الرباعى المهموز منه (أهاج) خطأ لم يلفظ به لسان عربى قح ، وإن الصواب – فى التكثير – هو التضعيف (هيّج) لا الهمز . ولكن الأستاذ محمود رزق سليم لا يزال – بالرغم مما سبق – يقول ص ٧٧٩ « (وأهاجت) فى خاطره أبالسة الشعر فأتاها فى بيتها . »

٢ – وقلنا إن وصف (أفعل فعلاء) إنما يكون على (فُعْل) لاغير : ودع عنك تشقيق فلان وتخريج علان . وأصخ إلى قول الرحمن على لسان ملكه جبريل . قال : « ومن الجبال جدد (بيض وحمر) مختلف ألوانها وغرابيب (سود) » . وقال : « وسبـع سنبلات (خضر) وأخر يابسـات » . وقال « إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت (صفر) . » وقال – وهو أصدق القائلين : « متكئين على رفرف (خضر) وعبقرى حسان » فكيف يصح للأستاذ صبحى إبراهيم الصالح – وغيره – أن يقول ص٧٨٣ « وتمحو تحت ألوانها الداكنة (السوداء) كل مايدب على الأرض أو يجرى » ؟

٣ – وقلنا لا يقال (داوٍ) من الدوىّ وإنما (مدوّ) من (دوّى) الرباعى لا الثلاثى ، ولكن الأستاذ محمد فتحى عبد الوهاب يأبى إلا أن يقول ص ٨٠١ « واستمعت الأرنب إلى صوت (داوٍ) قادم من بعيد . »

وبعـد : فالذى قلناه بالأمس نقوله اليوم مذكرين . وذكر فلعل الذكرى تنفع المؤمنين .

(الزيتون) **عدنان**

جامع الترمذى :

جاء فى عدد « الثقافة » ٩٤٥ فى ص ٢٢ قول الكاتب : « المحدث أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع الصحيح فى الحديث » والصواب أن نقول « الأمام الحافظ أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع فى الحديث » لأن لقب « المحدث » هو دون « الحافظ »

في مصطلح علماء السنة ، بل هو رابع الأئمة الخمسة : البخارى ومسلم وأبي دواد والترمذى والنسائى . وكتابه فى الحديث اسم « الجامع » وأما « الجامع الصحيح » فهو للبخارى ، وكذلك مسلم سمى كتابه « الجامع الصحيح » لأنهما لم يخرجا إلا الصحاح وأما الترمذى فاسم ديوانه « الجامع » وقد خرج فيه الصحيح والحسن والغريب ، والغرائب التى خرجها فيها بعض المناكير ، ويخرج حديث الثقة الضابط ، ومن يهم قليلا ومن يهم كثيراً ومن يغلب عليه الوهم ، ويبين ذلك ولا يسكت عنه . وأما مسلم فلا يخرج إلا حديث الثقة الضابط ومن فى حفظه بعض شىء وتكلم فيه بحفظه ، لكنه يتحرى فى التخريج عنه ، وأما البخارى فشرطه أشد من ذلك ، وهو أن لا يخرج إلا للثقة الضابط ولمن ندر وهمه ، وإن كان قد اعترض عليه فى بعض ما خرج عنه وبسط القول فى هذا فى كتاب (شروط الأئمة الستة لمحمد بن طاهر المقدسى) المطبوع مع شروط الأئمة الخمسة للحازمى). والترمذى ينتسب إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذى يقال له جيحون ، والناس مختلفون فى كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء ، وبعضهم يقول بضمها ، وبعضهم يقول بكسرها ، والمتداول على ألسنة تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم ، والذى كنا نعرفه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذى يقوله المتنوقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه . والترمذى أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث ، صنف الجامع والعلل تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل فى الحفظ ، تلمذ للبخارى وشاركه فى شيوخه ... توفى بقرية بوغ إحدى قرى ترمذ سنة ٢٧٩ ، انتهى بإيجاز من (اللباب فى الأنساب لابن الأثير) المطبوع بمصر .

محمد أسامة عليبة

قالت شهرزاد :

يوالى الأستاذ كامل كيلانى الإنتاج فى أدب الطفل الذى يعد هو أول من أنشأه فى العربية . وقد أخرجت له أخيراً دار مكتبة الأطفال (٣٢ شارع حسن الأكبر) مجموعة قصصية من سلسلة « قالت شهرزاد » منها « بنت الوزير » و « قاهر الجبابرة » و « أمير العفاريت » و « كنز الشمردل » و «صانع الأعاجيب» و « الأكذوبة » و « حصان الجو » و « الأمير الحادى والخمسون » وهى قصص طريفة مشوقة تقدم للطفل غذاء مناسباً لخياله المتفتح ومادة نافعة لعقله الصغير فى أسلوب سهل فصيح جذاب .

ولا شك أن هذا اللون من الكتابة للأطفال باللغة العربية السليمة المذبة الفصيحة ، يقوم لسان الناشىء ويطبعه على البيان منذ الصغر . وكم أود أن يقبل ولدى حسام على القراءة فى مستقبل حياته مثلما يقبل الآن على قراءة قصص الأستاذ الكيلانى ، كما أود لأمثاله من الناشئين ، فيتكون جيل يشغف بالقراءة ويجنى ثمرات الاطلاع .

أبو حسام

إلى الأستاذ حسين مهدى الغنام :

نشرت الرسالة الغراء فى عددها الأخير (٧٨٥) مقالاً عن المرحوم حافظ بك ابراهيم شاعر النيل نسب فيه كاتبه الأستاذ حسين مهدى الغنام أبياتاً لشاعر النيل . وقد لاحظت :

أولا : أن هذه الأبيات غير موجودة فى ديوان حافظ ابراهيم الذى قامت وزارة المعارف بطبعه .

ثانياً : هذه الأبيات من (بحر الخفيف) والبيت الآتى من الأبيات المذكورة ، على هذه الرواية غير صحيح من ناحية العروض :

وعجيب يفوز هذا بانطلاق   وهذا فى ذلة المأسور

فهل الأبيات لشاعر النيل ؟ وهل للبيت المذكورة رواية أخرى صحيحة ؟

(الزقازيق)   طه موسى البيومى

سؤال :

حدثنى الأستاذ الشيخ محمد رجب البيومى يوم وفاة المغفور له الأستاذ أحمد الكاشف أنه سيكتب ترجمة ضافية (بالرسالة) الغراء عن الشاعر الكبير فى أقرب فرصة ، كما سيكتب ترجمة أخرى للأستاذ أحمد محرم ، ومضت أسابيع وأشهر وطلع علينا الأستاذ الفاضل بأبحاث جديدة غير ما أشار إليه . وأنا لا أدرى أنسى الكاتب وعده ، أم أدى ما عليه وتأخرت (الرسالة) الغراء عن النشر ؟ !

(المنصورة)   سعد كامل

(الرسالة) : الجواب عن السؤال الأول بنعم ، وعن الثانى بلا

الكتب

من الأدب (*)

تأليف الأستاذ فخرى العمر

مدير معارف الجزيرة

« هذا الكتاب نتاج دراسة تزيد على ثلاثين سنة ، لكن تأليفه تم فى شهر واحد ، وما أدرى أى آرائه يتصل بما قرأت من الكتب وأيها يتصل بنجوى متجاوبة بين النفس والحياة »

هذا ما بدأ به المؤلف المقدمة التى صدر بها كتابه هذا ليعرفه ويعرف القراء نفسه ، والقراء لا يعنيهم أن يكون كتاب — مهما يبلغ من الضخامة — قد ألف فى شهر أو يوم أو نصف قرن بل يعنيهم أن يجدوا فيه ما ينفعهم ويزيد علمهم ولو كان بضع صفحات . وليست التواليف كما بل ماهية و كيفا ، والمعارف تستوى فى ذلك فرب عالم خلد باكتشاف قانون واحد أو نظرية واحدة ، ورب شاعر خلد فى لغتنا العربية بقصيدة واحدة . والجدة فى أسلوب البحث أو فى موضوعه أو فى اكتشاف حقائق جديدة تضاف إلى ما عرف منه ، وقد يستغنى عن الجدة بتبسيط الحقائق وتقريب بعيدها إلى الأذهان ، وهذا الكتاب يخلو من الجدة فى أسلوبه ومعلوماته على السواء ، ويكاد يخلو من تبسيط الحقائق وتقريبها .

وهو سبع عشرة مقالة تنقسم قسمين : أحدهما خاص بدرس فكرة أدبية . وثانيهما : خاص بموضوعات من تاريخ الأدب العربى ، والقسم الأول أربع مقالات هذه عناوينها : ما هو الأدب ؟ ، الأدب متعة وفائدة ، الأسلوب ، الابتكار فى البيان والقسم الثانى ثلاث عشر مقالة أولاها : عنوانها « العصر » وفيها يتحدث عن الثقافة الإسلامية فى الشرق أثناء القرن (١٣١ — ٢٣٢ هـ) تليها اثنتا عشرة مقالة فى ثلاث شعراء وكاتب خص كل منهم بثلاث مقالات . فأما الشعراء فهم أبو نواس ، وأبو العتاهية ، وأبو تمام ، والمقالة الأولى من من الثلاث الخاصة بكل منهم فى ترجمته والثانية فى شعره والثالثة فى أنواع شعره ، وأما الكاتب فهو ابن المقفع ، والمقالة الأولى من الثلاث الخاصة به فى ترجمته ، والثانية فى كتابته والثالثة فى رسائله وكتبه .

ومقالات النوع الأول الأربع التى تدرس كل منها فكرة مقالات مستقيمة منسقة الآراء تدل على نضوج هذه الفكر فى ذهن المؤلف وتثبته منها وإيمانه بها ولا سيما مقالته « الابتكار فى البيان » ، ولكن مقالات النوع الثانى الثلاث عشرة فى تاريخ الأدب لا تخلو من غموض واضطراب وتفكك : ففى مقالة « العصر » لم يزد المؤلف على إيراد حقائق التاريخ دون دراسة ولا غربلة ولا استنتاج وفى المقالات الخاصة بالأدباء لم يستطع أن يترجم لواحد منهم ترجمة واضحة ولا أن يرسم له صورة بارزة ، ولا أن يربط بين حياته وآثاره ربطاً محكماً مع أن كل جهاده انصب على بيان الصلات ، بين حياة الأديب وإنتاجه شعراً أو نثراً ومن أجل هذا اهتم اهتماماً خاصاً بحياته .

وهذا المنهج — فيما أرى قاطعاً — أقوم المناهج فى دراسة الأدباء والفنانين خاصة والناس عامة ، وهو أهدى المناهج وأيسرها لاكتشاف الحقائق الخافية فى حياة الإنسان وآثاره على السواء ، وحسن الاستقامة عليه كفيل بأن يعصم الباحث من الشطط ، وقد عصمه الغلط ، فما أفكارنا الخاصة إلا وليدة حياتنا الخاصة : تأخذ عنها وتعطيها ، وتتأثر بها وتؤثر فيها . غير أن المؤلف لم يحسن الاستفادة التامة من هذا المنهج الأقوم ، وإن استحق التقدير لإيثاره إياه على غيره وصدق نيته فى الاستهداء به إن قدرت « الأعمال بالنيات » .

ولعل ذلك راجع إلى أن نزعة المؤلف الأدبية سليمة ولكن لا تؤازرها حاسة تاريخية نفاذة ، وإلى أن ذوقه الفنى خير من اطلاعه على حقائق التاريخ وخفايا النفوس وفهمها فهماً علمياً صحيحاً ، فإن يكن ذلك فلعل المؤلف منصرف عما خلق له إلى

(*) الطبعة الأولى صفحات الكتاب ٢٣٦ من القطع الكبير طبع فى مطبعة أبى الفداء بحماة . يطلب من مكتبة عنوان النجاح بحماة لصاحبها مصطفى النعسان ، ومن المؤلف (مدير معارف الجزيرة) . وثمنه ٣ ليرات سورية .

ما خلق ، وفى مقالتـه « الابتكار فى البيان » — وهو خير مقالات الـكتاب عندى — غنية له عن الإطالة فيما أريد بيانه .

وفى الـكتاب أخطاء تاريخية كقوله (ص ٥٧ — ٥٨) إن عبـد الله بن المقفع ترجم أرسطو . ولا دليل على ذلك وكل ما رجحه الباحثون أخيراً أن المترجم هو محمد بن عبد الله بن المقفع ومن الأخطاء قوله إن النظام اعتزل واصـل بن عطاء « شيخ المعتزلة » وقال بتخليد صاحب الـكبيرة فى النار (ص٦٢) وهذا خطأ من وجهين أحدهما أن واصلا أول قائل بهذا المبدأ وثانيهما أنه مات قبل مولد النظام .

ومنها قوله إن أبا نواس رثى المأمون وقد مات قبل المأمون بنحو عشرين سـنة ، فلعله يريد الأمين لا المأمون ، ومنها (ص٦٢) ذكره الأشعرية فى كلامه فى القرن (١٣٢ — ٢٣٢هـ) ولم يولد الأشعرى إلا بعد ذلك ولم يظهر متكلما إلا قبيل نهاية القرن الهجرى الثالث . ومنها ذهابه إلى أن اسم صاحبة أبى العتاهية عبدة (ص١٥١) وهى عتبة جارية الخليفة المهدى ، وإنما عبدة صاحبة بشار بن برد . وفى الـكتاب تحميل للنصوص أكثر مما تحتمل وتوليدها مالا يمكن أن تلد (ص ٩٧ ، ١٠٢) .

وفيه أخطاء ذوقية فنى قصيدة بائية لأبى نواس منها هذا البيت وكلها على منواله :

« يا غراب البين فى الشؤ م وميزاب الجنـــابه »

يسمى هذا الشتم هجاء ، والهجاء لا يسمى وهو خال من الفن وإلا لعد كل بذاء هجاء ومن ذلك تعقيبه على قصيدة أبى نواس التى منها :

يا قمـــرا أبرزه مـــأتم يندب شجوا بين أتراب

بقوله : « وما أرق المحب الذى يطلب الموت الدائم للناس ليرى حبيبته » (ص ١٠٩) وليس قلـب كهذا بالأرق ولا الرقيق بل هو قلب أنانى مغلق وحشى . ومنها (ص ١٦٣) وصفه أبا العتاهية بالزاهد ولو اقتصر على وصفه بالمتقشف لأصاب فهكذا كان الرجل ، وفرق بين التقشف والزهد ، فليس بالزاهد من كان من أحرص الناس على الحياة والمال وأشحهم بهما .

ومن أخطاء الفهم عده مدحاً بيتى ابن المعذل فى أبى تمام وهما :

يا نبى الله فى الشـــعـــر ، ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الا ه مـــالم تتـــكلم

وهما من الذم المقذع فهو بقوله « يا نبى الله فى الشعر » والبيت الثانى يخرجه من الشعراء ، لأن الأنبياء — فيما تعورف — ليسوا شعراء وفيه إشارة إلى الآية الكريمة فى النبى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وفي ندائه « يا عيسى بن مريم » اتهام لأبى تمام بأنه مجهول الأب .

وفى الـكتاب قضايا سيقت بلا برهان ، وأحكام قاطمة وهى بين الباحثين محل شك أو رفض ، وفيه اعتماد على نظريات تربوية ونفسانية لم تثبت ثبوتاً قاطعاً ولا راجحاً . وتقسيم أنواع شعر الشاعر إلى حكمة ووصف وهجاء ... منهج قد يصلح للمبتدئين ولكنه لا يغنى فى البحوث التى تكتب للشداة فضلا عن الناضجين فى المعرفة ولاسيما إذا كانت موضع دراسة « تزيد على ثلاثين سنة » كما قال المؤلف فى مقدمته .

ويظهر أن المؤلف لم يطلع على ما كتب حديثاً فى ابن المقفع وآثاره حتى ما ألف بالعربية أو ترجم إليها وإلا لما قنع بما اقتصر عليه (يراجع كتاب ابن المقفع للدكتور عبـد اللطيف حمزه) والجزء الخـاص بابن المقفع من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كل من كتابيه : تراث الفـكر اليونانى ، ومن تاريخ الإلحاد فى الإسلام) وفى الـكتاب أخطاء لغوية وتركيبية لا شك أنها من قلم المؤلف وأخرى ربما كانت منه أو من التطبيع ، هذا إلى كثير غيرها من التطبيع فبعضه لم يصحح وبعضه صحح فى جدول التصويبات آخر الـكتاب ولعلنا ظافرون فى الجزء الثانى بخير مما وجدنا فى هذا الجزء الأول .

(القاهرة) محمد خليفة التونسى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٢ — الاثنين ٦ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠١٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 792

Lundi — 6 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٧٩٢» القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة

انقذوا اللاجئين أولا !

للأستاذ نقـــولا الحداد

يا للعار ! ... عدد العرب فى الممالك العربية السبع يناهز الأربعين مليوناً ، وعدد اليهود فى فلسطين لا يتجاوز ثلاثة أرباع المليون ! أفليس عجيباً أن اليهـود يطردون نحو نصف عرب فلسطين من بلادهم فى حين كان العرب يتحفزون لطرح اليهود فى بحر الروم !

أو ليس مخجلاً أن يفر أطفال عرب فلسـطين ونساؤهم وشيوخهم من أمام فصيلة الحيوانات الشرسة الطاغية ، ورجال العرب لا يقفون فى وجه هذه الفصيلة المتوحشة لكى يردوا طغيانها عن الأطفال والنساء ؟ !

يعتذر العرب بأن الانتداب الانكليزى المشؤوم حال دون الجنود العرب بحجة أن الانتداب كفيل بحفظ الأمن ، فهو الذى كان مسؤولا عن طغيان اليهود ، ولكن إذا كان هذا الانتداب لم يستطع حماية الانكليز أنفسهم فهل يحمى العرب ؟ لم يكترث اليهود بقوة الانتداب ولا بقوة جنوده التسمين ألفاً ، فكانوا يعتدون على الانكليز والعرب على السـواء ، وكان الانكليز المتكفلون بحفظ الأمن يستخذون المرة بعد المرة !

فلماذا كان العرب يهيبون قوة الانتداب ؟ ماذا كان يحدث لو هب الجنود العرب لحماية الأطفال والنساء غير مبالين بالقوات الانكليزية كما كان يفعل اليهود ؟ فهل كان الانكليز يرتدون عليهم ويقاتلونهم وثمت يظهر تحيزهم واضحاً ؟ وهب أن التسعين ألف جندى انكليزى غلبوا العرب ، أفليس هذا أشرف من أن يذلوا اليهود ؟ !

دعنا من هذا التثريب فيما مضى ، نحن الآن أمام كارثة قد تكون أفظع من كارثة ضياع فلسطين : إن ثلاثة أرباع مليون مشردون لاجئون إلى إخوانهم فى الممالك العربية السبع !

حكومة شرق الأردن تقدم كل يوم ٢٢٠٠ جنيه أى ٦٦ ألف جنيه كل شهر وهى أصغر الدول العربية ، فإذا كانت كل دولة تبذل مثل هذا المبلغ بنسبة عدد أهلها كان فى وسعها أن تقدم فى الشهر ٥ر٢٨٠٠٠٠ ، ونحن لا نريد أكثر من ثلث هذا المبلغ ، فأين النخوة العربية التى « كلما دق الكوز بالجرة » تبجحنا بذكرها وفاخرنا جميع أمم الأرض بها .

عندنا مئات المليونيين فى مصر والشام والعراق الخ ، فإذا كان هؤلاء يوفون الزكاة التى بدون وفائها لا يكون المسلم مسلماً أمكنهم أن يجمعوا كل شهر القيمة المطلوبة مضعفين أو ثلاثة ... فأين أنتم أيها المؤمنون توفون دينكم لله ؟ وإلا

فأنتم منكرو نعمة الله !

إن بترول الحجاز والعراق والبحرين ليس لأهل العراق ولا لأهل الحجاز ولا لأهل البحرين ، إنما هو ملك الله ، لأنهم لم يزرعوه حتى يستغلوه ، ولا صنعوه حتى يتاجروا به ، فيجب عليهم أن يدفعوا ضريبة ثقيلة عليه لله ! !

يجب أن نحاسبهم ، أو أن الله يحاسبهم ، وحسابه صعب جداً !

أوليس عاراً أن ننتظر من الجنرال جلوب والمستر سبيرز وغيرهما من أنصار العرب أن يتسولوا لكم مئة أو بضع مئين من الجنيهات وهي « لا تقيم حجة ولا تقلي عجة » في إغاثة المنكوبين ؟ ألا تكفيهم هذه النجدة أسبوعاً أو أسبوعين؟ وبعد ذلك بمن يلوذون؟ أبكم أم بالموت ؟ ؟ ! !

أتستنكفون أن تحذوا حذو اليهود في أمريكا وهم أغنى أغنيائها حتى كانوا يتسولون المال من نصارها بلا خجل ولا حياء ، حتى جمعوا من هذا التسول نحو ١٧٢ مليون ريال . ولما سئل عميدهم أين يذهب هذا المال ؟ قال ٤٢ بالمئة منه يذهب إلى فلسطين ، والباقي إلى منكوبي اليهود في أوربا .

فبغت ذلك النصراني الذي كان قائماً بجمع المال لهذا الغرض الذي يسميه إنسانياً ، وما شعر إلا حينئذ أن اليهود لا يقدرون هذا العمل الإنساني ، بل يحسبونه ربحاً جزاء الحيلة التي احتالوها على ذلك الرجل الإنساني لكي يحض إخوانه النصارى على هذا العمل الإنساني . فأجاب : لا . لا . هل أنا أجمع المال لكي ينفقه اليهود في حرب العرب ، أم لكي ينفق على المتشردين اليهود ! هنا أكف عن هذا المسعى . السلام عليك .

عار يا قوم وأي عار أن تتدفق خزائنكم بالأموال وأنتم ناعمو البال ، ثم تصموا آذانكم عن صراخ إخوانكم وتغضوا أبصاركم عن شقائهم ! !

يا ناس ! إن إنقاذ اللاجئين أهم من إنقاذ فلسطين الآن ! فلتهتز أريحيتكم ولتتحرك عواطفكم قبل أن تبتلوا بما ابتلي به إخوانكم عن يد يهود فلسطين أنفسهم ! المصيبة مصيبتكم ! والويل ويلكم ! أما أحسستم بالألم والشقاء ؟ أم أن أعصابكم مخدرة ؟ أم أن عقولكم سكرى ؟ أم أنتم في غيبوبة ؟ أم في سكرة الموت أو حشرجته ؟ !

وأما الجامعة العربية الموقرة ... فحتى متى تصبر على مراوغة برنادوت والوقت يأكل من لحم فلسطين ويمتص من دمها ... بل يتهم من مهج العرب أجمعين ، وكل يوم يقولون لنا إن اليهود خرقوا الهدنة ١٨ مرة ... فحتى متى أنتم صابرون ؟ !

إن هذا الصبر مضيع القدس أولا ، ثم فلسطين ثانياً ، ثم البلاد العربية كلها آخراً ... أفما تحسون ؟ !

كفى توا كلا وتماهلا وتخاذلا ! إن الله يرذل المتخاذلين !

إن إنقاذ اللاجئين قبل إنقاذ فلسطين ! أيمكن ألا يكون هذا ولا ذاك ؟ !

نقولا الحداد

طــــاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للاستاذ عبد العزيز محمد الزكى

— ١ —

لقد أخذ الشرق العربى يتخوف من الدول الغربية الكبرى وأخذ يشك فى قيم حضارتها المادية ، بعد أن خانت عهودها معه ، وسخرت من عواطفه القومية ، وداست على رغباته فى الرقى والتقدم ويود اليوم كل عربى استكان فى فترة من الزمن لثقافة الغرب ومدنيته ، ورضى أن يعتمد عليها فى حياته المادية والمعنوية ، أن يغير نظرته إلى الغرب ، ويفكر فى الاستغناء عنه فى كل شىء .

ولقد سبق طاغور وغاندى العالم العربى فى هذه المشاعر ، بعد أن عانت الهند ماعانت من عذاب الاستعمار الانجليزى . فوهب طاغور العالمى النزعة والتفكير ، جميع طاقاته العقلية فى سبيل وضع تصميم حديث للحياة الإنسانية ، استوحاه من فكرة وحدة الوجود الهندوكية ، ودمج فيه حضارات الشرق فى حضارات الغرب ، وجمع بين زبدهما الثقافى ، وأراد به أن ينشئ عقلية عالية تخلص من ناحية من مادية الغرب وأنانية شعبه وحبه للسيطرة وإمعانه فى الإباحية التى تجعل استتباب الأمن ونشر السلام فى العالم مستحيلا ، وتنشر التذمر والضيق فى جميع البلدان . وتتحرر من ناحية أخرى مما علق بالحياة الهندية من تقاليد قديمة عرقلت نهضة الهند وعاقت تقدم شعبه ؛ فإن التشاؤم واحتقار الحياة وتحاشى الإنغماس فيها ، قضى على نشاط الهنود المادى ، وأدى إلى تأخرهم فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى ، فأنتج نتاجاً فكرياً روحياً إنسانياً عالياً ، يخلو من شوائب الحضارات الهندية وضلالات الحضارات الغربية ، ومن نقائص المدنيات القديمة والحديثة والمعاصرة جميعاً ، وتدعمه الأصول الروحية ، ويرفع من صرح الأخلاق والفضيلة والدين ، ويعطى للعلم والفن والعمل قيمة جليلة فى الحياة البشرية . بينما هب غاندى الزعيم الوطنى ، يجاهد فى سبيل حرية الوطن بسلاح معنوى استلهمه من فكرة الحب والتسامح التى تكاد تنادى جميع كتب الهند الدينية بضرورة اتباعها ؛ واستغلها بدهائه الروحى فى مقاومة الاستعمار البريطانى فى الهند ، واتخذ من المقاومة السلبية التى أقامها على اللين وعدم الانتقام ، سبيلا دينياً لإشعال الحمية الوطنية وتقوية الحماسة القومية ، ونهجاً سياسياً رد به للهند استقلالها ، ويمنحها حريتها المسلوبة .

وقبل أن يحدد طاغور الهندى موقفه من حضارات الغرب والشرق ، تأمل فى تراث الحضارات الغربية القديمة فوجدها جميعاً قد نشأت بين جدران مدن أشادها الإنسان ليحمى نفسه من شر أخيه الإنسان ، أو ليقى حياته من هياج قوى الطبيعة . فمنعت هذه الجدران إتصال الشعوب بعضها ببعض ، وعاقت إختلاط الثقافات وتمازجها ، وقضت على تبادل الحب والمنفعة ؛ كما حالت دون ائتلاف الإنسان بالطبيعة . فشب الغربى أنانيا ، يوجه كل إهتمامه نحو نفسه ، أو نحو بنى مدينته يفضلهم على الغرباء عن وطنه الذين ينظر إليهم كمنافسين خطرين له ولأهله ، يجب عليه أن يغتصب منهم كل ما يستطيع أن يغتصبه قبل أن يغتصبوا منه شيئاً مما يملك ، ونشأ ساخطا على الطبيعة ، يخاف غضب قواها ، ويتصورها عدوا له ، يجب أن يحذره ، ليحفظ كيانه من شدة تقلباتها ، وليبعد خطر زوابعها عنه . فغرست هذه الحياة فى نفوس الغربيين الأنانية وحب السيطرة ، وصرفت نشاطهم إلى بسط نفوذهم على ما يحيط بهم من بلدان وشعوب ، وصرفت أعمارهم لمكافحة الطبيعة والسيطرة عليها ، ودفعتهم إلى أن يعتنوا عناية فائقة بشحذ مختلف مواهب الإنسان وملكاته سواء أكانت عقلية أم فنية ، وبكسب مهارات صناعية ، وقدرات يدوية لتساعدهم على محاربة الطبيعة ، واستغلال الفقراء ، وإذلال الشعوب الضعيفة . وكان ذلك كله سبباً فى تفوق الغرب فى العلوم والفنون ، وعله تأسيسه حضارة استكملت نهضتها بتقدم البحث العلمى ، واختراع شتى الآلات الصناعية والأدوات الحربية التى تشهد بمقدرة الغربيين فى الصناعة والحرب ، وتدل على مهارتهم فى توزيع مصنوعاتهم وترويجها فى أسواق الأمم القريبة والبعيدة . فعادت عليهم بأرباح وفيرة وثروات طائلة أقنعتهم بأن تصريف

أمور الحياة الأرضية لا تخضع إلا للمال . فآمن الغرب بأن المال هو الغاية القصوى ، التي يجب أن يبذل الإنسان كل قواه في سبيل الإكثار منه ، واعتبره الوثن الأوحد الجدير بالعبادة والتقديس .

فأعجب طاغور بنشاط الأمم الغربية ، وقدر مساعيها الجليلة في تقدم العلوم والفنون ، وسر من جدها الدائم في ترقية مستوى الحياة الإنسانية ، ولكنه في الوقت نفسه سخط على أنانية الغرب ومادبته ، واشمأز من جربه القبيح وراء المال ، واحتقر تفضيلة الرذيل لبني جنسه ، وتقزز من استعماره المشين للشعوب الوديعة . لأن ذلك يخالف ماجبل عليه ، ويغاير ما تعود أن يعرفه عن الهند وما تعلمه من الهنود .

فلقد عاش أهالي الهند منذ القدم في غابات فسيحة غنية بشتى الغلات ، فلم يجد الهندي صعوبة في العثور على طعامه وشرابه ، وتيسر له بناء مساكن من أخشاب الأشجار ، تحميه من الحيوانات المفترسة ، والطبيعة الهائجة . فتأثر الهنود بحياتهم الأولى في أرجاء غابات تحتوي على مختلف الخيرات ، وتبلغ من الإتساع بحيث يمكنها أن تحتضن ملايين الناس ، وتمدهم جميعاً بالطعام والشراب ، وتوفر لهم المسكن . فنشأ الهندي منذ القدم لا يعرف الكد في البحث عن غذائه ، ولا النصب في الحصول على مواد بناء مسكنه ، لأن الغابات تضع كل ذلك في متناول يديه . فلم يشعر بعداوة الطبيعة ، لأنها مهدت له سبل الحياة ، كما لم يجد ضرورة لأن يمتلك أرضاً معينة ، يقيم حولها حواجز وتخوما تقيها من طمع الآخرين ، وتفصلها عما يمتلكه الغير ، لأن كثرة ما في الغابات من خيرات متنوعة يسهل الحصول عليها ، لم يدع أحداً يفكر في أن يخص نفسه بامتلاك شيء من دون بقية الناس ، مادام كل شيء يجب أن يناله يمكن أن يفوز به بدون مشقة .

فلم يقف حائل بين الهندي والطبيعة فأحبها ، وارتاح إلى الحياة في كنف حنانها ، ودعا إتصاله الوثيق الدائم بها إلى ائتلافه بكل جزء من أجزائها ، وإلى نجاة أفكاره من الرغبة الجامحة في بسط نفوذه على الطبيعة ، أو إمتلاك أرض يشيد حولها أسواراً خوفاً من أن يسطو عليها أخوه الهندي . وبعث جمال الطبيعة وتناسقها في نفسه شعوراً عميقاً بأن جميع مكونات الوجود في وحدة شاملة وأدرك أن كمال الإنسان في معرفة هذه الوحدة ، وأيقن أن الطريق الوحيد الموصل إلى هذا الكمال ، هو تلاشي فرديته في جميع محتويات الكون ، أو بإدماجها في كل ما حوله من كائنات .

فساقه هذا الشعور إلى أن يقصر حياته على تحقيق هذه الوحدة ، وإكتساب الوسائل الصالحة التي تساعده على إفناء ذاتيته في الوجود بأكمله . ولم يفكر قط في محاربة الطبيعة ، لأنه عرف أن الإنسان متحدبها ، ولم يرغب في السيطرة على قواها ، لأن أفكاره في اتحاد مع جميع الأشياء ، ولأن قوى الإنسان متحدة مع قوى الطبيعة وأغراضه في الحياة تتفق وأغراض الطبيعة .

فتشبعت العقلية الهندية بحقيقة وحدة الوجود ، وأصبح إدراك هذه الحقيقة الكبرى محور حياة قدماء الهنود ، وموضوع دينهم ، وغاية عبادتهم ، وسبب سعادتهم القصوى . وأصبحت رغبة الاتحاد بالله الذي يتجلى في مختلف أجزاء الوجود شاغلهم الشاغل ؛ فانصرفت كل مشاعرهم وأعمالهم إلى العثور عن هذه الوحدة لأنهم لن يجدوا الراحة أو الأمن أو السلام ، ولن يذهب عنهم الخوف والقلق والاضطراب والشك والحزن ، مالم يدركوا فكرة اتحاد الكون التي يتطلب وعيها وعياً صادقاً حياة فكرية منعزلة طاهرة ، لا تؤثر فيها مشاغل الحياة .

فاختار زهاد الهنود أماكن نائية عن صخب الحياة الاجتماعية ومغريات مفاتنها ، وتبدو فيها الطبيعة على قسط كبير من العظمة والجمال ، حتى تبهر الفكر ، وتغريه ببهجة الحياة ، والتحرر من حدودها المادية الضيقة ، والتخلص من ضرورياتها الزائفة ؛ وحتى تنبسط في ربوعها الروح ، وتتلمس في كنف روعة الطبيعة وجمال تناسق أجزائها مكانها في الوجود .

ولم يجد الهنود مكاناً أفضل من غابات الهند الطويلة العريضة التي توفر الاعتكاف على النجاة من مفاسد الحياة وتتحلى بجمال رائع متناسق ؛ فلجأوا إليها يمقتون ذاتهم ، وحولها إلى معابد متنقلة يأوي إليها الزهاد والحكماء ، يستوحون من عظمتها وجمالها حقيقة الوجود الأولى ، وينشدون من عزلتهم حبس جهودهم على الفوز بأكمل مراتب الحياة الروحية .

فهيأت العزلة الفكرية للهنود فرصا للغوص فى عوالم من المعانى الروحية أنارت نفوسهم ، وكشفت لهم عن مثل إنسانية ، ومبادىء أخلاقية وقيم دينية ، ودفعتهم إلى سلوك طرق فاضلة ، وإتباع نُهج طاهرة ، بينت للبشرية أن الهند بروحيتها أفادت الفكر الإنسانى ، وأضفت عليه قبساً من النور السماوى ، وأضافت إلى الحضارات حضارة تسمو عليها جميعاً فى الروحية ، وهذا كسب عظيم للانسانية يشرف الهند . إلا أن الهند بجريها الحثيث وراء الروح أهملت الحياة الأرضية إهمالا معيبا جعلها لم تبال بتنمية مواهبها الفكرية ، أو إنضاج إستعداداتها الفنية ، لكى تكتسب ملكات عقلية ومهارات صناعية ، تظهر بها تفوقها فى ساحات السياسة والاقتصاد والحرب ، وهى دعائم السيادة الحديثة . فلم تمتن بالعلوم التى هى أساس كل تقدم مادى أو نفوذ سياسى أو سطوة حربية ، فنشأ الشعب الهندى غير متمرن على أساليب الحرب ، لا يتقن وضع خطط الدفاع والهجوم فاستولى الطغاة على بلاده ، واستعمروا وطنه . وشب غير مدرب على الفنون الاقتصادية ، جاهلا السبل العبقرية فى جمع المال بعيداً عن جبل السياسة الملتوية ؛ تخدعه المستعمر ، واستغل موارده الطبيعية لمصلحته الخاصة من دون الهند صاحبة الحق الأول فى الاستفادة من هذه الموارد .

فعاب طاغور على الهنود جهلهم بمقومات الحياة المصرية ، وأنبهم على نفورهم من مشاكل الحياة الاجتماعية ، وحثهم على الإندماج فى ميدان الحياة العامة ، يؤدى كل منهم خدمات تعود على أهله أو الهند أو البشرية بالنفع والفائدة ، مادامت هذه الخدمات لا تخرج على تعاليم الدين أو تهدم قيم الأخلاق . ورغبهم فى الاشتغال بالعلوم والفنون ، مادام الاشتغال بها لا يتعارض مع تطهير الروح ، أو يعوق خلوصها من الدنس . بل إن العلوم والفنون والأعمال التى يواغنها فاضلة تقود إلى الفناء فى الله ، وتوصل إلى أعلى درجات الكمال الروحى ، فيجب على الهند أن تقلع عن تمسكها بتقاليد قديمة بالية أو هنت من عزيمتها ، وتترك جانباً النظرات التشاؤمية التى عاقت سعيها فى أى إصلاح ، وزعزعت ثقتها فى الحياة الأرضية فهدت لاستعمارها واستغلالها .

وبتحليل طاغور الدقيق للحضارات الهندية والغربية ، كشف بذهنه الصافى عن أخطاء الحياة الدولية ، وعن مدى تأخرها فى الروحية ؛ ولكى ينقذها مما هى فيه من فوضى وأثم حرض الهند على رفع مستوى حياتها المادية والفكرية فى حدود الأصول الروحية حتى لا تكون فريسة سهلة الاقتناص من جهة ، وحتى لا يتفشى فيها وباء المادية وأمراض الحياة الغربية من جهة أخرى؛ وبين للغرب أن الإنسان يمكنه أن يفكر ، ويكشف القوانين ، ويخترع مختلف الآلات ، ويبتكر فى الفنون والصناعات ، ويحافظ فى الوقت نفسه على الميول الخيرة فى الطبيعة البشرية ، ويكون روحياً غيريا محباً للانسانية ، ويتخذ من علمه وفنه وعمله وسائل متعددة للفناء فى الله وفى مختلف أجزاء الوجود . فحول طاغور الأنانية إلى غيرية ، وحب السيطرة إلى تعاون وتآلف وتحاب ، وحول العلوم والفنون والأعمال إلى أضراب متنوعة من العبادة بأن جعل محراب العلم لا يقل طهارة عن محراب المعبد ، وسما بقداسة الفن حتى عادلها بقداسة الدين ، واتخذ من العمل المنتج الصالح صلاة ترفع بالإنسان إلى خالقه . واعتبرها جميعاً سبلا طيبه تعمل على بلوغ نمط من الرقى الروحى ، ينمحى فيه شعور الفرد بشخصيته ، ويغمره إحساس عذب بفناء روحه فى ذات الله العليا ، ويستولى عليه إدراك عميق بوحدانية الوجود .

وعلى هذه الصورة الرائعة طهر طاغور الفكر الإنسانى من أشرار الأنانية ، وحب السيطرة ، ومن نقائص العزلة الفكرية ، ومساوىء تجنب الحياة الإجتماعية والعملية ، وأخطار النظرات التشاؤمية . وجمع بين نبوغ الغرب فى العلوم والفنون ، وجده المستمر المتجدد فى العمل ، وبين عبقرية الشرق الروحية ، وتعلقه الوطيد بالحب والتآلف ، فوضع للانسانية دستوراً شريفاً لو اتبعته لتذوقت طعم الراحة والسلام والأمن التى تحن إليها ، وتحررت من كل ما ينغص عليها الحياة ، وعاشت سعيدة فى وئام ، يشملها الحب والإيثار ، ويضمها الخير والود ، ويملؤ من شأنها العلم والفن والعمل .

(للكلام بقية)

عبد العزيز محمد الزكي
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

رحلة إلى ديار الشـــام

فى القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجرى)

(الحلة الذهبية فى الرحلة الحلبيـــة)

لمصطفى البـكرى الصـديق

للأستاذ أحمد ســامح الخالدى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وفى أواخر شوال سنة ١١٢٩ شرع الشيخ فى عمارة الخلوة التحتانية البيرمية ، وساعد فى عمارتها جناب عثمان باشا المهتدى ، وصار الإخوان يجتمعون فيها للأوراد . وزار مقام النبى موسى بصحبة صديقه الشيخ محمد الخليلى ، وجعل مقره فى خلوة الشيخ يونس شيخ الحرم . وقبل العيد الـكبير سار الوزير [رجب باشا] لملاقاة الحج . وبعد قدومه من ملاقاة الحج جاء البشير باسناد منصب ولاية حلب لرجب باشا ، فسر الشيخ ، وقد توجه الوزير ، وكان صديقاً للشيخ إلى حلب فى شهر ربيع الأول . وفى ربيع الثانى عزم الشيخ على زيارة الخليل ومنها إلى غزة وعسقلان ووادى النمل ويختم بزيارة على بن عليم العمرى . وتوجه ومعه الشيخ محمد الموقت ، والشيخ نور الدين الهوارى والشيخ رضوان الزادى ، ونزل دارا قريبة من الحرم وورد عليه الشيخ عبد الرحمن الخطيب والشيخ محمد الطرعانى والأخ محمد القميرى صاحب الميقات وغيرهم . وكان الشيخ ابراهيم الدكانى ينشد لهم من قصيدة للشيخ عبد الغنى النابلسى مطلعها :

أنت قيد الوجود إن غبت غابا وإذا ما ظهرت كنت حجابا

وقصـد زيارة عسقلان ، فتوجه إلى بيت (جبرين) ونزل لدى علقتها ، ومنها إلى (الفالوجة) وزار الشيخ أحمد الفالوجى ، وسار نحو المجدل ، وبات عند رجل معبّد ، يقال له ابن معبد ، وأم عسقلان وزار شهداء المركتين ووادى النمل ، وأتى قرية (الجورة) وتوجه إلى قرية (حمامة) وزار الشيخ أبى عرقوب ، وبايع عنده الشيخ يحيى المجدلاوى وابن أخيه ، وسار فى الليل وبات عند العرب المواله ، وسار إلى الرملة مدينة فلسطين ، وصلى العصر فى جامعها الأبيض ، ونوى أن يتعداها إلى (لد) وزار مقام سيدنا على رضى الله عنه ، كما زار الجبانة ، وبات عند الصديق المسعود الأعلى الشيخ أبى السعود الممدود العلمى ، فأكرمه وفى الصباح قصد زيارة أخيه الشيخ حسين العلمى . ثم توجه إلى قرية (عابود) ومنها إلى قرية (سـلفيت) وبات بها ، وتوجه فى الضحوة إلى نابلس ونزل فى التكية الدرويشية ، وبلغه وهو فيها أن الشيخ محمد الخليلى ومعه النقيب السـيد محب الدين يقصدان الشام للاجتماع بمتوليها قريباً جناب رجب باشا ، للسلام . وكان قريبه الشيخ ابراهيم بن سعد الدين الجباوى قد وصل إلى نابلس بعد أن زار الخليل ، فسلم عليه ، ومن بنى سعد الدين جدة جد الشيخ فهم أخواله ، وبقى الشيخ فى نابلس فى التـكية . وكان معمر الدرويشية سيفى أغا البكداشى الطريقة ذهب للديار الرومية ، وأبقى مكانه شاباً اسمه أحمد . وممن زاره حسين بيك بن شرة ، ودعاه لداره مع الأخوين السلفيتى والموقت فقبل دعوته . ودار بينه وبين الدرويش أحمد البـكداشى حديث وقد أخبره الشيخ عن الشيخ عبد الغنى النابلسى أنه قال بمناسبة حمل البكداشية للبوق وضربهم به فى المساء والشروق ، أنهم إنما يفعلون ذلك لتنفير الوحوش فى المهمة الموحش الفروش ، لأنهم يسيحون فى المهاد فيحتاجونه لدفع أنكاد ، فقال الشيخ نعم أنهم يضربونه لطرد وحوش الخواطر فى مهمة القلب الموحش الفروش بغير المواطر . ثم إلى قرية (حجة) وأقام بها فى خلوة الجامع المرتفعة مع إخوانه . ورأى عند الشيخ محمد شرح الجزائرية للشيخ قاسم الخانى ورأى بخطه قصيدة أبى مدين الغوث التى مطلعها :

ادرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا فإنا أناس لا نرى المزج مذ كنا

وسـار نحو قرية (عزون) وبعد الأكل وشرب القهوة عاد إلى (حجة) وكتب منها مكتوبين للاخوان ، وودع رفاقه ، وتوجه إلى (المجدل) قرية من قرى بنى صعب ، وإذا بخيول تتجارى فى سهول الغابة وانقشع الغبار عن سحابة ، فقيل له أن تلك الخيمة الزاهرة اللامعة نصبت للوزير جناب رجب باشا أمير الحاج صديقه ، فأراد الاجتماع به ، وما تغبرت الأقدام حتى ارتفع ذلك الخام ، فجد بالسير نحو (عيتل) وبات فيها عند الشيخ عبد الله المغربى ، ثم توجه نحو قرية (الهويج) وكان قد عمرها

الشيخ صـالح بن الشيخ مهل ، فرحب به ، وأقام بها يومين ، وكرر شرب القهوتين ، السوداء والبيضاء ، ودعاه الشيخ قاسم أخو الشيخ صالح قرية (المنار) وزار جدهم رفيع المنار وبات فيها أربع ليال ، ولم يزل يسير إلى أن وصل قرية من قرايا مدينة صفد التى صفاها بالاندثار مصفد ، فأنزله الأخ محمد عند صديق يقول له أسعد ، فبات عنده ليلتين . ثم بات فى قرية ملئت بالفرقة الدرزية عند رجل من أهل السنة وبكر منها إلى جنان (حاصبية) ومنها إلى كفر كوك الدبس ، ومنها إلى كفرفوق الفستق، ومنها إلى حارة القبيبات ، ونزل فى دار المكارى للراحة ، لا للبيات ، ووصل دار صهره الشيخ اسماعيل التى جددها .

وكان قد نزل الخلوة بتوصية منه إلى صهره ، جناب الصديق السـيد محمد التافلاتى ، مفتى القدس ، والذى رافقه فى طرابلس الشام . وجاءه للسلام وودعه فى اليوم الرابع فانتقل الشيخ إلى الخلوة وأخذ بزيارة جدوده ، لدى الشـيـخ أرسلان ، والصالحية فى دمشق ، وزار شيخه الشيخ عبد الغنى النابلسى وبات فى خلوة داخل الجامع المحيوى ، ومفتاحها بيد خادمه الشـيخ ابراهيم الختمى ، وبايع فيها شاب يدعى عثمان حرشى ، وعاد فى الصباح من طريق عين الـكرش إلى مرج الدحداح وزار جـده الأعلى سيدى محمد عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم شيخه المرحوم الشـيخ عبد اللطيف ، ثم توجه إلى جنينة تحت القلعة وزار سيدى عدى بن مسافر ، وقبره ملاصق لشجرة عظيمة مكتوب عليه عدى بن مسافر كتابة قديمة ، وللمذكور ديوان ، وعاد مع رفاقه للخلوة .

واجتمع الشيخ بوالى الديار صديقه [رجب باشا] وكان معه خبر قضية العم محمد أغا البكرى [1] الصديقى ، وقد فاتحه فى أمر زواج ابنته من الشيخ ، فوعده خيراً ، وأضاف أنه سيهبه مسكناً وسكناً ، ويدخله على ابنته فرضى منه الوزير ، بهذا الوعد المرقوبى ، وصار عينه به ، وسار الشيخ مع صهره إلى حرستى لحضور ختان ولديه السيد محمد أبى الفضل والسيد أحمد أبى الهدى . وأراد بعض الإخوان الرجوع إلى القدس وذلك سنة (١١٣٠ هـ) فحملهم كتباً للاخوان فى القدس ، ومنهم الشيخ محمد الخليلى ، وكتاباً للاخوان فى مدينة الخليل ومنهم الشيخ عبد الرحمن الخطيب التميمى ، وقصائد تصف شوق الشيخ إلى تلك الربوع .

ولـما دخل شهر رمضان حرك الله همة عم الشيخ ، لزيارة البيت ، فقال الشيخ فى نفسه أن ذهابهم فى صحبـة الوزير ، رجب باشا ، وكان أميراً للحج فيه فائدة ، أضف إلى هـذا أنه يتقرب إلى قلب عمه ، ثم يقضى فرضه ، فرضى عمه بذلك ، وقد ذكر الشيخ ماوقع له فى هذه الرحلة فى رسالة سماها [الحلة الحقيقية لا المجازية فى الرحلة الحجازية] والتى انتهت بوصول الشيخ إلى الشام فى السابع والعشرين من شهر محرم سنة (١١٣١ هـ) .

ولما عاد الشيخ من الحج ، ألح الوزير على عمه انجاز ما وعد به بشأن زواج ابنته ، ولـكن عمه لما بلغه خبر عزل رجب باشا عن الولاية عدل عما كان قد وعد به من أمور فيئس الشيخ وقطع أمله من ابنة عمه ، فعول على بيع بعض أملاكه وحصـة فى بستان الدولابى والحاجب ، وبستان النصرانى ، وسـود فى هذه المدة الفية فى التصوف .

وكان الشيخ قد فاتح السـيد محمد السلفيتى ووعد الشيخ نور الدين الهوارى أنه إذا لم يحصل مع عمه اتفاق بشأن الزواج ، فإنه يرجع لأخذ ابنة بنت أخيه الروحى ، أى حفيدة السلفيتى لحسن له ذلك ، وعلى هـذا عزم الشيخ على السفر إلى القدس للزواج وذلك فى أواسـط ذى القعدة سنة ١١٣١ هـ مع جمع من الرفاق ، فودعه صهره فى المرجة فى دمشق ، وسار إلى (المزة) وزار قبر دحية الـكلبى ، ومنها توجه مع جمالة (جينين) فى الليل واجتمع بالشيخ محمد بن يسن الملقب طبيمة وبات فى خان سعسع ومنهـا إلى قرية الجيب ، وهى مشهورة بالسمن لجودته وهو مشهور فى قطرها بطيبته ، ومنها إلى الجسر ثم المنية ، ثم عيون التجار ثم جينين ذات المياه والأشجار ، وكان تعارف بالشيخ فى الطريق السيد مصطفى التميمى فدعاه إلى بيته فأجاب الدعوة . وسمع بعد المغرب صوت خيل وطارق ، وإذا هو السـيد محمد السلفيتى وسار فى الصباح إلى قرية (الزاوية) وأقام تحت شجرة البطمة ، وكان قد دخل هذه القرية أحد أجداد الشيخ رضوان واسمه قاسم فقال الشيخ مواليا .

---

(١) كان الشيخ مصطفى يأمل أن يتزوج من ابنة عمه محمد أغا البكرى ووسـط الوزير فلم يفلح وأخيراً تزوج ابنة بنت السيد محمد السلفيتى ورزق منها بنتاً توفيت فى القدس .

قاسم حبيبك على ما تملكو قاسم   فرد علا فى المحاسن اسمه قاسم

بل سلمو السكل إذ حبو الحبيب قاسم

لا زال فى حرز من يدعى أبا القاسم

ثم توجه للقدس وبات فى قرية (بيتونيا) ويقول الشيخ فى أمر زواجه « ويوم الخميس آخر ذى القعدة النفيس أقنا فى الحرم نستقبل أهل الكرم ، وبعد مضى أيام الضيافة تعرضنا للنكاح بغير آفة ، وفى يوم الأحد جرى القلم به بحول الأحد ، أوائل ذى الحجة الحرام من العام ، العام الأنعام ، وليلة الخميس حصل الدخول الواجب التأنيس » وقد أرخ الزواج صديقه الشامى إذ قال « زفت الزهراء للقمر » سنة ١١٣١ هـ .

ولما حلت سنة ١١٣٢ هـ ، ومضى منها حصة ، تحركت همة الشيخ لزيارة القاهرة وذهبت بهذه النية إلى الخليل ، ولكن لم يتيسر له السفر إلى مصر فعاد إلى القدس . ولما عاد خطر له أن يخلف الأخ السيد محمد السلفيتى فباشر ذلك فى المولوية[1] وألبسه الكسوة الخلوتية ، وأذن له الإذن العام .

« وقريباً من ختام هذا العام ورد الوزير ذو الاحترام رجب باشا متوجهاً إلى الكنانة بإقدام ، وطلب بإلحاح وإبرام أن نصحبه وجناب الشيخ محمد الخليلى الهمام فقسم النصيب قهراً وسرنا معه إليها جبراً وقسراً ، وقد ذكرنا ما جرى فيها إلى سنة ١١٣٣ هـ . فى الرحلة المسماة « النحلة البصرية فى الرحلة المصرية » .

وبعد العودة من مصر شرع فى رسالة المنهل المذب السايغ الواردة فى ذكر صلوات الطريق وأوراده ، وكان فى مصر بيض الصلات البرية والألفية ومنهج الصوفية ، وأخذ عنه فى مصر الطريق الشيخ محمد الحفناوى . وفى سنة ١١٣٣ شرح الشيخ صلوات سيدى عبد السلام بشيش المسمى بالروضات العريشة على الصلوات البشيشة » ، وبيض « السيوف » الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد » وتمرض الشيخ سبعة أشهر وأكثر ، وفى أواخر مرضه جاءت والدته لما سمعت بمرضه البدنى ، وجاء الوزير القدم أمير جردة ومعه الصهر الشيخ اسماعيل المدرس تحت القبة ، وودع الوزير فى الخليل وفى صحبته صهره الذى عاد للديار الشامية بعد أن اطمأن على صحة الشيخ .

وما زال كذلك إلى أن جاءه الخبر بأن عمه أصدر عليه حجة نفقة ووكل السيد محب الدين النقيب فى تحصيل ما حرر ، فاستخار الله فى السفر إلى جهة حلب لينال الظفر لأن الوزير (رجب باشا) صديقه منجم فيها بحال موفور فاستبشر وتوجه فى رحلة سماها (تفريق الهموم وتغريق النموم فى الرحلة إلى بلاد الروم) . وقد أدرج الشيخ فى آخر هذه الرحلة ما ذكره فى الرحلة الرابعة والخامسة القدسية ، ثم المصرية ، ثم أوصلها بالرومية — انتهى .

أحمد سامح الخالدى

(١) زاوية فى القدس ، يرأسها الآن العارف بالله الشيخ عادل المولى الطرابلسى .

طرائف من العصر المملوكي :

من وحي حمـــاة

للأستاذ محمود رزق سليم

لا أدرى لماذا يهزنى شوق إلى حماة ، ويهفو قلبى إليها كلما ذكرت ، ويردد لسانى اسمها فى كثير من التقدير ، وأقف عند ترديده وقفة المتأمل المستلهم ، مستعرضاً على ذاكرتى لمحات من لمحات تاريخها الفياض ، فتشرق منه فى سماء الذهن ومضات من أمجادها الماضية ، يستشعر منها القلب ضروباً من الجلال والقدسية ، ويتجدد بهـا للنفس ألوان من الدهش والإعجاب ، بهذه المدينة الشامية المصرية المجيدة الساحرة .

حرت حقاً فى تعليل هذا الشعور الذى ينتابنى كلما ذكرت حماة ، ولم تربطنى بها وشيجة ولا وليجة ، ولم تصل حبالى بحبالها ليال ولا أيام ، ولا اكتحلت العين بمرآها ولو مرة واحدة ، ولم يجش فى النفس أمل بلقياها والنعيم عهداً بالمقام فيها .

قلت للنفس : لعل هذا الشعور أثر من تلك الآثار التى أفدتها من مصاحبة تقى الدين بن حجة الحموى ، وليـد هذه المدينة ، وأحد أدبائها النجباء ، فلقد صاحبته فى بعض مؤلفاته ، ودراسة آرائه وأفـكاره ، وقرأت فى إمعان كثيراً من فصوله ، ووعيت فى إعجاب عديداً من مذاهبه . وكان رفيقاً فى صحبتـه ، حبيباً فى حديثه . حتى كان فى مقدمه الأسباب التى حببت إلى دراسة عصره ، ومهدت لى السبيل إليها ، وأنارت لى الطريق لبـلوغ مآربى منها .

ولقد راعنى منه فيما راع ، ولوعه بمدينته تلك ، ولوعا تردد صداه فى كثير من منشآته ، ولوعا لم يزايل قلبه ولم يفارق فؤاده فى يوم من الأيام ، على الرغم من انتزاحه عنها واغترابه منها زمناً طويلا . وتلك لعمرى مكرمة منها ومحمدة له ، جديرتان بأن تشعرا القلب بالجلال والإعجاب كلما ذكرت حماة .

لقـد ولد ابن حجة عام ٧٦٧ هـ بحماة ، ثم شب وتعاطى الأدب . وطفق ينشىء وينظم ما شاء له الفن والهوى . وطوف فى بعض الآفاق ، حتى اتصل حبـل وده وخدمته بسلطان مصر الملك المؤيد شيخ ، حينما كان أميراً فى بلاد الشام . فلما تم له أمر السلطنة فى مصر عام ٨١٥ هـ جمع من حوله حاشية من أهل وده ، ممن دانوا له بالولاء فى عهد إمارته ، وألقى إليهم بمقاليد الأمور . وكان من بينهم ابن حجة الحموى ، فاتخذه كاتبـاً من كتاب إنشائه . والـكاتب المنشىء حينذاك ، كان فى الديوان كما يكون الوزير للسلطان .

عاش ابن حجة حينئذ فى مصر زمناً . فـلم يلهه النعيم بها عن حماة . ولم تسله حاليات أيامه عندها ليالى لهوه ومدارج صباه فطفق يبعث إليها تحية اللهفان ، بين الآن والآن . ويحن إليها حنين النيب إلى المطن ، والهديل إلى السكن .

ويبدو أنه انتزح عنها فى أول أمره انتزاح المضطر الذى دعته الأحداث إلى الاغتراب . فظل حب حماة يساوره أنى سـار ، فلا يفتأ يتغنى بمحاسنها ، ويتشوق إلى مغانيها ، ويتغزل فى مفاتنها ويحن إلى مجانيها .

كـتب — وهو بالقاهرة عام ٨٠٢ هـ — إلى صـديقه ابن البارزى بحماة ، قصيدة تفيض بالشكاية والأنين ، والشوق والحنين . استغرق ذكر حماة وأهلها أكثر أبياتها . وفى صدرها يقول مخاطباً ريح الصبا الذى يمر بها .

يا من إليه كل صب قد صبا ... يا طيب الأخبار يا ريح الصبا
يا طاهر الأذيال كم لك من نبا ... يا صادق الأنفاس يا أهل الذكا
يا روح نجد مرحباً بك مرحباً ... يا من نراه عبـارة عن حاجر
تنتشق الأخبار عن تلك الربا ... يا نسمة الخـير الذى من طيبه
ووردت شعباً من دموعى معشباً ... بالله إن رنحت ذيلك بالحمى
أضحى بهاتيك الثغور مطيبـاً ... وهززت فيه كل عود أراكة
أبدى بدر الطـل ثغراً أشنباً ... ولثمت من ثغر الأقاحى مبسما
بدموع أجفان الغمام مطنباً ... ودخلت كل خباء زهر قد غدا
فنعمت فى الوادى برباً زينبـاً ... وطرقت حى العامرية ظامئاً
مشمولة بالطيب من ذاك الخبا ... وحملت من نشر الخزامى نفحة
أضحى لمـــا حملته مترقبـاً ... عج بالعذيب فإن محجر عينـه
لشوارد الغزلان أضحى مشرباً ... واسحب عبير المسك منـه فإنه
منك الذيول وطبت ياريح الصبا ... وإذا تنسمت الشذى وتعطرت

عرج على وادى حماة بسحرة   متيما منـــه صعيداً طيباً
واحمل لنا فى طى بردك نشره   فبنشر ذاك الطيب لن نتطببا
واسرع إلى وداو فى مصر به   قلباً على نار البعاد مقلباً
لله ذاك السفح والوادى الذى   مازال روض الأنس فيه مخصباً
أنتم بمصر نسبة لكن أرى   وادى حماة ولطفه لى أنسبا
أرض رضعت بها ثدى شبيبتى   ومزجت لذاتى بكاسات الصبا
يا ساكنى مغنى حماة وحقكم   من بعدكم ما ذقت عيشاً طيباً

على هذا الضرب من الغزل الواله والشوق الباكى ، يتابع ابن حجة أبياته تلك ، وله أبيات أخرى كثيرة على غرارها .

ويبدو أن حماة كانت قمينة بهوى حبيبها وغرام نجيبها . فهى — فضلا عن أنها محل ميلاده ومجتمع أوطار فؤاده — قد شهد لها التاريخ بعراقة فى المجد وأصالة فى السؤود وبسطت لها الأيام من البلهنية بساطاً ، ونشرت لها من النعيم بندا . إذ كانت عاصمة إمارة صغيرة ، اعتلى عرشها أمراء من الأيوبيين ، منذ عهد صلاح الدين الأيوبى ، وهم الملك المظفر تقى الدين عمر ، ثم سلالته من بعده . وتحولت فى العصر المملوكى إلى نيابة من نيابات المملكة المصرية ، توالى على إمارتها أمراء من قبل سلطان مصر ، فكان منهم أبو الفداء اسماعيل المعروف بالملك المؤيد ، وهو من سلالة المظفر . أنابه الناصر بن قلاوون سلطان مصر ، عنه فى حكم حماة ، وكرمه بأن خلع عليه ألقاب الملك ، دون سائر نواب السلطنة .

وتقع هذه المدينة فى شمال سوريا ، بين حمص والمعرة . ويجرى فى وسطها نهر العاصى . وكان بها كثير من النواعير ، تستنبط بها المياه من الآبار . وكثير من الطواحين المائية ، وكانت تجملها البساتين المتعددة . ونبت من ناشئتها عديد من الأدباء والفضلاء . وفى العصر الحديث تطامن بنيانها وتناقص عمرانها .

أما فى عصر ملكها المؤيد أبى الفداء اسماعيل ، فقد كانت مدينة زاهرة ، وعاصمة ناضرة . تضرب من حولها الوديان وتمتد القيمان ، وتكثف الغابات حيث يتخذ الوحش له مراحاً ، والطير الجارح مسرحاً . ويحلو فى جنباتها الصيد والقنص ، ويصفو بين دوحاتها اللهو والسمر . وقد استطاع المؤيد أن يجعل منها جنة نعيم ، ومنتدى علم ، ومجتنى أدب . فقد كان عالماً وأديباً وجواداً سخياً . ولهذا طاف به العلماء والأدباء يطرقون بابه ويرجون جنابه ويستمطرون سحابه . فأعاد ببذله وفضله عهد الامتياح والسماح ، وزمن الاجتداء والعطاء ، وأجرى فى أعواد الشعراء ، ذوباً من البشر والرجاء ، وصوباً من الينع والنماء .

وممن هوى إليه فى حماة : شاعر مصر الكبير جمال الدين بن نباتة ، بعد أن نبا به المقام فى مصر ، ولم يجد بها إلا عيشاً يابساً ، ويوماً عابساً . فرحب به المؤيد ، وأوسع له فى بطانته مكاناً ، ومن عطفه بستاناً ، ومن صحبته إحساناً . فعاش فى كنفه مكرماً أثيراً . يروح ويغدو فى حماة ، بين سفوحها ورباها ، وينعم بطيب رياها . ويصحب المؤيد أحياناً فى رحلاته بين الغابات والوديان ، والأدواح والقيمان . وعاش ابن نباتة حتى شهد موت المؤيد ، فصحب ابنه الأفضل وأخلص له الود ووفى بالعهد .

وإذا تصفحت ديوان ابن نباتة ، بدا لك أثر حماة فى شعره واضحاً . فإقامته بها وطوافه برحابها ، واتصاله بملوكها ، كانت موحيات إليه ، وملهمات فى كثير من قصائده . فله نحو عشرين قصيدة فى مدح المؤيد ، ومثلها فى مدح الأفضل . وهى قصائد مشرقة حية ، جمع فيها من أفانين الشعر أعاجيب . فمن غرر المديح إلى الغزل المليح ومن الوصف الدقيق إلى الخيال الرقيق ، ومن الشوقيات الذاكرة إلى الخمريات الساكرة .

وترى فى حمويات ابن نباتة هذه ، بشاشة سافرة ، ورواء ضاحكا مستبشراً . نضحت عليها طبيعة حماة ، فبدت حسناء الشعر مرآتها ، وغيداء وأبياته أبياتها . لا أقول إنها علمت بن نباتة الوصف فقد كان وصافاً . ولا دعته إلى العطف فقد كان عطافاً . وإنما فره بجمالها وصفه ، وزاد بين يديها عطفه.

فمن غزله فى صدر قصيدة مدح بها الأفضل قوله :

صدودك يا لمياء عنى ولا البعد   إذا لم يكن من واحد منهما بد
بروحى من لمياء عطف إذا زها   على الغصن قال الغصن ما أنا والقد
وعنق قد استحسنت دمى لأجلها   وفى العنق الحسناء يستحسن العقد
من العرب إلا أن بين جفونها   أحد شبا مما تجرده الهند
على مثلها يعصى العذول وإنما   يطاع على أمثالها الشوق والوجد
عزيز على العذال عنى صرفها   وللقلب فى دينار وجنتها وقد

أعذالنا مهلا فقـد بان حمقكم   وقد زاد حتى ما لحمقكمو حد
وقلتم قبيح عندنا العشق بالفتى   ومن أنتم حتى يكون لـكم عند
سمحت بروحى للحسان فما لكم   ومالى وماهذا التعسف والجهد

ومن خمرياته فى مطلع مؤيدية قوله :

عوض بكأسك ما أتلفت من نشب
فالـكأس من فضة والراح من ذهب
واخطب إلى الشرب أم الدهر إن نسبت
أخت المسرة واللهو ابنـة العنب
غراء حالية الأعطاف تخطر فى   ثوب من النور أو عقد من الحبب
عذراء تنجز ميعاد السرور فما   تومى إليك بكف غير مختضب
مصونة تجمل الأستار ظاهرة   وجنة تتلقى العين باللهب
لو لم يكن من لقاها غير راحتنا   من حرفة المتعبين العقل والأدب
فهات واشرب إلى أن لا يبين لنا   أنحن فى صمد نستن أم صبب

وإذا كان أثر حماة فى شعر ابن نباتة واضحاً ، فهو فى إحدى قصائده أشد وضوحاً وأبين أثراً . وأعنى بها قصيدة « مصائد الشوارد » . وهى أرجوزة مزدوجة فى نحو مائة وسبعين بيتاً ، خرج ابن نباتة مع الملك الأفضل صاحب حماة فى رياضة للصيد والقنص فى وديانها . فألهمته رحاته تلك قصيدته المذكورة . بدأ فيها بوصف الرياض ووشيها ، ومافيها من نور باسم وزهر ضاحك وعشب يانع ، ونواعير حادية ومياه جارية . ثم وصف البروز إلى الصيد ، والتضييق على الوحش فى مساربه . والغلمة وما بأيديهم من البندق والأقواس اللدنة . ومواقع الأطيار ومراتعها . والأفق وقت المغيب ، وسهود الليل ، ويقظة الفتية تلمسا للفريسة . بينما يحلك الليل ويرزم الغيم . وهو بين هذا وذاك يصف جياد الصيد وكلابه وبزاته وصقوره وما إلى ذلك .

والقصيدة فريدة فى بابها ، بارعة فى تصويرها ، وقد نعود إلى عرضها فى مقال جديد . ونذكر هنـا منها ابياتاً على سبيل المثال ، قال فى المطلع يصف ارياض والنواعير :

أثنى شذا الروض على فضل السحب
واشتملت بالوشى أرداف الـكثب
ما بين نور مسفر اللثـــام   وزهر يضحـك فى الأكمام
إن كانت الأرض لها ذخائر   فهى لعمرى هـذه الأزاهر
قد بسطتها راحـة الغمائم   بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم   تعرف فيـه نضرة النعيم
وحبذا وادى حمـاة الرحب   حيث زها العيش به والعشب
أرض السـناء والهناء والمرح   والأمن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سـقاة الترب   وأمهات عصفـه والأب
تعلمت نوح الحمام الهتف   أيام كانت ذات فرع أهيف
فـكلها من الحنين قلـب   لا سيما والمـاء فيها صب

ويستطيع طلاب الموازنات ، ومحبو المقارنات ، أن يجدوا مجالاً واسعاً للموازنة بين قصيدة ابن نباتة هذه ، وقصيدة أخرى لمعاصره صفى الدين الحلى . فقد كان صفى الدين أحد الأدباء الذين هو وا إلى حماة ، فى عهد ملـكها المؤيد . فنال من جداه ، ونعم بهداياه ، ومدحه بقصائد غر ممتعة . وقد شهد صـفى الدين وفاة المؤيد عام ٧٣٢ ه ، ورثاه . ثم هنأ ابنه الأفضل بملـكه الجديد ، ثم مدحه بقصائد أخرى نفيسة . من بينها موشحة نظمها عام ٧٤٠ ه وصف فيها رماية البندق والصيد والقنص فى مرج من مروج حماة ، وفيها يهنىء الأفضل بعيد الفطر . وفى مطالع هذه الموشحة يقول :

قم بى فقد ساعدنا صرف القدر   وجاء طيب عيشنا على قـدر
فـكم علا قدر امرىء وما قدر   فارضع بنا در الهنا إن تلق در
فالشهم من حاز السرور إن قدر
وقد صفـا الزمان والأمان   وأسعد المـكان والإمكان
وأنجد الإخوان والأعوان   وقد وفت بعدها الأزمان
والدهر تاب من خطاه واعتذر

ومنها يصف الأطيار :

أما ترى الأطيار فى تشرين   مقبـــلة بادية الحنين
قريبها ناب عن الأنين   إذا رنت نحو المياه الجون
يأمرها الشوق وينهاها الحذر

هـذه أبيات من قصيدة صفى الدين التى نود لو نتناولها —أو يتناولها أحد الأدباء— فيوازن بينها وبين « مصائد الشوارد » لابن نباتة . فالشاعران متعاصران . والقصيدتان صيغتا فى مدح ملك واحد هو الأفضل صاحب حماة . والمناسبة التى قيلت فيها إحداهما ، شبيهة بمناسبة الأخرى . فقد قيلتا فى وصف رمى البندق

والخروج للصيد فى مصاحبة الأفضل . واستلهم كل من الشاعرين أوصافه من واد من وديان حماة — ولعله واحد لا وديان — هذه أمور ومشابه بين القصيدتين تحبب فى الموازنة بينهما وتعين عليها. ولا أدرى بالضبط متى قيلت مصائد الشوارد ، وفى أية سنة ، وفى أية رحلة . فلعلها هى نفس السنة ونفس الرحلة التى كان فيها صفى الدين . نقول ذلك بمناسبة مانشعر به من تشابه فى الموضوع والتصوير والخيال بين القصيدتين . مما يدل على اتحاد منازعهما .

ومهما يكن من شىء فإن القصيدتين وما عداهما من شعر الشاعرين الكبيرين ، وشعر زميلهما الذى قفى على آثارهما ، وأعنى به ابن حجة ، وشعر غيرهم من أدباء حماة ، قبس من وحيها ، وجذوة من إلهامها ، ووقدة من سناها . وقد مات صفى الدين عام ٧٥٠ هـ ، وابن نباتة عام ٧٦٨ هـ ، وابن حجة عام ٨٣٧ هـ ، ومات غيرهم من شعراء حماة وأدبائها ، وبقى شعرهم وأدبهم خالداً محدثاً بمـا كان لحماة فى نفوسهم من أثر ، وما كان لوحيها من بعث ، ولإلهامها من رجع ، ولسناها من إشراق .

(الإسكندرية) محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

---

١٢ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

الحـــالة الاجتماعية

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

يعيش أهل النوبة عيشة بسيطة لا تركيب فيها ولا تعقيد ، فحياتهم أشبه ما تكون بحياة أهل الريف ، إلا أنها غير دسمة ، فليس فيهـا الطيور المختلفة والحيوانات السـمينة ، بل الطيور لا تكاد تجد بها غير العظام والريش ، والحيوانات عجاف ، لا يكاد يشارك العظم والجلد شىء من اللحم !

وأكثر الأهلين يشتغلون بالزراعة المحدودة المسـاحة طول العام ، والتى يبدأ موسم اتساعها غالباً فى شهر مايو من كل عام ، إذ تنخفض مياه النيـل ، فتنكشف الأرض التى غمرتها مياه الخزن ، فيزرع الأهلون هذه الضفاف التى كانوا يملكونها قبل التعلية الأخيرة ، والتى أعطتهم الحكومة تعويضاً عنها ، ولا يكادون يتركون منها شبراً بغير زراعة .

وتجود زراعة الحبوب من القمح والذرة والشـعير وبعض الخضر والبقول ، إلا أنه تكثر زراعة نبات (الـكشرنجيج) وهو نبات يشـبه الفاصوليا أو اللوبيا فى شجيراته وثماره . ولهذا النبات قيمته الغذائية الـكبيرة ، لأنهم يأكلون ثماره ، ويتخذون أوراقه وسيقانه غذاء أساسياً لدوابهم ومواشيهم ، والسعيد منهم من يدخر من هذا النبات كمية كبيرة تكفى مواشيه طوال مدة الشتاء ، حين تمحل الأرض وتجدب وتجف الأوراق ولا تكاد تجد فى هذه المنطقة على ضفاف النيل خضرة ، إذ تغطى مياه الخزن جميع الأرض ، ويبدو النخيل غارقاً فى النيـل كأنه يحتضر ويستغيث !

وقد قامت وزارة الأشغال بإنشاء مشروعات للرى ، فأحيت بهذه المشروعات الآلية آلاف الأفدنة ووزعتها الحكومة على بعض النوبيين الذين رغبـوا فى شرائها ممن ذهبت مياه الخزن بأراضيهم ، وهى تستغل الآن أحسن اسـتغلال ، وتكاد تقوم بتموين بلاد النـوبة فى كثير من الأغذية الضرورية ، وبخاصة بلانة ، والملاق ، والدكة ، حيث تعطى هذه الأرض أجود المحاصيل . وتمتاز هـذه المشروعات بالرى الدائم والزراعة طول العام دون ارتباط بارتفاع النيـل أو انخفاضه ، ولا بانكشاف الأرض أو انغمارها . وقد جذبت هـذه المناطق الزراعية شباب النوبة إلى حد ما لـكثرة ما تتطلبه من الأيدى العاملة والجهود المتعاونة ، ولا يزال الـكثيرون موزعين فى القاهرة والإسكندرية وغير ذلك من مدن القطر ، ويرسلون إلى أهليهم بعض ما يكفيهم من المؤن والنفقة ، ولهذا يكثر النساء والأطفال والشيوخ فى البلاد كثرة تفوق الحد وتسترعى النظر والاهتمام ، وتتجسم هذه الظاهرة بوضوح عندما يحل فصل الصيف فيسافر تلاميذ المدارس الابتدائية والقسم الثانوى فى عنيبة إلى ذويهم وأولياء أمورهم فى شتى مدن القطر ، فلا يكاد يقع نظرك حينئذ على شاب أو صبى !

وما أحوج النـوبة إلى أيدى أبنائها الذين هجروها ولا يزورونها إلا فى النادر القليل ، ولا يكاد يمكث الواحد منهم

أكثر من بضع ليال ، أو بضعة أيام ، وربما تعود الباخرة التي جاءت به لتحمله مرة أخرى إلى الشلال ، حيث يتمتع في مكان عمله بما لا يجده في وطنه الأصلي من متع ولذاذات …

أجل ، ما أحوج النوبة إلى أيدي شبابها وسواعدهم وبخاصة في هـــذه الأيام التي تتجه فيها الحـكومة المصرية إلى تنفيذ المشروعات النافعة التي تجعل من هذه المنطقة جنة وارفة الظلال دانية القطوف تمسح عن أهليها كل ما قاسوه من آلام جسام ، وأهوال عظام ، في سبيل رفاهية مصر وسـعادة أبنائها وزيادة ثروتها وكثرة خيراتها عن رضا وإيمان بحق الوطن في التضحية والإيثار ! !

والمالـكون قليلون ، فأكثر الذين أخذوا التعويض من الحـكومة أنفقوه على أنفسهم وملاذهم ، أو في بناء بيوتهم التي أغرقت هي الأخرى لانخفاضها عن منسوب التعلية الأخيرة ، وكان الأجدر بالحـكومة أن تعوضهم بدلاً من أرضهم التي انتزعت منهم أرضاً مستصلحة معدة للزرع والنتاج …

وفي النوبيين أناس على درجة من الفطنة والذكاء والميـل للأعمال الحرة ، وقد قام هؤلاء بتكوين شركات زراعية وجلبوا لها أحدث الآلات الزراعية على اختلاف أنواعها مما تقوم باستصلاح الأراضي البور وحرثها وريها وإعداد الغلات وغير ذلك .

***

وتكثر في بلاد النـوبة بعض الصناعات اليدوية الصـغيرة كصناعة الأطباق والحصر والسرر من الخوص والقش والجريد ، ويتجلى فيها الذوق الفني السـليم ودقة الصنع ، ويقوم بهذه الصناعات في الغالب النساء والفتيات في بيوتهن ، وتعنى الحـكومة الآن بدراسة هذه الناحية بواسطة بعض مبعوثيها لإدخال بعض الصناعات الصغيرة التي تناسب البيئة وتشجيعها لتنمو وتكبر عن طريق المصانع الصغيرة أولا في البـلدان المزدحمة بالسكان والتي تكثر فيها الأيدي العـاملة ، ويشرف عليها موظفون مختصون مهمتهم أولا تعليم أكبر عدد ممـكن من الأهلين بنين وبنات ، ولـكن المشكلة القائمة الآن هي صعوبة المواصلات بين هذه البلاد بعضها وبعض ، وعسى أن تحل هذه المشكلة وتذلل هذه العقبة حتى تسود هذه المنطقة صبغة صناعية ويجرفها التيار الصناعي ، وبخاصة حينما تكفيها كهربة الخزان مؤونة الوقود ، وتتكشف للناس كنوزها الدفينة من ذهب وقصدير وحديد .

***

والبيت النوبي على درجة كبيرة من النظافة وحسن التنسيق نلمس النظام في كل ناحية من نواحيه ورجو من أرجائه ، سواء في ذلك بيت الغني والفقير ، والفرق بينهما في بناء البيت نفسه ومواد البناء ، فبيت الغني متسع رحب مبني بالحجارة من الجبال المحيطة به متعدد الحجرات ، وبيت الفقير في الغالب من الطين ، وسقفه من جذوع النخيل وسعفها ، ولـكنه مع ذلك يشرح الصدر ويملأ القلب راحة وطمأنينة وهدوءاً ، ومن جذوع النخيل وسعفها يسقف الغني بيته كذلك ، إلا أنه يطلي السقف بطلاء ملون ، ويزخرفه زخرفة فيها كثير من العناية والمبالغة ، بحيث يبدو كقطعة فنية جميلة من أجود أنواع الأخشاب ، عملت فيها اليد الصناع عملها ، حتى أصبحت تستهوي العقول وتجذب الأنظار وتعجب لهذا الذوق السليم في كيفية البناء نفسه ، فالبيوت بوجه عام تتكون من طابق واحد ذي فناء واسع ، ومن النادر أن تجد بيتاً من طابقين ، وحول البيت بناء قصير بارز يشبه المصطبة في ريفنا ويستعمل استعمالها … وشـكل البيوت من الخارج هرمي تقريباً ، وبالغرف فتحات صغيرة مستطيلة ومثلثة قرب السقف الغرض منها التهوية الدائمة ، وحجرة الجلوس واسعة مستطيلة قد يبلغ طولها في بعض البيـوت اثنى عشر متراً ، والأبواب والنوافذ تدهن بألوان زاهية جداً ، وقد يكون لبعض البيوت الـكبيرة شرفات مسقوفة في الغالب لاستقبال الأضياف والترويح عنهم ، ويزخرف المنزل من الخارج بأطباق الصيني الملونة تغرس في البناء نفسه بشـكل منظم جميل يراعى فيه التناسب ، كأنما وضع تصميمه مهنـدس معماري بارع ، وقد يستغنى عن الأطباق الصينية بقوالب من الطوب توضع بشـكل بارز بحيث تـكون أشـكالاً هندسية دقيقة ، فمن دوائر وأقواس إلى مستطيلات ومربعات ومثلثات وزوايا ، مما يزيد البيت روعة وجمالا ، وفي ناحية الشـلال حيث تقل الزراعة ويقل النخيل يجملون سقوف بيوتهم على شكل القباب . ولا تكاد تجد لبيوتهم أفنية إلا في النادر القليل ، وعلى العكس من ذلك المنطقة الجنوبية

إذ لا يكاد يخلو بيت من فناء رحب ...

وأثاث البيوت فى العادة هو (المنجريب) ، وهو سرير من الخشب والجريد توضع فوقه حشية إذا كان معداً للنوم ، أو السجاجيد العجمية الفاخرة إذا كان معداً لجلوس الأضياف ، ولا بد من وجود هذه السجاجيد فى كثير من البيوت ، سواء منها بيت الغنى والفقير.

وفى كل بيت الأطباق الصينية والملاعق والأكواب المختلفة بكثرة عجيبة ، وهى فى الغالب من الأنواع الغالية الثمن ، بحيث إذا أعدت المائدة لضيف ما ، لا يشعر أبداً أنه فى غير القاهرة ، بل وفى بيت يهتم بهذه الأدوات ويجعلها فى مقدمة ما يعنى به !

والنوبيون يبالغون فى إكرام الضيف ، وأول ما يقدمونه له (الفشار) وسط طبق من الخوص وحوله البلح الجاف ، فيأكل الضيف من هذا وذاك ، ثم يقدم له الشاى ، حتى إذا جاء الموعد قام إلى مائدة لا تختلف فى تنسيقها ونظامها وما حشد فيها من أنواع اللحوم والطيور والحلوى عن موائدنا الحافلة وولائمنا الفاخرة ، وكأنما هى هى !

***

وإذا كانت بيئة العربى دفعته إلى الكرم والإيثار والبذل عن طواعية ورضا ، فإن بيئة النوبى الجافة القاسية ، والجرداء الماحلة فى أكثر أيام العام دفعته إلى العطف الشامل والحب المتبادل لأفراد بيئته الذين يعتبرهم منه بلا خلاف يؤثرهم على نفسه ويخصهم بالنعمة دونه ... فإذا أقبل المساء خرج من كل بيت ما فيه ، واجتمع أهل النجع وتناولوا جميعاً عشاءهم فى هدوء واطمئنان ، ولا يضير المعدم والحالة هذه ألا يجد ما يخرجه أو يأتى به ، بحيث يصيب كل واحد ما يسد جوعته ، فلا يبقى من يشكو ألم الجوع أبداً ...

وذوو المراكز السامية من النوبيين عندما يذهبون إلى بلادهم يتركون فى القاهرة ألقابهم وأوسمتهم ، ويلقون إلى حين رداء المدنية الخلاب ، لأن هذا لا يجوز فى شرعة أهليهم وذوى قرباهم الذين لا ينادونهم مهما ارتفعت مكانتهم وسمت منزلتهم بأكثر من أسمائهم المجردة فى بساطة وسذاجة بلا تعمل أو تكلف والجميع هناك أهل وأقارب وأولاد عمومة وأبناء خئولة ، لا فرق بين الكبير منهم والصغير والعظيم والحقير ...

وللنوبيين جميعاً ولع بشرب الشاى المركز ، فهم لا يشربونه إلا بعد أن تلقى فى الماء كمية كبيرة ويغلى مرات ومرات بحيث يكون فى النهاية أسود اللون مر المذاق ، ولهذا فإن للسكر هناك سوقاً سوداء ، بحيث تباع الأقة منه بخمسة وعشرين قرشاً أو ثلاثين أحياناً ، وهم معذورون لأن الشاى يقوم عندهم مقام الفاكهة التى لا توجد هناك إلا نادراً ...

وبعد ، فهذه صورة عاجلة عن الحياة الاجتماعية العامة فى مجموعها ، وهناك نواح كثيرة فى حاجة إلى الإفاضة والبحث ، ولكن ليس هذا موضعها لحاجة كل ناحية إلى الإفراد بالحديث وعسى أن نوفق إلى هذا إن شاء الله .

عبد الحفيظ أبو السعود

الموشحات وموسيقانا الحديثة

للأستاذ حسني كنعان

ظن بعض الناس ، وإن بعض الظنّ إثم ، أني بما كتبته عن المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق وعن النهضة في الموشحات ولزوم إحياء موات موسيقانا القديمة أنني انبعثت أدعو الناس إلى تعلم هذا النوع من الفن البالي على زعمهم ، والعزوف عن الحديث ولزوم مقاطعته ، ولذا أخذوا ينعتونني بالرجعي الجامد . ودفعاً للالتباس أريد في كلمتي هذه أن أضع النقط على الخطوط التي تعتلج في ضميري لإحياء قديم هذا الفن والنهوض به فأقول :

ليست الموشحات وحدها هي التي تبعث الموسيقى من رقادها وجمودها ، ولا الأدوار والقصائد الموقعة على الأوزان مثل التي كان ينشدها الشيخ أبو العلاء محمد أستاذ الآنسة أم كلثوم ، ولا المنلوجات الحديثة والأغاني الدارجة التي تسمى « طقاطيق » ولا المواويل والأغاني الشعبية الطاغية في هذا العصر ، وإنما الذي ينهض بالفن الجمع بين هذه العناصر جميعها ، فحفلة تقوم على نوع واحد ولون خاص من هذه الألوان والأنواع الفنية يكون مآلها الإخفاق والضجر والملل . ولا بد من التنويع ، وعدم الاكتفاء بنوع واحد ، فالآذان والأرواح تتغذى بالفن كما تتغذى الأبدان ، والاقتصار على نوع واحد من أنواع الطعام يفسد المعدة ويدفعها إلى الملل والعزوف عن الأكل . ولقد كان الأقدمون يجعلون الموشحات في المقدمة من حفلات السمر والتلهي ، ويليها الدور والقصيدة ، والأغنية « الطقطوقة » والموال ، وبهذا الترتيب والتنويع كانت تحصل النشوة والطرب وتدوم الحفلات لديهم من مغيب الشمس حتى مطلعها دون أن يعتري السامعين الساهرين المغتبطين شيء من الإملال بعكس ما هي عليه حالنا اليوم . نكتفي بعرض قطعاتنا التجارية الرخيصة المبتذلة المخنثة نقلد فيها أبطال مطربي الأفلام السينمائية ، فتارة نتغزل بالبنزين : يا أوتمبيل يا جميل ما احلاك ، وتارة بالقطار : يا وبور قل لي رايح على فين ... وتارة وتارة ... فلا ينتهي الهزيع الأول من الليل على السمار حتى يأخذهم من الملل وضيق النفس التثاؤب ويرنق النوم على أجفانهم فيتركون الحفلات دون أن يتمموا المدة المخصصة لختامها .

وهذا ما دعانا إلى امتداح الموسيقى القديمة وطرق عرضها ولزوم إحياء مواتها لنعيد بها ليالي السلف ، فنتذوق طعم هذا الفن كما كانوا يتذوقون ، ونطرب له كما كانوا يطربون ، فأين ليالي اليوم من ليالي أمس في عهد الحمولي ، والمنيلاوي ، وسلامه حجازي ، والبولاقي ، والسفطي ، وغيرهم من كبار فنانينا الأقدمين ؟ وأين الأنس والطرب فيها من ليالينا القائمة ؟ فهذه تنتهي بأسرع وقت ، وتلك كانت تدوم حتى مطلع الفجر فلا يعرف الساهرون اللاهون كيف كانت تمرّ لياليهم من شدة لهوهم وهيامهم . ولقد كانت تستغرق آه واحدة من آهات الحمولي كما روى لنا المعاصرون له ساعة كاملة على التحقيق وهو يكررها بمختلف الأنغام ، وكل نغمة منها كانت تحدث في الساهرين من الشجو أضعاف ما تحدثه سابقتها ، ولذا خلده أمير الشعراء ساكن الجنان بقوله فيه :

يتمنى منه أخو الشجو آها ... حين يلحى تكون من أعذاره
يسمع الليل منه في الفجر ياليل ... فيصغي مستمهلا في قراره

هكذا كانت ليالي الأقدمين ، وهكذا كان سحر فنهم . أما ليالي اليوم فإنك لا تكاد تجلس لتسمع فيها إلى صوت مغنية أو مغن ، حتى تخالك في مأتم تصغي فيه إلى أصوات النادبين والنادبات والنائحين والنائحات لفولة غناء هذا العصر وبعده عن مواطن الطرب ...

فجل الغناء المصري إن لم نقل كله من النوع الحزين الباكي الذي يقتل الشعور المشبوب والعواطف الفياضة . فإذا كنا نحن دعونا الناس فيما كتبناه إلى إحياء موات القديم فذلك لاعتقادنا أن الموشحات القديمة والأدوار تمد قواعد أساسية للفن الموسيقي كالنحو والصرف للتمكن من اللغة العربية ، فإذا قدر لمثل صاحب قطعة « بلاش تبوسني بعينيّ » ولمثل صاحبة قطعة « نامي يا ملاكي » الخلود فلن يخلد إلا بالقطعات التي جاريا فيها الأقدمين ، كقطعة « يا جارة الوادي » البياتية النغمة ، وتلفت

ظبية الوادى ، من نغمة الحجاز ، وقطعة وحقك أنت المنى والطلب من نغمـة السيكا ، وقطعة سلوا قلبى ، من نغمة الرصد . فهـذه قطعات ذات نغمات شرقية جارى بها أصحابها الأقدمين وساروا باللحن على غرارهم ؛ فبها وبامثالها لا بغيرها تخلد أسماؤهم وهذا ما حفز الآنسة أم كلثوم على الإيعاز لملحنيها أن يكثروا من تلحينهم لها القطعات ذات الأنغام العربية المعروفة المألوفة ، لجددت بهذا شباب فنها الهرم ذى الألونة الإفرنجية الدخيلة .

أما الموشحات التى مرّ ممنا ذكرها فى البحث السالف فليست كلها أندلسية ، ومعظم المتداول منها الذى يُنشـد فى الحفلات ويُذاع على الناس من الموشحات التركية المستعربة ، ودليلى على ذلك أنه لا يخلو موشح فيها من قولهم فى تقاطيعه وطياته من كلمتى « جانم وأمان ، يللى ويللالى » ولا جرم أن الموشحات الأندلسية لها قيمتها وروعة معانيها وأنغامها بالنسبة إلى التركية المتداولة المعروفة : وإليك نوعا من هذه الموشحات من النغمة الجهاركاه يُنبئك عن روعة هذا الفن القديم الأندلسى ...

كللى ياسحب تيجان الربا بالحلى   واجعلى سوارك منعطف الجدول
ياسما ، فيك وفى الأرض نجوم وما   كلما ، أغربت نجما أشرقت أنجما
وهى ما ، تهطل إلا بالطلا والدما   فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى
من ظلم ، فى دولة الحسن إذا ماحكم   فالسدم ، يجول فى باطنه والندم
لا أريم ، عن شرب صهباء وعن عشق ريم
فالنعيم ، عيش جـديد ومدام قديم
أسفرت ليلتنا بالأنس مذ أقمرت   بشرت بلقا المحبوب واستبشرت
طوّلى ، ياليلة الوصل ولا تنجلى   واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

فأين روعة هذا الموشح الأندلسى المقتضب بتصرف من موشحاتنا اليوم . ولو استعرضنا جميع ما تقع عليـه العين من الموشحات القديمة لألفيناها من هـذا النوع الساحر الأخاذ ، وهـذا ما حدا بنا إلى الدعوة لإحياء مواتها والعناية بها . فإذا كان الحولى قد كتب له الخلود فلم يكتب له عن طريق الفنّ وحده ، وإنمـا كتب له عن طريق التجويد فى ابتـكار أروع القطعات الأخاذة المعـانى ، وإليك نموذجاً من أدواره فى نغمة الحجاز كار :

الله يصون دولة حسنك   على الدوام ، من غير زوال
ويصون فؤادى من جفنـك   ماضى الحسام ، من غير قتال
أشـكى لمين غيرك حبـك   أنا العليـل ، وانت الطبيب
إسمح وداوينى بقربك   واصـنع جميل ، إياك أطيب

وأنا أعرف مغنياً من هذه الطبقـة سمعته فى حداثتى يدعى محمد سالم ، وكان يزيد عمره على المائة سنة ، سمعته فى حفلة سمر خاصة ، وأذكر أن أحد الحاضرين قد استخفه الطرب فقـذف بنفسه فى نهر يزيد فى الربوة بملابسه من شدة ما عراه من الطرب والشجن ، وما فتئت إلى الآن أتخيله كالأخطبوط يغوص فى النهر يضرب وجهه من غير شعور كأنى أشاهده الآن .

أما البعض من مطربى هذا العصر فإنك لتهم أن تلقيهم فى النهر وتبيدهم تخلصاً منهم ، أو أن تلقى بنفسك منتحراً إذا كان ليس بمقدورك أن تلقيهم وتبيدهم فراراً مما تسمعه وتراه ...

(دمشق)   حسنى كنعان

لقد طـــار لأول مرة ..

للكاتب الايرلندى لام أفلا هيرلى

للأستاذ محمد سعد الدين وهبة

وقف العصفور الصغير وحيداً أمام عشه ... لقد تعلم أخواه وأختـه الطيران فى اليوم السابق ، ولـكنه لم يجرؤ على الطير معهم ... وحينما كان يجرى على فرع الشجرة الممتد أمام العش وحينما يبلغ نهايته ويوشك أن يرفع جناحيه يحس بالخوف فيجمد فى مكانه ... كان البحر منبسطاً هناك فى أسفل ... عدة أميال بينه وبين سطح البحر ... كان يشعر بشعور مؤكد أن جناحاه لن يستطيعا حمله فكان ينكس رأسه فى ذلة ثم يعود إلى عشه الصغير ... وكان إخوته يحومون حـوله يحثونه على الطيران ... فكان أبوه وأمه يدوران حوله يؤنبانه على خوفه وجبنه ، ويهددانه بحرمانه من الطعام وتركه فى العش يموت جوعاً إذا لم يطرح عنه الخـوف ويبدأ فى الطير ... ولـكنه كان يريد الاحتفاظ بحياته فلم يغادر العش ... ومر أربع وعشرون ساعة ولم يقترب منه أحد.

وفى اليوم التالى أخذ يرقب أباه وأمه يطيران مع إخوته يصححان لهم أوضاعهم ، ويعلمانهم كيف ينقضون على البحر إذا شاهدوا سمكة طافية ... وكيف يتناولونها بمنقارهم ثم يرتفعون فى سرعة . ورأى أخاه الأكبر يصطاد سمكة ثم يأخذها إلى حجر نائىء بعيد حيث جلس يلتهمها وحوله باقى أسرته يصيحون فى فرح وزهو . ثم طار الجميع إلى الصخرة البعيدة بعد أن مروا به يسخرون منه ويعيرونه بجبنه وخوفه ...

وأخـذت الشمس ترتفع فى السماء وترسل أشعتها المتألقة وحرارتها الوهاجة ... فأحس بالدفء ... إنه لم يذق طعاماً منذ المساء السابق ... أخـذ يرتعد ثم فكر فى طريقة يصل بها إلى أسرته طريقة تستوجب الطيران ... ولـكن لم يكن هناك سوى البحر الوسيع يمتد من تحته ... وأراد أن يلفت نظارهم إليـه فوقف على رجل واحـدة ووضع الثانية تحت جناحه ... ثم أغمض عينيه وتظاهر بالنوم ... وفتح عينه فشاهد إخوته يتمرغون على الصخرة فرحـين ... أما أبوه فكان ينكش ريشه بمنقاره ... وأمه ... كانت هى التى تنظر إليه ... ومن لحظة نهش قطعة من السـمك ملقاة تحت رجليها ... وأثاره مرأى الطعام حتى كاد أن يجن ... كم يحب أن يذوق السمك ... ولم يلبث أن صاح صيحة ضعيفة يستعطف أمه أن تحضر له بعض الطعام . ولـكنها أجابته بالرفض ... ثم انطلقت من حنجرته صيحة فرح . لقد شاهد أمه تقبض على قطعة السمك بمنقارها ثم تطير متجهة إليه ... وجرى إلى نهاية الفرع فى شغف وأخذ يدق الفرع فى سرور ... وحينما قربت أمه منه توقفت عن الطيران ثم حلقت فى الفضاء وقطعة السمك فى منقارها ... وانتظر أن تقترب منه ... ولـكنها لم تفعل ... وعضه الجوع ... وفجأة قفز إلى قطعة السمك ولـكنه ... أخـذ يسير إلى الهاوية وحينما مر بأمه سمع صوت أصطفاق جناحيها ... ثم لم يعد يسمع شيئاً ... بقيت لحظة ... لحظة واحدة بعدها سوف يسقط فى البحر ... ففرد جناحيه ... وأحس بالهـواء يدفعه فحرك جناحيه ... إنه لا يسقط الآن ... ولـكنه يرتفع ... وغادره الخوف ... لم يعد يهـاب شيئاً ... إنه يطير ... إنه يطير ... وأطلق صيحة فرح ... ورأته أمه يطير فأخـذت تصيح فرحاً ... ثم رأى أسرته وقد التف أفرادها به ونسى أنه لم يكن يعرف الطيران فأخذ يحلق فى السماء ... يطير مرتفعاً ثم ينخفض ... يطير مشرقاً ومغرباً ... والسرور يملأ نفسه ... ولـكن ... لقد صار فوق البحر ... والسطح الأخضر تحته تماماً ... ورأى أبوه وأمه وأخوته وقد حطوا فوق البحر ... وأخذوا ينادونه فى سرور ... أخذ ينخفض حتى بلغ سطح البحر فأسقط رجله على السطح الأخضر ولـكنها غاصت فيه ... وصاح من الخوف وأراد أن يرتفع ثانية ... فأخذ يضرب بجناحيه ... ولـكنه كان تعباً ... ضعيفاً من الجوع ... لم يستطيع الارتفاع فترك أرجله تغوص ... ثم شعر بالماء يلمس جسده فارتعـد ... ولـكنه لم يغص أكثر من ذلك ... لقد طفا جسده فوق الماء . والتف حوله أفراد أسرته يصيحون فرحين ثم تقدموا منه وبمنقار كل قطعة من السمك ... فرموها إليه ثم أخذوا يعودون فرحين. فقد طار صغيرهم لأول مرة ... ؟

محمد سعد الدين وهبه

الدوحة الذاوية

للأستاذ محمد محمد على

كانت تنشر ظلالها على ذلك الغدير الرقراق الذى تلتقى عنده معارج السيول وتنعكس على صفحته ألوان السحب التى تظلل سماء القرية وكان الخريف يبتسم لها فتورق وتزدهر غير أنه فى هذه المرة تنكر لها فغادرها شبحاً لا رواء فيه ولا ماء .

زينة الحى جردتك الأعاصيـــير فواها للمـــة الخضراء
كنت كالغادة المدلة تستجـ ـلى رؤى من جمالها فى الماء
كنت طيفاً من الجمال وضيئاً لابتســام الخميلة الفيحاء
كنت فناً إزاءه كل فن مستخف كالقطر فى الدأماء
رب حسناء تحت ظلك أزكت وقد حسى بالمقـــلة الحوراء
وابتسام وميضه فى حياتى كافترار البروق فى الظلماء
رب شرب أقام حولك عرساً بابلياً فى ليـــلة حمراء
يا عكاظ الطيور أين نشيد عبقرى للقينة الورقاء
أين تلك الوكون تطفح بشراً أين ظل يرف فوق الماء
واضطراب النسيم يخرج قسراً من فروع نضيرة ميساء
وائتلاق الشعاع فوق اخضرار سندسى فى الليلة القمراء
ذاك عهد طوته منك الليالى فى سموم وزعزع نكباء
أنت مثلى وكل من بات مثلى غارق فى غيابة الأرزاء
عقنى الدهر فى رجائى وأهلى وابتهاجى بخيرة الخلصاء
الظلام الظلام يفعم نفسى ويح نفسى من وحشة الظلماء
والصباح المأمول مات بأفق فى غيوم النحوس والبأساء

* * *

جاءك الغيث والبروق اشرأبت من فروج السحائب الدكناء
أغمضت أعين النجود فردت سهم لحظ يشير فى استهزاء
غرها الخلد والشباب نضير وانطلاق فى القبة الزرقاء
واضطراب فى الأرض يصرع جيلا
أثر جيل من سائر الأحياء
نحن من عنصر التراب ولكن فى سمو الوضيئة الزهراء
ليس للأنجم الوضيئة خلد بل رحاب الخلود للشعراء
آه لو كان للأسير جناح مستمر يهتز فى الأجواء
كان يستبطن السماء ويدنى فلسفات الغيوب للغبراء
كان يحبو مع الشموس بعيداً عن نطاق الصباح والإمساء
كان يبنى لقومه شرفات شامخات فى هامة الجوزاء
نحن أحرى من النجوم بحشد يرسل النور من جبين السماء

* * *

جاءك الغيث فارشفيه كئوساً تطلق الغصن من وثاق الفناء
حسرتا للغصون أوسمها الدهـ ـر جموداً كالصخرة الصماء
زينة الحى كل شىء بهيج كل شىء يختال فى السراء
غير شخصين ضارعين أقاما فى رحاب الوجود رهن شقاء
ها هو الدوح مورقاً فينانا ها هو التل معشب الأرجاء
ها هو الطير ناشطاً يتغنى فى اصطخاب مجلجل الأصداء
صرت قبراً على الطريق ولكن حرمتك الشفاه همس الدعاء
أنت منا لو يعلمون وإن لم تشركينا فى سحنة ودماء
رب صخر تهفو القلوب إليه وابن أم كالحية الرقطاء
سجد الناس للصخور قديماً وتهادوا بالغارة الشعواء
لست أنساك ما تألق برق فى حواشى سحابة وطفاء
تحدر السيل فى المدارح كالخيـ ـل خفافاً تستن للهيجاء
يفعم النفس رهبة ويدوى كدوى العواصف الهوجاء
يخرج الحي من شقوق الروابى هارباً من تزاحم الضوضاء
يركب النجد مائجاً يتنزى ثم يفنى فى مهجة البطحاء

محمد محمد على

شاعرة مصرية

مهداة إلى « الأستاذ العباس » بمناسبة قوله فى « عدد الرسالة ٧٨٤ » : هل عندنا شاعرات .

شمس الدين السخاوى المؤرخ النقاد للقرن التاسع الهجرى أفرد جزءاً خاصاً من تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (*)) لتراجم النساء فى الشرق ، ومنه أنقل بإيجاز ترجمة الشاعرة المصرية فاطمة ابنة القاضى كمال الدين محمود بن شيرين : ولدت بالقاهرة سنة ٨٥٥ ، ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسر ، وتزوجت الناصرى محمد بن الطنبغا ، واستولدها ابنتها فاطمة وغيرها ، ثم مات عنها ، فتزوجها العلاء على بن محمد بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق ، فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها فى ذلك مع براعتها فى النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه . وقد حجت سنة ٨٨٤ سنة حج الملك ، ثم سنة ٨٨٦ ، ثم سنة ٨٩٤ وجاورت فى هذه بجوارنا ، ثم فى سنة ٨٩٨ مع ابنها وجاورا فى التى تليها .

ومما كتبت به إلى من نظمها بعد مجىء الخبر بموت أخوى :

قفا واسمعا منى حديث أحبتى فأوصاف معناهم عن الحسن جلت
تجمعت الخيرات فيهم وقد حبوا من الله مولاهم بأعظم منة
وأما التى أدعو لها الله دائماً فآمنة فيكم لآخر مدة
وإن كرهت من حادث الدهر فرقة
فجنة عدن بالمكاره حفت
أثابكم ربى وأعظم أجركم على فقد أحباب وأحسن جيرة
كرام سموا علماً وحلماً وسوددا وكنتم بهم فى غبطة ومسرة
قطعتم لذيذ العيش وصلا بقربكم فوا أسفا عند الفراق وحسرة
نعم هكذا أيدى المنية لم تزل تفرق إخواناً على حين غفلة
فكرر لذكراهم على السمع ربما به سيدى عن رؤية العين أغنت
فهم فى سويداء الفؤاد وإن نأوا ومنزلهم منى مكان سريرتى
لهم برسول الله إذ ذاك أسوة أثابهم الله الجزاء بجنة
وإن أفلت تلك البدور التى زهت فها شمس دين الله خير ذخيرة

هو العالم الحبر الإمام الذى له بفضل علوم شهرة أى شهرة
فليس له فى حضرة غير منحة وليس له فى خلوة غير جلوة
فأنتم خيار الناس حقاً بلا امترا فديتكم من كل سوء بمهجتى
حماكم إله العرش من كل حادث لتنفع بالآداب كل الخليقة
بحق نبى جاء للخلق رحمة محمد المبعوث من أرض مكة
عليه صلاة الله ما هبت الصبا وتحمل أشواقى إلى نحو طيبة

وكتبت إلى بغير ذلك ، ومنه وقد بلغها عن بعضهم كلام :

يا سيداً ما له مثيل من فى المهمات أرتجيه
ماذا ترى فى امرئ خبيث يحسد ذا سودد عليه
فاسمع كلام امرئ لبيب لجاهل رام يزدريه
ما ضر بحر الفرات يوماً لو خاض بعض الكلاب فيه

ومنه حين طالعت كتابى « ارتياح الأكباد » لتتسلى عن بنت أثكلتها ، سائلة عن شئ من الأبيات التى أوردتها فيه فقالت :

يا إماماً قد حاز علماً وفهماً وله فى الورى محاسن جلت
ما رأى الشاعر اللبيب بقول جرح القلب والدموع استهلت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالت تولت
لم أطق سيدى بلوغ مداها ضعفت قدرتى لذاك وكلت
أخبرونى عن نطقه ببيان نلت أجراً ورتبة قد تعلت

ثم كتبت إلى سائلة أيضاً :

يا أيها الحبر وبحر الندى يا حافظاً نقل حديث قديم
يا منحة فى دهره لم يزل ممتدحاً من كل « فاء وميم »
يا غاية الآمال يا منيتى يا من به أضحى غرامى غريم
يا شمس دين الله يا من غدا بكل علم فى البرايا عليم
ويا سخاوى يا إمام الورى من خصه الله بعلم جسيم
أسألك يا شيخ شيوخ النهى ومن ثوى فى فيه در نظيم
فيمن أتاها عائق عاقها عن أمل صارت به فى جحيم
قيامها إذ ذاك يا سيدى بين مقام زمزم والحطيم
فى ليلة أخبرنا أنها يفرق فيها كل أمر حكيم
يا من فتاواه إذا أبرزت يكاد ذو فهم بها أن يهيم
يهنك شعبان الذى قدره ما زال عند الله قدر عظيم
بجاه من أسرى به فى الدجى وهو للمولى كليم نديم
صلى عليه الله طول المدى ما ناح قمرى بصوت رخيم

(*) طبع فى القاهرة عام ١٣٥٦

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين أيضاً :

يوم أشرت إلى ما نمت عليه مقالات الدكتور طه حسين بك ، من شعور بعدم الارتياح إلى حاله في مصر وتعزيه عن هذا بمكانه في فرنسا — لم ألتفت إلى ناحية ينبعث منها هـذا الشعور ، إذ قصرت الأمر على ما عساه أن يـكون بينه وبين الدولة من أشياء لا ترضيه ؛ وهذه الناحية وقفت عليها من كتاب « رحلة الربيع » الذي أخرجته له أخيراً « سلسلة اقرأ » والذي تحدث فيه بخـواطر خطرت له في أثناء سفره إلى فرنسا وإقامته فيها وعودته منها إلى مصر في الربيع الماضي .

يقول في موضع من أوائل الـكتاب « وكنت قد تركت في مصر شراً ونكراً وإثماً ، وخرجت وفي نفسي شيء من شرهـا ونكرها وإثمها » ويقول في موضع آخر: « إني لظالم للحق ولنفسي حين أحفل بهـذه الضفادع البائسة التي تملأ جو مصر نقيقاً . وما الذي يعنيني حين تثقل على عشرة الضفادع أن أنسل من بينها

كما تنسل الشعرة من العجين لأخلو إلى رائع القديم وأخلو إلى رائع الحديث ، وأتعزى بجمال الأدب والفن والموسيقى عن قبح السياسة والنافع وغدر الغادرين ومكر الماكرين وخيانة الخائنين ! »

ويقول بعد أن يعبر عن اغتباطه بزيارة الأطـلال اليونانية في « الأكروبوليس » في أثناء رسو السفينة في أحد ثغور اليونان ، وبعد أن يعبر عن نشوته بسماع موسيقى بيتهوفن عنـد عودته إلى السفينة في المساء ، يقول مخاطباً نفسه : « وقد أنكرتك مصر أو أنكرت مصر ، فخرجت منها ذات يوم مع الصبح ، ولم تكد تنأى عنها حتى غمرك جمال القديم اليوناني في الضحى ، وجمال موسيقى بيتهوفن في المساء ، فنسيت مصر وأهلهـا ، ونسيت مكر الماكرين ، ولهوت عن غدر الصديق وعن جحود الجاحدين »

إذن فالذي استشمره الدكتور طه من الشر والنكر والإثم في مصر ، مبعثه غدر الأصدقاء ونفاق المنافقين ؛ وليس هـذا غريباً ، بل هو أمر طبيعي لم يكن من الممكن — في طبيعة الأحوال عندنا — غيره ... فقد كان الرجل في منصب كبير من مناصب الدولة ، وكان له سلطان ، وفيه أريحية ، فنثر حوله حباً تساقط عليه طير كثير ، ولصق به كثيرون من محترفي الصداقة . فقدم ورفع وأعطى ومنح . وهؤلاء « الأصدقاء » اللصقاء يعرفون كيف يلبسون لـكل حال لبوسها ، كما يصفهم الدكتور ، وقد بلغ الغاية في هـذا الوصف ، ومن ذلك مخاطبته لأي منهم : « وأي شيء أيسر من أن تصفو لي اليوم وتكدر لي غداً ، ثم تعود إلى مثل ما كنت فيه من الصفو ، ثم ترتد إلى مثل ما كنت فيه من الـكدر ، وتجعل نفسك على هذا النحو كرة تقذفها من الصلة إلى القطيعة ومن القطيعة إلى الصلة »

وقد تغير هؤلاء المراءون على الدكتور ، لأنه أصبح لا يملك ما كان يملك لهم من المنافع ، فتحولوا عنه إلى غيره يلتمسونها عنده.

ولا شك أن من فوائد هذه المحنة النفسية « الطبيعية » هذا التحليل الرائع لتلون المتلونين ورياء المنافقين ، وتهوين أمرهم ، والسخرية منهم وما إلى ذلك مما تضمنته فصول الـكتاب ؛ ومن المحقق أن هـذه المحنة صبغت — وستصبغ — أدب طه حسين بلون جديد .

ويتعزى الدكتور طه عما ترك في مصر من الشر والنكر والإثم بما يلقى في فرنسا من كثير يعبر عنه تعبيراً يشيع فيه

وكتبت إلى بلغز في إسمي ونسبي في ٢٥ بيتاً أوله :

ألا يا إمام الناس يا أوحد الورى ويا من حوى كل العلوم ولم يزل

ثم بلغز آخر في اسم « محمد » أوله :

يا مفرداً علومه مجـــله وعالماً مولاه قد جله

وقالت بديهاً في الزين سالم :

أيا سـيداً عم الخلائق بره وإحسانه فرض تضاعف لازم

أعن سائلا يأتيك والدمع سائل ولا تخشى من سوء فإنك « سالم »

ذلك ، وفي « نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي » : عائشـة الاسكندرانية المعروفة بزهرة الأدب ، دار محلها يعرف بالروض ، ولها شعر ...

أسامه

الارتياح والاغتباط . وقد عاد إلى فرنسا بعد هذه الرحلة ، رحلة الربيع ، ولا يزال بها إلى الآن ، يعالج جرح نفسه بما يحب هناك ، وما ينسيه ما لقى فى مصر ... ومن حق الدكتور طه حسين على فرنسا أن تيسر له كل ذلك ، فقد أحبها وتغنى بها ، وها هى ذى تستأثر بقلمه ، دون مصر وما فيها من شؤن وشجون ... ومن حق مصر على فرنسا أيضاً أن تشفى لها نفس الدكتور طه وتأسو جراحه ، فقد أنبتته مصر وأنجبته ولم تبخل به على فرنسا ... وهى — أى مصر المسكينة — حائرة بين إسراف « الفتى » فى التدلل وبين غدر الغادرين به ، وترجو أن يعود إليها سالما معافى موفوراً .

أدب الهروب :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، كلمة للأستاذ حسن حمام من اللاذقية ، حمل فيها على الأدباء « الذين غرقوا بين أمواج الحب المصطنع وبين زبد أمواج الرمزية الغامضة وبعدوا عن ساحل الحياة المضطرب الجياش الثائر » وناشد أدباء العرب أن يرفعوا من القومية العربية ويعلوا شأنها ، ودعا إلى أن يشعر الأديب بمـا يضطرب فى بيئته ويستوحى أدبه من الحياة وقلبها النابض .

وقد استرعى انتباهى قوله : « إن أدبنا الحاضر أيها الأدباء بحبه وغزله ، بشكواه وأنينه ، ببكاه ونواحه ، بضعفه وتخاذله ، لا يمثل بيئتنا ولا يصور حياتنا الاجتماعية والسياسية والقومية . وسيقف أحفادنا فى المستقبل من هـذا الأدب مقلبين أكفهم متسائلين عن معنى هـذا الأدب يحاولون أن يستنبطوا حياتنا الاجتماعية منه فلا يفهمونها » استرعت هذه الفقرات انتباهى ، فجعلت أتصور أدبنا الحاضر وأجول بفكرى فى نواحيه المختلفة ، وأسأل نفسى لأحقق قول الكاتب الفاضل : هل يصور هذا الأدب حياتنا بحيث يستدل به عليها الآتون من بعدنا أو بحيث يصدق عليه ما هو مقرر معروف من أن الأدب مرآة المجتمع وصورة الحياة ؟

إن أكثر الـكتاب والشعراء مشغولون بالدراسات والبحوث والتعبير عن المشاعر المترفة ، أو بالسياسة الحزبية ، أو بالتوافه المسلية ؛ فأين الحياة التى يحياها الناس من كل هذا ؟

والدراسات الأدبية مطلوبة ولابد منها للبناء عليها ، ولـكن لا يجوز أن يعكف عليها كلنا ، أو أن نستهلك فيها كل جهدنا ، ولا نضيف إلى أدب الذين ندرس أدبهم أدبا يدل على أننـا كنا هنا ...

لقد قال الـكاتب فى مستهل كلمته إنه تناول عدداً من مجلة الأديب فـلم يجد به تعبيراً عن مثل ما يجيش بنفسه من المشاعر القومية العربية . والعدد الذى نشرت به الـكلمة زاخر بالفصول الأدبية الدراسية والأبحاث الفلسفية العالية ، ولـكنه يكاد يخلو مما يدعو إليه . وليست الزميلة كذلك وحـدها فهذا طابع عام للانتاج الأدبى فى جميع البلاد العربية فى هذا الوقت الذى يتوثب فيه الوعى العربى الجديد وينظر شزرا إلى الأدب الذى انبت عنه .

وقد سمى السيد حمام هذا الإنتاج الذى يهرب أصحابه من الحياة « أدب الهروب » وقد أعجبتنى هـذه التسمية فأثبتها على رأس هذه الـكلمة .

أهذا هزاء النيل ؟ :

أرادت إدارة الإذاعة أن تشارك فى الاحتفاء بوفاء النيل ، فأذاعت شيئاً مما تسميه « برامج خاصة » اسمه « النيل » من تأليف حضرة مراقبها العام ، جمع فيه كل محفوظات الإذاعة مما يتعلق بالنيل من مثل « النيل نجاشى حليوة أسمر » و « يا بحر النيل يا غالى » ...

وقد بدأ البرنامج بمناجاة شعرية من الشاعر القديم « حابى » يلقيها بين يدى النيل ويتحدث فيها عن الآلهة القديمة ، وقد أقلق مؤلف البرنامج روح « حابى » وأرواح تلك الآلهة إذ أثارها من مستقرها فى كتاب الأستاذ حسن سليم بك ، حيث يليق بها أن تكون ، لأنه كتاب علمى ؛ وأكرهها على الظهور أمام جمهور مستمعى الإذاعة الذين لا يألفونها ...

ويدور الحوار فى البرنامج بين النيل ومصر على نسق كتب المطالعة للمدارس الابتدائية ، كالمناظرة بين الدراجة والحمار ... وكان المثلون يلقون كما يطالع التلاميذ ، والتى مثلت مصر مثلت بها !

واستغرقت إذاعة ذلك البرنامج نحو ساعة قضيتها متجشما الإصغاء لأرى نهاية ما يصنع بالنيل ... فقد كان كلاما يتلو بعضه بعضاً على كره ، لا أثر فيه لأى عمل فنى . وظاهر أن المقصود منه أن يكون حبلا يجر ما لدى الإذاعة من « الاسطوانات »

القديمة التى ورد فيها ذكر النيل ، وقد كان يمكن إذاعتها من غير هذا التكلف .

والنيل واهب مصر ، وكل من فيها وما فيها يعيش فى كنفه وعلى ما يجود به فى غدواته وروحاته ؛ فهل يصح أن يكون هذا جزاؤه من مراقب الإذاعة العام ؟ وماذا ترك للمراقب الخاص ومن دونه ... !

لا تكتبوا عنه أشياء :

شغل البريد الأدبى فى الرسالة — منذ أكثر من شهر — ببحث نحوى أثاره الأستاذ محمود البشبيشى فى كلمة « أشياء » ولا زال المناقشة متصلة بين الأستاذ ومناظريه ، وهى مناقشة لا طائل تحتها ، فسواء أكانت أشياء على وزن أفعال أم على وزن فعلاء ، وسواء أكانت جمع شىء أم جمع « لا شىء » وسواء أكانت ممنوعة من الصرف أم ليست ممنوعة منه ومستعملة كالممنوع

كل ذلك لا أثر ولا نتيجة عملية له ، لأن الكلمة «أشياء» تنطق وتكتب وتقرأ وتفهم ، فلا تختلف فى شىء من ذلك على أى وجه من تلك الوجوه . وأنا لا أنكر النبذ النحوية واللغوية التى يتعقب بها كاتبوها زلات الأقلام ، فهذه رقابة لغوية مفيدة ، على أن يكون « الرقيب » جيد التحصيل حسن التصرف غير متشدد ولا متعسف . أما الجدل فى التعليلات النحوية وما يماثلها فلا غناء فيه . ثم أريد أن أسأل الأستاذ أحمد أحمد العجمى : أيهما أولى بالتأمل والتثبت ، إحصاء المقاطع «إن إن» أو ملاحظة الفرق بين الماضى والمضارع ؟ وأرجو أن يكون قولك : «ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة : ولا زال منهلا بجرعائك القطر » أرجو أن يكون هذا الكلام الذى يريد أن يمنع دخول لا النافية على « أزال » المضارع من هفوات العلماء ...

وبعد فلم لا يترك أستاذنا البشبيشى هذه « الأشياء » ويعود إلى الروض[1] ؟

مسابقة القصة فى الإذاعة :

كانت إدارة الإذاعة قد أعلنت عن مباراة فى القصص ، وألفت لجنة للتحكيم فيما يقدم إليها برياسة الأستاذ عباس محمود العقاد وعضوية الأستاذين محمد فريد أبو حديد بك ومحمود كامل المحامى . وقد انتهت اللجنة من عملها وأعلنت نتيجة المباراة كما يلى :

لم يفز أحد من المشتركين فى المباراة بجائزة من المرتبة الأولى وفاز بالجائزة الثانية — وقدرها ثلاثون جنيها لكل فائز — ثمانية متبارين . وفاز بالجائزة الثالثة — وقدرها عشرون جنيها لكل فائز — اثنا عشر . وقبل عدد من القصص لتذاع بالمكافأة المعتادة ، وعينت قصص أخرى يختار منها للاذاعة .

وقد بدت فى هذه المسابقة ظاهرة تكررت فى غيرها من المسابقات الأدبية المختلفة التى أجريت فى السنوات الأخيرة ، وهى إحجام المتدين بأنفسهم من ذوى الانتاج الجيد عن دخول هذه المسابقات ، وقد نشأ عن هذه الظاهرة خلو المرتبة الأولى فى مباراة الإذاعة . ويحدث أن تسأل شابا من المعروفين بالنشاط الأدبى : لم لم تدخل مسابقة كذا ؟ فيجيب : قد تقدم إليها فلان وصلته بفلان (أحد المحكمين) وثيقة ... وأنا لا صلة لى بأحد منهم . ومما يذكر — اعتباطا — أن بين الفائزين فى مسابقة الإذاعة موظفين فيها .

من طرف المجالس :

قال المتحدث : أرأيتم ما نشر باحدى المجلات الشهرية من شعر شاعرين : ذكر وأنثى وصورة لهما ؟

ولم يبد على الجالسين أنهم رأوا شيئا من ذلك ، فنظروا إليه متسائلين ، وقال قائلهم :

— وكيف كان ذلك ؟

— عبرت الفتاة (ا) عن لواعج فؤادها فى أبيات ، ورد عليها الدكتور (ا أيضا) بأبيات ضمنها هواه ، ونشر كل ذلك تحت صورة اضطجع فيها الشاعر على سرير ، ووقفت الفتاة بجانبه

— وما معنى هذا الوضع ؟

— لا أدرى ، ولعل المعنى فى بطن الشاعر ... على أن الجدير بالسؤال هو إيثار الفتاة هذا الشاعر وهو كما نعلم مثل من دعاه الغوانى عمهن !

قال ثالث : ألا يدل هذا على أن الأمر بينهما هوى شعر ؟

قال آخر : ولم لا تقول إنها اختارته على طريقة فقراء الهند ؟

عباس خضر

---

(١) إشارة إلى مقالات الأستاذ التى كان يكتبها فى الرسالة منذ سنوات بعنوان « عودة إلى الروض » .



لا أزال عند رأيى فى (أشياء)!

قبل معاودة البحث فى هذا الموضوع أرى لزاماً أن أحمد للأستاذ الفاضل أحمد العجمى جنوحه بالمناقشة إلى الهدوء والأناة وهما أساس أدب البحث، وطريق الوصول إلى الحقيقة.

ثم أرجع فأكرر أننى لا أزعم أن كلمة (أشياء) وردت مصروفة فى التنزيل أو فى غيره من الكلام؛ ولكنى أعتقد أن علة عدم صرفها فى التنزيل — فى سورة المائدة — ترجع إلى خصوصية سامية مما التزمه القرآن الكريم؛ وهى فى هذه المسألة الترفع عن شائبة التنافر بتكرار مقطع واحد حتما وهو (إن) فى الآية الكريمة؛ وإذا كان الشعر خلوا من ورودها مصروفة فالشعر محل التساهل؛ يتحكم الوزن فيه فيصرف ما لا ينصرف، ويمنع صرف ما ينصرف، إلى غير ذلك مما لا يخفى على الأدباء؛ أما ورودها ممنوعة فى النثر فهو إتباع للوضع الذى وجدت عليه فى القرآن الكريم، ومسايرة للقدامى من أئمة النحاة الذين ذهبوا فى التماس علة المنع مذاهب شتى، أقربها إلى حسن الذوق وأدناها إلى الحق رأى (الكسائى) الذى نقله الأستاذ الفاضل محمد غنيم، وهو مشابهتها للاسم المختوم بألف التأنيث الممدودة؛ وقد التمست فيما هدانى إليه البحث علة فنية سائغة لمنعها من الصرف فى الآية الكريمة، وهذه العلة تجعل الحكم مرتبطاً بجو الكلمة فى الآية، فتعود إلى حقها الطبيعى فى الصرف إذا خرجت عن هذا الجو، والعلة — كما يقولون — تدور مع المعلول وجوداً وعدماً؛ وإذا كنت فى هذا مخالفاً للاجماع فما هو بإجماع على حكم شرعى ولا أصل معلوم بالضرورة من أصول الدين.

والقول بجواز الوصل بين جزأى آيتى (يس) و (الملك) لا يمنع جواز الفصل بينهما؛ فهو رد احتمالى لا يركن إليه فى المحاجة؛ والقول بتساوى الحرف اللين الصامت الهادئ فى كلمة (شىء) والحرف الصاعد الممدود فى كلمة (أشياء) مما لا تقره أذن شاعر موسيقى الإحساس كالأستاذ أحمد العجمى؛ فانتقال حركة التنفس من الأول إلى مقطع مكرر وهو (إن) أسهل من انتقالها بعد صعود كبير فى ألف (أشياء) إلى ذلك المقطع المكرر حتماً فى آية (المائدة).

هذا وقد تسرع الأستاذ فى مقاله الثانى فخطأنى فى قولى (لا أزال أقول ..) وقال وإنها مقصورة على الدعاء محتجاً ببيت قديم أورده (الأشمونى والصبان، وابن عقيل، والخضرى) وهو قول (ذى الرمة) أو غيره:

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وسها الأستاذ الفاضل عن أن (لا زال) خلاف (لا أزال) وأنا لا أحمل منه ذلك إلا على السهو، وإلا فهل غاب عنه قول الله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) وقوله مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا تزالُ تطلع على خائنة منهم)؛

وبعد فإنى مع الأستاذ العجمى فى أن الأسباب التى قالوها فى منع (أشياء) من الصرف قد أثقلت كواهل النحويين فى الكتب وأفهام الطلبة فى المدارس، ولذلك أديت برأيى؛ والحمد لله على توفيقه. والسلام ...

(الاسكندرية) **محمود البشبيشى**

إلى المشتغلين بإصلاح الأزهر:

اسمحوا لى يا سادة أن أعبر عن رأى لا أدرى أيروقكم أم لا، وذلك بعد أن أحييكم تحيات عطرة ...

الأستاذ الشرقاوى يريد أن يخرج علماء قوامين على التراث الإسلامى والعربى، وهو مطلب عسير على عامة الأزهريين مهما أدخلوا لهم من إصلاحات. ولم يبق إلا الخاصة وهؤلاء هم الذين يعقد عليهم الأمل ... وهم بعون الله يتخطون السدود والقيود، ويحققون كثيراً من الأمانى التى تناط بالأزهر، وشأن الأزهر فى ذلك شأن كل جامعة وهيئة، ولا أجد فى علم الأزهر خيراً من تعبير الرسول فى حديثه المشهور: «مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً الخ». فالأرض الطيبة لا بد أن تنفع الناس وتتغلب على عوامل الجفاف. والخبيثة لن تجديها نترات الشيلى التى تحاولون أن تنثروها على سطحها. وأظننى لا يعوزنى التطبيق بالأمثلة الحية، فمحمد عبده

لا يزال حياً فى الأذهان وغيره كثير . كل على مقدار ما كان يكن من حيوية .

أقصروا الأمل على الأذكياء وستجدون النتيجة تشجع كثيراً ، ثم هم لن يتعبوكم كثيراً ، وإذا شئتم أن تساعدوهم ، فنقبوا عنهم فى حقول الأزهر ، أدام الله غيرتكم الطيبة ، ووسع من المنطقة التى تحتلها فى قلوبكم ...

« أزهرى »

لا زال فى النفى والدعاء

كتب الأستاذ أحمد أحمد العجمى فى رده على أستاذنا الكبير البشبيشى فى العدد ٧٩٠ من الرسالة الغراء ما نصه « ولا يقال أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا فى الدعاء كقول ذى الرمة ولا زال منهلا بجرعائك القطر » .

وأود أن أقول للأستاذ العجمى أن « زال » تدخل عليها « لا » النافية ولا مانع فى ذلك كما تدخل عليها « لا » فى الدعاء . وكل ما قيل هو أن الدعاء فى « زال » يكون « بلا » خاصة ولم يقل أحد أن « لا » مقصورة على الدعاء وقد مثل الأشمونى وغيره من النحويين للنفى بقوله تعالى « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » .

فعلى هذا قول الأستاذ البشبيشى « أنا لا أزال أقول » صحيح لا خطأ فيه ...

عمر إسماعيل منصور

١ — مجلات الثقافة فى المدارس الأولية النموذجية :

أعلنت وزارة المعارف أنها سترعى المدارس الأولية النموذجية (مدارس المرحلة الأولى الجديدة فى مصر) بما تعمله فى مدارسها الابتدائية سواء بسواء . . وننظر من هذه الناحية إلى مجلات الثقافة فيها فنراها تجرى عليها (مجلتى الإصلاح الاجتماعى والفلاحة) فقط فى حين أنها تشترك للمدارس الابتدائية ودواوين المناطق الإدارية ! فى جميع المجلات المأمولة النفع كالرسالة والثقافة والهلال الخ — وحاجة هذه المدارس إلى جميع هذه المجلات أقوى وأشد ؛ لبعد غالبيتها عن المدن — أماكن المكتبات العامة — ومن ثم فإننا نرجو ألا يأتى العام الدراسى القادم إلا وتكون هذه الرغبة حقيقة واقعة لمصلحة العلم والتعليم والتربية الاجتماعية والثقافية فى مصر .

٢ — معلمو الشعب فى مصر :

ينحدر معلمو الشعب فى مصر من أصلاب الغالبية فيه وهم الفلاحون فاشترك حظهم وحظ هؤلاء مع الحكومات المصرية المتعاقبة شداً وجذباً ومداً وجزراً ! ! وقد انتهت بهم هذه الحال إلى أن يحرموا فى هذا العهد من (التنسيق) دون غيرهم من موظفى الدولة ! ! — وهذا العمل لا يضر بنتائجه الخفية والظاهرة هؤلاء المعلمين بالذات ، وإنما يتأثر به المجتمع المصرى الذى يرتبط بوجودهم فى كل مظاهره وحقائقه — وإذا كان هؤلاء المعلمون بحق هم رسل الثقافة الشعبية فى الديار المصرية ، فقمين بمجلة الرسالة وهى من تعرف فضلهم وتقدر صنيعهم أن تسجل فى صفحاتها هذا العمل الذى لا يتفق مع الحق والعدالة والمساواة بين أبناء الأمة قبل أى اعتبار آخر !

خورشيد عبد العزيز
معلم دميره

تصحيح :

ورد فى مقالى السابق عن رقص السماح أن أحد المختصين فى حفظ الموشحات من المتوفين الشيخ صالح الجذبة كان يحفظ عشرة آلاف موشح ، والصواب ألف موشح وأن أحد كبار العازفين على الكمان من الحلبيين توفيق الصباح والصواب توفيق الصباغ الملقب بسلطان الكمنجة الموسيقار المعروف ولذا اقتضى التنويه والإفصاح .

(دمشق) حسنى كنعان



الانتظار

للكاتبة الأمريكية سنزى أورموند

لقد أخبرها بأنه سيعود إلى الدار بعد انتهاء الحفلة قبيل منتصف الليل. ولكن الساعة الصغيرة القائمة على المنضدة كانت تشير إلى الواحدة صباحاً. إنه لم يسبق له أن تأخر مثل هذا التأخير تأخر وحيداً وبدونها.

ورقدت تحت الأغطية في فراشها قلقة مضطربة. كانت مجهدة من العمل. وكانت كل حاسة فيها تصيح بها أن استريحي ولا تقلقي كل هذا القلق على ولدك. لقد بلغ السادسة عشرة. إنه الآن ليس طفلاً.

وتذكرت... لقد ذهبت مرة في صباها إلى النزهة ولم تحضر إلا ليلا. وعندما عادت ورأت الستار القائم على نافذة غرفة الجلوس ينسدل ارتبكت واضطربت. إن والدتها كانت تتطلع خلال النافذة تترقب عودتها في قلق ولهفة. إنها لا تزال تذكر كلمات أمها وهي تقول لها «انتظرى يا عزيزتى وستشكريني في يوم ما على شدتى نحوك». ولكنها كانت في سن السادسة عشرة ولم تكن لتعى معنى لهذه الكلمات، ولا لما قالته والدتها بعد ذلك «أنها ليست كمسألة عدم الثقة بك، ولكن كثيراً ما تقع الحوادث بين أطيب العائلات في هذه الأيام»

ولا تدرى لماذا كانت تهيجها هذه النصائح عند بلوغها هذا السن الذى أدركت فيه الشعور بالحرية الشخصية. ذلك الوقت التي بدأت تخفى فيه بعض أسرارها، وتشعر بأنها تخصها وحدها، تخص عالمها التي تعتقد أنه ملك لها.

ولكن... كانت والدتها تتدخل في كل شؤنها، فتفتح رسائلها قبل أن تعود من المدرسة. إنها لا تلومها على رقابتها، ولكنها ليس لها حق فض رسائلها، إن التدخل فيما يخصك في هذا السن هو إهانة لا تغتفر، ولا يصح أن يحدث ذلك لأولادك كل ما تستطيع عمله هو أن تراقب فقط، وعندما يكبرون ويقبلون على الزواج.

نعم، لقد اكتمل نضجها وتزوجت، ثم ترملت بعد عامين، وها هو ذا ولدها قد نما عوده ووصل إلى أول مرحلة الشباب. إنها لم تفكر قط في الاطلاع على رسائله كلا، إنها لن تتهم بذلك الفعل، ولكنها الآن راقدة في فراشها مغمضة العينين، وقد انسابت روحها تخترق ستار النافذة وتتساءل: لماذا لم يحضر؟ وما الذى حدث له؟ وعزمت على أن تسأل عنه في المستشفيات وفي أقسام البوليس إذا لم يعد بعد نصف ساعة... من يدرى؟ فلعله راقد الآن في غيبوبة، أو ملقى في حفرة وقد سلبت منه ساعته اليدوية التي أهدتها له في عيد ميلاده الأخير والخمسة دولارات التي في جيبه، إن الكثير من الحوادث أحياناً ما يقع بين أطيب العائلات! وطاف بفكرها خاطر مزعج، إن على ولدها أن يعبر تلك الشوارع التي يجتازها سائقو السيارات بعرباتهم غير مبالين بنظام المرور في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وودت في تلك اللحظة لو أنها كانت تعيش في الريف بعيداً عن هذه السيارات.

وهبت واقفة وأقبلت على النافذة تتطلع إلى الشارع. يا إلهى ما هذا الضباب المخيم في الخارج؟ كان يتكاثف واستقر في صمت وسكون. وتركت طرف الستارة، ثم زحفت داخل الأغطية في عصبية. وحاولت أن تسيطر على أعصابها، وأغمضت عينيها. ولكن. سرعان ما فتحتهما عند سماعها صوت أقدام تدب خفيفاً على إفريز الشارع. حمداً لله ها هو ذا قد قدم. وترددت الخطوات، ثم سمعت بابا يفتح. لم يكن باب شقتها بل كان باب جارها الكهل. ثم سمعت صوت سيارة الإسعاف فهبت من فراشها بقلب واجف، كانت تسمع رنين جرس السيارة كأنه العويل، وسرعان ما تلاشى الصوت تدريجياً واختفت السيارة.

وأقبلت على النافذة مرة أخرى وتطلعت، وإذا بولدها قادم صوب المنزل، يسير وقد انعكست عليه أنوار الشارع. نعم إنه هو ولا يمكنها أن تخطىء مشيته وحركاته. كانت ساقاه الطويلتان تخطران في خطوات متسمة نحو الدار، وكان يصفر لحناً شائعاً، وكتفاه يتمايلان في حرية وكأنه يقول: «إن هذا هو عالمى... إننى رجل وهذه دنياى». وشعرت بالغضب يعصف بها، ثم بالحزن ينتابها، كانت تود أن تشاركه ذلك الشعور بالحرية، ولكن قلقها عليه حال بينها وبين ذلك. وتبين لها حقه في السير، لا في

هذا الشارع الذى تحفه الأشجار فحسب ، بل فى الأزقة المظلمة والأماكن الأخرى ، بل حتى فى الأركان المظلمة من عقله . إن وجوده معها تحت سقف واحد لا يعطيها الحق فى امتلاكه امتلاكا كاملا . وليس لها حق مشاركته أفكاره إلا إذا اضطرتها الظروف اضطراراً . إن الرجل له حق العيش فى عالمه الخاص . وإذا سمت أفكاره حتى وصلت إلى الأشجار التى يسير تحتها وإذا ما جملته يصفر مسروراً ، إذاً لوجب عليها أن تكون سعيدة من أجله . ومع ذلك ... كان فى استطاعته أن يخبرها تليفونياً .

وعادت إلى فراشها وتنفست فى هدوء عندما أقبل ولدها ، وحياها فى مرح وهو واقف على عتبة غرفتها وقال « لقد ظننتك نائمة إن الساعة الآن حوالى الثانية » . كان يشوب صوته نبرات من الحماس . وتمطت ثم مسحت عينيها وتمتمت قائلة .

— يغلب على ظنى أنى نمت وتركت النور مضاءاً دون أن أطفأه . مساء الخير يا عزيزى . ثم مدت يدها لتطفىء النور . ولكن ولدها تقدم فى الغرفة ووقف أمام فراشها ينظر إليها ، ثم قال — أظنك لم تسمى ما قلته . إنها الآن الساعة الثانية صباحاً .

وتظاهرت بالدهشة ثم قالت — نعم إنها الثانية . حسناً ... ليلة طيبة يا بنى . ونظر إليها مستغرباً ثم قال — ألست عاتبة على ؟ ! فتثاءبت وقالت — ولماذا أعتب عليك ؟

— ولكنى قلت إنى سأعود قبيل منتصف الليل . إنى آسف إذا كنت قد أقلقتك . وأظن أن جدتى قد رفعت عقيرتها حتى السقف . إنه لا فائدة من إخباره الآن أن جدته قد رحلت غاضبة بعد أن يأست من التحدث معها عن « طيشه وتأخره » فقالت — لم أكن قلقة على الأطلاق : — هذا حسن . كان يجب على أن أخاطبك تليفونياً ، ولكن ... ما الأمر ؟ ! هل الضوء قوى ؟ ! وأزلت عينيها عن موضع أحمر الشفاة الملطخ به خده وقالت فى بطء أجل ... إنه الضوء ... وضغطت على أداة إطفاء النور ، وغمر الليل الهادىء الغرفة . إنها لن ترأحمر الشفاه فى ذلك الضوء . كانت تعرف بأنه لو كان عنده ما يقوله لها هذه الليلة فأنها لا ترغب فى أن تفرض عليه القول فرضاً كأنه واجب يتحتم عليه أداءه . إنه ليكون أقل ارتباكا إذا ما اعتقد بأنها لم تلحظ هذه البقعه الحمراء . ولكنها كانت تشعر فى قرارة نفسها أن ما شاهدته لم يكن سوى نصف الحقيقة . وكانت غريزتها تهيب بها أنه يتحتم عليها أن تنتظر حتى يطلعها على النصف الآخر ، أو ... أو يفضى إليها بالأكذوبة التى تخشاها . فقالت : « هل كان هناك فتيات فى هذه الحفلة الليلة ؟ » . انساب ذلك السؤال منها دون أن تتمكن من كتمانه ، وانتظرت فى لهفة الرد عليه ، وخيل إليها أنه أبطأ فى الرد كثيراً عندما قال : « كلا ... كلا » . ولم ينظر إلى عينيها عندما استمر يقول : « لم يكن هناك إلا رفقائى ... ولكن ... يوجد شىء آخر أود أن ... » فقاطعته قائلة وهى تحاول الاحتفاظ بهدوئها : ليس الآن يا عزيزى .. فى الصباح . فتمتم قائلا : حسناً ثم استدار وسار صوب الباب وأقفله وراءه فى هدوء ، وجلست فى فراشها متصلبة الجسم حزينة القلب ، لقد كذب عليها أولى أكاذيبه ، أكانت هى الأولى حقاً ؟ كم عدد الأكاذيب التى سبقت هذه الكذبة ؟ وشعرت برغبة جارفة تدفعها إلى القفز من الفراش لتواجهه بخديعته وتقول له : التفت إلى . ورفض قلبها أن يلفظ شيئاً خلاف هذين اللفظين . التفت إلى ... ثم ماذا ؟ إنها تشعر بأنه لا فائدة من مواجهته ، إنه ليكفى أن تنظر إلى وجهه ، فيحدق إليها بطريقته المحبوبة ، وإذا بشىء ينغلق خلف تلك العينين الرماديتين .

إن خوفها كان أكثر من ألمها ، خوفها من أن تكون أمها على حق ، ربما كان ولدها فى حاجة إلى المزيد من الرقابة . وشعرت برجفة تسرى فى جسدها ، كان يجب عليها أن تواجه كل شىء دون مواربة . وسمعته يتحرك فى الحمام وهو ينظف أسنانه ويخلع حذاءه ، ثم سمعت الماء يجرى على جسده ، ووقع خطواته على الأرض ، ومسح جسمه بالمنشفة ، ثم خرير الماء المتساقط من الصنبور . كان له وقع غريب فى أذنيها كأنه صوت لحن موسيقى واستمر الماء يتساقط . ها هو الآن فى المطبخ يبحث عما يأكله كان يحاول ألا يحدث صوتاً حتى لا يقلق نومها . وانطفأ النور فى المطبخ ولما تزل جالسة فى فراشها ، ثم استمعت إلى وقع خطواته تتلمس طريقها فى الظلام وهو يسير فى البهو وفى غرفة الجلوس ، إن هذه الأصوات العادية كانت كأنها تجمع فى ذاتها سر الحياة ربما كانت غير عادلة نحوه ، يجب أن يكون هناك شرح مقبول لهذا الطلاء الأحمر ، واستمعت مرة أخرى إلى خرير الماء المتساقط وخيل إليها أن نغماته قد اختلفت عن ذى قبل . ومرت بيدها على وجهها ، لقد فشلت فى أداء مهمتها كأم ، إن والدتها على حق ، لو كانت قد تعهدت ابنها كما نصحتها لما كذب عليها الآن ، إنه لم ينو الذهاب بتاتاً إلى تلك الحفلة ، لقد حاول أن



١ – أعلام الشعر الفرنسى
وطرائف من آثارهم

تأليف الأستاذ العوضى الوكيل، والسيدة س. عبد الرازق صبرى

هذا كتاب يحتوى على إهداء وتمهيد وتراجم ومختارات :

فالإهداء – كما كتبه الأستاذ العوضى – « إلى حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه باشا . منذ عامين سميت ابنى الثانى باسمك وكأنه كتاب أرفعه إليك ، وهأنذا أرفع هذا الكتاب إليك وكأنه ابن أسميه باسمك » ولا عجب فالباشا أهل لما أهدى إليه لما يسبغه على الأستاذ من فضله وتقديره ووده أولا ، ولأنه يحسن فهم الكتاب المهدى إليه ثانياً ، فهو أديب مطلع على كثير من الآداب العربية والغربية ، والمؤلف بهذا الإهداء يصطاد عصفورين بحجر واحد . فهو بهديته يعلن بره واعترافه بالجميل لموليه ، ويقدمها لمن يقدرها قدرها .

والتمهيد قصير : يتضمن « تعريفات » موجزة بأسماء النزعات الأدبية الواردة فى كتابه : كالكلاسيكية والرومانتيكية والليريكية والبرناسية والرمزية ، وهذه التعريفات غير منطقية لأنها غير جامعة ولا مانعة ، ولا توضح الفوارق الحاسمة بين نزعة وأخرى من النزعات الأدبية مع أن التوضيح هو المقصود

والتراجم والمختارات هى الجزء الرئيسى فى الكتاب والمترجمون خمسة : أولهم ألفونس دى لمرتين (١٧٩٠ – ١٨٦٩م) صاحب رواية روفائيل التى ترجمها الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات من الفرنسية إلى العربية ترجمته العالية المشهورة ، وقد اختار له المؤلفان قصيدة عنوانها الوحدة (L, isolement) فترجماها شعراً ثم نثراً . وثانيهم فكتور هوجو (١٨٠٢ – ١٨٨٥ م) صاحب رواية البؤساء التى ترجمها الشاعر المصرى المرحوم حافظ بك ابراهيم ترجمته العالية المشهورة أيضاً . وقد اختار له المؤلفان قصيدة عنوانها « الضمير » فترجماها نثراً وشعراً ، وقصيدة عنوانها « واترلو waterloo » فترجماها شعراً وعقبا

يخبرها بشىء الليلة ، ولكنها لم تحتمل الاستماع إليه . وسمعت همساته صادرة وراء الباب تقول : « ألازلت مستيقظة ؟ » فقالت : « ادخل » ربما كان من الأفضل لها أن تعرف كل شىء الليلة ، وأقبل عليها وهو يحمل زجاجة قد امتلأ نصفها باللبن ، وجلس على المقعد الكبير ، ها قد حان وقت الاعتراف ، وجعل يرتشف اللبن ثم قال فجأة : « لقد تركت الحفلة مبكراً . كان ذلك عند الساعة الثامنة ... » . فقاطعته قائلة : يا عزيزى ... يخيل إلى أنى أسمعك وكأنك جالس تؤدى شهادة فى محكمة . كلا . لا أود فقاطعها قائلا وهو ينظر إلى وجهها وقد تدفقت الكلمات من فيه : « الحقيقة أنى خرجت مع فتاة ، ولكنى لم أرغب فى أن أطلع أحداً على ذلك » ونظرت إلى ولدها ، كان فى وجهه البراءة ونضارة الشباب ، إن ألم الوضع لم يكن الألم الوحيد للأم ، إن مهمتها تنحصر فى شيئين : أن تكون أماً وأن تكون أباً . وهاقد حان الوقت الذى يجب أن تؤدى فيه مهمتها على الوجه الأكمل ، والذى يجب أن تدرك فيه دون مرارة بأنه إذا توجهت نظرات ولدها إلى حقيقة الشباب ، فإنها يجب أن تودع صباه . واصطبغ وجهه بحمرة الخجل وهو يقول : « كانت تنتظرنى مع أبويها ، وذهبنا معاً ، وكنت على وشك أن أخاطبك تليفونياً ، إلا أنى لم أستطع الاتصال بك » . ثم وضع الزجاجة على المنضدة ونهض وقبل والدته . وحياها بتحية المساء . وعند ما اقترب من الباب تردد ثم قال أظن أنى ارتكبت غلطة واحدة . لقد قلت لوالدتها « نعم ياسيدى » فابتسمت وقالت « لا تفكر فى ذلك . وعلى فكرة ياحبيبى إذا كانت قد أخلفت الميعاد فما الذى كنت تفعله ؟ » وفكر لحظة ثم قال « لا أعلم . أظن كنت سأقول لنفسى « حظ عاثر » ثم أترك الأمر يقف عند هذا الحد . ألا تعلمين أنها ستقابلنى لأعرفك بها وبوالديها ؟ على أية حال أظن أنى عملت كل شىء على ما يرام ، أليس كذلك ؟ » فابتسمت وقالت فى إخلاص « أجل ، لقد قمت بكل شىء على الوجه المرضى » وذهبت وجلست يغمرها الضوء وهى تبتسم لنفسها . نعم لقد أدى كل شىء على الوجه الأكمل . إنه لم يحدثها عن القبلة . هذا حسن . إنها فخورة به . لقد أصبح رجلا مهذباً . ثم أطفأت النور واستقرت فى فراشها فى رضاء تام . لقد انقطع خرير الماء . وأسفت على ذلك . كان فى الحق صوتاً مبهجاً .

(الأسكندرية) **محمد فهمى عبد الوهاب**

عليها بشروح موجزة لبعض الأعلام الواردة فيها .

وثالثهم الفريد دى فينى Alfread de Vigny (١٧٩٧ ، ١٨٦٣ م) وقد اختارا له قصيدة عنوانها النفير Té Cor فى قرابة ثمانين بيتاً ، ومهداً لها بتصوير القصة التى بعثت عليها كما حدثت والفرق بينها وبين صورتها محرفة فى القصيدة وأتبعاها بتفسير قصير لبعض أعلامها ، وترجما له أيضاً قصيدة عنوانها « موت الذئب » شعراً ونثراً . ورابعهم ألفريد دى موسيه Alfread de Musret (١٨١٠ — ١٨٥٧م) صاحب رواية « اعترافات فتى العصر » التى ترجمها المرحوم فليكس فارس ، وقد اختار المؤلفان للشاعر قصيدة عنوانها « ليلة مايو La Nuit de Mai » فترجماها شعراً فى قرابة تسعين بيتاً ، ثم ترجماها نثراً ، وقدما لها مقدمة قصيرة تصف الحالة التى كان عليها الشاعر حين نظمها .

وخامسهم بول فرلين (١٨٤٤ — ١٨٩٦) وهو أقل الأعلام حظاً من الدراسة والمختار ، فدراسته وقعت فى ثلاث صفحات ونصف صفحة ، ولم يختر له المؤلفان غير قصيدة واحدة عنوانها « الخريف » ترجماها فى ثمانية أبيات .

ومن هـذا العرض نفهم ما فى العنوان من مبالغة ، فإن « أعلام الشعر الفرنسى » ليسوا خمسة فحسب ، والخمسة المترجمون كلهم من شعراء القرن التاسع عشر وحده ، وليسوا مع ذلك كل « أعلام الشعر الفرنسى » فيه . ويلاحظ أن دراسة الأشخاص واضحة جيدة ، وأسلوبها شبيه بالأسلوب الإنسكلوبيدى فهى تعريفات خفيفة تتناول ظواهر الأشخاص ولا تنفذ إلى ماوراءها

كما يلاحظ أن القصائد المختارة سهلة قريبة التناول فى « صورتها العربية » ولا أستطيع الحكم على الترجمة من حيث أداؤها للأصول الفرنسية (وهى ما يعول المؤلفان عليه) إذ لا علم لى بها . ولكنا نستطيع أن تقارن بين الترجمتين الشعرية والنثرية للقصائد التى ترجمها المؤلفان : شعراً ونثراً معاً . والمفهوم لى أن الترجمة النثرية أدنى إلى الأصل ، فإن الناثر أكثر حرية وقدرة على التزام الأصل من الشاعر ، إذ لا تتكاءده عقبات الوزن والقافية التى تتكاءد الشاعر فتضطره فى بعض المراحل أن يحيد عن الطريق قليلا أو كثيراً ويظهر أن الأمر مع المؤلفين كذلك .

وهذا مثال لم أتكلف فى اختياره : فهو صدر القصيدة الأولى لأول الأعلام كما رتبوا فى الكتاب وعنوان القصيدة « الوحدة » للمرتين ، والمثال قد اجتمعت له ثلاث أوليات : والترجمتان للمؤلفين : قالا شعراً :

« أسرح الطرف فى الوادى الذى انبسطت
أمام عينى ووجدانى مرائيه
والشمس تسبح نحو الغرب فى طفل
وقد جلست حزين الفكر عانيه
فى ظل « صفصافة » (1) أمست كهولتها
تذرو الشجون على الوادى وما فيه
أرى هنا غالباً فى وحدة عجب مشرداً وكأن القلب فى تيه »

وقالا نثراً ، والنثر والشعر يتقابلان ، فهما ترجمة لشىء واحد:

غالباً ... على الجبل ... وفى ظلال بلوطة معمرة
أجلس ساهماً حزيناً والشمس فى ساعة الغروب
أسرح الطرف هنـا وهناك فى رحاب الوادى
الذى انبسطت أمام عينى لوحاته المختلفـة »

وهاك ترجمة نثرية أخرى لهذه الفقرة بقلم أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات :

« جلست محزون القلب مستطار اللب على قلة الجبل وتحت ظل السنديانة العتيقة ، أشيع شمس النهار وهى تغرب وأسرح بصرى فى وجوه السهل وهى تتغير: » (2)

٢ — شعراء وأدباء فى جيش الفاروق

تأليف الأديب محمود عيسى الضابط بالجيش المصرى

قرأت هذا الكتاب مغتبطاً فخوراً ؛ فكاتبه ضابط بالجيش المصرى الباسل ، وسكرتير تحرير مجلته ، وقد عرض فى كتابه تراجم تسعة أدباء وشعراء من ضباط جيشنا الأحياء — متعهم الله بالعمر الطويل العريض — وأورد فى تراجم بعضهم نبذاً من آثاره شعراً أو نثراً مع الإشارة إلى أعماله التأليفية . . وهـذا الكتاب آية على اهتمام من ضباطنا بالشعر والأدب إلى جانب عنايتهم بالكتابة فى فنون الحرب ورجالها ومعاركها قديماً وحديثاً ويظهر من فهرس كتب المؤلف المنشور فى آخر كتابه

---

(١) جاء فى الهامش ما نصه : « فى الأصل الفرنسى » « بلوطة » وقد اقترح علينا أن نغيرها هكذا معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه باشا . (ص ١٥) (٢) كان الأستاذ الزيات قد ترجم رواية « رفائيل » للمرتين وذيل ترجمتها المشهورة بترجمة قصيدته « البحيرة » و « الوحدة » أيضاً . وهذا النص الذى أوردناه مقتبس من هذه الترجمة (الطبعة الأولى سنة ٢٦ م ص ٢٥٨) .

هذا أنه غير « حديث عهد » بالتأليف ، فله قبل هـذا الـكتاب عشرة غيره : منها ثلاثة قصصية وسبعة فى قادة الحروب ومعاركها القديمة والحديثة وأدواتها ، ومن هذه العشرة أيضاً سبعة استقل بتأليفها وثلاثة اشترك معه فيها البكباشى عبد الرحمن زكى أحد من ترجم لهم فى هذا الـكتاب .

وإذاً فلا علينا إذا لم نبذل من « المحاباة » فى حساب مؤلف « قديم » كصاحب هذا الـكتاب « كل » ما نلزم أنفسـنا تقديمه منها للمبتدئين والشداة ، ولا علينا أيضاً ألا نعده « ضيفاً » فى جماعة المؤلفين بعد هذه الآثار الـكثيرة مع أنه ليس مؤلفاً محترفاً كالمنقطعين للبحث فى الحياة . هـذا الـكتاب يشتمل على إهداء وتعريف للناشر بالمؤلف وتسعة فصول فى تسـعة ضباط بجيشنا المصرى: فأما الإهداء فإنه « إلى راعى السيف والقلم حضرة صاحب الجلالة الفاروق المعظم » ولا غرابة فهو عنوان ولاء من ضـابط أديب لراعى سيفه وقلمه ، والـكتاب كله فى تعريف « شـعراء وأدباء فى جيش الفاروق » كما كتب فى العنوان .

وأما تعريف الناشر بالمؤلف فصفحة عنوانها « هو » وصف فيها المؤلف « شكلا » وكشفه « كشف نظر » وعرفه فيها بأنه اشتغل بالأدب فى الرابعة عشرة من عمره ، وأنه يقرض الشعر ويكتب القصص ، وأنه فى خلقه « مستقيم » ينأى بنفسه عن إغراء المرأة حتى استأثرت به أخيراً « قديسة » تراه يفنى فى تقديسها فهو تعريف « تقريرى » للقراء أن يفهموا منه ما يفهمون كما يفهمون . وأما المقدمة ففى الصلة بين الجندية والأدب وفيها يقرر المؤلف أن الجندى إنسان عاطف كسائر الناس لا وحش شغوف بالدماء ، وأن القتال بغيض إليه إلا حين يكون أداء الواجب ، وأن الأدب والجندية لا يتنافران ، وفى هذه المقدمة « صرخات فى الهواء » ، إذ يحاول المؤلف فيها تزييف أوهام لا قرار لها فى عقل يحسن قراءة الأدب .

وأما الفصول التسعة ، فقد تحدث فى كل منها بضابط من هؤلاء الضباط التسعة : اللواء عبـــد المنصف محمود باشا ، والبكباشيين عبد الرحمن زكى ، وعبد الحميـد فهمى مرسى ، ومحمد عبد الفتاح ابراهيم ، والصاغين محمود محمد الشاذلى ويوسف السباعى ، واليوزباشيين حسين ذو الفقار صبرى وسيد فرج ، والملازم الأول مصطفى بهجت بدوى ، وهم على هذا الترتيب فى الـكتاب تبعاً لرتبهم العسكرية لا لشىء آخر مما يقدمه على سواه غير « الرسميين » فى التقدير .

ويلاحظ بلا عناء أن المؤلف فى هذه التراجم عامة « كثير السخاء » فيما يسبغه على مترجميه من « فضل ونبوغ » ، وهو — مع هـذا السخاء الـكثير — لا يقدم للقارئ من آثار « إخوانه » ما يبرر « سخاءه الغامر » حتى يكون له من ذلك « بعض الشفاعة » عند من يحبون من القراء « المجاملات المعقولة » فى حدود « العدل » فضلا عن القراء المتزمتين الذين يبخلون بثقتهم حتى تقدم إليهم البراهين الناصعة الـكافية على كل ما يطلب إليهم الثقة به من أحكام .

فالمؤلف فى بعض التراجم يكتفى بالـكلام فى أخلاق المترجم وأطواره فى المعيشة والجندية ، ويسكت عن إيراد شىء من آثاره وهو فى سائر التراجم يورد للمترجم « نماذج » ولـكنها « متواضعة » غالباً ، فإذا حاولنا تلمس السبب لم نجد أمامنا إلا فرضين : فإما أن لهؤلاء المترجين « نماذج عالية » ، ولـكن المؤلف لم يحسن الاختيار ، وإما أنه لم يجد لديهم نماذج خيراً مما ذكر ، ولعل أول الفرضين أصح ولو فى بعض التراجم لا كلها ، ولقد اطلعنا على آثار بعضهم فقرأنا لهم نماذج خيراً مما وجدنا فى هذا الـكتاب ولا سيما اليوزباشى سيد فرج والبكباشى محمد عبد الفتاح إبراهيم

قال المؤلف فى مقدمة فصوله معرفاً بها : « هذه صور سريعة التقطتها عدسة المصور لطائفة من الشعراء والأدباء الذين يحتويهم جيش الفاروق آثرنا أن نعرضها فى هذا « الألبوم » دون « رتوش » ... » . والحق أن فى هذا التعريف كثيراً من الصدق فالتراجم « صور سريعة » ، ولولا ذلك لـكان من الممكن أن تكون الصور أبرز وأثبت ، ولقد طبعت صور منها على « ورق نشاف » ، فجاءت مضطربة الوضع ، حائلة الألوان ، مطموسة المعالم ، وقد استعمل « المصور » فى استكمال بعضها كل مهارته الفنية ، وكل ما لديه من أدوات الزينة لوضع « الرتوش » ، ومن أجل ذلك ، ولحسن ظننا بالمصور القدير لا نزال ننتظر « إعادة » هذه الصور على حقيقتها بلا « رتوش » أو مع « رتوش » خفيفة لا تخفي الحقائق ، فالغرض من التعبيـر التوضيح لا التعمية ، ونطمع فى إضافة « صـور » جديدة توضع جميعاً فى « ألبوم » جديد حتى تكون جديرة لوجه الحق بالتسجيل والحفظ ، ومؤلفنا أو « مصورنا » أولى من يقوم بهـذه المهمة ، وما هى بالمهمة العسيرة على « مصور » مثله طال عهده « بالتصوير » ، والله يوفقه إلى خدمة مليكه وإخوانه وبنى وطنه .

(القاهرة) محمد خليفة التونسى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٣ — الاثنين ١٣ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

جامعة فاروق الأول

كلية الزراعة — إعلان

تعلن كلية الزراعة بجامعة فاروق الأول عن وظائف معيدين خالية بأقسامها المختلفة من الدرجة السادسة الفنية ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظائف أن يكون حاصلاً على بكالوريوس كلية الزراعة وأن يقدم مع طلبه كشفاً رسمياً بمراتب نجاحه فى الامتحانات المختلفة .

وعلى الموظفين بالمصالح المختلفة أن يقدموا طلباتهم عن طريق هذه المصالح ولن يلتفت إلى الطلبات التى تقدم مباشرة من الأشخاص .

وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الزراعة « بريد كامب سيزار » فى ميعاد لا يتجاوز ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ . ولن يلتفت إلى الطلبات السابقة لهذا الإعلان وكذلك الطلبات التى تقدم بعد هذا التاريخ .

١٤٧

اطلب الكتب الآتية

من إدارة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

---

١ ـ وحى الرسالة

فى مجلدين

ثمن كل مجلد ٤٠ قرش

---

٢ ـ دفاع عن البلاغة

ثمنه ١٥ قرش

٣ ـ آلام فرتر

ثمنه ٤٠ قرش

16 em Année No. 793

Lundi — 13 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٩٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مالِيَ لا أكتب ؟

يعتب عليَّ صديق العباس أنني لا أكتب في هــذه الأيام للرسالة ، ويحتج لعتابه بأن دواعي الـكتابة في ريف المنصورة ، أو في ظلال (الـكافورة) ، أقوى من أن ينهض لها عذر من اعتلال أو اشتغال أو إراحة . وواقع الأمر أني لم أكن كاليوم أرهفَ شعوراً بالجمال ، ولا أبلغ تأثراً بالطبيعة ، ولا أشد انطواء على النفس ؛ ولـكن أكثر ما يتمثل في الخيـال ، أويخطر على البـال ، سوانح هي بالشعر أشبَه وإلى الغناء أقرب ؛ فإذا همَّ باقتناصها القلم اندلعت من جوانب النفس زفرات وقودها الصهيونيون واللاجئون والحرب والهـدنة وترومان وستالين وبرنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم ، فأنصرف عن الغناء إلى الرثاء ، وأنتقـل من الضحك إلى البكاء . وأهمّ بتلحين الألم وتوقيع الأنين ، فتنبعث من نواحي العقل أصوات تستنكر وتستنفر وتقول : لقد خطبنا حتى جف الريق ، و كتبنا حتى نفد المداد ، وبكينا حتى نضب الدم ، فما الذي أغنى عنا كل أولئك ؟ ألا يزال أرانب اليهـود مغرورين يتبجحون بالدولة والجيش ؟ ألا يزال عرب فلسطين مشردين يكابدون ذل الاغتراب وشظف العيش ؟ ألا يزال ترومان الأخرق يجرى على سـياسة الهوى والطيش ؟ ألا يزال برنادوت الغر يستر عجزه بالمداهنة والغيش ؟ فأصيخ إلى صوت العقل وأقول : بلى ، كل أولئك لا يزال ، وأُعْني على الله رب العالمين وناصر العرب والمسلمين ، أن يستحيل اللسان في فمي حساماً يضرب ، واليراع في يدي سناناً يطعن ، والغضب في نفسي عاصفة تدمر ، والضعف في جسدي قوة تُبيد . فأنا الآن مترجح بين طرفين كلما ملت إلى أحدهما جذبني إليه الآخر أنظر بعيني إلى مفاتن الطبيعة في ضفاف النهر وحواشي الحقول ومماشي الرياض فأبتهج ، ثم أنظر بقلبي إلى مخازي الناس في صور النذالة والجور والبؤس بفلسطين فأكتئب ، ثم يصيبني العي والخرس لأن ابتهاجي عابر لا يحـدث غير الافترار ، ولأن اكتئابي عاجز لا يبعث غير الدمع .

وإذا حصلت من السلاح على البكا   فحشاك رُعت به وخدك تقرع

إن نـكبة فلسطين ومحنة العرب قد غطَّتا على كل حاسـة وغلبتا على كل عاطفة ؛ فالفكر فيهما والحديث عنهما ملء القلوب وشغل الألسن ؛ ولـكن الـكلام هواء ، والبكاء ضعف ، والمنى أباطيل ، والمهادنة غش ، والمفاوضة عجز ؛ فلم يبق إلا أن نسكت لنعمل ، وندبر لننفذ ، ونتقوى لنسود ، ونتسلح لننجح ، ونقتل لنحيا ، ونظلم لنُحترم !

لوكان في الدنيا حق لما كان لفلسطين قضية ، ولو كان في الناس عدل لما اصطلحت على ظلمنا الشيوعية والرأسمالية ، ولوكان في الأمر اختيار لما تركت سيوفنا من بني يهوذا بقية ! ألاَ إن أفدح الخطوب أن يخاصم الأسود القرود ، وإن أقبح الحروب أن يقاتل العرب اليهود !

فلو أني بُليت بهــــاشمي   خؤولته بنو عبد المدان
لهان عليّ ما ألقى ولـكن   تعالوا فانظروا بمن ابتـلاني

(المنصورة)   احمد حسن الزيات

لمحة من سيكولوجية الطفل

للدكتور فضل أبو بكر

غاية كل كائن حى مما يبديه من مجهود وما يبذله من حركة إنما ترمى إلى هـدف واحد هو الحصول على شىء من التوازن ؛ لملاءمته للبيئة التى تكتنفه والوسط الذى يعيش فيه وهو شرط أساسى لبقائه وحفظ نوعه ، وكلما كان الكائن معقد التركيب دقيق الصنع كانت بيئته معقدة صعبة وكان مجهوده أكبر وعناؤه أشد لملاءمة تلك البيئة .

والبيئة فيما يتعلق بالإنسان الذى نحن بصدد دراسـة جانب من سيكولوجية طفله — تنقسم إلى قسمين هما :

١ — البيئة الطبيعية « Cosmique » .

٢ — البيئة الاجتماعية « Social » .

فالأولى تشمل الأرض التى يعيش فوق أديمها من خصبها وجدبها ومن نجدها وغورها ومن ماء عذب وأجاج ومن طقس رطب وجاف ، ومناخ حار ومعتدل وبارد إلى غير ذلك من المحيط الطبيعى . والثانية أى الاجتماعية هى اصطناعية عرفية من خلق الإنسان نفسه ؛ لهذا تختلف باختلاف الأمم والأجناس والعادات والبقاع ، وتخضع لمجموعة من القوانين السماوية والوضعية تلزم الإنسان بما عليه من واجبات نحو غيره وبما له من حقوق لدى المجتمع ، وهى بيئة أكثر تعقيداً من الأولى لأنها كما سبق ذكره من عمل الإنسان وهو عمل ناقص إذا قورن بعمـل الطبيعة ؛ ومن هنا كانت مضطربة دائمة التحول والتبدل تنشـد الكمال بقدر المستطاع .

فالإنسـان يؤثر فى محيطه بنوعيه من طبيعى واجتماعى ، ويحاول إخضاعه لحد ما ليكون ملائماً له وهو ما يحدث بظاهرة الإخضاع « والتمثيل » « Assimilation » كما أن بيئته نفسها تحاول أن تؤثر فيه وتخضعه؛ لحد ما ليكون ملائما لها وهو ما يحدث بظاهرة الخضوع والتكييف « Accomodation » وهو تحوير وتبديل جسمانى ونفسانى لذلك الغرض .

فهو لهـذا فى كر وفر مع بيئته يخضعها ويخضع لها حتى تناسبه ويناسبها ، ولـكن المناسـبة المنشودة لا يمكن أن تتم وتكتمل وإنما هى نسبية وغير مستقرة ، ومن هنا كانت حركته الدائمة وتغيره المستمر ، وهما أبرز مميزات الحياة ، وما نمو الطفل وتغيره الجسمى والعقلى إلا سعياً وراء ملاءمة البيئة .

يعلم مما تقدم أن ظاهرتى التمثيل والتكييف ، أو بعبارة أخرى الإخضاع والخضوع ، تحدثان فى آن واحد ولـكن بنسبة غيرمتساوية ، أى أن أثر إحداهما قد يكون أقوى من أثر الأخرى؛ « فدارون » « Darwin » مثلا يؤمن بأن إخضـاع الـكائن الحى لبيئته هو أقوى من خضوعه لها ، وعلى ضوء هذا الاعتقاد يشرح لنا نظرية التطور والتنافى الحيوى من أجل البقاء والخلود ، وأن طائفة من علماء الطبيعة تؤيد « دارون » وتحذو حذوه .

وهنالك فريق آخر من العلماء يخالفون « دارون » ويعتقدون عـكس ما يعتقد وعلى رأسهم العـالم « لامارك » « Lamarck » وفى نظرهم أن البيئـة هى التى تخضع الـكائن أكثر مما تخضع له ، وأن على الـكائن أن يبدل من ذاته ، ويغير مما بنفسه حتى يكون أكثر ملاءمة لها .

كذلك الفلاسـفة من علماء الاجتماع والأخلاق ينقسمون إلى قسمين بالنسبة للبيئة الاجتماعية :

فالفريق الأول ورائده الفيلسوف « نيتشه » «Nieteschz» يرى ما يراه « دارون » فى البيئة الطبيعيـة ، وهى فلسفة القوة والبطش وأن « الرجل المثالى » فى نظره الذى يستحق شرف هـذا اللقب هو الذى يخضع العالم ويبطش بالرجال حتى يدينوا له وينقادوا إليه ، وأن المسالمة والتسامح والعطف والعفو ما هى إلا صفات العاجز الضعيف وهى تباعد ما بين من يتصف بهـا عن المجد والسلطان على حد قول أبى الطيب :

ولا تحسبن المجـد زقاً وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى ... لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دوياً كأنما ... تداول سمع المرء أنمـله العشر

والفريق الثانى وزعيمه « أبيقور » Epicure ومدرسته ينادى بعكس ما ينادى به نيتشه وهى فلسفة الخضوع والمداراة والمصانعة ، فلسفة « الدهريين » ، و« الرجل العاقل » فى نظره هو الذى يخضع

لبيئته ويتماشى مع دهره على حد قول من قال :

ودر مع الدهر وانظر في عواقبه ... حذار أن تبتلى عيناك بالرمد
والبس لكل زمان بردة حضرت ... حتى تحاك لك الأخرى من البرد

هذه مقدمة موجزة لابد منها لتفهم بعض مظاهر سيكولوجية الطفل لأن نموه وتطوره ما هما إلا نوع من ضرورة ملاءمة البيئة ، وهذا النمو نفسه هو تغيير مستمر في الشكل « مورفولوجي » ووظيفي « فسيولوجي » ونفساني « سيكولوجي » ، فالحاجة أو الوظيفة تخلق العضو وتكيفه بشكل خاص « Le besoin crée L, organe » وكذلك العضو يخلق الحاجة أو الوظيفة ويطبعها بطابعه « L, organe crée le besoin » .

نرى مما تقدم أن « المورفولوجي » مرتبط « بالفسيولوجي » كما أن الأخير مرهون « بالسيكولوجي » ومن هنا يحق لنا القول بأن البيئة و « المورفولوجي » و « الفسيولوجي » و « السيكولوجي » هي وحدة — كوحدة وادي النيل — لا تقبل التجزئة ، ونسيج واحد متناسق متجانس لحمة وسدى .

نمو الطفل :

هنالك ظاهرة تسترعي الانتباه وتلفت النظر فيما يتعلق بنمو الطفل ، أو بعبارة أخرى ملاءمته لبيئته ، وتلك الظاهرة هي طول المدة اللازمة لذلك ولاسيما إذا قارناها بمتوسط عمر الإنسان (نحو خمسين عاماً في الغرب وأربعين عاماً في الشرق) فهو يستغرق أكثر من ثلث متوسط عمره كرجل ليبلغ القمة من نموه الجسمي وهي سن العشرين أو الواحد والعشرين ، ومن هنا يمكن أن نستخلص قانوناً عاماً يمكن تطبيقه على الإنسان والحيوان ، وفحواه أنه كلما كان الحيوان دقيق الصنع معقد التركيب كانت المدة اللازمة لنموه طويلة بالنسبة لمتوسط عمره .

ويمكننا أن نعتبر بأن الطفل يمر بأربعة أطوار :

١ — الطور الأول منذ وقت ظهوره إلى عالم الوجود إلى الثانية من عمره .

٢ — الطور الثاني منذ أول العام الثالث إلى السابعة من عمره

٣ — الطور الثالث من أوائل العام الثامن إلى آخر الحادي عشر .

٤ — والرابع منذ آخر الحادي عشر إلى آخر الثامن عشر .

الطور الأول :

يبلغ متوسط وزن الطفل عند الولادة نحو ثلاثة كيلوجرامات وهذا الوزن يبلغ ثلاثة أضعافه بعد نهاية العام الأول ، وأربعة أضعافه لما يكمل الطفل عامين من عمره ، ومن هنا نرى أن هذا الدور من عمر الطفل يمتاز بسرعة النمو ولاسيما من حيث الثقل ، ويأتي بعده الطور الرابع فيما يتعلق بسرعة النمو وخصوصاً من ناحية طول القامة ، أما الثاني والثالث فهما أقل أهمية من سابقيهما إذ يبطؤ فيهما النمو نسبياً .

طور المراهقة :

يبدأ لدى الطفل في نحو العام الثاني عشر ويستمر إلى السابع أو الثامن عشر من عمره ، ولدى الطفلة من الحادي عشر إلى السادس عشر ، ولكن هذه الحدود والمقاييس نسبية تختلف اختلافاً كبيراً بالنسبة للأجناس والأماكن ، وهي عندنا في الشرق أكثر بكوراً منها في الغرب . يسرع النمو في ابتداء المراهقة من حيث القامة والأطراف وخاصة السفلى منها ، وفي هذا الطور يضعف الطفل ويعتريه شيء من الهزال والكلال كما تقل مناعته وتختل توازن الجسم ، ومن هنا كان هذا الطور أخطر الأطوار إذ هو دور انقلاب جسماني وعقلي ونفساني مما يحتم على الوالدين والمربين ملاحظة الطفل والعناية به من حيث الغذاء والرياضة البدنية والنفسانية !

تظهر على الطفل عوارض وسمات الجنس تدريجياً — من رجولة أو أنوثة ويبدأ التناسق في أعضاء الجسم كما تبطؤ حركة النمو الجسمي من السابع عشر أو الثامن عشر إلى العشرين أو الواحد والعشرين على وجه التقريب وهو الحد الأعلى للنمو الجسمي .

تمركز اهتمام الطفل حول ذاته : « Egocentrisme »

هو بدء الحياة العاطفية والعقلية لدى الطفل وهو شعور غريزي وغير واع لا يميز الطفل في بدايته بين ذاته وبين ما يحيط به بل يخلط بينهما خلطاً . بيد أن هذا الخلط نفسه آت من ارتباط الطفل ببيئته وتكوينه وحدة معها ، كما أن هذا الشعور نفسه يقع تحت بند ظاهرة الإخضاع « Assimilation »

والحيازة إذ الطفل يحاول أن يجتذب كل شىء ويمتلكه وليس فى ذلك من شذوذ ، ولكنها تخضع لقانون حيوى ، ثم يتطور ذلك الشعور ونقصد به تمركز اهتمام الطفل حول ذاته ويبدأ بالتفريق ما بين ذاته وغيرها مما يحيط بها ، كما تبدو عنده الظاهرة الثانية ونعنى بها الخضوع و « التكييف » أل « Accomodation » وعند ظهورها فقط يمكن أن نقول بأن الطفل بدأ يلائم بيئته ملاءمة حقيقية .

تطور عقلية الطفل :

يقول « بياجيه » « Piaget » فى كتابه « الحكم والاستنباط لدى الأطفال » وكتابه « فهم الطفل للعالم » وكتابه « بدء الحياة العقلية عند الأطفال » بأن أهم ما يميز عقلية الطفل ثلاثة خواص هى : « الواقعية » « Réalisme » و « الحيوية » « Animisme » و « الاصطناعية » « Artificialisme » .

فالواقعية لدى الأطفال ليست بواقعية الكبار ، بل تختلف عنها اختلافاً كبيراً ، فهى نظرة مغرضة متحيزة لما يحيط بهم من أشياء ، وكل ما يقع تحت حواسهم — وما يكون منها خاصاً لتلك الحواس فقط — ينظرون إليه بلغة عواطفهم وبما يشتهونه أن يكون ، كأنما كل شىء خلق لهم ومن أجلهم ، وبعبارة أخرى لا يفرقون بين ما لهم وما لغيرهم .

والحيوية استعملها لأول مرة بعض علماء « الانتروبولوجى » أى علم الإنسان ، إذ وصفوا بها عقلية بعض الشعوب الفطرية التى لم تتطور عقليتها بعد ، بل وقفت عند هذا الحد الصبيانى ؛ والذين يعبدون الجماد من أصنام وتماثيل أو الشمس والقمر ، ويعتبرونها كائنات حية ذات حول وقوة .

كذلك الطفل فى أول طفولته ينظر إلى بعض الأجسام من جماد كأنها كائنات حية ذات إرادة ، فالقمر ينظر إليه ويتبعه ، والسيارة تنقله من مكان لآخر لأنها منقادة مطواعة تقدم له خدمات عن وعى وإرادة . وقد يصطدم رأسه بالحائط فيتألم من ذلك وتثور ثورته فينهال على الحائط ضرباً عقاباً له على ما اقترف من ذنب ، كما يغضب لأن لعبة من لعبه لم تطاوعه ولم تسر على هواه فينهال عليها ضرباً ويوقع بها العقاب ، وربما حطمها وهو يعتبرها كائنات حية ذات إرادة .

كذلك المعنويات لدى الأطفال ما هى إلا كائنات حية ، فقد يتخيل الله كرجل وقور ذى لحية بيضاء وسيما جسيما ، وليس فيما نذكر من غرابة أو شذوذ إذا علمنا بأن الإنسان الأول مر على هذا الطور ، ومازالت بعض الشعوب البدائية تقف عنده فى تطورها العقلى . فقدماء الإغريق والمصريين كما ورد فى الألياذة وما ارتسم على الجدران وأوراق البردى من نقوش ، كانوا يتصورون الآلهة فى صورة بشرية مجسدة حية لها خواص البشر إلا أنها تختلف عنهم فى بعض الأوجه كالسيطرة والسلطان المطلق لتصريف أمور الكون وتنعم بنعمة الخلود والحياة السرمدية !

أما الاصطناعية فهى تتلخص فى اعتقاد الطفل أن كل ما يحيط به ويقع تحت حواسه ما هو إلا اصطناعى من خلق الإنسان ولاسيما والديه وهو شعور منشؤه الحياة الأتكالية وتمركز اهتمام الطفل حول ذاته . فالشمس صنعت لإنارته ودفئه ، والبقرة صنعت لكى تدر عليه اللبن كما لو كان لسان حاله يقول « من بمدى الطرفان » .

العواطف عند الطفل :

هى وليدة الحاجة تتكون من مجموعة انفعالات عمياء غير واعية ، ومن هنا كان الاضطراب الذى يسودها ، كما أنها تنمو مع الطفل وتتهذب وتصقل ويتوجه كل منها فى اتجاه معلوم ، كما تلتقى الانفعالات المتشابهة المتجانسة فى « بؤرة » واحدة ، وفى هذه الحالة فقط يصح لنا تسميتها « بالعواطف » ، وهذه العواطف الطفلية ترمى إلى غرضين مختلفين : أولهما عامل النمو والتطور وتتحكم فيه الأنانية والاستيلاء على كل شىء ، وعدم الاعتراف بما يخرج عن محيط « الذات » كما يمتاز بالخلط ما بين وغيرها مما يحيط بها . والثانى هو عامل ملاءمة البيئة ملاءمة حقيقية لنميزه عن العامل الأول حيث الملاءمة لا تكون إلا جزئية ، ومن ناحية واحدة هى ناحيه الحوز أو الإخضاع أو التمثيل ، وفى هذا الطور يحدث عند الطفل ما يشبه التضحية وإنكار الذات لحد ما ، إذ يبدأ التفريق ما بين ذاته وغيرها ، ويعترف بوجود ما حوله . ويسمى الاجتماعيون الطور الأول بطور الحيوانية «Animalité» والثانى بطور الإنسانية « Humanité » .

عاطفة الأنانية :

هي أثر من آثار تمركز الاهتمام حول الذات « Egocentrisme » لأن هذا الاهتمام لم يتطور أو يتبدل إلا جزئياً وهى عاطفة غريزية وضرورة « بيولوجية » لازمة لنمو الطفل وحفظ النوع، كما أن آثارها تبقى حتى عند الكبار، تتفاوت فى الدرجات ولكنها لا تزول نهائياً حتى فى نفوس أكثر الناس تضحية وإنكاراً للذات ، وما هذا الإنكار إلا نسبي ، وأن المبالغة فى إظهاره وتجسيمه ما هو إلا نوع من حب الظهور تمليه عاطفة دفينة هى الأنانية نفسها التى نحاول أن نخفيها ونظهر عكسها والمضاد لها من الصفات . ويزعم الكاتب الاجتماعى « دانتك » « Dantec » بأن الأنانية هى الترياق الشافى لذلك السم الاجتماعى ونقصد به التطفل والحياة الأتكالية التى تعتمد على الغير ، وقد ذهب هذا الكاتب إلى أبعد من ذلك فى زعمه ، وألف كتاباً فى هذا الصدد عنوانه « الأنانية هى الأساس المتين الذى يجب أن تقوم عليه الهيئة الاجتماعية » .

والأنانية تتطور عند الطفل وتأخذ صورة اجتماعية معينة هى بدء الشعور بعزة النفس والكرامة ؛ يشعر الطفل فى هذه الفترة بحاجة ملحة إلى الإطراء والثناء من جانب الغير ، فتراه تواقاً لعرض ما يمتلك من أدوات اللعب وما يرتدى من ثياب فى شيء من الزهو والمباهاة ، ثم يقوم أمامك بما يحسن وما لا يحسن من ألعاب ، أو يلقى على مسمعك ما وسع اجتهاده وما وعت ذاكرته الضعيفة من دروس أو أغانى ، وهو فى كل ذلك حريص كل الحرص على أن ينال منك أكبر قسط من الثناء والتهانى ، كما يسيئه أن تمتدح أمامه طفلا آخر فيشعر بشيء من الغبن ويتألم لجرح كبريائه .

هذا والشعور بالكرامة نفسه يتطور إلى غيره من الصفات ، فهو إذا صادف تشجيعاً من الغير وسلم من عوادى التجريح سما إلى شيء من الاعتماد على النفس والشجاعة والكبرياء ، وهى صفات مصدرها الشعور بالقوة ؛ أما إذا حال حائل دون نموه الطبيعى بمعنى أن أصيب بالكبت والقهر من جانب القساة من الوالدين أو وجه توجيهاً خاطئاً بواسطة الجهلاء من المربين ، فإن هذا الشعور ينحرف ويشذ ويصبح الطفل خجولا أو جباناً كما تولد فى نفسه عاطفة الحسد والحقد على الغير وهى صفات منحدرة من الضعف وعدم الاعتداد بالنفس .

ظهور الشخصية واكتمالها عند الطفل :

يبدو هذا الطور عند الطفل فى نحو الثالث من عمره كشخصية قائمة بنفسها ويمر الطفل أثناءه بطورين متضادين :

الطور الأول سلبي : يكون فيه الطفل عصياً شديد العناد يعمل فى معظم الأحيان بعكس ما يلقى عليه من تعليمات على حد المثل « خالف تعرف » ويجد فى ذلك لذة نفسية تنتج عن شعوره بشخصية مستقلة عن الغير تعمل حسب ما يوافق هواها ، كما يبدأ التفريق بين ما له وما لغيره وهو شديد الضن والحرص على ما يمتلكه إذ تلك الممتلكات خاصة بشخصه يرى فيها مكملا لتلك الشخصية ومساعداً لبروزها .

والطور الثانى إيجابى : يحاول الطفل فيه جلب إنظار الغير بشتى الطرق ، ثم يبدأ بتقليد الغير لا من الصغار أو من هم فى مثل سنه ولكن بالكبار من مختلف الأوساط والهيئات تشبهاً بهم .

ثم يستجد فى حياة الطفل حادث له أهمية كبيرة من حيث الشخصية ، وذلك حين يبلغ السادسة من عمره وهى السن التى يغادر فيها « مدرسة الأم » المنزلية ويختلف بغيره من الأطفال فى المدارس الأولية ، إذ تضطره قوانينها للخضوع كما يشعر بشيء من تلاشى الشخصية وضعفها لحد ما ، ويقل تفكيره فى « الأنا » وتطغى ظاهرة الخضوع والمطاوعة « Accomodatiou » على ظاهرة الإخضاع « Assimilation » ويستمر الحال كذلك إلى أن يبلغ العاشرة من عمره ، وهى السن التى يحصل فيها على شيء من التوازن .

بيد أن هذا التوازن لا يدوم طويلا إذ يختل ويضطرب فى طور المراهقة الذى يبدأ فى نحو العام الثانى عشر إذ تتغلب ظاهرة الإخضاع مرة أخرى ويشعر المراهق بحاجة شديدة لإثبات شخصيته وفرضها على الغير مثل ما يحدث عنده وهو فى الثالثة من عمره ولكن بصورة أوضح ، وكذلك يمر على طورين :

الطور الأول سلبي : وهو طور العصيان والتمرد ، ولكنه تمرد أكثره على المعنويات منه على الناس والأشياء ينتقد فيه آراء غيره ويتوق إلى الهدم ويخالف العرف كما يجنح إلى « المثالية »

٢ — الاتجاهات الحديثة وظهور الإسلام:

القـــانون والمجتمع (*)

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

من وجهة النظر الدينية الحديثة للمعارضين فى أضيق معانيها، نتجه نحو الغايات الاجتماعية للنهضة الإسلامية . لما كانت التقاليد والأوضاع الاجتماعية والقانون — فى الأصل — مظاهر للنظام الدينى فى الإسلام ، فإن كل هذه المسائل ترتبط بالفقه الدينى إلى حد أكبر مما هى عليه فى حضارتنا الغربية . وعلى ذلك فأحدث التيارات الفكرية حول هذه المسائل ، تفيض فى جدولين مختلفين يمكن تمييزهما — ولو نظريا على الأقل — : جدول الإصلاح ، وجدول المعارضة . بيد أنه من الناحية العملية ، يصعب أحياناً أن نقرر ما إذا كان مايتراءى لنا معارضاً ، ليس حقاً مجهود خداع تجاه الإصلاح؛ وفكرة للدفاع عما يؤكده الكاتب من أنه رأى الإسلام الأصلى فى الشئون الاجتماعية .

وكثيراً ما يوصف الإسلام بأنه دين عام شامل ؛ ولكن جميع الأفكار الدينية التى شكلت النظرة الخيالية والعقلية فى ذهن الإنسان ، وقررت الأعمال الإرادية الإنسانية ، تميل إلى أن تكون شاملة . فهى يجب أن تعمل على أن تسير قواعدها على مختلف نواحى النشاط الاجتماعى ، لكى تسيطر على الحكومة . وعلى هذا الأساس فالدين اليهودى عام ، وكذلك المسيحية . ولئن نسينا ذلك فإنما نفعل لأن المسيحية منذ فجر حياتها ، كانت مضطرة إلى قبول السلطة والقانون الرومانى ؛ ولأنها — عند ما كان يظهر أنها على قاب قوسين أو أدنى من النصر ، فى كفاحها المرير مع نظام الإقطاع فى العصور الوسطى — كان عليها أن تتحمل صدمات عدوين جديدين هما : الإنسانية والعلم . والعلم نفسه آخذ فى الاقتراب من الانقلاب إلى فكرة التعميم ، بعد أن حطم معارضة الدين ، وذلك باتحاده مع الإنسانية وارتباطه بالتحرر الاقتصادى . وإذا حكمنا بطلائعها فى ألمانيا والروسيا ، فإن التعميم العلمى يعمل على إيقاع العالم فى مأزق ضيق ، شديد وصعب ، بعيداً عن كل شىء ، إلا ما جربه الجنس البشرى .

وبالمقارنة نجد أن التعميم (الشمول) فى العقيدة الدينية طريق سهل واضح . فمهما تكن عليه السلطات الدينية من غفلة ، فإنها على الأقل تعرف قيمة الفرد وشخصيته ، فتكفل له قدراً معقولا من الحرية . وفى الإسلام كان لهذه الحرية حد بعيد ، يزيد بعداً بفقد التنظيم ، وغياب القيادة ، ولكنها — كما فى كل النظم العامة — تحاول أن تتحكم أو تمنع انتقال « الأفكار الخطرة » وانتشارها .

وإنه لجدير بنا أن ننظر نظرة فاحصة فى أثر مبدأ « الأفكار الخطرة » خطرة على من ؟ على مستقبل الفرد ؟ وإذا رأى الإنسان — بعد كل شىء — أن يخاطر فيما يجلب له العقوبة الأبدية فى جهنم ، فإن هذا هو شأنه الخاص . أم خطرة على تنقية المعتقدات

(*) انظر ما نشرناه فى العدد ٧٩٠ من الرسالة الغراء (المترجم)

كذلك تكثر عنده أحلام « اليقظة » .

والطور الثانى إيجابى : يعتنى فيه المراهق بهندامه كما يكون شديد الغرور بمحاسنه الجسدية أو المعنوية والرغبة فى إظهارها للغير كلما وجد إلى ذلك سبيلا .

اكتمال الشخصية :

لا يمكن للشخصية أن تكتمل إلا إذا تم التوازن فى شكل متآزر متناسق بين ما ذكرنا من مظاهرات وانفعالات وصفات ، ومن خطل الرأى أن نعتمد على الطبيعة كل الاعتماد لتهب لنا ذلك التوازن المنشود ، بل يجب علينا أن نعينها على أداء وظيفتها بكل ما فى وسعنا وهى المسئولية الجسيمة التى تقع على عاتق الوالدين والمربين والمرشدين ، فيجب عليهم — والحالة هذه — أن يكونوا أهلا للقيام بها على أحسن وجه .

وليس المجال هنا يتسع لسرد ما يجب اتباعه حتى ينشأ الطفل متزن الشخصية كاملها وبارزها ، وقد عالج ذلك علماء التربية الحديثة والاجتماعيون بمقدرة تامة وليدة التجارب والعقل الذكى .

هذه نبذة مختصرة ولمحة خاطفة من سيكولوجية الطفل وبده سوف يعقبه عود قريب والعود أحمد .

(باريس) **فضل أبو بكر**

بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

وخلاص المجتمع الذى قد يكون فى خطر السوء ؟ ربما ؛ ولكن هذا إجماع ضئيل فى مجتمع ينظر إلى « الاجماع » كما ينظر إلى التنظيم الطبيعى . ولكن الاختلاف فى المعتقدات قد يؤدى إلى الانقسام والقتال ، وهذا هو بيت القصيد . ولقد جرى العرف على أن المجتمع لا يمكن أن يكون ثابتاً غير مزعزع ، إلا إذا كانت الأخلاق شائعة فيه ؛ تنشرها عقيدة دينية صارمة ، ولن تصبح الأخلاق ثابتة راسخة إلا إذا كانت العقيدة الدينية فى حرز حريز من المؤثرات المادية للايمان وخالصة منها ، إذن فليست صيانة الأخلاق بأكثر أهمية من تثبيت المجتمع فحسب ، بل إنها الحالة الوحيدة التى يستطيع أن يتقدم فى ظلها المجتمع نحو الطريق المستقيم ؛ مثلا نحو مرتبة عالية من التكامل الاجتماعى ، وحياة أكثر ملاءمة للفرد .

أى أن نوع المجتمع — الذى تشيده الجماعة انفسها — يعتمد أساساً على معتقداته ، مثل طبيعة الكون وغايته ، ومكانة النفس الإنسانية فيه . وهذا اعتقاد طبيعى يتكرر فى الكنيسة أسبوعاً بعد أسبوع . ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذى رمى على الدوام إلى تشييد مجتمع على هذا المبدأ ، وكانت العدة الأساسية لهذا الغرض هي القانون . و« علم القانون » — على حد تعبير أحد المفسرين المسلمين المشهورين — « هو معرفة الحقوق والواجبات التى تمكن الإنسان من أن يبصر الأحوال الصحيحة فى هذه الحياة ، وأن يعد نفسه للعالم الآخر . »

وبعكس الحال فى القانون الذى ورثه العالم المسيحى عن روما، نجد القانون الإسلامى يرعى العلاقات بجميع أنواعها ، مع الله ومع البشر . ويشتمل على أمور كثيرة ، مثل تأدية الواجبات الدينية ومنح الصدقات (أداء الزكاة) ، وكذلك النظم المنزلية والمدنية والاقتصادية والسياسية . وهو بجوهره وطبيعته وغرضه متعلق تماماً بالمثل الدينية . والواقع أن الأحكام الخلقية تعنى بالحقائق الظاهرية لفعل وقع أقل من عنايتها بالعواطف والغايات . وأن أى قانون وضعى ينبغى بوجه عام أن يهتم بالحقائق الخارجية . ولكن الروح والقواعد النهائية واحدة فى كل ، فكلاهما يرفض الجدل الذى يرى صحة أفعال بعينها بسبب نتائجها الاجتماعيـة ، حتى ولو كانت نتائج مرغوباً فيهـا . وقد تبع ذلك أن القانون الإسلامى لم يكن معتبراً — مثل القانون الرومانى والحديث — أنه الخلاصة التدريجية لتجارب النـاس التاريخية . وإن أولى مظاهره هى ترتيب الأعمـال فى مستويات مطلقة للخير والشر، وما تثبيت العقوبات لأحكام المستوى سوى مسألة ثانوية .

إن المستوى الصحيح للخير والشر ليس بالشيء الذى يمكن أن يتحكم فيه عقلياً . ولقد رأينا فى الفصل الأول (١) ، كيف أن العقلية الإسـلامية رفضت كل تلك النظريات العامة التى تخرج منها بمستويات مطلقة . وكانت الوسيلة الوحيدة التى يمكن معرفتها بها هى العلانية ؛ إذ أن الله وحده هو الذى يعلم ما هو خير أو شر مطلق . ولذلك كان النظام القانونى فى الإسلام يبدأ مع القرآن ، ويتطور جنباً إلى جنب — وبنفس الطريقة — مع التنظيم النظرى . إن الأمثلة الموجودة فى القرآن أو التى استخرجت منه ، قد اكتملت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم السائدة ، وأتمها الإجماع الثابت للمجتمع . وإن المذاهب الأربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، مذاهب قانونية ، أكثر منها دينية . ثم إن الجماعات التى تعنى بالنظريات ، قد شيدت نظمها على خطوط متشابهة .

ولسنا هنا فى حاجة إلى أن نتعمق كثيراً فى مبادىء هذه النظم القانونية وأساليبها ، فإن أهم ما يعنينا ، هو أن نحيط علماً بقيمة التأثير المتبادل بين القانون الإسلامى والمجتمع الإسلامى . فكل تنظيم يفترض — بادىء بدء — أن هؤلاء الأشخاص الذين يعمل لخدمتهم يرغبون فى قبول سلطانه ، ويفهمونه على أنه محيط بهم — حتى ولو خاطروا من حين إلى آخر — وتعدوا حدوده . إذن فقبول القانون الإسلامى كان مترتباً على قبول دين الإسلام . وقد دخل فى دين الإسلام عدد كبير من الشعوب التى كان لكل منها تراث اجتماعى شرعى . وباتخاذها الإسلام ديناً لها ، قبل أعضاء هذه المجتمعات مبدئياً سلطان القانون الإسلامى .

ومهما يكن من شىء فإن من الواضح أنه ليس من السهل القضاء على التراث الاجتماعى العتيق . وقد كان على زعماء الدين فى الإسلام — فى الواقع — أن يكافحوا فى سبيل توسيع مدى السلطة الأصلية للفقه الإسـلامى ، ونشره بين هؤلاء الناس .

---

(١) أسس الفكر الإسلامى .

تصحيح تصحيف وتحرير تحريف

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

كم للتصحيف والتحريف فى اللغة العربية من جنايات على هذه اللغة ! وكم لهما من آثار سيئة فى الأدب والتاريخ ! وكم أفسد كلاهما من عبارة ، وشوَّه من معنى ، وأوقع فى لبس وإبهام ، وترك القارئ يخبط فى عشوة وظلام . اطلعت على الكتاب القيم الممتع (ظهر الإسلام) تأليف العلامة المحقق الأستاذ الجليل (أحمد أمين بك) فرأيت فى صفحة ١١٧ من الطبعة الثانية منه ما يأتى :

وهذا أبو على القالى البغدادى ، ضاقت به الحال قبل أن يرحل إلى الأندلس ، حتى اضطر أن يبيع بعض كتبه وهى أعز شئ عنده فباع نسخته من كتاب الجمهرة ، وقد كان كلفا بها ، فاشتراها الشريف المرتضى ، فوجد عليها بخط أبى على :

أنست بها عشرين حولا وبعتها ... فقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها ... ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل جفونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوى الفؤاد حزين
(وقد تخرج الحاجات ياأم مالك ... ودائع من رب بهن ضنين)

وأقول إن هذه الحادثة إنما وقعت لأبى الحسن على بن أحمد ابن على الفالى . فكنيته أبو الحسن لا أبو على ، ونسبته الفالى (بالفاء الموحدة التى هى من الحروف المهموسة والشفوية ، لا بالقاف المثناة إحدى الحروف المجهورة التى مخرجها بين عكوة اللسان واللهاة فى أقصى الفم) وقد ساق هذه الحكاية على صحتها العلامة المؤرخ الثقة الأديب شمس الدين أحمد الشهير بابن خلكان فى كتابه الحجة المعروف باسم (وفيات الأعيان) ، قال رحمه الله تعالى فى ترجمة الشريف أبى القاسم المرتضى ما نصه :

وحكى الخطيب أبو زكرياء يحيى (١) بن على التبريزى اللغوى

(١) يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى المعروف بالخطيب أحد أئمة اللغة والأدب ولد سنة ٤٢١ وتوفى ببغداد سنة ٥٠٢

وقد لاقوا فى هذا الكفاح حظاً موفوراً من النجاح ؛ على الرغم من أنه لاتزال هناك جماعات — مثل البربر فى شمال غرب أفريقيا — غالبيتها مسلمة فى الشعور ، بيد أنها حافظت على قانونها التقليدى أمام كل مجهودات العلماء . وقد أفلح العلماء — إلى حد نجاحهم فى فرض القانون الإسلامى — فى توحيد المجتمع الإسلامى ؛ إذ أن القانون — كما سبق أن قررنا — كان المعول الذى رسخت به الأخلاق الاجتماعية .

على أنه يوجد هنا بعض اختلافات واضحة ينبغى بسطها . فعلى الرغم من أن القانون يشتمل نظرياً ، وحسب شرح العلماء على كل نوع ومظهر للعلاقات الاجتماعية ، إلا أنه كان هناك « مناطق كثيرة » فى حياة الجماعة مجهولة من الناحية العملية . وإن الأوضاع السياسية والحكومية ، وجزءاً كبيراً من سلطان العقوبة ، ومعظم التجارة ذات النطاق الواسع ، كل هذه قد وسمت مدى أثرها الفعلى — حتى ولو كان القانون بأسرها مرتبطين — كما حدث أحياناً بأساسها بواسطة تقليد رسمى . وأنه لحق أنه فى هذه المناطق ، وبين الطبقات التى فيها — قد حدث الشعور بالمؤثرات الأوربية من بادىء الأمر ، وانتشر نفوذها . وهذه الحقيقة تذهب بعيداً فى تفسير ضعف المقاومة — فى المجتمعات الإسلامية ذات الدساتير — أمام إدخال نظم حكومية وتجارية ومدنية مؤسسة على نماذج أوربية . حتى أنه لم يبق ليومنا هذا إلا المملكة السعودية — وإلى حد ما — أفغانستان تسيران على الأوضاع القانونية الإسلامية القديمة . وقد يساعدنا هذا فى بيان السبب فى أن المجددين الأحرار (إذ أن مكانتهم قد أصبحت أرقى من تلك الطبقات التى لم تكن سلطة القانون الدينى بينهم مطلقة) سبب وقوف هؤلاء المجددين مواقف غريبة — بل نقول حرجة ... ودنيوية — تجاه مسائل فى القانون الإسلامى ...

ترجمة

محمد محمد على

أن أبا الحسن على بن أحمد بن على بن سلك الفالى الأديب كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن (١) دريد فى غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور (٢) بستين ديناراً وتصفحها فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها أبى الحسن الفالى المذكور وهى :

أنست بها عشرين حولا وبعتها الخ

فأرجع النسخة إليه وترك له الدنانير رحمه الله تعالى .

وهذا الفالى منسوب إلى (فالة) بالفاء ، وهى بلدة بخوزستان قريبة من أيذج ، أقام بالبصرة مدة طويلة ، وسمع بها من أبى عمر ابن عبد الواحد الهاشمى (٣) وأبى الحسن بن النجار وشيوخ ذلك الوقت ، وقدم بغداد واستوطنها وحدث بها ؛ وأما جده سلك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبعدها كاف ، هكذا وجدته مقيداً ؛ ورأيت فى موضع آخر بكسر السين وسكون اللام والله أعلم .

وكانت وفاة أبى الحسن الفالى المذكور فى ذى القعدة سنة ٤٤٨ ليلة الجمعة ثامن الشهر المذكور ، ودفن فى مقبرة جامع المنصور ، وكان أديباً شاعراً ، روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد وأبو الحسن الطيورى وغيرهما رحمه الله تعالى . انتهى من تاريخ ابن خلكان .

(أقول) وقد ترجم له الخطيب البغدادى (٤) فى تاريخ بغداد بما يأتى : على بن أحمد بن على بن سلك أبو الحسن المؤدب المعروف بالفالى من بلدة تسمى فالة قريبة من أيذج (٥) ، أقام

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى اللغوى البصرى الأديب ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ وتوفى ببغداد سنة ٣٢١

(٢) أبو القاسم على بن الحسين بن موسى ، ولد سنة ٣٥٥ وتوفى ببغداد سنة ٤٣٦

(٣) هو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد ابن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب من أهل البصرة وولى القضاء بها ، وقدم بغداد سنة ٣٧١ ، سنة ٣٧٧ ، وكان مولده سنة ٣٢٣ بالبصرة ، وتوفى بها سنة ٤١٤

(٤) ولد سنة ٣٩٢ وتوفى ببغداد فى أواخر سنة ٤٦٣

(٥) كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان ، وهى أجل مدن هذه =

بالبصرة مدة طويلة وسمع بها من أبى عمر بن عبد الواحد الهاشمى وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها وحدث بها ، كتبت عنه شيئاً يسيراً وكان مؤدباً ثقة ، مات فى ليلة الجمعة الثامن من ذى القعدة سنة ٤٤٨ ودفن فى يوم الجمعة فى مقبرة جامع المنصور .

وفى الأنساب للسمعانى (١) ما يأتى :

(الفالى) بفتح الفاء وفى آخرها اللام ، هذه النسبة إلى فالة قال أبو بكر الخطيب أظنها من بلاد فارس قريبة من أيذج ، والمشهور بالنسبة إليها أبو الحسن على بن أحمد بن على بن سلك المؤدب الفالى ، سمع بالبصرة القاضى أباعمر القاسم بن جعفر الهاشمى وأبا الحسن على بن القاسم النجار وأبا عبد الله أحمد بن إسحق بن حزبان النهاوندى وغيرهم ، أقام ببغداد إلى آخر عمره ، وكان أديباً شاعراً فاضلا ، روى عنه أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب وأبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الطيورى (٢) وغيرهما ذكره أبو بكر الخطيب فى التاريخ الخ) اه .

وذكر ترجمته أيضاً ياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، قال : على بن أحمد بن سلك (الفالى) بالفاء وليس بأبى على القالى بالقاف ذلك آخر اسمه إسمعيل له ترجمة فى بابه ، وكنية هذا أبو الحسن ، يعرف بالمؤدب من أهل بلدة فالة ، موضع قريب من أيذج ، انتقل إلى البصرة فأقام بها مدة ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة ، له معرفة بالأدب والشعر ، ومن شعره قوله :

تصدر للتدريس كل مهوس ... بليد تسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قديم شاع فى كل مجلس

(لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

وعنه ما رواه عنه تلميذه الخطيب التبريزى :

= الكورة وسلطانها يقوم بنفسه وهى فى وسط الجبال يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز والنواحى ومزارعهم على الأمطار .

(من معجم البلدان لياقوت)

(١) عبد الكريم بن محمد ، ولد بمدينة مرو سنة ٥٠٦ وتوفى بها سنة ٥٦٢

(٢) أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفى البغدادى المحدث ، كان مكثراً صادقا صالحاً أميناً ديناً صيناً وقوراً ، توفى أواخر سنة ٥٠٠ (شذرات الذهب)

لما تبدلت المنازل أوجهاً غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتهـا محفوفة بسوى الألى كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتاً سائراً متقدماً والعين قد شرقت بجارى مائها
(أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها)

ثم ساق حكاية بيعه كتاب الجمهرة نقلا عن الخطيب التبريزي أيضاً وفيه شيء يخالف ما فى ابن خلكان ، قال وحدّث أبوزكرياء التبريزي قال : رأيت نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد باعها أبوالحسن الفالى بخمسة دنانيرمن القاضى أبى بكر بن بديل التبريزي وحملها إلى تبريز ، فنسخت أنا منها نسخة فوجدت فى بعض المجلدات رقعة بخط الفالى فيها :

(أنست بها عشرين حولا ...) إلى آخر الأبيات .

فأريت القاضى أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال : لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه ، وكان الفالى قد مات ، اه

أقول لعل الفالى رحمه الله باع هذه النسخة فى صفقة ثانية بعد أن أعادها إليه الشريف المرتضى . والبيت الأخير من أبياته تضمين لما قاله أعرابى باع لحزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام جملا بخمسين ديناراً ، فلما نقده ثمنه جعل الأعرابى ينظر إلى الجمل ويقول :

(وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين)

فقال له حمزة : خذ جملك ، والدنانير لك ، فانصرف بجمله وبالدنانير . ومن شعر الفالى أيضاً فى شهر الصوم :

رمى رمضان شملنا بالتفرق فيا ليته عنا تقضى لنلتقى
إذا سر أهل الأرض طراً قدومه فإن سرورى بانسلاخ الذى بقى

وفى معجم البلدان لياقوت ما يأتى :

(فالة) بزيادة هاء بعد الفاء والألف واللام بلدة قريبة من أيذج من بلاد خوزستان ، ينسب إليها أبو الحسن على بن أحمد بن على بن سلك الفالى المؤدب سمع بالبصرة من القاضى أبى عمرو أحمد بن إسحق ابن جربان وحدث بشيء يسير ، اه .

وقال فى تاج العروس شرح القاموس : (فالة) بلد بخوزستان قريبة من أيذج منها أبو الحسن على بن أحمد (بن سلمان) المؤدب روى عن أبى عمر القاسم بن جعفر الهاشمى وغيره ، وروى عنه أبو بكر الخطيب ، وأبو جعفر الطيورى ، مات سنة ٤٤٨ اه .

وقد نقل هذه الحكاية صاحب كتاب الفلاكة والمفلوكين (١) موجزة وصحف فيها الفالى بالقالى ، ونص عبارته :

(القالى) أبو الحسن على بن أحمد بن على القالى كانت له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكان كلفاً بها فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها أبى الحسن القالى المذكور :

(أنست بها عشرين حولا وبعتها ...) إلى آخر الأبيات كما فى كتاب (ظهر الإسلام وروايته) .

ونقل هذه الحكاية أيضاً صاحب شذرات الذهب (٢) فى ترجمة الشريف المرتضى نقلا عن ابن خلكان فسلم من التصحيف ، غير أنه وقع فيه كذلك فى ذكره من توفوا سنة ٤٤٨ (وهى سنة وفاة أبى الحسن الفالى) فقال : وفيها أبو الحسن (القالى نسبة إلى قالى قلا من ديار بكر) على بن أحمد بن على المؤدب الثقة روى عن أبى عمر الهاشمى وطبقته اه . فصحف كما ترى (الفالى) إلى (القالى) وزاد من عنده تلك الزيادة الخاطئة التى بين القوسين .

أما أبو على القالى : فهو إسمعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان القالى اللغوى صاحب كتاب الأمالى المشهور ، ولد سنة ٢٨٨ بمنازجرد من ديار بكر ودخل بغداد سنة ٣٠٥ وأقام بها إلى سنة ٣٢٨ ، ثم خرج منها قاصداً الأندلس ، فدخل مدينة قرطبة فى أواخر شهر شعبان سنة ٣٣٠ وتوفى بها سنة ٣٥٦ ، وإنما قيل له (القالى) لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قالى قلا فبقى عليه الاسم : وهى من أعمال ديار بكر — ومن كل ما تقدم يظهر أن صاحب الحادثة يكنى أبا الحسن لا أبا على ، وأنه الفالى لا القالى ، وأن وفاة أبى على القالى كانت قبل وفاة أبى الحسن الفالى باثنتين وتسعين سنة ، بل توفى القالى قبل مولد الفالى ، وأن مولد الشريف المرتضى ببغداد فى سنة ٣٥٥ يعنى قبل وفاة أبى على

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الله المصرى الدلجى الشافعى المتوفى أواخر سنة ٨٣٨ هـ وقد طبع هذا الكتاب بمصر بمطبعة الشعب سنة ١٣٢٢ هـ ولكن لم يذكر فيه نسب المؤلف ولا سنة وفاته (بل اقتصر على قوله : أحمد بن على الدلجى)

(٢) هو أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى توفى سنة ١٠٨٩ هـ

القالى بقرطبة بسنة واحدة . وقد عرفت أنه رد إلى أبى الحسن القالى ثمن كتابه كما أعاد إليه كتابه الجمهرة متأثراً بأبياته وكان كلاهما مقيما ببغداد ، وتوفى الشريف بها قبل وفاة أبى الحسن القالى بها باثنتى عشرة سنة ، على أنه لم يعرف أن أبا على القالى بلغ من البؤس والفاقة إلى أن يبيع نسخة من كتابه الجمهرة ، تأليف أستاذه ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وكان ذا ثراء واسع ومال جم وإن كان رحمه الله متلافاً مفيداً مبيداً ، ولقد أفاد من بنى ميكال أموالا عظيمة ونال منهم ثروة طائلة رحمه الله وعفا عنه .

هذا ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع فى ذلك الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما فى بيتى ابن المعتز صفحة ٢٦

أما ترى ملك بنى هاشم　　عاد عزيزاً بعـــد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثـــله　　تستوجب الملك وإلا فـــلا

واعل صواب القافية فى البيت الأول (بعد ما ذللا) لأن القصيدة من بحر السريع من عروضه الأولى المطوية المكسوفة التى ضربها مثلها على وزن فاعلن، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب فى البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه العروض لا يجمع بينهما .

وفى صفحة ٢٢ كتب البيت هكذا :

أيها الترك تلقون للدهـــر　　سيوفاً لا تستبل الجريحا

وهو بهذا الشكل والضبط غير مستقيم الوزن ولا مفهوم المعنى ، والذى فى تاريخ المسعودى المنقول عنه :

أيها الترك سوف تلقون للدهـــر　　سيوفاً لا تستبل الجريحا

وفى صفحة ٦٩ البيت :

فيبردها كأن لهـــا　　وإن خفيت ســـنا لهب

أظن الصواب (فيبرزها) كما يقتضيه السياق ويتطلبه المعنى

وفى صفحة ٨٠ السطر السابع : ليوسعنكم ضرباً وتشديداً وأظنها محرفة عن (تشريداً)

وفى صفحة ١٣٦ بيت للشريف الشريف الرضى فى الغزل فى سوداء :

أحبك يا لون الشـــباب لأنى　　رأيتكما فى العين والقلب توءما

صوابه : فأننى ، أو لأننى ، بزيادة نون الوقاية قبل ياء المتكلم ليستقيم الوزن .

وفى صفحة ١٤٠ فى السطر الثانى البيت :

ومنفق مشـفق إذا أنا　　أسرفت وبذرت مقتصد

والصواب :

ومنفق مشفق إذا أنا أســـ　　ـرفت وبذرت فهو مقتصد

لأن القصيدة من بحر المنسرح ولا يستقيم الوزن إلا بذلك

والبيت سطر ٤ :

وصيرفى القريض وزان دنانـــير　　المعانى الرقاق منتقـد

غير مستقيم الوزن ، وصوابه :

وصيرفى القريض وزان ديـــنار　　المعانى الرقاق منتـقد

(فدينار) فى البيت مفرد لا جمع وآخر الشطر الأول الياء منه لا النون ، (والرقاق) فى البيت نعت للمعانى لا للدنانير .

وفى صفحة ١٥٥ بيت أبى العلاء المعرى :

وما شعراؤكم إلا ذئاب　　تلصص فى المدائح والشباب

(أرى) أن (الشباب) مصحفة عن السباب .

يريد أن كلا من شعراء المدح الذين يكتسبون بالمدح وشعراء الهجاء الذين يتقيهم الناس فيفدون أعراضهم منهم بالمال إنما هم لصوص يستولون على أموال الناس بغير حق رغبـة فى مديحهم أو رهبة من هجائهم .

وفى صفحة ١٨٤ البيت :

أنت إذا جدت ضاحك أبداً　　وهو إذا جاد باكى العين

لعل (الصواب دامع العين) برفع دامع خبر المبتـدأ هو .

وفى صفحة ٢١٠ سطر ٤ البيت : هى قلت عن العزيز عداه

لعل صوابه : قد أقلت (أو هى أقلت) ضـد كثرت فى عجز البيت .

وفى صفحة ٢٨٧ آخر الصفحة ، البيت من قصيدة البيرونى :

فلا زال للدنيا وللدين عامراً　　ولا زال فيها للغواة مواسيا

أرى أن الصواب (للعفاة) وهم طلاب المعروف جمع عاف فليس مما يمدح به المرء أن يكون مواسياً للغواة ، وإنما يواسى العافون وطالبو الجدوى .

ثم أقول بعد ذلك : أنه بمناسبة ذكر أبى على القالى اطلعت على صفحة ٧٤٢ من كتاب (سمط اللآلى) فى المجلد الآخر منه ويحتوى على شرح الجزء الثانى من أمالى أبى على القالى ، للوزير

أبى عبيد البكرى المطبوع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م والذى نسخه وصححه وحقق ما فيه الأديب العالم المحقق الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكرة بالهند ، فرأيت فى أولها ما يأتى : (وهو من رجز لهميان بن قحافة مشروح هناك) :

والبكرات اللقح الفوائجا بصفنة تزفى هدراً نابجا

ترى اللغاديد بها حوابجا

الصفنة : مثل العيبة ، شبه بها شقشقة البعير ، ويقال صفن فإذا ألحقت الهاء فتحت الصاد . (وتزفى) : كما تزفى الريح شيئاً تسحفه ، ويقال لأحد المدلين إذا استرخى (قد أسبح) يقول فهديره منصب مسترخ (واللغاديد) باطن أصول الأذنين (وحوابج) منتفخة ، يريد أن نصف الشقشقة خارج من حلقه ونصفها باق فيه اهـ . وقد علق حضرة المصحح على قول البكرى قد أسبح بقوله فى الهامش (١) كذا فى الأصلين ، وقد أعيانى أمر تصحيحه اهـ . أما أنا فأقول إن (أسبح) مصحف عن (استنتج) وإن (نابجا) فى الرجز مصحف عن (نانجا) قال فى لسان العرب فى مادة (نتج) : ويقال لأحد المدلين إذا استرخى قد استنتج ، قال هميان :

يظل يدعو نيبه الضماعجا بصفنة تزفى هدراً نانجا

أى مسترخياً (والله أعلم) اهـ .

وقال فى مادة ضمعج (الضمعج) الضخمة من النوق ، وامرأة ضمعج قصيرة ضخمة ، وكذلك البعير والفرس والأتان ، قال هميان بن قحافة السعدى :

يظل يدعو نيبها الضماعجا والبكرات اللقح النوائجا

وأعاد هذا البيت فى مادة (فثج) : وناقة فاثج سمينة حائل أو هى الفتية اللاقح ، ويروى (الفواسج بالسين ، والفاسج من الإبل أيضاً اللاقح أو اللاقح مع سمن ، أو هى الحائل السمينة فهى بمعنى الفاثج بالثاء المثلثة) .

وينبغى أن أعترف بالفضل لحضرة العلامة أحمد أمين بك فإن كتابه (ظهر الإسلام) مرآة صافية ترى فيها بجلاء ووضوح الحياة الاجتماعية والعقلية والأدبية من عهد المتوكل إلى آخر القرن الرابع الهجرى . ثم أذكر بهذه المناسبة أن خير كتاب قرأته يمثل الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى (وخاصة من الجهة السياسية والاقتصادية) هو كتاب (العصر العباسى) للأستاذ المحقق والمؤرخ الموفق المدقق الدكتور (عبد العزيز الدورى) العراقى أستاذ التاريخ الإسلامى بدار المعلمين العليا ومعهد الملكة عالية العالى بمدينة بغداد وقد طبع منه جزءان قيمان أحدهما فى العصر العباسى الأول ، والآخر فى العصر العباسى الثانى ، وإنه ليخدم التاريخ أجل خدمة إذا قدم له الجزء الثالث الذى يمثل بقية العصر العباسى ، وقد رجع فى كتابيه المفيدين إلى كثير من المراجع العربية وغير العربية من عدة لغات ، ورجع من نفسه بعد ذلك إلى عقل ناضج كبير ، وفكر عال صحيح ، وذهن ثاقب جديد ، ورأى قويم سديد . وكذلك أقول إن خير كتاب رأيته فى أدب اللغة العربية فى عصر صدر الإسلام هو كتاب الأستاذ الدكتور محمد مهدى البصير الذى سماه (عصر القرآن) تكلم فيه على الأدب العربى فى صدر الإسلام وعصر بنى أمية فأحسن وأجاد ، وأمتع وأفاد ، دل فيه على اطلاع واسع وعلم جم وأدب غزير ، ورد الرائق البهرج وقبل الثمين المصفى ، وكان له فيه رأى صائب وفكر قويم . ولنا فى هذا الكتاب وغيره من مؤلفات الدكتور السيد محمد مهدى البصير عودة فى مقالات موعدنا بها الأعداد المقبلة من الرسالة الغراء إن شاء الله تعالى .

أحمد يوسف نجاتى

أستاذ اللغة العربية والبلاغة والأدب بكلية دار العلوم وكلية اللغة العربية بمصر سابقاً — والأستاذ الآن بدار المعلمين العالية ومعهد الملكة عالية العالى بمدينة بغداد

غنـــاء الطيور

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلى

فتن شعراء الطبيعة بغناء الطيور وسحروا بهديلها وزقزقتها فى السحر وعند الأصيل فى الأشجار المتشابكة وعلى الأنهار والسواقى حيث يمتزج خرير المياه بهديل الطيور وقد حبت الطبيعة البساتين موسيقاراً لا يكل ولا يعجز عن توقيع ألحانه العذبة، ولا يفتر عن ترديد أغانيه المشجية والمطربة أحياناً؛ وقد هام أغلب الشعراء بأغاريد الطيور فتركت صدى عميقاً فى نفوسهم وخلدوا فى مطارحتها روائع ساحرة. وقد زاد ولوعهم بها ما جبلوا عليه من تقديس الجمال والافتتان بالتواقيع الموسيقية فكان كثير من الشعراء العباقرة يجنون إذا جمعتهم الرياض بالحمائم والطيور المغردة فيطربون لها ويهيمون إعجاباً بسحرها الأخاذ، فيهجر بعضهم المدن لينعم بقرب الطيور فى الرياض المؤتلقة.

من ذلك رأينا هذه الأشعار الكثيرة فى دواوين شعراء العرب وكلها افتتان بغناء الطيور، ولم يقتصر عليهم ذلك الهيام بالطبيعة وجمالها الفاتن فقد حدث مؤرخو حياة الفيلسوف الإسلامى الكبير أبى نصر الفارابى أنه عند ما سافر من بغداد إلى دمشق كان منفرداً بنفسه لا يجالس الناس، وكان مدة إقامته بدمشق لا يكون غالباً إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض؛ ويؤلف هناك كتبه وينتابه المشتغلون عليه، وقال فى (وضات الجنات) يحكى أن الآلة التى تسمى القانون من وضعه وهو أول من ركبها هذا التركيب، وهذا يدلك على مدى افتتانه بالألحان الموسيقية، ولعل غناء الطيور أوحى له دروساً فياضة فى الموسيقى.

وكما ترى فيما سنعرضه عليك أن هناك اختلافاً بين علماء الحيوان ودعاة نظرية التطور من داروين واتباعه، وبين شعراء العرب الذى نظموا فى غناء الطيور وفسروه، كما ظهر لهم حسب أفكارهم إذ يرى علماء الحيوان أن الغناء هو من خصائص ذكور الطيور، وأن هذه تغرد وتغنى لتجتلب الأناث بهديرها وتغريدها فالأغاريد أسلحة أدبية تصول بها الطيور فى غمار معارك غرامية صخابة تمج بالتنافس بين ذكرانها، والتغالب لاقتناص زوجات يتمتعون بالقرب منها وينعمون بالاستئناس بجمالها الأنثوى.

وأتذكر أن الصحف المصرية نشرت (تصريحاً) للأستاذ الموسيقار محمد عبد الوهاب يتحدى به الآنسة أم كلثوم قائلاً: إن الغناء فى عالم الطبيعة من خصائص الذكور، ولا ريب أن الحق معه من وجهة التاريخ الطبيعى وحقائق علم الحيوان ولكن من الذى يفضل أن يسمع الغناء من رجل خشن على أن يتمتع به من فم فتاة رقيقة تفيض جمالا وفتنة، وعلى كل حال فإن علماء التاريخ الطبيعى يقررون أن الغناء ميزة للتفوق، وسلاح للغلبة واجتذاب للاناث جهز بهما ذكران الطيور، وفق نظام الكون المستهدف لإدامة الحياة، وبقاء النوع وتكثير النسل فهو من جملة المشهيات والمغريات المؤدية إلى تلك الغايات النبيلة.

وقد أخضعت نظرية التطور التى جاء بها العالم الإنجليزى داروين — غناء الطيور وهديلها لعامل الانتخاب الطبيعى. فقالوا إن خاصة الغناء الجميل التى تتحلى بها بعض الذكور من الطيور تتركها تتفوق فى معارك الانتخابات الزواجية لأجل الفوز بالأناث ويشجعها ذلك الفوز والانتصار على التناسل بكثرة. وهذا يؤدى إلى وفرة ذريتها التى تحمل خصائصها، ومن جملتها القدرة على أحداث الأصوات الجميلة الغنائية فتشيع هذه الميزة فى الأجيال القادمة حسب قانون الوراثة. وإليك بعض كلمات علماء التطور.

قرأت فى كتاب عن نظرية التطور تأليف العلامة الفردوالاس.

قال تحت عنوان الخصائص الجنسية المسببة بالانتخاب الطبيعى: (علاوة على تسلح الذكور بما يمدهم للنضال مع الذكور الآخرين توجد بعض الخصائص الجنسية المسببة بالانتخاب الطبيعى وذلك كالأصوات والروائح المختلفة الخاصة بالذكور التى تكون دعاء للأناث أشعاراً لهن بحضورهم، ومن الواضح أن هذه إضافات ذات قيمة فى وسائط تمييز الجنسين، وزيادة على ذلك أنها

إشعار بحلول فصل التزاوج . ومن الواضح أن توليد وتفريق هذه الأصوات والروائح هما ضمن نطاق قدرة الانتخاب الطبيعي ، والتمييز بين الجنسين من فصائل الطيور ، ولإغراء ذكرانها للاناث ، وتشهيتها للسفاد .

وعند ما انتشرت أفراد فصائل الطيور بصورة واسعة على وجه الأرض أصبح هذا الدعاء فى غاية الأهمية لجمل التزاوج يقع بصورة مبكرة ويسرع به ما أمكن .

وهكذا قد أصبح وضوح وعلو وتميز شخصية غناء الطائر خاصة نافعة ، وبالنتيجة يتحقق الانتخاب الطبيعي (أى أن الطائر الذى توجد فيه هذه الخاصة النافعة يكثر نسله فتشيع هذه الميزة الصوتية فى الأجيال التالية وفق نظرية التطور والوراثة) وهذا هو الواقع خاصة بالنسبة لطائر الوقوق Cukoo ومع كل الطيور التى تعيش منفردة .

ولا شك أن صنيع الغناء عمل مبهج وجالب للسرور ، وربما استخدمه الطير كمنفذ للفائض الزائد من الطاقة العصبية والتهييج النفسى ، على حد ما يقوم به الإنسان من الرقص والغناء ، والألعاب الرياضية المسلية . وهذا التعليل لغناء الطيور يرى أن رياضة القوة الصوتية مكملة لتطور الريش الثانوى الذى ليس له أهمية أساسية فى الطيران ، ومتممة لزخارف الزينة والتجمل فى الطيور .

ويلاحظ المؤلف (Alfred Russel wallace الفرد روسل والاس) أن كل طيورهم البديمة الغناء بسيطة التلوين ، وليس لها عرف ولا يوجد فى رقابها أو ذيولها من ريش التباهى ، والظهور بمظهر فاتن جذاب ، فى حين أن الطيور المزخرفة ذات الجمال الزاهى فى المناطق الاستوائية ليس لها المقدرة على الغناء ، وتلك التى تصرف طاقة كبرى لتتبرج وتزهى بالريش الجميل تطورت أصواتها تطوراً طفيفاً لا يذكر إذا قسناها بالطيور الأخرى . وخذ مثلاً لذلك الديك الرومى ، والطاووس ، والطائر الطنان ، وطيور الجنة وهذه فصيلة من طيور غينيا الجديدة وما يجاورها من الجزائر .

وتشتهر طيور الجنة بجمال ريشها وبهاء ألوانها ، ولا يمتاز ببهاء اللون وحسن الريش إلا الذكور ، وريش الذكران على حسنه أملس ناعم حريرى فيه براقة المعادن الصافية والخلاصة أن أغاريد الطيور وأغانيها حسب الظاهر مذكرات وإشارات ورسائل غرامية مختصرة لإشعار الأنثى بوجود الذكر ولدعوتها إلى التزاوج ، وهذه القابلية للغناء تفيد الفصيلة لأنها ذات علاقة بأهم وأجل وظيفة حيوية ، وهى حفظ النوع بالتناسل) .

وقال العالم الطبيعى دارون فى كتابه أصل الأنواع إن المنافسة بين الطيور على امتلاك الأناث أقل قسوة منها بين الحيوانات التى تعيش على الأرض ؛ وكل من له إلمام بالموضوع على اعتقاد تام أن هذا التقاتل لا يبلغ منتهى القسوة والشدة إلا بين الأنواع التى تجتذب ذكورها الأناث بحسن أصواتها الغنائية .

وذكر أن بعض الطيور التى يسكن جزائر (جيانا) وطيور الجنة وغيرها من صنوف الطير قد تجتمع وتتقاتل قتالا عنيفاً ثم تخرج الذكور الفائزة فى المعركة وتنشر ريشها البهى الزاهى لتجتذب إليها الأناث ، ومن ثم تأخذ فى التضاحك بشكل عجيب والأناث على كثب يرمقنها ثم تنتخب ما كان أشد جاذبية إليها .

وقال باحث آخر إن جمال ذكور الطيور بأصواتها أو ريشها يلعب دوراً عظيما فى الحب النسلى ، ولعل للطيور أعظم نصيب من الجمال ، فلذلك قلما تتنازع ذكورها بالقتال ، وإنما تعتمد فى الأكثر على فتنة الأناث بجمال ريشها وألوانه الجميلة ، وبعضها يعتمد على الرقص على الأرض أو فى الهواء وبعضها يعتمد على الزقزقة والهديل .

وهكذا تمد الطيور على أعظم جانب من الجمال البصرى والصوتى ولها ذوق عقلى فى الجمال كالإنسان تقريباً ، ولذلك يطرب الإنسان بزقزقة العصافير وهديل الطيور ، ولكن الطيور الغنية قد تلتجىء إلى العراك للفوز بالأناث .

فقد روى العلامة دارون أن نوعاً من الطيور فى الولايات المتحدة يجتمع نحو عشرين من ذكوره فى بقعة حيث تتنافس بالزقزقة ، وحالما تميل الأنثى لذكر تقتتل الذكور ، والأضعف يحيد عن القتال ، حتى إذا لم يبق إلا واحد ذهبت الأنثى معه . وقد بلغت مسألة الانتخاب عند الطيور حداً قصيا حتى أن بعضها

لا يتزاوج لأن الأناث لم يرقها ذكر من الذكور التى تنافست فى إغرائها وأثارة عواطفها .

وروى (جوير) أن مغازلة الطيور تستغرق وقتاً طويلا وقد ينقضى الفصل كله ولا تنجح الذكور والأناث فى إثارة الحب فلا تتزاوج .

ولبعض الطيور حب مبرح بحيث إذا فقد إلفه حزن عليه طويلا ذكر دارون أن ذكر الببغاء وأنثاه يتماشقان ويتلازمان طويلا حتى إذا مات أحدهما أسف الآخر عليه أسفاً شديداً ، وإذا قنص أحدهما بقى الآخر مدة طويلة ينادى نداء محزناً .

وللحمام أيضاً ألفة قوية كألفة البشر ، فقد لوحظ أن زوجى حمام عادا إلى عشرتهما بعد فراق تسعة أشهر متذكراً كل منهما الآخر . وكثير من الطيور يختار إناثه الذكر الذى تحبه دون سائر الذكور من غير أن تنازعها الذكور بقتال .

فقد روى (أودوبون) الذى قضى ردحاً من الزمن فى أحراج الولايات المتحدة يدرس طبائع الطيور أن الأنثى لا تقبل على أى ذكر يعرض لها بل تتشدد جداً فى اختيار عريسها وتراقب مغازلة كل ذكر حتى يروقها واحد فتذهب معه . وكل ذلك يدلك على أن للطيور ذوقاً حاداً فى تمييز الجمال والإعجاب والانفعال به كما أن لها قوة غريبة فى التفنن بالمغازلة .

وهذا الذوق العجيب الذى يضاهى ذوق الإنسان هو علة ارتقاء الجمال الصوتى والنظرى فى الطيور كما علله دارون بسنة الانتخاب الطبيعى والتناسلى إذ الذكر الأجمل شكلا أو صوتاً ينجح فى المزاوجة ، والأقل جمالاً يفشل ، ذاك يكون له نسل وهذا ينقطع نسله ، وبفعل ناموس الوراثة تتجه السلالة إلى إنتاج الأجمل .

قال دارون ولا يشك أحد ممن لاحظوا أنواع الطير حال أسرها واعتزالها مركزها الطبيعى المطلق فإنها تفضل بعض الأفراد على بعض ، فإن السير (ر . هيرون) قد وصف كيف أن طاووساً مزرقشاً قد اجتذب إليه كل الأناث وتفرد بها .

وإنه وإن كان لا يتسنى لى الإفاضة فى هذا الموضوع فإنى على يقين بأن الإنسان إذا استطاع أن يحسن فى وقت قصير أنواع (البنتام) وهو ضرب من الدجاج الداجن — بحيث يجعلها بديعة الألوان رشيقة الصور فلست أرى مانعاً يحول دون القول بأن أناثه إذا انتخبت خلال آلاف من الأجيال أشجى الذكور صوتاً وأحسنها شكلا وفاق ما يلوح منها من معانى الجمال فقد يحتمل أن يحدث فيها تأثيرات من التغاير ذات بال .

غير أن دائرة المعارف البريطانية تجعل من أسباب الغناء رغبة الطائر أن يشعر باقى الطيور بوجوده فى المنطقة التى يغرد فيها وبذلك لا يقرب إليه ما يزاحمه على ما فيها من المواد الغذائية (راجع تفصيل ذلك فى مادة Bird) .

وهذا حديث يطول ، إنما الذى وددت أن أقرره رأى علماء الحيوان فى تعليل تغريد الطيور بأنه لأغراء الأناث وجلبها إلى السفاد ودعوتها إليه وأنه إعلان بمجىء فصل التزاوج وإن الأغاريد مغازلات غرامية ، وإذا كانت أغانى الطيور أحابيل لصيد الأناث ووسائل إغراء وإقناع فى غمار معارك غرامية كما بين دارون ووالاس وإخوانهما من علماء الحيوان وأفادا أن هديل الطيور شباك صيد ينصبها الهياج الجنسى فلا تلم عشاق الشعراء إذا تهيجوا وأصباهم الحمام بهديله لأنه ضرب على وترهم الحساس ونطق بلغة قلوبهم الولهى فأثارهم وهيج إحساسهم وإن لم يعرفوا كيف تسلطت تلك الأغاريد عليهم .

قال بعض الأعراب أنشده اسحق الموصلى .

ألا قاتل الله الحمامة غدوة[1] على الغصن ماذا هيجت حين غنت
تغنت بصوت أعجمى فهيجت من الوجد[2] ما كانت ضلوعى أجنت[3]
فلو قطرت[4] عين امرىء من صبابة دماً قطرت عينى دماً فألمت[5]
فما سكنت حتى أويت لصوتها وقلت ترى هذى الحمامة جنت ؟
ولى زفرات لويدمن قتلننى بشوق إلى نأى التى قد تولت

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

---

(١) الغدوة هى بين الفجر وطلوع الشمس .

(٢) المحبة الشديدة .

(٣) أخفت (٤) قطر الماء سال وجرى قطرة قطرة .

(٥) ربما تستعمل ألم بمعنى كاد نحو ألم يفعل كذا أى كاد .

طرائف من العصر المملوكى :

العلاقات الاخوانية
وصلتها بالأدب

للأستاذ محمود رزق سـليم

نزعة الأدب فى نفس الأديب المطبوع ، أشبه شىء بالغريزة الإنسانية . فهى قوة كامنة فيهـا ، تتحرك من تلقاء نفسها ، وتقوم بعملها الحيوى فى حياة الأديب . فتقرأ وتستقرىء وتطلع وتتصفح ، وتختزن وتقرن ، وتمزج ثم تلد وتصور وتلون ، وتهب لأجنتها ما تشاء لها مقدرتها من أسباب القوة والبقاء . ثم تدفع بنتاجها إلى اللسان فينفثه سحراً حلالا ، أو إلى القلم فيبعثه زهراً وضيئاً ، ترى من خلاله حياة نابضة ، وروحاً متحركة ، تلعب دورها ، وتؤثر أثرها .

والغريزة بحاجة إلى التربية والتهذيب والتثقيف ، حتى توجه إلى خير السبل لإسعاد المرء وإسعاد مجتمعه . ولا يبعد عنها فى ذلك ، نزعة الأدب ، فهى بحـاجة إلى أن تتعهدها يد التربية والتهذيب والتثقيف ، وإلى أن يسلك بها مسالك ثقافية خاصة ، حتى تفره وتحذق ، ويتسع أمامها المدى ويرحب أفقها ، ويلطف حسها ويدق إدراكها . وكلما كان الأديب أكثر من غيره ثقافة ، اتسع رحابه ، وسما إنجابه ، وأشرق وأمتع فنه .

غـير أن النزعة الأدبية ، مهما كانت طاغية باغية ، ثائرة فائرة ، يقظة ساهرة ، قد يصيبها العثور ويغشيها الفتور ، فيخبو زندها ، ويكبو جوادها ، ويتطامن إنتاجها ، وتقل الروعة فى فنها . حتى تتاح لها منشطات تنهض راكدها ، وتنبه راقدها . وتثير فيها من جديد مظاهر الحياة الصحيحة والحركة . ولعـل هـذه الناحية أقوى وجوه الشبه بينها وبين الغريزة ، إذ لولا مايعرض للغريزة من مثيرات ودوافع ، لعانت ألواناً من الكبت ، قد تفضى بها إلى الموت .

وتتشبث النزعة الأدبية — ككل كائن حى — بأسباب بقائها . وقد درجت الطبيعة على أن تبذل لها بين الحين والحين ، من أسباب البقاء ما يذكى فيها عوامل الأمل والرجاء . وحينذاك تنـدفع فى طريقها جادة نشيطة مجاهدة مجالدة ، حتى تؤدى رسالتها فى الحياة .

وقد درجنا ، ونحن ندرس تاريخ الأدب العربى ، على أن نسمع بين الآن والآن ، بضروب من التشجيع — أوقل بألوان من أسباب البقاء — تتاح للنزعات الأدبية ؛ فمن عطية أمير ، إلى منحة وزير ، إلى ثقافة حافلة إلى آذان صاغية وقلوب واعية ، إلى حوافز من صداقات ومودات ، إلى غير ذلك .

والعلاقات الإنسانية كانت وما تزال ، ذات أثر بعيد المدى ، فى حياة النزعات الأدبية . فالأديب لا يعيش فى الدنيا وحيداً . حتى ولو آثر العزلة ، فجميع ما حوله ومن حوله ، ذو أثر فعال فى حياته واتجاهاته ، وعواطفه وانفعالاته . ومن أوثق هذه العلاقات ، العلاقات الإخوانية .

ونعنى بالعلاقات الإخوانية ، صلات الود ووشائج الصداقة بين الأنداد والنظراء . وهى من العوامل الدائمة المشتركة بين كل العصور الأدبية ، ومن مسـمرات نزعاتها ، وحافزات روحها ، وموجهاتها . وهى بتأثيرها فى الناحية الأدبية ، بحاجة إلى دراسة مستقلة خاصة مستفيضة ، تتلمسها فى كل عصورها ، وتبرز آثارها فى كل عصر منها ، وتوازن بين آثارها فى عصر وعصر ، وتوازن بين آثارها وآثار غيرها من العوامل .

ولعـل العلاقات الإخوانية أقوى أثراً فى النزعات الأدبية ، وأبعد توجيهاً لهـا فى العصر المملوكى ، بالقياس إلى غيرها من عوامل النهوض الأدبى فيه . ففى العصر المذكور قلت عوامل التشجيع وأسباب الحفز الأدبى ، فى جملتها ، بالنسبة إلى ما سبقه من العصور . واتجه الـكثير منهـا إلى الحركة العلمية البحتة ، فجذب بضبعها ومد فى بقائها ، وهيأ لها أسباب الحياة والنمو . أما الحركة الأدبية فقد نالها منها صبابة يسيرة ، وثمالة متوارية ، لا تبعث نشوة ولا تهز عطفاً . لقـد صوحت عوامل التشجيع الأدبى ، ويبس عودها وذبل زهرها ، وأصبحت لا تبهر عيناً . فلا نوق هرم ، أو عصافير بنى جفنـة ، ولا دنانير هشام أو بدر الرشيد ، ولا مجالس المأمون أو محافل المتوكل ، ولا أريحية بنى حمدان أو ذهب العبيديين ، بمغرية جنان شاعر ، أو مجرية لسان ناثر فى هذا العصر .

وكـكل كائن حى ، أخذت النزعات الأدبية فيه ، تتلمس لنفسها أسباباً أخرى من أسباب البقـاء . فصادفتها العلاقات

الإخوانية ، فاتخذت منها إلى الحياة سبباً ، وإلى البقاء وسيلة . وتشبثت بها أو اصطنعتها أداة لمعالجة عملها وإبراز فنها . والفن هنا قد تنقصه الدقة ويخطئه العمق ، ولكن لا تنقصه الصراحة ولا يجافيه الصدق . إذ هو نتيجة علاقات قلبية ، ورجع مودات نفسية ، لا حاجة بها إلى الزيف والتلفيق .

وقد ظللت الكثيرين من أدباء العصر المملوكى رايات الودة والصحبة الحسنة ، فعاشوا إخواناً متحابين فى الأدب ، يسعد أحدهم الآخر كما يسعد الغريب الغريب . وقد نوهنا فى بعض مقالاتنا السابقة بشيء من هذه الملاقات ، وآثارها ، كملاقات السبعة الشهب . وصحبة الجزار والوراق .

وقد روى صاحب فوات الوفيات أن الأديب كمال الدين بن العديم كان إذا قدم مصر يلازمه أبو الحسين الجزار . حتى كانت هذه الملازمة مثاراً لتندر بعض أهل العصر عليهما ، فقال ، وفيه تورية :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة   وغدوت تحمل راية الإدبار
ما إن رأيت ولا سمعت بمثلها   نفس تلذ بصحبة الجزار

وبهذه الصحبة فتح الأدباء مغالق أبواب أدبية واسعة ، ما بين منثور ومنظوم . وأكثر الشعراء من التهانى والتمازى ، والتشوق والحنين ، والمماتبة . وتقارضوا الثناء ، وأفاضوا فى المعارضات والمطارحات والمساءلات ، وجدوا فى المساجنة والمفاكهة والملاغزة والمحاجاة ، ونهضوا للاجازة والاستدعاء ، إلى غير ذلك .

والحق أن الشعر — بخاصة — قد ظنت به حينذاك الظنون ، وأرجف الناس من حوله . حتى إن بعض أهله أوجس خيفة ، فنموا عليه ، وندبوا أنفسهم ، وشكوا كساده ، وفضلوا عليه الحرف الدنيا . وهذا أبو الحسين الجزار المصرى الشاعر ، يقول — وقد هجر الشعر والتكسب به ، واحترف الجزارة :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت   حفاظاً وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجينى   وبالشعر كنت أرجو الكلابا

ولعل أبلغ رد عليه ، وهو رد يؤيدنا فى أن الشعر ربح فى هذا العصر حياة فيها صراحة وصدق ، قول ابن الوردى :

قالوا لقد كسد القريض فقلت بل   عاشت ضراغمه ومات ضباعه
الآن طاب سماعه وتقطعت   أطماعه وتعززت صناعه

نقول إن الملاقات الإخوانية كانت خير معين للشعراء على إبراز شاعريتهم دون زيف ، وإظهار فنهم دون تلفيق . فكان صدى لنفوسهم ومرآة لحوادثهم . وقد حدث صاحب مسالك الأبصار عن أبي الحسين الجزار المصرى السابق ذكره ، فقال :

« حكى أن السراج الوراق وأبا الحسين الجزار ، خرجا فى عهد صباهما ، والشباب أعقد حباهما ، بريدان النزهة . فوجدا غلاماً زامراً ، يتمنى منه اللقاء ، ويجتمع فيه الغصن والورقاء . يتلفت بصفحة القمر المنير . ويطرب كأنما زمره مما أوتى آل داود من المزامير . فلفتاه إليهما الأمر . وظنا أنه ستليه لهما الخمر . فأتيا به دير شمران وصعدا إليه . فوجدا راهباً يصدع حبه الفؤاد . ويطلع قمره ولا شيء أحسن منه فى ذلك السواد . فزاد سرورهما بحصول الزامر والراهب . وأيقنا ببلوغ المآرب . فلما حميت فيهما سورة الحميا . وظن كل منهما أنه قد حصل له فراشه وتهيا . فطن الزامر والراهب لمرادهما ، فتركاهما ومضيا قبل التمام ، وتركاها وكل واحد منهما يشكو ضجيماً لا ينام . فقال السراج :

فى نخسنا لم يقع الطائر   لا راهب الدير ولا الزامر

فقال أبو الحسين الجزار :

فسعدنا ليس له أول   ونحسنا ليس له آخر

فقال السراج :

فالقلب فى إثرهما هائم

فقال الجزار مكملا :

والقلب من أجلهما حائر »

وفى هذه القصة ما يصور حياة هذين الماجنين ، وهما مثل لغيرهما أو لكثير غيرهما من أدباء العصر .

ويقرب من هذه الحادثة مارواه صاحب فوات الوفيات قال :

« حكى أن نور الدين على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب ، مر مع جماعة من الأدباء بالديار المصرية ، ومنهم أبو الحسين الجزار ، فروا فى طريقهم بمليح نائم تحت شجرة ، وقد هب الهواء فكشف ثيابه عنه . فقال أبو الحسين الجزار ، قفوا لينظم كل واحد منا فى هذا شيئاً . فما لبثوا حتى قال نور الدين على بن سعيد :

الريح أقود ما تكون لأنها   تبدى خبايا الردف والأعكان

وتميل بالأغصان عند هبوبها   حتى تقبل أوجه الغدران

فلذلك المشتاق يتخذونها   رسلا إلى الأحباب والأوطان

فقال السراج الوراق :

ما أعلم أن أحداً منا يأتى بمثل هذا . سيروا بنا . »

نقول : وهذه مطارحة لم تتم أدوارها ، ومباراة لم تبلغ مداها

وقد نظم الصاحب فخر الدين بن مكانس قصيدة طريفة فكاهية ، داعب بها صديقه الأديب الشيخ بدر الدين البشتكى ، ووصفه فيها يوم « أنس الهمايل » ، وكان الشيخ بدر الدين فى اليوم المذكور قد وضع نفسه موضع الثور من الساقية ودار بها ، فقال ابن مكانس :

دورة البدر فى سواق الهمايل   تركت أدمع العيون هوامل

آه من للرياض ثور أديب   مظهر من كلامه سحر بابل

فاق سدمياً على بنى عجل فى الجو   دوأغنى عن الولى الهاطل

وقد مزج ابن مكانس فى أبياته بين ألفاظ الرياض والرى والماء ، وألفاظ الأدب والشعر مزجاً لطيفاً ، واستعار من إحداها للأخرى ، ووصف الرياض خلال ذلك ، وما فيها من أزهار وأغصان ، مع توريات جميلة ، وتلميحات بارعة ، تناسب الموضوع فمن أبياته يخاطب صديقه :

يا سعيداً أثرى من النظم والنثـ   ـر فأنسى الورى زمان الفاضل

قد سقيت الرياض ياشيخ بالدو   رفها غصنها من السكر مائل

وقوله :

وغدا بالظلال كل أديب   فى هجير الرمضا بفضلك قائل

وبروحى عيون نرجس روض   تفتح العين بالندى وتغازل

أنت شنفتها بشعرك زهراً   وبعثت المياه فيها خلاخل

وقوله :

أنت لو لم تكن بحار علوم   ماجرت فى الرياض منك جداول

أنت عندى أجل قدراً من الثو   ر وقد درت للوجود الحامل

وغدا الفن بين لفظك والرو   ض على الحالتين عندك باقل

ومن الإخوانيات ما تبادله صفى الدين الحلى ، وجمال الدين بن نباتة ، من شعر تعاتبا فيه وتقارضا الثناء ، فلقد أرسل صفى الدين إلى صديقه قصيدة فى هذا المعنى ، قال فى مطلعها :

من لصب أدنى البعاد وفاته   إذ عداه وصل الحبيب وفاته

فاته من لقا الأحبة عيش   كان يخشى قبل الوفاة فواته

كان ثبتاً قبل التفرق لكن   زعزعت روعة الفراق ثباته

ومنها يقول :

كنت مستنصراً بأسياف صبرى   فنبت بعد فرقة ابن نباتة

فاضل ألف الفصاحة واله   لم وضمت آراؤه أشتاته

رَبُّ شعر لم يتبع ما روى النا   ون لكن بالفضل يهدى غواته الخ

وقد أجابه ابن نباتة بقصيدة طلية فى المعنى ، ومن البحر والروى ، قال فى مطلعها شاكياً متغزلا فى رقة :

ما لظبى الحمى إليه التفاته   بعد ما كدر المشيب حياته

لهج بالهوى وإن نفرت أيـ   ـدى الليالى غزاله ومهاته

كلما قيل قد سلا عن فتاة   عاده الحب فاستجد فتاته

ومنها :

بأبى فاتر اللحاظ غرير   رام تشبيهه الغزال ففاته

صائل الحسن إن رنا وتثنى   سل أسيافه وهز قناته

ومنها يخاطبه :

يا مفيد الورى لآلىء بحر   يعرف الذوق عذبه وفراته

وصل العبد من قريضك بر   سر أحبابه وساء عداته .. الخ

وعلى ذكر ابن نباتة نقول إنه كان قد وقع بينه وبين صديقه صلاح الدين الصفدى جفاء ، ولعل ذلك بسبب سرقات الصفدى الشعرية من ابن نباتة ، والتى جمعها ابن نباتة فى كتابه « خبز الشعير » . فتعاتبا عتاباً شعرياً قاسياً ، وقد ضمن كل منهما قصيدته إعجازاً من معلقة امرىء القيس ، وسلكاها فى نظمها مع توافق فى المعانى ، حتى لكأنها أصيلة فيه .

قال الصفدى :

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وترمى على طول المدى متجنياً   بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فأمسى بليل طال جنح ظلامه   على بأنواع الهموم ليبتلى . الخ

فقال ابن نباتة متقبلا صالحاً :

فطمت ولائى ثم أقبلت عاتباً   أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

بروحى ألفاظ تعرض عتبها   تعرض أثناء الوشاح المفصل

فأحييت وداً كان كالرسم عافياً   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تعفى رياح العذر منك رسومه   لما نسجتها من جنوب وشمال الخ

وقد بعث الصفدى بعد حين إلى ابن نباتة يستجيزه رواية آثاره الأدبية ، فأجازه ابن نباتة وكتب له « إجازة » بعبارة أدبية هى نموذج لنثر هذا العصر .

ومن يقرأ كتاب « ألحان السواجع » للصفدى ، يجد فيه نماذج عدة للاخوانيات الشعرية فى عصره . ودواوين الشعراء فيه ملأى بهذا الضرب الشعرى .

ومما يذكر أن الصحبة كانت قد عقدت أواصرها بين ناصر الدين بن البارزى أحد كتاب العصر البارزين ، وابن حجة الحموى الشاعر الكاتب الناقد . وبوحى من ابن البارزى نظم ابن حجة بديعيته فى مدح الرسول عليه السلام . وأبرز فى أبياتها ألواناً عدة من البديع ، وعارض بهـا بديعيتى عز الدين الموصلى والصفى الحلى . وكان كلما نظم بيتاً قرأه على صديقه ابن البارزى حتى يصير صالحاً . ولما انتهى ابن حجة من نظم بديعيته ، شرحها ووازن بينها وبين بديعيتى الموصلى والحلى ، دارساً أنواع البديع مستشهداً عليها بكلام المتقدمين من نثر ونظم ، موازناً بينها أيضاً ، مبيناً مذهب البعض فى البديع ، متكلما عن شعراء عصره وأدبائه ومذاهبهم فيـه أيضاً ، وهكذا نرى أن ابن حجة قد ألف كتاباً ممتعاً فيـه علم وأدب وتاريخ ونقـد ، وهو « خزانة الأدب » .

وبعد فلعلنا بهذا الحديث الموجز ، وبهذه الحوادث المقتضبة ألممنا إلى الدور الهام الذى أدته الملاقات الإخوانية على مسرح الأدب فى العصر المملوكى .

(الاسكندرية) محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

يا بنت وايزمان . . .

للأستاذ ابراهيم الوائلى

ما ذا وراءك يا رمال البيـد أعزيف جن أم زئير أسود ؟
دوّى الفضاء فأى حشد زاحف غمر اليفاع ، وأى خفق بنود !
دنيا من التاريخ ريع جلالها فتنفست عن عدة وعـديد
وتحـفزت فإذا السرايا طلع تطوى الجبال ليومها المشهود
هبت فأية أمـة لم يثنها ما كان من عسف ومن تهديد
وتفجـرت حمما فذوق بأسها يا من عبثت بسـلمها المنشود
وتفاءلى بالنحس يا مولودة بين القبور فأنت شر وليد
فى التيه كان أبوك يفترش الحصا ويطوف بين الشوك والجلمود
ويعيش فى دنيا الظلام، ولم يكن كأبيك أجدر بالليالى السود
وأتيت أنت ، وما ضحكت لحادث إلا لطيف شبابك الموؤود

***

يا بنت «وايزمان» أى براقش أنت التى قوضت كل مشيد ؟
هـذا المشرد فى المفاوز هل له غير الصحارى الجرد والصيخود
قذفت به الآفاق شر مطارد فأراح بعـد الذل والتشريد
واستطعم البلد الكريم فما رأى غير النعـيم وظله الممدود
فإذا به يسعى ليصبح سيداً من لم يمش فى الأرض غير مسود!

***

يا بنت « وايزمان » لم أر طفلة إلاك منـذرة بشر وعيد
ولدتك فى مهد الجحيم سياسة شوهاء ، ما أشقاك من مولود
هـذى القنابل وهى تمطر ثرة عن جانبيك وصرخة البارود
والمدفع الضخم المجلجل صوته فى جنب كل مجاجل عربيد
والزاحفون عليك فى هبواتهم من كل جبار الجنان عنيد
والطائرات تشق آفاق الدجى وتئز صـارخة أزيز رعود
وافتك أحنى من عواطف مرضع تحميك بين سواعد وزنود
وأتتك من شتى الجهات أنامل حمر تداعب منك حمر مهود
فترقبى سيل الكتائب عارماً أوفى على تاريخك المهدود
واستقبلى زمر الجنود تلاحقت غاراتها موصولة بجنـود
من كل خواض الدماء إذا انتخى لبس الحديد على أمض حديد
أبناء يثرب والفرات وجلق والنيـل ، يا للزاحفين الصيد
الذائدين عن الديار غزاتها والحارسين تراث خير جدود
والقائلين إذا استثيرت عزمة للأرض ياذات الشوامخ ميدى

***

يا بنت « وايزمان » أية قصة خطتك فوق الماء كف بليد !
وخرافة العصر الحديث أما رأوا إلاك ضحكة « مجلس » محشود؟
هم قهقهوا فخرجت من أفواههم زبداً تناثر فوق « تل » جليد
ما ذا لإسرائيل يالك نبأة مكذوبة حتى على التلمود ؟ !
قد لفقتك عصابة منبـوذة ما بين مهزوم وبين شريد
وتمهدتك عصائب أمثالهـا من «عابد» ذهباً ومن «معبود»
ألزمرة العجل المجوف يبتنى ملك وقد عاشوا أذل عبيد ؟
أم للذين تعاهدوا وتحالفوا ألا يدينوا باحترام عهود ؟ !
الغادرين وتلك أم طباعهم تصل الطريف بأوليات تليد
لكنه الغرب المـدل برأيه يملى على حنق وغل حقود
المستعز بقوة ما شـوهت غير السلام وطيفه المكدود
والحاكم العاتى ، ورب مسلط يقضى بحكم ليس بالمردود
فإذا العدالة قهقهات معربد عبثت بجفنيه ابنة العنقود
وإذا الضمير العالمى مطية باتت تصرفها شراذم «هود»

***

يا حاقدين تذكروا تاريخكم بالأمس إن الأمس غير بعيد
أيام كان الموت يجثم فوقكم والنار فى الآفاق ذات وقود
والأرعن المجنون يشمل زيتها
فى الأرض ، فى الأجواء ، فوق البيد
والوطن العربى يحرس مجدكم بيدى مغيث فى الخطوب مجيد
وجراحكم وهى العميقة لم تنل لولاه من رء ولا تضميد
لكنه طبع القراصنة الألى جبلوا على غدر وكذب وعود
هم أرهقونا غاصبين وكبلوا أوطاننا بسلاسل وقيود
واستنزفوا منا الدماء فما شفوا غلا ولا نقموا حشا المفئود
فى كل يوم ألف حر ترتوى منه الرمال دماً ، وألف شهيد
فى مصر، فى بغداد ، فى سورية فى المغرب الأقصى وكل صعيد
وعلى فلسطين استفزوا عصبة ما بين آفاق وبين طريد
وتآمروا ألا يروها حرة تحيا بلا كدر ولا تنكيد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

كرسي شوقي :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد الأخير من « أخبار اليوم » مقالاً بعنوان « كرسى شوقى » بين فيه أهمية إنشاء كرسى فى الجامعة للمغفور له أحمد شوقى بك ، واستحث أولى الأمر أن ينفذوا القرار القاضى بإنشاء هذا الكرسى فى جامعة فؤاد والذى اتخذ من قبل ولم ينفذ إلى الآن . ثم تساءل عمن يصلح للتعيين فى هذا الكرسى ، ورأى « أن الاختيار يجب أن يكون فى نطاق أساتذة من خارج الجامعة ، لما فى هذا الكرسى من لون خاص يحتاج إلى أسلوب خاص فى البحث والتدريس » ثم قال :

« ما هدانى البحث إلا إلى رجل واحد اجتمع له كل ما يراد من صفات ، هو الأستاذ أحمد حسن الزيات ، فهو قد اشتغل طويلا بتدريس الأدب العربى فى مصر وخارجها ، وله بشوقى معرفة ، وهو أديب كبير ذواقة للشعر والنثر ، حام وحارس للبلاغة ، ومؤلف تاريخ الأدب العربى فى مجلدات لا تخلو منها مدرسة ولا يستغنى عنها مدرس ، وله بعد من طول الباع ورسوخ القدم ، والرغبة فى البحث والدأب على الاستقصاء ، ما يجعل لهذا الكرسى قدراً ويكفل له مقاماً فى المحيط الفكرى والأدبى فى مصر والبلاد العربية » .

وهذا الذى يشير به الأستاذ الحكيم من اختيار أستاذ من خارج الجامعة لم يحدث بعد عندنا ، فلا تزال الجامعة قاصرة أمرها على أساتذتها ، ولست أدرى هل فكرت فى الانتفاع بأعلام الأساتذة « غير الرسميين » أو لم تخطر لها هذه الفكرة بعد ؟ والواقع أن هؤلاء الأعلام أساتذة فى جامعة ليس لها مكان محدود ولا نظام موضوع .

وهى تضم طلبة من خريجى الجامعات الرسمية النظامية وغيرهم ، وهم يبلغون فيها ما توجه إليه الجامعات والمعاهد ... وسم هذه الجامعة إن شئت بما تشاء من الأسماء ، وحسبى أن أقول إن أساتذتها هم هؤلاء الأعلام الذين يقرؤهم الناس فى الكتب والصحف والمجلات .

فهل تقبل الجامعة الرسمية أن تتعاون مع هذه الجامعة التى قدمت صفتها دون تسميتها ، فتنتدب بعض أساتذتها ولو على سبيل « التطعيم » لكرسى شوقى ولغيره ... ؟

أما كرسى شوقى فالأليق به خاصة أستاذ من خارج الجامعة ، لأن شوقى نفسه من خارجها ، وقد كان من أساتذة « الجامعة العامة » إن راقك هذا الاسم ... فمن التناسق أن يكون أستاذ كرسيه من لونه .

اللغة العربية فى هيئة الأمم :

أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن أن الأوساط العربية هناك لم تقابل بالارتياح النبأ الوارد من القاهرة بأن الدول العربية ستطلب قبول اللغة العربية لغة رسمية فى هيئة الأمم المتحدة .

فإذا الحثالة فى الظلام يقودها ... للخزى كل مذمم رعديد
وإذا الخناجر لم تجد غمداً سوى ... أحشاء مرضعة ونحر وليد
وبـ «دير ياسين» وأى جريمة ... كان الجزاء لها بـ «دير سنيد»
وحشية لو أنها من مخلب ... هانت ولكن من أكف قرود

***

يا مشرق التاريخ لست بمشرق ... أضفى على التاريخ كل عتيد
إن لم تثر كالنار شب ضرامها ... وتصاعدت حمراء بعد خمود
وتهب كالريح الغضوب تنفست ... واستيقظت هوجاء بعد ركود
فالصمت طال بنا وخزى أن نرى ... عبث السنين بمجدنا المفقود
عمرت ميادين النضال وحان أن ... تهتز دنيا الشرق بعد همود

***

أرض السلام وما شجيت لموطن ... إلاك أو ذوبت فيه نشيدى
إن طال ليلك عابساً فترقبى ... بسمات فجر فى الظلام جديد

(القاهرة) إبراهيم الوائلى

وأرجعت عدم الارتياح هذا إلى أمرين : الأول أن « مساومة الكتلات » لبلوغ هذه الغاية ستضعف من مقدرة العرب على المساومة فى مسائل أهم من ذلك . والأمر الثانى أنه لو تركت جانباً مسألة الكبرياء والزهو القومى ، فالمعروف أن مندوبى العرب يجيدون اللغات المتداولة فى هيئة الأمم ، فإذا تحدثوا بالعربية فلن يكون لسماع خطبهم مترجمة الأثر الذى تحدثه براعتهم فى الإنجليزية أو الفرنسية .

والأمران كلاهما لغو وكلام فارغ ... فادخار الجهد من مساومة لمساومة عجز وكسل ، على أن ظفر العرب بقبول لغتهم رسمية فى هيئة الأمم يقوى مركزهم الأدبى فيها ، وليست مسألة الكبرياء والزهو القومى مما يترك جانباً ، فإن لهما أثراً نفسياً فى استثمار العرب عزتهم وكرامتهم ومواصلة كفاحهم ، ولهما نفس الأثر فى نظر مندوبى الغرب إلى العرب نظرة الند إلى الند ، لا نظرة المتسلط إلى الضارع . ومن هنا ينعكس الأمر كما يقدره أولئك المقدرون ، فتسهل المساومة فى المسائل الأخرى .

وما دامت المسألة مساومات وكتلات فإذا تجدى البراعة فى الانجليزية أو الفرنسية التى يقال إنها ستفقد فى الترجمة ؟ إن مندوب روسيا — مثلا — يتحدث بالروسية فى هيئة الأمم ، وينام سائر المندوبين حتى ينتهى ، ثم يترجم كلامه « فاقداً » البراعة ... فهل تخسر روسيا بذلك شيئاً ؟ وهل يفوتها غنم من غنائم أهل البراعة ؟

إذن دعوا العربية تسير ، فلن تعوق إن لم تبلغ . وإذا خسرنا الإنصاف من ذئاب الغرب وكسبنا الكبرياء والزهور القومى فلم نخسر شيئاً ، لأن الشعور بالكبرياء والزهو سيعيننا على انتزاع الإنصاف منهم بغير الخطابة والبراعة .

نزهة إذاعية :

قرر مجلس الإذاعة الأعلى فى اجتماعه المنعقد يوم الأربعاء الماضى ، إيفاد كل من محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة ، وكريم ثابت بك مستشارها ، لحضور مؤتمر الإذاعة الذى سيعقد بإيطاليا فيما بين ١٤ و١٩ سبتمبر الحالى ، وزيارة محطات الإذاعة فى انجلترا وفرنسا وسويسرا ، لاقتباس النظم التى تلائم الإذاعة فى مصر .

وفى هذا القرار مسألتان : الأولى حضور المدير والمستشار المؤتمر ، وليست هذه المسألة بدعا ، فما أكثر المؤتمرات ، وما أكثر من يوفدون إليها من كبار الموظفين ، وما أكثر ما تنفقه الحكومة فى هذا السبيل ! وليس يذهب كل ذلك سدى .. فإن لم تظهر له نتائج عملية فيكفى أن يتمتع حضرات المندوبين بالرحلات ، وأن يستجموا ، كى يواصلوا بعد عودتهم جلائل الأعمال .

أما المسألة الثانية التى يشتمل عليها ذلك القرار ، فهى زيارة المدير العام للاذاعة ومستشارها محطات الإذاعة بالبلاد المذكورة . وتستلزم هذه الزيارة طبعا السفر إلى تلك البلاد والتنقل بينها والإقامة فى كل منها أياما أو أسابيع . وسينفقان فى كل ذلك مبلغاً من المال لا بد أن يكون كبيراً ، تصرفه خزانة الإذاعة دون أن تصطنع فى صرفه ما تصطنعه فى أجور الفنانين والمحدثين بها من التمهل والإبطاء .

والغاية من هذه الرحلة الطويلة الباهظة ، اقتباس النظم التى تلائم الإذاعة فى مصر ، كما يقول القرار ، فالغرض لا يتعلق بالناحية الهندسية الفنية الآلية ، وإلا كان من يوفد غير المدير والمستشار ، واستحق الأمر أن ينتقل الوفد من مصر إلى تلك البلاد ؛ وإنما يتعلق الغرض بالبرامج ، والبرامج يمكن سماعها فى مصر واقتباس ما يلائم مصر منها ، فلم إذن زيارة محطات الإذاعة ؟ ألِلوقوف على نظام الحجرات والمكاتب بها ، أم للاطلاع على أصول ما يذاع .. ؟

على أن الأستاذ محمد قاسم بك رجل كبير ممدود له فى الخدمة بعد سن المعاش ، أفلا ينبغى أن يستبدل به من يمكن أن يستفاد منه طويلا بعد أداء هذه « المهمة » إن صح أنها مهمة ... ؟

أو لست ترى فى هذه الزيارة عدم اعتراف بالعمل الإذاعى من حيث أن الغرض منه أن ينقل إليك كل شىء فى مكانك ، ولا يجشمك أن تنتقل إلى مكانه ؟!

للدولة تخصيصاته فى الأدب والفن :

قال محدثى : أتعلم لم فازت قصة « البغل والإبريق » التى ذكرت شيئاً من أمرها ، بالجائزة الأولى فى مسابقة القصة بمهرجان الشباب ؟

— أتعنى شيئاً غير تقدير المحكمين لها ؟

— هو تقدير المحكمين طبعاً ، ولكن دخل فى هذا التقدير عنصر آخر غير قيمة القصة الفنية ، فلم تكن أحسن قصة قدمت على الإطلاق ، وإنما رأتها اللجنة خير القصص الخالية من « فتاة الحب » .

لم أكن فى حاجة إلى المزيد لأدرك ما يرمى إليه محدثى ،

مهرجان الشباب الأدبى نظمته وزارة المعارف ، فهى إذن تحرص على الوقار والاحتشام فى هذه المسابقات الأدبية ، كما تحرص عليهما فيما يقدم إلى التلاميذ فى المدارس من نصوص الأدب ، فالمتبع فى اختيار هذه النصوص أن تكون من أغراض غير الغزل كالمدح والرثاء والفخر والحكم والأمثال ، وإن كان الحال قد تغير قليلا فى السنوات الأخيرة إذ صار بعض الأساتذة لا يجد بأساً فى قطع من الغزل « المعتدل » يجتذب بها التلاميذ ويحببهم فى الأدب ، ويسرى عنهم عناء الحكم والأمثال والنصائح وما إليها

جال هذا بخاطرى على أثر ذلك الحديث . ثم قلت فى نفسى : إن بعض المعاهد التى تشرف عليها وزارة المعارف ، تقيم فى بعض الأحيان حفلات عامة فيها تمثيل وغناء ورقص ، وفى بعض هذه الفنون يختلط الفتيان بالفتيات ، وقد تقتضى الحال تمثيل الحب . ووزارة الشؤون الاجتماعية تشرف على المسرح والسينما والإذاعة وتكاد هذه الثلاثة تقوم على الحب من تمثيل وغناء ورقص ، وكثيراً ما يكون فيها الحب الذى هو أكثر من الحب ! والوزارتان تشتركان فى استقدام الراقصات من أوربا كفتيات (الباليه) للتمثيل والرقص على مسرح الأوبرا .

ثم قلت فى نفسى أيضاً : يا عجباً ! أللدولة شخصيتان ، إحداهما متزمتة وقور والأخرى عصرية (اسبور) ؟ ولم كانت الأولى من قسمة الأدب وظفر بالثانية سائر الفنون ؟ قد يكون ذلك من طبيعة المشرفين على الأدب فى الوزارة ومن طبيعة المشرفين على الفنون الأخرى فى الحكومة وفى خارج الحكومة .

ولكن ألا ترى أن الأدب أولى بالشخصية الثانية ، فهو كلام ، وجوه أكثر أمناً من غيره ، وقد كان بعض أسلافنا الذين لم يدركوا اختراع كلمة «الصدق الفنى» يتغزلون ويصفون الحسان ويقولون فى الخمر (غير ما قال مالك) ويصفون فعلها بالنفوس ، ولم يذق أحد منهم طعماً للحب أو للخمر . ولم ينكر عليهم أحد ما يقولون ، بل كان منهم من يعد من الفقهاء والصالحين . أما الفنون الأخرى غير الأدب وخاصة التمثيل فالحب فيها عملى . والأدب لا يفهمه إلا الكبار « العقلاء » أما المسرح والسينما والإذاعة فهى فى متناول الجميع من صغار و كبار ، وخاصة الإذاعة ، فهى لا يمكن المنع منها ، وهى تقتحم كل بيت بكل بذىء من الأغانى و (المنلوجات) لا بالتعبير عن العواطف المهذبة فقط ، وفى جملة من يسمعها التلاميذ والتلميذات الذين تحرص وزارة المعارف على « وقايتهم » من الحب فى الأدب .

فهل ترضى الدولة بما ينطبق عليها من « تعدد الشخصية أو ترى تراجع نفسها لتتلافى هذا التعدد ؟

اللجنة الثقافية بلبنان :

بدأت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية اجتماعاتها يوم ٢٨ أغسطس الماضى فى بحمدون بلبنان . وقد عقدت إلى وقت كتابة هذا أربع جلسات نظرت فيها فى مسائل هامة وانتهت فيها إلى قرارات ، ولا تزال توالى اجتماعاتها لنظر بقية المسائل .

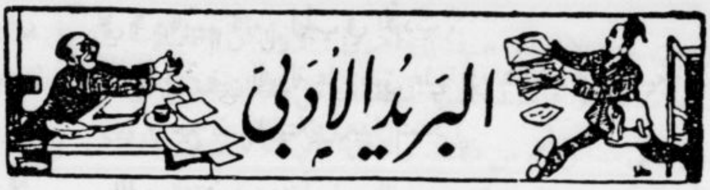
ومما نظرت فيه شؤون الإذاعة والسينما الثقافية ، فقررت توصية مجلس الجامعة بمشروع إنشاء محطة إذاعة عربية كبرى ، وتقوية الإذاعات الحالية ريثما يتم تنفيذ المشروع ، كما تقرر الدعوة إلى عقد مؤتمر لمديرى محطات الإذاعة للبحث فى أنجع الوسائل التى تكفل تنسيق البرامج الثقافية العربية المشتركة وتنظيمها .

وتقرر أيضاً الدعوة إلى مؤتمر للخبراء الفنيين فى السينما للبحث فى ترقية السينما العربية وإنتاج أفلام دعاية للبلاد العربية فى الخارج وقد اشتكى الأعضاء من أن الأفلام العربية ليست فى المستوى الراقى الذى ينشد منها وأنها تنافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القومية ورجوا توصية الحكومات العربية لإصلاح هذا النقص .

وقررت اللجنة تنظيم مهرجان حافل يقام فى إحدى العواصم العربية تخليداً لذكرى ابن سينا ، ووضعت برنامجاً لتنظيم هذا المهرجان ، وقررت تأليف لجنة لنشر آثار ابن سينا ، كما قررت إنشاء مؤسسة علمية تذكارية يطلق عليها اسم الفيلسوف العظيم لتخليد ذكراه .

ونظرت اللجنة قضية الأساتذة والطلاب ورجال الفكر الفلسطينيين ، واتخذت فيها قرارات هامة ستعرض على الجهات المختصة لإقرارها . ومما تضمنته توصية الدول العربية لاستخدام الأساتذة الفلسطينيين الفنيين ، وقبول الطلاب الفلسطينيين بالمجان فى معاهد الحكومات العربية ، وفتح مدارس فى الأماكن التى يكثر فيها الفلسطينيون خارج فلسطين ؛ وقررت أن تطلب إلى اللجنة السياسية العمل على تأمين النفقات للطلاب الفلسطينيين فى أوربا وأمريكا .

عباس خضر



المفعول معه ، وواو المعية :

كتب الأستاذ عبد الستار فراج كلمة حول « واو المعية ، والمفعول معه » أورد فيها أموراً فى حاجة إلى المناقشة .

١ — قال فى مقام الاستشهاد على إفادة الواو معنى مع . أن قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان » أنهم تبوءوا الدار مع الإيمان .

وقد أورد الصبان فى حاشيته على الأشمونى هذا الشاهد ، لكن النسفى فسره بقوله و (أخلصوا) الإيمان يعنى بتقدير فعل مناسب كقوله :

« علفتها تبناً وماء بارداً » يشير بهذا إلى أن ما بعد الواو لا يصح اشتراكه فى الحكم « الحدث » مع ما قبلها لاختلاف المدلول .

وقد سار على ذلك التأويل الفراء والفارسى ، وأما المازنى ، والمبرد وأبو عبيدة ، والأصمعى ، واليزيدى ؛ فقد قدروا فعلا يصح انصبابه عليهما وهو (أنلت) .

وعلى القولين يمكن تخريج الآية بأن (الإيمان) إما أن يكون منصوباً (بلزموا) ، أو (ألفوا وأخلصوا) ؛ فسياق الأستاذ بعيد عن الدقة لأن الواو تقتضى معانى متعددة ؛ فهى تفيد الاشتراك ، أو المعية ، أو الدلالة على العطف من دون تأويل ، أو بقاءها مع حذف المعطوف عليه لاختصاصها هى والفاء العاطفة به

٢ — غير أننا حين نفارق بين واو العطف ، وواو المعية يلزمنا التقريب إلى إيضاح مرادنا فى صورة بينة ، ونحن نظاهره على نقده تعريف المفعول معه ، لكن الأمثلة توضح القاعدة وتحدد معانى الألفاظ الاصطلاحية . فنقول لتلاميذنا فى (خرجت والأصيل ، وسرت والشاطىء ، واستذكرت والمصباح) : إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث ، إذ الأصيل لا يخرج ، والشاطىء لا يسير ، والمصباح لا يستذكر ، وإنما حصلت الأحداث مقارنة لهذه الأشياء ، وبهذا الأسلوب الإفهامى نستدنى القاعدة إلى الأفهام !

٣ — قال : إنه يحيل قول الشاعر : « لا تنه عن خلق وتأتى مثله إلى الحال ، وقد تجوز فى رأيه تجوزاً بعيداً ، فقد فرق (الرضى) بين واو الحال ، وواو العطف ، وواو المعية بما يفيد أنهم — أعنى النحاة — لما قصدوا معنى المصاحبة نصبوا المضارع بعدها ليكون السياق مرشداً فى أول الأمر إلى أن الواو ليست للعطف ، أما واو الحال — وأكثر دخولها على الأسمية — ؛ فالمضارع بعدها فى تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ، فمعنى (قم وأقوم) : وقيامى ثابت .

على أن الطلب : « ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به » ؛ فكان بينه وبين ما بعده ارتباطاً فيه ترتب حكم ؛ فالنهى عن الخلق مرتبط بملابسه فعله — أما جملة الحال ؛ فيقصد منها الكشف أو بيان الهيئة فإذا قلت : « لا تقع فى اللبس وأنت غلطان » كان المعنى النهى عن الوقوع فى اللبس فى حال الغلط ؛ فقد يقع اللبس سهواً على خلاف « لا تقع فى اللبس وتغلط » ؛ فإنه يقتضى النهى عن وقوعهما أو وقوع اللبس وحده مع ملابسة الغلط .

وبعد ؛ فهذا ما بدا لنا سقناه للعلم والحق — على قدر ما نعلم — « وفوق كل ذى علم عليم » !

أحمد عبد اللطيف بدر
المدرس ببور سعيد

هأنذا :

اشتهر بين المتأدبين أن الضمير المسبوق بها التنبيه يخبر عنه وجوباً باسم الإشارة الذى يناسبه ، ومثاله قول الله تعالى : (هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) وقوله جل وعلا : (هأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) . وقول الشاعر :

إن الفتى من يقول هأنذا   ليس الفتى من يقول : كان أبى

وقد غلا كثير منهم فى تطبيق هذا الحكم غلواً كثيراً ؛ مع تخلفه فى مواطن شتى من كلام البلغاء والعلماء الذين يقتدى برأيهم ؛ كالعلامة (ابن هشام) فإنه أورد هذه القاعدة فى (المغنى) ولكنه جريا وراء فطرته فرّق بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب

فقال فى مقدمة الكتاب قوله (وهأنا بائح بما أسررته) بدون أن يخبر باسم الإشارة ؛ وقال (البحترى) وهو من هو فى صفاء الأسلوب :

ها هو الشيب لائماً فأفيقى ... واتركيه إن كان غير مفيق

ولا يمكن وقوع (البحترى) فى هذا الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً فى جميع الأحوال ؛ والحق أن النحاة لم يوجبوه ولكن كثيراً من الواقفين على شاطىء العلوم لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ، ولا يتعمقون المباحث العلمية حتى يقفوا على أسرارها ، فيقضوا فى الأمور على بينـة ، وإنى — ولا أزكى نفسى — أستطيع أن أعرض على القارىء ما أراه سبباً لتخلف هذه القاعدة فى بعض الحالات ؛ يبدو لى أن الأساليب المقرونة بالتحدى هى التى لا تخلو من أسماء الإشارة ؛ فالآيتان الكريمتان فيهما إنكار شديد ، وعتاب لاذع للمؤمنين الذين لا يزالون يجادلون عن المنافقين وأمثالهم ، والذين لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استبانة البغضاء فى أفواههم ، وتماديهم فى معاندة الإسلام والكيد للمسلمين ؛ ولما كان هذا اللوم شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة زيادة فى تصوير موجب اللوم حتى كأنه مصور محس لا يمكن التنصل منه ؛ وكذلك الشأن فى البيت فإن معنى التحدى واضح فيه كل الوضوح . (وزيادة فى الفائدة يحسن الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم الإشارة فى الآيتين منادى مع حذف حرف النداء) . ثم نرجع إلى صميم البحث فنقول : أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد حسن (أو جاز على الأقل) تجريد الكلام من اسم الإشارة ؛ وبهذا يكون (البحترى) على العهد به فى تفهم مقتضى الحال ، والإتيان بما يطابقه من الكلام ، فيكون كلامه جارياً على سجيته : من الجودة والرصانة ، كما كانت الآيتان الكريمتان فى الذروة من البلاغة لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

(الاسكندرية) محمود البشبيشى

كتاب مفتوح إلى صاحب الفضيلة الشيخ أحمد محمد آل شاكر

كنا عند ظهور كتاب الأغلال لعبد الله القصيمى وتداول آراء بعض العلماء فيه ننتظر رأى فضيلة الشيخ أحمد بن محمد آل شاكر إلا أن فضيلته لأمر لا ندريه ، تذرع بالصمت ولم ينبس ببنت شفه فى أغلال القصيمى والآن بمناسبة ظهور رد جديد على الأغلال نفسها من الشيخ محمد بن عبد الرازق آل حمزة ومقدمة من الأستاذ الغمراوى نرى أن الفراغ لا يزال موجوداً لم يسد ولا يصلح ولن يصلح لسـد هذا الفراغ إلا كلمة فضيلة الشيخ الشاكر فيه إذ لا يدعى للجلى إلا أخوها . وعليه نرجو فى إلحاح من فضيلة الشيخ الشاكر بيان رأيه الثاقب وكلمة العلم فى الموضوع وله من الله الأجر والمثوبة ، ومنا طلبة العلم الشكر الجزيل وإنا لكلمته منتظرون .

(الرياض) عبد الرحمن بن سلوم



فنون الإسلام

نقد ودراسة

للدكتور أحمد موسى

نفضل الدكتور زكى محمد حسن وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأستاذ الآثار الإسلامية فيها ، فأهدى إلى نسخة من كتابه « فنون الإسلام » وهو الكتاب الذى بدا لى عندما قلبت صفحاته أنه ليس من الكتب التى يسهل درسها ونقدها فى وقت قصير ، مما ألزمنى التأنى فى قراءته بإمعان يتناسب مع قيمته وخطره !

والحق أشهد أنى وجدت فى الكتاب كل ما تصبو إليه نفس القارئ من المتعة والتثقيف الفنى ، أما المتعة فلأنه تناول تاريخ فنون الإسلام ونشوئها وتطورها من أقدم عصورها حتى آخر عصر النهضة الأوربية ، وهو موضوع يلذ لكل قارئ الاطلاع عليه ، وأما التثقيف فلأنه حافل زاخر بدراسة محيطة لهذا الموضوع العظيم الشأن من جميع نواحيه ، فى أسلوب الأديب ، فجاء بعيداً عن الجفاف العلمى الخالص ، مع توافر أصوله فى كل صفحة من صفحاته ، مما جعل منه مرجعاً لكل باحث .

والأستاذ الدكتور زكى غنى عن التعريف إلا أنه يهم القارئ أن يعلم أن مؤلف الكتاب (الذى بين أيدينا) حائز على دبلوم الآثار الشرقيه والإسلامية من مدرسة اللوفر ، ودبلوم اللغة الفارسية من مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، فضلاً عن أنه حائز على ليسانس الآداب من الجامعة المصرية ودكتوراه الآداب من السربون .

أما من حيث الناحية العملية فقد كان مساعداً علمياً بمتحف برلين كما كان أميناً لدار الآثار العربية بالقاهرة ، وهو بهذا وبما سبق له تأليفه من كتب فى الفن الإسلامى يدفع بالقارئ لكتابه إلى الاطمئنان الكامل .

ولا أبالغ فى القول بأنه لولا مؤلفه المذكور وما سبقه من مؤلفاته(١) لكان ما أخرج للناس فى لغتنا العربية خاصاً بالفن الإسلامى قليلا ضئيل النفع ، ولعل مما يؤيد هذا ، المراجع التى ذكرها فى ذيل كتابه والتى بلغت ٢٧٠ مرجعاً بالألمانية والانجليزية والفرنسية ، اللهم إلا تسعة عشر مرجعاً جاءت باللغة العربية معظمها فى موضوعين اثنين هما العمارة والخزف ، أما ماتبقى بعد ذلك من الموضوعات فلا توجد له مراجع معتبرة فى اللغة العربية

ولسنا فى مجال البحث عن الأسباب التى أدت إلى الركود العجيب فى الدراسات الفنية بالبلاد الشرقية عموماً وبمصر على وجة الخصوص .

على أن هذا لايمنع من أن أذكر أنه قد ظهرت بضعة مؤلفات باللغة العربية عدا تلك التى جاء ذكرها ضمن مراجع الدكتور زكى ، كان مؤلفوها من غير المتخصصين ، فكانت كتاباتهم لا تخرج عن محاولات ، فضلاً عن ظهورها فى عالم المطبوعات ، فى وقت كان إقبال الناس فيه على دراسة الفن ومعرفة أسراره ضئيلاً يكاد يكون معدوماً .

ولما كانت مهمة تاريخ الفن هى الاستعراض العلمى لنشوئه وتطوره وارتقائه وأثره ، على أساس التاريخ العام مع تطبيق أصول علوم أخرى ، ولما كان الأسلوب العلمى فى التاريخ العام هو تقسيمه إلى الاقسام الثلاثة المعروفة بالقديم والمتوسط والحديث ، فإن تاريخ الفن مع كونه استعراضاً لنشوء الفن وتطوره وأثره كما ذكرت ، يخضع لنفس القاعدة بغية التبسيط ، ولإيجاد الرابطة الوثيقة بين التاريخ العام وتاريخ الفن ، على اعتبار الانتاج الفنى مقياس الحضارات الصادق .

هذا بيان يدفع بى إلى الخروج عن موضوع الكتاب ؛ فأذكر شيئاً عن تاريخ العلوم والفنون الإسلامية عند الغربيين وعن الدوافع

(١) الفن الإسلامى فى مصر — التصوير فى الإسلام عند الفرس — كنوز الفاطميين — الطولونيون — فى مصر الإسلامية — نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية ، وهذان الكتابان الأخيران اشترك مع آخرين فى تأليفهما ، وله كتب ترجمها عن اللغات الاوربية أذكر منها تراث الاسلام — وعلم الآثار ترجمه بالاشتراك مع الأستاذ محمود حمزه .

التى حفزتهم إلى العمل فى هذا المجال الفسيح .

فمندما قصد رجال كنيسة روما نشر الديانة المسيحية بين شعوب آسيا وأوربا وشمال افريقية رأوا أنه لا مناص من معرفة لغات هذه الشعوب لأنها المفتاح الأوحد إلى قلوبهم ، فتجد أنه لم ينتصف القرن الثالث عشر الميلادى حتى كان البابا « اينوسنس » قد أصدر أمره بإنشاء كراسى (جامعية) لتعليم اللغة العربية ، وهو الأمر الذى حافظ على تنفيذه « كليمنس » الرابع و« هونوريوس » الرابع . أما فى عهد « كليمنس » الخامس ، فقد تقرر فى المؤتمر الكنسى بمدينة فيينا Vienna Synode إعداد معلمين لتدريس اللغة العربية فى كل من روما وباريس وأكسفورد وبولونا وسلامنكا كطريق إلى غزو الشرق بما فيه من الكنوز العلمية والأدبية والفنية وغيرها ، وتطور الحال فلم تقتصر هذه العناية على معرفة اللغة العربية لذاتها ، بل ازداد الاهتمام بمعرفة أسرارها وإدراك ما كتب بها من مؤلفات فى مختلف العلوم والفنون ، لا للدرس والمعرفة فحسب ؛ بل كذلك للاستيلاء على تلك المؤلفات نفسها كلما سنحت الفرصة ، وهى المؤلفات التى ترجمها العرب عن الأغارقة وغيرهم عدا ما ألفوه ، لكى يتمكن العقل الأوربى من الوقوف على مصدر حضارة العرب ، وعلى ما تركه أرسطو وغيره من رجال المدرسة الأثينية والسكندرية من المؤلفات الزاخرة بالمادة العلمية للافادة منها جميعاً .

وهكذا انتهى الأمر بظهور الكثير من الكتب القيمة باللغة اللاتينية أصلها عربى من تأليف علماء المسلمين ومن اشتغل إلى جانبهم من الشرقيين خلال القرون الوسطى الزاهرة فى تاريخ الإسلام .

وجاء دور الانقلاب الدينى فى أوربا ، وأهم مايعنينا من آثاره انتشار الدراسات الشرقية وزيادة العناية بمعرفة اللغة العربية عند ما كان « علم التفسير » exgesis من العلوم التى ترجع فى أصولها إلى المصادر الشرقية لإيضاح نصوص الكتاب المقدس .

هذا إلى جانب الدور الخطير الذى لعبته البعثات التبشيرية الكاثوليكية لنشر المبادئ المسيحية فى الشرق ، تخصص البابا « أربان » الثامن فى عام ١٦٢٧ لبعثة الدعاية الدينية Collegium pro fide propaganda فريقاً من رجال اللاهوت لدراسة اللغات الشرقية وفى مقدمتها اللغة العربية .

وصفوة القول أن الدراسة العلمية السليمة لهذه اللغات وعلى رأسها لغة الضاد لم تبدأ إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر بعدما خرجت عن نطاق الكنيسة ودخلت فى نطاق الاستعمار المنظم ، فمنذ كروليم جونز الإنجليزى الذى وجه نظر بلاده (بلغة السياسة) إلى الدراسات الشرقية وما ينتظر من ورائها من فوائد ، وذلك فى مقاله الافتتاحى بمناسبة إنشاء الجمعية الأسيوية فى عام ١٧٨٤ ، كما نذكر سلفستر دى ساسى صاحب المجهودات البارزة للانتفاع بالمؤلفات العربية وكتاب العرب !

وإذا كانت الدراسات الشرقية فى مختلف العلوم قد سارت على غير نشاط متشابه نتيجة الاهتمام بفروع منها دون الأخرى ؛ فإن فجر القرن التاسع عشر قد عرف بأنه فجر النشاط الشامل لمختلف نواحى تلك الدراسات ، فبدأ التخصص يظهر فى أفق العلم ولا سيما بعد تأسيس الجمعيات العلمية فى كل دولة من الدول العظمى التى اهتمت بالشرق ، فنجد جمعية العلوم الشرقية الألمانية تأسست فى سنة ١٨٤٥ بمدينة ليبزج ، ومعهد اللغات الشرقية ومدرستها فى سنة ١٨٨٧ ببرلين ، على حين تأسست جمعية فيينا قبل ذلك باسم الأكاديمية الشرقية ، أما فى باريس فقد عرفت باسم Ecole spéciale des Langues orientales vivantes وعدا هذه جمعيات لندن وبطرسبرج وغيرها

كل هذا من أجل الشرق بما حواه ، ولم تكن هناك وسيلة لغزوه أفضل من وسيلة العلم ، فلن تجد فى أوربا من ينكر الخير العميم الذى جاء كالغيث على أهل أوربا نتيجة لتأسيس تلك الجمعيات التى هب الكثيرون من أعضائها للرحيل إلى الشرق للدرس الجامع الشامل والقيام بأعمال الحفر الأثرى استكمالاً لما شاهدوه منها ظاهراً يسحر الألباب !

ولهذا فلا عجب عند ما نجد كل المراجع الحديثة ذات القيمة العلمية فى البحوث الشرقية والإسلامية باللغات الأوربية .

ولكن الموضوع لا يقف عند هذا الحد ، إذ اتضح بعد وضع المؤلفات عن الشرق وما فيه افتقارها إلى الأسلوب العلمى الذى لا يكون إلا بالتخصص ، ولما كانت هذه المؤلفات قد اشتملت ضمناً على التراث الفنى المجيد ، وفيه مجال فسيح الأفق لا يصل إلى مداه إلا الدارس ، رأينا هؤلاء الأوربيين يعطون القوس باريها !

وهنا أرانى مضطراً مرة أخرى إلى التعريج على قصة تاريخ الفن ما دمنا فى معرض الكلام عن « فنون الإسلام » :

فقد بدأ الكاتب الرومانى بلينيوس كتابه عن الفن وتاريخه (فى العصر القديم) فى القرن الأول المسيحى، ووضع الكاتب الإغريقى بوزانياس فى النصف الثانى من القرن الثانى المسيحى كتابه الشامل لبيانات وأوصاف وإيضاحات فنية نافعة كانت بأسلوب أقرب إلى السرد منه إلى النقد.

ولم يكن الأسلوب مختلفاً عن ذلك كثيراً فى القرون الوسطى فلم يكن ما كتب يزيد عن وصف عام للعمائر، وإيضاح لما استنفد فى إنشائها من مجهود.

وقد ظهرت بعدئذ كتب فى تاريخ الفن العام فى ثوب علمى نتيجة لإقبال الناس على مؤلفات الأقدمين ودراسة آثارهم والنقل عنهم، فقام فريق من أهل العلم بتفسير ما حرره فيتروفيوس، على حين اشتغل فريق آخر بتسجيل الكتابات والنقوش التى وجدت على كثير من الآثار مع تفسيرات وشروح.

ومهما يكن نوع هذه المجهودات والطريقة التى سار عليها أصحابها، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة فى مضمار تاريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر، عند ما كتب لأول مرة المؤرخ اللاتينى «فاسارى» الذى تتلمذ فى الفن على ميكلانجلو، والذى يعد بحق إمام مؤرخى الفن، كتابه القيم الذى حوى تراجم مفيدة لرجال الفن فى إيطاليا.

وهناك مؤلفات جديرة بالذكر، منها كتاب «المشاهدات» لكارل فان ماندر، وكتاب أكاديمية العمارة والنحت والتصوير ليواخيم فون ساندررت، وكتاب برنارد دى مونفاكو، فضلا عن كتاب يواخيم فينكلمان مؤسس علم الأركيولوجيا سنة ١٧٤٥ وجاء بعد هؤلاء كثيرون لا يتسع المقام لذكرهم.

إلى هذا الحين كانت كل المجهودات فردية، كما كان اتجاه كل مؤلف اتجاهاً خاصاً ولفن بعينه، فكان الراغب فى المعرفة الفنية العامة لا يستطيع الوصول إلى بغيته، حتى آن الأوان وتكاتف فريق من علماء الألمان كسابق تكاتفهم فى مضمار تاريخ الفلسفة وغيرها — على إخراج مؤلف شامل، فظهر فى الأفق كتاب «شنازه» وبعده بقليل كتاب «لوبكة» وبعده كتاب عظيم الشأن هو «تاريخ الفن العام» لمؤلفه أنطون شپرنجر، والذى يطبع حتى اليوم بإضافات مستمرة فى مجلدات ستة تعتبر مرجعاً طيباً لكل مؤرخ فنى.

وقسموا كتبهم التى أخرجوها فى مجلدات إلى عصور والعصور إلى مراحل، ووزعت المراحل على الشعوب توزيعاً جغرافياً حرصاً على استبقاء آثار التجاور وتشابه الأجواء والبيئات على الإنتاج الفنى فضلا عن سهولة التناول، فجاءت المؤلفات ومنها ما يخص الفن القديم من شرقى وغربى، فمصر وبابل وآشور والعراق والفرس والهند والصين فى كفة، والإغريق والرومان فى كفة أخرى.

وهكذا كان التقسيم لفن العصر المتوسط ولفن العصر الحديث من حيث المنهج والأسلوب الدراسى.

هذا إلى جانب تقسيم الإنتاج الفنى نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة الخ.

وظل البحث الفنى فى تقدم مستمر بتقدم أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار إلى جانب ترميم وإصلاح العمائر والمبانى من كنائس وقصور ومساجد الخ، فوجدنا كتباً عن فن قائم بذاته كالفن الإغريقى وحده، كما وجدنا مجلدات تخص فن النحت دون سواه. ولم تقف الحال عند هذا، بل ترى فريقاً من عشاق الفن وقد اشتغل بتأريخ حياة مثال بعينه؛ فتجد بحثاً قائماً بذاته عن فيدياس مثلا.

أما التقدم فى إخراج هذه الكتب فكان من ثلاث نواح، الأولى أن تأليفها كان مبنياً على أصول البحث العلمى وما يحتاج إليه هذا من الأفاضة فى الموازنة والمقارنة، وفى ذكر المراجع والمصادر عند عرض رأى من الآراء الفنية أو مناقشته، والثانية تزويدها بالصور الفوتوغرافية القيمة التى أماطت اللثام عن كثير من الدقائق التى لا يمكن فحصها فى مكانها الأصلى، إلى جانب تكاليف السفر ومشقته ومايستنفده من وقت ومجهود، والثالثة تقدم فن الطباعة تقدماً عجيباً جعل فى الأمكان الجمع بين لوازم العلم من ناحية تنويع حروف الطباعة لملاءمة البحث وتمييز فصوله وأبوابه، وتلوين الأشكال والصور بألوان تحاكى الأصل — وبين الدقة والعناية، بل والأناقة فى الإخراج، فأصبحت كتب الفن فى كل من أوربا وأمريكا أنموذجاً للكمال.

هذا إلى جانب ما أخرج للراغبين من معاجم ودوائر معارف وموسوعات ومجلات ونشرات وتقارير سنوية وغير سنوية للدراسات والاكتشافات الفنية والأثرية وأصول النقد الفنى والتقدم فى النقد المقارن.

كانت كل هذه المجهودات تسير قدماً ونحن فى نوم عميق!

على أن هذا النوم العميق لم يمنع من ظهور بعض الكتب المترجمة عن الفن المصرى حيناً وعن الفن فى القرون الوسطى.

وفى عصر النهضة وما بعده حيناً آخر ، وهى كتب أكثر ما يمكن أن يقال فيها أنها محاولات وترجمات لكتب فنية لا تتفق أصلا مع حاجة المصريين ولا مع سابق دراساتهم إلى ذلك الحين على الأقل ، كما كان بعضها أقرب إلى « كتالوجات » الصور منه إلى الكتب الدراسية ذات الأسلوب النافع . ولهذا جاءت ضعيفة الإخراج قليلة المادة ضئيلة النفع ، لا لشىء سوى عدم تخصص مترجميها أومؤلفيها من ناحية وعدم وجود القارىء للكتب الفنية القيمة التى تدفع بالمتخصصين إلى العمل من ناحية أخرى .

ولقد ظهرت بعد الثورة المصرية بعض كتب قيمة إلى جانب مقالات وبحوث ظهرت فى مجلات محترمة عن الفن واتجاهاته ومدارسه . فإذا ما ظهر اليوم كتاب « فنون الإسلام » لتنوير الأذهان نحو موضوع من أخطر موضوعات الثقافة الفنية الإسلامية ؛ فإنه لا يسعنا إلا تهنئة القراء الشرقيين عموماً والمصريين على وجه الخصوص بهذا الكتاب الجامع الشامل !

والحق أشهد أنه من أشق الموضوعات التى تحتاج إلى التريث وطول الأناة وسعة الاطلاع ، فعندما يتصدى الكاتب لفنون الإسلام جميعاً إنما يجابه موضوعاً عسيراً ، لا يتغلب عليه إلا القادرون .

جاء الكتاب فى نحو ٧٥٠ صفحة من القطع المتوسط شاملا للعمارة والنحت والتصوير وأعمال النجارة والقاشانى والفنون الزخرفية بأوسع معانى الكلمة ، وذلك فى الأقطار الإسلامية مرتبة ومبوبة تبويباً خاضعاً للاسلوب العلمى .

وإذا علمت بأن فنون الإسلام فى مجموعها تقف أمام الفنون الوثنية الكلاسيكية موقف المناهض ، وأنها قامت على أكتاف الفنون المسيحية فى أول أمرها ثم أخذت تستقل رويداً رويداً حتى تم لها الوجود والكيان القائم بنفسه ؛ استطعت تقدير المشقة والمجهود المبذولين لبيان هذا الاتجاه بقلم كاتب مصرى مسلم !

ولعل من الخير أن نذكر أن المحور الذى تدور حوله الفنون المسيحية المبكرة ومابعدها كان دينياً خالصاً ؛ فأقيمت الكنائس مزودة بالتماثيل الآدمية وغير الآدمية ومحلاة بالتصاوير الدينية وما إليها ، على حين كان المحور الذى تدور حوله الفنون الإسلامية هو إنشاء المساجد والجوامع مجردة من النحت الآدمى والصور الدينية ، وهذا موضوع تناوله المؤلف بالبيان فى كتابه .

وقد اختص الدكتور زكى موضوع التصوير الإسلامى بأكبر عدد من الصفحات (٧٨ صفحة) تناول المؤلف فيها ضمناً ما قيل من الأسباب التى جعلت منه فناً جامداً — وأخذ يناقش مختلف الآراء بأسلوبه الممتع . كما اختص الفنون المدنية بعناية تجلت فى نحو ٧٣ صفحة ، أما المنسوجات فقد جاءت فى ٥٣ صفحة ، والحفر على الخشب فى ٥١ صفحة ، ثم يلى ذلك الخزف والسجاد والزجاج والبلور الخ . وهى أبواب كما ترى تصلح لأن تكون كتباً مستقلة ، ولكن المؤلف شاء أن يكون كتابه مرجعاً لكل باحث ومثقفاً لكل مريد .

ثم جاءت بعض الصور التى بلغ عددها جميعاً ٧٥٠ صورة على غير الدرجة المرجوة من الدقة والظهور وهى المرقومة ١٥٢ و ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ و ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٨٠ ، ٤٥١ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥٢٤ و ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٦٤ ، إلا أن هذا لا يمنع من تسجيل النجاح فهذه كلها لا تزيد عن ٤ فى المائة من مجموع صور الكتاب التى جاءت شرحاً وإيضاحاً للموضوع .

أما الأساليب الفنية الإسلامية فقد تناولها المؤلف منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى حتى غزته الأساليب الفنية الأوربية فى القرن الثامن عشر الميلادى بإفاضة وبيان شامل .

وربما كان من أوجه الكمال لو أن الدكتور ذكر أمام كل مرجع المكان الموجود فيه ، ذلك لأن عدد المراجع وقد بلغ ٢٧٠ يعد فى ذاته مفتاحاً لكل باحث ، فإذا علم مايوجد منها بدارالكتب المصرية ، وما بالجمعية الجغرافية وما تضمن منها مجموعة المعهد المصرى ، ومكتبة الجامعة ومكتبه كلية الآداب ؛ فإنه ولا شك يختصر الطريق ويصل إلى ما يبتغيه .

وقد حرص المؤلف على تذييل كتابه بكشاف فى نحو ٢٣ صفحة وبخريطتين تخطيطيتين أولاهما لإيران ، وثانيهما للشرق الأدنى وبلاد المغرب .

فلعلى ألمس فى القريب إقبال الناس على قراءة هذا الكتاب الذى أعده باقة زهر يانعة قدمها المؤلف إلى أبناء الأمة العربية ، فى أنسب الأوقات .

أحمد موسى

كبير المفتشين بمصلحة المساحة المصرية

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٤ — الاثنين ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 794

Lundi — 20 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٩٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

صديقي الأستاذ توفيق الحكيم

مهما يكن من حرصي على ألا أدخل في حديث يدور لي أو علي، فإني لا أجيز لنفسي بعد ما قرأت في (أخبار اليوم) تحيتك الكريمة أن أدعها تمر دون أن أتقبلها بالغبطة وأردّها مع الشكر.

تفضلت فرشحتني لكرسي شوقي في كلية الآداب من جامعة فؤاد، وأيدت ترشيحك بحسن ظنك بي وجميل رأيك في. وليس الترشيح في ذاته هو الذي هيأ نفسي للكلام وحرك يدي بالكتابة؛ فإنك تعلم من نفسك ومن تجاربك أن الترشيح لشغل هذه المناصب تتنازعه عوامل مختلفة من هوى السياسة ورضى الحكم. والمعروف أنهم ينظرون في المنصب إلى المال والمجد ومن لهما يستحق، ولا ينظرون فيه إلى الفضل والكفاية ومن بهما يتصف. وإني أعلم من نفسي ومن طبعي أنني لا أقبل هذا الكرسي وإن ذُللت عقابه وسهّلت صعابه؛ لأني أفضل أن أظل بقية حياتي كما كنت جنديًا متطوعًا في القوة الخفيفة من قوى الأدب العربي: أرود وأنتجع وأكتشف من غير نظام أتبعه ولا قائد أطيعه ولا جزاء أبتغيه ... ولقد عرض عليّ في العام الماضي عميد كلية الآداب السابق أن أكون أستاذًا زائرًا في الكلية، فقلت له والأسى يهدج صوتي ويقطّع كلامي: شكرًا يا صديقي وعذرًا! لقد تقدمت السن وتأخرت الصحة وأوشك الماخر في عباب الحياة أن يبلغ الساحل! وماذا تبتغي من عامل مكدود أدرك سن المعاش، أو من فرس مجهود قارب نهاية الشوط؟ إن من حق ذلك أن يسترفه، ومن حق هذا أن يستجم. وما على الجواد من بأس إذا أخطأه الرهان بعد أن جرى مِلء فروجه وبذل غاية جهده حتى بلغ ما بلغ من غير سوط يحث ولا حقنة تثير ولا حيلة تساعد. ولكن صديقي ألح في العرض والحث في الرفض ووقف الأمر بيني وبينه عند ذلك.

فالموضوع إذن يا صديقي أهون علي من قطرة المداد التي تسيل بالحديث عنه، وإنما هيأ نفسي للكلام وحرك يدي بالكتابة تلك الروح الطيبة التي أملت عليك ما كتبت؛ فإن كلمة الخير من أديب في أديب، أو شهادة الحق من عالم في عالم، لم يسجلها تاريخ الأدب إلا في باب النوادر! ولعلك تذكر أننا تشاكينا مرة داء الضرائر بين الأدباء فقلت لك: لا أدري لماذا يظن الكاتب أو الشاعر أو الفنان أن الأرض لا تتسع إلا له، وأن الناس لا يقبلون إلا منه، وهو يعلم علم اليقين أن الأدب ألوان وطعوم، وأن الذوق أشتات ودرجات، وأن مثل الأدباء والفنانين في العصر الواحد والبلد الواحد كمثل الجوقة الموسيقية تؤلف بأصواتها المتنوعة وصورها المتعددة لحنًا واحدًا يطرب النفوس المختلفة، ويرضي الأذواق المتباينة، ونجد مع هذه الوحدة وذلك الانسجام لكل عازف مكانًا، ولكل صوت آذانًا، ولكل قطعة فنًا، فلا تغني آلة عن آلة، ولا يجزي صوت عن صوت.

وإني لأذكر أنك صوبت هذا الكلام وزدت عليه أن رجال

لو أصبح لليهود دولة ...

للأستاذ نقولا الحـــداد

إنه إذا لم تمحق جماعة إسرائيل المزيفة — ولا تمحق إلا بالسلاح — كان أولى كوارثنا أن الجامعة العربية تفقد هيبتها وتسقط قيمتها وتنحل كما تنحل قطعة السكر حلا فى الماء السخن بعد أن كان متوقعاً أن تتحول إلى ممالك متحدة على حد الاتحاد السويسرى أو الأمريكى ، بحيث تتضاعف قوتها أضعافاً .

الثانية : متى انحلت الجامعة العربية ضعف جداً استقلال كل دولة بحيث تستطيع جماعة إسرائيل أن تستغل هذا الضعف بسهولة كلية ، إذ يمكنها أن تلق شباكها الاقتصادية ، فتتصيد الدول العربية واحدة بعد واحدة ، بأية حجة حتى بالقتال ، ثم تتحكم فيها ، إذ تأسرها بالاطف الاقتصادى ، وبالتحاف السياسى وبحنو الصرافة Banking busyness ، وإذا اقتضى الأمر فبدلال بنات إسرائيل ، كرفقا وراحيل .

وثالثة الأثاثى : أن ما كنا نتبجح به من الإجماع على مقاطعة المنتجات اليهودية ، والإعراض عن معاملة اليهود إلى أن يضيق بهم العيش ، وينضب الرزق « ويطفشوا » من البلاد رويداً حتى تصبح جماعة إسرائيل بلا أهالى ولا رجال — إن هذا الظن يذهب حينئذ مع ريح الإغراءات الصهيونية المتنوعة .

الرابعة : لا نلبث أن نرى الصناعات الصهيونية قد ترعرعت وجعلت تزاحم صناعاتنا ومرافقنا ، وتقتل أسباب عيشنا واحداً واحداً حتى نصبح حينئذ عالة على الإنتاج الصهيونى فلا نستطيع أن نعيش إلا تحت رحمة أبناء صهيون وهم خالون من الرحمة .

الخامسة : يتغلغل رأس المال اليهودى فى جميع البلاد العربية وتصبح هذه البـلاد مكبلة بالديون الإسرائيلية . ولا تلبث أن تصبح الأملاك والعقارات رهائن فى بنوك إسرائيل وفروعها فى جميع البلاد العربية — هـكذا تنتقل ثروات البلاد إلى بنى صهيون ، فيفتقر العرب ، ويثرى اليهود . والنتيجة القصوى هى استعباد هؤلاء لأولئك .

والسادسة : أن ما نستبشر به الآن من ازدياد الغلال المعدنية التى تبشرنا بها چيولوچية بلادنا : كالبترول والفحم والحديد حتى الأورانيوم وغير هـذه من خيرات الأرض الدفينـة سيكون لشركات اليهود كما هى الحال الآن فى أملاح البحر الميت . ومهما تحوطنا حتى لا تقع هذه الثروات فى أيديهم ، فلا بد أن تؤول إليهم بفضل حكامنا الذين تغريهم الشركات اليهودية بالرواتب الوافرة لـكى يكونوا أعضاء فى مجالس إدارتها ولـكى يساهموا فيها إن أمكن ، ولـكى يقال أن الشركة وطنيـة — مصرية أو سورية أو لبنانية أو عراقية الخ . لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لـكى يحلبها شعب الله المختار (الجوييم) كما هو حادث الآن ، وبعض من الوزراء السابقين ، أو وجيه مصرى ذى نفوذ ، إلا وهو عضو فى عدة مجالس إدارات لشركات يهودية بمـكافأة بضع عشر مئين من الجنيهات ، فى مقابل أن يسهلوا لها وسائل الرواج والـكسب . هل يصدق القارىء الـكريم أن أحد هؤلاء « الوطنيين » هو عضو فى ٤٣ شركة ، وإن وجيهاً عظيماً يتقاضى من بعض الشركات ٢٢ ألف جنيه سنوياً . ولا يخجلون من أنهم بنفوذهم الوهمى يربحون هذه الشركات اليهودية الملايين ، ومن أين هذه الملايين ؟ طبعاً هى من دماء هذه الأمة المنكوبة بغيرة حكامها

السادسة : إن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، لا يلبث أن يشعر بعد قليل من رسوخ قدم الإسرائيليين ، أن الشركة الأمريكية التى تستغل بترول بلاده بقاء بضعة ملايين من الجنيهات قد أصبحت يهودية قلباً وقالباً من غير أن يعلم السوابق واللواحق . وحينئذ يعلم الماليون الأمريكيون أن هذا البترول الذى يقتتلون لأجله ، أصبح يتسرب إلى موسكو ؛ لأن تماقداً سرياً بين موسكو وتل أبيب قد تم على نية أن تتبادل الصهيونية والشيوعية المنافع الضخمة . وحينئذ يعض ماليو أمريكا وساستها المغفلون أناملهم ندماً على تفريطهم بصداقة العرب ، وعلى تأييدهم الصهيونية فى الشرق العربى .

هذا المصير الذى يصير إليه بترول الحجاز ، سيكون مصير بترول العراق أيضاً ومصير بترول مصر وبترول البحرين ومصير

الأدب والفن هم صفوة الناس فى سمو النفس والحس ، فلا ينبغى أن يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من أوزار الغيرة وأضرار الحسد . وأنهم بتحابهم وتوادهم أحرياء أن يخففوا عن نفوسهم بعض ما يكابدون من عامية الخاصة وأمية العامة ومادية الحـكومة .

والحمد لله والشكر لك ! لقد رأيتك تمنى ما تقول ، وتريد ما تمنى ، وتفعل ما تريد !   (المنصورة)   أحمد حسن الزيات

كل بترول جديد يظهر فى الشرق العربى . ومتى صارت منابع البترول فى أيدى اليهود فلا يعود نصيب جلالة الملك عبد العزيز السعود ونصيب حكومة العراق ونصيب أمير البحرين ونصيب أيه حكومة عربية إلا قشر البيضة من ثروة البترول .

إن ثبتت قدم الصهيونيين (لا سمح الله) فسيكون كل هذا بعد عشرين أو ثلاثين سنة . وحينئذ سيقول من يبقون أحياء إلى ذلك الحين ممن قرأوا هذا المقال : « رحمة الله على نقولا الحداد » قال وقوله صدق » . وحينئذ لا تعود تنفع نهضة العرب ولا يقظتهم ولا غضبتهم ، بل تفتر كل حماسة وطنية لهم ، ويبقون كسالى تخدرهم الدعاية اليهودية ، وبدر الأموال اليهودية وتقتل كل تحفز لانقلاب عربى لإنقاذ العروبة من بين براثن الصهيونية .

* * *

أعنى أن أعلم ماذا يفهم أقطاب الساسة العرب من القول أن هذه الهدنة أبدية لا نهاية لها . إذن ماذا ينتظرون ؟ أينتظرون أن يستمر اليهود ينقضون الهدنة ، وأن يواظب برنادوت على القول أنه راض عن الحالة وأنه متفائل خيراً وأن الهدنة سائرة بانتظام — كذب وستين ألف كذب .

وهل يروق هذا القول لساستنا العظام ؟ إذن كيف تكون الهدنة غير مرضية لبرنادوت . أيحسبها شؤماً إذا كان العرب يدافعون حينما اليهود ينقضون ؟

وإذا كان ساستنا العظام يصرون على القول لبرنادوت « ليس عندنا حل لهذه المشكلة العقيمة إلا أن لا تقوم قائمة للصهيونيين بتاتاً — إذا كان هذا هو قولهم الذى لا يحيدون عنه بتاتاً ، فلماذا لا يسألون برنادوت ماذا فى دماغه من مشروع تسوية يوافق قول العرب هذا .

وإذا كان الأمر كذلك فحتى متى يصبر ساستنا على هذه الهدنة الفاهية التى ليس من ورائها إلا استفحال اليهود وتثبيت أقدامهم وتوسيع فتحهم وزيادة تسليحهم ، ثم بقاء عرب فلسطين مشردين فى غير بلادهم يعيشون عيشة الطوى على إحسان الخيرين ويموتون ببطء . وأخيراً لا يبقى إلا فلسطين اليهودية — إلى هذا يرمى اليهود وعمالهم برنادوت فيما هو يتنقل بين مضيق رودس وفلسطين .

إلى الآن لا أفهم معنى لهذه الهدنة التى لا نهاية لها . إذا كانت بلا نهاية . فالمعنى أن الحرب انتهت . فإذا كانت قد انتهت عند برنادوت واليهود ، فهل انتهت عند العرب على هذه الحال البليدة ؟ .

أليس عجباً غريباً أن غرباء أشباه الناس apes جاءوا من آخر الدنيا وطفوا بوحشيتهم وبإرهابهم الحيوانى وطردوا أهل البلاد من بلادهم وأقاموا هم فيها ونهبوا كل ما فيها من قوت وأثاث ولباس وغلال ومال واستولوا على أبنيتها : وأغرب من هذا أن يقف العرب عند هذه الحال مترددين صابرين يتوقعون الكروبيم من السماء أن ينزلوا إلى الأرض ليحرسوا فلسطين لأهلها ، كما كان الكروبيم يحرسون جنة عدن حين طرد الله منها آدم وحواء

لا أفهم ماذا ينتظرون إذا كانوا يعلمون جيداً أنه يستحيل عمل برنادوت أن يتوفق إلى حل للمشكلة غير إلقاء ما يتمناه الصهيونيون أيصبرون إلى أن يضجر العرب كلهم من دوام هذه الحالة البليدة ويتركوا صهيون لليهود .

* * *

وإلى الآن لا أفهم ماذا يعنى من يرتأون (حتى من ساسة العرب) أن يعود اللاجئون إلى بلادهم والمشكلة ، لا تزال قائمة لماذا هرب اللاجئون من بلادهم ؟ أليس لأن اليهود اعتدوا عليهم . فهل تغيرت طباعهم الحيوانية وصاروا بشراً يؤمن شرهم فما عادوا يفتكون بالأطفال والنساء والشيوخ ؟ على أى أساس يعود العرب المشردون إلى بلادهم وأولئك لا يزالون وحوشاً يتوحدونهم للفتك بهم .

وإنه لغريب أن يقترح برنادوت عودتهم إلى بلادهم وهو لا يقترح الوسيلة الضامنة سلامتهم من فتك بهم . وأغرب من هذا وذاك أن بعض أقطابنا يقبلون هذا الرأى من غير أن يقدروا العواقب .

وأغرب وأعجب أن يقبل أقطابنا أن يعيش هؤلاء اللاجئون المنكوبون على إحسان الأجانب . وإلى متى يبقون عالة هكذا والهدنة لا نهاية لها — يا للعار . يا للشنار .

* * *

عجبت أن يهتم برنادوت وأعوانه « بالشحاتة » للاجئين العرب ويستغيث بمجلس الأمن تارة وبالمؤسسات الخيرية أخرى

(البقية على صفحة ١٠٨١)

محـــاكمات

للدكتور جواد علي

كان امتحان « الحجاج بن يوسف الثقفي » لأهل العراق فى إيمانهم أشد وقعاً عليهم من السيف الذى سلط عليهم فى معركة « دير الجماجم » والمعارك التى تلتها .

دخل الحجاج الكوفة بعد إنتصاره على ابن الأشعث فعقد مجلساً عظيما لامتحان النـاس ولاذلال أهل الكوفة . فجلس هو فى الصدر وأجلس « مصقلة بن كرب بن رقبة العبدى » إلى جنبه وكان خطيباً جهورى الصوت . وقد قال له :

إشتم كل امرىء بما فيه ممن كنا أحسنا إليه ، فاشتمه بقلة شكره ولؤم عهده ، ومن علمت منه عيباً فعبه بما فيه وصغر إليه نفسه .

وقد أدى هذا الخطيب الشتام عمله على خير ما يكون . فجاء بأقبح الشتائم وأخرج آخر ما عرف من إحداث فى هذا الفن . فكان الشخص يعرض عليه وبعد أن ينال نصيبه من الشتم على وجه يرضى الحجاج ، يتعرض إلى مقالة الوالى وتقريعه ، وبعد أن يشبع « الثقفى » نفسه يطلب منه التوبة والإقرار بالكفر بخروجه عليه ونقضه البيعة لأمير المؤمنين وإلا فالقتل .

وكان جرّاس الحجاج يقدمون الناس إليه واحداً واحداً ، وكل رجـل ونصيبه . فإما الإهانة والذل والإقرار بالكفر ، وإما الفصل بين الرأس والجسد دون كلام ولا مناقشة . هـذا رجل من خثعم قد جاوز الثمانين وقد كان معتزلا للناس جميعاً فيما وراء الفرات جاء به الحظ إلى الحجاج فيسأله الحجاج عن حاله فيجيب :

مازلت معتزلا وراء هذه النطفة منتظراً أمر الناس حتى ظهرت فأتيت لأبايعك مع الناس .

الحجاج : أمتربص ؟ أتشهد أنك كافر ؟

الرجل : بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر !

الحجاج : إذاً أقتلك .

الخثعمى . وإن قتلتنى فوالله ما بقى من عمرى إلا ظمء حمار وإنى لأنتظر الموت صباح مساء .

الحجاج : إضربوا عنقه .

فضربت عنقه أمام الحجاج ، وقريش وأهل الشام يترحمون مراً على هذا الشيخ المسكين .

وهذا كميل بن زياد النخعى ينال حصته من الشتم ثم يعرض على الحجاج فيبادره الثقفى بقوله :

أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً .

كميل : والله ما أدرى على أينا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم على حين عفوت عنه ؟

أيها الرجل من ثقيف : لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكثيب ، ولا تكشر كشران الذئب . والله ما بقى من عمرى إلا ظمء الحمار ، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غدوة . أقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب .

الحجاج : فإن الحجة عليك .

كميل : إن كان القضاء عليك .

الحجاج : بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين . إقتلوه . فيحتضنه الجلاد أبو الجهم بن كنانة الكلبى ويذبحه أمام سيده الحجاج ذبح النعاج .

ويدخل الحرس برجل آخر من طراز جديد ، من أصحاب الدنيا ، ممن يعرفون كيف يهربون من عزرائيل .

الحجاج : إنى أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر .

الرجل : أخادعى عن نفسى ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذى الأوتاد !

فيضحك الحجاج ، ويشعر فى نفسه بأن الرجل قد غلبه ، وإنه ممن لا يستقرون على حال . ويأمر باطلاق حريته .

ثم يأتى أهل الشام « بأعشى همدان » الشاعر الذى انضم إلى « ابن الأشعث » طمعاً فى ماله والذى ينضم إلى كل أحد حتى إلى الشيطان إذا ما وجد عنده المال . الشاعر الذى كان يسير بين

يدى « عبد الرحمن » فى زحفه على العراق للقضاء على الحجاج وهو يقول :

شسطت نوى من داره بالإيوان
إيوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق أمسى بزابلستان إن ثقيفاً منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان أمكن ربى من ثقيف همدان
يوماً إلى الليل يسلى ما كان أنا سخونا للكفور الفتان

الحجاج : إيه يا عدو الله ! أنشدنى قولك : بين الأشج بين قيس ... أنفذ بيتك .

أعشى همدان : بل أنشدك ما قلت لك .

الحجاج : بل أنشدنى هذه .

أعشى همدان ينشده :

أبى الله إلا أن يتمم نوره ويطفىء نور الفاسقين فتخمدا
ويظهر أهل الحق فى كل موطن
ويعدل وقع السيف من كان أصيدا

إلى أن يقول :

فكيف رأيت الله فرق جمعهم ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة وحيهم أمسى ذليلاً مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا

وهى قصيدة تزيد على الثلاثين بيتاً من شر ما تكلم فى ذم أهل العراق وأحسن ما قيل فى مدح الحجاج وأهل الشام حتى اهتز أهل الشام طرباً وصاحوا : أحسن، أصلح الله الأمير . وظن الشاعر أنه قد تغلب على غضب الحجاج بهذه القصيدة ونجا ، وأنه سيعيش . ومن يدرى فلعله كان يأمل هجاء الحجاج من جديد وقد تعود من قبل مدح الناس وهجاءهم فى آن واحد .

الحجاج : لا ، لم يحسن . إنكم لا تدرون ما أراد بها . يا عدو الله ! إنا لسنا نحمدك على هذا القول إنما قلت تأسف أن لا يكون ظهر وظفر . وتحريضاً لأصحابك علينا وليس عن هذا سألناك . أنفذ لنا قولك : بين الأشج وبين قيس قيس بأذخ فينشد أعشى همدان إلى أن يصل إلى قوله :

بخ بخ لوالده وللمولود .

الحجاج : لا والله لا تبخبخ بمدها لأحد أبداً . إضربوا عنقه . فتضرب عنقه . وينفصل رأسه عن جسده وينال جزاء تقلبه وتلونه وهجاء الناس ومدحهم طمعاً فى الدنيا والمال .

ويدخل الحاجب بالأسرى ممن أرسلهم يزيد بن المهلب .

الحجاج : جئنى بسيدهم :

الحاجب : قم يا فيروز ، وكان رجلا غنياً من أصحاب الملايين له ثروة عريضة لا تقدر بثمن :

الحجاج : أبا عثمان ! ما أخرجك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم !

فيروز : فتنة عمت الناس فكنت فيها .

الحجاج : اكتب لى أموالك .

فيروز : ثم ماذا ؟

الحجاج : اكتبها أول .

فيروز : ثم أنا آمن على دمى ؟

الحجاج : اكتبها ثم أنظر .

فيروز : اكتب يا غلام : ألف ألف ألفى ألف وذكر له مثلاً كثيراً ، وهو يقصد من وراء ذلك إغراء الحجاج ودفع غائلة الموت عنه .

الحجاج : وقد استهوته هذه الأموال : أين هذه الأموال ؟

فيروز : عندى .

الحجاج : أدها .

فيروز : وأنا آمن على دمى ؟

الحجاج : والله لتؤدينها ثم لأقتلنك .

فيروز : والله لا تجمع مالى ودمى .

الحجاج للحاجب : نحه .

الحجاج : ليدخل أسير آخر .

يدخل محمد بن سعد بن أبى وقاص :

الحجاج : إيها ! ياظل الشيطان أعظم الناس تيهاً وكبراً . تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتتشبه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذناً لابن كناز عبد بنى نصر (يعنى عمر بن أبى الصلت) . وأخذ الحجاج عوداً وصار يضرب به رأس محمد حتى أدماه .

محمد : أيها الرجل ملكت فأسجح .

فكف الحجاج يده .

محمد : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكاً فى ذلك وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت .

يطرق الحجاج ملياً كأنه يفكر فى أمر هام ثم يتغلب عليه طبعه فيخاطب الجلاد :

— اضرب عنقه . فضربت عنقه .

الحجاج : يدعى آخر .

(يدخل عمر بن موسى)

الحجاج : يا عبد المرأة ! أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب فى حمام فارس ، وتقول المقالة التى قلت ؟ اضرب عنقه .

ثم أدخل « ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن سمرة » وكان غلاماً حدثاً فدخل وهو مرتبك خائف :

أصلح الله الأمير ! مالى ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبى وأمى لا أمر لى ولا نهى وكنت معهما حيث كانا .

الحجاج : وكانت أمك مع أبيك فى هذه الفتن كلها ؟

الغلام : نعم .

الحجاج : على أبيك لعنة الله .

الحجاج : ليدخل الهلقام بن نعيم :

الحجاج يخاطب الهلقام :

اجعل ابن الأشعث طلب منك ما طلب ، ما الذى أملت أنت معه ؟

الهلقام : أملت أنه يملك فيولينى العراق كما ولاك عبد الملك

الحجاج : قم يا حوشب فاضرب عنقه . وليدخل عبد الله ابن عامر .

عبد الله : لا رأت عيناك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع .

الحجاج : وما صنع ؟

ابن عامر :

لأنه كاس فى إطلاق أسرته وقاد نحوك فى أغلالها مضرا

وفى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطرا

يطرق الحجاج ملياً وقد وقرت الكلمة فى قلبه . ثم تتغلب عليه روح الانتقام فيقول : وما أنت وذاك ؟

اضرب عنقه ، فتضرب عنقه .

ثم أمر الحجاج بتعذيب « فيروز » بعد أن يئس من الحصول على ثروته وأخذ أمواله . فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسى المشقوق ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ثم ينفضح عليه الخل والملح . فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أنى قد قتلت ، ولى ودائع أموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً ، فأظهرونى للناس ليعلموا أنى حى فيؤدوا المال . فأعلم الحجاج ، فقال أظهروه فأخرج إلى باب المدينة .

فيروز : أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن أنكرنى فأنا فيروز حصين ؛ إن لى عند أقوام أموالا فمن كان لى عنده شىء فهو له وهو منه فى حل ، فلا يؤدين منه أحد درهماً . ليبلغ الشاهد الغائب .

الحجاج : وقد اغتاظ وهاج لحرمانه من ثروة « فيروز » تضرب عنقه . تضرب عنقه .

وبينما الحجاج فى مجلس من مجالسه إذ بعامر بن شراحيل الشعبى يدخل عليه ، وكان ممن طلبهم الحجاج وأراد قتلهم لأنه كان ممن يحرضون القراء على حرب الحجاج ، وهو القائل فى وسط المعركة :

يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذ كم حرج من قتالهم ، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجود منهم فى الحكم ، فليكن بهم البدار .

الحجاج متعجباً : الشعبى !! ؟

الشعبى : نعم أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أقدم البلد وعطاؤك كذا وكذا فزدتك فى عطائك ولا يزاد مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم آمر أن تؤم قومك ولا يؤم مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : ألم أعرفك على قومك ولا يعرف مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير

الحجاج : ألم أوفدك على أمير المؤمنين ولا يوفد مثلك ؟

الشعبى : بلى ، أصلح الله الأمير .

الحجاج : فما أخرجك مع عدو الرحمن ؟

الشعبى : أصلح الله الأمير ، خبطتنا فتنة فما كنا فيها بأبرار أتقياء ، ولا فجار أقوياء ، وقد كتبت إلى يزيد بن أبى مسلم أعلمه

ندامتي على ما فرط مني ومعرفتي بالحق الذي خرجت منه وسألته أن يخبر بذلك الأمير ويأخذ لي منه أماناً فلم يفعل .

الحجاج إلى يزيد : أ كذلك يا يزيد ؟

يزيد : نعم أصلح الله الأمير .

الحجاج : فما منعك أن تخبرني بكتابه ؟

يزيد : الشغل الذي كان فيه الأمير .

الحجاج للشعبي : أولا انصرف .

وانصرف الشعبي . وعاش عيشة راضية حتى وافاه أجله المحتوم

وكان سعيد بن جبير (سيد التابعين) ممن انضم إلى حركة ابن الأشعث وحرض القراء والناس على الحجاج وشهد معركة « دير الجماجم » مثل سائر فقهاء العراق أمثال عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو البحتري والشعبي وغيرهم . وهو القائل مخاطباً جيش أهل العراق : « قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة » .

وكان معروفاً بصلابته وصراحته وعدم مبالاته ، وهو القائل « لا تقية في الإسلام » . ولو استعمل ابن جبير شيئاً من المرونة لكان من الناجين بأنفسهم من عقاب الحجاج حتماً . غير أنه لم يكن من الراغبين في هذه الدنيا . وقد طلب منه حارسه الذي جاء به من مكة إلى الحجاج أن ينجو بنفسه وأن يهرب والحارس راض في ذلك شاكر ، ولكن ابن جبير لم يقبل أن يكون من الهاربين ولا من الذين يكونون سبباً في نكبة الغير.

ولما مثل بين يدي الحجاج قال له الحجاج : ما اسمك ؟

سعيد : اسمي سعيد بن جبير .

الحجاج : بل شقي بن كسير .

سعيد : أبي كان أعلم باسمي منك !

الحجاج : لقد شقيت وشقي أبوك !

سعيد : الغيب إنما يعلمه غيرك !

الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت إلهاً غيرك .

الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟

سعيد : لست عليهم بوكيل .

الحجاج : اختر أي قتلة تريد أن أقتلك !

سعيد : بل اختر يا شقي لنفسك ! فوالله ما تقتلني اليوم بقتلة إلا قتلتك في الآخرة بمثلها !

الحجاج : ليقتل ، فلما ولى ضحك ، فأمر الحجاج برده وسأله عن ضحكه ، فقال : عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عنك ! فأمر به فذبح ! فلما كب لوجهه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الحجاج غير مؤمن بالله ، اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي ! فذبح واحتز رأسه !

لقد قتل الحجاج ما يزيد على المائة والعشرين ألفاً . ولكنه لم يتأثر بمقتل أحد تأثره بمقتل سعيد بن جبير . لقد التبس عقل الحجاج كما يقال منذ اللحظة التي شاهد فيها رأس سعيد ينفصل عن جسمه . فلم يذق النوم بعد ذلك فكان يرى في منامه سعيد ابن جبير وهو يقول له : يا عدو الله فيم قتلتني ؟ فكان الحجاج يصرخ ويستغيث قائلا : يا قوم مالي ولسعيد بن جبير؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي . وصدقت نبوءة سعيد فلم يعش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة .

أراد الحجاج أن تستقيم الأمور عن طريق الضغط والإكراه وإجبار الشعب على التسليم ، وأبت الأمور أن تستقيم عن هذا الطريق فأفلت الأمر بعد وفاة الحجاج .

(دمشق) جواد علي

من ذكريات الطفولة :

ظننته يوم القيــامة ولكن الله سلم

للأستاذ كامل كيلانى

لعل هذه أول صورة انطبعت فى ذاكرتى من ذكريات الحياة كلها . أذكر أننى وجدتنى جالساً فى مكتب (كتاب) قريب جداً من دارى إلى جانب ابن أختى ، ولست أدرى لماذا استصحبنى إلى مكتب الفقيه وأنا فى مستهل نشأتى وفجر طفولتى ؟ وكان الأطفال فى هرج ومرج لا أعرف لهما سبباً ، بل لعلى عرفت السبب فيما بعد ، فقد كان غياب الفقيه فيما أظن سبب ذلك الاضطراب ، ولم يكن عريف المكتب على ضخامته وطول قامته بقادر على السيطرة على أولئك الأشقياء الخبثاء ، ولعل الأطفال كانوا يسخرون به لأنه أشل (أعنى أن إحدى يديه ولعلها اليسرى شلاء) ، ولا أدرى كيف حاول أن يثبت مسماراً فى الحائط فلم يجد شيئاً يدقه به ، فلما ضاقت به الحيل عمد إلى محبرة سميكة ، وكأنما خيل إليه أن ضخامتها ستحميها من الكسر ، ولعله نسى أنها من الزجاج الفرغ ، وأنها لن تقوى على دق المسمار ، على أنه لم يكد يبدأ الدقة الأولى حتى خرق المسمار المحبرة وسال مدادها الأسود على وجه العريف ويديه وثوبه !

فهلل الأطفال وصيحوا وصفقوا من فرط سرورهم بما رأوا ، ولا زالت صورة العريف ماثلة أمامى ، منطبعة فى ذاكرتى ، وأنا أملى هذه السطور ، كأنما رأيت منذ لحظات يسيرة وهو يحاول جهده أن يهدئ من ثائرة الأولاد ، فلا يزيدهم ذلك إلا تمرداً وصخباً ، وقد زادتهم حيرته وارتباكه نشاطاً ومرحاً . وهنا يدخل الفقيه ، وهو شيخ رائع السمت ، فارع الطول ، متجهم الوجه ، قوى الشخصية ، فيسود الصمت والفزع ، ويستولى علينا الخوف والهلع ، ويتبدل كل شىء فى لحظة واحدة من الضد إلى الضد ، فلا يكاد يجرؤ أحد على التنفس خشية أن تسمع نأمته فتجلب عليه شراً مستطيراً ، ويأمر الفقيه بإحضار (الفلقة) ، ولا يكاد ينتهى من خامس الأولاد فى الصف الأول ، حتى تعترينى القشعريرة ، فقد جاء الدور على ، وإنى لأرقب إشارة الفقيه بوضع رجلى فى حبل الفلقة ، وقد استولى الذعر على نفسى ، إذا بجلجلة أشبه بقصف الرعود ، وصيحات عالية مدوية تأخذنا من كل مكان وإذ بسقف المكتب يطير كل مطار ، وقد تناثرت ألواحه وتطايرت أركان الجدار وقواعده ، واختفى الشيخ والعريف وصبية المكتب فى لحظة واحدة عن عينى فلم أدر أين فروا !

وما أذكر بعد ذلك إلا أننى كنت أمشى مع ابن أختى فى طريقنا إلى البيت والأحجار تتناثر من حولنا فى كل مكان ، فتقتل من تقتل ونحن لاهيان لا ندرى من أمرنا شيئاً . فلما بلغنا الدار — وهى قريبة من جبل المقطم — إذ بالهلع يستولى على كل من فيها ، وإذ بزجاج النوافذ محطم . وأذكر أننى سألت ابن أختى عما حدث فقال لى : إن القيامة قد قامت ! ولم أفهم حينئذ معنى هذه الجملة ، ولا عرفت ما هى القيامة ، ولا كيف تقوم ، ولعلى لم أفهم معناها الغامض أكثر مما يفهم السامع الخالى الذهن حين يقال إن نائماً صحا ، أو صاحياً نام ، أو زائراً قدم ، أو قاعداً قام .
ولم أفهم حقيقة ما حدث إلا بعد سنوات عدة ، فقد عرفت والعهدة على من حدثنى ، فلم أستق الخبر حينئذ إلا من حوذى كان عندنا ، وقد كان رحمة الله عليه نصف أمى إذا وزنته بميزان الثقافة والاطلاع ، ونصف فيلسوف إذا وزنته بميزان الفهم والإدراك . حدثنى ذلك الفيلسوف الأمى قال : « كان يشتغل فى مخزن الذخائر الحربية الملاصق لجبل المقطم أحد العمال ، فألقى على غير انتباه بما تبقى من لفافة التبغ ، فلم تلبث أن علقت بما حولها من البارود ، فوقعت الكارثة وأطارت من حجارة المقطم ما أطارت ، وقتلت من الأناس والحيوان من قتلت ، ودمرت من الآثار ما دمرت . وكان الحوذى يشير بإصبعه إلى رؤوس المآذن التى طاحت بها وهى قريبة من دارنا . لقد كان هول القيامة يتمثل لى حينئذ فى عصا الفقيه وقد فرحت بنجاتى منها ، فلما كبرت تبين لى أننى فرحت بالنجاة من خطر موهوم ، لأننى كنت أصغر من أن يعاقبنى الفقيه أو يهم بضربى ، فلم أتجاوز الثالثة من عمرى حينئذ ، ونسيت أننى نجوت من هلاك محقق بأعجوبة من الأعاجيب . وعلى ضوء هذا الحادث الهائل فهمت فى قابل أيامى دقائق الصورة البيانية الرائعة التى أبدعها خيال المتنبى شاعرنا الأكبر حين قال لسيف الدولة :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم

كامل كيلانى

٢ ـ طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

إن آراء طاغور التى توحد بين الشرق والغرب ، آراء مفكر مثالى ، عاش بوجدانه يستلهمه الحكمة ، ويستوحيه المعانى الإنسانية ، فلم يتعثر بمفاسد الحياة الدولية ، ولم يختبر سوء نية الحكومات الاستعمارية إلا عن بعد ؛ فاستطاع أن يدرك ما فى المدنية الغربية من مثالب ، وما فى عادات الهند القديمة من ضعف وأن يصور لنا إنموذجاً فكرياً خالياً من شوائب الماضى والحاضر ولكن هذا النموذج المثالى ينقصه الاتجاه التنفيذى والناحية الإلزامية ، كما لم يضع وسائل عملية ، يستعان بها فى تحرير الغرب من المادية والأثرة وحب السيطرة ، ولم يسن أساليب جديدة ، تخرج الهنود من عزلتهم ، وتدمجهم فى تيار الحياة الحديثة بخلاف غاندى الذى عرك الحياة السياسية ، واحتك بخبث الحكومات الانجليزية ، فتكشف له خداعها وغدرها ، وتبين له بجلاء أنها تهدد باسم الدفاع عن الحرية ، وباسم الشرف والحق جميع الأنظمة الخلقية التى تحدد علاقات الأمم بعضها ببعض ، وتلهى الشعوب الخاضعة لسيطرتها بالوعود الكاذبة ، لتنال منها ما تريد . فاتضح لغاندى أن الروابط الدولية لا تستند على أى أساس خلقى ، وإنما تخضع للأهواء والمصالح ، وتستند على الغش والخيانة . وأن الدول الغربية لا تجعل للحياة إلا غرضاً واحداً ، هو النفع المادى أو الإصلاح المادى أو الرقى المادى ، ولا تعترف بالحياة الروحية أو بالقيم الإنسانية . فاستعبدتها المادة لدرجة أنها لا تحجم عن ارتكاب أى جريمة تتنافى وكرامة الإنسانية فى سبيل الحصول على هذه المادة الحقيرة . وأخذت تسترق الشعوب وتسلبها مواردها الطبيعية ، وتتلف حيويتها وتفسد أخلاقها ، حتى لا تنتبه للذى يسرقها .

فأدرك غاندى بثاقب بصيرته أن مدنيـة الغرب ليست بالمدنية المثالية ، ومن الجرم أن تعتمد عليها الهند فى نهضتها ، لأنها لن تفوز بمجد ، إلا إذا رجعت إلى تراث حضاراتها القديمة وبعثته من جديد فى صورة تلائم روح الهنود المصرية ؛ ورفضت أن تأخذ من الغرب شيئاً ؛ وعملت على أن تتخلص تدريجياً من كل ما شاع بين أبنائها من الغرب ، لتتحرر نهائياً من تأثير حضارته المادية الضار بحياة الهنود . فلم يدع غاندى إلى اتحاد الشرق والغرب ، لأنه وجد الغرب يستعبد الشرق ، ويستغل خيراته ، ويستنزف أرزاق أهله . ولم يثق فى صدق نواياه فى التعاون ، لأن اصطدامه بالمستعمر البريطانى أظهر له عيوب الأخلاق الدول الغربية ، وأراه الانجليز الذين أخلص لهم الولاء وحض شعبه على مساعدتهم أثناء الحرب العالمية الأولى ، يحنثون فى وعودهم المتكررة ، ويرفضون منح الهند استقلالها ، ويكبلونها بأنظمة قاسية توطد سيادتهم عليها . ولذلك لم يفكر غاندى فى تقريب وجهات النظر بين الشرق والغرب كما فعل طاغور وإنما لبى نداء الوطن ، وهب يخط للهنود خططاً عملية مستمدة من تقاليد الديانات الهندوكية ، لمحاربة المستعمر المادى الأنانى الطاغى حتى يتبين له أن مقدماته العقلية والفنية والخلقية ، لا يمكنها أن تسحر روح الهند وتخدرها ، ثم تغريها بمجاراة الحياة الغربية ، فتتنازل على ما جبلت عليه من تعاليم وعادات ، وتقبل أن تهدم كيانها الروحى من أجل محاكاة ما توصلت إليه المدنية الحديثة من رقى مادى ، فيسهل على الغرب فرض نفوذه على شتى نواحى الحياة الهندية .

فوقف غاندى كالصرح العتيد أمام الغرب ، يحمى تراث الهند الروحى من الضياع والتلف ، ويستنهض همم الهنود لمقاومة طغيان الإنجليز . ولجأ إلى طرق فذة ناضجة فى مناضلة الاستعمار فى الهند ، هداه إليها مزاجه الهندى السليم ، وطبيعته الروحية الشرقية التى تعشق السلام والخير ، وتولع بالتسامح والحب ، وتكره العنف والقسوة . فاستنجد بمقومات الروح الهندية الأصلية ، واستغل كلف الهنود بالزهد والمجاهدة من أجل تخليص الروح من أدران الحياة ، وإعدادها للتلاشى فى روح الله الكبرى التى تشمل كل محتويات الكون . وأخرجه من كهف الزاهد إلى ساحة الجهاد السياسى ، ونقل مقدرة الهنود النادرة على تحمل الآلام الجسمية ومقاساة تعذيب النفس ، من نطاق القوانين

الدينية إلى نطاق التضحية الوطنية . ولم يكلف ذلك غاندى كبير جهد ، لأنه يعلم أن الزاهد الهندى تعود منذ القدم أن يحارب شهواته بأساليب سلبية هادئة ، يقومها الحب والخير والسلام . فكان يعتزل الحياة التى تشغل الإنسان بالأرض والمادة ، وتلهيه عن الاتحاد بالله الذى يتحمل الزاهد فى سبيل الفناء فيه كل ألوان العذاب النفسى والجسمى . فاستنتج غاندى بعبقريته الروحية أن الهندى العادى فى نضاله مع الانجليز يمكنه أن يحاكى الزاهد القديم فى محاربته الشهوات والأهواء وملاذ الحياة بوسائل سلبية سلمية قاسية . وعزم على أن يعلم الهندى أن يقاوم المستعمر بسلاح سلبى سلمى ، قد يعرضه للاضطهاد والتنكيل ، ويتطلب منه إيماناً بالحق الذى يدافع عنه ، وتضحيةً وعزماً وثباتاً فى سبيل الفوز به . وهذا السلاح يتفق مع المزاج الهندى الروحى ، لأنه لا يخرج على التسامح والحب والسلام ، ولا يعتمد على العنف أو القسوة ، ولا حتى يثير العداوة والبغضاء فى النفوس وإنما ينشد إزالة قوانين جائرة ، أو تحقيق استقلال شعب مستعبد عن طريق معاناة الألم والمشقة ، كما كان يعانى الزاهد قديماً مثل هذه الآلام فى سبيل فناء ذاته فى الله . وبذلك استطاع غاندى أن يطلق الطاقات الروحية الكامنة فى أعماق نفوس الشعب الهندى ، ويفسح لها الطريق لتخوض مضمار الحياة السياسية ، ويشهر فى وجه الانجليز سلاح « الستياجراها » أى سلاح « المقاومة السلبية » الذى ينقسم إلى قسمين أحدهما : العصيان المدنى ، والآخر : اللاتعاون

أما عن العصيان المدنى : فهو نوع من الإضراب العام السلمى ، يمتنع الشعب أثناءه عن أداء أى عمل خلاف الصلاة والصوم . ويستخدم كوسيلة لنيل حقوق مهضومة ، أو لفوز باستقلال مسلوب ، وكطريق لإلغاء مشاريع ظالمة أو لرفع ضرائب فادحة ، مثل ضريبة الملح وقانون احتكار الانجليز لصناعته . وقد يكون هذا العصيان كذلك نوعاً من المعارضة الدستورية ، تبدو فى صورة رفض طاعة قانون من القوانين الجائرة وعدم تنفيذه أو الخروج عليه ، مثل صناعة أحد الهنود للملح المحذور صناعته على أهالى الهند . ويشترط غاندى فى من يشترك فى العصيان ، أن يكون مالكا زمام نفسه مسيطراً على أهوائه ، بحيث لا يضطر إلى أن يثير أى عنف أو يثيره أى عنف ، حتى يخلو العصيان من الشغب ، ويسير حسب الآداب المرعية ، محافظاً على الأمن ، محترماً للنظم المتبعة فى البلاد . ولكى يضمن غاندى سلمية العصيان ، حرص على إعداد الشعب له تدريجياً ، علماً منه بأن الشعب حديث العهد به وغير تام الأهبة له ، وليس من الحكمة أن يطلب منه مثل هذا العصيان ، قبل أن يألف نظمه وأساليبه ، وقبل أن يملك أمرة النفس . فسن قواعد دقيقة لتنظيم حركات العصيان ، وحصرها فى ميادين يخصصها لهم غاندى ، يشرف عليها منظمون مدربون على العصيان السلمى ، وقادرون أن يمرنوا الشعب على تجنب العنف فى عصيانهم وأن يحبطوا ما يمكن أن يحدثه الرعاع من شغب ، قد يسبب اضطرابات وفتنا ، تبيح النفوس ، وتثير الفوضى ، فتندلع نيران ثورة دموية ، لا يعرف مدى نتائجها الوخيمة . ولا يكفى اجتناب الشعب الشغب ليضمن حسن سير العصيان وهدوئه ، بل يتطلب كذلك قدرة نفسية على تحمل كل ما يمكن أن يقع على الهندى من عذاب واضطهاد ، نظير عصيانه هذا الذى لا يرضى عنه المستعمر ، بل يغضبه . وكذلك يجب ألا يبالى الهندى بما قد ينزل به من ألم ، بأن إهانة المستعمر أو سبه ، يجب عليه أن يتحمل ذلك بصبر وأناة ، ولا يثور أو يقابل الإهانة بالإهانة والسب بالسب ، ويسامحه . وإن أرادت السلطات الحاكمة أن تقبض عليه وتدفع به إلى السجن ، يجب أن يسلم نفسه من غير مقاومة ، غير مهتم بما سوف يذوقه من تنكيل فى الغد . وإن جلد بوحشية ، وركل بالأرجل ، وصفع بالأكف ، يجب أن يظل ثابتاً على سكينته غير آبه بما يقع عليه من ضروب القسوة المهينة . وإن أرهب بالقتل ، وهدد بالموت ، يجب أن يتمسك برابطة اليأس ، ولا يجزع من فقدان حياته ، ويرحب بالتضحية بها فى سبيل الغاية السامية ، ولا يلجأ مطلقاً إلى العنف ، بأن العفو أشرف من الانتقام فلا يجب أن يقابل عنف الخصم بالعنف وإنما يواجهه بنور الحب الذى يسطع من إيمانه بحقه وتفانيه فى الدفاع عنه ، وينبع من آلامه التى احتملها طواعية فإن عدم العنف لا يدل على ضعف أو خوف أو استسلام للمسىء وإنما يدل على رضاء النفس بالعذاب فى سبيل الحق الوطنى ،

ورغبتها فى مقاومة المستعمر بقوة الروح للحصول على الاستقلال.

وبالرغم من كثرة هذه الاحتياطات ، وجمال هذه التعليمات ، فلم يخل عصيان من عنف ، وذلك لأن الشرطة كانت كثيراً ما تتحرش بالشعب وتستفزه ، وسريعاً ما تنقلب سلمية العصيان إلى همجية بربرية وفوضى بهيمية يطلق فيها الرصاص ، وتراق الدماء ، وتشـمل الحرائق ، وتنهب البيوت والمحال التجارية ، وتتحطم المرافق العامة . وكل هذا كان يؤلم غاندى ويغضبه أشد الغضب ، وحاول أول الأمر أن يمهـد للعصيان المدنى السلمى الشـامل بتمرين الهنود على اللاتعاون مع الانجليز ، ومقاطعتهم سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، حتى يدركوا كنه العصيان السلمى ، ويتشربوا بمبادئه . ولـكنه وجد أن من العسير أن يتحقق عصيان بدون عنف ، ولذلك فضل عليـه اللاتعاون الذى لا يتخلله أى شغب أو اضطراب .

واللاتعاون هو سـلاح المقاومة السلبية الثانى ، قصد به غاندى مقاطعـة الغرب سياسياً واقتصادياً وثقافياً من ناحية ، وتقوية روح الهنود المعنوية ورفع مستوى المعيشة وترقية الحياة العامة عن طريق اسـتغلال مقدمات الهند القديمة لصالح البلاد من ناحية أخرى . ولجأ إليه بعد أن بلغت حماسة الهنود الوطنية حد الانفجار ، فأراد أن يخفف من شدة هذه الحماسة بحثهم على مقاطعة الانجليز وعدم التعاون معهم ، حتى لا ينقلب التذمر من سـوء الحالة السياسية إلى ثورة دموية . واستطاع غاندى بذلك أن يشـغل حماسة قومه بضرب من المقاومة السلبية ، ألهتهم عن اتباع أى أسـلوب عنيف يكرهه ، وأن يعطى فى الوقت نفسه فرصة لمبادئه فى المقاومة السلبية لتتسرب إلى نفوس الهنود ، وتستقر فى قلوبهم ، فيألفون روح النضـال السلمى ، ويؤمنون بقوة اللاعنف ، وقدرة الحب على رفع ظـلم الانجليز واستعبادهم للبلاد .

وطلب غاندى من الهنود ألا يتعاونوا مع الانجليز سياسياً وحربياً وقضائياً واقتصادياً وثقافياً . ويقصد من اللاتعاون السـياسى أن يتنازل كل فرد عن الألقـاب والرتب الشرفية التى منحتها له الحـكومة الانجليزية ، وأن يمتنع عن الاكتتاب فى قروض الحـكومة ، وأن يتجنب التوظف فى الوظائف الحـكومية ، وأن يقاطع مجالس الإصلاحات الدستورية ، حتى يقطع الهنود أية علاقة تربطهم بالحـكومة ، فيشل دولاب العمل ويتحرج مركزها ، وتضطر فى النهـــاية إلى مهادنة الهنود وتلبية مطالبهم .

كذلك يجب أن لا يتعـاون الهنود والانجليز حربيـاً ، ويرفضون أى منصب عسـكرى ، يـكون مدعاة لتثبيت أركان الاستعمار فى البلاد .

أما عن عدم التعاون القضائى ، فينبغى أن يمتنع جميع القضاة عن الاشتغال بالمحاكم الحـكومية ، وأن يتوقف رجال القـانون عن المرافعة بها ، وأن ينقـل الفصل فى الخصومات بين المحاكم الأميرية إلى التحكيم الأهلى . ذلك لأن المحاكم فى الهند آلة بيد السلطة البريطانية ، تحاول أن توطد بهـا نفوذها فى البلاد عن طريق إذكاء نار الشقاق بين الهنود ، ونشر النزاع بين الطوائف وهى لا تعيش إلا على إيذاء الناس ، بينما تجادل بلجاجة عنـد دفع الحقوق ، وتسوف عنـد طلب الوفاء بالتعهدات . فأصبح تعطيل المحاكم الحـكومية أمراً ضرورياً لضمان توحيد كلمة الهند وتعاون أفرادها .

وتتلخص المقاومة الاقتصادية فى أن الهند بأجمعها يجب أن تقاطع المنسوجات البريطانية ، لأن الشركات الانجليزية سيطرت على الحياة الاقتصادية فى البـلاد ، وقضت على الصناعات الأهلية وامتصت موارد الثروة الهندية ، فهى تسلب سنوياً قطن الهند ، وتصدره لهـا بعد حين منسوجات ، تفرض عليها شراءها بأثمان باهظة . ولـكى تحمى الهند اقتصادياتها من الإنجليز يجب أن تـكتفى نفسها بنفسها وتستغنى عن خدمات الغرب ، وتبادر إلى تنظيم مصانعها الأهلية ، وتتخذ من الغزل اليدوى وسيلة لحل مشـكلة الفقراء فى الهند . إن ثمانين فى المائة من سكان الهنـد فلاحون ، لا عمل لهم خلال أربعة شهور من السـنة ، وعشر الأهلين صناع جياع ، بينما الطبقة الوسطى لا تجد كفايتها من الغذاء ، وإنجلترا لاهية عن كل ذلك ، لا تعمل على معالجة هذه الحالة بل تزيدها سوءاً ، فإن المغزل اليدوى هو المنقـذ الوحيد للهند من الفقر ، فإنه يشغل هؤلاء العاطلين الجائعين ويوفر لهم ملابسهم ، ويضـمن لهم قوتهم اليومى بتـكاليف بسـيطة .

ولم يرض غاندى أن يدخل النظام الآلى فى الهنـد ، ويتلذذ منه وسيلة لحل مشكلة البطالة ، لأنه لم يرد أن تصاب الهند بأمراض الغرب المادية ، وحارب من مواطنيه من يحرض على إدخال النظام الآلى فى الهند ، حتى لا يسمح لأصحاب المال بتسخير فقراء الهنود فى مصانعهم ، التى تدر عليهم الربح الوفير ، وخوفاً من أن يصبح قلب الهند من حديد يعبد الآلة التى تدير المصانع ، وتجلب المال ذلك الوطن العظيم الذى يقدسه الغرب ، بأن الآلة مطية فاحشة ووسيلة شيطانية تسترق الشعوب لحفنة من الناس يستعبدهم المال فيجب حماية الهند من شرها ، وإبعاد خطرها عنها ، حتى لا يزداد نفر الهنود على ما هو عليه .

ولـكى يشمل عدم التعاون والغرب كل شىء ، دعا غاندى إلى مقـاطعة الطلبة والمعلمين المدارس الأميرية ، والجامعات الحـكومية ، التى فى صيانة الانجليز وقت مراقبتهم مثل جامعة عليكرة الإسلامية ، وجامعة خلصا السيخية ، وجامعـة بنارس الهندوكية ، لأنها تهمل دراسة الثقافات الهندية واللغات القومية وتلقن الطلبة ثقافات عقلية ، ولغات أوربية ، تفسد مشاعرهم الوطنية ، وتتلف مزاجهم الشرقى ، وتبعدهم عن ثقافتهم الأصيلة فشب الهنود يفضلون ثقافات الهند ، مع أنها غرست فى نفوسهم ميولا غريبة عنهم ، وعلمتهم الجـدل واللجاجة ، وحرمتهم من التربية الخلقية والروحية ، التى تصفى القلب ، وتطهر النفس . كما نشأوا يتـكلمون اللغة الإنجليزية ، ويجهلون لغاتهم القومية ، هذا فضلاً عن تجاهل المدارس الحـكومية والجامعات الإنجليزية أهمية العمل اليدوى ، وإغفال تدريسه فى بلاد ثمانون فى المائة من أهلها فلاحون وزراع ، وعشرة فى المائة منهم صياغ ، وينشرون دراسات أدبية ، لا تفيـدهم فى حياتهم ، ولا تتفق ومصالحهم ، ولا تساعدهم فى أعمالهم . ولذلك يرى غاندى أن تعتنى شتى الهيئات التعليمية فى البلاد ، بتدريس جميع الثقافات الأسيوية التى دخلت الهند منـذ القدم . لأن ضرورة معرفتها للشخص المثقف لا يقل عن ضرورة معرفة الثقـافات الغربية التى تسـيطر على الحياة العلمية فى الهند ، وتحتـكر الأسواق الثقافية ، وتقضى على رغبة الهنود فى تعلم ثقافات الهند الأصلية ، مع أنها أصلح لهم من أية ثقـافة أخرى ، لأنها تتفق وميولهم الفـكرية ، وتهتم بالتربية الروحية والتثقيف الأخلاقى ، فوق أن دراسـتها يحيى العزة القومية ، وينمى روح الهنود المعنوية ، فينبغى أن يبحث مفـكرو الهند عما فى السنسكريتية والعربية والفارسية والبالية والماجدية من مخلفات علمية ، لعل بحثها يهدى إلى كشف ثقافات جديدة مبتـكرة ، تستمد أصولها من هذه الثقافات التى دخلت الهند ، وأثرت فيها ، وتأثرت بها ، وتشييد حضارة حديثة من مختلف الحضارات التى فملت فى الهند وانفعلت بروح الإقليم . لتتحرر العقلية الهندية من سيطرة الفكر الغربى ، وتنقذ روح الهند من نفوذ الثقافة الغربية ، وتظهر تفوق الهنود فى الروحية . كما تهدى دراستها إلى إدراك أسرار السيادة الوطنية ومعرفة وسـائل السؤدد القومى ، التى تقودها إلى الحرية والاستقلال .

(للـكلام بقية)

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية
بكفر الزيات

غنـــاء الطيور

بين العلم والأدب

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

وظن بعض الشعراء غناء الحمامة نوحاً لفقد إلفها الذى فارقها فأخذ يطارحها الزفرات ويواسيها بنواحه قال الشبلى .

رب ورقاء هتوف فى الضحى   ذات شجو صدحت فى فنن(١)
ذكرت إلفاً وعيشاً سالفا   فبكت حزناً فهاجت حزنى
فبكائى ربمـــا أرقها   وبكـــاها ربمـــا أرقنى
ولقد تشكو فما أفهمها   ولقد أشكو فما تفهمنى
غـــير أنى بالجوى أعرفها   وهى أيضاً بالجـــوى تعرفنى
أتراها بالبــكا مولعـة   أم سقاها البين ماجرعنى

وقال ابن عبد ربه .

فكيف ولى قلب إذا هبت الصبا   أهاب بشوق فى الضلوع دفين
ويهتاج منه كل ما كان ساكنا   دعاء حمام لم تبت بوكون(٢)
وإن ارتياحى من بكاء حمامة   كذى شجن داويته بشجون
كأن حمام الأيك(٣) لما تجاوبت   حزين بكى من رحمة لحزين

وقال ابن سنان الخفاجى .

وهاتفة فى البان(٤) تملى غرامها   علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة   وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجى قلوب الماشقين حنينها   وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى   لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

وقال مجنون ليلى .

ألا يا حمامات اللوى(٥) عـدن عودة
فإنى إلى أصـواتـكن حزين
فعدت فلما عدن كدن يمتننى   وكدت بأشجانى لهن أبين

(١) غصن .   (٢) عشش   (٣) الشجر الكثير الملتف

(٤) البان شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف يؤخذ من حبه دهن طيب واحدته بانه ويشبه به القد لطوله واعتداله .

(٥) اللوى ما التوى وانعطف من الرمل أو مسترقه .

فلم تر عينى مثلهن بواكيا   بكين ولم تذرف(١) لهن عيون

وقال ابن عبد ربه .

ونائح فى غصون الأيك أرقنى   وما عنيت بشىء ظل يعنيه
مطوق بخضاب ما يزايله   حتى تزايله إحدى تراقيه(٢)
قد بات يشكو بشجو ما دريت به   وبت أشكو بشجو ليس يدريه

وقال شيبانى وقد طالت غربته فى الرأى .

وأرقنى بالرى نـــوح حمامـــة
فنحت وذو الشوق الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة   ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما   ومن دون أفراخى مهامه فيح(٣)
ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر   وغصنك مياد(٤) ففيم تنوح؟
أفق لا تنح من غير شىء فإننى   بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت(٥) غربة دار زينب   فها أنا أبكى والفؤاد جريح

وقال ديك الجن .

حمائم ورق فى حمى ورق خضر(٦)
لها مقل تجرى الدموع ولا تجرى
تكلفن إسعاد الغريبة أن بكت
وإن كن لا يدرين كيف جوى الصدر

وقال ابن دريد خرجنا من عمان فى سفر لنا فنزلنا فى أصل نخلة فنظرت فإذا فاختتان(٧) تزقوان(٨) فى فرعها فقلت .

أقول لورقاوين فى فرع نخلة
وقد طفل(٩) الأمساء أو جنح(١٠) العصر
وقد بسطت هاتى لتلك جناحها   ومال على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة   وما دب فى تشتيت شملكما الدهر

(١) ذرف الدمع سال وذرفت العين دمعها أسالته .

(٢) الترقوة العظم الذى فى أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق والجمع تراق .   (٣) المهمه المفازة البعيدة والبلد المقفر جمعه مهامه، وفيح جمع فيحاء أى واسعة .

(٤) المياد الكثير التمايل والاهتزاز .   (٥) بعدت .

(٦) ورق جمع ورقاء كحمر جمع حمراء والورقاء هى الحمامة أو التى يضرب لونها إلى الخضرة .

(٧) الفاختة نوع من الحمام البرى (كذا فى المنجد) وإن كنا فى العراق نطلقه على حمام النخيل .   (٨) زقا الطائر صاح .

(٩) طفل دخل فى الطفل وهو قبيل غروب الشمس هنا طفلت الشمس دنت للغروب .   (١٠) جنح الليل أقبل .

فـلم أر مثلى قطع الشوق قلبه   على أنه يحكى قساوته الصخر

وقال عبد البر الغسانى يخاطب طائراً مغرداً ضم أفراخه إليه .

أعـدهن ألحاناً على سمـــع معرب   يطارح مرتاحا على القضب[(١)] ممجبا

وطرغيرمقصوص الجناح مرفها   مسوغ أشتات الحبوب منعما

تخـلى وأفراخا بوكرك نوماً   ألا ليت أفراخى معى كن نوما

وقال حميد بن ثور الهلالى .

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة   دعت (ساق حر) نزهة وترنما

تغنت على غصنى عشاء فلم تدع   لنائحة من نوحها متألما

إذا حركته الريح أو مال ميلة   تغنت عليــــه مائلا ومقوما

قال الجوهرى الحمام عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك وقال الأصمعى إن كل ذات طوق فهى حمام والمراد بالطوق الحمرة والخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها ونقل الأزهرى أن الحمام كل ماعب وهدر وإن تفرقت أسماؤه والعب شدة جرع الماء من غير تنفس .

وقال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الدميرى فى (حياة الحيوان) الورشان هو ساق حر وهو ذكر القمارى وسمى ساق حر حكاية لصوته .

وقال أمين الملوف الحمام الكثير فى مدن العراق والذى يألف المساجد يدعى الحمام الطورانى ويسمونه فى مصر الحمام الأزرق .

وقال ابن سنان .

أتظن الورق فى الأيك تغنى   إنهـا تضمر حزناً مثل حزنى

لا أراك الله نجـــداً بعدها   أيها الحادى بها أن لم تجبنى

هـل تبارينى إلى بث الجوى   فى ديار الحى نشوى ذات غصن

هب لها السبق ولـكن زادنا   أننا نبـــكى عليهـا وتغنى

وقال الأرجانى .

ومما شجانى وقد ودعوا   بكاء الحمـــام على ساقها

تنوح على بعـــد آلافها   وتظهر مكنون أشواقها

(١) القضب كقبر كل شجرة طالت واسترسلت أغصانها والقضب أيضاً شجر تتخذ منه القسى وأيضاً الأغصان المقطوعة الواحدة قضبة .

لبسن حـــداداً ومزقنه   فلم تدخر غــير أزياقها[(١)]

وضاقت صدوراً بأنفاسها   ففضت مجامــع أطواقها

وقد نزفت[(٢)] فى الهوى دمعها   فـــلم يبق ماء بآماقها[(٣)]

وقال بعض الأعراب .

وقبلى أبكى كل من كان ذاهوى

هتوف البواكى والديار البلاقع[(٤)]

وهى على الاطلال من كل جانب   نوائح ماتخضل[(٥)] منها المدامع

مزوجة الأعناق غر ظهورها   مخطمة بالدر خضر روائـــع

مزرجة من الزرج وهو الزخرف والزينة ومخطمة من الخطم وهو منقار الطائر أو من خطمه بالخطام أى جعله على أنفه وهو حبل يجعل فى عنق البعير ويثنى فى خطمه أى مقدم أنفه وفمه .

ترى طرراً بين الخوافى كأنها   حواشى برد زينتهـا الوشائع

الوشائع جمع وشيمة وهى الطرائق فى الثوب والخوافى ريشات من الجناح إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

ومن قطع اليـــاقوت صيغت عيونها

خواضب بالحناء منهـا الأصابـــع

وقال الشبيبى من شعراء العراق اليوم .

يشكو الصبابة كل يوم مدع   وأحقنا دعوى بها من ذاقها

لو أنصفت تلك الحمـــائم لوعتى

نضت[(٦)] الخضاب ومزقت أطواقها

يا هـذه حتى الغصون لمـا بها   نثرت على وجه الثرى أوراقها

مثـــل التى لزم الخفوق جناحهـا

أصبحت مرتكض[(٧)] الحشا[(٨)] خفقاتها

وقال الشرقى وهو شاعر عراقى يخشى اليوم أن يطبع ديوانه لما فيه من ثورات فكرية على السياسة والاجتماع دفعه فى تياراتها جموح الشباب ومال به عن تبعاتها حذر الشيخوخة وهواجسها

(١) الزيق من الثوب ما أحاط منه بالعنق وما كف من جانب الجيب والجيب من القميص طوقه وعند العامة الجيب هو كيس يخاط فى جانب الثوب من الداخل ويجعل فمه من الخارج وليس هنا المراد من تعريف الزيق .

(٢) نزف عبرته أنفذها .   (٣) الموق مجرى الدمع من العين

(٤) القفار .   (٥) ندي وابتل .

(٦) نضا الثوب عنه نزعه وخلعه .

(٧) ارتكض تحرك واضطرب

(٨) الحشا ما انضمت عليه الضلوع .

أنا يا حمامات الأراك مفرد لكن برغم حلاك لا أنطوق

طوباك خلصك الجناح فما استوى روح مقيدة وروح مطلق

ضاعفت وجد الحائرين فليتهم إذ لم يكونوا طائرين تملقوا

وقال أيضاً .

حمام الدير هل فى الدير رهط يدل الظامئين على الزلال

وقال السيد حيدر الحلى وهو من شعراء العراق الذين توخوا الجزالة وروعة السبك وكان معجباً به شوق (رحمهما الله) فيما تحدث الرواة وجل شعره فى رثاء سيدنا الحسين وباقى شهداء كربلاء رضوان الله عليهم .

وادعت حولى الشجاذات طوق مات منها على النياح الهجوع

شاطرتنى بزعمها الداء حزنا حين أنت وقلبي الوجوع(١)

يا طروب المشي خلفك عنى ما حنينى صـبابة وولوع

وقال الأخرس البغدادى .

يا ورق أين غرام قلبك من شج جمل النواح لشجوه معتادا

أو تشبهين الصب عند نواحه ؟ ولقد بخلت بمدمعيك وجادا

وقال محمد سعيد الحبوبى من المتأخرين وهو شاعر بلغ الغاية فى رقة الغزل وقد جارى الأندلسيين فى موشحاتهم فأتى بالبدائع وفى آخر حياته رحمه الله رفع لواء الجهاد المقدس ومات مسموماً فى حروب العراق ضد العدوان .

أحمامة الوادى عـداك هوى لو حل فرعـك أحرق الفرعا

أنى اتخذتك لى منادمـة ولقد شربت فغردى سجعا

وقال :

يا حمام الدوح(٢) بالله أعد سجعك اليوم لصب(٣) وأجد

إن تكن مثلى مهجوراً فزد ربما يطفى غليلى(٤) ربما

سجعك اليوم بلحن مطرب

يا حماماً أن فى وادى العقيق لا أرى لى غيرك اليوم صديق

فتى من سكرة الحب تفيق ؟ وإلى ما فيه تخشى اللوما ؟

وتراعى نظرة المرتقب ؟

---

(١) قال الفيروزبادى فى القاموس وجع كسمع ووعد لغية يوجع وييجع (على وزن يسمع) ويجع (على وزن يعد) فهو وجع كخل جمعه وجعون وواجعه آلمه فاسم المفعول يجىء بصيغتين موجع وموجوع .

(٢) الدوح جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة .

(٣) العاشق وذو الولع الشديد .

(٤) العطش الشديد وحرارة الحب أو الحزن .

يا حماما لم ترعـه بالفراق جيرة تعقد بالهجر النطاق(١)

أنت والغصن بضم وعناق وبأسر الريم(٢) أصبحت وما

دفعت عنى سرايا العرب

وله من موشحه أخرى .

وحمـام البشر غنى وتلا سير(٣) اللهو ينادى الطرب

قد رقى منبر بان واعتلى فى مروج كمروج(٤) الذهب

فهو لا ينفك يملى الملا أعنقت بالحزن عنقا مغرب

بغنا ناهيك(٥) فيه من غنا خمرة اللهو به لم تمـزج

أترى معبد التى الـدنا لحمـام السقط والمنعرج

أعنق أسرع والعنق نوع من السير وعنقاء مغرب طائر معروف الاسم مجهول الجسم وقيل طائر يبعد فى طيرانه وكنى بذلك عن عدم وجود الحزن والمدن خمس طرائق من الغناء اخترعها نفسه وسبب تسميتها بذلك أن قتيبة أحد الفاتحين فى أخريات القرن الأول من الإسلام فتح خمس مدن فى إحدى غزواته فقيل لمعبد المغنى ذلك . فقال وأنا اخترعت خمس طرق من الأغانى تعادل عندى تلك المدن الخمس راجع الكامل المبرد تجد تفصيل ذلك والسقط معظم الرمل والمنعرج منعطف الوادى .

وقال محمد مهدى الجواهرى شاعر العاطفة الفياضة والوصف الرائع ومتزعم الفكرة التقدمية فى العراق :

وهاتفـه راعها مقدمى فلاذت بأغصانها الميل

أيا ورق لا تذعرى إننا شربنا العواطف من منهل

وقال ابن الدمينة :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟ لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى

على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن

جزوعا وأبديت الذى لم تكن تبدى

---

(١) النطاق ما يشد به الوسط .

(٢) الريم الظبي الخالص البياض . (٣) جمع سيرة .

(٤) المرج الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيه الدواب أى ترعى فيه

(٥) يقال ناهيك بزيد فارساً فى مقام التعجب والإستعظام بمعنى أنه غايته في تطلبه ينهاك عن تطلب غيره وهذا رجل ناهيك من رجـل كلمة يتعجب بها فى مقام المدح ثم كثر حتى استعمل فى كل تعجب .

وقال الخباز البلدى :

ذرى شجر للطير فيها تشاجر   كأن صنوف النور فيها جواهر
كأن القمارى والبلابل فوقها   قيان(١) وأوراق الغصون ستائر
شربنا على ذاك الترنم قهوة(٢)   كأن على حافاتهـا الدر دائر

وقال محمد بن على العاملى :

فى ربوع كأنهن جنان   عطفت جورها على الولدان
ورياض كأنهن سماء   أطلعت أنجما من الأقحوان(٣)
بين ورق كأنهن قيان   ركبت فى حلوقهن المثانى(٤)
وغصون كأنهن نشاوى   يترقصن عن قدود الغوانى

وقال ابن خفاجة :

وإراكة سجع الهديل بفرعها   والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطافها وربما   خلعت عليه ملاءة الأنوار(٥)

وقال ابن وكيع :

غرد الطير فنبه من نعس   وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى   وتعرى الصبح من ثوب الغلس(٦)

وقال أبو الحسن المجريطى :

ألا حبذا نوح الحمامة سحرة
وقد شق جيب الليل عن لبة الفجر(٧)
وسال نجيع(٨) الفجر من ثغرة الدجى(٩)
وخمش(١٠) شكل الليل من صفحة البدر

وقال السرى الرفاء :

وصاحب يقدح لى   نار السرور بالقدح
فى روضـة لبست   من لؤلؤ الطل سبح
يا لقمى حمامهـا   مغتبقاً ومصطبح
أوقظه بالعزف أو   يوقظنى إذا صدح
والجو فى ممسك   طرازه قوس قدح
يبكى بلا حزن كما   يضحك من غير فرح

غير أن المعرى يتردد فى شكوكه قائلا :

أبكت تلكم الحمامة أم غنـ   ـت على فرع غصنها المياد ؟

وقد أصاب فى تشككه وعدم اعتباره غناءها نواحاً كما ظن كثير من الشعراء ولكنه فاته أن الغناء من الذكور وليس من الأناث كما أوضح ذلك دارون وعلماء الطبيعة الآخرون إلا إذا اعتبرنا التأنيث هنا لفظياً قال فى المنجد الحمام طائر معروف والواحدة حمامة ويقال حمامة للذكر والأنثى لأن الهاء هنا ليست للتأنيث بل للدلالة على أنه واحد من جنس وربما قالوا حمام للواحد جمعه حمائم وحمامات .

وقال بعض الأندلسيين :

انظر إلى النهر فيها   ينساب كالأفعوان
والطير تخطب شكراً   على ذرا الأغصان
والقضب تلتف سكراً   بعائس القضبان
والروض يفتر زهواً   عن مبسم الأقحوان
والنرجس الغض يرنو   لو جنة النعمان

وقال الشرقى من قصيدة احتفال الطيور :

ما ترى أيها الحمام الكئيب ؟   كل شىء حتى الحجارة باسم
كل آن هزيمة وهروب   أحياة الطيور مثلى هزائم
قال لى وهو خائف مستريب   الخوافى تهيب بى والقوادم
عجباً كيف يطمئن الأريب   لأناس تخاف منها البهائم ؟

قال السيد على خان فى كتابه (أنوار الربيع فى علم البديع) فى فصل الاستعارة وكان شديد التهور كثير البطش ذاهباً بنفسه كل مذهب قال ابن سعيد صاحب القدح المعلى سمعته مرة وهو فى محفل يقول يقيمون القيامة لحبيب والبحترى والمتنبى ، وفى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه ، فأهوى له شخص له قحة وإقدام فقال : يا أبا جعفر فأرنا برهان ذلك ما أظنك تمنى إلا نفسك . قال نعم ولم لا ؟ وأنا الذى أقول ما لم يتنبه له متقدم ولا يهتدى لمثله متأخر .

---

(١) القينة المغنية جمعها قيان .

(٢) الخمرة قيل سميت الخمر بذلك لأن شاربها يقهى عن الطعام أى تقل سهوته له .

(٣) الأقحوان نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة صغيرة . يشبهون بها الأسنان .

(٤) مثنى وهو ما بعد الأول من أوتار العود .

(٥) الملاءة ثوب يلبس على الفخذين والأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر أو الأبيض منه   (٦) الغلس ظلمة آخر الليل .

(٧) اللبة موضع القلادة من الصدر .

(٨) النجيع من الدم ما كان مائلا إلى السواد .

(٩) الثغرة نقرة النحرين الترقوتين   (١٠) خمش الوجه خدشه ولطمه

الشعر بين الوثنية والإيمان

للأستـــاذ عطية الشيخ

لاحظ نقاد الأدب العربي من قبل خمود الروح الشاعرى بين العرب إثر ظهور الإسلام ، وإن الضعف الذى طرأ على الشعر لا يقتصر على الشعراء الذين ظهروا إبان عصر النبوة والخلفاء الراشدين فحسب ، بل أدرك الشعراء المخضرمين أنفسهم ، فسكت مكثرهم وضعف قويهم .

واتخذ هؤلاء النقاد من الموازنة بين شعر لبيد وحسان فى الجاهلية والإسلام برهاناً على صدق دعواهم ، وعللوا ذلك بأسباب شتى منها : انبهار شعراء الجاهلية ببلاغة القرآن الذى أفحمتهم فصاحته ، ومنها تغير الموضوعات التى اعتادوا النظم فيها بعد أن أصبحت منكرات يحرمها الإسلام : كالفخر بالنسب ، وتمجيد العصبية ، والحض على الثأر ... الخ ، ومنها اشتغال العرب بالحروب ضد الإسلام أولا ، ولنشر سلطانه فى الآفاق بعد أن آمنوا به ثانياً ؛ ومنها أن الشعراء المخضرمين أدركوا الإسلام فى شيخوختهم فشاخ شعرهم وخبت أرواحهم ، كما شابت وضعفت جسومهم ؛ ومنها أن القرآن العظيم نال من قدر الشعر والشعراء فى مثل قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ... الآيات » ، إلى غير ذلك من العلل المعروفة لطلاب الأدب .

وعندى أن هذه الأسباب مع وجاهتها إنما هى أعراض لعلة كبرى ، وأن ما لاحظه نقاد الأدب العربى لا ينحصر فى عصر صدر الإسلام وحده ، ولا فى شعراء العربية فحسب ، وإنما هو حالة عالية للشعر والشعراء فى كل زمان ومكان ، خلاصتها أن الوثنية والزندقة والإباحية من عوامل نمو الشعر ، وأن الإيمان والاستقامة والفضيلة من عوامل ضعفه ، وأن البيئات الوثنية أخصب للشعر من بيئة الإسلام والإيمان بمعناها الأعم ، وبذلك تستطيع أن تعلل لخولة الشعراء الوثنيين فى الهند عن الشعراء المسلمين هناك مع اتحادهم فى البيئة والجنس؛ وخلو أوربا فى العصور الوسطى أيام تغلب سلطة الكنيسة من شعراء مجيدين كهوميروس قبل المسيحية وكهيجو وجوته بعد عهد الإحياء ، وتغلب روح الشك وضعف الكنيسة ، وعدم ظهور شاعر يهودى يؤبه له لمراقة هذا الشعب فى الإيمان بتعاليم دينه ، وجمال شعر الأندلس وقوة خياله فى عصر ملوك الطوائف بعد ضعف الشعور الدينى وشيوع التحلل والإباحية ، وظهور شعراء مجيدين فى لغة الضاد بعد غزو الآداب والعقائد والعلوم والجيوش الأوربية للبلاد غزواً زعزع الإيمان بالقديم ، وضعف الشعر العربى فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وقوته قبل ذلك العصر فى الجاهلية ، وبعده فى أيام الأمويين والعباسيين عند ما ضعف الوازع الدينى ودخل فى حمى الدولة الإسلامية كثير من الشعوب الأعجمية ، وأشاعوا فى العرب عاداتهم وعقائدهم وتقاليدهم وأمراضهم الاجتماعية ؛

يا هل ترى أظرف من يومنا ... قلد جيد الأفق طوق العقيق

وأنطق الورق بعيدانها ... مرقصة كل قضيب وريق

والشمس لا تشرب خمر الندى ... فى الروض إلا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان ، وردوه من الغيظ إلى أضيق مكان . فقلت له يا سيدى هذا هو السحر الحلال فبالله إلا ما زدتنى من هذا النمط فأنشد :

أدرها فالسماء بدت عروساً ... مضمخة الملابس بالغوالى

وخد الروض أحمره صقيل ... وجفن النهر كحل بالظلال

وجيد الغصن يشرق فى لآل ... تضىء بهن أكناف الليالى

فقلت زد وعد ، فماد والارتياح قد ملك عطفه ، والتيه قد رفع أنفه ، وأنشد :

لله نهر عند ما زرته ... عاين طرفى منه سحراً حلال

إذ أصبح الظل به ليلة ... وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشد :

فلما ماج بحر الليل بينى ... وبينكم وقد جددت ذكرا

أراد لقاءكم إنسان عينى ... فمد له المنام عليه جسرا

فقلت إيه ! فقال :

ولما أن رأى إنسان عينى ... بصحن الخد منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسراً ... كما مد الظلام على الضياء

فقلت أعد ، فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعانى فلا تقوم بحق قيمتها ثم أنشد :

هات المدام إذا رأيت شبيهها ... فى الأفق يا فرداً بغير شبيه

فالصبح قد ذبح الظلام بنصله ... فغدت تخاصمه الحمائم فيه

(بغداد) ضياء الدخيلي

وعدم ظهور الشعراء الكبار فى روسيا السوفيتية لإيمان الروس العميق بمبادئ الشيوعية واتخاذهم منها ديناً هم أحباره وحواريه : ويمكن تعليل ذلك بأسباب منها :

١ — الشعر فن جميل يتأثر بالعاطفة وينبع منها ، ويؤثر فيها ، ويقف عندها ؛ والإيمان مرتبة تتجاوز العاطفة إلى الفكر والإرادة ، وهو نوع من المعرفة والتفكير محصور فى نطاق العقيدة والناموس ، ومتى تحكم العقل وأحيط بالفكر وقويت الإرادة وأخلد القلب إلى يقين العقيدة ، فلا مجال لخيال ولاجموح لعاطفة ، والحب جميعه موجه للمعبود المعلوم المجهول ... ولذلك تزدهر الفنون الجميلة كلها — لا الشعر وحده — فى الوثنيات أكثر من ازدهارها فى ظلال الإيمان واليقين ، وكنف الإسلام والتوحيد ، فالنحت والتصوير والغناء والموسيقى والتمثيل والأناشيد أسس وأصول للديانات الوثنية وطقوسها ، وليس الأمر كذلك فى الإسلام واليهودية والنصرانية ، وإذا رأيت فى هذه الأديان شيئاً من ذلك ، فهو أثر من آثار الوثنيات السابقة للأمم التى اعتنقت هذه الأديان .

٢ — يعلم الشادون فى الأدب أن الاشتغال بالعلم والفلسفة يضعف الشاعرية ، وأن شعر الفقهاء والفلاسفة والعلماء خال من الجمال الفنى ، يكاد يفوح منه ثقل الفقه ، وجفاف العلم ، وتعقيد الفلسفة ، ذلك لأن الإنسان يعسر عليه أن يعيش فى حياتين فكريتين مختلفتين : إحداهما يسودها التفكير المنطقى ، وأخراهما يسيرها الوجدان والعاطفة ، ولأن ألفاظ أية لغة من اللغات قسمان قسم محدود المعنى محصوره ، وقسم يشتمل بجانب معناه الأساسى على معان فرعية يثيرها فى النفس جرس حروفه ، أو لفظ آخر متعاقب معه فيها ، أو أصل المادة التى اشتق منها هذا اللفظ ، أو دلالته على معنيين ، فيراد أحدهما أصلا ، ويبقى الآخر فرعاً .

والأصل فى الأسلوب العلمى أن يستعمل الألفاظ المحدودة المعانى ، كما أن الأصل في الأسلوب الأدبى أن يستعمل الألفاظ ذات المعانى الفرعية ، وقد أشار علماء اللغة إلى المعانى الفرعية حينما ذكروا أنه لايوجد فى المترادفات لفظان متحدى المعنى تماماً وإنما تكون بلاغة الشاعر فى تجنب الألفاظ المحدودة الصلدة القاحلة ، وتتبع الألفاظ ذات الظلال التى تضم إلى أصل معناها فروعاً وأغصاناً وأوراقاً وأزهاراً تكسب الشعر حياة وجمالاً وحركة وتصبغ عليه السمو ، وقد لاحظ ذلك قديماً بعض أدباء الأندلس ، وإن كان لم يعلل السبب ولم يزد عن ملاحظة أن بين الحروف أنساباً وقرابات تجمل لفظاً فى الشعر أجمل من لفظ آخر متحد معه فى معناه ، ومثل لذلك بكلمة « خفاتا » فى قول الشاعر :

لعمرك إنى يوم بانوا — فلم أمت خفاتا على آثارهم — لصبور

فذكر أن كلمة « خفاتا » لها من الجمال الفنى ، ما لا تصلح له كلمة « سريعاً » .

٣ — ذكر علماء النفس أن النمو فى أية ناحية من نواحى العقل الثلاث « الفكر والإرادة والعاطفة » يضعف الناحيتين الأخريين ، بمعنى أن التفكير الكثير يضعف العاطفة والإرادة ، وضربوا لذلك مثلا : الفيلسوف الذى حضر فى أخريات أيامه حفلة موسيقية فلم يفقه لها معنى ، ولم تتحرك لها مشاعره ، ولم تتأثر بها عواطفه ، فنذر أن لو عادت حياته كرة أخرى لخصص جزءاً من وقته لممارسة الفنون الجميلة ، كما ذكروا أن الإرادة تضعف العاطفة ، واستنبطوا أن قواد الجيوش لا شفقة عندهم ، وأن المرأة تطغى عاطفتها على التفكير فيكون ضعيفاً فيها .

والإيمان فلسفة يقينية لا يقوم معها شك ، ولا ينبت فى مرعاها مستحيل ، ولها منطق خاص يسيطر على ملكات النفس وقواها ، فلايبقى لغيره مجال ، ولايزحمه شعر ولا فن إلاما يتصل بمنطق العقيدة وبوائمه ، ويكون إذ ذاك شعراً محلياً لا يسيغه إلا من شارك الشاعر فى عقيدته فيفقد الجمال العبقرى للفنون الجميلة الذى يجعلها لغة عامة مفهومة للناس كافة ، إذ لايخفى أن النفوس البشرية تتحد فى إدراك الجمال الرائع ، بحيث ترى أن التماثيل والقصائد والتصاوير والمقطوعات الموسيقية العالية مقدرة عند جميع الشعوب ، محترمة فى كافة الأقطار والأعصار .

ومثال الشعر المحلى الجمال قصائد البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام ، فهى عند المسلمين من أروع الشعر ، مع أن غيرهم لا يحس لها بجمال .

٤ — من شأن الإيمان غرس الطمأنينة والرضا فى النفوس فترويض العواطف الجنسية الجامحة ، ومطاردة ما يساور النفس من وساوس وألم وحيرة ، وإنما ينبع الشعر من الحب والألم ، وما أحفل حياة الوثنيين والزنادقة بألم منبعه الحيرة ، والفوارق بين الطبقات والتقاليد البالية التى لا يقبلها الأديب إذا قبلها البليد ، وما أكثر دواعى الحب والهيام فى حياة زمامها بيد العاطفة والوجدان ، ولا قيود لها من فكر أو شريعة ، ولا مجال

للذة عندها إلا فى الحياة الدنيا ، ولا أمل لها فى آخرة ، فراحت تستبق حظها من النعيم ، وتستمتع ما وسعها الاستمتاع بما فى الدنيا من جمال وبهاء ، منشدة قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

أما المؤمن ، فقد اشترى آخرته بدنياه ، وجعل حياته الأولى مجازاً لحياته الثانية ، ورأى فى جمال الدنيا مفاتن يستدرج بها الشيطان الغاوين إلى مهاوى الجحيم ، وهو مطمئن إلى السعادة فى الأخرى إن فقد السعادة فى الدنيا . وقد لاحظ هيرودوت من قبل عدم نبوغ الشعراء فى مصر لخلو بيئتهم من الحب والألم .

٥ – أضف إلى ذلك أن الوثنيات إذ كانت لا تؤمن إلا بمتاع الدنيا ، فتحت الباب على مصراعيه للاستمتاع بها ، وتركت للانسان إشباع شهواته منها ، واستعانت على التمكن من القلوب بالتأثير على العاطفة ، إذ كانت عاجزة عن البقاء باستعمال الفكر والمنطق ، فأصبحت تربة خصيبة لنمو الفنون الجميلة التى منها الشعر أما أديان التوحيد ، فقد استعانت فى انتشارها بالدليل والبرهان إذا كانت قادرة على ذلك ، بل إن روح الإسلام يدعو إلى النظر والتفكير ويجافى الفنون الجميلة كلها من شعر وتصوير وتمثيل وغناء وموسيقى ونحت ، وكان أتقياء المسلمين ينظرون إلى محترفيها نظرة استنكار قد تصل إلى المقاومة والمحاربة .

٦ – معلوم أن العواطف تنشأ فى الفرد قبل نشوء الفكر ، وأن عبادة آلهة متعددة تنشأ قبل عقيدة التوحيد ، وأن الإنسان كلما تقدم خرج من حكم العاطفة إلى حكم الفكر ، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الإله الواحد ؛ ومثل ذلك تماماً فى الأمم إذ يسبق عصرها الوثنى عصر التوحيد فيكون مسايراً للعاطفة لا للفكر ، حتى تصل الأمة إلى طور التفكير والإيمان ، ولهذا يكون العهد الوثنى معاصراً العهد العاطفى فى الأمم ، ولهذا أيضاً نجد شعر الشاعر الواحد فى شبابه – أيام تأجج العاطفة – أقوى من شعره فى شيخوخته عندما ينضج تفكيره .

عطية الشيخ

وزارة المعارف العمومية

مدرسة المعلمين العليا – إعلان

تعلن مدرسة المعلمين العليا أن آخر موعد لقبول طلبات الطلبة المستجدين من الناجحين فى شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص دور أول سنة ١٩٤٨ والذين يرغبون الالتحاق بأقسام الرياضة ، اللغة الإنجليزية اللغة الفرنسية ، هو يوم ٢٥/٩/١٩٤٨ على أن يراعى الآتى : –

١ – يشترط لقبول الطالب بقسم الرياضة أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الرياضة سنة ١٩٤٨ .

٢ – يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الإنجليزية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٤٨ وأن يكون مجموع درجاته فى اللغة الإنجليزية لا يقل عن ٦٠ ٪ من نهايتها العظمى .

٣ – يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الفرنسية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية بإحدى الشعب الثلاث سنة ١٩٤٨ قسم اللغة الفرنسية ويجوز قبول طلبة القسم الإنجليزى بشرط أن يكون الطالب حائزاً على ٦٠ ٪ أو أكثر من درجة اللغة الفرنسية ويشترط أن ينجح فى امتحان لهذه اللغة تعقده المدرسة يوم ١١ / ١٠ سنة ١٩٤٨ .

٤ – ويشترط لقبول الطالب بالأقسام الثلاث : –

(ا) ألا يزيد سنه على ٢١ سنة فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

(ب) أن ينجح فى الكشف الطبى وفى الاختبار الشخصى اللذين يعقدان بالمدرسة يومى ٢٩ ، ٣٠ / ٩ سنة ١٩٤٨

٥ – يمنح الطالب المقبول مكافأة دراسية قدرها ٢٤ جنيهاً فى السنة إذا كان مجموع درجاته فى امتحان الشهادة التوجيهية لا يقل عن ٦٠ ٪ من المجموع الكلى للدرجات .

فعلى راغبى الالتحاق بإحدى أقسام المدرسة أن يقدموا طلباتهم إلى حضرة المدير العام لمدرسة المعلمين العليا بالأورمان – جيزة – على استمارة ٣٤ د . م مصحوبة بشهادة الميلاد أو صورتها الرسمية وبالاستمارة البيضاء الدالة على النجاح فى الشهادة التوجيهية ومجموع الدرجات ، بالتعهد المطلوب الذى يصرف من المدرسة بالمجان موقعاً عليه من الطالب وولى أمره

١٦٤

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اقتراح للإذاعة :

عادت الإذاعة أخيراً إلى برنامج « أعلام الأدب العربي » الذي كانت قد بدأته ثم قطعته منذ شهور . وهي تجري في هذا البرنامج على تقديم البارزين في تاريخ الأدب العربي ابتداء من العصر الجاهلي ، كامرئ القيس والأعشى وعنترة والمهلهل والنابغة الذبياني ، وتختار للتحدث عنهم كبار الأساتذة ، تعين لكل منهم من يتحدث عنه . وقد لوحظ أن الأساتذة المتحدثين يسلكون في تقديم تلك الشخصيات المسلك التقليدي المعروف في كتب تاريخ أدب اللغة العربية المتداولة في المدارس وغيرها ، وقد وفى مؤلفو هذه الكتب تلك الشخصيات من الدراسة ما يربو على المطلوب للاذاعة ، فلا يحتاج تقديمها للمستمعين إلى كبير عناء .

وفي الإذاعة برنامج آخر يشبه هذا البرنامج في شهرة أعلامه وقرب منالهم ، هو برنامج « أعلام الإسلام » ويقدمه أيضاً كبار الأساتذة .

وأضم إلى ذينك البرنامجين أحاديث الصباح الدينية التي يقدمها الأعلام من علماء الأزهر ، وهي مثلهما في سهولة الإعداد ووفرة المصادر ، فقد جرى هؤلاء الأساتذة على أن يشغل متحدثهم خمس دقائق بشرح حديث من الأحاديث النبوية الشريفة ، المختارة من كتب الحديث المعروفة وهي مخدومة في شروح وافية

تلك البرامج الثلاثة لها قيمتها الأدبية والعلمية والدينية ، ولها أثرها في التثقيف والتقويم والتهذيب ، فلا يتبادرن إلى ذهنك أني أهون من أمرها بذلك الوصف ، إنما أقصد إلى الاقتراح التالي :

أرى أن تطلب الإذاعة إلى كليات الجامعة وكليات الأزهر ، أن تختار لها من طلبتها من يصلحون لتقديم تلك البرامج ؛ ولا شك أن الطلبة الذين يختارون لن يجدوا أية صعوبة في القيام بهذا العمل لتوافر المصادر وخاصة المؤلفات الحديثة المنظمة السهلة الأسلوب .

ولهذا الاقتراح ثلاث فوائد : الأولى تدريب الشباب وإفساح المجال أمامهم ، ولا بد أن تظهر من بينهم « وجوه جديدة » فمن العدالة إتاحة الفرص لمواهب الناشئين . الثانية مساعدة الطلبة على مواجهة أعباء المعيشة وخاصة في هذه الآونة التي استشرى فيها الغلاء . الفائدة الثالثة لخزانة الإذاعة ، فإن الطالب يكتفي بجنيه واحد تدفعه إليه بدلا من عشرة لأحد الكبار الذين لن ينقضهم أن ينتفع أبناؤهم مهما كانت تضحيتهم .

وهذا الاقتراح أقدمه بالمجان لإدارة الإذاعة ، فلا أكلفها ما يتقاضاه منها عضو بالمجلس الأعلى لقاء جلسة يقترح فيها مثل هذا الاقتراح ، وهذه فائدة مادية ثانية للاذاعة . ومن الله الأجر والثواب .

ارسمي شجرة الزقوم :

نشرت جريدة « الأساس » مقالا بتوقيع « أمين صفوت » حمل فيه على صعوبة الامتحانات ، وأورد أمثلة من الأسئلة الصعبة ، منها سؤال في الرسم لطالبات السنة الثانية بالمدرسة السنية ، نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم . طلعها كأنه رءوس الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم . ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ...

« ارسمي ما تتخيلينه بعد قراءة الآيات السابقة عن الجحيم وشجرة الزقوم وعذاب المجرمين في الآخرة »

فماذا يتخيل هؤلاء الطالبات المسكينات عن الجحيم وشجرة الزقوم وما عليها من رءوس الشياطين ؟ إنه لخيال لو قرأناه في « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، أو في « الكوميديا الإلهية » لدانتي اللاجيري — لعددناه من الإعجاز الأدبي ، فما بالك بطالبات في أول المرحلة الثانوية يطالبن بهذا الخيال وبرسمه؟

ويدافع بعض أساتذة الرسم عن مثل هذه الأسئلة بما هو أعجب منها ، فيقولون إنهم لا يريدون أن يقفوا بفن الرسم عند « القلة والزير » وإنما يريدون أن يروضوا الطلاب على التعبير عن العواطف وتصوير الانفعالات ، أوهم يريدون على الحقيقة أن يأتي الناشئون بالخوارق والمعجزات فيصورون عالم الغيب غير مكتفين بعالم الشهادة ...

ولو أن هذا النمط من الأسئلة أو من تعليم الرسم ، يؤخذ به طلاب تحققت لديهم الميول الفنيـة ، لهان الأمر ؛ ولـكنهم فى تعليم عام يحتشد فيه الجميع من ذوى الميول والاستعدادات المختلفة ، وليس يطلب من جميعهم أن يـكونوا فنانين فى الرسم مقتدرين على التعبير والتصوير ، بل يكفى فى هذا التعليم العام أن تفرض الأصـول والخطوط الأولى فى الرسم . وليس تـكليف الناشىء العادى أن يكون فناناً معبراً فى الرسم ، إلا كمطالبته بإنشاء قصيدة من الشعر أو كتابة موضوع من الأدب الرفيع أو قصـة من القصص الإنسانى ، وليس كل ذلك إلا كمطالبته بإضافة أو وضع نظرية فى العلوم الطبيعية ، وقـل مثل ذلك فى سائر ما يتلقاه من العلوم والفنون .

أما بعد فقد سمعنا أن مشيخة الأزهر ستنشىء معهداً للبنات ، وإنى أشير عليها أن تستعير من المدرسة السنية الأسـتاذ الفاضل الذى وضع سؤال « شجرة الزقوم » وتسند إليه تدريس « رسم مشاهد القيامة » لبنات المعهد الأزهرى لأنهن سيكن ، بمشيئة الله ، أقدر من تلميذات السنية على الخيال المستمد من آيات القرآن الكريم

وهذه الصحافة :

ذكرت فى الأسبوع الماضى أن أعضاء اللجنـة الثقافية لجامعة الدول العربية ، اشتكوا فى أثناء الاجتماع الذى نظروا فيه مسألة ترقية السينما العربية من أن الأفلام العربية ليست فى المستوى الراق الذى ينشد منها وأنها تنافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القويمة ، ورجوا توصية الحـكومات العربية لإصلاح هذا النقص .

ولست أرى تدخل الحكومات فى ذلك مجدياً أو ناجماً إلا أن يكون « تأميما » وأن يكون لدى الحـكومة فنيـون قادرون مخلصون للعمل ، يستطيعون أن يقوموا بتنفيذ هذا التأميم على الوجه المنشود . أما بغير ذلك فإن عمل الحكومة المباشر لا يتعدى حذف ماينافى الأخلاق والآداب العامة . وها هى وزارة الشؤون الاجتماعية تؤلف اللجان للنهوض بالسينما ، فتجتمع وتنفض ، وتنظر وتقرر ، وكل شىء فى السينما كما هو : أفلام بلا موضوع ، وقصص تجرد من قيمتها ، وتسلية فارغة ، ومجون مسف .. الخ ولست أدعو إلى تأميم السينما ، فليست الحـال ملائمة له ، وإنما أريد أن أقول إن الجمهور — من حيث إقباله أو إعراضه — هو أهم عامل فى ترقية السينما أو استمرار تفاهتها وسخفها . وقد ثار الرأى العام المستنير على هـذه الأفلام ، وبدأ الجمهور يعرض عنها إعراضاً يدخل فيه الوعى والملل من تـكرر الحوادث المتشابهة ، إلى جانب سوء المعيشة . وأحس السينميون بكل ذلك إحساساً يرجى أن يؤدى إلى الأخذ فى التحسن .

ثم أنتقل بعد ذلك إلى شىء آخر غير الأفلام التى شكا منها أعضاء اللجنة الثقافية كما يشكو منها الجميع ، ذلك الشىء هو نوع من الصحافة عندنا ، أقرنه بتلك الأفلام لأنه يماثلها فى أن كلا منهما « دون المستوى الراق الذى ينشد منـه ، وأنه ينافى أحياناً الأخلاق العامة والمبادىء القويمة » وأقصد هذه المجلات التى لا ترمى إلا إلى كسب القراء عن طريق التسلية الفارغة والمجون المسـف كالأفلام حذواً ... فـكل شىء يكتب للترفيه الخاوى والإضحاك الهابط ، ولا شيء وراء هذا أو ذاك من متعة فنيـة أو ثقافة نافعة ، وفتيات هذه المجلات لا تقل إغراء ولا فتنة عن كواكب تلك الأفلام ، وكثيراً ما تـكون هذه هى تلك ...

وإنى أسأل بعد ذلك ، وأنا أنظر إلى من خلف هذه الصحف من المخرجين والمشرفين عليها : ما هى رسالتهم ؟ ويقف السؤال مشفقاً من استخذاء الجواب ... فـكل ما يبغـون هو الربح المادى ، أى أنه ليس لهم رسالة ثقافية أو فنيـة أو إصلاحية . وننظر إلى الوراء فنعبر السنين الماضية لنرى ما كانت عليه الصحافة من قبل ، كان كل من يصدر صحيفة أو مجلة لابد أن يرمى إلى غاية من تلك الغايات ولو مكرها بدافع الحيـاء من الناس ... وحتى المجلات الفكاهية كانت ذات موضوع ، فلم يكن هزلها خالياً من الأهداف الجدية .

وقد تقدمت الصحافة اليـوم تقدما كبيراً يغتبط له وإن كان فيه ما يؤسف ، وهو ما يشغل بعض الصفحات من الهذيان الذى يقدم منسوباً إلى الآداب والفنون ، ثم ذلك اللون التافه المسف من المجلات التى لا غاية لها تحمد عليها .

وقد ثار المستنيرون على هذه الأفلام وازور الجمهور عنها . وهذه الصحافة لا تقل عن تلك الأفلام جدارة بالشكوى منها ... فتى تنال من الاستنكار والإعراض ما يجعلها تحس إحساساً يؤدى إلى الأخذ فى التحسن ؟

اللجنة الثقافية واليونسكو :

ختمت اللجنة الثقافية للجامعة العربية اجتماعاتها بلبنان يوم الأربعاء الماضى ، وتوجه على أثر ذلك إلى دمشق أعضاء الوفد المصرى فى اللجنة برياسة الأستاذ محمد شفيق غربال بك ، تلبية لدعوة وزارة المعارف السورية ، وعاد الوفد بعد ذلك إلى مصر .

وقد أتيت فى الأسبوع الماضى بأهم قرارات اللجنة فى الشؤون الثقافية العربية ، وكنت ذكرت قبل أن ستعرض على اللجنة فى اجتماعها بلبنان مسألة موقف الدول العربية من مؤتمر اليونسكو وما يلابسه من طلب تأجيله وسعى اليهود للاشتراك فيه . وأذكر اليوم أن اللجنة رأت أن تسير فى طريق الإعداد للمؤتمر ، فدرست المسائل التى تتعلق باجتماعه فى بيروت وأقرت خطة المساهمة فيه وتنظيم مظاهر النشاط الثقافى والعلمى والأدبى والفنى الذى سيصحب المؤتمر طوال مدة اجتماعه ، ويطلق على هذه المدة « شهر اليونسكو » .

ثم اتخذت اللجنة قراراً يقضى بتأييد الحكومة اللبنانية فى تمسكها بعقد المؤتمر ببيروت فى موعده المحدد فى أكتوبر القادم . ومن مصر كتب معالى السنهورى باشا وزير المعارف إلى سفير مصر فى فرنسا أن يطلب باسم الحكومة المصرية مؤازرة الحكومة اللبنانية فى خطتها بشأن عدم تأخير عقد مؤتمر اليونسكو عن موعده الأصلى وعدم تغيير بيروت كمقر للمؤتمر .

ولا يسع المتتبع للظروف المحيطة بهذا الموضوع إلا أن يتساءل : هل يجتمع مؤتمر اليونسكو حقاً بلبنان فى موعده الأصلى ؟ ويبعث على هذا التساؤل ما قرره المجلس التنفيذى لليونسكو بباريس من قبول إسرائيل المزعومة فى مؤتمر لبنان بصفة عضو مراقب إذا طلبت ذلك .. وهى لابد ستطلب . ولن يقبل العرب الاشتراك فى المؤتمر وفيه الصهيونيون بأى صفة من الصفات ؟ لذلك يبدى بعض أعضاء اللجنة الثقافية شكه فى أن يتم اجتماع اليونسكو فى لبنان ما دامت المشكلة الفلسطينية قائمة .

طلائع الأدب فى الحجاز :

وقع فى يدى أخيراً كتاب « أريد أن أرى الله » فسررت به ، لأنه كتاب واحد من إخواننا أدباء الشباب بالحجاز ، وما إخال أدباء الحجاز إلا شباباً . أولئك الذين وجدت البذور الكامنة فى تلك البلاد منافذ فى ثقافتهم الحديثة ، فنبتت وترعرعت ، وجعلت تبهر الأنظار بما تؤتى من الثمرات الطيبات .

ومن أولئك الشباب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار صاحب كتاب « أريد أن أرى الله » وهو مجموعة أقاصيص يفتح بها باباً جديداً فى الأدب الحجازى الحديث . وتحتوى هذه المجموعة على قصتين اختار أولاهما وهى « أريد أن أرى الله » من قصص تولستوى ، والثانية من تاجور . ثم خمس قصص مؤلفة بدت فيها موهبته وقدرته على العرض والتحليل ، وتبدو فى هذه القصص صور ظريفة من البيئة المحلية ، رسمها المؤلف بدقة ، وأشاع فيها كثيراً من الظرف والدعابة .

ليس المقام للاسترسال فى الحديث عن تلك القصص ، وإنما أريد أن أعبر عن اغتباطى بنفحة من نفحات الحجاز .

من طرف المجالس :

أقبل صاحبنا فاتراً ، وأخذ مجلسه متهالكا ، ثم أرسل الصعداء ...

— مالك ؟

— محاضرة !

— ألست قد فرغت من إعدادها ؟

— أتظن أنى أعد محاضرة لألقيها ؟ كلا ، لقد ألقيت علىّ محاضرة ... صبت علىّ ... إننى أعلم وقع هذه المحاضرات التى يحسب أصحابها أن ما يقولونه لا يعلمه إلا هم ، فيبدئون ويعيدون ، ويطيلون ويثقلون ، ولا يحسبون حساباً لما يشعر به السامعون من ملل وأسف لضياع الوقت . ولا أطيل عليكم كما يطيلون ، فقد رأيت بالأهرام أن الدكتور فلان سيلقى محاضرة بنادى كذا . ولست سريعاً إلى تلبية الدعوات إلى المحاضرات . ولكن الدكتور فلان محدث طلى صاحب فكرة ، وهو صديقنا ، فذهبت لألقاه هناك وأستمع إليه ساعة . فما راعنى إلا اعتذاره من عدم الحضور وقيام أحد الحاضرين ليحل محله . وانهال علينا المحاضر « المتطوع » فأطال وأمل ، وأنا أتململ ... ومنعنى الحياء أن أغادر المكان . وهكذا وقعت فى الفخ ، ومن مأمنى أتيت ...

قال له أحد الجلساء : تعيش وتسمع غيرها !

وقال آخر : لقد كانت إذن محاضرة « مبرحة » !

عباس خضر



خواطر مسجوعة :

(مهداة إلى الأستاذ حامد بدر)

فى الناس قوم لا يرون إلا الذهب ؛ ولا يسمعون إلا رنينه ، لا يبالى أحدهم أن يئد الأدب ، ويبيع فى سبيل العار وطنه ودينه . همه أن يقال شجاع جرىء ، وهو — فى الحق — صفير بذىء ، أو ينال الزلفى والجاه ، وإن عفر على الأعتاب الجباه .

يتظاهرون بأنهم مصريون ، ومصر منهم براء ، ويتباجدون بأنهم الميمون ، وهم — فى الحق — رقعاء . المال أعمى أبصارهم ، وأخمد نارهم ، فأنكروا دارهم ، وتجاهلوا جارهم ، ولجأوا إلى المغالطة والكذب ، وما ألجأهم إلا الذهب .

كم ظهر الفرح على وجوههم حين تنال مصر بشر ! وكم بدت الشماتة على ألسنتهم حين يمسها الضر ! فى القلوب حقد دفين، يخفيه الطمع فى برها ، ويظهره الطمع فى غيرها . وفى الأخلاق داء مكين ، يجعل المنفعة أساسها ، ويجعل النفاق رأسها .

مسكينة مصر ، تلقى منهم كل ضر ، يأكلون من خيراتها ، وينسبون إليها ، وهم ألد عداتها ، بل أقسى من عداتها عليها .

ومن عجب أن مصر تعرف كل ذلك ، ولكنها تغض الطرف عما هنالك . فى الصحف طعن عليها وسباب ، وفى المجالس نيل منها واغتياب ، ولكن الكرم الحاتمى أخص صفاتها ، والحلم الأحنفى رفيق حياتها ،

والنفس تأكلها الحسرة ، وتخنقها العبرة ، حين ترى المحسن يساء ، والمسىء يأخذ ما يشاء ، هل جاءكم نبأ موظف مصرى لا يعجبه فى مصر شىء ، ويعجبه فى غيرها كل شىء ؟ وهل سمعتم برجل من رجال العلم هو أداة طيعة فى يد المال يصرفه كيف شاء ، ولا يبالى أحسن أم أساء ؟؟

نحن نعيش بين العبر ، ولا نعرف المبتدا من الخبر ، وعلى ألسنتنا القول ولا نقول ، وما غناء القول إذا تفاتت العقول …

على العمارى

مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

حول شعراء وأدباء فى جيش الفاروق :

قرأت فى عدد الرسالة الأخير (٨٩٢) كلمة للأستاذ محمد خليفة التونسى عن كتابى « شعراء وأدباء فى جيش الفاروق » فرأيت من « العدل » أن أعقب عليها بنية تبيان الحقيقة

١ — قال الناقد فى صدر حديثه « إننى ضابط ، ويعلم الله أننى لم أحظ بشرف الجندية …

٢ — قال الأستاذ خليفة — نقلا محرفاً عن تعريف الناشر بى — « ينأى بنفسه عن إغراء المرأة حتى استأثرت به أخيراً « قديسة » تراه يفنى فى تقديسها ، فهو تعريف « تقريرى » للقراء أن يفهموا منه ما يفهمون كما يفهمون » ولو تحرى حضرته الدقة لأدرك أن الناشر يعنى « والدة » المؤلف !.

٣ — وصم الناقد المقدمة التى تصدرت كتابى والتى قررت فى خلالها أن الأدب والجندية لا يتنافران بأنها « صرخات فى الهواء » وكان أولى به بدلاً من أن يلقى القول « جزافاً » أن يقدم الأدلة والبراهين …

٤ — حين وضعت هذا المؤلف عن الشعراء والأدباء فى جيش الفاروق المعظم لم أبتغ إلا تقديمهم خارج النطاق العسكرى . وكان مثلى مثل « التاجر » الذى يقدم « بضاعته » و « يروج » لها بشتى السبل …

٥ — فى حديث الناقد عن « ذوق » الكاتب فى اختيار « النماذج » كان مسرفاً فى التعبير … ولو تحقق الناقد لأدرك أننا لم نقدم نماذج لليوزباشى سيد فرج ، والبكباشى محمد عبد الفتاح إبراهيم .

٦ — وكلمتنا الأخيرة تمنى بأنه ينبغى أن يعرف « الناقد » رسالته على حقيقتها فيكون على حد تعبيرنا أشبه بـ « جندى المرور » الذى يوجه الحركة ولا يكون كـ « الكونستابل» الذى يحرر « المخالفات » فحسب ! !

محمود عيسى

سكرتير تحرير مجلة الجيش

لبس فى اللغة « شفوف » :

كان بيمينى العدد ٧٨٤ من الرسالة الغراء وكنت أقرأ فيه

مقالا ماتعاً للشاعر الناثر الأستاذ الجليل محمود رزق سليم مدرس الأدب بكلية اللغة العربية ، فما إن بلغت من القراءة إلى لفظة (شـغوف) فى قوله فى صحيفة ٧٧٩ (جلس فى ظلالها جلوس الواله « الشغوف » حتى أمسكت لسانى عن متابعة القراءة ، ووقفت حيالها هنيهة أستذكر بقايا ما أحفظه من أبيات فيها ألفاظ تؤدى نفس هـذا المعنى ، ليس من بينها هذه اللفظة غير العربية التى نحن بصدد الكلام حولها . وهذه الأبيات ليست فى كثرة ومي — قال البحترى (١) :

ولمة كنت « مشغوفاً » بجدتها ... فما عفا الشيب لى عنها ولا صفحا

وقال المتنبى (٢) :

كأن الحزن « مشغوف » بقلبى ... فساعة هجرها يجد الوصالا

وقال الشاعر (٣) :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى ... « مشغوفة » بمواطن الكتمان

وقال الشاعر (٤) :

« مشغوفة » بك قد شغفت وإنما ... حم الفراق فما إليك سبيل

وتقصياً من الشك وسداً لثغرة الاحتمال بعد هـذه الأبيات على رغم قلتها ، وإن كان فيها غنية أى غنية فكنت قد اقترأت فريقاً من معاجم اللغة فى اهتمام تام ، وفى تيقظ وتحفظ فلم أعثر للفظة (شغوف) هـذه على أثر البتة ، وإنما الذى ألفيت هو (المشغوف) بالغين المعجمة « والمشعوف » بالعين المهملة أيضاً ليس غير ، فيتضح إلى ذلك أن هذه اللفظة الغريبة ليست من اللغة العربية ، وإنما تسربت إلى أقلام بعض الكتاب من سبيل الصحف التى لا سلطان لأدب اللغة عليها .

فالويل كل الويل للصحف من هـذه اللغة الرائمة البارعة فإنها لا تحفل فى أكثر الأحايين إلا بالمعنى فقط ؛ وأما اللفظ — ولا معنى بغير لفظه — فإنها ترسله على عواهنه إرسالا من غير احترام للأدب اللغوى .

(طرابلس الغرب) محمد مهدى أبو حامد

كلية أحمد باشا

(١) البلاغة الواضحة ص ٨٧

(٢) مع المتنبي للدكتور طه حسين ص ٢٤١ .

(٣) البلاغة الواضحه ص ١٢٦ .

(٤) الأشموني ص ١٣٧ ج ثانى — ذكر هتين اللفظتين المحيط والتاج والمصباح ، ومن العجب أن اللسان والصحاح لم يذكرا إلا التى بالعين المهملة فقط .

لا أزال :

قرأت فى العدد ٧٩٠ ص ٩٦٧ مقالاً للأستاذ أحمد أحمد العجمى اعترض فيه على دخول (لا) على (أزال) المضارع إلا فى الدعاء واستشهد بشعر ذى الرمة . وقد وهم الأستاذ فى اعتراضه فإن القاعدة قاصرة على الماضى فقط (زال) تدخل عليه (لا) فى الدعاء فقط وفى غيره تدخل ما .

قال الله تعالى : (فما زالت تلك دعواهم) سورة الأنبياء — وأيضاً : (فما زلتم فى شك) سورة غافر — وأما المضارع فالأصل فيه دخول (لا) قال الله تعالى : (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) سورة المائدة — وقال : (لا يزال بنيانهم) . فى التوبة — وقال (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم) . فى سورة الرعد — وقال : (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) . فى الحج — وقال : (ولا يزالون يقاتلونكم) فى البقرة — وقال : (ولا يزالون مختلفين) فى هود — وليس فى القرآن الكريم غير ذلك .

ومن هذا ترون أن الأستاذ العجمى لم يوفق فى اعتراضه وأن الصواب أن يقال (ما زال ، ولا يزال) فى الماضى والمضارع

عبد السلام النجار

تعقيبان :

١ — أحب أن تعلم الآنسة الأديبة سعاد كامل أنى لا زلت عند وعدى ، فسأنسكم قريباً عن الشاعرين الكبيرين محرم والكاشف على صفحات الرسالة ، وأظن الآنسة الفاضلة تعرف أنى بعيد عن القاهرة الآن ، فلا سبيل إلى دار الكتب المصرية فى الريف ، وهى بما تحتويه من جرائد ومجلات أدبية ، مرجع الباحث عن قريض شاعرين عظيمين ، لم يقدر — بعد — لديوانيهما الظهور فى سفر شامل محيط ، فإلى الغد القريب إن شاء الله .

٢ — وقع فى قصيدتى « المجاهدة الشهيدة » المنشورة بالرسالة تطبيع أدى إلى اختلاف الوزن وغموض المعنى . وفيما يلى تصحيح الأبيات المحرفة .

كعصافير ظنت الأيك يخلو ... من شريك فبوغتت بالصقور

كل ليث يهيج فى صدره البأ ... س كنار تشب فى تنور

سمعت فى الدجى البهيم أنيناً ... لجريح يئن تحت الصخور

محمد رجب البيومي

لو أصبح لليهود دولة ..

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥٩)

كالصليب الأحمر وغيره — عجبت أن يهتم هذا الاهتمام الذى يشكر عليه قليلا ، وأعجب منه ألا يخطر بباله أن أشباه الناس apes اليهود هم كانوا سبب هذه الكارثة . وأعجب وأغرب أنه وهو يترك الحبل على الغارب لليهود لا يطالب من مجلس الأمن بكل شدة أن يرغم (إن كان عنده قوة للارغام) جميع يهود العالم أن يدفعوا أثمان جميع الأرزاق والأموال والأملاك وكل ما كان فى حوزة العرب — كل هذه التى نهبها اليهود من بيوت العرب وأملاكهم وحوانيتهم ، وهى تقدر بنحو ثلاثمائة مليون جنيه استرلينى ، هى الآن فى ذمة اليهود إن كان لليهود ذمم .

عجبت أن يسكت برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم وحاخامات اليهود عن المئة والإثنين والسبعين مليوناً من الدولارات الأمريكية التى تصدق بها نصارى أمريكا على منكوبى اليهود فى أوربا ، وما كانوا ملزمين لولا أن مسيحهم قال لهم : « احسنوا إلى من أساء إليكم » ! وإذا هؤلاء اليهود الأدنياء ينفقون تلك الملايين على محاربة العرب لأنهم لم يكن عندهم منكوبون يستحقون الإحسان ، بل عندهم جميع أموال العالم !

أنستغيث نحن بالأمم لكى نقوم بأود منكوبينا ويكون لنا عند اليهود ٣٠٠ مليون جنيه .

نذكر الجامعة العربية بهذا الحق الضائع لكى تطالب به برنادوت ومجلس الأمن وهيئة الأمم ، فقبل أن يحكم مجلس الأمن بدولة إسرائيل يجب أن نستخلص من بنى إسرائيل هذا الحق إن كانت تعرف الحق وتحترمه !

وعلى انكلترا أولا وأمريكا ثانياً حتى جميع الدول التى أقرت التقسيم أن تحصل هذا الدين من اليهود للعرب ، وعليها أيضاً أن تطالب اليهود بغرامة مائة مليون جنيه على الأقل لأنهم هم الذين انتدبوا العرب للحرب ، فعليهم أن يدفعوا ما وقع على العرب من خسارة بسبب الحرب .

ثم إن هذه الغرامة وجميع المنهوبات التى نهبها اليهود من العرب تخول جميع الحكومات العربية أن تحجز جميع أملاك اليهود وأموالهم فى بلادها لكى تستوفى ما تستطيع استيفاءه من هذه الديون الملقاة على عاتق جميع يهود العالم بالتضامن ، لأنهم كلهم كانوا يجمعون الأموال للصهيونيين ، وهى أموال مبتزة من البلاد التى يقطنونها بطرق غير منتجة وغير قليل منها مبتز من العرب !

إذا كان عند الدول العظمى ذرات من الشرف كما عندها ذرات للقنبلة ، فلتحصل هذه الحقوق من اليهود للعرب !

نقولا الحداد

تصويب :

وقع فى افتتاحية العدد الماضى من الرسالة خطآن مطبعيان نصححهما فيما يأتى :

(وبكينا حتى نضب الدم) وصوابه الدمع .

(بالمخادعة والفيش) ، وصوابه الفيش ، وهو بمعنى (الفشر) و (الهر) فى لغة العامة .



صفقـــــة !..

للكاتب الفرنسى جى دى موباسان

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

مثل المتهمان « مزار أزيدور برومنت » و« بروسبر نابليون كورنى » أمام محكمة جنايات « السين » لشروعهما عن عمد فى قتل امرأة « برومنت » المتهم الأول ! ...

وزج بهما فى « قفص الاتهام » فراحا يقلبان نظرات حائرة ، ويرددان أنفاساً مضطربة ... وكان كلاهما من أهل الريف .

وبدا « برومنت » ربعة قصير الذراعين والساقين ... قانى الوجه مرصع الديباجتين بالبثور ... وقد التصق رأسه الأكبس (١) بجسده القمىء الكروى ... وما بينهما من عنق ... وكان يقطن مدينة « كاشفيل – لا – جوبل » فى ولاية « كريكتوت » ويقتات رزقه من رعاية « الخنازير » وإنمائها ! ...

أما « كورنى » فرجل ضاوى الجسم غير فارع القوام ... يتدلى من كتفيه ذراعان مفرطان فى الطول ... أشوه الوجه ، أضجم الشدقين ، أحول العينين ... يرفل فى كساء أزرق كالقميص ، يطويه حتى الركبتين ... وينسدل على جبينه العريض بعض شعيرات مصفرة اللون ، تخلع على وجهه سمات بغيضة تعافها النفس ويمجها البصر ...

وكان القوم يدعونه بالقس لما أوتيه من براعة فى ترتيل الأناشيد بين جنبات الكنيسة ... حتى هام به بعض الناس ... فى « كريكتوت » ، وذابوا إعجاباً به وشغفاً بتسابيحه إلى الله !

واستقرت فى « منصة الشهادة » زوجة « برومنت » وهى فلاحة عجفاء بادية الهزال ... تكاد أن تخر من الوهن ، وتوشك أن تفرق فى النوم ... كانت واجفة واجمة لا تحرك ساكناً ، وقد عقدت راحتيها فى حجرها وراحت حدقتاها تدوران فى بلاهة واضطراب ... وتجلت فى صفحة وجهها آيات من الجمود ودلائل من الخمود ! ...

ابتدرها القاضى فى صوت رفيق رقيق مستأنفاً مسعاه فى التحقيق : —

« لقد أدركت — أيتها السيدة الفاضلة — أنهما اقتحما دارك . ثم ألقيا بك فى « البرميل » المترع بالماء ... فدعينا نلم بجلية الأمر فى إسهاب ... تكرمى بالوقوف » ...

فما إن همت قائمة ، حتى لاحت فى قبعتها كعمود شاهق ، وطفقت تجأر بقصتها فى صوت ترسله على مهل :

بينما كنت أقشر الفول ... دلفا من الباب معاً ... فحدثت نفسى « إن الشر يزمهر فى عيونهما ... ما أقبلا إلا لسوء ، وما أضمرا سوى الغدر ... سأمسك حذرى منهما » ومكثا يختلسان إلى نظرات شذراء ... وعلى الأخص « كورنى » الذى لا يفتأ يشوب الحول عينيه ... فأحسست لمرآهما معاً بالكمد يخذنى والحسرة تمضنى فما كان أحدهما ممن يشرف المرء ويثير زهوه ! .

ولم ألبث أن قلت لهما « ماذا وراءكما ؟ ! » فما نبس أحدهما ببنت شفه ، بل ظل سادراً فى صمته ... مما دفع الريبة إلى قلبى ، وهاج الظنون فى نفسى ! ... »

فصاح « برومنت » المتهم في حرد وجفاء :

— « لقد كنت أترنح وأنا سليب الوعى ! ... » فألقى « كورنى » بطرفه إلى شريكه فى الإثم ، وقال له فى صوت عميق كأنه عزيف الأرغن (١) :

— « ما كنت مجانفاً للحق ... لو قلت كلانا كان مترنحاً سليب الوعى ! ... »

فانتهره القاضى فى عنف ودهشة :

— « أو تقولان أنكما كنتما ثملين مخمورين ؟ ! ... »

برومنت — « وهل فى ذلك من حرج ؟ ! ... »

كورنى — « إنه يقع لكل البشر ! . »

فكظم القاضى غيظه ، وهو يروم الشاهدة :

(١) رأس أكبس ... مستدير ضخم . « ج »

(١) الأرغن آلة موسيقية لا تخلو منها الكنائس . « ج »

— « ناشدتك الله ... صلى ما انقطع من روايتك ... أيتها السيدة الفضلى ! . » فعادت المرأة تقول فى صوتها الأجش وهى ترسله فى تؤدة وعلى مهل :

— « ثم سألنى برومنت « هل لك فى خمسة فرنكات ؟! » فوافقته على سؤله ... لأنك لم تمثر على خمسة فرنكات تحت كل أيكة تصادفها ... فما لبث أن قال لى « هلمى معى ... وسوف أريك ما تفعلين ! ... » ثم مضى حيناً ... وعاد يدفع أمامه « البرميل » الضخم الذى نتلقى فيه ماء المطر ... ثم أقامه فى وسط المطبخ ... وهو يقول « هلا تملئينه حتى الشفا بالماء »

فشمرت عن ساعد الجد ، ولم آل جهداً ساعة ، وأنا أسعى بالدلوين بينه وبين البحيرة أحمل مزيداً ومزيداً من الماء ... فقد كان من الضخامة ، حتى لكأنه بئر بعيد الغور ...

أما هذان الزنيمان « برومنت » و « كورنى » فقد مكثا طيلة الوقت يعبان فى الخمر ... ويملآن الكأس تلو الكأس . . حتى لم أتمالك أن صحت فيهما « لكأنكما أكثر امتلاء بالخمر من هذا البرميل . . » فأجابنى برومنت : لا تبالى بما نحن فيه . . وثابرى على عملك أنت . . فلسوف يحين دورك . . » فلم أعره سمعاً . . لأنى أعلم بما للخمر من عقبى تسل العقل من إدراكه ، وتمنع النفس صوابها .

حتى إذا فاض « البرميل » بالماء . قلت « يا هذا . لقد فرغت من عملى » فناولنى « كورنى » خمسة فرنكات — كورنى وليس برومنت يا صاحب السعادة . . إنه كورنى الذى منحنى أجرى . . ولكن لم يلبث « برومنت » أن قال : « هل لك فى خمسة فرنكات أخرى ! . » فقلت على الفور « نعم . . » حتى لا تفلت من أناملى هــــذه الفرصة الذهبية ... فانثنى يقول « هيا انزعى ثيابك ! ... » فصحت فيه وقد أخذتنى الدهشة والعجب « أنزع ثيابى ؟! . » فأجابنى « أجل » فسألته منكرة « أأفضها كلها ؟ ! » فقال « إن كان هذا يثير انزعاجك ... فامسكى عليك قميصك ... إنا لا نبغى نزاعاً ... »

حسن ... خمسة فرنكات قدر لا يستهان به . . فما على من بأس لو فادعت هذين السفيهين . فرفعت قبعتى من فوق رأسى . ثم خلعت دثارى . . وسللت قدمى من النعلين ! . وحينئذ قال برومنت « ليس ثم داعى للخلاص من جواربك . . نحن قوم ورعون أولو تقى ! . » فهتف كورنى مرجعاً « أجل . . نحن قوم ورعون أولو تقى ! . »

وهكذا قمت أمامهما على شبه من أمنا « حواء » ! . فنهضا من جلستهما ترنحهما الخمر . وهما لا يكادان يثبتان على أقدامهما . عفواً يا صاحب السعادة . . قلت لهما « وماذا بعد ؟ ! » فصاح برومنت « أو مستعد أنت ؟! » فأجابه كورنى « مستعد ! »

ثم لم يلبث « برومنت » إن أمسكنى من رأسى ، وقبض كورنى على قدمى ... كالشاة التى تهيأ لغسلها ! . فما أن هممت بالصياح ، حتى زجرنى « برومنت » فى قسوة قائلاً « امسكى لسانك ... أيتها المرأة الوقحة ! . » ثم رفعانى فى الهواء ، وقذفا بى فى « البرميل » ... فسرت فى كيانى قشعريرة جعلت الدم يضطرب فى عروق ويتصاعد دافقاً إلى رأسى ... فتصطك أسنانى وأحس الجمد يعتريني من ناصيتى حتى أخمصى ! . .

وسمعت برومنت يقول « ولكن رأسها ما برح لا يغمره الماء . إن هذا يدخل فى الحساب ! . » فرد عليه كورنى « ضع رأسها إذن تحت الماء !. » فلم يلبث أن دفع رأسى فى البرميل كن يعمد إلى إغراق ... فاستشعرت الماء يتسرب إلى أنفى ... وتراءى كأنى أوشك أن اتخذ سبيلى إلى السماء ! . .

وما أنفك يدفعنى ... حتى غمرنى الماء ... ثم خالجه الخوف فجأة ، وساوره الندم ، وراودته الرحمة ... فعاد يرفعنى قائلاً :

— « هيا جففى جسدك ، واخصفى عليك ثيابك ... يا حقيبة من العظام ... »

فلم أكد أثوب إلى نفسى وأتمالك مشاعرى ... حتى أطلقت لساقى الريح ، وهرعت إلى « راعى الكنيسة » ذلك الرجل الطيب القلب الكريم النفس الوفى الخلق ... فأعارنى دثاراً من ثياب خادمه ... وطفق يسرى عنى حتى أفرخ روعى ! . . ثم انطلق يدعو صاحب الشرطة والسيد « شيكوت » النائب ! . .

وعدنا أدراجنا جميعاً إلى الدار ... فألفينا برومنت وكورنى يتقاتلان كزوج من الكباش !. . وكان برومنت يزمجر والغضب يتقد فى عينيه « إن هذا وكس ... لقد أخبرتك أنها ليست دون « المتر المكعب » .. لقد أسأنا العمل وأخطأنا الوسيلة ! . »

فضبح كورنى فى حنق « بل أربعة من الدلاء المتلئة ... لا تبلغ نصف المتر المكعب ... إنها حقيقة ... لا تملك لها إنكاراً ولا تجد منها خلاصاً ! . . » فدنا منهما صاحب الشرطة ، وحال بينهما فى صرامة ... وما كنت أحير شيئاً ! . . »

وتهالكت السيدة على مقعدها ... فانفجرت فى قاعة المحكمة عاصفة من الضحك ... وتناظر المحلفون ، وقد رفت على ثغورهم ابتسامات تحفها الرزانة ... حتى إذا رانت السكينة وخيم الهدوء خاطب القاضى « كورنى » المتهم :

« يبدو أنك الحرص على هذه المكيدة التى تفيض شناعة وتدر خزياً . أو عندك من الدفاع ما تقدمه بين يدينا جلاء لما قارفته ! »

فهم « كورنى » على قدميه قائلا : « لقد كنا ثملين تعبث برأسينا الخمر ! » فأجابه القاضى فى رصانة وهدوء « إنى أعلم هذا صل حديثك ! » — « مهلا ! ... سيواتيك مالا تعلم ... حسن ! لقد جاءنى « برومنت » فى تلك الصبيحة ، ودعانى إلى كأس من شراب « البراندى » ... فجلست إليه وأفرغته فى جوفى ... وحفزنى الأدب إلى أن أقابل فضله بمثله ... فدعوت له بكأس آخر ... فأجابنى بكأس ثالث ، فرددت عليه برابع . ودالت بيننا الخمر ودارت منا الرؤوس .. حتى انتصف ميزان النهار .. فإذا بنا مخموران نترنح من النشوة ! ..

وطفق برومنت يجأر بالصياح . فخالجنى الأسف له وأحسست إشفاقاً عليه ! ... فسألته عن جلية أمره ! ... فقال « لابد لى من ألف فرنك قبل الثلاثاء ! » فانطويت على نفسى . بالطبع . بيد أنه شك غير طويل ، ثم قال فى مثل هدوئك وشبه وقارك يا سيدى : « سأبيعك زوجتى ! . »

حسن ... كنت ذاهب الواعى عاطل الرشد ... وكانت زوجتى قد لبت داعى المنون . فدار بخلدى — وهو مضطرب — أن من الخير أن استحوذ على امرأته . . ما كنت أدرى عنها شيئاً ... ولكن الزوجة دائماً هى الزوجة ... فانثنيت أسأله « وكيف تبيعها لى ؟! » فتطامن رأسه وهو يفكر ، أو لعله خلع على ذاته سمات التفكير ومظاهر التدبير . فالمرء إذا عانق الصهباء .. تبلبلت فى ذهنه الآراء ، وعاثت فى جسده الأدواء . ثم لم يلبث أن أشرق وجهه وانبسط جبينه وهو يقول :

« سأبيعها لك بالمتر المكعب ! . » فلم يأخذنى الدهش ، فما برحت نشوة الخمر تعربد بين جوانحى . . كما أنى استخدم المتر المكعب فى تجارتى ! ... إن المتر المكعب يقدر بألف لتر ... فوافقت هواه ، بيد أن العقبة التى تنهض فى سبيلنا .. هى الثمن ، وهو رهين بما يتمخض عنه عديد الأمتار . . وعن لى أن أسأله :

— « وكم تود فى المتر المكعب ؟! . »

— « ألفى فرنك ! . . »

فوثبت من مجلسى كأرنب مروع . . ولكن جال بخاطرى أن ليس ثم فى الوجود امرأة تجاوز فى الكيل ثلاثمئة لتر ! . . قلت له :

— « إنك على شطط فيما عرضت ! . » فأجابنى وهو يهز رأسه :

— « لا آخذ دون ذلك .. فإنها لخسارة تفدحنى ! . »

كان يساومنى كأنه يبيعنى إحدى خنازيره ، وإنه لبارع قدير على بضاعته .. هه . . هه . . قلت له « : إن كانت شابة فتية فلسوف أغضى ولا أبالى .. أما إن كانت أخت عجز لطول ما أبليتها وأخلقت جدتها .. فما أدفع فيها سوى ألفاً وخمسمائة المتر المكعب ولن تمس دانقاً مزيداً عليها أو ترضى ؟ » فارتفع صوته هادئاً رضيت ! . هيا نتصافح . . »

فهززت يده شداً على العهد . . وانطلقت متأبطاً ذراعه . . لا بد للانسان فى زحمة الحياة الشقية وموكبها الصاخب أن يمد يد العون لأخيه الإنسان !.. بيد أنى ما لبثت أن أغرقت فى الحيرة وفاض بى الدهش !! . فانقلبت أسأله : « كيف تسنى لكيلها ؟! . وما هى بسائل ! .. لسوف يعيينا أمرها ! . »

فأبان لى عن خاطر ما كان يتجلى من عقل ثقلت عليه وطأة الخمر . وشاعت فى صفحاته شوائب الثمل . قال : « سآتى ببرميل . ونملأه حتى يطفح منه الماء .. ثم نضعها فيه .. ونقدر ما ينسكب من الماء .. فهو جرمها . » فهتفت فى إعجاب : « إنه رأى سديد . وفكرة صائبة !.. ولكن كيف نقدر ما ينسكب من الماء ، وما يتناثر من الرشاش ؟. ولسنا له بحاصرين ! . »

فرمانى بالغباء ، ورمانى بالسخف . وأخبرنى أن كل ما نفعله هو أن نملأ « البرميل » تارة أخرى . . بعد أن ننتشل امرأته ،

ثم نقدر ما نضيفه من الماء بعد ذلك ! . إن كان عشرة دلاء فإن نظيرها متر مكعب !. أه .. ليس ثم فى الوجود امرؤ أحدّ ذكاء وأمضى فطنـة من هذا اللئيم ، والخمر ناشبة فى رأسه ، جاثمة على عقله ! ..

وصفوة القول ... اتخذنا سبيلنا إلى بيته ... فلما وقع طرفى على المرأة . . . رحت أحدق فيهـا وأنفضها ببصرى فى نظرات فاحصـة . . . لم تكن على مسحة من الجمال . . . وها هى ذى أمامـكم ... فانظروها .. وحدثت نفسى ... « لا عليك ! . . . سواء تفيض ملاحة وتسـيل قبحاً . فإنهن يؤدين جميعاً الغاية المنشودة ! ... » أليس كذلك يا صاحب السعادة ؟! ... كما أنها كانت عجفاء ضامرة الجسد كأنها العصا اليابسة . . . فساورنى خاطر « أنها لن تجاوز أربع لترات ! . . . » إنى خبير بهـذه الأمور ... فهى سر مهنتى ! ...

وقدمت لـكم ما حدث .. لم نجردها من قميصها وجوربها ، لما تعمر به قلوبنا من الورع ، وما تزخر به نفوسنا من الحياء .. مع ما فى ذلك من خسارة لى ... فلما بارحت « البرميل » . . . مرقت من بين أيدينا ، وأطلقت لساقيها العنان تسابق الريح ... فصحت مشدوهاً « وى ؟ ... برومنت ... إنها تفر منا ؟ ... » فأجابنى فى صوت هادىء : « لا تحفل بأمرها . . . فلسـوف تنكص على عقبيها سريعاً .. فأمسك بها لك فى هوادة ... دعنا نحسب النقص ! ... »

فلم تتجاوز الدلاء أربعاً .. ها .. ها .. ها ! .. »

وانطلق السجين فى ضحك يهزه هزاً عنيفاً .. حتى ربت على ظهره جنديه الحارس فى رفق . . . فثاب إلى هـدوئه وفاء إلى سكينته ، ثم استأنف حديثه :

« وصفوة القول .. لم تأت الأمور على ما يشتهى برومنت ، فتصايحنا ، ودوى صراخنا ! .. ثم تعطلت لغة الـكلام ، فأمسك كل منا بتلابيب الآخر يروم ضربه ، وطرحه على الأرض .. كنا سكارى . . . فحسبنا أن عراكنا سيدوم إلى يوم الحشـد ! . . . حتى فرق بيننا صاحب الشرطة .. وقبض على كل منا وزج به السجن .. وإنى لأطالب بالتعويض عما لحقنى ! .. »

وارتد « كورنى » إلى مقعده ... فتهاوى عليه ... وكان « برومنت » يومىء برأسه بين الفينة والفينة مؤيداً شريكه ... معززاً لما جرى على لسانه .

وغاب المحلفون ساعة يقلبون الرأى فى روية ، ويهيئون الحكم عن سـداد ... وقد اكتنفتهم الحيرة ... ثم أعلنوا للملأ براءة كلا السجينين ... ولـكنهم قرنوا ذلك بحد ... هو أن الزواج رباط مقدس لا يبيح صفقات التجارة ، ولا يحل فيه البيع والشراء!

وانطلق « برومنت» إلى عش الزوجية ، وزوجته فى رفقته ! وعاد « كورنى » طليقاً إلى حانوته !...

مصطفى جميل مرسى

(طنطا)

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٥ — الإثنين ٢٧ سبتمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

15 ème Année No. 795

Lundi — 27 — 9 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٩٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٧ — ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى الروتين الحكومى :

إرادة الصغير إدارة الكبير

من العجائب التى قلما يعجب لها أحد أن هذه الأداة الحكومية على ضخامتها وجلالتها وخطرها ، إنما يحركها صغار الموظفين حيناً بالعقل وأحياناً بالهوى ؛ فإذا حدث فى أسافلها الخطل أو الخلل — وكثيراً ما يحدث ذلك عن جهل أو عن علم — اصّعّد آلياً فى أعاليها حتى يبلغ ذرى الرياسة فيدخل على المدير أو على الوزير ، مزوداً بالتقارير الشارحة ، مؤيداً بالتواقيع المختصة ، فلا يسمه إلا أن يصدق ما بين يديه ، فيقبل الخطأ على أنه صـواب ، ويرد الحق على أنه باطل . وتلك إحدى سيئات الييرُشية (hiérarchie) وهي النظام الإدارى الذى يقضى بتدرج المناصب فى العمال والأعمـال والتبعات ، فيبدأ الأمر بالأصغر فالصغير ، ثم ينتهى إلى الكبير فالأكبر ؛ وكلما انتقل الأمر من درجة إلى درجة أسرع النظر فيه ، وقلت الرقابة عليه ، وخفت المسئولية عنه .

فالعهدة فى هذا النظام كما ترى على الضمير ، إذا سلم سلمت الأداة وانتظم العمل ، وإذا اعتـل اعتلت الحكومة واضطرب الحكم . أما حياطة القانون (للأوراق الرسمية) بتشديد العقاب على من عبث بها أو زوّر فيها فذلك أمر لا طائل من ورائه إذا خفى العبث أو غفت الرقابة أو اشتركت المنفعة !

تعال أقص عليك بعض ما أعلم على هذه الييرُشية من سوء عسى أن يكون فى قصصه إنعاش لضميرك إن كنت عاملا فى هـذا النظام وعبثت به ، أو تعزية لنفسك إذا كنت معمولا به وتأذيت منه :

* * *

غضب مالك الأرض فى قريتنا على شاب من شبابها الأخيار لأنه جرؤ عليه يوماً فطلب منه أن يردم بِرْكه التى تحيط بالقرية إحاطة الغُل بالعنق وأراه أن من الخير له أن يقى فلاحيه حمى الملريا ليظلوا قادرين على رى أراضيه بعرقهم وتغذية خزائنه بدمهم وكان لهـذا المالك الغضبان قرابة ببعض أولى الأمر فى وزارة الداخلية ، فاستعداهم عليه ، فألف الإدارى الصغير تقريراً غيابياً عن هذا الرجل رماه فيه بتهديد حياة الناس بالإجرام ، وتكدير أمن البلاد بالشغب ، ووافق المأمور المعاون ، وأيد المدير المأمور ، وصدق الوزير المدير ، وحُكم على البرىء حكما عسكرياً بالاعتقال ستة أشهر تجدد لمثل ذلك ، إذا لم يرض عنه المالك ! فلما علمت بالأمر طلبت الأذن على وزير الداخلية ، وكان يومئذ فؤاد باشا سراج الدين ، وعرضت عليه القضية ، فقال فى لغة أنيقة ولهجة رقيقة : إن هذا الرجل من الأشقياء (الخطرين) ، ولا أحب أن يشفع مثلك فى مثله . فقلت له : يا باشا ، إن الرجل من كرام قريتى ، وأنا أعرفه كما أعرف أبناء أسرتى . فقال : وماذا أصنع فى تقرير رسمى حققه المركز وأيدته المديرية واعتمدته الوزارة ؟

فانصرف حردان أسِفاً على الحق يدمغه تقرير باطل فيزهق ، وعلى العدل يصيبه تقرير جائر فيهلك . وبقى المسكين فى سجنه يقاسى ألم الجور وذل الاعتقال ، حتى سقطت الوزارة القائمة ، وألغيت العسكرية الحاكمة ، فزالت عن الرجل فى التوّ صفات الإجرام ، وخرج من معتقله إلى أهله بسلام !

***

وفُصل من وظيفته محضر شاب كان يعمل فى محكمة (عنيبة) من مركز الدر ، لأنه غاب عن مكان عمله خمسة عشر يوماً من غير إذن . وسبب غيابه أن المرض أدركه فى آخر يوم من أيام أجازته السنوية ، وكان يقضيها مع أسرته بالمنصورة ، فطلب أجازة مرضية ، فأباها عليه مفتش صغير كانت بينه وبينه خصومة ، وقرر للرياسة أن الرجل صحيح البدن ولكنه مريض النية ، فهو يأبى العودة إلى بلاد النوبة ويتمارض ليبقى . وصدق الكبير فأمره بالعودة إلى العمل بعد انقضاء الأجل ، وكانت العلة شديدة والشقة بعيدة ، فلم يدخل عنيبة إلا ليقرأ كتاب فصله ، ويرجع بالشقاء والبؤس إلى أهله !

وقضى المسكين فى العطل أشهراً يطعم أطفاله الأربعة وأمهم بالدين ، ويدافع الضر عنه وعنهم بالأمل ، حتى عرضت بنفسى ظلامته على صاحب المعالى إبراهيم باشا عبد الهادى وكان يومئذ يتولى وزارة العدل بالنيابة ، فاقتنع ببطلان تهمته ، وأعاده إلى وظيفته بمرتبه ودرجته ومدته .

وقضى المسكين فى العمل أشهراً يجاهد نصب العيش ويكابد وصب الداء حتى أودى به السلال على سرير موحش ووساد قلق . وكان فى إدارة المستخدمين بوزارة العدل عصبة من صغار الموظفين تتجر بمنح العلاوات والدرجات ، فينقضون المبرم ويبرمون المنقوض ، والكبار من غير فطنة ولا علم يحلون ما عقدوا ويعقدون ما حلوا ، فقررت هذه العصبة أن إعادة الموظف المرحوم إلى عمله بعد فصله كانت تعييناً من جديد يجبُّ أربعة عشر عاماً قضاها فى الخدمة ! وانتظرت العصابة من ورثة الميت المساومة ؛ ولكن اليتامى الأربعة الضعاف ، والأيم الصغيرة الفقيرة ، كانوا لا يخرجون من مسكنهم النابى ، ولا يفيقون من حزنهم الطويل ، فأمضى الكبار ما قضى به الصغار ، وقدرت المكافأة بجنيهين تقطع منهما الدمغة ! !

وبلغتنى المأساة فعرضتها على صاحب المعالى أحمد مرسى بدر وزير العدل — وكان قد كشف بفطنته ويقظته أمر هذه العصابة — فنظر فى هذه القضية بنفسه ، وكتب إلى (المالية) كلمة العدل فيها بيده .

***

وشكوت إلى (مصلحة الطرق والكبارى) بالمنصورة أن ضيعتنا جزيرة فى بحر الأمير طوسون لا يصلها بالشاطىء العام إلا طريق وعر غير سالك ، وسألتها أن تمهده ولو على حسابى . ولكن المهندس الصغير تلكأ لأسباب لا تعنى غيره ، فلجأت إلى الرياسة العليا فقررت الطريق وأمرت أن يمهد ويصان . فلما جاء الأمر بالتنفيذ ورم أنفه واستطار عناده وأقسم ليقفن دون هذا الطريق مهما يكن الأمر والآمر . وكتب تقريراً زعم فيه أن الطريق خمسة آلاف متر وهو لا يزيد على سبعين قصبة ، وأن فى بعضه عقبة كأداء وهو وحده هذه العقبة ! فلما رأت الإدارة هذا الاختلاف بين ما قررت وقرر أرسلت إلى العزبة ثلاثة من مهندسى القاهرة فوافقوا أمامى على ما قررت ، ورسموا الطريق على ما قدَّرت ، ولكنهم حين خلوا إليه فى مكتبه أصبح الخفيف ثقيلا والممكن مستحيلا والكذب صدقاً والعام خاصاً والضرورة ترفاً والمنفعة مضرة ! ومن هذا الزور الجرىء ألف الموظفون الصغار التقرير ، ورفعه كبيرهم إلى المدير ، فلم يسعه إلا أن يصدق الأوراق الرسمية ويعتمد التواقيع المختصة .

ورفعت أنا تقريرى إلى صاحب المعالى أمير الأدباء ووزير المواصلات ، فهو ينظر فيه نظر القاضى العالم والحاكم الحازم ، وسيستشهد بالطريق الناطق على التقرير المكتوب ، ويحتج بالواقع الصادق على التقدير المكذوب !

***

هذه أمثلة ثلاثة مما أعرف . ولعل أمثالها ألوف مما يعرف الناس ، سردتها عليك فى هذا الإيجاز لتصدق أن إرادة الصغير هى إدارة الكبير ، وأن مراقبة الموظفين محال إذا لم تكن للشرف والضمير !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

ما أشبه الليلة بالبارحة :

غدر يهـــود

الأستاذ عمر عوده الخطيب

[إن في العار الذي يكلل رؤوس العرب ،
وإن في العار الذي يجلل رؤوس اليهود ، لمادة ثرة
للخيال المبدع ، ومداداً فياضاً لقلم الخالق]
الأستاذ الزيات

أذّن بلال للفجر ، وأرسل صوته الندى العذب بنـــداء الإسلام ، وهرع المسلمون للمسجد لأداء الصلاة خلف رسول الله وعلى وجوههم سحابة حزن عميق ، وفي عيونهم ذبول هم دفين ، فلما التأم عقدهم ، جلسوا في المسجد ينتظرون مقـدم الرسول ، وقد اشتد شوقهم لسماع حديثه الجميل الذي يُبرد غلة أفئدتهم ، ويزيل غمة نفوسهم ... ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى دخل المسجد ، وسلم على من فيه ، ثم تقـدم للصلاة واصطف حوله الأصحاب ، فركع الأولى ، ثم قام من الثانية ، ورفع يديه بالقنوت ، ودعا على قبائل (رعل وذكوان وسليم) الذين قتلوا القراء في (بئر معونة) ونـكلوا بهم شرّ تنـكيل ... وأمّن المسلمون على دعائه ، وقد نال منهم مقتل إخوانهم كل منـال ، ونزلت عليهم بمقتلهم أفدح كارثة ، وأنـكى مصيبة ... ولم يجـد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى ما وجد على قتلى (بئر معونة) لأنه لم يرسلهم لقتـال ، وإنما أرسلهم ليبينوا شرعته ، ويبلغوا رسالته ... فلم يشهروا سلاحاً ، ولم يثيروا حرباً ...

* * *

وخرج الرسول من المسجد يسير مع صحبه في أزقة المدينة ، وقد توسطت الشمس كبد السماء ، حتى أشرف على الصحراء . وهناك وقف (حسان بن ثابت) بينهم ينشدهم قصيدته في رثاء قتلى (بئر معونة) ، وبينما هو يقول :

على قتـلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ولاقتهم منـاياهم بقـــدر

وإذا بالقوم ينصرفون عن حسان ، ويتطلعون نحو الصحراء ويشيرون بأيديهم نحو خيال فارس بعيد يخب في هـذه الرمال المحرقة ، ويبـدو قاصداً (المدينة) فيخفيه النقع الثائر تارة ، ثم تظهره الآكام المرتفعة أخرى ، حتى أصبح قريباً منهم ، وتملت أبصارهم به . ولما أن دنا أبطأ في سيره ، وشدّ لفرسه العنان ، حتى وقف إزاءهم ، فتصايح الجميع ... عمرو ... عمرو ... والتفوا حوله ، فترجل ثم تقـدم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسلم عليه ، ثم انفتل إلى الأصحاب ، فأدّى لهم التحية ...

وعرف الجميع أنه « عمرو بن أمية الضمرى » أحد القرّاء الذين بعثهم الرسول إلى القبائل لتعليم القرآن . وعقدت الدهشة ألسنة الجميع فلبثوا ينظرون إلى عمرو دون أن ينطق أحدهم بحرف وكأنهم لا يصدقون ما رأوا ، وقد أخبروا بأن القراء قتلوا عن آخرهم . وقطع عليهم حبل الصمت الطويل رسول الله صلى الله عليه وسلم بسؤال عمرو عن مصير القوم وعن صدق مقالة الناس ...

* * *

قال « عمرو بن أمية الضمرى » : وذهبنا يا رسول الله إلى حيث أمرتنا ، وسرنا حيث أشرت علينا ، حتى وصلنا « بئر معونة » فبعثنا « حرام بن ملحان » إلى « عامر بن الطفيل » برسالتك فلم ينظر في الـكتاب ، بل وثب على حرام فقتـله ... واستبطأنا حراماً ، فأقبلنا في أثره ، فلما شـعر بنا « عامر » استصرخ علينا قبائل من بني (سليم ورعل وذكوان) فنفروا معه ، فلما رأيناهم أخذنا سيوفهم ، وقاتلنا حتى قتل إخواني عن آخرهم ، وبقيت وحدى ، أنتظر الموت ... وقد أخذني القوم أسيراً ، فلما مثلت بين يدى (ابن الطفيل) قال لى : قد كان على أمى نسمة فأنت حرٌ عنها ، وجز ناصيتى وأطلقنى عن رقبة زعم أنها كانت على أمه . فلما خرجت إلى المدينة صادفت بمكان يسمى (القرقرة) رجلين نزلا معى فى ظل كنت فيـه ، فقلت لهما : ومن أنتما ؟... فذكرا لى أنهما من بنى عامر ، فتركتهما حتى ناما ثم قتلتهما ثأراً لإخوانى الذين قتلوا فى (بئر معونة) . ثم عدوت بفرسى نحو المدينة . . حتى وجدتـكم هنا ... فغضب رسول الله حين سمع نبأ مقتل العامريين ، ونظر إليه ، وقد ظهر أثر الغضب

فى أسارير جبينه وقال له :

(بئس ما صنعت ! قد كان لهما منى أمان وجوار [1] سوف أدفع ديتهما ...)

* * *

رأى رسول الله أن مصاب المسلمين فى (بئر معونة) جعل المنافقين واليهود فى المدينة يتربصون بهم الدوائر ، ويعملون على الكيد لهم ، وقد ضعفت مكانتهم من نفوسهم ، وقلت هيبتهم فى قلوبهم . . ورجعوا بذاكرتهم إلى انتصار قريش على المسلمين بأحد ... ففكر طويلاً فى أمر (يهود) وأراد امتحانهم ، لتتضح له نياتهم ، ويعلم ما تخفيه أفئدتهم ، فذكر أن اليهود حلفاء بنى عامر ، وأن خير امتحان لهم أن يسألهم معاونته فى دية العامريين اللذين قتلهما (عمرو بن أمية) خطأ ، فعزم على الذهاب إلى (العالية) حيث يقيم (بنو النضير) من اليهود على بُعد أميال من المدينة ...

ولما كان يوم السبت خرج رسول الله إلى مسجد قباء فصلى فيه ومعه نفر من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، بينهم أبو بكر وعمر وعلى ... ثم ذهب إلى (بنى النضير) فى العالية ، فأظهروا الفرح بمقدمه ... والسرور لزورته ... ولما ذكر لهم ما جاء فيه تكلفوا الغبطة والبشر وقالوا : نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ... وجلس إزاءه بعضهم يتبسطون معه فى الحديث ، بينما انصرف سائرهم إلى ناحية أخرى يتشاورون فيما بينهم على الغدر بمحمد ، والقضاء على صحبه ، وذكروا آنئذ مقتل (كعب بن الأشرف) اليهودى ... وأرادوا أن يثأروا له ... ودخل أحدهم (عمرو بن جحاش) البيت الذى كان رسول الله يستند إلى جواره ، وتبعه ناس آخرون ، ولبثوا داخله طويلا ، يدبرون المكيدة ثم خرجوا وقد عزموا على أن يظهر (عمرو بن جحاش) على البيت الذى يستند محمد إلى جداره فيطرح عليه صخرة يقتله بها ... ورأى رسول الله أمارات الغدر فى عيونهم ، فارتاب فى أمرهم ، وخشى شرهم ، ولذلك انسحب من المجلس تاركا وراءه أصحابه يظنون أنه قام لبعض أمره ... وذهب تواً إلى المدينة ، ولقيه فى ظاهرها بعض اليهود ، وكان قاصداً العالية ... ورآه وهو يتجه نحو المسجد .

ولما استبطأ المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم خافوا عليه ، وقاموا فى طلبه ، فلقوا الرجل القادم من المدينة وعرفوا منه أن الرسول دخلها وذهب تواً إلى المسجد ... فلحقوا به ...

* * *

صعد (عمرو بن جحاش) إلى البيت ليلقى بالصخرة على محمد وهو يظن أنه ما زال مستنداً إلى الجدار فإذا بذلك اليهودى الذى رأى الرسول فى المدينة يصل فيرى حركة قومه واهتمامهم فاقترب منهم يسألهم عن الخبر ، فأنبئوه بما عزموا عليه ، وطلبوا إليه ألا يتكلم ... فضحك منهم وقال : الآن رأيت (محمداً) فى ظاهر المدينة ... فماذا تصنعون ؟!.. فأسقط فى أيديهم ، وحاروا فى أمرهم ولم يدروا كيف يعملون ، وأيقنوا أن محمداً سينتقم منهم ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم ، وقد رجع كيدهم إلى نحورهم وعادت سهامهم إلى صدورهم ... ودارت عليهم الدوائر ...

* * *

وصل الرسول المسجد ، ولبث ينتظر أصحابه فما عتم أن رآهم مقبلين من باب المسجد وقد تشوفت نفوسهم لمعرفة الأمر الذى حدا به إلى مغادرة المجلس فى العالية والقدوم سريعاً إلى المدينة . فلما أنبأهم الخبر ، وأفهمهم نوايا اليهود ، احمرَّت منهم الأحداق وثارت منهم الحفائظ ، وغلت صدورهم كالمراجل من الغيظ ... ولما رأى الرسول ما بنفوس أصحابه من الثورة والسخط نظر إلى (محمد بن مسلمة) وقال له : (اذهب إلى يهود بنى النضير ، وقل لهم : رسول الله أرسلنى إليكم ، أن اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى بها ... لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم ... بما هممتم به من الغدر بى ... لقد أجلتكم عشراً فمن رُئى بعد ذلك ضربت عنقه ...)

* * *

وقع هذا الإنذار على اليهود موقع الصاعقة ، فتحيروا فى أمرهم ، ولم يجدوا لإنذار (محمد) دفعاً ، ومكثوا أياماً يتجهزون للرحيل حتى جاءهم رسول من عند (عبد الله بن أبىّ) ينصحهم ألا يخرجوا من المدينة ، وأن يقيموا فى حصونهم ، ويعدهم بأن يُعاونهم على قتال محمد ... فآمن بهذا قوم ، وكذَّب آخرون ،

(١) كان مع العامريين عهد وعقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو .

العبقرية والحـــرمان

للأستاذ أنور المعداوى

خطر لى أن أتعقب بعض العبقريات فى أدب العالم لأرى إلى مدى يمكن أن ينتج العباقرة فى ظلال الحرمان ... ولعل شيخاً من شيوخ الأدب هو الذى دفعنى إلى أن أقف من هذا الموضوع موقف الباحث المتأمل ، حين ذهب فى مجلس جمع بينى وبينه إلى أن الحرمان يلهب فيلهم ، وأنه أكثر إثارة لمكامن الشعور فى النفس الإنسانية مما عداه من أسباب الترف والنعيم ... ولم يستعرض الأستاذ يومئذ بعض النماذج الإنسانية فى الأدب العالمى ليدلك على مقدار ما فى هذا الرأى من صواب ، ومدى ما فيه من حقيقة ؛ ذلك لأن الحديث كان حديثاً عابراً يأخذ بطرف من هنا وطرف من هناك ، ولا يكاد يستقر على ناحية بعينها ليناقشها فى صبر وأناة .

وانفض المجلس ، وخلوت إلى نفسى أقلب الرأى على وجوهه المختلفة . لقد كانت جذوره متأصلة فى نفسى ولكنها كانت تترجح بين الشك واليقين .. أما اليقين فرجعه إلى أنى كنت أومن إيماناً عميقاً بأن الحرمان كما قال محدثى ، أكثر إثارة لمكامن الشعور فى النفس الإنسانية مما عداه من أسباب الترف والنعيم ، وكنت أرى أن الفنان الذى يعيش فى رحاب الحرمان يعيش متوثب الشعور دائماً ، تلتهب أفكاره من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان ولا كذلك الفنان المترف ، لأن الترف فى أكثر حالاته أقرب إلى الدعة والخمول ، منه إلى سبر غور أو بلوغ أعماق !

هذا ما كنت أراه ، ولكن الشك الذى كان يلوح بين ثنايا اليقين مرجعه إلى أنى حين رحت أستعرض بعض النماذج فى أدب العالم ، وجدت أن بعض هذه النماذج يهز جانباً من جوانب

ولم يكن لهم بابن أبى ثقة ... واختلط عليهم الأمر ، وضاقت بهم أسباب الحيلة ، وكادت تقع الفرقة لولا أن كبيرهم (حيى بن أخطب) وقف بينهم قائلا : (كلا ، بل أنا مرسل إلى محمد أنا لا نخرج من ديارنا وأموالنا ... فليصنع ما بدا له . وما علينا إلا أن نرم حصوننا ، وننقل الحجارة إليها ، وعندنا من الطعام ما يكفينا سنة ، وماؤنا لا ينقطع ، وإن يحصرنا محمد سنة كاملة) فأذعن القوم لمقالته ، وانصرفوا لشؤونهم .

* * *

بلغت مقالة (ابن أخطب) رسول الله ، وانقضت الأيام العشرة ، دون أن يخرجوا من ديارهم ، فاستعد المسلمون للحرب وساروا إلى فناء (بنى النضير) يشقون أجواز الفضاء بالتكبير ، وقام اليهود وراء حصونهم ، ومعهم النبل والحجارة ، فحاصرهم رسول الله وقطع نخلهم ، واعتزلهم (قريظة) وخذلهم (ابن أبى) فأيسوا من النصر بعد حصار دام خمسة عشر يوماً ، فاستسلموا وأكل اليأس قلوبهم ، وملك الرعب عليهم نفوسهم ، فأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤمنهم على أموالهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة ، فصالحهم على أن يخرجوا منها ، ولكل ثلاثة منهم بعير يحملون عليه ما شاءوا من الطعام والشراب والثياب ، وأن يتركوا الدروع والسلاح ، فرضوا بهذا ... ولما أيقنوا بالجلاء ، حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم ، فجعلوا يخربونها بأيديهم (حتى إن الرجل منهم كان يهدم بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره وينطلق) وصاروا ينقضون العمد والسقوف ، وينزعون الخشب والأوتاد ، وارتحلوا عن المدينة ، وقد تعفروا بغبار الذلة ، وتضرجوا بدم الصغار ...

ورجع رسول الله إلى المدينة ، يحمل ما تركوه من الدروع والأموال والسلاح ، وإذا بوحى الله ينزل عليه بهذه الآيات : (سبّح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم . هُو الذى أخرَج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر، ما ظننتم أن يخرُجوا ،وظنوا أنهم مانعتهم حُصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يُخربون بيوتَهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار . ولولا أن كتب عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ...)(١)

دمشق — المزة

عمر عودة الخطيب
فتى الفيحاء

(١) سورة الحشر

اليقين الذى كان متأصلا فى نفسى ... إن تولستوى فى الأدب الروسى مثلا قد وصل إلى أرفع درجات المجد الأدبى وهو يعيش عيشة الأثرياء المترفين ، وإن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى بحبوحة من العيش لا تتهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى الرفيع ، وتستطيع أن تضيف إليهما بلزاك فى الأدب الفرنسى ، فقد كان يحيا حياة مترفة أثقلت كاهله بالديون ، إلا أنه لم يستطع أن يخرج للناس أروع آثاره القصصية إلا فى تلك الساعات التى كان يقبل فيها على متع الحياة وتقبل عليه .. وقل مثل ذلك عن جيته فى الأدب الألمانى ، وعن شوقى فى الأدب المصرى !

هذه بعض نماذج لعبقريات أغدقت عليها الحياة فتفجر منها الإغداق بينابيع البيان المشرق ، وعيون الحكمة الخالدة ، وأنهار الفن الرفيع .. وتعال نستعرض بعد ذلك نماذج أخرى لعبقريات لم تلق من الحياة إلا صنوفاً من الفاقة وألوان من الحرمان ، لنرى أن الأثر الذى خلفته هنا لا يقل عن الأثر الذى خلفته هناك .

ولا نعنى بالحرمان هنا ذلك الذى تعارف عليه النـاس حين حصروه فى معناه الضيق ولم يتمدوا به نطاق الماديات ، كلا . وإنما نتعداه إلى شتى معانيه فى نطاق الماديات والمعنويات ... هناك حرمان يتمثل فى ذلك الأعمى الذى لم تشأ له الحياة أن يرى ضوء النهار ، وهناك حرمان يتمثل فى ذلك الأصم الذى حالت المقادير بينه وبين الإنصات لموسيقى الطبيعة ، وهناك حرمان يتمثل فى ذلك المصدور الذى ينفث دماً ولا يعرف طعم العافية إلا من أفواه الناس ، وهناك حرمان يتمثل فى ذلك المجنون الذى قدر له أن يشرف على الوجود بإحساس الفكر التائه والوعى الذاهل !

نعم ، هناك مِلتن يرسل أعذب أنغامه وأرق أغانيه وهو محروم من نعمة البصر ، وهناك بيتهوفن يدفع إلى سمع الزمان بسحر موسيقاه وهو محروم من نعمة السمع ، وهناك كيتس يبعث إلى الصدور بدفء أشعاره وهو صاحب الصدر المحطم الذى لون قصائده بلون دمائه ، وهناك موباسان يخرج للدنيا من وراء العقل المفقود ومضات من العبقرية المبدعة قل أن تجد لها مثيلا عند فنان سواه ...

وكم فى رحاب الحرمان المادى من عبقريات أخرى لقيت من ضروب البؤس والشقاء ما يرفض منه الصبر وتخور معه العزائم ومع ذلك فقد كتب لآثارها كل بقاء وكل خلود ... وما أشبهها بالمعادن الكريمة يصفو جوهرها تحت وهج النار فى بوتقة الزمن !

نخرج من هذا كله بأن العبقريات معادن ... بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال ؛ فأديب مثل مكسيم جوركى كان يعانى أبشع ألوان البؤس الإنسانى فى أيام الحكم القيصرى ، ولكنه كان فى تلك الأيام الحافلة بالشقاء مثلا رائعاً للفنان الملهم .. ولقد بلغ من الفاقة حداً جعل الكاتب الإنجليزى ويلز يترك له كثيراً من ملابسه يوم كان يزور روسيا ليلقاه ويتحدث إليه ؛ لقد ترك ملابسه للفنان الذى أعجب به كما لم يعجب بأحد سواه !

ولما قامت البلشفية على أنقاض الحكم القيصرى خمدت الجذوة المتوهجة بلهيب الفن ، لأن صاحبها قد انتقل من الجحيم إلى النعيم . ويقرر بعض النقاد المعاصرين وعلى رأسهم هربرت ريد أن كتابات مكسيم جوركى فى أيام بؤسه وشقائه ، لا يمكن أن ترق إليها كتاباته فى أيام الترف وإقبال الحياة ... !

وهكذا كان حافظ إبراهيم فى الأدب المصرى ... كان شعره يتدفق من أعماق الحرمان قوياً ، صادقاً ، معبراً ، نابضاً بالحياة ؛ فلما دفع به إلى دار الكتب وذاق جيبه طعم الذهب ، واستمرأت نفسه حياة النعيم ، نضب فيه معين الشعر وجف نبع الشعور .. ولما حاول بعض عشاق فنه أن ينطقوه كان قد أصفى !

إن العبقريات كما قلت معادن ... بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال ؛ وتلك أمور نقررها على هدى الدليل وفى ضوء المثال .

أنور المعداوى

في ذمة الله :

زعيم الباكستان

للشيخ محمد رجب البيومي

كانت وفاة القائد الأعظم محمد على جنه مصيبة فادحة سالت لها الدموع ، وقد تلقيت نبأها الفاجع فى حيرة بالغة ، ودهشة محزنة ، وأخذت أتساءل عن مصير دولته الفتية بعد أن فقدت بطلها العظيم ، وربانها الحاذق ، كما استعرضت — فى كآبة قاسية — صوراً من الآمال المشرقة التى يتلمس العالم الإسلامى تحقيقها على يد الباكستان ، مذ أصبحت دولة مستقلة تسمى إلى تحقيق الوحدة الإسلامية ، وتشعر بما يشعر به أبناء العقيدة المحمدية فى جميع الآفاق .

ولقد أتيح لى أن أشاهد الفقيد الكبير أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة ، فراقنى منه هدوءه المطمئن ، ووقفت على صورة كاملة من مزاياه الطيبة التى تنطق بها ملامحه وإشاراته ، كما تتبعت فى كثير من الاهتمام نشاطه السياسى ، وقرأت عن كفاحه واستبساله ما زادنى اجلالا له فى حياته ، وألهب قلبى حزناً عليه غب وفاته .

ولا يقدر مصيبة الإسلام فى زعيم الباكستان غير من ألم بتاريخه إلماماً دقيقاً ، فقد وهب رحمه الله نفسه للدفاع عن حقوق طائفته المبعثرة المتناثرة ، فجعل منها قوة متشابكة متساندة تصل إلى أهدافها فى جرأة ، وتفصح عن رأيها فى قوة وإيمان ، وكانت — منذ أمد بعيد — هدفاً تتعاوره السهام الخاتلة من كل جانب ، وطعمة تتزاحم عليها الأفواه الجشعة من كل صوب .

وتاريخ جنه يرتبط أشد الارتباط بتاريخ الأمة الإسلامية فى الهند ، فإذا كتب كاتب عن الزعيم الراحل فإنما يتحدث عن مائة مليون من المسلمين كانوا أبادبد فى مختلف الجهات فوهبهم الله قائداً قوياً يجمع الشمل ويلم الشعث حتى توحدت الكلمة على يده ، ودنت الغاية المأمولة بجهوده . وسنعرض بإيجاز للحركة الإسلامية فى الهند وأثر جنه فى نجاحها الباهر ، وحسبه أن كان التعريف به مقروناً بسيرة أمته ، فكفاحها كفاحه ، وتاريخها تاريخه .

كان حزب المؤتمر الوطنى فى الهند ينظر إلى المسلمين بعين الازدراء والمقت فهم أقلية لايحسب لها حساب فى الأمة الهندية ، ولئن اصطبغ الحزب بالصبغة السياسية فقد كان أعضاؤه المتعصبون لا يتناسون ما يدب فى صدورهم من البغض للمسلمين ، فهضموا حقوقهم الأكيدة ، وأشاعوا عنهم المفتريات الآفكة ، فكانت الفتن الأهلية تندلع فى كل وقت مستمدة وقودها المتأجج من الأقلية المهضومة ، والحاكم الانجليزى لا يتوانى عن إشعال الضرام ما استطاع ، ليقيم دعائمه الاستعمارية على الخلاف الدينى والنزاع الطائفى ، ولم يجد المسلمون بدأ من تأسيس رابطة جامعة تفند مفتريات الهندوكيين ، وتقوم بما تراه من الإرشاد والتوجيه

كانت الطائفة الإسلامية تضم نخبة ممتازة من الأحرار الأمناء ، وكان الفقيد العظيم يبذل لها ما يملك من فكر ثاقب ، وقلب جرىء . ولا غرو فقد تثقف ثقافة عالية ، ونال شهادة الحقوق من انكلترا ، ثم تقلد مناصب قضائية أبرزت جانباً كبيراً من مواهبه وكفايته ، واشتغل بالمحاماة فطارت شهرته وذاع صيته . هذا إلى جانب خدماته السياسية المجيدة ، تلك التى جملته — فيما بعد — قائد أمة ، وزعيم دولة ، ورجل تاريخ ، وصاحب خلود .

كانت نفس جنه غنية بكثير من التسامح والود فلم يشأ أن يقطع صلته بحزب المؤتمر بعد تكوين الرابطة الإسلامية ، ولكنه ظل منتمياً إليه ليقوم بدور السفير فى تسوية ما يجد من تعارض الآراء ، واختلاف وجهات النظر . ولعله كان يطمع بتسامحه أن يكون مثلا ملموساً لأعضاء المؤتمر ، كيلا يفرطوا كثيراً فى المغالاة والتعصب ، ولقد وفق بادىء الأمر فى سفارته توفيقاً محموداً ، حيث عقد اتفاق «لكنو» سنة ١٩١٦ وبمقتضاه قدمت من الحزبين مذكرة مشتركة إلى الحكومة البريطانية تطلب منح الهنود قسطاً من الحكم الذاتى .

ولقد ضاق الزعيم ذرعاً بتعصب الهندوكيين ، ويئس من اقناعهم بالعدول عن التعسف الشنيع فاستقال من حزب المؤتمر وهيأ نفسه للعمل فى طريق شاق تكتنفه المخاوف والمكاره ،

حيث كانت الطائفة الإسلامية تتلقى ضربات مختلفة من عدة جهات : فالمؤتمر – بأعضائه المتغطرسين – يؤلب عليها النفوس ، وحزب « مهاسبها » الذى ألف لمحاربة الرابطة الإسلامية يزاول مهامه الإجرامية فى بربرية وحشية ، فكانت المذابح الهائلة تسيل بالدماء على أيدى جنوده المتوحشين ، وقد أعلن فى غير مبالاة أن المسلمين ليسوا من الهند ، فهم دخلاء يجب أن يرحلوا إلى البلاد العربية التى تعترف بدينهم الإسلامى . ولا نبالغ إذا قلنا إن الأرواح التى أزهقت فى الهند كانت من جزاء هذا الحزب البربرى الهائج ، ولولا ثبات الرابطة الإسلامية وصمودها العجيب أمام أعدائها المتوحشين ، لتقلص ظل الإسلام فى هذه البلاد . ولعل من الأدلة القاطعة على بربرية حزب « مهاسبها » أن قاتل غاندى – وهو شاب مثقف راق – كان منتمياً إليه ، فلم يرقه تسامح المهاتما وموافقته على تقسيم الهند إلى دولتين ، فألف مع بعض أعوانه عصابة لاغتيال زعماء المؤتمر واحداً بعد واحد . فإذا كان هذا شعورهم المجرم نحو إخوانهم الهندوكيين ، فمن يحصى النكبات الفادحة التى جرها هؤلاء على المسلمين !

ولقد انتهز حزب المؤتمر نجاحه فى الانتخابات التى تلت دستور سنة ١٩٣٥ فأعلن أنه يمثل الأمة أتم تمثيل وتغاضى عن مائة مليون من المسلمين أقبح تغاض ، وراح يروج لنفسه بدعاية براقة خادعة ، مدعياً أن الزمام السياسى قد أصبح فى يده وحده ، ولكن الزعيم الأعظم محمد على جنه وقف فى وجهه باسم الرابطة الإسلامية ، وطاف على قدميه فى أنحاء المدن الإسلامية بالهند ، فنبه العيون وأسمع الآذان ، ودعا إلى توحيد الكلمة بين المسلمين ورسم أمامهم ما يتهددهم من المخاطر ، وخاصة أن الحكومة الجديدة قد رفضت رفضاً باتاً أن يشترك فيها عضو واحد من المسلمين او كثرت الفتن الداخلية كثرة أشعلت الأفئدة وألهبت النفوس ، فعرف المسلمون تمام المعرفة ما يدبر لهم من الكيد والبلاء ، بينما أخذ أعداء جنه يتهمونه بمساعدة الإنجليز ، كما أسرفوا فى التشهير بزعماء المسلمين إسرافاً لا حد له . ولم تمض مدة يسيرة حتى كان القائد الأعظم قد وفق فى مهمته أكبر توفيق ، فوافق حزب الرابطة سنة ١٩٤٠ على اقتراحه بصدد مشروع الباكستان ، وأخذ يعمل على الوصول إليه من كافة الطرق ، وقد تحسن موقف الرابطة كثيراً حين جاءت الانتخابات الجديدة سنة ١٩٤٦ ففاز المسلمون بجميع المقاعد المخصصة لهم فى المجلس التشريعى ، وأسقط فى يد المؤتمر الهندوكى حيث بان للعالم أجمع أنه ليس وحده الذى يمثل الهند ، وأصبح مركز الرابطة يسمح لها أن تستقل بالبلاد الإسلامية مما ترتب عليه شطر الهند إلى دولتين مستقلتين ، فارتفع العلم الإسلامى فى مملكة وليدة وتحقق أمل بعيد كان يظنه الجميع سراباً يلوح فى الصحراء .

لقد كان محمد على جنه زعيما من طراز فريد ، لأن جميع الزعماء ينشأون فى أمم مهيأة معروفة فيوجهونها إلى الطريق السوى ، ولكن القائد الأعظم قد أوجد أمة من العدم ، وسهر على نموها السريع فترعرعت فى حقبة وجيزة ، ولاقت من الأعاصير السياسية ما كاد يزعزعها عن مستقرها لولا حكمة القائد ونظره البعيد

أما أخلاق الزعيم الباكستانى فقد كانت موضع الاجلال من أعدائه ومعارضيه إذ كان يعمل فى وضح النهار ، ولم تسمح له مروءته ودينه أن يحيك الدسائس فى الظلام لمناوئيه ، وقد رزق من المحاماة مالا طائلا ، فلم يضن به فى سبيل غايته السياسية ، كما كان يعتنى اعتناء تاماً بمظهره ، فصارت أناقته مضرب المثل ، واقتدى به المترفون فى انجلترا والهند ، ثقة بذوقه الأنيق . ولقد كان شديد الثقة بنفسه فذهب إلى انجلترا واحترف المحاماة فيها أربع سنوات كاملة بين أساطين القانون وأعلام التشريع ، فكانت قضاياه العديدة تكلل بالنجاح .

أى زعيم الباكستان ! ! لقد أديت رسالتك فى الحياة خير أداء ، وقطفت بيدك الثمرة المشتهاة ، فنم قرير العين بما قدمت لنفسك من أجر عند الله ، وخلود فى صحائف التاريخ .

سلام وريحان وروح ورحمة   عليك وممدود من الظل سجسج

(الكفر الجديد)   **محمد رجب البيومى**

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

— ٣ —

قلت في مقالي السابق إن التدين ظاهرة واضحة كل الوضوح في الشعب السوداني ، وأن الشعراء قد استجابوا لهذه البيئة المتدينة فكانت صورتها فيما نظموا من شعر .

ولكن لا يمكن أن تخلو جماعة من الجماعات البشرية من الطيب والخبيث ، والغث والسمين ، وفي الشعب السوداني كما في كل شعب نقائص ومثالب دينية واجتماعية ، فهل استجاب الشعراء أيضاً لهذا المظهر ؟ وهل صوروا العيوب التي تقع عليها أعينهم كما صوروا المحاسن ؟

نستطيع أن نلتمس الجواب فيما كتبه الشاعر حمزة الملك في مقدمة ديوانه « الطبيعة » قال : « إننا نجهل أنفسنا فلا أستبعد ألا يرضي بعضنا عن بعض أوصاف صادقة لبعض الأفراد والجماعات وفي هذا كل الخطر .

نحن مرضى ، ولا خطر علينا من تشخيص الداء ، ووصف للحصول على الشفاء ، إنما الخطر كل الخطر في المكابرة والادعاء والزعم بأننا أصحاء أشداء . وإنه لمن أجدى الأمور لنا أن نعرف أنفسنا كما هي فنصلح ما فيها من عيوب ، وهي وإن كانت عيوباً تمت إلى أسباب بعضها طبيعي ، وبعض طارئ استوجبه اضطراب أحوال البلد في السنين الماضية ، فإنها كالأمراض التي لا يستعصي علاجها .

ومع ذلك فإنني لا أنسى أن أذكر لهذه المناسبة أننا من أكثر الشعوب تهيؤاً للاصلاح بعد الهنود » .

فهو — إذن — يرى عيوباً ، وهو يعتقد أن من الصالح له ولقومه أن ينبه على هذه العيوب ، وأن يصورها ، ويدعو قومه إلى مجافاتها ؛ وهو يشعرنا في كلمته بأنه يعتذر عن هذا الذي أقدم عليه من ذكر هذه النقائص ، فلا شك أنه كان يشعر بحكم الوسط الذي يعيش فيه — بأنه من غير اللائق أن يتحدث الشاعر عن رذائل قومه ، ولكنه يرى الشعر رسول الإصلاح ، ويرى الشاعر طبيباً اجتماعياً من واجبه أن يقف من المجتمع — ولا سيما المجتمع المتدين — موقف الناصح الأمين . غير أننا لا نجد الشاعر نفسه عالج بشعره شيئاً مما تراه عيناه ، ونجد من الشعراء الآخرين إجفالا عن الخوض في مثل هذا الحديث . نعم نرى من الشعراء من يصيح بقومه أن الدين قد وهى سلكه ، وانتثر عقده ، وضعف سلطانه على النفوس ، كأن يقول الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن صاحب ديوان (الفجر الصادق) :

بعدنا عن الدين الحنيف وهديه فيا ويلنا إن دام هذا التباعد

أو يقول :

من أن يرجى للبلاد تقدم والدين لم ترفع له أعلام

أو يقول :

خذوا بيد الفضيلة وانشروها فإن من المعرة أن تهونا

وهنا قد يبدو سؤال لا بد منه ، فإننا ذكرنا في مقالنا السابق أن من أظهر صفات السودانيين التدين ، فكيف يتفق هذا مع ما يردده شعراؤهم في الحين بعد الحين من الشكوى المريرة والرثاء للفضيلة والبكاء على الدين ؟

وليس من الصعب الجواب عن مثل هذا التساؤل ، فإننا إذا قسنا حياة الناس اليوم بما كان عليه الشعب السوداني منذ خمسين سنة لوجدنا البون شاسعا ، والفرق بعيداً ، فقد كانت أجواء السودان معطرة بأنفاس الزهاد والصالحين ، وكانت لهم السطوة الروحية ، والهيبة الدينية ؛ أما الآن فإذا وجدنا فإنما نجد أفراداً يعدون على الأصابع ، فإذا أضفنا إلى هذا أن بعض وسائل المدنية قد دخلت السودان ، وأن المحافظين غير راضين عن هذه الوسائل ، فالسينما والقهوة ، وتعليم البنت ، والألعاب الرياضية الكثيرة ، كل هذه مما يرى فيه المتدينون المحافظون إبعاداً عن الدين ، مع الفوارق — بطبيعة الحال — بين هذه المبعدات .

يبدو أن تعليم الفتاة في السودان كان يلاقي جدلا طويلا عريضاً ، وأن كثرة كاثرة كانت ترى فيه هدما للدين ، فجملت تحاربه ، وتبدي مخاوفها من السفور المنتظر ، وأن قوماً كانوا يؤيدون فكرة تعليم الفتاة . وأنا وإن لم أجد صورة واضحة في

الشعر لهذا الجدل ألا إنى قرأت هـذه الأبيات للشاعر الشيخ حسيب على حسيب فى قصيدة عنوانها (دعوها) يقول فيهـا :

دعو فى خدرها ذات الدلال   فقد أرهقتموها بالجدال
تذوب وقد تناظرتم حيـاء   بفحش اللفظ أو هجر المقال
ويعلو خـدها خفر ينادى   ألا ما للنساء من الرجال
أحيـا فى مناجاة الغوانى   ترى أم ذاك زهـد فى المعالى
عجبت لحلمهم فى كل خطب   وإن ذكر البنات دعوا نزال

وتأخذ الموالد صورتها المعروفة فى كل قطر من الأقطار الإسلامية ، ويعيا الوعاظ والمصلحون برد القائمين بها عن هذه المخازى التى تكون فيها ، فلا نعدم الشاعر السودانى الذى يدلى بدلوه فى هذا المضمار ، فهذا الشاعر محمد القرشى يقول :

أرى بدعا تشيب لها النواصى   إذا ما جاء ميلاد الرسـول

ويتحدث عن مظاهر الاحتفال بهذا المولد من رايات وطبول وأنوار كثيرة ، ثم يتحدث عن ساحات اللهو ويمضى فيذكر (ربات القلائد والحجول) ثم يقول :

تجر ذيولهـــا متبرجات   لتفتك بالتبرج والذيول
بمجتمع القهار مقـــامرات   مع الشبان فى الجمع الوبيل
مسارح للظباء خرجن فيها   مراسح للخلاعة والخمـول

ثم يستطرد فى وصف تمسك عنه حتى يقول :

مصائب فى بنى الإسلام حلت   وفاجعـة تجل عن المثيل

وحديث الشعراء السودانيين عن النفاق مستفيض ، والنفاق — فى ظنى — أبعد الصفات عن الخلق السودانى الذى طبع على الصراحة والشجاعة ، ولـكن هكذا يقول الشعراء .

وأ كثر ما أشكو النفاق فإننا   لبسناه من دون النفوس ثياباً
تأصل واستشرى وأمعن مفسداً   ورد البيوت العامرات خراباً
وأنشب فى روح الشباب مخالبا   وأعمل فى روح الشبيبة نابا

ويقول الشاعر حمزة الملك :

أمـة فى غيهـــا غارقة   بعد أن جرعها الله الشقاء
قسمت أعمالها بين هوى   ونفاق وخمـــول وادعاء
تلك أدواء دهت أخطارها   أمم الشرق سـواء بسواء
ضاع شرع الله فيما بينهم   مثلمـا ضـاع وفاء وإخاء

أما أنا فأزعم أن هـذا الشاعر كان ثائراً حين نظم قصيدته (الدويم) فطاش من يده القلم فقال ما قال مما يعف كاتب عن ذكره :

ويحدثنا الشاعر الـكبير الشيخ محمد سعيد العباسى [1] عن بعض العيوب التى يراها :

وكائن رأينا من أخ قل خيره   بطىء عن الجلى كأن به سقما
ضعيف كليل الفهم أ كبر همه   وأ كثره ألا يجوع ولا يظما
وإن خف قوم المعالى رأيتـه   يجوس خلال الدور للشـادن الألمى
وقد عابنى من لا يقوم بمشهدى   وليس له مثلى الغداة حمى يحمى
وجاء بأمـــوال التمـاويذ والرقى   وأشياء أخرى لا أرى ذكرها حزماً

ونكتفى بهذا القدر فى هذه الغرض ، وموعدنا بالحديث عن الشعر الاجتماعى ، والشعر الغزلى ، والشعر الفكاهى ، وبالحديث عن شعر المدرسة الحديثة ، أحاديث تالية إن شاء الله .

(للحديث بقايا)   **على العمارى**

---

(١) من كبار الشعراء السودانيين ، ومن أحسنهم ديباجة ، وأعمقهم معنى ، وأجملهم أسلوباً ، وهو — كما قال — صاحب شعراء السودان — يعد فى الطبقة الأولى من شعراء السودان حسن السبك ، متين الأسلوب ، وهو سليل بيت مجد وشرف ، ولا شك أن مصر تعرفه جد المعرفة ، كما أنه يعرفها معرفة العاشق الوفى ، ومن شعره الرقيق :

مصر وأيـام الشـــبا   ب الغض ، من لى بهما !

دراسات تحليلية :

جلال الدين الرومي

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

فى بيت العلم والدين ، وبين مظاهر الورع والتقوى ، ولد أعظم الشعراء الصوفيين ، جلال الدين الرومى بن بهاء الدين سنة ٦٠٤ بعد الهجرة النبوية فى بلخ من بلاد الفرس . وكان أبوه من أكابر علماء الدين فى بلاط خوارزم شاه حاكم المدينة ، ودرج الصبى فى حجر والديه يشهد حلقات الدرس ويرى مظاهر الإجلال والإكبار تحف بوالده ، فنشأ مشغوفاً بالعلوم وخاصة ما كان منها متصلا بذات الله تعالى .

ورأى الحاكم ما عليه من مظاهر الورع والتقى وانصياع الناس له وإطاعتهم لأمره ، فداخله منه حسد وحقد وأضمر له السوء ، وبلغ ذلك بهاء الدين ، فعزم على الرحيل . وفى جوف الليل وقد آوى الناس إلى مضاجعهم يطلبون الراحة من عناء العمل ، ويبتغون الهدوء من نصب النهار ، خرج بهاء الدين بأسرته خائفاً يترقب . ورأى أن أول شىء يفعله ، أن يحج بيت الله الحرام ويزور القبر الشريف يستمد العون من صاحب البيت وساكن القبر ، وبينما الركب فى الطريق التقى بالشاعر فريد الدين العطار ، فلما رأى جلال الدين توسم فيه خيراً ، ولمح فى عينيه بريق الذكاء ، فدعا له بالبركة وأهدى إليه نسخة من كتابه (أسرار نامه) .

وفى البيت العتيق مكثت الأسرة ما شاء لها الله أن تمكث ، ثم خرجت تطوف بأرض الله ، حتى ألقت عصا التسيار فى قونية ببلاد الأناضول وكانت تسمى إذ ذاك بلاد الروم ، وهذا سبب تسميته الرومى . وفى المقر الجديد جلس والده يعلم الناس كما كان فى بلخ .

وكان لمقام الصبى فى مكة ولمن لقى هناك من رجال الدين وهيامهم بحب الله أثر كبير فى نفسه ، فظهرت عليه علامات الورع ولما يزل صبياً لم يبلغ مبلغ الفتيان .

وفى قونية سمع بالشيخ برهان الدين الترمزى ، فذهب إليه وتلقى عليه مبادىء التصوف وبدأت نفسه تتفتح إلى الآفاق العليا ، تفتح الزهرة تخللها أشعة الشمس ، فقد صادف علم التصوف وكلام المتصوفين هوى من نفسه فانكب على دراسته . ولما قبض والده ، رحل إلى حلب ودمشق وغيرها من بلدان الشرق ، ليتزود من العلم ما تتوق إليه نفسه ويهواه قلبه ، وطاف بهذه البلاد يزور علماءها ويسمع من نساكها ، ثم عاد إلى قونية مرة أخرى ، ليجلس مجلس والده فى حلقات العلم .

وسمع شمس تبريز الصوفى المعروف ، أن فى قونية صوفياً مبتدئاً يتألق بالحب الإلهى ، فوصل إليه ليدله على الطريق الصحيح ويمهد له سبيل الوصول . وأتصل بجلال الدين ، فاتخذه جلال الدين مرشده الروحى ، وما زال شمس تبريز ينفخ فى هذه الجمرات المتقدة من الحب ويزكى ضرامها حتى جعلها شعلة نيرة ، ولازم كل منهما الآخر وقتاً طويلا ، وشغل جلال الدين بمرشده ، فنقم تلاميذه على شمس تبريز لأنه حرمهم أستاذهم فأجبروه على قونية ليخلو لهم جلال الدين ، ولكن هيهات فقد استأثر به شمس تبريز وقت وجوده وسحرته تعاليمه بعد فراقه ، فلزم داره وخلا إلى نفسه يبحث عن طريق الوصول إلى الذات العلية .

***

وشرح جلال الدين مذهبه الصوفى وأوضحه فيما ألف من شعر غنائى بالغ فى الرقة والعذوبة . ويتميز شعره بسمو الفكرة وجمال الأسلوب وإشراق الديباجة ووضوح الخيال مما أكسبه روعة وجمالا .

وجمع ما نظمه فى دواوين سمى أحدهما (ديوان شمس تبريز) لأن معظمه كان مما أوحى به إليه مرشده الروحى فسماه باسمه ؛ والآخر (المثنوى) وهو قصيدة واحدة كبيرة ، قيل إن نظمها استغرق أكثر من أربعين سنة ، وأنها جمعت فى ستة كتب ، وفى هذه القصيدة صور مبتكرة متعددة تجمع بين رشاقة الأسلوب ودقة الصنعة .

***

وحب الروح ، والعمل على الاتحاد بذات الله تعالى ، والتخلص من شوائب النفس وأدرانها هو بيت القصيد فى تعاليمه . فالحب يخلص أصحابه من الغرور والصلف ، ويرى فيه الدواء الناجع

والطبيب المداوى لأمراض النفس وعلاتها ، والإيمان الخالص مصــدره الحب ، لأن المحب إذا اتحدت روحه بمحبوبه أغفل نفسه وأهمل شــأنها وشغل بمن أحب ، ولا يضيره أن يتحمل المـكاره ويستعذب الآلام ويصـبر على الإحن لإرضاء محبوبه ، ولا يزال هذا حاله من السعى والجهاد حتى تفنى نفسه فى محبوبه ويصبح جزءا منه .

فإذا وصل إلى درجة الفناء فقد وصل إلى الـكمال ، وبذلك يبعث بعثاً روحياً جديداً فيحيا الحياة الخالدة ، ويصير جزءاً من المحبوب فيبقى إلى الأبد . وفى ذلك يقول « فاختر حب الذى يبقى أبداً والذى يسقيك من الخمر التى تنمى الحياة وتهب الخلود » .

بالحب تتبدل الأشـياء ، فيصير الظلام نوراً والألم لذة ، ويتحول الحديد ذهباً ، ويتغير طعم المر فيصبح حلواً . وبالحب يحيا الإنسان حياة سماوية وهو لا يزال فوق سطح الأرض فيقول : « العاشق المخلص هو الذى يقول له الله : (أنا لك وانت لى) » .

فالعشق الإلهى هو التسامى عن كل أعراض الحياة ، والطيران إلى الآفاق العليا ، وتمزيق الحجب التى تحول بين العاشق والمعشوق وتحطيم ما يقف سداً بين الإنسان ومن أحب . والعشاق المخلصون فى حبهم كالظلال إذا أشرقت عليهم شمس المعرفة تلاشت ظلالهم واختفت ، لأنها لا تقوى على البقاء فى النور القوى الذى هو النور الإلهى وفى ذلك يقول : « يا حياة العشاق فى الموت ، ولن تجد قلباً إلا بعد أن يحطم قلبك » .

والغرض من الحب والتضحية بالحياة الفردية وإفناء النفس ، هو نشدان حياة أسمى وأرفع ، ومن أراد إدراك الحقيقة فعليه أن ينكر ذاته ويعتبر نفسه غير موجود . وهو يقول : « أولا ، تنزع النفس من النفس ، ثم تفصل قدم عن قدم ، وأن تعتبر هذه الدنيا غير مرئية ، ولا ترى منظر نفسك » .

أما الحياة الدنيا وزخرفها ومتاعها ، والنفس ومشاغلها ولهوها ، فهى حجب كثيفة تحجب المحب عن بلوغ مأموله ؛ فعليه أن يجتاز هذه الموانع ليصل إلى النشوة الروحية حيث ينسى نفسه ويرتفع إلى جلال الحقيقة الخالدة فى بهائها وروعتها . فإذا وصل المحب إلى هدفه المنشود واتحد بالذات الإلهية فقد حصل على الخلود وانفلق له صبح السعادة وشع نور رب الأرباب فى روحه وملأ جوانب نفسه . وفى ذلك يقول « ذلك الذى حصل على مقام ومكان فى ملـكوت السموات ونورها ، لا يزال يغرق فى النور دائماً » .

والمحب الذى يصل إلى هذا النوع من التوله بحب الله والهيام بجلاله يكون قد حصل على الحياة المتحدة ، والإنسـان إذا بلغ هذه المنزلة صار عارفاً بالله ، ولم تعد به حاجة إلى الوسـاطات والشفاعات . لذلك يرى جلال الدين أن الأنبياء المرسلين لا يحتاج إليهم إلا الأشخاص العاديون ، وأما من اتحد بالواحد وأصبح يسمع الصوت الباطنى فقد استغنى عن الـكلمات الخارجية لأنه صار من أولياء الله الذين أسـكرهم حبه فثملوا بخمره وغرقوا فى جلال عظمته ، واتحدوا مع البحر اللانهائى للذات الربانية فيقول جلال الدين فى ذلك « لقد طردت الإثنين من نفسى ورأيت العالمين عالماً واحداً ، وبحثت عن الواحد وعرفت الواحد ورأيت الواحد ودعوت الواحد . هو الأول ، هو الآخر ، هو الظاهر ، هو الباطن . ولست أعرف آخر سوى (يا هو) أو (يا من هو) » .

***

ويتصـور جلال الدين الذات الإلهيـة داخلة فى جوهر الـكون حالة فى مخلوقاته ، وأن المتأمل يرى ذات الله فى كل الأشـياء لأن الـكون ما هو إلا مرآة تظهر فيها آثار صفاته وبديع حكمته تعالى فيقول « رأيت الأبد مرآة عامة لك ، وفى عينيك رأيت صورة نفسى » .

والله تعالى جلت قدرته محيط بالـكون مطلع على أسرار خلقه يعلم السر والنجوى وإن كانت لا تدركه الأبصـار ، ففى نعمه الـكثيرة وعطاياه المتعددة أكبر دليل على عظمته وسلطانه القاهر وحكمته السامية ، فيقول جلال الدين فى إحدى قصائده :

يا خفياً قد ملأت الخافقين ، قد علوت فوق نور المشرقين ،
أنت سر كاشف أسرارنا ، أنت فجر مفجر أنهـارنا ،
ياخفى الذات محسوس العطا ، أنت كالمـاء ونحن كالرحى ،
أنت كالريح ونحن كالغبار تختفى الريح وغبراها جهار

ويعتقد أن الروح كانت فى البدء إلهية متحدة مع الحقيقة العظمى ، ولـكن القدرة الربانية انفصلت عن الإنسان لتظهر ، ويتجلى الوجود فى المعدوم والباقى فى الفانى ، فبضدها تتميز الأشياء . فالمداد لا يظهر إلا فى الصحيفة البيضاء ، والنور لا يتجلى

إلا فى الظلام . فيقول جلال الدين : « كنا جوهراً واحداً مثل الشمس ، كنا بلا عيب و كنا فى صفاء الماء » .

والروح مرآة صافية تعكس نفس صاحبها ، واحتكاكها بما هو مادى وانغماسها فى حب الحياة ولهوها قد عكر صفاءها وشاب رونقها . والنفس أمارة بالسوء ميالة للهوى والمعاصى ، فعلى من أراد أن يحظى بالمنزلة عند الله وينال رضاه ، أن يتقرب إليه . ولن يبلغ هواه من التقرب إلا إذا كان نظيف الثوب طاهر الذيل خالياً من الأقذار ، فليغسل ثوبه من المعاصى ويجل روحه من صدأ الهوى ، وليتجمل بالصبر وتأديب النفس ومواصلة جهادها حتى تصفو المرآة فتعكس الصورة واضحة جلية ، فإن لم يفعل ذلك فهو الشقى البعيد . « إذا أنت أنفت من كل مسحة فأنى لك أن تصير مرآة مصقولة ؟ »

وكان جلال الدين كثيراً ما يذكر فى هذا المجال ما وقع بين الصينيين واليونانيين ليبين كيف أن الروح إذا صفت أظهرت الشىء فى أجمل صوره وأحسن أشكاله .

فيحكى « أن جماعة من الصينيين واليونانيين تخاصما أيهما أجود فناً ؛ ولجآ فى الخصومة ، ثم تحاكما إلى السلطان ليحكم بينهما ، بأن أعطى كل فريق حجرة ليظهر فيها براعة فنه ، وجعل باب كل منهما مواجها للآخر وقدم لهما مايحتاجان إليه من ألوان وأدوات فأخذ الصينيون منها عدداً عظيما ، وأما اليونانيون فعمدوا إلى حجرتهم فصقلوا جدرانها وأزالوا ما بها من صدأ . وأخيراً ذهب السلطان إلى حجرة الصينيين فبهره بديع فنهم ، ثم ذهب إلى اليونانيين فإذا بصورة مما نقشه الصينيون قد انعكست على الجدار فازداد منظرها رونقاً وجمالا فشهد لهم بعظيم فنهم »

فاليونان بعملهم هذا يمثلون العارفين الذين طهروا قلوبهم وصقلوا نفوسهم فوصلوا إلى عين اليقين ، فليس الأمر أمر زخارف وألوان وصور وأشكال ، بل أمر صفاء وتطهير .

والذين يطهرون قلوبهم ويهذبون نفوسهم ويتخلصون من الأكدار ينجون من مجرد العطر واللون ، فيرون الجمال فى كل شىء وكل لحظة . وفى ذلك يقول : « إن روح الإنسان كالهواء المختلط بالتراب يحجب نور السماء فلا تستطيع العين أن ترى الشمس ، وحين يصفو الجو وينقشع التراب يصبح صافياً طاهراً » .

ومن أغواه الشيطان وأضله الهوى ، ثم أراد العودة إلى ملكوت الله وتاب عن ذنوبه ، فالطريق أمامه واضح جلى جلاء الصبح ، فعليه بتأديب نفسه وزجرها عن المعاصى وإماتتها فى نشدان التوبة والغفران فالله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، وفى ذلك يقول جلال الدين :

« ما معنى تعظيم الله ؟ اعتبار المرء نفسه حقارة خاوية » .

« ما معنى توحيد الله ؟ حرق المرء نفسه بين يدى الواحد ذى الجلال » .

فإحياء الروح وخلودها لا يتأتى إلا بإماتة النفس وإفنائها فى ذات الله فيقول « إذا لم يسقط الزهر لايبدو الثمر ، وإذا لم يفن الجسم لا تسمو الروح ، وإذا لم يكسر الخبز لا يمدنا بالقوة والحياة ، وإذا لم تعصر الأعناب لا تعطينا خمراً » .

وطريق التوبة طويل الدروب وعر المسالك كثير الأشواك ، فإذا لم يكن الساعى إلى الوصل ذا صبر وجلد ، سقط فى الطريق صريعاً قبل أن يبلغ الهدف ويحظى بنعمة الوصل . فيقول جلال الدين فى الحث على مواصلة الجهاد ، والاستمرار فى السعى إلى كعبة الوصل : « فى كل صباح يأتيك صوت من السماء ينادى ، إذا أنت نفضت غبار الطريق ، فستنطلق إلى هدفك المقصود » ويقول : « فى الطريق إلى كعبة الوصل انظر تجد فى كل أيكة من الشوك ألوفاً من قتلى الشوق ضحوا بحياتهم ببسالة » ويقول : « ألوف سقطوا صرعى على هذا الطريق دون أن يصل إليهم نسيم من عطر الوصل كدليل من جوار الصديق » .

هؤلاء هم الذين أضجرهم طول الطريق ، ولم يصبروا على مكارهها فذهبت حياتهم قبل أن يبلغوا الهدف الأسمى من كعبة الوصل ونعمة القربى من ملكوت ذى الجلال .

***

فجلال الدين الرومى صوفى حلولى ، وفوق ذلك هو من أعظم الفنانين بإشراق ديباجته ، ووضوح خياله ، وإبراز معانيه . وهو أول من أنشأ الذكر الصوفى الذى يؤدى على نغمات الناى ، والذى نظم له من الشعر الشىء الكثير ، وتسمى طريقته (المولوية) وأساسها الحب الإلهى ومبدأها التفانى فى حب الله .

وتوفى جلال الدين سنة ٦٧٢ بعد الهجرة بقونية ودفن بها . ولم يقتصر مشيعو رفاته وارثوه على المسلمين بل كان من بينهم المسيحيون وغيرهم .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

٣ – طاغور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

بعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى ، أراد طاغور أن يقوم بعمل إيجابى يحقق به آماله فى وحدة العالم ، فذهب إلى أوربا ليجول بين بلدانها ويدعو شعوبها إلى التفاهم والتآلف والتآزر ، ويحضها على إقامة وحدة دولية تضم مختلف شعوب العالم ، وتريح البشر مما يعانيه من قلق واضطراب وخوف ، ولكن هاله أن يسمع عن الهند ، وهو فى أوربا التى يدعوها إلى التعاون ، أنها تنادى باللاتعاون مع الغرب ، وفزع لما رجع إلى بلاده ووجد غاندى يعلم الهنود محاربة الاستعمار الإنجليزى بالعصيان المدنى ، وعدم طاعة القوانين الضارة بالبلاد ، وتحاشى التوظف فى المناصب الحكومية سواء أكانت قضائية أو عسكرية ، ويشجع الهنود على استعمال المغزل اليدوى ومقاطعة المنسوجات الأجنبية وحرقها حتى لا تحتاج الهند لمساعدات خارجية ، ويطالب التلاميذ بهجرة المدارس الحكومية ، ويناشد رجال العلم بتدريس تراث الهند الروحى القديم فى المدارس والجامعات وإهمال تدريس الثقافات الغربية . فلم يرض طاغور عن أسلوب غاندى فى المقاومة السلبية وأقلقه ذلك التغيير الذى أحدثه فى أفكار الهنود ، وأخذ ينتقد طرق نضاله مع الإنجليز بالرغم من تقديره لسمو نزعاته الروحية ، واحترامه لنبل مقاصده الوطنية ، وإدراكه لمغزى جهاده السلبى .

ولقد بدأ طاغور نقده لغاندى باعلان استيائه من اشتغاله بالسياسة ، وأسفه على استغلاله الدين فى أمور الدنيا ، واستعانته بالقوى الروحية فى حل القضايا السياسية ، والمشاكل الاجتماعية ، والأزمات الاقتصادية ؛ وكان يود أن يظل غاندى — ذلك النموذج الكامل للقوة المعنوية ، والبطل المقدس التى تضرب سيرته مثلا أعلى للحياة الروحية الفاضلة — بعيداً عن الألاعيب السياسية ، محافظاً على رفعة حياته الروحية من قذارة الأساليب السياسية الخبيثة ، غير معرض نفسه لتقلب أهواء السياسيين الدهاة ، حتى لا يؤذى مقوماته النفسية ، أو يضعف قواه الروحية . وكذلك عاب طاغور على غاندى تفريطه فى ثروة الهنود الروحية وبذلها رخيصة فى سوق الحياة العملية ، واستخدامها استخداماً خطراً على نزعات الهنود فى مقاومة الإنجليز ، وحزن لجناية غاندى على روحية الهنود ، وتألم ، لأنه حول القوة المعنوية التى تفتخر الهند بحوزتها من قديم الزمن إلى قوة عمياء تسخرها العواطف الوطنية فى تحقيق المآرب القومية دون الغايات الإنسانية التى يفرضها الدين الهندوكى على الهنود ، وتوصلهم إلى أرفع مراتب الكمال الروحى . . .

ولم يقف نقد طاغور لغاندى عند حد خوضه السياسة وإقحامه الدين فى مشاكل الأرض ، بل تعداه إلى ذم أساليبه السياسية وطعنه فكرة اللاتعاون مع الغرب ، لأنه يؤمن بالاتحاد الحقيقى بين الشرق والغرب ، ولم يستسغ مطالبة غاندى الهنود بمقاطعة الانجليز اقتصادياً ، وتضايق من فرضه على كل هندى أن يغزل يومياً وينسج ويحرق ملابسه الأجنبية ، ولا يلبس إلا ما غزل بالمغزل اليدوى . ويرى أن خطر هذه الآلات الصغيرة على الهند لا يقل عن خطر الآلات الكبيرة على الغرب ، فهى تجمد حيوية الهند وتعرقل تقدمها ، فلا يجب أن تتخذ منها الهند وسيلة لمعالجة الفقر والجوع . كما لم يرقه كره قومه الرذيل للثقافة الغربية ، واعتبر مقاطعة المدارس والجامعات التى تدرس هذه الثقافات مظهراً من مظاهر ضيق الأفق وفقر المدارك ، ولوناً من ألوان التعصب الإقليمى المنحط .

إن إهمال الهنود بحث الثقافات الهندية خطأ يعيبهم يجب أن يتداركوه ، ولا يستحق منهم الإغضاء عن دراسة العلوم الغربية ولا يجب أن يتحرجوا من أن تستفيد الهند من خيرات الغرب الثقافية . ولئن كان غاندى لم يرم بسياسته إلى محو آثار المدنية الغربية من الهند ، إلا أن ثورة الأهواء القومية تحمل لمبادئه فى اللاتعاون هذه المقاصد الفاسدة . ويخاف طاغور على طهارة الهند من غائلة بربرية أتباع غاندى الروحية .

لا ينكر طاغور أن تحقيق استقلال الهند أمر خطير ويحتاج إلى نوع من الحماسة والعاطفة ، وإلى ضرب من الوطنية والتعصب إلا أنه يرى أن الاستقلال أكثر احتياجاً إلى روية الاختصاصيين

وتدبر الاقتصاديين وبحث العلماء ، فإن الحماسة وحدها لا تكفي لحل المشاكل الهندية ، وإنما يتطلب حلها كذلك الاستعانة بالعلم والكياسة والسياسة والاقتصاد ، فإن استئثار فرد — ولو كان زعيم الحب والحق — من دون الهنود جميعاً في رسم خطى السياسة العليا الهندية من اقتصادية وسياسية وثقافية لثقل تنوء بحمله قوى رجل واحد مهما تعددت مواهبه ، ويجب أن يسمح لجميع الكفايات في الهند بأن تساهم بجهودها في خدمة الهند ، فيعطى للاقتصادي فرصة لتدبير المال اللازم لرفاهية الشعب ، وللصانع فرصة لأن يشتغل بالصناعات التي يمهر فيها ، ويطلب من علماء التربية وضع الأسس الصالحة لتربية أبناء الأمة ، ومن رجال العلم تعيين البرامج الثقافية الملائمة للطالب الهندي ، ويشجع السياسي على استخدام دهائه وفكره في الحصول على استقلال الهند.

وبغير ذلك لا يمكن أن تنال الهند الحرية وتنجى من العبودية . أما أن ينفرد شخص بمعالجة قضية الوطن ، ثم ينادي بقطع كل اتصال بين الهند والغرب ، فيلبي الشعب الضعيف دعوته بغير تبصر ، ويطيع أوامره في مقاطعة الغرب والقضاء على سبل التعاون معه طاعة عمياء ليدل على نوع من الاستبداد الروحي بشعب هزيل الروح قابل لعوارض غضب هستيري قد يعصف بكيان الأمة الهندية .

ربما تكون مقاصد غاندي من وراء المقاومة السلبية شريفة ، ولو طبق جميع الهنود مبادئه في اللاتعاون بنفس الروح التي يفهمها غاندي لما تعرضت الهند لأخطار العواطف القومية والثورات والفتن ولكن الخوف من المكلفين بتنفيذ آراء غاندي ، فقد يتوهمون أو يوهمون أن اللاتعاون هو الغاية النهائية من حركة غاندي السياسية ، وليس وسيلة وقتية ، ويؤمنون به كدين قويم في اتباع حرفيته خلاص الهند من الاستعباد .

بينما خلاص الهند من الاستعباد لن يأتي إلا عن طريق التعاون مع بقية الشعوب والاندماج فيها وتكوين أمة عالمية تشمل جميع الشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها وثقافاتها وعاداتها ، لأن مشاكل العالم المتعددة لن يعرف لها حل نهائي ما دامت الأمم متفرقة بعضها عن بعض ، تعيش كل منها في نفسها ، تود لو تقضي على كل رابطة تربطها بباقي الأمم ، لا تثق في جدوى التعاون ، وتقبل أن تظل حبيسة حدود الوطن الضيقة خلف حواجز مصطنعة تفصلها عن سائر الشعوب ، وترضى أن تحيا على الدوام في حرب مع كل أمة تريد أن توجد بينها وبينها علاقة وطيدة ، أو تتدخل في شئونها . ولذلك سيظل العالم على ما هو عليه من قلق واضطراب وخوف طالما لا ترغب الدول في الاتحاد التام ، فيجب على الهند أن تلعب دوراً هاماً في سبيل توحيد العالم وتسبق جميع الشعوب في الدعوة إلى التفاهم والتآخي ، وتضرب مثلا حياً لدول العالم يسمو بسمها الصادق في إنجاز وحدة الدنيا ، لأن الدين الهندوكي يقوم على حقيقة وحدة الوجود ، ويطالب الهنود بتحقيق هذه الوحدة من مشاعرهم وأفعالهم وفي داخل نفوسهم وخارجها ، ويحثهم على فناء ذاتهم الفردية في الذات اللامتناهية ، حتى لا يشعر أحد إلا بالروح الكلية التي تضم كل شيء في الوجود ، ولن يصل هندي إلى هذه المرتبة الروحية العالية إلا عن طريق الحب والوئام والتعاون ، فإذا سمت الهند إلى وحدة العالم ، فإنها تطيع أوامر الدين ، وتلبي في نفس الوقت نداء الإنسانية وتنقذ أهلها من رق التعصب الأناني ، وتطلقه من أسر النعرة القومية الهوجاء ، وتبرئه من مبادئ اللاتعاون التي تثير الحقد والكراهية في النفوس ، وتسلم العالم من أشرار الانفصال ، وتوصله إلى بر الاتحاد ، لأن الانفصال باطل يدعو إلى التعصب ، ويثير الشقاق ، ويحض على تهجم الروح الفردية على الروح الكلية فلا تتمتع أمة بسعادة أو تنعم بسلام .

ولا يحقق هندي ذاته ، أو يفوز بغايته الدينية ، وتصبح أمم العالم في تنابذ وتشاحن ، فيضطرب النظام الطبيعي في المجتمع الدولي ، ويخلق الظلم والاستبداد ، وتشرع القسوة والاستعباد فتعاون قوى العالم ونسيان ما بينها من أحقاد وأضغان ضروري لتفادي كل ما يعرقل وحدة الدول أو يعوق تعاونها ، واستمرار الهند في التفكير في الانتقام ، والسعي في الانفصال عن الغرب ، لن يخلصها من الجوع والفقر ، واتخاذها اللاتعاون سبيلا لطرد المستعمر من البلاد لن ينيلها الحرية الحقيقية ، لأن مشاكل الهند مرتبطة بمشاكل الغرب ، وحلها يتطلب مقدماً تعاون العالم ، فلا مفر من التعاون ، لأن واقع الحياة العالمية يمليه على الأمم لينقذها من وهدة الظلام التي تعيش فيها . فوق أن الدين الهندوكي يجبر

كل هندى على تحقيق الذات اللامتناهية التى تتلاشى فيها ذات الأفراد ، ولا يوجد بها إلا الحياة الكلية ، والتى تزول فيها القيم الظالمة القاسية ، ويبقى بها الحب والوئام والتعاون .

إن انتقادات طاغور لغاندى تدل على أن طاغور ثابت الفكر لا تتلون نزعاته الروحية بتغير الظروف ، فهو رجل يؤمن بقوة الروح ، ويعتقد فى الحياة الفاضلة ، ويثق فى الوحدة سواء أكان مجالها حياة الفرد أو حياة الأسرة أو حياة الأمة أو حياة العالم . ويود أن يحافظ الفرد والأسرة والأمة والعالم بأجمعه على هذه الأصول ، فلا تتحول القوة الروحية إلى قوة مادية حسب الأهواء القومية ، أو يستغنى عن الفضائل المعنوية فى سبيل الفوائد النفعية إذا اقتضى مصلحة الأمة ذلك ، أو تفضل الوطنية على الإنسانية والانفصال على الاتحاد لعلة من العلل المادية الوقتية . وعلى هذا الأساس وجه طاغور انتقاداته لغاندى ، ذلك الزعيم الروحى الذى تنم حياته الخاصة عن عيشة زهد وتقشف وإنكار للذات وتضحية بينما تنم سيرته السياسية عن خلاف ذلك ، فهو يقحم الدين الروحى فى السياسة المادية ، ويغلب تعصبه القوى على ميوله الإنسانية ، ويستبدل التعاون باللاتعاون فى محاربة الإنجليز ، ويدعو لانفصال الهند عن الغرب بدلا من الاتحاد معه ، فعارضت أساليبه السياسية حياته الخاصة ، وخرجت على تعاليم الدين الهندوكى التى تقوم على حقيقة وحدة الوجود . وكان على غاندى أن يرد هذه التهم ويفسر أساليبه ويدفع عن نفسه هذه الشكوك التى أثارها طاغور حول نزعاته الروحية والإنسانية ، ويبين أن سيرته الخاصة لا تناقض سيرته السياسية .

فقام غاندى يفند أقوال طاغور ويبرر آراءه وطرقه ويوضح أنها تستند على أسس من الدين وتتمشى والمبادئ الإنسانية ، فزعم أن حبه للهند أو تعصبه لقومه لايشهد بأنه خرج على الدين أو نبذ القيم الإنسانية وتعلق بوطنية حمقاء ، لأن الوطنية فى ذاتها لا تتعارض والإنسانية ما دامت لا تضر بالشعوب المعادية .

إن وطنية غاندى طاهرة لا تشوبها نقائص الأنانية الاستغلالية ، فهي وإن كانت تحثه على خدمة الهند وإصلاح شئون الهنود الخاصة والعامة والانتفاع بمقومات الحضارات القديمة إلا أنها لا تدفعه إلى أن يكسب شيئاً للهند ، ويسىء فى نفس الوقت إلى انجلترا ، أو تغريه على تنمية عواطف حب السيطرة فى نفوس الهنود ، حتى يقويهم على الاعتداء على الشعوب المجاورة . فوطنية غاندى لا تقوم على الكراهية ، إنما تقوم على الحب ، ولا تخالف الدين أو تهمل القيم المعنوية ، وإنما تستوحيها جميعاً وتمزجها .

أما عن اشتغال غاندى بالسياسة ، فيقول إن السياسة تلتف حول كل هندى التفاف الأفعى ، ولا سبيل للتخلص منها . ولكى يقضى غاندى على سموم هذه الأفعى ، اضطر إلى أن يقحم الدين فى السياسة . ويقصد بذلك أن حالة الهند وما هى عليه من تفكك وتصدع وذل واستعمار ، وظروف الهنود وما هم عليه من بؤس وشقاء وانحطاط ، وتطور الحوادث السياسية والاجتماعية فى الهند ، يُلزم أى هندى محب لترقية وطنه ، بأن يساهم فى تحرير بلاده وإصلاح حياة أهله . وبتأثير هذه العواطف الشريفة ، خاض غاندى معترك الحياة السياسية الخبيثة السامة مرغماً . ونظراً لأنه دينى بالفطرة ، سياسى بالضرورة ، شرع فى تطهير السياسة من طرقها الملتوية الحقيرة بإدخال الدين فيها ، حتى يسمو بالسياسة إلى سماء الدين . وعلم الهنود الإضراب الدينى السلمى ، الذى يعلن بقوة ووضوح ، الاحتجاج على الظلم بدون إحداث شغب أو تلف أو إراقة دماء . كما علمهم الارتكان إلى اللاتعاون ، كلما نزل بهم جور . فحارب الهنود الإنجليز بأسلحة سلبية لا تعتمد على العنف أو القوة المادية أو العصيان المسلح ، فحافظ غاندى فى نضاله السياسى على روح تعاليم الدين الهندوكى السلمية التى تنكر العنف وتنادى بضرورة التذرع بسلاح الحب .

(البقية فى العدد القادم)

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية
بكفر الزيات

١٣ — من ذكرياتى فى بلاد النوبة :

النهضة التعليمية فى النوبة

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لعلك تعجب إذا علمت أن منطقة النوبة الآن من المناطق المصرية ، التى ارتفعت فيها نسبة المتعلمين إلى درجة عظيمة ، لم تصل إليها كثير من بلدان الوجه البحرى ، وأن الجيل الحديث من النوبيين كله متعلم مائة فى المائة تقريباً .!!

ومن النادر أن نجد صبياً لا يذهب إلى المدرسة ، يتلقى العلم فى شغف وتواضع وطاعة محببة إلى النفوس . وبخاصة نفوس الآباء والمدرسين . . وإذا كنا نرى كثيراً من الصبية يهربون من المدارس فى مدننا وريفنا ، وأن كثيراً من الآباء وأولياء الأمور يعملون الحيلة للتخلص من إرسال أولادهم إلى المدارس فى الريف ، ليساعدوهم فى الحقل ، ويعاونوهم فى الحرث والرى والحصاد .. وقدينا لهم من جراء ذلك كثير من الغرامات المادية فلا يبالون بها ، ولا تردعهم عن مخالفتهم وتهربهم من العلم ، وفرارهم من التعليم ، وعزوفهم عن المدارس مع ما فيها من خير كثير . . إذا كنا نرى هـذا ، فلن نجد لهذه الظاهرة أثراً فى النوبة على الإطلاق ، بل على العكس من ذلك ، نرى التزاحم الشديد ، والإقبـال العجيب ، والتنافس فى الالتحاق بالمدارس على اختلاف أنواعها . وشتى ضروبها ، مما يثير فى النفس عوامل الدهش والارتياح ، والفرح والاغتباط ، ولعل هذا راجع إلى أن أولياء الأمور فى النوبة أدركوا الآن قيمة العلم ، وأثر التعليم فى تهذيب النفوس ، والحصول على المراكز السامية ، والمناصب الرفيعة ، وأنه الطريق الوحيد لسعادة أبنائهم وذراريهم ، وأنهم لا يحتاجون إلى مجهود أبنـائهم الضئيل ، كما يحتاج إلى ذلك المجهود أولياء الأمور فى الريف المصرى فى غير منطقة النوبة ...

والمدارس فى النوبة أنواع كثيرة ، تدعوا إليها الحاجـة ، وتتطلبها البيئة القاسـية ، مما لا تتوفر فى كثير من المنـاطق المصرية ، فمنها :

١ — قسم ثانوى فى عنيبة لم يكمل بعد ، ويأمل النوبيون فى وزير العلم ، أن ينمو هذا القسم نمواً مطرداً يناسب نهضـة البـلاد ، وإقبال أهلها على التعليم الثانوى خاصـة ، ولتكن مدرسة فاروق الأول الثانوية ، قائمة فى عنيبة بجانب أختها مدرسة فؤاد الأول الابتدائية ، وهذه أمنية غالية ، يعتز بها كل نوبى ، ويبنى عليهـا قصوراً من الآمال ، ويتمنى أن تتحقق لتكفيهم مشقة الجهد ، والانتقال من بلادهم إلى مختلف البلدان وعواصم الأقاليم المصرية ، حيث توجد المدارس الثانوية التى تتطلب كثيراً من النفقات وتبعد هذا الجيل الجديد عن موطنه الأصلى . وهو لا يزال فى حاجة ماسة إلى الرقابة الشديدة فى هذه السن ، سن المراهقة ، وتطلق له الحرية فى بيئة يسهل فيها الفساد واللهو ، ولهذا ينحدر كثيرمنهم إلى هوة الفساد والضلال ، ممايبعد به عن الغـاية التى يهدف إليها ، وينصرف به عن البحث والدرس والتحصيل ...

٢ — مدارس ابتدائية : واحدة فى عنيبة تضم خمسمائة تلميذ تقريباً ، ويشترك فيها البنون والبنات بلا تفرقة ، وأخرى فى الدكة ، وثالثة فى قورته . وقد جاهد الأهلون جهاداً عظيماً فى سبيل إنشاء هاتين المدرستين الأخيرتين ، وقد أنشأت الوزارة مدرسة الدكة سنة ١٩٤٧ ، وسرعان ما قامت قيامة أهل قورته فبذلوا مجهوداً مشـكوراً إن دلَّ على شئ . فعلى روح التنافس ، وتوّج أخيراً بإنشاء مدرسة قورته فى العام نفسه على أن يكون ذلك بمثـابة تجربة ، ولتبقى فى النهاية على المدرسـة التى تثبت وجودها بكثرة ما فيها من التلاميذ ، وذلك لأن المسـافة بين قورته والدكة حوالى سبعة أميال فحسب . ومن الغريب أن أقبل الأهلون على كلتيهما ، بحيث أصبح فى كل منهما ثمانون ومائة تلميذ تقريباً ، ولهذا ستضطر الوزارة دون ريب للابقاء على المدرستين كلتيهما ...

ويأمل النوبيون أن يتم إنشاء مدرستين أخريين ، أولاهما فى المركز الأصلى ، وهو الدر ، احتفاظاً بما كان له من مكانة ، وإحيـاء للمدرسة التى كانت به ، وهى أوّل مدرسة فى النوبة بأسرها . . والأخرى فى بلانة ، لما لهذه البلدة من مكانة زراعية ولما فيها من مشروعات كثيرة ، أدَّت إلى ازدحامها بالسكان ،

مما يعطيهم هذا الحق ، ويجعل إنشاء مدرسة ابتدائية فى بلدتهم من أوجب الواجبات ، وبخاصة وأنها ليست أقل شأناً من الدكة أو قورته ، بل أعظم منهما شأناً ، وأرفع قدراً . . !

والقد بذل الأهلون فى سبيل ذلك جهوداً موفقة طوال هذا العام ، وإذا تم لهم هذا أصبح فى منطقة النوبة مدرستان ابتدائيتان فى القسم الشمالى ، هما قورته والدكة . ومدرستان ابتدائيتان فى القسم الجنوبى هما الدر وبلانة ، ومدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية فى عنيبة ، وبهذا تضمن النوبة تعليم أبنائها فى المحيط الذى تحبه وتؤثره وترتضيه ، إلى سن تؤهلهم بعد هذا للتعليم الجامعى والعالى ، ولا تخشى عليهم انحرافاً عن الغاية ، ولا بعداً عن المقصد ...

٣ — مدارس أولية : يشترك فيها البنون والبنات ، والتعليم فيها كالابتدائى ، نظام كامل طول اليوم ، أى قبل الظهر وبعده بيد أنه ليس فى مواده لغة أجنبية . وهذه المدارس بعضها تابع لوزارة المعارف ، وهما مدرستا ، عنيبة ، وبلانة الجديدة . والبعض الآخر وعدده تسع وعشرون مدرسة ، تابع لمجلس مديرية أسوان ، وهى مدارس : (قسطل ، بلانة ، توشكى شرق والجنينة ، عنيبة بحرى ، إبريم ، عافية ، توماس قبلى ، الدر ، الديوان ، كرسكو ، شاترمه ، وادى العرب بحرى ، السيالة ، قورته ، العلاق ، الدكة ، تشتمنة غرب ، وتشتمنة شرق ، جرف حسين ، مارية ، مرواو شرق ، مرواو غرب ، أبو هور ، كلابشه ، الأمباركاب ، دهميت شرق ، دهميت غرب ، دابود)

٤ — مدارس إلزامية : يتعلم فيها بعض التلاميذ نصف اليوم وبعضهم فى النصف الآخر ، وكل هذه المدارس تابعة لمجلس مديرية أسوان ، وليس فيها واحدة تابعة للوزارة ، وهى اثنتا عشرة مدرسة فى البلاد الآتية : أدندان ، أبو سمبل ، أرمنا ، توشكى غرب ، مصمص ، توماس بحرى ، أبو حنضل ، المالكى ، وادى العرب قبلى ، المضيق ، المحرقة ، قرشة .

٥ — ملحقان ، أحدهما فى كرسكو ، والآخر فى مرواو غرب ...

٦ — أقسام تحفيظ للقرآن الكريم : وهى تابعة لمجلس مديرية أسوان كذلك ، وهى ثلاثة أقسام ، أولها تابع لمدرسة أدندان ، والثانى تابع لمدرسة المالكى ، والثالث تابع لمدرسة توشكى غرب .

وما أحوج بلاد النوبة إلى الإكثار من هذه الأقسام ، لإقبالهم عليها إقبالا كبيراً ، فهم يقدسون كتاب الله تقديساً ، ويرتلونه ترتيلا يبعث الخشية فى القلوب ، والرهبة فى الصدور ، ويملك على الإنسان مشاعره وحواسه ، ولهم فى تلاوته روحانية تسمو بالسامع إلى مراتب نورانية من الإيمان والخشوع والطاعة والخضوع ...

٧ — مكاتب إعانة : تعينها الوزارة ، فتعطى المدرس عن التلميذ الواحد عشرين قرشاً ، أو ثلاثين ، أو أربعين ، وهى سبعة مكاتب : القصيرى بأبى سنبل ، نجع تميدى بأبى سنبل ، نجع الجلاب ، نجع الخفير ، الزيداب ، البقمة ، وادى السيالة . وهذه المكاتب تؤتى أكلها فى كثير من البلدان ، وذلك لأن المدرسين يبذلون جهداً مشكوراً فى جلب التلاميذ من كل حدب وصوب ، لما ينالهم من نفع عاجل ، وخير قريب ، فهذا النوع بالنسبة لمدرسى المدارس الإلزامية والأولية ، يشبه الدروس الخصوصية ، بالنسبة لمدرسى المدارس الابتدائية والثانوية ، فهو إذن نوع من التعاون بين المدرسين وتلاميذهم ..!!

٨ — مكافحة الأمية ، وهى نوعان (ا) أقسام مسائية مقرها المدارس ، وتقبل التلاميذ ابتداء من سن الثانية عشرة فما فوقها ويتقاضى المدرس جنيهين فى الشهر ، ويتقاضى الرئيس جنيهين ونصف جنيه فى الشهر ، والإقبال عليها منقطع النظير ، فإذا جنّ الليل تقاطر الرجال والشبان والشيوخ إلى هذه الأقسام فرحين مغتبطين يتلقون العلم ، ويتعلمون مبادئ القراءة والكتابة ، وفى النهار تجدهم منكبين على كتبهم وكراساتهم ، يعيدون ما درسوا ، ويتفهمون ما أخذوا ، وقليل من إخلاص المدرسين ونشاطهم ، يجعل أهل هذه المنطقة فى درجة عظيمة من العلم والمعرفة ...

وهذه الأقسام فى البلاد الآتية : أدندان ، بلانة القبلية ، بلانة الجديدة ، أبو سنبل ، أرمنا ، توشكى غرب ، عنيبة الأولية إبريم عافية ، توماس قبلى ، توماس بحرى ، الديوان ، شاترمه ، وادى العرب قبلى ، قورته ، العلاق ، جرف حسين .

(ب) مكاتب إعانة لمكافحة الأمية ، وليس مقرها المدارس

الجامعة والأســـــاتذة

للأســــــتاذ وديع فلسطين

أثار الصديق الأستاذ عباس خضر — فى تعليقه على كلة للأستاذ توفيق الحكيم — موضوع اختيار الجامعة المصرية (ونعنى جامعتى فؤاد وفاروق) لأساتذتها ، فقال إن الجامعة لا تزال تقصر أمرها على أساتذتها « ولست أدرى هل فكرت فى الانتفاع بأعلام الأساتذة غير الرسميين أو لم تخطر لها هذه الفكرة بعد ؟ والواقع أن هؤلاء الأعلام أساتذة فى جامعة ليس لها مكان محدود ولا نظام موضوع » .

وللتفكهة أذكر أن معهد التحرير والترجمة والصحافة فى جامعة فؤاد فكر من بضع سنين فى الاستعانة ببعض كبار الصحفيين المصريين للاشتراك فى موسم محاضرات معهدية فيلقى كل منهم محاضرة عن اختباراته وتجاريبه فى الصحافة العملية ليكون للطلاب إلى جانب دراستهم النظرية إلمام عملى بالمهنة التى تهيئهم الجامعة لها بعد التخرج .

وأعدت قائمة بأسماء الأعلام من الصحفيين فذكرت فيها أسماء الأساتذة : كريم ثابت بك ، وعباس محمود العقاد ، وفؤاد صروف ، وطائفة أخرى . فاعترض المسؤولون فى المعهد على هاته الأسماء الثلاثة قائلين : إن أصحابها لا يحملون مؤهلات جامعية ، ولا تقرن أسماؤهم بألقاب مما تسبغه الجامعة على طلابها . وقد استبعد هؤلاء الثلاثة فعلا ، ولم يدعوا للاشتراك فى هذا البرنامج الموسمى !

وبعد ذلك ، هل للمرء أن يسأل : كم من الصحفيين اللامعين الناجحين أخرجهم هذا المعهد الذى اقتصرت تبعة التدريس فيه على الأساتذة الجامعيين ؟

وبهذه المناسبة أذكر أن جامعة أمريكية سمعت أن صياداً بارعاً قريب من دارها ، وأنه تضلع فى صيد الحيوان البرى والحيوان المفترس ، حتى سجل فى هذا المضمار أرقاماً قياسية غير مسبوقة . فما كان من إدارة الجامعة إلا أن تعاقدت مع هذا الصائد الأمى ليلقى على طلاب علم الحيوان سلسلة من المحاضرات بلغة مفككة متخاذلة ركيكة يبسط عليهم فيها عادات الحيوان ومغامراته فى صيده ومقابلات بين القوى البدنية لكل من هذه الكائنات الحية ؛ ولم تجد الجامعة ولا مجلس إدارتها ولا أساتذتها

بل أى مكان فى المسجد أو البيت أو الشارع ، ومدرسوها من الفقهاء ، ولهم مكافأة سنوية عن التلميذ بعد نجاحه قدرها خمسة وسبعون قرشاً ، يصرف لهم خمسة وعشرون قرشاً أولا ، وخمسون قرشاً بعد النجاح .. !!

وهى بالأماكن الآتية : جده بالديوان بلانه . كساب بأبى سنبل ، فرقنيت أورجه بأرمنا . أبو راسيا بأرمنا ، مرواو بتوشكى غرب ، زيدات بتوشكى غرب . وادى السبيل بأبى حنضل . الريحه بكرسكو ، النوبات بالسيالة ، الشيمة بقورته . دبنود بدابود .

ومفتش المعارف يلاقى كثيراً من الصعوبات فى سبيل القيام بعمله فى هذه الجهات كلها ، وذلك لتناثر هذه النجوع وتفرقها وبُعد المسافة بينها ، وكثرة المرتفعات والمنخفضات ، فلا بد والحالة هذه من الاستعانة بالباخرة البطيئة ، والمراكب الشراعية والمطايا ، ولا شىء غير هذا .

وقد يكون هذا الكلام غريباً على بعض الناس ، من الذين لا يعلمون شيئاً عن طبيعة هذه المنطقة ، أما الذين يعرفون هذه المنطقة ، وخدموا فيها فإنهم يدركون تمام الإدراك ما يعانيه المفتشون هناك من جهد وما يُقاسونه من نصب وتعب شديدين ...

وإذا أرادت وزارة المعارف خدمة العلم ومصلحة القائمين به وحرصت على نشر المعارف مخلصة فى ذلك ، فعليها أن تخصص لمفتش المعارف باخرة صغيرة (رفاص) أسوة بما تعمله غيرها من الوزارات ، كوزارة الصحة ، والأشغال ، أما إذا ظلّ الحال على ما هو عليه ، فلن تؤتى هذه المدارس أكلها كما يجب ، ولن تعظم استفادة الأهلين منها ، فعلى ولاة الأمور أن يعطوا هذا الرجاء حقه من العناية والاهتمام ..!!

عبد الحفيظ أبو السعود

في هذا التصرف عيباً ينتقص من قدرها ، وإنما عدته سبقاً وكسباً لم يتح مثلهما لجامعة أخرى .

ومن يدرى ، فقد يقوم بين رجال الجامعة من يسأل : وما هى مؤهلات شـوق الجامعية حتى ينشأ له كرسى باسمه فى كلية الآداب ؟ هل تخرج فى كلية الآداب ؟ أو هل منح درجات علمية معترفاً بها ؟

إن الحياة كثيراً ما تكون أقدر على إعداد المرء ثقافياً وعلمياً من الجامعة . وقد اعترف جورج برنارد شو بأنه لم يدخل جامعة ولا معهداً عالياً ، وإنه كان خامل الذكر فى دراسته الابتدائية . وعندنا فى مصر الأستاذ سلامه موسى ، فقد اعترف بأنه لم يهيىء لنفسه دراسة عالية نظامية فى جامعة أو فى سـواها من معاهد الثقافة الرفيعة ، وإنما غرف ثقافته من العلم المشاع فى المكتبات مرتكناً على قوة ذاتيته وصدق عزيمته .

وأمامنا الأستاذ عباس محمود العقاد ، الذى يكفى أن يقدم كتاباً من كتبه — بغير اختيار — إلى الجامعة لينال عليه درجة الدكتوراه . ولـكن هذا لن يحدث فى مصر ، لأن على الأستاذ قبل ذلك أن ينال درجة الليسانس ، تتلوها درجة الأستاذية ، ثم مرتبة الدكتوراه !

وعندنا كذلك الأستاذ فؤاد صروف الذى كان أول من كتب فى مصر عن تحطيم الذرة ، وفلق نواتها ، وإطلاق الطاقة الذرية من عقالها واستخدامها فى شؤون السلم وأمور الحرب . وكان من أقدر الذين تعمقوا فى درس علوم الطبيعة وسائر العلوم ، وله فى ذلك مؤلفات تنم عن تأصل وتثبت واقتدار . وكان من الذين ابتدعوا مصطلحات علمية لمترادفات لها أعجمية ، فقال عن الـكلوروفيل « اليخضور » ، وعن الهيموجلوبين « اليحمور » ، وعن الأسمنت المسلح « الأرق » ، وعن الإيستوب « النظير » وما إلى ذلك ... وكل سفر من مصنفاته يعده بدون أدنى شك للظفر بدرجة الدكتوراه من أكبر جامعات العالم ، أما فى مصر فلا

وقد يذكر قراء الرسالة أننى اقترحت من نحو عام على جامعة فؤاد أن تمنح درجة الدكتوراه الفخرية لرواد الحركة الفـكرية الحديثة فى مصر ولأقطاب السياسة وفقهائها المعاصرين . وذكرت يومها أسماء الأساتذة : فؤاد صروف ، وأحمد أمين بك ، وأحمد حسن الزيات ، وأنطون الجميل باشا ، وخليل ثابت بك ، وخليل مطران بك ، ومحمود تيمور بك ، وسابا حبشى باشا ، واسماعيل صدقي باشا ، وعبد العزيز فهمى باشا ، وقلت يومئذ : إن هؤلاء جميعاً يستحقون الدكتوراه الفخرية اعترافاً من جامعات مصر بالخدمات الجليلة التى أسداها كل منهم فى ناحية من نواحى الحياة العامة . ولـكن الجامعة لم تأخذ بهذا الرأى ، وإن كانت قد منحت الأستاذ أحمـد أمين بك هذه الدرجة فى ما بعد فى غير احتفال ولا احتفاء . .

وصفوة القول إن الجامعة فى حاجة إلى شىء من سعة الأفق فى التفـكير ، فالشهادة لا تقوم صاحبها ولا ترفع من قدره الثقافى الفـكرى . ومهمة القائمين على هذه المؤسسة العلمية الـكبيرة أن ينقبوا عن ذوى الـكفاءات ليستغلوها خير استغلال ، وليـكن هذا التنقيب فى مصر أولا ، ثم فى الخارج ، لأن الفقهاء المصريين كثيراً ما يتميزون على أقرانهم من الذين « يستوردون » من الخارج . ولو ترك الأمر لى ، لعينت مثل الأستاذ نقولا الحداد أستاذاً لنظرية أينشتين فى كلية العلوم ، وعينت الأستاذ سلامه موسى أستاذاً لنظرية التطور فى ذلك المعهد ، وعينت الأستاذ فؤاد صروف أستاذاً للعلوم الذرية ، وعينت الأستاذ توفيق الحـكيم أستاذاً للأدب الروائى ، وعينت الأستاذ الدكتور صبرى جرجس أستاذاً للسيكولوجية ... وهكذا . فهذه الـكفايات المهملة لا ينبغى أن تظل مبعدة عن النطاق الجامعى ، ولا يصح أن تظل إما معطلة أو غير مستثمرة استثماراً ينفع الجيل الجديد .

ولقـد قال لى الصديق الدكتور ابراهيم ناجى مرة : كان ينبغي أن تأمرنى الحـكومة مع الأستاذ سلامه موسى والدكتور سعيد عبده فى مكتبة علمية وتطلب منا أن نصدر لها دائرة معارف طبية ومصنفات علمية طبية . فحرام أن تشتت الجهود أو توزع القوى هكذا .

إن مهمة الجامعة هى مهمة مزدوجة : التوجيه والإعداد . وفى مصر من ذوى الـكفاية من يرفعون قدر البلاد و « يطيلون نحرها » . وما على إدارة الجامعة إلا أن تضع هؤلاء فى موضعهم ليتمكنوا من إعداد الطلاب إعداداً طيباً .

وحينذاك لن تجد من يختلف على هل يعين الأستاذ الزيات فى كرسى شوقى بك استجابة لاقتراح الأستاذ توفيق الحـكيم ، أم هل يكون شاغله من نطاق الجامعة الحالى ؟

وديع فلسطين



الزهريات

للدكتور أحمد موسى

هي أوعية وأوان تسمى مشكاة يقابلها باللاتينية Vasa ، ليست لها فائدة عملية تذكر بالقياس إلى قيمتها الفنية لطالبي الفن واللغوية لطالبي اللغة الإغريقية وتطورها . ومع ضآلة فائدتها العملية فإنها من أهم ما عنيت بصنعه الشعوب المتحضرة بغية تجميل الحجرات أو الحدائق ، سواء وضعت فيها الأزاهير أو لم توضع .

وعملت كحليات للأعمدة وحيناً آخر وضعت إلى جانب القبور ، وكانت من الطين المحروق أو الصيني أو الزجاج ، كما أنها صنعت من الرخام أو المرمر أو من حجر الألباستر أو من المعدن .

ولا يعنينا من أنواع الزهريات في هذا المقال سوى النوع الإغريقي الكلاسيكي بالنظر إلى المستوى الفني العظيم الذي بلغه الأغارقة في كل ما تناولوه .

ولا تعرف الدراسات الفنية هذه الزهريات إلا في فجر القرن القرن الثامن عشر عند ما بدأ ظهورها بين المخلفات الأثرية بكثرة لفتت النظر إليها والعناية بها ، فكانت منذ ذلك الوقت موضع الدرس والتأريخ ، لما حوته من مصورات عجيبة فائقة في الدقة والجمال ، فضلا عما تناولته هذه المصورات من إيضاح النواحي القصصية والاجتماعية والدينية والتاريخية إلى حد مثير لكل إعجاب وتقدير ، وكانت بذلك أشبه شيء بسجل حافل لكل راغب متأمل .

وتنوعت أشكالها تنوعاً كبيراً ولكنها لم تخرج أبداً على رشاقة التكوين الكلي ، على أن العناية بفحصها من الناحية الفنية كانت متأخرة عن فائدتها من الناحية التوضيحية للقصة وللحياة الإغريقية كما سبق التنويه .

وإذا كان تاريخ الفن لم يعرف هذه الزهريات إلا منذ فجر القرن الثامن عشر ؛ فإن دراستها وتبويبها من حيث التكوين الكلي والشكل ولون أرضيتها ولون المصورات التي رسمت عليها ، والمدارس الفنية التي عملت فيها لم يبدأ بصفة حاسمة إلا منذ منتصف القرن التاسع عشر عند ما توافرت أسباب الدرس والفحص بتوافر العدد الموجود من كل نوع منها

وأقدم الزهريات الكلاسيكية جميعاً عثر عليه في طبقات أرض ترويا Troya (Ilium) وهي المدينة القديمة في آسيا الصغرى (منطقة الدردنيل) حيث قامت الحرب سجالا بين الأمير مينيلاوس لاسترداد زوجته وبين باريس الذي اختطفها لنفسه ، كما تتضح أخبارها في إلياذة هوميروس .


من ميكينا


من العصر الروماني
في بلاد الراين (جرمانيا)

وكانت هذه الزهريات معمولة بيد الإغريقي دون الاستعانة بقرص الإدارة الذي يستعملونه حتى اليوم في صناعة الأواني الفخارية ، كما أنها كانت من الطين المحروق دون تلوين ، ذات شكل كروي أو أقرب ما يكون إليه ، يعلوه عنق أو رقبة اسطوانية غالباً ، كما برز من جانبين منها إصبعان مثقوبان للاستعانة بهما في رفعها وفي تثبيتها إلى المكان الذي تعلق فيه من حبل مار بالثقبين المذكورين بدلا من المقبضين الذين جاءا في الزهريات المتأخرة (ش ١) .

وكانت زخارفها في أول الأمر بسيطة لا تخرج عن خطوط حفرت حفراً على سطحها الخارجي حيناً ، أو لصقت بها قطع من الفخار صغيرة للغرض نفسه حيناً آخر (ش ١) .

وأبسط أشكالها على هيئة كرة ذات عنق غاية في القصر بالقياس إلى ارتفاع البدن الكروي ، زودت برسوم بارزة لحيوان أو إنسان أو زخرف من نبات (انظر الستة الأشكال التالية) .

وكان هذا النوع الجدير بالدراسة كثير الصنع فى قبرص وله أشباه فى سوريا وتيرينز Tiryns فى أرجوليس التى تخربت فى عام ٤٦٨ ق . م .

ووجدت منهـا أنواع قديمـة يرجع تاريخها إلى نحو عام ٢٠٠٠ ق . م ، ومن العجيب أن هذه مع قدمها صنعت بواسطة القرص الدائر ، علاوة على أنها كانت مزودة بنقوش ملونة بألوان غير لامعة ، وهى بهذه الصفة تشـــبه نظائرها مما وجد فى ميكينا Mycenae .

وللتفرقة بين هذه الأنواع « الـكلاسيكية » قديمها والجديد ، نجد أن أبرز الفوارق يتلخص فى أن القديمة كانت رسومها غير لامعة matt ، أما الجديدة منها (١٥٠٠ ق . م) فإنهـا قد تميزت بمـــا ظل مميزاً لـكل الزهريات ومصنوعات الفخار Ceramics الإغريقية بصـفة عامة ، ألا وهو استخدام الألوان المشتملة على الورنيش فى تركيبها Varnish—colours

وكانت الألوان رقيقة صافية نقية على سطح أملس ذى لون مائل إلى الصفرة ، بحيث يصبح اللون الزاهى والأسود الداكن على أكمل وجه من الإنسجام .

والأشـكال الخارجية للزهريات الـكلاسـيكية الإغريقية عديدة ، لم يميز مرحلتها الأولى عن سواها إلا الشكل المقوس على مقبضين جانبيين مقوسين .

وأخذت الزخارف شكل خطوط متوازنة فى اتجاهات مختلفة ومتقاطعة ، وشغلت جزءاً محدوداً من سطحها حيناً ، وحيناً آخر شغلت معظم ذلك السطح ، إلى جانب الوحدة الزخرفية المكونة من « الحلزونة » المحببة إلى نفوس الإغريق .



من العصر الحجرى المتقدم — من ميكينا — من منـدروبا

وكذلك وحدات خيالية بديعة للزهر الملتف حول سيقانه ، وزهور الماء ، والخطوط التى تسـير فى شكل موجات وأشكال أسماك ونجوم بحرية وأشكال مرجانية وصدفية من مختلف الأنواع .

وانتشر هذا الطراز من الزهريات فى مناطق عديدة نذكر منها على وجه التخصيص منطقة ميكينا والساحل الشرقى لبلاد الإغريق والجزر الإيجية وجزيرة رودس كريت . وهـذه كلها يرجع تاريخ الزهريات فيها إلى نحو عام ١٥٠٠ ق . م كما سبق التنويه



(١) من تساليا (العصر الحجري) (٢) أبريق من ميكينا — الرسم غير لامع (٣) طراز الرسوم الهندسية

وهناك نوع اشتهر باسم الزهريات الديبلونية نسبة إلى المـكان الذى وُجِدَت فيه عند أثينا Dipylon وكانت هذه أقل قيمة من ناحية الصنعة والزخرفة الفنية بالقياس إلى تلك التى وجدت فى ميكينا ، ذلك لأن الفخار الذى صنعت منه كان أكثر خشونة



(٤) من كريت (٥) من كنوزوس (٦) طراز ميكينى متأخر (من رودس)

وسطحه أكثر احمراراً ، وعملت الوحدات الزخرفيـة بألوان حمراء بُنِّية مضافة إلى الورنيش المخفف ، كما أنها بلغت حجماً كبيراً فى كثير من الأحيان ، وقد أحاطت بها الزخارف أشبه شئ بحزام التف حولها ، وتكونت من خطوط متقطعة أو متصلة وخطوط متكسرة ومجموعات من النقط ودوائر داخل بعضهـا فى البعض أو حلزونية التصميم ، أما صور الحيوان أو الطير فقد رسمت فى المناطق المربعة الشكل الخالية من الزخارف . وكانت الصور فى مجموعها غاية فى البساطة ؛ فجاءت الزهريات جافة المظهر لا حياة فيها ، على أنها من ناحية تاريخ الفن ذات قيمة لا تنكر لأنها استغرقت المرحلة الزمنية بين الزحف الدورى (١١٠٤ ق.م)

وبين القرن السابع قبل الميلاد ، وهى بهذا تعتبر الأساس الأول الذى أقيم عليه فن عظيم خالد .

وجاءت الزهريات القبرصية متميزة على الأثينية بنعومة الطين المصنوعة منه ، سطحها ذو لون أصفر فاتح ، رسمت عليها المصورات بألوان الأسود البنى والأبيض والأحمر ، لبيان الزهور الخيالية والورود الابتكارية التى تعتبر أسلوباً زخرفياً جديداً يسجل الأثر الشرقى والاقتباس من الشرق !

وإذا كانت الزهريات القبرصية قد حملت الأثر الشرقى ؛ فإن الزهريات الرودسية (نسبة إلى رودس) تظهر فى وضوح ، المهارة التى تجلت من خلال رسوم الأجسام المختلفة والتى تبين الاتجاه الفنى عند الإغريق ، وذلك بتأمل الطريقة التى اتبعوها فى ملء الفراغ بما لا يتنافى مع إظهار الصور فى أروع أسلوب ممكن برغم قيود الشكل التكوينى ؛ فنجد أن بدن الزهرية قد قسم فى مهارة إلى أقسام تفصل بينها خطوط ، وتشغل مساحاتها مجموعات من صور حيوانات منها على وجه التخصيص الوعل والماعز الوحشى والأسد واقفاً أو رابضاً كأبى الهول Spxinh . وملئت الفراغات بزخارف وحداتها من براعم الزهر أو من أشكال هندسية كالدوائر الحلزونية وغيرها مما يشابه إلى حد كبير الزخارف التى كانت عند الميكينيين .

وتطور النشاط الفنى إلى اقتباس المعانى من إليادة هوميروس والتعبير عنهـا بالصور التى رسموها على الزهريات ، وقد وجدت أسماء المصورين فى ركن منهـا ، وأصبحت كتابة الأسماء هى القاعدة فيما بعد ، فلا ترى زهرية دون اسم مصدرها إلا فيما ندر .

وكان من الطبيعى أن يصبح اسم المصور لازماً للمؤرخ الذى يريد تبويب الزهريات تمهيداً لدرسها ، فضـلا عن أنها أظهرت من ناحية أخرى تطور الحروف الأبجدية الإغريقية .

وصادفت الزهريات الرودسية بالمقارنة بغيرها من الأنواع ذيوعاً وانتشاراً فى القرنين السابع والسادس ق . م . فى بلدان ساحل آسيا الصغرى وفى الجزر المجاورة ، فازدهرت صناعتها وذاع صيتها وامتد سلطانها نحو الغرب حتى بلغ وسط إيطاليا (أترويا أو توسكانا) ، وهذا دليل قوى على ما بلغته من المستوى الفنى ، سواء من حيث أحجامها أو من حيث مادة صناعتها أو التفنن فى زخرفتها ، مما سيكون أكثر وضوحاً وأسهل تناولا فى المقال التالى .

أحمد موسى

موعـــد ...

للأديب محمد محمد على السودانى

إذا ما الروض ناجانى   بأنفـاس العبير ضحى
وغنـــانى ربيب الرو   ض صـوتاً ناعماً فرحاً
وهلـــل خاطرى للطيـــر يقفز فاتنـــاً مرحاً
بكى جفنى بكى قلبى   بكى روحى لرؤياك

***

إذا ما الغيم رف على   شـعاع البدر ثم جرى
سريع الخطو لا يدرى   إلام يواصل السـفرا
وفاض النور من أبها   ئه فى الأرض وانتشرا
مشت أحلامي الولهى   تطوّف حول مثواك

***

تعـالى ها هو المقعد   لهيف يرقب الموعد
تذكر فيك عهد الرو   ح بين غصونه الميَّـد
لهيف ضـارع ثمل   فلو ملك القوى غرد
أغار عليك من نفسى   وأرحمه لذكراك

***

سمعتك فى خرير المـا   ء جاز الصخر مندفعا
وفى أنشودة الطير   على هام الربى سجعا
وفى إطراقة الـكون   إذا ما الـكون قد هجعا
فإنك فى دمى لحن   يهدهد قلبى الشـاكى

***

رأيتك فى طيوف الفجـــر   فى أندائه السـكرى
ترفرف حولك الآما   ل والأفراح والبشرى
وفى خطراتى المشـبوبة   المذعـورة الحيرى
فهل فى ليلتى هـــذى   ترى عينى محياك

محمد محمد على السودانى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

تلقيت في هذا الأسبوع خمسة أعداد من مجلة « الإحسان » التي أصدرتها في هذا العام الجمعية الخيرية الإسلامية بحلب وهي زاخرة بالموضوعات الأدبية والاجتماعية ، يشرف على تحريرها الأستاذ حسنين حسن مخلوف المفتش بوزارة المعارف المصرية والمنتدب أستاذاً بالكلية الإسلامية بحلب ، وهو من الأدباء الذين يستهلكهم التعليم ، وقد رأيت له بالعدد الثاني فصلا عنوانه « في مجلس الرافعي » أتى فيه على محادثة جرت بينه وبين الرافعي ، أفضى — أي الرافعي — إليه فيها أنه يحب الآنسة «مى» وأنها هي التي أوحت إليه ما كتب في فلسفة الحب والجمال . وذكر الأستاذ أنه قال للرافعي في هذه المحادثة : « أكبر ظني أنك قرأت كثيراً من الأدب الأوربي المترجم في الحب ، وعرفت أنه كان سبباً في شهرة أولئك الكتاب وذيوع صيتهم ، وقد استولى على سوق الأدب في العالم تصوير العواطف الإنسانية ممثلا في المرأة ، ولقد استفاض هذا الفن ممزوجاً بالفلسفة الاجتماعية التي سرها إيحاء المرأة ؛ فأردت أن تحدث في اللغة العربية حدثاً جديداً لم يبرع فيه أحد في اللسان العربي على هذا النحو الأوربي العميق ؛ فتعلقت بأذيال هذه الكاتبة الأدبية وكان بيتها منتدى يجتمع فيه العلماء والأدباء في مصر . حضرت مجلسها ثم شغلت بها نفسك لتكتب هذا النوع من أفانين العشق ، وكتبت إليها وما بها بأس أن تكتب إليك ، فطرت فرحا بهذا الحب حتى تخيلته حباً خالصاً وتفلسفت ما شئت في تصوير العواطف منها وإليها » وقال الأستاذ مخلوف تعقيباً على ذلك : « وعز على الرافعي أن أصور حبه على هذا النحو وأدور به في هذا المنحنى ، فلم يحدثني عن حبه بعد ذلك وكان يحدث به الناس » .

ويظهر من ذلك أن الأستاذ مخلوف ، وهو من تلاميذ الرافعي يرمي إلى إبداء رأى في حب الرافعي ، فيقول بأنه حب مصنوع يقصد منه إلى إحداث لون من الإنتاج الأدبي .

وكان على مقربة مني وأنا أقرأ مقال الأستاذ مخلوف ، صديق الأستاذ كامل محمود حبيب ، وهو أيضاً من تلاميذ الرافعي ، فدفعت إليه المجلة ، وقرأ المقال ، ثم نظر إلى ونظرت إليه وأنا أتوقع معارضته لرأي الأستاذ مخلوف ، وإذا هو يضيف شيئاً آخر ، قال : لقد كان الرافعي متديناً شديد التمسك بالدين ، وكان يشعر من هذا بجفاف قلبه ، فأراد أن يرقق قلبه بالحب ، وأن يرقق أسلوبه بقراءة القصة الحديثة (الطويلة والقصيرة) وأراد أن يشعر الناس بهذه الرقة بالكتابة في الحب على أسلوب ديني ، لأن الطبيعة الدينية كانت غالبة عليه ، ولم تكن في الروح فحسب ، بل كذلك في اللغة ، إذ كانت تظهر على أسلوبه المسحة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف .

هذان رأيان في حب الرافعي لتلميذين من تلاميذه ، والرأيان — كما ترى — يتجهان إلى غاية واحدة ، هي أن الرافعي لم يكن صادق الحب . ولمن شاء بعد ذلك أن يقول إن ما كتب الرافعي في تصوير العواطف وفلسفة الحب والجمال ، ينقصه « الصدق الفني » .

فهل عند أحد من سائر تلاميذ الرافعي شيء في هذا الموضوع ؟ ...

هذه الإذاعة :

قالت مجلة الإذاعة المصرية : « يدور البحث في دور الإذاعة العالمية وفي الإذاعة المصرية في هذه الأيام حول سؤال على طرافته خطير نطرحه على مستمعينا ليشتركوا معنا في دراسته وتبين وجه الحق فيه : هل تكون مهمة الإذاعة مجاراة ميول الجمهور أم رفع مستوى الذوق العام ؟ » ثم قالت إن قسم الرغبات بدار الإذاعة المصرية مفتوح الباب لما يقول المستمعون في هذا الشأن .

وأقول إن هذا البحث لا يحل مشكلة إذاعتنا ، لأنها ليست ناشئة من مجاراة الإذاعة لميول الجمهور أو من عملها على رفع مستوى الذوق العام ، ولو كان الأمر كذلك لرضي عنها

الجمهور إن كانت تجاربه ، أو رضى عنها المثقفون إن كانت مرتفعة عن ذوق الجمهور . والواقع أنها لا ترضى عامة الجمهور فيما تزعم أنها تقدمه ملاءمة لهم ، ولا تنال رضا الخاصة بما تزعم أيضاً أنه للخواص .

إن القائمين بأمر الإذاعة ليسوا من ذوى الاختصاص ، وأكثرهم محمول عليها من المهن الأخرى ، ويلى مناصب هامة فيها من وصل إليها بغير الكفاية ، والعناصر القليلة الصالحة فيها هم بعض الشباب الذين ليس بيدهم شيء من القيادة وأكثر الذين تقدمهم الإذاعة يعرفون الطريق إلى توثيق صلاتهم بأولئك المشرفين ؛ ومثال هذا العلاقة بين مؤلفى التمثيليات والبرامج الخاصة وبين المخرجين ، فالأولون من خارج الإذاعة ، والآخرون من موظفيها . ويعرف المؤلف أن « جواز » مؤلفه أن يخرجه فلان أو يقال إنه أخرجه . وينشأ من كل ذلك تقديم غير الصالح على الصالح والتكرير الذى يمل من الحسن ويزيد السخيف سخفاً .

تلك هى العلة الحقيقية فى إذاعتنا المصرية ، وهى ما يجب أن يعالج أولا . أما مسألة النزول إلى مستوى الجمهور أو رفع الذوق العام ، فتأتى فى المرتبة الثانية . على أن هذه المسألة إن كانت تبحثها إذاعات البلاد المتقدمة فى الثقافة والتعليم فلأن لها عندهم موضوعاً ، لأنهم يتجاذبون الرأى بين مسايرة الجمهور فى ثقافته العادية وبين الارتفاع إلى مستوى ذوى الثقافات العليا ، أما عندنا فالجمهور عامى والغالبية أمية ، فهل تكون مهمة الإذاعة (الدردشة) مع العامة والإبقاء على انخفاض الذوق العام ..؟

ذكرى سيد درويش :

كان يوم الأربعاء ١٥ سبتمبر الحالى يوم ذكرى الموسيقى المصرى الخالد سيد درويش ، وقد مضى على وفاته ربع قرن فاحتفى بهذه الذكرى معهد الموسيقى الشرقى بالاسكندرية إذ أقام فى مساء الأربعاء حفلة نقلتها الإذاعة إلى المستمعين . وقد كان من حسنات هذه الحفلة ما تضمنته من قطع غنائية وموسيقية من فن سيد درويش ، فكانت خير تحية لذكراه وأفصح دليل على استحقاقه الخلود ، وإن قصر القائلون فى ذكراه فقد وفى نفسه بنفسه .

لقد جعل سيد درويش الموسيقى والغناء فناً معبراً مصوراً له موضوع ، بعد أن كان مجرد أصوات للتطريب ، واستوحى البيئة وعبر عنها وارتفع بذوقها . وأحس إحساس الفرد الممتاز بآلام الجماعة وآمالها فجمع فى الهتاف بها بين القوة والجمال ، وأثبت بعبقريته الفذة أن الفن الحقيقى هو الذى يحيى النفوس وهو يمتعها .

لقد ردد القائلون والكاتبون فى ذكرى سيد درويش مآثره وأعماله فقالوا إنه أذكى الثورة سنة ١٩١٩ بأناشيده وألحانه ، وإنه أدى على المسرح تمثيليات موسيقية كان لها أثر فى الوعى القومى والتوجيه الوطنى . ونحن الآن نسمع ذلك ونتلمس فى حاضرنا ما يشبهه ، فنأسى للرجوع إلى مجرد التسلية والتلهية ، وانحصار التجديد فى تصوير المشاعر المترفة .

ثلاثة عبروا عن الشعب وخاطبوه فأثروا فيه : سيد درويش فى الموسيقى ، وحافظ إبراهيم فى الشعر ، والمنفلوطى فى الكتابة ؛ وقد عاشوا جميعاً فى الربع الأول من هذا القرن ، أوائل فى منحاهم ولم يتكرروا .

عاشوا بأدبهم وفنهم مع الشعب ، أخذوا منه موضوعاتهم ، ولم يبعدوا عنه بالأداء ، بل جذبوه بالطلاوة والسهولة ، والروح التى يشعر بها ويجدها فيهم . لم يترفعوا عليه ، ولم يبتذلوا بالنزول إليه .

وحظ الوطن بأولئك الثلاثة وإن كان كبير القيمة إلا أنه قليل العدد ، لأنهم ثلاثة من عشرات الأدباء والفنانين البارزين ، وهذا مع حاجة الوطن إلى ما يلائم العصر من لون إنتاجهم الديمقراطى فى الأدب والفن .

شهر اليونسكو :

أشرت فى الأسبوع الماضى إلى الخطة التى وضعتها اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لتنظيم مظاهر النشاط الثقافى والعلمى والأدبى والفنى فى خلال المدة التى يجتمع فيها مؤتمر اليونسكو ببيروت والتى يطلق عليها « شهر اليونسكو » .

وأذكر اليوم أهم مقترحات اللجنة التى ألفت لتنظيم شهر اليونسكو ، وقد تمت الموافقة عليها :

تدعو اللجنة الثقافية جميع الحكومات العربية لمشاركة لبنان

في تنظيم المعارض والحفلات الفنية وسواها من المظاهر الفكرية والثقافية التي ستقام في بيروت أثناء انعقاد مؤتمر اليونسكو بها .

وتمد الحكومة اللبنانية معرضاً علمياً يمكن نقله بعد انتهاء المؤتمر إلى أي بلد عربي يرغب في ذلك . ويقام معرض تشترك فيه جميع الدول العربية يقسم إلى ثلاثة أجنحة ، جناح للتربية ، وجناح للفنون ، وجناح للمطبوعات والمخطوطات والصحافة العربية .

وتنظم الحكومة اللبنانية سلسلة من ثماني محاضرات تلقى بالفرنسية أو الإنجليزية ؛ وتختار — إذا أمكن — محاضرين عن كل قطر عربي بالاتفاق بينها وبين الحكومات العربية المختصة . على أن تخصص محاضرتان من هذه المحاضرات لموضوعي الحضارة العربية ، والنهضة الحديثة في الشرق العربي .

وتقرر إحياء ليلتين عربيتين بالموسيقى والغناء والرقص ، تحيي لبنان واحدة ، وتشترك البلدان العربية في إحياء الثانية . وتنظم الحكومة المصرية حفلة مسرحية ، وتعرض بعض الأفلام العربية الجيدة التي تصور مظاهر الحياة العامة في الشرق العربي . وطلبت الحكومة اللبنانية بوساطة اليونسكو بعض الأفلام العلمية والتربوية والثقافية من أوربا وأمريكا .

ذكرى ابن سينا :

وقد تقرر أيضاً في اجتماع اللجنة الثقافية بلبنان ، أن يحتفل بمرور ألف سنة على مولد ابن سينا . وتتخذ لذلك الوسائل الآتية :

١ — حصر مؤلفات ابن سينا ورسائله الموجودة في مكتبات مصر والأقطار العربية الأخرى وتركيا وإيران وبلاد الغرب . ثم تقوم الإدارة الثقافية للجامعة العربية بأخذ صور فوتغرافية لها ، فإن تعددت النسخ أخذت صورة أحسنها ، فإذا اجتمع للادارة الثقافية صور المخطوطات غير المطبوعة من مؤلفات ابن سينا ، استخرجت منها نسخاً بعدد الأقطار العربية والتركية والإيرانية وأهدت إلى كل قطر مجموعة منها تودع خزائن خاصة في دور كتبه تخليداً لذكر ابن سينا وإظهاراً لعظمته .

٢ — تعهد الإدارة الثقافية إلى لجنة من المختصين ، بنشر آثار ابن سينا نشراً علمياً .

٣ — تعهد الإدارة الثقافية إلى لجنة مختارة ، بفحص خير الأبحاث التي كتبت عن ابن سينا في اللغات العربية والفارسية والتركية واللغات الغربية ، وترجمة ما ليس بعربي منها إلى العربية وجمعها في كتاب تنشره الإدارة الثقافية .

٤ — إعداد مهرجان عربي يقام في إحدى عواصم الدول العربية ، ويعد له باستكتاب المختصين أبحاثاً عن حياة ابن سينا وآثاره ، ويلقى بعض هذه الأبحاث في المهرجان ثم تجمع وتطبع وقد رؤي أن أليق العواصم لهذا المهرجان بغداد ، فاستقر الرأي على إقامته فيها .

٥ — إنشاء مؤسسة تذكارية علمية تخلد ذكرى ابن سينا في الطب والفلك وغيرهما من العلوم وتنشط الحركة العلمية العربية المعاصرة .

٦ — إقامة معرض في المهرجان تعرض فيه آثار ابن سينا المطبوعة والمخطوطة لهذه المناسبة .

من طرف المجالس :

نحن اليوم في جلسة نسائية بين مطربة كبيرة وسيدة أخرى قالت الأولى للثانية وقد خلا المجلس إلا منهما :

— من هذه الست المكتئبة المتشحة بالسواد ؟

— هذه الست فلانه . مسكينة ... كانت متزوجة أحد القضاة ومات ، وتزوجت فلان بك ومات ، ثم تزوجت ..

فقاطعتها مكملة : ومات ! ثم تمصمصت شفتيها وقالت : كل من عليها فان .

عباس خضر



مساواة ضيزى :

فى مقال الأستاذ الكاتب الغيور نقولا الحداد « فصيلة المخلوقات الخبيثة » فى العدد (٧٩١) من الرسالة ، الغراء جاء قوله: هل يعلم القراء أنه مكتوب على أبواب بعض الفنادق الأمريكية « ممنوع دخول اليهود والكلاب إلى هذا الفندق » ؟

وجوابى الصريح أن هذه العبارة الأمريكية إنما تحمل من المدح أضعاف ما تحمله من القدح لأولئك الذين سماهم الأستاذ بحق — فصيلة المخلوقات الخبيثة .. ذلك بأنها تسوى — خطأ — بين اليهود والكلاب وتغض الطرف عن أمور كان يجمل أن تأخذ محلها من الاعتبار فى سياق المساواة ، وإليك البيان :

١ — قال الشاعر :

وما يك فىَّ من عيبٍ فإنى
جبان (الكلب) مهزول (الفصيل) (١)

٢ — وقال الآخر :

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة (بعيران) نرعى فى الخلاء ونعزب
وددت - وبيت الله - أنك(بَكْرة)(٢)
هجان ، وأنى (مُصْعَب) (٣) ثم نهرب !

٣ — وقال غيرها :

يغشون حتى ما تهر(كلابهم) لا يسألون عن السواد المقبل

٤ — وقال الضليل :

وجيد كجيد (الرئم)(٤) ليس بفاحش
إذا هي نصته ، ولا بمعطل

٥ — وقال :

نظرت إليك بعين (جازئة)(٥) حوراء حانية على طفل

(١) كناية عن كرمه . (٢) أى ناقة فتية .
(٣) المصعب : الفحل الذى يترك فلا يركب .
(٤) الرئم : الظبي الأبيض الخالص البياض .
(٥) الجازئة : الظبية تكتفى بالقليل من الماء عن كثيره فهى ضامرة هيفاء .

٦ — وأخيراً قيل فى الطير دع النعم :

لو اطلع (الغراب) على [يهود] (١)
• وما فيها من السوءات شابا ! ... الخ

وبعـد : فمن محصل أقوال القائلين أو بالأصح أبيات الشاعرين يستفاد أن بعض الحيوان الأعجم — وصفاً وحالا — أعظم قدراً وأنفع للناس من فصيلة المخلوقات الخبيثة . . . أولئك الذين بدت سوءاتهم للعيان فى مجازر دير ياسين وطبرية وحيفا ويافا وغيرها من رقاع فلسطين . . . وشتان بين كلب يحرسك وخبيث منهم يخونك ؛ بل شتان بين مُدر يعطى اللبن ، وبين خبيث منهم يفطم الولد ، ويبقر البطن ، ويقتل الجنين ! !

ثم ماذا ؟ ثم يبقى أن نقول إن مساواة العبارة الأمريكية اليهود بالكلاب ، وتشبيه الأستاذ صاحب المقال هؤلاء بفصائل الحيوان الأعجم هو مساواة ضيزى وتشبيه مع الفارق . هذا الذى بينت بعضه أبيات الشاعرين ، والبعض قد يغنى عن الكل وبخاصة فى مثل مقامنا ، والسلام .

(الزيتون) عرنان

إلى أبناء العروبة :

لم يعرف تاريخ مصر الحديث قائداً عبقرياً ولا مجاهداً عربياً ولا فاتحاً مصرياً دامت له عديد الأمصار ورفع علم العروبة خفاقاً فى العالمين كما عرف ساكن الجنان ابراهيم باشا — فلقد استطاع الفاتح المصرى العظيم أن يلقى على الدنيا درساً لن ننساه حتى ذهبت سيرته مثلا أعلى فى التاريخ تقرأ فى الجامعات وتدرس فى الكليات التى تخصصت فى تفهم سير الأبطال التى غيرت فتوحاتهم مجرى التاريخ . . . وها نحن أولاء على أبواب (المائة عام) التى مضت على انتقاله إلى جوار ربه راضياً مرضياً ونحن أشد ما نكون حاجة إلى إعادة مجده واستذكار فتوحاته وأعماله — فهل للعروبة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهل للقادة من رجال الفكر ألا يعملوا على إذاعة هذه الذكرى التى تعبق بتاريخ العزة والنصر ، وتفعل فى النفوس فعل السحر وتدفع بالأمة العربية الباسلة إلى أن تترسم خطاه حتى نكون من تحقيق أمله قاب قوسين أو أدنى .

محمد عبد الوارث الصوفى

(١) فى الأصل (تميم) والتغيير اقتضاه المقام ، ولا ملام !

الأمجاد ليست جمعا للمجد :

طالعت في العدد الأخير من الرسالة الغراء ما دبجه يراع الأستاذ الكبير محمود رزق سليم المدرس بكلية اللغة العربية تحت عنوان : من وحي حماة : وقد افتتح الأستاذ كلامه بقوله (لا أدرى لماذا يهزني شوقي إلى حماة ويهفو قلبي إليها كلما ذكرت وورد لساني اسمها في كثير من التقدير . وأقف عند ترديده وقفة المتأمل المستلهم . مستعرضاً على ذاكرتي لمحات تاريخها الفياض فتشرق منه في سماء الذهن ومضات من أمجادها الماضية) والذى نأخذه على الأستاذ الجليل قوله (أمجادها الماضية) : ذلك لأن الأمجاد لم ترد جمعاً للمجد ولم ير المجد مجموعاً وقياس جمعه في القلة أمجد مثل سهم وأسهم . نعم قد جاء جمع فعل على أفعال ولكن في كلمات شاذة يجب أن نقف عندها ولا نتعداها . من ذلك فرخ وأفراخ : وزند وأزناد : وفرد وأفراد : ونجد وأنجاد : أما أمجاد جمعاً للمجد فلم تذكر في كتب اللغة وإنما جاء أمجاد جمعاً لماجد أو مجيد . وفى الحديث (أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد) .

(الزقازيق) **محمد عبد المقصود هيكل**

هأنذا :

في العدد ٧٩٣ كتب الأستاذ الإشبيشى بجواز مثل هأنا بائع ولكنى هأنذا أدعوك أن تتبع كل ضمير سبق بهاء التنبيه تجد خبره اسم إشارة بطابقه ، والقرآن الكريم لم يخرج عن هذه القاعدة وكفى به شاهد صدق .

وعبارة ابن هشام لغة تأليف لاعبارة تحقيق ، ولم لا تكون مما يؤخذ عليه ؟ فلا تنهض لنهدم بها قاعدة .

وبيت البحترى لو أن الشمر وسمه أن يقول هاهوذا لكان أشد تقريباً لمخاطبته ، فلا زالت القضية من وجوب الاتيان باسم الأشارة مطابقاً الضمير المسبوق بهاء التنبيه كما يقوله من يسميهم (المتأدبين) صحيحة .

وإليك عبارة المختار : يقال أين أنت ؟ فتقول هأنذا . والمرأة تقول هأنذه . ويقال أين فلان ؟ فتقول . إن كان قريباً — ها هو ذا — وإن كان بعيداً ها هو ذاك وللمرأة إن كانت قريبة ها هى ذه — وإن كانت بعيدة ها هى تلك أهـ .

عبد الفتاح عبد الصادق الملاحسى
مدرسة الاسماعيلية الأميرية للبنات

سودنة :

ليست هى تلك السودنة التى تقشعر منها الابدان كما ذكرت ، بل هى سودنة خفيفة لطيفة ، لم تفرضها السياسة وأساليبها الملتوية ، وغاياتها المظلمة ، وإنما فرضها أمر يدل على وحدة التقاليد بين شطرى الوادى ، جنوبه وشماله ، وخاصة ذات الطابع الدينى منها ، كتلك التى تحرص على أن تشرك الابن فى جزء من اسم أبيه ، لينال كل منهما شرف إطلاق (محمد) عليه .

نشرت « الرسالة » الغراء في عددها ٧٩٢ قصيدة بعنوان (الدوحة الذاوية) وهى قصيدة كان على أن أسودنها قبل أن أدفع بها إليها فاضع بجانب اسمى (السودانى) ، ذلك لأن الأستاذ « محمد محمد على » يشاركنى أو أشاركه فى الاسم الكريم وقد سبقنى إلى الرسالة شاعراً وكاتباً ، وإلا لوجب عليه هو أن (يمصر) اسمه وأعفى أنا من هذه السودنة الخفيفة اللطيفة برغم إعترافى له بالسبق فى ميدان العلم والأدب .

محمد محمد على السودانى

من الأقاصيص القصيرة :

الخـــوخ

للكاتب الروسى تولستوى

لما فرغ القروى (تيكو كوزميت) من جولته فى المدينة ، قفل راجعاً إلى منزله يحمل فى إحدى يديه صرة صغيرة . فلما بلغ إلى صحن الدار نادى أولاده جميعاً ثم قال لهم :

— إنظروا يا أطفال ماذا بعث العم (إفريم) إليكم .!

فهرول الصغار إليه ثم توسطوه ، بينما كان — هو — منصرفاً إلى فض الصرة لإخراج محتوياتها ؛ فلما تم له ذلك ، صاح (ڤانيا) — وهو طفل صغير فى نحو السادسة من عمره :

— تأملى يا أمى التفاح الجميل ، كم هو رائع فى احمراره !

فعقب (سيرج) — الابن الأكبر — على الفور :

— ... بعيد عن الظن أن يكون هذا تفاحاً يا (ڤانيا) ؛ جرب أن تتحسس ملمسه ... ألا ترى له أثر ملمس زغب الدجاج فى يدك ! عندئذ قال الأب :

— إنه ليس تفاحاً ياولدى ... إنه فاكهة تسمى « الخوخ » أعتقد أنه لم يسبق لكم أن رأيتموها من قبل ! إليك يا امرأة أكبر الخوخات ؛ أما هذه الأربع ، فإنها لكم يا أولادى !

وفى المساء ، سأل (تيكو) أبناءه جميعاً كيف وجدوا الفاكهة الجديدة ؛ فأجاب (سيرج) ، الابن الأكبر :

— لقد وجدتها سائغة المذاق جداً يا أبت ، حتى لقد أزمعت غرس نواتها فى آنية ، لعلها أن تنمو وتثمر يوماً ... وتصبح شجرة خوخ جميلة ، تدر علي — فى سخاء — مثل هذه الخوخات المستحبات ! فتبسم الأب ثم قال :

— ربما كنت (ياسيرج) فى قابل أيامك زرعاً كبيراً !

وقال الصغير (ڤانيا) : أما أنا يا أبت ، فقد وجدتها بالغة اللذة ، فارطة الحلاوة ، حتى لقد طلبت إلى أمى أن تعطينى نصف خوختها ! أما النواة ، فقد ألقيت بها ! فهز الوالد رأسه ثم قال :

— إنك مازلت بعد غريراً يا صغيرى !

وقال الابن الثانى (ڤازيلى) :

— ... لما ألقى (ڤانيا) بالنواة ... سارعت فالتقطتها ، وقد وجدتها شديدة الصلابة ، ولكننى لم أيأس ... وعالجت كسرها حتى أفلحت فى ذلك أخيراً ؛ وكم كان اغتباطى عظيماً يا والدى ، إذ ألفيت داخلها لوزة لها مذاق البندقة ! أما خوختى ، فقد تدبرت أمرها برهة ، ثم اخترت أن أبيعها على أن آكلها ، مجتزءاً باللوزة الظريفة ... ما كولاً لذيذاً !

فضحك الأب ملياً لمقالة (ڤازيلى) ثم قال :

— إن الوقت لم يحن بعد لتبدأ أعمال التجارة يا ڤازيلى !

— أتراك تستعجل امتهان الحرفة التى تؤثر ياصديق !؟

خيم الصمت برهة ، التفت بعدها (تيكو) إلى (ڤولوديا) — ابنه الثالث — ثم قال مستغرباً :

— ... وأنت يا (ڤولوديا) ... لم تحدثنا كيف وجدت مذاق خوختك !؟ — ... لا أدرى يا والدى !

— لا تدرى ! كيف ؟ إنك لم تأكل واحدتك إذن؟ فأجاب (ڤولوديا) : لقد حملتها إلى (جوشا) إذ علمت أنه مريض طريح الفراش ؛ فلما دخلت عليه ، وجلست إلى جواره ، لم يفعل سوى أن ظل يتأمل الخوخة معجباً ، فعرضت عليه أن يأخذها ، لعلها أن تعجل شفاءه ، بيد أنه رفض ... ورفض فى إصرار ؛ فلم أجد حيلة لقسره على أخذها ، إلا أن أتركها ، وأنا — منصرف من عيادته — على نضد صغير متاخم لوسادة الرأس فى فراشه . وقد وضعتها ثمة ... فى رفق ، ودون أن يشعر ؛ ثم حييته وانصرفت .!

عندئذ جاش صدر الأب تأثراً لهذه العاطفة الكريمة ، وقال فى نبرة ناعمة حانية وهو يربت على كتف ابنه :

— إنك يا (ڤولوديا) كلك رقيق الحس ... نبيل المشاعر .!

عبد العزيز الكرداني

سكك حـــديد الحكومة المصرية

تذاكر الاشتراك الكيلومترية

يتشرف المدير العام باعلان حضرات حاملى تذاكر الاشتراك الكيلومترية أنه فى حالة تأشير المحطة على اشتراكاتهم باعتماد السفر لقطار ما ثم طرأت بعـــد ذلك ظروف تدعو لتأجيل السفر إلى قطار آخر ففى هذه الحالة يتعين على حضراتهم تقديم اشتراكاتهم إلى موظف المصلحة المختص لتصحيح رقم القطار بالمداد الأحمر مع اعتماد التصحيح بتوقيع الموظف و بختم المحطة — أما إذا عدل المسافر كلية عن السفر فيلزم فى هـذه الحالة تقديم الاشتراك إلى موظف المحطة قبل قيام القطار لالغاء هذه السفرية بالمداد الأحمر مع اعتماد هذا التصحيح بتوقيع الموظف و بختم المحطة . والمرجو من حضرات المشتركين ملاحظة أن كل تصحيح أو إلغاء لسفرية ما غير معتمد بتوقيع موظف المحطة وغير مختوم بختم المحطة لا يلتفت إليه وتعتبر السفرية كأنها تمت فعلا .

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٦ — الاثنين ٤ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 796 — Lundi — 4 — 10 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٦ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مصرع برنادوت ...

للأستاذ نقولا الحـــداد

لو كانت الرصاصة التى صرعت برنادوت عربية لقل العجب ، لأنه كان مع اليهود على العرب . ولـكن حاشا للعربى أن يغدر . حاشا للعربى أن يقتل من لا يهاجمه . حاشا للعربى أن يقتل أعزل أو شيخاً أو طفلا أو امرأة . لا يمـكن العربى أن يقتل برنادوت حتى ولو كان يهودياً !

كان العرب يحمون برنادوت وهو فى ديارهم ، ولقـد كان النقراشى باشا يبث العيون من حوله لوقايته من غدر اليهود الخونة وهو فى مصر .

برنادوت خدم اليهود : أيد التقسيم وغض النظر عن السلاح الذى كان يهرب إلى تل أبيب ، وغض النظر عن المهاجرين اليهود الذين كانوا يتسربون إلى فلسطين ، وغض النظر مئة مرة عن خرق اليهود للهدنة !

رحمه الله ! حابى اليهود كثيراً ! ولـكن اليهود كانوا يريدون أن يكتب فى تقريره بأن كل فلسطين وشرق الأردن هما حق حلال لليهود ! فلم يكتب هـكذا فقتلوه !

كان يريد تجريد بيت القدس من السـلاح ، وهم يريدونه عاصمة دولة إسرائيل فقتلوه ! كانوا يريدون مرفأ حيفا مفتوحاً على مصراعيه ، وهو يريد إقفاله ريثما تسوى مسألة فلسطين فقتلوه ! كانوا يحرمون عليه أن يبعث بتقرير عن نقضهم للهدنة إلى مجلس الأمن ، فلم يستطع أن يمتنع فقتلوه ! كانوا يريدون أن يخرج من فلسطين على الإطلاق ، فلم يجرؤ أن يترك المهمة التى انتدب لها فاغتالوه ! لمـاذا ؟ لأنه لم يكن يستطيع أن يملكهم كل فلسطين ! ما كان يجوز أن يفعله العرب ببرنادوت لأنه أوثقهم بالحبال والحديد فعله اليهود !

إن هؤلاء الأوغاد لم يعودوا يقنعون بحصة من فلسطين ، بل صاروا يطمعون فيها كلها وبشرق الأردن معها وبسائر بلاد العرب كلها . فلما مرت طائرة عربية من لبنان إلى عمان تعقبوها وأسقطوها على الرغم من أن قائدها أبلغهم باللاسـلكى أنه ينقل ركاباً مدنيين ، وكان يظنهم من رجال هيئة الأمم الرقباء قد أخطأوا فحاول أن يصحح خطأهم ، ولـكنهم كانوا أرذالا يقصدون الشر مجاناً . فحطموا الطيارة وذهب ضحيتها صحفيان ، ولا ندرى ما ذا يكون حكم الصحف التى يمثلانها ؟!

لقد ثبت أن تقرير برنادوت كان أصلح لليهود من قرار التقسيم ولـكن اليهود توقحوا فلم يعودوا يقنعون بتقسيم فلسطين ، وإنما يطمعون فى كل موضع يحتلونه ، وخاصة بعد ما رأوا أن الدولة الثعلبة العظمى قد انقلبت من الحياد المـاكر إلى جانب التقسيم الصريح ، فقوى ظهرهم حتى فى مصر ، فصار النفاج منهم ذئاباً !

ذلك أن إرهابيين تسللوا من صهيون إلى مصر وجعلوا يلقنون هؤلاء النفاج المزرائيين دروس الإرهاب والخطف والغـدر

والتحدى ، نخطفوا ثلاثة من رجال البوليس وحبسوهم فى معبدهم بحارة اليهود . وجرؤ بعضهم فأطلقوا المسدسات على الحكمدار !

هذه جراءة لم نعهدها من جبناء اليهود الأنذال قبل اليوم !

فما ذا جد حتى صارت لهم هذه الجرأة والوقاحة ؟!

لعل وحياً جاءهم من قصر شايو فى باريس أن دولة عزرائيل صارت سيدة دول الشرق فتنمروا وتنمردوا !

وإذا كانوا الآن — ولا دولة لهم — يستفحل أمرهم وشرهم هذا الاستفحال ، فما ذا عسى أن يكون إن صارت لهم دولة — لا سمح الله — وصار لهم سفير فى مصر وقنصل وبنك ، وصار لهم حاضرة أنيقة على ظهر جبل المقطم ، وصارت موطن ملاه ولعب ورقص وشرب ونصب ، وكان فيها حسان يلعبن بقلوب الكهول والفتيان ، ويستخدمن نفوذ الأكابر والأعيان ، فإذا بلغوا هذا المبلغ ، فأى حال يكون حالهم ، وعلى أى شكل يتغطرسون ، وفى أى واد يهيمون ، وفى أى سماء يسبحون ، وقانا الله شر هذا الفجور !

ترى هل تقتص حكومتنا السنية من هؤلاء الأرذال المتحصنين فى حارة اليهود القذرة ؟ وتؤدب هؤلاء الأنذال وتق المدينة شرهم وتقمع فتنتهم ، فهم على قلتهم وضعفهم قد أنشأوا شبه حكومة لهم فى حارتهم الحقيرة وأقاموا لهم فيها حرساً يمنع مرور الناس ، وإن غلط أحد المارة ودخل معقلهم الحقير (بهدلوه) واعتقلوه وضربوه وربما قتلوه !!

وهم على ضعتهم أشعلوا ثورة كادت تنتشر كالنار فى الهشيم ، وهم مسلحون بالأسلحة الحديثة وبالقنابل والمتفجرات لا يهابون قانوناً ولا يخشون بوليساً ولا يوقرون حكومة !

فإذا كانت الحكومة لا تحرم عليهم صنع المتفجرات حتى على الصبيانية منها ، ولا تطرد الخطرين منهم ، كانوا خطراً على الأمن ومبعثاً للقلاقل فى البلاد !

نرجو ألا تغض الحكومة النظر عنهم كما غضت هيئة الأمم النظر عن قتلة برنادوت !

لقد قتل برنادوت ودفن جسمه واسمه ، ودفنت معه هيبة هيئة الأمم ، وأصبح خذلان مجلس الأمن أمراً واقعاً . وقد استمرأ اليهود سياسة الأمر الواقع ، وعادوا يفعلون ما يروق لهم ولا يحسبون حساباً للعواقب ، لأن الأمر الواقع ينفى كل عاقبة !

ولقد كان ذنبنا العظيم أننا لم نجنح إلى الأمر الواقع ولا عرفنا كيف نستفيد منه !

لو ألفنا حكومة عربية لفلسطين من أهل فلسطين منذ أعلنت انكلترا الثعلبية أنها ستلغى انتدابها فى أول مايو — لو ألفنا حينئذ الحكومة العربية ، وجعلنا مكانها فى مصر أو الشام أو بغداد كما فعلت بلجيكا وهولاندا ونروج فى الحرب الأخيرة من كان يمنعنا لو كان لفلسطين حكومة عربية — أينما كانت — من أن نحتل فلسطين فعلا حالما تركتها انكلترا ؟

إن اليهود فعلوا ما كان يجب أن نفعله ، كانوا كلما ترك الإنجليز موضعاً احتلوه هم ، ولو كانت حكومة فلسطين العربية الحرة قائمة لكانت أسبق إلى احتلال حيفا من اليهود .

نعتب على الإنكليز أنهم أخلوا حيفا لليهود ، فهل كانت حكومة فلسطين على استعداد لاحتلال حيفا ومنعها الإنكليز ؟

احتل اليهود كل مكان أخلاه الإنكليز ، ونحن لم نستطع أن نحمى نساءنا وأطفالنا ، ففتك بهم أولئك الذئاب ، وفر من استطاع أن يظفر بالسلامة ! فحتام يا قوم نتبع سياسة التوانى ، ونعرض عن سياسة الفرصة السانحة ، والضربة السابقة ، والأمر الواقع ؟!

نقولا الحداد

مصر والعـــالم

فى القرن الثالث عشر الميلادى

للأستاذ عطيه الشيخ
المفتش بوزارة المعارف

كنانة الله :

أيهــا المصرى الـكريم ! إذا ادلهمت حولك الخطوب ، وا كتنفتك المحن ، وطمع الانجليز فى جنوب واديك ، وكشر الصهيونيون عن أنياب غدرهم فى فلسطين ، ومالأت هيئة الأمم ظلم أعدائك وأهملت حقك ، فلا يهولنــك الأمر ولا ترع ، فمن قبل هــذه الأقوام كانت أمتك تحتضن الدهر وهو غلام ، وتعلم الشعوب وهم رعاع ، وتحمل مشعل العلم والمدنية والنــاس جميعاً فى ظلام ، ثم قامت عروش ، وتـكونت دول ، وبادت أمم ، وتغيرت خرائط العالم مرات ومرات ، ومصر هى مصر ، كنانة الله فى أرضه ، وجامعة المبادئ الفاضلة ، وملاذ المدنيات وقبلة العالمين . اقرأ إن شئت ما قامت به مصر فى القرن الثالث عشر الميلادى وحده ، لتعلم كم لبلادك العزيزة من أياد على الناس أجمعين ، وأنها بحق كنانة الله فى أرضه .

أمة تتحطم :

جاء القرن الثالث عشر الميلادى والخلافة العباسية فى بغداد تحتضر ، ويقوم بالحـكم الفعلى فى أرضها « الأتابكة[1] » وهم أمراء سلاجقة ، تقسموا الدولة بعد موت ملك شاه سنة ١٠٩٢ ميلادية . هــذا فى الشرق ، وأما فى المغرب ، فـكانت مدن الأندلس تتساقط تساقط أوراق الخريف أمام هجمات الأسـبان حتى سقطت « قرطبة » نفسها ١٢٣٦ م وكانت دولة الموحدين فى الشمال الإفريقى قد آذنت بزوال ، كما كانت سواحل بـلاد الشام جميعها لا تزال فى أيدى الصليبيين بعد أن استرد صلاح الدين الأيوبى مدنهم الداخلية ، أما فى مصر فـكان سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك يحكمون من القاهرة مملـكة قوية ، تضم فى معظم أيامها مصر ، والنوبة ، واليمن ، وبرقة ، وأ كثر بلاد الشام وفلسطين ؛ ويمتد ملـكها من الأناضول شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً ، ومن الفرات شرقاً إلى تونس غرباً . وتعاقب على العرش فى هذا القرن الملك العادل أخو صلاح الدين « ١١٩٨ — ١٢١٩ » ثم الصالح أيوب بن الـكامل « ١٢٣٨ — ١٢٤٩ » ثم شجرة الدر زوجة الصالح ، وابنه توران شاه « ١٢٣٩ — ١٢٥٠ » ثم انتهى سلطان الأيوبيين وورثهم المماليك « ١٢٥٠ — ١٥١٧ » وكانت مصر فى هذا القرن أقوى أقطار الإسلام لاتساع مُلـكها ووفرة خيراتها ، وما انضوى تحت لوائها من ممالك وأمصار ، ولمــا فى عنصر هذه الأمة الـكريمة من حيوية يشيب الدهر من حولها ولا تزال أبداً فتية ، ولأن حكامها آنذاك ، من أيوبيين ومماليك ، كانوا قواداً عسكريين ، قبل أن يكونوا ملوكاً حاكمين نبتوا فى كنف المعارك ونشأوا تحت ظلال السيوف .

أخطار ثلاثة :

كان أعداء الإسلام فى ذلك القرن ثلاثة : هم الصليبيون ، والمغول ، والحشاشون .

(ا) الصليبيون : قضى المسلمون القرن الثانى عشر كله فى جلاد مرير مع الصليبيين ، تزعمه عماد الدين زنـكى ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبى ، وانتهى القرن الثانى عشر ومات صـــلاح الدين الأيوبى ١١٩٣ ، ولا يزال الصليبيون يملـكون سواحل الشام من أنطـاكية إلى غزة ، وقد علمتهم حروب صلاح الدين أنهم لا يستطيعون الاستقرار فى بلاد الشام ما دام فى مصر دولة قوية ، فوجهوا غزواتهم فى القرن الثـالث عشر إلى مصر ليفتحوها بعد القضــاء عليها ، وبذلك يُؤمنون مملـكة أورشليم . وكانت أول حملة صليبية على مصر فى هذا القرن « ١٢١٨ » بقيادة « جان دى برين » واستولوا على دمياط ، وأخذوا يزحفون على القاهرة ، فمات الملك العادل حزناً ، وترك أمر الدفاع لابنه الملك الـكامل الذى ورث البطولة عن أبيــه وعمه (صلاح الدين) ، فأقام الاستحكامات فى المكان الذى سمى فيما بعد بالمنصورة ، وجاءته النجدات من اليمن والشام ، والمتطوعة من سائر البلاد الإسلامية ، وانتهز فرصة فيضــان النيل ، فقطع الجسور ، وأحاطت الميــاه بالصليبيين ، ورأوا استماتة المصريين

---

(١) الأتابكة : جمع أتابك . ومعناها فى التركية الأمير الحاكم

فى الدفاع ، فطلبوا الصلح وانقلبوا خائبين سنة ١٢٢١ م .

وفى سنة ١٢٢٨ م . استطاع فردريك (أمبراطور ألمانيا وملك جنوب إيطاليا وزوج ابنة قائد الحملة السابقة جان دى برن) بحسن حيلته وبما اشتهر عنه من حب الإسلام والمسلمين ، استطاع أن يعقد مع الملك الكامل اتفاقاً على أن يعطى بيت المقدس بشرط أن يحتفظ المسلمون فيها بأماكنهم المقدسة ، وأن يساعد « فردريك » « الكامل » على أعدائه ، وأن يمنع النجدات الأوربية عن الإمارات الصليبية الباقية فى سواحل بلاد الشام ، كطرابلس ، وأنطاكية . وقد أنكر هذا الاتفاق المسلمون أشد الإنكار ، لأنه أخرج بيت المقدس من أيديهم ، كما أنكره الصليبيون لأنه حرمهم سُبل النجدات الأوربية ، وتركهم فرادى فى بلاد الشام ، يحيط بهم المسلمون إحاطة السوار بالمعصم . وقد برهن الزمن على بُعد نظر الملك الكامل إذ حفظ بهذه المعاهدة مصر من الغزو ، وكانت أمل الإسلام والمسلمين فى هذا القرن ، واستطاع الصالح أيوب بن الكامل أن يسترد بيت المقدس سنة ١٢٤٤ م وأحرق أحياءها الصليبية .

ثارت أوربا لعودة القدس إلى كنف الإسلام فجاءت حملة صليبية بقيادة « لويس التاسع » ملك فرنسا ، واحتلت دمياط سنة ١٢٤٨ م . فعسكر المصريون فى قلعة المنصورة ، وكان الملك الصالح يقود الجيش محمولا على محفة لمرضه ، واستنجد بالمسلمين فجاءوه من كل مكان ، حتى اكتظت المنصورة بالعسكر ، ورابط الأسطول المصرى فى النيل تجاهها ، ولواؤه معقود « لبيبرس » ثم اشتدّ المرض على الملك فمات فى نوفمبر سنة ١٢٤٩ ، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ، وحملته فى تابوت سراً إلى القاهرة فى جنح الظلام ، وإمعاناً منها فى الإخفاء ، كانت تمد سماط السلطان كالعادة ، وتوقع باسم السلطان على ما تصدره من أوامر ، توقيعاً مشابهاً خطه لمهارتها فى الكتابة ، وأخذت البيعة لابنه « توران شاه » على الأمراء والقواد ، وأرسلت تستدعيه من الشام سراً . مع كل هذه التحوطات من شجرة الدر ؛ علم الأفرنج فى دمياط بموت الملك ، فزحفوا إلى الجنوب براً وبحراً ، واستولوا على فارسكور ، ووصلوا المنصورة فى ديسمبر سنة ١٢٤٠ يفصل بينهم وبين المصريين بحر أشموم[1] « البحر الصغير » وبدأت المناوشات

(١) كان هذا البحر يتصل بالنيل شمالى المنصورة بنحو أربعة أميال وهو الذى اعترض الزليجف الفرنسى لعدم وجود جسر عليه .

وكان المسلمون ينفردون بمعرفة أسرار النار الإغريقية فأصلوا الفرنج بها براً وبحراً ، ولم يستطع « لويس » بناء جسر على البحر الصغير ، ولكنه وقف من خونة بلدة سلامون « غير المسلمين » على مخائض فى البحر الصغير ، فعبرته فرقة كبيرة من جيشه إلى بر المنصورة ، وفاجأت المصريين على غير استعداد منهم ولا علم ، فقتل القائد المصرى ووصل « الصليبيون » إلى أبواب « القصر[1] السلطانى » وشجرة الدر تدير المعركة بجأش رابط فأصدرت أمرها لرجال الأسطول ، فأسرعوا بقيادة بيبرس ، وكانوا نحو ألف ، وأطبقوا على الفرنج ومزقوهم شر ممزق ، وقتلوا زهرة شبابهم ، فلم يستطع الإفلات منهم إلا القليل . وكانت واقعة المنصورة هذه فى فبراير سنة ١٢٥٠ ، وبعد عشرة أيام منها وصل توران شاه إلى الصالحية ، فأعلن وفاة الملك الصالح لأول مرة ، وسلمت إليه مقاليد الملك ، بصفة رسمية ، ثم جاء إلى المنصورة وتسلم من شجرة الدر القيادة ومقاليد الأمور . وكان الصليبيون لا يزالون معسكرين بجديلة ، فى العدوة الأخرى من البحر الصغير ، والمؤن تأتيهم من دمياط بطريق النهر ، فصنع المصريون سُفناً حملوا أجزاءها على ظهور الجمال ، وأنزلوها فى البحر بعد تركيبها قريباً من دمياط ، لتقطع الطريق على جيش الفرنجة ، فقامت بعملها خير قيام ، واشتد الأمر على الصليبيين وساءت حالتهم ، ودب إليهم الجوع والوَهن ، وكانت النيران التى تطلقها عليهم حراقات المسلمين تزيد كربهم . فطلب « لويس التاسع » المفاوضة ، ولكن المصريين لم يقبلوا ، فأخذ ينسحب بجيشه فى جنح الظلام ، ولم يدر أن عيون المصريين منه بالرصاد ، فطاردوه طيلة ليله ، ولم يسفر الصباح حتى أحاطوا بجيشه براً وبحراً قرب فارسكور ، وهزموه شر هزيمة ، وقتل من جيشه ثلاثون ألفاً غير من غرق منه فى النهر . ولجأ الملك هو وخمسون من خاصته إلى قرية « منية أبى عبد الله » . « ميت الخولى عبد الله » ، وطلب الأمان فمنحه ، واعتقل بالمنصورة فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان ، وأرسلت البشائر إلى جميع الأنحاء نذكر منها على سبيل المثال رسالة توران شاه إلى نائبه بدمشق

(١) ثبت لدي بالتحرى وأيدنى فى ذلك ابن المنصورة الكريم الأستاذ الجليل « على بك الحاكم » أن ذلك القصر كان يقع فى المكان الذى تقوم فيه الآن « مدرستا المعلمات الأولية والفنون الطرزية » « ورشة مردخ سابقاً » .

« يبشر المسلمين كافة بما منّ الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لا تيأسوا من رحمة الله وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، وخلقاً لا يعلمهم إلا الله .

فلما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ، وما زال السيف يعمل فى أدبارهم عامة الليل ، وقد حل بهم الخزى والويل ، فلما أصبحنا قتلنا منهم ثلاثين ألفاً ، غير من ألقى بنفسه فى اللجج ، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرَج ، والتجأ الفرنسيس « الملك » إلى المنية وطلب الأمان فأمناه وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته ، وجلاله وعظمته .

وقد خلد الشاعر ابن مطروح ما حل بهذه الحملة فى قصيدته التى منها .

قل للفرنسيس إذا جئتـــه   مقال نصح من قئول فصيح
آجرك الله على ما جرى   من قتل عباد يسوع المسيح
سبعون ألفاً لا يرى منهم   إلا قتيـل أو أسير جريح

تخلصت مصر من هذه الحملة .. ولكن مهمتها التاريخية لم تنته بعد ، إذ كان الصليبيون لا يزالون ممتلكين سواحل بلاد الشام ، فأخذ الظاهر بيبرس بعد أن تبوأ عرش مصر ينازلهم ، حتى استولى منهم على « صفد ويافا وأنطاكية » ثم جاء السلطان خليل بن قلاون من بعد ، وحاصر « عكا » وضيق عليها الخناق ففتحها سنة ١٢٩١م ولم ينج من حاميتها أحد ، وأحرق المدينة ، فدب الخور فى قلوب الباقين من الصليبيين ببلاد الشام ، ولاذوا بالفرار ، مخلفين وراءهم قلاعهم وحصونهم ، وخلصت مصر المسلمين من شرور الصليبيين الذين دفعهم تعصب البابوات إلى هذه الحرب الطاحنة التى استمرت قرابة قرنين من الزمان ، وعاد السلطان خليل إلى القاهرة يسوق أسرى الفرنج مكبلين ، وأعلامهم من خلفهم منكسة ، ورءوس قتلاهم على أسنة الحراب (وردّ اللهُ الذين كفرُوا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

(ب) المغول : فى أوائل القرن الثالث عشر خرج « جنكيز خان » من أواسط الصين على رأس جيش من المغول ، وهجم على بلاد الإسلام ، فاستولى على التركستان ، وخراسان ، والهند وخرب مدنها سنة ١٢١٩ ، وعاد إلى بلاده بعد أن ترك البلاد التى فتحها فى أواسط آسيا وجنوبيها قفراً بلقعاً ، ثم غزا خلفاؤه بلاد فارس والعراق ، ولم تأت سنة ١٢٥٨ حتى كان « هولاكو » عاهل المغول على فارس ، قد استولى على بغداد ، وأزال ملك العباسيين وقتل الخليفة المستعصم وأفراد أسرته وعشرات الألوف من البغداديين ، فى مناظر هائلة ، ومشاهد مروعة ، من التدمير والتخريب ، وتابع سيره نحو الشام كالسيل الجارف ، والريح العاصف ، فاستولى عليها فى سرعة البرق ، وأرسل إلى مصر رسالة تهددها فيها بالغزو إن لم تخضع وتسلم ؛ وكان على عرش مصر إذ ذاك المملوك « قطز » الذى قابل رسالة هولاكو بما تستحقه فمزقها ، وقتل رسله ، وكان هذا الرجل المجاهد قد أعلن المصريين أنه لم يتبوأ العرش إلا لتخليص البلاد من المغول ، وأنه سيترك الملك بمجرد الانتصار عليهم ، فسار بجيشه لملاقاة التتار ، وقابلهم على مقربة من بيسان فى موقع يسمى « عين جالوت » ولأول مرة ذاق المغول على يد المصريين هزيمة منكرة فروا على أثرها هاربين إلى ما وراء نهر الفرات ، واستطاعت مصر أن تؤدى رسالتها التاريخية فى حماية المدنية الإسلامية .

ولما تولى عرش مصر « الظاهر بيبرس » بعد قطز أخذ يعمل على إعادة الخلافة العباسية ، وإرجاع المغول إلى ديارهم .

ولتحقيق الغرض الأول ، استدعى أحد أبناء العباسيين إلى القاهرة ، ونصبه خليفة ، ولقبه « المستنصر بالله » وبقيت هذه الخلافة العباسية فى مصر حتى فتحها العثمانيون .

ولتحقيق الغرض الثانى سار على رأس جيش كبير وعبر نهر الفرات على ظهور الخيل ، وأوقع بالمغول هزيمة شنيعة ، وطردهم من تلك الأصقاع .

يئس المغول من التغلب وحدهم على مصر ، فأخذوا يراسلون (بابا) روما ، وملوك أوربا ، لإرسال حملة صليبية ، تشاركهم فى محاربة المصريين ، وكان ذلك فى أيام السلطان « قلاوون » « ١٢٧٧ — ١٢٧٠ » فسار إلى المغول وهزمهم هزيمة منكرة عند « حمص » لا تقل عن هزيمتهم فى « عين جالوت » كما أن السلطان خليل بن قلاوون قد حارب المغول واستولى على كثير من قلاعهم ، وبذلك قضى على الخطر المغولى المهدد لمصر قضاء تاماً .

طاغـــور وغاندى

بين الشرق والغرب

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

(تتمة)

لم يجد غاندى فى مقاطعة الهنـد للغرب وعدم تعاونها معه ما يستوجب فزع طاغور وخوفه على الوحدة العـالمية ، لأن مساوئ الحضارة الغربية وضلالاتها ، واستعمار الغربيين البغيض للشعوب الضعيفة ، واستغلالهم الشره لمواردها الطبيعية ، تزهد الهند من ناحية فى أن تقيم أية علاقة تربطها بهذا الغرب المادى الطاغى ما دام التعاون معه يعرضها لأخطار مدنية لا تعرف إلا صالحها ، ويعطى فرصة للدول الاستعمارية لأن تستغل مواردها المتنوعة من دون الشعب صاحب الحق فى الاستفادة منها ، ويجبرها من ناحية أخرى على أن تعتزل العالم ، وتقطع علاقاتها بتلك الأمم التى تفسد عليها حياتها المـادية والمعنوية ، وعلى أن تستغنى عن خدمات الغرب وتعتكف فى نفسها تستجمع قواها وتجدد نشاطها وتبعث مواهبها وتشحذ ملـكاتها ، وتنهض بمستوى الشعب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والروحية ، وتخلصه من الجهل والبؤس والخوف ، وتسـمو بنزعاته الخلقية ، فيقدر أن يقوم بواجبه نحو الهند والهنود . وحينئذ فقط يطلب من الهند أن تساهم فى تأسيس الدولية العالمية ، وأن تفنى فى العـالم ، لأن الشعب المتحد القوى المثقف أقدر على تكوين هذه الوحدة من الشعب المفكك الجائع الجاهل الخائف . ومن صالح الهند والإنسانية جميعاً أن تعيش الهند لنفسها أولا ، حتى تتحد وتتقوى مادياً ومعنوياً ، وتتطهر من كل نقص وضعف قبل أن تبذل أى جهد فى خدمة الإنسانية ، أو تسمى لأن تلاشى كيانها فى العالم .

وكان غاندى مخلصاً لمبادئه ، فشجع الهند على أن تعتمد على نفسها فى رقيها ، حتى لا تأخذ من الغرب شيئاً . وعمل على أن يتبع الهنود نفس الأساليب الاقتصادية الهندية القديمة لتدعيم الحياة الهندية المادية ، واهتم بأن يستمينوا بالثقافات الأسيوية التى

---

(٢) الحشاشون أو الباطنيون : أسـس مذهبهم الحسن الصباح فى أوائل القرن الثانى عشر ، وكونوا فرقة إرهابية فى بلاد الإسلام ، لها حصون ومعاقل منيعة ، تمتد من خراسان إلى سواحل بلاد الشام ، وتعيث فى الأرض فساداً ، وكانوا كما يقول أحد المؤرخين « أداة رائعة للقدر كالوباء والحرب ، كارثة على الملوك الضعفاء والشعوب المتحللة » .

وكم سفكوا من دماء بريئة ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وتآمروا بملوك وسلاطين مع ترويج لعقيدتهم الزائفة التى يقول فيها الإمام الغزالى « مذهب ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر المحض ، ومَفتتحه حصر مدارك العلوم ، فى قول الإمام المعصوم ، وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق ، لما يعتريها من الشبهات ، ويتطرق إليه النظار من الخلافات ، وإيجاب طلب الحق بطريق التعليم والتعلم ، وأن كل زمان فلا بد فيه من إمام معصوم يرجع إليه فيما يستبهم من الدين . والمنقول عنهم الإباحة المطلقة ، ورفع الحجاب ، واستباحة المحظورات واستحلالها ، وإنكار الشرائع » .

اتخذ هؤلاء الأشرار عاصمتهم (حصن مصياب) فى بلاد الشام بالقرب من طرابلس ، وحاولوا غير مرة قتل صلاح الدين وتحالفوا مع الصليبيين على المسلمين ، وظلوا فى شرورهم المـادية والمعنوية ، عوامل هدم للدنيا والدين ، إلى أن سير الظاهر بيبرس حملة إلى بلادهم سنة ١٢٦٩ حاصرت قلاعهم واقتحمتها وفتحت (حصن مصياب) ومزقت الباطنية كل ممزق ، فانهار نفوذهم ، وأصبحوا شراذم لا أهمية لها ، وانتهى على يد المصريين أمرهم ، وطهرت الدنيا من أرجاسهم .

أيها المصرى الكريم ! هذه أعمال بلادك فى قرن واحد ، سحقت جيوش المغول المدمرة ، وحملات الصليبيين الجـائرة ، وخزعبلات الباطنية الفاجرة ، منتصرة بذلك على كل ما فى آسيا وأوربا ، من جند وعدة وعتاد ، فهل يخامرك بعد الآن شك فيما ينتظر بلادك من مجد ، وما سيلاقيه الفهيونيون من هول وذل . أرجو أن تكون متفائلا بالمستقبل ، عالماً أن مصر كالهرم والمقطم والنيل ، تقوض العروش وتزول الدول ، وهى هى تفنى الفناء وتمىي المياه .

عطيه الشيخ

مرت بالهند فى ابتكار حضارة روحية هندية فتية تصون مقومات الهند وتخلو من مفاسد المدنية الغربية . فرد أولا على لوم طاغور فى اتخاذ الهنود المغزل اليدوى وسيلة للتكسب بأن ملايين الهنود يوشكون أن يموتوا جوعاً لأنهم لا يجدون عملا يرتزقون منه . فالفقر هو الذى أرغم الهند على أن تستخدم المغزل العتيق كوسيلة تكفل العيش لشعب فقير . بينما كان ما ينادى به طاغور من ضرورة تمسك الشعب بتعاليم الدين وسعيه فى تحقيق ذاته حتى يتجلى الله فى القلوب ، لا يمكن أن يشبع جائعاً ، وأن الله لن يتجلى لشعب يتضور جوعاً إلا فى صورة العمل والطعام الذى يتقاضاه أجراً عن هذا العمل ، فإن أناشيد طاغور الشاعرية الدينية لا يمكنها أن تسكن آلام الجائعين أو تغنيهم عن عمل يستطيعون به أن يجدوا ما يأكلون .

إن المغزل هو الذى ينقذ الهند من قسوة الفقر وآلام الجوع ويمهد لاستقلال حياة الهند الاقتصادية ، ويغنى الهنود عن خدمات الغرب المادى الجشع ، فعلى طاغور أن يغزل مثله فى هذا مثل أى هندى ، ولا يمارض ، لأن الغزل والنسج فريضة دينية يشرعها الواجب الوطنى على الهنود .

ورد غاندى ثانياً على نعت طاغور الهنود بضيق الأفق وضعف المدارك لتحيزهم السقيم للثقافات الأسيوية بأنه لا يمانع فى معرفة الشعب الهندى لأية ثقافة كانت ، ويود لو تترك دراسة جميع الثقافات حرة فى الهند سواء أكانت أسيوية أم غربية من غير أن تحاول ثقافة من الثقافات أن تفرض سيادتها على الثقافات المحلية ، وتدعى الرقى والرفعة ، وتقضى على كل ثقافة تنافيها ، وتزعم أنها تحاول أن توجد ثقافة موحدة ، وتتحكم فى الحياة الثقافية فى البلاد . فالمستعمر الإنجليزى يلزم الهنود تعلم اللغة الإنجليزية ويتهاون فى تعليمهم لغات البلاد ، ويضع لهم برامج ثقافية جميع موادها العلوم الغربية وتغفل الثقافات الأسيوية وهى أحق بالأولية من دراسة أى ثقافة غربية ، لأنها تلائم المزاج الهندى ، وتعرف الهنود مواضع القوة فى روحهم ، وتساعدهم على تأسيس ثقافة جديدة حية تعبر بصدق عن التفكير الهندى . فما أمر غاندى بمقاطعة الثقافة الغربية إلا ليعطى فرصة للثقافات الأسيوية لأن تثبت وجودها فى الحياة التعليمية فى الهند ويحمى اللغات القومية والتراث الوطنى من الضياع والنسيان

* * *

لم أقصد من عرض مناقشات طاغور وغاندى حول تآزر الغرب والشرق أو عدمه أن أقف بينهما حكما أفضل عالمية طاغور على وطنية غاندى ، أو أوازن بين واقعية غاندى ومثالية طاغور . وإنما قصدت أن يستفيد العالم العربى ، وهو فى ظروفه الحاضرة الملبدة بغيوم الشك وسحب الارتياب ، من غدر الغرب وسوء نيته ، وأن أرجع للأذهان مجادلة بين شرقيين عريقين فى الروحية أحسا بما نشعر به من انفعالات نحو الغرب ، أحسب أنها تفيدنا فى وضع خططنا العامة الدولية . فطاغور المفكر الإنسانى قد بين للشرق ما يجب أن يصبغه من روحية على ما يأخذه من الغرب من علوم وفنون وجد ونشاط ، وما يجب أن ينبذه من مادية وأنانية وحب للسيطرة وإمعان فى الإباحية واستهتار بالقيم الروحية . فلو سرنا على هديه لأخذنا من الغرب زبده ، وتركنا أوساخه وأقذاره ، ونهجنا السبل القديمة فى تكوين حضارة جديدة طاهرة تؤسس على روحية الشرق ونبوغ الغرب فى العلوم والفنون ومهارته فى العمل .

أما غاندى الزعيم الوطنى ، فقد علم الشرق كيف يحارب أنانية الغرب وغروره بغير عنف أو إيذاء ، ويتخلص من ضلالاته من غير حقد أو بغض ، ويستعين بأبعد الأسلحة عن العنت وإثارة الحقد ، ويتخذ من أقرب القوى إلى الحب والتسامح ذريعة فنالة لنيل المآرب القومية . فلو سرنا على هدى غاندى فى مقاومته السلبية السلمية ، وقاطعنا الدول الغربية ، وحاولنا أن نلم شملنا ، ونقوى من تماضدنا لأرغمنا الغرب على طلب التعاون معنا ، ولتنازل عن غروره وكبريائه ، وسلم بضرورة رد جميع حقوقنا التى سلبها منا عنوة وغصباً .

فكل من طاغور وغاندى قام بدور هام فى حياة الإنسانية ؛ فقد خدم طاغور الهند والشرق بل والعالم أجمع بسعيه فى ضم أشتات الدول المتخاصمة ، وتأسيس وحدة عالمية لها ثقافة واحدة لا حياة واحدة ، كما خدم غاندى الهند والشرق ، وعلمهما كيف يتسلحان بالطرق الروحية فى مقاومة مادية الغرب ، وجعله يشعر عملياً بأن أنانيته لن تفيده شيئاً ، بل تؤذيه وتضر بمصالحه ،

وأجبره على احترام الشعوب الشرقية واحترام حقها فى المساواة بالشعوب الغربية . وهذه السياسة الغاندية تجمع بين تقوية الهند وردع الغرب ، وتمهد فى نفس الوقت لإقامة وحدة عالمية بطرق عملية . فغاندى لا يختلف عن طاغور فى هذه الناحية وإن بدا لنا وطنياً . وذلك لأنه آمن بأن إحياء وطنه أمر أساسى لاتحاد العالم ، لأن الوحدة لن توجد لها قائمة ما دام هناك دولة تستعبد دولة أخرى .

يجب أن تتحرر شعوب العالم جميعاً أولا ، ثم نعمل بعدئذ على توحيد العالم .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أبو خليـــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

للأستاذ حسنى كنعان

كان ذلك منذ خمس وتسعين حجة على وجه التقريب ، وفى أمسية من أماسى الربيع الضاحك الزاهى جلس « محمد أغا آقبيق » والد النابغ الدمشقى أحمد أبو خليل القبانى فى حقوة داره الكبيرة ذات البحرة الدفاقة المعروفة فى حى الشاغور ، يستقبل وفود المهنئين من وجوه الحى وأعيان الشام بمناسبة احتفائه بختم ولده القرآن من فاتحته إلى خاتمته .

وكان فى صدر الدار من الوافدين مفتى الديار الشامية الشيخ محمود حمزة وعالمها الأوحد الشيخ بكرى العطار ، وكلهم مغتبط مسرور بحفاوة رب الدار بهم وإكرام وفادتهم . وكان من عادة السامرين فى هذه المجالس أن تكون الأحاديث فيما بينهم جميعها تدور حول امتداح المحتفى به على سبيل المجاملة ، وإدخال السرور على فؤاد والده ، وإيناسه وإثلاج صدره ، فشرع الكل يطرى ذكاء أحمد ويمتدح نشاطه وشدة ميله إلى الدراسة والتعلم . فقال مفتى الشام فيما قال :

إنى لأعجب يا حضرة الأغا المعجب كله لشدة ذكاء ولدك هذا ؛ إنه إلى حداثة سنه وصغر مداركه أراه لا يترك حلقة من حلقات التدريس التى يعقدها علماء الشام فى المسجد الأموى إلا قصدها وكان من روادها . إنه لا يترك المسجد ساعة من نهار إلا فى أويقات الطعام ؛ فرواد الحلقات على كثرتهم وميلهم لطلب العلم لم أر بينهم من يفضله فى ذكائه واجتهاده ونشاطه . إنه لا يحل حبوته أمام شيوخ الحلقات ، فلا يكاد ينتهى شيخ من درس حتى زحف إلى شيخ غيره ، وهكذا يظل سحابة يومه كالطائر الغرد يتنقل من فنن إلى فنن ، ومن دوحة إلى دوحة ، يجتنى من الأغصان والأدواح الباسقة أطيب الثمار وأشهى الفواكه ، حتى ينصرف شيوخ الحلقات وروادها ويقفر المسجد ، وتتعطل لغة التدريس فيه . ولما سكت المفتى عقب الشيخ العطار على حديثه قائلاً :

أضف إلى هذا أنك تراه فى الحلقات دائماً يكثر من تحريك أصابع يديه ورجليه ويكثر من التنغيم والترنيم همساً فى فمه ، وكثيراً ما يسترسل فى عمله إسترسالا يجلب إليه النظر ، فيبادر من بجانبه من صحبه وهو ساهم غائب عن الدنيا والعالم يفكر فى شىء غير الدرس ، فينبهه ويفهمه أنه فى المسجد وفى الدرس ، لا فى الملهى والمسرح فينتبه فوراً ويصغى .

ولعل لهذا الفتى ميلاً خاصاً لأشياء أخرى غير ميله للدروس العلمية والفقهية ، وإن صدقتنى فراستى فولدك هذا لا بد أن يتردد على مجالس الموسيقى ويعاشر الموسيقيين . فهل يسمع أحداً من أرباب هذه الصناعة ، أم أن هناك ميولاً فطرية فى طبعه أثرت عليه ، فولدت فيه هذه الناحية ؟

وكان الأب مغتبطاً مسروراً بما يسمعه عن ولده من مدح وثناء ، وقد طال سكوته وإصغاؤه لمثل هذه الأحاديث السارة البهجة دون أن ينبس .

وبعد تفكير عميق قطع حبل صمته قائلاً : ولهذا أراك تكثر يا أحمد من إرتيادك مقهى المارة الكبيرة ، فبحق عليك هلا أخبرتنى عما تفعله هناك . واستحيى الفتى واصطبغ لون وجهه بالحمرة وكلل العرق جبينه وغدا كأنه صنم من الأصنام لم يحر جواباً ولم يتحرك ...

وكان هناك فى الحفلة خال له يعطف عليه ويحبه حباً جماً ويعرف روحاته وجيآته ، وهو واقف على أسراره الوقوف كله . فالتفت إلى أبيه قائلاً :

أجل إنه يؤم حى العمارة كل ليـلة ويسمر هناك فى المقهى الكبير مصغياً إلى أهازيج «الـكركوزاتى» على حبيب ، ويشهد محاوراته مع الصور الخيالية المؤلفة من رسوم عنترة وعبلة والمهلهل والزير والزناتى خليفة والملك الظاهر ، وغيرهم من أبطال القصص التاريخية الخيالية الموضوعة لإلهـاء الدهماء عن البحث فى أمور لا تعنيهم فى عهد الفاطميين .

وأزيدك يا عم علماً أنه يذهب فى كل أسبوع مرة أو مرتين إلى مكان خصصه ابن السفرجلانى وابن النبرة والأدلبى وغيرهم ممن لهم ميل خاص فى الموسيقى والأهازيج ، ليتمرنوا هناك على الغناء والتمثيل .

ولقد فاجأته أكثر من مرة وهو منفرد فى حجرته يقلد السيد على حبيب فى مخاطبته عبلة بأشعار عنترة ، ويمثل دلال عبلة على ابن عمها عنترة كما يفعل « الـكوكرزاتى » على حبيب خلف الشاشة البيضاء التى أخفى الصور الخيالية خلفها ونثرها على ضوء المصباح الضئيل ، وأصغيت إلى صوته الشجى عند ما كان ينشد قول الفارس العبسى المدنف فى حبيبة قلبه وفاتنة عقله يخاطبها بقوله :

هلا شهدت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمى
ينبئك من شهد الوقيعة أننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ولما شعر بوقع أقدامى صمت بمقدار ما اتضح له أنه واهم ؛ ثم تابع إنشاده بنغمة غـير سابقتها واستشرى صوته فى القاعة بدوى ؛ وكان يشير بيديه كالمعتوه الذى خولط فى عقله صائحاً :

وسيق كان فى الهيجا طبيباً ... يداوى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان ... لـكان بهيبتى يلقى السباعا
أنا العبد الذى خبرت عنه الخ ...

فلم أستطع الصبر على تركه وحـده فى القاعة هكذا يخاطب نفسه كالمجانين ، وإنمـا فتحت عليه الباب الموصد ودخلت فجأة فأسقط فى يده وسكت . فصحت به ما هذا يا ابن أختى ؟ ما الذى تفعله ؟ تقلد « الـكركوزاتى » ! ! أين « كراريسك » ودفاترك وأين كتبك وهنواتك الدراسية ؟ أهذه هى الدروس التى تعلمتها فى المسجد على مشيخة الشام ونخبة علمائها ؟ تلهو بالقشور وتترك اللباب إنك والله لمن الخاسرين الذين يضيعون مواهبهم وذكاءهم فى أمور مخزية . ماذا يقـول الأغا والدك غداً إذا علم بنزعتك هذه ؟ فما كان منه إلا أن جبهنى بقوله : أنا حر فى تصرفاتى ، وليس لأحد على سلطان . فأنا إنما أبنى لأهلى وبنى قومى مجداً مؤثلا فى ارتيادى هذه الناحية . وسـترون منى ما يدهشـكم من الأعمال الباهرة التى سأقوم بها خدمة للفن أنا وصحبى .

وكان المفتى يصغى مطرقاً إلى حديث الخال المحترم ، وعند ما سمع هذا الحديث عن تلميذه الذى كان مكبراً فيه ذكاءه النادر ومواهبه الفذة ، فلمس فيه هذه الناحية التى تخالف مبدأه الدينى ونزعته الصوفية ، لم يطلب المقـام له فى تلك الحفلة النادرة بعد الذى سمعه ، نخف من المجلس على الأثر وهو يتمتم : أعوذ بالله ! تمثيل ... موسيقى ... غناء ، على حبيب ! إن هذا المنكر لا نطيق سماعه ، ولا نطيق السكوت عنه ، أنت يا أحمد مطرود من الدرس منذ الليلة .

قال الشيخ قوله هذا وزحف على قدميه وقد كور جبته وراء ظهره وعقد يديه فوق الجبة واستلم باب الدار دون أن يودع الحاضرين إستنكاراً للأمر وتظاهراً بالورع والتقوى ...

فتبعه الشيخ العطار وقفى على أثرهما بقية من فى الدار من الوجوه والأعيان ، وتقوض المجلس وخلا من سماره . وكانت هذه المحنة حافزاً للأب على الإيقاع بولده وغضبه عليه وهجرانه إياه .

بقى الفتى يقاسى فى نزعته الفنية ألم الحرمان والغضب وانقطاع الوشيجة بينه وبين والده وأفراد أسرته مدة حتى توفى الله الوالد وانعتق الفتى من أسر الرقابة وأصبح مالك نفسه وحاكم أمره ، وكان قد بلغ سن الرشد فانقطع لخدمة الفن وتفتحت براعم عبقريته وأمسى يصل ليله بنهاره ونهاره بليله دأباً على التلحين ونظم القصائد والموشحات . وقد ساعده على الإجادة فى النظم ما كان قد أخذه عن شيوخه من قواعد اللغة والنحو والصرف حتى قال فيه أحد شيوخه لو ظل هذا الفتى مثابراً على الدرس لتحدثت الشام عن علمه زمناً طويلاً ، كما قال أحد الخلفاء العباسيين فى إسحق الموصلى : لولا نزعته الموسيقى لوليته القضاء .

(للبحث تتمة) ... حسنى كنعان

في موسم الحج :

أبو نواس يحج !

للشيخ محمد رجب البيومي

شغل الحسن بن هانىء أذهان معاصريه ، فقد كانت سيرته ذائعة شائعة يتناولها الظرفاء متندرين معجبين ، ويتناقلها الزهاد لاعنين ناقمين ، وهو لا يفتأ يضرم النار ويشعل الوقود بما ينظم من شعر ماجن يتردد صداه في كل ناحية ، ويترنم به الحداة في كل ركب . وكثيراً ما يشفع القول بالعمل فيلجأ إلى الديارات الخليعة ويتصدر الأندية الداعرة ، يعب الخمر وينادم المرد ، ويقود الأسراب الطائرة إلى منابع السكر ، حيث تتجاوب الأوتار ، وتدور الكؤوس ، ويترأس أبليس الحفل ، فيفتح باب الغواية على مصراعيه ، ويوسوس لكل ماجن بما يسيء المروءة ، ويغضب الخلق الكريم .

وشاعر هذه نشأته وسيرته لا يمكن أن يفكر يوما من الأيام في الحج ، بل ربما نفر منه ودعا إلى حربه ، حيث لا يعود عليه بفائدة مما يبتغيه . وإذا كان شعراء الغزل في الدولة الأموية قد وجدوا في هذا الموسم الحافل معرضاً فسيحاً للجمال الفائق ، فخفوا إلى التمتع ببدائعه الفاتنة ، فإن الحسن لا يجد به مآربه المشتهاة ، فهو يناغي المرد الحسان ويهيم بالخمر المعتقة ؛ أما أسراب الغيد الطائرة حول البيت العتيق فلم تتمكن شباكها الخاتلة — بعد — من اصطياده ، ففيم السير إلى مكة ؟ وعلام يتحمل الشاعر في سفره المشاق؟ بل إنه سئل عن موعد حجه فقال مستهتراً كعادته « إذا نفدت لذات بغداد[1] » وهيهات أن تنضب موارد اللهو في دار السلام !

ولكن الثابت في التاريخ — على رغم ما تقدم — أن أبا نواس قد حج البيت المكرم فطاف مع الطائفين ، ولبى مع الملبين ، وقد غمره شعور سماوى هيمن على عواطفه فأنطقه بتسابيح خالدة ، تستمد نغمها الحلو من قيثارة فاتنة ، فكيف تسنى ذلك لأبي نواس؟ وكيف ينبع في الصحراء الموحشة نهر دفاق ملىء؟ سؤال يتطلب رداً مقنعاً . ولعل الإجابة تظهر في تاريخ الرجل ، فقد شاء له حظه العاثر أن يهيم بجارية تمقته وتزدريه ، وترسل قذائفها المحرقة فوق رأسه ، وهو سليب العقل ، طائر الفؤاد ، يسير وراءها أنى سارت ، ويبعث خلفها الرسل يستعطفون منها قلباً جامحاً ، لا ينبض برحمة لهالك ، ولا يستشعر حناناً لمدنف . ولقد كان هذا عجيباً منه أى عجيب ، فقد اشتهر طيلة حياته بمجانبة الغيد ، فكيف يتورط إذن في هذا الحب الجديد ؟

كانت « جنان » جارية عبد الوهاب الثقفي ساحرة فاتنة ، ذات وجه أزهر صبيح ، إذا تأملته تعاظمك الإقرار أنه من البشر — كما يقول الحسن — تجمع إلى دل الحديث وسحر الملامح ذكاء وقاداً ، وفهما عميقاً للشعر الرفيع ، ورواية واسعة للأدب ، وقد خطرت ذات عشية أمام الحسن فأخذت عقله من مكمنه ، ونقشت صورتها في مهجته ، فترك عصابته الماجنة ، وسار يتعقبها في كل مكان تحل به ، فإذا كان في البصرة عرس واجتمعت النساء ، خرج يتلمس صاحبته في اهتمام بالغ ، فإذا وقعت عينه عليها لم يطق أن يسارقها النظر بعض الوقت ، فيخفض رأسه حزيناً باكياً إلى الأرض ، ويهيم في آفاق خياله فيعقد موازنة شعرية بين « جنان » وعروس الحفل ، وطبيعي أن يحكم بتفوق صاحبته في مضمار الحسن والملاحة ، ثم هو لا يكتم ذلك ، بل يعلنه على الناس إذ يقول :

شهدت جلوة العروس جنان ... فاستمالت بحسنها النظارة

حسبوها العروس حين رأوها ... فإليها دون العروس الإشارة

وإذا قام في البصرة مأتم حزين وهرعت العذارى إليه كعادتهن ترك الشاعر ما يملأ سمعه من النواح والعويل ، وأخذ يتلمس صاحبته في موقفها الدامع ، ويسبح في آفاق تفكيره ، فلا يوازن بينها وبين عذراء ممن شاهدهن كما فعل يوم العرس ، بل يجعل الموازنة بينه وبين الميت الفقيد . ولا غرو فقد قتله الحب فهو جدير بأن تبكي عليه صاحبته كما تبكي الآن على الراحل النازح ، ثم هو يبلغها ذلك في شعر رقيق هادىء . اسمعه إذ يقول .

---

(١) قال أبو نواس :

وقائل هل تريد الحج قلت له ... نعم إذا فنيت لذات بغداد

يا قـــبرا أبرزه مــأتم يندب شجوا بين أتراب
يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعنـــاب
لا تبك ميتـاً حل في حفرة وابك قتيلاً لك بالبـــاب

وكانت « جنان » تعتقد خاطئة أن أبا نواس غير صادق في حبه لأنها تعرف عنه خلاعته وادعاءه ، فكانت تسبه وتؤذيه وتطمنه في رجولته ، وتنال من كرامته كل منال ، ولم تصف له غير حقبة يسيرة مرت في حياة العاشق مرور الطيف ، وتركت وراءها طوفاناً جارفاً من السهد والدمع . وكأن الله عز وجل قد أراد أن يؤدب الحسن بهذا الحب ، فقد خلع كبرياءه وغروره وترك وقاحته وهُجره ، ثم هام كالشدوه على وجهه ، فإذا سأل عن جنان قوبل بما يكره من الأنباء الصاعقة ، والأخبار الفاجعة وهو في كل دقيقة يتجلد ويتصبر . وقد يدق شعوره فيتصور سبابها المقذع تكريماً جليلا لشخصه ، لأنها تذكر اسمه لا محالة ، وفي هذا غنم كبير يساق إليه بلا حساب ، اسمعه يقول :

أتاني عنك سبك لى فسبي أليس جرى بفيك اسمي، فحسبي
تشابهت الظنون عليك في ذا وعلم الغيب منـــه عند ربي

وليت شعري لم يذكر اسم ربه في هذا الموضوع وقد نسيه قبل ذلك ؟ أيكون الحب قد جذبه قليلاً إلى روضة الإيمان ، أم أنه الضعف البشري يتسلط على المرء فيلجئه إلى الاستعانة بربه ، وإن تقطعت السبل ، واستبهم الطريق .

ولقد تطايرت الأنباء إلى العاشق المدنف أن «جنان» ستحج مع مولاها إلى مكة وذهب الحسن يتأكد من النبأ ويستوثق من مصادره العليمة ، فعرف أنه حق لا مرية فيه ، ومن ثم فقد أعد العدة ، وأعلن لأصحابه أنه سيخف إلى مكة في قافلة صاحبته . ولم يدهش البصريون لحج الشاعر ، فهم يعلمون أنه يقصد به غير وجه الله . ولقد كان يتتبع صاحبته في كل مكان لهتنزك بالبصرة ، فلا عليه إذا واصل مراقبته الدقيقة في مكة ، مهما كلفه ذلك من صحته وماله . والطريف أنه لا يقبل أن يترك الناس في حيرة من حجه الفاجيء ، بل يكشف اللثام عن باطن سره إذ يقول :

ألم تر أنني أفنيت عمــــري بمطلبها ومطلبها عسـير
فلما لم أجد سبباً إليها يوصلني وأعيتني الأمــور
حججت وقلت قدحجت جنان فيجمعني وإياها المسـير

وأنت لو قارنت بينه وبين ابن برد لأدركك العجب من ثبات بشار وخفة الحسن ، فقد خدع الأعمى قومه حين زعم أنه سيحج تائباً إلى ربه واتجه في أيام الحج إلى « زرارة » وأقام بها مع أحد أصحابه ، ثم رجع مع العائدين من مكة في يوم واحد ، وجلس يتقبل التهاني ، ويقص الأحاديث المسهبة عن زمزم والحطيم ، دون أن يفضح نفسه بكلمة واحدة ، حتى أماط صديقه القناع ، فكشف أمره أمام الناس في أبيات فاضحة (١) ، أما أبو نواس فهو لا يريد أن يلبس على القوم حقيقته ، فيتستر بالورع والنسك ، ويدجل بالطواف والتلبية ، بل يذيع شعره الصريح على الناس في جرأة واستخفاف . ومتى اهتم الحسن بالجمهور ، وقد جانب الحجة ، وخلع المذار !!

ولقد ظهرت براعته العجيبة في مكة حيث عرف فتاته في لجج طاغية من الزحام الحاشد ، فجمل يتبعها خطوة خطوة ، ويتعقبها في طوافها تعقباً يدعو إلى الغرابة والدهشة . ومن حيله الماكرة أنه التمس تقبيلها للحجر الأسود فقبله معها في وقت واحد ، وطاف بخده على صفحة وجهها الفاتن ، وقد شاهده في هذا الوضع المريب محمد بن عمر الجاز فصاح به : « ويحك ! في هذا الموضع لا يزجرك زاجر ، ولا يمنعك خوف الله ، ولا يردك حياء من الناس؟ » فقال له الحسن « يا أحمق ، وهل جبت قطع المهامه والسباسب إلا للذى حججت له ، وإليه قصدت » ، ثم شاد شيطانه الداعر أن يكشف حيلته للناس ، فقال هذه الأبيات

وعاشقين التـف خداهما عنـد استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنمـــا كانا على موعد
لولا دفاع النـــاس إياهما لمـا استفاقا آخر المسند
ظلنا كلانا ســاترا وجهه ممـــا يلي جانبه باليد
نفعل بالمسجد مالم يكن يفعـــله الأبرار بالمسجد

ولقد كانت مشاعر الحسن — وهو الشاعر المطبوع — متيقظة منتبهة في طوافه وتلبيته ، فلم يكد يسمع الترانيم الشجية يصدح بهـا الملبون طوائف تتلاحق وتتتابع ، حتى حركت أوتار قلبه وأخذ النغم الساحر يسكب في سمعه نشوة راقصة

---

(١) قال سعد بن القعقاع صاحب بشار في رحلته :

ألم ترني وبشـارا حججنا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبي سفر بعيـد فمال بنا الطريق الى زراره
فآب الناس قد حجوا أو بروا وأبنا مو قرين من الخساره

فنسى جنان بضع لحظات وسحره الجم الحاشد يصيح ويستصرخ، قلبي مع الملبين تلبية هي في الواقع تغريدة عذبة صدح بهــا فنان موهوب، فهو يقول في رنة حلوة وتوقيع جميل :

إلهنا ما أعـــدلك　　مليك كل من ملك
لبيـك قد لبيت لك　　وكل من أهـل لك
لبيك إن الحمد لك　　والملك لا شريك لك

والليل لما أن حلك　　والسـابحات في الفلك
على مجارى المنسـلك　　ما خاب عبـد أملك
أنت له حيث سـلك　　لولاك يا رب هلك

يا مخطئاً ما أغفلك　　عجـل وبادر أجلك
واختم بخـــير عملك　　لبيك إن العز لك
والملك لا شريك لك　　والحمـد والنعمة لك

ولله ما أبدع الحسن! فقد كان شاعراً قبل أن يكون عاشقاً؛ فهو يتأثر بالمنظر الرائع فيبرز صورته الجميلة في مرآة شعره، وإن شغله بعض الوقت عن فاتنته، ولا يعقل أن ينقص هذا من حبه في قليل أو كثير، لأن الشاعر حساس مرهف يتأثر بكل ما يرى ويسمع فيتغنى به في سهولة ويسر. ولئن كان المجنون قد طاف مع الطائفين، وشاهد ما شاهده الحسن، فلم يخض كصاحبه فيما خاض فيه الملبون، ومضى يتساءل عن ليلاه ويرسل زفراته الشعرية المحرقة، فلأن قيساً كان عاشقاً قبل أن يكون شاعراً؛ فهو على النقيض من أبي نواس، ولا تثريب عليـه إذا اشتغل بليلى عن كل شاغل، ونسى موسيقى التلبية الفاتنة. وليت شعرى كيف يصيخ إليها تائه مجنون!

وكثيراً ما يقـف الأدباء أمام مقطوعة الحسن في التلبية وما يشاكلها من أشعاره في الزهـد والتوبة حائرين مرتبكين، حيث يستغربون صدور هذه النفثات الصادقة من خليع مستهتر بالشرع الحنيف. ولقد فات هؤلاء جميعاً أن لـكل نفس مهما غرقت في الخلاعة والفسق سبحات خاطفة تصلها بالسماء فتندم على ما فرطت في جنب الله، وتتجه إلى الخالق مستغفرة باكية، فلا عجب إذا أدركت الشاعر هذه اللحظات الخاطفة فقال أبياته الزاهدة، ولا سيما والحسن برغم مجونه الزائد متصل السبب بالآثار الدينية والمواعظ الروحية؛ فقد صحب في صباه أئمة الدين، وروى الحديث النبوى، حتى عده الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال من رواته، وإن هجنه ووصمه بما يسقطه ويرديه، كل ذلك يدعوه إلى الندم والحسرة على ما يرتكبه ويأتيه. وأعتقد أن شهرة الشاعر بالخلاعة قد جنت عليه أكبر جناية، فقد طاب له أن يتناقل الناس نوادره وأشعاره وكلها طريف ممتع في بابه — وخيل إليه أنه إذا انقطع عن غيه، سكت الناس عنه فلم يلهج بذكره ذاكر. وصاحبنا — كجميع الشعراء كلف بالشهرة مولع بالظهور، بل إنه صرح بذلك لأبي العتاهية حين لامه في تهتكه. وإذا كان الصيت الذائع في رأيه لا يكون بغير الخلاعة الزائدة، فليتطلبه من طريقها الشائن ... وهذا ما كان!

وكيفما كان الحال، فقد رجع الشاعر من مكة كما ذهب إليها، لم يتقرب إلى الله بتوبة ترفع عنه سيئاته، وحسبه أن وجد في البيت العتيق طريقاً يوصله إلى جنان بدل أن يوصله إلى الله!! وليته ظفر بما يريد، فإن صاحبته ما زالت برغم جنونه بها تمقته وتزدريه، وعذرها في ذلك أنها لم تصدقه فيما يدعيه، ولا جرم فقد جنت عليه شهرته السالفة بالمرد الحسان، فحق لجنان الماكرة أن تعذبه بالحرمان.

وقد يئس الشاعر من صاحبته في النهاية، فأكب على الشراب وحالف السكر محالفة تنسيه شواغل الوجد ولواعج الهيام، ثم ترك البصرة بما فيها من معارف وأصدقاء واتجه إلى مدينة السلام، فرأى البصرة لا تقاس بها في الترف والمجون، فقد حوت من المتع والملاذ ما يستخف الوقور ويصبي الحليم، فغرق في الخلاعة إلى أذنه، ونهز بدلوه مع الغواة، وبلغ ما يبلغ المرء بشبابه فإذا عصارة كل ذلك آثام!

عفا الله عن الحسن بن هانىء، فقد حج إلى البيت العتيق حجاً غـير مبرور، ونظم في الزهد والتوبة مالا يحسب إزاء آثامه ومخازيه، ولـكنه خدع من كتب عنه من المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، فزعم أنه تنسك وزهد، وما كان الشاعر طيلة حياته من الزاهدين، ولكنه قال قول الزهاد، وفعل أفعال المجان، فكان كصاحبة جميل تذبح العصافير في قسوة، وتدمع عليها في رحمة.

فلا تنظرى يا بنى للدمع وانظرى　　إلى الـكف ماذا بالعصافير تصنع

(الكفر الجديد)　　**محمد رجب البيومى**

رحلة في الديار المصرية في القرن الثامن عشر (الميلادي) :

النحلة النصرية

في الرحلة المصرية[١]

لمصطفى البكرى الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

لما دخل شهر جمادى الآخرة من سنة (١١٣٢ هـ ١٧١٩م) أراد الشيخ مصطفى البكرى زيارة الخليل ومنها إلى القاهرة، ذات الربوع الزاهرة، وأقام في الخليل أياماً، جاءه فيها شيخ موهوب مجذوب يكنى بأبي جاعد، فسأله الشيخ بالإشارة عن التوجه إلى مصر، فأومأ بيده نحو السماء، مشيراً بأن العلم لله. وخرج مسرعاً ثم عاد، فكرّر الشيخ السؤال فأعاد المجذوب الجواب. وأُخبر عن رجل صالح أنه يقول إنه تراءى له سيدى اسحق وقال له قل لفلان يرجع إلى وطنه، فعدل الشيخ عن السفر. ودعاه الأخ الشيخ عبد الرحمن الخطيب بن الشيخ أحمد التميمى إلى كرمه خارج الخليل، وكان قد اتصل بطريقة الشيخ مثل ذلك، فأجابه وكان الوقت قيظاً، فحصل للشيخ من ذلك مشقة.

وعاد الشيخ مصطفى إلى القدس، وأقام إلى أن مضى شهر الصيام. وفي شوال توالت الأخبار بأن جناب الدستور المكرم والمشير المفخم الحاج رجب باشا تولى الديار المصرية، ومراده زيارة الأراضى القدسية والخليلية، ومنها ينزل إلى العريش، وكان له مع الشيخ محبة ومودة، من مدة طويلة. وتحقق حلول ركابه في مدينة نابلس، فسار الشيخ لاستقباله مع شيخه الشيخ محمد الخليلى، ودخلا عليه، وكان الباشا ينزل عند نقيب أشراف نابلس السيد محب الدين، فدعا الشيخ لصحبته إلى أرض الكنانة، فأحاله على الشيخ محمد الخليلى فوجه إليه الخطاب فتملل، ولكن الباشا ألح وأبرم فقبلا الدعوة.

وبعد زيارة الخليل، والمعاهد والمشاهد فيها، ساروا صحبة الباشا إلى بيت جبريل؛ ونصب لهما خيمة، وعين لهما ما يحتاجان إليه من كثير وقليل، ولم يكن للشيخ في هذا المسير رغبة، لما فيه من المخاطر، وما كان قد استعد لمثل هذه السفرة الشاقة، وودع الذين صحبوه، وشرع لفوره في كتابة رحلته وسماها [النحلة النصرية في الرحلة المصرية] وسار في الصباح لغزة وقال فيها من قصيدة:

وارد الشوق غز في القلب غزة ... عند ما جئت أبتغى أرض غزة

ثم سار إلى خان يونس، وبات فيها وقال فيها مواليا:

يا فرحتى مذ بدا المحبوب لى يونس ... مسامرى بين ندمانى لخان يونس
سألت ما الإسم بدرى قال لى يونس
وقلت والأصل حبى قال لى يونس

واستأنس بأصحابه وبكر نحو العريش وقال من قصيدة:

عرش الحب في الحشا تعريشا ... حين حل المتاع فيه العريشا

وأقام ثانى يوم ينتظر ذخائر القوم، ثم توجه نحو (بير العبد) ذى الماء الملح، فلم يطق فيه مقاماً، وجهد حتى وصل (قطية) ومال لسهلها ونزل عليه، ورحل إلى (الصالحية) وتلقاه هناك نذر من جند مصر المحمية. وكان رافقه من غزة هاشم الشيخ صالح مفتيها، فتمرض في الطريق ودفن في الصالحية. ونحا بعد ذلك جهة (القرين) والوزير يرمقه والشيخ محمد الخليلى بعين، ويتفقد أحوالهما فيزول عنهما الأنين.

ونزل بعد ذلك نخيل (بلبيس) وارتحل للخانكه[١] وأتاها ليلاً، وأمر الوزير بعض من عول عليه من جند مصر، بإنزالهما داخل المدينة في مكان مناسب، وأرسلهما مع خادمه إلى دار محمد بك المكنى بأبى الشوارب، وورد عليهما للسلام أعيان البلد، وهى دار واسعة الأكناف، ممتدة الجوانب والأطراف، مقسمة إلى بيوت أربعة، كل بيت يسع الصنجق[٢] والذين معه. ويقول الشيخ في وصف الدار «وكنا في ربعها نتيه، ونكاد إذا درنا في جنباته أن نتيه».

---

(١) مخطوط في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس. ولد مصطفى البكري الصديقى سنة (١٠٩٩ هـ وتوفى ١١٦٢ هـ).

(١) أو الخانقاه، هو الزاوية أو الرباط. بيت الصوفية

(٢) السنجق: اللواء والدائرة تحت لواء واحد.

ولما دخل مصر القاهرة ، شهد مدينة بالمبانى الفاخرة ، ورأى فيها أشياء كثيرة ، لم يرها فى غيرها من المدن الشهيرة ، فتحقق أنها بلدة جمعت محاسن خطيرة ، ولم يقل كما قال البعض أنها قرية كبيرة ، بل قال كما قال الإمام الشافعى عنها « كنت أظن أن مصر فى الدنيا ، فرأيت الدنيا فى مصر » .

وكان الوزير الكبير ، سأل الشيخ قبل دخول مصر ، عن محل نزوله ، فأجابه فى محل بكون شيخه الشيخ محمد الخليلى فيه ، فسأله « ولم لا تنزل فى بيت البكرى الوسيع ؟ » فأجابه « رغبة فى صحبة الشيخ الرفيع ، وإن دعانا شيخ السجادة إليه أجبناه » . ويقول الشيخ « وأقنا فى هذا البيت مدة ، وأظهرلنا كبيرهيتناصده ، وجعلناحرفاً منسياً ، كمن جاء شيئاً فرياً ، فنفرت النفس » . وارتحل إلى دار فى الخرنفش صغيرة الدائرة ، تحت تصرف صديقه ابرهيم افندى ، القاضى ، وهى لصقة قاعة التجلى التى للسادة الوفائية ، وكان يتردد عليها ، وربما أقام ليلا ونهاراً لديها . ويقول الشيخ إن هذه القاعة نظير قاعة الجلال التى فى بيتهم ، وقد دخلها شيخه الشيخ عبد الغنى النابلسى .

وأول ما ابتدأ به من الزيارات زيارة الحسيبة النسيبة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب . قال المناوى فى ترجمتها : ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة فى العبادة وتزوجت اسحق المؤتمن بن جعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، قدمت مصر ونزلت بها ببيت عمتها سكينة المدفونة بقرب دار الخليفة بمصر ، ولها بها الشهرة التامة بالولاية . ماتت بمصر سنة (٢٠٨ هـ) وكانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلى ، ودفنت فى قبرها ببيتها بدرب السباع بالمراغة ، محل معروف بينه وبين مشهدها الآن مسافة بعيدة . ثم ظهرت فى هذا المكان الذى يزار الآن وكان الشافعى يعتقدها ويزورها . قال الذهبى ، وكان والدها من سراة العلويين ، ولى المدينة للمنصور ثم حبسه حتى مات ، فأخرجه المهدى وأكرمه ولم يزل معه حتى مات المنصور فى طريق الحج . ولها كرامات كثيرة . ثم توجه للقرافة ، فزار مقاماتها . ومنها إلى زيارة مقام الإمام محمد بن ادريس (الشافعى) ولد بغزة أو عسقلان سنة (١٥٠ هـ) وهى السنة التى مات بها أبو حنيفة ، وأجيز بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم رحل إلى الإمام مالك فأقام عنده مدة ، ثم لبغداد ، ولقب بناصر السنة ثم عاد لمكة ، ثم لبغداد ، ثم لمصر ، فأقام بها حتى مات سنة (٢٠٤ هـ) عن أربع وخمسين سنة .

ثم عطف بعد ذلك على زيارة شيخ الإسلام زكريا بن أحمد زين الدين الأنصارى السُنَيكى ،[1] ثم القاهرى الأزهرى ولد سنة (٨٢٦) هـ) وتوفى سنة (٩٢١ هـ) . ثم زار أسلافه الكرام السادة البكرية ، ووقف قبالة القطب الكبير سيدى محمد ، وقرأ له فاتحة الكتاب .

وتقدم بعد ذلك لزيارة عم والده ، جناب العالم أحمد افندى نجل والد جده الشيخ كمال الدين البكرى نزيل دمشق الشام والقاطن بها هو ووالده وجده ، وكان وفد الجد المذكور من مصر إليها ، ثم إنه استحسنها وعول فى السكنى عليها . وعم والد الشيخ ورد على مصر من الحجاز معزولا عن قضاء مكة ، وتوفى ثانى يوم دخوله وذلك سنة (١١١٨ هـ) .

ثم سار لزيارة أبى الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ابن أبى الثنا الفهمى القرقشندى وهو من تابعى التابعين ، القائل رأيت نيفاً وخمسين رجلا من التابعين . وقال فى حقه يحيى بن بكير ، الليث أفقه من مالك . وهو شيخ البخارى ومسلم ؛ ولد سنة أربع وتسعين وتوفى عام خمس وسبعين ومائة . وزار بعد ذلك جملة صالحة من سكان القرافة لا يمكن عدهم ، ولم يزد على التمثيل فى العتبات الرفيعة إلا لدى سلطان العشاق سيدى عمر بن الفارض مولده (٥٥٦ هـ أو ٥٦٠ هـ) ووفاته (٦٣٢ هـ) .

ثم قصد زيارة سيدى محمد الحنفى نجل على شمس الدين الشاذلى [ولد سنة ٧٤٧ هـ — وتوفى سنة (٨٤٧ هـ) . ثم توجه لزيارة السند الجليل سيدنا الحسين بن على رضى الله عنه ، ولد سنة أربع أو ست أو سبع واستشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة إحدى وستين (بكربلا) . واعلم أنهم اختلفوا فى رأس الحسين بعد مصيره إلى الشام أين صار ، وفى أى موضع استقر ، فذهبت طائفة إلى أنه طيف به فى البلاد حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه

(١) نسبة إلى قرية من أعمال الشرقية

أميرها بها (١) فلما غلب الأفرنج على عسقلان (٢) افتداه منهم الصالح طلايع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ، ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة ، وإلى ذلك أشار القاضى الفاضل (٣) فى قصيدة مدح بها الصالح طلايع . وصار آخرون ومنهم الزبير بن بكار والعلاء الهمدانى إلى أنه حُمل إلى المدينة مع أهله فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن . وذهبت الأمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلا بعد أربعين يوماً من القتل . ورجح القرطبى ، الثانى قائلا ما ذكر من أن فى عسقلان مشهدا هناك أو بالقاهرة باطل لا أصل له . انتهى . والذى عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهرى .

ثم زار الشيخ ، علم هذه الديار ، وأحد أركان مصر ، سيدى عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى يتصل نسبه بسيدى محمد بن الحنفية نجل على رابع خلفاء المختار ، ولد تقريباً سنة (٨٩٩ هـ) وتوفى سنة ٩٧٣ هـ وقد ترجه المناوى وغيره وترجم هو نفسه فى سننه ، وقد طالع الشيخ جملة من مؤلفاته ، وكرر له الزيارة فهو أحد أشياخه

ثم زار سيدى محمد الكردى الكائن بعد باب الفتوح ، ثم مال لزورة الخواص ، وضريحه بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح تجاه خوص ، توفى سنة (٩٣٩ هـ) .

ولقد دعاه جناب الشيخ على نجل الحنفى الولى ، إلى مكان نزيه ذى أبنية وثيقة ، فى مصر العتيقة ، وكان بحر النيل فى ازدياد على المعتاد ، فأركبه والشيخ محمد الخليلى ، قياسة له صغيرة ، وأرسلهما للتفرج على المقياس فسارا ورأيا العمود فيه مغطى بمياه فاقت (على) الأسفنطا ؛ ورأيا الماء نازلا عما عليه كان ، لأنه فاض من الدرج الخارج وعم ساحة المكان ؛ ثم عادا إلى محل الضيافة ، فإن أمواجه كانت كبيرة ، واختلاف أهويته كثيرة ، وكان كبير ذلك المحفل الجامع والداعى لبيته وضيافته جناب الشيخ عبد الرؤوف البشبيشى ، وقطعا ذلك النهار ، والداعى الصفى نجل الحنفى الوفى يلاطفهما .

وبعد أيام دعى الشيخ للاصلاح بين الشيخ محمد شنن والشيخ أحمد (اللقدوسى ؟) وأقام معهم فى صفا ووفا ، على بركة الرطلى التى تمتلئ إذا النيل وفا ، وكان يوماً مشهوداً بالأفاضل المعتبرين ممدوداً بمكارم الكريمى المستق هو وأخوه من بحر الشاذلى ، وكان أخوه قد دعا الشيخ بعد أيام للحضور فى داره ، وقصد بعد أيام لزيارة مقام زين العابدين .

ثم توجه صحبة الشيخ محمد الخليلى إلى جامع سيدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى فاتح مصر ، وقد لقب أبوه بالعاصى على أحد الأقوال لأنه كان يتقلد بالعصا عوضاً عن السيف فسمى بالعاصى . وكانت زيارته وزيارة سيدى عقبة بن عامر الجهنى تقدمت ، ورأى الشيخ فى الجامع مصحفين ينسبان للامامين سيدى عثمان وسيدى على رضى الله عنهما ، ويقول « إنه بالبعد عن المدينة ، اضمحلت بعض رسومه المتينة » ، وصعد المنبر ، فوعظ . وسار بعد ذلك إلى مصر العتيقة وكر ثانياً إلى المقياس . ويقول الشيخ ولو أراد سرد ترجمة من زارهم فى القرافتين وقبور المجاورين ، لاحتاج إلى وقت طويل . وكان من الذين أخذوا العهد على الشيخ ومن المترددين عليه الشيخ محمد الحفناوى . وممن دعا الشيخ إلى داره الشيخ محمد العنانى ذو النسب العمرى والحسب الشمسى القمرى ، وأغدق عليه المبرات .

ويقول الشيخ « وكنا نستعمل القصب بكثرة غير مختصرة ، حتى اتخذنا له من الخشب صغير معصرة ، ويقال إن الإمام المطلبى صاحب المذهب ، ابن عم النبى كان سبب نزوله القاهرة ، حبه فى القصب السكرى ، وفى ذلك يقول الإمام السيوطى :

نزلتُ على القصب السكرى نزول رجال يريدون نهبه
بجز كجز رؤوس العدا ومص كمص شفاه الأحبة

وكان يتردد كثيراً مع الشيخ الخليلى إلى بولاق لأجل الاطلاق لا من الإملاق ، وكذلك لزيارة الشيخ فرج ، وصعد طبقة فرأى على جدرانها أبياتاً أثبتها منها :

ومن عجب الأيام أنك جالس على الأرض فى الدنيا وأنت تسير
وسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلاع تطير

وكان الشيخ قد زار فى أوائل قدومه الولى الشيخ محمد الدمرداش ، ودعاه أولاده الشيخ محمد صاحب السجادة والشيخ عثمان ، ودخل خلوة الشيخ .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد سامح الخالدى

(١) بها مشهد عظيم بناه الفاطميين من خلفاء مصر (الأنس الجليل ج ٢ — ٤٢٢) . (٢) سنة ٥٤٨ هـ .

(٣) وزير السلطان صلاح الدين كان إماماً فى الانشاء توفى (٥٩٦ هـ) فى القاهرة .



الزهريات الاغريقية

للدكتور أحمـد موسى

— ٢ —

كان أول مصنع أقيم لصناعة الزهريات فى بلاد الإغريق بمدينة كورينثيا Corinth فى القرن السادس ق . م . وانتشرت هذه الصناعة حتى بلغت جنوب ووسط إيطاليا وراجت منهما .

وكانت أول الزهريات الكورنثية صغـيرة الحجم رقيقة التكوين ، صنعت من طين ناعم الملمس ، مزودة برسومات بُنّية حمراء رسمت على أرضية صفراء باهتة ، أما نقوشها فكانت عبارة عن خطوط أفقية متجاورة ، التفّت حول البدن ، وبين كل مجموعة من هذه الخطوط ، وبين ما علاها تركت مسافة ملئت برسوم للحيوان والإنسان فى أوضاع مختلفة ولكنها بسيطة بالقياس إلى ما سيليها .

وتتلخص الصفة الظاهرة لهذا النوع فى أنها مشابهة فى مجموعها لتلك التى عملت برودس ، من حيث الإخراج واختيار الألوان وأسلوب التصوير ؛ فترى غصن شجرة وقد بدا بالقرب من قاعدة الزهرية متجهاً إلى أعلى ، تفرعت منه أغصان أدق وأرفع ، وزعت فى نظام يدل على الخضوع لخطة مرسومة ، بحيث جاءت بينها مسافات أو مساحات استخدمها الفنان لتصوير الإنسان والحيوان كالأسد والثور وأبى الهول ، وما تبقى من المساحات زوده الرسام بزخارف من بينها الورود الصغيرة التى كانت محببة إلى الأغارقة بصفة خاصة .

على أن المستعرض للزهريات الكورنثية بصفة عامة يخرج بنتيجة صريحة هى أنهـا ذات أحجام صغيرة كما سبق التنويه ، وذات شكل كروى غالباً ، لها غطاء يوضع فوق العنق فى بعض الأحيان .

وقد طرأ تغيير ظاهر فى صناعتها فى أواخر القرن السادس ق . م . فبدت أكبر حجما وذات مقبضين ويسمونها « أمفورا » Amphora ، وأصبح لون الأرضية أكثر احمراراً نتيجة لزيادة الحريق فى الأفران ، ورأى الفنان نفسه مضطراً إلى استخدام نوع داكن من الورنيش يتناسب مع لون الأرضية ، فتكون ألوانه أكثر وضوحاً ، كما أنه استخدم اللون الأبيض والأحمر البنفسجى .

وبدأ الفنان يعنى بتقسيم مساحة الزهرية كلها إلى أقسام معينة ، بعد ما كانت لا تشتمل إلا على فواصل جاءت دون قيد ودون خطة موضوعة . وكان أهم هذه الأقسام مخصصاً لتصوير قصص الأبطال فى أغلب الحالات . أما الأقسام الأقل أهمية فكانت مجالا لتصوير الحيوان أو الفرسان على ظهور الجياد أو ما شابه ذلك .



ش ١ — پان أثينا أمفورا



ش٢ — مصورات باللون الأحمر

ولعل من أحسن الأمثلة على هـذا الاتجاه زهرية مشهورة محفوظة بمتحف برلين تبين فرسان « أمفياراوس » Amphiaraos

وإلى جانب المشكاوات الكورنثية وجدت فى نفس المرحلة الزمنية مصانع للفخار وعمل الزهريات فى إيطاليا ، فظهرت فى الأفق مجـموعة خالكيس Chalkis Collection التى تتميز بصور الرجال والنساء معاً باللونين الأسود والأبيض ، وكذلك خلوها من الزخارف النباتية التى وجدت بالزهريات الكورنثية .

وشاع ظهور المشكاوات المسماة « أمفورا » ذات المقبضين والتكوين الكروى القائم على قاعدة مستديرة . وقد التف حول وسطها حزام عريض ملىء بصور تمثل سير الأبطال Epos وأحوالهم كعراك هرقليس مع جريونيوس والعراك حول جثة أخيل ، والوداع بين هكتور وبين باريس الخ ، مما لا تتسع له إلا الكتب .

ولم يدم الحال طويلا على هذا المنوال ، فلم يكد يبدأ القرن الخامس قبل الميلاد إلا وكانت أثينا قد بدأت تتغلب شيئاً فشيئاً على المشكاوات التى انتشرت فى إيطاليا وانفردت بالرواج طوال القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد .

أنظر إلى المشكاة رقم ١ وهى المساه « أمفورا » وتأمل بساطة الزخرفة ثم انظر إلى مجموعة الرجال وقد اتجه ثلاثة منهم نحو اليسار واثنان نحو اليمين كأنهم فى حديث هام ، والعجيب أن الفنان استطاع التعبير عما يريد فى هذه الرقعة الضيقة بكل اتقان ، أما رقم ٣ وهى ما يسمونها « هيدرا » Hydra ذات مقبضين أفقيين اشتملت مصوراتهـا الألوان الثلاثة : الأسود والأحمر والأبيض وقسمت مساحتها إلى ثلاثة أقسام أفقية أوسطها لرجال ونساء وأعلاها لحيوانات وطيور، أما الأمفورا رقم ٦ فهى ولا شك أكبر حجماً وأرشق تكويناً — والصور الزخرفية هندسـية الطابع أغريقية المزاج ، ولعلك تذكر أن الوحدة الزخرفية الموجودة أسفل الصورة مباشرة هى ما يسمونها مياندر Meander نسبة إلى نهر ذى تعاريج يأتى ذكره فيما بعد .



ش ٣ آنية للتبريد — الأشكال بالون الأحمر — محفوظة بميونيخ



ش ٤ — زهرية أشكالها بالون الأحمر ، وهى تعد من أجل الزهريات الأغريقة — ميونيخ

وقد سارت المشكاوات الأتيكية فى أول أمرها متأثرة بنظائرها اليونية ثم بالكورنثية حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد حيث استقلت بنوع من التصوير يسمونه « التصوير الأسود اللون » .

وتمتاز الأتيكية المذكورة بجمال اللون الأحمر ورقته ودقته وكذلك ببريق الورنيش الذى يراه المشاهد لأول وهلة .

هذا من حيث « الصنعة » أما من حيث الإخراج الفنى فقد امتازت المصورات بمنابة المصور ومقدرته على تنفيذ الفكرة بأسلوب يدل على المران والتمكن .

كما أنه تفنن فى نوع الزخارف فضلا عن عنايته بضبط خطوطها وانحناءاتها وحسن اقتباسه لوحداتها مع التقليل منها ووضعها فى أماكن خصصت لهـا ، لا تطغى على المصورات ، بل تساعد على توجيه النظر إليها لوجودها فى النهايات كأنها إطار يحيط بالمشكاة .

وكان الموضوع المثير لاهتمام الفنان المصور ينحصر فى سير الأبطال يستلهم منها مادة فنه ، ويلى ذلك مناظر الحياة الاجتماعية والأحداث اليومية يعيش فيها ويتأثر بهـا ويسجلها فى سجله الخالد على الزمن .

ولعل الاتجاه الذى كانت له قيمته الخاصة ذلك الاتجاه نحو تسجيل المناظر الجنائزية فى مجموعة عرفت باسم Prothesisvase شكلها على هيئة « الأمفورا » إلا أنهـا أكثر منها ارتفاعاً وأكبر حجماً ، وكان الغرض منها تحلية المقابر والجبانات .

والملاحظ أن فى هذه المرحلة الزمنية بدأ الفنان يشعر بكيانه وبقيمة عمله فأخذ يسجل اسمه على كل مشكاة يصورها ، فجاءت مجموعة « بان أثينا أمفورا » Panâthenaiamphora ولا تخلو واحدة منها عن اسم المصور ، وهذه المشكاواة كانت تملأ عادة بالزيت لتقدم إلى أوائل المتسابقين اعترافا لهم بالتفوق والتقدير ، فى أعياد بان أثينا آلـهة المدينة . وبمناسبة كتابة أسماء المصورين أراه لزاما أن أذكر « كليتياس » Klitias مصور زهرية فرنسوا المشهورة ، وأرجو تيموس Ergotimos وسوفيلوس ونيآرخوس Sophilos and Nearchos وأولاده الخمسة .

ويتلخص الفارق البارز بين الزهريات «ذات الأجسام الحمر» من «ذات الأجسام السود» فى أن الأخيرة رسمت عليها الأجسام

بهذا اللون وأحيطت بلون أرضية الزهرية ، على حين كانت ذات الأجسام الحمر عبارة عن خطوط تحديدية غطى ما يحيط بها باللون الأسود الدخيل على الزهرية .



ش ٥ — الأشكال باللون الأحمر من الطراز الأرخي ، متحف باريس

ش ٦ — قنينة للزيت ، باريس

وببلوغ الصنعة هذه الدرجة من التجديد ، كان فن تصوير المشكاة قد تقدم من حيث الأسلوب ؛ فأصبح التعبير أكثر قوة عن ذى قبل ، كما بدت التفاصيل أكثر دقة وأكمل أداء بالقياس إلى سابقتها التى انفردت باللون الأسود وظلت حافظة على مستوى محدود من الاتقان وقفت عنده .

وبعد ما كانت الأجسام البشرية أشبه شىء بوسيلة من وسائل التعبير عن فكرة معينة ، أصبحت قوية من حيث إنشائها والأسلوب الفنى الذى تم به تصويرها ، فكانت العنصر الهام الواضح الأثر .

وتقدم فن تصوير المشكاة تقدماً مستمراً من ذلك الحين أى منذ حكم بيزستراتس Pisistratus حيث ظهرت الأجسام باللون الأحمر ، حتى منتصف القرن الخامس ق . م . عندما ظهرت أسماء لامعة فى عالم تصوير المشكاوات أمثال أويفورونيوس وزميله إبيكتيت وغيرهما من المحدثين نسبياً أمثال دوريس وبريجوس وهيرون Euphronios , Epiktet , Duris , Brygos and Hieron ، ورسمت بعض المشكاوات مزودة بأسماء وتفسيرات لبعض مناظرها ، كما كتبت بعض المعانى الرمزية للتعبير عن مشاعر خاصة . ومن هذا نرى أن تصوير المشكاة كان فناً له خطره وأثره البالغ ؛ إذ تكونت منها مجموعة هى سجل حافل بما يحيط اللثام عن حياة الأغارقة بين الواقع وبين الخيال .

وبالنظر إلى الزهرية رقم ٢ « أمفورا » نجدها تشتمل على أجسام باللون الأحمر رسمت فى عناية ودقة ملحوظة تمثل مناظر رياضية رائعة ، بدت فيها أجسام اللاعبين رشيقة التكوين .

ولا نستطيع أن نتناول بالوصف كل واحدة منها على حدة ، وإنما الذى نستطيعه هو أن نوجه نظر القارىء إلى ناحية هامة وهى أن الأشكال ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ رسمت كلها على أرضية سوداء أى بتحديدها ثم طلاء الأرضية بهذا اللون وترك الأشكال دون تلوين ؛ فتبدو حمراء بلون الأرضية .

ورقم ٤ تبين إبريقاً ، و٥ هيدريا Hydria و ٧ ليكيتوس Lekythos و ٨ كراتر Krâter و ٩ أريباللوس Arybâllos وكلها تبين مرحلة عظيمة من مراحل تصوير المشكاوات الإغريقية .

بقى بيان عن كلمة ميآندر تعبيراً عن وحدة زخرفية تمثل خطوط متكسرة فى زوايا قوائم يدخل بعضها فى البعض الآخر [الزهرية رقم ٦ أسفل أرجل الحصان مباشرة] سموها كذلك تشبيهاً لها بنهر بهذا الإسم Maandros كثير التعاريج يصب فى بحر أيجة قبالة جزيرة ساموس . أما الزخارف الأخرى فقد اقتبست وحداتها من نباتات ونخيل يسهل فهمهما دون مشقة .

(له بقية) أحمد موسى

ملحوظة : لأسباب فنية تعذر نشر الزهريات المقول عنها ، فنشرنا هذه بدلا منها ، وهى وإن اختلفت فى الموضوع ، فهى لا تختلف فى الجوهر.

بعد خمسة وعشرين عاما :

سيد درويش

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

دارت الكأس، والتقى الندماء وأعادت أيامها الصهباء
وصفا مجلس الشراب ،وطابت وصحا فى عبيرها الإغراء
وبدت حولها المزاهر تشدو ودعا الشَّرب سامر وغناء
واستوى الضاربون فيها أفانـ ـين ، وباتت على الغدير الظباء

***

الليالى والصفوة الندماء وسقاة الملاحن القدماء
باكرتهم فى موسم الفن فانثا لوا كما يجمع الفراش الضياء
يا ندامای : هـذه حان باخو س ، وهذى أنغامه العذراء
نبضات الأوتار فيها ترانيـ ـل ، وهمس الأعواد فيها دعاء
عصر الشعر كرمها من معانيـ ـه ، ودارت بها النفوس الوضاء
فإذا القوم بعد خمس وعشر ين نشاوى — كعهدهم - أنضاء
رقصت فى أعصابهم نشوة الفن وللفن سـورة وانتشاء

***

نغم عاجب ، ولحن رَواء وهوى ساكب ، وطبع رخاء
وتصاوير للوجـود كما لو شفه الرسم ، أو نحاه الطلاء
وتعابير عن معـان دقاق لم تحوِّم فى جوها الشعراء
أنكرت عالم الفناء وضجت فى صداها الحياة والأحياء
صانع الخلد لا يموت وإن مد ت عليه سجوفها الغبراء
هو فى فنـه مقيم كما تهـ زأ بالريح القمـة الشماء
شاعر ترجم الأحاسيس ألحا نا روتها الطبيعة الخرساء
ساخر يضحك اللحون ، غضوب
تتلظى أنغامـه الحمـراء

***

علمته الأنسام كيف البكاء وهدير الأمواج كيف الإباء
وعويل الرياح كيف التشكى وعبير الورود كيف الغناء
رب لحن كأنه موكب الرعـ ـد عتيا كأنه الكبرياء
ولحون كأنها رقصة النا ر تغنيها الزعازع النكباء
ولحون كأنها لحظة الوصـ ـل زهتها صلاوة ولقاء
ولحون تصور الناس ألوا نا ففيها الطيوف والأصداء
نغمات تردّد البـدع فيها وسقتها البديهة الوطفاء
غال خلاقها الردى فتبنا ها خلود ، وذاد عنها وفاء
يخفض الدهر عندها من جناحيه ، ويردى البِلى ، ويعيا الفناء
هى كالخمر كلما شيّخ الدهـ ـر تناهى بها الصبا والفتاء
ينبض الحب فى سناها وتدعو ك إلى الله روحها الحسناء
ومن الفن ما يملك الحق إذا موه الوجـود الرياء
ومن الفن ما يبشر بالرحمـ ـة دنيا طغا عليها الشقاء
ليس فى جوهر الحقيقة إلا الـ ـفن شىء ... وغيره أسماء
والذى صـور العوالم فنا ن تظنّى فى فهمه الفهماء

***

والليالى قصائد عصماء وأولو الفن وحدهم أنبياء
ربما استغنت الحياة عن العـ ـلم على رغم ما أتى العلمـاء
وعلى الفن وحده عاش أجدا دك دهراً وهم به سعداء
إن من أطلقوا العقول علينا لست تدرى:أأحسنوا أم أساءوا
والذى ظنها تراباً وماء هو فى نفسه تراب وماء
شد ما تجنح الحياة إلى الرو ح وإن كان فى الطريق التواء

طاهر محمد أبو فاشا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

صانع البؤس:

نشر أن لجنة ألفت لإحياء ذكرى عبد الحميد الديب ، فقررت جمع ما قيل فى حفلة تأبينه وطبعه فى كتاب ، وطبع ديوانه ، وإقامة حفلة للاحتفاء بذكراه . ونشرت بعض الصحف أخيراً كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى . وفى كل ذلك ، وفى كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب ، يصفه القائلون والكاتبون بالشاعر البائس ، وينحون باللائمة على مصر لإهمالها إياه ، وذهب بعضهم إلى أنه أهمل حياً وميتاً ، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لعدم عرفانها أقدار النابغين من أبنائها !

قيل كل ذلك ، وقيل مثله فى حفلة التأبين الماضية ، وسيدور حوله المحتفون بالذكرى فى الحفلة المزمعة ... فهل كان عبد الحميد الديب بائساً حقاً ؟ أو بتعبير آخر : هل ظلمه المجتمع وحرمه نعمة العيش الرخى ؟

إنما يأتى البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .. إذ كان من العفاة السائلين ، وكان ذا حيلة فى هذا المضمار تدر عليه الكثير من العطاء ، وكان يعاونه على ذلك أصدقاء ، منهم من هو معجب بشعره ، ومنهم من يتفكه بتصرفاته ومفارقاته ، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون .

وكثيراً ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات فى التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعى إلى التحرير بالصحف والمجلات ؛ فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل ، وفى بعض الأحيان كان يحتال لأخذ الرتب مقدماً ، ثم يذهب ولا يعود !

وكان له زملاء فى أول العهد قاسموه التسكع فى الحى الحسينى، وكانوا يسمونه « الحى اللاتينى » ، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل ، ومنهم الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير . ومما يروى من نوادرهم معه فى عهد البؤس أن أحدهم — وهو الآن صحفى معروف يكسب حوالى مائة جنيه فى الشهر — نازع الديب عدداً قديماً من جريدة الأهرام ، إذ أراد كل منهما أن يهيئ به فراشاً على (الرصيف) فى حرم المسجد الحسينى ، فاقتسماه ، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف ، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذى فيه « افتتاحية » العدد ... وكانت موقعة اسمها « معركة الافتتاحية » ، ويظهر أن الذى ظفر بهذا القسم غريم الديب ، فقد كان له فألا حسناً ، إذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات !

وكان الديب يقضى حياته الخاصة فى الظلام ، يعاشر فيها أنواعاً منحرفة من أخس الآدميين ، وكان ينفق على هؤلاء ومعهم ما يجمعه من هنا وهناك . فهو يبدأ الجولة بقصد إحدى القهوات الكبيرة ، حيث يلقى بعض الأدباء والمياسير ممن يعطفون عليه ، فيسمعهم من شعره ، وقد يطرفهم بنوادر من شئونه الخاصة معرضاً بحاجته ، وقد يتعرض بخرق كبير فى (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء ، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين ؛ ثم يخرج عامر الجيب إلى حيث يفرغه فى تلك البيئات المنحطة ... ثم تنتهى الدورة بفترة البؤس الذى صنعه بتلك المقدمات !

ولم يكن وفياً للمغدقين عليه ، بل كان ينثنى عليهم بالهجاء ، بعد أن قدم المدح على العطاء ... ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر العطية ... وكان يعرف ذلك منه المرحوم أنطون الجميل باشا فكان لا يعطيه فى المرة إلا (شلناً) ويقول : لا أريد أن أستكثر من الشتم ! ولعل هذا هو الذى أوحى إليه نوعاً طفيفاً من المدح : بضعة أبيات لا يغالى بها فى مدح الممدوح ، وكان يسمى هذه المدائح « الشلنيات » نسبة إلى مايرجوه من ورائها . وكان يطلق لسانه — حديثاً وشعراً — على كل من يحسن إليه ، قيل له : اهج فلاناً . فقال : ولماذا أهجوه وهو لم يحسن إلى ولم يعطنى شيئاً ؟ ورآه أصحابه مرة مقبلا عليهم فى تيه وكبرياء ، فقالوا إنه لابد أن يكون فى جيبه — على الأقل — عشرة قروش ... فلما سألوه فى ذلك ، قال : أنى لى ... وهل يترك مى كامل الشناوى شيئاً يا أستاذ ! ؟ والأستاذ كامل الشناوى معروف بعطفه عليه

واهتمامه بأمره ... وشاهده بعض أصحابه فى ثياب رثة ، فقال أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : يعز علينا أن يكون الديب عارى الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلباب) ، وتطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلغة) ، فهلموا نوارى سوأته ... وأحضروا له ثيابا نظيفة وحذاء جيداً ، فأخذها وذهب ، وبعد برهة عاد إليهم مزهواً فيها ، ونظر إليهم شزراً ... ثم قال : ألا تروننى وجيهاً يا كلاب ! ولم يكن يليق بهذا السؤال فى هذه الحال إلا جواب واحد : بلى يا ذئب !

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن إليه ، إلا مع معالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظة باشا . قال لى الأستاذ محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوقى باشا بقصيدة جيدة منها :

ولو هيأتمو للديب رزقاً لكان بحمدكم صلى وصاما
ومالى لا أرود حمى رحيباً تكنف حافظاً ورعى حماما

وصحبته إلى معاليه ، فأنشده إياها ، فأعطاه خمسة جنيهات (من جنيهات ما قبل الحرب) ، وحقيبة كبيرة ملأى بالملابس ، وأحاله إلى (الترزى) ليصنعها على قده ... فكاد يجن من الفرح وراح يقارن بين حاتم الطائى وبين دسوقى باشا مقارنة انتهى فيها إلى أن الأول أسطورة كاذبة والثانى حقيقة ماثلة . ووالى إنشاء المدائح فيه . ولكن « الذئبية » أدركته مرة ، فقال أبياتاً أولها :

أبلغ أباظة عنى أنهم ورثوا مالا ولم يرثوا ديناً ولا خلقا

وبلغت الأبيات دسوقى باشا ، فابتسم ، ثم استدعاه ، ونفحه نفحة أخرى ، وقال : إن يكن قد هجانا ، فإنى أكافئه على الشعر الجيد . فاستمر يمدحه بعد ذلك حتى كان آخر ما قاله من الشعر فى مدحه ، ولم يجازه الجزاء « الوفاق » !

هذه هى الحقيقة فى حياة عبد الحميد الديب كما يعرفها خلطاؤه لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ؛ فلم يكن البؤس يأتى إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان هو يصنع البؤس صنعاً ، كان يحصل على المال بتلك الوسائل ويبذره تبذيراً فى أدنأ الوجوه ، وفى أقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى بصنعه ... وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ليكون بائساً حقيقياً . وكان لا يتحرج من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه . وقد صب جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يا رجال الشعر والقول الرصين لعن الله أباكم أجمعين

أما الناعون على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه فليلتمسوا المثال فى غير عبد الحميد الديب ، وبعفوا التاريخ من التزوير والتزييف .

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان إنساناً منحلا منفكا متحللا تائهاً شارداً ... فليعفوا الأدب والفن مما يحبون .

أسبوع شوقى :

اقتربت ذكرى المغفور له أحمد شوقى بك أمير الشعراء ، فقد توفى فى الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفى مثل هذا الوقت من العام الماضى ثارت محاجة حول برنامج حفلة وضع لإحياء ذكرى شاعر مصر الكبير ، لأن البرنامج كان فيه انحراف عما يليق بهذه الذكرى الكريمة ، وكان لنا بلاء فى مقاومة هذا الانحراف ، انتهى إلى نتيجة مرضية مؤسفة معاً ، إذ كان القائمون بالمشروع ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فعدلوا عما كان موضع المؤاخذة ، فكان ذلك عملا مرضياً ؛ أما المؤسف فهو أن الحفلة أجلت أشهراً ثم أقيمت متأخرة هزيلة .

ويظهر أن ذكرى شوقى كانت فى العام الماضى — على ما كان فيه — أحسن حظاً منها فى هذا العام ... فقد كان فى الأول كلام (والسلام) ، أما اليوم فلا نسمع لهذه الذكرى أى حديث مع الأسف الشديد !

أقول هذا وبنفسى فكرة أوحت إلىّ بها كيفية الاحتفال بذكرى سيد درويش ، فقد رأينا أن الرجل احتفى بذكرى نفسه إذ كان أكثر البرنامج من موسيقاه وأغانيه وأناشيده . فأقترح أن يخصص أسبوع لذكرى شوقى (ولا أقل من أسبوع) تشغل لياليه ، أو أكثرها ، بتمثيل مسرحياته وغناء شعره ، ويسمى هذا الأسبوع « أسبوع شوقى » ، ويمكن تنفيذه فى هذا العام وإن كان الوقت ضيقاً ، فمسرحياته لدى الفرقة المصرية للتمثيل ، والممثلون مدربون عليها وحافظون أدوارهم فيها . وهذا ديوان شوقى ، وهذا عبد الوهاب ، وهذه أم كلثوم ، فإن لم يستطيعا

تلحين جديد ، فلديهما ما أخذاه من الديوان من قبل .

ولـكن من يقوم بالتنفيذ ؟ تقوم به وزارة الشئون الاجتماعية فهي المشرفة على الفنون والمسارح ، وأذكر لهـا أعضاء اللجنة التى ألفت فى العام الماضى لهذه الذكرى ، ومنهم الدكتور ابراهيم ناجى الذى ثبت فى الميدان بعد أن تخلوا عنه وأصر على الاحتفاء بالذكرى ، على قدر ما استطاع ...

وممن تنفق الوزارة على هذا الأسبوع ؟ أظن ذلك لايعجزها. ولو كان الأمر بيدى لأخذت المبلغ الـكبير المخصص لاستيراد الفرق الأجنبية وأنفقته على هـذا الأسبوع ويسرت على الناس مشاهدة حفلاته ، ليزيطوا ويذكروا شوقى ..

الشعر المعاصر :

صدر أخيراً كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى ، وقد بين فيه مذاهب النقد الأدبى ومقاييسه والمذاهب الأدبية وعناصر الشعر وما ينتمى إلى ذلك من أبحاث النقد الحديث ؛ وعرض عليها الشعر العربى المعاصر ، مستقصياً بيئاته وألوانه ، مبيناً طرائقه وسماته .

ولايسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت إلى هذا الـكتاب ويهتم به ، لأنه كتاب جديد فى المـكتبة العربية ، فهـو أول مؤلف عربى — على ما أعرف — فى موضوعه بشقيه : الـكلام فى النقد الحديث ، وتطبيقه على الشعر المعاصر . ومما يدعو أيضاً إلى الالتفات إليه والاهتمام به ، ظهوره فى هذا الوقت الذى كاد ينعدم فيه النقد الأدبى ، فلم نعد نرى إلا هـذه المجالات التى تكتب عن الـكتب هنا وهناك ، بدافع المجاملات الشخصية ، والتى يكتفى كاتبوها — فى أكثرها — بالقاء نظرة عاجلة على الفهرس والمقدمة إن كانت قصيرة ... وما أسوأ حظ النقد فى أدبنا الحديث ، فقد انقلب إلى هذه الحال من الضد ، إذ كان فيما مضى شتائم وتجريحات ، فصار الآن مجاملات ومبادلة تحيات ..

وأعود إلى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » فأقول : إنه يبدو فيه ما بذله مؤلفه من جهد شاق مثمر ، ومن مميزاته الاتزان واستقامة النهج ، ولا إخال المؤلف قصـد إلى التطفيف والإرجاح (١) فى ميزانه ، بما لاحظته فى الـكتاب منهما ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفى بهذه الإشارة ، لأن المقام لا يسمح بالتفصيل والتمثيل . وحسب الأستاذ السحرتى أنه وضع بكتابه هذا لبنة فى بناء الأدب العربى الحديث .

التأليف المسرحى :

اتجهت الرغبة منذ أوائل هذا العام إلى النهوض بالمسرح ، ولما كانت الفرقة المصرية هي الوحيدة التى تواصل العمل المسرحى الراقى فى مصر ، فقد كانت هى محور الاهتمام ، فضم إليها بعض الممثلين والممثلات وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبى بك الذى أسندت إليه إدارتها ، مع بقاء الأستاذ زكى طليمات مديراً فنياً لها

وكان أول شيء استدعى الاهتمام فى الاستعداد للموسم القادم هو أزمة التأليف المسرحى التى كانت تضـطر الفرقة إلى تكرار المسرحيات القديمة . ولمواجهة هـذه الأزمة وعلاجها اتخذت الخطوات الآتية :

١ — قررت اللجنة العليا لترقية التمثيل إجراء مسابقة عامة للتأليف المسرحى يدخلها المتسابقون من مصر وسائر الأقطار العربية ، وجعل لها ثلاث جوائز : للمسرحية الأولى ٢٥٠ جنيهاً ، وللثانية مائتان ، وللثالثة مائة وخمسون .

٢ — وقلت للأستاذ زكى طليمات : لوحظ أن المقتدين بأنفسهم لا يدخلون المسابقات ، وأن الإنتاج الذى يقدم فيها ضعيف ، فهل تتوقع مع هذا أن تنتج المسابقة نتاجاً يكفى الفرقة ؟

فقال : هـذا صحيح ، ولذلك جعلنا مبلغاً مساوياً لمجموع الجوائز — وهو ستمائة جنيه — لتكليف كبار الـكتاب المعروفين بالقدرة على التأليف للمسرح ، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم ، وهو الآن يعمل فى مسرحية بناء على طلب الفرقة ، ويوسف بك وهبى يؤلف الآن مسرحية ، والأستاذ محمـود تيمور بك ألف مسرحية اسمها « الملك الحـائر » ، وهى تتناول شخصية امرئ القيس ، وقد نحا فيها نحو روايته الماضية « حواء الخالدة » .

٣ — هناك مسرحيات كانت قد قبلتها قديماً لجنة القراءة ودفع ثمنها ، وأخرى فازت بجوائز فى مسـابقة كانت أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية ، ولم يمثل من هـذه ولا تلك شيء ، فاختار بعضها يوسف وهبى بك لمواجهة أول الموسم ريثما يفرغ المؤلفون من تأليفهم ، ومن هذه الروايات « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ أحمد على با كثير ، وسيبدأ بها الموسم فى منتصف أكتوبر وتجرى الآن تجاربها فى مسرح حديقة الأزبكية .

عباس خضر

(١) التطفيف : بخس الوزن ؛ والإرجاح : زيادته .



فى قافلة الزمان

تأليف الأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لقد عرفنا الأستاذ عبد الحميد جوده السحار فيما أصدر من مؤلفات قاصداً مؤرخاً ، يكتب التاريخ بأسلوب قصصى شيق ويرسم لنا أبطاله رسوماً تنبض بالحياة . وقد أخرج لنا « بلال مؤذن الرسول » و« أبا ذر الغفارى » و « سعد بن أبى وقاص » و « أبناء أبى بكر الصديق » وقال فيها قسطاً مرفوراً من النجاح وعالج الأقصوصة الحديثة فى كتابه « همزات الشياطين » لكن طابع السرعة وعدم الإتقان ، بدا واضحاً فى معظم أقاصيصه . ثم عالج نقد المجتمع والجهاز الحكومى بكتابة صور فكهة تصور معايبه فى الكتاب الذى أصدره بعنوان « فى الوظيفة » فكان أنموذجاً عالياً فى طرافة الأسلوب وروعة التهكم وجمال الأداء .

ولكن الكتاب الذى نتحدث عنه الآن يسلك سبيلا آخر لنقد المجتمع وعاداته هو سبيل الرواية . فكتاب « فى قافلة الزمان » إذن رواية طويلة انتزعت شخصياتها من صميم المجتمع المصرى . ولكى يدرك القارئ ما بذل المؤلف من مجهود فى تصوير عادات عدة أجيال من أمته ينبغى أن يعلم أنه بدأ الرواية فى بداية القرن العشرين وانتهى بها فى أواخر سنيه الحالية . أى أن الرواية سجل لحياة مجتمع فى نصف قرن . ولم يكن هذا السجل لحسن الحظ مشوشاً مرتبكا ناقصى المعلومات ، بل كان مرتباً منظماً يلم بالشاردة والواردة ، قد دونته يد كاتب ماهر رمى إلى تقديمه بين يدى كل من يتوق إلى معرفة مجتمعه فى فترة لم يكتب له فيها الوجود ، وبذلك يوفر عليه الاطلاع وإن لم يوفر له الوجود !.

فنجاح المؤلف من هذه الجهة لا ريب فيه . إذ أنه وفق كل التوفيق فى نقل عادات الناس ، ورسمها بدقة وأمانة وإخلاص .

أما هيكل الرواية ففيه طرافة وتجديد . ونستطيع أن نلخصه فى عبارة قصيرة ؛ فنقول إنه عبارة عن تاريخ حياة أسرة وأحفادها . فقد بدأت الرواية فى التحدث عن الحاج أسعد وهو أبو الأسرة الأكبر ومن حوله أبناؤه الأربعة ولكل منهم زوجة وأطفال . ويظل هؤلاء جميعاً سقف واحد فى البيت الكبير الذى يمتلكه الحاج أسعد . ثم تستطرد الرواية فى استعراض حياة هذه الأسرة التى تتفرع وتتشعب وتتشابك شؤونها وتتعقد مشاكلها بازدياد أفرادها واتصال أعمالهم بأعمال الناس ، وبما يواجههم ما يواجه الإنسان فى خضم الحياة من مشاغل تستولى على عمره . فهنا بيع وهناك شراء ، وهنا زواج وهناك طلاق ، وهنا مرض وهناك موت ، وإلى آخر ما يتعلق بالحياة من أمور . وعلى الرغم من أن السيطرة على دفة رواية تعالج نفسيات الناس وعاداتهم وتبسطها على خير الوجوه من الصعوبة بمكان ، فإن الأستاذ السحار أمسك بالدفة شأن الربان الماهر ، وعالج حياة هذه الأسرة وما تفرعت منها من أسر بدقة وإتقان . حتى أن القارئ ليخرج من الرواية وهو على أتم ثقة أن المؤلف لم يفتعل حادثة من الحوادث ليصور إحدى العادات ، وأن الرواية سارت فى مجراها الطبيعى دون أن تتعثر بما فى طريقها من صخور

ومع أن الرواية ليست من ذلك النوع الذى يعنى المؤلف برسم مشكلة لها حل المعقدة ؛ تتشابك الحوادث حولها وتتكاثر الشخوص ، ومع أنها أيضاً لا تشتمل على حوادث غريبة مشوقة وإنما هى قطعة من الحياة مليئة بما يقع للمرء وما يشاهده فى مجتمعه من الحوادث والعادات على مدار الأيام فإنها مع ذلك تجرى فى أسلوب لين شيق يأخذ بانتباه القارئ فيستغرق فى تلاوتها بلذة وإعجاب . وهذا ولا شك هو المقصود بنجاح الروائى وبراعته .

بيد أن كثرة شخصيات الرواية لم يفسح للمؤلف مجالا كى يرسمها جميعاً بالدقة المطلوبة — كما رسم شخصية مصطفى ونفيسة مثلا — فجاءت صور قسم منها باهتة لا تتسم بميزات وملامح واضحة برغم أهميتها . ومن ذلك القسم جاءت شخصيات سليم وأسعد ومارى . ولعل ذلك يبدو بصورة أوضح لو قارنا — على سبيل المثال — نجاح المؤلف فى تحليل شخصية مصطفى بنجاحه فى تحليل شخصية سليم . مع العلم أن الشخصيتين تتكافآن

فى الأهمية والدور . حقاً إن الفرق يبدو شاسعاً بين النجاحين . والواقع أن براعة المؤلف كما يتضح لى متجهة إلى غرضين يمكن القول أنهما شغلاه نوعاً عن الأغراض الأخرى : الأول والأهم هو تصوير حالة المجتمع المصرى فى نصف القرن الأخير وتسجيل عاداته وتقاليده . وقد سبق لى أن ذكرت أن المؤلف توفق فى هذا كل التوفيق . فاستطاع أن يكوّن صورة فى أذهاننـا عن الزواج — مثلا — فى جميع مراحله : كيف تتم الخطبة ، ويعد « الجهاز » ويقـدم « النيشان » ثم تقام الزفة التى يعقبها بناء الخطيب بخطيبته .

ولـكى أكوّن لدى القارئ فكرة عن دقة المؤلف فى تصوير هذه العادات أورد الآن مقطعاً يتعلق بأحد مراحل الزواج الذى يسمى « النيشان » . فقد جاء فى صفحة (٢٠٥) من الـكتاب ما يلى :

[وخرجت أمينة وعصمت وسكينة لشراء « النيشان » وهو هدايا يقـدمها الخطيب لخطيبته قبل الزفاف ، ويتـكون « النيشان » عادة من حذاء فضى ، وقماش من القصب العنابى ، وقفاز أبيض ، ومروحة كبيرة من ريش أبيض فاخر ، وطرحة بيضاء ، وحافظة بيضاء وجورب أبيض من الحرير الغالى ، ويطلق على هذه الأشياء « الطقم الأبيض » ، وهو ما ترتديه العروس ليلة الزفاف . ويحتوى « النيشان » كذلك على شباشب حمراء وصفراء وخضراء وجوارب ومناديل وروائح وصابون ممسك ، وصندوق تواليت فاخر ، وأقمشة متعددة وثياب داخلية]

هـذا عن الزواج ، وما يقال عن الزواج ، يقال عن كيفية علاج الناس للمرض والعقم واستغنائهم عن الأطباء بأولياء الله من أمثال سيدى البيدق ، وأولاد عنان ، وسيدى الشعراوى ، والسيدة نفيسة ، والمندورة . وهم شأن الأطباء ، لـكل منهم اختصاصه : فسيدى البيدق يشفى من الصداع ويزوره المرضى بعد صلاة العصر ، وأولاد عنان يشفون المرضى المهازيل ، وسيدى الشعراوى يشفى مرضى النفس والحسد ، ولابد من زيارة ضريحة مريده فى اليوم فى الفجر وعند الغروب ، أما السيدة نفيسـة فيزورها مرضى العيون ولم يحدد لزيارتها وقتما . والمندورة تشفى النساء من العقم .

هـذه العادات ، إلى غيرها من نظم المجتمع وما يتصل به ، حظيت من المؤلف بأكبر قسط من الاهتمام . ولذلك جاءت صادقة دقيقـة تنساب فى سلاسة وبساطة محببة . وبذلك حقق المؤلف هدفه الأول .

أما الهدف الثانى فهو على ما أعتقد دراسة شخصية مصطفى ، التى تمثل شخصية المؤلف . وقد نجح الـكاتب فى هـذا الغرض أيضاً ، حتى أن القارىء يظن أنه عرف مصطفى هذا قبل أن يقرأ عنه فى الروايه ، وهو قد عرفه فى الحق ؛ ولـكنه عرفه فى خضم الحيـاة المليئة بأشخاص من طراز مصطفى . وقد أبدع المؤلف خاصة فى تحليل حب مصطفى وعواطفه ، وعندى أنه إن لم يكن قد بلغ القمة فيه فقد قاربها .

وهناك بعض المؤاخذات على المؤلف أهمهـا كثرة أبطال روايته . صحيح أن مجال الرواية واسع ، وأنها تشمل الحياة بكليتها ، ولـكن هذا لا يعنى أن نعالج نفوس الناس بأجمعهم ، بل علينا أن ننتقى منها ما يمثل منهـا مجموعة بعينها . وحيث أن المؤلف عالج فى روايته أسرة معينة تفرعت منها أسر أخرى ، فإنه تعرض لجميع أفراد هذه الأسر .

ولـكننى لا أتفق معه على طريقته هذه ، وأقل ما يقال عنها أنها توقع القارىء فى الارتباك فلا يستطيع معرفة الشخصيات معرفة دقيقة وهى على تلك الـكثرة . وبالاضافة إلى ما قد ينجم عنها من ارتباك ، فانها دفعت المؤلف إلى تسجيل بعض الحوادث التافهة التى لاتستحق أن يُفرد لها مكان فى رواية جيدة كروايته. وأبسط مثال على ذلك شخصيات أصدقاء سليم وأسعد التى لم يكن لها لزوم فى الرواية إطلاقاً ، والتى تشعر القارىء دوماً أنها كل على الرواية ، قد أقحمت فيها إقحاماً ، ومهما حاول القارىء أن يتعرف على لون لها اصطدم بالحقيقة الواضحة وهى أنها عديمة اللون والطعم والرائحة !

وقد كاد المؤلف من الجهة الأخرى أن يشرك عنصر الفساد فى الرواية ، لا لذنب جنته إلا لـكونها قد طالت . والظاهر أن ذلك الطول قد أقلق المؤلف ، لأنه عمـد إلى استغلال قانون السرعة استغلالا مضراً بمصلحة الرواية كل الضرر . ولعـل القارىء يستطيع أن يلاحظ ذلك منذ بداية الصفحة الثلاثمائة .

إذ اتجه المؤلف إلى رواية الحوادث بأسلوب بسيط ساذج لا تميزه إلا السرعة ، وليس له أية علاقة بأسلوب الروائى الفنـان ، ثم ما تكاد تأتى النهاية حتى يصطدم القارىء بحقيقة أخرى ، تتمثل ببتر الرواية . صحيح أن نهايتها موفقة ، ولـكن القارىء يشـعر شعوراً أكيداً أن المؤلف لم يقل كل ما عنده ، وأن عليه الاستمرار فيها لأنها لم تنته بعد .

وفيما عدا ذلك فإن الرواية على نصيب موفور من الروعة فى فنها وأسلوبها وأغراضها .

(القاهرة) شاكر خصباك

من نور القرآن الكريم

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف

القرآن ثروة الإنسانية الروحية؛ وذخيرتها التى تعتز بها فى اجتماعها واقتصادها وسياستها وخلقها ؛ وهو موضع الحفاوة ؛ وهدف الدراسة ؛ ومثار النشاط العقلى بين ذوى القرائح الخلاقة ؛ غير أنه لم ينل فى البيئة الإسلامية كل ما يتطلبه فى هذه المرحلة الفـكرية الجديدة ، كتحديد أهداف سوره ؛ والمحور الذى تدور حوله . مما يعين على تمثل أغراضـه ؛ والنفاذ إلى مراميه . ولعل أول محاولة براها — النور — فى هذا الميدان هى ما اضطلع بها الأستاذ الجليل فى النهج الذى انتهجه فى تفسير الربع الأول من سورة البقرة وآل عمران والنسـاء . وهذا المنهج يتمثل فى أنه يبتدىء بكلمة عامة عن السورة يقدم فيها بين يدى — القارىء — العناصر الأساسية التى يتكون منها هيكل السورة؛ ويهيىء الجو الذى يظله من السورة بظلاله . وهـذه خطوة لها أثرها القيم فى فهم أسرار القرآن واستلهام روحه صافية غير مشوبة ، حتى إذا وصل إلى الربع الذى هو بصدده أخذ يكشف لك عما يتناوله من أغراض . فإذا ما وضع تحت بصرك هـذه الأصول فقد اجتاز بك المنطقة الشـائكة ؛ ثم يأخذ بعد ذلك يصور لك بأسلوبه الفـكرى وبقلمه البيانى ، المعنى العام للربع إذا بك تجدك وقد وصلت إلى أهدافك من أيسر السبل ؛ دون أن يجشمك متاعب السفر ولا وعثاء الطريق ؛ فها هو ذا يستهل بحثه بكلمة عامة عن سورة — البقرة — ويملل طولها باشتمالها على تشريع الأحـكام العملية . وقد بدأها الله ببيان فرق الناس بإزاء الاهتداء بالقرآن ، وبين فيهـا البر وأحكام القصاص ؛ والوصية . والصيام . والحج . والنفقة . والخمر . والميسر . والزواج والطلاق . والعـدة . والإيلاء . والربا . والمداينة ، والتوثيق بالـكتابة : والإشهاد ؛ والرهن الخ ، حتى إذا استوفى هذا البيان العام وأعطاك الصورة الإجمالية للسورة ، انتقل بك من العام إلى الخاص ، وقدم إليك صورة صحيحة دقيقة لفهم روح القرآن وبيان أسراره . وعرض تفسير الربع الأول من سورة البقرة أبدع عرض ؛ وعلى هـذه السنة استن عمله فى آل عمران والنساء . فيا حبذا لو أخذ علماؤنا يعالجون القرآن تحت هـذا الضوء ، ويقدمونه على هذا الأسلوب ،لقربنا إذن الشقة بينه وبين الأذهان التى بعدت بها ظروفها عن الدراسات الدينية ؛ ولظهرت آثاره قوية فى أخلاقهم وأفـكارهم وحياتهم . فمتى ننتفع بهذه الثروة التى تـكفلت بسعادة العالم . متى !

محمد عبد الحليم أبو زيد



الأديب المدرس :

قرأت في الرسالة الغراء تلك الكلمة القيمة التي يشكر فيها الأستاذ الزيات للأستاذ توفيق الحكيم ترشيحه إياه لكرسي « شوقي » واعتذاره عن هذا المركز الذي يحد من سلطانه . ويقلل من نشاطه ... وقد أتاحت لي هذه الفرصة الطيبة أن أقارن – في ذهني – بين الأديب المدرس ، والأديب الحر ، وربما بدا لكثيرين أن يقولوا إنه لا معنى لهذه المقابلة ، لأن الأديب في الحالين أديب من غير شك ، وأدبه مقيداً بأغلال الوظيفة ، أدبه طليقاً حراً ... وهو كلام إنما يصح إذا تصورنا أن الأدب ألفاظ وجمل ، يتنوق صاحبها في رصفها ، ويتأنق في صياغتها ويتمهل في تدبيجها . أما إذا تصورنا أنه إلى جانب ذلك أفكار تتسامى ومعان تحلق وتروع ، وأن العبارات إذا لم تكن مع الغرض النبيل ، أشبه بالمرأة الحسناء في المنبت السوء ... خصوصاً في عصرنا الذي نعيش فيه ، حيث صار الوظف موظف حكومة ، لا موظف «مصلحة» أعني أنه يتحتم عليه أن يكون أدبه في حدود اللون الذي تتلون به « الوزارة القائمة » وكم رأينا أدباء قيد « حب العيش » أدبهم بهذا القيد فسقطوا من الأنظار ، ولم يكن أدبهم محل اعتبار ... على أن المدرس إذا لم يكن في « الفصل » كالممثل الذي يستجلب رضا الجمهور ، ويستدر إعجاب المتفرجين ، لا تقوم له قائمة ، وفي سبيل ذلك لا يبالي بسخط الفن ، ولا بإغضاب الحقيقة « المرة » وهذا التهريج إنما يروج بمقدار ثم لا يلبث القوم أن يمجوه تمشياً مع قاعدة البقاء للأصلح «وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» والأستاذ الزيات في الرعيل الأول من شيوخ الأدب ، لا لأنه كاتب فحل ، أديب ممتاز ، ولكن لأنه يستشعر الحرية فيما يملى عليه لسانه ، ويهجس به وجدانه ، والشباب يحفظ له الآيات البينات في النقد ، والتعليق على الحوادث والأخبار ... وافتتاحية في « الرسالة » كفاتحة الكتاب نقرؤها للحفظ والتيمن ، وإن كان في ذلك كله مقلا فمعذره أننا في عهد التموين بالبطاقة ولكل شيء غاية ، ولكل بداية نهاية .

ابراهيم علي أبو الخشب

« الجوييم » بين الأزهر والرسالة :

نشرت مجلة الأزهر مقالا تحت عنوان (أسباب تأخر المسلمين) بعدد ذي القعدة سنة ١٣٦٧ هـ لفضيلة الأستاذ الشيخ – عبدالحميد عنتر – المدرس بكلية اللغة العربية .

قال صاحب الفضيلة (ولم يحركهم للشر إلا أطماع «الجوييم») يقصد بكلمة « الجوييم » اليهود ، و كتب معقباً (الجوييم : اسم رمزي لليهود الصهيونيين الذين يريدون الاستيلاء على العالم كله ويعتبرون كل من سواهم من الناس بهائم . انظر مقالات الأستاذ نقولا الحداد عن اليهود في أعداد الرسالة : مارس وإبريل ومايو سنة ١٩٤٨)

والذي قرأناه في الرسالة وفهمناه من مقالات الأستاذ نقولا وأفدناه من مواثيق الصهيونيين ، مخالف لما ارتآه الشيخ ، بل الذي بمجلة الرسالة أن اليهود أطلقوا هذه الكلمة على غير اليهود من جميع الأمم

وبعد كتابة ما سلف ، قرأت في الرسالة للأستاذ الحداد ص١٠٥٨ عدد : ٧٩ (لأن وظيفة هؤلاء الحكام « الوطنيين » أن يمسكوا البقرة بقرنيها لكي يحلبها شعب الله المختار «الجوييم»)

فهذا الرأي الأخير للأستاذ الحداد فيه تأييد لما ارتآه الشيخ ومخالفة صريحة لمقالاته السابقة وتخطئة لفهمي . فما رأي الأستاذ الكبير « الحداد » بعد هذا ؟ فهل كلمة « الجوييم » تطلق تارة على اليهود ، وأخرى على غير اليهود من العالم . أم ماذا ترى ؟

(كيان الطاعنة) **محمد أمين الشحات**

تحقيق تاريخي :

أتابع ما يكتبه الأستاذ أحمد حافظ عوض بكثير من الاهتمام والحرص ، ولقد قرأت المقال النفيس الذي نشره عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في مجلة المصور العدد (١٢٣٢) ص ٢٢ فوجدته يقول فيه « ولقد كان شاعر النيل المرحوم حافظ بك من المقربين إليه ، وهو الذي ألحقه بالعمل في دار الكتب المصرية وكان يسر كثيراً من فكاهته » فوقفت طويلا عند هذا الكلام لأن المرحوم الشيخ محمد عبده قد توفي في ٩ يوليه سنة ١٩٠٥ مع أن شاعر النيل قد عين في دار الكتب في ١٤ مارس سنة ١٩١١ بوساطة المغفور له أحمد حشمت باشا ناظر المعارف حينئذ ؛

وعليه يكون الأستاذ الإمام بعيداً عن هذه المسألة كل البعد كما ينطق التاريخ الرسمي .

هذا وقد حفظ الشاعر الكبير لحشمت باشا صنيعه الجميل فأشار إليه في رثائه الحزين حيث قال من قصيدة ممتعة لم تنشر في ديوان حافظ ، وإنما بقيت محفوظة في الجرائد لا يلتفت إليها أحد ، قال :

لك منة قد طوقت عنقى ... ما إن أريغ لطوقها نزعا
مات الإمام وكان لى كنفاً ... وقضيت أنت وكنت لى درعا
فليشمت الحساد فى رجل ... أمست مناه وأصبحت صرعى
قد كان فى الدنيا أبو حسن ... يولى الجميل ويحسن الصنعا
سلنى فإنى من صنائعه ... وسل المعارف كم جنت نفعا
تالله لولا أن يقال أتى ... بدعاً لطفت بقبره سبعا
قد ضقت ذرعاً بالحياة ومن ... يفقد أحبته يضق ذرعا

رحم الله الإمام والشاعر والوزير وأمدَّ فى حياة الكاتب الكبير

ابراهيم عبد المجيد الترزى
(الزقازيق)

تصحيح تصحيح :

جاء فى مقال الأستاذ المحقق اللغوى الفاضل أحمد يوسف نجاتى « تصحيح تصحيف وتحرير تحريف » وذلك فى العدد (٧٩٣) من الرسالة الغراء ص ٢٠٣٩ قوله « ومن التحريف أو التصحيف أو خطأ الطبع فى ذلك الكتاب القيم (ظهر الإسلام) ما فى بيتى ابن المعتز صفحة ٢٦ :

أما ترى ملك بنى هاشم ... عاد عزيزاً بعد ما ذلا
يا طالباً للملك كن مثله ... تستوجب الملك وإلا فلا

« ولعل صواب القافية فى البيت الأول (بعد ما ذلا) لأن القصيدة من بحر السريع من عروضه الأولى المطوية المكسوفة التى ضربها مثلها على وزن فاعلن ، وعلى ضبط (ذلا) يكون الضرب فى البيت وحده أصلم (على وزن فعلن) وهو ضرب آخر لهذه العروض لا يجمع بينهما » .

وأقول : إن ابن المعتز حين قال أبياته ما كان ينظر أو يلتفت إلى « العروض » بقدر التفاته إلى المعنى المراد تأديته على الوجه المطلوب . فهو حين أورد (عزيزاً) فى شطره الثانى أعقبه وقابله بضده الذى هو الذل فقال (ذلا) وبه تمام المعنى ، وإن خانه المبنى.

وفى المأثور « ارحموا (عزيز) قوم (ذل) » .

ولو افترضنا صحة تصويب الأستاذ (بعد ما ذلا) معنى ، لما كان ثمة موجب للتشبيه بالمثل فى البيت الثانى حتى يستوجب الملك طالبه . أو يستأهل الدر حالبه !

وفى موضع آخر يقول ... وفى صفحة ١٨٤ البيت :

أنت إذا جدت ضاحك أبداً ... وهو إذا جاد باكى العين

« لعل الصواب (دامع العين) برفع دامع خبر المبتدأ هو » .

وأقول : البيت صحيح بصورته وزناً ومعنى ، وظهور حركة الفتح على الياء من (باكى) لا يفيد الحال وإنما الرفع مكانها على أنها خبر المبتدأ هو ، والاستثناء الشعرى يجيز إظهار حركة فى غير موضع حركة ، كما يجيز حذف حركة من موضع جوازها ، كقول من قال :

يا بارى القوس برياً لست تحسنه ... لا تفسدنها (١) وأعط القوس باريها

هذا ، والأستاذ — فى البيت السابق — لم يلتفت إلى المقابلة اللطيفة بين (ضاحك وباكى) واستعاض عن البكاء بالدمع ، وإن كان الدمع من دلائل البكاء .

وبعد فالذى رأيناه أثبتناه ، والله الموفق إلى الصواب . والسلام.

عدنان
(الزيتون)

(١) وفى رواية (لا تفسد القوس أعط القوس باريها)



التاريخ العالمى

للكاتب الفرنسى أناتول فرانس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الكردانى

عندما خلف الأمير الشاب « سمير » أباه على عرش العجم ، استدعى جل علماء مملكته ، ثم قال لهم فى نبرة جادة مؤثرة :

— إن أستاذى — الدكتور سعيد — علمنى أن السلطان يتورط فى أقل ما يمكن من الخطأ ، إذا ما توخى فى تصريف شئونه وإبرام أموره ، أن يستهدى مثل الماضى وأن يستلهم عبر التاريخ ؛ ولهذا ... فإنى قد ارتأيت — بعد تدبر — أن أكلفكم بمهمة جليلة الشأن خطير ، هى أن تتوفروا على إعداد دراسة شاملة فى تاريخ الشعوب ... وبخاصة روادها وقادتها ... فما قولكم أيها السادة الأماثل فى هذا التكليف الخطير ؟ !

فتبادل العلماء النظر ، ثم أنهى واحد منهم إلى الأمير — بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن زملائه - استعدادهم للاضطلاع بهذا العمل الجليل . !

فما إن آبوا إلى دورهم ، حتى شرع كل منهم يكتل جهوده ويشحذ ملكاته توطئة للقيام بإخراج هذا « التاريخ العالمى » الجامع .

وبعد عشرين سنة تقضت فى كد متلاحق وكفاح موصول ، عاد أعضاء « الأكاديمية » إلى الملك فى قافلة تتألف من اثنى عشرة جملاً مثقلة ظهورها بأجزاء هذا السفر العظيم !

وتقدم « سكرتير الأكاديمية » من الملك ، ثم أنشأ يتحدث فى هذه الكلمات :

— إن أعضاء « الأكاديمية » الموقرين ، ليشرفهم أن يضعوا عند درجات عرشكم المكين ، هذا المؤلف الفذ ، الذى يضم تاريخ الشعوب والرجال ، والذى لم يكن ليخرج إلى نور الوجود ، لولا التفات جلالتكم إلى ضرورة التأليف فى موضوعه ؛ ولقد خرج هذا التاريخ العالمى — يا مولاى — مستتم الحلقات ، مستكمل الفصول ، فليس من المغالاة أن نقول : إنه سفر — فى بابه — فريد !

— إننى لعاجز — بحق — عن التنويه بالجهد الذى استنفدتموه ياسادة ! ولكن ... ألا ترون معى أن رعاية شئون حكومتى ، تقتضينى ألا أتشاغل عنها بالانقطاع لاستظهار مثل هذا التاريخ الكبير ؟!

ومن ناحية أخرى ... ألا ترون معى أننى — بعد انسلاخ هذه السنوات الطويلات التى كنتم أثناءها تعملون — قد بلغت « منتصف طريق الحياة » على حد تعبير أحد الشعراء الفارسيين !

وبافتراض أننى كنت من المعمرين ، فإن ذلك لا ينفى استحالة قراءة سفر بالغ الضخامة كهذا السفر الجليل !

ولا أحسبنى قد جانبت الصواب ، حين قدرت — للوهلة الأولى التى استعرضت فيها عيناى أجزاء هذا الكتاب — أن مصيره القبوع كالجثة الهامدة فى خزانة كتبى !

لهذه الأسباب متآزرة — وددت لو تكرمتم بمحاولة اختصاره ، مستهدفين أن تجعلوه فى مقداره فى مضاهاة الحياة البشرية القصيرة!

* * *

فاشتغل العلماء — عشرين سنة أخرى — بالتضييق — قدر الطاقة — من مشتملات الكتاب الضخم ... الهائل الحجم ، نزولاً منهم على رغبة الملك ؛ وإذ حققوا ما أراد ، توجهوا إليه — للمرة الثانية — فى قافلة صغيرة من ثلاثة جمال ، محملة أسنمتها بألف وخمسمائة جزء من السفر العظيم !

وقال « سكرتير الأكاديمية » :

هذا هو يامولاى عملنا الجديد ، نقدمه بين يديكم الساعة ، ونحن على بينة من أن هذا الاختصار ، لم يمس قط جوهر الكتاب ، ولم يهبط قط بمستواه .

فأجاب الملك :

— هذا بديع ... ولكن ، يؤسفنى ، ويحز فى نفسى أن أصارحكم القول باستحالة قراءة هذا التاريخ الجامع بالرغم من هذا

الاقتضاب .. ذلك أننى قد هرمت ، وغدا مما يهبط شيخوختى ويوهن من أنسجة بدنى ، أن يفرغ ذهنى الكليل للجهود الكبيرة ، فعسى ألا أكون قد كلفتكم شططاً لو رجوتكم — للمرة الثانية — أن توجزوا ... وتمعنوا فى الإيجاز ، وأن تجملوا بالكم إلى تركيز المباحث وحذف المقول !

لم يسع هؤلاء الرجال الثابرين إلا الإذعان ، فاشتغلوا — للمرة الثالثة — بإخراج السفر الكبير ، إخراجاً جديداً ، وسلخوا فى ذلك عشر سنوات ، هبط بعدها عدد أجزائه إلى الخمسمائة .

وقال « السكرتير مبتهجاً :

— أعتقد يامولاى أننا قد نجحنا — هذه المرة — فى مهمتنا فقال الملك مبتسماً :

— لا يتمكن فى قلبك اليأس أيها السيد اعتقادى عكس ما تظن — إننى اليوم فى خريف العمر أيهذا العالم الجليل ، فإذا رغبت إليك — للمرة الأخيرة — أن تنصرف وزملائك إلى معاونتى فى تحقيق أمنيتى فى مراجعة تاريخ عظماء الرجال قبل أن يدهمنى الموت ، فعسى أن تنهضوا بتكرار المحاولة غير آسفين ولا قانطين ! وإنى لنى الانتظار .!

تجرمت خمس سنوات ، عاد بعدها « سكرتير الأكاديمية » إلى قصر الملك . كان قد هده الكبر وقوست ظهره السنون ؛ وكان — وهو يرقى سلاليم القصر — يضم إلى صدره — بذراعين معروقتين واهنتين — سفراً كبيراً ضخماً !

ولقيه أمين الملك ، فصاح به فى نبرة لهيفة ... حزينة :

حث الخطى أيها الشيخ ؛ إن الملك يحتضر ..!

كان الملك يرقد على فراش الموت ، فى رعاية أملاكه ، يعالج آخر سكراته ؛ فاستدار فى إعياء ، ونظر بعينين خبا فيهما بريق الحياة ... إلى العالم وسفره الضخم ، ثم غمغم فى تثاقل وصدره يموج بالتنهدات : هأنذا أموت ، دون أن ألم بتاريخ الرجال !

فسكت العالم برهة ، إجلالاً لرهبة الموت ، ثم رفع رأسه فى بطء وعيناه مخضلتان بالدمع ، ليقول للملك المحتضر ... آخر ما صك أذنيه من كلمات :

— أيها الملك لقد ناشدتنا — غير مرة — أن نجمل لك تاريخ الرجال الأبطال الذى قضوا كما تقضى أنت الساعة . ألا فاعلم — أيها الملك العظيم — أن تاريخ هؤلاء الأبطال ليوجزن فى هذه الكلمات : لقد ولدوا ، وتألموا ، ثم ماتوا !

عبد العزيز السكروانى

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٧ — الاثنين ١١ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٢٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 797

Lundi — 11 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

حكم من أحكام الله!

قضى القضاء العراقى العسكرى العادل بالقتل شنقاً وبغرامة مقدارها خمسة ملايين دينار، على فقيد الربا، وشهيد الخيانة، وعميد الصهيونية، وعهيد الشيوعية، وسليل شيلوك، وصهر شرتوك، ومالك القناطير المقنطرة من العروض والذهب فى البصرة، وصاحب الملايين المصدرة من النار والحديد إلى تل أبيب، المأسوف على حياته، الخواجه شفيق عدس؛ لأنه كفر بالعراق الذى نشأه ورباه، ثم أمّنه وزعاه، ثم رفهه وأغناه فاشترى بما نال من كرمه وادخر من نعمه ألوف الأطنان من مختلف السلاح والعتاد وأرسلها خفية إلى أوغاد اليهود فى فلسطين ليقتلوا بها إخوانه فى الوطن وأعوانه على الثراء؛ فكان هذا القضاء وحياً من قضاء الله، وكان هذا الحكم هدياً من ضياء العدل، صفقت له الوطنية، واغتبطت به العروبة، وتمنى كل قطر من الأقطار التى مُنيت باليهودية الماكرة والصهيونية الغادرة أن يحكم كل قاض بمثله على كل يهودى يقف بين يديه وقفة المجرم. واليهودية هى الصهيونية محتجبة أو سافرة، والصهيونية هى الفوضوية محتشمة أو داعرة. إذا عنيتَ باليهودية أقبح ما تعلم من مساوئ الدناءة والنذالة والإباحية والعصبية، فإنك تعنى بالصهيونية أسوأ ما تفهم من معانى للشيوعية والرأسمالية والنازية والفاشية.

أقسم بالله جهد اليمين ما شفى صدرى وأرضى وجدانى كهذا الحكم الحازم الحاسم. فلعله يوقظ فى قضائنا الرءوف الرحيم شعور القسوة العادلة على مجرمى هذا الجنس العجيب الذى تحدى كرامة الإنسانية منذ تحملت أوزاره هذه الدار، واعتقد أنه هو وحده شعب الله المختار.

لم يبن فى مصر ضمير يهودى لم يخن مصر؛ ولم يبق فى مصر قلب يهودى لم يهو إلى إسرائيل؛ ولم يبق فى مصر مال « يهودى » لم يحارب فى فلسطين؛ وتقبض حكومتنا القادرة اليقظى على الكفار الفجار من سلالة يهوذا الذى باع المسيح بدوانق معدودة، وفى نفوسهم نية الخيانة، وفى أيديهم أداة الجناية، وفى بيوتهم مادة العدوان، فتنزلهم المعتقل على الرحب والسعة، وتكفل لأموالهم وأهليهم الأمان والدعة. فإذا عجبت أن ترى اللئيم الممن فى لؤمه يكرم، والظلوم المفحش فى ظلمه يرحم، حاولوا أن يخففوا من عجبك بدعواهم أن لليهودى المصرى رعاية المواطن، ولليهودى الأجنبى حق الإنسان؛ كأنهم يريدون أن يقولوا إن اليهودى يشارك المصرى فى وطن، أو يشارك الآدمى فى جنس!!

لا، يا سادة! إن اليهودى لا يعرف وطناً غير صهيون، ولا يألف جنساً غير يهوذا، فمن يزعم غير ذلك فليسأل كل أمة فى الأرض وكل عصر فى التاريخ، ماذا جنت اليهودية على الإنسانية. ألم يكن لها فى كل ثورة وقود من الدسائس والأضاليل؟ ألم يكن لها فى كل عقيدة مفسدة من البدع

إميــــــل لودفيـج

للأستــاذ عمر حليق



مات إميل لودفيج فى ١٨ سبتمبر من هذا العام بعد أن ترك ثروة أدبية فى نوع فريد . ولودفيج من الكتاب الألمان القلائل الذين احتفظوا بسمعة عالية بالرغم من الويلات والمصائب التى ألمت بالحياة الأدبيـة فى نصف القرن الحـالى فى تلك البلاد التعسة .

وثروة لودفيج خليط من المقالات السياسية فى قالب التراجم وفى المسرحيات السياسية والتاريخية والاجتماعية ، وله كتاب من نوع فريد أرخ فيه تاريخ ثقافة فى حياة نهر ، فكتابه « النيل » يجمع بين الطرافة الأدبية والدقة التاريخية ولمحات من التحليل العميق للحضارات العتيقة والحديثة التى أوحى بها هذا النهر الأزلى . وقد اختار لودفيج تراجمه من الشخصيات المعقدة التى تحتاج إلى تعمق فى الدراسة ، لا بسبب ما بها من عقد نفسية فحسب ، بل للظروف والملابسات التى أحاطت بها ، وبالأدوار التى لعبتها فى تاريخ الحضارة والإنسانية . فكتبه عن السيد المسيح ، وعن جوته وبيتهوفن وبسمارك أثارت مناقشات فى الأوساط السياسية والأدبية والدينية معاً ، وهذه من مزايا الأعمال الخالدة التى لا تنفرد بطابع التفكير الذى لا يتقيد بالمألوف ولا يجارى الاتجاهات التقليدية . وليست هذه الكلمة تحليلا لأعمال لودفيج ولا هى تعريفاً بانتاجه الأدبى ، وإنما هى عرض لحياة رجل من المثقفين الذين تركوا لمكتبة الأدب والتاريخ ثروة حافلة بالإبداع الفنى والتعمق الفلسفى ولمحات صادقة من تطور السلوك الفردى وتباينه فى مراحل نمو العظماء والبارزين الذين جعلهم لودفيج مواضيع لآثاره الفنية .

ولد إميل لودفيج فى برسلو بألمانيا عام ١٨٨١ ثم رحل إلى سويسرا وأصبح فى سن الثانية والثلاثين مواطناً سويسريا وأعلن أنه اختار سويسرا منفى له طواعية بعد أن أثار بعض الجدل فى المحافل الأدبية والسياسية بسبب كتاباته عن بسمارك والعقلية الألمانية .

وكان والد لودفيج أستاذاً فى جامعة برسـلو ، وهو يهودى اسمه هرمان كوهين إختار لابنه إميل كنية غير يهودية ليدفع عنه أذى المعادين لليهود فى ألمانيا .

والواقع أن يهودية لودفيج التى كان يفخر بها قد أفادته فى حياته الأدبية إلى أبعد حـد ؛ فإن سيطرة اليهود فى كل دولة أوربية وفى أمريكا الشمالية على ألسنة الرأى العام ودور النشر وتجارة الكتب كانت سبباً هاماً فى توفير الإمكانيات للودفيج ولعشرات الكتاب اليهود فى ألمانيا وغير ألمانيا وتقديمهم إلى الأسواق العالمية ورعاية نموهم الأدبى كأحسن ما تكون الرعاية .

وندر أن تجد فى الأوساط الأدبية العالمية من يتعرف أو يعترف بالأدباء والمثقفين الألمان من غير اليهود وندر أن تجد فى مكاتب أوربا الغربية وأمريكا من المنتجات الألمانية إلا إذا كانت صادرة عن أدباء يهود أو يمتون إلى اليهود بصلة — كما هى حال الكاتب الألمانى الشهير توماس مان الذى ساعد زواجه من امرأة يهودية على كسب رعاية اليهودية العالمية التى تعمل فى الحقل الأدبى والأوساط الثقافية الدولية . ومن الجدير ذكره بهذه المناسبة أن الأوساط الأدبية والفنية فى أمريكا تشمر بهذا التكتل اليهودى وتنفر منه ؛ فإن سيطرة اليهود فى أمريكا على الحياة الأدبية فى مصادر الإنتاج جعلت حظ الأمريكان من النجاح مقيداً بالنعرة اليهودية الضيقة التى تسهل الرق والنجاح للادباء والفنانين من اليهود الأوربيين الذين يستوطنون الولايات المتحدة على حساب الناشئة من الكتاب والشعراء والفنانين الأمريكان . إنفرد لودفيج من بين الكتاب المعاصرين بمعالجة أدب

والأباطيل ؟ ألم يكن لها فى كل دولة جاسوسية تورث العداء والحرب ؟ ألم يكن لها فى كل أمة أسواق تنشر الغلاء والكرب ؟ ألم يكن لها فى كل مدينة (حارة) تشيع الفحش والفُجر ؟ ألم يكن لها فى كل صحافة لسان يذيع البذاء والهُجر ؟

قولوا بلى ، كان لهم كل أولئك ؛ ولكن الله أوعدهم ووعدنا أن يحبط أعمالهم ، ويطيش آمالهم ، ويديم إذلالهم ، فحققوا وعيد الله ووعده بمثل هذا الحكم ، واتقوا يوماً يجوز أن يتولى الشيطان فيه أمر الأرض ، فيجعل لهم القضاء عليكم ، فيقيموا لكم محاكم كمحاكم التفتيش ، ويومئذ لا يجدر بالعربى الأبى أن يعيش !

احمد حسن الزيات

انحراف المــواهب

للأستاذ أنور المعداوى

قلت فى عدد مضى وأنا فى معرض الحديث عن الشخصية الأدبية إن من عناصر هذه الشخصية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه، فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذى لا ينتج ولا يثمر؛ عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت، ويغنى الجهد الذى يبذل فى مكانه عن الجهد الذى يبذل فى غير مكانه.. هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق، وهذا القاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الأدبى فلا يخرج بشىء.. كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر من عناصر الشخصية الأدبية، عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات!

كلمات قلتها بالأمس وما أحوجها اليوم إلى شىء من الإفاضة والتطبيق، والخروج بها من دائرة انحراف المواهب فى ميدان خاص إلى انحرافها فى ميدان آخر يتسع فيه المدى، ويرحب الأفق، ويمتد مجال البحث والدراسة، وترد فيه الظواهر الملموسة إلى ما خفى من الدوافع والأسباب...

جورج ديهامل الكاتب الفرنسى الكبير وعضو الأكاديمى فرانسيز، كان يعمل فى الحرب العالمية الأولى كطبيب فى المستشفيات الحربية، وهو من الذين درسوا الطب فى بدء حياتهم واشتغلوا بهذه المهنة جرياً وراء الكسب المادى كما يفعل الكثيرون، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها هجر ديهامل الطب إلى الأدب فنبغ فيه نبوغاً أهله لأن يكون عميداً من عمداء الأدب الفرنسى المعاصر... ظاهرة تستوقف النظر، وتغرى بالبحث، وتدعو إلى التأمل والمراجعة، وأعنى بها ظاهرة انحراف المواهب!

ولقد كنت أبحث هذه الظاهرة عند عباقرة ثلاثة غير ديهامل يمثلون ثلاثة ألوان من الأدب العالمى الرفيع؛ جمع بينهم فى مستهل حياتهم ميل إلى العلم وانصراف إليه، ثم تحولوا عنه إلى الأدب فتهيأ لهم من النبوغ فى ميدانه مالم يتهيأ لهم فى ميدان العلم... أول هؤلاء الثلاثة وهو الشاعر الألمانى جيته، كان عالماً يبحث فى الألوان، ويضع الأصول للرسم والنحت، ويعالج التأليف فى الأزهار وفلاحة البساتين. وثانيهم وهو الكاتب النرويجى إبسن، كان فى شبابه عالماً فى الكيمياء. وثالثهم وهو الكاتب الإنجليزى ويلز درس الكيمياء أيضاً فى شبابه، ثم

التراجم فكتب دراسات عميقة عن نابوليون، وهندنبرغ رجل ألمانيا العسكرى، وعن ما زاريك السياسى التشيكوسلوفاكى، وعن كليوباترا، وعن فرانكلين روزفلت، والرئيس بوليفار أحد كبار الشخصيات السياسية فى أمريكا اللاتينية، وله مؤلفات عن ستالين وسيجموند فرويد — صاحب نظرية التحليل النفسانى المعروف. ولم يقتصر لودفيج على التراجم فعالج القصة والرواية والموضوعات الأدبية البحث فى النقد الأدبى ومشكلات السلوك الفردى، فمن قصصه «الفن والقدر» و«هبات الحياة» و«ديانا» و«عطيل». وله أيضاً دراسة فى «العبقرية والخلق». ودون تاريخ حياته فى كتاب دعاه «نظرة إلى الوراء»

ومن بحوثه السياسية كتاب «أحاديث مع موسولينى» «والغزو الأخلاقى لألمانيا» «وكيف تعامل الألمان».

ومن مؤلفاته الأخيرة كتاب عن «البحر الأبيض المتوسط» ودراسته لنهر «النيل».

وكان لودفيج يشتغل فى وضع كتاب عن الملك داود عند ما وافته المنية. ولم يترجم إلى الإنجليزية إلا القليل من أشعار لودفيج ومسرحياته التى استهل بها مطلع حياته الأدبية حتى سن الثلاثين

وكان لودفيج من مناصرى الحركة الصهيونية فى سويسرا. وقد استعمل نفوذه الأدبى فى سويسرا وإيطاليا لتسهيل النشاط الصهيونى عبر القارة الأوربية فى تجنيد الرجال والعتاد للغزوة الفلسطينية. وكان بيته فى إسكونا Ascona على الحدود الإيطالية السويسرية ملتقى رؤساء حركة التهريب الصهيونية كما ذكرت بعض الصحف الإيطالية منذ بضعة أشهر.

(نيويورك) عمر حليق

التحق بجامعة لندن ونال منها درجة فى العلوم ثم عين بها أستاذاً للباتولوجيا !.

ليس عجيباً أن يكون الرجل منوع المواهب فيكون عالماً وأديباً وفيلسوفاً فى وقت واحد ، ذلك لأن بعض المفكرين يمتازون بالجمع بين ألوان من العلم متعددة ، وضروب من الفن مختلفة ، لأنهم وهبوا من سعة الأفق وخصوبة الذهن وصدق الإحساس ووفرة التجارب مايؤهلهم لأن يشقوا طريقهم فى هذه الميادين جميعاً ، ولكن الشىء الذى لا شك فيه أن الموهبة الأصيلة تطبع ناحية من نواحى التفكير بطابعها القوى المتميز فتطغى على كل ما عداها من مواهب ، ويتجلى فيها الإعجاز فى أروع مظاهره وأخص مزاياه ... والدليل على ذلك أن يتحول رجل مثل جينه من العلم إلى الأدب ، فيصل بنبوغه فيه إلى الحد الذى دفع كارلايل إلى وصفه بأنه أعظم أدباء العالم بلا استثناء ، وأن يهجر رجل مثل إبسن العلم إلى الأدب ويعالج كتابة الدرامة فيمده النقاد واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحى الحديث ، وأن يشغف رجل كوبلز بالدراسات الأدبية ، فتكون مؤلفاته فى ميدان هذه الدراسات سلمه الوحيد إلى معارج الشهرة والنبوغ !

إن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا : لماذا تهيأ لهؤلاء الأدباء من النبوغ وذيوع الاسم فى رحاب الأدب ما لم يتهيأ لهم فى رحاب العلم ؟ .. ليس هناك غير جواب واحد هو أن مواهبهم الأصيلة كانت أدبية لا علمية ، والدليل على ذلك أنهم انحرفوا بها فى بادىء الأمر عن طريقها الطبيعى فلم تنتج الإنتاج المرتقب الذى يناسب ذكاءهم ، وذلك فى ميدان العلم ... فلما عادوا بها إلى ميدانها الأصيل وهو ميدان الأدب ، استطاعوا أن يشقوا طريقهم فى قوة حتى وصلوا إلى مرتبة الخلق والإبداع ! ومثلهم فى رأيى كمثل البذور التى يلقى بها فى تربة لا تلائم طبيعة نموها ، فهى قد تنبت وتنمو ولكنها فى الغالب لا تثمر .. فإذا ما ألقى بها فى التربة الصالحة نمت واشتدت أعوادها وأثمرت الثمر الشهى المرتقب فى مثل حالتها هذه الجديدة ، ومن الممكن أن نصف هؤلاء العباقرة الذين تمثلت فيهم ظاهرة انحراف المواهب فى شبابهم ، بأنهم كانوا بذورا أدبية ألقى بها فى تربة العلم فلم تكتب لها الحياة

وسؤال آخر يتبادر إلى الذهن فى انتظار الجواب . . لماذا ينحرف بعض أصحاب المواهب من الأدباء والفنانين عن طريقهم الطبيعى ليسلكوا طرقاً أخرى لا يجنون من ورائها إلا بعد الشقة بين ميدان لم يخلقوا له وميدان ما كان أحوجهم إليه ؟ !

إن الجواب الذى يقبله العقل على هذا السؤال هو أن المواهب تستغل فى غير ميادينها جرياً وراء المادة . . وهذه الحضارة التى نعيش فيها حضارة قوامها المادة تبدأ منها وتنتهى إليها ، وتدفع الناس إلى أن يتلمسوا الوسائل لكسب العيش عن طريق غير طريق الأدب والفن فى كثير من الأحيان ، لأنه طريق غير مرجو الفائدة ولا مأمول العواقب فى ميدان النضال مع الحياة . ومن هنا يتجهون باستعدادهم وملكاتهم اتجاهاً يبغون من ورائه الكسب المادى والمكان المرموق ، والفن فى رأى الماديين لا يحقق لهم شيئاً من هذا ؛ وماذا تجدى الشهرة فى رأيهم مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان ؟ !

إن صوت هربرت ريد فى كتابه « الفن والمجتمع » ليضيع وسط ضجيج المادية الأهوج حين يقول : « يجب أن ننظر إلى الفن نظرتنا إلى كل شىء لا يستغنى عنه ، مثله كمثل الخبز والماء ، وعلى أنه جزء من حياتنا اليومية لا يتجزأ ... وينبغى ألا يعامل الفن كضيف عابر ، ضيف يدفع أجر ضيافته ، ولكن كواحد من أفراد الأسرة سواء بسواء !

إن الحضارة الحديثة وتعقد مشكلاتها قد استبدت بالمواهب والعقول فوجهتها تبعاً لهذه المشكلات ، وما فيها من تعقد لم يدع لها من لحظات الفراغ ما يمكنها من استلهام الوحى فى الفنون الرفيعة . . وما أبعد الفرق بين الفنون فى ماضيها الغابر وحاضرها المشهود ! لقد كان الناس فى الماضى يعيشون للفن ويطربون له ، ويشجعون المواهب على أن تمضى فى طريقها فلا انحراف ولا اعوجاج ، وإنما اتصال مطلق بالطبيعة واستلهام لمظاهرها وروائعها ، فلما تعقدت الحياة وطغت المادية على كل شىء طغيانها القوى الجارف انحرفت المواهب عن ميادينها الأصيلة وانحرفت معها الأذواق جرياً وراء المادة . . وماذا تجدى الشهرة كما قلت فى رأى الماديين مع الفاقة أو يعود عليهم من المجد وفى ركابه الحرمان ؟ ! .

أنور المعداوى

صلاة عصر في مسجد قرطبة عام ١٣٦٨ هـ

للدكتور محمـــد موسى

منــذ فرغت من عملي في « السوربون » وأنا أحلم بزيارة للأندلس أرضي بها العقل بالتنقيب في مكتبة « الأسكوريال » والروح بالعيش فترة من الزمن في الأرض التي ذللها أجدادنا وقامت فيها عواصم للعلم والسياسة في الإسلام . وكان كل ما شاهدت من مدريد إلى اشبيلية حيث أنا الآن يؤكد لي أن أسبانيا بلد ليس بالغربي ولا بالشرقي ، بل هو بين بين . هو حقاً بين الشرق والغرب بما احتفظ من تقاليد الأول وعاداته ، وبما تمكن فيها عن الآخر من المسيحية التي تتعصب لها تعصباً شـديداً ؛ والأرض نفسها تمثل هــذا أيضاً بما تنبت من الزيتون والنخيل وقصب السكر والموز ، إلى جانب مزروعات الغرب التقليدية .

لكن قرطبة عاصمة الأمراء والخلفاء شيء غير هذا كله . لقد كان القطار يسير بي من مدريد وأنا في شُغُل عما حولي ! كنت أعيش بخيالي وعاطفتي في قرطبة الإسلام ، في قرطبة التي صارت مقبرة لعصر من أكبر العصور الإسلامية ازدهاراً ، في قرطبة عبد الرحمن الداخل وأعقابه الأماجد ، في قرطبة ابن رشد وكبار العلماء الإسلاميين . لقد استبدّ بي الخيال ، وأسرتني العاطفة حتى خلتني مقدماً على بلد إسلامي يموج بعلماء الإسلام موجاً ؛ ولكني وصلت إليها ، فإذا الأهل غير الأهل ، والوجوه غير الوجوه ، وإذا العجمة والمسيحية هي الحاكمة المستبدة في كل شيء !

وأخيراً ، ها أنذا في المسجد الذي يمثل الشيء الوحيد الحري بالزيارة في المدينة : هذا هو «صحن البرتقال» مجمع حلقات العلماء ؛ وهذا هو « اللّوان » أو الدهليز اليميني حيث مجلس ابن رشد يشرح أرسطو ويقربه للناس ؛ وهــذا هو الدهليز الشمالي حيث كانت تقام العدالة وتفصل الخصومات ؛ وبعد هــذا ها هو ذا المسجد نفسه الذي يحس المرء فيه بقبس من الخلود ، حيث كان العلماء من المسلمين واليهود والنصارى يتدارسون لغة واحدة هي العربية ، ويتعلمون ويعلمون علماً واحداً هو العلم الإسلامي كما ينقل « رينان » ! كل ذلك ذهب وصار تاريخاً بعد أن كان حقيقة تملأ الأذن والبصر !

وفي وسط المسجد أقيمت الكاتدرائية ! إلا أنها على ضخامتها لم تنل من الأثر الإسلامي الخالد حتى كأنه لا يحس بها ! ومنارة المسجد التي تذهب إلى السماء ناحية الأزلية والخلود ، نحواً من خمسة وستين متراً جعلها التعصب برجاً للكنيسة بمــا أقيم في جنباتها من نواقيس وما علاها من الصليب . إلا أن كل هذه المظاهر لم تنزعني من الجو الذي أعيش فيه ، حتى لقد صعدت المنارة وأذنت فيها بصوت سمعه من كان معي للعصر ، ثم أديت الصلاة في داخل المحراب بعد أن فتح لي خاصة ! وأظن أن رفيقي ، وهو أستاذ فاضل مستعرب قرطبي ، ظن بي الظنون ! وعلى كل فقد احترم عاطفتي ووقف هو وآخرون من المتفرجين على مبعدة !

وبجوار المسجد مقر الخلافة والخلائف الذي صار الآن مقر كبير رجال الدين . وقد نفّس عني قليلاً ما تذكرته من قول شارلكان وقد زار المسجد سنة ١٥٢٦ حين رأى الكنيسة وسطه : لقد « بنيتم هنا أثراً كان يمكن أن يبنى في أي مكان ، وأفسدتم أثراً وحيداً في العالم ! »

والمسجد ومقر الخلائف يطل كلاهما على « الوادي الكبير » التي لا تزال مياهه تجري في اســتحياء ! وقد عبرت القنطرة على هــذا النهر إلى الجهة المقابلة التي كان العرب يسمونها La Campgne أو الريف في الجهة المقابلة . وبهذا النهر تنتهي المدينة القديمة .

بعد هــذا خرجت من المسجد وزرت محلة اليهود على مقربة جداً منه ؛ وبها منزل صــغير يحمل الآن رقم ١٨ رأى ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الأشهر فيه النور ؛ وبهــا معبد من معابدهم بني بعد ابن ميمون ، وإن كانت الحكومة أقامت في مدخله لوحة تذكارية لمرور ٨٠٠ عام على ولادته (١١٣٥ — ١٩٣٥م) لماذا لا تقام لوحة أخرى تذكارية لابن رشد معلم وشيخ ابن ميمون!

حسبي من زيارة قرطبة هذا المسجد ، وحسبي أني عشت فيها فترة لذيذة ومؤلمة في جو إسلامي خالص حتى كنت أؤدي فيها الصلاة في وقتها في أغلب الأحوال في الفندق الذي نزلت فيه .

أنتهي الآن وأنا على سفر إلى الجزيرة ، جزيرة طريف ، لعلي أستطيع منها العبور إلى طنجة ومراكش ، ثم أعود إلى الأندلس لرؤية غرناطة والله المستعان .

محمد موسى

أعلام الفكر فى عصر الحروب الصليبية :

عز الدين بن عبد السلام

٥٧٧ - ٦٦٠ ﻫ

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

نشأ فى شظف من العيش ، ورفعته ثقافته إلى أن أصبح ينادى الملوك بأسمائهم ، ولم يُعْمِه المجد عن الحق ، فنادى على رءوس الأشهاد بخطئه يوم بان خطؤه ، ولم يدعه حب السيطرة والسلطان إلى النزول عن كرامته أو الرجوع عن معتقده ، ولم تهيأ له وسائل الثقافة صغيراً ، ولكنه جد حتى صار أستاذ عصره وأعلم أهل زمانه .

ولد بدمشق حيث تفقه على فخر الدين بن عساكر ، وجمال الدين بن الحرستانى ، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدى ، وأخذ الحديث عن القاسم بن عساكر ، ودرس النحو ، ورحل إلى بغداد ، فأقام بها أشهراً . ونبغ العز فى أصول الفقه ، وأصول الدين ، والتفسير ؛ وبرع في الفقه حتى صار أعلم أهل عصره فيه ، قالوا : وانتهى به الأمر إلى مرتبة الاجتهاد فصار يفتى بما يؤدى إليه اجتهاده ؛ وكان موفقاً سديداً فى فتاويه .

ولى فى دمشق خطابة الجامع الأموى والإمامة فيه ؛ قال أبو شامة أحد تلامذته : « وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة » ؛ فأبطل صلاتى الرغائب ونصف شعبان ، وفى طبقات الشافعية للسبكى (ج ٥ ص ١٠٥) نص فتواه فى تلك الصلاة ، وبيان الأسباب التى حملته على القول بإبطالها . وما كان عز الدين يسجع فى خطابته ، بل يقولها مترسلا ، واجتنب فيها الثناء على الملوك ، واستعاض عن ذلك بالدعاء لهم .

ودرّس عز الدين بالزاوية الغزالية بجامع دمشق ، حيث قصده الطلبة من الآفاق ، يقتبسون منه ويأخذون عنه ، وارتفعت مكانته حتى راسله بعض ملوك عصره وأحبوا لقاءه ؛ فهذا الناصر داود بن المعظم عيسى يرسل إليه قصيدة يحزن فيها على ما أصاب الإسلام عندما أغارت الفرنج على نابلس ويقول له فيها :

أيا ليت أمى أيم طول عمرها … فلم يقضها ربى لمولى ولا بعل
ويا ليتها لما قضاها لسيد … لبيب أديب طيب الفرع والأصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا … فما بشرت يوماً بأنثى ولا فحل
ويا ليتها لما غدت بى حاملا … أصيبت بما ضمت عليه من الحمل
ويا ليتنى لما ولدت وأصبحت … تشد إلىّ الشدقيات بالرحل
لحقت بأسلافى فكنت ضجيعهم … ولم أر فى الإسلام ما فيه من خل

وكان الأشرف موسى يلهج بذكره ، ويؤثر الاجتماع به ، وقد دار بينهما نقاش انتهى باقتناع الأشرف برأى عز الدين وعقيدته ، وغرامه بكتبه وتآليفه ، ودعوة الناس إلى قراءتها والعمل بفتاويه . فلما مرض الأشرف مرض الموت أرسل إلى العز يستزيره فجاء إليه ، فلما استنصحه الأشرف نصحه العز بأن يولى وجهه إلى حرب التتار ، لا إلى حرب أخيه الكامل ، وكانت جفوة قد حدثت بينهما ، فقبل الأشرف نصيحته واستزاده ، فطلب منه العز أن يرسل إلى نوابه يحرم عليهم شرب الخمر والفسق وفرض ضرائب على المسلمين ، فأطاع أمره . ثم أمر له الأشرف بألف دينار ، فردها قائلا : « هذه اجتماعة لله لا أكدرها بشىء من أمور الدنيا » ؛ وعندما ملك الكامل دمشق ، وكانت الصلة بينهما وثقى ، وثقة الكامل فيه عظيمة ، ولاه قضاء دمشق بعد ما اشترط عليه عز الدين شروطاً كثيرة قبلها الكامل . فلما ملك الصالح اسماعيل دمشق ، وصعد نجم الدين أيوب إلى عرش مصر خاف الصالح اسماعيل خوفاً منعه المنام والطعام والشراب ، وصالح الفرنج على أن ينجدوه على الصالح أيوب ، ويسلم إليهم صيدا والشقيف وغير ذلك من حصون المسلمين . ودخل الفرنج دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا به عباد الله المؤمنين ، فشقّ ذلك على الشيخ مشقة عظيمة ، وعلى المتدينين من بائعى السلاح ، واستفتوا الشيخ فى بيع الفرنج السلاح ؛ فقال : « يحرم عليكم البيع لهم ؛ لأنكم متحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين » ؛ ويظهر أن عز الدين قد أثاره هذا الأمر ، فنال من الصالح اسماعيل على المنبر ولم يدع له ، وجدد دعاءه على المنبر ، وكان يدعو إذا فرغ من الخطبتين قبل نزوله من المنبر بقوله : « اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً تعز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن

معصيتك » ؛ والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين ، والنصر على أعداء الله الملحدين ، فعلم السلطان بذلك ، فأصدر أمره بعزل الشيخ واعتقاله ، فبقى مدة معتقلا ، ثم أطلقه على أن يغادر بلاده ، فخرج عبد العزيز من دمشق ؛ ثم بدا للصالح اسماعيل أن يعيده ، فأرسل خلفه رسولا أخذ يسوسه ، ويلين له القول ، وقال له : « بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير » ؛ فقال : والله يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدى فضلاعن أن أقبل يده . ياقوم، أنتم فى واد وأنا فى واد ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به » .

وبينا هو فى طريقه إلى مصر مر بالكرك ؛ فسأله صاحبها الإقامة عنده ، فرأى العز أن الانتفاع به سيكون محدوداً فى مثل هذه المدينة ، فقال له : بلدك صغير على علمى ، ومضى إلى مصر فقدمها سنة ٦٣٩ ، واستقبله علماؤها بالإجلال والإكبار ، وبالغ عبد العظيم المنذرى حافظ مصر فى الأدب معه ، وامتنع من الفتيا لأجله ، وقال : كنا نفتى قبل حضوره ، أما بعد مجيئه فمنصب الفتيا متعين فيه . وتلقاه الصالح أيوب عدو الصالح اسماعيل خير لقاء وأكرمه ؛ وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلى ، وفوض إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة ، فقام بالمنصب أتم قيام ، وتمكن من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم . وكان يسلك فى الإرشاد طريقاً عنيفاً . قال تلميذه الباجى : « طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ، ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه فى زينته ، وأخذ الأمراء يقبلون الأرض بين يدى السلطان ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه : « يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟! فقال : « هل جرى هذا ؟ » فقال : « نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ؟ ! يناديه كذلك بأعلى صوته ، والجند واقفون ، فقال : يا سيدى ، هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى » ، فقال : أنت من الذين يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أمة . فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة . قال الباجى : سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذ الخبر : يا سيدى كيف الحال ؟ فقال : يا بنى ، رأيته فى تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ؛ فقلت : يا سيدى ، كيف الحال ؟ فقال : « والله يا بنى ، استحضرت هيبة الله تعالى ، فصار السلطان قدامى كالقط » .

وحدث أن أستاذ دار الصالح وهو فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ عمد إلى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء لطبل خانه ، وظلت تضرب هنالك ، فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين أمر بهدم ذلك البناء ، ومضى بجماعته وهدمه ، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان ، فأسقط عدالة الوزير ، وعزل نفسه عن القضاء . فعظم ذلك على السلطان ، وقيل له : اعزله عن الخطابة ، وإلا شنع عليك على المنبر كما فعل فى دمشق فعزله . وقد أمضى الخليفة المستعصم ببغداد حكم عز الدين فى فخر الدين ، فلم يقبل رسالة عن السلطان كان راويها للرسول أستاذ الدار .

أقام عز الدين فى منزله يشتغل عليه الناس ، ويدرس ، وأخذ فى التفسير فى دروسه ، حتى إذا بنى السلطان المدرسة الصالحية فوض أمر تدريس الشافعية بها إلى عز الدين .

وكان العز مع الفقهاء الذين قدموا على المعظم توران شاه ، وناظرهم السلطان ، وشهد معركة المنصورة سنة ٦٤٨ مجاهداً فى سبيل الله ، ولم يزل مرعى الكرامة فى عصر السلاطين ، يعتمدون عليه ويستشيرونه ، ويأخذون برأيه ، ومن ذلك أن التتر عندما هاجوا البلاد الإسلامية جمع المظفر قطز القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه فى أمر التتار ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم ، فحضروا فى دار السلطنة بقلعة الجبل ، وحضر الشيخ عز الدين والقاضى بدر الدين السنجارى قاضى الديار المصرية ، وغيرهما من العلماء وأفاضوا فى الحديث ، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السلام . وخلاصة ما قال أنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم بشرط ألا يبقى فى بيت المال شىء ، وتبيعوا ما لكم من الأدوات المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر الجند على مركوبهم وسلاحهم ، ويتساووا هم والعامة . وأما أخذ الأموال من العامة

مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا .

وكان الظاهر بيبرس يعظمه ، ويقف عند أقواله وفتاويه ، وأقام الخليفة بعد استشارته ، ومما يدل على منزلته الرفيعة أن الظاهر لم يبايع المستنصر والحاكم إلا بعد أن تقدمه عز الدين ثم تلاه السلطان ثم القضاة (١) .

وفى عهد الظاهر بيبرس فى ١٠ جمادى الأولى سنة ٦٦٠ مات عز الدين بعد أكثر من عشرين عاماً قضاها فى مصر يحيط به الإكبار والإجلال . ويقال : إن السلطان أرسل إليه لما مرض ، وقال له : عين مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال عز الدين : ما فيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ففوضت إليه . وشهد الظاهر بيبرس جنازته ، وصلى عليه ، وحضر دفنه ، كما شيعه الأمراء والخاصة والأجناد وطبقات الشعب . ومما يدل على ما وصل إليه عز الدين من النفوذ ما يروى من أنه لما مرّت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه : الآن استقر أمرى فى الملك؛ لأن هذا الشيخ لو أمر الناس فى بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره .

ولعزّ الدين بن عبد السلام مؤلفات فى الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والتصوُّف .

ففى الفقه له كتاب القواعد الكبرى الذى قال عنه تاج التراجم : ليس لأحد مثله . وقال عنه السبكى : هذا الكتاب وكتاب مجاز القرآن شاهدان بإمامته وعظيم منزلته فى علوم الشريعة . واختصر القواعد الكبرى فى قواعد صغرى . وله فى الفقه أيضاً كتاب الغاية فى اختصار النهاية . وكتاب الإمام فى أدلة الأحكام ، والفتاوى الموصلية ، والفتاوى المصرية ، وهى مجموع مشتمل على فنون من المسائل والفوائد .

وله فى التفسير كتاب سماه بحار القرآن (بدار الكتب رقم ٣٢ تفسير) ورسالة تسمى فوائد العز بن عبد السلام وهى أسئلة وأجوبة متعلقة بالقرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٧ م تفسير) وأخرى دعاها كشف الإشكالات عن بعض الآيات ، وهى أجوبة عن أسئلة مشكلة فى آيات من القرآن الكريم (مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٣٦ تفسير)

واختصر فى الحديث صحيح مسلم .

ووضع فى علوم الكلام كتاب الفرق بين الإيمان والإسلام ، وكتاب بداية السول فى تفضيل الرسول .

وفى التصوُّف — وكانت له يد طولى فيه — ألف بيان أحوال الناس يوم القيامة ، وفوائد البلوى والمحن ، وكتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز تكلم فيه عن بعض أحاديث وألفاظ من كلام القوم ، وكتاب مسائل الطريقة فى علم الحقيقة .

ولم يترك عز الدين كتباً فحسب ، ولكنه ترك تلاميذ صاروا من أعلام الأئمة ، ومن نوابغ العلماء ، نذكر منهم ابن دقيق العيد ، وهو الذى لقب أستاذه بسلطان العلماء ؛ وعلاء الدين الباجى ، والحافظ الدمياطى والدشناوى ، وهبة الله القفطى .

أما أخلاقه فأظهرها الصلابة فى الحق والجهر به ، يحاسب غيره عليه ويحاسب نفسه ، ولا يمنعه من الرجوع إلى الحق الخوف من أن يقال أخطأ ؛ فقد أفتى مرة بشئ ، ثم ظهر أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به فإنه خطأ . قالوا : وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنادرة والشعر يستشهد به ، وإن كان لم يقل من الشعر سوى بيت واحد هو :

لو كان فيهم من عراه غرام ... ما عنفونى فى هواه ولاموا

قالوا : إنه أنشده لطلبته ، وقال لهم : أجيزوه فقال عمر بن عبد العزيز بن الفضل الأسوانى :

لكنهم جهلوا لذاذة حسنه ... وعلمتها لما سهرت وناموا

وأنشد قصيدة طويلة منها :

مولاى عز الدين عزّ بك العلا ... فخراً فدون حذاك فيه الهام

لما رأينا منك علماً لم يكن ... فى الدرس قلنا : إنه إلهام

وآخرها :

جاوزت حدّ المدح حتى لم يطق ... نظماً لفضلك فى الورى نظام

فعليك يا عبد العزيز تحية ... وعليك يا عبد العزيز سلام

كما مدحه الجزار بقصيدة أولها :

---

(١) هكذا فى طبقات الشافعية ، وفى النجوم الزاهرة (حـ ٧ ص ١١٠) أن أول من بايع الخليفة قاضى القضاة عبد الوهاب ابن بنت الأعز ثم السلطان ثم عز الدين بن عبد السلام ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم .

رحلة فى الديار المصرية فى القرن الثامن عشر (الميلادى) :

النحـــلة النصرية

فى الرحـلة المصرية

لمصطفى البكرى الصديق

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

فى يوم السبت سابع جمادى الثانية ، ودّع القرافة وتوّجه لزيارة سلطان الرجال أحمد المكنّى البدوى العلوى ، بصحبة الشيخ محمد الحفناوى وأخيه الشيخ يوسف ، والشيخ حسن ، والسيد عبد الله السلفيتى نجل المرحوم السيد حسن ، والأخ إبراهيم الحرستانى المعروف بالبلاصى ، وما زال يسير إلى أن عدّى فى فى المدية إلى قرية المرحوم وبات ليلة ، وجاء السرّاق فى الليل يسطون على الخيل نخيب الله مسعاهم ، وسار فى الصباح مع إخوانه إلى قرية (مليج) وزار سيدى على المليجى صاحب المقام وتملّى بالجامع الذى عمره إسمعيل بك ابن إيواز ونزل دار صديقه الحاج عمر ، ثم استمرّ فى السير إلى أن لاحت قبة السيد المزور ، فنزل فى البلد جوار سيدى أحمد ، وقرأ الفاتحة ، وكان معه الشيخ محمد الأحمل الحفنى ، وبقية الرفاق ، وورد عليه المحب الشيخ محمد الاسقاطى وأخبره أن والده قادم للزيارة مع جماعة ، واستفسر عن نية الشيخ للتوجّه إلى دمياط وطلب أن يرافقه. وفى الصباح سار لزيارة سيدى عبدالوهاب الجوهرى، صاحب المقام وأخبر أن جناب الشيخ محمد البديرى بن الميت فى قريته فتوجه إليه واجتمع عليه وطلب أن يرافقه الشيخ فى المدية إلى دمياط ، فقال له إنه وعد بذلك الشيخ محمد الاسقاطى، فقال إذن نزور فى البر قبل الوصول إلى البحر جناب الشيخ محمد الشناوى ، فأجابه لذلك . وعاد إلى المنزل فوفد عليه العالم والد الشيخ محمد جناب الشيخ أحمد الاسقاطى، وأكّد كلام ولده ، ثم ودّعه ، وعاد عند الظهر إلى الجامع الأحمدى ، وبعد العصر ، حضر لعنده فاضل ، يدرّس فى الجامع قريباً من

سار عبد العزيز فى الحكم سيراً ... لم يسره سوى ابن عبد العزيز

عمّنا حكمه بعدل بسيط ... شامل للورى ولفظ وجيز

وكان معاصروه من العلماء يضمرون له أعظم الإجلال ، وقد رأينا موقف الحافظ المنذرى منه ، أما ابن الحاجب فكان شديد الإعجاب به ، متفقاً معه فى لوم الصالح إسمعيل الذى أخرجهما معاً من دمشق ، وكان ابن الحاجب يرى العز أفقه من الغزالى . وكان عز الدين وأبو الحسن الشاذلى يعجب كل منهما بصاحبه ، يحضر العز عند الشيخ ويسمع كلامه فى الحقيقة ويعظمه ، وقال أبو الحسن الشاذلى : قيل لى : ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الأرض مجلس فى الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم ، وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك . ووضع القاضى عز الدين الهكارى مصنفاً فى سيرته . كما ترجم له السبكى ترجمة كلها إعجاب به بدأها بقوله : شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء ، وإمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ، ولا رأى من رآه مثله علماً وورعاً وقياماً فى الحق وشجاعة وقوة جنان .

(حلوان الحمامات) أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

مراجعه :

١ — فوات الوفيات حـ ١ ص ٢٨٧
٢ — النجوم الزاهرة حـ ٦ و حـ ٧ فى مواضع متفرقة
٣ — طبقات الشافعية للسبكى حـ ٥ ص ٨٠
٤ — ذيل الروضتين ص ١٧٠ و ٢٠٨ و ٢١٦
٥ — تاريخ القضاء فى الإسلام لعرنوس ص ١٩٣
٦ — حسن المحاضرة حـ ١ ص ١٤١ وحـ ٢ ص ٣٨ و ١٠٩ و ١١٠
٧ — خطط الشام حـ ٤ ص ٤٧ و ١١٠
٨ — السلوك للمقريزى حـ ١ ص ٣١٢ و ٣٥٤ و ٤١٦
٩ — المختصر فى أخبار البشر حـ ٣ ص ١٦٩ و ١٩٦ و ٢١٥
١٠ — نهاية الأدب حـ ٢٨ ص ١٨
١١ — بدائع الزهور ، لابن إياس حـ ١ ص ٩٤
١٢ — تاج التراجم ص ١٥١
١٣ — شذرات الذهب حـ ٥ ص ٣٠١
١٤ — كشف الظنون حـ ١ نهر ٢٢٠ و ٤٣٨ وحـ ٢ نهر ١٥٨٠
١٥ — كتبه .
١٦ — فهارس دار الكتب .
١٧ — معجم المطبوعات لسركيس حـ ١ نهر ١٦٤

الإمام ، وهو شريك الأخ الشيخ محمد على المرحوم جناب الشيخ أحمد الخليفى فدعاه لداره . وودَّع الداعى بعد قيامه بأمر الضيافة فلما وصل فنـاء مسجد الشيخ ، رأى شاباً ممسكاً للشباك ، وهو يبكى والناس حوله يهدون الفواتح للسيد ، فإذا هو ليده ممسك مقيد ، فسأل الشيخ عن قصته ، فأخبر أنه سرق حمارة ، ففطن به ، فأنكر ، فأتى به إلى الشيخ لعله يتوب ، فوضع يده على الشباك ليحلف ، فأمسك الشيخ بيده فتـاب وبكى ، فلم يطلق إلا بعد ساعتين أو أكثر حتى شفع فيه جميع من حضر . وبات ليلته وجاءه الأخ محمد بما تيسر من الزاد ، وحضر الشيخ محمد الأسقاطى بالدواب فتوجَّه معه إلى أن لحقوا بالشيخ محمد البديرى ، ونزل قريباً من زاوية الشـناوى ، وما زالوا يسيرون حتى وصلوا المحلة الـكبرى ، ونزل الشيخ فى وكالة الحرير ، وكان الشيخ أحمد الاسقاطى نزل عند محب قديم يقال له الحاج إبراهيم رضوان فأرسل ولده يستدعى الشيخ ، فذهب وبات عنده . وفى الصباح توَّجه يوم الخميس إلى قرية (سمنود) وركب والشيخ أحمد فى قياسة حتى وصل (المنصورة) وقصد زيارة الشيخ عبد الله الرفاعى ، وبعد صلاة العشاء أقلع والريح غير مريح ، فوصل قبل دخول صلاة الجمعة إلى (شربين) وبعد الصلاة زار مقام سيدى شمس الدين محمد الشربينى . وسـأله الشيخ يوسف الزين شقيق الشيخ محمد الحفناوى تخميس بيتين ففعل .

ولما وصل (فارس كور) توَّجه إلى زيارة الشيخ أبى مدين الحدادى ، وكانت ليلة مولده والفقراء يسمون إليه من كل نادى ، فقرأ له الفاتحة وزار على أثره الشيخ إبراهيم الأحمدى ، فقدم له رز حليب فأكل منـه لقيمات وصلى الصبح فى جامعها الـكبير ، وتوجه إلى مدينـة دمياط ودخلها مع الظهر يوم السبت . وزار أبا على الصياد ، ونزل فى خلوة شيخه الشيخ محمد البديرى التى فى جامع البحر للمـدَّة للوارد على الدوام ، وصار الشيخ يتردد عليه ، ودعاه لداره وأكرمه . وكذلك أضافه عنده الشيخ أحمد الاسقاطى ، وأوقفـه على بعض ما له من الحواشى . وجاءه بعض الإخوان برسالة للسيوطى وطلب نظمها ، فنظمها فى مائة بيت . وسماها النظام (البسط التام ، فى نظم رسالة السيوطى الهمام) وأخبره الشيخ أحمد الاسـقاطى أن عنـده على الرسالة شرحاً ، وأوقفـه شيخه البديرى على قصـيدة امتدحه بها الشـيخ عبد الغنى النابلسى [1] وطلب منه أن ينسج على منوالهـا فتردَّد ثم فعل . وكان الشيخ البديرى لا يفطر إلا لديه ، ويصحب معه الفطور والقهوة ، ويجلس فى مؤانسـته إلى الضحوة . ثم توجه به إلى زيارة الشـيخ ضرغام ، فذهب فى قياسة وصحبه السيد أحمـد الطرابلسى ، وخاله الحاج مصطفى وبعض الأحباب ، وبعد الزيارة دعاه لداره وأراه سبحة الشيخ المزطاوى ، وقال أن الشـيخ أعطاه إياها غب الإجازة وأخبره بما سطره عنه فى (السيوف الحداد فى ترجمـة سيدى محمد مراد النقشبندى) وسأله الأجازة فأجاب وذلك فى غرة رجب سنة ١١٣٣ ، وقد ذيلها بإمضائه ونسـبه وهو : محمد بن محمـد بن محمد بن أحمـد البديرى [2] الدمياطى الشافعى الأشعرى الشاذلى النقشبندى .

وقصد زيارة الشيخ على السقا ، ثم زار سيدى الشيخ فتح ، ومر على الشيخ جمال الدين المجمى ، فقرأ له الفاتحة ، وحضر عند الشيخ فتح مجلس ذكر ، ثم ذهب إلى بسـتان السيد كمال النقيب سابقاً ومكث فيه إلى قبيل الغروب ، ثم رأى أنه ذكر سيدى إبراهيم التبولى ، فأخبر بذلك الشيخ قاسم نجل الشيخ يوسف ، وقال له عن مراده فى زيارة السـادة التبولية ، وبعض المقامات ، فزار جناب الشيخ محمد المصيفراتى وجناب سـيدى أبى العباس الحريثى ، والشيخ الضيروطى وسيدى حسن الطويل ، وسيدى محمد المواجه له ، وزار سيدى محمـد العياشى وأبا الطيب والشيخ محمد هارون والشيخ يوسف المغربى . وكان يخدم شيخه البديرى رجلاً اسمه صبيح وكان بعض الناس يمازحه بقوله : بالله يا صبيح لا ترزنى ، يا صبيح بالله أنا دخيلك ، وهذا موشح قديم فقال الشيخ :

حبى جفانى ، فطال ليلى ، وقد كوانى ، وهد حيلى ، ومذ سبانى ، بفرط ميل ، ناديت يا ليل بالمثانى ادخل فإنى دخيلك . الخ .

وممن دعا الشيخ وكرر الدعوة صديقاه الحاج محمـد والحاج مصطفى وهما خالا السيد أحمد الأدهمى ، وكان يصحبه فى البعض شيخه الشيخ البديرى . ثم إن الشيخ المذكور عزم أوائل رجب

---

(١) صاحب الرحلة المشهورة من دمشق إلى القـدس ، القطب الكبير . زار القدس سنة (١١٠١ هـ)

(٢) جد آل البديرى فى القدس .

على التوجه إلى مصر لأن له عادة فى النزول أوائل الأشهر الثلاثة واقراء الحديث الشريف فتوجه فتألم الشيخ لفراقه .

وكان قبل هـذا التاريخ اجتمع بالعالم الشيخ حسن المفتى الحنـفى ، وجاءه للخلوة ، ودعاه لداره ، فسر بالاجتماع به ، وممن اصطحب معه فى الخلوة الشيخ محمد الهنيدى .

كان الشيخ قد سمع وهو فى الديار الشامية أن دمياط فيها سلطان الناموس فلا ينام فيها إلا بناموسية فقال لما لم يجد ذلك :

وقد قيل للناموس فيها سلاطة ولم أر ما قد قيل فى جامع البحر
ويمـكن أن البحر لما به نوى وذاك ذكى الدين فر من البحر

وكان لحقه إلى القاهرة أخ اسمه عثمان ، وجاء من غير إذن من الشيخ ، نخالف المشورة ، وأمره الشيخ أن يركب من المنفر فى شيطية (١) ، فركب فى قياسة فأسرت دون غيرها وأخـذ إلى ملطية (٢) ، فحزن قلب الشيخ عليه ، ولم يطق رد ما أوصله مولاه إليه ، ولم يسمه إلا الحوقلة ، ولوجىء به كمادتهم أحياناً إلى الثغر ، لهرع أهله إلى شرائه من الأسر ، ولـكان اشتراه الشيخ بالنقود ، ولـكن لم يتم له ذلك .

وانشد صديقه السـيد أحمد بن صالح الطرابلسى الأدهمى مصراع مواليا وطلب من الشيخ أن يضيف إليه وهو : بالله يا بدر خذ لى فى طرف عينك فقال الشيخ :

فإن مضناك يشكو سـيدى بينك
ما فيك من شيئ غير الهجر يا حينك
لا أبعـــد الله ما بينى وما بينك

وأنشد شطراً آخر وقال له أجز فانشد الشيخ :

بالله منيتى أرفق بهـــذا الصب
رشأ بحبك لقد صب المدامع صب
يهواك طفلاً رضيعاً يافعاً بل شب
وكلما شاخ حبـك فى حشاه شب

وأرسل الشيخ حسن إلى الشيخ زوادة لطيفة لما بلغه قرب سفره وكان ينتظر قدوم (البليك) فتعذر ذلك .

(١) من أسماء السفن التى جاء ذكرها فى الرحلة ، القياسة ، والبليك والشطية والمدية .

(٢) يستدل من هذا أن القرصنة كانت شائعة حينذاك .

وجاء المشار إليه مصاحباً معه سنده فى حديث المصافحة وقال له : أردت أن أتحفك بهذه التحفة ، وصافحه وقال « صافحتك كما صافحنى شيخنا الشيخ أحمد البنا ، كما صافحه شيخه سيدى أحمد بن عجيل اليمنى فى منزله ، كما صافحه شيخه تاج الدين النقشبندى ، كما صافحه الشيخ عبد الرحمن المشتهر بحاجى رمزى ، كما صافحه الشيخ محمود اسقرازى ، كما صافحه أبو سعيد الحبشى الصحابى ، كما صافحه سيد الأولين . وهـذا سند شيخنا البديرى ، كما هو مسطر فى ثبته مع زيادات فانتبه » وودعه مسروراً .

وكان قد وفد رجل طرابلسى استأجر (١) (شطية) مغفرة إلى البلاد فاجتمع به أصحابه السيد أحمد وأخواله وكلموه فى نزول الشيخ معه فأظهر القبول . ثم عزم الشيخ على التوجه إلى العزبة مع الرفاق وحضر لوداعه الشيخ أحـمد الاسقاطى ، فاستجازه بمروياته فأجازه ، وبعد أن ودّع الإخوان توجه إلى العزبة ، وبات بها ليلة .

وفى الصباح تموقت (القياسة) حتى طلع الريح ، فلم يمـكن المدية أن تقطع العتبة فاحتاج أن ينام عند برج الشيخ محمد ، وكان قد قصده للتنزه والتفرّج مع شيخه البديرى ، ويقول الشيخ « وهذا البرج فيه بعض مدافع (٢) ، ترهب العدو ، إذ الأمر الإلهى ماله مدافع ، ولقد تمنيت أن لو مكنت فبنيت أبراجاً عدة ، على سواحل البحر ، يكون فيها للثغور نجدة وعدة ، وليست إلا حماية الله هى الواقية ، وكفاية الله هى اللاقية ، وجماعة العزبة عندهم رهبة للعدو وفى الفرار رغبة ، فـلا يستعمل على المراكب ، إلا كل مغربى متين السيوف راكب ، فإن لهم معرفة بالحرب ، وحب فى الطعن والضرب ، وبغض فى الـكفرة اللئام ، واقتحام فى ميدان الاهوال العظام (كذا) فصعدنا البرج نهاراً ، وثبنا لديه إلى أن زاد الفجر إسفاراً ، وقطعنا العتبة أول النهار ، والبحر ساكن ، والقلب بعون الرب راكن ، ووصلنا (الشيطية) ، وأجلست فى القمرة التحتية ، وأعددت نزولى فيها من الذنوب السوالف ، حتى جرى الدمع على الخدود والسوالف ، ولقد كنت أتطير من النزول فى المنفر ، لما أسمع من تماطيهم المنكسر ، ولما عرف مستأجر المركب قبطانه فينا ، أخذ يلاطفنا ويصافينا ، حتى أنه

(١) يستدل من هذا أن التجار كانوا يستأجرون هذه السفن الأجنبية

(٢) فى هذا ما يدلنا على الأستحكامات الدفاعية لدمياط فى ذلك العهد

أذاب ماء وسكرا ممزوجاً بماء الليمون ، وأتانى به فلم أقبله خوفاً من نجاسة الطاعون ، فنادى المستأجر وأخبره بطهارته ، فأعلمه بعدم شربه ، ومن مهارته أمره أن يغسل آنية ، وأن يتعاطى تذويب السكر بيده علانية ، ففعل كما أمر وجاءنى بها الريس ، وأظن اسمه عمر ، فشربت بعض شربى ، حيث طاب قلبى ، وصار يتلطف بى ، ويدعى ودى وحبى ، وأنا برىء منه ومن وداده : وفى غنية عن حبه وانقياده » .

ونام أول ليلة وهو يأمل سرعة الوصول إلى يافا ، فتراءى له فى المنام أحد شيوخ دمشق الشام واسمه أحمد سراج ، ونشر أصابعه الخمس ، فاستفاق الشيخ مذعوراً ، وبان أن المراد الإقامة فى البحر خمسة أيام ، ومكث الريح المريح أربعة أيام يهب ويستريح وقابل هو وإبراهيم البلاصى الحريثى الرسالة المرسومة « بالمنهل العذب السائغ لوراده ، فى ذكر صلوات الطريق وأوراده » وقابل « الألفية فى طريق السادة الصوفية » . وضاق الشيخ ذرعاً لطول الإقامة فى البحر ، من أمر النجاسة ، فإنهم أى أهل المركب كانوا غارقين فيها حساً ومعنى ولأنهم لا يعرفون أنها من الخساسة .

وفى ليلة الخميس ويومه ، طالت كربة الشيخ ومن معه ، فتوسل بسيدى أحمد البدوى أن يسوق له صبيحة الجمعة « الريح الملم ليخلص من القبطان وجنوده ، جنود الشيطان ، وجاءه القبطان يشكو قلة الماء ، وأقسم بدينه أن الماء لا يكفيه غير اليوم مع التدبير ، ولم يبق عنده إلا أوانى الخمر . فاغتاظ الشيخ من كلامه وتأثر ، وقال للمستأجر وكان هو الترجمان بينه وبين القبطان : إن الله سيسهل بالفرج وزول الضيق ، فقال له قل له يأمر الركاب يجتمعوا ويدعوا الله عسى يجيب . فأجابه الشيخ قائلاً للترجمان قل له إن فى هذا اليوم المبارك بعد الظهر بيسير ، يأتى الريح وندخل يافا قبل الغروب ولا أبات الليلة الداخلة إلا فى يافا ذات الوجه النضير » . ففهم القبطان ذلك وسر ولم يقطع بقول الشيخ . ولما زالت الشمس هب النسيم ، ثم زاد على المعتاد حتى خال الشيخ (الشيطية) تطير فى المسير ، وخاف الشيخ من تقريع القبطان ، وستر الستار الكبير ، وفرش له فوق قمرته للتفرج على البحر ، وكشف البر عقيب العصر وزال الضيق ، وألقى المرساة ونزل الشيخ فى (قياسة) صغيرة وبات فى جامع البحر ليلة السبت وقد سر سروراً عظيماً . ورأى القافلة متوجهة إلى الديار ، فحمد الله على تسهيل قرب المزار . وبلغ الوطن (١) .

ولما استقر به المقام ورد عليه كتاب من الشيخ محمد البديرى فلم يجب عليه إلا فى بلاد الروم وأودعه فى الرحلة الرومية ، وبعد ذلك أرسل كتاباً إلى مفتى ثغر دمياط الشيخ حسن ، وآخر إلى الشيخ محمد الحفناوى ، ثم مرض الشيخ وامتد أمر سقامه نحو سبعة أشهر وأيام ، وفى هذه الأثناء جاءه كتاب من الشيخ محمد المذكور . وكانت والدة الشيخ وردت عليه للزيارة

ثم اقتضى أمر أوجب سفر الشيخ إلى حلب الشهباء ذات الخفر ، ولم ير بداً من التوجه لأمر اقتضاء الحال فعزم على المسير بعد ما استخار الله ، وكان قبل ذلك بشهر ، قال له الدرويش يعقوب الهندى إن فى نيته الذهاب إلى حلب فنفى الشيخ ذلك ، فقال له الهندى بل بعد ذهابك إليها ستتوجه إلى بلاد الروم ، فأجابه الشيخ ما الذى يصنع فى بلاد الروم ولا غرض له فيها ؟ فقال له إنها بلدته ، ولما أراد السفر توجه معه إلى حلب ومنها فارقه إلى بغداد .

وتوجه بعد مدة إلى بلاد الروم وسطر ذلك فى رحلة سماها (تفريق الهموم وتغريق الغموم فى الرحلة إلى بلاد الروم) وأبقى الوالدة فى داره فى بيت المقدس ، وقد حزن على فراقها ولكنه رضخ لحكم الأقدار (انتهى) .

أحمد سامح الخالدى

(١) بيت المقدس .

حب المنطق

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب تواتيه الحياة بأبهى ما يرجو شاب من الحياة. مال وافر، وسمت جميل. وهو بعد ذو روح فنانة عذبة. لم تمل به كل هذه المقومات إلى ما ينزلق إليه الشباب، بل كان منذ مطلع شبابه كبيراً على اللهو، يرى فيه طفولة غير جديرة به. وما زال كذلك حتى بلغ سنا يفاخر فيها الشباب بآثامهم؛ فكان يجلس إلى أترابه، يقص كل منهم عليه ما ارتكب في زهو. بل كان منهم من يخلق لنفسه جرائم كان يعلم صاحبي أن محدثه براء منها. ولكنه كان يسمده بتصديقها فيسعد. ثم يقبل هؤلاء الأتراب على صاحبهم يسألونه ما فعل وما يفعل، ظانين أنه سيقص عليهم ما يعجزون هم عنه ... وهو ذو السمت الجميل والمال الوافر. وكم تفيد هاتان الخلتان إذا شاء صاحبهما منهما إفادة! ولكن صاحبي كان دائماً يخيب ظنهم، ويعلمهم أن أمره غير أمرهم، فيعتقدون أنه كاذب في ادعائه، ويظن بعضهم أنه شديد الدربة والمران. ومن تمام المران ألا يخبرهم بما يفعل. ويحاول بعضهم أن يظن بصاحبي سذاجة؛ ولكن سرعان ما يرده عن تفكيره بديهة فيه متوثبة، وسخرية لاذعة كان يقابل بها كل من يحاول من أمره عبثاً.

كنت وحدي أعلم السر في ذلك، وما كان لي أن أدعي بهذا معرفة لولا أنني عرفت الصديق طفلا حين كنت أنا طفلاً، ثم درج ودرجت معه متلازمين لا نفترق إلا الفترة الوجيزة، فهو في غير حاجة إلى أن يطلعني على سر استقامته. لقد نشأ الطفل في بيئة تجعل من الطفل صبياً، ومن الصبي شاباً، ومن الشاب كهلا. فتراه في طفولته يجلس إلى قوم يكبرونه في السن. ولم تكن الطبيعة قد هيأت له إذ ذاك أن ينظر نظرة منحرفة .. فإذا مال بهم الحديث رأى في كلامهم وجهاً غير الذي يجرونه عليه حتى إذا كبر قليلا وفهم ما كان يقال على وجهه، كان رفاق ندوته قد ملوا هذا الحديث وشبوا عنه، فسار معهم حابسا كلاما، كابتاً شعوراً ... لا يفضى إذا أفضى إلا لنفسه.

هكذا كانت الحياة ترتفع به عن مكان سنه؛ وهكذا اضطرته أن يرتفع عما يفعله أترابه. فكان في شبابه كهلا واسع الأفق، يجيد كلام الرجال، ويحسن ما يحسنون. ولكن أمراً واحداً كان يحيرني فيه ... قد يستطيع الشاب أن يستقيم فلا يلتوى به الطريق، ولكن هل يطيق قلبه هذا الجمود؟ ألم يحب؟ ألم يجمح؟ إن صديقي على استقامته واقعي يفهم الحياة كما هي، ولا يحب أن يخدع نفسه عن نفسه. فهو يعلم أن لا حياة له إذا لم تقم بينه وبين الجنس الآخر صلة.

أقبل على ذات يوم ضاحكا كعادته، وكنت أفكر في أمره فسألته في مجابهة.

— ألم تحب؟

فاربد منه ما كان ضاحكا، وغامت عيناه، وأطرق يخفي ما ألم به، ثم تماسك قليلا ورفع إلي وجهاً باهتا وقال:

— حتى أنت تسألني؟ ومن أحب؟ النساء يا أخي نوعان .. شريفة أرهب مفاتحتها بحبي، وساقطة أرغب عن حبها اليسور لأنني أخشى.

— وهل يعرف الحب هـذه الحدود؟ أو لك على قلبك كل هذا السلطان؟

— إسمع ... أنا أعلم الناس بنفسي ... إنني شاب تخطيت سن البدء في اللهو، وأعرف في قلبي رقة وإجدابا، وهذان أمران إن وجدا في قلب وأحب، فهو بين أمرين: إما أن ينتهي بصاحبه إلى السعادة كل السعادة، أو إلى موت لا قيامة له منه. فإذا أحببت من لا أعرف وأثق أنها تحبني — معتمداً على نظرة أو بسمة يثبت لي بعدها أنها قد منحت عن غير قصد — فأنا إلى فناء. فتراني أمنع قلبي كلما أوشك أن يبدأ ... أمنعه بإرادة تظن أنت أنهـا قوية، وهي في الواقع مع القلب خائرة ... لأن كل ما تفعله هو أن تمنع هذا الحب قبل أن يبدأ. أما إذا بدأ، فلا إرادتي ولا منطقي بمستطيعين له ردا ... إنني إذا أحببت، فسأحب بقلبي وإرادتي ومنطقي جميعا. ولن يكون هـذا حتى

أسألها وحتى تجيب .

— وأين لك مثل هـذا ما دمت ترهب الشريفة وتنفر عن الساقطة ؟

— أنا لا أحتم الإجابة الصريحة .

— أنا الآن أسألك كيف تستطيع أن تسأل ، لا كيف تجيب هي .

— إن اعتمادي يا صاحبي على الظروف .

— إنني لم أر في حياتي رجلا يحكم منطقه في قلبه كل هذا التحكم ... ويرجو بعد هذا أن يحب .. إن الحب يا صديقي قلب يتأجج وتتضرم به النار .. لا يعرف العقل ولا يسأله ، ولا يطيق العقل أن يقحم نفسه في أمر لم يخلق له ... الحب يا صديقي هو السعادة ... شقاؤه سعادة ، والحرمان فيه سعادة .. والوصل فيه سعادة ... والهجر فيه سعادة ... الحب ...

— كفى كفى . أمحاضرة هي ؟ أنت تعلم مقدرتي على رواية الشعر . إنك في كل قولك هذا لم تأت بجديد ... كل هذا كلام قرأناه وحفظناه حتى مللناه .. إنني شخصيا أحب الحب .. ولكني حتى الآن لم أجد من أحوّل إليها عاطفتي ، وأخشى أن تنحرف بي العاطفة فتنحرف معها حياتي أجمع .. وثق أنني يوم أحب سوف يكون حبي أعمق من كل حب قرأت عنه أو سمعت به ، لأنني سوف أحب يومذاك بمنطقي كله ، وقلبي كله ، ولا أظن واحداً ممن خلد الحب اسمهم قد حكم المنطق في حبه ؛ ولذا ترى معظمهم قد فجعوا في حياتهم ، وانتهى بهم الحب إلى مالم يريدوا لأنفسهم ، ولم يخطر بمنطقهم يوم بدأ القلب يقوم بمهمته . وثق أنهم لو فكروا كما أفكر ، لكان الحب لهم نعيما كما سيكون لي إذا شاء الله .. أقسم أنك لم تفهم شيئاً مما قلت ، لأنك لا تحاول ذلك ... قم الآن فانثر ما قلت أو انظمه على من يطيب لك أن يسمعه . أما أنا ففنيّ عنه ... هيا .

— حسبك حسبك .. تزعم أن حبك سيكون أقوى حب في التاريخ .. لقد والله انتهزت فرصة صداقتي وأسمعتني هـذرا لا يسمع لك به إلا مجنون مثلك .

— ألم أقل إنك لم تفهم ما أقصد إليه . لم يكذب ظني بك .

ومرت على هذا الحديث فترة لم ألقه فيها ، عاد بعدها تنضر وجهه ابتسامة لم أرها من قبل .

— ماذا ؟ أحدثت المعجزة ؟

فلم يزد على قوله .

— نعم .

— كيف ؟ ومتى ؟ وماذا قلت ؟ وماذا قيل لك ؟ وماذا تم ؟ وماذا تنوى أن تفعله ؟ وماذا تحس ؟ أجب أجب .

— لا جواب .. كل هذا مضى ، ولا شأن لك به . ولكن اعلم أن للعقل كما للقلب عاطفة ، وإن العقل بهذه الآصرة يتحكم في القلب ، وإن الحب الصحيح هو حب القلب والمنطق جميعا .

— والله لن أصدق حتى أجرب أو تقص .

— أما أن أقص فلست بذاك وأنت تعلم . وأما أن تجرب فهاءنذا أدعو الله أن يهيىء لك هـذا الحب .. حب القلب ، وحب المنطق .

ثروت أباظة



الزهريات الكلاسيكية

للدكتور أحمد موسى

— ٣ —

مما يبعث السرور فى النفس وسط ما يحيط بنا فى هذه الأيام من مصاعب ومنازعات أن نرجع إلى حكمة جاءت على لسان ماتيو آرنولد الناقد الفنى العظيم حيث يقول :

مثل الرجل الذى يميل إلى الفن ثم يبتغى لهذا الفن غذاء فى غير مخلفات الإغريق ، وكذلك الذى يميل إلى الشعر من غير أن يستعين فى تنمية هذا الميل بهوميروس وأبى العلاء وشكسبير وجوته ، كمثل من يلتمس التهذيب والخلق القويم فى غير الكتب السماوية !

وعلى ذلك يقرر آرنولد Mathew Arnold أن من الكتب السماوية ومن هوميروس وأبى العلاء وشكسبير وجوته ، ومن الفن الإغريقى ؛ مجموعة تلك المخلفات القديمة العظيمة الخالدة ، هى التى ستبقى أبداً الباعث القوى والمثال الحى والمعين الذى لا ينضب لأعمال الإنسان !

أكتب هذا بمناسبة خطاب وصلنى من (قارىء) يعتب على الكتابة فى فن الإغريق ، فى وقت ظهرت فيه القنبلة الذرية — ويقول أنه يرى من الخير معاصرة باحث الفن وناقده ومؤرخه للوقت الذى يعيش فيه ؛ فيكتب فى الفن الحديث وفى اتجاهاته ومدارسه .

وهذا قول لا غبار عليه لو أردنا الكتابة لمجرد الترفيه عن القارىء بكتابة ما يلذ له أن يقرأ ، ولكن « مجلة الرسالة » التى كافحت ستة عشر عاماً فى خدمة الأدب والعلم والفن الرفيع ولم ينزل صاحبها مرة إلى السوق ليعرف مطالبه ، بل ظل رابضاً كالأسد يرفع من مستوى الناس ولا يهبط هو إليهم ، حتى ولو عاد عليه هذا الهبوط بالرواج العظيم — ليست المجلة التجارية التى تريد اكتساح السوق !

ولما كنت أعتقد أن الخير كل الخير هو تثقيف القارىء تثقيفاً فنياً يعود عليه بإدراك معنى الفن إدراكا سليما فيرى ويسمع ويفرق بين الجيد وغير الجيد ؛ رأيت أن أكتب عن الإغريق غير مهتم بتسلية القارىء والترفيه عنه .

ولا أنكر أن معظم الناس يعتقد فى هذه الأيام بعد ظهور الاختراعات الحديثة كالقنبلة الذرية والرادار والتليفزيون والبنسلين أنهم أحسن بكثير من السلف ، وإنه لا داع بعد اليوم للتعلق بأهداب أعمالهم ، وهذا راجع ولا شك إلى ما أحدثته الحرب الأخيرة — وكذلك الحرب التى قبلها — من قلق واضطراب وتعلق بالماديات لم يعهد له مثيل فى سابق العصور ، حتى فى بلاد الشرق التى لم تدر فيها المعارك الحاسمة !

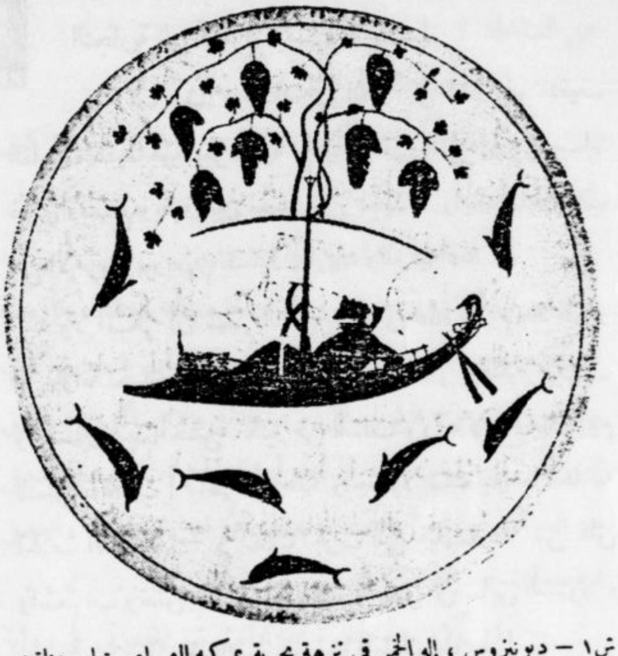
وأراه مناسباً فى هذا المقام أن أبين فى كل اقتضاب الأسباب التى من أجلها لا يزال الفن الإغريقى سيد الفنون جميعاً . فنحن معشر المصريين لم يبلغ تقديرنا للفن مبلغ تقديرنا للشعر والأدب والفلسفة ، ذلك لأن لنا فى مجال الشعر والأدب والفلسفة إنتاجاً قومياً عرف قدره فى الشرق كله وفى معظم البلاد الأوربية ، أما فى الفن ، فإن جهودنا ضئيلة تكاد لا تذكر ، ولعل المقارنة بين الفن المصرى القديم وبين ما ننتجه الآن يحقق هذا القول .

ومهما يكن من شىء ؛ فإن المقرر أنه لولا ما للفن الإغريقى من التأثير المتواصل لما ارتفع الفن كثيراً فى كل أنحاء الأرض عن مستوى الفن الهندى أو الصينى أو الفارسى .

ففى المائة السنة السابقة على حروب الفرس التى وقعت بين عامى ٥٠٠ ، ٤٨٠ ق . م . كانت بلاد الإغريق بقسميها الأيونى والدورى أشبه شىء بشجرة أنبتت أغصاناً ناضرة انبعثت فى نواحيها المتباينة ، وما انبثق فجر القرن التالى لتلك الحروب ، حتى جاء هذا الغرس بأطيب الثمرات ، وأخرج لنا الأغارقة الآيات البينات ، التى ظلت حتى اليوم المثال الذى يحتذى به الإنسان ، والأفق العظيم الذى يمكن للعقل البشرى الوصول إليه !

والميزة الكبرى فى الفن الإغريقى أنه فن بسيط متوازن فى

تناسق ، يحاكى الطبيعة ويستلهمها فى طموح مستمر نحو الكمال ، فهو فن إنسانى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .



ش١ — ديونيزوس ، إله الخمر فى نزهة بحرية بمركبه الشراعى تعلوه عناقيد الكرم وتحيط به الأسماك

وإذا كنت قد كتبت على صفحات الرسالة منذ عشر سنوات عن نواح مختلفة فى الفن الإغريقى ؛ فإنى أكتب اليوم ولا زلت مصراً على ألا أبدأ إلا به .

نعم كان فى مصر فن وفى بابل وآشور فن ، وكذلك فى كريت ، ولكنه لم يكن إنسانياً بالمعنى الذى نفهمه من هذه الكلمة ؛ ذلك لأن فنانى مصر وبابل وآشور وكريت انصرف اهتمامهم نحو تصوير عبادة الآلهة وتصوير الحروب والحياة البيتية والزراعية ، أما الصور الإنسانية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان كما قلت ، فإنها لم تأت فيما ذكرت إلا رموزاً متواضعاً عليها خالية مما يثير الشعور ، بل إنها كانت خالية مما يبعث فى النفس حب الجمال أو ما يسمو بالمشاهد فوق المستوى العادى .

عرف الإغريق آثار الفن الأولى ، ولكنهم أبوا أن يجتذبهم ما اجتذب الفينيقيين والإترسكانيين الذين اقتصروا على تقليدها والنسج على منوالها . ذلك لأنه قد قامت فى نفوس الإغريق عقيدة هى فى طبيعتها أقرب إلى الوجدان منها إلى العقل وهى استحداث فن إنسانى كامل !!

وللبيئة الطبيعية والاجتماعية آثار ظاهرة فى نهضة الإغريق ، وسواحلهم الممتدة وكذلك مرافئهم ونهضتهم التجارية ، كل هذا مما زاد فى جدهم لا سيما فى منطقة الشواطىء الشرقية حيث كانت فينيقية ومصر وغيرها من الشعوب الشرقية ذات المدنية واقعة بالقرب منهم .

وهكذا كانت طبيعة البلاد وأحوال الاجتماع مما مهد السبيل إلى إيقاظ الفكر الإغريقى النابت فى أرض أوربية ذات جو (شرقى) معتدل .

هذا بيان لم يكن منه بد — وفى اعتقادى أن مرسل الخطاب لم يستمع بالراديو إلى حديث حضرة الأستاذ الكبير شفيق غربال بك فى معرض الكلام عن الكتب الأوربية الحديثة ، فلو أنه استمع إليه عندما أشاد بذكر الإغريق والعقلية الإغريقية وفضلها الدائم على العمل البشرى لما وجه إلىّ خطابه .

والآن أقول إن مصانع الفخار فى أثينا انتهت فجأة عقب الحروب الفارسية التى ألهبت العقل الإغريقى وأيقظت أحاسيسه الدفينة ، مما عاد على الفن الإغريقى بالخير العميم !

وإذن لم يكن غلق مصانع الفخار فى أثينا نتيجة لاستحالة تصدير المشكاوات إلى وسط إيطاليا Etruria — Tuskana كما يتبادر إلى الذهن ، بل نتيجة لاتجاه المصور إلى المساحات الفسيحة على الحيطان بدل المساحات المحدودة على الزهريات ، فعلى حيطان المعابد الأثينية وردهات المبانى العامة صورت المناظر العظيمة [سيكون للتصوير الإغريقى بحث خاص] وأخذ



ش ٢ — فتاة تسند رأس صديقها وقد عاد إليها ثملا !

موضوع الإنشاء الفنى يظهر كاملا فى الأفق ، والانسجام بين أجزاء القصة الواحدة متوافراً .

ولـكن هـذا — مع الاعتراف بأثره الانقلابي العظيم — لم يكن ليقضي قضاء مبرماً على فن المشكاوات ، ولـكنه قضى على مبدأ تسجيل أسمـاء الفنانين عليها كما لو كان الفنان يترفع عن كتابة اسمه على مساحة بسيطة محدودة بالقياس إلى الصور الحائطية الهائلة .

والذي يهمنا على وجه التخصيص أنه قد نشأ عن انتشـار التصوير الحائطي الاقتصار في صور المشكاوات على المناظر العاطفية الحيّـة ، فترى ما يسجل الوداع بين حبيبين أو لقاء بين عاشقين أو ممرضة تضمد جراح محارب يحنو عليه ، وغير هـذه وما يمت إليها بصلة ، هذا إلى جانب تصوير الورود والأزاهير والفاكهة .

أما إذا سجل الفنان مناظر قصصية فإنه يقتطف أحد مواقفها ويكتفي به للتسجيل ، فظهرت المصورات بسيطة الموضوع ظاهرة الغاية على نقيض المراحل الأولى ، وطبيعي أنه كلما كانت الفكرة محدودة وكان المعنى ظاهراً ؛ كلما أمكن الحكم على مقدرة الفنان وتقدير مدى نجاحه ، لأن المساحة وإن تكن محدودة إلا أنهـا تسمح عندئذ بإظهار قوة الفنان من خلال رقة الخطوط التحديدية وقوة تعبيرها فضلا عن بيان الأجسام في مرتبة من الاتقان تفصح عن رشاقتها وقوة تأثيرها على الشاهد المتأمل .

واستخدم في هذه المرحلة لون الذهب واللون الأزرق والأبيض ، وخصصت لأجزاء معينة من صور الجسم الإنساني على الزهريات الصغيرة التي كانت تستعمل في تجميل الحجرات .

ولم يبق من نماذج المشكاوات الملونة شيئاً حفظ مستواه الفني



ش ٣ — الصديقتان

حتى القرن الرابع ق . م إلا النوع المسمى Lekythen وهي التي كانت توضع في الجبانات وإلى جانب المقابر .

ومنذ منتصف القرن الرابع وبعده بقليل أخذت زهريات أتيكا تختفي ، وحلّت محلها مشكاوات جلبتها أثينا بغية تصديرها



ش ٤ — المحارب العائد وقد طالت لحيته وتغضنت وجنتاه

إلى الخارج لا سيما إلى الجزء الجنوبي الغربي من روسيا ، وأهم المدن مثل باستوم وأبوليا وكانوزا وكابوا Paestum ، Apulia Canosa ، Capua . وقد تشـابه الإنتاج الفني للزهريات التي عملت بهـذه المدن مع نظائره التي عملت في أتيكا — ولـكن هناك فوارق فنية جديرة بالتنويه ، إلا وهي خشونة الطين المعمولة منه ، وظهور المصورات ضعيفة الخطوط مع الإكثار من الزخرفة لتغطية الضعف ، مثلها في ذلك مثل المغني الذي يلتزم الاختفاء بصوته وسط الدربكة الموسيقية ! وظهرت الزخارف الخطية والخيالية التي تذكرنا بالمشـكاوات المبكرة ، على حين ظلت الاتيكية على جانب كبير من الذوق الفني ، ولعل زهريات أبوليا كانت أبدع ما نذكره ، فمن بينهـا ما لا يزال مشهوراً بجماله وحسن تكوينه وطول عنقه في انثناء كعنق البجع .

ومهما يكن من شيء فإنه لم ينته القرن الثالث الميلادي إلا وكانت الآثار الباقية من هـذا الفن ضئيلة ، وحلت محلها الزهريات المدنية ، وعليها رسـومات بارزة Relief ذات بريق ولمعان ، انتقلت إلى بلاد الرومان وظلت فيها حتى اندثار دولتهم .

وتباهي روما ونابولي وفلورنسا مدائن باريس ولندن وبرلين وميونيخ وكارلزروه وفينا وكوبنهاجن وبطرسبرج بمجموعتها الفريدة التي تكوّن سلسلة متصلة الحلقات لمن يريد مواصلة الدرس

أحمد موسى

الفتوة عنـــد الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(مهداة إلى الأستاذ ضياء الدخيلى ، لمناسبة ما كتبه من أبحاث قيمة عن الفتوة فى الإسلام وفى كتب اللغة والأدب وحياة الفتيان فى الجاهلية والإسلام ؛ أوحت إلى كتابة هذا المقال) ع . ع

الفتوة : فعولة من لفظ فتى ، كالإنسانية من الإنسان والمروءة من المرء ، والفتى هو الشاب حدث السن ، قال الله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام « ودخل معه السجن (فتيان) — وقال (لفتيانه) » وقال عن قوم إبراهيم عليه السلام إنهم « قالوا سمعنا (فتى) يذكرهم يقال له إبراهيم » وقال عن أهل الكهف « إنهم (فتية) آمنوا بربهم » من هذا نرى أن الفتى اسم لا يشعر بمدح أو ذم كالشاب والحدث .

وللصوفيين رأيهم فى الفتوة كما لغيرهم من اللغويين والأدباء والشعراء آراؤهم ، وكل يستعملها حسب هواه ، ويلبسها الثوب الذى يعجبه ويهواه ، فهم يستعملونها فيما يوافق تعاليمهم ويساير مذاهبهم ، فى معاملة العبد لنفسه وصلته بغيره من الناس وصلته بخالقه جل شأنه ، وقد اصطلحوا على أنها منزلة من منازل الإحسان إلى الخلق ، وكف الأذى عن الغير ، والصبر على مايصدر منهم من أذى وسوء فعل ، وأنها الطريق الموصل إلى الذات العلية والحضرة الربانية ، وأنها نوع من أنواع المروءة : والمروءة ترك العبد مايشين أخلاقه أو يعود بالضرر على سواه ، والتحلى بمحاسن الأخلاق وحميد الصفات وكريم السجايا . فالفتوة عندهم كما قال قائلهم (الفتوة أن يكون المرء أبدا فى أمر غيره) وهم يجعلونها منازل ودرجات كالأكثرية من تعاليمهم ، فهى عندهم ثلاث منازل أو ثلاث درجات .

المنزلة الأولى ، وتخص معاملة المرء لنفسه دون غيرها ، فيلزم من يتحلى بصفة الفتوة ، أن يترك الخصومة فلا يخاصم أحداً من عباد الله ، ولا يجعل نفسه خصما لأحد سواها ، فهى خصمه الذى يجب عليه أن يخصه بالمخاصمة ويقف منه موقف الحذر والترقب ولا يجعل لهـا سلطاناً عليه ولا يتبع هواها ، لينجو من سوء ما تأمر به وعاقبة ما تسول له . وفى ذلك قال بعضهم : (الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك ، وأن لا تتخذ لك عـدواً سواها) . وقال الشبلى : (الفتوة أن لا تكون خصما لأحد سوى نفسك والشيطان) .

والفتى لا يخاصم بلسانه ولا ينوى الخصومة بقلبه — كما يفعل البعض الآن وما عليه الغالبية العظمى اليوم — ألسنتهم رطاب ، وبطائنهم أكباد صوادى — ولا يخطرها بباله وإن خاصم أو حاكم ، فيجب أن يكون خصامه أو تحاكمه فى الله وإلى الله ، وله فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ فقد كان يقول فى دعاء الاستفتاح : (وبك خاصمت ، وإليك حاكمت) .

— وأن يتغاضى عن هفوات غيره ، ويتغافل عن زلاتهم . وإذا رأى من أحدهم هفوة ، أو أخذ عليه زلة توجب الأخذ بها ، أظهر أنه لم يلحظ منه شيئاً حتى لا يعرضه للوحشة والخجل ، ليعفيه من تحمل مشقة العذر .

حكى أبو عثمان الدقاق رحمـه الله قال : إن امرأة أتت حاتما فسألته عن مسألة ، وفى أثناء وجودها خرج منها صوت ، فظهر الخجل عليها وبان فى وجهها ، فلما رأى ذلك منها قال لها ارفعى صوتك ، ليوهمها أنه أصم لم يسمع ما تقول ، فسرت المرأة وسرى ذلك عنها وقالت إنه لم يسمع الصوت ، فلقبوه من ذلك الوقت بحاتم الأصم .

وحكى غيره أن رجلا بنى بامرأة ، فلما دخل بها رأى بها الجدرى فقال ، اشتكيت عينى ، وتصنعت العمى ، وبعد عشرين سنة ماتت زوجه ولم تعلم أنه بصير ، فقيل له لم فعلت ذلك ؟ قال كرهت أن يحزنها رؤيتى لما بها ، فقيل له : سبقت الفتيان .

— وأن ينسى إيذاء الناس له ، ويجاهد نفسه فى نسيان ماناله من الضرر وينظر إلى من ناله بأذى نظر الصديق المتسامح واسع الصدر كريم النفس ، إلى صديق له زل أو هفا ، حتى لا يستوحش الناس وينفروا منه . قال عمر بن عثمان : (الفتوة حسن الخلق) وقال الجنيد : (الفتوة كف الأذى وبذل الندى) .

ولا يبلغ درجة الفتيان ويدخل فى زمرتهم من نسى إساءة الناس له وتغاضى عن هفواتهم ، إلا إذا نسى كذلك إحسانه إلى من أحسن إليه وأسدى إليه معروفاً حتى يعتقد أنه لم يحسن إليه ولم يصدر منه ما يستوجب الشكر ، لأن ما أحسن به هو

من عند الله . فالواجب أن يشكر هذا المحسن إليه لأنه جعله يشكر الله الذى وهبه هذه النعم وأفاض عليه من خيره وبره . وهذا النوع من النسيان أعظم درجة وأرفع منزلة من السابق ، وفيه قال بعضهم :

ينسى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

والمنزلة الثانية هى منزلة الإحسان إلى الغير ، وهى أعلى مرتبة من الأولى ، لأنها تلزم المتحلى بها أن يقرب من أقصاه عن مجلسه وطرده من حضرته ، وأن يحسن إلى من أساء إليه ويكرم من أهانه ويعتذر إلى من اعتدى عليه ، ولا يتصف صاحب هذه الفعال بصفة الفتوة إلا إذا كانت فعاله هذه عن تواد وسماحة لا عن مصابرة وكظم ، ومن قوة وقدرة لا عن جبن وضعف ، وفضلوا هذه المنزلة على سابقتها ، لأنها تتضمن التغلب على عدوين ، النفس ومقابلة الشىء بضده ، فيكون خلق الفتى الإحسان والعفو ، وخلق غيره الإساءة والإيذاء ، وفى هذا قال قائلهم .

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

حكى أن رجلا من حجاج بيت الله ذهب لزيارة القبر الشريف ونام فى المدينة ففقد مالا له ، فلما صحا من نومه فزع لضياعه ، ووجد جعفر[1] بن محمد قريباً منه فعلق به وقال له : أخذت مالى ! فقال : كم هو ؟ قال : ألف دينار . فأخذه جعفر حتى أدخله داره ووزن له قدر ماله . ثم إن الرجل عثر على ماله ، فعاد إلى جعفر يرد له المال ويعتذر عما صدر منه ، فأبى جعفر أن يقبله منه ، وقال : هذا شىء أخرجته من يدى لا أسترده أبداً . فسأل الرجل الناس : من هذا ؟ فأخبروه أنه جعفر بن محمد رضى الله عنه فقال : إنه خير الفتيان . ثم قيل لجعفر : كيف تعتذر لمن جنى عليك ، وتحسن إلى من أساء إليك ، ولم يصدر منك مايوجب الاعتذار . ألم يكن كافياً أنك لم تؤاخذه ؟ ألست باعتذارك إليه أنزلت نفسك منزلة الجانى لا المجنى عليه ، والجانى خليق بالعذر . فقال لهم : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

فهو يعزو ما أصابه إلى ذنب صدر منه ، وأن هذا هو الانتقام الإلهى الذى يجب أن يناله كل مذنب . ومن كانت هذه حاله فهو بالاعتذار أولى وأحق إلى من جنى عليه ، وشكره والإحسان إليه . فمن كانت هذه حاله مع من أساء إليه عفا عنه وأحسن إليه مع ضعفه وفقره وحاجته إلى سواه ، فبأعظم من هذا يكافئه الفتى الذى وسع ملكه السموات والأرض وشمل إحسانه المؤمن والكافر والطائع والعاصى ، فيعفو عن إساءته كما عفا عن إساءة عبده ، فالجزاء من جنس العمل .

وقال ابن عياض رحمه الله « الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان » وقال غيره « من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشتم رائحة الفتوة » ومعنى هذا القول أن من أساء إليك ونالك ضرره ، إذا علم أنك متألم مما وقع منه ، احتاج إلى أن يتقدم إليك معتذراً ، أو يلجأ إلى شفيع يشفع له عندك ليزيل ما فى قلبك من كدر ، ويغسل ما علق به من زعل . فالفتوة كل الفتوة أن لا تظهر له العتب . ولا تغير ما كان منك له قبل الذى صدر منه ، ولا تحول عنه وجهك حتى لا تحوجه إلى طلب الصفح والشفاعة ؛ وإن لم تفعل ذلك وتخجل من قيامه بين يديك مقام الذلة والاعتذار لم يكن لك من الفتوة أو فى نصيب .

فالفتى الحق من تغاضى عن عثرة غيره ولم يأخذه بذنب أتاه أو جرم اقترفه ، بل يجب أن يكون معه سمحا كريما يعامله معاملة صادرة عن سماحة خلق وطيبة نفس وانشراح صدر ، لا عن ضيق وكظم غيظ ومصابرة ، لأن هذا يعتبر تكلفاً وتصنعاً يوشك أن يزول وتبدو الأخلاق واضحة ، وتظهر الصفات جلية فيفتضح أمره بين الناس ، فإن التخلق يأتى دونه الخلق .

والمقصود من هذا أن يصلح الفتى باطنه كما يجمل ظاهره ، وأن ينقى نفسه من الشوائب كما ينظف ثوبه من الأقذار . كان بعض أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه يقول : وددت أنى لأصحابى مثله لأعدائه وخصومه ، ما رأيته يحمل حقداً لأحد منهم قط ، وما سمعته يدعو على أحدهم ، بل كان يدعو لهم ويطلب لهم من الله العفو والغفران . ثم قال : جئته يوماً أبشره بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأكثرهم إيذاء له ، فنهرنى وتنكر لى وأشاح عنى واسترجع ، ثم قام من فوره إلى بيت الميت فعزى أهله وقال لهم : أنا لكم مكانه ، لا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة أو عون إلا ساعدتكم فيه وعاونتكم عليه ، ونحو هذا الكلام ، فسروا به ودعوا له وأعظموا هذه الحال منه . ولما سمع أحد المتصوفين بخبر هذه الواقعة قال : (خير الفتيان من كانت له فى هذا أسوة وبه قدوة) .

(للكلام بقية) **عبد الموجود عبد الحافظ**

(١) هو الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه .

أوراق مطوية :

عند ما يأتي الربيع !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قلت لليأس الذى خيم فى قلبى العليل
فكساه وحشة الليل ، وأحزان الأصيل :
أيهـــا اليأس تمهل ، يا ضباب المستحيل
وترفق بشبابى ، وتأهب للـــرحيل
وكفى أزهار عمرى ما عراها من ذبول
فتمطت ظلمة اليأس ، وقالت فى ذهول :
عند ما يأتى الربيع !

قلت للأحزان ... أحزانى ! وقد جاء الصباح
ورأى الضوء نشوان على صـــدر الأقاح :
أنت يا أحزان فى قلبى دماء وجـــراح !
أنت فى عمرى دمـــوع وأنين ونواح
فتى تمضين عن قلبى الحزين المستباح ؟
فأجابت فى سكون : سوف أمضى كالرياح
عند ما يأتى الربيع !

قلت للآمال إذ لاحت بآفاق الخيـــال
كعذارى عاريات ، أو كأطياف الجمال :
عانقى قلبى ؛ فقد رانت على قلبى الظلال
عانقى روحى ؛ فقد خيم فى روحى الملــــلال
لا تكونى كسراب راقص فوق الرمال
فمضت ترقص من حولى : وقالت فى دلال :
عند ما يأتى الربيع !

قلت للأفراح ، والأفراح أزهار الحياه
أنت فى عمرى تسابيح ، وفى روحى صلاه
وأنا عمرى عباب قد تناءى شـــاطئاه
وأنا روحى شراع ضـــــل الموج خطاه
فتعالى إنمــــا قلبى غريق فى أساه
فأجابت وهى تنأى : ســـوف آتى فى الغداه
عند ما يأتى الربيع !

وتحــــدثت إلى نفسى ، وقد جاء المســـاء
قلت : يا نفسى غـــداً تمضى كآبات الشتاء
وغـــداً يأتى الربيع السمح نشوان الضياء
ويرف الزهر فى عمـــرى ، ويشدو بالغناء
فإذا صوت عميق شـــق أجواز الفضاء
لست أدرى كيف وافى ، لا ، ولا من أين جاء
قال : يا شاعر يا مستاها روح الخفاء
يا صدى الآلام فى الدنيا ، ويا رجم الشقاء
إنمـــا تحيا على الدنيا حياة الشهداء
لا تؤمل فى سراب هو من وهم الظماء
كل ما قيل خداع ، فاستمع صوت القضاء :
لن يغيب اليأس والحزن ، ولن تلقى الرجاء
عند ما يأتى الربيع !

من جحيم الواقع :

البدر العــــاشق

للشيخ محمد رجب البيومى

« قصة عاشقين فرقت بينهما عوامل البيئة ، وقسوة المجتمع ، ونكد الطالع »

أبصر البدرُ سناها يترامى	فغـدا بالشمس صبًّا مستهاما
عاشق ألقى الهوى فى نفســه	ذلة أعرفها عنـــد اليتامى
جن بالشمس ومن هذا الذى	لمح الشمس ولم يفتن هياما
ذو حياء لم يشاهد مثــله	عند خود تلزم الخدر احتشاما
يتوارى إن بدت مستخذيا	فإذا ما أدبرت ألـقى اللثاما
كم خطا بين الثريا ساهما	كمريض يشتكى داء عقاما
زِجل يبكى له من رحمة	ومهيل يطلق الدمع سجاما
عجبى للبـدر ، أمسى وجهه	شاحب الطلعة لا يمحو الظلاما
نظرة يا ويلها من نظرة	ذاق من جرائها الموت الزؤاما

كم شكا للشمس ما قد شفه ... من سقام ، قاتل الله السقاما
وانبرى يسألها فى ذلة ... كيف ترضين لمثلى أن يضاما
تاه ظنى فيك يا شمس الضحى ... أدلالاً غبت عنى أم خصاما
زهرتى أودى بها لفح النوى ... فإلامَ الهجر يا شمس إلاما ؟
آه لو تدرين نجوى مهجة ... ترك البعد بقاياها حطاما
كبدى تصرخ من أعماقها ... إذ مضى العمر ولم تطفىء أواما
أى عيب ضائر تخشينه ... لو تفضلت بإتيانى لماما
أحسد الزهر إذا طفت به ... ساجى الطرف فداعبت الكماما
أحسد اليم وقد غطيته ... بسناً كان على الماء وساما
سرت فى الأرض فأضحى وجهها ... كثنايا الغيد نوراً وابتساما
كل ما فى الكون لاقى حظه ... منك لكن أنا لم أبلغ مراما
لى رجاء فيك إن خيبته ... حبذا بعدك أن ألقى الحماما

***

قالت الشمس له فى رعدة ... قدك، قد أشعلت فى قلبى الضراما
صير الحب كيانى هدفاً ... يتلقى طيلة العمر السهاما
أرسل الزفرة حراً لافحاً ... كجحيم موقد يشوى الأناما
أنظر الأفق إذا ولى الدجى ... أترى للجمر فى صدرى اضطراما
أنظر الأفق إذا حان الدجى ... شفقاً تلق عليه أم كلاما
قلب الطرف أصيلا كى ترى ... لاصفرار الوجد فى وجهى ارتساما
مقلتى لاذقت يوماً داءها ... حرم الشوق عليها أن تناما
أنظر الغيث تجده أدمعاً ... فارقتها لم تطق فيها مقاما
هأنا الأخرى تفانيت أسى ... فعلام العتب يا بدر علاما ؟
أنت فى الأفق مكين ثابت ... وأنا أحبو على الأرض دواما
حولك الأنجم فى أفلاكها ... تتفانى فيك حبًّا واحتراما
كيف ترجو زورة منى إذن ... أيزور البدر من يغشى الرغاما
هاك عرف الناس ، من لم يرضه ... تركوا أعظمه فيهم رماما
كلما أرقب وصلا قيل لى ... جعل الرحمن لقيانا حراما
ما صنيعى فى إله قادر ... صير اليأس لقلبينا لزاما
ليته إذ مد أحبال النوى ... صير الأشواق برداً وسلاما

***

هذه قصة حب ثائر ... كشف الشعر لنا عنها اللثاما
أنت أنت الشمس ما أحظى بها ... رغم وجدى وأنا البدر تماما

(السكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور طه حسين في المغرب :

نشرت الصحف أخيراً أن الدكتور طه حسين بك سيسافر من فرنسا إلى إسبانيا تلبية لدعوة إلى إلقاء محاضرات بجامعاتها . وقد علمت أن الدكتور بعد أن يفرغ من مهمته في إسبانيا سيسافر منها إلى شمال إفريقية لإلقاء محاضرات ببعض المعاهد المغربية .

ولا شك أنك ستدهش لذلك كما دهشت أنا له … فبلاد المغرب التي يحكمها الفرنسيون ، والتي سيتجه إليها الدكتور طه حسين بطبيعة الحال — تعد مغلقة أمام الثقافة العربية الشرقية الحديثة ، فلا يكاد يدخلها من مصر وما يليها من الأقطار العربية صحيفة ولا كتاب ! فكيف يدخلها طه حسين ويحاضر فيها وهو في الصف الأول من منتجي هذه الثقافة ؟ ولكن ما ذا أصنع وقد استقيت الخبر من مصدر عليم أثق به ، كما يقول زملاؤنا الصحفيون ، ولم يلقه إلىّ إلقاء ، بل أوضح كيف وصل إلى علمه إيضاحاً يبعث على التصديق .

ثم قرأت في العدد الأخير من مجلة « الإثنين » ما يلي :

« قال لنا أحد الحجاج المغاربة الذين مروا بمصر في طريقهم إلى الحجاز : إن الكتاب المصري أصبحت له سوق سوداء في شمال أفريقيا لندرة الحصول عليه ، وإن هناك مجاعة ذهنية بسبب خلو المكتبات من آثار مصر الفكرية » .

قرأت هذا فازدادت دهشتي من السماح للدكتور طه بدخول تلك البلاد ، وخطر لي خاطر استبعدته ، لأنه لا يمكن أن يساهم على التحدث عن الثقافة الفرنسية دون العربية !

إنها لمعجزة حقاً أن ينجح الدكتور طه حسين في « تهريب » الثقافة العربية إلى مناطق النفوذ الفرنسي في شمال إفريقية …

كرسي شوقي أيضاً :

أفضى الأستاذ مصطفى عامر بك وكيل جامعة فؤاد الأول إلى مجلة « البشير » بتصريح في مسألة كرسي شوقي ، فقال : « يسر الجامعة ملء هذا الكرسي بدون توان ، وإنما الذي لا بد منه هو اختيار الشخص الذي يتذوق الأدب الحديث عامة ، المتشبع بشعر شوقي وروح شوقي وفلسفة شوقي خاصة ، حتى يتمكن من ملء الكرسي وإعطاء شوقي حقه ومكانه من أدباء العصر الحديث . وإذا تيسر الحصول على هذا الشخص ، فكلية الآداب لا تتردد في اختياره » . إلى أن قال : « أولى بنا أن نترك الكرسي شاغراً حتى يتيسر لنا الشخص المطلوب » . ولم يتعرض لنقطة اختيار الأستاذ من الجامعة أو من خارجها .

ويفهم من تصريحه نصاً أن الجامعة لم تقع عينها إلى الآن على شخص يصلح لهذه الأستاذية ، ولكن هل يفهم منه — عن طريق الاستنتاج — أن الجامعة لا تجد في أساتذتها — وهم تحت عينها — من يصلح ؟ أما غير أساتذتها من الأدباء ، فهل بحثت عمن يصلح منهم ؟ على أن هذا السؤال يجب أن يسبقه إقرار المبدأ وهو الاستعانة بأساتذة من خارج الجامعة .

والسؤال الأخير : هل صحيح أنه لا يوجد — في الجامعة أو في غيرها — من يتذوق الأدب الحديث ويلم بدقائق شوقي ؟

وما كان يصح أن يتكون هذا السؤال لولا تلك المقدمات ، فليس شوقي وشعره معضلة إلى هذا الحد !

اجتماع بجوار « كشك الموسيقى » :

شاء صديقي الأستاذ وديع فلسطين أن يفرّع الحديث في موضوع اختيار الجامعة أساتذتها ، فأرسل الكلام في شعب هذا الموضوع ، دائراً حول المحور الذي يظهر من قوله : « إن الحياة كثيراً ما تكون أقدر على إعداد المرء ثقافياً وعلمياً من الجامعة . وقد اعترف جورج برنارد شو بأنه لم يدخل جامعة ولا معهداً عالياً ، وأنه كان خامل الذكر في دراسته الابتدائية » .

واذكر — لهذا — ما رأيته بعدد من جريدة « المؤيد » يقع تاريخه قبيل سنة ١٩٠٨ ، فقد كنت أتصفح أعدادها منذ سنوات بدار الكتب المصرية ، فلمحت هذا التوقيع عباس

محمود المقاد » تحت أسطر تتضمن دعوة الراسبين فى الشهادة الابتدائية إلى الاجتماع بجوار « كشك الموسيقى » بحديقة الأزبكية ... ولعل التلميذ عباس محمود المقاد كان يريد بهذا الاجتماع أن يتزعم زملاءه للمطالبة بعقد امتحان « ملحق » لهم ، وقد يكون الأمر غير ذلك . ولكن المعروف فى تاريخ الأستاذ الكبير أنه لم يستمر فى دراسة مدرسية بعد التعليم الابتدائى ، لحسن حظه ! فقد كسب بذلك وقتاً طويلا من عمره كان يضيع فى تعلم ما لا يريد ولا يفيد ، فاستغل وقته ووجه همه إلى ما أراد . وهو يعبر عن ذلك فى مقال بالعدد الأخير من مجلة الهلال بقوله : « ومما أحمد الله عليه أن أساتذتى جميعاً قد اخترتهم بنفسى ، ولم يفرضهم على أحد يملك سلطة التعيين والفصل دون غيره ، لأنهم كانوا جميعاً مؤلفين مشهوداً لهم برسوخ القدم فى صناعة التأليف أقرأ منهم من أشاء وأعرض عمن أشاء ، وأطلبهم حين أريد وحيث أريد » .

وقد بلغ العقاد فى الأدب والفكر ما بلغ ، ولست أقول كما قال الأستاذ وديع إنه يكفى أن يقدم كتاباً من كتبه — بغير اختيار — إلى الجامعة لينال عليه درجة الدكتوراه . ولا أذهب إلى ما ذهب إليه من المطالبة بالدكتوراه لرواد الحركة الفكرية الحديثة فى مصر . فالدكتوراه لا تزيدهم شيئاً ، إلا أن يكون المطلوب مساواتهم بعشرات الدكاترة من الخريجين العاديين .

إنما تمنح الشهادة أو الدرجة الجامعية لتدل على قيمة صاحبها العلمية أو الفنية ، فإذا ما ظهرت هذه القيمة وأصبحت معروفة بين الناس فما الحاجة إلى الدليل عليها ؟

مؤسسة الثقافة الشعبية :

تلقينا من مؤسسة الثقافة الشعبية التى كان اسمها الجامعة الشعبية ، بياناً ضمنته خلاصة ما قامت به منذ إنشائها سنة ١٩٤٦ ، جاء فيه أن من أغراض المؤسسة « تنظيم دراسات عقلية وفنية لتكوين الشخصية ، وترقية الملكات ، ورفع المستوى الثقافى ، والعمل على نشر الثقافة العامة بين طبقات الشعب على أساس من الرغبة الشخصية دون اشتراط مؤهلات معينة » .

ويبدو أن الكبار أحسن من الصغار حظاً بهذه المؤسسة ، فنى هذا الوقت الذى يواجه فيه الآباء مشقات إلحاق أبنائهم بالمدارس ، الناجمة من عدم وجود محل ، أو عدم توافر الشروط ، أو العجز عن أداء « المصروفات » وما يصحب ذلك فى الغالب من الوساطات والشفاعات — فى هذا الوقت يستطيع الكبير الذى لا تقل سنه عن ١٦ سنة ، والذى أتقن القراءة والكتابة ، وقد حرم من التزود بما يميل إليه من ألوان الثقافة وأنواع الفنون أن يستدرك ما فاته ويحقق رغباته فى وقت فراغه ، لا يتكلف غير رسم زهيد مائتى مليم فى السنة .

وبالمؤسسة عشر شعب ، نذكر منها شعبة الدراسات الأدبية ، وشعبة الدراسات الاجتماعية ، وشعبة الفنون الجميلة وتشمل الرسم والتصوير والزخرفة والموسيقى والأغانى والتمثيل ، وقد أنشىء للعام القادم شعبة اللغات الحية . وللمؤسسة فروع فى الأقاليم يشمل كل فرع منها جميع الشعب ، وقد بلغ عدد الطلاب فى العام الماضى بالقاهرة والأقاليم ١٠٥٠٤ منهم ٤٨٢٨ سيدات وآنسات أكثرهن فى شعب الثقافة النسوية .

نظرة فى منهج الشعبة الأدبية :

وفى زيارتى المركز العام للمؤسسة أطلعنى سكرتيرها الأستاذ محمود الغزاوى على منهج الشعبة الأدبية ، وأذكر أولا ما جاء فى آخر هذا المنهج من أن هدفها هو « أن تجعل من طالبها إنساناً متذوقاً للجمال الأدبى ، وقارئاً يقرأ عن فطنة ويدرك عن وعى ، وكاتباً يحسن التعبير عما فى نفسه ، ومتحدثاً يزن الكلام إذا نطق ، وأن تقضى على العامية اللغوية والفكرية وأن تحبب الشعب فى القراءة المجدية التى هى أهم وسائل المعرفة ، وأن تساهم فى الإعلاء من قدر الأدب الرفيع ومحاربة الأدب المزيل الرخيص » .

وهذا كلام طيب ، وهو الهدف الذى يجب أن يرى إليه . ولكن هل المنهج المرسوم يؤدى إليه ؟ يحتوى المنهج إجمالا على : تعريف وتحليل للكتاب العربى ، تراجم وتحليل للشخصيات الأدبية ، دراسة علمية للأسلوب مع التفرقة بين الأساليب المختلفة ، تحليل وعرض لنصوص من جيد النثر على أن تكون تطبيقاً على ما فى الدروس العلمية .

وأنا أعتقد أن دراسة هذه الموضوعات لا تسير فى الطريق إلى تحقيق ذلك الهدف ، بل إنها تصد الناشىء فى الأدب عنه ، وكان يعد الموضوع الأخير ، وهو عرض النصوص ، من الاتجاه الصحيح ، لولا ما أفسده من أن المقصود به أن يكون تطبيقاً على الدروس العلمية .

إن هذه الموضوعات تدرس فى المدارس الثانوية وما يماثلها ، وتسخر أذهان الطلاب فى حفظ التعريفات وإحصاء الخصائص والفروق والصفات ، وليس وراء شىء من ذلك أى طائل ، فمثلا يحفظ الطالب فى السنة الثانية سبب تأليف أبى الفرج كتاب الأغانى ويحفظ وصف الطريقة التى اتبعها فى تأليفه وغير ذلك ، ولكن ليس فى ذهنه فكرة واضحة عن الكتاب ، ولو رآه ما عرف أنه المقصود بذلك الدرس الذى حفظه ...

يخيل إلى أن الذين يضعون هذه المناهج إنما يريدون أن يدلوا على علو كعبهم فى فنون الدراسات الأدبية ، كما تدل على علو كعبهم أيضاً تلك الكتب المدرسية التى يؤلفونها وفق هذه المناهج ، ولكنك إذا نظرت إلى هذا كله من جهة أخرى هى تعريفهم أنفسهم للبلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وتأملت الفرق الكبير بين حال الطلبة الناشئين وبين أسلوب هذه المؤلفات ومستوى تلك المناهج ، علمت ما فى عملهم هذا من مجانبة للبلاغة ودلالة على ضد « علو كعبهم » فيها ..

كنت وما زلت أود أن تخرج المؤسسة الشعبية على تلك المناهج الرسمية الجامدة ، فتقدم لطلابها الأدب نفسه خالصاً من تلك الدراسات ، تعرض نماذج سهلة منه وتيسر لهم قراءة الكتب الدانية من أفهامهم ، مع شرح من الأساتذة ، وتحليل طفيف يقصدُ منه إلى الإساغة والتذوق ، لا إلى معرفة الخصائص والاصطلاحات العلمية والبحث عن أسباب الصعود والهبوط فى (بورصة) الأدب !

إن الذين يطلبون الأدب فى مؤسسة الثقافة الشعبية ينبغى أن يكون أهم ما يقدم لهم رحيق الآداب المصفى ، لأنه هو الذى يستجيب لميولهم التى دفعتهم إلى طلبه ، وهو الذى يلائم شهيتهم البادئة . وهم بعد أحرار فى إقبالهم وإعراضهم ، لا تملك المؤسسة من أمرهم كما تملك المدارس من أمر تلاميذها . . وأخشى إن دأبت على هذا المنهج أن تضطر إلى إلغاء الشعبة الأدبية بعد أن بعد أن تدل « التجربة » على عدم نجاح الدراسة فيها ..

عزيزتى السيدة بديعة مصابنى :

قرأت فى إحدى الصحف أنك تفكرين فى إحضار فرقة « باليه » راقصة من باريس للعمل فى مسرح (كازينو أوبرا) فى الشتاء القادم . فسررت لهذا الخبر ، ولا يسعنى إلا أن أشكرك بالنيابة عن الحكومة المصرية وعن دار الأوبرا الملكية لأن استقدامك فرقة الباليه من شأنه أن يعفى الدولة من الجهود والأموال التى تبذلها لاستقدام هذه الفرقة وأمثالها ، من شأن عملك هذا يا سيدتى أن يعفى مدير الأوبرا من الترحال والأسفار والتنقل بين البلدان الأوربية للبحث عن هذه الفرق والتعاقد معها ، ومن شأن هذا العمل الجليل أيضاً أن يعفى خزانة الأمة المسكينة من تلك الأموال التى تدفعها إلى تلك الفرق والتى ينفقها المدير فى رحلاته .

ومما يضاعف الشكر لك « يا ست بديعة » أن تكونى قد أردت معاونة الدولة فى أعبائها الكثيرة المرهقة ، إذ رأيتها تعمل جاهدة على استكمال ما ينقص هذا الشعب المسكين فتجلب الفرق الراقصة لعلاج أمراضه ومحاربة أعدائه الثلاثة المشهورة المعروفة بالفقر والجهل والمرض !

ورأيت من جهة ثانية أن الدولة مرهقة بأعباء أخرى جدية . . . كتدبير الخطط السياسية الخارجية وإيفاد الوفود إلى الهيئات الدولية ، فأردت — مشكورة — أن تقولى لها : خل عنك عبء الترفيه عن ذوى الهموم المترفة ! وتفرغى لغيره مما يليق بك ..

وسواء أصح ذلك الخبر أم كان من خيال زميل بارع ، فهو على كل حال يلقى ضوءاً على جهة الاختصاص فيتبين « بارى القوس » ليعطاها . . . وهو أيضاً فرصة طيبة لأ كتب لك هذا وأحييك تحية فائقة ..

عباس خضر



إصطلاحات فنية :

فى افتتاحية الرسالة (ع ٧٩٥) ، عبر الأستاذ الجليل الزيات عن ال hiérârchie بـ (الهيررْشية) ؛ ولقد كنا نؤثر لو أن الأستاذ الكبير اصطفى لفظ « الرئاسية » ترجمة لهذا الاصطلاح الفنى ، متمشياً فى ذلك مع فقهاء القانون المصريين الأعلام . .

وفى اعتقادنا أنه لفظ مناسب تماماً لمفهوم ال hiérarchie الذى أجمله الأستاذ فى هذه الكلمات : « النظام الإدارى الذى يقضى بتدرج المناصب فى العمال والأعمال والتبعات ، فيبدأ الأمر بالأصغر فالصغير ، ثم ينتهى إلى الكبير فالأكبر » .

ولقد يكون من المفيد — فى هذا المجال — أن نشير إلى أن هذه « الرئاسية » هى أسلوب النظام الإدارى الموسوم بالمركزية (centralisation) ، وهو نظام بمقتضاه تنعقد السلطة الإدارية بيد الحكومة المركزية ، بينما لا يصير لما عداها من الهيئات والشخوص المعنوية الإقليمية أو المصلحية ، سلطة جوهرية محسوسة الأثر بالقياس إلى سلطانها الواسع الكبير .

وعلى العكس من ذلك نظام « اللامركزية » (décentralisation) ، الذى يتضمن اقتطاع (بعض) من هذه السلطة المركزية الكبيرة ، للهيئات المحلية المنتخبة ، التى تقوم مستقلة — بداءة ، وفى حدود رقابة خاصة — بمباشرة وظيفتها الإدارية الإقليمية أو المصلحية .

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر — كما يقولون — فقد يجمل بنا التنبيه إلى « لَبْس » تقع فيه الصحف هذه الأيام ، حين تعبر عن النظام الإدارى القائم الآن بوزارة المعارف المصرية — وأعنى به « اللاوزارية » (déconcentràtion) بـ « اللامركزية » (décentralisation) .

وهو « لبس » أدى إليه الاعتقاد — خطأ — بأن ترك المراقبين والمفتشين ونظار المدارس ومن إليهم من الرؤساء الإداريين بالأقاليم ، يبتون نهائياً — فى بعض أحوال خاصة — فى شئون وظيفتهم الإدارية ، دون الرجوع فى ذلك إلى مكاتب وزارتهم القائمة بالعاصمة ... يعنى أن الأسلوب المختار فى الإدارة فى وزارة المعارف المصرية هو الأسلوب اللامركزى

وقد فات هذه الصحف ، أن الشرط الأساسى والجوهرى لقيام « اللامركزية » ، هو أن تستمد الهيئات الإقليمية سلطاتها المحلية من طريق الانتخاب لا التعيين ، وأن يكون الانتخاب — غالباً على الأقل — فى تكوين هذه الهيئات[1] .

فأين هذا من النظام القائم الآن فى هذه الوزارة ، والذى لا يعدو أن يكون « صورة مخففة » من المركزية المطلقة (الوزارية concentration) ، يطلق عليها — أى على هذه الصورة المخففة — فى الاصطلاح الفنى لفظ : (اللاوزارية déconcentation) .

وهكذا يتضح من هذا البيان أن النظام المعمول به اليوم فى وزارة المعارف المصرية ، هو نظام مركزى فى صورة مخففة (لا وزارية) ؛ وعلى ذلك ... فمن الخطأ — فنياً — إدماجه فى دائرة اللامركزية .

عبد العزيز الكردانى

(الرسالة) آثرنا كلمة الهيررشية كما آثر من قبلنا كلمات الديمقراطية والأرستقراطية والثيوقراطية الخ .. لأن كلمة الرياسة وأشباهها لا تؤدى المعنى الكامل الرفيق للفظ الأجنبى إلا بقوة الوضع وكثرة الاستعمال وطول الزمن

يدعو إلى الإسلام :

ورد لى خطاب عن يد مجلة الرسالة من الأديب أحمد عادل يثنى فيه علىّ لما أكتبه فى الرسالة عن الصهيونية وفلسطين ثم يدعونى إلى الإسلام ، فأشكر له هذه الدعوة لأنه طبعاً يريد بها لى الخير . ولكننى عجبت من أنه يختصنى بهذه الدعوة ، وفى البشر نحو ١٥٠٠ مليون نسمة ليسوا مسلمين فهم أيضاً خليقون بدعوته . فهل يظننى حضرته ملحداً أو وثنياً ؟ لا . يا عزيزى . إن لى ديناً لا يقل عن الإسلام فى فضائله . دع ما يلابسه فى بعض الأحوال والأزمان من ترهات رجاله ، كما يلابس كثيراً من عقائد البشر . فى أمريكا طائفة نصرانية يقال لذويها « الوحدون » فهى تنبذ من المسيحية كل ما هو غير معقول كالتثليث والمعمودية الخ ويعتنقها جلة أهل العلم والفضل وتتمسك بتعاليم المسيح التى

(١) راجع فى هذا بتوسع رسالة الدكتور عثمان خليل « اللامركزية ونظام مجالس المديريات » — القاهرة — ١٩٣٩ ، وكتابه الجديد فى القانون الإدارى .

تصلح لكل ملة من ملل العالم كقوله : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى من أساء إليكم . اغفروا للمذنبين إليكم الخ ربما قابلها فى القرآن الشريف ما فى سورة « فصِّلت » .

فإنا إلى حد ما ، من هذه الطائفة . وقد بُجمت عقيدتى فى مطلع قصيدة للشيخ نصيف البازجى فى كتابه مجمع البحرين :

الحمـــد لله الصمد ... حال السرور والكمد
اللهُ لا إلهَ إلاّ ... الله مولاك الأحـد
لا أمَّ للـــه ولا ... والدٌ له ولا ولَد
أوّل كلّ أوّل ... أصل الأصول والعمد
الحوْل والطوْل له ... لا درع إلا ما سرد

إلى آخرها وكلها من هذا الطراز العاطل (لا نقط فى حروفه) والأستاذ أحمد عادل بارك الله فيه يحثنى على قراءة القرآن الكريم . فليعلم أن عنـدى مصحفين . وقد قرأت القرآن كله وقرأت بعض سوره مراراً . وأومن بكل فضائله ومحامده ، ولكننى لا أرى لماذا أنادى باعتناق الإسلام ولى من العقيدة الدينية العالمة ما أتمنى أن يكون للملايين غيرى حتى الجانب من المسلمين أنفسهم . وربما كنت أقرب إلى الإسلام من كثيرين من المسلمين . فليطمئن أخونا أحمـد أنى لست بعيداً عنه لا كثيراً ولا قليلا . اللهم إذا كان اعتقاده نظيفاً من الخرافات والترهات

بقيت بعض نقط أخرى فى كتابه لا محل لهـا فى الرسالة فإذا أنبأنى بعنوانه كاتبته بها .

نقولا الحداد

حول حب الرافعي :

قرأت فى العدد من « الرسالة » كلمة بسط قائلها فيها رأيى الأستاذين حسنين مخلوف وكامل محمود حبيب فى حب الرافعى .

والرأيان يرميان إلى أن حب الرافعى لم يكن صادقاً — كما قال صاحب الكلمة — وليس فى هذين الرأيين جديد ، فقد قرأنا من قبل رأى تلميذ من تلاميذ الرافعى لعله أقربهم إليه وهو الأستاذ محمد سعيد العريان ، وقد أورد رأيه هذا فى كتابه عن الرافعى فقال : « إن الحب عند الناس هو حيلة الحياة لإيجاد النوع . ولكنه عند الرافعى هو حيلة النفس إلى السمو والأشراق والوصول إلى الشاطئ المجهول .. هو مادة الشعر وجلاء الخاطر وصقال النفس وينبوع الرحمة وأداة البيان .. كذلك كان الحب عند الرافعى ، ولذلك كان يحب » ..

ويقول بعد هذا بقليل . « وبلغ الرافعى (بعصفورة) إلى غايته واشتهر شاعر الحسن » وترنم المشـاق بشعره وما بلغت عصفورة إلى غايتها ، ثم مضى كل منهما إلى طريق ، وأتم الرافعى طبع ديوانه ، وكما ينتهى الحب الذى هو حيلة الحياة لإيجاد النوع إلى الزواج أو إلى الغاية الأخرى ، ثم يبـدأ فى تاريخ جديد ، كذلك انتهى حب الرافعى وعصفورة وأنجب ثمرته الشعرية ، ثم كان تاريخ جديد ..

وعلى مثال هذا الحب كم كانت له حبيبات ، وكم أنجبت ثمرات ، وإنه ليخيل إلى أن الرافعى كان كلما أحس حاجة إلى الحب راح يفتش عن « واحدة » يقول لها : تعالى نتحاب لأن فى نفسى شعراً أود أن أنظمه أو رسالة فى الحب أريد أن أكتبها !

ولقد سمعته مرة يقول لإحداهن . . . وسمعت إحداهن مرة تقول له : متى أرانى فى مجلسك مرة لتكتب عنى رسالة فى « ورقة ورد » ؟

ويتضح من هذا أن الرافعى — رحمه الله — كان يبحث عن الشعر والفن فى الحب ، فالحب عنده وسيلة إلى تصوير عواطفه ، وتسجيل خواطره ، فلم يكن الرافعى يبحث عن الحب نفسه ، وإنما لغاية فيه .

على أن هذا لا يمنع أن يكون الرافعى قد أحب حباً صادقاً إحدى هؤلاء اللائى كتب عنهن ، فلا نحكم حينئذ جملة بأن حب الرافعى كان مصنوعاً كله . ويؤيد هذا كلمة قالها الأستاذ العريان فى (حياة الرافعى) : « . . . وسعى إلى الحب أول ما سعى على رجليه ، منطلقاً بإرادته ليبحث فى الحب عن ينبوع الشعر ، فلما بلغ أغلق الباب دونه ، فظل يرسف فى أغلاله سنين لا يستطيع الفكاك من أسر الحب » ..

وإذن فقد أحب الرافعى ، وظل يرسف فى أغلال الحب سنين طويلة .. فلا يمكن بعد هـذا أن يقال إن كل ما كتبه الرافعى فى فلسفة الحب والجمال شعراً أم نثراً غير صادر عن عاطفة صادقة وحب خالص .

ولا حاجة بنا أيضاً إلى سؤال تلاميذ الرافعى أو غيرهم عن توفر (الصدق الفنى) فيما كتب أم عدم توفره .

حسن صادق حمدان



الأعـــوذج

للكاتب الفرنسي جي دي مو باسان

ترجمة الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

كانت بلدة (أترات) الهلالية الشكل ذات الجرف الأبيض ، والبحر الأزرق والرمل الذهبي ، تنام في هدوء تحت شمس شهر يوليو المشرقة ، وقد برز على طرفي الهلال قوسان من الصخور مدليان على الماء الساكن ، أصغرهما واقع إلى الشمال كأنه قدم قزم ، وأكبرهما إلى الجنوب كأنه ساق عملاق .

واحتشد الناس على طول الساحل راقدين على الرمل يتأملون المستحمين ، وازدحمت شرفة (الكازينو) بالقاعدين أو السائرين المتنزهين ، فبدت ملابس السيدات المزركشة ومظلاتهن الحريرية الوشاه كأنها حقل منسق الزهور . وابتعد البعض عند آخر الشرفة يتجول هنا وهناك ويتمتع بالطقس الهادىء اللطيف بعيداً عن ثرثرة البعض الآخر .

ومشى جان سمر الرسام الشاب المعروف بجانب مقعد متحرك يدفعه الخادم ، جلست عليه زوجه المقعدة تحدق في حزن إلى صفاء السماء تارة ، وإلى الحشد المبتهج الجالس تحت الشمس الزاهية تارة أخرى . كانا صامتين لا ينظر أحدهما إلى الآخر .

وأخيراً قالت السيدة إلى زوجها — دعنا نقف هنا لحظة .

فوقف وجلس الرسام على مقعد صغيراً استحضره له الخادم .

كان كل من مر عليهما ويراهما صامتين ينظر إليهما نظرة أشفاق . كانوا يعرفون قصة غرامهما ، تلك التي أصبحت أسطورة البلدة . لقد عقد عليها الرسام على الرغم من عاهتها .

وجلس على مسافة غير بعيدة منهما رجلان يتحدثان ويتطلعان إلى البحر ، وتابع أحدهما حديثه قائلاً كلا ، هذا غير صحيح . إني أعرف جان سمر جيداً .

— إذا لماذا تزوجها ؟ لقد كانت مقعدة عندما عقد عليها أليس كذلك ؟

— أجل ، أنها الحقيقة . لقد تزوجها ... حسناً ... تزوجها كأي رجل تزوج ، لأنه كان مجنوناً .

— ولكن لابد وأن هناك سبباً آخر .

— سبب آخر يا صديق ؟ ! لا يوجد هناك سبب آخر . إن الرجل مجنون لأنه مجنون . أنت تعرف أن الرسامين مشهورون بالغريب من الزواج . إنهم غالباً ما يتزوجون الفتيات اللاتي يرسمونهن ، وقد كن قبل الزواج خليلات لغيرهم من الرجال . أنهن سلع قديمة بمعنى الكلمة !

لماذا يتزوجونهن ؟ سؤال لا يستطيع أحد أن يجيب عليه إجابة شافية . وقد يظن المرء أن الاختلاط الدائم بهن يجعلهم يعافون مثل هـذا النوع من النساء . ولكنه ظن غير صحيح . فانهم بعد أن يرسمونهن يتزوجونهن . حبذا لو قرأت كتاب «زوجات الفنانين» لألفونس دوديه إنه كتاب ثمين واقعي قاسي النقد إن زواج هذين الاثنين قد حدث بطريقة محزنة غير مألوفة . وفي الحق ، لقد مثلت الفتاة مهزلة أو قل مأساة ، وقامرت بكل شيء في ضربة واحدة . هل كانت تحب جان ؟ لا يستطيع أحد أن يتكهن بذلك في مثل هذه الحالات . من ذا الذي يستطيع أن يتحدث عن مقدار عنصر القسوة ، ومدى عنصر الاخلاص اللذين يدخلان في أعمال المرأة ؟ إنهن دائماً لغز لا يستطيع الرجل حله . فنحن طالما نسأل أنفسنا . هل هن مخلصات ، أم هن يمثلن علينا دوراً ؟ يا رفيق العزيز ، إنهن مخلصات وغير مخلصات لأن ذلك جزء من طبيعتهن . فكر في الوسائل التي يتخذها أمهرهن للحصول على كل ما يرغبنه منا . أنها وسائل معقدة وبسيطة في آن واحد . ممعقدة حتى أننا لا نستطيع أن نستنتجها ، وبسيطة لأننا بعد ما نقع في الشرك لا نملك إلا أن نتعجب دهشة ونسأل أنفسنا « حسناً ... هـل هن حقيقة خدعننا بمثل هذه السهولة ؟ وهن دائماً يسلكن الطريق الذي رسمنه لأنفسهن . خصوصاً عند ما يرغبن في الزواج . على أية حال إليك قصة سمر .

« كانت الفتاة انموذجاً عنده . وكانت حسناء ساحرة ذات جمال فتان . ووقع الرسام فى شراك حبها كأى رجل يقع فى حب فتاة جذابة كثيرة التردد عليه . وخيل إليـه أنه يحبها حقيقة . إن تلك ظاهرة عجيبة . فإنه حالماً يرغب رجل فى امرأة يقتنع فى قرارة نفسـه اقتناعاً تاماً أنه لا يستطيع من بعدها عيشاً .

ولـكن الرسام كان يدرك تمام الادراك أن ما حدث قد حدث له من قبل ، وأنه عندما تشبع الرغبة يعقبها التقزز . وكان يعرف أنه لـكى يقضى سنى حياته مع مخلوق بشرى آخر ، فإنها ليست العاطفة الحيوانية البدائية الزائلة هى ما يحتاج إليه ، وإنما التشابه الروحى والتآلف فى الشعور والطباع ، وأنه يجب عليه أن يكون قادراً على التمييز — وسط الجاذبية التى تؤثر عليه — فيما إذا كان ذلك الانجذاب نتيجة عوامل طبيعية محضـة ، أو هو نوع من الخيال ، أو نتيجة اتحاد روحى متين .

ومع ذلك فقد ظن الرسام أنه يحبها ، وتعهد مئات المرات وأقسم على الاخلاص لها وألا ينظر إلى امرأة غيرها وكانت فى الحق رشيقة ؛ رشـاقة فتيات باريس . وكانت تثرثر وتتحدث بعبارات جنونية فى صور مسلية . وتومئ إليه بحركات جذابة ؛ وتقف أمامه وقفات فاتنة تسر كل فنان .

ولم يدرك جان مدة ثلاثة أشهر بأنها فى قرارة نفسها لا تختلف من أية فتاة أخرى من طرازها . بل استأجر لها داراً فى (أندرس) لقضاء فصل الصيف . وكنت هناك ذات مساء عنـد ما ابتدأت أولى الشـكوك تفرض نفسها فرضاً على نفس صديقى . كانت ليلة بديعة ، فقررنا التنزه على ضفة النهر . وكان القمر يرقص على صفحة الماء المتألق ، فتتلألأ صورته بتأثير تيار الماء الجارى .

كنا نسير على طول الضفة ، وقد تملـكنا شعور مبهم من السعادة ، تلك السعادة التى كثيراً ما تغمرنا فى مثل ذلك المساء الـكامل . وشعرنا بأننا نستعرض منظراً ساحراً ، وبأننا وقعـنا فى حب سماوى مع ما صورته لنا مخيلتنا الشاعرية . كنا ندرك فى عجب هذه الأحاسيس الغريبة المثيرة . وسرنا صامتين متأثرين من هذا الهدوء وبهجة هـذه الليلة . وظهر القمر كأن ضوءه يخترق ذاتنا ؛ يخترق الجسد فيغرق الروح فى حمام شـذى من الرضا . وفجأة انفلتت من جوزفين — وكان هذا اسم الفتاة — صـيحة وهى تقول — هل رأيت السمكة الـكبيرة وهى تقفز هناك ؟

فأجاب الرسام دون أن ينظر إليها أو يعى كلماتها — نعم يا عزيزتى .

ففقدت هدوءها وقالت : كلا إنك لم ترها ؛ فأنت تستدبرها

فابتسم وقال : إنك على حق . إن المساء من الجمال حتى لا أستطيع أن أفـكر إلا فيه .

فلم تفه بكلمة فترة من الزمن ، ثم قالت أخيراً وكأنها شعرت بأنها فى حاجة إلى الـكلام — ألن نذهب غداً إلى باريس ؟

— لست أدرى .

فقطبت قائلة — هل تعتبر ذهابك إلى نزهة دون أن نتحدث نوعاً من التسلية ؟ حتى الأغبياء يتحدثون !

فلم يجبها . ثم أدركت ببديهة المرأة المتمردة أنها أثارته ، فطفقت تغنى أغنية شائعة . فتمتم قائلاً — أصمتى أرجوك .

فردت فى حنق — ولماذا أصمت ؟

فأجاب — إنك تفسدين علينا لذة التمتع بجمال الليلة .

ثم حدث ما لا يستطاع تجنبه فى مثل هذه الظروف ، ذلك المنظر الـكريه . ابتداء بتوبيخات أعقبتها إتهامات ثم بكاء . وأخيراً عادا إلى الدار وتركها تصيح دون أن يقاطعها .

وظل ثلاثة أشهر يناضل فى يأس فى سبيل الفكاك من الأغلال التى كانت تقيده بها . وكانت قد استغلت عاطفتها المسيطرة عليه لتجعل من حياته بؤساً وجحيما ... ولذلك كانا يتشاجران ليل نهار .. وأخيراً قرر أن يضع حداً لـكل ذلك ويهرب .. فباع لوحاته واقترض مالاً وتركه وخطاب وداع على حافة المـدفأة ، ثم التجأ إلى منزلى .

وقبيل الساعة السادسـة بعد الظهر قرع الجرس فذهبت وفتحت الباب .. فبدا لى وجـه امرأة تحتنى جانبا ثم اقتحمت طريقها إلى مرسمى . كانت جوزفين . وهب الرسام واقفاً عند ما دلفت إلى الغرفة وألقت برسالته والنقود تحت قدميه فى اشمئزاز ظاهر ، ثم صاحت فى جفاء — إليك نقودك . لست فى حاجة إليها .

كانت ترتجف وقد شحب لونهـا وهى فى حالة تدفعها إلى

ارتكاب أى شىء . أما الرسام فكان منفعلا شاحب الوجه غيظاً وكمداً . فسألها — ما الذى تريدينه ؟

فأجابت — إنى لا أود أن تعاملنى كعاهرة . لقد أردتنى فاستجبت لرغبتك . ولم أطلب منك شيئاً . إنك لا تستطيع أن تنبذنى .

فضرب الأرض بقدمه وقال — كلا .. إن هذا لكثير . إذا كنت تعتقدين أن . .

فأمسكت بذراعه وقلت له — لا تقل شيئاً يا جان . دع الأمر لى .

وجعلت أتحدث معها فى لباقة ، واستعملت كل ما وعاه عقلى من مناقشة خليقة بهذا الموقف ، فأصغت إلىّ دون أن تتحرك وهى تحدق أمامها صامتة عنيدة . أخيراً بعد أن قلت كل ما استطعت قوله ، وبعد أن أيقنت أنه لا توجد ذرة من الأمل فى السلام ، فكرت فى إطلاق آخر سهم من جعبتى فقلت :

— إنه لا يزال يحبك يا عزيزتى . ولكن عائلته ترغب أن تزوجه . أنت تعرفين ما أعنى .

فاضطربت وقالت — آه ... لقد بدأت أدرك الآن .

ثم التفتت إليه وقالت — إنك ... إنك ستتزوج ؟ فأجاب فى شراسة — نعم .

وتقدمت خطوة نحوه ثم قالت — إذا تزوجت سأقتل نفسى . أتفهم ذلك ؟

فهز كتفيه وقال — حسناً ... أقتلى نفسك .

— أتقول ... أتقول ... أعد ذلك مرة أخرى .

فردد قائلا — حسناً ... أقتلى نفسك إن أردت .

فقالت وقد ازداد شحوب وجهها — لا تعتقد أنى لا أعنى ما أقوله . سألقى بنفسى من هذه النافذة . فجعل يضحك ، ثم ذهب إلى النافذة ، وفتحها . وأخيراً إنحنى لها فى احترام قائلاً فى أدب ساخر — من هذا الطريق ... بعدك يا سيدتى .

فنظرت إليه هنيهة وقد ظهر وميض من الجنون فى عينيها . ثم ... ثم أسرعت كأنها فى سبيل اجتيازها سياج حقل ، وانطلقت أمامنا ، ثم تخطت حاجز الشرفة ، واختفت عن أنظارنا .

لن أنسى ماحييت تأثير تلك النافذة المفتوحة ، عندما شاهدت الفتاة تسقط أمامى . وتراجعت بدون وعى إلى الخلف خشية أن أنظر إلى أسفل ، كأنى سأسقط أنا الآخر . ووقف جان دون حراك ينظر فى ذهول .

وحملت الفتاة مكسورة الساقين ، وأصبحت عاجزة عن السير بعد ذلك . وجن عشيقها تحت تأنيب ضميره . وكأنه شعر بأنه مسئول عما حدث ، فعاد إليها وتزوجها .

... هذه هى القصة بحذافيرها يا صديقى »

كانت الشمس على وشك المغيب ، وشعرت الفتاة ببرودة الجو ، فرغبت فى العودة إلى الدار . وابتدأ الخادم يدفع المقعد صوب البلدة . وسار الرسام بجانب زوجه بعد أن مكثا ساعتين دون أن يفوه أحدهم بكلمة .

(الإسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٨ — الاثنين ١٨ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

16 em Année No. 798

Lundi — 18 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٧٩٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٦٧ — ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

تشــبه . . . وشفاعة !

للأستاذ نقولا الحداد

دهش العالم العربى فى الشهر الماضى من حكم محكمة الجنايات العراقية على المليونى اليهودى شفيق عدس بالموت ثم بغرامة خمسة ملايين دينار (جنيه) . وكانت الجريمة أن هـذا العراقى الذى اكتسب هـذه الملايين من العراقيين بالأحابيل المالية المعروفة عند اليهود كان يشترى من مخلفات الجيش الآلات والأدوات الحربية من دبابات ومركبات مصفحة ومدافع وطائرات الخ ، ثم يفككها ويشحنها إلى إيطاليا بوصفها حدايد « خردة » ومن هناك ترسل إلى تل أبيب ، ثم يعيد الصهيونيون تركيبها كما كانت!

بهذه الحيلة الخبيثة اكتسب الصهيونيون فى فلسطين قدراً كبيراً من السلاح الذى كانوا يحاربون به العرب ، ومنهم العراقيون ، فكأن المال العراقى كان يسفك الدم العراقى !

وكيف تكون الخيانة العظمى غير هذا ؟

وقصاص الخيانة العظمى الموت !

ومنذ عهـد موسى إلى اليوم كان اليهود يعتبرون كل عمل لا يقبله شعب الله المختار خيانة عظمى يستحق فاعله الموت بوضعه فى الغائط المغلى . كذا ورد فى التلمود الأصلى . أما حكومة العراق فاكتفت بالشنق !

ذلك ما فعلته حكومة العراق فى أحد الخونة من رعاياها ...

فماذا فعلت سائر الحكومات العربية الأخرى ؟ أليس عندها خونة من اليهود الذين جمعوا الثروات الطائلة فى جميع البلاد العربية ؟ لو تيسر لنا إحصاء ثروات البلاد العربية لوجدنا ثلاثة أرباعها لليهود ، واليهود أقلية فى البلاد قد يناهزون الواحد فى الألف ، ثم إذا تحققنا من مصير هذه الثروات وجدنا جانباً منها قد تسرب إلى تل أبيب لكى ينفق فى محاربة أولاد ناوناسنا ، أليست هذه خيانة عظمى ؟ دعك من الحكم بالإعدام فى مغلى الغائط

لا نطلب حكما بالإعدام على من يستحقون الإعدام فذلك شأن القانون ، إنما نطلب بتجريد اليهود من القدار الأكبر من هذه الثروات التى استنزفت من البلاد ، نطلبها لكى نعول بها إخواننا الفلسطينيين الذى شردتهم الأسلحة المقتناة بأموال اليهود المختلسة من البلاد !

إن أكثر من نصف مليون عربى فلسطينى طردهم اليهود طرداً من بلادهم وشردوهم شرقاً وجنوباً وشمالا ، ونهبوا أموالهم وغلالهم وحوانيتهم واحتلوا بيوتهم ونسفوا بعضها ... فكم يساوى هذا الذى اغتصبه اليهود ؟ ألا يساوى على الأقل ٥٠ مليون جنيه ؟

أفيعد ظلماً أن تُسترد هذه الملايين من أغنياء اليهود المقيمين فى البلاد العربية وهم يستنزفون أموالها ، قبل أن يقدموها هدايا سخية لدولة إزرائيل الملفقة ؟ أليس حقاً أن يمون بها هؤلاء المشردون ريثما تتيسر لهم العودة إلى بلادهم آمنين !

من مهازل بعض اللبنانيين أنهم يقترحون على المطران مبارك

معاهد العلم فى عصر الحروب الصليبية :

الجـــامع الأزهر
فى عصر الحروب الصليبية

للأستـــاذ أحمد أحمد بدوى

الجامع الأزهر أول مساجد القاهرة ، أنشأه جوهر الصقلى بأمر المعز لدين الله أول خلفاء الفاطميين فى مصر وتم بناؤه سنة ٣٦١هـ ، ومنذ ذلك الحين ظفر الأزهر بعناية الفاطميين جيلا بعد جيل .

وكانت الغاية الأولى من تشييده إقامة الصلاة فيه ، ولـكن لم يمض على إنشائه وقت قصير حتى سأل الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ؛ وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا ، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة يخلع عليهم فى عيد الفطر

صار الأزهر منذ ذلك التاريخ من أهم مواطن الثقافة فى مصر ، ولـكن التعليم قد اصطبغ فيه ولا ريب — بالصبغـة المذهبية ؛ فـكان الفقه يدرس فيه على مذهب الشيعة ، وتقرأ فيه كتب هذا المذهب ، من مثل كتاب الاقتصار الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت ، وكتاب دعائم الإسلام ، وكتاب الأخبار فى فضل الأئمة الأبرار له أيضاً ، كما كانت تقرأ فيه الرسـالة الوزيرية ، وهى كتاب الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية ، وأفتى الناس بما فيه .

كانت الصبغة الدينية هى الغالبة على الأزهر ، أما العـلوم الفلسفية فقد نهضت بها دار الحـكمة ، وإن كان يبدو أن هـذه العلوم أيضاً كانت تدرس بالأزهر فى حدود ضيقة ؛ فقد كان الدعاة وهم أساتذة دار الحـكمة يجلسون للتدريس فى الجامع الأزهر أحياناً كثيرة ، وكان داعى الدعاة يدرس فيه درساً خاصاً للنساء .

الذى نفى بسبب مهازله السـياسية ، ثم غفر له قداسة البابا فعاد إلى ميدانه ، يقترحون عليه أن يشفع عند اليهود للعرب اللاجئين لـكى يسمحوا لهم أن يعودوا إلى بلادهم . ذلك لأن مساعى المطران جورج الحـكيم ، مطران فلسطين ، لإغاثة اللاجئين لا تعجبهم ؛ فسألنا أحد هؤلاء المقترحين : ولمـا ذا تطلبون شفاعة المطران مبارك ؟ فأجاب لأن اللبنانيين أصدقاء اليهود فهم يقبلون شفاعتهم ويراعون خاطرهم !

ما شاء الله ! أإلى هنا وصلنا ؟ نطلب وساطة مطران اليهود لدى اليهود لينعموا على العرب ببيوتهم !

من قال للمطران مبارك وللمقترحين الشفاعة عليه أن العرب يقبلون هذه الصدقة منهم ؟!

سيعود العرب — بقوة الله — إلى بلادهم مرفوعى الرأس مرهوبى الجانب عند ما تنكسر شوكة الطغاة الأراذل !

كنا نظن أن أصدقاء اليهود فى لبنان يقترحون على المطران مبارك أن يجمع الإعانات للاجئين إذا كان له نفوذ بين شعبه . وإذا كانت له هذه المـكانة عند اليهود ، فلينقذ القرى اللبنانية التى غزاها اليهود وطردوا أهلها منها . أليست هذه القرى فى دائرة إرشيته ؟ !

وهل يستطيع المطران مبارك أن يدفع الذئاب من اليهود عن العرب لو أتيح له أن يعيدهم إلى بلادهم . لماذا « طفشوا » ؟ أليس لأن أطفالهم ونساءهم العزل لا يستطيعون أن يقاوموا ذئاباً . فما ذا أعد لحمايتهم من هؤلاء الذئاب ؟ !

إن من البلايا التى نزلت بفلسطين أن بعض أثرياء اللبنانيين كانوا سببها ، لأنهم باعوا لليهود أملاكهم التى فى فلسـطين ، فوجد الصهيونيون رحاباً فسيحة يزرعون فيهـا مستعمراتهم ، ويمدون منها أيديهم وأرجلهم إلى ماحولهم ، حتى يطغوا فى المستقبل على لبنان ، ويومئذ يصبح المطران مبارك حاخاماً لا مطراناً — فليهنأ هو وقومه حينذاك !

فإذا ذكرت نكبة فلسطين ، وذكرت إغاثة أهلها ، فليخرس الجانب الصهيونى من اللبنانيين !

حسبهم خزياً أنهم لم يفعلوا شيئاً فى حرب اليهود ، ولم يحموا بعض القرى اللبنانية منهم !

نقولا الحداد

ولست أدرى إن كان غير مذهب الشيعة الإسماعيلية فى الفقه وغيره قد وجد سبيله إلى الأزهر فى الأوقات التى كانت تضعف فيها حدة الدعوة الإسماعيلية كما حدث فى عهد الأفضل الإمامى المتسامح وزير الآمر، والعادل بن السلار السنى وزير الظافر.

غير أنه مما لا شك فيه أن مذهب الشيعة قد اختفى تدريسه من الأزهر يوم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية، وأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، ذلك أنه قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس، وهو شافعى، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد؛ فأبطل الخطابة من الجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع. والظاهر أن ذلك لم يكن إلا تبريراً لما أراده صلاح الدين من إهمال أمر الأزهر وصرف عناية الناس عنه، لأنه أقدم موطن لنشر دعوة الشيعة فى البلاد، ولولا ذلك لأمكنه أن يجمع فيه مرة وفى الجامع الحاكمى أخرى، ولكن إهمال الأزهر كان خطة رسمها صلاح الدين وخلفاؤه من بعده، فأنشئوا المدارس المختلفة التى نافسته، وأقبل عليها المدرسون أكثر من إقبالهم على الأزهر، لكثرة ما تدره هذه المدارس على مدرسيها وطلبتها، ولما كانت تظفر به من رعاية أولى الأمر؛ ولكن التدريس لم ينقطع من الجامع الأزهر برغم انقطاع خطبة الجمعة فيه، وإهمال السلاطين أمره، وها هو ذا عبد اللطيف البغدادى يأتى إليه فى عصر العادل ويتردد عليه عشر سنين، مستمعاً إلى الأساتذة المحاضرين حيناً، وقائماً بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حيناً آخر.

وظل الجامع مهملاً من سلاطين الدولة، والجمعة فيه معطلة زهاء مائة عام إلى أن سكن بجواره الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى عهد بيبرس، فانتزع كثيراً من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة، وتبرع له، وأصلحه وأقام فيه منبراً، وأذن القاضى الحنفى بإعادة الخطبة فيه، فأعيدت يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٦٦٥ هـ، وعمل الأمير فيه مقصورة رتب فيها مدرساً وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى، ورتب محدثاً يسمع الحديث النبوى والرقائق، ورتب سبعة لقراءة القرآن، ووقف على ذلك أوقافاً دارّة تكفيه، ولم يلبث الأزهر أن ظفر بمكانة سامية يدل عليها أن الذى تولى أمر خطابته فى عهد المنصور قلاوون وابنه هو عبد الرحمن ابن بنت الأعز، قاضى قضاة الشافعية، ومن بعده كذلك محمد بن ابراهيم بن جماعة. وذاع صيت الأزهر منذ ذلك الحين، وأصبح معهداً علمياً يؤمه الناس من كل فج، ولقى الأزهر من العناية الشيء الكثير، وزاد فى مجده أن غزوات المغول فى المشرق قضت على معاهد العلم فيه، وأن الإسلام أصابه فى المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهية.

وحفظ التاريخ من أسماء مدرسيه فى عصر الحروب الصليبية محمد بن بركات بن هلال الصوفى، أحد فضلاء المصريين وأعيانهم أخذ النحو والأدب عن أبى الحسن بن بابشاذ فأتقنهما، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار، ولكنه كان منحطاً فى الشعر، يقول السيوطى عنه: ليس له أحسن من هذين البيتين:

يا عنق الإبريق من فضة ... ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت وأقصيتنى ... تقدر أن تخرج من قلبى؟!

والظاهر أنه كان مضيقاً عليه فى الرزق، يدلنا على ذلك ما روى من أنه وقف للأفضل شاهنشاه أمير الجيوش، وهو راكب فى الطريق فأنشده:

يا رحمة الله التى ... وسعها لم يضق
لم يبق إلا رمق ... فاستبق منى رمق
وعن قليل لا أرى ... كأننى لم أخلق

فسأل الأفضل عنه، فقيل له هذا بحر العلم ابن بركات النحوى، فقال له الأفضل أنت شيخ معروف، وفضلك موصوف، وقد حملنا عنك الوقوف وأمر له بشيء. ويبدو أنه اتصل بالأفضل بعدئذ، وألف له كتاب الإيجاز فى معرفة ما فى القرآن من منسوخ وناسخ، ولعل هذا الكتاب وما ألفه فى النحو من تصانيف من بين ما قرأه فى الأزهر على طلبته. كما أنه وضع كتاباً فى خطط مصر أجاد فيه، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٠ وله مائة سنة وثلاثة أشهر.

ومنهم الحسن بن الخطير أبو على النعمان الفارسى المعروف بالظهير؛ وقد اشتغل زمناً طويلا بالتدريس فى الأزهر، روى عنه ياقوت أنه قال: أنا من ولد النعمان بن المنذر، ومولدى بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز، فتفقهت بها، فقيل

لى الفارسى ، وأنتحل مذهب النعمان وأنتصر له فيما وافق اجتهادى .

قال ياقوت : وكان عالماً بفنون من العلم ، قارئاً بالعشر والشواذ ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه والفقه والخلاف والكلام والمنطق والحساب والهيئة والطب ، مبرزاً فى اللغة والنحو والعروض والقوافى ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم . ومما ساعده على معرفة ذلك كله أنه كان يحفظ فى كل فن من هذه الفنون كتاباً ، فكان يحفظ فى التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء ، وفى فقه الشافعى كتاب الوجيز للغزالى ، وفى فقه أبى حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيبانى ، نظم النسفى ، وفى الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستانى ، وفى اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكان يسردها — كما قيل — كما يسرد القارئ الفاتحة ، وكان يحفظ فى النحو كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وفى العروض كتاب الصاحب بن عباد ، وكان يحفظ فى المنطق أرجوزة أبى على بن سينا ، وكان قيماً بمعرفة قانون الطب له ، وكان عارفاً باللغة العبرية ويناظر أهلها بها ، وقد ظل يحفظ متون هذه العلوم مدة أربع عشرة سنة كان يكتبها ألواحاً ، ويحفظها كما يحفظ القرآن .

وكان الغالب عليه الأدب واللغة يجلس بين يديه شيخ الديار المصرية عثمان بن عيسى النحوى ، ويسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشى اللغة . وفى مرة سأله عن كلمة منحوتة ، ففسرها له ، وأملاه كلمات على مثالها فى نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسمى ما أملاه كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب . وكان ابن سناء الملك يسأله عن كلمات من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواهدها . وقد كانت معرفته باللغة سبباً فى انتصاره على المجير البغدادى عند ما دخل خوزستان؛ فقد بدأ مناظرته إياه بألفاظ حوشية أحب المجير أن يستفسر عنها ؛ وهنا انتهز النعمان هذه الفرصة فشنع عليه وقال : انظر إلى المدعى رتبة الإمامة يجهل لغة العرب ... والمناظرة إنما اشتقت من النظير ، وليس هذا بنظيرى ، لجهله بأحد العلوم التى يلزم المجتهد القيام بها . وكثر لغط أهل المجلس وانفض ، « وشاع فى الناس أنى قطعته » .

وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة ، فأغراه العزيز عثمان ابن صلاح الدين بالحضور معه إلى القاهرة ، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً أو مائة رطل خبزاً ، وخروفاً وشمعة كل يوم ومال إليه الناس والعلماء ، وصار له سوق قائمة ، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين شهاب الدين الطوسى ، ولكن الطوسى فى يوم عيد انتهز كلمة مجاملة قالها الظهير للعزيز فى أثناء الكلام ، ولم يبرر الطوسى النطق بها فأصماه ، وانكسرت حرمته عند العزيز ، وشاعت القصة بين العوام ، وانتهى أمره بأن انضوى إلى المدرسة التى أنشأها تركون الأسدى يدرس بها مذهب أبى حنيفة إلى أن مات سنة ٥٩٨ .

وكان قد أملى كتاباً فى تفسير القرآن وصل فيه إلى تفسير قوله تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . فى نحو مائتى ورقة ، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة . وله كتاب فى شرح الصحيحين ، اختصره من كتاب الإفصاح فى تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة ، وزاد عليها أشياء وقع اختياره عليها ، وكتاب فى اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ولم يتمه ، وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحواشيها.

ومن أساتذة الأزهر يومئذ نصر بن محمود المظفر الأديب النحوى اللغوى ، قرأ الأدب على ابن الخشاب والكمال الأنبارى ، وسمع بمصر من البوصيرى ، ولعله قرأ بالأزهر رسالته فى الضاد والظاء ، ومات سنة ٦٣٠ .

وممن تصدر للاقراء فيه شيخ الإقراء بالديار المصرية على ابن يوسف الشطنوفى المولود بالقاهرة سنة ٦٤٧ ، وقد تكاثر عليه الطلبة وكان الناس يكرمونه ، وينسبونه إلى الصلاح ويحمدون سيرته ، وانتفع به جماعة فى القراءة ، كما كان ممدوداً من النحاة ، وله اليد الطولى فى علم التفسير ، أملى فيه تعليقاً على طلبته ، وكان أستاذه الروحى عبد القادر الجيلى ، جمع أخباره ومناقبه فى ثلاثة مجلدات ، وسمى كتابه البهجة ، ولشدة إعجابه به دون كل ما سمعه عنه ولو كان الراوى غير أهل للثقة ، فدخل فى الكتاب حكايات كثيرة مكذوبة . وقد ولى الشطنوفى أيضاً تدريس التفسير بالجامع الطولونى والإقراء بجامع الحاكم ، ومات بالقاهرة سنة ٧١٣ .

ومن أعلام الصوفية الذين جلسوا بالجامع الأزهر ، وتحدثوا بعباداتهم فيه يومئذ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى المتوفى سنة ٧٠٩ ، كما كان يقيم عمر بن الفارض الشاعر الصوفى المشهور

(حلوان الحمامات) أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

٣ — الاتجاهات الحديثة فى الإسلام :

القانون والمجتمع (*)

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

... كان هناك من الجهة الأخرى حق واحد — كان التشريع الاجتماعى فى الإسلام حازما فيه ومشدداً ، هو حق العلاقات الشخصية التى تشتمل على الزواج والطلاق والإرث .

وليس السبب فى هذا الحزم أن هذه العلاقات عامة يمتد تأثيرها إلى كل فرد فى المجتمع فقط ، بل أيضاً لأن تنظيماتها الأساسية واضحة فى القرآن . وليس هناك — كما رأينا — مسلمون — إلا قليلا — يرغبون فى الجدل فى أن القرآن هو الكلام الحقيقى لله . ولئن كانت الثغرة التى بين الاعتقاد فى ضرورة التغير ، وبين التغيير الحقيقى فى القانون ، لا يمكن وصلها بسهولة وسرعة فى أى نظام ، فإنها ستتأثر قطعاً بالثورة ؛ كما قد حدث فى تركيا . ولذلك نجد فى كل دولة إسلامية — ما خلا تركيا — أن القانون الفردى للمسلمين لا تنفذه المحاكم الأهلية ، وإنما تنفذه المحاكم الدينية أو الشرعية . بل كان لكل طائفة من الطوائف الدينية المختلفة محاكم تنفذ قوانينهم ، طبقاً لنظامهم المرعية فى تقاليدهم الدينية[1] .

وفى الحق أن ميدان العلاقات الشخصية هذا ، هو الوحيد الذى طالب المجددون فيه بالإصلاح ، وقد بلغ الخلاف أشده بين الأحرار والمحافظين . فليس من شك فى أن الوعى الاجتماعى عند الطبقات المثقفة قد أيقظته المساوىء التى صحبت انتشار الطلاق وتعدد الزوجات . فهم قد تنبهوا إلى نتائج قانون الميراث فى القرآن وقانون الأوقاف والصدقات ...

ويصف القرآن فى تفصيل دقيق ، الأنصبة والنسب التى توزع بمقتضاها التركة بين الورثة والمستحقين فأعطى لمن يرث من النساء بوجه عام — نصف ما يخص زملاءهن من الورثة الذكور .

وليس من الصعب أن نلمس مدى عدالة هذه القاعدة ، عندما تطبق على الملكية المنقولة (التى كانت الشكل البدائى للملكية فى بلاد العرب) بيد أنه حينما تطبق على الملكية الزراعية ، أو رأس المال فى الصناعة ، تكون النتائج وخيمة من الناحية الاقتصادية . فأوقاف الأسر المعوزة وهباتها كانت سبباً فى التدهور الأخلاقى والخسارة الاقتصادية . ولزمن مضى كانت هناك حركة جامحة فى مصر وبعض الأقطار الأخرى لوضع حد لها .

ومن السهل أن نفهم المصلح المسلم المخلص ونواسيه فى المأزق الذى قد يجد نفسه واقعاً فيه ؛ فليس هو معاديا لمجرد سلطان التراث الاجتماعى الذى مضى عليه أكثر من ألف عام من الحكم المطلق ، بل هو معاد كذلك للمعارضة الطبيعية للرجل العادى ، فى التنازل عما يتمتع به من امتيازات . ثم إن عليه — بعد ذلك — أن يواجه الحقيقة ، وهى أن هذه التقاليد والعادات الاجتماعية فى حاجة إلى أن تفندها نصوص واضحة مباشرة من القرآن . وهذه الصعوبة ليس لها نفس الأهمية عند غير المتدين ، على الرغم من أن المدنيين من غير رجال الدين يلقون نصباً فى منعهم الجدل الدينى ، لدرجة أن الإنسان لا يستطيع أن يتأكد دائماً من أن كتاباً أو مقالة عن « المسألة النسائية » فى الإسلام ، هى من وضع عالم دنيوى أو مصلح حديث !

وليس من شك فى أن الأمثلة على الجدل الدنيوى يمكن أن نجدها فى الأدب التركى الحديث ، وفى الأدب الهندى أيضاً ؛ ولكن الشك فى مدى ما تظهره هذه الأمثلة من رأى إسلامى عام — إلا فى تركيا . وإنه لعلى جانب كبير من الأهمية هنا أن ننظر فى بعض السبل التى اتبعها المصلحون المسلمون لمواجهة المشكلات .

ففى قصيدة من أشهر القصائد التى نقلها إقبال نادى الشاعر الاجتماعى التركى ، زياجوك ألب (المتوفى سنة ١٩٢٤) بوجوب الاعتراف بالمساواة الشرعية للنساء :

هنالك المرأة ؛ أمى ، وأختى ، وابنتى .

إنها هى التى تناجى العواطف المقدسة من أعماق نفسى .

(*) عطفا على ما نشر بالعدد ٧٩٣ من الرسالة الغراء . (المترجم)

(١) حذفت مناقشات الاقتراحات الخاصة بإصلاح المحاكم الشرعية .

هنالك محبوبتي ؛ شمسي وقمري ونجمي .

إنها هي التي تعلمني كيف أفهم شعر الحياة !

كيف استطاع القانون السماوي أن يحط من قدر هذه المخلوقات الجميلة ؟

لعمري إن المتعلمين قد أخطأوا في تفسير القرآن :

أساس الأمة والدولة هو الأسرة .

وما دامت المرأة من غير اعتبار تبقى حياة الأمة ناقصة غير كاملة .

إن الأسرة يجب أن ترعاها العدالة .

لذلك كانت المساواة ضرورية في ثلاثة ؛ في الطلاق والانفصال وفي الوراثة !

وما دامت المرأة معدودة نصف الرجل في الميراث ،

وربع الرجل في الزواج ، فما أبعد الأسرة والأمة عن الرقي والعلا ... !

***

على أن زياجوك ألب لم يقنع باحتجاجاته الشعرية ، فقد أخذ على عاتقه — كاجتماعي — أن يستنبط مبادىء تفسير القانون ، من جديد . ولهذا الغرض نجده قد ميز بين العوامل « الآلهية » والعوامل « الاجتماعية » في الشريعة . فالعوامل « الاجتماعية » في رأيه ، لم تكن مؤسسة على نصوص واضحة ، بل كان أساسها « العرف » . وهذه الكلمة — التي تعني القانون التقليدي في عرف العلماء — عرفها هو بأنها « القرارات القيمة للناس أو الجماعة . وعلى ذلك فقد كان القانون الشخصي عرضة للتعديل ، بأية وسيلة يطالب بها « الرأي الجمعي » أو « الشعور الوطني » . وعلى كل حال فمن الواضح أن هذه المحاولة لبسط الاختلافات ذاتية خالصة ، وأن وضع القانون التقليدي على قدم المساواة مع القانون السائر — ولو اعتبر خلاصة للتجارب التاريخية — يتعارض مع أسس الفكر الإسلامي[1] .

(١) ذهب العلماء إلى حد القول بأن هذا العرف يهتم به إذا لم يكن مخالفا لنص أو إشارة من القرآن أو السنة النبوية . وتوجد مناقشة شبيهة بمناقشة زياجوك هذه — على نطاق واسع — قدمها : جلال نوري بك ، في « اتحاد الإسلام » (استنبول ١٩١٣) والترجمة العربية : القاهرة ١٩٢٠ ، ص ٤٢ وما بعدها .

• تجد الرأي الأزهري في نور الإسلام : س١ ص ٥٣٤ — ٤٠ .

ولست أعرف في أية كتابات للمجددين العرب الذين نقلت عنهم ، أسلوبا مشابها لهذا في المناقشة .

ولقد ألح ممثلو الحركة النسائية العربية القديمة ، في القضاء على نواحي الضعف الاجتماعية — أكثر من القانونية . وكان الشاعر العراقي : جميل صدقي الزهاوي ، أحد الأبطال الأوائل الذين نقدوا عزلة النساء الاجتماعية ، وصرحوا مراراً وتكراراً بميول أعظم نبلاً نحوهن قال ما ترجمته :

إن المرأة والرجل سواسية في الجدارة .

فعلموا المرأة ، لأن المرأة عنوان الحضارة ! .

وأعظم القصائد انتشاراً قصيدته : « السفور » :

إخلعي الحجاب يا ابنة العرب ! لأن الحجاب داء يفتك بالمجتمع .

كل شيء يسمو إلى التجديد ، فلماذا تظل هذه الأعجوبة جامدة !

لم يناد نبي بالحجاب بشكله هذا ، لا ، ولا فاهت به أية حكمة !

إنه جدير باللوم في نظر القانون السماوي والطبيعة ، والذوق والعقل والضمير !

لقد ادعوا أن في الحجاب وقاية ، بل كذبوا لأنه في الحق يجلب العار !

لقد ادعوا أن التبرج مخل بالآداب ، بل كذبوا لأنه أفضل طهر ووقار !

ليس الحجاب هو الذي يرعى شرف الفتاة .

إنما تحرسها تربيتها ومشاركتها في الثقافة !

فهذبوا عقول العذارى ، حتى تظل أجساد العذارى في مأمن من الشرور والآثام[1] !

ومهما يكن من شيء ، فإن الزهاوي لم يفعل أكثر من

(١) اللباب : ٣٦،٢٣٥ widmer ,op Cit , p . p . 44 - 45

(المترجم)

اضطررنا في نقل هذا النظم إلى « ترجمة الترجمة » بدلا من النص العربي الأصلي ؛ إذ لم نحصل على ديوان اللباب الذي ذكره الأستاذ المؤلف . والموجود منه في دار الكتب المصرية الجزء الأول فقط (١٩٠٨) وكان في المقارة ! ومن الطريف أن الزهاوي — مع دعوته للسفور وحملته على الحجاب — لم يأذن لزوجته أن تسفر .

راجع مقال الأستاذ رفائيل بطي عن « المرأة في شعر الزهاوي » ، بالهلال عدد مارس سنة ١٩٤٧ .

التلميح والإشارة إلى قوانين الزواج والطلاق . وأعظم من ذلك . الكاتب الاجتماعي التونسي طاهر الحداد الذي نشر في عام ١٩٣٠ كتاباً عن « نساؤنا في الشرع وفي المجتمع » . وقد ذكر فيه أن قوانين القرآن وأصول التشريع الإسلامي لا ينبغي أن تعتبر نهائية ، وثابتة لا تتغير ، بل يجب أن ينظر إليها بعين التطور . ورأى أن روح الحضارة الإسلامية تتطلب عمليات مستمرة من هضم مميزاتها الخاصة للرقي الحضاري .

كما أن الأدب العربي الحديث في مصر — في تصويره وتحليله للمشكلات الاجتماعية — قد دخل فيه نقد مفهوم ضمناً للعقبات القانونية التي تقف في سبيل المساواة التامة للنساء . وكان من بين الاقتراحات الأولى التي حيرت وزارة الشئون الاجتماعية الجديدة — التي أنشئت في مصر عام ١٩٤٩ — تقييد تعدد الزوجات ، وتحديد حالات الطلاق . ولكن على الرغم من أن الحلول التي وضعتها الوزارة لم تشتمل على أكثر من جزء معقول من الإصلاحات التي يرغب فيها الرأي العام المثقف ؛ فإنها قد تسببت في ظهور شكوى ممثلي الرأي العام في الأزهر ، من أنها كانت تناقض الشريعة ، وأن الأجدر بالوزارة أن تنتبه إلى سباق الخيل والميسر وسائر المساوىء الاجتماعية الأخرى التي نهى عنها القرآن والسنة .

إن المجدد الحقيقي لا يمكنه أن يتخلص من مأزقه ، بتشتيته الشمل بسهولة ؛ إذ أن القرآن ينبغي أن يكون حقيقياً ونهائياً . ومع ذلك فليس من السهل أن نشعر بوجود شيء من الخطأ في السلوك الاجتماعي السائد بين المسلمين . ثم إن مما يجرح شعوره كمسلم ، أو يخدش كرامته كرجل ، أن يرى أن الشيء الوحيد الذي يعرفه رجل الغرب العادي عن الإسلام ، هو أن المسلم قد يكون له أربع زوجات ! ويزيد آلامه استفادة إرساليات التبشير من مشكلاته . فليس لديه سوى مخرج واحد ؛ فإن المثل العليا في الإسلام لا تقع في أي طريق من المستويات العليا ، وعلى ذلك فلا بد أن علماء القرون الوسطى قد حادوا عن الروح الحقيقية للقرآن والإسلام .

وهذه الأخطاء يجب أن يقتفي آثارها إلى منابعها ، ويشك فيها . وعندما تصبح واضحة فإن تعاليم القرآن والسنة ، ستظهر عدالة هذه القواعد تجاه الرجال والنساء . وستمنى هذه التعاليم — قبل كل شيء — باتجاهات العامة ، وتحدد ما يجب أن يكون عليه روح التفكير في القانون وتنفيذه . وهذه الروح — فيما يتعلق بالنساء — لا يمكن أن تكون سوى جزء من المواساة الإنسانية ، واحترام الشخصية ، واجتهاد لدفع المساوىء التي خلقتها طبيعة المجتمع القاسية الغاشمة .

وبعد فهم هذا الاتجاه ومعرفة قيمته وهضمه تماماً ، فإن التشريع القرآني سيفهم على وجهه الصحيح . ويرى المجدد أنه عندما يحدث كل هذا ، فإن موقف المسلمين تجاه المرأة ، ونظرتهم إلى شخصيتهم ومركزهم الاجتماعي ، والتشريعات الخاصة بحمايتهم ، كل هذه ستكون أعظم وأكثر سماحة في نوعها ، بل إنها تفوق مثيلاتها في سائر الأديان .

إذن فهذا هو العمل أمام المجدد . ويجب أن نكرر القول بأن أول أعمال المجدد المعارض هو إعادة مجد العقيدة في الإسلام ، بين المسلمين الجاحدين ؛ وذلك بإثبات أبهى محاسن دينهم بجلاء . ثم إقناع المسلمين المتأخرين (الطراز القديم) بأنهم بمحافظتهم الاجتماعية ، وتمسكهم بنصوص القانون الحرفية ، إنما يطفئون النور ! وإلى جانب ذلك لا يستطيع المجدد أن يقاوم الفرصة للقضاء على الابتسام الكاذب في وجه المبشر ، بمهاجمة التقاليد الجنسية في المسيحية ، واختيار أمثلة مؤلمة التاريخ والدستور الاجتماعي للعالم المسيحي . وعلى ذلك ففي مناقشة المسائل الدينية قلما يختلف المعارضون والمخالفون . وليس عجيباً أن المسلمين الذين يعرفون الغرب عن طريق الحياة في المدن الكبرى ، والأفلام والقصص والمجلات ؛ إن هؤلاء المسلمين ينظرون بازدراء إلى المستويات والتقاليد الجنسية في المجتمع الغربي .

(يتبع) **محمد محمد علي**

(الرسالة) نلاحظ على المترجم الفاضل أنه يؤثر الترجمة الحرفية ، ولا يستعمل المصطلحات الفقهية ، لذلك يغلب على أسلوب ترجمته الضعف ، وعلى معانيها الغموض .

من صميم القلب :

لك الله أيها العربى !...

للاستاذ صبحى ابراهيم الصالح

لك الله أيها العربى ! كم ثارت فى وجهك الشدائد فصمدت لها فى بطولة ، واعترضت طريقك العقبات فذللتها برجولة ! وكم أتى الدهر بنيانك من القواعد فاستأنفت البناء ، وداهمت حياتك النائبات فصبرت على القضاء !

لك الله ما أفقر دنياك وأغنى قناعتك ، وما أقسى عيشك وأسمى غايتك ، وما أبخل زمانك وأسخى راحتك !

أنت للفقر تدافعه ، وللبؤس تصارعه !

أنت للضعف تغالبه ، وللذل تحاربه !

أنت للعدو تجاهده ، وللدهر تعانده !

أنت لوزرائك تدينهم على التكاسل ، ولزعمائك تحاسبهم على التخاذل ، ولعلمائك تشكو ما هم فيه من تجاهل !

أنت لأغنيائك تألم من بخلهم ، ولفقرائك تبكى على ذلهم ، ولنفسك تتوجع على ما أصابها من حرمان ، وما تجرعت من كؤوس الهوان !

بل أنت للمصائب كلها ، وللخطوب جميعها ... فما أعظم ما تلقاه ، وما أقل حظك فى الحياة !

***

كأنى ببنات الدنيا تبحث عن محتمل لها فلا تظاهر إلا عليك ، وبمحن الزمان تنشد صابراً عليها فلا تتداعى إلا إليك ، فإذا عسف القوى يلقى الأشواك فى دربك ، وإذا ضعفك الموروث يدفن الاستغاثة فى قلبك !

فلك الله من شاك كظيم لا يجد سميعاً !

ولك الله من مجاهد عظيم لا يلقى تشجيعاً !

***

أين رجالك الذين وعدوك الكرامة فأذلوك ، وزعماؤك الذين لبسوا مسوح الرهبان فأضلوك ، وأغنياؤك الذين شربوا دمك ثم استأكلوك ، وعلماؤك الذين اتخذوا آلهتهم هواهم ثم أهملوك ؟

أين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ليقاتلُن صفاً كالبنيان المرصوص أو يحرروا فلسطين ، ولينهض نهضة واحدة للغاصبين الغادرين ، وليعاقبن بالطرد أنذال الشعوب ، جرائم الفساد ، لصوص العالمين ؟

أين الذين أشعلوا بنارهم حماستنا ثم أطفأوها بمائهم ، وفتحوا بهتافهم عيوننا ثم أطبقوها برقادهم ، وما زالوا يعالجوننا بالعاطفة ونحن إلى العقل أحوج ، ويأخذوننا بالارتجال ونحن نروم النظام ، ويرقدوننا بالمسكنات ونحن نلتمس الشفاء !

***

إن هؤلاء سواء عليهم أدللتهم أم لم تدلهم لا يكترثون ، وسواء عليهم أذكرتهم بتقصيرهم أم لم تذكرهم لا يأبهون ، وسواء عليهم أصرحت لهم أم عرضت بهم لا يبالون .

ولو أنك أكثرت الصراخ المختنق ، ومزقت الصدر الحرج ، وقطعت الحنجرة المكروبة ، وأطلقت الحشرجة المكبوتة ، فلن تسمع منهم إلا ألسنة بليلة ، وأصواتاً ندية ، ربما أرضت البيان الرفيع ، ولكنها لا ترضى الحق الصريح !

ولكن ... هون على نفسك ، فلا تربض باليأس قلبك ، ولا تعصر بالقنوط فؤادك ، بل اصرخ أيها العربى فى النفوس الراقدة علها تفيق ، وفى الأرواح الهامدة علها تتحرك ، وفى الضمائر الميتة علها تحيا ، وفى المشاعر الساكتة علها تنطق ، فقد اقتربت النار وقضى الأمر ، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر ، وقد سرقوا متاعك بالخداع وبالمكر . على أنك إذا وثبت وثبتك ، وأطمت قلبك ، أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار ، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار ، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار !

***

وإنى لأحذرك أيها العربى قوماً كالثعالب ، أنت تعرفهم بلحنهم الكاذب ، فقد لدغت من جحرهم مرات « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » ولقيت من مكرهم ويلات ، والمكر

الفتوة عنـــد الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما المنزلة الثالثة فهى تختص بما يكون من الفتى نحو خالقه ، وهذه المنزلة تشتمل على أمور ثلاثة :

أما الأمر الأول : فهو أن الفتى يجب ألا يتعلق فى السير للوصول إلى الحضرة الربانية بدليل ، فالسائر فى طريق الوصول إلى هذا المقصد يسير على قدم اليقين ويستدل فى طريقه بالبصيرة والمشاهدة ، ويسترشد بما تقع عليه عينه من آيات باهرة تدل على قدرة الله وكمال ذاته ، فاسترشاده بغير هذا وسيره مع الدليل آية على عدم نفاذ بصيرته وسلامتها ، ودليل على أنه لم يخلص فى طلبه ولم يشم رائحة اليقين ؛ وفى هذا قال بعضهم (من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم تحل له دعوة الفتوة أبداً) . والمعرفة عندهم ضرورية لا استدلالية ، لأن الرسل عليهم السلام لما أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى عباده ، دعوهم إلى عبادته وتوحيد ذاته ولم يدعوهم إلى الإقرار بالله سبحانه ، بل دعوهم دعوة من لا يشك فى وجود القدرة الإلهية ، وأن الله هو الصانع الحكيم ، وخاطبوهم خطاب من ليس عنده أدنى شبهة فى الإقرار به ، وأن وجوده ليس فى حاجة إلى الاستدلال عليه ، ولا مرشد للسير فى طريق الوصول إليه ، فخاطبوهم قائلين :(أفى الله شك فاطر السموات والأرض؟)

وكيف يدعى الفتوة من يطلب الاستدلال على من هو أظهر من دليله بل هو الدليل والمدلول ؛ فالقاصد له من نوره ودلائل قدرته وآثار حكمته أكبر دليل ، ومن خلص قلبه وكمل إيمانه وتفتحت بصيرته وضح أمامه الطريق وظهرت له معالم الشهود فيرى المشهود بغير دليل ، ولا ينال هذه المرتبة إلا من أفنى نفسه فى ذات مشهوده وترك ما سواه ؛ وهذا هو معنى الأثر الإلهى (إذا أحببت عبدى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، فبى يسمع وبى يبصر) .

أما توقف طالب الوصول وتقيده بالدليل الذى يهديه الطريق ، دليل على الشك فى إخلاصه . ومن يطلب الاستدلال على الوحدانية والمعرفة وكل آثاره جل علاه دلائل قائمة على وجوده ووحدانيته ومشيئته وقدرته — فليس له أدنى درجة من الفتوة بل يكون مخالفا لها من كل أوجهها .

سئل أحدهم عن ذلك فقال : لو أن رجلا بعث لك رسولا يدعوك إلى داره فقلت للرسول : لا أقوم معك حتى تقيم الدليل على وجود من بعثك ، وأنه مطاع فى أهله وأنه أهل لأن يقصد

لا يخفى على ذى عينين ...

حذار من أولئك الثعالب لا تبذل لهم مقادتك ، فإنهم لا أيمان لهم ، ولا عهود عندهم ، ولا مواثيق لديهم « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » .

فثق بنفسك ، وتوكل على ربك ، واستعن بإخوانك العرب فى مصر التى تُعلّم مهودها الكرامة ، وفى سوريا التى تلقى بطاحها دروس الشهامة ، وفى لبنان الذى تمود جباله الشم على الصبر ، وفى الحجاز الذى يهدى صعيده الطيب إلى الطهر ، وفى العراق التى تلهم واحاتها الشجاعة ، وفى الأردن الذى توحى وديانه البسالة ، وفى اليمن التى تحبب رياضها بالإيمان ، وفى الجزائر التى تزين رمالها الكفاح ، وفى كل قطر عربى لا ينام من حقه ، ولا يفقد ثقته بنفسه ، ولا يزيد — إذا ما بهرته الشدائد ، وعصفت به الأهوال — على أن يهتف بملء صوته ، ومن أعماق قلبه ، هتاف فخر العرب وسيد الخلق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يوم قال لعمه أبى طالب : « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

فلتأسُ جراحك بهذه الكلمة النبوية الطاهرة فإنها خير بلسم ؛ ولتمسح بها الدموع عن وجنتيك ولا تضرب بكفك ولا تلطم . ثم إذا بقى الدهر يعاندك ، وظل العدو يجالدك ، فلك الله أيها العربى وهو خير الناصرين .

(طرابلس الشام) صبحى ابراهيم الصالح

ويمشى بابه ، لكنت فى الفتوة دعيا) فكيف تطلب الدليل على من وجوده ووحدانيته وقدرته وربوبيته أظهر من كل دليل تطلبه ، وأقوى من كل برهان تستدل به ، فما من دليل يطلب للاستدلال عليه إلا ووحدانيته وكماله وعفوه وإحسانه أظهر من كل دليل . فأبعد الناس عن الفتوة من طلب الدليل على من هو دليل على نفسه .

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

فالسالك الصادق صاحب اليقين الذى وهبه الله نور البصيرة وكشف له عن جوهر الحقيقة لا يحتاج إلى دليل ، لأن تقيده بالدليل يفرق عزمة قلبه ، وهذا انقطاع وخروج عن الفتوة ، وفى هذا قالوا : إن الدليل يفرق والمدلول يجمع ، فالسالك يقصد الجمعية على المدلول ، فماله ولتفرقة الدليل . وشبهوا المتقيد فى سلوكه بالدليل بالمتكلم الذى يفنى حياته بحثاً فى الزمان والمكان والجوهر والأعراض ، ويقصر همه على هذه الأشياء لا يتجاوزها للوصول منها إلى خالق الكون وعبوديته وتقرير وحدانيته بمقتضى أسمائه وصفاته ، لا يشتغل قلبه بسواه ولا يطلب دليلا على من هو أقوى دليل ، قال الحلاج : (إن المتكلم مستغرق فى معرفة حقيقة الزمان والمكان ، والعارف قد ضنّ بالزمان أن يذهب ضائعاً فى غير السير إلى رب الزمان والمكان) .

والأمر الثانى : أن تكون وجهة الفتى صادقة ، وإجابته لداعى الحق خالصة ، لايشوب محبته بعوض ، ولايطلب من الحظوظ غير الاستغراق فى محبة معبوده والفناء فى ذاته ؛ فإن فعل ذلك فقد نال كل حظ وفاز بكل عوض كما فى الأثر الإلهى :

(ابن آدم ! اطلبنى تجدنى ، فإن وجدتنى وجدت كل شىء ، وإن فتك فاتك كل شىء . أنا أحب إليك من كل شىء) .

فالفتى من يعبد ربه حق العبودية لا يطلب منه أجراً على إخلاصه ، فإذا طلب العبد من سيده أجراً على قيامه بخدمته له سقط من عين سيده وصار عنده أحمق يستوجب العقوبة ؛ إذ أن عبوديته تقتضى خدمته ، والذى يخدم بالأجر لا عبودية للمخدوم عليه ، ولا مكان لسيده عنده ؛ وهذا إما أن يكون حراً سيده نفسه أو مملوكا لسواه .

والخلق جميعاً عبيد الله وملكه المتصرف فيه ، فهم يخدمونه بحق عبوديته لهم وملكيته إياهم ، فطلبهم للأجر خروج عن محض العبودية وخلاف لناموس الخضوع ؛ فالعبد الذى لايشوب خدمته بطلب العوض هو المقرب من مولاه الأثير عنده .

سئل أحدهم عن معنى هذا فقال : (إذا كان لك من العبيد أربعة ، أولهم لا يريدك ولا يريد منك ، بل قلبه متعلق ببعض عبيدك فله يريد ومنه يريد ، والثانى يريد منك ولا يريدك ، فهذا إرادته مقصورة على نيل حظوظه منك ، والثالث يريدك ويريد منك ، فهذا يخدمك ويتقرب إليك لنيل مايبغى فإرادته لك وسيلة . والرابع يريدولا يريد منك ، فإرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك ، فهو لا شك آثر الجميع عندك وأقربهم منزلة منك وأحبهم إلى قلبك والمخصوص من إكرامك وعطاياك) .

ويظهر إخلاص العبد لسيده فى القيام بواجب الشكر على ما أولاه من نعم ووهبه من عطايا ؛ لأن حقيقة الشكر عبادة والشكر والشكر مبنى على قواعد خمس .

خضوع الشاكر للمشكور ، والفناء فى حبه ، والاعتراف بنعمه ظاهرها وباطنها والثناء عليه بهذه النعم — أى الإحسان منها إلى عباده وانفاقها فى أوجه الخير ، وهذا هوا الثناء بالنعم على النعم — وألا يستعملها العبد فيما يكره سيده ، والاعتراف بأن هذه النعم قد تفضل بها السيد على عبده وهو ليس أهلا لها .

قال الجنيد : (الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة) ومن أنواع الشكر أن يفنى العبد نفسه فى ذات المنعم عن رؤية النعمة فلا تحجبه رؤيتها عن مشاهد المتفضل عليه والمنعم بها . قال الشبلى : (الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) .

والشكر درجتان : شكر العامة ويكون على المأكل والمشرب والملبس وقوة الأبدان وأعراض الدنيا ، وهذا ليس من الفتوة فى شىء ؛ وشكر الخاصة ، ويكون على التوحيد والإيمان وقوة القلب وصفاء النفس . ومعنى هذا أن يكون بالقلب خضوعاً واستكانة ، وباللسان اعترافاً وثناء ، وبالجوارح طاعة وانقيادا ، وهذا من خصائص الفتوة ، وكلما ازداد العبد شكراً ازداد النعم عليه تفضلا ومنه تقريباً ؛ فى الأثر الإلهى : (أهل شكرى أهل زيادتى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى) ويزيد بعضهم نوعاً ثالثا من الشكر وهو أن يكون على ابتلاء الله الذى ينزله بعبده ، فيعتبرون

هذا البلاء نعمة يذكرهم الله بها فهم دائماً فى حضرته .

سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه عن الفتوة ، فقال له ما تقول أنت ؟ فقال الرجل إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت فقال جعفر : الكلاب عندنا كذلك . فقال له السائل : يا ابن رسول الله فما الفتوة عندكم ؟ قال له : ان أعطينا آثرنا ، وإن منعنا أو ابتلينا صبرنا) وقال آخر : (الفتوة هي إظهار النعمة وإسرار المحنة) .

أما الأمر الثالث من هذه المنزله : فهو إعراض الفتى عن نفسه وعدم انشغاله بها ، وإهماله مطالبها ، وإذلالها فى سبيل الوصول إلى مقصوده الأسمى وغرضه الأعلى وأن يتهمها دائماً بالتقصير وبأنها العائق فى طريق وصوله ، فيخاصمها فى الله فيكون كما قال محمد بن على الترمذى : (أن تكون خصما لربك على نفسك) فيضعها دائماً موضع المتهم ليطامن من كبريائها ويحطم هذا الصنم الذى بينه وبين ربه ليصفو قلبه ولا ينشغل بسوى حبه والفناء فى حضرته . قال الجنيد : (الفتوة كسر الصنم الذى بينك وبين الله تعالى ، وهو نفسك) كما قال عمرو بن عثمان المكى (حرون خداعة رواغة فاحذرها وسقها بتهديد وخوف يتم لك ما تريد) .

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه كسر الأصنام لله إذ جعلهم جذاذا ، فالفتى من كسر صنما واحداً فى الله . وقد قيل (الفتوة ألا تكون خصما لأحد) وذلك فيما يتعلق بحقوق العباد ، أما فى حقوق الله وابتغاء مرضاته ، فالفتوة أن تكون خصما لكل ما سواه وإن كان الحبيب المصافى ، فالسائر إلى المحبوب لا يقف مع حظوظ النفس ، بل يفنى ذاته فى ذات من أحب لأن طريق السالكين والفتوة السائرين على دروب الفناء ، الخروج عن نفوسهم فضلا عن حظوظها ، لأن الفتوة ، العمل على أن يكون الفتى بالله لا بنفسه ، والرضى بأحكامه شاءته أم سرته . والخروج عن النفس ، هو حبسها على مراد الله وبذلها فى إقامة دينه وتنفيذه بين أهل المعارضة والبغى والعناد ، يصيح فيهم بالنصائح جهاراً لا تأخذه فى جهادهم فى الله لومة لائم ؛ وهذا تعذيب للنفس فى حب الله وإفنائها فى ذاته ، وهذا عند الفتى الصادق أعظم العيش وأفر الحظ .

ولو ذهبنا نتقصى أقوال القوم فى الفتوة ونحللها لطال المقام وتشعب بنا الأمر فنكتفى بهذا القدر . ونسأل الله التوفيق ، وللأستاذ ضياء الدخيلى من الله حسن الجزاء ومنا وافر الشكر .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

مراجعه .

١ — الأعلام الذين ذكروا فى هذا المقال سنفرد لكل منهم بإذن الله بحثاً خاصاً به .

٢ — المراجع التى استقينا منها هذا المقال .

١ — مدارج السالكين .
٢ — الرعاية لحقوق الله .
٣ — مكارم الأخلاق .
٤ — التعرف لمذهب أهل التصوف .
٥ — صيد الخاطر .
٦ — المواقف .
٧ — التصوف الاسلامى .

شعوب القوقاز

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

(مهداة إلى الأستاذ محمد أسامه عليبة تعقيباً على ما نشره فى العدد ٧٨٤ ص ٧٩٧ من الرسالة الغراء)

سيدى الأستاذ : قرأت — وأنا على أهبة السفر إلى الإسكندرية فى طريقى إلى دمشق ، ما كتبته تحت عنوان : « نصوص تاريخية فى الرد على تعقيب » فلم يكن فى الوقت متسع ، ولا فى البال فراغ ، فلم أستطع الكتابة يومئذ ، ثم تلاحقت المشاغل ، وتواردت الموانع ، واتصلت حتى استطعت أخيراً أن أختلس بعض الفراغ لأبعث إليكم بهذه الملاحظات التى أرجو أن تلقى لديكم بعض العناية والرعاية والصدر الرحب .

إنكم نقلتم عن تاريخ الجراكسة للأستاذ محمد بك فكرى ما نقله عن المؤرخ الفرنسى « س لامار » من أن الكرج ، والجركس ، واللزكى والحجبى فروع أصل واحد ، ثم نقلتم عنه أيضاً قوله : دات التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى (جد) مشترك .

وأحب أن أوجه نظركم الكريم إلى أن موضع النزاع بينى وبينكم — إن كان هناك نزاع — هو أن يكون الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجب شعباً واحداً ، لا أن يكونوا (فروع) أصل واحد ، أو منتمين إلى (جد) مشترك ! كيف ونحن — معشر المؤمنين بوحى السماء — مازلنا نعتقد أن الشعوب كلها تنتمى إلى جد مشترك ؟ أما من هو هذا الجد المشترك ، أو الأصل الذى تفرعت عنه هذه الفروع وفى أى عصر كان ؟ فهذا ما لا أحب أن أعلق عليه أو ألقى إليه بالاً ! . ويبدو لى أنك شعرت بينك وبين نفسك أن ما نقلته عن « س لامار » لا يجدى عليك فى دعواك فتيلا ، ولا يغنى عنك شيئاً ، فنقلت ما جاء فى كتاب الجراكسة لمحمد بك فكرى (حـ ١ ص ٦): « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية ، فيكون الجركس يؤدى مؤدى القوقاس » فمن أين للأستاذ محمد بك فكرى هذا ، وما سنده من التاريخ القديم ؟ .

وكيف استبحتم نقل مثل هذه الدعوى الخيالية من أى سند فى معرض التدليل ؟ .

وهل هذه إلا المصادرة المعروفة عند الجدليين ؟ ! .

على أن من الطريف أن محمد بك فكرى ادعى فى تاريخ الجراكسة (حـ ١ ص ٦) « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية » ثم رتب على هذه الدعوى هذه النتيجة : « فيكون الجركس يؤدى مؤدى القوقاس » . قبل أن يدلل عليها ، ثم نقل فى (حـ ١ ص ١٢) عن « س لامار » أن الكرج ، والجركس ، واللزكى ، والحجب ، (فروع) أصل واحد ، وفى (حـ ١ ص ٢٢) قال : « دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى جد مشترك »

فهل هذا الذى نقله فى (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) يتفق مع ما ادعاه وقرره فى (حـ ١ ص ٦) ؟ .

ويظهر أنكم شعرتم باضطراب موقف صاحب تاريخ الجراكسة ، فغيرتم ترتيبه ، فنقلتم ما كتبه فى (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) أولاً ، ثم نقلتم ما كتبه فى (حـ ١ ص ٦) أخيراً . ولكن هل هذا التقديم ، وذلك التأخير غيرا من أصل الموضوع شيئاً ؟ . والظاهر أنك شعرت بهذا الاضطراب فى نصوص كتاب تاريخ الجراكسة وأنها لا تؤدى إلى ما قصدت فأوردت أسطورة — وإن شئت سمها أحجية — « أركس ، وآس ، وتركس ، وكسا » نقلا عن « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » للبدر العينى .

ولهذه الأسطورة عندى تاريخ قديم ، وحديث عجيب ، ما كنت أحب أن أعرض له لولا أنكم أوردتموها واثقين بها معتمدين عليها ، فرحين بها ، مغتبطين لها ، فقد حدثنى بها من عهد بعيد أستاذ جليل القدر ، كريم المنزلة ، أعزه وأحترمه وأحفظ له فى نفسى تقديراً واحتراماً ، وإكباراً وإجلالا ، ولا حاجة الآن إلى ذكر اسمه الكريم ، وإن كنت أعتقد أنه هو الذى أخبركم بأسطورة البدر العينى أيضاً . فصارحته برأيى فى قيمة هذه الرواية التى لم يعرفها أحد قبل عصر البدر العينى ، والتى لم تظهر إلا فى ظل سلطان المماليك وفى مقر دولتهم ، ومركز عزهم فى مصر ، وأذكر أنى قلت له يومئذ : إنها أشبه

بأسطورة أو أحجية من الأحاجى وضعت وضعاً لإرضاء السلطان وتزلفاً إلى أصحاب النفوذ . وإلا فكيف لم يطلع على هذه الرواية — إن كان لها أصل — أحد من المؤرخين قبل البدر العينى ، وخفيت عليهم جميعاً حتى أوحى بها إلى البدر العينى فى الزمن الأخير فى عهد صولة المماليك — وجلهم أو كلهم من الجراكسة المنتشرين فى القوقاز الشمالى الغربى — وسلطانهم المبسوط على مصر والشرق ؟ (1)

كان هذا رأيى فى رواية البدر العينى هذه من عدة أعوام ، وأن الأيام لم تزدنى إلا إيماناً ، واستمساكاً بهذا الرأى . فهى رواية ولدت وترعرعت فى ظل حكم المماليك الجراكسة من غير أن يكون لها سند من تاريخ ، أو مرجع تعتمد عليه .

ومن هذا القبيل ما شاع فى كتب بعض المؤرخين الذين عاشوا فى عهد المماليك واتصلوا بهم مثل ابن خلدون (2) من إطلاقهم اسم جبال الشركس على جبال القوقاز أو تسميتهم شعوب القوقاز جميعاً شراكسة فإنه اصطلاح طارئ حديث نشأ فى ظل سلطان المماليك الشراكسة ، وانتشر فى عهدهم .

وفى ظنى أن هذه الرواية التى أوردها البدر العينى ، وهذا الاصطلاح على تعميم اسم الجركس على جميع القوقازيين ما هو إلا من قبيل التقرب إلى السلطان الجركسى والتزلف إليه ، لأن معظم هؤلاء المماليك — أو كلهم — كان من أتى بهم من سواحل البحر الأسود حيث مساكن قبائل الجراكسة . ومن هذا القبيل أيضاً تلك الدعوى الطويلة العريضة التى كانت تزعم أن الجراكسة من قريش ! وألفت فى يوم من الأيام لاثباتها الرسائل ؟ !

على أن البدر العينى — حسب رواية الأستاذ — يبدأ كلامه بدءاً غير موفق إذ يقول : ومن الترك الجركس الخ . فهل يسلم الأستاذ مع البدر العينى أن الجركس من قبائل الترك ؟ ثم إنك — يا سيدى الأستاذ — بعد أن تفرغ من رواية أسطورة البدر العينى وشرحها وتوجيهها كما نشتهى قلت : « واتبع البدر العينى المصطلح القديم ، وهو إطلاق الجركس على القبائل الأربع التى فى جوانب جبل القوقاز » .

فأى مصطلح قديم هذا الذى تشير إليه ؟ ومن الذى ذكره وقال به قبل البدر العينى ؟ .

وأما تفسير كلمة « جركس » وادعاء أن أصلها الكريم جهاركس . ومعناها فى لغة الفرس الرجال الأربعة فإنه لا يهمنا فى الموضوع الذى نحن بصدده قليلا أو كثيراً ؛ لأن هذه الدعوى وهذا التخريج مهما قيل فيهما لا يزيدان ولا يرجحان على محاولة سابقة لشرحه كلمة « الجركس » فقد زعم زاعمون من قبل أن أصلها مركب من كلمتى « جرا » ، « كسا » وأن المرحوم « كسا » كان من أشراف قريش ، فجنى جناية وهرب إلى القوقاز ، وأقام بها ، وعلى هذا يكون أصل الجراكسة من قريش !.

هذا تعليق حاولت أن أجمله وجيزاً جهد الطاقة على ما دعوته نصوصاً تاريخية ، وما هى من التاريخ فى شئ .

وبعد هذا أضع بين يديكم بعض الأسماء التى كانت معروفة فى التاريخ القديم لسكان جبل القوقاز ، والتى أطلقها عليهم قدماء المؤرخين . وأبدأ ذلك بأن المؤرخين العرب الأقدمين كالمسعودى وغيره كانوا يسمون جبال القوقاز بلاد القبج أو جبال القبج لا جبال الجركس أو بلاد الجركس كما نص على ذلك المرحوم شيخ العروبة أحمد زكى باشا فى قاموس الجغرافيا القديمة . هذا بالنسبة إلى منطقة القوقاز جملة .

وأما أسماء سكان البلاد تفصيلا ، فإن سكان الجهات الشرقية الشمالية من القوقاز — حيث مساكن الداغستان ، والحجب ، وشروان الآن — كانوا يسمون فى بعض الكتب القديمة ألبانيين وكانت بلادهم تدعى ألبانيا . كما ذكر ذلك أيضاً المرحوم زكى باشا فى كتابه السابق .

وإن اسم الحجب كان معروفاً قديماً ، وكان يطلق على الشعب الساكن فى الشمال من بلاد الداغستان حيث مساكن الحجب إلى يومنا هذا .

كما أن اسم الأورا — وهم أسلاف اللوزكيين الحاليين من

(1) ولد البدر العينى فى عينتاب سنة ٧٦٢ هـ وأقام فى حلب ودمشق والقدس ومصر وكان من أخصاء الملك المؤيد ، وسمير الملك الأشرف وملازمه ، وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ

(2) ولد ابن خلدون سنة ٧٣٢ هـ وولى السلطان الظاهر برقوق وتولى قضاء المالكية بالقاهرة ثم توفى بالقاهرة فجأة فى سنة ٨٠٨ هـ .

الداغستانيين — كان معروفاً حول القرن الرابع الميلادى ، وقد أطلق على شعوب القوقاز الضاربين فى الجانب الشرقى للقوقاز أسماء مختلفة مثل الخزر ، قوميق ، آلان . وهذا الاسم الأخير يظهر لى أنه اسم اللزكيين القديم ، فهو يطلق فى الكتب القديمة على شعب مقيم فى مساكن اللزكيين الحاليين ، وأن ظن بعض الكتاب أنه اسم الأوسيت . ذلك أن الأوسيت معروفون باسم الأوسيت من قديم ، ويسكنون فى جهة تقع فى الشمال فى قلب منطقة الجبال على الشمال الغربى من مواقع اللزكيين .

هذا فى القسم الشرقى من القوقاز ، أما فى القسم الغربى منه فإن اسم الأديغة كان معروفاً من قديم ، وما زال يطلق على سكان الجزء الشمالى الغربى من القوقاز ، ويمكن اعتباره اسماً جامعاً لشتات قبائل الجركس المنتشرة فى تلك الجهة مثل : أبهاسو ، الأوبنج ، الشبوغ ، الأبزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . مع ما بين قبيلة الأبازة وبين بقية قبائل الجركس من اختلاف فى اللغة يتعذر معه التفاهم بين هؤلاء وأولئك .

هذه هى الأسماء التى كانت تطلق قديماً على سكان القوقاز الشمالى شرقيه وغربيه ، ثم ظهر فجأة اسم الجركس فى العصور المتأخرة ، وصار يطلق على بعض — وأحياناً على كل — القبائل الساكنة فى القوقاز الشمالى الغربى ، ثم انتشر هذا الاسم وصار يطلق — من غير تحقيق أو تدقيق — على جميع سكان القوقاز فى عصر المماليك كما فعل البدر العينى ، ومال إليه ابن خلدون ، ثم شاع هذا الاستعمال فى الشرق الأدنى فى فترة أخرى من التاريخ على أثر تلك الهجرة الواسعة النطاق التى قام بها الجركس إلى الممالك العثمانية على أثر تغلب الروس عليهم واحتلالهم لبلادهم

ولكن هذا كله لا يجعل هذا الإطلاق صحيحاً أو دقيقاً ، بل لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب التساهل من الكتاب أو عدم وقوف على حقيقة الحال من تنوع الشعوب فى تلك الأقطار الشاسعة ، واختلاف أصولها وتنوع أجناسها .

وإن الحديث عن شعوب القوقاز ، وكثرتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم حديث قديم طويل ، حتى كان المؤرخون القدماء من العرب يسمون القوقاز بلاد الشعوب والجبال ، وكان زاعمهم يزعم أن فى تلك البلاد نيفاً وسبعين شعباً لكل شعب لغته الخاصة به ! . وكذلك كان صنيع مؤرخى الرومان واليونان ، فاسترابون يؤيد نظرية نيف وسبعين شعباً ، وهكذا بقيت هذه الأسطورة عالقة بالأذهان إلى عصور متأخرة جداً حتى جاء علم اللغات المعاصر ، وأعار هذه القضية أهمية خاصة ، وبحث مسألة تعدد لغات القوقازيين بحثاً علمياً دقيقاً ، واستطاع أن يهدم تلك النظريات ، والآراء الشائعة المبنية على معلومات غير دقيقة ، ففى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ابتدأ العالمان الألمانيان : « تليدن أسناد » و « بالاس » الأبحاث العلمية عن أصول اللغات القوقازية ، واستطاعا إرجاعها إلى الأصول الآتية :

١ — اللغة التتارية : وهى لغة الشعوب التركية الأصل .
٢ — « اللزكية : وهى لغة الداغستانيين .
٣ — « الكستينية : وهى لغة الججانيين .
٤ — « السركسيانية : وهى لغة الأديغة .
٥ — « الأوستينية : وهى لغة الأوسيت من الشعوب الإيرانية القديمة .
٦ — اللغة الكرتفليانية : وهى لغة الكرجيين .

وأصبح هذا التقسيم للغات القوقازيين أساس علم اللغات القوقازية فيما بعد استند عليه علماء القرن التاسع عشر واعتمدوه

وفى القرن العشرين أكد العالمان : « الفونس دير » و « نيقولامار » نتائج أبحاث أسلافهما فى تقسيم اللغات القوقازية

ويرى عالم آخر من علماء القرن العشرين أن اللغات القوقازية يجب أن تقسم إلى فصائل أربع وهى :

١ — اللغة اللزكية : وهى لغة الداغستانيين .
٢ — « الججانية .
٣ — « الكرتفليانية : وهى لغة الكرج .
٤ — « الإبهاسية : وهى لغة قبائل الجركس .

ويعد بعضهم لغة الداغستانيين ولغة الججان من فصيلة واحدة

وبناء على نتائج هذه الأبحاث العلمية يمكن تقسيم شعوب القوقاز الشمالى إلى قسمين أساسيين :

١ — سكان القسم الغربى من القوقاز وهم : الأبهاسو ، والأوبنج ، والشيسوغ ، الأبزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . وهى جميعاً قبائل جركسية .

٢ — سكان القسم الشرقى من القوقاز الشمالى وهم : الداغستان والججان . وإلى هذين القسمين الرئيسيين يمكن إرجاع بقيـة الشعوب والقبائل المنتشرة فى القوقاز مثل : قره جاى ، بالكار ، قوميق ، نوغاس ، وهذه كلها من الفصيلة التركية ، وأوستين . وهى من الفصيلة الإيرانيـة ، والتى منها الفرس والكرد والأفغان .

هـذا وقد سلك العلامة شمس الدين سامى بك فى قاموس الأعلام مسلكا آخر فى تقسيم شـعوب القوقاز ، فهو يقسمهم أولا إلى سكان أصليين وأقوام طورانيين ، وأمم آرية ، ثم يقسم السكان الأصليين فيقول :

أما سكان القوقاز الأصليون ، فهم أقوام وأجناس وشعوب كثيرة ، ويمكن إرجاعهم إلى هذه الأقسام الرئيسية :

١ — الجركس الذين يسكنون حوض نهر قوبان وبالقرب من منابع نهر ترك الغربية فى القسم الغربى الشمالى من القوقاز ، ويمكن أن يضم إليهم الأبازة(١) الساكنون فى منحدرات سلسلة الجبال الغربية الجنوبية على القرب من سواحل البحر الأسود . والججن(٢) الساكنون إلى الشمال من بلاد الداغستان .

٢ — سكان بلاد الداغستان الأصليون ، وهم اللزكيون الساكنون فى المناطق الشمالية الشرقية من جبال القوقاز ، وهؤلاء اللزكيون من سكان القوقاز الأصليين ، كانوا يسكنون هذه البقعة من أقدم العصور حتى إن « هردوت » ذكرهم بهذا الاسم فى تاريخه الذى كتب فى حدود سنة ٤٥٠ قبل الميلاد .

ويحتمل أن يكون لهؤلاء اللزكيين صِلات نسب وقرابة مع الكرج والجركس واللاز وغيرهم من أمم القوقاز الأصليين ، غير أن إثبات هذه الصلة بين هؤلاء الأقوام يفتقر إلى ما يثبته ، فهو مجرد احتمال لا دليل عليه .

٣ — سكان المنطقة الجنوبية من سلسلة الجبال أمثال الكرج والإيمرت والمنكرلى . وإذا كان بعض المحققين من العلماء حاول عد الكرج من الأمم الطورانية أو الآرية إلا أن الأدلة التى ساقوها لإثبات ذلك لا تعد كافية .

على أن بعض الأبحاث التى أجريت حول لغة الكرج تدل على أن الكرج مثل بقية أمم القوقاز لا يمتون بصلة إلى الآريين أو الطورانيين أو الساميين ، بل يغلب على الظن أنهم بقـايا أمم قديمة منقرضة كانت اجتازت هذه المناطق فى أثناء هجراتها من آسيا إلى أوربا ، ومن أوربا إلى آسيا .

٤ — أمة الأوسيت ، وسوآنت الساكنون بالقرب من منابع نهر ترك .

هذه خلاصة وافية لما ذكره العلامة شمس الدين بك سامى فى قاموس الأعلام عن شعوب القوقاز ، ومنه ومما قبله من بيانات وآراء للعلماء والمؤرخين الموثوق بآرائهم يتبين أن الداغستانيين والكرج ، والججان ، والأوسيت ، والجركس أمم قائمة بذاتها لكل واحدة منها لغتها أو لغاتها الخاصة بها ، ولها كيانها المستقل . وعلى ذلك أرى أنى حين قلت فى الرسالة (العدد ٧٨٣ ص٧٧٠) : إن اللاز يمتون بصلة النسب أوالقرابة إلى الكرج ، وأن الكرج غير الجركس لم أكن مجانباً الحقيقة ، ولم أكن أحاول تسيير التاريخ حسب الهوى والغرض كما أردت أن تصورنى أمام قرائك ، بل كنت أقرر حقيقة علمية ثابتة لا سبيل إلى إنكارها ، أو التحايل على طمسها .

وبعد : فإنى أشكرك — يا سيدى الأستاذ — جزيل الشكر على أن أتحت لى هذه الفرصة للتحدث عن شعوب القوقاز بشئ من الإفاضة والتفصيل . والسلام عليك ورحمة الله .

(دمشق) **برهان الدين الداغستانى**

(١) يلاحظ صاحب الأعلام أن بين لغة الأبازة وبين لغـة بقية الجراكـة اختلافاً كبيراً يتعـذر معه التفاهم بين هؤلاء وبين أولئك . ولذلك يتردد فى عد الأبازة من الجركس .

(٢) هذا مخالف لما سبق من عد الججن قـما قائماً بذاته ، واعتبارهم مع الداغسـتانيين وينبغى ملاحظة عدم وجود أية صلة بين لغة الججن وبين لغة الجركس .

رحلات فى ديار الشام فى القرن (الثامن عشر الهجرى)

اردان حلة الاحســــان

فى الرحلة إلى جبل لبنان (١)

لمصطفى البكرى الصــديق
(١٠٩٩هـ - ١١٦٢هـ - ١٦٨٧م - ١٧٤٨م)
للأستاذ أحمد سـامح الخالدى

لا شك أن الدافع لرحلة الشيخ هذه وغيرها من الرحلات ، ولتنقلاته المستمرة فى المدن والقرى ، إنما كان حرصه على نشر الطريقة الخلوتية والاتصال بأعوانه ومريديه . ولقد كان الشيخ مكثاراً فى النظم والنثر ، بل إنه ليؤلف الكتاب أو الرسالة فى أيه مناسبة . ولا شك أن نظمه ونثره يمثلان عصره أصدق التمثيل فقد امتاز هذا القرن بالسجع ، والركاكة فى الأسلوب ، كما يتبين من دراسة رجال هذا القرن فى كتاب أعيان القرن الثانى عشر للمرادى .

ولقد انتقل الشيخ من دمشق إلى القدس وتزوج فيها وتتلمذ على شيوخها وامتد نفوذه فيما بعد إلى جميع أنحاء فلسطين ، وإلى سوريا بل وحتى إلى مصر والعراق .

وقد ساهم فى الحياة العامة فى فلسطين فعمر الحرم القدسى خلوة ، وبئراً ، وحاول أن يصلح البراغثة شيوخ بنى زيد وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم ، كما شوق الحاج حسن بن مقلد الجيوش لزراعة الأشجار المثمرة حول قبة الصحابى سراقة فى (كور) من أعمال قضاء بنى صعب .

ويستدل من رحلته هذه أن حالة الأمن لم تكن مرضية فى زمنه ، فقد جاء ذكر تعدى الأعراب على القوافل بين الخليل وعقلان ، كما تعدوا على الشيخ القافلانى مفتى الديار القدسية ، فسلبوه بعض ثيابه وما كان يحمل من الكتب .

ويلاحظ أيضاً أن الشيخ كان يغير طرق سيره ، فبدلا من أن يسلك الجادة السلطانية بين القدس والخليل ماراً ببرك سليمان ، غير طريقه إلى بنى حسن وهى ناحية إلى الجنوب الغربى من القدس مخافة قطاع الطريق .

ويستدل من وصف الشيخ لبعض المدن التى اجتازها أن (حاصبية) كانت حينذاك قرية يقطنها الدروز وهى الآن مدينة كما أن مدينة حيفا التى بلغ عدد سكانها الآن مئة وخمسين ألفاً ، لم تكن سوى قلعة حصينة على ساحل البحر المتوسط . ووصفه هذا لحيفا ينطبق على وصف معجم البلدان ، بعض الشىء . فقد جاء فى معجم البلدان (ج ٣ — ص ٣٨٢) : « حيفا غير ممدود ، حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ، لم يزل فى أيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين فى سنة (٥٧٣ هـ) وخربه » .

ويصف لنا الشيخ زيارته أكثر من مرة للخليل ، ويذكر كرومها ، ويستدل من هذا أنها كانت محاطة بكروم العنب وهو حالها اليوم .

ويذكر الشيخ فيما يذكر أن الأمر السلطانى صدر باسم والدته لتعمير قناة الماء إلى الحرم القدسى . وهذه القناة ليست حديثة فقد جاء فى الأنس الجليل ج ٢ — ص ٣٨٧ عند ذكر الأمير تنكز الناصرى نائب دولة المماليك فى الشام « وهو الذى عمر قناة الماء الواصلة إلى القدس ، وكان ابتداء عمارتها فى شوال سنة (٧٢٧ هـ) ووصلت إلى القدس ودخلت إلى وسط المسجد الأقصى فى أواخر ربيع الأول سنة (٧٢٨ هـ) وعمل البركة الرخام بين الصخرة والأقصى » وتعرف هذه الآن بالكأس ، ويظهر أن هذه القناة خربت ، فعمرت مدة ثانية كما يذكر الشيخ . وهذه القناة تمتد من برك سليمان إلى الحرم وتسيل بالانسياق لعلو برك سليمان عن الحرم القدسى ، وهى من حجر .

والظاهر أن الشيخ كان أباً عطوفاً ، فقد سر كثيراً بابنته (علما) وحزن حزناً عميقاً عند وفاتها وهى لا تزال طفلة ، وقد رزق ولده محمد كمال الدين فى القدس . ولقد كان الشيخ يزور مقام (على بن عليل) وهو من نسل عمر بن الخطاب ، ويعرف بسيدنا على بن عليم عند العامة ، وله موسم يقصده الزوار كل عام .

ويسجل الشيخ بألم ظاهر فى هذه الرحلة وفاة قطبين عظيمين

(١) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية

تتلمذ عليهما ، وكان يحترمهما أبلغ احترام أولهما الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى القطب الكبير وصاحب الرحلة إلى القدس سنة (١١٠١ هـ) ويعتبر الشيخ من أخلص تلاميذه ، والثانى الشيخ محمد الخليلى مفتى الشافعية فى الديار القدسية ، والمصلح العمرانى ، والمؤلف القطب ، وهو من أبرز رجال القرن الثانى عشر فى فلسطين .

وفى الرحلة فوائد أخرى على رغم ركاكة الأسلوب ، وتكرار السجع الممل ، وانصراف الشيخ إلى نزعته التصوفية القوية ، وفيها بعض معلومات عن أصل سكان (الطيبة) من أعمال طولكرم ، ونسب البراغثة فى جبل القدس ، وعن وقف قرية (عابور) فى بنى زيد للحرمين الشريفين ، وما إلى ذلك .

ومن لطائف المصادفات أن يحضر إلى الديار القدسية الرحالة المصرى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى ، سنة (١١٤٣هـ) وينزل عند الشيخ ، ويأخذ عنه الطريق ثم يصف لنا لقاءه الشيخ فى رحلته المخطوطة ، « سوانح الأنس فى رحلتى لوادى القدس » وقد أثبتنا رأى اللقيمى فى الشيخ البكرى .

وخلاصة القول أن هذه الرحلة المخطوطة التى لم تزد معلوماتنا كثيراً عن لبنان الجنوبى ، شيقة برغم جميع مآخذها ، فإنها تمثل القرن الثانى عشر ، وهو قرن تنقصنا عنه المعلومات والمصادر الوافية ، فتصف لنا بعض نواحى الحياة الفكرية ، وبعض أحوال البلاد القدسية وعمرانها ، ورجالها ولو كان أكثر من اجتمع به الشيخ من رجال التصوف والزهد .

ويظهر أن الملاريا (الحمى الربعية) أصابت الشيخ لتردده على مقام سيدنا على ، وهى منطقة موبوءة بهذا المرض إلى عهد قريب ، فضايقته وأنهكته ، وحاول أن يتخلص منها بالدعاء والالتجاء إلى مقام سيدى داود !

ونحن بعد ذلك نترك للشيخ أن يتكلم ، إذ أنه بعد أن ختم الرحلة الرومية وبدأ فى المراقبة أراد أن يبتدىء برحلة بقاعية لبنانية فأسماها (اردان حلة الإحسان فى الرحلة إلى جبل لبنان) فيقول : « اعلم أيها الأخ الواقف على هذه المواقف أن هذا الجبل المعظم المبجل المقصود بالزيارة ، جبل مبارك له خواص عند الخواص أهل الإشارة ، إذ من المعلوم ، لدى أرباب الفهوم والاختصاص ، إن الله تعالى اختص بعض الأمكنة والأزمنة والأشخاص ، وقد طرق السمع ، من أهل المعرفة والسمع ، أن لهذا الجبل ، الذى ينفى الخبل ، حالا ظاهر الرجحان ، وإنساً باهر الميزان ، وأن كل من حوله ممن له قدم فى الولاية يأتيه زائراً ولو بالروحانية وهذه على فضيلته آية »

وكان كثيراً ما يجول فى الخاطر ، ويتكرر وروده على الضمير المخاطر ، أن يشد الشيخ الرحل على عيس السرى إليه ، لعله يحظى من بر أهله ومما لديه ، ولكن الأقدار كانت تمنع . ولما آن الأوان ، قصد البقاع العزيز ملتجئاً لحمى المهيمن الملك العزيز ، وبعد ما ودع الخلان والأصحاب والإخوان والأخدان يقول :

« وتوجهت مستعيناً بالديان ، نحو الديماس ، مع رفقة حسان يوم الخميس سابع عشر ذى القعدة عام أربعين ومائة وألف (١٧٢٧ م) . وقصدت حمى الصالحية ، وقرأت الفاتحة لسكانها أهل الرتب الفلاحية ، ثم صعدت إلى جبل قاسيون ، وحصلت نفحة إقبال من هداة فتحه وتجاوزت قبة السيار الشائقة ، التى تحت قبة النصر الشاهقة وممن رافقنا لهذه الزيارة والقدس الفياح ، الصديق الشيخ عبد القادر الموصلى ثم البغدادى السياح ، المنتمى للعصابة السهروردية المتصلة أنسابهم بالأسرة الصديقية ، والأخ السيد محمد السلفيتى العباسى ، المحب الآمى والصديق المواسى ، أول آخذ للطريق فى الخطرة الأولى ، وقد ذكرته فى الخمرة المحسية فى الرحلة القدسية ، وفى غيرها من الرحلات الأنسية ، وكان الأخ أكبر مساعد ومعين على إظهار الطريق فى الديار المقدسة ، وكنت قبل هذا التوجه الطويل المسافة أذنت له بلبس الكسوة والإرشاد لطلاب الإضافة . وممن صحبنى أيضاً زوج الوالدة ، لا برحت فى الجنان خالدة ، والأخ من الرضاع ، الحاج إبراهيم جميل الأوضاع ، المستقيم على قدم الحب من الصغر ، كأنما نقش على فؤاده نقش الحجر ، فلم يتغير بتوالى الزمان ، لأنه ذو باع فيه طويل ، قد عرف بابن الطويل فى النسب . وممن صحبنى أيضاً الأخ الواعى ، الشيخ محمد البقاعى ، خفيف الحركة ، ثقيل البركة ، فجملته للنسبة الوطنية دليل الركاب ، وسرنا نتملى بشهود وجوه أولئك الأحباب . ولما أظلنا وادى بردا [بردى] الظليل ، قابلنا بعده أول قتيل هابيل النبيل ، فقرأنا له الفاتحة .

وأنشدت الدليل قرب الديماس : مرتجلاً بقصيد مفيد الإيناس :

قد أتينا لقرية الديماس — نرتجى رشف خمرة الإقباس

ونزلناها مع الرفاق (زاوية بنى تغلب) وبعد أداء الصلاة الوسطى وختام ورد العصر البسام ، ورد كتاب من الصهر الهمام الشيخ إسمعيل العالم النبيل المقدام ، مصدراً له بأبيات جسام وهى :

فرقة للحبيب يوم الخميس — أورثت فى الجنان رعب الخميس
أهل ودى زاد التلهف منى — حيث فارقتكم لدى التفليس

وتوجهنا للبقاع وهو جمع بقعة موضع يقال له بقاع كلب قريب من دمشق . قال فى المراصد : وبهذا البقاع قبر إلياس
ولما وصلنا باب وادى القرن أنشدت مواليّا :

لقد قرنا الصفا بالبسط أيا قرن — لما أتينا صباحاً باب وادى القرن
ومذ عذول الحشا قد غاب ذاك القرن
دام التصافى لى مابعد نفح القرن

وجاءنى الأخ البقاعى ، بشيح (١) نشره عابق للبشر داعى ، فكتبت وأنا على الدابة أسممه ما يجرى على القرطاس :

يا خليلىّ للبقاع فسيحا — تربا مربعاً هناك فسيحا
واسقيانى كأس المدام لديه — وانشقانى فيه خزاماً وشيحا

ولما أشرفت على الجبل ، إذ زال الخبل قلت :

يا ساكنين السفح من لبنان — هيجتمو بسناكم أشجانى
حولتمو قلباً أحب وقالباً — فأتيتكم أسعى على أجفانى

وقد اقتفينا من الدليل العزيز الجليل الأبر ، الأبر ، لأنه أسلم ، وما زال يصعد بنا العقاب التى هى صعود للجوزاء بلاسلم ، لكن راقيها بإمداد من حل فيها للعناية والرعاية والحماية والكفاية يسلم ، حتى أتينا قرية نبى الله زريق فقلت :

يا نديميّ من منام أفيقا — هل أن تلتقيا لوصل طريقا
وانهجا منهج الحداة وسيرا — للمعالى كى تنشقونى عبيقا

ثم زرنا فى القرية مقاماً للخضر أبى العباس ، وسبب تعدد مقاماته ، شهوده فيها لكثرة تطوراته ، وهذه علامة على حياته ، خلافاً لمن دندن بوفاته . وللدليل قريب فى القرية ثغره بسام ، أنزلنا لديه فقدم ما قدر عليه من إكرام ، وعزمنا فى الصباح أن ينزل منهل البقاع ، فرأيت مناماً دل على توديع السكان ، من ذلك المنزل لعارض حر وعدم إركان ، فأتيت مع الرفاق إلى تل مشرف ، وأهديت النازلين من عمد وأركان الفواتح ، وقلت :

يا سراة نحو العزيز الخفير — بلغوه سلام صب حقير(١)
خبروه بأننى مستهام — فى هواه بحرقة وزفير الخ

وبعد أن ودعنا المضيف بالأمس ، جزنا إلى الشيخ يعقوب المنصورى ، وهذا الذى صنع البركة الإبريزية للملك الرشيد نور الدين الشهيد فعمل منها أوقافاً على عد عين تورا ويزيد ، ومنها قاعة الفقراء فى الربوة بين تورا ويزيد ، وزرنا أولاد شيخنا الجيلانى ، ثم تقدم بى الدليل بعد الزيارة إلى قرية (كوكب) قاصداً فيها صلة رحم وقرب أحباب ، فأنشدته مرتجلا لما غيم الكدر انجلى :

إننى فى سفرتى هذى التى — فاق محياها سراجاً كوكبا
لم أزل أرقى العلا مع رفقتى — ولهذا قد رقينا كوكبا

وسرنا إلى (الذنبة) ، بهمة طيبة الحضور والغيبة ، ولما امتلأت بالسرور العيبة ، فتقت بالحبور الوفور الجيبة ، قصدنا بمجمعنا قرية (حاصبية) فإذا هى قرية كبيرة مملوءة الأكناف بالطائفة الدرزية ، ومضينا للخان ونزلنا لديه ، ومنه جدينا السرى حتى أتينا قرية (ميس) ، الحاملة أهلها لواء ربيعة لا قيس ، الشيمة المائسين بحب الآل أى ميس . وهذه القرية من بلاد بشارة فأنشدت :

جاء ممن أحب ليلا بشارة — مذ حللنا يوماً بأرض بشارة الخ

وصعدنا محلها العالى ذو الامتناع ، ونزلنا عند صديقنا الغالى على بقاع ، وأمسكنا لديه معاملا بإكرام ، وسرنا للدير والقاسى(٢) بأنس تام ، ونزلنا عند أحبابنا فى القاسى ، وحبب لى أن أمدح أهل الدير والقاسى ، لأنهم أهل قرب وقرابة كل منهم لا يرى تشفيعاً فقلت :

إذا رمت أن يسقيك سمان فى الدير
أنخ جمل الترحال فى القاسى والدير الخ

وأشرت بصالحهم لصالح أكبر أولاد مراد فإنه صالح .

(لها بقية) — **أحمد سامح الخالدى**

---

(١) الشيح بالكسر نبات منه أصفر الزهر يشبه السذاب فى ورقه وهو الأرمنى ومنه أحمر غليظ الورق وهو التركى ، وكله طيب الرائحة ومنه عربى ينبت فى بلاد العرب ترعاه المواشى .

(١) ممن ذكرهم الشيخ فى قصيدته ، شيث ، وإيليا ، ونوح ، والياس والنهرى ، وابلون من الأنبياء ! وسيدى مسافر ، والرمانى ، والحداد ، والمنصورى ، وأولاد الجيلانى .

(٢) هى قرية دير القاسى من أعمال صفد الآن .

أذلاء صهيون ...

للأستاذ حامد بدر

أذلاء صهيون يريدونها غصبا   فهل قنصوا العنقاء أم خطبوا الخطبا ؟
أما طووا عن الغدر اللئام فأيقظوا   أسوداً تصب الموت فوق العدا صبا
(فلسطين) أرض لا ترام لغاصب   وهل يطعم الرئبال من لحمه الكلبا
ومن يبتغ العنقاء يعلن غباءه   وإن أخا (صهيون) فى بغيه أغبى
وماوعد (بلفور) سوى وهم واهم   به قومه أغرى فأضرمها حربا
وما الحرب إلا مصرع البغى وحده   ونصر لمن لله والحق قد لبى
ولست أرى فى مجلس الأمن منقذا   لأمن ولكنى أرى الخوف والرعبا
ولم أر يوماً دولة ذات صولة   تنيل الضعيف الحق أو تضمر الحبا
ومن تخذ الخصم الألد مواليا   كمن تخذ الشيطان من جهله ربا
ومن سالم الطاغين يوماً فإنه   هو الحمل المسكين قد صادق الذئبا
وليس يرد البغى إلا بمثله   فويل لأهل البغى من فاتك هبا
وويل لهم من كل ظمآن زاحف   يعب دم الأعداء يوم الوغى عبا
وويل لهم من غضبة عربية   إذا التهمت نيرانها الرطب والصلبا
وويل لهم من ثورة لا ينيمها   سوى قطعهم طعناً وتمزيقهم ضربا

* * *

أذلاء صهيون على الوهم قد بنوا   لهم دولة فى الأرض ناطحت السحبا
أكاذيب آمال وآمال كاذب   وقد حلت الآمال لو لم تكن كذبا
وقد آمنوا الويلات فى وقفة الرحى   فلم يحفظوا للعهد واستأنفوا الحربا
فهل أطمعتهم (هدنة) قدسموا لها   وربضة ليث بالمنية لا يعبا ؟
وقد برزت أنيابه توهم الرضا   ولكن نفس الليث ما برحت غضبى
وهل نسى الباغون حرباً عنيفة   وقد ركب الباغون مركبها الصعبا ! ؟
فلم يتقوا سخط الحليم إذا انتضى   من الغمد صمصاما وجرده عضبا
وكل جبان يحسن القفز آمنا   وعند وثوب الليث لا يملك القلبا
وما حظهم من هدنة يخرقونها   سوى أنهم يبغون فى ظلها الوثبا ! ؟
وقد أمنوا الآساد لما تقيدت   بعهد عليها وحدها حرم الحربا
كأنهم الأطفال هاموا بلهوهم   فلم نلم الأطفال أن عشقوا اللعبا
ألا أيها الصنديد فى حومة الوغى   عدوك رعديد على الذل قد شبا
يهيم بجمع المال طول حياته   فيعشقه عشقاً ويعبده ربا
ومن يعبد الدينار لم يك باسلا   ولم يعل رأساً من على النشب انكبا

* * *

أذلاء صهيون يبيعون ما به   يضن الجواد السمح . تباً لهم تبا
ولا نقص فيما يبيع بزعمهم   إذا العرض النامى على العرض قد أربى
هم يحسبون المال من أى مورد   غنى ومن الخسران قد طلبوا الكسبا
وقد زعموا فى الشرق نهبة ناهب   وضاقوا ببأس الشرق فاستظهروا الغربا
وأنصارهم فى الغدر من يعتصم بهم   فقد ثكل الأنصار والآل والصحبا
يريدون إطفاء الشموس جهالة   بأفواههم والله سبحانه يأبى !

حامد بدر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

عزيزي الأستاذ عباس خضر :

قرأت كلمتك في العدد ٧٩٥ من « حب الرافعي » وما كتبه في إحدى المجلات السورية حول هـذا الموضوع صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف « الأديب الذي استهلكه التعليم » ، وما عقب به صديقنا أيضـاً ... الأستاذ كامل محمود حبيب « الأديب الذي استهلكته الوظيفة » ، وما علقت به على ذينك الرأيين ، أو ذلك الرأي الواحد المعروض على القراء في صورتين ؛ ثم سؤالك من بعد : « هـل عند أحد من سائر تلاميذ الرافعي شيء في هذا الموضوع » ؟ .

وقد فهمت من سؤالك هـذا يا صديقي أنك تمنيني ، ولعل هذا ما فهمه أكثر قرائك أيضاً ... فلولا أنني مشغول الآن بما يكاد « يستهلكني » أنا أيضاً من أسباب الدفاع عن حريتي في الفن ، وعما ينالني به بعض أهل الأدب من أسباب الكيد — لرأيتني سريعاً إلى جوابك ؛ ولـكنه موضوع لم يفُـت أوانه على كل حال ...

أما أن الرافعي كان يحب « مى » صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، فشيء لا أنكره ولا شك فيه ، وليس ينكره أو يشك فيه الصديقان الأديبان مخلوف وحبيب ؛ ولكن الذي ينكرانه أو يشكّان فيه هو « ماهية هذا الحب » هل كان حباً عقلياً ، أو حبـاً فنياً ، أو حبـاً إنسانياً ، أو حب كل رجل لكل امرأة ... !

هذه هي القضية كما عرضها الصديقان فيما رويت عنهما ؛ وليس أمراً ذا بال — والمسألة بهذا الوضع — أن أخالفهما أو أوافقهما ؛ فإن المخالفة أو الموافقة في « الرأي » لا تمحو حقاً ولا تثبت باطلا ، وإنما يمحو ويثبت أن نختلف في « الرواية » ، وأنا قد « رويت » أن الرافعي كان يحب « مى » ، وقد « رويا » مثلي هذه الرواية ، ولـكنهما بعـد ذلك تناولا الأمر على نحو فلسفي ، فراح كل منهما يصف هـذا الحب في رأيه ويحاول استكناه حقيقته ، فزعما أن حب الرافعي لمي لم يكن حباً انفعالياً ، بل كان حباً إرادياً يقصد إلى هدف وغاية ... وهو نحو من التمليل قد يكون موفقـاً ، وقد يكون التمليل الصحيح غيره ؛ فهذه قضية سيكلوجية وفنيه يحتاج بحثها والفصل فيها إلى مقدمات ، وإلى دراسة نفسية معقـدة تستند إلى أسانيد من « الرواية » ، وإلى خبرة عملية في الحب . . . واسمح لي أن أستخدم هذا التعبير ...

وأنا قد حرصت منذ أول يوم حاولت فيه تأريخ الرافعي أن أكون « راوية » ... راوية فحسب ، لا فراراً من تبعة الرأي ، بل مبالغة في التجرد عند تأريخ حياة لم يزل صداها يرن في أذني وأنفاسها تعبق في جوى ؛ ولـكني مع هذا الحرص على التجرد الخالص لم أدع شاردة ولا واردة من ذكرياتي ، أو من مذكراتي ، عن حياة الرافعي ، إلا ذكرتها ؛ لتكون مقدمات الحكم ماثلة تحت عيون الباحثين من أهل الأدب حين تتقادم السنون ويصير الرافعي تاريخاً خالصاً لا تختلط به أصداء الذكريات الحية في نفوس بعض الذين عاصروه أو استمعوا إلى حديثه أو اتصلوا بحياته من قريب أو من بعيد ، وستجد يا صديقي في الفصل الطويل الذي تحدثت فيه عن « حب الرافعي » من كتاب « حياة الرافعي » من أسباب العلم بهذه « الحادثة » ما يهيء لكُ أن تحكم وأن تكون في هذه القضية صاحب رأي .

أما « رأيي » أنا ؛ فاني حتى اليوم — وقد مضى على وفاة الرافعي — أحد عشر عاماً وأشهر — ما أزال أشعر أني منه قريب قريب بحيث لا يتهيأ لي أن أكون في قضية من قضاياه صاحب رأي مجرد ...

ولـكني ما أزال مع ذلك أصر على أن الرافعي — رحمه الله — كان يحب ميّ صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، حباً ما ... وأنها أحبته ذات يوم ... حباً ما ؛ ولـكن حبها إياه قد انتهى

قبل أن ينتهى حبه ، أعنى قبل أن ينتهى عمره !

والسلام عليك .

محمد سعيد العريان

هذا ما تفضل بكتابته إلى صديقى الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ، وحقاً كنت أعنيه ، فهو مؤلف « حياة الرافعى » ولكنى كنت أطمع أن يبدى رأيه من حيث كتابة الرافعى فى الحب ودلالتها على صدق العاطفة أو عدم صدقها ، مع الملابسات الواقعية التى يعرف دقائقها ، ولكنه آثر التجرد ... وأود أن تتاح الفرصة القريبة ليتجرد من هذا التجرد ويكتب « أدب الرافعى » الذى لابد أن يتضمن فصلا فى حب الرافعى ، وعندئذ لا يستطيع أن يتجرد من الخبرة العملية فى الحب ...

أين الأديب الحر ؟ :

أثار الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب ، مسألة الأديب الموظف والأديب الحر ، فعبر عن الأول بأنه « يتحتم عليه أن يكون أدبه فى حدود اللون الذى تتلون به الوزارة القائمة » واتخذ الأستاذ الزيات مثلا للكاتب الذى يستشعر الحرية فيما يكتب .

وأقول أولا إن المثل لا بد له من أمثال ، وأستاذنا الزيات له ظروف خاصة ليس لأحد مثلها ، هيأها وبلغها بجهده وقلمه ، وأصبح قلمه بهذه الظروف محرراً مما يقيد الأقلام ، فهو لذلك لا يصلح مثالا . وإذا تجاوزناه فإننا نبحث عن الأديب الحر بمصباح ديوجين .. سواء أكان موظفاً فى الحكومة أم غير موظف ، فأين هو ..؟

إن الأدباء غير الموظفين — أى الذين كان ينبغى أن يكونوا أحراراً — تتقاسمهم شتى القيود ، فنهم المقيد بالسياسة الحزبية ، ومنهم من يؤثر المنافع التى يملكها أصحاب السلطة فيكتب لهم ويغضى عنهم ، ومنهم من يحكمه لون من الصحافة يدر عليه الرزق الوفير .. وهذا هو فلان الأديب الكبير الذى ترك الحكومة ليكون حراً فى عالم الكتابة .. هل صار حراً ؟ كان الله فى عونه ، ويسر له الرجوع إلى الوظيفة ، ليخرج فى ظلها الفن المصفى الذى كان يخرجه .

ثم انظر فى إنتاج الأدباء غير الموظفين وفيما يكتب الكتاب الأحرار ... أترى فيه شيئاً — فيما عدا السياسة الحزبية — كان يمكن أن تمنع منه وظيفة حكومية من حيث التحرر والتقيد ، وأين هو الأديب الذى أدى رسالة لا تتفق مع قيود الوظيفة الحكومية ؟ قد يكون هناك من آثر الصحافة مثلا على العمل الحكومى ، استجابة لميل شديد إلى الصحافة أو رغبة فى ربح مادى منها ، أو للعمل مع حزب من الأحزاب ، أو إباء تحكم الرؤساء ؛ ولكن من هو الذى رغب عن الوظيفة للحرية الأدبية فكان أديباً حراً ؟

ولعلنا نخلص من كل ذلك إلى قضية جديرة بالنظر ، وهى : هل فيما وراء أدبنا مجال وقف الأدباء عند شاطئه متهيبين أو عاجزين ، أو إنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟

من أخطاء الإذاعة :

أخطاء المذيعين فى اللغة وفى غير اللغة ، لا أول لها ولا آخر ، وهذا مما يؤسف له أشد الأسف ، لأن الإذاعة لسان مصر الناطق حقاً لا مجاز فيه ، فلا يليق أن يلحن هذا اللسان فى نطقه ويهلهل لغة البلاد ، ولا يليق أن يكون مدى علم المذيعين بشئون الأدب والثقافة ما يدل عليه خبطهم فى هذه الشئون خبط عشواء ... ولكن أى شىء لائق فى الإذاعة ؟

وكثيراً ما أتذرع بالصبر حيال تلك الأخطاء ، ولكن الذى لم أستطع الصبر عليه حذلقة بعض المذيعين والمذيعات بقولهم بعد انتهاء جزء من البرنامج : « سمعتم فى هذه الربع ساعة كذا » ويظهر أنهم مفتونون بهذا التعبير افتتانهم بإعلان أسمائهم مقرونة بإخراج البرامج والتمثيليات .. يظهر أنهم يستملحون ذلك التعبير فيكررونه ويتناقلونه مزهوين به كأنه « ذيل الذئب » الذى تنسب البطولة إلى من يأتى به . . ولا يدرون أنهم يصكون به أسماع أهل الذوق العربى السليم . وآخر ما سمعته كانت تنطق به مذيعة تجتهد أن تعرب فى أكثر الأحيان ، وتلحن أحياناً ... قالت : « سمعتم فى هذه الربع ساعة تقاسيم على الكمان من حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا » وقد أوقعها التقليد فى هذا الخطأ وإن كانت تحرص على الصواب ، ولذلك أصححه لها هكذا : « سمعتم فى هذا الربع الساعة » أو « سمعتم فى ربع الساعة الماضى »

والأحسن أن تدع هذه الحذلقة كلها وتقول : « سمعتم كذا » وتخلص نفسها من هذه الورطة ، وتخلص صوتها الرقيق من تلك الشائبة . أما المذيعون (الخناشير) فليخبطوا كما يخبطون ...

ومن أخطاء المذيعين التى لاحصر لها ، نسبة الأغنيات إلى غير قائليها ، فما لعلى طه ينسب إلى محمود حسن اسماعيل ، وتصور ما لإيليا أبوماضى مثلا ينسب إلى محمد الأسمر !

وأشنع ما سمعت من هذا القبيل أن قدم أحد المذيعين أغنية لأم كلثوم من شعر شوقى فقال إنها من تأليف « محمد شوقى بك » ! ولا أظن هذا المذيع يخطىء فى اسم « محمود شكوكو » كما يخطىء فى اسم أمير الشعراء .

ومن أخطاء الإذاعة فى تنظيم البرنامج ، هذه الأناشيد الحماسية التى تلقيها الأصوات المزعجة فى منتصف الليل أو قبيله ، فهل يطلب من المستمعين أن يأخذوا قسطهم من الحماس قبل النوم ؟! وعلى من بكر منهم فى النوم أن يهب مذعوراً على صوت رادبو الجيران أوالقهوة المجاورة ، ليأخذ نصيبه من ذلك الحماس ! وعلى هؤلاء وأولئك أن يكونوا جميعاً وطنيين متحمسين فى أحلامهم طول الليل . .

افتتاح دورة المجمع اللغوى :

افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، الدورة الحالية يوم الاثنين الماضى ، فانعقد مجلس المجمع برياسة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك باعتباره أكبر الأعضاء الحاضرين سنا ، وذلك لمرض صاحب المعالى لطفى السيد باشا رئيس المجمع .

ومما أقره المجمع فى هذه الجلسة التوسع فى تعزيز اللجان بالخبراء الفنيين الذين يندبون للعمل بلجان المجمع لقاء مكافآت ، فيعملون مع الأعضاء لإنجاز الأعمال الفنية .

وعرض على المجلس موضوع اختيار أعضاء مراسلين للمجمع من لبنان والجزيرة العربية ، فأجل النظر فيه ؛ والمقصود من هذا الموضوع استكمال تمثيل البلاد العربية فى المجمع من حيث عضوية المراسلة ، فقد سبق أن اختير أعضاء مراسلون من سائر أقطار العروبة ماعدا هذين القطرين الشقيقين . والرأى متفق على هذا الاستكمال ، أما موضع النظر فهو تعيين الأشخاص .

اليهود دائما :

جاء فى تقرير كتبه عن اجتماع مؤتمر المستشرقين فى باريس ، الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ممثل المجمع فى المؤتمر — ما يلى : « ولقد حاولنا أن نظفر بتقرير عقد الاجتماع المقبل للمؤتمر فى القاهرة ، وكان لنا بين الأعضاء أنصار كثيرون ، ولكن الأمر انتهى للأسف بتقرير عقد الاجتماع المقبل فى اسطنبول . ومرد هذه النتيجة إلى أسباب أهمها » :

« ١ — التأخر فى وصول الدعوة الرسمية بحيث لم تبلغ إلا قبيل انعقاد الجلسة الأخيرة .

« ٢ — تأثير مشكلة فلسطين على العلاقة بين الشرق والغرب عامة وبين مصر والدول الأوروبية والأمريكية بوجه خاص ، والجهود الكبيرة التى بذلها المستشرقون اليهود وأنصارهم فى سبيل حمل المؤتمر على عدم تقرير اجتماعه المقبل فى القاهرة . »

وهكذا يحارب اليهود الجهود العربية فى كل مجال ، حتى فى الهيئات العلمية ، وهكذا يستجيب لهم الغربيون حتى ذوو « الأرواب » العلمية .

عباس خضر



الجوييم :

وردت هذه الكلمة فى محاضر المؤتمر السرى الذى عقده شيوخ اليهود فى القرن الماضى ، وهو الذى لخصته فى مقالات فى الرسالة وعلقت عليه . وقد ذكرت اللفظة مراراً بنصها هذا كما ذكرها مترجم تلك المحاضر عن الروسية إلى الانكليزية وفسرها بقوله أنهم يطلقونها على جميع الأمم غيراليهودية ، وعلى النصارى على الخصوص . وفى أثناء نشرمقالاتى فى الرسالة علمت من خبير أن كلمة جوييم تعنى « الانجاس » والجوى « نجس » وهم يعنون أن جميع الأمم غيرهم « أنجاس » .

وفى العبارة التى نقلتها مجلة الأزهر عن الرسـالة ، ونصها : « لأن وظيفـة هؤلاء الحـكام الوطنيين (أعنى باشاواتنا) أن يمسكوا البقرة (اقتصاديات مصر) بقرنيها لـكى يحلبها شعب الله المختار (الجوييم) قصدت بأن « الجوييم » نعت لشعب الله المختار (كما يسمون أنفسهم) أعنى أنى نعتهم بما ينعتون به سائر الأمم لأن تصرفاتهم وسلوكهم وأخلاقهم تثبت أنهم أنجس الأنجاس كما يعلم كل إنسان على وجه الأرض .

نقولا الحداد

عقيدة جلال الدين الرومى :

اتهم الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ فى مقالة « جلال الدين الرومى » المنشور فى العدد الأخير من مجلة الرسالة الزاهرة بأنه « حلولى » وذلك بدون إبداء أسباب مقبولة أو إيراد أقوال صريحة عنه تؤيدان هذا الاتهام .

ومع الأسف الشديد أؤكد أنه ما من باحث إلا ويلقى الـكلام فى الصوفية جزافاً ويرميهم بأحد المذاهب المضلة الباطلة التى لا يقرها عقل ولا يؤمن بها قلب ولا يعتنقها إلا كافر بالله أو ملحد لم يشم رائحة الإسلام الذى هو فى روحه ومعانيه يقدر موضع العبد من خالقه الذى ليس كمثله شىء .

ونعيذ المتصوفة أن تكون من الفئة المارقة الخارجة على الدين الإسلامى الحنيف . وإنى أسأل : هل شققنا عن قلوب هؤلاء المتصوفة فرأينا أنهم كانوا على الباطل فى حياتهم وأنهم تركوا الدين وراء ظهورهم فلم يؤدوا ما أمر الله به ولم ينتهوا عما نهى الله عنه أو انسلخوا عن الدين فاعتقدوا أن الرب عبد والعبد رب . إن هذا قول لا يقره عقل ولا دين .

وإنى إذ أبرىء[1] المتصوفة من مذهب الحلول تطيب نفسى أن تشهد بأن جلال الدين الرومى من هؤلاء الصفوة المختارة الذين كان لهم أثر محمود فى إظهار نور الشريعة قولا وفعلا واعتقاداً .

فلله هؤلاء الصوفية البؤساء الذين لم يسلموا من ألسنة الناس فى حياتهم وبعد مماتهم ، ورحمهم الله .

(شطانوف) محمد منصور خضر

المفعول معه وواو المعية :

تعرض الأستاذ أحمد عبد اللطيف لمناقشة ما كتبته حول المفعول معه وواو المعية ، فأورد أموراً رأى أنها تحتاج إلى المناقشة فقال :

١ — إن سياق الآية « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم » بعيد عن الدقة لأنى قلت إن الإيمان منصوب على أنه مفعول معه . والرد على هذا من وجوه .

(١) لست فى كتابتى للموضوع أبحث عن ترجيح إعراب للآية دون إعراب ، ولم أمنع أن فيها أوجهاً أخر ، والأستاذ متفق معى على أن الصبان فى حاشيته على الأشمونى أوردها على الرأى الذى ذكرته ، وأزيده أن السيوطى فى كتابه همع الهوامع أوردها كذلك فقال « وجاز النصب على المعية وعلى إضمار الفعل الصالح نحو فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومثله تبوءوا الدار والإيمان . فالإيمان مفعول معـه أو مفعول به باعتقدوا مقدراً » . فإذا كان للآية أو للشاهد عدة أوجه — وكل وجه منها صحيح — كما فى الآية واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، بجر الأرحام عطفا أو قسما بها ، وبنصبها عطفا به ، ألا يجوز للـكاتب أن يذكره فى معرض الاستدلال وبخاصة إذا كان سليما من التأويل والتقدير ؟

(ب) الآية وردت فى الأنصار . فمن قال بتقدير فعل مناسب احتاج إلى أن يقول : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان من قبل المهاجرين . ثم احتاج إلى أن يقول تبوءوا الدار

(١) يراجع مقالنا « لا حلول ولا اتحاد عند الصوفية » المنشور فى الجزء السابع من مجلة الـكتاب الغراء — يوليو سنة ١٩٤٨ — وفيه أسباب الاتهام والتبرئة .

من قبل هجرة المهاجرين . وذلك لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وإنما بعدهم وإن كانوا آمنوا قبل هجرتهم . ومن قال بتقدير فعل يصح انصبابه على الاسمين احتاج إلى أن يقول : لزموا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ثم لزموا .. من قبل هجرة المهاجرين . أو قالوا فى الحالين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وأخلصوا الإيمان . أو لزموا الدار من قبل المهاجرين ولزموا الإيمان وعلى كليهما اضطررنا إلى تأويل وتقدير أو تقديم مع أن هناك قاعدة مشهورة وهى أن ما سلم من التقدير أولى مما احتاج إلى تقدير .

(ج) أما من يرى أن الإيمان مفعول معه فقد تجنب أكثر هذا التكلف ، قال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : قال ابن عطية والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان وبهذا الاقتران يصح معنى قوله — من قبلهم — فتأمله .. اه

(د) يوهم ما كتبه الأستاذ أن الفراء والفارسى والمازنى إلى آخر من ذكرهم قد تعرضوا للآية عند التكلم على التوضيح إذا امتنع العطف والمفعول معه كقوله :

علفتهـا تبناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناهـا

وكقوله :

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

أضمر فعل ناصب للاسم الواقع بعد الواو وهذا قول الفراء والفارسى ومن تبعهما . وذهب الجرمى والمازنى والمبرد وأبو عبيدة والأصمعى واليزيدى إلى أنه لا حذف وأن ما بعد الواو فى « البيتين » معطوف على ما قبله ، وذلك على تأويل العامل المذكور قبلهما بعامل يصح انصبابه عليهما معاً فهو من باب التضمين « ومثل ذلك ذكره السيوطى فى الهمع . فالشاهد الذى يعارضنى به الأستاذ وقد استمده من النسق — وأزيده أنه قد ذكره غيره — إنما هو فيما لا يحسن أن توضع فيه واو المعية ولا يحسن فيه العطف فاضطروا إلى التأويل والتقدير أما الآية فهى فيما يجوز فيه النصب على واو المعية وإضمار الفعل الصالح . فالتنظير غير تام بين الآية والبيت . ومن كل هذا نخلص إلى أننى لم أكن بعيداً عن الدقة وإنما كنت أقرب إليها منه ، هذا فى الوقت الذى لم أكن أقصد فى بحثى الأسبق إلى ترجيح إعراب على إعراب وإنما كنت أقصد إلى أن الواو فى المفعول معه نص فى المعية بدون تجوز أو تأويل ، وشواهدى التى سقتها صريحة فى هذا ومنها الآية الكريمة . ولا يكفى فى الرد أن يقال هذا بعيد كل البعد أو أن هذا ضعيف من غير تبيان وجه البعد أو الضعف ؛ فإذا ذكر بعض المفسرين أن المفعول معه فى الآية ضعيف بدون حجة يبديها ، لا يكفى فى الإبعاد والإضعاف ما دام التعبير سليما واضح المعنى .

٢ — يظاهرنى الأستاذ على نقدى تعريف المفعول معه ومن العجب أنه مع ذلك يريد أن يعتبر — بدون قصد — استذكرت والمصباح وأمثاله صحيحاً مع أننى قد بينت أنها أمثلة خاطئة إذ أنك لا تقول فى كلام عربى فصيح استذكرت مع المصباح وإنما تقول استذكرت على ضوء المصباح . ولعل الأستاذ لم يتنبه إلى مرادى فى بحثى الأسبق فكان منه ما اعترض به .

٣ — إن أسلوب الأستاذ الإفهامى — الذى ذكره — ليستدنى القاعدة إلى أفهام تلاميذه إنما هو الواقع أسلوب يستبعدها . ألا ترى أن التلميذ وهو فى الرابعة الابتدائية لا يتابعك حين تقول له : « استذكرت والمصباح ، إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث إذ أن المصباح لا يستذكر . وإن المصباح مفعول معه وليس معناها استذكرت مع المصباح أى مصاحبا المصباح وإنما حصل « الحدث » مقارناً للمصباح » . ولكن يفهمك من أول الأمر إذا قلت خرجت والأصيل ، أى مع الأصيل . وهذا ما قلته سابقاً وما جعلنى أخطىء مؤلفى كتب القواعد التى ابتدعوا فيها أمثلتهم فلجئوا إلى تعريف يوضح ابتداعهم العجيب .

٤ — قال الأستاذ إنى أحلت قول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتى مثله إلى الحال وأننى قد تجوزت فى رأيى تجوزاً بعيداً . وأنا من جهتى أعجب للأستاذ ألا يتنبه إلى أن قولى إنما كان « تهميشاً » وضعته ليكون ضابطاً لمعرفة واو المعية وفاء السببية ، ولن تجد شاهداً صحيحاً يخرج عن رأيى ، فالآية : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، معناها والله أعلم أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا مع حالة كونهم غير مكذبين بالله ومع حالة كونهم من المؤمنين . ومثل هذا يقال فى الأمثلة والشواهد التى ذكرتها فى بحثى الأسبق . وإنى لشاكر للأستاذ أن أتاح لى فرصة الإيضاح ، ولعله تنبه إلى ما أردت وذلك على قدر ما أعلم ، وأختم بما ختم به وفوق كل ذى علم عليم .

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

شجرة الزقوم في امتحانه الرسم :

نشرت « الرسالة » مقالا للأستاذ عباس خضر ، انتقد فيه السؤال الخاص برسم الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين. إلى آخر ما ترمز إليه الآيات الشريفة . . وأرى أنه من الواجب قبل النقد أن يقف حضرته على الأسس التي بنى عليها هذا التطور المفاجيء في طرق تدريس هذه المادة والغاية التي تسعى إلى تحقيقها ، هناك أمران مهمان :

أولا : يجب أن تخاطب الصورة المطلوب التعبير عنها « قلب » الطفل ونفسه فيمتلىء بها شعوره وإحساسه ، بصورة خاصة أدركها فكره الخاص ، فإذا ملأت الصورة قلبه وفاضت بها روحه واستحوذت على مشاعره ، كان لها عليه سلطان شديد . فإذا ما أعطى الفرصة للتعبير عنها ، جاء تعبيره ترجمة صادقة لما يجول في عوالم نفسه . وما دام قد فاض الينبوع من صدره وتفجر من أعماق نفسه ، ففي تعبيره هذا تأكيد لنفسه ولشخصيته ، وفيه شفاء لغليله ورياً لظمأه . وهذا يختلف عما إذا خاطبت الصورة المطلوب التعبير عنها « عين » الطفل ، فهو في هذه الحالة يحاول أن ينقلها لنا نقلاً جيداً فيصبح ذلك المقلد الماهر لما يراه لا المعبر الصادق لما يجول في عوالم نفسه .. وشتان بين هذا وذاك ، كما أن الصورة المنقولة عن العين تخاطب « العقل » شأنها في ذلك شأن سائر المواد الدراسية الأخرى التي يحيا فيها الطفل طول الأسبوع . أما الصورة المنقولة عن القلب فتخاطب « العاطفة » . ويجب أن نذكر أن في هذا التنويع ضرورة لحياة الطفل فهو عقل وروح .

ثانياً : الصورة التي تخاطب العين تكون واضحة في ذهن الطفل فهي دائماً أمام عينيه واضحة كل الوضوح ، مما يجعل الدافع النفسي عند الطفل إلى التعبير عنها ضعيفاً أو معدوماً ، فلا حاجة به إذاً ، ولا دافع كذلك في نفسه يدفعه إلى التعبير عنها حتى يراها أمام عينيه على ورقة الرسم . على العكس من الصورة التي تخاطب القلب فهي غامضة في ذهن الطفل ، شديدة التأثير في نفسه كما يبدو ذلك جلياً في الأحلام مثلا فيكون الدافع النفسي عند الطفل للتعبير عنها قويا شديداً ، محاولا في ذلك أن ينزع النقاب عن وجه الصورة التي يحسها — فغموضها في ذهنه يدفعه إلى محاولة إيضاحها في الرسم ، وقوة تأثيرها في قلبه تدفعه إلى التعبير عنها بالرسم — ليرى في النهاية ما أحسه بنفسه غامضاً قد أصبح واضحاً أمام عينيه على الورق .. كالحاجة الملحة التي تدفعنا إلى تذكر الحلم في الصباح .

ولست أوافق الأستاذ عباس خضر في أن يقصر « مقدرة التخيل » على المباقرة كأبي العلاء ودانتي ولكنها عامة عند الجميع

ولعل في ذكر الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين صوراً غامضة تثير نفس الطفل نحو التعبير عنها .

ولسنا نبغي من وراء هذه الخطة أن نكلف الناشيء العادي أن يكون فناناً كما ذهب حضرته في ذلك ، وإنما رائدنا تكوين شخصية نامية مستقلة عند الطفل ، يحس بها إحساساً ذاتياً معتمداً عليها في كل ما يعترضه في الحياة . إذ يجب ألا يكون العالم الخارجي هو النموذج الأعلى عند الطفل يقلده فيحس بصغر شأنه إزاءه ، ولكن يجب أن يحس الطفل عملياً بقيمة نفسه ، وبأنه النموذج الأعلى في هذا الوجود .

كامل بطرس عصفور
مدرس الرسم بمدرسة المنصورة الثانوية للبنات

وحدة الأسماء :

كتب الشاعر الرقيق — أحد من تشرفت بمشاركته في الإسم الكريم — الأستاذ محمد محمد علي (السوداني) كلمة في العدد الماضي من الرسالة ، عن اشتراك أكثر من واحد في اسم واحد ! وقد عرفت من مطالعتي المستمرة للرسالة ، أن هناك — في محيط الرسالة على الأقل — ثلاثة يحملون اسمه الكريم . أما الأول فهو مترجم السادهانا (كنه الحياة) لطاغور (وهناك مترجم آخر لها وهو الأستاذ طاهر الجبلاوي (تحقيق الحياة) . وأما الثاني فهو الشاعر (السوداني) . وأما الثالث فهو العبد الضعيف كاتب هذه السطور ، الذي نال شرفاً عظيما باشتراكه في الإسم مع كرام أفاضل . وقد نشر له في الرسالة الغراء فصول في التاريخ والاجتماع ، مترجمة عن هانز كوهن والأستاذ جب . وهو طالب بليسانس الجغرافيا بكلية الآداب .

لقد كان الصديق الشاعر على حق في سودنة اسمه « سودنة خفيفة لطيفة » ليست أخف من قصيدته ولا ألطف ..

محمد محمد علي
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد



الاسكندر الأكبر (*)

تأليف الأستاذ أرثر ويجال

نحن اليوم نستقبل الصبح من نهضة فنية مباركة ، تسرع شمسها نحو الشرق لتملأ الدنيا نوراً ودفئاً ، ونحن اليوم أشد ما نكون رغبة في دراسة سير الأبطال ممن جاد بهم التاريخ — والاسكندر شخصية دائمة الدوى في أسماع الزمن ، فلا يكاد التاريخ يحدثنا عن ملك اجتمعت له كل أسباب الشهرة كما اجتمعت للاسكندر ، فلقد شغل الكتاب والمؤرخين ، والباحثين ، والعلماء في كل زمان ومكان ، ومن هؤلاء من رافقه من المهد إلى اللحد ، ومنهم من كان في ركابه لما خرج من مقدونيا غازيا فلم تعظم عليه أشد البلاد بأساً وعناداً ، ومنهم من اضطلع معه بشئون السياسة والإدارة تخبر أساليبه وما قدر لها من نجاح أو فشل ، ومنهم من عنى بتدوين يومياته ومذكراته الخاصة وأقواله ، فكان منهم القسط وكان منهم المتحامل المتعصب الذى يرى فيه شاباً حالفته الشهرة ولم يسع لها سعيها وهو مؤمن. على أنه لم يكد ينتصف القرن الأول الميلادى حتى نشر الاسكندر أربعة بحوث هامة كتبها ديودور الصقلى وبومبى وأرفوس ولكن أوفاها ما كتبه بلوتارخ .

والمؤلف الذى بين أيدينا كتبه أستاذ كان مفتشاً عاماً للآثار بمصر وهو ممن تخصصوا في دراسة تاريخ حياة شخصيات التاريخ اللامعة ، فنحن نعرف من مؤلفاته حياة أخناتون ، الخاصة » وهو إمام الموحدين في العالم القديم ، « وحياة كليوباترا الخاصة » خاتنة الأجيال ، ونيرون ومارك أنطونيو ... وهو يتناول سيرة الاسكندر ويعنى بنسبه وموطنه ، ويصاحبه طفلاً غريراً ، وفتى يافعاً ، وشاباً طموحاً ، ومحارباً بطلا ، وسياسيا فذا ، وعاشقاً متزناً ، لا يصرفه الغرام عن الواجب ، وقائداً منصوراً لا يدفع به الظفر إلى الأسراف في البطش .

ويشير المؤلف إلى النقطة التى بدأ عندها بحثه فيقول : بدأت بحثى من النقطة التى ظل يعتريها الغموض أجيالاً طوالا فلم أرها واضحة كل الوضوح فيما قرأت من مؤلفات ، تلك هى مشكلة ولادته . فلقد ظل يعتقد بأنه ابن للإله الأغريقى المصرى (زيوس آمون) ، ولعل هذا الاعتقاد قد أضفى على شخصه لوناً من القدسية ظلت عالقة في أذهان الناس قروناً بعد وفاته ، ففى بعض بلدان العالم كان ينظر إليه كإله حق مبين ... وفى بلاد الأغريق والرومان كانوا يعتقدون أنه الإله الثالث عشر لأسرة الأوليمب ، وتروى عنه أحاديث اليهود أنه كان خادماً ليهوه المبشر بالمسيح ، وصاحب عرش سليمان ، والمسلمون يرون فيه بطلاً وفقه الله ليحق الحق ويمحق الضلال ، وفى بعض كنائس المسيحيين كانوا يعتقدون أنه واحد من قديسيهم متجاهلين بذلك السبق التاريخى .

وينتقل بنا المؤلف إلى صبا الاسكندر ، ويوضح لنا كيف كان في صباه فارساً مشغوفاً بالركوب والرياضة ، مليئاً بالثقة بنفسه ، كثير النقد لكبار رجال الدولة ، يطعن في تصرفاتهم ، ويثبت أخطاءهم ، وهى صفات يقول عنها رجال التربية اليوم إنها من صفات النجباء المبرزين .

ويوضح لنا المؤلف ناحية دقيقة من حياة الاسكندر وأبيه ، والمجتمع الذى نشأ فيه ، فيقول : «ويلحظ الأب على ابنه الصبى أمارات الأنوثة» — لا يخطئها الناظر إلى تمثال الاسكندر الشاب المحفوظ بالمتحف البريطانى — «فهو مليح المحيا ، وضاح الجبين ، يجرى في وجهه الأبيض حمرة خفيفة رائعة كالتى يراها المرء على وجوه فتيات الأغريق » إعتاد أن يميل برأسه بلطف ورقة ... له عينان ناعستان جذابتان ، يحب أشعار هوميروس حتى أطلقوا عليه (عاشق هوميروس) ... يهوى الموسيقى ويلعب بأنامله الرقيقة على أوتار القيثار فيخرج بها أنغاماً لينة ناعمة .

كان كل هذا مما يقض مضجع الأب ، فقد كان أشد ما يخشاه أن يمسى ابنه واحداً من غلمان مقدونيا ممن يتسرى بهم رجال الدولة ، ولو أنه هو نفسه كان أحد هؤلاء الرجال . ففكر ودبر ، وهداه طول التفكير والتدبير إلى أن يدفع به إلى أيدى أرسطو ليؤدبه ويعلمه الفلسفة والحكمة والعلوم الماشية .

ويصاحبنا المؤلف إلى جلسات التلميذ من أستاذه الفيلسوف

(*) نشرة آيروسبوتزود بلندن ١٩٤٨ .

وبين لنا جانباً من تعاليم أرسطو للاسكندر ، وكيف هضم الاسكندر هذه التعاليم وتشبث بها واستخدمها وصار يفضى بها للناس كلما حانت ساعة الإفاضه .

وفى سنة ٣٣٥ ق م كان الاسكندر قد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وكان قد خلص من توحيد ممالك شبه الجزيرة تحت التاج المقدونى ، وكان قد فرغ من حشد حملته التاريخية التى خلدت اسمه ، وانطلق بها بغزو امبراطورية الفرس فى شرق الأرض

ومن أدق ما صوره لنا الأستاذ وبجال فى كلامه عن الاسكندر السنة الأخيرة من حكمه ، فقد أحصى المؤلف على الاسكندر حركاته وسكناته ، وساعاته ولحظاته ، وأورد لنا نصوصاً من خطبه فى جنده المتمرد ، وكيف تمكن بلباقته وحسن أدائه وسرعة خاطره من كبح جماحهم دون أن يذلهم ، وكيف كان الرجل صاحب فكرة ، فلم يكن فاتحاً تدفعه شهوة الفتح ، ولم يكن ملكا يبغى الملك ويعشق السلطان ، بل كان هذا وكان يدين بمبدأ الأخوة العالمية والاندماج العنصرى بين الشرق والغرب فأعد لجنوده حفلا كبيراً لتزويجهم من الفارسيات بالجلة ، واتخذ له بطانة من قادة السيف والعلم من الفرس وقربهم إلى نفسه فقرب إلى نفوسهم ، وأحبهم فعظم إخلاصهم له مما أحقد عليه أجناده المقدونيون .

ويحدثنا المؤلف عن بناء الاسكندر لأسطوله العظيم فى ثغور الشرق ليدور به حول أفريقا ويعود من بوغاز جبل طارق إلى الاسكندرية ، فيكون قد كشف ما خفى من أقاليم العالم ، ويتم له توحيدها تحت تاجه . وكان الأسطول يرقب يوم السفر حينما أصيب الاسكندر بالحمى — لعلها الملاريا — وألحت عليه العلة وهو يصارعها بما جبل عليه من حب الصراع . إلا أن الاسكندر قد رقد ولم يطل رقاده أكثر من ثلاثة أيام ودع بعدها الدنيا وهو أكثر ما يكون شباباً وحيوية وأملا فى إقرار عدل عالمى ، ما أحوجنا اليوم قبس منه ...

والكتاب بحث من البحوث العلمية الدسمة ، فهو لا يترك شاردة ولا واردة من حياة الاسكندر إلا أحصاها ، وينقد المراجع القديمة والحديثة نقداً علمياً متزناً ويخرج بالقارىء برأى المؤلف واضحاً لا غموض فيه ، وهو كتاب تاريخ لمن يحب التاريخ ، وكتاب أدب لمن يعشق الأدب ، وصفحة بطولة ومجد وفخار تهوى إليها كل الأفئدة .



وحيـــدة

للكاتب الانجليزى دود آفنيل

ترجمة الأديب حسن فتحى خليل

كانت الحجرة الطويلة تلمع فيها الأضواء المنعكسة من زجاج النوافذ العالية ، وضوء شمس الربيع الزاهية يلامس رؤوس المدعوين إلى حفل الزواج وقد انتشروا جماعات فى أركان الحجرة

وابتسمت السيدة تريل وهى واقفة وحدها على السلم الذى يفضى إلى تلك الحجرة .. وتذكرت فجأة أشياء غريبة .. فهاهى حلقة جديدة من حياتها تبدأ اليوم .

لقد كان أول ماتبدلت تلك الحياة حينما تزوجت من ريتشارد ، ثم لحقها تغير آخر حين مات زوجها بعد عشرين عاماً .. والآن . هاهى ابنتها قد تزوجت ، وقذفت الحياة أمها نحو مستقبل مجهول . ولأول مرة ستغدو وحيدة .

ولقد حدثتها نان فى ذلك قبل هـذا بيومين وهى تحيطها بذراعيها وقالت : « أرجو أن تكونى بخير فى وحدتك يا أماه .. لقد كنا معاً دائماً لمدة طويلة ، أنا أعرف أنك ستفتقدينني » فابتسمت السيدة تريل وقالت « لا تنزعجى يا نان ، سأتغلب على هـذا » .

فقالت ابنتها : « فى استطاعتك دائماً الإقامة معنا أنا وتوم يا أماه » فأجابتها « سنرى ذلك » .

ووقفت تراقب زوج ابنتها وهو ينتقل بين المدعوين .

ستغدو وحيدة ، لا تطهى طعاما لأحد ، ولا ترتب حجراتها لشخص ما ، ستعود إلى منزلها فى الغروب وتتناول عشاءها بمفردها .. وسيبقى الباب مغلقاً حتى الصباح .

منذ عشر سنوات وهى لم تشعر بانفرادها أبداً ، لقد كانت تحس بوجود نان بجانبها دائماً ، حتى وهى تحتسى القهوة مع صديقاتها أو وهى جالسة فى ظلام دار السينما . لقد كانت نان فتاة طيبة ، فحين توفى والدها أصرت على أن تبحث عن عمل ، وكانت حينئذ فى الثانية عشرة من عمرها . وباجتهادها وتوفرها على عملها أمكنها بعد سنتين أن تغدو سكرتيرة لرئيس العمل .

وبعد خمس سنوات تغيرت حال عائلة تريل فإذا هم يذهبون لقضاء أيام العطلات فى توركواى وينزلون فى الفنادق الفخمة ويقيمون حفلات الشاى والكوكتيل الأنيقة .

ولقد قالت السيدة تريل يوماً لابنتها نان « أليس من الأوفق يا عزيزتى أن نقيم فى أماكن أقل تكاليف ، فأنا أعتقد أن نقودك لن تحتمل كل هذا ، وأنا لا أرغب فى كل هـذه الكماليات كما تعرفين » .

ولكن نان ابتسمت وهى تقول « يجب أن نتمتع قليلاً يا أماه . إنى أوفر لك السعادة وما عليك إلا أن تستريحى وتتركى لى أنا التصرف فى أمورنا المالية » .

ولم تتناول السيدة تريل هذا الموضوع بالحديث ثانية . إن نان فتاة طيبة ، إنها لتذكر حين كانت تصحبها وهى طفلة إلى شاطىء البحر . كان زوجها ريتشارد ما يزال على قيد الحياة حينئذ ، كانتا تتمشيان على الشاطىء فتهمس إليهما الأمواج ويداعب الماء أقدامهما ، ويستمتعان بتلك الأنوار السحرية التى تلمع فى أركان السماء الداكنة ، ثم يقفان خلف المقاعد يستمعان إلى الموسيقى النحاسية تعزفها الفرقة العسكرية ... وكانا يحرصان خلال هذه الأيام على كل بنس يمتلكانه .

ولكن نان بدلت من كل هذا ، فلقد أصبح منزلها أنيقاً .

وهى تذكر دائماً كلما وضعت قبعتها ومعطفها صوت نان تسألها :

— « أخارجة أنت يا أماه » ؟

— « نعم يا عزيزتى » .

— « أتقصدين مكاناً معيناً » ؟

— « كلا ... سأمشى قليلا فى الحديقة » .

— «سأصحبك..فلايجب أن تذهبى وحدك أبداً ، وسنحتسى

القهوة معا حين نعود » .

وهكذا .. كانا يذهبان إلى كل مكان معاً ، وكانت تحرص نان على ألا تسكون والدتها وحيدة .

وسار الحال على هذا المتوال حتى العام الماضى ، حينئذ ظهر اسم توم بيرنز فى أحاديث نان ، كان رئيسها ، وهو شاب طويل أنيق ذو ابتسامة جذابة .

وأصبحت نان ترتدى ملابسها فى أوقات الغروب وهى تقول لوالدتها :

— « أتسمحين لى بالخروج » ؟

— « طبعاً » ...

— « أقصد أنك ستبقين بمفردك هذا المساء » .

فتبتسم السيدة تريل لابنتها وهى تقول — « أنت فتاة طيبة يا نان .. أخرجى وتمتعى » .

وحتى فى هذه الأوقات وبالرغم من وجودها فى المنزل بمفردها ، كانت تشعر بوجود نان معها دائماً ، وكانت تعرف بأن المفتاح سرعان ما يدور فى ثقب الباب بعد الحادية عشرة بقليل . . . وعليها أن تقوم بتحضير القهوة وترتيب البهو فربما جاء توم مع ابنتها .

ولقد كان توم فتى لطيفاً ، وحينما طلب يدنان ابتسم فى خجل وهو يقول :

— « أنا أعرف أنكما متلازمتان . . وأنا لا أرغب فى أن تشعرى بالوحدة حين تتزوج نان ، وأرجو أن تعتقدى أننا نرحب بك للاقامة معنا دائماً » .

ولسكن السيدة تريل كانت تخشى دائماً التدخل فى حياة أى فرد . إن الشابين الصغيرين سيرغبان فى الانفراد ، وعليهما أن ينعما بحياتهما الخاصة . لذلك قالت « سنرى ذلك يا توم » .

والآن قد بدأت الحلقة الجديدة ، وسيظهر أفق حديث فى حياة السيدة تريل . وكانت ما زالت واقفة فى مكانها على السلم وهى تبتسم لهذا الطوفان من الذكريات .

وتجمع الضيوف ولاحظت توم وهو يشير إليها ويصيح بكلماته التى لا تسمعها وسط الضجيج ، وبدأت تهبط السلم ، ثم سلكت طريقها بين المزدحمين . كان شعورها يبعد بها عن الضجة والمرح إن سعادتها يشوبها الجد وإحساس دقيق من الأسى لمرور الوقت وانتظاراً للحظة — الفاصلة — .

وأخذت نان بيدها وهى تنظر إليها بعينين لامعتين ثم قالت :

— « الوداع يا أماه . »

— « باركك الله يا نان . »

— « آه ... يا أماه ... أرجو ألا تشعرى بالوحشة ، بل يجب ألا تستسلمى لذلك الشعور » .

— « الوداع يا عزيزتى نان . »

وفتح الباب فانتشر ضوء الشمس وتعالت الأصوات المرحة حول السيدة تريل الواقفة فى هدوء على عتبة المكان وأشارت إليها نان بيدها وهى جالسة داخل السيارة . وضحك توم . . ثم تحركت السيارة . . وزادت سرعتها حتى اختفت فى منعطف الشارع .

وظلت السيدة تريل واقفة وقد غمرها شعور من الأسى ولم يقطع خيط تأملاتها سوى صوت يقول :

— « يا عزيزتى السيدة تريل .. كم ستفتقدين نان ! »

كانت جارتها فى المنزل ، فابتسمت قليلا ثم قالت فى هدوء :

— « سيبدو الأمر غريباً بدونها »

— ستغدين وحيدة ، لقد قضيت معها أوقاتاً طيبة . . أيام العطلات فى توركواى . . مآدب العشاء فى المنزل ، كل هذه أشياء ستثيرك .. ومع هذا .. هل ستقيمين بمفردك ؟ »

فهزت السيدة تريل رأسها وهى تقول « أعتقد أنه يجب أن أسافر لبضعة أيام أولا ... »

وكانت ما زالت تبتسم فى هدوء والسيارة تنقلها خلال الشوارع المزدحمة إلى منزلها .

هبت نسمة دافئة حين وصلت السيدة تريل إلى تلك البلدة على شاطىء البحر التى اعتادت أن تزورها هى وابنتها وزوجها حينما كان على قيد الحياة ، وسارت السيدة تريل فى بطء بمحاذاة الشاطىء ، كانت الأضواء تتلاعب فوق رأسها ، وجعلت تراقب الصيادين وهم يقومون بعملهم .. وتمشت على الرمال ... وكانت معالم الناس تختفى فى ظلال الظلمة الهابطة ... وأحست بانفرادها لا يواجهها سوى البحر ، وسرحت نظرها فى الشاطىء من أوله إلى آخر ما يحده بصرها ..

كانت غارقة فى ذكرياتها ... لطالما مرت بها كل هذه المناظر من قبل ، وإذا بالماء يداعب قدميها ، فتشعر بإحساس من الغبطة يملأ نفسها بالرغم من وحدتها » .

حسن فتحى خليل

مطبعة الرسالة

العدد ٧٩٩ — الإثنين ٢٥ أكتوبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 799

Lundi — 25 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٧٩٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أول ما عرفت شــوقى

(بمناسبة ذكراه السادسة عشرة)

عرفت شوقى عن عِيان سنة ١٩٢٧ فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه فى القاهرة . عرفنى به صديق الأستاذ محمد كرد على ، وكان قد وفد فيمن وفدوا من أقطاب الأدب وأعيـان العرب ليشاركوا مصر فى تـكريم شاعر العربية العظيم ؛ فذهبت إليه فى فندق الـكنتنتال أزوره ، فوجدته بالشرفة جالساً فى قلادة من أولى الفضل يتوسطها شوقى . فلما رآنى مقبلا هش لى ورف علىّ ، وقال لشوقى وهو يبتسم ويتهلل : هـذا هو الرجل الذى أنصفك ! فلما استسمانى الشاعر النابه عجب الأستاذ كرد على ألا يكون بيننا تعارف ونحن نعيش فى بلد واحد ونسير فى طريق واحد . وسمانى له ، فتلقانى ببشره وشكره وأنسه . ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة سنتين كاملتين رحلت بعدهما إلى العراق . وفى أثناء مقامى ببغداد اصطفاه الله لجواره ، فلم أره بعد ذلك إلا رؤيا ، ولم أتمثله إلا ذكرى !

كان الأستاذ كردعلى يشير بانصافى لشوقى إلى مقال نشرته يومئذ فى العدد الخاص بتكريمه من (السياسة الأسبوعية) عنوانه (ما لشوقى وما عليه) ؛ وكان أكثر ما كتب فى هذا العدد عن شوقى أقرب إلى التنكير وأدنى إلى الجرح ، فداخل شوقى ظنون من إخراج هذا العدد ، وحك فى صدره أشياء من جهة هيكل ؛ وأرهج بعض الناس بين الصديقين بالفساد حتى كاد أن تقع بينهما جفوة .

قال لى شوقى وقد أخـذ بذراعى والقوم منصرفون : إنى أشكرك على نقدك وتقريظك على حد سواء ، فان الحق فيما أخذت لى ظاهر ، والعدل فيما أخذت على صريح . وإنى أسلم لك ماعددت من هفواتى وأرده إلى اختـلاف الأثر بين عصرين وثقافتين وذوقين : وليس من السهل أن يتجرد الشاعر أو الـكاتب جملة أو فجأة من عوامل الوراثة والدراسة والبيئة ولـكن ما رأيك فيما كتب فلان وفلان ؟ وهل كان من مقتضيات الحال أن تنشر مجلة صديق هيكل آراء خصومى فى عدد تـكريمى؟ فقلت له : إن رئيس تحرير السياسة كاتب يعرف قيمة النقد ، ويرعى حرمة الرأى ؛ وقد طلب إلى طائفة من أعلام الأدب أن يدلوا بآرائهم فى الشاعر من غير تحديد لجهة ، ولا تعيين لقصد ، ليـكون العدد الخاص على ما أعتقد دراسة فنية شاملة لنواحى الشاعر تتعارض فيها الآراء ، وتتقارع فيها الحجج ، فتتألف من هنا ومن هناك صورة تامة لفن الأمير تـكون فى وسط هذا المهرجان تمثالا فيه الجمال والجلال ، ولـكن فيه كذلك الصفات الطبيعية الأخرى التى يريدها الخالق الـكامل للمخلوق الناقص . فقـال شوقى بصوته الخفيض وابتسامته الوديعة : يظهر أنك لا تقرأ ما بين السطور ولا تعرف ما وراء الستور . فقلت له : ربما !

ووقفت بنا سيارته على (كرمة ابن هانىء) ، وكانت ليلتئذ تتلألأ بالنور والسرور ، وتزدان بالزهور والحضور . فأصاب

القوم ما شاءوا من مرىء الطعام وهنىء الشراب ، ثم تجمعوا زمراً فوق أرائك البهو وكراسي الردهة ، يستمعون إلى الملحن الناشئ والمغني الحدث محمد عبد الوهاب وهو يغني بصوته الرخيم الخافت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » . وكان شوقي آنس الله وحشته يؤثرني بالرعاية ويخصني بالحديث ، شأنك مع الصديق الجديد والزائر المحتشم .

وفي أصيل اليوم التالي بعث إلىّ بسيارته الفخمة تحملني إلى داره ؛ وكانت الدار حين دخلتها ساكنة كالصومعة ، رهيبة كالمعبد ؛ فمن رآها ليلة الأمس ثم رآها عصرية اليوم تذكر حال السكران الطافح ترنحه الخمر فيعربد ، ثم يهوّده الخمار فينام .

كان شوقي جالساً في ركن من الشرفة ومعه على المائدة الصغيرة حافظ وعبد المطلب وحفني محمود ، فلما أخذت موضعي من المجلس قال شوقي إنما دعانا على هذا الوضع من اختلاف السن والذوق والثقافة لنقرأ تونيته التي نظمها للمهرجان . وأخذ حافظ يقرأ القصيدة فنقف عند كل بيت ، ننظر في سياقه وموسيقاه ، ثم نروّى في معانيه وألفاظه ، فربما استبدلنا لفظاً بلفظ ، وآثرنا عبارة على عبارة ، وذوق الشاعر العبقري من وراء أذواقنا جميعاً ، ينقد ويوازن ويفاضل ويختار ، حتى استوى القصيد على فنه الرفيع منضد اللفظ نقي المستشف . وأردنا بعد ذلك أن نسمع حافظاً ، برد الله بالرحمة ثراه ، فاعتل بعلة لا أذكرها ؛ ولكنه رأى من خلال المناقشة تجانساً بين ذوقي وذوقه فسألني أن أصحبه في المودة . وفي قهوة بميدان الأوبرا كانت موضع ملهى (بديعة) اليوم ، جلست أنا وحافظ رأساً إلى رأس ، يقول في شوقي وأسمع ، ويفتن في النكات وأضحك ، حتى قال : سأنشدك قصيدتي لترى فيها رأيك . وأخذ شاعر النيل يقرأ لي عينيته المشهورة بصوته الفخم وإلقائه المعبر حتى فرغ منها ؛ ثم نظر إلى نظر المستفهم المطمئن المعجَب ، فقلت له : هنيئاً لك التصفيق الحاد والاستعادة المتكررة ياحافظ ! قصيدة شوقي للقراءة وقصيدتك للسماع ، ومعانيه للخاصة ومعانيك للجمهور ! فقال في لهجته الساخرة الفكهة : وهل يعنيني غير الجمهور؟

توالى اللقاء بيني وبين شوقي بعد ذلك اليوم ، مرة في داره ، ومراراً في (صولت) . وكان كلما أنشأ عبقرية من عبقرياته أقرأني إياها ؛ وذلك شأنه في جميع أطوار عمره : يعرض ما يقرض على الآذان المتباينة والأذهان المتفاوتة ليعلم موقعه من كل ذوق ، وأثره في كل نفس . وكان أشد ما مكن الألفة بيني وبينه تشابه في الطبع من فرط الحياء ، وحب العزلة ، وقلة الكلام ، والانقباض في الندىّ الحافل ، والابتعاد عن الحفل الجامع ؛ فكأن كلاً منا كان يرى في الآخر عزاء عن نقصه وعوضاً من حرمانه .

كان شوقي يرى كما كثر الناس أن الرجل إذا لم يعمل في الحكومة كان أشبه بالمتشرد . لذلك كان قلقاً علىّ من هذه الناحية ، فهو يستكبرني على العمل الحر ، ويعجب ألا يكون لي مكان في وزارة المعارف . ثم أخذ يسعى من وراء علمي لدى وزير المعارف علي الشمسي باشا ويمهد لي السبيل للقائه . وفي ذات ليلة من لياليه قال لي ونحن في ركن من أركان صولت : سأنتظرك غداً هنا في الساعة الحادية عشرة ، فتعال ومعك مجموعة من كتبك لنزور وزير المعارف : فقلت له : وما شأني بوزير المعارف ؟ فقال إنه يود أن يراك ، ولعل من الخير أن تراه . فلما دخلنا على الوزير في الموعد الموقوت قدمني وكتبي إليه ، فسلم الرجل تسليم البشاشة ، وشكر شكران الغبطة . وجرى في حضرته حديث عني استجاز شوقي فيه ما لا يجوز إلا للشاعر من المبالغة في المدح والمجاملة في الثناء . ولما خرجنا من عنده ربت على كتفي وقال وهو مبتهج : لقد وعدني الوزير أن يضمك إلى الوزارة ! فقلت له ولم أدهش لأني حزَرت ذلك من قبل : ألهذا جشمت نفسك ياسيدي ونفسي ؟ حدّ الله ما بيني وبين الحكومة ! لقد حاول هذه المحاولة منذ أربع سنين طاهر باشا نور وعبد الفتاح باشا صبري فجذبت عناني من يديهما ومضيت . وأراد صديقي طه حسين وأستاذي لطفي السيد أن يدخلاني الجامعة منذ سنتين فلذت بالفرار بعد صدور القرار . أنا يا سيدي أستاذ في الجامعة الأمريكية ، مرتبي ضخم ومكاني مرفوع ورأيي مسموع وحريتي مطلقة . فهل نافعي أن أدع الطريق الذي قطعت أكثره إلى طريق أبدأه من جديد ، وأن أعمد إلى رجليّ الطليقتين فأضعهما في قيد من حديد ؟

ولكن شوقي الصديق الشفيق لم يرضه هذا المنطق ، فظل مشفقاً علىّ من العمل الحر حتى رحلت عن هذا البلد ، فودعني راضياً وما كنت أدري والأسفاه أنه وداع الأبد !

(القاهرة) **احمد حسن الزيات**

اليهودية=الصهيونية=الشيوعية

للأستاذ نقولا الحداد

سألني الأستاذ حكمت علي من بغداد عما إذا كان ثمت فرق بين اليهودية والصهيونية . . . أجل يا سيدى ، الصهيونى يهودى واليهودى صهيونى ولا فرق . وإنما استنبطوا كلمة صهيونية لقوم أفاقين جاءوا من الآفاق إلى فلسطين لكى ينشئوا دولة صهيونية ، أى يهودية ، أى إسرائيلية . وكلمة صهيون فى الأصل كانت اسماً لجبل أو تل فى الجنوب الغربى من مدينة أورشليم (القدس) ثم أطلقت على كل أورشليم عاصمة فلسطين .

وإنشاء مملكة يهودية أو إسرائيلية هو أمنية كل يهودى سواء أكان سامياً أم آرياً ... لما حكم فلسطين الولاة الرومانيون وخربوا هيكلها العظيم سنة ٧٠ ميلادية تشتت اليهود فى العالم . والآن يحل محل ذلك الهيكل الذى لم يبق منه طلل ، جامع قبة الصخرة . ولم يبق لليهود فى أورشليم إلا جدار يبكون أمامه هيكلهم وماضيهم .

من ذلك الزمان إلى اليوم يتوق اليهود إلى مملكة فلسطين وإلى بناء هيكلهم فيها من جديد . أينما يكن اليهود يتمنوا هذه الأمنية ويبذلوا كل غال ورخيص فى سبيلها . ولا يغرنك قول اليهودى إنه ليس صهيونياً ؛ فإنما يقوله للتمويه فقط ، إذ يخشى أن يتهم بأنه يخالف قوانين البلاد العربية فى تحريم إرسال مال إلى الصهيونيين فى تل أبيب . وهم يرسلون الأموال من أمريكا جهاراً ومن البلاد العربية سراً لهذا الغرض . وشفيق عدس الذى شنق فى بغداد مثل من أمثلة الخونة الذين يهربون الأموال والعتاد إلى يهود فلسطين . فأينما رأيت يهودياً فقل إنه صهيونى ، وإنه يتحين الفرص لكى يعمل للصهيونية .

***

بقى على العرب أن يعلموا — إذا كان الإنكليز والأمريكان لايعلمون — أن الصهيونية أخت الشيوعية بل أمها ؛ لأن اليهود الذين قبلوا الحكم القيصرى كانوا كلهم يهوذا ما عدا لنين . ولما أنشأوا دولة البلشفية جحدوا الدين وطردوا الأكليروس النصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا كلهم يدينون بدين كارل ماركس الاشتراكى ، فلم تعد تفرق بين اليهودى وغير اليهودى ، ولم تعد تعرف من هو اليهودى ومن هو المسلم . ولكن الذى كان فى القلب بقى فى القلب . وبقى اليهود يتحينون تلك الفرصة لكى يملكوا روسيا ولو بصفة كونها اشتراكية . ولكن ستالين فطن لمؤامراتهم التى كانوا يدبرونها لكى يقلبوا سلطته فأباد كثيرين منهم . ومن يعرفهم فلعل جروميكو وفيشنسكى منهم .

قد يظن بعض الناس أن اليهود لا يمكن أن يكونوا اشتراكيين أو شيوعيين لأنهم رأسماليون ، والشيوعية نقيض الرأسمالية ؛ ولكن فليعلم من لم يعلم أن اليهود كالحرباء يتلونون بكل لون لكى يصلوا إلى أغراضهم . فيمكن اليهودى أن يكون رأسمالياً تارة واشتراكياً أخرى ؛ ويمكن أن يكون أرستقراطياً أو ديموقراطياً ويهودياً أو مسلماً أو نصرانياً . يمكن أن يكون أى شىء إذا كان يظفر بالسيطرة ؛ فإذا كان اليهود اشتراكيين ثم قبضوا على زمام الحكم الاشتراكى أو الشيوعى العالمى ، أفلا تصبح أموال العالم كلها فى أيديهم ؟ — هذا ما يسمون إليه الآن ، وسيرى ستالين أو خلف ستالين أطال الله بقاءه أن الشيوعية صارت فى قبضة الصهيونية . وحينئذ تصبح موسكو تحت سيطرة تل أبيب تتلقى أوامرها منها ؛ وحينئذ تصبح أوربا كلها وبعدها أمريكا شيوعية ، وكلها واقعة تحت سيطرة موسكو ، وبالتالى تحت سيطرة تل أبيب . وكل آت قريب .

فهل يعلم الأمريكان أنهم وهم يناهضون الشيوعية يخدمونها فى تأييد دولة إسرائيل المزعومة ؟

نقولا الحداد

صديقي الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ أنور المعداوى

أشكر الظروف الطيبة التى هيأت لنا أسباب اللقاء، وتلك اللحظات الممتعة التى جمعت بينى وبينك حول مائدة الأدب والفن تحدثنى وأحدثك، وتصغى إلى وأصغى إليك، ونغترف معاً من شتى الطعوم والألوان ...

ولقيتنى لقاء الصديق للصديق، وكأننا كنا على ميعاد. وأشهد لقد أكبرت فيك كثيراً من نواحى الشخصية الإنسانية، تلك التى كنت أجهلها قبل أن ألقاك. ولقد قلت لنفسى بعد أول لقاء: ليتنى قد عرفتك من قبل، لتستقيم لى النظرة إلى فنك على هدى الخصائص الأصيلة فى شخصيتك ... ومع ذلك قد هيأ لى هذا اللقاء أن أبلغ منتصف الطريق إلى الغاية، وأن أكشف الغطاء عن كثير!

وكان لقاء آخر طويت فيه الطريق كله حتى بلغت منتهاه، والفضل فى ذلك منسوب إليك؛ لأنك حدثتنى عن نفسك وعن فنك حديثاً طويلا لمست فيه حرارة الصدق المنزه عن الأغراض.

لقد هاجمتك فى الأيام الأخيرة مرة هنا ومرات هناك، وعلى الرغم من هذا كله فقد شاء أدبك أن تشد على يدى، وأن تثنى على قلمى، وأن تلقانى لقاء الصديق ... ويشهد الله أننى ما هاجمتك إلا لأننى أقدرك كل التقدير، وأحمل لك فى نفسى رصيداً مذخوراً من الذكريات الغالية. أنت فى عالم القصة معدن نفيس، ومن حقى أن أزيل بيد الناقد ما علق بالمعدن النفيس من غبار الحياة...

هذا ما كنت أقوله لكل من يلقانى معاتباً على موقفى منك، وكنت أزيد على ذلك قولى: لقد عودنى توفيق الحكيم أن ألقاه فى القمم، فإذا ما هبط مرة عن مستواه، فمن حقى أن أثور عليه لأرده بهذه الثورة إلى مكانه الطبيعى!

قلت لك هذا فقدرت الدافع وشكرت القصد، وملأت نفسى إعجاباً برحابة صدرك وسماحة طبعك، وتقبلك النقد بروح مثالية هى روح الفنان.

وخضنا أيها الصديق الكريم فى حديث طويل خرج منه الأدب والفن بنصيب كبير، وخرجت منه «أخبار اليوم» بتلك الكلمة القيمة التى كتبتها على أثر لقائنا وبوحى من نقاشنا حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ...

أما حديثنا، فقد التقينا فيه حول الكثير، وافترقنا حول القليل، والفضل فى ذلك أيضاً منسوب إليك؛ لأنك حين رحت تقص على كثيراً من المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية، تلك التى يستجيب لها قلمك ويخضع لها فنك، وضعت بين يدى كثيراً من الوثائق التى يحتاج إليها الناقد، إذا ما أراد أن يقيم الميزان للعمل الفنى مرتبطاً بشخصية صاحبه، ومتصلا بأسباب النفس والحياة ... ومن هنا حلت نظرة جديدة إلى فنك محل النظرة القديمة، تلك التى لم يكن أمامها لتنظر إليك غير طريق واحد، كل معالمه سطور وكلمات!

ما قصدت من وراء هذا المقال إلى أن أسجل ما دار بينى وبينك من نقاش حول طبيعة الفن ورسالة الفنان، وحول أمور أخرى تطرق إليها الحديث، لأنها تتصل بنقاشنا من قريب أو من بعيد، إن لذلك كله مناسبة أخرى أرجو أن أعرض فيها لكثير مما اتفقنا أو اختلفنا عليه ...

كل ما أقصد إليه هو أن أكشف لقراء الرسالة عن ناحية من نواحى شخصيتك الأدبية والإنسانية تركت أثرها البعيد فى نفسى؛ ومن حقك على أن أشير إليها فى كثير من التقدير والإعجاب، وهى دعوتك المخلصة إلى توثيق عرى الصداقة فى الأدب، وإيمانك العميق بجدوى الصفاء بين الأدباء...

وأذكر أنك كتبت فى هذا الموضوع مرة فى (الرسالة)، وتعرضت فى سبيل تلك الغاية الكريمة لهجوم بعض أصحاب الظنون ممن لم يؤمنوا بصدق دعوتك!

أما أنا، فقد لمست حرارة إخلاصك ونبل مقصدك فى موقفين لن أنساهما لك: أولهما موقفك من الصديق النبيل صاحب (الرسالة) حين قلت فيه كلمة حق لا أدرى لم غصت بها حلوق فلم تنطق بها شفاه! وثانيهما موقفك من الدكتور طه حسين، حين لم يجد كلمة عزاء تنسيه وحشة الطريق وتنكر الصديق؛ لقد وقفت وحدك لتصافحه بروحك من وراء الآماد والأبعاد ...

إنك بكلمتيك هاتين قد أقمت الدليل على أن الدنيا ما زالت

مســـــألة تاريخية

للدكتور جــواد على

بهذا العنوان حرر الأستاذ الكبير ساطع بك الحصرى مقالة نشرها فى مجلة الثقافة (١) كانت بمثـــابة ردّ على ما كتبه « شمس الدين كون التاى » أحد الكتاب الأتراك فى مجـلة « مجمع التاريخ التركى » التركية بمناسبة الاحتفال التذكارى الذى أقيم فى سنة ١٩٣٧ فى كابل وطهران واستانبول لمناسبة مرور تسعمائة عام على وفاة الفيلسوف الحكيم « ابن سينا » وقد تنازع على أصله الإيرانيون والأتراك والأفغان وكتبوا فى ذلك الكتب والمقالات . كل يدعى أنه منهم . ولم يتنازع الناس عليه يوم كان حياً ؛ ولكنها الدنيا لا تعرف قيم الأشخاص إلا بعد الوفاة

(١) عدد ٤٩٧ و ٤٩٨ تاريخ ٦ يولية سنة ١٩٤٨ و ١٣ يولية سنة ١٩٤٨ .

وقد تعرض الأستاذ « أبو خلدون » فى جملة ما تعرض له من نقاط إلى موضوع « الأتراك » وأثرهم الثقافى فى البصرة و « معبد الجهنى » وأثره فى « الجبر والاختيار » وعلم الكلام . فقد زعم « شمس الدين كون التاى » فى جملة ما زعمه أن « عبيد الله بن زياد الذى كان قد ولى على خراسان مأموراً للاستيلاء على ما وراء النهر فى عهد الخليفة معاوية كان قد أعجب إعجاباً شديداً بالثقافة المالية والمهارة العسكرية التى يتحلى بها أهل بخارى فانتخب من بينهم ألفى شاب من المهذبين المثقفين ، وأرسلهم إلى العراق بغية جعلهم معلمين للعرب وأسكنهم البصرة . وإن هـذه المعلومات التى ينقلها لنا أقدم مؤرخى الإسلام البلاذرى تحل اللغز الذى كان يكتنف مسألة منشأ الحركة الفكرية الأولى فى الإسلام » .

وقد تساءل هذا الكاتب التركى : لماذا نشأت هذه الحركة فى مدينة البصرة أولا ؟ فأجاب « لأن الذين أثاروا هذه الحركة الفكرية الأولى كانوا هؤلاء الشبان المنقولين من بخارى هم وأولادهم ، وإن الشخصين اللذين كانا وضعا الحجر الأساسى فى

بخير ، وأن أصحاب الفضل لن يعدموا من يقول فيهم كلمة الحق ، ولو حال بينها وبين الجهر بها كثير من الدوافع والأغراض !

لقد كان حديثنا فى آخر لقاء يدور حول هـذا الموضوع لا يكاد ينأى عنه حتى يعود إليه ... ولقـد قلت لك فيما قلت : ليتنا يا صديقى نملك كثيراً من أمثالك ؛ أولئك الذين يحفظون عهد الصديق ، ويلتمسون سبل الخير ، وينشدون وجه الحق ، ولـكن أين هم ؟ أين من يطلق رأياً كرأيك بكلمة صدق تقال فى الزيات ؟ وأين من يرفع صوتاً كصوتك بكلمة عزاء توجه إلى طه ؟ ! لقد انتظرت رجع الصدى لمـا كتبت ، فضاع الأمل وخاب الرجاء ! أما أنت فقد أخجلتنى حين قلت لى : يا أخى ، حسبى أنك تقف إلى جانبى ...

وحين رحت أقص عليـك بعض ما أعلم وتعلم من جدوى الصداقة على الأدب ، متمثلا ببعض النماذج الإنسانية فى أدب العالم ، عقبت على ذلك بقولك : يا أخى ، إن الأدب الرفيع حق كله ، وخير كله ، وجمـال كله ... فلم نشوه الحق بالضغائن ، ونطمس الخير بالسخائم ، ونفرش طرق الجمال بالأحقاد ؟ ! إننا نقبل هذا فى دنيا السياسة ، لأن رجالها قوم مشدودون إلى الأرض ، ينظرون إلى يومهم وما فيه من أسلاب ، ولا يتطلعون إلى غدهم وما فيه من أمجاد !

أما فى دنيا الأدب ، فما أوسع الشقة وأبعدالفارق ، إن رجال الأدب قوم تربطهم بالسماء خيوط إلهية غير منظورة ، وما أحرى المتصلين بالسماء أن يكونوا قدوة حسنة لهـذا الجيل الصاعد فى صفاء النفس ونقاء السريرة وشرف الغاية ...

ترى لو فقد الجيل الصاعد إيمانه بنا ، نحن الذين أقمنا من أنفسنا هداة تدله على مواطن الخير وترشده إلى معالم الطريق ، فماذا يبقى له ليؤمن به ؟ !

لو تحقق الصفاء فى الأدب لما أنكر حق من الحقوق ، ولما ضاع قدر من الأقدار ، ولما اختل فى تحديد القيم ميزان !

يا صديقى توفيق ، مرة أخرى أعود فأقول لك : ليتنا نملك كثيراً من أمثالك ، أولئك الذين يحفظون عهـد الصديق ، ويلتمسون سبل الخير ، وينشدون فيما يقولون وجه الحق .

أنور المعداوى

بناء المذهبين المتعارضين فى اللاهوت كان كلاهما من أهل ذلك القطر. إن معبد الجهنى الذى أسس المذهب القائل بحرية الإرادة البشرية كان قد ولد فى بلدة جهينة الكائنة فى نواحى جرجان وطبرستان، كما أن جهم بن صفوان الذى أسس المذهب المعارض لذلك هو أيضاً كان تركياً من أهل بلخ وكان قد تقدم بآرائه هذه لأول مرة فى مدينة « ترمذ » من ديار الأتراك.

ولقد لفتت هذه الدعاوى نظر الأستاذ « ساطع الحصرى » — وهو من المحامين عن الثقافة العربية الذا بين عنها — فراجع المصادر التى استند عليها « شمس الدين » فلم يجد فيها ما يشير إلى ما ذهب إليه هذا الكاتب من نقل المثقفين والعلماء الأتراك من طبرستان إلى البصرة لا تصريحاً ولا تلميحاً وإنما تحدث عن سبي من السبايا الذين نقلوا كالعادة من طبرستان إلى جنوب العراق. وبهذا دل المؤرخ التركى على أنه لم يكن يستند فى قوله هذا على أى سند أو دليل.

ثم عرج « ساطع الحصرى » على قضية « معبد الجهنى » ونسبته إلى الأتراك فاستعرض الآراء فى « جهينة » وفى نسبة « معبد » فيها ثم خرج من كل ذلك إلى أن « الجهنى » من « جهينة » القبيلة العربية المعروفة ؛ وقد استند فى نهاية حديثه إلى ما رواه السمعانى فى كتابه « الأنساب » حيث قال : الجهنى — هذه النسبة إلى جهينة وهى من قضاعة : نزلت الكوفة ومنها محلة ينسب إليها جماعة ... منهم معبد بن خالد الجهنى كان يجالس الحسن البصرى، وهو أول من تكلم بالبصرة فى القدر. فسلك أهل البصرة بعده مسلكه فيها ».

وما كان الأستاذ — فى نظرى — بحاجة إلى إثبات أو نفى نسب « معبد » وتعيين منزلته فى العرب أو الأتراك. وفى القرآن الكريم والحديث النبوى، وفى خطب الصحابة مثل خطب الإمام على المدونة فى نهج البلاغة، وفى أسئلة الصحابة للرسول، وفى الأسئلة الكثيرة التى كان يوجهها العراقيون إلى زعيمهم الإمام عن الحرب والفتنة، أ كان ذلك بعلم الله وقضائه وفى بحث التابعين فى هذه المواضيع قبل نشوء « معبد » وقبل تفوه « جهم ابن صفوان » زعيم « الجهمية ». نعم فى كل ذلك ما يغنى عن الرد على صاحب هذه المقالة. اللهم إذا زعم « شمس الدين » أن القرآن تركى وأن الرسول تركى وأن « الحديث النبوى » تركى بلغة « التاى ».

وقد أعادت هذه المقالة إلى ذهنى ذكريات « المؤتمر اللغوى الثانى » الذى عقده الأتراك فى الأستانة بين ١٨ — ٢٣ آب والذى رأسه المرحوم « أتاتورك » وحضره ما يزيد على (٦٠٠) شخص من أرقى طبقات الأتراك كان من بينهم فخامة الرئيس الحالى « عصمت إينونو » وكاظم باشا رئيس المجلس الوطنى الكبير ورجب بك السكرتير العام لحزب الشعب.

وقد افتتح المؤتمر معالى وزير المعارف فى ذلك العهد فذكر أن الأمة التركية أقدم الأمم تمدناً وحضارة، وأنها هى التى نقلت الحضارة من أواسط آسيا إلى أوربا الشرقية والشرق الأدنى، فأصبحت سبباً فى تحضر الأمم الأخرى وتمدنها. وادعى أحمد جواد بك أحد أعضاء المؤتمر أن اللغات الهندية والجرمانية والسلافية واليونانية واللاتينية والقفقاسية والفنية (لغة فنلندة) هى من أصل يرجع إلى اللغة التركية القديمة المسماة لغة « التاى » وهى لغة الأتراك القديمة.

وتكلم عضو آخر هو « نعيم حازم بك » عن « علاقة اللغة السامية » فزعم أن المدنية التركية كانت بمثابة خميرة للمدنيات العالمية، وأن اللغة التركية كانت الأصل لجميع اللغات، وأن الأقوام السامية إنما أصبحت ذوات لغات واسعة غنية باحتكاكها بالأتراك. وضرب مثلا على ذلك اللغة العربية فقال إن العرب كانوا قد استمدوا كثيراً من الكلمات من اللغة التركية تصرفوا بها وعربوها وصقلوها فى جاهليتهم وفى أيام إسلامهم، وجاء بأحد عشر قاعدة فى كيفية أخذ العرب قديماً للكلمات التركية وتعريبهم لها. وذكر أمثلة على هذه القواعد.

وأيد هذه النظرية لغوى آخر هو « يوسف ضياء بك » نائب اسكيشهر إذ بحث عن الكلمات التى انتقلت من لغة « التاى » أى اللغة التركية القديمة إلى اللغات السامية ولغة العرب على الأخص.

وساقت العاطفة بعضهم إلى الادعاء بوجود علاقات قوية بين لهجة « مايا » فى المكسيك ولغة الأتراك وطلبوا لذلك الاهتمام بدراسة هذه اللغة ودراسة لغة أخرى تشبهها هى لغة « تولنك » لمعرفة أنساب الأتراك والحصول على كلمات تركية

مرصد مراغة ومكتبتها

اللذان شيدهما نصير الدين الطوسي في بداية العصر المغولي

(صور لدنيا العرب والإسلام فى ذلك العهد الرهيب)

للأستاذ ضياء الدخيلي

يقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان فى كتابه (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك) الذى نشرته مجلة « المقتطف » : إن نصير الدين الطوسى أحد الأفذاذ القليلين الذين ظهروا فى القرن السادس للهجرة ، وأحد حكماء الإسلام المشار إليهم بالبنان وهو من الذين اشتهروا بلقب (علامة) . ولد فى بلدة طوس سنة ٥٩٧هـ الموافقة ١٢٠١م ودرس العلم على كمال الدين بن يونس الموصلى (١) وعين المعين سالم بن بدران المعتزلى الرافضى (٢) ، وكان يتنقل بين قهستان وبغداد وتوفى سنة ٦٨٢ هـ ببغداد حيث دفن فى مشهد الكاظم .

(١) صالح زكى – آثار باقية – مجلد ١ ص ١٧٨
(٢) محمد بن شاكر – فوات الوفيات مجلد ٢ ص ١٤٩

ويقال إن الطوسى نظم قصيدة مدح فيها الخليفة العباسى ، وإن أحد الوزراء رأى فيها ما ينافى مصلحته الخاصة فأرسل إلى حاكم قهستان يخبره بضرورة مراقبته — وهكذا كان — فإنه لم يمض زمن إلا والطوسى فى قلعة الموت ، حيث بقى فيها إلى مجيء هولاكو فى منتصف القرن السابع للهجرة . وفى هذه القلعة أنجز أكثر تآليفه فى العلوم الرياضية التى خلدته وجعلته علما بين العلماء . (وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال فى تصريفه ...) (١) وقد عهد إليه هولاكو بمراقبة أوقاف جميع الممالك التى استولى عليها .

عرف الطوسى كيف يستغل الفرص فقد أنفق معظم الأموال التى كانت تحت تصرفه فى شراء الكتب النادرة وبناء مرصد مراغة الذى بدىء فى تأسيسه سنة ٦٥٧ هـ . وقد اشتهر هذا المرصد بآلاته وبمقدرة راصديه . أما آلاته فمنها (ذات الحلق وهى خمس دوائر متخذة من نحاس : الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض ، ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة العرض ، ودائرة الميل . والدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب)(٢) وأما عن راصديه فقد قال الطوسى :

(١) محمد بن شاكر – فوات الوفيات – مجلد ٢ ص ١٤٩
(٢) فوات الوفيات — مجلد ٢ ص ١٥١

منسية من جهة أخرى .

وبعد فإنى أعتقد أنك بعد أن وقفت على هذه الآراء الرسمية المجملة التى أخذتها من المحضر الرسمى المؤتمر سوف لا ترى فى مزاعم « شمس الدين » شيئاً كثيراً بالنسبة إلى تلك المزاعم .

ظن أولئك الذين أرادوا إحياء الأمة التركية أن الإحياء يكون عن طريق التبجح بالماضى والتباهى بالأجداد والترفع عن الشعوب الشرقية التى ساهمت فى تكوين التاريخ التركى ، وطرد الكلمات العربية والفارسية التى تمثل التفاعل العقلى بين الأتراك وبين العرب والفرس ، والاستعاضة عن تلك الكلمات بكلمات فرنسية ، فلم يزدهم ذلك فى نظر الغربيين منزلة ، ولم تخرجهم تلك المقالات الطويلة العريضة من عالم التفكير الشرقى ، ولم يجعلهم التاريخ الذى ادعوه لهم أمة من الأمم المعظمة التى لها فى مجلس الأمن وفى المجالس الدولية كرسى ثابت وصوت مسموع .

لا زالت تركية الحديثة التى ظن زعماؤها أنها ستأخذ مكانها تحت الشمس بابتعادها عن العرب والشرق الأدنى ، لا زالت فى نظر الغربيين تركية القديمة لا يحسب لها حساب إلا عند النظر فى كفة الميزان وفى أهميتها من حيث أنها بقرة حلوب يستفاد منها ؛ لأن المنزلة لا تأتى عن طريقة التبجح بالأجداد وبأجداد الأجداد وبالابتعاد عن الناس والانضمام إلى السباع إذا لم تكن لديه قوة السباع . والذى يتكل على الماضى ويترك الحاضر ولا يعمل له ، يهمله الزمان ويتركه يعيش فى عالم الماضى . فلنعمل بعقلية الحاضر ولنجعل أنفسنا أقوياء حقاً ، أقوياء فى تفكيرنا وفى صناعتنا وفى معاملنا ولنتقدم على علوم الطبيعة التى استبدلت بالحديد الذرة ، حينئذ يقول العالم أنهم عقلاء وأنهم ناس وأن لهم شأناً بين الناس ، وحينئذ يقول العالم إن تاريخهم كان خير تاريخ وأنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

(دمشق) جواد علي

«... إني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضي من دمشق والفخر المراغي كان بالموصل والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس والنجم دبيران القزويني وقد ابتدأنا في بنائه سنة ٦٥٧ بمراغة ...» ويروي كتاب آثار باقية أن محيي الدين المغربي كان أيضاً أحد أعضاء لجنة الرصد، وكيفية مجيئه هي أن هولا كولما استولى على حلب مقر حكومة الملك الناصر سمع رجلا يصيح أنا منجم، فأمر بالإبقاء عليه وبإرساله إلى مراغة حيث يقيم نصير الدين.

أما المكتبة التي أنشأها في المرصد فقد كانت عظيمة جداً أكثرها منهوب من بغداد والشام والجزيرة، ويقدر ما كان فيها بـ ٤٠٠٠٠٠ مجلد مكتوبة باليد. ونصير الدين من الذين كتبوا في المثلثات والهيئة والجبر وإنشاء الاسطرلابات وكيفية استعمالها

ومراغة التي أقام بها الطوسي المرصد والمكتبة يحدثنا عنها ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ) في المعجم أنها بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان طولها ٧٣½ درجة وعرضها ٣٧½ درجة؛ قالوا وكانت المراغة تدعى «افرازهروذ» فعسكر مروان بن محمد بن الحكم وهو والي أرمينية وأذربيجان في منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها وكان فيها سرجين (زبل) كثير، فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها، فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة، وهذه قرية المراغة فحذف الناس القرية وقالوا مراغة، وكان أهلها قد لجأوا إلى مروان فابتناها وتألف وكلاؤه أهلها فكثروا فيها وعمروها. ثم إنها صودرت مع ما صودر من ضياع بني أمية وصارت لبعض بنات الرشيد. فلما عاث الوجناء بن رواد الأزدي وأفسد وولي خزيمة بن خازم أرمينية وأذربيجان في خلافة الرشيد بنى سورها وحصنها ومصرها وأنزل بها جنداً كثيفاً. فلما ظهر بابك الخرمي لجأ الناس إليها فنزلوها فسكنوها وتحصنوا فيها، ورم سورها في أيام المأمون عدة من عماله، ثم نزل الناس بربضها (في المنجد الربض على وزن الذهب هو ما حول المدينة من بيوت ومساكن وهو أيضاً سور المدينة). وينسب إلى المراغة جماعة من المحدثين والفقهاء وبها آثار ومدارس وخانقاوات حسنة، وقد كان فيها أدباء ومحدثون وفقهاء (١)

وقد ابتنى الطوسي (كما يحدثنا ابن شاكر في فوات الوفيات، وقد توفي عام ٧٦٤ هـ أي بعد وفاة الطوسي باثنين وتسعين عاماً) بمراغة قبة ورصداً عظيما (واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة وجعل له الأوقاف (٢).

وكما يحدثنا ابن الفوطي في كتابه «الحوادث الجامعة» أن الطوسي استمر مدى حياته يجمع لمكتبة المراغة الكتب، فقد نقل أن الطوسي ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ وجمع من العراق كتباً كثيرة لأجل المرصد الذي وضعه بمراغة عام ٦٥٧ هـ وعين فيه جماعة يتولون عمله إلى أن انتجز سنة ٦٧٢ (راجع حوادث سنة ٦٥٧ من كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لابن الفوطي) (٣)

وابن الفوطي هذا هو أمين مكتبة مراغة. قال العزاوي في كتابه (العراق بين احتلالين) نقلا عن شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: إن ابن الفوطي صاحب الكتاب المعروف «الحوادث الجامعة» أسر في واقعة بغداد وخلصه النصير الطوسي الفيلسوف وزير الملاحدة فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل وبرع في الفلسفة وغيرها وأمده بكتابة الزيج وغيره من علم النجوم واشتغل على غيره في اللغة والأدب حتى برع ومهر في التاريخ والشعر وأيام الناس، وأقام بمراغة مدة ولي بها كتب الرصد بضع عشرة سنة وظفر بها بكتب نفيسة وحصل من التواريخ ما لا مزيد عليه (٤). وفي الوقت الذي يثني فيه بعض المؤرخين على جهود الطوسي في جمع تلك الكتب من التلف ولم شتاتها في مكتبة مراغة كما ترى العزاوي يقول في ترجمة الطوسي ص ٢٧٨

(١) معجم البلدان الجزء ٨ ص ٤
(٢) فوات الوفيات وفي الوافي بالوفيات للصفدي أيضاً
(٣) الحوادث الجامعة لابن الفوطي أمين مكتبة مراغة وفي كتاب العراق بين الاحتلالين لعباس العزاوي
(٤) العراق بين احتلالين للعزاوي وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.

وهنا تقول إن أعمال هـذا الرجل مصروفة إلى مناصرة العلماء والحكماء وأنه حينما ورد بغداد عام ٦٦٢ هـ تصفح أحوال بغداد ونظرأمر الوقوف والبحث عن الإجناد والماليك ، وفى هذه المرة جمع من العراق كتباً كثيرة لأجل المرصد الذى وضعه بمراغة (١) فهـا أنت تراه يشايع ابن الفوطى فى أن تـكون مكتبة مراغة ورفع قواعدها وجمع الـكتب لها كان من عمل الطوسى وأن تلك المؤسسة وليدة رغبته فى تشييد بيوت العلم ؛ إلا أن الأستاذ محمد كرد على فى كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ج ١ ص ٣٠٢ بعد أن يعرض مأساة سـقوط بغداد بصورة مؤلمة ويستعرض نهب نفائس دار الخلافة العباسية يذكر من ذلك نهب مكتبيات بغداد وغيرها قال : « وبينما كانت فى هـذا الشرق القريب كتلة صغيرة تدفع الصليبيين عن سرة بلاد الإسلام مصر والشام فتخرب مدن وحصون وتندك معالم وجوامع كان جنكيز يخرب فى أواسط آسيا بلاد المسلمين . ولم تـكد تدفع الشام عنها عادية الحروب الصليبية حتى جاء هولا كو بغداد يخربها ويقتل الخليفة المستعصم ويقضى على جلة الفقهاء ورجال الدولة يضع السيف فى دار السلام أربعين يوماً ويستخرج الأموال والتحف بأنواع العذاب ويحرق معظم تلك المدينة الساحرة وزادت عـدة القتلى عن ثمانمائة ألف عدا الأطفال ومن هلـكوا فى السراديب والقنى والآبار وأحرق قبور الخلفاء ونبش عظامهم وبنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول وطوالات المعالف عوضاً عن اللبن . وقيل إن ماء دجلة تغير لونه لـكثرة ما ألقى فيه التتر من الـكتب والأوراق ، وقيل إنه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة هذا عدا ما نهب من البلاد التى احتلها فلا (١) فى (مراغة) خزانة عظيمة من الأسفار نهبها من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيهـا زيادة على أربعمائة ألف مجلد (٢)

أما عن المرصد فإن محمد باقر الخونسارى فى كتابه (روضات الجنات) يحدث نقلا عن كتاب (محبوب القلوب) لقطب الدين الأشكورى وعن صاحب (مجالس المؤمنين) إن هولا كوخان بعد أن قضى على الخلافة العباسية ببغداد أمر بالرصد واختار محروسة مراغة فى أعمال تبريز لبناء المرصد فرصد فيه ، واستنبط الطوسى عدة من الآلات الرصدية ، وكان من أعوانه على الرصد من العلماء وتلاميذه جماعة أرسل إليهم الملك هولا كوخان ، منهم العلامة قطب الدين محمود الشيرازى صاحب شرف الأشراف والـكليات وهو فاضل حسن الخلق والسيرة مبرز فى جميـع أجزاء الحـكمة محقق مدقق مفيد ومستقبله فى صحبة الطوسى ، ومنهم مؤيد الدين العرضى الدمشقى وكان متبحراً فى الهندسة وآلات الرصد توفى بمراغة فجأة سنة ٦٠٤ ، وفخر الدين وكان طبيباً فاضلا ، حاذقاً ونجم الدين القزوينى وكان فاضلا فى الحـكمة والـكلام ، ومحيى الدين الخلاطى وكان فاضلا مهندساً متبحراً فى العلوم الرياضية ، ومحيى الدين المغربى وكان مهندساً فاضـلا فى العلوم ، وضبطوا حركات الـكواكب ، ومات المحقق الخواجه نصير الدين وبان النقص فى كتاب الزيج وانقصهم عن ذلك لم يتموه (١) وقد أضاف إليهم عباس بن محمد رضا القمى فى كتابه (الـكنى والألقاب) نجم الدين الـكاتب البغدادى قال وكان فاضلا فى أجزاء الرياضى والهندسة وعلم الرصد (٢)

ونقل ابن شاكر فى فوات الوفيات وصـلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدى فى الوافى بالوفيات (ج ١ ص ١١٢) قال شمس الدين الحريرى (وفى الوافى أنه الجزرى) قال حسن ابن أحمد الحكيم صاحبنا سافرت إلى مراغة وتفرجت فى الرصد ومتوليه صدر الدين على بن الخواجة نصير الدين الطوسى وكان شاباً فاضلا فى التنجيم والشعر بالفارسية ، وصادفت شمس الدين ابن المؤيد العرضى وشمس الدين الشروانى والشيخ كمال الدين الأيكى وحسام الدين الشامى فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحلق وهى خمس دوائر متخذة من نحاس الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض ودائرة معدل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل ورأيت الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الـكواكب وإسطرلابا تـكون سعة قطره ذراعا وإسطرلابات كثيرة وكتباً كثيرة .

وأخبرنى شمس الدين العرضى أن نصير الدين أخذ من هولا كو بسبب عمارة هـذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله تعالى خارجاً عن

---

(١) الفراوى (٢) الإسلام والحضارة العربية

(١) روضات الجنات .

(٢) الـكنى والألقاب .

طرائف من العصر المملوكي :

البردة وأثرها فى الأدب العربى

للأستاذ محمود رزق سليم

البردة هى القصيدة البارعة المشهورة التى نظمها شرف الدين البوصيرى المتوفى عام ٦٩٥ هـ فى مدح النبى عليه الصلاة السلام . وقد ولد البوصيرى عام ٦٠٨ هـ فى « دلاص » ، ونزح منها صغيراً مع أمه إلى « بوصير » ، وكلتا القريتين من بنى سويف . وقد نسب البوصيرى إليهما معا فقيل له « الدلاصيرى » ولكنه اشتهر بالبوصيرى وأهل الإسكندرية الآن يقولون : « الأباصيرى » .

وقد عاش البوصيرى متكسباً بالكتابة فى دواوين الدولة ، متنقلا فيها من مدينة إلى أخرى وعانى فى هذه الدواوين كثيراً من عنت كتابها ورؤسائها . وقد سجل ألواناً من فسادهم فى إحدى قصائده ، فأصبحت بذلك ذات قيمة تاريخية ثمينة .

وكان بالبوصيرى ميل إلى النسك والزهد ، ويبدو أن هذا الميل هو الذى أغرى به رؤساءه فنموه أحياناً مرتبه . وقد كانت خاتمة مطافه بالإسكندرية حيث مات ودفن ، وبها قبره ومسجده الشهير .

والبوصيرى من أصل مغربى ، يمت إلى صنهاجة إحدى القبائل البربرية بالمغرب الأقصى ولكنه مصرى المولد والإقامة . وقد قرض الشعر حتى عد من مشهورى شعراء مصر فى القرن السابع الهجرى . ولم يكسب هذه الشهرة من لفظ رائع أو أسلوب بارع أو معان يلفتك جمال صورتها ، ويأسرك رونق جدتها ؛ ولكنه كسبها من خصوصيات ومزايا ندرت نظائرها فى غيره من الشعراء ، ... كتسجيلاته الشعرية لبعض حوادث عصره ، وصوره الاجتماعية .

الجوامك (المرتبات) والرواتب التى للحكماء والقومة [1] (يقصد القائمين على الأمر والقيم على الأمر هو متوليه كقيم الوقف ونحوه) .

وإن هذه الزيارة التى قام بها حسن بن أحمد الحكيم لا شك فى أنها كانت بعد وفاة الطوسى وتولى شئون الرصد ابنه صدر الدين وكذلك بعد وفاة مؤيد الدين العرضى وأخذ مكانه من قبل ابنه شمس الدين كما سنبين ذلك عند نقل ما ترجمته أنا من كتاب جورج سارتون (المقدمة إلى تاريخ العلوم) ولنصغ إلى الطوسى نفسه يحدثنا عن الرصد فقد قال فى كتابه (الزيج الايلخانى) إننى جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضى من دمشق والفخر المراغى كان بالموصل والفخر الخلاطى الذى كان بتفليس والنجم دبيران القزوينى وقد ابتدأنا فى بنائه سنة ٦٥٧ بمراغة والأرصاد التى بقيت قبلى وعليها كان الاعتماد دون غيرها هى رصد أبرخس وله مذ بنى (١٤٠٠) سنة وبعده رصد بطليموس بـ (٢٨٥) سنة وبعده فى ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد وله (٤٣٠) سنة والرصد البتانى فى حدود الشام والرصد الحاكمى بمصر ورصد بنى الأعلم ببغداد ولها (٢٥٠) سنة .

وقال الأستاذون إن إرصاد الكواكب لا تتم فى أقل من ثلاثين سنة لأن فيها تتم دورة هذه السبعة (الكواكب) فقال هولا كو أجهد فى أن رصد هذه السبعة يتم فى اثنتى عشرة سنة قلت اجتهدت فى ذلك [1] .

قال ابن شاكر وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه كثير من تلامذته وأصحابه فأقام ببغداد مدة ومات وخلف ثلاثة أولاد [2] .

وقد نقل العزاوى فى كتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) فى الملحق ناقلا عن كتاب تركى (إسلامده تاريخ ومؤرخلر) إن الطوسى حين ورود هلاكو إيران اتصل بعلماء الصين وأنه بأمر من هولاكو اقتبس الزيج الايلخانى من عالم صينى جاء إلى إيران يدعى (توميجي) وكان قد استفاد منه كثيراً مما يتعلق بقواعد النجوم فكان بينهما تبادل علمى واتصال وثيق [3] .

(البقية فى العدد القادم) ضياء الدخيلي

(١) فوات الوفيات والوافى بالوفيات

(١) الزيج الايلخانى للطوسى

(٢) ابن شاكر والصفدى . (٣) اسلامده .

والبردة إحدى هذه الخصوصيات . فإن تلك الصوفية التى بدت فيها وفى غيرها من مدائحه النبوية ، أثر من آثار الحياة الروحية التى نزع إليها بعض الناس فى هذا العصر امتداداً لنظيرتها فى العصر الأيوبى الذى عاش فيه ابن الفارض الشاعر المتصوف المشهور . وقد كانت تلك الحياة بمثابة رد فعل لما انتشر بين المسلمين من مفاسد كثيرة . غير أن ابن الفارض اتجه بشعره إلى الغزل الإلهى ، بينما انصرف البوصيرى إلى الغزل النبوى . فبردته بما فيها من وجد وحنين ولهفة وشوق ، ودموع وذكر ديار ، أقرب إلى باب الغزل منها إلى باب المديح أو الشعر المذهبى . وهذا هو الفن الشعرى الجديد الذى ولده البوصيرى فى الشعر العربى ، فكان بذلك فذاً بين شعراء المديح النبوى من لدن الأعشى وكعب وحسان ومن بعدهم .

ونزعة الحب التى نلمسها فى نفس البوصيرى تفسر لنا فى يسر وسهولة تلك الأوصاف التى نشهدها فى ثنايا البردة وغيرها ، يقدس بها الرسول ، ويضفى عليه هالات من السمو ، وبخاصة إذا قرن اسم الكريم باسم غيره من أنبياء وملائكة ، وقد يعيبها عليه بعض النقاد ويعتبرونها مبالغات لا داعى إليها ، بينما هى فى قرارة نفس الشاعر ، أضيق الألفاظ وأيسر الأساليب التى تعبر عما فيها من إحساس صادق وشعور دافق ، هو وليد الحب الخالص الصراح الذى لا شائبة فيه . فقدسية المحبوب والتسامى به ، أبسط مظاهر الحب الصادق .

لم يكن البوصيرى — فيما أعتقد — شاعراً طامحاً إلى الشهرة يسعى إليها عن طريق شعره . ولذلك لم يتكسب به ، ولم يسع إلى باب من أبواب الرؤساء . وكذلك لم يكن يعنيه أن يكون شعره جيداً بديع النظم رائع الأسلوب ، بقدر ما كان يعنيه أن يكون صدى لما فى نفسه ، ورجعاً لهجسات فؤاده . فأغلب شعره شعر شخصى يسجل خواطر الشاعر وأحاسيسه النفسية . وقد خرج البوصيرى مرة عن طبيعته ، فنظم قصيدة غزلية وروى حكاية له مع جارية حسناء ، فدل ما فيها من الغزل الساذج وحيله البدائية ، على أن الرجل مقلد فى غزله ، وأن الغزل ليس أصيلا فى نفسه — أما غزله النبوى وبخاصة فى البردة ، فإن شخصيته تبدو فيه ناطقة وثابة فى كل بيت . فالبردة منظومة نفسية جاشت بها نفس الشاعر فى الباطن ، وعلق عليها آمالا ، قبل أن يتحرك بها لسانه ويجنح إليها فى الظاهر . — وهذا أيضاً يفسر لنا الرؤى التى رآها البوصيرى وأصحابه ، متصلة بهذه القصيدة ونظمها ، وتفسر لنا المنوية الجارفة التى استطاع بها هذا الرجل أن يعالج نفسه من فالجه الذى أصابه . فإنه لما حار فى علاجه فكر فى نظم قصيدة نبوية ، يستشفع بها الله أن يعافيه . فنظمها وكرر إنشادها ثم بكى ودعا وتوسل ونام ، فرأى النبى عليه الصلاة السلام فى نومه فمسح بيده المباركة على مكان دائه ، وألقى عليه « بردة » فانتبه من نومه وفيه نهضة وأحس بالشفاء .

ونحن لا نرتاب فى صحة الأحاديث النبوية المتصلة برؤيته الشريفة ، فقد روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى عليه السلام قال : « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتى ، ومن رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتى ، ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . وبعد فهل كان البوصيرى كاذباً فى دعوى الرؤيا ؟ هذه مسألة يخشى من ينصف نفسه أن يجازف بالحكم فيها على غير ظاهرها ، وبخاصة أن البوصيرى يعلم أن من كذب على النبى متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

ليس هناك ما يمنع البوصيرى من أن يرى النبى فى نومه ، وليس هناك كذلك ما يمنع من أن يشفى من فالجه بسبب قصيدته ؛ وقصيدة البردة — وبعضهم يسميها البرءة — لا تشفى ولا تبرىء من سقم . فالله سبحانه وحده واهب البرء والشفاء . ولكن إذا أخلص مريض النية ، واتجه إلى الله بقلب مؤمن ودعاه واستشفع بالنبى عليه السلام ، أو بتلاوة القرآن ، أو قراءة البردة أو نحوها ، فليس هناك ما يمنع أن الله يستجيب الدعاء . والمريض فى حاجة قصوى إلى مثل هذه المنوية يعين بها طبيبه على علاجه .

وأطلق لفظ « البردة » على قصيدة البوصيرى ، لما لابس نظمها والاستشفاع بها من ذكر بردة النبى عليه السلام . وقد روى أن الصاحب بهاء الدين بن حنا — وكان صديقاً للبوصيرى — احتفظ نسخة من القصيدة لديه . ثم أصيب سعد الدين الفارقى برمد أشرف منه على العمى ، فرأى فى المنام هاتفاً يدعوه إلى

الصاحب بهاء الدين ليأخذ منه « البردة » ويضعها على عينيه فيشفى بإذن الله ، فذهب إلى الصاحب وطلب منه « البردة » ، فقال له الصاحب «ما أعرف عندى من أثر النبى صلى الله عليه وسلم بردة » . ثم تذكر قصيدة البوصيرى ، فقال لعلها المراد بالبردة ، وأعطاه إياه . ومن ثم سميت القصيدة بالبردة .

وبعد ، فأبيات البردة نحو مائة وستين بيتاً . وهى أجود مدائح البوصيرى وأسلسها أسلوباً وأرقاها عبارة وأكثرها رونقا ، وأجمها أغراضاً وأروعها أمثالا وأوفرها معانى تنشدها العامة وتكرر إنشادها فى مناسبات كثيرة تيمنا بذكر ممدوحها ، ومن شأن التكرار فى مثل هذه المناسبات أن يعقب الملل ، ويورث النفور ، ويبعث على الإبتذال ، ومع ذلك لا تزال القصيدة محبوبة أثيرة عند العارفين .

وقد تناول الشاعر فيها — فضلا عن ذكر الديار والأحبة ووصف الشوق والحنين ، والنزوع الصوفى والدعوة إلى الزهد والتحذير من الهوى إلى غير ذلك — موضوعات السيرة النبوية وما امتاز به الرسول الكريم من عظيم الصفات ، وهذه الموضوعات منثورة فى كتب السيرة ، فليس للشاعر هنا فضل ابتكار ، وإنما فضله فى نظامها هذا النظم السائغ حتى انحدرت إلى الأسماع جميلة الإيقاع ، ورددها اللسان رائعة الألحان . وقد زودها الشاعر ببعض الحلى البديعة التى لا يمل وسواسها ولا يثقل جرسها .

قال فى المطلع :

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق فى الظلماء من اضم
فا لعينيك إن قلت اكففا همتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم

وقال فى التحذير من هوى النفس :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وقد تناول الحديث عن « النفس » فى عدة أبيات تصلح للدراسة النفسية ، يتناول فيها الدارس مسألة الغرائز وتربيتها ، والعادات وتكوينها ، بما لا يقل فى جملته عن الدراسات النفسية الحديثة . ومن هذه الأبيات قوله عن النفس بعد أبيات عن الشيب :

من لى برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم
فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها إن الطعام يقوى شهوة النهم
والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ومن أبياته فى وصف الرسول عليه السلام قوله :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم
وشد من سغب أحشاءه وطوى تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

وبعد ، فإن الحديث لا يتسع لإيراد أبيات هذه القصيدة الفريدة ، التى كان نظمها فتحاً مبيناً فى الأدب العربى ، أفاء عليه ثروة لولاه ما فتحت مغالق كنوزها . لا نغلو فى ذلك ولا نبالغ. والحق أن البردة بحاجة إلى رسالة مستقلة تتحدث عنها وعن أثرها ، وقد تناولها الدكتور النابه زكى مبارك بالحديث فى كتابه الممتع « المدائح النبوية » ؛ ولكن إذا علمنا أن البردة قد وضعت لها شروح عدة ، وعورضت ، وشطرت ، وخمست ، وسبعت ، ووضعت شروح أخرى لكثير من هذه المنظومات الناشئة عنها ، علمنا أى ولوع ذلك الذى انتاب الشعراء والكتاب بالبردة من لدن عهد البوصيرى إلى عهد أمير الشعراء شوقى بك ، وعلمنا أى إيجاز مخل ذلك الذى نتوخاه هنا فى هذه المجالة ونحن نتصدى للحديث عن أثر البردة فى الأدب العربى .

وفى دار الكتب المصرية ، ودور الكتب فى الأقاليم ، وفى كشف الظنون وكتب التراجم وتاريخ آداب العربية لجورجى زيدان ، وفى غير ذلك من المظان إشارات إلى مؤلفات شعرية ونثرية ، كانت البردة سماء وحيها ومتنزل إلهامها . وهى فى انتظار البحث وترقب التمحيص . ولا تضاهى البردة فى هذا الفتح قصيدة أخرى .

وفى الحق أن بعض القصائد العربية حظيت بنصيب من مثل هذه العناية فشرحت أوعورضت أو نحو ذلك ، مثل «بانت سعاد»

ولامية العجم ، ولامية ابن الوردى . ولكن لم تبلغ إحداها شأو البردة ، ولا شقت غبارها . — ونذكر هنا بعض هذه المؤلفات على سبيل المثال والاستدلال . منوهين قبل ذكرها ، بأن هذا الفن الشعرى الجديد — وهو الغزل النبوى — قد سرت روحه فى كثير من شعراء المديح النبوى بعد البوصيرى ، بل فى جميع الشعراء ، وقد قضى نهجه الجديد على نهج من تقدمه من شعراء هذا المديح ، وتأثر به — بلا ريب — ابن نباتة وابن حجر وغيرهما فى نبوياتهم . هذا وممن شرح البردة : الشيخ الباجورى المتوفى (١١٩٨ هـ) وحاشيته مشهورة ، والشيخ خالد الأزهرى المتوفى (٩٠٥ هـ) ، ومن شراحها الجلال المحلى المتوفى (٨٦٤هـ) وشمس الدين بن الصائغ (٧٧٦ هـ) وزين الدين زكريا الأنصارى (٩٢٦ هـ) وشهاب الدين الأقفهى المعروف بابن العماد (٨٠٨هـ) وعلاء الدين مصنفك (٧٧٥ هـ) وشهاب الدين القسطلانى (٩٢٣ هـ) وأبو عبد الله الرزوق المغربى (٧٨١ هـ) .

وقد عارض البردة كثيرون ، ومن أبرزهم فى العصر الحديث : البارودى فى قصيدته « كشف الغمة » وهى فى نحو ٤٥٠ بيتاً ، وشوقى فى قصيدته « نهج البردة » . — ومن أبرزهم فى العصر المملوكى وما بعده أيضاً ، أصحاب البديعيات . والقصيدة البديعية — كما نعتقد — منظومة عارض بها ناظمها بردة البوصيرى ، فالتزم بحرها ورويها وغرضها . على أن هذا الغرض — وهو المديح النبوى — ليس الهدف الأول من المعارضة ، وإنما إيراد الأنواع البديعية هو الهدف الأول المقصود .

أما المديح فقد كان من أهم المشهيات التى جذبت أصحاب البديعيات إلى النهج البوصيرى والنظم على نمط البردة . وقد التزموا أن يضمنوا كل بيت من أبيات البديعية ضربا من ضروب البديع ، وزاد عز الدين الموصلى هذا الالتزام بأن التزم التورية بكلمة ماعن اسم الضرب البديعى المضمن . فأصبحت قيود البديعية خمسة ، غير أن القيد الخامس لم يلتزمه كثير من البديعيين . وفى الوقت نفسه ترى أبياتا فى بديعية عز الدين اقتصر فيها على التورية باسم النوع البديعى دون ذكر مثاله .

وقد نظم بعض الأدباء فيما بعد ، بديعيات لم يلتزموا فيها بحر البردة ورويها وغرضها ، وهذا فى رأينا انحراف عن الشروط الأولى للبديعية ، وخروج بها عن جادتها الأصلية .

ومن أصحاب البديعيات : صفى الدين الحلى (٧٥٠ هـ) ، وابن جابر الأندلسى الضرير (٧٨٠هـ) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) وتقى الدين بن حجة الحموى (٨٣٧ هـ) وشرف الدين بن المقرى اليمنى (٨٣٧ هـ) وتاج الدين بن عربشاه (٩٠١هـ) والجلال السيوطى (٩١١ هـ) وعائشة الباعونية (٩٣٠ هـ) ولها بديعيتان وعبد الغنى النابلسى (١١٤٣ هـ) وله بديعيتان أيضاً .

ومبتكر فن البديعيات ، صفى الدين الحلى ، وقد صرح بذلك فى مقدمة بديعيته ، وروى رؤيا ذات شبه برؤيا البوصيرى ، وذلك أنه عرته علة طالت مدتها واشتدت شدتها ، فرأى النبى عليه الصلاة والسلام فى نومه ، يتقاضاه المدح ويعده البرء . فنظم على إثر ذلك بديعيته . ومن يقرأ ديوان الحلى يشعر أن الرجل قد طاع له من البديع ذهبه ، ولان حديده ، فاستطاع أن يبتدع فى صوغه حلى قل أن يجاريه فى صوغها شاعر .

وهذا مما يؤيد دعواه فى ابتكار فن البديعيات . — على أن الدكتور زكى مبارك فى كتابه «المدائح النبوية» رأى أن مبتكر هذا الفن هو ابن جابر الأندلسى ، ولم يقم وزناً لهذه النزعة البديعية الجارفة التى طغت على نفس صفى الدين ودعته إلى التجديد فى البديع ، ولا لسبقه ابن جابر فى الوفاة بنحو ثلاثين عاماً . وقد عقب على ما ذهب إليه الدكتور ، زميلنا الفاضل الأستاذ أحمد موسى المدرس فى كلية اللغة العربية ، فكتب فصلا ممتعاً عن البديعيات ، فى رسالته الشائقة « الصبغ البديعى » . وقد كشف كشفاً فى هذا الموضوع له خطره ؛ إذ وجد أن الشاعر أمين الدين السليمانى الأربلى المتوفى عام ٦٧٠ هـ ، قد نظم قصيدة غزلية فى ستة وثلاثين بيتاً ، فى كل بيت منها نوع بديعى . وعزز الأستاذ كشفه بما رواه ابن معصوم المتوفى عام ١١٢٠ هـ شرحاً على بديعيته من « أنه كان يظن أن صفى الدين أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب حتى وقف على قصيدة أمين الدين السليمانى » .

ورأى الأستاذ أن أمين الدين المذكور هو مبتكر فن البديعيات . — على أنى أعتقد أن المسألة لا تزال عند موقفها

الأول ، وأن كفة صفى الدين لا تزال الراجحة . وأن الفارق بين أمين الدين وصفى الدين فى ابتكار فن البديعيات ، كالفارق بين زهير وأبى تمام أو المتنبى فى ابتكار الحكمة ، وأنت ترى صفى الدين فى مقدمة بديعيته يقول إنها نتيجة لدراسة سبعين كتاباً فى فن البديع .

وبعد ، فأى خطر للبديعيات ، حتى نمنى بها كل هذه العناية ؟ البديعيات — على أى حال — فن شعرى جديد فى حينه بلغت به النزعة البديعية قمتها شعراً ، كما بلغتها بالمقامات نثرا .

هذا إلى أن البديعيات نمط من شعر العلوم والفنون ، لم يطرق قبل هذا العصر . ومنزلة البديعية فى علم البديع ، كمنزلة ألفية ابن مالك — مثلا — فى علمى النحو والصرف . — هذا إلى أن كثيراً من البديعيات وضعت لها شروح قيمة فأضافت بذلك ثروة جديدة إلى علوم البلاغة والأدب ، ومن أجل شروحها « خزانة الأدب » لتقى الدين بن حجة الحموى .

هذا . وقد شطر البردة كثير من الأدباء . منهم فى عصرنا الحديث : عبد العزيز باشا محمد ، ومحمد بك فرغلى . ومنهم الشيخ أحمد بن شرقاوى الخلفى (١٣١٦هـ) والشيخ أحمد بن عبدالوهاب الجرجاوى (١٢٥٤ هـ) وأحمد بن عثمان العوامى الزبيرى ، فرغ من تشطيره عام (١٢٠١ هـ) والشيخ أحمد الحفظى اليمنى — كان حياً عام ١٢٩٣ هـ — .

وخمسها بعض الأدباء ومنهم محمد بك فرغلى ، ومنهم زين الدين طاهر بن حبيب الحلبى (٨٠٨ هـ) ومجد الدين اسماعيل الكنانى القاهرى (٨٠٢ هـ) وبرهان الدين البهنسى (٨٤٦ هـ) وفتح الدين بن الشهيد (٧٩٣ هـ) وزين الدين القرشى (٨٢٨هـ) وشمس الدين محمد الفيومى — لعله من أدباء القرن التاسع — وعبد الرحيم السيوطى المالكى الجرجاوى توفى بعد عام (١٣٢٠هـ) . وفى دار الكتب المصرية مجموعة خطية بها تسعة وستون تخميسا من بينها تخميس لابن حجة الحموى . ومجموعة أخرى خطية بها ثلاثون تخميسا .

وسبعها بعض الأدباء ، ومنهم الشيخ محمد اللطى المصرى الخلوتى ، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى . وقد التزم أن يبدأ كل تسبيعة بلفظ « محمد » والقاضى ناصر الدين البيضاوى (٦٩٦ هـ) والتزم أن يبدأ كل تسبيعة بلفظ الجلالة .

وهناك شك فى نسبة هذا التسبيع إلى البيضاوى ، فقد نسب إليه مرة ، ونسب إلى الأمير عثمان بك ؟ مرة ، ونسب إلى شهاب الدين أحمد بن عبد الله المالكى المكى مرة أخرى . وقد قرأت هذا التسبيع نفسه فى دار الكتب بالمنصورة منسوباً إلى أديب اسمه صلاح الدين أحمد بن محمد الرفاء الدمشقى ، وهو بها مخطوط (رقم ١١٠٣ أدب) . فمسألة هذا التسبيع تحتاج إلى شىء من التحقيق .

وبعد ، فها نحن أولاء نرى من حديثنا الوجيز عن البردة أنها استطاعت وحدها أن تنشىء دولة أدبية كبرى لها جنودها وعتادها . وأن هذه الدولة كانت ذات صولة فى العصر المملوكى . ثم أخذ ظلها يتقلص شيئاً فشيئاً ، حتى كادت أحداث العصر الحديث الجارفة تمحى آثارها وتطمس أخبارها .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

الشعر في السودان

للأستاذ على العماري

— ٤ —

لم يعد للشعر فى العصر الحديث ما كان له فى العصور القديمة من سيطرة وقوة وأبحاء ، ولم يصبح — كما كان — مرآة صادقة تظهر فيها حياة الأمم ، وتخلد فيها مآثرها ومثالبها . ولئن كنا نستطيع أن نستخرج من الشعر الجاهلى — مثلا — صورة صادقة لحياة العرب فى باديتهم فنرى فيها مضارب خيامهم ، ومعامع حروبهم ، وأسراب ظبائهم ونسائهم ونعمهم وشائهم تضطرب فى صحرائهم إلى غير ذلك مما حفلت به حياتهم ، واصطبغت به معيشتهم ، لئن كان ذلك فى مقدورنا فإننا لانستطيع أن ندعى أن أمة من الأمم الحديثة كان شعرها (ديوان حياتها) ، ولذلك أسباب كثيرة تختلف باختلاف الأمم .

ولاشك أن من الأسباب القوية فى هذا الشأن قصور الشعراء وتقصيرهم ، وإن كان ذلك لا يرضى بعض المدارس الحديثة التى ترى أن الشاعر لم يخلق ليكون حاكياً لأحوال المجتمع ، وإنما خلق ليرسم للناس صورة نفسه ، فالشاعر الذى يودع شعره الأحداث السياسية والاجتماعية ليس بشاعر ، إذ أن الشاعر لم يخلق ليكون واعظاً أو مرشداً للجماعات ، وإنما خلق — زعموا — للفن وحده ، وليرسم نفسه بهذا الفن البديع ، فيتحدث عن أفراحها وآلامها ، وعن عواطفها ورغباتها ، وقد كان لهذا المذهب أثره القوى فى ناشئة الشعراء ، فرأيناهم لايكادون يتعدون دائرة خواطرهم الضيقة ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فزوروا على أنفسهم ، فأخذوا ينوحون وهم يضحكون ، ويشببون تشبيباً عذرياً وهم فى اللذات غارقون ، وهكذا أرادوا أن يصدقوا فكذبوا ، وهربوا من تصوير حياة الجماعة فصوروا أنفسهم مشوهة !

لهذا ولأسباب أخر فقد الشعر مكانته ، ولم يستطع أن يكون سجلا لحياة الجماعة ، نستطيع أن نقول هذا فى الشعر المصرى ، ونستطيع أن نقوله فى الشعر العراقى ، وتستطيع أن نقوله فى شعراء الشام والحجاز ، ونستطيع أن نقوله فى الشعر السودانى ، وإن كان هروب الشعراء السودانيين من حياة المجتمع أوضح ، وربما اعتذر الشعراء الذين عاشوا فى أوائل هذا القرن عن تخلفهم بقول الشاعر :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ، ولكن الرماح أجرت

ولكن ما عذر هؤلاء الشعراء الذين رأوا رماح قومهم تنطق الأخرس ، حتى هذه الرماح التى أجرت كان على الشعراء أن يبكوها ، وأن يستنهضوها ، كما يقول أحدهم .

أنظر إلى السودان إن به شباباً ناهضين
قعد الزمان بهم وما هم بالشباب القاعدين

غير أن الذى يعزينا أن الشعر العامى لا يزال يحتفظ بقوته فى هذا المعنى ، فلو هيء لباحث أن يدرس الشعر العامى وأن يتبين اتجاهاته لظفر بشيء كثير من صور الحياة التى يحياها هؤلاء . ولقد اطلعت على شيء من شعر السودان العامى فرأيت فيه تصويراً دقيقاً لبعض ما يكتنف القوم ، وخيل إلى أنى لو استطعت أن أظفر بمجموعة من هذا الشعر لتمكنت أن أنقل عنها كل مظاهر الحياة فى الريف السودانى .

أما الشعر المعرب فالبون شاسع بينه وبين ما تضطرب به الحياة من شتى المظاهر والاتجاهات ولاسيما فى أوائل هذا القرن ، فإن الشعراء الذين عاشوا منذ ثلاثين سنة حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة جداً أكثرها احتذاء للشعر القديم فى أغراضه ، ولكن حين تقدم الزمن ، وبدت مظاهر النهضة تأخذ طريقها إلى الحياة ، وكانت بقية من هؤلاء الشعراء لا تزال تنعم بنسائم السودان البليلة الرخية ، وتشرب من ماء النيل العظيم ، لم تجد هذه البقية بداً من أن تشارك ناشئة الشعراء فى الحديث عن هذه المظاهر ، وإن بقيت من ناحية الأسلوب والمعنى وكثير من الأغراض متشبثة بأذيال القديم . والدارس يلاحظ أن هؤلاء الشعراء كانوا يصلون إلى هذه الأغراض بطرق ملتوية ، فكانوا يتخذون المناسبات الدينية والمدائح النبوية سلماً إلى ما يريدون ، فينفسون بذلك عن بعض الرغبات المكبوتة فى نفوسهم ، وإن بقيت أقلامهم مجفلة عن تصوير المجتمع ، بل منهم من كان يرى أنه من غير اللائق أن يتحدث الشاعر عن مثالب قومه ، ثم تقدم الزمن خطوة أخرى فرأينا الشعراء يدخلون المجتمع من باب أوسع فيتنا ولونه من نواح كثيرة ، أرهفوا آذانهم ، وفتحوا أعينهم ، لما يحدث أمامهم من خير وشر ، فصوروا بعضاً وأمسكوا عن بعض

وكان للتعليم نصيب كبير من عنايتهم ، فلا تفتح مدرسة ، ولا يتخرج فوج جديد من كلية حديثة ، ولا تنشأ فرقة تمثيل إلا قالوا ، وهنأوا البلاد ، وتمنوا لهـا الخير والتقدم ، كما كان للغة العربية قدر وفير من اهتمامهم ، وكذلك ألحوا إلحاحات خفيفة إلى بعض ما يسيطر على العقول من خرافات . وهنـا أعتب على شعراء الأمصار عتباً شديداً ، وأرى أنهم أغضوا عن تقاليد غير طيبة كان يجب أن يحاربوها كما حاربتها الحكومة ، وكما حاربتها الأذواق السليمة ، وأهمس فى أذن الشاعر الصالح الشيخ عبد الله عبد الرحمن الذى يقول :

سأبلغ جهدى فى القصائد حرة   على أن جهد الشعر فى الشعب ضائع
فروض أؤديها وشكوى أبثها   وما أنا ذو بأس وما أنا طامع

والذى يقول :

خذوها بنى أمى قوافى عاتب   عليكم بها (لاعن جفاء ولاصد)
قواف ألقاها من الوحى صادقـاً   وأرسلها من حيث تجـدى ولا تجدى

أهمس فى أذنه كيف فاته أن يؤدى فروض الشعر فى هذه التقاليد ، وكيف لم يرسلها دون أن ينظر أتجدى أو لا تجدى ؟ وأين جهده الذى بلغه فى هذا الذى أشير إليه ؟ كما بلغ جهده فى نواح أخرى كثيرة .

أليس بعجيب أن يقف الشعراء على الشاطىء ، ويجفلوا عن الخوض فى أمور هى القذى فى الأعين ، والشجى فى الحلوق .

بعد هذا نريد أن نستخرج بعض مظاهر للمجتمع السودانى من دواوين الشعراء ، وأنا أحصر طرفى هنا فى ديوانين اثنين ، وبعض مقطوعات أخرى ، وأنا مضطر لهذا ، فمن جهة لم يهيأ بى أن أحصل على كل الدواوين التى خرجت ، والشعراء لم يساعدونى بإرسال شىء من أشعارهم منذ بدأت أكتب هذا البحث ؛ ومن جهة أخرى لم أجد فيما اطلعت عليه من شعر ما يعيننى فى هذه الناحية إلا هذان الديوانان ، فالأول ديوان (الطبيعة) للشاعر حمزة الملك ، نلمح فيه صوراً صادقة ، من ذلك صورة (الحاوىّ) وقد التفت حوله الناس نخدع أبصارهم ، بل خدع الشاعر نفسه حيث يقول :

قد رأيت المحال رأى عيـان   ليس فى حاجة إلى برهان
رجل كالرجال جاء بمـا يعـ   ـجز عن فعله بنو الإنسان
يأمر المـاء بالوقوف فينصا   ع ، وإن شاء لج فى الجريان
يضع الشىء فى يديك فتلقا   ه على الرغم منك فى يدثان

وبعد أن يعدد ألاعيب أخرى من فعل الحاوى ، وهى كلها غريبة عجيبة يقول :

هذر ما نراه أم هو جـد   ومن الناس أم من الشيطان؟
زعموا أنه الخـداع ولـكن   كيف فى الشىء تخدع العينان؟

ثم ينتقل بعد كل هذا طفرة واحدة ، فيسوق إليك حجة على أن للكون إلهاً فيقول :

أيهـا الملحدون هـذى أمور   من صنيع الجهـال والغلمان
عللوها فإن قدرتم فقولوا   إنه لا إله للأكوان

وتترك هذه الصورة لنأخذ فى صورة أخرى حيرت الشاعر أيضاً ، ولعبت بلبه ، وانتهى أمره فيها إلى أن يبقى فى حيرته ، تلك هى صورة صاحبة (الودع) . (فأم عباس) قد أنبأته بالغيب وقد وقع ما انبأته به ، وقد كان ينـكر عليها أن تعرف شيئاً من عالم المستقبل ، فراهنها ، ونذر لها نذراً ، ولـكنها فازت بالرهان ، واستحقت النذر ، غير أن للشاعر عقلا لا يخضع لهذه الترهات ، وهكذا يحاربين عقله ، وبين الواقع الملموس :

أرت أم عبـاس أعجوبة   تضل كبير الحجى (بالودع)
وما أم عبـاس إلا عجـ   ـوز تـقى بها نزعة للورع
تجادل أن أنا جادلتها   كمن هو فى فنه قد برع
وتحلف إن لم أنـل ما ترى   فليست تعود (لحظ الودع)
فواعجبى كيف نبـأتها   ودعاتهـا بأمور تقع
وواعجبى كيـف فى عصرنا   تصـح الخرافات فى المجتمع
وإن كنت صدقتها ما ادعتـ   ـه فـا أنا إلا لعقلى تبع
أمـور أرى بعض أسرارها   ن صدقاً به من رآه اقتنع
أصـدق منها صحيحاتها   وليست تجوز على الخدع
ولـكن من الحمق أن نترك الا   بـاب مشابعة للبـدع

وهكذا لا يصل الشاعر إلى قول فصل فى هذا الموضوع ، فيبقى فى ظلام دامس يخبط يمنة ويسرة ، ولا يهتدى .

ويتحدث هذا الشاعر عن نماذج بشرية رآها فى حياته ، فمن فتى كالذئب باسم السن يظهر الإخلاص ويسر الغدر ، ومن شيخ شاب فى اللؤم ، وحرم زوجه بألف طلاق ولـكنه لا يزال يباشرها ، ومن رجل يظهر فى زى النساء ويفخر بالقوام

الرشيق ، والخد الأسيل ، ومن دعى موغل فى كبره ، يدعى الجود وهو سليل بيت البخل والشح ، ومن جاهل يدعى العلم ، وما هو إلا ابيغاء تهرف بما لا تعرف ، ثم ينتهى به المطاف إلى أن يقول :

فخر كل منهم أن له   ألف وجه بين صبح ومساء

وفى قصائده (سافرة) و (لقيط) و (سأم قاتل) و (زميل) صور ناطقة فى المجتمع .

أما الديوان الآخر فهو (الفجر الصادق) للشيخ عبد الله عبد الرحمن ، والحق أن صاحب هذا الديوان من المخضرمين فهو يأخذ خير ما فى المدرسة القديمة ، ويتناول أشياء كثيرة من المدرسة الحديثة ، وفى هذا الديوان مجتمع سودانى ، وأهم ما يأخذ القارىء فى هذا الديوان أمران .

عنايته بالتعليم ، وهذا الموضوع قد استغرق جزءاً كبيراً منه ، فيتحدث عن المدرسة الأهلية ، وعن مدرسة الأصفاد ، وعن كلية غردون ، وعن تكريم البعثات العلمية ، وعن يوم التعليم ، إلى أشياء كثيرة من هذه الموضوعات .

ونستطيع أن نقول أنه يندر أن يفلت من بين يديه أمر يتعلق بالتعليم دون أن يقول فيه ، ومن شعره فى كلية غردون .

لها علينا وإن ضنت بموعود   قديم عهد وحق غير مجحود
كم خرَّجت من فتى حلو شمائله   مشمر الساق فى الأتراب محسود
كأنما الجهل طوفان يحيط بنا
وهى السفينة قد أوفت على الجودى
يا معهدا طاب ماضيه وحاضره   لا كان ربعك يوماً غير معهود
لا أنت فى واجب السودان وانية   ولا مقامك فيها غير محمود
قالوا وفود على أبوابك ازدحمت   وهل سمعت بعذب غير مورود

وعنايته باللغة العربية ، وشعراء السودان يولون هذه الناحية نصيباً من جهودهم ، ولكن الشيخ عبد الله صريح كل الصراحة حين يتناول هذا الموضوع . قرأت قصيدة طويلة للشيخ عبد الله البنا عنوانها (دمعة على اللغة العربية) بكى فيها حاضرها وأشاد بماضيها ، وللشيخ عبد الله أبيات كثيرة ، يسوقها كلما سنحت له الفرصة ، يقول فى قصيدة نبوية :

بنى وطنى أن قمت للضاد داعياً   فإنى أدعو للتى هى أقوم
أرى الضاد فى السودان أمست غريبة
وأبناؤها أمست لها تتجهم
تولت وما دمع عليها بفائض   وما أحد منهم لها يتألم
ونبئت بالسودان قوماً تآمروا
على اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا

ويقول مخاطباً قومه وعشيرته بعد أن أشاد بجهود مؤتمر الخريجين فى التعليم .

بنى عمنا لبوا النداء فحسبكم   تنازع مأموم بها وأمام
فلستم بأحياء ولستم أعزة   إذا الضاد لم يؤذن لها بقيام

وعلى ذكر الخلاف نقول إن صاحب الديوان قد أشار إليه غير مرة ، ودعا إلى اتحاد الكلمة ، ومن كلماته الرقيقة فى ذلك

أفى الدار مصغ للحديث فسامع   أم الدار قد سدت عليها المسامع؟
توهمت آيات لها فمرقتها   لستة أعوام وذا العام سابع
وطوفت أستبكى عيون قصائدى   عليها ، وقد تبكى القصيد الفجائع
مشى بين أهليها الخلاف فأصبحوا
تصدهمو عن كل خير موانع
أرى النار شبت فى نواح كثيرة   ولم ينج متبوع ولم ينج تابع
إذا القوم لجوا فى الغواية كلهم   فقبح مدفوع وقبح دافع

ولا نختم هذا الحديث حتى نشير إلى هذه الصورة التى رسمها الشاعر الشيخ حسيب على حسيب ، وهى صورة طالما رأيناها ، وألمنا لها :

عجباً أرى المقدام أصبح مذنباً   يقصى وذا الوجهين أضحى مكرما
إنى عرفت الدهر حتى خلتنى   إياه فاسمع سائلى ثم احكما
إن شئت أن تحيا سعيداً بينهم   كن تابعاً ما يشتهون معظما
حتى إذا قالوا الظلام أجننا   والشمس مشرقة ، فقل ما أظلما

وهذا شاعر يئس من المجتمع ، ونظر إليه نظرة كلها حسرة ، وألم ، وماله لا يفعل وهو الذى يقول ، ونقول معه ؟

ماذا أعاتب يا زمان وأتقى   أهلى أم الأيام أم حسادى ؟

ويقول عن قلبه :

ألف الهموم برغمه وألفنه   فغدا بواد والسرور بوادى

ويقول عن أقاربه :

هم مزقوا عرضى لغير جريرة   وقضوا على بأن يطول سهادى
يسمون فى خفضى وأطلب رفعهم   شتان بين مرادهم ومرادى

(للحديث بقايا)

على العمارى
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

النيل والسودان (*)

للأستاذ محمود غنيم

سائلاه أأنت نبعَ الجنان ؟ أم جنى النحل أم رضاب الغوانى!
أم رحيق طالت عليه الليالى لم يعتَّق أمثاله فى الزمان ؟
يا نديمىَّ إنما أنا صب بابنة النيل لا ببنت الحان
أترعا من منابع النيل كأسى واهتفا باسمهن ثم اسقيانى
يا نديمىَّ تلك ساعة صفو سنحت فاختلستها من زمانى
أسقيانى سلافة عُصرت من قبل خلق الكروم فى البستان
خمرة لم تطش بلب لبيب شربها شِعبة من الإيمان
عصر الناس كل خمرٍ وخمرى عصرت كرمها يدُ الرحمن
سائلاه أبين عبريه ماء أم لجين وعنبر سائلان ؟
شِيب آذيّه فكان عقيقاً وصفا فهو ذوب حب الجمان
وأطافت به الرياح رخاء فهو حلم فى خاطر الوسنان
وأطافت به الأعاصير هُوجا فهو طيش الشباب فى عنفوان
وسخا فهو حاتمىّ المطايا وطغى فهو عارم الطغيان
واستوى فهو كالقدود اعتدالا وتثنى تثنى الخيزران
وتلوى فى سيره أفعوانا لا يمج السموم كالأفعوان
مثل صدر الحليم فى الرحب أوفى ضيق صدر الدلل الغضبان
يرد الناس حوضه أبد الدهـر ولا يشتكى من النقصان
هو طِب الجسوم من كل داء هو طهر لها من الأدران
كاد أن يغسل القلوب من الحقـد ويمحو كوامن الأضغان
شق مجراه وابتنى شاطئيه بيديه مهندس الأكوان
أنا أهواه ما سقى يانع الرو ض وما بل غلة الظمآن
أنا أهواه ما حييت فإن مت فحوكوا من عشبه أكفانى

* * *

أيها النيل كم لبثت ؟ ومن أيـن تفجرت ؟ ما درى الثقلان
سابق أنت للمجرّة أم أحـدث عهداً أم أنتما توءمان
يا سجل التاريخ حدث بما عا ينت ليس السماع مثل العيان
كيف حاد المؤرخون عن القصـد وجاءوا بالإفك والبهتان
قد شهدت الإنسان يأوى كهوفا ويؤاخى فصائل الحيوان
وشهدت الإنسان ينتطح السحـب ويؤوى رفاته الهرمان
حدث الناس عن فراعين مصر كيف بذوا الشعوب فى البنيان
كيف دانت لدولة الفرس مصرٌ كيف دانت لماهل اليونان ؟
هات يا نيل ليلة من ليالى « كليُبطرا » وقيصر الرومان
حدث الناس عن بسالة عمرو وجنود الفاروق فى الميدان
أنت يا نيل معرض للحضارا ت وشتى الشعوب والأديان
أفأبصرت كالحنيفة دينا أو رسولا يحكى فتى عدنان ؟

* * *

يا رفيق البنان كيف حفرت الصـخر بالظفر يا رفيق البنان ؟
كيف دانت لك الهضاب العوانى كيف لانت صلابة الصوان ؟
كيف جبت الفلا بغير دليل وملأْت الصحراء بالعمران ؟
حوّلت كيمياؤك الترب تبراً ونفخت الحياة فى الصفوان
ليت شعرى أساحر بعصاه أنت أم أنت عالم روحانى ؟
كم نسجت الثياب من غير نول ثم وشيتها بألف دهان
رب حقل كسوته بعد عرى فإذا الحقل أخضر الطيلسان
ما بكت أو غنت سواقيك لكن لك رتلن آية الشكران
أنت يا نيل فاتح فتح الد ن بغير الحديد والنيران
سائر لا تحيد فوق صراط كقطار يمشى على قضبان
دائر بين لجة وبخار كنجوم السماء فى الدوران
لك فى الأرض والهواء مدار حار فيه مقوّم البلدان
قربوا الشاه للسماء وزفت كلُّ خود إليك فى مهرجان
ليت شعرى أأحسنوا لك صنماً أم أساءوا بذلك القربان ؟
أقلوب الأرباب مثل قلوب النـاس تهوى فواتر الأجفان ؟

* * *

فيك حييّت كل ذات شراع تتهادى تهادى النشوان
وبنات البخار إذ هي تعدو عدْو خيل الطراد يوم الرهان
الجوارى روائح وغوادٍ فيك يرقصن كالجوارى الحسان
أرسل الفلك فى الفضاء صفيراً رن فى مسمعى رنين الأذان
ومشى يمخر العباب ويلقى المـوج سكانه على الشطآن
فإذا الموج فوقها يتراى كتراى الولدان فى الأحضان
رقصت موجة وغنت سواها بخرير منظم الألحان
قلت — والموج راقص ومغن ليت شعرى أذاك حفل قران
وتهادى النسيم ألين مسا من رفيف الندى على غصن بان
وتوالت على العيون المرائى مرهفات للحس والوجدان

(*) ألقى الشاعر هذه القصيدة فى حفلة التكريم التى أقامها له نادى الخريجين بأم درمان .

البقاع ولبنان تسعة عشر يوماً . وأخذ الشيخ بعد ذلك يدور فى فلسطين ، ويزور مشاهدها ويدون لنا فى رحلته ما شاهده من الآثار ، ومن اجتمع به من السادة الأخيار .

* * *

ويقول الشيخ : « ودخل العيد ونحن فى صفاء ما به أكدار ، ووردت علينا بعد أيام مكاتبات من أحباب أخيار تخام ، وأرسلنا الجواب البار ، إذ شاقنا التذكار لأهل حلب والشام ، وبقية خطاب كرام ، وحصل بعد الحضور فتور قريحة فلا نثر ولا أشعار ، وكان الأخ السلفيتى توجه إلى مربعه ، وبعد أيام من الإقامة وجع جامعه لـكل مرة مداحة ، حصل رمل عين ، أورث نكد عين ، ثم اتبعتها أختها وحصل الشفا . وحين هل هلال محرم الحرام ، سنة (١١٤١هـ) استقمنا على نظام واحد فى الخيام ، هاجرين منهج النظام قهراً ولما آن أن يدنو منه التمام ، بشَـرت بحمل وقيل أنه غلام ، قلت ما جاء هدية من السلام ، فهو لدينا مقبول ولا ملام ، وعسى أن تـكون بنية ذات حال سما ، لاسميها باسم والدتى الشريفة عُلما . وفى صفر الخير اتضحت البشارة ، وزال فى شهر المولد لبس الستارة ، وكان الأخ السيد محمد (السلفيتى) وعد بالعود ، لأجل أن يرافقنا فى الزيارة العليلية [1] فعزمنا على المسير إليها ، ورافقنا الأخ الشيخ رضوان نجل رضوان الزاوى ، والأخ الشيخ نورالدين الهوارى ، وغيرهم من الإخوان ما لهم مساوى . وذلك نهار السبت السادس من شهر ربيع الأول شهر المولد » .

الزيارة العليلية :

« وحين واجهنا سيدنا (شمويل) [2] قرأنا لجنابه فاتحة الـكتاب ، وبعد هنيهة فى المسير ، أنشد رضوان الزاوى :

شوش الجمال قلبى حين نادى بالرحيل
قلت للجمال خذنى قال لى حملك ثقيل

« وما زلنا على نجد نحب الأرض حباً والوقت أدلى أردان بسطه علينا وذوقنا قضباً وحباً وفاكهة ، ونزلنا للاستراحة وقت الضحى ، ولم نعقل الدار غب طى تلك المسافة إلا فى (عابود) ونزلنا غب استقبالهم المضافة . وفى يوم الاثنين غلساً سرنا ، وللاستراحة فى (نزلة) نزلنا ، وانعطفنا على زيارة سيدنا يهودا وهو أحد أولاد سيدى يعقوب . فقلت :

يا خليلى متلف الوجد عودا وانشقانى نداً عهدت وعودا

وبتنا بقريته المأنوسة ، فى دعوة الصديق الشيخ إبراهيم الخليلى القاسمى ، وفى الصباح أتينا (يازور) وزرنا مقام سيدنا حيدرة المنسوب لسيدنا على بن أبى طالب ، ودخلنا (ساقية) . وفى الضحى سرنا إلى (يافا) ، وقد تلقانا أحبة ، لهم صدق خلوص وفى (الجامع الجديد) حللنا به ، إذ الرفاق جمعهم جمع ، ودعانا الأخ السيد صالح محرم للدار ، وبتنا عند أخينا العواد ، نافين الأكدار ، وتوجهنا للحرم العليلى ، وحضره قبلنا الأخ الحاج حسن مقلد ، وجاءنا نفر من أهل يافا ، وصحبتهم الشيخ خاطر المجذوب وختمنا بعد العصر الربعة الشريفة ، وعملنا المحيا ليلة الجمعة وأقمنا فيه يومها » .

العودة عن طريق نابلس :

وبعد العشا ، وبُعد الغشا ، توجهنا إلى (بنيامين) وقرأنا الورد السحرى لديه ، وأتينا (كور) وأقمنا بها ليلتين ، ثم وردنا نابلس المحمية ، ونزلنا بساحة (الدرويشية) ودعانا المحب ، الحاج حمدان الطويل ، وأخذ ولده الدخيل الشيخ يوسف وصالح للتكميل ، وقام بما يلزم من إكرام جناب صالح باشا بن توقان [طوقان] ، وزرت مع الأخ السلفيتى فى جبلها الشرقى سيدى الشيخ غانم القدسى ، وتوجهنا بمن معنا إلى قرية (عينبوس) ، وأخذتها العهد الشيخ عمر عملوه الطسوس ، وحضر الأخ المأنوس السيد محمد وقال ما أثرت فى مبايعة أحد من إخوانى ، مثلما أثرت فى مبايعة هذا الأخ الجنانى ، ولا سمعت ذكراً أحلى من ذكرك حال التلقين الاحسانى ، فانى بمجرد قراءتك الآية الـكريمة خشعت أركانى ، وهمت أجفانى . فقلت له كان الوقت طيباً مغموراً بحضور أهل النور الصمدانى .

---

(١) نسبة إلى سيدنا على بن عليل : ومقامه شمالى يافا وهو من نسل عمر بن الخطاب . توفى (٤٧٤ هـ) ويقول فى الأنس الجليل أنه أخبر أن الأفرنج إذا أقبلوا على ضريحه وهم فى البحر كشفوا رؤسهم ونكسوها .

رحلات في ديار الشام في القرن الثامن عشر الهجري :

٢ – اردان حلة الاحسان
في الرحلة إلى جبل لبنان(*)

لمصطفى البكرى الصديق
(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

كان صديقنا والد الأولاد المرحوم الشيخ مراد توفى فى شهر ربيع الأول فعملنا عند قبره ختما ، وطلب ليلة المسير الولد الكبير الاندراج فى السلك مع اخوته فأجبته ، فأخذ صالح الدأب على الخير ، وتبعه أخوه خير وأخوتهما ومصطفى وعلى وخالد وعمر وأولاد صالح ، وسرنا بعد أن ودعنا الاخوان وصلينا الجمعة فى (سحمواته) وجاءنا من صفد ، من له الغرام بالتحريك أوثق صفد ، وبتنا فى (قلمة مسليا) الرفيمة ، وفى الصباح عاد أهل صفد وصحبهم الأخ الشيخ عمر البقاعى وأرسلت معه كتاباً للصهر . ومنها توجهنا بمن ممنا إلى الساحل ، وقيلنا لدى ذى النون المصرى المقيم الراحل ، فقلت :

ومررنا بلصق جدران (عكة) بلدة فى الثغور ثورت عكة
وحديث بمدحها فضعيف بكها الجسم لا تقسه ببكة
وقطعنا نهر الدعائم سرعاً وأصبنا لدى المقطع ركة
ونزلنا قريب قلمة حيفا وسككنا الجفا على العنق صكة
وسألنا الإله تقريب قدس وارتحالا لطيبة ثم مسكة

وبتنا فى قرية (صدفند) بعد مشقة ، ومنها أتينا حمى (عتيل) وعزمنا فى الصباح على الرحيل ، ونلنا من أهلها إكراما له حال ثقيل ، وحثثنا المطى بلا وقوف ، إلى (الطيبة) الطيبة الخلوف ، وهذه القرية من قرايا بنى صعب(١) التى يأمن بها الخائف ويهون الصعب ، وهم بطن من كندة ومن بجيلة ، وكندة بالكسر ، قبيلة من اليمن ، وقيل الكندى لقب ثور بن عفير أبى حى باليمن لأنه كند(١) أباه النعمة ولحق بأخواله . قاله فى القاموس . وفى المصباح المنير بجيلة قبيلة من اليمن والنسبة إليها بجلى بفتحتين ، مثل حنفى فى النسبة إلى بنى حنيفة ، وبجلة مثل تمرة قبيلة ، والنسبة إليها على لفظها انتهى . ومنها حوّل نبأ الدليل السلفيتى ، إلى قرية (كور) فقدرٌ بها مبيتى ، لدى الأخ الحاج حسن بن مقلد(٢) وسرنا إلى الخربة الطيبة الماء والتربة ، وفيها ورد علينا الأخ الشيخ نور الدين [الهوارى] ضحوة النهار ، وفى صباح يوم الخميس ، أول ذى الحجة الأنيس ، سرينا حتى أتينا (صنّير) ، عازمين أنا بعد الغدا نسير ، والقصد التوجه إلى جنة (الداوية) ، لدعوة رضوانها المنتمى لهلال مرابعها المداوية ، فبتنا لديه ، وأدخلنا صهره السيد محمد الطيارى على ابنته الصغيرة . وبايع بعد العشاء جماعة تفوق على العشرين ، وتقدمنا إلى (ديرغسّان) ، وبتنا فيها بليلة حسان ، ودعانا الشيخ إبراهيم الرابى للغدا ، فتوجهنا لزيارة (الخواص) سيد إبراهيم وافر الندى ، فقلت :

أيها الواردون للخواص إن هذا المقام نزل الخواص

وتوجهنا صبحاً إلى قرية (عابود) لدعوة أهلها ففتحنا باب الوفود ، ورقينا تلك المنازل ذات الصعود ، وبتنا فيها وحبل السرور ممدود ، ومنها سرينا نجد فى السير إلى (بيتلو) للاصطباح ولم نبت إلا لدى (نبى الله شمويل) ولما أرسينا بشطه وأمسينا فيه ، وفد علينا من القادسة من نصطفيه ، فكانت الورّاد من المنزل القدس تنوف على العشرين . وفى ضحوة نهار الثلاثاء سادس الحجة عمدنا الديار المقدسة صحبة الأحباب ، وتلقانا أناس أطهار أخيار ، وإخوان صفا أولى ادكار وأذكار ، ودخلنا مصاحبين الفاقة والذلة والإنكسار ، رجاء الانجبار نتلو البردة الشريفة على عادة أهل الديار ، إلى أن وصلنا قبة السلسلة المرفوعة الأطوار ، وزرنا بعد ختم الذكر المنارة والصخرة الشهيرة الأنوار ، واجتمعت بالأهل والبنية صانها الستار ، وحصل بالاجتماع كمال السرور للحضار » .

وقد استغرقت هذه الرحلة من دمشق إلى القدس عن طريق

(*) مخطوط فى خزانة الكتب الخالدية .

(١) هى قضاء طولكرم الآن وأصلها طوركرم .

(١) كنذا النعمة كندها .

(٢) هو حسن بن مقلد الجيوسي ، شيخ بنى صعب . وآل الجيوسى يسكنون قدية كور حتى اليوم .

البقاع ولبنان تسعة عشر يوماً . وأخذ الشيخ بعد ذلك يدور فى فلسطين ، ويزور مشاهدها ويدون لنا فى رحلته ما شاهده من الآثار ، ومن اجتمع به من السادة الأخيار .

* * *

ويقول الشيخ : « ودخل العيد ونحن فى صفاء ما به أكدار ، ووردت علينا بعد أيام مكاتيب من أحباب أخيار نخام ، وأرسلنا الجواب البار ، إذ شاقنا التذكار لأهل حلب والشام ، وبقية خطاب كرام ، وحصل بعد الحضور فتور قريحة فلا نثر ولا أشعار ، وكان الأخ السلفيتى توجه إلى مربعه ، وبعد أيام من الإقامة وجع جامعه لكل مرة مداحة ، حصل رمل عين ، أورث نكد عين ، ثم اتبعتها أختها وحصل الشفا . وحين هل هلال محرم الحرام ، سنة (١١٤١هـ) استقمنا على نظام واحد فى الخيام ، هاجرين منهج النظام قهراً ولما آن أن يدنو منه التمام ، بشرت بحمل وقيل أنه غلام ، قلت ما جاء هدية من السلام ، فهو لدينا مقبول ولا ملام ، وعسى أن تكون بنية ذات حال سما ، لاسمها باسم والدتى الشريفة عُلما . وفى صفر الخير اتضحت البشارة ، وزال فى شهر المولد لبس الستارة ، وكان الأخ السيد محمد (السلفيتى) وعد بالعود ، لأجل أن يرافقنا فى الزيارة العليلية [1] فعزمنا على المسير إليها ، ورافقنا الأخ الشيخ رضوان نجل رضوان الزاوى ، والأخ الشيخ نورالدين الهوارى ، وغيرهم من الإخوان ما لهم مساوى . وذلك نهار السبت السادس من شهر ربيع الأول شهر المولد » .

الزيارة العليلية :

« وحين واجهنا سيدنا (شمويل) [2] قرأنا لجنابه فاتحة الكتاب ، وبعد هنيهة فى المسير ، أنشد رضوان الزاوى :

شوش الجمال قلبى حين نادى بالرحيل
قلت للجمال خذنى قال لى حملك ثقيل

« وما زلنا على نجد نحب الأرض حباً والوقت أدلى أردان بسطه علينا وذوقنا قضباً وحباً وفاكهة ، ونزلنا للاستراحة وقت الضحى ، ولم نعقل الدار غب طى تلك المسافة إلا فى (عابود) ونزلنا غب استقبالهم المضافة . وفى يوم الاثنين غلساً سرنا ، وللاستراحة في (نزلة) نزلنا ، وانعطفنا على زيارة سيدنا يهودا وهو أحد أولاد سيدى يعقوب . فقلت :

يا خليلى متلف الوجد عودا وانشقانى نداً عهدت وعودا

وبتنا بقريته المأنوسة ، فى دعوة الصديق الشيخ إبراهيم الخليلى القاسمى ، وفى الصباح أتينا (يازور) وزرنا مقام سيدنا حيدرة المنسوب لسيدنا على بن أبى طالب ، ودخلنا (ساقية) . وفى الضحى سرنا إلى (يافا) ، وقد تلقانا أحبة ، لهم صدق خلوص وفى (الجامع الجديد) حللنا به ، إذ الرفاق جمعهم جمع ، ودعانا الأخ السيد صالح محرم للدار ، وبتنا عند أخينا العواد ، نافين الأكدار ، وتوجهنا للحرم العليلى ، وحضره قبلنا الأخ الحاج حسن مقلد ، وجاءنا نفر من أهل يافا ، وصحبتهم الشيخ خاطر المجذوب وختمنا بعد العصر الربعة الشريفة ، وعملنا المحيا ليلة الجمعة وأقمنا فيه يومها » .

العودة عن طريق نابلس :

وبعد العشا ، وبُعد الغشا ، توجهنا إلى (بنيامين) وقرأنا الورد السحرى لديه ، وأتينا (كور) وأقمنا بها ليلتين ، ثم وردنا نابلس المحمية ، ونزلنا بساحة (الدرويشية) ودعانا المحب ، الحاج حمدان الطويل ، وأخذ ولده الدخيل الشيخ يوسف وصالح للتكميل ، وقام بما يلزم من إكرام جناب صالح باشا بن توقان [طوقان] ، وزرت مع الأخ السلفيتى فى جبلها الشرقى سيدى الشيخ غانم القدسى ، وتوجهنا بمن معنا إلى قرية (عينبوس) ، وأخذتها العهد الشيخ عمر عملوه الطوسوس ، وحضر الأخ المأنوس السيد محمد وقال ما أثرت فى مبايعة أحد من إخوانى ، مثل ما أثرت فى مبايعة هذا الأخ الجنانى ، ولا سمعت ذكراً أحلى من ذكرك حال التلقين الاحسانى ، فانى بمجرد قراءتك الآية الكريمة خشعت أركانى وهمت أجفانى . فقلت له كان الوقت طيباً مغموراً بحضور أهل النور الصمدانى .

---

(١) نسبة إلى سيدنا على بن عليل : ومقامه شمالى يافا وهو من نسل عمر بن الخطاب . توفى (٤٧٤ هـ) ويقول فى الأنس الجليل أنه أخبر أن الأفرنج إذا أقبلوا على ضريحه وهم فى البحر كشفوا رؤسهم ونكسوها .

« وسرنا إلى قرية (جاعين)[١] وبتنا بها ليلة الأحد ذات السحاب المبين ، وقرأنا الورد السحرى فى الجامع على جمع من الأعيان . ونحونا نحو (مردا) لم نجد عنها مردا ، وبعد ما أظهرنا مضينا إلى قرية (كفرعين) راجين صلح بنى زيد ، عسى المين عليه يمين ، وبتنا بها فى دار على جلبابها السرور دارا ، ونهجنا منها إلى (دير غسان) بوجد نام ، وقلب رهين منهان ، وأقمنا فيها لأجل الإصلاح ، إذ بدا شر بتلك البطاح ، وأخذنا عطوا شهر للراحة ، وسرنا للمنازل بنفوس مرتاحة ، ولدى (بيت ريما) أنزلنا قصراً للأكرام ، وفى (تبتلو) نمنا وبها مدت موائد انعام ، ولم نصلّ الظهر إلا فى بيت الحرم ، الكائن عندى فى الدار الممدود من النعم ، ورجع أخونا السيد محمد ومن معه للمنازل وأرسلت للصهر المحترم كتاباً جملته عن كتب جواباً . وصدرته بقصيدة .

سيف الهوى ما أقله   بعد بلى ذاك سله

وأرسل جواب هذا الكتاب مصدراً بنظم مستطاب مطلعه

غضب الهوى ما أسله   ياويح من رام سله
به الفـؤاد عليل   ياليتـه ما أعـله
فصار جسمى نحيلا   من الضنا كالأخله
وقد سرى فى عروق   مثل الدما وأحله
حتى كسانى وجـداً   قد صار للقلب حله الخ

وجاءنى منه كتاب ثان ينبيء عن الحب الرفيع الشأن ، وذكر فيه موشحاً للسيد يعقوب الكيلانى ، نجل السيد عبد القادر الحوى الدانى ، وهو على طريقة الأندلسيين . وبعد أيام من ورود الكتاب القندى[٢] ، وجاءنى الدرويش الحاج يعقوب السندى ، وطلب منى حال عزم على السفر مكاتبات أربعة أحدها لشيخنا الشيخ عبد الغنى (النابلسى) ومطلعه :

يا لقومى من لصب ما غفا   طرفه فدام نادى القدس
صافياً هم الثنائى فى الصفا   إذ تملى بالجمال الأنفس الخ

وكنت أجبت الدرويش يعقوب لما طلب المكاتبات الأربعة إنى منذ أتيت هذه الديار ، أتكلف لكتابة مكتوب حروفه عجمة وإن أردت النظم والنثر العادى ، أراه متعسراً على ، ولو تمحل له فؤادى . فما زاده الإعتذار إلا إلحاحاً وإلزاماً فى الطلب ، فدفعت له مكاتبة الأستاذ الملاذ [أى الشيخ عبد الغنى النابلسى] فقال إنه يهديك هدية سنية تفوق لديك الملاذ ، ثم كر على طلب البواقى ، فعملت له مكتوباً لشيخنا الساقى الشيخ ياسين الحوى الجيلانى فقلت :

وكذا نهدى تحايا قد سمت   وزكت أين ذكا منها أخى
وثنايا سحبها فيضاً همت   بسطها للقبض زوى أى زى الخ

وأرسلت للصهر الأمجد كتاباً مصدراً بموشح :

أصبحى أريحى أرجحى   لوذعى المى أجمى
افوجى أروحى أبحجى   إرفعى اشجعى ارتق
أنصحى أبطحى إسمحى   إبدعى إطوعى أجرعى
نفرة بت البخارى وأنا   مسلم كأس الوطأ محتسى
ولكم إذهب عنا من عنا   وعياء وعلى ذا فقس الخ

وكتبت كتاباً للأخ الحميم الشيخ عبد الكريم المشهور بنسبه الكريم ، بالشراباتى النديم وصدرته بموشح :

أيها السيار سر بى للحمى
واسقنى من صرف صافى الاكؤس
وإذا ثنيت ثلث فالظما   قد غابى للمقر الأنفس الخ

ولما أتممت المكاتبات المطلوبة ، وأحضرتهم على كيفية مرغوبة ، تأخر الدرويش يعقوب عن السير ، منتظراً للاذن المحبوب للقلوب عند الطروب . وكان قدم علينا غب العودة من الزيارة رجل مصرى يدعى موسى انتمى إلينا فيها ، وقصده التجارة لكنه مغلوب نفس ، منهوب حدس ، محجوب عبارة ، ملسوب حية أمارة ؟

« وفى يوم الأربعاء من أواخر شهر ذى الحجة توفى الأخ الأمجد الأوحد السيد محمد السلفيتى وسيأتى تاريخ وفاته وبعض ترجمته فى حال زيارة ترتبه ومرثيـة قلتها فيه ، ما زالت الرحمات توافيه » .

« يتبع »

أحمد سامح الخالدى

(١) هى (جاعيل) من أقضية جبل نابلس ، وأحد معاكز العلم فى القرون الوسطى .

(٢) القند عسل قصب السكر إذا جمد .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدروس الخصوصية :

يهتم معالى عبد الرازق السنهورى باشا وزير المعارف بمشكلة الدروس الخصوصية ، ويعمل مع رجال الوزارة على إيجاد حل حاسم لها . وداء الدروس الخصوصية قد تغلغل فى السنوات الأخيرة حتى تسرب إلى رياض الأطفال هابطا وبلغ الجامعة صاعداً . . وقد أحس معالى الوزير بخطره منذ العام الماضى فأصدر قراراً بأن يكون الحد الأقصى لكل مدرس فى الدروس الخصوصية تسع حصص فى الأسبوع ، ويكون ذلك عن طريق ناظر المدرسة ولكن أحداً لم يتقيد بهذا الحد وظلت الحال على ما هى عليه ، وقال النظار إنه لم تقدم لهم طلبات فى شأن الدروس الخصوصية ، وبدت المشكلة بهذا الوجه تحاول أن تستعصى على العلاج .

والواقع أن الدروس الخصوصية تجنى على الطلاب وأوليائهم كما تجنى على المدرسين أنفسهم ، وإذا نظرنا إلى الأفكار الحديثة فى التربية التى تؤيدها المشاهدة والتجارب ، والتى ترمى إلى تكوين شخصية الناشئين عن طريق استقلالهم فى مواجهة التبعات والصعاب مع الملاحظة والتوجيه عند الاقتضاء — إذا نظرنا إلى ذلك نجد أن هذه الدروس الخصوصية إنما هى رجعية منكرة فى التعليم . وهى بعد تغرى الطالب بالتكاسل والتشاغل عن الدروس فى المدرسة ، اعتماداً على أن « بابا » سيتفق مع المدرس فى آخر السنة على كذا من الحصص بكذا من الجنيهات ، ويتم النجاح بفضل هذه الجنيهات !

ثم هؤلاء الأطفال الذين نحملهم إلى الرياض ليلعبوا ويمرحوا ويحيوا حياة اجتماعية تناسبهم ، ولتنتهز المربيات الفرص لتنمية ملكاتهم وأذواقهم وتنشيط أذهانهم وإمدادها بقليل من المبادئ ماذنبهم حتى نزعجهم بطلعة المدرس فى المنزل ونستبدله لهم بما يحبون من الدمى واللعب ! ونغرس فى نفوسهم منذ الصغر كراهية التعليم ؟

وأنا لا أستطيع أن أتصور إنما فى التعليم أشنع من إعطاء الدروس الخصوصية لطلاب الجامعة ، لأنه إخلال بوظيفتها الأولى والأخيرة وهى التعويد على البحث وتكوين الفكر المستقل ، على أن من شر الدروس الخصوصية فى التعليم العام أنها تدليل على للطالب يفسده على الدراسة الجامعية ، فما بالك إذا دلل الكبار فى الجامعة ؟ . .

أما آباء التلاميذ وأولياؤهم — من أبناء هذا الشعب المكدود — فهم مساكين . . يوشكون أن يلقوا فى المدارس ما يلقى الناس فى المستشفيات من أطباء يتراخون فى المستشفى وينشطون فى العيادة !

وأما المعلمون فهم أشد مسكنة من الجميع ، لأنهم يجدون أنفسهم مضطرين إليها مع ما تصيبهم به من الإرهاق وما تسببه لهم من قعود عن الاطلاع وتزويد أفكارهم وأذهانهم بما يفيد ويمتع من ألوان الآداب والعلوم والفنون .

إن المعلم على رغم ما ناله فى السنوات الأخيرة من تحسن طفيف ، لا يزال يلقى العنت فى حياته المادية ، فهو قلق فى هذه الحياة التى لا يوصله فيها مرتبه إلى مطالب عيشه الضرورية ، فهو إذ يلجأ إلى الدروس الخصوصية لا ينبغى أن يواجه بالمنع أو العقاب ويسكت على ذلك ، بل يجب أن ييسر له العيش الكريم تيسيراً يحفظ عليه كرامته ويصل به إلى مستوى يستطيع فيه أن يستغنى عن هذه الدروس الخصوصية ، فإذا سعى إليها طامع جشع ردع بما يستحق من العقاب .

ولا يكفى فى حل هذه المشكلة أن يحدد ما يباح لكل مدرس من عدد الدروس الخصوصية ، بل يجب أن تحسم بالتحريم القاطع ، إلا فيما عسى أن يكون من ضرورة تلجئ إليها حالة التلميذ . وثمة نقطة لا بد من الالتفات إليها ، وهى أن المعلم لا يعطى دروساً خصوصية لأن عنده فضلا من جهد ونشاط ، فهو مرهق فى المدرسة ولا شك ، وإنما تبعثه إليها الرغبة فى رفع مستوى عيشه ، فلا يصح أن يكون من علاج مشكلة الدروس الخصوصية أن يزاد عمله فى المدرسة وتضاف حصص إلى « جدوله » بل أنا أذهب إلى عكس ذلك فأقول بالتخفيف عنه ليتاح له أن يعالج فى نفسه مشكلة الاطلاع والتزود الفكرى ، وأبيح لنفسى — ولست بعيداً عن المعلمين — أن أقول صراحة إنهم يعيشون فى إجداب فكرى يهدد مستقبل الثقافة فى هذه البلاد ، وهم يدورون فى

المدارس دورات آلية تتكون كل منها فى حجرة الدرسين حيث يبدأ بنقل ما فى الكتب المدرسية إلى دفاتر التحضير ثم يلم التلاميذ شعثها ويضمونها فى كراساتهم التى يحملها المعلم إلى حيث بدأ للتصحيح ... ويتم كل ذلك بطريقة آلية مكررة لا تجديد فيها ، وأكاد أقول : ولا تفكير !

وليس ذلك لأن المعلم عاجز أو تنقصه الكفاية ، فقد درس وحصل وتخرج فى الكلية وفى أعلى معاهد المعلمين ، ولكنه أرهق بالعمل وحرم الفراغ الذى يستغله فى مداومة الاطلاع ، فاضطر أن يحيا فى شبه انقطاع عن زاد العقول ، كما اضطر أن يؤدى عمله على الطريقة الآلية السابقة .

حول صانع البؤس :

تلقيت رسالة من أستاذ جليل ضمنها رأياً فى « الخلق والفن » لا يتفق — من حيث العرف الاجتماعى والاعتبار الرسمى — مع مكانه من المجتمع والرسميات . ولهذا قال فى أول رسالته : « أنا — كما يعلم كثير من الأدباء — يزعجنى أن يطرح اسمى مطرحاً يجعله موضوعاً لحديث عام ؛ وربما جاشت النفس بالخاطر يثيره رأى منحرف ، أو نظر حصيف ، وأعيا أمام شهوة الكتابة ، فأسترها مبالغاً ، حتى أوفق بين العاطفتين المختصمتين . لذلك أضع هذا الخطاب الخاص بين يديك على أنه أمانة لايحل التصريح باسم صاحبها ، ولا وصفه وصفاً محدداً ، إن أنت عرضت له فى أسبوعياتك ؛ وغضب الله عليك إن خنت هذه الأمانة » .

ولذلك ابتعدت عن الوصف المحدد ، وعن غضب الله ... وأقدر للأستاذ الكبير حريته — المقيدة بمركزه — فى إبداء رأيه ، وأشكره على ما أضفاه على من عبارات التقدير والثناء ، وإنه ليسرنى أن أكون عند مثله كما وصف .

وأعرض بعد ذلك الموضوع الذى عرض له ، قال : « أخذت عليك رأيك فى « صانع البؤس » ، فإن صانع البؤس ليس الديب ، ولكن انحراف مزاج الديب ، الذى ما كان يملك تقويمه ، ولا يستطيعه لو حاوله . وفى الشاعر الحاذق النواسى ، الذى ما كان الديب ولا غير الديب يتعلق بغباره ، والذى يقول فيه النقاد : إن الشعر كان أقل أدواته ، ما يقرر مذهب الديب فى الحياة ؛ ثم فيما قاله هو عن نفسه : « أى شاعر يتبسَّله ابن الحباب » مايقطع بأن الانحلال الخلقى ليس معوقاً عن الفن الرفيع ؛ بل ربما جازت به ... فقلت : إن الخلق الكريم والفن الرفيع قلما يلتقيان . وعلى الجملة كل ما قلته صحيح ، ولكن الحكم على فن المنحلين بما حكمت في حاجة إلى استدراك » .

وأقول : أولا إننى لم أحكم على فن عبد الحميد الديب ، وإنما أردت أن أصحح خطأ شائعاً يتعلق بحياته فقلت : إنه لم يكن بائساً حقيقياً ، وإنما كان يصنع البؤس ، وتضمن السياق ما يدل على انحلاله . وسواء أكان الديب هو صانع البؤس أم انحرافه ، فهو وانحرافه « متضايفان » ، وقد تعلمنا أن الإسناد إلى أيهما صحيح

أما مسألة الانحلال ، فقد كان لكلامى فيها إشارة إلى لون من الناس يحلو لهم أن يصطنعوا الانحلال دلالة على أنهم أدباء وفنانون ! ألم يكن الديب الشاعر منحلا ؟ وهم منحلون ، فهم إذن فى الأدب والفن عباقرة العصر فى مصر !

وأنا وإن كنت أوافق الأستاذ على أن الانحلال الخلقى لا يعوق الفن إلا أننى أقف عند قوله : « إن الخلق الكريم والفن الرفيع قلما يلتقيان » فلا أسلم بهذه القضية .

إن النابغين من ذوى الانحلال الخلقى يجيدون حقاً فى التعبير عن ميولهم وتصوير تجاربهم ، وهم كثيرون ، ولكنهم لا يغلبون على ذوى الخلق الكريم ، وأنا لا أميل إلى التعبير الخطابى ، وإنما أريد أن أفرق بين الانحراف فى الخلق الشخصى وبين الانحلال فى الصفات الإنسانية الرفيعة ، وقد اجتمع الاثنان للديب ، ومن النوع الثانى فيه الحقد وعدم الوفاء ومقابلة الإحسان بالمساءة ، وهذا النوع لا يقبله الفن الرفيع . وعلى ذلك أقول الآن : إن الديب لم يكن ذا أدب رفيع .

الشخصية السليمة :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة نفسية موضوعها « الشخصية السليمة » بنادى رابطة الأدباء يوم الأحد الماضى ، فعرف الشخصية بأنها التجاوب المنسجم بين البيئة وبين العقل والشعور المتماسكين ، وشرح التماسك بأن وحدات العقل واتجاهات الشعور قد تختلف فيما بينها ولكنها كمجاذيف السفينة تختلف اتجاهاً وتتحد فى الهدف ، فالعوامل النفسية تتنازع ، ولكنها تتفق على الغاية فتمضى إليها كالتيار الجارى . ويقابل التماسك الصراع وهو أن تتعارض العناصر ويعمل كل منها ضد

الآخر ، فينفك بناء الشخصية . وقال إن فى متناول أيدينا أن نجمل من اتجاهات نفوسنا طرقاً قوية متلاصقة متلاحمة متوازية ، وأول عامل فى بناء الشخصية هو ما يسمى « قبول النفس » وهو أن يقبل الإنسان نفسه كما هى ، لا يجزع من عيوبه ولا يعدها مهانات بل قيوداً عليه أن يحطمها ، ولا يعدها عوائق بل حوافز تدفع إلى الأمام ، فيواجه نقائصه ولا يهرب منها ، كما فعل سقراط إذ ألف أرستفانيس مسرحية تندد به فيها ، وكان سقراط حاضراً يوم تمثيلها فلما عرضت شخصيته وقف لكى يراه الجماهير. فليس الشعور بالنقص عيباً فهو أمر طبيعى ، وإن أول سبب لاعتلال الشخصية هو اعتبار الصفات الغريزة عاهات يجب تغطيتها بمختلف الوسائل ، فالواجب تحويل النقص إلى كمال ، فصاحب الحياء أو محب العزلة يمكنه أن ينتفع بعزلته فى البحث والتأليف ، وصاحب الفضول والتطلع ينتفع بطبعه هذا بأن يكون شرطياً سرياً أو صحفياً .

ثم تساءل الدكتور ناجى : هل البيئة الواحدة تخلق شخصيات واحدة ؟ فأجاب بأن البيئة تضع من يعيشون فى دائرتها فى قالبها العام ولكنها لا تجبر كل واحد على نفس ذلك القالب ، على أن لكل فرد أسلوبه الخاص فى الحياة . وتحدث عن علاقة الغدد بالشخصية فقال إن الغدد تؤثر فى الأمزجة والطباع حقيقة ، ولكن الشخصية قد تتكون رغم ذلك ، ولا لزوم للحكم على شخصية الإنسان من شكله الذى أدى إليه تركيب غددى خاص . ثم قال : إن مميزات الشخصية السليمة أن يكون لها ظل خارجى ممتد ، وعند ما يصير الهدف إنسانياً أو اجتماعياً يكون فجر الشخصية قد انبثق ، فإذا صار الهدف روحانياً فقد بلغنا مستوى أعلى هو مستوى الإيمان ، وهو تلك القوة الخارجية التى تشع فى داخلنا الجلد والصبر والعزيمة .

الشخصية المعتلة :

وأعقب الأستاذ وديع فلسطين الدكتور ناجى ، فألقى محاضرة عن « الشخصية المعتلة » قال : اعتلال الشخصية أنواع نقص حديث اليوم على نوع منها يسمى « السيكوباتية » وهى السلوك المرضى ، والسيكوباتى عدو للمجتمع ولا يسلم هو من عداوته لنفسه ، ولا يصدر سلوكه المرضى عن وعى أو إرادة ، وإنما ينساق فى تصرفاته انسياقاً أعمى مشبعاً بطفولة فى الاتجاه الفكرى واستغراق فى لذات عارضة هدامة ، وسير فى الحياة بلا هدف أو وراء هدف صورى لا وجود له . فقد يشعل النار فى نفسه لا رغبة فى الانتحار بل حباً فى رؤية النار تحصد جسمه ، وقد يسرق ، لا رغبة فى المسروق ، بل لمجرد الإيذاء والعدوان . وهو لا يقدر على التكيف والانتظام فى عمل . ولا ينفع فيه التقريع والعقاب ، لأن فطرته عودته على الاضطراب والخلل .

ثم قال إن المريض بالسيكوباتية لا ينبغى أن يسلك مع المجرمين ، لأن المجرم المحترف يدبر لنفسه ويقدر جميع الاحتمالات لينجو ويفلت من العقاب فله إرادة ومنطق وغاية ؛ أما السيكوباتى فهو يقترف جريمته دون قصد أو تعمد ، وكثيراً ما يكون أول من يصاب بجرمه ويلحقه أذى تصرفه المنحرف . ومن المؤسف أن هؤلاء المرضى يعاملون فى مصر إما معاملة المجرمين فيزج بهم فى السجون ، أو يحسبون مجانين فيحالون إلى مصحات عقلية لا تجديهم نفعاً . وجدير بنا ، وقد استطاع الأطباء العقليون أن يشخصوا داء السيكوباتية ويبينوا أعراضه ومظاهره ، أن نفكر تفكيراً جدياً فى تهيئة الوسائل التى من شأنها مساعدة هؤلاء المرضى على أن يألفوا الحياة الاجتماعية شيئاً فشيئاً ، وعلى أن يصبحوا أداة نافعة فى المجتمع ، أو يجنب المجتمع آثارهم السيئة .

ارسم « أبو رجل مسلوخة » :

قرأت الكلمة التى أراد فيها أحد معلمى الرسم الأستاذ كامل بطرس عصفور ، أن يعلمنى الأصول التى كان يجب أن أقف عليها قبل نقد السؤال الذى طُلب فيه من تلميذات المدرسة السنية أن يرسمن شجرة الزقوم ورؤوس الشياطين ؛ وأهم هذه الأصول أن تخاطب الصورة المطلوب رسمها قلب الطفل وتملأ نفسه . وها أنذا قد وقفت على هذه الأصول ... بفضل معلمى الفاضل ... ولكنى لا أرى فيها شيئاً ينقض ما قلت ، فأين شجرة الزقوم وأين رؤوس الشياطين من قلب الطفل ونفسه ؟ ! وما هى بجربته إزاء هذه الأشياء حتى يعبر عنها ..؟ فليطلب الأستاذ من تلاميذه رسم « البعبع » أو « أبو رجل مسلوخة » أو ما ماثل ذلك مما ينطبق على أصوله ... أما الجحيم وشجرة الزقوم ورؤوس الشياطين فلا .

وهو يقول إنه لا يوافقنى على قصر التخيل على العباقرة وأنا ما قصرته عليهم إطلاقاً ، إنما قصرت تخيل الجحيم وما فيه على أولئك العباقرة . أما ما دون ذلك فللأستاذ أن يجول فيه بتلاميذه أو تلميذاته كما يشاء .

عباس خضر

البريد الأدبي

رأى الدكتور يعقوب صروف في أسلوب الآنسة مى :

بمناسبة ما نشر الكاتب الفاضل طاهر الطناحى فى نسخة شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ من مجلة الهلال عن الآنسة مى وأثر الدكتور يعقوب صروف فى حياتها ، وقوله فى رسالة إليها ، « إنها تفكر بلغة أوروبية قبل ما تعبر عن رأيها بالعربية » أرى خدمة للحق والتاريخ أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء كتاباً من الدكتور صروف كتبه إلى منذ أربع وعشرين سنة أبان فيه عن رأيه فى أسلوب الآنسة مى فى إنشائها ، وكشف عن أشياء لم تنشر بعد عنها .

ولقد كان هذا الكتاب جواباً عن خطاب منى سألته فيه عن سبب تقديم نشر مقالاتها فى المقتطف على مقالات بعض كبار الكتاب وتحدثت عن أسلوبها وما فى بعض معانيه من غموض وأجود الكلام كما يقول أهل الفن « ما يكون جزلاً سهلا لا ينغلق معناه ولا ينبهم مغزاه » .

وقد كنت يومئذ أتولى تحرير جريدة التوفيق وأشارك فى تحرير جريدة المنصورة وأراسل جريدتى السياسة والمقطم .

وهذا كتاب الدكتور صروف من خطه لم أغير منه حرفاً ولم أخرم منه كلمة :

مصر فى ٨ نوفبر سنة ١٩٢٤ .

حضرة الرصيف الكريم

سلاماً واحتراماً ، وبعد فقد تلوت ما تكرمتم به وفيه أمران ، الأول ترتيب المقالات فهذا يراعى فيه زمن ورودها أو وصول يدى إليها إذا كانت عندى ، فليس فى تقديمها وتأخيرها نظر إلى فاضل ومفضول . والثانى ما تكتبه الآنسة « مى » وأنا أعرف كثيرين من الذين لهم الكعب الأعلى فى الإنشاء مثل المرحوم إسماعيل باشا صبرى ، ومثل السيد مصطفى الرافعى ، يجلون قدرها ويمدحونها بالكلام والكتابة؛ وقد رأيت إسماعيل باشا صبرى يقبل يدها فى بيتى ، ورأيت له ولولى الدين يكن والخليل مطران قصائد فى مدحها . وأظننى رأيت للرافعى أيضاً كتاباً لها يطنب فيه فى مدحها ، فهل نسفه كل هؤلاء وهم من أئمة الأدب العربى أو نتهمهم بأنهم يقولون فى الحضرة شيئاً وفى الغيبة ضده ؟ ثم إننى لا أستحسن هذا النوع من الإنشاء بدليل أننى لا أجرى عليه ، ولكننى أفهمه لأننى أحسن لغة أوربية .

وأرجح أن أكثر الذين يحسنون الفرنسوية أو الإنكليزية يستحسنونه . وقد جرى عليه الآن أكثر أدبائنا فى أمريكا الشمالية والجنوبية وبعض أدباء الشام . وسيمكث الأصلح فى ضروب الإنشاء .

هذا وأشكر فضلكم على حسن ظنكم بالمقتطف خاتماً بأطيب تحية .

يعقوب صروف

هذا هو كتاب الدكتور يعقوب صروف وهو ولا ريب وثيقة تاريخية مهمة تنفع كل من يعنى بتاريخ الآنسة مى ويحرص على درس تاريخها .

(المنصورة) محمد أبو ريه

الأزهر ومعهد القراءات :

دأب القراء المحدثون على أن يرتلوا كتاب الله بالأوجه التى تواترت فى كتب القراءات كالشاطبية والطيبة . يتلقونها تلقيناً ويأخذونها مشافهة .

وأكثر القراء الآن مع الأسف لا يفهمون السر فى أوجه التغيير التى قد تطرأ على الروايات ولا يدركون اختلاف الأعاريب وعللها . ذلك لأن مقصدهم عند تلقيهم إنما هو الإسماع والتطريب لا الدراسة والتحليل .

ومع أن القرآن الكريم — بأوجه قراءاته — هو أصل الأصول للدراسات العربية والمصدر الأول للتشريع فإننا لا نجد معهداً علمياً خصص له دراسة مستقلة لقراءاته . ولا أعنى بالدراسة المستقلة تلقين المدود ومذاهب القراء فى الإمالة مثلا ، وإنما الذى أعنيه هو أن تخصص له دراسة فى الكليات العربية كدار العلوم واللغة والآداب تتجه إلى أمثال ما يأتى :

١ — دراسة اللهجات العربية دراسة مستفيضة .

٢ — الإلمام بتاريخ القراء ومبلغ تأثرهم باللهجات .

٣ — أثر القراءات فى التفسير .

٤ — أثر القراءات فى النحو والبلاغة .

٥ — أثر القراءات فى التشريع . إلى غير ذلك من الموضوعات التى كان للقراءات فيها أثر كبير . وليس من المعقول أن يلم بأمثال هذه الدراسة أولئك الذين حفظوا القرآن فحسب ، وإنما يستطيع أن يتابعها من ألموا باللغة العربية والشريعة إلماماً واسعاً لا يقل عن شهادة الأزهر الثانوية ، فهم الذين يمكنهم أن يفهموا ما يلقى عليهم من محاضرات علمية جامعة . وأمثال هذه الدراسات ليست من السهولة بمكان ، ولا يكفى أن يقوم بتدريسها من حفظ الشاطبية والطيبة والنشر مثلا ، بل لا بد من أن يلقيها أساتذة لهم من الدراسات العلمية واللغوية ما يؤهلهم لفهمها وإفهامها . وكنت أحسب أن الأزهر الشريف حينما أنشأ معهد القراءات التابع لكلية اللغة العربية أراد هذا اللون من الدراسات غير أننى حينما قرأت وسمعت عن الدارسين بهذا المعهد وجدته لا يشترط فيهم إلا ما يشترط فى معلمى « المكاتب » زيادة أن يجوزوا امتحاناً فى الشاطبية والدرة وأمثالها ، فكان معهد القراءات « مكتب » منظم لتخريج مقرئين فقط . أما الغاية الكبرى فليست من منهج هذا المعهد . فهل تجعل كليات دار العلوم واللغة والآداب للقراءات فى مناهجها نصيباً ، أو أن الأمر سيظل ضئيل الأهمية لا يجد من العناية ما يليق بكتاب الله وأوجه قراءاته ؟ ولعلى إن شاء الله أقدم أنموذجاً لبعض هذه الدراسات إن وجدت — كما أعتقد — من أستاذنا الزيات ورسالته صدراً رحيباً .

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

يهودى فى المعتقل :

ورد فى مقال صاحب الرسالة (حكم من أحكام الله) تعليقاً على حكم قضاء البصرة العادل : (فتنزلهم) (والهاء يعود الحكومة المصرية والميم على اليهود على الرحب والسعة وتكفل لأموالهم وأهليهم الأمان والدعة) .

وليت الأستاذ الزيات يعرف ما تصيبه طائفة اليهود من مغانم فى المعتقلات المصرية .

وإنى أوفر على نفس نصب التدليل والبرهان وأكتفى بسرد القصة الآتية : فى كلية الصيدلة يطلب شاب يهودى العلم فى السنة النهائية ، وهذا الطالب يعيش عيشة ضنك وحرمان ، وفى أوقات فراغه يزاول عشرات الحرف ليحصل على طعامه . وقد ذكر فى حديث له أن أخاً له كان ينفق عليه وتخلى عن نفقته ؛ ومن منظره وهندامه يتبين أنه مبالغ فى قوله فلا أعتقد بأنه خرج من أم وأب وله أخوة وإنما هو ابن الفقر الأوحد .

وشاء حظه الحسن أن تعادى مصر الصهيونية وسمع بأنها تقبض على كل من تشتم فيه رائحة العداء ، فأطلق لسانه بكلام وما قصد إلا الخير وهو أكل القوت فى المعتقل ، وتم له ما ابتغى وغاب عن الكلية أشهراً ثم عاد إليها مخفوراً ليؤدى الامتحان ، وإذا بابن الفقر قد أصبح عاقاً لوالده ، ولعله هجر صحبته من يوم أن دخل المعتقل فخرج فى وجه ولبوس غير اللذين دخل بهما . وسأله زميل له : من أين لك هذا النعيم وأنت معتقل ؟

فتبسم اليهودى قائلا : ليت مصر حاربت اليهود من يوم أن خرجت للدنيا ! ولو أن الجنة كانت كالمعتقل كما يصفها المسلمون لأسلمت من الآن . وما كنت قبل حديث هذا اليهودى أتصور بأن الحكومة تعاملهم فى المعتقل بكادر وتجرى عليهم راتباً يومياً وتدعهم أحراراً ينفقون أموالهم كما يشاءون ! فطوبى لكل يهودى يعيش تحت سماء مصر !

عبد الرحمن فراج

إلى الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ :

قرأت فى عدد الرسالة ٧٩٧ فى مستهل مقال الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ الفتوة عند الصوفيين هذه العبارة (والفتى هو الشاب حدث السن) وقوله حدث السن تركيب لم يرد فى متون اللغة ، بل نص فى بعض الكتب على منعه ، فقد ورد فى الأمالى للقالى (حـ ١ ص ٢٦) فى مطلب أسماء الرجل يحب محادثة النساء ما يلى :

(الحدث : الشاب ؛ فإذا أضيف إلى السن قالوا : حديث السن ولم يقولوا حدث السن) .

وفقنا الله إلى الاستعمال الصحيح الفصيح .

اسماعيل أبو ضيف

الأزهرى



القلب الواشى

للكاتب الأمريكى ادجار الان بو

حقاً ، لقد كنت عصبياً ، ولا زلت فى حالة عصبية مخيفة . ولكن .. لماذا تقول إنى مجنون ؟ إن الداء قد أرهف حواسى — لم يدمرها — ولم يضعفها ، ولا سيما حاسة السمع الحادة . لقد سمعت أصوات من فى الأرض ومن فى السماء ، حتى من فى الجحيم . فكيف إذن أكون مجنوناً ؟ أصغ لى ، ثم لاحظ كيف أقص عليك القصة بحذافيرها وأنا فى تمام الصحة وفى غاية الهدوء.

إنه لمن المستحيل أن أعبر كيف أثرت تلك الفكرة على عقلى بادىء ذى بدء . ولكنها أصبحت تلازمنى ليل نهار . أما عن الدافع فلقد كنت أحب ذلك الكهل . إنه لم يخطىء فى حقى البتة ، ولم يوجه إلى أية أهانة ، ولم أكن أرغب فى ماله . ولكن عينه هى السبب ، نعم كانت هى السبب . إنها تشبه عين الطائر.. عين العقاب . كانت زرقاء تغطيها طبقة شفافة لامعة . وكنت فى كل مرة تلتقى عيناى بها ، تثور ثائرتى ، ويهيج هائجى . ولهذا قررت أن أنهى حياة الكهل ، وبذلك أتخلص من تلك العين إلى الأبد . هذا هو الدافع . إنك تتخيلنى مجنوناً. ولكن ليتك رأيتنى أقوم بالعمل وأنا فى كامل وعيي. ليتك شاهدتنى وأنا أنجزه فى حيطة وحذر . كنت أشفق على الكهل فى أيامه الأخيرة أكثر من إشفاقى عليه فى أيامه السابقة . وكنت فى منتصف كل ليلة أدير أكرة بابه وأفتحه فى هدوء ، وباله من هدوء ! ثم أطل برأسى عليه بعد أن أقلل من ضوء المصباح تدريجياً حتى يشع نوره داخل الغرفة . كنت أحرك الباب فى بطء حتى لا أزعج نوم الكهل ، فيستغرق ذلك منى وقتاً طويلا . هل يمكن لرجل مجنون أن يكون عاقلا إلى هذا الحد ؟ فاذا ما أطللت برأسى داخل الغرفة ، أزيد من ضوء المصباح باحتراس ، بكل احتراس ، فأسمح لشعاعة ضئيلة تسقط على عين العقاب .

كنت أفعل ذلك سبع ليال متتالية ، ولكنى كنت أجد العين دائماً مغمضة ولذلك كان من المستحيل على أن أنجز عملى . لأنه لم يكن الكهل هو الذى يثيرنى ، بل كانت عينه الشريرة . وكنت فى كل صباح ، عندما تشرق الغزالة ، أذهب إليه فى شجاعة وأتحدث معه فى جرأة ، وأدعوه باسمه فى لهجة ودية وأسأله كيف قضى ليلته . وهكذا ترى أنه لم يشك فيما كان يحدث كل ليلة وهو نائم ما لم يكن بعيد النظر !

وأقبلت الليلة الثامنة ، وكنت أكثر حذراً فى فتح الباب . كنت أسيطر على شعور الانتصار فى قوة عجيبة وأنا أفكر فى ذلك الكهل الذى يجهل ما الذى أفعله وما الذى أفكر فيه . وابتسمت ثم ضحكت . وسمعت حركة فى الفراش . لعله سمعنى أضحك فقام فزعاً ولعلك اعتقدت أنى تراجعت . ولكن .. كلا ، فقد كانت الغرفة حالكة الظلام ولا يستطيع رؤيتى وأنا أفتح الباب . ولذلك ظللت أدفعه فى انتظام . وأطللت برأسى . وكنت على وشك إضاءة المصباح عندما انزلقت يدى فأحدثت صوتاً. وهب الكهل من فراشه صائحاً « من هناك؟ » ظللت ساكناً ولم أفه بكلمة. ومكثت ساعة كاملة دون أن تتحرك عضلة فى جسمى. ولم أسمعه يرقد ثانية. كان لا يزال جالساً فى فراشه يتسمع مثلما كنت أتسمع ليلة إثر أخرى .

ثم طرق أذنى أنين خافت ، أنين من الرعب المميت . لم يكن أنين ألم أو شجن .. كلا ؛ كان صوتاً خافتاً مخنوقاً يرتفع من أعماق روح امتلأت رعباً ووجلا . وكنت أعرف ذلك الصوت جيداً ، وأدرك ما يشعر به الكهل ولذلك كنت أشفق عليه وأنا أقهقه من أعماق قلبى ! وتصورته راقداً مستيقظاً تزداد مخاوفه كلما تقلب على الفراش ، ويحاول أن يتغلب عليها وهو يوهم نفسه بأن ما حدث مجرد أوهام . وتخيلته يتحدث إلى نفسه قائلا « إنه حفيف الريح داخل المدخنة — إنه فأر صغير يعبر الغرفة » نعم ، كان يحاول أن يسرى عن نفسه بشتى الافتراضات دون طائل . دون جدوى ، لأن الموت كان يقترب منه رويداً رويداً ويطارده بشبحه الأسود ، ويحيط به من كل جانب . وكان تأثير ذلك الشبح عليه هو الذى جعله يدرك وجودى داخل غرفته دون أن يرانى أو يسمعنى . وانتظرت وقتاً طويلا بصبر عجيب دون أن أسمعه يرقد . ثم عزمت على إضاءة المصباح قليلا. قليلا جداً ، وخرجت شعاعة واحدة .. شعاعة كأنها خيط العنكبوت . خرجت من فتحة المصباح فسقطت على عين العقاب . كانت مفتوحة تماماً ، فعصف بى غضبى من رؤيتها ، وكانت واضحة أمامى بلونها الأزرق وغلالتها الشفافة ، فأصابتنى رعدة شديدة تغلغلت فى ذات نفسى حتى وصلت إلى عظامى . ولم أر من وجه الكهل أو جسمه سواها ،

وكأنها وجهت الشماعة بشعور غريزى لا إرادى إلى تلك العين الملعونة بالذات. ألم أخبرك أن ما تعتقده جنوناً ليس إلا أرهاف الحواس؟ ثم وصل إلى سمعى صوت خافت سريع التردد كأنه صوت ساعة مغلفة بالقطن. فعرفت ذلك الصوت. إنه نبضات قلب الكهل، فاستشطت غضباً وامتلأ قلبي غيظاً وحقداً. ومع ذلك ظللت ساكناً وحبست أنفاسى. وأمسكت بالمصباح دون أن أتحرك وقد سلطت الشماعة على عينه. كانت ضربات قلبه تزداد ويرتفع صوتها فى سرعة غريبة. واستنتجت أن الكهل قد وصل رعبه إلى أقصاه. وارتفع الصوت، وتعالى. ألم أخبرك أننى عصبى؟ نعم، لقد كنت فى حالة عصبية شديدة. وولد ذلك الصوت فى نفسى، فى ذلك الوقت المتأخر من الليل، وبين ذلك السكون المطبق الموحش، ولد فىّ شعوراً من الرعب لا يقاوم. ومع ذلك ظللت صامتاً ساكناً. وكانت الضربات تتعالى ثم تتعالى حتى خلت أن قلبه على وشك الانفجار. ثم تملكتنى ثورة جديدة! ألا يجوز أن يسمع الجيران ذلك الصوت؟ إذن فقد حانت ساعة الكهل!

وصحت صيحة مدوية، وأضأت المصباح ثم قفزت إليه. فصرخ صرخة واحدة! وفى لحظة كنت قد سحبته إلى الأرض وألقيت فوقه الفراش. ثم ابتسمت فى رضاء. لقد انجزت أخيراً مهمتى. وظل القلب ينبض فى صوت مختنق لبضع دقائق، وأخيراً صمت. لقد مات الكهل. وأزحت الفراش وفحصت الجثة. نعم كان ميتاً كالحجر. ووضعت يدى على موضع قلبه وتركتها لحظة. لم يكن هناك نبض. لقد مات حقاً، ولن تعود عينه تضايقنى بعد الآن. إذا كنت لا تزال تظن أنى مجنون، فإن ما قمت به من احتياطات وما فعلته لإخفاء الجثة سوف يبدد هذا الظن. كان الليل على وشك الرحيل فبذلت همة ونشاطاً، وقمت بإنجاز العمل فى سكون. قطعت أطراف الجثة، ثم انتزعت ثلاثة ألواح خشبية من أرض الغرفة، وحفرت فى موضعها، ثم أخفيت الجثة فيها، وأخيراً وضعت الألواح فى مكانها. وعادت الغرفة إلى ما كانت عليه.

كانت الساعة قد أشرفت على الرابعة عندما انتهيت من كل شىء، وكان الظلام لا يزال مخيماً. وعندما دقت الساعة دقاتها سمعت صوت طرق على باب الدار، فنزلت أفتح بقلب مطمئن — فما ذا يخيفنى الآن؟ وجاء ثلاثة من رجال الشرطة، وشرحوا لى أن أحداً أبلغهم سماع صرخة صادرة من الدار. وابتسمت، ما الذى يخيفنى الآن؟ ورحبت بهم، وقلت إن الصرخة صدرت منى أثناء نومى وأنا أحلم. وأدعيت أن الكهل على سفر. وطلبت منهم أن يفتشوا الدار.. يبحثونها جيداً. وأخيراً أوصلتهم إلى غرفة الكهل. وأطلعتهم على ثروته دون أن يمسها أحد. كنت واثقاً من نفسى كل الثقة، ولذلك أحضرت إليهم مقاعد وأجلستهم فى الغرفة حتى يستريحوا من عناء البحث. وجلست أنا المنتصر فى وقاحة على أحد المقاعد بعد أن وضعته على المكان الذى ترقد فيه الضحية. وكنت أجيب على أسئلتهم فى سرور. وجعلوا يتحدثون ويثرثرون وأنا أستمع إليهم فى رضاء.

ولكن لم تمض فترة طويلة حتى شحب وجهى، وآلمنى رأسى وسمعت طنيناً فى أذنى، فتمنيت عندئذ أن يرحلوا، ولكنهم ظلوا جالسين يتجاذبون الحديث، وعلا الطنين وازداد وضوحاً، واستمر يتعالى ويتعالى. وارتفعت عقيرتى بالحديث حتى أتخلص من هذا الشعور المؤلم، ولكن الطنين زاد وضوحاً، فتيقنت أخيراً أنه لم يكن مبعثه أذنى. ولم يكن هناك أدنى شك فى أنى كنت شاحب الوجه. ولذلك طفقت أتكلم فى طلاقة وبصوت حاد ومع ذلك ارتفع الطنين. ما الذى أستطيع فعله؟ لقد كان صوتاً سريعاً كأنه « صوت ساعة مغلفة فى قطن! » وأسرعت أنفاسى ونظرت إلى رجال الشرطة فظهر لى أنهم لم يسمعوا ذلك الطنين. وجعلت أهذى فى حديثى وأثرثر وازداد صوتى حدة. ولكن الطنين كان يرتفع فى انتظام. وقمت وتجادلت فى شتى المواضيع التفهة بصوت عال وإيماءات متعمدة، ولكن ذلك الطنين كان يطغى على صوتى. وسألت نفسى لماذا لا يرحلون؟ وذرعت الأرض جيئة وذهاباً بخطى ثقيلة. ولكن الصوت.. ذلك الصوت! أواه.. يا الهى.. ما الذى أستطيع عمله؟ وغلى مرجل غضبى، وتمتمت وأقسمت وضغطت بالمقعد على الأرض وصررت به على الألواح الخشبية. ولكن ذلك الصوت.. كان لا يزال يرتفع تدريجياً.. واستمر يتعالى فى شدة.. فى شدة.. فى شدة! وما زال الرجال يتحدثون ويمزحون ويتضاحكون. هل من المحتمل أنهم لا يسمعون شيئاً! يا الهى! كلا.. كلا! لا بد أنهم سمعوه! واشتبهوا! وعرفوا! إنهم يسخرون من رعبى! ذلك ما ظننته وذلك ما أظنه. وما أفظعه من عذاب! وما أبشعها من سخرية! إنى لا أستطيع احتمال هذه الابتسامات المنافقة بعد ذلك! وشعرت أنه يجب على أن أصرخ.. ولكن هذا الصوت كان يزداد وضوحاً.. وصرخت فيهم قائلاً « أيها الأشرار انفضوا.. إنى أعترف بارتكابى الجرم! انزعوا الألواح هنا! هنا! هذا الصوت هو خفقان قلبه.. قلبه الواشى المختبىء هناك! ».

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٠ — الاثنين أول نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 800 — Lundi — 1 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — أول نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فكاهة لهـــا مغزى

لا أدرى ما الذى أخطر ببالى فى هـذه الأيام هذه الواقعة المضحكة وقد مضى على وقوعها ثلاثون سنة دون أن تجرى على لسانى أو تدور بخاطرى ؟ اسمعها أولا ثم حاول بعد ذلك أن تملل ورودها بما تشاء :

كان بلدتنا الشيخ عبد الجبار خادم المسجد شموس الطبع طائش الحلم ، يده أسرع من لسانه ، ولسانه أطوع من عقله ؛ ولـكنه كان كسائر النَّزِقين أبيض القلب سليم الصدر ، لا تبطئ ريحه أن تسكن ، ولا تلبث أناته أن تعود . ذهب ذات يوم إلى المنصورة يقبض مرتبه من مأمورية الأوقاف ، ويمتار لعياله من سوق المدينة . فلما كان عائداً إلى القرية ، فوقه مظلته العتيقة ، وتحته جحشته الربِّضة ، قابله فى مضيق الطريق حماران يسيران متوازيين وعليهما سماد الزبل والسِّرجين ، فاقتحم العقبة من بينهما فصدم خُرجُه الأبجر أحد الحمارين فأزال عن ظهره الغبيط . فاستشاط سائق الحمار وقال للشيخ فى فورة غضبه : لا عجب ولا ملامة ، خُرْج فوق خُرج ! فوقف عبد الجبار دابته وصعَّر خده وقال للمتهكم الغضبان بلهجة المتحدى : ولِمَ لا تقول حمارٌ وراء حمار ؟ ! فأجابه الفلاح وقد تنمر له وهمَّ به : غطىٌ وتسفَّه ! ثم جذبه من ذراعه بقوة فسقط فى حفرة ، فبرك فوقه وأعانه شاب آخر وانهالا عليه طحناً بالصدر وعجْناً بالأيدى ، والمسكين تحتهما ماقى على ظهره ، يضرب الهواء برجليه ، ويحاول أن يدفع اللكم بيديه ؛ ولـكنه كان أشبه بالسلحفاة المقلوبة ، تحرك أطرافها ولا تتحرك ، وتقلب رأسها ولا تقـوم ، حتى شاء الله الذى يؤخر النفس إذا لم يجئ أجلها أن يمرَّ به فى هذه اللحظة الشيخ عبد الرحمن ، أخوه فى القرآن ، وزميله فى الحرفة ، وجاره فى الحارة ؛ فلم يكد يراه على هذه الحال حتى ترجَّل وانقضَّ على الرجلين انقضاض النسر ، فأزاح هذا بيمناه وذاك بيسراه ، ثم أعمل فيهما يديه جميعاً . ورأى الشيخ عبد الجبار صدره خفيفاً فنهض كأنما نشط من عقال ، وأسرع إلى حمارته فوثب عليها ، وانطلق دون أن ينفض التراب عن ثوبه ، ودون أن يقول للشابين بارك الله فيـكم ، وللشيخ عبد الرحمن السلام عليـكم ... وشفى غليله من الأنان فأمحى عليها سبًّا باللسان وضرباً بالعصا وطعناً بالمنخاس ولـكزاً بالفخذين حتى بلغ الدار وصك رأسُه الجدار .

وفى المساء أقبل الشيخ عبد الرحمن وعلى إهابه وجلبابه آثار المعركة فجمع له الناس وقال : يا شيخ عبد الجبار ! كيف أنصرك وتخذلنى ، وأحييك وتقتلنى ، وأرفع عنك العبء فتلقيه علىَّ ، وأنقذك من الرجلين فتتركهما إلىَّ ؟ !

فأجابه فى لهجة خليط من الخزى والبلادة والمكابرة : كان بينى وبين فلان وعد فى صلاة العصر . ومَعاذ الله أن أخيس بوعد أو أحنث فى يمين !

فقال له : أمرك يا مولانا عجيب ! تحافظ على وعد وتفرط فى روح ، وتنظر إلى مصلحة وتغضى عن كرامة ! !

فقال له الشيخ عبد الجبار وقد غلى دمه وهو لا يغلى إلا فى السَّلم : سبحان الله يا أخى ! لماذا تتجهمنى هذا التجهم ، وتمنفنى هذا التمنيف ؟ من قال لك انزل ؟ هل كنت مغلوباً فانتصرت لى ، أو مكروباً ففرجت عنى ، أو ضعيفاً فأشفقت علىّ ؟ وهَبِ الأمر كان كذلك ، فهل بعد خُرجى مأرب ، أو بعد حمارتى مركب ، أو بعد روحى حياة ؟ !

احمد حسن الزيات

من قصص العصر الفاطمى :

خاتمـــة حيـــاة

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

خذ يا نصر ، فليس هذا بكثير عليك .

قال ذلك خليفة مصر الظافر بأمر الله وهو يقدم إلى نصر ابن عباس عشرين طبقاً من الفضة مملوءاً كل واحد منها بعشرين ألف دينار . فأجابه نصر : شكراً يا مولاى ، إننى لم أزد على أن أرحتكم من وجه كنتم تبغضونه ، وإن سرور مولاى هو كل ما أسمى إليه وأبغيه . قال الخليفة : ذلك قليل يا نصر ، لقد قضيت أكثر من أربع سنين وأنا أحمل هذا الوزير شجى فى حلق ، وقذى فى عينى ، ومن الغريب أنه كان يسمى نفسه الملك العادل ، وأى ظلم أكبر من سلب حقى واغتصاب سلطانى ! هـذا أول يوم أشعر فيه بمجد الملك وعظمة الخلافة ، وستكون تلك الليلة تذكاراً لهذا المهد الجديد السعيد .

وما إن أقبل الليل حتى كان قصر الخلافة جوهرة غارقة فى النور ، وجاء الندماء يمنون النفس بليلة سارة وساعات شهية ، ولم تلبث جنبات القصر أن تجاوبت بأصداء الغناء ، ودارت الساقيات الجميلات ببنت الكروم تلعب بالرءوس وتفعل ما تشاء بالألباب ، ولما انقضى من الليل أكثره تفرق الجمع ، ولكن الخليفة لم يرد أن تنقضى تلك الليلة من غير إنعام جديد على قاتل وزيره ابن السلار ، فوهب نصراً مدينة قليوب ، وأوصاه أن يبكر فى الحضور إليه ، فإنه ما كان يصبر على البعد عنه .

خرج نصر فرحاً بما أعطى ، ولما قابل أباه عباساً (وقد صار وزيراً) أخبره بأمر هذه الهبة ، فما زاد أسامة بن منقذ أحد جلساء الوزير على أن قال : « ما هى فى مهرك بكثير يا نصر » .

وهنا اربد وجه الفتى ، وغلى الدم فى عروقه ، وأقبل يدافع عن نفسه فى حماسة وقوة ، حتى قال له والده : « نحن لا نصدق يا بنى ما يقال ، ولكن الناس يلوكون عرضك وعرض الأمير ، فبالله إلا غسلت هذا المرض . إن جمال الوجه كثيراً ما يجلب على صاحبه الأقاويل ، ولقد خجلت لكثرة ما سمعت عنك وعن مولاك » . فخرج نصر وقد صمم على أمر .

لم يبد على صلة الصديقين فتور ، بل اطردت كما هى : يقضى نصر معظم وقته مع الخليفة ، حتى إذا كان يوم اشتد فيه إقبال الظافر على نصر ، قال له نصر : « لقد نلت منك يا مولاى كل أنواع التكريم ؛ فهل يضيف سيدى إلى نممه تشريفه إياى فى وليمة خاصة بنا فى منزلى الليلة ، وسوف أفاجئ مولاى بما يلذ له من جيد الغناء ، وعتيق الخمر ، وأجمل النساء » . ولم يكد نصر يسمع من الخليفة ترحيبه بالدعوة وقبولها قائلا له : « ذلك هو العيش يا نصر » ، حتى خرج يعد للأمر عدته .

وفى الليـل الساجى ، والظلام الذى لا تتبين فيه شخوص السائرين ، خرج الخليفة الشاب من قصره مستخفياً ، لا يصحبه غير خادمين ، ولا يكاد يتميز عمن حوله من النـاس ، حتى إذا دخل منزل مضيفه ، واستقر به مجلسه ، انقض عليه وعلى أحد خادميه من أعدهم نصر للانقضاض ، وبعد بضع دقائق كانت جثة الخليفة ملقاة فى بئر هناك ، ومضى نصر يخبر والده بما فعل !

تنفس الصبح فشاهد الناس فى البكور الوزير عباساً ميمماً قصر الخلافة يتبعه ألف جندى شاهرون سلاحهم ، ودخل القصر ، وطال جلوسه ، فاستدعى زمام القصر ، وقال له : « إن كان لمولانا مايشغله عنا فى هذا اليوم عدنا إليه فى الغد » ؛ فمضى الزمام وهو حائر يبحث عن الخليفة فى كل مكان ، ثم عاد يقول لعباس : « خرج الخليفة البارحة لزيارة ولدك نصر فلم يعد ! فقال عباس : « تكذب يا عبد السوء ! لقد دبر أخواه قتله حسداً له على الخلافة ، واتفقتم على هذا القول » ؛ فقال الزمام : « معاذ الله ! » ؛ قال عباس : « فأين هما ؟ » ؛ فخرجا إليه ، فسألهما عن أخيهما ، فأنكرا معرفة مكانه ، فأمر غلمانه بقتلهما ، فقتلا بين يديه ! !

وفى ليلة حزينة ثقل الهم فيها على عباس وابنه ، فقد آذاهما أن يشتركا فى قتل ابن مصال وزير الظافر الأول ، وقتل ابن السلار

وزيره الثانى ، وأن يقتلا الخليفة وأخويه ، ثم يبحثا حولهما فيجدا السلطة التى جدا فى الحصول عليها تكاد تفلت منهما وتمضى ، فأقبل أحدهما على صاحبه ودار بينهما حديث :

— أرأيت يا نصر : إن الأمر لم يصف لنا كما كنا نؤمل ، وإن الجمهور لم يجز عليه ما أحكمناه من حيلة وتدبير !

— الذنب فى ذلك ذنب رجالى يا أبى ، فإن خادم الظافر الذى أفلت من يدهم هو الذى أذاع سر الجريمة ، وكشف ما كنا نحرص على ستره .

— وهذا الشعب الذى ألفنا منه الطاعة أصبح ثائراً متمرداً يسمعنا أنى مررنا أوجع الكلم وأحط أنواع السباب ، ينادى بالثأر ، ويهتف بالانتقام .

— ليت الأمر يا أبى وقف عند الهتاف والكلام ، فإن الفتنة قائمة ، والأنصار الذين كنا نعتمد عليهم قد انفضوا من حولنا ، وأصبحت لا أرى إلا وجوهاً عابسة ، ونفوساً متبرمة ، وجواً ينذر بعاصفة .

— لقد كنت يا بنى سائراً بالأمس فرأيت هاونا ألقى على ، ولولا حظى الحسن لحطم رأسى . وأول أمس ألقى على ماء يغلى كاد يحرقنى لولا فضل الله !

— وهل جاءك نبأ طلائع بن رزيك ، لقد بعث إليه الأمراء يستنجدون به ليأخذ بثأر من قتلناه . أما أخوات الظافر فقد بعثن إليه بشعورهن فى كتب سوداء ، وأطلعنى جاسوس لايزال مخلصاً لنا على قصيدة طويلة أرسلها إليه القاضى الجليس يحثه فيها على الانتقام ، ولا إخال طلائع إلا منتهزاً تلك الفرصة النادرة ، وقادماً إلى القاهرة ليجلس على كرسى الوزارة الذى ينتظره ، ويثأر منا إن ظفر بنا .

وهل ننتظر حتى يظفر بنا ؟ لا بد من الهرب يا بنى !

— وإلى أين يا أبى ؟

— إلى الشام عند نور الدين محمود ، وسنطلعه على ما وصلت إليه مصر من الضعف والانحلال ، ونزين له فتحها ، ونكون له عمالا عليها ، وسوف يمهد لنا الطريق إليه الأمير أسامة بن منقذ رفيقنا فى رحلتنا .

* * *

حث الرسل الخطا إلى طلائع فاستشار من حوله من رجاله ، وأجمعوا أمرهم بينهم على الزحف السريع إلى القاهرة ، وانضم إليهم قبائل كثيرة من العرب والسودان ، حتى إذا دنوا من القاهرة لبسوا جميعاً ملابس سوداء ورفعوا رايات سوداء ، ونشروا شعور السيدات على أطراف الرماح ، وخرج أهل المدينة لاستقبال الجيش الزاحف هاتفين بالثأر من القاتلين .

لم ينتظر نصر ووالده ومن معه حتى يدهمهم عدوهم فى عقر دارهم ، بل جمعوا ما بقى لهم من رجال ، وحملوا كل ما يملكونه من متاع ومال ، ولما جن الليل فروا من القاهرة مهطعين ، غير أن عيون أخوات الظافر سرعان ما نقلوا خبر فرارهم إليهن ، ففكرن فى الأمر ملياً : هل يتركن الأسير يفلت ؟ وهل يدعن الانتقام ممن حرمهن الأخ الصغير والأخوين الكبيرين ، وأهان عرش الآباء والأجداد ؟ أو يكتفين بأن يذهب العدو ويدعهن أحراراً فى بلادهن ؟ وهل يأمن جانب هذه الأفعى وهو رأس المؤامرات وأساس الفتن والدسائس ؟ إنهن لا يأمن جانبه ولا يعرفن قصده ولا نواياه . ومن يدرى ما ذا تكون النتيجة إذا ترك حياً ، فربما كان فى بقائه خطرجديد يهدد الأسرة والعرش .

والآن ، لا بد من التفكير السريع قبل أن يطير العصفور من القفص ، وتفلت الفرصة من اليد . سيهرب نصر ووالده إلى الشام ، وسيمران بأرض الصليبيين فى طريقهما ، وإذا كان الصليبيون أعداء مصر فلا بأس من الاستعانة بهم فى القبض على القاتل الفار ؛ ولما كان الأمر يتطلب سرعة فى التنفيذ ، أرسلن رسولا يثقن فيه كل الثقة ، وطلبن منه أن يسابق الريح حتى يصل إلى هدفه قبل أن يفر نصر .

وجد القائد الصليبى لقلعة عسقلان فيما عرض عليه الرسول المصرى ما يغريه بمقابلة نصر وأبيه ، فالقائد مطمئن إلى النجاح والظفر بما مع الفارين غنيمة باردة وبما وعدت بتقديمه أخوات الظافر من المال ، فأصدر أمره إلى الجند بالتأهب لمقابلة الفارين .

وبينما كان نصر وعباس يمنيان النفس بكبار الآمال أبصرا جند الصليبيين يحيطون بجمعهما ، فلم يجدا بداً من الدفاع عن أنفسهما فى معركة خاسرة ، مات فيها عباس وابن له صغير ، بينما حرص الجند على أن يظفروا بنصر حياً ليثابوا — كما وعدوا — بأجزل الصلات ، فلما سقط فى أيديهم وضعوه فى قفص من جديد .

الركب سائر إلى القاهرة ، وفؤاد نصر قد ملئ بما شغله من

المصحف المبوب

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

عصرنا هذا عصر تجديد فى كل شىء ، وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع هذا العصر أثراً فى مصحفنا ، لأنه يحوى بين دفتيه أعز شىء عندنا ، وهو القرآن الكريم الذى نسعد به فى دنيانا وأخرانا ، فلا يزال هذا المصحف يظهر بيننا فى شكله القديم ، لا شىء فيه إلا ما فى هامشه من بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وليس فى هذا أثر للاخراج العلمى الذى يبذل فى عصرنا عند إخراج الكتب البشرية ، إذ تلحق بها أشياء كثيرة ترغب فى الاطلاع عليها ، وتساعد على الاستفادة منها .

ولا شك أن جودنا بإزاء ما يلزم لمصحفنا فى عصرنا يخالف كل المخالفة حال سلفنا الصالح بإزاء هذا المصحف ، فقد كان القرآن الكريم مفرقاً على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى العسُب واللِّخاف وصدور الرجال ، وقد مات وهو على هذه الحال ، فلما كانت وقعة اليمامة فى خلافة أبى بكر أتاه عمر فقال له : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال له أبو بكر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير . ولم يزل يراجعه حتى شرح الله صدره لذلك ، وأحضر زيد بن ثابت فقال له : إنك شاب عاقل لانتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن ، أجمعه . فتتبعه زيد يجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى جمعه فى صحف مكتوبة ، ثم أخذها فأعطاها أبا بكر ، وقد ائتمروا ما يسمون ذلك ؟ فقال بعضهم : سموه السِّفر . فرُدَّ عليه بأن هذا تسمية اليهود ، فكرهوه ، وقال بعضهم : رأيت مثله بالحبشة يسمى « المصحف » فاجتمع رأيهم على أن يسموه « المصحف » ، وكان هذا أول تجديد فى ترتيب المصحف وتسميته .

ثم اختلف الناس فى قراءة القرآن على عهد عثمان ، حتى اقتتل

الهم ، فظل قابعاً فى قفصه يفكر فى ماضيه ، ويتخيل الوزير ابن البلار زوج جدته وهو ينقض عليه من غير ذنب جناه ، والخليفة الظافر وقد انساب إليه الرجال يقتالونه على مرأى منه وفى داره ، وهاهوذا يفقد أباه وأخاه ويقاد إلى مصير لاشك فى شدته وقسوته .

لقد جاءت رسل من القاهرة تتعجل قدومه فأنبأته بأن جثة الخليفة أخرجت من بئر فى بيته ، وأن طلائع بن رزيك وضعها فى تابوت سار خلفه حافياً حاسر الرأس ، وتبعه الأمراء والقادة والشعب حفاة حاسرى الرءوس ، وأن الجميع فى انتظار نصر على أحر من الجمر .

كل ذلك وأسير القفص لا ينبس ببنت شفة طول الطريق ، حتى إذا أشرف على القاهرة وبدت لعينيه أبوابها الضخمة ومآذنها العالية تنهد وقال :

بلى ، نحن كنا أهلها ، فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

ومرت برأسه ذكريات مجده القريب ، وذكر المواكب التى كان يختال فيها على جواده ، تنعقد عليه الآمال ، وتستعظمه العيون والنفوس ، أما اليوم ، فها هو ذا يدخل القاهرة مقيداً مغلولا ، وما إن لمحه الجمهور حتى هاجت المدينة وماجت كل يريد أن يراه فى قفصه الحديد ، ولم يدع الشعب إهانة ولا سخرية لم يلحقها بنصر ووالد نصر . أما أخوات الظافر ، فما كدن يسمعن بقدومه حتى أرسلن يستعجلن حضوره ، وقد سمح لهن طلائع أن يفعلن به ما يشفى غليلهن ، وكم حزن عند ما علمن أن الموت حال بينهن وبين الانتقام من عباس !

لم تستقبل أخوات الظافر نصراً إلا بالأخفاف والقباقيب ، حتى إذا تعبن من ضربه وأدمين وجهه وجسمه ورأسه ، أرسلن إلى أحد الأطباء ، فصلم أذنيه ، وجدع أنفه ، وأخذت هذه الأشلاء فطهيت ، وأجبر نصر على أكلها ، ثم وضع فى قفصه الحديدى ، وطيف به فى القاهرة لم يترك شارع ولا حارة ولا درب إلا شهد الأصلم الأجدع واشترك فى إهانته والسخرية منه ، فإذا تم طوافه بالقاهرة أخذ حياً وعلق على باب زويلة ، وظل هناك عدة أشهر حتى مل الناس رؤيته ، فأنزل وأحرقت جثته وذريت فى الهواء .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول

الغلمان والمعلمون بالمدينة ، وكانوا قد قرأوه بلغاتهم على اتساعها ، فبلغ ذلك عثمان فجمعهم وقال لهم : عندى تكذبون به وتلحنون فيه ! فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً . يا أصحاب محمد، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً . فجمعوا اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار ، فبعثوا إلى الصحف التى كتبت فى عهد أبى بكر فأتوا بها ، وكانت محفوظة فى بيت عمر عند ابنته حفصة ، فأعادوا كتابتها على لغة قريش وحدها ، لأن القرآن نزل أولا بلغتهم ، ثم وسع فى قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر، فلما حصل ذلك الخلاف رؤى أن الحاجة إلى تلك التوسعة قد زالت فاقتصر فى كتابته على لغة واحدة ، وكان هذا ثانى تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم فسد اللسان العربى باختلاط العرب بغيرهم بعد الفتوح الإسلامية ، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن ، لأنهم كانوا يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلا ، أعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ ، فلما ظهر ذلك الفساد أشفق المسلمون على تحريف ألفاظ القرآن ، فوضع أبو الأسود الدُّؤلىّ من التابعين علامات فى المصحف بصبغ مخالف لما يكتب به ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله ، وجعل علامة الضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين ، وذلك فى عهد معاوية ، وكان ثالث تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعْمر نقط الإعجام بنفس المداد الذى كان المصحف يكتب به لتتميز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض ، وكانا تلميذين لأبى الأسود الدؤلى ، وقد فعلا هذا بأمر الحجاج بن يوسف ، وفى عهد عبد الملك بن مروان ، وكان هذا رابع تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم اخترع الخليل بن أحمد الشكل المستعمل الآن ، لأن نقط الإعجام كانت تشتبه أحياناً بنقط الشكل ، وإن كانتا تكتبان بصبغين مختلفين ، وكان من الصعب وضياع الزمن كتابتهما بمدادين ، فجعل الضمة واواً صغيرة فوق الحرف ، وجعل الفتحة ألفاً صغيرة ، وجعل الكسرة ياء صغيرة ، وجعل الشدة رأس شين ، وجعل السكون رأس خاء ، وجعل همزة القطع رأس عين ، وقد أتى بعد الخليل من اختزل فى هذا الشكل وزاد عليه حتى صار إلى حاله المعروف الآن ، وكان هذا خامس تجديد فى ترتيب المصحف وكتابته .

ثم وقفت كتابة المصحف عند هذا الحد ، إلا ما حصل من كتابتهم بهامشه بيان أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها ، وهو عمل قليل النفع ، ضعيف الفائدة ، لايدعو إليه إلا ما اعتدناه من العناية فى القرآن بالحفظ دون الفهم ، فقسمناه إلى تلك الأجزاء والأحزاب والأرباع ، لتكون لنا منها أوراد نتلوها للتبرك ، لا للعظة والاعتبار ، لأنه لا يوجد فى ذلك التقسيم ما يلفت إلى الفهم فى القراءة ، ولا تمكن عظة بقراءة من غير فهم .

فيجب أن نعدل عن ذلك التقسيم الذى لا فائدة فيه إلى تبويب السور بهامش المصحف تبويباً يعتمد فيه على الغرض المقصود من كل سورة ، فيقسم إلى أقسام مرتبة متميزة ، تلفت القارئ إلى ما ينطوى تحتها من المعانى ، وتوجهه فى قراءته إلى ما تشير إليه من المقاصد ، لتكون قراءة نافعة مفيدة ، مؤدية إلى ما أنزل القرآن لأجله ، وهو الهداية .

وسيكون هذا تجديداً عظيما فى ترتيب المصحف وكتابته ، تظهر به سوره متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، فلا يظن ظان أنه ينقصها شىء من اتساق معانيها وانتظام مبانيها ، وقد وقع فى هذا الظن الآثم بعض المستشرقين ، لأنه لم يجد أمامه مثل هذا المصحف الذى تبوِّب سوره بهامشه ذلك التبويب ، وتقسم فيه إلى تلك الأقسام المرتبة المتميزة ، ولو أنه وجده لما وقع فى ذلك الظن ، ولعرف أن سور القرآن متسقة المعانى منتظمة المبانى على خلاف ما ظن ، ولقد مهدت لهذا المصحف بكتابى (النظم الفنى فى القرآن) ، وسيظهر قريباً هذا الكتاب ، ولعلنا نرى قريباً بعده هذا المصحف المبوب .

عبد المتعال الصعيدى

طرائف من العصر المملوكي :

الزجـــل والزجالون

للأستاذ محمود رزق سـليم

أطلق الزجل على الشعراء العامى الذى اختلفت قوافيه ، وتنوعت أوزانه فى القصيدة الواحدة ، وأهملت حركات إعرابه ، وروعيت فيه العامية بضروب بيانها ومسالك حديثها ، وما يفشيها من لحن وتحريف وقلب ودخيل ، وأمثال سوقية ، إلى غير ذلك

وقد كانت الموشحات الفصيحة بما أبيح لهـا من حرية فى الوزن والقافية ، مرحلة انتقال بين الشعر الفصيح والعامى : غير أن السبب الأصيل الذى هيأ السبيل لظهور الشعر العامى هو فساد ألسنة العوام وانحرافها فى تخاطبها من الفصيحة إلى العامية .

والشعر العامى له أهميته وخطره ، وبخاصة بعد أن سلخ من عمره سنين ، ونضج فى مختلف العصور نضجاً مرموقاً . فإذا جازلنا أن نقول إن الشعر الفصيح يمثل الأمة خير تمثيل ، فإنه يمثل خاصتها تمثيلا أدق . أما العامة ، ولا سيما بعد فساد لسانها وتأبيه على الفصيحة ، فإن الشعر العامى أصبح يمثلها إلى حد بعيد . إذ هو منظوم بلغتها ، محكي بأساليبها فى تأدية معانيها ، محتو على كثير من تصوراتها وأخيلتها وطرق تفكيرها ومظاهر شعورها . فهو لذلك بحاجة إلى العناية بنتاجه ودراسة هذا النتاج . واعتقادنا أن هذه العناية تفيد الفصحى ولا تضرها ، فضلا عما تضفيه على التاريخ والأدب من معونة ، تلقى — على الأقل — ضوءاً على مدى تحول العامية بين عصر وعصر .

والقصيدة الزجلية تسمى « حملا » تشبيها لها بحمل الدابة ، لانقسام شطورها — غالباً — إلى قسمين . وينقسم الحمل إلى عدة مقطوعات تحتوى كل مقطوعة منها على عـدة أبيات ، وتسمى المقطوعة « دوراً » أما المقطوعة الافتتاحية فتتألف عادة من بيتين ، وتسمى « مذهباً » ، ويلتزم شىء من قوافيها — غالباً — فى الأبيات الأخيرة من كل دور . وعرفت القصيدة الزجلية أيضاً فى مصر باسم « البليقة » وجمعها « بلاليق » . وربما كانت تطلق على الموشحات القصيرة .

وتعددت أوزان الزجل وتنوعت قوافيه ، حتى قيل فى بلاد الأندلس : « إن من لا يعرف ألف وزن ليس بزجال » . وقد ذاعت منه أنواع ، عرفت فى مصر الشـام وغيرهما . ومنها : الدوبيت ، والقومة ، وكان وكان ، والمواليا . وتعتبر هذه الفنون الثلاثة الأخيرة — عند البعض — مستقلة عن الزجل . ومهما يكن من شىء ، فإنها جميعاً تجمعها صفـة العامية ، ومغايرة الشعر الفصيح .

وقد برز الزجـل — على ما رواه ابن خلدون — فى بلاد الأندلس أولا ، على عهد الأمويين ملوك قرطبة ، وذلك بعد فساد الألسنة وظهور الموشحات ، والتحلل من قيود الوزن والقافية . ونفقت سوقه فى دول البربر لمكان أمرائها من العجمة ، وقرب فهمهم للعامية . واشتهر فى إحدى دولهم وهى دولة الملثمين ، إمام الزجالين « أبو بكر بن قزمان » .

وقد سرت عدوى الزجـل من المغرب إلى بلاد المشرق ، ومنها مصر ، فلقى بها رواجاً عظيماً ، فتعددت أنواعه وأغراضه . وذاع بخاصة فى العصر المملوكى وأقبل السلاطين والأمراء والناس على سمـاعه أو إنشاده ؛ وذلك للعجمة أو الاستعجام واستبداد العامية بالألسنة وضعف الثقافة الأدبية بعامة . وبذلك عبد السبيل أمام أهل الزجل ، فنشطوا نشاطاً ملحوظاً ، واحتفلوا بفنهم ، وشاركوا الشعراء فى كل ميـدان تقريباً ، وزاحموهم فى أخص أغراضهم الشعرية بل شأوهم فى بعضها ، وأربوا عليهم ، وسجلوا من الحوادث وأبدوا من الشعور ما لم يبده أو يسجله شاعر .

طرق الزجالون إذاً أبواباً شعرية عدة ، فنظموا الغزل البديع والخمريات الصافية ، والنقد المر اللاذع ، ووصفوا مناظر الطبيعة وسجلوا الحوادث العامة ، والحروب الناشبة ، وحمسوا ورثوا ، ووقفوا على أعقاب المـدن الزائلة ، والأحياء الدارسة ، والدول الذاهبـة ، فدونوا أحداثها وذرفوا الدموع على أحـداثها ، واستخرجوا درر الحكمة من ثناياها ، هذا إلى مجون صريح ، وتفكه مليح . إلى غير ذلك .

لا بدع حينذاك أن يحتفى النـاس بهم ويحتفلوا بنظمهم ، وأن تتقدم منازلهم عند الرؤساء والعامة . وللعامة إقبال على كل

ما يمس مشاعرها ، ويترجم عن خواطرها ، من الأغانى والأناشيد ونحوها .

وقد رُوى أن النيل فى عام ٩٢٢هـ بلغ حد الوفاء فى فيضانه، قبل شهر مسرى ، على غير عادته منذ زمن طويل ، فكان هذا مثار الاستبشار ، ومبعث الابتهاج والفرح ، فنظم بعضهم أغنية بهذه المناسبة مطلعها :

يا حبيب اهنا وطيب   النيل أوفى فى أبيب
وقد بقينا فى هنا   يا فرحنا

وعكس ذلك وقع فى عام ٧٠٩ هـ ، فقد شح النيل وتمنع عن الوفاء . وكان السلطان الناصر بن قلاوون — وكان به عرج — قد عزل نفسه من السلطنة ، فوثب إليها الأمير « ركن الدين بيبرس الجاشنكير » وكانت العامة تلقبه « بالركين » وكان نائب سلطنته هو الأمير سلار ، وأصله من التتار ، وكان أجرد تنشى فاه بعض شعرات . فشاع بين العامة زجل تفكهوا به عليهما ، وضمنوه عواطفهم نحوهما ونحو سلطانهم المعزول ، قالوا :

سلطاننا ركين   ونائبو دقين
يجينا الماء منين
هاتوا لنا الأعرج   يجى الماء يدحرج

وقد غشيت الزجليات لوثات البديع ، ولحقت بها علاقاته ، مابين توريات لطيفة وتلميحات طريفة ، إلى تضمين وجناس وطباق ونحو ذلك . ونحن هنا نأسف أشد الأسف لعدم معرفتنا الفنية برسم الأزجال المأثورة ، وعدم علمنا بلهجات نطقها ، وهذا من شأنه أن يضع صعوبات جة فى سبيل فهمنا الحق لكافة معانى الزجلية ، وإدراكنا التام لجميع صورها . وكأنى بابن حجة قد شعر سلفاً بهذه الصعوبات فنوه بها فقال « الزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى ، لجولانه فى ميادين الأغصان والخرجات ، وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة إلا من عرف اصطلاحه . وقد روى زجلا فريداً لعلى بن مقاتل ، يتغزل فى شاب مليح خياط . ومطلعه « نهوى خياط سبحان تبارك من الجمال جلوا » ثم قال معقباً بعد روايته « كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هذا الزجل ، فأنكره ، لبعده عن رسم الألفاظ المعربة الخالية من اللحن ، ويعذر فى ذلك لأنه ليس له إلمام بمصطلح رسمه . ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينفذ له مرسوم ، فإنه يؤديه إلى خطأ وزنه وإعراب لحنه . ومصنفه أبو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير . قال فى خطبته : وقد جردته من الإعراب ، تجريد السيف من القراب . ولم يطلب من الزجل غير عذوبة ألفاظه وغرابة معانيه » .

هذا وقد أورد ابن خلدون فى أحد فصول مقدمته نماذج من الزجل ، كثير منها من نظم زجالى مصر والشام فى العصر المملوكى ولم ينسبه لقائله . ويفهم من حديثه أن الزجال كان يقال له « شاعر » ونقول إنه كان يطلق عليه « القيم » أيضاً . وبهذه المناسبة نذكر أن بعض كبار الشعراء فى العصر المملوكى مثل محي الدين بن عبد الظاهر ، وابن الوردى ، وابن حجة الحموى ، نظموا أزجالا . وكذلك قرض كثير من الزجالين الشعر . ومما رواه ابن خلدون قول بعضهم فى الشكوى الغزلية وهو من المواليا :

يا من وصالو لأطفال المحبة بح   كم توجع القلب بالهجران أوه أح
أودعت قلبى حوحو والتصبر بح
كل الورى كخ فى عينى وشخصك دح

هذا ، ونذكر أن ابن إياس الحنفى المؤرخ الكبير صاحب كتاب « بدائع الزهور » سجل لنفسه فى كتابه أزجالا عدة ، كل منها بمناسبته . ومنها ما نظمه يصف فيه جور السلطان الغورى حينما أرغم القاضى شهاب الدين أحمد بن يوسف ، على أن يعطيه قطع الرخام الثمين التى تزدان بها قاعة أبيه المسماة « نصف الدنيا » ليجمل بها قاعته البيسرية . فقال ابن إياس موريا :

سلطاننا الغورى قد جار   والصبر منا قد أعيا
وصار فى ذا الجور عمال   حتى خرب نصف الدنيا

ولزين الدين المعجمى مواليا يصف فيها ارتياعه وقت البين ، رواه ابن حجة فى كتابه « كشف اللثام » . قال :

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل
ملهوف لا حمل يمنينى ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر فى التكميل
لا تكتحل بالكرى إن غبت عنها ميل

وترجم السخاوى فى الضوء لمجذوب يدعى « أحمد حطيبة » توفى بدمياط عام ٨٥٨هـ ، ويبدو أنه كان أديباً عاشقاً ، وقد جن

غيرة . ومن زجله فى المعنى :

سرى فضحته وأنتم سركم قد صنت
فقصدى رضا كم وأنتم تطلبون المنت
ذليت من بعد عزى فى هوا كم هنت
يا ليت فى الخلق لا كنتم ولا أنا كنت

ومن الشعراء الزجالين : صدر الدين بن المرحل ، وهو محمد ابن عمر ، ويعرف فى الشام بابن الوكيل . عاش بين سنتى ٦٦٥ هـ ، ٧١٦ هـ ، وقد توفى فى القاهرة . كان من فقهاء الشافعية ذكيا عجيب الحافظة مجادلا كثير الاطلاع ، شارك فى علوم كثيرة ، واشتغل بالتدريس فى قبة الشافعى والمشهد الحسينى وغيرهما . ونظم الشعر الرقيق والموشحات الرائعة والأزجال العامرة . واعتبره ابن إياس شاعر عصره ، وعده من الفحول . وطرق أغراضاً شعرية كثيرة . وقد ترجم له السبكى فى طبقاته ، وابن شاكر فى فواته ، وابن حجر فى الدار ، ولم يرووا شيئاً من زجلياته ، على الرغم من شهرته ، على الرغم من شهرته بالزجل والبلاليق ، فإليك شيئاً من شعره ، قال من خمرية .

لتذهبوا فى ملامى إنهم ذهبوا   فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
والمال أجمل وجه فيه تنفقه   وجه جميل وراح فى الدجى لهب
لا تأسفن على مال تمزقه   أيدى سقاة الطلا والخرد العرب

وتغزل فى مليح فقال :

تلك المعاطف أم غصون البان   لعبت ذوائبها على الكثبان
وتضرجت تلك الخدود فوردها   قد شق قلب شقائق النعمان
مايفعل الموت المبرح فى الورى   ما تفعل الأحداق فى الأبدان

ويبدو أن صفى الدين الحلى تأثر بألفاظ هذه الأبيات ، فى قصيدته البارعة التى مطلعها :

خلع الربيع على غصون البان   حللا فواضلها على الكثبان

ومن أشهر زجالى العصر المملوكى قيم الزجل الكبير « خلف الغبارى » الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى ، وتوفى فى أوائل التاسع فى عهد السلطنة الثانية للناصر فرج ابن برقوق . وكان حاذقاً فى صناعة الزجل ، أدخل إليها خصوصيات الشعر ومعانيه فى التصوير والتعبير ، وولج بها أبوابه وفنونه ، فتغزل ووصف ومدح وهنأ ورثى وسجل الحوادث ، إلى غير ذلك . وحسنت صلته ببنى قلاوون وبخاصة الأشرف شعبان ، ثم بالظاهر برقوق ، وهو طويل الباع مديد النفس ، تبلغ زجليته أحياناً ثمانين بيتاً أو تزيد .

وفى مطلع غزلية يقول ، وفيه توريات لطيفة :

جار حبيبى فقلت دا الحجاج   حا يجـور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور   ويكون الرشـيد

وعندما اعتلى الأشرف شعبان حفيد الناصر بن قلاوون سلطنة مصر عام ٧١٤ هـ هنأه الغبارى بقصيدة زجلية منها :

حب قلبى شعبان موفق رشيد   وجمالو أشرق ومالو حدود
وأبوه الحسن وعمه الحسن   وارث الملك من جدود لجدود

* * *

سل لحظك صـارم لقتل العـدى
وأنت منصور طول المدى والسنين
زعق السعد بين يديك شاويش   فرح القلب بعد ماكان حزين
ونصب لك كرسى على المملكة   وظهر لك نصره بفتحو المبين
والمصايب من حولك اشتالت   خفقت فى الركوب عليك بنود
فاحكم احكم فى مصرنا سلطان   فجميع الملاح لحسنك جنود

ولما قتل الأشرف المذكور رثاه الغبارى رثاء حاراً طويلا بقصيدة لا نبالغ إذا قلنا بليغة . ومن أبياتها قوله فى أحد أدوارها :

ضم الأشرف قبر ليت شعرى   هو لقنديل نور ضياه جامع
أو صدف فيه خالص الجوهر   أو فلك فيه غاب قمر طالع
أو نقول غاب فيه أسد ضارى   أو حفير جواه حسام قاطع
أو كناس فيه أحسن الغزلان   أو حمى فيه أفرس الفرسان
أو جسد فيه روح من الأرواح   أو سواد مقلة وفيه إنسان

ونلاحظ فى زجليات الغبارى أن « المذهب » وهو مطلع الزجلية ، ينظمه فى موضوعها ، فليس تقديما ولا غرضا إضافيا ، وهو عادة يجمع خلاصة وجيزة لتفاصيل القصيدة . وقد هنأ برقوقا مرة ، أيام أن كان أتابكيا أى قائدا للجند ، وقبل اعتلائه السلطنة ، بقصيدة وصف فيها انتصاره على عدوه الأمير « بركة » فسجل بذلك موقعتهما . وذلك عام ٨٧١ هـ . وفى نفس العام اعتدى عرب البحيرة على مدينة دمنهور فسلبوا ونهبوا ، فهب لهم الأمراء والجند من القاهرة وأثخنوا فيهم وأسروا منهم ، فسجل الغبارى هذه الحادثة فى حمل وصفى بديع ، وفصل دقائقها وخوافيها فى نحو ٧٢ بيتا لا تجد لها ضريبا فى بابها بين الشعر

الفصيح ، وأولها :

باسم رب السما ابتدى   فارج الهم والسكرب
ويفيد للذى حضر   قصة الترك والعرب

(راجع الزجليتين فى ابن إياس ج ١ ص ٢٤٧ ، ٢٥٢) .

ومن أئمة الزجل علاء الدين على بن مقاتل الحموى الذى أشرنا إليه فيما سبق ، وهو من أدباء القرن الثامن ولد بحماة عام ٦٧٤ ﻫ ، وعاصر ابن نباتة والصفى الحلى ، وكان يفد على الملك المؤيد صاحب حماة كما كانا يفدان . وأنشد بحضرته وهما بين يديه غزلية فريدة ثلاثية الأدوار أعجبوا بها أيما إعجاب . جانس فى البيت الأخير من كل دور من أدوارها بين ضربه وعروضه فضلا عن الدقائق الأسلوبية والتصويرية التى راعاها . وهذا دأبه فى غزلياته وقد أثبت ابن حجة فى خزانته الغزلية المذكورة . وفى مطلعها يقول :

قلبى يحب تياه   ليس يعشق إلا إياه
فاز من وقف وحياه   برصد على محياه
بدر السما لو يطبع   من رام وصالو يعطب

* * *

صغير بحير فى أمرو   غزال قهر بسمرو
ليث الهوى وعمرو   فاعجب لصغر عمرو
ريم ابن عشر وأربع   أردى الأسود وأرعب

واشتهر بفن الزجل فى أخريات العصر ، ومنذ عهد الأشرف قايتباى ، الأديب اللبق البارع « بدر الدين الزيتونى » وهو أبو النجاء محمد بن محمد العوفى . ولد عام ٨٣١ ﻫ وتوفى عام ٩٢٤ ﻫ بعد أن شهد عهد الغورى ، وعاصر مصرعه . وقد سجل فى زجلية رحلة السلطان قايتباى إلى الديار الشامية عام ٨٨٢ ﻫ ، وذلك على نمط فريد مفصل بدقائق الحوادث ومذهبها :

سلطاننا الأشرف خرج فى أربعين
من العساكر حين سافر حماه
ومن حلب عدا يروم الفرات   فاسقى الخيول من ماه وربه حماه

وسجل حادث الطاعون الجارف الذى أصاب البلاد عام ٨٩٧ ﻫ ورثى فى تسجيله أهل مصر رثاء بليغاً مليئاً بالحكمة . وعلى هذا الغرار رثى قايتباى مشيراً إلى بعض وقائع عصره . وفى عام ٩٢٢ ﻫ وقعت فاجعة « مرج دابق » المشئومة ، فهزت كيان مصر ، واضطربت بها فقارها ، وفزعت لها من أعماقها . وقد قتل فى هذه الموقعة سلطانها الشهيد الأشرف الغورى ، وفتحت السبل أمام الغزو العثمانى البغيض . يصور لك بدر الدين الزيتونى هذه الخواطر والمخاطر فى زجلية عصماء تبلغ نحو ١٢٠ بيتا يرثى بها دولة الغورى وليس لها ضريب فى الشعر الفصيح . ونلاحظ أن هذا الأديب كان يعنى بذكر اسمه وشىء عن نفسه فى كل زجلية ينظمها .

وعلى نمط منه شب ابنه بدر الدين محمد ، وقد رثى أباه بزجل أغر ، عدد فيه مناقبه ، وذكر محامده .

ومن الزجالين : الشاعر الحسن بن هبة الله الإدفوى ذكره صاحب الطالع السعيد ، وتوفى بقوص عام ٧٢٠ ﻫ ومنهم شرف الدين بن أسد المصرى ، الخليع الماجن المتوفى عام ٧٣٨ ﻫ ، وله زجلية ماجنة تفكه فيها بشهر الصيام ونوه به صاحب الفوات . ومنهم ابراهيم الشاعر الأمى ، وله أزجال بارعة ، وتوفى عام ٨٧١ ﻫ ويضيق المقام دون ذكر أخبارهم وأشعارهم ، فحسبنا ما روينا ؟

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حب المنطق

للأستاذ ثروت أباظه

بعد أن ظهر مقالى بالرسالة يحمل هذا العنوان ، جمعتنى بالرفاق ندوة جرى فيها حديثهم حوله . قال أحدهم :

— عرضت لنا فى هذا الأسبوع شخصية غريبة لم نر لها مثيلا بين المجتمع ! وقد عرض صديقك آراء عجيبة من الحب وأطلقها فى جرأة تدفعها ثورة الشباب ، وإن حاول هو أن يكسوها وقار الشيوخ .

قلت : لا تنس أنى لم أعلن موافقتى على رأيه .. وأنا عرضته متخففاً من تبعته .

— يزعم صديقك ..

— لا تناقشنى .. فأنا معه على موعد هنا .

وحان الموعد ، وجاء الصديق ، وعرفوه وعرفهم ، واطمأن بنا المجلس ، ولكن لم يكد يطمئن حتى التفت إلى الصديق يكسو وجهه عتب وغيظ وقال :

— ما ذا ؟ أأصبحت تؤثر قلمك على صداقتك ؟ قلبى أفتحه لك وأنا ضنين بما يحوى ، وأنت تعلم ، فلا تعف بك الأمانة عن إظهاره للناس جميعاً . ثم لا تكتفى بذلك ، بل تعرفنى بأصدقائك ، وتخبرهم أنى صاحب ما قرءوه من الآراء ! هل أصبحت الأسرار ...

— هون عليك . إن الجالسين أصدقاء قدماء ، لم توانتى الفرصة لأعرفهم بك . ولكننى عقدة الصداقة بينكم منذ أن عرفتهم ؛ فسرك عندهم فى أمان . أما أننى أعرض قلبك ، فوالله ما قصدت إلى ذلك ، وإنما هى آراء جديدة لم أسمعها ، ولابد لها أن تسمع ، ولا أحد من القراء يعرفك .

هدأ صديقى بعض الشىء . وكاد أن يجرى الحديث إلى غير ما كانوا آخذين فيه ، لولا أن تشجع أحد الأصدقاء وعاد إليه يقول

— الآن وقد أوضح لك صديقك مكاننا منه ومكانك منا . فهل لنا أن نسألك بعض الإيضاح لآرائك . . . قلت إن للعقل عاطفة يتحكم بها فى القلب فهل تعنى أن القلب إذا أحب يذهب إليه العقل قائلا : لا ؟ إن هذه لا تنفعك .. إن تلك التى اخترتها لا تصلح لك ، إنها ليست من طبقتك ، فيطيع القلب ويسلم القياد ، وينحرف عما اندفع إليه وسيبحث عن غيرها ؟؟ إذن لا تعترف أنت بما تراه من كوارث الحب ، ثم إن هذا القلب الهادىء المستكين. كيف تجسر فترميه بأنه أحب ؟ ؟ أيحب ويقبل النصيحة ؟؟

قال الصديق : إن العاطفة الجياشة القوية التى يزخر بها القلب المحب هى التى تنشأ عن معرفته بالحبيبة ودراسته لها ، فلا يمكن أن أصدق إنساناً وقع فى الحب منذ النظرة الأولى ، لأن الجمال وحده فى هذا النوع من الحب سيكون العماد . ولو كان الأمر كذلك لأحببنا كل الجميلات اللائى يمررن بنا فى الشوارع ، ولتدلهنا فى ممثلات الشاشة . الحب وليد خبرة ومعرفة ودراسة . والخبرة والمعرفة والدراسة أمور يختص بها العقل وحده . والعقل يتدخل أيضاً ليعرف إذا كان صاحبه محبوباً أم لا . وعلى هذا المدى يتجه القلب .

قال صديق آخر : لعلك محق فيما ذهبت إليه ، ولو أن الواقع لا يؤيدك .

— إن الواقع لا يؤيد هذا لأن الفكرة السائدة عند القوم أن الحب لا يكون إلا من النظرة الأولى . وذلك ما يجرهم إلى هذا الحب . إنهم يعتقدون أنهم أحبوا وهم فى الواقع براء من الحب

— حسن . . ولكن ما مسألة حب المنطق هذه ؟ أإن بعدت الحبيبة أحسست بالشوق إليها فى عقلك ؟ وإن خفق خافق فيك عند اللقاء أيكون ذلك الخافق عقلك ؟ كيف يتهيأ للعقل أن يحب ؟

— إننى لم أقل هذا . ويظهر أنك لم تحسن قراءة المقال .

بل إننى أرى أنه لا شىء فى الإنسان يحب غير قلبه . ولكن كيف يبدأ هذا الحب ؟ بالقلب وحده ؟ أم أن العقل يتدخل فى هذا الأمر ؟ إننى أرى أن العقل والإرادة يتدخلان ، حتى إذا تم الحب ، فإنهما يبتعدان كل البعد ولا رأى لهما فى الأمر بعد هذا . بل إن المحب إذا أحب يفكر بقلبه . . وبقلبه وحده ، ولهذا يخشى عليه . إذا كان لم يحسن الاختيار فى بادىء الأمر . هذا ما أقصد إليه . لعلك فهمت . فإن لم تكن فأنت مثل صديقك هذا لا تريد أن تفهم

مرصد مراغة ومكتبتها

اللذان شيدهما نصير الدين الطوسي في بداية العصر المغولي

(صور لدنيا العرب والإسلام في ذلك العهد الرهيب)

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ويتفق المؤرخون على أن الطوسي كان قد شيد في مراغة حياة علمية خصبة بالإنتاج وشجع الفلاسفة والحكماء وكفل لهم أرزاقهم ؛ وكان يتعصب للفيلسوف ابن سينا ويرد عنه هجمات خصومه : قال الصفدي : وشرح الطوسي إشارات ابن سينا ورد في شرحه على الإمام فخر الدين الرازي وما قاله في شرحه القديم وقد قال هذابه جرح ، وما هو بشرح.

وقال عن شرحه أنه ألفه في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً[1] .

وقال المؤرخ الفقيه أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ في كتابه شذرات الذهب الجزء الخامس: وفي سنة ٦٧٢ هـ توفي أبو عبد الله نصير الدين محمد بن حسن وكان رأساً في علم الأوائل ذا منزلة من هولاكو . قال العلامة شمس الدين ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان) ما لفظه: لما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والإلحاد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هلاكو شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينهم فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم وجعلهم خاصته وأولياءه ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل (إشارات) إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك ، فقال هي قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين . فلم يتم له الأمر . وتعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام انتهى بلفظه[1] .

وهذا تحامل غريب سنعرض عليك بعده إعجاب مفكري الغرب وكبار علمائه بالطوسي وما تركته كتبه من انقلاب فكري وأثر بعيد في الحضارة الأوربية الحديثة ؛ وكلمة هذا المتعصب تريك عقلية أولئك الذين كانوا يقاومون الفلسفة ويضطهدون الفلاسفة ؛ فإذا كان الشيخ ابن سينا إمام الملحدين فعلى الإسلام السلام .

والذي ينقله المؤرخون عن الطوسي أنه كان باراً بالعلماء والفقهاء هذا العزاوي يقول في كتابه ص ٢٧٤ (في سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م) وصل السلطان أباقاخان (ابن هولاكو وخليفته في السلطان) إلى بغداد وفي خدمته الأمراء والعساكر والخواجه نصير الدين الطوسي وعبر دجلة وتصيد ثم عاد إلى بغداد ، فلما انقضى الشتاء عاد إلى مقر ملكه .

وأما الخواجه نصير الدين الطوسي فإنه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف أورد أخبار الفقهاء والمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها[2] .

وقال ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات والصفدي في الوافي نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب علم الرياضي كان رأساً في علم الأوائل ولاسيما في الإرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه وكان حسن الصورة كريماً

(١) الصفدي .

(١) إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان لابن القيم وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين .

وأشار إلى مغيظاً ، فقد خيل إليه أنني أنا الذي دبرت له كل هذا الهجوم . ولكنه رأى اقتناع الجالسين فارتاح إلى ذلك ، والتفت إلى ساخراً

— وماذا تنتظر ؟ قم إلى ورقك وقلمك . وسجل الحديث قبل أن يند منه حرف أو كلمة .

وهأنذا أصدع بأمره . فما عودته إلا الطواعية والامتثال .

ثروت أباظة

حسن العشرة غزير الفضل .

وولاه هولاكو جميع الأوقاف فى سائر بلاده . وكان له فى كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصرفه فى جامكيات (مرتبات) المقيمين بالرصـد وما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الإرصاد .

وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم . وكان يبرهم ويقضى أشغالهم ويحمى أوقافهم . وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى .

وقد كان منجماً لأبغا (أبا قاخان بن هولاكو وقد ولى السلطان بعد أبيه) بعد والده . وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده فى الأموال احتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا فى وقت يأمره به(١) أفلا يكفى هذا شاهداً .

وكان هولاكو شديد الاعتقاد بعلم النجوم فكان هذا مدخلا للطوسى ليستولى على فكره وطبعاً ليس الفضل فى نجاحه فى السيطرة عليه وصواب ما يشير به عليه فى استشارات هولاكو له كان لعلم التنجيم الخرافى الطافح بالخزعبلات .

وإنما كان الأمر لدهاء الطوسى وبعد نظره وإن ظن هولاكو المغولى جهلا أن إصابة الطوسى للاهداف مرجعه علم التنجيم . وقد استغل الطوسى هذا النفوذ وتلك الهيمنة على ذلك السفاح فى إغاثة الناس وحمايتهم من شرور هذا الجلاد المغولى الظالم إذ يحدثنا المؤرخون أنه خلص ابن الفوطى من أيدى التتار(٢) ونقل العزاوى أنه عند ما أراد هلاكو الاستيلاء على داخل المدينة ببغداد أمر الخواجه نصير الدين أن يقف عند باب الحلبة ويؤمن الناس للخروج من هـذا الباب . فأخذ الناس يخرجون جماعات كثيرة(٣) .

وقال أيضاً وفى سنة ٦٥١ هـ وصل التتار إلى بلده تون ثم استولوا على بلدة شهرستان وتوجهوا نحو طوس ففتحوها وتوجهوا إلى دامغان وخربوا (الموت) عاصمة الاسماعيلية . وفى هذه الأثناء لازم الخواجه نصير الدين الطوسى هولاكوخان . وكان فى خدمة علاء الدين محمد بن الحسين الاسماعيلى فحظى عنده وأنعم عليه فعمل الرصـد بمراغة ثم توجه نحو خورشاه ملك الاسماعيلية للاستيلاء على قلاعه وبلاده .

(١) فوات الوفيات لابن شاكر والوافى بالوفيات للصفدى .
(٢) و (٣) العراق بين احتلالين لعباس العزاوى .

وكان من محاسن الصدف — كذا قال الخواجه رشيد الدين — مرافقه نصير الدين الطوسى لهلاكو فى هذه الحملة وكان هو السبب فى حقن الدماء وتسليم البلاد لهلاكو لأن الناس كانوا لا يستطيعون الحوب معه فسعى فى مسالمة وأخذ ينصح خورشاه بطاعة هلاكو والانقياد له فقبل خورشاه النصيحة .

وكان يتماهل فى إظهار الطاعـة إلى أن حاصروه من جميع الجهات حتى اضطروه إلى التسليم وقتل فافتتحت بلاد الملاحدة .

فترى من هنا بداية اتصال الطوسى بهولاكو .

قال ابن الفوطي فى الحوادث الجامعة (ص ٣١٣) ثم أرسل السلطان إلى متولى (قلعة الموت) يعرفه نزول ركن الدين إليه ويأمره بالتسليم فأبى وامتنع فسير إليه الجيوش فأحاطوا به وحاصروه وضيقوا عليه فسأل الأمان فأجيب إليه فسلم القلعة فهدمت .

ولما فتحت قلعة الموت خرج الإمام العلامة نصير الدين محمد الطوسى . وكان فى خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلى وحضر بين يدى السلطان فحظى عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغه(١) .

ونقل فى روضات الجنات عن صاحب (صحيفة الصفاء فى ذكر أهل الاجتباء والاصطفاء) أن الطوسى كان من حملة عرش التحقيق فى الفلسفة والرياضى والكلام .

وكان محبوساً فى حصن الديلم بأمر خورشيد شاه القرمطى فلما غلبت الترك عليه وقتلوه وأخذوا حصن الديلم أطلقوا الفيلسوف الإلاهى من الحبس وأكرموه لعلمه بالنجوم وكان فى عداد وزرائهم وقصته مع ابن الحاجب مجهولة لبعد بعيد بين زمانيهما(٢)

والحق أن الطوسى قد خدم الحضارة الإسلامية خدمات جلى كان منهـا استنقاذه الكتب العربية وحفظها للأجيال وأبقى قبساً من نتاج العلماء المسلمين فى فجر النهضة الإسلامية فجعلها متصلة الحلقات موصولة الأسباب .

ولنذكر ناحية ثانية استنقذت بها كتب بغداد عند دخول التتار وقتلها وقد لوح إليها ابن الفوطى إذ قال ص ٣٣١ قيل إن عدة القتلى ببغداد(٣) زادت عن ثمانمائة ألف نفس عدا من

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطى .
(٢) روضات الجنات و (صحيفة الصفاء فى ذكر أهل الاجتباء والاصطفاء) . (٣) عندما خاربها المغول .

ألقى من الأطفال فى الوحول ومن هلك فى القنى والآبار وسراديب الموتى جوعا وخوفاً ووقع الوباء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب الماء الممتزج بالجيف . وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فإنه ملأ الفضاء . وكان يسقط على المطعومات فيفسدها . وكان أهل الحلة والكوفة والمسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير .

قال ووضع السيف فى أهل بغداد وما زالوا فى قتل ونهب وأسر وتعذيب للناس بأنواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوماً فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل .

قال وسلمت دار ابن العلقمى وسلم بها خلق كثير وسلمت دور آخرين كدار صاحب الديوان ودار حاجب الباب ودور النصارى وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيها أحد إلا من كان فى الآبار والقنوات وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد . وكانت القتلى فى الدروب والأسواق كالتلول ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى؛ ثم نودى بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التى لا يعبر عنها بلسان وهم كالموتى إذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

وأما أهل الحلة والكوفة فإنهم انتزحوا إلى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من أموالهم وحضروا كبارهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاوس العلوى إلى السلطان وسألوه حقن دمائهم فأجاب سؤالهم (١) .

وفى هذه المجازر الدموية كان موقف الطوسى حرجاً حتى كاد مرة أن يبطش به هولاكو (٢) . وكان يستعمل الحيل ويبتكر الأساليب لتخليص الناس من بطش هولاكو .

قال ابن شاكر فى فوات الوفيات والصفدى فى الوافى بالوفيات دهاء الطوسى ما حكى أنه حصل لهولاكو غضب على علاء الدين الجوينى صاحب الديوان فأمر بقتله فجاء أخوه إلى النصير وذكر له ذلك فقال النصير هذا الخان أمر بأمر لا يمكن رده خصوصاً إذا برز إلى الخارج . فقال له لا بد من الحيلة فى ذلك فتوجه الطوسى إلى هولاكو وبيده عكاز وسبحة ثم اصطرلاب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً وناراً فرآه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم ، فلما وصل أخذ يزيد فى البخور ويرفع الاصطرلاب ناظراً فيه ويضعه فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا على هولاكو وأعلموه ، ثم خرجوا إليه فقال لهم الخان أين هو ؟ قالوا جوا (أى داخل المخيم) قال طيب معافى موجود فى صحة ؟ قالوا نعم ، فسجد شكراً لله تعالى ، ثم قال لهم طيب فى نفسه؟ قالوا نعم ، وكرر ذلك مراراً وقال أريد وجهه بعينى ، فدخلوا فأعلموه ، وكان فى وقت لا يجتمع به أحد فقال على به ؛ فلما دخل ورآه سجد وأطال السجود فقال له ما خبرك ؟ قال اقتضى الطالع فى هذا الوقت أن يكون على الخان أمر فظيع عظيم للغاية فقمت وعملت وبخرت بهذه البخور ودعوت بأدعية أعرفها أسأل الله تعالى صرف ذلك عن الخان . وينبغى الآن أن يكتب الخان إلى سائر ممالكه بإطلاق من فى الاعتقال والعفو عمن له جناية لعل الله عز وجل يصرف هذا الحادث العظيم ولولم أر وجه الخان ما صدقت ، فأمر فى تلك الساعة هولاكو بما قال ، وانطلق علاء الدين صاحب الديوان فى جملة الناس . قال ابن شاكر وهذا غاية فى الدهاء بلغ مقصده ودفع عن الناس أذاهم (١) . وبعد فإنك واجد الطوسى كان يسير هولاكو إلى العفو عن المسلمين من طريق علم التنجيم وقد استغل إيمانه بخرافات المنجمين وأكاذيبهم — فى بناء مرصد مراغة ومكتبتها العظيمتين اللذين خدما الثقافة الإسلامية خدمات عظمى وتقدما بعلم الفلك والهيئة ، ولنسمع الأستاذ قدرى حافظ طوقان يحدثنا عن الطوسى ومرصد مراغة فى كتابه (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك وهو كتاب يبحث فى أثر العرب فى تقدم الرياضيات والفلك وسير أعلام رياضييهم وكبار فلكييهم) وقد نشرته مجلة (المقتطف) كهدية سنوية لتستمع إلى حديث ابن طوقان عضو الجمعية الملكية الأسيوية بلندن وعضو جمعيات العلوم الرياضية فى إنجلترا وأمريكا وعضو مجلس

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى
(٢) روضات الجنات .

(١) فوات الوفيات لابن شاكر .

التعليم العالى فى فلسطين ومساعد مدير كلية النجـاح بنابلس وأستاذ الرياضيات فيها : إن هذا الرجل قد غذى الروح القومية والغرور العربى بشـعلة متأججة من وطنيته ، فمن يقرأ كتابه يخرج رافعاً رأسه اعتزازاً بآبائنا العظام فإلى مثل هذا الـكتاب نحتاج المؤلفين فإنه تأليف به تتألف جيوش الأمة لتندفع فى سبيل المجد ومضمار الرقى ، هكذا اكتبوا وألفوا يا حملة الأقلام العربية ولا تزجوا الشباب فى مساقط الرذيلة ومهاوى الشهوات العمياء برواياتكم المترعة بالخيانات الزوجية النتنة بروائح الخمور والفجور اصغوا إلى ابن فلسطين يتحدث عن الحضارة الإسلامية العربية فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها ، وسوف أشفع حديثه بما ترجمته أنا من المصادر الإنجليزية قال : ص ٦٥ عن المراصد وآلاتها وأزياجها :

لا شك أن العرب لم يصلوا بعلم الفلك ما وصـلوا إليه إلا بفضل المراصد ، وقد كانت هذه نادرة جداً قبل النهضة العلمية العباسية . وقد يكون اليونان أول من رصد الـكواكب بآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذى أنشىء فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد هو أول مرصد عنه ويقال أن الأمويين ابتنوا مرصداً فى دمشق ، ولـكن الثابت أن المأمون أول من أشـار باستعمال الآلات فى الرصد وقد ابتنى مرصداً على جبل قيسون فى دمشق وفى الشماسـية ببغداد وفى مدة خلافته وبعد وفاته أنشئت عدة مراصـد فى أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية ، فلقد ابتنى بنو موسى مرصداً فى بغداد على طرف الجسر وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر ، وبنى شرف الدولة أيضـاً مرصداً فى بستان دار المملكة ويقال أن الـكوهى رصد فيه الـكواكب السبعة . وأنشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصداً عرف باسم المرصد الحاكى وكذلك أنشأ بنو الأعلم مرصداً عرف باسمهم ، ولعل مرصد المراغة الذى بناه نصير الدين الطوسى من أشهر المراصد وأكبرها وقد اشتهر بآلاته الدقيقة وتفوق المشتغلين فيه واشتهرت أرصاد هذا المرصد بالدقة اعتمد عليها علماء أوربا فى عصر النهضة وما بعده فى بحوثهم الفلـكية : وهناك عدا هذه مراصد أخرى فى مختلف الأنحاء كرصد ابن الشاطر بالشـام ومرصد الدينورى بأصبهان ومرصد البيرونى ومرصـد ألغ بك بسمرقند البتانى بالشام ومراصد غيرها خاصة وعمومية فى مصر والأندلس وأصبهان .

وكان للراصد آلات وهى على أنواع وتختلف بحسب الغرض منهـا وقد وضع الخازن كتاباً سماه (كتاب الآلات العجيبة) اشتمل على كثير من آلات الرصد غياث الدين جشيد رسـالة فارسية فى وصف بعض الآلات وأتى تقى الدين الراصد على ذكر الآلات التى اخترعها هو وقد اعترف الأفرنج بأن العرب أتقنوا صنعة هذه الآلات (كما فى تراث الإسلام) .

وفى هذه المراصد أجرى المسلمون أرصاداً كثيرة ووضعوا الأزياج (١) القيمة الدقيقة .

ومن أشهر الأزياج زيج ابراهيم الفزاوى وزيج الخوارزمى البتانى وأزياج المأمون وابن السمح وابن الشاطر وأبى البلخى والأيلخانى وعبد الله المروزى البغدادى والصفانى والشـامل (لأبى الوفاء) والزيج الشـــاهى (للطوسى) وشمس الدين وملـكشاهى والمقتبس لأبى العباس أحمد يوس بن الـكماد وزيج الملائى وزيج المصطلح فى كيفية التعليم والطريق إلى وضع التقويم والزيج الـكبير الحـاكى وزيج الهمدانى وزيج الآفاق فى علم الأوفاق الخ ... وبالجملة فإن للعرب فضلا كبيراً على الفلك لأنهم (أولا) نقلوا الـكتب الفلـكية عند اليونان والفرس والهنود والـكلدان والسريان وصححوا بعض غلاطها وتوسعوا فيها — وهذا عمل جليل لاسيما إذا عرفنا أن أصول تلك الـكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها فى العربية وهذا طبعاً ما جعل الأوربيين يأخذون العلم عن العرب فكان العرب بذلك أساتذة العالم .

و (ثانياً) فى إضافتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بعلم الفلك شوطاً بعيداً و (ثالثاً) فى جعلهم علم الفلك استقرائياً وفى عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان و (رابعاً) فى تطهير علم الفلك أدران التنجيم وكانت هذه خطة أغلب علماء الفلك المسلمين وفق تعاليم الإسلام .

(بغداد) **ضياء الرخيلى**

---

(١) الأزياج جمع زيج قال ابن خلدون فى مقدمته ومن فروع علم الهيئة علم الأزياج وهو صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الـكواكب فى لأى وقت فرض من قبل حيبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة قوانين فى معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية وأصول متقررة فى معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونهـا فى جداول مرتبة تسهيلا المتعلمين وتسمى الأزياج .

رحلات في ديار الشام في القرن الثامن عشر الهجري :

٣ – ادران حلة الاحسان في الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكري الصديقي

(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

اشتغال الشيخ بعمارة داره بالقدس وولادة ابنته :

« وكنا لما اشترينا الدار شرعنا في العمارة ، فأشغلنا الأخ بنقل التراب ورفع الحجارة ، لكي تلين منه نفسه الغدارة المكارة . ولما دخل شهر الصيام والقيام الموجب النضارة تأهل المحل السفلي للجلوس فيه ، دون إتمام القصارة .

« وحين ودع وسار بمسار سحبها غزار ، وقد وفدت علينا من الغيوب العزية البُنية الرشيدة السعيدة الفريدة والجوهرة الوحيدة ، التي وقعت لتسميتها الإشارة الشريفة (علما) ، جعلها الله ممن قدرها لديه سما ، وذلك في السادس والعشرين من شوال المبارك ، فتلقاها الفؤاد فرحاً بها لكونها هدية المولى تعالى وتبارك ورأيت كعبها كقصيدة كعب بن زهير لا زالت مظهراً للبر حسنة السير كثيرة الخير .

« وقد حضر لدينا رابع يوم ذي القعدة الحرام الأخ السعيد محمد سعيد البصري ذو الإقدام ، وكان ذلك يوم عقيقة [1] ابنتي ، المذكورة المحروسة ، وكان قدومه من البصرة إلى حلب المأنوسة . ولما وصل كنا مع الإخوان خارج البلد .

الزيارة الخليلية الثانية عن طريق الخليل وعسقلان :

ولما دخلت سنة (١١٤٢ هـ) عزمنا على زيارة الخليل ، ومن هنا يفقد الزيارة المليلية ، وحين دخلت عاشورا اجتمع لدينا من الإخوان أخدان ، وتوجهنا عن طريق (بني حسن) [2] لأنه

(١) عقف الشيء يعقفه عطفه وعرجه . والعقاف داء في قوائم الشاة تعوج منه .

(٢) اسم لقضاء يشمل قرى المالحة ، وبتر ، والولجة ، والرأس الخ إلى الجنوب الغربي من القدس ، وفي فلسطين أقضية باسم بني صعب ، وبني مرة وبني مالك الخ بأسماء القبائل التي نزلت البلاد .

طريق أمين ومسلك وعر بالأمان حسن ، وثبنا عند الحلاحلة[1] في (معنين) وسرنا صباحاً للمدينة بقلب رهين وعندما أشرفنا على الحرم قرأنا على الإقدام فاتحة الكتاب وتقدمنا إلى المقام وزرنا الأنبياء ، وبدأنا بوالدهم شيخ المرسلين العام (ابرهيم الخليل) وثنيت بولده سيدي اسحق الغيور ، ثم أثنيت مقام سيدي يعقوب الغوث وختمت بسيدي يوسف بدر التمام ، ونزلت في التكية القادرية [2] عند باب الحرم الشريف ، لنحظى في أغلب الأحيان بالزيارة المنتجة التشريف . وكانت الكروم [3] على أوائلها لم تتكامل حلاوتها في غلائلها . وبعد ما أقمنا ثلاثة أيام في الجوار نتردد صباحاً ومساء على السادة الأطهار ودعنا ، وقصدنا مسجد اليقين ، وتوجهنا إلى مقام سيدنا لوط . وعندنا في الصباح على مدينة الفلاح وزرنا حماة تلك البطاح ونجدنا (بيت جبريل)[4] وبتنا فيها ، وسرنا إلى(الفالوجة) وزرنا أحمدها النزيل ، وصلينا الجمعة فيها وخطيبنا الأخ الراعي الشيخ عبد الجاعي [5] وكان وكان مرادنا زيارة عسقلان فأخبرنا بخراب ما حولها من عمران [6] ، وفي الصباح طرنا بلا جناح وطلبنا دليل في تلك المسالك يعرفنا إلى (المسمية) بالدرب السالك ، فانتحى المجذوب الشيخ ديب لذلك ، ولما توسطنا البرية ، مثل هذه قبة سيدنا صالح فقرأت الفاتحة ، وبجارت علينا من بعد خيل أعراب بهم في تلك الصحارى أذية أغراب ، فقلت لن يحمل الإشارة سر على الجادة ولا تخف غارة ، فسقط عن دابته كبيرهم وانتكس وشرد مركوبه ، وبقصده انعكس ، ثم لحقونا (للقسطينة)

(١) هم أهل حلحول قرية إلى يسار السالك إلى الخليل .

(٢) في الأنس الجليل ج ٢ – ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، إن الزاوية القادرية بظاهر البلد . وفي الخليل زوايا عدة منها زاوية الشيخ المزي ، وزاوية الشيخ عبد الرحمن الأرزروني ، وزاوية البسطامية ، وزاوية السهانية وزاوية الشيخ عمر المجرد ، وزاوية أبي عقافة ، ورباط الطواشي ، وزاوية شيخون ، ورباط مكي ، وزاوية الشيخ رضوان ، وزاوية الشيخ خضر ، وزاوية الصلاطقة ، وهي داخل الزاوية الأدهمية ، وزاوية الراى ، وزاوية الشيخ على كنفوش الأدهمي ، وزاوية الشيخ محمد البيضة ، وزاوية الموقع ، وزاوية الشيخ ابرهيم الخنق ، وزاوية أبي كال بظاهر المدينة ، ورباط الجاعيل ، وزاوية الخضر وزاوية الأعنص الخ » .

(٣) يستدل من هذا أن كروم العنب كانت تحيط بالخليل كما هو الحال الآن

(٤) بيت جبرين وهي بين الخليل والفالوجة .

(٥) من عائلة مقدسية كنانية ، تعرف ببيت الخطيب ، وعليها الخطبة في المسجد الأقصى .

(٦) قامت بقربها الآن مدينة المجدل

وجاءوا معتذرين وثبنا فى (المسمية) بنفوس سمية ، وجد بنا إلى قرية (يُبْنى) المقول فيها أن مثلها ما يبنى ، وعمدنا إلى جامع سيدى عبد الرحمن أبى هريرة ، واختلف فى اسمه الشريف ، المحدثون ، والذى رجح الأعيان عبد الرحمن ، ورجح صاحب القاموس عبد الله . وبعد ما صليت الضحى ، قلت :

قصور الولا من رامها أن له تبنى عليه بأن يثنى الركاب إلى يبنى

وبعد الزيارة توجهنا إلى (يازور) وزرنا سيدى حيدرة المنسوب لسيدى على الطابى ، وبتنا بالقرية داخل الجامع المأنوس المعمور اللامع ، وفى الصباح قصدنا قرة العين الحصن الأمنع سيدى سلمة بن الأكوع الصحابى (١) المهاب ، وغب الزيارة .

ارتقيت الطبقة طارقاً من باب الالتجاء الحلقة ، فانفتح الباب بمعونة الوهاب فقلت فى مدحه :

شرف بذكر الحب خلى مسمعى واعد على حديثه يا مسمعى
وأدر كؤوس خمور سلمى جهرة فلملها تشفى فؤاداً موجعى
وإذا سكرت فلا تلمنى انثي فى حال شربى لا أفيق ولا أعى

وعدنا إلى (يازور) حيث البسط بفور ، وما مكثنا خليلها الخ من المسير نحو (يافا) ذات الوجه النظير ، وفى صباح يوم الثلاثاء حللناها واللحظ ينبعث انتعاشاً وبتنا فى دار أبى سليمان العواد وثنى الأخ الخواجه أحمد المنجاز العواد إلى الوداد . وسرنا يوم الخميس قبل بزوغ الشمس إلى المقام المليلى ، ووفد بعد الاستقرار ، الحاج حسن بن الشيخ مقلد وبات معنا . وأقمنا فى ذلك المقام المبارك الأنور ثانى يوم ووفد علينا قوم أحبة ، وختمنا الربعة الشريفة تلك الحضرة المنيمة ، وأهدينا ثوابها للمزور المشهور ، وللأخ السيد محمد السلفيتى المشكور ، وتوجهنا بعد صلاة الفجر ووداع المزار إلى (كفر سابا) وزرنا خباب بنامين شقيق سيدى يوسف الصديق ، وكذلك السيد الصحابى سراقة ؛ وعند الوصول إلى (كور) ، ووفد علينا يزور الحاج يعقوب السندى ، وقصدنا فى الصباح شرب أقداح اصطباح ، عند بستان تسامى ضمن هاتيك البطاح ، وامتد زمان الانشراح إلى أن قرأنا ورد العصر ، داخل قبته الصغيرة ، الكبيرة المراح ، وكان الحاج يعقوب ممن حضر وناح ، وتذكرت الأخ المرحوم السيد محمد العباسى [السلفيتى] .

« وأشرت على الأخ الحاج حسن منح فى الحب فهماً ، أن يغرس فى صفحاته كرماً ، وبعض أشجار تين فأبدى عزماً ، وجمع فى الأمر جزماً ، وفعل ما به أشرنا .

« وبعد أن استوفينا أيام الإقامة فيها توجهنا إلى نابلس المحمية ، ونزلنا على عادتنا فى (الدرويشية) والأخ الحاج حسن معنا . وبعد أيام الإقامة ، ودعنا ، وتوجهنا (جماعين) وقصدنا قرية (سلفيت) وزرت ضريح الأخ المرحوم السيد محمد السلفيتى ، وختمنا الربعة الشريفة لديه . وقلت :

ما هذه دار البقاء روحى روحى إلى باب اللقا المفتوح

« وأتينا دير غسان ، بعزم راجح الميزان لنوفق الخ . بين الزبود ، فما تيسر الاصلاح ، وتوجهنا إلى زيارة رجال (سوفا) المشهورين وبت لديهم ليلة الجمعة فى العشر الأول من صفر . ولم نلبث أن سرنا إلى (عابود) ومنها إلى (شقبة) ثم أتينا مزار (عِنَّير) وجلسنا فى محله المنير ، ودعانا إلى (الجانية) الشيخ صالح النوبانى ، وعدنا للديار المقدسة فى نصف صفر الخير .

« وكان الأخ محمد سعيد البصرى ألح فى طلب مقامة عراقية على نمط غير غط الرومية فشرعت فيها وسميتها « المقامة العراقية والمدامة الإشراقية ، وتمت فى شهر ربيع الأول ، وجاءنى زائراً بعض المغاربة بصلوات سيدى على بن محمد وفا ، وكنت شرعت فى شرح عليها فى الديار الرومية [أى التركية] ولكن النسخة تهدم بناء بعض حروفها ، فأجبته إلى طلبته وسميتها (جريدة المآرب ومزيدة كل شارب شارب) . وجردت الهمة وشددت العزمة فى منتصف هذا العام إلى تبييض الجزء الثانى من (شرح الورد السبحانى المسمى بالضيا الشمسى على الفتح القدسى) وعرضت كراساً منه على الأخ محمد سعيد ليتأمل فيه وجاءنى فى الصباح ومعه معترفاً بعجزه .

ورأيت الأخ محمد سعيد عنده بعض فتور ، ونحن مع جماعة فى جبل الطور ، نخاطبته وبلديه موسى ناصحاً وقلت :

خليلى عن شوق ركابكما حثا إذا رمتما فى الروع أن تدركا نفثا

ولقد جاءنى الأخ محمد سعيد سرور الفرار فرقمت سطورا فى قرطاس ورفعتها له :

وجوه الورى من واجهوا أشرف الورى
وللأثر السامى اقتفوا حالة السرى الخ

« وجاءنى من مدينة الخليل الشيخ محمد النزعانى فرآنى

---

(١) مقامه فى قرية سلمة وبه سميت .

أقصوصة شعرية :

الحسناء والبلبل

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

(هذه الأقصوصة الشعرية تصور ما قد ينشأ بين الإنسان وغير الإنسان من عواطف نبيلة ، ومشاعر سامية . وهي مهداة إلى الذين يقدسون معانى الحب والوفاء فى هذا الزمان)

هى حسناء فى ربيع الحياة   تتراءى كأجمل الذكريات
حسنها قبلة العيون جميعاً   ومَراد الأحلام والأمنيات
وصباها أرق من طلعة الفجـ   ـر ، وأبهى من روعة الزهرات
وعلى وجهها الجميل من الفكـ   ـر سمات أنعم بها من سمات
هى شوق إلى معانقة المجـ   ـهول يبدو فى حيرة النظرات
ومعان عميقة لست أدريـ   ـها ، ولكن أحسها فى حياتى

عندها بلبل يغنى غناء   يحمل القلب هائماً حيث شاء
ويثير الأحلام فى كل نفس   تبصر الحلم كوكباً وضاء
كلما زادها من الشدو والأنـ   ـغام زادته روحها إصغاء
وهى مفتونة تكاد تراه   عاشقاً يملأ الحياة بهاء
فتراها تضمه إن أتاها   وإذا غاب أتبعته النداء

داخل بستان فى الحرم الدانى ، فقال لو وسمته كان حسناً وأمر الدنيا فانى ، فقلت هذا فى خاطرى معنى يبدى لعيانى ، فيسر الله فى مطلبه تلك الأيام ، وتم على وجه حسن جميل وأكمل نظام ، وكان المجمع التحتانى فى دارنا تم ، والمولى جل وعلا طم أنعامه علينا وعم ، ولما انضم إلينا زكريا بن الحاج يحيي نسيبة (١) ، وجماعات أخر من أحباب منحوا فتحاً يملأ العيبة ، حصلت منهم مساعدة جسيمة فى أمر العمارة الحرمية . وبعد ما كمل عام (١١٤٢ هـ) وتمت أيامه ولياليه ذات المدد المكين .

(يتبع)   أحمد سامح الخالدى

(١) عائلة مقدسية خزرجية ، بيدها حتى اليوم مفاتيح كنيسة القيامة ، خرج منها علماء وقضاة .

وأمانى النفوس تبدو رموزاً   حينما تستكن فيها حياء

وجدته فى بيدر مهجور   يتغشاه مثل صمت القبور
وهو من جرحه يئن أنيناً   يترامى على الثرى فى فتور
فانثنت نحوه ، وخفت إليه   وانحنت فوقه بقلب كسير
وأست جرحه ، وعادت به تسـ   ـمى إلى بيتها الجميل الصغير
ثم جاءت له بحب وفير   مثلما يشتهى ، وماء نمير
وأقامت له هنالك عشاً   مهدته له بزهر نضير

أتراه لما تقوى وطارا   ترك العش خاوياً وتوارى ؟
كيف ينسى من أنقذته وقد كا   ن يرى الموت ليله والنهارا ؟
إن أضاع الذمار والعهد إنسـ   ـن الطير ما يصون الذمارا
كان يمضى كما يشاء قريباً   أو بعيداً يسابق الأطيارا
ثم تدعوه بالصفير فيهفو   ثائر الشوق لا يطيق انتظاراً
كغريب نائى الديار دعته   فمضى مسرعاً يؤم الديارا

علمته الغناء والألحانا   فشأى الطير منطقاً وبيانا
فإذا ما سمعته يتغنى   خلته فى غنائه إنساناً
وإذا ما رأيته وهو يهفو   بجناحيه حولها نشوانا
خلته عاشقاً يطوف بمعشو   ق يغنيه حبه ألحانا
يا له من هوى يؤلف ما بيـ   ـن الغريبين خلقة ولسانا
يا لهذا الغناء ترسله الرو   ح ، فيلقى من إلفها ترجمانا

حين يأتى المساء كان يغنى   فيثير المنى بحلو التغنى
فتناغى شقيقها كل نفس   وتناجى رفيقها كل عين
وهى مسحورة تضم من الشو   ق فراش الهوى ، ومهد التثنى
فإذا ما انتهى من الشد ونامت   وبأعماقها صدى كل لحن
ثم راحت تهيم فى عالم السحـ   ـر ، ودنيا الهوى ، وأفق التمنى
حيث تحيا كما تشاء الأمانى   حين يسمو بها الربيع المغنى

وإذا ما الصباح هلّ عليها   وهفا قلبه الرقيق إليها
فاستفاقت من حلمها غير ذكرى   لم تزل تستكن فى ناظريها
أرهفت سمعها فطارت من البلـ   ـبل أنغامه إلى مسمعيها
فإذا قلبها يحركه الشو   ق فيذرى الدموع من مقلتيها
وإذا ما استراح قامت إليه   وهى مسحورة تمد يديها
فغذته بالحبّ من راحتيها   وسقته بالماء من شفتيها

هكذا ظلت الحياة زماناً تتجلى سعادة وأمانا
وتمد الحسناء بالحب والشو ق ، فتفتنُّ في الأماني افتتانا
غير أن الزمان من شأنه الكيـ ـد ومن ذا الذي يكيد الزمانا ؟
والليالي إلى المودة آناً والليالي إلى العداوة آنا
وأرى العمر ساحة ينبت الدهـ ـر عليها نباته ألوانا
فهو إن شاء ينبت الفرحة الكبـ ـرى ، وإن شاء ينبت الأحزانا

في مساء من أمسيات الشتاء تدرك النفس فيه معنى الفناء
وتنوح الرياح نوح الثكالى فتضج الجبال بالأصداء !
أخذ البلبل الجميل يغني أغنيات تهيم في الظلماء
وإذا صوته يسيل دموعاً فكأن الغناء رجع بكاء
أتراه يُحسّن خطو المنايا حين تسرى بركبها في المساء ؟
أتراه يرى الحياة تهاوى في وهاد سحيقة الأرجاء ؟

وأتاها الكرى مثير الخيال فانتشت روحها بخمر الليالي
فرأت في منامها أن نسراً محكم الخلق ، مدمج الأوصال
أبصر البلبل العزيز يغني وهو يمضي محلقاً في الأعالي
فانثنى نحوه ، فأنشب فيه مخلباً حده كحد النصال
ومضى مصعداً ، وللبلبل الشا دى صريخ يفنى كطيف الخيال
فجرت خلفه تولول حتى أبصرته يغيب خلف الجبال

وتراءى الصباح جهم المحيا تعصف الريح فيه عصفاً قويا
فاستفاقت من نومها وهي تشكو ألماً كامناً ، وحزناً خفيا
أرهفت سمعها لتسمع منه نغمة حلوة ولحناً شجيا
لم تجد صوته ، فهبت من الرو ع تنادي من ليس عنها قصيا
فإذا البلبل العزيز المغني جمل الموت صمته أبديا
وجمت ساعة ، وفي القلب منها حُرقات تطوي الجوانح طيا

وجرى دمعها فأنت أنيناً يجعل الموت خاشعاً مستكينا
ثم راحت تضمه في حنان وتنادي به نداء حزينا :
أيها البلبل العزيز أما تبـ ـصر قلبي يسيل دمعاً سخينا ؟
كنت في هذه الحياة طليقاً كيف أمسيت للفناء رهينا ؟
سوف تبقى معي هنا أبد الدهـ ـر ، وإن كنت تستثير الحنينا
سوف تحيا ذكراك في قلبي البا كي ، وإن كنت في التراب دفينا

لم يا بلبلي ارتضيت الفراقا فشببت الحنين والأشواقا ؟
ما لهذا الظلام يغمر نفسي فيبيد الضياء والإشراقا ؟
ما غناء الحياة من غير إلف يجعل القلب واثباً خفاقا ؟
سوف أبكيك طيلة العمر حتى يأتي الموت مسرعاً سباقا
سوف أمضي مع الحياة بقلب ليس يبغي من الهموم انطلاقا
كلما مرت الليالي عليه لم تزده إلا هوى واشتياقا

دفنته — وليس ذاك عجيباً — حيث قضّى حياته تطريبا
كيف ترضى بأن يكون بعيداً ؟ كيف ترضى بأن يكون غريبا ؟
فإذا أقبل المساء تراها تؤثر الصمت أو توالي النحيبا
وترى طيفه يغني مُهيباً فإذا قلبها ينوح مجيبا !
وإذا أقبل الصباح تراها تسأل الليل أن يعود قريبا
لترى حولها من الصمت والوحـ ـشة ما يشبه الفناء الرهيبا

لم تزل هكذا زماناً طويلاً وهي تزداد من أساها نحولا
وتنادى الفناء حتى أتاها عاصف الداء من لدنه رسولا
ثم جاء الفناء يسعى رهيباً فطواها ، وسار عنها عجولا
فثوت في مكانها حيث كانت تسمع البلبل العزيز الجميلا
وتلاقى الروحان بعد افتراق في مكان لما يزل مجهولا
ومضى عنهما الزمان ، فصارا قصة للوفاء ، تُروى فصولا

إبراهيم محمد نجا

صلاة

للأديب رشيد ياسين

رب أنزل على ضميري السكينه وقني هاجسات نفسي اللعينه
واطو ما تنشر الرغائب من جور وما يخلق الهوى من ضغينه
وأنر لي دربي ولا تنس عبداً تائهاً في الظلام يقفو ظنونه
واغتفر عثرتي فما كنت شيئاً غير ما شئت — خالقي — أن أكونه
أنا ما كنت غير رسم شقي أنت ظللت بالهوان جبينه !
طينة صورت — كما شئت — قلباً مستبداً ، وعزمة موهونه ..
أعلى ما برت يداك يقاضى عدلك السرمدي تلك الطينه ؟!

(بغداد) رشيد ياسين



تنسيق الزهــور

للدكتور أحمد موسى

ليس من الغريب أن يكون تنسيق الزهور فناً ، ولكن الغريب أن يتصور البعض أن الأزاهير وما يتعلق بتنسيقها لا يهم إلا فريقاً معنياً من الناس ؛ والحق هو أن هذا الفن الذى قد يبدو ضئيلا عند النظرة الأولى يهم كل مثقف وكل متعلم ، لأن الاستمتاع بمرأى الزهر فى أكمل وأجمل صورة له من شأن الراغب فى التذوق ، ولا يوجد مثقف أو متعلم لا يرغب فى هذا التذوق ! .

والتذوق فى ذاته لا يتم إلا بدراية الفن ولو فى أبسط معانيه وصوره ، لذلك نمنى فى هذا المقال بإيضاح الموضوع بغية الوصول إلى النتيجة المرجوة التى تتلخص فى فهم الوسائل والطرق التى يسير الناس عليها فى تنسيق الزهور فى بيوتهم وفى حجرات جلوسهم وغرف استقبال ضيوفهم ، ينظرون إليها على اعتبارها جزءاً متمماً للجو البيتى الذى ينشدون فيه الجمال .

ولتذوق جمال الزهر تاريخه القديم وتاريخه المتوسط وتاريخه الحديث ، ولكننا لسنا فى مجال تاريخ الفن فى هذه المرة وإنما نحن فى معرض تذوق جمال الزهر نتيجة تنسيقه ؛ فإذا رجعنا إلى معابد المصريين ومقابر ملوكهم رأينا عجباً ، ففى ممفيس وطيبه ودندره وأبى دوس وغيرها مناظر تسجل افتتان المصريين بالزهر وإمعانهم فى تنسيقه .

ولا يقل الحال شأناً عند الإغريق الذين اتخذوا من وحدات الزهر والنبات مادة لزخارفهم ونقوش مبانيهم ، والرومان من بعدهم لم يكونوا أقل اهتماماً من أساتذتهم .

والمستعرض للفن الإسلامى يجد فيه الكنوز الحافلة بما يسجل عشق المسلمين للأزاهير ، وفى أشعارهم القدر الكافى مما يؤيد ذلك ، وحتى فى غزلياتهم كانوا يقتبسون من حسن قوام الغصن ولون الزهر صفات طبقوها على المحبوب اعترافاً منهم بما للأزاهير من جمال وبهاء .

فكأننا أمام موضوع له خطره وله قيمته ! وعليه فلا بد لنا من أن نعرف كيف نحب الزهر وكيف ننسقه ثم كيف نحافظ عليه منتعشاً أطول مدة ممكنة .

والذى يجب أن نعرفه مبدئياً أنه لا يشترط لجمال الزهور بادية فى أجمل وضع لها أن تكون سيقانها موضوعة داخل زهرية جميلة فى ذاتها ، أو قيمة من ناحيتها المادية ، ذلك لأن من الجائز جداً أن تكون المشكاة بسيطة التكوين قليلة الألوان ليس فيها ما يبهر النظر ، ومع هذا تكون مناسبة لإبراز معالم جمال الزهر ولفت حاسة الانتباه إليه ، وهذه مسألة فاتت الكثيرين الذين يضعون الزهر فى مشكاة ثمينة رائعة الألوان ؛ فيطغى جمال الصناعة على جمال الطبيعة ، ويكون الإعجاب والاستمتاع موزعاً .

وربما كانت أبسط القواعد لمعرفة طبائع الزهر وأنواعه وعلاقة لونه بتأثيره فى مكان أو ركن معين من البيت خير رائد لنا للوصول إلى الغاية .



ش ١ — رى البستان ، عن صورة حائطية بإحدى مقابر طيبه — الدولة الحديثة

فما لا شك فيه أن لون الحائط خلف الزهرية ولون المائدة وكذلك لون الزهرية نفسها ، كل هذه الألوان متجمعة تلعب دوراً هاماً فى إظهار الورود والزهور فى أجمل صورة وأقوى وضع لها ، أو على النقيض تبعد النظر عنها وتضعف من قيمتها .

هذا إلى جانب الدور العظيم الذى يلعبه الضوء بقوته حيناً وضعفه حيناً آخر ، إلى جانب وقوعه على الزهر مباشرة أو انحرافه عنه .

وإذا كان لون الحائط والمائدة ، والنور وزاوية وقوعه على الأزهار ذات أثر بالغ ، فما لا نزاع فيه أن مساحة الحجرة ومساحة المكان المخصص للأزاهير لا يمكن إغفالها ، وهذا معناه أنه لا يجوز وضع مجموعة كبيرة من الزهور فى حجرة صغيرة والعكس بالعكس .

وعلى ذلك تكون القاعدة الأولى هى التنسيق والتناسب مع المكان وليست غنى المظهر ، وأنت تعلم أن شقة حجراتها ممدودة فى نظام فنى ، خير من مبنى متسع الأرجاء لا نظام فيه ولا ارتباط بين أثاثه .

وربمـا كان من الضرورى أن نذكر أنه لابد من اختيار الأزهار ذات الألوان المنسجمة مع طراز الأثاث ولونه ، وهـذا القول وإن بدا على شىء من الغرابة فإنه صحيح ، فإذا وضعت زهر عباد الشمس وهو شديد الصفرة متوهجاً ، داخل حجرة أثاثها من خشب القرو وهو ذو لون باهت أقرب إلى الصفرة ، فإنك تجد هذه الزهرر الجميلة قاترة ضئيلة على الفور ، على نقيض وضع هـذه الزهور نفسها فى حجرة أثاثها من خشب الماهاجونى الداكن اللون ، على مائدة تعلوها سجادة داكنة أيضاً ، على أن تكون بالحجرة نافذة كبيرة يدخل منها نور قوى .

ولتكون سيقان الزهر وطولها قيمته الفنية ، وللسيقان وطولها علاقة وثيقة مع الزهرية ، فلا ينبغى وضع أزهار ذات سيقان رفيعة قصيرة فى مشكاة طويلة واسعة .

وليس من الغريب أن يكون قانون التماثل أو التناظر أو ما يسمونه « قانون السيمترى » باطل الأثر بالنسبة إلى فن تنسيق الزهور ، بل إن الخضوع له وتطبيقه يؤديان إلى التقليل من الجمال المظهرى لها ، لما ينطوى عليهما من وجوب وضع زهريتين متشابهتين فى مكانين متقابلين وما يؤدى إليه هذا من التكرار الممل

ولكل وقت من أوقات النهار ما يناسبه من الزهر ، فعلى مائدة الإفطار ذات المفارش الخاصة بها يمكن وضع زهر الجرونيا أو منقار الغرنوق Geranium والأقحوان أو كحلة الجنان Calendulas والتيولب أو الخزامى Tulips والنستوريوم أو زهر أبو خنجر Nasturiums ، وهى أنواع إذا نظرت إليها وجدت أن تأثيرها على المشاهد ينحصر فى وضعها متقاربة غير منثورة فى الزهرية ، على حين يناسب مائدة الغذاء خليط من مختلف ألوان الزهر يوضع فى زهرية واطئة أشبه شىء بطبق ، بحيث لا يحول بين وجوه الجالسين حول المائدة ، هـذا فضلا عن عدم قابلية الطبق للسقوط على المائدة أو ميله على أحد جوانبه عند أقل حركة أثناء الجلوس أو القيام . أما الأزهار الملائمة لمائدة المشاء فهذه تكون عادة ذات أغصان طويلة رقيقة تمتد رؤوسها إلى أعلى وليس إلى اليمين أو اليسار فيتخللها النور الساقط من المصابيح المثبتة بسقف الغرفة فتبدو فى أروع مظهر ، على أنه لا ينبغى أن تكون متعددة الألوان ، ولعل الورود أحسن من غيرها فى هذه الحالة .

ومما لا ينبغى الوقوع فيه وضع بعض الأوراق أو الأغصان على المفرش سواء أكان المشاء لأصحاب البيت أو لزائريهم . وقد رأينا البعض يضع لوحاً من البلور أو زهرية أمام مرآة المشجب وهذا لا غبار عليه ، ما دامت الأزهار لا تمتد كثيراً إلى أعلى فتحجب المرآة . ولون الزهرية وموضوع اختياره من المشاكل الجديرة بالدرس ، فالثابت أننا إذا نظرنا فى ضوء الشمس الساطع إلى الأزهار ذات اللون الأحمر والأزرق والأصفر وإلى جانبها جميعاً اللون الأخضر وهو لون الورق والأغصان والحدائق والحقول ، فإنها عندئذ تبدو فى حلتها الطبيعية ، حالة كونها تبدو على نقيض ذلك فى النور الخافت نهـاراً والضوء الضعيف ليلا ، ونجد أن لونها ليس طبيعياً ، وعلى ذلك يجب مراعاة هـذه العوامل عند التنسيق . واللون الأصفر مما يناسب معظم الحجرات والأماكن ، وهذا هو السر فى أن معظم العارفين يتخيرون الكالندولا أو كحلة الجنان فى غالب الأحوال ، على حين نجد أن الزهور الزرقاء مجردة عن رونقها فى الأركان القليلة النور ، وهذا لا يمنع من اعتبارها جميـلة ذات تأثير محبب إلى النفس متى وضعت بالقرب من شـباك يدخل منه النور القوى ، أما فى الليل فهى تفقد رونقها وتبدو كالحة اللون رمادية أو سنجابية .



ش ٢ — سيدة جالسة إلى جانب شبا كها المنسق بالأغصان والأزاهير

على أن أوراق الشجر وأغصان الزهر تلعب دوراً هاماً بوضعها إلى جانبها ، فالالتفات إلى إيجاد الانسجام بين هـذه الأوراق

والأغصان وبين الأزهار نفسها أمر لا مناص منه . فوضع الورق الأخضر الداكن إلى جانب الأزهار الباهتة بحيث لونها ، كما أن وضع الورق الباهت إلى الزاهى من الأزاهير يضعف من رونقها وكأننا أمام قاعدة ثابتة تتلخص فى وضع اللون السمنى إلى جانب الأحمر الداكن ، واللون الأبيض إلى جانب الرمادى . واللون الوردى إلى جانب الأبيض !

ومما لا يحتاج إلى بيان أن ذوى الذوق الجميل يجدون الفرصة مواتية للتصرف حسب ما يمليه الذوق عليهم ، فتكون لديهم المقدرة على حذف زهرة وإضافة أخرى أكثر انسجاماً . هذا إلى جانب مايكتسبه المرء من المران والاختبار للوصول إلى الغاية المثلى .

مما تقدم يمكن أن نصل إلى القول بأنه إذا أريد تنسيق بعض الأوراق الخضر مع الزهر الأحمر والأصفر والأبيض فإنه يجب والحالة هذه الاعتناء التام باختيار الوضع الملائم لكل منها فى الزهرية ، ذلك لأنك إذا وضعت الأزاهير الحمراء حول المجموعة تجد أن النظر لا ينتقل منها إلى الأزاهير الداخلية بل ينصرف عنها إلى خارجها لشدة لونه وقوة شخصيته .



ش ٣ — أنموذج للانشاء الفنى لتنسيق الزهر

ومن بين الأزهار ما يبدو فى أجمل صورة له عند ما يكون مستقلا قائماً بنفسه إذ استغنينا بضع أوراق خضر تعين المشاهد على التركيز المنظرى . والزهور كائن حى رقيق الحس ولذلك لامناص من معرفة بعض القواعد عن كيفية قطفها ومعاملتها والمحافظة عليها أطول مدة ممكنة فيطول بذلك أمد الاستمتاع بها .

فأنسب وقت لقطفها وقت بزوغ ألوان الفجر أو عند الصباح الباكر وقتما تكون قطرات الندى قد رصعت تيجانها وبدت فوقها كحبات اللؤلؤ . أما القطف فلا يكون كما اتفق بل نلاحظ فيه أن تكون السيقان طويلة بقدر الإمكان ليمكن تنسيقها حسب الإرادة ووفقاً لعمق الزهريات التى ستوضع فيها والأوانى المخصصة لها.

كما ينبغى عدم تجريدها كلية من أوراقها تمهيداً لتنسيقها . والقطف لا يكون قاصراً على الزهور المفتحة فحسب بل يجب أن يشتمل على درجات النضوج الثلاث وهى بدء التفتح وتوسطه وكماله ، كما أن من الأوفق كثيراً استخدام المقص المخصص لهذا الغرض أو على الأقل استعمال سكين حادة ، على أن يكون القص أو القطع مائلا كثيراً بقدر المستطاع وليس قصاً أو قطعاً أفقياً وذلك لتمكين ساق الزهر من امتصاص الماء وهو غذاؤه داخل الزهرية .

وأول عمل نجريه عند وصول الزهور إلى البيت هو غمرها فى الماء البارد داخل إناء كبير يتسع لها دون ثنيها أو كسرها بحيث يصل الماء قمة العنق ، مع تركها بعض الوقت بحالتها هذه فى مكان قليل النور رطب الهواء بقدر المستطاع .

ولا يتسع المجال لذكر كل أنواع الزهور ومعالجتها بالوصف الخاص — والإجمال لا يخل بالموضوع ما دمنا نستعرض أكثر الزهور استعمالا ، فزهر الخنجر Gladiolus يقطع بمجرد بدء الزهرة الثانية على الساق فى التفتح ، لأن البقية تتفتح بعدئذ فى ماء الزهرية خلال الأسبوع الذى تعيشه فى البيت . وعند ما يلاحظ أثناء تغيير الماء — وهو أمر لازم يومياً — أن نهاية السيقان قد أصبحت لينة لزجة ، فإن الضرورة تقضى بقص هذه النهاية بعد عصر الساق .

أما زهرة الداليا Dahlia فهى من الزهور الطويلة العمر إذا قطفت عند ما يقرب تفتحها من الكمال ويكون القطف فوق الوصلة مباشرة حتى تكون الساق مفتوحة من أسفلها ، فلا تقابل الماء عقبة أثناء مروره للتغذية .

وفصيلة السوسن أو الزنبق Irises تقطع عند ما يبدأ أول زر فى التفتح ، وذلك لأن التى قد تفتحت يوماً أو يومين قبل القطع تكون قصيرة العمر .

والورود تقطع بسيقان طويلة بقدر الإمكان ، بعد ترك جزء

من ساقها فى الأرض لاستكمال نموه . ويضع بعض المغرمين بالأزاهير قطعة من الفحم النباتى فى قاع الوعاء ليكون الماء عذباً أطول مدة ممكنة . وهناك فريق يضع قرصاً من الاسبرين لإنعاش الزهر . وغير هؤلاء وهؤلاء نجد من يمزج فنجاناً من السكر على لتر ماء توضع فيه زهور الكرزانتيم فتظل حافظة نضارتها أسبوعاً كاملاً .

أما ضرورة قص أطراف السيقان يومياً إكمالاً لعملية تغيير الماء فهذه مسألة يعرفها معظم الناس ولكن هناك ما يدعو إلى التنبيه وهو أن عملية القص يجب أن تجرى تحت حنفية الماء مفتوحة يتدفق ماؤها على السيقان حتى يحول هذا العمل دون دخول الهواء إلى ساق الزهر فيقضى عليه . ولا يصح وضع الكثير من الزهور فى زهرية ضيقة العنق لأنها بهذه الكيفية تختنق إذ لا يمر الهواء من بينها ولا يستطيع الماء الوصول إلى قممها .

وأنواع الزهريات كثيرة وألوانها متباينة وطرزها بين قديم وحديث لا حصر لها ، فالعبرة بحسن الاختيار والتفرقة بين ألوان الزهر وبين ألوان الزهريات ووضع ما يلائم واحدة منها فى مكانها المناسب لها . وكلما كانت الزهور رقيقة كانت الأوعية الزجاجية الرفيعة أكثر صلاحية لها .

والفن داخل البيوت موضوع قديم عند كل الأمم المتمدينة وإن يكن حديث عهد فى بلادنا ، وهو فى وقتنا الحاضر يتلخص فى البساطة والبعد عن الزخرفة والزركشة والازدحام ، مما أدّى إلى الاستعانة بالزهر على تجميل البيوت ، التى إن عرفنا كيف نجملها لما احتملنا البعد عنها .

ويستعين العارفون بما يسمونه « الماسك » أو القابض على سيقان الزهر للربط بينها لتظل فى وضعها المرغوب ، وغير هذا توجد قطع مستديرة من البلور ذات ثقوب ، وهذه القطع توضع فى قاع الزهرية التى تكون عادة متسعة العنق أو على هيئة طبق ذى قطر كبير ، وذلك لتثبيت السيقان فى أوضاعها المختارة بوضع نهاياتهـا السفلى فى تلك الثقوب . ويلعب الرمل النظيف دوراً هاماً فى المساعدة على تنسيق الزهر ، فبوضعه فى قاع الزهرية يعين على التثبيت ، فضلا عن أنه لا يعوق وصول الماء إلى السيقان لتغذية الزهر الذى يكون غالباً من النوع الرقيق القصير كزهرة البانسى Pansies والفيوليا ويسمونهـا زهرة الثالوث وهما من فصيلة البنفسج ، وزهرة الزعفران Crocuse وزنبق الوادى Lillies Of The Valley . على أنه لا ينبغى أن يبدو الرمل ظاهراً أمام عينى المشاهد .

ومما نحسد عليه بلادنا العزيزة أن الزهر لا ينقطع طوال أيام العام على حين نجده فى أوربا نادراً لا سيما فى الشتاء القارس . والعقبة التى تصادف هواة الزهر فى الأقطار الشرقية هى سرعة ذبوله فى الأوقات الحارة ، ولكنا إذا عالجناه كما ينبغى أمكن البقاء عليه مدة كافية .

وكقاعدة عامة نقول أنه كلما قل الزهر عدداً وحسن تنسيقه كلما كان مظهره بسيطاً جميلا . والعجيب أن نجد الفنان اليابانى يأبى إلا أن يسير على هذه القاعدة ؛ فتراه حتى فى لوحاته المصورة لا يأبه إلا بغصنين أو غصنين تعلو كلا منهما زهرتان ، يصورها فى أروع ما يكون من الجمال وحسن التنسيق وإبداع الإنشاء الفنى



ش ٤ — حجرة الطعام وقد ازدانت بمجموعات ثلاث من مختلف الازاهير

وإذا كان القارىء من المحظوظين الذين يمتلكون بستاناً ، فإن عليه أن يختار الأغصان ذات الانثناءات ، فهى فى الزهرية تكون رشيقة كالحسناء ذات القوام المشوق ، وتبدو الأغصان مائلة بعضها نحو بعض كأنها تتحدث حديث حب وغرام .

فأغصان الرمان المزهر وأغصان الليلك (لعلى) Lilac والكمثرى لها تكوين ساحر خلاب يحمل أزاهير يانعة رقيقة إن تأملتها عن كثب زدت إعجاباً بقدرة الخالق وعلمت بأن الطبيعة هى أم الفن وأننا مهما أوتينا من العلم فلن نصل إلى قطرة من ذلك الخضم اللانهائى

أحمد موسى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أحاديث الرهبان في قصص العريان :

دأب الأستاذ محمد سعيد العريان ، في قصصه التاريخية ، على اللجوء إلى ما يرجى عنده معرفة الحوادث قبل وقوعها ، من التنجيم وأحاديث الرهبان ، واستخدم الأحلام استخداماً غير طبيعي ، وقد تعقبته في هذه النقطة بالرسالة غير مرة ، ففي قصة « قطر الندى » جعل المربية العجوز تحلم وتموت دون أن تفضي إلى أحد بحلمها ، وذكر تفصيل الحلم ! وفي قصة « شجرة الدر » أنطق المنجم بما وقع فعلا ! وصنع شيئاً من ذلك في قصة « على باب زويلة » .

وأخذت عليه كل ذلك ، وقلت فيما كتبته عن « شجرة الدر » : إن كان لا بد من الاستعانة بالتنجيم في تصوير البيئات والعصور التي كان للتنجيم فيها شأن وذيوع — فإني أرى عند الإتيان به أن تسلط عليه أشعة تكشف أباطيله أو تشكك فيه على الأقل .

وكأن الأستاذ أراد العناد . . . فتوسع في ذلك المجال بقصته الجديدة « بنت قسطنطين » التي حلل بها شخصية مسلمة بن عبد الملك وما أحاط به من ظروف وسبب عدم توليته الخلافة على رغم جدارته بها ، وصور فيها البطولة العربية وجهادها الرائع بين سواحل الشام وثغور الروم ، فبلغ الغاية في التحليل والتصوير .

فإنه لم يكد يمضي في هذه القصة حتى ساق رجلين من أبطالها ، هما مسلمة والنعمان بن عبيد الله أحد المجاهدين ، إلى راهب بأحد الأديار ، وكان مسلمة يعد العدة لفتح القسطنطينية ، فيقول له الراهب فيما يقول : « يدنو (يعني مسلمة) حتى يكون قاب قوسين ، فيقف بين بين ، ثم يفلتها بعد الأين ؛ بينه وبين ما يأمله مئتان ومئتان وثلاثمئة ؛ ثم يكون ما أراد ، حين لا متاع له بشيء من ذلك الزاد ، إلا عين جارية ، وسيرة باقية ؛ ويذكر أبو أيوب ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مراد ! .. »

ثم يحاصر مسلمة القسطنطينية حتى يكاد يفتحها ، ولكنه « يفلتها بعد الأين » وبعد سبعمائة سنة (٢٠٠ و ٢٠٠ و ٣٠٠) يفتحها محمد بن مراد العثماني !

وليس هذا وحسب ، بل ينبيء الراهب عما يقع من الحوادث في القصة بعد ذلك ، ويكون حديث الراهب محوراً يدور عليه الحوار فيما يأتي بعده .. ويتصل بهذا المحور محور آخر ، هو تلك الرؤيا العجيبة التي رآها مسلمة والنعمان في وقت واحد وفي طريق واحد وعلى صورة واحدة (كنسختين بالكربون) !

والأستاذ العريان يتخذ ذلك ، لحبكة السياق ، ولإبراز الخواطر التي تختلج في نفوس أبطال القصة ، ولبث بعض الطلاوة في الحوار . ولا أثر لذلك الصنيع في القصة غير هذه الأغراض وما يشبهها ، أما بناء القصة فهو قائم بغير طلائه ، وحوادثها جارية لا يعوقها منه شيء ؛ وقد يتأتى للأستاذ أن يحقق تلك الأغراض ، من حبكة السياق الخ ، من غير تلك الخرافات ... وأما أسأله أخيراً : هل يعتقد صحتها ؟ ولا أنتظر منه جواب هذا السؤال فهو معروف ، وإذن فلم يحشوها ، كأنها حقائق مسلم بها ، في قصص مؤلف من وقائع الحياة فيما مضى ، وتخيل ما يماثل هذه الوقائع ؟

وغاية ما أرجو أن يخلو من ذلك ما يؤلفه بعد من هذه القصص التي يجلو فيها التاريخ في صور من الفن الممتع . وأنا لم أتعب من تعقبه ، ولن أتعب ما أمهلتنا الحياة .

الجيل الجديد :

تلقيت كتاباً من الأديب صبري حسن علوان ، فأذكر أولا أنني اغتبطت بما تضمنه من الثناء على « الأدب والفن » ولا داعي للرياء ...

وأقول ثانياً إنني استبشرت به ، لأنه يعزز أملي في الجيل الجديد على الرغم مما يبدو من عوامل اليأس . وصبري طالب في الجامعة قد « عدت له عجلة الحياة من السنين ثمانية عشر ولما تتم دورتها الأخيرة » وهذا نص تعبيره في كتابه . وقد حدثني في بعض

الموضوعات الأدبية حديثاً يدل على فطنته وحسن تذوقه ، كما يدل على أن الجيل الجديد — إن كان لصبرى أمثال كثيرون - مفتح عينيه لما يجرى الآن فى الحياة الأدبية ، فهو يقول إنه يقرأ «الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية فيرى فيها شيئاً لا يرتاح له .

نعم إن النشر ليس مقياس الجودة . ولكن الذى يستحق التنويه أن الأسماء التى لها سابقات فى الأدب والفن تأتى بالغث المزيل الذى تأباه الأذن وتضيق عنه القلوب .. ! »

وأفسح قليلا لهذه الملكة الناقدة المتفتحة ، فأنقل النقد الآتى بنصه كما جاء فى ذلك الكتاب :

« ومن الأسماء المشهورة ما قاله أحدهم عن « ذكرى شهداء فلسطين » فى جريدة الأهرام .

لسنا بمن يذرى الدموع على الدم بل نحن أبناء المنايا فاعلم

كأنى به فى كتاب من كتب العلم القديمة يقول مؤلفه : فاعلم وفقك الله أن ... وأن ... والله أعلم !

ثم يقول بعد أبيات :

ظلم (اليهود) الناس ثم تظلموا منهم فن للظالم التظلم ؟!

إن قلبى الذى كان يتوقع النور من الفن أحدق به الظلام حتى إنه تظلم إلى الأدب والفن .. من تكرار الظلم المرذول . إنه يخيل إلى أن كلمة « ظلم » هذه تمن على اليهود بشىء من الرحمة والرأفة »

وقد تلقيت عدة رسائل يشكو أصحابها من « عدم النشر » وكل ما عندى فى هذا الموضوع قلته فى العدد (٧٩٠) من الرسالة غير أنى رأيت بعضهم كالأديب كيلانى حسن سند « يتواضع » فيفرض أن من لا ينشر له جهل نفسه فرفعه حب الشهرة إلى معالجة فن لا يحسنه ، ويقول : « ألم يكن من الخير له وللأدب أن ترشدوه وتوجهوه وتعرفوه حقيقة المنبع الذى تفيض به نفسه ليستغله وينتفع به ؟ » .

فهل من العمل الصحفى — فى الأدب وفى غيره — أو هل من مهمة الكاتب ، الإرشاد الشخصى ؟

نعم إن الكاتب يتناول الظاهرة العامة ويكتب فيها للجميع ، أما أن يتناول الأفراد واحداً واحداً فيوجه هذا ويرشد ذاك ، فهذا من عمل المدرس الخاص ، وأظنك وقفت فى الأسبوع الماضى على رأيى فى الدروس الخصوصية ، ولعل المطالبة بالإرشاد من آثارها ..

والذى لا يعرف أين يتجه ، مما يقرأ ويشعر ويلاحظ ، فليرح نفسه .

وبعد فإن قلبى مع هؤلاء الشباب وإن كنت لا أستطيع لهم شيئاً .

دراما وكوميديا :

انضم الأستاذ يوسف وهبى بك أخيراً إلى الفرقة المصرية مديراً لها ، وهو بلا شك ممثل كبير ومحبوب لدى الجمهور ، وانضمامه للفرقة كسب لها ومدعاة لإنهاض المسرح المصرى من الغفوة التى طالت مداعبتها لأجفانه .

ذلك كله لا شك فيه ، وقد استبشر محبو المسرح بالنشاط الذى أبداه يوسف وهبى فى مفتتح هذا الموسم ، ولكن ذلك اقترن بحركة دعاية واسعة ظفر منها يوسف وهبى بنصيب الأسد ، فقد ملأت أحاديثه الرنانة أنهار الصحف والمجلات ، وعاد النقاد من زياراته يكتبون الفصول فيما يوشك أن يقع من معجزات الفن ولم يكتف هو بذلك ولا بالإعلانات التى نشرت فى كل مكان وقد تضمنت أن يوسف وهبى يقوم فى رواية « سر الحاكم بأمر الله » بدوره التاريخى العجيب ، فرأينا بالصحف فصلا يتضمن نبأ افتتاح الفرقة موسمها ، موشى بتمجيد بطل الرواية مدير الفرقة فى دوره العظيم ، وقد نشر فى عدة صحف بنص واحد .

ولو أن الأستاذ يوسف صاحب فرقة خاصة لكان له أن يعلن عن نفسه كما يريد .. ولكن الفرقة المصرية لها كيان مستقل ، وهو موظف فيها ، والمال الذى ينفق فى الدعاية من خزانتها ؛ فأين هى وما نصيبها من كل هذا الطبل والزمر ... ؟ ولنفرض أنه تركها وقد طغى عليها بالدعاية لنفسه ، فكيف يكون حالها ؟

هذه هى « الدراما » أما « الكوميديا » فهى أن الأستاذ يوسف وهبى معروف بظهوره فى الأدوار المنيفة وتمثيل الشخصيات الكبيرة ، فيخطب ويبطش ويكتسح .. وهذه الطبيعة متأصلة فيه ، ومما يدل عليها أنه لما جاء إلى الفرقة المصرية جعل يبحث فى محتوياتها حتى عثر على رواية (مركونة) كانت قد فازت فى مسابقة قديمة ، وهى رواية « سر الحاكم بأمر الله » فوافقت هواه ، إذ رأى فيها ما يوصله إلى القمة ... فطالما كان زعيما وعبقريا

ومصلحاً كبيراً ، ولـكن كل ذلك كان فى حدود « البشرية » أما فى هذه الرواية فيمثل الحاكم بأمر الله الذى ادعى الألوهية ... وهكذا يصل الممثل الكبير إلى نهاية الخط ...

المشاكل الدولية :

كانت الإذاعة تقدم مساء الأحد من كل أسبوع ، الأستاذ محمد رفعت بك ؛ ليعقب على الشؤون الدولية فى سلسلة أحاديثه « مصر تطل على العالم » وقد رؤى أخيراً أن يتناوب معه فى الحديث عن هذه الشؤون الدكتور محمد عوض محمد بك أسبوعاً بعد أسبوع .

وقد بدأ الدكتور عوض بك يوم الأحد الماضى ، فتحدث عن المشاكل التى تشغل بال مصر وبال العالم فى هـذه الأيام ، فتناول أولا مسألة فلسطين من حيث غدر اليهود فى الأسبوع الماضى بحشد قواتهم فى الجنوب ومحاولة الهجوم على الجبهة المصرية ، فقال إنهم أرادوا بذلك أن يستولوا على جنوب فلسطين، فإن تم لهم ما أرادوا زحفوا شمالا . ولـكن القوات المصرية أحبطت خطتهم وحطمت آمالهم فردتهم على أعقابهم خائبين مدحورين . وقال إننا نستخلص من ذلك أمرين ، الأول أن ما يهولون به من استعدادات اليهود وقوتهم ليس بشىء إزاء القوة العربية ، فقد جمعوا كل ما أمكنهم جمعه فى هذه المعركة فلم يستطيعوا شيئاً . الأمر الثانى أن اليهود سيدأبون على الغـدر فيجب أن نعمل حساب غدرهم فى كل وقت ؛ وهم يعلمون أن هيئة الأمم المتحدة لن تستطيع أن تمنعهم ما دامت غير مستندة إلى قوة عسـكرية ، والأمم الغربية لا ترضى أن تبعث إلى فلسطين بقوة عالمية فيها روسيون .

ثم تحدث عن مشكلة برلين ، ومما قاله فيها إن الدول الغربية لما لم تستطع الاتفاق مع روسيا عرضت الأمر على مجلس الأمن ، ومعنى ذلك أن الدول الـكبيرة عجزت عن التفاهم فاحتكمت إلى الدول الصغيرة . .

وبعد أن تحدث عن مشـكلة إضراب العمال فى فرنسا ، لم يفته فى ختام الحديث أن يهنىء هيئة الأمم المتحدة بعيد ميلادها الثالث ويتمنى لها أطيب التمنيات ... وقد نطق هـذه العبارات الأخيرة بنبرات صوت تدل أبلغ الدلالة على انصراف القلوب عن هذه الوليدة الـكسيحة ..

مسابقة المجمع اللغوى الجديدة :

وافق مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسة يوم الاثنين المـاضى — على نظام المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ الذى وضعته لجنة الأدب ، وتشمل هذه المسابقة البحوث الأدبية والقصة ، ولم يدخل فيها الشعر كما كان فى مسابقات السنوات الماضية ، إذ رأت اللجنة إبعاده حتى يجدّ فى آفاقه ألوان جديدة. وقد جعلت مسابقة القصة لجميع أدباء العرب ، وخص بالبحوث الأدبية أدباء وادى النيل ، وقد عدل هـذا التعبير بعد أن كان « أدباء مصر والسودان » على أثر مناقشة طريفة قيل فيهـا إنه لا ينبغى أن يتوهم متوهم أن السودان قطر آخر منفصل عن مصر كما أن فى شمول المسابقة لأدباء وادى النيل توكيداً لمعنى الوحدة ، وكان ذلك بمثابة تحية للعضو السودانى الزائر الذى حضر الجلسة وهو السيد عبد الله عبد الرحمن الأمين .

وقد خصصت للبحوث الأدبية ستمائة جنيه ، مائتان لـكل بحث من البحوث الآتية :

١ — أحسن تحقيق لـكتاب عربى قديم وضع على أساليب النشر الحديثة سواء طبع أم لم يطبع .

٢ — أحسن دراسـة لرفاعة بك الطنطاوى وأحمد فارس الشدياق ومحمد قدرى باشـا وأثر كل منهم فى وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

٣ — أحسن بحث فى نقد الشعر العربى من منتصف القرن التاسع عشر إلى الآن ، ولا يدخل فى ذلك نقد الشعراء الأحياء .

وخصص مائتا جنيه لقصة تدور حول أحد الموضوعات الآتية:

١ — بحث مشـكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب .

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

وسيذيع المجمع بعد قليل بياناً للمسـابقة يتضمن شروطها ومواعيد التقديم وما إلى ذلك .

عباس خضر



انت في واد وأنا في واد :

عاد الأستاذ أحمد عادل يرغبنى بالإسلام ويحببنى به بانتقاد الإنجيل ، ثم بتسفيه بعض أقوال المسيح ، ثم بالطعن بالنصرانية ثم بالتقريع بزعماء النصارى — ذلك فى رسالة لى منه أشغلت ١٢ صفحة ، ومن أصعب الأمور قراءة خطها السقيم . وفى النبذة التى نشرتها « الرسالة » لى قبل العدد الماضى أفهمته بالمقول وبالمفتوح أن دينى يمتاز على جميع أديان البشر بأنه يقال بكلمات معدودة : الله محبة ، وهو يأمرنا بأن نحب بعضنا بعضاً ، وأن نسامح بعضنا بعضاً ، وأن نغفر لمن أساء إلينا . هذا هو الدين الإنسانى العملى الذى لو عمل به كل فرد من الأنام لما وجد من يضربك على خدك الأيمن لكى تحول له الأيسر ، ولا وجد من يسىء إليك لكى تسامحه وتغفر له ، ولو صار كل الناس من هذا المبدأ وساروا عليه لانتفت الخصومات من العالم وتعطلت المحاكم وأقفلت دور الشرطة وانطفأت نيران الحروب .

هكذا أعتقد ، وهكذا أجتهد أن أسلك فى هذا العالم المملوء آثاماً وشروراً ، فلو فهم الأستاذ جيداً هذا لما جعل يجادلنى فى الدين ، ولفهم أنى لست نصرانياً ولا مسلماً ولا بوذياً ولا مجوسياً ؟ بل أنا مسيحى بحت ، ودينى دين إنسانى يصلح لكل أمة وكل قبيلة من الناس !

وليعلم الأستاذ أحمد أن الأناجيل لا تريه صورة خالية من الشوائب عن يسوع وحياته وتعاليمه .

وكنت أظن أنى والأستاذ أحمد نعتقد عقيدة واحدة إذا جردنا الدين من الترهات والخرافات ، والمعتقدات المخالفة للمعقول فإذا هو فى واد وأنا فى واد ، فلا محل للجدال فى الدين بينى وبينه وعسى أن تكون هذه الكلمة مقنعة له ، وتغنيه عن تسويد الصفحات فى دعوته لى إلى الإسلام .

أرجو أن يعلم بعض القراء عنوانى إذا كانوا يجهلونه حتى لا يزعجوا إدارة مجلة الرسالة بتحويل رسائلهم إلى : ٢ شارع البورصة الجديدة . القاهرة

نقولا الحداد

حسين شفيق المصرى :

(كتب أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعى رحمه الله فى وصف هذا الصحفى القدير ، وكان قد كتب هذه الكلمة منذ ربع قرن يقرظ بها جريدته « الناس »)

(المنصورة) محمود أبو ريه

الأستاذ حسين شفيق المصرى الذى يمتع الأمة بهذه الصحيفة (جريدة الناس) ماجن ظريف ، لو تقدم به الزمن لتهاداه الملوك والأمراء ، فقام على بساط منشداً ، وجلس على آخر نديماً ، وتقلب على ثالث مضحكا ، وعربد على رابع ، وجلد على خامس — ولعل الله أخره إلى دهرنا رحمة به أن يأمر أحد الملوك فيملأوا فاه دراً بعد أن فرغ من إنشاده المعجب المطرب — ويشره هو إلى الثروة والغنى فيفتح فمه إلى أقصى الحلق فتدخل اللآلىء وتخرج الحياة .

وهذا الأديب فى عصرنا إنما هو بقية فن من أبدع فنون الأدب ، كان لا ينبغ فيه إلا عقول معدودة لا تقصر فى حكمة الكلام عن غاية ، ولا تتخلف فى ظرف البلاغة عن شأو ، ولا تجىء بما تأتى به إلا على الأسلوب الذى يهز النفس من طرفيها ، كأن الله قد وهبها سر القدرة على ما يعسر وما يؤلم فلا تتناول معنى إلا انشق لها عن فنون غريبة تهديها إلى ما فيه من الضحك الذى لا ينكشف إلا للنفس الشاعرة ، والتهكم الذى لا يظهر إلا للنفس الحكيمة ، والمزاح الذى لا يبدو لغير النفس الظريفة . وما الشعر والحكمة والظرف إلا أسرار ذلك الأسلوب النادر الذى لا ينقاد إلا لأعقل العقول متى أريد به استخراج المعانى المجنونة من الطرب .

فالبلاغة الظريفة الماضية التى بعضها من سياسة وخز الإبر ، وبعضها من سياسة الظهر والعصا ... قلما تستجيب إلا للعقول المبتكرة التى خلقت متسلطة على النفوس من أقرب جهاتها ، وهذه العقول لا تسرف القوة الأزلية فى خلقها ، بل هى حين ترحم الناس بها ، فتجعلها قليلة نادرة . وإنك لتجد أهنأ الضحك ذلك الذى ينفجر من القلب ولكنه إن طال انفجر القلب ، ولست أعرف تلك العقول إلا فى كبار رجال السياسة الذين يدبرون أمر الممالك ، وفى كبار رجال الأدب الذين يدبرون أمر العواطف ، وفى كبار رجال الفلسفة الذين يدبرون كل شىء ولا يدبرون شيئاً ! فمن أى أولئك نعد (حسين شفيق) هذا الذى لو تألفت من رؤوس الأدباء صيدلية لطب الكلام لكان هو(دولاب السموم)

فيها . . لا نعرف من أمثال كاتبنا هذا فى تاريخ الأدب على تقادم الزمن إلا قليلين يسمونهم أصحاب النوادر ، وقالوا إن المشهورين منهم : ابن أبى عتيق وأشعب وأبو الغصن وجحا وأبو العبر وأبو العنبس وابن الجصاص ومزيد المدنى . وهم ثمانيـة ، فإذا توسعنا وأضفنا إليهم الشعراء الماجنين أبا الرقعمق وصريع الدلاء وأبا الحكم الجاهلى والأسطرلابى وابن حجاج ، فلا نكون قد زدنا فى القليل إلا قليلا ، فإذا استقصينا بغاية الاستقصاء وعممنا عليهم بأصحاب الأجوبة المسكتة كأبى العيناء ونظرائه ، فلا نزال حيث كنا . ولايذهبن عنك أننا لا نعد إلا المشهورين الذين أوتوا ملك النادرة لا بالرقاعة والحمق ، ولكن بالأدب والبلاغة والشعر والحكمة وتوجيه كل ذلك إلى الجهة الضاحكة المسفرة من الحياة .

ثم إن لهذا الأديب بعد ذلك فضلا كثيراً على العربية إذ يمكن لها بين قرائه من العامة وهم ألوف كثيرة ، وينشر الفكاهة بمقالاته القصيرة فى أذواقهم وألسنتهم . ولا سبيل إلى إحياء العربية فى هذا العصر إلا أن نجعل العامة أشبه بالعرب الملوحين لا ينكرون الفصيح ولا يأبونه لمكان طباعهم وإن كانوا لا يستطيعونه على وجهه لمكان ألسنتهم .

(لجريدة الناس) صحيفة من الصحف ولكنها مع ذلك ناموس اجتماعى عظيم دائب فى ترقية الطباع والأذواق ، ولو أن لها من القراء عدد من عندنا من العامة لكان ذلك من فضل الله علينا وعلى (الناس) .

مصطفى صادق الرافعى

تعليق وتحقيق :

اطلعت فى عدد « الرسالة » ٧٩٨ على ما كتبه الأستاذ الداغستانى عن (شعوب القوقاز) ، فرأيت أن أنقل كلمات فى الموضوع من تعليق للعلامة العبقرى الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى (ترجمة دائرة المعارف الاسلامية) العدد ٩ ج ٦ ص ٣٤٥ :

إن الكتب المؤلفة فى القوقاس والقوقاسيين إلى الآن غير كافية ولا شافية فى الاطلاع على جلية أحوال تلك البلاد وأهلها لأن أمم جبل القوقاس كانوا أقوياء أشداء لا يسمحون للأجانب أن يطأوا أرضهم وديارهم ، ولا أن يتوغلوا خلالها بملة إجراء بحوث علمية ، واستمر ذلك إلى سنة ١٩٢٧ هـ عام انهزامهم النهائى بعد حروب دامت نصف قرن ، ولم تمض منذ ذلك التاريخ مدة تتسع لبحوث شاملة عنهم ، ولا كان هناك حافز قوى يحمل الباحثين على تجشم المشاق فى سبيل اجتلاء حقائق عن أمة باسلة قاربت حافة الفناء ، ولذا نجد كلام من يتحدث عنهم من الأجانب لا يعدو حد الحدس والتخمين إلا فى الندرة . وليس بمستبعد أن يأتى يوم يغوص فيه الباحثون على ما يتعلق بذلك الجبل ، ولا سيما لهجات القبائل التى أنجبها مهد الجنس الأبيض القوقاسى المنتشر فى بقاع الأرض ، حرصاً من هؤلاء الباحثين على تعرف صلة لغات أمم أوربة اليوم بلغات تلك القبائل القديمة .

والمعلومات الوثيقة عنهم هى ما فى بطون الكتب المؤلفة فى عهد الدولة الجركسية بمصر ، لأنها مستمدة من أبناء القوقاس مباشرة فى ذلك العهد . ثم إن لبعض الباحثين من أهل تلك الجهات بعض مؤلفات عن الجبل وقبائله تنير كثيراً من أحوال القبائل . وأبناء القوقاسيين لها أدوار تجب دراسة كل دور منها بعناية خاصة ، منها ما قبل التاريخ الميلادى إلى أقدم عهد ، ثم من أول التاريخ الميلادى إلى الفتح الاسلامى فى عهد الفاروق ، ثم القرون الاسلامية فى العهدين الأموى والعباسى ، إلى استيلاء المغول على القوقاس ، ثم صلتهم بالدولة الأيوبية ، ثم تأسيسهم الدولتين البحرية والبرجية بمصر ، ثم صلتهم بالعثمانيين قبل استيلائهم على البلاد العربية وبعد استيلائهم عليها وصلاتهم بشتى الدول فى القوقاس وغيره . وتلك مباحث متشعبة تتطلب جهوداً جبارة . ومما يجب على من يريد الإلمام بذلك أن لا يهمل المصادر الصينية وما كتبه مؤرخو الصين عن اللان والهون ، لأنه سبق للصينيين أن اتسعت رقعة حكمهم إلى الجهات الشرقية من بحر الخزر . وكذلك لا بد لمن يريد أن يعرف تاريخ القوقاسيين من الاطلاع على التواريخ القديمة التى ألفها مؤرخو بزانطة لأنها تشتمل على أخبار الأقوام الآسيوية القديمة الذين اجتازوا إلى أوربة عن شمال القوقاس أو جنوبه . وهؤلاء الزاحفون من الطريقين ما كانوا كلهم من عنصر واحد ولا كلهم أتوا من الشرق الأقصى أو من جهة الشمال ، بل كان للقوقاسيين الذين هم فى طريقهم أثر مهم فى توجيههم وقيادتهم حتى أصبحت أسماء قبائل المتزعمين على هؤلاء كأسماء لجميعهم ، وها هى اللانة من أسماء جبل القوقاس فيما حكاه ملطبرون وخونية قبيلة فرعية من القبائل الأربع للجراكسة ، والآوار قبيلة فى الجبل يقطنون فيه منذ قديم محتفظين بسحنتهم الخاصة ولهجتهم الخاصة وهم وايبر اخوان فى عداد الآص .

محمد أسامة عليبة



الطالع

قصة للكاتب الإنجليزى أمبروز روبرتسن

قال له وهو يمد له طعام إفطاره — هذه رسالة لك .

— أشكرك ولكن ما الذى أعددته لى هذا الصباح ؟

— كما ترى ، بعض الكعكيات والبيض والخبز والشاى .

وجعل يتناول الطعام وهو يتساءل ، من الذى بعث بهذه الرسالة ؟ وتأمل الغلاف ، لقد حول إليه من محل إقامته السابق . من الذى يراسله فى هذه الساعة ؟ لعله أحد الدائنين يطالبه بما له من مال . أن مثل هؤلاء لا يتركون الإنسان فى راحة أبداً !

ولكنه كان قد عزم على ألا يفسد عليه شىء لذة تناوله الطعام لكم تحسن الطهى عن أيامه السابقة . وتذكر ، كان لا يعتقد أنه سيستسيغ هذا الطعام يوماً ما . ولكن ، كم كانت دهشته عندما وجد معدته قد تهيأت له واعتادت عليه .

وانتهى من طعامه ، فقرر أن يقرأ الرسالة . ففض الغلاف وقرأ :

« سيدى الفاضل — أبعث إليك بطالعك كما أردت . وقد اختصرت من المصطلحات الفلكية قدر استطاعتى ، وجعلت رسالتى قاصرة على مستقبلك .

« حقاً أنك رجل محدود . ذلك ما أثبته طالعك . وأود أن أقول إنه قل أن أجد مستقبلاً باهراً بين من أكشف عن طالعهم مثل مستقبلك . فدعنى أهنئك تهنئة حارة .

إنى شديد الأسف لتأخرى فى الرد عليك . ولكن رسالتك كانت قد وصلتنى متأخرة ، ولعل ذلك يرجع إلى خطأ من البريد .

أخيراً دعنى أشكر الفرصة التى واتتنى لدراسة مستقبلك

المخلص ... أستاذ علم العرافة . »

كان قد انتهى من شرب قدح الشاى ، فأشعل لفافة بعد أن قدم غيرها للآخر ، ثم جعل يقرأ طالعه وهو ينفث الدخان من صدره .

« أن تاريخ ميلادك وهو ، ٤ فبراير كما تقول فى رسالتك تدل على أنك من مواليد برج « الدلو » تحت علامة « حامل الماء » ، العلامة الحادية عشرة من منطقة الأبراج . وهى علامة تصاعدية ترمز إلى الجيل المقبل ، الجيل العظيم .

«وأهم ما يميز مواليد هذا البرج أنهم لا يبالون بالتقاليد ، بل كل همهم ينصب فى البحث عن الحقائق . ولذلك تجدهم يتحلون بشجاعة لا نظير لها ، وعقلية مرنة متزنة . ويميلون إلى العمل جماعة ، وفى اتحاد متين .

« وهم مثاليون فى علاقاتهم الغرامية ، أسخياء فى حبهم ، يجودون بكل شىء فى سبيل ذلك الحب .

« ومواليد هذا البرج يفضلون الأعمال الذهنية ويبرزون فى أعمال الجيش والحكومة . وهم معرضون للنقد ، ولكنهم يواجهونه فى شجاعة فائقة . »

« واكتفى من قراءة هذا القدر من الرسالة . ثم أعطاها إلى الآخر ، فألقى عليها نظرة ، وأخيراً أعادها إليه قائلا — إنها لا تفيدنى فى شىء ، فأنا من مواليد شهر يوليو .

وتناول منه الرسالة وعاود القراءة « لقد اجتزت حياتك الأولى فى مشقة . ويبدو أنك الآن فى مركز حرج . ولكنك سرعان ما ستتغلب على المصاعب ، وتبدأ فى طلب ما تتمناه من الحياة ...

« إنك تميل إلى الناحية العلمية . والعمل الجدى فى هذه الناحية سيولد لك العجائب . لقد سبق لك أن فكرت فى ذلك ، واهتممت بالمخترعات . إن النجوم تشير إلى أنك ستقوم باختراع ما ، يغير من مستقبلك . وستأتيك الثروة بعد أن تجتاز الكثير من المصاعب . وسيأخذ منك اختراعك بعض الوقت . ولكنك

ستصبر وتصبر لأنك تدرك بأنك ستصل حتماً إلى ذروة المجد .

وعندما تعتقد أنك فقدت الأمل ويتملكك اليأس ينقلب كل شيء انقلاباً مفاجئاً في صالحك ، وعندئذ تقبل عليك الثروة ، ويأتيك الجاه .

لقد شقيت كثيراً في حياتك الأولى ، ولذلك ستحافظ على كل قرش تكسبه . وفي الحق ، فإن المال يجلب المال . وستهتم بالناحية الصناعية اهتماماً يؤدي بك إلى أن تصبح ملك الصناعة .

أما عن حياتك الخاصة ، فإن علامتك تدل على أنك في صحة جيدة . ولكنك في حاجة إلى الرياضة لتظل كما أنت . ولحسن الحظ يبدو أنك تقوم بذلك عن طريق التعود . ولكن يجب أن توجه عنايتك إلى عينيك وعنقك وقدميك والدورة الدموية في جسمك . وستنتابك بعض الأسقام وسرعان ما ستتغلب عليها . وهناك من الدلائل ما يشير على أنك ستعيش عمراً مديداً .

« وأما عن حياتك الغرامية فإن النجم يشير إلى أنك ستتزوج في خلال شهر يونيو ، وهو الشهر المفضل لك . أن حياتك الزوجية ستكون في مد وجزر ، ولكنها — على أية حال — ستغمرك بالسعادة . والنجوم تشير أيضاً إلى أنك ستكون رب عائلة وستنجب ذرية — أربعة من الأولاد — سيكون لها شأن كبير في الحياة . وستفتخر بك عائلتك ، وستعيش زوجك من بعدك ، ولكنك ستعيش حتى ترى ذريتك في أوج شبابها .

« وستسمع أثناء حياتك الطويلة عن حروب ولكنك لن تشترك وعائلتك فيها . وستتغير أحوال العالم الاقتصادية ولكنها لن تؤثر عليك .

« وعندما يحين الحين وتقابل باريك ، فالنجوم تبين أن نهايتك ستكون نهاية هادئة . أن كل الدلائل تشير إلى أنك ستموت أثناء نومك .

« وأخيراً دعني أهنئك تهنئة حارة بحسن طالعك »

وانبهت الرسالة ، وانتشرت على وجه قارئها ابتسامة فاترة . ثم أشعل لفافة أخرى ، وأخيراً ناول الآخر الرسالة قائلاً — ما رأيك في هذه الرسالة ؟

فقرأها ثم أجاب — أنها مسلية للغاية !!

* * *

وما أن انتهى من كلامه حتى سمعا صوت وقع أقدام تسير في الممر ، ثم فتح الباب ودلف منه حاكم السجن ورئيس حراسة والطبيب والكاهن . وخاطب صاحب الرسالة قائلاً — هل أنت على استعداد للقيام بنزهتك الأخيرة ؟

فأجابه وهو يرمقه بنظرة باردة عميقة من عينيه الزرقاوين — نعم ، إني على استعداد .

وسار وبجانبه حارسه الذي كان يلازمه في سجنه وقد أحاط بهما الركب حتى أدى بهما السير إلى فناء السجن في صباح يوم من شهر يونيو ، واقتربوا من تلك المنصة الخشبية التي أقيمت عليها … المشنقة !؟

(الاسكندرية) **محمد فتحي عبد الوهاب**

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠١ — الاثنين ٨ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٣٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

[illegible]

16 em Année No. 801

Lundi — 8 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٦٨ — ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبـــة

كنا فى سنة ١٩٢٠ نسكن حى غمرة فى شمال القاهرة ؛ وكان يساكننا فى العمارة التى نحن فيها أسر مختلفة الجنس والدين والطبقة تعيش كل أسرة منها فى انعزال عن الأخرى فلا يتلاقى الجيران إلا على السلم أو لدى الباب . وربما لقى الجار جاره فى بعض الطريق فلا يعرفه ، إلا إذا كان ممن يعلق شخصه بالذهن لسمة تميزه من سائر الناس كحسن يفترق البصر ، أو قبح يسترعى النظر ، أو شذوذ يشغل البال ... من هؤلاء الذين يدخلون فى هـذا الاستثناء المعلم فهمى رزق أستاذ الدروس الخصوصية فى حى (الظاهر) ، ومدرس الدين والعربية فى مدرسة (التوفيق) ، فلا تجد أحداً من سكان العمارة ولا من قطان الحى ينكره إذا رآه ، أو لايذكره إذا عرفه ! كان يسكن الشقة المقابلة لشقتنا ، وكانت هذه الشقة لا تفتح فى اليوم كله إلا أربع مرات : مرتين حين يغدو هو وأخوه الأصغر فى الصباح ، ومرتين حين يروحان فى المساء ، ثم لا يدرى غير الله أتنغلق بعدهما على أم أو زوج أو أخت أو خادم . لا يستطيع بشر أن يعرف ذلك ، لا بالعين لأنه لا يرى إنساناً فى نافذة ، ولا بالأذن لأنه لا يسمع صوتاً فى غرفة . أما الشذوذ الذى يغرى به الطرف ويجمع له البال فهو فى شكله العجيب : كان مفرط القصر واسع البطن دقيق الأطراف أوقص العنق مخروط الوجه أخوص العين أكزم الأنف أهرت الشدقين غليظ الشارب والحاجبين . ومالى أطيل عليك الوصف ، وأنت تستطيع أن تخفف مؤونته على قلمى إذا تصورت كرة أرضية من الخشب أو من غيره قطرها متران ، وُضع فوق قطبها الأعلى وجه عليه طربوش ، وتحت قطبها الأسفل قدمان فيهما حذاء ، ثم تدلى من الجانب الأيمن ذراع قصيرة فى آخرها مذبة عاج ، ومن الجانب الأيسر ذراع أخرى فى طرفها جريدة (الوطن) ، ثم اكتسى الظهر والذراعان جاكتة كحلاء ، واكتسى البطن والساقان بنطلوناً أبيض ؛ فإذا تخيلت بعد ذلك هـذه الكرة تمشى فتدب فى البطء دبيب السلحفاة ، وتخطو فى السرعة خطو الأوزة ، اجتمعت فى ذهنك صورة مقاربة للمعلم فهمى حينما رأيته لأول مرة يتدحرج هابطاً فى السلم ؛ وكان قد علم من قبل أن جاره مدرس الأدب فى الإعدادية الثانوية ، وناقل آلام فرتر هـذا العام إلى العربية ، فلما أبصرنى صاعداً حيَّانى وعرَّفنى بنفسه ، ثم سألنى أن يجلس إلىّ فى القهوة قليلا ليعرض علىّ مسائل فى الإعراب له فيها رأى . فقلت له : ولماذا نجلس فى القهوة وبين بيتى وبيتك خطوتان إذا شئت خطوتهما إليك فى أى وقت تحدده . فقال : أفضـل أن أزورك فى عشية الغد .

وفى الجلسة الأولى جرى بينى وبينه حديث فى السياسـة ونقاش فى النحو تبينت من خلالهما أن الرجل طيب القلب ، وآفة الطيبة أنها تصاب أحياناً بالغفلة فتوقع صاحبها فى الزهو وتورطه فى الدعوى ؛ فهو يفخر بأنه خطأ قول الشنقيطى فى

اللغة ، وزيّف رأى اليازجي فى النقد ؟ ويدعى أن مصطفى كامل كان يستشيره فى خطبه قبل أن تلقى : وأن سعد باشـا كان يسترشده فى بياناته قبل أن تنشر .

وفى الجلسات الأخر علمت أن الرجل لم يتم التعليم الابتدائى ، وأنه بحث عن مرتزق لا يضر فيه الجهل فلم يجد غير التعليم والصحافة ، فاختار التعليم فى المدارس الابتدائية ، وتخصص فى تدريس اللغة العربية ، فـكان يعلمها مشاهرة فى المدرسة بجنيه ، وفى البيت بريال . ومن هذا المال اليسير ينفق على كسوته وقهوته وتبغه ، ثم يعتمد فيما جاوز ذلك على مرتب أخيه ، وهو موظف بالابتدائية فى وزارة المـالية ، وعلى تدبير أخته ، وهى تخيط فى بيتها لبعض البيوت التجارية . وهو وهذا الأخ وهذه الأخت ، هم الأقانيم الثلاثة التى تتألف منها هذه الأسرة المسيحية الطيبة ؛ ففهمى هو الأب ، وشحاته هو الابن ، وعايدة هى روح القدس ! ثلاثة أرباب وثلاثة عبيد ، كل منهم لأخويه إلـه بالاحترام وعبد بالحب . وثلاثتهم يعيشون على الإيثار والتضحية ؛ فالأخ الـكبير قد نيف على الأربعين ولا يريد أن يتزوّج لأن أخته لا تزال آنسة ! والأخ الصغير قد أربى على الخامسة والثلاثين ولا يبغى الزواج لأن أخاه لا يزال عزباً ، والأخت قد هدفت للسادسة والعشرين ، وهى تدفع الخطاب عن يدها لأنها لا تحب أن تترك أخويها عزبين .

وكل أخ يؤثر أخويه على نفسه ؛ فالمعلم فهمى يحنو على عايدة وشحاته حنو الوالد الحدِب : يقوم عنهما بشؤون البيت مع الناس ، ويجلب لهما حاجة المطبخ من السوق ، ويقبل مُكرهاً أن يخصه أخواه ببعض المـال لأنه بكر الأبوين ومظهر الأسرة

وشحاته افندى يؤدى مرتبه أول كل شهر إلى أخته فلا يأخذ منه إلا شهرية الحلاق . وماذا يصنع بالنقود ؟ إنه لا يركب الترام ، لأن له قدمين قويتين تحملانه إلى الديوان ثم إلى البيت ، وإنه لا يشترى الطعام ، لأنه يأخذ فطوره معه كل صباح : رغيفاً فى منديل ، وطعمية فى علبة ، أو ملوخية فى قارورة ... فإذا رجع من عمله ، تولى كنس الغرَف ونفض الأثاث وغسل الآنية . ثم يجلس بعد ذلك إلى أختـه فيدير لها آلة الخياطة ، أو يرفه عنها بأحاديث المدينة ، أو يذهب إلى التجـار بالمخيط ليعود من عندهم بالقماش .

أما الآنسة عايدة فتُشبل على العزَبين إشبال الأم العطوف : تدبر لهما المنزل ، فتطهى وتغسل وتـكوى ؛ وتدبر منهما الجسم ، فتقي و تُعالج وتمرِّض ؛ ثم لا تـكلفهما بعد لباس البيت إلا فستاناً بسيطاً كل عام تذهب به أيام الآحاد إلى القداس .

وكان مرض الواحـد مرض الثلاثة ، إذا شـكا أحدهم علة شـكا الآخران ألمها معه . وقد حرص المعلم فهمى على أن يقيس حرارة أخويه إذا لحظ عليهما فتوراً أو سمع منهما شـكوى . وفى ذات ليلة من ليالى الشتاء طرق علىّ الباب فى أخريات الليل ، فانتبهت فزعاً وفتحت فإذا هو ينتفض انتفاض المحموم وينشج نشيج الطفل . فقلت له : خير يا صديق ، ما الذى يبـكيك ؟ فقال : أختى فى نزاع الروح ، وإن حرارتها ثلاث وأربعون درجة وقد بعثت أخى فى طلب الطبيب القريب ؛ فلما أخبره أن حرارتها ثلاث وأربعون درجة أغلق الباب فى وجهه وهو يصيح : اذهب يا مجنون إلى الحانوتى ولا تضع وقتك !

قال هـذا المعلم فهمى وهو يجذب يدى حتى دخل بى غرفة المريضة ، فوجدتهـا راقدة على سريرها العالى ، لحافها دائر على خصرها ، ويداها مشبوكتان على صدرها ، ونفَسها يتردد هادئاً كنفَس الطفل ، ووجهها يشرق ندياً كوجه الصبح . وكان على مقربة من سريرها منضدة عليها مصباح كبير من طراز المصابيح التى كانت تضىء الصوانين فى الأعراس والمآتم قبل أن تعم الـكهرباء ، فلما وقفت إلى جانب سريرها جسست يدها ومسست جبينها وجدت حرارتها توشك أن تكون طبيعية ؛ ولـكن أخاها أرانى الميزان فوجدت زئبقه على الآخر . فنفضت الميزان ووضعته فى فم المريضة المستسلمة ثم قرأته فإذا هو سـبع وثلاثون درجة ونصف ! فلما نطقت بالرقم دبت الحياة فى عايدة ففتحت عينيها ، وعاد الهدوء إلى فهمى فكفكف دمعه ، وأخذ شحاتة الدهش ففغر فاه ، وسرى النشاط من الغرفة إلى سائر البيت فقفزت من تحت الـكنبة أرنب ، وقاقت من فوق المائدة دجاجة ، وتمطت من بين الفراش هرة . ولـكن المعلم فهمى أراد أن يتأكد مما قلت ، فأخذ الميزان وأدناه من المصباح لضعف بصره ، ثم أخذ يقلبه وينظر ، ثم يقلبه وينظر ، حتى مضى على الميزان دقيقتان بجانب المصباح المشتعل ، ثم اهتدى أخيراً إلى الزئبق الصاعد فإذا هو فى آخر الطرف الأعلى من الميزان . فقال وهو يرجف : أنظر ! ها هى الدرجة ثلاثاً وأربعين ! فقلت له وأنا أبتسم ابتسامة عريضة : هذه يا صديقى درجة المصباح لا درجة المريضة !

(للحديث بقية) **احمد حسن الزيات**

الخلاف على القنبلة الذرية

للأستاذ عمر حليق

قنبلتان ألقتهما طائرتان يقودهما نفر من الطيارين الأمريكان على جزر اليابان فقتل ١١٥ ألف شخص وأصيب ١١٠ آلاف آخرون بجراح مختلفة ، وزالت من الوجود معالم مدينتين كانتا تمجان بالحياة . وأصبحت كارثة هاتين المدينتين اليابانيتين (ناكى ساكى) و (هيروشيما) علما على البعبع الذرى الذى يهدد الحضارة والإنسانية .

لم يكن وزن هاتين القنبلتين يزيد على بضعة أرطال ، ولكنهما كانتا مشحونتين بقوى متفجرة تعادل ٤٠ ألف طن من أشد الديناميت والبارود تفجراً ، وتحتاج إلى عشرة آلاف طائرة ضخمة لتنقل هذه الأطنان وتلقى بها على هاتين المدينتين .

هذا تقدير للفظاعة الكامنة فى القنبلة الذرية — التى حاولت هيئة الأمم المتحدة معالجتها خلال السنوات الثلاث الماضية فلم تفلح حتى الآن .

إن مراقبة الطاقة الذرية على نطاق دولى مشكلة لا تعطيها الصحافة العالمية وألسنة الرأى العام الدولى ما تستحقه فعلا من أهمية ودراسة ، خصوصاً وإن الروس والأمريكان وحلفاءهم قد اختلفوا اختلافاً شديداً لخطورة هذه المراقبة ، ولخطورة الطاقة الذرية وما تنتجه من قنابل ومهلكات جهنمية . وسبب هذا الاختلاف لا يعود إلى عجز فى التقدير ، ولكن لأن المصالح الشخصية للدول الكبرى قد طغت على مصلحة الإنسانية والحضارة وصدّت مندوبى الدول الكبرى وصناع السياسة فيها عن تضحية منفعتهم الفردية العاجلة المؤقتة فى سبيل الحضارة والمدنية التى تهددها الطاقة الذرية وأسلحتها الجهنمية بالمحق والإبادة .

وقد أحال مجلس الأمن الدولى قضية مراقبة الإنتاج الذرى على الجمعية العمومية فى دورتها الثالثة الحالية بباريس وأردف هذه الإحالة بتوصية فحواها أن هذه القضية تحتاج إلى اهتمام خاص ومزيد من الجهد والعناية والرغبة فى التعاون والإخلاص وحسن النية .

ومن سخرية القدر فى شؤون الطاقة الذرية أن اختلاف الدول الكبرى على مراقبة الإنتاج الذرى قد حال بين الإنسانية وبين أن تستفيد إفادة لا حد لها من هذه الطاقة الهائلة التى لولا القيود على إنتاجها لاستطاعت الآن أن توجَّه توجيهاً فيه خدمة للصناعة السلمية وما يلحق بها من نواحى الحضارة والتقدم الآلى والفنى فى عالم يعانى أزمة فى الغذاء والمواصلات وتزايد السكان ومشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة . فإن الطاقة الذرية إذا أنتجت لمنفعة الصناعة السلمية ستحل مشاكل الوقود من البترول والكهرباء والفحم الحجرى وهى مواد يشتد التنافس الدولى عليها وتدفع إلى الحروب وتمانى الشعوب الفقيرة الحرمان منها .

كان أول خطوة فى سبيل هذه المراقبة الدولية اجتماع تمهيدى عقدته حكومات بريطانيا وكندا والولايات المتحدة فى منتصف نوفبر ١٩٤٥ فى مدينة واشنطون عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية . وقررت هذه الحكومات الثلاث فى ذلك الاجتماع بأن مصلحة السلم العلمى تتطلب مراقبة الإنتاج الذرى على نطاق دولى واسع وبالتعاون الوثيق بين حلفاء الغرب وروسيا السوفييتية وحلفائها . ثم كانت الخطوة الثانية فى شهر ديسمبر من عام ١٩٤٥ نفسه ولكن الاجتماع كان فى موسكو هذه المرة لمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى . وأقر اجتماع موسكو نفس المبدأ الذى أقره اجتماع الحلفاء الأنجلوسكسون فى واشنطون فى اجتماعهم الأول . وقررت الدول الثلاث الكبرى (روسيا وبريطانيا وأمريكا) فى اجتماع موسكو هذا دعوة فرنسا والصين وكندا لوضع مشروع دولى لمراقبة الطاقة الذرية وتقديمه إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى دورتها الأولى بلندن فى مطلع عام ١٩٤٦ . وقررت الجمعية العمومية فى تلك الدورة تأليف « لجنة الطاقات الذرية » لتحقيق مشروع مراقبة الإنتاج الذرى على نطاق دولى .

وهذه اللجنة مؤلفة من ١١ عضواً هم أعضاء مجلس الأمن الدولى مضافاً إليهم كندا ، لأن كندا إحدى الدول الثلاث التى تملك سر القنبلة الذرية .

وأعطيت الصلاحية للجنة الطاقة الذرية هذه أن تضع مشروعات عملية لتحقيق المراقبة الدولية على جميع أنواع الإنتاج الذى تستعمل فيه الطاقة الذرية والتأكد من أن الدول التى

تستطيع الإنتاج الذرى لا تستعمله لبناء أسلحة ، بل لخدمة الصناعة السلمية والطب وما إلى ذلك من نواحى الحضارة والعمران ، وكلفت اللجنة باتخاذ خطوات عملية لمساعدة هيئة الأمم المتحدة لتتثبت من صرامة المراقبة الدولية ومفعوليتها بالتفتيش والاستقصاء وما إلى ذلك .

واجتمعت لجنة الطاقة الذرية هذه لأول مرة فى نيويورك فى صيف عام ١٩٤٦ ووضع أمامها اقتراحان لمراقبة الإنتاج الذرى أحدهما قدمته أمريكا وهو يشمل وجهة نظر الحلفاء ، والآخر قدمته روسيا السوفياتية . وقد مضى على اللجنة عامان كاملان دون أن تصل إلى الموافقة النهائية على أحد الاقتراحين ، وكان آخر أعمالها أن ألقت بهذين الاقتراحين فى أحضان الجمعية العمومية التى تجتمع بباريس أما فحوى الاقتراحين فهى كما يلى :

١ — الاقتراح الأمريكى يدعو إلى إنشاء سلطة دولية لتحسين الإنتاج الذرى ليخدم الصناعة السلمية والطب والمواصلات وما إلى ذلك . ويكون لهذه السلطة حق الإشراف على جميع وسائل الإنتاج الذرى فى جميع الدول ويكون لها الحق كذلك فى أن تمنع أى دولة من الدول من صنع المنتجات الذرية الفتاكة .

ولهذه السلطة الدولية أن تصل إلى فرض مراقبتها على خطوات إلى أن تستطيع نهائياً منع إنتاج القنابل الذرية منعاً باتاً وعلى نطاق دولى واسع . وقد نص الاقتراح الأمريكى على التخلص من القنابل الذرية الموجودة الآن فى حوزة بعض الدول الكبرى ، كما نص على أن حق النقض (الفيتو) الذى تتمتع به الدول الكبرى فى هيئة الأمم المتحدة يجب أن لا يطبق على الدول التى تخالف هذه السلطة الدولية لمراقبة الإنتاج الذرى . وبالإجمال فإن الاقتراح الأمريكى يدعو إلى التعاون الدولى لمراقبة التسلح الذرى على أسس عملية تتطلب حسن النية والرغبة فى خدمة السلام .

٢ — أما الاقتراح الروسى فهو يختلف اختلافاً جوهرياً عن الاقتراح الأمريكى فى جميع النقاط . وهو يدعو إلى تحطيم القنابل الذرية الموجودة فى حوزة حلفاء الغرب ، ومنع إنتاج الأسلحة الذرية من قنابل وغيرها منعاً باتاً ، ويدعو الاقتراح الروسى الأمم المتحدة لمؤتمر دولى يسن القوانين لمنع التسلح الذرى ويضع أسس المراقبة الدولية على نطاق عالمى . وأصر الروس على الاحتفاظ بحق الفيتو فيما يختص بشؤون الإنتاج الذرى .

ولم يوافق الروس على الرأى الأمريكى القائل بضرورة وضع جميع مشاريع الإنتاج الذرى التى تقوم بها الدول تحت سلطة عالمية واحدة تسيطر على جميع وسائل الإنتاج وحدها وتمنع جميع الدول من العمل فى الإنتاج الذرى منفردين . ورأى الروس أن تظل حرية الإنتاج الذرى فى يد الدول ، ولكن يجب أن يأخذ عليها عهد بعدم استعماله للتسلح وصنع القنابل الجهنمية .

وظلت لجنة الطاقة الذرية تبحث هذين الاقتراحين الروسى والأمريكى سنتين ، وكانت نتيجة مراحل البحث أن وافقت أكثرية أعضاء اللجنة ومن بينها — سوريا — على الاقتراح الأمريكى ولم يصوت مع روسيا سوى حليفتها أكرانيا .

ويقول مناصرو الرأى الروسى أن الاقتراح الأمريكى لمراقبة التسلح الذرى وإنتاج الطاقة الذرية يرمى إلى جعل الولايات المتحدة صاحبة النفوذ الأعظم فى الإنتاج الذرى ، خصوصاً وأن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى أتقنت صناعة هذا الإنتاج ، وأن رغبتها فى تقييده الآن يرجع إلى رغبتها فى منع الدول الأخرى عن بلوغ المستوى الذى بلغته هى فى التقدم الفنى والصناعى فى شؤون الطاقة الذرية . وينتقد أنصار الرأى الروسى الاقتراح الأمريكى أيضاً بأنه يشتمل على التدخل فى شؤون الدول المستقلة وهواعتداء على سيادتها واستقلالها الداخلى .

ويجيب أنصار المشروع الأمريكى على ذلك قائلين أن أمريكا بموجب اقتراحها قد تنازلت عن حقوقها فى احتكار إنتاج الطاقة الذرية ووضعتها فى يد سلطة دولية تستطيع روسيا المشاركة فيها فى إخلاص وحسن نية . أما أن الاقتراح الأمريكى يتضمن التدخل فى شؤون الدول المستقلة ويعتدى على سيادتها فهو لا يتفق مع روح التعاون الدولى ، وأن أى مشروع يتطلب التعاون الدولى يجب أن يكلف الدول التنازل عن بعض حقوقها فى خدمة السلام والتعاون الدولى .

هذه بإيجاز مشكلة مراقبة الطاقة الذرية — وهى مشكلة خطيرة فى ظروف دولية تضع الشعوب على أهبة الاستعداد العسكرى ، وهى مشكلة مخيفة لعلها أهم المشاكل الدولية قاطبة .

وهى الآن معروضة على الجمعية العمومية بباريس . ترى هل تستطيع الثمانى والخمسون دولة المجتمعة هناك أن تحلها ؟

يقول الخبراء إن هذا مستحيل — لأن فى المشكلة نقاطا فنية وعسكريه لايحلها الجدل السياسى ، وليست الجمعية العمومية إلا برلماناً دولياً محصوله السياسة والجدل القانونى .

كتاب البرهان فى وجوه البيان

للدكتور على حسن عبـــد القادر

« تصحيح خطأ علمى ، وتحقيق شخصية كتاب ،
ورد اعتبار على مؤلف طغى على اسمه الزمان »

كتاب « البرهان فى وجوه البيان » لأبى الحسين إسحق ابن إبراهيم بن سليمان بن وهب الـكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » ، حرره وأخرجه الدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد الحميد العبادى ، منسوباً إلى أبى الفرج قدامة بن جعفر الـكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمـكتبة الأسكوريال رقم ٢٤٢ من فهرس درينبرغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الـكتاب بمـكتبة تشستربيتى رقم G767 تحت عنوان « كتاب البرهان فى وجوه البيان » ، وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان فى القدر المطبوع ، وتزيد المخطوطة التى بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثى الـكتاب تقريباً . ولم نشك فى أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلى من الـكتاب قد سقط منه فى المخطوطة الأسكوريالية ، وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على أربعة وجوه للبيان : —

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثانى الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيـان الرابع الـكتاب . والبيان الرابع (الذى هو الـكتاب) غير موجود فى النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هـذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الـكلام على الوجه الرابع وهو الـكتاب . وجعل بهذه الدعوى الـكتاب كاملا بذاته ، وهى دعوى قد فرضها المحقق على الـكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فإنه لو كان قد فحص الجزء الذى بيـده من الـكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه فى أثناء الـكتاب على أشياء سيذكرها بعد ، ومع ذلك لم يأت لها ذكر . فمن ذلك قول المؤلف (صفحة ١١٨ من طبعة دار الـكتب) : « وأما الحديث ، فهو ما يجرى بين الناس فى مخاطبتهم ومناقلاتهم ومجالسهم ، وله وجوه كثيرة : فمنها الجد والهزل والسخف والجزل ، والحسن والقبيح والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب والصـدق والـكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتـام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعيي ؛ ثم جاء الـكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب ، ولـكن القول فى الخطأ والصواب لم يتم ، كما أن القول فى الصدق والـكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط . ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء فى باب تأليف العبارة (ص٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الـكتب) : « وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغنى من نظر فيها ... إلا أنا نذكر جملة من ذلك فى باب استخراج المعمى تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله » .

وليس فى نقد النثر كما نشر أى ذكر أو إشارة إلى باب المعمى وذكر العروض والقافية . ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه جاء فى آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة : « وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له ، فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » .

وإذا تصفحنا كل ما جاء فى النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو إشارة « لمراتب القول » ولا « لمراتب المستمعين له » على الحقيقة ؛ وبهذا يظهر أن المخطوطة الأسكوريالية والـكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً ، وأن محقق الـكتاب لم ينتبه إلى هذا النقص الواضح أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص ، وتلمس فى بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الـكتاب ، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التى بأيدينا ، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الـكتاب ، واستغرق من أصل الـكتاب جزءاً كبيراً أصلياً ، كما جاء فيها الـكلام على باب المعمى وذكر العروض والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقى من وجوه الحديث وجهاً وجهاً ، وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبة مرتبة ، فكانت مخطوطتنا بهـذا التحقيق هى النسخة الـكاملة للـكتاب . ويظهر أن مخطوطة الأسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله

وأغلب الظن أن مشكلة الطاقة الذرية ستظل شوكة فى حلق هيئة الأمم — وستعاد إلى لجنة الطاقة الذرية لتبحث فيها من جديد لعلها تقنع الدول الـكبرى المتنافسة بأن تتفق على حماية نفسها من ويل هذه الذرة الجهنمية .

(نيويورك) عمر حليق

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية بنيويورك

« وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » ، وهى عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثــل ذلك فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى مثلا .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر فى أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه (أى أكثر من ضعف النص المطبوع) ، بل إن لهـا أهمية أخرى أكبر من ذلك ، وهى معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف فى مخطوطتنا اسمه كاملا فى أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين ، فقال فى أول البيان الرابع ، وهو جزء مفقود من النسخة الأسكوريالية : « قال أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله ... » . وهو تصريح يبطل نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر ، ويضع حداً فاصلا للنزاع فى مسألة مؤلف الكتاب ، كما أن مخطوطتنا زيادة على هذا تحمـل الإسم الصحيح للكتاب ، وهو كتاب « البرهان فى وجوه البيان » .

وإنه وإن كنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب ، أو اسم مؤلفه مذكوراً فى أى مرجع من المراجع المعروفة عندنا ، فقد وصلنا إلى أن هذا الكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبى الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه فى أثناء كتابه بل من أجل أدلة أخرى مضمومة إلى هذا الدليل :

أولا : يذكر مؤلف الكتاب فى أثناء كتابه أربعة كتب له ، وهى : الإيضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة . وهذه الكتب الأربعة لم يذكرها أحـد من مؤرخى قدامة فى فهرس كتبه أو ما يشبهها فى الإسم أو الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم « البرهان » أو « نقد النثر » .

ثانياً : وقد نسب إلى قدامة كتاب فى الكتابة ، ولكن هذا الكتاب لم يسمه قدامة باسم « البرهان » أو « نقد النثر » وإنما سماه « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » ، وهو غير الكتاب الذى بأيدينا ، فإن كتاب قدامة هذا ، أو على الأصح النصف الثانى منه معروف ، وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلى بالآستانة ، وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقى من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس وقد استخرج دى غويه نبذا منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » ، وهذه النبذ هى الأبواب الثانى والثالث والرابع والخامس والحادى عشر من المنزلة الخامسة ، والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الكتاب فى هاتين النسختين (الأصلية والمنقولة) « الخراج وصناعة الكتابة » ، وقد وصف ياقوت هـذا الكتاب فى ترجمة قدامة بقوله : « وله كتاب فى الخراج وصناعة الكتابة » ؛ وله كتاب فى الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه ، وكان على تسع منازل ، وكان ثمانية فأضاف إليه تاسعاً » . ويقول المطرزى فى كتاب الإيضاح شرح مقامات الحريرى (مخطوطة المتحف البريطانى) « وله تصانيف كثيرة منهـا كتاب « الألفاظ » وكتاب « نقد الشعر » ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء ، وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل ، وكل منزلة منها تحتوى على أبواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء : « وقال ابن الجوزى فى المنتظم فى حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن فى الخراج وصناعة الكتابة » .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا ، وأن هذا الكتاب يسمى « الخراج وصناعة الكتابة » وأنه كان على تسع منازل أو سبع منازل وفى كل منزلة أبواب . وهـذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » إذ أنه على أربعة أبواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة ؛ وفضلا عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج فى كتابنا « البرهان » والنتيجة البديهية هى أن قدامة وأبا الحسين كتب كل منهما كتاباً فى الموضوع ولكن كلا منهما سلك مسلكه الخاص فى علاج الموضوع .

ثالثا — وقد رجح دى غويه فى مقدمته الفرنسية لكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة فى صناعة الكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث فى أثناء كتابه عن مليح الأرمنى على أنه معاصر له ، ويشير أيضا إلى إغارة أسفار الديلمى على قزوين فى سنة ٣١٦ ، وإلى الشنائع التى جرت على يد مرداويج وأتباعه فى السنين التالية

لحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله أبو حيان التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة (ج ٣ ص ١٤٥ — ١٤٦) أن قدامة عرض كتابه هذا فى سنة ٣٢٠ على علىّ بن عيسى حيث يقول « وما رأيت أحدا تناهى فى وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر فى المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا على بن عيسى الوزير عرض علىّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرد فى وصف فنون البلاغة فى المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه أحد من طريق اللفظ والمعنى » . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعا . أما كتاب « البرهان » فلم يكن موجودا فى هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة .

أ — يقول أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم فى البرهان : « وقد رأيت شيخنا على بن عيسى رحمه الله يكاتب أم المقتدر » وإشارة أبى الحسين فى كتابه إلى وفاة على بن عيسى تدل قطعا على أن على بن عيسى لم يعش حتى يرى هذا الكتاب ، وقد مات على بن عيسى سنة ٢٣٥ ، وهو أمر يدل على أن أبا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول أبو الحسين أيضا « ومنه ترجمة لآل مقلة ولأبى الحسن بن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان أبو الحسن ابن خلف هذا حيا إلى سنة ٣٣٠ (راجع أخبار الراضى والمرتضى للصولى ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

ج — ويقول أبو الحسين فى « البرهان » أيضا مشيرا إلى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان فى جيشه علىَ أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين أهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » . وقد حدث هذا فى سنة ٣٢٠ (راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣) وأبو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيما يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد أن تكون قد مرت عليها سنوات أصبحت بها مثالا للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد أن يكون قد ألف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التى نجمعها من كل ذلك هى أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن أبا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية فى ثنايا الكتابين .

رابعا — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » فى كتابه الشعر أيضا ، فلو أنه كان لقدامة لما احتاج إلى معالجة هذه الموضوعات مرة أخرى بمثل هذا البيان الكافى ، وفضلا عن ذلك فإن معالجة الشعر فى « البرهان » تختلف اختلافا جوهريا عنها فى كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية ، وما قصيدة الأستاذ العبادى فى تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم أمام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن قدامة فى « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة يذكرها مجملا : « فلاسفة اليونان » ، فى حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال أرسطوطاليس » .

خامساً — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيها شيعيا من غير شك . ودليل ذلك منشور فى أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائما عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمة عليهم السلام . الأئمة الصادقين . الأئمة المستودعين علم القرآن . روى عن الصادق عليه السلام » اهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملا فى تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم فى بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه فى نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج ، وإنما كان نصرانيا فى الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفى بالله ، وإذا أسلم نصرانى على يد خليفة عباسى — وذلك إنما يكون عادة طمعا فى مناصب الدولة — فمن المستبعد أن يصير علويا متشيعا مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادى فى توجيه مسحة التشيع الظاهرة فى الكتاب من أن قدامة قد جارى بنى بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخى ، وقد كتب قدامة كتابه فى الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاما على الأقل ، ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادسا — وصاحب كتاب « البرهان » يصرح فى كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظما لهم فخورا

بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا أبو على الحسن بن وهب رحمه الله ... » وقال أبو أيوب رضى الله عنه : « وقد ذكر أبو أيوب رحمه الله رجلا مشهورا بالبلاغة . ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة إلا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » وأبو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجد المؤلف .

سابعا — وهناك أمر يجب التنويه إليه وهو أن البطليوسى فى كتابة « الاقتضاب شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولا طويلة بنى عليها مقدمته فى شرح الكتاب (ص ١٦ — ٩٠) وهذه الفصول تتفق فى لفظها فى معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصول كتاب البرهان ، وفى بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسى لم ينسبها إلى أبى الحسين ولا إلى قدامة ، وإنما أشعر بنسبتها إلى على بن مقلة (المتوفى سنة ٣٢٧) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وأن البطليوسى نقل عنه بعد أن أثبتنا أن « البرهان » ألف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمانى سنين ، كما أن شيوخ صاحب « البرهان » كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخا لعلى بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن على بن مقلة شيعيا . والقدر المتيقن أن البطليوسى لم يحتسب على أى حال قدامة بن جعفر مؤلفا للكتاب الذى نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل أن يكون « البرهان » قد نسب مرة إلى على بن مقلة كما نسب إلى قدامة ابن جعفر وجهل أمر صاحبه . ومن المحتمل أيضا أن يكون البطليوسى ومؤلف كتابنا هذا من قبل كلاهما قد نقل نقولا من كتاب لابن مقلة فى هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول أن مؤلف كتاب « البرهان » يجب أن تتوفر فيه من الشرائط :

(١) كونه شيعيا . (٢) أن تجمعه أواصر القربى بآل وهب .
(٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد أبواب كتابه على أربعة أبواب كاملة .

وهذه الأحوال لا تجتمع فى قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن أن تجتمع فى مؤلف آخر . وفى يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها إسمه فى متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب إليه إلى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكرا لهذا الكاتب أو لمؤلفاته فى المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب إلى قدامة ابن جعفر فى طرة المخطوطة الإسكوريالية ، وكذلك فى طرة المخطوطة التى بأيدينا مع ورود إسم المؤلف فى أثناء الكتاب وهو أمر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فإن الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه فى الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا إسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين . ونذكر مثلا قريبا لذلك كتاب « أسرار البلاغة » نشر بمصر وجاء فى خاتمة الكتاب أن مؤلفه أتمه فى سنة ٨٥٥ هـ ومع ذلك نسب فى طرة الكتاب لبهاء الدين العاملى المتوفى سنة ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين . وفى كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

وبعد فإنصافا للعلم والعلماء ، وإنصافا لأنفسنا كذلك ، لا يسعنا الآن ننوه فى ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك فى نسبة كتاب « نقد النثر » إلى قدامة بن جعفر ، وأنه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من أهل القرن الرابع . وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد على ، فاستحقا منا التقدير والثناء . وهانحن أولاء قد قمنا بما تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب إسمه « البرهان » وأنه من تأليف أبى الحسين إسحق بن إبراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذى نشر منه تحت إسم « نقد النثر » ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلى الذى قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدى العلماء فى القريب إن شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم .

ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم مجتبى مينوى بلندن زميلى فى تحقيق هذا الكتاب وإعداده للنشر ، فهو يشاركنى مسئولية إخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

على حسن عبد القادر

(المركز الثقافى الاسلامى بلندن)

أحمد الزين «الانسان»

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

في ٥ نوفمبر من العام الماضي روعت الدوائر الأدبية بفقد الشاعر العالم الراوية (أحمد الزين) . وما أظن أحداً من عشاق الأدب يجهل قيمته الأدبية ؛ ويكفي أن نقول إنه شارح وضابط ومصحح العقد الفريد ، وإمتاع الأسماع ، ونهاية الأرب وما إليها من أمهات الكتب بمفرده حيناً وبالاشتراك مع آخرين من الفضلاء أحياناً . كذلك يكفي أن نقول إنه كان في مقدمة « الرواة » في العصر الحديث ، بل ربما يكون قد انتهى بموته عهد « الرواية الأدبية » ...

ومع هذا فلست أريد في هذا الحديث أن أتكلم عن أدبه مرجئاً ذلك لفرصة أخرى ؛ وإنما أريد أن أحاول تصوير بعض ملامح شخصيته الطريفة النادرة تصويراً سريعاً قبل أن تغمرها موجة النسيان ؛ فقد كان الفقيد نموذجاً فريداً في الحياة من طراز خاص وأسلوب خاص ومزاج خاص منقطع النظير .

الزين الظريف :

كان رحمه الله ظريفاً إلى أقصى حدود الظرف في كل حركاته وسكناته . وقد تجلى ذلك في معظم منظوماته حتى في المراثي ! ! ولا زلت أذكر يوم اشترك في تأبين شاعر النيل (حافظ إبراهيم) بقصيدة مطلعها :

أفي كل حين وقفة إثر ذاهب   وصوغ دم أقضي به حق صاحب
أودع صحبي واحداً بعد واحد   فأفقد قلبي جانباً بعد جانب

وبالرغم من هذه البداءة الحزينة التي لاءمت المناسبة الحزينة فإن ظرفه سرعان ما غلب عليه ونقله من الحزن الخالص إلى التهكم الذي أضحك الحاضرين على من سماهم « المجددين » فقال مقارناً شعر (حافظ) بشعرهم :

فذاك جلال الشعر لا شعر عصبة   يطالعنا تجديدهم بالحواصب
دواوين حسن الطبع موه قبحها   وهل يخدع النقاد نقش الخرائب
فيا ضيعة الأوراق في غير طائل   ويا طول ما تشكو رفوف المكاتب

كذلك في قصيدته في ذكرى (تيمور باشا) غلب عليه ظرفه فنقله أيضاً إلى التهكم على الناقلين عن اللغات الأجنبية بلا فهم لدقائقها ولا تمكن من لغتهم الأصيلة بأبيات جاء فيها :

من كل ألكن نابغ في عيه   لهج بدعوى العلم وهو جهول
ويكاد يرشح عقله أمية   حتى عليه يشكل التشكيل
إن رام شعراً لم يقم ميزانه   ورويه قيد عليه ثقيل
أو رام نثراً عيّ دون مراده   لفظ يطول وما به معقول
وإذا يترجم كان في تعقيده   قبر به المعنى البريء قتيل
لا يجحد الغربي سحر بيانه   لكن سوء النقل عنه يحيل
سفراء سوء باعدت ما بيننا   ولربما جلب الشقاء رسول

وكان طبيعياً أن يتجلى ظرفه أكثر من هذا في ألوان الشعر الأخرى حيث تتسع الفرصة للتهكم والسخرية .

أذكر أنه أراد ذات مساء أن يعتذر تليفونياً عن موعد هام واتفق أن ظل التليفون مشغولاً بأحد الثقلاء أكثر من نصف ساعة ... إذ ذاك نظم قصيدته (المسرة) التي يقول له فيها :

تجدّ في أذنها أو اهزل   وقل ثناء بها وثلبا ...
فلا تراها تسد أذنا   مهما تطل لو قرأت كتبا
وكم ثقيل الحديث لولا   جمودها أو سمته سبا
تكاد مما يطيل فيها   تفر ممن دعا ولبى
فيالها آلة تربى   ذا الجهل بالذوق لو يربى

وذات ليلة دعاه أحد أصدقائه لسماع مغن وكان — كالمنتظر — سقيم الصوت ، فنظم بهذه المناسبة أبياته المشهورة التي يقول له فيها :

حمار لا يمل من النهيق   يضيق به التجلد أي ضيق
مغن يجلب السلوى ويفنى   بقايا الشوق في قلب المشوق
مني الأوتار لو أمست سياطا   يصب بها على الجلد الصفيق
بطانته — حماك الله — رهط   كأن صياحهم جرس الحريق
وكانت ليلة ياليت أني   دفعت بها لقطاع الطريق
جزى الله المغني كل خير   عرفت به عدوى من صديق

إلى غير ذلك من النوادر التي لا حصر لها .

الزين والمجتمع :

كان معظم الناس عنده « خلائق » لا يرتفعون عند حسن

ظنه . وكان يقسمهم إلى أقسام عجيبة فى دلالاتها : (بلاوى — حميد الصفات — علامة — سبع) !

فكل (باشكاتب) يجلس فى الأماكن العامة متحلياً بخاتم ثمين وساعة ذهبية وياقة منشاة و (يحشر) نفسه فى الأدب والفن دون دراية فهو « بلاوى » !

وكل (مخلوق) حلو الشمائل وديع الصوت سليم الطوية ولكن لا علاقة له بالأدب فهو « حميد الصفات » !

وكل أديب يعرف من أين تؤكل الكتف فينتسب — بالإلحاح — إلى جريدة كبيرة أو يتقرب — بالزلفى — إلى عظيم أو وزير ويصل من وراء ذلك إلى ما يبتغيه فهو «علامة» !

وكل أديب لا تعدو وظيفته أن تكون من الدرجة السادسة أو أقل فهو « سبع » !

وغرضه من ذلك وصف الأديب بالقدرة على البطش والقناعة مع هذا (بلقمة العيش) ..

ولا غرو فقد كان رحمه الله (سبعاً كبيراً) أى موظفاً باليومية لولا أن أسعفه قرار (الإنصاف) ثم (التنسيق) فرقى فى آخر شهر من حياته إلى الدرجة الخامسة .

الزين والأدباء :

وكانت علاقته بمعظم المحدثين من الأدباء مضطربة لصراحته فى إبداء رأيه فى أدبهم ، بل إنه كان يكره أحياناً أن يستمع إلى شعرهم الذى كان يصفه بقوله :

عناوين كالألغاز حيرت النهى ... وما تحتها معنى يلذ لطالب
هم جدرى الشعر آذوا جماله ... بما ألصقوا فى حسنه من معايب
وكم دافعوا عن مذهب العجز جهدهم ... فما غسلوا أسواء تلك المذاهب
وكم ملأوا بالزهر والنهر شعرهم ... بلا طيب مستاف ولا رى شارب
وكم يذكرون الأيك والطير صدحا ... عليها فلم نسمع سوى صوت ناعب
وكم هاتف بالخلد منهم وشعره ... توفى سقطا قبل عقد العصائب
وشاك أذاة الحب أطفأ جمره ... بشعر كبرد الثلج جم المثالب
فأقسم لو يبغى وصالا بشعره ... لجانبه من لم يكن بمجانب !!

أما علاقته بشيوخ الأدباء وكهولهم فكانت مشبعة بالصفاء والوفاء لمحض المودة من جهة وتقديراً لأدبهم من جهة أخرى . فمثلا كان يوقر حضرات أعضاء لجنة التأليف (وبخاصة أحمد أمين وأحمد زكى) ... وكان يعشق أسلوب (الزيات) ونظم فى هذا الصدد قصيدة بائية رائعة لم أحفظها مع الأسف ولم تنشرها (الرسالة) حتى لا تتهم بمحاباة رئيس تحريرها فيما أظن [1] .

وكان يعجب بطه حسين إعجاباً بالغاً بدا بعضه فى تقريظه لكتاب (مع أبى العلاء فى سجنه) بأبيات بارعة جاء فيها :

يا مؤنس المسجون فى سجنه ... وسلوة المحزون من حزنه
من كنت فى السجن له صاحبا ... فسجنه الجنة فى حسنه
أساء بالعالم ظنا ... ولو ... أدركته حسن من ظنه
أقسم لو خير فى عينه ... وفيك لاختارك عن عينه !!

إحساس الزين :

ولعلى لم أصادف كثيرين فى مثل دقة إحساسه . وبالرغم من تسامحه الملحوظة مع معارفه فقد كان ينفعل وأحياناً ينزوى فى بيته عن الناس جميعاً أياماً بل أسابيع إذا أحس بإهانة صغيرة من أحدهم . وربما كانت دقة إحساسه من أهم أسباب استمرار غبنه لخجله من الشكوى .

أذكر أنه طلب مقابلة أحد الوزراء يوماً ما ليرجوه فى انتشاله مما حاق به من غبن ، فتذكره الوزير كصديق قديم واحتفل به وأخذ يردد له بعض ما يتعلق بماضيهما فآثر (الزين) أن يقصر المقابلة على استعادة الذكريات دون أن يخدش إحساسه برجاء !

الزين المحب !

وعلى كثرة ما باح به لأخصائه من أسراره فإنه لم يبح لأحد بشىء عمن أحبها وإن كان دائم البوح بطهارة حبه وطهارتها . كانت هذه مصدر شعره الغزلى الجيد من نحو (عاود القلب حنينه) و (عللينا بالأمانى) و (ما غناء الراح) . الخ .

والغريب أنه كان كثيراً ما يرتاب فى حبها له ويخشى أن يكون منها ضربا من الشفقة والمواساة . و(الزين) إذا ارتاب تمادى

(١) أرجو ألا يشطب هذه الفقرة رعاية لحق التاريخ

محمـــد إقبـــال
شاعر الشرق والاسلام

للأستاذ مسعود الندوى

١٨٧٣ – ١٩٣٨ ١٢٨٩ – ١٣٥٧

(لو كان وحى بعد وحى محمد
لا نشق ذاك الوحى عن آياته)
أمير البيان

يعرف قراء العربية شيئاً كثيراً عن زعيم الهنادك غاندى وزعيم الهند الإسلامية دفين الحرم القدسى الشريف (١) محمد على رحمه الله ، وشاعر بنغال طاغور وغيرهم من رجال الهند وزعمائها . ولكن معرفتهم بشاعر الشرق والإسلام الدكتور محمد إقبال ضئيلة جداً . والتبعة فى ذلك علينا ، إذ لم ننقل أفكاره إلى لغة الضاد ، حتى فاضت قريحته بهذه الشكوى اللطيفة :

نواث من به عجم آتش كهين أفروفت
عرب زنغمة شوقم هذوزب جراست

لقد أذكى شعرى النار الخامدة فى قلوب العجم ، ولكن العرب لا تزال تجهل ما أبثه من آيات الوجد والشوق .

لذلك رأيت أن أتحدث إلى قراء الرسالة — وهم الصفوة المختارة من قراء العربية — عن محمد إقبال ، الشاعر الحكيم الذى أوتى نوراً من القرآن الحكيم ، وقبساً من أسرار الكون ، ومنحه الله نظرة ثاقبة فى حوادث المستقبل ، وبصيرة نافذة فى حقائق الأشياء .

نعم ، أريد أن أتحدث إليك عن الرجل الذى أيقظ فى شباب الأمة وشيوخها فكرة الاعتزاز بالقومية الإسلامية ، وجعل من هذه الأمة البائسة المسكينة أمة قوية الشكيمة ، متعصبة العزيمة ، وثابة إلى المجد ، حريصة على تراث أسلافها .

إنى أود أيها القارئ العربى ، أن أعرفك بالشاعر الحكيم الذى جعل من الشبيبة المسلمة الهندية ، وهم متعمقون فى القومية (١) الملونة ، مسلمين صادقين مؤمنين بالوحدة الإسلامية محاربين لنزعات الإقليمية والجمود والإلحاد ، وما أكثر عددهم ؛ فكم من متسكع فى ظلمات الزندقة والإلحاد ورد ماء شعره ،

(١) وهو الذى قال فيه أمير شعراء مصر :
أفنى بدفنك عند سيدة القرى مفت أراد الله فى إفتائه

(١) أريد بالقومية الملونة « القومية » التى تدعى فى مصطلح الافرنج بكلمة Natiomalism وهى فكرة سياسية تناقض مبادىء الاسلام كما لا يخفى . أما القومية المرادفة لكلمة Natiomality فلا مشاحة فيها ، لأن الاسلام لا يحول بين المرء وبين العطف على بنى قومه وعشيرته والتودد إليهم .

فاستحال عليه الاطمئنان ... وقد رحمها الله من هذا الارتياب المنيف إذ ماتت قبله بنحو سنتين وحاول هو أن يرثيها فلم يستطع ومات وفى صدره قصيدتها .

الرزيه الوالد :

ومن المؤلم أنه نكب فى أولاده فاتوا فى طفولتهم . وأخيراً رزق طفلا هو الآن فى الثامنة من عمره ، ولكنه مع الأسف نكب فيه حياً بأفظع مما نكب فى إخوته أمواتاً ! فقد اكتشفت مدرسته الأولية ضعفاً فى نظره بالرغم من حسن منظر عينيه ؛ وهرع (الزين) إلى الطبيب ، وحينئذ علم أن الولد مصاب بمرض ورائى له أثره الخبيث فى شبكية العينين وأنه من المحتمل أن يفقد الإبصار فى مرحلة الشباب !

وخرج من العيادة ضرير الماضى يجر فى يده ضرير المستقبل .

الرزيه العائل :

كان يعول الفقيد العزيز بخلاف ولده هذا زوجة كريمة تقية ولست أدرى شيئاً عن مصيرها بعده .

والرأى لأولى الأمر لعلهم أن يعملوا على تقرير معاش لهما .. فلقد أفنى الرجل نضارة عمره فى الإنتاج الأدبى المثمر أكثر من عشرين عاماً بين جدران «دار الكتب» دون أن يحظى بالتثبيت فى وظيفة دائمة بسبب عاهته ، بينما حظى به آلاف من ذوى العيون التى لم تقرأ كتاباً واحداً !!

عبد الفتاح البارودى

فوجد فيه ما يثلج الفؤاد ، وينور العقل ، ويهذب النفس . وكأين من متشكك فى عقيدته دخل حديقة شعره الغناء ، وهو يريد أن يتنزه بين جداوله وأنهاره فشاهد فيها الزهرة الباسمة التى علقت بفؤاده ، والنرجس الغض الذى أسر فؤاده بجمال مُحياه ، فجعل يدخل فيها الفينة بعد الفينة ، وأخذ يرد عينها الصافية بين آونة وأخرى ، حتى يُشرب فى قلبه بعض ما أشرب صاحبها من حب الإسلام والثقافة الإسلامية .

— ١ —

تخرَّج محمد إقبال فى الكليات المصرية ، ودرس فيها علوم الفلسفة والتاريخ إلى أن نال الشهادة العليا فى الفلسفة . فعُيِّن معلماً للفلسفة فى الكلية الأميرية Goverememt College بلاهور ، وذلك فى السنوات الأولى من هذا القرن ؛ ثم سافر إلى لندن ، وأقام فى جامعة كيمبردج زمناً يدرس الفلسفة والحقوق إلى أن منح شهادة المحاماة Ber—at low ، ثم سافر إلى برلين لدراسة الفلسفة وما زال بها حتى نال لقب الدكتوراه Ph. D. ورجع إلى مسقط رأسه سالماً غانماً .

نشأ إقبال مفطوراً على التأمل والتعمق فى حقائق الكون ، وبدأ يقرض الشعر وهو فى عهد الطلب . وظهرت من أول قصائده أمارات النبوغ والكمال ، مع أنها كانت منسوجة على منوال شعراء العصر فى الغزل والنسيب ؛ ثم أخذ يقرض مقطوعات شعرية فى الطبيعة وذكرى بعض الشعراء ورثاء بعضهم حتى ترقت فكرته الشعرية وأخذ يحس بما ناب وطنه وأهله من النوائب ، فبدأ يجيش صدره بأبيات فى الوطنية تأخذ بمجامع القلوب وتحرك النفوس الخامدة . ومن أحسن قصائده فى هذا العهد وأبلغها أثراً فى القلوب قصيدة نفثة مصدور ، (تصوير درد) التى صور بها حال الهند السيئة وما فيها من تطاحن وشقاق بين أبنائها . وهى أول شعر له عرف به الناس أن ناسج برده شاعر مطبوع يُلهم القول إلهاماً . وكذلك نجد كلمته (بلال) الروح الدينى الذى امتاز به الشاعر ، والذى جعله فى ما بعد يتبوأ كرسى شاعر الإسلام الخالد الذى كان فارغاً منذ مئات من السنين . وجملة القول أن شاعرنا فى أول عهده بالقريض ، كان شاعراً مطبوعاً وطنياً يترقرق الإخلاص فى كل ما يجيش به صدره ؛ لكنه لم يكن إذ ذاك الشاعر الحكيم الذى يشعر بتفكك أوصال الرابطة الاسلامية ، فيدعو أمته إلى الاستمساك بعروتها الوثقى ، وينظر فى مساوىء الحضارة الغربية فيحذر أهل الشرق من الوقوع فى شركها والانخداع بمظاهرها الخلابة ...

— ٢ —

سافر محمد إقبال ، أستاذ الكلية الأميرية فى لاهور إلى لندن وبرلين ليتخصص فى الحقوق والفلسفة ، وقد شاهد الناسُ هذا الشاب الهندى فى جامعات كيمبردج وبرلين مكباً على دراسته ، مشتغلاً بالبحث والتنقيب ؛ لكنهم قلما تنبهوا للروح الاسلامى الذى بقى يضطرب طول إقامته بلندن وبرلين ، ولم تقع أنظارهم على ذلك الشاب المسلم الذى ظلَّ يراقب أحوالهم عن كثب ، ومكث يُعمل بصيرته فى اكتناه أسرار رقيهم ، حتى إذا رجع ، رجع إلى وطنه مسلماً صادقاً ، قد زادته التجارب قوة إلى قوته الايمانية وأطلعته الأيام على مصير المسلمين وأسباب تقهقرهم وانحطاطهم .

ذهب صاحبنا إلى أوربا سنة ١٩٠٥ وقفل منها عام ١٩٠٨ ؛ فمكث بها ثلاث سنين ، مُكباً على دراسته العلمية ما اشتغل فى ظلالها بالشعر إلا قليلاً . ولكن ذلك النزر القليل الذى فاضت به قريحته فى تلك الفترة قد جاء ، وعليه مسحة من الشعور الدينى العميق ، والاشمئزاز من مظاهر التمدن الحديث ، والتبرم بالمتفرنجين من أبنائنا . وعلى ذلك فقد أحسَّ أول مرة فى أوربا بالجامعة الاسلامية وشعر بأن الوطنية الجغرافية لا تزيد المسلمين إلا تمادياً فى الغىِّ وبُعداً عن منهج الإسلام الصحيح . فتحولت فكرته الوطنية إلى فكرة دينية إسلامية ، شاملة لكل من يدين بكلمة الإسلام . ومن هنا نرى أن شعره فى هذه الفترة ، على قلته ، أبسق فرعاً ، وأحلى جنىً ، وأطيب ثمراً منه فى دوره الأول ، فتراه يقول :

نرالا سارى جهال مى اس كو عرب كى معمارنى بنا
بنا مهارب حصار ملت كى اتحاد وطن يس الله

قد اتخذ (أى دار الإسلام) البنَّاء العربى فنا فريداً ممتازاً عن

سائر أبنية العالم ، فليست الوحدة الوطنية أساساً لبناء قوميتنا .

وكذلك نجده يشكو المتفرنجين المفتتنين بأوربا و بُعدهم عن الدين ، ويقول بأسلوبه الشعرى البديع الآخذ بالألباب نعرِّب معناها ، مجردة عن اللطائف الشعرية :

«بالأمس كان رجل ثائر يبكي ويصرخ على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن مسلمى الهند ومصر يريدون أن يهدموا بنيان الإسلام ، ومهما أراد زوار حرم الغرب هؤلاء أن يرشدونا إلى الخير ، فإنهم لا يمكن أن يكون لهم أى سلطان علينا ، لأنهم طالما غفلوا عن اتباع سنتك والاهتداء بهديك » .

ثم يقول فى هذه المقطوعة ما يبكى له قلبُ كل مسلم :

« ومن يُصغى إلى كلامك يا إقبالُ ؟ فإن الزمان قد تغير وإنك تقصُّ علينا الأحاديث البالية فى هذا العصر الحديث » .

ولله درُّه إذ يقول من كلمة له ، يخاطب بها القافلين من سفر الحج :

يا ليت من يسأل الحجاجَ القافلين من بيت الله الحرام : ألم يجدوا هنالك شيئاً يهدونه إلينا غير كاس من ماء زمزم ؟

وأجود شعره فى دوره الثانى ، كلمته الموجعة التى رثى بها صقلية حين عودته إلى الوطن . فإنه حينما مرت باخرته على تلك الجنة المفقودة عاودته الذكرى ولم يكد يملك فؤاده وعينه ، فبكى ملء عينه وجاد طبعه بأبيات أبكت جماً غفيراً من الناس ولا تزال تُبكى ألوفاً من الشبان .

ولله درُّ تلك القريحة المبدعة التى جادت بهذه الكلمة العصماء التى أولها (١) :

تعالى ، ساعدينى أيتها العين الثرثارة وابكى ما شئت دموعاً ودماء فإن تربة المدينة الحجازية ماثلة أمام أعيننا .

ثم تطرق إلى ذكر العرب فهزَّته العاطفة وجعل يُعدِّدُ مفاخرهم التاريخية :

كانت هذه البلاد يوماً ما مركزاً لأولئك العرب الذين
كانت البحار ملعباً لسفنهم فى سالف الأزمان
والذين زلزلوا عروش الأكاسرة والقياصرة
والذين كانت سيوفهم مخدعاً للبروق والرواعدُ

(١) وأنى لهذا الكاتب العجمى أن يفرغها فى قالب من لغة الضاد جدير ببيان الشاعر الناصع الجزيل ، فنكتفى بترجمة معنى الأبيات بصرف النظر عن جمال الأسلوب ، وروعة البيان . وذلك عملا بقوله تعالى : « فإن لم يصبها وابل فطل »

ثم تفنن فى القول وقال : إن بلبل شيراز (سعدى) بكى على أطلال بغداد ، وسكب (داغ (١)) سجال دموعه على (دهلى) الشهيدة ، وأدمى (ابن بدرون) فؤاده رثاءه للأندلس المرحومة ، ومُنى إقبال الحزين بالبكاء على أطلالك وتذراف الدموع على تربتك ، فكأن القدر اصطفى القلب الذى كان حرياً لحبك محرماً

وفى ختام الكلمة بيتٌ ، هو مرآة قلب الشاعر وبيت فيه بيان الحقيقة ، وبها تنتهى الكلمة ، قال سقى الله ثراه ونضر وجهه يوم القيامة . يناجى صقلية :

اشرحى حالك لى وبوحى بما تكنه جوانحك من تباريح الشوق ، فإنى رجل قتله الحب وأضناه هوى مثلك ، وبقية من الركب الذين كنت منزلهم ومحط رحالهم ، سأذهب بهديتك إلى الهند وأبكى فيها أناساً ، كما أنا أبكى ههنا أمامك .

(يتبع) مسعود الندوى

(١) شاعر هندى من أهل دهلى ، عاصمة الهند ، وقد شاهد خرابها بعينه عام ١٨٥٧ م بيد الانجليز فرثاها أوجع رثاء .

دراسات تحليلية :

الجنيـــد

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

فى حاضرة الخلافة العباسية مدينة العلم والنور وبين مجالس الزهد والتقوى ومراتع اللهو والمجون ، ولد العالم الأديب المحدث الفقيـــه الصوفى المتقشف أبو القاسم(1) الجنيد بن محمد الخزاز القواريرى ، ودرج فى بيت أبيه لا يرى فيه من مظاهر النعمة والثراء شيئاً مذكوراً ، ولا تسمع أذناه سوى ارتطام القوارير التى كان أبوه يبيعها . ولما بلغ مبلغ الصبيان صار يذهب إلى دكان أبيه ، فكانت كثيراً ماتقع عيناه على موكب من مواكب الخليفة يسير فى شوارع بغداد خارجاً لصيد أو ذاهباً إلى مسجد لأداء الصلاة تحف به مظاهر الأبهة والملك وتحيط به حاشية من وزراء وقراء وجنود وصحاب، فكانت تستهويه هذه المواكب، وتسحره هذه المظاهر، ويتمنى — شأن كل من فى مثل سنه — أن يكون كأحد هؤلاء الذين يحيطون بالخليفة ويحفون به . أو يمر على حانة من حانات القصف واللهو تختلط فيها رنة الكأس بأصوات المغنيات ، وتتعالى فيها صيحات الاستحسان من قوم سلبتهم بنت الحان عقولهم ، فيقف ينصت لمـا يقولون ويسمع ما به يترنمون ، فيود لوجلس بينهم وشاركهم لهوهم وفرحهم ، فإذا آب إلى بيت أبيه فى أحد أزقة بغداد هاله الفرق البعيد وأخرجته مرارة الحقيقة التى تتجلى له والتى هو رازح تحت كلكلها ، من تصوراته البديعة وتخيلاته العريضة التى كان سابحا فى ملكوتها ، إلى واقع حياته وحياة من يحيطون به .

ولما صار فتى ألحقه والده بحانوت خزاز ليتعلم صنعة تكون له غناء فى حياته ووقاية له من الفاقة ، وكان كثيراً ما يسمع عن أسماء بعض الفقهاء والعلماء ، وأقوالهم ومجالسهم وما حباهم الله به من نور وعرفان ، فتاقت نفسه إلى مشاهدة مجالسهم وسماع أقوالهم . وذات مساء ذهب إلى إحدى الحلقات التى يؤمها كثير من طلاب العلم ، وهناك جلس فى ركن من أركانها قانتاً خاشعاً فى وقار وتهيب وخشية وخوف ، يسمع ما يقال ولا ينبس ببنت شفة ، وسحره القول وأعجبه الحديث ، فصار يتردد على هذا المجلس حتى تفتحت بصيرته وانشرح قلبه لنور ربه ، وبدأ يفهم ما يقال ويتأمل ما يسمع .

ثم سمع بإبراهيم بن خالد الكلبى صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فورد عليه وأنصت لما يقول لجذبه قوله واستأثر به حديثه فلزم مجلسه . واسترعت مواظبة الجنيد وحضوره مبكراً نظر الكلبى فقربه إليه وأدناه من مجلسه ، وأعظم فيه مظاهر الورع والتقى على صغر سنه ، ورأى علائم النجابة بادية عليـه ، فاتخذه تلميذاً له يرعاه ويحدوه بعنايته . ولم يقتصر الجنيد على الفقه بل أخذ من كل علم بطرف ، فكان فى الأخلاق تلميذ معروف الكرخى ، وفى التوحيد تلميذ الحارث المحاسبى ...

وصار الجنيد قبلة الأنظار وهو فى سن العشرين . وفى أحد الأيام قال له خاله السرى السقطى وكان من أساتذته ، تكلم على الناس وعظهم حتى تفيد وتستفيد ، ولتعظ نفسك قبل أن تعظ الناس ، فامتنع عن ذلك لأنه كان يرى نفسه ليس أهلا لذلك ، فرأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت ليلة الجمعة ، فقال له النبى عليه السلام : تكلم على الناس . قال فانتبهت من نومى وأتيت باب السرى قبل أن ينبلج الصبح ، فلما دققت الباب قال لى : لم تصدقنا حتى قيل لك(1) . قال : فقعدت فى هـذا اليوم للناس بالجامع . ثم صار له أتباع ومريدون وأصبح أوحد أهل عصره . فقد كان يفتى فى المسألة الواحدة وجوها لم تخطر على بال العلماء . سأله أحد الفقهاء عن مسألة فأجابه فيها بأجوبة لم تخطر له ، فقال يا أبا القاسم لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت فأعدها على ، فأعادها بجوابات أخرى ، فقال والله ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده على ، فأعادها بجوابات أخرى غير ذلك ، فقال لم أسمع بمثل هذا فأمله على حتى أكتبه . فقال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه ، أى أن الله هو الذى يجرى ذلك على قلبى وينطق به لسانى ؛ وليس هذا مستفادا من كتب ولا من تعلم ؛ وإنما هذا من

(1) لم أعثر على تاريخ مولده بالضبط فيما تحت يدى من مراجع .

(1) وفيات الأعيان ج ٣ .

من فضل ربى يلهمنيه ويجريه على لسانى . وسمعه بعض المتزلة فقال : رأيت فى بغداد شيخاً يقال له الجنيد ما رأت عينى مثله . كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة كلامه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه، وكلامه ناء عن فهمهم.

وبينما هو يسير فى الليل فى درب من دروب بغداد سمع غناء فى دار فعاد به الحنين إلى عهد الطفولة فأنصت، فإذا جارية تقول:

إذا قلت أهدى الهجر لى حلل البـــلى

تقولين : لولا الهجر لم يطب الحب

وإن قلت هـذا القلب أحرقه الجوى

تقولين : نيران الهوى شرف القلب

وإن قلت ماأذنبت قلت مجيبة حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصاح وخرمغشياً عليه. ولما أفاق ورجع إلى بيته أخذ يطيل الفكر فيما سمع ، وترن فى أذنيـه قول الجارية (حياتك ذنب لايقاس به ذنب) فبدأ يتخلف عن مجلسه ويطيل وحدته ويتأمل صنائع الإله وما أبدع فى الكون وبذلك انتقل إلى مرحلة التصوف والميثاق الذى ورد فى كتاب الله جل شأنه والذى بمقتضاه أقسمت الأرواح أن تؤمن به قبل أن تحل فى أبدانها وقبـل أن يخلق الله هذه الأجسام ، هو مذهب الجنيد الذى اعتنقه ونادى به . وصاحب هـذا المذهب يؤمن بوجود حقيقة الإنسان فى الوقت الذى تمهدت فيـه الأرواح بالإيمان لخالقها ، وأن البدن باطل لاوزن له ولايساوى أية قيمة ؛ وأما الحقيقة الإنسانية فهى تنحصر فى الجوهر الروحانى الذى لا تشوبه شوائب المادية ، وفى هذا اليوم الذى تمهدت فيه الأرواح لخالقها بالإيمان تقرر مصير الإنسانية وتحدد نهائياً . ومن هذا اليوم اختار الله السعداء من خلقه فاصطفاهم لحضرته فانكشفت لهم الألوهية فى ذلك الوجود النقى الصافى الذى كان يحتويهم قبل عالم الأشباح ، ثم بعد أن صاروا فى عالم الأشباح لا زال الله يجذبهم إلى العودة إليه من ثنايا هذه الحياة . ولهذه العودة درجات كثيرة مختلفة ومتعددة ، ولـكن أعلى هذه الدرجات وأولاها المعرفة ، وأول مبادئها التوحيد ، ثم تحديد الوحدانية الإلهية ، ولا يكون هذا التحديد حقيقياً إلا بالتنزيه وهو جحود الـكيف والحيث والأين ، ولايحظى بهذه المنزلة إلا من شاء الله له ذلك عن طريق السكر التنسكى وهو نوع من الجنون الفجائى يمن الله به على من اصطفاه فيصبح بواسطته فى حال يصدر فيها عن القول والفعل دون أن يكون مسئولا عما يقول أو يفعل . ومن يمنحهم الله المعرفة ، ويتجلى عليهم بهذه المنزلة يستولى عليهم بعنف جليل . وفى هذا يقول الجنيد عن هؤلاء الذين خصهم الله بقـربه واصطفاهم لحضرته « هؤلاء هم الذين اعتزل الله بهم » .

والمعرفة عنده معرفتان : معرفة حق ، وهى إثبات وحدانية الله تعالى على ما أبرز من الصفات وما أظهر من آثار قدرته فى الأنفس وفى الآفاق . وهذه المعرفة هى معرفة المؤمنين عامـة . ومعرفة حقيقة : وهى مشاهدة السر من عظمة الله وتعظيم حقه وإجلال قدره وتنزيه ربوبيته عن الإحاطة ، لأن الصمد لا تدرك حقائق نعوته وصفاته ؛ فالحق سبحانه وتعالى يشاهد من عظمته . وفى هذا يقول : «المعرفة تردد السريين تعظيم الحق عن الإحاطة وإجلاله عن الدرك » . أما من اكتفى بمظاهر الحياة وما يشاهد فى قلبه من صور ، واعتقد أنه بهذا وصل إلى المعرفة فقد خانه التوفيق وجانبه الصواب والجنيد يقول : «المعرفة أن تعلم ما تصور فى قلبك فالحق بخلافه » . لـكنه وجود يتردد فى الـكون ويحكم تدبيره ، لا تتهيأ العبارة عنه ، ولا تؤدى الـكلمات المقصود منه . فالإنسان مسبوق ، والمسبوق غير محيط بالسابق ، فصاحب الحال قائم موجود عياناً وشخصاً وصفة ونعتاً .

والمعرفة تجعل العارف الذى تعلق بحقيقة الخالق لا يشهد حاله ، بل يشهد سابق علم الحق فيه وأن نهايته صائرة إليه ومصيره إلى ما سبق له ، ومن لم ينعم الله عليه بشهود ما سبق له من الله تحير ، لأنه لا يدرى ما علم الحق فيـه ولا ما جرى القلم به ، ومن عرف ما سبق له من القسمة لا يتقدم ولا يتأخر وتعطل عن الطلب ، فقد عرف أن الله متولى أمره . ومن عرف أن الله متولى أمره تذلل له فى أحكامه وأقضيته وسار فى طريقه مستقيما متذللا . وفى هذا يقول « المعرفة شهود الخاطر بعواقب المصير ، وأن لايتصرف العارف بسر ولا تقصير» . والعارف هو من لبس لـكل حال لبوسها فيكون فى كل حال بما هو أولى وما يناسبه فلا يرى بحال واحدة ، لأن أمره ليس بيده وتصرفه غيره . ولما سئل عن صفة العارف قال : « لون الماء لون الأناء »

وكثيراً ما كان يحكى فى هذا المقام ماحدث لأبى بن كعب . قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب (إن الله أمرنى أن أقرأ عليك) فقال أبى : أو ذكرت هناك يا رسول الله ! قال نعم : فبكى أبى ولم يرحالا يقابله بها ، ولا شكراً يوازى نعمه ، ولا ذكراً يقوم بما يستحقه المولى جل شأنه ، فانقطع فبكى فقال له النبى عليه السلام (عرفت فالزم) .

***

وذكر الله هو سبيل الوصول إلى الحضرة الربانية ، والهيام به هو تصريح المرور إلى مجلس الأنس الأسمى ، ولا يكون حقيقة من القلب إلا إذا استروح الذاكر حب الله وعاين الحق وعل من كأس الحبيب وسكر بخمره . وهوقوت القلوب الذى تحيا به ، وزاد الأرواح التى تتزود به ، وأنس النفوس الذى يذهب عنها الوحشة ويزيل همها وكربها ، والماء الذى يطفىء ظمأ الفؤاد ويخفف من حدة اشتعاله ، وهو الدواء الشافى من العلل والأسقام ، والبلسم المطهر لجراحات القلوب ، وهو حبل الوصل بين الذاكر والمذكور ، وسبيل القرب بين المحب والمحبوب ، وكلما ازداد الذاكر فى ذكر محبوبه استغرافاً وهياماً ، ازداد الحبيب المذكور إلى ذاكره تقرباً وإلى لقياه اشتياقاً . والذكر عنده نوعان : ذكر اللسان وهو أيسر النوعين وأقلها مشقة وأخفها عناء ، وهو ملك للجميع وفى هذا يقول:

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة وأيسرما فى الذكرذكر لسانى

فإذا وافق القلب فى الذكر اللسان ، نسى الذاكر فى جنب الله كل شىء وهان عليه كل شىء وحقر فى نظره متاع الدنيا وزينتها، وطرح مباهجها وراءه ظهريا ، وتعلق بذكر محبوبه وهام به وغرق فى بحر ملكوته القدسى . ومن كانت هذه حاله حفظ الله عليه كل شىء وعوضه بلذة ذكره عن كل شىء ، ومن وصل إلى هذه الدرجة فهوالذى من اللهعليه بمنة الوصل والتعرف؛ لأن من بلغ هذا المقام فقد عرف الله حق المعرفة ؛ فى الأثر الإلهى: (إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه(١)) وفى هذا يقول الجنيد « من ذكر الله عن غير مشاهدة فهو مفترى »

والذكر بالقلب هو أصل المحبة وعنوان التقرب لأنه يغزو قلب الذاكر وفى هذا يقول : « المحبة ميل القلوب » فالذاكر إذا أحب من يذكره مال إليه قلبه وانجذب إلى حضرته وفنى فى ذاته ، فيكون حبه من غيرتكلف ، وهيامه عن صدق وإخلاص . وما دام الذاكر قد مال قلبه إلى من يذكره واتصلت به محبته فإنه يرى اللذة والسعادة فى الخضوع له والتذلل فى حضرته وإطالة الوقوف ببابه طلباً للمثول بين يديه ، والطاعة فيما يأمره به من أعمال ، ويبتعد عما ينهاه عنه ، ويرضى كل الرضا بحكمه فلا تثور نفسه ولا يضجر قلبه إذا نزل به مكروه أو حاقت به نازلة ، يفعل كل ذلك ليحظى بالقرب وينال الرضا من المحبوب ، فإن حظى بمراده وبلغ مأموله فقد طابت له الحياة وصفا عيشه ؛ لأن المحب يتلذذ بكل ما يرد عليه من المحبوب من خير أو شر . وفى هذا يقول : « المحبة لذة والحق لا يتلذذ به لأن مواضع الحقيقة دهش واستبقاء وحيرة » .

وإذا ملك الحب شغاف القلوب ، وتكشف الحال بين المحب والمحبوب ، وأصبحت المحبة تعظيما يحل الأسرار ، وقربا يحيى موات القلوب ، فإذا سمع المحب ذكر محبوبه اضطربت منه الجوارح طربا بالذكر محبوبه فيصبح فى حال من الوجد والهيام ، والمحب إذا كان ضعيفاً إيمانه ضعف وجده ، وضعف الوجد ينتج حالاً من التواجد وهوظهور علامات الهيام على المحب . وأما القوى الإيمان الراسخ القدم الصافى القلب الصادق الحب ، فيكون وجده قوياً وحبه خالصاً ، ومن قوى وجده تمكن فسكن فتراه فى حال من السكر لا يفيق منها أبداً ، وهذه الحال هى حال العارفين . ولا شك أنها خير من الحال الأولى لأن كتمان الحب دليل على قدرة المحب وصبره على تحمل ما يلقى فى سبيل حبه . وفى هذا يقول الجنيد :

الوجديطرب من فى الوجدراحته والوجدعندحضور الحق مفقود
قد كان يطربنى وجدى فأشغلنى عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود

***

والجنيد صوفى متنسك وهو زيادة عن ذلك عالم فقيه محدث

(١) قرن الإنسان من ماثله سناً ، تقول هو على قرنى أى على مثل سنى ، والقرين الصاحب (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) أى صاحب ، والمراد من الحديث القدسى ، أن العارف يذكره وهو مستحضر عظمته مستشعر جلالته وقدرته .

الأزهر والإصلاح

للأستاذ محمد سيد أحمد الشال

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود الشرقاوى فى العدد سنة ٧٨٦ من الرسالة الغراء ، وما علق به الأستاذ سليمان دنيا فى العدد ٧٨٩ من المجلة المذكورة . ومقاله الأستاذ الشرقاوى كما وصفه الأستاذ دنيا قد صور الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر حتى يتحقق له أن يكون قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق ليقاوم ما ينتاش العالم كله من أباحية وإلحاد .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن يخرج الأزهر طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم .

ولقد عتب الأستاذ الشرقاوى أنه لم يرسم الخطوط ولم يبين المعالم للاصلاح . وأنا بدورى أعتب على الأستاذ دنيا أنه لم يحاول أن يكون له فضل السبق إلى بيان الطريق الموصل إلى الإصلاح بعد قوله : فى الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر يجاهدون ما وسعهم الجهد لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة. ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولاتهم ولكنهم دائبون حريصون؛

ومن الأزهريين كثير من الشغوفين بالحديث عن الإصلاح فى الأزهر حتى أصبح شغلهم الشاغل وهمهم الذى يتنذاكرونه فى غدوهم ورواحهم وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ولهم فى هذه السبيل نشاط مذكور .

وأنا لا أشك فى أن الأستاذ دنيا من هذا النفر الكريم الذى يعملون فى هدوء ويفكرون فى سكينة ولايطلع أحد على مجهودهم أولا يحبون أن يقف أحد على مجهودهم . ولا أدرى إلى متى يظلون يفكرون ويقلبون الرأى ويمحصونه ويستخلصون من وراء ذلك كله ما لا يطلع عليه أحد أو ما لا يريدون أن يطلع عليه أحد .

وعلى هؤلاء وحدهم ممن يشعرون بالمسؤولية ويلمسون النقص وبين جوانحهم ضمائر حين تفكر فى النهوض بالأزهر إلى المستوى اللائق به تقع التبعة أمام الجيل الحاضر والأجيال القادمة بل أمام الله وأمام رسوله .

وإلى متى يظل هؤلاء فى تفكيرهم وسكوتهم . ألم يسمعوا المرسوم الصادر بإنشاء قسم للشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق لدراسة فقه القرآن والسنة والفقه الإسلامى وأصوله وغير ذلك من المواد ؟ ألم يسمعوا بما اعتزمته الجامعة العربية من إنشاء معهد للفقه الإسلامى ودراسته مع ما يتعلق بذلك من دراسة القوانين الوضعية والمقارنة بين القوانين ؟

وإلى متى يظل التفكير فى الإصلاح وطرقه ؟ وأظن أنه سيظل إلى أن ينفذ المرسوم بإنشاء قسم للشريعة فى كلية الحقوق ، وبإنشائه تكون السبيل قد مهدت لتوحيد القضاء الشرعى وهو المظهر الضيق الباقى من آثار التشريع الإسلامى . وإلى أن تنفذ الجامعة العربية ما قدرته من إنشاء معهد للفقه الإسلامى تتوسع فيه كل التوسع وتمتز به كل الاعتزاز وتؤازره كل المؤازرة حتى يخرج رجالا لهم دراسات واسعة مطابقة للأوضاع الحديثة والاصلاحات الجديدة فى الاستنباط والتطبيق والاجتهاد .

وأظن أنه لا يشك أحد أن فى تنفيذ ما تقدم سلباً لكثير من حقوق الأزهر واختصاصه واعتداء على ما هيأ نفسه له .

وأى شىء يبقى له بعد ضم دار العلوم للجامعة وبعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه الاسلامى ؟ وأى باعث على ضم دار العلوم

وله كثير من المؤلفات منها (كتاب التوحيد ، وكتاب الفناء ، وكتاب الميثاق ، وكتاب دواء الأرواح ، وكتاب آداب الفقر ، وكتاب سر أنفاس الصوفية ، وغير ذلك كثير) كما أن له رسائل هامة وأجوبة على كثير من الأسئلة التى كانت توجه إليه . وكان ورده فى اليوم ثلثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة . ولما حضرته الوفاة جعل يصلى ويتلو القرآن فقيل له لو رفقت بنفسك فى مثل هذا الحال ؟ فقال: لا أجد أحوج منى إلى ذلك الآن ، وهذا أوان طى صحيفتى . ثم فاضت روحه ، وكان ذلك سنه ٢٩٨ للهجرة النبوية ، فبكاه الأمراء والعظماء وسارت وراء نعشه بغداد كما كانت تسير وراءه أيام حياته ، وحزن عليه الأصحاب والمريدون .

(أسيوط) **عبد الموجود عبد الحافظ**

رحلات فى ديار الشام فى القرن الثامن عشر الهجرى :

٤ – اردان حلة الاحسان

فى الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكرى الصديقى

(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

سنة ١٤١١ هـ وفيها قدم الرحالة المصرى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي إلى بيت المقدس :

« نمت علينا بركات سنة (١١٤٣ هـ) فعملنا عاشورا وتألفنا للسير إلى الزيارة(١) ، وتأهب للتوجه معنا جمع أخيار منهم الأخ الأمجد العديم الأنظار الشيخ أحمد المراغى سالف الأعصار ، والأخ محمد سعيد البصرى البار ، وز كريا النسيبى السيار ، وجملة حضار وبتنا فى السيد (شمويل) ومن حماه كن للأوكار طار ، وإن استقر منا للراحة فى بعض المهار قدار إلى بلدة (لد) المعمورة الجهات والأقطار ، بالمدرات المسرات المار من خطار ، واجتمعنا بصديقنا الفاضل المسعود الشيخ أبى السعود ، فأكرم وحيا ، وزرنا أخاه المرحوم الشيخ حسين رحمه الله ، وسرنا صباحاً إلى يازور ونزلنا داراً تعزى إذ تنسب الملاح وبتنا ليلة الخميس بيسط ما عليه مقيس، وفى ذلك اليوم الجالب التعيس ، سادس عشر محرم توجه الأخ ز كريا (نسيبه) ليغتسل فى البحر ، وما درى السباحة بقيس ، فغاب فيه روحاً وجسما عن العين ، وما ظهر إلا يوم الجمعة فكدر رائق وقت أنيس ، ثم انا استرجعناه ودفناه فى مقبرة الجامع الجديد التأسيس(١) ، وسرنا إلى الحرم(٢) نترحم على المفقود وعملنا له ختمة قدها يميس ، وأهديناه تهليلة جليلة ، وكان الحاج حسن القلدى (الجيوسى) وفد علينا الاسكلة(٣) ، وأقمنا

(١) كانت هذه الزيارة سنوية إلى مقام على بن عليل على ساحل يافا .

(١) هى المقبرة شمالى سراى يافا الآن . والجامع الجديد بنى فى هذا القرن وقد وقف على تعميره الشيخ محمد الخليلى .

(٢) الحرم هو مقام سيدنا على ويعرف بالحرم .

(٣) هى الميناء ، والمقصود يافا .

للجامعة وهى تأخذ طلبتها من أبناء الأزهر وقد توحدت أو كادت البرامج بينها وبين كلية اللغة وتشرف وزارة المعارف على الامتحانات فى كلية اللغة .

أفما كان الأولى أن تضم دار العلوم للأزهر بدلاً من ضمها إلى كلية الآداب فالأزهر أمس بها رحما وأقرب صلة من الجامعة . ألم يكن فى ضمها للأزهر قضاء على المنافسة التى تتجدد بين حين وآخر واستتباب للأزهر بتقوية إحدى دعائمه وحفز للحكومات المختلفة على أن توليه الكثير من العناية لاعتمادها عليه فى تخريج معلم اللغة العربية التى قام بحراستها منذ ألف عام .

وأى شىء للأزهر بعد إنشاء قسم الشريعة ومعهد الفقه ؟ وهل عقم الأزهر أو استعصى على الإصلاح حتى يفكر أولو الأمر فى هذا الانشاء ؟ ولم لم يتجهوا إلى الأزهر ويشتركوا مع رجاله فى رسم خير الطرق لهذه الدراسات . وهل امتنع الأزهر ورجاله عن مشاركتهم ومدارسة الأمور حتى يرسموا لاصلاحه ما ينهض به لمجاراة العصر مع المحافظة على كيانه وطابعه . وأغلب الظن أن المراد بانشاء معهد للفقه الاسلامى هو العمل على سلب جزء آخر من اختصاص الأزهر حتى إذا ما استوى ذلك المعهد تقرر ضمه للجامعة أيضاً كما ضمت دار العلوم . وبذلك لا يبقى للأزهر من الاختصاص إلا ما يمس دراسة أصول الأديان وطرق الدعوة وهذا أمر هين . وليس بغريب أن نرى عما قريب اقتراحاً آخر بانشاء هذا القسم وضمه إلى كلية من كليات الجامعة، وبذلك يسلب الأزهر جميع اختصاصه ولا يبقى لوجوده أى مسوغ ما دامت الجامعة قد قامت برسالته فى فروع مختلفة. وأظن أن هذا تنفيذ لما رسمه الدكتور طه حسين بك فى كتابه مستقبل الثقافة من توحيد البرامج فى الابتدائى والثانوى والاستغناء عن الأزهر بانشاء قسم للاهوت وإلحاقه باحدى كليات الجامعة كما هو الحال فى جامعات الغرب وبخاصة فرنسا . وإذا لم يكن تنفيذ هذه السياسة سافراً فظاهر الخطوات المتقدمة توحى بأن العمل جار على تحقيقها إذا لم يتدارك رجال الأزهر الأمر بالعمل السريع على إصلاح الأزهر إصلاحاً عاماً شاملاً يتناول ما يتصل بالعلم والطالب والكتاب .

(الكلام بقية)

محمد سيد أحمد الشال

مندوب الأزهر لتدريس الشريعة

بكلية المقاصد الاسلامية ببيروت

فى الزيارة ليلتين ، وودعنا وسرنا إلى أن دخلنا قرية المذكور (كور) ومنها تعلقت بنا حمى الربع الجالية الأجور ، لسابق قضاء وقدر مسطور ، وولجنا نابلس المحروسة الطلول والدور ، وأقمنا ثلاثة أيام أنسها يعور فلا يفور ، وأتينا (جماعين) ونزلنا المحلة الفوقية ومنها عمدنا (الزاوية) ونزلنا منها إلى دير غسان لإلحاح الإخوان بها ووقفنا على تلك الآثار ، وفى الصحاح وغسان إسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه ، منهم بنو جفنة ، رهط الملوك ، ويقال غسان إسم قبيلة . انتهى . وفى لب الألباب فى تحرير الأنساب للسيوطى ، الأزدى بفتح وسكون فهملة إلى إزد شنوءة بن الغوث ... إلى إسماعيل وفى اللب ، الغسانى بالفتح والتشديد إلى غسان قبيلة من الإزد ، وجد غسان رأس الغسانية من المرجئة ، وبضم أوله إلى غسان بن جذام بطن من الصدف ، قال فيه الصدفى بفتحين وفاه إلى الصدف ، بكسر الدال قبيلة من حمير . انتهى .

وأهلها المقيمون فيها الآن ينتسبون إلى جدهم برغوث(١) ولذا لقبوا بالبراغثة ، وهم مشايخ بنى زيد الآن وجباة وقف الصخرة والخليل ، فى تلك الأوطان ، لكنهم بقلة الحكم وضعف ولاة الزمان جبوا لأنفسهم ، وأكلوا ما للوقفين استبان حتى مال منهما القبان ، إلى الخفا بعد العيان ، وتوجهنا إلى (عابود) بلدة سيد الأكوان الداخلة فى وقف الحرمين من غابر أوان ، ومنها ختمنا مقابلة (العرائس القدسية) المفصحة عن الدسائس النفسية بحضور إخوان فى واديها المصان وعدنا إلى الأوطان ، وسلينا والد المفقود بما أمكن وبشرناه بحلوله جنة الأمان . وأرسلت كتاباً إلى الشيخ محمد المكتبى ، وأرسلت آخر إلى الأخ الأمجد الشيخ أحمد نجل سمية خطيب الخسروية . وكتبت آخر للأخ الحميم عبد الكريم الشراباتى ، وقلت :

مر للمنـازل يا نديمى تسق من الخمر القديم (الخ)

ولما دخل شهر ربيع الأول ورد علينا من صديقنا الروحانى الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى كتاب يطلب فيه التدانى من حينا القدسى ، ويتشوق للقا النفسى الحسى الأركانى ، وطلب كتابة كتاب لوالده ترجى منه الإذن بالمسير فأجبته وصدرته بقولى :

راح الحشا والروح والريحان وصل سما روحاً مع الريحان

وكتبت له ، ولوالده ، طالباً الإذن للولد بالزيارة وأن يعود إن شاء الله فى أقرب مدة .

« وقدم علينا الديار عقب هذا المكتوب الصديق القديم الشيخ داود الدمياطى وسألناه عن المكاتبة فأخبر بوصولها ، وأن الأخ المكاتب عن قريب يجوب ، وفى هذه الديار يتملى بالأنوار ولوطنه يؤوب ، ولما عزم على المسير إلى الشام ، طلب أجازة ، فكتبت له . ثم ورد علينا من الصديق الشيخ مصطفى كتاب يعلم بقرب الجواز . فأرسلت له كتاباً وقلته :

سلام على أهل وادى الهوى أناس فؤادى إليهم هوى (الخ)

وأرسلت للصديق السيد أحمد الأدهمى نجل السيد صالح الطرابلسى السمى ، جواباً عن كتابين أرسلها إلى بحال همى والمذكور له صحبة قديمة محفوظ عهدها أكرمى ، فى بلده ، وأخرى جديدة تؤذن بعدد نمى فى دمياط لما أتيتها والفؤاد محتمى فقلت .

لفتى الصبابة يا سعاد ترحمي مضنى لغير جمالك لاينتمى (الخ)

وجواب الكتاب الثانى ، صدرته بقولى .

أيها النفس باختيارك موتى واخرجى عن ملابس الناسوت

الحمى تنتهك الشيخ ، وينتظر مولوداً جديداً :

« ولما تمادت الحمى فى غيها على ، وزادنى كرب عيها الواصل إلى ، ولم يفد فيها بده ساعة دوا ، ولا أنجع قلم له وصف ارتوى ، ورد على الفؤاد وارد ، وهو امتداح جناب الخليفة السيد الممود سيدى داود ، فقلت غب زيارته يوم الخميس المشهود .

إن قلبى نحو الحظائر نودى حين فوجى بلمع نور وبودى

إلى أن قال .

فلهذا ناديت والجسم أضحى ضمن نار كالنار ذات الوقود
يا حبيبى داود كن لى شفيعاً إن دائى قد كاد يفنى وجودى

وقد استجاب الله دعاء الشيخ ثم يقول :

وكان أواخر ذى القعدة الحرام من سنة (١١٤٢ هـ) تبين حمل وفى ذى الحجة عاد كاليقين ، وفى محرم اتضح ذلك الابهام ، وكانت البنية السعيدة الجنانية الفريدة ، بلغت عاماً ونصفاً أو أقل بأيام ، نخفنا عليها الغيلة ، فحميناها بالفطام .

وكنت كثيراً ما أسمع قصيدة شيخنا جناب الشيخ عبد الغنى (النابلسى) التى مطلعها البسام :

(١) هم آل البرغوثى شيوخ بنى زيد ، وبلدتهم دير غسانة ، وهم منتشرون في قرى بيت ريما ، وقداوة ، وكفر عين ، ودير نظام الخ .

يا أشرف الرسل ضاقت فأرسل الفرجا
فإننى فيك قد أملت ألف رجا

فأحببت أن أقتدى بهذا المولى فقلت :

يا سيد الخلق إن القلب مبتهجا أضحى بحبك للتقريب منتهجا

المولود الجديد محمد كمال الدين :

ولما هل هلال شعبان المبارك ، ومضى منه ثلاث ليال ، ولد الولد المحمود محمد كمال الدين وكنيته أبا الفتوح ، منح الرفد التام السعيد إن شاء الله تعالى وتبارك ، أنشأه الله نشوء عبد الله ابن المبارك .

وعندما دخل شهر الصيام كنت أبيض الجزء الثانى من (شرح الورد السحرى) . فنجز فى يوم الاثنين ختام العشر الثانى من شهر رمضان سنة ١١٤٣ هـ .

قدوم الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى الدمياطى الرحالة :

وحين دخل العيد الصغير ، ومضى منه يوم أول وثانى وثالث توجهت لزيارة سيدى داود ، وبت فى جوار الخليفة داود ، مع أنفار أمنوا النهار كل خيفة ، وذلك فى أواخر القعدة ، لداع دعا للمبيت فى تلك الخيام ، وفيه قدم الأخ الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى ، ولما تلاقينا معه بسطنا بساط الباسطة ، واختلينا واجتلينا عرائس الأنس وما بيننا واسطة ، فى بيتنا المعمور . ولما أخذ وانتسب وأقبل ما احتجب أقام فى خلوة حرمية واستقام فى جلوة كرمية ، مشمراً ذيل الاجتهاد ، معمراً اللب بالاستمداد . وكنت فى أواسط شوال المبارك ، شرعت فى عمارة دارنا الفوقية فتم منها المراد ، ونزلت أشطح معه فى السطح الحرمى ، وتارة أسبح ناحية المهد فى يم البسط البهمى ، وما برح يتلق ويستقى سلاف الأسلاف ويسق ويأتى المنزل مجداً لم يهزل ، فنحيك معه ثوب المؤانسة ونغزل ، ونطلب له من ربه الجيل عطاه بجزل بكل بر جميل .

وصف الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى لقاءه الشيخ البكرى والاجتماع به :

وإننا نترك الآن الشيخ اللقيمى الحسنى بسط بن غانم المقدسى السعدى الخزرجى يصف لنا فى رحلته (كتاب سوانح الأنس برحلتى لوادى القدس سنة ١١٤٣ هـ [١]) إجتماعه بالشيخ البكرى ببيت القدس قال « ثم دخلنا المدينة من باب الخليل ، وجاء الأنس بالسعد لنا دليل ، فنزلنا بمنزل قطب دائرة الأفلاك الحسنية ، واسطة عقد العصابة الهاشمية ، خلاصة السادة الأشراف ، وصفوة بنى عبد مناف ، من قال بحسن سيرته النجوم الزواهر ، وبجميل طلعته البدور النواضر ، الراسخ فى العلم الإلهى ، المكاشف عن أسرار الحقائق كما هى أستاذ كل أستاذ وملاذ كل ملاذ ، مولانا السيد مصطفى البكرى الصديق قدس الله سره الشريف ، وأسكرنا من كأس خمره الرحيق فبرؤيته وردت على واردات السرور من كل جانب ، وأيقنت ببلوغ المآرب والمطالب ، وعند ذلك جاد الجفن بالدمع وسحح ، لما اعتراه من المسرة والفرح ، فتلقانى بوجه طلق بسام ، وعذوبة لفظ تذرى باللآلىء فى النظام ، فان أستاذنا المذكور قدس الله سره الشريف ، بمظهر الجمال فى أرفع محل منيف ، مع لطف بلغ غاية الكمال ، وحسن خلق وفضل وإفضال ، فوالنجم إذا هوى ، إنه لجميع المحاسن قد حوى ، وهو الذى يقتدى به المقتدون ، وبسمته يهتدى المهتدون ، وبمحاسن الصفات محلى ، رفع الله له فى الملا محلا .

مولى تحلى بالفضائل والتقى وأشاد من طرق الحقيقة ممهدا
ودعى إلى النهج القويم مسلكا لطريقه منها شهدنا الشهدا

انتهى كلام اللقيمى » .

وفاة الشيخ عبد الغنى النابلسى :

« وفى أوائل شوال ورد خبر وفاة شيخنا الهمام المفضال بركة الديار وشامة الشام جناب الشيخ عبد الغنى القدام فشرعت فى عمل ترجمة مختصرة على المكاتبات التى كتبتها لجنابه مقتصرة ، وسميتها : « الفتح الطرى الجنى فى بعض مآثر شيخنا الشيخ عبد الغنى » ، وعملت فى آخرها مرثية مطلعها السنى المختوم بالا كؤس الأنسية :

---

(١) رحلة مخطوطة نفيسة ، نشرت ملخصها فى كتابى رحلات إلى ديار الشام ، ولدى البكوات آل مكى فى المجدل نسخة اعتمدت عليها . وقد جاء اللقيمى من مصر عبر الصحراء إلى القدس ومنها إلى دمشق قصيدا فقبرص وعاد إلى مصر .

ســـلام على عيش صب هنى   لقد سار مذ سار بدر سنى
ومـــذ مات بالحى أرخ وهم   لقد عاش بالحق عيشـــا هنى

وما زال الأخ اللقيمى المقدم فى مدة إقامته التى فيها يتقدم يستعمل أوراداً فيجد أمداداً ويفتح أبواباً شداداً ، فيمنح أحوالا سداداً ، إلى أن قرب عيد الأضحى ، فلقنته الإسم الثانى فصحى غب ، ما خباً انمحى ، ونحا التقريب لاحيا للاحى فرحاً ورأيت معه رسالة للحاتمى ، ذكر فيهـا مبشراته النبوية ، فاقتفيت أثر مناهجه المرضية ، وسميت الـكراسة « بالدرر المنتثرات من الحضرات العندية ، فى غرر المبشرات بالذات العبدية المحمدية » .

بئر للخلوة البيرمية فى الحرم القدسى .

« وكنت قلت للأخ الحاج حسن حبى ، لما طلب فى الحرم أثراً ينتج الميرمتنى ، أن الخلوة (البيرمية) تحتاج إلى بئر صغير فانتدبت له طالباً من النصير التيسير ولمـا أحضرت ما يلزم من الأحجار والجير ، أمرت بإحضار ، فعلة لأجل الحفير ، وألهمت أن أشرت بحفر محل معين بمعونة الخبير ، فحفر خندق ، وباشره من حضر من أجير ، فظهرت ثانى يوم مصفاة بئر قديم التعمير ، ثم عثرنا بعد ذلك بفضل القدير ، فتوفر علينا بوجدانه شىء كثير ، ورأينا ما دورته تزيد على الـكاس(١) الشهير ، ورفعنا بناءه نحو ثمانية أذرع لجمع الماء النمير . ولما رآه شيخنا الشيخ محمد الخليلى ، قال هذه كرامة من غير نـكير ، لفلان وعلامة تهوين وتيسير ، وإلا كان يمكنه أن يشير فى الحضير إلى غير هـذا المحل لاتساع كبير ، قلت ووقع لهذا التسهيل نظير عندنا فى الدار حال التعمير ، فلم نستر لأجـل الستارات الـكبا شيئاً بقطمير ، واحتجنا إلى روزنة(٢) فى المطبخ لأجل التنوير ، فقال البناء أين أحفر قلت هنا وتوكل على القدير ، فظهرت روزنة قديمة فعجب وقال هذا حال خطير ، قلت بل اتفاقية أبرزها التقدير .

دخول سنة (١١٤٤ﻫ) ، الزيارة الخليلية ، السنوية وظهور الطاعون ببيت المقدس :

« وعند ما دخل العيد الـكبير وتمت بعدها عمارة البير ، بقى من لوازمه المصارة ، وهى تحتاج إلى إتقان ومهارة ، فأحضرت لها ما يلزم ، وواقفنا عليها رجلا على المباشرة عزم ، ولما نوى العام المؤرخ على الرحيل ، ودخلت سنة (١١٤٤ﻫ) بتكبير وتهليل ، حضرنا بقية الشهر فى المسجد ، وتوجهنا غرة صفر الخير إلى زيارة على بن على زنجى المير ، وكان حضرنا الأخ الشيخ رضوان الزادى والشيخ ابرهيم العرابى ، وسرنا معهم جملة إخوان منهم الأخ الشيخ مصطفى أسعد [اللقيمى] ، وكانت الحمى الربعية لم تفارق ، لأمر إلهى نوره بارق ، وبتنا فى المقر الشمويلى الأنزه ، وقلت :

ألا أيها الطلاب سيروا إلى اللقا   عسا كم به تسقون كأساً مروقا

وتوجهنا على بنى حمار(١) ومنها إلى (سبطاره) التى تشن العرب حولها الغارة ، وجلسنا فيها مع الأخ اللقيمى نتذاكر بأنس يأتى بكل قرية خير . وكان الأخ المذكور أثر فيه برد البلاد فتغير مزاجه وفى (يازور) زاد ، وتوجه صحبة شريكه النجار إلى (يافا) ولحقناه فيها نتصافى ، ثم سرنا منها إلى المقام المليلى الندى ، وورد علينا فيها الأخ الحاج حسن المقـلدى ، وبعض مضى أوقات الزيارة ، سبقنا الأخ اللقمى لوادى نابلس الفياح وتنقلنا إلى أن وصـلنا (كوثر) والقلب مشتغل ، والفـكر فيه بالحمى فتور ، وجاءنا الخبر أن الشيخ عبـد الرحمن السمان جاء نابلس للزيارة القدسية وصحبته المنلا عباس تلميذ شيخنا المرحوم المنلا الياس المتوفى سادس عشر شعبان سنة (١١٣٨ﻫ) . ثم أن ورد علينا بمن معه (كور) ، وعدنا جميعاً إلى نابلس فى حبور ، وبعد ثلاثة أيام من الإقامة فيها ودعنا الأخ اللقيمى وبقية الأحباب وسرنا إلى (جماعين) . ورأى جامعها السمان فسر به وقال إنه وعهد واف لجامع فى قاف ، لـكن ذلك كبير واسع وماؤه فيض له هتان . قلت له : أتدرى إمامه الذى فيه يصلى مفره يصان . قال : نعم ، رأيته والقوم كلهم له فى ذى المقام . ثم عدنا للديار المقدسة ، وبقى خاطرنا عند الأخ اللقيمي ، وجاءنا الخبر بتوجهه إلى وطنه الصبيب (أى مصر) . وكان ورد البلاد العالم الفاضل المراد الشيخ عقيلة المـكى الوطنى اليمنى الأصل والمولد ، يوم الخميس من شهر ربيع الأول الأنيس ، واجتمعت به فى منزله للسلام ، وحضرت درسه العام باستسلام ، وأخبر عن تأليفه الإحسان . ولما أوقفنى عليه قرظته :

يا راقياً لمدارج الإحسان   أحسنت فى الإحسان بالإحسان

(النهاية فى العدد القادم)

أحمد سامح الخالدى

---

(١) هو بركة فى وسطه ما يشبه الـكاس بين المسجد الأقصى والصخرة حيث يصب فيه الماء فى برك سليمان .

(٢) الروزنة هى النافذة المطلة على الطريق وقد علاها قضبان من الخشب أو الحديد لمنع الـكشف .

(١) فضاء يقع شرق الرملة قاعدته بلدة « نعلين » .

في موكب العيد :

من وحي اللاجئين

للأستاذ إبراهيم الوائلي

لكم العيد نعيماً وهناء   ولنا العيد جحيماً وشقاء
لكم العيد كأنفاس الضحى   ألقاً يبسم حسناً وبهاء
ولنا العيد ظلاماً دامساً   لم نطالع فيه للفجر ضياء
لكم العيد نشيداً ورؤى   وأهازيج ولحناً وغناء
ولنا العيد حنيناً وأسى   ومناحات وشجواً وبكاء
لكم العيد ابتهاجاً ومنى   ضاحكات وانطلاقاً وازدهاء
ولنا العيد قلوباً ذوبت   فأذالتها مآقينا دماء
لكم العيد قرى فارهة   وبيوتاً تملأ النفس رجاء
ولنا العيد تهاويل دجى   تبعث الرعب صباحاً ومساء
نحن ما نحن أفى أوطاننا   نلبس التشريد والذل رداء ؟ !
نحن ما نحن أعن تربتنا   للطريدين غدونا طرداء ؟
الطفولات عراها ما عرا   من أذى اليتم ولم تلق عزاء
والأيامى وسلوا تاريخها   هل أباحت لسنا الشمس سناء
هيمن الثكل عليها ومضت   تعبر البيد وتطويها حفاء
هى بالأمس ترى سيدها   حارس البيت كما شاءت وشاء
وهى اليوم تراه شبحاً   لثم التربة واشتاق الثواء
كلما نادت به لم تستجب   غير دنيا القفر للثكل نداء
زمر باتت على مسغبة   تحصد الشوك وتقتات الغثاء
فيتيم أفلت اليتم به   من وحوش ملئوا الليل عواء
وفتاة أسندت راحتها   طفلة تبكى وأماً نفساء
ورضيع كلما اشتد به   ألم الجوع احتسى الدمع غذاء
لم يجد فى الثدى — إذ يلمسه   بيد واهنة — إلا ذماء

* * *

لكم العيد مروجاً تزدهى   ونسيماً فى مجاليها رخاء
ولنا العيد رمالاً تلتظى   وأعاصير وشوكاً وعراء
لكم العيد تضحون به   ما تشاؤون من الضأن فداء
ولنا العيد وما فديته   غير أحرار تفانوا شهداء
كتبوا تاريخ جيل ثائر   ما ونى يوماً ولا ارتد وراء
واستجابوا لأمانى وطن   كافح الظلم وداس الكبرياء
البطولات وما أعظمها   قد خبرناها رجالاً ونساء
والميادين وكم قد حجبت   بدخان الثورة الكبرى سماء
قد ولدنا نحن والحرب معاً   واحتملناها فلم نشك العياء
وخضدنا شوكة (البغى) التى   غرستها (لندن) فى الشرق داء
وتسابقنا فلم نخش الردى   يوم أن ثرنا ولم نحذر فناء
ثورة الشرق وما ازدادت لها   شعل إلا لتزداد مضاء
أيها التأريخ هذى صفحة   سوف تطويك خلوداً وبقاء
قد كتبناها ولكن بدم   ونشرناها على الدهر لواء
ونضال طال لكن ما رأى   غيرنا فيه الضحايا الأبرياء
عبر الوحش فألفى تربة   خصبة المرعى وأفياء وماء
ومضى يكرع ما شاء وقد   كان يشكو فى المتيهات الظماء
وعلى (المانش) يد عاتية   كلما أوغل زادته احتماء
يد (جنبول) ويادنيا اشهدى   كم أساءت يد جنبول وساء
هذه التربة ماذا كابدت   منذ أن كانت تقل الدخلاء
صيروها مزقاً خاوية   وأحالوها عظاماً ودماء
فإذا نحن حيارى فزعاً   نستجير البيد والقفر الخلاء
ونرود الماء لكن ما نرى   غير أوشال فترتد ظماء

* * *

أيها العدل سلاماً فلقد   صيروا عهدك فى الكون هباء
ملأوا العالم رعباً ومضوا   يدعون الحق كذباً ورياء !
فإذا (الأمن) خيال كاذب   وطيوف تتجافانا ازدراء
جفت الأرض من الرى فيا   خالق النبتة أمطرها السماء

(القاهرة)   ابراهيم الوائلى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الحاكم بأمر الله :

مسرحية تاريخية ، ألفها الأستاذ علي أحمد باكثير ، وأخرجها الأستاذ زكي طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا في مفتتح موسمها التمثيلي . وتدور القصة حول الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، وتصور شذوذه وغرائب أفعاله ، والحادثة الهامة فيها أو «العقدة» هي ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية ، وقد تخيل المؤلف – لكشف سر هذا الادعاء – أن « المجمع الفارسي » بعث جماعة على رأسهم رجل اسمه حمزة الزوزني ، للعمل على هدم الدين الإسلامي في مصر ، فراقب حمزة الحاكم حتى ألم بأحواله وعرف أنه روض نفسه على الحرمان من طيبات العيش والتخلص من الرحمة وسائر العواطف الإنسانية التي يسميها ضعفاً بشرياً ، فيتصل به ويوهمه أنه إله ويستعين على ذلك بتلفيق كتاب يدعي حمزة أنه مخطوط قديم ورثه عن آبائه ، ويتنبأ الكتاب بظهور ملك في مصر يحل فيه روح الله ، وتنطبق أوصافه على الحاكم بأمر الله ، فيضطرب الحاكم أولا ثم يقتنع بأنه إله ، ويتخذ حمزة رسولا له . وتسير الحوادث على هذا الخط حتى يفتضح أمر الفارسي بوقوع رسالة آتية إليه من المجمع الفارسي في يد الحاكم بأمر الله ، فتتكشف له الحقيقة ويكفر بنفسه ..

ويبدو للمتأمل أن المؤلف لا يريد بيان سر الحاكم بأمر الله ، وإنما يرمي إلى تحليل شخصيته ، فتخيل خداع الفارسي للحاكم لا يتجه إلى حقيقة تاريخية ، من حيث إبداء رأي تاريخي في الباعث للحاكم على ما كان منه ، وإنما هو حبكة مسرحية غايتها خلق المواقف وترتيب الحوادث للوصول إلى تصوير هذه الشخصية الغريبة وبيان ما أحاط بها ، واستغلال كل ذلك في تقديم فن ممتع .

هذه هي غاية القصة كما أفهم ، وقد وصل فيها المؤلف إلى درجة لا بأس بها ، فقد صور الصراع بين الحاكم بأمر الله وأخته ست الملك ، وصور الصراع بين الحاكم وبين نفسه ، ووجه طاقته إلى إبراز الأحاسيس وخوالج النفوس ، فنجح في كل ذلك ، وإن كنت ألاحظ أنه عزز جانب الألوهية وقوى حجة ما سماه التخلص من الضعف الإنساني ، فأظهر – مثلا – الحاكم بأمر الله في ذبحه الغلام بمظهر الفيلسوف المنطقي ، وكان لابد من عمل شيء للسخرية من هذا المنطق . ومن ذلك أيضاً الحجة الدامغة التي أجراها على لسان حمزة الزوزني عند ما رد على الرجل الذي اعترض على الحاكم لأنه يسأله ويجب أن يكون عالماً بما يسأل عنه إن كان إلها حقاً ... رد حمزة بأن الله يسأل عباده يوم القيامة عما فعلوا بدنياهم وهو عالم به !

وما هو « المجمع الفارسي » الذي يعمل لهدم الإسلام في مصر ؟ أليس إبهامه في الرواية يوهم بأنه كان هيئة رسمية في الدولة الفارسية الإسلامية ! ؟ .

وحقاً إن الشعب المصري كان إذ ذاك ضعيفاً مسكيناً مسالماً ، ولكن لم إبراز ذلك على المسرح والتنويه به على أنه صفة دائمة له وفضيلة راسخة فيه ؟

وتنتهي المسرحية بختام يبدو غير طبيعي ، فإن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله التي كانت تقاوم جبروته وتعمل على أن ترده إلى صوابه ولما يئست منه دبرت قتله – تلتقي به في خلوته بجبل المقطم فيجري بينهما حوار يبدي فيه الحاكم ندمه ويستغفر ربه ويطلب منها الصفح عما بدر منه في حقها ، وكان هذا يقتضي أن ترق له وتحول دون تنفيذ القتل بعد ما بان لها صلاح أمره . ولست أدري هل المؤلف هو الذي جعل الحاكم يصحح موقفه أمام أخته ثم تقتله ، وهي عنصر خير في الرواية ، أوحدث تعديل هذه النهاية في الإخراج ليكسب يوسف وهبي (ممثل الحاكم) محبة الجمهور وعطفه ... ؟

ويدل الإخراج والتمثيل على الكفايات المختلفة التي تضمها الفرقة المصرية الآن ، وقد أعجبني بل أطربني أن ممثلي الفرقة ينطقون اللغة العربية نطقاً طبيعياً كأنها اللغة اليومية العادية ، فلا تكلف إلقاء ولا نبرات خطابية ولا تعثر في التلفظ ، وهذا شيء آخر غير

النطق السليم فلا تخلو الحال من بعض الخطأ في الضبط ممـا لا يسلم منه لسان . وقد أثبتوا أن الفصحى هى لغة المسرح الراقي وأنها تفي بكل أغراضه حتى التهكم والتفكه ، مما زعم بعضهم أنه لا يؤدى إلا بالعامية ، وقد برع فؤاد شفيق فى ذلك حتى تـكاد عربيته تقطر ظرفاً وفصاحة . أما رنين جرس العربية على ألسنة الممثلات فهو المطرب حقاً . ولله در أمينة رزق ! فهى عروس هذه المسرحية ، وقد أدت دور «ست الملك» فأجادت فى مواقفه المختلفة ، وخاصة عندما دخلت على الحاكم مع قواد الجيش، وطمنها الحاكم فى شرفها ، فمثلت الانفعالات النفسية أدق تمثيل . وأعتقد أن أمينة رزق أجدى على اللغة العربية من المجمع اللغوى ! وهى فى ذلك قوة لا يستهان بها ولا تقل عن أم كلثوم فى غنـاء شعر شوقى .

وقد تعاون المؤلف والممثل (يوسف وهبى) فى تصوير شخصية الحاكم بأمر الله وتحليل نوازعه . وقـد تحول يوسف وهبى فى هذه المسرحية ، عن طريقته المعروفة ، تحولا محسوساً ، وذلك لطبيعة الدور ، فهو يمثل شخصية جبار متأله يتـكلم فى رقة ممزوجة بالاستخفاف لأنه يملك كل شىء ولا يحتاج إلى العنف والتهريج ، وقد كان يوسف وهبى يكتسح ويتغلب بالـكلام والصياح ، أما الآن فهو يطيح بالرؤوس ويزهق الأرواح وهو هادىء ودبع رقيق ، ولماذا يصخب وهو القادر على كل شىء ؟! وهذه هى طبيعة الموقف ولا شك . ولـكن لم لم يستخدم يوسف وهبى أو الحاكم بأمر الله قدرته فى « تـكبير » الممثلة الفتاة التى مثلت « أم الحاكم » ؟ لقد كانت تسرع إلى حضنه رشيقة لفاء خفيفة الحركة .. له فى ذلك حكمة !

والغلام الذى أتى به إلى الحاكم ليذبحه فى أثنـاء رياضته للتخلص من الضعف البشرى — لم يكن يشبه ابنه علياً كما اشترط ذلك إمعاناً فى الرياضة ، ولم يكن يشبهه تمام الشبه كما قال عندما شاهده . وأظهر فرق بين على وبين الغلام (مرجان) أن الأول أبيض والثانى أسود فاحم ؛ وقد مثل الاثنين بنتان ... وكان صوت على صوت بنت هى التى مثلته .

وثمـــة كلمة أخيرة يقتضيها إنصاف المؤلف ، فقد نشرت الإعلانات عن الرواية بالصحف والمجلات وعلقت بالجدران ، وأظهر مافيها اسم يوسف وهبى وصورته فى دور الحاكم بأمر الله ثم اسم زكى طليمات مخرج الرواية . أما المؤلف فلم يبد اسمه إلا فى بعض الإعلانات ... فى الآخر وبـ (بنط) صغـير ... حتى الإذاعة ... لما أذاعت الرواية لم تـكتب فى برنامجها اسم المؤلف !

وأذكر أن يوسف وهبى أعلن أنه يمد يده إلى الأدباء ليعاونوه بالتأليف على النهوض بالمسرح ، فهل هو يمد يده إلى الأدباء ليبتلع إنتاجهم ويطوى أسماءهم ، ويأكل لحمهـم ويرمى عظامهم ؟ ...

ذكرى الزين :

فى مثل هذا الأسبوع من العام الماضى توفى الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين . وطالما لقيت هذا الصديق الفقيد فى خلال هذا العام ...

نعم ، لقيته ولا أزال ألقاه فى كل مكان صاحبته فيه ، وعند كل ما يذكرنى به . تحوم ذكراه على نفسى ، فآنس بهـا ، وأستوحش لبعده المـادى أنساً ووحشة مجتمعين ... وكثيراً ما أتمثله يحدثنى حديث المحلق فوق الحياة ، الساخر من سخف الأحياء وتفاهة مراميهم ، ولا أكاد أجد ما أحدثه به ، إذ أراه واقفاً على كل ما هنالك ... وأستغرق فى هـذا الشعور[1] حتى تنجلى عنى الذكرى لأمر مما يشغلنى ، فأنصرف إلى ما أنصرف إليه وفى نفسى من الأسى طعم شديد المرارة !

كنت أسير فى يوم من الأيام الماضية بشارع يقع فيه منزل رجل من الأعلام ممن كان الزين يسعى لزيارتهم مدفوعاً بدافع الصداقة ، وإذا هو كأنه يسير بجانبى وقد أحطت ذراعه بذراعى ، وكأننا نقصد منزل ذلك العلم كما كنا منذ سنوات . ولـكنه يقول لى : لا . لن نزوره ، قلت فيه شعراً ، ثم تقطعت الأسباب !

وبهذا الإيجاز أدرك مايعنى ، فقد كان الزين يحرص على مودة أصدقائه من أهل الفـكر والأدب ، وكان ينفق عليهم من شعره وهو الضنين به على غيرهم من ذوى الجاه والسلطان ، وكانوا يحتفون به ويحسنون استقباله ... ثم مضى . ومضى معه كل

---

(١) وضح لى هذا الشعور الذى كان غامضاً فى نفسى ، بعد قراءة ماكتبه الدكتور طه حسين بك بكتابه « رحلة الربيع » فى الحديث عن ذكرى صديق لم يسمه ، وقد فهمت أنه الشيخ مصطفى عبد الرازق .

شيء ... تقطعت الأسباب !

ومضى عام ولم يوف حقه من تأبين ورثاء ، ولم يطبع ديوانه المخطوط ، ولم يصنع لليتيم شيء ذو بال . ولم يكن للزين ذنب إلا أنه كان شاعراً كبيراً ، وكان موظفاً (باليومية) في دار الكتب المصرية ، وقد ظل بها أكثر من عشرين عاماً يخرج لها وللناس كتب الأدب مصفاة دانية القطوف ، فلم تفكر هذه الدار في أن تصنع له شيئاً ، ولم يكن أقل من حفل للتأبين أو للاحتفاء بذكراه بعد مرور عام على وفاته .

والديوان المخطوط قررت لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعه بالمجان لابن الشاعر الفقيد ، وراح الصديق الوفي الأستاذ ابراهيم الابياري يطلبه ، فوجد أن أخاه الشيخ محمد الزين قد أخذه ، فاتصل به وأبلغه قرار اللجنة ، فوعد بتسليمه ولا يزال لديه إلى الآن . وفي الديوان قصائد لم تنشر ، وفيه قطع خفيفة مهلة في «الساعة» و «المنبه» وما ماثل ذلك ، وهي قطع رقيقة فيها وصف دقيق وتعبير طريف ، فهي من أحسن ما يقدم لتلاميذ المدارس .

ويسرني أن أذكر أن في وزارة المعارف الآن (استمارة) لإعفاء أسامة أحمد الزين التلميذ بإحدى المدارس الابتدائية من المصروفات الدرسية . وسترسل مذكرة إلى مجلس الوزراء للموافقة على تعليمه بالمجان في جميع مراحل التعليم . وهي تحية طيبة من معالي السنهوري باشا لذكرى الشاعر الكبير .

من طرف المجالس :

نحن اليوم مع جماعة من الأدباء أغشى مجلسهم في بعض الأحيان بإحدى القهوات الكبيرة . وأكثر ما يكون حديثهم عن الأشخاص في نواحي النقص التي ينفذون إليها فيمن يتحدثون عنه ، وكثيراً ما يكبرونها على طريقة «الكاريكاتير» وعدتهم في هذا التكبير أو هذا التشنيع ألسنة ذلقة حداد .. ولا يعفون من لواذع هذا «الفن» صاحباً غائباً ولا جليساً قام فمضى .. وإنه ليخيل إلي وأنا منصرف عنهم وقد صرت في الطريق أني أسمع ما يقولون عني . . وأتذكر من كان يحدثنا أنه طلب إليه أن يكتب مقالات لإحدى الصحف الكبيرة ، وألح عليه صاحب الصحيفة ، فكتب مقالتين دفع إليه لقاءهما عشرة جنيهات . . وانصرف المتحدث ، فقال واحد من من الجماعة : إني أشك في صحة هذا الذي قال . فتحفز آخر للكلام ، وخلته قد تحمس للغائب ، وإذا هو يقول . إني أجزم بأن فلاناً (صاحب الصحيفة) لا يعرفه !

وأصغيت مرة إلى أحدهم يتحدث عن شاعر من «أصدقائه» بأنه تزوج فتاة من غير مهر ، وأراد المتحدث أن يعبر عن انخداع الفتاة فقال إنها اغترت بما في شعره من ألفاظ كالظلال .. والحرور . . . ومدَّ ألف الظلال وواو الحرور حتى خلتهما يصلحان مهرا ...

وفي الجلسة الأخيرة «وقع» ذكر شاعر «صديق» فقال قائل : تصور أنه تغزل في امرأته ! وقال آخر : حسبك . . إنه ليس شاعراً . وقال شاعر من الحاضرين : أنا قد هجوت زوجتي ! وأنشد ما قال وفيه إقذاع ، فقالوا : هذا هو التعبير الصادق ، وهو الشعر لا ذلك الزيف . وروى أحدهم أن أعرابياً سئل : كيف بغضك لزوجتك ؟ قال : تكون بجانبي وتمد يدها على فأود لو أن آجرة خرت من السقف فقدت يدها وضلعاً من أضلاعي !

ثم قال الأول : أتدرون كيف يتغزل الشاعر في زوجته ؟ إنه يتغزل فيها كما يحرص على ألا يسهر في الخارج ويعود إلى المنزل متأخراً .. وإن كان بالأول يستجلب العطف ويتقي بالثاني سوء العاقبة ...

استقبال عضوين جديدين في المجمع اللغوي :

انتخب مجمع فؤاد الأول للغة العربية في دورته الماضية ، عضوين جديدين هما الأستاذ محمد رضا الشبيبي عن العراق مكان المغفور له الأب أنستاس ماري الكرملي ، والأستاذ خليل سكاكيني عن فلسطين ولم تكن ممثلة من قبل في المجمع فرؤي أن يحل عضو منها محل المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق .

وقد قرر المجمع أن يحتفي باستقبال العضوين الجديدين في حفلة افتتاح مؤتمره السنوي ، وهو الذي يحضره الأعضاء الأجانب من شرقيين وغربيين ، وسيكون ذلك في اليوم السابع من ديسمبر القادم ، وسيقدم الأستاذ العقاد الأستاذ الشبيبي ، ويقدم الدكتور منصور فهمي باشا الأستاذ سكاكيني ، ويتناول كل منهما صاحبه بتعريف ودراسة شاملة . ويتحدث كل من العضوين الجديدين عن سلفه ، وقد أرسل المجمع إلى كل منهما بذلك .

عباس خضر



بين توفيق الحكيم وقرائه :

تحت هذا العنوان تلقيت عن طريق مجلة الرسالة إحدى الرسائل التى تحمل توقيع «عبد الحميد فاضل المحامى» ، ولقد تفضل المحامى المهذب فخصنى بفيض من التجريح الرخيص بمناسبة المقال الذى كتبته فى عدد مضى من الرسالة عن الأستاذ توفيق الحكيم !.. أما نص الرسالة التى وجهها إلى فأنا على استعداد لنشرها والتعقيب عليها ، ولكننى أود قبل أن أقدم على النشر والتعقيب أن يتفضل الأستاذ المرسل بذكر عنوانه الذى تعمد أن يغفله ، لأننى أشك فى أن يكون له فى نقابة المحامين مكان !

إن مما يضاعف من شكى فيما ذهبت إليه أن الرسالة التى وجهها إلىّ مكتوبة على الآلة الكاتبة وليس بها من خط يده غير توقيعه ... ولقد عودنا المحامون أن تحمل رسائلهم أسماءهم مطبوعة وإلى جانبها عناوين مكاتبهم وأرقام التليفونات ، ولكن هذه الرسالة العجيبة تخلو من هذا كله خلواً مقصوداً يثير الظنون !..

وليصدقنى القراء إذا قلت لهم إننى تعودت أن ألقى كل ما يكتب بحس الناقد قبل أن ألقاه بحس القارىء ؛ ومن هنا فقد قرأت هذه الرسالة الريبة مثنى وثلاث ورباع ... ويخيل إلى أننى وصلت من وراء أسلوبها إلى أشياء هزت جوانب اليقين فى نفسى ، من ناحية أن يكون مرسلها هو صاحب هذا التوقيع !.. مهما يكن من شىء فأنا أرجو أن يتفضل الأستاذ المحامى بذكر عنوانه لأتحقق من شخصه ، وإذا لم يفعل فأغلب الظن أن هذه الرسالة من أديب تخلت عنه الشجاعة حين راح يخاطبنى من وراء الأسماء المستعارة !

هل يستطيع المحامى أن يذكر لى عنوانه حتى لا أذهب فى الظن إلى أنه ذلك الأديب المعروف ، الذى يستطيع كل متذوق للأساليب الأدبية أن يحكم بأن هذا هو أسلوبه ؟ !.. وسواء أكان الذى كتب إلىّ هو ذلك المحامى الذى لا أعرفه أم ذلك الأديب الذى يخيل إلىّ أننى قد عرفته ، سواء أكان هذا أم ذاك فأنا أستحلفه بحق الشجاعة الشهيدة أن يواجهنى بحقيقة شخصه لأستطيع أن أنشر رسالته وأعقب عليها .

أنا فى انتظار شىء من الضوء يبدد هذا الظلام ... ومعذرة ، فقد تعودت أن ألقى خصومى فى وضح النهار !

أنور المعداوى



المهـــرج

للكاتب الروسي ماكسيم جوركي

كانت النافذة المستديرة المرتفعة لزنزانتي تطل على فناء السجن. فإذا ما نظرت منها بعد أن أعتلي منضدة بجوار الحائط، أشاهد كل ما يحدث في هـذا الفناء، وأراقب الحمام يبني عشه على الحافة العليا من النافذة، وأسمع هديله يتعالى فوق رأسي. وكان لدي من فسيح الوقت ما يسمح لي بالتعرف على نزلاء السجن كلما أطللت عليهم. وهـكذا عرفت نوتش أكثر السجناء مرحاً. كان رجلا وسطاً، ضخم الجثة، أحمر الوجه، عريض الجبهة، براق العينين، يرتدي قلنسوة على مؤخرة رأسه، وقد التصقت أذناه على جانبي وجهه في شكل يلفت الأنظار. وكانت كل حركة من حركات جسمه تبين في جلاء أنه يمتلك روحاً لا تبالي بالكآبة أو الحزن. لقد كان دائم المرح، كثير الضحك، محبوباً لدى رفاقه، يحوطونه فيمازحهم بمختلف الدعابات، ويضفي على أيامهم الباهتة، جواً من البهجة والسرور.

وفي ذات يوم خرج نوتش من زنزانته وقت النزهة وقد قيد ثلاثة جرذان بخيط، وجعل يعدو وراءها في الفناء وكأنه يقود مركبة. فاندفعت الجرذان وقد أرعبها صياحه، اندفعت منطلقة في ذعر وجنون. وضج السجناء بالضحك يشاهدون ذلك الرجل البدين وهو يقود « مركبته ».

كان نوتش يعتقد أنه ما خلق إلا ليجذب إليه الأنظار. وكان لا يعوقه عائق ما في سبيل ذلك. لقد استطاع ذات مرة أن يلصق شعر أحد السجناء بالغراء بحائط الفناء. كان السجين صبياً مستلقياً على الأرض بجوار الحائط وقد أخذته سنة من الكرى. وعند ما جف الغراء، أيقظه نوتش فجأة، فهب الصبي من نومه مذعوراً وقام على قدميه، ثم أمسك رأسه بيديه المتخاذلتين، وأخيراً سقط على الأرض يبكي. وقهقه السجناء من ذلك المنظر وابتسم نوتش في رضاء. ولكني شاهدته بعد أن ابتعد رفاقه يرفه عن الصبي ويطيب خاطره.

وكان هناك هر سمين نحاسي اللون، محبوب لدى السجناء، ومدلل منهم. ينتهزون وقت نزهتهم اليومية فيداعبونه فترة طويلة، ويمر الهر من يد إلى أخرى، ثم يعدون وراءه، ويدعونه يخدش أيديهم وأرجلهم وهو يلاعبهم.

وكان الهر محط أنظارهم عندما يبدو في الفناء، فيوجهون إليه اهتمامهم وينسون نوتش ومهازله. وكان نوتش إذا ما رأى ذلك يجلس في ركن من الفناء يراقبهم وهم في غفلة عنه. وكنت أشاهده من نافذتي وأشعر بما يختلج في صدره من شعور وأحاسيس، فأعتقد أنه سيضطر إن عاجلا أو آجلا إلى قتل ذلك الحيوان عند أول سانحة تسنح له. ولذلك كنت آسفاً عليه. إن رغبة الإنسان في أن يكون محط الأنظار غالباً ما تصبح وبالا عليه. فإنه لا يوجد ما يقتل الروح كتلك الرغبة في إدخال السرور على النفوس.

إن أتفه الحوادث عندما يكون المرء وحيداً، منفرداً، حبيساً في سجن، لتستدعي انتباهه، فيوليها اهتمامه. ولذلك كان من السهل أن تفهم سبب اهتمامي بما أتتبعه من حوادث من وراء نافذتي، وتلهفي إلى معرفة نتائجها.

وفي ذات يوم صفت سماؤه، اندفع السجناء إلى الفناء. فلاحظ نوتش دلوا به طلاء أخضر، كان قد تركه من يقومون بطلاء سقف السجن. فتوجه إليه، وحام حوله، ثم غمس أصبعه فيه، ثم صبغ شاربه بالطلاء. فأثار منظره ضحك السجناء. وعمد صبي من الزمرة إلى تقليده، فجعل يدهن شفته العليا. وإذا بنوتش يغمس يده كلها في الطلاء ويصبغ بها وجه الصبي، ثم جعل يرقص حوله. وضج السجناء بالضحك وهم يشجعون نوتش في صيحات تدل على رضائهم عما يفعله.

وفي ذات اللحظة أقبل الهر يتهادى في الفناء وقد رفع ذيله غير هياب ولا وجل، وسار بين أقدام الحشد المتزاحم حول نوتش والصبي الذي كان يحاول أن يزيل ما علق على وجهه من طلاء.

فصاح أحدهم — أيها الرفاق، إن ميشكا هنا!

وصاح آخر — آه أيها الأفاق الصغير !

ثم أمسكوا به ، ومر في أيديهم الواحد تلو الآخر وهم يربتون على ظهره ...

وقال أحدهم — انظروا كم هو سمين !

— وكيف ينمو بسرعة !

— إنه يخدشني . يالك من شيطان صغير !

— اتركه . دعه يثب .

— سأحني ظهري له . إقفز يا ميشكا .

ونسوا نوتش ، فوقف وحيداً يمسح الطلاء العالق على شاربه ، وينظر إلى الهر يقفز على أكتاف زملائه . أخيراً قال في نبرات تشوبها رنة التوسل والرجاء — أيها الرفاق ، دعونا نطلي الهر .

فصاح واحد — ولكنه يموت .

فقال — من الطلاء ! ؟ هراء !

فقال رجل عريض الكتفين ذو لحية حمراء — يا لها من فكرة غريبة ! إنك لشيطان حقاً !

ولم ينتظر نوتش موافقتهم ، بل حمل الهر بين يديه وسار به نحو الدلو وهو ينشد أنشودة مضحكة يصف فيها الهر. وابتسم السجناء وابتعدوا يفسحون له طريقاً . وشاهدته وقد أمسك بالهر من ذيله ثم غطسه في الدلو وهو يرقص وينشد . وقهقه الجميع ، واهتزت الأجسام ، وأصابت القوم عاصفة من الضحك أوصلتهم إلى حالة من الجنون . وأطل النساء السجينات من جناحهن يبتسمن ، وشاركهن الحراس في الضحك . وأخيراً صاح ذو اللحية الحمراء — كفى أيها الرجل . فليأخذك الشيطان !

وازدادت حماسة نوتش بعد أن التف حوله رفاقه ، وبعد أن أصبح محط أنظارهم ومبعث سرورهم . وغمر المكان ضحكات جنونية كانت الشمس تضحك وهي تشرف على البناء ، والسماء الزرقاء تبتسم فوق السجناء ، وحتى الحوائط القذرة فقد بدت وكأنها مبتهجة بما كان يحدث في الفناء . وافترت ثغور النساء فتلألأت أسنانهن تحت أشعة الشمس . وازاح ذلك الفتور القابض الذي كان يبعث في المكان جواً من السأم والملل ، وأصبح مشرقاً تتردد في أنحائه صدى الضحكات .

وأخيراً وضع نوتش الهر على الأرض ، ثم واصل مرحه وهو يلهث والعرق يتصبب منه ، وشيئاً فشيئاً تلاشى الضحك بعد أن تعب السجناء منه ، وأخيراً ران على المكان الصمت ، لا يقطعه إلا صوت نوتش وهو ينشد ويرقص ، ومواء الهر وهو يزحف على الحشائش ، ويتعثر في سيره بأقدام مرتعشة ، ويقف بين الفينة والفينة كأنما التصق بالحشائش الخضراء التي أصبح من المتعذر تمييزه عنها .

وصاح ذو اللحية الحمراء — ما الذي فعلته أيها الوحش ؟

وتطلعت إلى نوتش الأنظار شزراً . وصاح الشاب وهو يشير إلى الهر — أنه يموء . فجعلوا يراقبونه في صمت .

وقال آخر — أيظل أخضر اللون بقية حياته ؟

فأجاب رجل ممشوق القامة أشيب الشعر وقد اقترب من ميشكا — أنه جف في الشمس ، وسيلتصق شعره ، وسيموت .

وظل الهر يموء فيثير بذلك شفقة السجناء ؛ وسأل الصبي قائلا — أيموت ؟ ألا نستطيع أن نغسله ؟ فلم يفه أحدهم بكلمة . كان الهر قد ارتمى تحت أقدامهم عاجزاً عن التحرك . وتهالك نوتش على الأرض وهو يقول « لقد غرقت عرقاً ! » ، فلم يأبه أحد . وانحنى الصبي على الهر وأخذه بين ذراعيه . ولكنه سرعان ما ألقاه على الأرض وهو يقول — إنه ساخن جداً . ثم نظر إلى رفاقه وقال في حزن — مسكين يا ميشكا ! لن يكون هناك ميشكا بعد اليوم . لماذا تودون قتل ذلك المسكين ؟

فقال ذو اللحية الحمراء — لعله يتغلب على الموت .

وواصل الهر زحفه على الحشائش تراقبه أعين عشرون . ولم يبد على وجوه القوم أي أثر لابتسامة . كانوا جميعاً صامتين واجمين في حزن كأنما اتصلت بهم آلام الهر وشعروا بما يشعر به من عذاب . وقال الصبي — لا أظنه يتغلب على الموت . هاك ميشكا الذي كنا نحبه . لماذا تعذبونه ؟ أنه لمن الأفضل وضع حد لآلامه .

فقال السجين ذو الشعر الأحمر غاضباً — ومن الذي فعل ذلك ؟ أنه ذلك المهرج . ذلك الشيطان . فقال نوتش محاولا أن يهدىء من ثائرتهم — ألم نشترك سوياً في ذلك الفعل ؟ ثم احتضن نفسه كأنه يشعر بالبرد .

فقال الصبي ساخراً — كلنا ! عظيم جداً ! إنك وحدك الملوم .

فحذره نوتش قائلا — لا تهدر أيها الثور !

والتقط السجين الكهل الهر وجعل يتفحصه جيداً ثم اقترح قائلا — ألا نستطيع إزالة هذا الطلاء إذا ما جعلنا الهر يستحم في البترول ؟

فقال نوتش وهو يتكلف الابتسام — خذه من ذيله واقذف به من فوق الحائط . إن ذلك أبسط حل للمشكلة . فرمجر ذو الشعر الأحمر قائلا — ماذا ! ؟ لنفرض أني قذفت بك أنت فوق الحائط ، أيعجبك ذلك ؟ وصاح الصبي — أيها الشيطان .

ثم أمسك بالهر وعدا به . وتبعه بعض الرجال . وظل نوتش وحيداً بين البقية الباقية من السجناء وهم ينظرون إليه شزراً . فصرخ فيهم مستغيثاً — لست أنا وحدي أيها الرفاق .

فقاطعه ذو الشعر الأحمر وهو يلتفت يمنة ويسرة — صه ، لست أنت . إذاً من ؟

فصاح المهرج قائلا — ولكنكم مشتركون جميعاً في المسألة.

فقال الرجل — أيها الكلب . ثم لكمه على وجهه . فتراجع نوتش إلى الخلف ليتلقى ضربة أخرى على عنقه . وجعل يصيح فيهم متوسلا « أيها الرفاق . . » ولكنهم التفوا حوله بعد أن تأكدوا من بعد الحراس عنهم وأسقطوه على الأرض يشبعونه ضرباً . كان كل من يراهم مجتمعين يعتقد أنهم مشتركون في حديث ودي ، ورقد نوتش تحت أقدامهم ، وكنت تسمع من وقت لآخر صوتاً مكتوماً كانوا يركلونه في ضلوعه ، يركلونه في تؤدة وهدوء ، وينتظرون حتى يظهر منه وهو يتلوى على الحشائش كأنهم فرجة تسمح لهم بركله مرة أخرى . واستمر ذلك ثلاث دقائق صاح بعدها أحد الحراس فجأة : لا تبتعدوا كثيراً أيها الشياطين !

ولم ينفض السجناء في الحال ، بل تركوا نوتش بركله الواحد تلو الآخر ، وظل نوتش راقداً بعد أن رحلوا منبطحاً على الأرض وكتفاه يهتزان ، كان يبكي في حرقة ، وظل يسعل ويبصق ، ثم حاول أن ينهض في حذر كأنما يخشى السقوط وقد ارتكن على ذراعه اليسرى ، ولكنه نبح كالكلب المريض ، ثم تخاذلت ساقاه ، وأخيراً تهالك على الأرض . وصاح الرجل ذو الشعر الأحمر مهدداً : إياك أن تتظاهر !

فتحامل نوتش على نفسه وقام على قدميه ، ثم سار يترنح في خطوات ثقيلة ، وأخيراً ارتكن على الحائط ، وقد انحنى ظهره ورأسه ، وكان يسعل باستمرار ، فشاهدت قطرات قاتمة تتساقط من فمه على الأرض وتتناثر على الحائط . وحاول نوتش جاهداً أن يمنع قطرات الدم من أن تلوث الحائط ، فجعل يمسحها بطريقة مضحكة . وإذا بالابتسامة تعود فتشرق على وجوه من يراقبونه ، وإذا بالضحكات تعود فترن في أنحاء الفناء .

ولم أر الهر بعد ذلك ... وأصبح نوتش محط أنظار رفاقه دون أن يكون له مزاحم آخر !

محمد فتحي عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٢ — الاثنين ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 802

Lundi — 15 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٨٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٦٨ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبـــة

— ٢ —

أقلعت الحمى المزعومة عن جسد عائدة الرشيق الغض ، فشعرت شعور الفتاة الصحيحة بأن رجلاً أجنبياً فى غرفتها فنهضت بحكم الغريزة تتعهد مواضع احتشامها ، وتجمع بيدها ما تشعّث من هندامها . ثم نظرتْ إلىّ بطَرفها الساجى نظر المطمئن الشاكر .

فقلت لها : كيف تجدينكِ الآن يا آنسة ؟

فأجابت فى ابتسامة خجِلة وصوت خَريد :

— أجدنى والحمد لله كأن لم يكن بىَ شىء . وإنّا لنعتذر إليك يا سيدى من إزعاجك فى مثل هذه الساعة . والحق أنى لا أعرف كيف جرى ذلك ! شكوت أول الليـل فَترةً فى جسدى لعلها مسّةٌ من البرد ؛ فلما قاس أخى حرارة جسمى وقال إنها ثلاث وأربعون درجة اعتقدت أنى مشفيةٌ على الموت ، لأن فهمى لا يمزح فى مثل هذه الحال ، والميزان لم يغشنا قبل هذه المرة ؛ وحينئذ شعرت بدمى يفور ، وبنفَسى يتتابع ، وبنبضى يسرع ، وبروحى تذوب ، وبجسمى ينحل ؛ ثم نزلت بى غشْية الموت فرأيت ثُلة من القديسين وفى أيديهم الأناجيل يرتلون من حولى آيات الغفران وأدعية الرحمة . فلما أوشك السراج أن ينطفئ سمعتُ قديساً من بينهم يقول ضاحكاً : إن حالتها تكاد أن تكون طبيعية ، وإن حرارتها سبع وثلاثون درجة ونصف ! ففتحت عينىّ فإذا بك واقف على سريرى وفى يدك الميزان ؛ ثم فهمت من الحديث الذى جرى أن حرارة المصباح الشديدة هى التى رفعت الدرجة حين أدناه أخى من لهيبه وقلّبه طويلاً على حره . حينئذ فتر الدم الغالى وأبطأ النبض السريع وتماسك الروح القلق وخف الجسم الثقيل ، فنهضت أشكر عائدى الكريم وأعتذر إليه ، وجلست أطمئن بيتى المرتاع وأسرّى عنه .

فقلت : نحمد الله على أن جعل مرضك وهماً لا حقيقة ، ونسأله ألا يصيبك المرض إلا بهـذه الطريقة . ثم هممت بالانصراف ، فأقسم المعلم فهمى ألا أخرج حتى أشرب قدحاً من شاى شحاتة ، أو كأساً من عرق (عزّور) .

فقلت له وأنا أمكّن لنفسى فى الكرسى المخلّع :

— لا بأس أن أبر يمينك بأخف الضررين . هات الشاى نشربه على صحة الآنسة .

فذهب شحاتة يطبخ شايه وسرعان ما رجع خزيان يعتذر بأن زجاجة المصباح الأصفر قد تحطمت فى الفزعة التى سبّبها المصباح الأكبر .

فقلت لهم : وماذا يضطركم إلى الاستضاءة بالنفط والعمارة كلها تستضيء بالكهرباء ؟

فأجاب المعلم فى لهجة الأستاذ وهيئة العبقرى :

— خلاف بينى وبين شركة النور على التأمين الذى تأخذه مقدماً من المشترك ، هى تريد أن (أدفعه) ، وأنا أريد أن أمنعه . ومعاذ الله أن أكون مغفلاً كجميع مشتركيها فأنزل لها عن بعض مالى بغير حق . إن التأمين مال ميت ، لأنك لا تستفيد منه ما دام النور ، والنور لا تستغنى عنه ما دامت الحياة . وقد تحدثت فى ذلك إلى رئيس الوزراء فاقتنع ووعد بأن يطلب من الشركة إما أن تأخذ التأمين بأجر ، وإما أن تكتفى منه بالتأمين على استهلاك شهر .

ومنذ تلك الليلة تفتحت بيننا الأبواب وتكشفت دوننا الحجب ، فأصبحنا نتذاكر فضول النحو فى مكتب فهمى ، وأمسينا نتناقل شهى الحديث فى مجلس عائدة . واتفقت لى مع الآنسة الطيبة خلوات أنست فيها النفس بالنفس ، واطمأن عليها الضمير إلى الضمير ، فعلمت من دفائن صدرها أنها أحبت ، وأن حبيبها كان من أهل الرواء الباهر والثراء القليل ، كان يعمل فى تقطير (العرق) وجلب (الملوحة) ، ويطمع منها فى صداق ضخم يوسع به معمله ، ويبنى عليه مستقبله ؛ وكانت هى ترجو أن تدبر له هذا الصداق من تجارة أبيها الرابحة فى القطن والزيت . ومضى على هذا الحب العنيف العفيف ثلاثة أعوام كانت فى خلالها تلق فتاها فى إيابها من المدرسة ، أو فى ذهابها إلى الكنيسة ، فينضحان هواها المكظوم المحروم بما تيسر من أناشيد الغزل وأحاديث المنى ، ويتشاوران فى مستقبل هذا الحب الجائش النامى : متى يعرف الأبوان ، ومتى تعلن الخطبة ، ومتى ينعقد (الجنيوت) ، ومتى يكون الزفاف ؟ وانتهى التشاور بينهما ذات يوم إلى أن يتقدم الخاطب فى الأحد القريب إلى أبويها فيطلب يدها ويعلن خطبتها . ومضت هى تهيئ سمع أمها إلى هذا الخبر ؛ وكانت الأم قد عرفت عن طريق غريزتها وأمومتها سر هذا الحب فلم تدهش حين صارحتها ابنتها به . ووعدتها أن تظفرها فى وقت واحد برضا الأب وضخامة الصداق . ولكن أمها مرضت فى ذلك الأسبوع مرض الموت فتأجلت الخطبة . ولحق بها أبوها بعد عام فتجدد التأجيل . ولم يمل الخاطب الحبيب هذا الانتظار ، لأن حظ عائدة من الجمال يتسع له الصبر ، ونصيبها من تركة أبيها يستحيل منه العوض . ولكن تركة المرحوم تكشفت بفضل المضاربة فى البرصة عن دين فادح كان يستره بجمال المظهر وحسن السياسة ، فلم يجد بنوه شيئاً فى البنوك ولا فى الدفاتر . فخرج فهمى من المتجر وتبطل ، وانقطع شحاتة عن المدرسة واشتغل ، واعتكفت عائدة فى بيتها عن الناس فلم تزر أحداً ولم تقبل أن يزورها أحد . ثم قصرت جهدها على أخويها وحبها على المسيح ؛ فهى تعمل طول الأسبوع فى البيت ولا تخرج إلا يوم الأحد إلى الكنيسة . ثم استعاضت عن عشرة الناس بمعشرة الحيوان ، فهى تربى الأرانب فى المطبخ ، وترعى الدجاج فى الصالة ، وتقتنى كلبها فى الغرفة ، وتصطحب هرة فى السرير . ولكنها منذ عرفتها وتألفتها نظفت البيت ونظمت الأثاث وجملت النظر واكتفت من خلطائها العجم بالكلب والهرة .

ثم تعاقبت السنون وتبدلت الأحوال فانتقلنا من حى إلى حى ، وتحولنا من ناس إلى ناس ، فانقطع علم ما بينى وبين هذه الأسرة الطيبة ، فلم أعد أرى فهمى البطين ، ولا شحاتة الأعجف ، ولا عائدة الرشيقة .

وفى يوم من عطلة عيد الأضحى الماضى كنت واقفاً أجيل النظر فى المعرض الزجاجى لمكتبة من مكاتب الفجالة ، فرأيت بجانبى رجلاً أشمط الرأس معروق العظام يحمل قرطاساً من البلح الأمهات ويديم النظر إلىّ وفى عينه استفهام وعلى شفته كلام . فلما حدقت ببصرى إليه عرفت فيه شحاتة أفندى ، فسلمت عليه بشوق ، وسألته عن أخويه بلهفة . فقال لى والأسى يقطر من وجهه ويظهر فى كلامه : قضى فهمى بالشلل ، وقضت عائدة بالسل ، وقضى الله أن أعيش بعدهما لأبكى عليهما وحدى ، ثم لا أجد من يبكى عليهما ولا علىّ بعدى !

فشجعته ثم ودعته وانصرفت وفى نفسى أن أحيى ذكرى هذه الأسرة الطيبة بهذه الكلمة فى « الرسالة » .

أحمد حسن الزيات

من معاهد العلم فى عصر الحروب الصليبية :

المدرســـة الصلاحية

للأستـــاذ أحمد أحمد بدوى

كان التعليم فى مصر قبل مقدم صلاح الدين إليها ، فى الجوامع والمساجد ، وأول ما عرفت مصر إقامة درس من قبل الخليفة بمرتب ثابت كان فى عهد خلافة العزيز بالله الفاطمى ، فقد سأله وزيره يعقوب بن كلس صلة رزق جماعة من الفقهاء ، يقومون بالتدريس فى الجامع الأزهر ، فأطلق الخليفة لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ، وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلاً ، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة وحبه .

ثم أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة وجعلها أشبه بجامعة تلقى فيها الثقافة العالية من فقه ونحو وحديث وأدب ولغة وهيئة وطب ورياضة ومنطق وفلسفة ، وأجرى على أساتذتها الأرزاق الواسعة وجهزت بمكتبة ضخمة .

وكان الهدف من التعليم فى الجامع الأزهر ودار الحكمة بثّ مبادىء الشيعة ونشر مذهبهم . ولم تدع المدارس فى مصر فى عهد الفاطميين ، بل لم ينشأ فيها سوى هذه المدرسة التى أنشأها ابن السلار وزير الظافر العبيدى وكان من غلاة السنيين ، فبنى بالاسكندرية سنة ٥٤٦ مدرسة للشافعية أسند أمرها إلى العالم الشهير أبى طاهر السلفى . وقبل هذه المدرسة أنشأ أحد وزراء الحافظ مدرسة لتعليم الشريعة بالاسكندرية أيضاً .

فلما جاء صلاح الدين عمل على تأسيس المدارس المختلفة ، ليشيع فى البلاد مذهب أهل السنة ويعيدها إلى طريق الجماعة ؛ فأنشأ بجوار الجامع العتيق مدرستين : إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية ، وحول قصر الوزير المأمون البطائحى مدرسة للحنفية اتخذت اسم المدرسة السيوفية ؛ لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابها ، وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينى ، وأخرى بالاسكندرية ومدارس بالقدس ودمشق .

ويظهر أن أعظم ما شيده هو المدرسة الصلاحية التى أقامها بجوار قبر الإمام الشافعى ؛ ولعل صلاح الدين ، وكان شافعياً ، أراد بإنشائه هذه المدرسة أن يحيى بها ذكرى الشافعى من ناحية ، وأن يكون انبعاث مذهبه قريباً منه حيث يرقد ؛ فوكل أمر إنشائها إلى نجم الدين الخبوشانى ، فنهض ببناء مدرسة لم يعمَّر بهذه البلاد مثلها ؛ لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ؛ وكان يخيل لمن يطوف بها أنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها الحمام وغيره من مرافقها ، فكانت أشبه بمدينة جامعية ؛ ولم يضنّ عليها صلاح الدين بمال ، بل كان يقول لنجم الدين : زد احتفالا وتأنقاً ، وعلينا القيام بمئونة ذلك كله . ووقف عليها حماماً بجوارها ، وفرنا تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيرة التى كانت تسمى جزيرة الفيل بالنيل خارج القاهرة . ولعلها بعد أن تم بناؤها سنة ٥٧٢ أصبحت أعظم مدرسة فى العالم الإسلامى كله ، فكانت لذلك تدعى : تاج المدارس .

وجعل صلاح الدين أمر التدريس ، والنظر فيها لنجم الدين الذى تولى أمر بنائها ، ورتب له فى الشهر أربعين ديناراً عن التدريس ، وعشرة دنانير عن النظر فى أوقاف المدرسة ، وجعل له من الخبز فى كل يوم ستين رطلا ، وراويتين من ماء النيل . ولما مات وليها شيخ الشيوخ محمد بن حمويه الجوينى فى حياة صلاح الدين . فلما مات السلطان ولى النظر فى وقفها بنو السلطان واحداً بعد واحد ، ثم خلصت بعد ذلك ، وعاد إليها الفقهاء والمدرسون .

ويدلنا على ما لهذه المدرسة من القدر أن جماعة من أعيان العلماء قد تولوا التدريس فيها ، نذكر من بينهم شيخها الأول نجم الدين الخبوشانى ، وهو فقيه شافعى ولد بناحية نيسابور سنة ٥١٠ ، وتفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالى ، وكانت له معرفة بنجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين ، وعند ما قدم إلى مصر نصب نفسه لذم الفاطميين وثلبهم ، وجعل تسبيحه سبهم ؛ ويقال إن الفاطميين حاولوا استمالته فلم يقبل . ولما عزم صلاح الدين على قبض العاضد وأشياعه واستفتى الفقهاء أفتوه بجواز ذلك ، وكان أكثرهم فى الفتيا نجم الدين الخبوشانى ، كما كان أول من

خطب لبنى العباس .

ولنجم الدين كتاب تحقيق المحيط فى شرح الوسيط الذى ألفه الغزالى فى فقه الشافعية ، وكتب الشرح فى ستة عشر مجلداً

وقد اختلف المؤرخون فيه ؛ فالسبكى يراه إماماً جليلا ورعا آمراً بالمعروف . وشاهده ابن جبير وأثنى عليه . وابن خلكان يقول : رأيت جماعة من أصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه ، وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة بأحوال الدنيا . وابن أبى أصيبعة يراه ثقيل الروح متقشفاً فى العيش يابساً فى الدين يأكل الدنيا بالناموس .

والذى يظهر من أعماله أنه كان شديد المغالاة فيما يعتقد ، وكان بينه وبين الحنابلة فتنة قائمة يكفرونه ويكفرهم ؛ ومن مغالاته أنه نبش قبر ابن الكيزانى ، وأخرج عظامه من رمسه الذى كان بجانب قبر الشافعى قائلا لا يتفق مجاورة زنديق لصديق . ولكن كرهه للفاطميين وشدة إخلاصه للأيوبيين هى التى جعلت صلاح الدين يثق به ويكرمه ويقربه ؛ برغم أنه لما مات وجدت له ألوف الدنانير ، فلما سمع ذلك صلاح الدين قال : ياخيبة المسعى ! وتوفى نجم الدين سنة ٥٨٧ .

وفى عهد صلاح الدين أيضاً درس فيها محمد بن هبة الله البرمكى الحموى ، وهو فقيه فرضى نحوى متكلم أشعرى العقيدة مرجع أهل مصر فى فتاويهم ، وله نظم تعليمى كثير : ألف أرجوزة فى العقائد لصلاح الدين وأخرى فى الفرائض أهداها إلى القاضى الفاضل .

ودرس بها كذلك سيف الدين الآمدى أذكى أهل زمانه وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكمية والمذاهب الشرعية والمبادىء المنطقية .

وأفضل الدين الخونجى ممن قام بالتدريس فيها ، وهو فقيه شافعى يقول عنه ابن أبى أصيبعة : « سيد العلماء والحكماء أوحد أهل زمانه وعلامة أوانه ، قد تميز فى العلوم الحكمية : وأتقن العلوم الشرعية » ؛ وجعله الصالح أيوب قاضى قضاة مصر ؛ ولتميزه فى المعقولات كانت أكثر آثاره فيها ؛ فله مقالة فى الحدود والرسوم ، وكتاب الجمل فى علم المنطق ، وكتاب كشف الأسرار فى علم المنطق أيضاً ، وكتاب الموجز فيه كذلك . وكان الخونجى عالماً بالطب أيضاً وله فيه : شرح ما قاله ابن سينا فى النبض ، وكتاب أدوار الحميات . ولما مات سنة ٦٤٦ رثاه عز الدين الإربلى بقوله :

قضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل	ومات بموت الخونجى الفضائل
فيأيها الحبر الذى جاء آخراً	فحل لنا ما لم تحل الأوائل
ومستنبط العلم الخفى بفكرة	بها اتضحت للسائلين المسائل
فليت المنايا عنه طاشت سهامها	وكانت أصيبت عن سواه المقاتل
فإن غيبوه فى الثرى عن عيوننا	فما علمه خاف ولا الذكر خامل

ومنهم قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز الذى ولى المناصب الجليلة ، واجتمع له منها ما لم يجتمع لغيره ، فأسند إليه نظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة وتدريس قبة الشافعى ، والصلاحية والصالحية ، والخطابة . وكانت له منزلة كبرى عند الظاهر بيبرس ومات فى رجب سنة ٦٦٥ .

ودرس بالصلاحية ، وتولى قضاء القضاة أيضاً ابنه عمر ، فسار على طريقة أبيه ، بل أربى عليها شدة هيبة . وسلك فى ولايته طريق الخير والصلاح ، وتحرى الحق والعدل ، وتصلب فى الأحكام . قال السبكي : « ولا يوجد أهل بيت بالديار المصرية أنجب من هذا البيت ، كانوا أهل علم ورياسة وسؤدد وجلالة » ؛ ثم عزل نفسه واقتصر على تدريس الصلاحية وتوفى سنة ٦٨٠ .

ولما مات ولى أخوه عبد الرحمن المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضاً عن أخيه مضافاً لما بيده من نظر الخزائن . وفى أيام قلاوون عرضت على عبد الرحمن الوزارة فأبى ثم قبلها بعد الحاح ، فلما ثقلت عليه تركها . وكان للكارهين للملك الأشرف خليل ، وبينه وبين وزيره ابن السلعوس تنافس وعداء ، فعمل الوزير وسعى حتى عزله عن كل ما بيده من المناصب ، وكانت سبعة عشر منصباً ، وبالغ فى إهانته ؛ ثم سعى له بعض الأمراء فعين بالمدرسة الصلاحية ، ولكن ذلك لم يرض ابن السلعوس فعقد له فى ذى القعدة سنة ٦٩١ مجلساً وندب له العلم ابن بنت العراقى الذى نسب إليه كثيراً من المظالم فاعتقل وتوعد بالقتل ، وظل فى بلاء إلى أول شهر رمضان سنة ٦٩٢ ، حيث أفرج عنه ، ومضى مع الركب إلى الحج ، وزار النبى صلوات الله عليه ، وأنشده قصيدة يمدحه بها ومات عبد الرحمن سنة ٦٩٥ .

٤ — الاتجاهات الحديثة فى الإسلام :

القانون والمجتمع

للأستـاذ ه . ا . ر . جب

(تتمـة)

ولما كان من الواضح أنه يستحيل مناقشة مئات الآلاف من الكتب والنشرات ، وتلخيص محتوياتها ؛ فإن الأفضل شرح الاتجاهات العامة ، وتلخيص الفصل الذى كتبه سيد أمير على عن مركز النساء فى الإسلام .

والحق أن الكاتب كان شيعياً ، واتخذ وجهة نظر عقلية تجاه القرآن ، بيد أنه أظهر عملياً ما بلغه الجدد المعارض حول الموضوع ، وقد اتبعه كثير من الكتاب المتأخرين الذين كرروا تأكيداته فى كل لغة إسلامية بدرجات أقوى وأشد . قال سيد أمير على : « فى مراحل خاصة من التطور الاجتماعى ، يكون هناك ما يبرر تعدد الزوجات ، فلا يمكن تجنبه . وإن حروب القبائل المتكررة ، وما يعقبها من مذابح تقضى على الذكور من السكان ، مع السلطة المطلقة التى يملكها الرؤساء ، كل هـذا خلق تلك العادة التى نعتبرها بحق شراً لا يطاق فى الأزمنة الحديثة » .

إن النزعة العلمية فى العبارة الأولى خطيرة ، تتبعها مجموعة ملاحظات موجزة عن تقاليد الزواج عند مختلف الأجناس القديمة ، ثم مناقشـة حول سماح الكنيسة المسيحية الأولى بمزاولة تعدد الزوجات سراً وعلانية ، « حتى أن القسس استفادوا من عادة الإبقاء على عـدة زوجات ثانويات (غير شرعيات) بواسطة الحصول على ترخيص من المطران أو الأسقف [1] » .

(١) « يظهر أنه شاع بين القسس اقتناء الخليلات اللائى كن غالباً زوجاتهم كما يقول كولير» P . 323 « فى كل بلد يحتفظ العلماء الدينيون والعلمانيون بنسـاء فى بيوتهم ، والاتصال الجنسى على أساس رموز متعارف عليها ، فيتجاهلون المثل العليا» . ومن الصعب أن نصدق أن متعمقاً فى الانجليزية — مثل سيد أميرعلى — يكون غريباً عن التقاليد الانجليزية لدرجة أنه يعتقد أن استخدام الجمع فى هذه الصفحات معناه تعدد الزوجات أو الخيلاء ! .

ووكل أمر التدريس فيها سنة ٦٧٨ إلى قاضى القضاة محمد ابن الحسن بن رزين بعد عزله من وظيفة القضاء ؛ لأنه توقف فى خلع الملك السعيد ، وقرر له نصف المرتب الذى كان يتقاضاه الخبوشانى .

ولما مات ابن رزين وليها الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد على أن يأخذ ربع القرر ، فلما عين بها الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى قرر له المرتب كله ، وقد عين الخضر قاضياً للقاهرة والوجه البحرى ، وجلس للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين ، ورسم له أن يجلس فى دار العدل فوق قاضى القضاة ابن بنت الأعز ، ومات فجأة فى ٩ صفر سنة ٦٨٦

وكانت هيئة التدريس فى هذه المدرسة مكونة من مدرس وعشرة معيدين ، ومر بها ثلاثون سنة خلت فيها من مدرس واكتفى بالمعيدين . ولسنا ندرى بالضبط تحديد تلك الفترة التى خلت فيها المدرسة من المدرسين ، ولعلها سبقت تولية تاج الدين ابن بنت الأعز أمر التدريس فيها ؛ لأن سلسلة مدرسيها متتابعة منذ ولايته ، كما لا ندرى السبب الذى دفع أولى الأمر إلى الاستغناء عن مدرس بها .

وعرفنا من بين من قام بالإعادة فى هذه المدرسة محمد بن علم الدين بن القماح الذى استقر معيداً بتوقيع شريف سنة ٦٨٠ ، وجعفر ابن يحيى الترمنتى الذى كان شيخ الشافعية بمصر فى زمانه وأخذ عنه فقهاء عصره ، وألف شرح مشكل الوسيط ، وكان مدرساً بالمدرسة القطبية وتوفى سنة ٦٨٢ ؛ وشمس الدين الأصفهانى العالم المشهور فى المنطق وأصول الدين وأصول الفقه والمؤلف فيها ، والمعروف بالهيبة والوقار فى دروسه . وقد أنف هذا الأستاذ أن يكون معيداً بالمدرسة عند ما عين ابن دقيق العيد مدرساً بها . قال السبكى : « ونحن نقيم عذره ، من جهة مشيخته وقدم هجرته ، وإلا فحقيق به وبأمثاله الاستفادة من إمام الأئمة تقى الدين » .

ومن المعيدين فيها عماد الدين عبد الرحمن بن أبى الحسن الدمنهورى وهو فقيه شافعى ألف على التنبيه فى الفقه كتاباً له دعاه النكت وتوفى سنة ٦٩٤ .

وبقيت هذه المدرسة عامرة بالدراسات المتنوعة إلى أن لاشتها الحوادث فى أوائل القرن التاسع .

(حلوان الحمامات) **أحمد أحمد بدوى**

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

وقد كان أعظم خطأ ارتكبه الكتاب المسيحيون ، هو قولهم إن محمداً صلى الله عليه وسلم ، خلق تعدد الزوجات أو جعله قانونياً ، فإنه لم يجده منتشراً بين العرب فحسب ، بل كان منتشراً بين اليهود مع سائر العادات والتقاليد الكثيرة التي تحط من قدر النساء .

« إن نبي الإسلام (ص) قد أوجب احترام النساء كقاعدة عامة من أحكامه الرئيسية المقدسة ؛ وحباً في ابنته الشهيرة وتخليداً لها قد أطلق أتباعه عليها « سيدة الجنة » كممثلة لبنات جنسها . إن سيدتنا هي جماع كل ما هو مقدس في النساء ، وكل طهر وقدسية في جنسها . إنها أنبل مثل للخلق الإنساني [لا تنس أن أمير علي كان شيعياً] وقد اتبعها سلالة طويلة من النساء اللائي شرفن جنسهن بفضائلهن . من ذا الذي لم يسمع برابعة الطاهرة ، وألف من أترابها ؟ » .

ثم يذهب المجدد ويضيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن للنساء حقوقاً لم يكن يملكنها من قبل . أي أنه وضعهن على قدم المساواة التامة مع الرجال أمام القانون ، كما حد من طغيان تعدد الزوجات ، وذلك بتحديده النهاية الكبرى للزوجات المشتركات بأربع ، ولكن إذا تعذرت عليك المساواة والعدل بين النساء وجب عليك أن تتزوج واحدة فقط . وهذا الأمر هام جداً ، إذ أن العدل المطلق في المسائل العاطفية من الأمور المستحيلة ؛ فجاء القرآن وفصل فيها [1] .

لكن تعدد الزوجات يعتمد على ظروف كثيرة ... وإن تلاؤم القوانين أعظم اختبار لمدى فائدته ونفعه [2] .

« هذه أحكام القرآن ، وهي لا شك — ملائمة لمعظم المجتمعات المتحضرة وغيرها . أما الضربات والسهام التي صوبت نحو الأمم الإسلامية ، فرجعها سوء استخدام مبدأ الاجتهاد . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يتبع فيه كلام الله في حل المشكلة . سواء اتبع المسلمون محمداً (ص) أو مشايخهم الذين أغضبوا الله ليشبعوا رغباتهم أو يستجيبوا لمطالب الخلفاء والسلاطين — وكانوا خدماً لهم » .

وهذا ينتج من التنوع في نظرة الحقائق ، والفهم الصحيح للسنة النبوية : وقد أصبح الشعور ضد تعدد الزوجات عقيدة اجتماعية أكثر منها أخلاقية . وجرى العرف بين مسلمي الهنود على أن يشترطوا شرطاً في عقد الزواج من شأنه أن يمنع الزوج من استخدام حقه في الزواج الثاني أثناء استمرار الزواج الأول . وفي الوقت الحاضر يشيع الزواج بالواحدة (مونوجامي) بين ٩٥ ./ من مسلمي الهنود . والأمل أن يعلن شيوخ المسلمين نظرياً ، أن تعدد الزوجات — مثل الرق — يعارض أحكام الإسلام .

وأعقب هذه المناقشة صفحات عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فعارض وكذب ما قيل عنه من أنه يرجع إلى إشباع رغبات النفس . ثم اتجه نحو الطلاق ، واتبع نفس الأسس التي اتخذها في مناقشة موضوع تعدد الزوجات قال :

« ليس من شك في أن أحكام القرآن في معاملة النساء في الطلاق (وليس في الطلاق نفسه) رحيمة تتمشى مع العدالة » .

ومع أن النبي (ص) كان يكره الطلاق [1] ، وجد أنه يتعذر القضاء على التقاليد نهائياً في ظروف المجتمع السائدة . وبالتدريج سمح للأزواج بأن يطلقوا زوجاتهن بشروط خاصة . وقد أبرزت الإصلاحات المحمدية مرحلة جديدة في تاريخ التشريع في الشرق . فينبغي أن تقرأ نصوص القرآن في ضوء اتجاه الشرع . ولقد تجاهل أئمة المسلمين مبادئ كثيرة في العدل الإلهي . ومهما يكن من شيء فإن هذه القوانين أكثر عدالة ورفقاً بالنساء من نصوص القانون الروماني الذي نشأ في رعاية الكنيسة (المسيحية) .

وأخيراً يهاجم حجاب النساء ، أو البردة كما يسمى في الهند . ويبدأ بأنها من بقايا التقاليد العتيقة التي من شأنها أن تعوق نهضة الأمم الإسلامية . مع أنه يقرر أن هذه البردة لها مزايا مختلفة عند المجتمعات غير المتحضرة ، والبدوية .

« ولم يجيء في القرآن أي نص على أن الحجاب جزء من أحكامه

---

(١) تاريخ الأستاذ الامام : ج ٢ ص ١١٣ ، نور الاسلام ؛ س ٢ ص ٥٦٤ — ٨٢ ، س ٥ ص ٥٢٨ — ٢٩ .

(٢) أحدث المناقشات في هذا الموضوع — بعد إعلان معالي عبد العزيز فهمي باشا رأيه القيم — في الرسالة : عدد ٧٦٤ والأعداد التالية (فبراير — ابريل ١٩٤٨) [المترجم]

(١) أبغض الحلال إلى الله الطلاق : حديث شريف . (المترجم)

الجديدة . ولما ظهرت البروتستنتية ، قضت على جميع الفوارق الاجتماعية ، والاختلافات فى نظرة المشرعين إلى مركز المرأة . وقد عامل المسيح (عليه السلام) المرأة بكل رفق ورحمة ، فى حين أن أتباعه أخرجوها من نطاق العدالة . وهذا الاتجاه الذى شاع فى الأزمنة الحديثة يرجع إلى فرسان الصحراء . وقد انتقل إلى الغرب بواسطة الصليبيين والتروبادور ، وانتشر فى عصر المتبربرين فى أوربا ، وفى القرون الأولى للاسلام . وكانت المرأة تشغل مكانها اللائق — كما فى المجتمع الحديث . ومع التحسينات التى أدخلت على المركز الاجتماعى للغربيات ، فإن مركزهن الشرعى لا يزال منحطاً فى أعظم المجتمعات تمديناً فى العالم المسيحى » .

إن المشرع الذى يعطى حقاً للمرأة ، عـذراء أو متزوجة ، أماً أو زوجة — فى عصر ليس فيه مجتمع ولا دولة ولا نظام — قد حرمت منه فى الأمم المتمدينة ، هـذا المشرع جدير بأسمى صفات الإنسانية . ولو أن محمداً (ص) لم يفعل أكثر من هذا لـكان بلا جدال مصلح الإنسانية .

فإذا كانت هـذه الخلاصة لم توضح شخصية أمير على فى مناقشته ، فليس هذا مقصوداً .

وفى محاضرته السادسة يناقش التفاعل بين القانون والمجتمع ، وبعد أن يشير إلى « النظرة الديناميكية للقرآن » التى لا تتعارض مع فكرة التطور ، يقرر أنه فى مجتمع كالإسلام لا يزال استعادة التعاليم القديمة قائماً . وقد نجح الإسلام إلى حد كبير — بأحكامه الواضحة — فى خلق ما يشـبه الإدارة أو الشعور الجمعى ، بين مختلف الجماهير من معتنقيه .

***

ثم يعود إقبال ويقول :

« إنى أعلم أن علماء الإسلام يحتجون فى النهـاية بالمدارس العامة للشريعة الإسلامية ؛ ولـكن ما دامت الأشياء قد تغيرت ، وأثر فى العالم الإسلامى قوى جديدة ، نشأت من تطور التفـكير البشرى فى جميع الاتجاهات ، فإنى لا أرى سبباً فى أن يظل هذا الاتجاه ثابتاً للآن » .

ثم يرجع إلى موضوعنا ويترك مسألة الطلاق ليناقش مشكلة الميراث ، مشيراً إلى قصيدة زيا جوك ألب ، التى سبق نقلها :

.. إن المساواة فى الطلاق والانفصال وفى الميراث ، ليست ممكنة فى الشريعة الإسـلامية . ولست أعلم ما إذا كان للنهضة النسائية فى تركيا ، مطالب لا تناقش من غير تفسيرات خاصة وأسس ثابتة . وقد ارتبط القضاة من الهنود المحافظين بالأعمال المقننة ، والنتيجة أن الناس يتحركون ، فى حين يظل القانون ثابتاً ! .

وبالتأمل فى مطالب الشاعر التركى ، فإنى أخشى أنه يجهل قانون الأسرة فى الإسلام ، وأنه لم يفهم الأهمية الاقتصادية لقانون الوراثة فى القرآن . فما ينبغى أن نفهم من عدم المساواة هذه أن القانون يفرض تفوق الذكور على الإناث ، فإن مثل هذا الفهم لا يتفق وروح الإسلام ؛ فقد جاء فى القرآن : ولهن مثل الذى عليهن . فليس نصيب البنت فى الميراث على أساس التقليل من شأنها أو تحقير أمرها ، ولـكن باعتبار الفرص الاقتصادية التى أمامها ، ومركزها الذى تشغله فى الجماعة ، وهى جزء منها .

ولا بد أن يلاحظ — كما قلت — أنه يمكن استخراج حكم عام من رأى إقبال وهو « أنه مع عدم المساواة الظاهرة فى الميراث ، فإن المشرع قد ضمن المساواة التى ينشدها الشاعر التركى » . ولـكن إذا حاولنا أن نثبت ذلك ، لا نحصل من القرآن على نص يضع من شأن الإناث بجانب الذكور . وقد غض الطرف عن الحقيقة ، وهى أن العبارة الآتية التى وضعت لهـذا الغرض هى : « وللرجال عليهن درجة [1] » .

فإذا اتجهنا إلى الناحية العملية عند المجددين ، وجدنا بعض اختلافات . فإنى أشك فيما إذا كان يوجد فى العالم الإسـلامى — خارج تركيا — أى طبقة محترمة من المجتمع ، تتمتع نساؤها بما يشبه المساواة الاجتماعية التى ينشدها المجددون — إلا الطبقات المتوطسة المتفرنجة فى مصر ! حقاً إن تعليم البنات فى كثير من الأقطار الإسلامية يخطو خطوات واسعة ، وأنه يوجد اتجاه عام نحو التحرر الاجتماعى للنساء ، ولـكن حتى فى مصر ، لا يزال مجـال الفرص الاقتصادية محدوداً . ولا يزال النقاب محتفظاً به قال مستر سميث . بل إن عدداً كبيراً من المثقفين ، والمسلمين

(١) سورة ٢ ، آية ٢٢٨ : « البقرة » .

الأحرار والأثرياء الهنود ، ينظرون إلى البرقع بعين الاجلال والإكبار ، ويحملون نساءهم وبناتهم يحتفظن به . وعلى ذلك فالتراجع من تعدد الزوجات إلى الحجاب يقف فى مرحلته الأخيرة ؛ عندما يصل إلى انفصال الجنسين segregation (١).

ولم يكن إقبال شاذا فى هذه القاعدة العامة .

« وقد عارض هؤلاء الذين يعتقدون أن النساء قد يشاركن فى العالم المناص الجديد . وقد تصور الأوربيات بلا قلوب ، يكرهن الأمومة والحب والحياة ! أراد أن تظل النساء « طاهرات » فى حماية وأمن ، ولم يرد لهن نشاطاً ولا حرية .. يجب أن تظل المرأة كما كانت فى صدر الإسلام محتجبة فى عزلة ، مطيعة للرجال .. يجب أن تبقى وسيلة إلى غاية . ولقد جعل إقبال نساءه يحتفظن بالبردة ، وأخرج للعالم رأيه فى المرأة المثالية فاطمة الزهراء :

هى ربة الشرف الرفيع ، خير النساء وفخرهنه (٢)
والأمهات كما أرى فى النبل فاقت جمعهنه
وكأنها بفعالها حصلت على سر النار والجنه
وبمثلها تبدو لنا خير النساء أبرهنه
كانا كفرد إن بدت لهما على الأيام محنه
أيا تكون ترنمت بكلام ربك مطمئنه

ومع ذلك فإن إقبال وجب عليه أخيراً أن يعترف بخطئه فى أمر النساء . وقد ختم قصيدة صغيرة له بقوله (٣) .

لقد ظلمت المرأة ، لذلك أعتذر لها
غير أن المشكلة معقدة ، فلم يكن فى الإمكان حلها

وليس من شك فى أن منطق التاريخ سيغير تغييراً شاملا موقف المجتمع الإسلامى من هذه المشكلات . فقد تبين للمحافظين والأحرار على السواء ، أن حرية الطلاق هى السبب فى الأخطار المحدقة بالمجتمع الإسلامى (٤) . ومما يجدر ذكره أن المجددين — فى معارضتهم للمدنيين الذين يرغبون فى فصل التقاليد الاجتماعية عما يربطها بالأحكام الدينية — ظلوا يعترفون بالعلاقة الأساسية بين السلوك الاجتماعى والاعتقاد الدينى ، فأعلنوا أن المجتمع إذا أصلح ، فينبغى أن يأتى الإصلاح من طريق دينى ، أولا يكون مستقلا عن الدين أو معارضاً له . وقد جهلوا الاختلافات بين المجتمع الإسلامى والمجتمعات الغربية فى النشأة والأحوال الجغرافية والظروف الاقتصادية والاتجاهات الثقافية .

وعندما تتطور مثل هذه التيارات الاجتماعية فى الإسلام — بتأثير التطور المحلى ، ستظهر للمشكلات حلول ، ليس من الضرورى أن تتفق مع الحلول فى الغرب ، بل ستؤسس على التجارب وحاجات المسلمين .

ترجمة

محمد محمد على

---

(١) weifred Crutwell Smith ' Mobern Islam in India ' (Lahore ' 1643 PP . 180 — 181)

(٣) غرض هذا القصيد بهذا الأسلوب صديق الأديب كمال لطفى أبو طربوش : (المترجم)

(٣) idi ' ' P ' 162

(٤) انظر مقالة عباس طه فى نور الاسلام : س ٦ ص ٢٦٣ — ٦٩ وهو يثبت التعديلات التى أدخلت فى قانون الأسرة فى التشريع المصرى ١٩٢٠ و ١٩٢٩ (Schact ' op ' cit ' p 223) على أن الكتاب المحافظين لم يمتنعوا عن الدفاع عن تعدد الزوجات . نور الاسلام : س٢ =

= ص ٥٦٤ — ٨٢ ؛ س ٧٠٦ — ١٣ ، وفريد وجدى بك س ٥ ص ٥٢٨ — ٣٨ . وتجد موقف رشيد رضا والرأى السلفى ملخصاً فى كتاب : Henri La onst Le Califat dans la de Rechid ' 35 ' n ' 292 ' P (1638) أما عن الهند فيراجع : Smith : op cit . pp . 79 — 321 . ونقطة الضعف هى الجدل فى أن التقاليد الاجتماعية المؤسسة على اعتراف الاسلام بتعدد الزوجات ، أفضل من تلك التى أساسها القانون المسيحى الذى يقر وحدانية الزوجة « مونوجامي » ، التى تعكر صفوها العاهرات . وقد يقبل هذا الجدل إذا كانت تؤيده الوقائع ، ولكنهم يغضون الطرف عن انتشار العاهرات فى المجتمع الاسلامى .

محمد إقبال
شاعر الشرق والاسلام

للأستاذ مسعود الندوى

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

— ٣ —

١٩٠٨ — ١٩٣٣

سحبٌ من الدماء متراكة تريد أن تمطر على طرابلس الغرب ، وأخرى كِسَفٌ من الغمام بدأت ترسل النجيع الأحمر مدراراً على سهول أدرنة ، وفى الجو طائرات تريد أن تنقضّ على الدولة العليّة — ودولة الخلافة — فتسلبها البقية الباقية من تراث أسلافها ؛ وأجسادٌ من شيوخ المسلمين وشبانهم مضرجة مطروحة على شارع من شوارع (كان بور (١)) محميَّة بالجند ورجال الشرطة … مشهد مؤلم فى طرابلس الغرب أهاب بالمجاهد العربى فهزّته الحمية الإسلامية وجعل يهتف : الله أكبر ، سيف الحق مسلول ؛ ومأساة فاجعة فى أدرنة أنطقت شاعر الكنانة وجعلته يرسل أنغامه دُرراً منظومة :

يا أخت أندلس عليك سلامٌ . هوت الخلافة عنك والإسلام
نزل الهلال عن السماء ، وليتها طويت وعمّ العالمين ظلام

وهذه المآسى المحزنة ، وتلك الفجائع المؤلمة ؛ وأخرى من مهازل الاستعمار فى طول الهند وعرضها ، جعلتْ صاحبنا شاعراً إسلامياً يتألم لكلّ ما يصيب المسلمين من أذى أو مكروه ، فتجود قريحته المطبوعة بما يربط جأش المجاهد ويُبَصِّر الفقيه المنعزل فى زاويته ويُرشد المعتوه الأبله المنخدع بأضاليل الغرب وترهاته . وهو بين هذا وذاك مُومن بالله لا يتسرب اليأسُ إلى نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان . فهو يقول :

(١) إشارة إلى مأساة مدينة كان بور التى وقعت عام ١٩١٣ ، والتى هدمت فيها الحكومة جزءاً من مسجدها الجامع لتوسيع أحد الشوارع الكبرى ؛ فثار ثائر المسلمين وأرادت جماعة منهم أن تبنى الجامع من جديد وتعيده إلى سيرته الأولى بالرغم من الحكومة وجنودها . ولما بدأوا بالعمل أطلقت عليهم الجنود النيران وفتكت بهم فتكا ذريعاً .

إنك مسلم ، فاجعل قلبك معموراً بالأمانى والآمال واذكر دائماً وعد الذى قال : (إنّ الله لا يُخلفُ الميعاد)

وتراه لا يجزع للنوائب والملمات :

« عشية الألم تسفر عن صباح العيد ؛ هاهو ذا تبلّج فجر الأمل من بين دياجير اليأس » .

ولله قريحته حيث جادت بهذا البيت النفيس :

هلم ننثر الأزهار والرياحين على قبر الشهيد الذى فمل المسفوح من دمه بأمتنا ، فعل الغيث بالشجرة النابتة

وهذا المعنى — أى معنى الحياة بعد الممات والفرج بعد الشدة والنجاح بعد اليأس — مثله كمثل غرض تعاوره الرماة ، فمنهم من هو مقصرٌ دونه ، ومنهم من هو واقع يميناً وشمالا ، ولم أر أحداً أصاب المرمى كصاحبنا ممن تقدم وتأخر . ولكن من أين لى ذلك البيان الذى يُضاهى بيان شاعرنا ، شاعر الإسلام . وهذا عذرى إلى من وجد الترجمة ركيكة . فمن أبياته الراقية فى هذا المعنى :

ما لنا نحزن ونكتئب ، إذا تتابعت النوائب على العثمانيين (١)
فإن الفجر لا ينبثق إلا بعد ما تهراق دماء مئات الألوف من الكواكب

رجع محمد إقبال من أوربا ، والهند الإسلامية تكاد تحسّ بتقهقرها فى ميادين العمل والكفاح ؛ وزعمائنا المتفرنجين فى دينهم وأخلاقهم والرجميين فى سياستهم ، سلطانٌ عليهم ، فاتخذ من شعره البليغ المعجز آلة لإيقاظ النائمين من سباتهم وتثقيف الشبان العاملين وصرفهم عن الاغترار بمظاهر التمدن الحديث ، ووسيلة لتربية ملكات المتعلمين النفسية والخلقية وتطهير نفوسهم من أدران الأقليمية واللون والنسب . وبدأ يقرض القصائد ويطبع الدواوين حتى أنبتت بذرته وأثمرت وآتت أكلها .

وما هذه النهضة التى نُشاهد اليوم آثارها إلا وميض من بروق إقبال وصنيعة من صنائعه :

صنائع فاق صانعها ، ففاقت وغرسٌ طاب غارسُه فطابا

وكان من حُسن حظ الشاعر الحكيم — أجزل الله مثوبته فى الدارين — أن قد شاهد هذا الغرس ينمو ويكبر أمام عينيه إلى أن أصبح شجرة باسقة الفروع ، وهو حىّ يرزق .

(١) يريد آل عثمان ، حملة لواء الخلافة يومئذ .

فى الطور الثالث من حياته الشعرية جاش صدر إقبال بشعر قومى بليغ ، ممتلىء حكمةً وقوة ، نبَّه النائمين من غفلتهم القاضية عليهم وأرشدهم إلى الصراط السوى فى حياتهم السياسية . ومن خصائص هذا الشعر أن صاحبه يُفرغه فى قالب من التحدى بليغ كأنى به يُلهَمُه إلهاماً . أما معانيه السامية فما لا يُستراب فيه أنها لا تتسنى إلا لمن فتح الله قلبه لأسرار الطبيعة ، وحوادث المستقبل . وأحسن كلمة له فى هذا الطور « منارة السارى » أو « دليل الطريق » (خضرراه) التى بين فيها الشاعر الحكيم بلسان الخضر مشاكل السياسة الأوربية وأسرارها ، وحذَّر المسلمين وأهل الشرق من الوقوع فى شركها ، وأنار لهم فيها الطريق السوى الضامن لسعادتى الدين والدنيا ، إلى غيرها مما جاء فى ثناياها من دور الحكم وغررها . وهاك ترجمة بعض أبيات منها . قال — برَّد الله مضجعه — يكشف النقاب عن وجه الجمهورية الغربية الدميم :

« ما هـذه الجمهورية الغربية إلا تلك القيثارة العتيقة التى لا يظهر من أوتارها غير أصوات الهرقلية والكسروية ؛

وهذه الملابس الجمهورية المزركشة يمرح فيها شيطان الاستبداد ويختال ، وأنت تزعم أن عروس الحرية الجميلة تميس فى بردها ؛

وهذه مجالس التشريع والإصلاح ولجان الحقوق كلها أدوية حلوة المذاق ، اخترعها الطبُّ الأفرنجىُّ للتنويم والتخدير »

وسق الله تلك القريحة المبدعة التى أرادت أن تصوِّر حال العالم الإسلامى بعد الحرب العظمى فأحسنت وأبدعت :

« قد ذهب أبنـــاء التثليث بتراث إبراهيم

وأصبحت تربة الحجاز أساساً لبنيان الكنائس الأوربية ؛

« وأضحت دماء المسلمين رخيصة كماء النهر الجـــارى ؛

وما بكاؤك لهذه الحال المؤلمة إلا لأنك لا تعرف حكمة الله فى عباده »

وفى الختام يصف دواء ناجعاً لجميع أدواء الأمة :

« لا يمكن تخليص الشرق من براثن الاستعمار ونجاته من سلطته إلا إذا اتحد المسلمون ، واجتمعت كلمتهم ، ولكن أهل آسـيا لا يزالون يجهلون هذه الحكمة البالغة . وحذار أن تبقى متلهياً بالنظريات السياسية الباطلة ، وادخل فى حمى الدين من جديد ، فإن المملكة إنما هى ثمرة من ثمرات الدفاع عن الحرم .

فليتحد المسلمون وليكونوا كتلة واحدة متضامنة للذود عن بيت الله الحرام من شاطىء النيل إلى أرض كاشغر .

والذى يُفرِّق فى ذلك بين اللون والدم ، سوف ينعدم وجوده من وجه الأرض .

سواء فى ذلك التركى الأبى والعربى النبيل .

وإن آثرت أيها المسلم عنصرك وسلامتك على دينك ، فلن يبق لك عين فى هذه الدنيا ولا أثر » .

وجـدير بالاستماع والأدكار ، رأىُ صاحبنا فى الحضارة الجديدة من هذه الكلمة ، لأنه ممن قتل الغرب بحثاً ونخل علومهم نخلا . قال « لله دره » :

« تعجبكم هذه الحضارة الحديثة ويبهر عيونكم جمالها

وما هى إلا كفصوص موهتها يد الصناع وجلتها فاختطف الأبصار لمعانها الكاذب .

والحكمة التى يفتخر بها حكماء الغرب ويتشدقون ببركاتها هاهى قد عادت بأيديهم سيوفاً تقطر دماً .

أترون أن هذه الحضارة يكتب لها الخلود بالحيل التى يدبرها لها ساستها ؟ لعمر الحق ، أن كل حضارة أسِّس بنيانها على التنافس فى الأموال والتكالب على الشهوات سوف تنهـــار ويتبدَّد شملها » .

وفى هذا الدور من شعره كلمات أخرى مأثورة مشهورة فى «طرابلس الغرب» و« فاطمة الشهيدة » و« الشكوى إلى الله » وغيرها من القصائد المنثورة فى ديوانه « نداء الرحيل» (بانك درا) لا يتسع المقام للاقتطاف من أزهارها .

بلغ الشاعر فى المرحلة الثالثة من حياته الشعرية قمة مجده فى الأدب ، وحلَّ من محل قلوب المتأدبين محلاً يتنافس فيه المتنافسون ، وذلك أن شعره فى هذه المرحلة كان مرآة لعواطف الأمة وأمانيها ، وصورة صادقة لنهضاتها السياسية والأدبية ، فوجـدت الأمة فى زفراته وتأوهاته ، صدًى لآلامها المتتابعة والنوائب المتوالية المنصبَّة على رؤوسها ، وفى دعوته وعظاته ، ضالتها المنشودة وأمنيتها . وهو بعد كل ذلك شاعر يهز مشاعر النفس ، وخطيب يُذكى فى أعماق الفؤاد جذوة العمل والكفاح ، وحكيم يقيهم مهالك الغرب وخزعبلاته ، ويرشدهم إلى طريق الخير والسعادة .

قد أدّى شاعرنا مهمة كبيرة من حياته فى هذه المرحلة الشعرية ، حيث أبلغ الأمة دعوته أو رسالته ؛ لكنه ما وهبه الله هذا البيان والحكمة ليكون شاعر شعب دون شعب ؛ وإنما أراد ربك أن يكون شاعر الأمة الإسلامية جمعاء ، يدعوها إلى التكاتف والتعاضد ، ويُريهم سبل الحق والسلام ، وينير لهم المحجة البيضاء فى ظلمات المادية الحالكة . أما شعره فى الأردية فما كان ليخترق حدود الهند ، فاختار اللغة الفارسية واتخذها وسيلة لتعميم دعوته أولا ، وتثقيف المتأدبين (١) من أهل الهند ثانياً .

وأول شعر نشره باللغة الفارسية مجموعة « أسرار خودى » (أسرار فلسفة الذاتية التى يؤمن بها « إقبال » ويدعو الأمة إليها دائماً) . وهذه المجموعة من شعره تحتوى على أسرار وحكم مفرغة فى قالب الأدب ، تبين للمسلم السبيل التى يُمكّن بها من ترقية ملكاته النفسية حتى تخضع الطبيعة لإرادته ، وينزل القدر عند مشيئته . وهذه هى فلسفة « خودى » (تربية الملكات الذاتية) التى جعلها الشاعر قطباً تدور حوله جلة كبيرة من شعره البليغ فى هذه المجموعة وغيره من الدواوين . فإنه اهتم به « خودى » كثيراً ورأى أنه لا يُكرم فى الدنيا إلا الذى يكرم نفسه ، ويُرى للعالمين ما فى نفسه من إباء وسموهة وعلو فكرة . ويكفينى مؤونة التطويل فى شرح الذاتية « خودى » ما بيّنه الشاعر من ثمراتها فى بيت له :

اشحذ قوتك الذاتية (خودى) وازردها فى مكانة من القوة والعلو حيث يسأل الله العبد عن مرضاته قبل أن يجمل لشىء أجلا .

لا يريد الشاعر أن الله تعالى يسأل العبد عن مرضاته فى الحقيقة ؛ وإنما جمل ابتغاء الله لمرضات عبده مثلا فى تربية القوة الذاتية . وإنما يريد صاحبنا من المسلم أن يربى قواه النفسية تربية تخضع لإرادته الأرض وما فيها من القوى المادية والأدبية . وليس معنى ذلك أن يختار المسلم فى ترقية مواهبه سبيلا غير سبيل الكتاب والسنة . وبما أن فلسفة الذاتية (خودى) من أهم أجزاء دعوة حكيم الشرق ، عُنى بها أهل الشرق والغرب ، وترجم الدكتور نكلسن ، أستاذ صاحبنا ، ديوان أسرار (خودى (١)) بالإنجليزية . وكذلك عُنى بها جميع من أهل الغرب فى مسلمى الهند وقادة أفكارهم . وهاك فى ما يلى نبذة من أقوال الدكتور (تائيتس) فى كتابه الإسلام الهندى ، Indisn Islam (٢) لمل أكثر المعاصرين نفوذاً وأبلغهم تأثيراً فى إسلام الهنود ، هو الشاعر الفلسفى السر محمد إقبال الذى أبلغ أبناء دينه رسالة كان لها أثر فى نفوسهم . فإنه بين لهم إمكان التجديد الفردى وترقية القسم العالى من الشخصية بتقوية الإرادة وبتأدية اسمى ما يمكن للمرء أداؤه فى هذه الحياة الدنيا حسب ما أمر به الله ورسوله .

وكذلك جاء فى كتاب دين الإسلام Irlamie Eaih (٣) للعالم النزيه الشهير الدكتور آرنكد ، وهو من أعرف الناس بمسلمي الهند ورجالهم ما تعريبه ، وبذلك يعرف القارئ ما فى شعره من فلسفة :

ووجدت الحركة الجديدة فى الهند لساناً فصيحاً فى شعر السر إقبال ، أحد من درسوا الفلسفة الغربية بجدّ واهتمام وأحاطوا بها ، ولقد أثر فى الناشئة تأثيراً بليغاً ، ولكن شعره ما استطاع أن يكون بطبيعة الحال أساساً لحركة دينية عامة منظمة للصبغة الفلسفية التى اصطبغت بها دعوته ، ولعل ذلك لم يكن قط من إرادة الشاعر ولا مرماه .

« يتبع » مسعود الندوى

---

(١) يرى شاعرنا أن التربية العقلية الناضجة التى أراد أن يربى الأمة وينشئهم عليها لا ينتفع بها إلا من أوتى حظاً وافراً من التعلم . ومن هناك اختياره اللغة الفارسية لأنه لا يعرفها فى الهند إلا المتأدبون والمتعلمون

(١) تكلم الشاعر عن هذه الفلسفة فى جميع دواوينه التى طبعه فى ما بعد ، لكنه اختص هذا الديوان لإيضاح الفلسفة الذاتية . وتبين نتائجها ، ولذلك وقع عليه اختار الدكتور نكلسن .

(٢) ص ٢١٥ (٣) ص ٧٧

الأزهر والإصـــلاح

للأستاذ محمد السيد أحمد الشال

— ٢ —

تكلمت فى المقال السابق عما أراه يحاك للأزهر مما ظاهره أنه توسع فى التعليم وتشعب فى الثقافة وإنى لا أعتب على القائمين بشئون التعليم أن يفكروا مثل هـذا التفكير ويتجهوا مثل هذا الاتجاه، فلهم فى هذا بعض العذر أمام وقوف الأزهر وعدم مسايرته للتطورات الحديثة فى الدراسات وطرقها، وإنما أعتب العتب كله على رجال الأزهر أنهم لم يرسموا لأنفسهم نهجاً من الإصلاح يسيرون عليه. ولا يكفى أن يفكروا فيه فى غدوهم ورواحهم وأن يكون شغلهم الشاغل كما ذكر الأستاذ دنيا ما دام لم يظهر لهـذا التفكير وهذا الشغل أثر ينم عليه.

ولقد بدأ الأستاذ المراغى عليه رحمة الله الإصلاح ورسم له من الطرق ما أعتقد أنه ينهض بالأزهر ويجعله يؤدى رسالته؛ ثم مرت مدة من الزمن وقف فيها رجال الأزهر على الكثير من المآخذ على هذه النظم مما تسمع حديثه فى الكثير من مجالسهم وترى آثار التبرم والسخط بادية على الكثير من رجاله. ولكن هذه الأحاديث لا تعدو أن تكون تفريجاً عما فى النفوس ثم لا يكون لها من الأثر ما يتجاوز هذه المجالس. وقد يكون هناك فريق إذا ما ذكر أمامه الإصلاح أراح نفسه من حديثه بقوله أنه لم يمض على هذه النظم من الوقت ما يكفى للحكم عليها. وإذا استعرضنا قانون الأزهر كما قدمه المرحوم الأستاذ المراغى وصدر به المرسوم الأخير للاصلاح ونظرنا ما وضعه من النظم فى مراحل التعليم المختلفة نجده بصفة إجمالية قد أثقل طالب الابتدائى بالعلوم الرياضية بعد أن منعها من القسم الثانوى. وفى رأيى أنه لو بقيت الرياضة موزعة بين الابتدائى والثانوى كما كان الحال قبل صدور المرسوم الأخير لكان أفضل وأجدى على الطالب وأنفع له. وأما توزيع باقى المواد سواء منها المواد الأزهرية أو المواد الاجتماعية فى القسمين فهو توزيع حسن يتناسب مع مقدرة الطالب وكفايته فى المرحلتين.

بقى علينا أن ننظر إلى توزيع المواد فى الكليات المختلفة، فأقول إن هذا التوزيع قد راعى فيـه واضع القانون جهة الاختصاص فقط وأهمل ناحية أخرى هامة وهى شدة الصلة وقوة الارتباط بين المواد الأزهرية بحيث لا ينفك البحث فى إحداها من أن يجر الباحث إلى أن يتعرض إلى قضايا مختلفة من المواد الأخرى لا غنى له عن استيعابها حتى يمكن أن يتم بحثه وأن يحققه تحقيقاً علمياً دقيقاً، وإذا لم يكن الباحث ملماً إلماماً تاماً بما يعترضه من قضايا المواد الأخرى لا يمكنه أن يتم بحثـه على الوجه الذى يتطلبه التحقيق العلمى. والأمثلة على هـذا كثيرة يدركها جميع رجال الأزهر. فدارس التفسير لا يمكنه أن يستغنى عن دراسة الأصول فضلا عن دراسة مواد اللغة. ودارس الأصول لا يستغنى عن دراسة المواد اللغوية أيضاً. وطالب كلية الشريعة وأصول الدين لا يكفيه فى دراسة اللغة ما حصله فى المرحلتين الابتدائية والثانوية، ونحن نعلم أن الدراسة فيهما تكاد تكون تلقينية. أضف إلى ذلك تركه فى هذه المواد فى مرحلة الكلية مما يجعله ينسى الكثير من قضاياها. والدارس فى كليتى اللغة وأصول الدين لا يستغنى عن دراسة الأصول بل هو فى أمس الحاجة إليـه حينما يدرس شيئاً من التفسير والحديث. ولا يكفى ما هو مقرر فيهما من المذكرات الموضوعة فى هذه المادة فهى لا تعدو سرد القضايا دون التعرض لتفهمها وعرضها عرضاً يتذوق منه الطالب جمال هذه المادة ويدرك حاجته إليها فى الكثير من المواد.

ولا يليق بطالب كلية اللغة والشريعة أن يتخرج وهو لا يعلم شيئاً عن أصول الأديان والعقائد مكتفياً بما عرفه من دراسة القليل من علم التوحيد فى كتبه المورونة فى المرحلتين السابقتين وهى كتب لا تشفى غلة ولا تبل صدى.

هذا من ناحية القصور العام فى توزيع المواد فى الكليات؛ وإذا انتقلنا إلى الدراسة فى التخصصات ونظرنا إلى المواد المقررة فى تخصص التدريس مثـلا عجبنا كيف يرضى رجال الأزهر لناشئته أن يضيع من سنى حياتهم سنتان فى دراسة طرف من علم النفس والتربية وتاريخها وبعض المواد الأخرى مما يمكن أن يستوعبه الطالب بأقل مجهود أو بدونه فى سنى الدراسة فى الكليات، وكان الأولى أن ينظم هـذا التخصص وأن يزاد فى سنى دراسته سنة ثالثة وأن يقرر فيه دراسة بعض المواد الأساسية فى الكليات المختلفة دراسة تمتاز عن دراسة الكليات بسمة البحث والتعمق

فيه وتنوع طرقه مما يمد الطالب إعداداً كاملا ؛ وأظن فى وجود هذا التخصص على هذا النحو استغناء عن تخصص المادة .

وهكذا لا يعدم الباحث فى شأن التخصصات الأخرى جميعها من أن يرى بعض النقص الذى يستوجب تداركه .

وإنى إن أذكر ذلك لا أدعو إلى إدماج الكليات والرجوع بالأزهر إلى نظامه القديم ، ولكنى أقول أن اللازم أن يراعى فى تقسيم الكليات صلة المواد بعضها ببعض فوق ما هو مراعى من جهة الاختصاص ، فلا يقطع بين الطالب وبين جميع المواد الأساسية فى كلية أخرى ؛ بل يدرس فى كل كلية ما لا يستغنى عنه عالم أزهرى رسالته الأولى الدعوة إلى هذا الدين والدفاع عنه . فيعمم فى جميع الكليات دراسة أصول الأديان جميعها وما طرأ على فروعها المختلفة من تغيير أو انحراف أو جمود وأسباب ذلك ، وحال المسلمين الآن والوسائل الناجعة لتوحيد كلمتهم ورجوعهم إلى دينهم . كما يدرس فى كل كلية من القضايا الأساسية فى كل مادة أصلية فى كلية أخرى ما تمس الحاجة إليه دراسة توسع وبحث واستيعاب لا دراسة سرد قضايا وتعداد أحكام كما هو الحال فى دراسة الأصول فى كليتى اللغة وأصول الدين . وتدرس جميع المقررات فى الكليات ولا يكتفى بدراسة البعض والامتحان فيه كما هو الحال الآن . بل تقسم المادة إلى قسمين قسم يقوم بدراسته أستاذ المادة بتناسب مع الزمن المقرر لها بحيث يلتزم الأستاذ بالانتهاء منه ، وقسم يترك للطالب تحصيله واستيعابه بحيث يكون الامتحان فى جميع المادة . وهذا العمل فوق فائدته التامة للطالب من ناحية دراسته لكل المادة له فائدة أهم وهى تعويده الاعتماد على نفسه فى دراسة ما يترك له مما يكون له شخصية مستقلة لا تركن فى كل ما يعن لها إلى السؤال والاستفهام . بل تركن إلى البحث والتنقيب .

ورأيى أيضاً أن ينظر إلى الكتب المقررة نظرة فاحصة ليختار لكل مادة من الكتب ما تكون بعيدة عن الحشد والتعقيد والاستطراد وسرد المسائل التى لا يستفيد منها الطالب إلا تضييع الوقت وتعويده التشكك فى كل ما يعن له من بحث . وأى فائدة تعود على الطالب الذى يريد دراسة مادة من المواد من صرف جل وقته أو كله فى تصحيح عبارة أو الوقوف على خطأ تعريف أو معرفة الأولى إلى غير ذلك مما يضيع عليه الكثير من معرفة قضايا المادة وحقيقتها . ولو كان هذا بقدر حتى ينبه الذهن إلى تجنب الخطأ لكان حسناً ، أما أن يكون هذا سبباً فى صرف كل المجهود إليه فهذا ما لا يقره منطق .

ونحن الآن نرى تطلع المسلمين إلى الأزهر وحاجتهم إلى علمائه يبصرونهم بدينهم ويهدونهم إلى شريعتهم . وليس كل المسلمين ولا غالبيتهم ممن يعرفون العربيــة أو يفهمونها . فالأزهر الآن فى أشد الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية فى جميع سنى الدراسة حتى يمكنه أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل ســواء فى المحيط الإسلامى أو فى المحيط العالمى . فالعالم الآن على مفترق الطرق يتطلع إلى خير النظم التى تكفل الاستقرار والسلامه لجميع الناس ، ويتخبط المفكرون منهم فى بيداء التفكير والبحث فلهم يقفون على طريق يوصل إلى الغاية ؛ وليس هناك من طريق موصل إلا طريق الإسلام .

وأنى للعالم أن يهتدى إلى ذلك إذا لم يقم رجال الأزهر بنشر دعوته وتبيين حقيقته ودحض المفتريات التى يذيعها المغرضون أو الجاهلون عن الدين مما ينشر كل يوم باللغات المختلفة ولا نعلم من أمره شيئاً .

وفى السكوت على نشر مثل هذه المفتريات وعدم تجلية حقيقة هذا الدين للعالم تقصير عن أداء رسالة الأزهر ورسالة الإسلام .

ولقد اتخذ كثير من كتاب الغرب حال المسلمين وماهم عليه من جهل بدينهم وانحراف عنه وتأخرهم وانحطاطهم حجة يقوون بها مفترياتهم ويؤيدون بها دعاواهم فى أن هذا الدين لا يصلح لتنظيم المجتمعات ولا لأسعاد الجماعة .

هذه ناحية ، وهناك ناحية أخرى وهى أنه يوجد بين أضابير المكتبة الأزهرية كثير من الرسائل فى المواد المختلفة تقدم بها إما طلاب منتهون لنيل الشهادات النهائية ، وإما أجلة العلماء للحصول على عضوية هيئة كبار العلماء . ولقد عفى على هذه الرسائل الزمن وعلاها كثير من الغبار ولا يسمع أحد بها ولا يطلع أحد على ما فيها ؛ ولم لا تتخذ هذه الرسائل نواة لأصلاح الكتاب ؟

وهل هــذه الرسائل لا يرتفع قدرها إلى قدر ما كتب منذ ثمانية قرون أو يزيد على طرق من البحث وأساليب من التفكير تتناسب والعصور التى كتبت فيها .

وإذا لم يكن لهذه الرسائل من التقدير ما يجعلها أرفع شأناً

مما كتب فى تلك العصور فلم قدرت من اللجان التى نظرتها تقديراً استحق صاحبها بسببه أن ينال شهادة أو يظفر بشرف العضوية ؟

ولا أدرى سبباً لإهمال هذه الرسائل اللهم الا أن تكون هناك عقيدة لتقديس الآثار فظن من تمسك بها أن الخير كل الخير فى التعلق بها ، وأن الشر كل الشر فى الخروج عليها ، وأتباع ماجد من البحوث والأفكار . ولعل فى الرجوع إلى هذه الرسائل وبثها وتقدير ما يصلح منها للدراسه تشجيعاً لمن يريد البحث وحثا له على بذل كل فى وسعه لوضع ما يقدر عليه فيما يزفية فيكون فى هذا العمل تشجيع للتأليف والمؤلفين وتوسعة للبحث وإنهاض للباحثين فيتسع مجال التفكير ويكثر الإنتاج الأزهرى كما كثر الإنتاج الجامعى .

هذا قليل من كثير مما يتعلق بالبرامج العامة للدراسة وما يتعلق بالكتاب .

أما إصلاح الطالب فيكون بإصلاح نظم الامتحانات والرجوع بها إلى رفع درجة النجاح إلى ٦٠٪ وعدم السماح للطالب بدخول الدور الثانى إذا قصر فى أكثر من مادتين . وفى المادتين لا يسمح له بالإمتحان إذا لم يحصل على نصف النهاية الصغرى لكل مادة . وأخذه بالحزم والشدة فى جميع التشكيلات ويكون هذا بالعقوبات الرادعة النافذة .

وأما إصلاح المدرس فـفى إصلاح البرامج ونظم الدراسة والكتاب ما يكفى لإصلاحه . وهناك ناحية كان لها شأنها فى العصور الخالية واستمرت إلى عهد قريب وهى الصلة العلمية بين الطالب وأستاذه حتى كان الطالب يفخر بأنه تلقى العلم على فلان . وكان لكل أستاذ من الصبغة العلمية والفكرية ما يظهر أثره فى مدرسته وتلاميذه . وخير شاهد على ذلك المدرسة القريبة العهد بنا وهى مدرسة الأستاذ جمال الدين الأفغانى وتلميذه الإمام الشيخ محمد عبده . ولقد امتازت مدرسة الشيخ محمد عبده بما امتاز به أستاذها من استقلال الفكر وتعمق البحث والتحرد من الجمود وعدم التقيد بالموروث . فإذا أمكننا أن نحيى هذه المدارس فأحياؤها لا يكون إلا على يد هيئة كبار العلماء بتكليف رجالها بالقاء دروس للعلماء الناشئين ، ولا يقل ما يلقيه كل منهم عن درسين أو ثلاث فى الأسبوع يتخذ كل منهم مادة من المواد يدرسها دراسة توسع وبحث دون تقيد ببرامج أوخضوع لزمن ، ويكون له فى دراستها طابع خاص يمتاز به .

وفى هذا العمل من الفوائد مالا يخفى على من أدرك الأستاذ الإمام وساعده الحظ بالجلوس فى مجالسه والاستماع إلى دروسه .

ولا زالت الصلة العلمية بين الأستاذ وطلابه النابهين موجودة فى النظم الجامعية الغربية . وكانت هذه الصلة سبباً فى المحافظة على الطابع العلمى والجامعى وهذه بضاعتنا نبت زرعها وترعرع بين جدران الأزهر واستمر حقباً طويلة ثم تركها الأزهريون ففقدوا كثيراً من طابعهم الجامعى ! فهلا رجعنا إليها حتى نصل ما انقطع ونجنى ما درس .

ولا يكفى ما يقال من أن كل عضو من أعضاء الهيئة الموقرة يقدم بحثاً فى كل عام ، وأى أثر ظاهر لهذه البحوث ؟ وهل سمع بها أحد أو أطلع عليها أحد أو استفاد منها أحد ؟ وهل هذه البحوث أصلحت كتاباً أوهذبت مادة أو تعرضت لما يعن للعالم من شاكل اقتصادية أو اجتماعية أو كشفت ما غشاه من إلحاد أو هدته إلى الخروج من حيرته .

وهل يكفى أن يقال إن تراثنا التشريعى غنى بما حواه من أفكار القدامى وأبحاث السلف . وإذا كان غنياً فلم لم يتخذ منه الباحثون أداة للاصلاح التشريعى العام ؟ ولم لم يعملوا على عقد الصلة بين هذه الأبحاث وبين ما يعرض للناس من نظم مالية واقتصادية وصلات عمرانية واجتماعية وتطورات أخلاقية ؟

وهل يكفى أن نتغنى بأمجاد السلف ونأسف على أيامهم ، ونقف حيارى لا نهتدى إلى سبيل والعالم يتقدم ويجد فيه من الأحداث ما يقتضى تطور التشريع وتغير الحكم ؟ ونكتفى بأن نقول إن التشريع الإسلامى صالح لكل زمان ومكان . وأى صلاحية تبقى له إذا تركناه كما هو يسرد قضايا قد ذهب زمنها ويعدد أحكاماً قد ولى رجالها ونختلف فيما بيننا هل باب الاجتهاد مفتوح أم ذهب زمنه ورجاله ؟ لا ، لا يليق بمن يبغى البقاء أن يقف والعالم يتطور . ولو بقى على حالة أخشى أن يذهب به أعصار أو يتخلف عن الركب .

ولعلى بهذا أكون أديت بعض ما يجب على نحو الأزهر الذى أعتز بالانتساب إليه وحققت بعض دعوة الأستاذ دنيا . هدانا الله وإياه إلى معرفة طرق الإصلاح والأخذ بأسباب النجاح

محمد سيد أحمد الشال

مندوب الأزهر لتدريس الشريعة بكلية المقاصد الإسلامية بيروت — لبنان

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

تمهيد :

لكل قبيلة أوجهة عادة لغوية تميزها عن غيرها وهى ما تعارف الناس الآن على تسميتها لهجة : تتحكم فيها عند نطقها بالألفاظ وأدائها للكلمات ويلحظها من استمع إلى المتكلمين بها فلا يكاد يخطىء فى إلحاق المتحدث بقبيلته أو جهته إذا أوتى شيئاً من الدراية بتلك اللهجات، وهذه العادة كانت تندرج قديماً تحت كلمة اللغة حيث أطلقوها فى الصدر الأول على عدة معان .

١ — على الخلاف بين القبائل فى إعراب الكلمات وبنائها وصيغها ؛ حكى على بن محمد النوفلى قال سمعت أبى يقول لأبى عمرو : خبرنى عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة ؟ قال أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات .

٢ — على تباين الألفاظ التى تترادف على معنى واحد . وذلك مثل ما يرد فى معاجم اللغة كقولها : الزمهرير القمر بلغة طيء ، والبينط النساج بلغة اليمن ، والليث اللسن البليغ بلغة هذيل .

٣ — على طريقة أداء الكلمات وإعطائها نغمة أو غنة تميزها عن غيرها من القبائل كالإمالة والتسهيل والتفخيم والترقيق . وذلك مثل ما يروى فى كتب اللغة والأدب من قولها : وليست الإمالة لغة جميع العرب ، وأهل الحجاز لا يميلون ، وأشدهم حرصاً عليها بنو تميم .

وفى الحديث عن صفوان بن سالم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ يحيى قيل له يا رسول الله تميل وليس هو لغة قريش؟ فقال هو لغة الأخوال بنى سعد .

ويروى أن أبا عمرو كان أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، وأن سيبويه أخذ النحو عن الخليل ويونس وعيسى ابن عمر وغيرهم وأخذ اللغات عن أبى الخطاب الأخفش الكبير .

أما اللغة باصطلاحنا الحديث فقد كانت تسمى اللسان . والقرآن الكريم لم يستعمل غيرها عند إرادتها .

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » سورة إبراهيم .

« لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » سورة النحل .

« لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » سورة الشعراء .

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » . سورة الروم .

« وهذا كتاب مصدق لساناً عربيا » سورة الأحقاف .

وقد سمى ابن منظور كتابه «لسان العرب» وسميت المدرسة التى كان يرأسها رفاعة بك الطهطاوى « مدرسة الألسن » .

هذا وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يقرءوا القرآن بلهجات العرب .

وتلك الإباحة تفهم من الحديث الذى رواه صفوان بن سالم ويرشد إليها الحديث المرفوع « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها » .

وقد جاءت تلك الإباحة لأنها فى الواقع لا تؤثر فى المعنى ولا تخل بنظم الآية ، وهذا النطق من القبائل مترتب على عادتهم اللغوية وطريقة أدائهم للألفاظ؛ فالقبيلة التى اعتادت ألسنتها على الإمالة يكون العسير عليها أن تنطق بالفتح ، والقبيلة التى تسهل الهمزة يكون من الشاق عليها تكلف النبر .

فليس من الممكن إذن التضييق على القبائل العربية بحملها على نهج واحد وتسلك طريقاً بعينها مخالفة بذلك عادتها اللغوية أو لهجتها ؛ ودين الله يسر لا عسر ؛ إلا أن اللهجات المستكرهة التى فيها إبدال حرف مكان حرف أو زيادته كطمطمانية حمير وكشكشة أسد وعنعنة تميم واستنطاء هذيل وسعد بن بكر والأزد والأنصار وغير ذلك من مستكره اللهجات تعتبر القراءة بها شاذة من الناحية الشرعية حيث لا تصح بها الصلاة والعبادات؛ أما من الناحية اللغوية والأدبية فلا خلاف فى أنها منهل مورود لطلاب اللغة وآدابها .

ويرجع الخطر من الناحية الشرعية على اللهجات المستكرهة

إلى ما اشترطه أئمة الشريعة فى القراءة الصحيحة من أنها يجب ألا تخرج عن كونها .

١ – صحيحة السند .

٢ – ووافقت العربية ولو بوجه .

٣ – ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا . فإذا جمعت هذه الشروط تعد واجبة القبول سواء كانت من القراء السبعة المشهورين أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين .

والذين انتهى إليهم من الصحابة سند القراء هم عمر وعثمان وعلى وعبد الله بن عباس والحسين بن على وعبد الله بن عياش المخزومى وعبد الله بن السائب المخزومى وهم قرشيون ، وعبد الله ابن مسعود من هذيل ، وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وهم من الأنصار ، وأبو موسى الأشعرى من الأشعرين وهى قبيلة يمنية ، وأبو هريرة من الأزد ، ثم صارت مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق مقرأ لشيوخ القراءات فى صدر الإسلام .

فبمكة عبد الله بن كثير من القراء السبعة ، ومحمد بن محيصين من الأربعة عشر ؛ وبالمدينة نافع من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة ؛ وبالكوفة عاصم بن أبى النجود ، وحمزة ، والكسائى من السبعة ، وخلف من العشرة ، وسليمان الأعمش من الأربعة عشر وبالبصرة ، أبو عمرو من السبعة ، ويعقوب من العشرة ، والحسن البصرى واليزيدى من الأربعة عشر ؛ وبدمشق عبد الله بن عامر من السبعة .

وقد اشتهر غير هؤلاء جماعة بالأمصار الخمسة السابقة كحميد ابن قيس بمكة ، وشيبة بن نصاح بالمدينة ، ويحيى بن وثاب بالكوفة ، وعبد الله بن أبى اسحق الحضرمى بالبصرة ، وعطية ابن قيس الكلابى بالشام . إلا أن رواية قراءاتهم كاملة لم تدون كما دونت قراءات الأربعة عشر ولا يعرف عنهم إلا ما تناثر فى كتب التفسير والتراجم ؛ وما كان لهم من استاذية على بعض القراء المشهورين حيث اختاروا من قراءاتهم لأنفسهم ما وافق شروط الاختيار .

وأول من تتبع وجوه القراءات وتقصى الأنواع الشاذة فيها وبحث عن أسانيدها من صحيح ومصنوع هو هرون بن موسى القارىء المتوفى سنة ١٧٠ هـ إلا أنه لم يؤلف باستقصائه كتاباً .

ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ فكان أول من استقصاها فى كتاب ، ويقال إنه أحصى منها خمساً وعشرين قراءة مع السبع المشهورة .

أما أول من اختار السبعة المشهورين فى عهدنا هذا فهو أبو بكر بن مجاهد وذلك فى أواخر القرن الثالث الهجرى ومفتتح الرابع .

ولم يكن الكسائى معدوداً من السبعة قبل عهد المأمون ؛ وقد كان من الأئمة قبل ابن مجاهد من أخرج حمزة والكسائى من السبعة وأدخل بدلا منهما أبا جعفر ويعقوب ؛ فلما جاء الإمام الشاطبى اختار من اختارهم ابن مجاهد وألف فيهم منظومته حرز الأمانى المسماة الشاطبية فاقتصر عليهم المتأخرون تبعاً له اختصاراً واختيارا .

وقديماً كانت ثقافة القراء واسعة فلم ينصب أحد نفسه للاقراء بعد استنباط النحو ما لم يكن عالماً بالعربية وأوجه الخلاف فيها ، كما أنهم لم يعدوا المرء عالماً بالعربية ما لم يكن ملماً بالكثير من القراءات .

وفى بدء الإسلام لم تكن هناك حاجة إلى علم القارىء بالنحو الذى لم تستوف أصوله بعد وإن كان له مع ذلك إلمام واسع بمأثور العرب فى حين أن اللسان العربى صحيح والسليقة لم تفسدها العجمة .

فإذا سرنا مع الزمن وجدنا كل قارىء إماما فى العربية بجانب إمامته فى القراءات .

فهذا أبو عمرو بن العلاء كان حجة فى كلام العرب ولغاتها وغريبها .

وهذا الكسائى جمع إلى إمامته فى القراءة إمامة الكوفيين فى النحو .

وهذا ابن مالك صاحب الألفية التى صارت مرجع كل عالم فى النحو كان حجة فى القراءات وإماماً . قدم الشام من الأندلس وصار شيخ الإقراء بالمدرسة العادلية بدمشق وألف قصيدة

دالية فى القراءات السبع ؛ أما الإمام الشاطبى صاحب المنظومة المشهورة فى القراءات فقد كان أعلم الناس بالعربية وعلومها (١) .

هذه نبذة مختصرة رأيت الإلمام بها قبل أن أعرض للقبائل ولهجاتها وأثرها فى القراءات .

فبيلة تميم :

هى من أشهر القبائل التى كان للهجتها أثر فى القراءات والعربية أقامت قديماً بتهامة ثم نزحت فى أواسط القرن الثانى قبل الهجرة نحو العراق واستقرت فى باديته وما يليها جنوباً آخذة جزءاً من نجد ، ويجاورها من ناحية الغرب قبائل أسد شمالا وقيس جنوباً ، ويجاورها من ناحية الجنوب بنو حنيفة من بكر بن وائل وعبد القيس من جديلة ، وتفصل بين بعض بطونها قبائل من بكر ابن وائل . وقد توزع كثير من التميميين فى الفتوح الإسلامية وشملت البصرة والكوفة فى مبدأ إنشائهما عدداً كبيراً منها .

وثنيتها :

كانت الوثنية شاملة لجزيرة العرب قبل الإسلام ، وقد اتخذت القبائل بيوتاً للعبادة وأصناماً خاصة بها بجانب احترامها للكعبة . والأصنام المشهورة اللات والعزى ومناة ، فما كانت تنفرد به تميم صنم اسمه تيم ولهذا قيل لتميم كلها فى الجاهلية عبد تيم ؛ وكان لها بيت للعبادة اسمه « رضاء » ولها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها فى الإسلام .

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفرا بقاع أسحما

وقد دخل جماعة من التميميين أيام الجاهلية فى المجوسية لقربهم من العراق التابع للفرس . وعبد جماعة منهم نجما يسمى الدبران ، وأسلمت تميم فى حياة الرسول ، فلما قبض إلى الرفيق الأعلى ادعت سجاح بنت الحارث فيهم النبوة فتبعوها ثم عادوا إلى الإسلام مرة أخرى وأسلمت متنبئتهم سجاح .

(١) العادلية مدرستان بدمشق : الكبرى أنشأها السلطان نور الدين ولم تتم ثم شرع فى إتمامها السلطان العادل أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى وتوفى ودفن بها ولما تتم وإليه تنسب ، ثم أكمل بناءها ولده المعظم سنة ٦١٨ وكان بها فرع للاقراء ممن تولى مشيخته أبو عبد الله محمد بن مالك صاحب الألفية . والعادلية الصغرى أنشأتها زهرة خاتون ابنة الملك العادل .

نسبها :

تميم قسمان : الصغرى وهم أبناء تميم (١) بن عبد مناة بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر ، ومنهم قطام صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب التى اشترط فى مهرها

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب على بالحسام المصمم

والكبرى وهى صاحبة الشهرة التى تراد عند الإطلاق وهى التى نعنيها بالبحث والمقصودة دائماً فى جميع الكتب هم أبناء تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ولها بطون وعشائر كثيرة أصبحت شبه مستقلة فى منازعاتها ومفاخراتها بل وفى بعض لهجاتها .

عاداتها :

كان للعرب فى الجاهلية عادات مختلفة شملتهم جميعاً ، منها وأد البنات وزجر الطير والاستقسام بالإزلام ، والعقر على القبور ؛ غير أن أهل نجد ومنهم تميم قد يخالفون الحجازيين فى بعض العادات كما يخالفونهم فى اللهجات ، فالسانح من الطير والظباء وهو ما مر من مياسرك إلى ميامنك يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح وهو ما مر من ميامنك إلى مياسرك بعكس الحجازيين فيهما قال ذو الرمة وهو نجدى :

خليلى لا لاقيتما ما حييتما   من الطير إلا السانحات وأسعد

وقال النابغة متشائماً بالبارح وهو نجدى .

زعم البوارح أن رحلتنا غداً   وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وقال كثير وهو حجازى ممن يتشاءم بالسانح .

أقول إذا ما الطير مرت مخيفة   سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هذا هو الأصل عندهم ؛ ثم قد يستعمل النجدى عادة الحجازى فمن ذلك قول عمرو بن قميئة وهو نجدى .

فبينى على طير سنيح نحوسه   وأشأم طير الزاجرين سنيحها

رجالاتها :

اشتهر من تميم كثير من الحكماء والزعماء والعلماء والشعراء

(١) كما فى العقد الفريد وتاريخ ابن خلدون ؛ أما لسان العرب والقاموس والجمهرة ونسب عدنان وقحطان وسبائك الذهب والتأمل فاسمها تيم ولعله الأصوب وهناك تميم أخرى بطن من هذيل .

وغيرهم فى الجاهلية والإسلام منهم أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية ومن قوله :

أيتها النفس أجملى جزعاً   إن الذى تحذرين قد وقعا

ومنها : الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

ومن قوله :

ولست بخابىء لغد طعاماً   حذار غد ، لكل غد طعام

ومنهم أكثم بن صيفى حكيم العرب فى الجاهلية ، ومن حكمه : مصارع الرجال تحت بروق الطمع ، ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم ، ومقتل الرجل بين فكيه. ومنهم حاجب بن زرارة من مشاهير فصحاء زمانه وفد على كسرى وضمن قومه برهن قوسه عنده ، ولذلك قصة مشهورة. ومنهم الأقرع بن حابس وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف . ومنهم الأحنف بن قيس سيد تميم البصرة وعروة بن جرير أول خارجى قال : لا حكم إلا لله يوم صفين ، والمنذر بن سارى صاحب هجر وقطرى بن الفجاءة الخارجى الأزرقى ومن قوله :

أقول لها وقد طارت شعاعاً   من الأبطال ويحك لا تراعى

فإنك لو سألت بقاء يوم   على الأجل الذى لك لن تطاعى

فصبراً فى مجال الموت صبراً   فما نيل الخلود بمستطاع

ومنهم عبدالله بن أباض رئيس الأباضية من الخوارج ، وعبدالله ابن صفار رئيس الصفرية وجرير والفرزدق الشاعران ورؤبة ابن العجاج الراجز والسليك بن سلكة من العدائين المشهورين ومية صاحبة ذى الرمة وسجاح المتنبئة .

أما علماؤها فمنهم زفر الفقيه الحنفى وأبو عمرو بن العلاء وسنفرد له ترجمة خاصة ، وأبو عثمان المازنى النحوى والنضر بن شميل النحوى ويحيى بن أكثم قاضى المأمون غلب عليه حتى لم يتقدمه أحد من الناس جميعاً ، ولى أول الأمر قضاء البصرة وهو صغير فاستصغره أهلها وقالوا كم سن القاضى ؟ فعلم أنه قد استصغر فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجه به النبى صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن .

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

نفاق المخلص

للأستاذ ثروت أباظه

رجل أصابه الدهر بنكبات تصيب إحداها الشديد فتصرعه ، غير أنه كان أقوى من الشدة فثبت ، ومرت به الزعازع لم تصب منه مكسراً ، ولم تقصف له عوداً ، ولكن نفسه ضعفت دون أن يمر بها الخطب ولا يؤثر فيها .. فانعقدت بها العقدة ، وكره أن يرى السعادة ؛ فخصص حياته الباقية لحرب الخير ، ومناهضة الرفاهة ، وتدعيم الشر ، ومباركة الشقاء .

عرفته وهو يستقبل المصائب ، وكان إذ ذاك لا يفرح لفرح الناس ، ولكنه كان أيضاً لا يفرح لحزنهم . ثم شهدته والمصائب تمتوره من كل جانب حتى لم يعد فيه مكان لإصابة ، فصار إلى ما هو عليه .

ولنا صديق رأى سعادته وسعى إليها ، فسارع إليه الرجل ذو العقدة يثنيه عما يروم ، باذلا في سبيل ذلك ما شاء من خسة وكذب . وكان الصديق يعرف في الرجل عقدته وخسته ، ولكنه لم يفكر يوماً أن تصيبه هو هذه الخسة وهو الذي يبذل له الود الصادق والعطف الكريم .. وظل يحسن به الظن حتى انكشف له لؤمه وكذبه ، فرمى بقوله عرض الأفق ، وأتم ما كان مقدماً عليه ، وكفأ الرجل ذو العقدة على مرجله غطاء من ود ظاهر .

ظننت أن صديقي سوف يشيح عنه بحبه وعطفه ، وأنا أعلم فيه صدقاً في وده ، فلا يمنحه إلا صادراً عن قلبه . ولكن الصديق أخلف ظني ، وراح يظهر للرجل مثل ما كان يظهر ، حتى احتسبت الله في صفائه ، واعتقدت أن الحياة علمته خداعاً كان يجهله ، ولكنني لم أطق أن أودع فيه خلالا حمدتها له زمناً قبل أن أسأله :

— أراك ما تزال تحبه ، وهو الذي فعل ما فعل . وأعرفك لا تبذل حبك من لسانك !

— إن ما فعل لا يعرفه إلا أنا وهو وأنت . فإذا تغيرت عليه ظهر ما لا أحب إظهاره .

— وتنافق ! ؟

— وما ذا في ذاك ! ؟

— كأني أكلم شخصاً لا أعرفه . . . ألا تعرف ما ذا في النفاق ؟ .. فيه أنه نفاق . خداع وكذب ، وإجراء نفسك على غير ما تحب ، وظهورك بغير ما تبطن .

— لعل دهشتي من كلامك أكبر من دهشتك . إن ما تقوله لفظ أنيق تخلى عنه منطقك الواقعي . . إن النفاق شر إذا هدف إلى الشر ، أما إذا حدت إليه عواطف الخير فهو خير هادف إلى خير .. أما اعتقادك أني أجري نفسي على غير طبيعتها ، فإني مرتاح إلى ذلك ما دمت لا أحمل في نفسي غضاضة الشر .

— وكيف أعرف نفاقك من إخلاصك ما دمت هكذا ؟. كيف يتسنى لي أن أميز بين ودك خالصاً وبين ودك مشوباً ؟

— ودعني أسميه نفاقاً مهما يكن هادفاً إلى خير — كيف يمكنني ذلك ما دمت تقدم على الإخلاص وغيره بهذا السمت البريء الذي عرفت به ؟

— إن مقياسك في ذلك هو نفسك .. فإن كنت تضمر لي الشر وتبديه حتى أحسه منك ، ثم تراني بعد هذا أقدم لك من الود ما عودتك فأنا معك منافق ، أبقي على احترام الناس لك ، وأخشى عليك قالتهم ، راجياً منك الخير بعد الشر ، والوفاء بعد الغدر .

— أولا تعتقد أن الرجل شاعر بأنك تبدي له هذا الود عن غير إخلاص .. هل بلغ به الجحود حداً لا يعرف به أنه أساء إليك وأنت تحسن إليه ! ؟

— لا . . بل إن الرجل يعلم علم اليقين أن هذا الود الذي أبديه له أصبح وداً غير حقيقي ، ويعلم أيضاً أنني أذكر له كل الشر الذي قدم .

— أولا تعتقد أن صلتك إياه تؤلمه أكثر من قطيعتك له ؟

— ربما جال هذا بنفسه إن كان بها بقية من ضمير ، ولكنه من الذكاء بحيث يعلم أنني أفعل ما أفعل لأبقي عليه الستار الذي أسدله أمام الناس . . أما إذا كان ضميره قد انجلى عنه ، فهو مسرور بما أفعل ، مرتاح إليه ، مقبل عليه كما كان يقبل .

وهكذا لم أودع في الصديق ما عرفت له من الخير ، بل استقبلت منه تمرساً بالحياة ، ومجاراة لها ، وتحويلا من شرها إلى خير ، ومن نفاقها إلى إخلاص . . إنه ينافق لا شك ، ولكنه نفاق المخلص .

ثروت أباظه

رحلات فى ديار الشام فى القرن الثامن عشر الهجرى :

٤ ـ اردان حلة الاحسان في الرحلة إلى جبل لبنان

لمصطفى البكرى الصديق

(١٠٩٩ هـ – ١١٦٢ هـ – ١٦٨٧ م – ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدى

« تتمة »

إتمام البئر وانتشار الطاعون :

وبعد ما تم بناء البئر أردت أن أدخله فى الحضير ، فشرعت فى تقتيم الستارة ، وابتدأنا يوم الاثنين فى العمارة ، وكان أفرط عند الطاعون ، أحوج لاستعمال ما فى الماعون ، وتمرض الأخ محمد سعيد ليلة الثلاثاء بوارد شديد ، وما زال الأمر يزيد إلى أن اصطفاه إليه ليلة السبت الحادية والعشرين من ذى الحجة شهيد ، وترجمته فى كراسة وسميتها (العقد الفريد النضيد فى ترجمة محمد سعيد) وحصل له مشهد فريد ، ودفن فى مأمن الله .

سنة ١١٤٥ هـ

ولما دخل عام (١١٤٥ هـ) توجهنا والأحبة على عادتنا للزيارة [مقام على بن عليل شمالى يافا] وأقمنا بعد ما قطعنا بلاداً مع السيارة وبتنا لدى المزار ليلتين ، ومنه أتينا بعد التنزه فى المروج ذات الزهور ، مع الجموع قرية (كور) وكنا تخلصنا بامداد الشكور ، من الحى ذات العبور ، إلى هجوم الجسد النخور ، وعطفنا على (نابلس) المحروسة ، ولم ننزل إلا الدرويشة ، لاتساع مبرور ، وكان الحاج حمدان ، قصد جامع النصر المعمور ، والخلوة التى لديه وأذنا لولده الشيخ يوسف بالحضور ، وسرنا بعد إكرام تام ، وما زلنا بالبداءة والختم بالأوراد إلى أن وصلنا المنازل المقدسة . وكنا قد أ كدنا مع الأخ الحاج حسن مقلد أمر الحج ، ورجونا أنا بعقد جواهره نتقلد ؛ وفى أوائل رجب جاءنا رجل مغربى سمى نفسه محمد السابع ، وزعم أنه عائم فى بحر المعارف سائح ، وحدثنا بعجائب من بنيات صدره ، ووعدنا مواعيد عرقوب صانها فى قدره .

وحين اشتد العزم على السير نحو الحجاز ، وصله مودعاً إلى جيوض (السيلة) وفارقناه . وذكرت ما وقع فى هذه الحضرة الكريمة فى رحلة سميتها (الرحلة الإحسانية الحجازية الثانية) ولما عدنا إلى الديار المقدسة صحبنا الأخ الشيخ محمد المكتبى الحلبى وكان بعد ما توجهت من حلب للقدس أرسل كتاباً للفقير مطلعه :

ذاب من حرٍّ فؤادى جسدى   وغدا فودى بياضاً مفعما

وبعد ما زار الأنبياء العظام والأولياء الأماجد ، أقام لدينا نفسه مسلماً مصاحباً منادماً متيماً وولهاً فى حبه هيماً ، وفى أثناء إقامته ، ورد أول كتاب من الأخ مصطفى اللقيمى مطلعه :

وأمنيت للمسجد الأقصى وللحرم
بعد انقضاء أداء النسك بالحرم

وقد ذكر فيه أنه أحرم ، ثم دخل من باب السلام ، وطاف بالكعبة سبعاً ، وأسرع إلى عرفات ، وبات بمزدلفة ، وأصبح فى المنى ، ثم رمى بالجمرة ، ثم قدم مكة وطاف طواف الإفاضة ، ثم سعى ، وحلق ، ومضى لمضىء عمرة ، وختمها بطواف ، وسعى وتوجه تلقاء مدين قرب جدة ، وعاد إلى المسجد الأقصى .

« ولما أقام الأخ الشيخ محمد المكتبى مدة أيام ، وتلقن بعض أسماء حضر من الشام صديقنا الشيخ عبد الرحمن السمان ، ومكث قليل أيام وزار المشاهد ، وبعدها هم على الرحيل لوطن المقام وعزم على السير معه الأخ المكتبى فكتبت له أجازة بالإذن كما أرسل أجازة للأخ اللقيمى .

سنة ١١٤٦ هـ

ولما هل شهر رجب ١١٤٦ هـ ورد علنا الأخ الحاج ابراهيم بن حسن البكانى الحرستانى ، وحرستى بلدة سيدى محمد بن الحسن صاحب النعمان (الربانى) ومعه رفيق من أهالى (بيت سوا) يدعى عبد الغنى ، وبعد أيام دخل الخلوة ، ثم تشفع برجوعه بابنتى علماً فقبلت شفاعتها فيه ، وأجزته لما مدة إقامته انتهت .

وفى أواسط شعبان طلب الأخ الشيخ عمر المنبوسى عمل

معراج نبوى مختصر مسمياً له (اليم الفدا المواج فى ذكر أحاديث الإسرا والمعراج) وشرعت فى تسويد شرح على المنفرجة المنسوبة لأبى عبد الله النحوى ، وكان ذلك عن طلب السيد على الحنفى ، وسميته (الفقه النضيد المشيد الحجة ، على القصيدة المسماة بالمنفرجة) وقابلته مع الشيخ محمد بن السيد عيسى الكردى ، وأرسلته مع الشيخ المذكور ، إذ مراده المسير إلى تلك القصور .

وكنت بعد العود من الحج بأشهر وأيام أرسلت للأخ الشيخ محمد الحفناوى [فى مصر] أجازة وإذناً عاماً بالإرشاد . وقد وردنى فى أواخر ذى الحجة منه كتاب جواباً على كتابى والأجازة .

صدور خط سلطانى باصلاح قناة الماء للحرم القدسى :

وفى أوائل سنة ١١٤٦ هـ صدر خط سلطانى معرباً معجمه بأن الوالدة أثابها الله فى الجنان ، انتدبت لعمارة ما يلزم القناة القدسية ، فعينت أحد أعيان الدولة ، ووجهت له ما يحتاج إليه فوفد بصوله والمذكور (قبله لى زاده) فتوفى قرب حصول ما أراده ، وكان حسن النية والإرادة ، ثم ورد مباشراً على أغا بن حمود ، وبعد تمام بعض نظام رجع لوطنه للزهو يقود ، وكتب أهل الولاية له محضراً بما جرى ، شاهدين فيه أن ماء الكأس لمحله جرى ، وحصل للناس فرج وفرح .

سنة (١١٤٧ هـ) وفاة الشيخ محمد الخليلى :

وكان ورد على كتاب من الأخ الشيخ مصطفى أسعد اللقيمى فى عشرين محرم سنة (١١٤٧ هـ) مصدراً بقصيدة ثانية مطلعها :

عيون بنى الصديق بالصحو قدت

عيون أولى التصديق بالمحو فدت

وفى أواخر ربيع الأول أرسلت كتاباً للأخ الشيخ مصطفى العمرى مصدراً بقصيدة :

أيها المصطفى من الخلان كن بمولاك داعياً للمعانى

واجتمعت ليلة الحادية عشر من شهر ربيع الثانى (سنة ١١٤٧ هـ) بالشيخ يس الغزى الخلوتى ، وكان الأخ الشيخ إبراهيم الشهير بابن صفر أغا أخبر أنه كان منكراً عليه ما يظهر منه من مخالفات تنسب إليه حتى استبان له الأمر فانقاد وزاد منه فيه الحب والاعتقاد .

وفاة الشيخ محمد الخليلى :

وفى منتصف جمادى الثانى ليلة الخميس ، انتقل شيخنا العالم العامل المحدث الفقيه الشيخ محمد شمس الدين أبو الوفاء الخليلى (١) إلى المقام الأرفع ، فكانت ليلة ليلاء على أهل إيلياء ، كان رحمه الله جاور فى الجامع الأزهر ، ثم ورد إلى بيت المقدس ، فانتفع به أهلها ، وقد أخذت عنه الإجازة فى الحديث سنة ١١٢٢ هـ لسند عال ، ثم تأكدت المحبة بيننا وبينه لتكرر الخطرات القدسية ، ثم نمت وزادت سنة (١١٣١ هـ) لتأهل فى الديار القدسية ، وقد ذكرته فى النحلة النصرية فى الرحلة المصرية) وقد تكررت صحبته فى زيارة الخليل ، والكليم ، وقلت مرتجلا فى امتداحه :

أيها الذات فى حمى الذات قبلى فلقد لذ لى لديها مقيلى

وبعد وفاة الشيخ بثلاثة أيام اندرج بالوفاة إلى رحمة الله صديقنا الشيخ برهان الجعفرى الرفاعى الخليلى الأوطان ، وكان المذكور اجتمع علينا فى ثانى خطرة للزيارة الخليلية وأظهر المحبة كأخيه الشيخ أحمد السابق للمنازل الإحسانية ، وقد ظهرت لهما على أخبر به بعض أتباعه ، كرامات تعرف بمقامه .

وفى أواخر هذا الشهر ورد على كتاب من الأخ اللقيمى وفيه :

شوق إلى عليا جنابك طافح أخفيه وهو خفى سر فاضح

فأجبته بكتاب :

للعارفين خواتم وفواتح أنداؤها فى العالمين فوائح

وفى أوائل شهر رجب شرعت فى عمل مقامة مشيرة لفن الأدب سميتها « المدامة الشامية فى المقامة) أودعت فيها من القصائد الجامعة ، وشرعت فى أخرى (مغربية) وسميتها (النهامة الغربية فى المقامة المغربية) .

ثم شرعت فى شرح قصيدة الإمام الحجة صاحب المنهاج .

الرحلة إلى الديار الرومية :

وفى ذى الحجة تحرك الخاطر إلى الديار الرومية ، وما زال

---

(١) هو صاحب الفتاوى الخليلية على المذهب الشافعى كبرى فى مجلدين وصغرى في مجلد ، ترجمه حسن بن عبد اللطيف الحسينى فى كتابه « تراجم أهل القدس فى القرن الثانى عشر » وقد أخذ عنه المرادى . عمر جامع يافا الجديد ، واسترجع مقام النبي شمويل من اليهود ، وهو المجلد الثامن لأم كاتب هذا المقال .

العزم بتقوى إلى أن دخل محرم ، فتوجهت إلى الشام لأجل أن يكون المسير مع ركب الحجاج ، وشرعت فى الرحلة الرومية الثانية وأسميتها (الحلة الغانية الدانية ، فى الرحلة الرومية الثانية) وعدنا منها ثانى يوم من شهر الصوم .

مرض ابنته علما ووفاتها :

وعدت فوجدت بنتى المحمية لسرى وقلبى ، المقربة إن شاء ربى ، متمرضة بأمر جرنى ، فقاد كابا ذيله طويل ، وبعد أيام غابية لا قليلة ، أحبت مجاورة مولاها بنفس ذليلة . فحصل بفراقها ألم مؤلم ، وذلك فى الليلة التاسعة من شهر رمضان .

وترجمتها فى رسالة أسميتها : (الغيوب الملجمة ، والغيوث المسجمة ، فى ترجمة ابنتى المنقية قدراً سما ، الشريفة الصديقة العباسية علما) وقد كتبت على شاهدة قبرها مؤرخاً :

قصر الجنان من يدى جدى هنـــا تسلما
رضوان ربى دائما يهمى عليها كالسما

وما زالت المدامع بعد بُعدها سخية إلى تمام ذلك العام

سنة ١١٤٩ هـ البدو بسلبوده الشيخ التافلانى :

وبعد دخول العام الجديد سنة ١١٤٩ ورد علينا الأخ الشيخ محمد التافلاتى ، وأخبر أنه جاءنا على طريق التيه وأخذ منه أعراب الطريق بعض أثواب ، وكتاباً من الصديق الشيخ محمد الحفناوى

وفى أوائل شهر ربيع شرعت فى تأليف مولد نبوى وسمته (المولد الدرى فى المولد النبوى) وقرأته ليلة المولد على الإخوان متبركا

وجاءنا فى هذه الأثناء السيد على من بيت كريم الدين صاحب الجدود الفاخرة ، والحسب ، وكان مجيئه فى جمادى الأول بعد ما طلع لأرض الروم ، ونزل وتوجه من القاهرة ، بوجوه غير سافرة ، ووصل إلينا مفصول العرا ، كن قرا ولكنه ما درى ، وكنت أرسلت للأخ الشيخ محمد الحفنى كتاباً محرضاً له على الحضور لنزل قدس وافر السرور ، فتيسر الأمر عليه وقدم والسعد بين يديه ، منتصف جمادى الثانى سنة ١١٤٩ مصحوباً بالتهانى . وأرسلت ولدى يستقبله فرحاً بقدومه ، واشتغلت بنظم أبيات ، أسمعتها له غب الإتمام فسرّ بها ، وكانت ساعة التلاقى ميمونة . ومطلعها :

در كؤوسى من الرحيق الشهىّ ثم ثنى من العتيق البهى . الخ

ولما استقر به المقام ، وحل الرحاب منه ، سار ذكره كالمثل السائر ، وكنت أكتب فى شرح الهمزية ، المسمى (باللمح الفريدة المزية ، فى شرح القصيدة (الهمزية) ، فصرت مهما كتبت أعرضه على أسماعه ، وقلت :

عروسة صون بدا عطفها على صبها مذ هدا عطفها

وقابلت معه المعراج ، والمولد النبوى ، وشرعت فى أوائل شعبان فى مقامة يمنية ، وعرضتها عليه مقابلة فأحب أن ينسخها لنفسه ،وسميتها (العمامة اليمُنية فى المقامة اليمنية) ، وألحقت بها (المقامة الموسومة بالحمامة الورقا القصرية فى المقامة المنقا المصرية) وأتبعتها (بالصمصامة الهندية فى المقامة الهندية) وكنت وصفت (الكمامة النرجسية السندسية ، فى المقامة الأنسية القدسية) .

الختام :

ولما دخل شوّال تحرك المحب الرحال السيد موسى الكريمى إلى المسير ناحية (غزة) وطن الصبابة ، ونزل الأعزة ، فطلب الأخ الشيخ محمد التوجه صحبة المذكور ، إلى الوطن الأصلى المشهور ، فأردت إبقاءه إلى أن يقع لى الإذن بالذهاب ، ثم خشيت أن أطول عليه أدان الفراق ، والاغتراب ، لعدم ظهور وقت المسير ، إلى تلك الديار ، على أنى كنت وعدت الزائر بالعود لدياره صحبة الاهل والعيال وطول الإقامة فى جواره ، فرغب فى إنجاز الوعد ، فقلت لم يأت الإذن بعد ، وحصل التوجه أواخر شوال المطير بعياء الأشجان ، وخرجت معه للوداع إلى القرشى [(١)] والدجانى [(٢)] . ولم يقسم له نصيب فى زيارة الكريم والخليل ، فقرأنا لهم الفواتح ، وحرّضت الأخ على إظهار خفى الطريقة فى الديار المزية والمصرية ذات الأطوار العبيقة ، وكان يوم الفراق لدغ حمة ولدغ إحراق . ولما رجعنا من وداعه بقينا أياماً فى توحش اجتماعه ، وما طال أمل الإذن بالتوجه إلى ذلك المنتزه النزيه وأقنا نتدارك أمر السفر إلى أوائل صفر ، واتضح لنا

---

(١) أبو عبد الله الولى المغربى دفن فى مأمن الله توفى ٥٩٩ هـ

(٢) القطب أحمد الدجانى جد العائلة الدجانية بالقدس ، وحارس مقام النبي داود ، توفى سنة ٩٦٣ هـ . ودفن فى مأمن الله ، وقبره قرب القدس ، وعلى كليهما قبة .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش مسابقات المجمع اللغوي :

١ — رأت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية إبعاد الشعر من المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ ، وقصرتها على القصة والبحوث الأدبية ، لأنها لا ترى في الإنتاج الشعرى الحالى ما يستحق أن يجاز . ويبدو لى أن هذا الرأى يتصل بما حدث فى العام الماضى حين احتفل المجمع بإعلان نتيجة مسابقات سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ بدار الجمعية الجغرافية ، إذ وقف الأستاذ المازنى عضو لجنة الأدب يقدم الفائزين فى الشعر فقال : إن الشعر كسائر الفنون لا يخلد فيه إلا الأعلون ، وذا كرة الدنيا لا تعى غير الأفذاذ ، والوسط كالردئ فى ميزانها . ثم قال : إن الدواوين التى تلقاها المجمع كلها من الشعر الوسط ، وإنه آثر التشجيع وتسامح فأجاز أربعة دواوين منها .

وبين يدى اللجنة الآن بضعة دواوين مقدمة فى مسابقات العام الحالى (٤٨ — ١٩٤٩) ، وهى « آخر دفعة » من الشعر فى مسابقات المجمع حتى يرد إلى الشعر اعتباره ...

ويرى المتأمل أن موقف المجمع من الشعر غير سليم ، لأنه إما أن يكون قد حكم على جميع الإنتاج الشعرى ، ما يعرف منه وما لا يعرف ، وما يقدم إليه وما لا يقدم ، وهذا غير ممكن ولا ميسور له ؛ وإما أن حكمه نتيجة النظر فيما قدم إليه ، وهنا يسأل سؤالين الأول : أليس من الجائز أن يقدم إليه فى مسابقة العام القادم التى أخلاها من الشعر إنتاج يستحق الإجازة ، فلم إذن يقفل الباب ؟

والسؤال الثانى يأتى بعد ذكر حقيقة ملموسة ، وهى أن هناك شعراً جيداً كثيراً لا يقدمه أصحابه للمجمع ، وبعد ذلك يسأل : لم ضعف الإقبال على مسابقات المجمع حتى صار لا يقدم إليه إلا هذا الذى لا يعجبه وهو مع هذا قليل ؟ !

أرجو مخلصاً أن ينظر المجمع فى هذا السؤال مليا ويعالج علة ذلك الإعراض ، فالأمر يوشك أن ينتهى بالقصة والبحوث إلى مصير الشعر ...

٢ — واشترط المجمع فى مسابقة القصة لسنة (١٩٤٩ — ٥٠) أن تبحث مشكلة اجتماعية عربية من مشاكل العصر الحاضر ، أو تعرض حياة بطل من أبطال العرب ، أو موقفاً من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ . وهذا الاشتراط يوعز بتحويل العمل الفنى إلى دراسات اجتماعية أو تاريخية ، وأنا لا أدرك الحكمة فى تحديد موضوعات القصة ، أو ليس المطلوب قصة فنية ناضجة ؟ وماذا يضير إن كانت ذات فكرة أو موضوع غير هذه الموضوعات ما دام المقصود هو التشجيع على الإنتاج الجيد ؟

٣ — عمم المجمع مسابقة القصة فجعلها لجميع أدباء العرب ، وهذا حسن ؛ ولكنه خص بمسابقة البحوث أدباء وادى النيل ، فلم لا تكون المسابقات كلها لجميع العرب؟ قيل إن هناك «لائحة» تنص على أن يخص أدباء مصر ستمائة جنيه من الثمانمائة المخصصة للمسابقات الأدبية كل عام . وأقول : لم هذه « اللائحة » ، أو لم لا تغير ؟ وقد أمكن التوسع فى منح الستمائة الجنيه فأصبحت فى المسابقة الجديدة تشمل جميع أدباء وادى النيل . وكم أود أن يكون « مجرى الضاد » أوسع من مجرى النيل .

الإذن المشير بالمسير ، وجاءتنا أحباب نصاح لنعدل من الرواح ، فاعتذرنا ، ولما سهل الحق الأسباب ، توجهنا غلس صبيحة يوم الاثنين الثالث من صفر المبارك إلى جهة فلسطين المسماة (بالرملة) البيضاء ، ومنها القصد إلى (غزة) ذات اليد البيضا .

وفى التاريخ ختمنا (الأردان) بطابع ختامه مسك وهكذا كان ، فإن التوجه والنية المقصودة الحج . وهاتيك المعالم المشهودة .

وأن ممن ساعد وما قصر ، لا كن فى ساعديه عنها قصر ، إخواننا المنتمين للعصابة النجمية والخيرية وبعض أصحاب لهم محبة فى الأمور الخيرية ، وبدأنا من هذا الحين فى جمع رحلة سميتها : (الرحلة الثالثة للرياض المصرية والحجازية والشامية ، ذات الإمدادات النصرية السامية الإنجازية) والحمد لله ...

أحمد سامح الخالدى

أساطين الإذاعة :

قام الأستاذ محمد قاسم بك المدير العام للاذاعة المصرية ، برحلته فى أوربا وزار محطات الإذاعة فى روما وباريس ولندن وقد عاد أخيرا من هذه « النزهة الإذاعية » ونشرت مجلة الإذاعة المصرية حديثا له عن رحلته وما أفاد من جولاته فى دور الإذاعة الأوربية فكان من أهم المسائل التى تناولها الحديث بل أهمها مسألة الكفايات المطلوبة فيمن يشرفون على الإذاعة ، قال : « إن مسألة الآلات والبرامج وما إلى ذلك من الأمور التى تخطر على الذهن عادة ، إنما تأتى فى المرتبة الثانية من الأهمية ، بعد أن أدركت أن المسألة الرئيسية فى تنظيم الإذاعة هى اختيار الرجال الأكفاء للاشراف على أعمال الإذاعة المختلفة ، وتحملهم المسئولية الكاملة فى إدارة الأقسام أو الإدارات التى يعهد إليهم بها » .

وهكذا عرفنا أن « النزهة الإذاعية » لم تكن عبثا ... فقد استفاد سعادته منها حقيقة مهمة فى مسألة الإذاعة الرئيسية . وأعترف أنى يوم تساءلت عن فائدة هذه الزيارات وقلت إن البرامج يمكن سماعها فى مصر — كنت غافلا عن أن زيارة سعادته ستتيح له الوقوف على أن المسألة المهمة هى اختيار الأكفاء لإدارة الإذاعة . . ولا اعتبار لما قد يقوله المحرومون أمثال هذه النزهات من أنه يمكن معرفة ذلك فى مصر ، وهو شىء لازم لكل عمل لا للاذاعة فحسب ، لا اعتبار لذلك لأن الحقائق المتعوب فى الحصول عليها وجلبها من وراء البحار غير التى نصل إليها هينة بالبداهة فى مصر !!

ثم لندع هذا وندخل فى صميم المسألة الرئيسية فى الإذاعة ، وهى اختيار الأكفاء ، فيفهم من كلام المدير أن إذاعتنا ينقصها الأكفاء ، وهو مهتم بسد هذا النقص تطبيقا لما استفاده من الرحلة . . وإن أريد إلا مصلحة إذاعتنا التى نرجوها لخير البلاد .

يشرف على تنظيم الإذاعة ثلاثة ، هم المدير العام ، والمراقب العام ، والمراقب المساعد ؛ أما المدير العام فهو من رجال التعليم قضى دهراً فى وظائف التدريس ومناصب التربية عرف فى خلاله بالخلق والكفاية ، ولم تعرف له مشاركة ولا إنتاج فى الأدب والفنون ولا ملابسة لشىء مما يتصل بالاذاعة التى تولى إدارتها أخيراً .

وأما المراقب العم فهو ذو ثقافة تجارية متوسطة ، نشأ فى محطة الاذاعة موظفاً كتابياً صغيراً ، وقد وصل مرتبه أخيرا إلى حوالى سبعين جنيها . وكان يحاول أحيانا أن يعزز مكانه ببعض نشاط إذاعى لم يوفق فيه بمقدار ما وفق فى التقرب من الرؤساء .

وأما المراقب المساعد فهو من اخواننا الشعراء ، يقول الشعر على نحو يسرح به مع عرائس الخيال ويبعده عن التمرس بفنون الاذاعة واداتها ، ويشكو الأدباء المتصلون بالاذاعة من بعض تصرفاته .

أولئك هم أساطين الاذاعة المصرية الذين يشرفون على تنظيمها ويوجهون دفتها ، وأنا لا أغمط أقدارهم ، وإنما أقول — بعد أن بينت من صفاتهم — إنه حين ينظر فى « المسألة الرئيسية » للاذاعة يجب أن يشملهم النظر . فلا ينبغى أن تظل الاذاعة فى مصر محرومة من كفايات أبنائها متخلفة عن نواحى النهوض فيها ؛ وهذه وسائل الاتصال الثقافى والفنى بالجمهور فى مصر قد ارتقت وتقدمت تقدماً كبيراً جذب اليها أنظار الشقيقات العربيات ، وأصبحت فيها مثلا يحتذى ؛ وذلك على عكس الاذاعة فان الاذاعات العربية الأخرى أرشد من اذاعتنا ، وما أحوجنا إلى احتذائها فى كثير .

ومما يدعو إلى الأسف أن الاذاعة المصرية على تلك الحال ومصر تزخر بالعناصر والجهود الفكرية والفنية التى لم يتح للاذاعة إلى الآن أن تستفيد منها ، لا فى تنظيم الادارة ولا فى استغلال المواهب . ومما يضاعف الأسف أن ذلك واقع مع أهمية الاذاعة وبعد أثرها ، باعتبارها أوسع أدوات التثقيف والامتاع الفنى انتشارا ، وأقدرها على التنويع فى تقديم الانتاج ، وأيسرها منالا للجمهور .

شاعر وثلاث من الحسان :

قال الدكتور ابراهيم ناجى (فى مجلة الاستوديو) يمدح المطربة شهر زاد :

شهر زاد ويا ضياء الأهلة   زهرة أنت من خميلة مطله
ليلة أنت من جمال وحسن   قرأتها القلوب فى ألف ليله

وقال سبعة أبيات فى سامية جمال ، ثم قال يمدح سهام رفقى :

إذا غفرت لشعرى   فقلبى واستعيدى

ترن فيه « سهاماً » فإن أردت فزيدى
مما يصيب ويدمى الـ ـقلوب قبل الجلود

وقد نفست عليه — والحق يقال — لانفراده بالثلاث الحسان . . قرأت الشعر فوجدت فيه بعض الهنات ، فرأيت فى التعقيب عليه نوعا من المشاركة قد يغنى . . وكنت أتجاوز عن هذه الهنات لولا خطر القول فيهن .

فى بيتى « شهر زاد » عيب من عيوب القافية وهو نوع من السناد فنى أحد البيتين حرف ردف وهو الياء خلا منه الآخر . والشطر الثانى من البيت الأول غير مستقيم الوزن .

وفى أبيات « سهام رفقى » يستزيدها من السهام ، ويحدد النوع الذى يريده منه بأنه الذى يدمى القلوب « قبل الجلود » والمتأمل يرى هذا النوع من السهام لا وجود له ، أعنى التى تدمى القلوب ثم تدمى الجلود ، وهو بطبيعة الحال يريد سهاماً تدمى القلب فقط . وأقول — على طريقة أسلافنا من النقاد — إنه لو قال « دون » بدل « قبل » لاستقام وسلم .

ومعذرة إلى الدكتور ناجى إذ وقفت منه موقف « العذول »

مؤتمر اليونسكو :

تنعقد الدورة الثالثة لمؤتمر اليونسكو ببيروت فى ١٧ نوفمبر الحالى . ويمكن الجزم الآن بأن دولة إسرائيل المزعومة لن تشترك فى هذا المؤتمر ، وذلك بفضل الموقف الحازم الذى وقفته الحكومة اللبنانية ، فقد أبدت تشددها فى ذلك وأنها لن تسمح لممثلى اليهود بدخول لبنان . فوقفت بذلك هيئة اليونسكو أمام الأمر الواقع ، إذ كانت قررت نهائياً عقد المؤتمر ببيروت ، ولا سبيل لليهود إلى بيروت

وسيجتمع مندوبو البلاد العربية فى بيروت قبل انعقاد المؤتمر لتوحيد الخطة العربية وبحث بعض المسائل كانتخاب أعضاء المجلس التنفيذى للهيئة والاتفاق على العضو العربى فيه بعد انتهاء مدة الأستاذ محمد شفيق غربال بك فى هذا المجلس ، فإما أن يجدد انتخابه أو يرشح بدله عضو عربى آخر .

وستشغل مصر جانباً كبيراً فى المتاحف والمعارض التى ستقام فى شهر اليونسكو ببيروت ، فقد أعدت وزارة المعارف كثيراً من الأعمال المدرسية الفنية ، وبعثت دار الكتب المصرية بمجموعة وافية من المطبوعات والمخطوطات والمنقوشات ، وكذلك أرسلت بعض دور النشر فى مصر مجموعات من الكتب التى أخرجتها ، وستحتل الصحف والمجلات المصرية من معرض الصحافة جانباً هاماً

أما إقامة الحفلات الساهرة ، فقد اتفق بشأنه على أن تقوم لبنان بحفلات الغناء والرقص ، وأن توفد مصر الفرقة المصرية للتمثيل لتحيى ثلاث ليال من ٢٢ — ٢٤ نوفمبر ، تمثل فى إحداها مسرحية حواء الخالدة لتيمور ، وفى الليلة الثانية انتقام المهراجا ، وفى الثالثة ثلاثة فصول من مسرحيات عالمية مثلتها الفرقة قبل ذلك

ويتألف وفد مصر فى المؤتمر من الأستاذ محمد شفيق غربال بك رئيساً ، والدكتور أحمد زكى بك ، وأحمد عبد السلام الكردانى بك ، ومصطفى عامر بك ، والدكتور محمد عوض محمد بك أعضاء أصليين ، وستة أعضاء احتياطيين ، وخمسة خبراء وثلاثة سكرتيرين .

وقد جاء فى الأنباء الواردة من بيروت أن الحكومة اللبنانية شيدت مدينة ثقافية لتكون مقراً لاجتماعات اليونسكو ، على مقربة من العاصمة تطل على البحر وتشرف على المدينة ، وقد بذلت فى إنشائها وتجميلها جهود فنية كبيرة ، وأعدت فيها وسائل الراحة وما تتطلبه الاجتماعات من أدوات وأجهزة ، ومكاتب للصحافة ، وقاعات للمعارض ، ومحطة للاذاعة ، وغير ذلك .

وقد أصدرت هيئة اليونسكو فى بيروت العدد الأول من نشرة « رسالة اليونسكو » باللغة العربية لمناسبة انعقاد المؤتمر فى إحدى البلاد العربية ، وقد نشر فى هذا العدد مقالات لكبار كتاب الشرق والغرب كالدكتور شارل مالك ، والدكتور طه حسين ، والمستشرق لويس ماسينيون ، وفيه مقال للسيد حميد فرنجية وزير التربية والخارجية اللبنانية ، ومقال للمستر جوليان هكسلى المدير العام لليونسكو

وقالت أنباء بيروت إنه تقرر دعوة الأدباء العالميين مع الوفود الدولية لحضور المؤتمر ، على أن يحلوا ضيوفاً على الحكومة اللبنانية ، وكذلك رؤساء تحرير الصحف العالمية الكبرى . ولم يذكر هل تشمل هذه الدعوة أدباء العرب ورؤساء تحرير الصحف العربية أولا ؛ ولا شك أن اجتماع كبار الكتاب والصحفيين العرب بأمثالهم من الغرب فرصة طيبة للتعارف وتبادل الأفكار ، مما هو بسبيل تحقيق أهداف اليونسكو فى التقارب والتعاون الفكرى العالمى .

البريد الأدبي

١ – الى الأستاذ الفاضل نقولا الحداد :

تحيتي إليك وسلامي ؛ وبعد فإن العروبة قاطبة لتمتز بقلمك الذي حملته وشهرته في وجه الصهاينة الباغين . ولقد كان دفاعك عن فلسطين دفاع العربي الأبي الذي يأبى الضيم والذل ويذود عن وطنه العربي .

لقد دافعت يا سيدي فأحسنت الدفاع وسللت الحسام من غمده وشحذته . وما حسام الكاتب إلا قلمه وبيانه إذا ما ادلهم الخطب ونزلت الفادحة . ولقد كنت للعروبة لساناً وللحق مؤيداً ونصيراً ، وكنت وما زلت بل وما تزال وهذا عهدي بك للحق على الظلم معيناً . ولقد صدق أستاذنا الكبير عباس محمود العقاد حينما رأى دفاعك عن العروبة وحملتك الشعواء على الصهاينة ، وقد وقفت في الميدان وحيداً ترتدي جلد النمر وتكشر للباغين عن أنياب الليث وتكيل لهم الضربات وترد على الادعاءات ... وكان العقاد وهو يعلم جد العلم أن أدلة الصهاينة لا تستند على أساس ، وأن حججهم واهية ، وأن قضية العروبة مكسوبة ، فأشفق عليك ونصحك بأن ترفع مطرقة من مطارقك إلى حين حتى تكون قد صنعت بهم كما صنع الحداد . وقد كان .

فوالله أنت للعروبة سند وللحق داع . وما أنت يا سيدي إلا عربي شهم كريم ، وتقبل مني شكراً مضاعفاً على ما بذلت وتبذل لخدمة قضية العروبة من جهد .

٢ – الهدنة في الإسلام :

كتب الأستاذ الفاضل محمد أسامة عليبة في العدد ٧٣٨ من الرسالة الغراء كلمة عن الهدنة ووقف القتال فلم يتعرض للهدنة في التاريخ الإسلامي حتى بكلمة واحدة بل أفاض في الهدنة من الناحية القانونية الدولية . وللحقيقة والتاريخ أقول « ليست الهدنة بجديدة على التاريخ الإسلامي فلقد أطال أبو العباس أحمد القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا الكلام عنها وذلك في الجزء الرابع عشر من الصفحة الأولى إلى ص ٧٨ أي في قرابة ثمانين صفحة من الحجم الكبير ، فذكر منشأها وتكلم عن أول هدنة في الإسلام وكانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وذكر كذلك أقوال الفقهاء فيما يتعلق بشروط الهدنة في الإسلام . ثم تكلم في الشروط التي تستقيم بها الهدنة وذكر عدة من الكتب التي تبودلت بين ملوك الإسلام وملوك النصارى ورؤسائهم ولا سيما طائفة الاستبدادية وهي طائفة من الفرسان . ومن هذه الكتب العديدة التي وردت في الكتاب تستطيع أن تقول « أن الهدنة في التاريخ الإسلامي كانت لمصلحة المسلمين

أمر غير لائق

نقل المذياع احتفاء « رابطة القراء » بعيد الهجرة من المسجد الحسيني ، وهذا عمل صالح باعتبار المقصود منه وهو إذاعة ما يرتل من القرآن الكريم ، وما يترنم به من الموشحات الدينية بذلك الحفل في تلك الليلة المباركة ، ليتسنى استماعه للجميع . ولكنا نسمع قارىء القرآن يقرأ فما يكاد يقف حتى ترتفع الأصوات وتتعالى الصيحات بمثل : « الله يا شيخ عمر » و « صلى على جمال النبي » و « الله يفتح عليك ويزيدك » وما إلى ذلك من العبارات والكلمات .

وتدرك من سياق القراءة وطريقتها وصيحات أولئك الصائحين ، أنهم ليسوا مأخوذين بمعاني الآيات وأغراضها ، وإنما هم مأخوذون بالتطريب أو يقصدون « التمليح » فيثنون على القارىء ويدعون له . .

ونتيجة ذلك هذا المظهر غير اللائق بقراءة القرآن خاصة وكرامة الدين عامة ، من حيث التصايح المنكر والتخليط الذي يدل على جهل فاضح . والناس يستنكرون مثل ذلك في محافل الغناء ، فما بالك بمجالس القرآن ؟

وانظر أي « صورة سمية » للمسلمين في مصر تنقلها الإذاعة بذلك إلى حيث يترامى صوتها في أرجاء العالم ...

عباس خضر

وكان المسلمون يخرجون دائماً منها فائزين دون خسارة ولم يلحقهم بمقدها حيف أو ظلم وكانت تنفذ شروطها بدقة وعناية . وها نحن اليوم وفى القرن العشرين نشاهد مهزلة الهدنة وإهمال مراقبي هيئة الأمم المتحدة وتحيزهم الظاهر ضد العرب . نعم إن فى التاريخ لعبرة ولعل التاريخ يعيد نفسه يوم ما ! وإن مآل الظلم والاعتداء لن يطول .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ

مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الإنتاج الأدبي سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠ على النحو الآتي : —

أولا — لأدباء وادى النيل

تخصص مائتا جنيه لكل بحث من البحوث الآتية بشرط ألا يقل البحث عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة) : —

١ — أحسن تحقيق لكتاب عربى أدبى قديم وضع على أساليب النشر الحديث سواء اطبع أم لا يطبع ، على ألا يكون تاريخ المطبوع هقه سابقا ليناير سنة ١٩٤٥ .

٢ — أحسن دراسة لرفاعة بك الطهطاوى أو أحمد فارس الشدياق أو محمد قدرى باشا وأثر كل منهم فى وضع المصطلحات الأدبية أو القانونية .

٣ — أحسن بحث فى نقد الشعر العربى فى الفترة التى تبدأ من النصف الثانى للقرن التاسع عشر إلى اليوم (ولا ينقد شعر الأحياء) .

ثانيا — لأدباء العرب فى وادى النيل وغيره

تخصص مائتا جنيه لأحسن قصة بالعربية الفصحى مخطوطة أو مطبوعة . بشرط ألا يكون تاريخ المطبوع منها قبل يناير سنة ١٩٤٧ ، على ألا تقل القصة المقدمة عن مائتى صفحة من القطع المتوسط (الذى لا تقل كلمات الصفحة عن ١٨٠ كلمة) .

ويشترط أن يكون مدار القصة حول أحد الموضوعات الآتية :

١ — بحث مشكلة اجتماعيـة عربية من مشـا كل العصر الحاضر .

٢ — حياة بطل من أبطال العرب .

٣ — موقف من مواقف العرب الحاسمة فى التاريخ .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع نسختين مطبوعتين أو مكتوبتين على الآلة الكاتبة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة فى موعد لا يتجاوز أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ وسيحتفظ المجمع بنسختى الانتاج الفائز .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنوانهم واضحاً ويوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على انتاج له فى فرع المسابقة المتقدم اليها ، ولا أن يعاد تقديم أى انتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع .

وترسل الموضوعات بعنوان : « لجنة الأدب — بمجمع فؤاد للغة العربية — شارع قصر العينى — القاهرة » .

إلى الأستاذ المعداوى :

ماذا يعنيك بمن أرسل إن كان لا يضيرك ما أرسل ؟ واجه الحقائق ، وثق بأنه (لا يهوّش) وثق أيضاً بأنه يشتغل فى شركة موجود بها — والحمد لله — آلة كاتبة وكتبة و ... إلخ ! ولك العذر إن كنت تريد أن تجعل من الحبة قبة ! ومرة أخرى : واجه الحقائق !

عبد الحميد فاضل
ليسانسيه فى القانون من ست سنوات

تعقيب :

فى العدد (٢٧٤) من جريدة (الزمان) كتب الأستاذ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد — المفتش بالأزهر — كلمة حول بيت عنترة :

فيه اثنتان وأربعون حـلوبةً ... سوداً كخافية الغراب الأسحم

فقال عن الخزانة « يروى بنصب (سود) ، صفة لحلوبة » .

وأقول : لو صح نقل الأستاذ وكان السواد صفة للحلوبة المفردة — لفظاً ومعنى — لكان الصواب أن يقال (سوداء) وصفاً للمفردة وليس (سودا) وصفا للجمع . ومن ثم لا يكون (سود) — فى البيت — صفة للحلوبة ، وإنما هو صفة للجمع على المعنى ، وهو اثنتان وأربعون ؟ لأن التميز المفرد إذا وصف جاز أن يؤتى بالوصف جمعاً تبعاً للمعنى المتضمن عليه الكلام والسلام .

(الزيتون) عدنان



الأشـــارة!..

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

كان المضجع الوثير، الناعم، يضم مدام مارجيونسي دي ريلندون في كثير من الوله والحب!.. وكانت المطلقة الحسناء: قد فتحت عينيها على صخب وضجيج يتهيان إليها في غرفة الاستقبال، فأصغت بقليل في الانتباه، فإذا هي تميز صوت صديقتها البارونة الصغيرة دي جرانجيريه مشتبكاً في نقاش حاد مع الخادمة، تلك تريد مقابلة صديقتها لأمر خطير، هام، وهذه تأبى عليها مقابلة سيدتها، وإزعاجها في مثل هذه الساعة المبكرة!.. وعندئذ تسللت من فراشها، وأخرجت رأسها اللطيف، المكلل بثروة من الذهب الخالص، وهتفت متسائلة:

— مابك يا عزيزتي ... لم قدمت في مثل هذه الساعة المبكرة؟ إنها لم تبلغ التاسعة بعد؟ !

وأجابت البارونة الصغيرة الشاحبة الوجه الذابلة العينين من الانفعال، المرتجفة غضباً وانزعاجاً:

— أريد أن أحدثك يا عزيزتي عن مسألة خطيرة ... لقد وقع لي ما لا يتصوره العقل!

— تعالي يا عزيزتي ... تعالي.

ودخلت البارونة المخدع وراء صديقتها .. وتبادلتا العناق والقبل. وعادت مارجيونسي إلى مضجعها الوثير. بينما كانت الخادمة تزيح السجف الثقيلة عن النوافذ، ليتجدد في الغرفة الهواء، ويدخل إليها النور ... ولما انصرفت الخادمة، قالت مدام رليندون: والآن يا عزيزتي ... هات ما عندك من حديث! وانفجرت مدام جرانجيرية باكية. وانهمرت من مآقيها الدموع ... هذه الدموع التي لو ترقرقت في عيون المرأة لزادتها فتنة على فتنة، وحسناً على حسن! ... ولم تمد منديلها إلى عينيها لتجفف دموعها، خوفاً عليهما من الاحمرار ... وقالت:

— إن ما حدث لي يا عزيزتي فظيع ... فظيع، لم تغمض له عيناي طول الليل ... حتى ولا دقيقة. أتسمعين؟.. ولا دقيقة آه .. ضعي يدك هنا على قلبي .. رباه! إنه يخفق ويضطرب!

وأخذت يد صديقتها، ووضعتها على موضع القلب من صدرها هذا الصدر الجميل، الذي يفتن ويغري ... ولكن قلبها الآن، كان حقاً شديد الأضطراب والخفقان. ثم قالت:

— حدث ذلك نهار الأمس ... كانت الساعة الرابعة ... أو النصف بعد الرابعة، لا أتذكر تماماً. أنت تعرفين منزلي، وتعرفين غرفة الاستقبال منه، حيث تعودت أن أجلس، وأتفرج بمراقبة الناس. وهم يروحون ويجيئون في شارع لازار. وبالأمس كنت أجلس في الفراندة على كرسي منخفض، وكانت النافذة مفتوحة، وأنا خالية البال من كل ما يشغل البال، ويبلبل الخاطر، أوه ... لعلك تذكرين كم كان جو الأمس لطيفاً، والمناخ معتدلا.

وفجأة، رأيت امرأة ترتكز على مرفقيها، في نافذة البيت المقابل ... وكانت ترتدي المايوه ... لباس البحر الجذاب.

لم يسبق لي أن رأيت هذه المرأة ذات الثوب الأحمر الخليع. ولكنني عرفتها جيداً لأول نظرة. كانت امرأة من ذلك الصنف الذي يتجر بنفسه !!

ووجدت نفسي أتابع حركاتها. كانت تنظر إلى الرجال، والرجال يبادلونها النظرات، وكانت تدعوهم إليها: ألا تشرفنا يا سنيور؟

فكان بعضهم يرد عليها: متأسف ... الوقت ضيق!

— في فرصة أخرى.

— لا ... ليس الآن.

وكان بعضهم يردعها، ويعنفها: اخسأي ... حقيرة!

لو تستطيعين يا عزيزتي، أن تتصوري، كم كان عملها هذا مثيراً للضحك! وفجأة رأيتها تغلق النافذة... لقد وقع في صنارتها واحد من المغفلين! .. ووجدت لذة كبيرة في مراقبة هذه المرأة الوضيعة، وهي تقوم بعملها العجيب! وأحسست برغبة ملحة تدفعني لتقليدها ... أتكون هذه الحمقاء، أقدر مني على اجتذاب الرجال؟ .. هيهات !!

وقلدت حركاتها، وغمزاتها، وإذا أنا أؤديها أحسن منها بكثير ... وعندئذ اتخذت مكاني من النافذة.

وانتصرت عليها ... وجذبت نحوي كل الرجال من كل صنف، بعضهم أجمل من زوجي .. بل أجمل من زوجك... أقصد آخر أزواجك ... إيه يا عزيزتي ... نحن النساء لنا بعض عقول القردة المقلدة ... هكذا قال لي أحد العارفين بالنفس ... ألا نحب

تقليد بعضنا بعضاً ؟!

قلت لنفسي : لأجرب مرة واحدة ... لمجرد التغيير ... ترى، ما الذي سيحدث لي ؟ ... لا شيء على كل حال ... وسأنساها !

وبحثت عن رجل .. رجل جميل ... أجمل من كل الرجال . وفجأة رأيت النموذج الكامل للرجل الذي أردته .

رشقته بنظرة ساحرة ، وابتسمت له بطريقة خاصة ، ففهم إشارتي ، وإذا هو يتجه نحو الباب الكبير !!

وجننت .. وتملكني خوف شديد ، فإذا هو يتحدث مع الخادم يوسف .. يوسف المخلص لزوجي ، فسيظن أنني على صلة بهذا الرجل من قبل ! .. ماذا أستطيع أن أفعل يا عزيزتي ... ماذا أفعل إذا طرق الباب ؟

فكرت في أن أقابله بنفسي ، وأخبره بأنه مخطيء ، وأرجوه أن ينصرف ... لعله يعطف على امرأة ... ضعيفة ، مسكينة :

وذهبت إليه أقول :

— انصرف بربك يا سنيور ... انصرف من هنا ... أنت مخطيء يا سنيور ... أشفق عليّ يا سيدي !

وبدلاً من أن ينصرف ، ضحك مني ساخراً ، وقال :

— صباح الخير يا آنسة ... لم كل هذا الدلال ؟.. فلست أجهل قصصكن ... ستقولين إنك زوجة لرجل غيور وإنك في خطر شديد ، وستطلبين أربعين فرنكا بدلا من عشرين ... ولكن لا بأس ... سأدفعها لك ، إذا أفسحت لي الطريق .

ولكنه لم ينتظر جوابي ... بل دفعني إلى غرفة الاستقبال ، وظل يتفحصها في دهشة ، وقال :

— ما أجمل هذه الغرفة ... لاشك أنك موفقة في عملك ، وتكسبين كثيراً ، وتوسلت إليه .

— أرجو يا سنيور ، تفضل بالانصراف. .أن زوجي سيكون هنا بعد دقائق ... أقسم لك أنك مخطيء .

فأجابني في برود شديد :

زوجك ؟!.. سأمنحه خمسة فرنكات ، يشرب بها كأساً من النبيذ في الحانة المقابلة .

ثم وقعت عيناه على صورة زوجي راؤول ، فقال :

— أهذا هو زوجك ؟

— نعم

— أوه . . رجل لا بأس به ، ومن هذه ؟ . واحدة من صديقاتك ! وكانت هذه صورتك — نعم ... واحدة من صديقاتي!

— جميلة . . لعلك تقدمينها إليّ

— في فرصة أخرى .

وعندئذ دقت الساعة خمس دقات ... لقد حان موعد قدوم زوجي إلى البيت ... رباه ... ما ذا يحدث لو جاء راؤول ورأى عندي هذا الرجل ؟

وفكرت في أن أحسن طريق للتخلص من هذا أن ... أن أرضيه بأسرع وقت ، وأصرفه عني . هل فهمت ما أعني ياعزيزتي هل فهمت ماذا حدث ؟!!

وضحكت مدام ريندون ... واهتز السرير تحتها لشدة ضحكها ، ثم قالت والدموع تترقرق في مآقيها :

— ولكن .. أكان منظره جذاباً حقاً ؟

— كان رائعاً ... في غاية الروعة .

— من حسن حظك ... ولكن ، إذا كان رائعاً كما تقولين، فلماذا جئت تشتكين ؟ !

— لأنه ... لأنه سيعود ثانية ، في نفس الوقت وأنا شديدة الخوف ، فماذا أفعل لو نفذ وعده ، وجاء مرة أخرى ؟ !!

واعتدلت مدام ريندون الجميلة في مضجعها ، وقالت لصديقتها:

— دعيه يعود

فتملكت المسكينة دهشة عظيمة ، وتساءلت :

— ماذا ؟ ماذا تقولين ؟.. كيف أدعه يعود ؟

— هذا شيء بسيط ... اذهبي إلى مدير البوليس ، وأخبريه بما حدث ، وقولي له أن هذا الرجل يضايقك منذ مدة طويلة ، وعندئذ سيبعث إليه ببعض رجاله ، ويقبضون عليه متلبساً بالجريمة!

— ولكن يا عزيزتي ... ربما اعترف .

— من يصدقه ... أنت سيدة معروفة في البلد .

لا ... لا أستطيع .

— أن لم تخبري البوليس ... فسيعود إليك كل يوم !

— طيب ... والفرنكات التي تركها لي ؟.. ماذا أصنع بها ؟

وبعد أن فكرت مدام ريندون قليلاً ، قالت ضاحكة :

— عزيزتي . . يجب أن تخلدي هذه الحادثة في هدية صغيرة لزوجك العزيز راؤول .. نعم ، هذه أحسن فكرة !!!

(البصرة : عراق) **يوسف يعقوب حداد**

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٣ — الاثنين ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٤١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 803
Lundi — 22 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٦٨ — ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

هل نجح خادم اليهود؟

للأســـتاذ نقولا الحداد

لم ينجح ترومان ولم يفشل دبوى . وإنما نجح الحزب الديموقراطى وفشـل الحزب الجمهورى ؛ لأن أكثرية الشعب الأمريكى الساحقة هى ديموقراطية المبدأ . إن المبدأ الجمهورى يميل إلى تعضيد الرأسمالية ، وجميع أعوانه ماليون وممن يلوذون بالماليين وأصحاب الأعمال الـكبرى المساهمون والمضاربون وكل من يشتغل بتثمير المال . وأما المبدأ الديموقراطى فيعضد العمل وأعوانه الزراع والصناع وأهل الحرف والمهن والصناعات والمستخدمون ومتوسطو الحال . وهم ولا شـك السواد الأعظم من الشعب . ومع ذلك صوّت كثيرون منهم مع دبوى اعتباراً لشخصيته لا لمبادئه . ولـكنهم لم يكفوا الترجيح كفته .

ولطالما غرس الصهيونيون الأفاكون فى عقول الناس أن الرعاية الأمريكية فى أيديهم وأنهم إذا راعوا ترومان كان ترومان، وإذا راعوا غيره كان غيره ... ولعل ترومان كان يظن هذا أيضاً . ولـكن لما حميت معركة الانتخابات انحاز يهود ولاية نيويورك (وتعدادها ١٨ مليوناً ويهودها ثلاثة ملايين وهم نصف يهود أمريكا كلها) انحازوا إلى دبوى لأن مصالحهم المـالية تكون مضمونة فى عهد رياسة دبوى ولا تهمهم فلسطين عشر معشار ما تهمهم ماليتهم . وكان رجال العلم والسياسـة والأعمال والمال والاقتصاد يراهنون مئة إلى واحد مع دبوى ليقينهم أن دبوى رجل الساعة . وهو أكفأ ألف مرة من ترومان . ولذلك صوت معه كثيرون من الديمقراطيين (من خصوم حزبه) . ومع ذلك خاب وخسروا الرهان . وقد نسى هؤلاء المراهنون عواطف الأمة . الأمة لا تسعى وراء العلم والمقدرة السياسية ونحوهما ، وإنما تسعى لمن يضمن لها مصلحة الفرد أولا ومصلحة الجمهور أخيراً . ولذلك انتخبت ترومان لا لأنه ترومان بل لأنه كفيل بتنفيذ المبادىء الديمقراطية . فليس ترومان هو الذى انتصر ، وإنما الديمقراطية هى التى انتصرت . وستظل تنتصر ما دام الحزب الجمهورى يناصر المال وأصحاب المرافق وأسباب الأرزاق يتحكمون فيه .

هذه سنة الاجتماع الأخيرة . والحزب الجمهورى لن تقوم له قائمة بعد الآن إلا إذا نقّح مبادئه وعدّلها كثيراً بحيث تستهوى طبقة المتعيشين بكدهم و كدحهم .

كان الحزب الجمهورى متفوقاً على عهـد تيودور روزفلت السابق الذى تولى رئاسة الجمهورية مرتين ، وكان فى سياسته يخالف مبادىء حزبه أحياناً ليمالىء الحزب الديمقراطى . وكان كثيرون من الرؤساء الســابقين جمهوريين لأن الصولة كانت للماليين وأرباب الأعمال الـكبرى أيام كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية عرضة للرياح السياسية الخارجية ويخشى عليها منها يوم كانت الولايات المتحدة لا تزال الثالثة بين الدول الـكبرى فكانت تحتاج إلى قيادة رأسماليين وأرباب أعمال —

قيادة متينة قوية . ولـكن لما خرجت من الحرب الـكبرى الأولى وأسطولها الثانى شرعت تستقل فى كيانها وتطغى فى بنيانها . وما شبت الحرب الثانية الأخيرة حتى صار أسطولها البحرى الأول وأسطولها الجوى الأول وقوتها البرية تُرعب . حينئذ صارت تطمح إلى الاستعمار التجارى والبترولى . فلم تعد تستند إلى حزب جمهورى رأس مالى بل إلى حزب شعبى عملى صناعى زراعى . فقويت فيها الديمقراطية . فمن يكن مرشح الحزب الديمقراطى يحرز قصب السبق ولو كان مغفلاً .

ولعل القارىء يعجب ويتساءل : لماذا صوت يهود ولاية نيويورك لديوى وهم نصف يهود أمريكا ؟ والجواب أن اليهود رأسماليون ، فيهرعون إلى حيث تكون خيانة المال . فصوتوا مع الجمهوريين لأن الضمانة هناك أشد ، وما كان تشدق الصهيونيين بأن ترومان يسترضيهم لـكى يصوتوا له إلا أفكا وبهتاناً . ودعاية فى الشرق فقط .

ولا ريب أن ترومان كان يراعى خواطرهم إلى حد ما لـكى يكسبهم فى معركة الانتخابات ؛ ولـكنه لم يحتج إليهم وعنده معظم الشعب . وأخيراً عرف نفاقهم حين صوتوا لديوى . فهل يا ترى يبقى مغفلا يخدم أغراضهم كما يزعمون ، أم أنه يشيح بوجهه عنهم بعد الآن وينظر إلى مصلحة بلاده قبل مصلحتهم وأمامه أربع سنين هو فيها غنى عن اليهود ، على فرض أنهم ينفعونه بشىء ؟

مع كل ذلك لم يخدمهم الخدمة الجلى كما كانوا يتوقعون . كانوا ينتظرون أن يجهز لهم قوة عسكرية كافية لتنفيذ مشروع التقسيم . ولو فعل لتم التقسيم فعلا فى يوم واحد . ولـكن لم يشأ أن يفعل ولم يستطع أن يفعل لأن الـكونجرس لا يوافقه على أن يرسل أبناءه الشبان الأمريكان لـكى ينشئوا دولة لبنى إسرائيل

أما الآن فلا ندرى هل يصر ترومان على أن يحول دون مشروع العقوبات لنا قضى الهدنة وهو يعلم أن اليهود لا العرب كانوا ولا يزالون ينقضونها . فكان يود أن ينقذهم من العقوبات .

على أن الأمر المضحك فى هذه الهدنة أنها تنقض كل ساعة ومجلس الأمن يتهدد كل ساعة ناقضيها بالعقوبات . وإلى الآن لم نر عقوبة وقعت على ناقض هدنة .

وأغرب من كل غريب أن مندوب أمريكا فى مجلس الأمن يقترح تأليف لجنة لبحث إجراءات تنفيذ الهدنة ، حتى إذا خالفها أحد الطرفين كان على اللجنة أن تبادر إلى دراسة ما تراه إجراءات تأديبية لتوقعها على المخالف . ووجه الغرابة هو وضع الحصان وراء العربة لا أمامها ؛ لأن العادة فى كل تشريع أن يكون إعلان العقوبة قبل ارتكاب الجناية . وهنا لا يعلن نص العقوبة إلا بعد ارتكاب الجناية أى بعد أن يعلم أى الفريقين نقض الهدنة .

والهدنة تنقض كل يوم ويبلغ خبرها إلى مجلس الأمن ولا تكون نتيجة البلاغ إلا تكرار دعوة مجلس الأمن العرب واليهود إلى احترام الهدنة ، وهو يعلم أن اليهود لا العرب هم الذين ينقضونها . وإلى الآن لم يعترف مجلس الأمن بأن الهدنة غير محترمة . فما معنى إصدار أوامر لا تحترم يوماً بعد يوم ؟ والله لو كان صبيان يتولون الأمر لربأوا بأنفسهم أن يكرروا إصدار هذه الأوامر السخيفة .

وحتام نذكر الهدنة بالخير ولم نعرف الهدنة ساعة واحدة . ما نحن إلا فى حرب . فعلى جامعتنا العربية إن كانت تحسن عملا أن تنعى الهدنة لمجلس الأمن وتبلغه أننا فى حرب ما دام اليهود يهجمون ونحن مضطرون أن ندافع — حتام تمثل هذه المهزلة ؟

والمهزلة الـكبرى أن مجلس الأمن « الموقر » لا يريد أن يلتفت إلى مسألة اللاجئين الذين أشفوا على الهلاك كأن أمرهم لا يعنيه وكأن نكبتهم ليست من نتائج القضية التى ينظر فيها أو يتولى أمرها أو كأنها ليست من مخلات الأمن التى هى فى دائرة اختصاصه .

اليهود الملاعين طغوا وبغوا وقتّلوا ونكلوا وأخرجوا الناس من بيوتهم إلى العراء ، ومجلس الأمن الموكل بالأمن يترك أمر المشردين لأهل البر والإحسان .

فما هو الأمن الموكل به مجلس الأمن ؟

إن أقذار اليهود واقعة على رأس مجلس الأمن وقد تورط كل بدنه فيها . ومع ذلك لا يزال يزعم أنه يحافظ على الأمن . أى أمن هـذا يا هؤلاء ؟ أليس لـكم عيون تبصر وآذان تسمع وقلوب تفقه ؟ ألا تخجلون أن يركبـكم الصهيونيون وينخسوكم بالمناخيس ؟

إن كان فى عروقـكم دم يجرى بالنخوة والمروءة فحصّلوا من يهود العالم المتضامنين الأموال التى نهبها الصهيونيون من العرب وأنفقوها على اللاجئين والمشردين ، وإلا فمجلس الأمن وهيئة الأمم لليهود شركاء ، وهم جميعاً فى العدوان والطغيان سواء .

نقولا الحداد

قصة شاعر (*)

للأستاذ على الطنطاوى

لقــد وعدت الأستاذ أنور العطار بهذه المقدمة منذ خمس وعشرين سنة من يوم أسمعنى أول مقطوعة له . قلت له ستصير يا أنور شاعراً كبيراً وسأصير أنا كاتباً وأكتب مقدمة ديوانك

ولقد صار أنور شاعراً كبيراً فهل صرت أنا كاتباً ؟ إننى كتبت إلى اليوم أكثر من خمسة آلاف صفحة ، أنشأتها إنشاء ولم أجمعها جمعاً ، ونقلتها عن قلبى لم أنقلها عن الكتب ، ولكنى لم أصر كاتباً . لأننى أعجز الليلة عن إنشاء أحب الفصول إلى ، وأوجبها على : هذه المقدمة التى وعدت بهــا أنور من خمس وعشرين سنة !

لقــد قعدت لأكتبها ، فأحسست أنها قد عادت لى أيامى المواضى التى افتقدتها وأيقنت أنها لن تعود ، ورفع لى الستار عن عالم كله حب وطهر وجمال . عالم عشت فيه أنا وأنور أمداً ، ثم أضعناه وضللنا طريقه . عالم كان حقيقة فصار (مع الأسف) ذكرى ، وكان واقعاً فغدا خيالا ، وكنا فيه فصرنا غرباء عنه ، لا نراه إلا بقلوبنا من خلال ضباب الماضى .

فتحت على أبواب الذكريات ، وكر علىّ هذا الماضى ، كأنما هو (فلم) حافل بكل جميل ونبيل ، فلم طويل عرض فى لحظات وقد تصرمت فى تأليفه وإخراجه ثلاثون سنة ، فلم كنا نحن أبطاله وكنا نحن ممثليه ، فصرنا نرى فصوله تعرض علينا من بعيد :

رأيت الفصل الأول من هذا الفلم وكان فى المدرسة الثانوية الوحدة فى دمشق (مكتب عنبر) فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، عندما أبصرت أنور العطار أول مرة . أبصرت تلميذاً رقيق العود ، دقيق الملامح ، أنيق المظهر ، من غير أن يبدو عليه أثر الغنى ، شارد النظرات ، يمر فى ظلال الجدران خفيف الوطء ، حالم الخطى ، كأنه طيف يمر على خيال نائم ، يعتزل التلاميذ لا يكاد يثب وثبهم ، ولا يلعب لعبهم ، فسألت عنه من يعرفه ، فقال : هذا تلميذ شاعر اسمه أنور العطار . وما كنت يومئذ أومن بغير شعراء الجاهلية والشعراء الاسلاميين ولا أرضى لنفسى أن أقرأ شعر المتنبي ولا يرضى ذلك لى مشايخى ، لئلا تفسد (قالوا) ملكتى ، ولم أسمع بعد باسم شوقى ولا باسم المنفلوطى ، فما أبهت لهذا الشاعر الذى اسمه أنور العطار ، ولا طلبت صحبته ، ولا ظننت أنه سيكون بينى وبينه اتصال ، حتى كانت تلك المصادفة المسعدة التى كان لهــا فى حياتى وفى حياته أبلغ الأثر :

كانت هذه المصادفة على باب (المدرسة البادرائية) فى ليلة من ليالى رمضان ، أيام كان رمضان يزور دمشق حقاً ، وكانت تدرى دمشق بزيارته وتحتفل بلقياه ، وكنت خارجاً منها فواجهت أنور داخلا إليها ، فوقف يحيينى ووقفت أحييه ، وكلمنى وكلمته ، واتصل الحديث ونحن قيام تحت مصباح الشارع ، حتى جاء ذكر شوقى ، فأنشدنى قصيدة له ، قرأها بصوت عذب حالم حنون ، فأحسست أنه كان يمس بكل كلمة من القصيدة حبة القلب منى ، فأحببته . وأنت تلقى المرء أول مرة فتحس بأنك تحبه أو أنك تكرهه ، لا تدرى لحبك ولا لكرهك سبباً . سر ركبه الله فى نفس الانسان .

وفهمت منه أنه يسكن فى (السمانة) وكنت أقيم فى (الديمجية) فاصطحبنا ، وذكرت له موت والدى فى تلك الأيام ، فطفق يحدثنى عن موت والده وهو صغير ، واجتزنا سوق العمارة ، والعمارة فى دمشق كحى الحسين والأزهر فى مصر ، إن ضاع منك رمضان ببهائه وجماله وجدته فى الحسين أو فى العمارة ، وإن خفيت عنك معالم حسنه فى كل مكان وجدتها فى العمارة أو فى الحسين ، ولكن ما أدركت تلك الليلة شيئاً من هذا البهاء : لقــد كان ما أسمع من أنور أبهى عندى مما أرى ، وجعلنا طريقنا على (الدحداح) ، وهنالك ، على قبر أبيه وعلى قبر أبى ، ولدت هذه الصداقة التى أثمرت شعراً ونثراً وحباً وإخلاصاً ، وكانت من أسعد الصداقات . وهنالك فى مدينة الأموات ، عاشت هذه المودة التى لا يستطيع أن يعدو عليها الموت ، لأن الأدب أكسبها الخلود

وكرت فصول الفلم تتتالى ، فرأيتنى غدوت صديقه وغدا

(*) مقدمة (ديوان أنور العطار) الذى يصدر فى أوائل ديسمبر ١٩٤٨

صديق ، يبثنى شكاته وأبثه شكاتى ، ويجد فى حياتى مشابه من حياته وأجد فى حياته مشابه من حياتى ، قد ألف بيننا الأدب وألف بيننا اليتم ، وإننا كنا مستورين ، على حالة هى فوق الفقر ودون الغنى .. حتى كأننى هو وكأنه أنا .

وصار يسمعنى شعره ، فأجد بواكير شاعر متمكن ، لا محاولات طالب مبتدئ ، وأجد فى هذه (البواكير) قوة فى التعبير ، وجدة فى التفكير ، وأبياتاً سائرة ، وصوراً رائعة ، فهو يقول فى الدموع :

عجبى من لغـة غامضة تطرب الناس على شتى لغاها

وهو بيت نبيل فى مبناه وفى معناه

ويقول فى وصف العمر (عمر البائس) :

والعمر يحكي مستغيثاً علا أنينـه ثم تولى صـداه

وطفق أنور يرسل قطع الشعر ، شعر القلب ، تترا . يستقيه من معين صاف لا ينضب ، فتتناقله الألسنة ، وتمشى به الصحف ، وتستقبل فيه العربية شاعراً جديداً ملهماً ، ويفتح له أستاذنا محمد كرد على أبواب المجمع ، فيقيم له ولإخوانه الثلاثة حفلة تكريمية ينشد فيها أنور قصيدة من الشعر الجيد ، عنوانها (الشاعر) ، يحسن اختيار موضوعها وألفاظها ومعانيها ، وتشق له هـذه القصيدة الطريق إلى مجلة (الزهراء) التى كان يصدرها فى مصر خالى محب الدين الخطيب ، والتى كانت أرق مجلة أدبية فى تلك الأيام ، وكنت أود أن ينشرها الشاعر فى هذا الديوان (الذى لم يضم إلا الأقل من شعره) ليعرف منها القراء كيف كان أنور ينظم الشعر قبل عشرين سنة ، وكنت أود إذ لم تكن فى الديوان أن أرويها كلها ، ولـكنها طويلة تملأ صفحات من هذه المقدمة

وشعر أنور فى تلك الفترة آهات أبدعها الفن صوراً ، ودموع صاغها البيان شعراً ، ومقطعات حلوة ، ما أدرى ماذا زهّد الشاعر فيها فلم يثبت منها فى هذا الديوان إلا مقطوعة (الحمامة) .

ورأيت فصول (الفلم) تتتالى ... فرأيت فيها كل دقيق وجليل من حياة أخى فى الصغر وفى الكبر ، ورفيق فى السفر وفى الحضر ، وأنيسى فى المسرة وفى الـكدر : أنور .

رأيت أيامنـا فى المدرسة ، ونحن تلاميذ نعيش من الأدب فى دنيا الخيال ، إذ أعجزتنا دنيا الواقع أن نجد فيها ما نصبو إليه ونتمناه ؛ لا نصدق متى يتقضى النهار ، ونتجوزمن هذيان جماعة الرياضيات ، وطلاسم أصحاب الـكيمياء ، حتى نفر إلى كتب الأدب ، نقرأ كل بارع من القول ، ونتدارس كل رائع من البيان .

ورأيت أنور وقد بذ الأدباء جميعاً فى (العلم ...) بالرياضيات ، حتى لقد عرف قطر الدائرة ، وأضلاع المثلث ، ولم يبق عليه ليبلغ نهاية العلم إلا أن يعرف القاسم المشترك الأعظم الذى لم يسمع به امرؤ القيس .. رأيته دائباً يكد ذهنه ، ويمسح عرقه ، يحاول أن يفهم سر المعضلة الـكبرى التى لا يفهم لها سر ، ويحل المشكلة التى لا يعرف لهـا حل : الجذر التـكعيبى . وأشهد أنى جزت الأربعين من عمرى ، ورأيت أياماً سوداً ولقيت شدائد ثقالا ، وسلكت البوادى القفرة ، وركبت البحار الهائجة ، وعلوت متون السحب ، فما رأيت فى البر ، ولا فى البحر ، ولا فى الجو ، شيئاً أشد ولا أصعب ، من هذا الجذر التـكعيبى .

ورأيتنا وقد فرقت بيننا الأيام أمداً ، فاشتغلت أنا بالصحافة ، وغامرت فى السياسة ، وآثر أنور التعليم ، فكان مدير المدرسة الأولية فى (منين) ، فى هذه القرية الناعمة فى حجر (القلمون) الأدنى ، نرى مواكب الأحلام بأجمل (عين) وأشدها سحراً ، وأكثرها فتوناً : عين منين من لم ير عين منين ، ما عرف سحر العيون ، ولا رأى جمال الينابيع ، ولا رشف خمر الجمال على مائدة الطبيعة .. فكنت أزوره فأقضى ليلة أو ليلتين فى جنة قد جمعت فيها النعم ، أسكر فيها سكرين : سكر الجمال ، وسكر البيان ؛ وأخضع فيها لسحرين : سحر الطبيعة ، وسحر الشعر ؛ وأجمع فيها الماضى البهى ذكرى حلوة ، والآنى الشهى أملا مرتجى ، فى حاضر ضاع فى نشوة اللذة حتى لم يبق لنا منه حاضر نحسه وندركه . نقضى الأصباح نستمع إلى أسمار السواقى المتحدرة من الينبوع وأسمار أنور ، ونقطع الأماسى عند الصخور التى أفضنا عليها من قلوبنا الحياة فصارت تحنو علينا ، وتولينا الحب ؛ وأرقنا عليها البيان فأمست تحدثنا ، تتلو علينا أحاديث الغابرين ، وتقص قصص الأسلاف ، من غسان أصحاب المجد المؤثل ، فنحس كأن قد عاد الماضى ، ورجعت (القصور البلق) عامرة ، وبعث المجد ، وعاش الحب ، حتى لـكأننا نسمع همس العشاق وآهات نشواتهم ووسوسة قبلاتهم ، ونرى خيالات العناق من وراء الأستار !

أيام سعدنا بها ، وما سعدنا بالصخر ولا بالمـاء ، ولـكن

بأحلام الشباب . رحمة الله على شبابنا ، وعلى تلك الأيام !

ورأيتنا وقد صرت أنا معلماً فى الجبل من دمشق (فى المهاجرين) ، وصار هو معلماً فى السفح (فى الصالحية) ، فكنا نرتقب المساء ارتقاباً ، فإذا حل انحدرت أنا من هنا ، وانحدر هو من هناك حتى نلتقى عند (العفيف) ، نفرح بهذا اللقاء فرح حبيبين التقيا بعد طول الفراق !

ورأيت أيام العراق ، زهرة أيامنا أنا وأنور وزينتها ، أيام بغداد ! سلام المحبة والوفاء منا على بغداد ! وسلام على أهليها ! وسلام على الأثرى والجوادى وروح الراوى وعلى إخواننا وعلى تلاميذنا فيها ... ويا ما كان أحلى أيام بغداد ، ويا ما أبهى لياليها ، ويا ما أطيب ما حملنا منها من ذكريات ... على دجلتها سلام بردى ، وعلى نخيلها سلام الحور ، وعلى أبوذيتها سلام العتابا ، وعلى أعظميتها وكرادتها ورستميتها سلام الربوة والمزة والشاذروان

لقد كنا فيها معاً أبداً ، يدرّس أنور فى صف وأنا فى صف ، وربما دخلت فدرّست مكانه وقعد فاستمع ؛ وربما دخل فدرّس مكانى وقعدت فاستمعت . ونمشى على الجسر معاً ، وما فى الأرض مكان أحفل بذكريات المجد والشعر والغرام من جسر بغداد — ونتبع الشط ، ونرتاد الرياض ، نزور قصور الخلفاء ، ومواطن الشعراء ، وخلوات المحبين ، نؤم الديارات والأطلال والمقابر ، نتنسم عرف الأجداد ، ونستروح رائحة الماضى ، نستنطق دجلة ، ونستخبر الآثار ، ونسأل النخيل ، ونسمع من الأرض ومن الناس أخبار الماضى الفخم ، وأحاديث الجدود العبقريين ، وقصص المجد الذى لم تر عين الزمان ولم يحمل متن الأرض مجداً أجل منه ولا أعظم ، ولا أرسخ أساساً ولا أعلى ذرى . ولم يكن يرانا الناس إلا معاً ، ولا يقولون إلا أنور وعلى ، وعلى وأنور ، وربما خلطوا فقالوا على العطار وأنور الطنطاوى ...

لقد كانت أيام بغداد أجدى الأيام على أنور ، ففيها اختزن فى نفسه أجمل الصور ، وفيها نظم أروع القصائد ، وفيها ابتدأ فى حياة الشاعر عهد جديد هو عهد الشعر القوى : شعر الحماسة الوطنية ، فازدادت بذلك هذه القيثارة السحرية وتراً جديداً ، خرجت منه أطيب النغمات .

رأيت هذا كله فأحسست أن الدنيا تدور بى ، واختلطت علىّ الصور وتداخلت المشاهد ، فلم أعد أستطيع أن أتبين شيئاً ، ولم أستطع أن أكتب شيئاً ...

ورأيت فصول (الفلم) تتتالى ، فإذا نحن فى سنة ١٩٣٠ ؟ ، وقد بقيت بلا عمل (عقب عودتى من سفرتى الثانية إلى مصر) ، فأخذنى أنور إلى إدارة فتى العرب ، فقدمنى إلى معروف الأرناؤوط لأعمل معه فى الجريدة ، وقد عملت معه شهوراً ، وصارت الجريدة ملتقانا أنا وأنور ، وصارت مدرستنا الثانية نأخذ فيها من نفس معروف ، ومن أدب معروف . وما رأينا فى الأدباء من هو أحلى حديثاً ، وأظهر صفاء ، وأملأ بالأدب الحق من فرعه إلى قدمه من معروف ، إذ كنت تشعر وأنت معه أنه يعلو بك عن المادة ، ويسمو عن المطامع ، ويوصلك بحديثه وابتسامته وطفولته إلى عالم كله حب وعاطفة وتجرد . وشىء آخر كنت أحسه ولا أملك التعبير عنه ، شىء مثل الذى تحسه وأنت تقرأ فى رواية معروف (عمر بن الخطاب) ، ومثل الذى تحسه وأنت تسمع حديث أنور ، عندما يكون أنور فى سبحاته الشعرية .

ورأيتنا ، ونحن فى مطلع سنة ١٩٣٣ ، وقد لقيت أنور ، فقال لى : لك عندى مفاجأة تسرك . قلت : وما هى ؟ قال : لا ، إلا أن تتغدى معى فى الدار ، فذهبت معه فإذا هى مفاجأة تسر حقاً : العدد الأول من مجلة الرسالة .

ومن ذلك اليوم دخل بيننا (نحن الاثنين) صديق ثالث ، أحببناه وأحبنا ، وهو الزيات ورسالته ، وصارت الرسالة مدار أحاديثنا ، وصارت مستقر أدبنا ، وصار الزيات أخاً لنا كبيراً ، وصديقاً عزيزاً ، وإن كنت لم أره إلا بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ، ولم يره أنور إلى الآن .

ورأيت أيام المعجزة التى ظهرت على يد الصديق منير العجلانى وكانت تظن من باب المستحيلات ، أيام المجمع الأدبى ، حين ألف بين رجال ما كنا نتخيل أنها تؤلف بينهم الأيام ، لاختلاف مذاهبهم فى الأدب وتباعد مسالكهم فى التفكير ، وتباين طرقهم فى الحياة ، وكانت أيام ألفة ونشاط وأمل ، فأعقبها أيام افتراق وكسل ويأس ... فياليت منيراً الوزير يكمل ما بدأه منير المحامى !

رأيت هذا كله ، لحرت ماذا أصف وعم أتكلم ، وكيف

أستطيع أن أجمع فى كلمات دنيا من العواطف ، وعالماً من الذكريات ، وآلافاً مؤلفة من المشاعر ، كانت أثبت من الزمان لأنها بقيت وقد ذهب الزمان ، وكانت أجل من العمر لأنها هى جمال العمر ؟

رأيت (هذا) كله وما (هـذا) إلا تلخيص لحياة أنور الشاعر الذى عاش حياته كلها كما يعيش الشعراء الخلص الملهمون شعراء القلب والروح واللسان ، لاشعراء الألفاظ وحدها والبيان الشاعر فى قلبه المتفتح أبداً للجمال المترع بالخير المتلىء بالحب ، وفى لسانه الذى يفيض أبداً بالبيان ، وينفث السحر الحلال .

وفى هذا التلخيص تحليل شاعرية أنور ، فإذا أخذتم عليه أنه كان حليف الحزن صديق الأسى ، قد وقف شعره على تقديس الألم العبقرى فبكى الأحلام الضائعة كما بكى الأوراق المتناثرة فى (الخريف) . وخلد مظاهر الأسى فى النفس وفى الطبيعة ؛ فاعلموا أنه لم يكن يستطيع غير ذلك ، وأن الشاعر لا يطبع نفسه كما يشتهى ولكن يطبعه الله بطابع البيئة والزمان ، ويكون مشاعره فى طفولته ، قبل أن يشعر هو ليكون مشاعره كما يريد ؛ ولو استطاع أن يصغر فمه أو يجمل أنفه لاستطاع أن يبدل قلبه ويحول عواطفه .

وقد نشأ أنور مثلما نشأت أنا ، وفتح عينه على الدنيا والحرب العالمية قائمة ، ودمشق فى أشد أيامها ، ومظاهر البؤس والألم فى كل مكان ، فكان يرى الازدحام كل صباح على الفرن ، ولم يكن يفتح منه إلا كوة صغيرة يبرز منها رأس الخباز ليعطى السعيد من الناس كتلة سوداء لا يعرف ما هى على التحقيق وإن كان يعرف أن إسمها (الرغيف) ، والجياع ينبشون الزبابل ويأكلون قشور البطيخ ، والنساء يعملن من دون الرجال لأن رجال دمشق قد أكلتهم الحرب ، والإسم المرعب إسم جمال باشا يملأ القلوب فزعا . ثم رأى المشانق وشهد المآتم ، فامتلأت نفسه بهذه الصور القاتمة حتى لم يبق فيها مكان لغيرها . وإذا هو رأى الأعراس والأفراح أيام فيصل ، فان هذه الأيام لم تكد تبدأ حتى انتهت ، ولم نكد نستمتع بفرحة الاستقلال فى حفلة التتويج ، حتى ذقنا غصة الانتداب فى مأساة (ميسلون) .

فلا تلوموا أنور إن كان الحزن طابع شعره ، وأن الفرح فيه مثل الفجر الأول لا يكاد يبدو بياضه فى الأفق حتى تبتلعه بقايا الليل فهذا هو السبب .

ولا تلوموه إن تغزل ، فتكلم عن الرؤى والأحلام ، وترك الحقائق وعلا إلى سماء الخيال ولم ينزل إلى أرض الواقع ، وأنه عمم وجمجم ، فلم يخصص ولم يصرح ، فإن البيئة التقية التى نشأ فيها أنور لم تكن ترى فى الحب إلا (ذنبا) على صاحبه أن يستغفر الله منه ، وأنا أؤكد أن أنور ، كـ (نصيب) الشاعر الذى سمي قوسه ليلى ليتغزل بها . إن أنور لم يتصل فى حياته بفتاة على نحو ما يفعل شباب اليوم ، وإنه كان أعف وأشرف من أن يفكر فى هذا أو يحاوله ، فمن هنا جاء الذى تلومونه عليه .

ولا تأخذوا على أنور أنه حبس نفسه فى هذه الدائرة الضيقة وقصر عليها شعره ولم يخرج إلى الفضاء الأرحب ، ولم يمش فى الدنيا الواسعة التى يعيش فيها أكثر الشعراء والناس ، فإن أنور أمضى صباه كما أمضيت صباى فى عالم ضيق كانت حدوده تلك المسالك الملتوية الموصلة إلى مكتب (عنبر) ، وتلك الساقية الصغيرة المطيفة بمقبرة الدحداح ، وذلك الطريق الموحش الذى كان ينتهى عنده العمران ، ويبدأ منه عالم الظلام والفزع واللصوص ، والذى كان اسمه (قفا الدور) فصار يسمي اليوم (شارع بغداد) أفخم شوارع دمشق الجديدة .

إن أنور يخشى اليوم أن يفارق عالمه الشعرى الذى أحبه ، أو يتجاوز حدوده كما كان يخشى من قبل أن يتجاوز (قفا الدور) ، أو يتخطى (مكتب عنبر) ولكن عالم أنور الشعرى ، عالم واسع على ضيقه لأنه عالم القلب ، ولأنه متصل بالله ؛ وقد تضيق على المرء الأرض كلها إن اقتصر عليها ، ولا يضيق عليه شبر واحد سما حتى اتصل بالسماء .

وعاش أنور فى عهد جد ويقظة ، وإقبال على العلم والعمل ، وحفظ أنوراً كثر من عشرة آلاف بيت من جياد أشعار العرب ، فجاء أسلوبه كالماء الصافى فيه عذوبة ولين ، وفيه إن تدفق قوة ومضاء . وكان شعره أثر الجد ومؤهلات الخلود ، لا كأشعار أصحاب المناسبات وطالبي إعجاب السوام . وكان نسجه كالحرير المتين المفوف المنقوش النقش البارع ، لا كالنسج الرخيص الذى يتمزق من اللمس ، وتذهب ألوانه من رؤية الشمس .

دفاع عن الأدب

للأستاذ أنور المعداوى

الأدب الذى أعنيه هنا هو أدب الاعترافات ، أو أدب التراجم الذاتية ، أو أدب البوح والافضاء كما يسميه الفيلسوف الإيطالى بندتو كروتشه .

ومن العجيب أننى حين تناولت القلم لأكتب عن أدب الاعترافات ، وقعت على رأى لكروتشه يهاجم فيه هذا الأدب هجوماً عنيفاً ، ويرميه بالتأنث والسفاهة وقلة الحياء والضعف والانحلال ! .. ولو أن رجلا غير كروتشه قد أبدى هذا الرأى فى مثل هـذا اللون من الأدب لما أثار فى نفسى شيئا من العجب أو شيئا من الانكار ؛ ذلك لأنه يبدو أمام المتتبعين لنظرياته فى فلسفة الفن متناقضا مع نفسه ، مترجحا بين اليمين والشمال ، لا يكاد يستقر على رأى ينادى به حتى يعود فيتحول عنه ... إن من يقرأ رأيه فى أدب الاعترافات منفصلا عن رأيه فى نقد المذهب الأخلاقى فى الفن ، ليتبادر إلى ذهنه أن كروتشه من أنصار هذا المذهب والداعين له ، مع أنه من أكثر خصومه الحاحا فى الخصومة ، وإغراقا فى التحامل ، واسرافا فى الهدم والتشهير ! .

يقول كروتشه فى تعليل ازدياد عدد الكاتبات من النساء :

وعندى أن علة ذلك الحقيقية هى هـذا الطابع الاعترافى الذى اصطبغ به الأدب الحديث ، فبهذا الطابع إنما فتحت أبواب الأدب على مصاريعها أمام النساء اللواتى يمتزن بالانفعال والنشاط ، فاذا قرأن كتب الشعر لاحظن فيها ما ينطبق على مغامراتهن الشخصية وفواجعهن العاطفية ، فلم يصعب عليهن أن يفرغن ما فى قلوبهن بدون أن يعنين بالأسلوب (والأسلوب كما قال بعضهم بحق لا يأتى من امرأة) . فلئن أصبح للنساء إذن نشاط ملحوظ فى حقل الأدب فلأن الرجال قد تأنثوا بعض الشىء من الناحية الفنية ؛ ومن علامات هذا التأنث قلة الحياء فى عرض مبادئهم ، وهذه الحمى من الصدق التى ما دامت حمى فليست صدقا ، وإنما هى شىء من التصنع الذى يوصل المرء بالسفاهة إلى اكتساب ثقة الناس على نحو ما فعل روسو لأول مرة » ...!

هذا هوارى الفيلسوف الإيطالى فى أدب الاعترافات ... تأنث وسفاهة وقلة حياء ، ويزيد على ذلك قوله بأن هذا اللون من الادب يتسم بالضعف فى طريقة التعبير ، فهو على التحقيق أدب لا أسلوب له ! وقبل أن أعرض لرأى كروتشه فى نقد المذهب الاخلاقى فى الفن ، كاشفا عما فيه من تناقض مع رأيه فى أدب روسو وكل أدب آخر يحمل ذلك الطابع الاعترافى ، قبل هذا كله أود أن أقول إن تلك الحملات التى شنها الفيلسوف الايطالى على هذا اللون من الأدب تبعد كل البعد عن جوهر الواقع الملموس ؛ لأننا لو وضعنا اعترافات رسو أو يوميات اندريه جيد

ما مشى أنور على الطريق الذى فتحه له من قبله ، بل على طريق شقه هو لمن بعده . وكان أنور إمام جماعة الشباب ولم يكن مؤتماً تابعا . ولولا نفس من شعر شوقى فى مثل (ليل الحزين) من بوا كيره ، وروح من الأدب الفرنسى فى بعضها ، لقلت بأن أنور لم يقلد فى أسلوبه أحداً أبداً . وهل لشاعر مثل الذى لأنور فى وصف الطبيعة وفى وصف البلدان وفى وصف الرؤى والأحلام ، حتى يقلده أنور ؟

وبعد فهذا ديوان الوفاء للعربية : نخل مفرداتها فاختار أطيبها ، وعرض أساليبها فاصطفى أحلاها ؛ وديوان الوفاء لأقطارها : جرى بردى منذ الأزل ، وقام لبنان ، فهل قال شاعر فى بردى مثل الذى قال أنور ؟ هل نظم فى لبنان مثل ما نظم ؟ وهل يعرف القارىء فى الشعر العربى كله قصيدة فى وصف الطبيعة أعظم من (لبنان) التى اشتمل عليها هذا الديوان ؟ أنا لا أبالغ ولا أغالى ، وهذا الشعر العربى بين أيدى الناس فمن عرف أعظم منها فليقل ... ولكن المعاصرة حرمان ، وأزهد الناس فى العالم أهله وجيرانه ، وستمحص السنون هـذا الشعر وهذا النثر ، وتميز الزجاج من الجوهر ، والنحاس من الذهب ؛ وهنالك بعد أن يذهب الرجال ، وتنقطع الصداقات والعداوات ، ولا يبقى إلا الأدب الذى يستحق الخلود ، تعرف قيمة (لبنان) وقيمة (بردى) ، وهنالك بعد أن يعفى النسيان على أسماء كثيرة تملأ اليوم الأسماع ، وتشغل الناس ، يحتل اسم أنور العطار مكانه مع أسماء الشعراء الخالدين .

(دمشق) **علي الطنطاوى**

فى ميزان النقـد ، لا كتملت لها كل الصفات التى ينشدها الباحثون عن حقيقة الفن . . الفن فى كلمات هو أن يعيش الفنان فى أعماق الحياة ، وأن يستخدم كل حواسه فى تذوق هذه الاعماق ، وأن يملك القدرة على التعبير الصادق عما شهد وأحس حين يتناول ريشته ليسجل انعكاس الحياة على الشعور ، وتلك أشياء يلمسها الناقد فى اعترافات روسو ويوميات جيد .

الاعترافات واليوميات صورة واقعية لفترة من حياة الكاتبين الكبيرين ، تمد فى حقيقتها لونا من الترجمة الذاتية التى تضع فى يد القـارىء والناقد مفتاح شخصيتهما الادبية والإنسانية ؛ فإطلاق الرأى فيها بضعف الاسلوب أمر لا ينطبق على الواقع ؛ لان الصدق فى التعبير صفة من صفاتها الرئيسية وسمة من سماتها الأصيلة ... وليس هناك أسلوب مهما اتصف بالقوة أو بالجمال يستطيع أن يشق طريقه إلى القلوب والآذان ، مالم يستند إلى أقوى دعامة يمكن أن يستند اليها ، ونعنى بها الصدق فى التعبير ! ومع ذلك فإن صدق التعبير وجماله يتهيآن لروسو فى أكثر فصول كتابه ، وبخاصة فى تلك المواضع التى تشير إلى علاقاته الوجدانية بمدام دى ڤارنس .

ولعل فى رمى الأدب الاعترافى بالتأنث كثيرا من الإغراق فى التجنى والاسراف والتحامل ، وذلك لان كتاب الاعترافات يقدمون إلى النـاس صفحات من سجل الحياة سطرت بمـداد الصراحة والامانة والصدق ... صفحات عارية لا تكاد تتشح بغلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعى وتملق عواطف الجماهير . ولعمرى أن الكاتب الذى يعرض أمام الناس فترة من فترات حياته بما فعلت من خير وشر ، من فضيلة ورذيلة ، من لذة وألم ، دون أن يخشى فى ذلك نقدا أو ملامة أو زلزلة لمكانته الأدبية والاجتماعية ، هذا الكاتب فى رأيى ورأى الحق رجل قوى جدير باحترام الأقوياء وليس متأنثا كما يدعى كروتشه ... إن هناك كتابا يتظاهرون فى كتاباتهم بحب الخير والتمسك بأهـداب الفضيلة وهم غارقون فى حمأة الموبقات ، فهل نستطيع أن نسمى لديهم أدب قوة ؟ كلا ! ولا نستطيع أن نرفع قيمة هذا الأدب إذا ما قسناه بمقياس الفن الصادق ، مقياس صدق التعبير عن الحياة ؛ لأنه أدب يعبث بالحقائق ، ويشوه الوقائع ، ويكذب على الحياة والناس ! ... ان أندريه جيد لولم يكن متأثراً فى كتاباته بفيلسوف القوة نيتشه ، لما تهيأ له أن يتناول قلمه ليكتب ما كتب فى اليوميات ! .

ونعود إلى تهمتى السفاهة وقلة الحياء لنرد عليهما بكلمات من نقد كروتشه للمذهب الأخلاقى فى الفن ومنها يتبين مدى التناقض الذى وقع فيه الفيلسوف الإيطالى حين دافع عن حرية الفن فى مكان ، ثم عاد فهاجم الحرية فى مكان آخر ...

يقول كروتشه : « إن الفنان لا يمكن أن يوصم من الناحية الأخلاقية بأنه مذنب ، ولا من الناحية الفلسفية بأنه مخطىء ، حتى ولو كانت مادة فنه أخلاقا منحطة ، فهو — كفنان — لا يعمل ولا يفكر ، ولكنه يعبر ... إن فنا يتعلق بالأخلاق أو اللذة أو المنفعة ، هو أخلاق أو لذة أو منفعة ولكن لن يكون فنا أبدا ! » .

ويقول : « لئن كانت الإرادة قوام الإنسان الفنان ، فليست قوام الإنسان الفنان ؛ ومتى كان الفن غير ناشىء عن الإرادة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاق ... إنك لا تستطيع أن تحكم بأن فرانسسكا Francesca دانتى منافية للأخلاق ، ولا أن جوردليا Cordelia شكسبير أخلاقية ، وما هما إلا لحنان من روحى دانتى وشكسبير ليس لهما إلا وظيفة فنية ، إلا إذا استطعت أن تحكم على المربع بأنه أخلاقى وعلى المثلث بأنه لا أخلاقى ! ... إن من تفرعات المذهب الأخلاقى قولهم إن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير ، ويبث فيهم كره الشر ، ويصلح من عاداتهم ، ويقوم أخلاقهم ، وإن على الفنانين أن يساهموا فى تربية الجماهير وتقوية الروح القومى أو الحزبى فى الشعب ، أو اذاعة المثل الأعلى الذى يفرض على المرء أن يحيـا حياة بسيطة جاهدة وما إلى ذلك ... والحق أن هذه أمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة ذلك . فهل عجز الهندسة هـذا يجردها من حقها فى الاحترام ؟ فليت شعرى لم يريدون إذن أن يجردوا الفن من مثل هذا الحق فى مثل هذه الحال ؟! »

هذه الكلمات التى يسوقها كروتشه ليدافع بها عن حرية الفن لا تتفق بحال وما ذهب اليه فى نقده لأدب الاعترافات ... ومع ذلك فلا يمكن أن نجد خيرا منها فى مجال الدفاع عن اعترافات روسو ويوميات جيد ! .

أنور المعداوى

كتاب جديد لتوماس مان :

« دكتور فاوستس » (*)

للأســــتاذ عمر حليق

هذا الإنتاج الفنى الرائع لأمير البلاغة الألمانية مقالة عن الحضارة الألمانية المعاصرة كتبها عقل يمثل هـذه الحضارة خير تمثيل ويستوحى فيها ألواناً من التحليل الفلسفى العميق لمناحى العظمة والضعف فى العقلية الألمانية والخلق الألمانى .

وأكبر الظن أن الشعب الألمانى لن يقرأ هـذا الـكتاب ، ولن يتأثر به كما يريده توماس مان أن يتأثر . فهؤلاء التيوتونيون الذين يملـكون القول الفصل فى حضارة أوروبا وسـلام أوروبا وعظمة أوروبا مشغولون الآن بالجوع والحرمان والبلبلة السياسية والفـكرية والسعى لإزالة هذا الحطام الذى تركته قنـــابل الأنجلوسكون وجحافل الروس فى أزقة المدن وحقول الأرياف ، وفى الأنفس البشرية التى تحطمت معنويتها فى موجات متلاصقة من زوابع سياسية تعصف بهم تارة من موسـكو وطوراً من العالم الجديد .

فـكتاب مان الجديد أسطورة فى تاريخ الأخلاق الألمـانية وسجل لهذا الوضع المحزن الذى يكتنف الألمـان من كل جهة فيسد عليهم منافذ الفـكر والإبداع الفنى مؤقتاً على الأقل .

وأكبر الظن كذلك أن الشعب الألمانى لن ينتفع بالـكتاب لأن مؤلفه اختار الوطن الأمريكى مقراً ، وكان قد استقر به فى أوائل النازية لاختلافه معها على حـدود الدولة فى حرية الفرد وتفكيره وما يؤمن به ويدعو إليه من مبادىء ، وما يفسر به شؤون العقل والحياة مما لا يجد فى الفلسفة النازية مكاناً . وإذا صلح الحـكم المطلق لتنظيم الفوضى السياسية والتفكك الاقتصادى فى فترة من حياة أمة فإنه لا ينبغى مطلقاً أن يقيد الفكر كما يقيد الانتاج الصناعى ، ويحدد كما يحدد اتجاهات السياسة .

وفوق ذلك فإن توماس مان ظنين الولاء لوطنه . كان المعجبون بعبقريته « وألمانيته » ينتظرونه ليعود فيشارك هذا الشعب النشيط مسؤوليته الجسيمة فى فترة عويصة يحتاج فيها إلى رسالته الفنية كما يحتاج إلى رسالة « شاخت » الاقتصادية ، ولـكن مان — ولعله بتأثير زوجته اليهودية — لم يعد لألمانيا بعد ، ويبدو أنه لن يعود ، وهو يقطن الآن على بعد دقائق من هوليود مدينة السينما .

على أن ولاء توماس السياسى لا يعرف حدوداً إقليمية كمعظم المثقفين الممتازين ، ولـكن ولاءه الثقافى لا يزال ألمـانياً ، فلا يكتب بغير الألمانية ، ولا يكتب إلا عن الألمانية ، ولا يجارى هؤلاء اللاجئين من كتاب أوروبا الوسطى — ومعظمهم يهود — فى تهالـكهم على الإندماج فى الثقافة الأمريكية المزدهرة اندماجاً فيه كثير من النفاق ، وفيه كثير من « المادية » التى تفسد مقاييس الإعجاب الفنى والإنتاج الفنى .

هذا الكتاب الجديد دراسة للملة الألمانية ، وتوماس مان حريص على أن لا يوصى بعمالجتها أو بإيجاد حل لها ، فإذا قرأته - وقراءته من أمتع القراءات فى الأدب الغربى المعاصر — خرجت منه بشىء واحد ، وهو أن هذه الملة الألمانية حقيقة ثابتة ، لم تستمد وجودها من النازية ولـكن من صميم الثقافة الألمانية والخلق القوى الألمانى .

هو حوار بين توماس مان ونفسه ، وهو تحليل لهذا الانفعال العقلى الشديد الذى ألم بتوماس مان بعد أن شاهد المحنة تلم بالثقافة التى ولد فيها وأحبها وأنشد روائعها فى قوة وإجادة . وهذا الحوار قصة بطلها فنان ألمانى معاصر هو (أدريان ليفركون Adrian Levrkoin) ، وهو مجدد موسـيقى توفى فى أوج المجد النازى عام ١٩٤٠ قصها على القارىء أستاذ فى مدرسة ألمانية اختلف مع النازية حول فلسفة التربية فانزوى فى الأرياف يكتب ويفكر ، فلا هو منقطع عن الحياة الألمانية — فإن له ولدين فى الجيش — ولا هو قانع بالاتجاه الذى تسير فيه هذه الحياة الألمانية .

والظاهرة الخالدة التى تكرر فى إنتاج توماس مان هو هذا التوازن فى الوضعية ، والصراع العقلى الذى ينشأ عن هـذا التوازن — صراع الآمن فى عزلته فى الأرياف ، والفنـان الثائر على الوضع يحمـل على أكتافه عبء المعرفة ، الصراع بين

(*) الطبعة الأصلية بالألمانية نشرت فى ستوكهولم بالسويد والترجمة الألمانية بدار Alfried Knopf New York

« الصحيح » و « المعتل » . خذ أى قصة من قصص توماس مان (جبل السحر) (بود نبروك) (يوسف وأخوته) يأسرك هذا الصراع ، إذ أنه سبيل إلى تمليل كلا الوضعين فى اتزان العقل الألمانى المدقق الذى جعل من قصص مان إنتاجاً فلسفياً بالإضافة إلى كونها روائع أدبية خالدة .

ولقد حبك توماس مان هـذه القصة فى مهارة تنتزع منك الإعجاب .

فراوى القصة (الأستاذ المتقاعد) يعبد عبقرية بطل القصة أدريان ، وهذه العبادة ليست وليدة التقدير الحق لهذه العبقرية ، ولكن من قبيل عبادة الأبطال ، وهى ظاهرة متأصلة فى العقلية الألمانية تمهد توماس مان إبرازها لأنها من الأسس الراسخة التى تدفع الألمان أن لا يسلكوا على نحو ما سلكوه مع هتلر ومع غير هتلر ممن تعاقبوا على الزعامة فى التاريخ الألمانى .

هذه العبادة هى مزيج من العقل والعاطفة ، وهى المسؤولة عن هذا الولاء الشديد ، هـذا التفانى فى المطاوعة والامتثال التى تتأصل فى الخلق الألمانى .

فأدريان فنان مترفع — يعلم مقدار عبقريته وينزع إلى الغلظة والشراسة بفضل هذا العلم ، وذلك لأنه تواق لأن يوفى هذه العبقرية الفنية حقها لا أن يجارى المعجبين .

وأدريان رجل يعيش فى المجتمع ولكنه لا يتقيد به ؛ ذلك لأنه نذر نفسه لأن يخدم هـذه العبقرية وأن يوفى الفن حقه فى الإنتاج والإبداع . فألقى فى نفس أدريان أن يحمل الإبداع إلى أبعد ما يستطيعه الخيال . وهذا الوضع الذى صاغ فيه توماس بطله أدريان هو وضع العقلية الألمانية التى تميل إلى العزلة عن المجتمع الإنسانى لأنها فخورة بهذا العمق الثقافى وهذه المهارة المادية ، ولأنها تود أن تستغل هذا العمق وهذه المهارة لأنهـا تعتقد بأن البروز والتجلى يستلزمان واجبات للمضى قدماً فى إعلاء هذا البروز وهذا التجلى .

ولك أن تفسر النداء الهتلرى « ألمانيا فوق الجميع » بأنه خلاصة لهذا الاتجاه العقلى لدى الألمان صيغ فى لغة شعبية .

استمع إلى أدريان يحدث صديقه المدرس (راوى القصة) عن حرب ألمانيا الأولى (١٩١٤) ويدافع عنها بأنها الوسيلة الوحيدة لألمانيا لأن تحقق ما هى خليقة به بحكم كيانها ومقوماتها العقلية والنفسانية والمادية :

« إن فى قرار العالم مشكلة واحدة ، وهذه المشكلة هى العالم نفسه ، كيف يمكن للمرء أن ينفذ منه ؟ وكيف يخرج منها إلى الفضاء ؟ ما السبيل للمرء أن يشق الغشاء ويخرج إلى النور كالفراشة ؟ » .

والجواب عن كل هذا راسخ فى عقل أدريان ومستمد منه . فلم يشأ توماس مان أن يصيغ الجواب فى شىء أقل عنفاً من مرض الزهرى الخبيث .

فأدريان على ترفعه وعمق ثقافته وعبقريته أحب عاهرة نقلت إليه المرض . كانت الشيطان يزين له الخروج من محنته فآمن بها وتمتع ووجد مخرجاً ولكن إلى حين – وبثمن باهظ . استمع إلى أدريان يقول :

« إننا لا نخلق من العدم شيئاً جديداً — فذلك من شأن الآخرين . إننا نفرج عن أنفسنا فقط ، ونطلق الحرية . إننا ندع الموج والشعور بوطأة النفس والشكوك وسواها تذهب إلى الشيطان . فعليك أنت أن تمهد السبيل ، فاضرب فى الأرض وشق الطريق إلى المستقبل فإذا الصبية يتبعونك ، فهم ليسوا بحاجة إلى جنون ليفعلوا ذلك ، فجنونك أنت كفاهم شر الجنون . فعلى جنونك يعيشون أصحاء ، وعلى أكتافهم تعيش أنت صحيحاً . أفهمت ؟ فإنك لن تشق لنفسك الطريق وسط صعاب الزمن ، بل إنك تشق الطريق وسط الزمن نفسه ... واحرص على أن تكون بربرياً . بربرياً مضاعفاً لأنك آت فى أعقاب اللطفاء » .

هـذه محنة ألمانيا وسوادها مستمد من صميم القوى الألمانية نفسها .

وقصة توماس مان ليست على هذه البساطة ، فالحبكة الفنية فيها بارعة . وهذه المحنة ليست محنة النازية فإن مان يكاد يتجاهلها . فهى محنة العقلية الألمانية كما هى وكما كانت ، ولعل الألمانى حين يتساءل كما تساءل أدريان :

« لماذا يبدو لى كل شىء فى هذا الكون مشوه الأوضاع ؟ » لا يصور انفعالاته فقط ، بل يصور نفسه كذلك ومعه المجتمع البشرى بأسره .

(نيويورك) عمر حليق

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

طرائف من العصر المملوكي :

رسالة الدار عن محاورات الفار أو فن القصة

للأستاذ محمود رزق سليم

هذا عنوان طريف حقاً ، يثير الطرب ، ويدفع السامع إلى تلمس الخبر واستطلاع الأثر . فكم للفار بين الدار من آثار ، وكم للدار عند الفار من أخبار ، وما ينبئك مثل خبير . فهو ربيب فتوقها ودعى شقوقها . إتخذ من أحجارها مأمنه ، وبين جدارها مسكنه . فحفظ أخبارها وكتم أسرارها . والدور تتقلب بها الأيام كما تتقلب بالرجال . فتشقى مرة وتسعد أخرى . وتفيض تارة بالخير ، وتبوء تارة بالفراغ منه . وعليها من خارجها طلاء يغشى جدرها ، يبهر العين ويخدعها عما وراءها .

أما الفأر فهو بهـا الضيف المقيم ، والزائر الذى لا يريم . يشاركها فى سرائها وضرائها .. يسعد إذا هبت عليها انسام السعادة ، ويشقى إذا عصفت بها ريح الشقاء .

وكثيراً ما تضم دور الكرماء طوائف الفيران وجماهير الجرذان . ولهما مما فضل نصيب ، تمد منه الموائد ، وتتنادى إليها ضيافن ، لم يوجه لها نداء ولم يرسل إليها استدعاء ، فحسبها أنها فى دور الكرماء ! فتملأ البطون وتمىء الحصون ، وتمهد إلى وقت سامرة ، وتنقلب إلى مخادعها شاكرة ذاكرة . — أما دور البخلاء — جنبت جنابها ووقيت أعتابها — فإنها لا فضل فيها لجائع ، ولا ثمالة لظامىء ، ولا ستر لمحروم . طالما نصب أهلها للفأر المصائد ، ودبروا المكائد . فانقلب عنهم سابًا شاتمًا يذكرهم بكل قبيحة ، ويرميهم بكل مذمة : ونفسه فياضة منهم بالعجب لأنهم يختزنون — فضلا عن المال — ألوانًا من الطعام والشراب . فإذا لم يكن للفأر فيها نصيب ، فلمن يختزنونها ، ولأى شىء يقتنونها ؟

والعجب كل العجب أن يلتئم الغنى والبخل ، وينسجم الفقر والبذل ! أما الأغنياء فبخلاء ، لا ينون باسم الأناقة والنظافة ، والخوف من الداء وانتشار الوباء ، يرأبون الصدوع ، ويسدون الفرج ، ويغلظون الدهان ، ويبثون الفخاخ . وإذا طعموا فبالقسطاس ، وإذا شربوا لا يبقون فى الكاس . وإذا أفضلوا فاليسير من الفتات الذى لا يصلح للأقوات ؛ فلا يقوى عليه الضعيف ، ولا يسمن منه النحيف .

أما الفقراء فكثير منهم كرماء . ينضحون بالبر على بنى الحيوان من الإنسان وغير الإنسان . يتهاونون فى الحرص على أطعمتهم وأشربتهم ، ويهملون الجدار حتى يمتلىء بالأحجار ، فتمتج بالزائرين من كل أمة .

والفأر بينهم من الأعيان ، يجد فى الدار مسرحه ، وفى الجدار مطارحه . وله بين هذا وتلك ما شاء من طعام وشراب ...

وتنعقد بينه وبين الدار صحبة يمتنها المقام ويعكسها الالف ، فلا ينى كلما بان عنها يذكرها ، وهى لا تفتأ كلما غاب تتفقده ... ولو على رضا منه ، وكره منها .

وكثيراً ما تنتقل الصحبة بينهما من الدار إلى أصحابهـا ، ومن الجـدر إلى أربابها . فتزول الوحشة ، ويقوى الأنس ، وتستأنس العين . حتى ترى وفود الفأر تترى زرافات لا تهـاب ولا توجل . وتدير أعينها فى الحاضرين كأنما تتقاضاهم أجر الحراس وثمن الإيناس ...

وهذه الدار التى تنشر رسالتها وتقص للناس قصتها ، وتحب أن تحدثهم عن الفار ووفوده إليها ، وتبسط لهم ما دار بينها من الحوار عن عهد رخائها وبؤسها ، وأيام عزها وليالى تعسها ، هي دار شاعر ! عاش فى العصر المملوكى . وهو عصر ، كما علمنا ، لم يدر للشعراء دره ، عاشوا فيه عيش الحرمان ، بينما سال سيل خيره فى غير مجاريهم ، وفاض ثره دون وديانهم .

أما الشاعر فهو صفى الدين الحلى الذى طوحت به الأيام فنزح عن بلاده ، وحمى آبائه وأجداده ، إلى ملوك بنى أرتق بماردين ، وتنقل فى مساكنها من دار إلى دار ، حتى استقر فى « دار ابن الدكناس » وكتب على لسانها هذه الرسالة .

ولهذه الرسالة أو المقامة سبب اتخذه الشاعر الناثر وسيلة لأن يكتبها على لسان داره .

وقد أفصح عن هذا السبب بقوله :

« أنشأتها عن لسان الدار التي أسكنها بماردين ، وتعرف بدار ابن الدكناس ، إلى القلمة الشهباء . وأرسلتها إلى السلطان الملك الصالح أبي المكارم شمس الدين . أشكو بفحواها مماطلة نائب له بدين ، كان بعضه لي ، وبعضه على يدي ، بمبلغ طائل كتبه على نفسه ، وأخرجه على مصالح الدولة ، وتعذر عليه وفاه . ولم أوثر مخاشنته لسابق صحبة بيننا . فأنشأتها على سبيل الخلاعة والمزاح . فلما وقف السلطان عليها أطلق المال من خزانته العالية . » الخ .

وقد بدأت الرسالة بأن تكلمت الدار . فسمت ، وتقدمت وتسمت . وأخذت تخاطب القلمة الشهباء مقام الملك الصالح فدحتها وأثنت عليها . ثم انتقلت إلى الشكوى مما أصابها من هجر ما لكها الأول ، بعد أن رأت منه ضروباً من البر والنعيم والتمتع . ثم مما كابدت من بعده من هم وبؤس . حتى هال فيرانها بؤسها ، فتحدثت عنه فيما بينها ، وأهمها أمرها ، فتناقشت فيه واتخذته موضوعاً لجدال جاد .

فقام من بين الفيران خطيب سرد قصة الدار على سامعيه ، ثم أوصاهم بالساكن الجديد خيراً . — والساكن الجديد هو صفي الدين ! .— ثم تحدثت الدار عما كان من أمر صفي ، وكيف أنه أعاد إلى رحابها عهد السرور والأنس ، ومد فيها موائد الحبور والبهجة ، حتى ضاقت ذات يده ، وتغيرت به الأحوال ، وتقلب عليه الليل والنهار . حتى جأرت الدار بالشكاية له ورثى لحاله فيرانها ، وعاد أمره بينها مثارا لجدل جديد ...

ثم بينت أن سبب نكبته ، ذلك الدين الذي أقرضه لنائب السلطان ... وتضرع الدار في الخاتمة إلى القلمة الشهباء أن ترثى لحالها وتقبل شفاعتها في ساكنها ، حتى يرد إليه دينه فتنسم حاله .

هذا ملخص سريع لمقامة صفي الدين . ومما قالته الدار في مفتتحها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . المملوكة والمحرومة المرحومة ، الموحشة بعد الإيناس ، دار ابن الدكناس ، تقبل الأرض بين يدي القلمة الشريفة ، والذروة المنيفة . المعزة الثناء سيدة القلاع ، وواسطة عقد البقاع ، وإنسان عين اليفاع ، التي قلائدها النجوم ، ومطارفها الغيوم ، وقرطاها الفرقدان ، وقلباها السماكان . ونطاقها الجوزاء . وعجولها العواء . وفرقها المجرة ، ونثر إكليلها الإكليل والنثرة ، حصن النجباء وكهف الغرباء وكعبة الأدباء . القلمة الشهباء . » ... الخ ومن شكواها قوله :

« وتنهى أن المملوكة ، والمظلومة المضنوكة ، يسكتها الحياء والأدب . وينطقها الإعياء والنصب . وشكوى الجماد إلى الجماد ، كشكوى العباد إلى العباد . وإن المعهود ، من تقادم العهود ، أن الله إذا خص مخلوقا بنعمه ، عم بها أبناء جنسه ، وأشركهم فيها مع نفسه » . إلى أن قالت تصف حالها بعد ساكنها : « فلما طوحت بساكنها الأيام ، إلى أقصى الشام ، جفاها الإخوان حيناً طويلا ، وهجرها الرفاق هجراً طويلا ، فكابدت بعده هما وبوسى ، وأقامت فارغة كفؤاد أم موسى . لا تجد أنيساً في عراصها القفار ، ولا تسمع حسيساً غير صهيل الفار . حتى رثت لها أكثر البيوت ، وخيم على وجهها أسرة المنكبوت » ... الخ

ومن كلام الجرذ الخطيب في إخوانه ، قوله بعد حمد الله والصلاة على النبي بتطويل وتنويع ، موصياً إخوانه بحسن لقاء الساكن الجديد — صفي الدين — راسماً لهم سياسة هذا اللقاء :

« هذه الدار المباركة أول تربة بركم ترابها . وأول أرض مس جسمكم ترابها . فلا يمكن على أيديكم خرابها . ألا وإنها منذ خلا مسكنها من ساكنها ، وتمكن العفاء من أماكنها ، جعلتموها ندوة نهاركم وليلكم ، وحلبة رجلكم وخيلكم ، والآن فقد انجابت عنها أيام البئوس ، وأفلت طوالع النحوس ، ولحظها الدهر بعين الرضا ، وقضى بسعدها فصل القضا . وتولاها نعم المولى . وابتدر لسكناها الصفي الحلي . وفي يومكم هذا يرسل إليكم من يلم شعثها ، ويطهر خبثها . ومتى رآكم بها سارين وفي قرارتها راسبين . كره مغناها ، واتخذ لنفسه سواها . فعاد ربعها كالرمس . ومتى تقبلها إذا قابلها ، أخصب ربعها ، وتعدى إلينا نفعها . ألا وإن من استرشد بحكمتي ، واتبع كلمتي ، أثبته في أمتي ، وأتممت عليه نعمتي » ...

والرسالة تقع في نحو سبع صفحات من القطع المتوسط . وهي فكاهية المنزع إلى حد كبير ، جميلة الأسلوب رقيقة العبارة تمتاز عن رسائل صفي الدين الأخرى ، بالوضوح والسلاسة بالرغم من قيود البديع التي راعاها ؛ ولكنها سلمت من التعسف والثقل . وبها بعض الملتزمات اللفظية التقليدية للرعية في رسائل العصر من نحو « المملوكة » و « تقبل الأرض » و « تنهى » .

واجتمعت بها أغراض كتابية عدة منها الدعاء والشكوى والمدح والوصف والمجون والحكمة .

وقد عرضنا فى هذا المقال لهذه الرسالة لكى تبرز إحدى خصوصياتها الهامة ، وهى القص والحوار . ونستطيع أن نفهم منها أن فكرة النثر التمثيلى كانت تتراءى فى مخيلات بعض الكتاب فى ذلك العصر . وإن نقصها شىء من الإطالة ، والتناسق وحسن الترتيب وقوة الحبكة وروعة الوقائع ودقة الاتصال بينها .

حقاً ! أصبحت القصة فى عصرنا الحديث فى مقدمة فنون القول ، وكذلك التمثيليات . وألف من هذه وتلك ، وترجم عدد لا بأس به . وتناولها النقاد على اختلاف نزعاتهم بالنقد والتنويه والتعليق والتوجيه . وهم يبذلون محاولات جاهدة لكى يقننوا نقدهم ، ويضعوا له الأسس والمناهج ، حتى يعاونوا على تشييد صروح القصة والتمثيلية على دعائم متينة تسمق بفضلها إلى الكمال المنشود . —

غير أننا نكلف الأيام ضد طباعها ، ونرهق الزمن محالا يطيق إذا نحن حاسبنا الأقدمين وفق شروطنا ، ووزنا أعمالهم بموازيننا، ضاربين الذكر صفحاً عن الفروق بين ملابساتنا وملابساتهم ، واتجاه الزمن بنا وبهم .

والذى يحب أن ننوه به هو أن القصة كانت لها حياة ، وكان لها وجود ، فى العصر المملوكى ، ولو إلى حد ما . وأن من مظاهر حياتها — فضلا عن القصة الصريحة — المقامات والمحاورات والمفاخرات والموازنات والرسائل الوصفية ، وتراجم الرجال والأبطال .

وفى مقدمة ما نشير إليه من ذلك كله كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » .

ومؤلف هذا الكتاب هو شهاب الدين أحمد بن عربشاه الطبيب والمؤرخ الأديب صاحب كتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » أصله دمشقى أنصارى ، ولد بدمشق عام ٧٩١ هـ ، وقد هاجر مع أسرته منها حينما دهمها تيمور لنك التترى ، وطوحت به الأيام حتى طاف بآفاق أسيوية عدة ، ثم عاد إلى بلاد الأتراك العثمانيين واشتغل فى ديون إنشائهم ، وأتقن عدة لغات ، ومهر فى جملة علوم . واعتزل العمل بأخرة ، وعاد إلى وطنه . ويمم شطر حلب ، وزار مصر فى عهد سلطانه جقمق العلائى وقال السخاوى إنه لقيه بها عام ٨٥٠ هـ . وقد لبث بمصر حتى وافاه أجله عام ٨٥٤ هـ ودفن بالخانقاه الصالحية .

نعود بعد هذا إلى كتابه « فاكهة الخلفاء » . فهو مؤلف قصصى بديع ، اجتمعت فيه الأمثال واكتنزت به الحكم وتجلت به ضروب الدهاء والحيل ، وغير ذلك من عدالة وصدق وأخلاق إنسانية ، لا بأسلوب فج جامد خشن صريح ، ولكن بأسلوب قصصى جذاب ممتع فيه خيال وتصوير ، فروى على ألسنة الحيوان مما يمشى على أربع ، ومما يطير بجناحين ، ومما زحف على بطنه . فهو إذاً غير مبتكر لهذا الضرب من القص ، فقد سبقه به فى العربية عبد الله بن المقفع أول من سن هذه السنة الحسنة لمن جاء بعده من الأدباء والقصاصين فى كتابه « كليلة ودمنة » غير أن ابن عربشاه كان مبتكراً فى صلب القصص ومتن الحكايات . وقسم الكتاب إلى عشرة أبواب فى كل منها قصة طويلة يستطرد خلالها إلى قصص جزئية أخرى . ومن أبوابها — على سبيل المثال — باب فى نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع ...

وقد جمع ابن عربشاه فى أسلوب قصصه بين طريقة ابن المقفع وطريقة كتاب المقامات وبخاصة الهمذانى والحريرى .

فابن المقفع ابتدع — كما يقال — شخصية «دبشليم» الملك أحد ملوك الهند ، يجلس فى محفله ويطلب إلى شخصية أخرى هى « بيدبا » الفيلسوف أن يحدثه ويضرب له الأمثال ، فيحدثه بيدبا ويقص قصصه على ألسنة الحيوان . وكذلك فعل ابن عربشاه فإنه افترض ملكا عظيما يحدثه رجل حكيم . ولكن بفارق يسير . ذلك أن الملك والحكيم كليهما أخوان لأب واحد كان من قبلهما ملكا عظيما خلف أبناء خمسة . وملك من بعده كبيرهم هذا وعاش الأربعة تحت ظله فى وئام وطاعة ، حتى عصفت بينهم ريح الشقاق والخلف . فتنافرت القلوب وتجافت النفوس وتفرقت الأهواء ، فهال الأمر أصغرهم واسمه « حسيب » وكان حكيما فيلسوفا زاهداً . ولم يتركه أهل النم والوقيعة حتى أفسدوا ما بينه وبين أخيه الملك . فجمعه الملك فى حفل من أعيان دولته ، وأخذ يستطلع علمه وحكمته رغبة فى التشهير به وتسفيهه . ففاض بينهم بحكمه وأمثاله ، وساق قصصه على ألسنة الحيوان ، وتكرر الحفل وتمدد القص ، حتى اعترف له الجمع بالفضل والنبل .

(البقية فى العدد القادم)

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٢ —

تكلمت[1] فى المقال السابق عن تميم مشيراً إلى أنها كانت تسكن جزءاً من نجد .

وأذكر أنها مع القبائل التى تجاورها يشتركون فى بعض اللهجات ، وإذا ما وردت لهجة فى كتب النحو والقراءات واللغة خاصة بنجد كانت شاملة ضمنا لها . كما يغلب أن تشترك القبائل النجدية الأخرى فيما يذكر لهذه القبيلة ، لتجاورهم فى المسكن وقرب اتصالهم . وتميم شاركت أحيانا قبيلة أسد لمجاورتها لها من ناحية وشاركت بكر بن وائل من ربيعة لمجاورتها لها من ناحية أخرى وشاركت لخما المتأثرين بالفرس لمجاورتها لهم من ناحية ثالثة ، وما ذلك إلا لأن تميما منها بطون كثيرة كيربوع وطهية ودارم ومازن وحنظلة . وقد تنفرد كل قبيلة مجاورة لتميم بما يؤثر عنها من لهجات وذلك ما نراه حادثا حتى الآن فى بلدين متجاورين من اختلاف فى معانى الألفاظ أو طريقة أداء الكلمات .

وسأعرض للهجة كل قبيلة مستقصيا ذلك ما أمكن مشيراً إلى ما كان للهجتها من أثر فى القراءات أو اللغة ونحوها وصرفها وأولى اللهجات التى سأذكرها هى لهجة تميم .

١ — ما الحجازية وما التميمية :

تعمل « ما » عمل ليس فى لهجة الحجازيين فترفع الاسم وتنصب الخبر بشروطها . أما عند التميميين فلا تعمل ويكون الاسمان بعدها مرفوعين . وجاء فى القراءات على لغة الحجازيين : « وما منكم من أحد عنه حاجزين » « ما هذا بشرا » و « ماهن أمهاتهم » وقد قرأ عبد الله بن مسعود على لغة التميميين برفع بشر وقرأ المفضل عن عاصم برفع أمهاتهم على لغتهم . وقد تظرف أحد الشعراء النحاة حيث يذكر لنا أنه طلب من محبوبه الانتساب إلى قبيلته فلم يجبه بصريح القول ، وإنما ذكر له تعبيراً فهم منه القبيلة التى ينتسب إليها فقال :

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب : ما قتل المحب حرام

فأجابته « ما قتل المحب حرام » أفادت أنه تميمى لأنه لم يجعل « ما » تنصب الخبر ، ولو قال : ما قتل المحب حراما ، لفهم منه أنه حجازى .

٢ — لغة تميم وكثير غيرهم عدم الفك فى المضارع المضعف المجزوم والأمر : مثل شد ولم يشد قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفى القرآن قوله تعالى : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » فى قراءة القراء ماعدا نافعا وابن عامر وأبا جعفر الذين قرءوها بفك الأدغام وقوله تعالى « لا تضار والدة بولدها » فى قراءة من جعل « لا » ناهية وتضار من الضرر وهم ماعدا ابن كثير وأبا عمرو ويعقوب وابن محيصين واليزيدى الذين جعلوا « لا » نافية فرفعوا وأبا جعفر فى بعض طرقه الذى جعل تضار من ضار يضير وما عدا الحسن الذى فك الإدغام فقرأها لا تضارر . وقوله تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » بالجزم وتشديد الراء رواية أبى زيد عن المفضل عن عاصم ، أما الباقون فبالرفع أو جعلوا الفعل من ضار يضير وجزموا ، وقرأها أبى بن كعب يضرركم مجزومة ، بفك الإدغام .

وقد ورد كثير فى القرآن على لهجة الحجازيين ، منه قوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم » « إن تمسسكم حسنة تسؤهم . إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله . اشدد به أزرى . واغضض من صوتك . واحلل عقدة من لسانى ... » .

وهناك من بنى تميم من يحرك آخر الأمر فى المضعف بحركة فاء الكلمة فيقول مُدُّ بضم الدال تبعاً للميم وعَضَّ بفتح الضاد تبعاً للعين وعِزِّ بكسر الزاى تبعاً للعين . إلا أن القبائل العربية جميعها اتفقت على الإدغام فى هلم وحركت آخرها بالفتح ماعدا قبيلتى كعب وغنى فانهما حركتاه بالكسرة غاية ما فى الأمر أن الحجازيين استعملوا هلم[1] للمفرد والمثنى والجمع تذكيراً وتأنيثاً

(١) ذكر صفوان بن سالم فى المقال السابق وصحته صفوان بن عسال أما سالم فخطأ من الطبعة الموسوية لكتاب الاتقان .

(١) واستعملت هلم فى القرآن على لغة الحجازيين « قل هلم شهداءكم » و « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » .

بدون إلحاق ضمائر وبنو تميم ألحقوا بها ضمير المؤنثة والمثنى والجمع بنوعيه . كما اتفقت قبائل العرب على فك الإدغام فى صيغة التعجب التى على وزن أفعل به فيقولون أحبب بمحمد .

٣ — يجوز الإبدال عند التميميين فى الاستثناء المنقطع التام المنفى ، والمنقطع هو ألا يكون الاسم الذى بعد إلا من جنس ما قبلها ومنه قول الشاعر :

وبنت كرام قد نكحنا ولم يكن لنا خاطب إلا السنان وعامله

وقوله :

وبلدة ليس بهـــا أنيس إلا اليعـــافير وإلا العيس

فالسنان مرفوع وهو بدل من خاطب ، واليعافير مرفوع وهو بدل من أنيس .

قال الزمخشرى فى قوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » إنه استثناء منقطع جاء على لغة بنى تميم أما غير التميميين فيوجبون النصب فى مثل هذا الاستثناء .

٤ — بعض بنى تميم ومثلهم بنو عامر يجعلون إعراب الملحق بجمع المذكر السالم فى آخره ويلزمونه الياء وينونونه إذا كان نكرة ولا يحذفون النون فى الإضافة وذلك فيما عدا عشرين وأخواتها فإنها تعرب كجمع المذكر السالم وقد جاء عليه قول الشاعر :

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

لكن القراءات جاءت على الأكثر : وما أدراك ما عليون الذين جعلوا القرآن عضين . عن اليمين وعن الشمال عزين . فلبث فى السجن بضع سنين .

٥ — يربوع وطهية بطنان من تميم يبنون حيث على الفتح دائماً يقولون : حيث التقينا ومن حيث التقينا بفتح الثاء فيهما وقد قرأ عبيد بن عمير الليثى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » بفتح الثاء والمشهور فى حيث البناء على الضم وبعض القبائل تعربها .

٦ — لغة تميم ومثلهم فى ذلك قيس وأسد وربيعة كسر حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون . وقد قرأ زيد بن على ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير إياك نعبد بكسر النون(١) ، وقرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين المقيلى وأبو نهيك « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » بكسر التاء فيهما ، أما بعض قبيلة كلب فإنهم يكسرون جميع أحرف المضارعة .

٧ — الإمالة لهجة تميم وعامة نجد من قيس وأسد ، وهي الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء لأسباب تكفلت بها كتب النحو والقراءات وأشد القبائل حرصاً على الإمالة تميم وفى الحجازيين إمالة قليلة إلا أنها فى الإنحاء بالفتحة نحو الكسرة وجميع القراء الأربعة عشر أمالوا ما عدا ابن كثير وابن محيصين المكيين . والذين أمالوا لهم شروط خاصة وقد يتفقون وقد يختلفون . والفتح يقابل الإمالة فى اصطلاح القراء . وفى القراء من تقل إمالته كابن عامر وفيهم من تكثر والمكثرون منهم من يميل إمالة صغرى كطريق الأزرق عن ورش ومنهم من يميل إمالة كبرى كحمزة والكسائى وخلف ومنهم من يكون بين الصغرى والكبرى كأبى عمرو ، فمثلا حمزة والكسائى وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن فى اسم أو فعل وكل ألف تأنيث على فعلى بضم الفاء وكسرها وفتحها كطوبى والسلوى وذكرى ، وألحقوا بذلك موسى وعيسى ويحيى وكل ما كان على وزن فعالى بالضم أو الفتح كسكارى ونصارى وكل ما رسم فى المصاحف بالياء نحو بلى ومتى واستثنوا من ذلك حتى وإلى وعلى وما زكى فلم تمل بحال وأمالوا من الواوى ما كسر أوله أو ضم كالربا والضحا وأمالوا وأمال غيرهم من القراء غير ذلك مما لا يحصره بحثنا الآن .

٨ — النبر والتخفيف فى الهمز :

أحرص العرب على تحقيق الهمزة تميم . وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا قال ابن منظور فى لسان العرب « أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا » . وفى الرضى على الشافية « تخفف الهمزة قوم وهم أهل الحجاز ولا سيما قريش » هذا وبعض تميم فى الهمزة التى تكون آخر الكلمة وقبلها ساكن عند الوقوف عليها يبقون الهمزة ويتبعون العين الفاء فى الرفع والنصب والجر فالبطء بضم فسكون والردء بكسر فسكون والخبء بفتح فسكون يقولون فيها هذا البطؤ بضم الباء والطاء والردىء بكسر الراء والدال والخبأ بفتح الخاء والباء ، ومن تميم من يبقى الهمزة وبلقى حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا وذلك فى حالة الوقف فيقولون هذا البُطُؤ بضم الباء والطاء ورأيت البطأ بضم ففتح ومررت بالبطىء بضم فكسر

(١) قرأ عبيد بن عمير وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش « نستعين بكسر النون. » .

أما الحجازيون فإنهم يحذفون الهمزة وينقلون حركتها إلى ما قبلها إذا كان ساكنا فإذا كانت آخر الكلمة حذفوا الهمزة ووقفوا على ما قبلها إذا كان ساكنا وفى حالة التنوين فى المنصوب وقبل الهمزة ساكن يقلبون التنوين ألفا لا غير ويحركون السكون قبلها يقولون رأيت بطا وردا وخبا . والتى قبلها متحرك تدبر بحركة ما قبلها فالخطأ تقلب ألفا دائما رفعا ونصبا وجرا وأكثؤ تقلب واوا دائما وأهنئ تقلب ياء دائما وقد روى أن قوما من جهينة جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بأسير وهو يرعد من البرد فقال لهم « ادفوه » أراد عليه السلام ادفئوه من البرد فحسبوا أنه يريد الإجهاز عليه من قولهم دفوت الجريح أدفوه دفوا إذا أجهزت عليه فذهبوا به وقتلوه فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم ديته .

وإن اختلاف القراء فى التخفيف والنقل واسع جدا وأكثر ما ورد التخفيف من طريق القراء الحجازيين كابن كثير وابن محيصين المكيين ونافع وأبى جعفر المدنيين وأبى عمرو التميمى البصرى لأن مادة قراءته عن أهل الحجاز . ومما يلحق بهذا أن التميميين يقولون فى الأمر من سأل اسأل وقد وردت كثيرا فى رواية حفص عن عاصم : فاسأل الذين يقرءون الكتاب . واسأل القرية . فاسأل بنى إسرائيل . فاسأل به خبيرا . واسألوا الله من فضله » . أما الحجازيون فيقولون فى الأمر سل ، وقد جاءت فى رواية حفص أيضا « سل بنى اسرائيل . سلهم أيهم بذلك زعيم » وبعض القراء كابن كثير ، يقرأ ما جاء فى رواية حفص بلغة الحجازيين فيحذف الهمزة وينقل حركتها إلى ما قبلها فمثلا : واسأل القرية يقرؤها وسل القرية » .

٩ — لغة تميم تسكين الوسط المتحرك تخفيفا قال السيوطى فى كتابه الإتقان(١) : قال أبو عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلا حرفا واحدا وهو عشرة إذا ركبت مع احدى واثنتين إلى التسع فانهم يجزمونه ، وأهل نجد يتركون التفخيم فى الكلام إلا هذا الحرف فانهم يقولون عشرة بالكسر : وقد قرأ جمهور القراء بسكون الشين وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وابن أبى ليلى والمطوعى عن الأعمش بكسر الشين وذلك فى قوله تعالى « اثنتا عشرة عينا » . هذا وقد ورد فى القرآن كثير من الألفاظ قرئت باسكان وسطها وتحريكه كرسلنا وخطوات ونهر ولا يمكن حصرها وحصر قرائها فى مقال ، وقال جرير على طريقة التميميين :

ســـيروا بنى العم والأهواز منزلكم
ونهر تيرى فما تعرفكم العــــرب

باسكان الفاء من تعرفكم مع أنه لم يسبقه جازم .

ومما يلحق بهذا الإسكان ضمير الغائب والغائبة هو وهى ، فالتميميون إذا سبقه الواو(١) أو الفاء أو اللام أو ثم ، يسكنون الهاء . وهى تجرى بهم . وهو بكل شىء عليم . فهو خير لكم . فهي خاوية . لهى الحيوان . ثم هو وقد قرأ أبو عمرو والكسائى ونافع من رواية قالون والحسن واليزيدى بالإسكان وأبو جعفر فى أغلبها بالإسكان ، أما الحجازيون فإنهم يتركون الهاء على حركته بدون تسكين وهو ما جرى عليه باقي القراء .

هذا ولا يفوتنى أن أذكر أن إسكان الوسط يكون عند اجتماع ثلاث حركات وأن قبيلة أسد وبعض سكان نجد يشاركون تميما فى ذلك كما أن بعض القراء لا يسكن الحرف ولا يحركه وإنما يجرى على ما يسمونه اختلاسا وهو الإتيان بأكثر الحركة فمثلا « بارئكم » قرئت بكسر الهمزة وباسكانها وباختلاس الكسرة .

١٠ — لغة تميم فى « أنا » ضمير المتكلم إثبات ألفه وصلا ووقفا أما غيرهم فإثبات الألف وقفا وقد قرأ نافع(١) وأبو جعفر مع أنهما مدنيان باثبات الألف فى الوصل فى مثل قوله تعالى : « أنا أحيى وأميت » . أما باقى القراء فبالحذف وصــــلا .

١١ — « هيهات » لغة تميم فيهــا بناؤها على الكسرة ، وكذلك قبيلة أسد وبها قرأ أبو جعفر « هيهات » ، أما لغة الحجازيين فبناؤها على الفتح ، وبها قرأ الباقون .

١٢ — اللذان واللتان وهذان وهاتان لغة تميم فيها تشديد النون وكسرها وبها قرأ ابن كثير مع أنه مكى أما باقي القراء فبكسر النون بدون تشديد .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوى

---

(١) وقال السيوطى في موضع آخر من كتاب الاتقان ، إن تسكين الشين لغة تميم وكسرها لغة الحجاز وفتحها لغة بلى . لكن الرواية السابقة صريحة فى أن كسر الشين من عشرة انفردت به تميم . وفى تفسير البحر ما يؤيد ذلك وفى لسان العرب ما يؤيد ذلك أيضا .

(١) والهمزة أيضا لأنها تجعل الضمير معها كالكلمة محركة بثلاث حركات قال الشاعر :

فقمت للطيف مرتاعا وأرقنى ‏ ‏ فقلت أهى سرت أم عادنى حلم

(٢) قرأنا نافع أيضا « إنى ليحزننى أن تذهبوا به بضم الياء وكسر الزاى ، وهى لغة تميم من أحزن ، أما باقى القراء فبفتح اليـاء وضم الزاى من حزن .

محمد إقبال

شاعر الشرق والإسلام

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

للأستاذ مسعود الندوي

— ٤ —

نعم ، شعره منقسم إلى قسمين : نوع لا يدرك كنهه إلا الذين أوتوا حظاً وافراً من العلم ، والذوق الأدبى ، وهو الذى أخرجه للمتعلمين والمتأدبين خاصة ، وفيه فلسفة وشعر وحكمة وانتقاد لنظريات فلاسفة الغرب وآرائهم . وقسم فيه الدعوة إلى الجهاد وإيقاظ النائمين من سباتهم وإماطة اللثام عن وجه الحضارة الغربية والسياسة العصرية وغيرها من المظات وأسرار الطبيعة ؛ وهذا يمكن فهمه والانتفاع به لكل من له إلمام بالشعر والأدب. وفوق ذلك أن بعض كلماته كالشكوى إلى الله (شكوه) وشكاة الأمة إلى نبيها (فرياد أُمّتْ) تُنشدها العامة وتهتز لها طرباً ، لأن الشاعر أعرب فيها عن عواطف جمهور الأمة فصادفت هوى فى قلوبهم . وأضرب لك مثلاً بكلمته الشهيرة السائرة الشكوى إلى الله (شكوه) التى شكا فيها الأمة ورفع شكاتها إلى الله تعالى من إنعامه على الكافرين وإغداق النعم عليهم وسوء حال المسلمين فى العالم وغيرهما من أمور يشكو منها المسلمون فى هذا العصر ويتذمرون عليها فى هذه الحياة الدنيا . وقد بدأها الشاعر بقوله :

« ربنا اسمع قليلا شكوى عبادك الأوفياء المخلصين ، واستمع هنيهة لشكاة الذين تلهج ألسنتهم دائماً بالثناء عليك ، ولا ريب أننا معروفون بالصبر والاستسلام للقضاء ، لكننا نسمعك الآن نفثات القلوب المكلومة لأن نوائب الأيام أجبرتنا على ذلك » .

إلى أن رفع عقيرته قائلا :

« كان يسكن هذه المعمورة السلاجقة والطورانيون ، وكذلك كان أهل الصين فى الصين والساسانيون فى بلاد فارس وأيضاً كان يقطن اليونانيون بهذه الأرض الواسعة . ولكن قل لى بنفسك : أيهم تناول السيف بيده لإعلاء كلمتك ؟ وأيهم قام لإصلاح المجتمع وقطع دابر الفساد من الأرض ؟ »

وهكذا ذهب به كل مذهب فى هذه الشكوى حتى خاطب ربه متألما :

« رحمتك تتوالى على الأجانب ودورهم ، أما المسلمون فليس من حظهم إلا رعود النوائب وبروقها ؛ والبلية كل البلية أن الكفار ينعمون بحور مقصورات وقصور مشيدة ، والمسلمون المساكين يملون بوعود الحور فقط » ؟

وتخلل هذه الشكوى كثير من مزايا الأسلاف وخصائص أعمالهم الجليلة التى افتخر بها الشاعر أمام ربه كقوله فى وصف المجاهدين الأولين :

وكلما حانت الصلاة أثناء صليل السيوف ، ولت الأمة الحجازية وجهها شطر القبلة وسجدت لله تعالى شاكرة ووقف محمود (الأمير) وإياز (المملوك) فى وصف واحد فلم يبق هنالك عبد ولا مولى ، وأصبحوا جميعاً عبيداً لله ؛ واتحد العبد والمولى والفقير والغنى ، ولما وصلوا فى حضرتك ، صاروا وحدة جامعة وكتلة متراصة » .

وكلمة (شكوه) هذه سائرة مسير المثل فى طول بلاد الهند وعرضها . وكذلك يضاهيها فى الشهرة والقبول جواب الشكوى (جواب شكوه) التى رد فيها الشاعر على كل بيت من شكواه وذلك بلسان الله عز وجل ، وكلتاهما أشهر من « قفانبك » ، وقد ترجمت بلغات عديدة . ولكن العارفين بدخائل الكلام يرون أن الشاعر لم يكن موفقاً فى الرد مثل نجاحه فى عرض الشكوى . وذلك غير بعيد من شاعر مطبوع متألم من مصير بنى قومه ، وهو فى ريعان شبابه . وعلى كل فإن الشاعر نجح إلى حد بعيد فى إرشاد إخوانه إلى مواطن ضعفهم فى الدين والأخلاق

هذا وقد عرفت ما بلغه الشاعر الحكيم من علو الفكر ، وسُمو البيان فى الدور الثالث من حياته الشعرية ، نريد أن نعرف القراء بشىء من غرر شعره وفرائد حكمه فى الدور الرابع من شاعريته حينما جاوز حد الفتوة ، وأصبح فى عداد الحكماء أكثر منه فى الشعراء . ولكن حكمه منتثرة فى مطاوى دواوينه ، كثيرة متنوعة فى مواضيعها ، بحيث لا يمكن تقدير إحاطتها وتنوعها

بعدة من الأمثلة ، ولذلك يجدر بالمقام أن نبتدئ أولا بذكر دواوينه والإشارة إلى مواضيعها ، ليكون القارئ على بينة من كثرة منظومه وتنوع أفكاره وحكمه ، ثم نلخص نتفاً من آرائه السديدة وحكمه البالغة . أما دواوينه الشعرية ، فهاك بيانها :

١ — بانك درا (صوت الجرس) : مجموعة شعره (باللغة الأردية) فى الأدوار الثلاثة الأولى ، وأكثرها دعوة إلى الجهاد وتذكير بالماضى واستهزاء بالحضارة الجديدة فى التعليم العصرى ونتائجه السيئة .

٢ — أسرار خودى (أسرار فلسفة الذاتية أى فلسفة الاستقلال بالرأى والعزم) : وقف الشاعر هذا « المثنوى » (نوع من الشعر الفارسى) لإيضاح فلسفة « خودى » وبيان نتائجها ، مستدلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية . وفيه تفسير لسورة الإخلاص نفيس فى تبيين هذا المعنى ، وذلك بلسان سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وقد ترجم هذه المجموعة الدكتور نكلسن بالإنجليزية وهذا الديوان أيضاً من آثار شبابه

٣ — بيام مشرق (رسالة الشرق) : نظم الشاعر هذا الديوان رداً على (الديوان المغربي) للشاعر الألمانى الشهير (غوته) وبين فيه الحقائق والحكم التى تساعد الأمم على تربية عقولها وتثقيف أبنائها بثقافة ناضجة محكمة . وقد أضاف إليه الشاعر مقدمة ممتعة بين فيها ما كان للأدب الفارسى من تأثير فى الأدب الألمانى ، وأن ديوان غوته المعروف « بالديوان المغربى » أيضاً نتيجة من نتائج هذا التأثير . وهذا أول الدواوين التى نشرها فى الدور الرابع من حياته الشعرية . وقد تلقاه أهل الأدب فى الشرق والغرب بالقبول . وكان الشاعر أهداه إلى الملك أمان الله خان ، ملك بلاد الأفغان وقتئذ ، حيث كانت الأمة قد عقدت عناصرها عليه وكان صاحبنا يرجو منه شيئاً كثيراً فى سبيل أحكام أواصر الأخوة الإسلامية وتوطيد دعائم المجد الإسلامى .

٤ — زبور عجم (زبور العجم) للناس أقوال فى تفضيل بعض دواوينه على بعض ، حتى إن بعض الشبان الثائرين يفضلون ديوانه الأول « بانك درا » على جميع دواوينه لكونه مشتملا على روح الثورة والجهاد . ولكن جميع الناقدين متفقون على أن « زبور عجم » شعر ، كما أن « أسرار خودى » فلسفة و (بيام مشرق) حكمة . وفى هذا الديوان من مكنونات أسرار الحياة وغوامض الحكم ما تهش له النفس ويفرح به القلب ،

٥ — « جاويد نامه[1] » سلك فيه الشاعر مسلك المعرى فى رسالة « الغفران » و « دانتى الإيطالى فى ديوانه « Divine Camedey » حيث صاحب الحكيم العارف بالله جلال الدين الرومى وارتقى معه درجات السماء فى عالم الخيال ، فلقى هنالك أرواح المجاهدين وأسرَّ إليها بذات نفسه ووصف لها أدواء الأمة واستفسر عن دوائها ، فوصف له الدواء الناجع أمثال السيد جمال الدين الأفغانى و « والسلطان الشهيد » (تيبو سلطان[2] ملك ميسور الشهيد) وسعيد حليم باشا ، وحمل حملة شعواء على اللورد كتشنر بلسان المهدى السودانى وأنَّبه على نبش قبره تأنيباً شديداً . وفى الديوان كلمة حكيمة حماسية من السودانى إلى ملوك العرب ، ابتدأها لسان الشاعر بقوله :

« فؤاد[3] وفيصل وابن سعود » .

والتى قال فيها : « ذاك بطحا خالد دبكر بزاى »

ياليت أرض الحجاز أنجبت خالداً آخر .

وكذلك بلغ الشاعر حد الإعجاز فى تصوير الخيانة والغدر فى أبشع صورة ، حينما ذكر جعفراً[4] وصادقاً[5] ، وقال إنه رآهما مطروحين من وراء النار ، لأنها استنكفت من دخول الخائنين فيها . وأى بيت أبلغ فى ذم الخائنين من قوله فيهما :

جعفر اذ بنكال وصادق أزدكن ننك آدم ، ننك دين وطن

جعفر البنغالى وصادق الدكنى

كلاهما عارٌ للانسانية والدين والوطن

« يتبع » **مسعود الندوى**

---

(١) سماه باسم نجله « جاويد » سلمه الله ، وكان إذ ذاك صبياً . و « جاويد » كلمة فارسية معناها « الخلد » . ففى هذه التسمية تورية كما لا يخفى .

(٢) علم من أعلام الجهاد فى الهند الإسلامية ، وطود من أطواده الشامخة ، قتل شهيداً على باب حصنه وهو محاط بجنود الانجليز ، ويلقب فى التاريخ الإسلامى بالسلطان الشهيد . (٣) « ال » معناه « يا »

(٤) الوزير جعفر ، كان وزيراً لصاحبه وولى أمره ، سراج الدولة فى بنغال ، نخانه وغدر به فى حرب « بلاسى » التى انكسرت فيها قوات سراج الدولة ؛ وكانت هذه الوقعة هى السبب الأعظم فى رسوخ قدم الإنجليز فى الهند ، فأصبح مضرب المثل فى الغدر والخيانة . أما سراج الدولة فيعده المسلمون والهنادك جميعاً بطلا من أبطال الحرية .

(٥) صادق هذا كان وزيراً للسلطان الشهيد الميسورى ، وقد خانه إذ أطلع الأعداء على مواضع الضعف فى الحصن . ودلهم على تدابير السلطان الشهيد الحربية الاستراتيجية — حسب تعبير أهل العصر — فكان سبباً فى انكسار السلطان وسقوطه فى معترك الجهاد ، وهو مثخن بالجروح ولا يزال قبر صادق معلوماً بجنب قبر السلطان الشهيد ، حيث يبصق عليه كل من يجيء لزيارة الشهيد والدعاء له وتسكاب دموعه على ضريحه .

عـــودة

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

إنى رجعت وكل إحساس فؤاد شـــيق
فى جانبىَّ تلهف وبناظرىَّ تشــوق
وعـــلى المحيا بسمة بحنين قلبى تنطق
ويفيض من عينى هيام جامـــح يتدفق
ويكاد قلبي بالتشوق والتوجـــع يشرق
وأكاد من فرط الصبابة يا حياتى أصعق
هيهات بعدك يا حبيبى فـــرحة تتألق
مـذ غبت عنى لم يزل قلبى بعهدك يخفق
وإلى ظـــلالك يا حبيبى لم يزل يتشوق
واليوم وحدى قد رجعت على سماك أحلق

ورجعت لست بمبصر شيئاً ولست بشاعر
تمتادنى أوهام إحساسى وومض خواطرى
ويهزنى شـــوق تدفق ثائراً بذوا كرى
وتسوقنى أصـــداء أيامى وعطر أزاهرى
وتحيط بى ذكَرُ العهود توثبت بمشاعرى
فهنا تضرعُ عاشـــق . وهنا تدلُّل ساحر
وهنا رماد الذكريات الزُّهر عفر ناظرى
ورجعت ليتك قـــد رجعت معى لعهد غابر
كانت لنا دنيا وكنت بهـــا سعادة شاعر
واليوم وحـدى قد رجعت فيا لقلب سادر

فى كل ركن ها هنا ذكرى تجن لمقدمى
وأكاد ألمس لفحها يجرى ويصرخ فى دمى
فبكل غصن كنت تبصره تلفت مغـــرم
وبكل طـــير كنت تسمعه حنين متيم
إنى رجعت وفى دمى شوقى وشعرى فى فمى
وعبير ثغرك لم يزل يسرى بعطر مبسمى
وحنانـــك الدفاق غامرُ قلبىَ المتحطم
وســـنا عيونك رغم بعدك لم يزل كالأنجم
شفت دوا كن وحدتى وسرت بقلب مظلم
فـكأنها الأمـــل البعيد بدا بأفق مبهم

سل عن سهادى كل نجمٍ فى سمائك ساهر
الليـــل يصحبنى وأصحبه لوهم ســـادر
وأبثه شـــوقا بقلبى كاللهيب الساعر
ويلفنى بســـكونه وألفه بمشاعرى
وأحس بين نجومه طيفاً يضىء بخاطرى
وبعيد أيامى ويغمر بالعبـــير أزاهرى
أنا واهم ياليـــل ، رفقاً بالشريد الحائر
أنا واهم أحسو السراب بخاطرى وبناظرى
أنا واهم ، أنا واهم ، من لى بهـــدْى غامر
يأتى إلى قلبى الرجاء فلا تضل سرائرى

أنا واهم . هل هذه الأطلال تعلم ما بيه ؟
أنا واهم . ثارت بقلبى ذكريات ضاريه
وطغى على عينى السراب وطوقتنى الغاشيه
فحسبت أنك قد رجعت ، وإن روحك حانيه
ياليت أنى ما رجعت إلى ظـــلالك ثانيه
لم ألق غير توجعى . لم ألق غـــير الهاويه
لم ألق غـــير عهودنا تبكى وتصرخ ناعيه
فى مهجتى خدع الظنون على سرابك جاريه
وبناظرى لجج التشوق نحو ظلالك ساريه
وأنا هنا ... وظلال حبى فى الفؤاد كما هيه

حسين محمود البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أسلحة من براغ :

نشرت إحدى الصحف الأسبوعية لمراسلها من براغ ، أن اللغة العامية المصرية وغيرها من اللغات العامية بالأقطار العربية تدرس في كثير من جامعات العالم وفي جامعة براغ ، كما تدرس فيها اللغة العربية « الكلاسيكية » واسترعى انتباهي ما قصد إليه الكاتب من تعظيم شأن العامية على حساب الفصحى . . وخاصة قوله :

« ويعتقد كثير من أعلام المستشرقين الأوربيين أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة الفصحى وتحل محلها يوماً ما فتصدر الصحف وتطبع الكتب باللغة الدارجة التي يتكلمها الشعب وتبسط الكتب الدراسية وتنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية وحظها بعد أن تفرعت عنها اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية » .

وأنبه أولا على أن هذا الكلام من « براغ » عاصمة تشيكسلوفكيا أو العاصمة الصهيونية الثانية بعد تل أبيب . . . كأن لم يكفها إمداد اليهود في فلسطين بالأسلحة والعتاد الحربي لمحاربة العرب ، فأراد دعاة الصهيونية هناك أن يصوبوا سهماً إلى لغة العرب الجامعة بينهم ، لتتحقق أحلامهم في تفريق العرب ، فهذا حلم يبدو لهم جميلا ، وأي شيء أجمل لديهم من أن تنهزم العربية وتتقهقر لتحل محلها اللغات العامية ، ولكل شعب من الشعوب العربية عاميته ، فيصدر بها الصحف ويؤلف الكتب ، فتنال اللغة العربية نصيب اللغة اللاتينية ، وتنحل رابطة اللغة بين أقطار العرب ؟ . . .

وذلك من غير شك سهم طائش ، وليس هذا أول كلام قيل في هذا الوضوع ، فقد سبقته محاولات خائبة ، تتحد معه في الغاية والمرمى ، وإن كان لكل منها مصدره وباعثه . . . فالغاية أن تنمحي اللغة العربية وتتفرع عنها لغات كالإيطالية والفرنسية . . . الخ ، والبواعث شتى ، فمن أعجمي لا يبين ، ومن عامي يريد أن يكون شيئاً ، ومن متظاهر بالتقدمية الحمقاء ، ومن شاعر في أحشائه بلذعة الفلفل من العروبة . . . فيتبرد مرة بالفرعونية ، ويتذرع أحياناً بالعامية . . . ثم جاءت الصهيونية في آخر الزمن تريد أن تساهم في هذه الخيبة . .

ولا شك في حسن نية الصحيفة التي نشرت ذلك الكلام أو — على التدقيق — في غفلتها . . . وكان عليها أن تتنبه له ولبعض العاملين في تحريرها من ذوي المحاولات القديمة الخائبة . ومن يدري فقد يغزو صحفاً أخرى مراسلون من براغ . .

ولتدرس جامعة براغ أو أي جامعة أخرى ما تدرس ، وليتعلم بها العامية نفر من أبناء بلادها أو غيرهم ، فهل هؤلاء هم الذين سيصدرون الصحف ويؤلفون الكتب باللغة الدارجة المصرية ويكتسحون ويفرعون ؟ . ثم من هم المستشرقون الذين يعتقدون أن اللغة الدارجة المصرية سوف تكتسح اللغة العربية الفصحى . . الخ ؟ لم يذكر لنا الكاتب اسم واحد منهم ، وأكبر الظن أن هؤلاء الذين سماهم « أعلام المستشرقين الأوربيين » إما أنهم صهيونيون وإما أنهم أشباح تمثل أحلام ذوي المحاولات الخائبة والسهام الطائشة .

وبعد فكيف تنال اللغة العربية نفس نصيب اللغة اللاتينية ؟ لقد تفرعت اللغات الأوربية الحديثة عن اللاتينية القديمة مع النهضة التي قامت اللغات الجديدة بأعبائها ، وكانت مظهراً من مظاهرها ، وهذا يختلف عن حال اللغة العربية كل الاختلاف ، إذ وسمت اللغة الفصحى النهضة العربية الحديثة واستقلت بها ، فهي لغة الآداب المصرية ولغة الكتابة والتأليف في سائر الفنون والعلوم ، أي أنها واجهت النهضة وقامت بأغراضها وعبرت عنها وأصبحت لغتها وانتهى الأمر ، فلم تخل مكانها لتحل محلها لغات متفرعة ؟ أمن أجل سواد عيون الوعول التي تكسرت قرونها . . أم لتحقيق أحلام الصهيونية في تمزيق الأمة العربية ؟

عزيزتي الآنسة أم كلثوم :

قرأت في أخبار اليوم أن محطة الإذاعة يتجه تفكيرها إلى الاتفاق معك على أن تدفع لك ألف جنيه في الشهر مقابل إذاعة أغنياتك المسجلة حسبما ترغب ، بدلا من أن تدفع خمسين جنيهاً عن إذاعة كل مسجل من هذه الأغاني .

ولم أتبين مقصد الإذاعة من ذلك ، أهي تريد الاقتصاد ... لأن عدد إذاعة المسجلات في الشهر مضروباً في خمسين جنيهاً يساوي أكثر من ألف جنيه ... أم أن حاصل الضرب أقل من ذلك وتريد زيادة التقدير أو تلبية رغبة في الزيادة ؟ .

والواقع على أي حال أنها تدفع لك مبلغاً كبيراً لا يقل كثيراً عن الألف في الشهر مقابل أغنيات أخذت ثمن كل منها ثلاثمائة جنيه عند التسجيل .

وأنت تستحقين كل خير ، وفنك العالي لا يقدر بمال . ولكن محطة الإذاعة ... محطة الإذاعة مسكينة (غلبانة) أعني هؤلاء الفنانين والفنانات الذين يأخذ أحدهم مقابل الحفلة الغنائية خمسة عشر جنيهاً يقاسمه فيها أفراد (التخت) والمؤلف ، وأعني الذين لا تعطيهم المحطة أجراً على إذاعة مسجلاتهم كما تصنع معك وحدك ، وأعني الذين تضيق بهم المحطة ورجالها وإن كانوا ممتازين في فنهم ، وأعني كل فكرة أو مشروع إذاعي نافع يقف في سبيله ضيق الميزانية ، ثم أعني هؤلاء الذين يسمون لإرضائك ويرضخون لقوة شخصيتك . فارحمي كل أولئك المساكين وكوني عادلة مقتصدة في معاملة الإذاعة ، عامليها مثلا كشركة (بيضافون) التي كانت تعطيك ثمن التسجيل ، ثم تبيع (الاسطوانات) ولا يدفع إليك كل من يدير (اسطوانة) في (الفنغراف) أي شيء .

يا كروان الشرق ، إن كنت تريدين المال فبعض هذا يكفي ، وإن كنت تريدين إعلاء الفن فلست في حاجة إلى إغلائه ؟ فقد أعليته حتى بلغت به سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم .. واعلمي أنك من الأعلام الخالدين وأنك لا تقلين إن لم تزيدي عمن خلدهن أبو الفرج في « الأغاني » مع الفارق الذي به تفوقينهن ، من حيث ما أضفاه عليك روح العصر من استقلال الشخصية والكرامة العامة .

فأسألك بالله وبحق الفن ، أن ترأفي بحال الإذاعة ، فهي لك مطواعة ، وتبذل من أجلك ما فوق الاستطاعة ، وغيرك لا ينال إلا بالشفاعة . وتفضلي بقبول تحيتي واحترامي .

« حسونة » الإنسان :

هو ذلك الشاب الأعرج بياع الصحف الذي ظهر في فلم « اليتيمتين » إنساناً ينبض قلبه بالعطف والحب والخير ، برغم سوء بيئته ورقة حاله . يرى فتاة ضريرة ضالة فيشفق عليها . وتقع هي فريسة في يد أمه الشريرة الضارية ، فتستغلها في بيع ورق « اليانصيب » وتعاملها بقسوة ووحشية ، فيتألم لها حسونة أشد الألم ويبذل وسعه في التخفيف عنها ومقاومة أمه وأخيه الذي يماؤها على قسوتها ، حتى يستطيع آخر الأمر أن ينقذها من براثنهما . وكم كان مشهده رائماً وهو يحضر لها ما يقدر عليه من الطعام ويهيء لها شيئاً من الفراش ويصنع لها على السلم درابزيناً لتتحسسه وايقيها السقوط في صعودها وهبوطها . كان حسونة في هذا الفلم نبضة إنسانية رائعة ، من النبضات التي تخلد الفنون ، وهو مثل ينبغي أن ينظر فيه السينميون المصريون ليروا كيف يمكن أن تكون السينما فناً رفيعاً لا مجرد استعراض للتهتك الذي يتخلله الوعظ المكشوف .

وفلم اليتيمتين الذي عرض بسينما الكوزمو ، لم يذكر له مؤلف ، وأكبر الظن أنه مقتبس ممصر ، من تلك الأفلام التي تنسب إلى المخرج فقط ، وإن كانت حادثته تبدأ بلقيطة وتنتهي بلقاء الوالدة وابنتها بعد ما كبرت وجرت عليها حوادث القصة ، فهذا قالب من القوالب المعروفة التي يتكرر صب القصة في كل منها بالأفلام المصرية ؛ فإن كان هذا الفلم ممصراً فقد أجيد تمصيره حتى بدت فيه ملامح البيئة المحلية وقوامها كأنه مصنوع على قدها ... أما إن كانت القصة إنشاء مصرياً فمن هو المؤلف الفنان الذي أبدع حسونة الإنسان ؟ .

مؤامرة نفرين تتكرر :

ألقى البكباشي عبد الرحمن زكي محاضرة يوم السبت الماضي بنادي الاتحاد الثقافي المصري ، عن ابراهيم باشا في تاريخ مصر الحربي ، فبين مزايا البطل العظيم في الناحية العسكرية بالقاء

نظرات على ميادين القتال التي خاضها ، وعرض لحملته على الموره وبلاء الأسطول المصرى فى مياهها ، فقال إن الجيش المصرى كان يحارب فى بلاد الموره أوربا كلها التى كانت تمد اليونانيين بالرجال والأسلحة والعتاد ، وانتهزت انجلترا وفرنسا وروسيا فرصة انشغال ابراهيم باشا بتنظيم الجيش البرى وتآمرت على السفن المصرية فكانت موقعة نفرين المشهورة التى كانت فى الحقيقة مؤامرة ولم تكن موقعة ، لأن أساطيل هذه الدول أخذت الأسطول المصرى والتركى على غرة .

والواقع أن موقعة نفرين حادث من الأحداث التى بدا فيها التعصب الغربى ضد الشرق ، ومن قبلها الحروب الصليبية ، ومن بعدها معارك فلسطين الجارية ، فالغرب فى القرون الوسطى هو الغرب فى القرن التاسع عشر ، وهو هو فى القرن العشرين ؛ وهو بعد الذى يرمى الشرق بالتعصب ..

عوائق الفكر المصرى :

قال الأستاذ إبراهيم المصرى فى مقال بالعدد الخاص بعيد الجهاد من أخبار اليوم : « إن هناك ثلاثة أخطار تهدد مستقبل الفكر المصرى هى : إغراء السهولة ، وضعف النقد ، ونقص الحرية » ثم فصل ذلك بقوله إن الكاتب قد شعر بقوة الصحافة فأصبح لا يحفل فى الغالب بالفكر المتئد الناضج العميق ، قدر احتفاله بالفكر البسيط السهل يذيعه فى مختلف الصحف ويتقاضى عليه أجراً كبير لا يكلفه طويل عناء . والفكر لا ينهض بدون نقد ، وظل النقد قد تقلص اليوم فى مصر ، فمعظم الصحف والمجلات تشير إلى الكتب الجديدة دون أن تبحثها وتحدد قيمتها وقيمة أصحابها ، وحرية الفكر المصرى ما تزال مقيدة ، فهو إن مس التقاليد سخط عليه المحافظون ، وإن بحث فى العقائد نقم عليه الرجعيون ، وإن نقد نظام المجتمع ثار عليه البيروقراطيون واستبدوا به واضطهدوه شر اضطهاد .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث :

يشرف « الاتحاد الأممى للمجامع العلمية » على إصدار « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » الذى رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين من مختلف الأقطار يبلغ عددهم اثنين وأربعين مستشرقا ، وتولى الدكتور ا . ى . ونسنك طبعه بمطبعة بريل فى مدينة ليدن بهولندة ، ونشر منه أحد عشر فصلا يحتوى كل منها على تسعين صفحة من أكبر قطع ، وبعد وفاته استأنف العمل الدكتور ى . ب . منسنج فوصل إلى الفصل السابع عشر .

وهذا المعجم موضوع عن كتب الحديث الستة المعروفة وثلاثة أخرى هى مسند الدارمى وموطأ ابن مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل . وطريقته وضع جزازة لكل نقطة من ألفاظ الحديث الواردة فى هذه الكتب التسعة ضمن الجملة التى هى فيها ، ثم الدلالة على موقع هذه اللفظة من هذه الأصول التسعة بتوضيح إسم الأصل ثم إسم الكتاب ورقم الباب أو رقم الحديث سواء أكانت هذه اللفظة فى أصل واحد أو أكثر . أما فيما يختص بمسند أحمد فبما أنه لم يطبع إلا طبعة واحدة ، ففيه الدلالة على الحديث بتعيين رقم الجزء ورقم الصفحة .

وقد وصل العمل فى آخر جزء ظهر إلى مادة صبر من حرف ص . ويقدر إتمام المعجم فى مثل ما ظهر من الأجزاء أى نحو سبعة عشر جزءاً أخرى . وقد احتاج المشرفون عليه إلى إعانة مالية تمكنهم من مواصلة العمل ، فجاء الدكتور منسنج إلى مصر فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ، وقابل فيمن قابل معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بقصد أن يرعى هذا العمل ويعده بالإعانة ، ثم سافر بغتة دون أن يتم الاتفاق ولما افتتح المجمع مؤتمره السنوى فى أول هذا العام ذكر لطفى باشا فى جلسة الافتتاح أن من ضمن أعمال المجمع القيام بعمل المعجم المفهرس للقرآن وللحديث . وعلى أثر ذلك تحدث معه الأستاذ فؤاد عبد الباقى ، فأشار إلى أن الأولى بالمجمع أن يعين على إتمام معجم المستشرقين بدل أن يتكلف إنشاء العمل ، فطلب منه الباشا أن يكتب إلى المشرفين عليه ليبينوا ما يلزم لإتمام طبع المعجم وما يحتاج إليه العمل من المال سنويا ونصيب مصر مقابل الاتفاق على طبعه ، فكتب ، ولم يرد الرد المطلوب إلى الآن .

وفى انتظار الرد أحيل الموضوع إلى مكتب المجمع ، فاعتذر بعدم كفاية الميزانية للقيام بالإعانة المطلوبة ، ولكنه كتب إلى وزارة المعارف والجامعتين والجامع الأزهر ، مقترحا على كل منها شراء عدة نسخ من الأجزاء الصادرة على سبيل التشجيع ، وكل ما تم من الإجراءات الإيجابية العملية فى هذا الموضوع هو قرار الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف شراء خمسين نسخة .

عباس خضر



سئلت ولم أجب فلابد أن أعترف :

سألتني ياسيدى عما وجبه الشرع فى زكاة فى مالك — وقد كثر عددُه وطال أمده — فلم أجبك وسكت وفى نفسى من الخجل والخزى ما الله يعلمه نعم سكت ولم أجبك ؛ وكيف أجيبك عن زكاة مالك ولا عهد لى بجنيهاتك فى كتب الزكاة — لقد درست المتون والشروح والحواشى حنفيها وشافعيها ، وعرفت (الدرهم والدينار والدانق والمثقال ، وعرفت حكم الرائجة والصحاح والنبهرجة والستوقه) ولا تبحث عن هذه النقود عبثاً يا سيدى فهى لا توجد فى غير خزائن الأزهر ، أعنى فى مقصراته ومطولاته التى حملتها معى من مكتبة جدى الأكبر يوم أن دخلت الأزهر وما زلت أقرأها كتباً مقررة إلى الآن .

أما أوراقك الخضر ، فلا تسلنى كم نصابها وكم زكاتها ؛ ولا لوم على ولا تثريب .

— أنا واحد من آلاف طلاب الأزهر ، ندرس الدين فى أسفار أجدادنا الأقدمين كما حملت إلينا بدون تهذيب ولا تنقيح وبدون احترام لشريعة الرقي والتطور . أين نقود فجر الإسلام التى نحسب نصابها ونمدد زكاتها — .وقد صارت فى جوف التاريخ — من نقود عصرنا الحاضر التى لم يرسم قرش منها فى كتاب لدينا .

— ويحى ما أحمقنى ! أقضى سنين طويلة فى الأزهر ، أجهد فيها ما أجهد ، من أجل دراسة آثار بالية لا تنفع ولا تشبع ! ؟

أجل . كتب الفقه فى الأزهر ملأى بمسائل باهتة رثة ، تحتاج إلى تنقيح وتوضيح . انشر أى كتاب من كتب الشافعية ، وتجلد فى مطالعته بعض الوقت فإنك لا بد قارىء : (وكثير الماء قلتان ، والقلتان خمسمائة رطل بغدادى تقريباً فى الأصح) ثم يتكرم الشارح ببيان هذا الرطل البغدادى فيقول (والرطل البغدادى مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم تقريباً) وما درى غفر الله له أنه فسر الماء بالماء كما يقولون ، وسواء أدركت مقدار الماء الكثير أم لم تدرك ، فحسبنا هذا الخيال البارع : قلة تزن مائتين وخمسين رطلاً ! !

وكتاب العتق؛ الكتاب الأسود — كما يسميه بعض إخواننا — ما قيمة دراسته فى هذا الزمان وجمله خاتمة كتب الشافعية ؟ أليست خاتمة بيضاء ؟ ذكروا فيه (أن الشارع متشوف إلى العتق) وقد عتق العبيد بحمد الله ولم يبق منهم واحد إلا فى كتبنا وأدمغتنا كأنا لم نعرف بعد أن أحط صنوف البشر قد أصبحت أحراراً طلقاء ؛ أو كأنا نرجو أن يبعث الشارع (المتشوف إلى العتق) دولة العبيد ثانية فنطبق عليها الأحكام .

وبعد . فتلك ثورة هادئة أرجو بعدها الله أن يوفق أولى الشأن فى الأزهر إلى تطهير موارد العلم وتنقيتها من القذى والفضول وذلك أمر سهل إن كانوا جد حريصين على تأدية رسالة الأزهر بصدق وإخلاص . وكم فى الأزهر من جهبذ نحرير يعوزه التشجيع والتعضيد ليخرج للناس آيات بينات فى التصنيف والتأليف .

اسماعيل أبو ضيف

فى كتاب (النقد الأدبى) :

قرأت للصديق الناقد الكبير الأستاذ سيد قطب كتابه الجديد فى النقد (النقد الأدبى) ولا أغلو إذا قلت إنه كتاب فريد فى بابه وأسلوبه وطريقته فى تناول موضوعاته وعرضها عرضاً كله الروية والاتزان وحسن البيان

وليس غرضى من كلمتى هذه حول الكتاب البحث فى محتوياته وبيان قيمته — تلك التى لا يلمسها إلا القارئ قراءة العين لا سماع الأذن — وإنما بحسبى أن أشير وألفت الأستاذ الصديق إلى مواضع زايلها الصواب نتيجة التطبيع أو التصنيع ، أجملها فيما يلى :

١ — من التطبيع ما جاء في قول القائل :

فأصبحت فى الإقراء أزهد (زاهداً) وإن كنت فى الإقراء أرغب راغب

ألا من يرينى غايتى قبل مذهبى ومن أين؟ (الغايات) بعد المذاهب

والتطبيع فيهما ظاهر ؛ والأصل (زاهد) وفى الثانى (والغايات) بالواو .

٢ — ومن خطأ النقل نتيجة السهو قول من قال :

وسنان (أيقظه) النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

وصوابه :

وسنان (أقصده)(١) النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم

وكذلك قول الآخر:

وأرشفنا على ظمأ زلالاً ألذ من المدامة (والنديم)!

وصوابه:

وأرشفنا على ظمأ زلالاً ألذ من المدامة (للنديم)

وقول الثالث:

يقول بشعب بوان حصاني (أمن) هذا يسار إلى الطعان؟!

وصوابه:

يقول بشعب بوان حصاني (أعن) هذا يسار إلى الطعان؟!

إذ ليس مراد الشاعر السير (من) محلة إلى محلة، وإنما غرضه (التحول) عن شعب بوان إلى الطعان.

٤ — بيت ابن ارقاع:

وعلمت حتى (لست أسأل عالما) عن (حرف) واحدة لكي أزدادها

روايتها عندي وهي الرواية الثابتة المقبولة:

وعلمت حتى (ما أسائل واحدا) عن (علم) واحدة لكي أزدادها

وكذا البيت:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف «يلتقيان»

وفي الأصل وهو الصواب على قرب الملتقى:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف «يجتمعان»

٥ — وقع في البيت:

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم .. ليست تزول

تطبيع بالحذف، وصوابه:

... ... أن نجوم (الليل) ليست تزول

٦ — وهذان البيتان كل على حدة:

وغر الصدور إذا (وكنت) لهم نظروا إليّ بأعين خزز
ذكر الصبوح بسحرة فارتاعا وأمله ديك الصباح (صياحا)

أحفظ لهما في صدري روايتين لست أزعم أنهما الأصل، ولكنهما يحتاجان إلى تحقيق ومناقشة للجزم بصواب الأصل أياً كان، والروايتان هما:

وغر الصدور إذا (ركنت) لهم نظروا إلى بأعين خزر
ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح (فصاحا)

٧ — أورد الأستاذ المؤلف عن صاحب الوساطة لأبي تمام البيت:

ألم يقنعك فيه الهجر حتى (بكات) لقلبه هجراً يبين

ثم قال «يقول الشارح إنه لم يعرف لهذه اللفظة (بكات) معنى ولم يجدها في ديوان أبي تمام ولم نجدها نحن!». وأقول يغلب على الظن أن تصحيفاً لحق باللفظة فأخرجها عن المعنى، ولعل الأصل (وكات) إن لم يكن «نكات».

وبعد: فتلكم هنات عرضت لنا وألمعنا إليها مذكرين وليس منتقدين. ولعل الصديق الأديب يوليها بعض الاهتمام في الطبعات التالية للكتاب، والسلام.

«الزيتون» عمر نايه

عود على بدء:

كنت قد أشرت في كلمتي «تحقيق تاريخي» المنشورة في عدد قريب من «الرسالة» الغراء إلى مرثية شاعر النيل حافظ بك إبراهيم في فقيد المعارف أحمد حشمت باشا، وقلت إنها من الشعر الذي لم يسجل في ديوانه المبتور!!

ولقد حدثني بعض الأدباء متعجباً لخلو الديوان من هذه القصيدة الفذة وما درى أن في باب المراثي وحده قصائد عديدة لشاعر النيل لم تسطر في ديوانه، ومن العجيب أن الذين ملأوا الصفحات بذكر شعره المنسي لم يقفوا عليها فيما رأوه، وأهم هذه القصائد ما يلي:

١ — قصيدة في رثاء السيد مصطفى لطفي المنفلوطي ومطلعها:

رحم الله صاحب النظرات غاب عنا في أحرج الأوقات

٢ — رثاء شهداء العلم والغربة الذين اصطدم بهم القطار في أوربا ومطلعه:

علمونا الصبر نطق ما استتر إنما الأجر لمحزون صبر
صدمة في الغرب أمسى وقعها في ربوع النيل مشئوم الأثر

٣ — رثاء كريمة حشمت باشا ومطلعه:

يادرة نزعت من تاج والدها فأصبحت حلية في تاج رضوان

وغير ذلك كثير!

على أني أعجب كل العجب من أن الديوان قد أعيد طبعه عدة مرات وهو لا يضم قصيدة من القصائد المنسية التي يكتشفها القراء بين حين وآخر! فما فائدة التنبيه على الشعر المنسي إذن؟ ولم لا يلتفت إليه القائمون بإعادة طبعات الديوان؟ وهل كان حتم عليهم أن يحافظوا على طبعته الأولى فلا تلحق بما يكملها من روائع حافظ المغبون؟!

«الزقازيق» إبراهيم عبد المجيد الترزي

(١) أقصده: أي أصابه فلم يخطئه

المصحف المبوب :

قرأت ما كتبه أستاذي الجليل عبد المتعال الصعيدي عن المصحف المبوب وقد صدر فضيلته مقاله بقوله :

« عصرنا هذا عصر تجديد في كل شيء وكان من الواجب علينا — معشر المسلمين — أن نجعل لطابع العصر أثرا في مصحفنا » .

فهل يسمح لي فضيلته — وهو من نعلم عنه سعة في الصدر — أن أقول له : إن من الخير لنا أن نترك المصحف الشريف على حالته ، وأن لا تمتد اليه أيدينا بشيء من التغيير في الطبع والإخراج — وإذا كان ذلك قد جاز لسلفنا الصالح فلأن مصلحة القرآن كانت تقتضي ذلك إذ كان مفرقا فجمعوه . ومهملا فأعجموه . واخترع الخليل الشكل للحاجة اليه . ونحن اليوم نقرؤه صحيحا في طبعات جيدة أنيقة .

أقول هذا لأني أود أن يشعر المسلمون بأن كتابهم مقدس وليس عرضة لشكل مبتكر ؛ إذ من الجائز أن يختلف الترميب والتبويب فيظهر المصحف في عدة طبعات ؛ فإذا بوبه اليوم فلان فسيبوبه غداً غيره . فيقولون قرآن فلان ، ومصحف فلان وتكون فتنة . ويتبع ذلك أن يقول قائل فلنكتبه على الرسم الإملائي وكلما تفلسف شخص أضاف فكرة جديدة ما دمنا قد فتحنا هذا الباب .

فخير لنا أن نترك الكتاب الكريم ، وأن نولي وجهنا شطر تعاليمه ، فنجاهد في سبيل تحقيقها ونعمل على نشرها والدعوة اليها في كل مكان ، وأن نعتني باللب ونترك القشور ، وإن الله لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى الأعمال . وما يضر المسلمين بعد أن يحققوا رسالة كتابهم أن يكون على ما هو عليه ؟

وإذ تنطع مستشرق وفهم خطأ فالذنب ذنبه فأمامه كتب التفسير إن جهل شيئا .

وبعد فأود أن لا أكون قد جاوزت حدي مع أستاذي الكبير .

عمر اسماعيل منصور

أزمة معلم اللغة العربية في المدارس المصرية :

تفيض جداول الصحف اليومية بأن هذه الأزمة بلغت حداً لا يصح أن يسكت عنه ، لا من المسئولين فحسب بل من ذوي الرأي في العالم العربي ؛ إذ أنها تتصل بلغته وهي ميراث الآباء والأجداد ! فقد روت إحداها بقلم مدرس رمز إلى اسمه بالحروف أن أربعة فصول ثانوية بإحدى مدارس الشرقية لها معلم عربي واحد مما اضطر ناظرها إلى أن يشرك معه في تعليمها مدرسي (الأعجمية) من الرياضة وغيرها ! وأنا كمعلم أعرف أن من مضاعفات هذه الأزمة إن لم يكن عاملها الأول هو سلخ وزارة المعارف تفتيش مكافحة أقسام الأمية عن تفتيش التعليم الأولى بالمراكز وتعيين معلمي العربية بالمدارس مفتشين خاصين بها ! وفي وسع هذه الوزارة أن تعمد في الحال وبدون إمهال إلى أن تعيد هؤلاء إلى عملهم الأصلي في المدارس وأن تسند تفتيش المكافحة إلى (المعلم الأولى) فهو بمرانه وتجاريبه العملية أكثر خبرة في هذه الناحية من أي موظف آخر مهما تكن ثقافته العلمية والفنية ... وعندها إن أرادت الوسائل الكفيلة بتهيئة هذا المعلم لواجبه الجديد بالدراسات والاختبارات الشخصية والرسائل الفنية ... (ومجلة الرسالة) الحفيظة على تراث العربية المجاهدة في سبيل نهضتها وإعلاء شأنها مسئولة إلى حد كبير إذا لم تلق دلوها لتفريج هذه الأزمة وإزالة تلك الغمة ! !

خورشيد عبد العزيز
معلم دميرة

بيان :

تود الإدارة الثقافية بالأمانة العامة للدول العربية أن تلفت الأنظار إلى أن مسابقة التأليف التي سبق الاعلان عنها في مطلع هذا العام ، والتي اختير لها الموضوعان التاليان :

(ا) تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى خروج العرب منها ، وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب .

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان المغرب — جزيرة العرب) من سقوط بغداد إلى أول القرن الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

وقدر مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري جائزة لأحسن ما يكتب في كل من الموضوعين ، قد امتد آخر موعد لتقديم الرسائل المكتوبة فيها إلى أول مايو سنة ١٩٤٩ بدلا من الموعد المحدد سابقاً وهو أول مايو سنة ١٩٤٨ .



رجـــل وامرأة

للكاتب الفرنسي لوى جربيو

« هذه ليست قصة بالمعنى المقصود منها ، ولكنها صورة صادقة من صورة الحياة المعقدة التي نجدها في كل بقعة من بقاع العالم وفي كل زمان من أزمنته »

(المترجم)

كان الدرج يؤدى إلى الفناء ، وقد جلست المرأة بأسفله تبكى وتنتحب طول الصباح . كانت في منتصف العقد الرابع من عمرها سمراء ممشوقة القد ضعيفة البنية ، وظلت تنشج بالبكاء ، وتتمتم بكلمات مبهمة كأنها تتوعد من حولها . وكم ذهب إليها الجيران يحاولون الترفيه عنها وإرشادها إلى عين العقل دون جدوى . كانوا يقولون لها : لا يصح أن تثورى كل هـذه الثورة . من الأفضـل لك أن تصعدى إلى شقتك . إنك ستصدعين رأسك ببكائك المتواصل . وهل يجدى البكاء ؟ » ولـكنها كانت تجلس وكأنها لا تعي كلامهم . ما شأنهم في ذلك ؟ أليست هي حرة تفعل ما تشاء ؟ وصاحت في أعماق نفسها « لقد سئمت كل شيء »

وكانت أحياناً ترتكن برأسها على السور الحـديدى للدرج تحاول النوم دون جدوى . ثم تخفى وجهها بين يديها وتبكى في حرارة ، فيسيل الدمع من بين أصابعها كما يسيل المـاء من نبع لا ينضب . وتأوهت ، ثم انتابتها موجة من الصمت وهي تتلفت حولها بلا غاية . وأخيراً جلست دون حراك وقد ارتكن ذقنها على راحة يدها ، ومرفقها على ركبتها في ذلك الوضع الذي يفضله الرجل عندما يؤوب من عمله . أن هذا أول ناحية من نواحي انتقامها . لقد طافت بها الأفكار منذ أن بدأ الشجار إلى أن تحول هـذا التحول على أية حال ، ليس لديها الآن إلا التفكير فيما قد حدث.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي لجأت فيها إلى الدرج . كم كان ذلك يغضبه أشد الغضب . ولـكن ... أليس هـذا ما توده هي ؟.. ولما ذا توده ؟.. لم تستطع الإجابة على هذا السؤال . لقد كان من المستحيل عليها أن تقوم بأى عمل آخر ، فالتجأت إلى الدرج . إنه بالطبع يستطيع أن يهددها بأن يعتدى عليها بالضرب . ولـكنها كانت واثقة بأنه لن ينفذ تهديداته التي تصدر منه أثناء غضبه . فمهما فعلت فإنه لن يهجرها أبداً . لعل هذا هو السبب في أنها تزداد تهوراً .

كان الناس يصعدون ويهبطون ويمرون أمامها ، فيلقون عليها نظرة إشفاق ، أو يرنون إليها في دهشة ، أو يهزون أكتافهم . وكانت تتظاهر بعدم رؤيتهم ، ولا تتحرك ، حتى لو اندفع شخص نحوها وتخطاها ، ولطم إحدى يديها ، لظلت ساكنة دون أن تتحرك . ولعلها كانت تود ذلك . قالوا لها إنه قد أزف الوقت لتعود إلى شقتها ، فلم تجب ، ولماذا تعود ؟ وهـل جلست هنا لتجيب على مثل هـذه الأسئلة ؟ وهل مكثت لتكون موضع شفقتهم ؟ . . كلا ... إن شفقتهم لا تعنيها في شيء . لقد جلست هنا ليشاهدوها ، وليعرفوا كيف أوصلها هو إلى هذه الحالة ، وأى نوع من الحياة تحياها ، وحتى يعرف هو الآخر أنهم قد شاهدوا وأدركوا حالها . نعم أن هذا هو ما ترغبه الآن ... على الأقل . أنه أول جزء من برنامج انتقامها . وكانت في كل مرة يتحدثون معها ، تجيبهم بإطلاق العنان لعبراتها وهي تحاول أن تجد موضعاً مريحاً تسند عليه « رأسها المسكين » بشعره المهوش الذي لم تهتم حتى بترتيبه .

كان الشجار قد بدأ مبكراً ، ولم تمر الساعة الثامنة إلاّ وكانت على الدرج . ولن تبرح مكانها فإنه لا يوجد ما يؤدى بها إلى التفكير في مبارحته . ها هو ذا الظهر قد أقبل ، وسيعود هو بعد لحظات . ما الذي سيقوله لها ؟ لعله سيحدث ما حـدث في المرة السـابقة ، فيمر عليها دون أن يعيرها انتباهه . ولـكنه لن يظل وحيداً في الشقة أنه لم يحتمل هذه الوحدة — آخر مرة — أكثر من ربع ساعة ثم عاد يبحث عنها . ومما لا شك فيه أن ذلك سيحدث ثانية .

لقد تركها والغضب يعصف به ، وصفق الباب وهو يقسم أن هذه هي المرة الأخيرة ... المرة الأخيرة . أنه لا يستطيع احتمال

هذا المسلك الجنونى . ولـكنه سيجد عندما يصل إلى مقر عمله من فسيح ما يسمح له بالهدوء والتفكير فى تؤدة .

وفتح باب الفناء ، وميزت وقع أقدامه . ولم تتحرك عضلة من عضلات جسمها ، وانقلب كل شىء فيها ساكناً ، وقد تركز كل كيانها فى الاستماع إلى وقع خطواته ، وبدت كأنها لا تشعر بما يدور حولها . واقتربت الخطوات . سرعان ما ستراه . ولـكنها ظلت دون حراك وقد ارتكن رأسها على سور الدرج . وأغمضت عينيها نصف إغماضة وهى تنتظر . وكاد أن يتعثر فوقها ، وعرته دهشة بالغة ، ثم تراجع وهو يحاول أن يستعيد رباطة جأشه وقد أغمض عينيه كان رجلا بدينا فى الحلقة الرابعة من العمر ، يرتدى زى الـكتبة ، وقد أمسك بمظلة .

وتمتم قائلا فى صوت خال من الغضب — ما الذى تفعلينه هنا ؟ فلم تجبه وابتدأ القلق يساوره ، وغاض الدم من وجهه ، وارتجفت اليدان وهما تقبضان على المظلة . ثم اكتسحه شعور من الضعة لا نهائى وإحساس بالاحتقار لاحد له . ووقف دون حراك بجوار المدخل . كان الضوء يسقط عليه من الخارج ، فلم تستطع تمييز ملامحه . وظهر لها كأنه شبح بدين يحمل مظلة . ثم ردد فى صوت خافت وكأنه يتحدث إلى طفل — ما الذى تفعلينه هنا ؟ فلم تجب . لا بد أنهـا مكثت هنا ساعات . وهز كتفيه . إذن لا توجـد نهاية لذلك . وجعل يفكر فى شجارهما هذا الصباح ، ويلوم نفسه ... ولـكنه كان يأمل .

— أتعتزمين البقاء هنـا ؟ فلم تجب . وكانت لهجته تنذر بانفجار بركان غضبه . وكان يلاحظ ما يختلج فى نفسه من عواطف ثائرة ، ويعرف أن غضبه ينهكه ، فقال — هيا ... دعينا نصعد إنه لغباء ...

وولدت كلمة « الغباء » فى عينيه نظرة من الشراسة . وتنهد فى حزن وقال : « يالها من حياة ! كل ذلك لأجل ماذا ؟ » وجعل يتفحصها بنظراته بإمعان . وكأنما عزم أن يعمـل ما فى وسعه ليحل المشكلة فهز رأسه يمنة ويسرة ثم قال — حسن ... ماذا ؟ ما الأمر ؟ ولم يكن هذا مايود أن يقوله ، ومع ذلك سيان عنده أقال ما قاله أو تفوه بشىء خلافه . وابتدأ يصعد الدرج . ولـكنه سرعان ما استدار فجأة وصاح فى صوت جفلت منه : « والطفلة ؟ »

وانحنى فوقها ، وشعرت بأنفاسه تهب على شعرها . الطفلة ؟ ! لم تكن قد أعارتها أدنى اهتمام . إن نسيانها الطفلة كان ولا شك جزءاً من انتقامها . ومع ذلك شعرت بالقلق يستحوذ عليها .

— ما الذى فعلته بالطفلة ؟

وخيل إليها أنه سيهم بضربها ، ولـكنها كانت قد صممت على ألا ترد عليه . ثم شعرت برأسها يدور . إنها حقاً لم تهتم بالطفلة .

— أجيبى ! ها هو ذا قد انفلت منه زمام غضـبه . ونزل الدرج ، ثم وقف أمامها ، وأسند مظلته على الحائط ، ومد يده تتلمس طريقها إلى وجهها التى تخفيه . ثم قال فى صوت هادىء

— متى ، متى ستـكفين عن تعذيبى ؟ متى ... متى — أواه ، يا إلهى ؟ ...

كانت ثورة نفسه لا تحتمل . وعادت به الذاكرة فجأة إلى الليلة التى هربت فيها . تلك الليلة التى ظل يبحث عنهـا طويلا وهو يخشى أن تكون قد ألقت بنفسها فى النهر ..

— تكلمى ! ووضع يده على ذقنهـا ، فلم تقاوم ، ورفع وجهها . وطغى على نفسه شعور من الشفقة ، فقال لها — لماذا أنت هكذا ؟ وابتدأت شفتاها ترتعشـان ، وارتفع كتفاها ، وتمتمت بكلمات تعذر عليه سماعها فسألها — ماذا تقولين ؟ فأجابت — لا شىء .

وفجأة تغير كل شىء ، فقال — لا شىء ! حقاً ؟ إذن لماذا ؟ لـماذا ؟ ألا تخبريننى بالله لماذا ؟ ما الذى تقصدينه بما حدث فى الصباح ؟ وما الذى فعلته بالطفلة ؟ لقد كنت عازمة على ذلك منذ الصباح .

وهزها وهو يصيح بعد أن عصف به غضبه ، وقد كان يظن أنه ملك زمامه . إن هذه الانفجارات ، وهذه التأسفات : هذا التحول من الشفقة والحنان إلى القسوة والشراسة التى تصحب دائماً مشـاجراتهما ، كانت كأنها تمثيل مسرحى . وكم كانت تهده هدأ وتستنفد قواه . ها هو ذا قد جرح شعورها ، فهبت واقفة ، تبتعد عنه وهى تصيح « أيها الوحش ! » .

وصـاح صوت من أعلى الدرج قائلا — إن الطفلة معنا . لا داعى للقلق . سنعطيها غذاءها .

ولم يجب فى الحال على الرغم من شعوره بالطمأنينة . إن فكرة وجود جيرانه واقفين بأعلى الدرج يستمعون ويراقبون . هدأت من غضبه . قالوا — ألا تسمع ؟

فصاح — لقد سمعت ... شكراً !

وبحركة آلية التقط مظلته وهو يتمتم قائلا — « لقد عيل صبرى ، عيل صبرى ! » فالتفتت إليه زوجه بوجه متقلص وعينين جامدتين وقالت فى صوت مختنق ورأسها يهتز « عيل صبرك ، عيل صبرك ، ممن ؟ » وكأنه قد عزم على الصمت ، فظل ساكناً لا يفوه بكلمة .

— حسن ، إنى فى انتظار ردك .

فقال — لقد سئمت الشجار .

— هل هذا كل شىء ؟

— نعم .

— إذن ... هل أنا المسئولة عما حدث ؟

فقال فى تهكم — كلا ... إنه صبى الجزار !

ثم انفجر ضاحكا . كم كان جوابه مضحكا ! وسرعان ما تلاشى ضحكه عند ما قالت — ما ذا يهمك إذا كنت أتعذب ؟

فأجاب — ليس هناك ما يجعلنى أهتم ... فتنهدت وتمتمت قائلة — إنى أعرف ذلك ...

وران عليهما الصمت . هدوء مستمر . كان قد نسى تماماً أنهما لا يزالان على الدرج ، وأنه يشعر بالجوع وأنها لم تستعد بعد ... نعم ، لقد استسلمت نفسه مرة أخرى إلى سحر المشاجرة وسقط فى الشرك طواعية . وأنشأ يتحدث ويشرح لها كم هو تعس ، ويصف لها لواعج قلبه . وود لو استطاع أن يقنعها .

— ألا ترين ؟ ... إنها لغباوة أن يحدث ما حدث ... وكم هو مضيعة للوقت ! ألا تكفى مشاكل الحياة المعقدة ؟ .. إذن .. لماذا ؟ لماذا ؟ ... خبرينى ؟

ووضع يده على كتفها وجذبها إليه قائلا — هل انتهينا من الشجار ؟

فوضعت خدها على خده وأخذت تبكى .

— كفى ... كفى لا تبكى . لقد انتهى النزاع .

إن هذا الهدوء والحنان ، وذلك الحديث عن الحب ، هو كل ما توده منه . لقد نسيت تماماً كل شىء عداها . وقالت — هنرى ... قربت على خدها قائلا — هيا نصعد ... لماذا نظل واقفين هنا ؟

فتبسمت وهى تقول — أليس من الأفضل أن نستحضر الطفلة ؟

— دعيها ... من الأفضل تركها حيث هى الآن .

***

كانت الشقة على حالها منذ الصباح دون نظام أو ترتيب ، ولم تزل النوافذ مغلقة ، وروائح الليل تفوح فى الشقة المظلمة . وخلع قبعته وظل ممسكا بها لحظة ، وتملكته الحيرة ... أين يضعها ؟ وأخيراً ألقى بها والمظلة على مقعد . ثم وهو يراقبها تتوسط الغرفة وقد تدلى ذراعاها « حسن ... حسن ... ماذا ؟ » .

وعبست عبوسة صبيانها ، كأنها على وشك البكاء مرة أخرى . وصرت بيدها على جبينها .

— لقد أصابك الصداع !

— نعم ، إنه مؤلم .

— ألم تنته بعد ؟

فبكت من قلبها وهى تقول — أواه ... نعم .

وأخذها بين ذراعيه وضمها إليه فى حنان . كان يود أن يظل ساكناً دون أن يفوه بكلمة . ولكنه أنشأ يتكلم مدفوعاً بنزوة لا تقاوم . فقال فى حنان — لماذا تفعلين ذلك ... لماذا ... فقال — وأنت ؟

— أنا ؟ !

— نحن اثنان ... فإذا كانت هذه الهفوات من جانب واحد فقط .

— ولكنها ليست غلطة أحد منا ذلك هو السبب .

— السبب فى وجود الشجار ؟

— نعم ، ربما .

— على أية حال ، لقد انتهى الغضب .

فقالت فى لهفة : أوه ... نعم .

— أتستطيعين أن تذكرى ما الذى دار عليه الشجار هذا الصباح ؟ إنى لا أستطيع أن أتذكر . إنه لم يكن إلا كلمات ، كلمات تافهة . لقدنسيتها تماما ... تـكفى مشاكل العالم المقبلة .

لقد كانت تعرف طريقته فى الجدال فقالت :

— لننس ما حدث !

وتراخت أذرعهما ، وابتعد عنها . ثم تهالك جالساً على مقعد وقال وقد ابتدأ يعود إليه غيظه .

— انك امرأة لطيفة ... ألم تقرأى صحف الصباح ؟

يا له من سؤال ! لـكأنها تهتم دائما بالصحف !

واستطرد يقول : بالطبع هناك مشاكل . إنى أقول الحقيقة .

— أعرف ذلك ...

فانفجر قائلا : حسن ، إذا كنت تعرفين ذلك جيدا ، فما الذى تعنيه من ... من مكوثك بهذا الشكل بالدرج تبكين على شىء لا يعلمه إلا الله ... ؟

— أوه ... اصمت .

ولـكنه كان قد صمت قبل أن تتكلم ، وجعل يفـكر فى كل ذلك وهو يتأملها . لقد كرهها ... حقا لقد كرهها . وأصبح يعافها ويشمئز من تهديداتها .

وسألها وهو يخرج ساعته من جيبه : ما الذى سنأكله ؟

ثم هز رأسه قائلا :

— لقد تأخر بنا الوقت .

فقالت : أستطيع تحضير بعض البيض والخضر أيكفى ذلك ؟

— نعم .

واختفت فى المطبخ ، وتمدد هو على الفراش ينتظر . ما الذى قاله لها هذا الصباح حتى أثارها وجعلها على تلك الحالة ؟ وجعل يفكر ويفـكر دون أن يتذكر . وسمعها تقوم باعداد الطعام بالمطبخ فناداها : مارسيل .

فأجابت وقد توقفت لحظة عن عملها : نعم .

— ما الذى قلته هذا الصباح حتى ... ؟

ولم تفه لحظة ثم قالت : لا شىء .

— بل هناك أشياء ... خبرينى !

— كلا ... وما الفائدة ؟

— فقال كنت أرغب ...

فقاطمته قائلة : ألا يستحسن عدم التحدث عن ذلك ؟ ولـكنه ظل منتظراً . لماذا لا تريد أن تخبره ؟ وشعر بحب استطلاع غريب يدفعه عدم تذكره ما حدث .

— ألا تتذكرين يا مارسيل ؟

— أجل !

— حسن . إذن خبرينى !

— لماذا ! إنه من الغباء أن نعود إلى ترديد هذه النغمة ثانية .

وأدرك أنها لن تخبره أبداً ، فتمتم قائلا : حسن على أية حال . نعم ، على أية حال ... من الأفضل ألا يتذكر . فهو مرتاح إلى .. إلى هذه المعيشة ! !

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٤ — الاثنين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ — السنه السادسه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 804

Lundi — 29 — 11 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٠٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٦٨ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مثل المهذبين من بني آدم

عندنا في دارنا الريفية عصبة من كلاب الحراسة مختلفة الأسنان والألوان والجنس تعيش في حال مدنية عجيبة : في الليل تتعاون على النباح وتتساعد في الهجوم ، فإذا نبح أحدها سواد إنسان أو ريح ذئب استنبحها جميعاً واستعداها جميعاً ، لا تسأله ما ذا نبح ولا لما ذا عدا . وفي النهار تربض متقابلة في ظلال الشجر ، أو ترقد متجاورة على قش الأرُز ، تتهارش حيناً وتتفلّى حيناً ، والصغير يمضي إلى الكبير فيعضه وهو هادئ مستسلم ، والضعيف يجرؤ على القوي فيركبه وهو وادع مستكين . ثم هذبناها فتهذبت ، ودربناها على النظام فتدربت ؛ وألقى في روعها أن تأخذ بطرَف من مدنية الكلاب الأوربية فأحسنت لثم الفم ، وأتقنت ملق العين ، وأجادت بصبصة الذيل ؛ ثم أسرفت في الرقة وأغرقت في التظرف حتى ليكاد كل كلب منها أن يقول : ضعوا على رأسي القبّعة ! !

تلك حال كلابنا ما دامت خارجة من سلطان البطن عاليه وسافله ؛ فإذا قدّم إليها الكلاب وجبة الغداء ، أو عثر أحدها على عظمة في حواشي الفناء ، انقلب التراحم قسوة ، والتعاطف جفوة ، والتهارش حرباً ، والتفلية عضًّا ، والمدنية وحشية ، والإيثار أنانية ؛ فالأم تنكر ولدها ، والأخ لا يعرف أخاه ، والطعام الوافر المختص والمشترك تتنازعه المخالب الحداد والأنياب العُصْل ، فيخرج بالخطف من فم إلى فم ، وينتقل باللقف من يد إلى يد ؛ والكلاب الضعاف والجراء الصغار يقفن منكمشات على بعد ، يسألن بالحق ويتوسلن بالقرابة فلا يرين إلا النظر الشزر ، ولا يسمعن إلا الزئير المهدِّد ؛ حتى إذا غاب الطعام في الأجواف ، ولعقت الألسن آثاره على الخراطيم ، أشبلت الأم على ولدها ، وأقبل الذكر على أنثاه ، وعطف الأخ على أخيه ، وعادت إلى الكلاب حياتها المدنية من مرح الهراش وحنان التفلية وألفة النباح ! !

ذكرت بهذه العصبة عُصَباً أخرى في (ليك سا كسس) وفي (قصر شايو) تلبس الفراك ، وتحذق المواضعات[1] ، وتحفظ الرسوم ، وتفتنّ في الظرف ، وتبالغ في المجاملة ؛ فإذا لمس أحدهم ثوب الآخر عن غير قصد اعتذر ، أو لفظ جملة من غير ابتسام تأسف ! يقضون أيامهم في التشاور الرقيق ، ويمضون لياليهم في التزاور البهيج ؛ ويأدب بعضهم لبعض المآدب الفخمة ، يتساقون فيها الوسكي على نُـقَل (الكافيار) ، ويتناوبون الرقص على نغم (الجاز) ، ويتبادلون باللسان المعسول ألفاظ السلام والأمن والعدل والإنسانية والحرية والديمقراطية والعهود والمواثيق ؛ حتى إذا جلسوا إلى مائدة السياسة ، وقُدم إليهم الطعام العربي المرئ والشراب الشرقي الهنئ ، تحلبت الأشداق ، واحمرت الأحداق ، وانقلبت حُلل الفراك جلود نمور ، وتحولت الأصابع في القفافيز مخالب صقور ، ووقف

(١) المواضعات : الإتيكيت ، والرسوم : البروتوكول .

أين كنا وأين صرنا ؟

للأستاذ نقولا الحـــداد

كنا قبل عصر برنادوت لا نقبل دولة إسرائيل المزعومة ولا حديث لنا إلا عروبة فلسطين فإذا بنا الآن لا حديث لنا إلا الهدنة . وكل يوم نذهب إلى مجلس الأمن باكين ناحبين صارخين: « اليهود خرقوا الهدنة » . نسينا مشروع التقسيم ونسيه اليهود أيضاً . نحن رضينا بالهدنة الدائمة ، واليهود لم يرضوا بالهدنة المؤقتة . الهدنة علينا لا عليهم . الهدنة لهم لا لنا .

لنا وفود سبع دول رسمية فى مجلس الأمن وليس لليهود وفد واحد رسمى ، لأن دولة إسرائيل لا تزال مزعومة ، وقد نسينا مشروع التقسيم الذى كنا نجحده ونرفضه رفضاً باتاً وأصبح همنا الآن هل نقبل مشروع برنادوت أو نقبل هدنة بونش الأبدية التى تسمى صلحاً .

إن مصيبتنا هذه جاءت أولا وآخراً من الإنجليز — فتباً لها من دولة فاسقة مارقة .

كان جيشنا المصرى على أهبة أن يحتل تل أبيب ؛ وإذا اليهود يستغيثون لأنهم أصبحوا على شفا الهلاك ، وإذا بمجلس الأمن بأن افترح هدنة ٣٦ ساعة ، وإذا المندوب الإنجليزى كادوجان يقول لا ٣٦ ساعة لا مادا تنفع؟ يجب أن تكون الهدنة ٤ أسابيع . وإذا بها صارت أسابيع ، لأن إنجلترا تهددت بأنه إذا كان العرب لا يقبلونها فيحرمون السلاح فقبلوها ولا سلاح واليهود لم يقبلوها وهم يخرقونها كل يوم وهم طلبوها لكى يقبلها العرب ويخرقوها هم . وهكذا كان .

وانتهت الأربعة أسابيع ولكن اليهود لم يبلغوا كل مأربهم فالتمسوا تجديدها فجددها لهم برنادوت هدنة دائمة . ففعلوا فيها ما شاؤوا لمصلحتهم حتى إنهم قتلوا برنادوت لأنه ارتأى أن يكون النقب للعرب وهم لا يريدون أن يبقى شىء للعرب حتى ولا بقعة الرمل هذه .

فى الهدنتين جاءتهم الأسلحة من كل ناحية حتى صاروا فى مأمن والعرب صابرون ويقولون لا نقبل إلا عروبة فلسطين ودولة فلسطين العمومية ولا دولة لإسرائيل . وبنو إسرائيل يصادقون على هذا القول بالقول . ولكنهم بالفعل هم على غير هذا القول . والإنجليز يقولون لنا : لا بأس ، اقبلوا هذه الهدنة الدائمة واعتبروها صلحاً ، ولكن لا توقعوا على شروط صلح .

انظر هذه البراعة البريطانية . اقبلوا الهدنة كما هى وخلوا جيوشكم فى أماكنها ولا تتقدموا . يوم كان اليهود ينهبون سلاح الألمان وغير الألمان بعد معركة العلمين ويرسلونه تحت ذقوننا إلى فلسطين كنا نقول للانجليز إن هؤلاء اليهود الاثام ينهبون السلاح من معسكراتكم وأنتم غاضون الطرف . لماذا ؟ أليس لكى يحاربوننا به ؟

ولكن الإنجليز كانوا يرمون إلى هذا بدليل أنهم إذا أمسكوا عربياً معه بندقية شنقوه ، وأما يهودى يسوق مركبة مصفحة ملأى بالسلاح فيقولون له باسمين مبروك .

والآن يستورد اليهود السلاح من كل مكان رغم أنف مجلس الأمن ، وإذا استورد العرب سلاحاً من أى مكان حال الإنجليز وغير الإنجليز دونهم .

إذا قلت لكم أيها العرب أن العالم كله يحاربكم ، فهل ظننتمونى مهولا ؟ ها قد وصلنا لها .

أيها العرب عيب أن تنوحوا وتنحبوا لمجلس الأمن . وعيب أن تتذمروا من دول أوربا لأنها تمنعكم أن تتسلحوا ، وأن تتغيظوا من دول أوربا لأنها مستبدة بكم ولأنها غير منصفة لكم .

نعم دول أوربا وأمريكا غير منصفة ، ولا يمكن أن تكون منصفة ، لأن الإنصاف ليس من مصلحتها . تقولون أنها لا تخجل أن تكون جائرة . نعم لا تخجل ولا تستحى ولا يهمها أن تعيروها بقلة الحياء . كان يجب أن تملوا هذا الدرس ؛ وأن تضحوا بكل شىء فى سبيل مصلحتكم لأنكم فى وسط هذه الخلائق ... نعم العالم كله ضدكم لأنكم أكلة دسمة سهل طبخها .

المتسلحون بالحق والمنطق على بُعد من المائدة ينظرون بالأعين الحَسْرَى إلى مالهم المنهوب وتراثهم المغصوب ، ولا يملكون إلا أن يحتجوا راغمين ، ثم يقولوا نادمين : يا ويلتنا ! ما لسيف الحق لا يقطع ، وما لبرهان المنطق لا يفيد ؟ !

يا قوم ، لقد قلنا لكم : إن القوة هى الحق وما سواها باطل ؛ وإن ابن آدم على الرغم من دينه وعلمه ومدنيته لا يزال عبد العصا وضيعة الدينار . فمن شاء أن يعيش مرهوب الجانب محفوظ الحق فليَدعْ سماحة موسى وبلاغة هارون ، وليتخذْ قوة شمشون وغنى قارون !

أحمد حسن الزيات

لمحة من سيكولوجية الطفل

عود على بدء

للدكتور فضل أبو بكر

شرحنا فى المقال السابق باختصار — آمل ألا يكون مخلا — ناحية من سيكولوجية الطفل ووعدنا القارىء الكريم بالعود على ما بدأناه . ولما كان وعد الحر دين — كما يقولون — فإنا نفى بوعدنا فى مواصلة البحث حتى يكون القارىء فكرة واضحة جلية على قدر الإمكان عن هذا النوع من الدراسات النفسانية .

إن إدراكنا لحقائق الأشياء يأتى عن طريق الملاحظة والتجارب بواسطة الحواس كالسمع والبصر ، أو عن طريق المقارنة والاستنباط بواسطة العقل والبصيرة . وهذه التجارب مادية كانت أو معنوية تكتمل عندنا شيئاً فشيئاً كقطرات الماء تتساقط على الأناء الفارغ فتحتل فراغه وتفعم سعته . وكما أن الأوانى تختلف من حيث السعة والطاقة كذلك التجارب عند الناس مختلفة فمنها الواسع المترامى ومنها الضيق المحدود الجوانب .

والتجارب نفسها لا بد لها من أسس ودعائم ترتكز عليها ومن ضمن تلك الدعامات نذكر اثنتين هما الذاكرة والخيال وهما موضوع بحثنا فى هذا المقال الموجز .

الذاكرة عند الطفل :

ذكرنا فيما سبق كيفية ملاءمة الطفل — أو غيره من الأحياء — للبيئة التى يعيش فيها وقلنا إن ذلك لا يتم إلا عن الإخضاع والتمثيل « Assimilation » وطريق الخضوع والتكييف « Accomodation » .

والذاكرة — كما سيتضح لنا — يكون عملها عن طريق الإخضاع كما أن الخيال يكون مفعوله من ناحية الخضوع .

وذاكرة الطفل — كما هو متوقع — تختلف اختلافاً أساسياً عن ذاكرة الكبار لأن الذاكرة جزء من « كلية » العقل والعقل محدود الجوانب ، صغرها عند الأطفال يتناسب مع صغر أعمارهم وأجسامهم وهى ظاهرة فسيولوجية طبيعية .

وطريقة عمل الذاكرة على وجه العموم تكون بواسطة الطرق الأربع الآتية :

(١) تثبيت الذكريات « Fixation dês Souvenirs »

(٢) بقاء الذكريات « Conservation des Souvenirs »

(٣) مكان الذكريات « Localisation des Souvenirs »

فلماذا أنتم هكذا ؟ أتتوقعون من إنجلترا أن تسلحكم ؟

لماذا لا تنشئون آلات ومعامل لصنع السلاح ؟ أليس عندكم مال ؟ أليس عندكم عقول ؟ أليس عندكم عضل ؟ .

أمس كتب الملحق التجارى للسفارة الأمريكية أن بترول الشرق الأوسط هو ٦٠ بالمائة من بترول العالم . فهل هذا قليل وأى سلاح أمضى من البترول . هل تطير طائرة أو تسير سيارة أو تدب دبابة أو تتحرك سفينة إلا بهذا البترول .

بعد ٣ سنين لايكفى بترول أمريكا أمريكا شهراً أو بضعة أشهر

فى سنة ١٩٥٢ تجوع المدنية الغربية كلها إلى البترول أكثر جداً مما يجوع اللاجئون الآن إلى الخبز .

بعد بضع سنين تتهافت المدنية الشامخة على بترول العراق والحجاز والبحرين وإيران وبترول الصحراء الذى لم يستنبط بعد تهافت النمل على قصعة عسل أو تهافت الذباب على المزابل . بعد بضع سنين يرتفع ثمن لتر البترول من شلنين إلى عشرة شلنات .

ولو شاء أصحاب البترول لأمكنهم أن يرفعوه الآن ولا أحد يمتنع عن دفع الثمن لأنه ضرورى للحياة وللحرب .

يا ناس عندنا سلاح قوى جداً ولا نستعمله — ليس فى أمة تخاذل كهذا التخاذل وجبن كهذا الجبن

واليهود من أين يأتون بالبنزين لسياراتهم وطياراتهم و ... الخ أليس من بترول العراق والحجاز . يأخذون بترولنا ويحاربوننا به

ياقوم تيقظوا . إن الويل اليهودى القادم عليكم لا تحسون به الآن لأنه لم يقع بعد . ومتى وقع فلا ينفعكم لو ولا ليت .

قيل إن اللاجئين فى شرق الأردن أصبحوا فى درجة من اليأس لايحتمل وهم يفكرون فى مفاوضة اليهود . وهذا مايتوقعه اليهود . فإذا حدث سقطت فلسطين كلها فى أيدى اليهود ، ثم تلتها شرق الأردن . ثم ... ماذا وماذا ؟ الويل ثم الويل ...

نقولا الحداد

(٤) استدعاء الذكريات « Evocation des Souvenirs »

هـذه هي العوامل الأربعة اللازمة للذاكرة حتى تؤدي وظيفتها وسنشرح فيما يلي كل عامل على حدته :

١ — تثبيت الذكريات . إذا عرضنا أمام ناظر الطفل بعض الأشياء أو الصور أو روينا له حكاية بسيطة مسلية وطلبنا منه بعد حين قصير أن يصف لنا ما شاهده أو يقص علينا ما سمعه تبين لنا أن قوة التثبيت ضعيفة عنده كما أن الماديات تكون أثبت في ذاكرته من المعنويات وأنها تعتمد كل الاعتماد على الحس .

٢ — بقاء الذكريات : يكون عنده بطريقة غير متساوية من حيث المدة فقد ينسى ما تقصه عليه منذ ساعات قلائل ثم يتذكره بعد مضي بعض الوقت كما أن بقاء الذكريات يكون مرهوناً بغريزة تمركز اهتمام الطفل حول نفسه « Egocentrisma » ويبدو الطفل هنا أنانياً مغرضاً كما هو الواقع بدليل أن الأشياء التي تهمه دون غيره أو يرى فيها إرضاء لرغبته تكون أبقى في ذاكرته وإن كان هذا البقاء نفسه قصير الأمد ، ولكنه عند الأطفال يخضع لسلطان « الوعي » بخلاف الحال عند الكبار إذ يكون بقاء الذكريات من عمل « اللاوعي » .

٣ — مكان الذكريات : ونقصد بذلك المكان الذي تحتله بالنسبة لزمن حدوثها وتتابعها وفقاً لدرجة أسبقيتها ، وفي هذه الحالة يتضح لنا ضعف ذاكرة الطفل لأنه يجهل فكرة « الزمن » ومن هنا يتعذر عليه ترتيب الذكريات ومن هنا كان لغطه وخلطه للحوادث ، ولا ينتظم ترتيب ذكريات الطفل وإحلالها المكان اللائق لها إلا ما بين العام السابع والحادي عشر من عمره إذ يكون وقتئذ قد كون فكرة عن الزمن .

٤ — استدعاء الذكريات : هو نوع من الاجترار لما يختزنه مستودع الذاكرة إذ يتسنى للكبار أن يستدعوا ذكرياتهم ، وقد تسعفهم في كثير من الأحيان لأنه في استطاعتهم أن يوجهوا تفكيرهم في ناحية خاصة ويتحكموا فيه بخلاف الحال عند الأطفال إذ يكون بطريقة تلقائية غير إرادية كالببغاء وهذا ما يحدث عند الطفل ما بين سن الثانية إلى الخامسة وهو ما نشاهده عند الأطفال حينما يسمعون قطعة من المحفوظات فيكون إلقاؤهم لها بصوت على وتيرة واحدة لا تتغير نبراته بطريقة حرفية تلقائية خالية من الفهم والوعي لما يلقونه .

أسباب ضعف ذاكرة الطفل :

قلنا إن تثبيت الحوادث وبقاءها وترتيبها حسب الزمن واستدعاءها عند اللزوم في ذاكرته كل ذلك إنما يكون بطريقة بدائية غير مكتملة ، وذكرنا الأسباب المؤدية لذلك . وهنالك عاملان يؤديان إلى ضعف ذاكرة الطفل وهما : (١) النسيان . و (٢) تشويه الذكريات وتبديلها في ذاكرته .

١ — النسيان : يحدث عند الكبار لعدة أسباب : منها « الفسيولوجية » بمعنى أن يعتري الذاكرة نوع من « التأكسد » وعدم القابلية للاستيعاب بسبب التعب الجسمي أو العقلي . وهنالك أسباب « سيكولوجية » كالصدمات النفسية العنيفة التي تحدث في النفس نوعاً من القبض « Inhibition » فيشل التفكير ويغيض معين الذاكرة . وأسباب «باثولوجية» كما يحدث في بعض الأمراض العقلية كالذهان والعُصاب ، أو بعد نوبة الصرع ، أو لأمراض معدية أو وبائية كالحمى التيفودية والالتهاب السحائي ، كل هـذه الأمراض تسبب ضعفاً في الذاكرة ينتج منه النسيان .

كل ما ذكرنا من أسباب إنما هي شخصية تعتري الشخص نفسه فتسبب له النسيان . وهنالك أسباب أخرى خاصة بالأشياء « Odjectives » تتصف بها تلك الأشياء فتسبب أو تساعد على نسيانها . مثال ذلك تفاهة الأشياء والأثر الضعيف الذي تتركه في الذاكرة فلا يلبث أن يزول وتختفي معالمه . ومنها كون الأشياء بغيضة على النفس غير محببة لها فتلفظها لفظ النواة وتسقطها من حسابها .

أما عند الطفل فأكبر سبب للنسيان ناشيء عن انحطاط درجة تفكيره الذي يشمل الذاكرة أيضاً ولأن إدراكه « Perception » للأشياء خاطيء وقد سبق أن شرحنا ذلك وبينا الأسباب المؤدية إليه وهي غير الأسباب المؤدية للنسيان عند الكبار .

٢ — تشويه الحوادث وتبديلها في ذاكرة الطفل : تأخذ الحوادث والأشياء صورة ممسوخة مشوهة في ذاكرة الطفل وهو يعتقد بصحتها ، كما أنه من الصعب بل المتعذر في كثير من الأحيان الوصول إلى تغيير هذا الوضع الخاطيء في ذاكرته .

ولنضرب لهـذا مثلا وهو إذا روينا قصة لطفل ورجوناه

بعد قليل من الوقت أن يروى لنا ما سمع أو يقصها على طفل آخر ورجونا هذا الأخير أن يقصها على طفل ثالث تبين لنا فى النهاية أن القصة الأولى قد مسخت وكادت معالمها أن تزول ؛ وذلك أن كل طفل يزيد عليها من الحواشى والتعاليق بما يتفق وهواه ؛ كما نلاحظ ظاهرة أخرى وهي نزعة الطفل إلى « الخرافة » « Fabulation » كما قد تبقى آثار هذه الظاهرة عند الكبار ولكنها تصدر منهم عن « وعى » بخلاف ما يحدث عند الأطفال إذ تصدر من « اللاوعى » .

الخيال عند الأطفال :

علمنا مما سبق شرحه بأن الذاكرة عامل لابد منه لملاءمة البيئة وهى عند الطفل تخضع لظاهرة الإخضاع « Assimilation » ملؤها التحيز والأنانية والمادية ، وهى صفات فسيولوجية وسيكولوجية لازمة لنمو الطفل .

إن الذاكرة والخيال يعملان معاً ويكمل كل منهما الآخر ؛ ولكن فى بدء حياة الطفل يكون أثر الذاكرة أوضح ظهوراً وأقوى مفعولا من أثر الخيال الذى يكون فى باديء الأمر ضئيلا جداً ، ثم ينمو بنمو جسم الطفل وعقله وهو بلا شك أسمى مرتبة من الذاكرة ، ويعد خطوة واسعة إلى الأمام فى سبيل التطور العقلى ، وهو بالعكس من الذاكرة يخضع لظاهرة الخضوع والمصانعة « Accomodation » وهو العامل الثانى اللازم لملاءمة البيئة ، وظاهرة الخضوع والمصانعة هى ظاهرة شاقة عسيرة على الطفل وفيها نوع من التضحية من جانبه .

والخيال — على وجه العموم — هو المقدرة على رسم صور لما وعيناه أو تأملناه من فكر وأشياء ، ثم الربط بين تلك الصور والأفكار وإبرازها جليه واضحة فى مخيلتنا فى شبه « لوحة » « Tableau » كاللوحات الزيتية التى يصورها ويرسمها الفنانون والرسامون .

والخيال ضد الواقع ، وإذا قيل عن إنسان إنه خيالى فمعنى ذلك أنه ليس واقعياً ، وكما يعرف الفيلسوف الفرنسي « باسكال » « Pascal » بأنه قد يكون مصدراً للأخطاء والأغلاط

يختلف خيال الكبار عن خيال الأطفال لا فى وسعه وخصوبته وذكائه عند الكبار فحسب ، ولكن فى نوعه وطريقة عمله ، فهو أجنح إلى المادية يعنى بها أكثر بكثير من عنايته بالمعنويات كما أنه تلقائى « Spontanée » يصل إلى الهدف عن أقرب طريق .

فإذا ما شاهد الطفل مثلا قطرات الندى فى الصباح الباكر تكلل الحشائش أو تتدلى من أعطاف الورد فقد يتبادر إلى ذهنه فوراً بأن الورد حزين باك يذرف الدمع ؛ وإذا رأى فراشاً ملوناً « Papillons » يتطاير فى الحقول فقد يظنه زهوراً طائرة .

فمن هنا نرى أن خيال الطفل يصل إلى هدفه من غير كبير عناء . وقد يتراءى لنا فى هذه الحالة بأن للطفل مسحة شاعرية لأن الشاعر فى مثل هذه المواقف وبعد أن يكد خياله ويتذوق ما فى المشهد من جمال وروعة لا يقول أكثر مما قاله الطفل بأن الورد قد احمر خجلا أو بكى حزناً ، أو أن الزهور تتطاير فرحاً أو هلعاً ، وكل ما هنالك من فرق هو أن الشاعر يحلم ويتذوق والطفل يجزم ويجسد ما يقع تحت ناظره ويرتسم على خياله .

يقول الفيلسوف « أوجست كت » مؤسس مذهب الإيجابية بأن الخيال يمر بثلاثة أطوار :

الطور الأول : هو الطور الدينى فقد تخيل الإنسان الأول فكرة الدين والآلهة ، وهى فكرة مرماها الفسيولوجية ، والسيكولوجى هو ملاءمة الإنسان لبيئته وأمله فى الخلود تتجلى فيها ظاهرتا الإخضاع والخضوع بصورة جلية واضحة . يخضع للآلهة ويتقرب إليها حتى إذا ما فاز منها بالحظوة والرضا استعمل بدوره تلك الحظوة وذلك الرضا فى إخضاع بيئته من طبيعية واجتماعية وأصبح أقوى نفساً وأشد مراساً فى حربه الدائمة السرمدية مع تلك البيئة .

ذكرنا أيضاً فى المقال السابق بأن « الحيوية » « Animisme » هي من مميزات عقلية الطفل يشاركه الإنسان الأول فى هذه الصفة إذ كان يعير الأصنام والجمادات شيئاً من الحيوية والإرادة والتفكير ومن هنا كان يخشى بأسها ويرجى معونتها . كذلك الطفل فى سنه المبكرة يرى فى بعض الجمادات حياة وإرادة ، فانظر إليه يناجى لعبته ويناغيها حيناً ، ثم لا يلبث أن تتغلب عليه صفة القلق السريع والتحول المفاجيء فينبذها ويقصيها . وقد تتغلب عليه غريزة « الإخضاع » والسيطرة وحب الذات إذا لم تسر على هواه أو تتكيف على صورة خاصة كما لو كانت ذات وعى وإرادة .

الطور الثانى : هو الطور « الرومانتيكى » والوهمى يظهر فيه

الطفل تقدماً محسوساً ، فبعد أن كان فى الطور الأول يعتقد فى حيوية بعض الجادات من أدوات لعبه تتضح له ماهيتها الحقيقية ، ولكنه فى هذا الطور يلجأ إلى « الفرض » ويستعمل « المجاز » فيتخيل مجازاً بأن لعبته كائن حى لأن فى ذلك لذة شاعرية نفسانية وهذا الفرض نفسه إنما ينتج عن « الوعى » . ويمكننا أن نعتبر هذا الطور بداية الشاعرية والخيال الحقيقى . كذلك بعد أن كان الأطفال فى الطور الأول يعتقدون فى وجود « بابا نويل » ولا يرتابون فى أمره وبأنه هو الذى يهبط من السماء فى صبيحة رأس السنة الميلادية وعيدها ويأتيهم بالهدايا والتحف يبدءون يتشككون فى أمره بل ينكرون وجوده وإنما هى حيلة ودعاية من والديهم وذويهم يقصد منها جلب السرور إلى أنفسهم. غير أن هنالك نوعا من خيبة الأمل تحدث للأطفال حينما تتبين لهم حقيقة « البابانويل » أو غيره من الأشياء التى كانوا يتخيلونها على هواهم ؛ لهذا يفرضون مجازاً وبمحض وعيهم وخيالهم بأن « البانويل » يهبط من أعلى السماء ويأتيهم بما يشتهون لأن فى الوهم الرومانتيكى لذة نفسية ، كما أن ذلك يحلو للكبار ويشعرون بشىء من السرور لبقاء آثار هذا الطور الرومانتيكى عالقة فى أذهانهم وإن كنا لا ننكر بأن غبطة صغارهم هى العامل المباشر لجلب السرور إلى أنفسهم . وهذه اللذة النفسانية يشعر بها مؤلفو قصص الأطفال والأمثال الخرافية مثل أمثال لافونتين الخرافية .

الطور الثالث : يتولد فيه عند الطفل كبير من الوعى وينقد فيه ما كان يسلم به تسليما آليا تلقائياً « Sens Critqué » كما يجنح إلى الواقعية ويصبح خياله مرتبطاً منظماً بعد أن كان مفكك الحلقات مفقودها فى أغلب الأوقات وهو ما يظهره خطأ أو يتراءى للانسان وسمه بالنسبة لعقلية الطفل هذا الخيال الذى كان واسعاً سطحياً — لتفككه يصبح عميقاً — لتركزه وربطه — محدود الجوانب . كما تبدو عند الطفل آثار قوة الملاحظة.

كما أن آثار الطور الثانى لا تزال تبقى لدى الطفل ولكنها تضمحل شيئاً فشيئاً ويحل محلها الخيال العلمى وهو كما يلقبونه « بطور البناء » هو بداية الإنتاج والابتكار لدى الطفل .

هذا وقد يعترى الخيال نوع من الشذوذ فى سن المراهقة وهى كما نعلم أخطر الأطوار فى نمو الطفل جسمياً وعقلياً ونفسانياً نذكر بعضها باختصار .

١ — « الميثومانية » Mytinmahoie وهى نزعة يجنح فيها لخلق الأكاذيب والمقدرة على حذقها وتصبح له عادة وهواية لا ينفك عنها بل تلازمه طيلة حياته إذا لم يبادر بملاجه منها .

٢ « البوفارزم » Bovarysme وهو نوع من « الميقالومانيا » هو تخيل المراهق بأنه ذات مصونة وشخصية مرموقة .

٣ — « الشزويدية » Schigoidie وهو أخطر أنواع الشذوذ والأمراض النفسانية التى قد يصاب بها المراهق . ومن خواصها وعوارضها أن المراهق يستسلم « لأحلام اليقظة » ويستحل الاستغراق فيها يطلق لخياله العنان ويسبح فى ملكوت الأوهام ثم يجنح إلى العزلة يهاب المجتمع أو يحتقره فى بعض الأحيان ويبنى « قصوراً فى الهواء » كما يقول المثل .

هذا الشذوذ قد يصاب به بعض الفلاسفة والفنانين ولكنه يقف عندهم عند هذا الحد . أما لدى الطفل فقد تشتد وطأته ويفضى به إلى ما هو أدهى وأمر ، ونقصد بذلك داء « الفصام » Schisophrén e

ومن علامات ظهوره عند المراهق هى اشتداد عوارض « الشزويدية » فينطوى الطفل على نفسه انطواء تاماً ويبدو خجولا متكتما ولا سيما فى حضرة من هم مثل سنه ، وإذا أرغم على مجالسة غيره فقد يفضل أن يكون ذلك مع الكبار .

يصور له خياله آفاقاً بعيدة وأهدافاً عالية تصبو نفسه إلى تحقيقها ولكنه لا يبدى مجهوداً لتحقيقها لأن المجهود يتطلب مواجهة الواقع ومصارعة الصعاب وهو ما يفر منه فراراً فيفضى به الحال إلى الإخفاق فيحز ذلك فى نفسه ويزيد من فصامه فى شكل « دائرة خبيثة » وكلما ازداد تحفزه وطموحه وتوثبه ازداد إخفاقه وابتعاده عن غايته على حد قول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

أو كما تقول الحكمة القائلة « السائر على غير هدى كلما ازداد جداً ازداد عن غرضه بعداً » .

هذه لمحة مختصرة من سيكولوجية الطفل عل القارئ أن يجد فيها بعض الفائدة .

(باريس) فضل أبو بكر

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

بين البحترى وشوقى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

انتهت المؤامرة التى دبرها المنتصر مع الأتراك ، بقتل الخليفة المتوكل سنة ثمان وأربعين ومائتين من الهجرة ، وكان البحترى الشاعر فى المجلس الذى تم فيه ذلك الاغتيال ، فثارت عواطفه ، فأنشأ قصيدة يرثى بها مولاه القتيل ، ويقرع فيها ابنه ولى العهد رأس هاته المؤامرة ، ويقول :

أكان ولى العهد أضمر غدرة ... فمن عجب أن ولى العهد غادره

فلاملّى الباقى تراث الذى مضى ... ولا حملت ذاك الدعاء منابره

ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا ... من السيف ناضى السيف غدرا وشاهره

فكانت تلك القصيدة من عوامل الجفوة ، بينه وبين الخليفة الجديد . والظاهر أن الشاعر قد اضطهد فى بدء ذلك العهد ، فنبت به بغداد وسر من رأى ، وأزمع الرحيل حتى يعود إلى الجو نقاؤه وصفاؤه ، وحتى ترجع حياته إلى سابق عهده بها ، لينة سهلة وادعة ، فاختار أن يرحل إلى المدائن عاصمة دولة الفرس القديمة ، راجياً أن يجد فى تلك الرحلة المظة والتسلية . ولقد أثمرت رحلته تلك قصيدة رائعة قل نظائرها فى الأدب العربى كله ، وكان لها صدى فى نفس شاعرنا المغفور له شوقى ، فقد نفى فى أيام الحرب العظمى الماضية إلى الأندلس ، وظل بها حتى وضعت الحرب أوزارها ، فرأى واجباً عليه قبل العودة إلى وطنه ، أن يزور آثار العرب التى خلفوها بتلك الديار ، وكان البحترى رفيقه فى الترحال ، وسينيته التى خلد بها إيوان كسرى تملك من شوقى نفسه ، قال « فكنت كلما وقفت بحجر ، أو أطفت بأثر ، تمثلت بأبياتها ، واسترحت من مواثل العبر إلى آياتها ، وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترى إيوان كسرى ... وشفتنى القصور من عبد شمس

ثم جعلت أروض القول على هذا الروى ، وأعالجه على هذا الوزن ، حتى نظمت هذه القافية المهلهلة » .

بدأ الشاعران قصيدتيهما محنقين مما رمتهما الأيام به ؛ أما البحترى فسر حنقه خوفه على رزقه أن يطفف ، وخشيته على عيشه أن ينقص :

بلغ من صبابة العيش عندى ... طففتها الأيام تطفيف بخس

وبعيد ما بين وارد رفه ... علل شربه ووارد خمس

وكأن الزمان أصبح محمو ... لا هواه مع الأخس الأخس

وهنا يثور فيه الحنين إلى وطنه الشام ، فيرى أنه لم يكن حكيما ، يوم باع هذا الوطن ، واشترى به العراق ، ولكنه لا يسرف فى هذه الثورة ، ولا يطيل ، بل يكتفى بقوله :

واشترائى العراق خطة غبن ... بعد بيعى الشآم بيعة وكس

أما شوقى فيبدأ قصيدته بالحنين إلى الشباب وملاعب الشباب ، والحنق على هؤلاء الذين حرموه الإقامة فى وطنه ، وأبعدوه عنه ، ورق شوقى فى حديثه عن قلبه الذى لم يزل بلاده ، فهو متنبه مستطار ، إذا استمع إلى البواخر مقلعة أو عائدة ، فيقول :

وسلامصر ، هل سلا القلب عنها ... أو أسا جرحه الزمان المؤسى

كلما مرت الليالى عليه ... رق ، والعهد فى الليالى تقسى

مستطار إذا البواخر رنت ... أول الليل أو عوت بعد جرس

راهب فى الضلوع للسفن فطن ... كلما ثرن شاعهن بنقس

فهذا القلب يكاد يطير من بين أضالعه كلما أصغى إلى باخرة تصيح فى هدأة الليل ، وهو كالراهب المتبتل يدق ناقوسه ، كلما ثارت سفينة ، تزمع الرحيل ؛ وهنا يأسى شوقى لحرمانه من وطن ينعم به حتى غير أهله وذويه :

أحرام على بلابله الدوح ، حلال للطير من كل جنس

وإذا كانت ثورة البحترى على بعده عن وطنه قد وقفت عند حد إعلانها ، فلم يحدثنا عن هذا الوطن قليلا ولا كثيرا ، فإن الذكريات تنهال على شوقى ، وصورة بلاده تتمثل أمامه ، فيطفىء شوقه بالحديث عن طبيعتها حيناً ، وعن آثارها حيناً آخر ، وإنه ليسمو إلى أبعد الغايات فى تصوير هذا الشوق إذ يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وهفا بالفؤاد فى سلسبيل ... ظمأ للسواد من عين شمس

شهد الله لم يغب عن جفونى ... شخصه ساعة ولم يخل حسى

وينتقل خيال شوقى بين الإسكندرية ، وعين شمس ،

والجزيرة ، والنيل ، والجيزة ، وبين الأهرام وأبى الهول ، وإذا كنت لا أستسيغ بعض أخيلة شوقى هنا : كتصور الجزيرة عرساً :

قدها النيل فاستحت فتوارت … منه بالجسر بين عرى ولبس

أو تشبيه الأهرام بعيران فرعون .

أو قناطيره ، تأنق فيها … ألف جاب وألف صاحب مكس

فإن حديثه عن أبى الهول حديث معجب حقاً ، يبعث فى النفس تعظيم الأثر ، ومقيمى الأثر .

ورهين الرمال أفطس إلا … أنه صنع جنة غير فطس

تتجلى حقيقة الناس فيه … سبع الخلق فى أسارير إنسى

ثم يقف شوقى مستلهما العظمة من حوادث الأيام ، فيرى دولا تقوم ، وأخرى تسقط ، وملوكا ينهضون بالملك ثم لا تلبث شمسهم أن تتوارى . وهنا ينتقل انتقالا طبيعيا إلى الحديث عن دولة العرب فى الأندلس ، فيقف عند آثارهم يستوحيها ، كما وقف البحترى عند آثار الأكاسرة يستلهمها ، وهنا يبدو تأثير البحترى واضحاً فى شوقى ، فقد وصف البحترى ما رأى بعينه ، وصور له الخيال ماضى تلك الآثار ، فرسم ما تخيل ، ووازن بين الماضى والحاضر ، وكانت تلك الموازنة مصدر التأسى والاعتبار ، وعلى هذا النسق سار شوقى فى قصيدته الأندلسية .

راع البحترى ما رأى من خالد الأثر ، فانطلق يعلن إعجابه ، معترفا بأن تلك الآثار الجليلة لا يمكن أن يوزن بها أطلال العرب ولا آثارهم فى صحاريهم المقفرة :

حلل ، لم تكن كأطلال سعدى … فى قفار من البسابس ملس

ومساع لولا المحاباة منى … لم تطقها مسعاة عنس وعبس

ولقد كان البحترى متفننا ماهراً ، يحاول أن ينقل إليك الأثر الذى أحس به عند ما وقف أمام آثار الفرس ، فيلجأ إلى التشبيه حيناً ، وإلى تصوير ما رآه حيناً آخر ، وإلى الخيال يكمل به الصورة ، حتى تصبح واضحة مؤثرة : فهذا الجرماز — وهو قصر بجانب القصر الأبيض -- قد صار مقفراً مهجوراً ، يوحى إلى النفس بالوحشة التى تملؤها عند رؤية القبور ، وإن فى هذا القصر من العجائب مايدل على عظمة منشئيه ، ومن بين ذلك صورة تسجيل معركة حربية دارت بين الروم والفرس عند مدينة أنطاكية ، وقد وقف الشاعر أمام هذه الصورة مذهولا لما فيها من الدقة والإحكام ؛ فهذا أنوشروان يقود الجيش ، مدفوعا إلى القتال بهذا العلم المنصوب ، يحفز الهمم ويحث العزائم ، وقد ارتدى المليك لباساً أخضر ، وامتطى صهوة حصان يزدهى عجباً ، ويختال تحت راكبه ، وهذا الجيش قد أقبل على المعركة يصطلى نيرانها ، ولا تكاد تسمع إلا صوت السلاح ، فهذا جندى يقبل على عدوه بالرمح ، وذاك يتقى السنان بالترس ، ولقد بلغ من إحكام تلك الصورة أنها تخيل لرائيها أن ما يراه جيش حقيقى لا صورته ، كما ملأ الوهم نفس البحترى ، فأقبل يلمس الصورة بيده ، ليتأكد أنها صورة لا حقيقية ، قال :

فإذا ما رأيت صورة أنطاكية … ارتعت بين روم وفرس

والمنايا موائل ، وأنو شروان … يزجى الصفوف تحت الدرفس

فى اخضرار من اللباس على … أصفر يختال فى صبيغة ورس

وعراك الرجال بين يديه … فى خفوت منهم وإغماض جرس

من مشيح يهوى بعامل رمح … ومليح من السنان بترس

تصف العين أنهم جد أحياء … لهم بينهم إشارة خرس

يغتلى فيهم ارتيابى حتى … تتقراهم يداى بلمس

وهذا الإيوان فى القصر الأبيض عجيب الصنعة تراه فيخيل لهذه الكآبة التى تغمره أنه مزعج بفراق إلف عزيز عليه ، أو مرهق بتطليق عرس ، فكأنه يشعر بأحداث الزمان ، ويحس بثقله عليه ، ولكنه يحتمل متجلداً ، وبرغم ما أصيب به من استلاب زينته ، وعرائه من بسط الديباج ، وستور الدمقس ، لم يزده ذلك إلا عظمة وجلالا ؛ ويجمل الشاعر إعجابه الذى لا حد له فى قوله :

ليس يدرى ، أصنع إنس لجن … سكنوه ، أم صنع جن لإنس

وهنا يسبح الخيال بالبحترى ، فيعود به إلى عهد العظمة والمجد ، الذى ظفر به فى القديم هذا القصر الموحش الضخم ، فها هو ذا المليك بين حاشيته ، وقد جلسوا فى مراتبهم ، يستقبل الوافدين عليه فى إجلال وخشوع ، بينما القصر يموج بمن فيه : قيان يملأنه بالغناء ، ويعمرنه بالسرور ؛ أما اليوم فقد انقضى كل شىء ، وصار موضع عظة وعبرة ، ولا يبخل البحترى على القصر بدموع يذرفها ، برغم أن الدار ليست داره ، ولا الجنس جنس

قومه ، ولكنه يحفظ للفرس هذه اليد التى أسدوها إلى اليمنيين أهله ، يوم أعانوهم على التخلص من غزو الحبش الذين بعثوا إليهم بجيش يقوده أرباط ، ونشتم رائحـة الشعوبية من بعض أبيات القصيدة كما مضى ، ومن هـذا البيت الأخير الذى ختمها به ، وفيه يعلن إعجابه بالأمجاد من جميع الأجناس ، لا فرق بين عربى وعجمى ، قال :

وأرانى من بعد أكلف بالأشراف طراً من كل سنخ وأس

ويسير شوق هذا النهج تقريباً ؛ يصف الأثر فى حاضره ، ويمضى به الخيال إلى الماضى ، فيصف ما كان له من أبهة وجلال زار شوقى قرطبة فراعه ما آل إليه أمر تلك العاصمة القديمة فقد انتقص الدهر أطرافها فعادت قرية حقيرة لا شأن لها ، بعد أن كانت فى القديم على عهد العرب ، أعظم بلاد أوربا وأرقاها ، يقول شوقى :

لم يرعنى سـوى ثرى قرطبى   لمست فيـه عبرة الدهر خمسى
يا وقى الله ما أصبّح منـــه   وسقى صفوة الحيا ما أمسى
قرية لا تعد فى الأرض كانت   تمسك الأرض أن تميد وترسى
غشيت ساحل المحيط وغطت   لجة الروم من شراع وقلس

وإذا كان البحترى قد تخيل قصور المدائن وجلالها ، فقد تخيل شوقى قصور قرطبة وأبهتها ، وقلده فى تصوره الناصر تحت الدرفس . ويعود البحترى إلى يقظته فيرى الدار خلاء ، كما عاد شوقى إلى يقظته فوجد الدار ما بها من أنيس ، وخص البحترى الإيوان بجزء من قصيدته يمجده ، وشوقي قد خص المسجد العتيق بجزء من شعره يخلده ، وأرى هذا الجزء أروع أجزاء القصيدة وأقواها ، إذا استثنينا تشبيهه أعمـدة المسجد بألفات ابن مقلة ، إذ هو أشبه بوزن الجبل بالنملة . أما الأثر الذى أحس به شوقى عندما وقف أمام هذا المسجد العتيق ، فقد نجح فى تصوره تصويراً ينقل هذا الأثر إلى نفوسنا ، إذ يقول :

ورقيق من البيوت عتيق   جاوز الألف غير مذموم حرس
أثر من (محمـــد) وتراث   صار (للروح) ذى الولاء الأمس
بلـــغ النجم ذروة وتنـــاهى   بين (ثهلان) فى الأساس و (قدس)
مرمر تسبح النواظر فيـــه   ويطول المدى عليها فترسى
وســـوار كأنها فى استواء   ألفات الوزير فى عرض طرس
فـــترة الدهر قـد كست سطريها   ما اكتسى الهدب من فتور ونعس
ويحها ، كم تزينت لعـــليم   واحد الدهر واستعدت لخمس
وكأن الرفيف فى مسرح العـ   ـين ملاء مدنرات الدمقس
وكأن الآيات فى جانبيـــه   يتنزلن من معارج قدس
منبر تحت (منذر) من جلال   لم يزل يكتسبه أو تحت (قس)
ومكان الكتاب يغريك ريّا   ورده غائبـــاً فتدنو للمس

صنعة الداخل المبارك فى الغرب ، وآل له ميامين شمس

ومما لا ريب فيه أن الذى دفع البحترى إلى لمس الصورة ، أقوى مما دفع شوقى إلى لمس مكان الكتاب .

وزار شوقى الحمراء ، ووقف عند آثارها ، ولا سيما مجلس السباع الذى أصبح خلاء مقفراً ، خلده شوقى فى شعره ؛ ويقف شوقى حزيناً كئيباً ، يتخيل العرب وهم يغادرون بلاد آبائهم فى ذلة وضعف فيقول :

خرج القوم فى كتائب صم   عن حفاظ كموكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشاً وكانت   تحت آبائهم هى العرش أمس
رب بان لهادم ، وجموع   لمشتـــت ، ومحسن لمخس
إمرة الناس همة لا تأتى   لجبان ، ولا تسنى لجبس
وإذا ما أصاب بنيان قوم   وهى خلق ، فإنه وهى أس

وكما ختم البحترى قصيدته بشكر الفرس على ما كانوا قد أسدوه إلى قومه اليمن ، من سابق اليـد ، ختم شوقى قصيدته بشكر الأندلس على ما قدمت إليه من كرم الضيافة له ولا بنيه .

أحمد أحمد بدوى

محمد إقبال

شاعر الشرق والاسلام

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٤٥٧ — ١٩٣٨

للأستاذ مسعود الندوى

(تابع)

٦ — « مسافر » : مجموعة شعره الذى قاله أثناء سفره إلى أفغانستان سنة ١٩٣٢ على دعوة [1] من مليكها الشهيد الغازى نادر خان . وفيه نصائح لشبان بلاد الأفغان ورجالهم .

ومما يسرنا ذكره بهذه المناسبة أن شباب الأفغان يدرسون شعره ويستفيدون من حكمه مثل شباب الهند . وقد بين لنا ذلك أستاذنا الجليل ، العلامة المحقق السيد سليمان الندوى — أمتعنا الله بطول بقائه — الذى كان زميل شاعرنا فى هذا السفر . وذكر لنا الأستاذ — أدامه الله — شيئاً كثيراً من مزايا محمد إقبال مما لا يتسع المقام لذكره . ومما ذكره الأستاذ بوجه خاص أنه حينما زار محمد إقبال جلالة الملك نادر أول مرة فى كابل جعلا يبكيان ساعة من الزمن ، والقوم صامتون ينظرون إلى مسلمين مخلصين ، أحدهما حكيم والآخر ملك ، يتكلمان بدموع العين ، لقد صدق من قال :

لسانى عيى فى الهوى وهو ناطق ودمعى فصيح فى الهوى وهو أعجم

٧ — بال جبريل (طير الناجبريل) : كان الشاعر بادىء ذى بدء يقرض فى الأردية ، ولذلك ترى جميع عيون شعره من الأدوار الأولى فى هذه اللغة . ولما سمت فكرته ونضجت آراؤه اتخذ من الفارسية آلة لإبداء أفكاره وجعلها وسيلة لإذاعة شعره فى جزء غير يسير من أنحاء العالم الإسلامى ، ولذلك جاءت جميع دواوينه بعد « بانك درا » فى اللغة الفارسية . وقد شدا يذكرها فى بيت له من « پيام مشرق » ولله دره حيث قال :

تم كلى زخيابان جنت كشمير
دل أز حريم حجاز ونواز شيراز است

إن جسمى ريحانة من رياض الجنة الأرضية كشمير [1] ، والقلب منبته بلاد الله الحرام وأفانين الكلام مقتبسة من ألحان شيراز .

لكن اللغة الفارسية ، حينما وسعت نطاق المعجبين بشعره فى خارج الهند ، قللت من قرائه والمستفيضين من ينبوع حكمته فى داخل البلاد ، وطالت شكوى أهلها من شاعرهم ، حتى إن بعض حماة الأردية أرادوا أن يغضوا من شعره الفارسى ، وتقول غيرهم أن الشاعر اختار الفارسية ليكون فى مأمن من قوانين الحكومة الصارمة . لأجل هذا وذاك أراد الشاعر أن يعود « والعود أحمد » إلى الأردية ، فنشر سنة ١٩٣٢ هذا الديوان الذى بذ جميع دواوين شعره فى الحكمة وتعمق الأفكار ومعظم كلماته فيه نتيجة ما شاهده وتأثر به خلال أسفاره إلى بلاد أوربا ... لندن وباريس وروما والأندلس ... وبلاد العرب عام ١٩٣١ ، ولقد أجمع النقاد على أن صاحبنا كان شاعراً أو فلسفياً فى مجاميع شعره السابقة ، لكنه حكيم فى هذا الديوان ، لا غيره . ومن خصائص هذه المجموعة أن صاحبنا تناول المشايخ (المعروفين بـ « ملا » فى الهند) والمتصوفين بالنقد اللاذع فى غير واحدة من كلماته . شىء لم نره فى مصنفاته السابقة . ومن ميزاته أنها تشتمل على معجزات القصائد التى ألهمها صاحبنا فى الأندلس وفلسطين حينما تكشفت لعينيه الحجب الظاهرية ورأى بعينيه ما لا يتيسر لغيره أن يراه . لكن هذا الديوان ، على ما فيه من بدائع الحكمة ومشاهدات الأندلس وفلسطين ، ينقصه شىء عظيم ، وهو أن معظم المولعين بشعره لا يقدرون على إدراك مغزى كلامه ، لكونه مصبوباً فى قالب من الشعر المتأنق والحكمة العميقة البالغة ، وإنما يتذوقه المتأدبون والذين لهم ذوق فى الشعر متأصل .

٨ — ونظراً إلى ذلك عنى بنشر ديوان آخر سماه « ضرب كليم » (ضربة موسى كليم الله) أودعه آراءه فى جميع شعب الحياة العصرية ، مجردة عن الفلسفة وزخارف الشعر ، بحيث يفهمه

(١) كان دعا جلالة ملك أفغانستان ، الأساتذة الأجلاء : السيد سليمان الندوى ، والدكتور محمد إقبال والسر راس مسعود « حفيد السر سيد أحمد خان » ليستشيرهم فى تأسيس بنيان الجامعة الأفغانية بكابل ، لكن المنية عاجلته رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فراديس جنانه .

(١) أصل الشاعر الحكيم كشميرى من عائلة برهمية . ثم نزح آباؤه إلى بلدة سيالكوت فى بنجاب وفيها نشأ وترعرع وتعلم إلى أن انتقل إلى مدينة لاهور فى آخر عهده بالطلب ثم استوطنها وبها توفى .

كل من له أدنى إلمام بالأدب ، إن كان له حظ فى المسائل الدينية والسياسية المعروضة على بساط البحث والنقد .

وقد فسر الشاعر الحكيم بنفسه اسم هذا الديوان (ضرب كليم) بأنه « إعلان حرب على العصر الحاضر » وقد صدق رحمه الله ، فى هذا التفسير ، لأنه فنّد فيه آراء أهل الغرب والمتفرنجين وقطعها إرباً إربا ، وانتقد جميع نظرياتهم السياسية ؛ فلا ريب أن (ضرب كليم) « إعلان حرب على العصر الحاضر » وقد أجمع المتأدبون بأدبه والمتذوقون لشعره وحكمه على أن شاعر الإسلام لم يجمع هذه الأفكار الثمينة فى كتاب واحد . ومن خصائص هذا الديوان أن حكيم الإسلام تعرض فيه لانتقاد القاديانيين وغلامهم [1] الكذاب ، فذكرهم غير مرة وكشف الغطاء عن دجلهم وكيدهم للاسلام والمسلمين . وذلك بأسلوبه المعجز المدهش .

(٩) ارمغان حجاز (هدية الحجاز) : عنوان ديوانه الذى ظهر بعد وفاته ، رحمه الله ، (باللغتين الفارسية والاردية) ، وقد سماه هدية الحجاز ، لسبب خاص . وبيان ذلك أنه سافر إلى بلاد أوربا مراراً وزار بعض بلاد العرب أيضاً ، لكنه ما قُدّر له أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ، على ما به من تباريح الوجد والشوق إلى زيارة بيت الله الحرام وقبر النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من أمنيته أن يتمتع بهما ، وقد وطد العزم على ذلك ، وجعل يقرض أبياتاً ومقطوعات شعرية ، مواجهاً بها بيت الله الحرام ومثوى النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فكأنى به كان يعد عدته لذلك السفر الميمون ويهيىء الزاد الذى يقدمه إلى عشاق أدبه والمفتتنين بحكمه ، حين قفوله من الزيارة المباركة ، إلا أن مرضه الأخير قد أنهك قواه ، وبقى يتقلب على أحر من الجمر زهاء عامين يتجرع غصص النوى حتى وافاه الأجل المحتوم ، ولما يقض لبانته . وفى أيام المرض المصيبة قد جادت قريحته بأبيات ومقطوعات لا تنسى أبد الدهر . وإن ننس لا ننس البيتين اللذين رثى فيهما نفسه ، وأنبأ المولعين بأدبه وشعره بدنو أجله :

سرود رفتـــه باز آيد كدنه آيد
نسمى از حجاز آيد كدنه آيد
سر آن روزكار اين فقرى دكر وأنات راز آيد كدنه آيد

ليت شعرى ، هل للنغمة المفقودة من رجعة ؟ ولا أدرى ، هل أجد بعد اليوم نسيم الريح التى تهب من جانب البطحاء ؟ أما هذا الفقير إلى الله فقد آن أوانه ودنا أجله ، فلا يعلم إلا الله ، هل ينبغ فى هذه الأمة حكيم آخر عالم بأسرار الكون ودقائق الأمور ؟

وكذلك قوله على فراش المرض قبل وفاته بأيام :

بيشتى بير أرباب يم آست بيشتى بير باكان حرم آست
بكوبا مسلم هنـــدى كدخوش باش
بيشتى فى ســبيل الله بم آست

هناك فى الدار الآخرة جنة للذين يجودون بأموالهم ويضحون بذات يدهم ، وجنة للزهاد والنساك المتقطعين إلى ذكر الله . وقل للمسلم الهندى أن لا يحزن ولا يتألم ، فإن هناك جنة أخرى غيرها ، ألا ، وهى التى ينعم بها على الذين يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

— ٥ —

آراؤه وأفكاره :

نريد الآن أن نترجم بعض آرائه فى مختلف المسائل من ديوانه (ضرب كليم) ، ليعرف القراء وجهة نظره فى السياسة والدين والأخلاق ، إلا أنه لا يمكن أن يبقى فى الترجمة عشر معشار الروعة والتأثير اللذين امتاز بهما شعره .

الاجتهاد :

أنّى لأحد أن يتعلم أسرار الدين فى الهند
لأن العمل والأفكار العميقة مفقودة فيها ؛
فلا تجد فى المشتغلين بالعلم والتعليم حرية الفكر والتفكير السديد .
فتيشاً وتمسكا للعبودية وعدم التحقيق ؛
لا يغيرون أنفسهم فحسبُ ، بل يريدون أن يبدلوا كلام الله
ويحرفوا الكلم عن مواضعه ؛

---

(١) اسم هذا المتنبىء الذى ظهر فساد دعواه فى الخافقين ، غلام أحمد والقاديانى نسبة إلى قرية « قاديان » التى ولد فيها وتوفى بها

ما أبعد عن الحق هؤلاء الشيوخ والفقهاء وما أضل سبيلهم !

يرى هؤلاء « العبيد » أن كتاب الله ناقص

لأنه لا يرشدهم إلى طريق العبودية .

المسلم الهندي :

يقــول المنـــادك(١) إنه خائن لوطنه

ويرى الانكليز أن المسلم متسول ومتسكفف

وشرذمة أصحـــاب(٢) النبـوة ، تفتى

بأن هذا المسلم « العتيق البالى » كافر

فلا أدرى متى يرتفع صوت الحق ومن أى جهة ؟ وقلبي

حائر قلق أمام هذه الأقوال المتضاربة .

الجهاد :

لقد أفتى الشيخ بأن هــذا عصر القلم ، وأما السيف فلم

يبق له اليوم عمل يذكر ؛

ولـكنى أسائل حضرة الشيخ : أولا يعرف هو أن هذه

الموعظة لا تجدى اليوم بشىء فى المساجد ، فأين السيوف والمدافع

بأيدى المسلمين ؟

وإن كانت فالقلوب قد ذهلت عما فى الموت من لذة ؛

ومن لى بالذين تجف قلوبهم خشية الموت ؛

حتى لا يرضوا أن يضحوا بنفوسهم تضحية الكفار ؛

من لى بهم أن ينفضوا عنهم غبار الجبن والخمول ؛

ويبذلوا مهجهم وأرواحهم بذل المسلمين المخلصين ؟

وما أحرى الذين ترتعد العالم خوفاً من آلاتهم الجهنمية ،

أن يلقنوا الأمن والسلام ويدعوا إلى ترك « الجهاد » ،

« جهادهم » الباطل .

أو لا ترى أن أوربا قد غرقت فى بحار من حديد

للمحافظة على الباطل وجنـوده ، واستعداداً للحرب(٣)

الضروس القادمة .

(١) أريد بالهنادك مشركى الهند من غير المسلمين أما « الهندوس » فالظاهر أنه خطأ شائع ، لأن « الهندوس » (Hindus) جمع « هندو » فى الانكليزية بالسين (s) ولعله قد جرى على أقلام كتاب العرب لتقلهم من اللغات الافرنجية .

(٢) يريد القاديانيين.

(٣) قيلت هذه الكلمة قبل الحرب الأخيرة بأعوام .

ونحن نود أن نسأل الشيخ المتزلف إلى الـكنيسة الغربية

والاستعمار الغربى : أليست الحرب شراً فى الغرب ، إذا كانت

كذلك فى الشرق ؟

وإن كنت تريد الحق ، فهل يليق بك أن تحاسب الإسلام

وتضرب صفحاً عن أعمال أوربا وفظائع مقترفاتها ؟

الإسلام الهندى :

حياة الأمة منوطة بوحدة الأفـكار ،

وما الوحى(١) الذى يمزق هذه الوحدة إلا ضلال وخرافة ،

ولا ضمان لهذه الوحدة إلا القوة ؛

أما العقل والحـكمة فلا يحركان فى هذا الشأن ساكناً ، لأن

المسألة مسألة القوة ؛

ولـكنك أيها المسلم ، لست فى شىء من تلك القوة ، فاجمل

بك أن تلتجىء إلى كهف أو مغارة ، وخير لك أن تجتهد فى

إيجاد إسلام(٢) آخر ، يدعو إلى الفقر ، والعبودية ، واليأس

الدائم . وبما أن الملا ، (الشيخ) قد أبيح له فى الهند أن

يركع ويسجد .

يزعم الأبله أن الإسلام حر فى هذه الديار (كأنى به

لا يعرف من الدين إلا الركوع والسجود فقط) .

محمد على الباب :

كانت خطبة (الباب) بين يدى العلماء غريبة ؛

كان المسكين يحرف أعراب (السماوات) عن موضعه ؛

وكان العلماء يبتسمون ، ساكتين على خطأه ؛

فأجابهم إنـكم لا تعرفون درجاتى العالية ؛

كانت آى القرآن محبوسة فى قفص (الاعراب) ؛

والآن حل إسارها لوسيلة (إمامتى) .

(البقية فى العدد القادم) مسعود الندوى

(١) إشارة إلى القاديانى .

(٢) يريد ديناً آخر غير دين الاسلام الحق الذى دعت إليه الرسل الكرام عليهم السلام من لدن سيد البشر آدم عليه السلام ، إلى خاتمهم وسيدهم ،مولانا وسيدنا النبى العربى الأمى صلى الله عليه وسلم .

طرائف من العصر المملوكي :

رسالة الدار عن محاورات الفار

أو فن القصة

للأستاذ محمود رزق سليم

بقية ما نشر فى العدد الماضى

اتبع كذلك المؤلف طريقة الحريرى والهمذانى فى ابتداع شخصيتين فى القصة ، شخصية راوٍ هو « حسان » ومروىّ عنه وهو « الحكيم حسيب » الذى أشرنا إليه فيما سبق . فيقول مثلا « قال الراوى حسان . معدن الظرافة والإحسان : فتوجه الحكيم حسيب الأديب الأريب إلى إيراد الأخبار . عن الهداة الأخيار . فحكى أن ملكا من ملوك الأمصار . وسلاطين العجم يدعى « شهريار » ... الخ » . وذلك شبيه بما كان يقوله مثلا أبو القاسم الحريرى : حدثنا الحارث بن همام ... ثم يقص قصته عن أبى زيد السروجى .

وقد توخى المؤلف فى كتابه ، مفاكهة الناس على اختلاف درجاتهم وتباين مشاربهم ، من الحديث المشوق الذى يجذبهم إلى سبل الخير . وأسلوبه وإن كان مزدحماً بالبديع وبخاصة السجع ، لأنه من المولعين به ، من الحق علينا أن ننصفه ، وأن نذكر أنه أخف مئونة من أسلوب المقامات العباسية حين بلغت أوجها على يد الهمذانى والحريرى . وهو أكثر حكمة وأوفى مثالا وأدق تعبيراً وأكثر تحليلا لخفايا النفوس ، وإظهاراً لهواجسها . فلم يقتصر على الأوصاف الحسية بل حلل وتعمق وأمعن ودقق . فليست البراعة الأسلوبية رائده الأول أو دافعه الأكبر على تدبيج قصصه وتأليف كتابه . وبهذا كله يفترق عن كتاب المقامات .

أما المقامات فقد عرفناها منذ عصر بنى العباس ، قصصاً وصفية يعنى فيها بإظهار البراعة فى الصناعة البديعية . وقد اتجه من أدباء العصر المملوكى إلى إجادة هذا الفن من القول . وقد تعددت موضوعاتها واتسع نطاق الوصف فيها ، وخرجت عن سمت الاستجداء ، واستوت المقامات فأصبحت فى مقدمة الأغراض الكتابية فى العصر المذكور ، ومظهراً من مظاهر الصناعة البديعية ، مع قلة تعسف ، وخفة مئونة . وقد قرأت أربع مقامات لزين الدين بن الوردى (٧٤٨ هـ) التزم فى أولها أن يقول : « حدث إنسان . من معرة النعمان » أو نحو ذلك . ولعله يقصد بالإنسان نفسه ، وأولى هذه المقامات « المقامة الصوفية » وقد صور لنا فيها رجلا لقى عشرة رجال كانوا يتجادلون فى أمر الصوفية فطفق الرجل يشرح لهم ما خفى عنهم من أمور الصوفية وأسرارهم وشروطهم وما إلى ذلك . فكأنما هى درس تعليمى لا قصة كما نفهم القصة فى العصر الحديث . وضمن منثوره شيئاً من النظم المناسب المقام . وفى مقامته الثانية « الأنطاكية » حدّث عن مدينة أنطاكية وما فيها من مظاهر طبيعية جميلة ، وقد لقى فيها واليها ، فجلس إليه ، وأخذ الوالى يبثه شكواه من البغيضة الضاربة الرواق بين عجم المدينة وعربها . وخلل نثرها على عادته بأبيات عدة . ومن وصفه فيها قوله عن المدينة : «سورها منيع ، وعاصيها مطيع . وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح . وأنهارها مطردة وعيونها سوارح . ونسمها يبطل رائحة المسك السحيق . وسا كنها يزهى على الغصن الوريق . يصدأ بهوائها السلاح ، وتجلى به القلوب والأرواح . برية بحرية . سهلية جبلية . منثورها منثورها : متكامل فيها السرور لمن بها . يوماً أقام كما تكامل سورها وخلت قلوب قصورها فاستضحكت إذ عاش شاكرها ومات كفورها » ... الخ

وأنت ترى أن هذه مقامة وصفية . وعلى هذا النسق تقريباً جرى فى مقامتيه الأخريين « المنبجية » و « المشهدية » . وله مقامة أخرى تعرف « بصفو الرحيق فى وصف الحريق » بدأها بقوله « حدث غيث بن سحاب عن ندى بن بحر » واشتملت على وصف حريق شب فى مدينة دمشق .

ومن كتاب المقامات صلاح الدين الصفدى (٧٥٤ هـ) وله مقامة وصف حريق أيضا . ويبدو من سياق حديثه فيها أنه نفس الحريق الذى وصفه ابن الوردى فى مقامته .

ولتقى الدين بن حجة الحموى (٨٣٧ هـ) مقامة عارض بها المقامة الزورائية للحريرى . وللشاب الظريف (٦٨٨ هـ) مقامة

وصف بها شاباً برح به الغرام . ولشرف الدين بن أسد المصرى (٧٣٨ هـ) مقامة فكاهية روى فيها حكاية أحد النحاة مع أحد الأسا كفة ...

ومن فرسان المقامات جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) الذى ضرب فى كل فن بسهم . وله عدد ضخم من المقامات فنها «بلبل الروضة» وصف فيها جزيرة الروضة . والمقامة «الوردية» وهى قصة تمثيلية أبطالها الأزهار ! فقد افترض الكاتب أن الأزهار اجتمعت عساكرها وعقدت مجلساً حافلا للجدل والمناظرة لاختيار أحقها بالملك فصعد كل منها المنبر وحاور وجادل . فتحدث الورد أولا ثم النرجس فالياسمين فالبان فالنسرين فالبنفسج فالنيلوفر فالريحان ، ورشح كل منها نفسه وزكاها ببيان أوصافها وذكر مزاياها ... ثم أسلم الجميع للريحان وخضعوا لسلطانه .

وعلى نمط مقامته الوردية دبج عدة مقامات أخرى وصف فيها أنواعاً من الثمار أو الأحجار الكريمة أو نحو ذلك مثل المقامة «المسكية» و «التفاحة» .

ومن أطرف مقامات السيوطى مقامته «رشف الزلال من السحر الحلال» وتسمى أيضاً «مقامة النساء» وقد وصف فيها عشرون عالماً فى فنون مختلفة — ما بين نحوى ومفسر وفقيه وأصولى ... الخ — ما جرى لكل منهم بينه وبين عرسه ليلة دخوله ... وورى كل منهم فى حديثه بمصطلحات علمه وفنه ...

وعلى نمط المقامات تعددت وتنوعت مظاهر القصة الأخرى من رسائل ومحاورات وموازنات ومفاخرات كالموازنة بين النار والتراب ، والمفاخرة بين السيف والقلم .

أما سير الأبطال وتراجم الرجال فما أكثرها فى هذا العصر وما أجلها وأعظم شأنها ، غير أنها أقرب إلى النزعة التاريخية منها إلى النزعة الأدبيــة . ومن بينها موسوعات ضخمة ، ومن بينها تراجم فردية مستقلة . ومن أمثلة الأخيرة وهى التى تقص سيرة رجل واحد ، كتاب «عجائب المقدور فى أخبار تيمور» لشهاب الدين بن عربشاه (٨٥٤ هـ) الذى أشرنا إليه من قبل . و «التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر» وهى سيرة السلطان جقمق كتبها ابن عربشاه أيضاً . وكتاب «تاريخ الناصر بن قلاوون» لمؤلفه شمس الدين الشجاعى و «ترجمة الأوزاعى» لابن حجر العسقلاني (٨٥٤ هـ) و «سيرة نور الدين زنكى» لبدر الدين بن الشهيد الدمشقى كتبه عام (٨٧٤ هـ) . وغير هذه المؤلفات كثير .

وقبل أن نختتم هذا المقال نحب أن ننوه بشيئين هما من القصة بسبيل : أحدهما الشعر القصصى ، والثانى الشعر التمثيلى وهما من الأدب العربى — إلى عهد قريب — نادران . ومن العجيب أن ترى فى العصر المملوكى نشاطاً من الشعراء فى ميدان القص ، وقد نوهنا فى مقالتنا عن «البردة» عن مجهود أصحاب البديعيات ، وعن أدباء البردة الذين عارضوها ، ومنظوماتهم عبارة عن قصة الرسول عليه الصلاة والسلام . وللشعراء فى غيرها جهود محمودة ، فن منظوماتهم «سيرة بيبرس» لمحيى الدين بن عبد الظاهر (٦٩٢ هـ) و «سيرة برسباى» لبهاء الدين الباعونى (٩١٠ هـ) وهى أرجوزة فى ٥٥٧ بيتاً . والجوهرة فى سيرة المؤيد شيخ نظمها بدر الدين العينى (٨٥٥ هـ) . والعجيب أن ترى هــذه النزعة القصصية لدى الزجالين ، وقد نوهنا بذلك فى مقالنا عن الزجل والزجالين وأشرنا إلى جهود القيم خلف الغبارى ، والقيم بدر الدين الزيتونى . . .

أما الشعر التمثيلى فليس له وجود بالمعنى الذى نفهمه فى العصر الحديث أو عنه فى العصور القديمة فى الآداب الأجنبية . غير أن بعض أدبائنا عثروا عن كتاب «طيف الخيال» لمؤلفه الشاعر الناثر الماجن الطبيب شمس الدين بن دانيال الموصلى (٧١٠ هـ) الذى كان يعيش بالقاهرة ، وقد تصفحنا هــذا الكتاب فى دار الكتب المصرية . وهو مطبوع فى أوربا وبه مقدمات مكتوبة بالألمانية . ولعل المطبوع منه قسم من المؤلف الأصيل . ونستطيع القول إنه عبارة عن مقامة تمثيلية طويلة يصف فيها المؤلف لعبــة «خيال الظل» . وينطق فيها أبطال التمثيل على مسرح أمام النظارة ، خلف ستار يضاء بالشمع . أما الأبطال فشخوص متعددة منها ما يمثل آدميين ، وما يمثل حيوانات . ومن الأدميين : الريس ، وطيف الخيال وهو شخص أحدب ، وحويش الحاوى ، وعسيله الماجيقى ، ونباتة المشاب ... الخ

أبو خليـــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

للاستاذ حسنى كنعان

— ٢ —

شاع فى الفيحاء ما بين سمار الأندية ورواد المجالس ، أن الفتى الشاغورى نابغة بنى أقبيق قد أقصاه شيوخه عن دروس المسجد الأموى ، وطرده والده من داره لنزعته الموسيقية والتمثيلية لئلا تكون هذه الأسرة المرموقة المنظور إليها فى حى الشاغور المحافظ على تقاليده وعاداته غرضاً للنقد والتهويزة الممضة .

وانتشر ذلك كسرعة البرق بين رواد الحلقات ، فأسف على حرمانه من الدرس أناس وفرح آخرون ، أسف الذين كانوا يرقبون له مستقبلا لامعاً من إنصرافه إلى العلم ، وفرح الذين كانوا ينفسون عليه نبوغه ، ويعدون وجوده بينهم حائلا دون ظهورهم ، وكان من أشد الناس أسفاً على حاله ، خاله أبو أسعد النشواتى . فأدناه من مجالسه ، وكفل معيشته ، وجعله وكيلا عنه فى قاعة النشا ، ولما ارتاش وانتعشت حالته المادية عند خاله بدا له أن يستقل فى عمله ، فاشترى من وفره « قبانا » واستأجر محلا فى سوق البذورية وهو من أشهر أسواق دمشق التجارية ، وجعل يتكسب من هذه الصناعة ، وأمسى يكنى بالقبانى ، فتغلبت هذه الكنية ، فيا بعد على أسرته وغدا يطلق عليها أسرة القبانى ، وكان خاله يعتقد أن إزالة صخرة كبيرة من مكانها أهون عليه من إزالة هذه التحيزة المتأصلة فى نفس هذا الفتى النابغ العجيب . ومما جعله يعطف عليه هذا العطف كله أن أبصره أكثر من مرة يجمع حوله فى مقام الحسين فى القسم الخارجى من الأموى جماعة المؤذنين والمذكرين ، وأبطال المراسلات فى آذان الفجر وفى الأسحار فى ليالى رمضان ، فيعلمهم الأذان والمراسلات من نغمة الصبا ، والحجاز ، والجهاركاه ، والسيكا ، وكانوا لا يعرفون سوى نغمتى الراست والبياتى ، وكان ذلك وهو فى الثانية عشرة من سني حياته ، وكان صوته على مأذنة عيسى القائمة فى جانب من جوانب المسجد الأموى يفتن السامعين وقت السحر وهو فى هذه السن ويجعلهم فى حيرة من أمره وذهول .

وإلى هذه المواهب التى لا ينضب معينها ، نراه منصرفاً إلى العلم والتجارة والكسب ، حيث لا تمر عليه ساعة من نهار دون أن يفيد منها .

وكثيراً ما كان يرى فى أوقات الفراغ ممسكا بيده مطرقة من حديد يطرق بها جانب قبانه طرقات موقعة على الأوزان الموسيقية ينشد الموشحات والأهازيج على حسب الإيقاع إنشاداً يفتن به الألبابَ ويخلب عقول أهل السوق ، فيتكونون حوله يرقصون كأنهم سكارى لعبت إبنة الحان بعقولهم ، فيصفقون ويستديرون على أنفسهم بدون شعور من شدة النشوة والطرب ، مما جمعت هذه المواهب القلوب على محبته وجلبت إليه الرزق فذاع إسمه فى المدينة وتحدث عنه الخاص من أبنائها والعام .

وكانت تقام له حفلات السمر لدى محبيه وعاشقى فنه فى كبريات الدور ، يمتد فيها ومحبيه المحاورات والروايات الساذجة

ومن الحيوانات . الأسد والدب ... الخ . ولكل من هؤلاء جميعاً دور يؤديه وحديث يلقيه . يتقدم فيحدث ويحدث ويحاور ثم يتوارى ويترك الميدان لغيره ، وهكذا دواليك . ويتخلل الحوار المنثور أبيات وأغانى وأناشيد عدة . والقطعة المطبوعة من طيف الخيال تتألف من جملة فصول أو مناظر ، لكل منها حديث وحوار . واعتقادنا أن ما أورده ابن دنيال فى طيف خياله هذا ، ما هو إلا نمط من أنماط عدة كثيرة ، ورواية من روايات مختلفة كانت تمثل بين الناس فى تلك العصور الخالية للهو والتسلية والعظة والاعتبار؛ فالكتاب على ما فيه من مجون وفكاهة فيه أيضاً مثل وحكمة . وعلى أية حالة فهو يوحى إلى أن التمثيل المسرحى والرواية التمثيلية والشعر التمثيلى كانت كلها تدور فى مخيلات القوم فى ذاك الزمن السحيق ، ولو إلى حد ما .

ولا يتسع حديث واحد كحديثنا اليوم لاستيعاب القول عن مظاهر القصة فى العصر المملوكى . فكل مظهر منها يحتاج إلى دراسة ، فلعلنا — أو لعل غيرنا — يعود إليها فى فرصة أخرى .

محمود رزق سليم

مدرس بكلية اللغة العربية

٣١٠٤٤

المؤلفة من أربعة أشخاص أو خمسة ، تعرض فيها فصولا بالمفاضلة ما بين الكسلان والمجتهد ، والتاجر والعامل ، والعالم والجاهل ، ولما طال الأمد عليه وهو يدب فى هذه الصناعة دبيب الطفل الزاحف الذى يحبو على يديه ورجليه ويتحفز للوثوب خطر بباله أن يأخذ دور عنترة ويحمل دور عبلة لصديق من أصدقائه مقلداً فى ذلك أستاذه الأول على حبيب الذى كان يتخذ من الصور الخيالية أشخاصاً فيكلمهم خلف الشاشة ويحاورهم ويداورهم كما مر معنا فى البحث الماضى ، فنجح فى هذا الباب نجاحاً كتب له فيه الظفر ، وفاق فيه أستاذه . إذ أن ذاك كان يحاور صوراً خيالية ، وهذا يحاور ويمثل مع أشخاص حقيقيين .

وفى عهد ولاية المرحوم الوالى « صبحي باشا » حضرت إلى دمشق من فرنسا فرقة تمثيلية ومثلت فى مدرسة « العزارية » روايات إجتماعية وأخلاقية فى باب توما ، وهى أقدم مدرسة لدينا كانت تقوم ولا تزال قائمة حتى الآن بتعليم اللغة الفرنسية ، وكان القبانى قد شهد هذه الروايات جميعها وأخذ فكرة عن المسرح والتمثيل والممثلين وتوزيع الأدوار « والمكياج » ، فتمم بذلك ما كان ينقصه من فكرة التمثيل والمسرح ، وأمسى أكبر همه أن يؤسس في دمشق مسرحاً ، ويؤلف فرقة ، بيد أن الذى عاقه عن المضى فى سبيله ، قضية ظهور الفتيات على المسرح ، وما يعتور هذه الفكرة من طرق شائكة وصعاب وعقبات .

فالمرأة التى كانت حبيسة بيتها ، وكان لا يسمح لها فى الخروج منه سوى مرة واحدة فى العمر تلك هى المرة التى تخرج فيها من البيت مزفوفة إلى بيت بعلها ، ومرة واحدة بعد الموت ، تلك هى المرة التى تخرج فيها محمولة على الأعناق إلى مقرها الأخير ... فكيف تستطيع أن تظهر على المسرح وحالتها حالتها ، ومحبسها محبسها ، إن دون ذلك خرط القتاد وإراقة الدماء وإسالة النفوس .

بقى القبانى يفكر فى تذليل هذه العقبة وتسهيلها مدة من الزمن حتى بدا له أن يمضى فى طريقه غير وجل ولا هياب ، ويستعيض بدلا عن النسوة الفتيان « المرانق » ذوى الشارات الحسنة والمياسم المفرية . ولما شرع فى عمله ، ورأى الإقبال عليه والتشجيع والتنشيط من كل صوب وناحية وأصبح العارضون أنفسهم عليه من الفنانين أصحاب المواهب ومن الفتيان ما يفيض عن الحد المطلوب طار من إهابه فرحاً ، لا سيما وأ كثرهم عرض نفسه عليه بدون أجرة تشوقاً ولذاذة ، فألف على الفور فرقة تمثيلية كانت تمثل الروايات فى بدء عهدها ، فى البيوت والقاعات الخاصة ، فذاع خبر هذه الروايات فى الشام حتى بلغت مسامع « الوالى » التركى « صبحى باشا » ، وكان ممن يقدرون الفن والمواهب ، فحضر بنفسه تمثيل رواية من الروايات فى حفلة أقيمت على شرفه بصورة خاصة فى بيت ثرى من أثرياء الشام وهم كثر فى ذلك العهد ، فدهش مما سمع ورأى ، وهام بحب أحمد كل الهيام وأدناه من مجالسه ، وجعله موضع عنايته ، فصار شفيعاً ووسيطاً ما بين الحاكم والرعية ، ما من أحد عرضت له مهمة لدى الوالى وقصد أحمد بها إلا قضاها له .

رأى الباشا فى هذا النابغ الدمشقى الشروط المتوفرة للقضاء على الجمود الفكرى فى الشام وتهذيب النفوس الجامحة بواسطة التمثيل والموسيقى ، فأوعز إليه أن يؤلف جوقة ويقيم مسرحاً فى المكان الذى يختاره .

ولقد رمى الوالى بهذه الفعلة إلى غاية سياسية الجلة تلك أهمية صرف الشعب المتوثب عن الحياة الطليقة التى كان أوجد نواتها فى البلاد قادة الثورة الفكرية الشيخين المصلحين الإمامين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

فتم له بذلك ما أراد ، وكان إقبال الشعب على مشاهدة روايات القبانى يفوق حد الوصف ويشب عن الطوق ، فأقام مسرحه فى خان من خانات البذورية ، وأول رواية عرضها على الجماهير الحاشدة رواية ناكر الجميل ، فأحرزت شهرة فائقة ونالت نجاحا عظيما فى الأوساط ، ثم اتبعها برواية وضاح فلم يكن إفتتان الناس بهذه الرواية أقل من افتتانهم بسابقتها ، وهكذا دواليك أخذ هذا النابغة الموهوب يتدرج بفنه من حسن إلى أحسن ومن جيد إلى أجود ، حتى طارت شهرته فى جميع الأنحاء السورية ، وتخطتها إلى الأقطار المجاورة ، فصار حديث القبانى الممثل المطرب والمنشد البارع والملحن الأوحد مالىء دنيا الشام وشاغل أهلها .

ولما أقبلت عليه الدنيا إقبال الأنثى المنهمر ، وبسم له الدهر وصلحت حاله ، أخذ محلا فى « خان الكمرك » فى المصرونية بالقرب من المدرسة العادلية ، وأقام مسرحه هناك فى منتصف المدينة . وهنا استفاض الحديث فى المنازل والمجالس عن عظيم مواهبه وسحر فنه ، وكثر رواد مسرحه ، وعشاق موسيقاه ، وتمثيل رواياته ، فلا حديث فى المدينة إلا حديثه ، ولا ذكر إلا ذكره ...

وكان كلما تدفقت عليه الأموال ينفقها فى سبيل تحسين مسرحه وجلب الحاجات الفنية الناقصة إليه ، ففتن الناس وخلب عقولهم حتى بلغ من شأن الإهتمام برواياته أن صار الفقير منهم الذى لا يملك ثمن بطاقة الدخول يبيع فراشه وأوانى بيته وحلى زوجته ليشاهدها ويجتلى طلعته فيها ، وكان لشدة الإزدحام يؤم الواحد منهم القاعة من الصباح ويبقى فيها حتى المساء ليشاهد الرواية ، فإذا ما انقضت اللذة بمشاهدة رواية تولدت شهوة ولذة بمشاهدة غيرها . ومن شدة الإزدحام على أبواب القاعة المقام فيها للمسرح أسس الدخول إليها لا يكون إلا تحت إشراف السلطات المحلية ، وصارت تباع التذاكر لدى مكاتب المتعهدين قبل ثلاثة أيام ، ومن يتأخر عن حجز مكان له فى أسبوع قبل ثلاثة أيام أو أربعة أيام يضطر مكرها للحظوة بمشاهدة هذه الروايات فى الأسبوع الذى يليه .

وكان للوالى فى قاعة المسرح مقصورة يقصدها كل ليلة ويمتع سمعه وبصره بهذا الفن الأخاذ بالرغم من جهله اللغة العربية التى يمثل فيها القبانى رواياته .

ومن عادة الدهر ألا يبقى على حالة واحدة ، وأنه إذا ضحك لإنسان يوماً ما سيتجهم له إذا دالت دولته وولى زمانه وشالت نعامته ، وخانه صحبه وأوطانه ، وقديماً قال الشاعر : « من سره زمن ساءته أزمان ... »

(البحث صلة) حسنى كنعان

الضمير العالمى

للأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو

طالت على الأيام رقدته ... وخلا من الوجدان والمهج
فمتى ترى تفتر مقلته ... وتقر عين العالم اللهج ؟

غلت من الإغفاء عيناه ... أم ذاب تحت جفونه البصر ؟
ياليت شعرى أين مثواه ... بين الجوانح أيها البشر ؟!

تصحو المظالم إن جرى الوسن ... فى مقلتيه ويمحى العدل
وإذا تنبه نامت الفتن ... بين الورى واستأمن السكل

فيم « المجامع » أيها الناس : ... قول يسر ومنطق عجب ؟
و « مواثق » يتعجب الناس ... من حسنها والدر والذهب

فيم « المجامع » راح يهزم ... حق بها ويعز بهتان
لو صحت النيات والذمم ... لم يشق تحت الشمس إنسان

لو لم تك الأهواء رائدكم ... يا من ملكتم قبضة الكون
ما احتاج حق أن يناشدكم ... — عبثاً — له قبساً من العون

لو لم تك الأهواء غالبة ... ومطامع تعدو وتستبق
لم تخذلوا للعرب واضحة ... غراء مثل الشمس تأتلق

تاه السلام وحار بينكم ... ويكاد يقضى نحبه طفلا
تتمشدقون به وفعلكم ... يردى السلام ويورث القتلا

أوقدتموها بيننا شعلا ... حتى قهرتم طاغياً حرنا
ومن العجائب : كل ما فعلا ... معكم فعلتم شبهه معنا

سيظل بين جوانب الأرض ... تمس الوجوه وضيعة الأمل
ما ضمت طى جوانح البعض ... أسطورة الذئب والحمل

عبد الرحيم عثمان صارو

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليونسكو فى بيروت :

ينعقد الآن فى بيروت المؤتمر العام الثالث لهيئة «اليونسكو» وقد افتتح يوم ١٧ نوفمبر الحالى بكلمة لرئيس الجمهورية اللبنانية موضوعها «القيم الروحية والقوة الهوجاء» وقد تتابعت الجلسات فى الأيام الخمسة الماضية إلى وقت كتابة هذا ، وحفلت هذه الجلسات بكلمات من المندوبين وتلاوة التقرير السنوى للهيئة الذى وضعه المدير العام ، وقد أثيرت مسائل مختلفة فى الاجتماعات الماضية ، أهمها موضوع تمثيل الهيئات اليهودية الذى أعلنت لبنان رفضه وأيده سائر البلاد العربية ، ولكن مندوبين غربيين قالوا إن المؤتمر الثقافى هيئة إنسانية لا طائفية ولا عنصرية ودعوا إلى التسامح بقبول ممثلى الدولة المزيفة فى المؤتمر ، فرد بعض المندوبين العرب بأن البلاد العربية ترفض لا لسبب عنصرى أو طائفى بل لمعارضتها السياسية فى قيام دولة يهودية . وبعد نقاش حاد قرر المؤتمر أن تمثل الهيئات الدولية غير الحكومية بمراقبين لا حق لهم فى الاقتراع . وقال مذياع بيروت إن الأستاذ يوسف خاطر مندوب لبنان قام بعمل بارع إذ اقترح أن يقصر تطبيق ذلك على الهيئات التى أرسل إليها فعلا وأجابت بالموافقة ، فأيد المؤتمر هذا الاقتراح وعلى هذا ينطبق ذلك القرار على ٣٦ هيئة ليس بينها هيئة صهيونية ...

ومن المسائل التى أثيرت مسألة تعليم الشبان الفلسطينيين اللاجئين إذ اقترح مندوب استراليا أن تقوم اليونسكو والدول الأعضاء فيها ببذل المعونة فى ذلك ، وقد شكره شفيق غربال بك مندوب مصر ، ثم أعلن الرئيس الموافقة على الاقتراح فأحيل إلى لجنة التعمير الفرعية لدراسته .

ويعمل مذياع بيروت فى المكان المخصص له بمدينة اليونسكو ، فيذيع أهم ما يدور فى الجلسات ، كما يسجل كلمات المندوبين ويذيعها ، وقد سمعت منه كلمة شفيق بك غربال ومما تضمنته الإشارة إلى بعض المسائل التى يتم الاتفاق عليها خارج اليونسكو وهى أولى ببحثها وتنظيمها كمسألة موجات الإذاعة التى وزعت بطريقة غير عادلة .

وقال مذياع بيروت فى التعقيب على اجتماعات اليونسكو : إن هذا المؤتمر العالمى يجتمع بلبنان فى جو سمح حر بعيد عما يلابس المؤتمرات العالمية من محاولة البلاد التى تجتمع بها التأثير فى مجرى أعمالها لتوافق هواها .

وقد لوحظ فى تأليف وفد مصر إلى المؤتمر أنه يشمل إلى جانب الأعضاء الرسميين بعض الخبراء غير الرسميين كالدكتور بشر فارس وقد دعت حكومة لبنان الدكتور طه حسين بك إلى حضور المؤتمر بصفة شخصية ، على أن يكون ضيفاً لديها ، فلبى الدعوة ويسافر من القاهرة إلى بيروت فى ٢٥ نوفمبر ، ويلقى هناك محاضرة عن الحضارة العربية وما أسدت الحضارة الغربية .

تعقيب :

يخيل إلى من يستمع أو يقرأ ما يجرى فى اجتماعات اليونسكو أن البحر قد أصبح (طحينة) كما نقول فى أمثالنا العامية ، فنشر الفكر وحرية الأنباء وإخاء الثقافات وتعاونها على إقرار السلام يتحدث عنها أولئك المفكرون الأفذاذ من مندوبى العالم وهم مستغرقون فى الخيال ... والمسألة كيف ينتقل ذلك كله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة أو كيف يمكن نقل هذه الأشياء إلى مجال العمل والتنفيذ ؟ ثم كيف يوجهون التيارات الثقافية إلى صالح السلام ونصف القوة العالمية غير ممثل فى اليونسكو ، وهو روسيا ؟ وسينفض هذا المؤتمر الثالث ، ونرجو عند اجتماع المؤتمر الرابع أن يكون العالم بخير ...

صديقنا الزين يتراءى لنا :

كتبت فى عدد مضى من الرسالة منذ قليل ، كلمة فى ذكرى الصديق الكريم والفقيد العظيم الشاعر الراوية أحمد الزين ؛ وما أحب إلى أن أعود الآن إلى الحديث عنه فى التعبير عن خاطرة

تتعلق به ، وهو جدير بأن تؤلف فى أدبه وشخيته المؤلفات ، فلا أقل من كلمات .

قلت إن اللقاء لم ينقطع بين الصديق الفقيد وبينى على رغم وفاته ، ألقاه فى كل مكان صاحبته فيه وعند كل ما يذكرنى به . إلى آخر ما عبرت به عن هذا الإحساس . ثم كتب بعد ذلك فى مجلة « الثقافة » الأستاذ عبد الفتاح البارودى كلمة طيبة فى ذكرى الزين ، فلم يكن من الغريب ، وهو من أصدقاء الشاعر الفقيد ، أن نتفق فى الإحساس نحو صديقنا الراحل ، قال : إن « طيفه الرقيق الوديع قلما يبرح مخيلتى إلا ليعود إليها » ثم بنى مقاله على رؤيا رآه فيها .

ومنذ بضعة شهور رأى الأستاذ محمود لطفى أمين مكتبة المجمع اللغوى ، وهو أيضاً من أصدقاء الزين — رأى فيما يرى النائم أنه يقف بأسفل سلم ، والزين على إحدى درجات هذا السلم ، وبينهما ست درجات . وقال العالم بتأويل الأحلام : إنك لا تزال فى الدنيا ، وقد صعد الزين منها ، وتلحق به بعد ستة أيام أو ستة أشهر أو ستة أعوام ... فانزعج صديقنا لطفى وأخذ فى الحساب ... الستة الأيام مضت ، والستة الشهور يبقى منها نصف شهر ... وأعد عدته وجد فى تحسين خاتمته ، ولكن الله سلم ؛ فهل كسب الصديق فى عمره ستة أعوام ... ؟

وليس بعجيب أن يتراءى لنا صديقنا الخالد ، فى المنام وفى غفوات اليقظة ، فقد كان صافى النفس ، خالص الوجدان والفكر مما يصطنعه الناس من الرياء والنفاق ، لا يعلق قلبه بما تعلق به أحابيل المرائين والمنافقين من غايات . وكان روحه ينسرب فى نفوس أصدقائه خلال حديثه إليهم لصدقه وصراحته ونظرته إلى الأمور نظرة إنسانية عالية .

وكان يبدى رأيه فى الأشخاص صريحاً ، وكان يرغب عن مصانعة من يتنازل بعض الناس عن حريته فى مصانعتهم ، ضناً بأدبه أو كرامته أن يكون لها ثمن من حطام أو سراب ... مما جر عليه حقد أولئك الناس وجحودهم قدره ، وكان حرياً بكل تقدير وإعزاز .

ذلك هو الإنسان الذى يتراءى لناظيفه ، لأنه خالد فى نفوسنا وما أسمدنا به حياً وميتاً .

الشعب ينفق على تلهية الأغنياء :

جاء فى مقال للدكتور طه حسين بك فى « الأهرام » قوله :

« فكان من الديمقراطية مثلا ، فى أواسط القرن الخامس قبل المسيح ، أن يفرض على الأغنياء تلهية الشعب بتنظيم حفلات التمثيل على اختلافها ، فكان الأغنياء وحدهم هم الذين ينفقون على إعداد القصة التمثيلية وإخراجها ، يأجرون الشاعر الذى ينشئها ، ويأجرون الممثلين الذين يعرضونها ، ويأجرون الذين يشرفون على هـذا الإخراج ، ويؤدون كل ما يحتاج إليه الموسم التمثيلى من نفقات » .

كان ذلك فى أوربا منذ خمسة وعشرين قرناً ، أما الآن فالأمر عندنا فى مصر على عكس ذلك ، أى أن الشعب هو الذى ينفق على تلهية الأغنياء ...

الحكومة تمنح الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى نحو خمسة عشر ألف جنيه فى العام ، وتنفق على استقدام فرق التمثيل الأجنبية مالا يقل عن ذلك المبلغ ، ولا أعرف بالضبط ما تنفقه على دار الأبرا الملكية ، ولكنا نعلم أنها دار فخمة لها مدير ووكيل وفيها موظفون فنيون وإداريون وسماة وفراشون وما إلى ذلك ، عدا مرافقها المختلفة وما يتطلبه إعداد الروايات من أثاث وثياب ورسم مناظر وغير ذلك ، فلا بد أن لها « ميزانية » كبيرة . وهناك أيضاً لجنة ترقية التمثيل ، وجوائز مالية تمنح فى مباريات التأليف للمسرح .

وكل ذلك يصرف من خزانة الدولة التى تتكون من الضرائب التى يدفعها الشعب على اختلاف طبقاته ، ويقصد منه إحياء فن التمثيل وتحقيق المتعة والفائدة ، ولكن من يستمع ويستفيد ؟ الأغنياء طبعاً لأنهم هم القادرون على « دفع ثمن التذاكر » أما الفقراء ومن يليهم من المتوسطين فحسبهم النظر إلى الإعلانات وصور الممثلين والممثلات فى الصحف وعلى الجدران ، لقاء ما ساهموا به من الإنفاق على التمثيل باعتبارهم « دافعى ضرائب » .

أليس معنى ذلك أن الأغنياء يشاهدون التمثيل على نفقة الفقراء ؟

ولعل ذلك بعض الجواب عن تساؤل الدكتور طه : أين نحن الآن من معنى الديمقراطية

كثرة التأليف من علامات الساعة:

هكذا يقول أثر من الآثار المصرية القديمة يرجع عهده إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، إذ وجد منقوشاً على حجر من هذه الآثار أن « من علامات الساعة أننا صرنا إلى زمن لا يتورع فيه كل من هب ودب عن التطلع إلى التأليف والتصنيف » .

وإذا كان الكاتب القديم فى ذلك الزمن السحيق يقول ذلك فماذا نقول نحن الآن وقد صار كل إنسان يستطيع أن يكون مؤلفاً ما دام يملك نفقات الطبع ويستطيع أن يؤلف أى كلام .. حتى انصرف الناس عن قراءة الكتب ، وأصبح الكتاب فى أزمة شديدة بفضل « المؤلفين » الذين كان يمكن أن ينتفع بهم فى إنتاج سلع أخرى ؟

فإن كان قدماؤنا قد هالهم ما رأوا من إقبال غير الأكفاء على التأليف حتى عدوه من علامات الساعة ، فيظهر أنا وقعنا مما نرى من فوضى التأليف ، فى « الساعة » نفسها ! والله المستعان .

من طرف المجالس :

كان الحديث عن هؤلاء « القصاصين » الذين يوالون الإنتاج بسرعة عجيبة ، حتى ملؤا الصحف وأخرجوا العديد من مجموعات القصص والأقاصيص . سأل أحد الجلساء : كيف يتسنى لكاتب أن ينشىء فى أسبوع واحد عدة قصص ، عاش فى أجوائها وهضم فكراتها واستوت له عقدها و ... فقطعت عليه الإجابات سبيل استرساله ، قال الأول : رويدك ! رويدك ! أى أجواء وأية عقد ؟ إنها حكايات و (حواديت) يجتذبون القراء إليها بسرد وقائع الشباب الفائر وعرض الأنوثة الصارخة !

وقال الثانى : بارك الله فى قصص الغرب . فما على الواحد منهم إلا أن يجرد القصة من القبعة ثم يضع عليها الطربوش أو العمامة ومع ذلك تبدو عليها ملامح السحنة الغربية .

وقال الثالث : ولكن هناك كثيراً من هذه القصص تكتب غربية بحوادثها وأشخاصها وأماكنها وليس على القصة إلا اسم أخينا المصرى ، وما أحسبه يدعى تأليفها ، فممن ترجمها أو اقتبسها أو لخصها ؟ الواقع أن هذا النوع من ... التأليف ... أو من الترجمة أو مما لا أدرى اسمه — قد حيرنى !

وأمسك الجميع حين رأوا ذلك الأديب الكبير الذى يتصدر المجلس — متهلل الوجه تدل هيئته على أن عنده شيئاً طريفاً فى الموضوع ، قال :

تلقيت من فلان المجموعة القصصية التى أصدرها أخيراً ، وقد أرفقها برسالة يرجو فيها « عدم المؤاخذة » لما فى الكتاب من أخطاء نحوية ولغوية سببها أنه طبع فى بلد بعيد فلم يستطع مباشرة التصحيح ... فعجبت لهذه المطبعة التى تعصى الفيروزابادى وتخالف أوامر سيبويه ! ولكن عجبى ذهب عندما رأيت قوله « لعلكم تتفضلون بتشجيع الخطوات التى يخطوها (الناشئين) وتذليل ما (يجدوا) من صعوبات »

ثم ظهرت على فم أديبنا الكبير ابتسامة ساخرة وقال : وقد هان على الخطب لأننى اطمأننت على الطباعة !

الجامعة والمعاهد العالية :

جاء فى الجزء الخاص بالتعليم من خطاب العرش ما يلى :

« وتعتزم حكومتى إنشاء مجلس موحد لمعاهد التعليم الفنى العالى ، يكفل القيام على شؤونها المشتركة ، لما تبين من صواب قيام هذه المعاهد بجانب الكليات الجامعية ، لغلبة الصبغة العملية عليها ، ولتمكين طائفة غير قليلة ممن أتموا التعليم الثانوى من إتمام التعليم العالى بها » .

وقد نشرت الصحف أحاديث لمدير جامعة فؤاد الأول ، يشكو فيها من تضخم الجامعة لكثرة من قبلتهم من الطلبة فى هذا العام ، وهم مع هذا ليسوا كل المتقدمين إليها من الناجحين فى « التوجيهية » وقد بين سعادته ضرر زحمة الطلاب بالجامعة ؛ من حيث صعوبة إشراف الأساتذة والمدرسين على العدد الكبير من الطلبة واستحالة قيام العلاقة المرجوة بين الطالب والأستاذ .

والواقع أن الإقبال اشتد على التعليم العالى فى السنوات الأخيرة ، وليس كل المقبلين راغبين فى التعليم ذاته ، فهناك كثيرون يريدون شهادات ذات (كادرات) وليس كل الراغبين فى التعلم صالحين للتعليم الجامعى ، فليس من وضع الأمور فى مواضعها إثقال كاهل الجامعة بكل هؤلاء .

وعلى ذلك فإن الاتجاه إلى الإكثار من معاهد التعليم الفنى العالى اتجاه سديد ، إذ تنصرف إليها طائفة كبيرة من الطلبة لإعدادهم إعداداً فنياً عملياً فى مختلف الشؤون والفنون ، ويتجه إلى الجامعة ذوو الاستعداد اللازم لها .

عباس خضر



إلى الأستاذ شفيق أحمد عبد القادر :

جاءنى أيها الأخ العزيز بضعة وعشرون رسالة من طراز رسالتك التى تكرمت مجلة الرسالة بنشرها فى عدد ١٥ نوفبر الحالى صفحة ١٣٠٦ ، وقد تفضل كاتبوها كما تفضلت وأسبغوا على من ثنائهم الكريم ما أغرقنى فى بحر من الخجل . بعضهم كتبوا إلى عن يد الرسالة وبعضهم كتبوا إلى رأساً . ولم أشأ أن أنشر رسائلهم لئلا يؤخذ علىّ أنى أطنطن بخدمة عربية هى واجبة علىّ كالخدمة العسكرية . ولو كنت فى شرخ الشباب خالياً من المسؤولية لحملت بندقيتى ومشيت وراء الشبل الأعلى الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة مع المتطوعين ممن قادهم إلى ساحة القتال يوم توالت الخطب فى الجامع وكانت خطبته كلمتين : « ليست خطبتى إلا أن أحمل بندقيتى وأمضى إلى الميدان فمن شاء أن يتبعنى فهلم »

وقد سمعت الأستاذ أحمد حسين غير مرة يخطب فما خيرت عنه المغفور له مصطفى باشا كامل . ولكن هاتين الكلمتين اللتين خطبهما فى الجامع كانتا أوقع فى نفوس السامعين .

ولو لم أكن قد بلغت من العمر عتياً ، ولم يُبقِ الوهن فى جسدى من القوة شيئاً ، لحملت بندقيتى وجريت وراء الأستاذ طائماً مجاهداً رضياً ، وإنما ترك لى الوهن قلباً سوياً ، يهز قلماً عربياً يزلزل لواء صهيونياً ، ويدك عرشاً إزرائيلياً .

ولكن يظهر يا عزيزى أن مواجهة الصهيونية لم تعد نافعة بل صار من الواجب « مواخزة » (من الوخز) الجامعة العربية عسى أن تتدارك الموقف وقد صار روياً . والله أسأل أن يغنينى عنهم وقد كنت بحول الله عنهم غنياً ، إن الله كان بعباده المؤمنين مخلصاً وفياً .

نقولا الحداد

حول سوداء وسودا :

جاءنى فى « البريد الأدبى » تعقيب على كلمة كتبها الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد المفتش بالأزهر حول نصب (سود) صفة (لحلوبة) فى بيت عنترة :

فيه اثنتان وأربعون حـلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

وقد قال الأستاذ المعقب : « لو صح نقل الأستاذ ، وكان السواد صفة للحلوبة المفردة — لفظا ومعنى — لكان الصواب أن يقال (سوداء) وصفاً للمفردة وليس (سودا) وصفاً للجمع ومن ثم لا يكون (سود) — فى البيت — صفة للحلوبة ، وإنما هو صفة للجمع على المعنى وهو اثنتان وأربعون » .

ونصحح البيت أولا فنقول : إن أصله « فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... » وليس كما ذكر « فيه اثنتان ... » .

ثم نقول : إن (سودا) هذه فيها أربعة أوجه : وجه بالرفع وثلاثة بالنصب ، وأحد هذه الثلاثة أن تكون (سودا) صفة لحلوبة ، وليس يلزم أن نقول (سوداء) لتكون وصفاً لحلوبة المفردة ، لأن (سودا) بالجمع تصح أن تكون وصفاً لحلوبة حملا على المعنى .

وليس هذا المعنى هو (اثنتان وأربعون) كما قال الأستاذ المعقب ، وإنما المعنى هو أن (حلوبة) بمعنى (حلائب) فصح وصفها بالجمع وهو (سود) .

(اسكندرية) **حسن صادق حميداه**

١ — اللباب فى الأنساب لابن الأثير :

يشترك كثير من العلماء : من أدباء ومؤرخين وفقهاء ومفسرين ومحدثين ، وغيرهم ، فى نسبة واحدة ، كالنسبة إلى بلد أو جد أو صناعة أو قبيلة أو غير ذلك . فاذا ذكر أحدهم بنسبته فى مرجع من المراجع ربما التبس بغيره ممن يشاركه فى هذه النسبة لذلك ألف بعض العلماء كتباً باسم (الانساب) جعلوها كمعاجم لذلك ، يضبطون النسبة ثم يسردون أسماء من اشتهر بها ، مع المهم من ترجمته ، ولا سيما مولده ووفاته ، ويذكرون سبب شهرته بهذه النسبة ، إلى غير ذلك .

ومن أعظم هذه المعاجم كتاب الانساب للسمعانى ، لكنه توفى قبل تهذيب الكتاب فجاء فيه أغلاط كثيرة فى الضبط ، وأهمل كثيراً من الانساب ، ونسب العلماء إلى بلد أو جد ، وهم فى الحقيقة ينتسبون إلى غيرها ، إلى أوهام فى تعيين مواضع بعض البلاد ، وغير ذلك .

فغدا الكتاب فى حاجة إلى عالم بارع نقاد يستدرك ما فات السمعانى من الانساب ليكون المعجم كاملا ، ويصحح أوهامه ، فقام بذلك شيخ المؤرخين عز الدين بن الأثير ، الذى اشتهر عنه أنه أملى كتابه (أسد الغابة فى الصحابة) من حفظه ، بلا مراجعة كتاب ، ولم يستطع من بعده من المؤلفين فى هذا الباب من كبار الحفاظ أن يستدركوا عليه إلا أشياء يسيرة

نهض لهذا الواجب العلمى فى تهذيب انساب السمعانى والاستدراك عليه ، وقال فى مقدمته :

انى أذكر جميع تراجم كتابه لا أخل منها بترجمة واحدة ، إلا أحوال الشخص التى لا حاجة إلى ذكرها ولا تزيد النسب وضوحاً ، وإن كثيراً منه لم آخذ منه سوى ما ذكرت لأنه لم يحتمل الاختصار ؛ وإذا عثرت على وهم فى كتابه بينته وأظهرت الحق فيه ، لا قصداً لتتبع العثرات ولا إظهاراً لعيبه ، وإنما فعلت ذلك إرادة لاظهار الحق ، وأن أنزه نفسى عن أن يقال رأى الخطأ فلم يعرفه ... وتبلغ تحقيقاته واستدراكاته على السمعانى نحو ربع المعجم

وقد نشرت (مكتبة القدسى) جزءين من هذا المعجم فى ٨٧٠ صفحة ، والباقى منه نحو ٣٠٠ صفحة أى ربع الكتاب جزاها الله خيراً

٢ — مر أنابيب البترول السعودى (عبر سورية) :

يقع مثل هذا التعبير فى الصحف بين حين وحين ؛ وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون فى صحة هذا الاستعمال ، ولكنى وقفت على شاهد له فى (تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام للذهبى ج ١ ص ١٢٣ المطبوع حديثاً بالقاهرة) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمرت عن ساق الأزار ووسطت
بى الذعلب الوجناء (عبر السباسب)

الذعلب : الناقة السريعة ، السباسب جمع سبب وهي المفازة

٣ — من سمى عمراً من الشعراء :

قال الأستاذ التنوخى فى الجزء ٩ من المجلد ١٥ من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : لمحمد بن داود بن الجراح مصنفات ممتعة جمة ، منها كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب من سمي عمراً من الشعراء فى الجاهلية والإسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعثر على غير كتاب الورقة . (ويترجم فيه لكل شاعر فى نحو ورقة واحدة)

مع أن فى دار الكتب المصرية كتابه (من سمى عمراً من الشعراء) وقد جرد جل أو كل ما فيه الإمام المرزبانى فى كتابه (معجم الشعراء) المطبوع بمصر

محمد أسامة

الأسبتاريه لا الأسفباديه :

فى كلمتى عن المدنة فى الإسلام بالبريد الأدبى فى العدد الماضى وقع تصحيف فى كلمة الاسبتاريه فأضحت الاستباديه .

والأسبتاريه « Hospitallers » ، هى طائفة من الفرسان أسسها جيرارد « Gérard » سنة ١١١٣ م . وقد آلت إلى جيرارد هذا إدارة مستشفى « Hospital » بالقدس ، لعلاج الفقراء والمرضى من الحجاج اللاتين . ومن هنا أطلق عليهم الـ « Hospitallers » ونقل المؤرخون العرب ومنهم القلقشندى هذه الكلمة مع بعض التحريف البسيط فأضحت الأسبتارية .

ولما توفى جيرارد سنة ١١١٨ م ، آلت إدارة المستشفى إلى ريموند « Raymond » الذى نقل عن فرسان المعبد الكثير من نظامهم العسكرى وأدخلهم على الأسبتاريه . هذا وقد لعبت هذه الطائفة من الفرسان دوراً كبيراً فى الحروب التى أثارها الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى فى الأراضى المقدسة .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ
جامعة فؤاد الأول



الجد

للأستاذ عبد المغني على حسين

من كان يرتاد أحد المتنزهات الكبيرة بالقاهرة كان يرى فى ضحى أيام الصيف مشهداً يتكرر يوماً بعد يوم وفى رتابة ودقة موعد ، ويسترعى نظر من تستهويه نواحى الجلال والجمال والعاطفة

كان يرى « سامى بك » ذلك الضابط القديم الذى يحتفظ فى السبعين بقامته وسمته فى الأربعين يملوهما تاج من شيبة جليلة ، بشيخ طويل مهيب ، وليس فى بنيانه وقسمات وجهه غير التناسب الجميل ، يقبل كل يوم فى موعد لا يتغير ، بمشيته التى وهنت قليلا لكن لم يزايلها ثباتها وانتظامها العسكرى ، وعصاه الخفيفة بيمينه لا يتوكأ عليها بل لا يلمس بها الأرض إلا لماما ، ترافقه على الدوام حفيدة له ، صبية فى نحو العاشرة ، فيقصدان تواً إلى مقصف المتنزه ويجلسان إلى نضد بركن منه ، ويأخذ الشيخ يطالع صحيفته والصبية تتسلى بتقليب صفحات إحدى المجلات ومشاهدة المتنزهين والمتنزهات ، واللاعبين على المشب الأخضر واللاعبات .

ولم يكن يماثل إعجاب الناظر بروعة منظر الشيخ وحسن سمته سوى إعجابه وعجبه من الصبية الصغيرة أيضاً . كانت ذات ملاحة وظرف وحسن ، لكن محاسنها لا تبدو إلا لمن يرقبها عن كثب لانطوائها وراء هدوء وصمت ورزانة تكبر سن الصبية بكثير ، وتكاد تضارع فيها جدها الكبير .. كانت تمشى بجانب جدها فى خطو متزن وقامة معتدلة ، ثوبها طويل محتشم وحقيبتها اللطيفة تتدلى من كتفها ، ووجهها الصغير المستدير صامت جاد ، ونظرتها إلى الأمام .. فإذا جلسا لم تكن تهز رجلا أو تتلفت أو تبادىء جدها بحديث . فإذا طوى الجد الصحيفة نظر إلى حفيدته فى فرط حنان وإشفاق ، وقال لها شيئاً ، لعله يسائلها إن كان ثمة ما تريد ، أو يريدها أن تطرح بعض احتشامها وتنزل إلى المشب لاهية مثل لداتها ، فتجيبه بهزة نفى من رأسها الصغير وابتسامةِ شكر على ثغرها الرقيق .

هُذا ما كان يطالع منهما عين الناظر العابر . لكن عين الناظر لا تستطيع أن تقرأ ما وراء الصور العابرة من قصص الحياة .. إن سامى بك تزوج فى صباه من سيدة ذات محتد وعاشا عمرهما لم ينجبا غير ابن وحيد . وتزوج الابن فأنجب ابنة هى هذه الحفيدة ، وقسا القدر فمات الابن ، ثم لحقت به زوجته بعد قليل ، وخلفا الطفلة الصغيرة لا راعى لها إلا جداها الكبيران ثم قسا القدر على الشيخ قسوة أخرى كبرى فماتت زوجته ، وخلفته فى شيخوخته يرعى نفسه ويرعى الحفيدة الصغيرة وحده ، ينظر إلى شجرة الأسرة التى أنشأها فلا يرى باقيا منها إلاهو وفى طرف الحياة من عند نهايتها وهذه الصغيرة فى الطرف الآخر عند المبدأ .

إن فرط حنان الجدود على الصغار من أحفادهم وحبهم لهم أمر معروف ، أما الحنان والحب من شيخ كبير وحيد لحفيدة صغيرة وحيدة يتيمة الأبوين لا راعى لها إلا هو فهما لا شك يبلغان الغاية أو يتجاوزانها . إن حنان سامى بك وحبه لحفيدته « عزيزة » مما تعجز الكلمات عن تصويره .

إنه ينظر إلى الرصيد القليل المتبقى له من أيام الحياة . ترى هل يمتد به حتى يرى « عزيزة » زوجة سعيدة ؟ لقد كان فى صباه لا يرهب الموت ، وعلى الأهبة فى كل لحظة لبيع حياته بيعاً سمحاً عندما يقتضيها الواجب . كان ذلك والحياة قيمة ، والشباب قشيب ، وبساط الأمل زاه فسيح ، وأفق المستقبل متألق بسام . واليوم وقد انقضت الحياة إلا نفاية من وهن وأوصاب ، وبساطها قد انطوى إلا طرف يرتمش للانطواء ، والأفق تخبو أضواؤه مؤذنة بانسدال الستار ، يجد الشيخ نفسه أشد ما يكون حبا للحياة وحرصا عليها .. من أجل « عزيزة » .

وكانت له فى الحياة أمانى أشتات ، تزدحم بنفسه فى بعض الأوقات بالمئات ، تحقق منها ما تحقق وأخفق منها ما أخفق ، واليوم لا يعرف غير أمنية وحيدة ، هى أن يعيش ليرى عزيزة ولجت باب الحياة ، وثبتت على أرضها قدميها ، ولم تعد بحاجة لقبضته الواهنة تأخذ بيدها ، ويستطيع أن يستودعها ركنا آمنا

هانئا ، ويستقبل المصير الحتم لـكل حى بقلب رخى وبال خلى .

لـكن هب أن الأجل امتد به وتحققت الأمنية ، وذهبت عنه عزيزة فى زيجة سعيدة فكيف تكون حياته بعد ذهابها ؟ إنه حقا إنما يعيش من أجلها ، لـكنه فى الوقت نفسه لا يعيش إلا بها . كانت فى حياته أنجم وأقمار وشموس فأفلت كلها إلا كوكب واحد هو هذه الصغيرة ، فإذا زحزحت هى الأخرى من سماء حياته ففى أى ديجور بعدها سيعيش ؟ ليس فى الوجود أرق نغما من صوتها ، ولا أعذب لفظا ونطقا وأظرف معنى من حديثها ، والحوار معها فى دروسها المدرسية متعة عقله وروحه وعود جديد إلى عهد الصبا الجميل ، والنزهة معها سبح مع ملاك فى فراديس ، ووجودها فى البيت يجعل فقره الموحش روضة من جنات النعيم . . أى بيت يكون هذا بغير وجودها ، حيث لا رفقة تبقى لذلك الشيخ غير الخدم والشيخوخة والأوصاب ؟ رفقـة أشباح دميمة فى قاعات مظلمة بدار عذاب !

لـكن هل شىء من هذا يهم ؟ وهل لشىء مما يتعلق بذاته الذاربة تلقاء ما يتعلق بذات « عزيزة » أى وزن ، وكيف لعاطفة صغيرة حقيرة من أنانية شوهاء أن تواجه فى نفسه القوى العارمة من الحنان والحب والواجب ؟ إن محيط نفسه الزاخر تلفظ جميع أمواجه هاتفة بتلك الأمنية وصوت الأنانية ضئيل هزيل فى موضع سحيق بقاع المحيط لا يصل إلى أذنه ولا يستبين .

ومضت سنون ، وأتمت عزيزة دراستها ، واستوى قدها ، واكتملت أنوثتها ، تلك الهمسة الخفية التى تسرها الطبيعة فى نواة جسم الأنثى فاذا حان الحين نبت السر متلويا فى قامة هيفاء لدنة كغصن البان ، وحقاق على الصـدر مرمرية فى استدارة الرمان ، والمفاتن الأخرى التى لا يغنى فيها بيان عن عيان . . لـكن الأنوثة وإن كانت واحدة إلا أنها تختلف كاختلاف لون الورود وعطرها . لقد نمت عزيزة إلى فتاة ممشوقة نحيلة القوام ، صامتة جادة حيية ، فى بياض بشرتها شفافية لطيفة عاجية ، ووجهها حلو القسمات صغير مستدير ، وعيناها جوهرتان أصفى من الندى أشربتا بلون عنبرى عميق .

ولم يكن العريس الحبيب عليها بعزيز ولا منها ببعيـد . . . إنه شاب وسيم يكبرها ببضع سنين ، يشغل وظيفة طيبة فى مؤسسة مصرية كبيرة ، يمت إلى عزيزة بقربى من ناحية الجدة ، ويمت اليها بما هو أقرب ، تماثل فى العقلية والطبع الهادىء الجاد الرزين . واسمه « فريد » .

لقد تقدم لخطبتها غيره كثيرون ، لـكن ما منهم من ارتاح إليـه البك الارتياح كله لأسباب ارتآها ، أو هفت اليـه عزيزة بكامل قلبها لأسباب لا تعرفها ، إلا فريد فقد حل من نفسيهما معا فى المكان المكين .

وتمت خطبة عزيزة لفريد ، وراح يعد العدة لاستكمال نصفه الذى صحا ذات يوم على افتقاده . كم هى حافلة تلك الأيام يخطو فيها الشاب خطواته ليصبح ربا بعـد أن كان فردا ، ويأخذ إلى فلكه كوكبا ليدورا معا وكان يدور حول نفسه فقط . . وكان لفريد دارة (ڤيلا) صغيرة راح يعدل فيها ويهىء كى تصبح العش الجميل له وللالف الحبيب .

وأخذت عزيزة تتهيأ لتقلد وظيفتها وأداء رسالتها ، رسالة الحب وما يؤدى إليه من صنع خيوط جديدة فى نسيج البشرية .

وجاء فريد ذات يوم ليتفق مع البك والعروس على يوم الزفاف وحدده ، وانصرف الشاب ، وشيعه البك وهو يشد يده فى تهنئة دافئة ودعابة لطيفة .

والتفت البك إلى حفيدته العزيزة ليهنىء ويداعب ، فلم يرعه منها إلا نظرة إليه بعينيها الفاتنتين تترقرق فيها دمعتان كقطرتى ندى على نرجستين .

قال الشيخ مندهشا : ما بك يا ابنتى ؟! . هل تبكين ؟!

قالت : يا جـدى لا أدرى كيف أبعـد عنك وأتركك تعيش وحدك !

فأحس الشيخ برجفة نفسانية ، وكاد أول وهلة أن يشاطر الفتاة الجزع لـكن لم يلبث أن تجلد وربت كتف عزيزته وهو يقول : يا ابنتى لن تكونى بعيدة . أما عن عيشى وحدى فلا تنسى أنى جندى ، والاخشيشان والاستكفاء الذاتى بعض ما عرفته وألفته ، ومهما تقدمت بى السن فلن أضيق بشىء من ذلك ولعلى أتوق إليه .

هذا ما قاله لها . أما ما دار بخاطره فهو : ترى ماذا يمنع من أن تعيش وحيدتى العزيزة هذه معى هنا هى وفتاها بعد زواجهما

حتى أموت ؟! . لم لا أخاطب فريدا فى هـذا فقد يرضى به ؟ .. لـكن لا . لقد كنت يوما شابا خاطبا مثله ، ولم يكن يخطر ببالى إذ ذاك ، ولى بيت أن أعيش بزوجتى مع أهلها فى بيتهم ، ولو طلب إلى ذلك ما كنت أفعله إلا كارها . كلا ، ليس أحب إلى عروسين صغيرين من عش خالص لهما ، يمرحان فيه على هواهما ، ويضحكان بطلاقة ، ويتحابان بلا تحرج ، ويختلفان إذا لزم الأمر بغير كبت . حرام على أن أنشد هنائى على حساب شىء من هنائهما . كلا ، لن أثقل عليهما بظلى فى شيخوختى مثقال ذرة .

وجاءته عزيزة فى يوم آخر متهللة الوجه ، تجر وراءها فريدا من كمه ، قالت : ياجدى ، لقد أقنعت فريدا بأن يترك فلته ونعيش معك هنا فى بيتنا .. ورضى

— أقنعته ؟ ! .. ورضى ؟ !

قال الشاب : إنى على استعداد يا سيدى البك لأن أفعل أى شىء يكون فيه راحتك وهناء عزيزة .

فأطرق الشيخ برهة ، ثم قال . يا بنى إن فلتك جميلة جدا ، وأنا أتطلع إلى اليوم الذى أزوركما فيه هناك وأجلس فى شرفاتها اللطيفة وأستمتع بما يحيط بها من مناظر بديعة . إنى شيخ كبير وأصبحت أسأم المكان الواحد وأحب تغيير المناظر .

فأطرق الشاب مرتبكا ولم يدر ماذا يقول . وحدقت الفتاة أمامها وقـد أسقط فى يدها هى الأخرى . وزفت عزيزة لفريد ، وسافرا لقضاء شهر العسل فى مصيف لطيف .

فلما حل يوم عودتها كان الشيخ الكبير فى انتظارهما بالمحطة ، ولو قبع فى داره مستريحا لخفا اليه حال عودتهما ، لـكنه لم يستطع صبرا ، ولم يكن يدرى هل غابت عنه عزيزة شهرا أم دهرا . وبعد أن ضمها وقبلها فى الجبين عرف من أحاديثها الفرحة أن السعادة التى كان يحلم بها لها صارت حقيقة .. وتركهما يذهبان وعاد إلى داره قرير العين .

وفى الغد زاراه فى داره : وبعد الغد أخـذ سمته إلى فلتهما لزيارتهما ، فراحا يحتفيان به ويجلسان فى كل غرفة وكل شرفة ليمتعاه بالفيلا الجميلة والمناظر البديعة كما كان يقول .. وكان وجهه يتهلل بشرا وسعادة ، وقل صمته وجده ، وكثرت دعاباته اللطيفة وملحه الطريفة . وغادرهما فى المساء وعاد إلى داره .

وداعب خادمه النوبى لأول مرة فى حياته حتى ابتسم الخادم عن نواجذه البيض أمام سيده لأول مرة أيضا . . وتناول عشاء خفيفا ، بعض الفاكهة وفنجانا من القهوة ، ثم أوى إلى فراشه .

واستيقظ بعد انتصاف الليل على ضيق فى التنفس وحزة فى القلب واسطة الجسم وصميم الحياة . ففتح عينيه وتقلب كيما يخف الألم وتسترجع الأنفاس ، لـكن الألم لم يخف والضيق ازداد . فمد يده وأضاء النور ، ثم تحامل حتى جلس متكئا ، فلم يغنه ذلك شيئا . فمد يده ودق الجرس مستدعيا خادمه ، وكان الخـادم قد أحس بيقظة سيده فى تلك الساعة من الليل على غير عادة ، فخف اليه فرآه ممسكا بصدره مكروبا .

— مالك يا سيـدى ؟ ! . . سلامتك يا سيدى ! . . هـل استدعى الدكتور ؟

— لا . . إعمل لى شيئا من شراب ساخن . . فنجانا من الينسون .

وعندما عاد الخادم بفنجان الينسون ألقاه على نضد وقد كاد أن يسقط من يده .

— سلامتك يا سيدى ! . هل أستدعى سيدتى عزيزة هانم ؟

— لا تزعجها .. بلغها .. سلامى .

وتشهد .. وانتهى .

عبد الغنى على حسين



معـــنى النـكبة*

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

«معنى النكبة» هو كتاب جديد للدكتور قسطنطين زريق وكتاب الدكتور زريق هذا يذكرنا بكتاب سابق له هو وإنما ينزعان إلى رأى واحد كتاب «الوعى القومى». وليس الكتابان فى موضوع واحد وفكرة واحدة، هى الفكرة القومية، التى يرى فيها الدكتور من دون غيرها فكرة الخلاص للشعوب العربية فى جميع أقطارها ومع أن كتاب «معنى النكبة» يقوم على الفكرة القومية إلا أنه كتب عن الوضع الحاضر فى فلسطين. وعنوان الكتاب يدل على أن الدكتور يعتقد (ونحن نوافقه) أن ما وقع فى فلسطين كان نكبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. بل هو يقول: إنها جاءت «محنة من أشد ما ابتلى به العرب فى تاريخهم الطويل على ما فيه من محن ومآس».

ويتناول الدكتور فى كتابه هذا الصغير، الذى ينشره فى وقت ملائم، مواضع تدل عناوينها بعض الدلالة على ما فيها؛ فهو يبدأ بالحديث عن «فداحة النكبة» ثم يتحدث فى فصل آخر عن «معنى النكبة» فى هذا الباب وعن «الحل الأساسى» و «المعالجة القريبة» لدرء هذه النكبة التى حلت بالعرب. وكان المؤلف قد كتب قبل أن ينشر هذا الكتاب فصلين أذاعهما قبل ظهور الكتاب: أحدهما عن «الصراع بين المبدأ والقوة فى قضية فلسطين» والآخر عنوانه «لماذا نجاهد فى فلسطين»

وأنت تقرأ الكتاب كله فتشعر بميزتين أو ثلاث له، تبرز بروزاً واضحاً لا غموض فيه: فأما واحدة من هذه الميزات فهى أن الكتاب يعبر تعبيراً تاماً عما يجول فى خاطر الناس بعد ما وقع فى فلسطين. فالناس بعد هذا الذى وقع تبلبلت أفكارهم وتحيروا ماذا يقولون. وقد عبر المؤلف تعبيراً صادقاً وألم به إلماماً موفقاً. وميزة أخرى للكتاب هى أنه ينظم البحث تنظيما يدل على فكر منظم وعقل مدبر. وقد عرف هذا عن الدكتور زريق فى تآليفه، وبظل ما عرف عنه صحيحاً فى هذا الكتاب الصغير. وميزة ثالثة للكتاب نوردها لأننا نتحدث عنه لا لأنها كبيرة الأهمية وهى الوضوح فى التعبير، والجمال الطبيعى فى الأسلوب، والجدة فى الأداء؛ صفات تستهويك حين تطالع فصول الكتاب فتكسبه عند عامة القراء قوة على إبلاغ الرأى الذى يراه المؤلف إلى ذهن القارىء فى يسر وإمتاع.

وعند ما يتحدث الدكتور زريق عن «معنى النكبة» التى حلت بالعرب فى قضية فلسطين، يقول شيئاً يجد القارىء المادى صعوبة فى إدراكه، ولكنه صحيح وإن كان مطبوعاً بالطابع النظرى المحض. فالدكتور يقول: إن النكبة تقاس بمقدار تأثيرها فى نفسية الشعب العربى. فإن هى أرهقت هذه النفسية وشلت قدرتها على الصمود فى وجه التعسف والإغراء، وإن هى مكنت لقوى الرجعية العربية من السيطرة وانهزمت أمام هذه القوى، وإن هى لم تثر مواطن الضعف ولم تحتفظ بعناصر القوة فقد وقعت كنكبة، وإن كان الأمر على العكس من ذلك فلم يرهق النفس العربية ولم تشل قدرتها على الصمود فى وجه الظلم ولم تهن أمام قوى الرجعية والإغراء، عادت وكأنها ليست نكبة وإنما كانت مناسبة لتنقية جوهر الأمة العربية وبلورة كيانها. وهذا كله صحيح وإن لم أشعر أن المؤلف الكريم وفق كل مرة إلى وصف الطريقة التى تمكننا من أن نصمد لما حل بنا، وأن نخرج منه بعبرة للمستقبل بحيث نخرج كما قال «من العسر يسر ومن النكبة بذور ظفر» وسأبين ذلك عن قريب؛ لأننى أحب فى هذه اللحظة أن أتحدث عن أهم ما تناوله الكتاب، وأهم ما جاء به فى نظرى هو الحل الذى يراه للنكبة التى وقعت بفلسطين، وهو يقسم الحل إلى قسمين: أحدهما «المعالجة القريبة» والآخر «الحل الأساسى» وكلا الموضوعين هام تطالعه فى شغف وسرعة وهو يرى أن المعالجة القريبة تقوم على أركان خمسة: هى تقوية الإحساس بالخطر، وتجنيد قوى الأمة الحربية بكاملها، وتحقيق أكبر قسط من التوحيد الممكن بين الدول العربية فى ميادين الحرب والسياسة والاقتصاد وسواها. والركن الرابع هو إشراك القوى الشعبية فى النضال، أى لا يقتصر الجهاد على الحكومات والجيوس النظامية، والركن الخامس فى الجهاد العربى لحفظ فلسطين هو استعداد العرب للمساومة، وللتضحية ببعض المصالح لدرء الخطر الأكبر

هذه هى الأركان الخمسة عند الدكتور زريق للمعالجة القريبة

(*) التى حلت بفلسطين

لقضية فلسطين ، وهو يشرح كل واحد من هذه الأركان شرحاً وافياً لا مجال للخوض فيه ههنا ، وأنا أثق على كل حال أن القارىء الكريم سيعرف شيئاً من المقصود بهذه الأركان من مجرد ذكر عناوينها ، وذلك لثقافة الناس العامة الآن بقضية فلسطين وبقضايا بلادهم . ولا أتعرض لأى واحد من هذه الأركان المهم إلا لركن المساومة السياسية هذه ، التي يتحدث عنها الدكتور ، على أساس موجب أشد الوجوب للنقد ، وسأوضح لك ذلك عما قريب .

أما المعالجة البعيدة لقضية فلسطين ، أو الحل الأساسي فيتطلب عند المؤلف «حرباً مديدة الأفق بعيدة الأجل» وتبدلا «أساسياً فى الوضع العربى ، وانقلاباً تاماً فى أساليب تفكيرنا وعملنا وحياتنا بكاملها» إنه يتطلب «كياناً عربياً قومياً متحداً تقدمياً» «وإنشاء هذا الكيان هو الركن الأول للجهاد العربى البعيد» ثم يمضى الأستاذ فيشرح كل واحدة من هذه الصفات التى يجب أن يتصف بها الكيان العربى . وهو يلاحظ أثناء هذا الشرح أن أساليب تفكيرنا ما تزال عتيقة وأننا لا نساير الزمن فنأخذ مما فى الحضارات الإنسانية من قيم عقلية وروحية .

ولو أردنا تقريب قسمى الحل لقضية فلسطين من أذهان القارىء الكريم لقلنا إن الدكتور زريق يضع أركاناً خمسة لكل من الحلين القريب والبعيد لقضية فلسطين . ومجموع ما يريد من كلا الحلين يتلخص فى خلق أمة عربية على طراز الأمم الغربية . ويشمل ذلك القوة العسكرية والقوة العلمية والخلقية والاقتصادية وبعض هذه القوى يحتاج إنشاؤه إلى زمن طويل . والذى أراه أن أعجل ما يمكن أن يأتى بنتيجة من آراء الدكتور هو ما أسماه «المساومة» فالواقع أن هذا سلاح ماض جداً فى أيدى العرب إذا سددوه إلى ناحية أصاب الهدف وأصمى .

فالعرب يشبهون فى عالم السياسي الحاضر وضع اليهود بين حزبى الجمهوريين والديمقراطيين فى أمريكا أو وضع حزب الأحرار بين حزبى العمال والمحافظين فى بريطانيا — إذا مالوا بثقلهم مهما هان شأنه على ناحية من ناحيتى الكتلتين العالميتين اليوم ، رجحت كفته بثقلهم وانتصر على خصمه . وهذا السلاح الماضى لا يقتضى إلا اتفاق الرأى بين العرب فى جميع أقطارهم على الناحية التى يرجحونها . وهم غير مضطرين حين يرجحون كفة أن يظلوا على موقفهم زمناً طويلا . بل الواجب يقضى أن يعدلوا موقفهم بحسب الظروف تعديلاً يلائم مصلحتهم كأمة . وهذا السلاح الماضى من أسلحة المعالجة القريبة يستطيع العرب أن يفيدوا منه منذ الآن ، إنه لا يحتاج إلى مثل ما تحتاج إليه الأسلحة الأخرى من استعداد طويل ووقت بعيد ، ففى العرب اليوم فئة من الساسة المحنكين الذين يفهمون التيارات السياسية العالمية وما يحمل فى طواياها من مغازهم قادرون إذا أخلصوا أن يوجهوا شعوبهم معهم إلى الناحية التى يجدون فيها الخير لهم .

وهنا أستطيع أن أوضح لك الخطأ الكبير الذى ارتكبه الدكتور زريق حين تحدث عن أحد أركان المعالجة القريبة وهو «المساومة» ، وحين شرح لقرائه معنى كلمة «تقدمى» التى وصف بها الكيان العربى الذى يريده . قال الدكتور إن الخطر الصهيونى لا يرده إلا كيان عربى قوى متحد تقدمى . وهو حين يستعمل هذه الصفة (تقدمى) يقول «إن قوميينا إذا أرادوا أن يحاربوا الشيوعية حقاً فسبيلهم الوحيد أن تكون قوميتهم مجارية لقوى الزمان (ص ٤٨) فمحاربة الشيوعية عند الدكتور إذن إرادة صميمة يدل الناس على السبيل الوحيد إليها . ولكنه حين تحدث عن أركان الجهاد العربى لحفظ فلسطين تكلم عن استعداد العرب للمساومة مع الدول الأخرى على أساس تبادل المصالح والمنافع . وهذا حق فى نظرنا . فإذا أراد أن يبسط معنا للقارىء قال : «لا نحالف مثلا الدول الديموقراطية على الشيوعية ونضطهد الأحزاب اليسارية فى بلادنا لوجه الله وجرياً مع الصداقة أو لمجرد التخاذل» إن الاستعداد للمساومة على الحقوق المتبادلة عنصرها من عناصر الجهاد العربى كما ذكرنا والعرب يفتقرون إلى استخدامه كل الافتقار ، والعالم الآن منقسم إلى قسمين فقط : الديموقراطية والشيوعية . فإذا نفى الدكتور قابلية المساومة مع الشيوعية لأننا يجب أن نحاربها كما سبق ، فلم يبق معنا من طرف نساومه إلا الديموقراطية ، فإذا أدركت الديموقراطية أن المساومة لا تكون إلا معها بكل معنى المساومة وتمنت الديموقراطية معنا فأخذت منا دون أن نأخذ منها ، وهذا هو السر الأكبر للضعف فى موضوع فلسطين فى الوقت الحاضر ، والدكتور لا يخلصنا منه ، وإنى أثق أن المؤلف فعل ذلك عن نية حسنة .

وبعد فقد قال الدكتور فى مقدمة كتابه «لست أدعى أنى فى هذه الدراسة قد «اخترعت البارود» وإنما هى محاولة لتصفية تفكيرى فى هذه الأزمة الخانقة» . والحق أن الكتاب لابد وأن يكون قد أحدث صفاء فى التفكير عند القراء الذين طالعوه فى الوقت الذى يجب أن يطالعوه فيه . والفضل فى ذلك يعود إلى المؤلف الكريم .

١ - بناء دولة - مصر محمد على

[للدكتور محمد فؤاد شكري الأستاذ بجامعة فؤاد الأول وزميله الأستاذين عبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل]

هذا كتاب كنا ننتظر صدوره من زمن بعيد ، فقد أضاف إلى مكتبة « محمد على » كتاباً جديداً حافلا بالدراسة المستقلة من ناحية ، وبالوثائق السياسية من ناحية أخرى . أما الدراسة المستقلة فقد عالج المؤلفون فى القسم الأول من الكتاب موضوع أحوال مصر الداخلية فى عهد محمد على معالجة لم تعتمد على تكرار ما هو متداول فى كتب التاريخ ، مما هو معروف ومشهور ، بل أضافوا نواحى جديدة لم تظهر قبل فى مؤلف عربى . وقد أتاح لهم ذلك اطلاع واسع على مكتبة « محمد على باشا » الفنية فى المؤلفات الأوربية . ولم يكتف المؤلفون بسرد آراء الأجانب على سبيل التدوين ، وإلا كان الكتاب سجلا تضيع معه قيمة التحقيق العلمى ، ولكنهم كانوا يناقشون الآراء فى اعتزاز وصحة حكم حتى بدت على وجهها الصحيح .

أما الوثائق السياسية فهى خير علمى يضاف إلى ما فى الكتاب من خير كثير ، فقد عمد المؤلفون إلى ترجمة بضعة من التقارير المعاصرة لعهد محمد على وهو يهم ويمضى فى بناء دولة مصر من الداخل ، وهى وثائق يطمئننا المؤلفون إلى أنهم رأوا فى اختيارها ما يجعلها جديرة بالاطمئنان إليها فى رسم صورة دقيقة للمصر الذى تتناوله . ومهما يختلف الرأى فى قيمة التقارير تبعاً لما تمليه أهواء أصحابها أو عواطفهم فإنه مما لا شك فيه أن الأجانب كانت عيونهم مفتوحة على كل حركة يصدرها العاهل الكبير ، وأنهم لم يدعوا ناحية من النواحى البنائية الإنشائية فى مصر محمد على إلا درسوها دراسة جدية ؛ حتى أن أحد هؤلاء وهو السير جون بورنج لم يترك فى تقريره عن مصر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فتحدث عن الزراعة والصناعة والضرائب والإدارة والجيش والتجارة والصحة العامة والقضاء والتعليم حديثاً مدعما بالإحصاء ومؤيداً بالملاحظة الدقيقة ، ولما كانت البيانات الرسمية غير مسعفة له فقد كان يتصيد البيانات من مصادرها الأولى ؛ كما فعل فى إحصائه عن معامل السكر التى كان يملكها ابرهيم باشا ؛ فقد طلب البيان من ناظر المعامل وترجمه ليكون ضمن تقريره .

وكان السير بورنج موفداً من قبل حكومته لوضع تقرير شامل عن حالة مصر ، فقدم إليها سنة ١٨٣٧ ، واتصل بكثير من الموظفين فيها للحصول على بياناته ، واستعان كثيراً بالقنصل الإنجليزى « كامبل » الذى زوده بكثير من الإحصاءات الزراعية والصناعية .

لقد كانت تقارير بورنج وكامبل وهودجسون ومن إليهم فى غير متناول القارىء العربى ، إلا ما كان من نتف هنا وهناك يترجمها المؤرخون المصريون فى معرض الحديث عن شىء معين ؛ ولكن مؤلفى هذا الكتاب قربوا هذه التقارير كاملة من القارىء العربى ، بل سهلوا الحصول على تقرير بورنج الذى لا توجد منه فى العالم إلا نسخ قليلة جداً .

٢ - الشمس الحزينة أو حياة غاندي

(تأليف الأستاذ محمد كاظم)

وهذا كتاب لطيف فى حياة غاندى ، وهو أول كتاب عربى ألف فى حياة المهاتما بعد مماته . ويمتاز بسلاسة فى التعبير كأن المؤلف يحكى حكاية عن شمس كانت ساطعة ثم جنحت إلى الغروب . وقد كانت أم غاندى تنتظر الشمس ؛ عند شروقها فإذا ما رأتها ساطعة تهلل وجهها بالبشر كما خفق قلبها بالدعاء ؛ وكانت السحب الكثيفة حينما تلف وجه الشمس بالحجاب تبدو هذه الشعلة السماوية فى ثياب الحزن ، كما تحزن أم غاندى ويحزن معها ولدها الصغير لأن السماء مظلمة .

ولهذا سمى المؤلف كتابه « الشمس الحزينة » .

لقد ظهرت كتب فى العربية عن حياة غاندى كان المؤلفون يلتمسون منها المثالية الكاملة فى إنسان رفعته الإنسانية العالية إلى مراتب « السوبرمان » . وظهر بعد وفاة غاندى كتاب الأستاذ كاظم هذا ، وكتيب آخر للأستاذ طه السيد ظهر منذ بضعة من الأيام . فبدا غاندى بعد مماته أروع مما كان فى حياته ؛ لأن الفكرة الخالدة لا تموت .

وكانت فى حياتك لى عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان غاندى — كما يقول المؤلف — يصوم (ليواجه غضب الطبيعة وجهل البشرية ...) ؛ أما الطبيعة فلا سبيل إلى إرضائها متى ثارت ؛ لأنها تثور فوق إرادتنا ، وتجرى على غير مشيئتنا ، فهل إلى تعقل البشرية الحمقاء من سبيل ؟

عبد الغنى

شلى بروميثوس طليقا

ترجمة لويس عوض

« ماجستير فى الأدب الانجليزى من جامعة لندن والمدرس بجامعة فؤاد »

دراما غنائية رائعة فى أربعة فصول كتبها الشاعر الانجليزى المعروف بيرش شلى ونقلها إلى العربية الأستاذ عوض ، وقد قدم الكتاب بمقدمة عن الحركة الرومانتيكية ولكنها مقدمة طويلة تحتل نصف الكتاب تقريباً ، وهى رغم طولها طريفة شيقة تمهد لمعرفة جو المسرحية ، وختم الأستاذ لويس كتابه بترجمة قصيدة أدونيس لشلى وهى تلك المرثية الرائعة التى نظمها فى موت صديقه الشاعر جون كيت .

وقد تحدث فى المقدمة عن الانقلاب الصناعى فى انجلترا ، وأثره فى دراسة الأدب ، وتخرج الفوج الأول من المدرسة الرومانتيكية وهم : وردزورث و كولريدج رشدى وسير والترسكوت والفوج الثانى منها وهم : بيرون وشلى ؛ وكيت وعرض عرضاً تاريخياً للنظم السياسية فى إنجلترا ، ثم انتقل إلى كلمة الرومانتية وبين أصلها فى اللغة ورأى الأدباء والشعراء فى تعريفها فى أوربا

أما المسرحية فيمكن تلخيص فكرتها فى تلك العبارة : « إن القوة المطلقة خطيئة » وهى عبارة قالها بروميثوس فى الفصل الأول من المسرحية وتعرض لرأى شلى أيضاً فى السياسة والأخلاق والاجتماع ؛ فجوبتر ملك الأرباب والشياطين وسيد الأرواح نصب نصبه حاكما مطلقاً وأخضع سائر الآلهة إلا بروميثوس صديق البشر الذى سرق النار الإلهية وهى نار العلم وخلص البشر من الجهل فصلبه جوبتر على شفا هاوية سحيقة وأطلق عليه النسور الضوارى تنهش جسده وربات الانتقام أو النوريات يصبن قلبه بجراح معنوية غائرة ولكن بروميثوس عول على محاربة جوبتر بسلاح الخير فهوى جوبتر من فوق عرشه العظيم وتقوضت أركان ملكه المكين ، وظهر هرقل رمز القوة ففك أغلال بروميثوس رمز الحرية فى الوجود حيث أعرس من آسيا نور الحياة وصورة الجمال التى ليس لها نظير ...

والمسرحية تصور ثورة الحرية على الطغيان وما هى إلا صدى للجهاد المنيف فى سبيل حقوق الإنسان الذى تأثر به شلى ، ولا يزال العالم يكتوى بناره حتى اليوم وأسلوب الترجمة يرتفع حيناً إلى آفاق البلاغة وينحدر حيناً إلى أعماق الركاكة ويرجع هذا إلى المؤثرات فى مزاج المترجم من حين إلى حين ، وفى الأسلوب بضعة أخطاء حرفية ونحوية واستعمالات لألفاظ وجمل مبتذلة تنبو عن أسلوب أستاذ جامعى كلفظة « أسطوات » و « عاشا فى تبات ونبات » ويمكن للمترجم السمو بأسلوبه بقراءة الكتب العربية القديمة ولكن أسلوب الترجمة لقصيدة أدونيس يرتفع عن المسرحية فى بعض المواضع

مهما يكن من شىء فجهد الأستاذ لويس جهد مشكور ونتمنى أن يتحف المكتبة العربية دائماً بنفائس الأدب الإنجليزى

ابراهيم جمال الدين الرمادى

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٥ — الاثنين ٦ ديسمبر ١٩٤٨ — السنه السادسه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٤٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 805

Lundi — 6 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٨٠٥ «القاهرة في يوم الاثنين ٥ صفر سنة ١٣٦٨ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

حقوق الانسان في هيئة الأمم

للأستاذ عمر حليق

سنتان والنقاش مستمر في هيئة الأمم المتحدة حول إقرار ميثاق عالمى لحماية حقوق الإنسان.

وأمام الجمعية العمومية بباريس الآن اقتراحات بعضها مشوه وبعضها متناقض فى مبادىء أساسية فى تقرير الحرية والحقوق والواجبات التى لا بد منها لشكل ميثاق يوضع لحماية حقوق الفرد نحو الفرد والفرد نحو المجتمع، والفرد نحو الدولة والدولة نحو الفرد. ولا تزال هذه الحقوق موضوع بحث ومناقشة وتعديل فى لجنة حقوق الإنسان التى أسسها المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الأمم المتحدة فى أواخر عام ١٩٤٦.

وفى خضم الجدل السياسى العنيف الذى يشوب اجتماعات الأمم المتحدة يكاد مشروع ميثاق حقوق الإنسان لا يجد من ألسنة الرأى العام من ينوه به ويشير إليه بما يستحقه. ذلك لأن إقرار ميثاق عالمى متين لحماية الحرية والحقوق والواجبات سيكون معلمة خالدة من معالم الحضارة المعاصرة.

ولكن روح السخرية التى جلبتها هيئة الأمم المتحدة على نفسها بعد مهازلها السياسية فى فلسطين وأندونيسيا وحيدر أباد وكشمير واليونان وكوريا وغيرها جعلت مجهود الأمم المتحدة فى سبيل هذا الميثاق لونا من ألوان الجدل البيزنطى العقيم.

على أن الآراء التى أبداها مندوبو الثمانى عشرة دولة التى تؤلف لجنة حقوق الإنسان فيها طرافة وانعكاسات عميقة فى ناحية مهمة من نواحى التفكير والاتجاهات والمذاهب السياسية والاقتصادية المعاصرة. وسأحاول هنا أن أعرض بعض هذه الآراء وطرفا من الجدل الذى احتدم حولها بين مندوبى هذه الدول.

أمام اللجنة الدولية التى وكل إليها وضع ميثاق حقوق الإنسان صيغة تحضيرية لا يزال المندوبون يتناولونها فقرة فقرة بل كلمة كلمة.

خذ مثلا المادة الثانية التى تنص على أن لكل فرد الحق فى جميع ما ينص عليه الميثاق من حقوق وواجبات «بدون تمييز فى الجنس واللون واللغة والعقيدة والمذهب السياسى ومميزات الثروة أو المراقة أو المحتد.

هذه المادة كانت موضوع جدل عنيف جداً؛ لأن مندوب الاتحاد السوفياتى أصر على إدخال كلمة «الطبقة الاجتماعية» فى هذه المميزات المحرمة، والطبقة كما لا يخفى تحتل مكانة أصيلة فى الفلسفة الماركسية.

وأصر الروس على إجراء هذا التعديل وتألفت لحل هذا الإشكال لجنة فرعية مؤلفة من أمريكا وفرنسا وروسيا واتفقوا بعد جدل عنيف على إضافة كلمة النسب إلى الأنظمة الاجتماعية

التي يجب أن لا تكون مميزة للفرد على الفرد .

وبالرغم من أن جميع مندوبي الدول وافقوا مبدئياً على روح الميثاق إلا أن الخلاف على تفاصيله وصياغته كانت من أصعب الأمور التي كانت الأمم المتحدة القيام بها .

وهذا ما اشتكى منه الدكتور شارل مالك أستاذ الفلسفة في جامعة بيروت الأمريكية سابقاً ومندوب لبنان في هيئة الأمم ، فهو المقرر للجنة حقوق الانسان بالإضافة إلى رئاسته للمجلس الاقتصادي والاجتماعي .

ذلك لأن الخلاف على الصياغة وحرفية الميثاق يستمد عنفه من التباين في المذاهب السياسية والاقتصادية والدستورية والاجتماعية والفكرية التي تدين بها دول الجيل المعاصر .

خذ مثلا خطبة الافتتاح التي استهلت بها المسز فرانكلين روزفلت مندوبة الولايات المتحدة ورئيسة لجنة حقوق الإنسان قالت مسز روزفلت : « إن هـذا الميثاق (ميثاق حقوق الإنسان) يجب أن لا يفرض التزامات قانونية على الدول ، مع العلم بأن مبادئه هي أسس الحرية التي يجب أن يكرس السعي لتحقيقها هدف جميع الدول والشعوب » . ووافقها مندوب السوفيات الدكتور بافلوف Pavlov على ذلك . ومع هذه الموافقة كان نقاش مسز روزفلت والدكتور بافلوف من أعنف ما شهدته اللجنة .

وبروح السخرية الخفية قالت المسز نيولاندز مندوبة نيوزيلندة بأنها وإن كانت تواقة لأن ترى الدول توافق على ميثاق عالمي لحقوق الإنسان إلا أنها ترى من الأهم ، قبل كل شيء ، أن يوضع مشروع عالمي مماثل يضمن إخلاص الدول في تنفيذ هـذا الميثاق .

وتابعت مندوبة نيوزيلندة الكلام مشيرة إلى أن الدول والشعوب تتفاوت في مستوى التقدم الفكري والرقي الاجتماعي والمناهج السياسية والأنظمة الاقتصادية ، وإن لكل منها كياناً خاصاً يختلف في كثير من الأوجه عن كيان الدول الأخرى وأن أية محاولة لحملهم على التقيد بميثاق موحد يفرض عليهم فرضاً دون تعديل وتحوير محاولة لن تسفر عن النتيجة المتوخاة ، وأن التراث الثقافي والتاريخي الذي تستمد منه الدول مبادئها وآراءها وفلسفتها في الحياة يستوجب التريث قبل أن ترتبط الدول بالتزامات أدبية ودولية تقتضيها روح ميثاق حقوق الإنسان ونصه . وأن على كثير من الدول أن تعيد النظر في مدار هذا الميثاق على ضوء الأنظمة القانونية والتقاليد والعادة والعرف التي تدين بها المجتمعات التي تعيش فيها .

واتخذ مندوب اليونان حقه في النقاش وسيلة إلى التنويه بالديمقراطية التي نشرت الثقافة اليونانية في عصور الجهالة القديمة ، وقال إن الأمم المتحدة مسؤولة أمام الحضارة عن إقرار هـذا الميثاق .

وانتقد كثير من المندوبين الصيغة التحضيرية للميثاق لأنها لا تصر إصراراً كافياً على واجبات الفرد بنفس الحماسة التي تصر بها على حماية حقوقه . وكان مندوب جمهورية كوبا في أمريكا الجنوبية هو بطل الحملة في هذه النقطة المهمة . وتكلم مندوب الاتحاد السوفياتي معقباً فقال إن الدستور السوفياتي والنظام الشيوعي ، وتعاليم ماركس ولينين تصر جميعا على إقرار حقوق الفرد بنفس القوة التي تطالب بها منه القيام بالواجبات .

وتابع المندوب الكوبي الدكتور جينوروز D ' genoros تفنيده للميثاق مشيراً إلى أن حقوق الفرد الاجتماعية (بالمقارنة إلى حقوقه السياسية والاقتصادية) ليست تحتل المكانة التي يجب أن تحتلها في الميثاق ، وأن تعديلات أساسية لإثبات حقوق المرأة وحمايتها يجب أن تدخل في صلب الميثاق المقترح .

وعند بحث هـذه النقطة تكلم مندوب المملكة العربية السعودية السيد جميل البارودي فلفت النظر إلى أن الميثاق على الجملة لا يلائم المبادىء والعادات ومفهوم الحقوق والواجبات التي يدين بها المجتمع السعودي ، وهي مبادىء وعادات تختلف — في بعض الأحوال — اختلافات جوهرية عن المبادىء التي نص عليها الميثاق والمستمدة من الحضارة الغربية والتراث الثقافي الغربي . ومن الطريف ذكره أن السيد جميل البارودي مندوب المملكة السعودية مسيحي من لبنان يستوطن الولايات المتحدة ، وقد استخدمه الوفد السعودي ليمثله في بعض أعمال هيئة الأمم ، وقد دافع عن وجهة نظر السعوديين في أهمية الثقافة الإسلامية بالرغم من أنه لا يدين بها . وكذلك فعلت السيدة إليس قندلفت مندوبة سوريا في لجنة حقوق المرأة في مناسبة مماثلة .

وأثار مندوب اتحاد جنوبى أفريقيا مسألة حقوق الأقليات فقال إن حكومته لا توافق على نص الميثاق بخصوص الأقليات . فإن ممارسة الحقوق — فى رأيه — يجب أن تكون مصحوبة بتوفر المؤهلات . وهو بذلك يعنى تقييد حقوق العبيد والهنود فى اتحاد جنوبى أفريقيا الذين لا يزالون يصارعون فى سبيل الحصول على حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية هناك .

وتكلم مندوب الاتحاد السوفياتى الدكتور بافلوف بإسهاب فى إحدى الجلسات الأخيرة فقال إن فى لجنة حقوق الإنسان ثلاث جهات : جهة تقول بأن الميثاق المقترح يذهب إلى أبعد مما يجب. وجهة ثانية أظهرت بعض الحماس لبعض مواد الميثاق وأهملت البعض الآخر ، ولكنها على الإجمال راضية عنه . أما الجهة الثالثة فلا تعتقد أن الميثاق المقترح يلبى الحاجة ويسد الفراغ ، وأنه يجب أن يعدل ليكون أكثر ملاءمة للتطور التقدمى الذى يكتسح العالم ، والاتحاد السوفياتى منضم إلى الجهة الأخيرة .

واشتكى المندوب الروسى بأن بريطانيا تحاول أن تتخلص من قبول الالتزام بشأن شعوب مستعمراتها ، وأن الدول المستعمرة إجمالا قد تحالفت فى اللجنة وأسقطت من الميثاق المقترح الحقوق الأساسية التى قد تستطيع الدول الخاضعة للاستعمار بواسطتها التخلص منه .

وأجاب المستر مايهو Mayhew المندوب البريطانى على تعليقات المندوب السيوفياتى مذكراً بالالتزامات الأدبية التى يفرضها الميثاق المقترح إذا اتخذ مثلا عالميا أعلى لحقوق الإنسان . وقال إن بريطانيا ستطبق مبادىء الميثاق على الدول الواقعة تحت حكمها أو انتدابها .

وأجاب إجابة مباشرة عن اتهامات المندوب السوفياتى قائلا : إن اتهام بريطانيا باستغلال حريات الشعوب هو من قبيل الدعاية التى يلجأ إليها الروس فى المحافل الدولية بين آن وآخر ، وأن خير مثل على استعباد الشعوب واستغلال حرياتهم هى الشيوعية وحملتها من السوفيات ، فإنها أعنف أنواع الديكتاتوريات التى عرفها العالم . إن الأحرار الذين نالوا الويلات على يد الفاشية والنازية وجدوا الآن أنفسهم مضطرين إلى النجاة بأرواحهم من طغيان الشيوعية فى أوربا الشرقية . وتابع المندوب البريطانى قائلا : إن مندوب السوفيات الذى يقف هنا نصيراً للحرية يجدر به أن يتذكر بأن حكومته هى الدولة الوحيدة من بين دول العالم التى حققت توسعاً استعمارياً إقليمياً فى السنوات الأخيرة . وقال إن الشيوعية قد شنت حملات شعواء على الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى بريطانيا وفى جميع البلدان خارج منطقة النفوذ السوفياتى .

وجاءت هذه الحملات ارتجالية دون تحد سابق إلا العداء الكامن الذى تكنه الشيوعية لجميع المبادىء التى تخالفها فى الغايات والسبل . وإن من الإنصاف أن ترد بريطانيا التهمة عن نفسها .

وقال مندوب جمهورية كولومبيا فى أمريكا الجنوبية إن هدف هذا الميثاق هو فى الواقع تقرير مبادىء أساسية لا التدخل بين الدول ورعاياها أو بين الفرد والمجتمع .

وأصر مندوب بولندا على أن تكون بعض المبادىء الجوهرية للميثاق مستمدة من الفلسفة الماركسية وتقدم بأربع نقط ليدعم بها الميثاق وهى :

١ — إن الحقوق السياسية عديمة الجدوى إذا لم تعزز بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

٢ — يجب أن يكون القيام بالواجبات شرطا لإعطاء الحقوق للفرد وحمايتها .

٣ — للشعوب الواقعة تحت الحكم الأجنبى أن تتمتع بمزايا الميثاق تماماً كما تتمتع به الشعوب المستقلة والدول الحاكمة .

٣ — يجب أن لا تكون موافقة الدول على الميثاق مدعاة إلى التدخل فى شؤونها الداخلية .

وعقب مندوب بلجيكا الكونت دى ويارت wiart على نقطة الواجبات مطالباً بأن يتضمن الميثاق نصاً بالتزامات حسن الجوار ، واقترح لهذا النص إحدى الوصايا العشر التى نص عليها الكتاب المقدس وهى « أحب لجارك ما تحب لنفسك »

وأبدى بعض المندوبين روح تسامح وسعة أفق ورغبة صادقة فى التغلب على الخلافات الحادة . فقال مندوب جمهورية الشيلى فى أمريكا الجنوبية مثلا .

إن تحضير نص لميثاق هام كميثاق حقوق الإنسان أمر يتطلب

الصبر والأناة وسعة الأفق والتسامح والرغبة الصادقة فى التعاون وتقريب وجهات النظر . فإذا عجزنا أن نحمل السوفيات وحلفاءهم والدول الغربية على التسامح والتنازل عن بعض الخلافات الحادة ، فلن يجدى جدلنا هذا نفعاً . ويجب كذلك أن نسعى لتقريب وجهات النظر فى المبادىء الجوهرية بين حضارة الغرب وبين حضارات الشرق وبين الأنظمة القانونية التى تختلف جوهرياً فى العالم الأنجلو سكسونى مثلا عنها فى العالم اللاتينى .

وناشد الدكتور كريم عزقول مندوب لبنان اللجنة بأن توافق على الميثاق لتعيد إلى الإنسانية المبلبلة الفكر المتوترة الأعصاب إيمانها بالقيم الروحية ومكانة الفرد وعزته .

ولا تزال اللجنة تواصل النقاش حول مواد الميثاق

(نيويورك) **عمر حليق**

سكرتير معهد الشؤون العربية الأمريكية

قائد الأسطول المصرى فى عهد صلاح الدين :

حســـام الدين لؤلؤ

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

حسام الدين لؤلؤ من جند مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، أعجب صلاح الدين بشجاعته ، فأسند إليه قيادة الأسطول ، وكان السلطان قد عنى بأمر الأسطول ، وأفرد له ديوانا خاصاً ، وعين للانفاق عليه موارد ثابتة ، فكان الاختيار موفقاً ، لأن حسام الدين كان شجاعاً خبيراً بالبحر والقتال فيه ، فسار النصر فى ركابه ، وصاحب خطاه النجح والتوفيق ، وسجل له التاريخ معارك انتصر فيها على الفرنج عند ساحل الشام .

وكان صلاح الدين يرسل إليه كى يهاجم أسطول الفرنج حيناً ، أو يحول بينه وبين إيصال المدد إلى من بالشام من الصليبيين حيناً آخر ، أو ليضطر جيشهم إلى الدفاع عن الساحل بينما صلاح الدين يهاجم جيوش الفرنج بالبر ، فيلزم عدوه أن يقسم قوته ، ويصد هجومين فى وقت واحد معاً ، وهكذا كان الأسطول وعلى رأسه لؤلؤ إحدى يدى صلاح الدين وجناح جيشه .

واشتهر لؤلؤ فى معركة عكا ، وساهم فيها بالنصيب الأوفى ، فمنذ ما حاصرها العدو سنة ٥٨٥ أرسل صلاح الدين فى طلب الأسطول فقدمت منه خمسون قطعة على رأسها البطل البحرى ، فانقض على أسطول الصليبيين وبدده ، وظفر ببطستين كبيرتين بما فيهما من الأموال والرجال والغلال ، وقويت نفوس أهل المدينة بقدوم الأسطول واستظهروا برجاله على العدو ، وكانوا زهاء عشرة آلاف ، وظل الأسطول يكافح فى المعركة ، يحارب حيناً ويجلب الميرة والأمداد حيناً آخر .

وكان مما خلد ذكر هذا القائد ما دار بينه وبين الصليبيين فى البحر الأحمر سنة ٥٧٨ ، ذلك أن صاحب الكرك ، وهو من ألد أعداء المسلمين ، وأشدهم نكاية فيهم ، فكر فى مهاجمة المسلمين فى البحر الأحمر ، ظنا منه أنهم غير مستعدين فيه ، وتأديباً لحامية أيلة التى كانت تغير عليه ، ولا سبيل له عليها ، لأنها تقيم بقلعة فى جزيرة وسط البحر ، فبنى سفناً ، ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل ، وجمعها فى أسرع وقت ، وشحنها بالمحاربين وآلات القتال ، وسارت السفن وقد افترقت فرقتين : أقامت إحداهما على حصن أيلة تحصره وتمنع أهله ورود الماء ، فأصاب حاميته شدة وضيق ، ومضت الثانية ، وهى فرقة فدائية ، إلى عيذاب فأحرقوا فى البحر ستة عشر مركباً ، وأخذوا فى الثغر مركباً كان يأتى بالحجاج من جدة ، كما أخذوا فى البر قافلة كبيرة كانت قادمة من قوص إلى عيذاب وقتلوا جميع أفرادها ، واستولوا على مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن ، وأحرقوا أطعمة كثيرة على الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة ، وأحدثوا حوادث شنيعة لم يسمع بمثلها فى الإسلام ، فقد فاجئوا الناس على حين غفلة فإنهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا لا تاجراً ولا محارباً .

وأرادت الحملة أن تقطع طريق الحج ، فقد كانت الغزوة فى شهر شوال سنة ٥٧٨ ، وأن تمضى إلى المدينة المنورة لتنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنقل جسده الشريف إلى بلادها ، وتدفنه هناك ، ولا تمكن المسلمين من زيارته إلا بجعل . فسارت الفرقة إلى بلاد الحجاز ، وجاء الخبر إلى مصر ، وبها الملك العادل نائباً عن أخيه صلاح الدين ، فأمر قائد الأسطول وهو الحاجب لؤلؤ أن يتبع هؤلاء الغزاة ، فأخذ الأسطول وانقض على محاصرى أيلة انقضاض العقاب وقاتلهم فقتل بعضهم ، وأسر الباقى .

ثم مضى إلى عيذاب وأخذ يتتبع مراكب العدو حتى عثر عليها بعد أيام ، فأوقع بها ، وأطلق المأسورين من التجار فيها ، ورد عليهم ما أخذ منهم .

ورأى العدو قد أوغلوا فى طريق المدينة حتى لم يبق بينهم

وبينها إلا مسافة يوم ، فمضى خلفهم على خيل أخذها من الأعراب وحاصرهم هناك فى شعب لا ماء فيه ، حتى استسلموا ، فقتل أكثرهم وأرسل بعضهم إلى منى ليقتلوا بها عقوبة لمن رام إخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله ، وعاد بالباقين إلى مصر .

فكان لدخولهم يوم مشهود ، وطيف بهم فى القاهرة والإسكندرية ، ورآهم ابن جبير بالإسكندرية وقد تجمع الناس حولهم ، عند ما أدخلوا البلد راكبين على الجمال ، ووجوههم إلى أذنابها ، وحولهم الطبول والأبواق .

وأرسل صلاح الدين إلى أخيه العادل يثنى على أمير البحر ويغبطه ، ويأمر بقتل أسراه ، ويقول له على لسان القاضى الفاضل : ... وقد غبطناه بأجر جهاده ، ونجح اجتهاده ، ركب السبيلين براً وبحراً ، وامتطى السابقين مركباً وظهراً ، وخطا فأوسع الخطو ، وغزا فأنجح الغزو ، وحبذا العنان الذى فى هذه الغزوة أطلق ، والمال الذى فى هذه الكرة أنفق ؛ وهؤلاء الأسارى فقد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ... ولابد من تطهير الأرض من أرجاسهم ، والهواء من أنفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل على عورات المسلمين » .

وأرسل صلاح الدين بنبأ هذا النصر إلى بغداد ، وانتهى الأمر بقتل الأسرى ، وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة .

خلدت هذه المعركة ذكرى بطلها ، وأقبل الشعراء يشيدون بذكره ويمجدون جهاده ، فأنشأ أبو الحسن بن الذروى أشعاراً كثيرة يمدحه بها ، منها قوله يصف أسرى المعركة :

مر يوم من الزمان عجيب ... كاد يبدى فيه السرور الجماد
إذ أتى الحاجب الأجل بأسرى ... قرنتهم فى طيها الأصفاد
بجمال كأنهن جبال ... وعلوج كأنهم أطواد
قلت بعد التكبير لما تبدى ... هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الأعادى ... وسواه من اللآلى يصاد

وقوله يصف هذا الجهاد :

يا حاجب المجد الذى ماله ... ليس عليه فى الندى حجبه
ومن دعوه لؤلؤاً عندما ... صحت من البحر له نسبه
لله ما تعمل من صالح ... فيه وما تطهر من حسبه
كفيت أهل الحرمين العدا ... وذدت عن أحمد والكعبه

كما قال فيه الرضى بن أبى حصينة المصرى يخاطب الفرنج :

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه ... والدر فى البحر لا يخشى من الغير
فأمر حسامك أن يحظى بنحرهم ... فالدر مذ كان منسوب إلى النحر

ويظهر أن صلاح الدين والعادل قد أغرقا العطاء على القائد المقدام فأثرى ثراء ضخماً .

غير أنه لم يشأ أن يستأثر وحده بهذا الثراء ، فإنه بعد أن زوج بناته ، وكن أربعاً وجهزهن بجهاز كاف ، وأعطى ابنيه ما يكفيهما ، شرع يتصدق بما بقى معه على الفقراء ، قال العماد الكاتب : ومن دلائل سماحه ما شاهدته بالقاهرة ، فى سنة إحدى وتسعين من مبراته الظاهرة ، أنه لما حط القحط رحله ، ... وتم الغلاء ، وعم البلاد ، ابتكر هذا الحاجب الكبير مكرمة لم يسبق إليها ، وذلك أنه كان يخبز كل ليلة اثنى عشر ألف رغيف ، فإذا أصبح جلس على باب الموضع الذى فيه حشر الفقراء ... فما زال قاعداً حتى يفرق الألوف على الألوف .

وكان هذا دأبه فى هذا الغلاء ، حتى هب رخاء الرخاء ، فحينئذ تنوعت صدقاته ، واستغرقت بالصلاة أوقاته ؛ وكان بهى الشيب ، نقى الجيب ، قد جعل الله البركة فى عمره ، وخصه مدة حياته باستمرار أمره ، فأنجده فى أوان ضعفه بتضعيف بره » .

وكان هذا الكرم مثار إعجاب الشعراء كذلك فمدحه ابن الذروى بقوله :

لئن كنت من ذا البحر يا لؤلؤ الملا ... نتجت ، فإن الجود فيك وفيه
وإن لم تكن منه لأجل مذاقه ... فإنك من بحر السماح أخيه

وفى اليوم التاسع من جمادى الآخرة سنة ٥٩٦ وارت مصر التراب بطلا من أبطالها ، وقائداً من أبرع قوادها ، قال عنه العماد وهو يؤرخ وفاته :

كان فى الأيام الصلاحية أشجع الشجعان ، وأفرس الفرسان ، وله مقامات فى الغزاة ، ومواقف مع العداة .

(حلوان الحمامات)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

المراجع .

(١) الروضتين فى أخبار الدولتين ح ٢ ص ٣٥و٣٦و١٤٨و٢٤٠ .
(٢) خطط المقريزى ح ٣ ص ١٣٨ .
(٣) شذرات الذهب ح ٤ ص ٣٣٦ .
(٤) رحلة ابن جبير ص ٢٩ .
(٥) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٢٢١ وح ١٢ ص ٢٠ .
(٦) السلوك للمقريزى ح ١ ص ٩٣ و ١٠٢ .

محمد إقبال
شاعر الشرق والاسلام

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

للاستاذ مسعود الندوي

(تتمة)

مكة وجنيف :

لقد عمت فى هذا العصر مجالس الأمم
لكن الوحدة الانسانية بقيت مختفية عن الأنظار ،
والهدف الذى ترمى إليه حكمة الافرنج ، هو تفريق الأمم
وغاية الاسلام إنما هى الوحدة الانسانية .
فقد بعثت مكة إلى جنيف بهذه الرسالة :
ما ذا تريدين : « عصبة الأمم » أم عصبة بنى آدم ؟

المرأة والتعليم :

إذا كانت الحضارة الغربية مهلكا للأمومة
فنى الرجال ليس ليا أثر غير الخسران والموت الخالق ؛
والعلم الذى يجعل المرأة مجردة من خصائص الأنوثة
ما أجدره أن يسمى بالسم الناقع وما أقربه إلى دواء الموت منه إلى العلم النافع .
وإن كانت مدرسة النساء خالية من الدين ، فلا يكون العلم والصناعة إلا موتاً للحب والوداد .

مسجد باريس :

كيف أنظر إلى ما فيه من بدائع الصناعة
فإن هذا الحرم الغربى بعيد عن الحق ؛
بل ليس هذا بحرم ، وإنما أخفى صناع الافرنج
روح الوثنية فى جثمان الحرم ؛
وإنما أسس هذا المعبد أولئك السفاكون
الذين دمروا دمشق بأيديهم .

سياسة الافرنج :

رب ! ان سياسة الافرنج أصبحت قرينك فى الملك
اللهم إلا أن عبادها الأمراء والأغنياء والملاك ؛
لقد خلقت من النار إبليساً واحداً
وخلقت هذه من الطين ألوفاً من الأبالسة .

أمر إبليس لأبنائه السياسيين :

الرجل الصعلوك الذى لا يهاب الموت أصلاً ،
أخرجوا روح (أى تعليم) محمد صلى الله عليه وسلم من بدنه ؛
وأصبغوا أفكار العرب بصبغة الإفرنج أولا ،
ثم أخرجوا الاسلام من الحجاز واليمن ؛
والدواء الناجع لغيرة الأفغان الدينية ،
إن أخرجوا (الملا) من جبالهم وفيافيهم .

أوربا وسورية :

منحت أرض سورية للافرنج
نبى العفة والمواساة والرفق فى المعاملة ؛
وجاء من أوربا إلى سورية ، مكافأة بصنعها
الخمر والمقامرة وكثرة المومسات .

الشام وفلسطين :

أدام الله خمارة الأحرار الفرنسيين ،
حيث نرى كؤوس حلب مملوءة بالصهباء؟!
إن كان لليهود حق على فلسطين ،
فلماذا لا يكون للعرب حق على إسبانيا ؟

هذا غيض من فيض وبرض من عد وقليل من كثير من أفكاره وآرائه الحكيمة المبثوثة فى ثنايا دواوين شعره . ومما يجدر بالاشارة إليه ثانياً أن هذه الأفكار والآراء مقتبسة من ديوانه (ضرب كليم) الذى نشر قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ببضعة أعوام

— ٦ —

سياسته :

لم يكن صاحبنا فى شبابه من رجال السياسة ، ولم يشاطر

بنى جلدته مراء الجهاد وضراءه ، وإنما اكتفى بالقريض الحافز للامة والنافخ فيهم روح الحياة ، كما أعرب عنه بنفسه فى بيت له :

إن إقبالا « مبالغ » كبير تأخذ أحاديثه بالألباب .

لكنه يغزو بالأقوال فقط ولم يتيسر له أن يكون عاملاً مجايداً .

وبقى شاعرنا كذلك منقطعاً عن الحياة السياسية مرمياً من قومه بالجمود والازورار عن الجد والكفاح ، إلا أنه ترشح سنة ١٩٣٦ « للمجلس التشريعى » الذى قال فيه قبل ذلك :

« مجالس التشريع والاصلاح والحقوق

« كلها أدوية حلوة المذاق اخترعها الطب الغربى لتنويم أهل الشرق .

وأول ما عرفنا من مشاركته فى السياسة العملية سنة ١٩٣٠ حينما رأس المؤتمر السنوى لعصبة المسلمين (Muslim Leagne) مؤتمر المائدة المستديرة (Round Jálele Conference) منعقد فى (لندن) . وإنما انعقد مؤتمر عصبة المسلمين وقتئذ ليبين لأعضاء المائدة المستديرة مطالب المسلمين ، ويؤكد استمساكهم بها . فانتخب محمد إقبال رئيساً للمؤتمر ، لغياب الزعماء السياسيين وسفرهم إلى لندن بمناسبة انعقاد المؤتمر وحضور جلساته ، فخطب خطبته الرئيسية التى أحدثت ضجة عظيمة فى الهند والدوائر السياسية فى (لندن) ؛ والتى تناولتها صحف الهنادك والوطنيين بالنقد اللاذع وأعادت وأبدأت فيها . وذلك أن صاحبنا بين فيها نظرية جديدة للسياسة الاسلامية وهى أن تتكون مملكة إسلامية مؤلفة من ولاية كشمير ومقاطعات بنجاب والحدود الغربية الشمالية والسند فى ضمن المملكة الهندية الكبرى ، لأن مسلمى الهند — فى رأى صاحبنا — أمة مستقلة مغايرة للهنادك فى الدين والثقافة واللغة والأوضاع والتقاليد .

وهذه هى النظرية التى جعلها بعض الشبان المقيمين فى (لندن) أساساً لحركة (باكستان) .

ثم تبدلت الأحوال وتقلبت الظروف إلى أن جعلت عصبة المسلمين تطالب بتقسيم الهند ، وتأسيس مملكة مستقلة باسم (باكستان) وقد تحققت هذه الأمنية فعلا . ولست فى هذا المقام بصدد البحث فى السياسة الهندية وقضاياها المتشعبة ، فان لها موضعاً آخر من البحث والكلام . والذى أردت ذكره فى هذا الموضع أن صاحبنا هو الذى كان أبا عذرة هذه النظرية الجديدة وأظهرها لأول مرة فى خطبة عامة للصحف ، وإن كان يحلم بأمثالها كثير من السياسيين المسلمين . والمسألة أشهر من نار على علم . ومما لا بد من ذكره فى هذا الصدد أن خطبته هذه غيرت مجرى مؤتمر الدائرة المستديرة ، حيث كان الأعضاء مكبين على إيجاد حل للمشكلة الطائفية ، فأبى أعضاء الهنادك قبول مطالب المسلمين وتوجسوا منها شراً . وقال الدكتور (م . ر . جيكار) بصراحة : « إنا قد اطلعنا الآن على ما تضمره أفئدة المسلمين ، ونشكر للدكتور إقبال صراحته وصدق لهجته » . وعلى كل ، فإن هذه الخطبة كانت فاتحة باب جديد فى السياسة الهندية . وقد صدق الدكتور ذاكر حسين ، عميد الجامعة الملية الاسلامية ، حيث قال لصاحبنا ، طالباً إليه أن يكف عن الوقوع فى حمأة السياسة :

« لقد خطبت خطبة تكفى المسلمين لمائة سنة » .

ثم ظل صاحبنا يعمل بضع سنين مع الذين كانوا يناوئون الحركات الوطنية إلا أنه لم يقدر أن يسايرهم زمناً طويلا ، لأن أولئك كانوا يعارضون الحركة ، حباً فى الاستعمار والتطفل على مائدته . وأما شاعرنا فكان يناوئها بغضاً فى الهنادك ورجال سياستهم ، فاعتزل جميع الحركات السياسية ، إلا أنه كان يعطف على عصبة المسلمين (Muslim League) ويؤيد قضيتها بنفوذه وتأثيره البالغ فى الشبيبة الناشئة . ومن أعماله التى تذكر وتشكر موقفه الجليل فى الآونة الأخيرة من حياته بازاء القاديانيين . فانه حمل عليهم حملات شعواء قصمت ظهرهم فى معقلهم (بنجاب) ، ولولا مساعدة الحكومة لهم لانعدموا ، لأن أئمة الكفر منهم كانوا يدعون من قبل ، أن المشايخ « والمولويين » هم الذين يكفروننا لتعنتهم وجمودهم . ولما أن صوب ملك شعراء آسيات كما كانت تدعوه دائماً جريدة (Light) الأحمدية اللاهورية سهام محاضراته[1] الفلسفية إلى نحورهم ، سقط فى أيديهم وجعلوا يسبونه ويصبون عليه وابل اللام والشتم ، وبدأوا ينقصون من

(١) من شاء العلم الواسع والاطلاع على دسائس القاديانيين فليقرأ رسالة « الاسلام والأحمدية » (Klam aud Ahmadism) ، كحليم الأسلام رحمه الله وبرد مضجعه .

شعر الرجل الذى كانت تلهج ألسنتهم بالثناء عليه صباح مساء ، ولقبته مراراً صحيفتهم الأسبوعية السـائرة (Light) ، بـ (Poet Laureateof Aela) ، اللقب الذى لقبته به أولا الشاعرة الهندية الطائرة الصيت سروجنى نائيدو[1] (Sarojani Naidu) . ولم يقتصر على الحملات اللفظية بل استقال من رئاسة جمعية (حماية إسلام[2]) وكلياتها الملحقة حتى تتطهر – حسب تعبيره – من كل من لا يقول بختم نبوة النبى العربى صلى الله عليه وسلم .

— ٧ —

خدماته العلمية :

قد سبق لى الكلام أنه قضى عهد الطلب فى وطنه مدينة سيالكوت ولاهور ، ثم عين معلماً فى الكلية الأميرية بلاهور؛ وبعد أن اشتغل بالتدريس بضعة أعوام ، سافر إلى كيمبردج وبرلين ونال شهادات المحاماة والدكتوراة فى الفلسفة .

وبعد الرجوع من أوربا ، تعاطى المحاماة ، لكنه لم ينجح لاشتغاله بالتفكير الفلسفى والتحقيق العلمى . فانقطع إلى العلم والتفكير ورزق فيهما نجاحا باهراً وقبولا عظيما ، فألقى محاضرات عديدة فى مختلف جامعات الهند وأوربا ، منها محاضراته التى ألقاها فى جامعة مدراس (جنوبى الهند) ، ونشرتها جامعة أكسفورد بعنوان : « التشكيل الجديد للفكر الدينى فى الاسلام » ، (Reconstruction of Religious Ihougbroin Jslam) وهو كتاب دقيق فلسفى لا يقدر على فهمه إلا من أوتى حظاً وافراً من الفلسفتين الجديدة والقديمة ، والعلوم الاسلامية . وكذلك انتدبته جامعة أكسفورد لإلقاء محاضرة (رودس) عن « الزمان والمكان » (Jimeq Space) وجدير بالذكر أنه أول شرقى أنتدب لإلقاء محاضرة (رودس) . ولم نعرف مدى ما بلغ فيه من الحذق والإجادة لعدم الالمام بالموضوع . وكذلك ألقى محاضرات عديدة علمية عن الاسلام والأدب الفارسى والفلسفة الجديدة فى جامعات (حيدر آباد) و (على كره) والجامعات الأخرى . ونظراً إلى مكانته العلمية منحته الحكومة (Sir) ومنحته جامعات (بنجاب) و (على كره) و (رهاكه شرق بنغال) شهادات شرف بالدكتوراه فى الحقوق (L. L. D.) والدكتوراه فى الآداب (D. Litt) .

هذا ما أردت إجماله فى سيرة محمد إقبال وشعره وتوسعت فيه قليلاً ، لعدم معرفة قراء العربية بمواهبه . فان نجحت فى مهمتى ، أى مهمة التعريف بشعره البليغ وحكمه الرائعة ، فذلك حظى ؛ وإلا فليس هذا بأول مجهود ما قدر له النجاح والقبول . وحسبى أنى بذلت جهدى حسب ما كنت أستطيعه ، والعبد لا يكلف إلا ما يطيقه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مسعود الندوى
معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية

(١) الشاعرة الهندية الشهيرة ، وهي من كبار زعماء الحركة الوطنية الهندية . وقد عينت والياً لمقاطعة الولايات المتحدة بعد نيل الاستقلال منذ سنة .

(٢) أكبر جمعية إسلامية فى مقاطعة (بنجاب) تسعى وراء نشر التعليم وتعميم الثقافة . لها كليات ومدارس عديدة .

عيادة المطالعة

للأستاذ ايليا حليم حنا

أنواع القراء :

« عيادة المطالعة ! » ربما يدهشك هذا العنوان وتراه عجيبا ولكن رجال التربية في أمريكا وجدوا أن القراءة فن مهمل فألحقوا بكلياتهم عيادات يعالجون فيها الذين لم تغرس فيهم عادة القراءة أو الذين لا يعرفون كيف تكون المطالعة المجدية .

والآن أقدم لك أيها القارىء دكتور روبرت مدير « عيادة المطالعة » في كلية درتموث يحدثك عن عيادته :

عيادة المطالعة — اسم غريب ولكنه في الحقيقة ليس بغريب ... فالكثيرون من المتعلمين مرضى ولا يعرفون أسس القراءة الصحيحة . وأما مرضهم فهو أنواع ؛ فمن الناس من يعجز عن تركيز الذهن فيما يقرأ . ومنهم من يحاول أن يسابق زملاءه كما تحاول السلحفاة أن تلاحق الطائرة . ومنهم من يشعر بدوار كراكب البحر بعد أن يقرأ صفحات معدودة . ومنهم من لا يقرأ مطلقا ... أجل عيادة المطالعة وما أحوجنا إلى عيادات » .

ويحدثنا الكاتب الفرنسي (أندريه موروا) عن أنواع القراء فيقول : « من الناس لهم ولع شديد بالقراءة يدفعهم إلى التهام كل شيء يقع عليه بصرهم من الكتب والصحف والمجلات وغيرها فرارا من عالم الحقيقة إلى عالم الخيال ، وهؤلاء لا يستفيدون إلا القليل التافه من قراءتهم » .

ويقول نورمان لويس أستاذ القراءة بعيادة المطالعة بجامعة نيويورك : « إن القراءة أهم ما نتعلم ونحذق ، فإنه لا يوجد عمل إلا وهو يحتاج إليها . وفي بعض البلدان يقل عدد البالغين الأميين ولكن ستين في المئة في الأقل ممن يعرفون القراءة لا يحسنونها »

وعندنا يتخرج الطالب في مدرسته أو كليته وهو يكره الكتب وإن قرأ فهو لا يقرأ إلا الصحف والمجلات ويهمل مسائل العالم الأخرى من سياسية واجتماعية وثقافية . وكلما تقدم في السن ازداد تعلقا بآرائه الأولى التي شب عليها فهو في ركود نفسي لا يتطور مع الزمن ولا يساير الآراء الجديدة في الأخلاق والاقتصاد وأنواع الثقافات الأخرى المختلفة .

لماذا لا يقرأ المتعلمون ؟

ويرجع كره المتعلمين للقراءة إلى الأسباب الآتية : —

١ — اغفال المدرسة لأساليب التربية الحديثة واعتبار الطفل كإناء فارغ واجب المدرس أن يصب فيه المعلومات التي أشار بها واضعو المناهج ، ويبقى الطفل هذه المعلومات في رأسه خوفا من العقاب أو الرسوب في الامتحان ويظل يكافح في إبقائها على مضض حتى يأتي يوم الامتحان فيفرغ ما امتلأ به رأسه ويخرج حامدا الله على أنه أطلق من أسره وتخلص من عبئه ؛ ثم يقسم على أنه لن يفتح كتابا فكفاه ما لاقى في قراءة الكتب الدرسية من آلام وعذاب؛ وهو بذلك لا يقبل على القراءة لأن جهازه العصبي قد تكيف بالألم من جراء الطريقة التي وصلت بها المعلومات إلى رأسه بدون مراعاة ميوله ورغباته وإثارة تشوقه .

٢ — القراءة فن جميل لم يتعلمه الطلبة في المدرسة ، ولذلك لا يتذوقون الكتب عند قراءتها كالشخص الذي لم يتمرن على كيفية العزف على إحدى الآلات الموسيقية ويجد أن أنامله لا تنتج إلا أنغاما لا ترابط ولا انسجام بينها تصدع رأسه . هكذا الكتب لا يتذوقها إلا الذي درس فن القراءة الصحيحة وأصولها .

٣ — لأن الطلبة لا يفهمون ما يقرأون من الثقافات العالية لأنهم لم يتعودوا التفكير فيما يطالعون ولم ينضجوا ذهنيا فاكتفوا بقراءة مجلات اللهو والتسلية وتركوا الكتب الدسمة لأن عقولهم لا تقوى على هضمها .

٤ — لأن المشرفين على تربيتهم لم يوجهوا غرائزهم إلى الناحية السامية فانقلبت هذه الغرائز إلى النواحي الدنيا فمال كثير من المتعلمين إلى الأدب المكشوف الذي لا يثير في قرائه إلا أحط الرغبات .

٥ — لم تتكون فيهم عادة القراءة لأن منزل الطفل يخلو من الكتب ، وأمه أمية أو لا تكره غير الكتب، وأبوه لا يحب الكتب، وهو لا يجد كتبا في منزله يتناولها ويقلبها لعله يجد ما يلذه

بين الأدب والأخلاق :

الصداقة فى رأى ابن المقفع

للشيخ محمـــد رجب البيومى

(ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه ، وإفضاء كل واحد منهما إلى صاحبه بيثه ، وإذا فرق بين الأليف وأليفه فقد سلب قراره وحرم سروره ، وعشى بصره) « ابن المقفع »

بينى وبين ابن المقفع صداقة أعتز بها كل الاعتزاز ، فقد كان أول كاتب تثقفت بأدبه فى العربية ، ولا أزال أذكر قصصه الشائقة الممتعة التى قرأتها فى كتابه الخالد « كليلة ودمنة » وكنت حينئذ لا أتجاوز العاشرة ، ولكنه كان يجذبنى — بوضوحه المشرق — إلى متابعته دون سآمة أو ملل ، وكنت أستوعب روائعه فى لذة وشغف ، فإذا ما خلوت إلى الناس كانت محور السمر ، وأداة الحديث ، ومهما يكن من شىء فقد جعلتنى أعتبر ابن المقفع — فى سن الطفولة — نادرة الكتاب ، وأستاذ البلغاء . وما زلت أنظر إلى الرجل هذه النظرة العالية حتى اليوم ، فلا غرو إذا تحدثت عنه حديث الدارس المستوعب ، فغير كثير عليه أن تسطر فى أدبه الصحائف ، وتهتم بآثاره الأقلام !!

مطالعته وإخوته وأخوانه الكبار يتصفحون كتبهم المدرسية بغير اشتياق أو عناية .

ولذا نرى أن البيت والمدرسة مسئولان إلى حد كبير عن هذا الكره ، والحل يتطلب تغيرا أساسيا فى المدرسة وفى حياة الطلبة لكى يتهيأ لهم الجو الذى يحببهم فى القراءة ويجعلها عادة فيهم . والحاجة ماسة إلى بيئة منزلية تعينهم على تعهد هــذه العادة حتى لا تنقرض أو تضعف .

ايليا حليم حنا
دبلوم عال فى التربية
الأبيض — السودان

وقد لاحظت أن أديبنا الكبير قد أكثر من الحديث عن الصداقة إكثاراً يدعو إلى الدهشة والعجب ، فما يكاد فصل واحد من كتابته يخلو من التصريح أو التلميح بما يشتجر فى نفسه من العواطف الإنيسة الرفيعة ، مما دفعنى إلى التنقيب فى حياة الكاتب ، ودراسة تاريخه دراسة فاحصة .

وقد اتضح لى أن عبد الله كان صديقاً وفياً لصفوة مختارة من الأدباء والشعراء ، فكان يقضى الأمسيات الضاحكة فى سمر ممتع لذيذ ، فإذا عاقته ظروفه — يوماً ما — عن منتدى أصفيائه حن إليهم حنيناً ينبىء عن وفائه وولائه ، وقام يراعه البليغ بالتعبير عن عواطفه النبيلة فنفث السحر ، وأدار السلاف ! ...

وقد تحدث كثير من الكتاب عن الصداقة والأصدقاء ، فما وجدت لأحاديثهم جاذبية تدفعنى إلى التعليق عليها ، وما شعرت بارتياح تام إلى تحليلها وتشريحها ، لأن جل هؤلاء فى الواقع يقولون ما لا يفعلون ، فهم يسهبون فى الحديث عن الوفاء والتسامح والإيثار ، فإذا رجع الباحث إلى تواريخهم المظلمة ، وجدها تنطق بالغدر والحقد والكيد .

أما أديبنا الحكيم فذو تاريخ نبيل مجيد ، تقرأه فتخفض رأسك إجلالاً لصاحبه وتتساءل — كما أتساءل الآن — عن هذا الذى ملك عواطفه ، وحكم مشاعره ، فلم يخضع يوماً إلى منطق الحقد ، ولم تتخطفه نوازع الهوى ، بل سار فى مهيع لاحب مستقيم تحدوه الكرامة والعزة ويرفرف عليه ظل وارف من النبل والوفاء .

وإذا كانت حياة الإنسان أعز شىء لديه ، ثم يليها فى المرتبة ما يملك من مال وعتاد ، فإن ابن المقفع قد نظر إلى حياته وماله نظرة هينة رخيصة ، فذكر أكثر من مرة أن التضحية بالنفس والمال أقل ما يجد على الإنسان نحو صديقه الأمين ، ونحن نسمع هذا الكلام من كل كاتب ، ولكن عبد الله لا يسطر الرأى إلا بعد أن يعتقده ويقوم بتنفيذه دون تردد وإحجام ، فقد شاء القدر العنيد أن يمتحنه أمام الناس ، ليظهر فى ثوبه الشفاف ، ولقد انتهى الامتحان الرهيب بنجاح ابن المقفع وانتصاره فى ميدان الكرامة أبهر انتصار .

كان عبد الله صديقاً حميماً لعبد الحميد الكاتب ، فقد تراسلا

حقبة من الدهر ، وأعجب كلا الرجلين بصاحبه إعجاباً زائداً ، وحين عصفت رياح الزمن بالدولة الأموية ، وهب العباسيون يتعقبون أولياءها فى كل مكان .

فر عبد الحميد إلى صديقه واختبأ فى بيته مدة كان فيها موضع التكريم والإكبار ، وشاء طالعه الأشأم أن يقف أرباب السوء على مكانه ، فأبلغوا الخبر فى أسرع من البرق إلى الخليفة السفاح وفاجأه الطلب الصاعق فى منزل ابن المقفع فقال رسول الخليفة للصديقين : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما «أنا» ، خوفاً على صاحبه ، وأوشك الجند أن يقتلوا ابن المقفع لولا أن صاح بهم عبد الحميد ، قائلا : ترفقوا بنا ، فلكل منا علامات يعرف بها أتم تعريف ، فوكلوا بنا بعضكم ، وليمض البعض الآخر إلى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ، ففعلوا كما أشار ، واتضح لهم عبد الحميد فقتلوه !!

فهذه الحادثة وحدها كافية لإثبات رجولة ابن المقفع ، وهى تدل دلالة ناطقة، على أن الرجل يتقيد بما يوجبه على غيره من حقوق الصداقة والوفاء. وناهيك بمن يبذل نفسه تضحية رخيصة فى سبيل صديقه ، وكما قيل : الجود بالنفس أقصى غاية الجود !!

وبديهى أن الذى يقدم نفسه ضحية لصاحبه ، لا يتردد لحظة فى إنفاق ماله عليه ، ولقد كان عبد الله فى سعة من الخير ، ورفاهية من العيش ، وكم بذل من الثروات الطائلة فى سبيل أصدقائه ومعارفه ، وأخباره فى هذا الباب لا تندرج تحت حصر ، ويكفى أن نذكر على سبيل المثال موقفه مع صديقه «عمارة بن حمزة» وهو كعبد الله كاتب أديب ، وقد كان عاملا لأبى جعفر المنصور على الكوفة ، وكان ابن المقفع إذ ذاك بها .

فبينما هو ذات يوم عنده ورد على عمارة كتاب وكيله بالبصرة ، يعلمه أن ضيعة جوار ضيعته تباع وأن ضيعته لا تصلح إن ملكها غيره ، وثمنها ثلاثون ألف درهم ، فقرأ عمارة الكتاب وقال : ما أعجب هذا !! وكيلنا يشير علينا بالابتياع ، ونحن فى جدب وإملاق ، ثم كتب يأمره ببيع ضيعته والتوجه حثيثاً إليه ، وسمع عبد الله الحديث فقام إلى بيته وكتب إلى الوكيل على لسان عمارة ، «أما بعد فقد كنت أمرتك ببيع الضيعة ثم حضر لى مال فلا تبعها واشتر الضيعة الأخرى وهاك ثمنها» ففعل الوكيل ما أراد ، وجاء الخبر إلى عمارة ، فأخذه العجب من ذوق ابن المقفع كل مأخذ ، ثم قال له مداعباً : بعثت بثلاثين ألف درهم إلى الوكيل ، وكنا فى حاجة إليها ؟ فقال له من فوره : وإن عندنا لفضلا ، وبعث إليه بثلاثين ألفاً أخرى» ؟ فهل ترى بعد ذلك صديقاً كعبد الله يدفع عن أصفيائه الغوائل بنفسه وماله ؟ وهل يليق بنا أن نغفل حديثه عن الصداقة بعد أن ضحى فى سبيلها بأكثر من الواجب وجعل نفسه المثل الأعلى للصديق النبيل !

ومهما اختلفت الآراء في الصديق ، فقد كان الأديب الحكيم يرفعه إلى منزلة عالية ويضعه فى مرتبة فوق مرتبة الشقيق ، وكثيراً ما عقد بينهما موازنة طريفة تنتهى بتفضيل الصديق عمن عداه . ولقد قال له بعض الناس أنا بالصديق آنس منى بالأخ ، فعرف السرور فى وجهه ، وانبرى يدلل على صحة ما سمع ، فقال لصاحبه : صدقت ، فالصديق نسيب الروح ، والشقيق نسيب الجسم !! وكثير من الحكماء يؤيدون الكاتب فى دعواه بل ربما يسرفون إسرافاً يميل بهم إلى التحامل على القرابة بدون موجب . ومنهم من يقتصد فى حكمه اقتصاداً لا يخرج به عن الإنصاف ، فقد قيل لبزرجمهر ، من أحب إليك ؟ أخوك أم صديقك ، فقال ما أحب أخى إلا إذا كان صديقى . وقال أكثم بن صيفى : القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة .

وينبغى ألا نغفل عن حقيقة ملموسة ، وهى أن ابن المقفع ومن سار معه فى طريقه ، لم يضطروا إلى الموازنة بين الصديق والشقيق إلى حين وقرت فى نفوسهم منزلة الأخ .

وعجزوا أن يحولوا عنها الأنظار ، فكان كل همهم أن يعارضوها بمنزلة الصديق ، وهيهات أن يبلغوا ما يريدون ؟ فالأخوة رباط ربانى صنعته يد الخالق ، والصداقة رباط إنسانى عقدته يد المخلوق ، وإنما كثر التحامل على الأخ والتشهير به أكثر من الصديق ، لأن الشقيق مظنة الإيثار والعطف ، فكل هفوة تصدر منه فهى كثيرة الكبائر وأم الذنوب[1] .

أما الصديق فمهما سمت منزلته فلن تستغرب منه الهفوات لأنه

---

(١) تناظرت منذ عامين فى المفاضلة بين الصديق والأخ وكان يؤيدنى فى الرأى أخى الأستاذ محرز أحمد خفاجى ، ويعارضنى فيه صديقى الأستاذ أمين عبد البر على .

بوضعه الطبيعى أجنبى بعيد ، ومن هنا سكت عنه اللائمون — إلى حد ما — وانجهوا باللائمة القارضة على الأخ الشقيق !

وما نقوله فى المفاضلة بين الصديق والشقيق نقوله أيضاً فى الموازنة بين الصديق والعشيق ، فقد طاب لبعض الناس أن يرفعوا الصديق إلى منزلة العشيق فقال الحسن بن وهب : غزل الصداقة أرق من غزل العلاقة .

وقال آخر : النفس بالصديق آنس منهـا بالعشيق ، وأمثال هذه الأقوال قد تجد جانباً من الرواج لدى العاطفيين البله ، ولكنها تتبخر أمام التحليل النفسى العميق ، فالعشيق فى مرتبة دونها الصديق والشقيق معا ، فكيف نفهم هذا الكلام العجيب ؟ ولقد خدع الشريف الرضى نفسه بهذه الأقوال المرتجلة ، فانبرى يقول فى صديقه ما لا يقال فى غير العشيق ، ولا أدرى كيف تقبل منه صديقه الأديب الشاعر أبو الحسن البتى قصيدته التى يقول فيها بدون مبالاة .

أغار عليك من خلوات غيرى　　كما غار المحب على الحبيب
ولى شـوق إليك أعـل قلبى　　ومالى غـير قربك من طبيب
أكاد أراب فيك إذا التقينا　　من الألحـاظ والنظر المريب

وهى قصيدة طويلة تتجلى فيهـا غفلة الشريف إلى حد ما ، وله من صفاء نفسه ورقة قلبه شفيع أى شفيع ، ولعل من الأدباء من يوافق مذهبه كل الموافقة ، وإن كنت وإياه على طرفى نقيض!

وإذ كان الصديق فى رأى ابن المقفع مفضلا على النفس والشقيق ، فانه ينصح دائما بالتؤدة فى اختياره ، ويدعو إلى التريث الزائد فى اصطفاء الأصحاب ، وكأنى به وقد أدرك ما فى الطبائع الإنسانية من لؤم وغدر ، فحرص على الامتحان العنيف حتى يتميز الخبيث من الطيب ، فلا يختار العاقل غير من كان فى درجة عالية من الكمال ، ليكون أهلا للفداء والتضحية من أجله إذا دعت الحال . وقد يسرف الكاتب فى الحيطة والتؤدة اسرافا يدعو إلى التملص من الصداقة بادىء ذى بدء ، فهو يقول « إذا أقبل إليك مقبل فبرك ألا يدبر عنك فلا تنعم الإقبال عليه والتفتح له ، فإن الانسان طبع على ضرائب لؤم ، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به ، ويلصق بمن رحل عنه ، إلا من حفظ بالأدب نفسه وكابر طبعه » وهذه الحيطة فى البداية مقبولة معقولة ، لا سيما وابن المقفع يرى أن الصداقة « زواج كاثوليكى » لا انفصام له ، وهو لا يرى خلة أبشع من الهجرة والجفـاء . ويعجبنى جدا قوله فى هذا السياق ، « ولتعلم أنه لا سبيل لك فى مقاطعة أخيك ، وإن ظهر لك منه ما تكره ، فإنه ليس كالمملوك الذى تعتقه متى شئت ، أو كالمرأة التى تطلقها إذا شئت ، ولكنه عرضك ومروءتك وشرفك ، وإنما مروءة الرجل إخوانه وأخواته ، فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلا من إخوانك ، — وإن كنت معذراً — نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء ، والملال فيه ، وإن أنت مع ذلك تصبّرت على مقارنة غير الرضى عاد ذلك إلى العيب والنقيصة ، فالاتّئاد الاتّئاد والتثبت التثبت !! » .

ولا يقتصر الحكيم الفارسى على ابداء رأيه فى هذا الموضوع بل يلجأ إلى الافتراض والتمثيل ، ومع أنه لا يمثل الإطناب فى القول فان حرصه على تدعيم رأيه ، يُلجئه إلى الاسهاب والتكرار ، ولا ينسى أن يضرب الأمثلة التطبيقية ليهلك من هلك بينه ويحيى من حىّ عن بينة . وفى كتاب كليلة ودمنة[1] أقاصيص عديدة تدور حول هذه النقطة الهامة ، وما أبرع عبد الله حين يقنعك بأقصوصة فرضية يختلقها اختلاقا ، فتقوم مقام ألف دليل ، وتغنى غناء تاما عن التحليل والتأويل ؛ واليك المثال .

قال الكاتب « إذا استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك » وهذا رأيه السالف فى الاحتراس من الناس ، ولكنه يتبعه بمثال فرضى يقطع به كل اعتراض ، فيقول بعد ذلك « ولا تأمن أن يصلك من ضيفك أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث » ثم يسرد فى إيجاز قصة وهمية عن قملة استضافت برغوثا دون أن تعرفه ، وأسكنته فى فراش نائم سمين ثم أوصته أن يتريث فلا يلدغ النائم قبل أن يتأكد من رقاده ، ولكن الضيف الأحمق يتسرع فيلدغ الرجل ويهب من فراشه مذعوراً ليبحث عن الجانى فيطير البرغوث ، وتصدع القملة بجريرة ضيفها الأثيم » فأى عاقل يسمع هذا المثال الحكيم ثم لا يجعل آراء ابن المقفع دستوراً حكيما يطبقه على نفسه

(١) يؤكد ثقاة الباحثين أن عبد الله بن المقفع قد أملى كتاب كليلة ودمنة من خاطره ثم نسبه إلى غيره ، ونحن نتمسك بهذا الرأى الصحيح ، وليت شعرى من بيدبا ؟ ومن دبشليم ؟!

فيتشدد تشددا تاما فى اختيار الرفيق .

وقد يفهم القارىء من آراء ابن المقفع أنه يدعو إلى التؤدة والتريث مع كل إنسان وهذا ما يتضح جليا مما قدمناه ؛ ولكن يخيل الينا أن هناك فرقا بين إنسان ربطتك به جامعة أو إدارة أو بلد ، فلم يصل إلى سمعك من أخباره ما يسوّد صحيفته ، ويسىء سمعته ، وبين انسان نجم أمامك فجأة فلم تعلم عنه مايزين أو يشين ؛ فالمبالغة فى الحيطة مع الأول قد تكون تعنتا لامبرر له ، ومع الثانى يجد ما يسوغها بل يفرضها فرضا لازما على كل عاقل . ولقد أبدع الكاتب حين أسهب فى الحديث عن صداقة الجرذ والغراب ، فقد اطلع القارىء على ما يجب عليه من التريث التام فى قبول الصديق بادىء ذى بدء ، حيث صور الغراب فى صورة مستكينة ذليلة وقد وقف أمام الجرذ يخطب وده ويرغب فى مصاحبته ؛ وهنا يبرز عبد الله حيطة الجرذ ناطقة فى قوله للغراب ، « ليس بينى وبينك تواصل ، وإنما العاقل ينبغى أن يلتمس ما يجد اليه سبيلا ، ويترك التماس ما ليس اليه سبيل ، فإنما أنت الآكل وأنا طعام لك »

ويطنب أديبنا الحكيم فى هذا المعنى فيقول مرة ثانية على لسان الجرذ « إن العداوة التى بيننا ليست تضرك وإنما ضررها عائد على؛ وإن الماء لو أطيل إسخانه لم يمنعه من إطفاء النار إذا صب عليها. وإنما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها فى كمه . والعاقل لا يستأنس إلى العدو الأريب » وما أظن بعد ذلك تهذيبا لمتهذب وإرشادا لمسترشد . ويجدر بنا أن نشير إلى أن ابن المقفع قد اختار الجرذ والغراب بالذات ليمحو ما قد وقر فى بعض الأذهان من أن العداوة إذا وقرت فى القلب لا تمحى منه ، فهو يريد أن الإنسان بكياسته وحزمه قادر على أن يخلق من عدوه صديقا مهما تغلغلت جذور البغضاء فى قلبه ، وهذه دعوة سافرة إلى التسامح الإنسانى والرجوع إلى مبادئ الاخاء والتواد ، فالمرء لا محالة مدنى بطبعه ، وان خيمت فى الأفق غيوم قاتمة من الإحن العاتية فمن قريب ستتبدد فى هوج الرياح .

على أن حديث الغراب والجرذ لم ينقطع بعد ، فقد شاء الأديب الكبير أن يحمل الحجة للغراب فى مطالبه ، فيذكر على لسانه من الحكم التالية ما يستنزل به العصم من معاقلها الشم ، كأن يقول للجرذ « لا تصعب على الأمر بقولك ليس إلى التواصل بيننا من سبيل ، فان العقلاء الكرام لا يبغون على المعروف جزاء ، والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها ، ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب ، بطىء الانكسار سريع الإعادة ، هين الاصلاح إن أصابه ثلم أو كسر ، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار ، سريع الانكسار ينكسر من أدنى عيب ، ولا وصل له أبدا . والكريم يود الكريم ، واللئيم لا يود أحداً لا عن رغبة أو رهبة »

ثم تنتهى القصة الممتعة بمصادقة الغراب والجرذ ، وتعاونهما على النوائب فى الحياة ، تعاونا يصل بهما شاطىء السعادة الهنيئة .

وإذن فقد بلغ الكاتب ما يريده ، حيث صور أولا ما ينبغى بادىء الأمر من الحيطة والاتئاد ، وكشف ثانيا عن خطأ ما يتوهمه الناس فى أعدائهم المتناحرين ، إذ أن من السهل الهين على هؤلاء أن يصبحوا بقليل من الكياسة ، أحبة متوادين كأحسن ما يكونون !!

(البقية فى العدد القادم) محمد رجب البيومى

موقعة نصيبين

٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩

للأستاذ السيد كمال درويش

أجمع المؤرخون على أن موقعة نصيبين هي بلا جدال أكبر انتصار أحرزه البطل الفاتح ابراهيم باشا في حروبه ضد الدولة العثمانية .

حدثت هذه الموقعة في اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨٣٩ وبدأت في الساعة الثالثة بعد الظهر ولم تدم سوى ساعتين ، انجلى بعدهما الميدان عن انتصار ساحق للمصريين وهزيمة شنيعة للجيش العثماني ، ذلك الجيش الذي لاذ أفراده بأذيال الفرار بعد أن تركوا أربعة آلاف قتيل في الميدان وما يتراوح بين اثنى عشر ألف وخمسة عشر ألف أسير . أما الذخيرة التي استولى عليها الجيش المصري فقد قدرت بما يقرب من عشرين ألف بندقية وأربعة وسبعين مدفعاً . ومع ذلك فلم تكن هذه الغنائم على كثرتها شيئاً يذكر بجانب العثور على خزانة الجيش العثماني التي لم يتمكن العثمانيون في فرارهم من أخذها ؛ وكان بها من النقد ما قيمته ستة ملايين فرنك ؛ وأخيراً الاستيلاء على خيمة حافظ باشا قائد الجيش بما كان فيها من الأرائك التركية المطعمة بالصدف والأوراق الرسمية وحتى الأوسمة التي كان يتحلى بها ذلك القائد وقعت هي الأخرى في يد ابراهيم .

ولئن دلت هذه الغنائم على مدى أهمية ذلك الانتصار من الناحية الحربية والعسكرية البحتة ، فلقد كان لتلك الموقعة الحاسمة من النتائج السياسية ما أدى إلى أن أصبح محمد على قاب قوسين أو أدنى من الجلوس على عرش السلطنة العثمانية بعد أن فقدت سلطانها الذي مات قبل أن تصل إليه أخبار الهزيمة ، وجيشها الذي انهار في نصيبين وأسطولها الذي انضم بقائده إلى محمد على ؛ لولا التدخل الأوربي وتطور المسألة الشرقية نتيجة لهذا التدخل .

هذه لمحة سريعة عن أهمية هذه الموقعة التي كان بطلها ابراهيم .

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن خطورة ذلك الدور الذي قام به ابراهيم خلال تلك الموقعة حتى أحرز ذلك النصر الحاسم . ولكي يتبين لنا أهمية ما قام به ابراهيم يكفي أن نعلم أن السلطان العثماني كان قد استعد لهذه الموقعة استعداداً كبيراً بولاية مصر إذا تم له الانتصار . وكان الجيش العثماني هو البادىء بالتحدي وباجتياز الحدود المتفق عليها . وكان السلطان قد استعان بمجموعة من الضباط البروسيين لتنظيم الخطط الحربية للجيش العثماني وإقامة تحصيناته وإعداد وسائل دفاعه وهجومه على أحدث النظم الأوربية . وهكذا أخذ الجيش العثماني يواصل استعداداته وبناء استحكاماته في نصيبين حتى إذا انتهى من ذلك بدأ قائده يدس الدسائس ضد ابراهيم تمهيداً للاشتباك في موقعة فاصلة حاسمة .

وأدرك ابراهيم حقيقة الموقف فلم يأل جهداً في الاحتياط وفي تنسيق خطته هو الآخر ؛ حتى إذا أشار عليه محمد على بتأديب العدو وتعقبه كتب إلى حافظ باشا يقول : « إذا كنتم قد تلقيتم الأمر باستئناف القتال فما بالكم تدسون الدسائس ؟ هلموا إلى ميدان القتال بصراحة وخوضوا غمرات الحرب كما يجب أن تخاض » .

كان جيش العثمانيين يبلغ حوالى أربعين ألف مقاتل وكذلك كان جيش ابراهيم . وكان يقود الجيش العثماني حافظ باشا ويعاونه أركان حربه من كبار الضباط البروسيين وكان من بينهم هلموت فون ملتكه (الذي قاد فيما بعد الجيش الألماني فهزم به فرنسا أثناء الحرب السبعينية المشهورة وخلد ذكره في موقعة سيدان) وكان من بينهم فون ملباخ . وعلى ذلك يمكن القول أن الجيش العثماني كان يمتاز على جيش ابراهيم بأركان حربه الألمان ، وبقوة استحكاماته في نصيبين ، وبخبرته بميدان القتال ، وبابتداء الهجوم والعدوان ، وبوفرة الجند والذخائر . أما ابراهيم فكان يعتمد على حماسة الجيش المصري وتماسك أفراده وشجاعة جنوده وحبهم للطاعة والنظام ثم على عبقريته الحربية كقائد .

وأيقن ابراهيم أن عليه إذا أراد النصر أن يفاجىء الجيش العثماني قبل أن يفاجأ هو بالهجوم . وكان الجيش المصري مرابطاً في الغرب من نصيبين . وأدرك ابراهيم أن الهجوم على العثمانيين في نصيبين مع التعرض لاستحكاماتها مجازفة خطيرة ، لذلك قرر

مهاجمتها من جهتها الشرقيه بعيداً عن الاستحكامات المقامة فى غربها . وقام ابراهيم بالإلتفاف بجيشه جنوب نصيبين حتى وصل إلى شرقها وعبر فى سبيل ذلك القنطرة المقامة على النهر ثم بدأ ينظم موقعة فى شرق المدينة . والواقع أن ابراهيم وهو صاحب فكرة القيام بحركة الإلتفاف هذه كان يدرك مدى خطورتها إذ كان يحتمل أن يخرج العثمانيون من استحكاماتهم لمهاجمته أثناء القيام بها فى الجنوب من نصيبين أو أثناء عبوره القنطرة المقامة على النهر ؛ لذلك أتقن تلك الحركة وقام بتنفيذها بمنتهى الدقة والحرص والنظام حتى قال الضباط الألمان عنها فيما بعد : « لقد كانت حركات الجيش المصرى تسير طبقاً لخطط الجيوش الأوربية المدربة على أرقى فنون القتال العلمية » .

وكما كان النجاح فى تنفيذ تلك الحركة دليلا على دقة ابراهيم وسرعة بديهته وحسن تصرفه وانتهازه للفرص وإدراكه الصحيح لما يتطلبه الموقف ؛ نجدها أيضاً كانت دليلا على جمود الجيش العثمانى وجمود قائده وتردده فى انتهاز فرصة الهجوم على الجيش المصرى أثناء التفافه معارضاً بذلك نصيحة مستشاريه الألمان الذين غضبوا فقدموا استقالاتهم ولم يسحبوها إلا حين قيل لهم : « إن الجندى لا يستقيل قبل الموقعة » . لقد كانت خطة حافظ باشا ترمى إلى تفضيل البقاء فى نصيبين بدلا من القيام بالهجوم فى تلك المنطقة المكشوفة ، ولذلك أخذ فى إقامة استحكامات جديدة وعلى عجل فى الجهة الشرقية حتى يعتمد عليها جيشه أثناء الموقعة .

ونظر ابراهيم فوجد القائد العثمانى فى تسرعه قد أهمل تحصين أكمة مرتفعة تجاه جناح جيشه الأيسر ، وتقع فى الشمال الشرقي من نصيبين . عند ذلك اغتنم تلك الفرصة فأرسل فرقة من جيشه فاحتلتها وبدأت تقيم فيها الاستحكامات وتنصب المدافع . ولم يتنبه حافظ باشا إلى أهمية تلك الأكمة إلا بعد فوات الأوان فأرسل فرقة عثمانية لاسترجاعها ولكنها ردت فى الحال على أعقابها .

وواجه ابراهيم بجيشه شرق نصيبين وأدرك أن الجيش العثمانى قد ركز قوته كلها فى الميمنة والقلب . ولذلك كانت ميسرته أضعف جهاته . وكانت الأكمة التى احتلها ابراهيم قد كشفت ذلك الجناح بأمره فجعلته تحت رحمته . وفى ذلك الحين أدرك إبراهيم أهمية احتلال تلك الأكمة كما أدرك ذلك أعداؤه ، لا سيما المستشارون الألمان الذين قالوا عنها فيما بعد : « لقد كانت حركة احتلال الأكمة هى مفتاح النصر فى هذه الموقعة » .

عند ذلك قرر إبراهيم تركيز الهجوم على الميسرة فى الوقت الذى يهاجم فيه العدو من جميع الجهات .

وبدأت الموقعة ، ودوى صوت المدافع ، واشتد الضرب من الجانبين وسقط القتلى والجرحى واستبسل العثمانيون . ونفدت فى أثناء ذلك ذخيرة المدفعية المصرية ، فخفتت أصواتها انتظاراً للأمداد فانتهز العثمانيون الفرصة ، فصبت المدفعية التركية نارها بشدة على مواقف المشاة المصريين ، فتقهقرت الصفوف الأولى ، وكانت فرصة نادرة لهجوم الأتراك على مواقع المصريين ولكن إبراهيم يظهر بنفسه ويقف بين الجنود فى تلك اللحظة الحرجة فيثبت المنهزمين ويجدد الحماسة فى النفوس فيبدأ الهجوم من جديد وتصل الذخائر فيشتد ضرب المدفعية المصرية ويستمر الضرب والهجوم حتى تشتت شمل الجنود غير النظاميين فى الجيش العثمانى ؛ فأحدثوا الاضطراب بالجيش ، وتحطمت صفوف الجند النظاميين وارتبك الجيش كله فلاذ أفراده وسط الذعر والخوف بالفرار ، وكما فعل الجيش فعل قائده الذى فضل الفرار على الوقوع فى أسر المصريين .

ويسير إبراهيم فى ميدان المعركة فيجد خيمة حافظ باشا ، وينظر منها فلا يجد أحداً من الأعداء أمامه ، فيكتب إلى أبيه ليعلمه بالنصر ثم يقول له فى ذيل خطابه : « وإنى أود أن أقتفي أثر الأعداء ولكنى لا أجد منهم أحدا » .

حقاً ؛ لقد كان إبراهيم قائداً حربياً ممتازاً . ولئن دلت موقعة نصيبين على مهارة الجيش المصرى وكفاءته فإنها لتدل أيضا على ما امتاز به قائده من عبقرية نادرة مكنته من إحراز ذلك النصر الحاسم الذى يعد بحق من أعظم الانتصارات الحربية فى التاريخ .

كمال السيد درويش

مدرس بمدرسة الرمل الثانوية

وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

القبــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٣ —

يخطىء من يحسب أن القبائل العربية كانت تجرى فى تعديتها للأفعال أو تصريفها على منوال رتيب . ومن العسير معرفة ما إذا كانت هذه القبيلة تتجه إلى زيادة مبنى الألفاظ أو تلك تميل إلى اختصارها ؛ فمثلا قبيلة تميم تقول أجزأ عنى بمعنى قضى وأمضنى هذا الأمر . وأسحته (١) الله وآلاته عن وجهه . وغيرها يقول جزى عنى ومضنى وسحته ولاته بينما تقول تميم جبرت فلاناً على الأمر . وملك (٢) الله الظالمين وخلا فلان على اللبن بمعنى اقتصر عليه وغيرها يقول أجبرته واهلكهم وأخلى . ونجد تميما تقول : حسب (٣) يحسب على وزن علم يعلم وبرىء المريض يبرأ على وزنه كذلك ويقول الحجازيون حسب يحسب بكسر السينين وبرأ يبرأ بفتح الراءين . هذا فى حين أن تميما تقول رضع يرضع وعرض له الأمر يمرض على وزن ضرب يضرب فيهما ويقولها الحجازيون على وزن علم يعلم كما تقول القبائل بما فيها تميم جنح لكذا بفتح النون ويختلفون فى نون مضارعها فتميم تفتحه (٤) وقيس تضمه وغيرهما بكسره . أما من حيث الزيادة والنقص فنرى تميما تقول اتخذت (٥) وهو الذى ينتقد الدرهم ، والكراهية . وليلة أضحيانة وغيرها يقول تخذت وهو الذى ينقد الدراهم وليلة ضحيانة . هذا فى حين أن تميما تقول مذ وأيم لله بدون نون فيهما ، وتفتح همزة أيم ، وثنتان بدون ألف ؛ وغيرها : اثنتان ومنذ وأيمن الله ومن القبائل من يقول أيم بكسر الهمزة وهم بنو سليم . ولم بدون ياء وهم أهل اليمامة وأغلبهم بنو حنيفة .

ومن حيث الواو والياء والألف نجد تميما تقول : القنوة وقلنسوة والقار ويقول الحجازيون القنية وقلنسية والقير فى حين

(١) قرأ يسحتكم من الرباعى حفص وحمزة والكسائى ورويس وخلف والأعمش وقرأ الباقون من الثلاثى بفتح الياء والحاء .

(٢) قال العجاج : ومهمه هالك من تعرجا . هائلة من أهواله من أدلجا

(٣) قرأ ما ورد مضارعاً لحسب على لغة تميم ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر والحسن والمطوعى وقرأ الباقون بالكسر على لغة الحجازيين

(٤) قرأ جهور القراء على لغة تميم بالفتح فاجنح لها .

(٥) كل ما جاء فى القرآن بقراءاته على لغة تميم اتخذ واتخذت واتخذوا

أن قبائل نجد ومنها تميم يقولون القصيا (١) وتجمع تميم وضبة القنو (٢) على قنيان بالياء وضم القاف والحجازيون يقولون القصوى ويجمعون القنو على قنوان بالواو وكسر القاف وقبيلة قيس تقول القصوى وتجمع القنو على قنوان بواو وضم القاف ، وقبيلة كلب تجمعه على قنيان (٣) بالياء وكسر القاف .

ومن حيث الحركات نجد تميما وتشاركها فى بعض ذلك قيس وأسد تقول : الزعم (٤) والفواق (٥) والأسوة (٦) ومرية (٧) بضم أول الكلمات ويفتح الحجازيون أول الأولين ويكسرون أول الأخيرين . فى حين أن تميما تقول عقر الدار والشهد وربوة (٨) بفتح أول الكلمات ، والمصحف والمطرف والمغزل والرجز (٩) بكسر أولها ويضم الحجازيون أول الرجز وعقر الدار والشهد وربوة وتضم قيس أول المصحف (١٠) والمطرف والمغزل .

فنحن كما نرى لا نجد لأى قبيلة طريقة واحدة فى أوزان الأفعال وكيفية تعديتها ولا منهجاً متفقاً فى الميل إلى الزيادة أو النقص ولا خطة ثابتة تسلكها فى صوغ الكلمات .

أما ما ذكرته سابقاً من الإمالة والتسهيل وتحزها فذلك من

(١) قرأ جمهور القراء القصوى وقرأ زيد بن على القصيا على لغة تميم

(٢) هو العذق ويسمى الكباسة وهو عنقود النخلة .

(٣) هذا كما فى اللسان ، أما كتاب النهر الماد من البحر فقال قنوان بالكسر لغة الحجاز وضمها لغة قيس وقنيان بالضم لغة ربيعة وبالضم والكسر لغة تميم ونسب البحر للفراء أن الضم مع الواو لغة قيس وأهل الحجاز ، ثم ذكر أبو حيان أن ما رواه فى مفرداته هو قنوان بالكسر لغة الحجازيين وقد قرأ الجمهور على لغة الحجازيين بالكسر والواو . وقرأ الأعمش على لغة قيس بضمها ورواه السلمى عن على بن أبى طالب ولم يقرأها أحد بلغة تميم أو ربيعة أو كلب وقرئت بالفتح والواو ولم تنسب لغتها إلى أى قبيلة .

(٤) قرأ الكسائى والشنبوذى عن الأعمش بالضم واقتصر فى تفسير البحر على نسبة الزعم بالضم إلى قبيلة أسد ونسبها المزهر واللسان لتميم وقرأ باقى القراء بالفتح وقرأ ابن أبى عبلة بفتحتين ، وهناك لغة لبعض بنى تميم وقيس بكسر الزاى لم يقرأ بها :

(٥) الفواق : مقدار ما بين حلبتى الحالب ورضعتى الرضيع .

(٦) قرأ عاصم والأعمش بالضم على لغة قيس وتميم والباقون بكسرها لغة الحجاز .

(٧) قرأ بضم الميم الحسن وهى لغة أسد وتميم والباقون بالكسر .

(٨) قرأ ابن عامر وعاصم والحسن بفتح الراء والباقون بضمها وقرأ ابن عباس والمطوعى عن الأعمش بكسرها ولم تنسب إلى لغة .

(٩) قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب وابن محيصن والحسن بضم الراء والباقون بكسرها .

(١٠) هذا كما فى اللسان وفى جمهرة ابن دريد فى أحد مواضعها لكن هامشها قال كسر الميم لغة الحجاز نقلا عن نسخة أخرى للجمهرة : وذكرت الجمهرة فى موضع آخر أن ضم الميم لغة تميم وكسرها لغة أهل الحجاز .

(١١) إمالة الحجازيين محتها أنهم يميلون الألف لأجل الكسرة .

العادة اللغوية التى لا تشذ عن قالبها الجماعة المرتبطة والبيئة المتفقة ولما كان حصر كل الألفاظ التى وردت فى المعاجم والكتب منسوبة إلى القبائل مما لا يعنينا على وجه العموم فسأقتصر فى الألفاظ على ما جاء فى القرآن بقراءاته . ولست أزعم أننى قد حققت جميع ألفاظه ؛ إذ أن كثيراً من الكلمات لم تنسب إلى قبائلها مع أن فيها لغات مختلفة تجعلها متغايرة الأوزان . ولما كنت قد أخذت على نفسى أن أذكر ما لكل قبيلة من لهجة كان لها أثر فى القراءات أو اللغة ونحوها وصرفها فإنى أكمل أولا ما اختلفت فيه قبيلة تميم من جهة النحو والصرف ولولم يكن له أثر فى القراءات

(١) تنوين الترنم :

يقسم النحاة التنوين إلى (ا) تنوين التمكين . وهو اللاحق للأسماء المعربة . (ب) تنوين التنكير وهو اللاحق للأسماء المبنية (حـ) تنوين المقابلة وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم (د) تنوين العوض وهو اللاحق للاسماء المنقوصة (هـ) تنوين الترنم وهو يلحق أواخر القوافى المطلقة التى فى آخرها حركة . وهذا التنوين فى لغة تميم وقيس تلحقانه للمحلى بأل وبالفعل سواء كان ماضياً أم مضارعاً وبالضمير وبالحرف . والاصطلاح على أن اسمه الترنم مخالف لأثره الناشىء عنه إذ أنه فى الواقع يقطع ترنم المنشد حين يشبع الحركة بما يجانسها من حروف العلة فينطق بنون ساكنة تصحب الحركة القصيرة ولهذا سماه بعضهم تنوين قطع الترنم ومن شواهده التى تروى لاحقاً للمحلى بأل والفعل قوله :

أقلى اللوم عاذل والعتابن وقولى إن أصبت لقد أصابن

ولاحقاً بالحرف قوله :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قدن

ولاحقاً بالضمير قوله : يا أبتا علك أو عساكن .

هذا وسماه صاحب الإتقان تنوين الفواصل إذا كان فى القرآن وخرجوا عليه قول الله تعالى « وأكواب كانت قواريرا » قال الزمخشرى وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة .

وكذلك قال فى قراءة من قرأ « سلاسلا » بالتنوين : إنه بدل من حرف الإطلاق أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر حيث يدخل التنوين فى القوافى المطلقة إشعاراً بترك الترنم كما قال الراجز « يا صاح ما هاج الدموع الذُّرَّفَن » .

وقرأ أبو الدينار الأعرابى « والفجر ... والوتر .. يسر » بالتنوين فى الثلاثة . قال ابن خالويه : هذا كما روى عن بعض العرب أنه وقف على آخر القوافى بالتنوين وإن كان فعلا وإن كان اسماً فيه ألف ولام .

(٢) لغة تميم إهمال « ليس » (١) إذا اقترنت بها « إلا » كقولهم : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله برفع طاعة والحجازيون ينصبونها . قال الأصمعى : جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمر ما شىء بلغنى عنك تجيزه ! قال وما هو ؟ قال بلغنى أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » بالرفع قال أبو عمرو نمت ياعيسى وأدلج الناس ليس فى الأرض حجازى إلاوهو ينصب ولا فى الأرض تميمى إلاوهو يرفع ثم قال أبو عمرو قم يا يحيى يعنى اليزيدى وأنت يا خلف ، يعنى خلفاً الأحمر ، فاذهبا إلى أبى المهدى فلقناه الرفع فإنه لا يرفع واذهبا إلى أبى المنتجع فلقناه النصب فإنه لا ينصب فذهبا فأتيا أبا المهدى فلقناه الرفع فلم يرفع وقال : ليس هذا لحني ولا لحن قومى ، ثم أتيا أبا المنتجع فلقناه النصب وجهدا به فلم ينصب وأبى إلا الرفع . فأتيا أبا عمرو وأخبراه فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده وقال . ولك الخاتم هذا ، والله فقت الناس .

(٣) كم الخبرية : تمييز كم الخبرية واجب الخفض ويكون مفرداً ومجموعاً إلا أن التميميين يجيزون نصب تمييزها إذا كان مفرداً وقد جاء فى رواية لبيت الفرزدق :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى

بنصب عمة على أنها تمييز لكم الخبرية على لغة التميميين ، وقيل إن كم هنا استفهام تهكمى . واستعملت كم (٢) فى القرآن بأن يقترن تمييزها بحرف الجر « من » ، « وكم من ملك » أو يتصل الفعل بها مباشراً « كم تركوا من جنات وعيون » .

(٤) أمس : يبنى الحجازيون أمس على الكسر رفعاً ونصباً وجراً . ظرفاً وغير ظرف يقولون رأيته أمس وذهب أمس بما فيه وما رأيته مذ أمس . وقد ورد :

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها حمراء قانية وغروبها صفراء كالورس

---

(١) لم يرد فى القرآن استعمال لليس وبعدها إلا ما عدا قوله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » و « أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار » ويلاحظ أن الخبر فيهما مقدم وهو شبه جملة فلا يظهر عليه إعراب يوضح اختلاف الحجازيين مع التميميين .

(٢) ذكر السيوطى فى إتقانه أن كم الاستفهامية لم تقع فى القرآن وهذا سهو منه كاد يوقعنى فى الخطأ إذ أنها وقعت فيه أربع مرات : كم لبثتم مرتين، كم لبثت ، سل بنى اسرائيل كم آتيناهم

اليـــوم أعلم ما يجىء به ومضى بفصل قضائه أمس

أما تميم فتبنى أمس على الكسر فى حالتى النصب والجر وتعربه إعراب مالا ينصرف فى حالة الرفع ، وقد قيل :

اعتصم بالرجاء إن عن يأس وتناس الذى تضمن أمسُ

ومن بنى تميم من يعربه إعراب ما لاينصرف فى حالتى النصب والجر أيضاً ، وقد قيل :

لقد رأيت عجبـــاً مذ أمسا عجائزاً مثـــل السعالى خمساً

يأكلن ما فى رحلهن همـا لا ترك الله لهن ضرســـا

ومن بنى تميم من يعربه إعراب المنصرف فينونه فى الأحوال الثلاث ، والقرآن الكريم لم يستعمل أمس وإنما استعملها معرفة بالألف واللام مجرورة بالباء « فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه . قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون » .

(٥) ما كان علماً على فعال يعربه بنو تميم ممنوعاً من الصرف وبعضهم يصرفه وقد جاء :

قد مر دهر على وبار فأهلكت جهـــرة وبارُ

أما الحجازيون فيبنونه على الكسر وأكثر بنى تميم يوافقون الحجازيين فيما كان آخره راء كحضار وبعضهم يعربه أيضا كإعراب مالاينصرف وأغلب الأشعار جاءت على لغة الحجازيين قال لجيم بن صعب :

إذ قالت حزام فصدقوها فإن القول ما قالت حزام

وقال النابغة :

أتاركة تدللها قطـــام وضـــناً بالتحية والكلام

هذا وقد اتفق الحجازيون والتميميون وسائر العرب على بناء فعال المعدول على الكسر إذا كان مصدراً إلا بنى أسد فإنهم يبنون هذا النوع على الفتح تخفيفاً وقد جاء على الأكثر :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذار من بطشى وفتكى

(٦) المصدر النكرة الواقع بعد أما يجوز رفعه عند التميميين يقولون « أما علم فعالم » ؛ إلا أن الأرجح عندهم النصب ، والحجازيون يوجبون نصبه ، وإذا كان المصدر بعد أما معرفة فالأرجح عند الحجازيين رفعه ويجيزون نصبه نحو أما العلم فعالم لكن بنى تميم يوجبون رفعه ، وقد روى على لغة الحجازيين بجواز النصب فى المصدر المعرفة قول الشاعر :

ألاليت شعرى هل إلى أم معمر سبيل فأما الصبرعنها فلاصبرا

بنصب الصبر بعد أما .

(٧) تقول العرب فى كلامها : بعداً له وسحقاً أو قبحاً له وترحاً ، أما تميم فإنها ترفع فتقول بعدٌ له وسحق كقولك غلام له وفرس .

(٨) من ثلاثة إلى عشرة تنصب عند الحجازيين على الحال إذا أضيفت إلى ضميرها تقدمها يقولون جاء القوم ثلاثتهم ورأيتهم ثلاثتهم ومررت بهم ثلاثتهم « بنصب ثلاثتهم فى الجميع أما بنو تميم فإنهم يتبعون ذلك لما قبله فى الإعراب توكيداً له فيرفعون فى المثل الأول وينصبون فى الثانى ويجرون فى الثالث .

(٩) بنو تميم يتمون مفعولا من الياء فيقولون ثوب مخيوط ورجل مديون وقد ورد : فكأنها تفاحة مطيوبة » وورد « يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم » وقول الشاعر أيضاً :

قد كان قومك يزعمونك سيداً وإخال أنك سيد معيوب

وبعضهم يجرى ذلك فى الواوى أيضاً وقد جاء : « والمسك من عنبره مدووف » وورد فرس مقوود وثوب مصوون ورجل معوود ، أما غير تميم فإنهم يعلون ذلك بالحذف سواء أكان من الياء أم من الواو فيقولون مخيط ومدين ومصون . . الخ

(١٠) لبنى تميم فى الحلقى العين الثلاثى تفريعات :

(أ) أن يكسروا الحرف الحلقى فإذا كسروه فقد يتبعون فاء الكلمة لعينهـا يقولون نَخِذٌ « اسما » ونِهِلَ « فعلا » بفتح الأول وكسر الثانى منهما ، أو نخذ ونهل بكسر الأول والثانى منهما .

(ب) أن يسكنوا الحرف الحلقى يقولون نَخْذٌ ونَهْلَ بفتح فسكون فيهما

(ج) أن ينقلوا حركة عين الكلمة وهى الكسرة إلى فائها ويسكنون عينها يقولون نخذ ونهل بكسر فسكون فيهما .

وما كان على وزن فعيل يكسرون فاء كلمته تبعاً لعينها إذا كانت العين أحد حروف الحلق وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء يقولون : زئير وشهيق وسعيد ورحيم وشخير ورغيف بكسر أولها وثانيها جميعاً . ومنهم من يفعل ذلك فى فعيل ولو لم يكن عينه حرف حلق فيقولون كبير وجليل هـذا وتشاركهم فى أغلب ذلك قبيلتا قيس وأسد .

(للبحث بقية)

عبد الستار أحمد فرج
محرر بالمجمع اللغوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو:

يوالى مؤتمر اليونسكو عقد جلساته فى بيروت ، وتلقى فى هذه الجلسات خطب تتضمن الإشادة بمثل الثقافة الإنسانية والتعاون العالمى فى الميدان الفكرى ، وتقدم اقتراحات ، وتؤلف لجان . ويلاحظ فى تبادل التحيات بين ممثلى الدول المختلفة ، ما يبديه رجال الغرب من تنويه بفضل ثقافة العرب على الحضارة الغربية ، وعزم على توثيق الروابط الفكرية بين الشرق والغرب ، ثم ثناء على كرم الضيافة العربية .

وكل ذلك جميل رائع ، ولكن لست أدرى أى شيطان بعث إلى تصورى بجانب ذلك صورة كلاب الحراسة التى ضربها أستاذنا الزيات مثلا للمهذبين من بنى آدم[1] ... قلت لنفسى ، أو قال لها ذلك الشيطان : إنها نوبة النهارش ! ألست تتمثل أولئك المندوبين العالميين فى قصر اليونسكو تحت ظلال أشجار الأرز بلبنان .. ؟ يكادون يذوبون من فرط الرقة والتلطف والمجاملة فليس هناك وجبة تقدم ولا عظمة فى حواشى الفناء ... المسألة كلها خطب وفلسفات ، فما الداعى إلى العراك وتحلب الأشداق واحرار الأحداق ؟ هذا مكانه (ليك سا كسس) و (قصر شايو) حيث يأكلون لحم الأمم الصغيرة وعظامها أيضا . أما فى مؤتمر الثقافة فلا بأس من التظاهر بالتعاطف والثناء على الشرق وكرم الضيافة العربية . وسينفض المؤتمر ويترك الحبر على الورق ويعود المندوبون رجال سياسة ، كما يعود الزعماء والوزراء وغيرهم من الكبار إلى قصورهم ومكاتبهم بعد زيارة الفلاحين فى حقولهم وتقديرهم لجهود الفلاح وفضله ، ورثائهم لسوء عيشه ، ووعدهم بتحسين حاله ورفع مستواه .

(١) افتتاحية الرسالة فى الأسبوع الماضى .

وعد بنا إلى كلاب الحراسة تحت ظلال الشجر ... هذه الكبار توطىء أكنافها للصغار وتبدى لها الود ، وهؤلاء مندوبو الغرب يقترحون على اليونسكو مساعدة اللاجئين الفلسطينيين فى حدود اختصاصها ، ويشكرهم مندوبو البلاد العربية . ويقول لى ذلك الشيطان : أترى فى ذلك أكثر من المطف المقيم فى أثناء النهارش تحت ظل الأشجار ... أم ترى اليونسكو تعمل شيئا جديا لهؤلاء المساكين غير « التوصيات » .. !

ذكرت بذلك حكاية جارية غنت فى مجلس فأجادت ، فقام اليها رجل من الجالسين وقال لها : بأبى أنت وأمى ، وددت لو كان لى مال فوهبته لك .. ولكنى أرجو أن يجعل الله لك كل حسنة لى ويحملنى عنك كل سيئة عليك . فأقبلت عليه الجارية وشكرته . فتقدم رجل آخر وقال لها : كل مملوك لى حر وكل امرأة طالق إن كان قد وهب لك شيئا أو حمل عنك ثقلا ، فماله حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك ، فعلى أى شىء تشكرينه ؟

عزيزى الأستاذ محمد عبد الوهاب :

أعبر لحضرتكم عن شعورى إذ أقول إن قلبى كان معكم حينما كتبت إلى الآنسة أم كلثوم فى شأن تحكمها فى الإذاعة ، أو إغداق الإذاعة عليها ، بمنحها خمسين جنيها فى كل مرة تذاع لها أغنية مسجلة مأجورة عند تسجيلها ، حتى يقدر مجموع ذلك بنحو ألف جنيه فى الشهر .

كان قلبى معك يا أستاذ عبد الوهاب ، لأن الإذاعة تخص أم كلثوم بتلك المعاملة الهائلة .. أما أغنياتك المسجلة فتشكو إلى الأثير جراحا .. ولذلك سرنى ما نشر من أنك طلبت عدم إذاعة أغانيك ، وأن الإذاعة رجتك أن تعدل عن هذا الطلب مؤقتا إلى أن تعقد معك اتفاقا جديدا .

فامض فى طلبك وتشدد فيه ، فإن هذه الإذاعة لا ينفع معها غير ذلك . وإنك لابد ظافر بألف جنيه فى الشهر ، واعلم أنك وأم كلثوم الدعامتان اللتان يقوم عليهما فن الغناء والموسيقى فى هذا العصر ، وأن أمثالكما من كبار الفنانين فى روسيا الشيوعية ينالون أكبر الأجور ويصيبون أوفر حظ من الترف والنعيم ، كما يترامى الينا من وراء الستار الحديدى .

فاحرص أيها الفنان المعظم على ذلك الحق « الشيوعى » كما تحرص عليه أم كلثوم ، وكما يحرص عليه كبار الموظفين فى الإذاعة وإن لم يكونوا من الفنانين ... وعلى كل من بذيع بعد ذلك ، وعلى الديموقراطية ، وعلى الإذاعة ، السلام ... وسلام عليك .

نحو الحياد الثقافى :

نشرت « المصرى » لمراسلها بباريس نقلا عن أنباء موسكو أنه صدر فيها بلاغ رسمى جاء فيه أن أكاديمية العلوم ستنشر ٤٢ كتاباً فى سنة ١٩٤٩ عن الدراسات الشرقية منها كتب هامة عن العرب والأدب العربى الحديث ، وقد كتب عن الموضوع الأخير المستشرق برجنانى كراشكوفسكى ، وأهم ما كتب فيه يتعلق بالمؤلفين والكتاب العرب فى خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، وستنشر الأكاديمية أيضاً كتاباً عن تحليل ما بقى من اللغة العربية فى اللغات التى يستخدمها سكان جمهورية أوزبك السوفيتية ، وعنوان الكتاب « العرب فى آسيا الوسطى » .

وعلق المراسل على ذلك بأن هذا الاهتمام من جانب روسيا بشؤون العرب لا يقاس إلى جانب المعركة الخفية بين رجال الحزب الشيوعى وبين رجال الدين الإسلامى فى جنوب الاتحاد السوفيتى وذكر المراسل كلاماً كثيراً دلل به على هذه المعركة ، منه امتناع التلاميذ المسلمين عن المدارس لاعتقادهم أن فى المواد الدراسية ما يتنافى مع الدين الإسلامى ، ومنه استغلال بعض الكتاب حرية النقد فى الطعن على الإسلام وإنكار وجود الله .. الخ .

ولا شك أن المقارنة بين اهتمام روسيا بالشؤون العربية الأدبية والثقافية وبين المعركة الدينية الخفية ، خلط ظاهر ... فالخبر نفسه ذو أهمية كبيرة ، فنحن نسعى إلى رواج أدبنا وثقافتنا فى العالم ونحب أن نعرف بأنفسنا ، وأن يتحقق التعاون الفكرى العالمى بالأخذ والعطاء بيننا وبين سائر الدول شرقية وغربية . والأمم الرشيدة تعمل لنشر ثقافتها فى خارج حدودها ، وتبذل فى هذا السبيل جهوداً كبيرة . فلا يجوز أن نواجه اهتمام أى دولة بآدابنا وشؤوننا الفكرية — بالتهوين من شأنها بمثل هذا الكلام . وهل نحن نقول للمستشرقين الفرنسيين إن جهودكم فى خدمة التراث العربى لا قيمة لها لأن فرنسا تصنع بمسلمى المغرب ما تصنع ؟ وهل نقول مثل ذلك للمستشرقين الهولنديين لتنكيل هولندة بمسلمى أندونسيا ؟ ثم انجلترا التى تقفل جنوب السودان فى وجه الإسلام وتيسر للمبشرين من إرساليات الكاثوليك والبروتستانت أن ينشروا هناك دعاياتهم الدينية — أنرفض التعاون مع مستشرقيها لذلك .. ؟

وإذا كنا ندعو إلى الحياد السياسى أو نختلف فيه ، فما أظن الحياد الثقافى إلا جديراً بتأييده والاتفاق عليه .

ضيعة الشباب فى مصر :

تلقت وزارة المعارف كتاباً من اتحاد الطلبة لجامعات فرنسا يطلب فيه موافاته بما قامت به مصر فى خدمة شبابها . وقد أخذت الوزارة فى إعداد البيان المطلوب .

وخدمة الشباب هى استغلال أوقات فراغهم فى إنماء ثقافاتهم وإبراز ملكاتهم الفنية وتعهدها ، وتربية أذواقهم وأبدانهم ، بالمطالعة والمحاضرة والسينما الثقافية والرحلات والألعاب وغير ذلك من مختلف الوسائل . وتقوم بها فى مصر إدارة خدمة الشباب بوزارة المعارف وبعض الجمعيات الكبيرة كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية وجمعية الإخوان المسلمين ، والثانية أكثرها نشاطاً فى هذا المضمار .

أما إدارة خدمة الشباب فهى إدارة صغيرة ناشئة تشق طريقها جاهدة فى حدود « المستطاع » وهو قليل . وحسبك أن تعلم أنه لا ميزانية لها .. بدأت العمل وسارت فيه وقطعت أشواطاً وليس لها اعتماد مالى !

لم تقف أمام ضيق الميزانية جامدة ، بل تلفتت حولها فلمحت إلى جانبها « إدارة التأمين الاجتماعى » وهى ذات صندوق يتكون ما فيه من النقود التى يدفعها طلبة المدارس الثانوية بقصد التعاون الاجتماعى بينهم ، ينفق منها على من يحتاج منهم إلى المساعدة فى الأغراض والحالات الضرورية . نظرت إدارة خدمة الشباب إلى أختها إدارة التأمين الاجتماعى ، وهشت لها وتلطفت قائلة : ألسنا نتحد فى الغاية وهى العمل لمصلحة الشباب ؟ فلم تضن عليها بل وضعت نفسها وما تملك فى خدمتها أى خدمة الشباب ...

وبذلك استطاعت إدارة خدمة الشباب أن تعمل ، فنظمت

المهرجان الأدبي والفني ، ودعت طوائف الشباب إلى مشاهدة الأفلام الثقافية في دارها ، وتعاقبت أفواج منهم في الاصطياف بمخيماتها على شاطئ الاسكندرية في الصيف الماضي . وأخيراً تم إنشاء سبعة فروع منها موزعة بمدارس القاهرة ، في كل منها ما يتيسر من وسائل التثقيف وأنواع الفنون والألعاب .

كل ذلك ليس بشيء إلى جانب ما ينبغي لخدمة الشباب في هذه البلاد التي تتسكع فلذات أكبادها في طرقاتها كالـكلاب الضالة .. واذهب إلى الأحياء التي تسكنها الطبقات المتوسطة ، وهي التي يتكون منها سواد الطلبة في المدارس ، مثل عابدين وجنينة قاميش وبعض جهات شبرا والعباسية ، وانظر ماذا يصنع الشباب في أوقات الفراغ .. فهذه جماعات على الطوار تحملق في الغاديات والرائحات ، وتصطنع ضوعاً من الغزل « الشوارعي » كثيراً ما يجر المشاكل والمعارك . والمحظوظون السعداء هم الذين ظفروا من ذويهم ببعض النقود فاستبقوا إلى دور السينما والمقاهي . وهذه الطبقات تنعدم فيها أسباب الفائدة في قضاء أوقات الفراغ إلى ما هو معروف من الفوضى في حياة الأسر وسوء التربية المنزلية ؛ ومن ثم ندرك الحاجة الماسة إلى الوسائل العامة لخدمة شبابنا ، ومما يرثى له أن هذه الحاجة لا يقابلها ما ينبغي لها من الجهود والعناية ، على حين نجد البلاد التي ليست حال الشباب بها كذلك لتقدم الحياة الاجتماعية فيها تهتم بخدمة الشباب اهتماماً لا يذكر بجانبه ما تظفر به هـذه الخدمة في مصر ، فلو أحصى من تصل إليهم أسباب إدارة خدمة الشباب لم يزيدوا على ألف شاب من القاهرة ، ويبقى بعد ذلك في العاصمة والأقاليم مئات الآلاف مضيعين ، بل إن الذين يستفيدون فعلا لا يتحقق لهم مما يرجى إلا القليل .

إنه إذا أمكن حصر الخدمات التي تقوم بها الدولة والهيئات للشباب بمصر في أي تقرير أو بيان ، فإن ضيعة الشباب بهـا لا ينتهي الـكلام فيها عند حد ...

من طرف المجالس :

كان موضوع الحديث مذهب «السريالزم» في الفنون الذي يرمي إلى الفضاء على وصفها بالجمال .. فإنك تنظر إلى الصورة فلا تعرف لها معنى ، وتستعين بصاحبها فلا تجد في شرحه غناء . والشيء الوحيد الذي تتركه هذه الصور في نفسك هو تأثرك من بشاعة منظرها وما فيها من العبث بالطبيعة ... وقد تسرب هذا الاتجاه إلى قليل من الشعر العربي الحديث ، وإن كان يقف بهذا القليل عند من يأتي به !

قص أحد الأصحاب ما حدث أخيراً في أحد المعارض الأوربية إذ زاره رسام أمريكي وشاهد فيه بعض الصور مقلوبة الوضع ، وراجع ما كتبه النقاد من أنصار « السريالزم » عن هذا المعرض فوجدهم قد أثنوا على صوره ، وخصوا الصور المقلوبة بوافر الثناء ولم يلاحظ أحد منهم أن أعلاها في أسفلها وأسفلها في أعلاها !

قال آخر : العجيب أن « السرياليزميين » يقولون إنهم ينتفعون بالنظريات العلمية والثقافات الحديثة ، ولـكن ما أثر هذه النظريات والثقافات في إنتاجهم هذا ؟

قال ثالث : أثرها واضح يا أخي كل الوضوح .. ألست ترى ما فيها من آثار مذهب دارون في النشوء والارتقاء .؟

تركيب :

نظرت لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في هذا التركيب : « يحب ابنه كما لا يحب والد ولده » هل هو صحيح ، وما هو التركيب الفصيح الذي يؤدي هذا المعنى ؟

قال بعض الأعضاء إنه تركيب سليم وتخريجه : يحب ابنه مثل حب عظيم لا يحبه والد ولده .

فقال عضو آخر : إننا إذا فرضنا صحته فإن الركاكة بادية عليه ولم اللجوء إليه وإلى تصويبه والتعبير الفصيح المماثل له ورد في القرآن الـكريم وهو « ومن كفر فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ؟ وعلى ذلك يكون ذلك التركيب فصيحاً هـكذا : يحب ابنه حباً لا يحبه والد ولده . فاستحسن الأعضاء هذا الرأي وأقرته اللجنة .

عباس خضر



كاد (أنه) :

درجت أفهم فى صحيح اللغة أن المضارع الواقع فى موضع خبر (كاد) لا يقترن بـ (أن) وذلك هو القياس المطرد ، وكل ما جاء على خلاف فهو من الضرائر — إن كان شعراً — ومن الشذوذ — إن كان نثراً — كقول رؤبة :

ربع عفاه[1] الدهر طـــولا فانمحى
قد كاد من طول البِلى أن يمصحا[2]

قال سيبويه : وقد جاء فى الشعر (كاد أن) يفعل شبهوه بعسى؛ قال رؤبة : « قد كاد من طول البلى أن يمصحا » ؛ وكقول آخر :

وجدت فؤادى كاد أن يستخفه
رجيع الهوى من بعض ما يتذكر[3]

فهو أيضاً من الضرائر الشعرية وليس بأصل لحد قول الآلوسى فى « ضرائره » . وقد كنت هكذا أفهم استعمال (كاد) وخلو خبرها المضارع من أن ؛ حتى طلع علينا الأستاذ الزيات صاحب الرسالة وأستاذ البلاغة بالخبر اليقين حين قال[4] : « إن حالتها (تكاد أن) تكون طبيعية ... » فآمنت بخلاف ما كنت أومن ، وقوّى إيمانى به فى حينه ما ورد على الخاطر مما ورد فى صحيح البخارى « وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم » ثم ما جاء فى الحديث أيضاً — وهو نادر — « كاد الفقر أن يكون كفراً »

وبعد . فهذا الذى سبق هو مفهومى من القول الفصل مع قصر الباع والذراع ... وعلى المريدين أن يدلوا بدلوهم فى الدلاء كل على قدر شطنه ورسنه ... والسلام .

عدنان

(الرسالة) : الذى نذكره على البعد من كتب المراجعة ، أن الأفعال الناقصة التى يجب أن يكون خبرها فعلا مضارعاً يجب اقترانه بأن فى أفعال الرجاء ، ويمتنع فى أفعال الشروع ويجوز فى أفعال المقاربة على قلة فى بعضها وكثرة فى البعض الآخر ، كما نذكر كذلك قول البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

---

(١) عفاه : درسه . يقال عفا الربع : عفته الريح أى محته فهو (متعد ولازم) . (٢) أمصح : خلق وأغلق .
(٣) البيت لذى الرمة .
(٤) العدد (٨٠٢) من الرسالة ص ١٢٨١ (أسرة طيبة) .

المصحف المبوب :

ما كنت أظن أن نجد فكرة المصحف المبوب معارضاً ، لأنها أمنية طالما غناها كبار العلماء لتظهر بها كل سورة من سور القرآن الكريم متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، معروفة الأغراض ، محددة الأبواب ، وليس هذا علم الله فى القشور ، وإنما هو لب الألباب ، وحدث عظيم فى ترتيب المصحف .

ولكن كيف يمر هذا من غير معارض ، وقد طال بنا إلف كل قديم ، حتى صار السكون عندنا بركة ، وكرهنا كل حركة ، وأسأنا الظن بكل جديد ، وأخذنا الجديد النافع بذنب الجديد الضار .

وماذا فى فكرة المصحف المبوب من الضرر ؟ يقول الأستاذ الفاضل عمر إسماعيل منصور إنه يود أن يشعر المسلمون بأن كتابهم مقدس ، وليس عرضة لكل مبتكر ، إذ من الجائز أن يختلف والتبويب ، فيظهر المصحف فى عدة طبعات ، فإذا بوبه اليوم فلان ، فسيبوبه غداً غيره ، فيقولون قرآن فلان ، ومصحف فلان ، وتكون فتنة ، وكلما تفلسف شخص أضاف فكرة جديدة ، ما دمنا قد فتحنا هذا الباب .

فالأستاذ عمر إسماعيل منصور فى هذا يكره الابتكار لذات الابتكار ، ولا يفرق فيه بين نافع وضار ، ثم يوهم أن التبويب سيحدث تغييراً فى نظم المصحف ، مع أنه سيكون بهامشه ولا يدخل فى صلبه ، فمثله كل المصحف المفسر الذى ظهر منذ سنين ، وتناوله عدد من المفسرين ، ولكل عدد منهم طريقته فى تفسيره ، وفى موضعه من المصحف باختلاف طرقهم فى التفسير ووضعه ، بل اختلفت القراءات بيننا ، وقيل قراءة فلان وقراءة فلان ، وهو اختلاف يرجع إلى لفظ القرآن ، فلم يحدث منه فتنة أيضاً ، وسيكون هذا شأن المصحف المبوب ، إن شاء الله تعالى .

عبد المتعال الصعيدى

الحصار السلمى فى الشرع الدولى :

هو منع السفن من الدخول أو الخروج من مرافئ الدولة التى يفرض الحصار عليها ؛ وأول مرة وقع فيها ذلك كان عام ١٨٢٧ حينما حاصرت دول فرنسا وبريطانيا وروسيا مرفأ نافارين منعاً للقتال فى بلاد اليونان ، ثم تكرر ذلك عند ما حاصرت بريطانيا سواحل اليونان عام ١٨٥٠ تأييداً لمطالب أحد رعاياها اليهود ، فتوسطت فرنسا فى هذا الشأن ، وعرضت القضية على

لجنة التحكيم التى ظهر لها بعد التحقيق أن مطالب اليهودى المذكور هى ١٥٠ فرنسكا ؛ ووقع ذلك للمرة الثالثة لما حاصرت الدول العظمى عدا فرنسا سواحل اليونان عام ١٨٨٦ ولكن هذا الحصار كان مفروضاً على السفن اليونانية وحسب

ويشترط فى صحة الحصار أن يبلغ إلى الدولة المنزلة (الحيادية) وتعاقب السفن التى تخترق خط الحصار طبقاً لإحدى النظريتين الفرنسية أو البريطانية ؛ فالنظرية الفرنسية تقضى بالقبض على السفينة حتى ينتهى الحصار ، ولا يسمح بامتلاكها واغتنامها ؛ أما النظرية البريطانية فتبيح امتلاك السفن التى تخترق خط الحصار ، وتعدها غنيمة . ولكن النظرية الفرنسية هى المتبعة فى الجمعية الدولية ؛ وقرار مجمع الحقوق الدولية المنعقد عام ١٨٨٧ كان موافقاً لها

محمد أسامة عليبه

أوهام لغوية :

قرأت فى الرسالة العدد ٨٠١ تحت عنوان سر الحاكم بأمر الله للأستاذ عباس خضر هذه العبارة « ... والحادثة الهامة فى القصة أو العقده فيها ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول « الحادثة المهمة ؛ فى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ؛ وأهمك من الأمر ما أقلقك وأحزنك . والهامة ، فى الصحاح أيضاً ، الرأس والجمع هام وهامة القوم رئيسهم .

فى عرض الدكتور على حسن عبد القادر لـ « كتاب البرهان فى وجوه البيان » تحقيق مستفيض عن صاحب الكتاب . وقد كتب فى موضع من بحثه القيم أنه تحقق من « نسبته لأبى الحسين » وهذا وهم لغوى أيضاً ! والصواب قوله : « بنسبته إلى أبى الحسين » .

وللأستاذين الفاضلين الخضر وعبد القادر إعجابى وإكبارى .

أحمد عزيز بينوغن

تصويب :

ورد فى افتتاحية العدد الماضى :

وإن ابن آدم لا يزال عبد العصا وضيعة الدينار

والصواب : وصنيعة الدينار .

صاحب الدولة أحمد حلمي باشا :

فى مساء الخميس الماضى شرف حضرة صاحب الدولة أحمد حلمى باشا رئيس مجلس الوزراء فى عموم حكومة فلسطين دار مكتبة الأطفال وقد كتب دولته فى دفتر الزيارات الكلمة التالية يحيي فيها جهود الدار فى سبيل خدمة النشء العربى ...

مكتبة الكيلانى للأطفال

زرت مكتبة الكيلانى للأطفال فأكرم بها روضة علم وأدب ، وخزانة حكمة ومعرفة . تشرق بمؤلفاته المفيدة ، وتزدان بآثاره الفريدة ، التى تدل على عبقريته ، وحسن اختياره ودقته . كما تدل على عنايته بما ينفع أطفالنا ويغذيهم بالأدب الرفيع الذى يذكى عقولهم ويشرح صدورهم فهى منارة مصر . ومفخرة العصر . حباه الله وأدامه مناراً للعلم والأدب فى شرقنا العربى وأكرم به عالماً نحريراً ، وأديباً كبيراً يزر برده على الوفاء ، ويضم جناحه على الولاء . حفظه الله ورعاه وأدامه لأخيه وصديقه المخلص .

أحمد حلمى

أخطاء مطبعية :

وقعت فى مقالى « دفاع عن الأدب » الذى نشر فى العدد الماضى من الرسالة بعض الأخطاء المطبعية ، وقد رأيت أن أصححها هنا ليستقيم المعنى المقصود من بعض العبارات ؛ أما هذه الأخطاء فتتمثل فى العبارات التالية :

« لئن كانت الإدارة قوام الإنسان الفنان ، فليست قوام الإنسان الفنان ؛ ومتى كان الفن غير ناشئ عن الإدارة فهو فى حل كذلك من كل تمييز أخلاق » وصحتها : « لئن كانت الإرادة قوام الإنسان الخير ، فليست قوام الإنسان الفنان ، ومتى كان الفن غير ناشئ عن الإرادة الخ ...

« ولعل فى رى الأدب الاعترافى بالتأنث كثيراً من الإغراق فى التجنى والإسراف والتحامل » وصحتها : « والإسراف فى التحامل » ... « هـذا هو أرى الفيلسوف الإيطالى فى أدب الاعترافات » وصحتها : « هذا هو رأى الفيلسوف الايطالى الخ »

« يعرض أمام الناس فترة من فترات حياته بما فعلت من خير وشر » وصحتها : « بما حفلت من خير وشر » .

أنور المعداوى



موسى كليم الله (١)

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد مطاوع المدرس بالأزهر

قصة سيدنا موسى، عليه السلام، معروفة إجمالا وتفصيلا للخاصة وللعامة من اليهود والمسيحيين والمسلمين شرقاً وغرباً؛ لأنه نبي معترف بنبوته فى الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، وهو أظهر أنبياء العهد القديم؛ شأناً وسيرة، وقد تحدث بسيرته «القرآن الكريم» فى مواضع عدة حسب مناسبات مختلفة حديثاً لم يتحدثه بأحد غيره من الرسل والأنبياء. وكذلك الأحاديث النبوية، وتبعتها أحاديث الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأخباريين والقصّاص والمؤرخين والمفسرين.

من أجل ذلك كانت الكتابة المفصلة فى هذا الموضوع عرضة لخطر التكرار المملول الذى تضيق به الأسماع والقلوب، وكان تلمس الجِدَّة عند محاولة الكتابة فيه أمراً بالغ الخطر واجب الرعاية. وما الجدة المراد تلمسها أمراً متعذراً ولا متعسراً على راغبيها المقتدرين، وهى ألزم ما تكون لمن يخاطبون بكتابتهم الخاصة لا العامة كمؤلف هذا الكتاب.

ونقرأ هذا الكتاب فنجده خالياً كل الخلو من الجدة، فهو تأليف بكل معنى هذا اللفظ فى أصله اللغوى العام وهو «الجمع»: الجمع لمعلومات أغلبها تافه ملفق وأقلها جليل صحيح، فكثيره احتطاب ليل وقليله اجتناء لا حيلة فيه ولا مناص منه، لأن المعول عليه فى القرآن الكريم. ولم يحاول المؤلف الخروج عن الجمع الساذج إلى شىء إلا الوعظ الرخيص وتلمس العبر التافهة بأسلوب معوج، فنحو ثلثى الكتاب عظات واستنتاجات «خطابية» ونحو ثلثه تاريخ مجموع على النحو الساذج الذى أشرنا إليه لم يعن فيه جامعه بما يعنى به المؤرخون على اختلاف مناهجهم وكفاءاتهم وأمزجتهم وأهدافهم.

فهو كتاب وعظ لا تاريخ مع أن صاحبه يتظاهر فيه بأنه مؤرخ لا واعظ، وهو فى حديثه يسوق الكلام إلى ما يقبل العقل والذوق وما لا يقبلان. ترصد الصيد عظة رخيصة أو افتعالها. وتكاد تتكرر فى كل صفحة «قيل» و «قال» ولا شىء بعدهما عدا العظات، ولو تأدى تصديق القيل والقال إلى التعرض فى المحال والتطوح مع الخيال إلى أبعد حدود الضلال

فى الكتب الإسلامية قصص يسميها العلماء «الإسرائيليات» يدور أكثرها حول موسى خاصة وبنى إسرائيل عامة، ولقد حذر «الفاهمون الغُيُر من العلماء» من التورط فى تصديق هذه «الأساطير» التى دسها «الإسرائيليون» فى «الإسلاميات» رغبة العبث والضلال، ورواها عنهم بعض «الطيبين» من علمائنا، أو نحلها إياهم هؤلاء «الإسرائيليون» ثم نقلها الخلف عن السلف بأسانيدها أو بغيرها بنية «سليمة» ضرورة أن فى القرآن آيات تتضمن قصصا لا بد من تفسيرها، ولم يكن لأحد الجرأة على الخوض فى تفسيرها بالحق حيناً وبالباطل أحياناً، إلا علماء «يهود» الذين عندهم علم «كل» شىء كان وكل شىء «سيكون» فما من أمر فى السماء وفى الأرض حدث أو سيحدث إلا وفى «توراتهم» ذكره ووصفه وميقاته وكل ما يتصل به لا مجملا بل مفصلا أوضح تفصيل وأدقه، ولا ريب أن من القراء من أتاهم نبأ «الإسرائيلى» الذى حدث عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام بأن وصفه وأخلاقه وملابسه، بل يوم موته بالتحديد مدون فى «التوراة». وإذن فلا ريب أن هذه التوراة قد أحصت كل شىء علماً، وأحاطت به خبراً، وأنها صورة من علم الله.

وهذا الكتاب قد حشرت له «الإسرائيليات» حشراً لم يترك منها فيما يتصل بهذا الموضوع حتى ما لم توح به نصوص القرآن ولا يرتضيه عقل مستقيم ولا يقبله ذوق مهذب. وإليك مثلا من عشرات وقعت فى الكتاب وُصف الله فيهما بصفات «توراتية» معاذ الله فالذى وصف فيها هو «يهوه (١)» رب

(١) ١٨٨ صفحة طبع بدار الكتاب العربي بشارع فاروق بالقاهرة سنة ١٩٤٧

(١) يهوه هو اسم الإله عند اليهود، وهم لا يتلفظون به فاذا ورد فى التوراة استدلوا به (أدناى) ومعناه سيدى

الجنود » كما يسمى اليهود إلههم ويلقبونه . فى هذا المثل ترى « يهوه رب الجنود » فى أقصى جنونه الوحشى يدبر المكايد ، ويتجنى على « الضعفاء » الذنوب ويدفع بفرعون دفعاً إلى الكفر والعناد ثم ينتقم منه أبشع انتقام ويشمت به أقبح شماتة : هذه مؤامرة يشترك فيها « رب الجنود » مع جبريل وميكائيل ضد فرعون الذى وقف مع جيشه على شاطىء البحر متردداً فى اقتحامه خلف الإسرائيليين الهاربين من وجهه ، ووزيره هامان ينصحه بالإحجام فيرسل « رب الجنود » جبريل أمامهم يغريهم ، وميكائيل من خلفهم يزفهم ، ويحسنان لهم عبور البحر ، ويوقظان فيهم شهوة النكال بموسى ، ثم لم يكتفوا بذلك ، فامتطى «جبريل فرساً أتاناً عريضة الكفل حسنة المنظر (تأمل هذين الوصفين) فتقدم بها جواد فرعون الفاره وضرب فرسه فتحركت أمامه وجرت تخايله فاندفع جواد فرعون (كذا) وتدافع قومه بعده بخيلهم ورجالهم» ص٨٩ وأتاه جبريل ــ وهو يشرف على الغرق ــ وأراه فُتيا كان قد خطها فرعون بيده مغزاها أن العبد الذى يجحد فضل سيده جزاؤه الغرق فى البحر « فناوله جبريل إياها وأطلمه عليها والماء يلجمه ويغصه ، فعرف خطه وبكى حظه ، ثم ندم ، ولات ساعة مندم .

أرأيت تفصيلات هذه المؤامرة الصبيانية التى لا تليق بإنسان رشيد له قلب يعطف أدنى المعطف فضلا عن إله وملائكته ؟ إن شئت غيرها فأمثالها فى الكتاب كثير تبلغ عشرا وعشرات.

وفى الكتاب عشرات المحالات فى غير ضرورة من دين أو عقل أو ذوق ، وهاك مثلا : أرسل موسى وهو فى التيه ــ اثنى عشر نقيباً من الإسرائيليين « البواسل » إلى أرض كنعان للتجسس ، فلقيهم كنعانى « وهو عوج بن عنق ، وكان فاره الجسم يطاول السماء بقامته ــ رأى النقباء أمامه فأخذهم فى كمه مع فاكهة يحملها من بستانه ، وجاء بهم إلى ملكه ونثرهم بين يديه ... » ص ١٤٩ أين خيال الكاتب الإنجليزى مؤلف قصة « جلفر » وقصوره من خيال سادتنا العلماء « الطيبين » فى هذه « الإسرائيليات » . لقد اشتط القصصى المسكين فى خياله هازلا فما ظفر بغير هذه البدائع « المقدسة » التى أوردها سادتنا الأبرار جادين بل مسرفين فى الجد والإيمان . إن لم تكن أعجبتك هذه ففى الكتاب عشرات أمثالها . ولقد زعمت لك قبل أن المؤلف لم يكن عمله فى كتابه هذا إلا الجمع ، وأنا أنزل عن هذا الزعم هنا مرة واحدة لأن المؤلف استعمل هنا عقله فسكت عما تذكره الاسرائيليات عن « عوج بن عنق » هذا فقد ذكر ما ذكرته من أنه كان « يطاول السماء بقامته » ولكنه لم يقل ما قالته من أنه ــ لطوله هذا ــ كان يمد يده فيخرج الأسماك من أقصى قيعان البحر ويرفعها أمام الشمس فيشويها فى حرارته ويأكلها هنيئاً مريئاً .

والمعجزات فى الكتاب أكثر من أن يحيط بها عقل ، وأعجب كيف حملها الكتاب ، ففى كل حركة يتحركها موسى وقومه وأعداؤه بل فى كل همسة معجزة ضخمة وفى كل معجزة ضخمة معجزات أصغر منها ، وإن تكن المعجزات فى « إقناع » العقل سواء فلا صغيرة فيها ولا كبيرة إلا من حيث المساحة ، وفى الكتاب يبدو « يهوه رب الجنود » الذى اختار « يهود » شعباً له وفضلهم على سائر خلقه ــ يبدو قائماً قاعداً لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار ، ولا يهتدى إلى حل مشكلات « شعبه المختار » سواء ما شجر منها بين بعض أفراده وبعض وما شجر بينهم وبين الشعوب الأخرى التى قدر للشعب المختار أن يحتك بها ويساجلها الكراهة والتمازع بل « يتطوع » بكرهها ومنازعتها لوجه « يهوه » أو لوجه « الشيطان »

أورد المؤلف فى كتابه بالتفصيل كل ما قيل فى موسى من الإسرائيليات الواردة فى الروايات الإسلامية ، وألم بأطراف مما ورد فيه ذكر موسى من التوراة ، فتحدث بنسبه ومولده ونشأته وهربه إلى مدين وعودته إلى مصر رسولا ، وخروجه منها ببنى إسرائيل قائداً لهم ، والطريق الذى سلكه بهم ، وما جرى لفرعون وجنده فى مطاردتهم ، وما حدث له ولقومه فى صحراء سيناء من سياسته الشاقة لهم ، ونزول التوراة عليه وعبادتهم العجل فى غيابه ، وقصته مع هارون أخيه بعد رجوعه بالتوراة حين وجدهم يعبدون العجل ، وقصته مع الخضر (العبد الصالح) وقصته مع قارون وإيذائه إياه وانتقام الله منه إذ خسف به وبداره الأرض ومقامه مع قومه فى التيه أربعين سنة ، وقصة بلعام بن باعوراء العالم الإسرائيلى « وكان فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين

يكتبون عنه ويرصدون غزير علمه » فنضب الله عليه لأنه لم يشكره يوماً على ما أعطاه ، وتحدث المؤلف بما حدث على يد موسى من معجزات فى هذه المواقف كلها ، ومن هذه المعجزات ما ذكره القرآن ومنها مالم يذكره و « تطوع » أصحاب «الإسرائيليات» بذكره ، وذكر المؤلف قصة هرون أخيه وموته ثم موت موسى ودخول « يهود » أرض الكنمانيين ، تحت قيادة خليفته عليهم « يهود » إلى « الحجاز » ، ولا موضع لمثل ذلك فى سيرة موسى .

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه « اتخذت القرآن الكريم إمامى ، والأحاديث النبوية عمادى ، وآثار الصحابة والتابعين سندى ، ورواية الثقات من المفسرين مرشدى ، وما تراضى عليه المؤرخون واللغويون مصدرى ، ورتبت القول بما يتفق ومجرى الحال من ولادته حتى وفاته » ص٦ . وهذا تعريف بمصادر الكتاب ناقص من ناحية وزائد من ناحية ، فهو ينقل عن التوراة وكتب علماء الآثار مثلا معلومات كثيرة ، ولا يرفض كثير من « ثقات المفسرين » ما فى « الاسرائيليات » من شطط ومحال . وتعريفه بالكتاب ومصادره وكيفية الانتفاع بها مجمل غامض لا يفيد من يريد المراجعة والمحاسبة .

ومن أعجب العجب فى الكتاب أن مؤلفه إذا ذكر آية من القرآن ذكر رقمها وسورتها ، وينقل عن التوراة آيات برمتها فلا يذكر أرقامها فى إصحاحاتها — إلا مرة واحدة نقل فيها نقلا وأشار إلى أنه من سفر الخروج (ص ١٠٣) دون تعيين الاصحاح ولا رقم الآية فيه — وينقل عن مصادره الأخرى ومنها كتب التفسير وكتب عبرية مخطوطة ، وكتب لعلماء الآثار الغربيين ، وكتب لمؤرخين وطنيين وأجانب فلا يشير مرة واحدة فى هامش صفحة إلى إسم الكتاب الذى نقل عنه صفحة نقله إلا مرة واحدة ذكر فيها خبرا ، وأشار إلى أنه من رواية « الامام القرطبى والنسفى والنيسابورى ، وسواهم من أئمة المفسرين » ص ٢٧ . وهذا سير عجيب بل سير مريب لأنه يفترض أن كل هذه المصادر البعيدة معروفة للقراء فلا داعى لذكرها ما عدا القرآن فهو مجهول ولذلك لا غنى عند ذكر الآية من ذكر رقمها فى سورتها . هذا مع أن الكتاب ألف باللغة العربية كى يقرأه أقل من يعرفونها دون سواها ، فهو يكاد يكون مؤلفاً لعامة المسلمين وحدهم .

والمؤلف يسوق قصة موسى كما وردت فى القرآن وقصته كما وردت فى التوراة على أنهما متكاملتان ، وهذا السياق يوقعنا فى خطأ كبير ، وهأنذا أقرر — ولا أدرى أحداً سبقنى إلى قرارى هذا — أن الصورة التى يتبينها القارىء فى نصوص القرآن لموسى تختلف اختلافاً كبيراً عن الصورة التى يتبينها له من تأمل نصوص التوراة رغم اتفاق القصتين فى معظم الوقائع العامة ، وأن الله فى نظر موسى كما ذكر القرآن يختلف اختلافا كبيرا عن « يهوه » فى نظر موسى كما ذكرت التوراة ، فإن موسى المؤمن بالله الواحد غير موسى الذى اختص هو وقومه بمبادتهم « يهوه » مرة ، و « إلوهيم » — ومعناها الآلهة — مرة أخرى .

والمؤلف ينقل عن التوراة مسلماً بصحتها ، ولا أريد أن أصدمه برأى الثقات من علماء المسلمين ، ومبلغ ثقتهم بهذه « التوراة » كما فهموا من نصوص القرآن ، لا أريد صدم المؤلف بذلك رغم أنه مسلم بل عالم من علماء الأزهر ، ولكنى أشير عليه أن يعيد قراءة التوراة كلها بفهم وتدبر ، وأنا واثق من أنه سيغير رأيه فيها كل التغيير ، وليسمح لى أن أهمس فى أذنه بأن الجهل التام شر من بعض العلم ولاسيما فى هذه المسائل التى تؤخذ كلها . فليمحص خبراً بما يريد الاعتماد عليه من المصادر ، وإلا فحسبه مصادره الاسلامية وحدها ، وشفيعه أنه من « علماء الأزهر » لايثق إلا بما يثق به دينه وعلماؤه الفاهمون ، فأما تقحم المعضلات بلا أهبة وخطف جملة من هنا ونبذة من هناك دون استيعاب ولا تمحيص فإثمه أكبر من نفعه .

لقد نقل المؤلف — كما أسلفت — عن كثير من علماء الآثار والمؤرخين الغربيين ، وهو يهتم بذكر التفصيلات التافهة فكان عليه — لذلك — أن ينظر فيما أصدروا من أحكام خطيرة هى فى حاجة إلى إبداء رأيه فيها لخطرها وخطر أصحابها . فالعالم النمسوى المشهور سيجموند فرويد — وهو يهودى غير متهم — يذهب فى ترجمته لموسى أنه مصرى لا يهودى ، ويرى غيره أن موسى مات قتيلا لا حتف أنفه وأن اليهود هم الذين قتلوه حين ضاقوا به وبإصلاحاته ، وغيره يرى أنه تملم فى « جامعة عين شمس » على أيدى كهنتها ، ومنهم من يرى أن فرعون المشار إليه فى التوراة والقرآن ليس ملكا مصريا بل أحد الحكام الصغار فى أقاليمها الشمالية الشرقية ، ومنهم من يرى أن بنى إسرائيل لم يتوغلوا داخل حدود مصر ، ولم يتجاوزوا حدود صحراء سيناء

أثناء ضربهم فى الأرض شرقا وغربا ، ويستدل قائل ذلك على قوله بسكوت التاريخ القديم عن ذكر هؤلاء الاسرائيليين بأى إسم من أسمائهم المعروفة قديما وحديثا ، ومن هـذه الأقوال ما لا يتعارض مع نصوص القرآن ومنها ما يتعارض معها ، فهل عند فضيلة المؤلف علم شاف بهذه الأحكام التى لم تصدر جزافا ، وهل عنده حجة للرد على ما يتعارض منها مع نصوص القرآن ؟ إنا فى انتظار الجواب ، وهو أولى من يدلى برأيه فى هذا المجال الذى اختص به وعرف فيه حتى ما ذكره الغربيون كما يدل عليه نقله عنهم ، ولعـل فضيلته لا يبخل علينا بالجواب ، كى تتم فصول الـكتاب .

والمؤلف يعلم — أو يجب أن يعلم — من دراسة الفرق الـكلامية الاسلامية ، أن منهـا من تأثروا أو دافعوا أهل نحلة تسمى « المانوية » وكان المانويين يصدقون بنبوة عيسى ويرفضون نبوة موسى ، لأسباب منها أن « الإله » كما وصفته التوراة ، شيطان متوحش شرير شغوف بالخراب والفساد وإراقة الدماء ، وقارىء التوراة إذا حاول أن يتبين صفات « يهوه رب الجنود » وسيرته مع « شعبه المختار » وجب أن يتصوره مخلوقاً شيطانياً لا حد لأنانيته فى الحب والتدليل لشعبه المختار ، وهو أعجز المخلوقات حيلة فى سياستهم وسياسة خصومهم ، فبينما هو راض عنهم كل الرضا إذا هو سـاخط عليهم كل السخط ، وهو مفرط الحقد والـكراهة لأعدائهم ، فهو لذلك ولأنه لا حد لقدرته ولعدم حيلته — ينزل ضرباته على هؤلاء الأعداء فى إسراف وجنون وقسوة لا حد لها ، وينتقم لأتفه الأسباب أبشع إنتقام ، وهو رغم قدرته التى لا حد لها — مخلوق « جبان » يهاب ما لا يهابه إنسان له شجاعة عادية ، فهو ينـكص عن محاربة بعض أعدائه وأعدائهم لأن لهم فى الحروب عجلات قوية فهو يتركهم وشأنهم معهم ، ولا يخوض معهم فى حربهم خوفا من هذه العربات ... إلى غير ذلك من الفروض المستحيلة التى لا يستطيع العقل أن يحتفظ بوحدته معها ، ويكاد ينسحق تحت وطأتها . وكنت أود أن أدلى بتفصيل شاف للقراء فى هذا الموضوع وغيره مما ألمت إليه هنا لولا ضيق المقام وربما قدمت هذا البيان قريبا فى كتابى « أصول الزندقة وتطورها » .

ولقد آن لنا أن ننظر إلى قدماء حكام مصر فى موقفهم إزاء قدماء الإسرائيليين نظرة ترضى الدين ولا تغضب الحقيقة ولست داعياً إلى ذلك عن عصبية للوطن ولا استخفاف بالدين بل عن رغبة فى العدل ومتابعة أحكام العقل ، وحسبنا التهم الباطلة التى ألصقتها اليهود بالمصريين منذ آلاف السنين ونقلتها عنهم الأمم الأخرى — حتى العرب — دون تمحيص ، وأنا أدعو إلى ذلك عائذاً بالله من شر كل هوى أعمى يدفعنى إلى ما يثلم عقيدتى ، ويضلنى عن الحق .

هذا وفى الـكتاب عشرات المآخذ نـكتفى منها بما أوردناه ونسكت عن بقيتها فلا نذكرها إجمالا ولا تفصيلا .

أما بعد فدار الفـكر العربى طابعة هذا الـكتاب هى وغيرها من دور النشر ، شديدة الضن بمالها وجهدها على المؤلفين الـكادحين ، وكنا نربأ بدار الفـكر أن تنشر هذا الـكتاب ، فإن تـكن غايتها الربح وحده ففى نشر « ألف ليلة » وأمثـاله ما يكفل لها ربحاً أكبر ، وإن كانت تهدف إلى خدمة الدين إرضاء للعامة ففى نشر « دلائل الخيرات وأمثاله » ما يكفل لها ربح رضاهم ومالهم أيضا ، ولقد آن للهازلين أن يجدوا ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

محمد خليفة التونسى



مجنـــــون !!

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

هل أنا مجنون ؟ أو لست إلا غيوراً ؟ لست أدرى ! ولكنى أعانى عـذاباً شديداً . لقد ارتكبت فعلا جنونياً ، فعلا وحشياً حقاً . ولكنها الغيرة الجارفة ، والحب الطاغى القادر الذى لا أستطيع منه فكاكا ، والألم الممض الذى أقاسيه ، ألا يكفى كل ذلك لأن يدفعنا إلى اقتراف الجرائم وارتكاب الحماقات دون أن يكون الاجرام متأصلا فى قلوبنا أو فى عقولنا . ؟

أواه ... أنى أتعذب ، أتعذب عذاباً شديداً مستمراً ، مضنياً ، مخيفاً . لقد أحببت زوجتى حباً جنونياً . ولكن ... هل هـذا صحيح ؟ هل أنا حقاً أحبها ؟ كلا . لقد كانت تسيطر علىّ جسداً وروحاً ، وتقيدنى بأغلالها . كنت ولا زلت أحـد ممتلكاتها ، بل لعبتها . كنت عبد ابتسامتها ، وشفتيها ، ونظراتها ووجهها ، وتلافيف جسمها . كنت ألهث تحت سلطان جمالها .

ولذلك كرهت فى ذلك الجسد المرأة ، واحتقرتها ، ولعنتها . ولا زلت أمقتها ، وأزدريها وألعنها ، لأنها خادعـة ، حيوانية مدنسة ، آثمة . أنها الشيطان فى صورة امرأة ، والحيوان البوهيمى المجرد من الضمير ، والوحش البشرى الذى لا يعرف الرحمة . بل هى أدنى من ذلك ، فلم تكن إلا جسداً بديعاً جميلا تسكنه الرذيلة.

إن أوائل أيام صلاتنا كانت عجيبة جميلة . كنت أرقد بين ذراعيها فى نشوة ، وشفتاها القرمزيتان المنفرجتان ترتعشان ، وعيناها تثيران فى نفس التعطش إلى الحب . لقد كانتا رماديتين ظهراً ، ثم تميلان إلى الخضرة عند الغروب ، وزرقاوين عند الشروق إنى لست مجنوناً ، ولذلك أقسم أنه كانت لهما تلك الألوان الثلاثة. وتنفرج جفونها الثقيلة فى بطء فتكشف عن نظرة من العواطف المتقدة سرعان ما تتلاشى فأشعر برجفة تهز كيانى ، ورغبة قاهرة فى قتل ذلك الحيوان الثاوى فى ذاتها حتى تصبح لى ... أنا وحدى .

وعندما كانت تخطر فى غرفتى ، كنت أشعر بوقع خطواتها يتردد فى فؤادى ؛ ثم تبدأ خلع ملابسها ، ويسقط رداؤها فتبدو سافرة أمامى . وهنالك تندفع الدماء فى عروق ، ويلهث صدرى ، وتتخاذل ساقى ، وأشعر برهبة غامضة تجرف قلبى .

كنت أنتظر أولى نظراتها كل صباح ، أنتظرها وأنا فى ثورة و كراهية واحتقار لذلك الحيـوان المتربع فى كيانها الذى كنت عبداً له . أن مجرد تفكيرى وخشيتى من أن تنكشف تلكما العينان الزرقاوان عن فتور وملل يجعلنى أحس بنار سريعة تتقد فى فؤادى فتحرقنى وتزيد من حنقى و كراهيتى .

وفى ذات يوم لاحظت أنها فاترة نحوى ، فنظرت إلى عينيها فوجدت فيهما تلك النظرة الباردة العابسة . وعندئذ عرفت ، وشعرت ، وأدركت ، لقد انتهى كل شىء ، انتهى إلى الأبد ... ولم يكن هناك أدنى شك فى ذلك ؛ لقد تبين لى الدليل فى كل ساعة ، بل فى كل لحظة .

وحاولت ، وناديت الذراعين والشفتين ، فكانت تتحول عنى فى ضيق وهى تتمتم قائلة دعنى ... أنك ثقيل ... ألا تترك لى فرصة للراحة ؟ !

وعندئذ شعرت بالغيرة المستعرة ، وذقت مرارة الخـديعة ، وضاق صدرى غيظاً ، وعرفت جيداً أنها ملتنى ، وأن شعورها الحيوانى الفاتر الآن سوف يلهبه رجـل غيري يوما ما . كنت غيوراً فى جنون ولـكنى لست مجنوناً ... كلا ... بالطبع كلا .

وانتظرت وارتقبت ولـكنها لم تخنى . ومع ذلك ظلت باردة هادئة . وكانت أحياناً تقول لى « إنى أنفر من الرجال » وعيناها تؤكدان ذلك عندما كانت ترنو إلى .

وصرت أغار من دلالها ومن برودها ، وأغار من وحدة لياليها ومن حركاتها ، وأغار من أفكارها الآثمة بل من كل شىء يتعلق بها .

كنت عندما أستيقظ صباحاً وأنظر إلى عينيها ، تلكما العينين الطفأتين ، يضيق صـدرى غضباً وأشعر بثورة جارفة في نفسى تعصف بى وبنزوة طارئة تدفعنى إلى خنقها ، وأن أضغط على عنقها

الجميل حتى أرغمها على الاعتراف بما فى صدرها من أسرار .

هل أنا مجنون ؟ ... كلا ...

وفى ذات ليلة وجدتها وقد غمرتها سعادة لا أدرى كنهها . فاستنتجت أن عاطفة جديدة قد تولدت فى ذاتها . بل تأكدت من ذلك تأكدا لا يتزعزع . لقد كانت تنتفض انتفاضة من أشبع رغبته ، ملتمعة العينين باسمة الثغر ، مشرقة الوجه . وتظاهرت بعدم المبالاة . ولكنى كنت أراقبها من طرف خفى ، ومع ذلك لم أكتشف شيئاً ! وانتظرت أسبوعاً ، ثم شهراً ، ثم فصلا ، فكانت تزداد جمالاً فى عاطفة غامضة وقد غمرتها نشوة من السعادة المبهمة. وفجأة وضح لى الأمر ، واستنتجت ، وعرفت ! إنى لست مجنوناً . أقسم إنى لست مجنوناً .

ولكن ... كيف أعبر ، وكيف أشرح ، وكيف أفسر ؟ !

كان ذلك فى ليلة عادت فيها من نزهة ممتطية صهوة جواد . وترجلت عنه بوجنتين ورديتين ، وصدر لاهث ، وساقين متعبتين وعينين مجهدتين . ثم تهالكت جالسة على مقعد منخفض . ورأيتها على هذا الحال فعرفت أنها قد وقعت فى حب غيرى . إذن لم أكن مخدوعاً ! وتحاشيت نظراتها وأنا فى ذهول . والتفت صوب النافذة فرأيت الخادم يقود الجواد إلى حظيرته . ثم نظرت إليها ، كانت تتبع الجواد بعينيها ، وهو يسير فى نشاط ، حتى إذا ما اختفى عن ناظريها استلقت على المقعد وراحت فى سبات عميق .

وقضيت الليل مسهداً أفكر . كنت أحاول أن أخترق سراً لا أشك فى وجوده . من ذا الذى يستطيع أن يصل إلى أعماق نفسية المرأة ؟ ومن ذا الذى يمكنه أن يكشف دلالها الغامض وخيالها العجيب ؟

وأصبحت ترحل فجراً وقد امتطت صهوة جوادها فيركض بها فى السهول والغابات . وكانت تعود فى كل مرة مجهدة كأنها مقبلة من موقعة غرامية . وفهمت ، وأصبحت أغار من ذلك الجواد ، وأغار من الريح التى تداعب شعرها ، ومن الأفنان التى تهمس فى أذنيها ، ومن أشعة الشمس التى تقبل وجنتيها ، ومن ذلك السرج الذى يلمس جسمها . أغار من كل هذه الأشياء التى غمرتها بالسعادة والبهجة والنشوة والتى تنهك قواها فتعود إلى فى شبه غيبوبة .

وعزمت على الإنتقام . وجملت ألاطفها وأوليها اهتمامى . وأمسك بيدها أعينها على الترجل بعد عودتها من نزهتها . وكان الحيوان المتوثب يندفع نحوها ، فتربت على رقبته وتقبله فى خياشيمه دون أن تمسح شفتيها ، وتمتزج رائحتها برائحته الغريبة .

وانتظرت اليوم والساعة ، ساعة الانتقام . كانت تسير كل صباح فى طريق يخترق غابة صغيرة فخرجت قبل الفجر وقد تزودت بحبل ومسدس أخفيته فى صدرى وكأنما أنا ذاهب إلى مبارزة وأسرعت صوب ذلك الطريق ، وشددت الحبل بين شجرتين ، ثم رقدت وسط الحشائش وأنا أرهف السمع ، فسمعت صوت ركضات الجواد آتية من بُعد ، ثم لمحتها مقبلة تحفها الأفنان والجواد مندفع بها . أواه . إنى لم أكن مخدوعاً . لقد كانت فى سرور ظاهر ، والدماء تتصاعد إلى وجنتيها ، وقد تلألأت عيناها وهى تهتز فوق الجواد فى نشوة جارفة .

واصطدم الجواد بالحبل فكبا ثم سقط على الأرض مكسور المقدمتين وتلقفتها بين ذراعى القويتين ثم أنزلتها على الأرض . واقتربت من الجواد . كان ينظر إلىّ فى غضب . ثم حاول أن يعضنى ، فصوبت المسدس إلى أذنه وأطلقت عليه رصاصة كأنى أطلقها على رجل .. على منافس لى . وفى نفس الوقت سقطت على الأرض أثر ضربة من سوط وقعت على وجهى فنظرت فرأيتها تهم بالاعتداء علىّ مرة ثانية ، فأطلقت عليها رصاصة أخرى فاخترقت صدرها الجميل ...

... خبرنى إذاً . . أأنا مجنون ؟ ! .

محمد فتحى عبد الوهاب

سكك حديد الحكومة المصرية

تخفيض أجور السفر

ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٤٨ أجرت المصلحة تخفيضاً محسوساً فى أجور السفر بالدرجات الثلاثة بين مصر ومحطات مديرية الفيوم وبنى سويف ومحطة الفيوم كما تصرف بطاقات (كارنيهات) لعشرة سفريات مفردة بأجور مخفضة بين باب اللوق والمعادى وبين بور توفيق والأربعين .

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٦ — الاثنين ١٣ ديسمبر ١٩٤٨ — السنه السادسه عشره

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٤٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. ٨٠٦ Lundi — 13 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٨٠٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٨ — ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المنبــــوذة

— ١ —

جمعني مجلس من مجالس المنصورة الأدبية ببعض السيدات الحديثات من اللائي يتزعمن دعوات الخير، ويتصدرن حفلات التكريم، ويغشين أندية الرياضة. وكان مجلسي من الصالون بين سيدتين رشيقتين أنيقتين لهما اطلاع على الأدب ومشاركة في الثقافة. فجرى الحديث بينهما وبيني أول الكلام فيما يشغل الناس من أمر فلسطين ومصير اللاجئين؛ ثم أفضى إلى ذكر ما تبذلان من الجهد الجاهد في معونة الهلال الأحمر ومبرة محمد علي، فلم سياق حديثهما وما شاب أداءه من نبرات الزهو وحركات العجب على ما تضمران من حب الظهور ورغبة الشهرة، في طوايا ما تظهران من حب الخير ورغبة المنفعة. والمرأة الجميلة الغنية لا تجد في الحياة المصرية مظهراً لفتنتها، ولا معرضاً لزينتها، ولا سبيلا لشهرتها، إلا في الحفلات الخيرية والخدمات العامة: فهي تشترك فيها بالشعور والحضور لتظهر، وتتبرع لها بالجمال والمال لتُذكر. بله ما تشعر به من الرضا والغبطة بمنافستها للرجل في ميدان عمله، ومساعدتها للوطن على تحقيق أمله.

ثم انتقلنا إلى حديث الأدب فذكرتني إحداهما بما كتبته في الرسالة عن (مثل المرأة الحديثة) فشكرت بعضه وأنكرت بعضه. وكان الذي أنكرته ما يرى إلى تقييد المرأة وقصر كفايتها على تربية الطفل وتدبير البيت ومعاونة الرجل. ثم مضت تنوه بما يكون للمرأة الحرة المستقلة من أثر في الأسرة وبلاء في المجتمع إذا شاء الرجال أن يُفردوها بشؤون البيت ويشركوها في أمور الوطن. وفي اللحظة التي كانت تقول فيها: « إن المرأة روح الأمة والرجل جسمها؛ وإن الزوجة رأي الأسرة والزوج عزمها، طغى على صوتها الحامي صوت سيدة نَصَف كانت تتحدث في تأثر وامتعاض إلى هلال من عقائل المدينة فيهن ربة الدار؛ فأصخنا وأصاخ الجلوس فإذا هي تروي حادث الطلاق الذي وقع في الأيام الأخيرة بين فتى محافظ أبوه من نبلاء الريف، وبين فتاة حرة أبوها من أطباء المدينة. وكان سبب هذا الطلاق الذي أعقب الزواج أن العروس كانت مغرقة في التحرر، مسرفة في التجدد، فسمت بنفسها على أسرة العريس، ورمت حماها بالرجعية وحماتها بالأمية، وطلبت أن تسيطر على أرزاق البيت وعلى أذواق أهله، فتتبدل أثاث الغرف كل سنة، وتغير زي النساء كل شهر، وتقيم حفلة استقبال كل أسبوع. ثم اقترحت أن يزال الجدار الحاجز بين البهو والردهة ليكون منهما مرقص متى أريد الرقص ومقصف متى أريد القصف؛ وأن يُقلع الشجر المثمر في الحديقة لينشأ على مكانه ملعب للتنس وحوض للسباحة. وكان المطلب الأخير ألا يدخل البيت ريفيون من أقارب الزوج ولا فلاحون من رجال العزبة. فلم يستطع الزوج معها صبراً، ولم يجد أبوه لترويضها حيلة، فكان الفراق وكانت الفضيحة!!

فلما سمعت جارتاي الخبر وكانتا على علم به من قبل، قالتا

بلسان واحد : « المودرنة للمودرن ، والقديمة للقديم ! والمخطىء هو الذي ينزل فى غير أهله ، ويقع على غير شـكله ! » .

ثم تركنا القوم يعلقون على الحادث والحديث بما يشاءون ، وانتقلنا إلى مائدة الشـاى ثم عدنا حيث كنا . وعادت جارتى اليسرى إلى حديث التقيد والانطلاق ، وكانت جارتى الأخرى قد فتحت محفظتها وأخرجت منها قلم الروج أو الاصبع الأحمر وأخذت تجدد به صبغة شفتيها ، ثم أعادته وأخرجت سيكارة انجليزية وأشعلتها ، وقطعت صاحبتها الحديث وفعلت فعلتها . ثم لحظتا بعض المدعوات على زينة المدعوات وأزيائهن ، وتبادلتا بعض الغمزات على كلام المتحدثات وآرائهن . ثم أقبلتا علىّ تستأنفان ما كنا نخوض فيه من الحديث فوجدتانى شارد اللب مطرق الرأس مطبق الجفنين كأنما أخذتنى فترة النعاس ، فقالتالى : ماذا عراك ؟ فقلت لهما : ذكرى بعثها فى الخاطر هذا الأحمر على شفتيكما وخديكما ! فقالتا : أنعم بذكرى تظفرنا منك بحديث ، وتمتعنا بلذة الموازنة بين القديم والحديث ...

(للحديث بقية) **احمد حسن الزيات**

الصهيونية هى الخطر الأول

فى حاضر الشرق العربى ومستقبله

للأسـتاذ عمر حليق

قد يكون الـكاتب أو القـارىء العربى أو كلاهما مصابا بمركب « اليهودية » إذا جاز لنا استعارة هذا التعبير من مصطلح علماء النفس ، ولـكن أى تعليل لا يعترف بأن المشـكلة الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله لا ينصف الحقيقة ويساير منطق الحوادث والأشياء .

ولنترك الشرق العربى ، ولنترك فلسطين لنتعرف على لون من ألوان الخطورة التى تحيكها اليهودية العالمية فى أمريكا وهى البلاد التى بلغ اليهود فيها أوج النفوذ وما يتبعه من رخاء وقوة وجاه .

فى هذه الحرب الباردة التى يشنها الروس والانجلوسكسون فى برلين وهيئة الأمم وأقصى القارة الأسيوية وفى كل ناحية من نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والفـكرية تلعب اليهودية العالمية بالنار لعبة أكبر الظن أنها ستحرق نفسها مرة ثانية فى أقل من عشرين سنة . أين تقف اليهودية العالمية — وهى عالمية منظمة كما تشهد بذلك فلسطين — أين تقف من هذا الصراع ؟

إن النزاع بين المـاركسية السوفياتية وبين الديمقراطية الانجلوسكسونية حقيقة لا مفر لـكليهما من التسليم بها .

فالماركسية السوفياتية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين تعترف فى تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار ، ما لم تحول العـالم بأسره إلى الشيوعية عن طريق الثورة وما يسبقها من ممهدات . فهى بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطير معاً . ولن تنفع فى دفع هذه الحقيقة ملايين الخطب والتصريحات التى تصـدر عن موسكو وعن فيشينسكى من منابر الأمم المتحدة . ذلك لأن هذا التوسع منصوص عليه فى التعاليم الشـيوعية وفى الدساتير الشيوعية وفى ثورات الشيوعية وكتبها المقدسة وفى ماركس وانجلس ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية ، وإن لم تـكن دساتيرها وفلسفتها السياسية وأنظمتها الاقتصادية تتطلب مثل هذا التوسع السوفياتى — فللغرب توسع استعمارى تقليدى من نوع مماثل فى السوء — إلا أن هذا التحدى السوفياتى يضع الديمقراطية الغربية فى نفس الوضع الهجومى الذى تقف فيه روسيا السوفياتية ، ويجعل أمريكا وهى معقل هـذه الديمقراطية فى هذه الأهبة التى تستعد فيها المواجهة للتوسع السوفياتى ولسحقه وإبادة الماركسية الثوروية من الوجود فى المراحل النهائية إذا استطاعت ذلك .

أين يقف اليهود ، وهم قومية لها فى كل معسكر جالية ضخمة العدد ، قوية النفوذ ؟

فى روسيا نفسها نجد العنصر اليهودى فى الحزب الشيوعى وفى ألسنته الشعبية والفـكرية بارزا أشد البروز .

فرئيس تحرير برافدا ، وازفستيا ، وكبار المعلقين فى راديو موسكو ، وكبار كتاب المقالة السياسية (أمثال اهرنبرغ) يهود ، ومراسلا تاس فى أمريكا وفى هيئة الأمم يهوديان كذلك .

وفى بولندا يبرز العنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم هناك أشد البروز فى بلد ومجتمع كاثوليكى عتيق يحكم تعاليمه وتأصل التقوى فيه الشيوعية مقتاً — لعل الفاتيكان خير من عبر عنه فى أكثر من مناسبة .

وعلى سبيل المثال فإن الوفد البولندى لهيئة الأمم مؤلف من خمسة أعضاء رئيسين كلهم يهود .

وفى رومانيا مدام بوكر وزيرة الخارجية (وهى ابنة حاخام) تحكم البلاد حكم السيد المطلق السلطة .

وكان لليهود فى انقلاب تشيكوسلوفاكيا اليد الطولى ، وفى هنغاريا وقسم الاحتلال الروسى فى النمسا وألمانيا عددهم ونفوذهم فى الحكم والتوجيه الفكرى والسياسى ظاهر .

ترى ما مبلغ عداء العناصر القومية فى تلك البلدان لهذه السيطرة اليهودية ؟ لا يمكنك أن تجد الجواب فى الصحف المحلية — فهذا غير معقول — ولا تجده كذلك فى الصحف الأجنبية فى الدول الديمقراطية ، فكلمة « اللاسامية » أصبحت — بفضل الضغط والدعاية اليهودية المنظمة — وسيطرتهم على معارض الإعلان ودور النشر والإذاعة والسينما ، وباء لا يلمسه المعلقون والكتاب فى العالم الغربى إلا ويضعون مستقبلهم الأدبى والاقتصادى فى يد « الجستابو » اليهودى الذى يطلق على نفسه فى أمريكا « مجمع مقاومة التشهير » وميزانيته للسنة الحالية ، ٦ ملايين دولار !

ولكن الظاهرة الخطيرة أن هذا الضغط ، هذا الجستابو اليهودى بشدته وجبروته أخذ يدفع العناصر الجريئة فى أمريكا إلى أن تحاربه بنفس السلاح — بالتشهير على طريقة جوبلز . فى النشرة الأخيرة التى أصدرها هذا المجمع اليهودى نفسه يعترف بأن موجة العداء ضد اليهود فى أمريكا قد ارتفعت ارتفاعاً مخيفاً .

وهذه الظاهرة تدعو إلى التساؤل : ذنب من هذا ؟ ذنب اليهود أم غير اليهود ؟ الجواب أن الذنب على الغطرسة ، وعلى روح التحدى والخداع والمواربة التى تتملك العقلية اليهودية فى كل مكان وفى كل جيل فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم فوضى الشغب العنصرى الذى بليت به ألمانيا فى ظل النازية ، وبليت به روسيا العنصرية ، وأسبانيا الكاثوليكية من قبل ، وتبلى به العراق مثلاً اليوم .

قلنا إن النزاع بين الشيوعية السوفياتية والرأسمالية الأمريكية حقيقة لا مفر من التسليم بها على شناعتها . واليهود فى أمريكا يعلمون ذلك ويعلمونه أكثر من كل الواطنين ، وذلك لأن وعيهم السياسى شديد فهو يتمشى مع عقليتهم ونشاطهم الاقتصادى . ولكن أين يقف اليهود ؟

اليهود هم العنصر الرئيسى فى الحزب الشيوعى الأمريكى ، وذلك بشهادة هذه التحقيقات التى لا تزال اللجنة البرلمانية الأمريكية تلاحقها منذ أكثر من سنة . واليهود وراء حزب هنرى والاس وهو حزب مهادنة الروس بأى ثمن .

ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيانية فى الجامعات ومعاهد العلم الأمريكية عالية جداً ، والكتاب الذين يعالجون مواضيع العلاقات السوفيانية والأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود بينهم عالية جداً ، ولذلك كان من الصعب ، بل من المستحيل على الأصوات الأمريكية الخافتة التى تفهم قضية فلسطين وقضايا العالم العربى أن تقنع الرأى العام الأمريكى بخطورة محالفة موسكو والصهيونية فى فلسطين ، على المصالح الأمريكية .

ولذلك كان من الصعب جداً على خبراء السياسة العسكرية في أمريكا وبريطانيا أن ينجحوا فى ضم أسبانيا إلى البرنامج العسكرى لأوربا الغربية .

وحتى فى مشكلة برلين ، حيث التوتر على أشده يقف والترليمان وهو معقب سياسى يهودى خطير النفوذ يطلب أن تحل مشكلة برلين على حساب الشعب الألمانى بأن يبنى خط الدفاع العسكرى فى فرنسا وراء مناجم الرور وفحمه ! ويسوى خلاف أمريكا وروسيا ، بأن ينسحب الطرفان ويتركا الشعب الألمانى لقدراته ، ببؤسه وحطامه ليبيد ! ولزيادة التعريف بليمان هذا أقول إنه وضع مشروعاً لحل قضية فلسطين قبل أن يضع تقريره برنادوت بأربعة أشهر ، ومشروع برنادوت صورة فوتوغرافية لمشروع ليمان !

ومن قبل والترليمان هذا شرع يهودى أمريكى آخر ، هو هنرى موجنتاو عند ما كان وزيراً للمالية بواشنطون زمن الحرب وبعد انتهائها ، بمحو مقومات الثقافة والاقتصاد والكيان الحيوى لألمانيا بواسطة مشروع جهنمى اكتشف الأمريكان خطورته قبل أن يتم تحقيقه فأقيل مورجنتاو ، وهو الآن يدير المجهود الحربى ليهود فلسطين فى أمريكا .

ومن وجهة النظر الأمريكية البحتة فإن إحياء ألمانيا ضرورة لازمة .

ما الذى يفيده الشرق العربى من هذه الصورة اليهودية الخطيرة؟

الجواب يفيد فى مراقبة تسرب النفوذ اليهودى فى ألسنة الرأى العام والتوجيه الصحفى والثقافى فى العالم العربى؛ فحركة « الكاتب المصرى » يجب ألا تتكرر ، وديكتاتورية السينما والإعلانات اليهودية والأنباء الخارجية ، وتمكن اليهود فى النفوذ الاقتصادى العربى يجب أن يوقف بأى ثمن . إن هذا النفوذ هو الذى أعمى الأمريكان والروس معاً ، ومعهم عشرات الدول الأوربية عن مأساة العرب فى فلسطين ، وعن مآسيهم فى السودان ومراكش

مجال الأدب بين مظاهر الشعور

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

يرى علماء النفس للشعور مظاهر ثلاثة : فهو تفكير إذا كان بحثاً عن حقائق الوجود لمعرفة أسبابها ، واستنباط قواعدها ، وإدراك ما بين بعضها وبعض من صلة أو تنافر ؛ وهو وجدان إذا صحبه إحساس باللذة والألم ، فالحب والبغض ، والسرور والحزن ، والرجاء واليأس ، والخوف والغضب ، كلها وجدانات تتصل بالنفس فتحدث بها لذة أو ألماً ؛ وهو إرادة إذا حفز المرء إلى العمل ، ودفعه إليه ، كالرغبات والنيات .

وإن بين هذه المظاهر النفسية اتصالا وثيقاً لا يتأتى معه انفصال واحد عن صاحبيه ، وإن كان المظهر الغالب لأحدها ؛ فمن المحال أن نجد ألماً فى أنفسنا من غير أن نبحث عن سببه ونبذل طاقتنا فى سبيل إبعاده . ويستحيل أن نفكر فى عمل عقلى من غير أن نشعر بارتياح إذا سهل الأمر وانقاد ، وامتعاض إذا اعتاص والتوى . والأعمال الإرادية يصحبها التفكير والوجدان ، ولا تستقل بنفسها أبداً .

غير أن الصلة التى تربط هذه المظاهر بعضها ببعض قد تكون طبيعية ، إذا كانت التجربة نفسها تستدعى هذا الترابط بطريق تداعى المعانى ، كما إذا وصل إليك نبأ نجاحك مثلا ، فإن خواطر شتى تفد إلى نفسك من كل صوب : ما بين سرور وابتهاج بما ظفرت به ، وتفكير فى الوسائل التى انتهجتها ، فوصلت بك إلى تلك الغاية السعيدة ؛ إلى رغبات وعزمات تصمم عليها ، ويدفعك إليها هذا الظفر المحبوب ، وبينا ترى بعض هذه الخواطر واضحاً جلياً للنفس ، يحتل بؤرة الشعور أو الحواشى القريبة منها ، تجد بعضها الآخر غامضاً خفياً لا تكاد تشعر به ،

وتكون الصلة غير طبيعية إذا لم تكن التجربة مستدعية لها بطريق تداعى المعانى ، كما إذا كنت تدرس نظريات الهندسة ، فسئمت العمل وتركته فليس بين نظريات الهندسة والسأم من صلة.

ليس التفكير الخالص بميدان للأدب ، وإنما هو مرتع للعلم وحده ، أما الأدب فمجاله الإحساس بالحسن الذى يثير فى النفس لذة ، أو بالقبح الذى يبعث فيها ألماً ، فالأدب تعبير عن هذا الإحساس ، وتصوير له ، فهو لسان الوجدان وترجمانه ، إذا كان العلم لسان التفكير والمبين عنه .

تسمع قول قُريْط بن أنيْف يعاتب قومه الذين لم ينجدوه ويمدح بنى مازن ؛ لأنهم أخذوا بيده ونصروه :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى … بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصرى معشر خُشُن … عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم … طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم … فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد … ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة … ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته … سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا … شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

فالشاعر هنا يصور لنا نقمته على قومه ، وازدراءه كثرة عددهم لخورهم وجبنهم ، حتى ليقابلون ظلم ظالمهم بالصفح والغفران ، وإساءة المسيئين إليهم بالعفو والإحسان . يلتمسون لضعفهم المعاذير ، من الخضوع لتعاليم الدين ، فكأن الله لم يخلق غيرهم لخشيته . أما بنو مازن فهو معجب ببسالتهم وإقدامهم ، يحمون حماهم أن يستباح ، ويجد أعداؤهم فيهم خشونة لا تلين ، يسرعون إلى نصرة أخيهم قبل أن يطلبوا منه برهاناً على ما قال ، فلا عجب أن تمنى استبدال قومه بغيرهم .

تحدث الشاعر فى تلك القطعة عن إعجابه وسخطه ، أى عن إحساسه بالجمال والقبح ، وتجح فى تصويرهما ، مستعيناً على ذلك بألوان من الخيال ، تكاد تلمس بها خشونة جانب من نصروه ، وترى بها الشر مكشراً لهم عن أنيابه ، وتبصرهم طائرين لايلوون على شىء ، ومورداً هذه المناقضات التى ما كان يليق أن تكون ، ومتهكما بهم تهكما مرا لاذعا ، ويشعر القارئ لهذا الشعر بلذة آثارها فينا نجاحه فى التصوير ، وبراعته فى التعبير .

بينما نحن لا نعد من الأدب هذه المقالات العلمية التى تخاطب التفكير وحده ، من غير أن تشرك الوجدان معه .

والجزائر وتونس . كتبت جريدة « الجويش كرونيكل » اليهودية فى لندن تقول إن يهود شمالى أفريقيا يعتقدون بأن كيانهم مرتبط بالاتحاد الفرنسى ، أمام بعبع الجامعة العربية !

وفى عالم مضطرب ، وفى شرق يحاول بناء حضارة ومجد أصيل ، يجب أن يعلم أن اليهودية العالمية تشكل أخطر ما يواجهه من شرور . إنه خطر تكرر فى أجيال سابقة وثقافات سابقة وفى التاريخ لنا عبرة .

عمر حليق (نيويورك)

على أن الأديب قد يستعين بقضايا الفكر على تصوير هذا الإحساس ، كما فعل المتنبي عند ما أراد أن يصور حيرته اليائسة من الوصول إلى أن يدرك كنه الحياة ومصير الوجود فقال :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم   إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل : تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته   أقامه الفكر بين العجز والتعب

وهنا نجد الطريق ممهداً للحديث عن هدف الأدب ، والحق أننا نقف بهذا الهدف عند حد الإثارة الوجدانية ، فلا نطلب منه أن يمدنا بأفكار صادقة عن الحياة ، ولا أن يثير فينا النزوع إلى الأعمال الصالحة ، أي أنه ليس مهمته التعليم والإصلاح ، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يزودنا بالأفكار ، أو أن يحرك إرادتنا للعمل ، سواء أكان ذلك مقصوداً للأديب أم غير مقصود ؛ فقد يقف الأدب عند حد الإثارة الوجدانية فحسب ، كما في أدب الطبيعة ، وشعر الغزل وكثير من المراثي والرسائل ، والمقالات العاطفية المحضة ، مثل قول البحتري :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا   من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى   أوائل ورد كن بالأمس نوّما
يفتقها برد الندى فكأنه   يبث حديثاً كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه   عليه ، كما نشرت وشياً منمنما
أحل ، فأبدى للعيون بشاشة   وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته   يجيء بأنفاس الأحبة نعّما

وقول القشيري :

حننت إلى ريّا ونفسك باعدت   مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً   وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا
قفا ودعا نجداً ، ومن حل بالحمى   وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا   وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا   وجالت بنات الشوق يحنن نزّعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها   عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني   وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ، ثم أنثني   على كبدي من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع   إليك ولكن خل عينيك تدمعا

وقول ابن الرومي يرثي ابنه .

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي   فجودا فقد أودى نظيركما عندي
ألا قاتل الله المنايا ورميها   من القوم حبات القلوب على عمد
توخّى حمام الموت أوسط صبيتي   فلله كيف اختار واسطة العقد
على حين شمت الخير من لمحاته   وآنست من أفعاله آية الرشد
طواه الردى عني فأضحى مزاره   بعيداً على قرب ، قريباً على بعد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها   وأخلفت الآمال ما كان من وعد
لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه   فلم ينس عهد المهد إذ ضم في اللحد
محمد ، ما شيء توهم سلوة   لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما   يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا   فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لي سلوة بل حرارة   يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

وحيناً يمدنا بمعلومات عن الحياة ، ونظام الكون والمجتمع على شريطة أن يكون ذلك ممتزجاً بشعور الأديب ، وناشئاً عن تجربة شخصية له ، كما ترى ذلك في ألوان الأدب الاجتماعي والسياسي وفي شعر الحكمة كقول زهير :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة   يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف في غير أهله   يعد حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه   ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم   ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
وقيدت نفسي في ذراك محبة   ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباع   يتفارسن جهرة واغتيالا

من أطاق التماس شيء وغلابا   واقتساراً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى   أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقديماً عدوا حسن إيراد الحجة من البلاغة ، وضربوا بذلك المثل بقوله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحى العظام وهى رميم ؟ ! قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون ؛ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

وحيناً يثير الأدب فينا الإرادة ، ويدفعنا إلى العمل . وأظهر ما يتجلى ذلك فى الخطابة ، فإنها كثيراً ما ترمى إلى إثارة التفكير المصحوب بالوجدان والمتبوع بالعمل كخطبة عبد الله بن طاهر فى جنده ، وقد تجهز لقتال الخوارج : « إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ، وأهل معصيته ، الذين أرشدوا وتمردوا ، وشقوا عصا الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ، وسعوا فى الأرض فسادا ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فليكن الصبر معقلكم الذى إليه تلجئون وعدتكم التى بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع الذى دلكم الله عليه ، والجنة الحصينة التى أمركم الله بلباسها . غضوا أبصاركم ، وأخفتوا أصواتكم فى مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : « إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر » .

فأنت تراه قد أثار وجدانهم ، بما عرضه عليهم من الأفكار ليدفعهم إلى الجهاد .

وكما فى الآيات القرآنية التى ترمى إلى تحريك الإرادة مثل قوله سبحانه : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وكقول الشاعر

دببت للمجد والساعون قد بلغوا   جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم   وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وأكثر ما يحرك الأدب الإرادة من غير أن يأمرها بذلك ، كما فى الروايات التمثيلية الخلقية والاجتماعية ، وكما فى كثير من الشعر ، وربما كان هذا هو ما حدا الأقدمين إلى أن يوصوا أولادهم بحفظه ودراسته ؛ بل ربما كان هو المعنى الذى لحظوه عندما وضعوا لهذا اللون من القول الجميل اسم الأدب . قال معاوية لابنه : « يابنى ، اروِ الشعر وتخلق به ، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات فما ردنى عن ذلك إلا قول ابن الإطنابة :

أبت لى همتى ، وأبى بلائى   وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقدامى على المكروه نفسى   وضربى هامة البطل الشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مكارم صالحات   وأحمى بعد عن عرض صحيح

وأنت ترى الشعر نفسه لا يطلب إقداماً ، ولا يحث على ثبات ، ولكنه حديث عن هذا النزاع الذى دار بنفس قائله ، وهو فى ميدان القتال ، وكيف استطاع أن يثبت فى هذا الميدان ، يحمله على الثبات ماض ملىء بالجهاد ، وهمة تأبى النقيصة ، وقلب موكل باكتساب الحمد ، ونفس اعتادت الإقدام على المكاره ، وضرب هامات الأبطال دفاعاً عن مآثره ، وحماية لعرضه . وليس فى الشعر سوى هذا ، ولكن معاوية رأى فى صاحبه بطلا جديراً بالاقتداء

وبما قدمناه يتبين أن هذا الخلاف على أن الإصلاح الاجتماعى من أهداف الأدب خلاف ظاهرى ، يزيله تحديد معنى الأدب ، وتحديد مجاله ، أما وقد قلنا : إن كل ما فى الحياة يصلح أن يكون موضوعاً للأدب ؛ على أن يتناول من ناحية إحساس الأديب بما فيه من جمال أو قبح ، فلا ضير على الأديب إذاً أن يتناول مسألة خلقية أو اجتماعية يعالجها ، أو أن يدعو إلى فضيلة أو ينهى عن مأثمة ، على شريطة أن يكون ذلك من تجاربه ، وأن يثير فينا الوجدان ، فيرضى فنعمل ، أو يكره فنكف .

الأديب حر فى أن يتناول ما يشاء من تجاربه ، من غير أن نضع له خطة ينتهجها ، وكل ما نطالبه به أن يرسم لنا شعوره ؟ . ولذا نرى من الأدباء من أحس بجمال المشورة فمدحها ، كبشار بن برد إذ قال :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن   برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوة للقوادم

ومنهم من لم ير فيه جمالاً ، كعبد الملك بن صالح حين قال : « ما استشرت أحداً إلا تـكـبّر على ، وتصاغرت له ، ودخلته العزة ، ودخلتنى الذلة ، فعليك بالاستبداد ؛ فإن صاحبه جليل فى العيون ، مهيب فى الصدور ، وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون ، فتضعضع شأنك ، ورجفت بك أركانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الـكبير ، وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصائحه » . وكلا القطعتين من الأدب .

أما التعبير الإباحى فليس من الأدب ، ولا الفن الجميل ، لأننا نعنى بالإثارة ، تلك الإثارة الوجدانية الروحية الخالصة ، أما إثارة الغريزة الجنسية فليس من عمل الأدب ، ومثل هذا اللون من القول مثل الصور الخليعة الماجنة لا يعدان من الفنون الرفيعة .

أحمد أحمد بدوى

المدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

طرائف من العصر المملوكى :

عبرتان من عبر التاريخ

للأستاذ محمود رزق سليم

هاتان عبرتان من عبر التاريخ — وكم فيه من عبر — نسوقهما إلى زعماء العرب وشعوبها ، فى هـذه الأزمة الخانقة والآونة الحاسمة التى يعرون بها أو تمر بهم . ولعـل فيهما متعظاً ومعتبراً .

فى كل عبرة منهما نزل خطب ، وألمت شدة ، وحزبت ضائقة ووقف عدو لدود بالمرصاد .

أما فى الأولى فقـد التأمت الصفوف وتنادت الأصوات وتصافت النفوس ولت الأيدى واجتمع الهوى ، حتى أصبح المسلمون — أو بعضهم — جبهة واحدة ، فردوا العدوان ودفعوا الطغيان وكانت عاقبتهم نصراً مؤزراً وغلباً مظفراً .

أما فى الثانية فقد تغيرت القلوب وانتثر الشمل وتفرقت الأيدى ، وأضمر الغدر ، وحيكت الخيانة ، فكانت العاقبة خساراً ودماراً ، وشقوة وبواراً .

هما موقفان من مواقف الأمة المصرية وقادتها ، كان أولهما فى مطالع العصر المملوكى ، وكان ثانيهما فى أخرياته . يتمثل فى الأول مزايا الإقدام والشجاعة ، وعواقب الحزم والعزم ، وفوائد الوحدة والتعاون ، بما يحق الحق ويصون الكرامة ، ويُبقى العزة ويؤثل المجـد ، ويضفى المهابة . ويتمثل فى الثـانى مثالب الخور والجبن ، وعواقب التردد والضعف ، وغرم التفرق والخلف . بما يهدر الحق ويشيع الذل ويمكن للفساد ، ويصوح به نبت الحياة .

أقبل عام ٦٥٦ هـ يحمل فى جعابه للأمم الإسلامية سهاماً مريشة ، وعلى مناكبه رماحاً مشرعة ، تنذر بالويل والثبور ، والهلاك والدثور . فها هم أولاء التتار قد نسلوا من أواسط آسيا بعد أن خربوا الديار وأباحوا الذمار ، بقلوب فاجرة ، وأفواه فاغرة وحب السفك تغلى به دماؤهم ، وتضطرب أعضاؤهم ، وقد هيئوا العدة ، وجمعوا الـكيد ، فتجهم بهم وجه الأفق ، واربدت بهم صفحة السماء ، واكفهر جو القدر وأرجف المسلمون فى كل مصر أن حدثاً جللا سيقع . فتدافعت سيول التتار إلى بغداد والعراق ، بعد أن خلفوا وراءهم أمماً باكية وشعوباً ممزقة وعروشاً مثلولة فأتموا ببغداد فصول روايتهم ، وأزالوا من سمائها شمس الخلافة العباسية ، وأثخنوا فى أهلها ما شاء لهم العرام والشراسة وحب السفك والفتك .

تسامع الناس بأخبارهم فى ديار حلب والشام ومصر ، وأخذت الفرائص ترتعد هلعاً وفزعاً تترقب هبوط هذا الوباء التترى آونة وأخرى . وكانت ديار حلب والشام مقسمة دولا صغيرة متنابذة متعادية متواثبة يحكمها بقايا من أمراء بنى أيوب . بينما كانت مصر قد تأثل فيها المماليك دولة عتيدة وسلطنة مجيدة جهـد مؤسسها عز الدين أيبك فى توطيد دعائمها وتثبيت أركانها منذ عام ٦٤٨ هـ . ثم خلفه ابنه المنصور ، وكان حدثاً صغيراً ، فأقيم الأمير « قطز » المعزى مملوك أبيه نائباً لسلطنته وفوضت أمور الدولة إليه . وكان على دمشق أمير من الأيوبيين اسمه الناصر ، ترددت الأطماع فى نفسه أن يدهم مصر ويستأثر بملـكها . فلذلك كان بينه وبين سلطان مصر دخل وجفاء . وبينما كان الناصر بين الخوف والطمع إذ وافته رسل « هولاكو » التترى تطالبه برسالته التى يهدده فيها ويتوعده ، ويدعو إلى الدخول فى طاعته . وبين سطورها

يخاطبه ويقرو . « إذا وقفت على كتابى هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه رُوى زمين ، تأمن شره وتنل خيره . كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت من قبل فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى « كروان سراى » ، فإن كانوا فى الجبال نسفناها ، وإن كانوا فى الأرض خسفناها .

أين النجاة ولا مناص لهارب   ولى البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت   فى قبضتى الأمراء والوزراء

فنُزعت أحشاء الناصر ، وصُكت ركبتاه ، وسقط فى يده ولم يدر ما يصنع . فأرسل إلى « قطز » يستجديه معونة مصر ، بعد أن كان طامعاً فى ملكها وكان « قطز » قد شعر بالخطر القريب ، وفطن إلى الشر المرتقب فأخذ يعد للأمر عدته ، ويتخذ له أهبته . وتحيل حتى خلع سلطانه « المنصور » وقفز بنفسه إلى سرير الملك ، ليكون طلق اليد حر الإرادة فى تدبير الأمور ، فى هذا الوقت الحرج والموقف الشائك . غير أن وثوبه إلى العرش قد أحقد بعض الأمراء عليه وأحنقهم ، فتجهموا له ، وهموا به فأخذ يترفق بالثائرين حتى هدأ من ثورتهم ، ويتلطف بالحانقين الحاقدين حتى فلل من حنقهم وثبط من حقدهم ، واعتذر إليهم بأنه لا مأرب له فى ملك أو سلطان ، ولا مطمع فى عرش أو تاج وإنما همه الأول أن يكونوا يداً على من سواهم ، وأن يدفعوا عن أنفسهم وديارهم خطر التتار ، الذين ما دخلوا قرية إلا أفسدوها ، ولا مصراً إلا جعلوا أعزة أهله أذلة ، ولا بلداً إلا عبثوا بتراثه ، أولئك التتار الذين ضجت لهم الأرض وملئوا فجاجها بالدماء ، وعُرفوا بأنهم القوة التى تغلب ، والوباء الذى لا يستطاع كفاحه .

ويذكر بعض المؤرخين أن هذا السلطان « قطز » هو محمود ابن ممدود ، وأنه ابن أخت جلال الدين شاه خوارزم الذى أباد التتار ملكه وعفوا أثره . وقع محمود هـذا فى الإسار ، وتنقل به ذله من دار إلى دار ، حتى دفع به القدار إلى مصر ، فابتاعه سلطانها « المعز أيبك » فاستأثر برقه . وكان حبيباً إلى قلبه قريباً إلى مجلسه ، أثيراً عند تدبيره . فعلا نجمه ، وزكت فيه مخايل الإمارة ، ورروى فى أعماقه صوت الثار وصلصل جرس الانتقام فما هو إلا أن ملك الناصية وأخذ بالزمام ، حتى قاد أمراءه وجنوده بعقاد الحزم وذكرهم بواجبهم المقدس حيال الاسلام ، وأنهم إن أحجموا باد . وإن أقدموا ساد . وهاهم أولاء يرون دوله تسقط فتبيد واحـدة إثر أخرى . فراعهم بهذا الخطاب ، وملكهم بمنطقه الخلاب ، فألقوا إليه السلم ، وتوافدوا إلى حظيرته زمراً زمراً ، بعد أن بث فيهم عزماً من عزمه ، وحماساً مما يتقد فى جسمه .

تطايرت الأخبار منذ أوائل عام ٦٥٨ هـ إلى مصر بوثوب التتار على حلب ودمشق وغيرهما من بلاد المسلمين ، وما اجترحه أولئك الطغاة فيها من قتل وسبى ، وسلب ونهب ، وتخريب وتدمير وتشريد ، وظلم وجور ، وعجت التخوم والمسالك بالفارين واللاجئين من وجه البغى والعدوان .

وجاء النذير إلى مصر ، ووفدت إليها رسل هولاكو — بعد أن أسر الناصر وخرّب دياره — ومعهم رسالة إلى سلطانها يقول فيها : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز ، الذى هو من جنس المماليك الذين هـربوا من سيوفنا إلى هـذا الإقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ فنحن ما نرحم من بكي ، ولا نرق لمن شكا . وقد سمعتم أننا قـد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب . فأى أرض يأويكم ، وأى طريق تنجيكم ، وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال » ... الخ .

حزم « قطز » رأيه وشاور أمراءه ، فأيقنوا جميعاً بالخطار

الداهم والشر المستطير . وأنهم إن لم يأخذوا الطريق على عدوهم بقلب شجاع ونفس مغامرة وروح فادية ، دهمهم فى عقر دارهم ، وأزال ملكهم ، وخرب ديارهم ، وهم البقية القوية من جند الإسلام . ولهم عبرة بما اجترح التتار فى الشام والعراق والجزيرة وأواسط آسيا . فقر رأيهم على قتل رسل « هولاكو » وعلقوا رءوسهم على باب زويلة ، وأعلنوا فى الناس بالجهاد ، والخروج فى سبيل الله ، دفاعاً عن النفس والعرض والدين وأعجل الجنود عن شئونهم ، ودُبر المال ؛ ورأى السلطان تواكل بعض الأمراء ، فقرعهم تقريعاً شديداً ، وقال لهم . « يا أمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون . وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته . فإن الله مطلع عليه . وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » فأقبل الأمراء عليه يقسمون له يمين الطاعة والولاء .

نفر جيش مصر بعدده وعدده ، يتقد حماسة ويفيض رغبة فى القتال وعلى رأسه سلطانه « قطز » الشجاع الباسل الصنديد . يحف به أمراء باعوا نفوسهم لله ، يحدوهم الولوع إلى لقاء التتار ، فإما حياة كريمة ونصر مؤزر ، وإما موت لا يقاس به موت .

وهناك فى عين « جالوت » بفلسطين ، التقى الجمعان فى معركة حامية سالت فيها أنهار الدماء ، وتجمعت أكداس الأشلاء . ولما اشتد وطيسها على المسلمين صرخ « قطز » من الأعماق قائلا : « وا إسلاماه » فدوى صوته فى آذان جنوده . وكأنما كانت صرخته إشارة بالكر ، أقدموا لا هيبة ولا وجل ، وأخذوا التتار من كل جانب حتى قتل قائدهم « كتبغا » وولت فلولهم لا تلوى على شيء . فتبعهم المسلمون إلى « بيسان » فدارت بها رحى معركة جديدة ، دحر فيها التتار وأسلموا للفرار ، تاركين من ورائهم قتلى قد ضاق بها الفضاء .

استطاع جيش مصر وحده بهاتين الموقعتين أن يحمى بلاد الشام من شر التتار ، وأن يقذف بهم إلى غير رجعة بعيداً عن أرض مصر ، فلم تطأها لهم قدم . وتعتبران نقطتى تحول حاسم فى تاريخ مصر لا تقلان فى أهميتهما عن موقعة « العلمين » فى الحرب الأخيرة . وبدت بهما قوة التتار خرافة لا سند لها ، وأن التغلب عليها مستطاع ، متى صدق الإيمان ، واجتمع الصبر والتعاون ، واتحدت القلوب وقد عاشت سلطنة المماليك بعدها بفضل شجاعة « قطز » وموقفه الرائع ، أكثر من قرنين ونصف .

أما فى الموقف الثانى فقد كان فى عام ٩٢٢ﻫ على عهد سلطان مصر قانصوه الغورى ، الذى اقتيد إلى العرش بين بكائه وتحيبه رهبة وإشفاقاً من المصير . فقد كانت البلاد مزقتها الفتن الداخلية والحروب الأهلية ، ولج بين بنيها الخلف ، وصنع بهم ما يصنع السيف . وخوت خزائنها على عروشها . ولم تعد بها إلا حثالات وشراذم من أمراء وجنود ، تملأ كل شرذمة العصبية لنفسها ، وحب الجهاد لمنفعتها ، غير آبهة لسواها إلا مزاحمة ومجالدة ، ولم يعد يعنيهم من شئون البلاد شيء إلا استغلالها . بينما كانت دولة العثمانيين فى آسيا الصغرى تبسط سلطانها وتنشر طغيانها . وما وافى عام ٩٢٢ ﻫ حتى أخذت تمهد لغزو الشام ومصر . ووطئت أنباء استعدادها آذان البلاد . فاضطر الغورى إلى الخروج عن البلهنية والطمأنينة ، إلى العمل على اللقاء . وشرع يجمع القادة والجند ويحثهم على التهيؤ للخروج إلى الجهاد ، فكان كأنه يستجديهم شيئاً لنفسه ، لا أنه يتقاضاهم القيام بواجبهم . لذلك اثاقلوا عنه ولم يخفوا إليه . وكان كل ما حوله يخذل عن القتال ويثبط عن النفور إليه إلا بقية ممن لا تزال بهم بقية من ضمير ، وقبس من إخلاص ، وإثارة من كرامة .

وكانت بالسلطان غفلة لا تنبغى لمثله فى وقت شدة وضيق ، وكلما وردت أخبار تومى إلى الصلح والتراضى بينه وبين العثمانيين هش وبش ، وهلل وكبر ، وفرح واستبشر . ولعله كان يرمى من وراء ذلك إلى حسم العداء وحقن الدماء ، ولاسيما أن العثمانيين إخوان فى الدين . ولكن اللهج بالصلح ضعف ، واشتهاء الموادعة خور ، والاستسلام للعافية جبن .

وكانت تجيئه رسل السلطان سليم فيبهرونه باللسان المعسول ، والهدية النفيسة ، فيلقاهم لقاء الحافل ، ويمانيهم عتاب الخليل ، وما كانوا إلا ليمهدوا للظفر بالغافلين . وبث العثمانيون العيون لينقلوا إليهم أخبار مصر وجيشها الباسل وسلطانها الغوار ، فلم يعمل أحد على قطع دابرهم والقضاء عليهم ، وبعث نائب السلطان بالشام إليه يجأر بالشكوى مما بالشام من غلاء فاحش وجدب ضارب ، وبتنكر أن للعثمانيين رغبة فى القتال ، ويدعو السلطان إلى القبوع والقعود .

ومهما يكن من شيء فقد أنصف السلطان نفسه ، وأعد العدة

وأنفق المال ، وجمع الجند وعين القادة ورتب أمر الخروج إلى الشام لملاقاة بنى عثمان . وهو لا يعلم أن العثمانيين قد اتصلوا ببعض أمرائه فوجدوا منهم نفوساً هزيلة وقلوباً عليلة لا تكبر الأمانة ، وتستعذب الخيانة فى سبيل المطمع غير المشروع ...

خرجت مواكب الجيش تترى ناسلة إلى دمشق فحلب ، وعليها طلاوة وبها خيلاء ، يحسب من يراها أنها إلى النصر تسير وإلى الغلب تطير . وهو لا يعلم أنها تجمع قوماً إن لم يمزقهم الضعف فقد فرقهم الخلاف ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، عمادها فريقان من المماليك هما « الجلبان والقرانصة » ، وبينهما عداء مستحكم اضطرمت ناره وتطاير شراره ، وقد تمكن منهم الفساد وحب العناد .

لا نريد أن نسهب إسهاباً تاريخياً فى وصف مظاهر الضعف فى الجيش المصرى ، ولا فى أنباء قتاله حينذاك ، فقد امتلأت بهذه الأنباء بطون الموسوعات .

وحسبنا أن نذكر أن هذا الجيش — على علاته — لقى جيش العثمانيين على كثرة جنده ووفرة عدده ، فكاد يذهبه بدداً ويفرقه طرائق قدداً ، وذلك فى موقعة « مرج دابق » لولا أن أطلت الخيانة بقرونها ، وطلع الغدر عليه مطلع الشيطان . فانحاز بعض القادة عن سلطانهم بلا سبب ، ودبت الوقيعة بين القرانصة والجلبان فشغلتهم أنفسهم عن واجبهم ، فكر العثمانيون عليهم وطمنوا القلب ، وفيه السلطان يدافع عن شرفه وكرامته ، وقد أسفه تفرق الأنصار عنه ، وفرار الأصحاب منه . فاضطرب لبه ، وامتلأ بالحسرة قلبه . وفلج لوقته وتهاوى عن متن جواده وتناولته سنابك الخيل . ودارت الدائرة على جيش مصر ، ورجعت إليها فلوله باكية حزينة .

وتعتبر موقعة « مرج دابق » المشئومة من المواقع الفاصلة فى تاريخ مصر . فتحت أمام العثمانيين الطريق إلى غزوها وتمام إخضاعها . وهكذا جئت مصر والشام أمام الغزاة ، ووقعتا فريستين سمينتين لهم ؛ فلبثوا بهما زهاء ثلاثة قرون تعسة شقية ، لم تسعدا فيها بيوم هناء .

محمود رزق سليم

مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حديث إلى العرب *

للأستاذ عبد المنعم خلاف

باقي هذا الحديث ، ومؤامرة الدول الكبرى على فلسطين العربية تنكشف ، ونوايا الأمم الغربية الكبيرة والصغيرة ومواقفها من الصهيونية والعرب تتضح وتفتضح ، ويظهر خبيئها المستور ، وقد فقد العرب جميع أصدقائهم تحت ضغط المصالح التى فى أيدى الدول الكبرى ، والقضية الفلسطينية تجتاز دورها النهائى ، بعد أن أوشك أن يتم الاتفاق الدولى على تمزيق فلسطين وتقسيمها والاعتراف بإسرائيل دولة الإرهاب ، وجميع التيارات الظاهرة والخفية فى اللجنة السياسية التابعة لهيئة الأمم ، كلها تتجه اتجاهاً واحداً فى مسألتين : هما أن لليهود الحق فى إقامة دولتهم ، وأن تكون القدس دولية يعين عليها حاكم من قبل هيئة الأمم المتحدة ، وأن تتولى لجنة توفيق معينة من قبل الهيئة تحديد تخوم تلك الدولة ، ويكون الباقى للعرب . وسواء اتصل العرب بهذه اللجنة أم قاطعوها ، فهى ستمضى فى مهمتها على ضوء ما تسفر عنه قرارات اللجنة السياسية أو هيئة الأمم .

ولم يكن — كما ترون — لعبث اليهود المتكرر بالهدنة ، ولا لتشريدهم مئات الألوف من العرب الآمنين ، ولا لقتلهم وسيط هيئة الأمم ، ولا لافتضاح المؤامرة بينهم وبين الشيوعيين التى ثبتت بالوثائق والدلائل القاطعة ، ولا لاعتدائهم المتعمد على مقدسات المسيحية والإسلام ، أى تأثير فى تغيير سياسة هيئة الأمم ومجلس الأمن نحوهم ، بل بالعكس كلما زادوا إمعاناً فى انتهاك الحرمات ، وإقبالا على تحطيم كرامة الهيئة ، زادتهم تأييداً وتدليلا .

أما العرب ، فقد تلقوا هذه المؤامرات والمكايد بصبرهم المعهود ... فوفودهم لا تزال تجادل وتكافح فى المجال السياسى الدولى بدون جدوى ، وجيوشهم لا تزال تحترم الهدنة ، وشعوبهم لا تزال تنتظر ما تستقر عليه قرارات حكوماتهم بعد انكشاف المؤامرة ، ولم يكن هذا النضج السياسى لدى العرب الذى أوشك أن يتحول إلى احتراق وخمود ، أى تأثير فى المجامع الدولية والضمير العالمى الخرب بمقدار ما كان لأفاعيل اليهود واعتناقهم مبدأ الاعتماد على الأمر الواقع والتمهيد به إلى تحقيق آمالهم والتدرج به نحوها خطوة خطوة .

ولقد أعذر العرب بصبرهم إلى العالم أجمع ، وسواء كانوا محمولين على صبرهم هذا ، كما يحمل على السقم السقيم ، خضوعاً للضرورات ، وتفادياً من الوقوع فى شرك المؤامرات الدولية التى تتمنى أن يزلوا ويخطئوا لتحكم عليهم وممها الحجة بإدانتهم ، أم كان صبرهم هذا طبيعة فيهم ونضجاً خلقياً وسياسياً منهم ، وجنوحاً للسلام حين يدعو داعيه ، ولو كانت دعوته خداعاً ... سواء أكان هذا أم ذاك ، فقد وضح الصبح لعيونهم ورأوا على ضوئه كرامتهم المهانة ومركزهم الدولى الممتهن ، وصبرهم المتهم بالضعف والعجز والبلادة ، ومثلهم العليا التى لا تقدير لها ، وكيتهم المهملة التى لا وزن لها ، وفشل هذا الدور من كفاحهم السياسى فشلا ذريعاً لا يمكن نكرانه ولا التهوين من نتائجه .

والسؤال الآن الذى يتردد على فم الدنيا هو : ما ذا يفعل العرب بعد ذلك كله ؟ هل يريدون أن يحيوا أم يريدون أن يفنوا ؟ هل يطيلون الصبر على هذه النظارة العالمية الطالة إليهم ، أم يردون إلى أنفسهم اعتبارها ويثبتون وجودها ؟ هل يريدون أن يبقوا على عدوهم فى ديارهم ليجلب عليهم بخيله ورجله ، وليكون لهم عدواً وحزناً ونحساً ورهقاً وخبالا ، أم يقضون عليه وفى أيديهم روحه قبل أن يستفحل شره ، ويستحيل ذنبه الخسيس إلى أسد شجاع ؟

هل يعلمون ويعقلون أهدافه الواسعة الطامعة فى بلاد العرب كلها من النيل إلى الرافدين ، وما بعدهما ، وأحلامه فى محو أهلها وتحويلهم إلى عبيد وحيوانات بشرية ، وزرعها كلها يهوداً ، أم يغفلون عن هذه الأهداف ولا يدركون مداها ويحسبونها قاصرة على فلسطين الصغيرة وحدها ؟ !

(١) أذيع من محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية فى مساء أول ديسمبر سنة ١٩٤٨

لئن شاء العرب لحولوا سم السرطان الصهيونى الذى فرضته عليهم القوى المشئوم ترياقاً يوقظ بلسماته وموجماته قوى الكفاح الكامنة فى كيانهم المعنوى والمادى ، ويثير فيهم حمى الحقد والثأر ومجازاة الشر بالشر وعزائم المقاومة التى خدروها وأناموها فى عالم لا تنام فيه لقوى الشر والبغى عين !

أجل ... إن شاء العرب ، كان فى هذا الشر الجديد ميلاد لقوى جيوشهم الحديثة وحرية اقتصادياتهم الوفيرة ، وكان فيه دفع حثيث لهم إلى السباق الدائم بين الأمم نحو العلم المادى الذى يعتمد عليه عدونا ، ويسرع إلى استغلال أسراره ، يتخذ منها أسلحته وخيوط شباكه حديثاً كما كان يسرع إلى استخدام السحر والجن قديماً ، كما ورد فى آثاره ...

وإن شاءوا كان فيه دافع عنيف إلى توحيد قلوبهم توحيداً حقيقياً ، يولده الدم المتحد ، والعقائد المشتركة ، والمصالح المشتركة ، والأخطار المشتركة ، فلم يعد هذا الزمن يحتمل تفرق كلمتنا وعيشة دولنا عيشة القبائل التى لا تجمعها وحدة متينة ، وليصيبن بغداد وعمان والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وصنعاء وغيرها من عواصم العرب ما أصاب القدس وحيفا ويافا إذا قالت كل أمة أو حكومة فيها : نفسى ... نفسى ... وحسب كل جيش من جيوش العرب أن نصره أو هزيمته له وحده !

وهذا التوحيد الحق للقلوب والجهود فى جميع أقطار العرب ، هو السلاح الضرورى الأول الفعال الذى لا جدوى لأى سلاح بدونه ، وما أتى العرب ولا أصابهم ما أصابهم للآن إلا من تفريطهم فى هذا السلاح . فعلى الشعوب العربية أن تدفع زعماءها وقادتها ، إذا ترددوا ، على هذا التوحيد دفعاً لا هوادة فيه ولا تباطؤ ، فإن الحرب بيننا وبين أعدائنا حرب فى كل لحظة ، وعلى كل ثغرة ، وفى كل ميدان ، ومن كل فرد ، فدولة إسرائيل المزورة ، إذا قامت ، ستكون كلها معسكراً يعمل فيه النساء والرجال والكبار والصغار ليل نهار ، ويعده بالأخبار والأسرار ، وينفذ خططه طوابيره الخامسة فى كل بلد عربى محيط به ، والصهيونيون يعلمون مقدماً ما يبيته لهم العرب وما توعدوهم به من خنق عسكرى واقتصادى وسياسى ، ولذلك سيعملون بنفوذهم الذى لا ينكر فى العالم وفى البلاد العربية على إحباط ذلك إذا لم نتيقظ لهم ، وسيكون أول عمل لهم هو إفساد ذات البين فى علاقات الشعوب العربية داخلها وخارجها ، وضرب طبقاتها وأحزابها بعضها ببعض عن طريق الدعوات الاقتصادية والمالية ، وإفساد عزائم الشباب وقواهم بإضرام الشهوات وشغلهم بها عن آفاق مجدهم وكرامتهم ، وعما يبيت لمستقبل أوطانهم وعقائدهم .

والصهيونيون لم ينالوا ما نالوه من نفوذ بالغ فى العالم ، ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بشعورهم بجنسهم المشترك وهدفهم المشترك وتوحيد قيادتهم وتدبير خطتهم ، وتوزيع رجالهم على المعسكرات العالمية المختلفة ، وصدورهم كلهم فى جميع أنحاء العالم عن رأى واحد وقلب واحد . ولا شك أنهم لم يكونوا لينالوا ما نالوه ، لو أنهم افترقت قلوبهم وتخاذلت قواهم وشكوا فى قادتهم . فإذا أراد العرب أن يخنقوا دولتهم ، فلا سبيل إلى ذلك إلا بدوام إذكاء الشعور بوحدة العرب ، وبإيقاظ كل فرد إلى أداء واجبه فى ضرائب الدم وضرائب المال ، وتضحية الصغائر والكماليات ، حتى يتغلب الجسم العربى على سموم هذا السرطان !

وإذا كان الصهيونيون يحاولون أن يسرقوا ويغصبوا ديارنا ، لأنهم يدركون أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية لهم ، فأولى بنا ، ونحن وارثوها والمالكون لها ، أن يكون دفاعنا عنها أضعاف هجومهم عليها !

أجل ... أولى بصاحب الدار أن يقاتل أضعاف قتال اللص ، فلا يكون اللص أعرف منه وأكثر تقديراً لممتلكاته وأشد حرصاً على اقتنائها وإذا كان هذا هو المعقول والواجب فى الدفاع عن دار ومتاع خاص ، فإنه أكثر وجوباً فى الدفاع عن الأوطان والمقدسات والحرمات . واليهود يدفعون دماءهم وأموالهم وجهودهم راضين مغتبطين ، لأنهم يشترون بها وطناً وأملا وتاريخاً مزوراً مفقوداً ، منذ ألفى سنة ، فأولى بنا ونحن نملك الوطن والأمل والتاريخ ألا نضيعه ، وإلا كنا غير جديرين به ولا بالحياة . ومعاذ العرب أن يرضوا لأنفسهم وأمجادهم أن تفنى ، ولكرامتهم أن

تهان على هذه الصورة وعلى رؤوس الأشهاد فى أشد قضايا التاريخ ظلماً وبهتاناً !

وإن الجامعة العربية لتهيب بالشعوب العربية وتنادى كل فرد عربى أن يجند نفسه ويثير جميع قوى الكفاح التى ترسب خمائرها فى دمه للدفاع عن مثله العليا وأوطانه وكرامته ، وهو الذى لا ينام على ثأر ولا يرضى بضيم ، فما بالهين على العربى أن يرضى لكرامة شعوبه ودوله السبع أن تداس فى مجتمع الدول لإرضاء طغمة من الإرهابيين أعداء البشر بإقامة دولة ملفقة لهم فى أعز بقاعه عليه ، وفى مهد المسيح الذى عبد قلوب البشر للسلام ، وكانت دعوته وروحانيته وحياته كلها رداً على مثل اليهود وأخلاق اليهود ومادية اليهود ، الذين يريدون أن يقيموا دولتهم على أرض مهده ، بعد أن طردت روحه منها « رأس الأفعى اليهودية » وشردتها .

وإن ما لدى العرب الآن من قوى معنوية ومادية راهنة ، تتزايد على مر الأيام ، لكفيلة إذا صمم العرب وتيقظوا وعملوا ، أن تحطم هذه الأفعى ، مهما تألبت لنصرتها قوى الشر والظلم ، وإن أصوات شعوب العرب وساستهم ورجال حكوماتهم قد أصبحت كلها تتنادى فى كل قطر بوجوب استئناف الكفاح فى الميادين كلها وتعبئة القوى جميعها . وقد تساوى رأى المتطرفين والمعتدلين فى البلاد العربية فى وجوب أخذ الأمر باليقظة والعمل الدائم والكفاح المستمر ، بعد أن تكشفت الرغوة عن الصريح فى سياسة الأمم المتحدة !

دعونا من حديث الماضى ومسئولياته ، فإنه حديث يبلبلنا ويفرقنا ، ولننظر شعوباً وحكومات إلى الحاضر والمستقبل بروح السخط والاحتقار لروح الغرب وضميره ومنظماته التى سمحت لنفسها أن تمكن للسارق فى دار المسروق ، مما لم يحدث له مثيل فى التاريخ ، ولنتفاءل ونأمل ولا نيأس من روح الله ، ولكن تفاؤلا غير غافل ولا أبله فى هذا الصراع الذى ربما يطول ، ولنحذر حرب الإشاعات الكاذبة التى هى من أسلحة عدونا ، وليكن شعارنا : هو الإيمان بحقنا ، والإصرار عليه ، والعمل على نواله بكل قوانا المادية والمعنوية !

عبد المنعم خلاف

شاعر وعصفور

(فى أحد الأيام استفاق الشاعر من قيلولته ، على صوت عصفور صغير دخل غرفته ، وراح يدف بجناحيه على أرضها وهو يحاول الطيران . فآواه الشاعر عنده أياماً ريثما قويت جناحاه ثم أطلقه . وقد أوحت له هذه الحادثة القطعة التالية) :

أهلاً بعصفور صغير لاجىء ... قذفت إلىّ به يدُ الأقدارِ
ما ذا أتى بك يا صغير لغرفتى ... أحسبتنى طيراً من الأطيار
هل أمك البلهاء للطيران قد ... ساقتك لكن قبل حين مطار
كم ذا ترفُّ لكى تطير مسارعا ... والهر منتظرٌ بأرض الدار
فاشكر إلهك إذ هداك لساحتى ... فكفاك عطف الوالدين جوارى
وحللت من كنفى بعش آمن ... أسمى وأمنع من ذرا الأشجار
لك من خيالى إذ تطير مرافق ... ومتى صدحت أجبت بالأشعار
أرفقت لى فأتيت تؤنس وحشتى ... يا ألطف الخلان والزُّوَّار
حسبى وحسبك جو شعر آمنٌ ... فالجوُّ ممتلئٌ من الأخطار
عجباً كلانا طار قبل أوانه ... ونأى الطموحُ بنا عن الأوكار
فبدأت بالأسفار مثلى يافعاً ... وأنا بلغت نهاية الأسفار
فوقاك الله الوحوش أناسياً ... ويقيك ربك كل طير ضارى
مرّن جناحك فى فنائى طائراً ... ثم انطلق لتطير دون عثار
لا تخش من أسرى ففيه لك البقا ... ما إن ترى حرية كإسارى

(دمشق) **أحمد الصافى النجفى**

حب المنطق

(مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ ثروت أباظه)

تعشقتها حسناء يحرس حسنها ... وتحمى جناها حارس من ضميرها
يرفُّ ضياء النُّبل فوق جمالها ... ويأرج عطر الطهر فوق عبيرها
لقد أقبلت تختال فى ثوب عفة ... فيا حسنه ثوباً سما عن حريرها
إذا ضمّنا صفوُ اللقاء تمثلت ... لعينى ملاكا من سمو شعورها
فأنهل من كأس يضاعف نشوتى ... شمائل ساقيها ولطف مديرها

توفيق عوضه

الصداقة فى رأى ابن المقفع

للشيخ محمد رجب البيـــومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

فى رأيى أن تشدد عبد الله فى اختيار رصفائه قد جمله فى جنة وارفة من إخوانه ومحبيه ، فكانوا قرة عينه وبهجة فؤاده ، يبهم بأحاديثهم ويبهم بأخبارهم ، ولم يؤثر عنـه أنه ارتاب يوماً من الأيام فى أحدهم فظن به الظنون ، وهذه مزية التحفظ الشديد ، ونحن نسمع فى كل مكان من يندبون الوفاء ، ويبكون النبل فى الحياة ، زاعمين أن الصداقة سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فـكل قرين يشكو من قرينه فى الـكثير الأغلب ، وسبب هذه الضجة المفتعلة ، أننا لم نفهم الفرق الواضح بين الصداقة والصحبة ، فإذا صاحب إنسان زميلا وقدم إليه بعض المعونة الأخوية ، ثم وجد منه نفوراً لا ينفق وما أسلف إليه من نفع ، قام يندد بضياع المروءة والوفاء ، وأولى به أن يندد بنفسه ، إذ لم يختر من يجزيه الإحسان بالإحسان ، بل عمد إلى طينة سنجة ، فغرس فيها بره ثم تعهده بالرى فمات الزرع ، وجف الماء ، ولو أنه غرس معروفه فى تربة مختارة منتقاه ، لآتت أكلها ولم تنقص منه شيئاً ، ولأبصر نفسه — كابن المقفع — فى جنة مورقة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ولـكن فاته ذلك فى حينه فهب من فوره يبكى المروءة ويندب الوفاء ! ! . . لا يا هؤلاء ...

ونحن نعلم أن الأديب أو الفيلسوف أو كل ذى موهبة فنية ، فى حاجة ماسة إلى من يجاذبه أطراف الحديث ، ويخوض معه فى شتى الأبحاث ، ولقد تألقت فى عصر ابن المقفع كواكب لامعة فى سماء الأدب ، وكانت صلته بها صلة مودة وحب ، فهو صديق الجميع يؤثرهم ويؤثرونه ، وأنت تعجب كل العجب حين تراه يجمع بين صداقة المتناصرين والمتباغضين ، فهو صديق حماد وبشار ووالبة وإبان ومطيع ، ولا ريب أن عبد الله كان يلاقى كثيراً من الإرهاق والعنف فى التوفيق بين أمزجة متباينة ، ونفوس متصاولة ، وكنت أسأل نفسى مراراً ألا يكون الجمع بين صداقة الأضداد مما يحدث لديهم الريبة فى نفس عبد الله ؟ وهل يطيب لبشار مثلا أن يبوح بسره لصاحبه وهو يعلم أنه صديق حماد ؟ سؤال دقيق يتطلب إجابة دقيقة ، وكأنى بابن المقفع وقد أدركه تمام الإدراك ، فأجاب عنه فى ملاطفة هادئة حيث قال « وإذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك ، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه عنك أو لعورة يسترها منك ، أو غائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما أغناه أن يحضره ذو ثقتك » وهذا كلام مقبول من بعض نواحيه ، وإن كنا لا نميل إلى الأخذ به ، لأن كل خصيم من بنى الإنسان يسلق خصيمه فى غيبته وحضوره بلسان حاد ، وخاصة إذا كان من طراز حماد وبشار ، فلو أن ابن المقفع تصدى دائماً للدفاع عن أصحابه لثقل كثيراً على أعدائهم وما استطاعوا ذلك منه فى كثير أو قليل ، وما كان أغناه عن هذا المأزق الحرج ! على أنه — فى الواقع — لم يثبت على رأيه الأول فقد اتضح له تطرفه الزائد فأتى بما يناقضه حين قال فى موضع آخر « إن من علامة الصـديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً ، وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لصديقى محباً وإنه يهون على قطيعة من كان كذلك » وإذن فقد اتفق معنا الـكاتب ، وتحلل من رأيه الأول ، بعد أن خطأه الواقع المرير .

ولقد كانت المجالس الأدبيـة — كما هى الآن — لا تخلو من نقاش حاد يتطاحن فيه الأصدقاء ، وكل يؤيد رأيه بما يسعفه خاطره ويرتاح إليـه ضميره ، ولـكن من الناس من لا يراعى حرمة الحديث ولا يصون كرامة الصـديق فيندفع فى تنقصه اندفاعاً يخرج به عن حدود اللياقة والذوق ، وكان عبد الله يضيق بهذا الطراز من الأصدقاء منتهى الضيق ، ولقد كتب الفصول الممتعة فى أدب الحوار وطريقة الحديث ، فكان مرشداً حكيما لأصدقائه ومريديه . اسمعه يقول فى نصح وتوجيه « لا تلتمس غلبة صديقك والظفر عليه فى كل رأى ، ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان ، وحجتك عليه إذا وضحت ، فإن إخواناً قد يحملهم حب الغلبة وسفه الرأى فى ذلك على أن يتعقبوا الـكلمة بعد ما تنسى ، فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الأصحاب ، وذلك ضعف فى العقل ولؤم فى الأخلاق » والناس هم الناس فى

كل زمان فما يشكو منه ابن المقفع أشكو منه الآن ، بل ربما وجد فى زماننا من يفوق من تقدمه ، فى مضمار التوقح والسفه ، فيختلق الرأى الدنىء اختلاقاً ، ثم ينسبه إلى غيره منددا مشهراً ، وهناك قوم من المتناظرين لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ، فتى يعتصم هؤلاء بحبل من الخلق القويم ؟!

ويلوح لى أن الكاتب كان ملتهب الصدر من هذه الناحية — وحق له أن يلتهب — فلم يكتف بما سطره فى الأدب الكبير والأدب الصغير مما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بل عقد فى « كليلة ودمنة » فصلا مسهباً يدور حول هذا الموضوع ، وقد جعل فيه اللسان أساس المصائب ، ومفتاح النوائب ، فهو يقذف بالكلمة الواحدة صغيرة ضئيلة فتبدد الشمل ، وتفرق الجمع ، وتوقد نار الحرب ، وأمام القارىء باب « البوم والغربان » وفحواه أن معركة حامية قامت بين الفريقين بسبب غراب طائش تكلم فى حق البوم بما لا يليق ، وبعد أن فصل الكاتب قصته تفصيلاً منطقياً يستشرف إلى النتيجة الحاسمة ، عمد إلى هدفه الأصيل ، فقال على لسان بوم يتوعد الغراب الأحمق ، ويهدده بعاقبة لسانه ، وما جره على قومه من كوارث فادحة يتفجر لها براكين العذاب .

قال الكاتب الحكيم « اعلم أن السيف يقطع به الشجر فيعود فينبت ، والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب فى اللحم ثم ينزع فيخرج ، والنصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تستخرج ، ولكل حريق مطفىء ، فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللحزن الصبر ، ونار الحقد لا تخبو أبداً . وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر العداوة والبغضاء »

وأنت لو فتشت فى كتب التربية والأخلاق ما وجدت توجيهاً أفضل من هذا التوجيه . وليت شعرى من يبلغ مبلغ ابن المقفع ؟ وقد رسم القاعدة أولا ثم ثنى بالدليل المسكت ، وعقب أخيراً بالمثال الحكيم .

بقيت مسألة دقيقة تجول فى خاطر كل صديق ، وهى تحديد العلاقة بين الصداقة والنفعة ، ونحن نرى كثيراً من الكاتبين يلقون القول على عواهنه فيحكمون أن الصداقة تتعارض مع المنفعة تعارضاً تاماً ، وأن الذى يصادق ليقطف ثمرة ، أو يحصد ذرعاً فهو نفعى وصولى ، مع أن هناك ناحية لا يجب أن يغفل عنها غافل ، وهى أن المنفعة والصداقة صنوان متلازمان لا يفترقان ، وأن الخلاف لا ينبغى أن يتجه إلى المفاضلة بينهما كعضوين منفصلين ، إذ ما من صديق إلا وينتفع به صديقه إن مادياً وإن أدبياً ؛ فهو على الأقل يرفه عنه همومه ، ويتحمل جانباً من سره ، ويزيل ما بنفسه من كبت داخلىّ قتال ، وكل أولئك منافع غالية لا تقدر بمال أو عتاد ، ولكن ينبغى أن يتجه الخلاف إلى ناحية أخرى تأتى بعد التسليم بحدوث المنفعة من الصداقة ؛ ولعلها تنحصر فى السؤال الآتى : هل تكون الصداقة وليدة المنفعة ؛ أو تكون المنفعة وليدة الصداقة ؟! فإذا كانت الصداقة وليدة المنفعة فهى الصداقة الوصولية المادية التى يحتقرها المثاليون ، ويزدريها الأخلاقيون ، والتى ندد بها ابن المقفع أشد تنديد فى مواضع عدة من كتاباته . وقال عن أصحابها فى تبرم واضح « ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيمايبذل ويعطى كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير ، لا يريد بذلك نفع الطير ، وإنما يريد بذلك نفع نفسه ؛ فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد » .

أما إذا كانت المنفعة وليدة الصداقة فهى بلا ريب مودة مثالية فاضلة ينشدها عشاق الفضيلة وأرباب المروءة ، إذ أن الإنسان مهما عظم جبروته وطغى سلطانه ، فى حاجة قوية ، إلى من يطلع على خبيئة سره ، ويستكشف ذات صدره ، فيشاركه الرأى ويقاسمه التفكير ، وهذه هى الصداقة بمعناها الصحيح ، وقد حبذها ابن المقفع بكل قواه ، وله فيها حكم بينة ، كأن يقول « اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى الشدة ، ومعونة على خير المعاش والمعاد ، فإذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية ، فاعلم أنك قد ابتليت معه إما بالمؤاساة فتشاركه فى البلية ، وإما بالخذلان فتحتمل العار ، وأن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معموراً ، ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم بالمرصاد ، فإن الكريم إذا عثر لا يأخذ بيده إلا الكرام ، كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة » .

وباب الحمامة المطوقة فى كتاب « كليلة ودمنة » يدور حول النغمة المتولدة من الصداقة ، بل أن ابن المقفع جمل مزية الصداقة الوحيدة هى ما يعقبها من معونة الأصدقاء ، ومساعدة الإخوان ، فالحمامة لم تنج من الشرك إلا بفضل صديقها الفأر ، والظبى لم يفلت من الصياد إلا بمعونة صديقه الغراب ، والسلحفاة لم تتمتع بالحياة إلا بمساعدة الجرذ ، وهكذا يضرب الحكيم النابغة أمثاله للناس « وما يعقلها إلا العالمون » .

وإذا كان الرجل قد أجاد فى الحديث عن الصداقة إجادة محمودة ، فإنه أبدع فى الكلام عن المداوة إبداعاً يستدعى الانتباه ، ويقينى أنه لم يلح فى إكبار الصداقة إلا بعد أن حيكت له الدسائس ، وذاق من الأعداء صنوفاً أليمة من الكيد والختل ، وليس بغريب على نابغة كابن المقفع أن يكثر حساده ومبغضوه ، وهل يحسد من الناس غير المبجل فى عشيرته ، المظيم فى دولته ؟ وهل يتعرض الشانئون لغير من يبزهم فى المنزلة ، ويرتفع عنهم فى المكانة ، ألم يطعنوا على الرجل فى دينه وخلقه وتقواه ! ! نحن مظلمة غشيت النابغة العظيم كقطع الليل فعلمته كيف يجيد الحديث عن الوشاة والأعداء ، بل إن أعظم فصل فى كليلة ودمنة وهو باب الأسد والثور يدور حول الأفاكين من الوشاة ، وكيف يبذرون بذور الشقاق بين الأحبة والأصفياء ، وقد اصطبغ فيه حديث الكاتب بصبغة شاحبة مشجية حتى لتتصور كلماته أنيناً يتردد فى قنوط وحرمان ! !

وقد يبدو لمن يطالع ابن المقفع فى باب المداوة والكيد أنه عفو صفوح يتبع السيئة الحسنة ، لأن له من العبارات ما ينطق بالتسامح والحنو كأن يقول « ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، وللعامة بشرك وتحننك » ولكن من يتعقبه تعقباً جدياً يدرك مقدار يقظته وانتباهه ، وما أحب أن أحلل أقواله تحليلا يتشعب معه القول فى لجاج شاسعة بل أنقل إلى القارىء بعض ما أثر عنه فى مؤاخذة الأعداء ، قال ابن المقفع

١ — إن كنت مكافئاً بالمداوة والضر فإياك أن تكافىء عداوة السر بعداوة العلانية ، وعداوة الخاصة بعداوة العامة ؛ فإن ذلك هو الظلم . ومن الحيلة فى أمرك مع عدوك أن تصادق أصدقاءه ، وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم فى سبيل الشقاق والتلاحى حتى ينتهى ذلك بهم إلى القطيعة والمداوة له .

٢ — قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ، ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلها ، وإذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل .

٣ — الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فإن كان بعيداً لم يأمن سطوته ، وإن كان مكثباً لم يأمن وثبته ، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره ... وإن صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة ، فإن النار لا تزيد بحدتها وحرارتها إذا أصابت الشجرة أن تحرق ما فوقها ، والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها .

وقد يوجد من يؤاخذ ابن المقفع على اختراع هذه الأسلحة الفتاكة فى حرب العدو ، وربما ظن الظنون بنابه الأزرق ، وشك فى دخيلة نفسه ونحن لا نتردد فى تبرئة الكاتب مما قد يعلق ببعض الأذهان حيث لا نرى جناحاً فى الكيد لمن يسوء ، بل أن على الرجل الذى يحترم رجولته أن يضرب أعداءه ضربة قاصمة حتى لا يسمح للعقارب المؤذية أن تنفث سمومها فى الظلام !

لقد اجتهد عبد الله فى تحديد قوانين الصداقة والسمو بها إلى أفق ملائكى تهب فيه النسمات العاطرة ، ولكنه اصطدم بغرائز دنيئة تدعو إلى الهبوط فى وهدات مظلمة منتنة ، فلم يجد بداً من محاربتها محاربة صارمة حتى يهيىء لمثله العليا أن ترفرف فى جوها الرفيع ، ولقد مات الكاتب وترك من أقواله فى الصداقة ظلا وارفاً يفىء إليه المخلصون ، فيأكلون من ثمره الحلو ، ويستنشقون نسيمه المنعش فى لذة وارتياح .

حسب ابن المقفع وفاء أن تتقطع أحشاؤه شوقاً إلى أصدقائه ، وأن يأرق فى حنادس الظلام ليسائل البرق الخاطف عن أصفيائه الأعزة ، ثم يممد إلى قلمه الرشيق فتسجل عواطفه الجياشة المواره ، فى سطور عبقة يتضوع أريجها مدى الأحقاب المتتاليات !

أى نابغة الفرس العظيم ، لقد دعوت إلى مكارم الأخلاق فى دنيا وضيعة دنيئة ، وناديت بالوفاء فى معشر جبلوا على الخيانة والغدر ، فهنيئاً لك كفاحك المرير فى حومة الشرف ، وجهادك الشاق فى ساحة النبل والوفاء .

فقل للذى يبغى مداه منافساً طمعت لعمر الله فى غير مطمع

(جزيرة الروضة) **محمد رجب البيومي**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو:

لقد بذل لبنان منتهى النشاط فى الإعداد لمؤتمر اليونسكو ، وأنفق كثيراً فى الأوجه المختلفة المتعلقة به من تشييد وتأثيث وضيافة وغير ذلك . ودعت مصر أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو إلى عقد دورة فيها عقب انتهاء مؤتمر بيروت العام ، فلبوا الدعوة وسينزلون ضيوفاً على الحكومة المصرية من يوم ١٢ إلى ١٦ ديسمبر الحالى ، ويزورون فى خلال ذلك المتاحف والآثار، والدور العلمية ، وتقام لهم بعض الحفلات ، ويشاهدون التمثيل فى الأبرا .

ولا شك أننا — لبنان ومصر — نقصد إلى الدعاية لبلادنا ، ونسير فى وسائلنا لذلك على ما عرفنا به من الكرم والسماحة ، ولا علينا أن الدول الغربية عند ما تدعو إلى عقد المؤتمرات العالمية لا تبذل لها ما نبذل بل لعلها ترمى إلى الاستفادة الاقتصادية من وجود أكبر عدد ممكن من مندوبى الدول فيها ، فنحن أحفاد حاتم الطائى ، ونحن أبناء الشرق الروحيون ...

ولكن عند ما يشاهد أولئك المندوبون الضيوف الكرام منشآتنا وبناياتنا الفخمة الضخمة ، من تليد وعتيد ، ويرون الأنوار الساطعة فى ميادين عواصمنا — لا ينبغى أن نغتر بظاهر ثنائهم ، فإن لهم عيوناً نافذة تلمح ما وراء هذه المظاهر من الحياة العادية للشعب ، وهى حياة شاسعة تشغل تلك المظاهر جزءاً صغيراً جداً منها ... فبناء الجامعة — مثلا — بالغ الروعة ، وبها عدد من الأساتذة الأعلام لا يقلون فى مستواهم العلمى والفكرى عن أمثالهم فى أرقى الأمم ، ولكن هذه قمة الهرم والباقى سفح لا يشرف ما به من نسب الأمية والجهالة ، ومسرح الأبرا يتيم فى القطر وأرستقراطى ، والأنوار الساطعة لا تعشى البصر عن رؤية الأكواخ ومساكن الفقراء ... الخ

وأنا أريد أن أفرض أن ضيوفنا سينخدعون بما نغرقهم فيه من ضباب الحفاوة والمظاهر ، وما أحب إلينا ذلك ، ولكن أخشى أن ننخدع نحن بصنعنا ... فنظل على ما نقوم بتمثيله ونحن فى أشد الحاجة إلى أن نعيش أكثر الوقت فى واقعنا ، نواجهه ونرفعه حتى نصل إلى الحد الذى نستمد فيه تمثيلنا من واقع الحياة .

التعليم المصرى فى السودان :

وهذه مسألة من صميم اختصاص منظمة اليونسكو ، فليت وفد مصر يثيرها فى المؤتمر ، أليس من مبادئ اليونسكو نشر التعليم فى أرجاء العالم ؟ فلتقل للانجليز لم يقفون فى وجه انتشار التعليم فى السودان ويعوقون الجهود المصرية فى هذا السبيل ؟

فقد تضمن خطاب العرش فى افتتاح الدورة البرلمانية الحاضرة أن الحكومة المصرية تعمل على إنشاء مدرسة ثانوية فى الأبيض ومدرستين ابتدائيتين إحداهما فى كسلا والأخرى فى بور سودان ومدرستين أوليتين إحداهما فى واو والثانية فى بور . فبلبل ذلك الخاطر الإنجليزى فى السودان ، لأنهم يعطون التعليم للسودانيين بقدر وعلى النحو الذى يريدونه ، من حيث تهيئته تهيئة آلية ، وتشبيعه بالروح الموالية لهم ، أما المدارس المصرية فهى الخطر كله ، وأقل ما فيها أنها تجمع أبناء الوادى على ثقافة واحدة ، وهى تشعر السودانيين بأن للحكومة السودانية الإنجليزية شريكا فى النفوذ هناك ، وحكام السودان من الإنجليز يحرصون على أن يقروا فى أذهان إخواننا بالجنوب أنهم — أى الإنجليز — كل شىء هناك ، وليس لمصر معهم حول ولا طول .

فما كان من الخاطر الإنجليزى المبلبل فى السودان إلا أن أفضى لسانه فى مؤتمر صحفى بالخرطوم — على الطريقة الإنجليزية الرقطاء — أن حكومة السودان تشكر مصر على شعورها نحو التعليم فى السودان إلا أنها ترى أن تتعاون وزارة المعارف المصرية مع مصلحة المعارف السوانية على إنشاء هذه المدارس المقترحة والإشراف عليها بدلا من أن تكون تابعة رأساً لتلك الوزارة ، لأنه ليس من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم فيها لكل منهما برنامجه الخاص .

ومعنى ذلك أن إدارة المدارس المقترحة تكون «ثنائية» ومعنى الثنائية فى العرف الإنجليزى بالسودان أن ينفرد الإنجليز بكل شىء

هناك دون مصر ، طبقاً لخرافة « الحكم الثنائي » المشهورة ..

ثم كيف كان من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم يوم أنشئت مدرسة الملك فاروق في الخرطوم ومدرستان أوليتان في جبل الأولياء وملكال ، ثم أصبح ذلك الآن مخالفاً لمصلحة البلاد ؟ أكان من المصلحة لأنه وقع في سنة ١٩٤٣ في خلال الحرب يوم كان « الحلفاء » يخطبون الود ويبذلون الوعود ويستجدون الثقة والمعونة ، ثم صار الآن من غير المصلحة ... ؟ على أن النظامين قائمان ، حتى قبل إنشاء المدارس الحكومية المصرية ، فهناك منذ زمن مدارس أهلية برنامجها مصري ، ويقبل أبناء السودان على هذه وتلك على رغم العقبات التي تضعها الحكومة السودانية في سبيلهم ، والتي منها عدم الاعتراف بالشهادات المصرية في التعيين بالوظائف ، والالتحاق بالمدارس العالية التابعة لحكومة السودان ، وغير ذلك .

وبعد فإذا كان الهدف الأول لليونسكو القضاء على أسباب الحروب في عقل الإنسان ، فهذي عقول الإنجليز في السودان .

* وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول على دعوة الدكتور طه حسين بك ليكون أستاذاً زائراً بها ، وقد قابل أحد أساتذة الكلية الدكتور طه وفاتحه في هذا الأمر ، فأبدى الدكتور عدم رغبته في العودة إلى الجامعة وأنه سيرفض تلك الدعوة .

* قدم إلى مصر في الأسبوع الماضي معالي الأستاذ الشاعر العراقي الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي — لحضور مؤتمر مجمع فؤاد للغة العربية ، وهو أول مؤتمر يحضره بعد انتخابه عضواً في المجمع ، وسيستقبله في جلسة الافتتاح الأستاذ العقاد بكلمة ترحيب وتعريف .

* اعترض مندوب لبنان في مؤتمر اليونسكو على عدم اعتماد اللغة العربية في عداد اللغات الرسمية للمؤتمر مع أنها لغة خمس دول مشتركة في اليونسكو ، وأيده مندوبا مصر والمملكة السعودية ، ودارت مناقشة انتهت بإحالة الموضوع إلى إحدى اللجان لدراسته . وفي نفس الجلسة تقرر اتخاذ الاسبانية لغة رسمية .

* كان المجمع العلمي العربي في دمشق طلب إلى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تصوير كتاب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر توطئة لنشره . ويعمل المعهد الآن في تصوير الكتاب الذي يقع في سبعة آلاف صفحة ، وقد أوشك أن ينتهي منه .

* توالي لجنة الأدب بالمجمع اللغوي النظر في الانتاج الأدبي المقدم لمسابقة سنة ١٩٤٨ — ٤٩ وتنتهي من عملها في أواخر فبراير القادم وتعلن النتيجة في مارس وقد تقدم في البحوث أربعة وفي القصة ثلاثة عشر وفي الشعر أحد عشر

* كان قد اختير المراقب العام للاذاعة في الخبراء الملحقين بوفد مصر في مؤتمر اليونسكو ، وقالت مجلة الإذاعة إن حضرته سيوافي الإذاعة بأنباء المؤتمر ، وإلى الآن لم يسمع من الإذاعة شيء من أنباء المؤتمر لا من مندوبها ولا نقلا عن الصحف كدابها في نشرة الأخبار .

* لوحظ أن الأغنية الجديدة التي ألفها رامي وغنتها أم كلثوم تكونت من عدد كبير من ألفاظ البكاء والأنين والدموع والشجن ...

الصهيوني والفرقة المصرية :

« الصهيوني » مسرحية ألفها ، وأخرجها ، وقام بدور البطل فيها ، الأستاذ يوسف وهبي بك ؛ ومثلت في هذا الأسبوع على مسرح الأوبرا الملكية . وهو يقدم لنا فيها شاباً ماجناً خليعاً مدللا متعطلا على الرغم من أنه درس الهندسة الميكانيكية ونال فيها أعلى الشهادات ، وهو ابن (باشا) عسكري قديم : يسخط عليه أبوه لأنه ولد (خسران) وفجأة يهبط على المنزل بطائرة ويعلن أنه أصبح ضابطاً في سلاح الطيران بالجيش المصري تلبية لنداء الواجب في حرب الصهيونيين بفلسطين ، وفي هذا الموقف نرى البطل الطيار (يوسف وهبي) يقلب الجو الذي كان ينبغي أن يكون رائعاً ، إلى مهزلة .. يسخر فيها من أبيه « الرجل العسكري » ويتندر عليه .

وتسود هذه الروح وهي تكلف الظرف والفكاهة في غير موضعها — أكثر مواقف الرواية ، ومن ذلك ما يحدث عند ما يفاجئ الأسرة شاب يدعي أنه « سامي » ابن الباشا من زوجته الأجنبية التي خرجت به من مصر صغيراً ، وأنه لما علم بأن مصر تحارب في فلسطين أسرع إليها ليؤدي واجبه ، ويظهر فيما بعد أنه جاسوس صهيوني ، وهو المقصود بعنوان الرواية ، يدخل هذا الشاب على أسرة الباشا فيستقبلونه ويدهشون للسانه المصري فيقول لهم : إنه كان يدرس اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية بألمانيا ، وينطق بعبارات فصيحة ، فيقول له « عزت » المهندس الضابط

الطيار : (دابيكلم نحوى كان ... دا ينفع فق !) وهذا كلام ليس بأنحا فحسب بل هو من فـكاهات الطبقة العامية البحتة ...

هذا وقد أجاد فؤاد شفيق الذى مثل دور الباشا ، فى دعابته ، وهو ممثل مطبوع على الظرف بإلقائه وحركاته وتعبير ملامحه .

وأجادت أمينة رزق فى تمثيل «منى» بنت أخى الباشا ، أجادت فى القيام بدور الفتاة الـكريمة ذات الإحساس النبيل ، التى تتألم إزاء إعراض « عزت » عنها ، ووالداه يلحان فى زواجه منها .

وقد رفعت المسرحية فى دورها عن مستواها المسف ... وكذلك فعلت سامية رشدى التى مثلت الزوجة التركية الطيمة، والأم التى تـكاد تهلك أسى على مصير ولدها .

وقد توالت فى أواخر الرواية المفاجآت وازدحمت المصادفات مما كاد يخرجها عن مألوف الواقع فى الحياة ، فقد كشف أمر الجاسوس الصهيونى بعدة مصارفات محكمة ، كأن الأقدار تشترك فى تأليف الرواية . . . وقد أفرغ يوسف وهبى المؤلف طاقته الصاخبة فى التأليف ، حتى لم يبق له منها شىء فى التمثيل ... فقد مثل « عزت » فصغر حتى صار شـاباً فى الخامسة والثلاثين ، صغر (بالـكيياج) ولـكنه ظل جامد الحركة ، تتعاقب عليه الأحداث وهو هو لا تغيير ولا تعبير . ويوسف وهبى إنمـا يعبر بالحنجرة والصوت الجهير والتلويح باليد وما شابه ذلك ، وهو ينجح فى هذا اللون من التمثيل حتى يبلغ القمة ، ولـكن دوره فى هذه الرواية لم يكن كذلك .

والمسرحية ترمى إلى الإشادة بالوطنية المصرية ، ولـكن الموضوع شىء ، وطريقة معالجته وأدائه ونصيب ذلك من الفن الراقى شىء آخر . فالرواية تشبه (الاسكتشات) التى تقدمها الفرق الاستعراضية ، وما أشك فى أن « شكوكو » كان أليق من يوسف وهبى بدور « عزت » .

ومما يؤسف له أن الفرقة المصرية بعد أن بدأت موسمها بمسرحية « مسر الحاكم بأمر الله » وكان يرجى أن تسير فى هذا المستوى ، وقد ألف لها محمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحيتين جديدتين لم تظهرا بعد . أقول مما يؤسف له أنها أخذت بعد ذلك فى برنامج لا يبشر بنجاح الموسم النجاح المرجو لفن المسرح فى مصر بعد أن انحصر فى الفرقة التى ترعاها الحكومة . وقد أعلن أن الفرقة ستمثل بعد « الصهيونى » روايات أخرى قديمة ليوسف وهبى ، وقد تـكون هذه الروايات نجحت فى وقتها . ولـكن هل تصلح الآن للنهضة المرجوة ، وهى تحتاج إلى التجديد ، وإلى الفن الراقى ؟

لا أقول إن يوسف وهبى يستند إلى رعاية الدولة وإعانتها للفرقة المصرية ، فيعمد إلى إظهار نفسه كل شىء فى كل شىء ... فى التأليف ، وفى الإخراج ، وفى التمثيل ، وفى النقد بالحكم على براعته فى الإعلانات التى يصدرها باعتباره مديراً عاماً للفرقة ، وهذا (أنه مدير عام) الطرف الخـامس للأطراف التى يريد أن يجمع المجد منها كلها — لا أقول ذلك إلا خوفاً على الفرقة المصرية أن تعصف بها هذه الجهود المترامية ونحن فى عصر الاختصاص، فليكبح يوسف وهبى جماح عبقريته الشاملة ويترك التأليف على الأقل ويفسح للآخرين من أهله أن يساهموا فى خدمة المسرح وتغذيته ورفعته .

الحادثة الهامة :

قرأت الـكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد عزيز بيتوغن بعنوان « أوهام لغوية » ونسب إلىّ وهماً منها فى بعض ما كتبت ، وهو « والحادثة الهامة فى القصة أو العقدة فيها ، ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » قال : « واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول الحادثة المهمة ، ففى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ، وأهمك من الأمر : ما أقلقك وأحزنك » .

وفى هذا الـكلام وهمان لغويان ، أتاه الأول من وقوفه عند « الصحاح » فاعتمد « أهمه » وأنـكر « همه » ، ولو أنه فتح معجماً آخر لوجد أنهما موجودان بمعنى واحد ، ففى القاموس المحيط « همه الأمر هماً ومهمة حزنه كأهمه » . وفى المصباح المنير « أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هماً من باب قتل مثله » فالهامة من وهم والمهمة من أهم ، واستعمال كل منهما كاستعمال الأخرى ، ويبدو لى أن استعمال أيهما فى الدلالة على الأهمية آت من حيث أن الأمر المقلق يدعو إلى الاهتمام .

الوهم الثانى فى قوله : « قاموس الصحاح للجوهرى » لأن القاموس علم على كتاب الفيروزابادى مأخوذ من القاموس بمعنى البحر ، وليس كل معجم قاموساً كما وهم حضرته .

ويظهر أن السيد بيتوغن يريد أن يكون معقباً لغوياً ، فأنصحه بالحذر من « الأوهام » وأتمنى له أطيب التمنيات .

عباس خضر



اتعـــاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا(١)

تأليف الدكتور جمال الدين الشيال

إن الذين يحملون العلم إلى الناس بالتأليف أو النشر أو الترجمة أو بالمجلات ، إنما يحملون إليهم من نور الله ليستضيئوا به وليزدادوا نوراً . وحملة العلم سـواء كان أدباً أو علوماً طبية ، أو غيرها ، وسواء كان أصحاب مجلات يتخذونهـا ندوة للفكر وأصحابه إنما يفترضون على أنفسهم رياضة علمية طويلة شاقة قبل أن يبلغوا مرتبة العلماء . وفى هذه الرياضة العلمية يشـترط الإخلاص الذى هو جماع الفضائل وطريق الراغب السالك طريق العلم . وكم من مشتغل بالعلم يمضى ويطويه الزمان الغشوم فى غير رحمة بجهوده الطويلة وآماله العريضـة ؛ فإذا أنزل الله نوره على عبده فتح له من أبواب العلم ونشره ما يرفع له ذكراً .

ومن الذين فتح الله عليهم وهـداهم فى التاريخ إلى جوانب طريفة لجعلهم مرجعاً للأجيال التى تلتهم والتى تليهم المؤرخ المصرى تقى الدين المقريزى صاحب كتاب اتعاظ الحنفا الذى الذى نشره الدكتور جمال الدين الشـيال . فقد امتاز المقريزى بنظرات طريفة وملـكات مواتية ، وجلد على العمل وتوفيق ربانى عجيب فيما ألف . وترك من بعده أخباراً تاريخية طويلة تقع فى مجلدات عديدة ضخمة ، بعضها معروف منشور وبعضها مخطوط ينتظر النشر . وقد عنى بنشر كتبُ المقريزى جماعة كبيرة أجلة من المؤرخين منهم الأستاذ فيت مدير دار الآثار العربية الملـكية المصرية الآن ، ومنهم الدكتور زيادة أستاذ التاريخ المصرى بجامعة فؤاد ، ومنهم ناشر كتاب اتعاظ الحنفا الدكتور الشيال ، الذى نتحدث عنه اليوم .

وليس هذا أول كتاب ينشره الدكتور الشـيال للمقريزى ، فقد نشر له من قبل كتابين قيمين ، الأول كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأزمات الاقتصادية ، وهو على حجمه جليل القدر عظيم النفع ، والثانى : نحل عبر النحل . وهو كتاب قيم بثروته اللغوية الضخمة ، كنا نود لو لم يهاجر الدكتور أبو شادى إلى أمريكا حتى يعرف الجمهور ويعرف أمثالنا ممن لا يعرفون عن النحل إلا القليل قيمة هذا الـكتاب . أما من الناحية التاريخية ، فذلك الـكتاب يحوى أخباراً تاريخية قليلة . ثم هـذا الـكتاب الثالث الذى نعرض له اليوم ، وهو كتاب اتعاظ الحنفا .. فى تاريخ الدولة الفاطمية ..

وللنشر أصول صارمة تجعل مجرد النسخ مهمة دقيقة مضنية . فإذا انتهى النسخ من المخطوطات المختلفة ابتدأت مهمة جديدة هى إقامة النص وإصلاح خلله . فإن كثرة نسخ الـكتاب تدخل عليه كثيراً من الأخطاء . ومن الناشرين من يلتزم بعد ذلك توضيح النص بالهوامش .

ولـكن مهمة الدكتور الشيال تعقدت لأن المخطوط فى برلين ولا سبيل إليه ، فرجع إلى نشرة الـكتاب القديمة . وكانت مليئة بالأخطاء فأصـلح ذلك كله بمقارنة النص المنشور بالنصوص التاريخية الأخرى ، ثم إنه التزم التعليق حتى تضخمت الهوامش وبلغت حداً كبيراً . وقد كان ربع هذا كافياً . ومن الخطأ أن يتصور الناشر نفسه شارحاً ، فمجال الشرح طويل لا يحتمله النشر . ودليل ذلك أن الدكتور الشيال لم يشرح نقطاً كثيرة تجل عن الحصر كما شرح أشياء كثيرة فوق الحصر . فأنت تتحير حين تقرأ النص بين هوامشه الـكثيرة ، وقد تهمل هذه الشروح لـكثرتها . فإذا صبرت فقرأت كل ذلك وجدت شيئاً غير مشروح إلى جانب شيء مشروح . ولعل أنفع شيء للناشر والـكتاب والجمهور جميعاً أن توضع كافة الشروح والتعليقات فى مقدمة بأول الـكتاب ، فيستطيع المستعجل أن يكتفى بهـا ويستطيع غيره أن يهتدى بها فى قراءته للـكتاب . وقد جرى على ذلك المنهج كثير من الناشرين حتى أصبح لزاماً علينا أتباع

(١) هو الجزء الثانى من مكتبة المقريزى الصغيرة ، نشره الدكتور الشيال وطبعته دار الفكر العربى سنة ١٩٤٨ .

منهجهم إلا إلى منهج أحسن .

وقد كنا نحب أن ينبه الدكتور الشيال قراءه وقراء المقريزى إلى أن هذا الكتاب لا يعد من أئمة كتبه ، وأن صبر المقريزى على جمع الأخبار خانه هـذه المرة ، وأن جزءاً هاماً جـداً من الكتاب قد ضاع حتى ليعد الجزء الباقى منه شيئاً يسيراً إلى جانب الضائع . وقد ذكر الدكتور الشيال هذا الفقد ، ولم يعلق عليه ؛ وقد نلتمس له أعـذاراً كثيرة منها أنك إن ألححت فى ذلك زهدت القراء أولا وعدمت الناشر الطابع ؛ وفى ذلك كارثة محققة تصيب العـلم قبل أن تصيب العلمـاء . والناس أحوج إلى من يشجعهم ويشوقهم إلى تراثنا العلمي القديم .

ومن حق الناس مع ذلك أن يعلموا أن الكتاب قد يكون مسودات جمعها المقريزى وفى نيته أن يرجع إليها ثم لم يأذن له وقته بذلك . وإن كان من حقهم أن يعلموا أيضاً أن ذلك فرض أرجحه أنا ، وقد لا يرى الأستاذ الشيال ذلك ، وقد يضع هذا الكتاب فى مصاف كتبه الأخرى . وقد كان عليه أن يعرفنـا بقيمة الكتاب لعله يلفت نظرنا إلى ما لم نلتفت إليه .

فإذا عرفت أنه كتب مقدمة طويلة فى خمس عشرة صفحة لم تتسع لذلك التمست له العذر ، لأنه يحرص على أن لا تطول المقدمة . ونحن على عكسه كنا نريد أن تتسع المقدمة لذلك وأن تتسع أيضاً لكثير من الشرح المودع فى الهوامش إيداعاً شبيهاً بالتستر والاستخفاء .

وكل ما مضى ملاحظات عن المقدمة وما كنا ننتظره منها . وهى بعد ذلك مقدمة ممتازة حقاً واضحة وضوحاً تاماً فى أسلوب رصين معتنى به . تفهمها بمجرد قراءتها وتستوعب ما يريد صاحبها أن يقول فى رفق ولذة ، فتحمد له ذلك وتنشط نفسك له

وإذا كان الأستاذ حريصاً على الأسلوب هذا الحرص فإنى أرى له أن يتجنب المضافات إليها قبل ذكر المضـــاف ؛ فإن للصحفيين أن يستطيبوا ذلك التركيب الركيك الخاطىء ، أما مثله فلا يقع فى مثله . فإن تكرار المضاف إليه مستثقل فى العادة وهو لا يجوز فى النحو إلا فى عطف ما يكثر اصطحابهما مما يرجع إلى صنف واحد، فتقول يد ورجل زيد؛ ولكن لا تقول دار وغلام زيد . ومثل هذا التركيب قد يرد فى الشعر للضرورة ، ولا يباح فى النثر وقد ركب الأستاذ هـذا التركيب ثلاث مرات اجتمعت فى صفحة واحدة هى صفحة س .

ولنقفز بعـد ذلك إلى آخر الكتاب . نجد فيه ملحقات كثيرة منها ما قدمه الناشر على أنه استكمال لنص الكتاب وبدل من الجزء الفاقد ، ومنها جداول وضعها الناشر نفسـه ، وهذه الملحقات كما ترى مختلفة فى طبيعتها ، بعضها للمؤلف وبعضها للناشر . ولهذا كان من الواجب أن تختلف التسمية باختـلاف الملحقات ، كأن تسمى ما ينسب منها للمقريزى ذيلا أو صلة وهى تسمية مألوفة معروفة عند القدماء ، وكأن تسمى ما ينسب للناشر ملحقاً . وشىء آخر ، هو أن الناشر جعـل كل جدول ملحقاً فتكاثرت الملحقات تكاثراً يكاد القارئ يضل فى ثناياه . وشىء ثالث ، هو أن أحد هـذه الجداول وضع لشرح قسم خاص من الكتاب فإذا طابقت بينهما وجدت الناشر أقام جدوله على رواية واحدة وأهمل سائر الروايات .

ومن قلة الإنصاف للناشر مع هذا أن نجرّح هذه الملحقات بشىء من النقد . لأن الناشر وفق فى جمعها وتعب فى البحث عنها وصور بها الجزء الفاقد خير تصوير . ولكنه مجرد تصوير للجزء الفاقد لم يقصد به الحصر . ففى كتب المقريزى عن الفاطميين شىء كثير لم يوضع ضمن الملحقات . غير أن الدكتور الشيال إنما اقتصر على كتاب خاص من كتب المقريزى هو — المواعظ والاعتبار ، فنقل عنه ، وقد ذكر سبباً دعاه إلى ذلك لا نقره عليه ، ولكن هذ القسم الملحق قد أحيا الكتاب وصوره لنا فوضع أمام أعيننا الجزء الموجود ورسم لنا تخطيط المفقود منه .

ولنرجع بعد ذلك إلى الكتاب نفسه لأننا لم نعرض إلى الآن إلا لمقدمته وملحقاته .

الكتاب منشور نشراً صحيحاً سليما . نظر فيه الأستاذ الناشر فأمعن النظر ، وجبر أخطاء النشر القديم ، وتكلف فى سبيل هذا التصحيح عناء وجهداً يستحقان كل الحمد والثناء ، فرجع إلى مراجع كثيرة ضبط بها النص : والمعروف أن التزام النص دون مسه إلا بالاختصار قاعدة جرى عليها القدماء ، لاعتبارهم التاريخ علماً نقلياً لا يجوز التصرف فيه إلا بأقل قدر مستطاع . وضبط الدكتور الشيال كذلك أسماء الأعلام وأسماء الأماكن

ضبطاً تاماً ، وعرّف بها ، فرجع فى ذلك إلى المصادر التاريخية والجغرافية القديمة . وقد كان ينبغى عليه أن يزيد على ذلك فيضع فى الكتاب خريطة جامعة . ثم حسنة أخرى : هى أنه فصّل النص إلى فقرات ، وأضاف إليه عناوين دون أن يتجاوز الحد . ولم يضع هذه العناوين جزافاً ، وإنما أخذها من مصادرها . فاستقام له النص استقامة محمودة ، وأصبح مفهوماً واضحاً . وهذا غاية ما ينتظر من الناشر الأمين ، والمؤرخ الثبت .

غير أن الكمال لله وحده ، هو وحده المنزه عن السهو والخطأ . وقد تورط الناشر فى أخطاء قد يحسن التنبيه إليها . أما بعضها فيتصل بقراءة النص وهو قليل جداً . وأما بعضها الآخر فلا نشك أن المطبعة هي التى ورطته فيه . ومثل هذه الأخطاء المطبعية مما يقع فيه الناس جميعاً ، ومما يقع فيه الناقد نفسه أيضاً . ولكن ذلك لا يبررها .

وقد كانت مطبعة بولاق الأميرية القديمة تحسن ضبط الطبع ؛ والمطابع فى أوربا اليوم تعنى بضبط الطبع أكبر عناية ، وتتخذ المراجعين على حسابها ، ولا تقتصر على تصحيح المؤلف . بل قد تنبه المؤلف على أغلاط سها عنها . فإن خلل الضبط يمس سمعة المطبعة أكثر مما يمس غيرها . وقد وضع الناشر قائمة طويلة للتصويبات ، إلا أنه لم يصوب غير الأخطاء الظاهرة ، وترك ما عداها لذكاء القارئ .

والقارئ لا يحب فى العادة أن يتعدى دور القراءة والاستفادة ؛ فإذا كلفته فوق ما يبتغى من القراءة أضجرته وأثقلت عليه . ومن حق أن آخذ له بحقه وأن ألوم المطبعة والناشر . وكيف لا ألوم وقد سمح الناشر لنفسه أن يلوم صاحب النشرة الأولى ، وأن ينبه على أغلاطه واحدة واحدة . ووجود هذه الأغلاط رغم اليقظة وتحرى الضبط توضح لك ما قلته منذ حين : وهو أن كثرة النسخ تدخل على النص من الأغلاط ما لم يكن فيه . ولهذا كان النشر فناً من الفنون التى تحتاج إلى طبيعة خاصة ، وكان الناشر جديراً باحترام القارئ وتسامحه واحتمال ما يقع فيه من سهو . وإليك الأخطاء التى وقعنا عليها :

لعلى بن أبى طالب ولدان سماهما عمر ، وميز بين العمرين بالأكبر والأصغر ، فلما جاء ذِكر أحدهما (ص ٦) أصلح لفظ الأكبر وجعله الأصغر ، ثم جاء ذكر الأصغر (ص ٧) فلم يدخل عليه تعديلاً ولم ينبه عليه ، فترك فى النص عمر بن أصغرين

وفى ص ٨ : فولد الحسن ... وحسناً وإبراهيم وجعفر ، (بدون النصب فى جعفر) وشبيه بهذا أو من قبيله ص ١٠ س ٤

وقد ترك النص غير مستقيم ص ٩٩ س ٧ ، ٨ ، وكان إصلاحه ميسوراً . ومن هذا القبيل أيضاً ص ١١٢ س ١٢ ، ١٣ لو حذف : « فتح سوسة بالسيف » لاستقام النص . وشبيه به لفظ « فوقع » ص ١٢٢ س ١٥ ، ثم ص ١٢٣ س ٦ ، فإنه غير مفهوم .

وفى ص ١٢٤ س ١٣ ذكر قلمة كتامة نقلا عن ابن الأثير وهى قلمة كيانة . والفرق بين . وقراءته على ما أراد الناشر فوقع فى خطأ أكبر .

وفى ص ١٨٦ س ٦ قال : « دخل المعز لدين الله أفريقية » وصوابها : رحل المعز لدين الله [عن] أفريقية . والتاريخ المذكور لحركة المعز هذه هو الذى يحتم تصحيحنا .

وقد يريد الناشر التنبيه على قراءة مخالفة ، ثم نجد القراءة المخالفة فى الهامش كالأصل فى المتن مثل ص ١٠٦ هـ ٥ ، ومثل ص ١٤٤ هـ ٢ ، ص ١٣٠ هـ ٢

ثم إن من الهوامش ما يطول من غير مبرر ظاهر مثل هامش ص ٢ ، وقد كان يكفى الإشارة إلى صفحتى و ، ز ، من المقدمة . ومثل هذا هين ، وقد يستلطف التكرار . غير أنه فى ص ٣٥ أحال فى الهامش رقم ١ إلى الذى يليه مع أن الذى يليه لا يتصل به إطلاقاً

أما الأخطاء المطبعية اليسيرة فكثيرة العدد ، وقد تقدمنا بلوم المطابع ووفيناها حقها من اللوم والفائدة من التنبيه على هذه الأغلاط ضئيلة ليسرها . ولذلك نضرب عن ذكرها .

ولنلخص ما قلنا : مقدمة رصينة واضحة ، ونص أقيم خير إقامة ، وملحقات بعضها تذييل من كتب المقريزى ، وبعضها جداول من وضع الناشر . ثم شروح مستفيضة . فإذا استثنينا الأخطاء التى وقعنا عليها ، لم نجد غير انتقادات على الشكل فى ذاته وتوزيع الشروح فى كل مكان .

وحسب الأستاذ الناشر أننا نثنى على ضبط النص ، فذلك



إلى درناوي صريح :

ورد لي ما لا يقل عن ٣٢ خطاباً من نواح مختلفة من البلاد العربية بمناسبة ما كتبته عن الصهيونية ثم عن دعوتي إلى الإسلام . إلا أن أمامي خطاباً من أديب من درنة من برقة في ليبية . وهو موقعه بهذا الإسم المستعار « درناوي صريح » . وهو الوحيد الذي لم يصرح باسمه وبامضائه ، وأنا مضطر أن أجاوبه عن طريق الرسالة ، وهذا ما أقتطفه من رسالته قال :

« وددت لو سكت حضرة الأستاذ أحمد عادل وعدل عن دعوتكم إلى الإسلام . ما فائدة المسلمين يا ترى في هذا العصر (إذا زاد عددهم واحداً) وهم يربون على خمسمائة مليون نسمة . (ما نفعهم) بعد الذي جرى في فلسطين المقدسة وسيجرى عما قريب في مكة المكرمة (يعني إذا كان المسلمون لا يمدون أيديهم للانقاذ) إن الإسلام بالإشارة لا ينفع ولا يضر . والإسلام الحقيق دين قول وعمل معاً ، وما ضر المسلمون في هذا العصر إلا أنهم يعرفون الله (ولكنهم) لا يتبعون ما أمر به . وإذا استثنينا الخلفاء الراشدين والصحاب والتابعين والأولياء الصالحين من عباده المخلصين وأحصينا الإسلام وغربلناه لوجدنا الإسلام الصحيح قليلا من هذا العدد الكثير . نحن اليوم في حاجة ماسة للعربي المجاهد من أمثال الأستاذ نقولا الحداد والذي سن قلمه الكاوي وقت اللزوم وجعله وقفاً لخدمة العروبة والإسلام وإنقاذ فلسطين ، وذلك بتنبيه العالم على صفحات المجلات والجرائد إلى الصهيونية وتبيين حاضر اليهود وماضيهم « الزفت » مع الأنبياء والمرسلين ونياتهم السيئة نحو العالم العربي » الخ ...

فأولا ، أشكر الأستاذ الدرناوي الذي يقاسي الآن تحت نير الاستعمار الأجنبي الذي يعتبره سلعة تمنح لوصاية أجنبية — أشكر له حسن ظنه بي عظيم الشكر . وما أكتبه في القضية الصهيونية لا يساوي قطرة دم مما يسفكه أولادنا في ميادين القتال في سبيل إنقاذ فلسطين . وبكل أسف أقول إن هذه الدماء تسفك في ذمة بعض العرب الزعماء الذين ظهر أخيراً أن فيهم خونة (الخيانة العظمى) يشترون السلاح من مال أمتهم ثم يبيعونه لليهود . إني آسف كل الأسف أن أضطر إلى أن نفضح أنفسنا . ولكن الصبر على المضض يضاعف البلوى . لا أريد أن أتمادى في هذا الموضوع المؤلم ...

أساس عمله . أما ما عداه فهو متفضل به على القارئ رغبة في معونته وحرصاً على نفعه .

ولنا إلى ذلك ملاحظات على قائمة المراجع وعلى الفهرست الأبجدي ، ولكنها ملاحظات تتصل بطريقة العرض . وليس لها محل ما دمنا لم نتفق في الشرق العربي بعد على أوضاع ثابتة عامة لها

فالكتاب كما ترى مضبوط مشروح ، فلا يهولنك ما ترى من كثرة الملاحظات فإنها لا تمس إلا الشكل ونحن إنما نريد بذلك التنبيه على خلل التنسيق .

والدكتور الشيال بعد هذا كله قد وقف نفسه على تاريخ مصر كما فعل المقريزي وجعله مادة الدروس التي يلقيها في كلية الآداب بالاسكندرية . وقد دفعه حبه لأستاذه عبد الحميد العبادي بك إلى أن يهدي إليه الكتاب . والواقع أن هذا الإهداء قد وقع موقعاً حسناً من تلاميذ العميد المؤرخ ؛ فإن فضله على أجيال المؤرخين المصريين المعاصرين لا ينكر . فهو أول من خرج عن التقليد القديم في دراسة التاريخ الإسلامي ، ونحا به إلى الناحية العلمية الصرفة ، ثم تبعه تلاميذه وزملاؤه فوجدوه قد شق لهم الطريق وقرب بين منهج الشرقيين والمستشرقين . وللعبادي بك في نفوس الآلاف الذين تتلمذوا عليه منذ ربع قرن أو تزيد منزلة كبيرة وتقدير عظيم . فهو شيخ المؤرخين غير منازع . وإن له من تلاميذه كتباً حية . وله مقالات تمد نماذج في ذاتها وصوراً رائعة وهي التي نشرها في المجلات ، وقد جمع منها ثلاثين مقالة تتناول كلها العصر الأول وعصر بني أمية ، وسماها : « صور من التاريخ الإسلامي » . أما مقالاته عن العصر العباسي فستظهر قريباً إن شاء الله . ولكن العبادي بك أهل بغير ذلك لكل إهداء وتكريم من تلاميذه الكثيرين ...

محمد عبد الهادي شعيرة
أستاذ مساعد بكلية الآداب باسكندرية

وثانياً ، أن أحد الأدباء فتح على باباً كنت أتحاشاه طول حياتى وهو عرضه الإسلام على . وقد أفهمته بصراحة أنى أقرب منه إلى الإسلام ، فلم يقتنع . واقترح على آخر أنه ما دمت اعتقد أن الإسلام كالنصرانية فلماذا لا أعلن إسلامى ؟

عجباً ! ألكى أزيد ملايين المسلمين واحداً وأنقص ملايين النصارى واحداً ؟ « إنى أخرج من قضاء الله إلى قضاء الله ».

يا عزيزى ، إن الدين الإسلامى كالدين النصرانى عقيدة للعمل لا للقول . وما دمنا نتجادل بالأقوال وننسى واجب الأعمال فنحن إلى الوراء ، فى حين أن العالم كله ومنه اليهود إلى الأمام .

كدت أيأس من تقدمنا فى ميدان الكفاح المالى ، ميدان بقاء الأفضل والأقوى . أكثر الله من أمثالك أيها الدرناوى (من درنة) لعلكم تنهضون بالأمة العربية وتدفعونها إلى الأمام .

نقولا الحداد

٢ شارع البورصة الجديدة بمصر

النسبة إلى فلسطين

نشرت جريدة الأهرام الغراء كلمة لأحد مدرسى معهد طنطا تحت عنوان (فلسطى) خطأ فيها استعمال النسبة الشائعة (فلسطينى) إلى فلسطين معتمداً على ما جاء فى (القاموس المحيط) فى فصل الفاء باب الطاء ، وهو فلسطون وفلسطين ... كورة بالشام ... تقول فى حال الرفع بالواو ، وفى النصب والجر بالياء ، أو تلزمها الياء فى كل حال ، والنسبة فلسطى اه

وأقول : اختلف اللغويون فى النسبة إلى فلسطين أهى فلسطينى أم فلسطى وهذا الاختلاف فرع عن الاختلاف فى حقيقة فلسطين أهى مفردة وجميع حروفها أصلية أم لفظها لفظ جمع المذكر السالم فتنزل منزلته وتجرى مجراه فتعامل معاملته ، فمن قال بالأول نسب إليها على لفظها بدون تغيير فيقول : هو فلسطينى وهى فلسطينية ، ومن قال بالثانى عاملها معاملة هذا الجمع فرفعها بالواو فيقول مثلا : عاشت فلسطون عربية ، ونصبها وجرها بالياء فيقول : دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من الصهيونية العالمية ، وتآمرت الدول الأجنبية على فلسطين لتحقيق المآرب الاستعمارية ، وطبق عليها قاعدة النسب إلى الجموع وهى تقضى بالرجوع إلى مفردها وهو هنا فلسط وإن كان لم ينطق به أصلا فقال : هو فلسطى وهى فلسطية وإليك النصوص التى تثبت صحة ما قلت :

جاء فى لسان العرب فى الكلام على (قنسرين) ما نصه : قنسرين وقنسرون كورة بالشام فمن قال قنسرين فالنسب إليه قنسرينى ، ومن قال قنسرون فالنسب إليه قنسرى لأن لفظه لفظ الجمع ؛ ووجه الجمع أنهم جعلوا كل ناحية من قنسرين كأنه قنسر، وان لم ينطق به مفردا ... والقول فى فلسطين والسيلحين ويبرين ونصيبين وصريفين وعاندين كالقول فى قنسرين اه

وجاء فى القاموس وشرحه وقنسرين وقنسرون وهو قنسرى عند من يقول قنسرون ... وقنسرينى عند من يقول قنسرين إلى آخر ما سبق من اللسان .

وجاء فى اللسان وشرح القاموس فى الكلام على (نصيبين) ما نصه : ونصيبين اسم بلد وفيه للعرب مذهبان منهم من يجعله إسماً واحداً ويلزمه الأعراب كما يلزم الأسماء المفردة التى لا تنصرف فيقول هذه نصيبين ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين والنسبة نصيبينى ، ومنهم من يجريه مجرى الجمع فيقول هذه نصيبون ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين قال : وكذلك القول فى يبرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين والنسبة إليه على هذا نصيبينى ويبرينى وكذلك أخواتها ؟

قال ابن برى رحمه الله ذكر الجوهرى أنه يقال هذه نصيبين ونصيبون والنسبة إلى قولك نصيبين نصيبى وإلى قولك نصيبون نصيبينى قال والصواب عكس هذا لأن نصيبين إسم مفرد معرب بالحركات فإذا نسبت إليه أبقيته على حاله فقلت هذا رجل نصيبينى ، ومن قال نصيبون فهو معرب إعراب جموع السلامة فيكون فى الرفع بالواو وفى النصب والجر بالياء ، فإذا نسبت إليه قلت هذا رجل نصيبى فتحذف الواو والنون قال وكذلك كل ما جمعته جمع السلامة ترده فى النسب إلى الواحد .

فتقول فى زيدون اسم رجل أو بلد زيدى ولا تقل زيدونى فتجمع فى الإسم الأعرابين وهما الواو والضمة .

وجاء فى شرح القاموس قال الأزهرى فى التهذيب : نونها (فلسطين) زائدة ، وقال غيره بل هى كلمة رومية والعرب فى أعرابها على مذهبين الخ

وجاء فى (معجم البلدان) قيل إنها سميت بفلسطين بن سام ابن أرم بن نوح عليه السلام . أو بفلسطين بن كلثوم ، أو بفليشين ابن كسلوخيم من بنى يافت بن نوح ... ثم عربت إلى فليشين الخ

بعد هذه النصوص الواضحة لا أرى وجها لتخطئة فلسطيني وفلسطينية تلك النسبة الدقيقة الصحيحة المألوفة ، ولو أنصف اللغويون لذكروا هذه النسبة بجوار النسبة (فلسطى) كما صنعوا فى قنسرين ونصيبين ... فنجوا من القصور والتقصير وأرشدوا القراء إلى الحقيقة ولعلهم تركوها لأنها واضحة أو لفهمها من نظائرها.

على حسن هلالى

بالمجمع اللغوى

فارس الخورى :

« فارس الخورى » من الشخصيات الخالدة التى لا تنسى ، خدم وطنه وأمته ، وضرب فى ميدان السياسة الدولية بسهم وافر بيض فيه وجه سوريا ووجه الأمة العربية جمعاء ، ولهذا الرجل فى سوريا احترام بالغ من مختلف الطبقات ، فهو بين السياسيين شيخهم وإمامهم ، وبين العلماء والمثقفين أستاذهم وزعيمهم ، وبين رجال الحكم صديقهم وكبيرهم ، وعند الناس جميعاً « فارس الخورى » وكفى ...

قالت عنه مجلة « المصور » الغراء[1] بأنه من فرسان الثورة العربية وممن نجح فى استغلال الاحتكاك الإنجليزى الفرنسى المتخلف عن الحرب فى سوريا ، وأضافت بأنه اختلف — بعد التطهير والنجاح — مع أنداده فكان ممن جوزى جزاء سنمار .. وقالت بأنه لا يستند إلى عصبية حزبية تجعل منه صاحب نفوذ فى بلده ، ولذلك فهو قانع بما أصاب من نجاح ، وهو قانع بدوره المادىء خارج الحدود ...

وأفهم من هذا أن « فارس الخورى » لم يقدر حق قدره وأنه مازال بحاجة إلى عصبية تؤيده ، وحزبية تسانده ، ليبلغ مكانه اللائق فى بلاده ، ولذلك قنع بأن يكون مندوباً عن سوريا ورئيس وفدها فى مجلس الأمن ، واجب أن ألفت نظر « المصور » الغراء إلى أن « فارس الخورى » قد بلغ مكانه اللائق ، وقدرته الأمة ، وأحسنت له الجزاء ، فانتخبته (نائباً) عنها وهو فى أمريكا ، ولم يتقدم لمنازعته مرشح آخر فانتخب بالتزكية ، ثم انتخبه المجلس النيابى رئيساً له كذلك فى هذه الدورة وفى الدورة السابقة ، وكان فى حقبة مضت رئيساً للوزراء .

وفى نظرى أن «فارس الخورى» لا يطمع إلى أبعد من هذا ، وهو قانع بما أصاب من صيت ذائع واسم لامع وشهرة تسامق الفرقدين ، وحسبه أنه فى عداد العباقرة الخالدين .

(القاهرة) **عمر الخطيب**

(فى الفيحاء)

(١) فى العدد رقم ١٢٠٩ .



الضـالة

للأستاذ عبد المغنى على حسين

كانت دار الحاج إبراهيم ، بطرف القرية الصغيرة الهادئة ، تشهد مرحاً فوق العادة من صغار ساكنيها وأحاديث اهتمام من كبارهم . فهذا أحمد أحد أبناء الحاج إبراهيم ، فى العاشرة من عمره ، لبس جلباباً جديداً ، وراح ينظر مبتهجاً إلى خطوطه الزاهية الألوان ، ويجد فى هشاشة جدته أعظم نشوة وطرب ، وعى رأسه طاقية من القماش نفسه ، وفى رجله الحذاء الذى يلبسه فى الأعياد . وهـذا أخوه محمود ، يصغره بسنتين ، هو صورة مصغرة منه فى الجسم والثياب . وهذه أختهما الصغيرة سعدية ، تضحك فرحة بجلبابها الأحمر ، وعلى رأسها المنديل الجـديد الفاقع الاصفرار .

وجلس الحاج إبراهيم على المصطبة بمدخل الدار ، يبرم مغزله بأصبعيه ، ويلاحق استطالة الفتلة بالصوف المنفوش ، ويخاطب امرأته فيلقى إليها بأوامره ، ويبادلها الرأى والجدل فى اهتمام واغتباط .

إنهم معتزمون السفر إلى مصر ، يعنى القـاهرة ، لزيارة آل البيت بمناسبة مولد السيدة زينب ، وليوفوا نذراً عليهم لها طال تأجيلهم إياه عاماً بعد عام ، وليقضوا بضعة أيام عند قريبة لهم نزحت إلى القاهرة واستوطنتها منذ بعيد .

فلما دخلوا على قريبتهم ومعهم مقادير من الزاد ذى الروائح الشهية والطعوم اللذيذة من فطائر ريفية وقشدة وما إليها رحبت بهم أعظم ترحيب . ثم جلسوا يتذاكرون الماضى ، ويستعرضون أحوال الأقارب والأنسباء واحداً واحداً وواحدة واحدة ، ثم أخذ الضيوف يبدون إعجابهم بما رأوا فى المدينة الكبيرة من عجاب وجمال ، يراه الحاج إبراهيم للمرة الثانية فى حياته وتراه امرأته وأبناؤهما للمرة الأولى ، تلك الأضـواء المتلألئة والعمائر الباذخة والمتاجر الزاخرة وزحمة مواكب المركبات والخلائق التى لاتنى ولا تنتهى ، وكل ما فيها مسرع عجـل كأنما يسابق الذى أمامه ويفر مما وراءه ، وكأن حياته على الأرض ليست سوى ثوان فهو يستغلها على هذا النحو طيراناً ونهباً .

وفى الصباح بكر الضيوف إلى الخروج ، ليؤدوا الزيارة ويوفوا النذر ، ويملأوا عيونهم من مناظر المدينة . ثم عادوا آخر النهار ومعهم بعض حلوى المولد من عرائس ولعب .

فلما كان آخر يوم لهم بالقاهرة ، وقد اعتزموا الرجوع إلى قريتهم فى الغد ، خرجوا لقضاء حوائج لهم وليستمتعوا بفرجة أخيرة على زحمة المدينة وقت الأصيل وبهجة أضوائها بالليل . فلما قضوا أربهم وقفوا بمحطة للترام ليستقلوه عائدين .

وكان الزحام شديداً ، والمركبات تأتى غاصة ، كأنها أكداس بشرية تتحرك . وجاءت المركبة التى يريدونها بعد طول انتظار لكن ليس فيها موضع لقدم أو مسكة ليد ، فلما أراد الحاج إبراهيم أن يركب هو وأهله صاح فيهم « الـكمسارى » ليبتعدوا ونفخ فى زمارته بشدة وانطلق .

وجاءت مركبة ثانية وثالثة ولا يمكنهم الركوب ، حتى عيوا من طول الانتظار . وجاءت مركبة آخر الأمر تريثت فى وقفتها بعض الشىء فاستجمع الحاج إبراهيم نفسه وأهله ليحشروا بين الراكبين بأية طريقة ، ورفع ابنته الصغيرة بين يديه فاندست وغاصت فى داخل المركبة بين الواقفين وهم بأركاب امرأته وابنه . ونظر الـكمسارى فرأى أربعتهم يريدون الركوب وليس لهم موضع ، والوقفة طالت ، ولم يكن رأى الطفلة التى أركبت ، فصاح فيهم صيحته ونفخ نفخته وانطلق ، وجرى الحاج إبراهيم وراء المركبة وهو يصيح بالـكمسارى مستوقفاً لينزل ابنته أو يركبوا معها ، وصاح بعض الراكبين بالـكمسارى ليفعل ذلك ولـكن الـكمسارى لم يفطن إلى ما حدث بالضبط إلا بعد أن كانت المركبة قد استكملت سرعتها والرجل يجرى ليلاحقها بين السيارات المتدفقة بسرعة مخيفة من كل ناحية .

وزمر الـكمسارى مستوقفاً السائق لـكن السائق أصم أذنيه عن زمره وقال فى نفسه إن الذى فاته النزول فى المحطة السابقة

بضيره كثيراً أن ينزل فى المحطة القادمة .

وعجز الحاج إبراهيم عن ملاحقة المركبة ، وأشفق على امرأته وابنيه أن يجروا وراءه فيصيبهم شىء فتوقف وعاد إليهم ، وأمرهم بأن يبقوا فى موضعهم ولا يبرحوه أبداً حتى يلحق بالبنت ويعود بها إليهم .

وكانت المركبة قد بلغت المحطة التالية فأنزل الكمسارى الطفلة الباكية وقال لها : اجرى عودى لأبيك .

وجرت الطفلة عائدة متتبعة شريط الترام ، لكنها لم تمش إلا قليلا حتى رأت شريط الترام يتفرع إلى فرعين فى شارعين مختلفين ، فوقفت متحيرة فى أى الطريقين تمشى لتجد أهلها . ثم تخيرت أحدهما ... وكان الطريق الخاطىء !

وجاء الحاج إبراهيم مسرعاً صوب محطة الترام مؤملا أن يجد ابنته واقفة عندها . فلما لم يجدها غاص قلبه إلى رجليه ، ووقف ينظر حوله طائر اللب . ثم أخذ يسائل عنها من يلقى من الناس فلم يجد أحداً يعرف من أمرها شيئاً .

ومشى واسع الخطى إلى المحطة التالية لعل ابنته تكون أنزلت عندها ، ثم وقف هناك يحوقل ضارباً كفاً بكف .

ومشى محطة ثالثة ورابعة ... حتى يئس من هذا الهيام على غير طائل . وذكر الذين تركهم واقفين فى غربة مخيفة وقلق ممض فعاد أدراجه إليهم .

والطفلة أين ذهبت ؟!.. لقد أخذت تسير وتبكى ، وتقف تنظر حولها باحثة عن أهلها ؛ ثم تسير وتبكى ... حتى يئست من لقائهم فقعدت تعول وتنتحب .

وكان الناس يمرون بها رائحين غادين ، لكن لدى كل من شئونه ما يشغله عن طفلة تبكى وما قد يكون أبكاها من تافه الأسباب . لم يكن يقف عندها إلا بعض الصبية بدافع الفضول وليضحكوا من طريقتها الريفية فى العويل والبكاء . ومر بها رجل استلفته بكاؤها فوقف برهة يسائلها عن خطبها ثم نفد صبره وشيكا لما أبطأت فى الجواب ومضى لشأنه .

ثم أقبل رجل فى مقتبل العمر يمشى الهوينى ، فليس لديه كغيره من الناس عمل معين يقصد إليه . واستلفته بكاؤها فوقف برهة ينظر إليها . وفهم بسرعة ما حدث لها فلمعت عيناه بذكاء شرير وافتر فمه عن ابتسامة كريهة وأسنان ذهبية .

وناداها « سعدية !! » . وكان قد سمعها تسمى نفسها لبعض الصبية الواقفين .

— سعدية !! .. أبوك أرسلنى إليك ... تعالى ! . إجرى !

وانتبهت الطفلة كغريق لمست يده شيئاً ، ونظرت إلى الرجل وكفت عن البكاء .

واستطاع الرجل بقليل من اللباقة والحنان المصطنع أن يستهوى الطفلة الملهوفة فأسلمته ذراعها وانطلقا .

وركب وإياها الترام — كما قال له أبوها ! — ثم نزل وإياها فى مكان ما . ومشى إلى باب فطرقه وفتحت الباب فتاة طويلة نحيلة ، فى عينيها المرهاوين كحل كثير ، وعلى وجهها الضامر أصباغ دامية . ونظرت الفتاة فلما رأت أنه هو أدخلته ، وهى تبادله تحيات غير طيبات ، وتتحفه متلطفة ببعض السباب . ونظرت إلى الطفلة ، وضحكت ضحكة صارخة ، فغمز لها الرجل بعينه أن تسكت . قالت الطفلة « أين نحن ؟! » قال لها الرجل « فى بيت خالة لك » ثم مشوا إلى حجرة تجلس فيها امرأة بدينة . قال الرجل للطفلة « هذه خالتك » اقعدى هنا ، وسأذهب لآتى بأبيك » ونظرت المرأة البدينة من الطفلة إلى الرجل ومنه إليها ولم تقل شيئاً . ووقفت الطفلة تنظر حولها فى دهشة وريبة ، لكن الأمل كان أغلب عليها وهى تنظر إلى الرجل الذاهب ليأتى بأبيها .

وقعدت كما قيل لها . وجاء لها بعشاء حسن فأكلت منه ، فلم تلبث أن أحست بخدر ، وراحت فى نوم عميق .

وعاد الرجل فى آخر الليل ... قالت له المرأة البدينة « ما الذى أتى بك ؟! »

— لآخذ أتعابى ... كلام جميل !.. ما الذى أتى بى !!

— أى أتعاب ؟!.. طفلة لا تصلح لشىء !

— طفلة !.. إنها شجيرة بازغة سوف تثمر جوهراً ... إنها دجاجة صغيرة ستبيض ذهباً ... انظرى إلى جسمها السوى وقسماتها الحلوة ... سلام عليها حين تطول وتكتمل ، ويعلو نهداها ، ويشكو خصرها من ردفها !.. ستكون النظرة إليها عندئذ بكذا . وسيهوى إلى بيتك ألوف الرجال مسلوبى القلوب مملوئى الجيوب . هيا انقدينى مائة جنيه ، ولا أقول ألفاً مما ستأتيك به من ألوف .

— مائة ! ! مائة من الجن بركبونك !! مائة !!

وجرى على هذا النحو الحوار ، والسلمة المسكينة راقدة فى خدرها العميق .

من لأبيها وأمها فى ذلك الوقت بجرعة من مخدر !.. عندما عاد الرجل المسكين إلى المرأة المسكينة بغير البنت دقت صدرها ، ووقفا ينعتان الليلة السوداء . وأرشدهما الناس إلى إبلاغ البوليس ففعلا ، ثم عاد إلى قريتهما بقلبين ينفطران .

وعبثاً سألوا ، وعبثاً نادوا . إن ابنتهم زالت من الوجـود المعروف . لقفها الشيطان وغاص بها فى عالم الظلمات .

كان أسوأ الفروض عندهم أنها لقيت حتفها على صورة ما . وكان يهدهدهم أمل فى أنها عند بعض كرام الناس . لم تكن تخطر ببالهم ، من لطف الله بهم ، تلك المباءات المعفنة بجسم المجتمع المريض .

قالت المرأة الثكلى لزوجها : حاج إبراهيم ! السـيدة زينب غضبت علينا لتأخيرنا وفاء نذرها .

ونذروا للسيدة نذراً آخر ، لـكن يظهر أن السيدة زينب لم تكن راغبة فى نذرهم الثانى ... لو كانت السيدة زينب تملك من أمور دنيانا شيئاً لـكانت غيرت منها الشىء الـكثير ، ولو كانت تغضب من الناس حقاً لما أغضبها إلا هذا الاعتقاد العجيب ، والقول بأنها من أجل ذلك السبب التافه تلجأ لمثل هذا الانتقام الفظيع .

واستيقظت الطفلة فى اليوم التالى ، وجلست تفرك عينيها وتنظر حولها مشدوهة . قالت «أين أبى ؟!» قالوا لها صح النوم! جاء وأنت نائمة ، ولما لم تستيقظى قال أبقوها هنا لتتعلم وتتمدن ، وسأحضر من البلد لأراها من حين لحين » وكانت لا تزال تحس ثقلا برأسها ، فعـادت إلى نومها العميق الريب تتخلله مباهج ولذائذ عجيبة .

وأخيراً زال عنها الخدر والنعاس ، وأفاقت إلى الوحشة الموجعة ، والريبة فى المكان والسكان كما يفيق الذى أجريت له جراحة على آلام الجرح الـكبير . فعولجت فى الحـال بمزيج مناسب من الأيهام والإغراء والإرهاب . قيلت لها مختلف الأكاذيب ، وجىء لهـا بلذيذ المأكولات وبهيج الملبوسات ،

أما انتفاضاتها ومحاولاتها الأفلات فقمعت فى الحال بعقوبات رهيبة حتى استسلمت للذى ليس منه بد .

كانت تبكى أهلها سراً عندما تخلو لنفسها ثم أخذت تسلو شيئاً فشيئاً ، وتنسى قليلا قليلا ، ثم اعتادت ما يحيطها ، ثم أخلدت إليه ، ثم ألفته ، ثم لم تعد ترى الحياة إلا سهر الليل ونوم النهار وأحاديث الدنس ومشاهده وكل ما يتعلق بصناعته .

تخرجت سعدية فى معهد الشيطان ، فلما اكتملت أنوثتها واستوت لم تكن بحاجة إلى أغواء وكانت هى المغوية .

لم تعد تبكى أهلها . بل لم تعد تذكر منهم إلا ظلالا حائلة طافت بناظريها أيام الصغر ، ومشاهد القرية والدار والحقل صارت أطياف أحلام لا تخطر لها إلا فى منام . إنها اليوم امرأة حضرية تجيد التزين والمشى فى الطرقات بخطرة ونظرة وبسمة يتهاوى لها كثير من الرجال . حياتها سهر وخمر ولهو وعبث ونقود كثيرة تأتى وتذهب ، ورجال كثيرون يجيئون ويمضون . منعمة متصلة فيما يبدو ، لـكن آه كم هى مملة ومضنية . أين هى من خفقة حب حقيقية ، وخلجة حنان طبيعية . إنها متعة الجسد وحده والروح فى حرمان ، وما أتعسها متعة .

ثم آه من صناعة كل عدتها رواء الشباب ، وكل يوم يمر يحدث فى العدة ثلمة ليس لها التئام . كل الصناعات يزداد صاحبها على مر الأيام قدراً إلا هـذه الصناعة فلا تزيد الأيام صاحبها إلا رخصاً .

إن سعدية كانت ولدت لتكون امرأة قروية تتزوج رجلا قروياً وتلد له بنين وبنات وتمشى إلى الحقل حافية فى أثواب بسيطة سوداء وتأكل الخبز المقدد وتافه الأدام . حياة شظف وخشونة ، لـكن آه ! إن فيها قلبين يتجاوبان ، ونعمى الأمومة لا تعدلها نعماء .

أى الحياتين أفضل ؟!.. لـكن ما جدوى المفاضلة بينهما ؟ . وهل كان لسعدية فى أمرها أى اختيار ؟ .. إن الذى هي فيه قد أريد لها وكان .

نعم لا أحد يمنعها الآن أن تخلع زينتها ، وتغسل أصباغها ، وترمى عنها أثوابها الفاضحة ، وتخرج تائبة منيبة وتتزوج رجلا إن

وجد ، أو تقضى بقية العمر متبتلة طهوراً عاملة لكسب عيشها بعرق الجبين . لكن الذى يستطيع أن يخلق نفسه هكذا خلقاً جديداً لا يكون إلا ملاكا أو قديساً ، وسمدية لم تكن ملاكا ولا قديسة بل كانت امرأة عادية كغيرها من ملايين النساء .

هذه الخواطر كانت تطوف بنفس سمدية فى بعض الأحيان فلا تلبث أن تنفضها كلها عنها بهزة كتف وتنصرف إلى شىء آخر وهى أن تلوك بشدقيها مضغة اللاذن .

وذات يوم وهى تتخطر فى الطريق رأت رجلين قرويين أحدهما يكبرها بسنتين ويصغرها الآخر بمثلها ، ومعهما قروى عجوز مهدم وقروية عجوز لا تكاد تبصر . لم تكفها منهم كغيرهم من الناس نظرة عابرة بل علقت بهم عيناها لاتستطيعان عنهم حولا . ودارت بهـا الدنيا وهى تهوى بذاكرتها عبر السنين إلى أعماق المـاضى البعيد . وتبعتهم عن كثب وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان .

ورأتهم يدخلون ضريح السيدة زينب . لقد عادوا يتوسلون إليها كيما تعود إليهم ابنتهم المفقودة . وماذا تصنع السيدة زينب فيما أقيم فيه العباد ؟ إن الله ربها وربهم لا يغير شيئاً بهم مالم يأت التغيير من جانبهم . ما حيلة السيدة زينب فيما لا يريده الله .

وطفرت من عينى سمدية دموع حرى . دموع لم تعرفها منذ فقدت أهلها أول مرة . وهؤلاء هم أهلها على بعد خطوات منها . هل تذهب إليهم وترتمى عليهم ؟ إن ثيابها وزينتها وسحنة وجهها ونغمة صوتها كلها مطبوعة بطابع داعر . وهى إن ذهبت إليهم فسينكرونها حتما ولن يعرفوها أبداً ، وإن استطاعت أن تعرفهم بها فلن يمحوا عنهم عارها إلا قتلها . خير ألف مرة لهم ولها أن يبقوا على ظنهم من أنها لقيت حتفها صغيرة على براءة وطهر ، أو أنها ، إن كانت تعيش ، فعلى أى حال غير هذه الحال .

وأشاحت بوجهها عنهم وولت مدبرة .

لقد كانت طفلة ضالة ، وهى اليوم امرأة ضالة .

عبد المغنى على حسين

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٧ — الاثنين ٢٠ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله

في اليوم الثالث من يناير ١٩٤٩

عدد « الرســـالة »

الهجـــرى « الممتــاز »

حافـــــلا كعادته

بالشهى الطلى من ثمار الثقافة الاسلامية الصحيحة

مدبجا بأقـــــلام

أعلام البيان فى العالم العربى

16 em Année No. 807 — Lundi — 20 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ١٣٦٨ — ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

فى سبيل سياسة إيجابية

للجامعة العربية

للاستاذ عمر حليق

من الأخطاء التى ارتكبها العالم المتمدن اعتقاده أن العلة الأساسية التى جملت تاريخ الإنسانية فى الخمسين سنة الأخيرة سلسلة من الحروب الداخلية والخارجية هى فســاد المذاهب السياسية ، وأن الدواء الوحيد لها هو تغيير هذه المذاهب . ومن هنا تولدت الأنظمة النازية والفاشية والشيوعية والديمقراطية المعاصرة والاشتراكية ، ومن هنا كذلك تألفت عصبة الأمم المنحلة ، وهيئة الأمم القائمة .

هذا الاعتقاد خاطىء لأن التجارب المريرة التى مرت بها الانسانية فى ظل هذه النظم — نازية أو ديموقراطية أو شيوعية فى عصبة الأمم أو فى هيئة الأمم المتحدة — كلها لم تشف الانسانية من علة الحروب ومن علة الشقاق الداخلى ومن علة التناطح فى العلاقات الدولية .

هذا الاعتقاد خاطىء لأنه يعالج النظم قبل أن يعالج الفرد الذى يتبنى هذه النظم ويتولى تنفيذها أو يعمل على تقييد نفسه بالتزاماتها . وهو خاطىء لأنه فى حماسته لتحقيق الأهداف ينسى أو يتجاهل خطورة السبل والوسائل .

فمصيبة النازية والشيوعية والديمقراطية الغربية ، ومصيبة عصبة الأمم وهيئة الأمم ليست فقط فى المبادىء والفلسفات التى بنيت عليها ، فكلها مبادىء تتوخى — نظريا على الأقل — إسعاد المجتمع الذى تعمل فيه وتوفر له الاستقرار والرخاء .

ولكن المصيبة فى الأفراد الذين تولوا ويتولون العمل لها ، ومصيبة الوسائل والسبل المتخذة لتحقيقها .

وجامعة الدول العربية هى واحدة من هذه المذاهب السياسية التى شعر سكان الشرق العربى بحاجتهم إليها فى هذه المنطقة الخطيرة من العالم ؛ وفى هذه الفترة الدقيقة التى تمر بها المجتمعات الصغيرة المتقاربة المتشابكة التى تنطق بالضاد .

وفى هذه الأزمة النفسانية العاصفة التى تجتاح العالم العربى ، وفى أعقاب هذه النكسات السياسية فى هيئة الأمم والعسكرية فى الميدان تتناول ألسنة الرأى العام الجامعة العربية بالنقد اللطيف حينا والعنيف أحيانا . وفى هذه الأزمة تتعرض المبادىء والفلسفة التى بنيت عليها الجامعة العربية لخطر جسيم . ولعل هـذا الخطر هو أو هى ما يواجه الشرق العربى فى تاريخه الحديث ، وفترة فاصلة فى مستقبله .

وفى هذه الأزمة النفسانية قد يقع العرب فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الكثيرون حين ألمت بهم أزمات مشابهة ، فهم فى بلبلتهم الفكرية والعاطفية يميلون لأن يجسموا موطنا واحدا من مواطن الضعف فى نظرة ضيقة ، بل هم أميل إلى البحث عن لون من الحياة جديد .

وتكرر المأساة من جديد وهكذا دواليك .

فليس من الغريب إذن أن يتخذ بعض الناس هذه النظرة نحو جامعة الدول العربية وفكرة الوحدة العربية إجمالا فأن هذه النزعة وليدة شعوبية متأصلة ، ولكنها فى أغلبها تخرج من أزمة نفسية .

ولهذا ، فان الأزمة التى تواجهها الجامعة خطيرة خطورة الفكرة التى تحملها . ولنقرر قبل كل شىء أن الفكرة والمبادىء التى بنيت عليها وتدعو إليها الجامعة العربية هى مبادىء سليمة . هذه أمور أساسية مستمدة من صميم الفكر السياسى والاقتصادى المعاصر ، ومن صميم المقدمات الثقافية (وهى تشمل السياسة والاقتصاد والعاطفة) التى يعيش عليها الناطقون بالضاد فى الشرق الأدنى .

هى مستمدة من صميم الفكر السياسى المعاصر لأنها دعوة إلى التآلف الأقليمي والتكتل السياسى ، على أساس المصلحة الحيوية المشتركة فى السياسة والاقتصاد والعصبية الثقافية وجميعها دعائم ضرورية للحياة الشريفة .

والجامعة العربية هى أول محاولة جدية للتعاون الأقليمى على أحدث ما أنتجته الفلسفة السياسية المعاصرة . والتعاون الأقليمى منصوص عليه فى ميثاق الأمم المتحدة ، ويحتل مكانة بارزة أشد البروز فى تكوين هيئة الأمم المتحدة الداخلى وفى نشاطها ونشاط فروعها والوكالات الخاصة الملحقة بها .

فحاولة حلفاء الغرب توحيد أوروبا الغربية ومحاولة الروس فى شرق أوروبا ، ودول العالم الجديد فى مشروع الحلف الأمريكى مسبوقة بمحاولة الجامعة العربية للتكتل على دعائم أمتن وأبعد شأوا وأرفع فى مقاييس الخير والشر فى العلاقات الدولية .

ومع ذلك فان الجامعة العربية تواجه أزمة من طراز حاد ، والسبب فى ذلك لا يرجع إلى مبادئها وأهدافها ولكن إلى الأفراد والسبل التى تحمل الدعوة إلى هذه المبادىء وتعمل لتحقيقها .

وقد أصبح التنديد بالزعماء والقادة من قبيل الكلام المبتذل ، ولقد جسمته ألسنة الرأى العام العربى ، فجعلته السبب الوحيد فى هذه الأزمة التى يمر بها العرب اليوم ، ومن النادر أن نرى فى هذا التنديد دراسات منتقدة للسبل والوسائل وللنواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تتحداها هذه الأزمة .

وعلة الجامعة العربية هى فى افتقارها إلى إدارة رشيدة وخطط عملية ووسائل مرضية لتحقيق الهدف والفكرة التى تعمل لها فإنك لن تستطيع بلوغ هدف قبل أن تضع للوصول إليه خططاً وبرامج عملية وجهازاً إدارياً حازماً لتنفيذها .

والجامعة العربية فى حالتها الحاضرة تحتاج إليهما جميعاً .

ولقد اعتدنا فى الشرق العربى أن نتناول القادة من حيث (وطنيتهم) وما إلى ذلك من بقايا عهد النضال ضد الحكم الأجنبى . وقل أن نتناول القادة والزعماء من حيث مقدرتهم وصلاحيتهم ومؤهلاتهم العلمية واستعداداتهم النفسية . وكل توجيه سياسى لا يتوخى دراسة القادة على مثل هذا الضوء توجيه مشوه ضعيف .

والجزء الأكبر فى هذه المقدمة الحادة التى جلبتها الجامعة العربية على نفسها والتى خلقتها ظروف وملابسات طارئة ، هى فقدان الكفاية والمؤهلات والاستعداد العلمى والنفسانى فى الجهاز الإدارى ومراكز التوجيه والمسئولية فيها .

فالجامعة لا تزال تنظر إلى نفسها ، ولا يزال الناس ينظرون إليها على أنها رمز للوحدة العربية ، بدل أن تنظر إلى نفسها كبرنامج للوحدة وكمشروع إنشائى .

والجامعة عربية « بدوية » من حيث أنها تتناول الأشياء فى نظرة شاملة على حين يتجه العالم نحو التحليل والتخصص . والجامعة فى نظرتها هذه لا تجارى النزعة « العلمية » التى أخذت تتمكن من العقلية العربية المثقفة .

فى هذه السنوات الثلاث التى مرت على الجامعة منذ تأسيسها أحرزت تقدماً سياسياً ملحوظاً وملموساً ، ولكنها قصرت تقصيراً مخجلا فى الاقتصاد والمواصلات الفكرية والتعاون الثقافى والاجتماعى ، وذلك لأن المشرفين عليها يبدو أنهم لا يقدرون قيمة هذه النواحى فى التعاون الإقليمى الصحيح ، والسياسة ليست وسيلة للتعاون الاقتصادى والفكرى ولكنها نتيجة لها . هذه الأصوات الناشزة التى تصدر هنا وهناك وهذا الركود السياسى البادى فى المملكة السعودية واليمن هى وليدة قصور الوسائل فى الجهاز الإدارى للجامعة العربية .

وهذا القصور لا يرجع إلى الصخور الشماء التى تقف فى سبيل برامج الدوائر الثقافية والاقتصادية فى الجامعة . ولكنه يرجع إلى فقدان هذه البرامج .

لقد عجزت مثلا الإدارة الاقتصادية فى الجامعة عن أن تضع

لها أصبعاً رفيعاً فى هذه الثورة الصناعية التى تحتاج نجداً والكويت وتكاد تفصل شرق العالم العربى عن غربيه وأواسطه ، اقتصادياً واجتماعياً . فلا غرابة إذن أن سياسة البترول (وهى سلاح خطير فى العلاقات الدولية) فى الجامعة العربية مقيدة باعتبارات سياسية محلية .

إن طائفة من الدراسات وسلسلة من المؤتمرات ونشرات الخبراء تفيد الجامعة فى هذه الثورة الصناعية الخطيرة فى طهران والبحرين والكويت فوائد جسيمة للتعاون السياسى والاقتصادى ولمستقبل الوحدة العربية إجمالا .

فهو أولا : محاولة لتعريب آبار الزيت تدريجياً فتوفر العمل والانتفاع المادى والمهنى لألوف السعوديين والسوريين والمصريين وغيرهم من العرب فى هذه المنشآت التى يختص بها الأمريكان ذهب الصحراء ، ولربط قلب الجزيرة بالهلال الخصيب ووادى الكنانة من طريق استيطان هؤلاء العمال . وأى خطر على المستقبل الاجتماعى والثقافى — ولا نقول السياسى — للوحدة العربية وللتعاون الإقليمى جاثم فى هذه الألوف من العمال الأمريكان والطليان وغيرهم الذين أنشأوا فى قلب نجد والكويت قطعة من أمريكا ومستعمرات إيطالية و « جوالى » أجنبية الثقافة والولاء لا تبدو خطورتها إلا حيث ترسخ جذورها هنا وهناك كما رسخت فى الاسكندرية وفلسطين .

وهى ثانياً : تحيط البيت السعودى بمجموعة عربية مستنيرة تعرف ما يفعله الاستغلاليون الأمريكان فى ذهب الصحراء وترقبهم فى ذكاء العالم الخبير بدل أن تترك البترول والبيت السعودى المالك والمجتمع السعودى إجمالا والتعاون الاقتصادى العربى فريسة فى يد الاستغلاليين العالميين ومعهم حفنة من المرتزقة العرب الذين ضربوا نطاقاً حديدياً على البلاد السعودية وآثار هذه العزلة الاقتصادية فى البلاد السعودية علاوة على أضرارها السياسية الوخيمة (كما تشهد قضية فلسطين) كونها نقطة أمريكية استراتيجية فإن لها خسائر اقتصادية جسيمة على باقى أقطار العالم العربى ؛ هذه الخسائر لا يقدرها إلا الذين أتيح لهم الاطلاع على فخامة التبادل التجارى الذى تختص به عشرات الشركات التجارية فى نيويورك الدخل القومى للملكة السعودية فى جميع أوجه التبادل التجارى وبعملة صعبة كالدولار الأمريكى الذى يحتاج إليه الاقتصاد العربى فى سوريا ومصر والعراق ولبنان وفلسطين حاجة ماسة . والقصور فى هذا التعاون الاقتصادى ملموس فى أكثر من ناحية ، وليست سبب موانع سياسية فقط . ولكنه فى أساسه قصور فى التعريف بفوائده ودراسة فوائده المادية والعملية دراسة علمية وتعميمها بنباهة وعلى نطاق واسع . هو قصور فى الوسائل والسبل . والواقع أن الجامعة العربية قد أهملت استعمال أمضى الأسلحة لتدعيم كيانها والأهداف التى تدعو إليها ، وهى دعائم الرخاء والاستقرار فى هذا الجزء الهام فى العالم .

هذه الذئاب التى تجثم على أطراف الشرق العربى لتنهش منه وتعيش على خيراته ما الذى يدفعها إلى ذلك ؟ ما سر تنافس الروس والأمريكان والبريطانيين على هذا الشرق ؟ وهذه الثعالب الراقدة بين ظهرانينا تستثمر الملايين فى الشركات «المصرية» وفى مشاريع اليهود فى فلسطين ، أليست وليدة المعرفة بالإمكانيات المغرية الكامنة فى الشرق العربى ؟ كم يعلم المواطن العربى عن هذه الإمكانيات ؟ لمحات خاطفة فى الصحف السيارة لا تشفى الغليل ولا توقظ فى النفس وعياً اقتصاديا صحيحاً . الفائدة التى تجنيها الجامعة العربية والفكرة التى تعمل لها عظيمة لو أن الدوائر المختصة فى الجامعة جمعت أو كلفت من يدرس هذه الإمكانيات فى إسهاب ودقة لتعممها على أوسع نطاق ؛ ولم تترك ألسنة الرأى العام العربى والمثقفين العرب فى معلوماتهم عن الوضع الاقتصادى فى الأقطار العربية فريسة للمعلومات المشوهة المغرضة التى تصدرها المصادر اليهودية والشركات الأجنبية فى عشرات البحوث والنشرات . ولماذا يكون المواطن العربى أجهل الناس بوضع بلاده وخطورتها فى الاقتصاد الدولى ؟ قد لا تلام الجامعة العربية وحدها على هذا التقصير . فالخبرة الفنية متوفرة فى معاهد العلم والدوائر الحكومية والحكومات والأوساط العلمية العربية والمثقفون الخبيرون يشاركون الجامعة وزر هذا الإهمال الضار .

وخذ منزلة التعاون الثقافى . كأن الثقافة صرف ونحو وترجمة. ليس للجامعة العربية نشرة واحدة محترمة تحمل رمز هذا التعاون ورسم المناهج له ، وليس لها وسيلة واحدة فى وسائل المواصلات الفكرية لتنقل إلى بيروت وبغداد أنباء البحث ونجد والكويت، والصحف العربية لا تزال فريسة الدعاية الأجنبية الخبيثة عن طرق وكالات الأنباء الأجنبية حتى فيما يتعلق بالشؤون العربية الصرفة . وكم من بلبلة أوجدتها هذه الوكالات فى الحياة العربية الداخلية بوسائلها الخبيثة . وشكراً لمصر التى تكاد تحتكر الإنتاج الفكرى والصحفى فتؤلف نوعا مشوها من الوحدة فى الاتجاهات

الفكرية والعاطفية ،مشوهاً لأنه يفقد عناصر التوجيه القومى المنظم الذى يجب أن يقع عبئه على الدوائر المختصة فى الجامعة العربية . وفى نشاط جامعة الحلف الأمريكى (الولايات المتحدة وجاراتها اللاتينية الجنوبية) فى هذا المضمار دروس وخبرة تصلح للاقتباس والقدوة المفيدة . وبعد ، فهذه وغيرها من أوجه المعجز لا تنفى مطلقا متانة المبادىء التى تدفع العرب إلى الوحدة والتعاون الإقليمى إلى أبعد حدود التعاون . ولكنها ألوان فى القصور مرجعها فقدان الاستعداد لدى القائمين على شئون هذه المنظمة الإقليمية التى تحتل اليوم على الرغم من كل ذلك مكانة خطيرة فى الأوساط الدولية . والذين أتيح لهم الاتصال عن كثب بهيئة الأمم والوكالات الفنية العالمية يقدرون هذه الخطورة حق التقدير . هو قصور فى الاستعداد وضعف فى الوسائل والسبل لتحقيق هذا التعاون .

وإذا كان التحدى سبيل إلى الرقي والتقدم ، فإن هذا القصور — الذى هو جزء من الأزمة التى تواجه الجامعة ومعها العرب فى مختلف أقطارهم — هو نوع من التحدى . والأزمات فى جملتها أنواع من التحدى . وتاريخ التمدن كما قال المؤرخ توينبى Toynbes تحد وإجابة .

نيويورك **عمر حلبي**

أول أبطال الحروب الصليبية :

عمـــاد الدين زنـكى

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

لم يكن الصليبيون يستطيعون أن يجدوا وقتاً أنسب من هذا الوقت الذى اختاروه للانقضاض فيه على بلاد الشام ؛ فقد كان النظام الإقطاعى يومئذ يمزق وحدة هذه البلاد ، ويوهن من قواها ؛ فلم يستطع أمراء الإقطاعات المتفرقون أن يصدوا هذا الجيش اللجب الذى بعثت به أوربا لالتهام تلك القطعة من الأرض ، فسقطت فلسطين وجزء من سوريا بين أيديهم ، وأسسوا بها إمارات صليبية هى إمارة الرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس ؛ وبرغم ما بذله أمراء البـــلاد مجتمعين حيناً ، ومتفرقين حيناً ، من الجهود فى حرب الصليبيين لم يستطيعوا استخلاص البلاد من أيديهم ، أو صد عدوانهم ؛ ورأينا الفرنج وقد امتدت حدودهم من ماردين وأنطاكية فى الشمال إلى مدينة العريش لدى حدود مصر . وأخذت جيوشهم تضخم وقسوتهم على من بجوارهم من العرب تشتد ، ونهبهم ما يطيقون نهبه يزيد فى كل يوم ، وأصبحوا يرتكبون كل عظيمة لا يهابون قصاصاً ولا عقوبة ، واحتملت البلاد المجاورة لهم كل ما لا يستطاع حمله من الذل والإرهاق ، ففرضت عليها الضرائب الثقيلة لا تميز فى ذلك بين مسلم ومسيحى .

تلك كانت حال البلاد عند ما ولى عماد الدين زنكى إمارة الموصل . وقد لوحظ فى اختياره لهذه الإمارة ما عرف عنه من الكياسة وحسن الإدارة ، والشجاعة فى حرب الصليبيين ؛ فرأى الأمير الجديد أنه لا يستطيع النهوض بهذا العبء ، وشمل الأمة ممزق ، ووحدتها مبعثرة ، فوضع نصب عينيه أن يوحد البلاد تحت قيادته ، ويجمع أمرها فى يديه ، حتى يحمل على عدوه حملة رجل واحد ، ويستخلص من بين براثنه الوطن المغتصب ؛ فضم إلى إمارته معظم بلاد الجزيرة ، ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام ، وحاول الاستيلاء على دمشق حتى تتم له وحدة البلاد ولكنه لم يوفق .

ورأى عماد الدين أن إمارته — وقد اتسعت رقعتها — فى حاجة ماسة إلى الإصلاح الشامل ؛ فنصب نفسه أباً لشعبه وسهر على إصلاح شئونه المالية ، حتى يستند إلى دعامة قوية من المال فيما صمم عليه ، وكانت البلاد قد خربت قبـــله ، لطول غارات الصليبيين عليها ، وصار كثير منها غير مزروع ، وانقطعت التجارة لتعرضها لنهب الفرنج ، فبذل زنكى جهوداً جبارة فى إحياء الزراعة ، وإعادة الرخاء إلى إمارته ؛ فرجع الفلاحون إلى أرضهم ، وبنيت المدن المخربة ، وعاد إلى التجارة الحياة ، كما أخذ العابثين بالنظام ، وقطاع الطرق بالشدة والقسوة ، وحكم إمارته بعين يقظى تنقل إليه عيونه كل ما يجرى فيها وفيما حوله من البلاد ، حتى لا يؤخذ على غرة . ونهض بالبـــلاد نهضة ثقافية ، فكان هو ووزيره جمال الدين الجواد من حماة رجال العلم والثقافة . وأحاط نفسه بنخبة ممتازة من الرجال أغدق عليهم خيره ، ولم يكن من صفاته التلون والتغير على أصحابه ، فكانوا لذلك يخلصون له فى النصح ، ويبذلون نفوسهم فى سبيله ، وبهذا كله استطاع أن يجمع قوى هذه الإمارة ويوجهها إلى الصليبيين يحطم بها ما استطاع من قوتهم

كان الفرنج ينظرون إلى هذه الإمارة الناشئة بعين الريبة ، فما هو إلا أن صمم عمـــاد الدين على لقائهم عند حصن الأثارب

سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وهو حصن قريب من حلب ، اشتد ضرره على أهلها ، فلا يكاد يمر يوم من غير غارة عليهم ، أو نهب لأموالهم . حتى جمع الفرنج فارسهم وراجلهم يريدون أن يسددوا إلى تلك الإمارة ضربة قاضية ، لا تقوم لها بعدها قائمة .

ولعل الخوف من هذا الحشد الذى جمعوه قد داخل نفس بعض أصحاب العماد ؛ فأشاروا عليه بالعودة ، ولكن الحماسة المتدفقة فى صدره ملأت نفوس جنده همة وإقداماً ، فأقبلوا على أعدائهم فى إيمان وبسالة يريدون أن يظفروا بالشهادة فى سبيل الله . ولقد صبر الفريقان وأبلوا فى المعركة أشد البلاء ، ثم ظفر المسلمون بأعدائهم وانتصروا عليهم ، وانهزم الفرنج هزيمة منكرة . قتل منهم عدد ضخم ، ووقع الكثير من فرسانهم فى الأسر وأذاقهم المسلمون من بأسهم ما أدخل فى نفوس عدوهم الرهب والوهن ، فلم يستطع الفرنج لقاء عماد الدين عند ما مضى مجدداً بجنده إلى قلعة حارم بالقرب من أنطاكية ، وبذلوا له نصف دخل المدينة على أن يعقد بينه وبينهم هدنة ، فأجابهم إلى ذلك ، حتى يعطى جيشه الناشئ فرصة للراحة والاستعداد ، وعاد بعد أن رأى الفرنج أن البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصارى همهم أن يحفظوا ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا فى ملك جميع البلاد.

رأى الفرنج هذا الخطر فأرادوا تحطيمه ، ومضى ملك بيت المقدس إلى أعمال حلب يهاجمها ، وجاءت طائفة من فرنج الرها تغير عليها ، فاستقبلهم عامل حلب وهزم الأولين ، وأباد الآخرين . وأراد عماد الدين أن يثأر من عدوه ، فانقض بجنده على اللاذقية وأثخن فى الفرنج قتلا ، وأسر منهم سبعة آلاف أسير ، وكانت الغنائم أكثر من أن تحصر ، وأخذت الروح المعنوية تقوى عند المسلمين ، بينما دب الوهن والخوف إلى نفس أعدائهم ، فلم يثأروا لأنفسهم ، ومضى زنكى يكيل لهم الضربات المتلاحقة ، ويأخذ منهم القلاع والحصون ، ويسترد المدن والقرى ، ويمنح أهلها الأمان والسلام حتى ضج الفرنج ، وأرسلوا إلى ملك القسطنطينية يستصرخون به ، ويحرضونه على أن يصل لينقذ البلاد قبل أن تملك ، فأقبل على عجل ، ثم مضى إلى حلب يريد أن يستولى عليها فلم يجد فيها مطمعاً ، فذهب إلى قلعة شيزر ، ولم تكن خاضعة لزنكى ، يريد أن يجعلها قاعدة يشن منها هجومه . ولعل ملك الروم ظنها سهلة المنال ، وأن العدو اللدود زنكى لا يعنى بأمرها فحاصرها ، ونصب عليها سبعة عشر منجنيقاً ، ولكن صاحبها أرسل يستنجد بعماد الدين فجاء إليه مسرعاً بجيشه ؛ غير أن ملك الروم كان قد جمع من الجند عدداً ضخماً ؛ فرأى العماد أن يستخدم الحيلة فى هزيمته ؛ فكان يسير كل يوم إلى شيزر هو وجنده ، ويقفون بحيث يراهم الروم ، ويرسل سرايا تأخذ من ظفرت به منهم ، ثم إنه أرسل إلى ملك الروم يقول له : إنكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى ، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم ، وإن ظفرتم بى استرحتم ، وأخذتم شيزر وغيرها . فأشار فرنج الشام على ملك الروم بلقائه ، فلم يفعل ، وقال : أتظنون أن ليس له من الجند إلا ما ترون؟ إنما هو يريد أن تلقوه فيجيئه من نجدات المسلمين مالا حد له . وكان زنكى يرسل إلى ملك الروم يوهمه أن قلوب الفرنج متغيرة عليه وأنهم سينفضون من حوله إن هو أقبل على الحرب ، ويرسل إلى الفرنج يخوفهم من ملك الروم ، ويقول لهم : إن ملك بالشام حصناً واحداً ملك بلادكم جميعاً . فخاف كل من صاحبه ، ورحل ملك الروم عن شيزر وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها ؛ فتتبع زنكى جند عدوه وظفر بالكثير منهم ، ووقع فى يده جميع ما تركه الفرنج غنيمة باردة ، وقد بهر هذا النجاح شعب عماد الدين وخلده الشعراء فى قصائدهم .

وكان أعظم ما قام به عماد الدين ، أنه حطم إمارة كاملة من إمارات الصليبيين ، تلك إمارة الرها ، ففى جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة سقطت المدينة فى يده بعد أن حاصرها حصاراً عنيفاً . وقد فكر فى أن ينزل عقوبة مخيفة بالصليبيين انتقاماً لما اقترفوه من مذابح عندما دخلوا بيت المقدس وأنطاكية وغيرهما ، ولكن إنسانيته غلبت غضبه ، فلم يقتل عدا المحاربين أحداً ، ولم يأسر رجلا ولا امرأة ولا طفلا . ولم يستول على ممتلكات أحد ، وأمر جنده بإعادة ما أخذوه فعاد البلد آمناً عامراً .

كان لسقوط الرها دوى عظيم فى جميع الأرجاء . وكان فتحاً عظيما ملأ قلوب المسلمين غبطة وبهجة ، وأقبل الشعراء يهنئون عماد الدين بهذا الفتح وأكثروا وأطالوا ؛ فمن ذلك ما قاله ابن منير :

صفات مجدك لفظ جل معناه ... فلا استرد الذى أعطاكه الله

يا صارماً بيمين الله قائمه ... وفى أعالى أعادى الله حداه

أصبحت دون ملوك الأرض منفرداً ... بلا شبيه ، إذ الأملاك أشباه

فداك من حاولت مسعاك همته ... جهلا وقصر عن مسعاك مسعاه

أين الخلائف عن فتح أتيح له ... مظلل أفق الدنيا جناحاه

فتح أعاد على الإسلام بهجته ... فافتر مبسمه واهتز عطفاه

أبقاك للدين والدنيا تحوطهما من لم يتوجك هذا التاج إلاهو

ترك عماد الدين زنكي حامية قوية في الرها ، وأخذ يتابع انتصاراته على الصليبيين ويستخلص من أيديهم ما بقي من إمارة الرها ، وبينا هو يحاصر إحدى القلاع اغتاله وهو نائم أحد مماليكه بإغراء أعدائه وذلك في ربيع سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

كان زنكي إلى جانب شجاعته وبسالته سياسياً ماهراً ، يهادن عدوه ، ويلين إذا رأى ذلك ضرورة أو كان محتاجاً إلى وقت يجمع فيه شمله ، ويعد عدته فإذا رأى الفرصة موانية انقض لا يلوى على شيء ، ويفرق بين خصومه بالحيلة والمكر حتى يأخذ كلا على حدة ، وساعده على النجاح في حروبه ما بثه من العيون في بلاد عدوه تأتيه بالأخبار وتنقل إليه حقيقة الحال .

مات عماد الدين وألقى عبء إكمال جهاده على عاتق ولده نور الدين ، وأرجو أن أوفق في كلمة أخرى إلى بيان المدى الذي بلغه الابن المظيم في تحقيق آمال والده البطل الكبير .

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

علم النفس والقضاء الجنائي

للاستاذ حسين الظريفي

ما من أحد يحضر مجلس القضاء إلا تملكه الشعور بالحرمة والكرامة اللتين تغمران جو المكان . لا فرق في ذلك بين من كان من المتقاضين أو السامعين والقاضي نفسه ، وهو على منصة القضاء ، ليمازجه نفس الشعور الذي يشعر به سواه ويدخل مع الداخلين في ذلك الجو الخاص الذي تفرضه طبيعة القضاء على كل من حضر مجلسه . فالجميع سواء في تلقي المعنى الخالد الذي يوحي به حكم القانون فيما يعمل العاملون .

إن هذه الحرمة التي كانت وما تزال ، وستبقى إلى الأبد ، وهي أقوى شعور يمتلك أنفس الناس وهم وقوف أمام عدل القانون – قد صاغت الكلمة القديمة التي تقول بأن روح القضاة من مصدر إلهي ، وجعلت قضاة القرون القديمة يعتقدون في أنفسهم القدرة على استجلاء غوامض الأشياء ، مهما تعقدت العقد ، وامتد بها الأمد ، ولم يقو عليها من أحد . ولكننا نجد اليوم أن تلك الكلمة القديمة قد أصبحت كلمة جوفاء لا تدل إلا على معنى تاريخي ولا ترمز إلا إلى ذلك الشعور الذي كان يمتلك الإنسان في زمن كان . فعصمة القضاء من الأخطاء لم تعد مما يدعيها أحد على أحد . والقضاة أنفسهم لا يدعونها على الناس ولا يرتضون أن ينسبها لهم الناس . وهم في أعماق نفوسهم يشعرون بثقل أمانة العدل المودع إليهم توزيعه على المتقاضين ، ويحققون ويدققون فيما يحكمون ، لعلمهم أنهم مثل غيرهم عرضة للخطأ ، وأنهم قد يضلون السبيل ، ويفقدون الدليل ، وينوءون بالعبء الثقيل .

والقوانين الأصولية تفصح في إجراءاتها عن مدى حفظ حقوق المتقاضين من أخطاء القضاة ، فالحكم لا يصدر إلا وله معقب ممن صدر عليه ، ومحكمة أعلى يلوذ بها ذلك المعقب لتفادي أخذه بما لم تقدمه يداه . ثم إن الحكم يعلن في جلسة علنية وعلى ملأ من الناس ، ومن حق كل سامع له أن يستعرضه ويعرضه وأن يبدي الرأي فيه ، وتلك تعليقات الفقهاء على أحكام القضاء دلائل موائل على مدى ما يمكن أن يخطأ فيه القضاة .

والقاضي الجنائي ، كالقاضي المدني ، قد يخطئ في فهم النص وفي تطبيقه على الوقعة ، ولكنه ينفرد عن القاضي المدني بما قد يقع فيه من الخطأ في معرفة الجاني ، وفي تعيين مدى أخذه بجريرته ونوع وشدة العقاب الواجب فرضه عليه ، فتلك ميادين فسيحة لا يجري فيها القاضي المدني ، ويلزم بالجري فيها القاضي الجنائي ليتخطى الخطأ ويصيب الصواب فيما يقضي به على الأظناء .

ومما لا ريب فيه أن الشهادات المدلى بها أمام القضاة وسائر البينات المعروضة عليه ، لا تكفي وحدها دليل نفي أو إثبات ، فهناك الشخصية التي تدور عليها هذه البينات ، وهي شخصية المتهم ، ولا بد من إيضاح الخطوط الدقيقة التي تتجاذب أو تتنافر عندها تلك الأدلة مع شخصية المتهم لتقوم حجة له أو عليه ، وهذا ما يضطلع به علم النفس وما تسديه يداه . ثم هناك ماهية الجريمة ، فإنها هي الأخرى لا تقدر حق قدرها إلا بعد إيجاد نقط اتصالها بشخصية المجرم ، وذلك مايعنى به علم النفس أيضاً ويقوى عليه . بل إن الأدلة نفسها لا بد من النظر إليها على ضوء هذا العلم قبل الأخذ بها أو طرحها ، حتى إذا ثبتت إدانة المتهم وعد مجرماً وأريد فرض العقاب عليه ، برزت أمام القاضي الجنائي مسألة خطيرة هي تعيين درجة مسئوليته عن جريمته ، وهنا تنفتح أمام القاضي الجنائي أبواب علم النفس الحديث لتفتح مغالق هذه المسؤولية في الأعماق البعيدة من نفسية المجرم .

والواقع من الأمر أن المجرم يحمل في جوانحه نفسية شاذة

معقدة قد ترسبت فيها أعقاب وراثة طويلة ، واستقرت عندها تربية منزلية واجتماعية عليلة وبيلة ، وبتفاعل هذه بتلك وتلك بهذه ، نشأت عنده الميول الإجرامية ، ثم أتيحت لها فرصة العمل بشكل اعتداء على المجتمع .

إن العمل مهما كان شكله وموضوعه لا بد أن يكون ناشئاً عن حافز داخلي ، ولابد لتقدير هذا العمل وإعطائه القيمة الحقيقية له ، وتعيين درجة مسؤولية صاحبه عنه ، من إزالة الستار عن ذلك الحافز الذي يكمن وراءه . والمجرم مهما كان مالكا لروعه وهدوئه عند مقارفته الجريمة ، لا بد أن يكون خاضعاً لتأثير خفي في نفسه ، فهو رجل شقي غير سوي ، ومقدار شقائه يجب أن يقدر بمقدار ما له من حرية إرادة تجاه ذلك العامل غير الشعوري الذي يمكن أن ندعوه بعامل الجريمة .

إن تحقيق العدالة في تطبيق الإجراءات الجنائية على الوقائع والجناة بحيث تؤدي إلى معرفتهم لا تكفي وحدها دون أن تنضم إليها العدالة في تطبيق قانون العقوبات على الجناة ، بحيث تفرض على كل جان العقوبة المؤثرة فيه ، فتنزل عنده بمنزلة الدواء وتمنحه الشفاء من علة ما فيه من الميل إلى الإجرام .

وقد يقع الفعل الذي يمنعه القانون ويعاقب عليه دون أن يؤاخذ عليه الفاعل ، وذلك فيما إذا كان في حالة يعفى فيها من العقاب ، تلك حالة تستوجب حسن تطبيق القانون ، ولا سبيل إلى حق هذا التطبيق إلا عن طريق دراسة نفسية الفاعل مضافة إلى دراسة طبيعة الظرف الذي وقع فيه الفعل .

ذلك بعض ما أمكنت الإشارة إليه في هذه الكلمة القصيرة ، وهي تفصح عن المدى الذي يصل إليه ويتغلغل فيه علم النفس من مباحث المجرم والجريمة في القوانين الإجرائية الجنائية والعقابية . ولاختلاف هذه المباحث في موضوعاتها وتشعب أصولها وفروعها ذهب علماء الفقه الجنائي لا إلى إحداث علم نفس خاص يعنى بموضوع المجرم والجريمة ، ويستقل بمباحثه عن علم النفس العام ، ولكن بتقسيم هذه المباحث إلى موضوعات ، وإفراد كل موضوع منها بعلم نفس خاص له أسلوبه وأغراضه ودوره الذي يؤديه في ساحة القضاء .

وهكذا وجد علم النفس القضائي ، وهو العلم الذي يحلل فيه القاضي الجنائي نفسيات جميع أفراد الدعوى العامة من شاك يمثل الهيئة الاجتماعية في شخصية النيابة العمومية ، ومن متهم ، ومجنى عليه ، وشهود إثبات ، وشهود دفاع وخبراء ووكلاء ، ثم هو قبل ذلك وبعد ذلك يحلل نفسيته تجاه أدلة الدعوى وتجاه أفرادها ليأمن شر ما يكمن وراء شعوره من منازع ودوافع الانحياز إلى جهة التجريم أو البراءة ، فيحتفظ بحياده القضائي في كل مرحلة من مراحل الدعوى وفي كل إجراء من إجراءاتها ولا يغفل عما يفعل .

تلك هي نظرة القاضي إلى نفسه ، وأما نظرته إلى أفراد الدعوى الآخرين ، فإنها توقفه على حالة المتهم الماثل أمامه أبريء هو أم مسيء ، وهل يصدق هذا الشاهد أو ذاك في شهادته هذه أو تلك ، أم هو يكذب فيها عن عمد أو عن غير عمد ؟ وهل هناك مؤثرات شعورية أو غير شعورية لامست ولابست الخبراء والوكلاء فتأثروا بها عن شعور أو عن غير شعور فأعرضوا عنها أو استجابوا لها ، ومدى تأثير ذلك في أقوالهم وأعمالهم في جميع درجات التحقيق والمحاكمة ؟

وُجد علم النفس الجنائي ، وهو العلم الذي يفسر الجريمة بالتفسير العلمي ، ويحلل نفسية المجرم ، ويمد يده إلى جذور الإجرام فيه .

ووجد علم النفس القانوني ، وهو العلم الذي يضمن للقاضي حسن تطبيق نصوص القانون العقابية على الوقائع الجرمية من حيث تعيين درجة المسؤولية التي يمكن إلقاؤها على عاتق الجاني

وهكذا نجد علم النفس القضائي يسير في ركاب القاضي الجنائي من أول مراحل الدعوى إلى آخرها فيحفظه من مغبة الحكم على البريء والإفراج عن المسيء ، ويعين من هو الفاعل .

ونجد علم النفس الجنائي يظهر في قاعة المحاكمة عند ما ينتهي علم النفس القضائي من تعيين الفاعل فيقوم فيه بدور التحليل ورد الجريمة إلى أصولها وبواعثها لتعيين كونه مجرماً أو غير مجرم ، ثم يأتي الدور لعلم النفس القانوني ، وهو دور غير حتمي ، وفيه يضع القاضي مواد القانون في الموضع الذي أراده الشارع بالقياس إلى تعيين موقف الفاعل من الظروف المبيحة لارتكاب الفعل أو المعفية من العقاب ، ويقرر كون الفاعل مسؤولا أو غير مسؤول

تلك هي العلوم النفسية الثلاثة التي لا غنى عنها لكل قاض جنائي يهمه الاضطلاع بأعباء الدعوى العامة على الوجه الذي يحقق العدل ويريح الضمير ويزيد من ثقة الناس بالقضاء .

(بغداد) **حسين الظريفي المحامي**

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٤ —

يرجع السر فى أن قبيلة تميم نالت قسطا كبيراً من عناية الرواة وغلبة ذكرهم لها ومعرفة الكثير مما انفردت به إلى أنها كما قدمت فى مقال سابق كانت تسكن جانب نجد المجاور للعراق.

ومعلوم لنا أن التنافس العلمى والسبق فيه كان ميدانه البصرة والكوفة المواجهتين لصحراء العراق حيث يخرج منهما — وعلى الأخص البصرة — العلماء والمتأدبون إلى البادية ليأخذوا اللغة من أفواه أربابها الذين لم تفسدهم العجمة. وكان إليهما يقصد الراغبون فى رواية الشعر ومأثور القول وضبط اللغة وغريبها على أعلام شيوخهما كأبى عمرو وأبى عبيدة، والأصمعى وأبى زيد، وخلف وحماد، والمفضل الضبى وابن الأعرابى، وغير هؤلاء وأولئك ممن كانت لهم فى العربية وعلومها قدم راسخة فلا عجب أن كانت تميم — وبطونها كثيرة — هى أول ما روى لها ويؤخذ عنها. يضاف إلى هذا ما قدمته فى المقال الأول من أن البصرة والكوفة قد شملتا فى مبدأ إنشائهما عددا كثيرا من تميم، وهذه من تكملة ما خالفت فيه غيرها وبخاصة الحجازيين:

١ — «عسى» من أفعال المقاربة تستعمل تامة بمعنى أن ما وليها يعرب فاعلا لها وذلك إذا ما جاء بعدها «أن والفعل» كقول الله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم».

وتستعمل ناقصة بمعنى أن يكون لها اسم وخبر مشبهة «كان» فى العمل وذلك إذا ما جاء بعدها اسم ظاهر أو اتصل بها الضمير فيعرب اسماً لها، وبعده «أن والفعل» فيعرب خبراً لها كقول الله تعالى «عسى الله أن يأتى بالفتح». إلا أن أهل الحجاز لا يلحقون بعسى الضمائر ولا التأنيث. يقولون: هند عسى أن تقوم والمحمدان عسى أن يقوما، والمحمدون عسى أن يقوموا ...، لذلك تعتبر عندهم فى مثل هذا التركيب مكتفية بفاعلها غير محتاجة لخبر. أما التميميون فيلحقون بها التأنيث والضمائر يقولون: هند عست أن تقوم والمحمدان عسيا ... والمحمدون عسوا ...، فتكون فى مثل تركيبهم هذا ناقصة. وإذن فتميم تستعملها ككان الناقصة دائما، وأهل الحجاز لا يجعلونها كذلك إلا فى حالة ما إذا تلاها اسم ظاهر وبعده «أن والفعل».

والقرآن الكريم فى أغلب قراءاته لم تقع فيه الضمائر مع عسى إلا فى موضعين «قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا» و «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض» وقرأ عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب «لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن» بالإضمار فيهما على لغة تميم «عسوا أن يكونوا ... عسين أن يكن ...».

ثم إن عسى فيها لغتان: (١) أن تكون على وزن سمى، (ب) أن تكون على وزن لقى. غير أن الثانى منهما هجر استعماله على إطلاقه واقتصر فيه على اتصاله بتاء الفاعل أو نون النسوة أو «نا». ومن العجب أن أبا حيان فى البحر نقل عن أبى بكر الأذفوى[1] وغيره قولهم: إن هذا الكسر لغة الحجازيين. وقد رأينا أن ذلك لا يكون إلا حين الاتصال بالضمائر السابقة وأن الحجازيين لا يلحقونها فاذا صح ما نقله أبو حيان عن الأذفوى يكون إلحاقهم الضمائر بعسى منتقلا إليهم من تميم إذ الأصل فى الاستعمال ما قدمته نقلا عن تفسير أبى حيان نفسه وعن الأشمونى وليس استعمال قبيلة للغة قبيلة أخرى بالأمر البعيد وعلى الأخص الحجازيين الذين خالطوا كل القبائل واقتبسوا من لغاتهم ما راق لهم. ومواسم الحج وأسواق العرب المشهورة لها أكبر الأثر فى تقارب اللغات وتفهم الألفاظ والتراكيب المنتشرة بين القبائل المختلفة. قال أحمد بن فارس بعد أن تكلم فى كتابه الصاحبى على اختلاف لغات العرب ما يأتى: «وهى وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كل».

(١) قال ابن الجزرى فى كتابه غاية النهاية: «أذفو بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وفاء، مدينة حسنة بالقرب من أسوان». فلعل سكانها الآن، يفضلون ما اشتهرت به قديما بالإعجام على ما ينطق به اليوم بالإهمال.

هذا وقد قرأ نافع المدنى « عسيتم » فى موضعيها السابقين بكسر السين وقرأ الباقون بفتحها .

٢ — فى اسم الإشارة المفرد للمذكر والمؤنث لا تلحق به تميم اللام فى حالة البعد بل تلحق به كاف الخطاب فحسب . لكن الحجازيين يلحقون به اللام مع الكاف . فعند تميم « ذاك وتيك » للبعيد وعند الحجازيين « ذلك وتلك » ومن هذا يتبين لنا أن بعض النحاة حين يقولون . هذا للقريب ، وذاك للمتوسط وذلك للبعيد ، فيه خلط بين لغات القبائل إذ وجدوا صيغا ثلاثا فعللوا لها وفرقوا بينها . ونحن إذا لاحظنا مثلا كلمة « ذاك » فى إشارتنا نجدها أوضح فى البعد من « ذلك » لما فيها من إطالة لحرف المد وافية بالغرض . وما تزال فى كثير من قرى مصر بالصعيد تستعمل « داك » بالدال المهملة فى الإشارة البعيدة للمذكر ، و « ديك » للمؤنثة البعيدة . والواقع أن الشيء إما قريب[1] منك حسا أو معنى ، أو بعيد منك كذلك . وفى اللغة الانجليزية « this that » وفى الفرنسية « Ci la » .

ومما يلحق بهذا أيضاً « هناك وهنالك » ، فالحجازيون هم الذين يلحقون اللام وتميم لا تلحقها جريا على قاعدتها من أنها لا تلحق اللام . وكذلك أولاء يمدها الحجازيون غير أنهم يلحقون بها الكاف فقط فى حالة الإشارة إلى البعيد ، وتميم تقصرها وتلحق بها الكاف أما قبائل قيس وأسد وربيعة فإنها تقصر أولاء كتميم لكنها تلحق بها اللام[2] مع الكاف ، وقد ورد على لغتهم :

أولا لك قومى لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل إلا أولا لكا

ومما يلحق بهذا أيضاً أن تميما لا تقول « هذه » فى وصل الكلام وإنما تقول « هذى » فاذا وقفوا قالوا « هذه » ، أما الحجازيون وقيس فيقولون « هذه » فى الوقف والوصل . ولم يرد فى القرآن الكريم استعمال « هذى ولا ذاك ، ولا تيك ولا هناك ، ولا أولا لك ولا أولاك » بل كل ما جاء فيه على لغة الحجازيين « إن هذه تذكرة » ، « وذلك هو الفوز العظيم » ، « تلك الرسل » ، « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » ، « هنالك الولاية لله الحق » .

ويضاف إلى ما تقدم أن قبيلتى تميم وقيس تقولان « هاهِنّا » بكسر الهاء وتشديد النون وغيرهما بضم ففتح بدون تشديد .

٣ — « إما » التى للتفصيل تنطقها قبائل تميم وأسد وقيس بفتح الهمزة ، ففى مثل « أنت إما كريم وإما بخيل » يفتحون همزتيهما وبعض منهم يقلب ميمها الأولى مع ذلك ياء . وقد روى لرجل من عبد القيس يقال له سعد وكان عاقا لأمه :

يا ليتما أمنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار

وروى أيضا « إيما إلى جنة إيما إلى نار » .

فاذا استعملت تميم « أما » الشرطية المفتوحة الهمزة قلبت ميمها المدغمة الأولى ياء . ويبدو أن الشعراء فى صدر الإسلام كانوا — تظرفا منهم أو لانتشار اللغات — يقحمون لغة قبائل أخرى ليسوا منها لشهرتها بين العرب ومعرفتهم لها ، ولذا نجد عمر بن أبى ربيعة وهو حجازى روى بيته الآتى على لغة تميم :

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت فيضحى وأيما بالعشى فيخصر

٤ — ما فتىء وما يفتأ فلان يعمل كذا — من أخوات كان — تقولها تميم ما أفتأ فلان وما يفتىء فتجعله رباعيا . ولم يرد فى كتاب الله إلا قوله تعالى « تالله تفتأ تذكر يوسف » ولم يقرأ بها أحد على لغة تميم .

٥ — لعل — من أخوات إن — تنطقها تميم لغن بالغين المعجمة والنون قال الفرزدق :

قفا يا صاحبى بنا لغننا نرى العرصات أو أثر الخيام

وليس فى القراءات الصحيحة هذا الاستعمال .

٦ — « المهة » : تأثرت بعض بطون تميم بالفرس ، كما تأثرت بذلك قبيلة لخم وما جاورها ، فبنو سعد بن زيد مناة من تميم ولخم ومن قاربها يبدلون الحاء هاء . قال النعمان بن المنذر لرجل ذكر عنده رجلا : أردت أن تذمه فمدهته . وقال رؤبة بن العجاج وهو من بنى سعد بن زيد مناة :

---

(١) وهذا ما سار عليه ابن مالك وما رجحه الصبان على الأشمونى ، وقال إنه عزى لسيبويه .

(٢) ذكر المرحوم حفنى ناصف فى مميزات لغة العرب ، والمرحوم الرافعى فى تاريخ الأدب أن تميما كقيس وأسد وربيعة في استعمال أولا لك ونقلهما قد يكون من شرح التوضيح ، الذى رجح خلافه الصبان وهو ما ذكرته .

لما رأتنى خلق المموه براق أصلاد الجبين الأجله

بعد غدانى الشباب الأبله

ومنها : لله در الغانيات المده . أراد : الأجلح والمدح .

وقد وردت ألفاظ كثيرة فى كتب اللغة مترادفة وليس من فرق بينها إلا أن هذه بالحاء وتلك بالهاء مع أن الوزن والترتيب واحد . فكل ما ورد من ذلك ، إنما هو نطق القبائل المتأثرين بالفرس . وفى رأيى أن جميع الألفاظ التى أبدلت حاؤها هاء يجب أن تحفظ كأثر أدبى تاريخى ولا ينبغى أن نستعملها فى أساليبنا . ولذلك يجدر أن يلاحظ هذا من يقومون بوضع المعاجم فينخلوها ويضموها إلى أصـولها المتفرعة منها ، مشيرين إلى عدم جواز استعمالها ولا ينبغى أن يضموها فى مواد مستقلة . وأعتقد أنه لا يجوز لنا أن نقول فلان مليه حينما نريد أنه مليح . ومدهت فلانا حينما أقصد أننى مدحته ولا معنى لأن نجعل ملح أو مدح فى باب الحاء فصل الميم ومله أو مده فى باب الهاء فصل الميم فى معاجم اللغة وأذكر أننى كتبت فى هذا الشأن بحثاً واسعاً نشر أغلبه وفيه قواعد وضوابط يمكن الاسترشاد بها لمن شاء .

٧ — المنمنة : تحرص القبائل النجدية على أن توضح الهمزة وبخاصة فى أول الكلمة أو آخرها خشية أن يجور عليها بدء النطق أو الوقف فيقوون الهمزة إلى أن تكاد تقارب العين وفى بعض الأحيان ينطقونها عينا ، وهذا ما يسمى حينئذ عنعنة وقد نسب إلى تميم وقيس أنهما تقولان فى أن عن وفى أسلم عسلم وقد جاء من ذلك :

فما أبن حتى قلن يا ليت « عننا »

تراب و « عن » الأرض بالناس تخسف

ويبدو أن تميا تقلب الهمزة الأخيرة فى بعض الأحيان عينا فقد ورد أن قبيلة تميم تقول فى الخباء خباع .

٨ — الكشكشة والكسكسة : وكما تحرص القبائل النجدية على توضيح الهمزة تحرص كذلك على إبراز الحركة الأخيرة إذا كان فى الوقوف عليها لبس وذلك فى كاف المخاطبة إذ أن الوقف عليها بالسكون يجعلها تلتبس بكاف المخاطب فللفرق بينهما قلبوا كاف المؤنثة شينا ثم توسعوا فى ذلك فقلبوها فى حالة الوصل أيضاً ، وهـذا ما يسمى كشكشة ، وقد روى لقيس ابن الملوح :

فعيناش عيناها وجيدش جيـــدها

سوى عن عظم الساق منش دقيق

وأصله عيناك وجيدك ومنك . وفى البيت شاهد آخر وهو همزة أن التى أبدلت عينا . ومن كشكشتهم ما يكون بالحاق شين ساكنة بكاف المخاطبة حين الوقف عليها (رأيتكش). وهذه الكشكشة وتلك فى قبائل تميم وقيس وأسد وربيعة . وبعض بطون هذه القبائل يجعلون بعد كاف المخاطبة أو بدلها سينا وذلك ما يسمى الكسكسة .

قال الزبيدى فى مقدمة شرح القاموس: الكشكشة فى ربيعة ومضر والكسكسة فيهم أيضاً . وقال الأشمونى : الكشكشة فى لغة تميم والكسكسة فى لغة بكر من ربيعة . وفى شرح الرضى على كافية ابن الحاجب : ناس كثير من تميم وأسد يجعلون مكان كاف المؤنث شينا .

غير أننا نجد صاحب القاموس — وشارحه الزبيدى أيضاً — تارة يقول الكشكشة لتميم والكسكسة لبكر . ومرة يقول الكسكسة لغة تميم لا بكر وقيل الكسكسة لهوازن وهى من قيس ، ومرة يقول : كشكشة أسد وكسكسة ربيعة ويوافقه فى ذلك أحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى . ومرة يقول الكشكشة فى بنى أسـد أو فى ربيعة . ومرة يقول إن إبدال الكاف التى للخطاب شينا لغة بنى عمرو من تميم . وعلى كل حال فإن بطون تميم جمعت بين النوعين ماذلك إلا لمجاورتها كما سبق أن قدمته فى مقال سابق — لمختلف هذه القبائل من أسد وقيس وربيعة .

لكن أهل اليمن يجعلون الكاف شينا مطلقا وسمى ذلك شارح القاموس « الوتم » وسماه الأستاذ هاشم عطية فى كتابه الأدب العربى نقلا عن بعض المصادر « الشنشنة » والقلقشندى فى صبح الأعشى ، قصر أهل اليمن على حمير ، وقصر الكاف على التى للخطاب . هذا ولم تقع فى القراءات الصحيحة تلك الأنواع من قلب الكافات شينا أو سينا أو إلحاق شين أو سين . وقد سمع فى قراءة شاذة : قد جعل ربش تحتش سريا

طرائف من العصر المملوكي :

صلاح الدين الصفدى المؤرخ

للأســـتاذ محمود رزق سليم

إذا عُنينا فى هذا المقال بالحديث عن صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى مؤرخاً ، فليس معنى ذلك أن هذه الصفة وحدها خصوصيته التى بها امتاز ، ولأجلها ذكر وفضل بين أعلام الأدب العربى . ذلك لأنه كان كاتباً مترسلا له منهج ، وأديباً كيساً له ذوق ، وشاعراً قادراً ذا نزعة . وهذا إلى جانب أنه من هواة التأليف ، بمعنى أنه ذو فن فى اختيار موضوعاته ، وله ولوع بتلمس مادتها من بين الغرائب التى تند عادة عن الأذهان ، أو لا تفطن إليها فى هوادة ويسر . وكل خصوصية من هذه ، جديرة بالدرس والبحث والتمحيص حتى تبرُز نفاستها للعيان .

والصفدى إلى جانب هذا وذاك — مكثار فى نثره وشعره وتأريخه ، لا يرضى فى عمله الأدبى بالموجز المقنع أو القليل النافع ، ولم يعمل قط بتلك الحكمة التى تقول : « خير الكلام ما قلّ ودلّ » . وكأنما كان يشعر أن ليس وراء الإيجاز إعجاز ، ولا غب الاقتضاب إعجاب . وأن المقل إما أن يُبقى شيئاً فى ضميره ، أو يعبر عن عجزه وتقصيره . وإذا كان الأديب بعد أن يبعث خواطره مقالة باهرة ، أو ينفث مشاعره قصيدة عامرة ، يشعر أنه لم يبعث جميع ما فى فؤاده ، ولم ينفث كل ما فى نفسه ، وأن شيئاً فى أعماقه لا يزال يقلقه ويؤرقه ، التمسنا العذر لصلاح الدين الصفدى فى هذا الإكثار الذى لم يبغ من ورائه إلا أن يبرز أكثرمايستطيع إبرازه من خفيات خواطره ، ومدخرات نفسه ، جاهداً فى أن لا يبقى فى طواياها بقية يقلقه بقاؤها . — وهذا هو ما ينبغى أن يكون عليه الأديب ، حتى يمتع الناس بأكثر أدبه وفنه . وفى سبيل ذلك الإمتاع يتناسون له غثه وسقطه . وإن كان الأديب الموهوب معجباً معجزاً فى إكثاره أو إقلاله .

كان الصفدى إذاً مكثاراً ، طبعه فى ذلك طبع الأديب الملىء لا يهدأ لسانه لهجاً بالأدب وترديداً له ، وفى نفسه مشاعر تجيش ، وفى أطوائه أحاسيس تثور . وكان له مذهب فى الكتابة والشعر يلتزم فيهما أموراً وقيوداً على رأسها الجناس ، فقد كان متعصباً للجناس مخالفاً فى ذلك مذهب أدباء عصره الذين كلفوا بالتورية ولم يشغفوا بالجناس إلا إذا خرج مخرج التورية . وكان مولعاً — كما أعتقد — بمداعبة أدباء عصره ، ومن مسالكه إلى تلك المداعبة أن يسطو على شعر أحد أنداده ، فيسرق معانيه

---

٩ — المجمجة : اشتهر عن قضاعة وهي يمنية[1] من قبائل حمير أنها تقلب الياء المشددة الأخيرة جيما وذلك لضعف الياء فقلبوها حرفا قويا وهو الجيم لكن « فقيما » من دارم من تميم كثيراً ما تقلب الياء وسطا أو آخرا مشددة أو مخففة جيما تقول فى أيّل المشدد أجل وفى أزيم المخفف أزجم وفى غلامى غلامج وفى تميمى تميمج ما ذلك إلا حرصاً على إبانة الحروف ، وقد سمع فى المشدد :

خالى غويف وأبو « علج » . المطعمان اللحم « بالعشج »

وسمع فى المخفف :

لاهم إن كنت قبلت « حجتج » فلا يزال شاحج يأتيك « بج »

ولم ترد هذه اللهجات المستكرهة فى قراءة صحيحة لكتاب الله الكريم .

(للبحث بقية) عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

(١) رجح جورجى زيدان فى كتبه أن قضاعة من القبائل العدنانية بدون أن يبدى حجة على ترجيحه وقد فعل ذلك بعض الكتاب الحديثين أيضا . والواقع أن الاختلاف بين مؤرخى العرب قديم ولكنى أرجح أنها يمنية لما يأتى :

١ — قبيلة كلب بطن من قضاعة ومعلوم أن معاوية بن أبى سفيان والأمويين كانوا يثيرون العصبية اليمنية وكانت كلب تناصر معاوية ، وقد اتفقت الكتب على أنها يمنية .

٢ — قبائل اليمن اعتادت نظام الملك والإقامة فى الأراضى الخصبة ، نزحوا إلى شواطىء تهامة ، ثم نزحوا منها إلى أرض العراق والشام ولم يستوطنوا داخل الجزيرة اللهم إلا الأوس والخزرج الذين أقاموا بالمدينة وهى خصبة . وبطون قضاعة وأخوتها بطون كهلان انتشرت فى تلك البقاع الخصبة وأسست الممالك ، وكان الملك فى الشام والعراق للقضاعيين قبل الكهلانيين ، أما العدنانيون فما كانوا يعنون بالملك ولا بالاستقرار فى الحضر .

أو ألفاظه ، أو يسلبه شيئاً منها ، حتى يثيره ويهيج خاطره . وفى مقدمة هؤلاء الأنداد شاعر العصر وخله الجمال بن نباتة المصرى؛ فكان من جراء ذلك كله ، أن شغل الصفدى أهل عصره وأثار ثائرة أدبائه ، بل والأدباء من بعده . فألف فيه ابن نباتة كتابه « خبز الشعير » الذى جمع فيه سرقاته من شعره . وحمل عليه ابن حجة من بعده فى خزانته ، ونعى عليه جنونه بالجناس حتى ألف فيه كتابه « جنان الجناس » . وأنشد ابن أبى حجلة المغربى يقول عن الصفدى وسرقاته مورياً :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه فى الريح

وهكذا ترى بين قدامى النقاد من لا يرحمون الأديب ، ولا يتسكيسون فى نقده ، ولا يترفقون بسقطاته ، ولا يعتذرون لفنه

على أن الصفدى ، قد قدم المعذرة لنفسه بين يدى نقاده وقرائه ، عما اجترح ، فقال فى مقدمة كتابه « ألحان السواجع » ما يلى :

« وليعذر الواقف على ما هو منحط العمل ، غير راق إلى درجة الكمال بدره ، ولم تشرق شمسه فى الحمل ؛ فإن فيه أشياء لم تهذبها الروية ، وأعجلها الارتجال ، وألقاها الفكر من رأس القلم فجاءت فيه بُنَيَّات الطريق لعدم الوصول إلى ربات الخدور والحجال

وليس يعاب المرء فى يوم جبنه إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس »

هذا كله كلام يقال عن الصفدى إذا كان الحديث عن كتابته الفنية أو شعره . أما إذا كان الحديث عن كتابته فى التاريخ ومؤلفاته فيه ، فإن مسلك الكلام يتغير ، ومجرى القول ينحرف . فالمؤرخ المكثار له جلاله وخطره . حقاً قد يسوق مثل هذا المؤرخ قارئه إلى شئ من الشك ، يدفعه إلى حسن النظر ودقة التمحيص ، كما قد يختلط فى قوله ، التافه والمرذول ، بالنافع والمقبول . ولكنه ، حتى فى هذه يستطيع الباحث فيه والمعقب عليه أن يستنبط أموراً لها قوتها وقدرتها فى مجال الاستدلال التاريخى .

وقد برز فى العصر المملوكى جملة من كبار المؤرخين المكثرين الذين لم يقنعوا بالقليل ، فوضعوا فى تاريخ بلادهم وغيرها الموسوعات الجامعة . منها ما هو فى التاريخ السياسى العام ، ومنها ما هو فى تراجم الأعلام ، ومنها ما هو فى الخطط والآثار ، إلى غير ذلك . ويرى المطالع فى مستطرداتها ، طرائف جمة معجبة مطربة ، فى نظم البلاد وإدارتها وآدابها وتقاليدها ومزاج أهلها وروح مجتمعها . وتوالوا على هذا الغرار زمناً بعد زمن ، وجيلا إثر جيل . وقد كان من نصيب القرن الثامن الهجرى أن لمع فيه نجم الصلاح الصفدى مؤرخاً ، فضلا عن لمعانه أديباً وناقداً .

ولد الصفدى بصفد عام ٦٩٦ هـ أو ٦٩٧ هـ . وشرع منذ حداثته يتعلم صناعة الخط حتى مهر فيها . ومال إلى الأدب وسماع الحديث . ونبه فى الكتابة والنظم . وأخذ يطوف فى طلب العلم بين آفاق مصر والشام ، حتى برز بروزاً واضحاً بين أدباء البلدين ونهج من دونهم منهجه الخاص الذى أشرنا إلى طرف منه . وراسل وساجل وداعب وعقد لواء المحبة والصداقة بينه وبين كثيرين من أفذاذ جيله . واشتغل بالتأليف وجمع الأدب وبخاصة آثار معاصريه . وولى عدة مناصب منها : كتابة السر بحلب ، وتصدى للتدريس بجامع دمشق فى أخريات حياته ، وتوفى بها عام ٧٦٤ هـ .

وتنقسم مؤلفات الصفدى إلى نوعين : ١ — مؤلفات أدبية ٢ — مؤلفات تاريخية . وفى الحق أن من الصعب أن نفرق بين النوعين ؛ وذلك لأن كتبه الأدبية — وإن كانت فياضة بصنوف الشعر والنثر والنقد ، يروى فيها ويقرن وينقد وينوع ما شاءت له مجموعاته الفريدة — لم تخلص لوجه الأدب ، بل تتخللها السير والأخبار ، ويملؤها ذكر الحوادث وقص الوقائع . وكتبه التاريخية — وإن كانت فى صلب التاريخ وذكر حوادث الرجال وسرد أنبائهم — لم تخلص لوجه التاريخ ، بل يتخللها الكثير من الشعر والنثر . فهى مدد عظيم للأدب ، كما أنها معين فياض للتاريخ .

وكتبه التاريخية كلها فى تراجم الرجال . وهذا يدلنا على تأصل الروح الأدبية فيه ، لأن كتب التراجم تمت — عادة — إلى الأدب بصلة قوية كما تمتُّ للتاريخ . ولولا أن تراجمه تحتوى على سير الملوك والأمراء والقادة ومن لف لفهم من أهل السياسة والإدارة والحل والربط ، لعددناها بين الكتب الأدبية الخالصة . فهى بلا ريب منهل عذب لتاريخ الأدب ورجاله — وليس معنى

ذلك أن الرجل بعيد عن ميدان التاريخ الصراح . لا ! بل إننا لنشعر شعوراً قوياً — كلما تصفحنا مؤلفاته — بأصالة النزعة التاريخية فيه .

وأفضل ما تمتاز به مؤلفات الصفدى بنوعيها المعناية بتراجم معاصريه وتسجيل نصوص من شعرهم ونثرهم مع نصوص من شعر المؤلف ونثره . وهكذا ترى أنها مصادر فريدة لأدب جيله وتاريخ رجاله وأن من كتب بعده فى أخبار الرجال اعتمد عليها اعتماداً ملحوظاً عند حديثه عن الجيل المذكور . كما أنها تدلنا دلالة ملموسة على ذيوع الروح الأدبية فيه ، وعلى تمدد آفاقها التى سرحت إليها ، وذلك لكثرة ما سجل من تلك النصوص فيها ، مع تنويعها .

وأبرز موسوعات الصفدى التاريخية كتابه « الوافى بالوفيات » ولعل الصفدى قرأ كتاب ابن خلكان (٦٨١ هـ) . « وفيات الأعيان » وهو جزآن فى التراجم ، فرآه ضئيلا لم يف بتراجم كثير من الأعلام . فأحب أن يستدرك عليه ويعقب بما وسمه عله . فألف لذلك كتابه « الوافى بالوفيات » وهو اسم متأثر بتسمية ابن خلكان غير أن فيه دلالة على فكرة مؤلفه .

وقد ذيل ابن شاكر الكتبى كتاب وفيات ابن خلكان ، بجزأين صغيرين فى كتاب سماه « فوات الوفيات » أقل شأناً من وفيات ابن خلكان فى كثير من خصائصه .

ولكننا لا ندرى بالضبط أى الرجلين : الصفدى أم ابن شاكر سبقت إليه فكرة التعقيب والاستدراك . ونحن نعتقد أن الصفدى أسبق ، لأن ابن شاكر كلما ذكره الصفدى فى « فواته » قال « رحمه الله » . ونذكر هنا — بهذه المناسبة — أن الرجلين ماتا فى عام واحد هو (٧٦٤ هـ) . كما جاء فى درر ابن حجر . غير أنه من الغريب أن ابن شاكر انتهى من تأليف « فواته » عام ٧٥٤ هـ . فهل مات الصفدى فى هذا التاريخ أو قبله وغلط فى ذلك ابن حجر ؟ أم أن إضافة « رحمه الله » إلى الصفدى من صنع النساخين أو الطابعين ؟ .

ومهما يكن من شىء ، فقد ألف الصفدى كتابه « الوافى » — وهو من أسبق مؤلفاته — ليفى فيه بتراجم الأعلام من كل صنف بدون تفريق بينهم فى العصور أو الأمصار أو الفنون أو الحرف . وبلغت أجزاؤه نحو الخمسين ، بها من التراجم بين موجز ومطول . ومن سوء الحظ ، أن الأحداث بددت هذه الأجزاء وفرقت شملها ، ولو جمعت وطبعت لألقت أضواء ساطعة جديدة على أدب مصر والشام وتاريخهما .

وفى دار الكتب المصرية منه سبعة عشر جزءاً بالتصوير الشمسى عن مخطوطة . وبها أيضاً الجزء الأول فى طبعة أنيقة ممتازة ، طبعت فى الآستانة عام ١٩٣١ م بإشراف جمعية المستشرقين الألمانية .

وقد تحدث المؤلف فى خطبة الكتاب عن الأمة الإسلامية ورجالها ومآثرهم . ونوه بالغرض من كتابه . واختتم بذكر أسماء من ألفوا فى السيرة النبوية مع بيان مؤلفاتهم فيها .

واتبع الصفدى فى إيراد التراجم الترتيب الهجائى غير أنه ابتدأ بالمحمدين ثم الأحمدين تيمناً باسم الرسول عليه الصلاة والسلام . ويهمنا أن ننوه بشيئين : أولهما أن الصفدى قدم مؤلفه بمقدمة عظيمة القيمة جليلة النفع . وهى مثبتة فى الجزء المطبوع . وقد رأيتها مطبوعة على حدة فى كتيب ، وكان طبعها عام ١٠١٢ م بباريس تحت إشراف « إميل أمار » ومعها ترجمة لها وتعليقات عليها بالفرنسية . وتتكون هذه المقدمة من أحد عشر فصلا ، ويبدو أنه متأثر فى بعض فصولها بما كتبه أبو الفداء فى مطلع كتابه « المختصر » . وقد تحدث فى الفصل الأول عن السنين التى أرخت بها العرب ، كموت كعب بن لؤى ، وعام الفيل . وانساق فى خلاله إلى ذكر اشتغال العرب بالنجوم ، وخلق آدم وظهور الاسكندر ، وما قيل فى ذلك . والطوفان وذى القرنين ، وما بين المرسلين من السنين إلى غير ذلك . وفى الثانى تكلم عن مادة « أرخ » من الناحية اللغوية وما اشتق منها وطريقة العرب فى التعبير مؤرخين بالأيام والليالى . وفى الثالث تكلم عن كيفية كتابة التواريخ وتحديد الأيام . وفى الرابع تكلم عن « النسب » من الناحية الصرفية ، ثم بين أهميته التاريخية مشيراً إلى مفارقات طريفة وقعت للتشابه فى صيغ النسب . وفى الخامس تكلم عن العلم والكنية واللقب ، وترتب كل منها على النسبة . والفصل السادس هو فصل هام فى علم الإملاء ورسم الحروف . وتكلم فى السابع عن مناهج المؤرخين فى ترتيب التراجم أو الحوادث ، وعن طرق ضبطهم لحروف المعجم والمصطلحات الخاصة بذلك .

وفى الثامن تحدث عن لفظ « الوفاة » وما يشتق منها « والأجل » واختلاف المذاهب فى تحديده . وفى الفصل التاسع ، تكلم عن فوائد التاريخ من ناحية ضبطه للحوادث ، وأورد طرائف تاريخية ظهرت فيه ضرورة تحديد تاريخ كل حادثة . وتكلم فى العاشر عن أدب المؤرخ وما ينبغى له من علم وخلق . وفى الفصل الحادى عشر ذكر عدداً ضخماً من كتب التاريخ وأسماء مؤلفيها . فهو سجل هام من هذه الناحية .

أما الشىء الثانى الذى أحببنا أن نشير إليه ، فهو أن المؤلف اختص معاصريه بسبعة أجزاء من أجزاء كتابه « الوافى » جعلها على حدة وسماها « أعيان العصر وأعوان النصر » وهو مؤلف ممتع جداً ، ترجم فيه الصفدى لمئات من أهل عصره سواء منهم من لقيه ومن لم يلقه . وأودع تراجمهم نصوصاً من أشعارهم أو نثارهم ، ندر أن تجدها فى سواه . فهو — فى نظرنا — أهم كتب التراجم لأعلام النصف الأول من القرن الثامن وإذا علمنا أن ابن حجر العسقلانى ألف كتابه القيم « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » فى أربعة أجزاء ، وأن مؤلف الصفدى « أعيان العصر » ثلاثة أمثاله ، بأن لنا قدره وعظيم أهميته . وأجزاء هذا الكتاب ، لا تزال مغتربة عن وطنها ، وفى دار الكتب المصرية منه ثلاثة أجزاء هى الثالث والسادس والسابع يقع كل منها فى مجلدين . وهى مصورة تصويراً شمسياً عن نسخة مخطوطة .

ومن أمتع كتبه التاريخية كتاب « نكت الهميان فى نكت العميان » . وهو مطبوع وذو موضوع طريف ، وهو الحديث عن العميان وبيان أحوالهم شخصية وغير شخصية ، وشرعية وغير شرعية ، وما يدور حولهم من نوادر وفكاهات وحوادث أدبية طريفة ، وترجمة النابهين منهم . ويحتوى الكتاب على عشر مقدمات ونتيجة واحدة . وفى المقدمات المذكورة جملة بحوث نافعة فى فنون العربية المختلفة وتعتبر المقدمة الأولى ذات قيمة فى فقه اللغة إذ بحث فيها عن مادة « العين والميم » وما يتصل بها من الحروف ، وما تدل عليه من المعانى ، ورأى أن هذه المادة مهما اتصل بها من الحروف تدل على التستر أو نحوه . وبحث عن مادة « أعمى » . وتكلم عن تفضيل السمع على البصر أو العكس وفسر قوله تعالى : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » ، وقوله « وما يستوى الأعمى والبصير » . وتعرض للحديث الشريف الخاص بقصة الأقرع والأبرص والأعمى ، الذين آتاهم الله ما يريدون ، فلم يشكره منهم إلا الأعمى . وتحدث عن بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالعميان كالإمامة فى الصلاة ، ووجوب الجمعة إلى غير ذلك .

أما النتيجة فهى فى صلب التاريخ إذ ترجم فيها لنحو ثلثمائة وخمسين كفيفاً ، سواء منهم من ولد أعمى ، ومن كف بصره بعد ولادته . وأورد فى كل ترجمة الحوادث البارزة فى تاريخ صاحبها وشيئاً من شعره أو نثره إذا كان أديباً وهكذا .

ولهذا المؤلف خصوصيات نافعة فمنها أن فيه تراجم لأعلام معاصرة للصفدى وأنه جرى فى ضبط كثير من الأعلام مجرى ابن خلكان فى ضبطها ، أى أنه ضبط نطقها بالحروف ، وأنه حدد مواقع بعض الأماكن ، وأنه أودعه شيئاً من آثاره الأدبية وآثار بعض معاصريه .

وعلى نمط من هذا المؤلف ، أخرج كتابه «الشعور بالعور» وهو فى تراجم هذا الصنف من الرجال . ومنه مخطوطة بدار الكتب . وللصفدى كتاب « التذكرة الصفدية » فى أكثر من خمسين جزءاً ، فى دار الكتب منها خمسة مخطوطة ، فى خلالها فصل عن تاريخ الآداب العربية وفنونها ونشأتها ، وفصل آخر فيمن ولى دمشق من أول عهد بنى العباس إلى عصر المؤلف . وهى مليئة — إلى جانب ما تفيض به من النصوص الأدبية بأخبار الأعلام وحوادثهم .

وترى هذه الروح سارية من الصفدى فى معظم مؤلفاته ، مثل كتابه « ألحان السواجع بين البادى والمراجع» وهو مخطوط بدار الكتب كذلك ، وبه أخبار وسير ووقائع بجانب ما يمج به من أنباء المراسلات ونصوصها ، مما كان بين الصفدى وأنداده .

وبعد فهذا رجل من رجال العصر المملوكى ، يضيق مقال واحد عن أن يستوعب أخباره وأسفاره ، آثرنا أن ننوه هنا بإحدى خصوصياته ، لعلها تنم عن علمه وفضله ، وأدبه ونبله .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

التفكير بين الإنسان والحيوان

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

كشفت البحوث النفسية فى مجالى الإنسان والحيوان عن حقيقة قد تطامن من غرور الإنسان بعض الشيء ، تلك هى أن الحيوان لا يسلك سلوكا آلياً بحتاً كما ظن ديكارت الفيلسوف الفرنسى ، بل ولا يسلك سلوكا غريزياً بحتاً كما اعتقد الكثيرون زمناً طويلا ، وإنما سلوكه فى كثير من المواقف ينم عن قدر من الذكاء العملى يمكنه من التصرف إزاء ما يجد من مواقف تصرفاً كفيلا بتحقيق أغراضه . فهو لا يهتدى بالفطرة وحدها التى تسم السلوك بطابع الجمود ؛ وإنما هو يعدل سلوكه ويبتكر الوسائل الجديدة ، حتى ليسهل علينا أن نلاحظ — لدى الحيوانات العليا على وجه الخصوص — أنماطا من السلوك تتصف بالمرونة وتنم عن قدر من الذكاء لا يقل كثيراً عن ذكاء الأطفال فى نفس المواقف . ومن التجارب العلمية ما يثبت قدرة الحشرات على الاستفادة من التجارب الماضية فى التكييف للظروف الجديدة ، وفى هذا تكمن البذرة الأولى للذكاء .

وكلما صعدنا فى السلسلة الحيوانية زاد ذلك القدر من الذكاء العملى الذى يبلغ أقصاه لدى الكلاب والقردة . وبذلك تتلاشى الأسطورة القديمة التى تفصل فصلا حاسماً باتاً بين عالم الحيوان المحكوم بالغريزة ، وعالم الإنسان المحكوم بالعقل ، وتسفر الحقيقة التى لا مراء فيها : ألا وهى أن الكائنات الحية تنتظم سلسلة متصلة الحلقات من أسفل إلى أعلى ، منطقها التطور من الأشكال الدنيا للحياة إلى الأشكال العليا فى غير ما اختلاف حاد يكسر وحدة الحياة على ظهر الأرض ، وتضيق الشقة الفاصلة بين الإنسان والحيوان . فكلاهما يسلك سلوكا غريزيا وكلاهما يسلك سلوكا عقلياً رائده الذكاء . فما الفارق إذن بين ذكاء النوعين ؟

الإنسان من حيث السلوك العقلى فى قمة الحيوانات ؛ فهو أقدرها على السلوك سلوكا عقليا . هو فى حياته يصارع الطبيعة وأحداثها ، لا بحكم الفطرة فحسب ، بل يفوق الحيوان قدرة على استغلال ذكائه فى صراعه هذا مع الطبيعة . تقسو عليه ببردها وقيظها وأمطارها فيهرع إلى الأشجار يتخذ من أغصانها بيوتاً . تتوالى عليه فصول السنة بعضها فيه الخصب ووفرة الغذاء ، وبعضها جدب لا طعام فيه ، فيبتكر الوسائل يتجنب بها المجاعة ، ويهتدى بعد تدبر وإعمال روية إلى ما نعرفه من مختلف أساليب خزن المياه وحفظ الأطعمة ، وعدم الاكتفاء بما تدر الأرض بطبيعتها ؛ فيزرع ويستغل كامن قواها . يخشى هجمات الوحوش الضارية ، وعدوان القبائل المعادية ؛ فيتخذ العدة لذلك بصنع الأسلحة مستخدماً كل ما تقع عليه يده من أحجار وأشجار ومعادن . وهو إذ يفعل ذلك يهتدى بذكائه ، بتفكيره العملى الذى يتطور مع الزمن تطوراً يكشف عنه ما لاحظه العلماء المنقبون عن آثار العصور البائدة من تطور الآلة الإنسانية من الآلة الحجرية القديمة إلى الحجرية الحديثة إلى المعدنية ؛ والأسلحة من الأحجار إلى النبال فالخناجر والسيوف فالبنادق حتى القنبلة الذرية فى العصر الحديث .

وهكذا فى كل ميدان من ميادين الحياة يستخدم الإنسان تفكيره وسيلة لتحقيق أغراضه ، وهذا هو الأصل فى التفكير : وظيفة حيوية عملية تعين الحيوان على الصمود فى الحرب الخالدة بينه وبين قوى العالم الطبيعى التى لا تعرف التراجع ، وذلك أن الفطرة وحدها لا تكفل انتصاره .

بيد أن اختلاف التفكير الإنسانى عن التفكير الحيوانى ليس اختلافاً فى المرتبة أو الكمية فحسب ؛ بل هو اختلاف فى النوع أو الكيفية أيضاً . فتفكير الحيوان عملى كله ، هو برمته وسيلة إلى العمل ، إلى الحياة والبقاء . لا يستغل الحيوان قدرته العقلية المتواضعة إلا فى إرضاء مطالبه الغريزية : من الاغتذاء ، والاحتماء ، وحماية الصغار ، والتناسل الخ . أما الإنسان فبعد إرضاء مطالبه الغريزية يستغل قواه العقلية فى الكشف عن أسرار ما يدركه من ظواهر الكون والبحث عن علل الحوادث التى تقع تحت ناظريه ، وتفسير التغيرات التى تطرأ على مختلف الكائنات . ولا شك أن الحيوان كالإنسان فطر على حب الاستطلاع لكل جديد تجنباً لما قد ينطوى عليه من خطر ، أو طمعاً فيما قد يدره من خير ونعمة ؛ ولكن الإنسان يتجاوز هذه الحدود النفعية فيستطلع أحياناً من أجل المعرفة فى ذاتها ، ويجنى من وراء ذلك لذة لا تقل عن اللذات الجسدية التى يجنيها من وراء إشباع ميوله الغريزية الأخرى .

لذلك كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يفكر أحياناً من أجل التفكير فى ذاته ، بل والذى يجاوز ذلك إلى التفكير فى التفكير : يحصى أساليبه ، ويفتش عن مصادره ، ويسجل

من وحي السودان :

أشواق النيل !

(إلى أخي المجاهد في الجنوب !)

أخي يا أخي ... يا أخي بالجنوبْ
دماءٌ تراقُ وشعبٌ يُهــان
لقــد صرخ النيــلُ والشــاطئان
متى يا أخي ينعــم التوأمان
ففي قلب مصر ... أخي رغبتان
جــلاء الدخيل ... ومجــد الجنوب

أخي يا أخي طال عهــد الجمودْ
وضــلتْ بنــا خادعات الوعودْ
وهل يصــدق المهــد قلبٌ حقود !
يدسُّ مع الوعد سُمّ الوعيــدْ
أخي يا أخي آنَ حطم القيودْ
وحانَ الجــلاء . وبعث الجنوب

أخي موكب الدّهر ماض يسير
وويلٌ لمن لم يجــدّ المسيرْ
ليلحق بالرّكب قبــلَ المصير
وسيّان هام المــلا . والقــُبور !
لمن يا أخي مل عيش الأسير
فثر . يا أخي . يا أخي بالجنوب .

حسين محمود البشيشي

أخطاءه ، وينقب عن أسباب الوقوع في الخطأ ، ويمدد السبل الموصلة إلى المعرفة . والإنسان عند ما يفكر هــذا النوع من التفكير نقول إنه يفكر تفكيراً نظرياً لا غرض له إلا المعرفة . على أن هذه المعرفة تعود عليه بالنفع العملي وتزوده بأمتن الأسلحة التي تكفل له النصر في معركة الحياة على قوى الطبيعة الغاشمة التي لا تبالي بغير المضي في الطريق المرسوم وفق قوانين جامدة لا تتزحزح ولا تتزعزع . وسأحاول في مقال قادم أن أكشف عن فارق جوهري آخر هو السر في طفرة الإنسان وتربعه على عرش الكائنات الحية ، وتمرده على الطبيعة تمرداً بلغ به حد استغلال قواها لمصلحته والسيطرة عليها بفهم أسرارها وفضح خباياها .

عبد المنعم المليجي

أيها العابرون*

عبرت والخضم يصخب والمو   ج مخيف يطبق الأسماعا
ومضت تمخر العباب وفي الأفـ   ـق أعاصير تستفز القلاعا
موجة إثر موجــة تترى   كجبال قد اقتلعن اقتلاعا
وعلى الفلك ساهرون ولـكن   لا يطيقون في الخضم دفاعا
أيهــا العابرون كيف أمنتم   ثورة البحر فاندفعتم سراعا
دون زاد وفي الطريق خطوب   جامحات فهــل حملتم متاعا
ثورة اليم لا تطـاق إذا لم   تحمل الفلك عـدة وشراعا
وقلوباً من الحديد تشظت   فاكتسحت قوة وجلّت صراعا
لا نفوساً إذا الأعاصير هبت   فزعت خيفة وطارت شعاعا

أين ربانك يا فلك وأيان المصير
وعلى الدفة من لا يدرك الأمر الخطير
زخر اليم للموج اصطخاب وهدير
فاسبحي كالطير أو عودي كما شاء القدر
إن دنيا البحر ، يا فلك ، عناء وخطر

وانبرى من مجاهل الغيب صوت   هادىء النبر خافت الألحان
هاتف مثلما تموج على الثغر   تســابيح شاعر حيران
أيها العابرون قد عسعس الليــل ثقيل الخطا على الأجفان
والخضم الرهيب كالرعد في الأفــق ، وكالنار في فم البركان
وطواغي الأمواج تعبث في البحـ   ـر كخيل طليقة الأرسان
وأرى الفلك لا تطيق اتزانا   بين موج معربد غضبان
سخر اليم من بقايا شراع   يتلاشى كقبضة من دخان
ومسامير خاويات ولوح   كشموع تلح في الذوبان
وإذا ما استبد بالفلك موج   أفلت الحبل من يد الربان

أتراها وهي بين الموج تطفو وتموم
وعلى الأفق أعاصير ورعد وغيوم
ونســور تتلظى كالمنايا وتحوم
تعبر اليم وتطوى موجة البحر الغشوم ؟
أم تراها تتوارى بين طيات العدم
فينال الحوت ما شاء وينتاش الرخم ؟

ابراهيم الوائلي

(*) من ديوان : فجر وضباب .

ألحان الساكن الثائر

بين المآسى ساكن وسنان
يبدو عليه الصبر والإيمان
وقد يضاعف الأسى الكتمان
ورب كتمان هو البيان

معذب مستسلم لما به
همومه تصهر من شبابه
وهو يطيل الصمت غير آبه ..
كأنه ينعم فى عذابه !

يقول مفصحاً لسان حاله :
كذلك الزمان مع رجاله ..
وما حلا أو مرّ من فعاله ..
لا بدّ للمرء من احتماله !

تحسبه — يا صاح — فى سُبات
فلا تعير أيما التفات
لفارق فى لجة الحياة
يستعرض الأهوال فى ثبات !

لا يشتكى لصاحب حميم ..
ولا يئنُّ وهو فى الجحيم ..
فلا ترى من سرّه المكتوم ..
إذا اختبرته سوى الوجوم !

تثورُ فى هيكله الرزين
جحافلٌ شتّى من الشجون
فيلتقى الشدّة بالتهوين
ويحجبُ الثورة بالسكون !

لم تغتمض فى راحة عيناهُ
فكلها متاعبٌ دنياهُ
إذا سمى أخفق فى مسعاهُ
وإن أوى نبا به مأواه !

حامد بدر

نظرات فى كتـــاب
الفكر الاجتماعى
للأستاذ كامل كيلانى

— ١ —

فى فترة عارضة من فترات السآمة والملل ، أعقبت ساعات جاهدة من العمل ، فتحت هذا الكتاب كما اتفق ، فكان أول ما وقعت عليه عيناى تلك الصورة التى تبسها المؤلف ، حين عرض لعبادة العرب للأشجار والحجارة[1] ، وهى تمثل للقارىء لونا عجيباً من أخيلتهم ، وترسم صورة رائعة مما استقر فى أخلادهم ، وتجلو بعض ما كانوا يتناقلونه من الأساطير عن معبودتهم « العزى » التى كانوا يتخيلونها شيطانة ثائرة ، تبدو — لمن يراها فى صورة حبشية غضبى — ، تأتى ثلاث سَمُرات (شجرات من أشجار الطلح) نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، وهى تصرُف بأنيابها (تسحقها وتحك بعضها ببعض حتى يسمع لها صوت) .

وما كدت أبلغ قول المؤلف المفضال :

« وكذلك كانت عبادتهم لذات أنواط ، فقد اعتقدوا أن معبوداتهم الحية كانت تحل تلك الأشجار والأحجار » .

حتى طويت الكتاب ، على عادتى كلما بلغت من المطالعة فترة يحسن الوقوف عندها ، والتفرغ لها . وسرعان ما استغرقنى التفكير ، وأسلمنى التأمل إلى عوالم فسيحة من الحقائق التى تفوق الخيال فى غرابتها ، ولم أتمالك أن رجعت القهقرى حتى بلغت العصر الجاهلى الذى طالما عشت فيه ، تارة فى صحبة مؤرخى العرب والفرنجة ، وتارات فى صحبة المبدعين من الشعراء والكتاب ويا طالما نعمت بالتجوال فى ذلك العصر الغابر ، وأنست بارتياد روائعه فى رفاقة أستاذى « المعرى » . وطالما انتفعت بإشاراته فى رسالة الغفران وما إليها من بديع آثاره . كما انتفعت بصحبة العلامة « دوزى » فى ارتياد كثير من تلك المجاهل السحيقة ، حين ترجمت طائفة من فصوله الممتعة التى أودعتها كتاب : « ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام » .

فلا عجب إذا عاودنى الحنين والشوق إلى استئناف الدرس حين طالعت تلك الفقرات :

« وذو الشوق القديم — وإن تعزى —
مشوق حين يلقى العاشقينا »

ولا عجب إذا تواثبت الخواطر ، وتدافعت الذكريات ، فلم أدر أيها أثبت وأيها أدع ، ولا عجب إذا نسيت أن على أن أكتب مقدمة موجزة فى بضع صفحات ، لا دائرة معارف فى عشرات من الأسفار المطولات :

ورأيتنى أستعرض — عن غير قصد — طائفة من أمثال هذه الأسطورة العربية الشائقة التى أثبتها المؤلف المفضال فى كتابه النفيس ، متمنياً أن يتعاون معه طائفة من أعلام القصة لاستغلال أمثال هذه الأسطورة العربية البارعة ، بعد أن تظاهرهم طائفة من كرام الباحثين على درس هذا التراث الحافل ، وتعرف رموزه وحل معمياته ، وتجلية ما غمض من خوافيه وأسراره ، وأن يُعنوا بإحيائه كما عنى غيرهم من شعراء الغرب وأعلام كتابه وباحثيه ، وأفذاذ علمائه وقصاصيه ، باستغلال ما ظفروا به من الأساطير الإغريقية وما إليها من أساطير الأمم القديمة .

ولم أتمالك أن شكرت للمؤلف عنايته المحمودة بهذا اللون الفكرى البديع . ورأيتنى أجرى على عادتى فى التعليق على هامش ما أقرأ من نفائس الكتب .

وانثالت المعانى والصور وتتابعت ، حتى خشيت — كما أسلفت — أن تدفعنى إلى تأليف سفر ضخم . فاجتزأت بإثبات بعض ما قاله « المعرى » فى هذه الشجرة المحظوظة التى أطلقوا عليها « ذات أنواط » ، فقد أشار إليها فى رسالة الغفران إشارة نافعة حين عرض للحديث عن أشجار الفردوس فقال :

« وذات أنواط شجرة كانوا يعظمونها فى الجاهلية . وقد روى أن بعض الناس قال : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » .

وهنا قبس « المعرى » قول أحد الشعراء :

« لنا المهيمن يكفينا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط »

وفى بعض هذا دليل على ما بلغته ذات أنواط من خطر الشأن ورفعة المنزلة .

وقد شغل المعرى — فى أكثر من موضع من نفائس

---

(١) أنظر صفحة ١٥١ من الكتاب .

كتبه — بهذه الشجرة ، التى ظفرت — على حقارتها — بمثل هذا التكريم ، وأفردها الحظ بما لم يظفر به غيرها من إجلال وتعظيم ، فأضفى عليها عبادها من القداسة هالة باهرة ، فتنتهم وسحرت ألبابهم واستعبدتهم . فأ كبروا من أمرها ما صغر ، ومجدوا من شأنها ما حقر ، ولم يكتفوا بعبادتها فى جاهليتهم ، فراحوا يكاثرون الرسول صلى الله عليه وسلم بها ، ويطالبون إليه أن يهيىء لهم شجرة تماثلها وتساميها فى قداستها وشرفها .

وهكذا أدركها الحظ — على عقمها من الثمر — كما يدرك بعض الأغمار التـافهين من الناس ، فيضفى عليهم ألواناً من النباهة والرفعة ، على ما ركب فى طباعهم من العقم والحقارة والعجز .

وفى هذا يقول المعرى :

« والجد يدرك أقواماً فيرفعهم وقد ينال إلى أن يُشيد الحجرا

وشرفت ذات أنواط قبـــائلها

ولم تبان — على علاتها — الشجرا »

وكانت « ذات أنواط » سمرة (شجرة طلح) ، لا تكاد تختلف عن تلك السُمرات الشائكة الثلاث التى كان الجاهليون يتخيلون معبودتهم « العزى » قادمة عليها فى صورة حبشية .

ولا تختلف عن السمرات التى أشار إليها امرؤ القيس فى معلقته حين قال :

« كأنى غداة البين ، يوم ترحلوا لدى سمرات الحى ناقف حنظل »

وشجر الطلح معروف ، وقد أشار إليه المرحوم شوقى بك حين قال :

« يا نائح الطلح أشـــباه عوادينا

نأسى لواديك ؟ أم نأسى لوادينا ؟ »

كما أشار إليه « المعرى » ونبه إلى إجداب هذا الشجر ، وعقمه من الثمر ، فى قوله :

« وأبغضت فيك النخل ، والنخل يانع

وأعجبنى — من حبك — الطلح والضال »

وقد ألف العرب أن يطلقوا على شجرة الطلح « أم غيلان » وإلى هذه الكنية أشار « المعرى » فى تهكم بارع :

« سل أم غيلان الصموت عن ابنها

وبنات أوبر ، من أبوها أوبر ؟ »

— ٢ —

والطلح — فيما يعلم القارئ — شجر عظام من شجر العضاه ، الذى لا يثمر غير الشوك ، ترعاه الإبل إذا أعوزها الزاد ، فلا تكاد تستسيغه إلا مضطرة ، وقلما تسلم من غصصه وعلله . فلا عجب إذا اتخذوه رمزاً للشر ، وصاغوا من « السَمُرة » لفظ : « السمرمرة » : لقب الغول ، وجعلوا من شجرها مزاراً لتلك الشيطانة الحبشية الغضبى التى تقدم السمرات الثلاث — كما تمثلها الأسطورة — نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقها ، تحرق الأرم (تحك أنيابها حتى يسمع لها صريف) من شدة الغيظ .

فلا عجب إذا استخرج العرب — من هذا الشجر وثمره — ألفاظاً تدل على طائفة من معانى الشر ، فاشتقوا الطلاح (الفساد) من الطلح ، كما اشتقوا من ثمره الشائك ألفاظاً منطوية على طائفة من معانى السحر والإفك والكذب والأذية[1] .

فإذا سأل القارىء : « ولماذا خصوا هذه السمرة بهذا اللقب؟ وكيف أطلقوا عليها : « ذات أنواط » ؟ همس فى أذنه بعض مؤرخى العرب ، ومنهم « ابن الأثير » .

« إنها سميت كذلك لأن المشركين كانوا ينوطون بها سلاحهم (يعلقونه) ويعكفون حولها » .

وربما همس فى أذنه بعض الباحثين : « إنهم أطلقوا عليها ذلك اللقب ، لما تميزت به مما كان يتدلى من أغصانها الكبيرة من أنواط » .

والنوط — كما يعلم القارىء — هو القفة الصغيرة التى تحمل ثمار هذه الشجرة ، السامقة العقيم .

— ٣ —

وهكذا أسلمتنى هذه الأسطر القلائل إلى طائفة من التأملات أزاحت ما كان مستولياً على نفسى من السآمة والملل ، ونفضت عنى غبار الفتور والكسل ، وأعادت إلى النشاط ، فأقبلت على الكتاب أقرؤه من أول سطوره ، متنقلا بين فصوله الشائقة ، من صفحة إلى صفحة ، حتى انتهيت إلى خاتمته ، وأنا شيق إلى الاستزادة من حديث هذا الباحث الموفق المثمر الذى لا يمل البحث ، ولا يمل قارئه من متابعته فى عوالمه الفسيحة .

ورأيت المؤلف يتنقل بين مجاهل التواريخ التى طويت على مر الأزمان ، وعفى عليها تطاول الأمد ذيول النسيان ، فلم يبق

---

(١) يقال أعضه الرجل : جاء بالإفك والعاضه : ساحر وحية عاضه : تقتل من ساعتها إذا نهشت .

الدهر — من آياتها وحقائقها وأحداثها — إلا ظنوناً وأحداساً وأخيلة ، لا تـكاد تثبت على الاختبار والبحث . ثم لا يزال مؤلفنا يتنقل فى فصوله الشائقة حتى يبلغ المدى من رحلته الفكرية ، وينتهى إلى عصرنا الحافل بألوان من الحقائق ، تـكاد - لغرابتها - تفوق عجائب الخيال .

— ٤ —

وهكذا صحبت المؤلف وهو يتابع سير الإنسان ، منذ أقدم العصور ، حين كان يقيم مع قبيلته بين الأشجار ، وفى الكهوف وقد اكتسى جسمه بشعر كث يصارع الوحوش ويطاردها فى الأدغال ، ويقتات بالبذور ، ويعيش على لحوم فريسته التى يمزقها بأظافره ويقطعها بأسنانه ، كما يفعل أضرابه من الوحوش .

ثم لا يزال المؤلف يساير الإنسان القديم مرتقياً به ، فى أسلوب تصويرى جذاب حتى يصل إلى العاصر الحاضر ، فى قرابة مائتين من الصفحات الحافلة بالملاحظات والتوجيهات ، بعد أن ضمن التوفيق فيما قبسه وتخيره من الكتب : عربية وأجنبية ، وفيما عرض له من تحليل ومناقشة ، وتأليف بين أشتاتها ، وتمحيص لرواياتها ، منذ صحب الإنسان الأول إلى أن أبلغ العصر الحاضر : عصر الآلات والمناجم والبخار والكهرباء والطائرات والسيمى والراديو والتلفزيون . ولم ينسه ذلك المعرض الحاشد — الذى افتن فى إقامته وتنسيقه — ما وراء تلك الصور المادية من السجايا والأخلاق الإنسانية ونشأة العادات ، وأثر الأديان والشرائع والقوانين فى الأفراد والجماعات ، وأى حافز دفع الإنسان إلى منازعة الوحوش فى الغابات ، وأى قوة أمكنته من قهرها والتغلب عليها ، بفضل ما منحه الله من عقل وتفكير . وكيف استقبل الإنسان فجر المدينة وهو — فيما يقول المؤلف — : « يتقدم ببطء من جمع الأطعمة إلى الصيد ، ومن الجماعة المشتتة إلى القبيلة ومن ثم يتطور فيشكل نظاما اجتماعيا ، ويوزع الوظائف بين الأفراد . كما لم ينسه أن يعرض لنهضات « مصر » و « بابل » و « فلسطين » و « الهند » و « الصين » و « اليونان » و « الفرس » و « رومة » .

— ٥ —

وقد ألم المؤلف — على ذلك — إلمامة بارعة بأنواع الزواج فى الجاهلية ، وقبس طائفة من الأمثلة تبين اختلاف نظمها وتباين عاداتها ولم يفته أن ينبه إلى ما ألفته بعض قبائل العرب فى زمن الجاهلية « من نسبة أولادهم إلى أمهاتهم قبل أن ينهاهم الإسلام ، وكان نهيه صريحاً فى قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم ، هو أقسط عند الله » .

وهى — فيما رأى ويرى غيرى من الباحثين — عادة جرى عليها الروم فى قديم الزمان ، ولعلهم كانوا أسبق إليها من العرب .

وقد أشار المعرى فى لزومياته إلى هذه العادة ، إشارة ساخرة قاسية ، فقال :

« ولحب الصحيح آثرت الرو م انتساب الفتى إلى أمهاته
جهلوا من أبوه ، إلا ظنونا وطلا الوحش لاحق بمهاته »

— ٦ —

أما بعد :

فقد كانت مفاجأة سعيدة ، حين تفضل مؤلف هذا الكتاب النفيس فمهد إلى بتقديمه ، ولم يكن عمر التعارف بيننا يزيد على دقائق معدودة ، كانت كافية للتآلف . ولا غرو فى ذلك فإن الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وهكذا أغنت اللحظات القليلة عن العشرة الطويلة ، وكانت — على قصرها — كافية لانسجام روحينا ، فخيل إلينا أننا تعارفنا منذ النشأة الأولى وكان من ثمرات هذا اللقاء العارض أن عرفت شغف المؤلف بالبحث والاطلاع ، وعنايته بتتبع آثار « ابن النديم » صاحب الفهرست والترجمة له فى مجلة المجمع العلمى العربى(١) . وتوفره على درس الدعوة الإسماعيلية فى رسائل إخوان الصفا(٢) وإقباله على كتابة فصول النقد وأعمال البنوك فى كتاب : النظام الاقتصادى فى فلسطين(٣) .

وكتابه : التطور الاجتماعى والاقتصادى لفلسطين العربية(٤)

وهكـذا رأيت مؤلفنا ينتقل فى بحوثه النافعة ، من عالم الاقتصاد إلى عالم الأدب ، كما ينتقل فى حياته اليومية بين بنك الأمه العربية ومكتبته الضخمة الحافلة بألوان الثقافة والأدب ، فيذكرنا قول ابن المقفع :

---

(١) انظر المجلد الصادر سنة ١٩٣١

(٢) انظر مجلة الجامعة الأمريكية الصادرة ببيروت سنة ١٩٣٣

(٣) أصدرته الجامعة الأمريكية ١٩٣٩

(٤) صدر عام ١٩٤٧ فى القدس

« أمران يحتاج إليهما من يحتاج إلى الحياة : المال والأدب » ولا ريب أن الأمم - كالأفراد - لا غنى لها عن بناء نهضتها على أساس متين ، يرتفع بناؤه على هاتين الدعامتين .

— ٧ —

وكان من ثمرات هذا اللقاء السعيد أن أتاح لى الظفر بقراءة هذه الخلاصة الممتعة التى تأنق مؤلفها فى عرض تاريخ الحضارة الإنسانية عرضاً تصويرياً أخاذاً ، يخيل إلى قارئه أنه يشهد شريطاً من أبدع ما أخرجته السيمى فى العصر الحديث .

وقد علم القارىء مما أسلفت أننى لم أكد أقلب صفحات كتابه حتى رأيت ما تفتحت نفسى له ، وشجعنى على البدء بقراءته من أوله ، فلم تنته الجلسة حتى أتممته ، وأنا شديد الأسف على انتهائه ، وبودى لو امتد هذا السفر التاريخى الحافل فى أضعاف صفحاته ، ليؤدى إلى رواد الثقافة أضعاف فائدته ، ويحقق لهم الكثير مما تتوق إليه نفوسهم الظامئة إلى أمثال هذه البحوث ، التى وفق أصحابها إلى جمع أشتات المعارف ، وأحسنوا عرضها ، بعد أن أحسنوا استيعابها وفهمها .

— ٨ —

وازدحمت الخواطر فى ذهنى — كما أسلفت — وتواثبت التعليقات ، كلما انتقلت من صفحة إلى صفحة ، وخشيت أن إعاود قراءة الكتاب مرة أخرى فيضطرنى ذلك إلى الوقوف عند كل فكرة طريفة — وما أكثر مايحويه من طريف الأفكار — وربما اقتضانى ذلك أن أتوسع فى الشرح والتعليق فتصبح مقدمة الكتاب أضعاف حجمه .

ورأيت أن مؤلف الكتاب كان قادراً على الاضطلاع بمفرده بهذا العبء الثقافى التوجيهى كله ، لو أمكنته فسحة من وقته المزدحم بما ينوء به من شواغل الأعمال ، وما يضطلع به من تبعات ثقال ولكنها الظروف القاهرة ، أعجلت المؤلف كما أعجلتنى ولعله قصد إلى الإيجاز قصداً ليحقق لقارئه فى صفحات قليلة ما تستوعبه المطولات المستفيضة ، وهو غرض نبيل ، والحاجة إلى المختصرات مطلب جليل ، لا يقل عن الحاجة إلى المطولات . وربما زاد عليها فى بدء عصور النهضات ، لترغيب الزاهدين فى القراءة ، وتمهيد ماتوعر من طرائقها أمامهم .

وحسناً صنع المؤلف حين عنى بتوجيه قارئه إلى أمهات الكتب ليحبب إليه البحث ، بعد أن عنى بتوجيهه وإرشاده وفتح آفاق جديدة له .

وأما أجدر المؤلفين بالأخذ بهذا المنهج ، فهو من الأهداف النافعة ، يتوخاها طالبو الإصلاح فى مستهل النهضات ، تستقبلها الأمم التى طال عهدها بالنوم ، وآن لها أن تنفض عنها غبار الخمول

— ٩ —

أكرر القول : إننى وجدت فى كل صفحة من صفحات الكتاب باباً للمناقشة ومجالاً للأخذ والرد والتعليق ، ومثاراً للخلاف حيناً ، والموافقة أحياناً .

وهذه أول مزايا الكتاب المثمر الناجح وحسبى دليلاً على نفاسة ما أقرأ ، أن يثير فى نفسى ألواناً من البحث والتمحيص ، ويحفزنى إلى ارتياد مختلف الميادين الفكرية التى صرفتنى عنها عوادى الزمن وشواغله .

وقد كان من حسن حظ المؤلف والقارىء أن يتضافر على كاتب المقدمة ضيق الوقت ، وزحمة العمل ، ووعكة الصحة ، وقلة الصفحات المخصصة للتصدير ، فتعجله كل هذه الأسباب مجتمعة عن التفصيل والإسهاب اللذين تحاشاهما مؤلف الكتاب .

وكان من حسنات عصر السرعة الذى نعيش فيه ، وما أوجبته المطبعة التى لا تعرف التريث والبطء ، ولا تبالى الوعكة ولا المرض ولا تحفل الشواغل وزحمة العمل ، أن تمد المقدمة فى حيز من الصفحات ثابت ممدود ، وزمن من الساعات مؤقت محدود .

ولولا ذلك لامتد بى نفس القول كما امتد بـ « المعرى » منذ ألف عام ، حين أجاب عن رسالة « ابن القارح » برسالة الغفران ، فى أضعاف حجمها ، وكما امتد نفس القول بالأمير « شكيب أرسلان » حين تصدى لتقديم كتاب « حاضر العالم الإسلامى » ، فزادت صفحات مقدمته على مقدمة « ابن خلدون » ، وتجاوزت شروحه وتعليقاته أضعاف حجم الرسالة التى عهد إليه مترجمها أن يقدمها .

ولا عجب فى ذلك ، فإن نفس القول إذا مددته امتد ، وتداعى المعانى لا يعرف الوقوف عند حد :

« والفكر حبل متى يمسك على طرف
منه ، ينط بالثريا ذلك الطرف
والعقل كالبحر ، ماغيضت غواربه
شيئاً ، ومنه بنو الأيام تغترف »

كامل كيلانى

الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

فى مؤتمر المجمع اللغوى

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الثلاثاء الماضى بافتتاح مؤتمره السنوى ، وهو الذى يحضره الأعضاء الأجانب ويستمر نحو شهرين ، واحتفى فى هذا الحفل باستقبال عضوين جديدين هما الأستاذ محمد رضا الشبيبى والأستاذ خليل السكاكينى .

افتتح الاجتماع معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا رئيس المجمع بكلمة حي فيها الأعضاء ورحب بالزميلين الجديدين ، ومما قاله أن المجمع يعالج مشكلات اللغة وقضاياها باعتباره هيئة علمية بحتة ليس من شأنها أن تنفذ قراراتها إلا ما يكون من عرضها على الهيئات العلمية ونشرها فى المطبوعات والمعجمات ، وأبدى معاليه السرور بما يلاحظ فى المجتمع العربى من الدلائل على الرغبة فى تقبل أعمال المجمع بقبول حسن .

ثم ألقى الأستاذ شوقى أمين ، بالنيابة عن كاتم سر المجمع ، كلمة أجمل فيها ما قام به المجمع من أعمال فى العام الماضى وبرنامج العمل فى هذا المؤتمر .

وبعد ذلك وقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته فى استقبال الأستاذ الشبيبى فقال : إنه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد ، لأنه شاعر ناقد باحث لغوى ناشر للعلم واللغة .

وعند ما تكلم عن شعره اكتفى بالعرض المجمل ، فوصفه بفصاحة اللفظ ونصاعة المعنى وسلامة العبارة ، وأنه ينظم الشعر فى أغراض شتى ولا يقصره على غرض واحد ، وألقى أمثلة من شعره بدأها بأبيات قال إنها من قصيدة نونية

وقال الأستاذ العقاد : إن الأستاذ الشبيبى أعانه البحث الطويل فى الأدب واللغة على تمييز الكلام وتصحيح النقد ، وأورد ما قال إنه جاء فى مقدمته لديوان الحبوبى تعقيباً على مذهب بقراط وابن خلدون فى تكوين الطبائع والأخلاق ، وهو « والذى أراه أن لاستعداد الفطرة والغريزة تأثيراً أكبر من تأثير البيئة والوسط ، ورب سماء صافية الأديم وضاءة المنظر ، وتربة جافة الهواء معتدلة الحرارة تنبت رجلا سمج الطبع والخلق . ورب إقليم شديد الحرارة قليل النور بليل الهواء يخرج رجلا سليم الطبع رقيق الشعور » .

وفى انصرافنا من الحفل قال لى صاحبى الشاعر العراق الأستاذ ابراهيم الوائلى : إن الشبيبى لم يكتب مقدمة لديوان الحبوبى ، وإنما الذى كتب مقدمة هذا الديوان هو الشيخ عبد العزيز الجواهرى ، ويظهر أن النص الذى أتى به العقاد مأخوذ من « العراقيات » ، وهى مجموعة تضم عشرة من شعراء العراق ، فيها ترجمة للحبوبى بقلم الشبيبى .

ثم قام الأستاذ الشبيبى فألقى كلمة طيبة فى تحية المجمع وشكر الأستاذ العقاد . ومما قاله أن للشعوب العربية فى هذه المرحلة من مراحل يقظتها مطالب ، ومن أحوج ما تحتاج إليه ائتلاف فى الأرواح وتقارب فى المشارب والأذواق ، وتجاوب بين العواطف والأفكار ، وهذا مطلب جليل لا يتيسر لنا إلا إذا جمعتنا من لغة العرب جامعة أدبية كبرى ، واعتصمنا من هذه الفصحى بحصن حصين ، وجدير بهذا الأدب العربى الحديث أن يرى عاملا فعالا من عوامل الإنشاء والبناء ، وخليق به أن يتغلب على غيره من العوامل المفرقة الهدامة .

وقد جرت تقاليد المجمع على أن يتحدث العضو الجديد فى حفلة الاستقبال عن سلفه حديثاً مسهباً ، ولكن الأستاذ الشبيبى اكتفى بالإشارة إلى مكانة سلفه الأستاذ الكرملى وفضله ، واعداً بأن يعود إلى تفصيل الكلام عنه فى فرصة أخرى .

ثم كان من قسمة الأستاذ خليل السكاكينى أن يقدمه الدكتور منصور فهمى باشا ، إذ كشف القناع عن ناحية قال إن الأستاذ السكاكينى لا يحب إثارتها ، ولذلك حذره من الإشارة إلى أى ناحية من جهوده الأدبية الضاربة فى ماض بعيد ، ربما يستنتج منها مدى عمره المبارك المديد؛ وعلى رغم هذا التحذير مضى الدكتور منصور باشا فى هذه الدعابة فروى أن مدرساً كهلا استقبل الأستاذ السكاكينى فى حيفا من عدة سنين بخطبة قال فيها إنه سمع عاطر الثناء على فضله وأدبه من المرحومة حماته ، وكانت صغرى تلميذات الأستاذ فى دار المعلمات ... ثم قال إن الأستاذ سكاكينى يخفى

عمره لأنه يدين بفلسفة القوة فى كل أمر من الأمور؛ فهو يناوئ الشيخوخة ويكره أن ينتمى إليها أو يذكرها ؛ فإذا نظر من خلال فلسفته إلى اللغة فإنه لا يروقه منها إلا ما اتسم بالقوة والسلامة . وأفاض بعد ذلك فى بيان جهوده فى الإصلاح العلمى ومكانته فى عالم الأدب واللغة .

وكان الدكتور منصور فهمى باشا قد قال فى مستهل كلمته إن حلول السكاكينى ، وهو من أهل القدس ، محل الشيخ مصطفى عبد الرازق فيه ما يبشر بأن بركة فلسطين ستلتقى بالآثار المباركة لسلفه .. ولكنه لم يلبث بعد هذا الكلام أن رق فى مداعبة معظم الغابرين والحاضرين ، وصبى الحوات الفضليات ...

وألقى بعد ذلك الأستاذ السكاكينى كلمة طلية أودعها كثيراً من النظرات الفلسفية الرائعة ، وقد قال فى أولها : إذا كنتم تقيسون العمر بالسنين فقد بلغت من الكبر عتيا ، وإذا كنتم تقيسونه بالأعمال فأنا لا أزال فى دور الطفولة ، وإذا كنتم تقيسونه بما يلقاه المرء من الهناء والسرور فإنى لم أولد

ثم أخذ فى الحديث عن الشيخ مصطفى عبد الرازق خلال صفاته ومواهبه تحليلا وافياً وأفاض عليه بما هو أهله من الثناء والتمجيد ، ولكنه جنح فى آخر الأمر إلى عبارات مألوفة فى التقريظ والمبالغة ؛ إذ قال : لو لم يسبقه الخليل لكان أول من وضع العروض، ولو لم يسبقه أرسطو لكان أول من وضع المنطق، ولو لم يسبقه ابن خلدون لكان أول من وضع علم الاجتماع . واستمر فى هذه الفروض ، ماراً بعديد من العلوم والمعارف وأوائل واضعيها ...

نظرات فى أدبنا المعاصر :

أذاعت محطة لندن العربية يوم الجمعة الماضى حديثاً للدكتور طه حسين بك عنوانه « نظرات فى أدبنا المعاصر » قال فيه إن الأدب العربي الحديث فى مصر مر بثلاث مراحل ، الأولى مرحلة الحرية التى دفع إليها الوعى الوطنى بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان الأدب فى هذه المرحلة من حيث علاقته بالشعب ذا صبغتين اتصالية وانفصالية ، فكان الأدباء متصلين بالشعب حين يعبرون عن مطالبه وحقوقه السياسية ، وكانوا منفصلين عنه حينما كانت تتعلق كتابتهم ببعض النواحى الدينية والاجتماعية ، ولكن الشعب لم يلبث بعد ذلك أن تطورت أفكاره وأصبح يستسيغ ما كان ينكره . والمرحلة الثانية تبدأ من حوالى سنة ١٩٣٠ حين مال السياسيون إلى أخذ الأمور بالرفق والاعتماد فى

كشكول الأسبوع

* وجه خمسمائة من أقطاب الفكر فى فرنسا ، نداء إلى هيئة الأمم المتحدة بأن تكافح الحرب وتعتبرها عملا غير مشروع فى حل المشاكل . وقد كتب الأستاذ توفيق الحكيم يقترح على رجال الأدب والفكر فى مصر ان يحذوا حذوهم .

* انتهى فى هذا الأسبوع مؤتمر اليونسكو الثالث ببيروت ، وقد تقرر أن يعقد المؤتمر الرابع سنة ١٩٤٩ فى باريس ، والخامس سنة ١٩٥٠ فى فلورنسا .

* وصل إلى القاهرة يوم الأحد الماضى أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو ، وقد دعاهم معالى وزير المعارف فى المساء إلى حفلة شاى فى (شبرد) ودعا إليها الدكتور طه حسين بك .

* كتب الأستاذ كامل منصور بجريدة البلاغ مقالا قال فيه إن أساتذة كلية الآداب تنكروا للدكتور طه حسين بك وهم صنائعه . وقد استدعاه عميد الكلية وأمر بالتحقيق معه باعتباره خريج الكلية ومنتدباً إلى قسم الدراسات العليا بها . وقد أجرى التحقيق معه فعلا ، ورفع الأمر إلى مدير الجامعة توطئة لمحاكمته .

* اختارت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بعض الأساتذة وتعاقدت معهم على العمل فى ترجمة أمهات الكتب العالمية ، وستبدأ بترجمة كتاب الآداب العربية للمستشرق بروكلمان .

* سجلت الإدارة الثقافية الأناشيد التى اختارتها مما قدم إليها فى مسابقتها ، وأخرجت عدة نسخ مسجلة لكل نشيد منها ، لكى توزع على دور الإذاعة العربية كلها . وعلى ذلك سيذاع من هذه الأناشيد ما ليس لصاحبه « واسطة » فى الإذاعة المصرية — من بقية الإذاعات العربية . . .

حل المشاكل على مضى الوقت ، فى ذلك الحين بدأ الأدباء أيضاً يتراجعون فى ميدان الحرية الذى كانوا فيه يركضون ، ويحاسبون أنفسهم فيما يكتبون قبل أن تحاسبهم السلطات ، فاعترى الجمود الأدب ، ولا يزال رانياً عليه . والمرحلة الثالثة جاءت بعد الحرب العالمية الثانية ، وفيها امتداد لجمود المرحلة الثانية ولكنها تتميز بنزوع الأدباء إلى الكتابة فى الحال الاجتماعية من حيث تصوير مظاهر الشقاء ومعالجة الأعداء الثلاثة ، الجهل والفقر والمرض ؛ وهو تصوير يبدو قاتماً لسوء الحال التى يصورها ، ويغلب التشاؤم على الأدب لذلك . وهناك مع هذا أدباء هربوا من ذلك الجمود ومن هــذا الأدب الاجتماعى البائس ، إلى التاريخ : فهيكل يكتب فى حياة محمد وحياة الخلفاء ، والعقاد يؤلف العبقريات ، ويتجاوزها إلى التأليف فى الإله ، وطه حسين (المتكلم لا يزال الدكتور طه) يكتب على هامش السيرة ويتجاوز ذلك إلى عثمان وأحلام شهرزاد . وذلك لأن الأديب يشعر بالحاجة إلى الراحة ، وقد وجد أدباؤنا راحتهم فى التاريخ .

بقية الهاربين :

هناك من كبار أدبائنا — غير من ذكرهم الدكتور طه — من هربوا من الأدب كله إلى الرد على رسائل القراء الشاكين من مصلحة التنظيم ، وحل معضلات الحب التى تعرض لبعض الشبان والفتيات . .

الشخصية والجريمة :

فى يوم الجمعة الماضى انعقدت مناظرة بقاعة يورت التذكارية موضوعها « الشخصية والجريمة » اشترك فيها الدكتور أمير بقطر والأستاذ سلامه موسى والسيدة سمية فهمى والأستاذ مظهر سعيد . وقد دارت المناقشة بينهم فى الإجابة عن هذه الأسئلة : ما ذا يقصد بالشخصية وبالجريمة ؟ وهل الشخصية موروثة أو مكتسبة ؟ وهل يورث الإجرام أو يكتسب ؟ وإلى أى حد ينبغى أن يعفى المجرم من المسؤولية ؟

ومجمل ما اتفقوا عليه أن الشخصية هى مجموعة الصفات الجسمية والوجدانية والأخلاقية وتفاعلها ، وأن الشخصية الحسنة هى التى يلائم صاحبها بين تصرفاته وبين المجتمع ويتحمل تبعة أعماله ، والسيئة هى غير الملائمة المتخففة من المسؤولية ؛ وأن كلا من الشخصية والإجرام يتكون من الوراثة ومن البيئة ،

وقد اختلف المتناظرون فى أيهما — الوراثة والبيئة — أكثر أثراً وإن كانوا متفقين على وجودهما فى الشخصية والجريمة .

وقد اختلفوا فى تعريف الجريمة ، فبدأت السيدة سمية بأن الجريمة لا حقيقة لها ، لأن ما يعتبره بعض البلاد جريمة قد لا يعتبره كذلك بلد آخر ، وما يستنكر ارتكابه فى زمن قد يستساغ فى زمن آخر ، ومثلت لرأيها بفظائع الحرب ومعاونة العلماء على استحداث المدمرات التى آخرها القنبلة الذرية ، مما يوصف بالبطولة والوطنية ، وهو فى الواقع وحشية منكرة . ووافقها الأستاذ سلامة قائلا إن الجريمة تتبع العرف وإنها ليست إلا الأعمال التى لا يقرها المجتمع . وخالفهما الدكتور بقطر والأستاذ مظهر ذاهبين إلى أن الجريمة كل تصرف يخرج على النظام ويقع منه ضرر على الفرد والجماعة وهى تكون فى زمن معين ومكان محدد . واشتد الخلاف بينهم عندما عرضوا للسؤال الرابع وهو الخاص بإعفاء المجرم من المسؤولية ، فقالت السيدة سمية والأستاذ مظهر بوجوب النظر فى حال المجرم من حيث نوع شخصيته ، فلا يعاقب ذو الشخصية المريضة كالذى يسمى « السيكوباتى » وغيره مما كونته ظروف البيئة تكويناً سيئاً ، وخالفهما الدكتور بقطر والأستاذ سلامة ، فقال الثانى إن المجرم من أى نوع متأثر فى إجرامه بالوراثة والبيئة على اختلاف تقدير حظه من كل منهما ، فكل مجرم لا يد له فيما يرتكب إذا أخذنا بقاعدة الإعفاء من الإجرام الاضطرارى . وقال الدكتور بقطر إنه لاحظ فى أثناء وجوده أخيراً بأمريكا ، أن الجرائم هناك قد كثرت بفضل علماء النفس الذين يحللون دوافع الإجرام تحليلا يعفى المجرمين من العقاب أو يخففه عنهم ، ويفسح القضاة لهذه التحليلات النفسية ، ويصدرون أحكامهم بناء عليها .

تعقيب :

لقد تبينت فى خلال هذه المناظرة بالمشاهدة والمثل العملى — أن العامية لا تصلح أبداً لغة للأفكار العلمية ، وذلك أن المتناظرين وخاصة السيدة سمية فهمى والأستاذ سلامة موسى ، كانوا يلجئون إلى التعبير العامى فلا يسعفهم فى إبراز ما يجول بخواطرهم ، فيستنجدون بالتعبير الفصيح ، فمن واتاه بلغ به ، ومن استعصى عليه اضطرب وملكه العى ، وقد وقعت السيدة من ذلك فى حرج شديد ، وإن بدا — على رغم تعثر لسانها — تمكنها من دقائق الموضوع ، وقد كانت تشكو من ضيق الوقت وعدم اتساعه

رسالة النقد

زوجـــات

ترجمة الأستاذ أحمد الصاوي محمد

كتاب رائع ، ذلك الكتاب الذي يقدمه الأستاذ أحمد الصاوي محمد إلى قراء العربية . وبهذا الكتاب يثب الصاوي وثبة أخرى في الطريق الذي بدأه منذ سنين ، حين راح ينقل شتى الألوان من ثقافة الغرب إلى الشرق ، ويمزج بين هذه وتلك مزجاً موفقاً يقرب الشقة بين ذوق وذوق ، وبين فهم وفهم ، وبين شعور وشعور .

و « زوجات » يصدر معه كتابان آخران للصاوي هما « فوشيه » و « العبرة من الماضي » ... ثلاثة كتب ومن قبلها بضعة وعشرون كتاباً ، تكون في مجموعها ثلاث مدارس كما يحلو للأستاذ الصديق أن يصنف كتبه فينسب كلا منها إلى مدرسة خاصة ؛ فهناك مدرسة العبقرية ، ومدرسة الحرب والسياسة ، ومدرسة المجتمع ... وإلى هذه المدرسة الأخيرة ينتسب كتاب اليوم « زوجات » .

لمعالجة موضوع المناظرة ، والواقع أن الوقت كان يضيع بالتلجلج وتكرار العبارات العامية من غير طائل ، ولو أنهم أعدوا المناظرة ودونوا أفكارهم في « تجربة » قبل الظهور على المسرح ، لأتوا بما يرجى منهم في مثل هذه المناظرة ، فهم معروفون بالدراسة والبحث وسعة الاطلاع ، ولكن الارتجال والاستهانة باللغة الصالحة للتعبير العلمي الدقيق ، جعلاهم يقضون نحو ساعتين فيما لا يستحق هذا الزمن من أمثالهم ، وقد شعر الحاضرون بذلك ، وكانوا جمهوراً كبيراً ، أتوا ليستمعوا إلى هؤلاء الأعلام ، ولم يضنوا على عقولهم بثمن الدخول الذي تتقاضاه الجامعة الأمريكية ولعلها الوحيدة في مصر التي تفرض أجراً على سماع المحاضرات والمناظرات العامة .

عباس خضر

يقدم إليك الصاوي في هذا الكتاب ثمانية ألوان من الطبيعة الإنسانية ، في كل لون منها امرأة .. هي زوجة . وعلى اختلاف الميول وتباين الأهواء وافتراق النزعات ، تختلف الصور وتتباين الملامح وتفترق السمات ، ويتمثل لناظريك معرض من معارض الصراع القوي العنيف ؛ صراع العواطف والأفكار .. فيه لوحات نفسية ، وفيه نماذج بشرية ، وفيه ما فيه من حيرة العقل ولوعة القلب ووقدة العاطفة واشتعال الوجدان !

وأقف بك وقفة متأنية ، متأملة ، عند الزوجة الأولى صاحبة « الكراسة الحمراء » ، تلك التي قضت العمر محلقة بالفكر على أجنحة الخيال ، تحلم حلماً طويلا لا نهاية له .. حلم أرض الميعاد ! هي قصة من روائع الأدب الفرنسي المعاصر لخصها الصاوي من قبل ثم عاد فنقلها إلى العربية نقلا أميناً ، كاملا ، احتفظ فيه بروح الفن في لغته الأصيلة ؛ أما صاحبها فهو أندريه موروا عضو الأكاديمي فرانسيز وأما اسمها الحقيقي فهو « أرض الميعاد » ، ولكن قلم الصاوي شاء أن يخلع عليها اسماً آخر هو « الكراسة الحمراء » .. وقبل أن ألخص لك هذه القصة التي تشغل من الكتاب ما يقرب من ثلثيه ، قبل هذا أود أن أشير إلى قصة أخرى ظهرت في أفق الأدب الفرنسي ، هي قصة « الباب الضيق » لأندريه جيد صاحب جائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٤٨ . في قصتي جيد وموروا ناحية جديرة باهتمام القارىء المتمكن والناقد الذواق ؛ ناحية يلتقي فيها الكاتبان ويفترقان بعدها في كل شيء !

أندريه موروا في « أرض الميعاد » فنان ، وأندريه جيد في « الباب الضيق » إنسان .. وكلاهما يبلغ القمة في ميدانه : هذا في إنسانيته وذاك في فنه . وكلاهما يمضي بعد ذلك في طريق ؛ تنزع القصة الأولى إلى الناحية الموضوعية أكثر مما تنزع إلى العرض والتحليل ، على حين تقتصر القصة الثانية على الناحية التحليلية الخالصة ، هناك حيث تطغى الألوان النفسية والظلال الإنسانية على كل ما عداها من ألوان وظلال ! وبعد ذلك أيضاً يمضي كل منهما في طريق ... فبينما تجد موروا يصهر العواطف الإنسانية في بوتقة الشهوة الجسدية العارمة ، تلقى جيد يصهرها في بوتقة اللذة الروحية الهائمة ؛ هناك شيء من الإباحية السافرة المتجردة ، وهنا شيء من الصوفية القلقة الغامضة . . . وفي كلتا القصتين صراع ملح عاصف عنيف ، هو في « الباب الضيق » صراع بين روح وجسد ، وهو في « أرض الميعاد » صراع بين روح وأجساد !

فى نطاق هذا الصراع الروحى الشاذ تتفق القصتان ويلتقى الـكاتبان ، ولا أقول إنه اتفاق كامل أو التقاء كامل ، ولـكنه اتفاق والتقاء على كل حال ، يتمثلان فى شخصيتين وضعهما جيد وموروا تحت مجهر التحليل النفسى وهما « إليسا » بطلة « الباب الضيق » و « كاير » بطلة « أرض الميعاد » . كلتاهما خلقت تنشد الحب الذى لا تدنسه شهوة ، ولا يشوه من قداسته لذة ، ولا يعبث بطهره إثم ، وهذا هو الحب المثالى الذى تضيق به دنيا البشر ، وكلتاهما لقيت فى سبيل هذا الحب آلاماً مبرحة وعذاباً لا يطاق ، وتلك حال من يعيشون على الأرض وقلوبهم متعلقة بالسماء ، لا شىء غير الصراع .. صراع القلب والعقل ، صراع الفكر والعاطفة ، صراع الجسد والروح ! ... أما موروا فقد شاء لبطلته أن تخضع لمنطق الحياة والناس على ما فيه من قسوة ومرارة ، ولـكنه خضوع المجبر المغلوب على أمره حين تتألب عليه القوى فيلقى السلاح ، وتظل المعركة إلى الأبد محتدمة فى نفسه وشعوره ؛ وهذا هو منطق الفنان ! ... أما جيد فقد آثر لبطلته أن تقاوم حتى النهاية ، وأن تحمل من الشقاء فى سبيل مثلها العليا فوق ما يحمل طوق الأحياء . لقد استحال حبها الإنسانى على مر الزمن حباً إلهياً فيه من شفافية التصوف ما يقرب بينها وبين الله . . . وفى فصل اليوميات من « الباب الضيق » تهتف « إليسا » من الأعماق مشيرة إلى « چيروم » : « يا إلهى ، تمنيت لو تقبل كلانا عليك ، تدفع أحدنا قوة الآخر! لو نمشى كل طريق الحياة حاجين يقول أولهما للثانى : استند إلى ذراعى يا أخى إذا تعبت ، فيجيبه : حسبى أن أراك إلى جانبى ! ولـكن لا ؛ إن الطريق التى توصينا بها يا إلهى طريق ضيقة ، ضيقة حتى ما يستطيع سلوكها قرينان ! ... يا إلهى ، لم اخترت لنفسى مرارة الحرمان ! أتراني أطلب غير الحب فتنة أعذب وأقوى ! آه لو نملك دفع نفسينا معاً بقوة الحب إلى ما وراء الحب نفسه ! » وهذا هو منطق جيد .. منطق الإنسان !

وأعود بك مرة أخرى إلى قصة أندريه موروا . . . نشأت كاير منذ صباها المبكر تتطلع إلى الحب بعينين حالمتين وقلب ظمآن ، ولـكن مربيتها الإنجليزية ذات الطبع البارد والوجدان الفاتر كانت تحذرها دائماً من أخطار الحب ، ونزوات العاطفة ، وغواية الرجال .. كانت كلما حملتها أحلام اليقظة على جناح الأمل إلى أرض الميعاد ، ردها صوت المربية العجوز إلى أرض البشر : إحذرى يا فتاة إن الرجال ذئاب ، تقودهم إلى مهاوى الرذيلة شهوات وغرائز ! وشبت كاير عن الطوق ولا يزال فى نفسها وسمعها من دروس المربية العجوز رنين وأصداء ! ... أما أبواها فقد تلقت عنهما من الدروس ما طبع نظرتها إلى الحياة بطابع القلق والحيرة والترجح بين قسوة الواقع ومثالية الخيال ؛ كان أبوها ضابطاً كبيراً عوده جنوده أن يأمر فيطاع ، وعودته الطاعة العمياء أن يرى فيمن حوله آلات يدفعها فتندفع !

وهكذا عاشت كاير . . لا يسمح لها أن تبدى رأياً ، ولا يؤذن لها أن تعلق على أمر ، ولا يتاح لها أن تعترض على وضع من الأوضاع . . . أما أمها فكانت امرأة شاذة غريبة الأطوار ، لا تعترف بهذه العاطفة المقدسة التى يسميها الناس حباً ، وكثيراً ما كانت تضم صوتها إلى صوت المربية العجوز فى تحذير ابنتها من لعنة الحب ، وخبث الطوية عند الرجال ! . . ومما ترك أثراً عميقاً فى نفس كاير أنها كانت كلما قادها الخيال إلى حلم كل عذراء ، إلى ليلة الزفاف ، ارتفع صوت مربيتها ليقول لها فى دهشة مقرونة بالعجب والاستنكار : « ليلة الزفاف ؟ ألا تعلمين ما هية ليلة الزفاف ؟ ! ... تصورى مذلة أن تتجرد المرأة أمام رجل ، وأن تظل عارية تماماً رهن مشيئته ، وطوع إرادته ، وتحت رحمته ! ... آه من شناعة هذا كله ! »

فى هذا الجو الملبد بالقسوة ، المفعم بالرهبة ، الحافل بالشذوذ ، عاشت كاير ... ومن هذا الجو الخانق خرجت إلى الحياة لتواجه الحقائق بعقلية الأب والأم « ومس برنكر » المربية العجوز ، عدوة الرجال! ولـكنها كانت أبداً تحلم بأرض الميعاد ، أرض العبقرية ، أرض النبوغ . أرض الوحى والإلهام .. كانت تتمنى أن تصبح يوماً كاتبة عظيمة أو شاعرة عظيمة ، وحين لم يتحقق لها شىء من هذا كله ، راحت تحلم بأن تكون زوجة لـكاتب عظيم أو شاعر عظيم ، وما أجملها من أمان عذاب وهى تتخيل نفسها إلى جانبه ، تعطف عليه فتوحى إليه ، وتلهبه فتلهمه ، ويذوقان معاً أول قطرة من قطرات الخمرة المسكرة .. خمرة الفن والمجد والخلود !

ولـكن الأيام تمضى بها فى طريق كل معالمه صخور وأشواك .. لقد دفعت بها إلى أحضان رجل لا يفهم لغة الفن ، ولا موسيقى العواطف ، ولا نبضات القلوب ؛ وهكذا قدر لـكاير أن تعيش فى رحاب زوج لا يكاد يرى المرأة إلا من وراء منظار الشهوة المحترقة ، الشهوة التى تنشد الجسد ولا تعبأ بنداء الروح ، الشهوة التى لا تصغى لصوت غير صوت الغريزة ، صوت الحيوانية المتأججة فى الأعماق ! . كان « ألبير لاراك » ملكا من ملوك

المال ، وفى بيته عاشت كلير كما تعيش الملـكات ، ولـكن شيئاً واحداً كان يحيل النور فى عينيها الساحرتين ظلاماً ، ويلهب روحها بسياط العذاب ، ويفجر الألم فى أعماقها تفجيراً .. هو تلك العلاقة الجنسية « الشائنة » التى يفرضها عليها منطق الحياة والأحياء ! . . . هـذه الروحانية الشفافة التى كانت تحلم بها فى أرض الميعاد ، وهذا الهيام العلوى الذى كان يربطها بالسماء ، وهذا الشعور المثالى الطليق المحلق فى آفاق الخيال ، هذا كله قد تحطم على أرض البشر . . . ويا ويح الخيـال حين يرتطم بقسوة الحقيقة ومرارة الواقع ! حتى هذا الطفل الذى أنجبته لم يثر فى حنايا الضلوع عاطفة ، ولم يشعرها يوماً بحنان الأمومة ؛ لقد كان يذكرها دائماً بأنه أتى إلى الدنيا عن هـذا الطريق الذى كانت تبغضه ، وتنفر منه ، وترمض جوانحها بالعذاب . طريق العلاقة الجنسية « الشـائنة » ، علاقة « الشقاء المقدس » لا الرباط المقدس! هكذا كانت تشعر كلير، وتنظر إلى منطق الحياة والناس!

أرض الميعاد ، ولا شىء غير أرض الميعاد .. أين من يقودها إلى هذه الأرض التى أقامت لها فى معرض الفكر صوراً فاتنات ، وحشدت لها الخيال يمدها بكل ما فى إبداعه من ألوان وظلال !. لقد وجدته ، وجدته أخيراً وكأنهما كانا على ميعاد ، وجدته فى شخص شاعر عظيم فتنها برقته ، وغزا قلبها بعبقريته ، وسحرها بلطف حديثه ، وكان اسمه .. « كريستيان منتربيه » !

وفى هـذا الظل الظليل من عبقرية الحب وحنان الحبيب ، نسيت كلير أن لها زوجاً وبيتاً وابناً .. كل خلوة مع الشاعر ، وكل رحلة مع الشاعر ، وله ألف نزهة تهيئها الأحلام تحت ضوء القمر ! . وتصل أنباء الزوجة إلى الزوج بعد أن أصبحت حديثاً تجهر به الشفاه ، وينتهى الأمر بينهما إلى الطلاق . ويعود هو إلى أشجانه ، وتعود هى إلى كريستيان منتربيه !

وفى رحاب الزوج الجديد عاشت كلير .. عاشت فى رحاب الرجل الذى ضحت فى سبيله بالزوج والابن وكل نعيم يهيئه للمترفين سلطان المال ! وكم عطفت عليه فأوحت إليه ، وكم ألهبته فألهمته ، ولـكنها لم تذق معه تلك الخمرة المسكرة ... الخمرة التى عتقتها الأوهام فى دنان أرض الميعاد !. لقد كان الشاعر وا أسفاه بشراً كـكل البشر !! وفى تلك الرسالة التى بعثت بها كلير إلى كريستيان بعد اثنى عشر عاماً من زواجهما ، يصـور أندريه موروا بريشة الفنان المبدع ، كل ما كان يعتلج فى نفس بطلته من صراع رهيب بين الروح والجسد ، ظل إلى أن ودع الشاعر الحياة ، أقباساً من وهج اللوعة وفنوناً من عبقرية الألم ! .

ونقتطف هنا فقرات من هذه الرسالة الملتهبة :

« يا حبيبى الأعز ، إننى منذ مقامى هنا قد بدأت ثم مزقت عشر مرات رسالة كنت أريد وكان ينبغى لى أن أوجهها إليك منذ وقت طويل . إن ما لدى وعلى أن أقوله مؤلم لى ، وأخشى أن يسبب لك ألماً . . . إننى لا أظن يا كريستيان أنك تستطيع أن تتصور إلى أى حد قد تألمت منذ اثنى عشر عاماً ، لقد كنت معجبة بك ، لقد كنت أحبك ، لقد كنت غير راغبة فى أن أكون لك . لا لك ولا لسواك . وما كان أسعدنى لو بقيت إلى جانبك صديقة ، أو لو استطعت خاصة أن أكون ملهمة ، ولـكنك لم ترد ذلك ! وقد استسلمت خافضة جناح الذلة لأنى خشيت إذا أنا قاومتك أن أفقدك . . . لقد توقعت منك إذا أنا فرضت على نفسى تضحية إعطاء نفسى ، أن أجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت مما لم يكشف لى الزواج عنه الحجاب ، غير أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، ولم ينكشف لى الحجاب عن الوادى العجيب ، ولم ألمح أرض الميعاد يا كريستيان !

إنى أحبك يا كريستيان ولا أحب سواك ، وإن من عناصر مأساتى أننى لك وسوف أكون مخلصة إخلاصاً لا يأتيه الشك ولا ينال منه شىء ولو بلغ بى اليأس والقنوط حد الجنون .. إنك لو أردت فوضعت فى زواجنا من الشعر بقدر ما تصنع فى غراميات الأبطال الذين تخلقهم ، فربما كنت أبلغ من الحرارة الدرجة العـالية علواً خارقاً ، الدرجة اللازمـة لتصهر تحفظى وتذيب جمودى . . . إن فى الحياة الزوجية — على النحو الذى يخيل إلى وكما أتصورها — شيئاً متكرراً ، شيئاً فاحشاً يثلج بدنى ! وإنى أفترض أننى مخطئة ، وأن المرأة الطبيعية العادية تجد شيئاً طبيعياً عادياً هذا « الهوى الجسدى الأعظم » كما هو عندكم أيها الرجال كل مساء ، من دون أن تتلف هذه الحركات والإشارات فى كل مرة بالشعر والقلق والجمال . لـكن ما حيلتى وقد خلقت هكذا ؟ ! .. إن أعصابى تحترق شيئاً فشيئاً من تكرار هذه المأساة ، بل إن عقلى نفسـه قد اضطرب ! وتتصاعد فى كيانى أبخرة الضغن والغيرة ، وأحياناً الحقد ، على تلك المخلوقات البريئة التى كل جريمتها عندى أنها تتذوق لذات تأباها على طبيعتى ... ! »

بعد هذه الزوجة الشقية التعسة ، تجد ست زوجات أخرى لخص الصاوى حياتهن عن قصص ومسرحيات مطولة فى الأدب الفرنسى ، وسترى أن واحدة منهن قد لقيت من الشقاء والتعاسة



الخطــاب

للكاتب الانجليزى كولين هوارد

هتف الرجل الصغير قائلا وقد بدت على محياه دلائل الارتباك وهو واقف بجوار الصندوق — أنى مسرور لرؤيتك !

فتوقفت والتفت إليه قائلا — مرحباً ... السيد سيمسن ، أليس كذلك ؟

كان سيمسن وزوجه حديثى العهد بالحى ، ولم أكن قابلتهما أنا وزوجى إلا مرة أو مرتين .

وأجابنى سيمسن قائلا « أجل — هذا صحيح ! » وكان يبدو أنه مسرور لتعرفى عليه سريعاً . واستطرد قائلا « أنى لأتساءل : هل أستطيع أن تقرضنى ثلاثة أنصاف من البنسات؟! »

فدفعت بيدى أبحث فى جيبى ، وأنا أسمعه يقول « إن زوجتى قد سلمتنى هذا الخطاب لألقيه فى صندوق البريد ، ولكنى لاحظت الآن فقط أن الظروف خال من طابع البريد » .

قلت مرفها — خل عنك ... فكثيراً ما يحدث ذلك .

قال يجب أن يسافر هذا الخطاب الليلة — لابد أن يسافر ! ولا أظن أنى سأجد مكتباً للبريد مفتوحاً فى هذا الوقت المتأخر من الليل . أتظن ذلك ؟

كانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة . فأمنت على أقواله.

واستطرد يقول — لذلك فكرت أن أحصل على طابع بريد من هذه الآلة ، عندما وجدت أنى لا أحمل نقوداً صغيرة

فقلت له بعد أن بحثت فى جيبى عبثاً — أنى شديد الأسف . أخشى ألا يكون معى مثل هذه النقود .

فصدرت عنه آهة تدل على الأسف ، قلت — لعل عابر سبيل يمر ... فقاطعنى قائلا — لا يوجد أحد ...

ونظرت إلى جهة من الطريق ونظر هو إلى الجهة الأخرى . ثم التفت إلى ناحيتى والتفت إلى ناحيته دون جدوى . وأخيراً هممت بالرحيل . ولكنه يبدو وحيداً مرتبكا وقد أمسك بيده مظروفا أزرق اللون فلم أقو فى الواقع على تركه وهو فى هذه الحال . فقلت له — دعنى أخبرك ما الذى نفعله . من الأفضل أن ترافقنى إلى دارى . أنه على مقربة من هنا . وسأحاول أن أحصل لك على نقود صغيرة .

فقال سيمسن — أنه للطف منك حقاً !

وفى الدار ، استطعت بعد لأى أن أعثر على ثلاثة أنصاف من البنسات فأعطيتها إياه فأخذها منى شاكراً ، ثم جعل يدون فى مذكرته — بطريقة رجال الأعمال — قيمة القرض ، ثم رحل. وراقبته وهو يذرع الطريق بخطواته ، ثم يتوقف ، ثم يعود إلىّ . وقال لى — إنى آسف لإزعاجك مرة أخرى . الحقيقة إنى لا زلت غريباً عن هذا الحى ، وهأنذا قد ضللت الطريق . لعلك ترشدنى إلى مكتب البريد .

وحاولت إرشاده ، وقضيت بعض الوقت أشرح له موقع المكتب دون جدوى . وأخيراً وجدت نفسى فى حيرة كحيرته عند ما صرح قائلا — أخشى أنى لم أفهم ... فقاطعته قائلا — من الأفضل أن أرافقك . فعاد يردد قائلا — إنه للطف كبير منك!

وسرنا فى طريقنا حتى وصلنا إلى مكتب البريد . ووضع سيمسن قطعة من النقود فى ثقب الآلة ، فسقطت داخلها فى صليل عال دون أن يظهر للطابع أى أثر . ونظر إلىّ سيمسن نظرة حائرة وكأنه يتساءل ما الذى يستطيع عمله . فشرحت له قائلا « أن الآلة فارغة من الطوابع . » فتأوه فى أسف « اتضح

ما لقيت كابر ، وهى « زوجة الكاتب » . . . وأن أخرى قد لقيت من ذل الحياة وقسوة الأيام أضعاف ما لقيت بطلة أرض الميعاد ، وهى « زوجة الضابط » . . . وأن ثالثة قد واجهت العاصفة بصبر وثبات ورجاحة عقل حتى بلغت الشاطىء ، وهى « زوجة الوالى » .. أما مسرحية « أزواجها الثلاثة » فقد كانت بمثابة البسمة المشرقة وسط مآسى الدموع !.. أما الزوجة السابعة والأخيرة فبطلة قصة مصرية كتبها الصاوى بقلمه تحت عنوان « زوجة الطبيب » ، ولعل هذه القصة هى الثغرة الوحيدة فى هذا الكتاب ، الثغرة التى ينفذ منها الناقد إلى شخصية الصاوى الفنية ككاتب قصة .. لقد كان فيها مجال رحب للخيال المفتن ولكن الصاوى وجه كل عنايته إلى الإطار دون أن يحفل كثيراً بتلوين الصورة ، ومن هنا فإن الحركة النفسية قد اعتراها شىء من الجمود ، مبعثه تلك اللمسات السريعة العابرة فى مواقف تحفل بعنف الصراع وفورة العاطفة !

أنور المعداوى

لنا أن طوابع أنصاف البنسات قد نفد أيضاً ووقف سيمسن مضطرباً حائراً . وإذا بالمظروف يسقط منه ويقع على الأرض فاستعاده وقد تلوث بالوحل وصاح فى انفعال « انظر ، لقد تلوث بالوحل ! » ثم طرق على الآلة الفارغة فى حنق وهو يقول « حسن ، ما الذى نستطيع عمله الآن ؟ » فاستنتجت من سؤاله هذا أنه قد أشركنى فى حيرته ، فسألته « أمن الضرورى أن يسافر هذا الخطاب الليلة ؟ » . فأجاب « نعم ! نعم إن زوجتى قد ألحت على أن ألقيه هذه الليلة . قالت ولكن من الأفضل أن ألقيه الليلة إذا كنت تعرف ما أعنى »

وكنت أعرف ما يعنيه من قوله هذا ، أو على الأقل أعرف زوجه مسز سيمسن . وتذكرت فجأة ما جعلنى أقول له « أتعرف . أن عندى دفتر طوابع للبريد فى دارى ! » .

فقال فى لهجة لا تخلو من التقريع « كان يجب أن تفكر فى ذلك من قبل ! » .

فقلت « من الأفضل أن نسرع وإلا فاتنا موعد سفر الرسائل » وأسرعنا الخطى ، وكان هذا من حسن حظنا ، لأنه استغرق بحثنا مدة طويلة قبل أن نجد الدفتر وإذا به خال من طوابع البريد.

وجعل سيمسن يقلب الفكر وهو يقول « يا لخيبة الأمل ! » قلت « عجباً ! أكاد أقسم أن الدفتر كان ممتلئا بالطوابع ! » .

فسأل فى حزن « ولكن ... ماذا أفعل فى خطابى ؟ » .

قلت « سنضطر أن نلقيه دون طابع » وكان اهتمامى بذلك الخطاب قد بدأ يقل تدريجيا .

قال وقد عاوده الأمل « أوه — أأستطيع أن أفعل ذلك؟! »

قلت « ما الذى تستطيع عمله خلاف ذلك ؟ كل ما هناك أن من يتسلم الخطاب يدفع ضعف قيمة أرساله فى الصباح الباكر » . قال « إنى لا أود أن يحدث ذلك » .

قلت « ولا أنا . ومع ذلك . فليكن . أنها متاعبه وليست متاعبنا . أسرع الآن وإلا فاتنا آخر موعد لاستلام البريد . »

وأسرع سيمسن فى حماسة ، فصحت به « انتظر ... إن المكتب فى الناحية الأخرى من الطريق » .

فعاد وهو يلهث قائلا « آسف . أظن أنى ضللت الطريق مرة أخرى . » .

ولم أحاول أن أشرح له ثانية ، بل أمسكت بذراعه فى قوة وقدته إلى مكتب البريد فى اللحظة التى كاد يتم فيها استلام الرسائل — وكنت أعرف أنى بمراقبتى إياه سأوفر على نفسى بعض الوقت — ثم ألقى بخطابه بين الرسائل الأخرى ، وأخيراً عدت به إلى داره .

وقال وهو يودعنى : « أشكرك شكراً جزيلا على كل ما فعلته . أنى لا أعالك من التفكير ... ما الذى كنت أفعله بدونك ؟ .. أن ذلك الخطاب .. أنه لا يحوى سوى دعوة للعشاء موجهة إلى ... يا إلهى ! » .

— ماذا ... ما الأمر ؟ .

— لاشىء ... لقد تذكرت أمراً ...

— ما هو ؟

ولكنه لم يفه بكلمة ، بل اتسعت عيناه وهو يحدق فىَّ طويلا ؛ وأخيراً حيانى وأسرع إلى الداخل .

وعجبت وتساءلت وأنا أسير عائداً إلى دارى ما الذى تذكره ؟ ولكن ... ما لبث أن زال عجبى فى الصباح الباكر عندما دفعت لساعى البريد ثلاثة بنسات قيمة استلامى مظروفاً أزرق اللون بغير طابع . . قد تلوث بالوحل ! !

محمد فهمى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة

العدد ٨٠٨ — الاثنين ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ — السنة السادسة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣١٠٥١

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

16 em Année No. 808

Lundi — 26 — 12 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ صفر سنة ١٣٦٨ — ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الأسرة المنبـــوذة

— ٢ —

نعم يا سيدتي أذكر أني كنت وأنا صبي أمر في طريقي إلى الكتاب بمنزل المعلم يوسف النجار فأجده كل صباح جالساً تحت جداره في يمناه قدومه وفي يسراه يد فأس يسويها ، أو بسخة محراث يقويها ، أو ورش طنبور يجدده ؛ وأصحاب هذه الأدوات من شباب القرية قيام من حوله أو قعود ينتظر كل منهم دوره ليقدم آلته أو ليسأل حاجته . وكان مظهر النجار المرح ومنظر حلقته الصاخبة يغريان صبيان الكتاب بالوقوف فيقفون ليسمعوا هذا يستحثه بالسب لأنه عوّقه عن الحولي ، وذلك يبادره بالعتب لأنه غشه في خشب الزحّافة ، وذلك يركبه بالدعابة لأنه غبنه في ثمن النورج ؛ ثم ليروا المعلم يوسف مكباً على عمله ، ووجهه متهلل بالضحك ، ولسانه متحرك بالمزاح ، يجزي على السباب بالنكتة اللاذعة ، ويحتج على العتاب بالحجة البارعة ، ويرد على الدعابة بالسخرية المرة . حتى إذا انصرف الفلاحون إلى حقولهم ، انصرف هو إلى دورهم ، فتسأله هذه إصلاح المطرحة ، وتسأله تلك تثبيت الباب ؛ وهو يجيب كل طلب بابتسام ، ويؤدي كل عمل باهتمام ؛ لأنه يقوم لأهل القرية جميعاً بنجارة البيت والغيط مسانهةً فيأخذ من كل أسرة كيلتين في موسم القمح وكيلتين في موسم الذرة . ومن هذه الجباية السنوية يجتمع له ثروة من الحب تظهر بركتها في عيشه ارضى وباله الرخي وزيه الجميل واستبد النجار الوحيد بخير البلد وارتفع به الغنى إلى طبقة أعيانه . ونظر يوسف في أمره فلم يجد في نفسه حاجة يتمناها على الله غير زوجة تسكن لعُشه الخالي سكينة وزينة . والتمسها في فتيات القرية فلم ينلها ، لأن الفقيرة أقل مما يبغي ، والغنية أكثر مما يستطيع . فأشارت عليه أمه العجوز أن يتزوج من قرية أخواله وهي على بُعد كيلين من قريته ؛ فدله نصيبه على فتاة رأيناها بعد زفافها عليه ودخوله بها فإذا منظرها يملأ العين ويشغل الفؤاد : جسم بضٌّ ممتلىء يكاد الثوب من رِيّه يلتصق به ، وقوام سبطٌ معتدل يتثنى تثني الغصن الأملد ، ووجه مشرق اللون كأن على كل صفحة من صفحتيه وردة جورية ، أو تفاحة أمريكية ، وساعدان عبلان يحليهما ، من الرسغين إلى المرفقين ، أساور من الزجاج الأحمر المذهب ، ويدان رخصتان تزينهما أسطار من الوشم الأخضر المنمم وهندام مدني جرئ ، ظل حديث الدور والمصاطب مدة طويلة !

كثر الفضول حول دار النجار ، فكل امرأة تريد أن ترى وكل رجل يحب أن يسمع ، ومضت الأيام ومال بعض الجارات على بعض يقلن وهن يملأن جرارهن من النهر : إن لامرأة المعلم يوسف لوناً حين يتنفس الصبح ، ولوناً حين يمتع الضحى ؛ لونها في طلعة الشمس أسمر حائل ، ولونها في ميمة النهار أزهر مشبوب !

ثم مضت الأيام وقالت جارة لصواحبها وهن يحملن الحطب إلى البيوت : لقد رأيت بعيني محمد العطار يقف على باب النجار ويعطي زوجه شيئاً في السر فأخذته مسرعة وهي تتلفت ، وغيبته

في ثوبها وهي تهمس ، ومحمد العطار هذا بائع جوّال ينتقل بحماره وخُرجه بين القرى المتجاورة ، فيبيع اللبان اللدْن والصابون المسّك والمناديل المزركشة والفوانش الملونة ، وسلعاً أخرى تتصل بالزينة والتجميل يُسارُّ بها النساء ، فينفرن منها ويطول حديثهن عنها .

ثم مضت الأيام وجاءت جارة أخرى تعرض على جاراتها وهن يخبزن رُغفانهن في الفرن المشترك . حُقة صغيرة من الصفيح الأخضر على غطائها المستدير مرآة ، وفي جوفها الفارغ آثار من صبغ أحمر ؛ وتقول أنها التقطت هذه الحقة خفية من دار النجار ؛ وهي تؤكد أن هذا الأحمر هو (حُسن يوسف) الذي طالما أغراهن به العطار ؛ وترجح أن هذه المرأة الفاجرة تصبغ به وجهها ؛ ولا يجرؤ على تغيير خلقة الله إلا الغوازي في القرى وبنات الهوى في المدن . ولابد أن تكون هي من هؤلاء أو من أولئك .

وانتشر الخبر في القرية انتشار الظلام ، فلم يبق من لا يعرف أن زوجة المعلم يوسف تستعمل حُسن يوسف .

ثم مضت الأيام وغدوتُ ذات صباح إلى الكتّاب ومررت في طريقي إليه بدار النجار فإذا الحال غير الحال والمنظر غير المنظر: تقوض المجلس وأقفر المكان ، فلا الرجل قاعد تحت جداره ينجُر ولا الجمع حاشد من حوله ينتظر ! وأسأل نفسي وأسائل الصبيان : ما ذا صنع الدهر بالمعلم يوسف ؟ لم يعُد رجل يستأجره لعمل ، ولم تعد امرأة تزوره في حاجة ! فيقولون لقد قاطعه القريب وتحاشاه البعيد ، لأنه تزوج من الخبيزة ! والخبيزة كما علمت من بعد ، اسم يطلقه أهل المنصورة وضواحيها على الواخير ، ولمواخير الفسق ما لحارات اليهود من تعدد الأسماء في مختلف الأنحاء ، على مسماها القذر الواحد .

وطال احتباس الرجل في بيته وتعطّله من عمله حتى صدىء قدومه ومنشاره ، وبيع في الدين متاعه وعقاره . فاقترحت عليه أمه أن يطلق زوجه إبقاء على سمعته وصحته وصنعته ؛ فقال لها في إباء وألم : وما ذنب هذه المسكينة يا أماه ، وإنك لتعلمين كما أعلم أنها طاهرة الثوب قاصرة الطرف ، وإنما جنى عليها هذه الجناية تقليدها البرىء لابنة عمها المتزوجة في القاهرة . وقد حرمت على نفسها منذ أن شاع ما شاع أن تتزين حتى بالزجاج ، وأن تتجمل حتى بالكحل . والرأي عندي أن نهاجر تحت الليل إلى عزبة من العزب المنشأة في أطراف بلقاس فنستأنف هنالك حياة جديدة وعسى الله أن يجعلها بفضل براءتنا واستكانتنا موفقة سعيدة .

وأصبح الناس فاذا دار النجار مفتوحة بعد أن ظل بابها مغلقا أثناء الأنهار سنةً وشهرين لم يدخل منه داخل ولم يخرج منه خارج . فنفذ المارون بأبصارهم إلى دهليزها فلم يلحظوا حركة تبدو ولم يسمعوا صوتا ينبعث ؛ فتسللوا إليها حذرين مستطلعين فلم يجدوا وا أسفاه إلا رَبعاً أوحش بعد أنس ، وروضاً صوّح بعد بهجة ، وشملا تبدد بعد اجتماع .

ثم مضت الأيام وتعاقبت الأعوام وفعل الزمن فعله في العقول والميول فأصبحنا فإذا الرجل هو الذي يشتري الأحمر لزوجته لتصبغ ، ويخلع المعطف عن ظهر أمه لتتعرَى ، ويشعل السيجارة لأخته لتدخن ، ويقدم المراقص إلى إبنته لترقص ! !

ما أقربنا من ذلك الزمن وما أبعدنا عن تلك الحياة ! ! كان الولد يشب ثم يتزوج ثم يولد له ويبتليه الله بالتدخين فلا يستطيع أن يعلن ذلك لأبيه ، ولا يجرؤ على أن يدخن في حضرة من يكبره . وكان الأخوة لأب وأم يعيشون في دار واحدة ثم لا يرى أحدهم زوجة الآخر . وكانت المخدَّرة إذا مهّلت من حجابها ، أو تبرجت بين أترابها ، انتفت منها العشيرة وتحامتها الجيرة . ثم أمسينا فاذا المرأة هي التي تدبر الأمر وتسير العرف وتحجب الرجل . وإن مجلسي منكما هذا المجلس ، وظهوركما عليّ هذا الظهور ، لشاهدان على هذه الحال !

فقالت جارتاي بلسان أوشك أن يكون واحداً في لفظه : تلك سنة الحياة يا أستاذ ! قِدمٌ ينسخه تجدد ، وتأخر يدفعه تقدم ، ورق يخلفه تحرر ! فقلت لهما إن ألفاظ التجدد والتقدم والتحرر كألفاظ الحق والعدل والاستقلال ، لها في كل ذهن معنى ، وفي كل نظام صورة ، وفي كل أمة دلالة . لقد تقدمنا في التعليم ولم نتقدم في التربية ، وجدّدنا في الصوَر ولم نجدد في الفكرة ، وتحررنا من السوط ولم نتحرر من الهوى ، ... وهنا سحبت جارتي اليسرى من محفظتها سيجارة أخرى ، ثم بحثت عن علبة الثقاب فلم تجدها ، فاضطررت إلى أن أقطع الحديث وأدور بين الجماعة ، لألتمس لها من بعضهم ثقاباً أو ولاعة ! !

احمد حسن الزيات

سيكولوجية الحظ والنجاح

للدكتور فضـــــل أبو بكر

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
والحظ عنى بالجهال فى شغل
(الطغرانى)

الحظ أو البخت أو الجد أو غير ذلك من المترادفات العديدة التى تعنى حسن الطالع والمصادفة الموفقة ، إنما هى ألفاظ كثيرة الانتشار يجرى على كل لسان بل وفى كل زمان ومكان .

والاعتقادفى الحظ من سعيده أو سيئه ليس مقصوراً علينا نحن معشر الشرقيين دون غيرنا من أمم الأرض ؛ فالغربيون بالرغم عن دعوتهم بأنهم أكثر منا واقعية — وإن كانوا أجنح إلى المادية — يؤمنون أيضاً بالحظ وربما سبقونا فى هذا المضمار .

كلمة الحظ يرددها خاصة الناس وعامتهم . يرددها الغنى فى لهفة وجشع يود المزيد ويخشى الفقر والاملاق ، وهو يشكر للحظ ابتسامته فى كثير من الأحيان ، لأن الثراء يجذب الثراء من غير كبير عناء ، وإنما العناء والمشقة هما فى بداية الأمر عند وضع حجر الأساس لصرح ذلك الثراء والأمل وما فيه من حياة لمحتضر ، ومال لمعوز ، وسعادة لشقى ، وأنس لشجى ؛ هذا الأمل يخول الفقير المعدم أن يترقب ابتسامة الحظ وإن كانت ابتسامة شاحبة حينا وعبوساً وتنكراً من جانب فى معظم الأحيان فيتبرم بحظه ويشكو من قسوة دهره .

ظاهرة الحظ قديمة كالأزل ، فقد ندب آدم ـ عليه السلام ـ حظه وشكا من سوء طالعه الذى أوقعه فى الخطيئة بأكله من الثمرة المحرمة وما ترتب على ذلك من عقوبة وحرمان هما فقدانه الفردوس وخروجه منه ، فكانت جناية جناها على نفسه وعلى بنيه من بعده .

والإنسان من أقدم العصور قد شخص ببصره إلى السماء يرصد نجومها ويترقب ما يجرى فى عالمها ، يسائلها عما يخبئه له الغيب من حظ سعيد أونحس يحل به . وقد تمخض عن ذلك علم « التنجيم » ثم تطوره بمرور الزمن إلى علم ثابت الأساس هو علم الفلك الحديث . ولأسباب مشابهة — إن لم تكن مطابقة — بحث عن « حجر الفلاسفة » الذى إذا ما لامس معدنا ما صيره ذهباً فجلب بذلك السعد والغنى ؛ وقد كان ذلك من أكبر العوامل فى وجود علم الكيمياء القديم الذى تطور منه علم الكيمياء الحديث ...

وتلك التمائم والأحجبة التى لجأ إلى استعمالها الإنسان منذ أزمان بعيدة ، وما زالت بعض الشعوب البدائية تستعملها إلى يومنا هذا ، إنما ترمى كلها إلى غاية واحدة هى جلب الحظ السعيد ودرء النحس والأذى .

كذلك العرب ، كانوا فى جاهليتهم يتفاءلون ويتشاءمون ، يؤمنون بحسن الحظ ويتقون شر النحس وسوء الطالع ، يتشاءمون من بعض الحيوانات وخاصة بعض الطيور مثل البوم والغربان . وها هوشاعرهم يقول من قصيدة يعاتب فيها قومه ويفاخر بتسامحه وبكونه يدرأ السيئة بالحسنة :

وإن زجروا طيراً بنحس تمر بى زجرت لهم طيراً تمر بهم سعداً

بيد أن بعض الناس ، برغم فكرة الحظ السائدة — أو ظاهرته كما يحلو لى أن أسميها — لا يؤمنون بالحظ ، ويعتقدون بأن الايمان بالحظ فيه شىء من ضعف الايمان بالقضاء والقدر وإن كنا لا نشاركهم فى هذا الرأى ، إذ أن الاعتقاد فى القضاء والقدر لا ينافى بحال من الأحوال الإيمان بوجود السعد والنحس .

وهناك بعض من الناس ينكرون الحظ ويحسبونه ضرباً من الخيال والخرافة ورأيهم فيه هو رأيهم فى « الغول والعنقاء » وينعتون من يؤمن بالحظ « بالمشعوذين » والمهووسين .

وفئة أخرى تؤمن بالحظ فى قرارة نفسها وتنكر ذلك أمام غيرها لأن فى ذلك خروجاً عن العرف على سبيل « خالف تعرف » كما أن فى ذلك — كما يتوهمون — دليلا على القوة والاعتماد على النفس والاعتداد بها .

بعض ظواهر الحظ ومناقضاته :

نشاهد فى كثير من الأحيان أن نفراً من الناس قد يلازمهم الحظ السعيد طيلة حياتهم فيفوزون بالجاه والثراء ويصلون إلى القمة من أقصر طريق وبغير عناء شديد ، مع أن مؤهلاتهم

لا تتناسب مع ما حصلوا عليه بل تتنافى معه فى بعض الأحيان ، وقد يختلف الناس فى تعليل ما يشاهدون ولكنهم يتفقون جميعاً بأن ذلك النفر محظوظ سعيد .

ونرى أيضاً بعض ذوى الأعمال من الرجال يغامرون فى مشروعات ضخمة ينفقون فيها المبالغ الكبيرة من المال من غير وجل ولا خوف مستبشرين متفائلين ، يكاد الواحد منهم يجزم مقدماً بنجاحه فى شىء من الالهام وقد تسفر النتيجة فى معظم الأوقات عما توقعوه ، مع أن نجاحهم قد لا يكون ناتجاً عن تفكير أو تبصر فى عواقب الأمور ، ومثل هذا النفر يرسم لهم الحظ خطاً يسيرون عليه سيراً « آلياً » بخطوات ثابتة .

كذلك ما نشاهده حول « الموائد المستديرة » للعب الميسر نرى بعض اللاعبين قد تكاثرت أرباحهم وقد يكون ذلك ناتجاً عن كونهم أمهر من خصومهم ، ولاسيما فى بعض الألعاب التى تحتاج إلى مهارة مثل النرد والدومينة و « البردج » ، ولكن هنالك أنواعاً من الميسر لا تحتاج إلى حذق أو دراية فى كثير أو قليل مثل أوراق « اليانصيب » إذ من الناس من يفوز بربحها مرات عديدة مع أن غيره قد يكون أكثر مواظبة على شرائها ، وقد يشترى منها الشىء الكبير ومع ذلك يخسر على الدوام .

ومن الناس من يلازمهم النحس طيلة الحياة ، رغماً عما يتصفون به من كفاية ودماثة أخلاق ؛ وإذا حصلوا على شىء من الجاه ، فهو أقل بكثير مما يستحقون . والكاتب البلجيكى « ماترلنك » وهو كاتب درامى مشهور نال جائزة نوبل سنة ١٩١٣ يضرب لنا مثالا ناطقاً لبعض منكوبى الحظ فى وصف جاء منه : « أتيح لى أن أتتبع عن كثب حياة صديق بائس خانه الحظ ولازمه النحس فى كل خطوة خطاها . كان مثالا لدماثة الخلق ورجاحة العقل ، ورغما عن ذلك فقد أخفق فى معظم ما تصدى له من عمل ، كما كان يجيد ألعاب الفروسية ، ويحسن استعمال المهند القرضاب ومع ذلك فقد هزمه خصم هزيل ثلاث مرات متوالية وجرح فى كل مرة ، وكان ذلك على أثر خصومة سياسية أفضت بهما إلى المبارزة وألجأتهما إلى تحكيم السيف ، كما تخلى عنه معظم أصدقائه رغما عن وفائه لهم إذ الناس ينفرون ممن ينفر منهم الحظ ، ويقبلون على من يقبل عليهم . ولم تكن حياته الغرامية بأسعد حظا من حياته الاجتماعية ، فقد أحب وأخلص فى الحب ولكنه لم يجن من حبه إلا الخيانة ولم يحصد غير الغدر » .

ظاهرة قانون التسلسل والتتابع :

يقول المثل « إن المصائب لا تأتى فرادى » ، وهو يطابق تماما المثل الفرنسى « un malheur ne vieut jamāis seul » نشاهد فى كثير من الأحيان بأن المصائب تتلاحق ويسبب بعضها بعضا ، كما أن النجاح والسعادة يفضيان إلى غيرهما فى شبه سلسلة ذات حلقات سعيدة .

ويمكن أن نطبق هذا القانون على سيرة بعض عظماء الرجال مثل هتلر ونابليون وغيرهما من كبار الناس . ولنأخذ مثلا لذلك نابليون بونابرت .

لما كان نابليون طالباً فى المدرسة الحربية بباريس قال عنه يوماً بعض أساتذته : « إن هذا الطالب القرصقى جنسية وأخلاقاً سوف يتبوأ مكانا عاليا إذا واتاه الحظ » . وقد صدقت نبوءة ذلك الأستاذ وسطع نجم نابليون وتألق .

امتاز نابليون فى حصار ميناء طولون سنة ١٧٩٣ ، وهزم الانجليز وأنصارهم من الفرنسيين الملكيين ، ورقى إلى وظيفة جنرال على أثر ذلك ، كما انتصر انتصاراً باهراً فى حملته على الايطاليين سنة ١٧٩٦ ثم فوزه على النمساويين سنة ١٨٠٠ ، ثم هزيمته للروس سنة ١٨٠٥ ، وبروسيا الشرقية سنة ١٨٠٦ ، ثم هزيمته لأسبانيا والبرتغال بعد ذلك ، وهكذا أضحى نابليون سيد أوربا وأعظم رجل بها .

ثم بدأ يخونه الحظ ويأفل نجمه رويداً رويداً وكان بدء ذلك بعد حملته الغير موفقة ضد الروس سنة ١٨١٢ ، إذ حلت بجيوشه هزيمة منكرة فى سهول روسيا المترامية الأطراف المكسوة بالجليد ففتك البرد بجيوشه التى لم تجد مأوى ولا قوتاً ؛ وبعد ذلك هزيمته فى « ليبزج » سنة ١٨١٣ ، واحتلال فرنسا سنة ١٨١٤ ونفى نابليون فى جزيرة « ألبا » ، ثم فراره منها وجمعه لفلول جيوشه التى هزمت هزيمة نكراء فى واقعة « واترلو » سنة ١٨١٥ ونفيه فى جزيرة « سنتهيلانة » ، حيث ظل بها يعانى من قسوة الطقس آلاماً جسمية ، ومن قسوة الهزيمة والاخفاق آلاماً نفسية ، حتى قضى نحبه سنة ١٨٢١

إن سيرة هذا البطل تخضع لقانون التتابع فى صورة واضحة . نجاح متلاحق متواصل يجذب بعضه بعضا حتى إذا ما وصل إلى القمة أعقبه هبوط متواصل أيضاً كما لو كانت الجاذبية تعمل عملها بجذبها إلى مركزها كل جسم من الأجسام ، وكما تفعل مع جسم قذفته إلى أعلى طبقات الجو فهو يصل إلى غايته القصوى ، ثم بفعل الجاذبية يهبط فى خط أقرب إلى الشكل البيضاوى على حد قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصـه   توقع زوالا إذا قيل تم

أو قول الآخر :

ما طـار طـير وارتفـع   إلا كما طـار وقـع

تبدو هذه الظاهرة أى ظاهرة قانون التتابع غريبة حقاً ، وأكبر عامل يمكننا أن نعلل به هذه الظاهرة هو الثقة بالنفس والايمان بمقدرتها . إن الثقة بالنفس أساس كل نجاح ، والنجاح بدوره يزيد من تلك الثقـة ويقوى الايمان ، فيتضاعف المجهود ويصـدق العزم ، وهكذا يجذب النجاح بعضه بعضاً فى معظم الأحيان كما يحدث عكس هذا عندما تضعف الثقة بالنفس ؛ يحدث الإخفاق وتتوالى المصائب والإخفاق بدوره يزيد من إضعاف الثقة بالنفس والروح المعنوية ، وهكذا فى شبه دائرة خبيثة حتى تنعدم نهائياً الثقة بالنفس حيث لا يكون غير الهبوط والإخفاق .

الأحاسيس التى تبشر بالسعد أو تنذر بالنحس :

هذه ظواهر مشاهدة لدى الكثير من الناس وقد قصت علينا سيدة تشتغل بالتجارة أنها تشعر مقدما بما إذا كان التوفيق سيحالفها فى عملها أم سوف يخونها الحظ ، فزعمت أنها فى الحالة الأولى تشعر بنشاط يغمرها وبشر يشع من محياها كما تجد فى نفسها مقدرة على التعبير والاقناع وقلما يفلت الزبون — فى مثل هذه الأحوال — من قبضتها كما أن توفيقها فى إبرام صفقة رابحة يرفع من روحها المعنوية ويكثر من تفاؤلها .

كذلك تروى لنا السيدة المذكورة أنها تشعر فى أحيان أخـرى بانقباض فى النفس وقلق — علمتها التجارب بأنهما مقدمة لعدم التوفيق والنحس فيما تقوم به من أعمال ، وإنهـا لتجزم مقدماً — فى مثل هذه الأحوال بالخسارة ، أو على الأقل بقلة الربح .

ومثل هـذه الأحاسيس يشعر بها لاعبو الميسر ، بل هم أعرف بها من غيرهم .

وهنالك ظاهرة « التخاطر » التى أثبت علم النفس وجودها كما اعترف وأقر بها « بيرجسن » ، وهى أن ترى رأى العين صديقاً أو قريباً بمناسبة حادث خطير وقع لهما أو تسمع صوتهما وأنت فى كلتا الحالتين متمتع بجميع قواك العقلية ، وفى حالة صحو تام .

كذلك قد يكون هذا التخاطر فى صورة أحلام ، وقد تنبىء هذه الظاهرة — سواء كانت فى حالة يقظة أو فى نوع من الأحلام — بما سوف يحدث من خير أو شر .

بعض الطرق المؤدية للنجاح :

١ — الاعتماد على النفس : هو أساس كل نجاح فى الحياة وهو ناتج عن القوة والثقة بالنفس ، كما أن عدم الثقة بالنفس هو علامة الضعف ومدعاة للتردد ؛ والمتردد لا شك فاشل على حد المثل الانجليزى القائل « He who hesitates is lost » .

٢ — تجنب سوابق الإخفاق : إن الإخفاق سابقة تجر إلى غيرها لأن فى ذلك إضعافا للثقة بالنفس ، وإذا تكررت فقد تخلق عقدة نفسية عصية الحل ومركباً للنقص يصعب الخلاص منه كما يحدث فى « فسيولوجية » الهضم مثلا إذا أصيب إنسان مرتين أو ثلاث مرات متوالية بسوء الهضم فقد يخلق فى نفسه نوعاً من الخوف « Phobie » كفيلا باحداث اضطراب قد تطول مدته . لهذا كان على الطالب الذى يريد أن يدخل فى امتحان هام — كالمسابقات — ألا يقدم على ذلك إلا بعد تحضير كاف يكفل له النجاح وألا يقـول — كما يقول الـكثيرون — : دعنى أجرب حظى .

دكتور
فضل أبو بكر
عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

إسماعيل فى شـــعر شوقى

للأستاذ أحمـــد احمد بدوى

لأسرة شوقى صلة قديمة بإسماعيل سمحت له فى إحدى قصائده أن يقول إنه ولد ببابه ، وكان لأبيه وجده من قبل ، صلة بآباء إسماعيل ، قال الشاعر فى مقدمة كتابه الشوقيات : « أخذتنى جدتى لأمى من المهد ، وكانت منعَّمة موسرة فكفلتنى لوالدىَّ وكانت تحنو علىَّ فوق حنوِّهما ، وترى لى مخايل فى البرّ مرجوّة حدثتنى أنها دخلت بى على الخديو إسماعيل وأنا فى الثالثة من عمرى ، وكان بصرى لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه فوقعتُ على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدّتى : اصنعى معه مثل هذا ، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت : هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاى ؛ قال : « جيئى به إلىَّ متى شئت . إنى آخر من ينثر الذهب فى مصر » وتلك القصة تدل على ما كان بين أسرة الشاعر وعاهل مصر الكبير من رباط وثيق . ومن المؤكد أن لو كان امتدَّ الزمن بإسماعيل فى مصر ، حتى نضجت مواهب شوقى فى الشعر لكان شاعره الأثير ، فقد عرف هذا العاهل برعايته للأدب وحبه للشعراء ، ولكن الأيام لم تلبث أن أبعدته عن العرش سنة تسع وسبعين وثمانمائة وألف ، وشاعرنا طفل لا يعدو العاشرة من عمره بكثير أخذ الزمن يمضى ، وإسماعيل مبعد عن بلاده حتى وافته منيته فى مارس سنة خمس وتسعين وثمانمائة وألف ، واستقبلت مصر جثمانه ؛ وهنا يثور الشعر فى صدر شوقى أمام هذا المشهد الفذ من مشاهد الحياة ، فيضع قصيدة إسماعيل ، يحدثنا فيها عن حياته أو عن العبرة فى حياته ؛ وإن الجو الذى تخلقه هذه القصيدة ، وتحيط به القارئَ جوّ حزن وأسى ، والشعور الذى تبعثه فى النفس شعور أسف على أن تكون هذه الخاتمة خاتمة ملك ملأ عين الدنيا وسمع الزمان حيناً طويلاً من الدّهر .

ليت شعرى أ كانت تلك الحياة غير حلم بهيج امتدَّ ما شاء له الله أن يمتد حتى إذا انقضى الحلم لم يجد صاحبه شيئاً منه فى يديه

حلم مدَّه الكرى لك مدّا   وسدى تبتغى لحلمك ردّا
وحياة ما غادرت لك فى الأحياء قبلا ، ولم تذر لك بعدا

ولم لا تكون حياة إسماعيل تلك الحياة ، وقد جمعت الضدين : السعادة والبؤس ، وعظمة السلطان ، وارتفاع الشأن ، ثم الانزواء فى مكان ناء حيث لا أمر ولا نهى ، ولا تاج ، ولا صولجان :

لم ير النـــاس مثل أيام نعما   ك زماناً ولا كبؤسك عهدا
كنت إن شئت بدّل السعد نحساً   وإذا شئت بدّل النحس سعدا
قائماً بالعطاء والسلب فينـــا   كالليالى أو أنت أكبر أيدا
يتمشى القضـاء خلف نواهيـــك حديد الأظفار يطلب صيدا
ويظل السراة منك كريم   رضيت رفده العنـــاية رفدا
ومعز يصيِّر القيـــد تاجاً   ومذل يصيِّر التـاج قيـدا
أنت من مثَّـل السعادة لو لم   يك ذاك النعيم أخذاً وردّاً

ولقد أنصف شوقى إسماعيل وكان صريحاً عنـد ما وصف نفسية إسماعيل بأنها نفسية أبيَّة تبغض أن تجد يداً أجنبية تحاول أن يكون لها نصيب فى ملكه وسلطانه ، فالعاهل العظيم لا يؤوده الدين ، ولو كان فى ضخامة الجبال ، ولكن الذى لا يستطيع احتماله ، ولا يطيق عليه صبراً ، أن يجد دائنه يحاول أن يفرض عليه سلطانه أو أن يسلبه شيئاً من حرية الرأى والعمل :

قصد الدهر منك ركن المعالى   ورمى طودها الذى كان طودا
والأبىُّ الذى أبى العصر فى الملك شريكا لو أنَّ ذلك أجدى
لم ينؤ بالجبال ديناً ولكن   ودَّ منه الغريم ما لم يودَّا

ولقد رجع شوقى القهقرى ، فعاد إلى ذلك العهد الذى استقبلت فيه مصر ارتقاء إسماعيل عاقدة عليه كبار الأمانى والآمال وها هو ذا الأمير النبيل يحقق آمال وطنه فيه بتلك الهمة العالية التى تريد أن تحيل الجهل علماً ، والضعف قوة ؛ فهاهى ذى يده تشيد فى كل يوم للعلم صرحاً ، وتنشئ للوطن جيشاً ، وتقيم مظاهر الحضارة والعمران لتصبح مصر جديرة بأن تنال ما هى أهل له من عظمة وجلال ، وها هو ذا العاهل العظيم يصغى إلى أمنية بلاده فى الحكم النيابى ، فتنال الأمة ما تتمناه ، ويصون لها مظهرها الخارجى ، فوفوده تترى إلى الملوك تنبئهم بأن مصر استيقظت تريد أن تظفر بمكانها نبيلة كريمة ، وإذا كان لسلاطين الترك على مصر شىء من الأمر ، فهدايا إسماعيل تعرف كيف

تستخلص حقوق مصر من أيديهم ، والمال فى سبيل الآمال رخيص مهما كان كبير المقـدار . استقبلت مصر إسماعيل يوم ولايته بقلب عامر بالآمال :

لبس الشرق من لقائك تاجاً ... وتلقى أعوام رشـدك عقدا
وجرت فيه بالسـعود جوارٍ ... لك منّين مصر ملكا ومجدا
كلَّ يوم صرح يشـيَّد للعلـم ، وظلٌّ يمدُّ فى مصر مدَّا
ولواء ، وعـدَّةٌ ، وعـديد ... ونظامٌ نرى به الشهب جندا
وغزاة فى البيض والسود تبغى ... مصر فيهـا مجدداً مستردَّا
وبريد لهـا تسـيل به القضب ، وثان بالبرق أجرى وأهدى
وخطوط بها التنـائى تَدان ... وبخـارٌ به الأقاليم تنـدَى
وبيـوتٌ لله ترفعُ فيهـا ... وقصورٌ تُشادُ للحكم شيدا
وأمانىّ للرَّعيَّـةِ توفى ... وحقوقٌ فى كلِّ يوم تُؤدَّى
ووُفودٌ إلى الممالك تزجى ... وثمينٌ إلى الخوانيق يُهدى

وفى هذا البيت الأخير سياسة إسماعيل نحو سلاطين آل عثمان يهدى إليهم ثمين الهدايا ، ليظفر منهم بما يحقق آماله وأمانيه .

ولـكن إسماعيل يسير إلى غاياته فى غير تمهل ، ويمضى إلى هدفه غير متلبث ولا وانٍ كأنه كان يخشى — والعمر قصير — ألا يحقق آمال قلبه الـكبير ، وهنا يتحدث شوقى وكأنه يهمس إلى الأمير العظيم أو يناجيه بأن فى التأنى السـلامة ، وما كان أخلق الأناة أن تحفظ التاج لربِّ التاج ، وأن تصون السعادة والمجد للراعى والرعية ! وما كان أخلق الحذر بأن يصون العرش من تلك الأيدى التى امتدت رقيقة ناعمة ، فلما ملـكت أصبحت شديدة عسراء . ولنصغ إلى هذه المناجاة الحزينة :

يا كبير الفؤاد والهم والآ ... راب مهلاً مهلاً رويداً رويدا
لم تـكن حقبة أساءت عليّاً ... فى جنى عمره لتحفظ ودَّا
خذلت منه واحد الترك والعرب ، وسامت سيف المشارق غمدا
لا غراماً بحاسـديه ولـكن ... رهباً أن يبلـغ الشرق قصدا
ولأنت ابنه الذكى فهـــلا ... جئت بالطلبة الطريق الأسدا
فتأنيت ، والتأنى فـــلاح ... وهو ياثاقب النهى بك أجدى
وحميت الأيدى الموادى أن تد ... نو ، وأن تمتلى ، وأن تتصدى
بالغت بعـد لينها لك فى المـ ... ـر ، وصار الوعيد ماكان وعدا
وإذا العصر والملوك خصوم ... لك ، والناس والمحبون أعدا

ويختم هذه المناجاة بهذا البيت الحزين المبدوء بلو :

ولو أنا صـــنا وصنت ، لمشـ[illegible]ـنا الدهر فى العز والسيادة رغدا

وكأن هذه المناجاة قد أثارت فى نفس الشاعر الـكبير ذكرى هذا اليوم الذى لا ينسى فى تاريخ إسمـاعيل ، وهو يوم افتتاح قناة السـويس . وهل شهدت مصر فى تاريخها الحديث مهرجاناً مثله ، جمل اسم إسمـاعيل على كل لسان ، وذكر مصر فى كل مكان . أين هذا اليوم الذى جمل البحرين يلتقيان ، وأضافت مصر فيه ملوك الزمن ، وعظماء الأمم ، يجدون عند إسماعيل ، كرماً أندى من البحر ، وأعذب من ماء النيل . ما بال هؤلاء الملوك قد تغيروا مع الدهر ، وانقلبوا انقلاب الأيام ! وما بال تلك الصور قد مرت كأحلام الليل ، لا يلبث الصبح أن يتنفس حتى تمضى ولا تعود !

نهضت مصر بالزمان نزيلا ... وبأهليـــه يوم ذلك وفدا
خطروا بين زاخرين ولاقوا ... ثالثاً من نداك أحلى وأندى
بين فلك يجرى وآخر راس ... ولواء يحدو ، وآخر يحدى
وملوك صـيد يراح بهم فى ... واسع الريف والصعيد ويغدى
صور لم يكنَّ حقاً ، وحلم ... لجع الصبح فيه لـمـــا تبدى

وهنا لاينسى شوقى أن هذا الجلال الذى بدت فى ثيابه البلاد قد دفعت مصر ثمنه غالياً ، قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ، وكأن عقل الشاعر ضاق عن أن يدرك كيف أنفقت فتساءل قائلا :

وقناطير يجفـل الحصر عنها ... كل يوم تمـدها مصر عدا
ليت شعرى ؟ هل ضمن فى الماء ، أم هل ... يضــــمر المـاء للودائع ردا

ولـكن الشاعر كان عظيم التفاؤل فأقسم ليعودن هذا المال إلينا كما ذهب ، ولسوف تـكون تلك القناة مصدر سعادة الوطن كما كانت ينبوع بؤسه وشقائه فيقول :

ليعيدنها إلينـــا بوقت ... زمن طالمـا أعاد وأبدى
إن ماء أجرت يداك لنرجو ... أن سيحيى البلاد من حيث أردى

ويخيل إلى أن سر هذا التفاؤل إنما هو التأدب أمام ذكرى الراحل الـكريم ، أما الحوادث التى مرت على الوادى بسبب القناة فقد أوحت إليه بالسخط على حظ مصر منها . وها هو ذا يقول فى قصيدته الـكبيرة التى يؤرخ فيها لـكبار الحوادث فى وادى النيل

جمع الزاخرين كرها فلا كا   نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عنـد أبيض للبرايا   حصة القطر منهما سوداء

وليس منشأ تلك النظرة السوداء إيمانه بأن تلك القناة عمل باطل لا خير فيه للوطن، بل هى — كما قال فى أسواق الذهب — عز الغد، وكنز الأبد. والمنجم الأحد، والوقف الذى إن فات الوالد فلن يفوت الولد.

وإذا كان هذا المجاز — كما قال أيضاً — هو حقيقة السيادة، ووثيقة الشقاء أو السعادة، خيط الرقبة، من اغتصبه اختص بالغلبة، ووقف للأعقاب عقبة — فلن تكون مصر السعيدة الرابحة إلا إذا كان لها خالصاً، وسلطانها عليه تاماً. ولقد كان شوقى صادقاً فى ثورته، شأن كل مصرى يرى على ضفتى القناة جنوداً وعُدَّة ليس لمصر فيها فتيل ولا قطمير، يقول شوقى لولديه أنظرا ترى على العَبْرين عبرة الأيام، حصون وخيام، وجنود قعود وقيام؛ جيش غيرنا فرسانه وقواده، ونحن بعرانه وعلينا أزواده، ديك على غير جداره خلا له الجو فصاح، وكلب فى غير داره انفرد وراء الدار بالنباح.

ولا زال هذا شعورنا إلى اليوم، فما دامت القناة ليست لنا فهى خطر البلاد الأغبر، من التقاء الأبيض بالأحمر. ولعل ما تنبأ به شوقى يتحقق فى القريب فتحيا البلاد بالقناة، وتصبح ينبوع عز ومجد ورخاء.

وإذا كان يوم افتتاح القناة من أيام إسماعيل التى لا تنسى؛ فهناك من آثاره الغر المخلدة مالا ينساه التاريخ ولا تستطيع مصر أن تنساه يوماً؛ فقد أنشأ لها جيشاً مدرباً قادراً، فتح به أرجاء السودان وقسمه ونظمه، وإن ارض السودان لجديرة أن تفتدى بالمال والدماء. وقد امتدت الآمال بإسماعيل، وداعبته الأمانى، تغريه أن يملك كل منابع النيل. فلم يكفه خط الاستواء، وراح إلى الحبشة يغزوها، يريد تلك المنابع التى تجلب الخير إلى مصر مع طميها. وكم ودّ أن يركز فوق تلك المنابع رايته، فكانت غزوة مشئومة أودت بجيش مصر، ولننصت إلى الشاعر يحدثنا بزهو وفخار عن جهود إسماعيل فى السودان:

وملكت السودان فى الطول والعر   ض، وفى شأنه لمعظم عبـدا
نلت بالمال والدما منه أرضاً   بجبال الياقوت والدر تفدى
ثم نـظّمته ممـالك كانت   نار تنظيمها سلاماً وبردا
فهنئنا به السعادة عمراً   وأصبنا به المعين المدا
وطريق البلاد نحو المعالى   وسياجاً لملك مصر وحداً

ولكن هذه النغمة الفرحة لا يلبث أن يشوبها الألم والحسرة عند الحديث عن غزوة الحبشة وما نال جيش مصر القوى فيها.

ليت لم تغش بعده فى حماها   حبش الكر والخديعة أسدا
سلبوا مصر أى جيش كريم   كان للمجد والفخار أعدا

وما أشد الحسرة تنبعث من هذا البيت:

أنت أنشأته فلم تر مصر   جحفلا بعده، ولم تر جندا

وهنا تنهار آمال إسماعيل فى فتح تلك الديار.

ونفضت اليدين يأساً على الرغ   م كأن لم تجد من الصبر بدا
وإذا لم يكن من الله عون   فاطراح الآمال بالنفس أبدى

وحين انتهى شوقى إلى هذا الحد، وقف يتأمل العبرة فى هذه الحياة المجيدة التى قلب الدهر لها ظهر المجن، «وما إسماعيل إلا قيصر لو أنه وفق، والإسكندر لو لم يخفق». ولقد راع شوقى أن رأى الناس يشبهون الدهر فى غدره وتقلبه، فأين الملوك الذين وفدوا إليه، وأين السادة الذين تربوا ببابه، وأين الأصدقاء الأوفياء؟ لقد أعرض كل هؤلاء وجفوا، وكفر بالنعمة قوم لو لا إسماعيل ماعرفوا معنى الحياة.

ما لمصر رآك فى العز لا ير   سل دمعاً، ولا يبلل خدا
أين ود عهدت منه وعطف   وولاء مؤكد كان أبدى
وملوك له أتتك وسادا   ت حداها إليك وفداً وفدا
أبت الناس فيك للناس إلا   أن يجاروا الزمان وصلا وصدا
فرأيت الحميم أول جاف   ووجدت الولى فى البؤس ضدا
ورجالا لولاك لم يعرفوا العيـ   ش أبوا أن يقدّموا لك حمدا
ما رأوا بعدك الأمور ولكن   يحسنون الكفران حلا وعقدا

ولقد مر بمصر من الأحداث ما كان مدعاة لأن يذكر الناس هذا العاهل، وما كان ينتظر منه لو أنه ظل على العرش يحوطه ويرعاه. ولقد كان الظرف الذى أنشئت فيه تلك القصيدة مدعاة لأن يثير فى نفس الشاعر هذا المعنى، وما كان أخلق دهاء إسماعيل أن يمر ببلاده وقت العاصفة بسلام لو أنه لم يقص عن عرشه إقصاء

بان مجد البلاد إذ بنت والصفـ ـو ، وكان الرجاء حياً فأودى
ودهتك الخطوب فينا فلم تتـ ـرك صواباً لنا ولم تبق رشدا
ولقينـا من الحوادث ما لم يك يعيـا به دهاؤك ذودا
فبكى البائسون منك حساما طالمـا قدّ هامة الخطب قداً
وبصيراً إذا المشورات لم تنجد ذويها ساس الأمور مُسدا

والآن بعد أن قضى حقوق التاريخ ، ووقف يستقبل هـذا الجسد الهامد ، عاد إلى وطنه بعد طول غيبة ، ليرقد فيـه رقدة الأبد ، وليستريح بعد ما قاساه من عناء الغربة ، وبعد البنينَ ، وفقدان الصحة والشباب ، والجاه والسلطان ، وإن مصر لوفية وإن ظُن منها الجفاء ، مقبلة وإن خيل منها الإعراض ، لا تحمل لخادمها بغضاً ، ولا تكن له حقـداً ؛ وإذا كانت الظروف قد جرت على مصر بعض المحن فقد غفرت مصر لإسماعيل كل شيء ؛ فقد كان يبغى لها المجد وضخامة السلطان ، وترك لها ما خلد من جليل الآثار .

نازح الدار ما لبينك حـد ولقرب الديار زادك بعدا ؟ !
هكذا من قضى حنيناً وشوقاً وأنيناً مع الظلام وسهدا
شاكياً للبنين والأمر والصحـ ـة والجاه والشبيبة فقدا
عد إلى مصرك الوفية وانزل فى ثراها واسكن من المهد لحدا
لاتقل أعرضت بلادى وصدت مصر خير هوى وأكرم عهدا
وقبيح بالدار أن تعرف البغض وبالمهد أن يباشر حقدا
غفرت مصر ما مضى لعلىّ وبنيـه وللحفيد المفدى
ولآثارك الجلائل فيهـا والجسم من نأيها خر هـدا

وختم شوقى قصيدته محاولا أن يظهر سأمه من الحياة وبرمه بها ، ولكنه ضعف ونزل عن مستوى قصيدته الأول : ولم يدل شعره على انفعال حقيقى حاد .

لقد أنصف شوقى إسماعيل فى تلك القصيدة فذكر بإعجاب مآثره على هذا الوطن ، ولم ينس أن يبين برفق فضل الأناة والإصلاح على مهل .

ولشوقى مقطوعة أخرى قالها حين أشرف فى مدينة نابلى على الدار التى كان يقيم فيها إسماعيل ، وهنا ذرف عبرتين أثارها فيه هذا الزمن المتقلب وما مر بإسماعيل من إدبار بعد عز ونعيم ، فها هو ذا يضطر إلى مغادرة داره والرحيل عن بلاده ، ويستقبل فى كل يوم من الدهر آلاماً مبرحة حتى تنتهى متاعبه بالموت :

أبكيك إسماعيل مصر وفى البكا بعد التذكر راحة المستعبر
ومن القيام ببعض حقك أننى أرثى لعزك والنعيم المدبر
هذى بيوت الروم كيف سكنتها بعد القصور المزريات بقيصر
ومن العجائب أن نفسك أقصرت والدهر فى إحراجها لم يُقْصر
ما زال يخلى منك كل محلة حتى دفعت إلى المكان الأقفر

وشوقى فى غير هذا الشعر الذى خصه بإسماعيل وأنشأه من أجله لا يكاد يعرض لذكره إلا مقترناً بأسمى آيات الإجلال والتكريم ، فهو وفى لأبناء إسماعيل ؛ لأنه ولد ببابه وارتدى آلاءه فمن العار أن يخونه فى بنيه .

أأخون إسماعيل فى أبنائه ؟ ! ولقد ولدت بباب إسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيته فلبست جزلا وارتديت جميلا

وعند افتتاح الجامعة المصرية ، وكان الفضل فى إنشائها لإبنة إسماعيل الأميرة فاطمة لا ينسى شوقى أن يشيد بولائه لبيت إسماعيل وأن يرى فى عمل الأميرة قبساً من نور والدها العظيم فيقول :

شمائل كان إسماعيل معدنهـا قد يخرج الفرع شبه الأصل للناس

وكثيراً ما نراه فى حديثه مع المغفور له فؤاد الأول يلقبه بابن إسماعيل ويدعوه أن يقفو فى الإصلاح إثر المصلح الكبير :

هلمّ مثال إسماعيل وانسج على منواله المنن الجساما

وأحب أن أشير إلى موضعين آخرين أطال فيهما شوقى الحديث عن إسماعيل . أما الموضع الأول فالقصيدة التى ودّع بها اللورد كرومر ، وقد أقام له رئيس الوزراء يومئذ مصطفى باشا فهمى حفلة وداع فى دار الأوبرا ، وخطب اللورد فى هذه الحفلة فأهان الأمة وأهان الخديو إسماعيل فى وجه الأمير حسين كامل ولم يراع شيئاً من الأدب ولا المجاملة ، فأنشأ الشاعر فى ذلك الحين قصيدة ثائرة ، تعبر عن نفس كايمة وقلب موتور . وليس المجال مجال تحليل تلك القصيدة الرائعة ، ولكننى أكتفى هنا بدفاع شوقى عن إسماعيل ، فقد تمدّح المحتل بأنه جلب لمصر الغنى ومدّ لهـا أسباب الحضارة ، وقضى على إسراف إسماعيل وتبذيره فخاطبه قائلا :

قالوا جلبت لنا الرفاهة والغنى جحدوا الإله وصنعه والنيلا

وحيـاة مصر على زمان محمـد   ونهوضها من عهـد إسماعيلا
ومدارساً يبنى البلاد حوافلا   حظ الفقير بهن كان جزيلا
قد مدّ إسماعيل قبلك للورى   ظل الحضارة فى البلاد ظليلا
إن قيس فى جود وفى سرف إلى   ما تنفقون اليوم عدّ بخيلا
أو كان قد صرع المفتش مرة   فلـكمَ صرعت بدنشواى قتيلا
لا تذكر الـكرباج فى أيامه   من بعـد ما أنبتّ فيه ذيولا

وما أجمل هذا التهـكم يزجيه شوقى للمحتل الذى يعدُّ من سيئات إسماعيل إكثاره من بناء القصور :

وامدح قصوراً شادهنّ بواذخاً   قد أصبحت مأوى لـكم ومقيلا
لوْ أنهُ لم يبنهـا لتخـذتمو   منها المضارب والخيام بديلا

والموضوع الثانى قصيدة أنشأها يُحيي بها المؤتمر الجغرافى الذى وفد إلى مصر فى عهد الملك فؤاد ، وكان إسماعيل قد أنشأ فى عهده سنة خمس وسبعين وثمانمائة وألف جمعية جغرافية وكان المؤتمر نزل بدارها فـكان فى ذلك ما يجـدّد ذكر إسماعيل قال يخاطب رجال المؤتمر :

كفى بدار تبوأتم أرائـكها   من عبقرية إسماعيل عنوانا

ولقد هاجت به الذكرى فذكر أنه لو أدرك عهد إسماعيل لنال ما لم ينله المتنبي من سيف الدولة :

ولو مشت بى الليالى تحت كوكبه   غادرت أحمد نسياً وابن حمدانا

وقد وجد شوقى المجال لإحياء ذكرى إسماعيل فأخذ يعـدّ مآثره وجليل أعماله :

ذو همة كفؤاد الدهر لو نظرت   إلى بعيد دنا ، أو جامح لانا
بانى المآثر يعجزن الملوك بنى   بكل أرض لـكسرى العلم إيوانا
مدّ الـكنانة أطرافاً ووسّـعها   ملكاً وأترعها خيلاً وفرسانا
وفجّر المـاء فى جناتها فسقى   ما كان بين عيون النيل ظمآنا
ونص فى ثبج الصحراء رايتها   كالنجم يهدى بأقصى الليل حيرانا
لا تبرح الخيل بالسـودان ملعبها   حتى تنازل بالصومال أرسانا
ولا حقيقة من ملك ومن وطن   حتى ترى السيف دون الملك عريانا

وقد أفصح شوقى فى هذه القصيدة فذكر أن الذى أحبط جهود هذا العاهل ، فلم يجن ثمار عمله ، هو إنجلترا أدهى الممالك وشيطان الدول ، فأينما كان يتجه يجد منها ما يفسد عليه غايته :

شيطان ملك وفتح قد أتيح له   أدهى الممالك والدولات شيطانا
لم يمض فى غارة إلا أصاب لها   كيداً ينازعه الغايات يقظانا

وهكذا ضاعت آمال إسماعيل التى بناها ، يريد بنـاء ملك عريض وطيد :

خيـال ملك تلمّسنا حقيقته   فأخطأتنا ، وكانت حظر (يابانا)
لم نصح من عرس دنياه وموكبها   حتى سحبنا على الأحلام نسيانا

وفى تلك القصيدة تعرّض شوقى لتهمة إسراف إسماعيل ، ودافع عنه بأنه إنما أسرف فى سبيل بناء الملك والنهضة والإصلاح

وبعد فهذه صورة إسماعيل في شعر شوقى الذى كان يرى فيه — فضلا عن ذلك كله — خالق نهضة الفـكر فى مصر والشرق وبهذا العنوان أهدى إليه الجزء الأول من شوقياته .

أحمد احمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

الرمزية فى التفكير الانسانى

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

مهما سما حظ الحيوان من الذكاء ، وأيا كانت قدرته على تعديل سلوكه والتصرف والاحتيال إزاء المواقف الجديدة تحقيقاً لأغراضه ، يبقى برغم ذلك فرق جوهرى يميز الذكاء الإنسانى من ذكائه ، فرق يولد فروقاً أخرى جوهرية هى السر فى تربع الإنسان على عرش الكائنات الحية ، وسيطرته على الطبيعة بقدر ما يكشف من أسرارها وقوانينها . وسأحاول فى هذا المقال أن أشرح هذا الفارق والفروق الأخرى الفرعية . أما الفارق الأصلى هو : أن الذكاء الإنسانى ليس ذكاء حسياً فقط بل ذكاء رمزيا أيضاً ، فالوظيفة الرمزية فى التفكير الإنسانى هى الفيصل الحق بين عقل الإنسان وعقل الحيوان ، ولذلك ينبغى أن نذكر أن كلمة تفكير لا تطلق على الحيوان إلا تجاوزاً — إنما التفكير الحق هو التفكير الرمزى .

بيان ذلك أن الحيوان يدرك الموجودات المادية إدراكاً حسياً ، أى تنطبع صور الأشياء التى يحسها بحواسه على صفحة الذهن . فهو يدرك كائنات مفردة أو جزئية — حسب التعبير المنطقى — ويستعيد صورها فى غيبتها ، ويتعرف عليها إن رآها بعد ذلك . الكلب مثلا : يرى صاحبه فيدركه إدراكاً حسياً ، ويرى غريباً فلا ينقطع عن النباح مما يدل على أنه أدرك الغريب ، وعلى أنه يستطيع التمييز الحسى بين شيئين كما استطاع التمييز حسياً بين صاحبه وبين الغريب . وإذا تغيب صاحبه ردحا من الزمن وعاد بعده إلى بيته ، اندفع نحوه وقد بدت عليه علامات الارتياح التى تنم عن وجود القدرة على التذكر والتعرف . فالحيوان يحظى إذن بعديد من القوى العقلية الموجودة لدى الإنسان كالإدراك الحسى وترابط الصور ، والتمييز والتخيل والتعرف والتذكر ، بل إن بعض الحيوانات حتى العصافير تتحرك حركات استدل منها بعض علماء النفس الحيوانى على وجود الأحلام لديها . بيد أن هذه العمليات جميعاً لا تتجاوز المستوى الحسى بأى حال ، فما يكون فى ذهن الحيـوان إذ يدرك أن يتخيل أو يحلم ليس إلا صورة أو مجموعة من الصور الحسية لأشياء جزئية مشخصة ، تتولى على صفحة الذهن ، متداخلة متشابكة متفاعلة ، كما تتوالى صور الفلم على الشاشة البيضاء .

إن المـادة التى يعالجها عقل الحيوان هى صور الموجودات الجزئية الموجودة فى زمان معين ومكان بالذات ، والمتصفة بالصفات الحسية كاللون والطعم والرائحـة والشكل والحركة والصوت واللمس ، وليس بمقدور الحيوان — أيا كان ذكاؤه — أن يسمو إلى إدراك المعانى الـكلية التى يستخلصها الإنسان من مدركاته الحسية . فالإنسان لا يقف عند حد إدراك الأفراد إدراكا حسياً وتذكرها وتخيلها ، ولـكن يدرك أيضاً ما تشترك فيه من صفات ويسقط أوجه الخلاف ، ويجرد بذلك المعنى العام الذى يدل عليها جميعاً . يدرك عمراً وزيداً وفلانا وفلاناً من الناس ، ويتغاضى عن الصفات التى يختلفون فيها من طول وشكل ودين وأخـلاق ، ويدرك فوق ذلك أنهم جميعاً — بصرف النظر عن حالاتهم الخاصة — يشتركون فى صفة الإنسانية . لا يدرك الـكلب والقط والعصفور فقط ، بل ينتزع من أفراد كل نوع من هذه الأنواع معنى عقلياً — لا حسياً — هو معنى الحيوانية الذى ينطبق على أفراد الحيوان جميعاً بنفس الدرجة . يدرك الإنسان تصرفاً من التصرفات الجزئية ويحكم عليه بأنه خير ، ويدرك تصرفاً آخر ويحكم عليه بأنه شرير ، فهو يدرك إذن معنى الخير ومعنى الشر إطلاقاً ، أى بغض النظر عن الفاعل وظروف الفعـل . يدرك الإنسانية والحيوانيـة ، والخير والشر ، واللذة والألم ، والموت والحياة ، والحرارة والبرودة ، والسعادة والشقاء ، دون نظر للأمثلة الجزئية التى تدل عليها هذه المعانى ، ومن هنا كانت العملية العقلية التى تتغاضى عن الجزئيات بصفاتها الحسية لتستخلص المعنى العام الذى ينطبق على جزئيات كثيرة تدعى عملية التجريد .

وظيفة التجريد تزود الإنسان بالمعانى التى ترمز إلى ملايين المدركات الحسية ، فتوفر عليه مجهوداً عقلياً جباراً ومجهوداً جسمياً أكبر . لذلك كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يتجاوز عقله المستوى الحسى إلى المستوى العقلى المطلق من قيود الزمان والمكان ، وكان أقدر الحيوانات على التصرف والتكيف للظروف ، فهو

لا يحتاج إذ يفكر إلى تمثل صور الموجودات التى يفكر فيها ، بل يكفى أن يستحضر معنى واحداً كالإنسانية يقوم مقام الملايين من الأفراد الجزئية المحسة . الحيوان يتعامل بالمواد المحسة ، والإنسان قد يدع الموقف الحسى جانباً ، ويرجع إلى عقله متعاملا بالرموز التى تمثل عناصر الموقف . فهو إذ يريد أن يشيد بناء ضخما ، لا يستحضر المواد الأولية من حجارة وأخشاب وحديد وأسمنت ثم يعمل فكره فى هذا الخليط مجرباً بانياً ثم هادماً ليصلح ما فسد ويقوم ما انحرف ، ولكنه يتناول القلم والقرطاس ويسطر المربعات والمثلثات والدوائر وغير ذلك من الرموز الهندسية والمعادلات الجبرية والحيل الميكانيكية حتى يتم التصميم . وما التصميم إلا مشروع عقلى صرف ، تم نتيجة التأليف بين رموز عدة ، فهو بدوره رمز يمكن تنفيذه فى الواقع فى أى وقت وفى أى مكان وبأى نوع من المواد . ثم يشرع الإنسان بعد ذلك فى تنفيذ التصميم بتشييد بناء هو حالة مفردة جزئية من حالات عدة فى حيز الإمكان .

يتفرع عن القدرة الرمزية إذن قدرة إنسانية فريدة هى الاختراع الذى نخطئ إن اعتبرناه مستنداً إلى الذكاء العملى اليدوى وحده ، وهى السر كذلك فى القوة الفكرية العظيمة والإنتاج الإنسانى الصميم ، أعنى به « اللغة » ، فاللغة مجموعة من الرموز يحملها ما أدرك من صفات وما أحس من مشاعر وما يبغى من آمال ، وينقلها إلى غيره عن طريق الإشارة أو الإيماءة أو اللفظ ، فيكفى أن أتفوه بلفظ إنسان حتى تبرز فى ذهنك الصفات التى ينطوى عليها معنى الإنسانية الذى يرمز إلى جميع أفراد الإنسان ، وتتتابع على صفحته صور حسية عدة ، مختلطة مبهمة ، مثيرة مجموعة من الذكريات والأخيلة والأحاسيس لا حصر لها .

طالما ردد الفلاسفة « إن الإنسان حيوان ناطق » ، ورددنا نحن قولهم هذا دون تدبر لحكمة اختيارهم لفظ النطق للدلالة على التفكير . وبعد ما أسلفنا تتبين العلاقة الوثيقة بين اللغة وبين الرموز ، بين اللفظ وبين الفكرة ؛ فاللغة نتاج القدرة الرمزية ، واللفظ المنطوق به حامل للفكرة المعقولة موشاة بخليط من المشاعر النفسية التى لا تنفصل بحال عن مجرى التفكير ، ويتبين صدق الفلاسفة إذ جعلوا النطق — أى التفكير الرمزى — فيصلا بين الإنسان وسائر الحيوان ، يتبين صدقهم لسببين :

الأول : أنه رفع الإنسان فوق الزمن وحرره من قيود المكان وأكسبه قدرة عقلية فائقة لم تكن لتتيسر له لو اقتصر على التعامل بالجزئيات ، وقدرة عملية ممتازة تتضح أكثر ما تتضح فى المخترعات والمنتجات الصناعية والفنية المختلفة .

والثانى : أنه شكل حياة الإنسان الاجتماعية تشكيلا وافياً ؛ ذلك أن اللغة يسرت اتصال الناس بعضهم ببعض اتصالا فكرياً وعاطفياً فى آن واحد ، فهى أداة التعبير عما يدور فى الذهن من معان ، ووسيلة الربط بين القلوب بما تنقل من مشاعر .

تؤدى اللغة كل ذلك بأيسر وسيلة وأروعها ، وهى لا تربط بين فردين فى صعيد واحد فقط ، بل تصل بين أفراد وأقوام تفرقوا شيعاً فى شعاب الأرض قاصيها ودانيها ؛ ولا تربطنا بالأحياء فقط بل بالسلف وقد واراه التراب ، وطواه التاريخ فى عصوره السحيقة . ألفت اللغة إذن بين القاصى والدانى ، وبين الأحياء والأموات ، وبين الصغار والكبار ، وبين المتمدنين والبدائيين . وتيسر بفضلها خزن التجارب والمعارف نقوشاً على جدران المعابد ورموزاً فى بطون الكتب سجلا خالداً يغنى عن تجشم الصعاب التى تجشمها غيرنا ، ويوفر علينا جهداً هو حقيق أن يبذل فى تحصيل معارف جديدة وكسب تجارب مفيدة ، تضيف إلى تراث الإنسان ذخائر جديدة . ولما كانت اللغة بمثابة النافذة التى نطل منها على نفوس البشر وعقولهم كانت بحق أداة الوحدة الاجتماعية أو عامل التكامل الاجتماعى — على حد تعبير مدرسة علم النفس التكاملى — عامل التأليف بين عقول البشر وقلوبهم وأذواقهم حتى قال بعض المفكرين إنه إذا كان للأفراد متفرقين عقول خاصة ، فلهم مجتمعين عقل عام يسمونه « العقل الجمعى » الذى يتولد عن اجتماع عقول الأفراد ويزيد عن مجموعها . فالأفراد مجتمعين يكتسبون كياناً مستقلا عن كيان الأفراد ، وللمجتمعات منطق خاص يعلو على منطق الأفراد ، وإرادة تفرض نفسها على إرادة الأفراد الجزئية ، ونفوذاً يكسر من شوكتهم .

وغير خاف أن التكامل الاجتماعى ، أو متانة البناء الاجتماعى ميزة حظى بها الإنسان — بفضل الوظيفة الرمزية — بينما الحيوان لا يزال فى مرتبة دنيا من حيث الترقى الاجتماعى . ألا صدق الفلاسفة الذين فصلوا بين الإنسان والحيوان بوصفهم الإنسان بالحيوانية والنطق .

عبد المنعم المليجى
مدرس الفلسفة بحلوان الثانوية

أبو خليل القباني

باعث نهضتنا الفنية

وتقويض أركان مسرحه بدمشق

للأستاذ حسني كنعان

(تابع)

نقل الوالى « صبحى باشا » الذى كان يعطف على القبانى ويشجعه فى عمله الفنى والترفيه عنه وتحسين مسرحه ، وأقيم مقامه حمدى باشا فى دمشق ، ثم نقل هذا الباشا وأقيم مقامه غيره ، وما من والٍ أتى دمشق إلا كان مناصراً ومشجعاً وآخذاً بيد هذا القبانى .

وكان معجباً بعظيم فنه ، ولكن الولاة هنا كانوا متفاوتين ومتباينين فى التشجيع ، فالبعض منهم كان يشجعه لنصرة الفن ونهضة البلاد وتغذية العقول وتنويرها ، والبعض كان يشجعه لمرام وغايات سياسية القصد منها إشغال الشعب ولهوه وصرفه عن النظر للمعايب وكشف العورات ، إلى أن آل الأمر فى ولاية دمشق إلى الوالى « مدحت باشا » ذلك الداهية التركى المعروف صاحب حادثة الطائف وصاحب المواقف العظيمة فى المناداة بالحرية والعدالة والمساواة .

والغالب على الظن أنه أقصى عن دار الخلافة إقصاء وأبعد إلى دمشق خشية استشراء حركته التحررية وفتنتها .

وخنق فى الطائف بتحريض الحاكم بأمره جبار بنى عثمان ..

وكان هذا الوالى من كبار ساسة الأتراك وعظماء رجالاتهم ، وقد مكث فى دمشق أربع سنوات على التحقيق عمل فيها من الإصلاح والتشييد والبناء ما خلد له فى هذه الديار أعظم الذكر ، وهو الذى خط « سوق مدحت باشا » جعل بدايته من باب الجابية ونهايته فى أول حىّ الخراب الموصل إلى باب توما وحىّ اليهود ، وإلى هذا فقد أصلح المساجد وعبد الطرقات ووسع الشوارع وأكثر من فتح المدارس ، فازدهرت دمشق فى زمانه أيما ازدهار ، فأحبه أهلها وعرفوا فضله ومافتئوا حتى الآن يذكرونه بكل خير ومكرمة ، ويتحدثون عن إصلاحاته وأعماله ، ولا تزال السوق التى أقامها هنا تكنى باسمه إلى هذا اليوم وهى من أكبر أسواقنا التجارية ، وتضارع بشهرتها سوق الحميدية .

رأى هذا الداهية المجرب أهل دمشق غارقين فى ليالى القبانى وحفلاته فوجدها فرصة سانحة للإصلاح والعمران ، وأراد أن يزيدهم مما هم فيه من لهو ومتعة ، فأدنى القبانى من مجالسه ، وصار يتردد على مسرحه وينشطه كما كان يفعل سلفه « صبحى باشا » وكان يجلسه فى مجالسه الخاصة بجانبه ويغدق عليه المنح والأعطيات حتى غدا لديه من أقرب المقربين يستشيره فى أمور البلد ويركن له ويعول عليه ، لأنه رأى فيه صفات الفنان المخلص لفنه المولع بعمله ، وقد لقبه بلقب « كوميدى » الشرق ...

لم يطل بقاء مدحت باشا فى دمشق كما طال أمد سلفه ، ولكنه فى خلال هذه المدة الوجيزة التى وجد فيها خلف من الآثار العمرانية والأعمال الإصلاحية ما يعجز عن الإتيان بمثلها من أقاموا فى دمشق السنين الطوال من الولاة والحاكمين ، وفى سرحة من سرحات ذياك القلم المدنف نقل مدحت باشا من دمشق ، وأقيم مقامه « الوالى فاضل باشا » .

وكان هذا الوالى ضعيفاً خائر العزائم معلك الأعصاب يفزع من خياله ، فاغتنم خصوم القبانى فرصة ضعف هذا الحاكم ، وأخذوا يدسون عليه ، ويناوئونه فى عمله حسداً ولؤماً وغيرة فوجدت وشاياتهم وتخرصاتهم عنده آذاناً صاغية ، وقلباً واعياً .

وكانوا من الأشرار الذين تأكلت أكبادهم من السل حسداً وخسة ودناءة .

فبدا للقبانى أن يترضى هذه الفئة الخطرة بالمال والرشوة وبإعطائهم بطاقات دائمية يدخلون بها المسرح من غير أجرة إسكاتاً لهم وإخراساً لأفواههم ، فوجدوا بهذا الصنيع باباً للتكسب ، جرأهم على طلب المزيد منه ، وجرأ غيرهم على اقتفاء آثارهم ، وبعد أن كان القبانى ينفق ثلاثة أرباع دخله على المسرح وترفيته وجلب الناقص إليه غدا ينفق هذا الفائض من الدخل على إسكات الخراسين الهازين المفسدين ، فطمع فيه الناس وهان على خصومه أمره ، فأفسدت عليه هذه البادرة عمله ، ولم تقتصر

هذه الرشوات على تلك الفئة من أبناء البلاد والزكرتية والقبضايات أمثال « أبو قاعود ، وأبو زطام ، وأبو إصطيف » بله تمدتهم إلى الشيوخ الإنتهازيين المرتزقين الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ، فصاروا إذا ما بدا منه قصور فى هذا الباب أثاروا الدهماء عليه من سواد الأمة وسوقتها باسم الدين ، وقديماً كان وتر الدين فى مثل هذه المواقف حساساً يستولى به الخاصة على العامة .

أما فى هذه الأيام فلقد قامت الوطنية مقام الدين فى مثل هذه الحالات وتضاءل تأثير الدين ولذا قال أحدهم فى هذا المعنى :

أحبـــولة الدين راكت من تقادمها
فاعتاض عنها الورى أحبولة الوطن

وكان الوالى الباشا منهمكاً فى تثبيت مركزه وإشغال أهل الشام عنه بغيره ، فراق له هذا النزاع القائم فى الشام ما بين جماعة القبانى ومريديه وما بين خصومه وحساده ، فأضرم النار وأذكاها ليلهيهم عنه على قاعدة فرق تسد ، فانقسم الناس فى هذا السبيل إلى قسمين ، قسم بجانب القبانى يناصره ويسانده ، وهو الطبقة الراقية المثقفة فى البلاد ، وقسم يناهضه ويماكسه وهي طبقة الرعاع والجامدين الرجعيين ، فاشتد الأمر على القبانى وعظم الكرب وحار فى أمره .

وكانت المهاترات والتراشق بالحجارة والشتائم توجه إليه وإلى أنصاره كلما أبصره خصومه صبحاً ومساء .

وكانت كثيراً ما تقع الواقعة ما بين أهل باب السريجة مسقط رأسه وباب الجابية التى نشأ فيها وترعرع ، وما بين حى العمارة والقيمرية مواطن خصومه ومنافسيه ، فيقتتلون من أجله بالحجارة والمدى والخناجر ، وتنقلب ساحات هذه الأحياء إلى ساحات قتال تنذر بأفدح العواقب وأسوأ الخواتيم ...

ولقد خرجت هذه الخصومات عن كونها داخلية صرفة ، فانتقلت أخبارها إلى الخارج .

ولما رأى المنافسون أن لا قدرة لهم على تقويض أركان مسرح القبانى ، ودك معالمه ومنع صاحبه من مزاولة العمل نظراً لدفاع الرأى العام الواعى المثقف عنه ألفوا وفداً وعلى رأسه ابن القبرة الشيخ سعيد ، وكان شيخاً متحذلقاً ثرثاراً وهو أشد خصومه عليه قسوة ونقمة وكيداً وحسداً .

ركب هذا الوفد المتظلم المستعدى البحر ووجهته دار الخلافة العثمانية « إستانبول » عاصمة الدولة ، ولما وصل هذا الوفد إلى دار الخلافة مكث فيها مدة وهو يحتال للوصول إلى مقر السلطان دون جدوى ، لأن الوصول إلى « عربسة » الأسد وقتئذ أهون من الوصول إلى مقر عبد الحميد نظراً لكثرة الإحتياطات والرقباء والعيون والأرصاد المنثبة حوله ...

ولما يئس هذا الوفد من مقابلة الداهية الجبار هم بالعودة من حيث أتى ، بيد أن أعصاب رئيسه السيد القبرة الفولاذية لم تطاوعه على العودة إلى الشام دون أن ينال من صاحبه ويلحق به الأضرار التى ينتظرها له .

وبينما هو يفكر فى أمره إذا به يسمع من أحد أطراف الحاشية التابعة « ليلدز » أن السلطان سيصلى صلاة العيد فى أيا صوفيا ، ففرح هذا المنافس الماكر فرحاً شديداً لهذا النبأ ، وأزمع أن يرفع إليه شكواه وهو فى طريقه إلى المسجد مهما كلفه الأمر ، وقد أعد لهذا الأمر عدته وهيأ له أسبابه .

وبينما كان موكب المليك ماراً فى عربته الفخمة التى يجرها الخيول المطهمة الرافلة فى أبهى وأجمل أحلاس الدمقس والحرير والأطالس ، وفى أعناقها القلائد الذهبية والفضية مدلاة تمشى بنعالها الذهبية مشية الطاووس زهواً وتيهاً بما تحمله ، إذا بصوت يدوى كالرعد مرجحناً من أعلى شرفة مطلة على الموكب يجأر صاحب الصوت بقوله :

يا مليك الزمان وصاحب العرش والصولجان ، يا خادم الحرمين الشريفين وأمام القبلتين ، يا أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين إن الشام التى أحبتك وذابت أكبادها تحناناً إلى ظليل عرشك أوفدت هذا الوفد إليك تستمديك على عدوك وعدو الله هذا القبانى الأفاق المستعبد الذى أحدث خروقاً فى الدين بترقيصه الفتيان المرد على المسارح وتهريجه وتمثيله مما لم تطق الشام على مثله صبراً ، بحدث فى عصر أنت فيه الإمام الأوحد والركن الشديد، فأنقذنا يا رعاك الله من هذا البلاء المحتم ، وإذا لم تنقذنا منه لا يعبد الله فى أرض الشام بعد هذا اليوم أبداً .

ولما ترجمت كلمة هذا المتحذلق المنافق إلى المليك بالحرف الواحد خشى سوء العاقبة وأصدر إرادته السنية بمنع القبانى من العمل وإغلاق مسرحه ، فحملها هذا القبرة الذى غير على القبانى ونكد صفو عيشه وعاد بها إلى دمشق يزف لأصحابه البشرى .

(دمشق) (يتبع) **حسنى كنعان**

الشعر فى الســـودان

للأُسـتاذ على العمارى

— ٥ —

على الرغم من وجود عدد غير قليل من الشعراء فى السودان، فإن منزلة الشعر غـير مرموقة، ورايته غير مرفوعة، وما زال كثير منَ الناس — حتى بعض المتعلمين — ينظرون إلى الشعر نظرهم إلى شيء تافه ليس بذى بال، وقد كان الظن غير ذلك، فإن علماء السودان الأعلام قد أحسنوا إحساناً محموداً حين نزلوا إلى ميدان الشعر، وهم أهل التقوى، وأهل الورع، فقالوه، وتناشدوه، ونشروه على الناس. وحسبنا أن نعـلم أن من كبار العلماء أمثال الشيخ أبى القاسم، والشيخ الضرير، والشيخ البنا الـكبير، قد قالوا شعراً فى النسيب، ومن هذا النسيب نسيب رقيق عذب، وربمـا كان يظن الجاهلون أنه مما لا يليق بمكانة العلماء. ولقد سرنى أن رأيت عالماً فاضلا هو شيخ علماء السودان الأسبق الشيخ أبو القاسم [1] هاشم يقول نسيبا مستقلا، على قلة استقلال هذا الغرض فى شعر العلماء.

ولقد أحسن الأستاذ الفاضل سعد ميخائيل واضع كتاب شعراء الســودان حين قال عن هذا العالم الجليل «ترى صورته وما عليه من برد الجـلال والوقار فتظنه فقيها سيسمعك الشعر بروح الفقهاء، بينما هو يحمل بين جنبيه مع التقوى والنزاهة قلباً رقيق الحاشية» نعم إن أكثر شعره فى المدائح النبوية، ولـكن تشبيبه لا يصدر إلا عن نفس ذات أريحية وهزة. والحق أن التزمت ليس من صفات العلماء الفاقهين لحقيقة العلم، وإنمـا هو خلة أنصاف العلماء. قال الأصمعى: أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة، وكان من أعقل من رأيت:

يأيهـا السـائل عن منزلى   نزلت فى الخــان على نفسى

يغدو علىّ الخــبز من خابز   لا يقبل الرهن ولا ينسى

آكل من كيسى ومن كسرتى   حتى لقـد أوجعنى ضرسى

فقال: اكتب لى هذه الأبيات، فقلت أصلحك الله، هذا لا يشبه مثلك، وإنما يروى مثل هذا الأحداث، فقال: اكتبها، فالأشراف تعجبهم الملح. هكذا.. الأشراف تعجبهم الملح، ومن تزمت فإنما يتزمت على نفسه.

وقيل لأبى السائب المخزومى: أترى أحداً لا يشتهى النسيب؟ فقال: أما ممن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا

وقيل لسعيد بن المسيب رضى الله عنه: إن قوماً من أهـل العراق لا يرون إنشاد الشعر! فقال: لقد نسكوا نسكا أعجميا!

وأنا فقد أعجبنى أن أرى فى علماء السودان من يخرج عن الأعراض الجافة المتزمتة إلى أغراض أخرى مقبولة طيبة، قرأت للشيخ أبى القاسم قوله:

سلاها فهل قلبى ســلاها وهل جرى   حـديث ســواها فى فمى ولسـانى

ألا إننى قد ضقت ذرعا وشفنى   صـدود الذى أحببته بجنانى

وقوله:

ما على عشـــاقها من حرج   إن حب الحسن فى الطبع كمين

وعـــدتنى وصلها فازداد ما   بى من الشوق إليها والحنين

إلى أشعار أخرى فى وصف المحبوبة، والشوق إليها، والحديث عنها، والحنين إلى وصلها والتمتع بها.

وقديماً مرت سكينة بنت الحسين على عروة بن أذينة — وكان على زهـده وورعه وكثرة علمه وفهمه رقيق الغزل كثيره — فقالت له: أنت الذى تزعم أنك غير عاشق وأنت تقول:

قالت وأبثثها وجـــدى فبحت به   قد كنت عنـــدى تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها   غطى هواك وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط... فليكن. أليس ابن قتيبة يقول، وهو يتحدث عن الشاعر العربى وابتدائه بالنسيب ليميل نحوه القلوب، يعلل ذلك فيقول: لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام».

ولـكن، هل يمكن أن نعتبر النسيب فى شعر المدرسة القديمة التى نتحدث عنها، نسيباً مثيرا محما فى النفوس، حاكيا عواطفها

(١) يقول صاحب شعراء السودان: أن لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أبو القاسم هاشم اليد البيضاء فى ترقية المعهد العلمى بالسودان، فقد نظمه، وأدخل عليه المكتبة العلمية التى كادت تكون فى صف أكبر المكتبات العلمية، وهو صاحب الفضل فى نموها وترقيتها. أقول: والأمر كذلك، وما زال هـذا المعهد يرقى على أيدى شيوخه، وسيصل إلى ما نأمله له إن شاء الله.

٣١٠٥٢

وأحوال الوجد والصبابة ؟

وقد سبق أن أجبت عن مثل هذا السؤال ، فقلت : إن هذا النسيب نسيب تقليدى أكثر منه معبرا عن واقع الحياة ، ذلك أن الشعراء فى ذلك العصر حبسوا أنفسهم فى الشعر القديم ، وأطلوا على الحياة من نوافذه ، فكانوا صورة منه لا من حياتهم ، وقلدوه فى الغرض والطريقة ، وإن كان البون بعيداً فى الديباجة والمعانى . ونحن نضع بين يدى القارىء صورة للنسيب تكاد تكون عامة : ليس من البشر من تجافى الهوى قلبه ، فإن الهوى كرم فى الطبع ، يمثله اللفظ الرقيق ، والأخلاق الغر ، وهو الحياة ، والقلب من دونه بلقع من البلاقع لا ماء فيه ولا شجر ، أو هو صرحة جرداء لا ظل ولا ثمر ، وأما العاذل فهو غليظ القلب ، جافى الطبع ، والحبيب . . الحبيب كل المحاسن حارت فى محاسنه ، فما القمر ، وما الكثيب ، وما غصن البان ؟

وهو مهفهف القد ، ضامر الخصر ، يكاد من ثقل الأرداف ينبتر ، ريقه عذب ، وثغره مؤشر ، عابث بصبه ، حانث فى وعده ، مسود غدائره ، بلج محاجره ، دعج نواظره ، فى طبعه خفر ، وهو يصبى الحليم ، ويشفى السقيم ، وهى الظبى جيداً ومقلة ، وخدها الورد ، وعيناها السحر .

وهكذا يدور النسيب كله فى هذه الدائرة ، ولا يخرج عنها إلا القليل . ولكل شاعر حظ منها قل أو كثر ، وهذه أوصاف قد ألفناها كلها فى الشعر القديم ، ولئن كنا نقرؤها هناك مسوقة فى صور بديعة فيها الصنعة والروعة ، فإنا نقرؤها هنا — فى الأعم الأغلب — ساذجة غفلا .

قلت إن النسيب تبتدأ به القصائد ، وقل من الشعراء من خرج عن هذا التقليد ، وأكثر الشعراء من المشايخ وهؤلاء قل أن يقولوا غزلا مستقلا ، ومن عجب أن أكثر تخلصهم إلى أغراضهم يكون بإنكار الحب . هذا شاعر يدعى الهوى ، بل يقول إنه لا حياة له بدونه :

فتركتنى ما أستفيق من الهوى ... ونصبتنى للعاشقين مثالا

وهذا الذى لا يستفيق من الهوى ، والذى كان الغانيات أذ ه ، يمتع بهن سمعه وبصره ، هو الذى يقول :

أماطت لثاما دونه الشمس زينب ... ولاح لنا منها بنان مخضب
وحيت فأحيتنا ومال بعطفنا ... حديث من الاذى أحلى وأعذب
فأصبحت مشغوفا وملت إلى الصبا
على أن رأسى يا ابنة القوم أشيب
لعمرك ما هاجت غرامى خريدة ... ولا قادنى نحو الغواية مطلب
ولكن وجدا بالفضيلة هاجنى ... فجاء بأبياتى هوى وتصبب
عشقت التى تدعى الفضيلة إنما ... يقال لها فى مذهب الشعر (زينب)

نعم . وقد يقال لها ليلى ، أو مهدد ، أو دعد ، أو هند ، أو ما شاءوا من هذه الأسماء التى هى من الكنايات فى مذهب الشعر ، ولا وجود لها إلا فى ثنايا السطور .

وقد يجىء الشاعر بما لا يصدقه الواقع ، فيدلنا بذلك على أن للصناعة فى هذا الشعر مكانا .

نحن نعرف أن المرأة السودانية كهى فى صعيد مصر ، محجبة متمنعة ، دون الوصول إليها أهوال وأهوال ، ولكنى مع إعجابى بهذه الأبيات وإحساسى بحرارة الحب فيها ، أرى أن صاحبها نهج فى غير نهجه ، وسلك غير الطريق :

أستغفر الله لى شوق يجدده ... ذكر الصبا والمغانى أى تجديد
وتلك فضلة كأس ما ذممت لها ... طعما ، على كبر برح وتأويد
أرنو لسالف أيام لهوت بها ... مع الأحبة حيناً مورقا عودى
إن زرت حيا أطافت بى ولائده ... يفديننى ، فعل مودود بمودود
وكم برزن إلى لقياى فى مرح ... وكم ثنين إلى نجواى من جيد
لو استطعن وهن السافحات دمى ... رشفننى رشف معسول المنافيد
يا دار لهوى على النأى اسلمى وعمى
ويا لذاذة أيامى بهم عودى

ولهذا الشاعر المبدع الشيخ محمد سعيد العباسى غزل رقيق ، بل كل شعره رائع ، يقول :

يا بنت عشرين والأيام مقبلة ... ما ذا تريدين من موءود خمسين
قد كان لى قبل هذا اليوم فيك هوى
أطيعه ، وحديث ذو أفانين
ولا منى فيك والأشجان زائدة ... قوم ، وأحرى بهم ألا يلومونى
أزمان أمرح فى برد الشباب على ... مسارح اللهو بين الخرد العين
والعود أخضر ، والأيام مشرقة ... وحالة الأنس تغرى بى وتغرينى
أفديه فاتر ألحاظ وقل له ... أفديه ، حين سمى نحوى يضربنى
يقول لى وهو يحكى البرق مبتسما ... يا أنت ، ياذا ، وعمداً لا يسمينى
أنشأت أسمعه الشكوى ويسمعنى ... أدنيه من كبدى الحرى ويدنينى

وفي هذا الشعر تسجيل لتقليد عند إخواننا السودانيين ، ذلك أن المرأة — مهما طال عهدها مع زوجها — فإنها لا تدعوه باسمه ، فلذلك حيث يقول (وعمداً لا يسميني). هذا ما أعرفه عن الزوجة ، فهل تستحي العاشقة كذلك أن تدعو صاحبها باسمه ؟ العلم عند الحب !!

ومن الشعراء من ينساق مع عاطفته ، فيشبب تشبيباً مكشوفاً ويذكر ما نال من المتع مع صاحبته ولكنه يلتفت حواليه فيضطر إلى أن يذر الرماد في العيون ، فيؤكد أنه لم يأت ما يسخط المروءة والدين :

كلما استعذب الدعابة مني لج في عتبه ليمجم عودي
وإذا اهتاج من حرارة قبلا ني ، أوما إلى بالتهديد
فإذا ما اندفعت اثمه أسلم لي ثغره الشهي الورود
يتغاضى عن احتكامي في الخصر ، ويلتذ عند مس النهود

أليس هذا فعل امرأة صناع في الغزل ؟ أليس هو حديث عاشق مدمن ؟ ولكنه يسخر من القراء حين يقول :

لا تظنوا بي الظنون فإني يعلم الله واقف في حدودي
بخ ! بخ ! قد عرفناك فقف حيث شئت !

ولست في الواقع أقضي على الشعر السوداني بالتقليد في النسيب لأن الشعراء خلت قلوبهم من الحب ، لا فإن لكل إنسان من الحب نصيبا ، كما يقول ابن قتيبة ، وإن حب الحسن لكمين في الطباع كما يقول شيخ علمائهم ، ولكن شتان بين إنسان يحب حباً هادئاً رزينا ، لا يوحي بشعر ، وبين إنسان يلذعه الحب ، وتكوي الصبابة قلبه ، فيعبر عن ذلك بشعر تحس وأنت تقرأه بأن فيه رائحة كبد تشوى على جمرة الهوى . وعندي أكثر هؤلاء الشعراء لم يلق الحب في أشعارهم شيئاً من حرارة الجوى ، أو رقة الوصال .

ومما يلفت النظر أنك لا تكاد تجد في هذه الأشعار وصفا للغادة السودانية ، فكل محبوباتهم يخجل البدر منهن ، وقد سرق الورد حمرة خدودهن ، وربما وجدنا لبعضهم لمحة خفيفة . قرأت للشيخ إبراهيم أبو النور ، وهو من علماء المعهد العلمي هذه الأبيات :

تخال الوجه منها بدرتم وتحسب ثغرها حب الغمام
وقد زادت ملاحتها بشرط على الخدين خطط بانتظام
محجبة فلم تبرز لشمس ولم تعرف محطات الترام

والذي استوقفني في هذا الشعر أمور ، فإنه ذكر الشرط ، وهو ما يصنع في أوجه السودانيات من علامات الجمال ، ولكل قبيلة من القبائل أشراط معينة ، بحيث يمكن معرفة القبيلة بمجرد النظر في الوجه ، وهي عادة لا تزال موجودة في كثير من القبائل . وطريقة صنعها أن يؤتى بموسى ، فتخط ثلاثة خطوط مستطيلة في كل خد من خدي الطفل ، وهذه عامة . وبعض القبائل تضيف إليها شرطاً مستعرضا أو شرطين ، مستقيما أو مائلا ويعتدون ذلك من علامات الجمال .

وقد حدثني الشيخ أبو النور هذا — وهو عالم واسع الاطلاع — أنه قرأ في تاريخ عبد القادر الجزائري أنه لما ذهب إلى مكة سئل عن هذه الأشراط ، أهي موجودة عند العرب ، فأجاب بالإيجاب ، وذكر على ذلك شاهداً قول شاعرهم :

رأيت لها شرطاً على الخد قد حوى جمالا ، وقد زاد الملاحة بالقرط
فقلت أريد اللثم قالت بخفية فقبلتها ألفاً على ذلك الشرط

ثم قال الشيخ : وتسمى هذه الشروط الشلوخ واللعوط ، وهذه الأخيرة من لغة حمير ، وأنشد على ذلك قول الشاعر :

وبي حبشية سلبت فؤادي فلم يمل الفؤاد إلى سواها
كأن لعوطها طرق ثلاث تسير به النفوس إلى هواها

وعندي أن هذا الشعر أقرب إلى الصدق ، من الشعر الذي يصف المحبوبة بأنها بدر السماء ، أو زجاجة خمر :

أما الأمر الثاني الذي لفت نظري في شعر هذا الشيخ فقوله : ولم تعرف محطات الترام . وهل محطات الترام هنا كما هي في كثير من البلدان ، ملتقى العشاق ، ومكان لصيد الظباء الحرام .

وكدت أوقن بأن هذا شعر شاب عصري ، لولا أن الشيخ دلني بباقي القصيدة على أنه من العلماء ، وحسبك دليلا على هذا قوله :

فني بالزكاة على فقير ومسكين كئيب مستهام

ولم ينس الشعراء النؤي والأحجار والأطلال ، لتتم صورة التقليد للشعر العربي ، فهذا شاعر يعيش في عاصمة البلاد يقول :

أما وقد شطت بعهدد دارها ولقيت بعد فراقها الأهوالا
فتعال للاطلال نندب ماضيا ولى وأياماً مررن عجالا

(وبعد) فإني على أي حال معجب بهذا النسيب سواء كان صدى لنفس مكلومة ، أو كان تقليداً للشعر القديم ؛ فإنه من حظ الشعر هنا أن يفيض هذا الغزل على ألسنة العلماء ، وإنه لكسب للأدب وللشعر ، وللتاريخ .

علي العماري
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمي بأم درمان

الأدب والفن في أسبوع

بين أديبين :

كان الأستاذ توفيق الحكيم قد كتب فى أخبار اليوم كلمة بعنوان « الأديب المنفى » ، قبل أن يعود الدكتور طه حسين بك من أوربا ، أبدى فيها شعوراً رقيقاً نحو الدكتور ، لما أذيع من أنه ساخط على بعض العلاقات والشؤون المتصلة به فى مصر .

وبعد أن رجع الدكتور طه إلى مصر تحدث إلى الأستاذ بعض من يشتغلون بالإيقاع بين الناس أن الدكتور أول تلك الكلمة تأويلا سيئاً واتهم الأستاذ الحكيم بانعدام حسن النية فيما كتب ، فلم يخف إلى لقائه وزيارته بعد العودة …

وتطوع الأستاذ أنور المعداوى لتصفية الجو بين الأديبين الكبيرين ، فأنهى إلى الدكتور طه وساوس الحكيم ، فقال الدكتور : الأمر على عكس ذلك فأنا قد قرأت الكلمة وسررت بها وبالطبع لم أجد فيها ما يحمل على سوء الظن ، وإن هذا الذى نمى إلى الأستاذ توفيق هو من الدس الدنىء الذى نشكو من انتشار أصحابه فى هذه الأيام . وقد كنت فى إسبانيا قبل أن تصل إلى الكلمة ، وألقيت فى جامعة مدريد محاضرة عن الأدب المصرى الحديث ، كان لتوفيق الحكيم فيها أكبر نصيب ، فقد أظهرت فضله وسبقه فى التأليف المسرحى وشغل ذلك نحو نصف المحاضرة ثم ابتسم الدكتور طه ابتسامته اللطيفة وقال : ألا ترى أن ما بلغ توفيق الحكيم كان يدعوه إلى أن يصحح الموقف ويعمل على إزالة ما علق به من غبار ؟

والواقع أن مجالس أدبائنا عامرة بالأحلاس الذين يتقربون إليهم بأمثال تلك الدسائس ، وقد يحمل بعضهم على ذلك رغبته فى أن يظهر بمظهر المتصل المطلع الذى يعرف ما قال فلان والذى هو من الشأن بحيث يتحدث إليه فلان عن فلان !

ومما يدعو إلى الأسف أن أدباءنا يأخذون بهذه الترهات ويتأثرون بها فى علاقاتهم . ومن العجيب أنهم كفوا عن الخصومات الأدبية ، ولكنهم لم يبرؤوا من الصغائر الشخصية . مع أن الأولى هى الأجدر أن تكون من دون الثانية .

وتدل القصة السابقة على أنه من الممكن أن يقضوا على القيل والقال بالمواجهة والتواصل ، ويتبينوا حقيقة ما يقال لهم . وهم أولى الناس بذلك ، لأنهم الحصفاء الذين يمحصون الكلام ويعرفون زيفه من صحيحه .

مؤلف « نحو المجد » :

طغيان رجال المسرح والسينما على المؤلفين ، داء متفش يشكو منه الجميع ، فكثير من الأفلام لا يعرف الناس لها مؤلفين ، كاللقطاء حرموا النسبة إلى الآباء ، وكما يتبنى الراغب فى الولد لقيطا يغلب المخرج على الفلم ، فيسنده إلى إخراجه ويسكت عن تأليفه . والأصل فى ذلك — على ما يبدو لى — ذلك النوع من الإنتاج الذى يلفقه المخرج من الروايات الأجنبية ، وتطور ذلك إلى استضعاف المؤلف وإرضائه ببعض النقود ، وهذا النوع الضعيف التافه من المؤلفين متوافر فى السوق مع الأسف ، وقد استراح إليه المخرجون والممثلون ليتسموا بميسم الأدب والثقافة إلى جانب الإخراج والتمثيل ، فيشبعون « مركب النقص » كيلا يقال إنهم غير مثقفين …

ولكن الأمر تطور بعد ذلك فقد دخل ميدان التأليف نفر من ذوى الكفاية والكرامة ، ولا يزال أولئك المخرجون على ما عودوا ، متمسكين بحق الانتحال ، مدفوعين بدافع القصور الذاتى … وهنا بدأ الصراع ، ورأى الناس أخيراً أمثلة منه ، وتجمع بعض هؤلاء المؤلفين وتحدث بعضهم إلى بعض ، قالوا : كيف يغمط حقنا ونحن أصحاب الخلق والإبداع فى هذه الفنون ؟ وكيف يقدم علينا كل من هب على الشاشة ودب على المسرح ، وعملنا هو القلب ولا تخرج أعمالهم عن الإطار والتلوين ؟

وآخر مثل من ذلك الصراع ما جرى فى فلم « نحو المجد » الذى عرض يوم الاثنين الماضى فى يوم الجامعة الخيرى ، بدار سينما رويال تحت الرعاية الملكية السامية وبرياسة معالى وزير المعارف . مؤلف القصة وكاتب الحوار هو الأستاذ عبد الحميد يونس المدرس بكلية الآداب ، ولكن ظهرت الإعلانات عن الفلم

وليس فيها اسم المؤلف ، وليس هذا فحسب ، بل نجد أنفسنا أمام نوع جديد فى ذلك المضمار فالمخرج لم يكتف بالاقتصار على إسناد الإخراج إليه ، فأضاف جديداً فى « الفن » إذ كتب فى الإعلانات « تأليف وإخراج الأستاذ حسين صدقى » ومعنى ذلك أنه يدعى التأليف ! فراع ذلك مؤلف القصة وكتب إلى المخرج ينبهه إلى هذا التصرف العجيب وينذره ، إن لم يقف سيل الإعلانات ، ويغير (أكلشيهاتها) أن يتخذ سبيله إلى القضاء .

ومن حيث أن الفلم تحت الرعاية الملكية السامية وإشراف معالى وزير المعارف ، ومن حيث أن المؤلف مدرس بالجامعة والفلم جامعى يعالج مشاكل طلاب فى الجامعى ، ومعروض فى يوم الجامعة الخيرى ، فلم يكن من اللائق أن تلابسه هذه المهزلة ويعتدى على حق مؤلفه هذا الاعتداء المنكر .

البكاء الجميل :

سمعت من المذياع فى أحد أيام هذا الأسبوع ، تمثيلية « الشهداء » وهى تتضمن قصة الخنساء وفجيعتها فى أخويها معاوية وصخر ، ثم إسلامها واغتباطها باستشهاد أولادها الأربعة فى إحدى الحروب الإسلامية . وهى تمثيلية جيدة لست أدرى كيف غالطت الإذاعة فقبلتها ... وليتها تكثر من هذا الغلط ...

وقد مثلت الخنساء فتاة ذات نطق فصيح وصوت عذب ونبر حلو حتى فى البكاء ...

ومما أنشدته من شعر الخنساء هذا البيت :

إذا قبح البكاء على قتيل
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

والمعنى الذى قصدته الخنساء مفهوم ، فهى ترى بكاءها على أخيها حسناً جميلا لأنها تستعذبه وتلذه . ولكن الفتاة الممثلة أوحت إلى خاطرى معنى آخر ، فقد كانت تنشج بصوت لا أثر للحزن فيه لأنها لم تندمج فى الدور ، وكانت توقع كل بيت وكل كلمة على هذا النشيج المصنوع وهى كما أسلفت ذات صوت عذب حلو ، فكان بكاؤها جميلا فى المسامع ، لا كجمال بكاء الخنساء .

أو كما قال الدكتور طه حسين فى إحدى مقالاته بالأهرام : إن الشاعر يقول البيت أو الأبيات تعبيراً عما فى نفسه ، ولا يدرى ما سيحدثه وما سيثيره بعد ذلك من شتى الخواطر والمشاعر فى مختلف النفوس على تعاقب الأزمان والأجيال

كشكول الأسبوع

* طبعت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بحثاً للدكتور محمد عوض محمد بك ، عنوانه « الصهيونية فى نظر العلم » وتقوم الإدارة بتوزيعه .

* ظهر العدد الخامس من مجلة المجمع اللغوى ، وقد مضى نحو عشر سنين على ظهور العدد الرابع .

* قالت جريدة النهار اللبنانية إن مندوب تركيا فى اليونسكو همس فى أذن أحد الصحفيين : « مؤتمر كلام ، كلام بكلام بكلام ... نأمل أن يثمر نتائج عملية لأحفادكم أنتم الشباب » .

* كتب أديب ناشىء كلمة فى الأهرام قال فيها : « نحن رجال الفكر والفن والأدب » ويذكر بهذا الشويعر الذى قال إنه أشعر الشعراء . فقيل له : اسكت أنت حتى يقول ذلك الناس . قال : والله لقد مكثت ثلاثين سنة فما قالها أحد . .

* وقال ذلك الأديب فى تلك الكلمة إن المخرجين الأمريكيين آلهة صغار بالنسبة ليوسف وهبى . وقد علق على ذلك أحدهم فقال : نعم ليس يوسف وهبى إلهاً صغيراً فقد مثل الحاكم بأمر الله !

* صدر قرار مجلس الوزراء أخيراً بمضاعفة أجر الترجمة فى وزارة المعارف ، وذلك أن الوزارة كانت تحاسب المترجمين الذين يقومون بترجمة الكتب التى تختارها للثقافة العامة باعتبار الكلمة بمليم ، فأصبحت الآن الكلمة بمليمين

* أذاعت محطة لندن العربية مساء الاثنين الماضى برنامج رثاء للمرحوم الأستاذ محمد محمود جمعة الذى كان يعمل فيها معلقاً على الحوادث . وكان قد جاء أخيراً إلى مصر وعين مدرساً بكلية دار العلوم .

* سئل أحد النقاد : كيف تكتب فى النقد المسرحى وأنت لم تشتغل بالمسرح ؟ فقال : وهل يجب على أن أبيض البيضة لأعرف إذا كانت جيدة أو فاسدة ؟ .

القسم السوداني الإنجليزي :

« أقسم مخلصاً وأعلن صادقاً أنني أؤيد المؤسسات السودانية التي تأسست بمقتضى هذا القانون ، وأن أبذل جهدي في كل الأوقات للعمل لمصلحة السودانيين » .

هذا هو نص القسم الذي طلب إلى أعضاء الجمعية التشريعية بالسودان أن ينطقوا به . وليس من همي هنا أن أتعرض له ، من حيث اعتراض بعض الأعضاء عليه ، لأنهم يرفضون التقييد بقوانين فرضت عليهم ، وإنما يؤيدون ويحلفون على القوانين التي يضعونها ، ولا من حيث غضب الحاكم العام على هذا الاعتراض .

إنما أريد أن أنبه إلى هذه الصيغة الإنجليزية في القسم ... فالقسم في العربية يذكر فيه المقسم به فيقال — مثلا — : أقسم بالله . أما الاكتفاء بفعل القسم فهو من عمل الانجليز .

وهكذا تستهل الجمعية التشريعية السودانية ، استهلالا إنجليزيا حتى في القسم !

الهمزة الحيرى :

من المسائل التي يهتم بها الآن مجمع فؤاد الأول للغة العربية تيسير الإملاء . وتواصل اللجنة المنوط بها هذا العمل اجتماعاتها ، لتفرغ من إعداده ، وتقدمه إلى مؤتمر المجمع ، بغية الموافقة عليه في هذه الدورة .

وفي أحد اجتماعات لجنة الإملاء حمل الدكتور أحمد أمين بك على أوضاع الهمزة المختلفة حملة صادقة فقال : كيف تنفرد الهمزة بهذا التقلب فلا تستقر على حال ، فترسم مرة على ألف ، ومرة على واو ، ومرة على ياء ، ومرة مفردة . ويلاقي الكاتب في تقليبها على هذه الأوضاع المختلفة عناء أي عناء ... وما هي إلا حرف كسائر الحروف التي لا تتغير بتغير الحركات ؟

وأذكر أن الأستاذ رفعت فتح الله المدرس بكلية اللغة العربية كان له بحث في هذا الموضوع نشر منذ سنين بجريدة الأهرام تحت عنوان « الهمزة الحيرى » ويغلب على ظني أنه اقترح فيه أن ترسم الهمزة على ألف أو تكتب ألفاً في جميع الأحوال . وكم لهذا الاقتراح — لو نفذ — من أثر في كسب الأوقات والجهود التي تضيع في تعليم وتعلم رسم الهمزة التي احتارت وحيرت الناس معها ، فأكثر مشاكل الإملاء من هذه الهمزة .

وما إخال المجمع إلا يرحب بمثل ذلك . فهل يرى الأستاذ رفعت أن يقدم بحثه إلى المجمع ؟

من طرف المجالس :

كنا في مجلس أستاذ كبير ، إذ أقبل أحد المكثرين من التأليف ومعه مجموعة ذات عدد من مؤلفاته ، وقدمها للأستاذ الذي أخذ يلقي على كل منها نظرة ، ثم فرغ منها والتفت إلى المؤلف قائلا : ألفت كل هذا ؟ يظهر أنك « فاضي » .

وتبادل الجالسون ابتسامة خفية ذات معنى لا أدري هل قصده الأستاذ أو جاءت التورية عفواً على لسانه ... ؟

الإذاعة بين البلاد العربية :

تضع الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، مشروعاً جديداً يقتضي تعاون محطات الإذاعة في الدول العربية على تعريف البلاد بعضها ببعض . وذلك بأن تختار كل محطة طائفة من المحاضرين تتعاقد معهم ليتحدثوا عن بلادهم في كل نواحي حياتهم : من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية . ثم تسجل هذه الأحاديث وتتبادل دور الإذاعة المسجلات لإذاعتها فيتم بذلك التعارف بين البلاد العربية على نطاق واسع .

ومما يشمله المشروع أن تسجل كل محطة نخبة مختارة من الألوان القومية للفنون في بلادها كالموسيقى والغناء والأزجال وغيرها وتتبادل مسجلاتها أيضا .

عباس خضر



المآصر فى بلاد الروم والاسلام (*)

تأليف الأستاذ ميخائيل عواد

في مطلع عام ١٩٤٨ ، أصدر الأستاذ ميخائيل عواد كتيباً صغير الحجم ، طريف الموضوع ، سماه : « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » . ذكر فى مقدمته : « أن مواده نشرت فى ستة أعداد من مجلة المقتطف فى سنتى ١٩٤٤ — ١٩٤٥ م ، وأنه رجع إليها بعد ذلك ، فزاد فيها وهذب حتى استوى منها هذا الكتاب الجديد » .

والأستاذ ميخائيل عواد باحث دقيق ، واسع الحيلة ، كثير الأناة ، جميل الصبر على مشاق البحث ، ومتاعب التنقيب ، يعمل فى هدوء وصمت وأدب ، وهو مثل أخيه الأستاذ كوركيس عواد من تلاميذ مدرسة فقيد العربية الأب أنستاس الكرملى ، أخذا عنه ، وورثا طريقته فى البحث والاستقصاء ، والعناية الفائقة ، والدقة والإتقان فى كل ما يكتبان ، وقد أخرجا منفردين ومجتمعين آثاراً قيمة ، ونشرا أبحاثاً دقيقة مما يذكرها لهما قراء العربية بالإعجاب والتقدير .

وكتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » الذى أصدره الأستاذ ميخائيل عواد أخيراً صغير الحجم فى نحو تسعين صفحة مع فهارسه الخمسة التى استغرقت عشرين صفحة منه ، ولكنه مع صغر حجمه بحث قيم ، وموضوع جديد على المكتبة العربية . ويظهر من الاطلاع عليه أنه مجهود شاق ، وعمل عظيم فى بابه ، وحسب القارئ الكريم أن يعلم أن مؤلفه رجع — فى إعداده — إلى نحو تسعين مرجعاً قديماً بين مخطوط ومطبوع ، وأبحاث ومقالات فى المجلات .

(*) تفضل مؤلف هذا الكتاب ، فأهدى إلى نسختين منه ، فأردت أن أشكره ؛ فتوفرت على قراءته مع ضيق الوقت وانشغال البال ؛ وكتبت عنه هذا المقال . برهان

وقبل أن نعرض لكتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » ، ونبين مقدار التوفيق الذى بلغه مؤلفه فى بحث موضوعه نرى أن نضع بين يدى القارئ الكريم موجزاً فى مفهوم « المآصر » ، ومعناها فى اللغة ومبناها من حيث التصريف ، ثم ما يقصد منها عند الإطلاق حتى يكون على بصيرة ، ويستطيع الحكم — وهو على بينة من أمره — على مجهود الأستاذ صاحب المآصر ، ومقدار حظه من التوفيق .

فالمآصر جمع مأصر ، والمأصِر بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر الصاد ، اسم مكان على وزن مفعل بكسر العين من أصر يأصر بمعنى حبس يحبس ، فالمأصر على ذلك موضع الحبس ومكانه هذا معنى المأصر فى اللغة ، ومبناها فى التصريف ، ويطلق المأصر فى كتب الأقدمين ويراد به مكان حبس السفن فى البحار والأنهار ، أو مكان حبس السابلة فى الطرقات لتستوفى منهم العشور والضرائب ، وبأسلوب آخر ، فالمأصر قديماً مثل موضع استيفاء ضرائب الدولة فى نظامنا الحديث ، وقد يكون هذا الموضع على ساحل بحر أو شط نهر ، وقد يكون على طريق عام

ولابد لهذه المآصر — حتى تستطيع حبس السفن والسابلة — من وسائل تساعدها على ذلك الحبس والمنع ، فهناك الحبال والسواحل التى تمد على مداخل الموانىء فى البحار ، أو تمد على عرض النهر ، وهناك بعض السفن الصغيرة التى يستعان بها على ذلك الحبس والمنع . حتى يمكن استيفاء الضرائب . إلى غير ذلك من الوسائل التى لا بد منها فى مثل هذه الأعمال .

وهذه الوسائل التى يستعان بها من حبال وسلاسل وسفن تسمى مواصر . والمواصر جمع ماصر . والماصر اسم فاعل من مصر بمعنى حجز ومنع ، ففى تاج العروس للزبيدى ، فى مادة مصر : والمصر بالكسر الحاجز ، والحد بين الشيئين كالماصر ، وفى التهذيب : والماصر فى كلامهم الحبل يلقى فى الماء ليمنع السفن عن السير حتى يؤدى صاحبها ما عليه من حق السلطان .

ومما تقدم يتضح جلياً أن المآصر مواضع حبس السفن فى البحار أو الأنهار ، أو مواضع حبس السابلة فى الطرق العامة حتى تستوفى حقوق السلطان ، وأن المواصر وسائل ذلك الحبس من حبال وسلاسل وسفن

وبظهر أن الأستاذ ميخائيل عواد مؤلف كتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » اختلط عليه الأمر ، فلم يدرك الفرق بين المأصر بالهمزة ، والماصر بالألف ، وظنها شيئاً واحداً . يدل على ذلك أنه لم يرجع إلى مادة « مصر » فى مرجع من المراجع اللغوية التى نقل عنها واعتمد عليها فى مادة « أصر » ، مع أن كل تلك المراجع تكلمت على « المأصر » فى مادة « أصر » وعلى « الماصر » فى مادة « مصر » . وإلى القارئ نبذة من تصدير المؤلف تؤكد اعتقاده بأن السلاسل والحبال والسفن تسمى المآصر، مع أنها من الوسائل التى من حقها أن تسمى بالمواصر . قال : وأهم ما يسترعى الاهتمام فى كثير من هاتيك الموانئ وجود سلسلة ضخمة من الحديد تعترض الميناء ، فتحده من جهة البحر، رسخ أحد طرفيها فى صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ، وربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع وضع داخل برج مطل على الميناء من جهته الثانية ، ويجلس فى البرج المذكور شخص يطلق عليه اسم صاحب القفل بيده الأمر والنهى فى خروج السفن من الميناء ودخولها إليه ، فيعمل على رفع السلسلة أو على خفضها . وشبيه بهذا ما كان يجرى فى بعض الأنهار ؛ غير أنه كثيراً ما استبدلت السلاسل بالقلوس ، والأبراج بالسفن النهرية (١) كما سيجىء تفصيله ، ويطلق على هذه كلها « المآصر » وكانت الثغور ذات المآصر تتمتع من جهة البحر بسلام لا يضارعها فيه إلا تلك المدن التى تحيطها الأسوار (٢) ويحرسها الحراس ، فالمأصر إذن الحصن الحصين لبعض الموانئ ، وسدها المنيع تدفع به عنها كل غزو يأتيها من جهة البحر (٣) » .

وقد جره هذا الاعتقاد باتحاد معنى المأصر والماصر إلى أغلاط كثيرة فى ثنايا الكتاب ، فإنه قال فى ص٩ : وقد نسب إلى المأصر نفر من الناس . ثم نقل من كتاب الأنساب للسمعانى ترجمة أبى بشر يونس بن حبيب الماصرى بعد أن وضع الهمزة فوق ألف الماصر والماصرى فى تلك الترجمة فى نحو عشرة مواضع !

وصاحب كتاب الأنساب لم يعرض للمأصر بالهمزة أبداً ، ولم يذكر أحداً منسوباً إليه ، وإنما ذكر مادة الماصر بالألف ، وذكر أن المنسوب إليه هو يونس بن حبيب الماصرى ، وأورد ترجمته . ويونس بن حبيب الماصرى معروف بهذه النسبة فى كل التراجم والأنساب قبل السمعانى وبعده ، فلم يقل أحد أنه مأصرى منسوب إلى المأصر بالهمزة ، بل الكل مجمعون على القول بأنه ماصرى منسوب إلى الماصر بالألف . فهذا الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف بأبى الشيخ المتوفى فى سلخ المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة عن خمس وتسعين سنة يذكر فى كتابه طبقات المحدثين بأصبهان (١) يونس بن حبيب على أنه منسوب إلى جده الأعلى قيس الماصر ، وترجمة أبى الشيخ ليونس ابن حبيب هى أقدم ترجمة له . ويظهر أن كل من ترجم ليونس بعده أخذ عنه حتى ليغلب على الظن أن نص السمعانى منقول حرفياً عن أبى الشيخ . وابن أبى الشيخ هذا ولد بعد وفاة يونس ابن حبيب بنحو سبعة أعوام ، فهو أقرب المؤرخين عهداً من يونس بن حبيب ، وأعرفهم بأخباره وأحواله ونسبته .

وهذا مؤرخ آخر هو أبو نعيم الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠هـ يذكر يونس بن حبيب الماصرى فى كتابه أخبار أصبهان على أنه منسوب إلى جده الأعلى قيس الماصر ، ويترجمه ترجمة قريبة جداً من ترجمة أبى الشيخ (٢) .

هذا رأى مؤرخين جليلين ممن سبقوا السمعانى ، وإلى القارئ بعد ذلك رأى مؤرخين آخرين ممن أتوا بعد السمعانى .

فهذا ابن الأثير يقول فى كتابه « اللباب فى تهذيب الأنساب (٣) » : الماصرى بفتح الميم وسكون الألف وكسر الصاد وفى آخرها راء ، هذه النسبة إلى الماصر ، والمشهور بهذه النسبة يونس بن حبيب الخ .

وهذا السيوطى يقول فى كتابه « لب اللباب فى تحرير

---

(١) قلت : القلوس جمع قلس . وهو حبل ضخم من ليف أو خوص، وصواب هذه العبارة أن يقول : استبدلت القلوس بالسلاسل ، والسفن النهرية بالأبراج ، فإن الباء فى مثل هذا الأسلوب تدخل على المتروك كما هو معروف .

(٢) قلت : الصواب أن يقول : التى تحيط بها الأسوار .

(٣) من تصدير المؤلف ص ٦

---

(١) راجع النسخة المخطوطة من هذا الكتاب المحفوظة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ص ١٥٨ — ١٥٩

(٢) راجع كتاب « أخبار أصبهان » ج ٢ ص ٣٤٥ طبع ليدن سنة ١٩٣٤ م .

(٣) راجع الورقة ١٦٦ ج ٢ من النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ وهى نسخة جيدة غاية فى الإتقان كتبت برسم الخزانة العالية الملكية المخدومية سنة ٧١٨ هـ بخط عبد الغنى بن عبد المؤمن بن إبراهيم العجمى الصوفى . وهى فى مجلدين فى ٥٢٨ ورقة

الأنساب(١) » : الماصرى بكسر المهملة وراء . إلى قيس الماصر الخ .

هذا ، ومن المعروف أن نص كتاب الأنساب للسمعانى الذى نشره مرجليوث مشحون بالأخطاء .

وقد ورد فى النص الذى نقله الأستاذ ميخائيل عواد عن الأنساب فى ص ٩ بعض الأخطاء فى نص الأصل ، فلم يتنبه لها الأستاذ ، ومرّ عليها مرّ الكرام ، وتنبه لبعضها وحاول تصحيحها ، فزادها فساداً ! وتوهم الخطأ فى بعض جمل الأصل مع أنها صحيحة فحرفها وأفسد معناها . فمن النوع الأول : فى ص ٩ س ١٤ : العجلى المصرى . وهو خطأ وصوابه : العجلى الماصرى(٢) .

وفى ص ٩ س ٢٠ : أمام الحجاج مع الفراء . وهو خطأ فى الأصل صوابه : أيام الحجاج مع القراء(٣) .

ومن النوع الثانى ما صنعه فى نص صاحب الأنساب فى ص٩ س١٨ الذى يقول فيه : وكان — الحديث عن قيس الماصر جد يونس بن حبيب — أول من مصر الفرات ودجلة . حيث قال : كذا . والصواب : مأصر الفرات ودجلة ، وصنع هذا الصنيع نفسه فى نص كتاب لب اللباب للسيوطى الذى نقله فى ص ١٠ س ٤ ، ٥ ونص الأصل هنا صحيح لا غبار عليه ، وقد ورد كذلك فى طبقات المحدثين بأصبهان لأبى الشيخ ، وفى كتاب أخبار أصبهان لأبى نعيم الأصبهانى ، وفى اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير وفى لب اللباب فى تحرير الأنساب للسيوطى ؛ ومعناه صحيح أيضاً لأن كتب اللغة — كما قدمت — تذكر المصر ، والماصر بمعنى الحاجز ، فمعنى مصر الفرات ودجلة ، حجز الفرات ودجلة ، ومنع المرور منهما . ولكن المؤلف لا يعرف الماصر بمعنى الحاجز ، ولم يرجع إلى مادة « مصر » فى كتب اللغة ، فتوهم أن قول صاحب الأنساب : مصر الفرات ودجلة خطأ ، فأصلحه وجعله : مأصر الفرات ودجلة . فاخترع من عندياته فعلاً لم تذكره كتب اللغة ، وليس له معنى صحيح ، وأفسد نص الأصل مع أنه صحيح !

ومن النوع الثالث ما فى ص ٩ س ١٨ ، ١٩ ، فقد ورد فى نص الأصل ما يلى : فهى قليس الماصر . وهى جملة مضطربة يظهر عليها التحريف » فأصلحها الأستاذ ميخائيل إلى : فهى قلس المأصر . ولكن هذا الإصلاح زاد النص تحريفاً جديداً فوق تحريفه . والحديث هنا عن قيس الماصر . وصحة العبارة هى هكذا : وكان أول من مصر الفرات ودجلة ، فهو قيس الماصر . فقد ورد فى طبقات المحدثين بأصبهان لابى الشيخ هكذا : وكان أول من مصر الفرات ودجلة ، فسمى قيس الماصر ، و كذلك وردت هذه الجملة فى اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير .

وهذا تحريف آخر وقع من المؤلف حرف فيه نص الأصل الصحيح الذى لا يجوز غيره . فقد جاء فى نص السمعانى فى ترجمة يونس بن حبيب : وهو ابن بنت حبيب بن الزبير الخ . وكذلك هو فى طبقات المحدثين بأصبهان لابى الشيخ ، وأخبار أصبهان لابى نعيم الأصبهانى ، ولكنه تحرف فى وكتاب المآصر فى بلاد الروم والإسلام ج ٩ص١٥ إلى : وهو ابن أخت حبيب بن الزبير ولم يدركه المؤلف .

ويظهر ان الأستاذ ميخائيل عواد أصبح قوى الإيمان باتحاد معنيى المآصر والمواصر ، فمع أنه ينقل فى ص ٢٠ عن كتاب (رسوم دار الخلافة) لهلال الصابئ نصاً صريحاً بأن القلوس غير المآصر ، وأنها أداة من أدواتها ، ومع أنه يقول فى ص٣٩ : المآصر ذات السلاسل الحديد ، والأبراج المنيمة الخ . وهذا صريح فى أن الأبراج المنيمة والسلاسل الحديد غير المآصر أقول : مع هذا وذاك ، إن الأستاذ ميخائيل عواد يسير فى سائر الكتاب على اعتقاد الاتحاد فى المعنى بين المآصر والمواصر .

هذا الغلط فى الخلط بين المأصر بالهمزة وبين الماصر بالألف عيب كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام) البارز الذى يكاد يذهب بكل محاسنه . فإن القارئ لا يستطيع — وهو يقرأ أحد فصول الكتاب — أن يجزم : هل الحديث الذى يقرأه حديث عن المآصر حقاً ، أم هو حديث عن المواصر . وإنما جعله الأستاذ المؤلف حديثاً عن المآصر لاعتقاده بأن المآصر هى المواصر ؟ . وهذا الشك يرد على كل ما أورده الأستاذ فى كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام) . ويبدو أن أكثره حديث عن المواصر ، وإنما جعله الأستاذ حديثاً عن المآصر . وإن الأستاذ ميخائيل عواد ليحسن صنعاً لو أعاد النظر فى كتابه هذا ، وأفرد المآصر فى بحث خاص ، والمواصر فى بحث آخر حتى يكون عمله ذا قيمة علمية ويؤتى ثمراته الجنية .

هذه نظرة عامة فى كتاب (المآصر فى بلاد الروم والإسلام)

---

(١) راجع « لب اللباب فى تحرير الأنساب » ص٢٣٤ طبعة ليدن سنة ١٨٤٠ م .

(٢) راجع الورقة ١٦٦ جـ ٢ من النسخة المصورة المحفوظة فى خزانة تيمور باشا من اللباب فى تهذيب الأنساب تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ

(٣) راجع ص ١٥٨ ، ١٥٩ من طبقات المحدثين بأصبهان لأبى الشيخ المخطوط المحفوظ فى المكتبة الظاهرية بدمشق .

أردت بها وجه الحق ، والنصح للأستاذ المؤلف . وفى الكتاب بعد ذلك هنات هينات لا يمكن أن يخلو من مثلها كتاب . وأنا عارض بعضها فيما يلى عرضاً سريعاً حتى يتدارکها الأستاذ المؤلف عند إعادة النظر فى الكتاب :

(١) بحث المآصر فى كتب اللغة وما إليها . كان حقه أن يكون بحثاً قائماً بذاته ، لا أن يجعل ضمن الباب الأول المعقود للمآصر النهرية بالعراق .

(٢) أشار المؤلف فى التصدير إلى ميناء أطرابلس العجيب ، ونقل شيئاً مما قاله ابن حوقل واليعقوبى عن هذا الميناء ، ولكنه لم يعرض له فى صلب الكتاب .

(٣) وردت كلمة (الموانئ) فى ص ٥ ، ٦ ، ٣٩ مرسومة هكذا : (الموانىء) وهو خطأ فى الرسم .

(٤) يقول المؤلف فى ص ٩ : إن الجواليقى نبه إلى خطأ شائع فى لفظ المآصر — يقصد المأصر — وقع فيه أكثر اللغويين الذين تطرقوا إلى ذكرها ، فقال : (. . وهو المأصر بكسر الصاد ، وفتحها خطأ الخ) والظاهر أنه نسى أنه نقل مثل هذا التنبيه على خطأ فتح الصاد عن الحريرى قبل ذلك فى ص ٧ .

(٥) فى ص ١٢ س ١٢ : حدثنا شعبة عن ابن إسحق . فقال المؤلف : لعله أبى إسحق . وقد ورد هذا الاسم صحيحاً فى ص ٧٠ ، فلو أن المؤلف رجع إلى الاسم هناك لما تردد .

(٦) فى ص ١٧ نقل النص الآتى : (وقد كان المكارى يبالغ فى أذى الناس ، وأخذ أموالهم ، ويقول : أنا قد فرشت حصيراً فى جهنم) . فعلق على كلمة (حصيراً) فى الحاشية بقوله : (الحصير الحبس : قال الله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) سورة الإسراء الآية ٧

وفى هذا التعليق غلطتان الأولى تفسير الحصير هنا بالحبس ؛ لأن المقصود بالحصير فى كلام المكارى هو ذلك الذى يفرش فى المنازل ويتخذ من البردى والأسل . قال فى تاج العروس : الحصير سقيفة تصنع من بردى أو أسل ، ثم يفرش . سمى بذلك لأنه يلى وجه الأرض . وفى الحديث : أفضل الجهاد وأكمله حج مبرور ثم لزوم الحصر بضم فسكون جمع حصير للذى يبسط فى البيوت قال الشاعر :

فأضحى كالامــير على سرير وأمسى كالأسير على حصير

والغلطة الثانية فى جعل الآية التى أوردها السابعة من سورة الإسراء مع أنها الثامنة .

(٧) فى ص ١٩ س ٣ وردت كلمة ملأ . وصوابها ملا بغير همزة مراعاة للوزن .

(٨) فى ص ١٩ ، ٢٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ وردت كلمة الصابئ مرسومة هكذا (الصابىء) وهو خطأ فى الرسم .

(٩) فى ص ٢٠ س ٧ قال : وقد مر بنا غير نبأ . وهو يقصد : وقد مر بنا أكثر من نبأ ، وقد تكرر نحو هذا الأسلوب منه فى ص ١٤ ، ٢١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٧٢ .

(١٠) فى ص ٣٤ س ٤ نقل هذا النص : لما كان الثامن والعشرين من شعبان الخ ، ولم ينبه إلى الخطأ فى كلمة العشرين . إذ الصواب العشرون .

(١١) فى ص ٦٠ س ١١ وردت جملة : منها لتثبيت الجسور وصوابها : منها تثبيت الجسور .

(١٢) فى ص ٦٢ س ٥ قال : ونسج البرجمى هذا فى استيفاء المبالغ من الضرائب والمآصر ونحوهما . فما معنى المآصر هنا؟

(١٣) فى ص ٦٢ س ١٧ ، ١٨ وردت جملة : وهو تحريف ظاهر . وصوابها : هو تحريف ظاهر بغير واو .

(١٤) فى ص ٦٣ س ١١ : قلت وراجع . صوابه : قلت راجع . بغير واو .

(١٥) فى ص ٦٥ س ٤ : وخرج الطائع لله فى تلقيه (لتلقى عضد الدولة) . وصوابه أن يقول . (تلقى عضد الدولة) بغير لام .

(١٦) فى ص ٧٠ أعاد رواية خبرين عن مسروق سبق له ذكرهما فى ص ١٢ . ومع أن رواية ص ٧٠ فيها زيادة هامة فى أحد الخبرين تتمم المعنى ، وتصحيحاً لاسم راو تشكك المؤلف فى اسمه فيما سبق . فإن المؤلف لم يتنبه لشىء من ذلك ولم ينبه إليه

وبعد فإن فى كتاب « المآصر فى بلاد الروم والإسلام » على صغر حجمه مجهوداً علمياً ، وبحثاً قيماً ، وعناء كبيراً ، بذل فى سبيل إعداده وإخراجه ، ولا يقلل من قيمة كل أولئك هذه الملاحظات التى لاحظتها على عمل الأستاذ المشكور ، فإنه أول بحث فى بابه : لم يطرقه أحد من قبله ، فكان حقيقاً أن يكون وعر المسالك كثير المخاوف والمجاهل . وقد وضع الأستاذ ميخائيل عواد بكتابه هذا الصور والمعالم على ذلك الطريق المجهول ، فسهل مهمة الباحثين من بعده ، فاستحق شكر قراء العربية على هذه الثمرة التى قدمها إلى المكتبة العربية . وإذا كانت هذه الثمرة غير تامة النضج فليس ذلك ذنباً يؤاخذ عليه ، وحسبه أنه بذل ما فى طاقته ، واستفرغ الجهد .

برهان الدين الداغستانى

فهرس الموضوعات للسنة السادسة عشرة من الرسالة

مطبعة الرسالة